



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



عليه
صلى
عليه
وآله
وسلم

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

شمس الحج النبوية

لابن أبي الحديد

بتحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

(١-٢٠)

دار الفکر للطباعة والنشر
بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شرح نهج البلاغه

كاتب:

ابن ابي الحديد معتزلى

نشرت فى الطباعة:

كتابخانه آيت الله مرعشى نجفى

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٦٣	شرح نهج البلاغة المجلد ١ الى ٢٠
٦٣	اشارة
٦٣	المجلد ١
٦٣	الجزء الأول
٦٣	اشاره
٦٣	المقدمة
٦٣	اشاره
٦٤	القول فيما يذهب إليه أصحابنا المعتزلة في الإمامة والتفضيل والبيعة والخوارج
٦٥	القول في نسب أمير المؤمنين علي ع وذكر لمع يسيرة من فضائله
٧٢	القول في نسب الرضى أبى الحسن رحمه الله وذكر طرف من خصائصه ومناقبه
٧٥	القول في شرح خطبة نهج البلاغة
٧٩	باب الخطب والأوامر
٧٩	اشاره
٧٩	١- فمن خطبة له ع يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم
٧٩	اشاره
٩٠	القول في الملائكة وأقسامهم
٩٤	اختلاف الأقوال في ابتداء خلق البشر
٩٥	تصويب الزنادقة إبليس لامتناعه عن السجود لآدم
٩٦	اختلاف الأقوال في خلق الجنة والنار
٩٦	القول في آدم والملائكة أيهما أفضل
٩٩	القول في أديان العرب في الجاهلية
١٠١	فصل في فضل البيت والكعبة
١٠٢	فصل في الكلام على السجع
١٠٣	٢- و من خطبة له ع بعد انصرافه من صفين
١٠٣	اشاره
١٠٤	

- ١٠١
- ١٠٧----- ماورد فى الوصاية من الشعر -----
- ١٠٩----- ٣- و من خطبة له وهى المعروفة بالشقشقية -----
- ١٠٩----- اشاره -----
- ١١٠----- نسب أبى بكر ونبذة من أخبار أبيه -----
- ١١٢----- مرض رسول الله وأمره أسامة بن زيد على الجيش -----
- ١١٣----- عهد أبى بكر بالخلافة إلى عمر بن الخطاب -----
- ١١٤----- طرف من أخبار عمر بن الخطاب -----
- ١٢١----- قصة الشورى -----
- ١٢٥----- نتف من أخبار عثمان بن عفان -----
- ١٢٨----- ٤- و من خطبة له ع -----
- ١٣٠----- ٥- و من كلام له ع لماقبض رسول الله ص وخاطبه العباس و أبوسفیان بن حرب فى أن يبایعا له بالخلافة -----
- ١٣٠----- اشاره -----
- ١٣١----- استطراد بذكر طائفة من الاستعارات -----
- ١٣٢----- اختلاف الرأى فى الخلافة بعد وفاة رسول الله -----
- ١٣٣----- ٦- و من كلام له لماأشیر عليه بألا يتبع طلحة والزبير و لايرصد لهما القتال -----
- ١٣٣----- اشاره -----
- ١٣٤----- طلحة والزبير ونسيهما -----
- ١٣٤----- خروج طارق بن شهاب لاستقبال على بن أبى طالب -----
- ١٣٥----- ٧- و من خطبة له ع -----
- ١٣٥----- ٨- و من كلام له ع يعنى به الزبير فى حال اقتضت ذلك -----
- ١٣٥----- اشاره -----
- ١٣٥----- أمر طلحة والزبير مع على بن أبى طالب بعد بيعتهما له -----
- ١٣٧----- ٩- و من كلام له ع -----
- ١٣٨----- ١٠- و من خطبة له ع -----
- ١٣٨----- ١١- و من كلام له ع لابنه محمد بن الحنفية لماأعطاه الراية يوم الجمل -----
- ١٣٩----- اشاره -----
- ١٣٩----- ذكر خبر مقتل حمزة بن عبدالمطلب -----

- ١٣٩----- محمد بن الحنفية ونسبه وبعض أخباره
- ١٤٠----- ١٢- و من كلام له ع لمأظفره الله بأصحاب الجمل
- ١٤٠----- اشاره
- ١٤١----- من أخبار يوم الجمل
- ١٤٢----- ١٣- و من كلام له ع في ذم أهل البصرة
- ١٤٢----- اشاره
- ١٤٢----- من أخبار يوم الجمل أيضا
- ١٤٧----- ١٤- و من كلام له ع في مثل ذلك
- ١٤٧----- ١٥- و من كلام له ع فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان رضي الله عنه
- ١٤٨----- ١٦- و من خطبة له ع لمابويع بالمدينة
- ١٤٨----- اشاره
- ١٥٠----- من كلام للحجاج وزيد نسجا فيه على منوال كلام علي
- ١٥١----- ١٧- و من كلام له ع في صفة من يتصدى للحكم بين الأمة و ليس لذلك بأهل
- ١٥٢----- ١٨- و من كلام له ع في ذم اختلاف العلماء في الفتيا
- ١٥٤----- ١٩- و من كلام له ع قاله للأشعث بن قيس
- ١٥٤----- اشاره
- ١٥٤----- الأشعث بن قيس ونسبه وبعض أخباره
- ١٥٦----- ٢٠- و من خطبة له ع
- ١٥٧----- ٢١- و من خطبة له ع
- ١٥٧----- ٢٢- و من خطبة له ع
- ١٥٧----- اشاره
- ١٥٨----- خطبة علي بالمدينة في أول إمارته
- ١٥٩----- خطبته
- ١٥٩----- خطبته بذى قار
- ١٦٠----- ٢٣- و من خطبة له ع
- ١٦٠----- اشاره
- ١٦٢----- فصل في ذم الحاسد والحسد
- ١٦٣----- فصل في مدح الصبر وانتظار الفرج

١٦٤ ----- فصل في الرياء والنهي عنه

١٦٥ ----- فصل في الاعتضاد بالعشيرة والتكثف بالقبيلة

١٦٦ ----- فصل في حسن الثناء وطيب الأحدثة

١٦٦ ----- فصل في مواساة الأهل وصله الرحم

٢٤- و من خطبة له ع -----

٢٥- و من خطبة له ع و قد تواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد -----

١٦٧ ----- اشاره

١٦٧ ----- نسب معاوية بن أبي سفيان وذكر بعض أخباره

١٧٠ ----- بسر بن أرطاة ونسبه

١٧٠ ----- عبيد الله بن العباس وبعض أخباره

١٧١ ----- أهل العراق وخطب الحجاج فيهم

المجلد ٢ -----

١٧٢ ----- الجزء الثاني

١٧٢ ----- تتمه الخطب والأوامر

١٧٢ ----- تتمه خطبة ٢٥

١٧٢ ----- اشاره

١٧٣ ----- بعث معاوية بسر بن أرطاة إلى الحجاز واليمن

٢٦- و من خطبة له ع -----

١٧٨ ----- اشاره

١٧٩ ----- حديث السقيفة

١٩٢ ----- قدوم عمرو بن العاص على معاوية

٢٧- و من خطبة له ع -----

١٩٦ ----- اشاره

١٩٨ ----- استطراد بذكر كلام لابن نباتة في الجهاد

٢٠٠ ----- غارة سفيان بن عوف الغامدي على الأنبار

٢٨- و من خطبة له ع -----

٢٠٢ ----- اشاره

٢٠٣ ----- نبذ من أقوال الصالحين والحكماء

- ٢٠٦----- استطراد بلاغى فى الكلام على المقابلة
- ٢٠٨----- ٢٩- و من خطبة له ع.....
- ٢٠٨----- اشاره
- ٢٠٩----- غارة الضحاك بن قيس و نطف من أخباره
- ٢١٣----- ٣٠- و من خطبة له ع فى معنى قتل عثمان
- ٢١٣----- اشاره
- ٢١٤----- اضطراب الأمر على عثمان ثم أخبار مقتله
- ٢٢٤----- ٣١- و من كلام له ع لمأئذ عبد الله بن عباس إلى الزبير قبل وقوع الحرب يوم الجمل ليستفيئنه إلى طاعته
- ٢٢٥----- اشاره
- ٢٢٤----- من أخبار الزبير وابنه عبد الله
- ٢٢٧----- استطراد بلاغى فى الكلام على الاستدراج
- ٢٢٨----- ٣٢- و من خطبة له ع.....
- ٢٢٨----- اشاره
- ٢٢٩----- فصل فى ذكر الآيات والأخبار الواردة فى ذم الرياء والشبهة
- ٢٣١----- فصل فى مدح الخمول والجنوح إلى العزلة
- ٢٣٢----- ٣٣- و من خطبة له ع.....
- ٢٣٢----- اشاره
- ٢٣٢----- خبر يوم ذى قار
- ٢٣٣----- ٣٤- و من خطبة له ع فى استنفار الناس إلى أهل الشام
- ٢٣٣----- اشاره
- ٢٣٤----- أمر الناس بعدوقعة النهروان
- ٢٣٤----- مناقب على وذكر طرف من أخباره فى عدله وزهده
- ٢٣٨----- ٣٥- و من خطبة له ع بعدالتحكيم
- ٢٣٨----- اشاره
- ٢٣٩----- قصة التحكيم ثم ظهور أمر الخوارج
- ٢٥٧----- ٣٦- و من خطبة له ع فى تخويف أهل النهروان
- ٢٥٧----- اشاره
- ٢٥٧----- أخبار الخوارج

- ٢٦٣ ٣٧- و من كلام له ع يجرى مجرى الخطبة
- ٢٦٣ اشاره
- ٢٦٤ الأخبار الواردة عن معرفة الإمام على بالأمور الغيبية
- ٢٦٨ ٣٨- و من خطبة له ع
- ٢٦٨ ٣٩- و من خطبة له ع
- ٢٦٨ اشاره
- ٢٦٨ أمر النعمان بن بشير مع على ومالك بن كعب الأرحبي
- ٢٧٠ ٤٠- و من كلام له ع للخوارج لِمَاسَمِ قولهم لاحكم إله
- ٢٧٠ اشاره
- ٢٧١ اختلاف الرأى فى القول بوجوب الإمامة
- ٢٧١ من أخبار الخوارج أيضا
- ٢٧٢ ٤١- و من خطبة له ع
- ٢٧٢ اشاره
- ٢٧٣ الأخبار والأحاديث والآيات الواردة فى مدح الوفاء وذم الغدر
- ٢٧٤ ٤٢- و من خطبة له ع
- ٢٧٥ ٤٣- و من كلام له ع وقد أشار عليه أصحابه بالاستعداد لحرب أهل الشام بعد إرساله إلى معاوية بجرير بن عبد الله البجلي
- ٢٧٥ اشاره
- ٢٧٦ ذكر ما أورده القاضى عبد الجبار من دفع ماتعلق به الناس على عثمان من الأحداث
- ٢٧٧ رد المرتضى على ما أورده القاضى عبد الجبار من الدفاع عن عثمان
- ٢٧٩ المجلد ٣
- ٢٧٩ الجزء الثالث
- ٢٧٩ تنمية الخطب والأوامر
- ٢٧٩ تنمية خطبة ٤٣
- ٢٧٩ اشاره
- ٢٨٠ بقیة رد المرتضى على ما أورده القاضى عبد الجبار من الدفاع عن عثمان
- ٢٨٢ ذكر المطاعن التى طعن بها على عثمان والرد عليها
- ٣٠٣ بيعة جرير بن عبد الله البجلي لعلی
- ٣٠٤ بيعة الأشعث لعلی

- ٣٠٤----- دعوة على معاوية إلى البيعة والطاعة ورد معاوية عليه
- ٣٠٩----- أخبار متفرقة
- ٣١٦----- مفارقة جرير بن عبد الله البجلي لعلى
- ٣١٦----- نسب جرير بن عبد الله البجلي وبعض أخباره
- ٣١٧----- ٤٤- و من كلام له ع لمأهرب مصقله بن هبيرة الشيباني إلى معاوية
- ٣١٧----- اشاره
- ٣١٧----- نسب بنى ناجية
- ٣١٨----- نسب على بن الجهم وذكر طائفه من أخباره وشعره
- ٣١٩----- نسب مصقله بن هبيرة
- ٣١٩----- خبر بنى ناجية مع على
- ٣١٩----- قصة الخريت بن راشد الناجي وخروجه على على
- ٣٢٨----- ٤٥- و من خطبة له ع
- ٣٢٨----- اشاره
- ٣٢٨----- فصل بلاغي في الموازنة والسجع
- ٣٢٩----- نبذ من كلام الحكماء في مدح القناعة وذم الطمع
- ٣٣٢----- ٤٦- و من كلام له ع
- ٣٣٢----- اشاره
- ٣٣٢----- أدعية على
- ٣٣٣----- نزول على بكر بلاء
- ٣٣٤----- خروج على لحرب معاوية و مدار بينه و بين أصحابه
- ٣٣٩----- كتاب محمد بن أبي بكر إلى معاوية وجوابه عليه
- ٣٤٢----- ٤٧- و من كلام له ع في ذكر الكوفة
- ٣٤٢----- اشاره
- ٣٤٢----- فصل في ذكر فضل الكوفة
- ٣٤٣----- ٤٨- و من خطبة له ع
- ٣٤٣----- اشاره
- ٣٤٤----- أخبار على في جيشه و هو في طريقه إلى صفين
- ٣٤٨----- ٤٩- و من خطبة له ع

- ٣٤٨ اشاره
- ٣٤٩ فصول في العلم الإلهي
- ٣٤٩ الفصل الأول و هوالكلام في كونه تعالى عالما بالأموور الخفية
- ٣٥٠ الفصل الثاني في تفسير قوله ع ودلت عليه أعلام الظهور
- ٣٥٠ الفصل الثالث في أن هويته تعالى غير هوية البشر
- ٣٥١ الفصل الرابع في نفى التشبيه عنه تعالى
- ٣٥٦ الفصل الخامس في بيان أن الجاحد له مكابر بلسانه ومثبت له بقلبه
- ٣٥٠ -٥٠ و من خطبة له ع
- ٣٥٧ -٥١ و من كلام له ع لماغلب أصحاب معاوية أصحابه ع على شريعة الفرات بصفين ومنعواهم من الماء
- ٣٥٧ اشاره
- ٣٥٨ الأشعار الواردة في الإباء والأنف من احتمال الضيم
- ٣٥٩ أباة الضيم وأخبارهم
- ٣٧٦ غلبة معاوية على الماء بصفين ثم غلبة على عليه بعد ذلك
- ٣٨١ -٥٢ و من خطبة له ع
- ٣٨١ اشاره
- ٣٨٢ ما قيل من الأشعار في ذم الدنيا
- ٣٨٥ المجلد ٤
- ٣٨٥ الجزء الرابع
- ٣٨٦ تتمه الخطب والأوامر
- ٣٨٦ اشاره
- ٣٨٦ تتمه الخطبة الثانية والخمسين
- ٣٨٦ اشاره
- ٣٨٦ اختلاف الفقهاء في حكم الأضحى
- ٣٨٦ -٥٣ و من كلام له ع في ذكر البيعة
- ٣٨٧ اشاره
- ٣٨٧ بيعه على وأمر المتخلفين عنها
- ٣٨٨ -٥٤ و من كلام له ع و قد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفين
- ٣٨٨ اشاره

- ٣٨٩ من أخبار يوم صفين
- ٣٩٥ ٥٥- و من كلام له ع
- ٣٩٥ اشاره
- ٣٩٦ فتنه عبد الله بن الحضرمي بالبصرة
- ٤٠٢ ٥٦- و من كلام له ع لأصحابه
- ٤٠٢ اشاره
- ٤٠٣ مسألة كلامية في الأمر بالشيء مع العلم بأنه لا يقع
- ٤٠٣ فصل فيما روى من سب معاوية وحزبه لعلي
- ٤٠٦ فصل في ذكر الأحاديث الموضوعه في ذم علي
- ٤٠٩ فصل في ذكر المنحرفين عن علي
- ٤٢١ فصل في معنى قول علي فسيوني فإنه لي زكاة
- ٤٢٢ فصل في اختلاف الرأي في معنى السب والبراءة
- ٤٢٢ فصل في معنى قول علي إني ولدت على الفطرة
- ٤٢٣ فصل فيما قيل من سبق علي إلى الإسلام
- ٤٢٤ فصل فيما ذكر من سبق علي إلى الهجرة
- ٤٢٧ ٥٧- و من كلام له ع كلم به الخوارج
- ٤٢٧ اشاره
- ٤٢٨ أخبار الخوارج وذكر رجالهم وحروبهم
- ٤٢٨ عروة بن حدير
- ٤٢٨ نجدة بن عويمر الحنفي
- ٤٢٩ المستورد بن سعد التميمي
- ٤٢٩ حوثة الأسدى
- ٤٢٩ قريب بن مرة وزحاف الطائى
- ٤٣٠ نافع بن الأزرق الحنفي
- ٤٣٢ عبيد الله بن بشير بن الماحوز اليربوعى
- ٤٣٣ الزبير بن علي السليطى وظهور أمر المهلب
- ٤٤٠ قطرى بن الفجاءة المازنى
- ٤٥٠ عبدربه الصغير

- ٤٥٣ طرف من أخبار المهلب وبينه
- ٤٥٦ شبيب بن يزيد الشيباني
- ٤٥٨ دخول شبيب الكوفة وأمره مع الحجاج
- المجلد ٥ ٤٧٢
- الجزء الخامس ٤٧٢
- تتمة الخطب والأوامر ٤٧٢
- اشاره ٤٧٢
- ٥٨- و قال ع لماعزم على حرب الخوارج وقيل له إن القوم قد عبروا جسر النهروان ٤٧٢
- اشاره ٤٧٢
- ذكر الخبر عن ظهور الغلاة ٤٧٣
- طرق الإخبار عن الغيوب ٤٧٤
- ٥٩- و قال لما قتل الخوارج ٤٧٥
- اشاره ٤٧٥
- الكناية والرموز والتعريض مع ذكر مثل منها ٤٧٦
- حقيقة الكناية والتعريض والفرق بينهما ٤٨٦
- مقتل الوليد بن طريف الخارجي ورتاء أخته له ٤٩٠
- خروج ابن عمرو الخثعمي وأمره مع محمد بن يوسف الطائي ٤٩١
- ذكر جماعة ممن كان يرى رأى الخوارج ٤٩١
- ٦٠- و قال ع فى الخوارج ٤٩٢
- اشاره ٤٩٢
- عود إلى أخبار الخوارج وذكر رجالهم وحروبهم ٤٩٢
- مرداس بن حدير ٤٩٣
- عمران بن حطان ٤٩٦
- المستورد السعدى ٤٩٧
- حوثة الأسدى ٤٩٨
- الرهين المرادى ٤٩٨
- عباد بن أخضر المازنى ٤٩٩
- أبوالوازع الراسبى ٤٩٩

- ٥٠٠----- عمران بن الحارث الراسبي
- ٥٠٠----- عبد الله بن يحيى طالب الحق
- ٥٠٣----- أبوحزمة الشاري
- ٥٠٨----- أخبار متفرقة عن معاوية
- ٥٠٩----- ٦١- و من كلام له ع لماخوف من الغيلة
- ٥٠٩----- اشاره
- ٥٠٩----- اختلاف الناس في الآجال
- ٥١١----- ٦٢- و من خطبة له ع
- ٥١٣----- ٦٣- و من خطبة له ع
- ٥١٣----- اشاره
- ٥١٤----- عظة للحسن البصري
- ٥١٥----- من خطب عمر بن عبدالعزيز
- ٥١٥----- من خطب ابن نباتة
- ٥١٦----- ٦٤- و من خطبة له ع
- ٥١٦----- اشاره
- ٥١٨----- اختلاف الأقوال في خلق العالم
- ٥٢١----- ٦٥- و من كلام له ع كان يقوله لأصحابه في بعض أيام صفين
- ٥٢١----- اشاره
- ٥٢٣----- من أخبار يوم صفين
- ٥٤٩----- المجلد ٦
- ٥٤٩----- الجزء السادس
- ٥٤٩----- تنمة الخطب والأوامر
- ٥٤٩----- اشاره
- ٥٤٩----- ٦٦- و من كلام له ع في معنى الأنصار
- ٥٤٩----- اشاره
- ٥٥٠----- يوم السقيفة
- ٥٥٣----- قصيدة أبي القاسم المغربي وتعصبه للأنصار على قريش
- ٥٥٤----- أمر المهاجرين والأنصار بعدبيعة أبي بكر

- ٥٦٤----- ذكر أمر فاطمة مع أبي بكر
- ٥٦٦----- ٦٧- و من كلام له ع لماقلد محمد بن أبي بكر مصر فملكته عليه وقتل
- ٥٦٦----- اشاره
- ٥٦٧----- ذكر محمد بن أبي بكر وذكر ولده
- ٥٦٧----- هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ونسبه
- ٥٦٨----- ولاية قيس بن سعد على مصر ثم عزله
- ٥٧١----- ولاية محمد بن أبي بكر على مصر وأخبار مقتله
- ٥٨١----- خطبة للإمام على بعدمقتل محمد بن أبي بكر
- ٥٨٤----- خبر مقتل محمد بن أبي حذيفة
- ٥٨٤----- ٦٨- و من كلام له ع في ذم أصحابه
- ٥٨٤----- اشاره
- ٥٨٥----- طائفة من الأشعار الواردة في ذم الجين
- ٥٨٦----- أخبار الجبناء وذكر نوادرهم
- ٥٨٧----- ٦٩- و قال ع في سحره اليوم الذي ضرب فيه
- ٥٨٨----- اشاره
- ٥٨٨----- خبر مقتل الإمام على كرم الله وجهه
- ٥٩٣----- ٧٠- و من كلام له ع في ذم أهل العراق
- ٥٩٣----- اشاره
- ٥٩٣----- ذكر مطاعن النظام على الإمام على والرد عليه
- ٥٩٥----- خطبة الإمام على بعد يوم النهروان
- ٥٩٦----- من خطب الإمام على أيضا
- ٥٩٦----- ٧١- و من خطبة له ع علم فيها الناس الصلاة على النبي ص
- ٥٩٦----- اشاره
- ٥٩٨----- معنى الصلاة على النبي والخلاف في جواز الصلاة على غيره
- ٥٩٩----- ٧٢- و من كلام له ع قاله لمروان بن الحكم بالبصرة
- ٥٩٩----- اشاره
- ٦٠٠----- مروان بن الحكم ونسبه وأخباره
- ٦٠٦----- ٧٣- و من كلام له ع لماعزموا على بيعه عثمان

- ٦٠٦----- اشاره
- ٦٠٦----- كلام لعلي قبل المبايعة لعثمان
- ٦٠٧----- ٧٤- و من كلام له ع لمبالغه اتهم بني أمية له بالمشاركة في دم عثمان
- ٦٠٨----- ٧٥- و من خطبة له ع
- ٦٠٨----- ٧٦- و من كلام له ع
- ٦٠٩----- ٧٧- و من كلمات كان ع يدعو بها
- ٦٠٩----- اشاره
- ٦٠٩----- من أدعية رسول الله المأثورة
- ٦١٠----- من أدعية الصحيفة
- ٦١٣----- من الأدعية المأثورة عن عيسى ع
- ٦١٣----- من الأدعية المأثورة عن بعض الصالحين
- ٦١٦----- آداب الدعاء
- ٦١٧----- ٧٨- و من كلام له ع قاله لبعض أصحابه لماعزم على المسير إلى الخوار
- ٦١٧----- اشاره
- ٦١٨----- القول في أحكام النجوم
- ٦٢٣----- ٧٩- و من كلام له ع بعد فراغه من حرب الجمل في ذم النساء
- ٦٢٣----- اشاره
- ٦٢٣----- أخبار عائشة في خروجها من مكة إلى البصرة بعدمقتل عثمان
- ٦٢٨----- ٨٠- و من كلام له ع
- ٦٢٨----- اشاره
- ٦٢٩----- الآثار والأخبار الواردة في الزهد
- ٦٣١----- ٨١- و من كلام له ع في صفة الدنيا
- ٦٣١----- ٨٢- و من خطبة له ع وتسمى بالغراء
- ٦٣١----- اشاره
- ٦٤١----- فصل في ذكر القبر وسؤال منكر وتكبير
- ٦٤٣----- ٨٣- و من كلام له ع في ذكر عمرو بن العاص
- ٦٤٣----- اشاره
- ٦٤٣----- نسب عمرو بن العاص وطرف من أخباره

- ٦٤٤ مفاخرة بين الحسن بن علي ورجال من قريش
- ٦٤٨ عمرو بن العاص ومعاوية
- ٦٤٨ عبد الله بن جعفر وعمرو بن العاص في مجلس معاوية
- ٦٤٩ عبد الله بن العباس ورجال من قريش في مجلس معاوية
- ٦٥١ عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص في الحبشة
- ٦٥٢ أمر عمرو بن العاص مع جعفر بن أبي طالب في الحبشة
- ٦٥٤ أمر عمرو بن العاص في صفين
- ٦٥٥ خبر إسلام عمرو بن العاص
- ٦٥٦ بعث رسول الله عمرا إلى ذات السلاسل
- ٦٥٦ ولايات عمرو في عهد الرسول والخلفاء
- ٦٥٧ نبذ من كلام عمرو بن العاص
- ٦٥٨ فصل في شرح مانسب إلى علي من الدعابة
- ٦٦٠ أقوال وحكايات في المزاح
- ٦٦٣ نبذ وأقول في حسن الخلق ومدحه
- ٦٦٤ فصل في ذكر أسباب الغلظة والفظاظة
- ٦٦٥ ٨٤- و من خطبة له ع
- ٦٦٦ ٨٥- و من خطبة له ع
- ٦٦٧ اشاره
- ٦٦٩ فصل في ذم الكذب وحقارة الكذابين
- ٦٧٠ ٨٦- و من خطبة له ع
- ٦٧٠ اشاره
- ٦٧١ فصل في العباد والزهاد والعارفين وأحوالهم
- ٦٧٧ ٨٧- و من خطبة له ع
- ٦٧٨ ٨٨- و من خطبة له ع
- ٦٨٠ ٨٩- و من خطبة له ع
- ٦٨٢ ٩٠- و من خطبة له ع تعرف بخطبة الأشباح وهي من جلائل خطبة ع
- ٦٨٢ اشاره
- ٦٩٣ أبحاث تتعلق بالملائكة

٦٩٨	فصول متنوعة تتعلق بالخطبة
٧٠٠	الفصل الخامس في بيان أنه ع إمام أرباب صناعة البديع
٧٠٠	المجلد ٧
٧٠٠	الجزء السابع
٧٠٠	تتمة الخطب والأوامر
٧٠٠	اشاره
٧٠١	تتمة خطبة ٠٩٠
٧٠١	اشاره
٧٠٢	القول في عصمة الأنبياء
٧٠٣	الفصل الأول في حال الأنبياء قبل البعثه و من ألدى يجوز أن يرسله الله تعالى إلى العباد
٧٠٣	الفصل الثانى في عصمة الأنبياء في زمن النبوة عن الذنوب في أفعالهم وتركهم عدا مايتعلق بتبليغ الوحى والفتوى في الأحكام
٧٠٦	الفصل الثالث في خطبهم في التبليغ والفتاوى
٧١٠	٩١- و من كلام له ع لمأراداه الناس على البيعة بعدقتل عثمان رضى الله عنه
٧١٠	اشاره
٧١١	فصل فيما كان من أمر طلحة والزبير
٧١٤	٩٢- و من خطبة له ع
٧١٤	اشاره
٧١٦	فصل في ذكر أمور غيبية أخبر بهاالإمام ثم تحققت
٧٢٠	٩٣- و من خطبة له ع
٧٢١	٩٤- و من خطبة له ع
٧٢٢	٩٥- و من خطبة له ع
٧٢٢	٩٦- و من كلام له ع
٧٢٥	٩٧- و من كلام له ع
٧٢٦	٩٨- و من خطبة له ع
٧٢٧	٩٩- و من خطبة له ع
٧٢٧	اشاره
٧٢٨	أقوال مأثورة في مدح الأناة وذم العجلة
٧٢٨	فصل في مدح قلة الكلام وذم كثرته

- ١٠٠- و من خطبة له ع وهي من الخطب التي تشتمل على ذكر الملاحم ٧٣١
- ١٠١- و من خطبة له ع تجرى هذا المجرى ٧٣٣
- ١٠٢- و من خطبة له ع ٧٣٤
- ١٠٣- و من خطبة له ع ٧٣٦
- ١٠٤- و من خطبة له ع ٧٣٧
- ٧٣٧- اشاره ٧٣٧
- هزيمة مروان بن محمد في موقعة الزاب ثم مقتله بعد ذلك ٧٣٩
- شعر عبد الله بن عمرو العبلي في رثاء قومه ٧٤٠
- أنفة بن مسلمة بن عبد الملك ٧٤٠
- مما قيل من الشعر في التحريض على قتل بني أمية ٧٤٠
- أخبار متفرقة في انتقال الملك من بني أمية إلى بني العباس ٧٤١
- ١٠٥- و من خطبة له ع ٧٥٤
- ١٠٦- و من كلام له ع في بعض أيام صفين ٧٥٧
- ١٠٧- و من خطبة له ع وهي من خطب الملاحم ٧٥٧
- ٧٥٧- اشاره ٧٥٧
- فصل في التقسيم و ماورد فيه من الكلام ٧٥٨
- ١٠٨- و من خطبة له ع ٧٦١
- ٧٦١- اشاره ٧٦١
- فصل في الكلام على الالتفات ٧٦١
- موازنة بين كلام الإمام علي وخطب ابن نباتة ٧٦٦
- ١٠٨- و من خطبة له ع ٧٦٩
- ١١٠- و من خطبة له ع ٧٧١
- ١١١- و من خطبة له ع يذكر فيها ملك الموت وتوفيه الأنفس ٧٧٤
- ٧٧٤- اشاره ٧٧٤
- فصل في التلخيص و سياق كلام للشعراء فيه ٧٧٥
- فصل في الاستطراد وإيراد شواهد للشعراء فيه ٧٧٥
- ١١٢- و من خطبة له ع ٧٧٧
- ١١٣- و من خطبة له ع ٧٧٨

- ١١٤- و من خطبة له ع في الاستسقاء ٧٨٢
- اشاره ٧٨٢
- صلاة الاستسقاء وأدائها ٧٨٤
- أخبار وأحاديث في الاستسقاء ٧٨٥
- ١١٥- و من خطبة له ع ٧٨٦
- ١١٦- و من كلام له ع ٧٨٨
- ١١٧- و من كلام له ع ٧٨٨
- ١١٨- و من كلام له ع و قد جمع الناس وحضهم على الجهاد فسكتوا مليا ٧٨٩
- ١١٩- و من كلام له ع ٧٨٩
- ١٢٠- و من كلام له ع ٧٩٠
- ١٢١- و من كلام له ع قاله للخوارج ٧٩٢
- ١٢٢- و من كلام له ع قاله لأصحابه في ساعة الحرب ٧٩٣
- ١٢٣- و من كلام له ع ٧٩٤
- المجلد ٨ ٧٩٤
- الجزء الثامن ٧٩٤
- تتمة الخطب والأوامر ٧٩٤
- اشاره ٧٩٥
- ١٢٤- و من كلام له ع في حث أصحابه على القتال ٧٩٥
- اشاره ٧٩٥
- عود إلى أخبار صفين ٧٩٧
- ١٢٥- و من كلام له ع في الخوارج لما أنكروا تحكيم الرجال ويذم فيه أصحابه في التحكيم ٨٢٣
- ١٢٦- و من كلام له ع لماعوقب على التسوية في العطاء وتصويره الناس أسوة في العطاء من غير تفضيل أولى السابقات والشرف ٨٢٥
- ١٢٧- و من كلام له ع قاله للخوارج أيضا ٨٢٦
- اشاره ٨٢٦
- مذهب الخوارج في تكفير أهل الكباير ٨٢٧
- فصل في ذكر الغلاة من الشيعة والتصيرية وغيرهم ٨٢٨
- ١٢٨- و من كلام له ع فيما يخبر به عن الملاحم بالبصرة ٨٢٠
- اشاره ٨٣٠

- أخبار صاحب الزنج وفتنته و ما انتحله من عقائد ٨٣١
- فصل فى ذكر جنكزخان وفتنة التتر ٨٦٤
- ١٢٩- و من خطبة له ع فى ذكر المكايل والموازين ٨٧٣
- اشاره ٨٧٣
- نبذ من أقوال الحكماء والصالحين ٨٧٤
- ١٣٠- و من كلام له ع لأبى ذر رحمه الله لما أخرج إلى الربذة ٨٧٥
- اشاره ٨٧٥
- أخبار أبى ذر الغفارى حين خروجه إلى الربذة ٨٧٥
- ١٣١- و من كلام له ع ٨٧٩
- ١٣٢- و من خطبة له ع ٨٨٠
- ١٣٣- و من كلام له ع ٨٨٢
- اشاره ٨٨٢
- فصل فى الجناس وأنواعه ٨٨٣
- ١٣٤- و من كلام له ع و قدشاوره عمر بن الخطاب فى الخروج إلى غزو الروم ٨٨٨
- اشاره ٨٨٨
- غزوة فلسطين وفتح بيت المقدس ٨٨٩
- ١٣٥- و من كلام له ع و قدوقعت بينه و بين عثمان مشاجرة ٨٩٠
- اشاره ٨٩٠
- فصل فى نسب تقيف وطرف من أخبارهم ٨٩١
- المجلد ٩ ٨٩٢
- الجزء التاسع ٨٩٢
- تتمة الخطب والأوامر ٨٩٢
- تتمة خطبة ١٣٥ ٨٩٢
- ذكر أطراف مما شجر بين على وعثمان فى أثناء خلافته ٨٩٢
- فصل فيما شجر بين عثمان و ابن عباس من الكلام بحضرة على ٨٩٧
- أسباب المنافسة بين على وعثمان ٩٠٠
- ١٣٦- و من كلام له ع ٩٠٢
- ١٣٧- و من كلام له ع فى شأن طلحة والزبير ٩٠٢

- ١٣٨- و من خطبة له ع يومئذ فيها إلى ذكر الملاحم ٩٠٤
- اشاره ٩٠٤
- فصل في الاعتراض وإيراد مثل منه ٩٠٥
- ١٣٩- و من كلام له ع في وقت الشورى ٩٠٧
- اشاره ٩٠٧
- من أخبار يوم الشورى وتولية عثمان ٩٠٧
- ١٤٠- و من كلام له ع في النهي عن غيبة الناس ٩١١
- اشاره ٩١١
- أقوال مأثورة في ذم الغيبة والاستماع إلى المغتابين ٩١١
- حكم الغيبة في الدين ٩١٣
- فصل في الأسباب الباعثة على الغيبة ٩١٤
- طريق التوبة من الغيبة ٩١٥
- ١٤١- و من كلام له ع ٩١٥
- ١٤٢- و من كلام له ع ٩١٦
- ١٤٣- و من خطبة له ع في الاستسقاء ٩١٧
- اشاره ٩١٧
- الثواب والعقاب ٩١٨
- ١٤٤- و من خطبة له ع ٩١٩
- اشاره ٩١٩
- اختلاف الفرق الإسلامية في كون الأئمة من قريش ٩٢٠
- ١٤٥- و من خطبة له ع ٩٢١
- ١٤٦- و من كلام له ع و قد استشاره عمر في الشخوص لقتال الفرس بنفسه ٩٢٣
- اشاره ٩٢٣
- يوم القادسية ٩٢٣
- يوم نهاوند ٩٢٤
- ١٤٧- و من خطبة له ع ٩٢٦
- ١٤٨- و من كلام له ع في ذكر أهل البصرة ٩٢٧
- اشاره ٩٢٧

- ٩٢٨ من أخبار يوم الجمل .
- ٩٢٩ مقتل طلحة والزبير .
- ٩٢٩ ١٤٩- و من كلام له ع قبل موته .
- ٩٣٢ ١٥٠- و من خطبة له ع ويومئ فيها إلى الملاحم .
- ٩٣٦ ١٥١- و من خطبة له ع .
- ٩٣٩ ١٥٢- و من خطبة له ع .
- ٩٣٩ اشاره .
- ٩٣٩ أبحاث كلامية .
- ٩٤١ عقيدة على في عثمان ورأى المعتزلة في ذلك .
- ٩٤٣ ١٥٣- و من خطبة له ع .
- ٩٤٥ ١٥٤- و من خطبة له ع .
- ٩٤٥ اشاره .
- ٩٤٦ ذكر الأحاديث والأخبار الواردة في فضائل على .
- ٩٥٠ ١٥٥- و من خطبة له ع يذكر فيها بديع خلقه الخفاش .
- ٩٥٠ اشاره .
- ٩٥١ فصل في ذكر بعض غرائب الطيور و ما فيها من عجائب .
- ٩٥٣ ١٥٦- و من كلام له ع خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم .
- ٩٥٣ اشاره .
- ٩٥٣ فصل في ترجمة عائشة وذكر طرف من أخبارها .
- ٩٥٨ ١٥٧ .
- ٩٥٩ ١٥٨- و من خطبة له ع .
- ٩٦٢ ١٥٩- و من خطبة له ع .
- ٩٦٣ ١٦٠- و من خطبة له ع .
- ٩٦٣ ١٦١- و من خطبة له ع .
- ٩٦٣ اشاره .
- ٩٦٧ نبذ من الأخبار والآثار الواردة في البعد عن زينة الدنيا .
- ٩٦٨ ١٦٢- و من خطبة له ع .
- ٩٦٨ ١٦٣- و من كلام له ع لبعض أصحابه .

- ٩٦٨ اشاره
- ٩٦٩ حديث عن امرئ القيس
- ٩٧٢ ١٦٤- و من خطبة له ع
- ٩٧٢ اشاره
- ٩٧٣ مباحث كلامية
- ٩٧٥ ١٦٥- و من كلام له ع لعثمان بن عفان
- ٩٧٦ ١٦٦- و من خطبة له ع يذكر فيها عجيب خلق الطاوس
- ٩٨٠ ١٦٧- و من خطبة له ع
- ٩٨٢ ١٦٨- و من خطبة له ع في أول خلافته
- ٩٨٣ ١٦٩- و من كلام له ع بعد ما بويع له بالخلافة
- ٩٨٣ اشاره
- ٩٨٣ موقف علي من قتل عثمان
- ٩٨٤ ١٧٠- و من خطبة له ع
- ٩٨٥ ١٧١- و من كلام له ع كلم به بعض العرب
- ٩٨٦ ١٧٢- و من كلام له ع لما عزم على لقاء القوم بصفين
- ٩٨٦ ١٧٣- و من خطبة له ع
- ٩٨٦ اشاره
- ٩٨٨ ذكر يوم الجمل ومسير عائشة إلى القتال
- ٩٩٣ منافرة بين ولدي علي وطلحة
- ٩٩٣ منافرة عبد الله بن الزبير و عبد الله بن العباس
- ٩٩٤ ١٧٤- و من خطبة له ع
- ٩٩٦ المجلد ١٠
- ٩٩٦ الجزء العاشر
- ٩٩٦ تنمة باب الخطب والأوامر
- ٩٩٦ اشاره
- ٩٩٦ ١٧٥- و من كلام له ع في معنى طلحة بن عبيد الله
- ٩٩٦ اشاره
- ٩٩٧ ذكر ما كان من أمر طلحة مع عثمان

- ٩٩٨ ١٧٦- من خطبة له ع
- ٩٩٨ اشاره
- ٩٩٩ فصل في ذكر بعض أقوال الغلاة في علي
- ٩٩٩ جملة من إخبار علي بالأمر الغيبية
- ١٠٠٠ ١٧٧- و من خطبة له ع
- ١٠٠٠ اشاره
- ١٠٠١ فصل في القرآن وذكر الآثار التي وردت بفضلها
- ١٠٠٦ فصل في الآثار الواردة في شديد عذاب جهنم
- ١٠٠٧ فصل في العزلة والاجتماع و ما قبل فيهما
- ١٠٠٨ ذكر فوائد العزلة
- ١٠١٢ ١٧٨- و من كلام له ع في معنى الحكيمين
- ١٠١٢ اشاره
- ١٠١٣ كتاب معاوية إلى عمرو بن العاص و هو على مصر
- ١٠١٣ ١٧٩- و من خطبة له ع
- ١٠١٥ ١٨٠- و من كلام له ع
- ١٠١٦ ١٨١- و من كلام له ع في ذم أصحابه
- ١٠١٨ ١٨٢- و من كلام له ع
- ١٠١٨ ١٨٣- و من خطبة له ع
- ١٠١٨ اشاره
- ١٠١٩ نوف البكالي
- ١٠١٩ نسب جعدة بن هبيرة
- ١٠٢٣ نسب العمالقة
- ١٠٢٤ نسب عاد و ثمود
- ١٠٢٤ نسب الفراعنة
- ١٠٢٤ نسب أصحاب الرس
- ١٠٢٦ عمار بن ياسر ونسبه ونبذ من أخباره
- ١٠٢٨ ذكر أبي الهيثم بن التيهان وطرف من أخباره
- ١٠٢٨ ذكر ذى الشهادتين خزيمه بن ثابت وطرف من أخباره

- ١٠٢٩----- ذكر سعد بن عبادَةَ ونسبه
- ١٠٣٠----- ذكر أبي أيوب الأنصاري ونسبه
- ١٠٣٠----- ١٨٤- من خطبة له ع
- ١٠٣٠----- اشاره
- ١٠٣٣----- نبذ وأقويل في التقوى
- ١٠٣٤----- طرف وأخبار
- ١٠٣٤----- خطبة لأبي الشخباء العسقلاني
- ١٠٣٥----- رأى للمؤلف في كتاب نهج البلاغة
- ١٠٣٥----- ١٨٥- و من كلام له ع قاله للبرج بن مسهر الطائي
- ١٠٣٦----- ١٨٦- و من خطبة له ع
- ١٠٣٦----- اشاره
- ١٠٣٧----- فصل في فضل الصمت والاقتصاد في المنطق
- ١٠٣٨----- ذكر الآثار الواردة في آفات اللسان
- ١٠٤٠----- ذكر الخوف و ماورد فيه من الآثار
- ١٠٤٥----- ذكر بعض أحوال العارفين
- ١٠٤٥----- ١٨٧- و من خطبة له ع يصف فيها المنافقين
- ١٠٤٧----- ١٨٨- و من خطبة له ع
- ١٠٤٩----- ١٨٩- و من خطبة له ع
- ١٠٤٩----- ١٩٠- و من خطبة له ع
- ١٠٥٠----- اشاره
- ١٠٥١----- ذكر خبر موت الرسول ع
- ١٠٥٢----- ١٩١- و من خطبة له ع
- ١٠٥٢----- اشاره
- ١٠٥٤----- اختلاف الأقوال في عمر الدنيا
- ١٠٥٧----- ١٩٢- و من كلام له ع كان يوصي به أصحابه
- ١٠٥٧----- اشاره
- ١٠٥٨----- فصل في ذكر الآثار الواردة في الصلاة وفضلها
- ١٠٥٩----- ذكر الآثار الواردة في فضل الزكاة والتصدق

- ١٠٦٠----- ١٩٣- و من كلام له ع -----
- ١٠٦٠----- اشاره -----
- ١٠٦٠----- سياسة على وجريها على سياسة الرسول ع -----
- ١٠٦٥----- كلام أبي جعفر الحسنى فى الأسباب التى أوجبت محبة الناس لعلى -----
- ١٠٦٧----- سياسة على ومعاوية وإيراد كلام للجاحظ فى ذلك -----
- ١٠٦٩----- ذكر أقوال من طعن فى سياسة على والرد عليها -----
- ١٠٧٩----- ١٩٤- و من كلام له ع -----
- ١٠٧٩----- اشاره -----
- ١٠٧٩----- قصة صالح وثمود -----
- ١٠٨٠----- ١٩٥- و من كلام له ع -----
- ١٠٨٠----- اشاره -----
- ١٠٨٢----- مارواه أبوحيان فى حديث السقيفة -----
- ١٠٨٨----- المجلد ١١ -----
- ١٠٨٨----- الجزء الحادى عشر -----
- ١٠٨٨----- تتمه باب الخطب والأوامر -----
- ١٠٨٨----- اشاره -----
- ١٠٨٨----- ١٩٦- و من كلام له ع -----
- ١٠٨٨----- ١٩٧- و من كلام له ع كان كثيرا ماينادى به أصحابه -----
- ١٠٨٩----- ١٩٨- و من كلام له ع كلم به طلحة والزبير بعدبيعتة بالخلافة -----
- ١٠٨٩----- اشاره -----
- ١٠٩٠----- من أخبار طلحة والزبير -----
- ١٠٩٣----- ١٩٩- و من كلام له ع و قدسمع قوما من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين -----
- ١٠٩٤----- ٢٠٠- و من كلام له ع فى بعض أيام صفين و قدرأى الحسن ابنه ع يتسرع إلى الحرب -----
- ١٠٩٥----- ٢٠١- و من كلام له ع قاله لماضطرب عليه أصحابه فى أمر الحكومه -----
- ١٠٩٦----- ٢٠٢- و من كلام له ع بالبصرة و قددخل على العلاء بن زياد الحارثى -----
- ١٠٩٦----- اشاره -----
- ١٠٩٧----- ذكر بعض مقامات العارفين والزهاد -----
- ١٠٩٨----- ٢٠٣- و من كلام له ع و قدسأله سائل عن أحاديث البدع وعمما فى أيدى الناس من اختلاف الخبر -----

- ١٠٩٨ اشاره
- ١٠٩٩ ذكر بعض أحوال المنافقين بعد وفاة محمد ع
- ١١٠٠ ذكر بعض مامنى به آل البيت من الأذى والاضطهاد
- ١١٠٢ فصل فيما وضع الشيعة والبكرية من الأحاديث
- ١١٠٣-٢٠٤ و من خطبة له ع
- ١١٠٤-٢٠٥ و من خطبة له ع
- ١١٠٦-٢٠٦ و من خطبة له ع
- ١١٠٧-٢٠٧ و من خطبة له ع
- ١١٠٧ اشاره
- ١١٠٨ ذكر بعض المطاعن فى النسب وكلام للجاحظ فى ذلك
- ١١١٠ ذكر بعض أحوال العارفين والأولياء
- ١١١٣-٢٠٨ و من دعاء كان يدعو به ع كثيرا
- ١١١٥-٢٠٩ و من خطبة له ع خطبها بصفين
- ١١١٥ اشاره
- ١١١٦ فصل فيما ورد من الآثار فيما يصلح الملك
- ١١١٨ الآثار الواردة فى العدل والإنصاف
- ١١١٩-٢١٠ ٢١٠
- ١١٢١-٢١١ و من كلام له ع
- ١١٢١ اشاره
- ١١٢٣ فصل فى أن جعفرا وحمزة لو كان حيين لبايعا عليا
- ١١٢٥-٢١٢ و من كلام له ع فى ذكر السائرين إلى البصرة لحربه ع
- ١١٢٦-٢١٣ و من كلام له ع لمامر بطلحة بن عبيد الله و عبدالرحمن بن عتاب بن أسيد وهما قتيلان يوم الجمل
- ١١٢٦ اشاره
- ١١٢٦ عبدالرحمن بن عتاب بن أسيد
- ١١٢٧ بنو جمح
- ١١٢٧-٢١٤ و من كلام له ع
- ١١٢٧ اشاره
- ١١٢٨ فصل فى مجاهدة النفوس و ماورد فى ذلك من الآثار

- ١١٢٩----- فصل فى الرياضه النفسىة وأقسامها
- ١١٣٠----- فصل فى أن الجوع يؤثر فى صفاء النفس
- ١١٣١----- كلام للفلاسفة والحكماء فى المكاشفات الناشئة عن الرياضه
- ١١٣٢----- ٢١٥- و من كلام له ع يحث فيه أصحابه على الجهاد
- ١١٣٣----- ٢١٦- و من كلام له ع قاله بعد تلاوته
- ١١٣٣----- اشاره
- ١١٣٦----- بعض الأشعار والحكايات فى وصف القبور والموتى
- ١١٤٠----- إيراد أشعار وحكايات فى وصف الموت وأحوال الموتى
- ١١٤١----- ٢١٧- و من كلام له ع قاله
- ١١٤١----- اشاره
- ١١٤٣----- بيان أحوال العارفين
- ١١٦٠----- ٢١٨- و من كلام له ع قاله
- ١١٦٢----- ٢١٩- و من كلام له ع
- ١١٦٢----- اشاره
- ١١٦٤----- نبذ من أخبار عقيل بن أبى طالب
- ١١٦٥----- ٢٢٠- و من دعاء له ع
- ١١٦٦----- ٢٢١- و من خطبة له ع
- ١١٦٦----- اشاره
- ١١٦٧----- ذكر بعض الآثار والأشعار الواردة فى ذم الدنيا
- ١١٦٨----- ٢٢٢- و من دعاء له ع
- ١١٦٨----- اشاره
- ١١٦٩----- أدعية فصيحة من كلام أبى حيان التوحيدى
- ١١٧٣----- المجلد ١٢
- ١١٧٣----- الجزء الثانى عشر
- ١١٧٣----- تتمه باب الخطب والأوامر
- ١١٧٣----- اشاره
- ١١٧٣----- ٢٢٣- و من كلام له ع
- ١١٧٣----- اشاره

- ١١٧٤ نكت من كلام عمر وسيرته وأخلاقه
- ١١٧٤ اشاره
- ١٢٠٦ خطب عمر الطوال
- ١٢٠٩ نبذ من كلام عمر
- ١٢٠٩ أخبار عمر مع عمرو بن معديكرب
- ١٢١٠ فصل فيما نقل عن عمر من الكلمات الغريبة
- ١٢٢٤ ذكر الأحاديث الواردة في فضل عمر
- ١٢٢٥ ذكر ماورد من الخبر عن إسلام عمر
- ١٢٢٦ تاريخ موت عمر والأخبار الواردة في ذلك
- ١٢٣٠ فصل في ذكر ماطعن به على عمر والجواب عنه
- ١٢٣٠ اشاره
- ١٢٣٠ الطعن الأول
- ١٢٣٣ الطعن الثاني
- ١٢٣٤ الطعن الثالث
- ١٢٣٥ الطعن الرابع
- ١٢٣٦ الطعن الخامس
- ١٢٤٣ الطعن السادس
- ١٢٥٠ الطعن السابع
- ١٢٥٢ الطعن الثامن
- ١٢٥٣ الطعن التاسع
- ١٢٦٢ الطعن العاشر
- ١٢٦٦ المجلد ١٣
- ١٢٦٦ الجزء الثالث عشر
- ١٢٦٦ تتمه باب الخطب والأوامر
- ١٢٦٦ اشاره
- ١٢٦٦ ٢٢٤- و من كلام له ع في وصف بيعته بالخلافة
- ١٢٦٦ ٢٢٥- و من خطبة له ع
- ١٢٦٧ ٢٢٦- و من خطبة له ع خطبها بذى قار و هو متوجه إلى البصرة

- ٢٢٧- و من كلام له ع كلم به عبد الله بن زمعنة ١٢٤٧
- اشاره ١٢٤٨
- عبد الله بن زمعنة ونسبه ١٢٤٨
- ٢٢٨- و من كلام له ع ١٢٤٨
- اشاره ١٢٤٨
- ذكر من أرتج عليهم أوحصروا ١٢٤٩
- ٢٢٩- و من كلام له ع ١٢٧٠
- ٢٣٠- و من كلام له ع ١٢٧١
- اشاره ١٢٧١
- ذكر طرف من سيرة النبي ع ١٢٧٢
- ٢٣١- و من خطبة له ع ١٢٧٨
- اشاره ١٢٧٨
- من أشعار الشارح في المناجاة ١٢٨٠
- فصل في ذكر أحوال الذرة وعجائب النملة ١٢٨٢
- ذكر غرائب الجراد وماحتوت عليه من صنوف الصنعة ١٢٨٥
- ٢٣٢- و من خطبة له ع في التوحيد ١٢٨٦
- ٢٣٣- و من خطبة له ع تختص بذكر الملاحم ١٢٩٤
- ٢٣٤- و من خطبة له ع ١٢٩٥
- ٢٣٥- و من خطبة له ع ١٢٩٦
- اشاره ١٢٩٦
- قصة وقعت لأحد الوعاظ ببغداد ١٢٩٨
- ٢٣٦- و من خطبة له ع ١٢٩٩
- ٢٣٧- و من خطبة له ع ١٣٠٠
- ٢٣٨- و من خطبة له ع و من الناس من يسمى هذه الخطبة بالقاصعة ١٣٠٤
- اشاره ١٣٠٤
- فصل في ذكر الأسباب التي دعت العرب إلى وأد البنات ١٣١٩
- استدلال قاضي القضاة على إمامة أبي بكر ورد المرتضى عليه ١٣٢٢
- ذكر ما كان من صلة على برسول الله في صغره ١٣٢٧

- ١٣٢٨ ذكر حال رسول الله في نشوئه
- ١٣٣٣ القول في إسلام أبي بكر و علي وخصائص كل منهما
- ١٣٤١ ٢٣٩- و من كلام له ع قاله لعبد الله بن عباس و قد جاءه برسالة من عثمان
- ١٣٤١ اشاره
- ١٣٤٢ وصية العباس قبل موته لعلی
- ١٣٤٤ ٢٤٠- و من كلام له ع اقتص فيه ذكر ما كان منه بعد هجرة النبي ص ثم لحاقه به
- ١٣٤٥ ٢٤١- و من خطبة له ع
- ١٣٤٥ ٢٤٢- و من خطبة له ع في شأن الحكمين و ذم أهل الشام
- ١٣٤٥ اشاره
- ١٣٤٧ فصل في نسب أبي موسى والرأى فيه
- ١٣٤٨ ٢٤٣- و من خطبة له ع يذكر فيها آل محمد ص
- ١٣٤٨ المجلد ١٤
- ١٣٤٨ الجزء الرابع عشر
- ١٣٤٨ باب الكتب والرسائل
- ١٣٤٨ اشاره
- ١٣٤٩ ١- من كتاب له ع إلى أهل الكوفة
- ١٣٤٩ اشاره
- ١٣٤٩ أخبار علي
- ١٣٧٤ فصل في نسب عائشة وأخبارها
- ١٣٧٦ ٢- و من كتاب له ع إليهم بعد فتح البصرة
- ١٣٧٦ ٣- و من كتاب له ع كتبه لشريح بن الحارث قاضيه
- ١٣٧٦ اشاره
- ١٣٧٦ نسب شريح و ذكر بعض أخباره
- ١٣٧٧ ٤- و من كتاب له كتبه ع إلى بعض أمراء جيشه
- ١٣٧٨ ٥- و من كتاب له ع إلى الأشعث بن قيس و هو عامل أذربيجان
- ١٣٧٨ ٦- و من كتاب له ع إلى معاوية
- ١٣٧٨ اشاره
- ١٣٨٠ جرير بن عبد الله البجلي

- ٧- و من كتاب منه ع إليه أيضا ١٣٨٠
- ٨- و من كتاب له ع إلى جرير بن عبد الله البجلي لما أرسله إلى معاوية ١٣٨١
- ٩- و من كتاب له ع إلى معاوية ١٣٨٢
- اشاره ١٣٨٢
- الفصل الأول إجلاب قريش على بني هاشم وحصرهم في الشعب ١٣٨٣
- الفصل الثاني القول في المؤمنين والكافرين من بني هاشم ١٣٨٨
- اشاره ١٣٨٨
- اختلاف الرأي في إيمان أبي طالب ١٣٨٨
- الفصل الثالث قصة غزوة بدر ١٣٩٤
- اشاره ١٣٩٤
- القول في نزول الملائكة يوم بدر ومحاربتها المشركين ١٤١٩
- القول فيما جرى في الغنيمه والأسارى بعدهزيمة قريش ورجوعها إلى مكة ١٤٢٢
- القول في تفصيل أسماء أسارى بدر و من أسرهم ١٤٣٤
- القول في المطعمين في بدر من المشركين ١٤٣٦
- القول فيمن استشهد من المسلمين ببدر ١٤٣٦
- القول فيمن قتل ببدر من المشركين وأسماء قاتليهم ١٤٣٧
- القول فيمن شهد بدرًا من المسلمين ١٤٣٨
- قصة غزوة أحد ١٤٣٨
- المجلد ١٥ ١٤٤٢
- الجزء الخامس عشر ١٤٤٢
- تتمه باب الكتب والرسائل ١٤٤٢
- تتمه ٩- و من كتاب له ع إلى معاوية ١٤٤٢
- تتمه الفصل الرابع في قصة غزوة أحد ١٤٤٢
- اشاره ١٤٤٢
- القول في أسماء الذين تعاقدا من قريش على قتل رسول الله ص و ما أصابوه به في المعركة يوم الحرب ١٤٤٢
- القول في الملائكة نزلت بأحد وقاتلت أم لا ١٤٤٤
- القول في مقتل حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه ١٤٤٤
- القول فيمن ثبت مع رسول الله ص يوم أحد ١٤٤٧

- ١٤٦٩ القول فيما جرى للمسلمين بعد إصعادهم في الجبل
- ١٤٧٦ القول فيما جرى للمشركين بعد انصرافهم إلى مكة
- ١٤٧٧ القول في مقتل أبي عزة الجمحي ومعاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبدشمس
- ١٤٧٧ القول في مقتل المجذر بن زياد البلوي والحارث بن يزيد بن الصامت
- ١٤٧٩ القول فيمن مات من المسلمين بأحد جملة
- ١٤٧٩ القول فيمن قتل من المشركين بأحد
- ١٤٨٠ القول في خروج النبي ص و بعد انصرافه من أحد إلى المشركين ليوقع بهم على ما هو به من الوهن
- ١٤٨٢ الفصل الخامس في شرح غزاة مؤتة
- ١٤٨٥ فصل في ذكر بعض مناقب جعفر بن أبي طالب
- ١٤٨٨ ١٠- و من كتاب له ع إلى معاوية أيضا
- ١٤٩١ ١١- و من وصية له ع وصى بهاجيشا بعثه إلى العدو
- ١٤٩١ ١٢- و من وصية له ع وصى بهامقل بن قيس الرياحي حين أنفذه إلى الشام في ثلاثة آلاف مقدمه له
- ١٤٩١ اشاره
- ١٤٩٢ نبذ من الأقوال الحكيمه في الحروب
- ١٤٩٣ ١٣- و من كتاب له ع إلى أميرين من أمراء جيشه
- ١٤٩٣ اشاره
- ١٤٩٤ فصل في نسب الأشر و ذكر بعض فضائله
- ١٤٩٥ نبذ من الأقوال الحكيمه
- ١٤٩٥ ١٤- و من وصية له ع لعسكره بصفين قبل لقاء العدو
- ١٤٩٦ اشاره
- ١٤٩٦ نبذ من الأقوال الحكيمه
- ١٤٩٦ قصة فيروز بن يزدجرد حين غزا ملك الهياطلة
- ١٤٩٨ ١٥- و كان ع يقول إذلقى العدو محاربا
- ١٤٩٩ ١٦- و كان يقول ع لأصحابه
- ١٤٩٩ اشاره
- ١٤٩٩ نبذ من الأقوال المتشابهة في الحرب
- ١٥٠٠ ١٧- و من كتاب له ع إلى معاوية جوابا عن كتاب منه إليه
- ١٥٠٠ اشاره

- ١٥٠١ ذكر بعض ما كان بين علي ومعاوية يوم صفين
- ١٥٠٢ ١٨- و من كتاب له ع إلى عبد الله بن عباس و هو عامله على البصرة
- ١٥٠٢ اشاره
- ١٥٠٣ فصل في بني تميم وذكر بعض فضائلهم
- ١٥٠٦ ١٩- و من كتاب له ع إلى بعض عماله
- ١٥٠٧ ٢٠- و من كتاب له ع إلى زياد ابن أبيه و هو خليفة عامله عبد الله بن عباس على البصرة و عبد الله عامل أمير المؤمنين ع يومئذ عليها و على كور الأهواز وفارس وكرمان وغيرها
- ١٥٠٧ ٢١- و من كتاب له ع إلى زياد أيضا
- ١٥٠٧ ٢٢- و من كتاب له ع إلى عبد الله بن العباس رحمه الله تعالى
- ١٥٠٨ ٢٣- و من كلام له ع قاله قبل موته على سبيل الوصية لماضربه ابن ملجم لعنه الله
- ١٥٠٩ ٢٤- و من وصية له ع بما يعمل في أمواله كتبها بعدمصرفه من صفين
- ١٥١٠ ٢٥- و من وصية له ع كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات
- ١٥١٢ ٢٦- و من عهد له ع إلى بعض عماله و قدبعثه على الصدقة
- ١٥١٤ ٢٧- و من عهد له ع إلى محمد بن أبي بكر رضى الله عنه حين قلده مصر
- ١٥١٤ اشاره
- ١٥١٦ كتاب المعتضد بالله
- ١٥٢٠ ٢٨- و من كتاب له ع إلى معاوية جوابا
- ١٥٢٠ اشاره
- ١٥٢١ كتاب لمعاوية إلى علي
- ١٥٢٤ مناقحات بني هاشم وبني عبدشمس
- ١٥٢٥ فضل بني هاشم على بني عبدشمس
- ١٥٤٥ مفاخر بني أمية
- ١٥٤٩ ذكر الجواب عما فخرت به بنو أمية
- ١٥٥٨ المجلد ١٦
- ١٥٥٨ الجزء السادس عشر
- ١٥٥٨ تتمه باب الكتب والرسائل
- ١٥٥٨ اشاره
- ١٥٥٨ ٢٩- و من كتاب له ع إلى أهل البصرة
- ١٥٥٩ ٣٠- و من كتاب له ع إلى معاوية

- ٣١- و من وصيته ع للحسن ع كتبها إليه بحاضرين - ١٥٦٠
- اشاره - ١٥٦٠
- ترجمة الحسن بن علي وذكر بعض أخباره - ١٥٦٠
- بعض ما قيل من الشعر في الدهر وفعله بالإنسان - ١٥٧٥
- أقوال حكيمة في وصف الدنيا وفناء الخلق - ١٥٨٥
- بعض ما قيل في الغيرة من الشعر - ١٥٩٥
- اعتزاز الفرزدق بقومه - ١٥٩٦
- وفود الوليد بن جابر على معاوية - ١٥٩٦
- ٣٢- و من كتاب له ع إلى معاوية - ١٥٩٧
- اشاره - ١٥٩٧
- ذكر بعض مدار بين علي ومعاوية من الكتب - ١٥٩٧
- ٣٣- و من كتاب له ع إلى قثم بن العباس و هو عامله علي مكة - ١٥٩٩
- اشاره - ١٥٩٩
- قثم بن عباس وبعض أخباره - ١٦٠٠
- ٣٤- و من كتاب له ع إلى محمد بن أبي بكر - ١٦٠٠
- اشاره - ١٦٠٠
- محمد بن أبي بكر وبعض أخباره - ١٦٠١
- ٣٥- و من كتاب له ع إلى عبد الله بن العباس بعدمقتل محمد بن أبي بكر - ١٦٠١
- ٣٦- و من كتاب له ع إلى أخيه عقيل بن أبي طالب في ذكر جيش أنفذه إلى بعض الأعداء - ١٦٠٢
- ٣٧- و من كتاب له ع إلى معاوية - ١٦٠٤
- ٣٨- و من كتاب له ع إلى أهل مصر لما ولي عليهم الأشتر - ١٦٠٥
- ٣٩- و من كتاب له ع إلى عمرو بن العاص - ١٦٠٦
- ٤٠- و من كتاب له ع إلى بعض عماله - ١٦٠٧
- ٤١- و من كتاب له ع إلى بعض عماله - ١٦٠٨
- اشاره - ١٦٠٨
- اختلاف الرأي فيمن كتب له هذا الكتاب - ١٦٠٩
- ٤٢- و من كتاب له ع إلى عمر بن أبي سلمة المخزومي - ١٦١٠
- اشاره - ١٦١٠

- ١٦١٠ عمر بن أبي سلمة ونسبه وبعض أخباره
- ١٦١١ النعمان بن عجلان ونسبه وبعض أخباره
- ١٦١١ ٤٣- و من كتاب له ع إلى مصقلة بن هبيرة الشيباني و كان عامله على أردشير خرة
- ١٦١١ ٤٤- و من كتاب له ع إلى زياد ابن أبيه
- ١٦١١ اشاره
- ١٦١٢ نسب زياد ابن أبيه وذكر بعض أخباره وكتبه وخطبه
- ١٦٢١ ٤٥- و من كتاب له ع إلى عثمان بن حنيف الأنصاري و كان عامله على البصرة
- ١٦٢١ اشاره
- ١٦٢١ عثمان بن حنيف ونسبه
- ١٦٢٢ ذكر ماورد من السير والأخبار في أمر فدك
- ١٦٢٢ اشاره
- ١٦٢٢ الفصل الأول فيما ورد من الأخبار والسير المنقولة من أفواه أهل الحديث وكتبهم لا من كتب الشيعة ورجالهم
- ١٦٣٢ الفصل الثاني في النظر في أن النبي ص هل يورث أم لا
- ١٦٤٣ الفصل الثالث في أن فدك هل صح كونها نحلة رسول الله ص لفاطمة ع أم لا
- ١٦٥٣ المجلد ١٧
- ١٦٥٣ الجزء السابع عشر
- ١٦٥٣ تنمة أبواب الكتب والرسائل
- ١٦٥٣ اشاره
- ١٦٥٣ ٤٦- و من كتاب له ع إلى بعض عماله
- ١٦٥٣ ٤٧- و من وصية له ع للحسن و الحسين ع لماضربه ابن ملجم لعنه الله
- ١٦٥٣ اشاره
- ١٦٥٤ فصل في الآثار الواردة في حقوق الجار
- ١٦٥٦ ٤٨- و من كتاب له ع إلى معاوية
- ١٦٥٦ ٤٩- و من كتاب له ع إلى معاوية أيضا
- ١٦٥٦ ٥٠- و من كتاب له ع إلى أمراءه على الجيوش
- ١٦٥٧ ٥١- و من كتاب له ع إلى عماله على الخراج
- ١٦٥٨ ٥٢- و من كتاب له ع إلى أمراء البلاد في معنى الصلاة
- ١٦٥٨ اشاره

- ١٦٥٨ بيان اختلاف الفقهاء في أوقات الصلاة
- ١٦٦١ ٥٣- و من كتاب له ع كتبه للأشتر النخعي رحمه الله لماولاه على مصر وأعمالها
- ١٦٦١ اشاره
- ١٦٦٣ فصل في النهي عن ذكر عيوب الناس و ماورد في ذلك من الآثار
- ١٦٦٣ فصل في النهي عن سماع السعاية و ماورد ذلك من الآثار
- ١٦٦٨ رسالة الإسكندر إلى أرسطو ورد أرسطو عليه
- ١٦٧٠ فصل في القضاة و مايلزمهم و ذكر بعض نوادرهم
- ١٦٧٤ عهد سابور بن أردشير لابنه
- ١٦٧٥ فصل فيما يجب على مصاحب الملك
- ١٦٧٦ فصل في الكتاب و مايلزمهم من الآداب
- ١٦٧٧ فصل في ذكر مانصحت به الأوائل الوزراء
- ١٦٨٠ ذكر الحجاب و ماورد فيه من الخبر والشعر
- ١٦٨٢ طرف من أخبار عمر بن عبدالعزيز ونزاهته في خلافته
- ١٦٨٦ فصل فيما جاء في الحذر من كيد العدو
- ١٦٨٩ فصل في ذكر بعض وصايا العرب
- ١٦٩٣ ٥٤- و من كتاب له ع إلى طلحة والزبير
- ١٦٩٣ اشاره
- ١٦٩٣ عمران بن الحصين
- ١٦٩٤ أبو جعفر الإسكافي
- ١٦٩٥ ٥٥- و من كتاب له ع إلى معاوية
- ١٦٩٥ ٥٦- و من كلام له ع وصى به شريح بن هانئ لما جعله على مقدمته إلى الشام
- ١٦٩٥ اشاره
- ١٦٩٥ شريح بن هانئ
- ١٦٩٦ ٥٧- و من كتاب له ع إلى أهل الكوفة
- ١٦٩٦ ٥٨- و من كتاب له ع كتبه إلى أهل الأمصار يقص فيه ماجرى بينه و بين أهل صفين
- ١٦٩٧ ٥٩- و من كتاب له ع إلى الأسود بن قطبة صاحب جند حلوان
- ١٦٩٧ اشاره
- ١٦٩٧ الأسود بن قطبة

- ١٦٩٨ ٦٠- و من كتاب له ع إلى العمال الذين يطأ عملهم الجيوش
- ١٦٩٨ ٦١- و من كتاب له ع إلى كميل بن زياد النخعي
- ١٦٩٨ اشاره
- ١٦٩٨ كميل بن زياد ونسبه
- ١٦٩٩ ٦٢- و من كتاب له ع إلى أهل مصر مع مالك الأشرم رحمه الله لما ولاه إمارتها
- ١٦٩٩ اشاره
- ١٧٠٠ ذكر ماطعن به الشيعة في إمامة أبي بكر والجواب عنها
- ١٧٠٠ اشاره
- ١٧٠٠ الطعن الأول
- ١٧٠٤ الطعن الثاني
- ١٧٠٥ الطعن الثالث
- ١٧٠٨ الطعن الرابع
- ١٧١٥ الطعن الخامس
- ١٧١٧ الطعن السادس
- ١٧١٨ الطعن السابع
- ١٧٢٢ الطعن الثامن
- ١٧٢٤ الطعن التاسع
- ١٧٢٤ الطعن العاشر
- ١٧٢٥ الطعن الحادي عشر
- ١٧٢٥ الطعن الثاني عشر
- ١٧٢٥ الطعن الثالث عشر
- ١٧٢٦ الطعن الرابع عشر
- ١٧٢٦ الطعن الخامس عشر
- ١٧٢٧ أخبار الوليد بن عقبة
- ١٧٣٢ و من كتاب له ع إلى أبي موسى الأشعري
- ١٧٣٤ ٦٤- و من كتاب له ع إلى معاوية جوابا عن كتابه
- ١٧٣٤ اشاره
- ١٧٣٤ كتاب معاوية إلى علي

١٧٣٦	ذكر الخبر عن فتح مكة
١٧٤٦	المجلد ١٨
١٧٤٦	الجزء الثامن عشر
١٧٤٦	تتمة أبواب الكتب والرسائل
١٧٤٦	تتمة ٦٤- كتاب له ع إلى معاوية
١٧٤٦	ذكر بقیة الخبر عن فتح مكة
١٧٥١	٦٥- و من كتاب له ع إليه أيضا
١٧٥٣	٦٦- و من كتاب له ع كتبه إلى عبد الله بن العباس
١٧٥٣	اشاره
١٧٥٣	نبذ من كلام الحكماء
١٧٥٤	٦٧- و من كتاب له ع كتبه إلى قثم بن العباس و هو عامله على مكة
١٧٥٥	٦٨- و من كتاب له ع كتبه إلى سلمان الفارسی رحمه الله قبل أيام خلافته
١٧٥٥	اشاره
١٧٥٥	سلمان الفارسی وخبر إسلامه
١٧٥٧	٦٩- و من كتاب له ع كتبه إلى الحارث الهمدانی
١٧٥٧	اشاره
١٧٥٨	الحارث الأعور ونسبه
١٧٥٨	نبذ من الأقوال الحكيمة
١٧٦٠	٧٠- و من كتاب له ع إلى سهل بن حنيف الأنصاري و هو عامله على المدينة في معنى قوم من أهلها لحقوا بمعاوية
١٧٦١	٧١- و من كتاب له ع إلى المنذر بن الجارود العبدی
١٧٦١	اشاره
١٧٦١	ذكر المنذر و أبيه الجارود
١٧٦٣	٧٢- و من كتاب له ع إلى عبد الله بن العباس رضی الله عنه
١٧٦٣	٧٣- و من كتاب له ع إلى معاوية
١٧٦٤	٧٤- و من حلف له ع كتبه بين ربيعة واليمن
١٧٦٥	٧٥- و من كتاب له ع إلى معاوية من المدينة في أول ما بويح له بالخلافة
١٧٦٥	٧٦- و من وصية له ع لعبد الله بن العباس
١٧٦٦	٧٧- و من وصية له ع لعبد الله بن العباس أيضا لمابعثه للاحتجاج على الخوارج

١٧٦٦ ٧٨- و من كتاب له ع أجاب به أبا موسى الأشعري

١٧٦٧ ٧٩- و من كتاب كتبه ع لما استخلف إلى أمراء الأجناد -

١٧٦٨ باب الحكم والمواعظ -

١٧٦٨ اشاره -

١٧٦٨ ١

١٧٦٨ ٢

١٧٦٩ ٣

١٧٧٠ ٤

١٧٧٠ ٥

١٧٧٢ ٦

١٧٧٢ ٧

١٧٧٣ ٨

١٧٧٣ ٩

١٧٧٤ ١٠

١٧٧٥ ١١

١٧٧٦ ١٢

١٧٧٦ ١٣

١٧٧٧ ١٤

١٧٧٧ ١٥

١٧٧٧ ١٦

١٧٧٨ ١٧

١٧٧٨ ١٨

١٧٧٨ اشاره

١٧٧٩ نبذ مما قيل في الشيب والخضاب -

١٧٨٠ ١٩

١٧٨٠ ٢٠

١٧٨٠ اشاره

١٧٨٠ نبذ مما قيل في المروءة

١٧٨١	٢١
١٧٨١	٢٢
١٧٨١	٢٣
١٧٨٢	٢٤
١٧٨٢	٢٥
١٧٨٢	٢٦
١٧٨٢	٢٧
١٧٨٣	٢٨
١٧٨٣	٢٩
١٧٨٣	٣٠
١٧٨٣	٣١
١٧٨٣	اشاره
١٧٨٤	نبذ وحكايات مما وقع بين يدي الملوك
١٧٨٦	٣٢
١٧٨٦	٣٣
١٧٨٦	٣٤
١٧٨٦	٣٥
١٧٨٧	٣٦
١٧٨٧	٣٧
١٧٨٧	٣٨
١٧٨٨	٣٩
١٧٨٨	٤٠
١٧٨٨	اشاره
١٧٨٨	أقوال وحكايات حول الحمقى
١٧٩١	٤١
١٧٩٢	٤٢
١٧٩٢	اشاره
١٧٩٢	خياب بن الأرت

١٧٩٢	٤٣
١٧٩٣	٤٤
١٧٩٣	٤٥
١٧٩٣	٤٦
١٧٩٤	٤٧
١٧٩٤	٤٨
١٧٩٤	٤٩
١٧٩٥	٥٠
١٧٩٥	٥١
١٧٩٥	٥٢
١٧٩٦	٥٣
١٧٩٧	٥٤
١٧٩٧	٥٥
١٧٩٧	٥٦
١٧٩٨	٥٧
١٧٩٨	٥٨
١٧٩٨	٥٩
١٧٩٩	٦٠
١٨٠٠	٦١
١٨٠٠	اشاره
١٨٠١	محمد بن جعفر والمنصور
١٨٠١	٦٢
١٨٠٢	٦٣
١٨٠٢	٦٤
١٨٠٢	٦٥
١٨٠٢	٦٦
١٨٠٢	٦٧
١٨٠٣	٦٨

18.3	69
18.3	70
18.4	71
18.4	72
18.4	73
18.4	74
18.5	75
18.5	76
18.6	77
18.6	78
18.7	79
18.7	80
18.8	81
18.8	82
18.8	83
18.8	84
18.8	85
18.9	86
18.9	87
18.10	88
18.10	89
18.10	90
18.11	91
18.11	92
18.11	93
18.12	94
18.12	95
18.12	96

١٨١٢	٩٧
١٨١٣	٩٨
١٨١٣	٩٩
١٨١٤	١٠٠
١٨١٤	١٠١
١٨١٤	١٠٢
١٨١٥	١٠٣
١٨١٥	١٠٤
١٨١٥	اشاره
١٨١٥	محنة المقفع
١٨١٦	١٠٥
١٨١٧	١٠٦
١٨١٧	١٠٧
١٨١٧	١٠٨
١٨١٧	١٠٩
١٨١٨	١١٠
١٨١٨	١١١
١٨١٩	١١٢
١٨١٩	١١٣
١٨١٩	١١٤
١٨١٩	١١٥
١٨١٩	١١٦
١٨١٩	اشاره
١٨٢٠	فصل في نسب بني مخزوم وطرف من أخبارهم
١٨٢٧	١١٧
١٨٢٧	١١٨
١٨٢٧	١١٩
١٨٢٧	١٢٠

١٨٢٨	١٢١
١٨٢٨	١٢٢
١٨٢٨	١٢٣
١٨٢٩	١٢٤
١٨٢٩	١٢٥
١٨٣٠	١٢٦
١٨٣١	١٢٧
١٨٣١	١٢٨
١٨٣٢	١٢٩
١٨٣٢	١٣٠
١٨٣٢	١٣١
١٨٣٢	١٣٢
١٨٣٢	اشاره
١٨٣٣	نبذ من الوصايا الحكيمه
١٨٣٣	١٣٣
١٨٣٣	١٣٤
١٨٣٤	١٣٥
١٨٣٤	١٣٦
١٨٣٤	١٣٧
١٨٣٤	١٣٨
١٨٣٤	١٣٩
١٨٣٥	١٤٠
١٨٣٥	١٤١
١٨٣٥	١٤٢
١٨٣٥	١٤٣
١٨٣٨	١٤٤
١٨٣٨	١٤٥
١٨٣٨	١٤٦

١٨٤٠	١٤٧
١٨٤٠	١٤٨
١٨٤٠	١٤٩
١٨٤١	١٥٠
١٨٤٢	١٥١
١٨٤٢	١٥٢
١٨٤٢	١٥٣
١٨٤٢	١٥٤
١٨٤٢	١٥٥
١٨٤٣	١٥٦
١٨٤٣	١٥٧
١٨٤٣	١٥٨
١٨٤٤	١٥٩
١٨٤٤	١٦٠
١٨٤٤	١٦١
١٨٤٥	١٦٢
١٨٤٥	١٦٣
١٨٤٥	١٦٤
١٨٤٥	١٦٥
١٨٤٦	١٦٦
١٨٤٦	١٦٧
١٨٤٦	١٦٨
١٨٤٧	١٦٩
١٨٤٧	١٧٠
١٨٤٨	١٧١
١٨٤٨	١٧٢
١٨٤٨	١٧٣
١٨٤٨	اشاره

١٨٤٨	نوادير المكثرين من الأكل	
١٨٥٠		١٧٤
١٨٥٠		١٧٥
١٨٥٠		١٧٦
١٨٥١		١٧٧
١٨٥١		١٧٨
١٨٥١	اشاره	
١٨٥١	سعة الصدر و ماورد في ذلك من حكايات	
١٨٥٢		١٧٩
١٨٥٢		١٨٠
١٨٥٢		١٨١
١٨٥٣		١٨٢
١٨٥٣		١٨٣
١٨٥٣		١٨٤
١٨٥٣		١٨٥
١٨٥٤	المجلد ١٩	
١٨٥٤	الجزء التاسع عشر	
١٨٥٤	تتمه باب الحكم والمواعظ	
١٨٥٤	اشاره	
١٨٥٤		١٨٦
١٨٥٥		١٨٧
١٨٥٥		١٨٨
١٨٥٥		١٨٩
١٨٥٥		١٩٠
١٨٥٦		١٩١
١٨٥٦		١٩٢
١٨٥٦		١٩٣
١٨٥٧		١٩٤

١٨٥٧	١٩٥
١٨٥٧	١٩٦
١٨٥٨	١٩٧
١٨٥٨	١٩٨
١٨٥٨	١٩٩
١٨٥٩	٢٠٠
١٨٥٩	٢٠١
١٨٥٩	٢٠٢
١٨٥٩	٢٠٣
١٨٦٠	٢٠٤
١٨٦٠	٢٠٥
١٨٦٠	٢٠٦
١٨٦٠	٢٠٧
١٨٦١	٢٠٨
١٨٦١	٢٠٩
١٨٦١	٢١٠
١٨٦٢	٢١١
١٨٦٢	٢١٢
١٨٦٢	٢١٣
١٨٦٢	٢١٤
١٨٦٣	٢١٥
١٨٦٣	٢١٦
١٨٦٣	٢١٧
١٨٦٣	٢١٨
١٨٦٣	٢١٩
١٨٦٤	اشاره
١٨٦٤	فصل في الحياء و ما قيل فيه
١٨٦٥	٢٢٠

١٨٦٥	٢٢١
١٨٦٥	٢٢٢
١٨٦٥	٢٢٣
١٨٦٥	٢٢٤
١٨٦٦	٢٢٥
١٨٦٦	٢٢٦
١٨٦٧	٢٢٧
١٨٦٧	٢٢٨
١٨٦٨	٢٢٩
١٨٦٨	٢٣٠
١٨٦٨	اشاره
١٨٦٨	مثل من شجاعه على
١٨٦٩	قصه غزوة الخندق
١٨٧٠	٢٣١
١٨٧٠	٢٣٢
١٨٧٠	٢٣٣
١٨٧١	٢٣٤
١٨٧١	٢٣٥
١٨٧١	٢٣٦
١٨٧٢	٢٣٧
١٨٧٢	٢٣٨
١٨٧٢	٢٣٩
١٨٧٢	٢٤٠
١٨٧٢	٢٤١
١٨٧٣	٢٤٢
١٨٧٣	٢٤٣
١٨٧٤	٢٤٤
١٨٧٤	٢٤٥

١٨٧٤	٢٤٦
١٨٧٤	٢٤٧
١٨٧٤	٢٤٨
١٨٧٥	٢٤٩
١٨٧٦	٢٥٠
١٨٧٦	اشاره
١٨٧٦	ماجرى بين يحيى بن عبد الله و بين ابن المصعب
١٨٧٧	٢٥١
١٨٧٨	٢٥٢
١٨٧٨	٢٥٣
١٨٧٨	٢٥٤
١٨٧٨	٢٥٥
١٨٧٩	٢٥٦
١٨٧٩	٢٥٧
١٨٧٩	٢٥٨
١٨٨٠	٢٥٩
١٨٨٠	٢٦٠
١٨٨٠	٢٦١
١٨٨١	٢٦٢
١٨٨١	٢٦٣
١٨٨٢	٢٦٤
١٨٨٢	٢٦٥
١٨٨٢	٢٦٦
١٨٨٢	اشاره
١٨٨٣	نبذ من غريب كلام الإمام على وشرحه لأبي عبيد
١٨٨٥	نبذ من غريب كلام الإمام على وشرحه لابن قتيبة
١٨٨٩	خطبة منسوبة للإمام على خالية من حرف الألف
١٨٩١	٢٦٧

١٨٩١	٢٦٨
١٨٩٢	٢٦٩
١٨٩٢	اشاره
١٨٩٢	نبد مما قيل في السلطان
١٨٩٣	٢٧٠
١٨٩٣	٢٧١
١٨٩٣	٢٧٢
١٨٩٤	٢٧٣
١٨٩٤	٢٧٤
١٨٩٤	٢٧٥
١٨٩٤	٢٧٦
١٨٩٥	٢٧٧
١٨٩٥	٢٧٨
١٨٩٦	٢٧٩
١٨٩٦	٢٨٠
١٨٩٦	٢٨١
١٨٩٧	٢٨٢
١٨٩٧	٢٨٣
١٨٩٧	٢٨٤
١٨٩٧	٢٨٥
١٨٩٨	٢٨٦
١٨٩٨	٢٨٧
١٨٩٨	٢٨٨
١٨٩٩	٢٨٩
١٨٩٩	٢٩٠
١٨٩٩	٢٩١
١٨٩٩	٢٩٢
١٨٩٩	اشاره

١٩٠٠	نبد من الأقوال الحكمية في تقلبات الدهر وتصرفاته	
١٩٠٠		٢٩٣
١٩٠٠		٢٩٤
١٩٠١		٢٩٥
١٩٠١	اشاره	
١٩٠١	نبد من الأقوال الحكمية في حمد القناعة وقله الأكل	
١٩٠٣		٢٩٦
١٩٠٣		٢٩٧
١٩٠٤		٢٩٨
١٩٠٥		٢٩٩
١٩٠٥		٣٠٠
١٩٠٦		٣٠١
١٩٠٦		٣٠٢
١٩٠٦		٣٠٣
١٩٠٦		٣٠٤
١٩٠٧		٣٠٥
١٩٠٧		٣٠٦
١٩٠٧		٣٠٧
١٩٠٨		٣٠٨
١٩٠٨		٣٠٩
١٩٠٨		٣١٠
١٩٠٨		٣١١
١٩٠٨		٣١٢
١٩٠٨		٣١٣
١٩٠٩		٣١٤
١٩٠٩		٣١٥
١٩٠٩		٣١٦
١٩٠٩		٣١٧

١٩١٠	٣١٨
١٩١٠	٣١٩
١٩١٠	٣٢٠
١٩١٠	٣٢١
١٩١١	٣٢٢
١٩١١	٣٢٣
١٩١١	٣٢٤
١٩١١	٣٢٥
١٩١١	اشاره
١٩١٢	نبذ من الأقوال الحكيمه في الفقر والغنى
١٩١٣	٣٢٦
١٩١٣	٣٢٧
١٩١٣	٣٢٨
١٩١٣	٣٢٩
١٩١٤	٣٣٠
١٩١٤	٣٣١
١٩١٤	٣٣٢
١٩١٤	٣٣٣
١٩١٤	٣٣٤
١٩١٥	٣٣٥
١٩١٥	٣٣٦
١٩١٥	٣٣٧
١٩١٥	٣٣٨
١٩١٦	٣٣٩
١٩١٦	٣٤٠
١٩١٦	٣٤١
١٩١٦	اشاره
١٩١٦	نبذ من الأقوال الحكيمه في الوعد والمطل

1917	342
1917	343
1917	344
1917	345
1918	346
1918	347
1918	348
1919	349
1919	350
1919	351
1919	352
1920	353
1920	354
1920	355
1921	356
1921	357
1921	358
1921	359
1922	360
1922	361
1922	362
1923	363
1923	364
1923	365
1923	366
1924	367
1924	368
1924	369

١٩٢٤	٣٧٠
١٩٢٤	٣٧١
١٩٢٥	٣٧٢
١٩٢٥	٣٧٣
١٩٢٥	اشاره
١٩٢٦	نبذ من الأقوال الحكيمه في وصف حال الدنيا و صروفها
١٩٢٩	٣٧٤
١٩٣٠	٣٧٥
١٩٣٠	٣٧٦
١٩٣٠	٣٧٧
١٩٣١	٣٧٨
١٩٣١	٣٧٩
١٩٣٢	٣٨٠
١٩٣٢	اشاره
١٩٣٢	فصل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
١٩٣٤	٣٨١
١٩٣٤	٣٨٢
١٩٣٤	٣٨٣
١٩٣٥	٣٨٤
١٩٣٥	اشاره
١٩٣٥	أقوال مأثوره في الجود والبخل
١٩٣٦	٣٨٥
١٩٣٧	٣٨٦
١٩٣٧	٣٨٧
١٩٣٧	٣٨٨
١٩٣٧	٣٨٩
١٩٣٨	٣٩٠
١٩٣٨	٣٩١

١٩٣٨	اشاره
١٩٣٨	نبذ مما قيل في حال الدنيا وهوانها واغترار الناس بها
١٩٤٠	٣٩٢
١٩٤٠	٣٩٣
١٩٤١	٣٩٤
١٩٤١	٣٩٥
١٩٤١	٣٩٦
١٩٤٢	٣٩٧
١٩٤٢	٣٩٨
١٩٤٢	٣٩٩
١٩٤٢	اشاره
١٩٤٢	فصل فيما ورد في الطيب من الآثار
١٩٤٥	٤٠٠
١٩٤٥	اشاره
١٩٤٦	نبذ مما قيل في التيه والفخر
١٩٤٧	٤٠١
١٩٤٧	٤٠٢
١٩٤٨	٤٠٣
١٩٤٨	٤٠٤
١٩٤٨	٤٠٥
١٩٤٨	٤٠٦
١٩٤٨	٤٠٧
١٩٤٨	اشاره
١٩٤٩	طرائف حول الأسماء والكنى
١٩٥١	٤٠٨
١٩٥١	اشاره
١٩٥١	أقوال في العين والسحر والفأل والعدوى والطيرة
١٩٥٤	نكت في مذاهب العرب وتخيلاتها

١٩٦٦	المجلد ٢٠
١٩٦٦	الجزء العشرون
١٩٦٦	تتمة باب الحكم والمواعظ
١٩٦٦	اشاره
١٩٦٦	٤٠٩
١٩٦٦	٤١٠
١٩٦٦	٤١١
١٩٦٦	٤١٢
١٩٦٧	٤١٣
١٩٦٧	اشاره
١٩٦٧	المغيرة بن شعبة
١٩٦٨	إيراد كلام لأبي المعالي الجويني في أمر الصحابة والرد عليه
١٩٧٧	عمار بن ياسر وطرف من أخباره
١٩٧٨	٤١٤
١٩٧٨	٤١٥
١٩٧٩	اشاره
١٩٧٩	نكت في مدح العقل و ما قيل فيه
١٩٨٠	٤١٦
١٩٨٠	٤١٧
١٩٨٠	٤١٨
١٩٨٠	٤١٩
١٩٨١	٤٢٠
١٩٨١	٤٢١
١٩٨١	٤٢٢
١٩٨١	٤٢٣
١٩٨٢	٤٢٤
١٩٨٢	٤٢٥
١٩٨٢	اشاره

١٩٨٣	٤٢٦
١٩٨٤	٤٢٧
١٩٨٤	٤٢٨
١٩٨٥	٤٢٩
١٩٨٥	٤٣٠
١٩٨٥	٤٣١
١٩٨٦	٤٣٢
١٩٨٦	٤٣٣
١٩٨٦	٤٣٤
١٩٨٦	٤٣٥
١٩٨٧	٤٣٦
١٩٨٧	٤٣٧
١٩٨٧	٤٣٨
١٩٨٧	٤٣٩
١٩٨٨	٤٤٠
١٩٨٨	٤٤١
١٩٨٩	٤٤٢
١٩٨٩	٤٤٣
١٩٨٩	٤٤٤
١٩٨٩	٤٤٥
١٩٩٠	٤٤٦
١٩٩٠	٤٤٧
١٩٩٠	٤٤٨
١٩٩٠	٤٤٩
١٩٩١	٤٥٠
١٩٩١	٤٥١
١٩٩١	٤٥٢

١٩٩٢	٤٥٣
١٩٩٢	٤٥٤
١٩٩٢	٤٥٥
١٩٩٢	٤٥٦
١٩٩٣	٤٥٧
١٩٩٣	٤٥٨
١٩٩٣	٤٥٩
١٩٩٣	٤٦٠
١٩٩٤	٤٦١
١٩٩٤	اشاره
١٩٩٤	عبد الله بن الزبير وذكر طرف من أخباره
٢٠٠٩	٤٦٢
٢٠٠٩	اشاره
٢٠٠٩	فصل في الفخر و ما قيل في النهي عنه
٢٠٠٩	٤٦٣
٢٠٠٩	٤٦٤
٢٠٠٩	اشاره
٢٠١٠	في مجلس علي بن أبي طالب
٢٠١٠	اختلاف العلماء في تفضيل بعض الشعراء على بعض
٢٠١٥	٤٦٥
٢٠١٦	٤٦٦
٢٠١٦	٤٦٧
٢٠١٦	٤٦٨
٢٠١٧	٤٦٩
٢٠١٧	٤٧٠
٢٠١٧	٤٧١
٢٠١٧	٤٧٢
٢٠١٨	٤٧٣

٢٠١٨	٤٧٤
٢٠١٩	٤٧٥
٢٠١٩	اشاره
٢٠١٩	فصل فى ألفاظ الكنايات وذكر الشواهد عليها
٢٠٢٧	حديث عن إمرئ القيس
٢٠٢٨	٤٧٦
٢٠٢٨	٤٧٧
٢٠٢٨	٤٧٨
٢٠٢٨	اشاره
٢٠٢٩	فصل فيما قيل فى التفضيل بين الصحابة
٢٠٣١	٤٧٩
٢٠٣١	٤٨٠
٢٠٣١	٤٨١
٢٠٣١	اشاره
٢٠٣١	مختارات مما قيل من الشعر فى الشيب والخضاب
٢٠٣٢	٤٨٢
٢٠٣٢	اشاره
٢٠٣٢	نبد وحكايات حول العفة
٢٠٣٥	٤٨٣
٢٠٣٥	٤٨٤
٢٠٣٦	٤٨٥
٢٠٣٦	٤٨٦
٢٠٣٦	٤٨٧
٢٠٣٧	٤٨٨
٢٠٣٧	الحكم المنسوبة
٢٠٤٨	تعريف المركز القائمة باصفهان للتحريات الكمبيوترية

إشارة

شماره بازيابی : ٦-٢٥٥٤٥ سرشناسه : ابى الحديد معتزلى عنوان و نام پديد آور : شرح نهج البلاغه حريرى [چاپ سنگى] ؛ كاتب : محمد خوانسارى وضعت نشر : : كتابخانه آيت الله مرعشى نجفى ، ١٣٠٤ مشخصات ظاهرى : ٥٨٧ص. يادداشت : زبان : عربى

المجلد ١

الجزء الأول

إشارة

[صفحه ٣]

المقدمة

إشارة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الواحد العدل الحمد لله الذى تفرد بالكمال فكل كامل سواه منقوص واستوعب عموم المحامد والممادح فكل ذى عموم عده مخصص الذى وزع منفسات نعمه بين من يشاء من خلقه واقتضت حكمته أن نانس الحاذق فى حذقه فاحتسب به عليه من رزقه وزوى الدنيا عن الفضلاء فلم يأخذها الشريف بشرفه و لالسابق بسبقه وقدم المفضول على الأفضل لمصلحة اقتضاها التكليف واختص الأفضل من جلائل المآثر ونفائس المفآخر بما يعظم عن التشبيه ويجل عن التكيف وصلى الله على رسوله محمد الذى المكنى عنه شعاع من شمسه وغصن من غرسه وقوة من قوى نفسه ومنسوب إليه نسبة الغد إلى يومه واليوم إلى أمسه فما هما إلا سابق ولاحق وقائد وسائق وساك وناطق ومجل ومصل سبقا لمحة البارق وأنارا سدفة الغاسق صلى الله عليهما ما استخلب خبير وتناوح حراء وثبير. و بعد فإن مراسم المولى الوزير الأعظم صاحب الصدر الكبير المعظم العالم العادل المظفر المنصور المجاهد المرابط مؤيد الدين عضد الإسلام سيد وزراء الشرق والغرب أبى طالب [صفحه ٤] محمد بن أحمد بن محمد العلقمى نصير أمير المؤمنين أسبغ الله عليه من ملايس النعم أضفاها وأحله من مراقب السعادة ومراتب السيادة أشرفها وأعلاها لما شرفت عبد دولته وريب نعمته بالاهتمام بشرح نهج البلاغة على صاحبه أفضل الصلوات ولذكره أطيب التحيات بادر إلى ذلك مبادرة من بعته من قبل عزم ثم حمله أمر جزم وشرع فيه بادی الرأى شروع مختصر و على ذكر الغريب والمعنى مقتصر ثم تعقب الفكر فرأى أن هذه النغبة لا تشفى أواما ولا تزيد الحائم إلاخياما فتنبك ذلك المسلك ورفض ذلك المنهج وبسط القول فى شرحه بسطا اشتمل على الغريب والمعانى وعلم البيان و معاسه يشتهه ويشكل من الإعراب والتصريف وأورد فى كل موضع ما يطابقه من النظائر والأشبه نثرا ونظما وذكر ما يتضمنه من السير والوقائع والأحداث فصلا فصلا وأشار إلى ما ينطوى عليه من دقائق علم التوحيد والعدل إشارة خفيفة ولوح إلى ما يستدعى الشرح ذكره من الأنساب والأمثال والنكت تلويحات لطيفة ورضعه من المواعظ الزهدية والزواجر الدينية والحكم النفسية والآداب الخلقية المناسبة لفقره والمشاكله لدرره والمنتظمة مع معانيه فى سمط والمتسقة مع جواهره فى لط بما يهزأ بشنوف النضار ويخجل قطع الروض غب

القطار وأوضح ما يومئ إليه من المسائل الفقهية وبرهن على أن كثيرا من فصوله داخل في باب المعجزات المحمدية لاشتمالها على [صفحہ ۵] الأخبار الغيبية وخروجها عن وسع الطبيعة البشرية و بين من مقامات العارفين التي يرمز إليها في كلامه ما لا يعقله إلا العالمون ولا يدركه إلا الروحانيون المقربون وكشف عن مقاصده ع في لفظه يرسلها ومعضلة يكتي عنها وغامضة يعرض بها وخفايا يجمع بذكرها وهنات تجيش في صدره فينفث بهانفتة المصدور ومرمضات مؤلمات يشكوها فيستريح بشكواها استراحة المكروب. فخرج هذا الكتاب كتابا كاملا في فنه واحدا بين أبناء جنسه ممتعا بمحاسنه جليله فوائده شريفه مقاصده عظيمة شأنه عالية منزلته ومكانه ولا عجب أن يتقرب بسيد الكتب إلى سيد الملوك وبيجامع الفضائل إلى جامع المناقب وبواحد العصر إلى أوحد الدهر فالأشياء بأمثالها أليق وإلى أشكالها أقرب وشبه الشيء إليه منجذب ونحوه دان ومقرب. ولم يشرح هذا الكتاب قبلي فيما أعلمه إلا واحد وهو سعيد بن هبة الله بن الحسن الفقيه المعروف بالقطب الراوندي وكان من فقهاء الإمامية ولم يكن من رجال هذا الكتاب لاقتصاره مدة عمره على الاشتغال بعلم الفقه وحده وأنى للفقيه أن يشرح هذه الفنون المتنوعة ويخوض في هذه العلوم المتشعبة لا جرم أن شرحه لا يخفى حاله عن الذكي وجرى الوادي فطم على القرى وقد تعرضت في هذا الشرح لمناقضته [صفحہ ۶] في مواضع يسيرة اقتضت الحال ذكرها وأعرضت عن كثير مما قاله إذ لم أر في ذكره ونقضه كبير فائدة. و أناقبل أن أشرع في الشرح أذكر أقوال أصحابنا رحمهم الله في الإمامة والتفضيل والبغاة والخوارج ومتبع ذلك بذكر نسب أمير المؤمنين ع ولمع يسيرة من فضائله ثم أثلت بذكر نسب الرضى أبي الحسن محمد بن الحسين الموسوي رحمه الله وبعض خصائصه ومناقبه ثم أشرع في شرح خطبة نهج البلاغة التي هي من كلام الرضى أبي الحسن رحمه الله فإذا انتهيت من ذلك كله ابتدأت بعون الله وتوفيقه في شرح كلام أمير المؤمنين ع شيئا فشيئا. ومن الله سبحانه أستمد المعونة وأستدر أسباب العصمة وأستميح غنائم الرحمة وأمتري أخلاف البركة وأشيم بارق النماء والزيادة فما المرجو لإفضله ولا المأمول لإطوله ولا الوثوق لإبرحمته ولا السكون إلا إلى رأفته رَبَّنَا عَلَيكَ تَوَكَّلْنَا وَ إِلَيْكَ أُنَبِّأُكَ وَ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَ اغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ - قرآن - ۷۶۲-۹۲۵ [صفحہ ۷]

القول فيما يذهب إليه أصحابنا المعتزلة في الإمامة والتفضيل والبغاة والخوارج

اتفق شيوخنا كافة رحمهم الله المتقدمون منهم والمتأخرون والبصريون والبغداديون على أن يبعه أبي بكر الصديق ببعه صحيحه شرعية وأنها لم تكن عن نص وإنما كانت بالاختيار الذي ثبت بالإجماع وبغير الإجماع كونه طريقا إلى الإمامة. واختلفوا في التفضيل فقال قدماء البصريين كأبي عثمان عمرو بن عبيد وأبي إسحاق إبراهيم بن سيار النظام وأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ وأبي معن ثمامة بن أشرس وأبي محمد هشام بن عمرو الفوطي وأبي يعقوب يوسف بن عبد الله الشحام وجماعة غيرهم إن أبا بكر أفضل من علي ع وهؤلاء يجعلون ترتيب الأربعة في الفضل كترتيبهم في الخلافة. وقال البغداديون قاطبة قدمائهم ومتأخروهم كأبي سهل بشر بن المعتمر وأبي موسى عيسى بن صبيح وأبي عبد الله جعفر بن مبشر وأبي جعفر الإسكافي وأبي الحسين الخياط وأبي القاسم عبد الله بن محمود البلخي وتلامذته إن عليا أفضل من أبي بكر. وإلى هذا المذهب ذهب من البصريين أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي أخيرا وكان من قبل من المتوقفين كان يميل إلى التفضيل ولا يصرح به وإذا صنف ذهب إلى الوقف في مصنفاته وقال في كثير من تصانيفه إن صح خبر الطائر فعلى أفضل [صفحہ ۸] ثم إن قاضي القضاة رحمه الله ذكر في شرح المقالات لأبي القاسم البلخي أن أبا علي رحمه الله مامات حتى قال بتفضيل علي ع وقال إنه نقل ذلك عنه سماعا ولم يوجد في شيء من مصنفاته وقال أيضا إن أبا علي رحمه الله يوم مات

استدنى ابنه أباهاشم إليه و كان قد ضعف عن رفع الصوت فألقى إليه أشياء من جملتها القول بتفضيل على ع . و ممن ذهب من البصريين إلى تفضيله ع الشيخ أبو عبد الله الحسين بن علي البصرى رضى الله عنه كان متحققا بتفضيله ومبالغا فى ذلك وصنف فيه كتابا مفردا. و ممن ذهب إلى تفضيله ع من البصريين قاضى القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد رحمه الله ذكر ابن متويه عنه فى كتاب الكفاية فى علم الكلام أنه كان من المتوقفين بين على ع و أبى بكر ثم قطع على تفضيل على ع بكامل المنزلة. و من البصريين الذاهبين إلى تفضيله ع أبو محمد الحسن بن متويه صاحب التذكرة نص فى كتاب الكفاية على تفضيله ع على أبى بكر احتج لذلك وأطال فى الاحتجاج. فهذان المذهبان كما عرفت . و ذهب كثير من الشيوخ رحمهم الله إلى التوقف فيهما و هو قول أبى حذيفة واصل بن عطاء و أبى الهذيل محمد بن الهذيل العلاف من المتقدمين وهما و إن ذهبا إلى التوقف بينه ع و بين أبى بكر وعمر قاطعان على تفضيله على عثمان . [صفحة ٩] و من الذاهبين إلى الوقف الشيخ أبوهاشم عبد السلام بن أبى على رحمهما الله والشيخ أبو الحسين محمد بن على بن الطيب البصرى رحمه الله . و أمانحن فنذهب إلى ما يذهب إليه شيوخنا البغداديون من تفضيله ع و قد ذكرنا فى كتبنا الكلامية ما معنى الأفضل وهل المراد به الأ-كثر ثوابا أو الأ-جمع لمزايا الفضل والخلال الحميدة و بينا أنه ع أفضل على التفسيرين معا و ليس هذا الكتاب موضوعا لذكر الحجاج فى ذلك أو فى غيره من المباحث الكلامية لنذكره ولهذا موضع هو أملك به . و أما القول فى البغاة عليه والخارج فهو على ما ذكره لك . أما أصحاب الجمل فهم عند أصحابنا هالكون كلهم إلا عائشة وطلحة والزبير رحمهم الله فإنهم تابوا و لو لا التوبة لحكم لهم بالنار لإصرارهم على البغى. و أما عسكر الشام بصفين فإنهم هالكون كلهم عند أصحابنا لا يحكم لأحد منهم إلا بالنار لإصرارهم على البغى وموتهم عليه رؤساؤهم والأتباع جميعا. و أما الخوارج فإنهم مرقوا عن الدين بالخبر النبوى المجمع عليه و لا يختلف أصحابنا فى أنهم من أهل النار. و جملة الأمر أن أصحابنا يحكمون بالنار لكل فاسق مات على فسقه و لا ريب فى أن الباغى على الإمام الحق والخارج عليه بشبهة أو بغير شبهة فاسق و ليس هذامما يخصون به عليا ع فلو خرج قوم من المسلمين على غيره من أئمة الإسلام العدول لكان حكمهم حكم من خرج على على ص . و قد برئ كثير من أصحابنا من قوم من الصحابة أحبطوا ثوابهم كالمغيرة بن شعبه [صفحة ١٠] و كان شيخنا أبو القاسم البلخى إذا ذكر عنده عبد الله بن الزبير يقول لا خير فيه و قال مرة لا يعجبني صلاته وصومه وليسا بنافعين له مع قول رسول الله ص لعلى ع لا ييغضك إلا منافق -رواية ١-٢-رواية ٣٠-٥٠ و قال أبو عبد الله البصرى رحمه الله لما سئل عنه ما صح عندى أنه تاب من يوم الجمل ولكنه استكثر مما كان عليه. فهذه هى المذاهب والأقوال أما الاستدلال عليها فهو مذكور فى الكتب الموضوعه لهذا الفن [صفحة ١١]

القول فى نسب أمير المؤمنين على ع وذكر لمع يسيرة من فضائله

هو أبو الحسن على بن أبى طالب واسمه عبد مناف بن عبد المطلب واسمه شيبه بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف بن قصى الغالب عليه من الكنية ع أبو الحسن و كان ابنه الحسن ع يدعو فى حياة رسول الله ص أبا الحسين ويدعوه الحسين ع أبا الحسن ويدعوان رسول الله ص أباهما فلما توفى النبى ص دعواه بأبيهما. و كناه رسول الله ص أبا تراب و جده نائما فى تراب قد سقط عنه رداؤه وأصاب التراب جسده فجاء حتى جلس عند رأسه وأيقظه وجعل يمسح التراب عن ظهره و يقول له اجلس إنما أنت أبو تراب -رواية ١-١٨٨ فكانت من أحب كناه إليه ص و كان يفرح إذ ادعى بها وكانت ترغب بنو أمية خطباءها [صفحة ١٢] أن يسبوه بها على المنابر وجعلوها نقيصة له ووصمه عليه فكأنما كسوه بها الحللى والحلل كما قال الحسن البصرى رحمه الله . و كان اسمه الأول الذى سمته به أمه حيدرة باسم أبيها أسد بن هاشم والحيدرة الأسد فغير أبوه اسمه وسماه عليا. وقيل إن حيدرة

اسم كانت قریش تسمیه به والقول الأول أصح يدل عليه خبره يوم برز إليه مرحب وارتجز عليه فقال أنا ألدی سمتنی أمی مرحبا فأجابہ ع رجا -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۷-۱۸ أنا ألدی سمتنی أمی حیدرہ . ورجزهما معا مشهور منقول لاحاجه لنا الآن إلى ذكره . وتزعم الشيعة أنه خوطب في حياة رسول الله ص بأمير المؤمنين خاطبه بذلك جله المهاجرين والأنصار و لم يثبت ذلك في أخبار المحدثين إلا أنهم قدروا ما يعطى هذا المعنى و إن لم يكن اللفظ بعينه و هو قول رسول الله ص له أنت يعسوب الدين والمال يعسوب الظلمة -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۶-۶۷ و في رواية أخرى هذا يعسوب المؤمنين -روایت- ۱-۱-ادامه دارد [صفحہ ۱۳] وقائد الغر المحجلين -روایت- از قبل -۲۴- واليعسوب ذكر النحل وأميرها روى هاتين الروايتين أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني في المسند في كتابه فضائل الصحابة ورواهما أبو نعيم الحافظ في حلية الأولياء. ودعى بعد وفاة رسول الله ص بوصى رسول الله لوصايته إليه بما أراه وأصحابنا لا ينكرون ذلك ولكن يقولون إنها لم تكن وصية بالخلافه بل بكثير من المتجددات بعده أفضى بها إليه ع وسند ذكر طرفا من هذا المعنى فيما بعد. وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي أول هاشمية ولدت لها شمي كان على ع أصغر بنيتها و جعفر أسن منه بعشر سنين وعقيل أسن منه بعشر سنين وطالب أسن من عقيل بعشر سنين وفاطمة بنت أسد أمهم جميعا. وأم فاطمة بنت أسد فاطمة بنت هرم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي وأمها حديفة بنت وهب بن ثعلبة بن وائل بن عمرو بن شيان بن محارب بن فهر وأمها فاطمة بنت عبيد بن منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤي وأمها سلمى بنت عامر بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر وأمها عاتكة بنت أبي همهمه واسمه عمرو بن عبد العزى بن عامر بن عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهر وأمها تماضر بنت عمرو بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي وأمها حبيبة وهي أمه الله بنت عبد اليل بن سالم بن مالك بن حطيظ بن جشم بن قسي و هو ثقيف وأمها فلانة بنت مخزوم بن أسامة بن ضبع بن وائل بن نصر بن صعصعة بن ثعلبة بن كنانة بن عمرو بن قين بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان [صفحہ ۱۴] بن مضر وأمها ريطه بنت يسار بن مالك بن حطيظ بن جشم بن ثقيف وأمها كلة بنت حصين بن سعد بن بكر بن هوازن وأمها حبي بنت الحارث بن النابغة بن عميرة بن عوف بن نصر بن بكر بن هوازن ذكر هذا النسب أبو الفرج على بن الحسين الأصفهاني في كتاب مقاتل الطالبين. أسلمت فاطمة بنت أسد بعد عشرة من المسلمين وكانت الحادية عشرة و كان رسول الله ص يكرمها ويعظمها ويدعوها أمي وأوصت إليه حين حضرته الوفاة فقبل وصيتها وصلى عليها ونزل في لحدها واضطجع معها فيه بعد أن ألبسها قميصه فقال له أصحابه أنا مارأيناك صنعت يا رسول الله بأحد ما صنعت بها فقال إنه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبر بي منها إنما ألبستها قميصي لتكسى من حلل الجنة واضطجعت معها ليهون عليها ضغطه القبر -روایت- ۱-۳۵۷. وفاطمة أول امرأة بايعت رسول الله ص من النساء. وأم أبي طالب بن عبد المطلب فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم وهي أم عبد الله والد سيدنا رسول الله ص وأم الزبير بن عبد المطلب وسائر ولد عبد المطلب بعد لأمهات شتى . واختلف في مولد على ع أين كان فكثير من الشيعة يزعمون أنه ولد في الكعبة والمحدثون لا يعترفون بذلك ويزعمون أن المولود في الكعبة حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي. واختلف في سنه حين أظهر النبي ص الدعوة إذ تكامل له ص أربعون سنة فالأشهر من الروايات أنه كان ابن عشر وكثير من أصحابنا المتكلمين يقولون إنه كان ابن ثلاث عشرة سنة ذكر ذلك شيخنا أبو القاسم البلخي وغيره من شيوخنا. [صفحہ ۱۵] والأولون يقولون إنه قتل و هو ابن ثلاث وستين سنة وهؤلاء يقولون ابن ست وستين والروايات في ذلك مختلفة و من الناس من يزعم أن سنه كانت دون العشر والأكثر الأظهر خلاف ذلك . وذكر أحمد بن يحيى البلاذري و على بن الحسين الأصفهاني أن قریشا أصابته أزمة وقحط فقال رسول الله ص لعمية حمزة والعباس أ لانحمل ثقل أبي طالب في هذا المحل فجاءوا إليه وسألوه أن يدفع إليهم ولده ليكفوه أمرهم فقال دعوا لي عقيلًا وخذوا من شتم و كان شديد الحب لعقيل فأخذ العباس طالبا وأخذ حمزة جعفرا وأخذ محمد ص عليا و قال لهم

قد اخترت من اختاره الله لى عليكم عليا قالوا فكان على ع فى حجر رسول الله ص منذ كان عمره ست سنين . و كان مايسدى إليه ص من إحسانه وشفقته وبره وحسن تربيته كالمكافأة والمعوضة لصنيع أبى طالب به حيث مات عبدالمطلب وجعله فى حجره و هذا يوافق قوله ع لقد عبدت الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة سبع سنين -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-٧١ وقوله كنت أسمع الصوت وأبصر الضوء سنين سبعا و رسول الله ص حينئذ صامت ماأذن له فى الإنذار والتبليغ -رواية- ١-٢-رواية- ١١-١١٢ و ذلك لأنه إذا كان عمره يوم إظهار الدعوة ثلاث عشرة سنة وتسليمه إلى رسول الله ص من أبيه و هو ابن ست فقد صح أنه كان يعبد الله قبل الناس بأجمعهم سبع سنين و ابن ست تصح منه العبادة إذا كان ذا تمييز على أن عبادة مثله هى التعظيم والإجلال وخشوع القلب واستخذاء الجوارح إذا شاهد شيئا من جلال الله سبحانه وآياته الباهرة ومثل هذا موجود فى الصبيان . وقتل ع ليلة الجمعة لثلاث عشرة بقين من شهر رمضان سنة أربعين فى [صفحة ١٦] رواية أبى عبدالرحمن السلمى وهى الرواية المشهورة و فى رواية أبى مخنف أنها كانت لإحدى عشرة ليلة بقين من شهر رمضان و عليه الشيعة فى زماننا . والقول الأول أثبت عندالمحدثين واللييلة السابعة عشرة من شهر رمضان هى ليلة بدر و قد كانت الروايات وردت أنه يقتل فى ليلة بدر و قبره بالغرى . و ما يدعيه أصحاب الحديث من الاختلاف فى قبره و أنه حمل إلى المدينة أو أنه دفن فى رحبة الجامع أو عند باب قصر الإمارة أو ندى البعير الذى حمل عليه فأخذته الأعراب باطل كله لاحقيقة له وأولاده أعرف بقبره وأولاد كل الناس أعرف بقبور آبائهم من الأجانب و هذا القبر الذى زاره بنوه لما قدموا العراق منهم جعفر بن محمد ع وغيره من أكابرهم وأعيانهم وروى أبو الفرج فى مقاتل الطالبين بإسناد ذكره هناك أن الحسين ع لما سئل أين دفنتم أمير المؤمنين فقال خرجنا به ليلا من منزله بالكوفة حتى مررنا به على مسجد الأشعث حتى انتهينا به إلى الظهر بجنب الغرى . وسنذكر خبر مقتله ع فيما بعد . فأما فضائله ع فإنها قد بلغت من العظم والجلالة والانتشار والاشتهار مبلغا يسمح معه التعرض لذكرها والتصدي لتفصيلها فصارت كما قال أبو العيناء لعبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل والمعتمد رأيتنى فيما أتعاطى من وصف فضلك كالمخبر عن ضوء النهار الباهر والقمر الزاهر الذى لا يخفى على الناظر فأيقنت أنى حيث انتهى بى القول منسوب إلى العجز مقصر عن الغاية فانصرفت عن الثناء عليك إلى الدعاء لك و وكلت الإخبار عنك إلى علم الناس بك . و ما أقول فى رجل أقر له أعداؤه وخصومه بالفضل و لم يمكنهم جحد مناقبه [صفحة ١٧] و لا كتمان فضائله فقد علمت أنه استولى بنو أمية على سلطان الإسلام فى شرق الأرض وغربها واجتهدوا بكل حيلة فى إطفاء نوره والتحريض عليه ووضع المعاييب والمثالب له ولعنه على جميع المنابر وتوعدوا مادحيه بل حبسوهم وقتلوهم ومنعوا من رواية حديث يتضمن له فضيلة أو يرفع له ذكرا حتى حظروا أن يسمى أحد باسمه فما زاده ذلك إلا رفة وسموا و كان كالمسك كلما ستر انتشر عرفه وكما كتم تزوع نشره وكالشمس لا تستر بالراح وكضوء النهار أن حجبته عنه عين واحدة أدركته عيون كثيرة . و ما أقول فى رجل تعزى إليه كل فضيلة وتنتهى إليه كل فرقة وتتجاذبه كل طائفة فهو رئيس الفضائل وينبوعها و أبو عذرها وسابق مضمارها ومجلى حلبتها كل من بزغ فيها بعده فمنه أخذ و له اقتفى و على مثاله احتذى . و قد عرفت أن أشرف العلوم هو العلم الإلهى لأن شرف العلم بشرف المعلوم ومعلومه أشرف الموجودات فكان هو أشرف العلوم و من كلامه ع اقتبس و عنه نقل و إليه انتهى و منه ابتداء فإن المعتزلة الذين هم أهل التوحيد والعدل وأرباب النظر ومنهم تعلم الناس هذا الفن تلامذته وأصحابه لأن كبيرهم واصل بن عطاء تلميذ أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية و أبو هاشم تلميذ أبىه وأبوه تلميذه ع و أما الأشعرية فإنهم ينتمون إلى أبى الحسن على بن إسماعيل بن أبى بشر الأشعرى و هو تلميذ أبى على الجبائى و أبو على أحد مشايخ المعتزلة فالأشعرية ينتهون بآخره إلى أستاذ المعتزلة ومعلمهم و هو على بن أبى طالب ع . و أما الإمامية والزيدية فانتماؤهم إليه ظاهر . [صفحة ١٨] و من العلوم علم الفقه و هو ع أصله وأساسه و كل فقيه فى الإسلام فهو عيال عليه ومستفيد من فقهه أما أصحاب أبى حنيفة كأبى يوسف و محمد وغيرهما فأخذوا عن أبى حنيفة و

أما الشافعي فقرأ على محمد بن الحسن فيرجع فقهه أيضا إلى أبي حنيفة و أما أحمد بن حنبل فقرأ على الشافعي فيرجع فقهه أيضا إلى أبي حنيفة و أبو حنيفة قرأ على جعفر بن محمد ع وقرأ جعفر على أبيه ع وينتهي الأمر إلى علي ع و أما مالك بن أنس فقرأ على ربيعة الرأي وقرأ ربيعة على عكرمة وقرأ عكرمة على عبد الله بن عباس وقرأ عبد الله بن عباس على علي بن أبي طالب . و إن شئت فرددت إليه فقه الشافعي بقراءته على مالك كان لك ذلك فهؤلاء الفقهاء الأربعة . و أما فقه الشيعة فرجوعه إليه ظاهر وأيضا فإن فقهاء الصحابة كانوا عمر بن الخطاب و عبد الله بن عباس وكلاهما أخذ عن علي ع أما ابن عباس فظاهر و أعمارهم فقد عرف كل أحد رجوعه إليه في كثير من المسائل التي أشكلت عليه و على غيره من الصحابة و قوله غير مرة لو لا علي لهلك عمر و قوله لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن و قوله لا يفتين أحد في المسجد و على حاضر فقد عرف بهذا الوجه أيضا انتهاء الفقه إليه . و قدرات العامة والخاصة قوله ص أقضاكم على -رواية ١-٢-رواية ٣٦-٤٩ والقضاء هو الفقه فهو إذا أفقههم و روى الكل أيضا أنه ع قال له و قد بعته إلى اليمن قاضيا اللهم اهد قلبه و ثبت لسانه قال فما شككت بعدها في قضاء بين اثنين [صفحہ ١٩] و هو ع الذي أفتى في المرأة التي وضعت لسته أشهر و هو الذي أفتى في الحامل الزانية و هو الذي قال في المنبرية صار ثمنها تسعا و هذه المسألة لو فكر الفرضي فيها ففكر طويلا لاستحسن منه بعد طول النظر هذا الجواب فما ظنك بمن قاله بديهة واقتضبه ارتجالا- و من العلوم علم تفسير القرآن و عنه أخذ و منه فرع و إذ رجعت إلى كتب التفسير علمت صحة ذلك لأن أكثره عنه و عن عبد الله بن عباس و قد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته له و انقطاعه إليه و أنه تلميذه و خريجه و قيل له أين علمك من علم ابن عمك فقال كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط . و من العلوم علم الطريقة والحقيقة و أحوال التصوف و قد عرفت أن أرباب هذا الفن في جميع بلاد الإسلام إليه ينتهون و عنده يقفون و قد صرح بذلك الشبلي والجنيد وسرى و أبو يزيد البسطامي و أبو محفوظ معروف الكرخي وغيرهم و يكفيك دلالة على ذلك الخرقه التي هي شعارهم إلى اليوم و كونهم يسندونها بإسناد متصل إليه ع . [صفحہ ٢٠] و من العلوم علم النحو والعربية و قد علم الناس كافة أنه هو الذي ابتدعه و أنشأه و أملى على أبي الأسود الدؤلي جوامعه و أصوله من جملتها الكلام كله ثلاثة أشياء اسم و فعل و حرف و من جملتها تقسيم الكلمة إلى معرفة و نكرة و تقسيم وجوه الإعراب إلى الرفع والنصب والجر والجزم و هذا يكاد يلحق بالمعجزات لأن القوة البشرية لا تنفي بهذا الحصر و لا تنهض بهذا الاستنباط . و إن رجعت إلى الخصائص الخلقية والفضائل النفسانية والدينية وجدته ابن جلاها و طلاع ثنائياها . و أما الشجاعة فإنه أنسى الناس فيها ذكر من كان قبله و محا اسم من يأتي بعده و مقاماته في الحرب مشهورة يضرب بها الأمثال إلى يوم القيامة و هو الشجاع الذي مفر قط و لا ارتاع من كثيبه و لا بارز أحدا إلا قتله و لا ضرب ضربة قط فاحتاجت الأولى إلى ثانية و في الحديث كانت ضرباته و ترا و لمادعا معاوية إلى المبارزة ليستريح الناس من الحرب بقتل أحدهما قال له عمرو لقد أنصفك فقال معاوية ما غششتني منذ نصحتني إلا اليوم أتأمرني بمبارزة أبي الحسن و أنت تعلم أنه الشجاع المطرق أراك طمعت في إمارة الشام بعدى و كانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته فأما قتلاه فافتخار ربههم بأنه ع قتلهم أظهر وأكثر قالت أخت عمرو بن عبدود ترثيه لو كان قاتل عمرو غير قاتله || بكيته أبدا مادمت في الأبد [صفحہ ٢١] لكن قاتله من لا نظير له || و كان يدعى أبوه بيضة البلد . و انتبه يوما معاوية فرأى عبد الله بن الزبير جالسا تحت رجله على سريره فقعد فقال له عبد الله يداعبه يا أمير المؤمنين لو شئت أن أفتك بك لفعلت فقال لقد شجعت بعدنا يا أبابكر قال و ما الذي تنكره من شجاعتى و قد و قفت في الصف إزاء علي بن أبي طالب قال لا جرم أنه قتلك و أباك بيسرى يديه و بقيت اليمنى فارغة يطلب من يقتله بها . و جملة الأمر أن كل شجاع في الدنيا إليه ينتهى و باسمه ينادى في مشارق الأرض و مغاربها . و أما القوة والأيد فبه يضرب المثل فيهما قال ابن قتيبة في المعارف ماصارع أحدا قط إلا صرعه و هو الذي قلع باب خيبر واجتمع عليه عصبه من الناس ليقبلوه فلم يقبلوه و هو الذي اقتلع هبل من أعلى الكعبة و كان عظيما جدا وألقاه إلى الأرض و هو الذي اقتلع الصخرة العظيمة في أيام

خلافته ع بيده بعدعجز الجيش كله عنها وأنبط الماء من تحتها. و أماالسخاء والجود فحاله فيه ظاهرة و كان يصوم ويطوى ويؤثر بزاده وفيه أنزل و يُطعمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَ يَتِيمًا وَ أَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَ لَا شُكْرًا وَ روى المفسرون أنه لم يكن يملك إلا أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا و بدرهم نهارا و بدرهم سرا و بدرهم علانية فأنزل فيه الَّذِينَ - قرآن- ٨٥٩-٩٩٩-قرآن-١١٢٣-١١٣٠. و انتبه يوما معاوية فرأى عبد الله بن الزبير جالسا تحت رجله على سريه فقعد فقال له عبد الله يداعبه يا أمير المؤمنين لوشئت أن أفتك بك لفعت فقال لقد شجعت بعدنا يا أبا بكر قال و ما ألقى تنكره من شجاعتى و قدوقفت فى الصف إزاء على بن أبى طالب قال لا جرم أنه قتلك و أباك بيسرى يديه و بقيت اليمنى فارغة يطلب من يقتله بها. و جملة الأمر أن كل شجاع فى الدنيا إليه ينتهى و باسمه ينادى فى مشارق الأرض و مغاربها. و أماالقوة والأيد فبه يضرب المثل فيهما قال ابن قتيبة فى المعارف ماصارع أحدا قط إلاصرعه و هو الذى قلع باب خيبر واجتمع عليه عصبه من الناس ليقلبوه فلم يقلبوه و هو الذى اقتلع هبل من أعلى الكعبة و كان عظيما جدا و ألقاه إلى الأرض و هو الذى اقتلع الصخرة العظيمة فى أيام خلافته ع بيده بعدعجز الجيش كله عنها و أنبط الماء من تحتها. و أماالسخاء والجود فحاله فيه ظاهرة و كان يصوم ويطوى ويؤثر بزاده وفيه أنزل و يُطعمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَ يَتِيمًا وَ أَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَ لَا شُكْرًا وَ روى المفسرون أنه لم يكن يملك إلا أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا و بدرهم نهارا و بدرهم سرا و بدرهم علانية فأنزل فيه الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ سِرًّا وَ عَلَانِيَةً. و روى عنه أنه كان يسقى بيده لنخل قوم من يهود المدينة حتى مجلت يده و يتصدق بالأجرة و يشد على بطنه حجرا. و قال الشعبي و قد ذكره ع كان أسخى الناس كان على الخلق الذى يحبه الله السخاء والجود ما قال لالسائل قط و قال عدوه و مبغضه الذى يجتهد فى وصمه و عيبه معاوية بن أبى سفيان لمحفن بن أبى محفن الضبى لما قال له جئتك من عند أبخل الناس فقال ويحك كيف تقول إنه أبخل الناس لوملك بيتا من تبر و بيتا من تبن لأنفد تبره قبل تبنه . و هو الذى كان يكنس بيوت الأموال و يصلى فيها و هو الذى قال ياصفراء و يايضاء غرى غيرى و هو الذى لم يخلف ميراثا و كانت الدنيا كلها بيده إلا ما كان من الشام . و أماالحلم والصفح فكان أحلم الناس عن ذنب و أصفحهم عن مسيء و قد ظهر صحة ماقلناه يوم الجمل حيث ظفر بمروان بن الحكم و كان أعدى الناس له و أشدهم بغضا فصفح عنه . و كان عبد الله بن الزبير يشتمه على رءوس الأشهاد و خطب يوم البصرة فقال قد أتاكم الوغد اللثيم على بن أبى طالب و كان على ع يقول مازال الزبير - قرآن- ١-٦٤ [صفحه ٢٣] رجلا منا أهل البيت حتى شب عبد الله فظفر به يوم الجمل فأخذه أسيرا فصفح عنه و قال اذهب فلاأرينك لم يزده على ذلك . و ظفر بسعيد بن العاص بعدوقعة الجمل بمكة و كان له عدوا فأعرض عنه و لم يقل له شيئا. و قد علمتم ما كان من عائشة فى أمره فلما ظفر بها أكرمها و بعث معها إلى المدينة عشرين امرأة من نساء عبد القيس عممهن بالعمائم و قلدهن بالسيوف فلما كانت ببعض الطريق ذكرته بما لا يجوز أن يذكر به و تأففت و قالت هتك ستري برجاله و جنده الذين و كلهم بى فلما وصلت المدينة ألقى النساء عمائمهن و قلن لها إنما نحن نسوة. و حاربه أهل البصرة و ضربوا وجهه و وجوه أولاده بالسيوف و شتموه و لعنوه فلما ظفر بهم رفع السيوف عنهم و نادى مناديه فى أقطار العسكر ألا لا يتبع مول و لا يجهز على جريح و لا يقتل مستأسر و من ألقى سلاحه فهو آمن و من تحيز إلى عسكر الإمام فهو آمن و لم يأخذ أثقالهم و لاسبى ذراريهم و لا غنم شيئا من أموالهم و لو شاء أن يفعل كل ذلك لفعل ولكنه أبى إلاالصفح والعفو و تقيل سنة رسول الله ص يوم فتح مكة فإنه عفا والأحقاد لم تبرد و الإساءة لم تنس . و لما ملك عسكر معاوية عليه الماء و أحاطوا بشريعة الفرات و قالت رؤساء الشام له اقتلهم بالعطش كماقتلوا عثمان عطشا سألهم على ع و أصحابه أن يشرعوا لهم شرب الماء فقالوا لا و الله و لا قطرة حتى تموت ظلما كما مات ابن عفان فلما رأى ع أنه الموت لا محالة تقدم بأصحابه و حمل على عساكر معاوية حملات كثيفة حتى أزالهم عن مراكزهم بعدقتل ذريع سقطت منه الرءوس والأيدى و ملكوا عليهم [صفحه ٢٤] الماء و صار أصحاب معاوية فى الفلاة لا ماء لهم فقال له أصحابه

وشيعته امنعهم الماء يا أمير المؤمنين كما منعوك ولا تسقهم منه قطرة واقتلهم بسيوف العطش وخذهم قبضا بالأيدى فلا حاجة لك إلى الحرب فقال لا والله لا أكافئهم بمثل فعلهم افسحوا لهم عن بعض الشريعة ففى حد السيف ما يغنى عن ذلك فهذه إن نسبتها إلى الحلم والصفح فناهيك بهاجمالا- وحسنا وإن نسبتها إلى الدين والورع فأخلق بمثلها أن تصدر عن مثله ع . و أما الجهاد فى سبيل الله فمعلوم عند صديقه وعدوه أنه سيد المجاهدين وهل الجهاد لأحد من الناس إلا له وقد عرفت أن أعظم غزاة غزاها رسول الله ص وأشدها نكايه فى المشركين بدر الكبرى قتل فيها سبعون من المشركين قتل على نصفهم وقتل المسلمون والملائكة النصف الآخر وإذ رجعت إلى مغازى محمد بن عمر الواقدي وتاريخ الأشراف لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى وغيرهما علمت صحة ذلك دع من قتله فى غيرها كأحد والخندق وغيرهما وهذا الفصل لامعنى للإطنا ب فيه لأنه من المعلومات الضرورية كالعلم بوجود مكة ومصر ونحوهما. و أما الفصاحة فهو ع إمام الفصحاء وسيد البلغاء وفى كلامه قيل دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين ومنه تعلم الناس الخطابة والكتابة قال عبد الحميد بن يحيى حفظت سبعين خطبة من خطب الأصلح ففاضت ثم فاضت وقال ابن نباتة حفظت من الخطابة كنزا لا يزيد الإنفاق إلا سعة وكثرة حفظت مائة فصل من مواعظ على بن أبى طالب . و لما قال محض بن أبى محض لمعاوية جئتك من عند أعيان الناس قال له ويحك [صفحة ٢٥] كيف يكون أعيان الناس فو الله ماسن الفصاحة لقريش غيره ويكفى هذا الكتاب الذى نحن شارحوه دلالة على أنه لا يجارى فى الفصاحة ولا يبارى فى البلاغة وحسبك أنه لم يدون لأحد من فصحاء الصحابة العشر ولا نصف العشر مما دون له وكفاك فى هذا الباب ما يقوله أبو عثمان الجاحظ فى مدحه فى كتاب البيان والتبيين وفى غيره من كتبه . و أما سجاحة الأخلاق وبشر الوجه وطلاقة المحيا والتبسم فهو المضروب به المثل فيه حتى عابه بذلك أعداؤه قال عمرو بن العاص لأهل الشام إنه ذو دعابة شديدة وقال على ع فى ذاك عجا لابن النابغة يزعم لأهل الشام أن فى دعابة وأنى امرؤ تلعبه أعافس وأمارس -رواية ١- ٢-رواية ٣٥- ١٦٢ وعمرو بن العاص إنما أخذها عن عمر بن الخطاب لقوله له لما عزم على استخلافه لله أبوك لو لدعابة فيك إلا أن عمر اقتصر عليها وعمرو زاد فيها وسمحها. قال صعصعة بن صوحان وغيره من شيعته وأصحابه كان فينا كأحدنا لين جانب وشدة تواضع وسهولة قياد وكنا نهابه مهابة الأسير المربوط للسياق الواقف على رأسه . وقال معاوية لقيس بن سعد رحم الله أباحسن فلقد كان هشا بشا ذا فكاهاة قال قيس نعم كان رسول الله ص يمزح ويتبسم إلى أصحابه وأراك تسر حسوا فى ارتغاء وتعيبه بذلك أما والله لقد كان مع تلك الفكاهاة والطلاقة أهيب من ذى لبدتين قدمسه الطوى تلك هيبه التقوى وليس كما يهابك طعام أهل الشام . [صفحة ٢٦] وقد بقى هذا الخلق متوارثا متنافلا فى محبيه وأوليائه إلى الآن كما بقى الجفاء والخشونة والوعورة فى الجانب الآخر ومن له أدنى معرفة بأخلاق الناس وعوائدهم يعرف ذلك . و أما الزهد فى الدنيا فهو سيد الزهاد وبدل الأبدال و إليه تشد الرحال وعنده تنفض الأحلاس ماشبع من طعام قط و كان أحسن الناس مأكلا وملبسا قال عبد الله بن أبى رافع دخلت إليه يوم عيد فقدم جرابا مختوما فوجدنا فيه خبز شعير يابس مرضوضا فقدم فأكل فقلت يا أمير المؤمنين فكيف تختمه قال خفت هذين الولدين أن يلتاه بسمن أوزيت . و كان ثوبه مرقوعا بجلد تارة وليف أخرى ونعلاه من ليف و كان يلبس الكرياس الغليظ فإذا وجد كمة طويلا قطعه بشفرة و لم يخطه فكان لا يزال متساقطا على ذراعيه حتى يبقى سدى لالحمه له و كان يأتدم إذا تدم بخل أو بملح فإن ترقى عن ذلك فبعض نبات الأرض فإن ارتفع عن ذلك فبقليل من ألبان الإبل ولا يأكل اللحم إلا قليلا ويقول لا تجعلوا بطونكم مقابر الحيوان و كان مع ذلك أشد الناس قوة وأعظمهم أيدا لا ينقض الجوع قوته ولا يخون الإقلال منته و هو الذى طلق الدنيا وكانت الأموال تجبى إليه من جميع بلاد الإسلام إلا من الشام فكان يفرقها ويمزقها ثم يقول هذا جناى وخياره فيه || إذ كل جان يده إلى فيه [صفحة ٢٧] و أما العبادة فكان أعبد الناس وأكثرهم صلاة وصوما ومنه تعلم الناس صلاة الليل وملازمة الأوراد وقيام النافلة وما ظنك برجل يبلغ من محافظته على ورده أن يبسط له نطح بين الصفين ليلة الهرير فيصلى عليه

ورده والسهام تقع بين يديه وتمر على صماخيه يمينا وشمالا فلا يرتاع لذلك ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته و ماظنك برجل كانت جبهته كئيفه البعير لطول سجوده . و أنت إذ تأملت دعواته ومناجاته ووقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه وإجلاله و مايتضمنه من الخضوع لهيبته والخشوع لعزته والاستخاء له عرفت ماينطوى عليه من الإخلاص وفهمت من أى قلب خرجت و على أى لسان جرت . و قيل لعلى بن الحسين ع و كان الغايه فى العباده أين عبادتك من عباده جدك قال عبادتى عند عباده جدى كعباده جدى عند عباده رسول الله ص -روايت- ١-١٤٠ و أمأقراءته القرآن واشتغاله به فهو المنظور إليه فى هذا الباب اتفق الكل على أنه كان يحفظ القرآن على عهد رسول الله ص و لم يكن غيره يحفظه ثم هو أول من جمعه نقلوا كلهم أنه تأخر عن بيعه أبى بكر فأهل الحديث لا يقولون مات قوله الشيعة من أنه تأخر مخالفة للبيعة بل يقولون تشاغل بجمع القرآن فهذا يدل على أنه أول من جمع القرآن لأنه لو كان مجموعا فى حياة رسول الله ص لما احتاج إلى أن يتشاغل بجمعه بعد وفاته ص و إذ رجعت إلى كتب القراءات وجدت أئمة القراء كلهم يرجعون إليه كأبى عمرو بن العلاء وعاصم بن أبى النجود وغيرهما لأنهم يرجعون إلى أبى عبدالرحمن السلمى القارئ [صفحة ٢٨] و أبو عبدالرحمن كان تلميذه و عنه أخذ القرآن فقد صار هذا الفن من الفنون التى تنتهى إليه أيضا مثل كثير مما سبق . و أما الرأى والتدبير فكان من أسد الناس رأيا وأصحهم تدبيرا و هو الذى أشار على عمر بن الخطاب لماعزم على أن يتوجه بنفسه إلى حرب الروم والفرس بما أشار و هو الذى أشار على عثمان بأمور كان صلاحه فيها و لوقبلها لم يحدث عليه ما حدث وإنما قال أعداؤه لارأى له لأنه كان متقيدا بالشيعة لا يرى خلافا و لا يعمل بما يقتضى الدين تحريمه و قد قال ع لولا الدين والتقى لكنت أدهى العرب -روايت- ١-٢-روايت- ١٦-٥٦ وغيره من الخلفاء كان يعمل بمقتضى ما يستصلحه ويستوفقه سواء أ كان مطابقا للشرع أم لم يكن و لاريب أن من يعمل بما يؤدى إليه اجتهاده و لا يقف مع ضوابط و قيود يمتنع لأجلها مما يرى الصلاح فيه تكون أحواله الدنيوية إلى الانتثار أقرب . و أما السياسة فإنه كان شديد السياسة خشنا فى ذات الله لم يراقب ابن عمه فى عمل كان و لاه إياه و لاراقب أخاه عقيل فى كلام جبهه به وأحرق قوما بالنار ونقض دار مصقلة بن هبيرة و دار جرير بن عبد الله البجلي وقطع جماعة وصلب آخرين . و من جملة سياسته فى حروبه أيام خلافته بالجمل وصفين والنهروان و فى أقل القليل منها مقنع فإن كل سائس فى الدنيا لم يبلغ فتكه و بطشه وانتقامه مبلغ العشر مما فعل ع فى هذه الحروب بيده وأعوانه . فهذه هى خصائص البشر ومزاياهم قد أوضحنا أنه فيها الإمام المتبع فعله والرئيس المقتفى أثره . و ما أقول فى رجل تحبه أهل الذمة على تكذيبهم بالنبوة وتعظمه الفلاسفة على معاندتهم لأهل الملء وتصور ملوك الفرنج والروم صورته فى بيعها وبيوت عباداتها [صفحة ٢٩] حاملا سيفه مشمرا لحربه وتصور ملوك الترك والديلم صورته على أسيافها كان على سيف عضد الدولة بن بويه وسيف أبيه ركن الدولة صورته و كان على سيف ألب أرسلان وابنه ملكشاه صورته كأنهم يتفاءلون به النصر والظفر . و ما أقول فى رجل أحب كل واحد أن يتكثر به وود كل أحد أن يتجمل ويتحسن بالانتساب إليه حتى الفتوة التى أحسن ما قيل فى حدها ألا تستحسن من نفسك ماتستقبحه من غيرك فإن أربابها نسبوا أنفسهم إليه و صنفوا فى ذلك كتبا وجعلوا لذلك إسنادا أنهوه إليه وقصروه عليه و سموه سيد الفتيان وعضدوا مذهبهم إليه بالبيت المشهور المروى أنه سمع من السماء يوم أحد لاسيف إلاذو الفقار || و لافتى إلا على . و ما أقول فى رجل أبوه أبو طالب سيد البطحاء و شيخ قريش ورئيس مكة قالوا قل أن يسود فقير و ساد أبو طالب و هو فقير لا مال له و كانت قريش تسميه الشيخ . و فى حديث عفيف الكندى لما رأى النبى ص يصلى فى مبدل الدعوة ومع غلام وامرأة قال فقلت للعباس أى شىء هذا قال هذا ابن أخى يزعم أنه رسول من الله إلى الناس و لم يتبعه على قوله إلا هذا الغلام و هو ابن أخى أيضا و هذه المرأة وهى زوجته قال فقلت ما الذى تقولونه أنتم قال ننظر ما يفعل الشيخ يعنى أبا طالب و أبو طالب هو الذى كفل رسول الله ص صغيرا و حماه و حاطه كبيرا ومنعه من مشركى قريش ولقى لأجله عنتا عظيما وقاسى بلاء شديدا وصبر على نصره

والقيام بأمره وجاء في الخبر أنه لما توفي أبوطالب أوحى إليه ع وقيل له اخرج منها فقد مات ناصر ك . و له مع شرف هذه الأبوة أن ابن عمه محمد سيد الأولين والآخرين وأخاه جعفر ذو الجناحين ألقى قال له رسول الله ص أشبهت خلقى وخلقى -رواية- ١-٢-رواية-٢٧-٤٧ فمر يحجل [صفحہ ٣٠] فرحا وزوجته سيده نساء العالمين وابنيه سيدي شباب أهل الجنة فأبأه رسول الله وأمهاته أمهات رسول الله و هو مسوط بلحمه ودمه لم يفارقه منذ خلق الله آدم إلى أن مات عبدالمطلب بين الأخوين عبد الله و أبي طالب وأمهما واحدة فكان منهما سيد الناس هذا الأول و هذا التالي و هذا المنذر و هذا الهادي . و ما أقول في رجل سبق الناس إلى الهدى وآمن بالله و عبده و كل من في الأرض يعبد الحجر و يجحد الخالق لم يسبقه أحد إلى التوحيد إلا السابق إلى كل خير محمد رسول الله ص . ذهب أكثر أهل الحديث إلى أنه ع أول الناس اتباعا لرسول الله ص إيمانا به و لم يخالف في ذلك إلا الأقلون و قد قال هو ع أنا الصديق الأكبر و أنا الفاروق الأول أسلمت قبل إسلام الناس و صليت قبل صلاتهم -رواية- ١-٢-رواية-١٩-١٠٥ و من وقف على كتب أصحاب الحديث تحقق ذلك و علمه واضحا و إليه ذهب الواقدي و ابن جرير الطبري و هو القول الذي رجحه و نصره صاحب كتاب الإستيعاب . ولأنا إنما نذكر في مقدمة هذا الكتاب جملة من فضائله عنت بالعرض لا بالقصد و جب أن نختصر و نقتصر فلو أردنا شرح مناقبه و خصائصه لاحتجنا إلى كتاب مفرد يماثل حجم هذا بل يزيد عليه و بالله التوفيق [صفحہ ٣١]

القول في نسب الرضى أبى الحسن رحمه الله وذكر طرف من خصائصه ومناقبه

هو أبو الحسن محمد بن أبى أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن موسى بن جعفر الصادق ع مولده سنة تسع وخمسين وثلاثمائة . و كان أبوه النقيب أبو أحمد جليل القدر عظيم المنزلة في دولة بنى العباس ودولة بنى بويه ولقب بالطاهر ذى المناقب و خاطبه بهاء الدولة أبو نصر بن بويه بالطاهر الأوحى وولى نقابة الطالبين خمس دفعات ومات و هو متقلداها بعد أن حالفته الأمراض وذهب بصره وتوفى عن سبع وتسعين سنة فإن مولده كان في سنة أربع وثلاثمائة وتوفى سنة أربعمائه و قد ذكر ابنه الرضى أبو الحسن كميته عمره في قصيدته التي رثاها بها وأولها وسمتك حاليه الربيع المرهم || وسقتك ساقية الغمام المرزم سبع وتسعون اهتبلن لك العدا || حتى مضوا وغبرت غير مذم لم يلحقوا فيها بشأوك بعد ما || أملوا فعاقهم اعتراض الأزلم لإبقايا من غبارك أصبحت || غصصا وأقذاء لعين أوفم إن يتبعوا عقبيك في طلب العلا || فالذئب يعسل في طريق الضيغم . ودفن النقيب أبو أحمد أولا في داره ثم نقل منها إلى مشهد الحسين ع . و هو الذى كان السفير بين الخلفاء و بين الملوك من بنى بويه والأمراء من بنى حمدان وغيرهم و كان مبارك الغرة ميمون النقيبة مهيبا نبيلاً ماشرع في إصلاح أمر فاسد [صفحہ ٣٢] إلا و صلح على يديه وانتظم بحسن سفارته وبركة همته وحسن تدبيره ووساطته ولاستعظام عضد الدولة أمره وامتلاء صدره وعينه به حين قدم العراق ما قبض عليه وحمله إلى القلعة بفارس فلم يزل بها إلى أن مات عضد الدولة فأطلقه شرف الدولة أبو الفوارس شير ذيل بن عضد الدولة واستصحبه في جملته حيث قدم إلى بغداد وملك الحضرة و لما توفى عضد الدولة ببغداد كان عمر الرضى أبى الحسن أربع عشرة سنة فكتب إلى أبيه و هو معتقل بالقلعة بشيراز أبلغا عنى الحسين ألوكا || أن ذا الطود بعد عهدك ساخا والشهاب الذى اصطليت لظاه || عكست ضوءه الخطوب فباخا والفينيق الذى تذرع طول || الأرض خوى به الردى وأناخا أن يرد مورد القذى و هوراض || فبما يكرع الزلال النقاخا والعقاب الشغواء أهبطها النيق || و قد أرعت النجوم صماخا أعجلتها المنون عنا ولكن || خلفت في ديارنا أفرأخا و على ذاك فالزمان بهم عاد || غلاما من بعد ما كان شاخصا . وأم الرضى أبى الحسن فاطمة بنت الحسين بن أحمد بن الحسن الناصر الأصم صاحب الديلم و هو أبو محمد الحسن بن على بن

الحسن بن علي بن عمر بن علي بن أبي طالب ع شيخ الطالبين وعالمهم وزاهدهم وأديبهم وشاعرهم [صفحة ٣٣] ملك بلاد الديلم والجل ويلقب بالناصر للحق جرت له حروب عظيمة مع السامانية وتوفى بطبرستان سنة أربع وثلاثمائة وسنه تسع وسبعون سنة وانتصب في منصبه الحسن بن القاسم بن الحسين الحسنى ويلقب بالداعي إلى الحق . وهى أم أخيه أبى القاسم على المرتضى أيضا . وحفظ الرضى رحمه الله القرآن بعد أن جاوز ثلاثين سنة فى مدة يسيرة وعرف من الفقه والفرائض طرفا قويا و كان رحمه الله عالما أديبا وشاعرا مقلقا فصيح النظم ضخم الألفاظ قادرا على القريض متصرفا فى فنونه إن قصد الرقة فى النسب أتى بالعجب العجاب و إن أراد الفخامة وجزالة الألفاظ فى المدح وغيره أتى بما لا يشق فيه غباره و إن قصد فى المراثى جاء سابقا والشعراء منقطع أنفاسها على أثره و كان مع هدامترسلا ذا كتابة قوية و كان عفيفا شريف النفس على الهمة ملتزما بالدين وقوانينه و لم يقبل من أحد صلة و لاجائزة حتى أنه رد صلاة أبيه وناهيك بذلك شرف نفس و شدة ظلف فأما بنو بويه فإنهم اجتهدوا على قبوله صلاتهم فلم يقبل . و كان يرضى بالإكرام وصيانة الجانب وإعزاز الأتباع والأصحاب و كان الطائع أكثر ميلا إليه من القادر و كان هو أشد حبا وأكثر ولاء للطائع منه للقادر و هو القائل للقادر فى قصيدته التى مدحه بهامنها [صفحة ٣٤] عطفًا أمير المؤمنين فإننا || فى دوحه العلياء لانتفرق ما بيننا يوم الفخار تفاوت || أبدا كلانا فى المعالى معرق إلا الخلافة شرفتك فإننى || أنا عاظم منها و أنت مطوق . فيقال إن القادر قال له على رغم أنف الشريف . وذكر الشيخ أبو الفرج بن الجوزى فى التاريخ فى وفاة الشيخ أبى إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد الطبرى الفقيه المالكى قال كان شيخ الشهود المعدلين ببغداد و متقدمهم وسمع الحديث الكثير و كان كريما مفضلا على أهل العلم قال و عليه قرأ الشريف الرضى رحمه الله القرآن و هو شاب حدث السن فقال له يوما أيها الشريف أين مقامك قال فى دار أبى بيبان محول فقال مثلك لا يقيم بدار أبيه قد نحلكتك دارى بالكرخ المعروفة بدار البركة فامتنع الرضى من قبولها و قال له لم أقبل من أبى قط شيئا فقال إن حقى عليك أعظم من حق أبيك عليك لأنى حفظتك كتاب الله تعالى فقبلها . و كان الرضى لعلو همته تنازعه نفسه إلى أمور عظيمة يجيش بها خاطره وينظمها فى شعره و لا يجد من الدهر عليها مساعده فيذوب كمدا ويفنى وجدا حتى توفى و لم يبلغ غرضا . فمن ذلك قوله ما أنال للعلياء إن لم يكن || من ولدى ما كان من والدى و لامشت بى الخيل أن لم أطأ || سرير هذا الأصيل الماجد . [صفحة ٣٥] و منه قوله متى ترانى مشيحا فى أوائلهم || يطفو بى النقع أحيانا ويخفينى لتظننى مشيحا فى أوائلها || يغيب بى النقع أحيانا ويبيدنى لاتعرفونى إلا بالطعان و قد || أضحى لثامى معصوبا بعزيبى . و منه قوله يعنى نفسه فوا عجا مما يظن محمد || وللظن فى بعض المواطن غدار يؤمل أن الملك طوع يمينه || و من دون ما يرجو المقدر أقدار لئن هو أبقى للخلافة لمة || لها طرر فوق الجبين وأطرار ورام العلا بالشعر والشعر دأبا || ففى الناس شعر خاملون وشعار وإنى أرى زندا تواتر قدحه || ويوشك يوما أن تكون له نار . و منه قوله لاهم قلبى بركوب العلا || يوما و لابلت يدي بالسماح [صفحة ٣٦] إن لم أنلها باشتراط كما || شئت على بيض الظبى واقترح أفوز منها باللباب الذى || يعيبى الأمانى نيله والصراح فما الذى يقعدنى عن مدى || ما هو باليسل و لا بالقاح يطمح من لا مجد يسمو به || إنى إذا عذرت عند الطماح أمافتى نال المنى فاشتفى || أو بطل ذاق الردى فاستراح . و فى هذه القصيدة ما هو أخشن مسا وأعظم نكايه ولكننا عدلنا عنه وتخطينا كراهية لذكره و فى شعره الكثير الواسع من هذا النمط . و كان أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابى الكاتب له صديقا وبينهما لحمه الأدب ووشائجه ومراسلات ومكاتبات بالشعر فكتب الصابى إلى الرضى فى هذا النمط أباحسن لى فى الرجال فراسة || تعودت منها أن تقول فتصدقا و قد خبرتنى عنك أنك ماجد || سترقى إلى العلياء أبعد مرتقى فوفيتك التعظيم قبل أوانه || و قلت أطال الله للسيد البقا [صفحة ٣٧] وأضمرت منه لفظه لم أبح بها || إلى أن أرى إظهارها لى مطلقا فإن مت أو إن عشت فاذكر بشارتى || وأوجب بها حقا عليك محققا وكن لى فى الأولاد والأهل حافظا || إذا ما طمأن الجنب فى مضجع البقا . فكتب إليه الرضى جوابا عن ذلك قصيدة أولها

سنت لهذا الرمح غربا مذلقا || وأجريت في ذا الهندوانى رونقا وسومت ذا الطرف الجواد وإنما || شرعت له نهجا فخب وأعنا
وهى قصيدة طويلة ثابتة فى ديوانه يعد فيها نفسه ويعد الصابى أيضا ببلوغ آماله إن ساعد الدهر وتم المرام و هذه الأبيات أنكرها
الصابى لماشاعت وقال إنى عملتها فى أبى الحسن على بن عبدالعزيز بن حاجب النعمان كاتب الطائع و ما كان الأمر كما ادعاه
ولكنه خاف على نفسه . وذكر أبو الحسن الصابى وابنه غرس النعمة محمد فى تاريخهما أن القادر بالله عقد مجلسا أحضر فيه
الظاهر أبا أحمد الموسوى وابنه أبا القاسم المرتضى وجماعة من القضاة والشهود والفقهاء وأبرز إليهم أبيات الرضى أبى الحسن
الذى أولها مامقامى على الهوان وعندى || مقول صارم وأنف حمى وإباء محلق بى عن الضيم || كما زاغ طائر وحشى أى عذر
له إلى المجد إن || ذل غلام فى غمده المشرفى [صفحة ٣٨] أحمل الضيم فى بلاد الأعادى || وبمصر الخليفة العلوى من أبوه
أبى ومولاه مولاي || إذا ضامنى البعيد القصى لف عرقى بعرقه سيدا الناس || جميعا محمد و على . وقال القادر للنجيب أبى
أحمد قل لولدك محمد أى هوان قد أقام عليه عندنا و أى ضيم لقى من جهتنا و أى ذل أصابه فى مملكتنا و ما الذى يعمل معه
صاحب مصر لومضى إليه أ كان يصنع إليه أكثر من صنعنا أ لم نوله النقابة أ لم نوله المظالم أ لم نستخلفه على الحرمين
والحجاز وجعلناه أمير الحجيج فهل كان يحصل له من صاحب مصر أكثر من هذا مانظنه كان يكون لو حصل عنده إلا واحدا من
أبناء الطالبين بمصر فقال النقيب أبو أحمد أما هذا الشعر فما لم نسمعه منه و لا رأيناه بخطه و لا يبعد أن يكون بعض أعدائه
نحلة إياه وعزاه إليه فقال القادر إن كان كذلك فلتكتب الآن محضرا يتضمن القدح فى أنساب ولاة مصر ويكتب محمد خطه فيه
فكتب محضرا بذلك شهد فيه جميع من حضر المجلس منهم النقيب أبو أحمد وابنه المرتضى وحمل المحضر إلى الرضى
ليكتب خطه فيه حملة أبوه وأخوه فامتنع من سطر خطه وقال لا أكتب وأخاف دعاء صاحب مصر وأنكر الشعر وكتب خطه
وأقسم فيه أنه ليس بشعره و أنه لا يعرفه فأجبره أبوه على أن يكتب خطه فى المحضر فلم يفعل وقال أخاف دعاء المصريين
وغيلتهم لى فإنهم معروفون بذلك فقال أبوه يا عجباه أتخاف من بينك وبينه ستمائة فرسخ و لا تخاف من بينك وبينه مائة ذراع
وحلف ألا يكلمه وكذلك المرتضى فعلا ذلك تقيئة وخوفا من القادر [صفحة ٣٩] وتسكيننا له و لما انتهى الأمر إلى القادر
سكت على سوء أضمره و بعد ذلك بأيام صرفه عن النقابة و ولاها محمد بن عمر النهر سابسى . وقرأت بخط محمد بن إدريس
الحلى الفقيه الإمامى قال حكى أبو حامد أحمد بن محمد الإسفرائينى الفقيه الشافعى قال كنت يوما عند فخر الملك أبى غالب
محمد بن خلف وزير بهاء الدولة وابنه سلطان الدولة فدخل عليه الرضى أبو الحسن فأعظمه وأجله ورفع من منزلته و خلى ما كان
بيده من الرقاع والقصص وأقبل عليه يحادثه إلى أن انصرف ثم دخل بعد ذلك المرتضى أبو القاسم رحمه الله فلم يعظمه ذلك
التعظيم و لا أكرمه ذلك الإكرام و تشاغل عنه برقاع يقرؤها وتوقيعات يوقع بها فجلس قليلا وسأله أمرا ففضاه ثم انصرف . قال
أبو حامد فتقدمت إليه و قلت له أصلح الله الوزير هذا المرتضى هو الفقيه المتكلم صاحب الفنون و هو الأمثل والأفضل منهما وإنما
أبو الحسن شاعر قال فقال لى إذا انصرف الناس و خلا المجلس أجبتك عن هذه المسألة . قال و كنت مجمعا على الانصراف
فجاءنى أمر لم يكن فى الحساب فدعت الضرورة إلى ملازمة المجلس إلى أن تقوض الناس واحدا فواحدا فلما لم يبق إلا غلماناه
وحجابه دعا بالطعام فلما أكلنا وغسل يديه وانصرف عنه أكثر غلماناه و لم يبق عنده غيرى قال لخدام هات الكتابين اللذين
دفعتهما إليك منذ أيام وأمرتك أن تجعلهما فى السفط الفلانى فأحضرهما فقال هذا كتاب الرضى اتصل بى أنه قد ولد له ولد
فأنذت إليه ألف دينار و قلت له هذه للقبالة فقد جرت العادة أن يحمل الأصدقاء [صفحة ٤٠] إلى أخلائهم وذوى مودتهم مثل
هذا فى مثل هذه الحال فردها و كتب إلى هذا الكتاب فقرأه قال فقرأته و هو اعتذار عن الرد و فى جملة إننا أهل بيت لانطلع على
أحوالنا قابله غريبة وإنما عجائزنا يتولين هذا الأمر من نساتنا ولسن ممن يأخذن أجره و لا يقبلن صلة قال فهذا هذا . و أما المرتضى
فإننا كنا قد وزعنا و قسطنا على الأملاك ببادوريا تقسيطا نصرفه فى حفر فوهة النهر المعروف بنهر عيسى فأصاب ملكا للشريف

المرتضى بالناحية المعروفة بالداهرية من التقسيط عشرون درهما ثمنها دينار واحد قد كتب إلى منذ أيام في هذا المعنى هذا الكتاب فقرأه فقرأته و هو أكثر من مائة سطر يتضمن من الخضوع والخشوع والاستمالة والهز والطلب والسؤال في إسقاط هذه الدراهم المذكورة عن أملاكه المشار إليها ما يطول شرحه . قال فخر الملك فأيهما ترى أولى بالتعظيم والتبجيل هذا العالم المتكلم الفقيه الأوحده ونفسه هذه النفس أم ذلك الذي لم يشهر إلا بالشعر خاصة ونفسه تلك النفس فقلت وفق الله تعالى سيدنا الوزير فما زال موفقا والله ما وضع سيدنا الوزير الأمر إلا في موضعه ولا أحله إلا في محله وقمت فانصرفت . وتوفى الرضى رحمه الله في المحرم من سنة أربع وأربعمائة وحضر الوزير فخر الملك وجميع الأعيان والأشراف والقضاة جنازته والصلاة عليه ودفن في داره بمسجد الأنباريين بالكرخ ومضى أخوه المرتضى من جزعه عليه إلى مشهد موسى بن جعفر لأنه لم يستطع أن ينظر إلى تابوته ودفنه وصلى عليه فخر الملك أبو غالب ومضى بنفسه آخر النهار إلى أخيه المرتضى بالمشهد الشريف الكاظمي فألزمه بالعود إلى داره . [صفحة ٤١] ومما رثاه به أخوه المرتضى الأبيات المشهورة التي من جملتها يا للرجال لفجعة جذمت يدي || ووددت لو ذهبت على برأسي ما زلت آبي وردها حتى أتت || فحسوتها في بعض ما أنا حاسي ومطلتها زما فلما صممت || لم يثنها مطلى وطول مكاسى لله عمرك من قصير طاهر || ولرب عمر طال بالأدناس . وحدثني فخار بن معد العلوى الموسوى رحمه الله قال رأى المفيد أبو عبد الله محمد بن النعمان الفقيه الإمام فى منامه كان فاطمة بنت رسول الله ص دخلت عليه و هو فى مسجده بالكرخ ومعها ولداها الحسن والحسين ع صغيرين فسلمتهما إليه وقالت له علمهما الفقه فانتبه متعجبا من ذلك فلما تعالى النهار فى صبيحة تلك الليلة التى رأى فيها الرؤيا دخلت إليه المسجد فاطمة بنت الناصر وحولها جواريها و بين يديها ابناها محمد الرضى و على المرتضى صغيرين فقام إليها وسلم عليها فقالت له أيها الشيخ هذان ولدائى قد أحضرتهما لتعلمهما الفقه فبكى أبو عبد الله وقص عليها المنام وتولى تعليمهما الفقه وأنعم الله عليهما وفتح لهما من أبواب العلوم والفضائل ما اشتهر عنهما فى آفاق الدنيا و هو باق مابقى الدهر [صفحة ٤٢]

القول فى شرح خطبة نهج البلاغة

قال الرضى رحمه الله بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد حمد الله الذى جعل الحمد ثمنا لنعمائه ومعاذا من بلائه ووسيلة إلى جنانه وسببا لزيادة إحسانه والصلاة على رسوله نبى الرحمة وإمام الأئمة وسراج الأمة المنتجب من طينة الكرم وسلالة المجد الأقدم ومغرس الفخار المعرق وفرع العلاء المثمر المورق و على أهل بيته مصابيح الظلم وعصم الأمم ومنار الدين الواضحة ومناقب الفضل الراجحة فضلى الله عليهم أجمعين صلاة تكون إزاء لفضلهم ومكافأة لعملهم وكفاء لطيب أصلهم وفرعهم ما أنار فجر طالع وخوى نجم ساطع -رواية- ١-٥٢٣ اعلم أنى لا-أعرض فى هذا الشرح للكلام فيما قد فرغ منه أئمة العربية ولالتفسير ما هو ظاهر مكشوف كما فعل القطب الراوندى فإنه شرع أولا فى تفسير قوله أما بعد ثم قال هذا هو فصل الخطاب ثم ذكر ما معنى الفصل وأطال فيه وقسمه أقساما يشرح ما قد فرغ له منه ثم شرح الشرح وكذلك أخذ يفسر قوله من بلائه وقوله إلى جنانه وقوله وسببا وقوله المجد وقوله [صفحة ٤٣] الأقدم وهذا كله إطالة وتضييع للزمان من غير فائدة ولو أخذنا بشرح مثل ذلك لوجب أن نشرح لفظة أما المفتوحة وأن نذكر الفصل بينها وبين إما المكسورة ونذكر هل المكسورة من حروف العطف أو لافيه خلاف ونذكر هل المفتوحة مركبة أو مفردة ومهملة أو عاملة ونفسر معنى قول الشاعر بأخراشه أما كنت ذا نفر || فإن قومى لم تأكلهم الضبع . بالفتح ونذكر بعد لم ضمت إذا قطعت عن الإضافة ولم فتحت ها هنا حيث أضيفت ونخرج عن المعنى الذى قصدناه من موضوع الكتاب إلى فنون أخرى قد أحكمها أربابها . وبتدئ الآن فنقول قال لى إمام من أئمة اللغة فى زماننا

هو الفخار بكسر الفاء قال و هذامما يغلط فيه الخاصة فيفتحونها و هو غير جائز لأنه مصدر فاخر و فاعل يجيء مصدره على فعال بالكسر لا- غير نحو قاتلت قتالا و نازلت نزالا و خاصمت خصاما و كافحت كفاحا و صارعت صراعا و عندي أنه لا يبعد أن تكون الكلمة مفتوحة الفاء و تكون مصدر فخر لا مصدر فاخر فقد جاء مصدر الثلاثي إذا كان عينه أو لامه حرف حلق على فعال بالفتح نحو سمح سماحا و ذهب ذهابا اللهم إلا أن ينقل ذلك عن شيخ أو كتاب موثوق به نقلا صريحا فتزول الشبهة و العصم جمع عصمه و هو ما يعصم به و المنار الأعلام و أحدها منارة بفتح الميم و المثاقيل جمع مثقال و هو مقدار وزن الشيء تقول مثقال حبة و مثقال قيراط و مثقال دينار و ليس كما تظنه العامة أنه اسم للدينار خاصة فقوله مثاقيل الفضل أى زنات الفضل و هذا من باب الاستعارة و قوله تكون إزاء لفضلهم أى مقابلة له و مكافأة بالهمز من كافأته أى جازيته و كفاء بالهمز و المد أى نظيرا [صفحة ٤٤] و خوى النجم أى سقط و طينه الكرم أصله و سلالة المجد فرعه و الوصيل جمع وسيلة و هو ما يتقرب به و لو قال و سبيلا إلى جناحه لكان حسنا و إنما قصد الإغراب على أن قد قرأناه كذلك فى بعض النسخ و قوله و مكافأة لعملهم إن أراد أن يجعله قرينة لفضلهم كان مستقبحا عند من يريد البديع لأن الأولى ساكنة الأوسط و الأخرى متحركة الأوسط و أما من لا يقصد البديع كالكلام القديم فليس بمستقبح و إن لم يرد أن يجعلها قرينة بل جعلها من حشو السجعة الثانية و جعل القرينة و أصلهم فهو جائز إلا أن السجعة الثانية تطول جدا و لو قال عوض لعملهم لفضلهم لكان حسنا قال الرضى رحمه الله فإننى كنت فى عنفوان السن و غضاضة الغصن ابتدأت تأليف كتاب فى خصائص الأئمة ع يشتمل على محاسن أخبارهم و جواهر كلامهم حدانى عليه غرض ذكرته فى صدر الكتاب و جعلته أمام الكلام و فرغت من الخصائص التى تخص أمير المؤمنين عليا و عاقت عن إتمام بقية الكتاب محاجزات الأيام و مماطلات الزمان و كنت قد بويت ما خرج من ذلك أبوابا و فصلته فصولا فجاء فى آخرها فصل يتضمن محاسن ما نقل عنه ع من الكلام القصير فى المواعظ و الحكم و الأمثال و الآداب دون الخطب الطويلة و الكتب المبسوطة فاستحسن جماعة من الأصدقاء ما شتمل عليه الفصل المقدم ذكره معجيين ببدائعه و متعجيين من نواصحه و سألونى عند ذلك أن أبدأ بتأليف كتاب يحتوى على مختار كلام أمير المؤمنين ع فى جميع فنونه و متشعبات غصونه من خطب و كتب و مواعظ و أدب علما أن ذلك يتضمن من عجائب البلاغة و غرائب الفصاحة و جواهر العربية و ثواقب الكلم الدينية و الدنياوية ما لا يوجد مجتمعا فى كلام و لا مجموع الأطراف -رواية- ١-أداه دارد [صفحة ٤٥] فى كتاب إذ كان أمير المؤمنين ع مشرع الفصاحة و موردها و منشأ البلاغة و مولدها و منه ع ظهر مكنونها و عنه أخذت قوانينها و على أمثله هذا كل قائل خطيب و بكلامه استعان كل واعظ بليغ و مع ذلك فقد سبق و قصروا و تقدم و تأخروا لأن كلامه ع الكلام الذى عليه مسحة من العلم الإلهى و فيه عبقة من الكلام النبوى -رواية- از قبل- ٣١٤ عنفوان السن أولها و محاجزات الأيام ممانعاتها و مماطلات الزمان مدافعاته و قوله معجيين ثم قال و متعجيين فمعجيين من قولك أعجب فلان برأيه و بنفسه فهو معجب بهما و الاسم العجب بالضم و لا- يكون ذلك إلا- فى المستحسن و متعجيين من قولك تعجبت من كذا و الاسم العجب و قد يكون فى الشيء يستحسن و يستقبح و يتهول منه و يستغرب و مراده هنا التهول و الاستغراب و من ذلك قول أبى تمام أبدت أسى إذ رأتنى مجلس القصب || و آل ما كان من عجب إلى عجب .يريد أنها كانت معجبة به أيام الشبية لحسنه فلما شاب انقلب ذلك العجب عجا إما استقباحا له أو تهولا منه و استغرابا و فى بعض الروايات معجيين ببدائعه أى أنهم يعجبون غيرهم و النواصع الخالصة و ثواقب الكلم مضيئاتها و منه الشهاب الثاقب و هذا كل قائل اقتفى و اتبع و قوله مسحة يقولون على فلان مسحة من جمال مثل قولك شىء و كأنه ها هنا يريد ضوءا و صقالا و قوله عبقة أى رائحة [صفحة ٤٦] و لو قال عوض العلم الإلهى الكتاب الإلهى لكان أحسن قال الرضى رحمه الله فأجبتهم إلى الابتداء بذلك عالما بما فيه من عظيم النفع و منشور الذكر و مذخور الأجر و اعتمدت به أن أبين من عظيم قدر أمير المؤمنين ع فى هذه الفضيلة مضافة إلى المحاسن الدثرة و الفضائل الجمه و أنه انفرد ببلوغ غايتها عن جميع السلف الأولين الذين إنما يؤثر

عنهم منها القليل النادر والشاذ الشارد فأما كلامه ع فهو البحر الذى لا يساجل والجم الذى لا يحافل وأردت أن يسوغ لى التمثل فى الافتخار به ص بقول الفرزدق -رواية- ١-٤٤٩ أولئك آبائي فجئنى بمثلهم || إذا جمعنا يا جرير المجامع المحاسن المدثرة الكثيرة مال دثر أى كثير والجمه مثله ويؤثر عنهم أى يحكى وينقل قلته آثرا أى حاكيا ولا يساجل أى لا يكثر أصله من النزع بالسجل وهو الدلو الملىء قال من يساجلنى يساجل ماجدا || يملأ الدلو إلى عقد الكرب . ويروى ويساحل بالحاء من ساحل البحر وهو طرفه أى لا يشابهه فى بعد ساحله ولا يحافل أى لا يفاخر بالكثرة أصله من الحفل وهو الامتلاء والمحافظة المفخرة بالامتلاء ضرع حافل أى ممتلئ . [صفحہ ٤٧] والفرزدق همام بن غالب بن صعصعة التميمي و من هذه الأبيات ومنا الذى اختير الرجال سماحة || وجودا إذا هب الرياح الزعازع ومنا الذى أحيا الوئيد وغالب || وعمرو ومنا حاجب والأفارع ومنا الذى قاد الجياد على الوجا || بنجران حتى صبحته الترائع ومنا الذى أعطى الرسول عطية || أسارى تميم والعيون هوامع . الترائع الكرام من الخيل يعنى غزاة الأقرع بن حابس قبل الإسلام بنى تغلب بنجران وهو الذى أعطاه الرسول يوم حنين أسارى تميم . ومنا غداة الروع فرسان غارة || إذا منعت بعد الزجاج الأشاجع ومنا خطيب لا يعاب وحامل || أغر إذا التفت عليه المجامع . أى إذا مدت الأصابع بعد الزجاج إتماما لها لأنها رماح قصيرة وحامل أى حامل للديات [صفحہ ٤٨] أولئك آبائي فجئنى بمثلهم || إذا جمعنا يا جرير المجامع بهم أعتلى ما حملتني دارم || وأصرع أقرانى الذين أصارع أخذنا بأفاق السماء عليكم || لنا قمرها والنجوم الطوالع فوا عجبا حتى كليب تسبني || كأن أباه نهل أمجاشع قال الرضى رحمه الله ورأيت كلامه ع يدور على أقطاب ثلاثة أولها الخطب والأوامر وثانيها الكتب والرسائل وثالثها الحكم والمواعظ فأجمعت بتوفيق الله سبحانه على الابتداء باختيار محاسن الخطب ثم محاسن الكتب ثم محاسن الحكم والأدب مفردا لكل صنف من ذلك بابا ومفصلا فيه أوراقا ليكون مقدمة لاستدراك ما عساه يشذ عنى عاجلا- ويقع إلى آجلا- وإذ جاء شىء من كلامه الخارج فى أثناء حوار أو جواب سؤال أو غرض آخر من الأغراض فى غير الأنحاء التى ذكرتها وقررت القاعدة عليها نسبتته إلى أليق الأبواب به وأشدها ملامحة لغرضه وربما جاء فيما أختاره من ذلك فصول غير متسقة ومحاسن كلم غير منتظمة لأنى أورد النكت واللمع ولا أقصد التتالى والنسق - رواية- ١-٦٥٢ قوله أجمعت على الابتداء أى عزمت و قال القطب الراوندى تقديره أجمعت عازما على الابتداء قال لأنه لا يقال إلا- أجمعت الأمر ولا يقال أجمعت على الأمر قال سبحانه فأجمعوا أمركم . -قرآن- ١٦٥-١٨٤ [صفحہ ٤٩] هذا الذى ذكره الراوندى خلاف نص أهل اللغة قالوا أجمعت الأمر وعلى الأمر كله جائز نص صاحب الصحاح على ذلك . والمحاسن جمع حسن على غير قياس كما قالوا الملامح والمذاكر ومثله المقابح والحوار بكسر الحاء مصدر حاورته أى خاطبته والأنحاء الوجوه والمقاصد وأشدها ملامحة لغرضه أى أشدها إبصارا له ونظرا إليه من لمحت الشىء وهذه استعارة يقال هذا الكلام يلمح الكلام الفلانى أى يشابهه كان ذلك الكلام يلمح ويبصر من هذا الكلام قال الرضى رحمه الله و من عجائبه ع التى انفرد بها وأمن المشاركة فيها أن كلامه الوارد فى الزهد والمواعظ والتذكير والزواج إذا تأمله المتأمل وفكر فيه المفكر وخلع من قلبه أنه كلام مثله ممن عظم قدره ونفذ أمره وأحاط بالرقاب ملكه لم يعترضه الشك فى أنه كلام من لاحظ له فى غير الزهادة ولا شغل له بغير العبادة قد قبع فى كسر بيت أو انقطع إلى سفح جبل لا يسمع إلا حسه ولا يرى إلا نفسه ولا يكاد يوقن بأنه كلام من ينغمس فى الحرب مصلنا سيفه فيقط الرقاب ويجدل الأبطال ويعود به ينطف دما ويقطر مهجا وهو مع تلك الحال زاهد الزهاد وبديل الأبدال وهذه من فضائله العجيبة وخصائصه اللطيفة التى جمع بها بين الأضداد وألف بين الأشتات وكثيرا ما أذاكر الإخوان بها وأستخرج عجبهم منها وهى موضع العبرة بها والكفرة فيها -رواية- ١-٧٤١ [صفحہ ٥٠] قبع القنفذ يقبع قبوعا إذا أدخل رأسه فى جلده وكذلك الرجل إذا أدخل رأسه فى قميصه و كل من انزوى فى جحر أو مكان ضيق فقد قبع وكسر البيت جانب الخباء وسفح الجبل أسفله وأصله حيث يسفح فيه الماء ويقط الرقاب يقطعها عرضا لا طولا كما قاله الراوندى وإنما ذاك القد قد دثته

طولا- وقططته عرضا قال ابن فارس صاحب المجمل قال ابن عائشهُ كانت ضربات على ع في الحرب أبكارا إن اعتلى قد و إن اعترض قط ويجدل الأبطال يلقبهم على الجدالهُ وهى وجه الأرض وينطف دما يقطر والأبدال قوم صالحون لا تخلو الأرض منهم إذامات أحدهم أبدل الله مكانه آخر قدورد ذلك في كثير من كتب الحديث . كان أمير المؤمنين ع ذا أخلاق متضاده فمنها ما قد ذكره الرضى رحمه الله و هو موضع التعجب لأن الغالب على أهل الشجاعهُ والإقدام والمغامرة والجرأهُ أن يكونوا ذوى قلوب قاسية وفتك وتمرد وجبرية والغالب على أهل الزهد ورفض الدنيا وهجران ملاذها والاشتغال بمواعظ الناس وتخويفهم المعاد وتذكيرهم الموت أن يكونوا ذوى رقة ولين وضعف قلب وخور طبع وهاتان حالتان متضادتان وقد اجتمعتا له ع . ومنها أن الغالب على ذوى الشجاعهُ وإراقة الدماء أن يكونوا ذوى أخلاق سبعية وطباع حوشية وغرائز وحشية وكذلك الغالب على أهل الزهاده وأرباب الوعظ والتذكير ورفض الدنيا أن يكونوا ذوى انقباض فى الأخلاق وعبوس فى الوجوه ونفار من الناس [صفحة ٥١] واستيحاش و أمير المؤمنين ع كان أشجع الناس وأعظمهم إراقة للدم وأزهد الناس وأبعدهم عن ملاذ الدنيا وأكثرهم وعظا وتذكيرا بأيام الله ومثلاته وأشدهم اجتهادا فى العبادهُ وآدابا لنفسه فى المعاملهُ و كان مع ذلك أطف العالم أخلاقا وأسفرهم وجها وأكثرهم بشرا وأوفاهم هشاشهُ وأبعدهم عن انقباض موحش أوخلق نافر أو تجمهم مباحد أو غلظهُ وفضاظهُ تنفر معهما نفس أويتكدر معهما قلب حتى عيب بالدعابة و لما لم يجدوا فيه مغمزا و لامطعنا تعلقوا بها واعتمدوا فى التنفير عنه عليها وتلك شكاة ظاهر عنك عارها وهذا من عجائبه وغرائبه اللطيفة. ومنها أن الغالب على شرفاء الناس و من هو من أهل بيت السيادة والرئاسة أن يكون ذا كبر وتيه وتعظم وتغطرس خصوصا إذا أضيف إلى شرفه من جهة النسب شرفه من جهات أخرى و كان أمير المؤمنين ع فى مصاص الشرف ومعدنه ومعانيه لا يشك عدو ولا صديق أنه أشرف خلق الله نسبا بعد ابن عمه ص و قد حصل له من الشرف غير شرف النسب جهات كثيرة متعددة قد ذكرنا بعضها و مع ذلك فكان أشد الناس تواضعا لصغير وكبير وألينهم عريكة وأسمحهم خلقا وأبعدهم عن الكبر وأعرفهم بحق وكانت حاله هذه فى كلا زمانيه زمان خلافته [صفحة ٥٢] والزمان الذى قبله لم تغيره الإمرة ولا أحالت خلقه الرئاسة وكيف تحيل الرئاسة خلقه و مازال رئيسا وكيف تغير الإمرة سجيته و ما برح أميرا لم يستفد بالخلافهُ شرفا ولا ما اكتسب بهازينة بل هو كما قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل ذكر ذلك الشيخ أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى فى تاريخه المعروف بالمنتظم تذاكروا عند أحمد بالخلافهُ أبى بكر و على وقالوا فأكثرُوا فرفع رأسه إليهم و قال قد أكثرتم أن عليا لم تزنه الخلافهُ ولكنه زانها و هذا الكلام دال بفحواه ومفهومه على أن غيره ازدان بالخلافهُ وتممت نقصه و أن عليا ع لم يكن فيه نقص يحتاج إلى أن يتمم بالخلافهُ وكانت الخلافهُ ذات نقص فى نفسها فتم نقصها بولايته إياها. ومنها أن الغالب على ذوى الشجاعهُ وقتل الأنفس وإراقة الدماء أن يكونوا قليلي الصفح بعيدى العفو لأن أكبادهم واغرة وقلوبهم ملتبهة والقوة الغضبية عندهم شديدة و قد علمت حال أمير المؤمنين ع فى كثرة إراقة الدم و ما عنده من الحلم والصفح ومغالبة هوى النفس و قدرأيت فعله يوم الجمل ولقد أحسن مهيار فى قوله حتى إذا دارت رحى بغيهم || عليهم وسبق السيف العذل عاذوا بعفو ماجد معود || للعفو حمال لهم على العلل فنجت البقيا عليهم من نجا || وأكل الحديد منهم من أكل أطت بهم أرحامهم فلم يطع || نائرة الغيظ و لم يشف الغلل . ومنها أنا مارأينا شجاعا جوادا قط كان عبد الله بن الزبير شجاعا و كان أبخل الناس و كان الزبير أبوه شجاعا و كان شحيحا قال له عمر لو وليتها لظلت تلاطم الناس [صفحة ٥٣] فى البطحاء على الصاع والمد وأراد على ع أن يحجر على عبد الله بن جعفر لتبذيره المال فاحتال لنفسه فشارك الزبير فى أمواله وتجاراته فقال ع أما إنه قد لاذ بملاذ و لم يحجر عليه و كان طلحة شجاعا و كان شحيحا أمسك عن الإنفاق حتى خلف من الأموال ما لا يأتى عليه الحصر و كان عبد الملك شجاعا و كان شحيحا يضرب به المثل فى الشح وسمى رشح الحجر لبخله و قد علمت حال أمير المؤمنين ع فى الشجاعهُ والسخاء كيف هى و هذا من أعاجيبه أيضا ع قال الرضى رحمه الله وربما جاء فى أثناء هذا الاختيار

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مَدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ وَ لَا يُحْصِي نِعْمَاءَهُ الْعَادُونَ وَ لَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بَعْدَ الْهَمِّ وَ لَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ وَ لَا نَعْتٌ مَوْجُودٌ وَ لَا وَقْتُ مَعْدُودٌ وَ لَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ وَ نَشَرَ الرِّيحَ بِرَحْمَتِهِ وَ وَتَدَّ بِالصَّيْحُورِ مِيدَانَ أَرْضِهِ [صفحہ ۵۸] الَّذِي عَلَيْهِ أَكْثَرُ الْأَدْبَاءِ وَ الْمُتَكَلِّمِينَ أَنَّ الْحَمْدَ وَ الْمَدْحَ أَخْوَانٌ لِأَفْرَقَ بَيْنَهُمَا تَقُولُ حَمْدٌ زَيْدًا عَلَى إِنْعَامِهِ وَ مَدْحٌ عَلَى إِنْعَامِهِ وَ حَمْدٌ عَلَى شِجَاعَتِهِ وَ مَدْحٌ عَلَى شِجَاعَتِهِ فَهُمَا سَوَاءٌ يَدْخُلَانِ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ الْإِنْسَانِ وَ فِيمَا لَيْسَ مِنْ فِعْلِهِ كَمَا ذَكَرْنَا مِنْ الْمُثَالِينَ فَأَمَّا الشُّكْرُ فَأَخْصَ مِنَ الْمَدْحِ لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى النِّعْمَةِ خَاصَّةً وَ لَا يَكُونُ إِلَّا صَادِرًا مِنْ مَنْعَمٍ عَلَيْهِ فَلَا يَجُوزُ عِنْدَهُمْ أَنْ يُقَالَ شَكَرَ زَيْدٌ عَمْرًا لِنِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا عَمْرٌ عَلَى إِنْسَانٍ غَيْرِ زَيْدٍ. إِنْ قِيلَ الْإِسْتِعْمَالُ خِلَافَ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ حَضَرْنَا عِنْدَ فُلَانٍ فَوَجَدْنَاهُ يَشْكُرُ الْأَمِيرَ عَلَى مَعْرُوفِهِ عِنْدَ زَيْدٍ قِيلَ ذَلِكَ إِنَّمَا يَصِحُّ إِذَا كَانَ إِنْعَامُ الْأَمِيرِ عَلَى زَيْدٍ أَوْ جِبَ سُرُورِ فُلَانٍ فَيَكُونُ شُكْرُ إِنْعَامِ الْأَمِيرِ عَلَى زَيْدٍ شُكْرًا عَلَى السُّرُورِ الدَّاخِلِ عَلَى قَلْبِهِ بِالْإِنْعَامِ عَلَى زَيْدٍ وَ تَكُونُ لَفْظَةً زَيْدٌ الَّتِي اسْتَعِيرَتْ ظَاهِرًا لِاسْتِنَادِ الشُّكْرِ إِلَى مَسْمَاها كِنَايَةً لِاحْتِقَاقِهِ وَ يَكُونُ ذَلِكَ الشُّكْرُ شُكْرًا بِاعْتِبَارِ السُّرُورِ الْمَذْكُورِ وَ مَدْحًا بِاعْتِبَارِ آخَرٍ وَ هُوَ الْمُنَادَاةُ عَلَى ذَلِكَ الْجَمِيلِ وَ الثَّنَاءِ الْوَاقِعِ بِجِنْسِهِ . ثُمَّ إِنْ هُوَ لِأَنَّ الْمُتَكَلِّمِينَ الَّذِينَ حَكَمْنَا قَوْلَهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْحَمْدَ وَ الْمَدْحَ وَ الشُّكْرَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِاللِّسَانِ مَعَ انْطِوَاءِ الْقَلْبِ عَلَى الثَّنَاءِ وَ التَّعْظِيمِ فَإِنْ اسْتَعْمَلَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فِي الْأَفْعَالِ بِالْجَوَارِحِ كَانَ مَجَازًا وَ بَقِيَ الْبَحْثُ عَنْ اسْتِثْنَائِهِمْ مَطَابَقَةَ الْقَلْبِ لِلْسَانِ فَإِنَّ الْإِسْتِعْمَالَ لَا يَسَاعِدُهُمْ لِأَنَّ أَهْلَ الْإِسْطِلَاحِ يَقُولُونَ لِمَنْ مَدَحَ غَيْرَهُ أَوْ شَكَرَهُ رِيَاءً وَ سَمِعَهُ إِنْهُ قَدِمْدَحُهُ وَ شَكَرَهُ وَ إِنْ كَانَ مُنَافِقًا عِنْدَهُمْ وَ نَظِيرَ هَذَا الْمَوْضِعِ الْإِيمَانَ فَإِنَّ أَكْثَرَ الْمُتَكَلِّمِينَ لَا يَطْلُقُونَهُ عَلَى مَجْرَدِ النَّطْقِ اللَّسَانِيِّ بَلْ يَشْتَرِطُونَ فِيهِ الْإِعْتِقَادَ الْقَلْبِيَّ فَأَمَّا [صفحہ ۵۹] أَنْ يَقْصُرُوا بِهِ عَلَيْهِ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ الْأَشْعَرِيَّةِ وَ الْإِمَامِيَّةِ أَوْ تَوَخَّذَ مَعَهُ أُمُورٌ أُخْرَى وَ هِيَ فِعْلُ الْوَاجِبِ وَ تَجَنُّبُ الْقِيِحِ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ الْمُعْتَزَلَةِ وَ لَا يَخَالِفُ جَمْهُورَ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ إِلَّا الْكِرَامِيَّةُ فَإِنَّ الْمُنَافِقَ عِنْدَهُمْ يُسَمَّى مُؤْمِنًا وَ نَظَرُوا إِلَى مَجْرَدِ الظَّاهِرِ فَجَعَلُوا النَّطْقَ اللَّسَانِيَّ وَحْدَهُ إِيْمَانًا. وَ الْمَدْحُ هَيْئَةُ الْمَدْحِ كَالرَّكْبَةُ هَيْئَةُ الرُّكُوبِ وَ الْجَلْسَةُ هَيْئَةُ الْجُلُوسِ وَ الْمَعْنَى مَطْرُوقٌ جَدًّا وَ مِنْهُ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ كَثِيرٌ كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَ إِنْ تَعَدَّوْا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا - قرآن - ۴۰۳-۴۴۴ وَ فِي الْأَثَرِ النَّبَوِيِّ لِأَحْصَى ثَنَاءَ عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ - رَوَايَتُ ۱-۴- رَوَايَتُ ۲۲-۶۷ وَ قَالَ الْكِتَابُ مِنْ ذَلِكَ مَا يَطُولُ ذِكْرُهُ فَمِنْ جَيِّدِ ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِهِمُ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعْمِهِ الَّتِي مِنْهَا إِقْدَارُنَا عَلَى الْاجْتِهَادِ فِي حَمْدِهَا وَ إِنْ عَجَزْنَا عَنْ إِحْصَائِهَا وَعَدَّهَا وَقَالَتِ الْخَنَسَاءُ بِنْتُ عَمْرٍو بِنْتُ الشَّرِيدِ فَمَا بَلَغَتْ كَفَّ امْرِئٍ مَتَنَاوَلٍ || بِهَا الْمَجْدُ إِلَّا وَ الَّذِي نَلْتِ أَطُولُ [صفحہ ۶۰] وَ لَا حَبْرَ الْمُثَنُونَ فِي الْقَوْلِ مَدْحَةٌ || وَ إِنْ أَطْنَبُوا إِلَّا- وَ مَا فِيكَ أَفْضَلُ . وَ مِنْ مَسْتَحْسِنِ مَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ مِنْ تَعْظِيمِ الْبَارِي عِزِّ جَلَالِهِ بِلَفْظِ الْحَمْدِ قَوْلُ بَعْضِ الْفَضْلَاءِ فِي خُطْبَةٍ أَرَجُوزَةٌ عِلْمِيَّةُ الْحَمْدِ لِلَّهِ بِقَدْرِ اللَّهِ || لِأَقْدَرِ وَسِعَ الْعَبْدُ ذِي التَّنَاهِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَرَّهَانَهُ || أَنْ لَيْسَ شَأْنٌ لَيْسَ فِيهِ شَانُهُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مِنْ يَنْكِرُهُ || فَإِنَّمَا يَنْكُرُ مِنْ يَصُورُهُ . وَ أَمَّا قَوْلُهُ الَّذِي لَا يَدْرِكُهُ فَيُرِيدُ أَنْ هَمُّ النَّظَارِ وَأَصْحَابُ الْفِكْرِ وَ إِنْ عَلَتْ وَ بَعْدَتْ فَإِنَّهَا لَا تَدْرِكُهُ تَعَالَى وَ لَا تَحِيْطُ بِهِ وَ هَذَا حَقٌّ لِأَنَّ كُلَّ مَتَصَوِّرٍ فَلَا يَبْدُ أَنْ يَكُونَ مَحْسُوسًا أَوْ مَتَخِيْلًا أَوْ مَوْجُودًا مِنْ فَطْرَةِ النَّفْسِ وَ الْإِسْتِقْرَاءِ يَشْهَدُ بِذَلِكَ مِثَالُ الْمَحْسُوسِ السَّوَادِ وَ الْحَمُوضَةُ مِثَالُ الْمَتَخِيْلِ إِنْسَانٌ يَطِيرُ أَوْ بَحْرٌ مِنْ دَمٍ مِثَالُ الْمَوْجُودِ مِنْ فَطْرَةِ النَّفْسِ تَصَوُّرُ الْأَلْمِ وَ اللَّذَّةِ وَ لَمَّا كَانَ الْبَارِي سَبْحَانَهُ خَارِجًا عَنْ هَذَا جَمْعٍ لَمْ يَكُنْ مَتَصَوِّرًا. فَأَمَّا قَوْلُهُ الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ فَإِنَّهُ يَعْنِي بِصِفَتِهِ هَاهُنَا كُنْهُ وَ حَقِيقَتُهُ يَقُولُ لَيْسَ لِكُنْهِ حَدٌّ فَيَعْرِفُ بِذَلِكَ الْحَدَّ قِيَاسًا عَلَى الْأَشْيَاءِ الْمَحْدُودَةِ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِمَرْكَبٍ وَ كُلُّ مَحْدُودٍ مَرْكَبٌ . ثُمَّ قَالَ وَ لَانْعَتٌ مَوْجُودٌ أَيْ وَ لَا يَدْرِكُ بِالرَّسْمِ كَمَا تَدْرِكُ الْأَشْيَاءَ بِرِسُومِهَا وَ هُوَ أَنْ تَعْرِفَ بِبَلَاغِمْ مِنْ لَوَازِمِهَا وَ صِفَتِهِ مِنْ صِفَاتِهَا ثُمَّ قَالَ وَ لَأَوْقْتُ مَعْدُودٌ وَ لِأَجَلٍ مَمْدُودٌ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى الرَّدِّ عَلَى مَنْ قَالَ إِنَّا [صفحہ ۶۱] نَعْلَمُ كُنْهُ الْبَارِي سَبْحَانَهُ لَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا بَلْ فِي الْآخِرَةِ فَإِنَّ الْقَائِلِينَ بِرُؤْيَتِهِ فِي الْآخِرَةِ يَقُولُونَ إِنَّا نَعْرِفُ حَيْنِئذُ كُنْهُ فَهَوَّعَ رَدَّ قَوْلَهُمْ وَ قَالَ إِنَّهُ لَأَوْقْتُ أَبَدًا عَلَى الْإِطْلَاقِ تَعْرِفُ فِيهِ حَقِيقَتَهُ وَ كُنْهُ لِالْآنِ وَ لَا بَعْدَ الْآنِ وَ هُوَ الْحَقُّ لِأَنَّا لَوْرَأَيْنَاهُ فِي الْآخِرَةِ وَعَرَفْنَا كُنْهُ لَتَشْخِصَ لِتَشْخِصًا يَمْنَعُ مِنْ

حملة على كثيرين ولا يتصور أن يتشخص هذا التشخص إلا ما يشار إلى جهته ولا جهة له سبحانه وقد شرحت هذا الموضوع في كتابي المعروف بزيادات النقصين وبينت أن الرؤية المنزهة عن الكيفية التي يزعمها أصحاب الأشعري لا بد فيها من إثبات الجهة وأنها لا تجرى مجرى العلم لأن العلم لا يشخص المعلوم والرؤية تشخص المرئي والتشخيص لا يمكن إلا مع كون المتشخص ذا جهة. واعلم أن نفى الإحاطة المذكور في الكتاب العزيز في مواضع منها قوله تعالى **وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا** ومنها قوله **يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصِيرُ خَاسِمًا وَهُوَ حَسِيرٌ** وقال بعض الصحابة العجز عن درك الإدراك إدراك وقد غلا محمد بن هاني فقال في ممدوحه المعز أبي تميم معد بن المنصور العلوي -قرآن- ٧٢٩-٧٥٦-قرآن- ٧٦٩-٨١٧ أتبعته فكري حتى إذا بلغت || غاياتها بين تصويب وتصعيد رأيت موضع برهان يلوح و ما || رأيت موضع تكييف وتحديد . وهذا مدح يليق بالخالق تعالى ولا يليق بالمخلوق . فأما قوله فطر الخلائق فهو تقسيم مشتق من الكتاب العزيز فقوله فطر الخلائق بقدرته من قوله تعالى **قَالَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ السَّمَاوَاتِ -قرآن- ١٧٢-١٩١** . وهذا مدح يليق بالخالق تعالى ولا يليق بالمخلوق . فأما قوله فطر الخلائق إلى آخر الفصل فهو تقسيم مشتق من الكتاب العزيز فقوله فطر الخلائق بقدرته من قوله تعالى **قَالَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا** وقوله ونشر الرياح برحمته من قوله يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته . وقوله ووتد بالصخور ميدان أرضه من قوله **وَالْجِبَالِ أَو تَادًا** والميدان التحرك والتموج . فأما القطب الراوندي رحمه الله فإنه قال إنه ع أخبر عن نفسه بأول هذا الفصل أنه يحمد الله وذلك من ظاهر كلامه ثم أمر غيره من فحوى كلامه أن يحمد الله وأخبر ع أنه ثابت على ذلك مدة حياته وأنه يجب على المكلفين ثبوتهم عليه ما بقوا ولو قال أحمد الله لم يعلم منه جميع ذلك ثم قال والحمد أعم من الشكر والله أخص من الإله قال فأما قوله الذي لا يبلغ مدحته القائلون فإنه أظهر العجز عن القيام بواجب مدائحه فكيف بمحامده والمعنى أن الحمد كل الحمد ثابت للمعبود الذي حقت العبادة له في الأنزل واستحقها حين خلق الخلق وأنعم بأصول النعم التي يستحق بها العبادة . ولقائل أن يقول إنه ليس في فحوى كلامه أنه أمر غيره أن يحمد الله وليس يفهم من قول بعض رعية الملك لغيره منهم العظمة والجلال لهذا الملك أنه قد أمرهم بتعظيمه وإجلاله ولا أيضا في الكلام ما يدل على أنه ثابت على ذلك مدة حياته وأنه يجب على المكلفين ثبوتهم عليه ما بقوا . ولا أعلم كيف قد وقع ذلك للراوندي فإن زعم أن العقل يقتضى ذلك فحق ولكن -قرآن- ١-٢٨-قرآن- ١٤٧-١٦٦] [صفحة ٦٣] ليس مستفادا من الكلام وهو أنه قال إن ذلك موجود في الكلام . فأما قوله لو كان قال أحمد الله لم يعلم منه جميع ذلك فإنه لا فرق في انتفاء دلالة أحمد الله على ذلك ودلالة الحمد لله وهما سواء في أنهما لا يدلان على شيء من أحوال غير القائل فضلا عن دلالتهما على ثبوت ذلك ودوامه في حق غير القائل . وأما قوله الله أخص من الإله فإن أراد في أصل اللغة فلا فرق بل الله هو الإله وفخم بعد حذف الهمزة هذا قول كافة البصريين وإن أراد أن أهل الجاهلية كانوا يطلقون على الأصنام لفظة الإلهة ولا يسمونها الله فحق وذلك عائد إلى عرفهم واصطلاحهم لا إلى أصل اللغة والاشتقاق ألا ترى أن الدابة في العرف لا تطلق على القملة وإن كانت في أصل اللغة دابة . فأما قوله قد أظهر العجز عن القيام بواجب مدائحه فكيف بمحامده فكلام يقتضى أن المدح غير الحمد ونحن لانعرف فرقا بينهما وأيضا فإن الكلام لا يقتضى العجز عن القيام بالواجب لا من الممدوح ولا من المحامد ولا فيه تعرض لذكر الوجوب وإنما نفى أن يبلغ القائلون مدحته لم يقل غير ذلك . وأما قوله الذي حقت العبادة له في الأنزل واستحقها حين خلق الخلق وأنعم بأصول النعم فكلام ظاهره متناقض لأنه إذا كان إنما استحقها حين خلق الخلق فكيف يقال إنه استحقها في الأزل وهل يكون في الأزل مخلوق ليستحق عليه العبادة . واعلم أن المتكلمين لا يطلقون على الباري سبحانه أنه معبود في الأزل أو مستحق للعبادة في الأزل إلا بالقوة لا بالفعل لأنه ليس في الأزل مكلف يعبدته تعالى ولا أنعم على أحد في الأزل بنعمة يستحق بها العبادة حتى أنهم قالوا في الأثر الوارد يا قديم [صفحة ٦٤] الإحسان إن معناه أن إحسانه متقدم العهد لا أنه قديم حقيقة كما جاء في الكتاب العزيز حتى عاد كالعرجون القديم أي الذي قد توالى عليه الأزمنة المتطاولة . ثم قال

الراوندى والحمد والمدح يكونان بالقول وبالفعل والألف واللام فى القائلون لتعريف الجنس كمثلهما فى الحمد والبلوغ المشارفة يقال بلغت المكان إذا أشرفت عليه و إذا لم تشرف على حمده تعالى بالقول فكيف توصل إليه بالفعل والإله مصدر بمعنى المألوه . ولقائل أن يقول أذى سمعناه أن التعظيم يكون بالقول والفعل وبترك القول والفعل قالوا فمن قال لغيره يا عالم فقد عظمه و من قام لغيره فقد عظمه و من ترك مد رجليه بحضرة غيره فقد عظمه و من كف غرب لسانه عن غيره فقد عظمه وكذلك الاستخفاف والإهانة تكون بالقول والفعل وبتركهما حسب ما قدمنا ذكره فى التعظيم . فأما الحمد والمدح فلا وجه لكونهما بالفعل و أما قوله إن اللام فى القائلون لتعريف الجنس كما أنها فى الحمد كذلك فعجيب لأنها للاستغراق فى القائلون لاشبهه فى ذلك كالمؤمنين والمشركين ولا يتم المعنى إلا به لأنه للمبالغة بل الحق المحض أنه لا يبلغ مدحته كل القائلين بأسرهم وجعل اللام للجنس ينقص عن هذا المعنى إن أراد بالجنس المعهود و إن أراد الجنسية العامة فلا نزاع بيننا وبينه إلا أن قوله كما أنها فى الحمد كذلك يمنع من أن يحمل كلامه على المحمل الصحيح لأنها ليست فى الحمد للاستغراق يبين ذلك أنها لو كانت للاستغراق لما جاز أن يحمد رسول الله ص ولا غيره من الناس و هذا باطل . -قرآن- ٨٨-١٢٠ [صفحہ ٦٥] وأيضاً فإنها لفظ واحد مفرد معرف بلام الجنس والأصل فى مثل ذلك أن يفيد الجنسية المطلقة ولا يفيد الاستغراق فإن جاء منه شىء للاستغراق كقوله إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ وأهلك الناس الدرهم والدينار فمجاز والحقيقة ما ذكرناه فأما قوله البلوغ المشارفة يقال بلغت المكان إذا أشرفت عليه فالأجود أن يقول قالوا بلغت المكان إذا شارفته و بين قولنا شارفته وأشرفت عليه فرق . و أما قوله و إذا لم يشرف على حمده بالقول فكيف يوصل إليه بالفعل فكلام مبنى على أن الحمد قد يكون بالفعل و هو خلاف ما يقوله أرباب هذه الصناعة . و قوله والإله مصدر بمعنى المألوه كلام طريف أما أولاً فإنه ليس بمصدر بل هو اسم كوجار للضيع وسرار للشهر و هو اسم جنس كالرجل والفرس يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بالحق كالنجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا والسنة اسم لكل عام ثم غلب على عام القحط وأظنه رحمه الله لمارآه فعلاً -ظن أنه اسم مصدر كالحصاد والجداد وغيرهما و أماتانيا فلأن المألوه صيغة مفعول وليست صيغة مصدر إلا فى ألفاظ نادرة كقولهم ليس له معقول و لا مجلود و لم يسمع مألوه فى اللغة لأنه قد جاء أله الرجل إذادهش وتخير و هو فعل لازم لا يبنى منه مفعول . ثم قال الراوندى فى قول الله تعالى وَ إِنْ تَعِدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا بلفظ الإفراد وقول أمير المؤمنين ع لا يحصى نعماءه العادون بلفظ الجمع سر عجب لأنه تعالى أراد أن نعمه واحدة من نعمه لا يمكن العباد عد وجوه كونها نعمه وأراد أمير المؤمنين ع أن أصول نعمه لا تحصى لكثرتها فكيف تعد -قرآن- ١٤٥-١٧١-قرآن- ١١٣٧-١١٧٨ [صفحہ ٦٦] وجوه فروع نعمائه وكذلك فى كون الآية واردة بلفظة إن الشرطية وكلام أمير المؤمنين ع على صيغة الخبر تحته لطيفة عجيبة لأنه سبحانه يريد أنكم إن أردتم أن تعدوا نعمه لم تقدرها على حصرها و على ع أخبر أنه قد أنعم النظر فعلم أن أحدا لا يمكنه حصر نعمه تعالى . ولقائل أن يقول الصحيح أن المفهوم من قوله وَ إِنْ تَعِدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ الْهَالِكِ كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ أَنَا لَا أَجِدُ إِحْسَانَكَ إِلَى وَامْتِنَانِكَ عَلَى وَ لا يقصد بذلك إحسانا واحدا بل جنس الإحسان . و ما ذكره من الفرق بين كلام البارئ وكلام أمير المؤمنين ع غير بين فإنه لو قال تعالى و إن تعدوا نعم الله و قال ع و لا يحصى نعمته العادون لكان كل واحد منهما سادا مسد الآخر . أما اللطيفة الثانية فغير ظاهرة أيضا و لا ملاحظة لأنه لو انعكس الأمر فكان القرآن بصيغة الخبر وكلام على ع بصيغة الشرط لكان مناسبا أيضا حسب مناسبته والحال بعكس ذلك اللهم إلا أن تكون قرينة السجعة من كلام على ع تنبو عن لفظ الشرط و إلا فمتى حذفت القرينة السجعية عن وهمك لم تجد فرقا ونحن نعوذ بالله من التعسف والتعجرف الداعى إلى ارتكاب هذه الدعاوى المنكرة . ثم قال الراوندى إنه لو قال أمير المؤمنين ع أذى لا يعد نعمه الحاسبون لم تحصل المبالغة التى أرادها بعبارة لأن اشتقاق الحساب من الحسبان و هو الظن قال و أما اشتقاق العدد فمن العد و هو الماء الذى له مادة والإحصاء الإطافة أخصيته أى أطقته فتقدير الكلام لا يطبق عد

نعمائه العادون ومعنى ذلك -قرآن- ٣١٣-٣٤٢ [صفحة ٤٧] أن مدائحه تعالى لا يشرف على ذكرها الأنبياء والمرسلون لأنها أكثر من أن تعدها الملائكة المقربون والكرام الكاتبون . ولقائل أن يقول أما الحساب فليس مشتقا من الحساب بمعنى الظن كما توهمه بل هو أصل برأسه ألا ترى أن أحدهما حسبت أحسب والآخر حسبت أحسب وأحسب بالفتح والضم و هو من الألفاظ الأربعة التي جاءت شاذة وأيضا فإن حسبت بمعنى ظننت يتعدى إلى مفعولين لا يجوز الاقتصار على أحدهما وحسبت من العدد يتعدى إلى مفعول واحد ثم يقال له وهب أن الحاسبين لوقالها مشتقة من الظن لم تحصل المبالغة بل المبالغة كادت تكون أكثر لأن النعم التي لا يحصرها الظان بظنونه أكثر من النعم التي لا يعدها العالم بعلومه و أما قوله العدد مشتق من العد و هو الماء الذي له مادة فليس كذلك بل هما أصلان وأيضا لو كان أحدهما مشتقا من الآخر لوجب أن يكون العد مشتقا من العدد لأن المصادر هي الأصول التي يقع الاشتقاق منها سواء أ كان المشتق فعلا أو اسما ألا تراهم قالوا في كتب الاشتقاق أن الضرب الرجل الخفيف مشتق من الضرب أى السير فى الأرض للابتغاء قال الله تعالى لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِى الأَرْضِ فجعل الاسم منقولا ومشتقا من المصدر. و أما الإحصاء فهو الحصر والعد وليس هو الإطاقة كما ذكر لا يقال أحصيت الحجر أى أطقته حمله . و أما ما قال إنه معنى الكلمة فطريف لأنه ع لم يذكر الأنبياء و لا -قرآن- ٩٨٦-١٠٢٠ [صفحة ٤٨] الملائكة لا مطابقة و لا تضمننا و لا التزاما و أى حاجة إلى هذا التقدير الطريف الذى لا يشعر الكلام به ومراده ع و هو أن نعمه جلت لكثرتها أن يحصيها عاد ما هونفى لمطلق العادين من غير تعرض لعاد مخصوص . قال الراوندى فأما قوله لا يدركه بعد الهمم فالإدراك هو الرؤية والنيل والإصابة ومعنى الكلام الحمد لله الذى ليس بجسم و لا عرض إذ لو كان أحدهما لرآه الرءون إذا أصابوه وإنما خص بعد الهمم بإسناد نفى الإدراك وغوص الفطن بإسناد نفى النيل لغرض صحيح و ذلك أن الثنوية يقولون بقدم النور والظلمة ويشتون النور جهة العلو والظلمة جهة السفلى ويقولون إن العالم ممتزج منهما فردع عليهم بما معناه أن النور والظلمة جسمان والأجسام محدثة والبارئ تعالى قديم . ولقائل أن يقول إنه لم يجر للرؤية ذكر فى الكلام لأنه ع لم يقل الذى لا تدركه العيون و لا الحواس وإنما قال لا يدركه بعد الهمم و هذا يدل على أنه إنما أراد أن العقول لا تحيط بكنهه و حقيقته . وأيضا فلو سلمنا أنه إنما نفى الرؤية لكان لمحتاج أن يحاجه فيقول له هب أن الأمر كما تزعم ألسنت تريد بيان الأمر الذى لأجله خصص بعد الهمم بنفى الإدراك وخصص غوص الفطن بنفى النيل و قلت إنما قسم هذا التقسيم لغرض صحيح و مارأيناك أوضحت هذا الغرض وإنما حكيت مذهب الثنوية و ليس يدل مذهبهم على وجوب تخصيص بعد الهمم بنفى الإدراك دون نفى النيل و لا يوجب تخصيص غوص الفطن [صفحة ٤٩] بنفى النيل دون نفى الإدراك وأكثر ما فى حكاية مذهبهم أنهم يزعمون أن إلهى العالم النور والظلمة وهما جسمان و أمير المؤمنين ع يقول لو كان صانع العالم جسما لرئى و حيث لم ير لم يكن جسما أى شىء فى هذا ما يدل على وجوب ذلك التقسيم والتخصيص الذى زعمت أنه إنما خصصه وقسمه لغرض صحيح . ثم قال الراوندى ويجوز أن يقال البعد والغوص مصدران هاهنا بمعنى الفاعل كقولهم فلأن عدل أى عادل و قوله تعالى إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا أى غائرا فيكون المعنى لا يدركه العالم البعيد الهمم فكيف الجاهل و يكون المقصد بذلك الرد على من قال إن محمدا ص رأى ربه ليلة الإسراء و إن يونس ع رأى ربه ليلة هبوطه إلى قعر البحر. ولقائل أن يقول أن المصدر الذى جاء بمعنى الفاعل ألفاظ معدودة لا يجوز القياس عليها و لوجاز لما كان المصدر هاهنا بمعنى الفاعل لأنه مصدر مضاف والمصدر المضاف لا يكون بمعنى الفاعل و لوجاز أن يكون المصدر المضاف بمعنى الفاعل لم يجز أن يحمل كلامه ع على الرد على من أثبت أن البارئ سبحانه مرئى لأنه ليس فى الكلام نفى الرؤية أصلا وإنما غرض الكلام نفى معقوليته سبحانه و أن الأفكار والأنظار لا تحيط بكنهه و لا تتعقل خصوصية ذاته جلت عظمتة . ثم قال الراوندى فأما قوله الذى ليس لصفته حد محدود و لانت موجود و لا وقت معدود و لأجل ممدود فالوقت تحرك الفلك و دورانه على وجه والأجل -قرآن- ٤٢١-٤٤٦ [صفحة ٧٠] مدة الشىء ومعنى الكلام أن شكرى لله تعالى متجدد

عند تجديد كل ساعة ولهذا أبدل هذه الجملة من الجملة التي قبلها وهي الثانية كما أبدل الثانية من الأولى . ولقائل أن يقول الوقت عند أهل النظر مقدار حركة الفلك لانفس حركته والأجل ليس مطلق الوقت ألا تراهم يقولون جئتكم وقت العصر ولا يقولون أجل العصر والأجل عندهم هو الوقت الذي يعلم الله تعالى أن حياة الحيوان تبطل فيه مأخوذ من أجل الدين وهو الوقت الذي يحل قضاؤه فيه . فأما قوله ومعنى الكلام أن شكري متجدد لله تعالى في كل وقت ففاسد ولا ذكر في هذه الألفاظ للشكر ولا أعلم من أين خطر هذا للراوندى وظنه أن هذه الجمل من باب البديل غلط لأنها صفات كل واحدة منها صفة بعد أخرى كما تقول مررت بزيد العالم الظريف الشاعر . قال الراوندى فأما قوله الذي ليس لصفته حد فظاهاه إثبات الصفة له سبحانه وأصحابنا لا يشبتون لله سبحانه صفة كما يشبتها الأشعرية لكنهم يجعلونه على حال أو يجعلونه متميزا بذاته فأما المؤمنون ع بظاهر كلامه وإن أثبت له صفة إلا أن من له أنس بكلام العرب يعلم أنه ليس بإثبات على الحقيقة وقد سألتى سائل فقال ها هنا كلمتان إحداهما كفر والأخرى ليست بكفر وهما لله تعالى شريك غير بصير ليس شريك الله تعالى بصيرا فأيهما كلمة الكفر فقلت له القضية الثانية وهي ليس شريك الله تعالى بصيرا ككفر لأنها تتضمن إثبات الشريك و أما الكلمة الأخرى فيكون معناها لله شريك غير بصير بهمزة الاستفهام المقدره المحذوفة . [صفحہ ۷۱] ثم أخذ في كلام طويل يبحث فيه عن الصفة والمعنى ويبطل مذهب الأشعرية بما يقوله المتكلمون من أصحابنا وأخذ في توحيد الصفة لم جاء وكيف يدل نفي الصفة الواحدة على نفي مطلق الصفات وانتقل من ذلك إلى الكلام في الصفة الخامسة التي أثبتها أبوهاشم ثم خرج إلى مذهب أبي الحسين وأطال جدا فيما لاحاجة إليه . ولقائل أن يقول الأمر أسهل مما تظن فإننا قد بينا أن مراده نفي الإحاطة بكنهه وأيضا يمكن أن يجعل الصفة ها هنا قول الواصف فيكون المعنى لا ينتهى الواصف إلى حد إلا وهو قاصر عن النعت لجلالته وعظمته جلت قدرته . فأما القضيتان اللتان سأله السائل عنهما فالصواب غير ما أجاب به فيهما وهو أن القضية الأولى كفر لأنها صريحة في إثبات الشريك والثانية لا تقتضى ذلك لأنه قد ينفي قول الشريك بصيرا على أحد وجهين إما لأن هناك شريكا لكنه غير بصير أو لأن الشريك غير موجود وإذا لم يكن موجودا لم يكن بصيرا فإذا كان هذا الاعتبار الثانى مرادا لم يكن كفرا وصار كالأثر المنقول كان مجلس رسول الله ص لا تؤثر هفواته أى لم يكن فيه هفوات فتؤثر وتحكى وليس أنه كان المراد فى مجلسه هفوات إلا أنها لم تؤثر . قال الراوندى فإن قيل تركيب هذه الجملة يدل على أنه تعالى فطر الخليفة قبل خلق السموات والأرض . [صفحہ ۷۲] قلنا قد اختلف فى ذلك فقيل أول ما يحسن منه تعالى خلقه ذاتا حية يخلق فيها شهوة لمدرک تدركه فتلتذ به ولهذا قيل تقديم خلق الجماد على خلق الحيوان عبث وقبيح وقيل لا مانع من تقديم خلق الجماد إذا علم أن علم بعض المكلفين فيما بعد بخلقه قبله لطف له ولقائل أن يقول أما إلى حيث انتهى به الشرح فليس فى الكلام تركيب يدل على أنه تعالى فطر خلقه قبل خلق السموات والأرض وإنما قديومهم تأمل كلامه ع فيما بعد شيئا من ذلك لما قال ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء على أنا إذا تأملنا لم نجد فى كلامه ع ما يدل على تقديم خلق الحيوان لأنه قبل أن يذكر خلق السماء لم يذكر إلا أنه فطر الخلائق وتارة قال أنشأ الخلق ودل كلامه أيضا على أنه نشر الرياح وأنه خلق الأرض وهي مضطربة فأرساها بالجبال كل هذا يدل عليه كلامه وهو مقدم على فتق الهواء والفضاء وخلق السماء فأما تقديم خلق الحيوان أو تأخيره فلم يتعرض كلامه ع له فلامعنى لجواب الراوندى وذكره ما يذكره المتكلمون من أنه هل يحسن تقديم خلق الجماد على الحيوان أم لا . أول الدين معرفته و كمال معرفته التصديق به و كمال التصديق به توحيدُهُ و كمال توحيدِهِ الإخلاص لَهُ و كمال الإخلاص لَهُ نفى الصِّفَاتِ عَنْهُ لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمُوصُوفِ وَ شَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ وَ مَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَاهُ وَ مَنْ ثَنَاهُ فَقَدْ جَزَّاهُ وَ مَنْ جَزَّاهُ فَقَدْ جَهَلَهُ [صفحہ ۷۳] وَ مَنْ جَهَلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ وَ مَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ وَ مَنْ قَالَ فِيمَ فَقَدْ ضَمَّنَهُ وَ مَنْ قَالَ عَلَامَ فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ إِنَّمَا قَالَ ع أول الدين معرفته لأن التقليد باطل وأول الواجبات الدينية المعرفة ويمكن أن يقول قائل أستم تقولون فى

علم الكلام أول الواجبات النظر في طريق معرفة الله تعالى وتارة تقولون القصد إلى النظر فهل يمكن الجمع بين هذا وبين كلامه ع . وجوابه أن النظر والقصد إلى النظر إنما وجبا بالعرض لا بالذات لأنهما وصله إلى المعرفة والمعرفة هي المقصود بالوجوب وأمير المؤمنين ع أراد أول واجب مقصود بذاته من الدين معرفة البارئ سبحانه فلا تناقض بين كلامه وبين آراء المتكلمين . وأما قوله وكمال معرفته التصديق به فلأن معرفته قد تكون ناقصة وقد تكون غير ناقصة فالمعرفة الناقصة هي المعرفة بان للعالم صناعا غير العالم وذلك باعتبار أن الممكن لا بد له من مؤثر فمن علم هذا فقط علم الله تعالى ولكن علما ناقصا وأما المعرفة التي ليست ناقصة فأن تعلم أن ذلك المؤثر خارج عن سلسلة الممكنات والخارج عن كل الممكنات ليس بممكن وما ليس بممكن فهو واجب الوجود فمن علم أن للعالم مؤثرا واجب الوجود فقد عرفه عرفانا أكمل من عرفان أن للعالم مؤثرا فقط وهذا الأمر الزائد هو المكنى عنه بالتصديق به لأن أخص ما يمتاز به البارئ عن مخلوقاته هو وجوب الوجود. [صفحة ٧٤] وأما قوله ع وكمال التصديق به توحيده فلأن من علم أنه تعالى واجب الوجود مصدق بالبارئ سبحانه لكن ذلك التصديق قد يكون ناقصا وقد يكون غير ناقص فالتصديق الناقص أن يقتصر على أن يعلم أنه واجب الوجود فقط والتصديق الذي هو أكمل من ذلك وأتم هو العلم بتوحيده سبحانه باعتبار أن وجوب الوجود لا يمكن أن يكون لذاتين لأن فرض واجبي الوجود يفضي إلى عموم وجوب الوجود لهما وامتياز كل واحد منهما بأمر غير الوجود المشترك وذلك يفضي إلى تركيبيهما وإخراجهما عن كونهما واجبي الوجود فمن علم البارئ سبحانه واحدا أي لا واجب الوجود إلا هو يكون أكمل تصديقا ممن لم يعلم ذلك وإنما اقتصر على أن صناع العالم واجب الوجود فقط. وأما قوله وكمال توحيده الإخلاص له فالمراد بالإخلاص له هاهنا هونفى الجسمية والعرضية ولو از مهما عنه لأن الجسم مركب و كل مركب ممكن و واجب الوجود ليس بممكن وأيضا فكل عرض مفتقر و واجب الوجود غير مفتقر فواجب الوجود ليس بعرض وأيضا فكل جرم محدث و واجب الوجود ليس بمحدث فواجب الوجود ليس بجرم ولا عرض فلا يكون حاصلًا في جهة فمن عرف وحدانية البارئ و لم يعرف هذه الأمور كان توحيده ناقصا و من عرف هذه الأمور بعد العلم بوحدانيته تعالى فهو المخلص في عرفانه جل اسمه ومعرفته تكون أتم وأكمل . وأما قوله وكمال الإخلاص له نفى الصفات عنه فهو تصريح بالتوحيد الذي تذهب إليه المعتزلة و هونفى المعانى القديمة التي تثبتها الأشعرية وغيرهم قال ع [صفحة ٧٥] لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة وهذا هو دليل المعتزلة بعينه قالوا لو كان عالما بمعنى قديم لكان ذلك المعنى إما هو أو غيره أو ليس هو ولا غيره والأول باطل لأننا نعقل ذاته قبل أن نعقل أو نتصور له علما والمتصور مغاير لما ليس بمتصور والثالث باطل أيضا لأن إثبات شيئين أحدهما ليس هو الآخر ولا غيره معلوم فساده ببديهة العقل فتعين القسم الثانى و هو محال أما أولا- فيا جماع أهل الملّة و أماتانيا فلما سبق من أن وجوب الوجود لا يجوز أن يكون لشيئين فإذا عرفت هذا فاعرف أن الإخلاص له تعالى قد يكون ناقصا و قد لا يكون فالإخلاص الناقص هو العلم بوجوب وجوده و أنه واحد ليس بجسم و لا عرض و لا يصح عليه ما يصح على الأجسام والأعراض والإخلاص التام هو العلم بأنه لا تقوم به المعانى القديمة مضافا إلى تلك العلوم السابقة وحينئذ تتم المعرفة و تكمل . ثم أكد أمير المؤمنين ع هذه الإشارات الإلهية بقوله فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه و هذا حق لأن الموصوف يقارن الصفة والصفة تقارنه . قال و من قرنه فقد ثناه و هذا حق لأنه قد أثبت قديمين و ذلك محض التثنية. قال و من ثناه فقد جزأه و هذا حق لأنه إذا أطلق لفظه الله تعالى على الذات والعلم القديم فقد جعل مسمى هذا اللفظ وفائدته متجزئة كإطلاق لفظ الأسود على الذات التي حلها سواد. قال و من جزأه فقد جهله و هذا حق لأن الجهل هو اعتقاد الشيء على خلاف ما هو به . قال و من أشار إليه فقد حده و هذا حق لأن كل مشار إليه فهو محدود [صفحة ٧٦] لأن المشار إليه لا بد أن يكون في جهة مخصوصة و كل ما هو في جهة فله حد وحدود أى أقطار وأطراف . قال و من حده فقد عده أى جعله من الأشياء المحدثه و هذا حق لأن كل محدود معدود فى الذوات المحدثه. قال و من قال فيم فقد ضمنه و

هذا حق لأن من تصور أنه في شىء فقد جعله إما جسما مستترا في مكان أو عرضا ساريا في محل والمكان متضمن للتمكن والمحل متضمن للعرض . قال و من قال علام فقد أخلى منه وهذا حق لأن من تصور أنه تعالى على العرش أو على الكرسي فقد أخلى منه غير ذلك الموضوع وأصحاب تلك المقالة يمتنعون من ذلك ومراده ع إظهار تناقض أقوالهم وإلا فلو قالوا هب أنا قد أخلينا منه غير ذلك الموضوع أى محذور يلزمنا فإذا قيل لهم لو خلا منه موضع دون موضع لكان جسما ولزم حدوثه قالوا لزوم الحدوث والجسمية إنما هو من حصوله فى الجهة لا- من خلو بعض الجهات عنه وأنتم إنما احتججتم علينا بمجرد خلو بعض الجهات منه فظهر أن توجيه الكلام عليهم إنما هو إلزام لهم لاستدلال على فساد قولهم فأما القطب الراوندى فإنه قال فى معنى قوله نفى الصفات عنه أى صفات المخلوقين قال لأنه تعالى عالم قادر و له بذلك صفات فكيف يجوز أن يقال لاصفة له . وأيضا فإنه ع قد أثبت لله تعالى صفة أولا حيث قال الذى ليس لصفته حد محدود فوجب أن يحمل كلامه على ما ينتزه عن المناقضة. [صفحہ ۷۷] وأيضا فإنه قد قال فيما بعد فى صفة الملائكة أنهم لا يصفون الله تعالى بصفات المصنوعين فوجب أن يحمل قوله الآن وكمال توحيدة نفى الصفات عنه على صفات المخلوقين حملا للمطلق على المقيد. ولقائل أن يقول لو أراد نفى صفات المخلوقين عنه لم يستدل على ذلك بدليل الغيرية و هو قوله لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف لأن هذا الاستدلال لا ينطبق على دعوى أنه غير موصوف بصفات المخلوقين بل كان ينبغى أن يستدل بان صفات المخلوقين من لوازم الجسمية والعرضية والبارئ ليس بجسم ولا عرض ونحن قدينا أن مراده ع إبطال القول بالمعاني القديمة وهى المسماة بالصفات فى الاصطلاح القديم ولهذا يسمى أصحاب المعاني بالصفاتية فأما كونه قادرا وعالما فأصحابها أصحاب الأحوال و قدينا أن مراده ع بقوله ليس لصفته حد محدود أى لكنهنه وحقيقته و أما كون الملائكة لا تصف البارئ بصفات المصنوعين فلا يقتضى أن يحمل كل موضوع فيه ذكر الصفات على صفات المصنوعين لأجل تقييد ذلك فى ذكر الملائكة وأين هذا من باب حمل المطلق على المقيد لاسيما وقد ثبت أن التعليل والاستدلال يقضى ألا يكون المراد صفات المخلوقين . وقد تكلف الراوندى لتطبيق تعليقه ع نفى الصفات عنه بقوله لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف بكلام عجيب و أنا أحكى ألفاظه لتعلم قال معنى هذا التعليل أن الفعل فى الشاهد لا يشابه الفاعل والفاعل غير الفعل لأن ما يوصف به الغير إنما هو الفعل أو معنى الفعل كالضارب والفهم فإن الفهم والضرب كلاهما فعل والموصوف بهما فاعل والدليل لا يختلف شاهدا وغائبا فإذا كان تعالى قديما و هذه الأجسام محدثة كانت معدومة ثم وجدت يدل على أنها غير الموصوف بأنه خالقها ومدبرها. [صفحہ ۷۸] انقضى كلامه وحكايته تغنى عن الرد عليه . ثم قال الأول على وزن أفعال يستوى فيه المذكر والمؤنث إذا لم يكن فيه الألف واللام فإذا كانا فيه قيل للمؤنث الأولى . وهذا غير صحيح لأنه يقال كلمت فضلاهن و ليس فيه ألف ولام و كان ينبغى أن يقول إذا كان منكرا مصحوبا بمن استوى المذكر والمؤنث فى لفظ أفعال تقول زيد أفضل من عمرو وهند أحسن من دعد كائنتن لا عن حدث موجود لا عن عدم مع كل شىء لا بمقارنته و غير كل شىء لا بمزائله فاعل لا بمعنى الحركات والآله بصير إذ لا منظور إليه من خلقه متوحد إذ لا سكن يستأنس به و لا يستوحش لفقده أنشأ الخلق إنشأ و ابتدأه ابتداء بلا رويته أجالها و لا تجريته استفادها و لا حركة أحدثها و لا همامة نفس اضطرب فيها أحوال الأشياء لأوقانتها و لاءم بين مختلفاتها و عزز عزائرها و ألزمها أشباحها عالما بها قبل ابتدائها محيطا بحدودها و انتهايتها عارفا بقرائنها و أحنائها قوله ع كائن و إن كان فى الاصطلاح العرفى مقولا على ما ينزهه البارئ عنه فمراده به المفهوم اللغوى و هو اسم فاعل من كان بمعنى وجد كأنه قال موجود غير محدث . [صفحہ ۷۹] فان قيل فقد قال بعده موجود لا عن عدم فلا يبقى بين الكلمتين فرق . قيل بينهما فرق ومراده بالموجود لا عن عدم هاهنا وجوب وجوده ونفى إمكانه لأن من أثبت قديما ممكنا فإنه و إن نفى حدوثه الزمانى فلم ينف حدوثه الذاتى و أمير المؤمنين ع نفى عن البارئ تعالى فى الكلمة الأولى الحدوث الزمانى ونفى عنه فى الكلمة الثانى الذاتى وقولنا فى الممكن أنه موجود من عدم صحيح عند التأمل لا بمعنى أن عدمه سابق له

زمانا بل سابق لوجوده ذاتا لأن الممكن يستحق من ذاته أنه لا يستحق الوجود من ذاته . و أما قوله مع كل شيء لا بمقارنته فمراده بذلك أنه يعلم الجزئيات والكلديات كما قال سبحانه ما يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ . و أما قوله و غير كل شيء لا بمزايلة فحق لأن الغيرين في الشاهد هما مازايل أحدهما الآخر وبإينه بمكان أوزمان والبارئ سبحانه يباين الموجودات مباينة منزّهة عن المكان والزمان فصدق عليه أنه غير كل شيء لا بمزايلة . و أما قوله فاعل لا بمعنى الحركات والآلة فحق لأن فعله اختراع والحكماء يقولون إبداع ومعنى الكلمتين واحد و هو أنه يفعل لا بالحركة والآلة كما يفعل الواحد منا و لا يوجد شيئا من شيء . و أما قوله بصير إذ لا منظور إليه من خلقه فهو حقيقة مذهب أبي هاشم رحمه الله وأصحابه لأنهم يطلقون عليه في الأزل أنه سميع بصير و ليس هناك مسموع و لا مبصر ومعنى ذلك كونه بحال يصح منه إدراك المسموعات والمبصرات إذا وجدت -قرآن- ٦٥٦-٦٥٧ [صفحة ٨٠] و ذلك يرجع إلى كونه حيا لا آفة به و لا يطلقون عليه أنه سامع مبصر في الأزل لأن السامع المبصر هو المدرك بالفعل لا بالقوة . و أما قوله متوحد إذ لا سكن يستأنس به ويستوحش لفقده إذ هاهنا ظرف ومعنى الكلام أن العادة والعرف إطلاق متوحد على من قد كان له من يستأنس بقربه ويستوحش ببعده فانفرد عنه والبارئ سبحانه يطلق عليه أنه متوحد في الأزل و لا موجود سواه و إذا صدق سلب الموجودات كلها في الأزل صدق سلب ما يؤنس أو يوحش فتوحده سبحانه بخلاف توحيد غيره . و أما قوله ع أنشأ الخلق إنشاء وابتدأه ابتداء فكلمتان مترادفتان على طريقة الفصحاء والبلغاء كقوله سبحانه لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَ لا- يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ و قوله لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهَاجًا . و قوله بلا روية أجالها فالروية الفكرة و أجالها ردها و من رواه أجالها بالحاء أراد صرفها و قوله و لا تجربة استفادها أى لم يكن قد خلق من قبل أجساما فحصلت له التجربة التي أعانته على خلق هذه الأجسام . و قوله و لا حركة أحدثها فيه رد على الكرامية الذين يقولون إنه إذا أراد أن يخلق شيئا مباينا عنه أحدث في ذاته حادثا يسمى الأحداث فوق ذلك الشيء المباين عن ذلك المعنى المتجدد المسمى أحداثا . و قوله و لا همامة نفس اضطرب فيها فيه رد على المجوس والثنوية القائلين بالهمامة ولهم فيها خبط طويل يذكره أصحاب المقالات و هذا يدل على صحة ما يقال إن أمير المؤمنين ع كان يعرف آراء المتقدمين والمتأخرين ويعلم العلوم كلها و ليس ذلك يبعيد من فضائله ومناقبه ع . -قرآن- ٥٨٨-٦٤٠-قرآن- ٦٤٩-٦٨٩ [صفحة ٨١] و أما قوله أحوال الأشياء لأوقاتها فمن رواها أحل الأشياء لأوقاتها فمعناه جعل محل كل شيء ووقته كمحل الدين و من رواها أحوال فهو من قولك حال في متن فرسه أى وثب وأحاله غيره أى أوثبه على متن الفرس عداه بالهمزة وكأنه لما أقر الأشياء في أحوالها وأوقاتها صار كمن أحوال غيره على فرسه . و قوله و لا هم بين مختلفاتها أى جعل المختلفات ملتئمت كما قرن النفس الروحانية بالجسد الترابي جلت عظمتها و قوله و غرز غرائزها المروى بالتشديد والغريزة الطبيعة وجمعها غرائز و قوله غرزها أى جعلها غرائز كما قيل سبحانه من ضوء الأضواء ويجوز أن يكون من غرزت الإبرة بمعنى غرست و قدر أيناها في بعض النسخ بالتخفيف . و قوله وألزمها أشباحها الضمير المنصوب فى ألزمها عائد إلى الغرائز أى ألزم الغرائز أشباحها أى أشخاصها جمع شبح و هذا حق لأن كلا مطبوع على غريزة لازمة فالشجاع لا يكون جبانا والبخيل لا يكون جوادا وكذلك كل الغرائز لازمة لا تنتقل . و قوله عالما بها قبل ابتدائها إشارة إلى أنه عالم بالأشياء فيما لم يزل و قوله محيطا بحدودها وانتهائها أى بأطرافها ونهاياتها . و قوله عارفا بقرائنها وأحوالها القرائن جمع قرونة وهى النفس والأحوال الجوانب جمع حنو يقول إنه سبحانه عارف بنفوس هذه الغرائز التي ألزمها أشباحها عارف بجهاتها وسائر أحوالها المتعلقة بها والصادرة عنها . [صفحة ٨٢] فأما القطب الراوندى فإنه قال معنى قوله ع كائن لا- عن حدث موجود لا- عن عدم أنه لم يزل موجودا و لا يزال موجودا فهو باق أبدا كما كان موجودا أولا و هذا ليس بجيد لأن اللفظ لا يدل على ذلك و لا فيه تعرض بالبقاء فيما لا يزال . و قال أيضا قوله ع لا يستوحش كلام مستأنف ولقائل أن يقول كيف يكون كلاما مستأنفا والهاء فى فقده ترجع إلى السكن المذكور أولا . و قال أيضا يقال ما له فى الأمر هممة و لا هممة أى لا يهم به والهمامة التردد كالعزم ولقائل أن يقول العزم هو إرادة

جازمة حصلت بعد التردد فبطل قوله أن الهمامة هي نفس التردد كالعزم وأيضا فقد بينا مراده ع بالهمامة حكي زرقان في كتاب المقالات و أبو عيسى الوراق و الحسن بن موسى و ذكره شيخنا أبو القاسم البلخي في كتابه في المقالات أيضا عن الثنوية أن النور الأعظم اضطربت عزائمه وإرادته في غزو الظلمة والإغارة عليها فخرجت من ذاته قطعة وهي الهمامة المضطربة في نفسه فخالطت الظلمة غازية لها فاقطعتها الظلمة عن النور الأعظم وحالت بينها وبينه وخرجت همامة الظلمة غازية للنور الأعظم فاقطعتها النور الأعظم عن الظلمة ومزجها بأجزائه وامتزجت همامة النور بأجزاء الظلمة أيضا ثم مازالت الهمامتان تتقاربان [صفحة ٨٣] وتتدانيان وهما ممتزجتان بأجزاء هذا وهذا حتى انبنى منهما هذا العالم المحسوس ولهم في الهمامة كلام مشهور وهي لفظه اصطلاحا عليها واللغة العربية ما عرفنا فيها استعمال الهمامة بمعنى الهممة و الذي عرفناه الهممة بالكسر والفتح والمهممة وتقول لاهمام لى بهذا الأمر مبنى على الكسر كقطام ولكنها لفظه اصطلاحية مشهورة عند أهلها ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء و شق الأرجاء و سكاكك الهواء فأجرى فيها ماء متلظما تياره متراكما زخاره حمله على متن الريح العاصفة و الزرع القاصفة فأمرها برده و سلطها على شده و قرننها إلى حده الهواء من تحتها فيق و الماء من فوقها دفيق ثم أنشأ سبحانه ريحا اعتقم مهبها و آدم مربها و أعصف مجراها و أبعده منشاها فأمرها بتصفيق الماء الزخار و إثارة موج البحار فمخضته مخض السماء و عصفت به عصفها بالفضاء ترد أوله على آخره و ساجيه على مائه حتى عب عيابه و رمى بالزبد ركامه فرفعه في هواء منفيق و حو منفيق فسوى منه سيع سموات جعل سفلها من موجا مكفوف و عليها من سيفا محفوظا و سيمكا مرفوعا بغير عمد يدعمها و لا دسار ينتظمها ثم زينها بزينة الكواكب و ضياء التواقب و أجرى فيها سراجا مستطيرا و قمرأ مثيرا في فلك دائر و سقف سائر و رقيم مائر [صفحة ٨٤] لسائل أن يسأل فيقول ظاهر هذا الكلام أنه سبحانه خلق الفضاء والسماوات بعد خلق كل شيء لأنه قد قال قبل فطر الخلائق ونشر الرياح ووتد الأرض بالجبال ثم عاد فقال أنشأ الخلق إنشاء وابتدأه ابتداء وهو الآن يقول ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء ولفظة ثم للتراخي فالجواب أن قوله ثم هو تعقيب وتراخي لا في مخلوقات البراء سبحانه بل في كلامه ع كأنه يقول ثم أقول الآن بعد قولى المتقدم إنه تعالى أنشأ فتق الأجواء ويمكن أن يقال إن لفظه ثم هاهنا تعطي معنى الجمع المطلق كالواو ومثل ذلك قوله تعالى و إني لغفار لمن تاب و آمن و عمل صالحا ثم اهتدى. و اعلم أن كلام أمير المؤمنين ع في هذا الفصل يشتمل على مباحث منها أن ظاهر لفظه أن الفضاء الذي هو الفراغ الذي يحصل فيه الأجسام خلقه الله تعالى و لم يكن من قبل و هذا يقتضى كون الفضاء شيئا لأن المخلوق لا يكون عدما محضا و ليس ذلك ببعيد فقد ذهب إليه قوم من أهل النظر وجعلوه جسما لطيفا خارجا عن مشابهة هذه الأجسام ومنهم من جعله مجردا. فإن قيل هذا الكلام يشعر بأن خلق الأجسام في العدم المحض قبل خلق الفضاء ليس بممكن و هذا يناقض العقل. قيل بل هذا هو محض مذهب الحكماء فإنهم يقولون إنه لا يمكن وجود جسم - قرآن - ٥١٢ - ٥٨٠ [صفحة ٨٥] و لا حركة جسم خارج الفلك الأقصى و ليس ذلك إلا لاستحالة وجود الأجسام وحركتها إلا في الفضاء. ومنها أن البراء سبحانه خلق في الفضاء الذي أوجده ماء جعله على متن الريح فاستقل عليها وثبت وصارت مكانا له ثم خلق فوق ذلك الماء ريحا أخرى سلطها عليه فموجته تمويجا شديدا حتى ارتفع فخلق منه السماوات وهذا أيضا قد قاله قوم من الحكماء و من جملتهم تاليس الإسكندراني وزعم أن الماء أصل كل العناصر لأنه إذا انجمد صار أرضا و إذالطف صار هواء والهواء يستحيل نارا لأن النار صفوة الهواء. ويقال إن في التوراة في أول السفر الأول كلاما يناسب هذا و هو أن الله تعالى خلق جوهرها فنظر إليه نظر الهيبة فذابت أجزاءه فصارت ماء ثم ارتفع من ذلك الماء بخار كالدخان فخلق منه السماوات وظهر على وجه ذلك الماء زيد فخلق منه الأرض ثم أرساها بالجبال. ومنها أن السماء الدنيا موج مكفوف بخلاف السماوات الفوقانية وهذا أيضا قول قد ذهب إليه قوم واستدلوا عليه بما نشأه من حركة الكواكب المتحيرة وارتعادها في مرأى العين واضطرابها قالوا لأن المتحيرة متحركة في أفلاكها ونحن نشأهها بالحس البصرى وبيننا وبينها أجرام الأفلاك الشفافة ونشأهها مرتعدة حسب ارتعاد الجسم

السائر في الماء و ماذاك إلا لأن السماء الدنيا ماء متموج فارتعاد الكواكب [صفحة ٨٦] المشاهدة حسا إنما هو بحسب ارتعاد أجزاء الفلك الأدنى قالوا فأما الكواكب الثابتة فإننا لم نشاهدها كذلك لأنها ليست بمتحركة و أما القمر و إن كان في السماء الدنيا إلا أن فلك تدويره من جنس الأجرام الفوقانية و ليس بماء متموج كالفلك الممثل التحتاني و كذلك القول في الشمس . ومنها أن الكواكب في قوله ثم زينها بزينة الكواكب أين هي فإن اللفظ محتمل و ينبغي أن يتقدم على ذلك بحث في أصل قوله تعالى إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ وَ حِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ فنقول إن ظاهر هذا اللفظ أن الكواكب في السماء الدنيا و أنها جعلت فيها حراسة للشياطين من استراق السمع فمن دنا منهم لذلك رجم بشهاب و هذا هو الذي يقتضيه ظاهر اللفظ و مذهب الحكماء أن السماء الدنيا ليس فيها إلا القمر وحده و عندهم أن الشهب المنقضة هي آثار تظهر في الفلك الأثيري الناري الذي تحت فلك القمر و الكواكب لا ينقض منها شيء و الواجب التصديق بما في ظاهر لفظ الكتاب العزيز و أن يحمل كلام أمير المؤمنين ع على مطابقته فيكون الضمير في قوله زينها راجعا إلى سفلاهن التي قال إنها موج مكفوف و يكون الضمير في قوله و أجرى فيها راجعا إلى جملة السموات إذا وافقنا الحكماء في أن الشمس في السماء الرابعة . و منها أن ظاهر الكلام يقتضى أن خلق السموات بعد خلق الأرض ألاتراه كيف لم يتعرض فيه لكيفية خلق الأرض أصلا و هذا قول قد ذهب إليه جماعة من أهل الملة - قرآن - ٤١١-٤٩٥ [صفحة ٨٧] واستدلوا عليه بقوله تعالى قُلْ أَإِنكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ثم قال ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَ هِيَ دُخَانٌ . و منها أن الهاء في قوله فرفعه في هواء منفق و الهاء في قوله فسوى منه سبع سموات إلى ماذا ترجع فإن آخر المذكورات قبلها الزبد و هل يجوز أن تكون السموات مخلوقة من زبد الماء الحق أن الضمائر ترجع إلى الماء الذي عب عابه لا إلى الزبد فإن أحدا لم يذهب إلى أن السماء مخلوقة من زبد الماء و إنما قالوا إنها مخلوقة من بخاره . و منها أن يقال إن الباري سبحانه قادر على خلق الأشياء إبداعا و اختراعا فما الذي اقتضى أنه خلق المخلوقات على هذا الترتيب و هلا أوجدها إيجاد الماء الذي ابتدعه أولا من غير شيء . فيقال في جواب ذلك على طريق أصحابنا لعل إخباره للمكلفين بذلك على هذا الترتيب يكون لطفا بهم و لا يجوز الإخبار منه تعالى إلا و المخبر عنه مطابق للإخبار . فهذا حظ المباحث المعنوية من هذا الفصل . ثم نشرع في تفسير ألفاظه أما الأجواء فجمع جو و الجو هنا الفضاء العالى بين السماء و الأرض و الأرجاء - قرآن - ٢٩-١٤٤-قرآن - ١٥٤-١٩٥ [صفحة ٨٨] الجوانب و أحدها رجا مثل عصا و السكائك جمع سكاكة و هي أعلى الفضاء كما قالوا ذؤابة و ذوائب و التيار الموج و المتراكم الذي بعضه فوق بعض و الزخار الذي يزخر أى يمتد و يرتفع و الريح الزرع الشديدة الهبوب و كذلك القاصفة كأنها تهلك الناس بشدة هبوبها و معنى قوله فأمرها برده أى بمنعه عن الهبوط لأن الماء ثقيل و من شأن الثقيل الهوى و معنى قوله و سلطها على شدة أى على وثاقه كأنه سبحانه لما سلط الريح على منعه من الهبوط فكانه قد شد به و أوثقه و منعه من الحركة و معنى قوله و قرنها إلى حده أى جعلها مكانا له أى جعل حد الماء المذكور و هو سطحه الأسفل مما ساطح الريح التي تحمله و ثقله و الفتيق المفتوق المنبسط و الدفيق المدفوق و اعتمم مهبتها أى جعل هبوبها عقيما و الريح العقيم التي لا تلحق سحابا و لا شجرا و كذلك كانت تلك الريح المشار إليها لأنه سبحانه إنما خلقها لتمويج الماء فقط و أدام مربها أى ملازمها أرب بالمكان مثل ألب به أى لازمه . و معنى قوله و عصفت به عصفها بالفضاء فيه معنى لطيف يقول إن الريح إذا عصفت بالفضاء الذي لا أجسام فيه كان عصفها شديدا لعدم المانع و هذه الريح عصفت بذلك الماء العظيم عسفا شديدا كأنها تعصف في فضاء لا ممانع لها فيه من الأجسام . و الساجى الساكن و المائر الذي يذهب و يجيء و عب عابه أى ارتفع أعلاه و ركامه ثبجه و هضبه و الجو المنفثق المفتوح الواسع و الموج المكفوف الممنوع من السيلان و عمد يدعما يكون لها دعامة و الدسار واحد الدسر و هي المسامير . و الثواقب النيرة المشرقة و سراجا مستطيرا أى منتشر الضوء يقال قد استطار [صفحة ٨٩] الفجر أى انتشر ضوءه و رقيم مائر أى لوح متحرك سمي الفلك رقيما تشبيها باللوح لأنه مسطح فأما القطب الراوندى فقال إنه ع

ذكر قبل هذه الكلمات أنه أنشأ حيوانا له أعضاء وأحشاء ثم ذكر هاهنا أنه فتق السماء وميز بعضها عن بعض ثم ذكر أن بين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام وهي سبع سموات وكذلك بين كل أرض وأرض وهي سبع أيضا وروى حديث البقرة التي تحمل الملك الحامل للعرش والصخرة التي تحمل البقرة والحوت الذي يحمل الصخرة. ولقائل أن يقول إنه ع لم يذكر فيما تقدم أن الله تعالى خلق حيوانا ذا أعضاء ولا قوله الآن ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء هو معنى قوله تعالى أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا أَلَا تَرَاهُ كَيْفَ صَرَحَ بِأَنَّ الْبَارِيَّ سَبَّحَانَهُ خَلَقَ الْهَوَاءَ الَّذِي هُوَ الْفُضَاءُ وَعَبَّرَ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ ثُمَّ أَنْشَأَ سَبَّحَانَهُ فَتَقَ الْأَجْوَاءَ وَ لَيْسَ فَتَقَ الْأَجْوَاءَ هُوَ فَتَقَ السَّمَاءِ. فَإِنَّ قَوْلَهُ فَكَيْفَ يُمْكِنُ التَّطْبِيقَ بَيْنَ كَلَامِهِ ع وَ بَيْنَ الْآيَةِ. قُلْتُ إِنَّهُ تَعَالَى لِمَا سَلَطَ الرِّيحَ عَلَى الْمَاءِ فَعَصَفَتْ بِهِ حَتَّى جَعَلْتَهُ بَخَارًا وَزَيْدًا وَخَلَقَ مِنْ أَحَدِهِمَا السَّمَاءَ وَ مِنَ الْآخَرِ الْأَرْضَ كَانَ فَاتِقًا لِهَمَّا مِنْ شَيْءٍ وَاحِدٍ وَ هُوَ الْمَاءُ. فَأَمَّا حَدِيثُ الْبَعْدِ بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَ كَوْنِهِ مَسِيرَةً خَمْسِمِائَةَ عَامٍ بَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ وَ سَمَاءٍ فَقَدْ وَرَدَ وَرُودًا لَمْ يُوَثَّقَ بِهِ وَأَكْثَرُ النَّاسِ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ وَ كَوْنِ الْأَرْضِ سَبْعًا أَيْضًا - قرآن - ٥٩٠-٦٤٣ [صفحة ٩٠] خلاف ما يقوله جمهور العقلاء وليس في القرآن العزيز ما يدل على تعدد الأرض إلا - قوله تعالى وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ وَ قَدْ أُولَوهُ عَلَى الْأَقَالِيمِ السَّبْعَةَ وَ حَدِيثُ الصَّخْرَةِ وَ الْحَوْتِ وَ الْبَقْرَةَ مِنَ الْخِرَافَاتِ فِي غَالِبِ الظَّنِّ وَ الصَّحِيحِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُمْسِكُ الْكُلَّ بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ جَسْمٍ آخَرَ. ثُمَّ قَالَ الرَّائِدِيُّ السَّكَاكُ جَمْعُ سَكَكَ وَ هَذَا غَيْرُ جَائِزٍ لِأَنَّ فِعْلًا لَا يَجْمَعُ عَلَى فِعَائِلٍ وَ إِنَّمَا هُوَ جَمْعُ سَكَكَ ذَكَرَ ذَلِكَ الْجَوْهَرِيُّ. ثُمَّ قَالَ وَ سَلَطَهَا عَلَى شِدَّةِ الشَّدِّ الْعَدُوِّ وَ لَا يَجُوزُ حَمْلُ الشَّدِّ هَاهُنَا عَلَى الْعَدُوِّ لِأَنَّهُ لَا مَعْنَى لَهُ وَ الصَّحِيحُ مَا ذَكَرْنَاهُ. وَ قَالَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ ع جَعَلَ سَفَلَاهُنَّ مَوْجًا مَكْفُوفًا أَرَادَ تَشْبِيهَهَا بِالْمَوْجِ لِصِفَاتِهَا وَ اعْتِلَافِهَا فَيُقَالُ لَهُ إِنْ الْمَوْجُ لَيْسَ بِعَالٍ لِيَشْبَهَ بِهِ الْجَسْمُ الْعَالِي وَ أَمَّا صَفَاؤُهُ فَإِنَّ كُلَّ السَّمَوَاتِ صَافِيَةٌ فَلَمَّا ذَا خَصَّ سَفَلَاهُنَّ بِذَلِكَ. ثُمَّ قَالَ وَ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ السَّمَاءُ السُّفْلَى قَدْ كَانَتْ أَوَّلَ مَا وَجَدَتْ مَوْجًا ثُمَّ عَقَدَهَا يُقَالُ لَهُ وَ السَّمَوَاتِ الْآخِرُ كَذَلِكَ كَانَتْ فَلَمَّا ذَا خَصَّ السُّفْلَى بِذَلِكَ. ثُمَّ قَالَ الرِّيحُ الْأُولَى غَيْرُ الرِّيحِ الثَّانِيَةِ لِأَنَّ إِحْدَاهُمَا مَعْرُفَةٌ وَ الْآخَرَى نَكْرَةٌ وَ هَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ صَمَّ الْيَوْمَ صَمَّ يَوْمًا فَإِنَّهُ يَقْتَضِي يَوْمِينَ. يُقَالُ لَهُ لَيْسَتْ الْمَغَايِرَةُ بَيْنَهُمَا مَسْتَفَادَةٌ مِنْ مَجْرَدِ التَّعْرِيفِ وَ التَّنْكِيرِ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ قَالَ - قرآن - ٩٥-١١٩ [صفحة ٩١] ع وَ حَمَلَهُ عَلَى مَتْنِ رِيحٍ عَاصِفَةٍ وَ زَعَزَعَ قَاصِفَةً لَكَانَتْ الرِّيحَانِ الْأُولَى وَ الثَّانِيَةُ مَنكَرَتَيْنِ مَعًا وَ هُمَا مَتَغَايِرَتَانِ وَ إِنَّمَا عَلِمْنَا تَغَايِرَهُمَا لِأَنَّ إِحْدَاهُمَا تَحْتَ الْمَاءِ وَ الْآخَرَى فَوْقَهُ وَ الْجَسْمُ الْوَاحِدُ لَا يَكُونُ فِي جِهَتَيْنِ ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ الْعُلْمَا فَمَلَأَهُنَّ أَطْوَارًا مِنْ مَلَمَائِكَتِهِ مِنْهُنَّ سَيُجُودُ لَمَّا يَرُكَعُونَ وَ رُكُوعٌ لَمَّا يَنْتَصِبُونَ وَ صَيَّافُونَ لَا يَتَرَايِلُونَ وَ مُسَبِّحُونَ لَا يَسَامُونَ لَا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعَيْنِ وَ لَا سَهْوُ الْعُقُولِ وَ لَا فِتْرَةُ الْأَبْدَانِ وَ لَا غَفْلَةُ النَّسِيَانِ وَ مِنْهُمُ أَمْنَاءٌ عَلَى وَحْيِهِ وَ أَلْسِنَةٌ إِلَى رُسُلِهِ وَ مُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَ أَمْرِهِ وَ مِنْهُمُ الْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ وَ السَّدَنَةُ لِأَبْوَابِ جَنَانِهِ وَ مِنْهُمُ الثَّابِتَةُ فِي الْأَرْضِ بَيْنَ السَّمَاءِ السُّفْلَى أَعْدَائِهِمْ وَ الْمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا أَعْنَائِهِمْ وَ الْخَارِجَةُ مِنَ الْأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ وَ الْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتِافُهُمْ نَاكِسِيَةٌ دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ مُتَلَفَعُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ الْعِزَّةِ وَ أَسْتَارُ الْقَدْرَةِ لَمَّا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ وَ لَا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ الْمَصْنُوعِينَ وَ لَا يَحْدُونَهُ بِالْأَمَّاكِينِ وَ لَا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ

القول في الملائكة وأقسامهم

الملك عند المعتزلة حيوان نوري فمنه شفاف عادم اللون كالهواء ومنه ملون بلون الشمس والملائكة عندهم قادرون عالمون أحياء بعلوم وقدر وحياة كالواحد منا ومكلفون كالواحد منا إلا أنهم معصومون ولهم في كيفية تكليفهم كلام لأن التكليف [صفحة ٩٢] مبنى على الشهوة. وفي كيفية خلق الشهوة فيهم نظر وليس هذا الكتاب موضوعا للبحث في ذلك وقد جعلهم ع في هذا الفصل أربعة أقسام القسم الأول أرباب العبادة فمنهم من هو ساجد أبدا لم يقم من سجوده ليركع ومنهم من هو راكع أبدا لم

ينتصب قط ومنهم الصافون في الصلاة بين يدي خالقهم لا يتزايلون ومنهم المسبحون الذين لا يملون التسييح والتحميد له سبحانه . والقسم الثاني السفراء بينه تعالى و بين المكلفين من البشر بتحمل الوحي الإلهي إلى الرسل والمختلفون بقضائه وأمره إلى أهل الأرض . والقسم الثالث ضربان أحدهما حفظة العباد كالكرام الكاتبين و كالملائكة الذين يحفظون البشر من المهالك والورطات و لو لا ذلك لكان العطب أكثر من السلامة وثانيهما سدة الجنان . القسم الرابع حملة العرش . ويجب أن يكون الضمير في دونه و هو الهاء راجعا إلى العرش لا إلى البارئ سبحانه وكذلك الهاء في قوله تحته ويجب أن تكون الإشارة بقوله و بين من دونهم إلى الملائكة الذين دون هؤلاء في الرتبة . فأما ألفاظ الفصل فكلها غنية عن التفسير إلا سيرا كالسنة جمع سادن و هو الخادم والمارق الخارج وتلفتت بالثوب أى التحفت به . و أما القطب الراوندى فجعل الأمان على الوحي وحفظة العباد وسدة الجنان [صفحہ ۹۳] قسما واحدا فأعاد الأقسام الأربعة إلى ثلاثة و ليس بجيد لأنه قال ومنهم الحفظة لفظه ومنهم تقتضى كون الأقسام أربعة لأنه بها فصل بين الأقسام . و قال أيضا معنى قوله ع لا يغشاهم نوم العيون يقتضى أن لهم نوما قليلا لا يغفلهم عن ذكر الله سبحانه فأما البارئ سبحانه فإنه لا تأخذه سنة و لا نوم أصلا مع أنه حي و هذه هي المدحة العظمى . ولقائل أن يقول لونا موالا قليلا لكانوا زمان ذلك النوم و إن قل غافلين عن ذكر الله سبحانه لأن الجمع بين النوم و بين الذكر مستحيل . والصحيح أن الملك لا يجوز عليه النوم كما لا يجوز عليه الأكل والشرب لأن النوم من توابع المزاج والملك لا مزاج له و أمامدح البارئ بأنه لا تأخذه سنة و لا نوم فخارج عن هذا الباب لأنه تعالى يستحيل عليه النوم استحالة ذاتية لا يجوز تبديلها والملك يجوز أن يخرج عن كونه ملكا بأن يخلق في أجزاء جسمه رطوبة و يبوسة و حرارة و برودة يحصل من اجتماعها مزاج و يتبع ذلك المزاج النوم فاستحالة النوم عليه إنما هي مادام ملكا فهو كقولك الماء بارد أى مادام ماء لأنه يمكن أن يستحيل هواء ثم نارا فلا يكون باردا لأنه ليس حينئذ ماء والبارئ جلت عظمته يستحيل على ذاته أن يتغير فاستحال عليه النوم استحالة مطلقة مع أنه حي و من هذا إنشاء التمدح و روى أبوهريرة عن النبي ص أن الله خلق الخلق أربعة أصناف الملائكة والسياطين والجن والإنس ثم جعل الأصناف الأربعة عشرة أجزاء فتسعة منها الملائكة و جزء واحد الشياطين والجن والإنس ثم جعل هؤلاء الثلاثة عشرة أجزاء فتسعة منها الشياطين و جزء واحد الجن والإنس ثم جعل الجن والإنس عشرة أجزاء فتسعة منها الجن و جزء واحد الإنس -روایت- ۱-۲-روایت- ۳۲- ۳۳۸ [صفحہ ۹۴] و في الحديث الصحيح أن الملائكة كانت تصافح عمران بن الحصين وتزوره ثم افتقدها فقال يا رسول الله إن رجالا كانوا يأتونني لم أر أحسن وجوها و لا أطيب أرواحا منهم ثم انقطعوا فقال ع أصابك جرح فكنت تكتمه فقال أجل قال ثم أظهرته قال أجل قال أما لو أقمت على كتمانها لزارتك الملائكة إلى أن تموت -روایت- ۱-۴-روایت- ۲۴-۳۱۲ و كان هذا الجرح أصابه في سبيل الله . و قال سعيد بن المسيب وغيره الملائكة ليسوا بذكور و لا إناث و لا يتوالدون و لا يأكلون و لا يشربون والجن يتوالدون وفيهم ذكور و إناث و يموتون والشياطين ذكور و إناث و يتوالدون و لا يموتون حتى يموت إبليس . و قال النبي ص في رواية أبي ذر إنى أرى ما لاترون وأسمع ما لاتسمعون أطم السماء وحق لها أن تنط فما فيها موضع شبر إلا و فيه ملك قائم أو راجع أو ساجد واضع جبهته لله و الله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا و لبكيتم كثيرا و ماتلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الفلوات تجأرون إلى الله و الله لو ددت أنى كنت شجرة تعضد -روایت- ۱-۲-روایت- ۳۶-۳۳۸ قلت ويوشك هذه الكلمة الأخيرة أن تكون قول أبي ذر . واتفق أهل الكتب على أن رؤساء الملائكة وأعيانهم أربعة جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل و هو ملك الموت وقالوا إن إسرافيل صاحب الصور و إليه النفخة و إن ميكائيل صاحب النبات والمطر و إن عزرائيل على أرواح الحيوانات و إن جبرائيل على جنود السموات و الأرض كلها و إليه تدبير الرياح و هو ينزل إليهم كلهم بما يؤمرون به . [صفحہ ۹۵] و روى أنس بن مالك أنه قيل لرسول الله ص ما هؤلاء الذين استثنى بهم في قوله تعالى فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ فَقَالَ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل فيقول الله عز و جل لعزرائيل

ياملك الموت من بقى و هو سبحانه أعلم فيقول سبحانه ربي ذا الجلال والإكرام بقى جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت فيقول ياملك الموت خذ نفس إسرافيل فيقع في صورته التي خلق عليها كأعظم ما يكون من الأطواد ثم يقول و هو أعلم من بقى ياملك الموت فيقول سبحانه ربي يا ذا الجلال والإكرام جبرائيل وميكائيل وملك الموت فيقول خذ نفس ميكائيل فيقع في صورته التي خلق عليها وهي أعظم ما يكون من خلق إسرافيل بأضعاف مضاعفة ثم يقول سبحانه ياملك الموت من بقى فيقول سبحانه ربي ذا الجلال والإكرام جبرائيل وملك الموت فيقول تعالى ياملك الموت مت فيموت ويبقى جبرائيل و هو من الله تعالى بالمكان الذي ذكر لكم فيقول الله يا جبرائيل إنه لا بد من أن يموت أحدنا فيقع جبرائيل ساجدا يخفق بجناحيه يقول سبحانه ربي وبحمدك أنت الدائم القائم الذي لا يموت وجبرائيل الهالك الميت الفانى فيقبض الله روحه فيقع على ميكائيل وإسرافيل و أن فضل خلقه على خلقهما كفضل الطود العظيم على الطرب من الطراب -رواية 1-2-رواية 1188-23 و في الأحاديث الصحيحة أن جبرائيل كان يأتي رسول الله ص على صورة دحية الكلبي و أنه كان يوم بدر على فرس اسمه حيزوم و أنه سمع ذلك اليوم صوته أقدم حيزوم . [صفحہ 96] والكروبيون عند أهل الملة سادة الملائكة كجبرائيل وميكائيل وعند الفلاسفة أن سادة الملائكة هم الروحانيون يعنون العقول الفعالة وهي المفارقة للعالم الجسماني المسلوبة التعلق به لا بالحوال ولا بالتدبير و أما الكروبيون فدون الروحانيين في المرتبة وهي أنفس الأفلاك المدبرة لها الجارية منها مجرى نفوسنا مع أجسامنا. ثم هي على قسمين قسم أشرف وأعلى من القسم الآخر فالقسم الأشرف ما كان نفسا ناطقة غير حاله في جرم الفلك كأنفسنا بالنسبة إلى أبداننا والقسم الثاني ما كان حالا في جرم الفلك ويجرى ذلك مجرى القوى التي في أبداننا كالحس المشترك والقوة الباصرة منها في صفة خلق آدم ع ثم جمع سبحانه من خزن الأرض و سهلها و عذبها و سببها تربية سنها بالماء حتى خلصت و لاطها بالبله حتى لزبت فجب من صورته ذات أحناء و وصول و أعضاء و فصول أجدها حتى استمكت و أصلدها حتى صلصمت لوقت معدود و أجيل معلوم ثم نفع فيها من روجه فتمثلت إنسانا ذا أذهان يجلها و فكر يتصرف بها و جوارح يخدمها و أدوات يفتبها و معرفه يفرق بها بين الحق و الباطل و الأذواق و المشام و الألوان و الأجناس معجونا بطينه الألوان المختلفة [صفحہ 97] و الأشباه المؤتلفه و الأضداد المتعادية و الأخطا المتباينة من الحر و البرد و البله و الجمود و المساءة و السيرور و استأدى الله سبحانه الملائكة و ديعته لمدتهم و عهد و صيته إليهم في الإذعان بالسيجود له و الخنوع لتكريمته فقال لهما سجدا لآدم فسجدوا إلا إبليس و قبيله اعترتهم الحمية و غلبت عليهم الشقوة و تعززوا بخلق النار و استوهنوا خلق الصلصال فأعطاه الله النظرة استحقاقا للسخطة و استتماما للبيته و إنجازا للعدة فقالوا نك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم -قرآن- 372-372-قرآن-613-668 الحزن ماغلظ من الأرض و سببها مالمح منها و سنها بالماء أى ملسها قال ثم خاصرتها إلى القبة الخضراء || تمشى في مرمر مسنون . أى مملس و لاطها من قولهم لط الحوض بالطين أى ملطه و طينته به و البله بفتح الباء من البلل و لزبت بفتح الزاى أى التصقت و ثبتت فجب من منها أى خلق و الأحناء الجوانب جمع حنو و أصلدها جعلها صلدا أى صلبا متينا و صلصمت يبست و هو الصلصال و يخدمها يجعلها فى مآربه و أوطاره كالخدم الذين تستعملهم و تستخدمهم و استأدى الملائكة و ديعته طلب منهم أداءها و الخنوع الخسوة بكسر الشين و فى الكتاب العزيز ربنا غلبت علينا -قرآن- 415-436 . أى مملس و لاطها من قولهم لط الحوض بالطين أى ملطه و طينته به و البله بفتح الباء من البلل و لزبت بفتح الزاى أى التصقت و ثبتت فجب من منها أى خلق و الأحناء الجوانب جمع حنو و أصلدها جعلها صلدا أى صلبا متينا و صلصمت يبست و هو الصلصال و يخدمها يجعلها فى مآربه و أوطاره كالخدم الذين تستعملهم و تستخدمهم و استأدى الملائكة و ديعته طلب منهم أداءها و الخنوع الخسوة بكسر الشين و فى الكتاب العزيز ربنا غلبت علينا شقوتنا و استوهنوا عدوه و انا ضعيفا و النظرة بفتح النون و كسر الظاء الإمهال و التأخير. فأما معانى الفصل فظاهرة و فيه مع ذلك مباحث. منها أن يقال اللام فى قوله لوقت معدود بما ذا تتعلق .

والجواب أنها تتعلق بمحذوف تقديره حتى صلصلت كائنه لوقت فيكون الجار والمجرور في موضع الحال و يكون معنى الكلام أنه أصلدها حتى ييست وجفت معدة لوقت معلوم فنفس حينئذ روحه فيها ويمكن أن تكون اللام متعلقه بقوله فجبل أى جبل وخلق من الأرض هذه الجثة لوقت أى لأجل وقت معلوم و هو يوم القيامة. ومنها أن يقال لماذا قال من حزن الأرض وسهلها وعذبها وسبخها. والجواب أن المراد من ذلك أن يكون الإنسان مركبا من طباع مختلفة وفيه استعداد للخير والشر والحسن والقبح . ومنها أن يقال لماذا أخر نفخ الروح فى جثة آدم مدة طويلة فقد قيل إنه بقى طينا تشاهده الملائكة أربعين سنة و لا يعلمون ما المراد به . والجواب يجوز أن يكون فى ذلك لطف للملائكة لأنهم تذهب ظنونهم فى ذلك كل مذهب فصار كإنزال المتشابهات الذى تحصل به رياضة الأذهان وتخريجها و فى ضمن ذلك يكون اللطف ويجوز أن يكون فى أخبار ذرية آدم بذلك فيما بعد لطف بهم و لا يجوز إخبارهم بذلك إلا إذا كان المخبر عنه حقا -قرآن- ١-١٠ [صفحة ٩٩] ومنها أن يقال ما المعنى بقوله ثم نفخ فيها من روحه .الجواب أن النفس لما كانت جوهرًا مجردًا لا متحيزه و لاحاله فى المتحيز حسن لذلك نسبتها إلى البارئ لأنها أقرب إلى الانتساب إليه من الجثمانيات ويمكن أيضا أن تكون لشرفها مضافة إليه كما يقال بيت الله للكعبة و أما النفخ فعبارة عن إفاضة النفس على الجسد و لمانفخ الريح فى الوعاء عبارة عن إدخال الريح إلى جوفه و كان الإحياء عبارة عن إفاضة النفس على الجسد ويستلزم ذلك حلول القوى والأرواح فى الجثة باطنا وظاهرا سمي ذلك نفخا مجازا. ومنها أن يقال ما معنى قوله معجوننا بطينه الألوان المختلفة.الجواب أنه ع قفسر ذلك بقوله من الحر والبرد والبله والجمود يعنى الرطوبة واليبوسة ومراده بذلك المزاج الذى هو كيفية واحده حاصلة من كيفية مختلفة قد انكسر بعضها ببعض و قوله معجوننا صفة إنسانا والألوان المختلفة يعنى الضروب والفتون كما تقول فى الدار ألوان من الفاكهة. ومنها أن يقال ما المعنى بقوله واستأدى الملائكة وديعته لديهم وكيف كان هذا العهد والوصية بينه وبينهم .الجواب أن العهد والوصية هو قوله تعالى لهم إنى خالق بشرأ من طين فإذا سويته و نفخت فيه من رۇحي فقعوأ له ساجدين. -قرآن- ٩٨٣-١٠٨٣ [صفحة ١٠٠] ومنها أن يقال كيف كانت شبهة إبليس وأصحابه فى التعزز بخلقه النار.الجواب لما كانت النار مشرقة بالذات و الأرض مظلمة وكانت النار أشبه بالنور والنور أشبه بالمجردات جعل إبليس ذلك حجة احتج بها فى شرف عنصره على عنصر آدم ع ولأن النار أقرب إلى الفلك من الأرض و كل شىء كان أقرب إلى الفلك من غيره كان أشرف والبارئ تعالى لم يعتبر ذلك و فعل سبحانه ما يعلم أنه المصلحة والصواب . ومنها أن يقال كيف يجوز السجود لغير الله تعالى . والجواب أنه قيل إن السجود لم يكن إلا لله تعالى وإنما كان آدم ع قبله ويمكن أن يقال إن السجود لله على وجه العبادة ولغيره على وجه التكرمة كما سجد أبو يوسف وإخوته له ويجوز أن تختلف الأحوال والأوقات فى حسن ذلك وقبحه . ومنها أن يقال كيف جاز على ماتعتقدونه من حكمة البارئ أن يسلط إبليس على المكلفين أليس هذا هو الاستفساد الذى تابونه وتمنعونه . والجواب أما الشيخ أبو على رحمه الله فيقول حد المفسدة ما وقع عند الفساد ولولاه لم يقع مع تمكن المكلف من الفعل فى الحالىن و من فسد بدعاء إبليس لم يتحقق فيه هذا الحد لأن الله تعالى علم أن كل من فسد عند دعائه فإنه يفسد و لو لم يدعه . و أما أبو هاشم رحمه الله فيحد المفسدة بهذا الحد أيضا و يقول إن فى الإتيان بالطاعة مع دعاء إبليس إلى القبيح مشقة زائدة على مشقة الإتيان بها لو لم يدع إبليس إلى [صفحة ١٠١] القبيح فصار الإتيان بها مع اعتبار دعاء إبليس إلى خلافها خارجا عن الحد المذكور و داخلا فى حيز التمكن الذى لو فرضنا ارتفاعه لما صح من المكلف الإتيان بالفعل ونحن قلنا فى الحد مع تمكن المكلف من الإتيان بالفعل فى الحالىن . ومنها أن يقال كيف جاز للحكيم سبحانه أن يقول لإبليس إنك من المنظرين إلى يوم القيامة و هذا إغراء بالقبيح وأنت تمنعون أن يقول الحكيم لزيد أنت لامتوت إلى سنة بل إلى شهر أو يوم واحد لما فيه من الإغراء بالقبيح والعزم على التوبة قبل انقضاء الأمد. والجواب أن أصحابنا قالوا إن البارئ تعالى لم يقل لإبليس إنى منظرك إلى يوم القيامة وإنما قال إلى يوم الوقت المعلوم و هو عبارة عن وقت موته

واخترامه و كل مكلف من الإنس والجن منظر إلى يوم الوقت المعلوم على هذا التفسير و إذا كان كذلك لم يكن إبليس عالما أنه يبقى لامحالة فلم يكن في ذلك إغراء له بالقيح . فإن قلت فما معنى قوله ع وإنجازا للعدة أليس معنى ذلك أنه قد كان وعده أن يبقيه إلى يوم القيامة . قلت إنما وعده الإنظار ويمكن أن يكون إلى يوم القيامة و إلى غيره من الأوقات و لم يبين له فهو تعالى أنجز له وعده في الإنظار المطلق و ما من وقت إلا ويجوز فيه أن يخترم إبليس فلا يحصل الإغراء بالقيح و هذا الكلام عندنا ضعيف ولنا فيه نظر مذكور في كتبنا الكلامية - قرآن - ٢٨٧ - ٣١٠ - قرآن - ٥٩٧ - ٦٢٥ [صفحة ١٠٢] ثم أسكن آدم داراً أرغد فيها عيشته و آمن فيها محلته و حذرته إبليس و عداوته فاعتزته عذوه نفاسه عليه بدار المقام و مرافقه الأبرار فباع اليقين بشكه و العزيمة بوهنه و استبدل بالجدل و جلاً و بالاعتزاز ندماً ثم بسط الله سبحانه له في تويته و لقاء كلمته رحمته و وعده المرد إلى جنته فأهبطه إلى دار البليّة و تناسل الذرية أما الألفاظ فظاهرة والمعاني أظهر وفيها ما يسأل عنه . فمنها أن يقال الفاء في قوله ع فأهبطه تقتضى أن تكون التوبة على آدم قبل هبوطه من الجنة . والجواب أن ذلك أحد قولى المفسرين ويعضده قوله تعالى و عصى آدم ربّه فعوى ثم اجتبه ربّه فتاب عليه و هدى قال اهبطا منها فجعل الهبوط بعد قبول التوبة . ومنها أن يقال إذا كان تعالى قد طرد إبليس من الجنة لما أبى السجود فكيف توصل إلى آدم و هو في الجنة حتى استنزله عنها بتحسين أكل الشجرة له . الجواب أنه يجوز أن يكون إنما منع من دخول الجنة على وجه التقريب والإكرام - قرآن - ٢٠٧ - ٢٩٥ [صفحة ١٠٣] كدخول الملائكة و لم يمنع من دخولها على غير ذلك الوجه وقيل إنه دخل في جوف الحية كما ورد في التفسير . ومنها أن يقال كيف اشتبه على آدم الحال في الشجرة المنهى عنها فخالف النهى . الجواب أنه قيل له لا تقربا هذه الشجرة وأريد بذلك نوع الشجرة فحمل آدم النهى على الشخص وأكل من شجرة أخرى من نوعها . ومنها أن يقال هذا الكلام من أمير المؤمنين ع تصريح بوقوع المعصية من آدم ع و هو قوله فباع اليقين بشكه والعزيمة بوهنه فما قولكم في ذلك . الجواب أما أصحابنا فإنهم لا يمتنعون من إطلاق العصيان عليه ويقولون إنها كانت صغيرة وعندهم أن الصغائر جائزة على الأنبياء ع و أما الإمامية فيقولون إن النهى كان نهى تنزيه لانهى تحريم لأنهم لا يجيزون على الأنبياء الغلط والخطأ لا كبيراً ولا صغيراً وظواهر هذه الألفاظ تشهد بخلاف قولهم

اختلاف الأقوال في ابتداء خلق البشر

واعلم أن الناس اختلفوا في ابتداء خلق البشر كيف كان فذهب أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى إلى أن مبدأ البشر هو آدم الأيب الأول ع وأكثر ما في القرآن العزيز من قصة آدم مطابق لما في التوراة . وذهب طوائف من الناس إلى غير ذلك أما الفلاسفة فإنهم زعموا أنه لا أول لنوع البشر ولا لغيرهم من الأنواع . و أما الهند فمن كان منهم على رأى الفلاسفة فقله ما ذكرناه و من لم يكن منهم [صفحة ١٠٤] على رأى الفلاسفة و يقول بحدوث الأجسام لا يثبت آدم و يقول إن الله تعالى خلق الأفلاك وخلق فيها طباعاً محرّكة لها بذاتها فلما تحركت وحشوها أجسام لاستحالة الخلاء كانت تلك الأجسام على طبيعة واحدة فاختلفت طباعها بالحركة الفلكية فكان القريب من الفلك المتحرك أسخن وألطف والبعيد أبرد وأكثر ثم اختلطت العناصر وتكونت منها المركبات ومنها تكون نوع البشر كما يتكون الدود في الفاكهة واللحم والبق في البطائح والمواضع العفنة ثم تكون بعض البشر من بعض بالتوالد وصار ذلك قانوناً مستمراً ونسى التخليق الأول الذى كان بالتولد و من الممكن أن يكون بعض البشر فى بعض الأراضى القاصية مخلوقاً بالتولد وإنما انقطع التولد لأن الطبيعة إذا وجدت للتكون طريقاً استغنت به عن طريق ثان . و أما المجوس فلا يعرفون آدم و لانوحا و لاساما و لاحاما و لا يافث و أول متكون عندهم من البشر البشرى المسمى كيومرث ولقبه كوشاه أى ملك الجبل لأن كوهو الجبل بالفهلوية و كان هذا البشر فى الجبال ومنهم من يسميه كلشاه أى ملك

الطين و كل اسم الطين لأنه لم يكن حينئذ بشر ليملكهم . وقيل تفسير كيومرث حى ناطق ميت قالوا و كان قدرزق من الحسن ما لايقع عليه بصر حيوان إلا وبهت وأغمى عليه ويزعمون أن مبدأ تكونه وحدوثه أن يزدان و هوالصانع الأول عندهم أفكر فى أمر أهرمن و هوالشیطان عندهم فكرة أوجبت أن عرق جبينه فمسح العرق ورمى به فصار منه كيومرث ولهم خبط طويل فى كيفية تكون أهرمن من فكرة يزدان أو من إعجابه بنفسه أو من توحشه وبينهم خلاف فى قدم أهرمن وحدوثه لايليق شرحه بهذا الموضوع [صفحہ ۱۰۵] ثم اختلفوا فى مدة بقاء كيومرث فى الوجود فقال الأكثرون ثلاثون سنة و قال الأقلون أربعون سنة و قال قوم منهم إن كيومرث مكث فى الجنة التى فى السماء ثلاثة آلاف سنة وهى ألف الحمل وألف الثور وألف الجوزاء ثم أهبط إلى الأرض فكان بهاآمنا مطمئنا ثلاثة آلاف سنة أخرى وهى ألف السرطان وألف الأسد وألف السنبلة. ثم مكث بعد ذلك ثلاثين أوأربعين سنة فى حرب وخصام بينه و بين أهرمن حتى هلك . واختلفوا فى كيفية هلاكه مع اتفاقهم على أنه هلك قتلا فالأكثرون قالوا إنه قتل ابنا لأهرمن يسمى خزورة فاستغاث أهرمن منه إلى يزدان فلم يجد بدا من أن يقاصه به حفظا للعهود التى بينه و بين أهرمن فقتله بابن أهرمن و قال قوم بل قتله أهرمن فى صراع كان بينهما قهره فيه أهرمن وعلاه وأكله . وذكروا فى كيفية ذلك الصراع أن كيومرث كان هوالقاهر لأهرمن فى بادئ الحال و أنه ركب و جعل يطوف به فى العالم إلى أن سأله أهرمن أى الأشياء أخوف له وأهلها عنده فقال له باب جهنم فلما بلغ به أهرمن إليها جمع به حتى سقط من فوقه و لم يستمسك فعلاه وسأله عن أى الجهات يبتدىء به فى الأكل فقال من جهة الرجل لأكون ناظرا إلى حسن العالم مدة ما فابتدأه أهرمن فأكله من عند رأسه فبلغ إلى موضع الخصى وأوعيه المنى من الصلب فقطر من كيومرث قطرتا نطفة على الأرض فنبت منها ريباستان فى جبل يا صطخر يعرف بجبل دام داذ ثم ظهرت على تينك الريباستين الأعضاء البشرية فى أول الشهر التاسع وتمت فى آخره فتصور منهما بشران ذكر وأنثى وهما ميشى وميشانه وهما بمنزلة آدم وحواء عندالمليين ويقال لهما أيضا ملهى وملهيانه ويسميها مجوس خوارزم مرد ومردانه [صفحہ ۱۰۶] وزعموا أنهما مكثا خمسين سنة مستغنين عن الطعام والشراب متنعمين غيرمتأذيين بشىء إلى أن ظهر لهما أهرمن فى صورة شيخ كبير فحملهما على التناول من فواكه الأشجار وأكل منها وهما يبصرانه شيخا فعاد شابا فأكلا منها حينئذ فوقعوا فى البلايا والشرور وظهر فيهما الحرص حتى تزوجا وولد لهما ولد فأكلاه حرصا ثم ألقى الله تعالى فى قلوبهما رافة فولد لهما بعد ذلك ستة أبطن كل بطن ذكر وأنثى وأسماؤهم فى كتاب أپستا و هوالكتاب الذى جاء به زرادشت معروفة ثم كان فى البطن السابع سيامك وفرواك فتزوجا فولد لهما الملك المشهور الذى لم يعرف قبله ملك و هوأوشهنج و هو الذى خلف جده كيومرث وعقد له التاج وجلس على السرير وبنى مدينتى بابل والسوس فهذا ما يذكره المجوس فى مبدأ الخلق

تصويب الزنادقة إبليس لامتناعه عن السجود لآدم

و كان فى المسلمين ممن يرمى بالزندقة من يذهب إلى تصويب إبليس فى الامتناع من السجود ويفضله على آدم و هو بشار بن برد المرعث و من الشعر المنسوب إليه النار مشرقة و الأرض مظلمة || والنار معبودة مذ كانت النار . [صفحہ ۱۰۷] و كان أبوالفتوح أحمد بن محمدالغزالي الواعظ أخو أبى حامد محمد بن محمد بن محمدالغزالي الفقيه الشافعى قاصا لطيفا وواعظا مفوها و هو من خراسان من مدينة طوس وقدم إلى بغداد ووعظ بها وسلكت فى وعظه مسلكا منكرا لأنه كان يتعصب لإبليس و يقول إنه سيد الموحدين و قال يوما على المنبر من لم يتعلم التوحيد من إبليس فهو زنديق أمر أن يسجد لغير سيده فأبى ولست بضارع إلاإليكم || و أماغيركم حاشا وكلا . و قال مرة أخرى لما قال له موسى أرنى فقال لن قال هذاشغلكت تصطفى آدم ثم

تسود وجهه وتخرجه من الجنة وتدعوني إلى الطور ثم تشمت بي الأعداء هذا عملك بالأحباب فكيف تصنع بالأعداء. وقال مرة أخرى وقد ذكر إبليس على المنبر لم يدر ذلك المسكين أن أظاير القضاء إذا حكت أدمت و أن قسى القدر إذا رمت أصمت ثم قال لسان حال آدم ينشد في قصته وقصه إبليس و كنت وليلى في صعود من الهوى || فلما توافينا ثبت وزلت . وقال مرة أخرى التقى موسى وإبليس عند عقبه الطور فقال موسى يا إبليس لم تسجد لآدم فقال كلا ما كنت لأسجد لبشر كيف أوحده ثم ألفت إلى غيره ولكنك أنت يا موسى سألت رؤيته ثم نظرت إلى الجبل فأنا أصدق منك في التوحيد. [صفحة ١٠٨] و كان هذا النمط في كلامه ينفق على أهل بغداد وصار له بينهم صيت مشهور واسم كبير وحكى عنه أبو الفرج بن الجوزى فى التاريخ أنه قال على المنبر معاشر الناس إنى كنت دائما أدعوكم إلى الله و أنا اليوم أحذركم منه و الله ما شدت الزناير إلا فى حبه و لأدیت الجزية إلا فى عشقه . و قال أيضا إن رجلا يهوديا أدخل عليه ليسلم على يده فقال له لا تسلم فقال له الناس كيف تمنعه من الإسلام فقال احملوه إلى أبى حامد يعنى أخاه ليعلمه لا لا المنافقين ثم قال ويحكم أظنون أن قوله لا إله إلا الله منشور ولايته ذا منشور عزله و هذانوع تعرفه الصوفية بالغلو والشطح . و يروى عن أبى يزيد البسطامى منه كثير. ومما يتعلق بما نحن فيه مارووه عنه من قوله فمن آدم فى البين || و من إبليس لولا كما فتنت الكل والكل || مع الفتنة يهواكا . ويقال أول من قاس إبليس فأخطأ فى القياس وهلك بخطئه ويقال إن أول حمية وعصية ظهرت عصية إبليس وحميته

اختلاف الأقوال فى خلق الجنة والنار

فإن قيل فما قول شيوخكم فى الجنة والنار فإن المشهور عنهم أنهما لم يخلقا وسيخلقان [صفحة ١٠٩] عند قيام الأجسام و قد دل القرآن العزيز ونطق كلام أمير المؤمنين ع فى هذا الفصل بأن آدم كان فى الجنة وأخرج منها. قيل قد اختلف شيوخنا رحمهم الله فى هذه المسألة فمن ذهب منهم إلى أنهما غير مخلوقين الآن يقول قد ثبت بدليل السمع أن سائر الأجسام تعدم و لا يبقى فى الوجود إلا ذات الله تعالى بدليل قوله كَمَلَّ شَيْءٌ هَالِكًا إِلَّا وَجْهَهُ وَقوله هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ فلما كان أولا بمعنى أنه لا جسم فى الوجود معه فى الأزل و جب أن يكون آخرًا بمعنى أنه لا يبقى فى الوجود جسم من الأجسام معه فيما لا يزال وبآيات كثيرة أخرى و إذا كان لا بد من عدم سائر الأجسام لم يكن فى خلق الجنة والنار قبل أوقات الجزاء فائدة لأنه لا بد أن يفنيهما مع الأجسام التى تفنى يوم القيامة فلا يبقى مع خلقهما من قبل معنى ويحملون الآيات التى دلت على كون آدم ع كان فى الجنة وأخرج منها على بستان من بساتين الدنيا قالوا والهبوط لا يدل على كونهما فى السماء لجواز أن يكون فى الأرض إلا أنهما فى موضع مرتفع عن سائر الأرض . و أما غير هؤلاء من شيوخنا فقالوا إنهما مخلوقتان الآن واعترفوا بأن آدم كان فى جنة الجزاء والثواب وقالوا لا يبعد أن يكون فى إخبار المكلفين بوجود الجنة والنار لطف لهم فى التكليف وإنما يحسن الإخبار بذلك إذا كان صدقا وإنما يكون صدقا إذا كان خبره على ما هو عليه - قرآن - ٣٢٠ - ٣٥٠ - قرآن - ٣٥٩ - ٣٨٢

القول فى آدم والملائكة أيهما أفضل

فإن قيل فما الذى يقوله شيوخكم فى آدم والملائكة أيهما أفضل. قيل لا خلاف بين شيوخنا رحمهم الله أن الملائكة أفضل من آدم و من جميع الأنبياء [صفحة ١١٠] ع و لو لم يدل على ذلك إلا قوله تعالى فى هذه القصة إَلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ لَكَفى . و قد احتج أصحابنا أيضا بقوله تعالى لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَ لَأَ الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَ هذا

كما تقول لا يستنكف الوزير أن يعظمى ويرفع من منزلتي ولا الملك أيضا فإن هذا يقتضى كون الملك أرفع منزله من الوزير وكذلك قوله و لما الملائكة المقرَّبون يقتضى كونهم أرفع منزله من عيسى . ومما احتجوا به قولهم إنه تعالى لم يذكر جبريل ومحمد ع في معرض المدح مدح جبريل ع بأعظم مما مدح به محمد ع فقال إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين وما صاحبكم بمجنون ولقد رآه بالأفق المبين وما هو على الغيب بضئيفالمدح الأول لجبريل والثاني لمحمد ع ولا يخفى تفاوت ما بين المدحين . فإن قيل فهل كان إبليس من الملائكة أم من نوع آخر قيل قد اختلف في ذلك فمن قال إنه من الملائكة احتج بالاستثناء في قوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس وقال إن الاستثناء من غير الجنس خلاف الأصل ومن قال إنه لم يكن منهم احتج بقوله تعالى إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه . وأجاب الأولون عن هذا فقالوا إن الملائكة يطلق عليهم لفظ الجن لاجتنانهم واستتارهم عن الأعين وقالوا قد ورد ذلك في القرآن أيضا في قوله تعالى وجعلوا بينه - قرآن - ٥٨ - ١١٣ - قرآن - ١٥٧ - ٢٤٠ - قرآن - ٣٨٠ - ٤١٢ - قرآن - ٥٧٠ - ٧٥٦ - قرآن - ٩٦٠ - ١٠١٤ - قرآن - ١١١١ - ١١٦٧ - قرآن - ١٣١٨ - ١٣٣٦ ع ولو لم يدل على ذلك إلا قوله تعالى في هذه القصة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين لكفى . وقد احتج أصحابنا أيضا بقوله تعالى لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقرَّبون وهذا كما تقول لا يستنكف الوزير أن يعظمى ويرفع من منزلتي ولا الملك أيضا فإن هذا يقتضى كون الملك أرفع منزله من الوزير وكذلك قوله ولا الملائكة المقرَّبون يقتضى كونهم أرفع منزله من عيسى . ومما احتجوا به قولهم إنه تعالى لم يذكر جبريل ومحمد ع في معرض المدح مدح جبريل ع بأعظم مما مدح به محمد ع فقال إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين وما صاحبكم بمجنون ولقد رآه بالأفق المبين وما هو على الغيب بضئيفالمدح الأول لجبريل والثاني لمحمد ع ولا يخفى تفاوت ما بين المدحين . فإن قيل فهل كان إبليس من الملائكة أم من نوع آخر قيل قد اختلف في ذلك فمن قال إنه من الملائكة احتج بالاستثناء في قوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس وقال إن الاستثناء من غير الجنس خلاف الأصل ومن قال إنه لم يكن منهم احتج بقوله تعالى إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه . وأجاب الأولون عن هذا فقالوا إن الملائكة يطلق عليهم لفظ الجن لاجتنانهم واستتارهم عن الأعين وقالوا قد ورد ذلك في القرآن أيضا في قوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسيبا والجنة هاهنا هم الملائكة لأنهم قالوا إن الملائكة بنات الله بدليل قوله أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا وكتب التفسير تشتمل من هذا على ما لا نرى الإطالة بذكره - قرآن - ١ - ٢٦ - قرآن - ١٠٢ - ١٧١ . فأما القطب الراوندى فقال في هذين الفصلين في تفسير ألفاظهما اللغوية العذب من الأرض ما ينبت والسبخ ما لا ينبت وهذا غير صحيح لأن السبخ ينبت النخل فيلزم أن يكون عذبا على تفسيره . وقال فجبل منها صورة أى خلق خلقا عظيما ولفظة جبل في اللغة تدل على خلق سواء كان المخلوق عظيما أو غير عظيم . وقال الوصول جمع وصل وهو العضو وكل شىء اتصل بشىء فما بينهما وصله والفصول جمع فصل وهو الشىء المنفصل وما عرفنا فى كتب اللغة أن الوصل هو العضو ولا قيل هذا . وقوله بعد ذلك وكل شىء اتصل بشىء فما بينهما وصله لا معنى لذكره بعد ذلك التفسير والصحيح أن مراده ع أظهر من أن يتكلف له هذا التكلف ومراده ع أن تلك الصورة ذات أعضاء متصلة كعظم الساق أو عظم الساعد وذات أعضاء منفصلة فى الحقيقة وإن كانت متصلة بروابط خارجة عن ذواتها كاتصال الساعد بالمرفق واتصال الساق بالخذ . ثم قال يقال استخدمته لنفسى ولغيرى واخدمته لنفسى خاصة وهذا ما لم أعرفه ولعله نقله من كتاب . [صفحہ ١١٢] ثم قال والإذعان الانقياد والخضوع وإنما كرر الخضوع بعد الإذعان لأن الأول يفيد أنهم أمروا بالخضوع له فى السجود والثانى يفيد ثباتهم على الخضوع لتكرمه أبدا . ولقائل أن يقول إنه لم يكرر لفظه الخضوع وإنما ذكر أولا الإذعان وهو الانقياد والطاعة ومعناه أنهم سجدوا ثم ذكر الخضوع الذى معناه الخضوع وهو يعطى معنى غير المعنى الأول لأنه ليس كل ساجد خاضعا بقلبه فقد يكون ساجدا بظاهره دون باطنه وقول الراوندى أفاد بالثانى ثباتهم على

الخضوع له لتكرمه أبدا تفسير لا يدل عليه اللفظ و لا معنى الكلام . ثم قال قبيل إبليس نسله قال تعالى إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ وَ كُل جيل من الإنس والجن قبيل والصحيح أن قبيله نوعه كما أن البشر قبيل كل بشرى سواء كانوا من ولده أو لم يكونوا و قد قيل أيضا كل جماعة قبيل و إن اختلفوا نحو أن يكون بعضهم روما وبعضهم زنجا وبعضهم عربا و قوله تعالى إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ لا يدل على أنهم نسله . و قوله بعد و كل جيل من الإنس والجن قبيل ينقض دعواه أن قبيله لا- يكون إلا نسله . ثم تكلم فى المعانى فقال إن القياس الذى قاسه إبليس كان باطلا لأنه ادعى أن النار أشرف من الأرض والأمر بالعكس لأن كل ما يدخل إلى النار ينقص و كل ما يدخل التراب يزيد و هذا عجيب فإننا نرى الحيوانات الميتة إذا دفنت فى الأرض تنقص أجسامها وكذلك الأشجار المدفونة فى الأرض على أن التحقيق أن المحترق بالنار والبالى بالتراب لم تعدم أجزاؤه و لا بعضها وإنما استحالت إلى صور أخرى . -قرآن- ٥٧٠-٦٠١-قرآن- ٨٢٩-٨٦٠ [صفحة ١١٣] ثم قال و لما علمنا أن تقديم المفضل على الفاضل قبيح علمنا أن آدم كان أفضل من الملائكة فى ذلك الوقت وفيما بعده . ولقائل أن يقول أليس قد سجد يعقوب ليوסף ع أفيدل ذلك على أن يوسف أفضل من يعقوب و لا يقال إن قوله تعالى وَ رَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَ خَرُّوا لَهُ سُجَّدًا لا يدل على سجود الوالدين فلعل الضمير يرجع إلى الإخوة خاصة لأننا نقول هذا الاحتمال مدفوع بقوله وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ رَأَيْتَهُمْ لى ساجدين و هو كناية عن الوالدين . وأيضا قد بينا أن السجود إنما كان لله سبحانه و أن آدم كان قبله والقبلة لا تكون أفضل من الساجد إليها ألا ترى أن الكعبة ليست أفضل من النبي ع -قرآن- ٢٣٩-٢٩٤-قرآن- ٣٩٤-٤٤٠ وَ اصْطَفَىٰ سُبْحَانَہٗ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ وَ عَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ فَجَهِلُوا حَقَّهُ وَ اتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ وَ اجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ وَ اقْتَطَعَتْهُمُ عَنْ عِبَادَتِهِ فَبَعَثَ فِيهِمْ رَسُولَهُ وَ وَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ لِيَسْتَأْذِنُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ وَ يُذَكِّرُوهُمْ مَنْسَىٰ نِعْمَتِهِ وَ يَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ وَ يُشِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ وَ يُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ مِنْ سَقْفِ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ وَ مِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ وَ مَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ وَ آجَالَ تُفْنِيهِمْ وَ أَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ وَ أَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ وَ لَمْ يُخَلِّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ [صفحة ١١٤] أَوْ مَحْجَةٍ قَائِمَةٍ رُسُلٌ لَّا تُقْضَىٰ بِهِمْ قَلْبُهُ عَدَدِهِمْ وَ لَّا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ مِنْ سَابِقِ سَمِيِّ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ أَوْ غَابِرِ عَرَفِهِ مَنْ قَبْلَهُ اجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ أَدَارَتَهُمْ تَقُولُ اجْتَالَ فُلَانٌ فُلَانًا وَ اجْتَالَهٗ عَنْ كَذَا وَ عَلَى كَذَا أَى أداره عليه كأنه يصرفه تارة هكذا وتارة هكذا يحسن له فعله ويغريه به . و قال الراوندى اجتالتهم عدلت بهم و ليس بشيء . و قوله ع و اتر إليهم أنبياءه أى بعثهم و بين كل نبيين فترة و هذا ما تغلط فيه العامة فتظنه كما ظن الراوندى أن المراد به المرادفة والمتابعة والأوصاب الأمراض والغابر الباقي . و يسأل فى هذا الفصل عن أشياء منها عن قوله ع أخذ على الوحي ميثاقهم . والجواب أن المراد أخذ على أداء الوحي ميثاقهم و ذلك أن كل رسول أرسل فمأخوذ عليه أداء الرسالة كقوله تعالى يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ . ومنها أن يقال ما معنى قوله ع ليستأذوهم ميثاق فطرته هل هذا -قرآن- ٥٧٢-٦٦٩ [صفحة ١١٥] إشارة إلى ما يقوله أهل الحديث فى تفسير قوله تعالى وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بلى . والجواب أنه لا حاجة فى تفسير هذه اللفظة إلى تصحيح ذلك الخبر ومراده ع بهذا اللفظ أنه لما كانت المعرفة به تعالى وأدلة التوحيد والعدل مركوزة فى العقول أرسل سبحانه الأنبياء أوبعضهم ليؤكدوا ذلك المركوز فى العقول و هذه هى الفطرة المشار إليها -قرآن- ٥٤-١٧٨ بقوله ع كل مولود يولد يولد على الفطرة -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-٣٨ . ومنها أن يقال إلى ماذا يشير بقوله أوحجة لازمة هل هو إشارة إلى ما يقوله الإمامية من أنه لا بد فى كل زمان من وجود إمام معصوم . الجواب أنهم يفسرون هذه اللفظة بذلك ويمكن أن يكون المراد بها حجة العقل . و أما القطب الراوندى فقال فى قوله ع واصطفى سبحانه من ولده أنبياء الولد يقال على الواحد والجمع لأنه مصدر فى الأصل و ليس بصحيح لأن الماضى فعل بالفتح والمفتوح لا يأتى مصدره بالفتح ولكن فعلا مصدر فعل بالكسر كقولك ولهت عليه ولها ووحمت المرأة وحما . ثم قال إن الله تعالى بعث يونس قبل نوح

و هذا خلاف إجماع المفسرين وأصحاب السير. ثم قال و كل واحد من الرسل والأئمة كان يقوم بالأمر ولا يردعه عن ذلك قلة عدد أوليائه ولا كثرة عدد أعدائه فيقال له هذا خلاف قولك في الأئمة المعصومين فإنك تجيز عليهم التقيء وترك القيام بالأمر إذا كثرت أعداؤهم . و قال في تفسير قوله ع من سابق سمي له من بعده أو غابر عرفه [صفحة ١١٦] من قبله كان من أطفاف الأنبياء المتقدمين وأوصيائهم أن يعرفوا الأنبياء المتأخرين وأوصياءهم فعرفهم الله تعالى ذلك و كان من اللطف بالمتأخرين وأوصيائهم أن يعرفوا أحوال المتقدمين من الأنبياء والأوصياء فعرفهم الله تعالى ذلك أيضا فتم اللطف لجميعهم . ولقائل أن يقول لو كان ع قال أو غابر عرف من قبله لكان هذا التفسير مطابقا ولكنه ع لم يقل ذلك وإنما قال عرفه من قبله وليس هذا التفسير مطابقا لقوله عرفه والصحيح أن المراد به من نبي سابق عرف من يأتي بعده من الأنبياء أى عرفه الله تعالى ذلك أونبي غابر نص عليه من قبله وبشر به كبشارة الأنبياء بمحمد ع على ذلك نسلت القرون و مصت الدهور و سلفت الآباء و خلفت الأبناء إلى أن بعث الله سبحانه محمدا ص لإناز عديته و إتمام نبوته مأخوذاً على النبيين ميثاقه مشهورة سماته كريماً ميلاده و أهل الأرض يومئذ ملل متفرقة و أهواء متشعبة و طرائق متشعبة بين مشبه لله بخلقه أو ملحد في اسمه أو مشير إلى غيره فهداهم به من الضلالة و أنقذهم بمكانه من الجهالة ثم اختار سبحانه لمحمد ص لقاءه و رضي له ما عنده و أكرمه عن دار الدنيا و رغب به عن مقام البلوى فقبضه إليه كريماً و خلف فيكم ما خلفت الأنبياء في أممها إذ لم يتركوهم هملاً بغير طريق واضح [صفحة ١١٧] و لا علم قوائم كتاب ربكم مبيناً حلاله و حرامه و فرائضه و فضائله و ناسخه و منسوخه و رخصه و عزائمه و خاصه و عامه و عبره و أمثاله و مرسله و محدوده و محكمه و متشابهه مفسراً جملة و مبيناً عوامضه بين مأخوذ ميثاق علمه و موسع على العباد في جهله و بين مثبت في الكتاب فرضه و معلوم في السنة نسخته و واجب في السنة أخذه و مخصص في الكتاب تركه و بين واجب لوقته و زائل في مستقبله و مبين بين محارمه من كبير أو عدي عليه نيرانه أو صغير أرضه له غفرانه و بين مقبول في أدناه و موسع في أقصاه قوله ع نسلت القرون ولدت والهاء في قوله لإنجاز عديته راجعة إلى البارئ سبحانه والهاء في قوله وإتمام نبوته راجعة إلى محمد ص و قوله مأخوذ على النبيين ميثاقه قيل لم يكن نبي قط إلا وبشر بمبعث محمد ص وأخذ عليه تعظيمه و إن كان بعد لم يوجد. فأما قوله و أهل الأرض يومئذ ملل متفرقة فإن العلماء يذكرون أن النبي ص بعث و الناس أصناف شتى في أديانهم يهود و نصارى و مجوس و صائبون و عبدة أصنام و فلاسفة و زنادقة.

القول في أديان العرب في الجاهلية

فأما الأمة التي بعث محمد ص فيها فهم العرب و كانوا أصنافاً شتى [صفحة ١١٨] فمنهم معطلة و منهم غير معطلة فأما المعطلة منهم فبعضهم أنكر الخالق والبعث والإعادة وقالوا ما قال القرآن العزيز عنهم ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت و نحيا و ما يهلكنا إلا الدهر فجعلوا الجامع لهم الطبع والمهلك لهم الدهر وبعضهم اعترف بالخالق سبحانه وأنكر البعث وهم الذين أخبر سبحانه عنهم بقوله قال من يحيى العظام و هي رميم و منهم من أقر بالخالق ونوع من الإعادة وأنكروا الرسل و عبدوا الأصنام وزعموا أنها شفعاء عند الله في الآخرة و حجوا لها و نحروا لها الهدى و قربوا لها قربان و حللوا و حرموا وهم جمهور العرب وهم الذين قال الله تعالى عنهم و قالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام و يمشي في الأسواق. فمن نطق شعره بإنكار البعث بعضهم يرثى قتلى بدر - قرآن - ١٢٢-٢٠٠-قرآن - ٣٣٠-٣٧٠-قرآن - ٥٩٥-٦٦٥ فما ذا بالقلب قلب بدر || من الفتیان والقوم الكرام و ماذا بالقلب قلب بدر || من الشيزى تكلم بالسنام أخبرنا ابن كبشة أن سنحيا || وكيف حياة أصداء وهام إذا مال الرأس زال بمنكبيه || فقد شبع الأنيس من الطعام أيقنتلى إذا ما كنت حيا || ويحيني إذ رمت عظامى . [صفحة ١١٩] و كان من العرب من يعتقد التناسخ و تنقل

الأرواح فى الأجساد و من هؤلاء أرباب الهامة التى قال ع عنهم لاعدوى و لاهامة و لاصفر -روايت- ١-٢-روايت- ١٦-٤٢ و قال ذو الإصبع ياعمر و الإتدع شتمى و منقصتى || أضر بك حيث تقول الهامة اسقونى . وقالوا إن لىلى الأخلية لما سلمت على قبر توبة بن الحمير خرج إليها هامة من القبر صائحة أفزعت ناقتها فوققت بها فماتت و كان ذلك تصديق قوله و لو أن لىلى الأخلية سلمت || على و دونى جندل و صفائح سلمت تسليم البشاشة أوزقا || إليها صدى من جانب القبر صائح . و كان توبة و لىلى فى أيام بنى أمية . و كانوا فى عبادة الأصنام مختلفين فمنهم من يجعلها مشاركة للبارئ تعالى و يطلق عليها لفظة الشريك و من ذلك قولهم فى التلبية لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه و مملكه و منهم من لا يطلق عليها لفظ الشريك و يجعلها وسائل و ذرائع إلى الخالق سبحانه و هم الذين قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى . و كان فى العرب مشبهة و مجسمة منهم أمية بن أبى الصلت و هو القائل -قرآن- ٣٢٦-٣٧٧ من فوق عرش جالس قدحط || رجليه إلى كرسيه المنسوب . و كان جمهورهم عبدة الأصنام فكان و د لك لب بدومة الجندل و سواع لهذيل [صفحة ١٢٠] و نسر لحمير و يغوث لهمدان و اللات لثقيف بالطائف و العزى لكنانة و قريش و بعض بنى سليم و مناة لغسان و الأوس و الخزرج و كان هبل لقريش خاصة على ظهر الكعبة و أساف و نائلة على الصفا و المروة و كان فى العرب من يميل إلى اليهودية منهم جماعة من التابعة و ملوك اليمن و منهم نصارى كبنى تغلب و العباديين رهط عدى بن زيد و نصارى نجران و منهم من كان يميل إلى الصابئة و يقول بالنجوم و الأنواء . فأما الذين ليسوا بمعطلة من العرب فالقليل منهم و هم المتألهون أصحاب الورع و التخرج عن القبائح كعبد الله و عبدالمطلب و ابنه أبى طالب و زيد بن عمرو بن نفيل و قس بن ساعدة الإيادى و عامر بن الظرب العدوانى و جماعة غير هؤلاء . و غرضنا من هذا الفصل بيان قوله ع بين مشبهه لله بخلقه أو ملحد فى اسمه إلى غير ذلك و قد ظهر بما شرحناه . ثم ذكر ع أن محمداً ص خلف فى الأمة بعده كتاب الله تعالى طريقاً واضحاً و علماً قائماً و العلم المنار يهتدى به . ثم قسم ما بينه ع فى الكتاب أقساماً فمنها حلاله و حرامه فالحلال كالنكاح و الحرام كالزنا . و منها فضائله و فرائضه فالفضائل النوافل أى هى فضلة غير واجبة كركعتى الصبح و غيرهما و الفرائض كفريضة الصبح . و قال الراوندى الفضائل هاهنا جمع فضيلة و هى الدرجة الرفيعة و ليس بصحيح ألاتراه كيف جعل الفرائض فى مقابلتها و قسيماً لها فدل ذلك على أنه أراد النوافل . [صفحة ١٢١] و منها ناسخه و منسوخه فالناسخ كقوله فأقتلوا المشركين و المنسوخ كقوله لا إكراه فى الدين . و منها رخصه و عزائمه فالرخص كقوله تعالى فمن اضطر فى مَخَصَصَةٍ و العزائم كقوله فأعلم أنه لا إله إلا الله . و منها خاصه و عامه فالخاص كقوله تعالى و امرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للتي و العام كالألفاظ الدالة على الأحكام العامة لسائر المكلفين كقوله و أقيموا الصلاة و يمكن أن يراد بالخاص العمومات التى يراد بها الخصوص كقوله و أوتيت من كل شىء و بالعام ما ليس مخصوصاً بل هو على عمومه كقوله تعالى و الله بكل شىء عليم . و منها عبره و أمثاله فالعبر كقصة أصحاب الفيل و كالأيات التى تتضمن النكال و العذاب النازل بأمم الأنبياء من قبل و الأمثال كقوله كمثل الذى استوقد ناراً . و منها مرسله و محدوده و هو عبارة عن المطلق و المقيد وسمى المقيد محدوداً و هى لفظة فصيحة جدا كقوله تحرير رقبته و قال فى موضع آخر و تحرير رقبته مؤمنة و منها محكمه و متشابهه فمحكمه كقوله تعالى قل هو الله أحد و المتشابه كقوله إلى ربها ناظرة . ثم قسم ع الكتاب قسمة ثانياً فقال إن منه ما لا يسع أحدا جهله -قرآن- ٣٩-٦١-قرآن- ٧٩-١٠٠-قرآن- ١٤٥-١٧١-قرآن- ١٨٩-٢٢٤-قرآن- ٢٦٧-٣١٨-قرآن- ٣٨٦-٤٠٦-قرآن- ٤٦٩-٤٩٤-قرآن- ٥٥٠-٥٧٩-قرآن- ٧١٦-٧٤٦-قرآن- ٨٤٦-٨٦٢-قرآن- ٨٨٣-٩١٢-قرآن- ٩٥٨-٩٧٩-قرآن- ٩٩٨-١٠١٧ [صفحة ١٢٢] و منه ما يسع الناس جهله مثال الأول قوله الله لا إله إلا هو الحى القيوم و مثال الثانى كهيعص حم عسق . ثم قال و منه ما حكمه مذکور فى الكتاب منسوخ بالسنة و ما حكمه مذکور فى السنة منسوخ بالكتاب مثال الأول قوله تعالى فأمسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت منسوخ بما سنه ع من رجم الزانى المحصن و مثال الثانى صوم يوم عاشوراء كان واجباً بالسنة ثم نسخه صوم شهر رمضان الواجب بنص الكتاب . ثم قال و بين واجب بوقته و زائل فى

مستقبله يريد الواجبات الموقته كصلاة الجمعة فإنها تجب في وقت مخصوص ويسقط وجوبها في مستقبل ذلك الوقت . ثم قال ع ومباين بين محارمه الواجب أن يكون ومباين بالرفع لبالجر فإنه ليس معطوفا على ما قبله ألا ترى أن جميع ما قبله يستدعى الشيء وضده أو الشيء ونقيضه وقوله ومباين بين محارمه لانقيض ولاضد له لأنه ليس القرآن العزيز على قسمين أحدهما مباين بين محارمه والآخر غير مباين فإن ذلك لا يجوز فوجب رفع مباين وأن يكون خبر مبتدأ محذوف ثم فسر مامعنى المباينة بين محارمه فقال إن محارمه تنقسم إلى كبيرة وصغيرة فالكبيرة أوعد سبحانه عليها بالعقاب والصغيرة مغفورة وهذا نص مذهب المعتزلة في الوعيد. ثم عدل ع عن تقسيم المحارم المتباينة ورجع إلى تقسيم الكتاب فقال وبين مقبول في أدناه وموسع في أقصاه كقوله فأقرؤا ما تيسر منه. فإن القليل من القرآن مقبول والكثير منه موسع مرخص في تركه -قرآن- ٤٦-٨٩-قرآن- ١٠٥-١١٠-قرآن- ١١١-١١٨-قرآن- ٢٤٢-٢٩٧-قرآن- ١٢١٨-١٢٤٤ [صفحہ ١٢٣] وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَيْجَ بَيْتِهِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنْبِيَاءِ يَرُدُّونَهُ وَرُودَ الْأَنْعَامِ وَيَوْلَهُونَ إِلَيْهِ وَلَهُ الْحَمَامُ وَجَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلَامَةً لِّتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ وَإِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ وَاخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سَمَاعاً أَحِبَّأَبَاؤَ إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ وَتَشَبَّهُوا بِمَلَأَيْكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ يُحَرِّزُونَ الْأَرْيَاحَ فِي مَتَجْرِ عِبَادَتِهِ وَيَتَبَادَرُونَ عِنْدَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْإِسْلَامِ عِلْماً وَ لِلْعَائِدِينَ حَرَمًا وَفَرَضَ حَقَّهُ وَ أَوْجَبَ حَجَّهُ وَ كَتَبَ عَلَيْهِ وَفَادَتَهُ فَقَالَ سُبْحَانَهُو لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حَيْجُ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ -قرآن- ٦٥٨-٧٧٧

الوله شدة الوجد حتى يكاد العقل يذهب وله الرجل يوله ولها و من روى يألهون إليه ولوه الحمام فسر به شىء آخر و هو يعكفون عليه عكوف الحمام وأصل أله عبد و منه الإله أى المعبود و لما كان العكوف على الشىء كالعبادة له لملازمته والانقطاع إليه قيل أله فلان إلى كذا أى عكف عليه كأنه يعبد و لا يجوز أن يقال يألهون إليه فى هذا الموضع بمعنى يولهون و أن أصل الهمزة الواو كما فسره الراوندى لأن فعولا لا يجوز أن يكون مصدرا من فعلت بالكسر و لو كان يألهون هو يولهون كان أصله أله بالكسر فلم يجز أن يقول ولوه الحمام و أما على ما فسره نحن فلا يمتنع أن يكون الولوه مصدرا لأن أله مفتوح فصار كقولك دخل دخولا و باقى الفصل غنى عن التفسير [صفحہ ١٢٤]

فصل فى فضل البيت والكعبة

جاء فى الخبر الصحيح أن فى السماء بيتا يطوف به الملائكة طواف البشر بهذا البيت اسمه الضراح و أن هذا البيت تحته على خط مستقيم و أنه المراد بقوله تعالى وَ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ أقسم سبحانه به لشرفه ومنزلته عنده -قرآن- ١٦٠-١٨٠ و فى الحديث أن آدم لما قضى مناسكه وطاف بالبيت لقيته الملائكة فقالت يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام -رواية- ١-٤-رواية- ١٦-١٢٣ قال مجاهد إن الحاج إذا قدموا مكة استقبلتهم الملائكة فسلموا على ركبنا الإبل وصافحوا ركبنا الحمير واعتنقوا المشاة اعتناقاً. من سنة السلف أن يستقبلوا الحاج ويقبلوا بين أعينهم ويسألوهم الدعاء لهم ويبادروا ذلك قبل أن يتدنسوا بالذنوب والآثام . و فى الحديث أن الله تعالى قد وعد هذا البيت أن يحجه فى كل سنة ستمائة ألف فإن نقصوا أتهمهم الله بالملائكة و أن الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة و كل من حجها متعلق بأستارها يسعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها -رواية- ١-٤-رواية- ١٦-٢٢٢ و فى الحديث أن من الذنوب ذنوبا لا يكفرها إلا الوقوف بعرفة و فيه أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله لا يغفر له -رواية- ١-٤-رواية- ١٦-١٢٧. عمر بن ذر الهمداني لما قضى مناسكه أسند ظهره إلى الكعبة و قال مودعا للبيت مازلنا نحل إليك عروة ونشد إليك أخرى ونصعد لك أكمة ونهبط أخرى وتخفصنا أرض وترفعنا أخرى حتى أتيناك فليت شعري بم يكون منصرفنا أبذنب مغفور فأعظم بها من نعمه أم بعمل مردود فأعظم بها من مصيبه فيا من له خرجنا و إليه [صفحہ

[١٢٥] قصدنا وبحرمه أنخنا ارحم يامعطى الوفد بفنائك فقد أتيناك بهامعراء جلودها ذابله أسنمتها نقبه أخفافها و إن أعظم الرزية أن نرجع وقد اكتفتنا الخيبة ألهم و إن للزائرین حقا فاجعل حقنا عليك غفران ذنوبنا فإنك جواد كريم ماجد لا ينقصك نائل ولا يبخلك سائل . ابن جريج ماظنت أن الله ينفع أحدا بشعر عمر بن أبي ربيعة حتى كنت باليمن فسمعت منشدا ينشد قوله بالله قولاً له في غير معتبة || ماذا أردت بطول المكث في اليمن إن كنت حاولت دنيا أو ظفرت بها || فما أخذت بترك الحج من ثمن . فحركني ذلك على ترك اليمن والخروج إلى مكة فخرجت فحججت . سمع أبو حازم امرأة حاجه ترفث في كلامها فقال يا أمه الله ألسنت حاجه أ لا تتقين الله فسفرت عن وجه صبيح ثم قالت له أنا من اللواتي قال فيهن العرجي أماطت كساء الخز عن حر وجهها || وردت على الخدين بردا مهلهلا من اللاء لم يحججن بيغين حسبه || ولكن ليقتلن البريء المغفلا . فقال أبو حازم فأنا أسأل الله ألا يعذب هذا الوجه بالنار فبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال رحم الله أباحازم لو كان من عباد العراق لقال لها اعزبي يا عدوة الله ولكنه ظرف نساك الحجاز [صفحہ ١٢٦]

فصل في الكلام على السج

واعلم أن قوما من أرباب علم البيان عابوا السج وأدخلوا خطب أمير المؤمنين ع في جملة ما عابوه لأنه يقصد فيها السج وقالوا إن الخطب الخالية من السج والقرائن والفواصل هي خطب العرب وهي المستحسنة الخالية من التكلف كخطبة النبي ص في حجة الوداع وهي الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له و من يضلله الله فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أو صيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم على العمل بطاعته وأستفتح الله بالذي هو خير أما بعد أيها الناس اسمعوا مني أبين لكم فإني لا أدري لعلى لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمه يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا أهل بلغت ألهم اشهد من كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها و إن ربا الجاهلية موضوع وأول ربا أبدأ به ربا العباس بن عبدالمطلب و إن دماء الجاهلية موضوعه وأول دم أبدأ به دم آدم بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب و إن مآثر الجاهلية موضوعه غير -روایت- ١-٢-روایت- ٣٨-١-داده دارد [صفحہ ١٢٧] السدانة والسقاية والعمد قود وشبه العمد ماقتل بالعصا والحجر فيه مائة بعير فمن ازداد فهو من الجاهلية أيها الناس إن الشيطان قديس أن يعبد بأرضكم هذه ولكنه قدرضى أن يطاع فيما سوى ذلك فيما تحتقرون من أعمالكم أيها الناس إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلون عاماً ويحرمونه عاماً و إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض و إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ثلاثة متواليات وواحد فرد ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان ألا هل بلغت أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقا ولكم عليهن حقا فعليهن ألا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن بيوتكم أحدا تکرهونه إلا بإذنكم ولا يأتين بفاحشة فإن فعلن فقد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن فإن انتهين وأطعنكم فعليكم كسوتهن ورزقهن بالمعروف فإنما النساء عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيرا -روایت- ١-٢-از قبل -٢-داده دارد [صفحہ ١٢٨] أيها الناس إنما المؤمنون إخوة ولا يحل لامرئ مال أخيه إلا على طيب نفس ألا هل بلغت ألهم اشهد ألا لاترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا كتاب الله ربكم ألا هل بلغت ألهم اشهد أيها الناس إن ربكم واحد و إن أباكم واحد كلکم لآدم وآدم من تراب إن أكرمكم عند الله أتقاكم و ليس لعربي

على عجمي فضل إلا بالتقوى ألا فليبلغ الشاهد الغائب أيها الناس إن الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ولا تجوز وصية في أكثر من الثلث والولد للفراش وللعاهر الحجر من ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فهو ملعون لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا والسلام عليكم ورحمة الله عليكم -رواية- از قبل- ٦٤٣ . واعلم أن السجع لو كان عيبا لكان كلام الله سبحانه معيبا لأنه مسجوع كله ذو فواصل وقرائن ويكفي هذا القدر وحده مبطلا لمذهب هؤلاء فأما خطبة رسول الله ص هذه فإنها وإن لم تكن ذات سجع فإن أكثر خطبه مسجوع كقوله إن مع العز ذلا وإن مع الحياة موتا وإن مع الدنيا آخرة وإن لكل شىء حسابا ولكل حسنة ثوابا ولكل سيئة عقابا وإن على كل شىء رقيبا وإنه لا بد لك من قرين يدفن معك هوى و أنت ميت فإن كان كريما أكرمك وإن كان لثيما أسلمك ثم لا يحشر إلا معك ولا تبعث إلا معه ولا تسأل إلا عنه فلا تجعله إلا صالحا فإنه إن صلح أنست به وإن فسد لم تستوحش إلا منه وهو عملك -رواية- ١-٢-رواية- ٩-٣٨٠ . فأكثر هذا الكلام مسجوع كما تراه وكذلك خطبه الطوال كلها وأما كلامه [صفحته ١٢٩] القصير فإنه غير مسجوع لأنه لا يحتمل السجع وكذلك القصير من كلام أمير المؤمنين ع . فأما قولهم إن السجع يدل على التكلف فإن المذموم هو التكلف الذي تظهر سماجته وثقله للسامعين فأما التكلف المستحسن فأى عيب فيه ألاترى أن الشعر نفسه لا بد فيه من تكلف إقامة الوزن وليس لطاعن أن يطعن فيه بذلك . واحتج عائبو السجع بقوله ع لبعضهم منكرا عليه أسجعا كسجع الكهان ولو لا أن السجع منكر لما أنكر ع سجع الكهان وأمثاله فيقال لهم إنما أنكر ع السجع الذي يسجع الكهان أمثاله لا السجع على الإطلاق وصورة الواقعة أنه ع أمر فى الجنين بغرة فقال قائل أأدى من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل ومثل هذا يطل فأنكر ع ذلك لأن الكهان كانوا يحكمون فى الجاهلية بألفاظ مسجوعة كقولهم حبة بر فى إحلل مهر وقولهم عبد المسيح على جمل مشيح لرؤيا الموبذان وارتجاس الإيوان ونحو ذلك من كلامهم وكان ع قد أبطل الكهانة والتنجيم والسحر ونهى عنها فلما سمع كلام ذلك القائل أعاد الإنكار ومراده به تأكيد تحريم العمل على أقوال الكهنة ولو كان ع قد أنكر السجع لماقاله وقد بينا أن كثيرا من كلامه مسجوع وذكرنا خطبته . و من كلامه ع المسجوع خبر ابن مسعود رحمه الله تعالى قال قال رسول الله ص استحيوا من الله حق الحياء فقلنا إنا لنستحيى يا رسول الله من الله تعالى فقال ليس ذلك ما أمرتكم به وإنما الاستحياء من الله أن تحفظ الرأس -رواية- ١-٢-رواية- ٦٠-٦٠-ادامه دارد [صفحته ١٣٠] و ماوعى والبطن و ما حوى وتذكر الموت والبلى و من أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا -رواية- از قبل- ٩١-٩١ كلامه المشهور لما قدم المدينة ع أول قدومه إليها أيها الناس أفسوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام -رواية- ١-٢-رواية- ٥٣-١٥٧ وعوذ الحسن ع فقال أعينك من الهامة والسامة وكل عين لامة -رواية- ١-٦٢-٦٢ وإنما أراد ملامة فقال لامة لأجل السجع . وكذلك قوله أرجعن مأزورات غير مأجورات -رواية- ١-٢-رواية- ٩-٣٧ وإنما هو موزورات بالواو [صفحته ١٣١]

٢- و من خطبة له ع بعد انصرافه من صفين

إشاره

صفين اسم الأرض التى كانت فيها الحرب والنون فيها أصلية ذكر ذلك صاحب الصحاح فوزنها على هذا فعيل كفسيق وخمير وصريع وظليم وضليل . فإن قيل فاشتقاقه مما ذا يكون . قيل لو كان اسما لحيوان لأمكن أن يكون من صنف الفرس إذا قام على ثلاث وأقام الرابعة على طرف الحافر يصفن بالكسر صفونا أو من صنف القوم إذا صفوا أقدامهم لا يخرج بعضها من بعض . فإن

قيل أيمن أن يشتق من ذلك و هو اسم أرض . قيل يمكن على تعسف و هو أن تكون تلك الأرض لما كانت مما تصفن فيها الخيل أو تصطف فيها الأقدام سميت صفيين . فإن قيل أيمن أن تكون النون زائده مع الياء كماهما في غسلين وعفرين . قيل لوجاء في الأصل صف بكسر الصاد لأمكن أن تتوهم الزيادة كالزيادة [صفحه ١٣٢] في غسل و هو ما يغتسل به نحو الخطمي وغيره فقيل غسلين لما يسيل من صديد أهل النار ودمائهم وكالزيادة في عفر و هو الخبيث الداهي فقيل عفرين لمأسدة بعينها وقيل عفرين للداهية هكذا ذكروه ولقائل أن يقول لهم أليس قد قالوا للأسد عفرني بفتح العين وأصله العفر بالكسر فقد بان أنهم لم يراعوا في اشتقاقهم وتصريف كلامهم الحركة المخصوصة وإنما يراعون الحرف و لا كل الحروف بل الأصلي منها فغير ممتنع على هذا عندنا أن تكون الياء والنون زائدتين في صفيين . وصفين اسم غير منصرف للتأنيث والتعريف قال إني أدين بما دان الوصي به || يوم الخريبة من قتل المحلينا وبالذي دان يوم النهر دنت به || وشاركت كفه كفى بصفيينا تلك الدماء معا يارب في عنقي || ثم اسقني مثلها آمين آمينا أحمدُهُ استتماماً لنعمته و استسلاماً لعزته و استعصاماً من معصيته فاقه إلى كفايته إنه لما يضل من هدايته و لا يئيل من عاداه و لا يفتقر من كفايته فإنه أرجح ما وزن و أفضل ما خزن و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ممتحناً إخلاصها معتقداً مضاهاً تتمسك بها أبداً [صفحه ١٣٣] ما أبقانا و ندخرها لأهويل ما يلقانا فإنها عزيمته الإيمان و فاتحة الإحسان و مرضاة الرحمن و مدحرة الشيطان و آل أي نجا يئيل والمصاص خالص الشيء والفاقة الحاجة والفقير الأهويل جمع أهوال والأهوال جمع هول فهو جمع الجمع كما قالوا أنعام وأناعيم وقيل أهويل أصله تهاويل وهي ما يهولك من شيء أي يروعك و إن جاز هذا فهو بعيد لأن التاء قل أن تبدل همزة والعزيمة النية المقطوع عليها ومدحرة الشيطان أي تدحره أي تبعده وتطرده . و قوله ع استتماما واستسلاما واستعصاما من لطيف الكناية وبديعها فسبحان من خصه بالفضائل التي لا تنتهي السنة الفصحاء إلى وصفها وجعله إمام كل ذي علم وقدوة كل صاحب خصيصة . و قوله فإنه أرجح الهاء عائدة إلى ما دل عليه قوله أحمده يعني الحمد والفعل يدل على المصدر وترجع الضمائر إليه كقوله تعالى بل هو شرّ و هو ضمير البخل الذي دل عليه قوله يبخلون - قرآن - ٦٣٥-٦٤٧-قرآن - ٦٨٥-٦٩٤

باب لزوم ما لا يلزم وإيراد أمثلة منه

و قوله ع وزن وخزن بلزوم الزاي من الباب المسمى لزوم ما لا يلزم و هو أحد أنواع البديع و ذلك أن تكون الحروف التي قبل الفاصلة حرفا واحدا هذا [صفحه ١٣٤] في المنشور و أما في المنظوم فإن تتساوى الحروف التي قبل الروى مع كونها ليست بواجبة التساوى مثال ذلك قول بعض شعراء الحماسة يضاء باكرها النعيم فصاغها || بلباقة فأدقها وأجلها حجت تحيتها فقلت لصاحبي || ما كان أكثرها لنا وأقلها و إذا وجدت لها وساوس سلوة || شفع الضمير إلى الفؤاد فسلها . ألاتراه كيف قدلزم اللام الأولى من اللامين اللذين صاروا حرفا مشددا فالثاني منهما هو الروى واللام الأول الذي قبله التزام ما لا يلزم فلو قال في القصيدة وصلها وقبلها و فعلها لجاز . واحترزنا نحن بقولنا مع كونها ليست بواجبة التساوى عن قول الراجز و هو من شعر الحماسة أيضا وفيشة ليست كهذي الفيش || قدملت من نرق وطيش إذ ابدت قلت أمير الجيش || من ذاقها يعرف طعم العيش . فإن لزوم الياء قبل حرف الروى ليس من هذا الباب لأنه لزوم واجب ألا ترى أنه لو قال في هذا الرجز البطش والفرش والعرش لم يجز لأن الردف لا يجوز أن يكون حرفا خارجا عن حروف العلة و قد جاء من اللزوم في الكتاب العزيز مواضع [صفحه ١٣٥] ليست بكثيرة فمنها قوله سبحانه فتكون للشيطان ولينا قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك و اهجرني مليا و قوله تعالى و لكن كان في ضلال بعيد قال لا تخصموا لذي و قد قدمت إليكم بالوعيد و قوله اقرأ باسم ربك الذي خلق الإنسان من

عَلَقَ وَقَوْلُهُ وَالطُّورِ وَكِتَابِ مَسْطُورٍ وَقَوْلُهُ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُّ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ وَقَوْلُهُ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَنضُودٍ وَقَوْلُهُ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَإِن تَوْلَوْا فاعلموا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعَمَ الْمَوْلَى وَنِعَمَ النَّصِيرِ وَالظَّاهِرُ أَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ مَقْصُودٍ قَصْدِهِ . وَمِمَّا وَرَدَ مِنْهُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ أَنَّ لَقِيْطَ بْنَ زُرَّارَةَ تَزَوَّجَ ابْنَةَ قَيْسِ بْنِ خَالِدِ الشَّيْبَانِيِّ فَأَحْبَبَتْهُ فَلَمَّا قَتَلَ عَنْهَا تَزَوَّجَتْ غَيْرَهُ فَكَانَتْ تَذْكُرُ لَقِيْطًا فَسَأَلَهَا عَنْ حُبِّهَا لَهُ فَقَالَتْ أَذْكَرُهُ وَقَدْ خَرَجَ تَارَةً فِي يَوْمِ دَجْنٍ وَقَدْ تَطَيَّبَ وَشَرِبَ الْخَمْرَ وَطَرِدَ بَقْرًا فَصَرَخَ بَعْضُهَا ثُمَّ جَاءَنِي وَبِهِ نَضْحٌ دَمٍ وَعَبِيرٌ فَضَمَنِي ضَمَةً وَشَمَنِي شَمَةً فَلَيْتَنِي كُنْتُ مَتِ ثَمَةً . وَقَدْ صَنَعَ أَبُو الْعَلَاءِ الْمَعْرِيُّ كِتَابًا فِي اللُّزُومِ مِنْ نِظْمِهِ فَأَتَى فِيهِ بِالْجَيِّدِ وَالرَّدِيِّ وَأَكْثَرَهُ مِتْكَفٌ وَمِنْ جَيِّدِهِ قَوْلُهُ - قُرْآن - ٣٣ - ١٦٢ - قُرْآن - ١٧٨ - ٢٧٢ - قُرْآن - ٢٨١ - ٣٤١ - قُرْآن - ٣٥٠ - ٣٧٨ - قُرْآن - ٣٨٧ - ٤٦٣ - قُرْآن - ٤٧٢ - ٥٠٧ - قُرْآن - ٥١٦ - ٦٤٩ لَا تَطْلُبِينَ بِآلِهِ لَكَ حَالَةٌ || قَلَمُ الْبَلِيغِ بغيرِ حِظِّ مَغْزَلِ سَكَنِ السَّمَاكَانَ السَّمَاءِ كِلَاهِمَا || هَذَا لَهُ رِمْحٌ وَهَذَا أَعْزَلُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ بِالَّذِينَ الْمَشْهُورِ وَالْعِلْمِ الْمَأْثُورِ [صَفْحَةُ ١٣٦] وَالْكِتَابِ الْمَسْطُورِ وَالنُّورِ السَّاطِعِ وَالضِّيَاءِ اللَّامِعِ وَالْأَمْرِ الصَّادِعِ إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ وَاحْتِجَاجًا بِالْبَيِّنَاتِ وَتَحْذِيرًا بِالْآيَاتِ وَتَخْوِيفًا بِالْمَثَلَاتِ وَالنَّاسُ فِي فِتْنٍ انْجَذَمَ فِيهَا حَيْبُ الدِّينِ وَتَزَعَزَعَتِ سَوَارِي الْبَيِّقِينَ وَاخْتَلَفَ النَّجْرُ وَتَشَتَّتِ الْأُمُرُ وَضَاقَ الْمَخْرُجُ وَعَمِيَ الْمَصْدَرُ فَالْهُدَى خَامِلٌ وَالْعَمَى شَامِلٌ عَصِي الرَّحْمَنِ وَنُصْرَةَ الشَّيْطَانِ وَخُذِلَ الْإِيمَانُ فَانْهَارَتْ دَعَائِمُهُ وَتَنَكَّرَتْ مَعَالِمُهُ وَدَرَسَتْ سُبُلُهُ وَعَفَّتْ شُرُكُهُ أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ فَسَيَّلُوا مَسَالِكَهُ وَوَرَدُوا مَنَاهِلَهُ بِهِمْ سَارَتْ أَعْلَامُهُ وَقَامَ لَوَاؤُهُ فِي فِتْنٍ دَاسِيَتُهُمْ بِأَخْفَافِهَا وَوَطَّنَتْهُمْ بِأَطْلَافِهَا وَقَامَتْ عَلَى سَيَابِكِهَا فَهَمَّ فِيهَا تَائِهُونَ حَائِزُونَ جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ فِي خَيْرِ دَارٍ وَشَرِّ جِيرَانٍ نَوْمُهُمْ سُهُودٌ وَكَحْلُهُمْ دُمُوعٌ بَارِضٍ عَالِمَهَا مُلْجَمٌ وَجَاهِلَهَا مُكْرَمٌ قَوْلُهُ ع وَالْعِلْمُ الْمَأْثُورُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَنِي بِهِ الْقُرْآنُ لِأَنَّ الْمَأْثُورَ الْمَحْكَى وَالْعِلْمُ مَا يَهْتَدَى بِهِ وَالْمِتْكَمُونَ يَسْمُونَ الْمَعْجَزَاتِ أَعْلَامًا وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِهِ أَحَدُ مَعْجَزَاتِهِ غَيْرَ الْقُرْآنِ فَإِنَّهَا كَثِيرَةٌ وَمَأْثُورَةٌ وَيُؤَكِّدُ هَذَا قَوْلُهُ بَعْدَ وَالْكِتَابِ الْمَسْطُورِ فَدَلَّ عَلَى تَغَايُرِهِمَا وَمِنْ يَذْهَبُ إِلَى الْأَوَّلِ يَقُولُ الْمُرَادُ بِهِمَا وَاحِدٌ وَالثَّانِيَةُ تَوْكِيدُ الْأُولَى عَلَى قَاعِدَةِ الْخُطَابَةِ وَالْكِتَابَةِ . وَالصَّادِعُ الظَّاهِرُ الْجَلِيُّ قَالَ تَعَالَى فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ أَيْ أَظْهَرَهُ وَلَا تَخْفَهُ . وَالْمَثَلَاتُ بَفَتْحِ الْمِيمِ وَضَمِّ الثَّاءِ الْعَقُوبَاتِ جَمْعٌ مِثْلُهُ قَالَ تَعَالَى وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْبَيِّنَاتِ قَبْلَ الْحَسِينَةِ وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ . وَانْجَذَمَ انْقَطَعَ وَالسَّوَارِي جَمْعٌ سَارِيَةٌ وَهِيَ الدَّعَايِمُ يَدْعُمُ بِهَا السَّقْفُ وَالنَّجْرُ - قُرْآن - ٣٨٠ - ٣٩٩ - قُرْآن - ٤٨٧ - ٥٧٢ [صَفْحَةُ ١٣٧] الْأَصْلُ وَمِثْلُهُ النَّجَارُ وَانْهَارَتْ تَسَاقَطَتْ وَالشَّرَكَ الطَّرَائِقُ جَمْعٌ شَرَكَ وَالْأَخْفَافُ لِلْجَلْبِ وَالْأَطْلَافُ لِلْبَقْرِ وَالْمَعْزِ . وَقَالَ الرَّوَانْدِيُّ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ خَيْرِ دَارٍ وَشَرِّ جِيرَانٍ خَيْرِ دَارِ الْكُوفَةِ وَقِيلَ الشَّامُ لِأَنَّهَا الْأَرْضُ الْمُقَدَّسَةُ وَأَهْلِهَا شَرِّ جِيرَانٍ يَعْنِي أَصْحَابَ مَعَاوِيَةَ وَعَلَى التَّفْسِيرِ الْأَوَّلِ يَعْنِي أَصْحَابَهُ ع . قَالَ وَقَوْلُهُ نَوْمُهُمْ سُهُودٌ يَعْنِي أَصْحَابَ مَعَاوِيَةَ لَا يَنَامُونَ طَوْلَ اللَّيْلِ بَلْ يَرْتَبُونَ أَمْرَهُ وَإِنْ كَانَ وَصْفًا لِأَصْحَابِهِ ع بِالْكَوْفَةِ وَهُوَ الْأَقْرَبُ فَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ خَائِفُونَ يَسْهَوْنَ وَيَبْكُونَ لِقَلْبِهِمْ مَوَافَقَتُهُمْ إِيَّاهُ وَهَذَا شِكَايَةٌ مِنْهُ ع لَهُمْ . وَكَحْلُهُمْ دُمُوعٌ أَيْ نَفَاقًا فَإِنَّهُ إِذَا تَمَّ نَفَاقُ الْمَرْءِ مَلَكَ عَيْنِيهِ . وَلِقَائِلُ أَنْ يَقُولَ لَمْ يَجْرُ فِيمَا تَقَدَّمَ ذَكَرَ أَصْحَابَهُ ع وَلِأَصْحَابِ مَعَاوِيَةَ وَالْكَلامِ كُلِّهِ فِي وَصْفِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ قَبْلَ مَبْعَثِ مُحَمَّدٍ ص ثُمَّ لَا يَخْفَى مَا فِي هَذَا التَّفْسِيرِ مِنَ الرَّاكَاةِ وَالْفَجَاجَةِ وَهُوَ أَنْ يَرِيدَ بِقَوْلِهِ نَوْمُهُمْ سُهُودٌ أَنَّهُمْ طَوَالَ اللَّيْلِ يَرْتَبُونَ أَمْرَ مَعَاوِيَةَ لَا يَنَامُونَ وَأَنْ يَرِيدَ بِذَلِكَ أَنَّ أَصْحَابَهُ يَبْكُونَ مِنْ خَوْفِ مَعَاوِيَةَ وَعَسَاكَرِهِ وَأَنََّّهُمْ يَبْكُونَ نَفَاقًا وَالْأَمْرُ أَقْرَبُ مِنْ أَنْ يَتِمَّحَلَّ لَهُ مِثْلُ هَذَا . وَنَحْنُ نَقُولُ إِنَّهُ ع لَمْ يَخْرُجْ مِنْ صِفَةِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ وَقَوْلُهُ فِي خَيْرِ دَارٍ يَعْنِي مَكَّةَ وَشَرِّ جِيرَانٍ يَعْنِي قَرِيْشًا وَهَذَا الْفِظُ النَّبِيُّ ص حِينَ حَكَمَ بِالْمَدِينَةِ حَالَةً كَانَتْ فِي مَبْدَأِ الْبَعْثَةِ فَقَالَ كُنْتُ فِي خَيْرِ دَارٍ وَشَرِّ جِيرَانٍ ثُمَّ حَكَمَ ع مَا جَرَى لَهُ مَعَ عَقْبَةَ بْنِ أَبِي مَعِيْطٍ وَالحَدِيثُ مَشْهُورٌ . وَقَوْلُهُ نَوْمُهُمْ سُهُودٌ وَكَحْلُهُمْ دُمُوعٌ مِثْلُ أَنْ يَقُولَ جُودَهُمْ بِخَلِّ وَأَمْنُهُمْ خَوْفٌ أَيْ لَوَاسْتِمَاحِهِمْ مُحَمَّدٌ ع النَّوْمُ لِحَادُوا عَلَيْهِ بِالسُّهُودِ عَوْضًا عَنْهُ وَلَوَاسْتِمَاحِهِمُ الْكَحْلُ لِكَانَ كَحْلُهُمُ الَّذِي يَصِلُونَهُ بِهِ الدُّمُوعُ . [صَفْحَةُ ١٣٨] ثُمَّ قَالَ بَارِضٌ عَالِمَهَا مُلْجَمٌ أَيْ مِنْ عَرَفَ صَدَقَ مُحَمَّدٌ ص وَآمَنَ بِهِ فِي تَقِيَّةٍ وَخَوْفٍ وَجَاهِلَهَا مُكْرَمٌ أَيْ مِنْ جَحَدَ نُبُوَّتَهُ وَكَذَبَهُ فِي عِزِّ وَمَنْعَةٍ وَهَذَا ظَاهِرٌ وَمِنْهَا وَيَعْنِي آلَ النَّبِيِّ ص هُمْ مَوْضِعُ سَيْرِهِ وَلَجَأُ أَمْرِهِ وَعَيْبَةُ عِلْمِهِ وَ

مَوْئِلَ حُكْمِهِ وَ كُهُوفَ كُتُبِهِ وَ جِبَالَ دِينِهِ بِهِمْ أَقَامَ انْحِنَاءَ ظَهْرِهِ وَ أَذْهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِهِ اللَّجَأَ مَا تَلْتَجِيءُ إِلَيْهِ كَالْوَزْرِ مَا تَعْتَصِمُ بِهِ
وَالْمَوْئِلَ مَا تَرْجِعُ إِلَيْهِ يَقُولُ إِنْ أَمَرَ النَّبِيُّ صَ أَى شَأْنَهُ مَلْتَجِيءٌ إِلَيْهِمْ وَعِلْمُهُ مَوْدَعٌ عِنْدَهُمْ كَالثُّوبِ يُوَدَعُ الْعِيْبَةُ. وَحُكْمُهُ أَى شَرْعُهُ
يَرْجِعُ وَيُوَوَّلُ إِلَيْهِمْ وَكُتُبُهُ يَعْنِي الْقُرْآنَ وَالسُّنَنَةَ عِنْدَهُمْ فَهَمَّ كَالْكُهُوفِ لَهُ لِاحْتَوَائِهِمْ عَلَيْهِ وَهَمَّ جِبَالُ دِينِهِ لَا يَتَحَلَّحُونَ عَنِ الدِّينِ أَوْ
أَنَّ الدِّينَ ثَابِتٌ بِوُجُودِهِمْ كَمَا أَنَّ الْأَرْضَ ثَابِتَةٌ بِالْجِبَالِ وَ لَوْ لَا الْجِبَالُ لَمَادَتْ بِأَهْلِهَا. وَالْهَاءُ فِي ظَهْرِهِ تَرْجِعُ إِلَى الدِّينِ وَكَذَلِكَ
الْهَاءُ فِي فَرَائِصِهِ وَالفَرَائِصُ جَمْعُ فَرِيصَةٍ وَهِيَ اللَّحْمَةُ بَيْنَ الْجَنْبِ وَالكَتِفِ لَا تَزَالُ تَرْعُدُ مِنَ الدَّابَّةِ وَ مِنْهَا فِي الْمُنَافِقِينَ زَرَعُوا
الْفُجُورَ وَ سَيِّقُوهُ الْعُزُورَ وَ حَصَّدُوا الثُّبُورَ لَا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ صَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ وَ لَا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَدًا هُمْ
أَسْيَاسُ الدِّينِ وَ عِمَادُ الْيَقِينِ إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْغَالِي وَ بِهِمْ يُلْحَقُ [صَفْحَةُ ١٣٩] التَّالِي وَ لَهُمْ خَصَائِصٌ حَقَّ الْوِلَايَةِ وَ فِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَ
الْوَرَاثَةُ الْآنَ إِذْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ وَ نُقِلَ إِلَى مُنْتَقَلِهِ جَعَلَ مَا فَعَلُوهُ مِنَ الْقِيْحِ بِمَنْزِلَةِ زَرْعِ زَرْعِهِ ثُمَّ سَقَوْهُ فَالَّذِي زَرَعَهُ الْفُجُورَ
ثُمَّ سَقَوْهُ بِالْغُرُورِ وَالاسْتِعَارَةِ وَاقِعَةٌ مَوْقِعُهَا لِأَنَّ تَمَادِيهِمْ وَ مَاسَكْتِ إِلَى نَفْسِهِمْ مِنَ الْإِمْهَالِ هُوَ الَّذِي أَوْجَبَ اسْتِمْرَارَهُمْ عَلَى
الْقَبَائِحِ الَّتِي وَاقَعُوا فِيهَا فَكَانَ ذَلِكَ كَمَا يَسْقَى الزَّرْعَ وَيُرْبِي بِالْمَاءِ وَيَسْتَحْفَظُ. ثُمَّ قَالَ وَحَصَّدُوا الثُّبُورَ أَى كَانَتْ نَتِيجَةُ ذَلِكَ الزَّرْعِ
وَالسَّقَى حِصَادٌ مَا هُوَ الْهَلَاكُ وَالعَطْبُ. وَإِشَارَتُهُ هَذِهِ لَيْسَتْ إِلَى الْمُنَافِقِينَ كَمَا ذَكَرَ الرُّضَى رَحِمَهُ اللَّهُ وَ إِنَّمَا هِيَ إِشَارَةٌ إِلَى مَنْ
تَغَلَّبَ عَلَيْهِ وَجَدَّ حَقَّهُ كَمَا عَاوَيْةٌ وَغَيْرُهُ وَلَعَلَّ الرُّضَى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَرَفَ ذَلِكَ وَكُنِيَ عَنْهُ. ثُمَّ عَادَ إِلَى التَّنَاءِ عَلَى آلِ
مُحَمَّدٍ صَ فَقَالَ هُمْ أَصُولُ الدِّينِ إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْغَالِي وَ بِهِمْ يَلْحَقُ التَّالِي جَعَلَهُمْ كَمَقْنَبٍ يَسِيرُ فِي فَلَاةٍ فَالْغَالِي مِنْهُ أَى الْفَارِطُ
الْمُتَقَدِّمُ الَّذِي قَدْ غَلَا فِي سِيرِهِ يَرْجِعُ إِلَى ذَلِكَ الْمَقْنَبِ إِذَا خَافَ عَدُوًّا وَ مِنْ قَدْ تَخَلَّفَ عَنْ ذَلِكَ الْمَقْنَبِ فَصَارَ تَالِيًا لَهُ يَلْتَحِقُ بِهِ
إِذَا شَفِقَ مِنْ أَنْ يَتَخَطَفَ. ثُمَّ ذَكَرَ خَصَائِصَ حَقِّ الْوِلَايَةِ وَالْوَلَايَةِ الْإِمْرَةَ فَأَمَّا الْإِمَامِيَّةُ فَيَقُولُونَ أَرَادَ نَصَ النَّبِيِّ صَ عَلَيْهِ وَ عَلَى
أَوْلَادِهِ وَنَحْنُ نَقُولُ لَهُمْ خَصَائِصَ حَقِّ وَلَايَةِ الرَّسُولِ صَ عَلَى الْخَلْقِ. ثُمَّ قَالَ عَ وَفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَالْوَرَاثَةُ أَمَا الْوَصِيَّةُ فَلَارِيْبُ عِنْدَنَا
أَنَّ عَلِيًّا كَانَ وَصِيَّ رَسُولِ اللَّهِ صَ وَ إِنْ خَالَفَ فِي ذَلِكَ مَنْ هُوَ مَنْسُوبٌ [صَفْحَةُ ١٤٠] عِنْدَنَا إِلَى الْعِنَادِ وَ لَسْنَا نَعْنِي بِالْوَصِيَّةِ
النَّصَّ وَالْخِلَافَةَ وَلَكِنْ أُمُورًا أُخْرَى لَعَلَّهَا إِذَا لَمَحَتْ أَشْرَفَ وَأَجَلَّ. وَ أَمَا الْوَرَاثَةُ فَالْإِمَامِيَّةُ يَحْمِلُونَهَا عَلَى مِيرَاثِ الْمَالِ وَالْخِلَافَةَ
وَ نَحْنُ نَحْمِلُهَا عَلَى وَرَاثَةِ الْعِلْمِ. ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ الْحَقَّ رَجَعَ الْآنَ إِلَى أَهْلِهِ وَ هَذَا يَقْتَضِي أَنَّ يَكُونُ قَبْلَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ وَ نَحْنُ نَتَأَوَّلُ
ذَلِكَ عَلَى غَيْرِ مَا تَذَكَّرَهُ الْإِمَامِيَّةُ وَنَقُولُ إِنَّهُ كَانَ أَوْلَى بِالْأَمْرِ وَأَحَقُّ لَعَلَّ عَلَى وَجْهِ النَّصِّ بَلْ عَلَى وَجْهِ الْأَفْضَلِيَّةِ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الْبَشَرِ
بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَ وَ أَحَقُّ بِالْخِلَافَةِ مِنْ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ لَكِنَّهُ تَرَكَ حَقَّهُ لِمَاعْلَمِهِ مِنَ الْمَصْلُحَةِ وَ مَا تَفَرَّسَ فِيهِ هُوَ وَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ
اضْطِرَابِ الْإِسْلَامِ وَ انْتِشَارِ الْكَلِمَةِ لِحَسَدِ الْعَرَبِ لَهُ وَضَعْنَهُمْ عَلَيْهِ وَجَائِزَ لِمَنْ كَانَ أَوْلَى بِشَيْءٍ فَتَرَكَهُ ثُمَّ اسْتَرْجَعَهُ أَنْ يَقُولَ قَدْ رَجَعَ
الْأَمْرُ إِلَى أَهْلِهِ. وَ أَمَا قَوْلُهُ وَ انْتَقَلَ إِلَى مُنْتَقَلِهِ فِيهِ مَضَافٌ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ إِلَى مَوْضِعٍ مُنْتَقَلُهُ وَ الْمُنْتَقَلُ بِفَتْحِ الْقَافِ مَصْدَرٌ بِمَعْنَى
الْانْتِقَالِ كَقَوْلِكَ لِي فِي هَذَا الْأَمْرِ مُضْطَرَبٌ أَى اضْطِرَابٌ قَالَ قَدْ كَانَ لِي مُضْطَرَبٌ وَاسِعٌ || فِي الْأَرْضِ ذَاتِ الطُّوْلِ وَ الْعَرْضِ.
وَ تَقُولُ مَا مَعْتَقَدُكَ أَى مَا عَقَدْتَكَ قَدْ رَجَعَ الْأَمْرُ إِلَى نَصَابِهِ وَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي هُوَ عَلَى الْحَقِيقَةِ الْمَوْضِعِ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَكُونَ
انْتِقَالُهُ إِلَيْهِ. فَإِنْ قِيلَ مَا مَعْنَى قَوْلِهِ عَ لَا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ وَ لَا يَسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَدًا. قِيلَ لِاشْبَهَةٌ
أَنَّ الْمَنْعَمَ أَعْلَى وَ أَشْرَفَ مِنَ الْمَنْعَمِ عَلَيْهِ وَ لَارِيْبُ أَنَّ مُحَمَّدًا صَ [صَفْحَةُ ١٤١] وَ أَهْلَهُ الْأَدْنِيْنَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ لَا سِيَّمَا عَلِيًّا عَ أَنْعَمُوا
عَلَى الْخَلْقِ كَافَةً بِنِعْمَةٍ لَا يَقْدَرُ قَدْرُهَا وَ هِيَ الدَّعَاءُ إِلَى الْإِسْلَامِ وَ الْهَدَايَةُ إِلَيْهِ فَ مُحَمَّدٌ صَ وَ إِنْ كَانَ هَدَى الْخَلْقَ بِالْدَّعْوَةِ الَّتِي قَامَ
بِهَا بِلِسَانِهِ وَ يَدِهِ وَ نَصَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ بِمَلَائِكَتِهِ وَ تَأْيِيدِهِ وَ هُوَ السَّيِّدُ الْمَتَّبَعُ وَ الْمَصْطَفَى الْمُنْتَجَبُ الْوَاجِبُ الطَّاعَةُ إِلَّا أَنْ لَعَلَّ عَ مِنْ
الْهَدَايَةِ أَيْضًا وَ إِنْ كَانَ ثَانِيًا لِأَوَّلٍ وَ مَصْلِيًّا عَلَى إِثْرِ سَابِقٍ مَا لَا يَجْحَدُ وَ لَوْ لَمْ يَكُنْ إِجْهَادُهُ بِالسَّيْفِ أَوَّلًا وَ ثَانِيًا وَ مَا كَانَ بَيْنَ
الْجِهَادِيْنَ مِنْ نَشْرِ الْعُلُومِ وَ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَ إِرْشَادِ الْعَرَبِ إِلَى مَا لَمْ تَكُنْ لَهُ فَاهِمَةٌ وَ لَا مَتَّصِرَةٌ لِكُفْيِ فِي وَجُوبِ حَقِّهِ وَ سَبُوحِ نِعْمَتِهِ
عَ. فَإِنْ قِيلَ لِارِيْبُ فِي أَنَّ كَلَامَهُ هَذَا تَعْرِيفٌ بِمَنْ تَقَدَّمَ عَلَيْهِ فَأَى نِعْمَةٍ لَهُ عَلَيْهِمْ قِيلَ نِعْمَتَانِ الْأَوْلَى مِنْهُمَا الْجِهَادُ عَنْهُمْ وَ هُمْ

قاعدون فإن من أنصف علم أنه لو لاسيف على ع لاصطلم المشركون من أشار إليه وغيرهم من المسلمين و قد علمت آثاره في بدر وأحد والخندق وخيبر وحنين و أن الشرك فيها فغرفاه فلو لا أن سده بسيفه لالتهم المسلمين كافة والثانية علومه التي لولاه لحكم بغير الصواب في كثير من الأحكام و قد اعترف عمر له بذلك والخير مشهور لو لا - على لهلك عمر. ويمكن أن يخرج كلامه على وجه آخر و ذلك أن العرب تفضل القبيلة التي منها الرئيس الأعظم على سائر القبائل وتفضل الأدنى منه نسباً فالأدنى على سائر آحاد تلك القبيلة فإن بني دارم يفتخرون بحاجب وإخوته وبزرارة أبيهم على سائر بني تميم ويسوغ للواحد من أبناء بني دارم أن يقول لا يقاس ببني دارم أحد من بني تميم ولا يستوى بهم من جرت رئاستهم عليه أبداً ويعنى بذلك أن واحداً من بني دارم قدر أس على بني تميم فكذلك لما كان رسول الله ص رئيس الكل [صفحة ١٤٢] والمنعم على الكل جاز لواحد من بني هاشم لاسيما مثل على ع أن يقول هذه الكلمات واعلم أن علياً كان يدعى التقدم على الكل والشرف على الكل والنعمة على الكل بابن عمه ص وبنفسه وبأبيه أبي طالب فإن من قرأ علوم السير عرف أن الإسلام لو لا أبو طالب لم يكن شيئاً مذكوراً. و ليس لقائل أن يقول كيف يقال هذا في دين تكفل الله تعالى بإظهاره سواء كان أبو طالب موجوداً أو معدوماً لأننا نقول فينبغي على هذا ألا يمدح رسول الله ص ولا يقال إنه هدى الناس من الضلالة وأنقذهم من الجهالة وإن له حقا على المسلمين وإنه لولاه لما عبد الله تعالى في الأرض وألا يمدح أبو بكر ولا يقال إن له أثراً في الإسلام وإن عبد الرحمن وسعداً وطلحة وعثمان وغيرهم من الأولين في الدين اتبعوا رسول الله ص لا تبعه له وإن له يداً غير مجحودة في الإنفاق واشتراء المعذيين وإعتاقهم وإنه لولاه لاستمرت الردة بعد الوفاة وظهرت دعوة مسيلمة وطلحة وإنه لو لا عمر لما كانت الفتوح ولاجهزت الجيوش ولاقوى أمر الدين بعد ضعفه ولا انتشرت الدعوة بعد خمولها. فإن قلمت في كل ذلك إن هؤلاء يحمدون ويشن عليهم لأن الله تعالى أجرى هذه الأمور على أيديهم ووقفهم لها والفاعل بذلك بالحقيقة هو الله تعالى وهؤلاء آله مستعمله ووسائط تجرى الأفعال على أيديها فحمدهم والثناء عليهم والاعتراف لهم إنما هو باعتبار ذلك. قيل لكم في شأن أبي طالب مثله. [صفحة ١٤٣] واعلم أن هذه الكلمات وهي قوله ع الآن إذ رجع الحق إلى أهله إلى آخرها يبعد عندي أن تكون مقولة عقيب انصرافه ع من صفين لأنه انصرف عنها وقتئذ مضطرب الأمر منتشر الحبل بواقعة التحكيم ومكيدة ابن العاص و ماتم لمعاوية عليه من الاستظهار و ماشاهد في عسكره من الخذلان وهذه الكلمات لا تقال في مثل هذه الحال وأخلق بها أن تكون قيلت في ابتداء بيعته قبل أن يخرج من المدينة إلى البصرة و أن الرضى رحمه الله تعالى نقل ما وجد وحكى ماسمع والغلط من غيره والوهم سابق له و ما ذكرناه واضح

ماورد في الوصاية من الشعر

ومما روينا من الشعر المقول في صدر الإسلام المتضمن كونه ع وصى رسول الله قول عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب ومنا على ذاك صاحب خيبر || وصاحب بدر يوم سالت كتابه وصى النبي المصطفى و ابن عمه || فمن ذا يدانيه و من ذا يقاربه . و قال عبد الرحمن بن جعيل لعمرى لقد بايعتم ذا حفيظة || على الدين معروف العفاف موفقا عليا وصى المصطفى و ابن عمه || وأول من صلى أخوا الدين والتقى . و قال أبو الهيثم بن التيهان و كان بدر ياكل للزبير وقل لطلحة إننا || نحن الذين شعارنا الأنصار نحن الذين رأيت قریش فعلنا || يوم القليب أولئك الكفار كنا شعار نبينا و دثاره || يفديه منا الروح والأبصار [صفحة ١٤٤] إن الوصى إمامنا وولينا || برح الخفاء وباحت الأسرار . و قال عمر بن حارثة الأنصاري و كان مع محمد بن الحنفية يوم الجمل و قد لاه أبوه ع لما أمره بالحملة فتقاعس أباحسن أنت فصل الأمور || يبين بك الحل والمحرم جمعت الرجال على راية || بها بنك يوم الوغى مقحم و لم ينكص المرء من خيفة || ولكن توات له أسهم فقال رويدا ولا تعجلوا ||

فإني إذ ارشقوا مقدم فأعجلته والفتى مجمع || بما يكره الوجل المحجم سمي النبي وشبه الوصي || ورايته لونها العندم . و قال رجل من الأزد يوم الجمل هذا على وهو الوصي || آخاه يوم النجوة النبي و قال هذا بعدى الولي || وعاه واع ونسى الشقى . وخرج يوم الجمل غلام من بنى ضبة شاب معلم من عسكر عائشة و هو يقول نحن بنى ضبة أعداء على || ذاك الذي يعرف قدما بالوصي وفارس الخيل على عهد النبي || ما أنا عن فضل على بالعمى لكنني أنعى ابن عفان التقى || إن الولي طالب ثار الولي . و قال سعيد بن قيس الهمداني يوم الجمل و كان فى عسكر على ع أية حرب أضمرت نيرانها || وكسرت يوم الوغى مرانها [صفحہ ۱۴۵] قل للوصي أقبلت فحطانها || فادع بها تكفيكها همدانها هم بنوها وهم إخوانها . و قال زياد بن ليلى الأنصاري يوم الجمل و كان من أصحاب على ع كيف ترى الأنصار فى يوم الكلب || إنا أناس لانبالي من عطب و لانبالي فى الوصي من غضب || وإنما الأنصار جد لالعب هذا على و ابن عبدالمطلب || نصره اليوم على من قد كذب من يكسب البغى فبئس ما اكتسب . و قال حجر بن عدى الكندى فى ذلك اليوم أيضا ياربنا سلم لنا عليا || سلم لنا المبارك المضيا المؤمن الموحد التقيا || لا خطل الرأى و لا غويا بل هاديا موفقا مهديا || واحفظه ربي واحفظ النبيا فيه فقد كان له وليا || ثم ارتضاه بعده وصيا . و قال خزيمه بن ثابت الأنصاري ذو الشهادتين و كان بدريا فى يوم الجمل أيضا ليس بين الأنصار فى جحمة الحرب || و بين العداة إلا الطعان و قراع الكمأة بالقضب || البيض إذا ماتحطم المران فادعها تستجب فليس من الخز || رج الأوس يا على جبان ياوصى النبي قدأجلت || الحرب الأعادى و سارت الأظعان و استقامت لك الأمور سوى || الشام و فى الشام يظهر الإذعان حسبهم مارأوا و حسبك منا || هكذا نحن حيث كنا و كانوا . [صفحہ ۱۴۶] و قال خزيمه أيضا فى يوم الجمل أعائش خلى عن على وعييه || بما ليس فيه إنما أنت والده وصى رسول الله من دون أهله || و أنت على ما كان من ذاك شاهده و حسبك منه بعض ماتعلمينه || و يكفيك لو لم تعلمى غير واحد إذ اقبل ماذا عبت منه رميته || بخذل ابن عفان و ماتلك آبده و ليس سماء الله قاطرة دما || لذاك و ما الأرض الفضاء بمائده . و قال ابن بديل بن ورقاء الخزاعى يوم الجمل أيضا ياقوم للخطة العظمى التى حدثت || حرب الوصى و مالحرب من آسى الفاصل الحكم بالتقوى إذ اضربت || تلك القبائل أخماسا لأسداس . و قال عمرو بن أحيحة يوم الجمل فى خطبة الحسن بن على ع بعد خطبة عبد الله بن الزبير . حسن الخير ياشييه أبيه || قمت فىنا مقام خير خطيب قمت بالخطبة التى صدع || الله بها عن أبيك أهل العيوب و كشفت القناع فاتضح || الأمر و أصلحت فاسدات القلوب لست كابن الزبير لجلج فى || القول و طأطأ عنان فسل مريب و أبى الله أن يقوم بما || قام به ابن الوصى و ابن النجيب إن شخصا بين النبي لك || الخير و بين الوصى غير مشوب . [صفحہ ۱۴۷] و قال زحر بن قيس الجعفى يوم الجمل أيضا أضربكم حتى تقروا لعلى || خير قريش كلها بعد النبي من زانه الله و سماه الوصى || إن الولي حافظ ظهر الولي كما الغوى تابع أمر الغوى . ذكر هذه الأشعار و الأراجيز بأجمعها أبو مخنف لوط بن يحيى فى كتاب وقعة الجمل و أبو مخنف من المحدثين و ممن يرى صحة الإمامة بالاختيار و ليس من الشيعة و لامعدودا من رجالها . و مما روينا من أشعار صفين التى تتضمن تسميته ع بالوصى ما ذكره نصر بن مزاحم بن يسار المنقرى فى كتاب صفين و هو من رجال الحديث قال نصر بن مزاحم قال زحر بن قيس الجعفى فضلى الإله على أحمد || رسول المليك تمام النعم رسول المليك و من بعده || خليفتنا القائم المدعم عليا عنيت وصى النبي || نجالد عنه غواه الأمم . قال نصر و من الشعر المنسوب إلى الأشعث بن قيس أتانا الرسول رسول الإمام || فسر بمقدمه المسلمونا رسول الوصى وصى النبي || له السبق و الفضل فى المؤمنينا . [صفحہ ۱۴۸] و من الشعر المنسوب إلى الأشعث أيضا أتانا الرسول رسول الوصى || على المهذب من هاشم وزير النبي و ذو صهره || و خير البرية و العالم قال نصر بن مزاحم من شعر أمير المؤمنين ع فى صفين -روايت- ۱- ۲- روايت- ۲۱- ۵۶- ياعجبا لقد سمعت منكرا || كذبا على الله يشيب الشعرا ما كان يرضى أحمد لو أخبرا || أن يقرنوا وصيه و الأيترا شانى الرسول و اللعين الأخررا || إني

إذا الموت دنا وحضرا شمرت ثوبى ودعوت قنبرا || قدم لوائى لا تؤخر حذرا لا يدفع الحذار ما قدقدرا || لو أن عندى يا ابن حرب جعفرأ أوحمة القرم الهمام الأزهرا || رأ ت قريش نجم ليل ظهرا [صفحه ١٤٩] وقال جرير بن عبد الله البجلي كتب بهذا الشعر إلى شرحبيل بن السمط الكندى رئيس اليمانية من أصحاب معاوية نصحتك يا ابن السمط لاتتبع الهوى || فما لك فى الدنيا من الدين من بدل و لاتك كالمجرى إلى شر غايه || فقد خرق السربال واستنوق الجمل مقال ابن هند فى على عضيئه || والله فى صدر ابن أبى طالب أجل و ما كان إلا لازما قعر بيته || إلى أن أتى عثمان فى بيته الأجل وصى رسول الله من دون أهله || وفارسه الحامى به يضرب المثل . و قال النعمان بن عجلان الأنصارى كيف التفرق والوصى إماننا || لا كيف إلا حيره و تخاذلا لاتغبين عقولكم لاخير فى || من لم يكن عندالبلابل عاقلا و ذروا معاوية الغوى و تابعوا || دين الوصى لتحمدوه آجلا . و قال عبدالرحمن بن ذؤيب الأسلمى ألا أبلغ معاوية بن حرب || فما لك لاتهش إلى الضراب فإن تسلم و تبق الدهر يوما || نزر ك بجحفل عدد التراب يقودهم الوصى إليك حتى || يردك عن ضلال و ارتياب . و قال المغيرة بن الحارث بن عبدالمطلب يا عصبه الموت صبيرا لا يهولكم || جيش ابن حرب فإن الحق قدظهرا و أيقنوا أن من أضحى يخالفكم || أضحى شقيا و أمسى نفسه خسرا [صفحه ١٥٠] فيكم وصى رسول الله قائدكم || وصهره و كتاب الله قدنشا . و قال عبد الله بن العباس بن عبدالمطلب وصى رسول الله من دون أهله || وفارسه إن قيل هل من منازل فدونكه إن كنت تبغى مهاجرا || أشم كنصل السيف غير حلال . و الأشعار التى تتضمن هذه اللفظة كثير جدا و لكننا ذكرنا منها هاهنا بعض ما قيل فى هذين الحزبين فأما ما عدهما فإنه يجلب عن الحصر و يعظم عن الإحصاء و العد و لو لآخوف الملاة و الإضجار لذكرنا من ذلك ما يملأ أوراقا كثيرة [صفحه ١٥١]

٣- و من خطبة له وهى المعروفة بالششقية

إشارة

أَمَا وَ اللَّهُ لَمَعَد تَقَمَّصِيهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَ إِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلَّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى يَنْجِدِرُ عَنِّي السَّيْلُ وَ لَا يَرْقَى إِلَى الطَّيْرِ فَسَيَدَلُّ دُونَهَا ثُوبًا وَ طَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحًا وَ طَفِقْتُ أَرْتَنِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدِي جِذَاءً أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخِيئِهِ عَمِيَاءَ يَهْرُمُ فِيهَا الْكَبِيرُ وَ يَشْتَبُ فِيهَا الصَّيْغِيرُ وَ يَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحَجَى فَصَبْرْتُ وَ فِي الْعَيْنِ قَدَى وَ فِي الْحَلْقِ شَجَا أَرَى تَرَائِي نَهَبًا سَدَلْتُ دُونَهَا ثُوبًا أَى أَرخيت يقول ضربت بينى وبينها حجابا فعل الزاهد فيها الراغب عنها و طويت عنها كشحاً أى قطعها و صرمتها و هو مثل قالوا لأن من كان إلى جانبك الأيمن مائلا فطويت كشحك الأيسر فقد ملت عنه و الكشح ما بين الخاصرة و الجنب و عندى أنهم أرادوا غير ذلك و هو أن من أجاج نفسه فقد طوى كشحه كما أن من أكل و شبع فقد ملأ كشحه فكأنه أراد أنى أجمعت نفسى عنها و لم ألقمها و اليد الجذاء بالبدال المهملة و بالذال المعجمة و الحاء المهملة مع الذال المعجمة كله بمعنى المقطوعة و الطخية قطعة من الغيم و السحاب و قوله عمياء تأكيد لظلام الحال و اسودادها يقولون مفازة عمياء أى يعمى فيها الدليل [صفحه ١٥٢] و يكدح يسعى و يكدم مع مشقة قال تعالى إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا وَ هَاتَا بمعنى هذه ها للتنبية و تا للإشارة و معنى تا ذى و هذا أحجى من كذا أى أليق بالحجا و هو العقل . و فى هذا الفصل من باب البديع فى علم البيان عشرة ألفاظ . أولها قوله لقد تقمصها أى جعلها كالقميص مشتمة عليه و الضمير للخلافة و لم يذكرها للعلم بها كقوله سبحانه حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ وَ كَقَوْلِهِ كَلَّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَ كَقَوْلِ حَاتِمٍ - قرآن - ٣٩ - ٧٠ - قرآن - ٣٣٧ - ٣٦٠ - قرآن - ٣٦٩ - ٣٨٩ - أماوى مايعنى

الثراء عن الفتى || إذاحشرجت يوما وضاق بها الصدر . و هذه اللفظة مأخوذة من كتاب الله تعالى في قوله سبحانه و لِيَأْسُ التَّقْوَى
وقول النابغة -قرآن- ٦٢-٧٨ تسربل سربالا من النصر وارتدى || عليه بعض في الكريهة قاصل . الثانية قوله ينحدر عنى السيل
يعنى رفعة منزلته ع كأنه فى ذروة جبل أويفاع مشرف ينحدر السيل عنه إلى الوهاد والغيطان قال الهذلى و عطاء يكثرفيها الزليل
|| وينحدر السيل عنها انحدارا . الثالثة قوله ع و لا يرقى إلى الطير هذه أعظم فى الرفعة والعلو من التى قبلها لأن السيل ينحدر عن
الرابية والهضبة و أما تعذر رقى الطير فربما يكون للقلال الشاهقة جدا بل ما هو أعلى من قلال الجبال كأنه يقول إنى لعلو منزلتى
كمن فى السماء التى يستحيل أن يرقى الطير إليها قال أبو الطيب فوق السماء و فوق ما طلبوا || فإذا أرادوا غاية نزلوا . [صفحة
١٥٣] و قال حبيب مكارم لجت فى علو كأنما || تحاول ثأرا عند بعض الكواكب . الرابعة قوله سدلت دونها ثوبا قد ذكرناه
. الخامسة قوله و طويت عنها كشحا قد ذكرناه أيضا . السادسة قوله أصول بيد جذاذ قد ذكرناه . السابعة قوله أصبر على طخية عمياء
قد ذكرناه أيضا . الثامنة قوله و فى العين قذى أى صبرت على مضض كما يصبر الأرمذ . التاسعة قوله و فى الحلق شجا و هو
ما يعترض فى الحلق أى كما يصبر من غص بأمر فهو يكابد الخنق . العاشرة قوله أرى تراثى نهبا كنى عن الخلافة بالتراث و هو
هو الموروث من المال . فأمأ قوله ع إن محلى منها محل القطب من الرحى فليس من هذا النمط الذى نحن فيه ولكنه تشبيه محض
خارج من باب الاستعارة و التوسع يقول كما أن الرحى لا تدور إلا على القطب و دورانها بغير قطب لا ثمره له و لا فائدة فيه كذلك
نسبى إلى الخلافة فإنها لا تقوم إلا بى و لا يدور أمرها إلا على . هكذا فسروه و عندى أنه أراد أمرا آخر و هو أنى من الخلافة فى
الصميم و فى وسطها و بجوحتها كما أن القطب وسط دائرة الرحى قال الراجز [صفحة ١٥٤] على قلاص مثل خيطان السلم ||
إذا قطعن علما بدا علم حتى أنحناها إلى باب الحكم || خليفة الحجاج غير المتهم فى سره المجد و بجوح الكرم . و قال أمية بن
أبى الصلت لعبد الله بن جدعان فحللت منها بالبطاح || و حل غيرك بالظواهر . و أما قوله يهرم فيها الكبير و يشيب فيها الصغير
فيمكن أن يكون من باب الحقائق و يمكن أن يكون من باب المجازات و الاستعارات أما الأول فإنه يعنى به طول مدة ولاية
المتقدمين عليه فإنه مدة يهرم فيها الكبير و يشيب فيها الصغير . و أما الثانى فإنه يعنى بذلك صعوبة تلك الأيام حتى أن الكبير من
الناس يكاد يهرم لصعوبتها و الصغير يشيب من أهوالها كقولهم هذا أمر يشيب له الوليد و إن لم يشب على الحقيقة . [صفحة
١٥٥] و اعلم أن فى الكلام تقديم و تأخيرا و تقديره و لا يرقى إلى الطير فطفقت أرتى بين كذا و كذا فرأيت أن الصبر على هاتا
أحجى فسدت دونها ثوبا و طويت عنها كشحا ثم فصبرت و فى العين قذى إلى آخر القصة لأنه لا يجوز أن يسدل دونها ثوبا
و يطوى عنها كشحا ثم يطفق يرتى بين أن ينادهم أو يصبر أ لا ترى أنه إذا سدل دونها ثوبا و طوى عنها كشحا فقد تركها و صرمها
و من يترك و يصرم لا يرتى فى المنابذة و التقديم و التأخير طريق لاحب و سبيل مهيع فى لغة العرب قال سبحانه أَلَّذِي أَنْزَلَ عَلَى
عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قِيمًا أَى أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ قِيمًا و لم يجعل له عوجا و هذا كثير . و قوله ع حتى يلقى ربه
بالوقف و الإسكان كما جاءت به الرواية فى قوله سبحانه ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ بِالْوَقْفِ أَيْضًا -قرآن- ٤٦٧-٥٣٧ -قرآن- ٦٨١-٧٠٦

نسب أبى بكر ونبذة من أخبار أبيه

ابن أبى قحافة المشار إليه هو أبو بكر واسمه القديم عبد الكعبة فسماه رسول الله ص عبد الله و اختلفوا فى عتيق فقيل كان اسمه فى
الجاهلية وقيل بل سماه به رسول الله ص واسم أبى قحافة عثمان و هو عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة
بن كعب بن لؤى بن غالب و أمه ابنة عم أبيه و هى أم الخير بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سعد أسلم أبو قحافة يوم الفتح جاء
به ابنه أبو بكر إلى النبى ص و هو شيخ كبير رأسه كالثغامه البيضاء فأسلم فقال رسول الله ص غيروا شيبته . [صفحة ١٥٦] وولى

ابنه الخلافة و هو حى منقطع فى بيته مكفوف عاجز عن الحركة فسمع ضوضاء الناس فقال ما الخبر فقالوا ولى ابنك الخلافة فقال رضيت بنو عبد مناف بذلك قالوا نعم قال اللهم لا مانع لما أعطيت و لا معطى لما منعت . و لم يل الخلافة من أبوه حى إلا أبوبكر و أبوبكر عبد الكريم الطائع لله ولى الأمر و أبوه المطيع حى خلع نفسه من الخلافة و عهد بها إلى ابنه و كان المنصور يسمى عبد الله بن الحسن بن الحسن أباقحافة تهكما به لأن ابنه محمدا ادعى الخلافة و أبوه حى . و مات أبوبكر و أبوقحافة حى فسمع الأصوات فسأل فقيل مات ابنك فقال رزه جليل و توفى أبوقحافة فى أيام عمر فى سنة أربع عشرة للهجرة و عمره سبع و تسعون سنة و هى السنة التى توفى فيها نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب بن هاشم . إن قيل بينوا لنا ما عندكم فى هذا الكلام أليس صريحه دالا على تظلم القوم و نسبتهم إلى اغتصاب الأمر فما قولكم فى ذلك إن حكتم عليهم بذلك فقد طعنتم فيهم و إن لم تحكموا عليهم بذلك فقد طعنتم فى المتظلم المتكلم عليهم . قيل أما الإمامية من الشيعة فتجربى هذه الألفاظ على ظواهرها و تذهب إلى أن النبى ص نص على أمير المؤمنين ع و أنه غضب حقه . [صفحة ١٥٧] و أما أصحابنا رحمهم الله فلهم أن يقولوا إنه لما كان أمير المؤمنين ع هو الأفضل والأحق و عدل عنه إلى من لا يساويه فى فضل و لا يوازيه فى جهاد و علم و لا يماثله فى سؤدد و شرف ساغ إطلاق هذه الألفاظ و إن كان من و سم بالخلافة قبله عدلا تقيا و كانت بيعته بيعة صحيحة أ لا ترى أن البلد قد يكون فيه فقيهان أحدهما أعلم من الآخر بطبقات كثيرة فيجعل السلطان الأنقص علما منهما قاضيا فيتوجد الأعلم و يتألم و ينفث أحيانا بالشكوى و لا يكون ذلك طعنا فى القاضى و لا تفسيقا له و لا حكما منه بأنه غير صالح بل للعدول عن الأحق و الأولى و هذا أمر مركز فى طباع البشر و مجبول فى أصل الغريزة و الفطرة فأصحابنا رحمهم الله لما أحسنوا الظن بالصحابة و حملوا ما وقع منهم على وجه الصواب و أنهم نظروا إلى مصلحة الإسلام و خافوا فتنة لا تقتصر على ذهاب الخلافة فقط بل و تفضى إلى ذهاب النبوة و الملة فعدلوا عن الأفضل الأشرف الأحق إلى فاضل آخر دونه فعقدوا له احتاجوا إلى تأويل هذه الألفاظ الصادرة عن معتقدونه فى الجلالة و الرفعة قريبا من منزلة النبوة فتأولوها بهذا التأويل و حملوها على التألم للعدول عن الأولى . و ليس هذا بأبعد من تأويل الإمامية قوله تعالى وَ عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى و قولهم معنى عصى أنه عدل عن الأولى لأن الأمر بترك أكل الشجرة كان أمرا على سبيل الندب فلما تركه آدم كان تاركا للأفضل و الأولى فسمى عاصيا باعتبار مخالفة الأولى و حملوا غوى على خاب لا على الغواية بمعنى الضلال و معلوم أن تأويل كلام أمير المؤمنين ع و حمله على أنه شك من تركهم الأولى أحسن من حمل قوله تعالى وَ عَصَى آدَمُ عَلَى أَنَّهُ تَرَكَ الْأَوْلَى . - قرآن - ١٠٦٦ - ١٠٩٢ - قرآن - ١٤٢٣ - ١٤٣٥ [صفحة ١٥٨] إن قيل لا تخلو الصحابة إما أن تكون عدلت عن الأفضل لعل و مانع فى الأفضل أو لا لمانع فإن كان لا لمانع كان ذلك عقدا للمفضول بالهوى فيكون باطلا و إن كان لمانع و هو ما تذكرونه من خوف الفتنة و كون الناس كانوا يبغضون عليا ع و يحسدونه فقد كان يجب أن يعذرهم أمير المؤمنين ع فى العدول عنه و يعلم أن العقد لغيره هو المصلحة للإسلام فكيف حسن منه أن يشكوهم بعد ذلك و يتوجد عليهم . وأيضا فما معنى قوله فطفقت أرتى بين أن أصول بيد جذا على ما تأولتم به كلامه فإن تارك الأولى لا يصلح عليه بالحرب . قيل يجوز أن يكون أمير المؤمنين ع لم يغلب على ظنه ما غلب على ظنون الصحابة من الشغب و ثوران الفتنة و الظنون تختلف باختلاف الأمارات فرب إنسان يغلب على ظنه أمر يغلب على ظن غيره خلافة و أما قوله أرتى بين أن أصول فيجوز أن يكون لم يعن به صيال الحرب بل صيال الجدل و المناظرة يبين ذلك أنه لو كان جادلهم و أظهر ما فى نفسه لهم فربما خصموه بأن يقولوا له قد غلب على ظنوننا أن الفساد يعظم و يتفاقم إن وليت الأمر و لا يجوز مع غلبة ظنوننا لذلك أن نسلم الأمر إليك فهو ع قال طفقت أرتى بين أن أذكر لهم فضائلهم و أحاجهم بهافيحيونى بهذا الضرب من الجواب الذى تصير حجتي به جذا مقطوعة و لا قدرة لى على تشييدها و نصرتها و بين أن أصبر على مامنت به و دفعت إليه . إن قيل إذا كان ع لم يغلب على ظنه وجود العلة و المانع فيه و قد استراب الصحابة و شكاهم لعدولهم عن الأفضل الذى لاعلة فيه عنده فقد سلمتم أنه ظلم الصحابة

ونسبهم إلى غضب حقه فما الفرق بين ذلك و بين أن يستظلمهم لمخالفة النص وكيف [صفحہ ۱۵۹] هربتم من نسبته لهم إلى الظلم لدفع النص ووقعتم في نسبته لهم إلى الظلم لخلاف الأولى من غير علة في الأولى من غير علة في الأولى كتارك النص لأن العقد في كلا الموضوعين يكون فاسدا. قيل الفرق بين الأمرين ظاهر لأنه ع لونسبهم إلى مخالفة النص لوجب وجود النص و لو كان النص موجودا لكانوا فاسقا أو كفارا لمخالفته و أما إذانسبهم إلى ترك الأولى من غير علة في الأولى فقد نسبهم إلى أمر يدعون فيه خلاف ما يدعى ع وأحد الأمرين لازم و هو إما أن يكون ظنهم صحيحا أو غير صحيح فإن كان ظنهم هو الصحيح فلا كلام في المسألة و إن لم يكن ظنهم صحيحا كانوا كالمجتهد إذا ظن وأخطأ فإنه معذور ومخالفة النص أمر خارج عن هذا الباب لأن مخالفه غير معذور بحال فافترق المحملان

مرض رسول الله وأمره أسامة بن زيد على الجيش

لما مرض رسول الله ص مرض الموت دعا أسامة بن زيد بن حارثة فقال سر إلى مقتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك على هذا الجيش و إن أظفرك الله بالعدو فأقل اللبث وبث العيون وقدم الطلائع فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين والأنصار إلا كان في ذلك الجيش منهم أبو بكر وعمر فتكلم قوم وقالوا يستعمل هذا الغلام على جلة المهاجرين والأنصار فغضب رسول الله ص لما سمع ذلك وخرج عاصبا رأسه فصعد المنبر و عليه قطيفة فقال أيها الناس ما مقالة بلغتنى عن بعضكم في تأمير أسامة لئن طعنتم في تأمير أسامة فقد طعنتم في تأمير أبيه من قبله وإيم الله إن كان لخليقا بالإمارة وابنه من بعده لخليق بها -روایت- ۱-
ادامه دارد [صفحہ ۱۶۰] وإنهما لمن أحب الناس إلى فاستوصوا به خيرا فإنه من خياركم -روایت- از قبل -۶۵- ثم نزل ودخل بيته وجاء المسلمون يودعون رسول الله ص ويمضون إلى عسكر أسامة بالجرف . وثقل رسول الله ص واشتد ما يجده فأرسل بعض نسائه إلى أسامة وبعض من كان معه يعلمونهم ذلك فدخل أسامة من معسكره و النبي ص مغمور و هو اليوم الذي لدوه فيه فتطأ أسامة عليه فقبله و رسول الله ص قد أسكت فهو لا يتكلم فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يضعهما على أسامة كالداعى له ثم أشار إليه بالرجوع إلى عسكره والتوجه لمابعثه فيه فرجع أسامة إلى عسكره ثم أرسل نساء رسول الله ص إلى أسامة يأمرنه بالدخول ويقلن إن رسول الله ص قد أصبح بارئا فدخل أسامة من معسكره يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول فوجد رسول الله ص مفيقا فأمره بالخروج وتعجيل النفوذ و قال اغد على بركة الله وجعل يقول أنفذوا بعث أسامة ويكرر ذلك فودع رسول الله ص وخرج ومعه أبو بكر وعمر فلما ركب جاءه رسول أم أيمن فقال إن رسول الله ص يموت فأقبل ومعه أبو بكر وعمر و أبو عبيدة فانتهوا إلى رسول الله ص حين زالت الشمس من هذا اليوم و هو يوم الإثنين و قدمات واللواء مع بريدة بن الحصيب فدخل باللواء فركزه عند باب رسول الله ص و هو مغلق و على ع وبعض بنى هاشم مشتغلون بإعداد جهازه وغسله فقال العباس لعلى وهما في الدار امدد يدك أبايك فيقول الناس عم رسول الله بايع ابن عم رسول الله فلا يختلف عليك [صفحہ ۱۶۱] اثنان فقال له أ ويطمع ياعم فيها طامع غيري قال ستعلم فلم يلبثا أن جاءتهما الأخبار بأن الأنصار أقعدت سعدا لتبايعه و أن عمر جاء بأبي بكر فبايعه وسبق الأنصار بالبيعة فندم على ع على تفريطه في أمر البيعة وتقاعده عنها وأنشده العباس قول دريد أمرتهم أمري بمنعرج اللوى || فلم يستبينوا النصح إلاضحى الغد . وتزعم الشيعة أن رسول الله ص كان يعلم موته و أنه سير أبا بكر وعمر في بعث أسامة لتخلو دار الهجرة منهما فيصفو الأمر لعلى ع وبيبايعه من تخلف من المسلمين بالمدينة على سكون وطمأنينة فإذا جاءهما الخبر بموت رسول الله ص وبيعة الناس لعلى ع بعده كانا عن المنازعة والخلاف أبعده لأن العرب كانت تلتزم بإتمام تلك البيعة ويحتاج في نقضها إلى حروب شديدة فلم يتم له ما قدر و تناقل أسامة بالجيش أياما مع شدة حث رسول الله ص على

نفوذه وخروجه بالجيش حتى مات ص وهما بالمدينة فسبقا عليا إلى البيعة وجرى ماجرى . وهذا عندي غير منقذ لأنه إن كان ص يعلم موته فهو أيضا يعلم أن أبابكر سيلي الخلافة و مايعلمه لا يحترس منه وإنما يتم هذا ويصح إذا فرضنا أنه ع كان يظن موته و لايعلمه حقيقة و يظن أن أبابكر وعمر يتمالآن على ابن عمه ويخاف وقوع ذلك منهما و لايعلمه حقيقة فيجوز إن كانت الحال هكذا أن ينقذ هذا التوهم ويتطرق هذا الظن كالواحد منا له ولدان يخاف من أحدهما [صفحة ١٦٢] أن يتغلب بعدموته على جميع ماله و لا يوصل أخاه إلى شيء من حقه فإنه قد يخطر له عند مرضه الذي يتخوف أن يموت فيه أن يأمر الولد المخوف جانبه بالسفر إلى بلد بعيد في تجارة يسلمها إليه يجعل ذلك طريقا إلى دفع تغلبه على الولد الآخر حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده شتان ما يومي على كورها || وَ يَوْمَ حَيَانَ أَخِي جَابِرٍ فَيَا عَجَبًا بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا لِأَخْرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ لَشَدِّ مَا تَشَطَّرَا ضَرَعِيهَا فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ يَغْلُظُ كَلِمَهَا وَ يَخْشُنُ مَسَّهَا وَ يَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا وَ الْإِعْتِدَارُ مِنْهَا فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّيْبِ إِنْ أَسْنَقَ لَهَا خَرَمٌ وَ إِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمِ فَمَنْي النَّاسِ لَعَمْرُ اللَّهِ بِخَبِطٍ وَ شِمَاسٍ وَ تَلَوْنٍ وَ اعْتِرَاضٍ فَصَبِرْتُ عَلَى طُولِ الْمِيْدَةِ وَ شِدَّةِ الْمِحْنَةِ مَضَى لِسَبِيلِهِ مَاتَ وَالسَّبِيلُ الطَّرِيقُ وَ تَقْدِيرُهُ مَضَى عَلَى سَبِيلِهِ وَ تَجِيءُ اللَّامُ بِمَعْنَى عَلَى كَقَوْلِهِ فخر صريعا لليدين وللغم . و قوله فأدلى بها من قوله تعالى وَ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ - قرآن - ٣٧-٨٢ . و قوله فأدلى بها من قوله تعالى وَ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَ تُدَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ أَى تَدْفَعُوهَا إِلَيْهِمْ رَشْوَةً وَأَصْلُهُ مِنْ أَدْلَيْتِ الدُّلُو فِي الْبُرِّ أَرْسَلْتَهَا . فَإِنْ قُلْتَ فَإِنْ أَبَابُكْرَ إِذَا دَفَعَهَا إِلَى عَمْرِ حِينَ مَاتَ وَ لَامَعْنَى لِلرَّشْوَةِ عِنْدَ الْمَوْتِ . قُلْتَ لَمَّا كَانَ عَ يَرَى أَنَّ الْعَدُولَ بِهَا عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ إِخْرَاجَ لَهَا إِلَى غَيْرِجَهَةِ الْإِسْتِحْقَاقِ شَبَّهَ ذَلِكَ بِإِدْلَاءِ الْإِنْسَانِ بِمَالِهِ إِلَى الْحَاكِمِ فَإِنَّهُ إِخْرَاجَ لِلْمَالِ إِلَى غَيْرِ وَجْهِهِ فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ بَابِ الْإِسْتِعَارَةِ . - قرآن - ١-٣٢

عهد أبي بكر بالخلافة إلى عمر بن الخطاب

و ابن الخطاب هو أبو حفص عمر الفاروق وأبوه الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب وأم عمر حنتمه بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . لما حضر أبو بكر قال للكاتب اكتب هذا ما عهد عبد الله بن عثمان آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة في الساعة التي يبر فيها الفاجر ويسلم فيها الكافر ثم أغمى عليه فكتب الكاتب عمر بن الخطاب ثم أفاق أبو بكر فقال اقرأ ما كتبت فقرأ وذكر اسم عمر فقال أنى لك هذا قال ما كنت لتعدوه فقال أصبت ثم قال أتم كتابك قال ما أكتب قال اكتب و ذلك حيث أجال رأيه وأعمل فكره فأرى أن هذا الأمر لا يصلح آخره إلا بما يصلح به أوله و لا يَحْتَمِلُهُ إِلَّا أَفْضَلُ الْعَرَبِ مَقْدَرَةٌ وَأَمْلِكُهُمْ لِنَفْسِهِ وَأَشَدَّهُمْ فِي حَالِ الشَّدَّةِ وَأَسْلَسَهُمْ فِي حَالِ الْلِينِ وَأَعْلَمَهُمْ بِرَأْيِ ذَوِي الرَّأْيِ لَا يَتَشَاغَلُ بِمَا لَا يَعْنِيهِ وَ لَا يَحْزَنُ لِمَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ [صفحة ١٦٤] وَ لَا يَسْتَحْيِ مِنَ التَّعَلُّمِ وَ لَا يَتَحَيَّرُ عِنْدَ الْبَدِيهَةِ قَوَى عَلَى الْأُمُورِ لَا يَجُوزُ بِشَيْءٍ مِنْهَا حِدَةً عِدْوَانًا وَ لَا تَقْصِيرًا يَرْصُدُ لِمَا هُوَ آتٍ عِتَادَهُ مِنَ الْحَذَرِ . فلما فرغ من الكتاب دخل عليه قوم من الصحابة منهم طلحة فقال له ما أنت قائل لربك غدا و قد وليت علينا فظا غليظا تفرق منه النفوس و تنفض عنه القلوب . فقال أبو بكر أسندوني و كان مستلقيا فأسندوه فقال لطلحة أبا الله تخوفنى إذا قال لى ذلك غدا قلت له وليت عليهم خير أهلك . ويقال أصدق الناس فراسة ثلاثة العزيز في قوله لامرأته عن يوسف ع وَ قَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّجِدَهُ وَلَمَدًا وَابْنَهُ شَعِيبَ حَيْثُ قَالَتْ لِأَبِيهَا فِي مُوسَى يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوَى الْأَمِينُ وَ أَبُو بَكْرٍ فِي عَمْرِ . وَ رَوَى كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَنَّ أَبَابُكْرَ لَمَّا نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ دَعَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ فَقَالَ أَخْبِرْنِي عَنْ عَمْرِ فَقَالَ إِنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ رَأْيِكَ فِيهِ إِلَّا - أَنْ فِيهِ غَلْظَةٌ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ذَاكَ لِأَنَّهُ يَرَانِي رَقِيقًا وَ لَوْ قَدْ أَفْضَى الْأَمْرَ إِلَيْهِ لَتَرَكَ كَثِيرًا مِمَّا هُوَ عَلَيْهِ وَ

قدمته إذا أنا غضبت على رجل أراني الرضا عنه و إذالت له أراني الشدة عليه ثم دعا عثمان بن عفان فقال أخبرني عن عمر فقال سريره خير من علانيته و ليس فينا مثله فقال لهما لا تذكر ما قلت لكما شيئاً و لو تركت عمر لماعدوتك يا عثمان والخيرة لك ألا تلى من أمورهم شيئاً ولوددت أنى كنت من أموركم خلوا و كنت فيمن مضى من سلفكم و دخل طلحة بن عبيد الله على أبى بكر فقال إنه بلغنى أنك يا خليفة قرآن- ٤٨١- ٥٨٦- قرآن- ٦٢٧- ٦٩٣ [صفحة ١٦٥] رسول الله استخلفت على الناس عمر و قدرأيت مايلقى الناس منه و أنت معه فكيف به إذا خلا بهم و أنت غدا لاق ربك فيسألك عن رعيتك فقال أبو بكر أجلسونى ثم قال أبالله تخوفنى إذالقيت ربي فسألنى قلت استخلفت عليهم خير أهلك فقال طلحة أعر خير الناس يا خليفة رسول الله فاشتد غضبه و قال إى و الله هو خيرهم و أنت شرهم أما و الله لووليتك لجعلت أنفك فى قفاك و لرفعت نفسك فوق قدرها حتى يكون الله هو الذى يضعها أتيتنى و قد دلكت عينك تريد أن تفتننى عن دينى و تزيلىنى عن رأىى قم لأقام الله رجلك أما و الله لئن عشت فواق ناقة و بلغنى أنك غمصته فيها أو ذكرته بسوء لألحقنك بمحمضات فنه حيث كنتم تسقون و لاتروون و ترعون و لاتشبعون و أنتم بذلك بجحون راضون فقام طلحة فخرج . أحضر أبو بكر عثمان و هو يوجد بنفسه فأمره أن يكتب عهدا و قال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ماعهد عبد الله بن عثمان إلى المسلمين أما بعد ثم أغمى عليه و كتب عثمان قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب و أفاق أبو بكر فقال اقرأ فقراه فكبر أبو بكر و سر و قال أراك خفت أن يختلف الناس أن مت فى غشيتى قال نعم قال جزاك الله خيرا عن الإسلام و أهله ثم أتم العهد و أمر أن يقرأ على الناس فقروا عليهم ثم أوصى عمر فقال له إن لله حقا بالليل لا يقبله فى النهار و حقا فى النهار لا يقبله بالليل و إنه لا يقبل نافلة ما لم تؤد الفريضة و إنما ثقلت موازين من اتبع الحق مع ثقله عليه و إنما خفت موازين من اتبع الباطل لخفته عليه إنما أنزلت آية الرخاء مع آية الشدة لئلا يرغب المؤمن رغبة يتمنى فيها على الله ما ليس له و لئلا [صفحة ١٦٦] يرهب رهبة يلقي فيها يديه فإن حفظت وصيتى فلا يكن غائب أحب إليك من الموت و لست معجزة ثم توفى أبو بكر . دعا أبو بكر عمر يوم موته بعد عهده إليه فقال إنى لأرجو أن أموت فى يومى هذا فلاتمسين حتى تندب الناس مع المثنى بن حارثة و إن تأخرت إلى الليل فلاتصبحن حتى تندب الناس معه و لاتشغلنكم مصيبة عن دينكم و قدرأيتنى متوفى رسول الله ص كيف صنعت . و توفى أبو بكر ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة من سنة ثلاث عشرة . و أما البيت الذى تمثل به ع فإنه للأعشى الكبير أعشى قيس و هو أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل من القصيدة التى قالها فى منافرة علقمة بن علاثة و عامر بن الطفيل و أولها علقم ما أنت إلى عامر || الناقض الأوتار و الواتر . يقول فيها و قد أسلى الهم إذ يعترى || بجسرة دوسرة عاقر زبافة بالرحل خطارة || تلوى بشرخى ميسة قاتر . شرخا الرحل مقدمه و مؤخره و الميس شجر يتخذ منه الرحال و رحل قاتر جيد الوقوع على ظهر البعير [صفحة ١٦٧] شتان ما يومى على كورها || و يوم حيان أخى جابر أرمى بها البيداء إذ هجرت || و أنت بين القرو و العاصر فى مجدل شيد بنيانه || يزل عنه ظفر الطائر . تقول شتان ما هما و شتان هما و لا يجوز شتان ما بينهما إلا على قول ضعيف . و شتان أصله شتت كوشكان ذا خروجا من وشك و حيان و جابر ابنا السمين الحنفيان و كان حيان صاحب شراب و معاقره خمر و كان نديم الأعشى و كان أخوه جابر أصغر سنا منه فيقال إن حيان قال للأعشى نسبتنى إلى أخى و هو أصغر سنا منى فقال إن الروى اضطرني إلى ذلك فقال و الله لانا زعتك كأسا أبدا ما عشت يقول شتان يومى و أنا فى الهاجرة و الرمضاء أسير على كور هذه الناقة و يوم حيان و هو فى سكرة الشراب ناعم البال مرفه من الأكدار و المشاق و القرو شبه حوض يتخذ من جذع أو من شجر ينبذ فيه و العاصر الذى يعنصر العنب و المجدل الحصن المنيع . و شبه بهذا المعنى قول الفضل بن الربيع فى أيام فتنه الأمين يذكر حاله و حال أخيه المأمون إنما نحن شعب من أصل إن قوى قوينا و إن ضعف ضعفنا و إن هذا الرجل قد ألقى بيده إلقاء الأمة الوكعاء يشاور النساء و يقدم على الرؤيا قد أمكن أهل الخسارة و اللهو من سمعه فهم يمنونه الظفر و يعدونه عقب الأيام و الهلاك أسرع إليه من السيل إلى قيعان الرمل ينام نوم الطربان و ينتبه انتباه

الذئب همه بطنه وفرجه لا يفكر في زوال نعمته ولا يروى في إمضاء رأى ولا مكيدة قد شمر له عبد الله [صفحة ١٦٨] عن ساقه وفوق إليه أسد سهامه يرميه على بعد الدار بالحتف النافذ والموت القاصد قد عبا له المنايا على متون الخيل وناط له البلايا بأسنة الرماح وشفار السيوف فهو كما قال الشاعر لشتان ما بيني وبين ابن خالد || أمية في الرزق ألقى الله يقسم يقارع أتراك ابن خاقان ليله || إلى أن يرى الإصباح لا يتلثم وأخذها حمراء كالمسك ريحها || لها أرج من دنها يتنسم فيصبح من طول الطراد وجسمه || نحيل وأضحى في النعيم أصمم . وأميه المذكور في هذا الشعر هو أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس كان والى خراسان وحارب الترك والشعر للبعث . يقول أمير المؤمنين ع شتان بين يومي في الخلافة مع ما انتقض على من الأمر ومنيت به من انتشار الجبل واضطراب أركان الخلافة وبين يوم عمر حيث وليها على قاعدة ممهدة وأركان ثابتة وسكون شامل فانتظم أمره واطرد حاله وسكنت أيامه . قوله ع فيا عجا أصله فيا عجبى كقولك يا غلامى ثم قلبوا الياء ألفا فقالوا يا عجا كقولهم يا غلاما فإن وقفت وقفت على هاء السكت فقلت يا عجا ويا غلاماه قال العجب منه وهو يستقبل المسلمين من الخلافة أيام حياته فيقول أقيوني ثم يعقدها عند وفاته لآخر وهذا يناقض الزهد فيها والاستقالة منها وقال شاعر من شعراء الشيعة حملوها يوم السقيفة || أوزارا تخف الجبال وهي ثقال [صفحة ١٦٩] ثم جاءوا من بعدها || يستقبلون وهيئات عثرة لا تقال . وقد اختلف الرواة في هذه اللفظة فكثير من الناس رواها أقيوني فليست بخيركم ومن الناس من أنكر هذه اللفظة ولم يروها وإنما روى قوله وليتكم ولست بخيركم واحتج بذلك من لم يشترط الأفضلية في الإمامة ومن رواها اعتذر لأبي بكر فقال إنما قال أقيوني ليثور ما في نفوس الناس من بيعته ويخبر ما عندهم من ولايته فيعلم مريدهم وكارههم ومحبههم ومبغضهم فلما رأى النفوس إليه ساكنة والقلوب لبيعه مدعنة استمر على إمارته وحكم حكم الخلفاء في رعيته ولم يكن منكرا منه أن يعهد إلى من استصلحه لخلافته . قالوا وقد جرى مثل ذلك لعلى ع فإنه قال للناس بعد قتل عثمان دعوني والتمسوا غيري فأنا لكم وزيرا خير مني لكم أميرا وقال لهم اتركوني فأنا كأحدكم بل أنا أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم -رواية ١-١٣٧ فأبوا عليه وبايعوه فكرهها أولا ثم عهد بها إلى الحسن ع عند موته . قالت الإمامية هذا غير لازم والفرق بين الموضوعين ظاهر لأن عليا ع لم يقل إنني لأصلح ولكنه كره الفتنة وأبو بكر قال كلاما معناه أني لأصلح لها لقوله لست بخيركم ومن نفى عن نفسه صلاحيته للإمامة لا يجوز أن يعهد بها إلى غيره . واعلم أن الكلام في هذا الموضوع مبنى على أن الأفضلية هل هي شرط في الإمامة أم لا وقد تكلمنا في شرح الغرر لشيخنا أبي الحسين رحمه الله تعالى في هذا البحث بما لا يحتمله هذا الكتاب [صفحة ١٧٠] وقوله ع لشد ما شطرا ضرعيها شد أصله شدد كقولك حب في حبذا أصله حب ومعنى شد صار شديدا جدا ومعنى حب صار حبيبا قال البحترى شد ما أغريت ظلوم بهجرى || بعد وجدى بها وغله صدرى . وللناقة أربعة أخلاف خلفان قدامان وخلفان آخران وكل اثنين منهما شطر وشطرا ضرعيها اقتسما فائدتهما ونفعهما والضمير للخلافة وسمى القادمين معا ضرعا وسمى الآخرين معا ضرعا لما كانا لتجاورهما ولكونهما لا يجلبان لإمعا كشيء واحد . قوله ع فجعلها في حوزة خشناء أى في جهة صعبة المرام شديدة الشكيمة والكلم الجرح . وقوله يغلظ من الناس من قال كيف قال يغلظ كلمها والكلم لا يوصف بالغلظ وهذا قوله فهم بالفصاحة ألا ترى كيف قد ووصف الله سبحانه العذاب بالغلظ فقال وَنَجِّنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ أى متضاعف لأن الغليظ من الأجسام هو ما كثف وجسم فكان أجزاءه وجواهره متضاعفة فلما كان العذاب أعادنا الله منه متضاعفا سمي غليظا وكذلك الجرح إذا معن وعمق فكأنه قد تضاعف وصار جروحا فسمى غليظا . إن قيل قد قال ع في حوزة خشناء فوصفها بالخشونة فكيف أعاد ذكر الخشونة ثانية فقال يخشن مسها . قيل الاعتبار مختلف لأن مراده بقوله في حوزة خشناء أى لا ينال ما عندها ولا يرام يقال إن فلانا لخشن الجانب ووعر الجانب ومراده بقوله يخشن -قرآن- ٤٦٩-٥٠٠ [صفحة ١٧١] مسها أى تؤذى وتضر وتنكئ من يمسهما يصف جفاء أخلاق الوالى المذكور ونفور طبعه وشدة بادرته . قوله ع ويكثر العثار فيها والاعتذار منها يقول ليست هذه

الجهة جددا مهيعا بل هي كطريق كثير الحجارة لا يزال الماشى فيه عاثرا. و أمانها في قوله ع والاعتذار منها فيمكن أن تكون من على أصلها يعني أن عمر كان كثيرا ما يحكم بالأمر ثم ينقضه ويفتى بالفتيا ثم يرجع عنها ويعتذر مما أفتى به أولا ويمكن أن تكون من هاهنا للتعليل والسببية أى ويكثر اعتذار الناس عن أفعالهم وحركاتهم لأجلها قال أ من رسم دار مربع ومصيف || لعينيك من ماء الشئون وكيف . أى لأجل أن رسم المربع والمصيف هذه الدار وكف دمع عينيك . والصعبة من النوق ما لم تركب و لم ترض إن أشنت لها راكبها بالزمام خرم أنفها و إن أسلس زمامها تقحم فى المهالك فألقته فى مهواة أو ماء أونار أوندت فلم تقف حتى ترديه عنها فهلك . وأشنت الرجل ناقته إذا كفها بالزمام و هوراكبها واللغة المشهورة شنت ثلاثية و فى الحديث أن طلحة أنشد قصيدة فما زال شانقا راحلته حتى كتبت له وأشنت البعير نفسه إذ ارفع رأسه يتعدى ولا يتعدى وأصله من الشناق و هو خيط يشد به فم القربة. و قال الرضى أبو الحسن رحمه الله تعالى إنما قال ع أشنت لها و لم يقل أشنتها لأنه جعل ذلك فى مقابلة قوله أسلس لها و هذا حسن فإنهم إذا [صفحة ١٧٢] قصدوا الأزواج فى الخطابة فعلوا مثل هذا قالوا الغدايا والعشايا والأصل الغدوات جمع غدوة و قال ص ارجعن مأزورات غير مأجورات -رواية ١-٢-رواية ١٣-٤١ وأصله موزورات بالواو لأنه من الوزر. و قال الرضى رحمه الله تعالى ومما يشهد على أن أشنت بمعنى شنت قول عدى بن زيد العبادى ساءها مالها تبين فى الأيدى || وإشناقها إلى الأعناق . قلت تبين فى هذا البيت فعل ماض تبين تبينا واللام فى لها تتعلق بتبين يقول ظهر لها ما فى أيدينا فساءها و هذا البيت من قصيدة أولها ليس شئ على المنون بياق || غير وجه المسيح الخلاق . و قد كان زارته بنية له صغيرة اسمها هند و هو فى الحبس حبس النعمان ويدها مغلولتان إلى عنقه فأنكرت ذلك وقالت ما هذا الذى فى يدك وعنقك يا أبت وبكت فقال هذا الشعر وقبل هذا البيت ولقد غمنى زيارة ذى قبرى || صغير لقربنا مشتاق ساءها مالها تبين فى الأيدى || وإشناقها إلى الأعناق . أى ساءها ما ظهر لها من ذلك ويروى ساءها ما بنا تبين أى ما بان وظهر ويروى ما بنا تبين بالرفع على أنه مضارع . ويروى إشناقها بالرفع عطا على مالتى هى بمعنى الذى وهى فاعلة ويروى بالجر عطا على الأيدى. [صفحة ١٧٣] و قال الرضى رحمه الله تعالى أيضا ويروى أن رسول الله ص خطب الناس و هو على ناقه قد شنت لها وهى تقصع بجرتها. قلت الجرة ما يعلو من الجوف وتجره الإبل والدره ما يسفل وتقصع بهاتدفع و قد كان للرضى رحمه الله تعالى إذا كانت الرواية قد وردت هكذا أن يحتج بها على جواز أشنت لها فإن الفعل فى الخبر قد عدى باللام لابن نفسه قوله ع فمنى الناس أى بلى الناس قال منيت بزمردة كالعصا . والخبط السير على غير جادة والشماس النفار والتلون التبدل والاعتراض السير لا على خط مستقيم كأنه يسير عرضا فى غضون سيره طولا وإنما يفعل ذلك البعير الجامح الخابط وبعير عرضى يعترض فى مسيره لأنه لم يتم رياضته و فى فلان عرضية أى عجرة وصعوبة

طرف من أخبار عمر بن الخطاب

و كان عمر بن الخطاب صعبا عظيم الهيبة شديد السياسة لا يحابى أحدا ولا يراقب شريفا ولا مشروفا و كان أكبر الصحابة يتحامون ويتفادون من لقاءه كان أبوسفیان بن حرب فى مجلس عمر وهناك زياد ابن سمية وكثير من الصحابة فتكلم زياد فأحسن و هو يومئذ غلام فقال على ع و كان حاضرا لأبى سفيان و هو إلى جانبه لله هذا الغلام لو كان قرشيا لساق العرب بعصاه فقال له أبوسفیان أما والله لو عرفت أباه لعرفت أنه من خير أهلك قال و من أبوه قال أنا وضعت و الله فى رحم أمه فقال على ع فما يمنعك من استلحاقه قال أخاف هذا العير الجالس أن يخرق على إهابى [صفحة ١٧٤] وقيل لابن عباس لما أظهر قوله فى العول بعدموت عمر و لم يكن قبل يظهره هلا قلت هذا وعمر حى قال هبته و كان امرأ مهاجا. واستدعى عمر امرأة ليسألها عن أمر

وكانت حاملاً فلشده هيبته ألفت ما فى بطنها فأجهضت به جينا ميتا فاستفتى عمر أكابر الصحابة فى ذلك فقالوا لا شىء عليك إنما أنت مؤدب فقال له على ع إن كانوا راقبوك فقد غشوك و إن كان هذا جهد رأيهم فقد أخطئوا عليك غره يعنى عتق رقبة فرجع عمر والصحابة إلى قوله . وعمر هو الذى شد بيعة أبى بكر ووقم المخالفين فيها فكسر سيف الزبير لما جرده ودفع فى صدر المقداد ووطئ فى السقيفة سعد بن عباد و قال اقتلوا سعدا قتل الله سعدا وحطم أنف الحباب بن المنذر الذى قال يوم السقيفة أنا جدي لها المحكك وعذيقها المرجب وتوعد من لجأ إلى دار فاطمة ع من الهاشميين وأخرجهم منها ولولاه لم يثبت لأبى بكر أمر و لا قامت له قائمة . و هو الذى ساس العمال وأخذ أموالهم فى خلافته و ذلك من أحسن السياسات . وروى الزبير بن بكار قال لما قلد عمر عمرو بن العاص مصر بلغه أنه قد صار له مال عظيم من ناطق وصامت فكتب إليه أما بعد فقد ظهر لى من مالك ما لم يكن فى رزقك و لا كان لك مال قبل أن أستعملك فأنى لك هذا فو الله لو لم يهمنى فى ذات الله إلا من اختان فى مال الله لكثير همى وانثر أمرى ولقد كان عندى من المهاجرين الأولين من هو خير منك ولكنى قلدتك رجاء غنائك فكتب إلى من أين لك هذا المال وعجل . [صفحہ ۱۷۵] فكتب إليه عمرو أما بعد فقد فهمت كتاب أمير المؤمنين فأما ما ظهر لى من مال فأنا قدمنا بلاداً رخيصة الأسعار كثيرة الغزو فجعلنا ما أصابنا فى الفضول التى اتصل بأمر المؤمنين نبؤها و والله لو كانت خيانتك حلالاً ما خنتك و قد ائتمنتنى فإن لنا أحساباً إذا رجعنا إليها أغنتنا عن خيانتك و ذكرت أن عندك من المهاجرين الأولين من هو خير منى فإذا كان ذاك فو الله ما دقت لك يا أمير المؤمنين باباً و لا فتحت لك قفلاً فكتب إليه عمر أما بعد فإنى لست من تسطيرك الكتاب و تشقيقك الكلام فى شىء ولكنكم معشر الأمراء قعدتم على عيون الأموال ولن تعدموا عذراً وإنما تأكلون النار و تتعجلون العار و قد وجهت إليك محمد بن مسلمة فسلم إليه شطر مالك . فلما قدم محمد صنع له عمرو طعاماً ودعاه فلم يأكل و قال هذه مقدمة الشر و لو جئتنى بطعام الضيف لأكلت فنج عنى طعامك و أحضر لى مالك فأحضره فأخذ شطره فلما رأى عمرو كثرة ما أخذ منه قال لعن الله زمانا صرت فيه عاملاً لعمر و الله لقد رأيت عمر و أباه على كل واحد منهما عباءة قطوانية لا تتجاوز ما بضع ركبتيه و على عنقه حزمة حطب و العاص بن وائل فى مزررات الديقاج فقال محمد إياها عنك يا عمرو فعمرو و الله خير منك و أما أبوك و أبوه فإنهما فى النار و لو لا الإسلام لألقيت معتلقاً شاه يسرك غزرها و يسوؤك بكوؤها قال صدقت فآتمنى على قال أفعلى قال الربيع بن زياد الحارثى كنت عاملاً لأبى موسى الأشعرى على البحرين [صفحہ ۱۷۶] فكتب إليه عمر بالقدوم عليه هو و عماله و أن يستخلفوا جميعاً فلما قدمنا المدينة أتيت يرفاً حاجب عمر فقلت يا يرفاً مسترشد و ابن سبيل أى الهيئات أحب إلى أمير المؤمنين أن يرى فيها عماله فأوماً إلى بالخشونة فاتخذت خفين مطارقين و لبست جبه صوف و لثت عمامتى على رأسى ثم دخلنا على عمر ففصنا بين يديه فصعد بصره فينا و صوب فلم تأخذ عينه أحداً غيرى فدعانى فقال من أنت قلت الربيع بن زياد الحارثى قال و ماتولى من أعمالنا قلت البحرين قال كم ترزق قلت ألفاً قال كثير فما تصنع به قلت أتقوت منه شيئاً و أعود بباقيه على أقارب لى فما فضل منهم فعلى فقراء المسلمين قال لا بأس أرجع إلى موضعك فرجعت إلى موضعى من الصف فصعد فينا و صوب فلم تقع عينه إلا على فدعانى فقال كم سنك قلت خمس و أربعون فقال الآن حيث استحكمت ثم دعا بالطعام و أصحابى حديث عهدهم بلين العيش و قد تجوعت له فأتى بخبز يابس و أكسار بعير فجعل أصحابى يعافون ذلك و جعلت آكل فأجيد و أنا أنظر إليه و هو يلحظنى من بينهم ثم سبقت منى كلمة تمنيت لها أنى سخت فى الأرض فقلت يا أمير المؤمنين إن الناس يحتاجون إلى صلاحك فلو عمدت إلى طعام ألين من هذا فزجرنى ثم قال كيف قلت قلت يا أمير المؤمنين أن تنظر إلى قوتك من الطحين فيخبز قبل إرادتك إياه بيوم و يطبخ لك اللحم كذلك فتؤتى بالخبز لنا و باللحم غريضا فسكن من غره و قال أها هنا غرت قلت نعم فقال يارببع إنا لونشاء لملاًنا هذه الرحاب من صلاتك و سبائكك و صنابك ولكنى رأيت الله نعى على قوم شهواتهم فقال أذهبتم طيباتكم - قرآن - ۱۳۷۸-۱۳۹۸ فكتب إليه عمر بالقدوم عليه هو و عماله و أن يستخلفوا جميعاً فلما قدمنا

المدينة أتيت يرفاً حاجب عمر فقلت يارفاً مسترشد و ابن سبيل أى الهيئات أحب إلى أمير المؤمنين أن يرى فيها عمله فأوماً إلى بالخشونة فاتخذت خفين مطارقين ولبست جبهه صوف ولثت عمامتي على رأسي ثم دخلنا على عمر فصفا بين يديه فصعد بصره فينا و صوب فلم تأخذ عينه أحداً غيري فدعاني فقال من أنت قلت الربيع بن زياد الحارثي قال و ماتتولى من أعمالنا قلت البحرين قال كم ترزق قلت ألفا قال كثير فما تصنع به قلت أتقوت منه شيئاً وأعود ببقائه على أقارب لي فما فضل منهم فعلى فقراء المسلمين قال لأبأس ارجع إلى موضعك فرجعت إلى موضعي من الصف فصعد فينا و صوب فلم تقع عينه إلا على فدعاني فقال كم سنك قلت خمس وأربعون فقال الآن حيث استحكمت ثم دعا بالطعام وأصحابي حديث عهدهم بلين العيش و قد تجوعت له فأتى بخبز يابس وأكسار بعير فجعل أصحابي يعافون ذلك وجعلت أكل فأجيد و أنا أنظر إليه و هو يلحظني من بينهم ثم سبقت مني كلمة تمنيت لها أنى سخت في الأرض فقلت يا أمير المؤمنين إن الناس يحتاجون إلى صلاحك فلو عمدت إلى طعام ألين من هذا فزجرتني ثم قال كيف قلت فقلت يا أمير المؤمنين أن تنظر إلى قوتك من الطحين فيخبز قبل إرادتك إياه بيوم و يطبخ لك اللحم كذلك فتؤتى بالخبز لنا وباللحم غريضا فسكن من غربه و قال أها هنا غرت قلت نعم فقال ياربيع إنا لونشاء لملاًنا هذه الرحاب من صلاتك و سبائك و صناب و لكنى رأيت الله نعى على قوم شهواتهم فقال أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا -قرآن- ٢٣-١ ثم أمر أبا موسى بإقراري و أن يستبدل بأصحابي. أسلم عمر بعد جماعة من الناس و كان سبب إسلامه أن أخته و بعها أسلما سرا من عمر فدخل إليهما خباب بن الأرت يعلمهما الدين خفية فوشى بهم و أش إلى عمر فجاء دار أخته فتواري خباب منه داخل البيت فقال عمر ما هذه الهينة عندكم قالت أخته ماعدا حديثا تحدثناه بيننا قال أراكما قد صبوتما قال ختنه أرأيت إن كان هو الحق فوثب عليه عمر فوطئه و طئا شديدا فجاءت أخته فدفعته عنه فنفحها بيده فدمى وجهها ثم ندم ورق و جلس واجما فخرج إليه خباب فقال أبشر يا عمر فإني أرجو أن تكون دعوة رسول الله لك الليلة فإنه لم يزل يدعو منذ الليلة اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمر بن هشام . قال فانطلق عمر متقلدا سيفه حتى أتى إلى الدار التي فيها رسول الله ص يومئذ و هي الدار التي فى أصل الصفا و على الباب حمزة و طلحة و ناس من المسلمين فوجل القوم من عمر لإحزمة فإنه قال قد جاءنا عمر فإن يرد الله به خيرا يهده و إن يرد غير ذلك كان قتله علينا هينا و النبي ص داخل الدار يوحى إليه فسمع كلامهم فخرج حتى أتى عمر فأخذ بمجامع ثوبه و حمائل سيفه و قال ما أنت بمنته يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة اللهم هذا عمر الإسلام بعمر فقال عمر أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . مر يوماً عمر فى بعض شوارع المدينة فناده إنسان ما أراك إلا تستعمل عمالك وتعهد إليهم اليهود وترى أن ذلك قد أجزأك كلا و الله إنك المأخوذ بهم إن لم تتعهدهم [صفحة ١٧٨] قال ماذا قال عياض بن غنم يلبس اللين و يأكل الطيب و يفعل كذا و كذا قال أساع قال بل مؤد ما عليه فقال لمحمد بن مسلمة الحق بعياض بن غنم فأتني به كما تجده فمضى محمد بن مسلمة حتى أتى باب عياض و هو أمير على حمص و إذا عليه بواب فقال له قل لعياض على بابك رجل يريد أن يلقاك قال ماتقول قال قل له ما أقول لك فقام كالمتعجب فأخبره فعرف عياض أنه أمر حدث فخرج فإذا محمد بن مسلمة فأدخله فرأى على عياض قميصا رقيقا و رداء لينا فقال إن أمير المؤمنين أمرنى ألا أفارقك حتى آتية بك كما أجده فأتني على عمر و أخبره أنه وجدته فى عيش ناعم فأمر له بعضا و كساء و قال اذهب بهذه الغنم فأحسن رعيها فقال الموت أهون من ذلك فقال كذبت و لقد كان ترك ما كنت عليه أهون عليك من ذلك فساق الغنم بعصاه و الكساء فى عنقه فلما بعدرده و قال أرأيت إن رددتك إلى عمالك أتصنع خيرا قال نعم و الله يا أمير المؤمنين لا يبلغك منى بعدها ما تكره فرده إلى عمله فلم يبلغه عنه بعدها ما ينقمه عليه . كان الناس بعد وفاة رسول الله ص يأتون الشجرة التي كانت بيعه الرضوان تحتها فيصلون عندها فقال عمر أراكم أيها الناس رجعتم إلى العزى ألا لا أوتى منذ اليوم بأحد عاد لمثلها إلا قتلتها بالسيف كما يقتل المرتد ثم أمر بها فقطعت . لمامات رسول الله ص وشاع بين الناس

موته طاف عمر على الناس قائلاً إنه لم يمّت ولكنه غاب عنا كما غاب موسى عن قومه وليرجعن فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنه مات فجعل لايمر بأحد يقول إنه مات إلا ويخبطه ويتوعده حتى جاء أبو بكر فقال أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات [صفحة ١٧٩] و من كان يعبد رب محمداً فإنه حتى لم يمّت ثم تلا قوله تعالى أ فَان مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ قَالُوا فَوَاللّٰهِ لَكَانَ لَلنَّاسِ مَا سَمِعُوا هَذِهِ الْآيَةَ حَتَّى تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ عَمْرٌ لِمَا سَمِعْتَهُ يَتْلُوهَا هَوَيْتَ إِلَى الْأَرْضِ وَعَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَدِمَات . لما قتل خالد مالك بن نويرة ونكح امرأته كان في عسكره أبو قتادة الأنصاري فركب فرسه والتحق بأبي بكر وحلف ألا- يسير في جيش تحت لواء خالد أبداً فقص على أبي بكر القصة فقال أبو بكر لقد فنتت الغنائم العرب وترك خالد ما أمر به فقال عمر إن عليك أن تقيده بمالك فسكت أبو بكر وقدم خالد فدخل المسجد و عليه ثياب قد صدئت من الحديد و في عمامته ثلاثة أسهم فلما رآه عمر قال أرياء ياعدو الله عدوت على رجل من المسلمين فقتلته ونكحت امرأته أما والله إن أمكنني الله منك لأرجمنك ثم تناول الأسهم من عمامته فكسرها وخالد ساكت لا يرد عليه ظناً أن ذلك عن أمر أبي بكر ورأيه فلما دخل إلى أبي بكر وحدثه صدقه فيما حكاه وقبل عذره فكان عمر يحرض أبا بكر على خالد ويشير عليه أن يقتص منه بدم مالك فقال أبو بكر إياها ياعمر ما هو بأول من أخطأ فأرفع لسانك عنه ثم ودى مالكا من بيت مال المسلمين . لما صالح خالد أهل اليمامة وكتب بينه وبينهم كتاب الصلح وتزوج ابنة مجاعة بن مرارة الحنفي وصل إليه كتاب أبي بكر لعمرى يا ابن أم خالد إنك لفارغ حتى تزوج النساء وحول حجرتك دماء المسلمين لم تجف بعد في كلام أغلظ له فيه فقال خالد هذا الكتاب ليس من عمل أبي بكر هذا عمل الأعيسر يعني عمر -قرآن- ٦٢-١١٢ [صفحة ١٨٠] عزل عمر خالد عن إمارة حمص في سنة سبع عشرة وإقامة للناس وعقله بعمامته ونزع قلنسوته عن رأسه وقال أعلمني من أين لك هذا المال وذلك أنه أجاز الأشعث بن قيس بعشرة آلاف درهم فقال من الأنفال والسهمان فقال لا والله لا تعمل لي عملاً بعد اليوم وشاطره ماله وكتب إلى الأمصار بعزله وقال إن الناس فتنوا به فخفت أن يوكلوا إليه وأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع . لما أسر الهرمزان حمل إلى عمر من تستر إلى المدينة ومعه رجال من المسلمين منهم الأحنف بن قيس وأنس بن مالك فأدخلوه المدينة في هيئته وتاجه وكسوته فوجدوا عمر نائماً في جانب المسجد فجلسوا عنده ينتظرون انتباهه فقال الهرمزان وأين عمر قالوا ها هوذا قال أين حرسه قالوا لا حاجب له ولا حارس قال فينبغي أن يكون هذان يا قالوا إنه يعمل بعمل الأنبياء واستيقظ عمر فقال الهرمزان فقالوا نعم قال لا أكلمه أو لا يبقى عليه من حليته شيء فرموا ما عليه وألبسوه ثوباً صفيقاً فلما كلمه عمر أمر أبا طلحة أن ينتضى سيفه ويقوم على رأسه ففعل ثم قال له ما عذرک في نقض الصلح ونكث العهد وقد كان الهرمزان صالحاً أولاً ثم نقض وغدر فقال أخبرك قال قل قال وأنا شديد العطش فاسقني ثم أخبرك فأحضر له ماء فلما تناوله جعلت يده ترعد قال ما شأنك قال أخاف أن أمد عنقي وأنا أشرب فيقتلني سيفك قال لا بأس عليك حتى تشرب فألقى الإناء عن يده فقال ما بالك أعيدوا عليه الماء ولا تجمعوا عليه بين القتل والعطش قال إنك قد أمنتني قال كذبت قال لم أكذب قال أنس صدق يا أمير المؤمنين قال ويحك يا أنس أنا أو من قاتل مجزأة بن ثور والبراء بن مالك والله لتأتيني بالمخرج أولاً عقابك قال أنت يا أمير المؤمنين قلت لا بأس عليك حتى تشرب وقال له ناس من المسلمين [صفحة ١٨١] مثل قول أنس فقال للهرمزان ويحك أتخذعني والله لأقتلنك إلا أن تسلم ثم أوماً إلى أبي طلحة فقال الهرمزان أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فأمنه وأنزله المدينة. سأل عمر عمرو بن معد يكرب عن السلاح فقال له ما تقول في الرمح قال أخوك وربما خانك قال فالنبل قال رسل المنايا تخطئ وتصيب قال فالدرع قال مشغلة للفارس متعبة للراجل وإنها مع ذلك لحصن حصين قال فالترس قال هو المجن و عليه تدور الدوائر قال فالسيف قال هناك قارعت أمك الهبل قال بل أمك قال والحمى أضرعتني لك . وأول من ضرب عمر بالدرة أم فروة بنت أبي قحافة مات أبو بكر فراح النساء عليه وفيهن أخته أم فروة فنهاهن عمر مرارا وهن يعاودن فأخرج أم فروة من بينهن وعلاها بالدرة

فهرين وتفرقن . كان يقال درة عمر أهيب من سيف الحجاج و في الصحيح أن نسوة كن عند رسول الله ص قد كثر لغطهن فجاء عمر فهرين هيبه له فقال لهن يا عدييات أنفسهن أتهبنني و لا تهبن رسول الله قلن نعم أنت أغلظ وأفظ. و كان عمر يفتي كثيرا بالحكم ثم ينقضه ويفتي بصدده وخلافه قضى في الجد مع الإخوة قضايا كثيرة مختلفة ثم خاف من الحكم في هذه المسألة فقال من أراد أن يتقحم جرائم جهنم فليقل في الجد برأيه . [صفحہ ۱۸۲] و قال مرة لا يبلغني أن امرأة تجاوز صداقها صداق نساء النبي إلا ارتجعت ذلك منها فقالت له امرأة ماجعل الله لك ذلك إنه تعالى قال وَ آتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَ تَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا فقال كل النساء أفقه من عمر حتى ربات الحجال أ لا تعجبون من إمام أخطأ وامرأة أصابت فاضلت إمامكم فضلته . و مر يوما بشاب من فتیان الأنصار و هو زمان فاستسقاها فجدح له ماء بعسل فلم يشربه و قال إن الله تعالى يقول أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا فَقَالَ لَهُ الْفَتَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهَا لَيْسَتْ لَكَ وَلَا لِأَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْقَبِيلَةِ اقْرَأْ مَا قَبَلَهَا وَ يَوْمَ يُعْرَضُ الْعَذِيبُ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا فَقَالَ عُمَرُ كُلُّ النَّاسِ أَفْقَهُ مِنْ عُمَرَ . وقيل إن عمر كان يعس بالليل فسمع صوت رجل وامرأة في بيت فارتاب فتسور الحائط فوجد امرأة ورجلا وعندهما زق خمر فقال يا عدو الله أكنت ترى أن الله يسترک و أنت على معصيته قال يا أمير المؤمنين إن كنت أخطأت في واحدة فقد أخطأت في ثلاث قال الله تعالى وَلَا تَجَسَّسُوا وَ قَدْ تَجَسَّسْتُمْ وَ قَالَ وَ اتُّوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَ قَدْ تَسَوَّرْتُمْ وَ قَالَ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا وَ مَا سَلَّمْتُمْ . و قال متعتان كانتا على عهد رسول الله و أنامحرمهما ومعاقب عليهما متعة النساء و متعة الحج و هذا الكلام و إن كان ظاهره منكرا فله عندنا مخرج و تأويل و قد ذكره أصحابنا الفقهاء في كتبهم . -قرآن- ۱۳۵-۲۳۵-قرآن- ۴۶۱-۵۰۴-قرآن- ۵۹۱-۶۸۳-قرآن- ۹۸۱-۹۹۶-قرآن- ۱۰۱۵-۱۰۴۶-قرآن- ۱۰۶۵-۱۰۹۹ [صفحہ ۱۸۳] و كان في أخلاق عمر و ألفاظه جفاء و عنجهية ظاهرة يحسبه السامع لها أنه أراد بها ما لم يكن قد أراد و يتوهم من تحكى له أنه قصد بها ظاهرا ما لم يقصد منها الكلمة التي قالها في مرض رسول الله ص و معاذ الله أن يقصد بها ظاهرها ولكنه أرسلها على مقتضى خشونة غريزته و لم يتحفظ منها و كان الأحسن أن يقول مغمور أو مغلوب بالمرض وحاشاه أن يعنى بها غير ذلك . و لجفاء الأعراب من هذا الفن كثير سمع سليمان بن عبد الملك أعرابيا يقول في سنة قحط رب العباد مالنا و مالكا || قد كنت تسقينا فما بدا لكا أنزل علينا القطر لا بألکا . فقال سليمان أشهد أنه لأب له و لأصاحبه و لا ولد فأخرجه أحسن مخرج . و على نحو هذا يحتمل كلامه في صلح الحديبية لما قال للنبي ص أ لم تقل لنا ستدخلونها في ألفاظ نكره حكايتها حتى شكاه النبي ص إلى أبي بكر و حتى قال له أبو بكر الزم بغرزه فو الله إنه لرسول الله . و عمر هو الذي أغلظ على جبله بن الأيهم حتى اضطره إلى مفارقة دار الهجرة بل مفارقة دار الإسلام كلها و عاد مرتدا داخلا في دين النصرانية لأجل لطمه لطمها و قال جبله بعد ارتداده متندما على ما فعل تنصرت الأشراف من أجل لطمه || و ما كان فيها لو صبرت لها ضرر فيا ليت أمي لم تلدني وليتني || رجعت إلى القول الذي قاله عمر [صفحہ ۱۸۴] حَتَّى إِذَا مَضَىٰ لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا فِي سَبِيلِهِ زَعَمَ النَّبِيُّ أَنِّي أَخَذْتُهُمْ فَيَا لِلَّهِ وَ لِلشُّورَى مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فَيَا مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى صِرْتُ أَقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ لَكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسْفَقُوا وَ طَرْتُ إِذْ طَارُوا فَصَيَّغًا رَجُلٌ مِنْهُمْ لَصِقَ بِهَرِّهِ مَعَ هِنٍّ وَ هِنِّ اللَّامِ فِي يَاللَّهِ مَفْتُوحَةٌ وَ اللَّامُ فِي وَ لِلشُّورَى مَكْسُورَةٌ لِأَنَّ الْأَوَّلَى لِلْمَدْعُو وَ الثَّانِيَةُ لِلْمَدْعُو إِلَيْهِ قَالَ يَاللرَّجَالَ لِيَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ أَمَا || يَنْفَكَ يَحْدُثُ لِي بَعْدَ النَّهْيِ طَرِبَا . اللَّامُ فِي لِلرَّجَالَ مَفْتُوحَةٌ وَ فِي لِيَوْمِ مَكْسُورَةٌ وَ أَسْفُفُ الرَّجُلِ إِذَا دَخَلَ فِي الْأَمْرِ الدُّنْيَى أَصْلَهُ مِنْ أَسْفُفِ الطَّائِرِ إِذَا دَانَ مِنَ الْأَرْضِ فِي طَيْرَانِهِ وَ الضَّغْنُ الْحَقْدُ . و قوله مع هن و هن أي مع أمور يكنى عنها و لا يصرح بذكرها و أكثر ما يستعمل ذلك في الشر قال على هنوات شرها متتابع . يقول ع إن عمر لماطعن جعل الخلافة في سته هوع أحدهم ثم تعجب من ذلك فقال متى اعترض الشك في مع أبي بكر حتى أقرن بسعد بن أبي وقاص و عبدالرحمن بن عوف و أمثالهما لكني طلبت الأمر و هو موسوم بالأصاغر منهم كما طلبته أولا . و هو موسوم بأكابره أي هو حقي فلا أستنكف من طلبه إن كان المنازع فيه جليل القدر أو صغير المنزل .

قصة الشورى

وصورة هذه الواقعة أن عمر لماطعنه أبو لؤلؤة وعلم أنه ميت استشار فيمن يوليه الأمر بعده فأشير عليه بانه عبد الله فقال لاها الله إذا لايلها رجلان من ولد الخطاب حسب عمر ما حمل حسب عمر ما احتقب لاها الله لاأتحملها حيا وميتا ثم قال إن رسول الله مات وهوراض عن هذه الستة من قريش على وعثمان وطلحة والزبير وسعد و عبدالرحمن بن عوف و قد رأيت أن أجعلها شورى بينهم ليختاروا لأنفسهم ثم قال إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منى يعنى أبابكر و إن أترك فقد ترك من هو خير منى يعنى رسول الله ص ثم قال ادعوهم لى فدعوهم فدخلوا عليه و هو ملقى على فراشه وجود بنفسه . فنظر إليهم فقال أكلكم يطمع فى الخلافة بعدى فوجموا فقال لهم ثانية فأجابه الزبير و قال و ما الذى يبعدنا منها وليتها أنت فقامت بها ولسنا دونك فى قريش و لا فى السابقة و لا فى القرابة. قال الشيخ أبو عثمان الجاحظ و الله لو لاعلمه أن عمر يموت فى مجلسه ذلك لم يقدم على أن يفوه من هذا الكلام بكلمة و لا أن ينس منه بلفظة. فقال عمر أ فلا أخبركم عن أنفسكم قال قل فإننا لو استعفيناك لم تعفنا فقال أما أنت يازبير فوعق لقس مؤمن الرضا كافر الغضب يوما إنسان و يوما شيطان ولعلها لو أفضت إليك ظلت يومك تلاطم بالبطحاء على مد من شعير أفرأيت إن أفضت إليك فليت شعرى من يكون للناس يوم تكون شيطانا و من يكون يوم تغضب و ما كان الله ليجمع لك أمر هذه الأمة و أنت على هذه الصفة. ثم أقبل على طلحة و كان له مبغضا منذ قال لأبى بكر يوم وفاته ما قال فى عمر فقال له أقول أم أسكت قال قل فإنك لا تقول من الخير شيئا قال أما إنى أعرفك منذ أصيبت إصبعك يوم أحد والبأو الذى حدث لك ولقد مات رسول الله ص [صفحة ١٨٦] ساخطا عليك بالكلمة التى قلتها يوم أنزلت آية الحجاب . قال شيخنا أبو عثمان الجاحظ رحمه الله تعالى الكلمة المذكورة أن طلحة لما أنزلت آية الحجاب قال بمحضر ممن نقل عنه إلى رسول الله ص ما الذى يغنيه حجابهن اليوم وسيموت غدا فنكحهن قال أبو عثمان أيضا لو قال لعمر قائل أنت قلت إن رسول الله ص مات وهوراض عن الستة فكيف تقول الآن لطلحة إنه مات ع ساخطا عليك للكلمة التى قلتها لكان قد رماه بمشاقصه ولكن من الذى كان يجسر على عمر أن يقول له مادون هذا فكيف هذا. قال ثم أقبل على سعد بن أبى وقاص فقال إنما أنت صاحب مقب من هذه المقانب تقاتل به وصاحب قنص وقوس وأسهم و مازهرة والخلافة وأمور الناس . ثم أقبل على عبدالرحمن بن عوف فقال و أما أنت يا عبدالرحمن فلو وزن نصف إيمان المسلمين بإيمانك لرجح إيمانك به ولكن ليس يصلح هذا الأمر لمن فيه ضعف كضعفك و مازهرة و هذا الأمر. ثم أقبل على ع فقال لله أنت لو لادعابة فيك أما و الله لئن وليتهم لتحملنهم على الحق الواضح والمحجة البيضاء ثم أقبل على عثمان فقال هيا إليك كأنى بك قد قلتك قريش هذا الأمر لحبها إياك فحملت بنى أمية و بنى أبى معيط على رقاب الناس و آثرتهم بالفى فسارت إليك عصابة من ذؤبان العرب فذبوك على فراشك ذبحا و الله لئن فعلوا لتفعلن ولئن فعلت ليفعلن ثم أخذ بناصيته فقال فإذا كان ذلك فاذا ذكر قولى فإنه كائن . ذكر هذا الخبر كله شيخنا أبو عثمان فى كتاب السفىانية وذكره جماعة غيره فى باب فراسة عمر و ذكر أبو عثمان فى هذا الكتاب عقيب رواية هذا الخبر قال وروى [صفحة ١٨٧] معمر بن سليمان التيمى عن أبىه عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال سمعت عمر بن الخطاب يقول لأهل الشورى إنكم إن تعاونتم وتوازرتم وتناصحتم أكلتموها وأولادكم و إن تحاسدتم وتقاعدتم وتدابرتهم وتباغضتم غلبكم على هذا الأمر معاوية بن أبى سفيان و كان معاوية حينئذ أمير الشام . ثم رجع بنا الكلام إلى تمام قصة الشورى ثم قال ادعوا إلى أباطلحة الأنصارى فدعوه له فقال انظر يا أباطلحة إذ أعدتكم من حفرتى فكن فى خمسين رجلا من الأنصار حاملى سيوفكم فخذ

هؤلاء نفر بامضاء الأمر وتعجيله واجمعهم فى بيت وقف بأصحابك على باب البيت ليتشاوروا ويختاروا واحدا منهم فإن اتفق خمسة وأبى واحد فاضرب عنقه و إن اتفق أربعة وأبى اثنان فاضرب أعناقهما و إن اتفق ثلاثة وخالف ثلاثة فانظر الثلاثة التى فيها عبدالرحمن فارجع إلى ما قد اتفقت عليه فإن أصرت الثلاثة الأخرى على خلافها فاضرب أعناقها و إن مضت ثلاثة أيام و لم يتفقوا على أمر فاضرب أعناق الستة ودع المسلمين يختاروا لأنفسهم . فلما دفن عمر جمعهم أبوظلحة ووقف على باب البيت بالسيف فى خمسين من الأنصار حاملى سيوفهم ثم تكلم القوم وتنازعوا فأول ما عمل طلحة أنه أشهدهم على نفسه أنه قد وهب حقه من الشورى لعثمان و ذلك لعلمه أن الناس لا يعدلون به عليا و عثمان و أن الخلافة لا تخلص له و هذان موجودان فأراد تقوية أمر عثمان وإضعاف جانب على ع بهبه أمر لانتفاع له به و لا تمكن له منه . فقال الزبير فى معارضته و أنا أشهدكم على نفسى أنى قد وهبت حقى من الشورى لعلى وإنما فعل ذلك لأنه لمارأى عليا قد ضعف وانخزل بهبه طلحة حقه لعثمان دخلته حمية النسب لأنه ابن عمه أمير المؤمنين ع وهى صفة بنت عبدالمطلب و أبوظالب خاله وإنما مال طلحة إلى عثمان لانحرافه عن على ع باعتبار أنه [صفحة ١٨٨] تيمى و ابن عم أبى بكر الصديق و قد كان حصل فى نفوس بنى هاشم من بنى تيم حنق شديد لأجل الخلافة وكذلك صار فى صدور تيم على بنى هاشم و هذا أمر مركز فى طبيعة البشر وخصوصا طينة العرب وطباعها والتجربة إلى الآن تحقق ذلك فبقى من الستة أربعة. فقال سعد بن أبى وقاص و أنا قد وهبت حقى من الشورى لابن عمى عبدالرحمن و ذلك لأنهما من بنى زهرة و لعلم سعد أن الأمر لا يتم له فلما لم يبق إلا الثلاثة قال عبدالرحمن لعلى و عثمان أيكما يخرج نفسه من الخلافة و يكون إليه الاختيار فى الاثنين الباقيين فلم يتكلم منهما أحد فقال عبدالرحمن أشهدكم أننى قد أخرجت نفسى من الخلافة على أن أختار أحدهما فأمسكا فبدأ بعلى ع و قال له أبايعك على كتاب الله وسنة رسول الله وسيرة الشيخين أبى بكر وعمر فقال بل على كتاب الله وسنة رسوله واجتهاد رأبى فعدل عنه إلى عثمان فعرض ذلك عليه فقال نعم فعاد إلى على ع فأعاد قوله فعلى ذلك عبدالرحمن ثلاثا فلما رأى أن عليا غير راجع عما قاله و أن عثمان ينعم له بالإجابة صفق على يد عثمان و قال السلام عليك يا أمير المؤمنين فيقال إن عليا ع قال له و الله ما فعلتها إلا لأنك رجوت منه مارجا صاحبكما من صاحبه دق الله بينكما عطر منشم . قيل ففسد بعد ذلك بين عثمان و عبدالرحمن فلم يكلم أحدهما صاحبه حتى مات عبدالرحمن [صفحة ١٨٩] ثم نرجع إلى تفسير ألفاظ الفصل أما قوله ع فصغا رجل منهم لضغنه فإنه يعنى طلحة و قال القطب الراوندى يعنى سعد بن أبى وقاص لأن عليا ع قتل أباه يوم بدر و هذا خطأ فإن أباه أبوقاص واسمه مالك بن أهيب بن عبدمناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب مات فى الجاهلية حتف أنفه . و أما قوله و مال الآخر لصهره يعنى عبدالرحمن مال إلى عثمان لأن أم كلثوم بنت عقبه بن أبى معيط كانت تحته و أم كلثوم هذه هى أخت عثمان من أمه أروى بنت كريز . وروى القطب الراوندى أن عمر لما قال كونوا مع الثلاثة التى عبدالرحمن فيها قال ابن عباس لعلى ع ذهب الأمر منا الرجل يريد أن يكون الأمر فى عثمان فقال على ع و أنا أعلم ذلك ولكنى أدخل معهم فى الشورى لأن عمر قد أهلى الآن للخلافة و كان قبل ذلك يقول إن رسول الله ص قال إن النبوة والإمامة لا يجتمعان فى بيت فأنا أدخل فى ذلك لأظهر للناس مناقضة فعله لروايته -رواية ١- ٣٠٦ الذى ذكره الراوندى غير معروف و لم ينقل عمر هذا عن رسول الله ص ولكنه قال لعبد الله بن عباس يوما يا عبد الله مات قول منع قومكم منكم قال لا أعلم يا أمير المؤمنين قال اللهم غفرا إن قومكم كرهوا أن تجتمع لكم النبوة والخلافة فتذهبون فى السماء بذخا وشمخا لعلكم تقولون إن أبابكر أراد الإمرة عليكم وهضمكم كلا لكنه حضره أمر لم يكن عنده أحزم مما فعل و لو لارأى أبى بكر [صفحة ١٩٠] فى بعدموته لأعاد أمركم إليكم و لوفعل ما هناكم مع قومكم إنهم لينظرون إليكم نظر الثور إلى جازره . فأما الرواية التى جاءت بأن طلحة لم يكن حاضرا يوم الشورى فإن صحت فذو الضغن هو سعد بن أبى وقاص لأن أمه حمئة بنت سفيان بن أمية بن عبدشمس والضغينة التى عنده على على ع من قبل أخواله الذين قتل صنائدهم وتقلد دماءهم و لم يعرف أن عليا ع

قتل أحدا من بنى زهرة لينسب الضغن إليه . و هذه الرواية هي التي اختارها أبو جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ قال لماطعن عمر قيل له لو استخلفت يا أمير المؤمنين فقال من أستخلف لو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته و قلت لربي لو سألتني سمعت نبيك يقول أبو عبيدة أمين هذه الأمة -رواية- ١-٢-رواية- ٢٠-٤٦ و لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيا استخلفته و قلت لربي إن سألتني سمعت نبيك ع يقول إن سالما شديد الحب لله -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-٤٩ فقال له رجل ول عبد الله بن عمر فقال قاتلك الله و الله ما الله أردت بهذا الأمر ويحك كيف أستخلف رجلا عجز عن طلاق امرأته لأرب لعمر في خلافتكم ما حمدتها فأرغب فيها لأحد من أهل بيتي إن تك خيرا فقد أصبنا منه و إن تك شرا يصرف عنا حسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد ويسأل عن أمر أمة محمد. فخرج الناس من عنده ثم راحوا إليه فقالوا له لو عهدت عهدا قال قد كنت أجمعت بعد مقالتي لكم أن أولى أمركم رجلا- هو أحرأكم أن يحملكم على الحق [صفحة ١٩١] وأشار إلى علي ع فرهقنتي غشية فرأيت رجلا يدخل جنة قد غرسها فجعل يقطف كل غضة ويأنعه فيضمها إليه ويصيرها تحته فخفت أن أتحمّلها حيا وميتا وعلمت أن الله غالب أمره عليكم بالرهط الذي قال رسول الله عنهم إنهم من أهل الجنة ثم ذكر خمسة عليا و عثمان و عبدالرحمن والزيبر وسعدا. قال و لم يذكر في هذا المجلس طلحة و لا كان طلحة يومئذ بالمدينة ثم قال لهم انهضوا إلى حجره عائشة فتشاوروا فيها ووضع رأسه و قد نزفه الدم فقال العباس لعل ع لا تدخل معهم وارفع نفسك عنهم قال إنى أكره الخلاف قال إذن ترى ماتكره فدخلوا الحجره فتناجوا حتى ارتفعت أصواتهم فقال عبد الله بن عمر إن أمير المؤمنين لم يمت بعد فقيم هذا اللغو وانتبه عمر وسمع الأصوات فقال ليصل بالناس صهيب و لا يأتين اليوم الرابع من يوم موتي إلا وعليكم أمير وليحضر عبد الله بن عمر مشيرا و ليس له شيء من الأمر و طلحة بن عبيد الله شريككم في الأمر فإن قدم إلى ثلاثة أيام فأحضره أمركم و إلا فأرضوه و من لى برضا طلحة فقال سعد أنا لك به ولن يخالف إن شاء الله تعالى . ثم ذكر وصيته لأبي طلحة الأنصاري و ما خص به عبدالرحمن بن عوف من كون الحق في الفئة التي هو فيها وأمره بقتل من يخالف ثم خرج الناس فقال علي ع لقوم معه من بنى هاشم إن أطيع فيكم قومكم من قريش لم تؤمروا أبدا و قال للعباس عدل بالأمر عنى ياعم قال و ما علمك قال قرن بي عثمان -رواية- ١-١٥٨ و قال عمر كونوا مع الأكثر فإن رضى رجلان رجلا ورجلان رجلا فكونوا مع الذين فيهم عبدالرحمن فسعد لا يخالف ابن عمه و عبدالرحمن صهر عثمان لا يختلفان فيوليا أحدهما الآخر فلو كان الآخرا معي لم يغنيا شيئا فقال العباس لم أدفعك إلى شيء إلا رجعت إلى [صفحة ١٩٢] مستأخرا بما أكره أشرت عليك عند مرض رسول الله ص أن تسأله عن هذا الأمر فيمن هو فأبيت وأشرت عليك عند وفاته أن تعاجل البيعة فأبيت و قد أشرت عليك حين سماك عمر في الشورى اليوم أن ترفع نفسك عنها و لا تدخل معهم فيها فأبيت فاحفظ عنى واحدة كلما عرض عليك القوم الأمر فقل لا إلا أن يولوك واعلم أن هؤلاء لا يبرحون يدفونك عن هذا الأمر حتى يقوم لك به غيرك و ايم الله لا تناله إلا بشر لا ينفع معه خير فقال ع أما إنى أعلم أنهم سيولون عثمان وليحدثن البدع والأحداث ولئن بقى لأذكرنك و إن قتل أومات ليتداولنها بنو أمية بينهم و إن كنت حيا لتجدنى حيث تكروهون ثم تمثل حلفت برب الراقصات عشية || غدون خفافا بيتدرن المحصبا ليجتلبن رهط ابن يعمر غدوة || نجيعا بنو الشداخ وردا مصلبا . قال ثم التفت فرأى أباطلحة الأنصاري فكره مكانه فقال أبوظلحة لا ترع أباحسن فلما مات عمر ودفن وخلصوا بأنفسهم للمشاوره في الأمر وقام أبوظلحة يحجبهم بباب البيت جاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة فجلسا بالباب فحصبهما سعد وأقامهما و قال إنما تريدان أن تقولوا- حضرنا وكنا في أصحاب الشورى . فتنافس القوم في الأمر و كثر بينهم الكلام فقال أبوظلحة أنا كنت لأبذل تدافعوها أخوف منى عليكم أن تنافسوها أما و الذى ذهب بنفس عمر لأزيدكم على الأيام الثلاثة التي وقفت لكم فاصنعوا ما بدا لكم . قال ثم إن عبدالرحمن قال لابن عمه سعد بن أبى وقاص إنى قد كرهتها وسأخلع نفسى منها لأنى رأيت الليلة روضة خضراء كثيرة العشب فدخل فحل مارأيت [صفحة ١٩٣] أكرم منه فمر كأنه سهم لم يلتفت إلى شيء منها حتى قطعها لم يعرج

ودخل بعير يتلوه تابع أثره حتى خرج منها ثم دخل فحل عبقرى يجبر خطامه ومضى قصد الأولين ثم دخل بعير رابع فوقع فى الروضة يرتع ويخضم ولا- والله لا-أكون الرابع و إن أحدا لا-يقوم مقام أبى بكر وعمر فيرضى الناس عنه . ثم ذكر خلع عبدالرحمن نفسه من الأمر على أن يوليها أفضلهم فى نفسه و أن عثمان أجاب إلى ذلك و أن عليا ع سكت فلما روجع رضى على موثق أعطاه عبدالرحمن أن يؤثر الحق و لا يتبع الهوى و لا يخص ذا رحم و لا يألو الأمانة نصحا و أن عبدالرحمن ردد القول بين على و عثمان متلوما و أنه خلا- بسعد تارة و بالمسور بن مخزوم الزهرى تارة أخرى و أجال فكره و أعمل نظره و وقف موقف الحائر بينهما قال قال على ع لسعد بن أبى وقاص ياسعد اتقوا الله الذى تسألون به و الأرحام أسألك برحم ابني هذا من رسول الله ص و برحم عمى حمزة منك ألا تكون مع عبدالرحمن لعثمان ظهيرا -روايت- ١-١٩٢ قلت رحم حمزة من سعد هى أن أم حمزة هالة بنت أهيب بن عبدمناف بن زهرة وهى أيضا أم المقوم و حنبل و اسمه المغيرة و الغيداق أبناء عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف هؤلاء الأربعة بنو عبدالمطلب من هالة و هالة هذه هى عمه سعد بن أبى وقاص فحمزة إذن ابن عمه سعد و سعد ابن خال حمزة. قال أبو جعفر فلما أتى اليوم الثالث جمعهم عبدالرحمن واجتمع الناس كافة فقال عبدالرحمن أيها الناس أشيروا على فى هذين الرجلين فقال عمار بن ياسر إن أردت ألا يختلف الناس فبايع عليا فقال المقداد صدق عمار و إن بايعت عليا سمعنا و أطعنا فقال عبد الله بن أبى سرح إن أردت ألا تختلف قريش [صفحة ١٩٤] فبايع عثمان قال عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى صدق إن بايعت عثمان سمعنا و أطعنا فشم عمار ابن أبى سرح و قال له متى كنت تنصح الإسلام . فتكلم بنو هاشم و بنو أمية و قام عمار فقال أيها الناس إن الله أكرمكم بنبيه و أعزكم بدينه فإلى متى تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم فقال رجل من بنى مخزوم لقد عدوت طورك يا ابن سمية و ما أنت و تأمير قريش لأنفسها فقال سعد يا عبدالرحمن افرغ من أمرك قبل أن يفتتن الناس فحينئذ عرض عبدالرحمن على على ع العمل بسيرة الشيخين فقال بل أجتهد برأى فبايع عثمان بعد أن عرض عليه فقال نعم فقال على ع ليس هذا بأول يوم تظاهرتم فيه علينا فصبر جميل و الله المستعان على ما تصفون و الله ما وليته الأمر إلا ليرده إليك و الله كل يوم فى شأن -روايت- ١-٢-روايت- ١٧-١٧٤ . فقال عبدالرحمن لا تجعلن على نفسك سيلا يا على يعنى أمر عمر أباطلحة أن يضرب عنق المخالف فقام على ع فخرج و قال سيبلغ الكتاب أجله فقال عمار يا عبدالرحمن أما و الله لقد تركته و إنه من الذين يقضون بالحق و به كانوا يعدلون فقال المقداد تالله ما رأيت مثل ما أتى إلى أهل هذا البيت بعد نبيهم و اعجبا لقريش لقد تركت رجلا ما أقول و لا أعلم أن أحدا أفضى بالعدل و لا أعلم و لا أتقى منه أما و الله لو أجد أعوانا فقال عبدالرحمن اتق الله يا مقداد فإنى خائف عليك الفتنة. و قال على ع إنى لأعلم ما فى أنفسهم إن الناس ينظرون إلى قريش و قريش تنظر فى صلاح شأنها فتقول إن ولى الأمر بنو هاشم لم يخرج منهم أبدا و ما كان فى غيرهم فهو متداول فى بطون قريش -روايت- ١-٢-روايت- ١٨-١٩٧ . قال و قدم طلحة فى اليوم الذى بويح فيه لعثمان فتلكأ ساعة ثم بايع . [صفحة ١٩٥] و روى أبو جعفر رواية أخرى أطلها و ذكر خطب أهل الشورى و مقالته كل منهم و ذكر كلاما قاله على ع فى ذلك اليوم و هو الحمد لله الذى اختار محمدا منا نبيا و ابتعثه إلينا رسولا فنحن أهل بيت النبوة و معدن الحكمة أمان لأهل الأرض و نجاه لمن طلب إن لنا حقا إن نعطه نأخذة و إن نمنعه نركب أعجاز الإبل و إن طال السرى لوعهد إلينا رسول الله ص عهدا لأنفذنا عهده و لو قال لنا قولا لجالدنا عليه حتى نموت لن يسرع أحد قبلى إلى دعوة حق و صلته رحم و لاحول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم اسمعوا كلامى و عوا منطقى عسى أن تروا هذا الأمر بعد هذا الجمع تنتضى فيه السيوف و تخان فيه العهود حتى لا يكون لكم جماعة و حتى يكون بعضكم أئمة لأهل الضلالة و شيعه لأهل الجهالة -روايت- ١-٢-روايت- ٣٦-٦٧٩ . قلت و قد ذكر الهوى فى كتاب الجمع بين الغريبين قوله و إن نمنعه نركب أعجاز الإبل و فسره على و جهين أحدهما أن من ركب عجز البعير يعانى مشقة و يقاسى جهدا فكأنه قال و إن نمنعه نصبر على المشقة كما يصبر عليها راكب عجز البعير. و الوجه الثانى أنه أراد تتبع غيرنا كما أن راكب عجز البعير يكون

رديفا لمن هو أمامه فكانه قال و إن نمنعه نتأخر ونتبع غيرنا كما يتأخر راكب البعير. [صفحة ١٩٦] وقال أبو هلال العسكري في كتاب الأوائل استجيت دعوة على ع في عثمان و عبدالرحمن فما ماتا إلا مهاجرين متعادين أرسل عبدالرحمن إلى عثمان يعاتبه و قال لرسوله قل له لقد وليتك ما وليتك من أمر الناس و إن لي لأمورا ماهي لك شهدت بدرا و ماشهدتها وشهدت ببيعة الرضوان و ماشهدتها وفررت يوم أحد وصبرت فقال عثمان لرسوله قل له أما يوم بدر فإن رسول الله ص ردني إلى ابنته لما بها من المرض و قد كنت خرجت للذي خرجت له ولقيته عند منصرفه فبشرني بأجر مثل أجوركم وأعطاني سهما مثل سهامكم و أما ببيعة الرضوان فإنه ص بعثني أستأذن قريشا في دخوله إلى مكة فلما قيل له إنني قتلت بايع المسلمين على الموت لماسمعه عنى و قال إن كان حيا فأنا أبايع عنه و صفق بإحدى يديه على الأخرى و قال يسارى خير من يمين عثمان فيدك أفضل أم يد رسول الله ص و أما صبرك يوم أحد وفرارى فلقد كان ذلك فأنزل الله تعالى العفو عنى فى كتابه فغيرتنى بذب غفره الله لى ونسيت من ذنوبك ما لاتدرى أغفر لك أم لم يغفر. لما بنى عثمان قصره طمار بالزوراء و صنع طعاما كثيرا ودعا الناس إليه كان فيهم عبدالرحمن فلما نظر للبناء والطعام قال يا ابن عفان لقد صدقنا عليك ما كنا نكذب فيك و إنى أستعيد بالله من بيعتك فغضب عثمان و قال أخرجه عنى يا غلام فأخرجوه وأمر الناس ألا يجالسوه فلم يكن يأتيه أحد إلا ابن عباس كان يأتيه فيتعلم منه القرآن والفرائض و مرض عبدالرحمن فعاده عثمان و كلمه فلم يكلمه حتى مات [صفحة ١٩٧] إلى أن قام ثالث القوم نافجا حِضْنِيهِ بَيْنَ نَيْلِهِ وَ مُعْتَلْفِهِ وَ قَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ مَالَ اللَّهِ خَضَمَ الْإِبِلَ نَيْبَتَهُ الرَّبِيعَ إِلَى أَنْ انْتَكثَ قَتْلُهُ وَ أَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ وَ كَبَتَ بِهِ بِطْنَتَهُ نَافِجَا حِضْنِيهِ رَافِعَا لَهْمَا وَ الْحِضْنَ مَا بَيْنَ الْإِبْطِ وَ الْكَشْحِ يُقَالُ لِلْمَتَكْبِرِ جَاءَ نَافِجَا حِضْنِيهِ وَيُقَالُ لِمَنْ امْتَلَأَ بَطْنَهُ طَعَامًا جَاءَ نَافِجَا حِضْنِيهِ وَمَرَادُهُ هَذَا الثَّانِي وَ النَّثِيلُ الرُّوثُ وَ الْمُعْتَلْفُ مَوْضِعُ الْعَلْفِ يُرِيدُ أَنْ هَمَّهُ الْأَكْلُ وَ الرَّجِيعُ وَ هَذَا مِنْ مَمْضِ الدَّمِ وَأَشَدُّ مِنْ قَوْلِ الْحَطِيبَةِ الَّذِي قِيلَ إِنَّهُ أَهْجَى بَيْتٍ لِلْعَرَبِ دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبَغِيَّتِهَا || واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى . والخضم أكل بكل الفم وضده القضم و هو الأكل بأطراف الأسنان وقيل الخضم أكل الشىء الرطب والقضم أكل الشىء اليابس والمراد على التفسيرين لا يختلف و هو أنهم على قدم عظيمة من النهمة و شدة الأكل و امتلاء الأفواه و قال أبوذر رحمه الله تعالى إن بنى أمية يخضمون و نقضم و الموعد لله و الماضى خضمت بالكسر و مثله قضمت . والنبتة بكسر النون كالنبات تقول نبت الرطب نباتا و نبتة و انتكث قتلته انتقض و هذه استعارة و أجهز عليه عمله تمم قتلته يقال أجهزت على الجريح مثل ذففت إذا أتممت قتلته و كبت به بطنته كبا الجواد إذا سقط لوجهه و البطنة الإسراف فى الشبع [صفحة ١٩٨]

تف من أخبار عثمان بن عفان

وثالث القوم هو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف كنيته أبو عمرو و أمه أروى بنت كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس . بايعه الناس بعد انقضاء الشورى واستقرار الأمر له وصحت فيه فإسه عمر فإنه أوطأ بنى أمية رقاب الناس و ولاهم الولايات و أقطعهم القطائع و افتتحت إفريقيا فى أيامه فأخذ الخمس كله فوهبه لمروان فقال عبدالرحمن بن حنبل الجمحى أحلف بالله رب الأنام || ما ترك الله شيئا سدى ولكن خلقت لنا فتنة || لكى نبتلى بك أو تبلى فإن الأمينين قدينا || منار الطريق عليه الهدى فما أخذنا درهما غيلة || و لاجعلا درهما فى هوى و أعطيت مروان خمس البلاد || فهيهات سعيك ممن سعى . الأمينان أبو بكر و عمر . و طلب منه عبد الله بن خالد بن أسيد صلة فأعطاه أربعمائه ألف درهم . و أعاد الحكم بن أبى العاص بعد أن كان رسول الله ص قد سيره ثم لم يرد أبو بكر و لا عمر و أعطاه مائة ألف درهم . و تصدق رسول الله ص بموضع سوق بالمدينة يعرف بمهزور على المسلمين فأقطعه عثمان الحارث بن الحكم أخا مروان بن الحكم . و أقطع مروان فدك و قد كانت

الناكثين كونهم نكثوا البيعة بادئ بدء و قد كان ع يتلو وقت مبايعتهم له فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ. و أما أصحاب صفين فإنهم عند أصحابنا رحمهم الله مخلدون في النار لفسقهم فصح فيهم قوله تعالى وَ أَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا. وقوله ع حليت الدنيا في أعينهم تقول حلا الشيء في فمى يحلو وحلى لعيني يحلى والزبرج الزينة من وشى أو غيره ويقال الزبرج الذهب فأما الآية فنحن نذكر بعض ما فيها فنقول إنه تعالى لم يعلق الوعد بترك العلو في الأرض والفساد ولكن بترك إرادتهما و هو كقوله تعالى وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَعْلَمُوا لِنَارِ عِلْقِ الْوَعِيدِ بِالرُّكُونِ إِلَيْهِمْ وَالْمِيلِ مَعَهُمْ وَ هَذَا شَدِيدٌ فِي الْوَعِيدِ. -

قرآن- ١-٣٠ و يروى عن أمير المؤمنين ع أنه قال إن الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أحسن من شراك نعل صاحبه -

روایت- ١-٢-روایت- ٤٢-١٠٩ فدخل تحت هذه الآية ويقال إن عمر بن عبدالعزيز كان يرددها حتى قبض أما وَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَ بَرَأَ النَّسِيمَةَ لَوْ لَمَّا حُضِرَ الْحَاضِرِ وَ قِيَامَ الْحَجْرَةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ وَ مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَلَّا يُقَارَؤا عَلَى كِطْطَةِ ظَالِمٍ وَ لَا سِيَّغِبِ مَظْلُومٍ لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا وَ لَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أُولِئِهَا وَ لَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنَزٍ فَلَقَ الْحَبَّةَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى فَالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوَى وَ النَّسِيمَةَ كُلِّ ذِي رُوحٍ مِنَ الْبَشَرِ خَاصَّةً. قوله لو لاحضور الحاضر يمكن أن يريد به لو لاحضور البيعة فإنها بعد عقدها تتعين المحاماة عنها ويمكن أن يريد بالحاضر من حضره من الجيش الذين يستعين بهم على الحرب والكظة بكسر الكاف ما يعترى الإنسان من الثقل والكرب عند الامتلاء من الطعام والسغب الجوع وقولهم قد ألقى فلان حبل فلان على غاربه - قرآن- ٢٨-٥٠ [صفحة ٢٠٣] أي تركه هملا يسرح حيث يشاء من غير وازع و لا مانع والفقهاء يذكرون هذه اللفظة في كنايات الطلاق وعطفة عنز ما تنشره من أنفها عفتت تعطف بالكسر وأكثر ما يستعمل ذلك في النعجة فأما العنز فالمستعمل الأشهر فيها النعطة بالنون ويقولون ما له عافط و لا نافظ أي نعجة و لا عنز فإن قيل أيجوز أن يقال العطفة هاهنا الحبة فإن ذلك يقال في العنز خاصة عفتت تعطف قيل ذلك جائز إلا- أن الأحسن والأليق بكلام أمير المؤمنين ع التفسير الأول فإن جلالته وسؤدده تقتضى أن يكون ذاك أراد لا الثاني فإن صح أنه لا يقال في العطسة عطفة إلا للنعجة قلنا إنه استعمله في العنز مجازا. يقول ع لو لاحضور من ينصرني لا- كما كانت الحال عليها أولا بعد وفاة رسول الله ص فإنني لم أكن حينئذ واجدا للناصر مع كوني مكلفا إلا- أمكن الظالم من ظلمه لترك الخلافة ولرفضتها الآن كما رفضتها قبل ولو وجدت هذه الدنيا عندي أهون من عطسة عنز و هذا الإشارة إلى ما يقوله أصحابنا من وجوب النهي عن المنكر عند التمكّن قالوا وَ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ عِنْدَ بُلُوغِهِ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ حُطْبَتِهِ فَنَاقَلَهُ كِتَابًا فَأَقْبَلَ يَنْظُرُ فِيهِ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قِرَاءَتِهِ قَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ اطَّرَدْتَ مَقَالَتَكَ مِنْ حَيْثُ أَفْضَيْتَ فَقَالَ هِيَ هَاتِ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ تِلْكَ شِقِيشَةٌ مَهْمَةٌ هَدَرْتُ ثُمَّ قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَوْلَ اللَّهِ مَا أَسْفَتْ عَلَى كَلَامٍ قَطُّ كَأَسْفَى عَلَى هَذَا الْكَلَامِ أَلَا يَكُونُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَلَّغَ مِنْهُ حَيْثُ أَرَادَ [صفحة ٢٠٤] قوله عليه السلام في هذه الخطبة كراكب الصعبة إن أشق لها خرم و إن أسلس لها تقحم يريد أنه إذا شدد عليها في جذب الزمام وهي تنازعه رأسها خرم أنفها و إن أرخى لها شيئا مع صعوبتها تقحمت به فلم يملكها يقال أشق الناقة إذا جذب رأسها بالزمام فرفعه و شققها أيضا ذكر ذلك ابن السكيت في إصلاح المنطق وإنما قال ع أشق لها و لم يقل أشققها لأنه جعله في مقابلة قوله أسلس لها فكانه قال إن رفع لها رأسها بالزمام يعني أمسكه عليها و في الحديث أن رسول الله ص خطب على ناقة و قد شقق لها فهي تقصع بجرتها و من الشاهد على أن أشق بمعنى شقق قول عدى بن زيد العبّادى -روایت- ١-٥٨٧ ساءها مالها تبين في الأيدي || وإشفاقها إلى الأعناق سمي السواد سوادا لخضرته بالزرورع والأشجار والنخل والعرب تسمى الأخضر أسود قال سبحانه مدهامتا يريد الخضرة و قوله لو اطردت مقاتلك أي أتبع الأول قولاً ثانياً من قولهم اطرد النهر إذا تابع جريه . و قوله من حيث أفضيت أصل أفضى خرج إلى الفضاء فكانه شبهه ع حيث سكت عما كان يقوله بمن خرج من خباء أو جدار إلى فضاء من الأرض و ذلك لأن النفس والقوى والهمة عند ارتجال الخطب والأشعار تجتمع إلى القلب فإذا قطع الإنسان وفرغ تفرقت وخرجت عن حجر الاجتماع واستراحت -

قرآن-٩٠-١٠٠ [صفحة ٢٠٥] والشقشقة بالكسر فيهما شىء يخرج البعير من فيه إذا هاج و إذا قالوا للخطيب ذو شقشقة فإنما شبهوه بالفحل والهدير صوتها. و أما قول ابن عباس ما أسفت على كلام إلى آخره فحدثني شيخى أبو الخير مصدق بن شبيب الواسطى فى سنة ثلاث وستمائه قال قرأت على الشيخ أبى محمد عبد الله بن أحمد المعروف بابن الخشاب هذه الخطبة فلما انتهيت إلى هذا الموضوع قال لى لوسمعت ابن عباس يقول هذا قلت له وهل بقى فى نفس ابن عمك أمر لم يبلغه فى هذه الخطبة لتأسف ألا يكون بلغ من كلامه ما أراد و الله مارجع عن الأولين و لا عن الآخرين و لا بقى فى نفسه أحد لم يذكره إلا رسول الله ص . قال مصدق و كان ابن الخشاب صاحب دعاية و هزل قال فقلت له أتقول إنها منحولة فقال لا و الله و إنى لأعلم أنها كلامه كما أعلم أنك مصدق قال فقلت له إن كثيرا من الناس يقولون إنها من كلام الرضى رحمه الله تعالى فقال أنى للرضى و لغير الرضى هذا النفس و هذا الأسلوب قد وقفنا على رسائل الرضى و عرفنا طريقته و فنه فى الكلام المنشور و ما يقع مع هذا الكلام فى خل و لا خمر ثم قال و الله لقد وقفت على هذه الخطبة فى كتب صنفت قبل أن يخلق الرضى بمائتى سنة و لقد وجدت مسطورة بخطوط أعرفها و أعرف خطوط من هو من العلماء و أهل الأدب قبل أن يخلق النقيب أبو أحمد و والد الرضى. قلت و قد وجدت أنا كثيرا من هذه الخطبة فى تصانيف شيخنا أبى القاسم البلخى [صفحة ٢٠٦] إمام البغداديين من المعتزلة و كان فى دولة المقتدر قبل أن يخلق الرضى بمدة طويلة و وجدت أيضا كثيرا منها فى كتاب أبى جعفر بن قبة أحد متكلمى الإمامية و هو الكتاب المشهور المعروف بكتاب الإنصاف و كان أبو جعفر هذا من تلامذة الشيخ أبى القاسم البلخى رحمه الله تعالى و مات فى ذلك العصر قبل أن يكون الرضى رحمه الله تعالى موجودا [صفحة ٢٠٧]

٤- و من خطبة له ع

بِنَا اهْتَدَيْتُمْ فِي الظُّلْمَاءِ وَ تَسَيَّمْتُمْ العُلِيَاءَ وَ بِنَا انْفَجَرْتُمْ عَنِ السَّرَارِ وَ قَرَّ سَمْعٌ لَمْ يَفْقَهُ الوَاعِيَةَ وَ كَيْفَ يُرَاعِي النَّبَاءَ مَنْ أَصَمَّتْهُ الصَّيْحَةُ رُبِطَ جَنَانٌ لَمْ يُفَارِقْهُ الخَفَقَانُ مَا زِلْتُ أَنْتَظِرُ بِكُمْ عَيَاقِبَ العُدْرِ وَ اتَّوَسَّيْتُكُمْ بِحِلْيَةِ المُغْتَرِّينَ سَتَرْتَنِي عَنْكُمْ جَلِيَابُ الدِّينِ وَ بَصَرَنِيكُمْ صِدْقُ النَّبِيِّ أَقَمْتُ لَكُمْ عَلَى سَنَنِ الحَقِّ فِي جَوَادِّ المَضَلَّةِ حَيْثُ تَلْتَقُونَ وَ لَأَ دَلِيلٌ وَ تَحْتَفِرُونَ وَ لَأَ تُمِيهُونَ اليَوْمَ أَنْطِقُ لَكُمْ العَجَمَاءَ ذَاتِ البَيَانِ عَزَبَ رَأَى امْرِئٍ تَخَلَّفَ عَنِّي مَا شَكَّكَتُ فِي الحَقِّ مُدَّ أُرِيئُهُ لَمْ يُوجِسْ مُوسَى خَيْفَةً عَلَى نَفْسِهِ أَشْفَقَ مِنْ غَلْبَةِ الجُهَالِ وَ دَوْلِ الضَّمَالِ اليَوْمَ تَوَاقَفْنَا عَلَى سَبِيلِ الحَقِّ وَ البَاطِلِ مَنْ وَثِقَ بِمَاءٍ لَمْ يَظْمَأْ [صفحة ٢٠٨] هذه الكلمات والأمثال ملتقطه من خطبة طويلة منسوبة إليه ع قد زاد فيها قوم أشياء حملتهم عليها أهواؤهم لا توافق ألفاظها طريقته ع فى الخطب و لا تناسب فصاحتها فصاحته و لا حاجة إلى ذكرها فهى شهيرة و نحن نشرح هذه الألفاظ لأنها كلامه ع لا يشك فى ذلك من له ذوق و نقد و معرفة بمذاهب الخطباء و الفصحاء فى خطبهم و رسائلهم و لأن الرواية لها كثيرة و لأن الرضى رحمه الله تعالى عليه قد التقتها و نسبها إليه ع و صححها و حذف ما عداها. و أما قوله ع بنا اهتديتم فى الظلماء فى معنى بالظلماء الجهالة و تسنتم العلياء ركبتم سنامها و هذه استعارة. قوله و بنا انفجرتم عن السرار أى دخلتم فى الفجر و السرار الليلة و الليلتان يستتر فيهما القمر فى آخر الشهر فلا يظهر و روى أفجرتم و هو أفصح و أصح لأن انفعل لا يكون إلا مطاوع فعل نحو كسرته فانكسر و حطمته فانحطم إلا ما شد من قولهم أغلقت الباب فانغلق و أزعجتته فانزعج و أيضا فإنه لا يقع إلا حيث يكون علاج و تأثير نحو انكسر وانحطم ولهذا قالوا إن قولهم انعدم خطأ و أما أفعل فيجىء لصيرورة الشىء على حال و أمر نحو أغد البعير أى صار ذا غدة و أجرب الرجل إذا صار ذا إبل جربى و غير ذلك فأفجرتم أى صرتم ذوى فجر. و أما عن فى قوله عن السرار فهى للمجاوزة على حقيقة معناها الأصلية أى منتقلين عن السرار و متجاوزين له . و قوله ع و قر سمع هذا دعاء على السمع الذى لم يفقه الواعية بالثقل و الصمم و قرأت أذن زيد

بضم الواو فهي موقورة والوقر بالفتح الثقل فى الأذن [صفحہ ۲۰۹] وقرت أذنه بفتح الواو وكسر القاف توقر وقرا أى صمت والمصدر فى هذاالموضع جاء بالسكون و هوشاذ وقياسه التحريك بالفتح نحو ورم وربما والواعية الصارخة من الوعاء و هوالجلبة والأصوات والمراد العبر والمواعظ. قوله كيف يراعى النبأ هذامثل آخر يقول كيف يلاحظ ويراعى العبر الضعيفة من لم ينتفع بالعبر الجليلة الظاهرة بل فسد عندها وشبه ذلك بمن أصمته الصيحة القوية فإنه محال أن يراعى بعد ذلك الصوت الضعيف والنبأ هى الصوت الخفى. فإن قيل هذايخالف قولكم إن الاستفساد لايجوز على الحكيم سبحانه فإن كلامه ع صريح فى أن بعض المكلفين يفسد عندالعبر والمواعظ. قيل إن لفظة أفعال قدأتى لوجود الشىء على صفة نحو أحمده إذأصبتة محمودا وقالوا أحييت الأرض إذأوجدتها حية النبات فقوله أصمته الصيحة ليس معناه أن الصيحة كانت علة لصممه بل معناه صادفته أصم وبهذا تأول أصحابنا قوله تعالى وَ أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ. قوله ربط جنان لم يفارقه الخفقان هذامثل آخر و هودعاء لقلب لايزال خائفا من الله يخفق بالثبوت والاستمساك . قوله ما زلت أنتظر بكم يقول كنت مترقبا غدركم متفرسا فيكم الغرر و هو الغفلة. وقيل إن هذه الخطبة خطبها بعدمقتل طلحة والزبير مخاطبا بهالهما ولغيرهما من أمثالهما كما قال النبى ص يوم بدر بعدقتل من قتل من قريش ياعتبه بن ربيعة -قرآن- ۸۰۸-۸۳۶ [صفحہ ۲۱۰] ياشيية بن ربيعة ياعمر و بن هشام وهم جيف متنته قدجروا إلى القلب . قوله سترنى عنكم هذايحتمل وجوها أوضحها أن إظهاركم شعار الإسلام عصمكم منى مع علمى بنفاقكم وإنما أبصرت نفاقكم وبواطنكم الخبيثة بصدق نيتى كمايقال المؤمن يبصر بنور الله ويحتمل أن يريد سترنى عنكم جلباب دينى ومنعنى أن أعرفكم نفسى و ماأقدر عليه من عسفكم كما تقول لمن استهان بحقك أنت لا تعرفنى و لو شئت لعرفتكم نفسى. وفسر القطب الراوندى قوله ع وبصرتكم صدق النية قال معناه أنكم إذا صدقتم نياتكم ونظرتم بأعين لم تطرف بالحسد والغش وأنصفتمنى أبصرتم عظيم منزلتى. و هذا ليس بجيد لأنه لو كان هوالمراد لقال وبصركم إياى صدق النية و لم يقل ذلك وإنما قال بصرتكم فجعل صدق النية مبصرا له لالهيم وأيضا فإنه حكم بأن صدق النية هوعله التبصير وأعداؤه لم يكن فيهم صادق النية وظاهر الكلام الحكم والقطع لالتعليق بالشرط. قوله أقت لكم على سنن الحق يقال تنح عن سنن الطريق وسنن الطريق بفتح السين وضمها فالأول مفرد والثانى جمع سنة وهى جادة الطريق والواضح منها وأرض مضلة ومضلة بفتح الضاد وكسرها يضل سالكها وأماه المحترف يمييه أنبط الماء يقول فعلت من إرشادكم وأمركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر مايجب على مثلى فوقفت لكم على جادة الحق ومنهجه حيث طرق الضلال كثيرة مختلفة من سائر جهاتى وأنتم تائهون فيها تلتقون و لادليل لكم وتحتفرون لتجدوا ماء تنقعون به غلتكم فلا تظفرون بالماء و هذه كلها استعارات . [صفحہ ۲۱۱] قوله اليوم أنطق هذامثل آخر والعجماء التى لانطق لها و هذاإشارة إلى الرموز التى تتضمنها هذه الخطبة يقول هى خفية غامضة وهى مع غموضها جلية لأولى الأبواب فكأنها تنطق كماينطق ذوو الألسنة كما قيل ماالأمر الصامتة الناطقة فقيل الدلائل المخبرة والعبر الواعظة و فى الأثر سل الأرض من شق أنهارك وأخرج ثمارك فإن لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا. قوله عزب رأى امرئ تخلف عنى هذالكلام آخر عزب أى بعد والعاذب البعيد ويحتمل أن يكون هذاالكلام إخبارا و أن يكون دعاء كما أن قوله تعالى حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ يَحْتَظِرُونَ الأمرين . قوله ماشككت فى الحق منذ رأيت هذالكلام آخر يقول معارفى ثابتة لايتطرق إليها الشك والشبهة. قوله لم يوجس موسى هذالكلام شريف جدا يقول إن موسى لما أوجس الخيفة بدلالة قوله تعالى فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى لم يكن ذلك الخوف على نفسه وإنما خاف من الفتنة والشبهة الداخلة على المكلفين عندإلقاء السحرة عصيهم فخيلى إليه من سحرهم أنها تسعى وكذلك أنا لأخاف على نفسى من الأعداء الذين نصبوا لى الحبال وأرصدوا لى المكاييد وسعروا على نيران الحرب وإنما أخاف أن يفتتن المكلفون بشبههم وتمويهاتهم فتقوى دولة الضلال وتغلب كلمة الجهال . قوله اليوم توافقنا القاف قبل الفاء توافق القوم على الطريق أى وقفوا كلهم عليها يقول اليوم اتضح الحق والباطل وعرفناهما نحن وأنتم . قوله من وثق بماء لم يظمأ الظمأ الذى

يكون عند عدم الثقة بالماء وليس -قرآن- ٥٠٠-٥١٧-قرآن-٧٢١-٧٥٥ [صفحة ٢١٢] يريد النفي المطلق لأن الواثق بالماء قديظماً ولكن لا يكون عطشه على حد العطش الكائن عند عدم الماء وعدم الوثوق بوجوده وهذا قول أبي الطيب و ماصباة مشتاق على أمل || من اللقاء كمشتاق بلا أمل . والصائم في شهر رمضان يصبح جائعاً تنازعه نفسه إلى الغذاء وفي أيام الفطر لا يجد تلك المنازعة في مثل ذلك الوقت لأن الصائم ممنوع والنفس تحرص على طلب مامنعت منه يقول إن وثقتم بي وسكنتم إلى قولي كنتم أبعد عن الضلال وأقرب إلى اليقين وثلج النفس كمن وثق بأن الماء في إداوته يكون عن الظماً وخوف الهلاك من العطش أبعد ممن لم يثق بذلك [صفحة ٢١٣]

٥- ومن كلام له ع لما قبض رسول الله ص وخاطبه العباس وأبوسفيان بن حرب في أن يبایعا له بالخلافة

إشارة

أَيُّهَا النَّاسُ شَقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُفْنِ النَّجَاهِ وَ عَرَّجُوا عَن طَرِيقِ الْمُنَافَرَةِ وَ ضَمُّوا تَيْجَانَ الْمَفَاخِرَةِ أَفْلَحَ مَن نَهَضَ بِجَنَاحٍ أَوْ اسْتَسَلَّمَ فَمَآرَاحَ مَاءٍ آجِنٍّ وَ لُقْمِيَّةً يَعْصُ بِهَا أَكْلُهَا وَ مَجْتَنِي الثَّمَرَةَ لِغَيْرِ وَقْتِ إِنْبَاعِهَا كَالزَّرَاعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ فَإِنِ أَقْلَ يَقُولُوا حَرَّصَ عَلَيَّ الْمَلِكِ وَ إِنِ اسْكُتَ يَقُولُوا جَزَعَ مِنَ الْمَيِّتِ هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتْيَا وَ اللَّيِّ وَ اللَّهُ لَمَأْبُئِ أَبِي طَالِبٍ آتَسُّ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِتَمْدِي أُمِّهِ بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَيَّ مَكْتُونٍ عِلْمٌ لَوْ بُحْتُ بِهِ لَأَضْطَرَبْتُمْ اضْطِرَابَ الْأُرْشِيَّةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ الْمَفَاخِرَةِ أَنِ يَذْكَرُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الرَّجُلِينَ مَفَاخِرَهُ وَفَضَائِلَهُ وَقَدِيمَهُ ثُمَّ يَتَحَاكَمَا إِلَى ثَالِثٍ وَالماء الآجن المتغير الفاسد آجن الماء بفتح الجيم يأجن ويأجن بالكسر والضم والإيناع إدراك الثمرة واللثيا تصغير التي كما أن اللذي تصغير الذي واندمجت انطويت والطوى البئر المطوية بالحجارة يقول تخلصوا عن الفتنة وانجوا منها بالمتاركة والمسالمة والعدول عن المنافرة والمفاخرة. [صفحة ٢١٤] أفلح من نهض بجناح أى مات شبه الميت المفارق للدنيا بطائر نهض عن الأرض بجناحه ويحتمل أن يريد بذلك أفلح من اعتزل هذا العالم وساح فى الأرض منقطعاً عن تكاليف الدنيا ويحتمل أيضاً أن يريد أفلح من نهض فى طلب الرئاسة بناصر ينصره وأعوان يجاهدون بين يديه و على التقادير كلها تنطبق اللفظة الثانية وهى قوله أو استسلم فأراح أى أراح نفسه باستسلامه . ثم قال الإمرة على الناس وخيمة العاقبة ذات مشقة فى العاجلة فهى فى عاجلها كالماء الآجن يجد شاربه مشقة و فى آجلها كاللقمة التى تحدث عن أكلها الغصة ويغص مفتوح حرف المضارعة ومفتوح الغين أصله غصصت بالكسر ويحتمل أن يكون الأمران معا للعاجلة لأن الغصص فى أول البلع كما أن ألم شرب الماء الآجن يحدث فى أول الشرب ويجوز ألا يكون عنى الإمرة المطلقة بل هى الإمرة المخصوصة يعنى بيعه السقيفة. ثم أخذ فى الاعتذار عن الإمساك وترك المنازعة فقال مجتنى الثمرة قبل أن تدرك لا ينتفع بما اجتناه كمن زرع فى غير أرضه ولا ينتفع بذلك الزرع يريد أنه ليس هذا الوقت هو الوقت الذى يسوغ لى فيه طلب الأمر و أنه لم يأن بعد. ثم قال قد حصلت بين حالين إن قلت قال الناس حرص على الملك و إن لم أقل قالوا جزع من الموت . قال هيهات استبعادا لظنهم فيه الجزع ثم قال اللثيا والتى أى أ بعد اللثيا والتى أجزع أ بعد أن قاسيت الأهوال الكبار والصغار ومنيت بكل داهية عظيمة وصغيرة فاللثيا للصغيرة والتى للكبيرة. [صفحة ٢١٥] ذكر أن أنسه بالموت كأنس الطفل بشدى أمه و أنه انطوى على علم هو ممتنع لموجه من المنازعة و أن ذلك العلم لا يباح به و لوباح به لا يضطرب سامعوه كاضطراب الأرشية وهى الحبال فى البئر البعيدة القعر وهذا إشارة إلى الوصية التى خص بها ع إنه قد كان من جملة الأمر بترك النزاع فى مبدأ الاختلاف عليه

واعلم أن أحسن الاستعارات ماتضمن مناسبة بين المستعار والمستعار منه كهذه الاستعارات فإن قوله ع شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة من هذا النوع و ذلك لأن الفتن قد تتضاعف وتترادف فحسن تشبيها بأموج البحر المضطربة و لما كانت السفن الحقيقية تنجى من أمواج البحر حسن أن يستعار لفظ السفن لما ينجى من الفتن وكذلك قوله وضعوا تيجان المفخرة لأن التاج لما كان مما يعظم به قدر الإنسان استعاره لما يتعظم به الإنسان من الافتخار وذكر القديم وكذلك استعاره النهوض بالجنح لمن اعتزل الناس كأنه لمانفض يديه عنهم صار كالطائر الذى ينهض من الأرض بجناحيه . و فى الاستعارات ما هو خارج عن هذا النوع و هو مستقبح و ذلك كقول أبى نواس بح صوت المال مما || منك يبكى وينوح . وكذلك قوله ما لرجل المال أضحت || تشتكى منك الكلالا . [صفحہ ۲۱۶] وقول أبى تمام وكم أحرزت منكم على قبح قدها || صروف النوى من مرهف حسن القدر . و كقوله بلوناك أما كعب عرضك فى العلا || فعال ولكن خد مالك أسفل . فإنه لامناسبة بين الرجل والمال و لا بين الصوت والمال و لامعنى لتصويره للنوى قدا و لا للعرض كعبا و لا للمال خدا . و قريب منه أيضا قوله لا تسقنى ماء الملام فإننى || صب قداستعذبت ماء بكائى . ويقال إن مخلدا الموصلى بعث إليه بقارورة يسأله أن يبعث له فيها قليلا من ماء الملام فقال لصاحبه قل له يبعث إلى بريشة من جناح الذل لأستخرج بها من القارورة ما بعبته إليه . و هذا ظلم من أبى تمام المخلد و ما الأمران سوء لأن الطائر إذا عيا و تعب ذل و خفض جناحيه و كذلك الإنسان إذا استسلم ألقى بيديه ذلا و يده جناحه فذاك هو الذى حسن قوله تعالى وَ اخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ أَ لَاترى أَنه لو قال و اخفض لهما ساق الذل أو بطن الذل لم يكن مستحسنا . و من الاستعاره المستحسنة فى الكلام المنثور ما اختاره قدامة بن جعفر فى كتاب الخراج نحو قول أبى الحسين جعفر بن محمد بن ثوابه فى جوابه لأبى الجيش خمارويه قرآن - ۳۶۴ - ۳۹۲ [صفحہ ۲۱۷] بن أحمد بن طولون عن المعتضد بالله لما كتب بإنفاذ ابنته قطر الندى التى تزوجها المعتضد و ذلك قول ابن ثوابه هذا و أما الوديعه فهى بمنزله ما انتقل من شمالك إلى يمينك عناية بها و حياطة لها و رعايه لمودتك فيها . و قال ابن ثوابه لما كتب هذا الكتاب لأبى القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب وزير المعتضد و الله إن تسميتى إياها بالوديعه نصف البلاغه . و ذكر أحمد بن يوسف الكاتب رجلا خلا بالمأمون فقال ما زال يفتله فى الذروه والغارب حتى لفته عن رأيه . و قال إسحاق بن ابراهيم الموصلى النيذ قيد الحديد . و ذكر بعضهم رجلا فذمه فقال هو أملكس ليس فيه مستقر لخير و لا شر . و رضى بعض الرؤساء عن رجل من موجدة ثم أقبل يوبخه عليها فقال إن رأيت ألا تخدش وجه رضاك بالتوبيخ فافعل . و قال بعض الأعراب خرجنا فى ليله حندس قد ألقى على الأرض أكارعها فمحت صورة الأبدان فما كنا نتعارف إلا بالأذان . و غزت حنيفه نميرا فأبتعتهم نمير فأتوا عليهم فقبل لرجل منهم كيف صنع قومك قال اتبعوهم و الله و قد أحقبا كل جماليه خيفانه فما زالوا يخلصون آثار المطى بحوافر الخيل حتى لحقوهم فجعلوا المران أرشيه الموت فاستقوا بها أرواحهم . و من كلام لعبد الله بن المعتز يصف القلم يخدم الإرادة و لا يمل الاستزاده [صفحہ ۲۱۸] ويسكت واقفا و ينطق سائرا على أرض بياضها مظلم و سوادها مضيء . فأما القطب الراوندى فقال قوله ع شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة معناه كونوا مع أهل البيت لأنهم سفن النجاة لقوله ع مثل أهل بيتى كسفينه نوح من ركبها نجا و من تخلف عنها غرق - روايت - ۱ - ۲ - روايت - ۱۲ - ۷۳ . و لقائل أن يقول لأشبهه أن أهل البيت سفن النجاة ولكنهم لم يرادوا هاهنا بهذه اللفظه لأنه لو كان ذلك هو المراد لكان قد أمر أباسفيان والعباس بالكون مع أهل البيت و مراده الآن ينقض ذلك لأنه يأمر بالتقيه وإظهار اتباع الذين عقد لهم الأمر ويرى أن الاستسلام هو المتعين فالذى ظنه الراوندى لا يحتمله الكلام و لا يناسبه . و قال أيضا التعريج على الشىء الإقامة عليه يقال عرج فلان على المنزل إذا حبس نفسه عليه فالتقدير عرجوا على الاستقامة منصرفين عن المنافرة . و لقائل أن يقال التعريج يعدى

تارةً وعن وتارةً بعلى فإذا عديته بعن أردت التجنب والرفض و إذا عديته بعلى أردت المقام والوقوف وكلامه ع معدى بعن قال وعرجوا عن طريق المنافرة. و قال أيضا أنس بالموت أى أسر به و ليس بتفسير صحيح بل هو من الأنس ضد الوحشة

اختلاف الرأى فى الخلافة بعد وفاة رسول الله

لما قبض رسول الله ص واشتغل على ع بغسله ودفنه وبويح أبوبكر خلا الزبير و أبوسفیان وجماعة من المهاجرين بعباس و على ع [صفحة ٢١٩] لإجالة الرأى وتكلموا بكلام يقتضى الاستنهاض والتهييج فقال العباس رضى الله عنه قد سمعنا قولكم فلان لقله نستعين بكم و لالظنه نترك آراءكم فأهلونا نراجع الفكر فإن يكن لنا من الإثم مخرج يصير بنا وبهم الحق صرير الجدجد ونبسط إلى المجد أكفا لانقبضها أونبلغ المدى و إن تكن الأخرى فلانقله فى العدد و لالوهن فى الأيد و الله لو لا أن الإسلام قيد الفتك لتكدكت جنادل صخر يسمع اصطكاكها من المحل العلى. فحل على ع حبوته و قال الصبر حلم والتقوى دين والحجة محمد والطريق الصراط أيها الناس شقوا أمواج الفتن ... الخطبة ثم نهض فدخل إلى منزله وافترق القوم . و قال البراء بن عازب لم أزل لبنى هاشم محبا فلما قبض رسول الله ص خفت أن تتمالأ قريش على إخراج هذا الأمر عنهم فأخذنى ما يأخذ الوالهة العجول مع ما فى نفسى من الحزن لوفاء رسول الله ص فكنت أتردد إلى بنى هاشم وهم عند النبى ص فى الحجرة وأتفقد وجوه قريش فإنى كذلك إذ فقدت أبابكر وعمر و إذا قائل يقول القوم فى سقيفه بنى ساعدة و إذا قائل آخر يقول قد بويح أبوبكر فلم ألبث و إذا أنابى بكر قد أقبل ومعه عمر و أبو عبيدة وجماعة من أصحاب السقيفه وهم محتجزون بالأزر الصنعانية لايمرون بأحد إلا خبطوه و قدموه فمدوا يده فمسحوها على يد أبى بكر بيايعة شاء ذلك أو أبى فأنكرت عقلى وخرجت أشدت حتى انتهت إلى بنى هاشم والباب مغلق فضربت عليهم الباب ضربا عنيفا و قلت قد بايع الناس لأبى بكر بن أبى قحافة فقال العباس تربت أيديكم إلى آخر الدهر أما إنى قد أمرتكم فعصيتونى فمكثت أكابد ما فى نفسى ورأيت [صفحة ٢٢٠] فى الليل المقداد وسلمان و أباذر وعبادة بن الصامت و أبالهيثم بن التيهان وحذيفة وعمارا وهم يريدون أن يعيدوا الأمر شورى بين المهاجرين . وبلغ ذلك أبابكر وعمر فأرسلا إلى أبى عبيدة و إلى المغيرة بن شعبة فسألاه ما عن الرأى فقال المغيرة الرأى أن تلقوا العباس فتجعلوا له ولولده فى هذه الإمرة نصيبا ليقطعوا بذلك ناحية على بن أبى طالب . فانطلق أبوبكر وعمر و أبو عبيدة والمغيرة حتى دخلوا على العباس و ذلك فى الليلة الثانية من وفاة رسول الله ص فحمد أبوبكر الله وأثنى عليه و قال إن الله ابتعث لكم محمدا ص نبيا وللمؤمنين وليا فمن الله عليهم بكونه بين ظهرانيهم حتى اختار له ما عنده فخلى على الناس أمورهم ليختاروا لأنفسهم متفقين غير مختلفين فاخترونى عليهم واليا ولأمرهم راعيا فتوليت ذلك و ما أخاف بعون الله وتسديده وهنا و لاحيرة و لاجبنا و ماتوفيقى إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب و ما أنفك يبلغنى عن طاعن يقول بخلاف قول عامة المسلمين يتخذكم لجأ فتكونون حصنه المنيع وخطبه البديع فإما دخلتم فيما دخل فيه الناس أو صرفتموهم عما مالوا إليه فقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك فى هذا الأمر نصيبا ولمن بعدك من عقبك إذ كنت عم رسول الله ص و إن كان المسلمون قد رأوا مكانك من رسول الله ص ومكان أهلكت ثم عدلوا بهذا الأمر عنكم و على رسلكم بنى هاشم فإن رسول الله ص منا ومنكم . فاعترض كلامه عمر وخرج إلى مذهبه فى الخشونة والوعيد وإتيان الأمر من أصعب جهاته فقال إى و الله وأخرى إنا لم نأتكم حاجة إليكم ولكن كرهنا أن يكون الطعن فيما اجتمع عليه المسلمون منكم فيتفامم الخطب بكم وبهم فانظروا لأنفسكم ولعامتهم ثم سكت . [صفحة ٢٢١] فتكلم العباس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن الله ابتعث محمدا نبيا كما ووصفت ووليا للمؤمنين فمن الله به على أمته حتى اختار له ما عنده فخلى الناس على أمرهم ليختاروا لأنفسهم مصيبين للحق مائلين عن زيغ الهوى فإن كنت برسول الله طلبت فحقنا أخذت و إن كنت بالمؤمنين

فنحن منهم ماتقدمنا فى أمركم فرطاً و لاحتلنا وسطاً و لانزحنا شحطاً فإن كان هذا الأمر يجب لك بالمؤمنين فما وجب إذ كنا كارهين و ما بعد قولك إنهم طعنوا من قولك إنهم مالوا إليك و أما ما بذلت لنا فإن يكن حَقُّكَ أعطيتناه فأمسكه عليك و إن يكن حق المؤمنين فليس لك أن تحكم فيه و إن يكن حقنا لم نرض لك ببعضه دون بعض و ما أقول هذا أروم صرفك عما دخلت فيه ولكن للحجة نصيبها من البيان و أماقولك إن رسول الله ص منا ومنكم فإن رسول الله ص من شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها و أماقولك يا عمر إنك تخاف الناس علينا فهذا الذى قدمتموه أول ذلك وباللله المستعان . لما اجتمع المهاجرون على بيعه أبى بكر أقبل أبوسفيان و هو يقول أما و الله إنى لأرى عجاجة لا يطفئها إلا الدم يالعبد مناف فيم أبوبكر من أمركم أين المستضعفان أين الأذلان يعنى عليا والعباس ما بال هذا الأمر فى أقل حى من قريش ثم قال لعلى ابسط يدك أباعك فو الله إن شئت لأملأنها على أبى فضيل ... خيلاً ورجلاً فامتنع عليه على ع فلما ينس منه قام عنه و هو ينشد شعر المتلمس [صفحہ ۲۲۲] و لا يقيم على ضيم يراد به || إلا الأذلان غير الحى والوتد هذا على الخسف مربوط برمته || وذا يشج فلا يرثى له أحد . قيل لأبى قحافة يوم ولى الأمر ابنه قدولى ابنك الخلفه فقرأ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء و تنزع الملك ممن تشاء ثم قال لم ولوه قالوا لسنه قال أنا أسن منه . نازع أبوسفيان أبابكر فى أمر فأغلظ له أبوبكر فقال له أبوقحافة يا بنى أتقول هذا أبى سفيان شيخ البطحاء قال إن الله تعالى رفع بالإسلام بيوتا ووضع بيوتا فكان مما رفع بيتك يا أبت ومما وضع بيت أبى سفيان - قرآن - ۶۵-۱۵۱ [صفحہ ۲۲۳]

۶- و من كلام له لما أشير عليه بالأيتبع طلحة والزبير و لا يرصد لهما القتال

إشارة

وَ اللّٰهِ لَأَكُوْنُ كَالضَّبْعِ تَنَامٌ عَلٰى طُوْلِ اللّٰدِمِ حَتّٰى يَصِلَ اِلَيْهَا طَالِبُهَا وَ يَخْتَلِهَا رَاصِدٌ دُهًا وَ لَكِنِّىْ اَضْرَبُ بِالْمُقْبِلِ اِلَى الْحَقِّ الْمُدْبِرِ عَنْهُ وَ بِالْسَامِعِ الْمُطِيعِ الْعَاصِى الْمُرِيْبِ اَبِيْدًا حَتّٰى يَأْتِيَّ عَلٰى يَوْمِىْ فَوَاللّٰهِ مَا زِلْتُ مَدْفُوْعًا عَنْ حَقِّىْ مُسْتَأْثِرًا عَلٰى مُنْذُ قَبَضَ اللّٰهُ نَبِيَّهٖ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ حَتّٰى يَوْمِ النَّاسِ هٰذَا يُقَالُ اُرْصِدْ لَهٗ بَشْرًا اَىْ اَعِدْ لَهٗ وَهِيَاةً وَ فِى الْحَدِيْثِ اِلَّا اَنْ اُرْصِدَهٗ لَدِيْنِ عَلٰى وَ اللّٰدِمُ صَوْتُ الْحَجْرِ اَوْ الْعَصَا اَوْ غَيْرَهُمَا تَضْرِبُ بِهٖ الْاَرْضُ ضَرْبًا لَيْسَ بِشَدِيْدٍ . و لما شرح الراوندى هذه اللفظات قال و فى الحديث و الله لا أكون مثل الضبع تسمع اللدم حتى تخرج فتصاد و قد كان سامحه الله وقت تصنيفه الشرح ينظر فى صحاح الجوهرى وينقل منها فنقل هذا الحديث ظنا منه أنه حديث عن رسول الله ص و ليس كما ظن بل الحديث الذى أشار إليه الجوهرى هو حديث على ع الذى نحن بصدد تفسيره . ويختلها راصدها يخذعها مترقبها خلت فلانا خدعته و رصده ترقبته ومستأثرا على أى مستبدا دونى بالأمر والاسم الأثره و فى الحديث أنه ص -رواية- ۱- ۲-رواية- ۱۶-ادامه دارد [صفحہ ۲۲۴] قال للأنصار ستلقون بعدى أثره فإذا كان ذلك فاصبروا حتى تردوا على الحوض -رواية- از قبل- ۷۷ . والعرب تقول فى رموزها وأمثالها أحقق من الضبع ويزعمون أن الصائد يدخل عليها وجارها فيقول لها أطرقى أم طريق خامرى أم عامر ويكرر ذلك عليها مرارا معنى أطرقى أم طريق طأطئى رأسك وكنها أم طريق لكثرة إطراقها على فعيل كالقبيط للناطف والعليق لنبت ومعنى خامرى الزمى و جارك واستترى فيه خامر الرجل منزله إذ لزمه قالوا فتلجأ إلى أقصى مغارها وتتقبض فيقول أم عامر ليست فى و جاراها أم عامر نائمة فتمد يديها ورجليها وتستلقى فيدخل عليها فيوثقها و هو يقول لها أبشرى أم عامر بكم الرجال أبشرى أم عامر بشاء هزلى وجراد عظمى أى يركب بعضه بعضا فتشد عراقيبها فلا تتحرك و لو شاءت أن تقتله لأمكنها قال الكميت فعل المقره للمقاله || خامرى يا أم عامر . و قال

الشنفرى لا-تقبرونى إن قبرى محرم || عليكم ولكن خامرى أم عامر إذا ماضى رأسى و فى الرأس أكثرى || وغودر عندالملتقى ثم سائرى هنا لك لأرجو حياة تسرنى || سجيس الليالى مبسلا بالجرائر . [صفحہ ۲۲۵] أوصاهم ألا يدفنوه إذاقتل وقال اجعلونى أكلا للسباع كالشئ الذى يرغب به الضبع فى الخروج وتقدير الكلام لاتقبرونى ولكن اجعلونى كالتى يقال لها خامرى أم عامر وهى الضبع فإنها لا-تقبر ويمكن أن يقال أيضا أراد لاتقبرونى واجعلونى فريسة للى يقال لها خامرى أم عامر لأنها تأكل الجيف وأشلاء القتلى والموتى . وقال أبويعبيدة يأتى الصائد فيضرب بعقبه الأرض عند باب مغارها ضربا خفيفا و ذلك هواللدنم و يقول خامرى أم عامر مرارا بصوت ليس بشديد فتنام على ذلك فيدخل إليها فيجعل الجبل فى عرقوبها ويجرها فيخرجها يقول لأقعد عن الحرب والانتصار لنفسى وسلطانى فيكون حالى مع القوم المشار إليهم حال الضبع مع صائدها فأكون قدأسلمت نفسى فعل العاجز الأحقق ولكنى أحارب من عصانى بمن أطاعنى حتى أموت ثم عقب ذلك بقوله إن الاستئثار على والتغلب أمر لم يتجدد الآن ولكنه كان منذ قبض رسول الله ص

طلحة والزبير ونسبهما

وطلحة هو أبو محمدطلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة أبوه ابن عم أبى بكر وأمه الصعبة بنت الحضرمى وكانت قبل أن تكون عندعبيد الله تحت أبى سفيان صخر بن حرب فطلقها ثم تبعها نفسه فقال فيها شعرا أوله وإنى وصعبة فيما أرى || بعيدان والود ود قريب . فى أبيات مشهورة وطلحة أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد أصحاب الشورى و كان له فى الدفاع عن رسول الله ص يوم أحد أثر عظيم وشلت بعض [صفحہ ۲۲۶] أصابعه يومئذ وقى رسول الله ص بيده من سيوف المشركين وقال رسول الله ص يومئذ اليوم أوجب طلحة الجنة -رواية- ۱-۲-رواية- ۳۰-۵۴ . والزبير هو أبو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصى أمه صفية بنت عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف عمه رسول الله ص و هوأحد العشرة أيضا وأحد الستة وممن ثبت مع رسول الله ص يوم أحد وأبلى بلاء حسنا وقال النبى ص لكل نبى حوارى وحوارى الزبير -رواية- ۱-۲-رواية- ۲۰-۵۲ . والحوارى الخالصة تقول فلان خالصة فلان وخلصانه وحواريه أى شديد الاختصاص به والاستخلاص له

خروج طارق بن شهاب لاستقبال على بن أبى طالب

خرج طارق بن شهاب الأحمسى يستقبل عليا ع و قدصار بالربذة طالبا عائشة وأصحابها و كان طارق من صحابه على ع وشيعته قال فسألت عنه قبل أن ألقاه ماأقدمه فقيل خالفه طلحة والزبير وعائشة فأتوا البصرة فقلت فى نفسى إنها الحرب أفأقاتل أم المؤمنين وحوارى رسول الله ص إن هذاالعظيم ثم قلت أأدع عليا و هوأول المؤمنين إيماننا بالله و ابن عم رسول الله ص ووصيه هذاأعظم ثم أتيت فسلمت عليه ثم جلست إليه فقص على قصة القوم وقصته ثم صلى بنا الظهر فلما انفتل جاءه الحسن ابنه ع فبكى بين يديه قال مابالك قال أبكى لقتلك غدا بمضيعة و لاناصر لك أماإنى أمرتك فعصيتنى ثم أمرتك فعصيتنى فقال ع لاتزال تخن خنين الأمة ما الذى أمرتنى به فعصيتك قال أمرتك حين أحاط الناس بعثمان أن تعتزل فإن الناس إذاقتلوه طلبوك أينما كنت حتى يبابعوك فلم تفعل ثم أمرتك لماقتل عثمان ألا توافقهم على [صفحہ ۲۲۷] البيعة حتى يجتمع الناس ويأتيك وفود العرب فلم تفعل ثم خالفك هؤلاء القوم فأمرتك ألا تخرج من المدينة و أن تدعهم وشأنهم فإن اجتمعت عليك الأمة

فذاك و الارضيت بقضاء الله فقال ع و الله لأكون كالضيع تنام على اللدم حتى يدخل إليها طالبها فيعلق الحبل برجلها و يقول لها دباب دباب حتى يقطع عرقوبها ... و ذكر تمام الفصل فكان طارق بن شهاب يبكى إذا ذكر هذا الحديث دباب اسم الضيع مبنى على الكسر كبراح اسم للشمس [صفحه ٢٢٨]

٧- و من خطبة له ع

اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لِمَرِهِمْ مَلَكَاً وَ اتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَاكاً فَبَاضَ وَ فَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ وَ دَبَّ وَ دَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ وَ نَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ فَرَكِبَ بِهِمُ الزَّلْمَ وَ زَيْنَ لَهُمُ الخَطْلَ فَعَلَ مَنْ قَدَ شَرِكَهُ الشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِهِ وَ نَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَشْرَاكاً جَمَعَ شَرِيكَ كَشْرِيْفٍ وَ أَشْرَافٍ وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَمَعَ شَرِكَ كَجَبَلٍ وَ أَجْبَالٍ وَ الْمَعْنَى بِالْأَعْتَابِينَ مُخْتَلَفٌ . وَ بَاضَ وَ فَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ اسْتِعَارَةٌ لِلْوَسْوَسَةِ وَ الْإِغْوَاءِ وَ مَرَادُهُ طَوَّلَ مَكْنَتَهُ وَ إِقَامَتَهُ عَلَيْهِمْ لِأَنَّ الطَّائِرَ لَا يَبْيُضُ وَ يَفْرَخُ إِلَّا فِي الْأَعْيَاشِ الَّتِي هِيَ وَطَنُهُ وَ مَسْكَنُهُ وَ دَبَّ وَ دَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ أَيْ رَبَّوْا الْبَاطِلَ كَمَا يَرَبِي الْوَالِدَانِ الْوَلَدَ فِي حُجُورِهِمَا ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ لَشِدَّةِ اتِّحَادِهِ بِهِمْ وَ امْتِزَاجِهِ صَارَ كَمَنْ يَنْظُرُ بِأَعْيُنِهِمْ وَ يَنْطِقُ بِأَلْسِنَتِهِمْ أَيْ صَارَ الْإِثْنَانُ كَالْوَاحِدِ قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ مَا الْخَلُّ إِلَّا مَنْ أُوْدَ بِقَلْبِهِ || وَ أَرَى بِطَرَفٍ لَا يَرَى بِسِوَاةِهِ . وَ قَالَ آخِرُ كُنَّا مِنَ الْمُسَاعِدَةِ || نَحْيَا بِرُوحٍ وَاحِدَةٍ . [صفحه ٢٢٩] وَ قَالَ آخِرُ جَبَلَتْ نَفْسُكَ فِي نَفْسِي كَمَا || تَجِبَلُ الْخَمْرُ بِالْمَاءِ الزَّلَالِ فَإِذَا مَسَكَ شَيْءٌ مَسْنَى || فَإِذَا أَنْتَ أَنَا فِي كُلِّ حَالٍ . وَ الْخَطْلُ الْقَوْلُ الْفَاسِدُ وَ يَجُوزُ أَشْرَكَهُ الشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِهِ بِالْهَمْزَةِ وَ شَرِكَهُ أَيْضاً وَ بَغَيْرِ الْهَمْزَةِ أَفْصَحُ [صفحه ٢٣٠]

٨- و من كلام له ع يعنى به الزبير في حال اقتضت ذلك

إشاره

يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدَ بَايَعَ بِيَدِهِ وَ لَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ فَقَدْ أَقْرَبَ بِالْبَيْعَةِ وَ ادَّعَى الْوَلِيَجَةَ فَلْيَا تِ عَلَيْهِ بِأَمْرٍ يُعْرَفُ وَ إِلَّا فَلْيَدْخُلْ فِيمَا خَرَجَ مِنْهُ الْوَلِيَجَةُ الْبَطَانَةُ وَ الْأَمْرُ يَسِرُ وَ يَكْتُمُ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَ لَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لَا رَسُولِهِ وَ لَا الْمُؤْمِنِينَ وَ لِيَجَةً كَانَ الزَّبِيرُ يَقُولُ بَايَعْتُ بِيَدِي لَا بِقَلْبِي وَ كَانَ يَدْعَى تَارَةً أَنَّهُ أَكْرَهُ وَ يَدْعَى تَارَةً أَنَّهُ وَرَى فِي الْبَيْعَةِ تَوْرِيَةً وَ نَوَى دَخِيلَةً وَ أَتَى بِمُعَارِيضٍ لَا تَحْمِلُ عَلَى ظَاهِرِهَا فَقَالَ ع هَذَا الْكَلَامُ إِقْرَارٌ مِنْهُ بِالْبَيْعَةِ وَ ادْعَاءٌ أَمْرٌ آخِرٌ لَمْ يَقُمْ عَلَيْهِ دَلِيلًا وَ لَمْ يَنْصَبْ لَهُ بَرَهَانًا فَمَا أَنْ يَقِيمَ دَلِيلًا عَلَى فِسَادِ الْبَيْعَةِ الظَّاهِرَةَ وَ أَنَّهَا غَيْرُ لَازِمَةٍ لَهُ وَ إِمَّا أَنْ يَعَاوِدَ طَاعَتَهُ . -قرآن- ٥٢-١٣١ قَالَ عَلِيٌّ ع لِزُبَيْرٍ يَوْمَ بَايَعَهُ إِنِّي لَخَائِفٌ أَنْ تَغْدِرَ بِي وَ تَنْكُثَ بَيْعَتِي قَالَ لَا تَخَافَنَّ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ مِنِّي أَبَدًا فَقَالَ ع فَلَئِنْ اللَّهُ عَلِيٌّ عَلَيْكَ بِذَلِكَ رَاعٍ وَ كَفِيلٌ قَالَ نَعَمْ اللَّهُ لَكَ عَلَى ذَلِكَ رَاعٍ وَ كَفِيلٌ -روایت- ١-١٩٥

أمر طلحة و الزبير مع علي بن أبي طالب بعد بيعتهما له

لَمَّا بَوَّعَ عَلِيٌّ ع كَتَبَ إِلَى مَعَاوِيَةَ أَمَّا بَعْدَ فَإِنَّ النَّاسَ قَتَلُوا عَثْمَانَ عَنْ غَيْرِ -روایت- ١-١-إدامه دارد [صفحه ٢٣١] مشورة مني و بايعوني عن مشورة منهم واجتماع فإذا أتاك كتابي فبايع لي و أوفد إلي أشرف أهل الشام قبلك -روایت- از قبل- ١١٠ فلما قدم رسوله علي معاوية وقرأ كتابه بعث رجلا من بني عميس وكتب معه كتابا إلى الزبير بن العوام و فيه بسم الله الرحمن الرحيم

وإني لراجع وتارككم منذ اليوم فقال له عبد الله ما أراك إلا جنت عن سيوف بني عبدالمطلب إنها لسيوف حداد تحملها فتية أنجاد فقال الزبير ويلك أتهيجني على حربه أما إنني قد حلفت ألا أحاربه قال كفر عن يمينك لا تتحدث نساء قريش أنك جنت و ما كنت جباناً فقال الزبير غلامى مكحول حر كفارة عن يمينى ثم أنصل سنان رمحه وحمل على عسكر على ع برمح لاسنان له فقال على ع أفرجوا له فإنه محرج ثم عاد إلى أصحابه ثم حمل ثانية ثم ثالثة ثم قال لابنه أجينا ويلك ترى فقال لقد أعدرت . لما أذكر على ع الزبير بما أذكره به ورجع الزبير قال نادى على بأمر لست أنكره || و كان عمر أبيك الخير مذ حين فقلت حسبك من عدل أباحسن || بعض الذى قلت منذ اليوم يكفينى ترك الأمور التى تخشى مغبتها || و الله أمثل فى الدنيا و فى الدين فاخترت عارا على نار مؤججه || أنى يقوم لها خلق من الطين لما خرج على ع لطلب الزبير خرج حاسرا وخرج إليه الزبير دارعا مدججا فقال للزبير يا أبا عبد الله قد لعمري أعددت سلاحا وحبذا فهل أعددت عند الله عذرا فقال الزبير إن مردنا إلى الله قال على ع يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين ثم أذكره الخبر فلما كر -روايت- ١-١-ادامه دارد [صفحه ٢٣٥] الزبير راجعا إلى أصحابه نادما واجما رجع على ع إلى أصحابه جذلا مسرورا فقال له أصحابه يا أمير المؤمنين تبرز إلى الزبير حاسرا و هوشاك فى السلاح و أنت تعرف شجاعته قال إنه ليس بقاتلى إنما يقتلنى رجل خامل الذكر ضئيل النسب غيلة فى غير مأقط حرب و لامعركة رجال و يلمه أشقى البشر ليودن أن أمه هبلت به أما إنه وأحمر ثمود لمقرونان فى قرن . لما انصرف الزبير عن حرب على ع مر بوادى السباع والأحنف بن قيس هناك فى جمع من بنى تميم قداعتزل الفريقين فأخبر الأحنف بمرور الزبير فقال رافعا صوته ما أصنع بالزبير لف غارين من المسلمين حتى أخذت السيوف منهما مأخذها انسل و تركهم أما إنه لخلق بالقتل قتله الله فاتبعه عمرو بن جرموز و كان فاتكا فلما قرب منه وقف الزبير و قال ماشأنك قال جئت لأسألك عن أمر الناس قال الزبير إني تركتهم قياما فى الركب يضرب بعضهم وجه بعض بالسيف فسار ابن جرموز معه و كل واحد منهما يتقى الآخر فلما حضرت الصلاة قال الزبير يا هذا إنا نريد أن نصلى . فقال ابن جرموز و أنا أريد ذلك فقال الزبير فتؤمنى وأؤمنك قال نعم فتنى الزبير رجله وأخذ وضوءه فلما قام إلى الصلاة شد ابن جرموز عليه فقتله وأخذ رأسه وخاتمه وسيفه وحثا عليه ترابا يسيرا ورجع إلى الأحنف فأخبره فقال و الله ما أدري أسأت أم أحسنت اذهب إلى على ع فأخبره فجاء إلى على ع فقال للآذن قل له عمرو بن جرموز بالباب ومعه رأس الزبير وسيفه فأدخله و فى كثير من الروايات أنه لم يأت بالرأس بل بالسيف فقال له و أنت قتلته قال نعم قال و الله ما كان ابن صفية جباناً ولا ثيماً ولكن الحين ومصارع السوء -روايت- ١-١-از قبل -٢-ادامه دارد [صفحه ٢٣٦] ثم قال ناولنى سيفه فناوله فهزه و قال سيف طالما جلى به الكرب عن وجه رسول الله ص فقال ابن جرموز الجائزة يا أمير المؤمنين فقال أما إنى سمعت رسول الله ص يقول بشر قاتل ابن صفية بالنار -روايت- ٢-٢- فخرج ابن جرموز خائبا و قال أتيت عليا برأس الزبير || أبغى به عنده الزلفه فبشر بالنار يوم الحساب || فبئست بشارة ذى التحفه فقلت له إن قتل الزبير || لو لارضاك من الكلفه فإن ترض ذاك فمنك الرضا || و لإفدونك لى حلفه ورب المحلين والمحرمين || ورب الجماعة والألفه لسيان عندى قتل الزبير || وضرطه عنز بذى الجحفه . ثم خرج ابن جرموز على على ع مع أهل النهر فقتله معهم فيمن قتل [صفحه ٢٣٧]

٩- و من كلام له ع

وَقَدْ أَرَعَدُوا وَ أَبْرَقُوا وَ مَعَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ الْفَشْلُ وَ لَسْنَا نُرْعَدُ حَتَّى نُوقِعَ وَ لَا نُسِيلُ حَتَّى نُمَطِّرَ أَرَعَدَ الرَّجُلُ وَأَبْرَقَ إِذَا أُوْعِدَ وَ تَهْدَدُ وَ كَانَ الْأَصْمَى يَنْكُرُهُ وَيَزْعَمُ أَنَّهُ لَا يَقَالُ إِلَّا رَعَدَ وَ بَرَقَ وَ لَمَّا حَتَجَ عَلَيْهِ بَيْتَ الْكَمَيْتِ أَرَعَدَ وَأَبْرَقَ يَأْيَزِيدُ || فَمَا وَعِيدُكَ لِي

بضائر . قال الكميت قروى لا يحتج بقوله . وكلام أمير المؤمنين ع حجة دالة على بطلان قول الأصمى والفشل الجبن والخور . و قوله و لانسيل حتى نمطر كلمه فصيحته يقول إن أصحاب الجمل فى وعيدهم وإجلابهم بمنزله من يدعى أنه يحدث السيل قبل إحداث المطر و هذا محال لأن السيل إنما يكون من المطر فكيف يسبق المطر و أمانحن فإننا لاندعى ذلك وإنما نجرى الأمور على حقائقها فإن كان منا مطر كان منا سيل و إذا أوقعنا بخصمنا أو عدنا حينئذ بالإيقاع به غيره من خصومنا . [صفحه ٢٣٨] و قوله ع و مع هذين الأمرين الفشل معنى حسن لأن الغالب من الجبناء كثرة الضوضاء والجلبة يوم الحرب كما أن الغالب من الشجعان الصمت والسكون . وسمع أبوطاهر الجنابى ضوضاء عسكر المقتدر بالله و دبابدهم و بوقاتهم و هو فى ألف و خمسمائة و عسكر المقتدر فى عشرين ألفاً مقدمهم يوسف بن أبى الساج فقال لبعض أصحابه ما هذا الزجل قال فشل قال أجل . ويقال إنه مارئى جيش كجيش أبى طاهر ما كان يسمع لهم صوت حتى أن الخيل لم تكن لها حمحمه فرشق عسكر ابن أبى الساج القرامطة بالسهم المسمومة فجرح منهم أكثر من خمسمائة إنسان . و كان أبوطاهر فى عمارية له فتزل وركب فرسات و حمل بنفسه و معه أصحابه حملة على عسكر ابن أبى الساج فكسروه و فلوه و خلصوا إلى يوسف فأسروه و تقطع عسكره بعد أن أتى بالقتل على كثير منهم و كان ذلك فى سنة خمس عشرة و ثلاثمائة . و من أمثالهم الصدق ينبئ عنك لا الوعيد [صفحه ٢٣٩]

١٠- و من خطبة له ع

أَلَا وَ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ وَ اسْتَجَلَبَ خَيْلَهُ وَ رَجَلَهُ وَ إِنَّ مَعِيَ لِبَصِيرَتِي مَا لُبِسْتُ عَلَى نَفْسِي وَ لَا لُبِسَ عَلَيَّ وَ أَيُّمَ اللَّهُ لِلْفَرِطَنِ لَهُمْ حَوْضًا أَنَا مَاتِحُهُ لَا يَصْدُرُونَ عَنْهُ وَ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ يُمْكِنُ أَنْ يَعْنَى بِالشَّيْطَانِ الشَّيْطَانَ الْحَقِيقِي وَيُمْكِنُ أَنْ يَعْنَى بِهِ مَعَاوِيَةَ فَإِنْ عَنِ مَعَاوِيَةَ فَقَوْلُهُ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ وَ اسْتَجَلَبَ خَيْلَهُ وَ رَجَلَهُ كَلَامٌ جَارٍ عَلَى حَقَائِقِهِ وَ إِنْ عَنِ بِهِ الشَّيْطَانَ كَانَ ذَلِكَ مِنْ بَابِ الاسْتِعَارَةِ وَ مَا خُوذَا مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى وَ اسْتَفْزَزَ مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَ أَجْلَبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَ رَجَلِكَ وَ الرَّجُلُ جَمْعُ رَاجِلٍ كَالشَّرْبِ جَمْعُ شَارِبٍ وَ الرَّكْبُ جَمْعُ رَاكِبٍ . قَوْلُهُ وَ إِنْ مَعِيَ لِبَصِيرَتِي يَرِيدُ أَنْ الْبَصِيرَةُ الَّتِي كَانَتْ مَعِيَ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ ص تَتَغَيَّرُ . وَ قَوْلُهُ مَا لُبِسْتُ تَقْسِيمٌ جَيِّدٌ لِأَنَّ كُلَّ ضَالٍّ عَنِ الْهَدَايَةِ فَإِمَّا أَنْ يَضِلَّ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ أَوْ بِإِضْلَالٍ غَيْرِهِ لَهُ . وَ قَوْلُهُ لِلْفَرِطَنِ مِنْ رَوَاهَا بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ فَأَصْلُهُ فَرَطٌ ثَلَاثِي يَقَالُ فَرَطٌ - قُرْآنٌ - ٢٢٤-٣٠٧ [صفحه ٢٤٠] زَيْدُ الْقَوْمِ أَيْ سَبَقَهُمْ وَ رَجُلٌ فَرَطٌ يَسْبِقُ الْقَوْمَ إِلَى الْبُئْرِ فِيهِبِي لَهُمُ الْأَرْشِيَّةُ وَ الدَّلَاءُ وَ مِنْهُ قَوْلُهُ عَ إِذَا فَرَطَكُمْ عَلَى الْحَوْضِ وَ يَكُونُ تَقْدِيرُ الْكَلَامِ وَ أَيُّمَ اللَّهُ لِلْفَرِطَنِ لَهُمْ إِلَى حَوْضٍ فَلَمَّا حَذَفَ الْجَارُ عَدَى الْفِعْلُ بِنَفْسِهِ فَنَصَبَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَ اخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ وَ تَكُونُ اللَّامُ فِي لَهُمْ إِمَّا لَامُ التَّعْدِيَةِ كَقَوْلِهِ وَ يُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَيْ وَيُؤْمِنُ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ تَكُونُ لَامُ التَّعْلِيلِ أَيْ لِأَجْلِهِمْ وَ مِنْ رَوَاهَا لِلْفَرِطَنِ بضم الهمزة فهو من أفرط المزايدة أى ملاًها . وَ الْمَاتِحُ الْمَسْتَقَى مَتَحَ يَمْتَحُ بِالْفَتْحِ وَ الْمَاتِحُ بِالْيَاءِ الَّذِي يَنْزِلُ إِلَى الْبُئْرِ فِيمَلَأُ الدَّلْوُ . وَقِيلَ لِأَبِي عَلَى رَحِمَهُ اللَّهُ مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْمَاتِحِ وَ الْمَاتِحِ فَقَالَ هُمَا كِإِعْجَامَهُمَا يَعْنَى أَنَّ التَّاءَ بِنَقَطَتَيْنِ مِنْ فَوْقٍ وَ كَذَلِكَ الْمَاتِحُ لِأَنَّهُ الْمَسْتَقَى فَهُوَ فَوْقَ الْبُئْرِ وَ الْيَاءُ بِنَقَطَتَيْنِ مِنْ تَحْتٍ وَ كَذَلِكَ الْمَاتِحُ لِأَنَّهُ تَحْتُ فِي الْمَاءِ الَّذِي فِي الْبُئْرِ يَمَلَأُ الدَّلَاءُ وَ مَعْنَى قَوْلِهِ أَنَا مَاتِحُهُ أَنَا خَبِيرٌ بِهِ كَمَا يَقُولُ مَنْ يَدْعَى مَعْرِفَةَ الدَّارِ أَنَا بَانِي هَذِهِ الدَّارِ وَ الْكَلَامُ اسْتِعَارَةٌ يَقُولُ لِأَمْلَأَنَّ لَهُمْ حِيَاضَ الْحَرْبِ الَّتِي هِيَ دَرَبَتِي وَ عَادَتِي أَوْ لَأَسْبِقَنَّهُمْ إِلَى حِيَاضِ حَرْبِ أَنَا مَتَدَرِبٌ بِهَا مَجْرَبٌ لَهَا إِذَا وَرَدَهَا لَا يَصْدُرُونَ عَنْهَا يَعْنَى قَتْلَهُمْ وَ إِزْهَاقَ أَنْفُسِهِمْ وَ مِنْ فَرِ مِنْهُمْ لَا يَعُودُ إِلَيْهَا وَ مِنْ هَذَا اللَّفْظِ قَوْلُ الشَّاعِرِ - قُرْآنٌ - ٢٢٩-٢٥١ مَخْضَتْ بَدَلُوهُ حَتَّى تَحْسَى || ذُنُوبُ الشَّرِّ مَلَأَى أَوْقْرَابًا [صفحه ٢٤١]

١١- و من كلام له ع لابنه محمد بن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل

تَزُولُ الْجِبَالُ وَ لَا تَزُلُ عَضٌّ عَلَى نَاجِدِكَ أَعْرِ اللَّهُ جُمُجْمَتَكَ تَد فِي الْأَرْضِ قَدَمَكَ اِرْمِ بِبَصِيرِكَ أَفْصِي الْقَوْمِ وَ عَضٌّ بَصْرَكَ وَ اعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ قَوْلُهُ تَزُولُ الْجِبَالُ وَ لَا تَزُلُ خَبْرٌ فِيهِ مَعْنَى الشَّرْطِ تَقْدِيرُهُ إِنْ زَالَتِ الْجِبَالُ فَلَا تَزُلُ أَنْتَ وَالْمُرَادُ الْمُبَالِغَةُ فِي أَخْبَارِ صَفِينِ أَنْ بَنِي عَكْلٍ وَ كَانُوا مَعَ أَهْلِ الشَّامِ حَمَلُوا فِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ صَفِينِ خَرَجُوا وَ عَقَلُوا أَنْفُسَهُمْ بِعَمَائِهِمْ وَ تَحَالَفُوا أَنَا لِأَنْفَرِ حَتَّى يَفِرَ هَذَا الْحَكْرُ بِالْكَافِ قَالُوا لِأَنَّ عَكْلًا تَبَدَّلَ الْجِيمِ كَافًا. وَ النَّاجِذُ أَقْصَى الْأَضْرَاسِ وَ تَدُ أَمْرٌ مِنْ وَ تَدُ قَدَمُهُ فِي الْأَرْضِ أَى أَثْبَتَهَا فِيهَا كَالْوَتْدِ وَ لَا تَنَاقُضُ بَيْنَ قَوْلِهِ اِرْمِ بِبَصْرِكَ وَ قَوْلِهِ غَضُّ بَصْرِكَ وَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ فِي الْأَوَّلَى أَمْرُهُ أَنْ يَفْتَحَ عَيْنَهُ وَ يَرْفَعُ طَرْفَهُ وَ يَحْدُقُ إِلَى أَقْصَى الْقَوْمِ بِبَصْرِهِ فَعَلَّ الشَّجَاعُ الْمَقْدَامَ غَيْرَ الْمَكْتَرِثِ وَ لَا الْمُبَالَى لِأَنَّ الْجِبَانَ تَضَعُفُ نَفْسُهُ وَ يَخْفَقُ قَلْبُهُ فَيَقْصُرُ بَصْرَهُ وَ لَا يَرْتَفِعُ طَرْفَهُ وَ لَا يَمْتَدُّ عُنُقَهُ وَ يَكُونُ نَاكِسَ الرَّأْسِ غَضِيضِ الطَّرْفِ وَ فِي الثَّانِيَةِ أَمْرُهُ أَنْ يَغْضُ بَصْرَهُ عَنْ بَرِيقِ سَيْوْفِهِمْ وَ لِمَعَانَ دُرُوعِهِمْ لَثَلًا- يَبْرِيقُ بَصْرَهُ وَ يَدْهَشُ وَ يَسْتَشْعِرُ خَوْفًا وَ تَقْدِيرُ الْكَلَامِ وَاحْتِمَالٌ وَ حَذْفٌ ذَلِكَ لِلْعِلْمِ بِهِ فَكَأَنَّهُ قَالَ إِذَا عَزَمْتَ عَلَى الْحِمْلَةِ [صَفْحَةُ ٢٤٢] وَ صَمِمْتَ فَغَضُّ حَيْثُ بَصْرِكَ وَاحْتِمَالٌ وَ كُنْ كَالْعَشْوَاءِ الَّتِي تَخْبِطُ مَا أَمَامَهَا وَ لَا تَبَالَى. وَ قَوْلُهُ عَضُّ عَلَى نَاجِدِكَ قَالُوا إِنْ الْعَاضُ عَلَى نَوَاجِذِهِ يَنْبُو السَّيْفُ عَنْ دِمَاغِهِ لِأَنَّ عِظَامَ الرَّأْسِ تَشْتَدُّ وَ تَصَلِّبُ وَ قَدْ جَاءَ فِي كَلَامِهِ عَ هَذَا مَشْرُوحًا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ وَ هُوَ قَوْلُهُ وَ عَضُّوا عَلَى النَّوَاجِذِ فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلصَّوَارِمِ عَنِ الْهَامِ وَ يَحْتَمَلُ أَنْ يَرِيدَ بِهِ شِدَّةَ الْحَقِّ قَالُوا فَلَانَ يَحْرِقُ عَلَى الْأَرْمِ يَرِيدُونَ شِدَّةَ الْغَيْظِ وَ الْحَرْقُ صَرِيفُ الْأَسْنَانِ وَ صَوْتُهَا وَ الْأَرْمُ الْأَضْرَاسُ. وَ قَوْلُهُ أَعْرِ اللَّهُ جُمُجْمَتَكَ مَعْنَاهُ ابْتِدَالُهَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَ يُمْكِنُ أَنْ يَقَالَ إِنْ ذَلِكَ إِشْعَارًا لَهُ أَنَّهُ لَا يَقْتُلُ فِي تِلْكَ الْحَرْبِ لِأَنَّ الْعَارِيَةَ مَرْدُودَةٌ وَ لَوْ قَالَ لَهُ بَعِ اللَّهُ جُمُجْمَتَكَ لَكَانَ ذَلِكَ إِشْعَارًا لَهُ بِالشَّهَادَةِ فِيهَا. وَ أَخَذَ يَزِيدُ بْنُ الْمَهْلَبِ هَذِهِ اللَّفْظَةَ فَخَطَبَ أَصْحَابَهُ بِوَسْطِ فَقَالَ إِنِّي قَدْ أَسْمَعُ قَوْلَ الرَّعَاعِ جَاءَ مُسْلِمَةٌ وَ جَاءَ الْعَبَّاسُ وَ جَاءَ أَهْلُ الشَّامِ وَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَ اللَّهُ مَا هُمْ إِلَّا تِسْعَةُ أَسْيَافٍ سَبْعَةٌ مِنْهَا مَعِي وَ اثْنَانِ عَلَى وَ أَمَّا مُسْلِمَةٌ فَجَرَادَةٌ صَفْرَاءُ وَ أَمَّا الْعَبَّاسُ فَسَطُوسُ ابْنِ نَسَطُوسٍ أَتَاكُمْ فِي بَرَابَرَةٍ وَ صِقَالِبَةٌ وَ جَرَامِقَةٌ وَ جَرَاغِمَةٌ وَ أَقْبَاطٌ وَ أَنْبَاطٌ وَ أَخْلَاطٌ إِنَّمَا أَقْبَلُ إِلَيْكُمْ الْفَلَاحُونَ وَ أَوْبَاشُ كَأَشْلَاءِ اللَّحْمِ وَ اللَّهُ مَا لَقُوا قَطُّ كَحَدِيدِكُمْ وَ عَدِيدِكُمْ أَعِيرُونِي سِوَا عَدِكُمْ سَاعَةً تَصْفَقُونَ بِهَا خِرَاطِيمَهُمْ فَإِنَّمَا هِيَ غَدُودَةٌ أَوْ رُوحَةٌ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. مِنْ صِفَاتِ الشَّجَاعِ قَوْلُهُمْ فَلَانَ مَغَامِرُ وَ فَلَانَ غَشْمَشْمُ أَى لَا يَبْصُرُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ فِي الْحَرْبِ وَ ذَلِكَ لِشِدَّةِ تَقْوَمِهِ وَ رُكُوبِهِ الْمَهْلِكَةَ وَ قَلْبُهُ نَظَرُهُ فِي الْعَاقِبَةِ وَ هَذَا هُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ لِمُحَمَّدِ غَضُّ بَصْرِكَ [صَفْحَةُ ٢٤٣]

ذكر خبر مقتل حمزة بن عبدالمطلب

وَ كَانَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ مَغَامِرًا غَشْمَشْمًا لَا يَبْصُرُ أَمَامَهُ قَالَ جَبْرِ بْنُ مَطْعَمِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ نُوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ لِعَبْدِهِ وَ حَشَى يَوْمَ أَحَدٍ وَ يَلِكُ إِنْ عَلِيًّا قَتَلَ عَمِي طَعِيمَةَ سَيِّدِ الْبَطْحَاءِ يَوْمَ بَدْرٍ فَإِنْ قَتَلْتَهُ الْيَوْمَ فَأَنْتَ حَرٌّ وَ إِنْ قَتَلْتَ مُحَمَّدًا فَأَنْتَ حَرٌّ وَ إِنْ قَتَلْتَ حَمْزَةَ فَأَنْتَ حَرٌّ فَلَا أَحَدٌ يَعْدِلُ عَمِي الْإِهْوَلاءُ فَقَالَ أَمَّا مُحَمَّدٌ فَإِنْ أَصْحَابُهُ دُونَهُ وَلَنْ يَسْلَمُوهُ وَ لِأَرَانِي أَصِلُ إِلَيْهِ وَ أَمَا عَلَى فَرَجْلِ حَذْرٍ مَرَسَ كَثِيرَ الْإِلْتِفَاتِ فِي الْحَرْبِ لِأَسْتَطِيعَ قَتْلَهُ وَ لَكِنْ سَأَقْتُلُ لَكَ حَمْزَةَ فَإِنَّهُ رَجُلٌ لَا يَبْصُرُ أَمَامَهُ فِي الْحَرْبِ فَوْقَ لِحْمِزَةٍ حَتَّى إِذَا حَازَهُ زَرْقُهُ بِالْحَرْبَةِ كَمَا تَزْرُقُ الْحَبْشَةُ بِحَرَابِهَا فَقَتَلَهُ

دفع أمير المؤمنين ع يوم الجمل رايته إلى محمد ابنه ع و قد استوت الصفوف و قال له احمل فتوقف قليلا فقال له احمل فقال يا أمير المؤمنين أ ماترى السهام كأنها شآبيب المطر فدفع في صدره فقال أدركك عرق من أمك ثم أخذ الراية فهزها ثم قال -
 روایت-۱-۲۵۲ اطعن بهاطعن أبيك تحمد || لاخير في الحرب إذا لم توقد بالمشرفي والقنا المسدد ثم حمل وحمل الناس خلفه فطحن عسكر البصرة -روایت-۱-۴۶ . [صفحہ ۲۴۴] قيل لمحمد لم يغرب بك أبوک في الحرب ولا يغرب بالحسن و الحسين ع فقال إنهما عيناه و أنايمينه فهو يدفع عن عينيه يمينه -روایت-۱-۱۲۸ كان على ع يقذف بمحمد في مهالك الحرب و يكف حسنا وحسنا عنها. و من كلامه في يوم صفين املکوا عنى هذين الفتیین أخاف أن ينقطع بهما نسل رسول الله ص -
 روایت-۱-۲-روایت-۲۹-۹۷. أم محمد رضی الله عنه خولة بنت جعفر بن قيس بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنیفة بن لجیم بن صعّب بن علی بن بکر بن وائل . و اختلف في أمرها فقال قوم إنها سبيّة من سبايا الردة قوتل أهلها على يد خالد بن الوليد في أيام أبي بكر لما منع كثير من العرب الزكاة و ارتدت بنو حنیفة و ادعت نبوة مسیلمة و إن أبابکر دفعها إلى علی ع من سهمه في المغنم . و قال قوم منهم أبو الحسن علی بن محمد بن سيف المدائنی هي سبيّة في أيام رسول الله ص قالوا بعث رسول الله ص عليا إلى اليمن فأصاب خولة في بني زبيد و قد ارتدوا مع عمرو بن معدیکرب و كانت زبيد سبتها من بني حنیفة في غارة لهم عليهم فصارت في سهم علی ع فقال له رسول الله ص إن ولدت منك غلاما فسمه باسمي و كنه بكنتي -
 روایت-۱-۲-روایت-۲۸-۷۶ فولدت له بعد موت فاطمة ع محمدا فكناه أباالقاسم . و قال قوم وهم المحققون و قولهم الأظهر إن بني أسد أغارت علی بنی حنیفة في خلافة أبي بكر الصديق فسبوا خولة بنت جعفر و قدموا بها المدينة فباعوها من علی ع [صفحہ ۲۴۵] وبلغ قومها خبرها فقدموا المدينة علی علی ع فعرّفوها و أخبروه بموضعها منهم فأعتقها و مهرها و تزوجها فولدت له محمدا فكناه أباالقاسم . و هذا القول هو اختيار أحمد بن يحيى البلاذري في كتابه المعروف بتاريخ الأشراف . لما تقاعس محمد يوم الجمل عن الحملة و حمل علی ع بالراية فضضع أركان عسكر الجمل دفع إليه الراية و قال امح الأولى بالأخرى و هذه الأنصار معك . و ضم إليه خزيمه بن ثابت ذا الشهادتين في جمع من الأنصار كثير منهم من أهل بدر فحمل حملات كثيرة أزال بها القوم عن مواقفهم و أبلى بلاء حسنا فقال خزيمه بن ثابت لعلی ع أما إنه لو كان غير محمد اليوم لاقتضح و لئن كنت خفت عليه الحين و هويينك و بين حمزة و جعفر لما خفناه عليه و إن كنت أردت أن تعلمه الطعان فطالما علمته الرجال . و قالت الأنصار يا أمير المؤمنين لو لا ما جعل الله تعالى للحسن و الحسين لما قدمنا علی محمدا أحدا من العرب فقال علی ع أين النجم من الشمس والقمر أما إنه قد أغنى و أبلى و له فضله و لا ينقص فضل صاحبيه عليه و حسب صاحبكم ما انتهت به نعمه الله تعالى إليه فقالوا يا أمير المؤمنين إنا و الله لا ننجعله كالحسن و الحسين و لا نظلمهما له و لا نظلمه لفضلهما عليه حقه فقال علی ع أين يقع ابني من ابني بنت رسول الله ص -روایت-۱-۴۳۰ فقال خزيمه بن ثابت فيه محمد ما في عودك اليوم و صمة || و لا كنت في الحرب الضروس معردا أبوک الذي لم يركب الخيل مثله || علی و سماك النبي محمدا فلو كان حقا من أبيك خليفه || لكنت ولكن ذاك ما لا يرى بدا [صفحہ ۲۴۶] و أنت بحمد الله أطول غالب || لسانا و أنداها بما ملكت يدا و أقربها من كل خير تريده || قريش و أوفاهما بما قال موعدا و أطعنهم صدر الكمي برمحه || و أكساهم للهام عضبا مهندا سوى أخويك السيدين كلاهما || إمام الوری و الداعيان إلى الهدى أبي الله أن يعطى عدوك مقعدا || من الأرض أو في الأوج مرقى و مصعدا [صفحہ ۲۴۷]

۱۲- و من كلام له ع لما أظفره الله بأصحاب الجمل

وَقَدْ قَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ وَدِدْتُ أَنْ أَخِي فُلَانًا كَانَ شَاهِدَنَا لِيَرَى مَا نَصَرَ رَكَّ اللَّهُ بِهِ عَلَيَّ أَعْدَائِكَ فَقَالَ عَلِيٌّ عَ أَهْوَى أُخِيكَ مَعَنَا فَقَالَ نَعَمْ قَالَ فَقَدْ شَهِدْنَا وَ لَقَدْ شَهِدْنَا فِي عَسْكَرِنَا هَذَا قَوْمٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَ أَرْحَامِ النِّسَاءِ سَيَرَعَفُ بِهِمُ الزَّمَانُ وَ يَقْوَى بِهِمُ الإِيْمَانُ يَرَعَفُ بِهِمُ الزَّمَانُ يُوْجِدُهُمْ وَيُخْرِجُهُمْ كَمَا يَرَعَفُ الإِنْسَانُ بِالدَّمِ الَّذِي يَخْرُجُهُ مِنْ أَنْفِهِ قَالَ الشَّاعِرُ وَ مَارَعَفُ الزَّمَانِ بِمِثْلِ عَمْرٍو || وَ لَاتُلِدُ النِّسَاءُ لَهُ ضَرِيْبًا . وَ الْمَعْنَى مَا خُوِذَ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ص لِعِثْمَانَ وَ لَمْ يَكُنْ شَهِيدًا بِدِرَا تَخْلَفَ عَلِيٌّ رَقِيْبَهُ ابْنَهُ رَسُوْلَ اللّٰهِ ص لِمَا مَرَضَتْ مَرِيضٌ مَوْتَهَا لَقَدْ كُنْتُ شَهِيدًا وَ إِنْ كُنْتُ غَائِبًا لَكَ أَجْرُكَ وَ سَهْمُكَ

من أخبار يوم الجمل

قال الكلبي قلت لأبي صالح كيف لم يضع علي ع السيف في أهل البصرة يوم الجمل بعد ظفره قال سار فيهم بالصفح والمن الذي سار به رسول الله ص [صفحة ٢٤٨] في أهل مكة يوم الفتح فإنه أراد أن يستعرضهم بالسيف ثم من عليهم و كان يحب أن يهديهم الله . قال فطر بن خليفة ما دخلت دار الوليد بالكوفة التي فيها القصارون إلا وذكرت بأصواتهم وقع السيوف يوم الجمل . حرب بن جيهان الجعفي لقد رأيت الرماح يوم الجمل قد أشرعتها الرجال بعضهم في صدر بعض كأنها آجام القصب لو شاءت الرجال أن تمشي عليها لمشت ولقد صدقونا القتال حتى ما ظننت أن ينهزموا و مارأيت يوما قط أشبه بيوم الجمل من يوم جلولاء الواقعة . الأصمعي بن نباتة لما انهزم أهل البصرة ركب علي ع بغلة رسول الله ص الشهباء و كانت باقية عنده و سار في القتلى يستعرضهم فمر بكعب بن سور القاضي قاضي البصرة و هو قاتل فقال أجلسوه فأجلس فقال له و يلمك كعب بن سور لقد كان لك علم لو نفعك ولكن الشيطان أضلك فأزلك فعجلك إلى النار أرسلوه ثم مر بطلحة بن عبيد الله قتيلا فقال أجلسوه فأجلس قال أبو مخنف في كتابه فقال و يلمك طلحة لقد كان لك قدم لو نفعك ولكن الشيطان أضلك فأزلك فعجلك إلى النار . و أما أصحابنا فيروون غير ذلك يروون أنه ع قال له لما أجلسوه أعزز علي أبا محمد أن أراك معفرا تحت نجوم السماء و في بطن هذا الوادي أ بعد جهادك في الله و ذبك عن رسول الله ص فجاء إليه إنسان فقال أشهد يا أمير المؤمنين لقد مرت عليه بعد أن أصابه السهم و هو صريح فصاح بي فقال من أصحاب من أنت فقلت من أصحاب أمير المؤمنين ع فقال امدد يدك لأبايع [صفحة ٢٤٩] لأمر المؤمنين ع فمددت إليه يدي فبايعني لك فقال علي ع أبي الله أن يدخل طلحة الجنة إلا ويبعثني في عنقه - رواية ١- ٢- روايت ١٧- ٦٩ ثم مر بعبد الله بن خلف الخزاعي و كان ع قتله بيده مبارزة و كان رئيس أهل البصرة فقال أجلسوه فأجلس فقال الوليد لك يا ابن خلف لقد عانيت أمرا عظيما . و قال شيخنا أبو عثمان الجاحظ و مرع بعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد فقال أجلسوه فقال هذا يعسوب قريش هذا اللباب المحض من بني عبد مناف ثم قال شفيت نفسي وقتلت معشري إلى الله أشكو عجرى و بجرى قتلت الصناديد من بني عبد مناف و أفلتني الأعيار من بني جمح فقال له قائل لشد ما أطريت هذا الفتى منذ اليوم يا أمير المؤمنين قال إنه قام عني و عنه نسوة لم يقمن عنك . قال أبو الأسود الدؤلي لما ظهر علي ع يوم الجمل دخل بيت المال بالبصرة في ناس من المهاجرين و الأنصار و أنامعهم فلما رأى كثرة ما فيه قال غري غيري مرارا ثم نظر إلى المال و سعد فيه بصره و صوب و قال اقسموه بين أصحابي خمسمائة خمسمائة فقسم بينهم فلا و الذي بعث محمدا بالحق ما نقص درهما و لا زاد درهما كأنه كان يعرف مبلغه و مقداره و كان ستة آلاف ألف درهم و الناس اثنا عشر ألفا . [صفحة ٢٥٠] حبة العرنى قسم علي ع بيت مال البصرة على أصحابه خمسمائة خمسمائة و أخذ خمسمائة درهم كواحد منهم فجاءه إنسان لم يحضر الواقعة فقال يا أمير المؤمنين كنت شاهدا معك بقلبي و إن غاب عنك جسمي فأعطني من الفء شيئا فدفع إليه الذي أخذه لنفسه و هو خمسمائة درهم و لم يصب من الفء شيئا . اتفقت الرواة كلها على أنه ع قبض ما وجد في عسكر الجمل من

سلاح ودابته ومملوك ومتاع وعروض فقسمه بين أصحابه وأنهم قالوا له اقسم بيننا أهل البصرة فاجعلهم رقيقا فقال لا فقالوا فكيف تحل لنا دماءهم وتحرم علينا سييهم فقال كيف يحل لكم ذريته ضعيفه في دار هجرة وإسلام أما ما أوجب به القوم في معسكرهم عليكم فهو لكم مغنم و أما ما وارت الدور وأغلقت عليه الأبواب فهو لأهله و لانصيب لكم في شىء منه فلما أكثروا عليه قال فأقرعوا على عائشه لأدفعها إلى من تصيبه القرعه فقالوا نستغفر الله يا أمير المؤمنين ثم انصرفوا [صفحة ٢٥١]

١٣- ومن كلام له ع في ذم أهل البصرة

إشارة

كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ وَ أَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ رَغَا فَأَجَبْتُمْ وَ عَقِرَ فَهَرَبْتُمْ أَخْلَاقُكُمْ دِقَاقٌ وَ عَهْدُكُمْ شِقَاقٌ وَ دِينُكُمْ نِفَاقٌ وَ مَاؤُكُمْ زُعَاقٌ وَ الْمُقِيمُ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ مُرْتَهَنٌ بِذَنْبِهِ وَ الشَّخِصُ عَنْكُمْ مُتَدَارِكٌ بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَأَنِّي بِمَسْجِدِكُمْ كَجَوْجُو سَفِينَةٍ قَدْ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهَا الْعَذَابَ مِنْ فَوْقِهَا وَ مِنْ تَحْتِهَا وَ غَرَّقَ مَنْ فِي ضِمْنِهَا وَ فِي رِوَايَةٍ وَ آيَمِ اللَّهِ لَتَغْرَقَنَّ بِلَدَّتِكُمْ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَسْجِدِهَا كَجَوْجُو سَفِينَةٍ أَوْ نَعَامِيَّةٍ جَائِمِيَّةٍ وَ فِي رِوَايَةٍ كَجَوْجُو طَيْرٍ فِي لُجَّةِ بَحْرِ وَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى بِلِمَادِكُمْ أَنْتُنَّ بِلَادِ اللَّهِ تُرِيبُهُ أَقْرَبُهَا مِنَ الْمَاءِ وَ أَبْعَدُهَا مِنَ السَّمَاءِ وَ بِهَا تِسْعَةُ أَعْشَارِ الشَّرِّ الْمُحْتَبَسُ فِيهَا بِذَنْبِهِ وَ الْخَارِجُ بِعَفْوِ اللَّهِ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى قَرِيَّتِكُمْ هَذِهِ قَدْ طَبَقَهَا الْمَاءُ حَتَّى مَا يَرَى مِنْهَا إِلَّا الشَّرْفَ الْمَسْجِدِ كَأَنَّهُ جَوْجُو طَيْرٍ فِي لُجَّةِ بَحْرِ [صفحة ٢٥٢] قوله و أتباع البهيمه يعنى الجمل و كان جمل عائشه رايه عسكر البصرة قتلوا دونه كما تقتل الرجال تحت راياتها. و قوله أخلاقكم دقاق يصفهم باللؤم و فى الحديث أن رجلا قال له يا رسول الله إني أحب أن أنكح فلانة إلا أن فى أخلاق أهلها دقه فقال له إياك وخضراء الدمن إياك والمرأة الحسناء فى منبت السوء -روایت- ١-٢-روایت- ١٦-١٦٨ . قوله وعهدكم شقاق يصفهم بالغدر يقول عهدكم وذمتكم لا-يوثق بها بل هى و إن كانت فى الصورة عهدا أو ذمه فإنها فى المعنى خلاف و عداوة. قوله وماؤكم زعاق أى ملح و هذا و إن لم يكن من أفعالهم إلا أنه مما تدم به المدينة كما قال بلاد بها الحمى وأسد عرينه || و فيها المعلى يعتدى ويجور فإنى لمن قد حل فيها لراحم || وإنى من لم يأتها لنذير و لا ذنب لأهلها فى أنها بلاد الحمى والسباع . ثم وصف المقيم بين أظهرهم بأنه مرتهن بذنبه لأنه إما أن يشاركهم فى الذنوب أو يراها فلا ينكرها ومذهب أصحابنا أنه لا تجوز الإقامة فى دار الفسق كما لا تجوز الإقامة فى دار الكفر. وجؤجؤ عظم الصدر وجؤجؤ السفينة صدرها. [صفحة ٢٥٣] فأما إخباره ع أن البصرة تغرق عدا المسجد الجامع بها فقد رأيت من يذكر أن كتب الملاحم تدل على أن البصرة تهلك بالماء الأسود ينفجر من أرضها فتغرق ويبقى مسجدها. والصحيح أن المخبر به قد وقع فإن البصرة غرقت مرتين مرة فى أيام القادر بالله ومرة فى أيام القائم بأمر الله غرقت بأجمعها و لم يبق منها إلا مسجدها الجامع بارزا بعضه كجؤجؤ الطائر حسب ما أخبر به أمير المؤمنين ع جاءها الماء من بحر فارس من جهة الموضع المعروف الآن بجزيرة الفرس و من جهة الجبل المعروف بجبل السنام و خربت دورها و غرق كل ما فى ضمنها وهلك كثير من أهلها. وأخبار هذين الغرقين معروفة عند أهل البصرة يتناقلها خلفهم عن سلفهم

من أخبار يوم الجمل أيضا

قال أبو الحسن على بن محمد بن سيف المدائنى و محمد بن عمر الواقدى محافظ رجز قط أكثر من رجز قيل يوم الجمل

وأكثره لبني ضبّه والأزد الذين كانوا حول الجمل يحامون عنه ولقد كانت الرءوس تندر عن الكواهل والأيدى تطيح من المعاصم وأقتاب البطن تندلق من الأجواف وهم حول الجمل كالجراد الثابتة لا تتحلحل ولا تتزلزل حتى لقد صرخ ع بأعلى صوته ويلكم اعقروا الجمل فإنه شيطان ثم قال اعقروه وإفانيت العرب لا يزال السيف قائما وراكعا حتى يهوى هذا البعير [صفحة ٢٥٤] إلى الأرض فصمدوا له حتى عقروه فسقط وله رغاء شديد فلما برك كانت الهزيمة. و من الأراجيز المحفوظة يوم الجمل لعسكر البصرة قول بعضهم نحن بنى ضبّه أصحاب الجمل || ننازل الموت إذا الموت نزل ننعى ابن عفان بأطراف الأسل || ردوا علينا شيخنا ثم بجل الموت أحلى عندنا من العسل || لا عار فى الموت إذا حان الأجل إن عليا هو من شر البدل || إن تعدلوا بشيخنا لا يعتدل أين الوهاد وشماريخ القلل . فأجابه رجل من عسكر الكوفة من أصحاب أمير المؤمنين ع نحن قتلنا نعثلا فيمن قتل || أكثر من أكثر فيه أو أقل أنى يرد نعثل و قد قحل || نحن ضربنا وسطه حتى انجدل لحكمه حكم الطواغيت الأول || آثر بالفىء وجافى فى العمل فأبدل الله به خير بدل || إنى امرؤ مستقدم غير وكل مشمر للحرب معروف بطل . و من أراجيز أهل البصرة يأيها الجند الصليب الإيمان || قوموا قياما واستغيثوا الرحمن [صفحة ٢٥٥] إنى أتانى خبر ذو ألوان || إن عليا قتل ابن عفان ردوا إلينا شيخنا كما كان || يارب وابعث ناصرا لعثمان يقتلهم بقوة وسلطان . فأجابه رجل من عسكر الكوفة . أبت سيوف مذحج وهمدان || بأن ترد نعثلا كما كان خلقا سويا بعد خلق الرحمن || و قد قضى بالحكم حكم الشيطان وفارق الحق ونور الفرقان || فذاق كأس الموت شرب الظمان . و من الرجز المشهور المقول يوم الحمل قاله أهل البصرة يأمنا عائش لا تراعى || كل بنيك بطل المصاع يعنى ابن عفان إليك ناع || كعب بن سور كاشف القناع فارضى بنصر السيد المطاع || والأزد فيها كرم الطباع . و منه قول بعضهم يأمنا يكفيك منا دنوه || لن يؤخذ الدهر الخطام عنوه وحولك اليوم رجال شنوه || وحى همدان رجال الهبوه والمالكيون القليلو الكبوه || والأزد حى ليس فيهم نبوه . قالوا وخرج من أهل البصرة شيخ صبيح الوجه نبيل عليه جبه وشى يحض الناس على الحرب و يقول يامعشر الأزد عليكم أمكم || فإنها صلاتكم وصومكم والحرمة العظمى التى تعمكم || فأحضروها جدكم وحزمكم [صفحة ٢٥٦] لا يغلبن سم العدو سمكم || إن العدو إن علاكم زمكم وخصمكم بجوره وعمكم || لا تفضحوا اليوم فداكم قومكم قال المدائنى والواقدى وهذا الرجز يصدق الرواية أن الزبير وطلحة قاما فى الناس فقالا إن عليا إن يظفر فهو فناؤكم يا أهل البصرة فاحموا حقيقتكم فإنه لا يبقى حرمة إلا انتهكها ولاحريما إلهتكه و لا ذرية إلا قتلها و لا ذوات خدر إلا سباهن فقاتلوا مقاتلة من يحمى عن حريمه ويختار الموت على الفضيحة يراها فى أهله . و قال أبو مخنف لم يقل أحد من رجاز البصرة قولاً كان أحب إلى أهل الجمل من قول هذا الشيخ استقتل الناس عند قوله وثبتوا حول الجمل وانتدبوا فخرج عوف بن قطن الضبى و هوينادى ليس لعثمان ثأر إلا - على بن أبى طالب وولده فأخذ خطام الجمل و قال يأم يأم خلا منى الوطن || لا أبتغى القبر و لا أبتغى الكفن من هاهنا محشر عوف بن قطن || إن فاتنا اليوم على فالغبن أوفاتنا ابناه حسين وحسن || إذا مت بطول هم وحزن . ثم تقدم فضرب بسيفه حتى قتل . وتناول عبد الله بن أبزى خطام الجمل و كان كل من أراد الجد فى الحرب وقاتل قتال مستميت يتقدم إلى الجمل يأخذ بخطامه ثم شد على عسكر على ع و قال أضربهم و لا أرى أباحسن || ها إن هذا حزن من الحزن . فشد عليه على أمير المؤمنين ع بالرمح فطعنه فقتله و قال قدرأيت أباحسن فكيف رأيت و ترك الرمح فيه . [صفحة ٢٥٧] وأخذت عائشة كفا من حصى فحصبته به أصحاب على ع وصاحت بأعلى صوتها شامت الوجوه كما صنع رسول الله ص يوم حنين فقال لها قائل و مارميت إذ رميت ولكن الشيطان رمى وزحف على ع نحو الجمل بنفسه فى كتيبته الخضراء من المهاجرين والأنصار وحوله بنوه حسن وحسين و محمد ع و دفع الراية إلى محمد و قال أقدم بها حتى تركها فى عين الجمل و لا تقفن دونه فتقدم محمد فرشقته السهام فقال لأصحابه رويدا حتى تنفذ سهامهم فلم يبق لهم إلا رشقة أورشقتان فأنفذا إليه على ع إليه يستحته ويأمره بالمناجزة فلما أبطأ عليه جاء بنفسه من خلفه فوضع يده اليسرى على منكبه الأيمن و قال له

أقدم لأم لك فكان محمدرضى الله عنه إذا ذكر ذلك بعد يكي و يقول لكأنى أجد ربح نفسه فى قفاى و الله لا أنسى أبدا ثم أدركت عليا ع رقة على ولده فتناول الراية منه بيده اليسرى وذو الفقار مشهور فى يمنى يديه ثم حمل فغاص فى عسكر الجمل ثم رجع و قدانحنى سيفه فأقامه بركبته فقال له أصحابه وبنوه والأشتر وعمار نحن نكفيك يا أمير المؤمنين فلم يجب أحدا منهم و لارد إليهم بصره وظل ينحط ويزأر زئير الأسد حتى فرق من حوله و تبادروه وإنه لطامح ببصره نحو عسكر البصرة لا يبصر من حوله و لا يرد حوارا ثم دفع الراية إلى ابنه محمد ثم حمل حملة ثانية وحده فدخل وسطهم فضربهم بالسيف قدما ورجلا تفر من بين يديه و تنحاز عنه يمنة ويسرة حتى خضب الأرض بدماء القتلى ثم رجع و قدانحنى سيفه فأقامه بركبته فاعصوب به أصحابه وناشدوه الله فى نفسه و فى الإسلام وقالوا إنك إن تصب يذهب الدين فأمسك و نحن نكفيك فقال و الله ما أريد بما ترون إلا وجه الله والدار الآخرة ثم قال لمحمد ابنه هكذا تصنع يا ابن الحنفية فقال الناس من الذى يستطيع ما تستطيع يا أمير المؤمنين . [صفحہ ۲۵۸] و من كلماته الفصيحة ع فى يوم الجمل مارواه الكلبي عن رجل من الأنصار قال بينا أنا واقف فى أول الصفوف يوم الجمل إذ جاء على ع فانحرفت إليه فقال أين مثرى القوم فقلت ها هنا نحو عائشة. قال الكلبي يريد أين عددهم و أين جمهورهم و كثرتهم و المال الثرى على فعيل هو الكثير و منه رجل ثروان و امرأة ثروى و تصغيرها ثريا و الصدقة مثرة للمال أى مكثرة له . قال أبو مخنف وبعث على ع إلى الأشتر أن يحمل على ميسرتهم فحمل عليها و فيها هلال بن و كيع فاقتتلوا قتالا شديدا و قتل هلال قتله الأشتر فمالت الميسرة إلى عائشة فلاذوا بها و عظمهم بنو ضبة و بنو عدى ثم عطف الأزد و ضبة و ناجية و باهلة إلى الجمل فأحاطوا به و اقتتل الناس حوله قتالا شديدا و قتل كعب بن سور قاضى البصرة جاءه سهم غرب فقتله و خطام الجمل فى يده ثم قتل عمرو بن يثربى الضبى و كان فارس أصحاب الجمل و شجاعهم بعد أن قتل كثيرا من أصحاب على ع قالوا كان عمرو أخذ بخطام الجمل فدفعه إلى ابنه ثم دعا إلى البراز فخرج إليه علباء بن الهيثم السدوسى فقتله عمرو ثم دعا إلى البراز فخرج إليه هند بن عمرو الجملى فقتله عمرو ثم دعا إلى البراز فقال زيد بن صوحان العبدى لعلى ع يا أمير المؤمنين إنى رأيت يدا أشرفت على من السماء وهى تقول هلم إلينا و أنا خارج إلى [صفحہ ۲۵۹] ابن يثربى فإذاقتنى فادفنى بدمى و لا تغسلنى فإنى مخاصم عند ربى ثم خرج فقتله عمرو ثم رجع إلى خطام الجمل مرتجزا يقول أردت علباء و هندا فى طلق || ثم ابن صوحان خضيبا فى علق قد سبق اليوم لنا ما قد سبق || والوتر منا فى عدى ذى الفرق والأشتر الغاوى و عمرو بن الحمق || و الفارس المعلم فى الحرب الحنق ذاك الذى فى الحادثات لم يطق || أعنى عليا ليته فىنا مزق . قال قوله والوتر منا فى عدى يعنى عدى بن حاتم الطائى و كان من أشد الناس على عثمان و من أشدهم جهادا مع على ع ثم ترك ابن يثربى الخطام و خرج يطلب المبارزة فاختلف فى قاتله فقال قوم إن عمار بن ياسر خرج إليه و الناس يسترجعون له لأنه كان أضعف من برز إليه يومئذ أقصرهم سيفا و أقصفتهم رمحا و أحمتهم ساقا حمالة سيفه من نسعة الرحل و ذباب سيفه قريب من إبطه فاختلفا ضربتتا فنشب سيف ابن يثربى فى حنقه عمار فضربه عمار على رأسه فصرعه ثم أخذ برجله يسحبه حتى انتهى به إلى على ع فقال يا أمير المؤمنين استبقنى أجاهد بين يديك و أقتل منهم مثل ما قتلت منكم فقال له على ع أ بعد زيد و هند و علباء أستبقيك لاها الله إذا قال فأدنى منك أسارك قال له أنت متمرد و قد أخبرنى رسول الله ص بالمتمردين و ذكرك فيهم فقال أما و الله لو وصلت إليك لعضضت أنفك عضه أبنته منك . فأمر به على ع فضربت عنقه . [صفحہ ۲۶۰] و قال قوم إن عمرا لما قتل من قتل و أراد أن يخرج لطلب البراز قال للأزد يامعشر الأزد إنكم قوم لكم حياء و بأس و إنى قد وترت القوم و هم قاتلى و هذه أمكم نصرها دين و خذلانها عقوق و لست أخشى أن أقتل حتى أصرع فإن صرعت فاستنقذونى فقالت له الأزد ما فى هذا الجمع أحد نخافه عليك إلا الأشتر قال فإياه أخاف . قال أبو مخنف فقيضه الله له و قد أعلمنا جميعا فارتجز الأشتر إنى إذا ما الحرب أبدت نابها || و أغلقت يوم الوغى أبوابها و مزقت من حنق أثوابها || كنا قدأماها و لاأذناها ليس العدو دوننا أصحابها || من هابها اليوم فلن أهابها

لاطعنها أخشى ولاضرابها . ثم حمل عليه فطعنه فصرعه وحامت عنه الأزدي فاستنقذوه فوثب وهو قيذ ثقيل فلم يستطع أن يدفع عن نفسه واستعرضه عبدالرحمن بن طود البكري فطعنه فصرعه ثانية ووثب عليه رجل من سدوس فأخذه مسحوبا برجله حتى أتى به عليا ففناشده الله وقال يا أمير المؤمنين اعف عني فإن العرب لم تزل قائله عنك إنك لم تجهز على جريح قط فأطلقه وقال اذهب حيث شئت فجاء إلى أصحابه وهو لما به حضره الموت فقالوا له دمك عند أي الناس فقال أماالأشتر فلقيني وأنا كالمهر الأرن فعلا حده حدى ولقيت رجلا بيتغى له عشرة أمثالي وأماالبكري فلقيني وأنا لمأبى وكان بيتغى لى عشرة أمثاله وتولى أسرى أضعف القوم وصاحبى الأشتر. قال أبو مخنف فلما انكشفت الحرب شكرت ابنه عمرو بن يثرب الأزدي وعابت قومها فقالت [صفحة ٢٦١] يا ضب إنك قد فجعته بفارس || حامى الحقيقة قاتل الأقران عمرو بن يثرب الذى فجعته به || كل القبائل من بنى عدنان لم يحمه وسط العجاجة قومه || وحتت عليه الأزدي أزدي عمان فلهم على بذاك حادث نعمه || ولحبهم أحببت كل يمان لو كان يدفع عن منية هالك || طول الأكف بذايل المران أو معشر وصلوا الخطا بسيوفهم || وسط العجاجة والحتوف دوان مانيل عمر والحوادث جمه || حتى ينال النجم والقمران لو غيرالأشتر ناله لندبته || وبكيتته مادام هضب أبان لكنه من لايعاب بقتله || أسد الأسود وفارس الفرسان . قال أبو مخنف وبلغنا أن عبدالرحمن بن طود البكري قال لقومه أنا والله قتلت عمرا وإن الأشتر كان بعدى وأنا أمامه فى الصعاليك فطعنت عمرا طعنة لم أحسب أنها تجعل للأشتر دونى وإنما الأشتر ذو حظ فى الحرب وإنه ليعلم أنه كان خلفى ولكن أبى الناس إلا أنه صاحبه ولاأرى أن أكون خصم العامة وإن الأشتر لأهل الألبان ينزع فلما بلغ الأشتر قوله قال أما والله لو لأنى أطفأت جمرته عنه مادنا منه وما صاحبه غيرى وإن الصيد لمن وقده فقال عبدالرحمن لاأنازع فيه ماالقول إلا ماقاله وأنى لى أن أخالف الناس . قال وخرج عبد الله بن خلف الخزاعى وهورئيس البصرة وأكثر أهلها مالا وضياعا فطلب البراز وسأل ألا يخرج إليه إلا على ع وارتجز فقال أباتراب ادن منى فترا || فإننى دان إليك شبرا وإن فى صدرى عليك غمرا . [صفحة ٢٦٢] فخرج إليه على ع فلم يمهل أن ضربه ففلق هامته . قالوا استدار الجمل كمتادور الرحى وتكاثفت الرجال من حوله واشتد رغاؤه واشتد زحام الناس عليه ونادى الحتات المجاشعى أيها الناس أمكم أمكم واختلط الناس فضرب بعضهم بعضا وتقصد أهل الكوفة قصد الجمل والرجال دونه كالجمال كلما خف قوم جاء أضعافهم فنادى على ع ويحكم ارشقوا الجمل بالنبل اعقروه لعنه الله فرشق بالسهم فلم يبق فيه موضع إلا أصابه النبل وكان مجففا فتعلقت السهام به فصار كالتفنذ ونادت الأزدي وضبة يالثارات عثمان فاتخذوها شعارا ونادى أصحاب على ع يا محمدفاتخذوها شعارا واختلط الفريقان ونادى على ع بشعار رسول الله ص يامنصور أمت وهذا فى اليوم الثانى من أيام الجمل فلما دعا بهاتزلزلت أقدام القوم وذلك وقت العصر بعد أن كانت الحرب من وقت الفجر. قال الواقدي وقدروى أن شعاره ع كان فى ذلك اليوم حم لاينصرون اللهم انصرنا على القوم الناكثين -رواية ١-٤-رواية ١٢-٩٤ ثم تحاجز الفريقان والقتل فاش فيهما إلا أنه فى أهل البصرة أكثر وأمارات النصر لائحة لعسكر الكوفة ثم توافقوا فى اليوم الثالث فبرز أول الناس عبد الله بن الزبير ودعا إلى المبارزة فبرز إليه الأشتر فقالت عائشة من برز إلى عبد الله قالوا الأشتر فقالت وا ثكل أسماء فضرب كل منهما صاحبه فجرحه ثم اعتنقا فصرع الأشتر عبد الله وقعد على صدره واختلط الفريقان هؤلاء لينقذوا عبد الله هؤلاء ليعينوا الأشتر وكان الأشتر طاويا ثلاثة أيام [صفحة ٢٦٣] لم يطعم وهذه عادته فى الحرب وكان أيضا شيخا عالى السن فجعل عبد الله ينادى اقتلونى ومالكا . فلو قال اقتلونى والأشتر لقتلوهما إلا أن أكثر من كان يمر بهما لايعرفهما لكثرة من وقع فى المعركة صرعى بعضهم فوق بعض وأقلت ابن الزبير من تحته ولم يكد فذلك قول الأشتر أعائش لو لاأننى كنت طاويا || ثلاثا لألفيت ابن أختك هالكا غداة ينادى والرجال تحوزه || بأضعف صوت اقتلونى ومالكا فلم يعرفوه إذ دعاهم وغمه || خذب عليه فى العجاجة باركا فنجاه منى أكله وشبابه || وأنى شيخ لم أكن متماسكا . وروى أبو مخنف عن الأصبغ بن نباتة قال دخل عمار بن ياسر ومالك بن الحارث الأشتر على

١٤- ومن كلام له ع في مثل ذلك

أَرْضُكُمْ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمَاءِ بَعِيدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ خَفَّتْ عُقُولُكُمْ وَ سَفِهَتْ حُلُومُكُمْ فَأَنْتُمْ غَرَضٌ لِنَابِلٍ وَ أَكَلَةٌ لِأَكْلِ وَ فَرِيْسَةٌ لِصَائِلٍ الغرض ما ينصب ليرمى بالسهام والنابل ذو النبل والأكلة بضم الهمزة المأكول وفريسة الأسد ما يفترسه . وسفه فلان بالكسر أى صار سفيها وسفه بالضم أيضا فإذا قلت سفه فلان رأيه أو حلمه أو نفسه لم تقل إلا بالكسر لأن فعل بالضم لا يتعدى وقولهم سفه فلان نفسه وغبن رأيه وبطر عيشه وألم بطنه ورفق حاله ورشد أمره كان الأصل فيه كله سفهت نفس زيد فلما حول الفعل إلى الرجل انتصب ما بعده بالمفعولية هذامذهب البصريين والكسائي من الكوفيين . وقال الفراء لما حول الفعل إلى الرجل خرج ما بعده مفسرا ليدل على أن السفاهة فيه و كان حكمه أن يكون سفه زيد نفسا لأن المفسر لا يكون إلا نكرة ولكنه ترك على إضافته ونصب ك نصب النكرة تشبيها بها. ويجوز عند البصريين والكسائي تقديم المنصوب كما يجوز ضرب غلامه زيد و عند الفراء لا يجوز تقديمه لأن المفسر لا يتقدم . [صفحة ٢٦٨] فأما قوله أرضكم قريبة من الماء بعيدة من السماء فقد قدمنا معنى قوله قريبة من الماء وذكرنا غرقها من بحر فارس دفعتين ومراده ع بقوله قريبة من الماء أى قريبة من الغرق بالماء و أما بعيدة من السماء فإن أرباب علم الهيئة وصناعة التنجيم يذكرون أن أبعد موضع فى الأرض عن السماء الأبله و ذلك موافق لقوله ع . ومعنى البعد عن السماء هاهنا هو بعد تلك الأرض المخصوصة عن دائرة معدل النهار والبقاع والبلاد تختلف فى ذلك و قد دلت الأرصاد والآلات النجومية على أن أبعد موضع فى المعمورة عن دائرة معدل النهار هو الأبله والأبله هى قصبه البصره . و هذا الموضع من خصائص أمير المؤمنين ع لأنه أخبر عن أمر لا تعرفه العرب و لا تهتدى إليه و هو مخصوص بالمدققين من الحكماء و هذا من أسراره وغرائبه البديعه [صفحة ٢٦٩]

١٥- ومن كلام له ع فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان رضى الله عنه

وَ اللَّهُ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تَزَوَّجَ بِهِنَّ النَّسَاءَ وَ مَلَكَ بِهِنَّ الْإِمَاءَ لَرَدَدْتُهُ فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً وَ مَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ فَالْجُورُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ الْقَطَائِعِ ما يقطعه الإمام بعض الرعية من أرض بيت المال ذات الخراج ويسقط عنه خراجه ويجعل عليه ضريبة يسيرة عوضا عن الخراج و قد كان عمر أقطع قطائع ولكن لأرباب الغناء فى الحرب والآثار المشهورة فى الجهاد فعل ذلك ثمنا عما بذلوه من مهجهم فى طاعة الله سبحانه و عثمان أقطع القطائع صلة لرحمه وميلا إلى أصحابه عن غير غناء فى الحرب و لأثر. و هذه الخطبة ذكرها الكلبي مروية مرفوعة إلى أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما أن عليا ع خطب فى اليوم الثانى من بيعته بالمدينة فقال ألا إن كل قطعة أقطعها عثمان و كل مال أعطاه من مال الله فهو مردود فى بيت المال فإن الحق القديم لا يبطله شىء و لو وجدته و قد تزوج به النساء و فرق فى البلدان لردته إلى حاله فإن فى العدل سعة و من ضاق عنه الحق فالجور عليه أضيق -روايت- ١- ٢- روايت- ٨٨- ٣٨٧ . [صفحة ٢٧٠] وتفسير هذا الكلام أن الوالى إذا ضاقت عليه تدبيرات أموره فى العدل فهى فى الجور أضيق عليه لأن الجائر فى مظنة أن يمنع ويصد عن جوره . قال الكلبي ثم أمر ع بكل سلاح وجد لعثمان فى داره مما تقوى به على المسلمين فقبض وأمر بقبض نجائب كانت فى داره من إبل الصدقة فقبضت وأمر بقبض سيفه ودرعه وأمر ألا يعرض لسلاح وجد له لم يقاتل به المسلمون وبالكف عن جميع أمواله التى وجدت فى داره و فى غير داره وأمر أن ترتجع الأموال التى أجاز بها عثمان حيث

أصيبت أو أصيب أصحابها. فبلغ ذلك عمرو بن العاص و كان بأيلة من أرض الشام أتاها حيث وثب الناس على عثمان فزلهما فكتب إلى معاوية ما كنت صانعا فاصنع إذ قسررك ابن أبي طالب من كل مال تملكه كما تقشر عن العصا لحاها. وقال الوليد بن عقبه وهو أخو عثمان من أمه يذكر قبض على ع نجائب عثمان وسيفه وسلاحه بنى هاشم ردوا سلاح ابن أختكم || ولا تنهبوه لاتحل مناهبه بنى هاشم كيف الهوادة بيننا || وعند على درعه ونجائبه بنى هاشم كيف التودد منكم || ويز ابن أروى فيكم وحرائبه بنى هاشم إلا-تردوا فإننا || سواء علينا قاتلاه وسالبه بنى هاشم إنا و ما كان منكم || كصدع الصفا لا يشعب الصدع شاعبه قتلتم أخى كيما تكونوا مكانه || كما غدرت يوما بكسرى مراربه . [صفحه ٢٧١] فأجابه عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب بأبيات طويلة من جملتها فلاتسألونا سيفكم إن سيفكم || أضيع وألقاه لدى الروع صاحبه وشبهته كسرى وقد كان مثله || شبيها بكسرى هدبه وضرائبه . أى كان كافرا كما كان كسرى كافرا. و كان المنصور رحمه الله تعالى إذ أنشد هذا الشعر يقول لعن الله الوليد هو الذى فرق بين بنى عبدمناف بهذا الشعر [صفحه ٢٧٢]

١٦- و من خطبة له ع لمابوع بالمدينة

إشارة

ذمى بما أقول رهينته وأنا به زعيم إن من صرحت له العبر عما بين يديه من المثالات حجزته التقوى عن تفحم الشبهات ألا وإن بليتكم قد عرادت كهتبيها يوم بعث الله نبيه و ألقى بعته بالحق لتبليبن بلبله و لتغربلن غربله و لتساطن سوط القدر حتى يعود أسفلكم أعلاكم و أعلاكم أسفلكم و ليسبقن سابقون كانوا قضيروا و ليقصرون سابقون كانوا سبقوا و الله ما كتمت و شمه و لا كذبت كذبه و لقد ثبتت بهذا المقام و هذا اليوم ألا و إن الخطايا خيل شمس حمل عليها أهلها و خلعت لجمها فتقحمت بهم فى النار ألا و إن التقوى مطايا ذلل حمل عليها أهلها و أعطوا أزمته فأوردتهم الجنة حق و باطل و لكل أهل فلئن أمر الباطل لتصدىما فعل و لئن قل الحق لربما و لعل و لقلما أدبر شىء فأقبل قال الرضى و أقول إن فى هذا الكلام الأدنى من مواقع -روايت- ١-دأمة دارد [صفحه ٢٧٣] الإحسان ما لا تبلغه مواقع الاستحسان و إن حظ العجب منه أكثر من حظ العجب به و فيه مع الحال التى وصفنا زوائد من الفصاحة لا يقوم بهالسان و لا يطلع فجبها إنسان و لا يعرف ما أقول إلا من ضرب فى هذه الصناعة بحق و جرى فيها على عرق و ما يعقلها إلا العالمون -روايت- از قبل -٢٧٢ و من هذه الخطبة شغل من الجنة و النار أمامه ساع سيريع نجا و طالب بطيء رجا و مقصير فى النار هوى اليمين و الشمال مضلة و الطريق الوسطى هى الجادة عليها باقى الكتاب و آثار النبوة و منها منفذ السينة و إليها مصير العاقبة هلك من ادعى و خاب من افترى من أبدى صيفحته للحق هلك عند جهله الناس و كفى بالمرء جهلا ألا يعرف قدره لا يهلك على التقوى سنخ أصل و لا يظما عليها زرع قوم فاستبروا فى بيوتكم و أصلحوا ذات بينكم و التوبة من ورائكم و لا يحمد حامد إلا ربه و لا يلم لائم إلا نفسه [صفحه ٢٧٤] الذمة العقد والعهد يقول هذا الدين فى ذمتى كقولك فى عنقى وهما كناية عن الالتزام والضمان والتقليد والزعيم الكفيل ومخرج الكلام لهم مخرج الترغيب فى سماع مايقوله كما يقول المهتم بإيضاح أمر لقوم لهم أنا المدرك المتقلد بصدق ما أقوله لكم وصرحت وكشفت والعبر جمع عبرة وهى الموعظة والمثالات العقوبات وحجزه منعه . و قوله لتبليبن أى لتخلطن تبليت الألسن أى اختلطت ولتغربلن يجوز أن يكون من الغربال الذى يغربل به الدقيق ويجوز أن يكون من غربلت اللحم أى قطعتة فإن كان الأول كان له معنيان أحدهما الاختلاط كالتبليل لأن غربلة الدقيق تخلط بعضه ببعض والثانى أن يريد بذلك أنه يستخلص الصالح منكم من الفاسد ويتميز كما يتميز الدقيق عند الغربلة

من نخالته . وتقول ما عصيت فلانا وشمه أى كلمه وحصان شمس ظهره شمس الفرس بالفتح و به شماس وأمر الباطل كثر . وقوله لقديمما فعل أى لقديمما فعل الباطل ذلك ونسب الفعل إلى الباطل مجازا ويجوز أن يكون فعل بمعنى ان فعل كقوله قد جبر الدين الإله فجبر أى فانجبر والسنخ الأصل وقوله سنخ أصل كقوله إذا خاص عينه كرى النوم و فى بعض الروايات من أبدى صفحته للحق هلك عند جهله الناس -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-٦٦ والتأويل مختلف فمراده على الرواية الأولى وهى الصحيحة من كاشف الحق مخصصا له هلك [صفحة ٢٧٥] وهى كلمه جارية مجرى المثل ومراده على الرواية الثانية من أبدى صفحته لنصرة الحق غلبه أهل الجهل لأنهم العامة وفيهم الكثرة فهلك . وهذه الخطبة من جلائل خطبه ع و من مشهوراتها قد رواها الناس كلهم و فيها زيادات حذفها الرضى إما اختصارا أو خوفا من إيحاش السامعين وقد ذكرها شيخنا أبو عثمان الجاحظ فى كتاب البيان والتبيين على وجهها ورواها عن أبى عبيدة معمر بن المثنى . قال أول خطبة خطبها أمير المؤمنين على ع بالمدينة فى خلافته حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى ص ثم قال ألا لا يرعين مرع إلا على نفسه شغل من الجنة والنار أمامه ساع مجتهد ينجو وطالب يرجو ومقصر فى النار ثلاثة واثان ملك طار بجناحيه ونبى أخذ الله بيده لاسادس هلك من ادعى وردى من اقتحم اليمين والشمال مضلة والوسطى الجادة منهج عليه باقى الكتاب والسنة وآثار النبوة إن الله داوى هذه الأمة بدواءين السوط والسيف لاهوادة عند الإمام فيهما استتروا فى بيوتكم وأصلحوا ذات بينكم والتوبة من ورائكم من أبدى صفحته -رواية- ١-٢-رواية- ٦٥-١٠٥-١٠٦-١٠٧-٢٧٦ [صفحة ٢٧٦] للحق هلك قد كانت لكم أمور ملتئم فيها على ميله لم تكونوا عندى فيها محمودين و لامصيبين أما إنى لو أشاء لقلت عفا الله عما سلف سبق الرجلان وقام الثالث كالغراب همته بطنه ويحه لوقص جناحاه وقطع رأسه لكان خيرا له انظروا فإن أنكرتم فأنكروا و إن عرفتم فآزرروا حق وباطل ولكل أهل ولئن أمر الباطل لقديمما فعل ولئن قل الحق لربما ولعل وقلما أدبر شىء فأقبل ولئن رجعت إليكم أموركم إنكم لسعداء وإنى لأخشى أن تكونوا فى فترة و ماعلينا إلا الاجتهاد -رواية- از قبل ٤٦٧ قال شيخنا أبو عثمان رحمه الله تعالى و قال أبو عبيدة وزاد فيها فى رواية جعفر بن محمد ع عن آباءه ع ألا إن أبرار عترتى وأطايب أرومتى أحلم الناس صغارا وأعلم الناس كبارا ألا وإننا أهل بيت من علم الله علمنا وبحكم الله حكمنا و من قول صادق سمعنا فإن تتبعوا آثارنا تتهتدوا ببصائرنا و إن لم تفعلوا يهلككم الله بأيدينا ومعنا راية الحق من تبعها لحق و من تأخر عنها غرق ألا و بنا يدرك ترة كل مؤمن و بنا تخلع ربقه الذل عن أعناقكم و بنا فتح لابكم و منا يختم لابكم -رواية- ١-٢-رواية- ١٠٧-١٠٧-٤٧٦ . قوله لا يرعين أى لا يبيقين أوعيت عليه أى أبقيت يقول من أبقى على الناس فإنما أبقى على نفسه واليهوادة الرفق والصلح وأصله اللين والتهويد المشى [صفحة ٢٧٧] رويدا و فى الحديث أسرعوا المشى فى الجنزة و لا تهودوا كمتهود أهل الكتاب -رواية- ١-٢-رواية- ١٦-٧٢ وآزرت زيدا أعتته الترة والوتر والربقة الحبل يجعل فى عنق الشاة وردى هلك من الردى كقولك عمى من العمى وشجى من الشجا . وقوله شغل من الجنة والنار أمامه يريد به أن من كانت هاتان الداران أمامه لفى شغل عن أمور الدنيا إن كان رشيدا . وقوله ساع مجتهد إلى قوله لاسادس كلام تقديره المكلفون على خمسة أقسام ساع مجتهد وطالب راج ومقصر هالك ثم قال ثلاثة أى فهؤلاء ثلاثة أقسام وهذا ينظر إلى قوله سبحانه ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه و منهم مقتصد و منهم سابق بالخيرات بإذن الله ثم ذكر القسمين الرابع والخامس فقال هما ملك طار بجناحيه ونبى أخذ الله بيده يريد عصمة هذين النوعين من القبيح ثم قال لاسادس أى لم يبق فى المكلفين قسم سادس وهذا يقتضى أن العصمة ليست إلا للأنبياء والملائكة و لو كان الإمام يجب أن يكون معصوما لكان قسما سادسا فإذن قد شهد هذا الكلام بصحة ما نقوله المعتزلة فى نفى اشتراط العصمة فى الإمامة اللهم إلا أن يجعل الإمام المعصوم داخلا فى القسم الأول وهو الساعى المجتهد و فيه بعد وضعف . وقوله هلك من ادعى وردى من اقتحم يريد هلك من ادعى وكذب لا بد من تقدير ذلك لأن الدعوى تعم الصدق والكذب وكأنه يقول هلك من ادعى الإمامة وردى من اقتحمها وولجها عن غير استحقاق لأن

كلامه ع فى هذه الخطبة كله كنايات عن الإمامة لا عن غيرها. -قرآن- ٤٢٤-٥٦٨ [صفحة ٢٧٨] وقوله اليمين والشمال مثال لأن السالك الطريق المنهج اللاحب ناج والعاذل عنها يمينا وشمالا معرض للخطر. ونحو هذا الكلام ماروى عن عمر أنه لما صدر عن منى فى السنة التى قتل فيها كوم كومة من البطحاء فقام عليها فخطب الناس فقال أيها الناس قدسنت لكم السنن وفرضت لكم الفرائض وتركتم على الواضحة إلا أن تميلوا بالناس يمينا وشمالا ثم قرأاً لم نجعل له عينين ولساناً وشفيتين وهديناه النجدين ثم قال إلا إنهما نجدا الخير والشر فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير -قرآن- ٣٥٢-٤٢٦

من كلام للحجاج وزياذ نسجا فيه على منوال كلام على

وقوله إن الله داوى هذه الأمة بدواين كلام شريف و على منواله نسج الحجاج وزياذ كلامهما المذكور فيه السوط والسيف فمن ذلك قول الحجاج من أعياء داؤه فعلى داؤه و من استبتأ أجله فعلى أن أعجله و من استثقل رأسه وضعت عنه ثقله و من استطال ماضى عمره قصرت عليه باقيه إن للشيطان طيفا و إن للسلطان سيفا فمن سقمت سريرته صحت عقوبته و من وضعه ذنبه رفعه صلبه و من لم تسعه العافية لم تضق عنه الهلكة و من سبقته بادرة فمه سبق بدنه سفك دمه إنى لأنذر ثم لأنظر وأحذر ثم لأعذر وأتوعد ثم لأغفر إنما أفسدكم ترفيق ولانكم و من استرخى لبيه ساء أدبه إن الحزم والعزم سلبانى [صفحة ٢٧٩] سوطى وجعلا سوطى سيفى فقائمة فى يدي ونجاده فى عنقى وذبابه قلادة لمن عصانى و الله لا آمر أحدا أن يخرج من باب من أبواب المسجد فيخرج من الباب الذى يليه إلا ضربت عنقه . و من ذلك قول زياذ إنما هوزجر بالقول ثم ضرب بالسوط ثم الثالثة التى لاشوى لها فلا يكونن لسان أحدكم شفرة تجرى على أوداجه وليعلم إذا خلا بنفسه أنى قد حملت سيفى بيده فإن شهره لم أغمده و إن أغمده لم أشهره . و قوله ع كالغراب يعنى الحرص والجشع والغراب يقع على الجيفة ويقع على الحبة و فى الأمثال أجشع من غراب وأحرص من غراب . و قوله ويحه لوقص يريد لو كان قتل أوامات قبل أن يتلبس بالخلافة لكان خيرا له من أن يعيش ويدخل فيها ثم قال لهم أفكروا فيما قد قلت فإن كان منكرا فأنكروه و إن كان حقا فأعينوا عليه . و قوله استتروا فى بيوتكم نهى لهم عن العصبية والاجتماع والتحزب فقد كان قوم بعد قتل عثمان تكلموا فى قتله من شيعه بنى أمية بالمدينة. [صفحة ٢٨٠] و أما قوله قد كانت أمور لم تكونوا عندى فيهما محمودين فمراده أمر عثمان وتقديمه فى الخلافة عليه و من الناس من يحمل ذلك على خلافة الشيخين أيضا ويعد عندى أن يكون أراداه لأن المدة قد كانت طالت و لم يبق من يعاتبه ليقول قد كانت أمور لم تكونوا عندى فيهما محمودين فإن هذا الكلام يشعر بمعاتبه قوم على أمر كان أنكره منهم و أميعة عثمان ثم ماجرى بينه و بين عثمان من منازعات طويلة و غضب تارة و صلح أخرى ومراسلات خشنة ولطيفة و كون الناس بالمدينة كانوا حزبين وفتنين إحداهما معه ع والأخرى مع عثمان فإن صرف الكلام إلى ما قلناه بهذا الاعتبار أليق . ولسنا نمنع من أن يكون فى كلامه ع الكثير من التوجد والتألم لصرف الخلافة بعد وفاة الرسول ص عنه وإنما كلامنا الآن فى هذه اللفظات التى فى هذه الخطبة على أن قوله ع سبق الرجلان والاقصصار على ذلك فيه كفاية فى انحرافه عنهما. و أما قوله حق وباطل إلى آخر الفصل فمعناه كل أمر فهو إما حق وإما باطل ولكل واحد من هذين أهل و مازال أهل الباطل أكثر من أهل الحق ولئن كان الحق قليلا لربما كثر ولعله ينتصر أهله . ثم قال على سبيل التضجر بنفسه وقلما أدبر شىء فأقبل استبعد ع أن تعود دولة قوم بعد زوالها عنهم و إلى هذا المعنى ذهب الشاعر فى قوله وقالوا يعود الماء فى النهر بعد ما || ذوى نبت جنبيه وجف المشارع فقلت إلى أن يرجع النهر جاريا || ويعشب جنباه تموت الضفادع [صفحة ٢٨١] ثم قال ولئن رجعت عليكم أموركم أى إن ساعدنى الوقت وتمكنت من أن أحكم فيكم بحكم الله تعالى ورسوله وعادات إليكم أيام شبيهة بأيام رسول الله ص وسيرة مماثلة لسيرته فى

أصحابه إنكم لسعداء. ثم قال وإنى لأخشى أن تكونوا في فترة -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-٢٥٠ الفترة هي الأزمنة التي بين الأنبياء إذا انقطعت الرسل فيها كالفترة التي بين عيسى ع و محمدص لأنه لم يكن بينهما نبي بخلاف المدة التي كانت بين موسى وعيسى ع لأنه بعث فيها أنبياء كثيرين فيقول ع إنى لأخشى ألا أتمكن من الحكم بكتاب الله تعالى فيكم فتكونوا كالأمم الذين في أزمنة الفترة لا يرجعون إلى نبي يشافهم بالشرائع والأحكام وكأنه ع قد كان يعلم أن الأمر سيضطرب عليه . ثم قال و ما علينا إلا الاجتهاد يقول أنا عمل ما يجب على من الاجتهاد في القيام بالشرعة وعزل ولاة السوء وأمرء الفساد عن المسلمين فإن تم ما أريده فذاك وإلا كنت قد أعدت . و أما التتمة المروية عن جعفر بن محمد ع فواضحة الألفاظ وقوله في آخرها وبنا تختم لابكم إشارة إلى المهدي الذي يظهر في آخر الزمان وأكثر المحدثين على أنه من ولد فاطمة ع وأصحابنا المعتزلة لا ينكرونه وقد صرحوا بذلك في كتبهم واعترف به شيوخهم إلا- أنه عندنا لم يخلق بعد وسيخلق . و إلى هذا المذهب يذهب أصحاب الحديث أيضا. وروى قاضي القضاة -رواية- ١-٢ [صفحة ٢٨٢] رحمه الله تعالى عن كافي الكفاه أبي القاسم إسماعيل بن عباد رحمه الله بإسناد متصل بعلي ع أنه ذكر المهدي وقال إنه من ولد الحسين ع وذكر حليته فقال رجل أجلى الجبين أقى الأنف ضخم البطن أزيل الفخذين أبلج الثنايا بفخذه اليمنى شامة -رواية- ١٠٠-٢٥٦ وذكر هذا الحديث بعينه عبد الله بن قتيبة في كتاب غريب الحديث [صفحة ٢٨٣]

١٧- ومن كلام له ع في صفة من يتصدى للحكم بين الأمة وليس لذلك بأهل

إِنَّ أَبْعَضَ الْخَلَائِقِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى رَجُلَانِ رَجُلٌ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ فَهُوَ جَائِرٌ عَنِ قَصْدِ السَّبِيلِ مَشْغُوفٌ بِكَلَامِ بَدْعِهِ وَ دَعَاءِ ضَلَالَةٍ فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنْ افْتَتَنَ بِهِ ضَالٌّ عَنِ هُدًى مَنْ كَانَ قَبْلَهُ مُضِلًّا لِمَنْ اقْتَدَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَ بَعْدَ وَفَاتِهِ حَمَالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ وَ رَجُلٌ قَمَشَ جَهْلًا مَوْضِعَ فِي جُهَالِ الْأُمَمِ عَادٍ فِي أَغْبَاشِ الْفِتْنَةِ عَمَّ بِمَا فِي عَقْدِ الْهُدْيَةِ قَدْ سَمَّاهُ أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِمًا وَ لَيْسَ بِهِ بَكْرٌ فَاسْتَكْتَرَّ مِنْ جَمْعٍ مَا قَلَّ مِنْهُ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ حَتَّى إِذَا ارْتَوَى مِنْ آجِنٍ وَ اكْتَنَزَ مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ جَلَسَ بَيْنَ النَّاسِ قَاضِيًا ضَامِنًا لِتَخْلِيصِ مَا التَّبَسَّ عَلَى غَيْرِهِ فَإِنْ نَزَلَتْ بِهِ إِحْدَى الْمُبْهَمَاتِ هَيَّأَ لَهَا حَشْوًا رَثِمًا مِنْ رَأْيِهِ ثُمَّ قَطَعَ بِهِ فَهُوَ مِنْ لَبْسِ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسَجِ الْعَنْكَبُوتِ لَمَّا يَدْرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ فَإِنْ أَصَابَ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ وَ إِنْ أَخْطَأَ رَجَا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ جَاهِلٌ خَبَّاطٌ جَهَالَاتٍ عَاشَ رَكَابُ عَشَوَاتٍ لَمْ يَعْضْ عَلَى الْعِلْمِ بَضْرَسٍ قَاطِعٍ يَدْرِي الرُّوَايَاتِ إِذْ رَأَى الرِّيحَ الْهَشِيمَ لَا مَلِيءٌ وَ اللَّهُ بِإِصْدَارِ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ وَ لَمَّا هُوَ أَهْلٌ لَمَّا فُوضَ إِلَيْهِ لَا يَحْسَبُ الْعِلْمَ فِي شَيْءٍ مِمَّا أَنْكَرَهُ وَ لَا يَرَى أَنَّ مِنْ وَرَاءِ مَا بَلَغَ مِذْهَبًا لغيرِهِ وَ إِنْ أَظْلَمَ عَلَيْهِ أَمْرٌ اكْتَنَمَ بِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ جَهْلِ نَفْسِهِ تَصْرُخُ مِنْ جَوْرِ قَضَائِهِ الدَّمَاءِ وَ تَعَيَّجُ مِنْهُ [صفحة ٢٨٤] المواريث إلى الله من معشر يعيشون جهالًا و يموتون ضلالمًا ليس فيهم سألعة أبور من الكتاب إذا تلى حق تلاوته و لما سألعة أنفق يبعًا و لا أغلى ثمنًا من الكتاب إذا حُرِّفَ عَنِ مَوَاضِعِهِ وَ لَمَّا عِنْدَهُمْ أَنْكَرٌ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَ لَمَّا أَعْرَفَ مِنَ الْمُنْكَرِ وَ كَلَهُ إِلَى نَفْسِهِ تَرَكَهُ وَ نَفْسَهُ وَ كَلْتَهُ وَ كَلَا- وَ وَ كُولَا وَ الْجَائِرُ الضال العادل عن الطريق وقمش جهلا جمعه وموضع مسرع أوضع البعير أسرع وأوضعه راكمه فهو موضع به أى أسرع به . وأغباش الفتنة ظلمها الواحدة غبش وأغباش الليل بقايا ظلمته و منه الحديث في صلاة الصبح والنساء متلفعات بمروطهن ما يعرفن من الغبش -رواية- ١-٢-رواية- ٣٢-٧٨ والماء الآجن الفاسد وأكثر كقولك استكثر و يروى اكتنز أى اتخذ العلم كترا، والتخليص التبيين و هو والتلخيص متقاربان ولعلهما شىء واحد من المقلوب . والمبهمات المشكلات وإنما قيل لها مبهمه لأنها أبهمت عن البيان كأنها أصممت فلم يجعل عليها دليل ولا إليها سبيل أو جعل عليها دليل وإليها سبيل إلا أنه متعسر مستصعب ولهذا قيل لما لا ينطق من الحيوان بهيمة وقيل للمصمت اللون الذى لاشية فيه بهيم . وقوله حشوا رثا كلام مخرجه

الذم والرتب الخلق ضد الجديد. و قوله حشوا يعنى كثيرا لافائدة فيه وعاش خابط في ظلام و قوله لم يعرض يريد أنه لم يتقن و لم يحكم الأمور فيكون بمنزلة من يعرض بالناجذ و هو آخر الأضراس وإنما [صفحة ٢٨٥] يطلع إذا استحكمت شبيبة الإنسان واشتدت مرته ولذلك يدعوه العوام ضرس الحلم كأن الحلم يأتي مع طلوعه ويذهب نزع الصبا ويقولون رجل منجد أى مجرب محكم كأنه قد عرض على ناجذه و كمل عقله . و قوله يذرى الروايات هكذا أكثر النسخ وأكثر الروايات يذرى من أذرى رباعيا و قد أوضحه قوله إذراء الريح يقال طعنه فأذراه أى ألقاه وأذريت الحب للزرع أى ألقيته فكأنه يقول يلقي الروايات كما يلقي الإنسان الشيء على الأرض والأجود الأصح الرواية الأخرى يذرو الروايات ذرو الريح الهشيم وهكذا ذكر ابن قتيبة فى غريب الحديث لما ذكر هذه الخطبة عن أمير المؤمنين ع قال تعالى فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ والهشيم ما يبس من النبت وتفتت . قوله لاملئ أى لاقيم به وفلان غنى ملىء أى ثقء بين الملاء والملاء بالمد و فى كتاب ابن قتيبة تتمه هذا الكلام و لا أهل لما قرظ به قال أى ليس بمستحق للمدح الذى مدح به و الذى رواه ابن قتيبة من تمام كلام أمير المؤمنين ع هو الصحيح الجيد لأنه يستقبح فى العربية أن تقول لازيد قائم حتى تقول و لا عمرو أو تقول و لا قاعد فقله ع لاملئ أى لا هو ملىء و هذا يستدعى لاثانية و لا يحسن الاقتصار على الأولى . و قوله ع اكنتم به أى كنتم و ستره و قوله تصرخ منه وتعج العج رفع الصوت و هذا من باب الاستعارة. و فى كثير من النسخ إلى الله أشكو فمن روى ذلك وقف على الموارث -قرآن- ٥٨٥-٦٢٠ [صفحة ٢٨٦] و من روى الرواية الأولى وقف على قوله إلى الله و يكون قوله من معشر من تمام صفات ذلك الحاكم أى هو من معشر صفتهم كذا. وأبور أفعال من البور الفاسد بار الشيء أى فسد وبارت السلعة أى كسدت و لم تنفق و هو المراد هاهنا وأصله الفساد أيضا. إن قيل بينوا الفرق بين الرجلين اللذين أحدهما وكله الله إلى نفسه والآخر رجل قمش جهلا فإنهما فى الظاهر واحد. قيل أما الرجل الأول فهو الضال فى أصول العقائد كالمشبه والمجبر ونحوهما ألا تراه كيف قال مشغوف بكلام بدعة ودعاء ضلالة و هذا يشعر بما قلناه من أن مراده به المتكلم فى أصول الدين و هو ضال عن الحق ولهذا قال إنه فتنه لمن افتتن به ضال عن هدى من قبله مضل لمن يجيء بعده و أما الرجل الثانى فهو المتفقه فى فروع الشرعيات و ليس بأهل لذلك كفقهاء السوء ألا تراه كيف يقول جلس بين الناس قاضيا. و قال أيضا تصرخ من جور قضائه الدماء وتعج منه الموارث فإن قيل مامعنى قوله فى الرجل الأول رهن بخطيئته قيل لأنه إن كان ضالا فى دعوته مضلا لمن اتبعه فقد حمل خطايا وخطايا غيره فهو رهن بالخطيئتين معا و هذا مثل قوله تعالى وَ لِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ وَ أَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ. إن قيل مامعنى قوله عم بما فى عقد الهدنة قيل الهدنة أصلها فى اللغة السكون يقال هدن إذا سكن ومعنى الكلام أنه لا يعرف ما فى الفتنة من الشر و لا ما فى السكون والمصالحة من الخير. -قرآن- ١٠١٣-١٠٦٥ [صفحة ٢٨٧] و يروى بما فى غيب الهدنة أى فى طيها و فى ضمنها و يروى غار فى أغباش الفتنة أى غافل ذو غرة. و روى من جمع بالتنوين فتكون ما على هذا اسما موصولا. وهى وصلتها فى موضع جر لأنها صفة جمع و من لم يروى بالتنوين فى جمع حذف الموصوف تقديره من جمع شىء ما قبل منه خير مما كثر فتكون مامصدرية و تقدير الكلام قلته خير من كثرته و يكون موضع ذلك جرا أيضا بالصفة [صفحة ٢٨٨]

١٨- و من كلام له ع فى ذم اختلاف العلماء فى الفتيا

تَرَدُّ عَلَى أَحَدِهِمُ الْقَضِيَّةُ فِي حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ ثُمَّ تَرَدُّ تِلْكَ الْقَضِيَّةُ بِعَيْنِهَا عَلَى غَيْرِهِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِخِلَافِ قَوْلِهِ ثُمَّ يَجْمَعُ الْقَضَاءُ بِذَلِكَ عِنْدَ الْإِمَامِ الَّذِي اسْتَقْضَاهُمْ فَيَصُوبُ آرَاءَهُمْ جَمِيعًا وَإِلَيْهِمْ وَاحِدٌ وَ نَبِيَّهُمْ وَاحِدٌ وَ كِتَابُهُمْ وَاحِدٌ أَمْ مَرَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْاِخْتِلَافِ فَأَطَاعُوهُ أَمْ نَهَاهُمْ عَنْهُ فَعَصَوْهُ أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِينًا نَاقِصًا فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى إِتْمَامِهِ أَمْ كَانُوا

شُرِّكَاءَ لَهُ فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا وَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِينًا تَامًا فَقَصَرَ الرَّسُولُ ص عَنْ تَبْلِيغِهِ وَ أَدَائِهِ وَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ وَ فِيهِ تَبْيَانٌ كُلِّ شَيْءٍ وَ ذَكَرَ أَنَّ الْكِتَابَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا وَ أَنَّهُ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ فَقَالَ سُبْحَانَهُو لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا وَ إِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أُنِيقٌ وَ بَاطِنُهُ عَمِيقٌ لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ وَ لَا تَقْضِي غَرَائِبَهُ وَ لَا تُكْشِفُ الظُّلُمَاتِ إِلَّا بِهِ -قرآن- ٧٠٥-٧٣٧-قرآن- ٨٦٥-٩٣٤ [صفحہ ٢٨٩] الأنيق المعجب وآفنى الشيء أى أعجبنى يقول لا ينبغي أن يحمل جميع ما فى الكتاب العزيز على ظاهره فكم من ظاهر فيه غير مراد بل المراد به أمر آخر باطن والمراد الرد على أهل الاجتهاد فى الأحكام الشرعية وإفساد قول من قال كل مجتهد مصيب وتلخيص الاحتجاج من خمسة أوجه الأول أنه لما كان الإله سبحانه واحدا والرسول ص واحدا والكتاب واحدا وجب أن يكون الحكم فى الواقعة واحدا كالملك الذى يرسل إلى رعيته رسولا بكتاب يأمرهم فيه بأوامر يقتضيها ملكه وإمرته فإنه لا يجوز أن تتناقض أوامره و لوتناقضت لنسب إلى السفه والجهل .الثنانى لا يخلو الاختلاف الذى ذهب إليه المجتهدون إما أن يكون مأمورا به أو منهيًا عنه والأول باطل لأنه ليس فى الكتاب والسنة ما يمكن الخصم أن يتعلق به فى كون الاختلاف مأمورا به والثانى حق ويلزم منه تحريم الاختلاف .الثالث إما أن يكون دين الإسلام ناقصا أو تاما فإن كان الأول كان الله سبحانه قداستعان بالمكلفين على إتمام شريعة ناقصة أرسل بهارسوله إما استعانه على سبيل النيابة عنه أو على سبيل المشاركة له وكلاهما كفر و إن كان الثانى فإما أن يكون الله تعالى أنزل الشرع تاما فقصر الرسول عن تبليغه أو يكون الرسول قدأبلغه على تمامه وكمالها فإن كان الأول فهو كفر أيضا و إن كان الثانى فقد بطل الاجتهاد لأن الاجتهاد إنما يكون فيما لم يتبين فأما ما قد بين فلامجال للاجتهاد فيه .الرابع الاستدلال بقوله تعالى ما فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ وَ قَوْلِهِ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَ لَا رَطْبٍ وَ لَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ -قرآن- ١٢٩٣-١٣٢٥-قرآن- ١٣٣٤-١٣٥٤-قرآن- ١٣٧٠-١٤١٠ الأنيق المعجب وآفنى الشيء أى أعجبنى يقول لاينبغي أن يحمل جميع ما فى الكتاب العزيز على ظاهره فكم من ظاهر فيه غير مراد بل المراد به أمر آخر باطن والمراد الرد على أهل الاجتهاد فى الأحكام الشرعية وإفساد قول من قال كل مجتهد مصيب وتلخيص الاحتجاج من خمسة أوجه الأول أنه لما كان الإله سبحانه واحدا والرسول ص واحدا والكتاب واحدا وجب أن يكون الحكم فى الواقعة واحدا كالملك الذى يرسل إلى رعيته رسولا بكتاب يأمرهم فيه بأوامر يقتضيها ملكه وإمرته فإنه لا يجوز أن تتناقض أوامره و لوتناقضت لنسب إلى السفه والجهل .الثنانى لا يخلو الاختلاف الذى ذهب إليه المجتهدون إما أن يكون مأمورا به أو منهيًا عنه والأول باطل لأنه ليس فى الكتاب والسنة ما يمكن الخصم أن يتعلق به فى كون الاختلاف مأمورا به والثانى حق ويلزم منه تحريم الاختلاف .الثالث إما أن يكون دين الإسلام ناقصا أو تاما فإن كان الأول كان الله سبحانه قداستعان بالمكلفين على إتمام شريعة ناقصة أرسل بهارسوله إما استعانه على سبيل النيابة عنه أو على سبيل المشاركة له وكلاهما كفر و إن كان الثانى فإما أن يكون الله تعالى أنزل الشرع تاما فقصر الرسول عن تبليغه أو يكون الرسول قدأبلغه على تمامه وكمالها فإن كان الأول فهو كفر أيضا و إن كان الثانى فقد بطل الاجتهاد لأن الاجتهاد إنما يكون فيما لم يتبين فأما ما قد بين فلامجال للاجتهاد فيه .الرابع الاستدلال بقوله تعالى ما فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ وَ قَوْلِهِ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَ لَا رَطْبٍ وَ لَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍهذه الآيات دالة على اشتمال الكتاب العزيز على جميع الأحكام فكل ما ليس فى الكتاب وجب ألا يكون فى الشرع .الخامس قوله تعالى وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا فاجعل الاختلاف دليلا على أنه ليس من عند الله لكنه من عند الله سبحانه بالأدلة القاطعة الدالة على صحة النبوة فوجب ألا يكون فيه اختلاف . واعلم أن هذه الوجوه هى التى يتعلق بهاالإمامية ونفاها القياس والاجتهاد فى الشرعيات و قدتكلم عليها أصحابنا فى كتبهم وقالوا إن أمير المؤمنين ع كان يجتهد ويقيس وادعوا إجماع الصحابة على صحة الاجتهاد والقياس ودفعوا صحة هذاالكلام المنسوب فى هذاالكتاب إلى أمير المؤمنين ع وقالوا إنه من رواية الإمامية وهو معارض بما ترويه الزيدية عنه و عن أبنائه ع فى صحة القياس

والاجتهاد ومخالطة الزيدية لأئمة أهل البيت ع كمخالطة الإمامية لهم ومعرفتهم بأقوالهم وأحوالهم ومذاهبهم كمعرفة الإمامية لافرق بين الفئتين في ذلك والزيدية قاطبة جاروديتها وصالحيتها تقول بالقياس والاجتهاد وينقلون في ذلك نصوصا عن أهل البيت ع و إذتعارضت الروايتان تساقطتا وعدنا إلى الأدلة المذكورة في هذه المسألة وقد تكلمت في اعتبار الذريعة للمرتضى على احتجاجة في إبطال القياس والاجتهاد بما ليس هداموضع ذكره -قرآن- ١-٨-قرآن-١٤٣-٢١٢ [صفحة ٢٩١]

١٩- و من كلام له ع قاله للأشعث بن قيس

إشارة

و هو على منبر الكوفة يخطب فمضى في بعض كلامه شيء اعترضه الأشعث فيه فقال يا أمير المؤمنين هذه عليك لا لك فخفض إليه بصره ع ثم قال وَ مَا يُدْرِيكَ مَا عَلَيَّ مِمَّا لِي عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ وَ لَعْنَةُ اللَّاعِنِينَ حَائِكُ ابْنِ حَائِكٍ مُنَافِقُ ابْنِ كَافِرٍ وَ اللَّهُ لَقَدْ أَسْرَكَ الْكُفْرَ مَرَّةً وَ الْإِسْلَامَ أُخْرَى فَمَا فَدَاكَ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَالِكَ وَ لَا حَسْبُكَ وَ إِنَّ امْرَأً دَلَّ عَلَى قَوْمِهِ السِّيفَ وَ سَاقَ إِلَيْهِمُ الْحَتْفَ لِحَرِيٍّ أَنْ يَمُقَّتَهُ الْأَقْرَبُ وَ لَا يَأْمَنُهُ الْأَبْعَدُ قال الرضى رحمه الله يريد ع أنه أسر في الكفر مرة و في الإسلام مرة. و أما قوله ع دل على قومه السيف فأراد به حديثا كان للأشعث مع خالد بن الوليد باليمامة غر فيه قومه ومكر بهم حتى أوقع بهم خالد و كان قومه بعد ذلك يسمونه عرف النار و هو اسم للغادر عندهم -روايت- ١-٢٦٦ [صفحة ٢٩٢] خفض إليه بصره طأطأه و قوله فما فداك لا يريد به الفداء الحقيقي فإن الأشعث فدى في الجاهلية بفداء يضرب به المثل فقال أعلى فداء من الأشعث وسنذكره وإنما يريد مادفع عنك الأسر مالك و لاحسبك ويمقته يبغضه والمقت البغض

الأشعث بن قيس ونسبه وبعض أخباره

اسم الأشعث معديكرب وأبوه قيس الأشج سمي الأشج لأنه شج في بعض حروبهم ابن معديكرب بن معاوية بن معديكرب بن معاوية بن جبله بن عبدالعزى بن ربيعة بن معاوية الأكرمين بن الحارث بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة بن عفير بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد. وأم الأشعث كبش بنت يزيد بن شرحبيل بن يزيد بن إمري القيس بن عمرو المقصور الملك . كان الأشعث أبدا أشعث الرأس فسمى الأشعث وغلّب عليه حتى نسي اسمه ولعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث يقول أعشى همدان يا ابن الأشج قريع كندة || لأبالي فيك عتبا [صفحة ٢٩٣] أنت الرئيس ابن الرئيس || و أنت أعلى الناس كعبا . وتزوج رسول الله ص قتيلة أخت الأشعث فتوفى قبل أن تصل إليه . فأما الأسر الذى أشار أمير المؤمنين ع إليه في الجاهلية فقد ذكره ابن الكلبي في جمهرة النسب فقال إن مرادا لماقتلت قيسا الأشج خرج الأشعث طالبا بثأره فخرجت كندة متساندين على ثلاثة ألوية على أحد الألوية كبس بن هانئ بن شرحبيل بن الحارث بن عدى بن ربيعة بن معاوية الأكرمين ويعرف هانئ بالمطلع لأنه كان يغزو فيقول اطلعت بنى فلان فسمى المطلع و على أحدها القشعم أبو جبر بن يزيد الأرقم و على أحدها الأشعث فأخطئوا مرادا و لم يقعوا عليهم ووقعوا على بنى الحارث بن كعب فقتل كبس والقشعم أبو جبر وأسّر الأشعث ففدى بثلاثة آلاف بعير لم يفد بهاعربى بعده و لاقبله فقال فى ذلك عمرو بن معديكرب الزبيدي فكان فداؤه ألفى بعير || وألفا من طريفات وتلد . و أما الأسر الثانى فى الإسلام فإن رسول الله ص لماقدمت كندة حجاجا قبل الهجرة عرض رسول الله ص نفسه

عليهم كما كان يعرض نفسه على أحياء العرب فدفعه بنو وليعته من بنى عمرو بن معاوية و لم يقبلوه فلما هاجر ص وتمهدت دعوته وجاءته وفود العرب جاءه وفد كنده فيهم الأشعث وبنو وليعته فأسلموا فأطعم رسول الله ص بنى وليعته طعمه من صدقات حضرموت و كان قد استعمل على حضرموت زياد بن ليبيد البياضى الأنصارى فدفعها زياد إليهم فأبوا أخذها وقالوا لاظهر لنا فابعث بها إلى بلادنا على ظهر [صفحہ ۲۹۴] من عندك فأبى زياد وحدث بينهم و بين زياد شر كاد يكون حربا فرجع منهم قوم إلى رسول الله ص وكتب زياد إليه ع يشكوهم و فى هذه الوقعة كان الخبر المشهور عن رسول الله ص قال لبنى وليعته لتنتهن يا بنى وليعته أولأبعثن عليكم عليكم رجلا عدیل نفسى يقتل مقاتلتكم ويسبى ذراريكم قال عمر بن الخطاب فما تمنيت الإمارة إلا يومئذ وجعلت أنصب له صدرى رجاء أن يقول هو هذا فأخذ بيد على ع و قال هو هذا -روایت- ۱-۲-روایت- ۵۱-۲۵۹ . ثم كتب لهم رسول الله ص إلى زياد فوصلوا إليه بالكتاب و قد توفى رسول الله ص وطار الخبر بموته إلى قبائل العرب فارتدت بنو وليعته وغنت بغاياهم وخضبن له أيديهن . و قال محمد بن حبيب كان إسلام بنى وليعته ضعيفا و كان رسول الله ص يعلم ذلك منهم و لما حج رسول الله ص حجة الوداع وانتهى إلى فم الشعب دخل أسامة بن زيد ليبول فانتظره رسول الله ص و كان أسامة أسود أفتس فقال بنو وليعته هذا الحبشى حبسنا فكانت الردة فى أنفسهم . قال أبو جعفر محمد بن جرير فأمر أبوبكر زيادا على حضرموت وأمره بأخذ البيعة على أهلها واستيفاء صدقاتهم فبايعوه إلا بنى وليعته فلما خرج ليقبض الصدقات من بنى عمرو بن معاوية أخذ ناقه لغلام منهم يعرف بشيطان بن حجر وكانت صفيه نفيسة اسمها شذرة فمنعه الغلام عنها و قال خذ غيرها فأبى زياد ذلك ولج فاستغاث شيطان بأخيه العداء بن حجر فقال لزياد دعها وخذ غيرها فأبى زياد ذلك ولج الغلامان فى أخذها ولج زياد و قال لهما لا تكونن شذرة عليكما كالبسوس [صفحہ ۲۹۵] فهتف الغلامان بالعمرو أنضام ونضطهد إن الذليل من أكل فى داره وهتفا بمسروق بن معديكرب فقال مسروق لزياد أطلقها فأبى فقال مسروق يطلقها شيخ بخديه الشيب || ملمع فيه كتلميع الثوب ماض على الريب إذا كان الريب . ثم قام فأطلقها فاجتمع إلى زياد بن ليبيد أصحابه واجتمع بنو وليعته وأظهروا أمرهم فيبتهم زياد وهم غارون فقتل منهم جمعا كثيرا ونهب وسبى ولحق فلهم بالأشعث بن قيس فاستنصروه فقال لأنصرمك حتى تملكونى عليكم فملكوه وتوجوه كما يتوج الملك من قحطان فخرج إلى زياد فى جمع كثيف وكتب أبوبكر إلى المهاجر بن أبى أمية و هو على صنعاء أن يسير بمن معه إلى زياد فاستخلف على صنعاء وسار إلى زياد فلقوا الأشعث فهزموه وقتل مسروق ولجأ الأشعث والباقون إلى الحصن المعروف بالنجير فحاصرهم المسلمون حصارا شديدا حتى ضعفوا ونزل الأشعث ليلا إلى المهاجر وزياد فسألها الأمان على نفسه حتى يقدمها به على أبى بكر فيرى فيه رأيه على أن يفتح لهم الحصن ويسلم إليهم من فيه . وقيل بل كان فى الأمان عشرة من أهل الأشعث . فأمناه وأمضيا شرطه ففتح لهم الحصن فدخلوه واستترلوا كل من فيه وأخذوا أسلحتهم وقالوا للأشعث اعزل العشرة فعزلهم فتركهم وقتلوا الباقين وكانوا ثمانمائة وقطعوا أيدي النساء اللواتى شمتن برسول الله ص وحملوا الأشعث [صفحہ ۲۹۶] إلى أبى بكر موثقا فى الحديد هو والعشرة فعفا عنه وعنهم وزوجه أخته أم فروة بنت أبى قحافة وكانت عمياء فولدت للأشعث محمدا وإسماعيل وإسحاق . وخرج الأشعث يوم البناء عليها إلى سوق المدينة فما مر بدات أربع إلا عقرها و قال للناس هذه وليمة البناء وثمان كل عقيرة فى مالى فدفع أثمانها إلى أربابها. قال أبو جعفر محمد بن جرير فى التاريخ و كان المسلمون يلعنون الأشعث وبلعنه الكافرون أيضا وسبايا قومه وسماه نساء قومه عرف النار و هو اسم للغادر عندهم . و هذا عندى هو الوجه و هو أصح مما ذكره الرضى رحمه الله تعالى من قوله فى تفسير قول أمير المؤمنين و إن امرأ دل على قومه السيف أنه أراد به حديثا كان للأشعث مع خالد بن الوليد باليمامة غر فيه قومه ومكر بهم حتى قتلهم فإنا لم نعرف فى التواريخ أن الأشعث جرى له باليمامة مع خالد هذا ولاشبهه وأين كنده واليمامة كنده باليمن واليمامة لبنى حنيفة و لا أعلم من أين نقل الرضى رحمه الله تعالى هذا. فأما الكلام الذى كان أمير المؤمنين ع قاله على منبر الكوفة فاعترضه فيه

الأشعث فإن علياً قام إليه و هو يخطب ويذكر أمر الحكيمين رجل من أصحابه بعد أن انقضى أمر الخوارج فقال له نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بهافما ندرى أى الأمرين أرشد فصفق ع يا حدى يديه على الأخرى وقال هذا جزء من ترك العقده و كان مراده ع هذا جزاؤكم إذ تركتم الرأى والحزم وأصررتم على إجابة القوم إلى التحكيم فظن الأشعث أنه أراد هذا جزائى حيث تركت الرأى والحزم وحكمت لأن هذه اللفظة محتملة ألا ترى أن الرئيس [صفحه ٢٩٧] إذا شغب عليه جنده وطلبوا منه اعتماد أمر ليس بصواب فوافقهم تسكيناً لشغبهم لاستصلاحاً لأبيهم ثم ندموا بعد ذلك قد يقول هذا جزء من ترك الرأى وخالف وجه الحزم ويعنى بذلك أصحابه و قد يقوله يعنى به نفسه حيث وافقهم أمير المؤمنين ع إنما عنى ما ذكرناه دون ما خطر للأشعث فلما قال له هذه عليك لا لك قال له و ما يدريك ما على ما لى عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين . و كان الأشعث من المنافقين فى خلافة على ع و هو فى أصحاب أمير المؤمنين ع كما كان عبد الله بن أبى بن سلول فى أصحاب رسول الله ص كل واحد منهما رأس النفاق فى زمانه . و أما قوله ع للأشعث حائك ابن حائك فإن أهل اليمن يعيرون بالحياكة و ليس هذا ما يخص الأشعث . و من كلام خالد بن صفوان ما أقول فى قوم ليس فيهم إلا حائك برد أوداغ جلد أو سائس قرد ملكتهم امرأة و أغرقتهم فأرة ودل عليهم هدهد [صفحه ٢٩٨]

٢٠- و من خطبة له ع

فَأَنْتُمْ لَوْ قَدْ عَايَنْتُمْ مَا قَدْ عَايَنَ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ لَجَزِعْتُمْ وَ وَهَلْتُمْ وَ سَجِعْتُمْ وَ أَطَعْتُمْ وَ لَكِنْ مَحْجُوبٌ عَنْكُمْ مَا قَدْ عَايَنُوا وَ قَرِيبٌ مَا يُطْرَحُ الْحِجَابُ وَ لَقَدْ بَصَّيْرْتُمْ إِنْ أَبْصَيْرْتُمْ وَ أَسْمِعْتُمْ إِنْ سَمِعْتُمْ وَ هُدَيْتُمْ إِنْ اهْتَدَيْتُمْ وَ بِحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ لَقَدْ جَاهَرَتْكُمْ الْعِبْرُ وَ زَجْرْتُمْ بِمَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ وَ مَا يُبَلِّغُ عَنِ اللَّهِ بَعْدَ رُسُلِ السَّمَاءِ إِلَّا الْبَشَرُ الْوَهْلُ الْخَوْفُ وَ هَلِ الرَّجُلُ يُوْهَلُ . و ما فى قوله ما يطرح مصدرية تقديره و قريب طرح الحجاب يعنى رفعه بالموت . و هذا الكلام يدل على صحة القول بعذاب القبر و أصحابنا كلهم يذهبون إليه و إن شنع عليهم أعداؤهم من الأشعرية و غيرهم بجحده . و ذكر قاضى القضاة رحمه الله تعالى أنه لم يعرف معتزليا نفى عذاب القبر لا من [صفحه ٢٩٩] متقدميهم و لا من متأخريهم قال وإنما نفاه ضرار بن عمرو لمخالطته لأصحابنا و أخذه عن شيوخنا مانسب قوله إليهم . و يمكن أن يقول قائل هذا الكلام لا يدل على صحة القول بعذاب القبر لجواز أن يعنى بمعانيه من قدمات ما يشاهده المحتضر من الحالة الدالة على السعادة أو الشقاوة فقد جاء فى الخبر لا يموت امرؤ حتى يعلم مصيره هل هو إلى الجنة أم إلى النار -رواية ١-٢-رواية ١٩-٨١ و يمكن أن يعنى به ما يعاينه المحتضر من ملك الموت و هول قدومه و يمكن أن يعنى به ما كان ع يقوله عن نفسه إنه لا يموت ميت حتى يشاهده ع حاضرا عنده و الشيعة تذهب إلى هذا القول و تعتقده و تروى عنه ع شعرا قاله للحارث الأعور الهمداني -رواية ١-٢-رواية ٥٣-٥٤ يا حار همدان من يموت يرنى || من مؤمن أو منافق قبلا يعرفنى طرفه و أعرفه || بعينه واسمه و مافعلا أقول للنار وهى توقد للعرض || ذرية لاتقربى الرجال ذرية لاتقربيه إن له || حبلا بحبل الوصى متصلا و أنت يا حار إن تمت ترنى || فلاتخف عشره و لازللا أسقيك من بارد على ظميا || تخاله فى الحلاوة العسلا و ليس هذا بمنكر إن صح أنه ع قاله عن نفسه فى الكتاب العزيز ما يدل على أن أهل الكتاب لا يموت منهم ميت حتى يصدق بعيسى ابن مريم ع و ذلك قوله و إن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته و يوم -قرآن ١٥٦-٢٢٦ و ليس هذا بمنكر إن صح أنه ع قاله عن نفسه فى الكتاب العزيز ما يدل على أن أهل الكتاب لا يموت منهم ميت حتى يصدق بعيسى ابن مريم ع و ذلك قوله و إن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته و يوم القيامة يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً قال كثير من المفسرين معنى ذلك أن كل ميت من اليهود و غيرهم من أهل الكتب السالفة إذا احتضر رأى المسيح عيسى عنده فيصدق به من لم يكن

فى أوقات التكليف مصدقا به . وشبهه بقوله ع لوعاينتم ماعين من مات قبلكم قول أبى حازم لسليمان بن عبدالمك في كلام يعظه به أن آباءك ابتزوا هذا الأمر من غير مشورة ثم ماتوا فلو علمت ما قالوا و ما قيل لهم فقيل إنه بكى حتى سقط -قرآن- ١-٣٧ [صفحة ٣٠١]

٢١- و من خطبة له ع

فَإِنَّ الْغَايَةَ أَمَامَكُمْ وَإِنَّ وِرَاءَكُمْ السَّاعَةَ تَحَدُّوْكُمْ تَخَفُّوْا تَلَحُّوْا فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوْلِيكُمْ آخِرُكُمْ قَالَ الرضى رحمه الله أقول إن هذا الكلام لو وزن بعد كلام الله سبحانه و بعد كلام رسول الله ص بكل كلام لمال به راجحا وبرز عليه سابقا. فأما قوله ع تخففوا تلتحقوا فما سمع كلام أقل منه مسموعا و لأكثر محصولا و ما أبعد غورها من كلمة و أنفع نطفها من حكمة و قد نبهنا فى كتاب الخصائص و على عظم قدرها و شرف جوهرها -روايت- ١-٣١٨ غاية المكلفين هى الثواب أو العقاب فيحتمل أن يكون أراد ذلك و يحتمل أن يكون أراد بالغاية الموت وإنما جعل ذلك أمانا لأن الإنسان كالسائر إلى الموت أو كالسائر إلى الجزاء فهما أمامه أى بين يديه . [صفحة ٣٠٢] ثم قال و إن وراءكم الساعة تحدوكم أى تسوقكم وإنما جعلها وراءنا لأنها إذا وجدت ساقط الناس إلى موقف الجزاء كما يسوق الراعى الإبل فلما كانت سائقة لنا كانت كالشئىء يحفز الإنسان من خلفه و يحركه من ورائه إلى جهة ما بين يديه . و لا يجوز أن يقال إنما سماها وراءنا لأنها تكون بعدموتنا و خروجنا من الدنيا و ذلك أن الثواب و العقاب هذاشأنهما و قد جعلهما أمانا. و أما القطب الراوندى فإنه قال معنى قوله فإن الغاية أمامكم يعنى أن الجنة و النار خلفكم و معنى قوله وراءكم الساعة أى قدامكم . و لقائل أن يقول أما الوراى بمعنى القدام فقد ورد ولكن ماورد أمام بمعنى خلف و لاسمعنا ذلك . و أما قوله تخففوا تلتحقوا فأصله الرجل يسعى و هو غير مثقل بما يحمله يكون أجدر أن يلحق الذين سبقوه و مثله قوله نجا المخفون . و قوله ع فإنما ينتظر بأولكم آخركم يريد إنما ينتظر بعث الذين ماتوا فى أول الدهر مجيء من يخلقون ويموتون فى آخره كأمر يريد إعطاء جنده إذا تكامل عرضهم إنما يعطى الأول منهم إذا انتهى عرض الأخير. و هذا كلام فصيح جدا. و الغور العمق و النطفة ما صفا من الماء و ما أنفع هذا الماء أى ما أرواه للتعطش [صفحة ٣٠٣]

٢٢- و من خطبة له ع

إشارة

أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ذَمَرَ حَزْبَهُ وَ اسْتَجَلَبَ جَلْبَهُ لِيَعُودَ الْجُورُ إِلَى أَوْطَانِهِ وَ يَرْجِعَ الْبَاطِلُ إِلَى نِصَابِهِ وَ اللَّهُ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَرًا وَ لَا جَعَلُوا بَيْنِي وَ بَيْنَهُمْ نَصْفًا وَ إِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا هُمْ تَرَكَوْهُ وَ دَمًا هُمْ سَفَكُوْهُ فَإِنْ كُنْتُ شَرِيكُهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ لَنْصِيْبَهُمْ مِنْهُ وَ إِنْ كَانُوا وُلُوْهُ دُونِي فَمَا التَّبِعِيَّةُ إِلَّمَا عِنْدَهُمْ وَ إِنْ أَعْظَمَ حُجَّتَهُمْ لَعَلَى أَنْفُسِهِمْ يَرْضَعُونَ أُمًّا قَدْ فَطَمَتْ وَ يُحْيُونَ بِدَعِيَّةٍ قَدْ أُمِيَّتْ يَا حَبِيْبَةُ الدَّاعِي مَنْ دَعَا وَ إِلَامَ أُجِيبَ وَ إِنِّي لَرَاضٍ بِحُجَّتِهِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَ عِلْمِهِ فِيهِمْ فَإِنْ أَبَوْا أَعْطَيْتُهُمْ حَدَّ السَّيْفِ وَ كَفَى بِهِ شَافِيًّا مِنَ الْبَاطِلِ وَ نَاصِرًا لِلْحَقِّ وَ مِنَ الْعَجَبِ بَعَثْتُهُمْ إِلَى أَنْ أُبْرَزَ لِلطَّعَانِ وَ أَنْ أَصْبِرَ لِلْجِلَادِ هَبَلْتُهُمْ الْهَبُولُ لَقَدْ كُنْتُ وَ مَا أُهْدَدُ بِالْحَرْبِ وَ لَا أُرْهَبُ بِالضَّرْبِ وَ إِنِّي لَعَلَى يَقِيْنٍ مِّن رَّبِّي وَ غَيْرِ شُبُهَةٍ مِّن دِينِي [صفحة ٣٠٤] يروى دمر بالتخفيف و دمر بالتشديد و أصله الحض والحث و التشديد دليل على التكثير. و استجلب جلبه الجلب بفتح اللام ما يجلب كما يقال جمع جمعه و يروى جلبه و جلبه و هما بمعنى و هو السحاب الرقيق الذى لاماء فيه أى جمع قوما كالجهم الذى لانفع فيه و روى ليعود الجور إلى قطابه و القطاب مزاج

الخمير بالماء أى ليعود الجور ممتزجا بالعدل كما كان ويجوز أن يعنى بالقطاب قطاب الجيب و هو مدخل الرأس فيه أى ليعود الجور إلى لباسه وثوبه . و قال الراوندى قطابه أصله و ليس ذلك بمعروف فى اللغه . و روى الباطل بالنصب على أن يكون يرجع متعديا تقول رجعت زيذا إلى كذا والمعنى ويرد الجور الباطل إلى أوطانه . و قال الراوندى يعود أيضا مثل يرجع يكون لازما ومتعديا وأجاز نصب الجور به و هذا غير صحيح لأن عاد لم يأت متعديا وإنما يعدى بالهمزة . والنصف الذى ينصف . و قال الراوندى النصف النصف والمعنى لا يحتمله لأنه لا معنى لقوله و لاجعلوا بينى وبينهم إنصافا بل المعنى لم يجعلوا ذا انصاف بينى وبينهم . يرتضعون أما قد فطمت يقول يطلبون الشىء بعد فواته لأن الأم إذ فطمت ولدها فقد انقضت إرضاعها . و قوله يا خبيبة الداعى ها هنا كالدعاء فى قوله تعالى يا حسرة على العباد و قوله يا حسرتنا على ما فرطنا فيها أى يا خبيبة احضرى فهذا أو انك . - قرآن- ١٠٧١-١٠٩٥-قرآن-١١٠٤-١١٣٧ [صفحہ ٣٠٥] و كلامه فى هذه الخطبة مع أصحاب الجمل والداعى هو أحد الثلاثة الرجلان والمرأة . ثم قال على سبيل الاستصغار لهم والاستحقاق من دعا و إلى ماذا أجيب أى أحقر بقوم دعاهم هذا الداعى وأقبح بالأمر الذى أجابوه إليه فما أفحشه وأرذله . و قال الراوندى يا خبيبة الداعى تقديره يا هؤلاء فحذف المنادى ثم قال خبيبة الداعى أى خاب الداعى خبيبة و هذا ارتكاب ضرورة لاحاجة إليها وإنما يحذف المنادى فى المواضع التى دل الدليل فيها على الحذف كقوله يافانظر أيمن الوادى على إضم . وأيضا فإن المصدر الذى لا عامل فيه غير جائز حذف عامله وتقدير حذفه تقدير ما لا دليل عليه . وهبته أمه بكسر الباء ثكلته . و قوله لقد كنت و ما أهدد بالحرب معناه ما زلت لأهدد بالحرب والواو زائدة و هذه كلمة فصيحة كثيرا ما تستعملها العرب و قد ورد فى القرآن العزيز كان بمعنى ما زال فى قوله وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ونحو ذلك من الآى معنى ذلك لم يزل الله عليما حكيما و الذى تأوله المرتضى رحمه الله تعالى فى تكلمة الغرر والدرر كلام متكلف والوجه الصحيح ما ذكرناه . و هذه الخطبة ليست من خطب صفين كما ذكره الراوندى بل من خطب الجمل و قد ذكر كثيرا منها أبو مخنف رحمه الله تعالى - قرآن- ٢٩٧-٣٢٨ قال حدثنا مسافر بن عفيف بن أبى الأخنس . -روایت- ١-٢ [صفحہ ٣٠٦] قال لما رجعت رسل على ع من عند طلحة والزبير وعائشة يؤذنونه بالحرب قام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ص ثم قال أيها الناس إنى قد راقبت هؤلاء القوم كى يروعوا أو يرجعوا ووبختهم بنكثهم وعرفتهم بغيهم فلم يستحيوا و قد بعثوا إلى أن أبرز للطعان وأصبر للجلاد وإنما تمنى ك نفسك أمانى الباطل وتعدك الغرور ألا هببتهم الهبول لقد كنت و ما أهدد بالحرب و لأرهب بالضرب ولقد أنصف القارة من رامها فليروعوا وليبرقوا فقد رأونى قديما وعرفوا نكايتى فكيف رأونى أنا أبو الحسن الذى فلتت حد المشركين و فرقت جماعتهم وبذلك القلب ألقى عدوى اليوم وإنى لعلى ما وعدنى ربي من النصر والتأييد و على يقين من أمرى و فى غير شبهة من دينى أيها الناس إن الموت لا يفتوته المقيم و لا يعجزه الهارب ليس عن الموت محيد و لا محيص من لم يقتل مات إن أفضل الموت القتل و الذى نفس على بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موة واحدة على الفراش اللهم إن طلحة نكث بيعتى وألب على عثمان حتى قتله ثم عضه به ورماني اللهم فلا تمهله اللهم إن الزبير قطع رحمى ونكث بيعتى وظاهر على عدوى فاكفنيه اليوم بما شئت ثم نزل -روایت- ٨-١٠٤٤ [صفحہ ٣٠٧]

خطبة على بالمدينة فى أول إمارته

واعلم أن كلام أمير المؤمنين ع و كلام أصحابه و عماله فى واقعة الجمل كله يدور على هذه المعانى التى اشتملت عليها ألفاظ هذا الفصل فمن ذلك الخطبة التى رواها أبو الحسن على بن محمد المدائنى عن عبد الله بن جنادة قال قدمت من الحجاز أريد العراق فى أول إمارة على ع فمررت بمكة فاعتمرت ثم قدمت المدينة فدخلت مسجد رسول الله ص إذ نودى الصلاة جامعة

فاجتمع الناس وخرج على ع متقلدا سيفه فشخصت الأبصار نحوه فحمد الله وصلى على رسوله ص ثم قال أما بعد فإنه لما قبض الله نبيه ص قلنا نحن أهله وورثته وعترته وأولياؤه دون الناس لا ينازعنا سلطانه أحد ولا يطمع في حقنا طامع إذ انبرى لنا قومنا فغصبونا سلطان نبينا فصارت الإمرة لغيرنا وصرنا سوقة يطمع فينا الضعيف ويتعزز علينا الدليل فبكت الأعين منا لذلك وخشنت الصدور وجزعت النفوس وإيم الله لو لا مخافة الفرقه بين المسلمين و أن يعود الكفر ويور الدين لكننا على غير ما كنا لهم عليه فولى الأمر ولأهله لم يألو الناس خيرا ثم استخرجتموني أيها الناس من بيتي فبايعتموني على شين منى لأمركم وفراسة تصدقني ما في قلوب كثير منكم وبايعني هذان الرجلان في أول من بايع تعلمون ذلك وقد نكثا وغدرا ونهضا إلى البصرة بعائشة ليفرقا جماعتكم ويلقيا بأسكم بينكم اللهم فخذهما بما عملا أخذة رابية -رواية- ١-٢-رواية- ٩٢-أدومه دارد [صفحة ٣٠٨] و لا تنعش لهما صرعة و لا تقل لهما عشرة و لا تمهلها فوفا فإنهما يطلبان حقا تركاه ودما سفكاه اللهم إني أقتضيك وعدك فإنك قلت وقولك الحق ثم بغي عليه لينصرتة الله اللهم فأنجز لي موعدك و لا تكني إلى نفسي إنك على كل شيء قدير ثم نزل -رواية- از قبل ٢٤١

خطبته

عند مسيره للبصرة وروى الكلبي قال لما أراد على ع المسير إلى البصرة قام فخطب الناس فقال بعد أن حمد الله وصلى على رسوله ص إن الله لما قبض نبيه استأثرت علينا قريش بالأمر ودفعتنا عن حق نحن أحق به من الناس كافة فرأيت أن الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين وسفك دمائهم و الناس حديثو عهد بالإسلام والدين يمشخض مخض الوطب يفسده أدنى وهن ويعكسه أقل خلف فولى الأمر قوم لم يألو في أمرهم اجتهادا ثم انتقلوا إلى دار الجزاء والله ولي تمحيص سيئاتهم والعفو عن هفواتهم فما بال طلحة والزبير وليسا من هذا الأمر بسبيل لم يصبرا على حولا ولا شهرا حتى وثبا ومرقا ونازعاني أمرا لم يجعل الله لهما إليه سبيلا بعد أن بايعا طائعين غير مكرهين يرتضعان أما قد فطمت ويحييان بدعة قد أميتت آدم عثمان زعما والله ما للتبعة إلا عندهم وفيهم وإن أعظم حجتهم لعلى -رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-أدومه دارد [صفحة ٣٠٩] أنفسهم و أناراض بحجة الله عليهم وعمله فيهم فإن فاء و أنابا فحظهما أحرزا و أنفسهما غنما وأعظم بها غنيمه و إن أييا أعطيتهما حد السيف وكفى به ناصرا لحق وشافيا لباطل ثم نزل -رواية- از قبل ١٨١

خطبته بذي قار

وروى أبو مخنف عن زيد بن صوحان قال شهدت عليا ع بذي قار و هو معتم بعمامة سوداء ملتف بساج يخطب فقال في خطبة الحمد لله على كل أمر وحال في الغدو والآصال وأشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا عبده ورسوله ابتعثه رحمة للعباد و حياة للبلاد حين امتلأت الأرض فتنه واضطرب جبلها و عبد الشيطان في أكنافها واشتمل عدو الله إبليس على عقائد أهلها فكان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الذي أطفأ الله به نيرانها وأحمد به شرارها ونزع به أوتادها وأقام به ميلها إمام الهدى و النبي المصطفى ص فلقد صدع بما أمر به وبلغ رسالات ربه فأصلح الله به ذات البين و آمن به السبل وحقن به الدماء وألف به بين ذوى الضغائن الواغرة في الصدور حتى أتاه اليقين ثم قبضه الله إليه حميدا ثم استخلف الناس أبابكر فلم يأل جهده ثم استخلف أبوبكر عمر فلم يأل جهده ثم استخلف الناس عثمان فنال منكم و نلت مني حتى إذا كان من أمره ما كان أتيتموني لتبايعوني

لا حاجة لي في ذلك ودخلت منزلي فاستخر جتموني فقبضت يدي فبسطتموها وتداكتم على حتى ظننت أنكم قاتلي و أن بعضكم قاتل بعض فبايعتموني و أنا غير مسرور بذلك و لاجدل -رواية- ١-٢-رواية- ٤٠-ادامه دارد [صفحه ٣١٠] و قد علم الله سبحانه أني كنت كارها للحكومة بين أمه محمدص و لقد سمعته يقول ما من وال يلي شيئا من أمر أمتي إلا أتى به يوم القيامة مغلوله يدها إلى عنقه على رءوس الخلائق ثم ينشر كتابه فإن كان عادلا- نجا و إن كان جائرا هوى حتى اجتمع على ملؤكم و بايعني طلحة و الزبير و أنا عرف الغدر في أوجهما والنكث في أعينهما ثم استأذناني في العمرة فأعلمتهما أن ليس العمرة يريدان فسارا إلى مكة و استخفا عائشه و خدعاها و شخص معهما أبناء الطلقاء فقدموا البصرة فقتلوا بها المسلمين و فعلوا المنكر و يا عجب! لاستقامتهما لأبي بكر و عمر و بغيهما على و هما يعلمان أني لست دون أحدهما و لو شئت أن أقول لقلت و لقد كان معاوية كتب إليهما من الشام كتابا يخدعهما فيه فكتماه عنى و خرجا يوهمان الطعام أنهما يطلبان بدم عثمان و الله ما أنكرا على منكرا و لاجعلا بيني و بينهم نصفا و إن دم عثمان لمعصوب بهما و مطلوب منهما يا خيبة الداعي إلام دعا و بما ذا أجيب و الله إنهما لعلى ضلالة صماء و جهالة عمياء و إن الشيطان قد ذمر لهما حزبه و استجلب منهما خيله و رجله ليعيد الجور إلى أوطانه و يرد الباطل إلى نصابه ثم رفع يديه فقال اللهم إن طلحة و الزبير قطعاني و ظلماني و ألبا على و نكثا بيعتي فاحلل ما عقدا و انكث ما أبرما و لا تغفر لهما أبدا و أرها المساءة فيما عملا و أملا -رواية- از قبل -١١٧٠ . قال أبو مخنف فقام إليه الأشر فقال الحمد لله الذي من علينا فأفضل و أحسن إلينا فأجمل قد سمعنا كلامك يا أمير المؤمنين و لقد أصبت و ووقت و أنت ابن عم نبينا و صهره و وصيه و أول مصدق به و وصل معه شهدت [صفحه ٣١١] مشاهده كلها فكان لك الفضل فيها على جميع الأمة فمن اتبعك أصاب حظه و استبشر بفلجه و من عصاك و رغب عنك فإلى أمه الهاوية لعمرى يا أمير المؤمنين ما أمر طلحة و الزبير و عائشه علينا بمخيل و لقد دخل الرجلان فيما دخلا- فيه و فارقا على غير حدث أحدثت و لا-جور صنعت فإن زعما أنهما يطلبان بدم عثمان فليقيدا من أنفسهما فإنهما أول من ألب عليه و أغرى الناس بدمه و أشهد الله لئن لم يدخلنا فيما خرجا منه لنلحقنهما بعثمان فإن سيوفنا في عواتقنا و قلوبنا في صدورنا و نحن اليوم كما كنا أمس ثم قعد [صفحه ٣١٢]

٢٣- و من خطبة له ع

إشاره

أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ كَقَطْرِ الْمَطَرِ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قَسِمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ لِأَخِيهِ غَفِيرَةً فِي أَهْلِ أَوْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ فَلَا تَكُونَنَّ لَهُ فِتْنَةً فَإِنَّ الْمَرْءَ الْمُسْلِمَ مَا لَمْ يَغْشَ دَنَاءَةً تَظْهَرُ فَيَخْشَعُ لَهَا إِذَا ذُكِرَتْ وَ يُغْزَى بِهَا لِثَامُ النَّاسِ كَانَ كَالْفَالِجِ الْيَاسِرِ الَّذِي يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزِهِ مِنْ قِدَاحِهِ تَوَجُّبٌ لَهُ الْمَغْنَمُ وَ يُرْفَعُ عَنْهُ بِهَا الْمَغْرَمُ وَ كَذَلِكَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ الْبَرِيُّ مِنَ الْخِيَانَةِ يَنْتَظِرُ مِنَ اللَّهِ إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ إِمْرًا دَاعِيًا اللَّهُ فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ وَ إِمَّا رِزْقَ اللَّهِ فَإِذَا هُوَ ذُو أَهْلِ وَ مَالٍ وَ مَعَهُ دِينُهُ وَ حَسَبُهُ إِنَّ الْمَالَ وَ الْبَنِينَ حَرْتُ الدُّنْيَا وَ الْعَمَلَ الصَّالِحَ حَرْتُ الْآخِرَةِ وَ قَدْ يَجْمَعُهُمَا اللَّهُ تَعَالَى لِأَقْوَامٍ فَاحْذَرُوا مِنَ اللَّهِ مَا حَذَرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ وَ اخْشَوْهُ خَشْيَةً لَيْسَتْ بِتَعْدِيرٍ وَ اعْمَلُوا فِي غَيْرِ رِيَاءٍ وَ لَا سُمْعَةٍ فَإِنَّهُ مَنْ يَعْمَلْ لِغَيْرِ اللَّهِ يَكِلْهُ اللَّهُ إِلَى مَنْ عَمِلَ لَهُ نَسَأَلُ اللَّهَ مَنَازِلَ الشَّهَدَاءِ وَ مُعَايِشَةَ السَّيِّدَاءِ وَ مُرَافَقَةَ الْأَنْبِيَاءِ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَسْتَتَعْنِي الرَّجُلُ وَ إِنْ كَانَ ذَا مَالٍ عَنِ عَشِيرَتِهِ وَ دِفَاعِهِمْ عَنْهُ بِأَيْدِيهِمْ وَ أَلْسِنَتِهِمْ وَ هُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ حَيْطَةً مِنْ وَرَائِهِ وَ أَلْمَهُمْ لِشَعْبِهِ وَ أَعْظَفُهُمْ [صفحه ٣١٣] عَلَيْهِ عِنْدَ نَازِلِهِ إِنْ نَزَلَتْ بِهِ وَ لِسَانُ الصِّدْقِ يَجْعَلُهُ اللَّهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَالِ يُورَثُهُ غَيْرُهُ وَ مِنْهَا أَلَا لَا يَعْدِلُنَّ أَحَدُكُمْ عَنِ الْقَرَابَةِ يَرَى بِهَا الْخَصَاصِيَةَ أَنْ

يَسِيْدَهَا بِالذِّي لَا يَزِيْدُهُ إِنْ أَمْسِكَهْ وَ لَا يَنْقُصُهُ إِنْ أَهْلَكَهْ وَ مَنْ يَقْبِضُ يَدَهُ عَنِ عَشِيْرَتِهِ فَإِنَّمَا تُقْبِضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ وَ تُقْبِضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَيْدٍ كَثِيْرَةٌ وَ مَنْ تَلِنَ حَاشِيَتَيْهِ يَسْتَدِمُ مِنْ قَوْمِهِ الْمَوْدَةَ قَالَ الرُّضَى رَحِمَهُ اللهُ أَقْوَلُ الْغَفِيْرَةَ هَاهُنَا الزِّيَادَةُ وَالْكَثْرَةُ مِنْ قَوْلِهِمْ لِلْجَمْعِ الْكَثِيْرِ الْجَمُّ الْغَفِيْرُ وَالْجَمَاءُ الْغَفِيْرُ وَيُرْوَى عَفْوَةٌ مِنْ أَهْلِ أَوْمَالٍ وَالْعَفْوَةُ الْخِيَارُ مِنَ الشَّيْءِ يُقَالُ أَكَلْتُ عَفْوَةَ الطَّعَامِ أَيْ خِيَارَهُ . وَ مَا أَحْسَنَ الْمَعْنَى الَّذِي أَرَادَهُ عَ بِقَوْلِهِ وَ مَنْ يَقْبِضُ يَدَهُ عَنِ عَشِيْرَتِهِ ... إِلَى تَمَامِ الْكَلَامِ فَإِنَّ الْمَمْسُوكَ خِيْرَهُ عَنِ عَشِيْرَتِهِ إِنَّمَا يَمْسُوكَ نَفْعَ يَدٍ وَاحِدَةٍ فَإِذَا احتَاجَ إِلَى نَصْرَتِهِمْ وَ اضْطُرَّ إِلَى مِرَافِدَتِهِمْ قَعَدُوا عَنِ نَصْرِهِ وَ تَنَاقَلُوا عَنْ صَوْتِهِ فَمَنْعَ تَرَافُدِ الْأَيْدِي الْكَثِيْرَةِ وَ تَنَاهَضَ الْأَقْدَامَ الْجَمَّةَ - رَوَايَتٌ ١- ٤٧٠- [صَفْحَةُ ٣١٤] الْفَالِجُ الظَّافِرُ الْفَائِزُ فَلِجٌ يَفْلُجُ بِالضَّمِّ وَ فِي الْمَثَلِ مِنْ يَأْتِ الْحَكْمَ وَحَدَهُ يَفْلُجُ وَالْيَاسِرُ الَّذِي يَلْعَبُ بِالْقَدَاحِ وَالْيَسْرُ مِثْلُهُ وَالْجَمْعُ أَيْسَارٌ وَ فِي الْكَلَامِ تَقْدِيمٌ وَ تَأْخِيْرٌ تَقْدِيرُهُ كَالْيَاسِرِ الْفَالِجِ أَيْ كَاللَّاعِبِ بِالْقَدَاحِ الْمَحْظُوظِ مِنْهَا وَ هُوَ مِنْ بَابِ تَقْدِيمِ الصِّفَةِ عَلَى الْمَوْصُوفِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَ غَرَابِيْبٌ سُودٌ وَ حَسَنٌ ذَلِكَ هَاهُنَا أَنَّ اللَّفْظَيْنِ صِفَتَانِ وَ إِنْ كَانَتْ إِحْدَاهُمَا مَرْتَبَةً عَلَى الْآخَرَى . وَ قَوْلُهُ لَيْسَتْ بِتَعْدِيْرٍ أَيْ لَيْسَتْ بِذَاتِ تَعْدِيْرٍ أَيْ تَقْصِيْرٍ فَحَذَفَ الْمُضَافُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ النَّارِ أَيْ ذِي النَّارِ . وَ قَوْلُهُ هُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ حِيْطَةً كَبِيْعَةً أَيْ رِعَايَةً وَ كَلَاءَةً وَيُرْوَى حِيْطَةً كَغِيْبِيَّةٍ وَ هِيَ مَصْدَرٌ حَاطٌ أَيْ تَحْنُنًا وَ تَعَطْفًا . وَالْخِصَاصَةُ الْفَقِيْرُ يَقُولُ الْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ يَنْزِلَانِ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ كَقَطْرِ الْمَطَرِ أَيْ مَبْثُوثٌ فِي جَمِيْعِ أَقْطَارِ الْأَرْضِ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قَسَمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ نَقْصَانٍ فِي الْمَالِ وَالْعَمْرُ وَالْجَاهُ وَالْوَلَدُ وَ غَيْرَ ذَلِكَ فَإِذَا رَأَى أَحَدَكُمْ لِأَخِيهِ زِيَادَةً فِي رِزْقٍ أَوْ عَمْرٍ أَوْ وُلْدٍ وَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَكُونَنَّ ذَلِكَ لَهُ فِتْنَةً تَفْضِيْ بِهٖ إِلَى الْحَسَدِ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ الْمُسْلِمَ إِذَا كَانَ غَيْرَ مَوَاقِعَ لِدَنَاءَةٍ وَ قَبِيْحٍ يَسْتَحِيِي مِنْ ذِكْرِهِ بَيْنَ النَّاسِ وَيَخْشَعُ إِذَا قَرَعَ بِهٖ وَيَغْرَى لِثَامِ النَّاسِ بِهْتِكِ سِتْرِهِ بِهٖ كَاللَّاعِبِ بِالْقَدَاحِ الْمَحْظُوظِ مِنْهَا يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ وَ غَلْبَةٍ مِنْ قَدَاحِهِ تَجَلِبُّ لَهُ نَفْعًا وَ تَدْفَعُ عَنْهُ ضَرًّا كَذَلِكَ مِنْ وَصَفْنَا حَالَهُ يَصْبِرُ وَيَنْتَظِرُ إِحْدَى الْحَسَنِيْنَ إِمَّا أَنْ يَدْعُوهُ اللهُ فَيَقْبِضُهُ إِلَيْهِ وَيَسْتَأْثِرُ بِهٖ فَالَّذِي عِنْدَ اللهِ خِيْرٌ لَهُ وَإِمَّا أَنْ يَنْسَأَ فِي أَجَلِهِ فَيَرْزُقُهُ اللهُ أَهْلًا وَمَالًا فَيَصْبِحُ وَ قَدَاجِمَعٌ لَهُ ذَلِكَ مَعَ حَسْبِهِ وَ دِيْنِهِ وَ مَرُوءَتِهِ الْمَحْظُوظَةُ عَلَيْهِ . ثُمَّ قَالَ الْمَالُ وَالْبَنُونَ حَرِثَ الدُّنْيَا وَ هُوَ مِنْ قَوْلِهِ سَبَّحَانَهُ الْمَالُ وَ الْبَنُونَ - قُرْآنٌ ٢٧٢- ٢٨٩- قُرْآنٌ ٤٤٢- ٤٧٤- قُرْآنٌ ١٤٠١- ١٤١٩ الْفَالِجُ الظَّافِرُ الْفَائِزُ فَلِجٌ يَفْلُجُ بِالضَّمِّ وَ فِي الْمَثَلِ مِنْ يَأْتِ الْحَكْمَ وَحَدَهُ يَفْلُجُ وَالْيَاسِرُ الَّذِي يَلْعَبُ بِالْقَدَاحِ وَالْيَسْرُ مِثْلُهُ وَالْجَمْعُ أَيْسَارٌ وَ فِي الْكَلَامِ تَقْدِيمٌ وَ تَأْخِيْرٌ تَقْدِيرُهُ كَالْيَاسِرِ الْفَالِجِ أَيْ كَاللَّاعِبِ بِالْقَدَاحِ الْمَحْظُوظِ مِنْهَا وَ هُوَ مِنْ بَابِ تَقْدِيمِ الصِّفَةِ عَلَى الْمَوْصُوفِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَ غَرَابِيْبٌ سُودٌ وَ حَسَنٌ ذَلِكَ هَاهُنَا أَنَّ اللَّفْظَيْنِ صِفَتَانِ وَ إِنْ كَانَتْ إِحْدَاهُمَا مَرْتَبَةً عَلَى الْآخَرَى . وَ قَوْلُهُ لَيْسَتْ بِتَعْدِيْرٍ أَيْ لَيْسَتْ بِذَاتِ تَعْدِيْرٍ أَيْ تَقْصِيْرٍ فَحَذَفَ الْمُضَافُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ النَّارِ أَيْ ذِي النَّارِ . وَ قَوْلُهُ هُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ حِيْطَةً كَبِيْعَةً أَيْ رِعَايَةً وَ كَلَاءَةً وَيُرْوَى حِيْطَةً كَغِيْبِيَّةٍ وَ هِيَ مَصْدَرٌ حَاطٌ أَيْ تَحْنُنًا وَ تَعَطْفًا . وَالْخِصَاصَةُ الْفَقِيْرُ يَقُولُ الْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ يَنْزِلَانِ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ كَقَطْرِ الْمَطَرِ أَيْ مَبْثُوثٌ فِي جَمِيْعِ أَقْطَارِ الْأَرْضِ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قَسَمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ نَقْصَانٍ فِي الْمَالِ وَالْعَمْرُ وَالْجَاهُ وَالْوَلَدُ وَ غَيْرَ ذَلِكَ فَإِذَا رَأَى أَحَدَكُمْ لِأَخِيهِ زِيَادَةً فِي رِزْقٍ أَوْ عَمْرٍ أَوْ وُلْدٍ وَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَكُونَنَّ ذَلِكَ لَهُ فِتْنَةً تَفْضِيْ بِهٖ إِلَى الْحَسَدِ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ الْمُسْلِمَ إِذَا كَانَ غَيْرَ مَوَاقِعَ لِدَنَاءَةٍ وَ قَبِيْحٍ يَسْتَحِيِي مِنْ ذِكْرِهِ بَيْنَ النَّاسِ وَيَخْشَعُ إِذَا قَرَعَ بِهٖ وَيَغْرَى لِثَامِ النَّاسِ بِهْتِكِ سِتْرِهِ بِهٖ كَاللَّاعِبِ بِالْقَدَاحِ الْمَحْظُوظِ مِنْهَا يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ وَ غَلْبَةٍ مِنْ قَدَاحِهِ تَجَلِبُّ لَهُ نَفْعًا وَ تَدْفَعُ عَنْهُ ضَرًّا كَذَلِكَ مِنْ وَصَفْنَا حَالَهُ يَصْبِرُ وَيَنْتَظِرُ إِحْدَى الْحَسَنِيْنَ إِمَّا أَنْ يَدْعُوهُ اللهُ فَيَقْبِضُهُ إِلَيْهِ وَيَسْتَأْثِرُ بِهٖ فَالَّذِي عِنْدَ اللهِ خِيْرٌ لَهُ وَإِمَّا أَنْ يَنْسَأَ فِي أَجَلِهِ فَيَرْزُقُهُ اللهُ أَهْلًا وَمَالًا فَيَصْبِحُ وَ قَدَاجِمَعٌ لَهُ ذَلِكَ مَعَ حَسْبِهِ وَ دِيْنِهِ وَ مَرُوءَتِهِ الْمَحْظُوظَةُ عَلَيْهِ . ثُمَّ قَالَ الْمَالُ وَالْبَنُونَ حَرِثَ الدُّنْيَا وَ هُوَ مِنْ قَوْلِهِ سَبَّحَانَهُ الْمَالُ وَ الْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرِثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرِثِهِ وَ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرِثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيْبٍ . قَالَ وَ قَدِ اجْمَعُمَا اللهُ لِأَقْوَامٍ فَإِنَّهُ تَعَالَى قَدِ رَزَقَ الرَّجُلَ الصَّالِحَ مَالًا وَ بَنِيْنَ فَتَجْمَعُ لَهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ . ثُمَّ قَالَ فَاحْذَرُوا مِنَ اللهِ مَا حَذَرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ وَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ فَاتَّقُونِ وَ قَالَ فَارْهَبُونِ وَ قَالَ فَلَا تَخْشُوا النَّاسَ وَ

اخشون و غير ذلك من آيات التحذير. ثم قال ولتكن التقوى منكم أقصى نهايات جهدكم لاذات تقصيركم فإن العمل القاصر قاصر الثواب قاصر المنزلة -قرآن- ١-٢٥-قرآن- ٤٥-١٨٤-قرآن- ٣٥٧-٣٦٦-قرآن- ٣٧٤-٣٨٤-قرآن- ٣٩٢-٤٢٣

فصل فى ذم الحاسد والحسد

واعلم أن مصدر هذا الكلام النهى عن الحسد و هو من أقبح الأخلاق المذمومة وروى ابن مسعود عن النبي ص ألا لاتعادوا نعم الله قيل يا رسول الله و من الذى يعادى نعم الله قال الذين يحسدون الناس -رواية- ١-٢-رواية- ٣٣-١٣١ . و كان ابن عمر يقول تعوذوا بالله من قدر وافق إرادة حسود. [صفحہ ٣١٦] قيل لأرسطو ما بال الحسود أشد غما من المكروب قال لأنه يأخذ نصيبه من غموم الدنيا ويضاف إلى ذلك غمه بسرور الناس . و قال رسول الله ص استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فإن كل ذى نعمه محسود -رواية- ١-٢-رواية- ٢٥-٨٥ . و قال منصور الفقيه منافسه الفتى فيما يزول || على نقصان همته دليل ومختار القليل أقل منه || و كل فوائد الدنيا قليل و من الكلام المروى عن أمير المؤمنين ع لله در الحسد ما عدله بدأ بصاحبه فقتله -رواية- ١-٢-رواية- ٤٦-٨٨ و من كلام عثمان بن عفان يكفيك من انتقامك من الحاسد أنه يغتم وقت سرورك . و قال مالک بن دينار شهادة القراء مقبولة فى كل شىء إلا شهادة بعضهم على بعض فإنهم أشد تحاسدا من السوس فى الوبى . و قال أبو تمام و إذا أراد الله نشر فضيلة || طويت أتاح لها لسان حسود لو لا اشتعال النار فيما جاورت || ما كان يعرف طيب عرف العود لو لا محاذرة العواقب لم تزل || للحاسد النعمى على المحسود . و تذكر قوم من ظرفاء البصرة الحسد فقال رجل منهم إن الناس ربما حسدوا على الصلب فأنكروا ذلك ثم جاءهم بعد ذلك بأيام فقال إن الخليفة قد أمر بصلب [صفحہ ٣١٧] الأحنف بن قيس و مالک بن مسمع و حمدان الحجام فقالوا هذا الخبيث يصلب مع هذين الرئيسين فقال أ لم أقل لكم إن الناس يحسدون على الصلب . و روى أنس بن مالك مرفوعا أن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب -رواية- ١-٢-رواية- ٣٠-٧٧ و فى الكتب القديمة يقول الله عز و جل الحاسد عدو نعمتى متسخط لفعلى غيرراض بقسمتى -رواية- ١-٤-رواية- ٢٣-٩١ و قال الأصمعى رأيت أعرابيا قد بلغ مائة وعشرين سنة فقلت له ما أطول عمرك فقال تركت الحسد فبقيت . و قال بعضهم مارأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد. قال الشاعر تراه كأن الله يجدهع أنفه || وأذنيه إن مولاه ثاب إلى وفر . و قال آخر قل للحسود إذا تنفس ضغنه || يا ظالما وكأنه مظلوم . و من كلام الحكماء إياك والحسد فإنه يبين فيك و لا يبين فى المحسود . و من كلامهم من دناءة الحاسد أنه يبدأ بالأقرب فالأقرب . و قيل لبعضهم لزمت البادية و تركت قومك و بلدك قال وهل بقى إلا حاسد نعمة أو شامت بمصيبة. بينا عبد الملك بن صالح يسير مع الرشيد فى موكبه إذ هتف هاتف يا أمير المؤمنين طأطى من إشرافه وقصر من عنانه واشدد من شكاله و كان عبد الملك متهما [صفحہ ٣١٨] عند الرشيد بالطمع فى الخلافة فقال الرشيد ما يقول هذا فقال عبد الملك مقال حاسد و دسيس حاسد يا أمير المؤمنين قال قد صدقت نقص القوم و فضلتمهم و تخلفوا و سبقتهم حتى برز شأوك و قصر عنك غيرك ففى صدورهم جمرات التخلف و حزازات التبلد قال عبد الملك فأضرمها يا أمير المؤمنين عليهم بالمزيد. و قال شاعر ياطالب العيش فى أمن و فى دعة || محضا بلا كدر صفوا بلا رتق خلص فؤادك من غل و من حسد || فالغل فى القلب مثل الغل فى العنق . و من كلام عبد الله بن المعتز إذا زال المحسود عليه علمت أن الحاسد كان يحسد على غير شىء . و من كلامه الحاسد مغتاض على من لا ذنب له بخيل بما لا يملكه . و من كلامه لراحة الحاسد و لآحياة لحريص . و من كلامه الميت يقل الحسد له و يكثر الكذب عليه و من كلامه ما ذل قوم حتى ضعفوا و ما ضعفوا حتى تفرقوا و ما تفرقوا حتى اختلفوا و ما اختلفوا حتى تباغضوا و ما تباغضوا حتى تحاسدوا و ما تحاسدوا حتى استأثر بعضهم على بعض . و قال الشاعر إن

يحسدونى فإنى غير لائمهم || قبلى من الناس أهل الفضل قد حسدوا فدام لى ولهم مابى و مابهم || ومات أكثرنا غيظا بما يجد . [صفحة ٣١٩] و من كلامهم ما خلا جسد عن حسد. وحد الحسد هو أن تغتاظ مما رزقه غيرك وتود أنه زال عنه وصار إليك والغبطة ألا تغتاظ ولا تود زواله عنه وإنما تود أن ترزق مثله وليست الغبطة بمذمومة. وقال الشاعر حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه || فالكل أعداء له وخصوم كضرائر الحسناء قلن لوجهها || حسدا وبغيا إنه لدميم

فصل فى مدح الصبر وانتظار الفرج

واعلم أنه ع بعد أن نهى عن الحسد أمر بالصبر وانتظار الفرج من الله إما بموت مريح أو بظفر بالمطلوب . والصبر من المقامات الشريفة وقد وردت فيه آثار كثيرة روى عبد الله بن مسعود عن النبي ص أن الصبر نصف الإيمان واليقين الإيمان كله -رواية- ١-٢-رواية- ٤٠-٨٧ وقالت عائشة لو كان الصبر رجلا لكان كريما. وقال على ع الصبر إما صبر على المصيبة أو على الطاعة أو عن المعصية وهذا القسم الثالث أعلى درجة من القسمين الأولين -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-١٢٤ و عنه ع الحياء زينته والتقوى كرم وخير المراكب مركب الصبر -رواية- ١-٢-رواية- ١٣-٦٥ و عنه ع القناعة سيف لا ينبو والصبر مطية لا تكبو وأفضل العدة الصبر على الشدة -رواية- ١-٢-رواية- ١٣-٨١ قال الحسن ع جربنا وجرب المجربون فلم نر شيئا أنفع وجدانا ولا أضر فقदानا من الصبر تداوى به الأمور ولا يداوى هو بغيره -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-١٢٧ . [صفحة ٣٢٠] وقال سعيد بن حميد الكاتب لاتعتبن على النوائب || فالدهر يرغم كل عاتب واصبر على حدثانه || إن الأمور لها عواقب كم نعمه مطوية || لك بين أثناء النوائب ومسرة قد أقبلت || من حيث تنتظر المصائب . و من كلامهم الصبر مر لا يتجرعه إلا حر. قال أعرابي كن حلو الصبر عند مرارة النازلة. وقال كسرى ليزرجمه ماعلامه الظفر بالأمور المطلوبة المستصعبة قال ملازمة الطلب والمحافظة على الصبر وكتمان السر. وقال الأحنف بن قيس لست حليما إنما أنا صبور فأفادنى الصبر صفتى بالحلم . وسئل على ع أى شىء أقرب إلى الكفر قال ذو فاقة لا صبر له -رواية- ١-٦١ و من كلامه ع الصبر يناضل الحدثان والجزع من أعوان الزمان -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-٦٦ وقال أعشى همدان إن نلت لم أفرح بشىء نلته || وإذ أسبقت به فلا أتلهف ومتى تصبك من الحوادث نكبة || فاصبر فكل غيابة تتكشف . والأمر يذكر بالأمر وهذا البيت هو الذى قاله له الحجاج يوم قتله ذكر ذلك أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنبارى فى الأمالى قال لما أتى الحجاج بأعشى همدان أسيرا وقد كان خرج مع ابن الأشعث قال له يا ابن اللخناء أنت القائل لعدو الرحمن يعنى عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث . [صفحة ٣٢١] يا ابن الأشج قريع كنده || لأبألى فيك عتبا أنت الرئيس ابن الرئيس || وأنت أعلى الناس كعبا نبث حجاج بن يوسف || خر من زلق فتبا فانهض هديت لعله || يجلو بك الرحمن كريا وابعث عطية فى الحروب || يكبهن عليه كبا . ثم قال عبدالرحمن خر من زلق فتب وخسر وانكب و مالقى ما أحب ورفع بهاصوته واهتر منكباه ودر ودجاه واحمرت عيناه ولم يبق فى المجلس إلا من هابه فقال أيها الأمير و أنا القائل أبى الله إلا أن يتم نوره || ويطفى نار الكافرين فتحمدا وينزل ذلا بالعراق وأهله || كما تنقضوا العهد الوثيق المؤكدا و مالبت الحجاج أن سل سيفه || علينا فولى جمعنا وتبدا . فالتفت الحجاج إلى من حضر فقال ماتقولون قالوا لقد أحسن أيها الأمير ومحا بآخر قوله أوله فليسعه حلمك فقال لاها الله إنه لم يرد ماظنتم وإنما أراد تحريض أصحابه ثم قال له ويلك ألسنت القائل إن نلت لم أفرح بشىء نلته || وإذ أسبقت به فلا أتلهف ومتى تصبك من الحوادث نكبة || فاصبر فكل غيابة تتكشف . أما و الله لتظلمن عليك غيابة لا تنكشف أبدا ألسنت القائل فى عبدالرحمن و إذ أسألت المجد أين محله || فالمجد بين محمد وسعيد [صفحة ٣٢٢] بين الأشج و بين قيس نازل || بخ بخ لوالده وللمولود . و الله لا يبخبخ بعدها أبدا يا حرسى اضرب عنقه . ومما جاء فى الصبر قيل

للأحنف إنك شيخ ضعيف و إن الصيام يهدك فقال إنى أعده لشر يوم طويل و إن الصبر على طاعة الله أهون من الصبر على عذاب الله . و من كلامه من لم يصبر على كلمته سمع كلمات رب غيظ قد تجرعه مخافة ما هو أشد منه . يونس بن عبيد لو أمرنا بالجزع لصبرنا . ابن السماك المصيبة واحدة فإن جزع صاحبها منها صارت اثنتين يعنى فقد المصاب و فقد الثواب . الحارث بن أسد المحاسبى لكل شىء جوهر و جوهر الإنسان العقل و جوهر العقل الصبر . جابر بن عبد الله سئل رسول الله ص عن الإيمان فقال الصبر و السماحة -رواية- ١-٢-رواية- ٢١-٧٣ . و قال العتابى اصبر إذا بدت لك نائبة || ما عال منقطع إلى الصبر الصبر أولى ما اعتصمت به || و لنعم حشو جوانح الصدر و من كلام على ع الصبر مفتاح الظر و التوكل على الله رسول الفرج -رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-٧٣ و من كلامه ع انتظار الفرج بالصبر عبادة -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-٤٥ . أكرم بن صيفى الصبر على جرع الحمام أعذب من جنا الندم . [صفحہ ٣٢٣] و من كلام بعض الزهاد و اصبر على عمل لا غناء بك عن ثوابه و اصبر عن عمل لا يصبر على عقابك به . و كتب ابن العميد أقرأ فى الصبر سورا و لا أقرأ فى الجزع آية و أحفظ فى التماسك و التجلد قصائد و لا أحفظ فى التهافت قافية . و قال الشاعر و يوم كيوم البعث ما فيه حاكم || و لا عاصم إلا قنا و دروع حبست به نفسى على موقف الردى || حفاظا و أطراف الرماح شروع و ما يستوى عند الملمات إن عرت || صبور على مكروها و جزوع . أبوحية النميرى إنى رأيت و فى الأيام تجربة || للصبر عاقبة محمودة الأثر و قل من جد فى أمر يحاوله || و استصحب الصبر إلا فاز بالظر . و وصف الحسن البصرى عليا ع فقال كان لا يجهل و إن جهل عليه حلم و لا يظلم و إن ظلم غفر و لا يبخل و إن بخل الدنيا عليه صبر . عبدالعزيز بن زرارة الكلابى قد عشت فى الدهر أطوارا على طرق || شتى فقاسيت منه الحلو و البشعا كلا بلوت فلا النعماء تبطنى || و لا تخشعت من لأوائها جزعا لا يملأ الأمر صدرى قبل موقعه || و لا يضيق به صدرى إذا وقعا . و من كلام بعضهم من تبصر تصبر الصبر يفسح الفرج و يفتح المرتج المحنة إذا تقيت بالرضا و الصبر كانت نعمة دائمة و النعمة إذا دخلت من الشكر كانت محنة لازمة . [صفحہ ٣٢٤] قيل لأبى مسلم صاحب الدولة بم أصبت ما أصبت قال ارتديت بالصبر و اتزرت بالكتمان و حالفت الحزم و خالفت الهوى و لم أجعل العدو صديقا و لا الصديق عدوا . منصور النميرى فى الرشيد و ليس لأعباء الأمور إذا عرت || بمكترث لكن لهن صبور يرى ساكن الأطراف باسط وجهه || يريك الهوينى و الأمور تطير من كلام أمير المؤمنين ع أو صيكم بخمس لو ضربتم إليهن آباط الإبل كانت لذلك أهلا لا يرجون أحدكم إلا ربه و لا يخافن إلا ذنبه و لا يستحين إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لأعلم و لا يستحيى إذا جهل أمرا أن يتعلمه و عليكم بالصبر فإن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد فكما لا خير فى جسد لا رأس له لا خير فى إيمان لا صبر معه -رواية- ١-٢-رواية- ٣٠-٣٣٥ و عنه ع لا يعدم الصبور الظفر و إن طال به الزمان -رواية- ١-٢-رواية- ١٣-٥٦ . نهشل بن حرى و يوم كأن المصطلين بحرة || و إن لم يكن جمرا قيام على جمر صبرنا له حتى تجلى و إنما || تفرج أيام الكريهة بالصبر على ع اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر و حسن اليقين -رواية- ١-٢-رواية- ١١-٦٦ و عنه ع و إن كنت جازعا على ما تفلت من يديك فاجزع على كل ما لم يصل إليك -رواية- ١-٢-رواية- ١٣-٨٥ و فى كتابه ع الذى كتبه إلى عقيل أخيه و لا تحسبن ابن أمك و لو أسلمه الناس متضرعا متخشعا و لامقرا للضيم و اهنا و لاسلس الزمام للقائد و لا لوطىء الظهر للراكب ولكنه كما قال أخو بنى سليم -رواية- ١-٢-رواية- ٤٥-٤٥-ادامه دارد [صفحہ ٣٢٥] فإن تسألينى كيف أنت فإننى || صبور على ريب الزمان صليب يعز على أن ترى بى كآبه || فيشمت عاد أو يساء حبيب -رواية- از قبل ١-٢-رواية- ٢-ادامه دارد

-روایت- از قبل- ۱- روایت- ۲- ادامه دارد واعلم أنه ع بعد أن أمرنا بالصبر نهى عن الرياء فى العمل والرياء فى العمل منهى عنه بل العمل ذو الرياء ليس بعمل على الحقيقة لأنه لم يقصد به وجه الله تعالى وأصحابنا المتكلمون يقولون ينبغي أن يعمل المكلف الواجب لأنه واجب ويجتنب القبيح لأنه قبيح ولا يفعل الطاعة ويترك المعصية رغبة فى الثواب وخوفا من العقاب فإن ذلك يخرج عمله من أن يكون طريقا إلى الثواب وشبهوه بالاعتذار فى الشيء فإن من يعتذر إليك من ذنب خوفا أن تعاقبه على ذلك الذنب لاندماء على القبيح الذى سبق منه لا- يكون عذره مقبولا- ولا ذنبه عندك مغفورا و هذا مقام جليل لا يصل إليه إلا الأفراد من أئمة الأئمة . وقد جاء فى الآثار من النهى عن الرياء والسمعة كثير -روایت- از قبل- ۱- روایت- ۲- ادامه دارد روى عن النبى ص أنه قال يؤتى فى يوم القيامة بالرجل قد عمل أعمال الخير كالجبال أو قال كجبال تهامة و له خطيئة واحدة فيقال إنما عملتها ليقال عنك فقد قيل وذاك ثوابك و هذه خطيئتك أدخلوه بها إلى جهنم -روایت- از قبل- ۲۱۶ و قال ع ليست الصلاة قيامك وعودك إنما الصلاة إخلاصك و أن تريد بها الله وحده -روایت- ۱- ۲- روایت- ۱۳- ۸۶ و قال حبيب الفارسي لو أن الله تعالى أقامنى يوم القيامة و قال هل تعد سجدة سجدت ليس للشيطان فيها نصيب لم أقدر على ذلك . [صفحه ۳۲۶] توصل عبد الله بن الزبير إلى امرأة عبد الله بن عمر وهى أخت المختار بن أبى عبيد الثقفى فى أن تكلم بعلمها عبد الله بن عمر أن يبأيعه فكلّمته فى ذلك و ذكرت صلاته وقيامه وصيامه فقال لها أ ما رأيت البغلات الشهب التى كنا نراها تحت معاوية بالحجر إذا قدم مكة قالت بلى قال فأياها يطلب ابن الزبير بصومه و صلاته . و فى الخبر المرفوع أن أخوف ما أخاف على أمتى الرياء فى العمل ألا و إن الرياء فى العمل هو الشرك الخفى -روایت- ۱- ۲- روایت- ۲۳- ۱۱۰ صلى وصام لأمر كان يطلبه || حتى حواه فلاصلى و لا صاما

فصل فى الاعتقاد بالعشيرة والتكثير بالقبيلة

ثم إنه ع بعد نهيه عن الرياء وطلب السمعة أمر بالاعتقاد بالعشيرة والتكثير بالقبيلة فإن الإنسان لا يستغنى عنهم و إن كان ذا مال و قد قالت الشعراء فى هذا المعنى كثيرا فمن ذلك قول بعض شعراء الحماسة إذا المرء لم يغضب له حين يغضب || فوارس إن قيل اركبوا الموت يركبوا و لم يحبه بالنصر قوم أعزّه || مقاحيم فى الأمر الذى يتهيب تهضمه أدنى العداة فلم يزل || و إن كان عضوا بالظلامه يضرب فأخ لحال السلم من شئت واعلمن || بأن سوى مولاك فى الحرب أجنب ومولاك مولاك الذى إن دعوته || أجابك طوعا والدماء تصيب فلا تخذل المولى و إن كان ظالما || فإن به تتأى الأمور وترأب . [صفحه ۳۲۷] و من شعر الحماسة أيضا أفيقوا بنى حزن وأهواؤنا معا || وأرحامنا موصوله لم تقضب لعمرى لرهط المرء خير بقيه || عليه و إن عالوا به كل مركب إذا كنت فى قوم وأمك منهم || لتعزى إليهم فى خبيث وطيب و إن حدثتكم النفس أنك قادر || على ما حوت أيدي الرجال فكذب . و من شعر الحماسة أيضا لعمرى ما أنصفتنى حين سمتنى || هواك مع المولى و أن لاهوى ليا إذا ظلم المولى فزعت لظلمه || فحرق أحشائى وهرت كاللآيا . و من شعر الحماسة أيضا و ما كنت أبغى العم يمشى على شفا || و إن بلغتنى من أذاه الجنادع ولكن أواسيه وأنسى ذنوبه || لترجعه يوما إلى الرواجع وحسبك من ذل وسوء صنيعة || مناواة ذى القربى و أن قيل قاطع . و من شعر الحماسة أيضا ألا هل أتى الأنصار أن ابن بحدل || حميدا شفى كلبا فقرت عيونها فإنا و كلبا كاليدى متى تقع || شمالك فى الهيجا تعنها يمينها . [صفحه ۳۲۸] و من شعر الحماسة أيضا أخوك أخوك من ينأى وتدنو || مودته و إن دعى استجابا إذا حاربت حارب من تعادى || وزاد غناؤه منك اقترابا يواسى فى كرهته ويدنو || إذا ماضل

الحدثان نابا

ثم إنه ع ذكر أن لسان الصدق يجعله الله للمرء فى الناس خيرا له من المال يورثه غيره ولسان الصدق هو أن يذكر الإنسان بالخير ويشنى عليه به قال سبحانه وَ اجْعَلْ لى لِسَانَ صِدْقٍ فى الآخِرِينَ. و قدورد فى هذا المعنى من النثر والنظم الكثير الواسع فمن ذلك قول عمر لابنه هرم ما ألقى أبوك زهيرا قالت أعطاه مالا يفنى وثيابا تبلى قال لكن ما أعطاكم زهير لا يبلىه الدهر ولا يفنيه الزمان . و من شعر الحماسة أيضا قرآن-١٦١-٢٠٠ إذا أنت أعطيت الغنى ثم لم تجد || بفضل الغنى ألفت ما لك حامد وقل غناء عنك مال جمعته || إذا كان ميراثا وواراك لاحد . و قال يزيد بن المهلب المال والحياة أحب شىء إلى الإنسان والثناء الحسن أحب إلى منهما ولو أنى أعطيت ما لم يعطه أحد لأحبت أن يكون لى أذن أسمع بها ما يقال فى غدا و قدمت كريما. وحكى أبو عثمان الجاحظ عن ابراهيم السندى قال قلت فى أيام ولايتى الكوفة [صفحه ٣٢٩] لرجل من وجوهها كان لا يجف لبداه ولا يستريح قلمه ولا تسكن حركته فى طلب حوائج الناس وإدخال السرور على قلوبهم والرفق على ضعفائهم و كان عفيف الطعمة خبرنى عما هون عليك النصب وقواك على التعب فقال قد والله سمعت غناء الأطيوار بالأسحار على أغصان الأشجار وسمعت خفق الأوتار وتجاوب العود والمزمار فما طربت من صوت قط طربى من ثناء حسن على رجل محسن فقلت لله أبوك فلقد ملئت كرما. و قال حاتم أموى إن يصبح صدأى بقفرة || من الأرض لأماء لى ولاخمر ترى أن ما أنفقت لم يك ضررى || و أن يلى مما بخلت به صفر أموى ما يغنى الثراء عن الفتى || إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر . بعض المحدثين من اشترى بماله || حسن الثناء غبنا أفقره سماحه || و ذلك الفقر الغنى . و من أمثال الفرس كل ما يؤكل ينتن و كل ما يوهب يأرج . و قال أبو الطيب ذكر الفتى عمره الثانى وحاجته || ما قاته وفضول العيش أشغال

ثم إنه ع بعد أن قرظ الثناء والذكر الجميل وفضله على المال أمر بمواساة [صفحه ٣٣٠] الأهل وصلة الرحم و إن قل ما يواسى به فقال ألا لا يعدلن أحدكم عن القرابة إلى آخر الفصل و قد قال الناس فى هذا المعنى فأكثرنا فمن ذلك قول زهير و من يك ذا فضل فيبخل بفضله || على قومه يستغن عنه ويذمم . و قال عثمان إن عمر كان يمنع أقرباءه ابتغاء وجه الله و أنا أعطيتهم ابتغاء وجه الله ولن تروا مثل عمر . أبو هريرة مرفوعا الرحم مشتقة من الرحمن والرحمن اسم من أسماء الله العظمى قال الله لها من وصلك وصلته و من قطعك قطعته -رواية-١-٢-رواية-١٩-١٢٧ و فى الحديث المشهور صلة الرحم تزيد فى العمر -رواية-١-٤-رواية-٢٤-٤٩ . و قال طرفه يهجو إنسانا بأنه يصل الأبعد ويقطع الأقارب و أنت على الأدنى شمال عرىة || شامية تزوى الوجوه ليل و أنت على الأقصى صبا غير قره || تذاب منها مزرع ومسيل . و من شعر الحماسة لهم جل مالى إن تابع لى غنى || و إن قل مالى لا أكلفهم رفا و لأحمل الحقد القديم عليهم || و ليس رئيس القوم من يحمل الحقد [صفحه ٣٣١]

وَ لَعَمْرى مِا عَلىّ مِنْ قِتَالٍ مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ وَ خَابَطَ الْغَىّ مِنْ إِدْهَانٍ وَ لَأِ إِيْهَانٍ فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَ فَرُّوا إِلَى اللَّهِ مِنَ اللَّهِ وَ امْضُوا

فِي الْإِدْيِ نَهَجَهُ لَكُمْ وَقَوْمُوا بِمَا عَصَيْتُمْ بِكُمْ فَعَلِيَّ ضَامِنٌ لِفَلَجِكُمْ آجِلًا إِنْ لَمْ تُمْنَحُوهُ عَاجِلًا الْإِدْهَانَ الْمَصَانِعَةَ وَالْمَنَاقِفَةَ قَالَ سَبْحَانَهُ وَدَوَّا لَوْ تَدَهَّنُ فَيْدُهُنَّ. وَالْإِيهَانَ مَصْدَرٌ أَوْهَنْتَهُ أَيْ أَوْعَفْتَهُ وَيَجُوزُ وَهَنْتَهُ بِحَذْفِ الْهَمْزَةِ وَنَهَجَهُ أَوْضَحَهُ وَجَعَلَهُ نَهَجًا أَيْ طَرِيقًا بَيْنًا وَعَصَبَهُ بِكُمْ نَاطَهُ بِكُمْ وَجَعَلَهُ كَالْعَصَابَةِ الَّتِي تَشُدُّ بِهَا الرَّأْسَ وَالْفَلَجَ الْفَوْزَ وَالظَّفْرَ. وَقَوْلُهُ وَخَابَطَ الْغَى كَأَنَّهُ جَعَلَهُ وَالْغَى مُتَخَابِطِينَ يَخْبِطُ أَحَدُهُمَا فِي الْآخَرِ وَذَلِكَ أَشَدُّ مَبَالِغَةً مِنْ أَنْ تَقُولَ خَبِطَ فِي الْغَى لِأَنَّ مَنْ يَخْبِطُ وَيَخْبِطُهُ غَيْرُهُ يَكُونُ أَشَدُّ اضْطِرَابًا مِمَّنْ يَخْبِطُ وَلَا يَخْبِطُهُ غَيْرُهُ وَقَوْلُهُ وَفَرُوا إِلَى اللَّهِ مِنْ اللَّهِ أَيْ أَهْرَبُوا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ مِنْ عَذَابِهِ وَقَدْ نَظَرَ الْفَرَزْدَقُ إِلَى هَذَا فَقَالَ -قُرْآن- ٧٠-٤٠- إِلَيْكَ فَرَرْتُ مِنْكَ وَمَنْ زِيَادُ || وَلَمْ أَحْسَبْ دَمِي لَكُمْ حَلَالًا [صَفْحَهُ ٣٣٢]

٢٥- وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَ وَ قَدْ تَوَاتَرَتْ عَلَيْهِ الْأَخْبَارُ بِاسْتِيْلَاءِ أَصْحَابِ مَعَاوِيَةَ عَلَى الْبِلَادِ

إِشَارَةٌ

وَقَدِمَ عَلَيْهِ عَامِلَاهُ عَلَى الْيَمَنِ وَهُمَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَسَعِيدُ بْنُ نَمْرَانَ لِمَا غَلَبَ عَلَيْهِمَا بَسْرُ بْنُ أَرْطَاةَ فَقَامَ عَلَى الْمَنْبَرِ ضَجْرًا بِتَثَاوُلِ أَصْحَابِهِ عَنِ الْجِهَادِ وَمُخَالَفَتِهِمْ لَهُ فِي الرَّأْيِ فَقَالَ مَا هِيَ إِلَّا الْكُوفَةُ أَقْبَضُهَا وَأَبْسُطُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا أَنْتَ تَهَبُّ أَعَاصِيرُكَ فَتَبَجَّحَكَ اللَّهُ وَتَمَثَّلَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ لَعَمْرُ أَبِيكَ الْخَيْرُ يَا عَمْرُو إِنِّي || عَلَى وَضْرٍ مِنْ ذَا الْإِنَاءِ قَلِيلٍ ثُمَّ قَالَ عَ أَنْبِثْتُ بَسْرًا قَدْ اطَّلَعَ الْيَمَنَ وَإِنِّي وَاللَّهِ لَمَأْظُنُّ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ سَيَدَاؤُنَ مِنْكُمْ بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَتَفَرُّقِكُمْ عَنِ حَقِّكُمْ وَبِمَعْصِيَتِكُمْ إِمَامَكُمْ فِي الْحَقِّ وَطَاعَتِهِمْ إِمَامَهُمْ فِي الْبَاطِلِ وَبِأَدَائِهِمْ الْأَمَانَةَ إِلَى صَاحِبِهِمْ وَخِيَانَتِكُمْ وَبِصَلَاحِهِمْ فِي بِلَادِهِمْ وَفَسَادِكُمْ فَلَوْ ائْتَمَنْتُمْ أَحَدَكُمْ عَلَى قَعْبٍ لَخَسَيْتُمْ أَنْ يَذْهَبَ بِعِلَاقَتِهِ اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ مَلَلْتُكُمْ وَمَلَوْنِي وَسَيِّئْتُكُمْ وَسَمِّوْنِي فَأَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ [صَفْحَهُ ٣٣٣] وَ أَبْدَلَهُمْ بِي شَرًّا مِنِّْي اللَّهُمَّ مِثْ قُلُوبُهُمْ كَمَا يُمَاطُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ أَمَا وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ لِي بِكُمْ أَلْفَ فَارِسٍ مِنْ بَنِي فِرَاسٍ بِنِ غَنَمٍ هُنَالِكَ لَوْ دَعَوْتُ أَتَاكَ مِنْهُمْ || فَوَارِسُ مِثْلُ أَرْمِيَةِ الْحَمِيمِ ثُمَّ نَزَلَ عَ مِنَ الْمَبْتَرِ قَالَ الرُّضَى رَحِمَهُ اللَّهُ أَقُولُ الْأَرْمِيَةَ جَمَعَ رَمَى وَ هُوَ السَّحَابُ وَالْحَمِيمُ هَاهُنَا وَقْتُ الصَّيْفِ وَإِنَّمَا خَصَّ الشَّاعِرُ سَحَابَ الصَّيْفِ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُ أَشَدُّ جَفُولًا وَأَسْرَعُ خَفُوقًا لِأَنَّهُ لَأَمَاءٌ فِيهِ وَإِنَّمَا يَكُونُ السَّحَابُ ثَقِيلَ السَّيْرِ لِامْتِلَانِهِ بِالْمَاءِ وَذَلِكَ لَا يَكُونُ فِي الْأَكْثَرِ إِلَّا زَمَانَ الشِّتَاءِ وَإِنَّمَا أَرَادَ الشَّاعِرُ وَصْفَهُمْ بِالسَّرْعَةِ إِذَا دَعُوا وَالْإِغَاثَةَ إِذَا اسْتَعْيَنُوا وَالذِّكْرَ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ -رَوَايَتُ- ١-٣٤٧ هُنَالِكَ لَوَدَعَوْتُ أَتَاكَ مِنْهُمْ تَوَاتَرَاتٍ عَلَيْهِ الْأَخْبَارُ مِثْلَ تَرَادَفَتْ وَتَوَاصَلَتْ النَّاسُ مِنْ يَطْعَنُ فِي هَذَا وَيَقُولُ التَّوَاتُرُ لَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ فِتْرَاتٍ بَيْنَ أَوْقَاتِ الْإِتْيَانِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ سَبْحَانَهُ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا لَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُمْ مُتَرَادِفُونَ بَلْ بَيْنَ كُلِّ نَبِيٍّ فِتْرَةٌ قَالُوا وَأَصْلُ تَتْرَى مِنَ الْوَاوِ وَاسْتِثْقَاقُهَا مِنَ الْوَتْرِ وَهُوَ الْفَرْدُ وَعَدُوا هَذَا الْمَوْضِعَ مِمَّا تَغْلَطُ فِيهِ الْخَاصَّةُ. -قُرْآن- ١٧٣-١٤٦ [صَفْحَهُ ٣٣٤]

نَسَبُ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ وَذِكْرُ بَعْضِ أَخْبَارِهِ

وَمَعَاوِيَةُ هُوَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ صَخْرُ بْنُ حَرْبِ بْنِ أُمِيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيٍّ. وَأُمُّهُ هِنْدُ بِنْتُ عَتَبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيٍّ وَهِيَ أُمُّ أُخِيهِ عَتَبَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ فَأَمَّا يَزِيدُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ وَعَنْبَسَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ وَحَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ وَعَمْرُو بْنُ أَبِي سَفْيَانَ فَمِنْ أُمَّهَاتِ شَتَّى . وَ أَبُو سَفْيَانَ هُوَ الَّذِي قَادَ قَرِيْشًا فِي حُرُوبِهَا إِلَى النَّبِيِّ صَ وَ هُوَ رُئَيْسُ بَنِي عَبْدِ شَمْسِ بَعْدَ قَتْلِ عَتَبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بَدْرَ ذَاكَ صَاحِبَ الْعَيْرِ وَ هَذَا صَاحِبَ الْفَيْرِ وَبِهِمَا يُضْرَبُ

المثل فيقال للخامل لا فى العير و لا فى النفير. وروى الزبير بن بكار أن عبد الله بن يزيد بن معاوية جاء إلى أخيه خالد بن يزيد فى أيام عبدالملك فقال لقد هممت اليوم ياأخى أن أفتك بالوليد بن عبدالملك قال بئسما هممت به فى ابن أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين فما ذاك قال إن خيلى مرت به فعبث بها وأصغرني فقال خالد أناكفيك فدخل على عبدالملك والوليد عنده فقال يا أمير المؤمنين إن الوليد مرت به خيل ابن عمه عبد الله فعبث بها وأصغره و كان عبدالملك مطرقا فرفع رأسه و قال إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَ جَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَ كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ فقال خالدوَ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا فقال عبدالملك أ فى عبد الله تكلمنى و الله لقد دخل أمس على فما أقام لسانه لحنا قال -قرآن- ٩٨٥-١٠٩١-قرآن- ١١٠٢-١٢١٨ [صفحه ٣٣٥] خالد أفعلى الوليد تعول يا أمير المؤمنين قال عبدالملك إن كان الوليد يلحن فإن أخاه سليمان لا فقال خالد و إن كان عبد الله يلحن فإن أخاه خالد لا فالتفت الوليد إلى خالد و قال له اسكت ويحك فو الله ماتعد فى العير و لا فى النفير فقال اسمع يا أمير المؤمنين ثم التفت إلى الوليد فقال له ويحك فمن صاحب العير والنفير غير جدى أبى سفيان صاحب العير و جدى عتبة صاحب النفير ولكن لو قلت غنيمات وحيالات والطائف ورحم الله عثمان لقلنا صدقت . و هذا من الكلام المستحسن والألفاظ الفصيحة والجوابات المسكتة وإنما كان أبوسفيان صاحب العير لأنه هو الذى قدم بالعير التى رام رسول الله ص وأصحابه أن يعترضوها وكانت قادمة من الشام إلى مكة تحمّل العطر والبر فنذر بهم أبوسفيان فضرب وجوه العير إلى البحر فساحل بها حتى أنقذها منهم وكانت وقعة بدر العظمى لأجلها لأن قريشا أتاهم النذير بحالها وبخروج النبى ص بأصحابه من المدينة فى طلبها لينفروا و كان رئيس الجيش النافر لحمايتها عتبة بن ربيعة بن شمس جد معاوية لأمه . و أما غنيمات وحيالات إلى آخر الكلام فإن رسول الله ص لما طرد الحكم بن أبى العاص إلى الطائف لأموار نقمها عليه أقام بالطائف فى حبله ابتاعها وهى الكرمه و كان يرعى غنيمات اتخذها يشرب من لبنها فلما ولى أبوبكر شفع إليه عثمان فى أن يرده فلم يفعل فلما ولى عمر شفع إليه أيضا فلم يفعل فلما ولى هو الأمر رده والحكم جد عبدالملك فعيرهم خالد بن يزيد به . وبنو أمية صنفان الأعياص والعنابس فالأعياص العاص و أبوالعاص [صفحه ٣٣٦] والعيص و أبوالعيص والعنابس حرب و أبوحرب وسفيان و أبوسفيان فبنو مروان وعثمان من الأعياص ومعاوية وابنة من العنابس ولكل واحد من الصنفين المذكورين وشيعتهم كلام طويل واختلاف شديد فى تفضيل بعضهم على بعض . وكانت هند تذكر فى مكة بفجور وعهر. و قال الزمخشري فى كتاب ربيع الأبرار كان معاوية يعزى إلى أربعة إلى مسافر بن أبى عمرو و إلى عماره بن الوليد بن المغيرة و إلى العباس بن عبدالمطلب و إلى الصباح مغن كان لعماره بن الوليد قال و قد كان أبوسفيان دميما قصيرا و كان الصباح عسيفا لأبى سفيان شابا وسيما فدعته هند إلى نفسها فغشيها. وقالوا إن عتبة بن أبى سفيان من الصباح أيضا وقالوا إنها كرهت أن تدعه فى منزلها فخرجت إلى أجياد فوضعتة هناك و فى هذا المعنى يقول حسان أيام المهاجاء بين المسلمين والمشركين فى حياة رسول الله ص قبل عام الفتح لمن الصبى بجانب البطحا || فى الترب ملقى غيرذى مهد نجلت به بيضاء آنسه || من عبدشمس صلته الخد . والذين نزهوا هنداً عن هذا القذف رويوا غير هذا فروى أبو عبيدة معمر بن المثنى أن هنداً كانت تحت الفاكه بن المغيرة المخزومى و كان له بيت ضيافة يغشاه الناس فيدخلونه من غير إذن فخلا ذلك البيت يوماً فاضطجع فيه الفاكه وهند ثم قام الفاكه وترك هنداً فى البيت لأمر عرض له ثم عاد إلى البيت فإذا رجل قد خرج من البيت فأقبل إلى هند فركلها برجله و قال من الذى كان عندك فقالت لم يكن عندي [صفحه ٣٣٧] أحد وإنما كنت نائمة فقال الحقى بأهلك فقامت من فورها إلى أهلها فتكلم الناس فى ذلك فقال لها عتبة أبوها يابنية إن الناس قد أكثروا فى أمرك فأخبريني بقصتك على الصحة فإن كان لك ذنب دسست إلى الفاكه من يقتله فتنقطع عنك القالة فحلفت أنها لا تعرف لنفسها جرماً وإنه لكاذب عليها فقال عتبة للفاكه إنك قدرميت ابنتى بأمر عظيم فهل لك أن تحاكمنى إلى بعض الكهنة فخرج الفاكه فى جماعة من بنى مخزوم وخرج عتبة فى جماعة من بنى

عبدمناف وأخرج معه هنداً ونسوة معها فلما شارفوا بلاد الكاهن تغيرت حال هند وتنكر أمرها واختطف لونها فرأى ذلك أبوها فقال لها إني أرى مابك وماذاك إلا لمكروه عندك فهلا كان هذا قبل أن يشتهر عند الناس مسيرنا قالت يا أبت إن ألدنى رأيت منى ليس لمكروه عندى ولكنى أعلم أنكم تأتون بشرا يخطئ ويصيب ولا آمن أن يسمنى ميسما يكون على عارا عندنساء مكة قال لها فيانى سأمتحنه قبل المسألة بأمر ثم صفر بفرس له فأدلى ثم أخذ حبة بر فأدخلها فى إحليله وشده بسير وتركه حتى إذا وردوا على الكاهن أكرمهم ونحر لهم فقال عتبه إنا قد جئناك لأمر وقد خبأت لك خبيثاً أختبرك به فانظر ما هو فقال ثمره فى كمره فقال أبين من هذا قال حبة بر فى إحليل مهر قال صدقت انظر الآن فى أمر هؤلاء النسوة فجعل يدنو من واحدة واحدة منهم ويقول انهضى حتى صار إلى هند فضرب على كتفها وقال انهضى غير رقاء ولا زانية ولتلدن ملكا يقال له معاوية فوثب إليها الفاكه فأخذها بيده وقال قومى إلى بيتك فجدبت يدها من يده وقالت إليك عنى فوالله لا كان منك ولا كان إلا من غيرك فتزوجها أبوسفیان بن حرب الرقحاء البغى التى تكتسب بالفجور والرقاحة التجارة. [صفحة ٣٣٨] وولى معاوية اثنتين وأربعين سنة منها اثنتان وعشرون سنة ولى فيها إمارة الشام منذ مات أخوه يزيد بن أبى سفيان بعد خمس سنين من خلافة عمر إلى أن قتل أمير المؤمنين على ع فى سنة أربعين ومنها عشرون سنة خليفه إلى أن مات فى سنة ستين . ومربى إنسان وهو غلام يلعب مع الغلمان فقال إني أظن هذا الغلام سيسود قومه فقالت هند ثكلته إن كان لا يسود إلا قومه . و لم يزل معاوية ذا هممة عالية يطلب معالى الأمور ويرشح نفسه للرئاسة وكان أحد كتاب رسول الله ص واختلف فى كتابته له كيف كانت فالذى عليه المحققون من أهل السيرة أن الوحي كان يكتبه على ع وزيد بن ثابت وزيد بن أرقم وأن حنظلة بن الربيع التيمي ومعاوية بن أبى سفيان كانا يكتبان له إلى الملوك وإلى رؤساء القبائل ويكتبان حوائجه بين يديه ويكتبان ما يجيبى من أموال الصدقات وما يقسم فى أربابها. وكان معاوية على أس الدهر مبغضا لعلى ع شديد الانحراف عنه وكيف لا يبغضه وقد قتل أخاه حنظلة يوم بدر وخاله الوليد بن عتبة وشرك عمه فى جده وهو عتبه أو فى عمه وهوشية على اختلاف الرواية وقتل من بنى عمه عبدشمس نفرا كثيرا من أعيانهم وأماثلهم ثم جاءت الطامة الكبرى واقعه عثمان فنسبها كلها إليه بشبهه إمساكه عنه وانصواء كثير من قتلته إليه ع فتأكدت البغضة وثار الأحقاد وتذكرت تلك التراث الأولى حتى أفضى الأمر إلى ما أفضى إليه . وقد كان معاوية مع عظم قدر على ع فى النفوس واعتراف العرب بشجاعته وأنه البطل الذى لا يقام له يتهدده وعثمان بعدحى بالحرب والمنابذة ويراسله من الشام رسائل خشنة حتى قال له فى وجهه مارواه أبو هلال العسكرى فى كتاب الأوائل قال [صفحة ٣٣٩] قدم معاوية المدينة قدومه أيام عثمان فى أواخر خلافته فجلس عثمان يوما للناس فاعتذر من أمور نقت عليه فقال إن رسول الله ص قبل توبه الكافر وإنى رددت الحكم عمى لأنه تاب فقبلت توبته ولو كان بينه وبين أبى بكر وعمر من الرحم ما بينى وبينه وآويه فأما ما نقتم على أنى أعطيت من مال الله فإن الأمر إلى أحكم فى هذا المال بما أراه صلاحا للأمة وإلا فلما ذا كنت خليفه فقطع عليه الكلام معاوية وقال للمسلمين الحاضرين عنده أيها المهاجرون قد علمتم أنه ليس منكم رجل إلا وقد كان قبل الإسلام مغمورا فى قومه تقطع الأمور من دونه حتى بعث الله رسوله فسبقتم إليه وأبطأ عنه أهل الشرف والرئاسة فسدتم بالسبق لا بغيره حتى إنه ليقال اليوم رهط فلان وآل فلان ولم يكونوا قبل شيئا مذكورا وسيدوم لكم هذا الأمر ما استقمتم فإن تركتم شيخنا هذا يموت على فراشه وإلا أخرج منكم ولا ينفعكم سبقكم وهجرتكم . فقال له على ع ما أنت وهذا يا ابن اللخاء فقال معاوية مهلا يا أبا الحسن عن ذكر أمى فما كانت بأخس نسائك ولقد صافحها رسول الله ص يوم أسلمت ولم يصافح امرأة غيرها أما لوقالها غيرك فنهض على ع ليخرج مغضبا فقال عثمان اجلس فقال له لا اجلس فقال عزمت عليك لتجلسن فأبى وولى فأخذ عثمان طرف رداءه فترك الرداء فى يده وخرج فأتبعه عثمان بصره فقال والله لا اتصل إليك ولا إلى أحد من ولدك . قال أسامة بن زيد كنت حاضرا هذا المجلس فعجبت فى نفسى من تألى عثمان فذكرته لسعد بن أبى وقاص فقال لا تعجب فإنى سمعت رسول

الله ص يقول لاينالها على و لاولده -روايت- ١-٢-روايت- ٢٩-٥٤ . قال أسامه فإني في الغد لفي المسجد و على وطلحة و الزبير وجماعه من المهاجرين جلوس إذ جاء معاوية فتآمروا بينهم ألا يوسعوا له فجاء حتى جلس بين أيديهم [صفحه ٣٤٠] فقال أتدرون لماذا جئت قالوا لا قال إني أقسم بالله إن لم تتركوا شيخكم يموت على فراشه لأعطيكم إلا هذا السيف ثم قام فخرج . فقال على ع لقد كنت أحسب أن عند هذا شيئا فقال له طلحة و أى شىء يكون عنده أعظم مما قال قاتله الله لقد رمى الغرض فأصاب و الله ماسمعت يا أبا الحسن كلمه هي أملاً لصدرك منها . و معاوية مطعون في دينه عند شيوخنا رحمهم الله يرمى بالزندقة و قد ذكرنا في نقض السفينيه على شيخنا أبى عثمان الجاحظ مارواه أصحابنا في كتبهم الكلاميه عنه من الإلحاد و التعرض لرسول الله ص و ماتظاهر به من الجبر و الإرجاء و لو لم يكن شىء من ذلك لكان في محاربه الإمام ما يكفي في فساد حاله لاسيما على قواعد أصحابنا و كونهم بالكبيره الواحده يقطعون على المصير إلى النار و الخلود فيها إن لم تكفرها التوبه

بسر بن أرطاة ونسبه

و أما بسر بن أرطاة فهو بسر بن أرطاة و قيل ابن أبى أرطاة بن عويمر بن عمران بن الحليس بن سيار بن نزار بن معيص بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة . بعثه معاوية إلى اليمن في جيش كثيف و أمره أن يقتل كل من كان في طاعة على ع فقتل خلقا كثيرا و قتل فيمن قتل ابني عبيد الله بن العباس بن عبدالمطلب و كانا غلامين صغيرين فقالت أمهما تريهما يا من أحس بنبي اللذين هما || كالدرتين تشظى عنهما الصدف . في أبيات مشهوره [صفحه ٣٤١]

عبيد الله بن العباس وبعض أخباره

و كان عبيد الله عامل على ع على اليمن و هو عبيد الله بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف بن قصي أمه و أم إخوته عبد الله و قثم و معبد و عبد الرحمن لبابه بنت الحارث بن حزن من بنى عامر بن صعصعه و مات عبيد الله بالمدينه و كان جوادا و أعقب و من أولاده قثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس و لاه أبو جعفر المنصور المدينه و كان جوادا ممدوحا و له يقول ابن المولى أعفيت من كور و من رحله || ياناق إن أدنيتني من قثم في وجهه نور و في باعه || طول و في العرين منه شمم و يقال مارئي قبور إخوة أكثر تباعدا من قبور بنى العباس رحمه الله تعالى قبر عبد الله بالطائف و قبر عبيد الله بالمدينه و قبر قثم بسمرقند و قبر عبد الرحمن بالشام و قبر معبد بإفريقيه . ثم نعود إلى شرح الخطبه الأعاصير جمع إعصار و هي الريح المستديره على نفسها قال الله تعالى فأصابها إعصار فيه نار . و الوضر بقيه الدسم في الإناء و قد اطلع اليمن أى غشيها و غزاها و أغار عليها . و قوله سيدالون منكم أى يغلبونكم و تكون لهم الدوله عليكم و مات زيد الملح في الماء أذابه . و بنو فراس بن غنم بن ثعلبه بن مالك بن كنانة حتى مشهور بالشجاعه منهم -قرآن- ٩٦-١٢٤ [صفحه ٣٤٢] علقمه بن فراس و هو جدل الطعان و منهم ربيعه بن مكدم بن حرثان بن جذيمه بن علقمه بن فراس الشجاع المشهور حامى الضعن حيا و ميتا و لم يحم الحريم و هوميت أحد غيره عرض له فرسان من بنى سليم و معه ظعائن من أهله يحميهم و حده فطاعنهم فرماه نبيشه بن حبيب بسهم أصاب قلبه فنصب رمحه في الأرض و اعتمد عليه و هو ثابت في سرجه لم يزل و لم يمل و أشار إلى الظعائن بالرواح فسرنا حتى بلغن بيوت الحى و بنو سليم قيام إزاءه لا يقدمون عليه و يظنونه حيا حتى قال قائل منهم إني لأراه إلاميتا و لو كان حيا لتحرك إنه و الله لمائل راتب على هيئه واحده لا يرفع يده و لا يحرك رأسه فلم يقدم أحد منهم على الدنو منه حتى رموا فرسه بسهم فشب من تحته فوق و هوميت و فاتهم

الضعائن . و قال الشاعر لا يبعدن ربيعه بن مكدم || وسقى الغواذى قبره بذنوب نفرت قلوصى من حجاره حره || بنيت على طلق اليدى وهوب لا تنفري ياناى منه فإنه || شريب خمر مسعر لحروب لو لا السفار و بعد خرق مهمه || لتركها تجثو على العرقوب نعم الفتى أدى نبيشه بزه || يوم اللقاء نبيشه بن حبيب . و قوله ع ماهى إلا الكوفه أى ماملكتى إلا الكوفه أقبضها وأبسطها أى أتصرف فيها كما يتصرف الإنسان فى ثوبه يقبضه ويبسطه كما يريد . ثم قال على طريق صرف الخطاب فإن لم تكونى إلا أنت خرج من الغيبة إلى خطاب الحاضر كقوله تعالى الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين يقول إن لم يكن لى من الدنيا ملك إلا الملك الكوفه ذات الفتن والآراء المختلفه فأبعدها الله . -قرآن- ٢٣٥-٣٤٣ [صفحه ٣٤٣] وشبه ما كان يحدث من أهلها من الاختلاف والشقاق بالأعاصير لإثارته التراب وإفسادها الأرض ثم ذكر علته إداله أهل الشام من أهل العراق وهى اجتماع كلمتهم وطاعتهم لصاحبهم وأداؤهم الأمانة وإصلاحهم بلادهم

أهل العراق وخطب الحجاج فيهم

وقال أبو عثمان الجاحظ العله فى عصيان أهل العراق على الأمراء وطاعه أهل الشام أن أهل العراق أهل نظر وذوو فطن ثاقبه و مع الفطنه والنظر يكون التنقيب والبحث و مع التنقيب والبحث يكون الطعن والقدح والترجيح بين الرجال والتميز بين الرؤساء وإظهار عيوب الأمراء و أهل الشام ذوو بلاده و تقليد و جمود على رأى واحد لا يرون النظر و لا يسألون عن مغيب الأحوال . و مازال العراق موصوفا أهله بقله الطاعه وبالشقاق على أولى الرئاسة . و من كلام الحجاج يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق و مساوى الأخلاق أما و الله لألحونكم لحو العصا ولأعصبنكم عصب السلم ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل إنى أسمع لكم تكبيرا ليس بالتكبير الذى يراد به الترغيب ولكنه تكبير الترهيب ألا إنها عجاجه تحتها قصف يابنى اللكيعة و عبيد العصا و أبناء الإماء إنما مثلى ومثلكم كما قال ابن براقه و كنت إذ أقوم غزونى غزوتهم || فهل أنا فى ذا يال همدان ظالم [صفحه ٣٤٤] متى تجمع القلب الذكى وصارما || وأنفا حميا تجتنبك المظالم . و الله لا تفرع عصا عصا إلا جعلتها كأمس الذاهب . و كانت هذه الخطبه عقيب سماعه تكبيرا منكرا فى شوارع الكوفه فأشفق من الفتنة . و مما خطب به فى ذم أهل العراق بعد وقعه دير الجماجم . يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق إن الشيطان استبتنكم فخالط اللحم والدم والعصب والمسامع والأطراف والأعضاء والشغاف ثم أفضى إلى الأمخاخ والأصماخ ثم ارتفع فعشش ثم باض ففرخ فحشاكم نفاقا وشقاقا وملاكم غدرا وخلافا اتخذتموه دليلا تتبعونه وقائدا تطيعونه ومؤامرا تستشيرونه فكيف تنفعكم تجربه أو تعظكم واقعه أو يحجزكم إسلام أو يعصمكم ميثاق أستم أصحابى بالأهواز حيث رتم المكر وسعيتم بالغدر و ظننتم أن الله يخذل دينه وخلافته و أنا أرمىكم بطرفى وأنتم تتسللون لو اذا وتنهزمون سراعا ثم يوم الزاويه و ما يوم الزاويه بها كان فشلكم وكسلكم وتخاذلكم وتنازعكم و براهه الله منكم ونكول وليكم عنكم إذ وليتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها النوازع إلى أعطانها لا يسأل المرء عن أخيه و لا يلوى الأب على بنيه لماعضكم السلاح وقصمتكم الرماح ثم يوم دير الجماجم و ما يوم دير الجماجم [صفحه ٣٤٥] بها كانت المعارك والملاحم بضرب يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله . يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق الكفريات بعد الفجرات والغدرات بعد الخترات والنزوة بعد النزوات إن بعثتكم إلى ثغوركم غلتم و ختمتم و إن أمتتم أرجفتم و إن خفتم نافتتم لاتذكرون حسنه و لاتشكرون نعمه . هل استخفكم ناكث أو استغواكم غاو أو استنفزكم عاص أو استنصركم ظالم أو استعضدكم خالغ إلا اتبعتموه وآويتموه ونصرتموه وزكيتموه . يا أهل العراق هل شغب شاغب أو نعب ناعب أو زفر كاذب إلا كنتم أشياعه وأتباعه وحماته وأنصاره . يا أهل العراق ألم تزرركم المواعظ ألم تنبهكم الوقائع ألم تردعكم الحوادث . ثم التفت إلى أهل الشام وهم حول المنبر فقال يا

أهل الشام إنما أنالكم كالظلم الرامح عن فراخه ينفى عنها القدر ويباعد عنها الحجر ويكنها من المطر ويحميها من الضباب ويحرسها من الذئاب . يا أهل الشام أنتم الجنة والرداء وأنتم العدة والحذاء. ثم نزل . [صفحہ ۳۴۶] و من خطبہ له فی هذا المعنی وقد أراد الحج یا أهل الكوفه إني أريد الحج وقد استخلفت عليكم ابني محمدا وأوصيته بخلاف وصية رسول الله ص في الأنصار فإنه أمر أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وإني قد أوصيته ألا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم ألا وإنكم ستقولون بعدى لا-أحسن الله له الصحابة ألا- وإني معجل لكم الجواب لا-أحسن الله لكم الخلافه. و من خطبہ له فی هذا المعنی یا أهل الكوفه إن الفتنة تلحق بالنجوى وتتج بالشكوى وتحصد بالسيف أما والله إن أبغضتموني لاتضروني وإن أحببتموني لاتنفعونى و ما أنا بالمستوحش لعداوتكم ولا المستريح إلى مودتكم زعمتم أنى ساحر وقد قال الله تعالى وَ لَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ وَ قد أفلحت وزعمتم أنى أعلم الاسم الأكبر فلم تقاثلون من يعلم ما لاتعلمون . ثم التفت إلى أهل الشام فقال لأزواجكم أطيب من المسك ولأبناؤكم أنس بالقلب من الولد و ما أنتم إلا- كما قال أخو ذبيان -قرآن- ٦٢٥-٦٤٧ إذا حاولت فى أسد فجورا || فإنى لست منك ولست منى هم درعى التى استلأمت فيها || إلى يوم النصار وهم مجنى . [صفحہ ٣٤٧] ثم قال بل أنتم يا أهل الشام كما قال الله سبحانه وَ لَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَ إِنَّا جُنَدْنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ . وخطب مرة بعدموت أخيه وابنه قال بلغنى أنكم تقولون يموت الحجاج ومات الحجاج فمه و ما كان ماذا والله ما أرجو الخير كله إلا بعد الموت و مارضى الله البقاء إلا لأهون المخلوقين عليه إبليس قال أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ثم قال يا أهل العراق أتيتكم و أنا ذو لمه و أفره أرفل فيها فما زال بى شقاقكم وعصيانكم حتى حص شعرى ثم كشف رأسه و هو أصلع و قال -قرآن- ٥٥-١٧٠ -قرآن- ٣٧٠-٤٣٦ من يك ذا لمه يكشفها || فإننى غير ضايرى زعرى لا-يمنع المرء أن يسود و أن || يضرب بالسيف قلبه الشعر. فأما قوله ع اللهم أبدلنى بهم خيرا منهم وأبدلهم بى شرا منى و لاخير فيهم و لاشر فيه ع فإن أفعل هاهنا بمنزلته فى قوله تعالى أَمْ مَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ و بمنزلته فى قوله قُلْ أَدْرَأَيْكُمْ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ . -قرآن- ١٣٨-٢٠٩ -قرآن- ٢٣٠-٢٦٦ [صفحہ ٣٤٨] ويحتمل أن يكون الذى تمناه ع من إبداله بهم خيرا منهم قوما صالحين ينصرونه و يوفقون لطاعته . ويحتمل أن يريد بذلك ما بعد الموت من مرافقه النبى ص . و قال القطب الراوندى بنو فراس بن غنم هم الروم و ليس بجيد والصحيح ما ذكرناه . والبيت المتمثل به أخيرا لأبى جندب الهذلى وأول الأبيات ألا يأم زنباع أقيمى || صدور العيس نحو بنى تميم . و هذه الخطبة خطب بها أمير المؤمنين ع بعد فراغه من صفين وانقضاء أمر الحكمين والخوارج وهى من أواخر خطبه ع . تم الجزء الأول من شرح نهج البلاغه بحمد الله و منه والحمد لله وحده العزيز وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين

المجلد ٢

الجزء الثانى

تممة الخطب والأوامر

تممة خطبة ٢٥

إشارة

بعث معاوية بسر بن أرطاة إلى الحجاز واليمن

فأما خبر بسر بن أرطاة العامري من بنى عامر بن لؤى بن غالب وبعث معاوية له ليغير على أعمال أمير المؤمنين ع و ما عمله من سفك الدماء وأخذ الأموال فقد ذكر أرباب السير أن الذي هاج معاوية على تسريح بسر بن أرطاة ويقال ابن أبي أرطاة إلى الحجاز واليمن أن قوما بصنعاء كانوا من شيعة عثمان يعظمون قتله لم يكن لهم نظام ولا رأس فبايعوا لعلى ع على ما فى أنفسهم وعامل على ع على صنعاء يومئذ عبيد الله بن عباس وعامله على الجند سعيد بن نمران . فلما اختلف الناس على على ع بالعراق وقتل محمد بن أبى بكر بمصر وكثرت غارات أهل الشام تكلموا ودعوا إلى الطلب بدم عثمان فبلغ ذلك عبيد الله بن عباس فأرسل إلى ناس من وجوههم فقال ما هذا الذى بلغنى عنكم قالوا إنا لم نزل ننكر قتل عثمان ونرى مجاهدة من سعى عليه فحبسهم فكتبوا إلى من بالجند من أصحابهم فثاروا بسعيد بن نمران فأخرجوه من الجند وأظهروا أمرهم وخرج إليهم من كان بصنعاء وانضم إليهم كل من كان على رأيهم ولحق بهم قوم لم يكونوا على رأيهم إرادة أن يمنعوا الصدقة والتقى عبيد الله بن عباس وسعيد بن نمران ومعهما شيعة على ع فقال ابن عباس لابن نمران والله لقد اجتمع هؤلاء وإنهم لنا [صفحة ٤] لمقاربون وإن قاتلناهم لانعلم على من تكون الدائرة فهلم لنكتب إلى أمير المؤمنين ع بخبرهم وقدحهم وبمنزلهم الذى هم به . فكتبنا إلى أمير المؤمنين ع أما بعد فإننا نخبر أمير المؤمنين أن شيعة عثمان وثبوا بنا وأظهروا أن معاوية قدشيد أمره واتسق له أكثر الناس و أناسرنا إليهم بشيعة أمير المؤمنين و من كان على طاعته و أن ذلك أحمشهم وأبهم فعبثوا لنا وتداعوا علينا من كل أوب ونصرهم علينا من لم يكن له رأى فيهم إرادة أن يمنع حق الله المفروض عليه وليس يمنعنا من مناجزتهم إلا انتظار أمر أمير المؤمنين أدام الله عزه وأيده وقضى له بالأقدار الصالحة فى جميع أموره والسلام . فلما وصل كتابهما ساء عليا ع وأغضبه و كتب إليهما من على أمير المؤمنين إلى عبيد الله بن العباس وسعيد بن نمران سلام الله عليكما فإنى أحمد إليكما الله الذى لا إله إلا هو أما بعد فإنه أتانى كتابكما تذكرا فى خروج هذه الخارجة وتعظمان من شأنها صغيرا وتكثران من عددها قليلا وقد علمت أن نخب أفئدتكما وصغر أنفسكما وشتات رأيكما وسوء تدبيركما هو الذى أفسد عليكما من لم يكن عليكما فاسدا وجزأ عليكما من كان عن لقائكما جبانا فإذا قدم رسولى عليكما فامضيا إلى القوم حتى تقرأ عليهم كتابى إليهم وتدعواهم إلى حظهم وتقوى ربهم فإن أجابوا حمدنا الله وقبلناهم وإن حاربوا استعنا بالله عليهم ونابذناهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين -رواية- ١-٢-رواية- ١٤-١٧ قالوا وقال على ع ليزيد بن قيس الأرحبى ألا ترى إلى ماصنع قومك -رواية- ١-٢-رواية- ٨-٨-ادامه دارد [صفحة ٥] فقال إن ظنى يا أمير المؤمنين بقومى لحسن فى طاعتك فإن شئت خرجت إليهم فكفيتهم وإن شئت كتبت إليهم فتتظر ما يجيئونك فكتب على ع إليهم من عبد الله على أمير المؤمنين إلى من شاق وغدر من أهل الجند وصنعاء أما بعد فإنى أحمد الله الذى لا إله إلا هو الذى لا يعقب له حكم ولا ييرد له قضاء ولا ييرد بأسه عن القوم المجرمين وقد بلغنى تجرؤكم وشقاقكم وإعراضكم عن دينكم بعد الطاعة وإعطاء البيعة فسألت أهل الدين الخالص والورع الصادق واللب الراجح عن بدء محرركم و مانويتهم به و ما أحمشكم له فحدثت عن ذلك بما لم أر لكم فى شىء منه عذرا مبينا ولا مقالا جميلا ولا حجة ظاهرة فإذا أتاكم رسولى فتفرقوا وانصرفوا إلى رحالكم أعف عنكم وأصفح عن جاهلكم وأحفظ قاصيكم وأعمل فيكم بحكم الكتاب فإن لم تفعلوا فاستعدوا لقدوم جيش جم الفرسان عظيم الأركان يقصد لمن طغى وعصى فتطحنوا كطحن الرحى فمن أحسن فلنفسه و من أساء فعليها و ما ربك بظلام للعبيد -رواية- از قبل -٨٩٣ . ووجه الكتاب مع رجل من همدان فقدم عليهم بالكتاب

فلم يجيبوه إلى خير فقال لهم إني تركت أمير المؤمنين يريد أن يوجه إليكم يزيد بن قيس الأرحبي في جيش كثيف فلم يمنعه إلا انتظار جوابكم فقالوا نحن سامعون مطيعون إن عزل عنا هذين الرجلين عبىد الله وسعيدا. فرجع الهمداني من عندهم إلى على ع فأخبره خبر القوم. قالوا وكتبت تلك العصابة حين جاءها كتاب على ع إلى معاوية يخبرونه وكتبوا في كتابهم معاوى إلا تسرع السير نحونا || نبايع عليا أوزيد اليمانيا . [صفحہ ۶] فلما قدم كتابهم دعا بسر بن أبي أرطاة و كان قاسى القلب فظا سفاكا للدماء لارأفة عنده و لارحمة فأمره أن يأخذ طريق الحجاز والمدينه ومكة حتى ينتهى إلى اليمن و قال له لا تنزل على بلد أهله على طاعة على إلا بسطت عليهم لسانك حتى يروا أنهم لانجاء لهم وأنك محيط بهم ثم اكفف عنهم وادعهم إلى البيعة لى فمن أبى فاقتله واقتل شيعته على حيث كانوا. وروى ابراهيم بن هلال الثقفى فى كتاب الغارات عن يزيد بن جابر الأزدي قال سمعت عبدالرحمن بن مسعدة الفزارى يحدث فى خلافة عبدالملك قال لمدخلت سنة أربعين تحدث الناس بالشام أن عليا ع يستنفر الناس بالعراق فلا ينفرون معه وتذاكروا أن قد اختلفت أهواؤهم ووقعت الفرقة بينهم قال فقامت فى نفر من أهل الشام إلى الوليد بن عقبه فقلنا له إن الناس لا يشكون فى اختلاف الناس على على ع بالعراق فادخل إلى صاحبك فمره فليسر بنا إليهم قبل أن يجتمعوا بعد تفرقهم أو يصلح لصاحبهم ما قد فسد عليه من أمره فقال بلى لقد قاولته فى ذلك وراجعتة وعاتبته حتى لقد برم بى واستثقل طلعتى وايم الله على ذلك ما أذع أن أبلغه مامشيتم إلى فيه . فدخل عليه فخبره بمجيئنا إليه ومقاتلتنا له فأذن لنا فدخلنا عليه فقال ما هذا الخبر الذى جاءنى به عنكم الوليد فقلنا هذا خبر فى الناس سائر فشمى للحرب وناهض الأعداء واهتبل الفرصة واغتنم الغرة فإنك لا تدري متى تقدر على عدوك على مثل حالهم التى هم عليها و أن تسير إلى عدوك أعز لك من أن يسيروا إليك واعلم [صفحہ ۷] و الله أنه لو لا تفرق الناس عن صاحبك لقد نهض إليك فقال لنا ما أستغنى عن رأيكم ومشورتكم ومتى أحتج إلى ذلك منكم أذعكم إن هؤلاء الذين تذكرون تفرقهم على صاحبهم واختلاف أهوائهم لم يبلغ ذلك عندى بهم أن أكون أطمع فى استئصالهم واجتياحهم و أن أسير إليهم مخاطرا بجندى لا أدرى على تكون الدائرة أم لى فإياكم واستبئائى فإنى آخذ بهم فى وجهه هو أرفق بكم وأبلغ فى هلكتهم قد شننت عليهم الغارات من كل جانب فخيلى مرة بالجزيرة ومرة بالحجاز وقد فتح الله فيما بين ذلك مصر فأعز بفتحها ولينا وأذل به عدونا فأشرف أهل العراق لما يرون من حسن صنيع الله لنا يأتوننا على قلائصهم فى كل الأيام وهذا ما يزيدكم الله به وينقصهم ويقويكم ويضعفهم ويعزكم ويذلهم فاصبروا و لاتعجلوا فإنى لورأيت فرصتى لاهتبلتها. فخرجنا من عنده ونحن نعرف الفصل فيما ذكر فجلسنا ناحية وبعث معاوية عند خروجنا من عنده إلى بسر بن أبي أرطاة فبعثه فى ثلاثة آلاف و قال سر حتى تمر بالمدينة فاطرد الناس وأخف من مررت به وانهب أموال كل من أصبت له مالا ممن لم يكن دخل فى طاعتنا فإذا دخلت المدينة فأرهم أنك تريد أنفسهم وأخبرهم أنه لبراءة لهم عندك و لا عذر حتى إذا ظنوا أنك موقع بهم فاكفف عنهم ثم سر حتى تدخل مكة و لا تعرض فيها لأحد وأرهب الناس عنك فيما بين المدينة ومكة واجعلها شردا حتى تأتى صنعاء والجند فإن لنا بهما شيعه و قد جاءنى كتابهم . فخرج بسر فى ذلك البعث حتى أتى دير مروان فعرضهم فسقط منهم أربعمائه فمضى فى ألفين وستمائه فقال الوليد بن عقبه أشرنا على معاوية برأينا أن يسير [صفحہ ۸] إلى الكوفة فبعث الجيش إلى المدينة فمثلنا ومثله كما قال الأول أريها السها وترينى القمر. فبلغ ذلك معاوية فغضب و قال و الله لقد هممت بمساءة هذا الأحمق الذى لا يحسن التدبير و لا يدرى سياسة الأمور ثم كف عنه قلت الوليد كان لشدة بغضه عليا ع القديم التالد لا يرى الأناة فى حربه و لا يستصلح الغارات على أطراف بلاده و لا يشفى غيظه و لا يبرد حزازات قلبه إلا باستئصاله نفسه بالجيوش وتسييرها إلى دار ملكه وسرير خلافته وهى الكوفة و أن يكون معاوية بنفسه هو الذى يسير بالجيوش إليه ليكون ذلك أبلغ فى هلاك على ع واجتثاث أصل سلطانه ومعاوية كان يرى غير هذا الرأى ويعلم أن السير بالجيش للقاء على ع خطر عظيم فاقتضت المصلحة عنده و ما يغلب على ظنه من حسن التدبير أن يثبت بمركزه بالشام فى جمهور

جيشه ويسرب الغارات على أعمال علي ع وبلاده فتجوس خلال الديار وتضعفها فإذا أضعفتها أضعفت بيضه ملك علي ع لأن ضعف الأطراف يوجب ضعف البيضة و إذا أضعفت البيضة كان على بلوغ إرادته والمسير حينئذ إن استصوب المسير أقدر. و لا يلام الوليد على ما في نفسه فإن عليا ع قتل أباه عقبه بن أبي معيط صبيرا يوم بدر وسمى الفاسق بعد ذلك في القرآن لنزاع وقع بينه وبينه [صفحة ٩] ثم جلده الحد في خلافة عثمان وعزله عن الكوفة و كان عاملها وبيع بعض هذا عند العرب أرباب الدين والتقى تستحل المحارم وتستباح الدماء ولا تبقى مراقبة في شفاء الغيظ لدين ولا لعقاب ولا لثواب فكيف الوليد المشتمل على الفسوق والفجور مجاهرا بذلك و كان من المؤلفه قلوبهم مطعوننا في نسبه مرميا بالإلحاد والزندقه. قال ابراهيم بن هلال روى عوانه عن الكلبي ولوط بن يحيى أن بسرا لما أسقط من أسقط من جيشه سار بمن تخلف معه وكانوا إذا وردوا ماء أخذوا إبل أهل ذلك الماء فركبوها وقادوا خيولهم حتى يردوا الماء الآخر فيردون تلك الإبل ويركبون إبل هؤلاء فلم يزل يصنع ذلك حتى قرب إلى المدينة. قال و قدروى أن قضاة استقبلتهم ينحرون لهم الجزر حتى دخلوا المدينة قال فدخلوها وعامل علي ع عليها أبو أيوب الأنصاري صاحب منزل رسول الله ص فخرج عنها هاربا ودخل بسر المدينة فخطب الناس وشتهم وتهدهم يومئذ وتوعدهم وقال شامت الوجوه إن الله تعالى يقول وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا آيَةً وَ قَدْ أَوَّعَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ الْمَثَلُ بِكُمْ وَجَعَلَكُمْ أَهْلَهُ كَانَ بَلَدُكُمْ مَهَاجِرَ النَّبِيِّ ص وَمَنْزِلُهُ وَفِيهِ قَبْرُهُ وَمَنَازِلُ الْخُلَفَاءِ مِنْ بَعْدِهِ فَلَمْ تَشْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ وَلَمْ تَرْعُوا حَقَّ نَبِيِّكُمْ وَقَتْلَ خَلِيفَتِهِ اللَّهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ فَكُنْتُمْ بَيْنَ قَاتِلٍ وَخَاذِلٍ وَمُتْرِبِصٍ وَشَامِتٍ إِنْ كَانَتْ لِلْمُؤْمِنِينَ قَلْتُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانُوا لِلْكَافِرِينَ نَصِيبَ قَلْتُمْ أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُمْ مِنْ -قرآن- ٨٧٤-٩٤٨ [صفحة ١٠] المؤمنين ثم شتم الأنصار فقال يامعشر اليهود وأبناء العبيد بنى زريق وبنى النجار وبنى سلمة وبنى عبد الأشهل أما والله لأوقعن بكم وقعة تشفى غليل صدور المؤمنين وآل عثمان أما والله لأدعنكم أحاديث كالأمم السالفة. فتهدهم حتى خاف الناس أن يوقع بهم ففرعوا إلى حويطب بن عبد العزى ويقال إنه زوج أمه فصعد إليه المنبر فناشده وقال عترتك وأنصار رسول الله وليسوا بقتله عثمان فلم يزل به حتى سكن ودعا الناس إلى بيعه معاوية فبايعوه ونزل فأحرق دورا كثيرة منها دار زرارة بن حرون أحد بنى عمرو بن عوف ودار رفاعه بن رافع الزرقى ودار أبي أيوب الأنصاري وتفقد جابر بن عبد الله فقال ما لى لأرى جابرا يابنى سلمة لأمان لكم عندي أو أتونى بجابر فعاذ جابر بأم سلمة رضى الله عنها فأرسلت إلى بسر بن أرطاة فقال لا تؤمنه حتى يبايع فقال له أم سلمة اذهب فبايع وقالت لابنها عمر اذهب فبايع فذهب فبايعه. قال ابراهيم وروى الوليد بن كثير عن وهب بن كيسان قال سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول لما خفت بسرا وتواريت عنه قال لقومى لأمان لكم عندي حتى يحضر جابر فأتونى وقالوا نشدك الله لما انطلقت معنا فبايعت فحقنت دمك ودماء قومك فإنك إن لم تفعل قتلت مقاتليننا وسبيت ذرارينا فاستنظرتهم الليل فلما أمسيت دخلت على أم سلمة فأخبرتها الخبر فقالت يابنى انطلق فبايع احقن دمك ودماء قومك فإنى قد أمرت ابن أخى أن يذهب فبايع وإنى لأعلم أنها بيعه ضلالة. [صفحة ١١] قال ابراهيم فأقام بسر بالمدينة أياما ثم قال لهم إنى قد عفوت عنكم وإن لم تكونوا لذلك بأهل ما قوم قتل إمامهم بين ظهرانيهم بأهل أن يكف عنهم العذاب ولئن نالكم العفو منى فى الدنيا إنى لأرجو ألا تنالكم رحمة الله عز وجل فى الآخرة وقد استخلفت عليكم أباهريرة فإياكم وخلافه ثم خرج إلى مكة. قال ابراهيم روى الوليد بن هشام قال أقبل بسر فدخل المدينة فصعد منبر الرسول ص ثم قال يا أهل المدينة خضبتهم لحاكم وقتلتهم عثمان مخضوبا والله لا أدع فى المسجد مخضوبا إلا قتلته ثم قال لأصحابه خذوا بأبواب المسجد و هو يريد أن يستعرضهم فقام إليه عبد الله بن الزبير و أبوقيس أحد بنى عامر بن لؤى فطلبا إليه حتى كف عنهم وخرج إلى مكة فلما قرب منها هرب قثم بن العباس و كان عامل علي ع ودخلها بسر فشتهم أهل مكة وأنبهم ثم خرج عنها واستعمل عليها شيبه بن عثمان. قال ابراهيم و قدروى عوانه عن الكلبي أن بسرا لما خرج من المدينة إلى مكة قتل فى طريقه رجلا وأخذ أموالا وبلغ أهل مكة خبره فتنحى عنها عامة أهلها

وتراضى الناس بشيئة بن عثمان أميرا لماخرج قثم بن العباس عنها وخرج إلى بسر قوم من قريش فتلقوه فشتهم ثم قال أما والله لو تركت ورأى فيكم لترككم وما فيكم روح تمشى على الأرض فقالوا ننشدك الله فى أهلك وعترتك فسكت ثم دخل وطاف بالبيت وصلى ركعتين ثم خطبهم فقال الحمد لله الذى أعز دعوتنا وجمع ألفتنا وأذل عدونا بالقتل والتشريد هذا ابن أبى طالب بناحية العراق فى ضنك وضيق قدابتلاه الله بخطيئته وأسلمه بجريته [صفحة ١٢] ففرق عنه أصحابه ناقمين عليه وولى الأمر معاوية الطالب بدم عثمان فبايعوا ولا تجعلوا على أنفسكم سيلا فبايعوا. وتفقد سعيد بن العاص فطلبه فلم يجده وأقام أياما ثم خطبهم فقال يا أهل مكة إني قدصفت عنكم فإياكم والخلاف فو الله إن فعلتم لأقصدن منكم إلى التى تبير الأصل وتحرب المال وتخرب الديار. ثم خرج إلى الطائف فكتب إليه المغيرة بن شعبه حين خرج من مكة إليها أما بعد فقد بلغنى مسيرك إلى الحجاز ونزولك مكة وشدتك على المريب وعفوك عن المسىء وإكرامك لأولى النهى فحمدت رأيك فى ذلك قدم على صالح ماكنت عليه فإن الله عز وجل لن يزيد بالخير أهله إلاخيرا جعلنا الله وإياك من الآمرين بالمعروف والقاصدين إلى الحق والذاكرين الله كثيرا قال ووجه رجلا من قريش إلى تباله و بها قوم من شيعة على ع وأمره بقتلهم فأخذهم وكلم فيهم وقيل له هؤلاء قومك فكف عنهم حتى نأتىك بكتاب من بسر بأمانهم فحبسهم وخرج منيع الباهلى من عندهم إلى بسر وهو بالطائف يستشفع إليه فيهم فتحمل عليه يقوم من الطائف فكلموه فيهم وسألوه الكتاب بإطلاقهم فوعدهم ومطلبهم بالكتاب حتى ظن أنه قدقتلهم القرشى المبعوث لقتلهم وأن كتابه لا يصل إليهم حتى يقتلوا ثم كتب لهم فأتى منيع منزله وكان قدنزل على امرأة بالطائف ورحله عندها فلم يجدها فى منزلها فوطى على ناقته بردائه وركب فسار يوم الجمعة وليلة السبت لم ينزل عن راحلته قط فأتاهم ضحوة وقدأخرج القوم ليقتلوا واستبطى كتاب بسر فيهم فقدم رجل منهم فضربه رجل من أهل الشام فانقطع سيفه فقال الشاميون بعضهم لبعض شمسوا سيوفكم حتى تلين فهزوها وتبصر منيع [صفحة ١٣] الباهلى بريق السيوف فألمع بثوبه فقال القوم هذا ركب عنده خير فكفوا وقام به بعيره فنزل عنه وجاء على رجله يشدد فدفع الكتاب إليهم فأطلقوا وكان الرجل المقدم الذى ضرب بالسيف فانكسر السيف أخاه. قال ابراهيم وروى على بن مجاهد عن ابن إسحاق أن أهل مكة لمابلغهم ما صنع بسر خافوه وهربوا فخرج ابنا عبيد الله بن العباس وهما سليمان وداود وأمهما جويرية ابنة خالد بن قرظ الكنانية وتكنى أم حكيم وهم حلفاء بنى زهرة وهما غلامان مع أهل مكة فأضلوهما عندبئر ميمون بن الحضرمى وميمون هذا هوأخو العلاء بن الحضرمى وهجم عليهما بسر فأخذهما وذبحهما فقالت أمهما ها من أحس بابنى اللذين هما || كالدترتين تشظى عنهما الصدف ها من أحس بابنى اللذين هما || سمعى وقلبى فقلبى اليوم مختطف ها من أحس بابنى اللذين هما || مخ العظام فمخى اليوم مزدهدف نبئت بسرا و ماصدقت مازعموا || من قولهم و من الإفك الذى اقترفوا أنحى على ودجى ابنى مرهفة || مشحودة وكذاك الإثم يقترف من دل والهة حرى مسلبة || على صبيين ضلا إذ مضى السلف. [صفحة ١٤] و قدروى أن اسمهما قثم و عبدالرحمن وروى أنهما ضلا فى أخوالهما من بنى كنانة وروى أن بسرا إنما قتلهما باليمن وأنهما ذبحا على درج صنعاء. وروى عبدالملك بن نوفل بن مساحق عن أبيه أن بسرا لمادخل الطائف و قدكلمه المغيرة قال له لقد صدقتنى ونصحتنى فبات بها وخرج منها وشيعة المغيرة ساعة ثم ودعه وانصرف عنه فخرج حتى مر ببنى كنانة وفيهم ابنا عبيد الله بن العباس وأمهما فلما انتهى بسر إليهم طلبهما فدخل رجل من بنى كنانة و كان أبوهما أوصاه بهما فأخذ السيف من بيته وخرج فقال له بسر ثكلتك أمك و الله ما كنا أردنا قتلك فلم عرضت نفسك للقتل قال أقتل دون جارى أعذر لى عند الله و الناس ثم شد على أصحاب بسر بالسيف حاسرا و هو يرتجز آليت لايمنع حافات الدار || ولايموت مصلتا دون الجار إلافتى أروع غير غدار. فضارب بسيفه حتى قتل ثم قدم الغلامان فقتلا فخرج نسوة من بنى كنانة فقالت امرأة منهن هذه الرجال يقتلها فما بال الولدان و الله ماكانوا يقتلون فى جاهلية و للإسلام و الله إن سلطانا لايشدد إلابقتل الضرع الضعيف والشيخ الكبير ورفع الرحمة وقطع الأرحام لسلطان سوء فقال بسر و الله

لهممت أن أضع فيكن السيف قالت و الله إنه لأحب إلى إن فعلت . قال ابراهيم وخرج بسر من الطائف فأتى نجران فقتل عبد الله بن عبدالمدان وابنه مالكا و كان عبد الله هذاصهرا لعبيد الله بن العباس ثم جمعهم وقام فيهم و قال [صفحه ١٥] يا أهل نجران يامعشر النصارى وإخوان القروذ أما و الله إن بلغنى عنكم ماأكره لأعودن عليكم بالتى تقطع النسل وتهلك الحرث وتخرب الديار. وتهددهم طويلا ثم سار حتى بلغ أرحب فقتل أباكرب و كان يتشيع ويقال إنه سيد من كان بالبادية من همدان فقدمه فقتله . وأتى صنعاء و قدخرج عنها عبيد الله بن العباس وسعيد بن نمران و قداستخلف عبيد الله عليها عمرو بن أراكه الثقفى فمنع بسرا من دخولها وقاتله فقتله بسر ودخل صنعاء فقتل منها قوما وأتاه وفد مأرب فقتلهم فلم ينج منهم إلا رجل واحد ورجع إلى قومه فقال لهم أنعى قتلانا شيوخا وشبانا. قال ابراهيم و هذه الأبيات المشهورة لعبد الله بن أراكه الثقفى يرثى بهابنه عمرا لعمرى لقد أردى ابن أرتاة فارسا || بصنعاء كالليث الهزبر أبى الأجر تعز فإن كان البكا رد هالكا || على أحد فاجهد بكاك على عمرو و لاتبك ميتا بعدميت أجنه || على وعباس وآل أبى بكر . قال وروى نمير بن وعله عن أبى وداك قال كنت عند على ع لماقدم عليه سعيد بن نمران الكوفة فعتب عليه و على عبيد الله ألا يكونا قاتلا بسرا [صفحه ١٦] فقال سعيد قد و الله قاتلت ولكن ابن عباس خذلى وأبى أن يقاتل ولقد خلوت به حين دنا منا بسر فقلت إن ابن عمك لايرضى منى ومنك بدون الجد فى قتالهم قال لا- و الله مالنا بهم طاقة و لايدان فقتت فى الناس فحمدت الله ثم قلت يا أهل اليمن من كان فى طاعتنا و على بيعه أمير المؤمنين ع فإلى إلى فأجبنى منهم عصابة فاستقدمت بهم فقاتلت قتالا ضعيفا وتفرق الناس عنى وانصرفت . قال ثم خرج بسر من صنعاء فأتى أهل جيشان وهم شيعة لعلى ع فقاتلهم وقاتلوه فهزمهم وقتلهم قتلا ذريعا ثم رجع إلى صنعاء فقتل بهامائه شيخ من أبناء فارس لأن ابنى عبيد الله بن العباس كانا مستترين فى بيت امرأة من أبنائهم تعرف بابنة بزرج . و قال الكلبي و أبو مخنف فندب على ع أصحابه لبعث سرية فى إثر بسر فقتلوا وأجابه جارية بن قدامة السعدى فبعته فى ألفين فشخص إلى البصرة ثم أخذ طريق الحجاز حتى قدم اليمن وسأل عن بسر فقبل أخذ فى بلاد بنى تميم فقال أخذ فى ديار قوم يمنعون أنفسهم وبلغ بسرا مسير جارية فانحدر إلى اليمامة وأخذ جارية بن قدامة السير مايلتفت إلى مدينة مر بها و لا أهل حصن و لا يعرج على شىء إلا أن يرمل بعض أصحابه من الزاد فيأمر أصحابه بمواساته أو يسقط بعير رجل أو تحفى دابته فيأمر أصحابه بأن يعقبوه حتى انتهوا إلى أرض اليمن فهربت شيعة عثمان حتى لحقوا بالجبال واتبعهم شيعة على ع وتداعت عليهم من كل جانب وأصابوا منهم وصد نحو بسر وبسر بين يديه يفر من جهة إلى جهة أخرى حتى أخرجه من أعمال على ع كلها. فلما فعل به ذلك أقام جارية بحرس نحو من شهر حتى استراح وأراح أصحابه ووثب الناس ببسر فى طريقه لما انصرف من بين يدى جارية لسوء سيرته وفضاظته وظلمه وغشمه وأصاب بنو تميم ثقلا من ثقله فى بلاده وصحبه إلى معاوية ليبيعه على الطاعة ابن مجاعة [صفحه ١٧] رئيس اليمامة فلما وصل بسر إلى معاوية قال يا أمير المؤمنين هذا ابن مجاعة قد أتيتك به فاقتله فقال معاوية تركته لم تقتله ثم جئتنى به فقلت اقتله لا لعمرى لاأقتله ثم بايعه ووصله وأعادته إلى قومه . و قال بسر أحمد الله يا أمير المؤمنين أنى سرت فى هذاالجيش أقتل عدوك ذاهبا جائيا لم ينكب رجل منهم نكبة فقال معاوية الله قد فعل ذلك لا أنت . و كان الذى قتل بسر فى وجهه ذلك ثلاثين ألفا و حرق قوما بالنار فقال يزيد بن مفرغ تعلق من أسماء ما قد تعلقا || ومثل الذى لاقى من الشوق أرقا سقى هزم الأرعاد منبعج الكلى || منازلها من مسرقان فسرقا إلى الشرف الأعلى إلى رامهرمز || إلى قريات الشيخ من نهر أربقا إلى دشت بارين إلى الشط كله || إلى مجمع السلان من بطن دورقا إلى حيث يرفا من دجيل سفينه || إلى مجمع النهرين حيث تفرقا إلى حيث سار المرء بسر بجيشه || فقتل بسر ما استطاع وحرقا . وروى أبو الحسن المدائنى قال اجتمع عبيد الله بن العباس وبسر بن أرتاة يوما عند معاوية بعد صلح الحسن ع فقال له ابن عباس أنت أمرت اللعين السيئ القدم أن يقتل ابنى فقال ما أمرته بذلك ولوددت أنه لم يكن قتلهما فغضب بسر ونزع سيفه فألقاه و قال لمعاوية اقبض سيفك قلدتنيه وأمرتنى أن أخبط به الناس ففعلت

حتى إذابلغت ماأردت قلت لم أهو و لم أمر فقال خذ سيفك إليك فلعمري [صفحه ١٨] إنك ضعيف مائق حين تلقى السيف بين يدي رجل من بني عبدمناف قدقتلت أمس ابنه . فقال له عبيد الله أتحسبني يامعاوية قاتلا بسرا بأحد ابني هوأحق وأأم من ذلك ولكني والله لاأرى لى مقنعا ولاأدرك ثأرا إلا أن أصيب بهما يزيد و عبد الله . فتبسم معاوية و قال و ماذنب معاوية وابني معاوية و الله ماعلمت و لاأمرت و لاأرضيت و لاأهويت واحتملها منه لشرفه وسؤدده . قال ودعا على ع على بسر فقال اللهم إن بسرا باع دينه بالدنيا وانتهك محارمك وكانت طاعة مخلوق فاجر آثر عنده مما عندك اللهم فلاتمته حتى تسلبه عقله و لاأوجب له رحمتك و لاأساعة من نهار اللهم العن بسرا وعمرا ومعاوية وليحل عليهم غضبك ولتنزل بهم نعمتك وليصبهم بأسك ورجزك الذى لاترده عن القوم المجرمين -روایت- ١-٢-روایت- ٨-٣٢٧ فلم يلبث بسر بعد ذلك إلايسيرا حتى وسوس وذهب عقله فكان يهدى بالسيف و يقول أعطوني سيفا أقتل به لايزال يردد ذلك حتى اتخذ له سيف من خشب وكانوا يدنون منه المرفقة فلايزال يضربها حتى يغشى عليه فلبث كذلك إلى أن مات . قلت كان مسلم بن عقبة ليزيد و ماعمل بالمدينة فى وقعة الحره كما كان بسر لمعاوية و ماعمل فى الحجاز واليمن و من أشبه أباه فما ظلم نبني كماكانت أوائلنا || تبنى ونفعل مثل مافعلا [صفحه ١٩]

٢٦- و من خطبة له ع

إشارة

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا صِدْقًا نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ وَ أَمِينًا عَلَى التَّنْزِيلِ وَ أَنْتُمْ مَعَشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ وَ فِي شَرِّ دَارٍ مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشِنَ وَ حَيَاتٍ صُمِّ تَشْرِبُونَ الْكَدِرَ وَ تَأْكُلُونَ الْجَشِبَ وَ تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَ تَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ الْأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ وَ الْأَثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ يَجُوزُ أَنْ يَعْنَى بِقَوْلِهِ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشِنَ وَ حَيَاتٍ صُمِّ الْحَقِيقَةُ لِلْمَجَازِ وَ ذَلِكَ أَنْ الْبَادِيَةَ بِالْحِجَازِ وَ نَجِدَ وَ تَهَامَةَ وَ غَيْرَهَا مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ ذَاتِ حَيَاتٍ وَ حِجَارَةٍ خُشِنَ وَ قَدِيعُنِي بِالْحِجَارَةِ الْخُشِنُ الْجِبَالُ أَيْضًا أَوَالِ الْأَصْنَامِ فِيكَونَ دَاخِلًا فِي قِسْمِ الْحَقِيقَةِ إِذَافَرْضَنَاهُ مَرَادًا وَ يَكُونُ الْمَعْنَى بِذَلِكَ وَصَفَ مَاكَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْبُؤْسِ وَ شَطَفَ الْعَيْشَةَ وَ سَوَاءَ الْاِخْتِيَارِ فِي الْعِبَادَةِ فَأَبْدَلَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ الرِّيفِ وَ لِيْنِ الْمَهَادِ وَ عِبَادَةٍ مِنْ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ . وَ يَجُوزُ أَنْ يَعْنَى بِهِ الْمَجَازُ وَ هُوَ الْأَحْسَنُ يُقَالُ لِلْأَعْدَاءِ حَيَاتٍ وَ الْحِيَةَ الصَّمَاءُ أَدهى من التى ليست بصماء لأنها لا تتزجر بالصوت و يقال للعدو أيضا إنه لحجر خشن المس إذا كان ألد الخصام . و الجشب من الطعام الغليظ الخشن . [صفحه ٢٠] و قال أبوالبخترى وهب بن وهب القاضى كنت عندالرشيد يوما واستدعى ماء مبردا بالثلج فلم يوجد فى الخزانة ثلج فاعتذر إليه بذلك وأحضر إليه ماء غيرمثلوج فضرب وجه الغلام بالكوز واستشاط غضبا فقلت له أقول يا أمير المؤمنين و أنا آمن فقال قل قلت يا أمير المؤمنين قدرأيت ما كان من الغير بالأمس يعنى زوال دولة بنى أمية و الدنيا غيردائمة و لا موثوق بها والحزم ألا تعود نفسك الترفه والنعمه بل تأكل اللين والجشب وتلبس الناعم والخشن وتشرب الحار والقار فنحنى بيده و قال لا والله لاأذهب إلى ماتذهب إليه بل ألبس النعمه مالبستنى فإذانابت نوبه الدهر عدت إلى نصاب غيرخوار . و قوله والآثام بكم معصوبه استعاره كأنها مشدوده إليهم . و عنى بقوله تسفكون دماءكم و تقطعون أرحامكم ماكانوا عليه فى الجاهليه من الغارات والحروب و منها فنظرت فإذا ليس لى معين إلا أهل بيتى فضننت بهم عن الموت و أغضيت على القدى و شربت على الشجا و صبرت على أخذ الكظم و على أمر من طعم العلقم [صفحه ٢١] الكظم بفتح الظاء مخرج النفس والجمع أكظام وضنت بالكسر بخلت وأغضيت على كذا غضضت طرفى والشجا مايعترض فى الحلق

اختلفت الروايات فى قصة السقيفة فالذى تقوله الشيعة و قد قال قوم من المحدثين بعضه ورووا كثيرا منه أن عليا ع امتنع من البيعة حتى أخرج كرها و أن الزبير بن العوام امتنع من البيعة و قال لأبى ايع الإعليا ع و كذلك أبوسفيان بن حرب و خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبدشمس و العباس بن عبدالمطلب و بنوه و أبوسفيان بن الحارث بن عبدالمطلب و جميع بنى هاشم و قالوا إن الزبير شهر سيفه فلما جاء عمر و معه جماعة من الأنصار و غيرهم قال فى جملة ما قال خذوا سيف هذا فاضربوا به الحجر و يقال إنه أخذ السيف من يد الزبير فضرب به حجرا فكسره و ساقهم كلهم بين يديه إلى أبى بكر فحملهم على بيعته و لم يتخلف إلا على ع و حده فإنه اعتصم بيت فاطمة ع فتحاموا إخراجها منه قسرا و قامت فاطمة ع إلى باب البيت فأسمعت من جاء يطلبه فتنفروا و علموا أنه بمفرده لا يضر شيئا فتركوه . و قيل إنهم أخرجوه فيمن أخرج و حمل إلى أبى بكر فبايعه و قد روى أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى كثيرا من هذا . فأما حديث التحريق و ماجرى مجراه من الأمور الفظيعة و قول من قال إنهم أخذوا عليا ع يقاد بعمامته و الناس حوله فأمر بعيد و الشيعة تنفرد به على أن جماعة من أهل الحديث قدروا نحوه و سنذكر ذلك . [صفحہ ۲۲] و قال أبو جعفر إن الأنصار لما فاتها ما طلبت من الخلافة قالت أو قال بعضها لابايع الإعليا و ذكر نحو هذا على بن عبدالكريم المعروف بابن الأثير الموصلى فى تاريخه . فأما قوله لم يكن لى معين إلا أهل بيتى فضننت بهم عن الموت فقول ما زال على ع يقوله و لقد قاله عقيب وفاة رسول الله ص قال لو وجدت أربعين ذوى عزم . ذكر ذلك نصر بن مزاحم فى كتاب صفين و ذكره كثير من أرباب السيرة . و أما الذى يقوله جمهور المحدثين و أعيانهم فإنه ع امتنع من البيعة ستة أشهر و لزم بيته فلم يبايع حتى ماتت فاطمة ع فلما ماتت بايع طوعا . و فى صحيحى مسلم و البخارى كانت وجوه الناس إليه و فاطمة باقية بعد فلما ماتت فاطمة ع انصرفت وجوه الناس عنه و خرج من بيته فبايع أبابكر و كانت مدة بقائها بعد أبيها ع ستة أشهر . و روى أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى التاريخ عن ابن عباس رضى الله عنه قال قال لى عبدالرحمن بن عوف و قد حججنا مع عمر شهدت اليوم أمير المؤمنين بمنى و قال له رجل إنى سمعت فلانا يقول لو قدمات عمر لبايعت فلانا فقال عمر إنى لقائم العشيء فى الناس أحذرهم هؤلاء الرهط الذين يريدون أن [صفحہ ۲۳] يغتصبوا الناس أمرهم قال عبدالرحمن فقلت يا أمير المؤمنين إن الموسم يجمع رعاع الناس و غوغاءهم و هم الذين يقربون من مجلسك و يغلبون عليه و أخاف أن تقول مقالة لا يعونها و لا يحفظونها فيطيروا بها ولكن أمهل حتى تقدم المدينة و تخلص بأصحاب رسول الله فتقول ما قلت متمكنا فيسمعوا مقالتك فقال و الله لأقومن بها أول مقام أقومه بالمدينة . قال ابن عباس فلما قدمناها هجرت يوم الجمعة لحديث عبدالرحمن فلما جلس عمر على المنبر حمد الله و أثنى عليه ثم قال بعد أن ذكر الرجم و حد الزناء إنه بلغنى أن قائلا منكم يقول لومات أمير المؤمنين بايعت فلانا فلا يغرن امرأ أن يقول إن بيعه أبى بكر كانت فلتة فلقد كانت كذلك ولكن الله و قى شرها و ليس فيكم من تقطع إليه الأعناق كأبى بكر و إنه كان من خبرنا حين توفى رسول الله ص أن عليا و الزبير تخلفا عنا فى بيت فاطمة و من معهما و تخلفت عنا الأنصار و اجتمع المهاجرون إلى أبى بكر فقلت له انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار فانطلقنا نحوهم فلقينا رجلا ن صالحان من الأنصار قد شهدا بدرا أحدهما عويم بن ساعدة و الثانى معن بن عدى فقالا- لنا ارجعوا فاقضوا أمركم بينكم فأتينا الأنصار و هم مجتمعون فى سقيفة [صفحہ ۲۴] بنى ساعدة و بين أظهرهم رجل مزمل فقلت من هذا قالوا سعد بن عبادة و جع فقام رجل منهم فحمد الله و أثنى عليه فقال أما بعد فنحن الأنصار و كتيبة الإسلام و أنتم يامعشر قريش رهط نبينا قد دفت إلينا دافة من قومكم فإذا أنتم تريدون أن تغصبونا الأمر . فلما سكت و كنت قد زورت فى نفسى مقالة أقولها بين يدي أبى بكر فلما ذهبت أتكلم قال أبوبكر على رسلك فقام فحمد الله و أثنى عليه فما ترك شيئا كنت زورت فى نفسى إلا جاء به أو بأحسن منه و قال يامعشر الأنصار إنكم لاتذكرون فضلا إلا و أنتم له أهل و إن

العرب لا تعرف هذا الأمر إلا القريش أوسط العرب دارا ونسبا و قدرضيت لكم أحد هذين الرجلين وأخذ بيدي ويد أبي عبيدة بن الجراح و الله ماكرهت من كلامه غيرها إن كنت لأقدم فتضرب عنقي فيما لا يقربني إلى إثم أحب إلى من أن أوامر على قوم فيهم أبو بكر. فلما قضى أبو بكر كلامه قام رجل من الأنصار فقال أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب منا أمير ومنكم أمير [صفحة ٢٥] وارتفعت الأصوات واللغط فلما خفت الاختلاف قلت لأبي بكر ابسط يدك أبايعك فبسط يده فبايعته وبايعه الناس ثم نزونا على سعد بن عباد فقال قائلهم قتلتم سعدا فقلت اقتلوه قتله الله و أنا و الله ما وجدنا أمرا هو أقوى من بيعه أبي بكر خشيت إن فارقت القوم و لم تكن بيعه أن يحدثوا بعدنا بيعه فإما أن نبايعهم على ما لانرضى أو نخالفهم فيكون فساد. هذا حديث متفق عليه من أهل السيرة و قدوردت الروايات فيه بزيادات روى المدائني قال لما أخذ أبو بكر بيد عمر و أبي عبيدة و قال للناس قدرضيت لكم أحد هذين الرجلين قال أبو عبيدة لعمر امدد يدك نبايعك فقال عمر ما لك في الإسلام فهذه غيرها أتقول هذا و أبو بكر حاضر ثم قال للناس أيكم يطيب نفسا أن يتقدم قدمين قدمهما رسول الله ص للصلاة رضيك رسول الله ص لدينا أ فلانرضاك لدينا ثم مد يده إلى أبي بكر فبايعه . و هذه الرواية هي التي ذكرها قاضي القضاة رحمه الله تعالى في كتاب المغنى . و قال الواقدي في روايته في حكاية كلام عمر و الله لأن أقدم فأنحر كما ينحر البعير أحب إلى من أن أتقدم على أبي بكر . و قال شيخنا أبو القاسم البلخي قال شيخنا أبو عثمان الجاحظ إن الرجل الذي قال لو قدمات عمر لبايعت فلانا عمار بن ياسر قال لو قدمات عمر لبايعت عليا فهذا القول هو الذي هاج عمر أن خطب بما خطب به . و قال غيره من أهل الحديث إنما كان المعزوم على بيعته لومات عمر طلحة بن عبيد الله . [صفحة ٢٦] فأما حديث الفتنة فقد كان سبق من عمر أن قال إن بيعه أبي بكر كانت فتنة و قى الله شرها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه . و هذا الخبر الذي ذكرناه عن ابن عباس و عبدالرحمن بن عوف فيه حديث الفتنة ولكنه منسوق على ما قاله أولا أ لا تراه يقول فلا يغرن امرأ أن يقول إن بيعه أبي بكر كانت فتنة فلقد كانت كذلك فهذا يشعر بأنه قد كان قال من قبل إن بيعه أبي بكر كانت فتنة . و قد أكثر الناس في حديث الفتنة و ذكرها شيوخنا المتكلمون فقال شيخنا أبو علي رحمه الله تعالى الفتنة ليست الزلة و الخطيئة بل هي البغته و ما وقع فجأة من غير روية و لا مشاورة و استشهد بقول الشاعر من يأمن الحدثن بعد || صبيرة القرشى ماتا سبقت منيته المشيب || و كان ميته افتلاتا . يعني بغته . و قال شيخنا أبو علي رحمه الله تعالى ذكر الرياشي أن العرب تسمى آخر يوم من شوال فتنة من حيث إن كل من لم يدرك ثأره فيه فاته لأنهم كانوا إذا دخلوا في الأشهر الحرم لا يطالبون الثأر و ذو القعدة من الأشهر الحرم فسموا ذلك اليوم فتنة لأنهم إذا أدركوا فيه ثأرهم فقد أدركوا ما كان يفوتهم فأراد عمر أن بيعه أبي بكر تداركها بعد أن كادت تفوت . و قوله و قى الله شرها دليل على تصويب البيعة لأن المراد بذلك أن الله تعالى دفع شر الاختلاف فيها . [صفحة ٢٧] فأما قوله فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه فالمراد من عاد إلى أن يبايع من غير مشاورة و لا عدد يثبت صحة البيعة به و لا ضرورة داعية إلى البيعة ثم بسط يده على المسلمين يدخلهم في البيعة قهرا فاقتلوه . قال قاضي القضاة رحمه الله تعالى و هل يشك أحد في تعظيم عمر لأبي بكر و طاعته إياه و معلوم ضرورة من حال عمر إعظامه له و القول بإمامته و الرضا بالبيعة و الثناء عليه فكيف يجوز أن يترك ما يعلم ضرورة لقول محتمل ذى وجوه و تأويلات و كيف يجوز أن تحمل هذه اللفظة من عمر على الذم و التخطئة و سوء القول . و اعلم أن هذه اللفظة من عمر مناسبة للفظات كثيرة كان يقولها بمقتضى ما جبله الله تعالى عليه من غلظ الطينة و جفاء الطبيعة و لاحيلة له فيها لأنه مجبول عليها لا يستطيع تغييرها و لا يريب عندنا أنه كان يتعاطى أن يتلطف و أن يخرج ألفاظه مخارج حسنة لطيفة فينزح به الطبع الجاسى و الغريزة الغليظة إلى أمثال هذه اللفظات و لا يقصد بها سوءا و لا يريد بها ذما و لا تخطئة كما قدمنا من قبل في اللفظة التي قالها في مرض رسول الله ص و كاللفظات التي قالها عام الحديبية و غير ذلك و الله تعالى لا يجازى المكلف إلا بما نواه و لقد كانت نيته من أظهر النيات و أخلصها لله سبحانه و للمسلمين و من أنصف علم أن هذا الكلام حق و أنه يغنى عن تأويل شيخنا أبي علي . ونحن من بعد نذكر

ماقاله المرتضى رحمه الله تعالى فى كتاب الشافى لمتكلم فى هذاالموضع قال أما مادعى من العلم الضرورى برضا عمر بيعة أبى بكر وإمامته فالمعلوم ضرورة بلا شبهة أنه كان راضيا بإمامته و ليس كل من رضى شيئا [صفحه ٢٨] كان متدينا به معتقدا لصوابه فإن كثيرا من الناس يرضون بأشياء من حيث كانت دافعة لما هوأضر منها و إن كانوا لا يرونها صوابا و لوملكوا الاختيار لاختاروا غيرها و قدعلمنا أن معاوية كان راضيا ببيعة يزيد وولاية العهد له من بعده و لم يكن متدينا بذلك و معتقدا صحته وإنما رضى عمر ببيعة أبى بكر من حيث كانت حاجزة عن بيعة أمير المؤمنين ع و لوملك الاختيار لكان مصير الأمر إليه أسر فى نفسه و أقر لعينه و إن ادعى أن المعلوم ضرورة تدين عمر بإمامة أبى بكر و أنه أولى بالإمامة منه فهذا مدفوع أشد دفع مع أنه قد كان ييدر من عمر فى وقت بعدآخر مايدل على ماأوردناه روى الهيثم بن عدى من عبد الله بن عياش الهمدانى عن سعيد بن جبير قال ذكر أبوبكر وعمر عند عبد الله بن عمر فقال رجل كانا و الله شمسى هذه الأمة و نوريتها فقال ابن عمر و مايدريك قال الرجل أ و ليس قدائتلفا قال ابن عمر بل اختلفا لو كنتم تعلمون أشهد أنى كنت عند أبى يوما و قدأمرنى أن أحبس الناس عنه فاستأذن عليه عبدالرحمن بن أبى بكر فقال عمر دويبة سوء و لهو خير من أبيه فأوحشنى ذلك منه فقلت ياأبت عبدالرحمن خير من أبيه فقال و من ليس بخير من أبيه لأم لك ائذن لعبد الرحمن فدخل عليه فكلمه فى الحطيئة الشاعر أن يرضى عنه و قد كان عمر حبسه فى شعر قاله فقال عمر إن فى الحطيئة أودا فدعنى أقومه بطول حبسه فألح عليه عبدالرحمن و أبى عمر [صفحه ٢٩] فخرج عبدالرحمن فأقبل على أبى و قال أ فى غفلة أنت إلى يومك هذا عما كان من تقدم أحيمق بنى تيم على و ظلمه لى فقلت لا علم لى بما كان من ذلك قال يابنى فما عسيت أن تعلم فقلت و الله لهو أحب إلى الناس من ضياء أبصارهم قال إن ذلك لكذلك على رغم أبيك و سخطه قلت ياأبت أ فلاتجلى عن فعله بموقف فى الناس تبين ذلك لهم قال و كيف لى بذلك مع ما ذكرت أنه أحب إلى الناس من ضياء أبصارهم إذن يرضخ رأس أبيك بالجدل قال ابن عمر ثم تجاسر و الله فجسر فما دارت الجمعة حتى قام خطيبا فى الناس فقال أيها الناس إن بيعة أبى بكر كانت فلتة و قى الله شرها فمن دعاكم إلى مثلها فاقتلوه . و روى الهيثم بن عدى عن مجالد بن سعيد قال غدوت يوما إلى الشعبى و أنا أريد أن أسأله عن شىء بلغنى عن ابن مسعود أنه كان يقوله فأتيته و هو فى مسجد حيه و فى المسجد قوم ينتظرونه فخرج فتعرفت إليه و قلت أصلحك الله كان ابن مسعود يقول ماكنت محدثا قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة قال نعم كان ابن مسعود يقول ذلك و كان ابن عباس يقول أيضا و كان عند ابن عباس دفائن علم يعطيها أهلها و يصرفها عن غيرهم فبينما نحن كذلك إذ أقبل رجل من الأزد فجلس إلينا فأخذنا فى ذكر أبى بكر و عمر فضحك الشعبى و قال لقد كان فى صدر عمر صب على أبى بكر فقال الأزدي و الله مارأينا و لاسمعنا برجل قط كان أسلس قيادا لرجل [صفحه ٣٠] و لا أقول فيه بالجميل من عمر فى أبى بكر فأقبل على الشعبى و قال هذا ما سألت عنه ثم أقبل على الرجل و قال ياأخا الأزدي فكيف تصنع بالفتنة التى وقى الله شرها أتري عدوا يقول فى عدو يريد أن يهدم مابنى لنفسه فى الناس أكثر من قول عمر فى أبى بكر فقال الرجل سبحان الله أنت تقول ذلك يا أبا عمرو فقال الشعبى أنا أقوله قاله عمر بن الخطاب على رءوس الأشهاد فلمه أودع فنهض الرجل مغضبا و هو يهيمهم فى الكلام بشىء لم أفهمه قال مجالد فقلت للشعبى ما أحسب هذا الرجل إلا سينقل عنك هذا الكلام إلى الناس و يبثه فيهم قال إذن و الله لا أحفل به و شىء لم يحفل به عمر حين قام على رءوس الأشهاد من المهاجرين و الأنصار أحفل به أنا أذيعوه أنتم عنى أيضا ما بدا لكم . و روى شريك بن عبد الله النخعى عن محمد بن عمرو بن مرة عن أبيه عن عبد الله بن سلمة عن أبى موسى الأشعرى قال حججت مع عمر فلما نزلنا و عظم الناس خرجت من رحلى أريده فلقينى المغيرة بن شعبه فرافقنى ثم قال أين تريد فقلت أمير المؤمنين فهل لك قال نعم فانطلقنا نريد رحل عمر فإننا لفى طريقنا إذ ذكرنا تولى عمر و قيامه بما هو فيه و حياطته على الإم و نهوضه بما قبله من ذلك ثم خرجنا إلى ذكر أبى بكر فقلت للمغيرة يا لك الخير لقد كان أبوبكر مسددا فى عمر لكأنه ينظر إلى قيامه من بعده و جدده واجتهاده و غنائه فى

الإسلام فقال المغيرة لقد كان ذلك و إن كان قوم كرهوا ولاية عمر ليزووها عنه و ما كان لهم في ذلك من حظ فقلت له لا أبا لك و من القوم الذين كرهوا ذلك لعمر فقال المغيرة لله أنت كأنك [صفحة ٣١] لاتعرف هذاالحى من قريش و ماخصوا به من الحسد فو الله لو كان هذاالحسد يدرك بحساب لكان لقريش تسعة أعشاره وللناس كلهم عشر فقلت مه يامغيرة فإن قريشا بانت بفضلها على الناس فلم نزل في مثل ذلك حتى انتهينا إلى رحل عمر فلم نجده فسألنا عنه فقيل قدخرج آنفا فمضينا نقفو أثره حتى دخلنا المسجد فإذاعمر يطوف بالبيت فطفنا معه فلما فرغ دخل بينى و بين المغيرة فتوكأ على المغيرة و قال من أين جئتما فقلنا خرجنا نريدك يا أمير المؤمنين فأتينا رحلك فقيل لنا خرج إلى المسجد فاتبعناك فقال اتبعكما الخير ثم نظر المغيرة إلى و تبسم فرمقه عمر فقال مم تبسمت أيها العبد فقال من حديث كنت أنا و أبو موسى فيه آنفا في طريقنا إليك قال و ماذاك الحديث فقصصنا عليه الخبر حتى بلغنا ذكر حسد قريش و ذكر من أراد صرف أبى بكر عن استخلاف عمر فتنفس الصعداء ثم قال ثكلتك أمك يامغيرة و ماتسعة أعشار الحسد بل و تسعة أعشار العشر و فى الناس كلهم عشر العشر بل و قريش شركاؤهم أيضا فيه و سكت مليا و هويتهدى بيننا ثم قال أ لاأخبركما بأحسد قريش كلها قلنا بلى يا أمير المؤمنين قال و عليكما ثيابكما قلنا نعم قال و كيف بذلك و أنتما ملبسان ثيابكما قلنا يا أمير المؤمنين و ما بال الثياب قال خوف الإذاعة منها قلنا له أتخاف الإذاعة من الثياب أنت و أنت من ملبس الثياب أخوف و ماالثياب أردت قال هوذاك ثم انطلق وانطلقنا معه حتى انتهينا إلى رحله فخلى أيدينا من يده ثم قال لا تريما و دخل فقلت للمغيرة لا أبا لك لقد عثرنا بكلامنا معه و ما كنا فيه و ما نراه حبسنا إلا لئذاكرنا إياها قال فإننا لكذلك إذ أخرج إذنه إلينا فقال ادخلا فدخلنا فوجدناه مستلقيا على بردعة برحل فلما رأنا تمثل بقول كعب بن زهير لاتفش سرک إلا عندذى ثقة || أولى وأفضل مااستودعت أسرارا [صفحة ٣٢] صدرا رحيبا وقلبا واسعا قمنا || ألا تخاف متى أودعت إظهارا .فعلمنا أنه يريد أن نضمن له كتمان حديثه فقلت أنا له يا أمير المؤمنين الزمنا وخصنا وصلنا قال بما ذا ياأخا الأشعرين فقلت يا فشاء سرک و أن تشرکنا فى همتک فعم المستشاران نحن لك قال إنكما كذلك فاسألا عما بدا لكما ثم قام إلى الباب ليعلقه فإذاالآذن الذى أذن لنا عليه فى الحجره فقال امض عنا لأم لك فخرج و أغلق الباب خلفه ثم أقبل علينا فجلس معنا و قال سلا تخبرا قلنا نريد أن يخبرنا أمير المؤمنين بأحسد قريش الذى لم يأمن ثيابنا على ذكره لنا فقال سألتما عن معضله و سأخبركما فليكن عندكما فى ذمه منيعة و حرز مابقيت فإذامت فشانكما و ماشئتما من إظهار أو كتمان قلنا فإن لك عندنا ذلك قال أبو موسى و أنا أقول فى نفسى مايريد إلاالذين كرهوا استخلاف أبى بكر له كطلحة و غيره فإنهم قالوا لأبى بكر أتستخلف علينا فظا غليظا و إذا هويذهب إلى غير ما فى نفسى فعاد إلى التنفس ثم قال من تريانه قلنا و الله ماندرى إلاظنا قال و ماتظنان قلنا عساك تريد القوم الذين أرادوا أبابكر على صرف هذاالأمر عنك قال كلا و الله بل كان أبوبكر أعق و هو الذى سألتما عنه كان و الله أحسد قريش كلها ثم أطرق طويلا فنظر المغيرة إلى و نظرت إليه و أطرقنا مليا لإطراقه و طال السكوت منا و منه حتى ظننا أنه قدندم على ما بدا منه ثم قال و اهفاه على ضئيل بنى تيم بن مرة لقد تقدمنى ظالما و خرج إلى منها آثما فقال المغيرة أما تقدمه عليك يا أمير المؤمنين ظالما فقد عرفناه كيف خرج إليك منها آثما قال ذاك لأنه لم يخرج إلى منها إلا بعدياس منها أما و الله لو كنت أظعت يزيد بن الخطاب و أصحابه لم يتلمظ من حلاوتها بشىء أبدا ولكنى قدمت و آخرت و صعدت و صوبت و نقضت و أبرمت فلم أجد إلاالإغضاء على مانشب به منها و التلهف على نفسى و أملت إنابته و رجوعه فو الله ما فعل حتى نغر بها بشما [صفحة ٣٣] قال المغيرة فما منعك منها يا أمير المؤمنين و قدعرضك لها يوم السقيفة بدعائك إليها ثم أنت الآن تنقم و تتأسف قال ثكلتك أمك يامغيرة إنى كنت لأعدك من دهاء العرب كأنك كنت غائبا عما هناك إن الرجل ماكرنى فماكرته و ألفانى أحذر من قطاء إنه لمارأى شغف الناس به و إقبالهم بوجوههم عليه أيقن أنهم لا يريدون به بدلا فأحب لمارأى من حرص الناس عليه و ميلهم إليه أن يعلم ما عندى و هل تنازعنى نفسى إليها و أحب أن يبلونى بإطماعى فيها و التعريض لى بها و قدعلم و علمت

لوقبلت ما عرضه على لم يجب الناس إلى ذلك فألفاني قائما على أخصى مستوفرا حذرا و لوأجبتة إلى قبولها لم يسلم الناس إلى ذلك واختبأها ضغنا على في قلبه و لم آمن غائلته و لو بعدحين مع ما بدا لي من كراهة الناس لي أ ماسمعت نداءهم من كل ناحية عند عرضها على لا نريد سواك يا أبابكر أنت لها فرددتها إليه عند ذلك فلقد رأيت التمتع وجهه لذلك سرورا ولقد عاتبني مرة على كلام بلغه عني و ذلك لما قدم عليه بالأشعث أسيرا فمن عليه وأطلقه وزوجه أخته أم فروة فقلت للأشعث و هو قاعد بين يديه ياعدو الله أكفرت بعد إسلامك وارتددت ناكصا على عقبيك فنظر إلى نظرا علمت أنه يريد أن يكلمني بكلام في نفسه ثم لقيني بعد ذلك في سبكك المدينة فقال لي أنت صاحب الكلام يا ابن الخطاب فقلت نعم ياعدو الله و لك عندى شر من ذلك فقال بسس الجزاء هذا لي منك قلت وعلام تريد منى حسن الجزاء قال لأنفتى لك من اتباع هذا الرجل و الله ماجرأنى على الخلاف عليه إلا تقدمه عليك و تخلفك عنها و لو كنت صاحبها لمارأيت منى خلافا عليك قلت لقد كان ذلك فما تأمر الآن قال إنه ليس بوقت أمر بل وقت صبر ومضى ومضيت ولقى الأشعث الزبيرقان بن بدر فذكر له ماجرى بيني وبينه فنقل ذلك إلى أبى بكر فأرسل إلى بعتاب مؤلم فأرسلت إليه أما و الله [صفحة ٣٤] لتكفن أو لأقولن كلمة بالغه بي وبك في الناس تحملها الركبان حيث ساروا و إن شئت استمدنا مانحن فيه عفوا فقال بل نستديمه و إنها لصائرة إليك بعد أيام فظننت أنه لا يأتي عليه جمعة حتى يردها على فتغافل و الله ماذاكرنى بعد ذلك حرفا حتى هلك . ولقد مد في أمدها عاضا على نواجذه حتى حضره الموت وأيس منها فكان منه ما رأيتما فاكتما ما قلت لكما عن الناس كافة و عن بنى هاشم خاصة وليكن منكما بحيث أمرتكما قوما إذ اشتتما على بركة الله فقمنا ونحن نعجب من قوله فو الله ما أفسينا سره حتى هلك . قال المرتضى و ليس في طعن عمر على أبى بكر ما يؤدى إلى فساد خلافته إذ له أن يثبت إمامة نفسه بالإجماع لابنص أبى بكر عليه و أما الفتنة فإنها و إن كانت محتملة للبعثة كما قاله أبو على رحمه الله تعالى إلا أن قوله وقى الله شرها يخصصها بأن مخرجها مخرج الدم وكذلك قوله فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه و قوله المراد وقى الله شر الاختلاف فيهما عدول عن الظاهر لأن الشر في الكلام مضاف إليها دون غيرها و أبعد من هذا التأويل قوله إن المراد من عاد إلى مثلها من غير ضرورة و أكره المسلمين عليها فاقتلوه لأن ماجرى هذا المجرى لا يكون مثلا لبيعة أبى بكر عندهم لأن كل ذلك ماجرى فيها على مذاهبهم و قد كان يجب على هذا أن يقول فمن عاد إلى خلافها فاقتلوه . و ليس له أن يقول إنما أراد بالمثل وجهها واحدا و هو وقوعها من غير مشاورة لأن ذلك إنما تم في أبى بكر خاصة بظهور أمره واشتهار فضله ولأنهم بادروا إلى العقد خوفا من الفتنة و ذلك لأنه غير منكر أن يتفق من ظهور فضل غير أبى بكر واشتهار أمره وخوف الفتنة ما اتفق لأبى بكر فلا يستحق قتلا و لا ذما على أن قوله مثلها يقتضى وقوعها على الوجه الذى وقعت عليه فكيف يكون ما وقع من غير مشاورة لضرورة داعية وأسباب موجبة مثلا لما وقع بلا مشاورة و من غير ضرورة و لأسباب و الذى رواه عن أهل اللغة [صفحة ٣٥] من أن آخر يوم من شوال يسمى فلتة من حيث إن من لم يدرك فيه الثأر فإنه قول لانعرفه و الذى نعرفه أنهم يسمون الليلة التى ينقضى بها آخر الأشهر الحرم ويتم فلتة و هى آخر ليلة من ليالى الشهر لأنه ربما رأى الهلال قوم لتسع وعشرين و لم يبصره الباقون فيغير هؤلاء على أولئك وهم غارون فلماذا سميت تلك الليلة فلتة على أنا قدينا أن مجموع الكلام يقتضى ما ذكرناه من المعنى لو سلم له مارواه عن أهل اللغة فى احتمال هذه اللفظة. قال و قد ذكر صاحب كتاب العين أن الفلتة الأمر الذى يقع على غير أحكام فقد صح أنها موضوعة فى اللغة لهذا و إن جاز ألا تختص به بل تكون لفظة مشتركة. و بعد فلو كان عمر لم يرد بقوله توهين بيعة أبى بكر بل أراد ما ظنه المخالفون لكان ذلك عائدا عليه بالنقص لأنه وضع كلامه فى غير موضعه وأراد شيئا فعبّر عن خلافه فليس يخرج هذا الخبر من أن يكون طعنا على أبى بكر إلا بأن يكون طعنا على عمر. واعلم أنه لا يبعد أن يقال إن الرضا والسخط والحب والبغض و ماشاكل ذلك من الأخلاق النفسانية و إن كانت أمور باطنية فإنها قد تعلم ويضطر الحاضرون إلى تحصيلها بقرائن أحوال تفيدهم العلم الضرورى كما يعلم خوف الخائف و سرور المبتهج و قد

يكون الإنسان عاشقا لآخر فيعلم المخالطون لهما ضرورة أنه يعشقه لما يشاهدونه من قرائن الأحوال وكذلك يعلم من قرائن أحوال العابد المجتهد في العبادة وصوم الهواجر وملازمة الأوراد وسهر الليل أنه يتدين بذلك فغير منكر أن يقول قاضى القضاة رحمه الله [صفحة ٣٦] تعالى إن المعلوم ضرورة من حال عمر تعظيم أبى بكر ورضاه بخلافته وتدينه بذلك فالذى اعترضه رحمه الله تعالى به غير وارد عليه و أما الأخبار التى رواها عن عمر فأخبار غريبة مارأيناها فى الكتب المدونة و ماوقفنا عليها إلا من كتاب المرتضى و كتاب آخر يعرف بكتاب المسترشد لمحمد بن جرير الطبرى و ليس هو محمد بن جرير صاحب التاريخ بل هو من رجال الشيعة وأظن أن أمه من بنى جرير من مدينة آمل طبرستان وبنو جرير الآمليون شيعة مستهترون بالشيخ فنسب إلى أخواله ويدل على ذلك شعر مروى له و هو بآمل مولدى وبنو جرير || فأخوالى ويحكى المرء خاله فمن يك رافضيا عن أبيه || فإنى رافضى عن كلاله . و أنت تعلم حال الأخبار الغريبة التى لا توجد فى الكتب المدونة كيف هى فأما إنكاره ما ذكره شيخنا أبو على رحمه الله تعالى من أن الفتنة هى آخر يوم من شوال و قوله إنا لانعرفه فليس الأمر كذلك بل هو تفسير صحيح ذكره الجوهري فى كتاب الصحاح قال الفتنة آخر ليلة من كل شهر ويقال هى آخر يوم من الشهر الذى بعده الشهر الحرام و هذا يدل على أن آخر يوم من شوال يسمى فلتة وكذلك آخر يوم من جمادى الآخرة وإنما التفسير الذى ذكره المرتضى غير معروف عند أهل اللغة . و أما ما ذكره من إفساد حمل الفتنة فى الخبر على هذه الوجوه المتأولة فحيد إلا أن الإنصاف أن عمر لم يخرج الكلام مخرج الدم لأمر أبى بكر وإنما أراد باللفظة محض حقيقتها فى اللغة ذكر صاحب الصحاح أن الفتنة الأمر الذى يعمل فجأة من [صفحة ٣٧] غير تردد و لاتدبر وهكذا كانت بيعه أبى بكر لأن الأمر لم يكن فيها شورى بين المسلمين وإنما وقعت بغته لم تمحص فيها الآراء و لم يتناظر فيها الرجال و كانت كالشئ المستلب المنتهب و كان عمر يخاف أن يموت عن غير وصية أو يقتل قتلا فيبايع أحد من المسلمين بغته كبيعة أبى بكر فخطب بما خطب به و قال معذرا إلا أنه ليس فيكم من تقطع إليه الأعناق كأبى بكر . وأيضا قول المرتضى قديتفق من ظهور فضل غير أبى بكر وخوف الفتنة مثل ما اتفق لأبى بكر فلا يستحق القتل فإن لقاتل أن يقول إن عمر لم يخاطب بهذا إلا أهل عصره و كان هو رحمه الله يذهب إلى أنه ليس فيهم كأبى بكر و لا من يحتمل له أن يبايع فلتة كما احتل ذلك لأبى بكر فإن اتفق أن يكون فى عصر آخر بعد عصره من يظهر فضله و يكون فى زمانه كأبى بكر فى زمانه فهو غير داخل فى نهى عمر و تحريمه . و اعلم أن الشيعة لم تسلم لعمر أن بيعه أبى بكر كانت فلتة قال محمد بن هانئ المغربى ولكن أمرا كان أبرم بينهم || و إن قال قوم فلتة غير مبرم . و قال آخر زعموها فلتة فاجئة || لا ورب البيت والركن المشيد إنما كانت أمورا نسجت || بينهم أسبابها نسج البرود . وروى أبو جعفر أيضا فى التاريخ أن رسول الله ص لما قبض اجتمعت الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة وأخرجوا سعد بن عبادة ليولوه الخلافة و كان [صفحة ٣٨] مريضا فخطبهم ودعاهم إلى إعطائه الرئاسة والخلافة فأجابوه ثم ترادوا الكلام فقالوا فإن أبى المهاجرين وقالوا نحن أولياؤه وعترته فقال قوم من الأنصار نقول منا أمير ومنكم أمير فقال سعد فهذا أول الوهن وسمع عمر الخبر فأتى منزل رسول الله ص و فيه أبوبكر فأرسل إليه أن اخرج إلى فارس أنى مشغول فأرسل إليه عمر أن اخرج فقد حدث أمر لا بد أن تحضره فخرج فأعلمه الخبر فمضيا مسرعين نحوهم ومعهما أبو عبيدة فتكلم أبوبكر فذكر قرب المهاجرين من رسول الله ص وأنهم أولياؤه وعترته ثم قال نحن الأمراء وأنتم الوزراء لانفتات عليكم بمشورة و لانقضى دونكم الأمور . فقام الحباب بن المنذر بن الجموح فقال يامعشر الأنصار املكوا عليكم أمركم فإن الناس فى ظلكم ولن يجترئ مجترئ على خلافكم و لا يصدر أحد إلا عن رأيكم أنتم أهل العزة والمنعة وأولو العدد والكثرة وذوو البأس والنجدة وإنما ينظر الناس ماتصنعون فلا تختلفوا فتفسد عليكم أموركم فإن أبى هؤلاء إلا ماسمعتم فمننا أمير ومنهم أمير . فقال عمر هيهات لا يجتمع سيفان فى غمد و الله لا ترضى العرب أن تؤمركم و نبيها من غيركم و لاتمتنع العرب أن تولى أمرها من كانت النبوة منهم من ينازعنا سلطان محمد و نحن أولياؤه وعشيرته . فقال الحباب بن المنذر يامعشر الأنصار

املكوا أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر فإن أبوا عليكم فأجلوهم من هذه البلاد فأنتم أحق بهذا الأمر منهم فإنه بأسيا فكم دان الناس بهذا الدين أنا جدي لها المحكك وعذيقها المرجب [صفحة ٣٩] أنا أبو شبل في عريسة الأسد والله إن شتتم لعينها جذعة. فقال عمر إذن يقتلك الله قال بل إياك يقتل . فقال أبو عبيدة يامعشر الأنصار إنكم أول من نصر وأزر فلا تكونوا أول من بدل وغيره. فقام بشير بن سعد والد النعمان بن بشير فقال يامعشر الأنصار ألا إن محمدا من قريش وقومه أولى به وإيم الله لا يراني الله أنزعهم هذا الأمر. فقال أبو بكر هذاعمر وأبو عبيدة بايعوا أيهما شتتم فقالا- والله لا نتولى هذا الأمر عليك وأنت أفضل المهاجرين وخليفة رسول الله ص في الصلاة وهي أفضل الدين ابسط يدك فلما بسط يده لبايعاه سبقهما إليه بشير بن سعد فبايعه فناداه الحباب بن المنذر يابشير عقت عقاق أنفست على ابن عمك الإمارة. فقال أسيد بن حضير رئيس الأوس لأصحابه والله لئن لم تبايعوا ليكونن للخزرج عليكم الفضيلة أبدا فقاموا فبايعوا أبا بكر. فانكسر على سعد بن عباد والخزرج ما اجتمعوا عليه وأقبل الناس يبايعون أبا بكر من كل جانب ثم حمل سعد بن عباد إلى داره فبقي أياما وأرسل إليه أبو بكر لبايع فقال لا والله حتى أرميكم بما في كنانتي وأخضب سنان رمحي وأضرب بسيفي ما أطاعني وأقاتلكم بأهل بيتي ومن تبعني ولو اجتمع معكم الجن والإنس ما بايعتكم حتى أعرض على ربي. فقال عمر لا ندعه حتى يبايع فقال بشير بن سعد إنه قد لج و ليس بمبايع لكم [صفحة ٤٠] حتى يقتل و ليس بمقتول حتى يقتل معه أهله وطائفه من عشيرته و لا يضركم تركه إنما هو رجل واحد فتركوه . وجاءت أسلم فبايعت فقوى بهم جانب أبي بكر وبايعه الناس . وفي كتب غريب الحديث في تنمة كلام عمر فأياما رجل بايع رجلا بغير مشورة من الناس فلا يؤمر واحد منهما تغره أن يقتلا. قالوا غرر تغريرا وتغره كما قالوا حلل تحليلا وتحله وعلل تعليلا- وتعله وانتصب تغره هاهنا لأنه مفعول له ومعنى الكلام أنه إذا بايع واحد لآخر بغته عن غير شوري فلا يؤمر واحد منهما لأنهما قد غررا بأنفسهما تغره وعرضاهما لأن تقتلا. وروى جميع أصحاب السيرة أن رسول الله ص لماتوفى كان أبو بكر في منزله بالسنع فقال عمر بن الخطاب فقال مامات رسول الله ص و لا يموت حتى يظهر دينه على الدين كله و ليرجعن فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم ممن أرجف بموته لا أسمع رجلا يقول مات رسول الله إلا ضربته بسيفي فجاء أبو بكر وكشف عن وجه رسول الله ص و قال بأبي وأمي طبت حيا وميتا والله لا يذيقك الله الموتتين أبدا ثم خرج و الناس حول عمر و هو يقول لهم إنه لم يموت ويحلف فقال له أيها الحالف على رسلك ثم قال من كان يعبد محمدا فإن محمدا قدمات و من كان يعبد الله فإن الله ص لا يموت قال الله تعالى إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ و قال أَفَإِن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ قال عمر فو الله -قرآن- ١١٠٨-١١٤١-قرآن-١١٤٩-١١٩٩ [صفحة ٤١] ماملكت نفسي حيث سمعتها أن سقطت إلى الأرض وعلمت أن رسول الله ص قدمات و قد تكلمت الشيعة في هذا الموضوع وقالوا إنه بلغ من قلة علمه أنه لم يعلم أن الموت يجوز على رسول الله ص و أنه أسوء الأنبياء في ذلك و قال لماتلا أبو بكر الآيات أيقنت الآن بوفاته كأنى لم أسمع هذه الآية فلو كان يحفظ القرآن أو يتفكر فيه ما قال ذلك و من هذه حاله لا يجوز أن يكون إماما. وأجاب قاضى القضاة رحمه الله تعالى في المغنى عن هذا فقال إن عمر لم يمنع من جواز موته ع و لانفى كونه ممكنا ولكنه تأول في ذلك قوله تعالى هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينَ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ و قال كيف يموت و لم يظهر ص على الدين كله فقال أبو بكر إذا ظهر دينه فقد ظهر هو وسيظهر دينه بعد وفاته. فحمل عمر قوله تعالى أَفَإِن مَاتَ عَلَى تَأَخَّرِ الْمَوْتِ لا على نفيه بالكلية قال و لا يجب فيمن ذهل عن بعض أحكام القرآن ألا يحفظ القرآن لأن الأمر لو كان كذلك لوجب ألا يحفظ القرآن إلا- من عرف جميع أحكامه على أن حفظ جميع القرآن غير واجب و لا يقدح الإخلال به في الفضل . واعترض المرتضى رحمه الله تعالى في كتاب الشافى هذا الكلام فقال لا يخلو خلاف عمر في وفاة رسول الله ص من أن يكون على سبيل الإنكار لموته على كل حال والاعتقاد أن الموت لا يجوز عليه على كل وجه أو يكون منكرا لموته في -قرآن- ٥٣٦-٦٢٢-قرآن-٧٥٢-٧٦٤ [صفحة ٤٢] تلك الحال من حيث لم يظهر على الدين كله فإن

كان الأول فهو مما لا يجوز خلاف عاقل فيه والعلم بجواز الموت على جميع البشر ضرورى و ليس يحتاج فى حصول هذا العلم إلى تلاوة الآيات التى تلاها أبو بكر و إن كان الثانى فأول ما فيه أن هذا الاختلاف لا يليق بما احتج به أبو بكر عليه من قوله إِنَّكَ مَيِّتٌ لَأَنْ عَمْرٌ لَمْ يَنْكُرْ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ جَوَازَ الْمَوْتِ عَلَيْهِ وَصَحَّتْهُ وَإِنَّمَا خَالَفَ فِي وَقْتِهِ فَكَانَ يَجِبُ أَنْ يَقُولَ لِأَبِي بَكْرٍ وَ أَى حُجَّةٌ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ عَلَى فَيَانِي لَمْ أَمْنَعْ جَوَازَ مَوْتِهِ وَإِنَّمَا مَنَعْتُ وَقُوعَ مَوْتِهِ الْآنَ وَجَوَازَتِهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ وَالْآيَاتِ إِنَّمَا تَدُلُّ عَلَى جَوَازِ الْمَوْتِ فَقَطْ لَا عَلَى تَخْصِيصِهِ بِحَالٍ مَعِينَةٌ. و بعد فكيف دخلت هذه الشبهة البعيدة على عمر من بين سائر الخلق و من أين زعم أنه سيعود فيقطع أيدي رجال وأرجلهم وكيف لم يحصل له من اليقين لمارأى من الواعية وكأبه الخلق وإغلاق الباب وصراخ النساء ما يدفع به ذلك الوهم والشبهة البعيدة فلم يحتج إلى موقف . و بعد فيجب إن كانت هذه شبهته أن يقول فى مرض النبي ص و قدر أى جزع أهله وخوفهم عليه الموت وقول أسامة صاحب الجيش لم أكن لأرحل و أنت هكذا وأسأل عنك الركب يا هؤلاء لا تخافوا ولا تجزعوا ولا تخف أنت يا أسامة فإن رسول الله ص لا يموت الآن لأنه لم يظهر على الدين كله . و بعد فليس هذا من أحكام الكتاب التى يعذر من لا يعرفها على ما ظن المعتذر له . ونحن نقول إن عمر كان أجل قدرا من أن يعتقد ما ظهر عنه فى هذه الواقعة - قرآن - ٢٩٩-٣١١ [صفحة ٤٣] ولكنه لما علم أن رسول الله ص قد مات خاف من وقوع فتنة فى الإمامة وتقلب أقوام عليها إما من الأنصار أو غيرهم وخاف أيضا من حدوث ردة ورجوع عن الإسلام فإنه كان ضعيفا بعد لم يتمكن وخاف من ترات تشن ودماء تراق فإن أكثر العرب كان موتورا فى حياة رسول الله ص لقتل من قتل أصحابه منهم و فى مثل ذلك الحال تنتهز الفرصة وتهتل الغرة فاقتضت المصلحة عنده تسكين الناس بأن أظهر ما أظهره من كون رسول الله ص لم يمت وأوقع تلك الشبهة فى قلوبهم فكسر بهاشرة كثير منهم وظنوها حقا فثناهم بذلك عن حادث يحدثونه تخيلا منهم أن رسول الله ص مامات وإنما غاب كما غاب موسى عن قومه وهكذا كان عمر يقول لهم إنه قد غاب عنكم كما غاب موسى عن قومه وليعودن فليقطعن أيدي قوم أرجفوا بموته . ومثل هذا الكلام يقع فى الوهم فيصد عن كثير من العزم ألا ترى أن الملك إذ مات فى مدينة وقع فيها فى أكثر الأمر نهب وفساد وتحريق و كل من فى نفسه حقد على آخر بلغ منه غرضه إما بقتل أو جرح أو نهب مال إلى أن تتمهد قاعدة الملك الذى يلي بعده فإذا كان فى المدينة وزير حازم رأى كتم موت الملك وسجن قوما ممن أرجف نداء بموته وأقام فيهم السياسة وأشاع أن الملك حى و أن أوامره وكتبه نافذة ولا يزال يلزم ذلك الناموس إلى أن يمهد قاعدة الملك للوالى بعده وكذلك عمر أظهر ما أظهر حراسه للدين والدولة إلى أن جاء أبو بكر و كان غائبا بالسنح و هو منزل بعيد عن المدينة فلما اجتمع بأبى بكر قوى به جأشه واشتد به أزره وعظم طاعة الناس له وميلهم إليه فسكت حينئذ عن تلك الدعوى التى كان ادعاها لأنه قد آمن بحضور أبى بكر من خطب يحدث أوفساد يتجدد و كان أبو بكر محببا إلى الناس لاسيما المهاجرين . [صفحة ٤٤] ويجوز عند الشيعة وعند أصحابنا أيضا أن يقول الإنسان كلاما ظاهر الكذب على جهة المعارضة فلا وصمة على عمر إذا كان حلف أن رسول الله ص لم يمت ولا وصمة عليه فى قوله بعد حضور أبى بكر وتلاوة ماتلا كأنى لم أسمعها أو قد تيقنت الآن وفاته ص لأنه أراد بهذا القول الأخير تشييد القول الأول و كان هو الصواب و كان من سيئ رأى وقبيحه أن يقول إنما قلته تسكينا لكم و لم أقله عن اعتقاد فالذى بدا به حسن وصواب و الذى ختم به أحسن وأصوب . وروى أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري فى كتاب السقيفة عن عمر بن شبة عن محمد بن منصور عن جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار قال كان النبي ص قد بعث أباسفيان ساعيا فرجع من سعائته و قدمات رسول الله ص فلقى قوم فسألهم فقالوا مات رسول الله ص فقال من ولى بعده قيل أبو بكر قال أبو فضيل قالوا نعم قال فما فعل المستضعفان على والعباس أما و الذى نفسى بيده لأرفعن لهما من أعضادهما . قال أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز وذكر الراوى و هو جعفر بن سليمان أن أباسفيان قال شيئا آخر لم تحفظه الرواة فلما قدم المدينة قال إنى لأرى عجاجة لا يطفئها إلا الدم قال فكلم عمر أبابكر فقال إن أباسفيان قد قدم و أنا لانا من شره فدع له ما فى يده فتركه

فرضى. وروى أحمد بن عبدالعزيز أن أباسفيان قال لمابوع عثمان كان هذا الأمر في تيم وأنا لتيم هذا الأمر ثم صار إلى عدى فأبعد وأبعد ثم رجعت إلى منازلها واستقر الأمر قراره فتلقفوها تلقف الكرة. [صفحة ٤٥] قال أحمد بن عبدالعزيز وحدثني المغيرة بن محمد المهلبى قال ذكرت إسماعيل بن إسحاق القاضى بهذا الحديث و أن أباسفيان قال لعثمان بأبى أنت أنفق ولا تكن كأبى حجر وتداولوها يابنى أمية تداول الولدان الكرة فو الله ما من جنه و لانا و كان الزبير حاضرا فقال عثمان لأبى سفيان اعزب فقال يابنى أهاهنا أحد قال الزبير نعم و الله لا كتمتها عليك قال فقال إسماعيل هذا باطل قلت وكيف ذلك قال ما أنكر هذا من أبى سفيان ولكن أنكر أن يكون سمعه عثمان و لم يضرب عنقه . وروى أحمد بن عبدالعزيز قال جاء أبوسفيان إلى على ع فقال وليتم على هذا الأمر أذل بيت فى قریش أ ما و الله لئن شئت لأملأنها على أبى فصيل خيلا ورجلا فقال على ع طالما غششت الإسلام وأهله فما ضررتهم شيئا لا حاجة لنا إلى خيلك ورجلك لو لا أنارأينا أبابكر لها أهلا لماتر كناه -روایت- ١-٢-روایت-٣٣-٢٩٠ وروى أحمد بن عبدالعزيز قال لمابوع لأبى بكر كان الزبير والمقداد يختلفان فى جماعة من الناس إلى على و هو فى بيت فاطمة فيتشاورون ويتراجعون أمورهم فخرج عمر حتى دخل على فاطمة ع و قال يابنت رسول الله ما من أحد من الخلق أحب إلينا من أيبك و ما من أحد أحب إلينا منك بعد أيبك و ايم الله ماذاك بمانعى إن اجتمع هؤلاء النفر عندك أن أمر بتحريق البيت عليهم فلما خرج عمر جاءوها فقالت تعلمون أن عمر جاءنى وحلف لى بالله إن عدتم ليحرقن عليكم البيت و ايم الله ليمضين لماحلف له فانصرفوا عنا راشدين فلم يرجعوا إلى بيتها وذهبوا فبايعوا لأبى بكر. وروى أحمد وروى المبرد فى الكامل صدر هذا الخبر عن عبدالرحمن [صفحة ٤٦] بن عوف قال دخلت على أبى بكر أعوده فى مرضه الذى مات فيه فسلمت وسألته كيف به فاستوى جالسا فقلت لقد أصبحت بحمد الله بارئا فقال أما إنى على ماترى لوجع وجعلتم لى معشر المهاجرين شغلا مع وجعى وجعلت لكم عهدا منى من بعدى واخترت لكم خيركم فى نفسى فكلكم ورم لذلك أنفه رجاء أن يكون الأمر له ورأيت الدنيا قد أقبلت و الله لتتخذن ستور الحرير ونضائد الديباج وتألمون ضجائع الصوف الأذربى كأن أحدكم على حسك السعدان و الله لأن يقدم أحدكم فتضرب عنقه فى غير حد خير له من أن يسبح فى غمرة الدنيا وإنكم غدا لأول ضال بالناس يجورون عن الطريق يمينا وشمالا يهاذى الطريق جرت إنما هو البحر أو الفجر فقال له عبدالرحمن لا تكثر على ما بك فيهيضك و الله ما أردت إلا خيرا و إن صاحبك لذو خير و ما الناس إلا رجلا ن رجل رأى ما رأيت فلا خلاف عليك منه و رجل رأى غير ذلك وإنما يشير عليك برأيه فسكن وسكت هنيهة فقال عبدالرحمن ما أرى بك بأسا والحمد لله فلا تأس على الدنيا فو الله إن علمناك إلا صالحا مصلحا فقال أما إنى لا آسى إلا على ثلاث فعلتهن ووددت أنى لم أفعلن وثلاث لم أفعلن ووددت أنى فعلتهن وثلاث ووددت أنى سألت رسول الله ص عنهن فأما الثلاث التى فعلتها ووددت أنى لم أكن فعلتها فوددت أنى لم أكن كسفت [صفحة ٤٧] عن بيت فاطمة وتركته و لو أغلق على حرب ووددت أنى يوم سقيفة بنى ساعدة كنت قذفت الأمر فى عنق أحد الرجلين عمر أو أبى عبيدة فكان أميرا وكنت وزيرا ووددت أنى إذ أتيت بالفجاءة لم أكن أحرقتة وكنت قتلتة بالحديد أو أطلقته . و أما الثلاث التى تركتها ووددت أنى فعلتها فوددت أنى يوم أتيت بالأشعث كنت ضربت عنقه فإنه يخيل إلى أنه لا يرى شرا إلا أعان عليه ووددت أنى حيث وجهت خالدا إلى أهل الردة أقمت بذى القصة فإن ظفر المسلمون و إلا كنت رداء لهم ووددت حيث وجهت خالدا إلى الشام كنت وجهت عمر إلى العراق فأكون قد بسطت كلتا يدي اليمن والشمال فى سبيل الله . و أما الثلاث اللواتى ووددت أنى كنت سألت رسول الله ص عنهن فوددت أنى سألته فىمن هذا الأمر فكنا لانازعه أهله ووددت أنى كنت سألته هل للانصار فى هذا الأمر نصيب ووددت أنى سألته عن ميراث العمه وابنة الأخت فإن فى نفسى منهما حاجة . و من كتاب معاوية المشهور إلى على ع وأعهدك أمس تحمل قعيده بيتك ليلا على حمار ويداك فى يدي ابنيك الحسن والحسين يوم بويح أبوبكر الصديق فلم تدع أحدا من أهل بدر والسوابق إلا دعوتهم إلى نفسك ومشيت إليهم بامرأتك وأدليت إليهم

بابنيك واستنصرتهم على صاحب رسول الله فلم يجيبك منهم إلا أربعة أو خمسة ولعمري لو كنت محقا لأجابوك ولكنك ادعيت باطلا- و قلت ما لاتعرف و رمت ما لايدررك ومهما نسيت فلا أنسى قولك لأبي سفيان لما حركك وهيجك لو وجدت أربعين ذوى عزم منهم لناهضت القوم فما يوم المسلمين منك بواحد ولا بغيك على الخلفاء بطريف ولا مستبدع . [صفحہ ۴۸] وسنذكر تمام هذا الكتاب وأوله عند انتهائنا إلى كتب على ع . وروى أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري عن أبي المنذر وهشام بن محمد بن السائب عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس قال كان بين العباس و علي مباحدة فلقى ابن عباس عليا فقال إن كان لك في النظر إلى عمك حاجة فأتته و ما أراك تلقاه بعدها فوجم لها و قال تقدمني واستأذن فتقدمته واستأذنت له فأذن فدخل فاعتنق كل واحد منهما صاحبه وأقبل على ع علي يده ورجله يقبلهما و يقول يا عم ارض عني رضى الله عنك قال قدرضيت عنك . ثم قال يا ابن أخي قد أشرت عليك بأشياء ثلاثة فلم تقبل ورأيت في عاقبتها ما كرهت وها أنا ذا أشير عليك برأى رابع فإن قبلته و إلا نالك ما نالك مما كان قبله قال و ماذا لك يا عم قال أشرت عليك في مرض رسول الله ص أن تسأله فإن كان الأمر فينا أعطانا و إن كان في غيرنا أوصى بنا فقلت أخشى إن منعنا لا يعطيناه أحد بعده فمضت تلك فلما قبض رسول الله ص أتانا أبو سفيان بن حرب تلك الساعة فدعوناك إلى أن نبايعك و قلت لك ابسط يدك أبايعك و يبايعك هذا الشيخ فإننا إن بايعناك لم يختلف عليك أحد من بني عبد مناف و إذا بايعك بنو عبد مناف لم يختلف عليك أحد من قريش و إذا بايعتك قريش لم يختلف عليك أحد من العرب فقلت لنا بجهاز رسول الله ص شغل و هذا الأمر فليس نخشى عليه فلم نلبث أن سمعنا التكبير من سقيفة بني ساعدة فقلت يا عم ما هذا قلت ما دعوناك إليه فأبيت قلت سبحان الله أ و يكون هذا قلت نعم قلت أ فلا يرد لك وهل رد مثل هذا فقلت ثم أشرت عليك حين طعن عمر فقلت لا تدخل نفسك في الشورى فإنك إن اعتزلتهم قدموك و إن ساويتهم تقدموك فدخلت معهم فكان ما رأيت [صفحہ ۴۹] ثم أنا الآن أشير عليك برأى رابع فإن قبلته و إلا نالك ما نالك مما كان قبله إنى أرى أن هذا الرجل يعنى عثمان قد أخذ في أمور و الله لكأنى بالعرب قد سارت إليه حتى ينحر في بيته كما ينحر الجمل و الله إن كان ذلك و أنت بالمدينة أزمك الناس به و إذا كان ذلك لم تنل من الأمر شيئا إلا من بعد شر لا خير معه قال عبد الله بن عباس فلما كان يوم الجمل عرضت له و قد قتل طلحة و قد أكثر أهل الكوفة في سبه و غمصه فقال على ع أما و الله لئن قالوا ذلك لقد كان كما قال أخو جعفي فتى كان يدينه الغنى من صديقه || إذا ما هو استغنى و يبعده الفقر ثم قال و الله لكان عمى كان ينظر من وراء ستر رقيق و الله ما نلت من هذا الأمر شيئا إلا بعد شر لا خير معه . وروى أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز عن حباب بن يزيد عن جرير بن المغيرة أن سلمان والزبير والأنصار كان هواهم أن يبايعوا عليا بعد النبي ص فلما بويح أبو بكر قال سلمان أصبتم الخبرة و أخطأتم المعدن . قال أبو بكر وأخبرنا أبو زيد عمر بن شبة قال حدثنا علي بن أبي هاشم قال حدثنا عمر بن ثابت عن حبيب بن أبي ثابت قال قال سلمان يومئذ أصبتم ذا السن منكم و أخطأتم أهل بيت نبيكم لوجعلتموها فيهم ماختلف عليكم اثنان و لا كلكتموها رغدا . قال أبو بكر وأخبرنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن يحيى قال حدثنا غسان [صفحہ ۵۰] بن عبد الحميد قال لما أكثر الناس في تخلف على ع عن بيعه أبي بكر واشتد أبو بكر وعمر عليه في ذلك خرجت أم مسطح بن أثاثة فوقفت عند القبر وقالت كانت أمور و أبناء و هنبشة || لو كنت شاهدا لم تكثر الخطب إنا فقدناك فقد الأرض و ابلها || واختل قومك فاشهدهم و لا تغب . قال أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز وأخبرنا أبو زيد عمر بن شبة قال حدثنا ابراهيم بن المنذر عن ابن وهب عن ابن لهيعة عن أبي الأسود قال غضب رجال من المهاجرين في بيعه أبي بكر بغير مشورة و غضب علي والزبير فدخلوا بيت فاطمة ع معها السلاح فجاء عمر في عصابة منهم أسيد بن حضير و سلمة بن سلامة بن وقش و هما من بني عبد الأشهل فصاحت فاطمة ع و ناشدتهم الله فأخذوا سيفى علي والزبير فضربوا بهما الجدار حتى كسروهما ثم أخرجهما عمر يسوقهما حتى بايعا ثم قام أبو بكر فخطب الناس و اعتذر إليهم و قال إن بيعتى كانت فلتة و قى الله شرها و خشيت الفتنة و ايم الله ما حرصت عليها

يوما قط ولقد قلت أمرا عظيما ما لى به طاقه و لايدان ولوددت أن أقوى الناس عليه مكانى وجعل يعتذر إليهم فقبل المهاجرون عذره و قال على والزبير ماغضبنا إلا فى المشورة وإنا لنرى أبابكر أحق الناس بهاإنه لصاحب الغار وإنا لنعرف له سنه ولقد أمره رسول الله ص بالصلاة بالناس و هو حى. قال أبوبكر و قدروى بإسناد آخر ذكره أن ثابت بن قيس بن شماس كان مع الجماعة الذين حضروا مع عمر فى بيت فاطمة ع وثابت هذاأخو بنى الحارث بن الخزرج . [صفحه ٥١] وروى أيضا أن محمد بن مسلمة كان معهم و أن محمدا هو الذى كسر سيف الزبير. قال أبوبكر وحدثنى يعقوب بن شيبه عن أحمد بن أيوب عن ابراهيم بن سعد عن ابن إسحاق عن الزهرى عن عبد الله بن عباس قال خرج على ع على الناس من عند رسول الله ص فى مرضه فقال له الناس كيف أصبح رسول الله ص يا أباحسن قال أصبح بحمد الله بارئاً قال فأخذ العباس بيد على ثم قال يا على أنت عبدالعصا بعد ثلاث أحلف لقد رأيت الموت فى وجهه وإنى لأعرف الموت فى وجه بنى عبدالمطلب فانطلق إلى رسول الله ص فاذا ذكر له هذا الأمر إن كان فىنا أعلمنا و إن كان فى غيرنا أوصى بنا فقال لأفعل و الله إن منعناه اليوم لا يؤتيناها الناس بعده قال فتوفى رسول الله ذلك اليوم -روایت- ١-٢-روایت- ١٣٠-٦٠٢ . و قال أبوبكر حدثنى المغيرة بن محمدالمهلبى من حفظه وعمر بن شبة من كتابه بإسناد رفعه إلى أبى سعيد الخدرى قال سمعت البراء بن عازب يقول لم أزل لبنى هاشم محبا فلما قبض رسول الله ص تخوفت أن تتمالأ قريش على إخراج هذا الأمر عن بنى هاشم فأخذنى ما يأخذ الواله العجول . ثم ذكر ما قد ذكرناه نحن فى أول هذا الكتاب فى شرح قوله ع أما و الله لقد تقمصها فلان و زاد فيه فى هذه الرواية فمكثت أكابد ما فى نفسى فلما كان بليل خرجت إلى المسجد فلما صرت فيه تذكرت أنى كنت أسمع همهمة رسول الله ص بالقرآن فامتعت من مكانى فخرجت إلى الفضاء فضاء بنى بياضه وأجد نفرا يتناجون فلما دنوت منهم سكتوا فانصرفت عنهم فعرفونى و ما عرفهم فدعونى إليهم فأتيتهم فأجد المقداد بن الأسود وعبادة بن الصامت و سلمان الفارسى و أباذر و حذيفة و أبالهيثم بن التيهان و إذا حذيفة يقول لهم و الله ليكونن ما أخبرتكم [صفحه ٥٢] به و الله ما كذبت و لا كذبت و إذا القوم يريدون أن يعيدوا الأمر شورى بين المهاجرين . ثم قال اتوا أبى بن كعب فقد علم كما علمت قال فانطلقنا إلى أبى فضر بنا عليه بابه حتى صار خلف الباب فقال من أنتم فكلمه المقداد فقال ما حاجتكم فقال له افتح عليك بابك فإن الأمر أعظم من أن يجرى من وراء حجاب قال ما أنا بفتح بابى و قد عرفت ما جئتم له كأنكم أردتم النظر فى هذا العقد فقلنا نعم فقال أفيكم حذيفة فقلنا نعم قال فالقول ما قال وبالله ما أفتح عنى بابى حتى يجرى على ما هى جارية و لما يكون بعدها شر منها و إلى الله المشتكى . قال وبلغ الخبر أبابكر وعمر فأرسلا إلى أبى عبيدة والمغيرة بن شعبة فسألاهما عن رأى فقال المغيرة أن تلقوا العباس فتجعلوا له فى هذا الأمر نصيبا فيكون له ولعقبه فتقطعوا به من ناحية على و يكون لكم حجة عند الناس على على إذ مال معكم العباس . فانطلقوا حتى دخلوا على العباس فى الليلة الثانية من وفاة رسول الله ص ثم ذكر خطبة أبى بكر و كلام عمر و ما أجابهما العباس به و قد ذكرناه فيما تقدم من هذا الكتاب فى الجزء الأول وروى أبوبكر قال أخبرنا أحمد بن إسحاق بن صالح قال حدثنا عبد الله بن عمر عن حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد عن القاسم بن محمد قال لما توفى النبى ص اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة فأتاهم أبوبكر وعمر و أبو عبيدة فقال الحباب [صفحه ٥٣] بن المنذر منا أمير ومنكم أمير إنا و الله ما ننفس هذا الأمر عليكم أيها الرهط ولكننا نخاف أن يليه بعدكم من قتلنا أبناءهم وآباءهم وإخوانهم فقال عمر بن الخطاب إذا كان ذلك قمت إن استطعت فتكلم أبوبكر فقال نحن الأمراء وأنتم الوزراء والأمر بيننا نصفان كشق الأبلمة فبويح و كان أول من بايعه بشير بن سعد والد النعمان بن بشير. فلما اجتمع الناس على أبى بكر قسم قسما بين نساء المهاجرين والأنصار فبعث إلى امرأة من بنى عدى بن النجار قسمها مع زيد بن ثابت فقالت ما هذا قال قسم قسمه أبوبكر للنساء قالت أتراشوننى عن دينى ولله لا أقبل منه شيئا فردته عليه . قلت قرأت هذا الخبر على أبى جعفر يحيى بن محمد العلوى الحسينى المعروف بابن أبى زيد نقيب البصرة رحمه الله تعالى فى سنة عشر وستمائة من كتاب السقيفة لأحمد بن

عبدالعزیز الجوهري قال لقد صدقت فراسة الحباب فإن الذى خافه وقع يوم الحره وأخذ من الأنصار ثأر المشركين يوم بدر ثم قال لى رحمه الله تعالى و من هذاخاف أيضا رسول الله ص على ذريته وأهله فإنه كان ع قدوتر الناس وعلم أنه إن مات وترك ابنته وولدها سوقه ورعيه تحت أيدى الولاء كانوا بعرض خطر عظيم فما زال يقرر لابن عمه قاعدة الأمر بعده حفظا لدمه ودماء أهل بيته فإنهم إذاكانوا ولأه الأمر كانت دماؤهم أقرب إلى الصيانه والعصمه مما إذاكانوا سوقه تحت يد وال من غيرهم فلم يساعده القضاء والقدر و كان من الأمر ما كان ثم أفضى أمر ذريته فيما بعد إلى ما قدعلمت . [صفحہ ۵۴] قال أبوبكر أحمد بن عبدالعزیز حدثنى يعقوب بن شيبه بإسناد رفعه إلى طلحه بن مصرف قال قلت لهذيل بن شرحبيل إن الناس يقولون إن رسول الله ص أوصى إلى على ع فقال أبوبكر يتأمر على وصى رسول الله ص ود أبوبكر أنه وجد من رسول الله ص عهدا فخرم أنفه . قلت هذاالحديث قدخرجه الشيخان محمد بن إسماعيل البخارى ومسلم بن الحجاج القشيري فى صحيحيهما عن طلحه بن مصرف قال سألت عبد الله بن أبى أوفى أوصى رسول الله ص قال لا قلت فكيف كتب على المسلمين الوصيه أوكيف أمر بالوصيه و لم يوص قال أوصى بكتاب الله قال طلحه ثم قال ابن أوفى ما كان أبوبكر يتأمر على وصى رسول الله ص ود أبوبكر أنه وجد من رسول الله ص عهدا فخرم أنفه بخزامة . وروى الشيخان فى الصحيحين عن عائشه أنه ذكر عندها أن رسول الله ص أوصى قالت ومتى أوصى و من يقول ذلك قيل إنهم يقولون قالت من يقوله لقد دعا بطست لبيول وإنه بين سحرى ونحرى فانخث فى صدرى فمات و ماشعرت . و فى الصحيحين أيضا خرجاه معا عن ابن عباس أنه كان يقول يوم الخميس و ما يوم الخميس ثم بكى حتى بل دمه الحصى فقلنا يا ابن عباس و ما يوم الخميس [صفحہ ۵۵] قال اشتد برسول الله ص وجعه فقال ائتونى بكتاب أكتبه لكم لاتصلوا بعدى أبدا فتنازعوا فقال إنه لاينبغى عندى تنازع فقال قائل ماشأنه أهرج استفهموه فذهبوا يعيدون عليه فقال دعونى و الذى أنا فيه خير من الذى أنتم فيه ثم أمر بثلاثة أشياء فقال أخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ماكنت أجيزهم -روایت- ۱-۲-روایت- ۸-۳۲۵ وسئل ابن عباس عن الثالثه فقال إما ألا- يكون تكلم بها وإما أن يكون قالها فنسيت . و فى الصحيحين أيضا خرجاه معا عن ابن عباس رحمه الله تعالى قال لماحضر رسول الله ص و فى البيت رجال منهم عمر بن الخطاب قال النبى ص هلم أكتب لكم كتابا لاتصلون بعده -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۸-۵۵ فقال عمر إن رسول الله ص قدغلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف القوم واختصموا فمنهم من يقول قربوا إليه يكتب لكم كتابا لن تصلوا بعده ومنهم من يقول القول ماقاله عمر فلما أكثروا اللغو والاختلاف عنده ع قال لهم قوموا فقاموا فكان ابن عباس يقول إن الرزيه كل الرزيه ماحال بين رسول الله ص و بين أن يكتب لكم ذلك الكتاب . قال أبوبكر أحمد بن عبدالعزیز الجوهري وحدثنى أحمد بن إسحاق بن صالح قال حدثنى عبد الله بن عمر بن معاذ عن ابن عون قال حدثنى رجل من زريق [صفحہ ۵۶] أن عمر كان يومئذ قال يعنى يوم بويح أبوبكر محتجزا يهرول بين يدي أبى بكر و يقول ألا إن الناس قدبايعوا أبابكر قال فجاء أبوبكر حتى جلس على منبر رسول الله ص فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعدفإنى وليتكم ولست بخيركم ولكنه نزل القرآن وسنت السنن وعلمنا فتعلمنا أن أكيس الكيس التقى وأحمق الحمق الفجور و إن أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ له بالحق وأضعفكم عندى القوى حتى آخذ منه الحق أيها الناس إنما أنامتبع ولست بمبتدع إذاأحسنت فأعينونى و إذازغت فقومونى . قال أبوبكر وحدثنى أبوزيد عمر بن شبة قال حدثنا أحمد بن معاويه قال حدثنى النضر بن شميل قال حدثنا محمد بن عمرو عن سلمه بن عبدالرحمن قال لماجلس أبوبكر على المنبر كان على ع والزبير وناس من بنى هاشم فى بيت فاطمه فجاء عمر إليهم فقال و الذى نفسى بيده لتخرجن إلى البيعه أوألأحرقن البيت عليكم فخرج الزبير مصلتا سيفه فاعتنقه رجل من الأنصار وزياد بن لييد فبدر السيف فصاح به أبوبكر و هو على المنبر اضرب به الحجر فدق به قال أبوعمرو بن حماس فلقد رأيت الحجر فيه تلك الضربه ويقال هذه ضربه سيف الزبير ثم قال أبوبكر دعوهم فسيأتى الله بهم قال فخرجوا إليه بعد ذلك فبايعوه . قال أبوبكر و

قدروى فى روايه اخرى ان سعد بن ابي وقاص كان معهم فى بيت فاطمه ع والمقداد بن الاسود ايضا وانهم اجتمعوا على ان يبايعوا عليا فأتاهم عمر ليحرق عليهم البيت فخرج إليه الزبير بالسيف وخرجت فاطمه ع تبكى وتصيح فنهت من الناس وقالوا ليس عندنا معصية ولا خلاف فى خير اجتماع عليه الناس وإنما اجتمعنا لتؤلف القرآن فى مصحف واحد ثم بايعوا أبا بكر فاستمر الأمر واطمأن الناس . [صفحه ٥٧] قال أبو بكر وحدثنا أبو زيد عمر بن شبة قال أخبرنا أبو بكر الباهلى قال حدثنا إسماعيل بن مجالد عن الشعبي قال سأل أبو بكر فقال أين الزبير فقبل عند على و قد تقلد سيفه فقال قم يا عمر قم يا خالد بن الوليد انطلقا حتى تأتيا نى بهما فانطلقا فدخل عمر وقام خالد على باب البيت من خارج فقال عمر للزبير ما هذا السيف فقال نبايع عليا فاخرطه عمر فضرب به حجرا فكسره ثم أخذ بيد الزبير فأقامه ثم دفعه وقال يا خالد دونك فأمسكه ثم قال لعلى قم فبايع لأبى بكر فتلكأ واحتبس فأخذ بيده وقال قم فأبى أن يقوم فحمله ودفعه كما دفع الزبير فأخرجه ورأت فاطمه ماصنعهما فقامت على باب الحجرة وقالت يا أبا بكر ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله و الله لا أكلم عمر حتى ألقى الله قال فمشى إليها أبو بكر بعد ذلك وشفع لعمر وطلب إليها فرضيت عنه . قال أبو بكر وحدثنا أبو زيد قال حدثنا محمد بن حاتم قال حدثنا الحرامى قال حدثنا الحسين بن زيد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن ابن عباس قال مر عمر بعلى وعنده ابن عباس بفناء داره فسلم فسألاه أين تريد فقال مالى بينى قال على أ فلانصل جناحك ونقوم معك فقال بلى فقال لابن عباس قم معه قال فشبك أصابعه فى أصابعى ومضى حتى إذا خلفنا البقيع قال يا ابن عباس أما والله إن كان صاحبك هذا أولى الناس بالأمر بعد وفاة رسول الله إلا أنا خلفناه على اثنتين قال ابن عباس فجاء بمنطق لم أجد بدا معه من مسألته عنه فقلت يا أمير المؤمنين ما هما قال خشيناه على حدائنه سنة ووجه بنى عبدالمطلب . قال أبو بكر وحدثنى أبو زيد قال حدثنا هارون بن عمر بإسناد رفعه إلى ابن عباس رحمه الله تعالى قال تفرق الناس ليلة الجابية عن عمر فسار [صفحه ٥٨] كل واحد مع إلفه ثم صادفت عمر تلك الليلة فى مسيرنا فحدثته فشكا إلى تخلف على عنه فقلت أ لم يعتذر إليك قال بلى فقلت هو ما اعتذر به قال يا ابن عباس إن أول من ريثكم عن هذا الأمر أبو بكر إن قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنبوة قلت لم ذاك يا أمير المؤمنين أ لم نلهم خيرا قال بلى ولكنهم لوفعلوا لكنتم عليهم جحفا جحفا . قال أبو بكر وأخبرنا أبو زيد قال حدثنا عبدالعزيز بن الخطاب قال حدثنا على بن هشام مرفوعا إلى عاصم بن عمرو بن قتادة قال لقى على ع عمر فقال له على ع أنشدك الله هل استخلفك رسول الله ص قال لا قال فكيف تصنع أنت وصاحبك قال أما صاحبى فقد مضى لسبيله و أما أنا فأسأخلعها من عنقى إلى عنقك فقال جدع الله أنف من ينقذك منها لا ولكن جعلنى الله علما فإذا قت فمّن خالفنى ضل -رواية ١-٢-رواية ١٢٦-٣٩٢ قال أبو بكر وأخبرنا أبو زيد عن هارون بن عمر عن محمد بن سعيد بن الفضل عن أبيه عن الحارث بن كعب عن عبد الله بن أبى أوفى الخزاعى قال كان خالد بن سعيد بن العاص من عمال رسول الله ص على اليمن فلما قبض رسول الله ص جاء المدينة و قد بايع الناس أبا بكر فاحتبس عن أبى بكر فلم يبايعه أياما و قد بايع الناس وأتى بنى هاشم فقال أنتم الظهر والبطن والشعار دون الدثار والعصا دون اللحا فإذا رضيتم رضينا و إذا سخطتم سخطنا حدثونى إن كنتم قد بايعتم هذا الرجل قالوا نعم قال على برد ورضا من جماعتكم قالوا نعم قال [صفحه ٥٩] فأنا أرضى وأبايع إذا بايعتم أما والله يابنى هاشم إنكم الطوال الشجر الطيبو الثمر ثم إنه بايع أبا بكر وبلغت أبا بكر فلم يحفل بها واضطغنها عليه عمر فلما ولاه أبو بكر الجند الذى استنفر إلى الشام قال له عمر أتولى خالدا و قد حبس عليك بيعته و قال لبنى هاشم ما قال و قد جاء بورق من اليمن وعبيد وحبشان ودروع ورماح ما أرى أن توليه و ما آمن خلافة فانصرف عنه أبو بكر وولى أبا عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبى سفیان وشرحبيل بن حسنة . واعلم أن الآثار والأخبار فى هذا الباب كثيرة جدا و من تأملها وأنصف علم أنه لم يكن هناك نص صريح ومقطوع به لا تختلجه الشكوك و لا تتطرق إليه الاحتمالات كما تزعم الإمامية فإنهم يقولون إن الرسول ص نص على أمير المؤمنين ع نصا صريحا جليا ليس بنص يوم الغدير و لا خبر المنزلة و لا ماشابهما من الأخبار الواردة

من طرق العامة وغيرها بل نص عليه بالخلافة وإمامة المؤمنين وأمر المسلمين أن يسلموا عليه بذلك فسلموا عليه بها وصرح لهم في كثير من المقامات بأنه خليفه عليهم من بعده وأمرهم بالسمع والطاعة له ولا ريب أن المنصف إذا سمع ماجرى لهم بعد وفاة رسول الله ص يعلم قطعاً أنه لم يكن هذا النص ولكن قد سبق إلى النفوس والعقول أنه قد كان هناك تعريض وتلويح وكنايه وقول غير صريح وحكم غير مبتوت ولعله ص كان يصدده عن التصريح بذلك أمر يعلمه ومصلحه يراعيها أو وقوف مع إذن الله تعالى في ذلك. فأما امتناع علي ع من البيعة حتى أخرج على الوجه الذي أخرج عليه فقد [صفحة ٦٠] ذكره المحدثون ورواه أهل السير وقد ذكرنا ما قاله الجوهري في هذا الباب وهو من رجال الحديث ومن الثقات المأمونين وقد ذكر غيره من هذا النحو ما لا يحصى كثرة. فأما الأمور الشيعية المستهجنة التي تذكرها الشيعة من إرسال قنفذ إلى بيت فاطمة ع وأنه ضربها بالسوط فصار في عضدها كالدملج وبقي أثره إلى أن ماتت وأن عمر أضغطها بين الباب والجدار فصاحت يابته يا رسول الله وألقت جنينا ميتا وجعل في عتق علي ع جبل يقاد به وهو يعتل وفاطمة خلفه تصرخ وتنادى بالويل والثبور وابناه حسن وحسين معهما بيكيان وأن عليا لما حضر سأله البيعة فامتنع فتهدد بالقتل فقال إذن تقتلون عبد الله وأخا رسول الله فقالوا أما عبد الله فنعيم وأما أخو رسول الله فلا وأنه طعن فيهم في أوجههم بالنفاق وسطر صحيفة الغدر التي اجتمعوا عليها بأنهم أرادوا أن ينفروا ناقة رسول الله ص ليلة العقبة فكله لأصل له عند أصحابنا ولا يثبت أحد منهم ولا رواه أهل الحديث ولا يعرفونه وإنما هو شيء تنفرد الشيعة بنقله ومنها ولم يبايع حتى شرط أن يؤتية على البيعة ثمناً فلما ظفرت يد البائع وخزيت أمانة المبتاع فخذوا للحرب أهبتها وأعدوا لها عدتها فقد شب لظاها وعلما سناها واستشعروا الصبر فإنه أدعى إلى النصر هذا فصل من كلام يذكر فيه عمرو بن العاص وقوله فلا ظفرت يد البائع يعني معاوية وقوله وخزيت أمانة المبتاع يعني عمرا وخزيت أي [صفحة ٦١] خسرت وهانت وفي أكثر النسخ فلا ظفرت يد المبايع بميم المفاعلة والظاهر مارويناه . وفي بعض النسخ فإنه أحزم للنصر من حزمت الشيء إذا شدته كأنه يشد النصر ويوثقه والرواية التي ذكرناها أحسن . والأهبة العدة وشب لظاها استعاره وأصله صعود طرف النار الأعلى والسنا بالقصر الضوء واستشعروا الصبر اتخذوه شعارا والشعار ما يلي الجسد في الثياب وهو أزم الثياب للجسد يقول لازموا الصبر كما يلزم الإنسان ثوبه الذي يلي جلده لا بد له منه وقد يستغنى عن غيره من الثياب

قدوم عمرو بن العاص على معاوية

لما نزل علي ع الكوفة بعد فراغه من أمر البصرة كتب إلى معاوية كتابا يدعو به إلى البيعة أرسل فيه جرير بن عبد الله البجلي فقدم عليه به الشام فقرأه واغتم بما فيه وذهبت به أفكاره كل مذهب وطاول جريرا بالجواب عن الكتاب حتى كلم قوما من أهل الشام في الطلب بدم عثمان فأجابوه ووثقوا له وأحب الزيادة في الاستظهار فاستشار أخاه عتبة بن أبي سفيان فقال له استعن بعمرو بن العاص فإنه من قد علمت في دهائه ورأيه وقد اعتزل عثمان في حياته وهو لأمرك أشد اعتزالاً إلا أن يثمن له دينه فسيبيعك فإنه صاحب دنيا. فكتب إليه معاوية أما بعد فإنه كان من أمر علي وطلحة والزبير ما قد بلغك وقد سقط إلينا مروان بن الحكم في نفر من أهل البصرة وقد قدم علينا جرير بن عبد الله في بيعة علي وقد حبست نفسي عليك فأقبل أذاكرك أمورا لا تعدم صلاح مغبتها إن شاء الله [صفحة ٦٢] فلما قدم الكتاب على عمرو واستشار ابنه عبد الله بن عمرو ومحمد بن عمرو فقال لهما ماتريان فقال عبد الله أرى أن رسول الله ص قبض وهو عنك راض والخليفتان من بعده وقتل عثمان وأنت عنه غائب فقر في منزلك فلست مجعولا خليفه ولا تزيد علي أن تكون حاشية لمعاوية علي دنيا قليلة أو شكتما أن تهلكا فتستويا في عقابها وقال محمد أرى أنك شيخ قريش وصاحب أمرها وأن تصرم هذا الأمر وأنت فيه غافل تصاغر أمرك فالحق بجماعة أهل الشام وكن يدا من أيديها طالبا

بدم عثمان فإنه سيقوم بذلك بنو أمية. فقال عمرو أما أنت يا عبد الله فأمرتنى بما هو خير لى فى دينى و أنت يا محمد فأمرتنى بما هو خير لى فى دنياى و أنا ناظر فلما جنه الليل رفع صوته وأهله يسمعون فقال تطاول ليلى بالهموم الطوارق || وخوف التى تجلو وجوه العوائق و إن ابن هند سألتنى أن أزوره || وتلك التى فيها بنات البوائق أتاه جرير من على بخطه || أمرت عليه العيش ذات مضايق فإن نال منى ما يؤمل رده || و إن لم ينله ذل ذل المطابق فو الله ما أدرى و ما كنت هكذا || أكون ومهما قادنى فهو سابق أخادعه إن الخداع دنية || أم أعطيه من نفسى نصيحة وامق [صفحة ٦٣] أم أقعد فى بيتى و فى ذاك راحة || لشيخ يخاف الموت فى كل شارق و قد قال عبد الله قولا تعلقت || به النفس إن لم تقتطعنى عوائقى وخالفه فيه أخوه محمد || وإنى لصلب العود عند الحقائق فقال عبد الله رحل الشيخ ودعا عمرو غلامه وردان و كان داهيا ماردا فقال ارحل يا وردان ثم قال احطط يا وردان ثم قال ارحل يا وردان احطط يا وردان فقال له وردان خلطت أبا عبد الله أما إنك إن شئت أنبأتك بما فى قلبك قال هات ويحك قال اعتركت الدنيا والآخرة على قلبك فقلت على مع الآخرة فى غير دنيا و فى الآخرة عوض من الدنيا ومعاوية معه الدنيا بغير آخرة و ليس فى الدنيا عوض من الآخرة و أنت واقف بينهما قال قاتلك الله ما أخطأت ما فى قلبى فما ترى يا وردان قال أرى أن تقيم فى بيتك فإن ظهر أهل الدين عشت فى عفو دينهم و إن ظهر أهل الدنيا لم يستغنوا عنك قال الآن لما أشهرت العرب سيرى إلى معاوية فارتحل و هو يقول يا قاتل الله وردانا وقدحتة || أبدى لعمر ك ما فى النفس وردان لما تعرضت الدنيا عرضت لها || بحرص نفسى و فى الأطباع إدهان نفس تعف وأخرى الحرص يغلبها || والمرء يأكل تبنا و هو غرثان أما على فدين ليس يشركه || دنيا وذاك له دنيا وسلطان [صفحة ٦٤] فاخترت من طمعى دنيا على بصر || و مامعى بالذى أختار برهان إنى لأعرف ما فيها وأبصره || و فى أيضا لما أهواه ألوان لكن نفسى تحب العيش فى شرف || و ليس يرضى بذل العيش إنسان .فسار حتى قدم على معاوية وعرف حاجة معاوية إليه فباعده من نفسه وكأيد كل واحد منهما صاحبه . فقال له معاوية يوم دخل عليه أبا عبد الله طرقتنا فى ليلتنا ثلاثة أخبار ليس فيها ورد و لا صدر قال و ماذا قال منها أن محمد بن أبى حذيفة كسر سجن مصر فخرج هو وأصحابه و هو من آفات هذا الدين ومنها أن قيصر زحف بجماعة الروم ليغلب على الشام ومنها أن عليا نزل الكوفة وتها للمسير إليها. فقال عمرو ليس كل ما ذكرت عظيما أما ابن أبى حذيفة فما يتعاضمك من رجل خرج فى أشباهه أن تبعث إليه رجلا يقتله أو يأتيك به و إن قاتل لم يضرك و أما قيصر فأهد له الوصائف وآنية الذهب والفضة وسله الموادة فإنه إليها سريع و أما على فلا و الله يا معاوية ما يسوى العرب بينك وبينه فى شىء من الأشياء و إن له فى الحرب لحظا ما هو لأحد من قريش وإنه لصاحب ما هو فيه إلا أن تظلمه هكذا فى رواية نصر بن مزاحم عن محمد بن عبيد الله . وروى نصر أيضا عن عمر بن سعد قال قال معاوية لعمرو يا أبا عبد الله إنى أدعوك إلى جهاد هذا الرجل الذى عصى الله وشق عصا المسلمين وقتل الخليفة وأظهر الفتنة وفرق [صفحة ٦٥] الجماعة وقطع الرحم فقال عمرو من هو قال على قال و الله يا معاوية ما أنت و على بحملى بعير ليس لك هجرته و لاسابقتة و لاصحبتة و لاجهادة و لافقهه و لاعلمه و و الله إن له مع ذلك لحظا فى الحرب ليس لأحد غيره ولكنى قد تعودت من الله تعالى إحسانا وبلاء جميلا فما تجعل لى إن شايعتك على حربى و أنت تعلم ما فيه من الغرر والخطر قال حكمتك فقال مصر طعمه فتلكأ عليه معاوية. قال نصر و فى حديث غير عمر بن سعد فقال له معاوية يا أبا عبد الله إنى أكره لك أن تتحدث العرب عنك أنك إنما دخلت فى هذا الأمر لغرض الدنيا قال عمرو دعنى عنك فقال معاوية إنى لوشئت أن أمنيك وأخذعك لفعلت قال عمرو لالعمر الله مامثلى يخدع لأنا أكيس من ذلك قال معاوية ادن منى أسارك فدنا منه عمرو ليساره فعرض معاوية أذنه و قال هذه خدعة هل ترى فى البيت أحدا ليس غيرى وغيرك . قلت قال شيخنا أبو القاسم البلخى رحمه الله تعالى قول عمرو له دعنى عنك كناية عن الإلحاد بل تصريح به أى دع هذا الكلام لأصل له فإن اعتقاد الآخرة وأنها لا تتابع بعرض الدنيا من الخرافات . و قال رحمه الله تعالى و مازال عمرو بن العاص ملحدا ماتردد قط فى الإلحاد والزندقه و كان معاوية

مثله ويكفي من تلاعبهما بالإسلام حديث السرار المروى و أن معاويةً عض أذن عمرو أين هذا من سيره عمر وأين هذا من أخلاق علي ع وشدته في ذات الله وهما مع ذلك يعيبانه بالدعابة. [صفحة ٦٦] قال نصر فأنشأ عمرو يقول معاوي لا أعطيك ديني و لم أنل || به منك دنيا فانظرن كيف تصنع فإن تعطيني مصرا فأربح بصفقة || أخذت بهاشيخا يضر وينفع و ماالدين والدنيا سواء وإنني || لأخذ ما تعطيني ورأسى مقنع ولكنني أغضى الجفون وإنني || لأخدع نفسي والمخادع يخدع وأعطيك أمرا فيه للملك قوة || وألفى به إن زلت النعل أصرع وتمنعني مصرا وليست برغبة || وإنني بذأ الممنوع قدما لمولع . قال شيخنا أبو عثمان الجاحظ كانت مصر في نفس عمرو بن العاص لأنه هو الذي فتحها في سنة تسع عشرة من الهجرة في خلافة عمر فكان لعظمها في نفسه وجلالته في صدره و ما قد عرفه من أموالها وسعة الدنيا لا يستعظم أن يجعلها ثمنا من دينه و هذامعنى قوله وإنني بذأ الممنوع قدما لمولع . قال نصر فقال له معاوية يا أبا عبد الله أ ماتعلم أن مصر مثل العراق قال بلى ولكنها إنما تكون لي إذا كانت لك وإنما تكون لك إذا غلبت عليا على العراق . قال وقد كان أهل مصر بعثوا بطاعتهم إلى علي ع . فلما حضر عتبة بن أبي سفيان قال لمعاوية أ ماترضى أن تشتري عمرا بمصر [صفحة ٦٧] إن هي صفت لك ليتك لا تغلب على الشام فقال معاوية يا عتبة بت عندنا الليلة فلما جن الليل على عتبة رفع صوته ليسمع معاوية و قال أيها المانع سيفا لم يهز || إنما ملت على خزوقز وإنما أنت خروف مائل || بين ضرعين وصوف لم يجز أعط عمرا إن عمرا تارك || دينه اليوم لدنيا لم تحز يا لك الخير فخذ من دره || شخبه الأول وابعده ماغرز واسحب الذيل وبادر فوقها || وانتهزها إن عمرا ينتهز أعطه مصرا وزده مثلها || إنما مصر لمن عزفبز واترك الحرص عليها ضلة || واشيب النار لمقروور يكرز إن مصرا لعلى أولنا || يغلب اليوم عليها من عجز . قال فلما سمع معاوية قول عتبة أرسل إلى عمرو فأعطاه مصر فقال عمرو لى الله عليك بذلك شاهد قال نعم لك الله على بذلك إن فتح الله علينا الكوفة فقال عمرو والله على ما نَقُولُ وَكِيلٌ. فخرج عمرو من عنده فقال له ابناه ما صنعت قال أعطانا مصر طعمه قالا و مامصر فى ملك العرب قال لأشبع الله بطونكما إن لم تشبعكما مصر. قال وكتب معاوية له بمصر كتابه وكتب على ألا ينقض شرط طاعة فكتب عمرو على ألا تنقض طاعة شرطاً فكأيد كل واحد منهما صاحبه . قلت قد ذكر هذا اللفظ أبو العباس محمد بن يزيد المبرد فى كتابه الكامل -قرآن- ١٦٤-١٩٣ [صفحة ٦٨] و لم يفسره وتفسيره أن معاوية قال للكاتب اكتب على ألا ينقض شرط طاعة يريد أخذ إقرار عمرو له أنه قد بايعه على الطاعة ببيعة مطلقة غير مشروطة بشيء و هذه مكايده له لأنه لو كتب ذلك لكان لمعاوية أن يرجع فى إعطائه مصر و لم يكن لعمرو أن يرجع عن طاعته ويحتج عليه برجوعه عن إعطائه مصر لأن مقتضى المشاركة المذكورة أن طاعة معاوية واجبة عليه مطلقا سواء أكانت مصر مسلمة إليه أم لا . فلما انتبه عمرو إلى هذه المكيدة منع الكاتب من أن يكتب ذلك و قال بل اكتب على ألا تنقض طاعة شرطاً يريد أخذ إقرار معاوية له بأنه إذا كان أطاعه لا تنقض طاعته إياه ما شارطه عليه من تسليم مصر إليه و هذا أيضا مكايده من عمرو لمعاوية ومنع له من أن يغدر بما أعطاه من مصر قال نصر و كان لعمرو بن العاص عم من بنى سهم أريب فلما جاء عمرو بالكتاب مسرورا عجب الفتى و قال أ لا تخبرنى يا عمرو بأى رأى تعيش فى قريش أعطيت دينك وتمنيت دنيا غيرك أ ترى أهل مصر وهم قتلته عثمان يدفعونها إلى معاوية و على حى و أ تراها إن صارت لمعاوية لا يأخذها بالحرف الذى قدمه فى الكتاب فقال عمرو يا ابن أخى إن الأمر لله دون على ومعاوية فقال الفتى ألا ياهند أخت بنى زياد || رمى عمرو بداهية البلاد رمى عمرو بأعور عبشمى || بعيد القعر مخشى الكياد له خدع يحار العقل منها || مزخرفه صوائد للفتواد فشرط فى الكتاب عليه حرفا || يناديه بخدعته المنادى [صفحة ٦٩] وأثبت مثله عمرو عليه || كلا- المرأين حية بطن واد ألا- ياعمر و ماأحرزت مصرا || و لاملت الغداة إلى الرشاد أبعت الدين بالدنيا خسارا || فأنت بذاك من شر العباد فلو كنت الغداة أخذت مصرا || ولكن دونها خرط القتاد وفدت إلى معاوية بن حرب || فكنت بها كوافد قوم عاد وأعطيت الذى أعطيت منها || بطرس فيه نضح من مداد أ لم تعرف أباحسن عليا || و مانالت يده من الأعداى عدلت

به معاوية بن حرب || فيا بعدالبياض من السواد و يا بعدالأصابع من سهيل || و يا بعدالصلاح من الفساد أتا من أن تدال على خدب || يحث الخيل بالأسل الحداد ينادى بالنزال و أنت منه || قريب فانظرن من ذا تعادى . فقال عمرو يا ابن أخى لو كنت عند على لوسعنى ولكنى الآن عندمعاوية قال الفتى إنك لو لم ترد معاوية لم يردك ولكنك تريد دنياه و هو يريد دينك و يبلغ معاوية قول الفتى فطلبه فهرب فلحق بعلى ع فحدثه أمره فسر به وقربه . قال و غضب مروان و قال مابالى لاأشترى كماأشترى عمرو فقال معاوية إنما يشترى الرجال لك فلما بلغ عليا ع ماصنع معاوية قال -روايت- ١-٢-روايت- ٤٠-٤١ ياعجبا لقد سمعت منكرا || كذبا على الله يشيب الشعرا يسترق السمع ويعشى البصرا || ما كان يرضى أحمد لوأخبرا [صفحة ٧٠] أن يقرنوا وصيه والأبترا || شانى الرسول واللعين الأخرزا كلاهما فى جنده قدعسكرا || قدباع هذادينه فأفجرا من ذا بدنيا بيعه قدخسرا || بملك مصر أن أصاب الظفرا إنى إذاالموت دنا وحضرا || شممت ثوبى ودعوت قنبرا قدم لوائى لا تؤخر حذرا || لايدفع الحذار ما قدقدرا لمارأيت الموت موتا أحمرأ || عبأت همدان وعبوا حميرا حى يمان يعظمون الخطرا || قرن إذاناطح قرنا كسرا قل لابن حرب لا تدب الخمرأ || أروود قليلا أبد منك الضجرا لا تحسبنى يا ابن هند غمرأ || وسل بنا بدرأ معا وخييرا يوم جعلناكم بيدر جزرا || لو أن عندى يا ابن هند جعفرأ أو حمزة القرم الهمام الأزهرأ || رأت قريش نجم ليل ظهرا . قال نصر فلما كتب الكتاب قال معاوية لعمرو ماترى الآن قال أمض الرأى الأول فبعث مالك بن هبيرة الكندى فى طلب محمد بن أبى حذيفة فأدركه فقتله وبعث إلى قيصر بالهدايا فوادعه ثم قال ماترى فى على قال أرى فيه [صفحة ٧١] خيرا إنه قدأتاك فى طلب البيعة خير أهل العراق و من عندخير الناس فى أنفس الناس ودعواك أهل الشام إلى رد هذه البيعة خطر شديد ورأس أهل الشام شرحبيل بن السمط الكندى و هوعدو لجريمر المرسل إليك فابعث إليه ووطن له ثقاتك فليفشوا فى الناس أن عليا قتل عثمان وليكونوا أهل رضا عندشرحبيل فإنها كلمة جامعة لك أهل الشام على ماتحب و إن تعلقت بقلب شرحبيل لم تخرج منه بشىء أبدا. فكتب إلى شرحبيل أن جرير بن عبد الله قدم علينا من عند على بن أبى طالب بأمر مفضع فاقدم . ودعا معاوية يزيد بن أسد وبسر بن أرطاة وعمرو بن سفيان ومخارق بن الحارث الزبيدى وحمزة بن مالك وحابس بن سعد الطائى وهؤلاء رءوس قحطان واليمن وكانوا ثقات معاوية وخاصته وبنى عم شرحبيل بن السمط فأمرهم أن يلقوه ويخبروه أن عليا قتل عثمان فلما قدم كتاب معاوية على شرحبيل و هو بحمص استشار أهل اليمن فاختلفوا عليه فقام إليه عبدالرحمن بن غنم الأزدى و هو صاحب معاذ بن جبل وختنه و كان أفعه أهل الشام فقال ياشرحبيل بن السمط إن الله لم يزل يزيدك خيرا منذ هاجرت إلى اليوم وإنه لا ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من الناس و إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم إنه قدألقى إلى معاوية أن عليا قتل عثمان ولهذا يريدك فإن كان قتله فقد بايعه المهاجرون والأنصار وهم الحكام على الناس و إن لم يكن قتله فعلام تصدق معاوية عليه لا تهلكن نفسك وقومك فإن كرهت أن يذهب بحظها جرير فسر إلى على فبايعه عن شامك وقومك فأبى شرحبيل إلا أن يسير إلى معاوية فكتب إليه عياض الثمالى و كان ناسكا [صفحة ٧٢] ياشرح يا ابن السمط إنك بالغ || بود على ماتريد من الأمر و ياشرح إن الشام شامك ما بها || سواك فدع عنك المضلل من فهر فإن ابن هند ناصب لك خدعة || تكون علينا مثل راغية البكر فإن نال مايرجو بنا كان ملكنا || هنيئا له والحرب قاصمة الظهر فلا تبغين حرب العراق فإنها || تحرم أطهار النساء من الذعر و إن عليا خير من وطئ الثرى || من الهاشميين المداريك للوتر له فى رقاب الناس عهد وذمة || كعهد أبى حفص وعهد أبى بكر فبايع و لا ترجع على العقب كافرا || أعيذك بالله العزيز من الكفر و لا تسمعن قول الطغاة فإنهم || يريدون أن يلقوك فى لجة البحر و ماذا عليهم أن تطاعن دونهم || عليا بأطراف المثقفة السمر فإن غلبوا كانوا علينا أئمة || وكنا بحمد الله من ولد الطهر و إن غلبوا لم يصل بالخطب غيرنا || و كان على حربنا آخر الدهر يهون على عليا لؤى بن غالب || دماء بنى قحطان فى ملكهم تجرى فدع عنك عثمان بن عفان إنما || لك الخبر لا تدرى بأنك لا تدرى على أى حال كان مصرع جنبه || فلا تسمعن

قول الأعيور أو عمرو . قال فلما قدم شرحبيل على معاوية أمر الناس أن يتلقوه ويعظموه فلما [صفحہ ۷۳] دخل على معاوية تكلم معاوية فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا شرحبيل إن جرير بن عبد الله قدم علينا يدعوننا إلى بيعه على و على خير الناس لو لا أنه قتل عثمان بن عفان وقد حبست نفسي عليك وإنما أنا رجل من أهل الشام أرضى مرضوا وأكره ماكرهوا. فقال شرحبيل أخرج فأنظر فلقبه هؤلاء النفر الموطئون له فكلهم أخبره أن عليا قتل عثمان فرجع مغضبا إلى معاوية فقال يا معاوية أباي الناس إلا أن عليا قتل عثمان والله إن بايعت له لنخرجنك من شامنا أولقتلنك فقال معاوية ما كنت لأخالف عليكم ما أنا إلا رجل من أهل الشام قال فرد هذا الرجل إلى صاحبه إذن فعرف معاوية أن شرحبيل قد نفذت بصيرته في حرب أهل العراق و أن الشام كله مع شرحبيل وكتب إلى علي ع ماسنورده فيما بعد إن شاء الله تعالى [صفحہ ۷۴]

۲۷- و من خطبة له ع

اشاره

أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَتَحَهُ اللَّهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ وَ هُوَ لِنَاسِ التَّقْوَى وَ دِرْعُ اللَّهِ الْحَصِيئَةِ وَ جُنَّتُهُ الْوَثِيقَةُ فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ الذَّلِّ وَ شَجَلَهُ الْبَلَاءُ وَ دَيْثَ الْبَصِيرَةِ وَ الْقَمَاءَ وَ ضَرْبَ عُلَى قَلْبِهِ بِالْإِسْهَابِ وَ أُدِيلَ الْحَقِّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ وَ سَيِّمَ الْخَسْفَ وَ مِيعَ النَّصْفِ أَلَا وَ إِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَيْلًا وَ نَهَارًا وَ سِرًّا وَ إِعْلَانًا وَ قُلْتُ لَكُمْ اغزُّوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغزُّوكم فَوَاللَّهِ مَا غزِي قَوْمٌ قَطُّ فِي عَقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا فَتَوَاكَلْتُمْ وَ تَخَاذَلْتُمْ حَتَّى شُتَّتْ عَلَيْكُمْ الْغَارَاتُ وَ مُلِكَتْ عَلَيْكُمْ الْأَوْطَانُ فَهَذَا أَحْوُ غَامِدٍ قَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الْأَنْبَارَ وَ قَدْ قَتَلَ حَسَّانَ بْنَ حَسَّانَ الْبَكْرِيَّ وَ أزال خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا وَ لَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرُّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَ الْأُخْرَى الْمُعَاهِدَةَ فَيَنْتَرِعُ حِجْلِيهَا وَ قَلْبِيهَا وَ قَلْبَ دَهْرِهَا وَ رُعْتِيهَا مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالِاسْتِرْجَاعِ وَ الْإِسْتِرْحَامِ ثُمَّ انصِرَفُوا وَافِرِينَ مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلِمٌ وَ لَا أَرِيقَ لَهُمْ دَمٌ فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسِيفًا مَا كَانَ بِهِ مَلُومًا بَلْ كَانَ بِهِ عِتْمَدِي حَيْدِيرًا فَيَا عَجَبًا عَجَبًا وَ اللَّهُ يُمِيتُ الْقَلْبَ وَ يَجْلِبُ لَهُمُ مِنَ اجْتِمَاعِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَ تَفَرَّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ فَتَقْبَحًا لَكُمْ وَ تَرَحًا حِينَ صِرْتُمْ غَرَضًا يُرْمَى يُعَارُ [صفحہ ۷۵] عَلَيْكُمْ وَ لَمَا تُغَيَّرُونَ وَ تُغزُونَ وَ لَمَا تُغزُونَ وَ يُعَصِي اللَّهُ وَ تَرْضُونَ فَإِذَا أَمَرْتُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الْحَرِّ قُلْتُمْ هَذِهِ حَمَارَةُ الْقَيْظِ أَمَهَلْنَا يَسِيرًا عَنَّا الْحَرَّ وَ إِذَا أَمَرْتُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ قُلْتُمْ هَذِهِ صَبَارَةُ الْقَرِّ أَمَهَلْنَا يَنْسَلِخُ عَنَّا الْبُرْدُ كُلُّ هَذَا فِرَارًا مِنَ الْحَرِّ وَ الْقَرِّ فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ وَ الْقَرِّ تَفِرُونَ فَاتُّمُّمُوا مِنَ اللَّهِ مِنَ السَّيْفِ أَفْرًا يَا أَشْبَاهَ الرُّجَالِ وَ لَا رِجَالَ حُلُومِ الْأَطْفَالِ وَ عُقُولِ رِبَاتِ الْحِجَالِ لَوِدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرُكُمْ وَ لَمْ أَعْرِفْكُمْ مَعْرِفَةً وَ اللَّهُ جَرَّتْ نَدْمًا وَ أَعْقَبَتْ سَدَمًا قَاتَلْتُمْ اللَّهَ لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَيْحًا وَ شَحْنْتُمْ صَدْرِي غَيْظًا وَ جَرَعْتُمُونِي نَعْبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاسًا وَ أَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعَصِيانِ وَ الْحِدَالِ حَتَّى لَقَدْ قَالَتْ قُرَيْشٌ إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شُجَاعٌ وَ لَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ لِلَّهِ أَبُوهُمْ وَ هَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاسًا وَ أَقْدَمُ فِيهَا مُقَامًا مِنِّي لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَ مَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ وَ هَا أَنَا ذَا قَدْ ذَرَفْتُ عَلَى السَّيْنِ وَ لَكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ هَذِهِ الْخُطْبَةُ مِنْ مَشَاهِيرِ خُطْبِهِ ع قَدْ ذَكَرَهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَ رَوَاهَا أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدُ فِي أَوَّلِ الْكَامِلِ وَ اسْقَطَ مِنْ هَذِهِ الرُّوَايَةِ أَلْفَاظًا وَ زَادَ فِيهَا أَلْفَاظًا وَ قَالَ فِي أَوَّلِهَا إِنَّهُ انْتَهَى إِلَى عَلِيٍّ ع أَنَّ خَيْلًا وَرَدَتْ الْأَنْبَارَ لِمَعَاوِيَةَ فَقَتَلُوا عَامِلًا لَهُ [صفحہ ۷۶] يُقَالُ لَهُ حَسَانُ بْنُ حَسَانَ فُخْرٌ مَغْضَبًا يَجْرُ رِذَاءَهُ حَتَّى أَتَى النُّخَيْلَةَ وَ اتَّبَعَهُ النَّاسُ فَرَقِيَ رِبَاوَةً مِنَ الْأَرْضِ فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَ صَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ ص ثُمَّ قَالَ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللَّهُ الذَّلَّ وَسَيِّمَ الْخَسْفَ - رَوَايَاتُ - ۱- ۲- رَوَايَاتُ - ۱۲- ۱۰۴ . وَ قَالَ فِي شَرْحِ ذَلِكَ قَوْلُهُ وَسَيِّمَ الْخَسْفَ هَكَذَا حَدَّثُونَا بِهِ وَأُظْنَهُ سَيِّمَ الْخَسْفَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى

لكم اغزوهم في الشتاء قلم هذا أوان قر وصر و إن قلت لكم اغزوهم في الصيف قلم هذه حمارة القيظ أنظرنا ينصرم عنا الحر - روايت-1-2-روايت-9-141 الصر شدة البرد قال تعالى كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ. و لم يرو المبرد حلوم الأطفال وروى عوضها ياطغام الأحلام و قال الطغام من لا معرفة عنده و منه قولهم طغام أهل الشام . و رباب الحجال النساء والحجال جمع حجلة وهي بيت يزين بالستور والثياب والأسرة -قرآن-27-51 [صفحة 80] والسدم الحزن والغيط والقيح ما يكون في القرحة من صديدها وشحنتم ملاءتم . والنغب جمع نغبة وهي الجرعة والتهمام بفتح التاء الهم وكذلك كل تفعال كالترداد والتكرار والتجوال إلا للتيان والتلقاء فإنهما بالكسر. وأنفاسا أى جرعة بعد جرعة يقال أكرع فى الإناء نفسين أو ثلاثة. وذرفت على الستين أى زدت ورواها المبرد نيفت . وروى المبرد فى آخرها فقام إليه رجل ومعه أخوه فقال يا أمير المؤمنين إني وأخى هذا كما قال الله تعالى رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فمرنا بأمرك فو الله لنتهين إليه و لو حال بيننا وبينه جمر الغضا وشوك القتاد فدعا لهما بخير و قال وأين تقعان مما أريد ثم نزل -قرآن-436-481

استطراد بذكر كلام لابن نباتة في الجهاد

واعلم أن التحريض على الجهاد والحض عليه قد قال فيه الناس فأكثرنا وكلهم أخذوا من كلام أمير المؤمنين ع فمن جيد ذلك ما قاله ابن نباتة الخطيب أيها الناس إلى كم تسمعون الذكر فلا تعون و إلى كم تقرعون بالزجر فلا تفلعون كأن أسماعكم تمج ودائع الوعظ وكأن قلوبكم بها استكبار عن الحفظ وعدوكم يعمل [صفحة 81] فى دياركم عمله ويبلغ بتخلفكم عن جهاده أمله وصرخ بهم الشيطان إلى باطله فأجابوه وندبكم الرحمن إلى حقه فخالفتموه و هذه البهائم تناضل عن ذمارها و هذه الطير تموت حمية دون أوكارها بلا كتاب أنزل عليها و لا رسول أرسل إليها وأنتم أهل العقول والأفهام و أهل الشرائع والأحكام تندون من عدوكم نديد الإبل وتدرعون له مدارع العجز والفشل وأنتم و الله أولى بالغزو إليهم وأحرى بالمغار عليهم لأنكم أمنا الله على كتابه والمصدقون بعقابه وثوابه خصكم الله بالنجدة والبأس وجعلكم خير أمة أخرجت للناس فأين حمية الإيمان وأين بصيرة الإيقان وأين الإشفاق من لهب النيران وأين الثقة بضمان الرحمن فقد قال الله عز و جل فى القرآن بلى إن تصبروا و تتقوا فاشترط عليكم التقوى والصبر وضمن لكم المعونة والنصر أفتتهمونه فى ضمانه أم تشكون فى عدله وإحسانه فسابقوا رحمكم الله إلى الجهاد بقلوب نقيه و نفوس أبيه وأعمال رضية ووجوه مضية وخذوا بعزائم التشميز واكشفوا عن رءوسكم عار التقصير وهبوا نفوسكم لمن هو أملك بهامنكم و لا تركنوا إلى الجزع فإنه لا يدفع الموت عنكم لا تكونوا كالمذنبين كفروا و قالوا لاخوانهم إذا ضربوا فى الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا و ما قتلوا فالجهاد الجهاد أيها الموقنون والظفر الظفر أيها الصابرون والجنة الجنة أيها الراغبون والنار النار أيها الراهبون فإن الجهاد أثبت قواعد الإيمان وأوسع أبواب الرضوان وأرفع درجات الجنان و إن من ناصح الله ليين منزلتين مرغوب فيهما مجمع على تفضيلهما إما السعادة بالظفر فى العاجل وإما الفوز بالشهادة فى الأجل وأكره المنزلتين إليكم أعظمهما نعمة -قرآن-658-687-قرآن-1011-1152 [صفحة 82] عليكم فانصروا الله فإن نصره حرز من الهلكات حريز و لينصرون الله من ينصره إن الله لقرى عزيز. هذا آخر خطبة ابن نباتة فانظر إليها و إلى خطبته ع بعين الإنصاف تجدها بالنسبة إليها كمخنت بالنسبة إلى فحل أو كسيف من رصاص بالإضافة إلى سيف من حديد وانظر ما عليها من أثر التوليد وشين التكلف وفجاجة كثير من الألفاظ لا ترى إلى فجاجة قوله كأن أسماعكم تمج ودائع الوعظ وكأن قلوبكم بها استكبار عن الحفظ وكذلك ليس يخفى نزول قوله تندون من عدوكم نديد الإبل وتدرعون له مدارع العجز والفشل . و فيها كثير من هذا الجنس إذ تأمله الخبير عرفه و مع هذا فهى مسروقة من كلام أمير المؤمنين ع لا ترى أن قوله ع أما بعد فإن الجهاد باب من

أبواب الجنة قدسرقه ابن نباتة فقال فإن الجهاد أثبت قواعد الإيمان وأوسع أبواب الرضوان وأرفع درجات الجنان وقوله ع من اجتماع هؤلاء على باطلهم وتفرقتكم عن حركم سرقه أيضا فقال صرخ بهم الشيطان إلى باطله فأجابوه وندبكم الرحمن إلى حقه فخالفتموه وقوله ع قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم إلى آخره سرقه أيضا فقال كم تسمعون الذكر فلاتعون وتقرعون بالزجر فلاتقلعون وقوله ع حتى شنت عليكم الغارات وملكت عليكم الأوطان سرقه أيضا وقال وعدوكم يعمل في دياركم عمله ويبلغ بتخلفكم عن جهاده أمله وأما باقى خطبة ابن نباتة فمسروق من خطب لأمير المؤمنين ع آخر سيأتي ذكرها. -قرآن- ٥٣-١١٧ [صفحة ٨٣] واعلم أنى أضرب لك مثلا- تتخذة دستورا فى كلام أمير المؤمنين ع وكلام الكتاب والخطباء بعده كابن نباتة والصابى وغيرهما انظر نسبة شعر أبى تمام والبحترى وأبى نواس ومسلم إلى شعر إمرئ القيس والنابعه وزهير والأعشى هل إذا تأملت أشعار هؤلاء وأشعار هؤلاء تجد نفسك حاكمه بتساوى القبيلين أو بتفضيل أبى نواس وأصحابه عليهم ما ظن أن ذلك مما تقوله أنت ولا قاله غيرك ولا يقوله إلا من لا يعرف علم البيان وماهية الفصاحة وكنه البلاغة وفضيلة المطبوع على المصنوع ومزية المتقدم على المتأخر فإذا أقررت من نفسك بالفرق والفضل وعرفت فضل الفاضل ونقص الناقص فاعلم أن نسبة كلام أمير المؤمنين ع إلى هؤلاء هذه النسبة بل أظهر لأنك تجد فى شعر إمرئ القيس وأصحابه من التعجرف والكلام الحوشى واللفظ الغريب المستكره شيئا كثيرا ولا تجد من ذلك فى كلام أمير المؤمنين ع شيئا وأكثر فساد الكلام ونزوله إنما هو باستعمال ذلك . فإن شئت أن تزداد استبصارا فانظر القرآن العزيز واعلم أن الناس قد اتفقوا على أنه فى أعلى طبقات الفصاحة وتأمله تأملا شافيا وانظر إلى ما خص به من مزية الفصاحة والبعد عن التعيير والتعيب والكلام الوحشى الغريب وانظر كلام أمير المؤمنين ع فإنك تجده مشتقا من ألفاظه ومقتضبا من معانيه ومذاهبه ومحذوا به حذوه ومسلوكا به فى منهاجه فهو وإن لم يكن نظيرا ولا ندا يصلح أن يقال إنه ليس بعده كلام أفصح منه ولا أجزل ولا أعلى ولا أفخم ولا أنبل إلا أن يكون كلام ابن عمه ع وهذا أمر لا يعلمه إلا من ثبت له قدم راسخة فى علم هذه الصناعة وليس كل الناس يصلح لانتقاد الجوهر بل ولا لانتقاد الذهب ولكل صناعة أهل ولكل عمل رجال . و من خطب ابن نباتة التى يحرض فيها على الجهاد [صفحة ٨٤] ألا وإن الجهاد كثر وفر الله منه أقسامكم وحرز طهر الله به أجسامكم وعزأظهر الله به إسلامكم فإن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم فانفروا رحمكم الله جميعا وثبات وشنوا على أعدائكم الغارات وتمسكوا بعصم الإقدام ومعاقل الثبات وأخلصوا فى جهاد عدوكم حقائق النيات فإنه والله ما غزى قوم فى عقر دارهم إلا ذلوا ولا قعدوا عن صون ديارهم إلا اضمحلوا واعلموا أنه لا يصلح الجهاد بغير اجتهاد كما لا يصلح السفر بغير زاد فقدموا مجاهدة القلوب قبل مشاهدة الحروب ومغالبة الأهواء قبل محاربة الأعداء وبادروا بإصلاح السرائر فإنها من أنفس العدد والذخائر واعتاضوا من حياة لابد من فنائها بالحياة التى لا ريب فى بقائها وكونوا ممن أطاع الله وشمر فى مرضاته وسابقوا بالجهاد إلى تملك جناته فإن للجنة بابا حدوده تطهير الأعمال وتشبيده إنفاق الأموال وساحته زحف الرجال وطريقه غمغمة الأبطال ومفتاحه الثبات فى معترك القتال ومدخله من مشرعة الصوارم والنبال. فلينظر الناظر فى هذا الكلام فإنه وإن كان قد أخذ من صناعة البديع بنصيب إلا أنه فى حضيض الأرض وكلام أمير المؤمنين ع فى أوج السماء فإنه لا ينكر لزومه فيه لما لا يلزمه اقتدارا وقوة وكتابة نحو قوله كثر فإنه بإزاء حرز وعز وقوله مشاهدة بإزاء قوله مجاهدة ومغالبة بإزاء محاربة وحدوده بإزاء تشبيده لكن مثله بالقياس إلى كلام أمير المؤمنين ع كدار مبنية من اللبن والطين مموهة الجدران بالنقوش والتساوير مزخرفة بالذهب من فوق الجص والإسفيداج بالقياس إلى دار مبنية بالصخر الأصم الصلد المسبوك بينه عمد الرصاص والنحاس المذاب وهى مكشوفة غير مموهة ولا مزخرفة فإن بين هاتين الدارين بونا بعيدا وفرقا عظيما وانظر قوله ما غزى قوم فى عقر دارهم إلا ذلوا كيف تصيح من بين الخطبة صياحا وتنادى على نفسها نداء فصيحاً وتعلم سامعها أنها ليست من المعدن [صفحة ٨٥] الذى خرج باقى الكلام منه ولا من الخاطر الذى صدر ذلك السجع عنه ولعمر الله لقد جملت الخطبة

وحسنتها وزانتها و ماملها فيها إلا كآية من الكتاب العزيز يتمثل بها في رسالته أو خطبته فإنها تكون كاللؤلؤة المضيئة تزهو وتبرق وتقوم بنفسها وتكتسى الرسالة بهارونقا وتكتسب بهاديباجه. و إذا أردت تحقيق ذلك فانظر إلى السجعة الثانية التي تكلفها ليوأزنها بها وهي قوله و لا تعدوا عن صون ديارهم إلا اضمحلوا فإنك إذا نظرت إليها وجدت عليها من التكلف والغثائه ما يقوى عندك صدق ما قلته لك . على أن في كلام ابن نباتة في هذا الفصل ما ليس بجيد و هو قوله و حرز طهر الله به أجسامكم فإنه لا يقال في الحرز إنه يطهر الأجسام و لو قال عوض طهر حصن الله به أجسامكم لكان أليق لكنه أراد أن يقول طهر ليكون بإزاء وفر و يازاء أظهر فأداه حب التقابل إلى ما ليس بجيد

غارة سفیان بن عوف الغامدى على الأنبار

فأما أخو غامد أذى وردت خيله الأنبار فهو سفیان بن عوف بن المغفل الغامدى و غامد قبيلة من اليمن وهي من الأزدي أزد شنوءة و اسم غامد عمر بن عبد الله بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد وسمى غامدا لأنه كان بين قومه شر فأصلحه و تغمدهم بذلك . روى إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال الثقفى فى كتاب الغارات عن أبى الكنود قال حدثنى سفیان بن عوف الغامدى قال دعانى معاوية فقال إني باعثك فى جيش كثيف ذى أداة و جلادة فالزم لى جانب الفرات حتى تمر بهيت [صفحہ ۸۶] فتقطعها فإن وجدت بها جندا فأغر عليهم و لإفامض حتى تغير على الأنبار فإن لم تجد بها جندا فامض حتى توغل فى المدائن ثم أقبل إلى و اتق أن تقرب الكوفة و اعلم أنك إن أغرت على أهل الأنبار و أهل المدائن فكأنك أغرت على الكوفة إن هذه الغارات يأسفیان على أهل العراق ترعب قلوبهم و تفرح كل من له فىنا هوى منهم و تدعو إلينا كل من خاف الدوائر فاقتل من لقيته ممن ليس هو على مثل رأيك و أخرب كل ما مررت به من القرى و احرب الأموال فإن حرب الأموال شبيه بالقتل و هو أوجع للقلب . قال فخرجت من عنده فعسكرت و قام معاوية فى الناس فخطبهم فقال أيها الناس انتدبوا مع سفیان بن عوف فإنه وجه عظيم فيه أجر سريعه فيه أوبتكم إن شاء الله ثم نزل . قال فو أذى لا إله غيره مامرت ثالثة حتى خرجت فى ستة آلاف ثم لزمت شاطئ الفرات فأغذذت السير حتى أمر بهيت فبلغهم أنى قد غشيتهم فقطعوا الفرات فمررت بها و ما بها عريب كأنها لم تحلل قط فوطئتها حتى أمر بصندوقاء ففروا فلم ألق بها أحدا فأمضى حتى افتتح الأنبار و قد نذروا بى فخرج صاحب المسلحة إلى فوقف لى فلم أقدم عليه حتى أخذت غلمانا من أهل القرية فقلت لهم أخبرونى كم بالأنبار من أصحاب على ع قالوا عدة رجال المسلحة خمسمائة ولكنهم قد تبددوا و رجعوا إلى الكوفة و لاندري أذى الذى يكون فيها قد يكون مائتى رجل فزلت فكتبت أصحابى كتاب ثم أخذت أبعثهم إليه كتيبة بعد كتيبة فيقاتلهم و الله و يصبر لهم و يطاردهم و يطاردونه فى الأزقة فلما رأيت ذلك أنزلت إليهم نحو من مائتين [صفحہ ۸۷] و أتبعتهم الخيل فلما حملت عليهم الخيل و أمامها الرجال تمشى لم يكن شىء حتى تفرقوا و قتل صاحبهم فى نحو من ثلاثين رجلا و حملنا ما كان فى الأنبار من الأموال ثم انصرف فو الله ما غزوت غزاة كانت أسلم و لا أقر للعيون و لا أسر للنفوس منها و بلغنى و الله أنها أرعبت الناس فلما عدت إلى معاوية حدثته الحديث على وجهه فقال كنت عند ظنى بك لا تنزل فى بلد من بلدانى إلا قضيت فيه مثل ما يقضى فيه أميره و إن أحببت توليته وليتك و ليس لأحد من خلق الله عليك أمر دونى . قال فو الله ما لبثنا إلا يسيرا حتى رأيت رجال أهل العراق يأتوننا على الإبل هرابا من عسكر على ع . قال إبراهيم كان اسم عامل على ع على مسلحة الأنبار أشرس بن حسان البكرى . و روى إبراهيم عن عبد الله بن قيس عن حبيب بن عفيف قال كنت مع أشرس بن حسان البكرى بالأنبار على مسلحتها إذ صبحنا سفیان بن عوف فى كتاب تلمع الأبصار منها فهالونا و الله و علمنا إذ رأيناهم أنه ليس لنا طاقة بهم و لا يد فخرج إليهم صاحبنا و قد تفرقنا فلم يلقهم نصفنا و ايم الله لقد

قاتلناهم فأحسننا قتالهم حتى كرهونا ثم نزل صاحبنا وهو يتلو قوله تعالى فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا
ثم قال لنا من كان لا يريد لقاء الله ولا يطيب نفسا بالموت فليخرج عن القرية مادامنا نقاتلهم فإن قاتلنا إياهم شاغل لهم عن طلب
هارب و من أراد ما عند الله فما عند الله خير للأبرار ثم نزل في ثلاثين رجلا فهممت بالنزول معه ثم أتت نفسي واستقدم هو
وأصحابه فقاتلوا حتى قتلوا رحمهم الله وانصرفنا نحن منهزمين . -قرآن- ١٠٢٣-١٠٩٦ [صفحہ ٨٨] قال ابراهيم وقدم عليج من
أهل الأنبار على علي ع فأخبره الخبر فصعد المنبر فخطب الناس و قال إن أخاكم البكري قد أصيب بالأنبار و هو معتز لا يخاف ما
كان واختار ما عند الله على الدنيا فانتدبوا إليهم حتى تلاقوهم فإن أصبتم منهم طرفا أنكلتموهم عن العراق أبدا ما بقوا. ثم سكت
عنهم رجاء أن يجيئوه أو يتكلم منهم متكلم فلم ينبس أحد منهم بكلمة فلما رأى صمتهم نزل وخرج يمشى راجلا- حتى أتى
النخيلة و الناس يمشون خلفه حتى أحاط به قوم من أشرفهم فقالوا ارجع يا أمير المؤمنين ونحن نكفيك فقال ماتكفونني و
لا تكفون أنفسكم فلم يزلوا به حتى صرفوه إلى منزله فرجع و هو ووجه كئيب ودعا سعيد بن قيس الهمداني فبعثه من النخيلة في
ثمانية آلاف و ذلك أنه خبر أن القوم جاءوا في جمع كثيف. فخرج سعيد بن قيس على شاطئ الفرات في طلب سفیان بن عوف
حتى إذ بلغ عانات سرح أمامه هانئ بن الخطاب الهمداني فاتبع آثارهم حتى دخل أداني أرض قنسرین و قد فاتوه فانصرف . قال
ولبت علي ع ترى فيه الكآبة والحزن حتى قدم عليه سعيد بن قيس و كان تلك الأيام عليا- فلم يقو على القيام في الناس بما
يريده من القول فجلس بباب السدة التي تصل إلى المسجد ومعه ابناه حسن وحسين ع و عبد الله بن جعفر ودعا سعدا مولاه فدفع
إليه الكتاب وأمره أن يقرأه على الناس فقام سعد بحيث يستمع على ع صوته ويسمع ما يرد الناس عليه ثم قرأ هذه الخطبة التي
نحن في شرحها. [صفحہ ٨٩] وذكر أن القائم إليه العارض نفسه عليه جندب بن عفيف الأزدي هو و ابن أخ له يقال له
عبدالرحمن بن عبد الله بن عفيف . قال ثم أمر الحارث الأعور الهمداني فنادي في الناس أين من يشتري نفسه لربه ويبيع دنياه
بآخرته أصبحوا غدا بالرحبة إن شاء الله ولا يحضر إلا صادق النية في السير معنا والجهاد لعدونا فأصبح و ليس بالرحبة إلا دون
ثلاثمائة فلما عرضهم قال لو كانوا ألفا كان لي فيهم رأى. وأتاه قوم يعتذرون فقال و جاء المَعْدَرُونَ و تخلف المكذبون ومكث
أياما باديا حزنه شديد الكآبة ثم جمع الناس فخطبهم فقال أما بعد أيها الناس فو الله لأهل مصركم في الأمصار أكثر من الأنصار
في العرب و ما كانوا يوم أعطوا رسول الله ص أن يمنعوه و من معه من المهاجرين حتى يبلغ رسالات ربه إلا قبيلتين قريبا مولدهما
ماهما بأقدم العرب ميلادا و لا بأكثرهم عددا فلما آووا النبي ص وأصحابه ونصروا الله ودينه رمتهم العرب عن قوس واحدة
فتحالفت عليهم اليهود وغزتهم القبائل قبيلة بعد قبيلة فتجردوا لنصرة دين الله وقطعوا ما بينهم و بين العرب من الحبائل و ما بينهم و
بين اليهود من الحلف ونصبوا لأهل نجد وتهامة و أهل مكة واليمامة و أهل الحزن والسهل وأقاموا قناة الدين وصبروا تحت
حماس الجلاذ حتى دانت العرب لرسول الله ص ورأى منهم قرّة العين قبل أن يقبضه الله عز و جل إليه وأنتم اليوم في الناس أكثر
من أولئك ذلك الزمان في العرب. فقام إليه رجل آدم طوال فقال ما أنت بمحمد و لانحن بأولئك الذين -قرآن- ٤٢٨-٤٤٨ [صفحہ ٩٠]
ذكرت فقال ع أحسن سمعا تحسن إجابة ثكلتكم الثواكل ماتريدونني إلا غما هل أخبرتكم أني محمد وأنكم
الأنصار إنما ضربت لكم مثلا- وإنما أرجو أن تتأسوا بهم . ثم قام رجل آخر فقال ما أحوج أمير المؤمنين اليوم وأصحابه إلى
أصحاب النهروان ثم تكلم الناس من كل ناحية ولغظوا وقام رجل منهم فقال بأعلى صوته استبان فقد الأشر على أهل العراق
أشهد لو كان حيا لقل اللغظ ولعلم كل امرئ ما يقول . فقال على ع هبلتكم الهوابل أنا أوجب عليكم حقا من الأشر وهل للأشر
عليكم من الحق إلا حق المسلم على المسلم. فقام حجر بن عدى الكندي وسعيد بن قيس الهمداني فقالا لا يسوؤك الله يا أمير
المؤمنين مرنا بأمرك نتبعه فو الله مانعظم جزعا على أموالنا إن نفدت و لا على عشائرننا إن قتلت في طاعتك فقال تجهزوا للمسير
إلى عدونا. فلما دخل منزله ودخل عليه وجوه أصحابه قال لهم أشيروا على برجل صليب ناصح يحشر الناس من السواد فقال له

سعيد بن قيس يا أمير المؤمنين أشير عليك بالناصح الأريب الشجاع الصليب معقل بن قيس التميمي قال نعم . ثم دعاه فوجهه فسار فلم يقدم حتى أصيب أمير المؤمنين ع [صفحہ ۹۱]

۲۸- و من خطبة له ع

اشاره

أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ وَ آذَنْتْ بِوَدَاعٍ وَ إِنَّ الآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَ أَشْرَفَتْ بِاطِّلَاعِ أَلَا وَ إِنَّ اليَوْمَ المِضْمَارَ وَ غَدَا السَّبَاقَ وَ السَّبْقَةَ الجَنَّةَ وَ الغَايَةَ النَّارَ أ فَلَمَّا تَأْتَبُ مِنْ حَاطِيَّتِهِ قَبْلَ مَمِيَّتِهِ أَلَمَّا عَامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُوْسِهِ أَلَا وَ إِنَّكُمْ فِي أَيَّامٍ أَمَلٍ مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ نَفَعَهُ عَمَلُهُ وَ لَمْ يَضُرَّهُ أَجَلُهُ وَ مَنْ قَصِيرَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ خَسِرَ عَمَلُهُ وَ ضُرَّهُ أَجَلُهُ أَلَمَّا فَاعْمَلُوا فِي الرِّغْيَةِ كَمَا تَعْمَلُونَ فِي الرِّهْيَةِ أَلَمَّا وَ إِنِّي لَمْ أَرِ كَالجَنَّةِ نَامَ طَالِيهَا وَ لَا كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا أَلَا وَ إِنَّهُ مَنْ لَا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ وَ مَنْ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْهُدَى يَجْرُ بِهِ الضَّلَالُ إِلَى الرُّدَى أَلَا وَ إِنَّكُمْ قَدْ أُمِرْتُمْ بِالطَّعْنِ وَ دَلَّيْتُمْ عَلَى الزَّادِ وَ إِنَّ أَحْوَفَ مَيَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اتِّبَاعَ الْهَوَى وَ طُولَ الْأَمَلِ فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تُحْرِزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدَاً [صفحہ ۹۲] قال الرضى رحمه الله وأقول إنه لو كان كلام يأخذ بالأعناق إلى الزهد فى الدنيا ويضطر إلى عمل الآخرة لكان هذا الكلام وكفى به قاطعا لعلائق الآمال وقادحا زناد الاتعاض والازدجار و من أعجبه قوله ع ألا و إن اليوم المضمار وغدا السباق والسبقة الجنة والغاية النار فإن فيه مع فخامة اللفظ وعظم قدر المعنى وصادق التمثيل وواقع التشبيه سرا عجيبا ومعنى لطيفا و هو قوله ع والسبقة الجنة والغاية النار فخالف بين اللفظين لاختلاف المعنيين و لم يقل السبقة النار كما قال السبقة الجنة لأن الاستباق إنما يكون إلى أمر محبوب وغرض مطلوب و هذه صفة الجنة و ليس هذا المعنى موجودا فى النار نعوذ بالله منها فلم يجوز أن يقول والسبقة النار بل قال والغاية النار لأن الغاية قد ينتهى إليها من لايسره الانتهاء إليها و من يسره ذلك فصلح أن يعبر بها عن الأمرين معا فهى فى هذاالموضع كالمصير والمآل قال الله تعالى قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ وَ لايجوز فى هذاالموضع أن يقال فإن سبقتكم إلى النار فتأمل ذلك فباطنه عجيب وغوره بعيد لطيف وكذلك أكثر كلامه ع . و فى بعض النسخ و قد جاء فى رواية أخرى والسبقة الجنة بضم السين والسبقة عندهم اسم لما يجعل للسابق إذاسبق من مال أوعرض والمعنيان متقاربان لأن ذلك لا يكون جزاء على فعل الأمر المذموم وإنما يكون جزاء على فعل الأمر المحمود -رواية- ۱- ۲- ۳- ۵۸ . قوله ألا- فاعملوا فى الرغبة يقول لاريب أن أحدكم إذامسه الضر من لأنه اسم إن واليوم ظرف وموضعه رفع لأنه خبر إن وظرف الزمان يجوز أن يكون خبرا عن الحدث والمضمار و هو الزمان الذى تضم فيه الخيل للسباق والضمير الهزال وخفة اللحم وإعراب قوله وغدا السباق على هذاالوجه أيضا. ويجوز الرفع فى الموضعين على أن تجعلهما خبر إن بأنفسهما. وقوله ع أ لاعامل لنفسه قبل يوم بؤسه أخذته ابن نباتة مصالته فقال فى بعض خطبه أ لاعامل لنفسه قبل حلول رمسه -رواية- ۱- ۲- ۳- ۵۸ . قوله ألا- فاعملوا فى الرغبة يقول لاريب أن أحدكم إذامسه الضر من مرض شديد أوخوف مقلق من عدو قاهر فإنه يكون شديد الإخلاص والعبادة و هذه حال من يخاف الغرق فى سفينة تتلاعب بها الأمواج فهوع أمر بأن يكون المكلف عاملا أيام عدم الخوف مثل عمله وإخلاصه وانقطاعه إلى الله أيام هذه العوارض . قوله لم أر كالجنة نام طالبها يقول إن من أعجب العجائب من يؤمن بالجنة كيف يطلبها وينام و من أعجب العجائب من يوقن بالنار كيف لا-يهرب منها وينام أى لا-ينبغى أن ينام طالب هذه ولاالهارب من هذه . و قدفسر الرضى رحمه الله تعالى معنى قوله والسبقة الجنة

ونحن نورد في هذا الفصل نكتا من مواعظ الصالحين يرحمهم الله تناسب هذا المأخذ فمما يؤثر عن أبي حازم الأعرج كان في أيام بني أمية قوله لعمر بن عبدالعزيز [صفحة ٩٤] وقد قال له يا أبا حازم إنني أخاف الله مما قد دخلت فيه فقال لست أخاف عليك أن تخاف وإنما أخاف عليك ألا تخاف . وقيل له كيف يكون الناس يوم القيامة قال أما العاصي فأبق قدم به على مولاه و أما المطيع فغائب قدم على أهله . و من كلامه إنما بيني وبين الملوكة يوم واحد أما أمس فلا يجدون لذته ولا أجد شدته و أما غدا فإني وإياهم منه على خطر وإنما هو اليوم فما عسى أن يكون . و من كلامه إذا تابعت عليك نعم ربك و أنت تعصيه فاحذره . و قال له سليمان بن عبد الملك عظمي فقال عظم ربك أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك . وقيل له ما مالك قال شيثان لا عدم بي معهما الرضا عن الله والغنى عن الناس . و من كلامه عجباً لقوم يعملون لدار يرحلون عنها كل يوم مرحلة و يتركون أن يعملوا لدار يرحلون إليها كل يوم مرحلة . و من كلامه إن عوفينا من شر ما أعطانا لم يضرنا فقد مازوى عنا . و من كلامه نحن لا نريد أن نموت حتى نتوب ونحن لا نتوب حتى نموت . و لما ثقل عبد الملك رأى غسالا يلوى بيده ثوبا فقال وددت أني كنت غسالا مثل هذا أعيش بما أكتسب يوما فيوما فذكر ذلك لأبي حازم فقال الحمد لله الذي جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه و لا نتمنى عند الموت ما هم فيه . و من كلام غيره من الصالحين دخل سالم بن عبد الله بن عمر على هشام بن عبد الملك [صفحة ٩٥] في الكعبة فكلمه هشام ثم قال له سل حاجتك قال معاذ الله أن أسأل في بيت الله غير الله . وقيل لرابعة القيسية لو كلمت أهلك أن يشتروا لك خادما يكفيك مئونة بيتك قالت إنني لأستحي أن أسأل الدنيا من يملكها فكيف من لا يملكها . و قال بكر بن عبد الله أطفئوا نار الغضب بذكر نار جهنم . عامر بن عبد القيس الدنيا والدء للموت ناقضة للمبرم مرتجعة للعطية و كل من فيها يجرى إلى ما لا يدري و كل مستقر فيها غير راض بها و ذلك شهيد على أنها ليست بدار قرار . باع عتبة بن عبد الله بن مسعود أرضا له بثمانين ألفا فتصدق بها فقيل له لوجعلت هذا المال أو بعضه ذخرا لولدك قال بل أجعل هذا المال ذخرا لي وأجعل الله تعالى ذخرا لولدي . رأى إياس بن قتادة شبيهة في لحيته فقال أرى الموت يطلبني وأراني لأفوته فلزم بيته وترك الاكتساب فقال له أهله تموت هزالا - قال لأن أموت مؤمنا مهزولا أحب إلى من أن أعيش منافقا سميئا . بكر بن عبد الله المزني ما الدنيا ليت شعري أما ماضى منها فحلم و أما مابقي فأمانى . مورو العجلي خير من العجب بالطاعة ألا تأتي بالطاعة . و من كلامه ضاحك معترف بذنبه خير من باك مدل على ربه . و من كلامه أوحى الله إلى الدنيا من خدمني فاخدميه و من خدمك فاستخدميه . [صفحة ٩٦] قيل لرابعة هل عملت عملا - ترين أنه يقبل منك قالت إن كان فخوفى أن يرد على . نظر حبيب إلى مالك بن دينار و هو يقسم صدقته علانية فقال يا أخى إن الكنوز لتستر فما بال هذا يجهر به . قال عمرو بن عبيد للمنصور إن الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها و إن هذا الذي أصبح اليوم في يدك لو كان مما يبقى على الناس لبقى في يد من كان قبلك و لم يصر إليك فاحذر ليلة تمخض بيوم لا ترى بعده إلا يوم القيامة فبكى المنصور و قال يا أبا عثمان سل حاجة قال حاجتي ألا تعطيني حتى أسألك و لا تدعني حتى أجيئك قال إذن لا نلتقى أبدا قال فذاك أريد . كان يقال الدنيا جاهلة و من جهلها أنها لا تعطى أحدا ما يستحقه إما أن تريده وإما أن تتقصه . قيل لخالد بن صفوان من أبلغ الناس قال الحسن لقوله فضح الموت الدنيا . قيل لبعض الزهاد كيف سخط نفسك على الدنيا قال أيقنت أني خارج منها كرها فأحببت أن أخرج منها طوعا . مر ابراهيم بن أدهم بباب أبي جعفر المنصور فنظر السلاح والحرس فقال المريب خائف . قيل لزاهد ما أصبرك على الوحدة قال كلا أنا أجالس ربي إذا شئت أن يناجيني قرأت كتابه و إذا شئت أن أناجيه صليت . كان يقال خف الله لقدرته عليك واستح منه لقربه منك [صفحة ٩٧] قال الرشيد للفضيل بن عياض ما أزهك قال أنت يهارون أزهد مني لأنى زهدت في دنيا فانية وزهدت في

آخره باقية. و قال الفضيل ياربي انى لأستحيى أن أقول توكلت عليك لو توكلت عليك ماخفت إلامنك و لارجوت إلا إياك .عوتب بعض الزهاد على كثرة التصديق بماله فقال لو أراد رجل أن ينتقل من دار إلى دار ماأظنه كان يترك في الدار الأولى شيئاً. قال بعض الملووك لبعض الزهاد ما لك لا تغشى بابى و أنت عبدى قال لو علمت أيها الملك لعلمت أنك عبد عبدى لأنى أملك الهوى والهوى يملكك .دخل متظلم على سليمان بن عبدالمملك فقال يا أمير المؤمنين اذكر يوم الأذان قال و ما يوم الأذان قال اليوم الذى قال تعالى فيه فَأَذِّنْ مَوْذِنًا بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَبكى سليمان وأزال ظلامته .سئل الفضيل بن عياض عن الزهد فقال يجمعه حرفان فى كتاب الله لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَ لَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ. كتب يحيى بن خالد من الحبس إلى الرشيد مايمر يوم من نعيمك إلا- ويمر يوم من بؤسى وكلاهما إلى نفاذ. قيل لحاتم الأصم علام بنيت أمرك قال على أربع خصال علمت أن رزقى لا يأكله غيرى فلم أهتم به وعلمت أن عملى لا يعمله غيرى فأنا مشغول به وعلمت أن الموت يأتينى بغتة فأنا أبادره وعلمت أنى بعين الله فى كل حال فاستحييت منه . -قرآن- ٦٢٤-٦٨٧-قرآن- ٧٨٢-٨٤٠ [صفحہ ٩٨] نظر بعض الصالحين إلى رجل يفحش فى قوله فقال يا هذا إنما تملى على حافظيك كتابا إلى ربك فانظر ماتودعه . كان يقال مثل الدنيا والآخرة مثل ضررتين لبعل واحد إن أرضى هذه أسخط الأخرى . قيل لبعضهم مامثل الدنيا قال هى أقل من أن يكون لها مثل .دخل لص على بعض الزهاد الصالحين فلم ير فى داره شيئاً فقال له يا هذا أين متاعك قال حولته إلى الدار الأخرى . قيل للربيع بن خيثم ياربيع ما نراك تدم أحدا فقال ما أنا عن نفسى براض فأتحول من ذمى إلى ذم الناس إن الناس خافوا الله على ذنوب العباد وأمنوه على ذنوبهم . قال عيسى بن موسى لأبى شيبه القاضى لم لاتأتينا قال إن قربتنى فنتنتى و إن أقصيتنى أحزنتنى و ليس عندى ما أخفك عليه و لا عندك ما أرجوك له . من كلام بعض الزهاد تأمل ذا الغنى ما أشد نصبه وأقل راحته وأخس من ماله حظه وأشد من الأيام حذره هو بين سلطان يتهضمه وعدو يبغي عليه وحقوق تلزمه وأكفاء يحسدونه وولد يود فراقه قدبعث عليه غناه من سلطانه العنت و من أكفائه الحسد و من أعدائه البغى و من ذوى الحقوق الذم و من الولد الملاة. و من كلام سفیان الثورى يا ابن آدم جوارحك سلاح الله عليك بأياها شاء قتلک .ميمون بن مهران فى قوله تعالى وَ لَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ قال إنها لتعزية للمظلوم ووعيد للظالم . -قرآن- ١١٠٢-١١٥٨ [صفحہ ٩٩] دخل عبدالوارث بن سعيد على مريض يعوده فقال له ما نمت منذ أربعين ليلة فقال يا هذا أحصيت ليالى البلاء فهل أحصيت ليالى الرخاء .بعضهم وا عجباه لمن يفرح بالدنيا فإنما هى عقوبة ذنب . ابن السماك خف الله حتى كأنك لم تطعه قط وارجع حتى كأنك لم تعصه قط .بعضهم العلماء أطباء هذا الخلق والدنيا داء هذا الخلق فإذا كان الطبيب يطلب الداء فمتى يبرىء غيره . قيل لمحمد بن واسع فلان زاهد قال و ما قدر الدنيا حتى يحمد من يزهدها فيهارثى عبد الله بن المبارك واقفا بين مقبرة ومزبلة فقيل له ما أوقفك قال أنا بين كثرين من كنوز الدنيا فيهما عبرة هذا كنز الأموال و هذا كنز الرجال . قيل لبعضهم أتعبت نفسك فقال راحتها أطلب .دخل الإسكندر مدينة فتحتها فسأل عمن بقى من أولاد الملووك بهافقيل رجل يسكن المقابر فدعا به فقال مادعاك إلى لزوم هذه المقابر فقال أحببت أن أميز بين عظام الملووك وعظام عبيدهم فوجدتها سواء فقال هل لك أن تتبعنى فأحيا شرفك وشرف آباءك إن كانت لك همة قال همتى عظيمة قال و ما همتك قال حياة لاموت معها وشباب لاهرم معه وغنى لافقر معه وسرور لامكروه معه فقال ليس هذا عندى قال فدعنى ألتمسه ممن هو عنده . مات ابن لعمر بن ذر فقال لقد شغلنى الحزن لك يابنى عن الحزن عليك . كان يقال من هوان الدنيا على الله ألا- يعصى إلا فيها و لا ينال ما عنده إلا بتركها. و من كلام عبد الله بن شداد أرى دواعى الموت لا تقلع وأرى من مضى لا يرجع [صفحہ ١٠٠] فلانترهدن فى معروف فإن الدهر ذو صروف كم من راغب قد كان مرغوبا إليه والزمان ذو ألوان من يصحب الزمان ير الهوان و إن غلبت يوما على المال فلا تغلبين على الحيلة على كل حال وكن أحسن ماتكون فى الظاهر حالا- أقل ماتكون فى الباطن مآلا. كان يقال إن مما يعجل الله تعالى عقوبته الأمانة تخان والإحسان يكفر والرحم تقطع

والبغى على الناس. الربيع بن خيثم لو كانت الذنوب تفوح روائحها لم يجلس أحد إلى أحد. قيل لبعضهم كيف أصبحت قال آسفا على أمسى كارها ليومى متهما لعدى. وقيل لآخر لم تترك الدنيا قال أنفت من قليلها وأنف منى كثيرا وهذا كما قال بعضهم وقد قيل له لم لا تقول الشعر قال يابانى جیده وآبى رديته. بعض الصالحين لو أنزل الله تعالى كتابا أنى معذب رجلا واحدا خفت أن أكونه أو أنه راحم رجلا- واحدا لرجوت أن أكونه. مطرف بن الشخير خير الأمور أوساطها وشر السير الحقيقه و هذا الكلام قدروى مرفوعا. يحيى بن معاذ أن الله عليك نعمتين فى السراء التذكر و فى الضراء التصبر فكن فى السراء عبدا شكورا و فى الضراء حرا صبورا. دخل ابن السماك على الرشيد فقال له عظنى ثم دعا بماء ليشربه فقال له ناشدتك الله لومنعك الله من شربه ماكنت فاعلا قال كنت أفنديه بنصف ملكى قال فاشربه فلما شرب قال ناشدتك الله لومنعك الله من خروجه ماكنت فاعلا قال كنت أفنديه بنصف ملكى قال إن ملكا يفتدى به شربه ماء لخليق ألا ينافس عليه . قال المنصور لعمر بن عبيد رحمه الله تعالى عظنى قال بما رأيت أم بما سمعت [صفحہ ۱۰۱] قال بما رأيت قال رأيت عمر بن عبدالعزیز و قدمات فخلف أحد عشر ابنا و بلغت تركته سبعة عشر دينارا كفن منها بخمسة دنانير واشترى موضع قبره بدينارين وأصاب كل واحد من ولده دون الدينار ثم رأيت هشام بن عبدالملك و قدمات وخلف عشرة ذكور فأصاب كل واحد من ولده ألف ألف دينار ورأيت رجلا من ولد عمر بن عبدالعزیز قد حمل فى يوم واحد على مائة فرس فى سبيل الله ورأيت رجلا من ولد هشام يسأل الناس ليتصدقوا عليه . حسان بن أبى سنان ما شىء أهون من ورع إذا رابك شىء فدعه . مروق العجلي لقد سألت الله حاجه أربعين سنه ما قضاها و لا يثبت منها قيل و ماهى قال ترك ما لا يعينى. فتاده إن الله يعطى العبد على نية الآخرة ما يسأله من الدنيا و لا يعطيه على نية الدنيا إلا الدنيا. من كلام محمد بن واسع ليس فى النار عذاب أشد على أهلها من علمهم بأنه ليس لكرهم تنفيس و لا لضيقهم ترفيه و لا لعذابهم غاية و ليس فى الجنة نعيم أبلغ من علم أهلها بأن ذلك الملك لا يزول عنهم . قال بعض الملوك لبعض الزهاد أذم لى الدنيا قال أيها الملك هى الآخذة لما تعطى المورثة بعد ذلك الندم السالبة ما تكسو المورثة بعد ذلك الفصوح تسد بالأراذل مكان الأفاضل و بالعجزه مكان الحزمه تجد فى كل من كل خلفا و ترضى بكل من كل بدلا تسكن دار كل قرن قرنا و تطعم سؤر كل قوم قوما. و من كلام الحجاج و كان مع غشمه و إلحاده و اعظا بليغا مفوها خطب فقال اللهم أرنى الغى غيا فأتجنبه و أرنى الهدى هدى فأتبعه و لا تكلنى إلى نفسى فأضل [صفحہ ۱۰۲] ضلالا بعيدا و الله ما أحب أن ماضى من الدنيا بعمامتى هذه و لمابقى منها أشبه بما مضى من الماء بالماء و قال مالك بن دينار غدوت إلى الجمعة فجلست قريبا من المنبر فصعد الحجاج فسمعتة يقول امرؤ زور عمله امرؤ حاسب نفسه امرؤ فكر فيما يقرؤه فى صحيفته و يراه فى ميزانه امرؤ كان عند قلبه زاجر و عندهم امرؤ أخذ بعنان قلبه كما يأخذ الرجل بخطام جملة فإن قاده إلى طاعة الله تبعه و إن قاده إلى معصية الله كفه إننا و الله ما خلقنا للفناء وإنما خلقنا للبقاء وإنما نتقل من دار إلى دار. و خطب يوما فقال إن الله أمرنا بطلب الآخرة و كفانا مئونة الدنيا فليتة كفانا مئونة الآخرة و أمرنا بطلب الدنيا فقال الحسن ضالة المؤمن خرجت من قلب المنافق . و من الكلام المنسوب إليه و أكثر الناس يروونه عن أمير المؤمنين ع أيها الناس اقدعوا هذه الأنفس فإنها أسأل شىء إذا أعطيت و أبخل لشىء إذا سئلت فرحم الله امرأ جعل لنفسه خطاما و زماما فقادها بخطامها إلى طاعة الله و عطفها بزمامها عن معصية الله فإنى رأيت الصبر عن محارم الله أيسر من الصبر على عذاب الله -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۵-۲۶۶ . و من كلامه أن امرأ أتت عليه ساعة من عمره لم يذكر فيهاربه و يستغفر من ذنبه و يفكر فى معاده لجدير أن يطول حزنه و يتضاعف أسفه إن الله كتب على الدنيا الفناء و على الآخرة البقاء فلا بقاء لما كتب عليه الفناء و لا فناء لما كتب عليه البقاء فلا يغرنكم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة و اقهرها طول الأمل بقصر الأجل . [صفحہ ۱۰۳] و نقلت من أمالى أبى أحمد العسكري رحمه الله تعالى قال خطب الحجاج يوما فقال أيها الناس قد أصبحتم فى أجل منقوص و عمل محفوظ رب دائب مضيع و ساع لغيره و الموت فى أعقابكم و النار بين أيديكم و الجنة أمامكم خذوا من

أنفسكم لأنفسكم و من غناكم لفقركم ومما فى أيديكم لما بين أيديكم فكان ما قدمضى من الدنيا لم يكن و كان الأموات لم يكونوا أحياء و كل ماترونه فإنه ذاهب هذه شمس عاد و ثمود وقرون كثيرة بين ذلك هذه الشمس التى طلعت على التباينة والأكاسرة وخزائنهم السائرة بين أيديهم وقصورهم المشيدة ثم طلعت على قبورهم أين الملوك الأولون أين الجابرة المتكبرون المحاسب الله والصراط منصوب وجهنم تزفر وتتوقد و أهل الجنة نعمون هم فى روضه يجرون جعلنا الله وإياكم من الذين إذا ذُكروا بآيات ربهم لم يخزوا عليها صوماً و عُمياناً. قال فكان الحسن رحمه الله تعالى يقول أ لا تعجبون من هذا الفاجر يرقى عتبات المنبر فيتكلّم بكلام الأنبياء وينزل فيفتك فتك الجبارين يوافق الله فى قوله ويخالفه فى فعله -قرآن- ٧٠٥-٧٧٢

استطراد بلاغى فى الكلام على المقابلة

و أما ما ذكره الرضى رحمه الله تعالى من المقابلة بين السبقة والغاية فنكتة جيدة من علم البيان ونحن نذكر فيها أبحاثاً نافعة فنقول إما أن يقابل الشىء ضده أو ما ليس بضده. فالأول كالسواد والبياض و هو قسمان أحدهما مقابله فى اللفظ والمعنى . [صفحة ١٠٤] والثانى مقابله فى المعنى لا فى اللفظ. أما الأول فكقوله تعالى فليضحكوا قليلاً و ليكفوا كثيراً الضحك ضد البكاء والقليل ضد الكثير وكذلك قوله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم و لا تفرحوا بما آتاكم -قرآن- ٦٧-١٠٨-قرآن- ١٦٥-٢٢٣ و من كلام النبى ص خير المال عين ساهرة لعين نائمة -رواية- ١-٢-رواية- ٢٤-٥٨ و من كلام أمير المؤمنين ع لعثمان أن الحق ثقيل مرىء و أن الباطل خفيف و بىء و أنت رجل إن صدقت سخطت و إن كذبت رضيت -رواية- ١-٢-رواية- ٣٩-١٣٠ وكذلك قوله ع لما قالت الخوارج لا-حكم إلا الله كلمة حق أريد بها باطل -رواية- ١-٢-رواية- ١٠-٧٦ و قال الحجاج لسعيد بن جبير لما أراد قتله ما اسمك فقال سعيد بن جبير فقال بل شقى بن كسير. و قال ابن الأثير فى كتابه المسمى بالمثل السائر إن هذا النوع من المقابلة غير مختص بلغة العرب فإنه لمهمات قباذ أحد ملوك الفرس قال وزيره حركنا بسكونه . و فى أول كتاب الفصول لبقراط فى الطب العمر قصير والصناعة طويلة و هذا الكتاب على لغة اليونان . قلت أى حاجة به إلى هذا التكلف وهل هذه الدعوى من الأمور التى يجوز أن يعترى الشك والشبهة فيها لياتى بحكاية مواضع من غير كلام العرب يحتج بها أ ليس كل قبيلة و كل أمة لها لغة تختص بها أ ليس الألفاظ دلالات على ما فى الأنفس [صفحة ١٠٥] من المعانى فإذا خطر فى النفس كلام يتضمن أمرين ضدين فلا بد لصاحب ذلك خاطر سواء أ كان عربياً أم فارسياً أم زنجياً أم حبشياً أن ينطق بلفظ يدل على تلك المعانى المتضادة و هذا أمر يعم العقلاء كلهم على أن تلك اللفظة التى قالها ما قيلت فى موت قباذ وإنما قيلت فى موت الإسكندر لما تكلمت الحكماء وهم حول تابوته بما تكلموا به من الحكم . ومما جاء من هذا القسم من المقابلة فى الكتاب العزيز قوله تعالى فى صفه الواقعة خافضة رافعة لأنها تخفض العاصين وترفع المطيعين . و قوله تعالى فضرَبَ بينهم بسورٍ له بابٌ باطنه فيه الرحمة و ظاهرة من قِبَلِهِ العذابُ. و قوله أذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ. و من هذا الباب -قرآن- ٤٢٨-٤٤٤-قرآن- ٤٩٨-٥٩١-قرآن- ٦٠١-٦٥٤ قول النبى ص للأَنْصار إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع -رواية- ١-٢-رواية- ٢٤-٦٧ . ومما جاء من ذلك فى الشعر قول الفرزدق يهجو قبيلة جرير يستيقظون إلى نهيق حميرهم || وتنام أعينهم عن الأوتار . و قال آخر فلا الجود يفنى المال والجد مقبل || و لا البخل يبقى المال والجد مدبر . [صفحة ١٠٦] و قال أبو تمام ما إن ترى الأحساب بيضا وضحا || إلا بيث ترى المنايا سودا . وكذلك قال من هذه القصيدة أيضا شرف على أولى الزمان وإنما || خلق المناسب ما يكون جديدا . و أما القسم الثانى من القسم الأول و هو مقابلة الشىء بضده بالمعنى لا باللفظ فكقول المقنع الكندى لهم جل مالى إن تتابع لى غنى || و إن قل مالى لا أكلفهم رفدا . فقوله إن تتابع لى غنى فى قوة قوله إن كثر مالى والكثرة ضد القلة فهو إذن

مقابل بالمعنى لا باللفظ بعينه . و من هذا الباب قول البحترى تقيض لى من حيث لأعلم النوى || ويسرى إلى الشوق من حيث أعلم . فقوله لأعلم ليس ضدا لقوله أعلم لكنه نقيض له و فى قوة قوله أجهل والجهل ضد العلم . و من لطيف ما وقعت المقابلة به من هذا النوع قول أبى تمام مها الوحش إلا أن هاتا أوانس || فنا الخط إلا أن تلك ذوابل . [صفحہ ۱۰۷] فقابل بين هاتا و بين تلك وهى مقابلة معنوية لالفظية لأن هاتا للحاضرة وتلك للغائبة والحضور ضد الغيبة . و أمامقابلة الشىء لما ليس بضده فإما أن يكون مثلا أو مخالفا . والأول على ضربين مقابلة المفرد بالمفرد ومقابلة الجملة بالجملة . مثال مقابلة المفرد بالمفرد قوله تعالى نسوا الله فأنساهم أنفسهم وقوله وَ مَكْرُوا مَكْرًا وَ مَكْرَنَا مَكْرًا هكذا قال نصر الله بن الأثير . قال و هذا مراعى فى القرآن الكريم إذا كان جوابا كما تقدم من الآيتين وكقوله وَ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا وقوله مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ . قال و قد كان يجوز أن يقول من كفر فعليه ذنبه لكن الأحسن هو إعادة اللفظ فأما إذا كان غير جواب لم تلزم فيه هذه المراعاة اللفظية بل قد تقابل اللفظة بلفظة تفيد معناها و إن لم تكن هى بعينها نحو قوله تعالى وَ وُفِّيَتْ كُلِّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ فقال يفعلون و لم يقل يعملون . وكذلك قوله تعالى فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ و لم يقل قالوا لا تنزع . وكذلك قوله تعالى إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَ نَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَ آيَاتِهِ وَ رَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ و لم يقل كنتم تخوضون وتلعبون . - قرآن- ۲۷۲-۳۰۶-قرآن- ۳۱۵-۳۵۰-قرآن- ۴۵۹-۴۹۳-قرآن- ۵۰۲-۵۲۹-قرآن- ۷۴۵-۸۰۸-قرآن- ۸۶۱-۸۹۱-قرآن- ۹۳۷-۱۰۲۷] [صفحہ ۱۰۸] قال ونحو ذلك من الآيات الشعرية قول أبى تمام بسط الرجاء لنا برغم نوائب || كثرت بهن مصارع الآمال . فقال الآمال عوض الرجاء قال أبو الطيب إني لأعلم واللييب خبير || أن الحياة و إن حرصت غرور فقال خبير و لم يقل عليم . قال وإنما حسن ذلك لأنه ليس بجواب وإنما هو كلام مبتدأ . قلت الصحيح أن هذه الآيات وهى قوله تعالى نسوا الله فأنساهم أنفسهم و ماشابهها ليست من باب المقابلة التى نحن فى ذكرها وأنها نوع آخر و لوسميت المماثلة أو المكافأة لكان أولى والدليل على ذلك أن هذا الرجل حد المقابلة فى أول الباب الذى ذكر هذا البحث فيه فقال إنها ضد التجنيس لأن التجنيس أن يكون اللفظ واحدا مختلف المعنى و هذه لابد أن تتضمن معنيين ضدين و إن كان التضاد مأخوذا فى حدها فقد خرجت هذه الآيات من باب المقابلة وكانت نوعا آخر . وأيضا فإن قوله تعالى وَ مَكْرُوا مَكْرًا وَ مَكْرَنَا مَكْرًا ليس من سلك الآيات الأخرى لأنه بالواو والآيات الأخرى بالفاء والفاء جواب والواو ليست بجواب . وأيضا فإننا إذا تأملنا القرآن العزيز لم نجد ما ذكره هذا الرجل مطردا قال تعالى أَمَا مَنْ اسْتَعْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى وَ مَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى وَ أَمَا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَ هُوَ يَخْشَى فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى فلم يقل فى الثانية و أما من جاءك يسعى و هو فقير . و قال تعالى فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَ اتَّقَى وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيَّ لَهُ لِلْإِسْرَى وَ أَمَّا مَنْ أَسْتَعْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى وَ مَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى وَ أَمَا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَ هُوَ يَخْشَى فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى فلم يقل فى الثانية و أما من جاءك يسعى و هو فقير . و قال تعالى فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَ اتَّقَى وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيَّ لَهُ لِلْإِسْرَى وَ أَمَا مَنْ بَخَلَ وَ اسْتَعْنَى وَ كَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيَّ لَهُ لِلْعُسْرَى فقابل بين أعطى وبخل و لم يقابل بين اتقى واستغنى ومثل هذا فى القرآن العزيز كثير وأكثر من الكثير . و قد بان الآن أن التقسيم الأول فاسد و أنه لا مقابلة إلا بين الأضداد و ما يجرى

مجرأها. و أمامقابلة الجملة بالجملة فى تقابل المتماثلين فإنه إذا كانت إحداهما فى معنى الأخرى وقعت المقابلة والأغلب أن تقابل الجملة الماضفة بالماضفة والمستقبله بالمستقبله. و قد تقابل الجملة الماضفة بالمستقبله فمن ذلك قوله تعالى قل إن ضللت فإنما أضل على نفسى وإن اهتدفت ففما فؤحى إلى ربى فإن هذاتقابل من جهة المعنى لأنه لو كان من جهة اللفظ لقال و إن اهتدفت فإنما أهتدى لها. ووجه التقابل المعنوى هو أن كل ما على النفس فهو بهاأعنى كل ما هو عليها وبال وضرر فهو منها وفسببها لأنها الأماره بالسوء و كل مالها مما فنفعا فهو بهدافه ربها و توففقه لها. و من ذلك قوله تعالى ألم فزوا أنا جعلنا اللئل لفسكنوا ففه و النهار مبصه رأفانه لم فراع التقابل اللفظى و لوراها لقال و النهار لفسروا ففه و إنما المراعاة لجانب المعنى لأن معنى مبصرا لفسروا ففه طرق القلب فى الحاجات . و أمامقابلة المخالف فهو على و جهفن . أهدما أن فكون ففن المقابل و المقابل نوع مناسبة و تقابل كقول القائل - قرآن- ١- ٦٢- قرآن- ٤٨٥- ٥٧٦- قرآن- ٨٧٤- ٩٤٨ فجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة || و من إساءه أهل السوء إحسانا . [صفحه ١١٠] فقابل الظلم بالمغفرة و هى مخالفة له لفست مثله و لاضده و إنما الظلم ضد العدل إلا أنه لما كانت المغفرة قرفبه من العدل حسنت المقابلة فبناها و ففن الظلم و نحو هذا قوله تعالى أشدأء على الكفار رحماء فبفهم فإن الرحمة لفست ضدا للشده و إنما ضد الشده اللفن إلا أنه لما كانت الرحمة سببا للفن حسنت المقابلة فبناها و ففن الشده. و كذلك قوله تعالى إن ففبك حسنة فسؤهم و إن ففبك مفسبة فقولوا فإن المفسبة أخص من السفة فالتقابل ها هنا من جهة العموم و الفصوص . الوجه الثانى ما كان ففن المقابل و المقابل بعد و ذلك مما لا فحسن استعماله كقول امرأة من العرب لابنها و قد تزوج بامرأة ففر محموده - قرآن- ١٨٠- ٢٢٢- قرآن- ٣٦٢- ٤٢٥ فربص بها الأيام عل صروفها || سترمى بها فى جاحم متسعر فكم من كرفم قدمناه إلهه || بمذومه الأخلاق واسعة الحر . فمذومه لفست فى مقابلة واسعة و لو كانت قالت بضفة الأخلاق كانت المقابلة صفة و الشعر مستفما و كذلك قول المتنبى لمن فطلب الدنيا إذا لم فرد بها || سرور محب أو مساءه مجرم . فالمقابلة الصفة ففن المحب و المبغض لا ففن المحب و المجرم . قلت إن لقائل أن فقول هلاقت فى هذا ما قلت فى السفة و المفسبة ألس القائل إن التقابل حسن ففن المفسبة و السفة لكنه تقابل العموم و الفصوص و هذا الموضع مثله أيضا لأن كل مبغض لك مجرم إلفك لأن مجرد البغضة جرم ففهما عموم و فصوص . بل لقائل أن فقول كل مجرم مبغض و كل مبغض مجرم و هذا صفر مطرد [صفحه ١١١]

٢٩- و من خطبة له ع

أشاره

أفها الناس المجمعفة أبدانهم المخلفة أهواؤهم كلالكم فوهى الصم الصلما و ففلكم فطمع ففكم الأعداء فقولون فى المبالس كفت و كفت ففإذا فراء القفبال قلتم ففدى ففاد ما عزت دعوه من دعاكم و لا اسفراح قلب من فاساكم أعالل بأصالل دفاف ذف السفن المطول لا ففمع الضفم الفلل و لا ففدرك الفق إلا بالفد أى دار بعد داركم ففمعون و مع أى إمام بعدى ففقالون المفرور و الله من فرر ففوه و من فاز فكم ففد فاز و الله بالسفهم الأففب و من رمى فكم ففد رمى بأفوق فاصل أصبفت و الله لا أصدق قولكم و لا أطمع فى نصركم و لا أوعد العدو فكم ما بالفكم ما دواؤكم ما ففبكم القوم رجال أمثالكم أقالا بففر علم و ففله من ففر و رع و ففمعا فى ففر ففدى ففاد كلمة فقولها الفارب الفار و هى نظفرة قولهم فففى ففاح [صفحه ١١٢] أى اتسعى و صمى صمام للدهفة و أصلها من فاد عن الشف أى انحر ففاد مبنفة على الكسر و كذلك ما كان من بابها نحو قولهم فدار

أى ليأخذ كل واحد قرنه وقولهم خراج فى لعبه للصبيان أى اخرجوا. والباء فى قوله بأضاليل متعلقه بأعالييل نفسها أى يتعللون بالأضاليل التى لاجدوى لها. والسهم الأفوق المكسور الفوق وهو مدخل الوتر والناصل الذى لانصل فيه يخاطبهم فيقول لهم أبدأنكم مجتمعاً وأهواؤكم مختلفه متكلمون بما هو فى الشده والقوه يوهى الجبال الصم الصلبه و عند الحرب يظهر أن ذلك الكلام لم يكن له ثمره. تقولون فى المجالس كيت وكيت أى سنفعل وسنفعل وكيت وكيت كناية عن الحديث كما كنى بفلان عن العلم ولا تستعمل إلا مكرره وهما مخففان من كيه و قد استعملت على الأصل وهى منيهة على الفتح و قد روى أئمة العربيه فيها الضم والكسر أيضاً. فإذا جاء القتال فررتم و قلتم الفرار الفرار. ثم أخذ فى الشكوى فقال من دعاكم لم تعز دعوته و من قاساكم لم يسترح قلبه دأبكم التعلل بالأموال الباطله والأمانى الكاذبه وسألتمونى الإرجاء وتأخر الحرب كمن يمتل بدين لازم له والضم لا يدفعه الدليل ولا يدرك الحق إلا بالجد فيه والاجتهاد وعدم الانكماش . وباقى الفصل ظاهر المعنى . [صفحہ ۱۱۳] و قوله القوم رجال أمثالكم مثل قول الشاعر قاتلوا القوم يا خزاع و لا || يدخلكم من قتالهم فشل القوم أمثالكم لهم شعر || فى الرأس لا ينشرون إن قتلوا . و هذه الخطبه خطب بها أمير المؤمنين ع فى غارة الضحاک بن قيس ونحن نقصها هنا

غارة الضحاک بن قيس وتنف من أخباره

روى ابراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال الثقفى فى كتاب الغارات قال كانت غارة الضحاک بن قيس بعد الحكمين وقبل قتال النهروان و ذلك أن معاوية لما بلغه أن عليا ع بعد واقعة الحكمين تحمل إليه مقبلاً هاله ذلك فخرج من دمشق معسكراً وبعث إلى كور الشام فصاح بها أن عليا قد سار إليكم و كتب إليهم نسخة واحدة فقرئت على الناس . أما بعد فإننا كنا كتبنا كتاباً بيننا وبين علي و شرطنا فيه شروطاً و حكمنا رجلين يحكمان علينا و عليه بحكم الكتاب لا يعدوانه و جعلنا عهد الله و ميثاقه على من نكث العهد و لم يمض الحكم و إن حكى الذى كنت حكمته أثبتنى و إن حكمه خلعه و قد أقبل إليكم ظالماً فمن نكث فإنما ينكث على نفسه هتجهزوا للحرب بأحسن الجهاز و أعدوا آله القتال و أقبلوا خفافاً و ثقلاً يسرنا الله و إياكم لصالح الأعمال - قرآن - ۵۹۲ - ۶۳۳ [صفحہ ۱۱۴] فاجتمع إليه الناس من كل كورة و أرادوا المسير إلى صفين فاستشارهم و قال إن علياً قد خرج من الكوفة و عهد العاهد به أنه فارق النخيلة. فقال حبيب بن مسلمة إنى أرى أن نخرج حتى نزل منزلنا الذى كنا فيه فإنه منزل مبارك و قدمتنا الله به و أعطانا من عدونا فيه النصف . و قال عمرو بن العاص إنى أرى لك أن تسير بالجنود حتى توغلبها فى سلطانهم من أرض الجزيرة فإن ذلك أقوى لجندك و أذل لأهل حربك فقال معاوية و الله إنى لأعرف أن الذى تقول كما تقول ولكن الناس لا يطيقون ذلك قال عمرو إنها أرض رفيقه فقال معاوية إن جهد الناس أن يبلغوا منزلهم الذى كانوا به يعنى صفين . فمكتوا يجيلون الرأى يومين أو ثلاثة حتى قدمت عليهم عيونهم أن علياً اختلف عليه أصحابه ففارقته منهم فرقة أنكرت أمر الحكومه و أنه قد رجع عنكم إليهم . فكبر الناس سروراً لانصرافه عنهم و ما ألقى الله عز و جل من الخلاف بينهم فلم يزل معاوية معسكراً فى مكانه منتظراً لما يكون من علي و أصحابه و هل يقبل بالناس أم لا فما برح حتى جاء الخبر أن علياً قد قتل أولئك الخوارج و أنه أراد بعد قتلهم أن يقبل بالناس و أنهم استنظروه و دافعوه فسر بذلك هو و من قبله من الناس . قال و روى ابن أبى سيف عن يزيد بن يزيد بن جابر عن عبد الرحمن بن مسعدة الفزارى قال جاءنا كتاب عماره بن عقبه بن أبى معيط و كان بالكوفة مقيماً و نحن معسكرون مع معاوية نتخوف أن يفرغ على من الخوارج ثم يقبل إلينا و نحن نقول إن أقبل إلينا كان أفضل المكان الذى نستقبله به المكان الذى لقيناه فيه العام الماضى فكان فى كتاب عماره بن عقبه أما بعد فإن علياً خرج عليه قراء [صفحہ ۱۱۵] أصحابه و نساكهم فخرج إليهم فقتلهم و قد فسد عليه جنده و أهل مصره و وقعت بينهم العداوة و تفرقوا أشد الفرقه و أحببت إعلامك

لتحمد الله و السلام . قال عبدالرحمن بن مسعدة فقراه معاوية على وجه أخيه عتبة و على الوليد بن عقبه و على أبي الأعور السلمى ثم نظر إلى أخيه عتبة و إلى الوليد بن عقبه و قال للوليد لقد رضى أخوك أن يكون لنا عينا فضحك الوليد و قال إن فى ذلك أيضا لنفعا. وروى أبو جعفر الطبرى قال كان عمارة مقيما بالكوفة بعد قتل عثمان لم يهجه على ع و لم يذعره و كان يكتب إلى معاوية بالأخبار سرا. و من شعر الوليد لأخيه عمارة يحرضه إن يك ظنى فى عمارة صادقا || ينم ثم لا يطلب بذحل و لا وتر بيت و أوتار ابن عفان عنده || مخيمه بين الخورنق فالقصر تمشى رخي البال مستشزر القوى || كأنك لم تسمع بقتل أبى عمرو إلا إن خير الناس بعد ثلاثة || قتل التجيبى الذى جاء من مصر . قال فأجابه الفضل بن العباس بن عتبة أتطلب ثارا لست منه و لا له || و مالابن ذكوان الصفورى والوتر [صفحه ١١٦] كما افتخرت بنت الحمار بأمرها || وتنسى أباهما إذ تسامى أولو الفخر إلا إن خير الناس بعد نبيهم || وصى النبى المصطفى عند ذى الذكر وأول من صلى و صنو نبيه || وأول من أردى الغواة لدى بدر أمامنى قوله و مالابن ذكوان الصفورى فإن الوليد هو ابن عقبه بن أبى معيط بن أبى عمرو واسمه ذكوان بن أمية بن عبد شمس و قد ذكر جماعة من النسايين أن ذكوان كان مولى لأمية بن عبد شمس فتبناه و كناه بأعمرو فبنوه موال و ليسوا من بنى أمية لصلبه و الصفورى منسوب إلى صفورية قرية من قرى الروم . قال ابراهيم بن هلال الثقفى فعند ذلك دعا معاوية الضحاك بن قيس الفهرى و قال له سر حتى تمر بناحية الكوفة و ترتفع عنها ما استطعت فمن وجدته من الأعراب فى طاعة على فأغر عليه و إن وجدت له مسلحة أو خيلا فأغر عليها و إذا أصبحت فى بلدة فأمس فى أخرى و لا تقيمن لخيلى بلغك أنها قد سرحت إليك لتلقاها فتقاتلها فسرحة فيما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف . فأقبل الضحاك فنهب الأموال و قتل من لقي من الأعراب حتى مر بالثعلبية [صفحه ١١٧] فأغار على الحاج فأخذ أمتعتهم ثم أقبل فلقى عمرو بن عميس بن مسعود الهذلى و هو ابن أخى عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله ص فقتله فى طريق الحاج عند القظطانة و قتل معه ناسا من أصحابه . قال فروى ابراهيم بن مبارك البجلي عن أبيه عن بكر بن عيسى عن أبى روق قال حدثنى أبى قال سمعت عليا ع و قد خرج إلى الناس و هو يقول على المنبر يا أهل الكوفة اخرجوا إلى العبد الصالح عمرو بن عميس و إلى جيوش لكم قد أصيب منهم طرف اخرجوا فقاتلوا عدوكم و امنعوا حريمكم إن كنتم فاعلين . فردوا عليه ردا ضعيفا ورأى منهم عجزا و فشلا فقال و الله لو ددت أن لى بكل ثمانية منكم رجلا منهم و يحكم اخرجوا معى ثم فروا عنى مابدا لكم فو الله ما أكره لقاء ربي على نيتى و بصيرتى و فى ذلك روح لى عظيم و فرج من مناجاتكم و مقاساتكم ثم نزل . فخرج يمشى حتى بلغ الغريين ثم دعا حجر بن عدى الكندى فعقد له على أربعة آلاف . وروى محمد بن يعقوب الكلينى قال استصرخ أمير المؤمنين ع الناس عقيب غارة الضحاك بن قيس الفهرى على أطراف أعماله فتقاعدوا عنه فخطبهم فقال ما عزت دعوة من دعاكم || و لا استراح قلب من قاساكم الفصل إلى آخره . قال ابراهيم الثقفى فخرج حجر بن عدى حتى مر بالسماوة و هى أرض كلب [صفحه ١١٨] فلقى بها إمرأ القيس بن عدى بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم الكلبى و هم أصحاب الحسين بن على بن أبى طالب ع فكانوا أدلاءه فى الطريق و على المياه فلم يزل مغذا فى أثر الضحاك حتى لقيه بناحية تدمر فواقعه فاقتلوا ساعة فقتل من أصحاب الضحاك تسعة عشر رجلا و قتل من أصحاب حجر رجلا و حجز الليل بينهم فمضى الضحاك فلما أصبحوا لم يجدوا له و لأصحابه أثرا و كان الضحاك يقول بعد أنا ابن قيس أنا أبو أنيس أنا قاتل عمرو بن عميس . قال و كتب فى أثر هذه الواقعة عقيل بن أبى طالب إلى أخيه أمير المؤمنين ع حين بلغه خذلان أهل الكوفة و تقاعدهم به . لعبد الله على أمير المؤمنين ع من عقيل بن أبى طالب سلام عليك فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو أما بعد فإن الله حارسك من كل سوء و عاصمك من كل مكروه و على كل حال إنى قد خرجت إلى مكة معتمرا فليقت عبد الله بن سعد بن أبى سرح فى نحو من أربعين شابا من أبناء الطلقاء فعرفت المنكر فى وجوههم فقلت إلى أين يا أبناء الشانئين أبعواوية تلحقون عداوة و الله منكم قديما غير مستنكرة تريدون بها إطفاء نور الله و تبديل أمره فأسمعنى القوم و أسمعتهم فلما

قدمت مكة سمعت أهلها يتحدثون أن الضحاك بن قيس أغار على الحيرة فاحتمل من أموالها ماشاء ثم انكفأ راجعا سالما فأف
لحياة في دهر جراً عليك الضحاك و ماالضحاك فقع بقرقر وقد توهمت حيث بلغنى ذلك أن شيعتك وأنصارك خذلوك
فاكتب إلى يا ابن أمى برأيك فإن كنت الموت تريد تحملت إليك بنى أخيك [صفحة ١١٩] وولد أبيك فعشنا معك
ماعشت وامتنا معك إذامت فو الله ما أحب أن أبقي فى الدنيا بعدك فواقا. وأقسم بالأعز الأجل أن عيشا نعيشه بعدك فى الحياة
لغير هنىء و لا مرىء و لانجيع و السلام عليك ورحمة الله وبركاته فكتب إليه ع من عبد الله على أمير المؤمنين إلى عقيل بن أبى
طالب سلام الله عليك فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو أما بعد كالأنا لله وإياك كلاءة من يخشاه بالغيب إنه حميد مجيد
قد وصل إلى كتابك مع عبدالرحمن بن عبيد الأزدي تذكر فيه أنك لقيت عبد الله بن سعد بن أبى سرح مقبلا من قديد فى نحو
من أربعين فارسا من أبناء الطلقاء متوجهين إلى جهة الغرب و أن ابن أبى سرح طالما كاد الله ورسوله وكتابه وصد عن سبيله
وبغاه عوجا فدع ابن أبى سرح ودع عنك قريشا وخلصهم وتركا ضهم فى الضلال وتجوالمهم فى الشقاق إلا- و إن العرب
قد أجمعت على حرب أخيك اليوم إجماعها على حرب رسول الله ص قبل اليوم فأصبحوا قد جهلوا حقه وجحدوا فضله وبادروه
العداوة ونصبوا له الحرب وجهدوا عليه كل الجهد وجروا إليه جيش الأحزاب ألهم فاجز قريشا عنى الجوازي فقد قطعت رحى
وتظاهرت على ودفعتنى عن حقى و سلبتنى سلطان ابن أمى وسلمت ذلك إلى من ليس مثلى فى قرابتى من الرسول وسابقتى فى
الإسلام إلا- أن يدعى مدع ما لأعرفه و لا أظن الله يعرفه والحمد لله على كل حال فأما ما ذكرته من غارة الضحاك على أهل
الحيرة فهو أقل وأزل من أن يلم بها -رواية- ١-٢-رواية- ١٧-١٧-دأمة دارد [صفحة ١٢٠] أويدينو منها ولكنه قد كان أقبل فى
جريدة خيل فأخذ على السماوة حتى مر بواقصة وشراف والقططانة مما والى ذلك الصقع فوجهت إليه جندا كثيفا من المسلمين
فلما بلغه ذلك فر هاربا فاتبعوه فلحقوه ببعض الطريق و قد أمعن و كان ذلك حين طفلت الشمس للإياب فتناوشوا القتال قليلا
كلا و لافلم يصبر لوقع المشرفية وولى هاربا وقتل من أصحابه بضعة عشر رجلا ونجا جريضا بعد ما أخذ منه بالمخفق فألأى بلأى
مانجا فأما ما سألتنى أن أكتب لك برأىي فيما أنا فيه فإن رأىي جهاد المحلين حتى ألقى الله لا يزيدنى كثرة الناس معى عزة و
لا تفرقهم عنى وحشة لأننى محق و الله مع المحق و و الله ما أكره الموت على الحق و ما لخير كله إلا بعد الموت لمن كان محقا و
أما ما عرضت به من مسيرك إلى بنيك وبنى أبيك فلاحاجة لى فى ذلك فأقم راشدا محمودا فو الله ما أحب أن تهلكوا معى إن
هلكت و لاتحسبن ابن أمك و لو أسلمه الناس متخشعا و لامتضرعا إنه لكما قال أخو بنى سليم -رواية- از قبل -٨٧١ فإن
تسألينى كيف أنت فإننى || صبور على ريب الزمان صليب يعز على أن ترى بى كآبة || فيشمت عاد أويساء حبيب . قال ابراهيم
بن هلال الثقفى وذكر محمد بن مخنف أنه سمع الضحاك بن قيس بعد ذلك بزمان يخطب على منبر الكوفة و قد كان بلغه أن
قوما من أهلها يشتمون عثمان [صفحة ١٢١] ويبرءون منه قال فسمعته يقول بلغنى أن رجالا منكم ضلالا يشتمون أئمة الهدى
ويعيبون أسلافنا الصالحين أما و الذى ليس له ند و لا شريك لئن لم تنتهوا عما يبلغنى عنكم لأضعن فيكم سيف زياد ثم
لاتجدوننى ضعيف السورة و لا كليل الشفرة أما إنى لصاحبكم الذى أغرت على بلادكم فكنت أول من غزاها فى الإسلام وشرب
من ماء الثعلبية و من شاطئ الفرات أعاقب من شئت وأعفو عن من شئت لقد ذعرت المخدرات فى خدورهن و إن كانت المرأة
ليكى ابنها فلا ترهبه و لاتسكته إلا بذكر اسمى فاتقوا الله يا أهل العراق أنا الضحاك بن قيس أنا أبو أنيس أنا قاتل عمرو بن عميس
فقام إليه عبدالرحمن بن عبيد فقال صدق الأمير وأحسن القول ما أعرنا و الله بما ذكرت ولقد لقيناك بغربى تدمر فوجدناك
شجاعا مجربا صبورا ثم جلس و قال أيفخر علينا بما صنع ببلادنا أول ما قدم وايم الله لأذكرنه أبغض مواطنه إليه قال فسكت
الضحاك قليلا- وكأنه خزى واستحيا ثم قال نعم كان ذلك اليوم فأخذه بكلام ثقيل ثم نزل . قال محمد بن مخنف فقلت لعبد
الرحمن بن عبيد أوقيل له لقد اجترأت حين تذكره هذا اليوم وتخبره أنك كنت فيمن لقيه فقال لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا. قال

وسأل الضحاك عبدالرحمن بن عيسى حين قدم الكوفة فقال لقد رأيت منكم بغربي تدمر رجلا ماكنت أرى أن في الناس مثله حمل علينا فما كذب حتى ضرب الكتبية التي أنا فيها فلما ذهب ليولى حملت عليه فطعنته فوق وقع ثم قام [صفحة ١٢٢] فلم يضره شيئا ثم لم يلبث أن حمل علينا في الكتبية التي أنا فيها فصرع رجلا ثم ذهب لينصرف فحملت عليه فضرته على رأسه بالسيف فخيل إلى أن سيفي قد ثبت في عظم رأسه فضريني فوالله ما صنع سيفه شيئا ثم ذهب فظننت أنه لن يعود فوالله ما راعني إلا و قد عصب رأسه بعمامة ثم أقبل نحونا فقلت ثكلتك أمك أمانتهك الأوليان عن الإقدام علينا قال إنهما لم تنهاني إنما احتسب هذا في سبيل الله ثم حمل لي طعنني فطعنته وحمل أصحابه علينا فانفصلنا وحال الليل بيننا فقال له عبدالرحمن هذا يوم شهده هذا يعني ربيعة بن ماجد و هو فارس الحي و ما أظنه يخفي أمر هذا الرجل فقال له أتعرفه قال نعم قال من هو قال أنا قال فأرني الضربة التي برأسك فأراه فإذا هي ضربة قد برت العظم منكبة فقال له فما رأيك اليوم أ هو كرايك يومئذ قال رأيي اليوم رأى الجماعة قال فما عليكم من بأس أنتم آمنون ما لم تظهروا خلافا ولكن العجب كيف نجوت من زياد لم يقتلك فيمن قتل أويسيرك فيمن سير فقال أما التسيير فقد سيرني و أما القتل فقد عافانا الله منه . قال ابراهيم الثقفي وأصاب الضحاك في هربه من حجر عطش شديد و ذلك لأن الجمل الذي كان عليه ماؤه ضل فعطش و خفق برأسه خفتين لعاس أصابه فترك الطريق و انتبه و ليس معه إلا نفر يسير من أصحابه و ليس منهم أحد معه ماء فبعث رجلا - منهم في جانب يلتمسون الماء و لا - أنيس فكان الضحاك بعد ذلك يحكى قال فرأيت جادة فلزمتها فسمعت قائلا يقول دعاني الهوى فازددت شوقا وربما || دعاني الهوى من ساعة فأجيب وأرقت بعد المنام وربما || أرقت لسارى الهم حين يثوب [صفحة ١٢٣] فإن أك قد أحببتكم ورأيتكم || فإنى بدارى عامر لغريب . قال وأشرف على رجل فقلت يا عبد الله اسقنى ماء فقال لا و الله حتى تعطيني ثمنه قلت و ما ثمنه قال ديتك قلت أ ما ترى عليك من الحق أن تقرى الضيف فتطعمه و تسقيه قال ربما فعلنا وربما بخلنا قال فقلت و الله ما أراك فعلت خيرا قط اسقنى قال ما أطيق قلت فإنى أحسن إليك و أكسوك قال لا و الله لأنقص شربة من مائة دينار فقلت له ويحك اسقنى فقال ويحك أعطنى قلت لا و الله ما هى معى ولكنك تسقنى ثم تنطلق معى أعطيكها قال لا و الله قلت اسقنى وأرهنتك فرسى حتى أوفيكها قال نعم ثم خرج بين يدي و اتبعته فأشرفنا على أخيبه و ناس على ماء فقال لى مكانك حتى آتيك فقلت بل أجيء معك قال و ساءه حيث رأيت الناس و الماء فذهب يشد حتى دخل بيتا ثم جاء بماء فى إناء فقال اشرب فقلت لا حاجة لى فيه ثم دنوت من القوم فقلت اسقونى ماء فقال شيخ لابنته اسقيه فقامت ابنته فجاءت بماء و لبين فقال ذلك الرجل نجيتك من العطش و تذهب بحقى و الله لأفارقك حتى أستوفى منك حتى فقلت اجلس حتى أوفيك فجلس فنزلت فأخذت الماء و اللبن من يد الفتاة فشربت و اجتمع إلى أهل الماء فقلت لهم هذا الأمل الناس فعل بى كذا و كذا و هذا الشيخ خير منه و أسدى استسقيته فلم يكلمنى و أمر ابنته فسقتنى و هو الآن يلزمنى بمائة دينار فشتمه أهل الحي و وقعوا به و لم يكن بأسرع من أن لحقنى قوم من أصحابى فسلموا على بالإمرة فارتاب الرجل و جزع و ذهب يريد أن يقوم فقلت و الله لا تبرح حتى أوفيك المائة فجلس ما يدرى ما الذى أريد به فلما كثر جندى عندى سرحت إلى ثقلى فأتيت به ثم أمرت بالرجل فجلد مائة جلدة و دعوت الشيخ و ابنته فأمرت لهما بمائة دينار و كسوتهما و كسوت أهل الماء [صفحة ١٢٤] ثوبا ثوبا و حرمة فقال أهل الماء كان أيها الأمير أهلا لذلك و كنت لما أتيت من خير أهلا. فلما رجعت إلى معاوية و حدثته عجب و قال لقد رأيت فى سفرك هذا عجا. و يذكر أهل النسب أن قيسا أبا الضحاك بن قيس كان يبيع عسب الفحول فى الجاهلية و رروا أن عقيل - رحمه الله تعالى قدم على أمير المؤمنين فوجده جالسا فى صحن المسجد بالكوفة فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين و رحمه الله و بركاته و كان عقيل قد كف بصره فقال و عليك السلام يا أبا يزيد ثم التفت إلى ابنه الحسن ع فقال قم فأنزل عمك فقام فأنزله ثم عاد فقال اذهب فاشتر لعمك قميصا جديدا و رداء جديدا و إزارا جديدا و نعلا جديدا فذهب فاشترى له فغدا عقيل على على ع فى الثياب فقال السلام عليك يا

أمير المؤمنين قال وعليك السلام يا أبا يزيد قال يا أمير المؤمنين ما أراك أصبت من الدنيا شيئاً وإنى لا ترضى نفسى من خلافتك بما رضيت به لنفسك فقال يا أبا يزيد يخرج عطائي فأدفعه إليك -رواية- ١-٢-رواية- ٩-٦٢٢. فلما ارتحل عن أمير المؤمنين ع أتى معاوية فنصبت له كراسيه وأجلس جلساءه حوله فلما ورد عليه أمر له بمائة ألف فقبضها ثم غدا عليه يوماً بعد ذلك وبعد وفاة أمير المؤمنين ع وبيعته الحسن لمعاوية وجلساء معاوية حوله فقال يا أبا يزيد أخبرني عن عسكري وعسكر أخيك فقد وردت عليهما قال أخبرك مررت والله [صفحة ١٢٥] بعسكر أخى فإذا ليل كليل رسول الله ص ونهار كنهار رسول الله ص إلا أن رسول الله ص ليس فى القوم ما رأيت إلا مصلياً ولا سمعت إلا قارئاً ومررت بعسكرك فاستقبلنى قوم من المنافقين ممن نفر برسول الله ليلته العقبة ثم قال من هذا عن يمينك يا معاوية قال هذا عمرو بن العاص قال هذا الذى اختصم فيه ستته نفر فغلب عليه جزار قريش فمن الآخر قال الضحاک بن قيس الفهرى قال أما والله لقد كان أبوه جيد الأخذ لعسب التيوس فمن هذا الآخر قال أبو موسى الأشعري قال هذا ابن السراقه فلما رأى معاوية أنه قد أغضب جلساءه علم أنه إن استخبره عن نفسه قال فيه سوء فأحب أن يسأله ليقول فيه ما يعلمه من سوء فيذهب بذلك غضب جلسائه قال يا أبا يزيد فما تقول فى قال دعنى من هذا قال لتقولن قال أتعرف حمامة قال و من حمامة يا أبا يزيد قال قد أخبرتك ثم قام فمضى فأرسل معاوية إلى النسابة فدعاه فقال من حمامة قال و لى الأمان قال نعم قال حمامة جدتك أم أبى سفيان كانت بغياً فى الجاهلية صاحبة راية فقال معاوية لجلسائه قد ساويتكم وزدت عليكم فلا تغضبوا [صفحة ١٢٦]

٣٠- و من خطبة له ع فى معنى قتل عثمان

إشارة

لَو أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلًا أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِرًا غَيْرَ أَنَّ مَنْ نَصَرَهُ لَمَّا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ خَذَلَهُ مِنْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ وَ مَنْ خَذَلَهُ لَأَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ نَصَرَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي وَ أَنَا جَمَاعٌ لَكُمْ أَمْرُهُ اسْتَأْثَرَ فَاسِيَاءَ الْأَثَرَةِ وَ جَزَعْتُمْ فَاسِيَاتُمْ الْجَزَعَ وَ لِلَّهِ حُكْمٌ وَاقِعٌ فِي الْمُسْتَأْثَرِ وَ الْجَزَاعِ هَذَا الْكَلَامُ بظَاهِرِهِ يَقْتَضِي أَنَّهُ مَا أَمَرَ بِقَتْلِهِ وَ لَانْهَى عَنْهُ فَيَكُونُ دَمُهُ عِنْدَهُ فِي حُكْمِ الْأُمُورِ الْمُبَاحَةِ الَّتِي لَا يُؤْمَرُ بِهَا وَ لَا يَنْهَى عَنْهَا غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَحْمَلَ الْكَلَامَ عَلَى ظَاهِرِهِ لِمَا ثَبَتَ مِنْ عَصْمَةِ دَمِ عِثْمَانَ وَ أَيْضًا فَقَدْ ثَبَتَ فِي السِّيرِ وَ الْأَخْبَارِ أَنَّهُ كَانَ عَ يَنْهَى النَّاسَ عَنْ قَتْلِهِ فَإِذْ يَجِبُ أَنْ يَحْمَلَ لَفْظَ النَّهْيِ عَلَى الْمَنْعِ كَمَا يَقَالُ الْأَمِيرُ يَنْهَى عَنِ نَهْبِ أَمْوَالِ الرَّعِيَّةِ أَيْ يَمْنَعُ وَ حِينَئِذٍ يَسْتَقِيمُ الْكَلَامُ لِأَنَّهُ عَ مَا أَمَرَ بِقَتْلِهِ وَ لَا يَمْنَعُ عَنِ قَتْلِهِ وَ إِنَّمَا كَانَ يَنْهَى عَنْهُ بِاللِّسَانِ وَ لَا يَمْنَعُ عَنْهُ بِالْيَدِ. فَإِنْ قِيلَ فَالْنَهْيُ عَنِ الْمَنْكَرِ وَاجِبٌ فَهَلَا مَنَعَ مِنْ قَتْلِهِ بِالْيَدِ. قِيلَ إِنَّمَا يَجِبُ الْمَنْعُ بِالْيَدِ عَنِ الْمَنْكَرِ إِذَا كَانَ حَسَنًا وَ إِنَّمَا يَكُونُ الْإِنْكَارُ حَسَنًا [صفحة ١٢٧]

إذا لم يغلب على ظن الناهى عن المنكر أن نهيه لا يؤثر فإن غلب على ظنه أن نهيه لا يؤثر قبح إنكار المنكر لأنه إن كان الغرض تعريف فاعل القبيح قبح ما أقدم عليه فذلك حاصل من دون الإنكار و إن كان الغرض ألا يقع المنكر فذلك غير حاصل لأنه قد غلب على ظنه أن نهيه وإنكاره لا يؤثر ولذلك لا يحسن من الإنسان الإنكار على أصحاب المآصر ما هم عليه من أخذ المكوس لما غلب على الظن أن الإنكار لا يؤثر و هذا يقتضى أن يكون أمير المؤمنين ع قد غلب على ظنه أن إنكاره لا يؤثر فلذلك لم ينكر. ولأجل اشتباه هذا الكلام على السامعين قال كعب بن جعيل شاعر أهل الشام الأبيات التى منها أرى الشام تكره أهل العراق || و أهل العراق لهم كارهونا و كل لصاحبه مبغض || يرى كل ما كان من ذاك دينا إذا مارمونا رميناهم || و دناهم مثل ما يقرضونا وقالوا على إمام لنا || فقلنا رضينا ابن هند رضينا وقالوا نرى أن تدينوا لنا || فقلنا ألا لانرى أن ندينوا و من دون ذلك خرط

القتاد || وطعن وضرب يقر العيوننا [صفحة ١٢٨] و كل يسر بما عنده || يرى غث ما فى يديه سمينا و ما فى على لمستعتب || مقال سوى ضمه المحدثينا وإيثاره اليوم أهل الذنوب || ورفع القصاص عن القاتلينا إذاسيل عنه حذا شبهة || وعمى الجواب على السائلينا فليس براض ولا ساخط || ولا فى النهاء ولا الأمرينا ولا هوساء ولا سره || ولا بد من بعض ذا أن يكونا . و هذا شعر خبيث منكر ومقصد عميق و ما قال هذا الشعر إلا- بعد أن نقل إلى أهل الشام كلام كثير لأمير المؤمنين ع فى عثمان يجرى هذا المجرى نحو قوله ماسرنى ولا ساءنى وقيل له أرضيت بقتله فقال لم أرض فقيل له أسخطت قتله فقال لم أسخط و قوله تارة الله قتله و أنامعه و قوله تارة أخرى ماقتلت عثمان و لاملأت فى قتله و قوله تارة أخرى كنت رجلا من المسلمين أوردت إذ أوردوا وأصدرت إذ أصدروا. ولكل شىء من كلامه إذ اصح عنه تأويل يعرفه أولو الألباب . فأما قوله غير أن من نصره فكلام معناه أن خاذليه كانوا خيرا من ناصريه لأن الذين نصره كان أكثرهم فساقا كمروان بن الحكم وأضرابه وخذله المهاجرون والأنصار. فأما قوله و أناجمع لكم أمره إلى آخر الفصل فمعناه أنه فعل ما لا يجوز و فعلت ما لا يجوز أما هو فاستأثر فأساء الأثره أى استبد بالأمور فأساء فى الاستبداد و أمأنتم فجزعتم مما فعل أى حزنتم فأستأم الجزع لأنكم قتلتموه و قد كان الواجب عليه أن [صفحة ١٢٩] يرجع عن استثنائه و كان الواجب عليكم ألا- تجعلوا جزاءه عما أذنب القتل بل الخلع والحبس وترتيب غيره فى الإمامة. ثم قال والله حكم سيحكم به فيه وفيكم

اضطراب الأمر على عثمان ثم أخبار مقتله

ويجب أن نذكر فى هذا الموضوع ابتداء اضطراب الأمر على عثمان إلى أن قتل . وأصح ما ذكر فى ذلك ما أورده أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى التاريخ . و خلاصة ذلك أن عثمان أحدث أحداثا مشهورة نغمها الناس عليه من تأمير بنى أمية و لاسيما الفساق منهم و أرباب السفه و قلّة الدين وإخراج مال الفىء إليهم و ماجرى فى أمر عمار و أبى ذر و عبد الله بن مسعود و غير ذلك من الأمور التى جرت فى أواخر خلافته ثم اتفق أن الوليد بن عقبه لما كان عامله على الكوفة و شهد عليه بشرب الخمر صرفه وولى سعيد بن العاص مكانه فقدم سعيد الكوفة واستخلص من أهلها قوما يسمرون عنده فقال سعيد يوما إن السواد بستان للقريش و بنى أمية فقال الأشتر النخعى و تزعم أن السواد الذى أفاء الله على المسلمين بأسيا فانا بستان لك و لقومك فقال صاحب شرطته أترد على الأمير مقالته و أغلظ له فقال الأشتر لمن كان حوله من النخع و غيرهم من أشراف الكوفة ألا تسمعون فوثبوا عليه بحضرة سعيد فوطئوه و طأ عنيفا و جروا برجله فغلظ ذلك على سعيد و أبعد سماره فلم يأذن بعدلهم فجعلوا يشتمون سعيدا فى مجالسهم ثم تعدوا ذلك إلى شتم عثمان و اجتمع إليهم ناس كثير حتى غلظ أمرهم فكتب سعيد إلى عثمان فى أمرهم فكتب إليه أن يسيرهم إلى الشام لئلا يفسدوا أهل الكوفة و كتب إلى معاوية و هو والى الشام أن نفرا من أهل الكوفة [صفحة ١٣٠] قدهموا بإثارة الفتنة و قد سيرتهم إليك فانهم فإن آنت منهم رشدا فأحسن إليهم و ارددهم إلى بلادهم فلما قدموا على معاوية و كانوا الأشتر و مالك بن كعب الأرحبى و الأسود بن يزيد النخعى و علقمة بن قيس النخعى و صعصعة بن صوحان العبدى و غيرهم جمعهم يوما و قال لهم إنكم قوم من العرب ذوو أسنان و ألسنة و قد أدركتم بالإسلام شرفا و غلبتم الأمم و حويتهم مواريتهم و قد بلغنى أنكم ذمتم قريشا و نقتم على الولاية فيها و لو لاقريش لكنتم أذلة إن أئمتكم لكم جنه فلا تفرقوا عن جنتكم إن أئمتكم ليصبرون لكم على الجور و يحتملون منكم العتاب و الله لتنتهن أوليبتينكم الله بمن يسومكم الخسف و لا يحمدكم على الصبر ثم تكونون شركاءهم فيما جررتهم على الرعية فى حياتكم و بعد وفاتكم . فقال له صعصعة بن صوحان أما قريش فإنها لم تكن أكثر العرب و لا أمنعها فى الجاهلية و إن غيرها من العرب لأكثر منها كان و أمنع . فقال معاوية إنك

لخطيب القوم و لا-أرى لك عقلا- و قدعرفتكم الآن وعلمت أن الذى أغراكم قلته العقول أعظم عليكم أمر الإسلام فتذكرنى الجاهلية أخزى الله قوما عظموا أمرهم فقهوا عنى و لاأظنكم تفقهون إن قريشا لم تعز فى جاهلية و لإسلام إلابالله وحده لم تكن بأكثر العرب و لأشدها ولكنهم كانوا أكرمهم أحسابا و أمحضهم أنسابا و أكملهم مروءة و لم يمتنعوا فى الجاهلية و الناس يأكل بعضهم بعضا إلابالله فبوأهم حرما آمننا يتخطف الناس من حوله هل تعرفون عربا أو عجماء أوسودا أو حمرا إلا و قد أصابهم الدهر فى بلدهم و حرهمم إلا ما كان من قريش فإنه لم يردهم أحد من الناس بكيده إلابالله خده الأسفل حتى أراد الله تعالى أن يستنقذ من أكرمهم باتباع دينه من هوان الدنيا و سوء مرد الآخرة فارتضى لذلك خير [صفحة ١٣١] خلقه ثم ارتضى له أصحابا و كان خيارهم قريشا ثم بنى هذا الملك عليهم و جعل هذه الخلافة فيهم فلا يصلح الأمر إلابهم و قد كان الله يحوطهم فى الجاهلية و هم على كفرهم أفتراه لا يحوطهم و هم على دينه أف لك و لأصحابك أما أنت يا صعصعة فإن قريتك شر القرى أنتها نبتا و أعماقها واديا و ألأمها جيرانا و أعرفها بالشر لم يسكنها شريف قط و لا و ضيع إلا سب بهانزاع الأمم و عبيد فارس و أنت شر قومك أحين أبرزك الإسلام و خلطك بالناس أقبلت تبغى دين الله عوجا و تنزع إلى الغواية إنه لن يضر ذلك قريشا و لا يضعهم و لا يمنعهم من تأدية ما عليهم إن الشيطان عنكم غير غافل قد عرفكم بالشر فأغراكم بالناس و هو صار عنكم و إنكم لا تدركون بالشر أمرا إلا فتح عليكم شر منه و أخزى قد أذنت لكم فذهبوا حيث شئتم لا ينفع الله بكم أحدا أبدا و لا يضره و لستم برجال منفعة و لا مضره فإن أردتم النجاة فالزموا جماعتكم و لا تبطنركم النعمة فإن البطر لا يجبر خيرا اذهبوا حيث شئتم فساكتب إلى أمير المؤمنين فيكم . و كتب إلى عثمان أنه قدم على قوم ليست لهم عقول و لأديان أضجرهم العدل لا يريدون الله بشيء و لا يتكلمون بحجة إنما همهم الفتنة و الله مبتليهم ثم فاضحهم و ليسوا بالذين نخاف نكايتهم و ليسوا بأكثر ممن له شغب و نكير . ثم أخرجهم من الشام . و روى أبو الحسن المدائنى أنه كان لهم مع معاوية بالشام مجالس طالت فيها المحاورات و المخاطبات بينهم و أن معاوية قال لهم فى جملة ما قاله إن قريشا قد عرفت أن أباسفيان [صفحة ١٣٢] كان أكرمها و ابن أكرمها إلا ما جعل الله لنيه ص فإنه انتجبه و أكرمه و لو أن أباسفيان ولد الناس كلهم لكانوا حلما . فقال له صعصعة بن صوحان كذبت قد ولد لهم خير من أبى سفيان من خلقه الله بيده و نفخ فيه من روحه و أمر الملائكة فسجدوا له فكان فيهم البر و الفاجر و الكيس و الأحمق . قال و من المجالس التى دارت بينهم أن معاوية قال لهم أيها القوم ردوا خيرا أو اسكتوا و تفكروا و انظروا فيما ينفعكم و المسلمين فاطلبوه و أطيعونى . فقال له صعصعة لست بأهل ذلك و لا كرامة لك أن تطاع فى معصية الله . فقال إن أول كلام ابتدأت به أن أمرتكم بتقوى الله و طاعة رسوله و أن تعتصموا بحبل الله جميعا و لا تفرقوا . فقالوا بل أمرت بالفرقة و خلاف ما جاء به النبى ص . فقال إن كنت فعلت فإنى الآن أتوب و آمركم بتقوى الله و طاعته و لزوم الجماعة و أن توفروا أئمتكم و تطيعوهم . فقال صعصعة إن كنت تبت فإننا نأمرك أن تعتزل عملك فإن فى المسلمين من هو أحق به منك ممن كان أبوه أحسن أثرا فى الإسلام من أبيك و هو أحسن قدما فى الإسلام منك . فقال معاوية إن لى فى الإسلام لقدما و إن كان غيرى أحسن قدما منى لكنه [صفحة ١٣٣] ليس فى زمانى أحد أقوى على ما أنا فيه منى و لقد رأى عمر بن الخطاب ذلك فلو كان غيرى أقوى منى لم يكن عند عمر هوادة لى و لا لغيرى و لم أحدث ما ينبغى له أن أعتزل عملى فلو رأى ذلك أمير المؤمنين لكتب إلى بخط يده فاعتزلت عمله فمهلا فإن فى دون ما أنتم فيه ما يأمر فيه الشيطان و ينهى و لعمرى لو كانت الأمور تقضى على رأيكم و أهوائكم ما استقام الأمر لأهل الإسلام يوما و لا ليلة فعاودوا الخير و قولوه فإن الله ذو سطوات و إنى خائف عليكم أن تتابعوا إلى مطاوعة الشيطان و معصية الرحمن فيحللكم ذلك دار الهون فى العاجل و الآجل . فوثبوا على معاوية فأخذوا برأسه و لحيته فقال مه إن هذه ليست بأرض الكوفة و الله لورأى أهل الشام ما صنعتم بى و أنا إمامهم ما ملكت أن أنهاهم عنكم حتى يقتلوكم فلعمرى إن صنيعكم يشبه بعضه بعضا . ثم قام من عندهم و كتب إلى عثمان فى أمرهم فكتب إليه أن ردهم إلى سعيد بن العاص بالكوفة فردهم فأطلقوا ألسنتهم

فى ذمه و ذم عثمان و عيبيهما فكتب إليه عثمان أن يسيرهم إلى حمص إلى عبدالرحمن بن خالد بن الوليد فسيرهم إليها. [صفحة ١٣٤] وروى الواقدي قال لماسير بالنفر الذين طردهم عثمان عن الكوفة إلى حمص وهم الأشتر و ثابت بن قيس الهمداني و كميل بن زياد النخعي و زيد بن صوحان و أخوه صعصعة و جندب بن زهير الغامدي و جندب بن كعب الأزدي و عروة بن الجعد و عمرو بن الحمق الخزاعي و ابن الكواء جمعهم عبدالرحمن بن خالد بن الوليد بعد أن أنزلهم أياما و فرض لهم طعاما ثم قال لهم يا بني الشيطان لا مرحبا بكم و لأهلا قدرجع الشيطان محسورا و أنتم بعد فى بساط ضلالكم و غيكم جزى الله عبدالرحمن إن لم يؤذكم يامعشر من لأدري أعرب هم أم عجم أتراكم تقولون لى ماقلتكم لمعاوية أنا ابن خالد بن الوليد أنا ابن من عجمته العاجمات أنا ابن فاقئ عين الردة و الله يا ابن صوحان بك طيرة بعيدة المهوى إن بلغنى أن أحدا ممن معى دق أنفك فأقنعت رأسك . قال فأقاموا عنده شهرا كلما ركب أمشاهم معه و يقول لصعصعة يا ابن الخطيئة إن من لم يصلحه الخير أصلحه الشر ما لك لا تقول كما كنت تقول لسعيد و معاوية فيقولون سنتوب إلى الله أقلنا أقالك الله فما زال ذاك دأبه و دأبهم حتى قال تاب الله عليكم فكتب إلى عثمان يسترضيه عنهم و يسأله فيهم فردهم إلى الكوفة. قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى رحمه الله تعالى ثم إن سعيد بن العاص قدم على عثمان سنة إحدى عشرة من خلافته فلما دخل المدينة اجتمع قوم من الصحابة فذكروا سعيدا و أعماله و ذكروا قرابات عثمان و ماسوغهم من مال المسلمين و عابوا أفعال عثمان فأرسلوا إليه عامر بن عبد القيس و كان متألها و اسم أبيه عبد الله و هو من تميم ثم من بنى العنبر فدخل على عثمان فقال له إن ناسا من الصحابة [صفحة ١٣٥] اجتمعوا و نظروا فى أعمالك فوجدوك قدر كبت أمورا عظاما فاتق الله و تب إليه فقال عثمان انظروا إلى هذا تزعم الناس أنه قارئ ثم هويجىء إلى فيكلمنى فيما لا يعلمه و الله ماتدرى أين الله فقال عامر بلى و الله إنى لأدري إن الله لبالمرصاد. فأخرجه عثمان و أرسل إلى عبد الله بن سعد بن سرح و إلى معاوية و سعيد بن العاص و عمرو بن عبد الله بن عامر و كان قد استقدم الأمراء من أعمالهم فشاورهم و قال إن لكل أمير وزراء و نصحاء و إنكم و زرائى و نصحاءى و أهل ثقتى و قد صنع الناس ما قدر أيتم و طلبوا إلى أن أعزل عمالى و أن أرجع عن جميع ما يكرهون إلى ما يحبون فاجتهدوا رأيكم . فقال عبد الله بن عامر أرى لك يا أمير المؤمنين أن تشغلهم عنك بالجهاد حتى يذلوا لك و لا تكون همة أحدهم إلا فى نفسه و ما هو فيه من دبر دابته و قمل فروته . و قال سعيد بن العاص احسم عنك الداء و اقطع عنك الذى تخاف إن لكل قوم قادة متى يهلكوا يتفرقوا و لا يجتمع لهم أمر. فقال عثمان إن هذا هو رأى لولا ما فيه و قال معاوية أشير عليك أن تأمر أمراء الأجناد فيكفيك كل رجل منهم ما قبله فأنا أكفيك أهل الشام . و قال عبد الله بن سعد إن الناس أهل طمع فأعطهم من هذا المال تعطف عليك قلوبهم . فقال عمرو بن العاص يا أمير المؤمنين إنك قدر كبت الناس بنى أمية فقلت و قالوا وزغت و زاغوا فاعتدل أو اعتزل فإن أبيت فاعزم عزمنا و امض قدما. [صفحة ١٣٦] فقال له عثمان ما لك قمل فروك أ هذا وجد منك . فسكت عمرو حتى تفرقوا ثم قال و الله يا أمير المؤمنين لأنت أكرم على من ذلك و لكنى علمت أن بالباب من يبلغ الناس قول كل رجل منا فأردت أن يبلغهم قولى فيثقوا بى فأقود إليك خيرا و أذفع عنك شرا. فرد عثمان عماله إلى أعمالهم و أمرهم بتجهيز الناس فى البعوث و عزم على أن يحرمهم أعطياتهم ليطيعوه ورد سعيد بن العاص إلى الكوفة فتلقاه أهلها بالجرعة و كانوا قد كرهوا إمارته و ذموا سيرته فقالوا له ارجع إلى صاحبك فلاحاجة لنا فيك فهم بأن يمضى لوجهه و لا يرجع فكثير الناس عليه فقال له قائل ما هذا أترد السيل عن إدراجه و الله لا يسكن الغوغاء إلا المشرفية و يوشك أن تنتضى بعد اليوم ثم يتمنون ما هم اليوم فيه فلا يرد عليهم فارجع إلى المدينة فإن الكوفة ليست لك بدار. فرجع إلى عثمان فأخبره بما فعلوا فأنفذ أبا موسى الأشعري أميرا على الكوفة و كتب إليهم أما بعد فقد أرسلت إليكم أبا موسى الأشعري أميرا و أعفيتكم من سعيد و و الله لأفوضنكم عرضى و لأبذلن لكم صبرى و لأستصلحنكم جهدى فلاتدعوا شيئا أحببتموه لا يعصى الله فيه إلا سألتكم و لاشيئا كرهتموه لا يعصى الله فيه إلا استعفيتم منه لأكون فيه عند ما أحببتم و كرهتم حتى لا يكون لكم على الله

حجة و الله لنصبرن كما أمرنا وسيجزى الله الصابرين . [صفحہ ۱۳۷] قال أبو جعفر فلما دخلت سنة خمس وثلاثين تكاتب أعداء عثمان وبنى أمية في البلاد وحرص بعضهم بعضا على خلع عثمان عن الخلافة وعزل عماله عن الأمصار واتصل ذلك بعثمان فكتب إلى أهل الأمصار أما بعد فإنه رفع إلى أن أقواما منكم يشتمهم عمالي ويضربونهم فمن أصابه شيء من ذلك فليواف الموسم بمكة فليأخذ بحقه منى أو من عمالي فيأني قداستقدمتهم أو تصدقوا فإن الله يجزي المتصدقين . ثم كاتب عماله واستقدمهم فلما قدموا عليه جمعهم وقال ماشكايه الناس منكم إني لخائف أن تكونوا مصدوقا عليكم و ما يعصب هذا الأمر إلابي فقالوا له و الله ما صدق من رفع إليك و لابر و لانعلم لهذا الأمر أصلا فقال عثمان فأشيروا على فقال سعيد بن العاص هذه أمور مصنوعة تلقى في السر فيحدث بها الناس ودواء ذلك السيف . و قال عبد الله بن سعد خذ من الناس الذي عليهم إذا أعطيتهم الذي لهم . و قال معاوية الرأي حسن الأدب . و قال عمرو بن العاص أرى لك أن تلزم طريق صاحبيك فتلين في موضع اللين وتشتد في موضع الشدة . فقال عثمان قد سمعت ما قلت إن الأمر الذي يخاف على هذه الأمة كائن لا بد منه و إن بابه الذي يغلق عليه ليفتح فكفكفوههم باللين والمداراة إلا في حدود الله فقد علم الله أنى لم آل الناس خيرا و إن رحى الفتنة لدائرة فطوبى لعثمان إن مات و لم يحركها سكنوا الناس وهبوا لهم حقوقهم فإذا تعوطيت حقوق الله فلاتدهنوا فيها . [صفحہ ۱۳۸] ثم نفر فقدم المدينة فدعا عليا وطلحة والزبير فحضرُوا وعنده معاوية فسكت عثمان و لم يتكلم و تكلم معاوية فحمد الله و قال أنتم أصحاب رسول الله ص وخيرته من خلقه وولاه أمر هذه الأمة لا يطمع فيه أحد غيركم اخترتم صاحبكم عن غير غلبة و لاطمع و قد كبر وولى عمره فلو انتظرتهم به الهرم كان قريبا مع أنى أرجو أن يكون أكرم على الله أن يبلغه ذلك و قد فشت مقالة خفتها عليكم فما عبتم فيه من شيء فهذه يدى لكم به رهنا فلاتطمعوا الناس فى أمركم فو الله إن أطعتموهم لارأيتم أبدا منها إلا إدارا . فقال على ع و ما لك و ذاك لأم لك فقال دع أمى فإنها ليست بشر أمهاتكم قد أسلمت و بايعت النبى ص و أجبني عما أقول لك . فقال عثمان صدق ابن أخى أنا أخبركم عنى و عما وليت إن صاحبي اللذين كانا قبلى ظلما أنفسهما و من كان منهما بسبيل احتسابا و إن رسول الله ص كان يعطى قرابته و أنا فى رهط أهل عيلة و قلة معاش فبسطت يدى فى شيء من ذلك لما أقوم به فيه فإن رأيتم ذلك خطأ فردوه فأمرى لأمركم تبع . قالوا أصبت و أحسنت إنك أعطيت عبد الله بن خالد بن أسيد خمسين ألفا و أعطيت مروان خمسة عشر ألفا فاستعدها منهما فاستعادها فخرجوا راضين . قال أبو جعفر و قال معاوية لعثمان اخرج معى إلى الشام فإنهم على الطاعة [صفحہ ۱۳۹] قبل أن يهجم عليك ما لا قبل لك به فقال لأبيع جوار رسول الله ص بشيء و إن كان فيه قطع خيط عنقى قال فأبعث إليك جندا من الشام يقيم معك لئانبة إن نابت المدينة أو إياك فقال لأضيق على جيران رسول الله ص فقال و الله لتغالنن فقال حسبى الله و نعم الوكيل . قال أبو جعفر و خرج معاوية من عند عثمان فمر على نفر من المهاجرين فيهم على ع و طلحة والزبير و على معاوية ثياب سفره و هو خارج إلى الشام فقام عليهم فقال إنكم تعلمون أن هذا الأمر كان الناس يتغالبن عليه حتى بعث الله نبيه فتفاضلوا بالسابقة و القدمة و الجهاد فإن أخذوا بذلك فالأمر أمرهم و الناس لهم تبع و إن طلبوا الدنيا بالتغالب سلبوا ذلك و رده الله إلى غيرهم و إن الله على البذل لقادر و إنى قد خلفت فيكم شيخنا فاستوصوا به خيرا و كانفوه تكونوا أسعد منه بذلك ثم ودعهم و مضى فقال على ع كنت أرى فى هذا خيرا فقال الزبير و الله ما كان أعظم قط فى صدرك و صدورنا منه اليوم . قلت من هذا اليوم أنشب معاوية أظفاره فى الخلافة لأنه غلب على ظنه قتل عثمان و رأى أن الشام بيده و أن أهلها يطيعونه و أن له حجة يحتج بها عليهم و يجعلها ذريعة إلى غرضه و هى قتل عثمان إذا قتل و أنه ليس فى أمراء عثمان أقوى منه و لا أقدر على تدبير الجيوش و استمالة العرب فبنى أمره من هذا اليوم على الطمع فى الخلافة أ لا ترى إلى قوله لصعصعة من قبل إنه ليس أحد أقوى منى على الإمارة و إن عمر [صفحہ ۱۴۰] استعملنى و رضى سيرتى أ و لا ترى إلى قوله للمهاجرين الأولين إن شرعتم فى أخذها بالتغالب و ملتم على هذا الشيخ أخرجها الله منكم إلى غيركم و هو على الاستبدال قادر و إنما كان

يعنى نفسه و هو يكنى عنها ولهذا تربض بنصرة عثمان لما استنصره و لم يبعث إليه أحدا. وروى محمد بن عمر الواقدي رحمه الله تعالى قال لما أجلب الناس على عثمان و كثرت القالة فيه خرج ناس من مصر منهم عبدالرحمن بن عديس البلوى و كنانة بن بشر الليثى و سودان بن حمران السكونى و قتيبة بن وهب السكسكى و عليهم جميعا أبو حرب الغافقى و كانوا فى ألفين و خرج ناس من الكوفة منهم زيد بن صوحان العبدى و مالك الأشتر النخعى و زياد بن النضر الحارثى و عبد الله بن الأصم الغامدى فى ألفين و خرج ناس من أهل البصرة منهم حكيم بن جبلة العبدى و جماعة من أمرائهم و عليهم حرقوص بن زهير السعدى و ذلك فى شوال من سنة خمس و ثلاثين و أظهروا أنهم يريدون الحج فلما كانوا من المدينة على ثلاث تقدم أهل البصرة فتزلوا ذا خشب و كان هواهم فى طلحة و تقدم أهل الكوفة فتزلوا الأعوص و كان هواهم فى الزبير و جاء أهل مصر فتزلوا المروة و كان هواهم فى على ع و دخل ناس منهم إلى المدينة يخبرون ما فى قلوب الناس لعثمان فلقوا جماعة من المهاجرين و الأنصار و لقوا أزواج النبى ص و قالوا إنما نريد الحج و نستغنى من عمالنا. ثم لقي جماعة من المصريين عليا ع و هو متقلد سيفه عند أحجار الزيت [صفحة ١٤١] فسلموا عليه و عرضوا عليه أمرهم فصاح بهم و طردهم و قال لقد علم الصالحون أن جيش المروة و ذى خشب و الأعوص ملعونون على لسان محمد ص. فانصرفوا عنه. و أتى البصريون طلحة فقال لهم مثل ذلك و أتى الكوفيون الزبير فقال لهم مثل ذلك ففرقوا و خرجوا عن المدينة إلى أصحابهم. فلما أمن أهل المدينة منهم و اطمأنوا إلى رجوعهم لم يشعروا إلا و التكبير فى نواحي المدينة و قد نزلوها و أحاطوا بعثمان و نادى مناديهم يا أهل المدينة من كف يده عن الحرب فهو آمن فحصره فى منزله إلا أنهم لم يمنعوا الناس من كلامه و لقائه فجاءهم جماعة من رؤساء المهاجرين و سألوهم ما شأنهم فقالوا لا حاجة لنا فى هذا الرجل ليعتزلنا لنولى غيره لم يزيدوهم على ذلك. فكتب عثمان إلى أهل الأمصار يستنجدهم و يأمرهم بتعجيل الشخوص إليه لمنع عنه و يعرفهم ما الناس فيه فخرج أهل الأمصار على الصعب و الذلول فبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهري و بعث عبد الله بن سعد بن أبى سرح معاوية بن حديج و خرج من الكوفة القعقاع بن عمرو بعثه أبو موسى. و قام بالكوفة نفر يحرضون الناس على نصر عثمان و إعانة أهل المدينة منهم عقبه بن عمر و عبد الله بن أبى أوفى و حنظلة الكاتب و كل هؤلاء من الصحابة و من التابعين مسروق و الأسود و شريح و غيرهم. و قام بالبصرة عمران بن الحصين و أنس بن مالك و غيرهما من الصحابة و من التابعين كعب بن سور و هرم بن حيان و غيرهما. [صفحة ١٤٢] و قام بالشام و مصر جماعة من الصحابة و التابعين. و خرج عثمان يوم الجمعة فصلى بالناس و قام على المنبر فقال يا هؤلاء الله الله فو الله إن أهل المدينة يعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد ص فامحوا الخطأ بالصواب. فقام محمد بن مسلمة الأنصارى فقال نعم أنا أعلم ذلك فأقعده حكيم بن جبلة و قام زيد بن ثابت فأقعده قتيبة بن وهب و ثار القوم فحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد و حصبوا عثمان حتى صرع عن المنبر مغشيا عليه فأدخل داره و استقتل نفر من أهل المدينة مع عثمان منهم سعد بن أبى وقاص و الحسن بن على ع و زيد بن ثابت و أبو هريرة فأرسل إليهم عثمان عزم عليهم أن تنصرفوا فانصرفوا. و أقبل على و طلحة و الزبير فدخلوا على عثمان يعودونه من صرعته و يشكون إليه ما يجدون لأجله و عند عثمان نفر من بنى أمية منهم مروان بن الحكم فقالوا لعلى ع أهلكتنا و صنعت هذا الذى صنعت و الله إن بلغت هذا الأمر الذى تريده لنمرن عليك الدنيا فقام مغضبا و خرج الجماعة الذين حضروا معه إلى منازلهم. وروى الواقدي قال صلى عثمان بعد ما وثبوا به فى المسجد شهرا كاملا ثم منعه الصلاة و صلى بالناس أميرهم الغافقى. وروى المدائنى قال كان عثمان محصورا محاطا به و هو يصلى بالناس فى المسجد و أهل مصر و الكوفة و البصرة الحاضرون له يصلون خلفه وهم أدق فى عينه من التراب. [صفحة ١٤٣] قال أبو جعفر فى التاريخ ثم إن أهل المدينة تفرقوا عنه و لزموا بيوتهم لا يخرج أحد منهم إلا بسيفه يمتنع به فكان حصاره أربعين يوما. وروى الكلبي و الواقدي و المدائنى أن محمد بن أبى بكر و محمد بن أبى حذيفة كانا بمصر يحرضان الناس على عثمان فسار محمد بن أبى بكر مع من سار إلى عثمان و أقام محمد بن أبى حذيفة بمصر ثم

غلب عليها لما سار عبد الله بن سعد بن أبي سرح عامل عثمان عنها إلى المدينة في أثر المصريين بإذن عثمان له فلما كان بأيلة بلغه أن المصريين قد أحاطوا بعثمان وأنه مقتول وأن محمد بن أبي حذيفة قد غلب على مصر فعاد عبد الله إلى مصر فمنع عنها فأتى فلسطين فأقام بها حتى قتل عثمان . وروى الكلبي قال بعث عبد الله بن سعد بن أبي سرح رسولا من مصر إلى عثمان يخبره بنهوض من نهض من مصر إليه وأنهم قد أظهروا العمرة وقصدتهم وخلعه أوقته فخطب عثمان الناس وأعلمهم حالهم وقال إنهم قد أسرعوا إلى الفتنة واستطالوا عمري والله إن فارقتهم ليتمين كل منهم أن عمري كان طال عليهم مكان كل يوم سنة مما يرون من الدماء المسفوكة والإحـ والـ الأثره الظاهره والأحكام المغيرة. وروى أبو جعفر قال كان عمرو بن العاص ممن يحرض على عثمان ويغري به ولقد خطب عثمان يوما في أواخر خلافته فصاح به عمرو بن العاص اتق الله يا عثمان فإنك قد ركبت أمورا وركبناها معك فتب إلى الله نتب فناداه عثمان وإنك هاهنا يا ابن النابغة قملت والله جبتك منذ نزعتك عن العمل فنودي من ناحية أخرى تب إلى الله ونودي من أخرى مثل ذلك فرفع يديه إلى السماء وقال اللهم إني أول التائبين ثم نزل . [صفحہ ۱۴۴]

وروى أبو جعفر قال كان عمرو بن العاص شديد التحريض والتأليب على عثمان وكان يقول والله إن كنت لألقى الراعي فأحرضه على عثمان فضلا عن الرؤساء والوجوه فلما شعر الشر بالمدينة خرج إلى منزله بفلسطين فبينما هو بقصره ومعه ابناه عبد الله ومحمد وعندهم سلامة بن روح الجذامي إذ مر بهم راكب من المدينة فسألوه عن عثمان فقال محصور فقال عمرو أنا أبو عبد الله قد يضرب العير والمكواه في النار ثم مر بهم راكب آخر فسألوه فقال قتل عثمان فقال عمرو أنا أبو عبد الله إذ انكأت قرحة أدميتها فقال سلامة بن روح يامعشر قريش إنما كان بينكم وبين العرب باب فكسرتموه فقال نعم أردنا أن يخرج الحق من خاصرة الباطل ليكون الناس في الأمر شرعا سواء. وروى أبو جعفر قال لما نزل القوم ذا خشب يريدون قتل عثمان إن لم ينزع عما يكرهون وعلم عثمان ذلك جاء إلى منزل علي ع فدخل وقال يا ابن عم إن قرابتي قريية ولى عليك حق وقد جاء ماترى من هؤلاء القوم وهم مصبحى ولك عند الناس قدر وهم يسمعون منك وأحب أن تركب إليهم فتردهم عنى فإن فى دخولهم على وهنا لأمرى وجرأة على فقال ع على أى شىء أردتهم قال على أن أصير إلى ما أشرت به ورأيت لى فقال على ع إني قد كلمتك مرة بعد أخرى فكل ذلك تخرج وتقول وتعد ثم ترجع وهذا من فعل مروان ومعاوية وابن عامر وعبد الله بن سعد فإنك أطعتهم وعصيتنى قال عثمان فإنى أعصيتهم وأطيعك . فأمر على ع الناس أن يركبوا معه فركب ثلاثون رجلا من المهاجرين [صفحہ ۱۴۵] والأنصار منهم سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وأبو جهم العدوى وجبير بن مطعم وحكيم بن حزام ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد. ومن الأنصار أبو أسيد الساعدي وزيد بن ثابت وحسان بن ثابت وكعب بن مالك وغيرهم فأتوا المصريين فكلموهم فكان الذى يكلمهم على ومحمد بن مسلمة فسمعوا منهما ورجعوا أصحابهم يطلبون مصر ورجع على ع حتى دخل على عثمان فأشار عليه أن يتكلم بكلام يسمعه الناس منه ليسكنوا إلى ما يعدهم به من النزوع وقال له إن البلاد قد تمخضت عليك ولا آمن أن يجيء ركب من جهة أخرى فتقول لى يا على اركب إليهم فإن لم أفعل رأيتنى قد قطعت رحمك واستخففت بحقك . فخرج عثمان فخطب الخطبة التى نزع فيها وأعطى الناس من نفسه التوبة وقال لهم أنا أول من اتعظ وأستغفر الله عما فعلت وأتوب إليه فمثلى نزع وتاب فإذا نزلت فليأتنى أشرافكم فليروا رأيهم وليذكر كل واحد ظلامته لأكشفها وحاجته لأقضيها فو الله لئن ردنى الحق عبدا لأستن بسنة العبيد ولأذلن ذل العبيد وما عن الله مذهب إلا إليه والله لأعطينكم الرضا ولأنحين مروان وذويه ولا أحتجب عنكم . فرق الناس له وبكوا حتى خضلوا لحاهم وبكى هو أيضا فلما نزل وجد مروان وسعيدا ونفرا من بنى أمية فى منزله قعودا لم يكونوا شهدوا خطبته ولكنها بلغتهم فلما جلس قال مروان يا أمير المؤمنين أتتكم أم أسكت فقالت نائلة ابنة الفرافصة امرأة عثمان لابل تسكت فأنتم والله قاتلوه ومميتو أطفاله إنه قد قال مقالة لا ينبغي له [صفحہ ۱۴۶] أن ينزع عنها فقال لها مروان وما أنت وذاك والله لقد مات أبوك وما يحسن أن يتوضأ فقالت مهلا

يامروان عن ذكر أبي الإبخير و الله لو لا- أن أباك عم عثمان و أنه يناله غمه و عيبه لأخبرتكم من أمره بما لا أكذب فيه عليه . فأعرض عنه عثمان ثم عاد فقال يا أمير المؤمنين أتتكم أم أسكت فقال تكلم فقال بأبي أنت و أمي و الله لوددت أن مقاتلك هذه كانت و أنت ممتنع فكنت أول من رضى بها و أعان عليها ولكنك قلت ما قلت و قد بلغ الحزام الطيبين و جاوز السيل الزبى و حين أعطى الخطبة الذليلة الذليل و الله لإقامة على خطيئه تستغفر الله منها أجمل من توبه تخوف عليها ما زدت على أن جرأت عليك الناس . فقال عثمان قد كان من قولي ما كان و إن الفأنت لا يرد و لم آل خيرا . فقال مروان إن الناس قد اجتمعوا ببابك أمثال الجبال قال ماشأنهم قال أنت دعوتهم إلى نفسك فهذا يذكر مظلمة و هذا يطلب مالا و هذا يسأل نزع عامل من عمالك عنه و هذا ماجنيت على خلافتك و لو استمسكت و صبرت كان خيرا لك قال فاخرج أنت إلى الناس فكلهم فإني أستحيي أن أكلمهم و أردهم . فخرج مروان إلى الناس و قدر كعب بعضهم بعضا فقال ماشأنكم قد اجتمعتم كأنكم جئتم لنهب شاهت الوجوه أتريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا اعزبوا عنا و الله إن رمتونا لنمرن عليكم ماحلا و لنحلن بكم ما لا يسركم و لا تحمدوا فيه غب رأيكم ارجعوا إلى منازلكم فإننا و الله غير مغلوبين على ما فى أيدينا [صفحة ١٤٧] فرجع الناس خائبين يشتمون عثمان و مروان و أتى بعضهم عليا ع فأخبره الخبر فأقبل على ع على عبدالرحمن بن الأسود بن عبد يغوث الزهرى فقال أحضرت خطبة عثمان قال نعم قال أحضرت مقالة مروان للناس قال نعم فقال أى عباد الله يالله للمسلمين إني إن قعدت فى بيتي قال لى تركنتى و خذلتنى و إن تكلمت فبلغت له ما يريد جاء مروان فتلعب به حتى قد صار سيقه له يسوقه حيث يشاء بعد كبر السن و صحبته الرسول ص و قام مغضبا من فوره حتى دخل على عثمان فقال له أ ما يرضى مروان منك إلا- أن يحرفك عن دينك و عقلك فأنت معه كجمل الظعينة يقاد حيث يسار به و الله ما مروان بذى رأى فى دينه و لا عقله و إني لأراه يوردك ثم لا يصدرك و ما أناعائد بعد مقامى هذا المعاتبتك أفسدت شرفك و غلبت على رأيك ثم نهض . فدخلت نائلة بنت الفرافصة فقالت قد سمعت قول على لك و إنه ليس برابع إليك و لا معاود لك و قد أطعت مروان يقودك حيث يشاء قال فما أصنع قالت تتقى الله و تتبع سنة صاحبيك فإنك متى أطعت مروان قتلك و ليس لمروان عند الناس قدر و لاهيئة و لا محبة و إنما تركك الناس لمكانه و إنما رجع عنك أهل مصر لقول على فأرسل إليه فاستصلحه فإن له عند الناس قدما و إنه لا يعصى . فأرسل إلى على فلم يأتته و قال قد أعلمته أنى غير عائد . قال أبو جعفر فجاء عثمان إلى على بمنزله ليلا فاعتذر إليه و وعد من نفسه الجميل و قال إني فاعل و إني غير فاعل فقال له على ع أ بعد ما تكلمت على منبر رسول الله ص و أعطيت من نفسك ثم دخلت بيتك و خرج مروان [صفحة ١٤٨] إلى الناس يشتمهم على بابك فخرج عثمان من عنده و هو يقول خذلتنى يا أبا الحسن و جرأت الناس على فقال على ع و الله إني لأكثر الناس ذبا عنك ولكنى كلما جئت بشيء أظنه لك رضا جاء مروان بغيره فسمعت قوله و تركت قولى . و لم يغد على إلى نصر عثمان إلى أن منع الماء لما اشتد الحصار عليه فغضب على من ذلك غضبا شديدا و قال لطلحة أدخلوا عليه الروايا فكره طلحة ذلك و ساءه فلم يزل على ع حتى أدخل الماء إليه . و روى أبو جعفر أيضا أن عليا ع كان فى ماله بخير لما حصر عثمان فقدم المدينة و الناس مجتمعون على طلحة و كان لطلحة فى حصار عثمان أثر فلما قدم على ع أتاه عثمان و قال له أما بعد فإن لى حق الإسلام و حق الإخاء و القرابة و الصهر و لو لم يكن من ذلك شيء و كنا فى جاهلية لكان عارا على بنى عبد مناف أن يبتز بنو تيم أمرهم يعنى طلحة فقال له على أنا أكفيك فاذهب أنت . ثم خرج إلى المسجد فرأى أسامة بن زيد فتوكل على يده حتى دخل دار طلحة و هى مملوءة من الناس فقال له يا طلحة ما هذا الأمر الذى صنعت بعثمان فقال يا أبا حسن أ بعد أن مس الحزام الطيبين فانصرف على ع حتى أتى بيت المال فقال افتحوه فلم يجدوا المفاتيح فكسر الباب و فرق ما فيه على الناس فانصرف الناس من عند طلحة حتى بقى وحده و سر عثمان بذلك و جاء طلحة فدخل على عثمان فقال يا أمير المؤمنين إني أردت أمرا فحال الله بينى وبينه و قد جئتك تائبا فقال و الله ماجئت ولكن جئت مغلوبا الله حسيبك يا طلحة . [صفحة ١٤٩] قال أبو جعفر كان عثمان

مستضعفا طمع فيه الناس وأعان على نفسه بأفعاله وباستيلاء بنى أمية عليه و كان ابتداء الجراءه عليه أن إبلا من إبل الصدقه قدم بها عليه فوهبها لبعض ولد الحكم بن أبي العاص فبلغ ذلك عبدالرحمن بن عوف فأخذها وقسمها بين الناس وعثمان في داره فكان ذلك أول وهن دخل على خلافة عثمان . وقيل بل كان أول وهن دخل عليه أن عثمان مر بجبله بن عمرو الساعدي و هو في نادى قومه و في يده جامعه فسلم فرد القوم عليه فقال جبله لم تردون على رجل فعل كذا وفعل كذا ثم قال لعثمان و الله لأطرحن هذاالجامعه في عنقك أولتتركن بطانتك هذه الخيئه مروان و ابن عامر و ابن أبي سرح فمنهم من نزل القرآن بدمه ومنهم من أباح رسول الله ص دمه . وقيل إنه خطب يوما ويده عصا كان رسول الله ص و أبوبكر وعمر يخطبون عليها فأخذها جهجاه الغفاري من يده وكسرها على ركبه فلما تكاثرت أحداثه وتكاثر طمع الناس فيه كتب جمع من أهل المدينه من الصحابه وغيرهم إلى من بالآفاق إن كنتم تريدون الجهاد فهلوموا إلينا فإن دين محمد قد أفسده خليفتم فاخلعوه فاختلفت عليه القلوب وجاء المصريون وغيرهم إلى المدينه حتى حدث ما حدث . وروى الواقدي والمدائني و ابن الكلبي وغيرهم وذكره أبو جعفر في التاريخ وذكره غيره من جميع المورخين أن عليا ع لمارد المصريين رجعوا بعدثلاثة أيام فأخرجوا صحيفه في أنبويه رصاص وقالوا وجدنا غلام عثمان بالموضع المعروف [صفحه ١٥٠] بالبويب على بعير من إبل الصدقه ففتشنا متاعه لأنا استربنا أمره فوجدنا فيه هذه الصحيفه مضمونها أمر عبد الله بن سعد بن أبي سرح بجلد عبدالرحمن بن عديس وعمرو بن الحنق وحلق رءوسهما ولحاهما وحبسهما وصلب قوم آخرين من أهل مصر. وقيل إن الذي أخذت منه الصحيفه أبو الأعور السلمى وإنهم لمارأوه وسألوه عن مسيره وهل معه كتاب فقال لافسألوه في أى شىء هو فتغير كلامه فأخذوه وفتشوه وأخذوا الكتاب منه وعادوا إلى المدينه وجاء الناس إلى على ع وسألوه أن يدخل إلى عثمان فيسأله عن هذه الحال فقام فجاء إليه فسأله فأقسم بالله ماكتبته و لا علمته و لا أمرت به فقال محمد بن مسلمة صدق هذا من عمل مروان فقال لأدرى و كان أهل مصر حضورا فقالوا أفيجترأ عليك ويبعث غلامك على جمل من إبل الصدقه وينقش على خاتمك ويبعث إلى عاملك بهذه الأمور العظيمه و أنت لا تدرى قال نعم قالوا إنك إما صادق أو كاذب فإن كنت كاذبا فقد استحقت الخلع لما أمرت به من قتلنا وعقوبتنا بغير حق و إن كنت صادقا فقد استحقت الخلع لضعفك عن هذا الأمر وغفلتك وخبث بطانتك و لا ينبغي لنا أن نترك هذا الأمر بيد من تقطع الأمور دونه لضعفه وغفلته فاخلع نفسك منه فقال لا أنزع قميصا ألبسنيه الله ولكنى أتوب وأنزع قالوا لو كان هذا أول ذنب تبت منه لقبنا ولكننا رأيناك تتوب ثم تعود ولسنا بمنصرفين حتى نخلعك أو نقتلك أو تلحق أرواحنا بالله و إن منعك أصحابك وأهلك قاتلناهم حتى نخلص إليك فقال أما أن أبرأ من خلافة الله فالقتل أحب إلى من ذلك و أما قتالكم من يمنع عنى فإنى لا آمر أحدا بقتالكم فمن قاتلكم فبغير أمرى قاتل و لو أردت قتالكم لكتبت إلى الأجناد فقدموا [صفحه ١٥١] على أولحقت ببعض الأطراف وكثرت الأصوات واللغط فقام على فأخرج أهل مصر معه وخرج إلى منزله قال أبو جعفر وكتب عثمان إلى معاويه و ابن عامر وأمراء الأجناد يستنجدهم ويأمر بالعجل والبدار وإرسال الجنود إليه فتربص به معاويه فقام فى أهل الشام يزيد بن أسد القسرى جد خالد بن عبد الله بن يزيد أميرالعراق فتبعه خلق كثير فسار بهم إلى عثمان فلما كانوا بوادى القرى بلغهم قتل عثمان فرجعوا. وقيل بل أشخص معاويه من الشام حبيب بن مسلمة الفهري وسار من البصره مجاشع بن مسعود السلمى فلما وصلوا الربذه ونزلت مقدمتهم الموضع المسمى صرارا بناحية المدينه أتاهم قتل عثمان فرجعوا و كان عثمان قد استشار نصحاءه فى أمره فأشاروا أن يرسل إلى على ع يطلب إليه أن يرد الناس ويعطيهم مايرضيهم ليطاولهم حتى تأتية الأمداد فقال إنهم لا يقبلون التعليل و قد كان منى فى المرة الأولى ما كان فقال مروان أعطهم ما سألوك وطاولهم ما طاولوك فإنهم قوم قد بغوا عليك و لاعهد لهم . فدعا عليا ع و قال له قد ترى ما كان من الناس ولست آمنهم على دمي فارددهم عنى فإنى أعطيهم ما يريدون من الحق من نفسى و من غيرى. فقال على إن الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك وإنهم لا يرضون إلا [صفحه ١٥٢] بالرضا و قد كنت أعطيتهم من

قبل عهدا فلم تف به فلا تغرر في هذه المرة فإنني معطيهم عنك الحق قال أعطهم فو الله لأفين لهم . فخرج على ع إلى الناس فقال إنكم إنما تطلبون الحق وقد أعطيتموه وإنه منصفكم من نفسه فسأله الناس أن يستوثق لهم وقالوا إنا لانرضى بقول دون فعل فدخل عليه فأعلمه فقال اضرب بيني وبين الناس أجلا فإنني لأقدر على تبديل ما كرهوا في يوم واحد فقال على ع أما ما كان بالمدينة فلا أجل فيه و أما ما غاب فأجله وصول أمرك قال نعم فأجلني فيما بالمدينة ثلاثة أيام فأجابه إلى ذلك وكتب بينه وبين الناس كتابا على رد كل مظلمة وعزل كل عامل كرهوه فكف الناس عنه وجعل يتأهب سرا للقتال ويستعد بال سلاح واتخذ جندا فلما مضت الأيام الثلاثة و لم يغير شيئا ثار به الناس وخرج قوم إلى من بذي خشب من المصريين فأعلموهم الحال فقدموا المدينة وتكاثر الناس عليه وطلبوا منه عزل عماله ورد مظالمهم فكان جوابه لهم أني إن كنت أستعمل من تريدون لا من أريد فلست إذن في شيء من الخلافة والأمر أمركم فقالوا والله لتفعلن أولتخلعن أولنقتلنك فأبى عليهم وقال لا أنزع سربالا سربلنيه الله فحصره وضيقوا الحصار عليه . وروى أبو جعفر لما اشتد على عثمان الحصار أشرف على الناس فقال يا أهل المدينة أستودعكم الله وأسأله أن يحسن عليكم الخلافة من بعدى ثم قال أنشدكم الله هل تعلمون أنكم دعوتم الله عند مصاب عمر أن يختار لكم ويجمعكم على خيركم أفتقولون إن الله لم يستجب لكم وهنتم عليه وأنتم أهل حقه وأنصار نبيه أم تقولون هان على الله [صفحة ١٥٣] دينه فلم يبال من ولي والدين لم يتفرق أهله بعد أم تقولون لم يكن أخذ عن مشورة إنما كان مكابرة فوكل الله الأمة إذ عصته و لم يتشاوروا في الإمامة إلى أنفسها أم تقولون إن الله لم يعلم عاقبة أمرى فمهلا مهلا لا تقتلونى وإنه لا يحل الإقتل ثلاثة زان بعد إحصان أو كافر بعد إيمان أو قاتل نفس بغير حق أما إنكم إن قتلتمونى وضعتم السيف على رقابكم ثم لا يرفعه الله عنكم أبدا فقالوا أما ما ذكرت من استخارة الناس بعد عمر فإن كل ما يصنعه الله الخيرة ولكن الله جعلك بليء ابتلى بهاعباده ولقد كانت لك قدم وسابقة و كنت أهلا للولاية ولكن أحدثت ماتعلمه و لا تترك اليوم إقامة الحق عليك مخافة الفتنة عاما قابلا و أما قولك لا يحل دم إلا ياحدى ثلاث فإننا نجد في كتاب الله إباحة دم غير الثلاثة دم من سعى في الأرض بالفساد ودم من بغى ثم قاتل على بغيه ودم من حال دون شيء من الحق ومنعه وقاتل دونه و قدبغيت ومنعت الحق وحلت دونه وكابرت عليه و لم تقد من نفسك من ظلمته و لا من عمالك و قد تمسكت بالإمارة علينا والذين يقومون دونك ويمنعونك إنما يمنعونك ويقاثلوننا لتسميتك بالإمارة فلو خلعت نفسك لانصرفوا عن القتال معك . فسكت عثمان ولزم الدار وأمر أهل المدينة بالرجوع وأقسم عليهم فرجعوا إلا الحسن بن على و محمد بن طلحة و عبد الله بن الزبير وأشباها لهم وكانت مدة الحصار أربعين يوما . قال أبو جعفر ثم إن محاصرى عثمان أشفقوا من وصول أجناد من الشام والبصرة تمنعه فحالوا بين عثمان وبين الناس ومنعوه كل شيء حتى الماء فأرسل عثمان سرا إلى على ع و إلى أزواج النبى ص أنهم قدم منعونا الماء فإن قدرتم أن [صفحة ١٥٤] ترسلوا إلينا ماء فافعلوا فجاء على ع فى الغلس وأم حبيبة بنت أبى سفيان فوقف على ع على الناس فوعظهم وقال أيها الناس إن الذى تفعلون لا يشبه أمر المؤمنين و لا أمر الكافرين إن فارس والروم لتأسر فتطعم وتسقى فالله الله لا تقطعوا الماء عن الرجل فأغلظوا له وقالوا لانعم و لانعمة عين فلما رأى منهم الجد نزع عمامته عن رأسه ورمى بها إلى دار عثمان يعلمه أنه قد نهض وعاد . و أم أم حبيبة وكانت مشتملة على إداوة فضربوا وجه بغلتها فقالت إن وصايا أيتام بنى أمية عند هذا الرجل فأحببت أن أسأله عنها لئلا تهلك أموال اليتامى فشتموها وقالوا أنت كاذبة وقطعوا جبل البغلة بالسيف فنفرت وكادت تسقط عنها فتلقاها الناس فحملوها إلى منزلها . وروى أبو جعفر قال أشرف عثمان عليهم يوما فقال أنشدكم الله هل تعلمون أني اشتريت بئر رومة بمالى أستعذب بها وجعلت رشائى فيها كرجل من المسلمين قالوا نعم قال فلم تمنعوننى أن أشرب منها حتى أفرط على ماء البحر ثم قال أنشدكم الله هل تعلمون أني اشتريت أرض كذا فزدتها فى المسجد قالوا نعم قال فهل علمتم أن أحدا منع أن يصلى فيه قبلى . [صفحة ١٥٥] وروى أبو جعفر عن عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة المخزومى قال دخلت على عثمان فأخذ بيدي فأسمعنى كلام من على بابه

من الناس فمنهم من يقول ماتتظرون به ومنهم من يقول لاتعجلوا فعساه ينزع ويراجع فيينا نحن إذ مر طلحة فقام إليه ابن عديس البلوى فناجاه ثم رجع ابن عديس فقال لأصحابه لاتتركوا أحدا يدخل إلى عثمان ولا يخرج من عنده قال لى عثمان هذا ما أمر به طلحة اللهم اكفنى طلحة فإنه حمل هؤلاء القوم وألبهم على و الله إنى لأرجو أن يكون منها صفرا و أن يسفك دمه قال فأردت أن أخرج فمنعونى حتى أمرهم محمد بن أبى بكر فتركونى أخرج . قال أبو جعفر فلما طال الأمر وعلم المصريون قد أجزموا إليه جرما كجرم القتل و أنه لا فرق بين قتله و بين ما أتوا إليه وخافوا على نفوسهم من تركه حيا راموا الدخول عليه من باب داره فأغلقوا الباب ومانعهم الحسن بن على و عبد الله بن الزبير و محمد بن طلحة و مروان وسعيد بن العاص وجماعة معهم من أبناء الأنصار فزجرهم عثمان و قال أنتم فى حل من نصرتى فأبوا و لم يرجعوا . وقام رجل من أسلم يقال له نيار بن عياض و كان من الصحابة فنادى عثمان وأمره أن يخلع نفسه فيينا هو يناشده ويسومه خلع نفسه رماه كثير بن الصلت الكندى و كان من أصحاب عثمان من أهل الدار بسهم فقتله فصاح المصريون وغيرهم عند ذلك ادفعوا إلينا قاتل ابن عياض لنقتله به فقال عثمان لم أكن لأدفع إليكم رجلا نصرنى وأنتم تريدون قتلى فثاروا إلى الباب فأغلق دونهم فجاءوا بنار فأحرقوه وأحرقوا السقيفة التى عليه فقال لمن عنده من أنصاره إن رسول الله ص عهد [صفحة ١٥٦] إلى عهدا فأنا صابر عليه فأخرج على رجل يقاتل دونى ثم قال للحسن إن أباك الآن لفى أمر عظيم من أجلك فأخرج إليه أقسمت عليك لما خرجت إليه فلم يفعل ووقف محاميا عنه وخرج مروان بسيفه يجالذ الناس فضربه رجل من بنى ليث على رقبته فأثبته وقطع إحدى علباويه فعاش مروان بعد ذلك أوقص وقام إليه عبيد بن رفاعة الزرقى ليذفف عليه فقامت دونه فاطمة أم ابراهيم بن عدى وكانت أرضعت مروان وأرضعت له فقالت له إن كنت تريد قتله فقد قتل و إن كنت إنما تريد أن تتلعب بلحمه فأقبح بذلك فتركه فخلصته وأدخلته بيتها فعرف لها بنو ذلك بعد واستعملوا ابنها ابراهيم و كان له منهم خاصة . وقتل المغيرة بن الأحنس بن شريق و هو يحمى عن عثمان بالسيف واقتحم القوم الدار ودخل كثير منهم الدور المجاورة لها وتسوروا من دار عمرو بن حزم إليها حتى ملئوها وغلب الناس على عثمان وندبوا رجلا لقتله فدخل إليه البيت فقال له اخلعها وندعك فقال ويحك و الله ما كشفت عن امرأة فى جاهلية ولا إسلام ولا تعينت و لاتمنيت و لا وضعت يمينى على عورتى مذ بايعت رسول الله ولست بخالغ قميصا كسانيه الله حتى يكرم أهل السعادة ويهين أهل الشقاوة . فخرج عنه فقالوا له ما صنعت قال إنى لم أستحل قتله فأدخلوا إليه رجلا من الصحابة فقال له لست بصاحبى إن النبى ص دعا لك أن يحفظك يوم كذا ولن تضيع فرجع عنه . [صفحة ١٥٧] فأدخلوا إليه رجلا من قريش فقال له إن رسول الله ص استغفر لك يوم كذا فلن تقارف دما حراما فرجع عنه . فدخل عليه محمد بن أبى بكر فقال له عثمان ويحك أ على الله تغضب هل لى إليك جرم إلا أنى أخذت حق الله منك فأخذ محمد بلحيته و قال أخزأك الله يانعثل قال لست بنعثل لكنى عثمان و أمير المؤمنين فقال ما أغنى عنك معاوية وفلان وفلان فقال عثمان يا ابن أخى دعها من يدك فما كان أبوك ليقبض عليها فقال لو عملت ما عملت فى حياة أبى لقبض عليها و الذى أريد بك أشد من قبضى عليها فقال أستنصر الله عليك وأستعين به فتركه وخرج . وقيل بل طعن جبينه بمشقص كان فى يده فثار سودان بن حمران و أبو حرب الغافقى وقتيرة بن وهب السكسكى فضربه الغافقى بعمود كان فى يده وضرب المصحف برجله و كان فى حجره فنزل بين يديه وسال عليه الدم وجاء سودان ليضربه بالسيف فأكبت عليه امرأته نائلة بنت الفرافصة الكلبيه واتقت السيف بيدها وهى تصرخ فنفع أصابعها فأطنها فولت فغمز بعضهم أوراكاها و قال إنها لكبيرة العجز وضرب سودان عثمان فقتله . وقيل بل قتله كنانة بن بشر التجيبى وقيل بل وقتيرة بن وهب ودخل غلمان عثمان ومواليه فضرب أحدهم عنق سودان فقتله فوثب وقتيرة بن وهب على ذلك الغلام [صفحة ١٥٨] فقتله فوثب غلام آخر على وقتيرة فقتله ونهبت دار عثمان وأخذ ما على نسائه و ما كان فى بيت المال و كان فيه غرارتان دراهم ووثب عمرو بن الحمق على صدر عثمان و به رمق فطعنه تسع طعنات و قال أمثالث منها فإنى طعنتهن لله تعالى و أماست منها فلما كان فى

صدرى عليه وأرادوا قطع رأسه فوقعت عليه زوجته نائلة بنت الفرافصة وأم البنين ابنة عيينة بن حصن الفزاري فصحن وضربن الوجوه فقال ابن عديس اتركوه وأقبل عمير بن ضابئ البرجمي فوثب عليه فكسر ضلعين من أضلاعه و قال له سجت أبي حتى مات في السجن و كان قتله يوم الثامن عشر من ذى الحجة من سنة خمسين وثلاثين وقيل بل في أيام التشريق و كان عمره ستا وثمانين سنة. قال أبو جعفر وبقي عثمان ثلاثة أيام لا يدفن ثم إن حكيم بن حزام وجبير بن مطعم كلما عليا في أن يأذن في دفنه ففعل فلما سمع الناس بذلك قعد له قوم في الطريق بالحجارة وخرج به ناس يسير من أهله ومعهم الحسن بن علي و ابن الزبير و أبوجهم بن حذيفة بين المغرب والعشاء فأثوا به حائطا من حيطان المدينة يعرف بحش كوكب و هو خارج البقيع فصلوا عليه وجاء ناس من الأنصار ليمنعوا من الصلاة عليه فأرسل على ع فمنع من رجم سريره وكف الذين راموا منع الصلاة عليه ودفن في حش كوكب فلما ظهر معاوية على الأمر أمر بذلك الحائط فهدم وأدخل في البقيع وأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حول قبره حتى اتصل بمقابر المسلمين بالبقيع . وقيل إن عثمان لم يغسل وإنه كفن في ثيابه التي قتل فيها. [صفحة ١٥٩] قال أبو جعفر وروى عن عامر الشعبي أنه قال ماقتل عمر بن الخطاب حتى ملته قريش واستطالت خلافته و قد كان يعلم فتنهم فحصرهم في المدينة و قال لهم إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة انتشاركم في البلاد و إن كان الرجل ليستأذنه في الغزو فيقول إن لك في غزوك مع رسول الله ص ما يكفيك و هو خير لك من غزوك اليوم وخير لك من الغزو ألا ترى الدنيا ولا تراك فكان يفعل هذا بالمهاجرين من قريش و لم يكن يفعله بغيرهم من أهل مكة فلما ولي عثمان الخلافة خلى عنهم فانتشروا في البلاد وخالطهم الناس وأفضى الأمر إلى ما أفضى إليه و كان عثمان أحب إلى الرعية من عمر. قال أبو جعفر و كان أول منكر ظهر بالمدينة في خلافة عثمان حين فاضت الدنيا على العرب والمسلمين طيران الحمام والمسابقة بها والرمي عن الجلاهقات وهي قسى البندق فاستعمل عثمان عليها رجلا - من بني ليث في سنة ثمان من خلافته فقصر الطيور وكسر الجلاهقات . وروى أبو جعفر قال سألت رجل سعيد بن المسيب عن محمد بن أبي حذيفة مادعاه إلى الخروج على عثمان فقال كان يتيما في حجر عثمان و كان والي أيتام أهل بيته ومحتمل كلهم فسأل عثمان العمل فقال يا بني لو كنت رضا لاستعملتك قال فأذن لي فأخرج فأطلب الرزق قال اذهب حيث شئت وجهزه من عنده وحمله وأعطاه فلما وقع إلى مصر كان فيمن أعان عليه لأنه منعه الإمارة فليل له فعمار بن ياسر قال [صفحة ١٦٠] كان بينه وبين العباس بن عتبة بن أبي لهب كلام فضر بهما عثمان فأورث ذلك تعاديا بين عمار و عثمان و قد كان تقاذفا قبل ذلك . قال أبو جعفر وسئل سالم بن عبد الله عن محمد بن أبي بكر مادعاه إلى ركوب عثمان فقال لزمه حق فأخذ عثمان من ظهره فغضب وغره أقوام فطمع لأنه كان من الإسلام بمكان وكانت له دالة فصار مذمما بعد أن كان محمدا و كان كعب بن ذي الحبكة النهدي يلعب بالنيرنجات بالكوفة فكتب عثمان إلى الوليد أن يوجهه ضربا فضر به وسيره إلى دباوند. و كان ممن خرج إليه وسار إليه وحبس ضابئ بن الحارث البرجمي لأنه هجا قوما فنسبهم إلى أن كلبهم يأتي أمهم فقال لهم فأمكم لا تتركوها و كلبكم || فإن عقوق الوالدين كبير . [صفحة ١٦١] فاستعدوا عليه عثمان فحبسه فمات في السجن فلذلك حقد ابنه عمير عليه وكسر أضلاعه بعد قتله . قال أبو جعفر و كان لعثمان على طلحة بن عبيد الله خمسون ألفا فقال طلحة له يوما قد تهيا مالك فاقبضه فقال هو لك معونة على مروءتك فلما حصر عثمان قال على ع لطلحة أنشدك الله إلا كففت عن عثمان فقال لا والله حتى تعطى بنو أمية الحق من أنفسها فكان على ع يقول لحا الله ابن الصعبة أعطاه عثمان ما أعطاه وفعل به ما فعل [صفحة ١٦٢]

لَا تَلْفَيْنَ طَلْحَةَ فَإِنَّكَ إِنْ تَلَفَهُ تَجِدُهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصًا قَرْنَهُ يَرْكَبُ الصَّعْبَ وَيَقُولُ هُوَ الدَّلُولُ وَ لَكِنَّ النَّبِيَّ الزَّيْبَرَ فَإِنَّهُ أَلَيْنَ عَرِيكَهُ فَقُلْ لَهُ يَقُولُ لَكَ ابْنُ خَالِكَ عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ وَ أَنْكَرْتَنِي بِالْعِرَاقِ فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَأَ قَالَ الرُّضَى رَحِمَهُ اللَّهُ وَ هُوَ عَاقِصٌ أَوَّلُ مَنْ سَمِعَتْ مِنْهُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ أَعْنَى فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَأَ -رواية- ١-٨٤ ليستفيته إلى طاعته أى يسترجهه فاء أى رجوع و منه سُمى الفىء للظل بعد الزوال وجاء فى رواية فإنك إن تلقه تلفه أى تجده ألفتة على كذا أى وجدته . وعاقصا قرنه أى قد عطفه تيس أعقص أى قد التوى قرناه على أذنيه والفعل فيه عقص الثور قرنه بالفتح و قال القطب الراوندى عقص بالكسر و ليس بصحيح وإنما يقال عقص الرجل بالكسر إذا شح و ساء خلقه فهو عقص . و قوله يركب الصعب أى يستهين بالمستصعب من الأمور يصفه بشراسة [صفحة ١٦٣] الخلق والبأ و كذلك كان طلحة و قد وصفه عمر بذلك و يقال إن طلحة أحدث يوم أحد عنده كبرا شديدا لم يكن و ذاك لأنه أغنى فى ذلك اليوم وأبلى بلاء حسنا. والعريكة هاهنا الطبيعة يقال فلان لين العريكة إذا كان سلسا. و قال الراوندى العريكة بقية السنام و لقد صدق ولكن ليس هذا موضع ذاك . و قوله ع لابن عباس قل له يقول لك ابن خالك لطيف جدا و هو من باب الاستمالة والإذكار بالنسب والرحم أ لا ترى أن له فى القلب من الموقع الداعى إلى الانقياد ما ليس لقوله يقول لك أمير المؤمنين و من هذا الباب قوله تعالى فى ذكر موسى وهارون وَ أَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَ أَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنُ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَ كَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ لِمَا رَأَى هَارُونَ غَضِبَ مُوسَى وَ اسْتَمَالَهُ وَ الْمَلَأْتَهُ فَقَالَ لَهُ ابْنُ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ وَ أذَكَرَهُ حَقَّ الْأَخُوَّةِ وَ ذَلِكَ أَدْعَى إِلَى عَطْفِهِ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَقُولَ لَهُ يَا مُوسَى أَوْ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ . فأما قوله فما عدا مما بدا فعدا بمعنى صرف قال الشاعر -قرآن- ٥٤٧-٧٠٤-قرآن- ٧٨٤-٧٩٢ وإنى عدانى أن أزورك محكم || متى ما أحرك فيه ساقى يصخب . و من هاهنا بمعنى عن و قد جاءت فى كثير من كلامهم كذلك قال ابن قتيبة فى أدب الكاتب قالوا حدثنى فلان من فلان أى عن فلان ولهيت من كذا أى عنه و يصير ترتيب الكلام و تقديره فما صرفك عما بدا منك أى [صفحة ١٦٤] ظهر والمعنى ما الذى صدك عن طاعتي بعد إظهارك لها و حذف الضمير المفعول المنصوب كثير جدا كقوله تعالى وَ سَأَلْنَا مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَى أَرْسَلْنَا و لا بد من تقديره كى لا يبقى الموصول بلا- عائد. و قال القطب الراوندى قوله فما عدا مما بدا له معنيان أحدهما ما الذى منعك مما كان قد بدا منك من البيعة قبل هذه الحالة والثانى ما الذى عاقبك و يكون المفعول الثانى لعدا محذوفا يدل عليه الكلام أى ما عداك يريد ما مشغلك و ما منعك مما كان بدا لك من نصرتي من البدا الذى يبدو للإنسان ولقائل أن يقول ليس فى الوجه الثانى زيادة على الوجه الأول إلا زيادة فاسدة أما إنه ليس فيه زيادة فلأنه فسر فى الوجه الأول عدا بمعنى منع ثم فسره فى الوجه الثانى بمعنى عاق و فسر عاق بمنع و شغل فصار عدا فى الوجه الثانى مثل عدا فى الوجه الأول . و قوله مما كان بدا منك فسره فى الأول والثانى بتفسير واحد فلم يبق بين الوجهين تفاوت و أما الزيادة الفاسدة فظنه أن عدا يتعدى إلى مفعولين و أنه قد حذف الثانى و هذا غير صحيح لأن عدا ليس من الأفعال التى تتعدى إلى مفعولين بإجماع النحاة و من العجب تفسيره المفعول الثانى المحذوف على زعمه بقوله أى ما عداك و هذا المفعول المحذوف هاهنا هو مفعول عدا الذى لا مفعول لها غيره فلا يجوز أن يقال إنه أول و لا ثان . ثم حكى القطب الراوندى حكاية معناها أن صفيه بنت عبدالمطلب أعتقت عبيدا ثم ماتت ثم مات العبيد و لم يخلفوا و ارثا لإموالهم و طلب على ع ميراث العبيد بحق التعصيب و طلبه الزبير بحق الإرث من أمه و تحاكما إلى عمر فقضى عمر بالميراث للزبير. -قرآن- ١٠٥-١٤٩ [صفحة ١٦٥] قال القطب الراوندى رحمه الله تعالى حكاية عن أمير المؤمنين ع إنه قال هذا خلاف الشرع لأن ولاء معتق المرأة إذا كانت ميتة يكون لعصبتها وهم العاقلة للأولادها -رواية- ١-٢-رواية- ٧٩-١٧٠ . قلت هذه المسألة مختلف فيها بين الإمامية فأبو عبد الله بن النعمان المعروف بالمفيد يقول إن

الولاء لولدها ولا يصح هذا الخبر ويطعن في راويه وغيره من فقهاء الإمامية كأبي جعفر الطوسي و من قال بقوله يذهبون إلى أن الولاء لعصبتها لولدها ويصحون الخبر ويزعمون أن أمير المؤمنين ع سكت و لم ينازع على قاعدته في التقيّة واستعمال المجاملة مع القوم . فأما مذاهب الفقهاء غير الإمامية فإنها متفقّة على أن الولاء للولد لا للعصبة كما هو قول المفيد رحمه الله تعالى . وروى جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده ع قال سألت ابن عباس رضى الله عنه عن ذلك فقال إني قد أتيت الزبير فقلت له فقال قل له إني أريد ما تريد كأنه يقول الملك لم يزدني على ذلك فرجعت إلى علي ع فأخبرته -رواية ١-٢-رواية ٥٦- ٢٢٦ . وروى محمد بن إسحاق والكلبي عن ابن عباس رضى الله عنه قال قلت الكلمة للزبير فلم يزدني على أن قال قل له إنا مع الخوف الشديد لنطمع . [صفحہ ١٦٦] قال وسئل ابن عباس عما يعنى بقوله هذا فقال يقول إنا على الخوف لنطمع أن نلى من الأمر ما وليتم . و قد فرسه قوم تفسيراً آخر وقالوا أراد إنا مع الخوف من الله لنطمع أن يغفر لنا هذا الذنب . قلت و على كلا التفسيرين لم يحصل جواب المسألة

من أخبار الزبير وابنه عبد الله

كان عبد الله بن الزبير هو الذى يصلى بالناس فى أيام الجمل لأن طلحة والزبير تدافعا الصلاة فأمرت عائشة عبد الله أن يصلى قطعاً لِمنازعتهما فإن ظهروا كان الأمر إلى عائشة تستخلف من شاءت . و كان عبد الله بن الزبير يدعى أنه أحق بالخلافة من أبيه و من طلحة ويزعم أن عثمان يوم الدار أوصى بها إليه . واختلفت الرواية فى كيفية السلام على الزبير وطلحة فروى أنه كان يسلم على الزبير وحده بالإمرة فيقال السلام عليك أيها الأمير لأن عائشة ولته أمر الحرب . وروى أنه كان يسلم على كل واحد منهما بذلك . لِمنازل على ع بالبصرة ووقف جيشه بإزاء جيش عائشة قال الزبير و الله ما كان أمر قط إلا عرفت أين أضع قدمي فيه إلا هذا الأمر فإنى لا أدرى أم قبل أنا فيه أم مدبر فقال له ابنه عبد الله كلا ولكنك فرقت سيوف ابن أبى طالب وعرفت أن الموت الناقع تحت راياته فقال الزبير ما لك أخزائك الله من ولد ما أشأمك [صفحہ ١٦٧] كان أمير المؤمنين ع يقول ما زال الزبير منا أهل البيت حتى شب ابنه عبد الله -رواية ١-٢-رواية ٣٢-٨٦ . برز على ع بين الصفين حاسرا و قال ليرز إلى الزبير فبرز إليه مدججا فقيل لعائشة قد برز الزبير إلى علي ع فصاحت وازبيراه فقيل لها لا بأس عليه منه إنه حاسر والزبير دارع فقال له ما حملك يا أبا عبد الله على ما صنعت قال أطلب بدم عثمان قال أنت وطلحة وليتماه وإنما نوبتك من ذلك أن تقيد به نفسك وتسلمها إلى ورثته ثم قال نشدتك الله أتذكر يوم مرت بي و رسول الله ص متكئ على يدك و هو جاء من بنى عمرو بن عوف فسلم على وضحك فى وجهي فضحكت إليه لم أزد على ذلك فقلت لا يترك ابن أبى طالب يا رسول الله زهوه فقال لك مه إنه ليس بذى زهو أما إنك ستقاتله و أنت له ظالم فاسترجع الزبير و قال لقد كان ذلك ولكن الدهر أنسانيه ولأنصرفن عنك فرجع فأعتق عبده سرجس تحللا من يمين لزمته فى القتال ثم أتى عائشة فقال لها إني ما وقفت موقفا قط و لاشهدت حربا إلا و لى فيه رأى وبصيرة إلا هذه الحرب و إني لعلى شك من أمرى و ما أكاد أبصر موضع قدمي فقالت له يا أبا عبد الله أظنك فرقت سيوف ابن أبى طالب إنها و الله سيوف حداد معدة للجلاد تحملها فئة أنجاد ولئن فرقها لردك قال كلا ولكنه ما قلت لك ثم انصرف . وروى فروة بن الحارث التميمي قال كنت فىمن اعتزل عن الحرب بوادى السباع مع الأحنف بن قيس وخرج ابن عم لى يقال له الجون مع عسكر البصرة فنهيته [صفحہ ١٦٨] فقال لا أرغب بنفسى عن نصره أم المؤمنين وحوارى رسول الله فخرج معهم و إني لجالس مع الأحنف يستنبئ الأخبار إذ ابالجون بن قتادة ابن عمى مقبلا فقامت إليه واعتقته وسألته عن الخبر فقال أخبرك العجب خرجت و أنا لا أريد أن أبرح الحرب حتى يحكم الله بين الفريقين فبينما أنا واقف مع الزبير إذ جاءه رجل

فقال أبشر أيها الأمير فإن عليا لما رأى ما أعد الله له من هذا الجمع نكص على عقبيه وتفرق عنه أصحابه وأتاه آخر فقال له مثل ذلك فقال الزبير ويحكم أبو حسن يرجع والله لو لم يجد إلا العرفج لدب إلينا فيه ثم أقبل رجل آخر فقال أيها الأمير إن نفرا من أصحاب علي فارقوه ليدخلوا معنا منهم عمار بن ياسر فقال الزبير كلا ورب الكعبة إن عمارا لا يفارقه أبدا فقال الرجل بلى والله مرارا فلما رأى الزبير أن الرجل ليس براجع عن قوله بعث معه رجلا آخر وقال إن عمارا قد أتاك رسولا من عند صاحبه قال جون فسمعت والله الزبير يقول وا انقطاع ظهراه وا جدع أنفاه وا سواد وجهاه ويكرر ذلك مرارا ثم أخذته رعدة شديدة فقلت والله إن الزبير ليس بجبان وإنه لمن فرسان قريش المذكورين وإن لهذا الكلام لشأنا ولا أريد أن أشهد مشهدا يقول أميره هذه المقالة فرجعت إليكم فلم يكن إلا قليل حتى مر الزبير بنا متاركا للقوم فاتبعه عمير بن جرموز فقتله. أكثر الروايات على أن ابن جرموز قتل مع أصحاب النهر وجاء في بعضها أنه عاش إلى أيام ولاية مصعب بن الزبير العراق وأنه لما قدم مصعب البصرة خافه ابن جرموز فهرب فقال مصعب ليظهر سالما وليأخذ عطاءه موفورا أيظن أني أقتله بأبي عبد الله وأجعله فداء له فكان هذا من الكبر المستحسن. [صفحة ١٦٩] كان ابن جرموز يدعو لندياه فقيل له هلا دعوت لآخرتك فقال أيست من الجنة. الزبير أول من شهر سيفه في سبيل الله قيل له في أول الدعوة قد قتل رسول الله فخرج وهو غلام يسعى بسيفه مشهورا. وروى الزبير بن بكار في الموفقيات قال لما سار على ع إلى البصرة بعث ابن عباس فقال ائت الزبير فاقرأ عليه السلام وقل له يا أبا عبد الله كيف عرفتنا بالمدينة وأنكرتنا بالبصرة فقال ابن عباس أفلا أتى طلحة قال لا إذ أتجده عاقصا قرنه في حزن يقول هذا سهل. قال فأتيت الزبير فوجدته في بيت يتروح في يوم حار و عبد الله ابنه عنده فقال مرحبا بك يا ابن لبابة أجئت زائرا أم سفيرا قلت كلا إن ابن خالك يقرأ عليك السلام ويقول لك يا أبا عبد الله كيف عرفتنا بالمدينة وأنكرتنا بالبصرة فقال علقتهم أني خلقت عصبه || قتادة تعلق بنسبه. لن أدعهم حتى أولف بينهم قال فأردت منه جوابا غير ذلك فقال لي ابنه عبد الله قل له بيننا وبينك دم خليفه ووصية خليفه واجتماع اثنين وانفراد واحد وأم مبرورة ومشاورة العشيرة قال فعلمت أنه ليس وراء هذا الكلام إلا الحرب فرجعت إلى علي ع فأخبرته. [صفحة ١٧٠] قال الزبير بن بكار هذا الحديث كان يرويه عمي مصعب ثم تركه وقال إنى رأيت جدى أبا عبد الله الزبير بن العوام في المنام وهو يعتذر من يوم الجمل فقلت له كيف تعتذر منه و أنت القائل علقتهم أني خلقت عصبه || قتادة تعلق بنسبه. لن أدعهم حتى أولف بينهم فقال لم أقله

استطرد بلاغى فى الكلام على الاستدراج

واعلم أن فى علم البيان بابا يسمى باب الخداع والاستدراج يناسب ما يذكره فيه علماء البيان قول أمير المؤمنين ع يقول لك ابن خالك عرفتنى بالحجاز وأنكرتنى بالعراق. قالوا ومن ذلك قول الله تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون وقال رجُلٌ مؤمنٌ من آل فرعونَ يكتمُ إيمانه أ تقتلون رجُلًا أن يقولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ إِنَّهُ أَخَذَ مِنْهُمْ فِي الْاِحْتِجَاجِ بِطَرِيقِ التَّقْسِيمِ فقال هذا الرجل إما أن يكون كاذبا فكذبه يعود عليه ولا يتعداه وإما أن يكون صادقا فيصيبكم بعض ما يعدكم به ولم يقل كل ما يعدكم به مخادعة لهم وتلطفا واستمالة لقلوبهم كى لا ينفروا منه لو أعظ في القول وأظهر لهم أنه يهضمه بعض حقه. وكذلك تقديم قسم الكذب على قسم الصدق كأنه رشاهم ذلك وجعله برطيلاً لهم ليطمئنوا إلى نصحه. -قرآن- ٢٣٤-٥١٨ [صفحة ١٧١] ومن ذلك قول ابراهيم على ما حكاه تعالى عنه فى قوله إذ قال لأبيي يا أبتِ لِمَ تَعْبُدُ ما لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا يا أبتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ ما لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يا أبتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا يا أبتِ إِنِّي

أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا فطلب منه في مبدأ الأمر السبب في عبادته الصنم والعلّة لذلك ونبهه على أن عبادة ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنه شيئاً قبيحة ثم لم يقل له إنني قد تبهرت في العلوم بل قال له قد حصل عندي نوع من العلم لم يحصل عندك وهذا من باب الأدب في الخطاب ثم نبهه على أن الشيطان عاص لله فلا يجوز اتباعه ثم خوفه من عذاب الله إن اتبع الشيطان وخطبه في جميع ذلك بقوله يا أبتاستعظافاً واستدراجاً كقول علي ع يقول لك ابن خالك فلم يجبه أبوه إلى ما أراد ولا قال له يا بني بل قال أَرَاغِبُ أَنْتَ عَنِ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ فخطبه بالاسم وأتاه بهمزة الاستفهام المتضمنة للإنكار ثم توعدّه فقال لئن لم تنته لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا. قالوا ومن هذا الباب ما روى أن الحسين بن علي ع كلم معاوية في أمر ابنه يزيد ونهاه عن أن يعهد إليه فأبى عليه معاوية حتى أغضب كل واحد منهما صاحبه فقال الحسين ع في غضون كلامه أبي خير من أبيه وأمي خير من أمه فقال معاوية يا ابن أخي أما أمك فخير من أمه وكيف تقاس امرأة من كلب بابنة رسول الله ص و أما أبوه فحاكم أباك إلى الله تعالى فحكم لأبيه على أبيك . -قرآن- ٦٠-٤٠٦-قرآن- ٧٨٥-٧٩٣-قرآن- ٩٠٥-٩٤٧-قرآن- ١٠٢٠-١٠٧١ [صفحة ١٧٢] قالوا وهذا من باب الاستدراج اللطيف لأن معاوية علم أنه إن أجابه بجواب يتضمن الدعوى لكونه خيراً من علي ع لم يلتفت أحد إليه ولم يكن له كلام يتعلق به لأن آثار علي ع في الإسلام وشرفه وفضيلته تجل أن يقاس بها أحد فعدل عن ذكر ذلك إلى التعلق بما تعلق به فكان الفلج له . ذكر هذا الخبر نصر الله بن الأثير في كتابه المسمى بالمثل السائر في باب الاستدراج . وعندى أن هذا خارج عن باب الاستدراج وأنه من باب الجوابات الإقناعية التي تسميها الحكماء الجدليات والخطابيات وهي أجوبة إذابحث عنها لم يكن وراءها تحقيق وكانت يبادئ النظر مسكته للخصم صالحة لمصادمته في مقام المجادلة. ومثل ذلك قول معاوية لأهل الشام حيث التحق به عقيل بن أبي طالب يا أهل الشام ما ظنكم برجل لم يصلح لأخيه . وقوله لأهل الشام إن أبله المذموم في القرآن باسمه عم علي بن أبي طالب فارتاع أهل الشام لذلك وشموا علياً ولعنوه . ومن ذلك قول عمر يوم السقيفة أيكم يطيب نفساً أن يتقدم قدمين قدمهما رسول الله ص للصلاة. ومن ذلك قول علي ع مجيباً لمن سأله كم بين السماء والأرض فقال دعوة مستجابة -رواية- ١-٢-رواية- ١٥-ادامه دارد [صفحة ١٧٣] وجوابه أيضاً لمن قال له كم بين المشرق والمغرب فقال مسيرة يوم للشمس -رواية- از قبل -٧٦. ومن ذلك قول أبي بكر وقد قال له عمر أقد خالداً بمالك بن نويرة سيف الله فلاأغمده . وكقوله وقد أشير عليه أيضاً بأن يقيد من بعض أمرائه أنا أقيد من وزعه الله ذكر ذلك صاحب الصحاح في باب وزع . والجوابات الإقناعية كثيرة ولعلها جمهور ما يتداوله الناس ويسكت به بعضهم بعضاً [صفحة ١٧٤]

٣٢- ومن خطبة له ع

إشارة

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ وَزَمَنٍ شَدِيدٍ يُعَدُّ فِيهِ الْمُحْسِنُ مُسَيِّئًا وَيَزْدَادُ الظَّالِمُ فِيهِ عُتُوًّا لَا نَنْتَفِعُ بِمَا عَلِمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا وَلَا نَتَخَوَّفُ قَارِعَهُ حَتَّى تَحُلَّ بِنَا وَالنَّاسُ عَلَى أَرْبَعَةٍ أَصْنَافٍ مِنْهُمْ مَنْ لَا يَمْنَعُهُ الفَسَادُ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَهَانَةً نَفْسِهِ وَ كَلَالَةً حَيْدِهِ وَ نَضِيضٌ وَفَرِهِ وَ مِنْهُمْ المُّصَلِّتُ بِسَيِّفِهِ وَ المُّعَلِّنُ بِشَرِّهِ وَ المُّجَلِّبُ بِخَيْلِهِ وَ رَجُلِهِ قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ وَ أَوْبَقَ دِينَهُ لِخَطَامِ يَنْتَهِرُهُ أَوْ مِقْتَبٍ يَقُودُهُ أَوْ مِتْبَرٍ يَفْرَعُهُ وَ لَيْسَ المْتَجِرُ أَنْ تَرَى الدُّنْيَا لِنَفْسِكَ ثَمَنًا وَ مِمَّا لَكَ عِنْدَ اللّهِ عِوَضًا وَ مِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ وَ لَا يَطْلُبُ الآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِهِ وَ قَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ وَ شَمَرَ مِنْ ثَوْبِهِ وَ زَخَرَفَ مِنْ نَفْسِهِ لِلْأَمَانَةِ وَ

اتَّخَذَ سِتْرَ اللَّهِ ذَرِيعَةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ وَ مِنْهُمْ مَنْ أَبْعَدَهُ عَنِ الْمُلْكِ ضُمُولُهُ نَفْسِهِ وَ انْقِطَاعُ سَبِيهِ فَقَصَرَتْهُ الْحَالُ عَلَى حَالِهِ فَتَحَلَّى بِاسْمِ الْقِنَاعِيَّةِ وَ تَزَيَّنَ بِلِبَاسِ أَهْلِ الزَّهَادَةِ وَ لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ فِي مَرَّاحٍ وَ لَا مَغْدَى [صفحة ١٧٥] وَ بَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ ذَكَرَ الْمَرْجِعَ وَ أَرَأَقَ دُمُوعَهُمْ خَوْفُ الْمَحْشَرِ فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍ وَ خَوَائِفِ مَقْمُوعٍ وَ سَيَاكِتِ مَكْعُومٍ وَ دَاعٍ مُخْلِصٍ وَ تَكَلَّمَانَ مُوجِعٍ قَدْ أَحْمَلْتَهُمُ التَّقِيَّةَ وَ شَمِلْتَهُمُ الدَّلْمَةَ فَهُمْ فِي بَحْرِ أُجَاجٍ أَفْوَاهُهُمْ ضَامِرَةٌ وَ قُلُوبُهُمْ قَرِيحَةٌ قَدْ وَعْظُوا حَتَّى مَلُّوا وَ قَهَرُوا حَتَّى ذَلُّوا وَ قَتَلُوا حَتَّى قَلُّوا فَالْتَكُنِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِكُمْ أَصْغَرَ مِنْ حُثَالَةِ الْقَرْظِ وَ قَرَاضِيَةِ الْجَلْمِ وَ اتَّعَظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَنْعَظَ بِكُمْ مِنْ بَعْدِكُمْ وَ ارْفُضُوهَا دَمِيمَةً فَإِنَّهَا قَدْ رَفُضَتْ مَنْ كَانَ أَشْغَفَ بِهَا مِنْكُمْ قَالَ الرُّضَى رَحِمَهُ اللَّهُ وَ هَذِهِ الْخُطْبَةُ بِمَا نَسَبَهَا مِنْ لَاعِلِمَ لَهُ إِلَى مَعَاوِيَةَ وَ هِيَ مِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَ الَّذِي لَا يَشْكُ فِيهِ وَ أَيْنَ الذَّهَبُ مِنَ الرَّغَامِ وَ أَيْنَ الْعَذْبُ مِنَ الْأَجَاجِ وَ قَدَدَلُ عَلَى ذَلِكَ الدَّلِيلِ الْخَرِيْتُ وَ نَقَدَهُ النَّاقِدُ الْبَصِيرُ عَمْرُو بْنُ بَحْرِ الْجَاظِ فَإِنَّهُ ذَكَرَ هَذِهِ الْخُطْبَةَ فِي كِتَابِ الْبَيَانِ وَ التَّيْسِينَ وَ ذَكَرَ مِنْ نَسَبِهَا إِلَى مَعَاوِيَةَ ثُمَّ تَكَلَّمَ مِنْ بَعْدِهَا بِكَلَامٍ فِي مَعْنَاهَا جَمَلْتَهُ أَنَّهُ قَالَ وَ هَذَا الْكَلَامُ بِكَلَامِ عَلِيِّ عَ -رَوَيْتَ- ١-إِدَامَهُ دَارِدُ [صفحة ١٧٦] أَشْبَهَ وَ بِمَذْهَبِهِ فِي تَصْنِيفِ النَّاسِ وَ فِي الْإِخْبَارِ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْقَهْرِ وَ الْإِذْلَالِ وَ مِنَ التَّقِيَّةِ وَ الْخَوْفِ أَلِيْقَ قَالَ وَ مَتَى وَجَدْنَا مَعَاوِيَةَ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ يَسْلُكُ فِي كَلَامِهِ مَسْلَكَ الزَّهَادِ وَ مَذَاهِبِ الْعِبَادِ -رَوَيْتَ- از قَبْلِ- ١٩٤- دَهْرُ عَنُودِ جَائِرٍ عِنْدَ عَنِ الطَّرِيقِ يَعْنِدُ بِالضَّمِّ أَيْ عَدَلُ وَ جَارُ وَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مِنْ عِنْدِ عِنْدِ الْكُسْرِ أَيْ خَالَفَ وَرَدَ الْحَقُّ وَ هُوَ يَعْرِفُهُ إِلَّا أَنْ اسْمَ الْفَاعِلِ الْمَشْهُورِ فِي ذَلِكَ عَانِدُ وَ عَنِيدُ وَ أَمَاعِنُودُ فَهُوَ اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ عِنْدِ عِنْدِ بِالضَّمِّ . قَوْلُهُ وَزَمَنُ شَدِيدٍ أَيْ بِخَيْلٍ وَ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَ إِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ أَيْ وَ إِنَّهُ لَبِخَيْلٍ لِأَجْلِ حُبِّ الْخَيْرِ وَ الْخَيْرِ الْمَالِ وَ قَدْرُوعِي وَ زَمَنُ كَنُودِ وَ هُوَ الْكُفُورُ قَالَ تَعَالَى إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ . وَ الْقَارِعَةُ الْخُطْبَةُ الَّتِي يَقْرَعُ أَيْ يَصِيبُ . قَوْلُهُ وَنَضِيضٌ وَفَرَهُ أَيْ قَلَهُ مَالَهُ وَ كَانَ الْأَصْلُ وَنَضَاضَةٌ وَفَرَهُ لِيَكُونَ الْمَصْدَرُ فِي مَقَابَلَةِ الْمَصْدَرِ الْأَوَّلِ وَ هُوَ كَاللَّهُ حُدَّهُ لَكِنَّهُ أَخْرَجَهُ عَلَى بَابِ إِضَافَةِ الصِّفَةِ إِلَى الْمَوْصُوفِ كَقَوْلِهِمْ عَلَيْهِ سَحَقٌ عِمَامَةٌ وَ جَرْدٌ قَطِيفَةٌ وَ أَخْلَاقٌ ثِيَابٌ . قَوْلُهُ وَ الْمَجْلِبُ بِخَيْلِهِ وَ رَجُلُهُ الْمَجْلِبُ اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ أَجْلِبَ عَلَيْهِمْ أَيْ أَعَانَ عَلَيْهِمْ . وَ الرَّجُلُ جَمْعُ رَاجِلٍ كَالرَّكْبِ جَمْعُ رَاكِبٍ وَ الشَّرْبُ جَمْعُ شَارِبٍ وَ هَذَا مِنْ أَلْفَاظِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ وَ أَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَ رَجَلِكَ . -قُرْآن- ٢٥٨-٢٩١-قُرْآن- ٣٨٢-٤١٤-قُرْآن- ٨٢٩-٨٦٨ [صفحة ١٧٧] وَ أَشْرَطَ نَفْسَهُ أَيْ هَيَّأَهَا وَ أَعَدَّهَا لِلْفُسَادِ فِي الْأَرْضِ . وَ أَوْبَقَ دِينَهُ أَهْلَكَهُ وَ الْحَطَامُ الْمَالُ وَ أَصْلُهُ مَا تَكْسَرُ مِنَ الْبَيْسِ . يَنْتَهِزُهُ يَخْتَلِسُهُ . وَ الْمَقْنَبُ خَيْلٌ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِينَ إِلَى الْأَرْبَعِينَ . وَ يَفْرَعُهُ يَعْلُوهُ وَ طَامَنُ مِنْ شَخْصِهِ أَيْ خَفِضَ وَ قَارَبُ مِنْ خَطْوِهِ لَمْ يَسْرِعْ وَ مَشَى رَوِيدًا . وَ شَمْرُ مِنْ ثَوْبِهِ قَصْرُهُ وَ زَخْرَفُ مِنْ نَفْسِهِ حَسَنٌ وَ نَمَقٌ وَ زَيْنٌ وَ الزَّخْرَفُ الذَّهَبُ فِي الْأَصْلِ . وَ ضُمُولُهُ نَفْسُهُ حَقَارَتُهَا وَ النَّادِ الْمَنْفَرْدِ وَ الْمَكْعُومُ مِنْ كَعَمَتِ الْبَعِيرِ إِذَا شَدَّدَتْ فَمَهُ وَ الْأَجَاجُ الْمَلْحُ . وَ أَفْوَاهُهُمْ ضَامِرَةٌ بِالزَّيِّ أَيْ سَاكِنَةٌ قَالَ بَشْرُ بْنُ أَبِي خَازِمٍ لَقَدْ ضَمَزَتْ بِجَرَّتِهَا سَلِيمٌ || مَخَافَتُنَا كَمَا ضَمَزَ الْحَمَارُ . وَ الْقَرْظُ وَرَقُ السَّلْمِ يَدْبَغُ بِهِ وَ حَثَالَتُهُ مَا يَسْقُطُ مِنْهُ . وَ الْجَلْمُ الْمَقْصُ تَجْزُ بِهِ أَوْ بَارِ الْإِبِلِ وَ قَرَاضِيَتُهُ مَا يَقَعُ مِنْ قَرْضِهِ وَ قَطْعُهُ . فَإِنْ قِيلَ بَيْنَا لَنَا تَفْصِيلُ هَذِهِ الْأَقْسَامِ الْأَرْبَعَةَ قِيلَ الْقِسْمُ الْأَوَّلُ مَنْ يَقْعُدُ بِهِ عَنِ طَلْبِ الْإِمْرَةِ قَلَهُ مَالَهُ وَ حَقَارَتَهُ فِي نَفْسِهِ . وَ الْقِسْمُ الثَّانِي مَنْ يَشْمُرُ وَيَطْلُبُ الْإِمَارَةَ وَيُفْسِدُ فِي الْأَرْضِ وَيُكَاشِفُ . وَ الْقِسْمُ الثَّلَاثُ مَنْ يَظْهَرُ نَامُوسَ الدِّينِ وَيَطْلُبُ بِهِ الدُّنْيَا . وَ الْقِسْمُ الرَّابِعُ مَنْ لَا مَالَ لَهُ أَصْلًا وَ لَا يَكْشِفُ وَيَطْلُبُ الْمُلْكَ وَ لَا يَطْلُبُ الدُّنْيَا [صفحة ١٧٨] بِالرِّيَاءِ وَ النَّامُوسُ بَلْ تَنْقَطِعُ أَسْبَابُهُ كُلُّهَا فَيَخْلُدُ إِلَى الْقِنَاعَةِ وَ يَتَحَلَّى بِحَلِيَّةِ الزَّهَادَةِ فِي اللَّذَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ لِأَطْلَابِهَا لِلدُّنْيَا بَلْ عَجَزَا عَنِ الْحَرَكَةِ فِيهَا وَ لَيْسَ بِزَاهِدٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ . فَإِنْ قِيلَ فَهَاهُنَا قِسْمٌ خَامِسٌ قَدْ ذَكَرَهُ وَ هُمْ الْأَيْبَرُ الْأَتْقِيَاءُ الَّذِينَ أَرَأَقَ دُمُوعَهُمْ خَوْفَ الْآخِرَةِ . قِيلَ إِنَّهُ عَ إِنَّمَا قَالَ إِنْ النَّاسُ عَلَى أَرْبَعَةٍ أَصْنَافٍ وَعَنَى بِهِمْ مِنْ عَدَا الْمُتَّقِينَ وَ لِهَذَا قَالَ لِمَا نَقَضَى التَّقْسِيمَ وَ بَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ ذَكَرَ الْمَرْجِعَ فَأَبَانَ بِذَلِكَ عَنِ أَنْ هُوَ لَاءُ خَارِجُونَ عَنِ الْأَقْسَامِ الْأَرْبَعَةَ

واعلم أن هذه الخطبة تتضمن الظم الكثر لمن يدعى الآخرة من أهل زماننا وهم أهل الرباء والنفاق ولا بسوا الصوف والثياب المرقوعة لغير وجه الله . وقد ورد فى ذم الرباء شىء كثير وقد ذكرنا بعض ذلك فيما تقدم . و من الآيات الواردة فى ذلك قوله تعالى يُرَأُونَ النَّاسَ وَ لا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا . ومنها قوله تعالى فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَ لا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا . -قرآن- ٢٥٥-٣٠٩-قرآن- ٣٣٠-٤٢٦ [صفحه ١٧٩] ومنها قوله تعالى إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَ لا شُكُورًا . ومنها قوله تعالى الَّذِينَ هُمْ عَنِ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَأُونَ وَ يَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ -قرآن- ٢٠-٩١-قرآن- ١١٢-١٩١ و من الأخبار النبوية قوله ص و قد سأله رجل يا رسول الله فىم النجاء فقال ألا تعمل بطاعة الله و تريد بها الناس -رواية- ١-٢-رواية- ٣٣-١١٩ و فى الحديث من رأى رأى الله به و من سمع سمع الله به -رواية- ١-٢-رواية- ١٦-٦٧ و فى الحديث أن الله تعالى يقول للملائكة إن هذا العمل لم يرد صاحبه به وجهى فاجعلوه فى سجين -رواية- ١-٢-رواية- ١٦-١٠٣ و قال ص إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا و ما الشرك الأصغر يا رسول الله قال الرباء يقول الله تعالى إذا جازى العباد بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراءونهم فى الدنيا فاطلبوا جزاءكم منهم -رواية- ١-٢-رواية- ١٣-٢١٣ و فى حديث شداد بن أوس رأيت النبى ص يبكى فقلت يا رسول الله ما يبكيك فقال إنى تخوفت على أمتى الشرك أما إنهم لا يعبدون صنما و لا شمسا و لا قمرا ولكنهم يراءون بأعمالهم -رواية- ١-٢-رواية- ٢٧-١٨٠ و رأى عمر رجلا يتخضع و يطأطأ رقبتة فى مشيته فقال له يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع فى الرقاب . و رأى أبو أمامة رجلا فى المسجد يبكى فى سجوده فقال له أنت أنت لو كان هذا فى بيتك . [صفحه ١٨٠] و قال على ع للمرائى أربع علامات يكسل إذا كان وحده و ينشط إذا كان فى الناس و يزيد فى العمل إذا أتى عليه و ينقص منه إذا لم يثن عليه -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-١٤٨ و قال رجل لعبد بن الصامت أقاتل بسيفى فى سبيل الله أريد به وجهه و محمده الناس قال لا شىء لك فسأله ثلاث مرات كل ذلك يقول لا شىء لك ثم قال فى الثالثة يقول الله تعالى أنا أغنى الأغنياء عن الشرك الحديث . و ضرب عمر رجلا بالدره ثم ظهر له أنه لم يأت جرما فقال له اقتص منى فقال بل أدعها لله و لك قال ما صنعت شيئا إما أن تدعها لى فأعرف ذلك لك أو تدعها لله وحده . و قال الحسن لقد صحبت أقواما إن كان أحدهم لتعرض له الكلمه لونطق بهالنفعتة و نفعت أصحابه ما يمنعه منها إلا مخافة الشهرة و إن كان أحدهم ليمر فىرى الأذى على الطريق فما يمنعه أن ينحيه إلا مخافة الشهرة . و قال الفضيل كانوا يراءون بما يعملون و صاروا اليوم يراءون بما لا يعملون . و قال عكرمة إن الله تعالى يعطى العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله لأن النية لارياء فيها . و قال الحسن المرائى يريد أن يغلب قدر الله تعالى هو رجل سوء يريد أن يقول الناس هذا صالح وكيف يقولون و قد حل من ربه محل الأردناء فلا بد لقلوب المؤمنين أن تعرفه . و قال قتادة إذا رأى العبد قال الله تعالى لملائكته انظروا إلى عبدى يستهزئ بى . و قال الفضيل من أراد أن ينظر مرائيا فلينظر إلى [صفحه ١٨١] و قال محمد بن المبارك الصورى أظهر السمى بالليل فإنه أشرف من سمى بالنهار فإن سمى النهار للمخلوقين و سمى الليل لرب العالمين . و قال ابراهيم بن أدهم ما صدق الله من أحب أن يشتهر . و من الكلام المعزوف إلى عيسى ابن مريم ع إذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن رأسه و لحيته و ليمسح شفتيه لئلا يعلم الناس أنه صائم و إذا أعطى بيمينه فليخف عن شماله و إذا صلى فليرخ ستر بابه فإن الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق -رواية- ١-٢-رواية- ٤٦-٢٣٩ . و من كلام بعض الصالحين آخر ما يخرج من رءوس الصديقين حب الرئاسة . و روى أنس بن مالك عن رسول الله ص أنه قال يحسب المرء من الشر إلا- من عصمه الله من السوء أن يشير الناس إليه بالأصابع فى دينه و دنياه إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم و أعمالكم -رواية- ١-٢-رواية- ٥٢-٢٠٨ و قال على ع تبذل لاشتهر و لا ترفع شخصك لتذكر بعلم و اسكت و اصمت تسلم تسر الأبرار و تغيب الفجار -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-١٠٥ و كان خالد بن معدان إذا كثرت حلقتة قام مخافة الشهرة . و رأى طلحة بن مصرف قوما يمشون معه نحو عشرة فقال فراش نار و ذبان طمع . و قال سليمان بن حنظلة بينا نحن حوالى أبى بن كعب

نمشى إذ رآه عمر فعلاه بالدره و قال له انظر من حولك إن أذى أنت فيه ذلة للتابع فتنه للمتبوع . وخرج عبد الله بن مسعود من منزله فاتبعه قوم فالتفت إليهم و قال علام تتبعوننى فو الله لو تعلمون منى ما أعلق عليه بابى لماتبغى منكم اثنان . و قال الحسن خفق النعال حول الرجال مما يثبت عليهم قلوب الحمقى . [صفحه ١٨٢] وروى أن رجلا صحب الحسن فى طريق فلما فارقه قال أوصنى رحمك الله قال إن استطعت أن تعرف و لا تعرف و تمشى و لا يمشى إليك و تسأل و لا تسأل فافعل . وخرج أيوب السخيتانى فى سفر فشيعة قوم فقال لو لأنى أعلم أن الله يعلم من قلبى أنى لهذا كاره لخشيت المقت من الله . و عوتب أيوب على تطويل قميصه فقال إن الشهرة كانت فيما مضى فى طوله وهى اليوم فى قصره . و قال بعضهم كنت مع أبى قلابه إذ دخل رجل عليه كساء فقال إياكم و هذا الحمار الناهق يشير به إلى طالب شهرة . و قال رجل لبشر بن الحارث أوصنى فقال أخمل ذكرك و طيب مطعمك . و كان حوشب يبكى و يقول بلغ اسمى المسجد الجامع . و قال بشر ما أعرف رجلا أحب أن يعرف إلاذهب دينه و افضح . و قال أيضا لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس . فهذه الآثار قليل مما ورد عن الصالحين رحمهم الله فى ذم الرياء و كون الشهرة طريقا إلى الفتنة

فصل فى مدح الخمول و الجنوح إلى العزلة

و قد صرح أمير المؤمنين ع فى مدح الأبرار و هم القسم الخامس بمدح الخمول فقال قد أخملتهم التقيّة يعنى الخوف . و قد ورد فى الأخبار و الآثار شىء كثير فى مدح الخمول . قال رسول الله ص رب أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له -رواية ١-٢-رواية ٢٣-ادامه دارد [صفحه ١٨٣] لو أقسم على الله لأبر قسمه -رواية ٣٢-از قبل ٣٢ و فى رواية ابن مسعود رب ذى طمرين لا يؤبه له و لو سأل الجنة لأعطيها -رواية ١-٢-رواية ٢٤-٧٤ و فى الحديث أيضا عنه ص ألا أدلكم على أهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبره ألا أدلكم على أهل النار كل متكبر جواظ -رواية ١-٢-رواية ٢٩-١٣٨ و عنه ص أن أهل الجنة الشعث الغبر الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم و إذا خطبوا لم ينكحوا و إذا قالوا لم ينصت لهم حوائج أحدهم تتلجلج فى صدره لو قسم نورهم يوم القيامة على الناس لو سعهم -رواية ١-٢-رواية ١٣-٢٠٨ و روى أن عمر دخل المسجد فإذا بمعاذ بن جبل يبكى عند قبر رسول الله ص فقال ما يبكيك قال سمعت رسول الله ص يقول إن اليسير من الرياء لشرك و إن الله يحب الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا و إذا حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصايح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة -رواية ١-٢-رواية ٩-٢٧٨ و قال ابن مسعود كونوا يبايع العلم مصايح الهدى أحلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب تعرفون عند أهل السماء و تخفون عند أهل الأرض -رواية ١-٢-رواية ٢٠-١٥٧ و فى حديث أبى أمامة يرفعه قال الله تعالى إن أغبط أوليائى لعبد مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة و قد أحسن عبادة ربه و أطاعه فى السر و كان غامضا فى الناس لا يشار إليه بالأصابع -رواية ١-٢-رواية ٣١-١٨٦ و فى الحديث السعيد من خمل صيته و قل ترائه و سهلت منيته و قلت بواكيه -رواية ١-٢-رواية ١٦-٧٧ [صفحه ١٨٤] و قال الفضيل روى لى أن الله تعالى يقول فى بعض ما يمين به على عبده ألم أنعم عليك ألم أسترک ألم أخمل ذكرک -رواية ١-٢-رواية ١٧-١٢٤ و كان الخليل بن أحمد يقول فى دعائه اللهم اجعلنى عندك من أرفع خلقك واجعلنى عند نفسى من أوضع خلقك واجعلنى عند الناس من أوسط خلقك و قال ابراهيم بن أدهم ماقرت عينى ليلة قط فى الدنيا لإمرة بت ليلة فى بعض مساجد قرى الشام و كان بى علة البطن فجرنى المؤذن برجلى حتى أخرجنى من المسجد . و قال الفضيل إن قدرت على ألا تعرف فافعل و ما عليك ألا تعرف و ما عليك ألا يثنى عليك و ما عليك أن تكون مذموما عند الناس إذا كنت محمودا عند الله تعالى . فإن قيل فما قولك فى شهرة الأنبياء و الأئمة ع و أكابر الفقهاء

المجتهدين قيل إن المذموم طلب الشهرة فأما وجودها من الله تعالى من غير تكلف من العبد ولا طلب فليس بمذموم بل لا بد من وجود إنسان يشتهر أمره فإن بطريقه ينصلح العالم ومثال ذلك الغرقى الذين بينهم غريق ضعيف الأولى به ألا يعرفه أحد منهم لئلا يتعلق به فيهلك ويهلكوا معه فإن كان بينهم صاحب قوى مشهور بالقوة فالأولى ألا يكون مجهولا بل ينبغي أن يعرف ليتعلقوا به فينجو هو ويتخلصوا من الغرق بطريقه [صفحة ١٨٥]

٣٣- ومن خطبة له ع

إشارة

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ دَخَلْتُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِدِي قَارٍ وَهُوَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ فَقَالَ لِي مَا قِيمَةُ هَذَا النَّعْلِ فَقُلْتُ لَا قِيمَةَ لَهَا فَقَالَ وَاللَّهِ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِمْرَتِكُمْ إِلَّا أَنْ أُقِيمَ حَقًّا أَوْ أَدْفَعَ بَاطِلًا ثُمَّ خَرَجَ فَخَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَاحِبًا وَ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابًا وَلَا يَدْعِي بُتُوَّةَ فَسَاقِ النَّاسِ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ وَ بَلَّغَهُمْ مَنَاجِيَتَهُمْ فَاسْتَقَامَتِ قَنَاتُهُمْ وَ اطْمَأَنَّتْ صَفَاتُهُمْ أَمِيًّا وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَفِي سَاقَتِهَا حَتَّى وَلَّتْ بِحِذَائِهَا مَيًّا ضَعُفْتُ وَ لَا جُنْتُ وَ إِنْ مَسِيرِي هَذَا لِمِثْلِهَا فَلَأَنْقُبَنَّ الْبَاطِلَ حَتَّى يَخْرُجَ الْحَقُّ مِنْ جَنِبِهِ مَيًّا لِي وَ لِقُرَيْشٍ وَ لِلَّهِ لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ كَافِرِينَ وَ لَأَقَاتِلَنَّهُمْ مُفْتُونِينَ وَ إِنِّي لَصَاحِبُهُمْ بِالْأَمْسِ كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمْ الْيَوْمَ وَ لِلَّهِ مَيًّا تَنْقِمُ مِنِّي قُرَيْشٌ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ اخْتَارَنَا عَلَيْهِمْ فَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي حَيْرِنَا فَكَانُوا كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ أَدَمْتُ لِعَمْرِي شُرْبَكَ الْمَحْضَ صَاحِبًا || وَ أَكَلَكِ بِالزَّبَدِ الْمُقَشَّرَةَ الْبُجْرَا وَ نَحْنُ وَهَبْنَاكَ الْعَلَاءَ وَ لَمْ تَكُنْ || عَلِيًّا وَ حُطْنَا حَوْلَكَ الْجُرْدَ وَ السَّمْرَا [صفحة ١٨٦] ذو قار موضع قريب من البصرة وهو المكان الذي كانت فيه الحرب بين العرب والفرس ونصرت العرب على الفرس قبل الإسلام . ويخصف نعله أي يخرزها . وبوأهم محلتهم أسكنهم منزلهم أي ضرب الناس بسيفه على الإسلام حتى أوصلهم إليه ومثله وبلغهم منجاتهم إلا- أن في هذه الفاصلة ذكر النجاة مصرحا به . فاستقامت قناتهم استقاموا على الإسلام أي كانت قناتهم معوجهة فاستقامت . واطمأنت صفاتهم كانت متقلقلة متزلزلة فطمأنت واستقرت . وهذه كلها استعارات . ثم أقسم أنه كان في ساقتها حتى تولت بحذافيرها الأصل في ساقتها أن يكون جمع سائق كحائض وحاضة وحائك وحاكه ثم استعملت لفظه الساقفة للأخير لأن السائق إنما يكون في آخر الركب أو الجيش . وشبهه ع أمر الجاهلية إما بعجاجة ثائرة أوبكتيبة مقبله للحرب فقال إنني طردتها فولت بين يدي ولم أزل في ساقتها أنا أطردها وهي تنطرد أمامي حتى تولت بأسرها ولم يبق منها شيء ماعجزت عنها ولا جنت منها . ثم قال و إن مسيري هذا المثلها فلأنقبن الباطل كأنه جعل الباطل كشيء قد اشتمل على الحق واحتوى عليه وصار الحق في طيه كالشيء الكامن المستتر فيه فأقسم لينقبن ذلك الباطل إلى أن يخرج الحق من جنبه وهذا من باب الاستعارة أيضا . [صفحة ١٨٧] ثم قال لقد قاتلت قريشا كافرين ولأقاتلنهم مفتونين لأن الباغي على الإمام مفتون فاسق . وهذا الكلام يؤكد قول أصحابنا إن أصحاب صفين والجمال ليسوا بكفار خلافا للإمامية فإنهم يزعمون أنهم كفار

خبر يوم ذي قار

روى أبو مخنف عن الكلبي عن أبي صالح عن زيد بن علي عن ابن عباس قال لما نزلنا مع علي ع ذا قار قلت يا أمير المؤمنين ما أفل من يأتيك من أهل الكوفة فيما أظن فقال والله ليأتيني منهم ستة آلاف وخمسمائة وستون رجلا لا يزيدون ولا ينقصون -

روایت-۱-۲-روایت-۷۶-۲۵۰. قال ابن عباس فدخلني و الله من ذلك شك شديد في قوله و قلت في نفسي و الله إن قدموا لأعدنهم . قال أبو مخنف فحدث ابن إسحاق عن عمه عبدالرحمن بن يسار قال نفر إلى علي ع إلى ذي قار من الكوفة في البحر والبر ستة آلاف وخمسائة وستون رجلاً أقام على بذي قار خمسة عشر يوماً حتى سمع صهيل الخيل وشحيح البغال حوله قال فلما سار بهم منقله قال ابن عباس و الله لأعدنهم فإن كانوا كما قال و إلا أتممتهم من غيرهم فإن الناس قد كانوا سمعوا قوله قال فعرضتهم فو الله ما وجدتهم يزيدون رجلاً و لا ينقصون رجلاً فقلت الله أكبر صدق الله ورسوله ثم سرنا. قال أبو مخنف و لما بلغ حذيفة بن اليمان أن علياً قد قدم ذا قار واستنفر الناس دعا [صفحة ۱۸۸] أصحابه فوعظهم وذكرهم الله وزهدهم في الدنيا و رغبهم في الآخرة و قال لهم الحقوا بأمر المؤمنين ووصى سيد المرسلين فإن من الحق أن تنصروه و هذا الحسن ابنه وعمار قد قدما الكوفة يستنفران الناس فانفروا. قال فنفر أصحاب حذيفة إلى أمير المؤمنين ومكث حذيفة بعد ذلك خمس عشرة ليلة و توفي رحمه الله تعالى قال أبو مخنف و قال هاشم بن عتبة المرقال يذكر نفورهم إلى علي ع و سرنا إلى خير البرية كلها || على علمنا أنا إلى الله نرجع نوقره في فضله و نجله || و في الله مانرجو و ما نتوقع و نخصف أخفاف المطى على الوجا || و في الله مانزجي و في الله نوضع دلفنا بجمع آثروا الحق والهدى || إلى ذي قار في نصره نتسرع نكافح عنه و السيف شهيرة || تصافح أعناق الرجال فتقطع . قال أبو مخنف فلما قدم أهل الكوفة على علي ع سلموا عليه وقالوا الحمد لله يا أمير المؤمنين الذي اختصنا بموازرتك و أكرمنا بنصرتك قد أجبناك طائعين غير مكرهين فمرنا بأمرك . قال فقام فحمد الله و أثنى عليه و صلى على رسوله و قال مرحباً بأهل الكوفة بيوتات العرب و وجوهها و أهل الفضل و فرسانها و أشد العرب مودة لرسول الله ص و لأهل بيته و لذلك بعثت إليكم و استصخرتكم عند نقض طلحة و الزبير بيعتي عن غير جور مني و لا حدث و لعمرى لو لم تنصروني بأهل الكوفة لرجوت أن يكفيني الله غوغاء الناس و طعام أهل البصرة مع أن عامة من بها و وجوهها و أهل الفضل و الدين قد اعترلوا و رغبوا عنها -روایت-۱-۲-روایت-۸-۴۱۸ فقام رءوس القبائل فخطبوا و بذلوا له النصر فأمرهم بالرحيل إلى البصرة [صفحة ۱۸۹]

۳۴- و من خطبه له ع في استنفر الناس إلى أهل الشام

إشاره

أَفْ لَكُمْ لَقَدْ سَيِّئْتُ عِتَابَكُمْ أَرْضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ عِوَضًا وَ بِالذَّلِّ مِنَ الْعِزِّ خَلْفًا إِذَا دَعَوْتُكُمْ إِلَى جِهَادٍ عَدُوَّكُمْ دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَوْتِ فِي غَمْرِهِ وَ مِنَ الدُّهُولِ فِي سَيِّكْرِهِ يُرْتَجَّ عَلَيْكُمْ حِوَارِي فَتَعَمَّهُونَ فَكَأَنَّ قُلُوبَكُمْ مَأْلُوسَةٌ فَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ مَا أَنْتُمْ لِي بِنِقْمَةٍ سَيِّجِسَ اللَّيَالِي وَ مَا أَنْتُمْ بِرُكْنِ يَمَالِ بَيْتِكُمْ وَ لَا زَوَافِرٍ عَزَّ يُفْتَقَرُ إِلَيْكُمْ مَا أَنْتُمْ إِلَّا كِبَابِلٌ ضَلَّ رِعَاتُهَا فَكُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ حِجَابٍ انْتَشَرَتْ مِنْ آخِرِ لَيْسَ لَعَمْرُ اللَّهِ سِعْرُ نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ تُكَادُونَ وَ لَا تَكِيدُونَ وَ تُنْتَقِصُ أَطْرَافُكُمْ فَلَا تَمْتَعِضُونَ لَا يُنَامُ عَنْكُمْ وَ أَنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ سَاهُونَ غَلَبَ وَ اللَّهُ الْمُتَخَذِلُونَ وَ أَيُّمُ اللَّهِ إِنِّي لَأُظَنَّ بِكُمْ أَنْ لَوْ حَمَسَ الْوَعْيُ وَ اسْتَحْرَجَ الْمَوْتَ قَدِ انْفَرَجْتُمْ عَيْنِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ انْفِرَاجَ الرَّأْسِ وَ اللَّهُ إِنْ أَمْرًا يُمَكِّنُ عِدْوَهُ مِنْ نَفْسِهِ يَعْرِقُ لَحْمَهُ وَ يَهْشِمُ عَظْمَهُ وَ يَفْرِي جِلْدَهُ لَعَظِيمٌ عَجْزُهُ ضَعِيفٌ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ جِوَارِحُ صِدْرِهِ أَنْتَ فَكُنْ ذَاكَ إِنْ شِئْتُمْ فَأَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ دُونَ أَنْ أُعْطِيَ ذَلِكَ ضَرْبٌ بِالْمَشْرِفِيهِ تَطِيرُ مِنْهُ فَرَّاشُ الْهَيَامِ وَ تَطِيحُ السَّوَاعِدُ وَ الْأَقْدَامُ وَ يَفْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يَشَاءُ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا وَ لَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالْنَّصِيحَةُ [صفحة ۱۹۰] لَكُمْ وَ تَوْفِيرُ فَيْتِكُمْ عَلَيْكُمْ وَ تَعْلِيمُكُمْ كَيْلًا تَجْهَلُوا وَ تَأْدِيبُكُمْ كَيْمًا تَعْلَمُوا وَ أَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ وَ النَّصِيحَةُ فِي الْمَشْهَدِ وَ الْمَغِيبِ وَ الْإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ وَ الطَّاعَةُ حِينَ آمُرُكُمْ أَفْ لَكُمْ كَلِمَةُ اسْتِقْدَارٍ وَمَهَانَةٌ وَ فِيهَا لَغَاتٌ

ويرتج يغلق والحوار المحاوره والمخاطبه وتعمهون من العمه و هوالتحير والتردد الماضى عمه بالكسر. و قوله دارت أعينكم من قوله تعالى يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ و من قوله تَدَوَّرُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ. وقلوبكم مألوسه من الألس بسكون اللام و هوالجنون واختلاط العقل . قوله ماأنتم لى بثقه سجيس الليالى كلمه تقال للأبد تقول لأفعله سجيس الليالى وسجيس عجيس وسجيس الأوجس معنى ذلك كله الدهر والزمان وأبدا. قوله ماأنتم بركن يمال بكم أى لستم بركن يستند إليكم ويمال على العدو بعزكم وقوتكم . قوله ولازوافر عزجمع زافره وزافره الرجل أنصاره وعشيرته ويجوز أن يكون زوافر عز أى حوامل عززفت الجمل أزفره زفرا أى حملته . قوله سعر نار الحرب جمع ساعر كقولك قوم كظم للغيظ جمع كاظم -قرآن- ١٧٨-٢٣٤-قرآن- ٢٤٧-٣٠١ [صفحه ١٩١] و تمتعضون تأنفون وتغضبون وحمس الوغى اشتد وأصل الوغى الصوت والجلبه ثم سميت الحرب نفسها وغى لما فيها من الأصوات والجلبه واستحر الموت أى اشتد. و قوله انفرجتم انفراج الرأس أى كماينفلق الرأس فيذهب نصفه يمنه ونصفه شامه والمشرفيه السيوف المنسوبه إلى مشارف وهى قرى من أرض العرب تدنو من الريف و لايقال مشارفى كما لايقال جعفرى لمن ينسب إلى جعفر. وفراش الهام العظام الخفيفه تلى القحف . و قال الراوندى فى تفسير قوله انفراج الرأس أراد به انفرجتم عنى رأسا أى قطعاً وعرفه بالألف واللام و هذا غير صحيح لأن رأسا لايعرف قال و له تفسير آخر أن يكون المعنى انفراج رأس من أدنى رأسه إلى غيره ثم حرف رأسه عنه . و هذا أيضاً غير صحيح لأنه لاخصوصية للرأس فى ذلك فإن اليد و الرجل إذاأدنيتهما من شخص ثم حرفتهما عنه فقد انفرج ما بين ذلك العضو وبينه فأى معنى لتخصيص الرأس بالذكر.فأما قوله أنت فكن ذاك فإنه إنما خاطب من يمكن عدوه من نفسه كائنا من كان غير معين و لا مخصص ولكن الروايه وردت بأنه خاطب بذلك الأشعث بن قيس فإنه روى أنه قال له ع و هو يخطب ويلوم الناس على تشيظهم وتقاعدهم هلا- فقلت فعل ابن عفان فقال له إن فعل ابن عفان لمخزاه على من لادين له و لاوثيقه معه إن امرأ أمكن عدوه من نفسه يهشم عظمه ويفرى جلده لضعيف رأيه مأفون عقله أنت فكن ذاك إن أحببت فأما أنافدون أن أعطى ذاك ضرب بالمشرفيه الفصل . [صفحه ١٩٢] ويمكن أن تكون الروايه صحيحه والخطاب عام لكل من أمكن من نفسه فلانفاة بينهما. و قدنظمت أنا هذه الألفاظ فى أبيات كتبها إلى صاحب لى فى ضمن مكتوب اقتضاها وهى إن امرأ أمكن من نفسه || عدوه يجدهم آرابه لايدفع الضيم و لاينكر الذل || و لا يحصن جلبابه لفائل الرأى ضعيف القوى || قدصرم الخذلان أسبابه أنت فكن ذاك فإنى امرؤ || لا يهرب الخطب إذانابه إن قال دهر لم يطع أو شحا || له فم أدرد أنيابه أوسامه الخسف أبى وانتضى || دون مرام الخسف قرضابه أخزر غضبان شديد السطا || يقدر أن يترك مارابه .خطب أمير المؤمنين ع بهذه الخطبه بعد فراغه من أمر الخوارج و قد كان قام بالنهروان فحمد الله وأثنى عليه و قال أما بعد فإن الله قد أحسن نصركم فتوجهوا من فوركم هذا إلى عدوكم من أهل الشام .فقاموا إليه فقالوا يا أمير المؤمنين نفدت نبالنا و كلت سيوفنا وانصلت أسننه رماحنا وعاد أكثرها قصدا ارجع بنا إلى مصرنا نستعد بأحسن عدتنا ولعل أمير المؤمنين يزيد فى عددنا مثل من هلك منا فإنه أقوى لنا على عدونا. [صفحه ١٩٣] فكان جوابه ع ياقوم ادخلوا الأرض المقدسه التى كتب الله لكم و لا تترددوا على أدباركم فتقلبوا خاسرين .فتلكثوا عليه وقالوا إن البرد شديد. فقال إنهم يجدون البرد كما تجدون فتلكثوا وأبوا فقال أف لكم إنها سنه جرت ثم تلا قوله تعالى قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين و إننا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون.فقام منهم ناس فقالوا يا أمير المؤمنين الجراح فاشيه فى الناس و كان أهل النهروان قد أكثروا الجراح فى عسكر أمير المؤمنين ع فارجع إلى الكوفه فأقم بها أياما ثم اخرج خار الله لك فرجع إلى الكوفه عن غير رضا -قرآن- ٢٣٨-٣٦٦

وروى نصر بن مزاحم عن عمر بن سعد عن نمير بن وعلة عن أبي وداك قال لما كره القوم المسير إلى الشام عقيب واقعة النهروان أقبل بهم أمير المؤمنين فأنزلهم النخيلة وأمر الناس أن يلزموا معسكرهم ويوطنوا على الجهاد أنفسهم و أن يقلوا زيارة النساء وأبنائهم حتى يسير بهم إلى عدوهم و كان ذلك هو الرأى لوفعلوه لكنهم لم يفعلوا وأقبلوا يتسللون ويدخلون الكوفة فتركوه ع ومامعه من الناس إلا رجال من وجوههم قليل وبقى المعسكر خاليا فلا من دخل الكوفة خرج إليه و لا من أقام معه صبر فلما رأى ذلك دخل الكوفة. [صفحة ١٩٤] قال نصر بن مزاحم فخطب الناس بالكوفة وهى أول خطبة خطبها بعد قدمه من حرب الخوارج فقال أيها الناس استعدوا لقتال عدو في جهادهم القربة إلى الله عز و جل ودررك الوسيلة عنده قوم حيارى عن الحق لا يبصرونه موزعين بالجور والظلم لا يعدلون به جفاة عن الكتاب نكب عن الدين يعمهون فى الطغيان ويتسكعون فى غمرة الضلال فأعدوا لهم ما استطعتم من قوة و من رباط الخيل وتوكلوا على الله وكفى بالله وكيلا -رواية ١-٢-رواية ٩٥-٤٣٠. قال فلم ينفروا و لم ينشروا فتركهم أياما ثم خطبهم فقال أف لكم لقد سئمت عتابكم أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضا الفصل الذى شرحناه آنفا إلى آخره وزاد فيه أتم أسود الشرى فى الدعوة و ثعالب رواعه حين البأس إن أخوا الحرب اليقظان ألا إن المغلوب مقهور ومسلوب . وروى الأعمش عن الحكم بن عتيبة عن قيس بن أبى حازم قال سمعت عليا ع على منبر الكوفة و هو يقول يا أبناء المهاجرين انفروا إلى أئمة الكفر وبقية الأحزاب وأولياء الشيطان انفروا إلى من يقاتل على دم حمال الخطايا فو الله الذى فلق الحبة وبرأ النسمة إنه ليحمل خطاياهم إلى يوم القيامة لا ينقص من أوزارهم شيئا -رواية ١-٢-رواية ١٠٣-٣٢١. قلت هذا قيس بن أبى حازم و هو الذى روى حديث إنكم لترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لانضمامون فى رؤيته و قد طعن مشايخنا المتكلمون فيه وقالوا إنه فاسق و لا تقبل روايته لأنه قال إنى سمعت عليا يخطب على منبر الكوفة [صفحة ١٩٥] و يقول انفروا إلى بقية الأحزاب فأبغضته ودخل بغضه فى قلبى و من يبغض عليا ع لا تقبل روايته . فإن قيل فما يقول مشايخكم فى قوله ع انفروا إلى من يقاتل على دم حمال الخطايا أليس هذا طعنا منه ع فى عثمان قيل الأشهر الأكثر فى الرواية صدر الحديث و أماعجز الحديث فليس بمشهور تلك الشهرة و إن صح حملناه على أنه أراد به معاوية وسمى ناصريه مقاتلين على دمه لأنهم يحامون عن دمه و من حامى عن دم إنسان فقد قاتل عليه . وروى أبو نعيم الحافظ قال حدثنا أبو عاصم الثقفى قال جاءت امرأة من بنى عبس إلى علي ع و هو يخطب بهذه الخطبة على منبر الكوفة فقالت يا أمير المؤمنين ثلاث بلبن القلوب عليك قال و ما هن و يحك قالت رضاك بالقضية وأخذك بالدنية وجزعك عند البلية فقال إنما أنت امرأة فاذهبى فاجلسى على ذيلك فقالت لا و الله ما من جلوس إلا تحت ظلال السيوف . وروى عمرو بن شمر الجعفى عن جابر عن رفيع بن فرقد البجلي قال سمعت عليا ع يقول يا أهل الكوفة لقد ضربتكم بالدرة التى أعظ بها السفهاء فما أراكم تنتهون ولقد ضربتكم بالسياط التى أقيم بها الحدود فما أراكم ترعون فلم يبق إلا أن أضربكم بسيفى وإنى لأعلم ما يقومكم ولكنى لأحب أن ألى ذلك منكم و أ عجباً لكم ولأهل الشام أميرهم يعصى الله وهم يطيعونه وأميركم يطيع الله وأنتم تعصونه و الله لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفى هذا على أن يبغضنى ما أبغضنى و لو سقت الدنيا بحذافيرها إلى الكافر لما أحبنى و ذلك أنه قضى ما قضى على لسان النبى الأمى أنه لا يبغضنى -رواية ١-٢-رواية ٨٦-١٨٦-رواية ١٩٦] مؤمن و لا يحبنى كافر و قد خاب من حمل ظلما و الله لتصبرن يا أهل الكوفة على قتال عدوكم أو ليسلطن الله عليكم قوما أتم أولى بالحق منهم فليعدنكم أتمن قتله بالسيف تحيدون إلى موته على الفراش و الله لموته على الفراش أشد من ضربة ألف سيف -رواية ١-٢-رواية ٢٥١. قلت ما أحسن قول أبى العيناء و قد قال له المتوكل إلى متى تمدح الناس وتهجوهم فقال ما أحسنوا وأساءوا و هذا أمير المؤمنين ع و هو سيد البشر بعد رسول الله ص يمدح الكوفة وأهلها عقيب الانتصار على أصحاب الجمل بما قد ذكرنا بعضه وسنذكر باقيه مدحا ليس باليسير و لا بالمستصغر و يقول للكوفة عند نظره إليها أهلا بك وبأهلك ما أرادك جبار بكيد لإقصمه الله ويشنى عليها و على أهلها حسب ذمه للبصرة

وعيبه لها ودعائه عليها و على أهلها فلما خذله أهل الكوفة يوم التحكيم وتقاعدوا عن نصره على أهل الشام وخرج منهم الخوارج ومرق منهم المراق ثم استنفرهم بعد فلم ينفروا واستصرخهم فلم يصرخوا ورأى منهم دلائل الوهن وأمارات الفشل انقلب ذلك المدح ذما و ذلك الثناء استزادة وتقريرا وتهجينا. وهذا أمر مركز في طبيعة البشر وقد كان رسول الله ص كذلك والقرآن العزيز أيضا كذلك أثنى على الأنصار لمانهضوا وذمهم لما قعدوا في غزاة تبوك فقال فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعِدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَ كَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِآيَاتِ إِلَى أَنْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَقَالَ وَ عَلَى -قرآن- ٨٥٢-٩٧٩-قرآن- ١٠١٧-١٠٢٤. قلت ما أحسن قول أبي العيناء وقد قال له المتوكل إلى متى تمدح الناس وتهجوهم فقال ما أحسنوا وأساءوا وهذا أمير المؤمنين ع وهو سيد البشر بعد رسول الله ص يمدح الكوفة وأهلها عقيب الانتصار على أصحاب الجمل بما قد ذكرنا بعضه وسنذكر باقيه مدحا ليس باليسير ولا بالمستصغر ويقول للكوفة عند نظره إليها أهلا بك وبأهلك ما أراك جبار بكيد لإقصمه الله ويشنى عليها وعلى أهلها حسب ذمه للبصرة وعيبه لها ودعائه عليها وعلى أهلها فلما خذله أهل الكوفة يوم التحكيم وتقاعدوا عن نصره على أهل الشام وخرج منهم الخوارج ومرق منهم المراق ثم استنفرهم بعد فلم يصرخوا ورأى منهم دلائل الوهن وأمارات الفشل انقلب ذلك المدح ذما و ذلك الثناء استزادة وتقريرا وتهجينا. وهذا أمر مركز في طبيعة البشر وقد كان رسول الله ص كذلك والقرآن العزيز أيضا كذلك أثنى على الأنصار لمانهضوا وذمهم لما قعدوا في غزاة تبوك فقال فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعِدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَ كَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِآيَاتِ إِلَى أَنْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَقَالَ وَ عَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلْفُوا أَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتِ الْآيَةَ -قرآن- ١-٢٩-قرآن- ٥٠-

٩٤

مناقب علي وذكر طرف من أخباره في عدله وزهده

روى علي بن محمد بن أبي سيف المدائني عن فضيل بن الجعد قال أكد الأسباب في تقاعد العرب عن أمير المؤمنين ع أمر المال فإنه لم يكن يفضل شريفا على مشروف ولا عريبا على عجمي ولا يصانع الرؤساء وأمراء القبائل كما يصنع الملووك ولا يستميل أحدا إلى نفسه و كان معاوية بخلاف ذلك فترك الناس عليا والتحقوا بمعاوية فشكا علي ع إلى الأشر تخاذل أصحابه وفرار بعضهم إلى معاوية فقال الأشر يا أمير المؤمنين إنا قاتلنا أهل البصرة بأهل البصرة و أهل الكوفة ورأى الناس واحد وقد اختلفوا بعد وتعادوا وضعفت النية وقل العدد و أنت تأخذهم بالعدل وتعمل فيهم بالحق وتنصف الوضيع من الشريف فليس للشريف عندك فضل منزلة على الوضيع فضجت طائفة ممن معك من الحق إذ عموا به واغتموا من العدل إذ صاروا فيه ورأوا صنائع معاوية عند أهل الغناء والشرف فتاقت أنفس الناس إلى الدنيا وقل من ليس للدنيا بصاحب وأكثرهم يجتوى الحق ويشترى الباطل ويؤثر الدنيا فإن تبدل المال يا أمير المؤمنين تمل إليك أعناق الرجال وتنصف نصيحتهم لك وتستخلص ودهم صنع الله لك يا أمير المؤمنين وكبت أعداءك وفض جمعهم وأوهن كيدهم وشنت أمورهم إنه بما يعملون خبير فقال علي ع -رواية- ١-٢-رواية- ١٧-١٧-ادامه دارد [صفحة ١٩٨] أما ما ذكرت من عملنا وسيرتنا بالعدل فإن الله عز وجل يقول مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَ مَا رَبِّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ وَ أَنَا مِنْ أَنْ أَكُونَ مَقْصُورًا فِيمَا ذَكَرْتَ أَخُوفٌ وَ أَنَا مَا ذَكَرْتَ مِنْ أَنْ الْحَقُّ ثَقُلَ عَلَيْهِمْ فَفَارَقُونَا لِذَلِكَ فَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّهُمْ لَمْ يَفَارِقُونَا مِنْ جُورٍ وَ لَا لَجْنُوا إِذْ فَارَقُونَا إِلَى عَدْلِ وَ لَمْ يَلْتَمِسُوا إِلا دُنْيَا زَائِلَةٌ عَنْهُمْ كَأَنَّ قَدْفَارِقُونَهَا وَ لَيْسَ أَلَنْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَللَّذِي أَرَادُوا أَمْ لِلَّهِ عَمَلُوا وَ أَنَا مَا ذَكَرْتَ مِنْ بَدْلِ الْأَمْوَالِ وَ اصْطِنَاعِ الرِّجَالِ فَإِنَّهُ لَا يَسْعُنَا أَنْ نُؤْتَى أَمْرًا مِنَ الْفِيءِ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّهِ وَ قَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى وَ قَوْلُهُ الْحَقُّ كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِيهَا كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ اللَّهُ مَعَ

الصَّابِرِينَ وَ قَدَبَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا ص وَحْدَهُ فَكَثَرَهُ بَعْدَ الْقَلَّةِ وَأَعَزَّ فَتَنَهُ بَعْدَ الذَّلَّةِ وَ إِنْ يَرِدُ اللهُ أَنْ يُولِيَنَا هَذَا الْأَمْرَ يَذَلُّ لَنَا صَعْبَهُ وَيَسْهَلُ لَنَا حَزَنَهُ وَ أَنْاقِبِلَ مِنْ رَأْيِكَ مَا كَانَ لِلَّهِ عِزٌّ وَ جَلُّ رِضَا وَ أَنْتَ مِنْ آمَنَ النَّاسِ عِنْدِي وَ أَنْصَحَهُمْ لِي وَ أَوْثَقَهُمْ فِي نَفْسِي إِنْ شَاءَ اللهُ -روايته- از قبل -٩٠٠ . و ذكر الشعبي قال دخلت الرحبة بالكوفة و أنا غلام في غلمان فإذا أنا بعلي ع قائما على صبرتين من ذهب و فضة و معه مخفقة و هو يطرد الناس بمخفقتة ثم يرجع إلى المال فيقسمه بين الناس حتى لم يبق منه شيء ثم انصرف و لم يحمل إلى بيته قليلا - ولا كثيرا فرجعت إلى أبي فقلت له لقد رأيت اليوم خير الناس أو أحق الناس قال من هو يا بني قلت علي بن أبي طالب أمير المؤمنين رأيتته يصنع كذا فقصت عليه فبكي و قال يا بني بل رأيت خير الناس . [صفحة ١٩٩] و روى محمد بن فضيل عن هارون بن عنترة عن زاذان قال انطلقت مع قنبر غلام علي ع فإذا هو يقول قم يا أمير المؤمنين فقد خبأت لك خبيثا قال و ما هو ويحك قال قم معي فانطلق به إلى بيته و إذا بغيره مملوءة من جامات ذهب و فضة فقال يا أمير المؤمنين رأيتك لا تترك شيئا إلا قسمته فادخرت لك هذا من بيت المال فقال علي ع ويحك يا قنبر لقد أحببت أن تدخل بيتي نارا عظيمة ثم سل سيفه و ضربه ضربات كثيرة فانتشرت من بين إناء مقطوع نصفه و آخر ثلثه و نحو ذلك ثم دعا بالناس فقال اقسموه بالحصص ثم قام إلى بيت المال فقسم ما وجد فيه ثم رأى في البيت إبرا و مسال فقال و لتقسموا هذا فقالوا لا حاجة لنا فيه و قد كان علي ع يأخذ من كل عامل مما يعمل فضحك و قال ليؤخذن شره مع خيره -روايته- ١-٢-روايته- ٥٧-٦٩٥ . و روى عبدالرحمن بن عجلان قال كان علي ع يقسم بين الناس الأبرار و الحرف و الكمون و كذا و كذا . و روى مجمع التيمي قال كان علي ع يكنس بيت المال كل جمعة و يصلى فيه ركعتين و يقول ليشهد لي يوم القيامة -روايته- ١-٢-روايته- ٢٨-١١٥ و روى بكر بن عيسى عن عاصم بن كليب الجرمي عن أبيه قال شهدت عليا ع و قد جاءه مال من الجبل فقام و قمنا معه و جاء الناس يزدحمون فأخذ حبالا فوصلها بيده و عقد بعضها إلى بعض ثم أدارها حول المال و قال لأحل لأحد أن يجاوز هذا الجبل قال فقعد الناس كلهم من وراء الجبل و دخل هو فقال أين رءوس الأسباع و كانت الكوفة يومئذ أسباعا فجعلوا يحملون هذه الجوارق إلى هذه الجوارق و هذا إلى هذا حتى استوت القسمة سبعة أجزاء و وجد مع المتاع -روايته- ١-٢-روايته- ٦٣-إداهه دارد [صفحة ٢٠٠] رغي ف قال اكسروه سبع كسر وضعوا على كل جزء كسرة ثم قال -روايته- از قبل -٦٣- هذا جنائ و خياره فيه || إذ كل جان يده إلى فيه . ثم أقرع عليها و دفعها إلى رءوس الأسباع فجعل كل رجل منهم يدعو قومه فيحملون الجوارق -روايته- ١-٩٤ و روى مجمع عن أبي رجاء قال أخرج علي ع سيفا إلى السوق فقال من يشتري مني هذا فوالذي ألقى نفسي على بيده لو كان عندي ثمن إزار ما باعتته فقلت له أنا أبيعك إزارا و أنسئك ثمنه إلى عطائك فدفعت إليه إزارا إلى عطائه فلما قبض عطاءه دفع إلى ثمن الإزار -روايته- ١-٢-روايته- ٣٣-٢٥٩ و روى هارون بن سعيد قال قال عبد الله بن جعفر بن أبي طالب لعلي ع يا أمير المؤمنين لو أمرت لي بمعونة أو نفقة فوالله ما لي نفقة إلا - أن أبيع دابتي فقال لا - و الله ما أجد لك شيئا إلا أن تأمر عمك أن يسرق فيعطيك -روايته- ١-٢-روايته- ٢٩-٢٢٥ و روى بكر بن عيسى قال كان علي ع يقول يا أهل الكوفة إذا أنا خرجت من عندكم بغير راحلتي و رحلي و غلامي فلان فأنا خائن فكانت نفقته تأتيه من غلته بالمدينة يبيع و كان يطعم الناس منها الخبز و اللحم و يأكل هو الثريد بالزيت -روايته- ١-٢-روايته- ٤٦-٢٣٦ و روى أبو إسحاق الهمداني أن امرأتين أتتا عليا ع إحداهما من العرب و الأخرى من الموالى فسألته فدفع إليهما دراهم و طعاما بالسواء فقالت إحداهما -روايته- ١-٢-روايته- ٢٩-إداهه دارد [صفحة ٢٠١] إني امرأة من العرب و هذه من العجم فقال إني و الله لأجد لبني إسماعيل في هذا الفيء فضلا على بني إسحاق -روايته- از قبل -١١٥ و روى معاوية بن عمار عن جعفر بن محمد ع قال ما اعتلج علي ع أمران في ذات الله إلا أخذ بأشدهما و لقد علمتم أنه كان يأكل يا أهل الكوفة عندكم من ماله بالمدينة و أن كان ليأخذ السوق فيجعله في جراب و يختم عليه مخافة أن يزداد عليه من غيره و من كان أزهده في الدنيا من علي ع -روايته- ١-٢-روايته- ٥٠-٢٩٣ و روى النضر بن منصور عن عقبه بن علقمة قال دخلت علي ع فإذا بين يديه لبن حامض

آذنتي حموضته وكسره يابسه فقلت يا أمير المؤمنين أتأكل مثل هذا فقال لي يا أبا الجنوب كان رسول الله يأكل أبيض من هذا ويلبس أخشن من هذا وأشار إلى ثيابه فإن أنا لم آخذ بما أخذ به خفت ألا ألحق به -رواية- ١-٢-رواية- ٤٦-٣٠١ وروى عمران بن مسلمة عن سويد بن علقمة قال دخلت على علي ع بالكوفة فإذا بين يديه قعب لبن أجد ريحه من شدة حموضته و في يده رغيف ترى قشار الشعير على وجهه و هو يكسره ويستعين أحيانا بركبته و إذا جارته فضة قائمة على رأسه فقلت يافضة أ ماتتقون الله في هذا الشيخ أ لانختم دقيقه فقالت إنا نكره أن نؤجر ويأثم نحن قد أخذ علينا ألا ننخل له دقيقا ماصحبناه قال و علي ع لا يسمع ماتقول فالتفت إليها فقال ماتقولين قالت سله فقال لي ما قلت لها قال فقلت إني قلت لها لونختم دقيقه فبكي ثم قال بأبي وأمي من لم يشبع ثلاثا متواليه من خبز بر حتى فارق الدنيا و لم ينخل دقيقه قال يعنى رسول الله ص -رواية- ١-٢-رواية- ٤٧-٦٢٨ [صفحة ٢٠٢] وروى يوسف بن يعقوب عن صالح بياح الأسيه أن جدته لقيت عليا ع بالكوفة ومعه تمر يحمله فسلمت عليه وقالت له أعطني يا أمير المؤمنين هذا التمر أحمله عنك إلى بيتك فقال أبو العيال أحق بحمله قالت ثم قال لي أ لاتأكلين منه فقلت لأأريد قالت فانطلق به إلى منزله ثم رجع مرتديا بتلك الشملة و فيها قشور التمر فصلى بالناس فيها الجمعة -رواية- ١-٢-رواية- ٤٨-٣٥١ وروى محمد بن فضيل بن غزوان قال قيل لعلي ع كم تتصدق كم تخرج مالك أ لاتمسك قال إني و الله لو أعلم أن الله تعالى قبل منى فرضا واحدا لأمسكت ولكنى و الله ما أدري أ قبل منى سبحانه شيئا أم لا -رواية- ١-٢-رواية- ٣٨-٢١٢ روى عنبسة العابد عن عبد الله بن الحسين بن الحسن قال أعتق علي ع في حياة رسول الله ص ألف مملوك مما مجلت يده و عرق جبينه و لقد ولى الخلافة و أته الأموال فما كان حلواه إلا التمر و لاثيابه إلا الكرايس -رواية- ١-٢-رواية- ٦٢-٢٢١ وروى العوام بن حوشب عن أبي صادق قال تزوج علي ع ليلي بنت مسعود النهشلية فضربت له في داره حجلة فجاء فهتكها و قال حسب أهل علي ما هم فيه -رواية- ١-٢-رواية- ٤٥-١٥٣ وروى حاتم بن إسماعيل المدني عن جعفر بن محمد ع قال ابتاع علي ع في خلافته قميصا سملا بأربعة دراهم ثم دعا الخياط فمد كم القميص وأمره بقطع ما جاوز الأصابع -رواية- ١-٢-رواية- ٦١-١٧١ . وإنما ذكرنا هذه الأخبار والروايات و إن كانت خارجة عن مقصد الفصل لأن الحال اقتضى ذكرها من حيث أردنا أن نبين أن أمير المؤمنين ع لم يكن [صفحة ٢٠٣] يذهب في خلافته مذهب الملوك الذين يصانعون بالأموال و يصرفونها في مصالح ملكهم و ملاذ أنفسهم و أنه لم يكن من أهل الدنيا وإنما كان رجلا متألها صاحب حق لا يريد بالله و رسوله بدلا. و روى علي بن محمد بن أبي يوسف المدائني أن طائفة من أصحاب علي ع مشوا إليه فقالوا يا أمير المؤمنين أعط هذه الأموال و فضل هؤلاء الأشراف من العرب و قريش على الموالى و العجم و استعمل من تخاف خلافه من الناس و فراره وإنما قالوا له ذلك لما كان معاوية يصنع في المال فقال لهم أتأمروني أن أطلب النصر بالجور لا و الله لأفعل ما طلعت شمس و ملاح في السماء نجم و الله لو كان المال لي لواسيت بينهم فكيف وإنما هي أموالهم ثم سكت طويلا و اجما ثم قال الأمر أسرع من ذلك قالها ثلاثا -رواية- ١-٢-رواية- ٤٥-٥٠١ [صفحة ٢٠٤]

٣٥- و من خطبة له ع بعد التحكيم

إشارة

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ إِنِ اتَى الدَّهْرُ بِالْخَطْبِ الْفَادِحِ وَ الْحَدِيثِ الْجَلِيلِ وَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَيْسَ مَعَهُ إِلَهٌ غَيْرُهُ وَ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ صَ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمُجْرَبِ تُورِثُ الْحَسْرَةَ وَ تُعَقِبُ النَّدَامَةَ وَ قَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ

فِي هَذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي وَ نَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونَ رَأْيِي لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرٌ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْجُفَاءَ وَ الْمُنَابِذِينَ الْعَصَاةَ حَتَّى ارْتَابَ النَّاصِحُ بِنُصْحِهِ وَ ضَنَّ الزُّنْدُ بِقُدْحِهِ فَكُنْتُ أَنَا وَ إِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو هَوَازِنَ أَمَرْتُكُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى || فَلَمْ تَسْتَبِينُوا النَّصْحَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ الْخَطْبُ الْفَادِحَ الثَّقِيلَ وَ نَخَلْتُ لَكُمْ أَى أَخْلَصْتَهُ مِنْ نَخَلْتِ الدَّقِيقِ بِالْمَنْخَلِ . وَ قَوْلُهُ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ إِنْ أَتَى الدَّهْرُ أَى أَحْمَدُهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنَ السَّرَاءِ وَ الضَّرَاءِ . وَ قَوْلُهُ لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرٌ فَهُوَ قَصِيرٌ صَاحِبٌ جَدِيمَةٌ وَ حَدِيثُهُ مَعَ جَدِيمَةٍ وَ مَعَ الزُّبَاءِ مَشْهُورٌ فَضْرَبَ الْمَثَلَ لِكُلِّ نَاصِحٍ يَعْصِي بِقَصِيرٍ . [صَفْحَةُ ٢٠٥] وَ قَوْلُهُ حَتَّى ارْتَابَ النَّاصِحُ بِنُصْحِهِ وَ ضَنَّ الزُّنْدُ بِقُدْحِهِ يُشِيرُ إِلَى نَفْسِهِ يَقُولُ خَالَفْتُمُونِي حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّ النَّصْحَ الَّذِي نَصَحْتُمْ بِهِ غَيْرَ نَصْحٍ وَ لِإِطْبَاقِكُمْ وَ إِجْمَاعِكُمْ عَلَى خِلَافِي وَ هَذَا حَقٌّ لِأَنَّ الرِّأْيَ الصَّوَابَ إِذَا كَثَرَ مَخَالَفُوهُ يَشْكُ فِي نَفْسِهِ . وَ أَمَّا ضَنَّ الزُّنْدُ بِقُدْحِهِ فَمَعْنَاهُ أَنَّهُ لَمْ يَقْدَحْ لِي بَعْدَ ذَلِكَ رَأْيِي صَالِحٌ لَشِدَّةِ مَا لَقَيْتُ مِنْكُمْ مِنَ الْإِبَاءِ وَ الْخِلَافِ وَ الْعَصِيَانِ وَ هَذَا أَيْضًا حَقٌّ لِأَنَّ الْمَشِيرَ النَّاصِحَ إِذَا تَتَمَّشَقَّ عَمَى قَلْبَهُ وَ فَسَدَ رَأْيُهُ . وَ أَخُو هَوَازِنَ صَاحِبُ الشَّعْرِ هُوَ دَرِيدُ بَنِ الصَّمَةِ وَ الْأَبْيَاتُ مَذْكُورَةٌ فِي الْحِمَاسَةِ وَ أَوْلَاهَا نَصَحَتْ لِعَارِضٍ وَ أَصْحَابُ عَارِضٍ || وَ رَهْطُ بَنِي السُّودَاءِ وَ الْقَوْمُ شَهِدِي فَقُلْتُ لَهُمْ ظَنُّوا بِالْفَى مَدْجَجٌ || سَرَاتِهِمْ فِي الْفَارَسِيِّ الْمَسْرُودِ أَمْرُهُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى || فَلَمْ يَسْتَبِينُوا النَّصْحَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ فَلَمَّا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ وَ قَدَّارِي || غَوَايَتِهِمْ وَ أَنْتَى غَيْرِ مَهْتَدٍ وَ مَا أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ إِنْ غَوَتْ || غَوَيْتُ وَ إِنْ تَرَشَّدَ غَزِيَّةٌ أَرَشُدُ . [صَفْحَةُ ٢٠٦] وَ هَذِهِ الْأَلْفَاظُ مِنْ خُطْبَةٍ خُطِبَ بِهَا عَ بَعْدَ خِدْعَةِ ابْنِ الْعَاصِ لِأَبِي مُوسَى وَ افْتِرَاقِهِمَا وَ قَبْلَ وَقْعَةِ النَّهْرَوَانِ

قصة التحكيم ثم ظهور أمر الخوارج

و يجب أن نذكر في هذا الفصل أمر التحكيم كيف كان و ما الذي دعا إليه فنقول إن الذي دعا إليه طلب أهل الشام له واعتصامهم به من سيوف أهل العراق فقد كانت أمارات القهر والغلبة لاحت ودلائل النصر والظفر وضحت فعدل أهل الشام عن القراع إلى الخداع و كان ذلك برأى عمرو بن العاص . و هذه الحال وقعت عقيب ليلة الهرير وهي الليلة العظيمة التي يضرب بها المثل . ونحن نذكر ما أورده نصر بن مزاحم في كتاب صفين في هذا المعنى فهو ثقة ثبت صحيح النقل غير منسوب إلى هوى و لا إدغال و هو من رجال أصحاب الحديث قال نصر حدثنا عمرو بن شمر قال حدثني أبو ضرار قال حدثني عمار بن ربيعة قال غلس على ع بالناس صلاة الغداة يوم الثلاثاء عاشر شهر ربيع الأول سنة سبع و ثلاثين و قيل عاشر شهر صفر ثم زحف إلى أهل الشام بعسكر العراق و الناس على راياتهم و أعلامهم و زحف إليهم أهل الشام و قد كانت الحرب أكلت الفريقين ولكنها [صفة ٢٠٧] في أهل الشام أشد نكايه و أعظم وقعا فقد ملوا الحرب و كرهوا القتال و تضععت أركانهم . قال فخرج رجل من أهل العراق على فرس كميته ذنوب عليه السلاح لا يرى منه إلا عيناه و بيده الرمح فجعل يضرب رءوس أهل العراق بالقناة و يقول سوا صفوفكم رحمكم الله حتى إذا عدل الصفوف و الرايات استقبلهم بوجهه و ولى أهل الشام ظهره ثم حمد الله و أثنى عليه و قال الحمد لله الذي جعل فينا ابن عم نبيه أقدمهم هجرة و أولهم إسلاما سيف من سيوف الله على أعدائه فانظروا إذ أحمى الوطيس و ثار القتال و تكسر المران و جالت الخيل بالأبطال فلا أسمع إلا غمغمة أو همهمة فاتبعوني و كونوا في أثرى . ثم حمل على أهل الشام فكسر فيهم رمحه ثم رجع فإذا هو الأشتر . قال و خرج رجل من أهل الشام فنأدى بين الصفين يا أبا الحسن يا علي ابرز إلى فخرج إليه على ع حتى اختلفت أعناق دابتهما بين الصفين فقال إن لك يا علي لقدما في الإسلام و الهجرة فهل لك في أمر أعرضه عليك يكون فيه حقن هذه الدماء و تأخر هذه الحروب حتى ترى رأيك قال و ما هو قال ترجع إلى -رواية ١- ٢-

رواية ٨- ٨- ادامه دارد [صفة ٢٠٨] عراقك فنخلى بينك و بين العراق و نرجع نحن إلى شامنا فتخلى بيننا و بين الشام فقال على

ع قد عرفت ما عرضت إن هذه لنصيحة وشفقة ولقد أهدى هذا الأمر وأسهرنى وضربت أنفه وعينه فلم أجد إلا القتال أو الكفر بما أنزل الله على محمد إن الله تعالى ذكره لم يرض من أوليائه أن يعصى فى الأرض وهم سكوت مذعنون لا يأمرن بمعروف ولا ينهاون عن منكر فوجدت القتال أهون على من معالجه فى الأغلال فى جهنم -رواية- از قبل- ٤١٤ قال فرجع الرجل و هو يسترجع وزحف الناس بعضهم إلى بعض فارتموا بالنبل والحجارة حتى فريت ثم تطاعنوا بالرماح حتى تكسرت واندقت ثم مشى القوم بعضهم إلى بعض بالسيوف وعمد الحديد فلم يسمع السامعون إلا وقع الحديد بعضه على بعض لهو أشد هولا فى صدور الرجال من الصواعق و من جبال تهامة يدك بعضها بعضا وانكسفت الشمس بالنقع وثار القتام والقسطل وضلت الألوية والرايات وأخذ الأشر يسير فيما بين الميمنة والميسرة فأمر كل قبيلة أو كتيبة من القراء بالإقدام على التى تليها فاجتلدوا بالسيوف وعمد الحديد من صلاة الغداة من اليوم المذكور إلى نصف الليل لم يصلوا لله صلاة فلم يزل الأشر يفعل ذلك حتى أصبح والمعركة خلف ظهره وافترقوا عن سبعين ألف قتيل فى ذلك اليوم وتلك الليلة وهى ليلة الهير المشهورة و كان الأشر فى ميمنة الناس و ابن عباس فى الميسرة و على ع فى القلب و الناس يقتتلون . ثم استمر القتال من نصف الليل الثانى إلى ارتفاع الضحى والأشر يقول لأصحابه [صفحة ٢٠٩] و هو يزحف بهم نحو أهل الشام ازحفوا قيد رمحى هذا ويلقى رمحه فإذا فعلوا ذلك قال ازحفوا قاب هذا القوس فإذا فعلوا ذلك مثل ذلك حتى مل أكثر الناس من الإقدام فلما رأى ذلك قال أعيدكم بالله أن ترضعوا الغنم سائر اليوم ثم دعا بفرسه وركز رايته و كانت مع حيان بن هوزة النخعى و سار بين الكتائب و هو يقول ألا من يشتري نفسه لله ويقاتل مع الأشر حتى يظهر أو يلحق بالله فلا يزال الرجل من الناس يخرج إليه فيقاتل معه . قال نصر وحدثنى عمرو قال حدثنى أبو ضرار قال حدثنى عمار بن ربيعة قال مر بى الأشر فأقبلت معه حتى رجع إلى المكان الذى كان به فقام فى أصحابه فقال فدوا لكم عمى وخالى شدة ترضون بها الله و تعرزون بها الدين إذا أنا حملت فاحملوا ثم نزل و ضرب وجه دابته و قال لصاحب رايته أقدم فتقدم بها ثم شد على القوم و شد معه أصحابه ف ضرب أهل الشام حتى انتهى بهم إلى معسكرهم فقاتلوا عند المعسكر قتالا شديدا و قتل صاحب رايتهم و أخذ على ع لمارأى الظفر قد جاء من قبله يمه بالرجال . و روى نصر عن رجاله قال لم يبلغ القوم إلى ما بلغوا إليه قام على ع خطيبا فحمد الله وأثنى عليه و قال -رواية- ١-٢-رواية- ٢٨-ادامه دارد [صفحة ٢١٠] أيها الناس قد بلغ بكم الأمر و بعدوكم ما قدر أيتم و لم يبق منهم إلا آخر نفس و إن الأمور إذا أقبلت اعتبر آخرها بأولها و قد صبر لكم القوم على غير دين حتى بلغنا منهم ما بلغنا و أنا غاد عليهم بالغداة أحاكمهم إلى الله -رواية- از قبل- ٢٢٣ . قال فبلغ ذلك معاوية فدعا عمرو بن العاص و قال ياعمر و إنما هى الليلة حتى يغدو على علينا بالفصل فما ترى . قال إن رجالك لا يقومون لرجالهم و لست مثله هوى فقاتلك على أمر و أنت تقاتله على غيره أنت تريد البقاء و هو يريد الفناء و أهل العراق يخافون منك إن ظفرت بهم و أهل الشام لا يخافون عليا إن ظفر بهم ولكن ألق إلى القوم أمرا إن قبلوه اختلفوا و إن ردوه اختلفوا ادعهم إلى كتاب الله حكما فيما بينك وبينهم فإنك بالغ به حاجتك فى القوم و إنى لم أزل أؤخر هذا الأمر لوقت حاجتك إليه . فعرف معاوية ذلك و قال له صدقت . قال نصر و حدثنا عمرو بن شمر عن جابر بن عمير الأنصارى قال و الله لكأنى أسمع عليا يوم الهير و ذلك بعد ما طحنت رحى مذحج فيما بينها و بين عك و لخم و جذام و الأشعريين بأمر عظيم تشيب منه النواصى حتى استقلت الشمس و قام قائم الظهر و على ع يقول لأصحابه حتى متى نخلى بين هذين الحيين قد فنيا و أنتم و قوف تنظرون أ ماتخافون مقت الله ثم انفتل إلى القبلة و رفع -رواية- ١-٢-رواية- ٦١-ادامه دارد [صفحة ٢١١] يديه إلى الله عز و جل و نادى يا الله يارحمان يارحيم يا واحد يا أحد يا صمد يا الله يا إله محمد اللهم إليك نقلت الأقدام و أفضت القلوب و رفعت الأيدي و مدت الأعناق و شخصت الأبصار و طلبت الحوائج اللهم إنا نشكو إليك غيبة نبينا و كثرة عدونا و تشتت أهوائنا ربنا افتح بيننا و بين قومنا بالحق و أنت خير الفاتحين سيروا على بركة الله ثم نادى لإله إلا الله و الله أكبر كلمة التقوى -رواية- از قبل- ٣٩٢ . قال فلا و

الذى بعث محمداً بالحق نبياً ما سمعنا رئيس قوم منذ خلق الله السموات والأرض أصاب بيده فى يوم واحد ما أصاب إنه قتل فيما ذكر العادون زيادة على خمسمائة من أعلام العرب يخرج بسيفه منحنياً فيقول معذرة إلى الله وإليكم من هذا لقد هممت أن أفلقه ولكن يحجزنى عنه أنى سمعت رسول الله ص يقول لاسيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا على وأنا أقاتل به دونه ص -رواية- ١-٢-
رواية- ٩-١٧٣. قال فكنا نأخذه فنقومه ثم يتناوله من أيدينا فيقتحم به فى عرض الصف فلا والله ما ليث بأشد نكايه منه فى عدوه ع. قال نصر فحدثنا عمرو بن شمر عن جابر قال سمعت تميم بن حذيم يقول لما أصبحنا من ليلة الهرير نظرنا فإذا أشباه الرايات أمام أهل الشام فى وسط الفيلق [صفحة ٢١٢] حياى موقف على ومعاوية فلما أسفرنا إذاهى المصاحف قد ربطت فى أطراف الرماح وهى عظام مصاحف العسكر وقد شدوا ثلاثة أرماع جميعاً وربطوا عليها مصحف المسجد الأعظم يمسكه عشرة رهط. قال نصر وقال أبو جعفر وأبو الطفيل استقبلوا علياً بمائة مصحف ووضعوا فى كل مجنبه مائتى مصحف فكان جميعها خمسمائة مصحف. قال أبو جعفر ثم قام الطفيل بن أدهم حياى على ع وقام أبو شريح الجذامى حياى اليمينه وقام ورقاء بن المعمر حياى اليسره ثم نادوا يامعشر العرب الله الله فى النساء والبنات والأبناء من الروم والأتراك وأهل فارس غدا إذا فنيتم الله فى دينكم هذا كتاب الله بيننا وبينكم. فقال على ع اللهم إنك تعلم أنهم ما الكتاب يريدون فاحكم بيننا وبينهم إنك أنت الحكم الحق المبين -رواية- ١-٢-رواية- ١٧-١١٠ فاختلف أصحاب على ع فى الرأى فطائفه قالت القتال وطائفه قالت المحاكمه إلى الكتاب ولا يحل لنا الحرب وقد دعينا إلى حكم الكتاب فعند ذلك بطلت الحرب ووضع أوزارها. قال نصر وحدثنا عمرو بن شمر عن جابر قال حدثنا أبو جعفر محمد بن على بن الحسين قال لما كان اليوم الأعظم قال أصحاب معاوية والله لا نبرح اليوم العرصه حتى نموت أو يفتح لنا وقال أصحاب على ع لا نبرح اليوم العرصه حتى نموت أو يفتح لنا فبادروا القتال غدوة فى يوم من أيام الشعرى طويل شديد -رواية- ١-٢-رواية- ٨٩-ادامه دارد [صفحة ٢١٣] الحر فتراموا حتى فنيت النبال وتطاعنوا حتى تقصفت الرماح ثم نزل القوم عن خيولهم ومشى بعضهم إلى بعض بالسيوف حتى كسرت جفونها وقام الفرسان فى الركب ثم اضطربوا بالسيوف وبعمد الحديد فلم يسمع السامعون إلا تغمغم القوم وصليل الحديد فى الهام وتكادم الأفواه وكسفت الشمس وثار القتام وضلت الأوليه والرايات ومرت مواقيت أربع صلوات ما يسجد فيهن لله إلا تكبيراً ونادت المشيخه فى تلك الغمرات يامعشر العرب الله الله فى الحرمات من النساء والبنات قال جابر فبكى أبو جعفر وهو يحدثنا بهذا الحديث -رواية- از قبل- ٥١٦. قال نصر وأقبل الأشر على فرس كميته محذوف وقد وضع مغفره على قربوس السرج وهو ينادى اصبروا يامعشر المؤمنين فقد حمى الوطيس ورجعت الشمس من الكسوف واشتد القتال وأخذت السباع بعضها بعضاً فهم كما قال الشاعر مضت واستأخر القرعاء عنها || وخلقى بينهم إلا الوريع. قال يقول واحد لصاحبه فى تلك الحال أى رجل هذا لو كانت له نيه فيقول له صاحبه و أى نيه أعظم من هذه ثكلتك أمك وهبلك إن رجلاً كمترى قد سبغ فى الدم وما أضجرت الحرب وقد غلت هام الكماة من الحر وبلغت القلوب الحناجر وهو كمتراه جزعا يقول هذه المقالة اللهم لا تبقتنا بعد هذا. قلت لله أم قامت عن الأشر لو أن إنساناً يقسم أن الله تعالى ما خلق فى العرب [صفحة ٢١٤] ولا فى العجم أشجع منه إلا أستاذه ع لما خشيت عليه الإثم والله در القائل وقد سئل عن الأشر ما أقول فى رجل هزمت حياته أهل الشام وهزم موته أهل العراق. وبحق ما قال فيه أمير المؤمنين ع كان الأشر لى كما كنت لرسول الله ص -رواية- ١-٢-رواية- ٣١-٧١ قال نصر وروى الشعبى عن صعصعه قال وقد كان الأشعث بن قيس بدر منه قول ليلة الهرير نقله الناقلون إلى معاوية فاغتمه وبنى عليه تدبيره وذلك أن الأشعث خطب أصحابه من كنده تلك الليلة فقال الحمد لله أحمده وأستعينه وأؤمن به وأتوكل عليه وأستنصره وأستغفره وأستجيره وأشهد به وأستشيره وأشهد به فإن من هداه الله فلا مضل له ومن يضل الله فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ص. ثم قال قد رأيت يامعشر المسلمين ما قد كان فى يومكم هذا الماضى وما قد فى من العرب فو

الله لقد بلغت من السن ماشاء الله أن أبلغ فما رأيت مثل هذا اليوم قط ألا فليبلغ الشاهد الغائب إنا نحن إن توافقنا غدا إنه لفناء العرب وضيعة الحرمات أما والله ما أقول هذه المقالة جزعا من الحرب ولكني رجل مسن أخاف على النساء والذراري غدا إذافينا اللهم إنك تعلم أني قد نظرت لقومى ولأهل دينى فلم آل و ما توفيقى إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب والرأى يخطئ ويصيب [صفحه ٢١٥] و إذ أقضى الله أمرا أمضاه على ما أحب العباد أو كرهوا أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم . قال الشعبى قال صعصعة فانطلقت عيون معاوية إليه بخطبة الأشعث فقال أصاب ورب الكعبة لئن نحن التقينا غدا لتميلن على ذرارى أهل الشام ونسائهم ولتميلن فارس على ذرارى أهل العراق ونسائهم إنما يبصر هذا ذوو الأحلام والنهى ثم قال لأصحابه اربطوا المصاحف على أطراف القنا. فتار أهل الشام فى سواد الليل ينادون عن قول معاوية وأمره يا أهل العراق من لذراريننا إن قتلتمونا و من لذراريكم إذ اقتلناكم الله الله فى البقية وأصبحوا و قد رفعوا المصاحف على رءوس الرماح و قد قلدوها الخيل و الناس على الرايات قد اشتهاوا مادعوا إليه ومصحف دمشق الأعظم يحمله عشرة رجال على رءوس الرماح وهم ينادون كتاب الله بيننا وبينكم . وأقبل أبو الأعرور السلمى على بردون أبيض و قد وضع المصحف على رأسه ينادى يا أهل العراق كتاب الله بيننا وبينكم . قال فجاء عدى بن حاتم الطائى فقال يا أمير المؤمنين إنه لم يصب منا عصبه إلا و قد أصيب منهم مثلها و كل مقروح ولكننا أمثل بقية منهم و قد جزع القوم و ليس بعد الجزع إلا مانح فناجزهم . وقام الأشتر فقال يا أمير المؤمنين إن معاوية لاخلف له من رجاله ولكن [صفحه ٢١٦] بحمد الله لك الخلف و لو كان له مثل رجالك لم يكن له مثل صبرك و لانصرك فاقرع الحديد بالحديد واستعن بالله الحميد. ثم قام عمرو بن الحمق فقال يا أمير المؤمنين إنا و الله ما أجبنك و لانصرك على الباطل و لا أجبننا إلا الله و لا طلبنا إلا الحق و لودعانا غيرك إلى مادعوتنا إليه لاستشرى فيه اللجاج وطالت فيه النجوى و قد بلغ الحق مقطعه و ليس لنا معك رأى. فقام الأشعث بن قيس مغضبا فقال يا أمير المؤمنين إنا لك اليوم على ما كنا عليه أمس و ليس آخر أمرنا كأوله و ما من القوم أحد أحنى على أهل العراق و لا أوتر لأهل الشام منى فأجب القوم إلى كتاب الله عز و جل فإنك أحن به منهم و قد أحب الناس البقاء و كرهوا القتال . فقال على ع هذا أمر ينظر فيه . فتنادى الناس من كل جانب الموادة. فقال على ع أيها الناس إني أحن من أجاب إلى كتاب الله ولكن معاوية وعمرو بن العاص و ابن أبى معيط و ابن أبى سرح و ابن مسلمة ليسوا بأصحاب دين و لا قرآن إني أعرف بهم منكم صحبتهم صغارا و رجالا فكانوا شر صغار و شر رجال و يحكم إنها كلمة حق يراد بها باطل إنهم مارفعوها أنهم يعرفونها ويعملون بها ولكنها الخديعة والوهن والمكيده أعيرونى سواعدكم و جماجمكم ساعة واحدة فقد بلغ الحق مقطعه و لم يبق إلا- أن يقطع دابر الذين ظلموا -رواية ١-٢-رواية ١٧-٤٤٦. فجاءه من أصحابه زهاء عشرين ألفا مقنعين فى الحديد شاكى السلاح سيوفهم على [صفحه ٢١٧] عواتقهم و قد اسودت جباههم من السجود يتقدمهم مسعر بن فدكى و زيد بن حصين و عصابة من القراء الذين صاروا خوارج من بعد فنادوه باسمه لا يا مرة المؤمنين يا على أجب القوم إلى كتاب الله إذ دعيت إليه و لإقتلناك كماقتلنا ابن عفان فو الله لنفعلنها إن لم تجبهم فقال لهم و يحكم أنا أول من دعا إلى كتاب الله و أول من أجاب إليه و ليس يحل لى و لا يسعنى فى دينى أن أدعى إلى كتاب الله فلا أقبله إني إنما قاتلتهم ليدينوا بحكم القرآن فإنهم قد عصوا الله فيما أمرهم و نقضوا عهده و نبذوا كتابه ولكنى قد أعلمتكم أنهم قد كادوكم و أنهم ليس العمل بالقرآن يريدون قالوا فابعث إلى الأشتر ليأتينك و قد كان الأشتر صبيحة ليلة الهرير أشرف على عسكر معاوية ليدخله . قال نصر فحدثنى فضيل بن خديج عن رجل من النخع قال سأل مصعب ابراهيم بن الأشتر عن الحال كيف كانت فقال كنت عند على ع حين بعث إلى الأشتر ليأتيه و قد كان الأشتر أشرف على معسكر معاوية ليدخله فأرسل إليه على ع يزيد بن هانئ أن ائتني فاتاه فأبلغه فقال الأشتر ائته فقل له ليس هذه بالساعة التى ينبغى لك أن تزيلنى عن موقفى [صفحه ٢١٨] إني قد رجوت الفتح فلا تعجلنى فرجع يزيد بن هانئ إلى على ع فأخبره فما هو إلا أن انتهى إلينا حتى ارتفع الرهج و علت الأصوات من قبل الأشتر و ظهرت دلائل الفتح

والنصر لأهل العراق ودلائل الخذلان والإدبار على أهل الشام فقال القوم لعلى و الله مانراك أمرته إلا بالقتال قال أرأيتموني ساررت رسولى إليه أليس إنما كلمته على رءوسكم علانية وأنتم تسمعون قالوا فابعث إليه فليأتك و إلافو الله اعتزلناك فقال ويحك يا يزيد قل له أقبل إلى فإن الفتنة قد وقعت فأتاه فأخبره فقال الأشتر أرفع هذه المصاحف قال نعم قال أما و الله لقد ظننت أنها حين رفعت ستوقع خلافا وفرقة إنها مشورة ابن النابغة ثم قال ليزيد بن هانئ ويحك ألا ترى إلى الفتحة ألا ترى إلى ما يلقون ألا ترى الذى يصنع الله لنا أينبغى أن ندع هذا ونصرف عنه فقال له يزيد أتحب أنك ظفرت هاهنا و أن أمير المؤمنين بمكانه الذى هو فيه يفرج عنه ويسلم إلى عدوه قال سبحان الله لا- و الله لأحب ذلك قال فإنهم قد قالوا له وحلفوا عليه لترسلن إلى الأشتر فليأتينك أولنقتلنك بأسيفنا كماقتلنا عثمان أولنسلمنك إلى عدوك . فأقبل الأشتر حتى انتهى إليهم فصاح يا أهل الذل والوهن أحين علوتم القوم وظنوا أنكم لهم قاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها وقد و الله تركوا ما أمر الله به فيها وتركوا سنة من أنزلت عليه فلاتجيبوهم أمهلونى فواقا فإنى [صفحة ٢١٩] قد أحسست بالفتح قالوا لانمهلك قال فأمهلونى عدوة الفرس فإنى قد طمعت فى النصر قالوا إذن ندخل معك فى خطيئتك . قال فحدثونى عنكم و قد قتل أمثالكم وبقى أراذلكم متى كنتم محقين أحين كنتم تقتلون أهل الشام فأنتم الآن حين أمسكنم عن قتالهم مبطلون أم أنتم الآن فى إمساكلهم عن القتال محقون فقتلناكم إذن الذين لاتنكرون فضلهم وأنهم خير منكم فى النار قالوا دعنا منك يا أشتر قاتلناهم فى الله وندع قتالهم فى الله إنا لسنا نطيعك فاجتنبنا فقال خدعتهم و الله فانخدعتهم ودعيتهم إلى وضع الحرب فأجبتهم يا أصحاب الجباه السود كنا نظن صلاحكم زهادة فى الدنيا وشوقا إلى لقاء الله فلاأرى فراركم إلا إلى الدنيا من الموت ألا فقبحا يا أشباه النيب الجلالة ما أنتم براءين بعدها عزا أبدا فابعدوا كما بعد القوم الظالمون . فسبوه وسبهم وضربوا بسياطهم وجه دابته وضرب بسوطه وجوه دوابهم وصاح بهم على ع فكفوا و قال الأشتر يا أمير المؤمنين احمل الصف على الصف تصرع القوم فتصايحوا أن أمير المؤمنين قد قبل الحكومة ورضى بحكم القرآن فقال الأشتر إن كان أمير المؤمنين قد قبل ورضى بما رضى به أمير المؤمنين فأقبل الناس يقولون قد رضى أمير المؤمنين قد قبل أمير المؤمنين و هو ساكت لا يبيض بكلمة مطرق إلى الأرض . ثم قال فسكت الناس كلهم فقال أيها الناس إن أمرى لم يزل معكم على ما أحب إلى أن أخذت منكم الحرب وقد و الله أخذت منكم وتركت وأخذت من عدوك فلم تترك وإنها فيهم أنكى وأنهك ألا- إنى كنت أمس أمير المؤمنين فأصبحت اليوم -رواية ١-٢- رواية ٩-٩-أداهم دارد [صفحة ٢٢٠] مأمورا و كنت ناهيا فأصبحت منهيها وقد أحببت البقاء و ليس لى أن أحملك على ماتكروهون ثم قعد -رواية ٩-٩-از قبل ٩٩ . قال نصر ثم تكلم رؤساء القبائل فكل قال ما يراه ويهواه إما من الحرب أو من السلم فقام كردوس بن هانئ البكرى فقال أيها الناس إنا و الله ماتولينا معاوية منذ تبرأنا منه و لاتبرأنا من على منذ تولينا و إن قتلنا لشهداء و إن أحيانا لأبرار و إن عليا لعلى بينه من ربه و ما أحدث إلا الإنيصاف فمن سلم له نجا و من خالفه هلك ثم قام شقيق بن ثور البكرى فقال أيها الناس إنا دعونا أهل الشام إلى كتاب الله فردوه علينا فقاتلناهم عليه وإنهم قد دعونا اليوم إليه فإن رددناه عليهم حل لهم منا ما حل لنا منهم ولسنا نخاف أن يحيف الله علينا ورسوله ألا إن عليا ليس بالراجع الناكس و لالشاك الواقف و هو اليوم على ما كان عليه أمس و قد أكلتنا هذه الحرب و لانرى البقاء إلا فى المواعدة . قال نصر ثم إن أهل الشام لما أبطأ عنهم علم حال أهل العراق هل أجابوا إلى المواعدة أم لاجزعوا فقالوا يامعاوية مانرى أهل العراق أجابوا إلى مادعوناهم إليه فأعدنا جذعة فإنك قد غمرت بدعائك القوم وأطمعتهم فيك . فدعا معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص فأمره أن يكلم أهل العراق ويستعلم له ما عندهم فأقبل حتى إذا كان بين الصفيين نادى يا أهل العراق أنا عبد الله بن [صفحة ٢٢١] عمرو بن العاص إنه قد كانت بيننا وبينكم أمور للدين أو الدنيا فإن تكن للدين فقد و الله أعذرنا وأعذرتهم و إن تكن للدنيا فقد و الله أسرفنا وأسرفتم و قد دعوناكم إلى أمر لودعوتموننا إليه لأجبناكم فإن يجمعنا وإياكم الرضا فذاك من الله فاغتنموا هذه الفرصة عسى أن يعيش فيها المحترف

وينسى فيها القتل فإن بقاء المهلك بعد الهالك قليل. فأجابه سعد بن قيس الهمداني فقال أما بعد يا أهل الشام إنه قد كانت بيننا وبينكم أمور حامينا فيها على الدين والدنيا وسميتموها غدرا وسرفا وقد دعوتونا اليوم إلى ماقاتلناكم عليه أمس و لم يكن ليرجع أهل العراق إلى عراقهم و أهل الشام إلى شامهم بأمر أجمل من أن يحكم فيه بما أنزل الله سبحانه فالأمر في أيدينا دونكم و إلا فنحن نحن وأنتم أنتم. فقام الناس إلى علي ع فقالوا له أجب القوم إلى المحاكمة قال ونادى إنسان من أهل الشام في جوف الليل بشعر سمعه الناس و هو رءوس العراق أجيوا الدعاء || فقد بلغت غاية الشده و قد أودت الحرب بالعالمين || و أهل الحفائظ والنجدة فلسنا ولستم من المشركين || و لا المجمعين على الردة ولكن أناس لقوا مثلهم || لنا عدة و لكم عدة [صفحة ٢٢٢] فقاتل كل على وجهه || يقحمه الجد والحده فإن تقبلوها ففيها البقاء || وأمن الفريقين والبلده و إن تدفعوها ففيها الفناء || و كل بلاء إلى مده فحتى متى مخض هذا السقاء || و لا بد أن تخرج الزبده ثلاثة رهط هم أهلها || و إن يسكتوا تخمد الوقده سعيد بن قيس وكبش العراق || و ذاك المسود من كنده . قال فأما المسود من كنده و هو الأشعث فإنه لم يرض بالسكوت بل كان من أعظم الناس قولاً - في إطفاء الحرب والركون إلى المودعة و أما كبش العراق و هو الأشتر فلم يكن يرى إلا الحرب ولكنه سكت على مضض و أما سعيد بن قيس فكان تارة هكذا وتارة هكذا. و ذكر ابن ديزيل الهمداني في كتاب صفين قال خرج عبدالرحمن بن خالد بن الوليد ومعه لواء معاوية فارتجز فخرج إليه جارية بن قدامة السعدي فارتجز أيضا مجيبا له ثم اطعنا فلم يصنعا شيئا وانصرف كل واحد منهما عن صاحبه فقال عمرو بن العاص لعبد الرحمن اقحم يا ابن سيف الله فتقدم عبدالرحمن بلوائه وتقدم أصحابه فأقبل علي ع على الأشتر فقال له قد بلغ لواء معاوية حيث [صفحة ٢٢٣] ترى فدونك القوم فأخذ الأشتر لواء علي ع و قال إني أنا الأشتر معروف الشتر || إني أنا الأفعى العراقي الذكر لست ربيعا ولست من مضر || لكنني من مذحج الشم الغرر. فضارب القوم حتى ردهم فانتدب له همام بن قبيصة الطائي و كان مع معاوية فشد عليه في مذحج فانتصر عدى بن حاتم الطائي للأشتر فحمل عليه في طيء فاشتد القتال جدا فدعا علي ببيغلة رسول الله ص فركبها ثم تعصب بعمامة رسول الله ونادى أيها الناس من يشري نفسه لله إن هذا يوم له مابعده فانتدب معه ما بين عشرة آلاف إلى اثني عشر ألفا فتقدمهم علي ع و قال -روايت- ١-٢٠٣ دبو ديبب النمل لا تفوتوا || وأصبحوا أمركم أو بيتوا حتى تنالوا الثأر أو تموتوا . وحمل وحمل الناس كلهم حملة واحدة فلم يبق لأهل الشام صف إلا زالوه حتى أفضوا إلى معاوية فدعا معاوية بفرسه ليفر عليه . و كان معاوية بعد ذلك يحدث فيقول لما وضعت رجلى في الركاب ذكرت قول عمرو بن الإطنابة أبت لى عفتى وأبى بلائى || وأخذى الحمد بالثمن الريح [صفحة ٢٢٤] وإقدامى على المكروه نفسى || وضربى هامة البطل المشيح وقولى كلما جشأت وجاشت || مكانك تحمدى أوتستريحى . فأخرجت رجلى من الركاب وأقمت ونظرت إلى عمرو فقلت له اليوم صبر وغدا فخر فقال صدقت . قال ابراهيم بن ديزيل روى عبد الله بن أبى بكر عن عبدالرحمن بن حاطب عن معاوية قال أخذت بمعرفة فرسى ووضعت رجلى في الركاب للهرب حتى ذكرت شعر ابن الإطنابة فعدت إلى مقعدى فأصبت خير الدنيا وإنى لراج أن أصيب خير الآخرة . قال ابراهيم بن ديزيل فكان ذلك يوم الهرير ثم رفعت المصاحف بعده . وروى ابراهيم عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن ربيعة بن لقيط قال شهدنا صفين فمطرت السماء علينا دما عبيطا . و قال و فى حديث الليث بن سعد أن كانوا ليأخذونه بالصحاف والآنية و فى حديث ابن لهيعة حتى إن الصحاف والآنية لتمتلى ونهريقها . قال ابراهيم وروى عبدالرحمن بن زياد عن الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب عن حدثه ممن حضر صفين أنهم مطروا دما عبيطا فتلقاته الناس بالقصاع والآنية و ذلك فى يوم الهرير و فزع أهل الشام وهموا أن يتفرقوا فقام عمرو بن العاص فيهم فقال أيها الناس إنما هذه آية من آيات الله فأصلح امرؤ ما بينه و بين الله ثم لا عليه أن ينتطح هذان الجبلان فأخذوا فى القتال [صفحة ٢٢٥] قال ابراهيم وروى أبو عبد الله المكى قال حدثنا سفيان بن عاصم بن كليب الحارثى عن أبيه قال أخبرنى ابن عباس قال لقد حدثنى معاوية أنه كان يومئذ قد قرب إليه

فرسا له أنثى بعيده البطن من الأرض ليهرب عليها حتى أتاه آت من أهل العراق فقال له إنى تركت أصحاب على فى مثل ليلة الصدر من منى فأقمت قال فقلنا له فأخبرنا من هو ذلك الرجل فأبى وقال لا أخبركم من هو. قال نصر و ابراهيم أيضا وكتب معاوية إلى على ع أما بعد فإن هذا الأمر قذال بيننا وبينك و كل واحد منا يرى أنه على الحق فيما يطلب من صاحبه ولن يعطى واحد منا الطاعة للآخر و قد قتل فيما بيننا بشر كثير و أنا أتخوف أن يكون ما بقى أشد مما مضى و إنا سوف نسأل عن ذلك الموطن و لا يحاسب به غيرى و غيرك و قد دعوتك إلى أمر لنا و لك فيه حياة و عذر و براءة و صلاح للأمة و حقن للدماء و ألفة للدين و ذهاب للضغائن و الفتن أن نحكم بينى و بينكم حكمين مرضيين أحدهما من أصحابى و الآخر من أصحابك فيحكمان بيننا بما أنزل الله فهو خير لى و لك و أقطع لهذه الفتن فاتق الله فيما دعيت إليه و ارض بحكم القرآن إن كنت من أهله و السلام . فكتب إليه على ع من عبد الله على أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبى سفيان أما بعد فإن أفضل ما شغل به المرء نفسه اتباع ما حسن به فعله و استوجب فضله و سلم من عيبه -رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-ادامه دارد [صفحہ ٢٢٦] و إن البغى و الزور يزريان بالمرء فى دينه و دنياه فاحذر الدنيا فإنه لا فرح فى شىء وصلت إليه منها و لقد علمت أنك غير مدرك ما قضى فواته و قد رام قوم أمرا بغير الحق و تأولوه على الله جل و عز فأكذبهم و متعمهم قليلا ثم اضطروهم إلى عذاب غليظ فاحذر يوما يغتبط فيه من حمد عاقبة عمله و يندم فيه من أمكن الشيطان من قياده و لم يحاده و غرته الدنيا و اطمأن إليها ثم إنك قد دعوتنى إلى حكم القرآن و لقد علمت أنك لست من أهل القرآن و لاحكمه تريد و الله المستعان فقد أجبننا القرآن إلى حكمه و لسننا إياك أجبننا و من لم يرض بحكم القرآن فقد ضل ضلالا بعيدا -رواية- از قبل ٥٦٨- فكتب معاوية إلى على ع أما بعد عافانا الله و إياك فقد آن لك أن تجيب إلى ما فيه صلاحنا و ألفة بيننا و قد فعلت الذى فعلت و أنا أعرف حقى و لكنى اشتريت بالعفو صلاح الأمة و لم أكثر فرحا بشىء جاء و لا ذهب و إنما أدخلنى فى هذا الأمر القيام بالحق فيما بين الباغى و المبغى عليه و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر فدعوت إلى كتاب الله فيما بيننا و بينك فإنه لا يجمعنا و إياك إلا هونحى ما أحيا القرآن و نميت ما أمات القرآن و السلام . قال نصر فكتب على ع إلى عمرو بن العاص يعظه و يرشده -رواية- ١-٢-رواية- ١١-ادامه دارد [صفحہ ٢٢٧] أما بعد فإن الدنيا مشغلة عن غيرها و لن يصيب صاحبها منها شيئا إلا فتحت له حرصا يزيد فيه رغبة و لن يستغنى صاحبها بما نال عما لم يبلغ و من وراء ذلك فراق ما جمع و السعيد من و عظ بغيره فلا تحبط أبا عبد الله أجرك و لا تجار معاوية فى باطله و السلام -رواية- از قبل ٢٥٢- فكتب إليه عمرو الجواب أما بعد أقول فالذى فيه صلاحنا و ألفتنا الإجابة إلى الحق و قد جعلنا القرآن بيننا حكما و أجبننا إليه فصبر الرجل منا نفسه على ما حكم عليه القرآن و عذره الناس بعد المحاجزة و السلام . فكتب إليه على ع أما بعد فإن الذى أعجبك من الدنيا مما نازعتك إليه نفسك و وثقت به منها لمنقلب عنك و مفارق لك فلا تظمن إلى الدنيا فإنها غرارة و لو اعتبرت بما مضى لحفظت ما بقى و انتفعت منها بما و عظت به و السلام -رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-٢٢٧ فأجابه عمرو أما بعد فقد أنصف من جعل القرآن إماما و دعا الناس إلى أحكامه فاصبر أبا حسن فإننا غير منليك إلا ما نالك القرآن و السلام . قال نصر وجاء الأشعث إلى على ع فقال يا أمير المؤمنين ما أرى الناس إلا قدرضوا و سرهم أن يجيبوا القوم إلى مادعوهم إليه من حكم القرآن [صفحہ ٢٢٨] فإن شئت أتيت معاوية فسألته ما يريد و نظرت ما الذى يسأل قال فأتته إن شئت فأتاه فسأله يا معاوية لأى شىء رفعتم هذه المصاحف قال لنرجع نحن و أنتم إلى ما أمر الله به فيها فابعثوا رجلا منكم ترضون به و نبعث منا رجلا و نأخذ عليهما أن يعملوا بما فى كتاب الله و لا يعدوانه ثم نتبع ما اتفقا عليه فقال الأشعث هذا هو الحق . و انصرف إلى على ع فأخبره فبعث على ع قراء من أهل العراق و بعث معاوية قراء من أهل الشام فاجتمعوا بين الصنفين و معهم المصحف فنظروا فيه و تدارسوا و اجتمعوا على أن يحيوا ما أحيا القرآن و يميتوا ما أمات القرآن و رجع كل فريق إلى صاحبه فقال أهل الشام إنا قدرضينا و اخترنا عمرو بن العاص و قال الأشعث و القراء الذين صاروا خوارج فيما بعد قدرضينا نحن و اخترنا أبا موسى الأشعري فقال لهم على ع فإنى لأرضى بأبى موسى و

لاأرى أن أوليه فقال الأشعث وزيد بن حصين ومسعر بن فدكى فى عصابة من القراء إنا لانرضى إلا به فإنه قد كان حذرنا ماوقعنا فيه فقال على ع فإنه ليس لى برضا و قدفارقنى وخذل الناس عنى وهرب منى حتى أمنتى بعدأشهر ولكن هذا ابن عباس أوليه ذلك قالوا و الله مانبالى أكنت أنت أو ابن عباس و لانريد إلارجلا هومنك و من معاوية سواء ليس إلى واحد منكما بأدنى من الآخر قال على ع فإنى أجعل الأشتر فقال الأشعث وهل سعر الأرض علينا إلاالأشتر وهل نحن إلا فى حكم الأشتر قال على ع و ماحكمه قال حكمه أن يضرب بعضنا بعضا بالسيف حتى يكون ماأردت و ماأراد. [صفحة ٢٢٩] قال نصر و حدثنا عمرو بن شمر عن جابر عن أبى جعفر محمد بن على قال لماأراد الناس عليا أن يضع الحكمين قال لهم إن معاوية لم يكن ليضع لهذا الأمر أحدا هوأوثق برأيه ونظره من عمرو بن العاص وإنه لا يصلح للقرشى إلا مثله فعليكم بعبد الله بن العباس فارمونه به فإن عمرا لا يعقد عقدة إلاحلها عبد الله و لا يحل عقدة إلاعقدها و لا يبزم أمرا إلا ينقض أمرا إلاأبهرمه فقال الأشعث لا و الله لا يحكم فىنا مضرىان حتى تقوم الساعة ولكن اجعل رجلا من أهل اليمن إذ جعلوا رجلا من مضر فقال على ع إنى أخاف أن يخدع يمينكم فإن عمرا ليس من الله فى شىء إذا كان له فى أمر هوى فقال الأشعث و الله لأن يحكما ببعض مانكره وأحدهما من أهل اليمن أحب إلينا من أن يكون بعض مانحب فى حكمهما وهما مضرىان -روایت-١-٢-روایت-٧١-٧٢١. قال وذكر الشعبى أيضا مثل ذلك . قال نصر فقال على ع قدأبئتم إلا أبا موسى قالوا نعم قال فاصنعوا ماشئتم فبعثوا إلى أبى موسى و هو بأرض من أرض الشام يقال لها عرض قداعتزل القتال فأتاه مولى له فقال إن الناس قد اصطلحوا فقال الحمد لله رب العالمين قال و قد جعلوك حكما فقال إنا لله و إنا إليه راجعون . فجاء أبو موسى حتى دخل عسكر على ع وجاء الأشتر عليا فقال يا أمير المؤمنين أألزنى بعمرو بن العاص فو الذى لا إله غيره لئن ملأت عينى منه لأقتلنه [صفحة ٢٣٠] وجاء الأحنف بن قيس عليا فقال يا أمير المؤمنين إنك قد رميت بحجر الأرض و من حارب الله ورسوله أنف الإسلام و إنى قد عجمت هذا الرجل يعنى أبا موسى و حلبت أشطره فوجدته كليل الشفرة قريب القعر و إنه لا يصلح لهؤلاء القوم إلا رجل يدنو منهم حتى يكون فى أكفهم ويتباعد منهم حتى يكون بمنزلة النجم منهم فإن شئت أن تجعلنى حكما فاجعلنى و إن شئت أن تجعلنى ثانيا أو ثالثا فإن عمرا لا يعقد عقدة إلاحللتها و لا يحل عقدة إلاعقدت لك أشد منها . فعرض على ع ذلك على الناس فأبوه وقالوا لا يكون إلا أبا موسى . قال نصر مال الأحنف إلى على ع فقال يا أمير المؤمنين إنى خيرتك يوم الجمل أن آتيك فىمن أطاعنى أو أكف عنك بنى سعد فقلت كف قومك فكفى بكفك نصيرا فأقمت بأمرك و إن عبد الله بن قيس رجل قد حلبت أشطره فوجدته قريب القعر كليل المدينة و هو رجل يمان وقومه مع معاوية و قد رميت بحجر الأرض و بمن حارب الله ورسوله و إن صاحب القوم من ينأى حتى يكون مع النجم و يدنو حتى يكون فى أكفهم فابعثنى فو الله لا يحل عنك عقدة إلاعقدت لك أشد منها فإن قلت إنى لست من أصحاب رسول الله فابعث رجلا من أصحاب رسول الله وابعثنى معه . [صفحة ٢٣١] فقال على ع إن القوم أتونى بعبد الله بن قيس مبرنسا فقالوا ابعث هذارضينا به و الله بالغ أمره . قال نصر و روى أن ابن الكواء قام إلى على ع فقال هذا عبد الله بن قيس و افد أهل اليمن إلى رسول الله ص و صاحب مقاسم أبى بكر و عامل عمر و قد رضى به القوم و عرضنا عليهم ابن عباس فزعموا أنه قريب القرابة منك ظنون فى أمرك . فبلغ ذلك أهل الشام فبعث أيمن بن خزيم الأسدى و كان معتزلا لمعاوية بهذه الأبيات و كان هواه أن يكون الأمر لأهل العراق لو كان للقوم رأى يعصمون به || من الضلال رموكم بآبن عباس لله در أبىه أيما رجل || مامثله لفصال الخطب فى الناس لكن رموكم بشيخ من ذوى يمن || لا يهتدى ضرب أحماس لأسداس إن يخل عمرو به يقذفه فى لجج || يهوى به النجم تيسا بين أتياس أبلغ لديك عليا غير عاتبه || قول امرئ لا يرى بالحق من باس ماالأشعري بمأمون أباحسن || فاعلم هديت و ليس العجز كالرأس فاصدم بصاحبك الأذننى زعيمهم || إن ابن عمك عباس هو الآسى . فلما بلغ الناس هذاالشعر طارت أهواء قوم من أولياء على ع وشيعته إلى ابن عباس وأبت القراء إلا أبا موسى . [صفحة ٢٣٢] قال نصر و

كان أيمن بن خزيم رجلا عابدا مجتهدا وقد كان معاوية جعل له فلسطين على أن يتابعه ويشايعه على قتال علي ع فقال أيمن وبعث بها إليه ولست مقاتلا- رجلا- يصلى || على سلطان آخر من قريش له سلطانه و على إثمي || معاذ الله من سفه وطيش أقتل مسلما في غير جرم || فليس بنافعي ما عشت عيشي . قال نصر فلما رضى أهل الشام وعمرو و أهل العراق بأبي موسى أخذوا في سطر كتاب الموادعة وكانت صورته هذا ماتقاضى عليه على أمير المؤمنين ومعاوية بن أبي سفيان فقال معاوية بئس الرجل أنا إن أقررت أنه أمير المؤمنين ثم قاتلته وقال عمرو بل نكتب اسمه واسم أبيه إنما هو أميركم فأما أميرنا فلا فلما أعيد إليه الكتاب أمر بمحوه فقال الأحنف لائمح اسم أمير المؤمنين عنك فإنى أتخوف إن محوتها ألا ترجع إليك أبدا فلاتمحقها فقال على ع إن هذا اليوم كيوم الحديبية حين كتب الكتاب عن رسول الله ص هذا ماصالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو فقال سهيل لو أعلم أنك رسول الله لم أقاتلك و لم أخالفك إنى إذالظالم لك إن منعتك أن تطوف بيت الله الحرام و أنت رسوله ولكن اكتب من محمد بن عبد الله فقال لى رسول الله ص يا على إنى لرسول الله و أنا محمد بن عبد الله ولن يمحو عنى الرسالة كتابى لهم من محمد بن عبد الله فاكتبها وامح ما أراد محوه أما إن لك مثلها ستعطيها و أنت مضطهد -رواية- 1-2-رواية- 17-493 قال نصر و قدروى أن عمرو بن العاص عاد بالكتاب إلى على ع فطلب منه أن يمحو اسمه من إمرة المؤمنين فقص عليه و على من حضر قصة صلح الحديبية -رواية- 1-2-رواية- 11-ادامه دارد [صفحه 233] قال إن ذلك الكتاب أنا كتبه بيننا و بين المشركين واليوم أكتبه إلى أبنائهم كما كان رسول الله ص كتبه إلى آبائهم شيها ومثلا- فقال عمرو سبحان الله أتشبهنا بالكفار ونحن مسلمون فقال على ع يا ابن النابغة ومتى لم تكن للكافرين وليا وللمسلمين عدوا فقام عمرو و قال و الله لا يجمع بينى وبينك مجلس بعد اليوم فقال على أما و الله إنى لأرجو أن يظهر الله عليك و على أصحابك -رواية- از قبل- 392 . وجاءت عصابة قد وضعت سيوفها على عواتقها فقالوا يا أمير المؤمنين مرنا بما شئت فقال لهم سهل بن حنيف أيها الناس اتهموا رأيكم فلقد شهدنا صلح رسول الله ص يوم الحديبية و لونرى قتالا لقاتلنا. وزاد ابراهيم بن ديزيل لقد رأيتنى يوم أبى جندل يعنى الحديبية و لو أستطيع أن أرد أمر رسول الله ص لرددته ثم لم نر فى ذلك الصلح إلا خيرا. قال نصر و قدروى أبو إسحاق الشيبانى قال قرأت كتاب الصلح عند سعيد بن أبى بردة فى صحيفه صفراء عليها خاتمان خاتم من أسفلها وخاتم من أعلاها على خاتم على ع محمد رسول الله و على خاتم معاوية محمد رسول الله وقيل لعلى ع حين أراد أن يكتب الكتاب بينه و بين معاوية و أهل الشام أتقر أنهم مؤمنون مسلمون فقال على ع ما أقر لمعاوية و لأصحابه أنهم مؤمنون و لامسلمون ولكن يكتب معاوية ماشاء بما شاء و يقر بما شاء لنفسه ولأصحابه ويسمى نفسه بما شاء وأصحابه فكتبوا هذا ماتقاضى عليه على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان قاضى على بن أبى طالب [صفحه 234] على أهل العراق و من كان معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين وقاضى معاوية بن أبى سفيان على أهل الشام و من كان معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين إننا ننزل عند حكم الله تعالى و كتابه و لا يجمع بيننا إلا إياه و إن كتاب الله سبحانه و تعالى بيننا من فاتحته إلى خاتمته نحى ما أحيا القرآن ونميت ما أمات القرآن فإن وجد الحكمان ذلك فى كتاب الله اتبعاه و إن لم يجدها أخذوا بالسنة العادلة غير المفرقة والحكمان عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص و قد أخذ الحكمان من على ومعاوية و من الجندين أنهما آمان على أنفسهما وأموالهما وأهلها والأمة لهما أنصار و على الذى يقضيان عليه و على المؤمنين والمسلمين من الطائفتين عهد الله أن يعملوا بما يقضيان عليه مما وافق الكتاب والسنة و إن الأمن والموادعة ووضع السلاح متفق عليه بين الطائفتين إلى أن يقع الحكم و على كل واحد من الحكمين عهد الله ليحكم بين الأمة بالحق لابلهوى وأجل الموادعة سنة كاملة فإن أحب الحكمان أن يعجلا الحكم عجلاه و إن توفى أحدهما فلأمير شيعته أن يختار مكانه رجلا لا يألوا الحق والعدل و إن توفى أحد الأميرين كان نصب غيره إلى أصحابه ممن يرضون أمره ويحمدون طريقته اللهم إنا نستنصرك على من ترك ما فى هذه الصحيفة وأراد فيها إلحادا وظلما. قال نصر هذه رواية محمد بن على بن

الحسين والشعبي وروى جابر عن زيد بن الحسن بن الحسن زيادات على هذه النسخة هذا ماتقاضى عليه ابن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وشيعتهما فيما تراضيا به من الحكم بكتاب الله وسنة رسوله قضية على أهل العراق و من كان من شيعته من شاهد أو غائب وقضية معاوية على أهل الشام و من كان من شيعته من شاهد أو غائب إننا رضينا أن نزل عندحكم القرآن فيما حكم و أن نقف عندأمره فيما أمر فإنه لا يجمع بيننا إلا ذلك وإنا جعلنا كتاب الله سبحانه حكما بيننا فيما اختلفنا فيه من فاتحته إلى [صفحة ٢٣٥] خاتمة نحى ما أحيا القرآن ونميت ما أماته على ذلك تقاضينا و به تراضينا و إن عليا وشيعته رضوا أن يبعثوا عبد الله بن قيس ناظرا ومحاكما ورضى معاوية وشيعته أن يبعثوا عمرو بن العاص ناظرا ومحاكما على أنهم أخذوا عليهما عهد الله وميثاقه وأعظم ما أخذ الله على أحد من خلقه ليتخذان الكتاب إماما فيما بعثا إليه لا يعدوانه إلى غيره ما وجداه فيه مسطورا و ما لم يجداه مسمى في الكتاب رداه إلى سنة رسول الله ص الجامعة لا يتعمدان لها خلافا ولا يتبعان هوى ولا يدخلان في شبهة و قد أخذ عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص على علي ومعاوية عهد الله وميثاقه بالرضا بما حكما به من كتاب الله وسنة نبيه و ليس لهما أن ينقضا ذلك ولا يخالفاه إلى غيره وأنهما آمانان في حكمهما على دمائهما وأموالهما وأهلتهما ما لم يعدوا الحق رضى بذلك راض أو أنكره منكر و أن الأمة أنصار لهما على ما قضيا به من العدل فإن توفى أحد الحكيمين قبل انقضاء الحكومة فأمير شيعته وأصحابه يختارون مكانه رجلا لا يألون عن أهل المعدلة والإقسط على ما كان عليه صاحبه من العهد والميثاق والحكم بكتاب الله وسنة رسوله و له مثل شرط صاحبه و إن مات أحد الأمرين قبل القضاء فلشيعته أن يولوا مكانه رجلا يرضون عدله و قد وقعت هذه القضية ومعها الأمن والتفاوض ووضع السلاح و السلام والموادعة و على الحكيمين عهد الله وميثاقه ألا يألوا اجتهدا ولا يتعمدا جورا ولا يدخلوا في شبهة ولا يعدوا حكم الكتاب فإن لم يقبلوا برئت الأمة من حكمهما ولا عهد لهما ولا ذمة و قد وجبت القضية على ما قدسمى في هذا الكتاب من مواقع الشروط على الحكيمين والأميرين والفريقين و الله أقرب شهيدا وأدنى حفيظا و الناس آمنون على أنفسهم وأهلهم وأموالهم إلى انقضاء مدة الأجل والسلاح موضوع والسبل مخلاة والشاهد والغائب من الفريقين سواء في الأمن وللحكيمين أن ينزلا- منزلا- عدلا بين أهل العراق والشام لا يحضرهما فيه إلا من أحبا عن ملائمتها وتراض [صفحة ٢٣٦] و إن المسلمين قد أجلوا هذين القاضيين إلى انسلاخ شهر رمضان فإن رأيا تعجيل الحكومة فيما وجهها له عجلاها و إن أرادا تأخيرها بعد شهر رمضان إلى انقضاء الموسم فذلك إليهما و إن هما لم يحكما بكتاب الله وسنة نبيه إلى انقضاء الموسم فالمسلمون على أمرهم الأول في الحرب و لا شرط بين الفريقين و على الأمة عهد الله وميثاقه على التمام والوفاء بما في هذا الكتاب وهم يد على من أراد فيه إلحادا وظلما أو حاول له نقضا وشهد فيه من أصحاب علي عشرة و من أصحاب معاوية عشرة وتاريخ كتابته لليلة بقيت من صفر سنة سبع وثلاثين . قال نصر و حدثنا عمرو بن سعيد قال حدثني أبو جناب عن ربيعة الجرمي قال لما كتبت الصحيفة دعي لها الأشر ليشهد مع الشهود عليه فقال لأصحابتي يميني و لانفعني بعدها الشمال إن كتب لي في هذه الصحيفة اسم على صلح أو موادعة أو ولست على بينة من أمري ويقين من ضلالة عدوى أو ولستم قد رأيتم الظفر إن لم تجمعوا على الخور فقال له رجل من الناس و الله ما رأيت ظفرا ولا خورا هلم فأشهد على نفسك وأقرر بما كتب في هذه الصحيفة فإنه لا رغبة لك عن الناس فقال بلى و الله إن لي لرغبة عنك في الدنيا للدنيا و في الآخرة للآخرة ولقد سفك الله بسيفي هذادماء رجال ما أنت عندي بخير منهم و لا أحرم دما. قال نصر بن مزاحم الرجل هو الأشعث بن قيس قال فكأنما قصع على أنه الحميم ثم قال ولكني قد رضيت بما يرضى به أمير المؤمنين ودخلت فيما دخل فيه وخرجت مما خرج منه فإنه لا يدخل إلا في الهدى والصواب . [صفحة ٢٣٧] قال نصر فحدثنا عمر بن سعد عن أبي جناب الكلبي عن إسماعيل بن شفيع عن سفيان بن سلمة قال فلما تم الكتاب وشهدت فيه الشهود وتراضى الناس خرج الأشعث ومعه ناس بنسخة الكتاب يقرؤها على الناس ويعرضها عليهم فمر به على صفوف من أهل الشام وهم على راياتهم فأسمعهم إياه فرضوا به ثم مر به على صفوف من أهل

العراق وهم على راياتهم فأسمعهم إياه فرضوا به حتى مر برايات عنزة و كان مع علي ع من عنزة بصفين أربعة آلاف مجفف فلما مر بهم الأشعث يقرؤه عليهم قال فتيان منهم لا-حكم إلا الله ثم حملا- على أهل الشام بسيو فها فتاتلا حتى قتلا على باب رواق معاوية فهما أول من حكم واسماهما جعد ومعدان ثم مر بهما على مراد فقال صالح بن شقيق و كان من رءوسهم مالعلي في الدماء قدحكم || لوقاتل الأ-حزاب يوما ماضلم . لاحكم إلا الله و لوكره المشركون ثم مر على رايات بني راسب فقرأها عليهم فقال رجل منهم لا-حكم إلا الله لانرضى و لانحكم الرجال في دين الله ثم مر على رايات تميم فقرأها عليهم فقال رجل منهم لا-حكم إلا الله يقضى بالحق و هوخير الفاصلين فقال رجل منهم لآخر أما هذا فقد طعن طعنة نافذة و خرج عروة بن أديء أخو مرداس بن أديء التميمي فقال أتحكامون الرجال في أمر الله لاحكم إلا الله فأين قتالنا ياأشعث ثم شد بسيفه ليضرب به الأشعث فأخطاه وضرب عجز دابته ضربة خفيفة فصاح به الناس أن أملكك يدك فكف ورجع الأشعث إلى قومه فمشى الأحنف إليه ومعقل بن قيس ومسر بن فدي ورجال من بني تميم فتنصلوا واعتذروا فقبل منهم ذلك وانطلق إلى علي ع فقال يا أمير المؤمنين إنني [صفحة ٢٣٨] عرضت الحكومة على صفوف أهل الشام و أهل العراق فقالوا جميعا رضينا حتى مررت برايات بني راسب ونبذ من الناس سواهم فقالوا لانرضى لاحكم إلا الله فمل بأهل العراق و أهل الشام عليهم حتى نقتلهم فقال علي ع هل هي غير راية أورائتين ونبذ من الناس قال لا قال فدعهم . قال نصر فظن علي ع أنهم قليلون لايعبأ بهم فما راعه إلا نداء الناس من كل جهة و من كل ناحية لاحكم إلا الله الحكم لله يا علي لا لك لانرضى بأن يحكم الرجال في دين الله إن الله قد أمضى حكمه في معاوية وأصحابه أن يقتلوا أو يدخلوا تحت حكمنا عليهم و قد كنا زلنا وأخطأنا حين رضينا بالحكمين و قد بان لنا زلنا وخطونا فرجعنا إلى الله وتبنا فارجع أنت يا علي كمارجعنا وتب إلى الله كمتبنا و إلا برئنا منك فقال علي ع ويحكم أ بعد الرضا والميثاق والعهد نرجع أ ليس الله تعالى قد قال أوفوا بالعقود و قال و أوفوا بعهد الله إذا عاهدتم و لا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها و قد جعلتم الله عليكم كفيلا فأبى علي أن يرجع وأبت الخوارج إلا تضليل التحكيم والطعن فيه فبرئت من علي ع وبرئ علي ع منهم . - قرآن - ٧٨٠-٧٩٨-قرآن- ٨٠٦-٩٢٩ قال نصر و قام إلى علي ع محمد بن جريش فقال يا أمير المؤمنين أ ما إلى الرجوع عن هذا الكتاب سبيل فو الله إنني لأخاف أن يورث ذلا فقال علي ع -رواية- ١-٢-رواية- ١١-ادامه دارد [صفحة ٢٣٩] أ بعد أن كتبناه ننقضه إن هذا لا يحل -رواية- از قبل ٤٢ قال نصر وحدثني عمر بن نمير بن وعلة عن أبي الوداك قال لمات داعي الناس إلى المصاحف و كتبت صحيفة الصلح والتحكيم قال علي ع إنما فعلت ما فعلت لمابدا فيكم من الخور والفشل عن الحرب فجاءت إليه همدان كأنها ركن حصير فيهم سعيد بن قيس وابنه عبدالرحمن غلام له ذؤابة فقال سعيد ها أنا ذا وقومي لانرد أمرك فقل ماشئت نعمله فقال أما لو كان هذا قبل سطر الصحيفة لأزلتهم عن عسكرهم أو تنفرد سالفتي قبل ذلك ولكن انصرفوا راشدين فلعمري ما كنت لأعرض قبيلة واحدة للناس -رواية- ١-٢-رواية- ١-٢-رواية- ٦٠-٤٨٣ قال نصر وروى الشعبي أن عليا ع قال يوم صفين حين أقر الناس بالصلح إن هؤلاء القوم لم يكونوا لينبوا إلى الحق و لا ليحيوا إلى كلمة سواء حتى يرموا بالمناسر تتبعها العساكر و حتى يرموا بالكتائب تفقوها الجلائب -رواية- ١-٢-رواية- ١١-ادامه دارد [صفحة ٢٤٠] و حتى يجرب بلادهم الخميس يتلوه الخميس و حتى يدعوا الخيول في نواحي أرضهم و بأحناء مساربهم و مساربهم و حتى تشن عليهم الغارات من كل فج و حتى يلقاهم قوم صدق صبر لا يزيدهم هلاك من هلك من قتلاهم و موتاهم في سبيل الله إلا جدا في طاعة الله و حرصا على لقاء الله و لقد كنا مع رسول الله ص نقتل آباءنا و أبناءنا و إخواننا و أخواننا و أعمامنا لا يزيدنا ذلك إلا إيمانا و تسليما و مضيا على أمض الألم و جدا على جهاد العدو و الاستقلال بمبارزة الأقران و لقد كان الرجل منا و الآخر من عدونا يتصاولان يتصاول الفحلين يتخالسان أنفسهما أيهما يسقى صاحبه كأس المنون فمرة لنا من عدونا و مرة لعدونا منا فلما رأنا الله صدقا صبورا أنزل بعدونا الكبت و أنزل علينا النصر و لعمري لو كنا نأتى مثل الذي أتيتم مقام الدين و لا عز الإسلام و ايم الله لتحلبنها دما فاحفظوا

ما أقول لكم -رواية- از قبل- ٧٧٧ وروى نصر عن عمرو بن شمر عن فضيل بن خديج قال قيل لعلى ع لما كتبت الصحيفة أن الأشر لم يرض بما فى الصحيفة ولا يرى الإقتال القوم فقال على ع بلى إن الأشر ليرضى إذ أرضيت و قدرضيت ورضيتم و لا يصلح الرجوع بعد الرضا و لا التبديل بعد الإقرار إلا أن يعصى الله أو يتعدى ما فى كتابه و أما الذى ذكرتم من تركه أمرى و ما أنا عليه فليس من أولئك و لا أعرفه على ذلك و لیت فيكم مثله اثنين بل لیت فيكم مثله واحدا يرى فى عدوى مثل رأيه إذ الخفت مئونتكم على و رجوت أن يستقيم لى بعض أودكم -رواية- ١-٢-رواية- ٥١-٥١١ [صفحة ٢٤١] قال نصر وروى أبو عبد الله زيد الأودى أن رجلا منهم يقال له عمرو بن أوس قاتل مع على ع يوم صفين فأسره معاوية فى أسرى كثيرة فقال له عمرو بن العاص اقتلهم فقال له عمرو بن أوس لا تقتلنى يا معاوية فإنك خالى فقامت إليه بنو أود فاستوهبوه فقال دعوه فلمعمرى إن كان صادقا فيما ادعاه من خئولتى إياه ليستغين عن شفاعتكم و لإفشافتكم من ورائه ثم استداناه فقال من أين أنا خالك فو الله ما بين بنى عبد شمس و بين أود من مصاهرة قال فإن أخبرتك فعرفت فهو أمان عندك قال نعم قال أليست أم حبيبة أختك أم المؤمنين فأنا ابنها و أنت أخوها فأنت إذا خالى فقال معاوية لله أبوه أما كان فى هؤلاء الأسرى من يفتن إلى هذا غيره ثم خلى سبيله . وروى ابراهيم بن الحسين بن على الكسائى المعروف بابن ديزيل الهمدانى فى كتاب صفين قال حدثنا عبد الله بن عمر قال حدثنا عمرو بن محمد قال دعا معاوية بن أبى سفيان عمرو بن العاص لبيعته حكما فجاء و هو متحزم عليه ثيابه و سيفه و حوله أخوه وناس من قريش فقال له معاوية يا عمرو إن أهل الكوفة أكرهوا عليا على أبى موسى و هو لا يريد و نحن بك راضون و قد ضم إليك رجل طويل اللسان كليل المدية و له بعد حظ من دين فإذا قال فدعه يقل ثم قل فأوجز واقطع المفصل و لا تلقه بكل رأيك و اعلم أن خبء الرأى زيادة فى العقل فإن خوفك بأهل العراق فخوفه بأهل الشام و إن خوفك بعلى فخوفه بمعاوية و إن [صفحة ٢٤٢] خوفك بمصر فخوفه باليمن و إن أتاك بالتفصيل فأته بالجمل فقال له عمرو يا معاوية أنت و على رجلا قريش و لم تنل فى حربك مارجوت و لم تأمن ما خفت ذكرت أن لعبد الله دينا و صاحب الدين منصور و ايم الله لأفنين عليه الله و لأستخرجن خبأه ولكن إذا جاءنى بالإيمان والهجرة و مناقب على ما عسيت أن أقول قال قل ماترى فقال عمرو وهل تدعنى و ما أرى و خرج مغضبا كأنه كره أن يوصى ثقة بنفسه و قال لأصحابه حين خرج إنما أراد معاوية أن يصغر أمر أبى موسى لأنه علم أنى خادعه غدا فأحب أن يقول إن عمرا لم يخدع أريبا فقد كدته بالخلاف عليه و قال فى ذلك يشجعنى معاوية بن حرب || كأنى للحوادث مستكين وإنى عن معاوية غنى || بحمد الله و الله المعين و هو ن آمر عبد الله عمدا || و قال له على ما كان دين فقلت له و لم أردد عليه || مقالته وللشاكى أنين ترى أهل العراق يذب عنهم || و عن جيرانهم رجل مهين فلو جهلوه لم يجهل على || و غث القول يحمله السمين ولكن خطبه فيهم عظيم || و فضل المرء فيهم مستبين فإن أظفر فلم أظفر بوغد || و إن يظفر فقد قطع الوتين . فلما بلغ معاوية شعره غضب من ذلك و قال لو لاسيره لكان لى فيه رأى فقال له عبد الرحمن ابن أم الحكم أما و الله إن أمثاله فى قريش لكثير ولكنك ألزمت نفسك الحاجة إليه فألزمها الغناء عنه فقال له معاوية فأجبه عن شعره فقال عبد الرحمن يعيره بفراره من على يوم صفين [صفحة ٢٤٣] ألا- يا عمرو عمرو قبيل سهم || أ من طب أصابك ذا الجنون دع البغى الذى أصبحت فيه || فإن البغى صاحبه لعين ألم تهرب بنفسك من على || بصفين و أنت بهاضنين حذارا أن تلاقيك المنايا || و كل فتى سيدركه المنون ولسنا عائبين عليك إلا- || لقولك إننى لأستكين . قال نصر ثم إن الناس أقبلوا على قتلاهم فدفنوهم قال و قد كان عمر بن الخطاب دعا فى خلافته حابس بن سعد الطائى فقال له إنى أريد أن أوليك قضاء حمص فكيف أنت صانع قال أجتهد رأى و أستشير جلسائى قال فانطلق إليها فلم يمش إلا يسيرا حتى رجع فقال يا أمير المؤمنين إنى رأيت رؤيا أحببت أن أقصها عليك قال هاتها قال رأيت كأن الشمس أقبلت من المشرق و معها جمع عظيم و كأن القمر قد أقبل من المغرب و معه جمع عظيم فقال له عمر مع أيهما كنت قال كنت مع القمر قال كنت مع الآية الممحوة اذهب فلا و الله لا تلى

لى عملا ورده فشهد مع معاوية صفيين وكانت رايه طيء معه فقتل يومئذ فمر به عدى بن حاتم ومعه ابنه زيد فرآه قتيلا فقال له ياأبت هذا والله خالى قال نعم لعن الله خالك فبئس والله المصرع مصرعه فوقف زيد وقال من قتل هذا الرجل مرارا فخرج إليه رجل من بكر بن وائل طوال يخضب فقال أناقتله فقال له كيف صنعت به فجعل يخبره فطعنه زيد بالرمح فقتله وذلك بعد أن وضعت الحرب أوزارها فحمل عليه عدى أبوه يسبه ويشتم أمه ويقول يا ابن المائقة لست على دين محمد إن لم أدفعك إليهم فضرب [صفحة ٢٤٤] زيد فرسه فلحق بمعاوية فأكرمه وحمله وأدنى مجلسه فرفع عدى يديه فدعا عليه وقال اللهم إن زيدا قدفارق المسلمين ولحق بالملحدين اللهم فارمه بسهم من سهامك لايشوى أو قال لا يخطئ فإن رميتك لا تنمى والله لا أكلمه من رأسى كلمة أبدا ولا يظلنى وإياه سقف أبدا وقال زيد فى قتل البكرى من مبلغ أبناء طى بأننى || تأرت بخالى ثم لم أتأثم تركت أخوا بكر ينوء بصدرة || بصفيين مخضوب الجبين من الدم وذكرنى تأرى غداة رأيتته || فأوجرتة رمحى فخر على الفم لقد غادرت أرماح بكر بن وائل || قتيلا عن الأهوال ليس بمحجم قتيلا يظل الحى يثنون بعده || عليه بأيد من نداء وأنعم لقد فجعت طى بحلم وائل || وصاحب غارات ونهب مقسم لقد كان خالى ليس خال كمثلته || دفاعا لضييم واحتمالا لمغرم . قال نصر وروى الشعبى عن زياد بن النضر أن عليا ع بعث أربعمائه عليهم شريح بن هانى الحارثى ومعه عبد الله بن عباس يصلى بهم ويلى أمورهم ومعهم أبو موسى الأشعرى وبعث معاوية عمرو بن العاص فى أربعمائه ثم إنهم [صفحة ٢٤٥] خلوا بين الحكيمين فكان رأى عبد الله بن قيس أبو موسى فى عبد الله بن عمرو بن الخطاب وكان يقول والله إن استطعت لأحيين سنه عمر . قال نصر وفى حديث محمد بن عبيد الله عن الجرجانى قال لماأراد أبو موسى المسير قام إليه شريح بن هانى فأخذ بيده وقال يا أبا موسى إنك قدنصبت لأمر عظيم لايجبر صدعه ولا تستقال فنتته ومهما تقل من شىء عليك أو لك يثبت حقه وتر صحته وإن كان باطلا وإنه لابقاء لأهل العراق إن ملكهم معاوية ولا بأس على أهل الشام إن ملكهم على وقد كانت منك تشيطة أيام الكوفة والجمل فإن تشفعها بمثلها يكن الظن بك يقينا والرجاء منك ياسا ثم قال له شريح فى ذلك أبا موسى رميت بشر خصم || فلاتضع العراق فدتك نفسى وأعط الحق شامهم وخذه || فإن اليوم فى مهل كأمس وإن غدا يجيء بما عليه || كذاك الدهر من سعد ونحس ولايخدعك عمرو إن عمرا || عدو الله مطلع كل شمس له خدع يحار العقل منها || مموهة مزخرفة بلبس فلاتجعل معاوية بن حرب || كشيخ فى الحوادث غيرنكس هداه الله للإسلام فردا || سوى عرس النبى و أى عرس . فقال أبو موسى ماينبغى لقوم اتهمونى أن يرسلونى لأدفع عنهم باطلا أوأجر إليهم حقا [صفحة ٢٤٦] وروى المدائنى فى كتاب صفيين قال لماأجمع أهل العراق على طلب أبى موسى وأحضره للتحكيم على كره من على ع أتاه عبد الله بن العباس وعنده وجوه الناس وأشرافهم فقال له يا أبا موسى إن الناس لم يرضوا بك ولم يجتمعوا عليك لفضل لا تشارك فيه وما أكثر أشباهك من المهاجرين والأنصار والمتقدمين قبلك ولكن أهل العراق أبوا إلا أن يكون الحكم يمانيا ورأوا أن معظم أهل الشام يمان وايم الله إنى لأظن ذلك شرا لك ولنا فإنه قدضم إليك داهية العرب وليس فى معاوية خلة يستحق بهاالخلافة فإن تقذف بحقك على باطله تدرك حاجتك منه وإن يطمع باطله فى حقك يدرك حاجته منك واعلم يا أبا موسى أن معاوية طليق الإسلام وإن أباه رأس الأحزاب وأنه يدعى الخلافة من غيرمشورة ولابيعة فإن زعم لك أن عمر وعثمان استعملاه فلقد صدق استعمله عمر وهووالى عليه بمنزلة الطيب يحميه مايشتهى ويؤجره مايكره ثم استعمله عثمان برأى عمر وما أكثر من استعملا ممن لم يدع الخلافة واعلم أن لعمر مع كل شىء يسرك خبيثا يسوءك ومهما نسيت فلاتنس أن عليا بايعه القوم الذين بايعوا أبابكر وعمر وعثمان وأنها بيعة هدى وأنه لم يقاتل إلاالعاصيين والناكثين فقال أبو موسى رحمك الله والله ما لى إمام غير على وإنى لواقف عند مارأى وإن حق الله أحب إلى من رضا معاوية وأهل الشام وما أنت وأنا إلاالله . وروى البلاذرى فى كتاب أنساب الأشراف قال قيل لعبد الله بن عباس [صفحة ٢٤٧] ما منع عليا أن يبعثك مع عمرو يوم التحكيم فقال منعه حاجز القدر ومحنة

الابتلاء وقصر المدة أما والله لو كنت لقعدت على مدارج أنفاسه ناقضا ما أبرم ومبرما مانقض أطيرو إذا أسف وأسف إذا طار ولكن قد سبق قدر وبقى أسف ومع اليوم غد والآخرة خير لأمر المؤمنين . وذكر البلاذري أيضا قال قام عمرو بن العاص بالموسم فأطرى معاوية وبني أمية وتناول بني هاشم وذكر مشاهدته بصفين ويوم أبي موسى فقام إليه ابن عباس فقال يا عمرو إنك بعث دينك من معاوية فأعطيته ما في يدك ومناك ما في يد غيره فكان الذي أخذ منك فوق الذي أعطاك وكان الذي أخذت منه دون ما أعطيته وكل راض بما أخذ وأعطى فلما صارت مصر في يدك تتبعك بالنقض عليك والتعقب لأمرك ثم بالعزل لك حتى لو أن نفسك في يدك لأرسلتها وذكرت يومك مع أبي موسى فلا أراك فخرت إلا بالغدور والغش وذكرت مشاهدك بصفين فوالله ما ثقلت علينا وطأتك ولا نكأت فينا جرأتك ولقد كنت فيها طويل اللسان قصير البنان آخر الحرب إذا قبلت وأولها إذا أدبرت لك يدان يد لا تقبضها عن شر ويد لا تبسطها إلى خير ووجهان وجه مؤنس ووجه موحش ولعمري إن من باع دينه بدنيا غيره لحرى حزنه على ما باع واشترى أما إن لك بيانا ولكن فيك خطل وإن لك لرأيا ولكن فيك فشل وإن أصغر عيب فيك لأعظم عيب في غيرك . قال نصر وكان النجاشي الشاعر صديقا لأبي موسى فكتب إليه يحذره من عمرو بن العاص يؤمل أهل الشام عمرا وإنني || لآمل عبد الله عند الحقائق [صفحة ٢٤٨] وإن أبا موسى سيدرك حقنا || إذا مارى عمرا يا حدى البوائق فله ما يرمى العراق وأهله || به منه إن لم يرمه بالصواعق . فكتب إليه أبو موسى إنى لأرجو أن ينجلي هذا الأمر وأنا فيه على رضا الله سبحانه . قال نصر ثم إن شريح بن هانئ جهز أبا موسى جهازا حسنا وعظم أمره فى الناس ليشرف فى قومه فقال الأعمور الشنى فى ذلك يخاطب شريحا . زفت ابن قيس زفاف العروس || شريح إلى دومة الجندل وفى زفك الأشعرى البلاء || وما يقض من حادث ينزل وما للأشعرى بذى إربة || ولصاحب الخطة الفيصل ولا آخذا حظ أهل العراق || ولوقيل ها خذ لم يفعل يحاول عمرا وعمرو له || خدائع يأتى بها من على فإن يحكما بالهدى يتبع || وإن يحكما بالهوى الأميل يكونا كتيسين فى قفرة || أكيلي نقيف من الحنظل . فقال شريح والله لقد تعجلت رجال مساء تنا فى أبا موسى وطعنوا عليه بأسوا الطعن وظنوا فيه ما الله عصمه منه إن شاء الله [صفحة ٢٤٩] قال وسار مع عمرو بن العاص شرحبيل بن السمط فى خيل عظيمة حتى إذا أمن عليه خيل أهل العراق ودعه ثم قال له يا عمرو إنك رجل قريش وإن معاوية لم يبعثك إلا ليعلمه أنك لا تتوتى من عجز ولا مكيدة وقد عرفت أنى وطئت هذا الأمر لك ولصاحبك فكن عند ظنى بك ثم انصرف وانصرف شريح بن هانئ حين أمن خيل أهل الشام على أبا موسى وودعه . وكان آخر من ودع أبا موسى الأحنف بن قيس أخذ بيده ثم قال له يا أبا موسى اعرف خطب هذا الأمر واعلم أن له مابعد وأنك إن أضعت العراق فلا عراق اتق الله فإنها تجمع لك دنياك وآخرتك وإذ القيت غدا عمرا فلا تبدأ بالسلام فإنها وإن كانت سنة إلا أنه ليس من أهلها ولا تعطه يدك فإنها أمانة وإياك أن يقعدك على صدر الفراش فإنها خدعة ولا تلقه إلا وحده واحذر أن يكلمك فى بيت فيه مخدع تخبأ لك فيه الرجال والشهود ثم أراد أن يثور ما فى نفسه لعلى فقال له فإن لم يستقم لك عمرو على الرضا بعلى فليختر أهل العراق من قريش الشام من شاءوا أو فليختر أهل الشام من قريش العراق من شاءوا . فقال أبو موسى قد سمعت ما قلت ولم ينكر ما قاله من زوال الأمر عن على . فرجع الأحنف إلى على فقال له أخرج أبو موسى والله زبده سقائه فى أول مخضه لأرانا لإبعثنا رجلا لا ينكر خلعتك فقال على الله غالب على أمره . قال نصر وشاع وفشا أمر الأحنف وأبى موسى فى الناس فبعث الصلتان العبدى وهوبالكوفة إلى دومة الجندل بهذه الأبيات [صفحة ٢٥٠] لعمرك لألقى مدى الدهر خالعا || عليا بقول الأشعرى ولا عمرو فإن يحكما بالحق نقبله منهما || وإلا أثرنا كراغية البكر ولسنا نقول الدهر ذاك إليهما || وفى ذاك لوقلناه قاصمة الظهر ولكن نقول الأمر والنهى كله || إليه وفى كفيه عاقبة الأمر وما اليوم إلا مثل أمس وإننا || لفى وشل الضحضاح أولج البحر . قال فلما سمع الناس قول الصلتان شحذهم ذلك على أبا موسى واستبطأ القوم وظنوا به الظنون ومكث الرجلان بدومة الجندل لا يقولان

شيئا و كان سعد بن أبي وقاص قد اعتزل عليا ومعاوية ونزل على ماء لبني سليم بأرض البادية يتشوف الأخبار و كان رجلا له بأس ورأى ومكان في قريش و لم يكن له هوى في علي ولا في معاوية فأقبل راكب يوضع من بعيد فإذا هوابنه عمر فقال له أبوه مهيم فقال التقى الناس بصفين فكان بينهم ما قد بلغك حتى تفانوا ثم حكموا عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص و قد حضر ناس من قريش عندهما و أنت من أصحاب رسول الله ص و من أهل الشورى و من قال له النبي ص اتقوا دعوته و لم تدخل في شيء مما تكره الأمة فاحضر دومة الجندل فإنك صاحبها غدا فقال مهلا يا عمر إني سمعت رسول الله ص يقول تكون بعدى فتنة خير الناس فيها التقى الخفي -رواية- ١-٢-رواية- ٣٤-٨٠ و هذا أمر لم أشهد أوله فلا أشهد آخره [صفحة ٢٥١] و لو كنت غامسا يدي في هذا الأمر لغمستها مع علي بن أبي طالب و قد رأيت أباك كيف وهب حقه من الشورى و كره الدخول في الأمر فارتحل عمر و قد استبان له أمر أبيه . قال نصر و قد كان الأجناد أبطأت على معاوية فبعث إلى رجال من قريش كانوا كرهوا أن يعينوه في حربه إن الحرب قد وضعت أوزارها والتقوى هذان الرجلان في دومة الجندل فاقدموا علي . فأتاه عبد الله بن الزبير و عبد الله بن عمر بن الخطاب و أبو الجهم بن حذيفة العدوي و عبدالرحمن بن الأسود بن عبد يغوث الزهري و عبد الله بن صفوان الجمحي و أتاه المغيرة بن شعبه و كان مقيما بالطائف لم يشهد الحرب فقال له يا مغيرة ماترى قال يا معاوية لو وسعني أن أنصرك لنصرتك ولكن علي أن آتيك بأمر الرجلين فرحل حتى أتى دومة الجندل فدخل على أبي موسى كالزائر له فقال يا أبا موسى ماتقول فيمن اعتزل هذا الأمر و كره الدماء قال أولئك خير الناس خفت ظهورهم من دمائهم و خصمت بطونهم من أموالهم ثم أتى عمرا فقال يا أبا عبد الله ماتقول فيمن اعتزل هذا الأمر و كره الدماء قال أولئك شرار الناس لم يعرفوا حقا و لم ينكروا باطلا فرجع المغيرة إلى معاوية فقال له قد ذقت الرجلين أما عبد الله [صفحة ٢٥٢] بن قيس فخالع صاحبه وجاعلها لرجل لم يشهد هذا الأمر وهواه في عبد الله بن عمر و أماعمر بن العاص فهو صاحب الذي تعرف و قد ظن الناس أنه يرومها لنفسه و أنه لا يرى أنك أحق بهذا الأمر منه قال نصر في حديث عمرو بن شمر قال أقبل أبو موسى على عمرو فقال يا عمرو هل لك في أمر هو للأمة صلاح ولصالحاء الناس رضا نولي هذا الأمر عبد الله بن عمر بن الخطاب الذي لم يدخل في شيء من هذه الفتنة و لا هذه الفرقة قال و كان عبد الله بن عمرو بن العاص و عبد الله بن الزبير قريبين يسمعان هذا الكلام فقال عمرو فأين أنت يا أبا موسى عن معاوية فأبى عليه أبو موسى قال وشهدهم عبد الله بن هشام و عبدالرحمن بن الأسود بن عبد يغوث و أبو الجهم بن حذيفة العدوي والمغيرة بن شعبه فقال عمرو ألسنت تعلم أن عثمان قتل مظلوما قال بلى قال اشهدوا ثم قال فما يمنعك من معاوية و هوولى عثمان و قد قال الله تعالى وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِرِوَيْهِ سُلْطٰنًا ثُمَّ إِنَّ بَيْتَ مَعَاوِيَةَ مِنْ قَرِيشٍ مَا قَدَعَلِمْتَ فَإِنْ خَشِيتَ أَنْ يَقُولَ النَّاسُ وَلِي مَعَاوِيَةَ وَ لَيْسَتْ لَهُ سَابِقَةٌ فَإِنْ لَكَ حِجَّةٌ أَنْ تَقُولَ وَجَدْتَهُ وَلِي عِثْمَانَ الْخَلِيفَةَ الْمَظْلُومَ وَالطَّالِبَ بِدَمِهِ الْحَسَنَ السِّيَاسَةَ الْحَسَنَ التَّدْبِيرَ وَ هُوَ أَخُو أُمِّ حَبِيبَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ وَ زَوْجَ النَّبِيِّ ص وَ قَدْ صَحَبَهُ وَ هُوَ أَحَدُ الصَّحَابَةِ ثُمَّ عَرَضَ لَهُ بِالسُّلْطٰنِ فَقَالَ لَهُ إِنَّ هُوَ لِي الْأَمْرَ أَكْرَمَكَ كِرَامَةً لَمْ يَكْرَمَكَ أَحَدٌ قَطُّ مِثْلَهَا فَقَالَ أَبُو مُوسَى اتَّقِ اللَّهَ يَا عَمْرُو أَمَا مَا ذَكَرْتَ مِنْ شَرَفِ مَعَاوِيَةَ فَإِنَّ هَذَا - قرآن- ٨١٢-٨٦٨ [صفحة ٢٥٣] الأمر ليس على الشرف يولاه أهله لو كان على الشرف كان أحق الناس بهذا الأمر أبرهه بن الصباح إنما هو لأهل الدين والفضل مع أنى لو كنت أعطيه أفضل قريش شرفا لأعطيته علي بن أبي طالب و أما قولك إن معاوية ولي عثمان فوله هذا الأمر فإني لم أكن أوليه إياه لنسبته من عثمان وأدع المهاجرين الأولين و أما تعريضك لي بالإمرة والسلطان فوالله لو خرج لي من سلطانه ما وليته و ما كنت أرتشى في الله ولكنك إن شئت أحيينا سنة عمر بن الخطاب . قال نصر وحدثني عمر بن سعد عن أبي جناب أن أبا موسى قال غير مرة و الله إن استطعت لأحيين اسم عمر بن الخطاب قال فقال عمرو بن العاص إن كنت إنما تريد أن تبايع ابن عمر لدينه فما يمنعك من ابني عبد الله و أنت تعرف فضله وصلاحه فقال إن ابنك لرجل صدق ولكنك قد غمسته في هذه الفتنة . قال نصر و حدثنا عمر بن سعد عن محمد بن إسحاق عن نافع قال قال أبو موسى لعمر و يا عمرو

إن شئت ولينا هذا الأمر الطيب ابن الطيب عبد الله بن عمر فقال له عمرو يا أبا موسى إن هذا الأمر لا يصلح له إلا رجل له ضرر يأكل ويطعم وإن عبد الله ليس هناك . قال نصر و قد كان في أبي موسى غفلة فقال ابن الزبير لابن عمر اذهب إلى عمرو بن العاص فارشه فقال ابن عمر لا- والله لا-أرشو عليها بشيء أبدا ماعشت ولكنه قال له إن العرب قد أسندت إليك أمرها بعد ماتقارعت بالسيوف وتطاعنت بالرماح فلا تردهم في فتنه واتق الله . [صفحہ ۲۵۴] قال نصر و حدثنا عمر بن سعد عن أزهر العبسي عن النضر بن صالح قال كنت مع شريح بن هانئ في غزوة سجستان فحدثني أن عليا ع أوصاه بكلمات إلى عمرو بن العاص و قال له قل لعمرو إذ ألقىته إن عليا يقول لك إن أفضل الخلق عند الله من كان العمل بالحق أحب إليه و إن نقصه و إن أبعده الخلق من الله من كان العمل بالباطل أحب إليه و إن زاده و الله يا عمرو إنك لتعلم أين موضع الحق فلم تتجاهل أبأن أوتيت طمعا يسيرا صرت لله ولأوليائه عدوا فكان و الله ما قد أوتيت قد زال عنك فلا تكن للخائنين خصيما و للظالمين ظهيرا أما إنى أعلم أن يومك الذي أنت فيه نادم هو يوم وفاتك و سوف تتمنى أنك لم تظهر لى عداوة و لم تأخذ على حكم الله رشوة قال شريح فأبلغته ذلك يوم لقيته فتمعر وجهه و قال متى كنت قابلا- مشورة على أومنيا إلى رأيه أو معتدا بأمره فقلت و ما يمنعك يا ابن النابغة أن تقبل من مولاك و سيد المسلمين بعد نبيهم مشورته لقد كان من هو خير منك أبو بكر و عمر يستشيرانه و يعاملان برأيه فقال إن مثلى لا يكلم مثلك فقلت بأى أوبىك ترغب عن كلامى بأبيك الوشيط أم بأمك النابغة فقام من مكانه و قمت . قال نصر و روى أبو جناب الكلبى أن عمرا و أبا موسى لما التقيا بدومة الجندل أخذ عمرو يقدم أبا موسى فى الكلام و يقول إنك صحبت رسول الله ص قبلى و أنت أكبر منى سنا فتكلم أنت ثم أتكلم أنا فجعل ذلك سنة و عادة بينهما [صفحہ ۲۵۵] وإنما كان مكررا و خديعة و اغترارا له أن يقدمه فيبدأ بخلع على ثم يرى رأيه . و قال ابن ديزيل فى كتاب صفين أعطاه عمرو صدر المجلس و كان لا يتكلم قبله و أعطاه التقدم فى الصلاة و فى الطعام لا يأكل حتى يأكل و إذا خاطبه فإنما يخاطبه بأجل الأسماء و يقول له يا صاحب رسول الله حتى اطمأن إليه و ظن أنه لا يغشه . قال نصر فلما انمخضت الزبدة بينهما قال له عمرو أخبرنى ما رأيك يا أبا موسى قال أرى أن أنخلع هذين الرجلين و نجعل الأمر شورى بين المسلمين يختارون من شاءوا فقال عمرو الرأى و الله ما رأيت فأقبلا- إلى الناس و هم مجتمعون فتكلم أبو موسى فحمد الله و أثنى عليه ثم قال إن رأى و رأى عمرو قد اتفق على أمر نرجو أن يصلح الله به شأن هذه الأمة فقال عمرو صدق ثم قال له تقدم يا أبا موسى فتكلم فقام ليتكلم فدعاه ابن عباس فقال له و يحك و الله إنى لأظنه خدعك إن كنتما قد اتفقتما على أمر فقدمه قبلك ليتكلم به ثم تكلم أنت بعده فإنه رجل غدار و لا آمن أن يكون قد أعطاك الرضا فيما بينك و بينه فإذا قمت قمت به فى الناس خالفك و كان أبو موسى رجلا- مغفلا- فقال إيهما عنك إنا قد اتفقنا- فتقدم أبو موسى فحمد الله و أثنى عليه ثم قال أيها الناس إنا قد نظرنا فى أمر هذه الأمة فلم نر شيئا هو أصلح لأمرها و لا ألم لشعثها من ألا تتباين أمورها و قد أجمع رأى و رأى صاحبى على خلع على و معاوية و أن يستقبل هذا الأمر فيكون شورى بين المسلمين يولون أمورها من أحبوا و إنى قد خلعت عليا و معاوية فاستقبلوا [صفحہ ۲۵۶] أموركم و ولوا من رأيتموه لهذا الأمر أهلا- ثم تنحى . فقام عمرو بن العاص فى مقامه فحمد الله و أثنى عليه ثم قال إن هذا قد قال ما سمعتم و خلع صاحبه و أنا أخلع صاحبه كما خلعه و أثبت صاحبى معاوية فى الخلافة فإنه ولى عثمان و الطالب بدمه و أحق الناس بمقامه . فقال له أبو موسى ما لك لا وفقك الله قد غدرت و فجرت إنما مثلك كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث فقال له عمرو إنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفارا . و حمل شريح بن هانئ على عمرو فقنعه بالسوط و حمل ابن عمرو على شريح فقنعه بالسوط و قام الناس فحجزوا بينهما فكان شريح يقول بعد ذلك ما ندمت على شىء ندامتى إلا أكون ضربت عمرا بالسيف بدل السوط أتى الدهر بما أتى به . و التمس أصحاب على ع أبا موسى فركب ناقته و لحق بمكة و كان ابن عباس يقول قبح الله أبا موسى لقد حذرته و هديته إلى الرأى فما عقل و كان أبو موسى يقول لقد حذرنى ابن عباس غدرة الفاسق و لكنى اطمأنت إليه و ظننت أنه

لا يؤثر شيئا على نصيحه الأمة. قال نصر ورجع عمرو إلى منزله من دومة الجندل فكتب إلى معاوية أتتك الخلافة مزفوفة || هنيئا مريئا تقر العيوننا [صفحة ٢٥٧] تزف إليك زفاف العروس || بأهون من طعنك الداريننا و ماالأشعري بصلد الزناد || ولاخامل الذكر في الأشعرينا ولكن أتحت له حية || يظل الشجاع لها مستكينا فقلوا و قلت و كنت امرأ || أجهجه بالخصم حتى يلينا فخذها ابن هند على بعدها || فقد دافع الله ماتحذرونا و قدصرف الله عن شامكم || عدوا مبينا و حربا زبونا . قال نصر فقام سعد بن قيس الهمداني و قال و الله لواجتمعنا على الهدى مازدتماننا على مانحن الآن عليه و ماضلالكما بلازم لنا و مارجعتما إلا بما بدأتما به و إنا اليوم لعلى ما كنا عليه أمس . و قام كردوس بن هانئ مغضبا فقال ألا ليت من يرضى من الناس كلهم || بعمرو و عبد الله فى لجة البحر رضينا بحكم الله لاحكم غيره || وباللله ربا و النبى وبالذكر وبالأصلع الهادى على إمامنا || رضينا بذاك الشيخ فى العسر واليسر رضينا به حيا وميتا وإنه || إمام هدى فى الحكم والنهى والأمر فمن قال لاقلنا بلى إن أمره || لأفضل مانعناه فى ليلة القدر و مالابن هند بيعه فى رقابنا || و مايننا غيرالمثقفه السمر [صفحة ٢٥٨] وضرب يزيل الهام عن مستقره || و هيهات هيهات الرضا آخر الدهر أبت لى أشياخ الأرقام سبه || أسب بها حتى أغيب فى القبر . و تكلم يزيد بن أسد القسرى و هو من قواد معاوية فقال يا أهل العراق اتقوا الله فإن أهون ماتردنا وإياكم إليه الحرب ما كنا عليه بالأمس و هو الفناء و قدشخصت الأبصار إلى الصلح وأشرفت الأنفس على الفناء وأصبح كل امرئ يبكى على قتل مالكم رضيتم بأول أمر صاحبكم و كرهتم آخره إنه ليس لكم وحدكم الرضا. قال و قال بعض الأشعريين لأبى موسى أبا موسى خدعت و كنت شيخا || قريب القعر مدهوش الجنان رمى عمرو صفاتك يا ابن قيس || بأمر لانتوء به اليدان و قدكنا نجمجم عن ظنون || فصرحت الظنون عن العيان فعض الكف من ندم و ماذا || يرد عليك عضك بالبنان . قال و شمت أهل الشام بأهل العراق و قال كعب بن جعيل شاعر معاوية كأن أبا موسى عشيء أذرح || يطوف بلقمان الحكيم يواربه و لماتلاقوا فى تراث محمد || نمت بابن هند فى قریش مناسبه سعى بابن عفان ليدرك ثأره || وأولى عباد الله بالثأر طالبه [صفحة ٢٥٩] و قدغشيتنا فى الزبير غضاضة || وطلحة إذ قامت عليه نوادبه فرد ابن هند ملكه فى نصابه || و من غالب الأقدار فالله غالبه و مالابن هند من لؤى بن غالب || نظير و إن جاشت عليه أقرابه فهذاك ملك الشام واف سنامه || وهذاك ملك القوم قدجب غاربه يحاول عبد الله عمرا وإنه || ليضرب فى بحر عريض مذاهبه دحا دحوة فى صدره فهوت به || إلى أسفل الجب الظنون كواذبه . قال نصر و كان على ع لماخدع عمرو أبا موسى بالكوفة كان قددخلها منتظرا مايحكم به الحكمان فلما تم على أبى موسى ماتم من الحيلة غم ذلك عليا وساءه ووجم له وخطب الناس فقال الحمد لله و إن أتى الدهر بالخطب الفادح والحدث الجليل ... الخطبة التى ذكرها الرضى رحمه الله تعالى وهى التى نحن فى شرحها وزاد فى آخرها بعدالاستشهاد ببيت دريد ألا إن هذين الرجلين اللذين اخترتموهما قدنبذا حكم الكتاب وأحييا مأمات واتبع كل واحد منهما هواه وحكم بغير حجة و لا بينة و لاسنة ماضية و اختلفا فيما حكما فكلاهما لم يرشد الله فاستعدوا للجهاد وتأهبوا للمسير وأصبحوا فى معسكرهم يوم كذا -روايت- ١-٢٤٠ [صفحة ٢٦٠] قال نصر فكان على ع بعدالحكومة إذاصلى الغداة والمغرب وفرغ من الصلاة وسلم قال اللهم العن معاوية وعمرا و أبا موسى وحبيب بن مسلمة و عبدالرحمن بن خالد والضحاك بن قيس والوليد بن عقبه -روايت- ١-٢-روايت- ١١-١٩٤ فبلغ ذلك معاوية فكان إذاصلى لعن عليا وحسنا وحسينا و ابن عباس وقيس بن سعد بن عبادة والأشتر وزاد ابن ديزيل فى أصحاب معاوية أباالأعور السلمى. وروى ابن ديزيل أيضا أن أبا موسى كتب من مكة إلى على ع أما بعدفإنى قدبلغنى أنك تلغنى فى الصلاة ويؤمن خلفك الجاهلون وإنى أقول كما قال موسى ع رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ. -قرآن- ٣٠٦-٣٦٧ وروى ابن ديزيل عن وكيع عن فضل بن مرزوق عن عطية عن عبدالرحمن بن حبيب عن على ع أنه قال يؤتى بى وبمعاوية يوم القيامة فنجىء ونختصم عندذى العرش فأينا فلج فلج أصحابه -روايت- ١-٢-روايت- ١٠١-١٨٥ وروى أيضا عن عبدالرحمن بن نافع القارئ عن أبيه قال سئل

علي ع عن قتلى صفين فقال إنما الحساب علي و علي معاوية -رواية- ١-٢-رواية- ٦١-١٢٥ وروى أيضا عن الأعمش عن موسى بن طريف عن عباية قال سمعت عليا ع و هو يقول أناقسيم النار هذا لي و هذا لك -رواية- ١-٢-رواية- ٨٢-١١٦ وروى أيضا عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ص لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان دعوتهما واحدة فينما هم كذلك مرقت منهم مارقة يقتلهم أولى الطائفتين بالحق -رواية- ١-٢-رواية- ٦٠-١٨٤ . [صفحة ٢٦١] قال ابراهيم بن ديزيل و حدثنا سعيد بن كثير عن عفير قال حدثنا ابن لهيعة عن ابن هبيرة عن حنش الصنعاني قال جئت إلى أبي سعيد الخدري و قد عمى فقلت أخبرني عن هذه الخوارج فقال تأتوننا فنخبركم ثم ترفعون ذلك إلى معاوية فيبعث إلينا بالكلام الشديد قال قلت أنا حنش فقال مرحبا بك يا حنش المصري سمعت رسول الله ص يقول يخرج ناس يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر أحدكم في نصله فلا يرى شيئا فينظر في قذذه فلا يرى شيئا سبق الفرث و الدم يصلى بقتالهم أولى الطائفتين بالله -رواية- ١-٢-رواية- ٢٩-٢٣٧ فقال حنش فإن عليا صلى بقتالهم فقال أبو سعيد و ما يمنع عليا أن يكون أولى الطائفتين بالله . و ذكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري في أماليه قال قال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد حضرت الحكومة فلما كان يوم الفصل جاء عبد الله بن عباس فقعد إلى جانب أبي موسى و قد نشر أذنيه حتى كاد أن ينطق بهما فعلمت أن الأمر لا يتم لنا مادام هناك و أنه سيفسد علي عمرو و حيلته فأعملت المكيدة في أمره فجئت حتى قعدت عنده و قد شرع عمرو و أبو موسى في الكلام فكلمت ابن عباس كلمة استطعمته جوابها فلم يجب فكلمته أخرى فلم يجب فكلمته ثالثة فقال إنني لفي شغل عن حوارك الآن فجهته و قلت يا بني هاشم لا تتركون بأوكم و كبركم أبدا أما و الله لو لا مكان النبوة لكان لي و لك شأن قال فحمي و غضب و اضطرب فكره و رأيه و أسمعني كلاما يسوء سماعه فأعرضت عنه و قمت فقعدت إلى جانب عمرو بن العاص فقلت قد كفيتك التقالة إنني قد شغلت باله بما دار بيني و بينه فأحكم أنت أمرك قال [صفحة ٢٦٢] فذهل و الله ابن عباس عن الكلام الدائر بين الرجلين حتى قام أبو موسى فخلع عليا . و روى الزبير بن بكار في الموفقيات و رواه جميع الناس ممن عنى بنقل الآثار و السير عن الحسن البصري قال أربع خصال كن في معاوية لو لم يكن فيه إلا واحدة منهن لكانت موبقة انتراؤه علي هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها بغير مشورة منهم و فيهم بقايا الصحابة و ذوو الفضيلة و استخلافه بعده ابنه يزيد سكيما خميرا يلبس الحرير و يضرب بالطنابير و ادعاؤه زيادا و قد قال رسول الله ص الولد للفراش و للعاهر الحجر -رواية- ١-٢-رواية- ٢٨-٥٦ و قتله حجر بن عدى و أصحابه فيا و يله من حجر و أصحاب حجر . و روى في الموفقيات أيضا الخبر الذي رواه المدائني و قد ذكرناه آنفا من كلام ابن عباس لأبي موسى و قوله إن الناس لم يرتضوك لفضل عندك لم تشارك فيه و ذكر في آخره فقال بعض شعراء قريش و الله ما كلم الأقسام من بشر || بعد الوصي على كابن عباس أوصى ابن قيس بأمر فيه عصمته || لو كان فيها أبو موسى من الناس إنني أخاف عليه مكر صاحبه || أرجو رجاء مخوف شيب بالياس . و ذكر الزبير أيضا في الموفقيات أن يزيد بن حجية التيمي شهد الجمل و صفين و نهروان مع علي ع ثم ولاه الري و دستبي فسرق من أموالهما و لحق بمعاوية و هجا عليا و أصحابه و مدح معاوية و أصحابه فدعا عليه علي ع و رفع أصحابه أيديهم فأمنا و كتب إليه رجل من بني عمه كتابا يقبح إليه [صفحة ٢٦٣] ما صنع و كان الكتاب شعرا فكتب يزيد بن حجية إليه لو كنت أقول شعرا لأجبتك و لكن قد كان منكم خلال ثلاث لا ترون معهن شيئا مما تحبون أما الأولى فإنكم سرتم إلى أهل الشام حتى إذا دخلتم بلادهم و طعنتموهم بالرماح و أذقتموهم ألم الجراح رفعوا المصاحف فسخرها منكم و ردوكم عنهم فو الله و و الله لا دخلتموها بمثل تلك الشوكة و الشدة أبدا و الثانية أن القوم بعثوا حكما و بعثتم حكما فأما حكمهم فأثبتهم و أما حكمكم فخلعكم و رجع أصحابهم يدعى أمير المؤمنين و رجعت متضاغنين و الثالثة أن قراءكم و فقهاءكم و فرسانكم خالفوكم فعدوتم عليهم فقتلتموهم ثم كتب في آخر الكتاب بيتين لعفان بن شرحبيل التيمي أحببت أهل الشام من بين الملا- || و بكيت من أسف على عثمان أرضا مقدسة و قوما منهم || أهل اليقين و تابعو الفرقان و ذكر

فى بعض الصحاح يقتلهم أولى الفريقين بالحق . و فى مسند أحمد بن حنبل عن مسروق قال قالت لى عائشة إنك من ولدى و من أحبهم إلى فهل عندك علم من المخدج فقلت نعم قتله على بن أبى طالب على نهر يقال لأعلاه تامرا ولأسفله النهروان بين لخاقيق وطرفاء قالت ابغنى على ذلك بينه فأقمت رجلا شهدوا عندها بذلك قال فقلت لها سألتك بصاحب القبر ما ألدى سمعت من رسول الله ص فيهم فقالت نعم سمعته يقول إنهم شر الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة وأقربهم عند الله وسيلة -رواية- ١-٤٤٦ و فى كتاب صفين للواقدي عن على ع لو لا أن تبطروا فتدعوا العمل لحدثتكم بما سبق على لسان رسول الله ص لمن قتل هؤلاء -رواية- ١-١٢٨ و فيه قال على ع إذا حدثتكم عن رسول الله ص فلأن آخر من السماء أحب إلى من أن أكذب على رسول الله ص و إذا حدثتكم فيما بيننا عن نفسى فإن الحرب خدعة وإنما أنا رجل محارب سمعت رسول الله ص يقول يخرج فى آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام قولهم من خير -رواية- ١-١-ادامه دارد [صفحة ٢٦٨] أقوال أهل البرية صلاتهم أكثر من صلاتكم وقراءتهم أكثر من قراءتكم لا يجاوز إيمانهم تراقيهم أو قال حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فاقتلوهم فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة -رواية- از قبل- ٢٠٧ و فى كتاب صفين أيضا للمدائنى عن مسروق أن عائشة قالت له لما عرفت أن عليا ع قتل ذا الثدية لعن الله عمرو بن العاص فإنه كتب إلى يخبرنى أنه قتله بالإسكندرية ألا إنه ليس ينعنى ما فى نفسى أن أقول ماسمعتة من رسول الله ص يقول يقتله خير أمتى من بعدى -رواية- ١-٢٧ و ذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى التاريخ أن عليا ع لمدخل الكوفة دخلها معه كثير من الخوارج وتخلف منهم بالنخيلة وغيرها خلق كثير لم يدخلوها فدخل حرقوص بن زهير السعدى وزرعة بن البرج الطائى وهما من رءوس الخوارج على على ع فقال له حرقوص تب من خطيئتكم واخرج بنا إلى معاوية نجاهده فقال له على ع إنى كنت نهيتكم عن الحكومة فأبيتم ثم الآن تجعلونها ذنبا أما إنها ليست بمعصية ولكنها عجز من الرأى وضعف فى التدبير وقد نهيتكم عنه فقال زرعة أما والله لئن لم تتب من تحكيمك الرجال لأقتلنك أطلب بذلك وجه الله ورضوانه فقال على ع بؤسا لك ما أشقاك كأنى بك قتيلا تسفى عليك الرياح قال زرعة وددت أنه كان ذلك . قال وخرج على ع يخطب الناس فصاحوا به من جوانب المسجد [صفحة ٢٦٩] لاحكم إلا الله وصاح به رجل منهم واضح إصبه فى أذنيه فقال ولقد أوحى إليك و إلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين فقال له على ع فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون . وروى ابن ديزيل فى كتاب صفين قال كانت الخوارج فى أول ما انصرفت عن رايات على ع تهدد الناس قتلا قال فأت طائفة منهم على النهر إلى جانب قرية فخرج منها رجل مدعورا آخذا بشيابه فأدركوه فقالوا له رعبناك قال أجل فقالوا له قد عرفناك أنت عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ص قال نعم قالوا فما سمعت من أبيك يحدث عن رسول الله ص . قال ابن ديزيل فحدثهم أن رسول الله ص قال إن فتنه جائية القاعد فيها خير من القائم -رواية- ١-٩٠ و قال غيره بل حدثهم أن طائفة تمرق من الدين كما يمرق السهم من الرمية يقرءون القرآن صلاتهم أكثر من صلاتكم -رواية- ١-١١٦ الحديث فضربوا رأسه فسال دمه فى النهر ما مذقر أى ما اختلط بالماء كأنه شراك ثم دعوا بجارية له حبلى فبقروا عما فى بطنها . وروى ابن ديزيل قال عزم على ع الخروج من الكوفة إلى الحرورية و كان فى أصحابه منجم فقال له يا أمير المؤمنين لا تسرف فى هذه الساعة -رواية- ١-١-ادامه دارد [صفحة ٢٧٠] وسر على ثلاث ساعات مضين من النهار فإنك إن سرت فى هذه الساعة أصابك وأصحابك أذى وضر شديد و إن سرت فى الساعة التى أمرتك بها ظفرت وظهرت وأصبت ما طلبت فقال له على ع أتدرى ما فى بطن فرسى هذه أذكر هوأم أنثى قال إن حسبت علمت فقال على ع من صدقك بهذا فقد كذب بالقرآن قال الله تعالى إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ الْآيَةَ ثُمَّ قَالَ ع إن محمدا ص ما كان يدعى علم مادعيت علمه أترعم أنك تهدى إلى الساعة التى يصيب النفع من سار فيها وتصرف عن الساعة التى يحيق السوء بمن سار فيها فمن صدقك بهذا فقد استغنى عن الاستعانة بالله جل ذكره فى

صرف المكروه عنه وينبغي للموقن بأمرك أن يوليئك الحمد دون الله جل جلاله لأنك بزعمك هديته إلى الساعة التي يصيب النفع من سار فيها وصرفته عن الساعة التي يحيق السوء بمن سار فيها فمن آمن بك في هذا لم آمن عليه أن يكون كمن اتخذ من دون الله ضدا ونادا اللهم لا طير إلا طيرك ولا ضر إلا ضررك ولا إله غيرك ثم قال نخالف ونسير في الساعة التي نهيتنا عنها ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس إياكم والتعلم للنجوم إلا ما يهتدى به في ظلمات البر والبحر إنما المنجم كالكاهن والكاهن كالكافر والكافر في النار أما والله لئن بلغنى أنك تعمل بالنجوم لأخلدنك السجن أبدا ما بقيت ولأحرمنك العطاء ما كان لى من سلطان ثم سار في الساعة التي نهاه عنها المنجم فظفر بأهل النهر وظهر عليهم ثم قال لوسرنا في الساعة التي أمرنا بها المنجم لقال الناس سار في الساعة التي أمر بها المنجم فظفر وظهر أما إنه ما كان لمحمدص منجم و لالنا من بعده حتى فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر أيها الناس توكلوا على الله وثقوا به فإنه يكفي ممن سواه -روایت- از قبل- ۱۵۸۰ [صفحه ۲۷۱] قال فروى مسلم الضبى عن حبة العرنى قال لما انتهينا إليهم رمونا فقلنا لعلى ع يا أمير المؤمنين قدرمونا فقال لنا كفوا ثم رمونا فقال لنا ع كفوا ثم الثالثة فقال الآن طاب القتال احمولوا عليهم . وروى أيضا عن قيس بن سعد بن عبادة أن عليا ع لما انتهى إليهم قال لهم أريدونا بدم عبد الله بن خباب فقالوا كلنا قتله فقال احمولوا عليهم وذكر أبو هلال العسكري فى كتاب الأوائل أن أول من قال لاحكم إلا لله عروة بن حدير قالها بصفين وقيل زيد بن عاصم المحاربى قال و كان أميرهم أول ما اعتزلوا ابن الكواء ثم بايعوا لعبد الله بن وهب الراسبى و كان أحد الخطباء فقال لهم عند بيعتهم إياه إياكم والرأى الفطير والكلام الفضيب دعوا لرأى يغب فإن غبوه يكشف للمرء عن قضته وازدحام الجواب مضلة للصواب و ليس الرأى بالارتجال و لا الحزم بالافتصاب فلاتدعونكم السلامة من خطأ موبق وغنيمة نلتموها من غير صواب إلى معاودته والتماس الربح من جهته إن الرأى ليس بنههى و لا هو ما أعطتك البديهة و إن خمير الرأى خير من فطيره ورب شىء غابه خير من طريئه وتأخيره خير من تقديمه . و ذكر المدائنى فى كتاب الخوارج قال لما خرج على ع إلى أهل النهر أقبل رجل من أصحابه ممن كان على مقدمته يركض حتى انتهى إلى على ع [صفحه ۲۷۲] فقال البشرى يا أمير المؤمنين قال ما بشراك قال إن القوم عبروا النهر لما بلغهم و صولك فأبشر فقد منحك الله أكتافهم فقال له الله أنت رأيتهم قد عبروا قال نعم فأحلفه ثلاث مرات فى كلها يقول نعم فقال على ع و الله ما عبروه ولن يعبروه و إن مصارعهم لدون النطفة و أذى فلق الحبة وبرأ النسمة لن يبلغوا الأثلاث و لا قصر بوازن حتى يقتلهم الله و قد خاب من افترى قال ثم أقبل فارس آخر يركض فقال كقول الأول فلم يكثرث على ع بقوله وجاءت الفرسان تركض كلها تقول مثل ذلك فقام على ع فجال فى متن فرسه قال فيقول شاب من الناس و الله لأكونن قريبا منه فإن كانوا عبروا النهر لأجعلن سنان هذا الرمح فى عينه أيدعى علم الغيب فلما انتهى ع إلى النهر وجد القوم قد كسروا جفون سيوفهم وعرقبوا خيلهم وجثوا على ركبهم وحكموا تحكيمه واحدة بصوت عظيم له زجل فنزل ذلك الشاب فقال يا أمير المؤمنين إنى كنت شككتك فيك أنفا وإنى تائب إلى الله وإليك فاغفر لى فقال على ع إن الله هو الذى يغفر الذنوب فاستغفره . و ذكر أبو العباس محمد بن يزيد المبرد فى الكامل قال لما واقفهم على ع بالنهروان قال لا تبدءوهم بقتال حتى يبدءوكم فحمل منهم رجل على صف على ع فقتل منهم ثلاثة ثم قال أقتلهم و لأرى عليا || و لو بدا أوجرتة الخطيا . فخرج إليه على ع فضربه فقتله فلما خالطه سيفه قال يا حبذا الروححة إلى الجنة فقال عبد الله بن وهب و الله ما أدرى إلى الجنة أم إلى النار فقال رجل منهم [صفحه ۲۷۳] من بنى سعد إنما حضرت اغترارا بهذا الرجل يعنى عبد الله وأراه قد شكك واعتزل عن الحرب بجماعة من الناس ومال ألف منهم إلى جهة أبى أيوب الأنصارى و كان على ميمنة على ع فقال على ع لأصحابه احمولوا عليهم فو الله لا يقتل منكم عشرة و لا يسلم منهم عشرة فحمل عليهم فطحنهم طحنا قتل من أصحابه ع تسعة وأفلت من الخوارج ثمانية و ذكر أبو العباس وذكر غيره أيضا أن أمير المؤمنين ع لما وجه إليهم عبد الله بن عباس ليناظرهم قال لهم ما الذى نعمتم على أمير المؤمنين قالوا له قد كان للمؤمنين أميرا فلما حكم فى دين الله خرج من الإيمان فليتب

بعد إقراره بالكفر نعد إليه قال ابن عباس ما ينبغي لمؤمن لم يشب إيمانه بشك أن يقر على نفسه بالكفر قالوا إنه حكم قال إن الله أمر بالتحكيم فى قتل صيد فقال يحكمكم به ذوا عدل منكم فكيف فى إمامة قد أشكلت على المسلمين فقالوا إنه حكم عليه فلم يرض فقال إن الحكومة كالإمامة ومتى فسق الإمام وجبت معصيته وكذلك الحكمان لما خالفا نبذت أقاويلهما فقال بعضهم لبعض اجعلوا احتجاج قريش حجة عليهم فإن هذا من الذين قال الله فيهم بل هم قوم خصمون وقال جل ثناؤه وتندر به قوما لدا. قال أبو العباس ويقال إن أول من حكم عروة بن أديه وأديه جده له جاهلية وهو عروة بن حدير أحد بنى ربيعة بن حنظلة وقال قوم أول من حكم رجل من بنى - قرآن - ٧٢٥ - ٧٥٤ - قرآن - ١٠٠٩ - ١٠٣١ - قرآن - ١٠٤٩ - ١٠٧٦ [صفحة ٢٧٤] محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان يقال له سعيد ولم يختلفوا فى اجتماعهم على عبد الله بن وهب الراسبي وأنه امتنع عليهم وأوما إلى غيره فلم يقنعوا إلا به فكان إمام القوم وكان يوصف برأى فأما أول سيف سل من سيوف الخوارج فسيف عروة بن أديه وذاك أنه أقبل على الأشعث فقال له ما هذه الدنيا يا أشعث وما هذا التحكيم أشراط أوثق من شرط الله عز وجل ثم شهر عليه السيف والأشعث مول فضرب به عجز بقلته . قال أبو العباس وعروة بن حدير هذا من نفر الذين نجوا من حرب النهروان فلم يزل باقيا مدة من أيام معاوية ثم أتى به زياد ومعه مولى له فسأله عن أبى بكر وعمر فقال خيرا فقال له فما تقول فى أمير المؤمنين عثمان وفى أبى تراب فتولى عثمان ست سنين من خلافته ثم شهد عليه بالكفر وفعل فى أمر على ع مثل ذلك إلى أن حكم ثم شهد عليه بالكفر ثم سأله عن معاوية فسبه سبا قبيحا ثم سأله عن نفسه فقال له أولئك لزيه وآخرك لدعوة وأنت بعد عاص لربك فأمر به فضربت عنقه ثم دعا مولاه فقال له صف لى أموره قال أظن أم أختصر قال بل أختصر قال ما أتيت به بطعام بنهار قط ولا فرشت له فراشا بليل قط. قال أبو العباس وسبب تسميتهم الحرورية أن عليا ع لما نظرهم بعد مناظرة ابن عباس إياهم كان فيما قال لهم ألا تعلمون أن هؤلاء القوم لما رفعوا المصاحف قلت لكم إن هذه مكيدة ووهن وإنهم لو قصدوا إلى حكم المصاحف لأتوني وسألوني التحكيم أف تعلمون أن أحدا كان أكره للتحكيم منى قالوا صدقت قال فهل تعلمون أنكم استكرهتمونى على ذلك حتى أجبتكم إليه فاشترطت أن حكمهما نافذ ما حكما [صفحة ٢٧٥] بحكم الله فمتى خالفنا فأنا وأنتم من ذلك برآء وأنتم تعلمون أن حكم الله لا يعدونى قالوا ألهم نعم قال وكان معهم فى ذلك الوقت ابن الكواء قال وهذا من قبل أن يذبحوا عبد الله بن خباب وإنما ذبحوه فى الفرقة الثانية بكسرك فقالوا له حكمت فى دين الله برأينا ونحن مقرون بأنا كنا كفرنا ولكننا الآن تائبون فأقر بمثل ما أقرنا به وتب ننهض معك إلى الشام فقال أ ماتعلمون أن الله تعالى قد أمر بالتحكيم فى شقاق بين الرجل وامرأته فقال سبحانه فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها وفى صيد أصيب كأرنب يساوى نصف درهم فقال يحكمكم به ذوا عدل منكم فقالوا له فإن عمرا لما أبى عليك أن تقول فى كتابك هذا ما كتبه عبد الله على أمير المؤمنين محوت اسمك من الخلافة وكتبت على بن أبى طالب فقد خلعت نفسك فقال لى فى رسول الله ص عليه أسوة حين أبى عليه سهيل بن عمرو أن يكتب هذا كتاب كتبه محمد رسول الله ص وسهيل بن عمرو وقال له لو أقررت بأنك رسول الله ما خالفتك ولكنى أقدمك لفضلك فاكتب محمد بن عبد الله فقال لى يا على امح رسول الله فقلت يا رسول الله لا تشجعنى نفسى على محو اسمك من النبوة قال فقضى عليه فمحا بيده ثم قال اكتب محمد بن عبد الله ثم تبسم إلى وقال يا على أما إنك ستسام مثلها فتعطى فرجع معه منهم ألفان من حروراء وقد كانوا تجمعوا بها فقال لهم على مانسميكم ثم قال أنتم الحرورية لاجتماعكم بحروراء وروى جميع أهل السير كافة أن عليا ع لما طحن القوم طلب ذا الثدية طلبا - قرآن - ٤٦٣ - ٥١٥ - قرآن - ٥٦٢ - ٥٩١ [صفحة ٢٧٦] شديدا وقلب القتلى ظهرا لبطن فلم يقدر عليه فساءه ذلك وجعل يقول والله ما كذبت ولا كذبت اطلبوا الرجل وإنه لفى القوم فلم يزل يتطلبه حتى وجده وهو رجل مخدج اليد كأنها ثدى فى صدره . وروى ابراهيم بن ديزيل فى كتاب صفين عن الأعمش عن زيد بن وهب قال لما شجرهم على ع بالرماح قال اطلبوا ذا الثدية فطلبوه طلبا شديدا حتى وجدوه فى وهدة من الأرض تحت ناس من القتلى فأتى به وإذا رجل على

ثديه مثل سبلات السنور فكبر على ع وكبر الناس معه سرورا بذلك . وروى أيضا عن مسلم الضبي عن حبة العرنى قال كان رجلا أسود منتن الريح له ثدى كثدى المرأة إذامدت كانت بطول اليد الأخرى و إذاتركت اجتمعت وتقلصت وصارت كثدى المرأة عليها شعرات مثل شوارب الهرة فلما وجدوه قطعوا يده ونصبوها على رمح ثم جعل على ع ينادى صدق الله وبلغ رسوله لم يزل يقول ذلك هو وأصحابه بعد العصر إلى أن غربت الشمس أو كادت . وروى ابن ديزيل أيضا قال لماعيل صبر على ع فى طلب المخدج قال اثنوني ببغلة رسول الله ص فركبها واتبعه الناس فرأى القتلى و يقول اقبلوا فيقبلون قتيلًا- عن قتيل حتى استخرجوه فسجد على ع . وروى كثير من الناس أنه لمادعا بالبغلة ليركبها قال اثنوني بها فإنها هادئة فوقفت به على المخدج فأخرجه من تحت قتلى كثيرين . وروى العوام بن حوشب عن أبيه عن جده يزيد بن رويم قال قال على ع [صفحه ٢٧٧] يقتل اليوم أربعة آلاف من الخوارج أحدهم ذو الثدي فلما طحن القوم ورام استخراج ذى الثدي فأتبعه أمرنى أن أقطع له أربعة آلاف قصبه وركب بغلة رسول الله ص و قال اطرح على كل قتيل منهم قصبه فلم أزل كذلك و أنا بين يديه و هوراكب خلفى و الناس يتبعونه حتى بقيت فى يدى واحدة فنظرت إليه و إذا وجهه أربد و إذا هو يقول و الله ما كذبت و لا كذبت فإذا خيرير ماء عند موضع دالية فقال فتش هذا ففتشته فإذا قتيل قد صار فى الماء و إذا رجليه فى يدي فجذبتها و قلت هذه رجل إنسان فنزل عن البغلة مسرعا فجذب الرجل الأخرى وجررناه حتى صار على التراب فإذا هو المخدج فكبر على ع بأعلى صوته ثم سجد فكبر الناس كلهم . و قدروى كثير من المحدثين أن النبى ص قال لأصحابه يوما إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله فقال أبو بكر أنا يا رسول الله فقال لا فقال عمر أنا يا رسول الله فقال لا بل خاصف النعل وأشار إلى على ع -رواية ١-٢-رواية ٣٠- ٢٣٦ و قال أبو العباس فى الكامل يقال إن أول من لفظ بالحكومة و لم يشد بها رجل من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر من بنى صريم يقال له الحجاج بن عبد الله و يعرف بالبرك و هو الذى ضرب آخر معاوية على أليته يقال إنه لماسم بذكر الحكمين قال أيحكم أمير المؤمنين الرجال فى دين الله لا حكم إلا لله فسمعه سامع فقال طعن و الله فأنفذ. قال أبو العباس وأول من حكم بين الصفيين رجل من بنى يشكر بن بكر [صفحه ٢٧٨] بن وائل كان من أصحاب على ع فحمل على رجل منهم فقتله غيلة ثم مرق بين الصفيين يحكم و حمل على أصحاب معاوية فكثروه فرجع إلى ناحية على ع فخرج إليه رجل من همدان فقتله فقال شاعر همدان و ما كان أغنى الإشكرى عن التى || تصلى بها جمرا من النار حاميا غداة ينادى والرماح تنوشه || خلعت عليا بادئا ومعاويا قال أبو العباس و قدروى المحدثون أن رجلا تلا بحضرة على ع قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا و هم يحسبون أنهم يحسنون صنعا فقال على ع أهل حروراء منهم -رواية ١-٢-رواية ١٩-٢٢٧ قال أبو العباس و من شعر أمير المؤمنين ع الذى لا اختلاف فيه أنه قاله و كان يردده أنهم لماساموه أنه يقر بالكفر ويتوب حتى يسيروا معه إلى الشام فقال أ بعدصحة رسول الله ص والتفقه فى الدين أرجع كافرا ثم قال -رواية ١-٢-رواية ١٩-٢٢٧ يا شاهد الله على فاشهد || أنى على دين النبى أحمد من شك فى الله فإنى مهتد و ذكر أبو العباس أيضا فى الكامل أن عليا ع فى أول خروج القوم عليه دعا صعصعة بن صوحان العبدى و قد كان وجهه إليهم وزياد بن النضر الحارثى مع عبد الله بن عباس فقال لصعصعة بأى القوم رأيتمهم أشد إطافة قال بيزيد بن قيس الأرحبى فركب على ع إلى حروراء فجعل يتخللهم حتى صار إلى مضرب يزيد بن قيس فصلى فيه ركعتين ثم خرج فاتكأ على قوسه وأقبل [صفحه ٢٧٩] على الناس فقال هذا مقام من فلج فيه فلج يوم القيامة ثم كلمهم وناشدهم فقالوا إنا أذنبنا ذنبا عظيما بالتحكيم و قد تبنا فتب إلى الله كما تبنا نعد لك فقال على ع أنا أستغفر الله من كل ذنب فرجعوا معه وهم ستة آلاف فلما استقروا بالكوفة أشاعوا أن عليا ع رجع عن التحكيم و رآه ضلالا وقالوا إنما ينتظر أمير المؤمنين أن يسمن الكراع و تجبى الأموال ثم ينهض بنا إلى الشام فأتى الأشعث عليا ع فقال يا أمير المؤمنين إن الناس قد تحدثوا أنك رأيت الحكومة ضلالا والإقامة عليها كفرا فقام على ع يخطب فقال من زعم أنى رجعت عن الحكومة فقد كذب و من

رآها ضلالا فقد ضل فخرجت حينئذ الخوارج من المسجد فحكمت . قلت كل فساد كان في خلافة علي ع و كل اضطراب حدث فأصله الأشعث و لو لامحاقته أمير المؤمنين ع في معنى الحكومة في هذه المرة لم تكن حرب النهروان ولكان أمير المؤمنين ع ينهض بهم إلى معاوية ويملك الشام فإنه ص حاول أن يسلك معهم مسلك التعريض والمواربة و في المثل النبوي صلوات الله على قائله الحرب خدعة -رواية- ١-٢-رواية- ٤٧-٥٩ وذاك أنهم قالوا له تب إلى الله [صفحة ٢٨٠] مما فعلت كما تبنا نهض معك إلى حرب أهل الشام فقال لهم كلمة مجملته مرسله يقولها الأنبياء والمعصومون وهي قوله أستغفر الله من كل ذنب فرضوا بها وعدوها إجابة لهم إلى سؤالهم وصفت له ع نياتهم واستخلص بها ضمائرهم من غير أن تتضمن تلك الكلمة اعترافا بكفر أو ذنب فلم يتركه الأشعث وجاء إليه مستفسرا وكاشفا عن الحال وهاتكا ستر التورية والكناية ومخرجا لها من ظلمة الإجمال وستر الحيلة إلى تفسيرها بما يفسد التدبير ويوغر الصدور ويعيد الفتنة و لم يستفسره ع عنها إلا بحضور من لا يمكنه أن يجعلها معه هدنة على دخن و لا تريقا عن صبح وألجأ بتضييق الخناق عليه إلى أن يكشف ما في نفسه و لا يترك الكلمة على احتمالها و لا يطويها على غيرها فخطب بما صدع به عن صورة ما عنده مجاهرة فانتقض مادبره وعادت الخوارج إلى شبهتها الأولى وراجعوا التحكيم والمروق وهكذا الدول التي تظهر فيها أمارات الانقضاء والزوال يتاح لها أمثال الأشعث من أولى الفساد في الأرض سِنَّةَ اللَّهِ فِي الْمَدِينِ خَلَوْا مِنْ قَبْلِ وَ لَنْ تَجِدَ لِسِنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ ثُمَّ مَضَى الْقَوْمُ إِلَى النَّهْرَوَانِ وَ قَدْ كَانُوا أَرَادُوا الْمَضَى إِلَى الْمَدَائِنِ فَمِنْ طَرِيفِ أَخْبَارِهِمْ أَنَّهُمْ أَصَابُوا فِي طَرِيقِهِمْ مُسْلِمًا وَنَصْرَانِيًّا فَقَتَلُوا الْمُسْلِمَ لِأَنَّهُ عِنْدَهُمْ كَافِرٌ إِذْ كَانَ عَلَى خِلَافٍ مَعْتَقَدِهِمْ وَاسْتَوْصُوا بِالنَّصْرَانِيِّ وَقَالُوا احْفَظُوا ذِمَّةَ نَبِيِّكُمْ -قرآن- ٨٧٠-٩٥٢ [صفحة ٢٨١] قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ وَنَحْوَ ذَلِكَ أَنَّ وَاصِلَ بْنِ عَطَاءٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَقْبَلَ فِي رَفْقَةٍ فَأَحْسُوا بِالْخَوَارِجِ فَقَالَ وَاصِلٌ لِأَهْلِ الرَّفْقَةِ إِنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِكُمْ فَاعْتَزَلُوا وَدَعَوْنِي وَإِيَاهُمْ وَكَانُوا قَدْ أَشْرَفُوا عَلَى الْعُطْبِ فَقَالُوا شَأْنُكَ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَقَالُوا مَا أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ فَقَالَ قَوْمٌ مُشْرِكُونَ مُسْتَجِيرُونَ بِكُمْ لَيْسَمِعُوا كَلَامَ اللَّهِ وَيَفْهَمُوا حُدُودَهُ قَالُوا قَدْ أَجْرْنَاكُمْ قَالَ فَعَلِمُونَا فَجَعَلُوا يَعْلَمُونَهُمْ أَحْكَامَهُمْ وَيَقُولُ وَاصِلٌ قَدْ قَبِلْتُ أَنَا وَ مِنْ مَعِيَ قَالُوا فَا مَضُوا مَصَاحِبِينَ فَقَدْ صَرْتُمْ إِخْوَانَنَا فَقَالَ بَلْ تَبْلُغُونَنَا مَا مَنَّا لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ وَ إِنِ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَمَا جِرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَلْبِغُهُ مَا مَنَّهُ قَالَ فَيَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ثُمَّ قَالُوا ذَاكَ لَكُمْ فَسَارُوا مَعَهُمْ بِجَمْعِهِمْ حَتَّى أْبْلُغُوهُمْ الْمَأْمَنَ . قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ وَ لَقِيَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَبَابٍ فِي عُنُقِهِ مَصْحَفٌ عَلَى حِمَارٍ وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ وَهِيَ حَامِلٌ فَقَالُوا لَهُ إِنَّ هَذَا الَّذِي فِي عُنُقِكَ لِيَأْمُرُنَا بِقَتْلِكَ فَقَالَ لَهُمْ مَا أَحْيَاهُ الْقُرْآنُ فَأَحْيَوْهُ وَ مَا أَمَاتَهُ فَأَمَاتُوهُ فَوَثَبَ رَجُلٌ مِنْهُمْ عَلَى رِطْبَةٍ سَقَطَتْ مِنْ نَخْلَةٍ فَوَضَعَهَا فِي فِيهِ فَصَاحُوا بِهِ فَلَفَظَهَا تَوْرَعًا وَعَرَضَ لِرَجُلٍ مِنْهُمْ خَنْزِيرٌ فَضْرَبَهُ فَقَتَلَهُ فَقَالُوا هَذَا فَسَادٌ فِي الْأَرْضِ وَأَنْكَرُوا قَتْلَ الْخَنْزِيرِ ثُمَّ قَالُوا لِابْنِ خَبَابٍ حَدِّثْنَا عَنْ أَبِيكَ -قرآن- ٤٨٩-٥٩٢ فَقَالَ إِنِّي سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ سَتَكُونُ بَعْدِي فِتْنَةٌ -رواية- ١-٢-رواية- ٥٦-ادامه دارد [صفحة ٢٨٢] يَمُوتُ فِيهَا قَلْبُ الرَّجُلِ كَمَا يَمُوتُ بَدَنُهُ يَمْسَى مُؤْمِنًا وَيَصْبِحُ كَافِرًا فَكُنْ عَبْدَ اللَّهِ الْمَقْتُولَ وَ لَا تَكُنْ الْقَاتِلَ -رواية- از قبل- ١٠٥ قَالُوا فَمَا تَقُولُ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍ فَأَنْتَنِي خَيْرًا قَالُوا فَمَا تَقُولُ فِي عَلِيِّ قَبْلِ التَّحْكِيمِ وَ فِي عُثْمَانَ فِي السَّنِينَ السَّتِ الْأَخِيرَةَ فَأَنْتَنِي خَيْرًا قَالُوا فَمَا تَقُولُ فِي عَلِيِّ بَعْدَ التَّحْكِيمِ وَ الْحُكُومَةَ قَالَ إِنَّ عَلِيًّا أَعْلَمُ بِاللَّهِ وَأَشَدُّ تَوْقِيًّا عَلَى دِينِهِ وَأَنْفَذَ بِصِيرَةٍ فَقَالُوا إِنَّكَ لَسْتَ تَتَّبِعُ الْهَدْيَ إِنَّمَا تَتَّبِعُ الرِّجَالَ عَلَى أَسْمَائِهِمْ ثُمَّ قَرَّبُوهُ إِلَى شَاطِئِ النَّهْرِ فَأَضْجَعُوهُ فذبحوه . قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ وَ سَاوَمُوا رَجُلًا نَصْرَانِيًّا بِنَخْلَةٍ لَهُ فَقَالَ هِيَ لَكُمْ فَقَالُوا مَا كُنَّا لِنَأْخُذَهَا إِلَّا بِثَمَنِ فَقَالَ وَا عَجَبًا أَتَقْتُلُونَ مِثْلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَبَابٍ وَ لَا تَقْبَلُونَ جَنَّا نَخْلَةَ إِلَّا بِثَمَنِ . وَرَوَى أَبُو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُنْثَى قَالَ طَعَنَ وَاحِدٌ مِنَ الْخَوَارِجِ يَوْمَ النَّهْرَوَانِ فَمَشَى فِي الرَّمْحِ وَ هُوَ شَاهِرٌ سَيْفَهُ إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى طَاعِنِهِ فَضْرَبَهُ فَقَتَلَهُ وَ هُوَ يَقْرَأُ وَ عَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى . وَرَوَى أَبُو عُبَيْدَةَ أَيْضًا قَالَ اسْتَنْطَقَهُمْ عَلَى عِ بَقْتَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ خَبَابٍ فَأَقْرَبُوا بِهِ فَقَالَ انْفَرَدُوا كِتَابًا لِأَسْمَعَ قَوْلَكُمْ كِتَابِيَّةً كِتَابِيَّةً فَتَكْتَبُوا كِتَابًا وَأَقْرَبَتْ كُلُّ كِتَابِيَّةٍ بِمِثْلِ مَا أَقْرَبَتْ بِهِ الْأُخْرَى مِنْ قَتْلِ ابْنِ خَبَابٍ وَقَالُوا وَلِنَقْتُلَنَّكَ كَمَا قَتَلْنَاكَ فَقَالَ عَلِيُّ وَ اللَّهُ لَوْ أَقْرَبَ أَهْلَ الدُّنْيَا كُلَّهُمْ بِقَتْلِهِ هَكَذَا وَ أَنَا أَقْدَرُ عَلَى

قتلهم به لقتلتهم ثم التفت إلى أصحابه فقال لهم شدوا عليهم فأنا أول من يشد عليهم وحمل - قرآن- ٦٦٢-٦٩٢ [صفحه ٢٨٣]
 بذى الفقار حمله منكرة ثلاث مرات كل حمله يضرب به حتى يعوج منته ثم يخرج فيسويه بركبته ثم يحمل به حتى أفناهم .
 وروى محمد بن حبيب قال خطب على ع الخوارج يوم النهر فقال لهم نحن أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة
 وعنصر الرحمة ومعدن العلم والحكمة نحن أفق الحجاز بنا يلحق البطيء وإلينا يرجع التائب أيها القوم إنى نذير لكم أن تصبحوا
 صرعى بأهضام هذا الوادى -روایت- ١-٢-روایت- ٢٨-٢٧٥ إلى آخر الفصل [صفحه ٢٨٤]

٣٧- و من كلام له ع يجرى مجرى الخطبة

إشارة

فَقُمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَسَلُّوا وَ تَطَلَّعْتُ حِينَ تَقْبَعُوا وَ نَطَقْتُ حِينَ تَعْتَعُوا وَ مَضَيْتُ بِنُورِ اللَّهِ حِينَ وَقَفُوا وَ كُنْتُ أَخْفَضَهُمْ صَوْتًا وَ
 أَعْلَاهُمْ فَوْتًا فَطَرْتُ بِعَنَانِهَا وَ اسْتَبَدَّدْتُ بِرَهَانِهَا كَالْجَبَلِ لَا تُحْرَكُهُ الْعَوَاصِفُ وَ لَا تُزِيلُهُ الْعَوَاصِفُ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِي مَهْمَزٍ وَ لَا لِقَائِلٍ
 فِي مَغْمَزٍ الدَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخِذَ الْحَقِّ لَهُ وَ الْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخِذَ الْحَقِّ مِنْهُ رَضِينَا عَنِ اللَّهِ قَضَاءَهُ وَ سَيِّئْنَا لِلَّهِ
 أَمْرَهُ أَتْرَانِي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص وَ اللَّهُ لَأَنَا أَوْلُ مَنْ صِدَقَهُ فَلَا أَكُونُ أَوْلُ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ فَتَطَرْتُ فِي أَمْرِي فَإِذَا طَاعَتِي قَدْ
 سَبَقَتْ بِيَعْتِي وَ إِذَا الْمِيثَاقُ فِي عُنُقِي لِعَيْرِي هَذِهِ فصول أربعة لا يمتزج بعضها ببعض و كل كلام منها ينحو به أمير المؤمنين ع
 نحو غير ما ينحوه بالآخر وإنما الرضى رحمه الله تعالى التقطها من كلام لأمر المؤمنين ع طويل منتشر قاله بعد وقعة النهروان ذكر
 فيه حاله منذ توفى رسول الله ص [صفحه ٢٨٥] و إلى آخر وقت فجعل الرضى رحمه الله تعالى ما التقطه منه سردا وصار
 عند السامع كأنه يقصد به مقصدا واحدا. فالفصل الأول و هو من أول الكلام إلى قوله واستبددت برهانها يذكر فيه مقاماته في
 الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أيام أحداث عثمان وكون المهاجرين كلهم لم ينكروا و لم يواجهوا عثمان بما كان يواجهه
 به وينهاه عنه فهذا هو معنى قوله فقامت بالأمر حين فشلوا أى قمت بإنكار المنكر حين فشل أصحاب محمد ص عنه والفشل الخور
 والجبن . قال ونطقت حين تعتوا يقال تعتوا يقال تعت فلان إذا تردد فى كلامه من عى أو حصر قوله وتطلعت حين تقبعوا امرأة طلعة قبعة
 تطلع ثم تقبع رأسها أى تدخله كما يقبع القنفذ يدخل برأسه فى جلده و قد تقبع الرجل أى اختبأ وضده تطلع . قوله و كنت
 أخفضهم صوتا وأعلاهم فوتا يقول علوتهم وفتهم وشأوتهم سبقا و أنا مع ذلك خافض الصوت يشير إلى التواضع ونفى التكبر.
 وقوله فطرت بعنانها واستبددت برهانها يقول سبقتهم وهذا الكلام استعارة من مسابقة خيل الحلبة واستبددت بالرهان أى انفردت
 بالخطر الذى وقع التراهن عليه . الفصل الثانى فيه ذكر حاله ع فى الخلافة بعد عثمان يقول كنت لما وليت الأمر كالجبل لا تحركه
 القواصف يعنى الرياح الشديدة ومثله العواصف . والمهمز موضع الهمز و هو العيب وكذاك المغمز . [صفحه ٢٨٦] ثم قال
 الدليل عندى عزيز حتى أخذ الحق له والقوى عندى ضعيف حتى أخذ الحق منه هذا آخر الفصل الثانى يقول الدليل المظلوم
 أقوم بإعزازة ونصره وأقوى يده إلى أن أخذ الحق له ثم يعود بعد ذلك إلى الحالة التى كان عليها قبل أن أقوم بإعزازة ونصره
 والقوى الظالم أستضعفه وأقهره وأذله إلى أن أخذ الحق منه ثم يعود إلى الحالة التى كان عليها قبل أن أهتممه لاستيفاء الحق
 . الفصل الثالث من قوله رضينا عن الله قضاءه إلى قوله فلا أكون أول من كذب عليه هذا كلام قاله ع لما تفرس فى قوم من عسكره
 أنهم يتهمونه فيما يخبرهم به عن النبى ص من أخبار الملاحم والغائبات و قد كان شك منهم جماعة فى أقواله ومنهم من واجهه
 بالشك والتهمه

روى ابن هلال الثقفى فى كتاب الغارات عن زكريا بن يحيى العطار عن فضيل عن محمد بن على قال لما قال على ع سلونى قبل أن تفقدونى فوالله لا تسألونى عن فئه تضل مائه وتهدى مائه إلا أنبأتكم بناعقتها وسائقها قام إليه رجل فقال أخبرنى بما فى رأسى ولحيتى من طاقه شعر فقال له على ع والله لقد حدثنى خليلى أن على كل طاقه شعر من رأسك ملكا يلعنك و أن على كل طاقه شعر من لحيتك شيطانا يغويك و أن فى بيتك سخلا يقتل ابن رسول الله ص و كان ابنه قاتل الحسين ع يومئذ طفلا يخبو و هوسنان بن أنس النخعى -روايه- ١-٢-روايه- ١٠٠-٥٣١ وروى الحسن بن محبوب عن ثابت الشمالى عن سويد بن غفله أن عليا ع خطب ذات يوم فقام رجل من تحت منبره فقال يا أمير المؤمنين إني مررت بوادى -روايه- ١-٢-روايه- ٦٠-ادامه دارد [صفحه ٢٨٧] القرى فوجدت خالد بن عرفطه قدماء فاستغفر له فقال ع والله مامات و لا يموت حتى يقود جيش ضلاله صاحب لوائه حبيب بن حمار فقام رجل آخر من تحت المنبر فقال يا أمير المؤمنين أنا حبيب بن حمار و إنى لك شيعه و محب فقال أنت حبيب بن حمار قال نعم فقال له ثانيه و الله إنك لحبيب بن حمار فقال إى و الله قال أما و الله إنك لحاملها و لتحملنها و لتدخلن بها من هذا الباب وأشار إلى باب الفيل بمسجد الكوفه -روايه- از قبل -٤١٤ قال ثابت فوالله مامت حتى رأيت ابن زياد و قد بعث عمر بن سعد إلى الحسين بن على ع و جعل خالد بن عرفطه على مقدمته و حبيب بن حمار صاحب رايته فدخل بها من باب الفيل . وروى محمد بن إسماعيل بن عمرو البجلي قال أخبرنا عمرو بن موسى الوجيهى عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث قال قال على ع على المنبر ما أحد جرت عليه المواسى إلا- و قد أنزل الله فيه قرآنا فقام إليه رجل من مبغضيه فقال له فما أنزل الله تعالى فيك فقام الناس إليه يضربونه فقال دعوه أتقرأ سورة هود قال نعم قال فقرأ ع أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ ثُمَّ قَالَ أَلَّذِي كَانَ عَلَى بَيْنِهِ مِنْ رَبِّهِ مُحَمَّدٌ ص وَالشَّاهِدُ الَّذِي يَتْلُوهُ أَنَا -روايه- ١-٢-روايه- ١٢٦-٤٧٦ وروى عثمان بن سعيد عن عبد الله بن بكير عن حكيم بن جبير قال خطب على ع فقال فى أثناء خطبته أنا عبد الله وأخو رسوله لا يقولها أحد قبلى و لا بعدى إلا كذب و رثت نبى الرحمه و نكحت سيده نساء هذه الأمه و أنا خاتم الوصيين -روايه- ١-٢-روايه- ٦٨-٢٣١ [صفحه ٢٨٨] فقال رجل من عبس و من لا يحسن أن يقول مثل هذا فلم يرجع إلى أهله حتى جن و صرع فسألوه هل رأيتم به عرضا قبل هذا قالوا ما رأينا به قبل هذا عرضا. وروى محمد بن جبلة الخياط عن عكرمه عن يزيد الأحمسي أن عليا ع كان جالسا فى مسجد الكوفه و بين يديه قوم منهم عمرو بن حريث إذ أقبلت امرأة مختمره لا تعرف فوقف فقالت لعلى ع يا من قتل الرجال و سفك الدماء و أيتم الصبيان و أرمل النساء فقال ع و إنى لهى هذه السلقلة الجلعه المجعه و إنى لهى هذه شبيهة الرجال و النساء التى مارأت دما قط قال فولت هاربة منكسه رأسها فتبعها عمرو بن حريث فلما صارت بالرحبه قال لها و الله لقد سررت بما كان منك اليوم إلى هذا الرجل فادخلى منزلى حتى أهب لك و أكسوك فلما دخلت منزله أمر جواريه بتفتيشها و كشفها و نزع ثيابها لينظر صدقه فيما قاله عنها فبكت و سأله ألا يكشفها و قالت أنا و الله كما قال لى ركب النساء و أنثيان كأنتى الرجال و مارأيت دما قط فتركها و أخرجها ثم جاء إلى على ع فأخبره فقال إن خليلى رسول الله ص أخبرنى بالمتمردين على من الرجال و المتمردات من النساء إلى أن تقوم الساعة -روايه- ١-٢-روايه- ٥٥-٨٦ قلت السلقلة السليطة و أصله من السلق و هو الذئب و السلقه الذئبه و الجلعه المجعه البذيئه اللسان و الركب منبت العانء. وروى عثمان بن سعيد عن شريك بن عبد الله قال لما بلغ عليا ع أن الناس يتهمونه فيما يذكره من تقديم النبى ص و تفضيله إياه على الناس قال أنشد الله من بقى ممن لقى رسول الله ص و سماع مقاله فى يوم غدير خم لإقام -روايه- ١-٢-روايه- ٥٢-ادامه دارد [صفحه ٢٨٩] فشهد بما سمع فقام سته ممن عن يمينه من أصحاب رسول الله ص و سته ممن على شماله من الصحابه أيضا فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله ص يقول

ذلك اليوم وهورافع بيدي على ع من كنت مولاه فهذا على مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأحب من أحبه وأبغض من أبغضه -رواية- از قبل- ٣٠٩ وروى عثمان بن سعيد عن يحيى التيمي عن الأعمش عن إسماعيل بن رجاء قال قام أعشى همدان وهو غلام يومئذ حدث إلى على ع وهو يخطب ويذكر الملاحم فقال يا أمير المؤمنين ما أشبه هذا الحديث بحديث خرافة فقال على ع إن كنت آثما فيما قلت يا غلام فرماك الله بغلام ثقيف ثم سكت فقام رجال فقالوا و من غلام ثقيف يا أمير المؤمنين قال غلام يملك بلدكم هذه لا يترك لله حرمة إلا انتهكها يضرب عنق هذا الغلام بسيفه فقالوا كم يملك يا أمير المؤمنين قال عشرين إن بلغها قالوا فيقتل قتلا أم يموت موتا قال بل يموت حتف أنفه بداء البطن يثقب سريره لكثرة ما يخرج من جوفه -رواية- ١-٢-رواية- ٧٧-٥٩٠. قال إسماعيل بن رجاء فوالله لقد رأيت بعيني أعشى باهله و قد أحضر في جملة الأسرى الذين أسروا من جيش عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث بين يدي الحجاج فقرعه ووبخه واستنشدته شعره الذي يحرض فيه عبدالرحمن على الحرب ثم ضرب عنقه في ذلك المجلس . وروى محمد بن علي الصواف عن الحسين بن سفيان عن أبيه عن شمير بن سدير الأزدي قال قال على ع لعمر بن الحمق الخزاعي أين نزلت يا عمرو قال -رواية- ١-٢-رواية- ٩١-ادامه دارد [صفحه ٢٩٠] في قومي قال لا تنزلن فيهم قال فأنزل في بني كنانة جيراننا قال لا قال فأنزل في ثقيف قال فما تصنع بالمعرة والمجرة قال و ماهما قال عنقان من نار يخرجان من ظهر الكوفة يأتي أحدهما على تميم وبكر بن وائل فقلما يفلت منه أحد ويأتي العنق الآخر فيأخذ على الجانب الآخر من الكوفة فقل من يصيب منهم إنما يدخل الدار فيحرق البيت والبيتين قال فأين أنزل قال أنزل في بني عمرو بن عامر من الأزدي قال فقال قوم حضروا هذا الكلام مانراه إلا كاهنا يتحدث بحديث الكهنة فقال يا عمرو إنك المقتول بعدى و إن رأسك لمنقول وهو أول رأس ينقل في الإسلام والويل لقاتلك أما إنك لا تنزل بقوم إلا أسلموك برمتك إلا هذا الحي من بني عمرو بن عامر من الأزدي فإنهم لن يسلموك ولن يخذلوك -رواية- از قبل- ٦٨٩ قال فوالله ماضت إلا أيام حتى تنقل عمرو بن الحمق في خلافة معاوية في بعض أحياء العرب خائفا مذعورا حتى نزل في قومه من بني خزاعة فأسلموه فقتل وحمل رأسه من العراق إلى معاوية بالشام وهو أول رأس حمل في الإسلام من بلد إلى بلد. وروى ابراهيم بن ميمون الأزدي عن حبة العرنى قال كان جويرية بن مسهر العبدى صالحا و كان لعلى بن أبى طالب صديقا و كان على يحبه ونظر يوما إليه و هو يسير فناده يا جويرية الحق بى فإنى إذ أرايتك هويتك -رواية- ١-٢-رواية- ٥٦-٢١٤ قال إسماعيل بن أبان فحدثنى الصباح عن مسلم عن حبة العرنى قال سرنا مع على ع يوما فالتفت فإذا جويرية خلفه بعيدا فناده يا جويرية الحق بى لا أبا لك ألا تعلم أنى أهواك وأحبك قال فركض نحوه فقال له إنى محدثك بأمر فاحفظها ثم اشتركا في الحديث سرا فقال له جويرية يا أمير المؤمنين إنى رجل نسى فقال له إنى أعيد عليك -رواية- ١-٢-رواية- ٧٠-ادامه دارد [صفحه ٢٩١] الحديث لتحفظه ثم قال له فى آخر ما حدثه إياه يا جويرية أحب حبيبا ما أحبنا فإذا أبغضنا فأبغضه وأبغض بغضنا ما أبغضنا فإذا أحبنا فأحبه قال فكان ناس ممن يشك فى أمر على ع يقولون أتراه جعل جويرية وصيه كما يدعى هو من وصية رسول الله ص قال يقولون ذلك لشدة اختصاصه له حتى دخل على على ع يوما وهو مضطجع وعنده قوم من أصحابه فناده جويرية أيها النائم استيقظ فلتضربن على رأسك ضربة تخضب منها لحيتك قال فتبسم أمير المؤمنين ع قال وأحدثك يا جويرية بأمرك أما و الذى نفسى بيده لتعتلن إلى العتل الزنيم فليقطعن يدك ورجلك وليصلبنك تحت جذع كافر -رواية- از قبل- ٥٧٤ قال فوالله ماضت إلا أيام على ذلك حتى أخذ زياد جويرية فقطع يده ورجله وصلبه إلى جانب جذع ابن مكعب و كان جذعا طويلا فصلبه على جذع قصير إلى جانبه وروى ابراهيم فى كتاب الغارات عن أحمد بن الحسن الميثمى قال كان ميثم التمار مولى على بن أبى طالب ع عبدا لامرأة من بنى أسد فاشتراه على ع منها وأعتقه و قال له ما اسمك فقال سالم فقال إن رسول الله ص أخبرنى أن اسمك الذى سماك به أبوك فى العجم ميثم فقال صدق الله ورسوله وصدقت يا أمير المؤمنين فهو و الله اسمى قال فارجع إلى

اسمك ودع سالما فنحن نكنيك به فكناه أباسالم قال و قد كان قدأطلعه على ع على علم كثير وأسرار خفيه من أسرار الوصية فكان ميثم يحدث ببعض ذلك فيشكك فيه قوم من أهل الكوفة وينسبون عليا ع في ذلك إلى المخرفة والإيهام والتدليس حتى قال له يوما بمحضر من خلق كثير من أصحابه وفيهم الشاك والمخلص ياميثم -رواية- ١-٢-رواية- ٦٩-١٠١-ادامه دارد [صفحہ ٢٩٢] إنك تؤخذ بعدى وتصلب فإذا كان اليوم الثانى ابتدر منخراك وفمكك دما حتى تخضب لحيتك فإذا كان اليوم الثالث طعنت بحربة يقضى عليك فانتظر ذلك والموضع الذى تصلب فيه على باب دار عمرو بن حريث إنك لعاشر عشرة أنت أقصرهم خشبة وأقربهم من المطهرة يعنى الأرض ولأرينك النخلة التى تصلب على جذعها -رواية- از قبل- ٣٠٧ ثم أراه إياها بعد ذلك بيومين و كان ميثم يأتيها فيصلى عندها و يقول بوركت من نخلة لك خلقت و لى نبت فلم يزل يتعاهدها بعدقتل على ع حتى قطعت فكان يرصد جذعها ويتعاهده ويتردد إليه ويبصره و كان يلقي عمرو بن حريث فيقول له إنى مجاورك فأحسن جوارى فلا يعلم عمرو ما يريد فيقول له أتريد أن تشتري دار ابن مسعود أم دار ابن حكيم . قال وحج في السنة التى قتل فيها فدخل على أم سلمة رضى الله عنها فقالت له من أنت قال عراقى فاستنسبته فذكر لها أنه مولى على بن أبى طالب فقالت أنت هيثم قال بل أنا ميثم فقالت سبحان الله و الله لربما سمعت رسول الله ص يوصى بك عليا فى جوف الليل فسألها عن الحسين بن على فقالت هو فى حائط له قال أخبريه أنى قدأحببت السلام عليه ونحن ملتقون عندرب العالمين إن شاء الله و لا أقدر اليوم على لقائه وأريد الرجوع فدعت بطيب فطيت لحيته فقال لها أماإنها ستخضب بدم فقالت من أنباك هذا قال أنبأنى سيدى فبكت أم سلمة وقالت له إنه ليس بسيدك وحدك هو سيدى وسيد المسلمين ثم ودعته . [صفحہ ٢٩٣] فقدم الكوفة فأخذ وأدخل على عبيد الله بن زياد وقيل له هذا كان من أثر الناس عند أبى تراب قال ويحكم هذا الأعجمى قالوا نعم فقال له عبيد الله أين ربك قال بالمرصاد قال قدبلغنى اختصاص أبى تراب لك قال قد كان بعض ذلك فما تريد قال وإنه ليقال إنه قدأخبرك بما سيلقاك قال نعم إنه أخبرنى قال ما الذى أخبرك أنى صانع بك قال أخبرنى أنك تصلبنى عاشر عشرة و أنا أقصرهم خشبة وأقربهم من المطهرة قال لأخالفنه قال ويحك كيف تخالفه إنما أخبر عن رسول الله ص وأخبر رسول الله عن جبرائيل وأخبر جبرائيل عن الله فكيف تخالف هؤلاء أما و الله لقد عرفت الموضع الذى أصلب فيه أين هو من الكوفة وإنى لأول خلق الله ألجم فى الإسلام بلجام كما يلجم الخيل فحبسه وحبس معه المختار بن أبى عبيدة الثقفى فقال ميثم للمختار وهما فى حبس ابن زياد إنك تفلت وتخرج نائرا بدم الحسين ع فتقتل هذا الجبار الذى نحن فى سجنه وتطأ بقدمك هذه على جبهته وخديه فلما دعا عبيد الله بن زياد بالمختار ليقتله طلع البريد بكتاب يزيد بن معاوية إلى عبيد الله بن زياد يأمره بتخليه سبيله وذاك أن أخته كانت تحت عبد الله بن عمر بن الخطاب فسألت بعلمها أن يشفع فيه إلى يزيد فشفع فأمضى شفاعته وكتب بتخليه سبيل المختار على البريد فوافى البريد وقد أخرج ليضرب عنقه فأطلق و أما ميثم فأخرج بعده ليصلب و قال عبيد الله لأمضين حكم أبى تراب فيه فلقى رجل فقال له ما كان أغناك عن هذا ياميثم فتبسم و قال لها خلقت و لى غذيت فلما رفع على الخشبة اجتمع الناس حوله على باب عمرو بن حريث فقال عمرو لقد كان يقول لى إنى مجاورك فكان يأمر جاريتة كل عشيء أن تكنس تحت خشبته وترشه وتجمر بالمجمر تحته فجعل ميثم يحدث بفضائل بنى هاشم ومخازى [صفحہ ٢٩٤] بنى أمية و هو مصلوب على الخشبة فقيل لابن زياد قد فضحك هذا العبد فقال أألجمه فألجم فكان أول خلق الله ألجم فى الإسلام فلما كان فى اليوم الثانى فاضت منخراه وفمه دما فلما كان فى اليوم الثالث طعن بحربة فمات . و كان قتل ميثم قبل قدوم الحسين ع العراق بعشرة أيام . قال ابراهيم وحدثنى ابراهيم بن العباس النهدى حدثنى مبارك البجلي عن أبى بكر بن عياش قال حدثنى المجالد عن الشعبي عن زياد بن النضر الحارثى قال كنت عند زياد و قدأتى برشيد الهجرى و كان من خواص أصحاب على ع فقال له زياد ما قال خليلك لك إنا فاعلون بك قال تقطعون يدى ورجلى وتصلبوننى فقال زياد أما و الله لأكذبن حديثه خلوا سبيله فلما أراد أن يخرج قال ردوه

لأنجد شيئاً أصلح مما قال لك صاحبك إنك لاتزال تبغى لنا سوءاً إن بقيت اقطعوا يديه ورجليه فقطعوا يديه ورجليه و هو يتكلم فقال أصلبوه خنقا في عنقه فقال رشيد قد بقي لي عندكم شيء ما أراكم فعلتموه فقال زياد اقطعوا لسانه فلما أخرجوا لسانه ليقطع قال نفسوا عني أتكلم كلمة واحدة فنفسوا عنه فقال هذا والله تصديق خبير أمير المؤمنين أخبرني بقطع لساني فقطعوا لسانه وصلبوه . وروى أبو داود الطيالسي عن سليمان بن رزيق عن عبدالعزيز بن صهيب قال حدثني أبو العالیه قال حدثني مزرع صاحب علي بن أبي طالب ع أنه قال ليقبلن جيش حتى إذا كان بالبيداء خسف بهم قال أبو العالیه فقلت له إنك لتحدثني بالغيب فقال احفظ ما أقوله لك فإنما حدثني به الثقة علي بن أبي طالب وحدثني أيضا شيئا آخر ليؤخذن رجل فليقتلن وليصلبن بين شرفتين من شرف المسجد فقلت له إنك لتحدثني بالغيب فقال احفظ ما أقول لك قال أبو العالیه فو الله ما أتت [صفحہ ۲۹۵] علينا جمعة حتى أخذ مزرع فقتل وصلب بين شرفتين من شرف المسجد. قلت حديث الخسف بالجيش قد خرج البخاري ومسلم في الصحيحين عن أم سلمة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله ص يقول يعود قوم بالبيت حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم فقلت يا رسول الله لعل فيهم المكره أو الكاره فقال يخسف بهم ولكن يحشرون أو قال يبعثون علي نياتهم يوم القيامة قال فسئل أبو جعفر محمد بن علي أهي بيداء من الأرض فقال كلا والله إنها بيداء المدينة -رواية ۱- ۲-رواية ۳- ۶۳- ۳۲۲ أخرج البخاري بعضه وأخرج مسلم الباقي. وروى محمد بن موسى العنزي قال كان مالك بن ضمرة الرؤاسي من أصحاب علي ع وممن استبطن من جهته علما كثيرا وكان أيضا قد صحب أباذر فأخذ من علمه وكان يقول في أيام بني أمية اللهم لاتجعلني أشقى الثلاثة فيقال له و ما الثلاثة فيقول رجل يرمى من فوق طمار ورجل تقطع يده ورجلاه ولسانه ويصلب ورجل يموت على فراشه فكان من الناس من يهزأ به ويقول هذا من أكاذيب أبي تراب . قال وكان الذي رمى به من طمار هاني بن عروة والذي قطع وصلب رشيد الهجري ومات مالك علي فراشه . الفصل الرابع وهو من قوله فنظرت في أمرى إلى آخر الكلام هذه كلمات [صفحہ ۲۹۶] مقطوعة من كلام يذكر فيه حاله بعد وفاة رسول الله ص وأنه كان معهودا إليه ألا ينازع في الأمر ولا يثير فتنة بل يطلبه بالرفق فإن حصل له وإلا أمسك . هكذا كان يقول ع وقوله الحق وتأويل هذه الكلمات فنظرت فإذا طاعتى لرسول الله ص أى وجوب طاعتى فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه قد سبقت بيعتى للقوم أى وجوب طاعة رسول الله ص على ووجوب امتثال أمره سابق على بيعتى للقوم فلا سبيل لى إلى الامتناع من البيعة لأنه ص أمرنى بها . وإذا الميثاق فى عنقى لغيرى أى رسول الله ص أخذ على الميثاق بترك الشقاق والمنازعة فلم يحل لى أن أتعدى أمره أو أخالف نهيه . فإن قيل فهذا تصريح بمذهب الإمامية قيل ليس الأمر كذلك بل هذا تصريح بمذهب أصحابنا من البغداديين لأنهم يزعمون أنه الأفضل والأحق بالإمامة وأنه لو لا ما يعلمه الله ورسوله من أن الأصلح للمكلفين من تقديم المفضول عليه لكان من تقدم عليه هالكا فرسول الله ص أخبره أن الإمامة حقه وأنه أولى بها من الناس أجمعين وأعلمه أن فى تقديم غيره وصبره على التأخر عنها مصلحة للدين راجعة إلى المكلفين وأنه يجب عليه أن يمسك عن طلبها ويغضى عنها لمن هودون مرتبته فامتثل ما أمره به رسول الله ص ولم يخرجته تقدم من تقدم عليه من كونه الأفضل والأولى والأحق وقد صرح شيخنا أبو القاسم البلخي رحمه الله تعالى بهذا وصرح به تلامذته وقالوا لونازع عقيب وفاة رسول الله ص وسل سيفه لحكمنا بهلاك كل [صفحہ ۲۹۷] من خالفه وتقدم عليه كما حكمنا بهلاك من نازعه حين أظهر نفسه ولكنه مالك الأمر وصاحب الخلافة إذ طلبها وجب علينا القول بتفسيق من ينازعه فيها وإذا أمسك عنها وجب علينا القول بعدالة من أغضى له عليها وحكمه فى ذلك حكم رسول الله ص لأنه قد ثبت عنه فى الأخبار الصحيحة أنه قال على مع الحق والحق مع على يدور حيثما دار -رواية ۱- ۲-رواية ۳- ۷۷- وقال له غير مرة حربك حربى وسلمك سلمى -رواية ۱- ۲-رواية ۳- ۲۱- ۴۶ . وهذا المذهب هو أعدل المذاهب عندى و به أقول [صفحہ ۲۹۸]

وَ إِنَّمَا سُمِّيَتْ الشَّبَهُةُ شُبَهُةً لِأَنَّهَا تُشَبِّهُ الحَقَّ فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ اللّهِ فَضِيَاؤُهُمْ فِيهَا اليَقِينُ وَ دَلِيلُهُمْ سَمْتُ الهُدَى وَ أَمَّا أَعْدَاءُ اللّهِ فَدَعَاؤُهُمْ فِيهَا الضَّلَالُ وَ دَلِيلُهُمُ العَمَى فَمَا يَنْجُو مِنَ المَوْتِ مِنَ خَافَهُ وَ لَا يُعْطَى البَقَاءَ مَنْ أَحَبَّهُ هَذَا فَصَلَانِ أَحَدُهُمَا غَيْرِ مِلْتَمٍ مَعَ الآخَرِ بَلِ مَبْتُورٍ عَنْهُ وَ إِنَّمَا الرِّضَى رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى كَانَ يَلْتَقِطُ الكَلَامَ التَّقَاطَا وَمَرَادُهُ أَنْ يَأْتِيَ بِفَصِيحٍ كَلَامِهِ ع وَ مَا يَجْرِي مَجْرَى الخُطَابَةِ وَ الكِتَابَةِ فَلِهَذَا يَقَعُ فِي الفَصْلِ الوَاحِدِ الكَلَامِ الَّذِي لَا يَنَاسِبُ بَعْضُهُ بَعْضًا وَ قَدْ قَالَ الرِّضَى ذَلِكَ فِي خُطْبَةِ الكِتَابِ . أَمَّا الفَصْلُ الأوَّلُ فَهُوَ الكَلَامُ فِي الشَّبَهُةِ وَ لِمَاذَا سُمِّيَتْ شُبَهُةً قَالَ ع لِأَنَّهَا تُشَبِّهُ الحَقَّ وَ هَذَا هُوَ مُحَضُّ مَا يَقُولُهُ المَتَكَلِّمُونَ وَ لِهَذَا يَسْمُونَ مَا يَحْتَجُّ بِهِ أَهْلُ الحَقِّ دَلِيلًا- وَيَسْمُونَ مَا يَحْتَجُّ بِهِ أَهْلُ البَاطِلِ شُبَهُةً. قَالَ فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ اللّهِ فَضِيَاؤُهُمْ فِي حُلِّ الشَّبَهُةِ اليَقِينُ وَ دَلِيلُهُمْ سَمْتُ الهُدَى وَ هَذَا حَقٌّ لِأَنَّ مَنْ اعْتَبَرَ مَقْدِمَاتِ الشَّبَهُةِ وَ رَاعَى الأُمُورَ اليَقِينِيَّةَ وَ طَلَبَ المَقْدِمَاتِ المَعْلُومَةَ قَطْعًا انْحَلَّتِ الشَّبَهُةُ وَ ظَهَرَ لَهُ فَسَادُهَا مِنْ أَيْنَ هُوَ ثُمَّ قَالَ وَ أَمَّا أَعْدَاءُ اللّهِ فَدَعَاؤُهُمْ [صَفْحَةُ ٢٩٩] الضَّلَالُ وَ دَلِيلُهُمُ العَمَى وَ هَذَا حَقٌّ لِأَنَّ المَبْطَلَ يَنْظُرُ فِي الشَّبَهُةِ لِأَنَّهُ مِنْ رَاعَى الأُمُورَ اليَقِينِيَّةَ وَ يَحْلُلُ المَقْدِمَاتِ إِلَى القَضَايَا المَعْلُومَةَ بَلِ يَغْلِبُ عَلَيْهِ حُبُّ المَذْهَبِ وَ عَصِييَةُ أَسْلَافِهِ وَ إِثَارُ نَصْرِهِ مِنْ قَدْ أَلْزَمَ بِنَصْرَتِهِ فَذَلِكَ هُوَ العَمَى وَ الضَّلَالُ اللَّذَانِ أَشَارَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ إِلَيْهِمَا فَلَا تَنْحَلُ الشَّبَهُةُ لَهُ وَ تَزْدَادُ عَقِيدَتَهُ فَسَادًا وَ قَدْ ذَكَرْنَا فِي كِتَابِنَا الكَلَامِيَّةِ الكَلَامَ فِي تَوَلِيدِ النِّظَرِ لِلْعَلْمِ وَ أَنَّهُ لَا يُولَدُ الجَهْلُ . الفَصْلُ الثَّانِي قَوْلُهُ فَمَا يَنْجُو مِنَ المَوْتِ مِنْ خَافَهُ وَ لَا يُعْطَى البَقَاءَ مِنْ أَحَبَّهُ هَذَا كَلَامٌ أَجْنَبِيٌّ عَمَّا تَقْدَمُ وَ هُوَ مَا خُذَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ القِتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَ قَوْلُهُ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمْ المَوْتُ وَ قَوْلُهُ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعِيَةً وَ لَا يَسْتَقْدِمُونَ - قرآن- ٥١١-٥٩٩ قرآن- ٦٠٨-٦٤٣ قرآن- ٦٥٢-٧١٦ [صَفْحَةُ ٣٠٠]

إشاره

مُنِيْتُ بِمَنْ لَا يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ وَ لَا يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ لَا أَبَا لَكُمْ مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبُّكُمْ أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ وَ لَا حَمِيَّةٌ تُحْمِسُكُمْ أَقُومُ فِيكُمْ مُسْتَصْرِحًا وَ أَنَادِيكُمْ مُنْعَوِّثًا فَلَمَّا تَسَمَّعُونَ لِي قَوْلًا وَ لَمَّا تُطِيعُونَ لِي أَمْرًا حَتَّى تَكْشِفَ الأُمُورُ عَنْ عَوَاقِبِ المَسَاءَةِ فَمَا يُدْرِكُ بِكُمْ ثَمَارًا وَ لَمَّا يُبَلِّغُ بِكُمْ مَرَامَ دَعْوَتِكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ فَجَرَّجَرْتُمْ جَرَجْرَةَ الجَمَلِ الأَسِيرِ وَ تَنَاقَلْتُمْ تَنَاقُلَ النُّصُوبِ الأَدْبَرِ ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَدَائِبٌ ضَعِيفٌ كَأَنَّمَا يَسَاقُونَ إِلَى المَوْتِ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ قَالَ الرِّضَى رَحِمَهُ اللّهُ قَوْلُهُ ع مُتَدَائِبٌ أَيُّ مُضْطَرَبٍ مِنْ قَوْلِهِمْ تَدَاءَبَتِ الرِّيحُ أَيُّ اضْطَرَبَ هَبُوبِهَا وَ مِنْهُ سَمِيَ الذُّبُّ ذُبًّا لِاضْطَرَابِ مَشِيَّتِهِ - رَوَايَتُ ١- ١٣٢ مَنِيتُ أَيُّ بَلِيَّتُ وَ تَحْمِشُكُمْ تَغْضِبُكُمْ أَحْمِشُهُ أَيُّ أَغْضِبُهُ وَ المَسْتَصْرِحُ المَسْتَنْصِرُ وَ المُنْعَوِّثُ القَائِلُ وَ اغْوَاةُ . [صَفْحَةُ ٣٠١] وَ الجَرَجْرَةُ صَوْتُ يَرُدُّهُ البَعِيرُ فِي حَنْجَرَتِهِ وَ أَكْثَرُ مَا يَكُونُ ذَلِكَ عِنْدَ الإِعْيَاءِ وَ التَّعَبِ وَ الجَمَلُ الأَسِيرُ الَّذِي بَكَرَكَرْتَهُ دَبْرَةً وَ النُّصُوبُ البَعِيرُ المَهْزُولُ وَ الأَدْبَرُ الَّذِي بِهِ دَبْرٌ وَ هُوَ المَعْقُورُ مِنَ القَتْبِ وَ غَيْرِهِ . هَذَا الكَلَامُ خُطِبَ بِهِ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ ع فِي غَارَةِ النِّعْمَانِ بْنِ بَشِيرِ الأَنْصَارِيِّ عَلَى عَيْنِ التَّمْرِ

ذكر صاحب الغارات أن النعمان بن بشير قدم هو و أبوهريرة على على ع من عند معاوية بعد أبي مسلم الخولاني يسألانه أن يدفع قتله عثمان إلى معاوية ليقيدهم بعثمان لعل الحرب أن تطفأ ويصطلح الناس وإنما أراد معاوية أن يرجع مثل النعمان و أبي هريرة من عند على ع إلى الناس وهم لمعاوية عاذرون ولعلى لائمون وقد علم معاوية أن عليا لا يدفع قتله عثمان إليه فأراد أن يكون هذان يشهدان له عند أهل الشام بذلك و أن يظهر عذره فقال لهما اثتيا عليا فانشداه الله وسلاه بالله لمادفع إلينا قتله عثمان فإنه قد آواهم ومنعهم ثم لاحترب بيننا وبينه فإن أبي فكونوا شهداء الله عليه . وأقبلا على الناس فأعلماهم ذلك فأتيا إلى على ع فدخلا عليه فقال له أبوهريرة يا أباحسن إن الله قد جعل لك في الإسلام فضلا وشرفا أنت ابن عم محمد رسول الله ص وقد بعثنا إليك ابن عمك معاوية يسألك أمرا تسكن به هذه [صفحة ٣٠٢] الحرب ويصلح الله تعالى ذات البين أن تدفع إليه قتله عثمان ابن عمه فيقتلهم به ويجمع الله تعالى أمرك وأمره ويصلح بينكم وتسلم هذه الأمة من الفتنة والفرقة ثم تكلم النعمان بنحو من ذلك . فقال لهما دعا الكلام في هذا حدثني عنك يانعمان أنت أهدى قومك سيلا يعني الأنصار قال لا قال فكل قومك قد اتبعني إلا شذاذا منهم ثلاثة أو أربعة أفتكون أنت من الشذاذ فقال النعمان أصلحك الله إنما جئت لأكون معك وألزمك وقد كان معاوية سألني أن أؤدى هذا الكلام ورجوت أن يكون لي موقف اجتمع فيه معك وطمعت أن يجرى الله تعالى بينكما صلحا فإذا كان غير ذلك رأيك فأنا ملازمك وكائن معك . فأما أبوهريرة فلحق بالشام وأقام النعمان عند على ع فأخبر أبوهريرة معاوية بالخبر فأمره أن يعلم الناس ففعل وأقام النعمان بعده شهرا ثم خرج فارا من على ع حتى إذا مر بعين التمر أخذه مالك بن كعب الأرحبي و كان عامل على ع عليها فأراد حبسه و قال له مامر بك بيننا قال إنما أنا رسول بلغت رسالة صاحبي ثم انصرفت فحبسه و قال كما أنت حتى أكتب إلى على فيك فناشده وعظم عليه أن يكتب إلى على فيه فأرسل النعمان إلى قرظة بن كعب الأنصارى و هو كاتب عين التمر يجيبى خراجها لعلى ع فجاءه مسرعا فقال لمالك بن كعب خل سبيل ابن عمى يرحمك الله فقال يقرظة اتق الله و لا تتكلم في هذا فإنه لو كان من عباد الأنصار ونسألكهم لم يهرب من أمير المؤمنين إلى أمير المنافقين . فلم يزل به يقسم عليه حتى خلى سبيله و قال له يا هذا لك الأمان اليوم والليله [صفحة ٣٠٣] وغدا و الله إن أدر كنتك بعدها لأضربن عنقك فخرج مسرعا لا يلوى على شىء وذهبت به راحلته فلم يدر أين يتسكع من الأرض ثلاثة أيام لا يعلم أين هو فكان النعمان يحدث بعد ذلك يقول و الله ما علمت أين أنا حتى سمعت قول قائله تقول وهى تطحن شربت مع الجوزاء كأسا روية || وأخرى مع الشعرى إذا ما استقلت معتقه كانت قريش تصونها || فلما استحلوا قتل عثمان حلت . فعلمت أنى عندحى من أصحاب معاوية و إذا الماء لبني القين فعلمت أنى قد انتهيت إلى الماء . ثم قدم على معاوية فخبره بما لقي و لم يزل معه مصاحبا لم يجاهد عليا ويتبع قتله عثمان حتى غزا الضحاك بن قيس أرض العراق ثم انصرف إلى معاوية و قد كان معاوية قال قبل ذلك بشهرين أو ثلاثة أ ما من رجل أبعث به بجريدة خيل حتى يغير على شاطئ الفرات فإن الله يرعب بها أهل العراق فقال له النعمان فابعثنى فإن لى فى قتالهم نية وهوى و كان النعمان عثمانيا قال فانتدب على اسم الله فانتدب وندب معه ألفى رجل وأوصاه أن يتجنب المدن والجماعات وألا يغير إلا على مصلحه و أن يعجل الرجوع . فأقبل النعمان بن بشير حتى دنا من عين التمر و بهامالك بن كعب الأرحبي الذى جرى له معه ماجرى و مع مالك ألف رجل و قد أذن لهم فرجعوا إلى الكوفة فلم يبق معه إلا مائة أو نحوها فكتب مالك إلى على ع أما بعد فإن النعمان بن بشير قد نزل بى فى جمع كثيف فرأيتك سددك الله تعالى وثبتك و السلام . فوصل الكتاب إلى على ع فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال -رواية- ١-أداه دارد [صفحة ٣٠٤] اخرجوا هداكم الله إلى مالك بن كعب أخيكم فإن النعمان بن بشير قد نزل به فى جمع من أهل الشام ليس بالكثير فانهمضوا إلى إخوانكم لعل الله يقطع بكم من الكافرين طرفا -رواية- از قبل- ١٧٤ ثم نزل . فلم يخرجوا فأرسل إلى وجوههم وكبرائهم فأمرهم أن ينهمضوا ويحثوا الناس على المسير فلم يصنعوا شيئا واجتمع منهم نفر يسير نحو ثلاثمائة فارس أودونها فقام ع فقال ألا إنى منيت بمن

لا يطيع الفصل ألدَى شرحناه إلى آخره ثم نزل . فدخل منزله فقام عدى بن حاتم فقال هذا والله الخذلان على هذا يا بعنا أمير المؤمنين ثم دخل إليه فقال يا أمير المؤمنين إن معى من طيى ألف رجل لا يعصونى فإن شئت أن أسير بهم سرت قال ما كنت لأعرض قبيلة واحدة من قبائل العرب للناس ولكن اخرج إلى النخيلة فعسكر بهم وفرض على ع لكل رجل سبعمائة فاجتمع إليه ألف فارس عدا طيئا أصحاب عدى بن حاتم . وورد على على ع الخبر بهزيمة النعمان بن بشير ونصرة مالك بن كعب فقرا الكتاب على أهل الكوفة وحمد الله وأثنى عليه ثم نظر إليهم وقال هذا بحمد الله وذم أكثركم . فأما خير مالك بن كعب مع النعمان بن بشير قال عبد الله بن حوزة الأزدي قال كنت مع مالك بن كعب حين نزل بنا النعمان بن بشير وهو فى ألفين ومانحن إلامائة فقال لنا قاتلوهم فى القرية واجعلوا الجدر فى ظهوركم و لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة واعلموا أن الله تعالى ينصر العشرة على المائة والمائة على الألف والقليل على الكثير ثم قال إن أقرب من هاهنا إلينا من شيعة أمير المؤمنين وأنصاره وعماله قرظة بن كعب [صفحہ ٣٠٥] ومخنف بن سليم فاركض إليهما فأعلمهما حالنا وقل لهما فلينصرانا ما استطاعا فأقبلت أركض و قدرته وأصحابه يرمون أصحاب ابن بشير بالنبل فمررت بقرظة فاستصرخته فقال إنما أنا صاحب خراج و ليس عندى من أعينه به فمضيت إلى مخنف بن سليم فأخبرته الخبر فشرح معى عبدالرحمن بن مخنف فى خمسين رجلا وقاتل مالك بن كعب النعمان وأصحابه إلى العصر فأتيناه و قد كسر هو وأصحابه جفون سيوفهم واستقبلوا الموت فلو أبطأنا عنهم هلكوا فما هو إلا أن رأنا أهل الشام و قد أقبلنا عليهم فأخذوا ينكصون عنهم ويرتفعون ورأنا مالك وأصحابه فشدوا عليهم حتى دفعوهم عن القرية فاستعرضناهم فصرعنا منهم رجلا - ثلاثة وارتفع القوم عنا وظنوا أن وراءنا مددا و لو ظنوا أنه ليس غيرنا لأقبلوا علينا ولأهلكونا و حال الليل بيننا وبينهم فانصرفوا إلى أرضهم و كتب مالك بن كعب إلى على ع أما بعد فإنه نزل بنا النعمان بن بشير فى جمع من أهل الشام كالظاهر علينا و كان عظم أصحابى متفرقين وكنا للذى كان منهم آمنين فخرجنا إليهم رجلا مصلتين فقاتلناهم حتى المساء واستصرخنا مخنف بن سليم فبعث إلينا رجلا من شيعة أمير المؤمنين وولده فنعم الفتى ونعم الأنصار كانوا فحملنا على عدونا وشددنا عليهم فأنزل الله علينا نصره وهزم عدوه وأعز جنده والحمد لله رب العالمين و السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . [صفحہ ٣٠٦] وروى محمد بن فرات الجرمى عن زيد بن على ع قال قال على ع فى هذه الخطبة أيها الناس إنى دعوتكم إلى الحق فتوليتم عنى و ضربتكم بالدرة فأعيتموني أما إنه سيليكم بعدى و لاء لا يرضون عنكم بذلك حتى يعذبوكم بالسياط وبالحديد فأما أنا فلا أعذبكم بهما إنه من عذب الناس فى الدنيا عذبه الله فى الآخرة و آية ذلك أن يأتيكم صاحب اليمن حتى يحل بين أظهركم فيأخذ العمال وعمال العمال رجل يقال له يوسف بن عمرو و يقوم عند ذلك رجل منا أهل البيت فانصروه فإنه داع إلى الحق -رواية- ١-٢-رواية- ٨٣-٤٩٠ . قال و كان الناس يتحدثون أن ذلك الرجل هو زيد ع [صفحہ ٣٠٧]

٤٠- و من كلام له ع للخوارج لما سمع قولهم لاحكم إلالله

إشاره

قَالَ كَلِمَةً حَقَّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ نَعَمْ إِنَّهُ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ وَ لَكِنَّ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ لَا إِمْرَةَ وَ إِنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ وَ يَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ وَ يُبَلِّغُ اللَّهُ فِيهَا الْأَجَلَ وَ يُجْمَعُ بِهِ الْفَيْءُ وَ يُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ وَ تَأْمَنُ بِهِ السَّبِيلُ وَ يُؤَخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوَى حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ وَ يُسْتَرَاخَ مِنْ فَاجِرٍ وَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَنَّهُ عَ لَمَّا سَمِعَ تَحْكِيمَهُمْ قَالَ حُكْمَ اللَّهِ أَنْتَظِرُ فِيكُمْ وَ قَالَ أَمَا

الإِمْرَةُ الْبِرَّةُ فَيَعْمَلُ فِيهَا التَّقِيَّ وَ أَمَّا الإِمْرَةُ الْفَاجِرَةُ فَيَتَمَتَّعُ فِيهَا الشَّقِيَّ إِلَى أَنْ تَنْقَطِعَ مُدَّتُهُ وَ تُدْرِكَهُ مَيِّتُهُ

اختلاف الرأي فى القول بوجوب الإمامة

هذان صريح منه ع بأن الإمامة واجبة و قد اختلف الناس فى هذه [صفحہ ٣٠٨] المسألة فقال المتكلمون كافة الإمامة واجبة إلا ما يحكى عن أبى بكر الأصم من قدماء أصحابنا أنها غير واجبة إذ تناصفت الأمة و لم تتظالم . و قال المتأخرون من أصحابنا إن هذا القول منه غير مخالف لما عليه الأمة لأنه إذا كان لا يجوز فى العادة أن تستقيم أمور الناس من دون رئيس يحكم بينهم فقد قال بوجوب الرئاسة على كل حال اللهم إلا أن يقول إنه يجوز أن تستقيم أمور الناس من دون رئيس و هذا بعيد أن يقوله فأما طريق وجوب الإمامة ما هى فإن مشايخنا البصريين رحمهم الله يقولون طريق وجوبها الشرع و ليس فى العقل ما يدل على وجوبها. و قال البغداديون و أبو عثمان الجاحظ من البصريين و شيخنا أبو الحسين رحمه الله تعالى إن العقل يدل على وجوب الرئاسة و هو قول الإمامية إلا أن الوجه الذى منه يوجب أصحابنا الرئاسة غير الوجه الذى توجب الإمامية منه الرئاسة و ذاك أن أصحابنا يوجبون الرئاسة على المكلفين من حيث كان فى الرئاسة مصالح دنيوية و دفع مضار دنيوية و الإمامية يوجبون الرئاسة على الله تعالى من حيث كان فى الرئاسة لطف و بعد للمكلفين عن مواقف القبائح العقلية. و الظاهر من كلام أمير المؤمنين ع يطابق ما يقوله أصحابنا ألا تراه كيف علل قوله لا بد للناس من أمير فقال فى تعليقه يجمع به الفىء و يقاتل به العدو و تؤمن به السبل و يؤخذ للضعيف من القوى و هذه كلها من مصالح الدنيا. فإن قيل ذكرت أن الناس كافة قالوا بوجوب الإمام فكيف يقول أمير المؤمنين ع عن الخوارج إنهم يقولون لا إمره. قيل إنهم كانوا فى بدء أمرهم يقولون ذلك و يذهبون إلى أنه لا حاجة إلى الإمام ثم رجعوا عن ذلك القول لما أمروا عليهم عبد الله بن وهب الراسبى. [صفحہ ٣٠٩] فإن قيل فسروا لنا ألفاظ أمير المؤمنين ع قيل إن الألفاظ كلها ترجع إلى إمره الفاجر. قال يعمل فيها المؤمن أى ليست بمانعة للمؤمن من العمل لأنه يمكنه أن يصلى و يصوم و يتصدق و إن كان الأمير فاجرا فى نفسه . ثم قال و يستمتع فيها الكافر أى يتمتع بمدته كما قال سبحانه للكافرين قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ. و يبلغ الله فيها الأجل لأن إمره الفاجر كإمره البر فى أن المدّة المضروبة فيها تنتهى إلى الأجل المؤقت للإنسان . ثم قال و يجمع به الفىء و يقاتل به العدو و تؤمن به السبل و يؤخذ به للضعيف من القوى و هذا كله يمكن حصوله فى إمره الفاجر القوى فى نفسه - قرآن - ٧٤-١١٩ و قد قال رسول الله ص إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر - رواية ١- ٢- رواية - ٢٨-٦٩ و قد اتفقت المعتزلة على أن أمراء بنى أمية كانوا فجارا عدا عثمان و عمر بن عبد العزيز و يزيد بن الوليد و كان الفىء يجمع بهم و البلاد تفتح فى أيامهم و الثغور الإسلامية محصنة محوطة و السبل آمنة و الضعيف منصور على القوى الظالم و ماضر فجورهم شيئا فى هذه الأمور ثم قال ع فتكون هذه الأمور حاصلة إلى أن يستريح بر بموته أو يستراح من فاجر بموته أو عزله. فأما الرواية الثانية فإنه قد جعل التقى يعمل فيها للإمره البره خاصة. و باقى الكلام غنى عن الشرح [صفحہ ٣١٠]

من أخبار الخوارج أيضا

وروى ابراهيم بن الحسن بن ديزيل المحدث فى كتاب صفين عن عبدالرحمن بن زياد عن خالد بن حميد المصرى عن عمر مولى غفرة قال لما رجع على ع من صفين إلى الكوفة أقام الخوارج حتى جموا ثم خرجوا إلى صحراء بالكوفة تسمى حروراء فنادوا لاحكم إلّا الله و لو كره المشركون ألا إن عليا و معاوية أشركا فى حكم الله . فأرسل على ع إليهم عبد الله بن عباس فنظر فى

أمرهم وكلمهم ثم رجع إلى علي ع فقال له مارأيت فقال ابن عباس و الله ماأدرى ماهم فقال له علي ع رأيتهم منافقين قال و الله ماسيماهم بسيما المنافقين إن بين أعينهم لأثر السجود وهم يتأولون القرآن فقال علي ع دعوهم ما لم يسفكوا دما أويغصبوا مالا وأرسل إليهم ما هذا ألقى أحدثتم و ماتريدون قالوا نريد أن نخرج نحن و أنت و من كان معنا بصفين ثلاث ليال و نتوب إلى الله من أمر الحكمين ثم نسير إلى معاوية فنقاتله حتى يحكم الله بيننا وبينه فقال علي ع فهلا قلتم هذاحين بعثنا الحكمين وأخذنا منهم العهد وأعطيناهموه ألاقلتم هذاحينئذ قالوا كنا قدطالت الحرب علينا واشتد البأس و كثر الجراح و خلا الكراع و السلاح فقال لهم أفحين اشتد البأس عليكم عاهدتم فلما وجدتم الجمام قلتم ننقض العهد إن رسول الله كان يفي للمشركين أفتأمر و نني بنقضه -روايت- ١-٨٣١. فمكثوا مكانهم لا-يزال الواحد منهم يرجع إلى علي ع و لا-يزال الآخر [صفحة ٣١١] يخرج من عند علي ع فدخل واحد منهم علي علي ع بالمسجد و الناس حوله فصاح لاحكم إلاالله و لوكره المشركون فتلفت الناس فنأدى لاحكم إلاالله و لوكره المتلفتون فرفع علي ع رأسه إليه فقال لاحكم إلاالله و لوكره أبوحسن فقال علي ع إن أبا الحسن لا يكره أن يكون الحكم لله ثم قال حكم الله أنتظر فيكم فقال له الناس هلا ملت يا أمير المؤمنين علي هؤلاء فأفئيتهم فقال إنهم لا يفنون إنهم لفي أصلاب الرجال و أرحام النساء إلى يوم القيامة -روايت- ١-٢-روايت- ١٧-٢٣٣ روى أنس بن عياض المدنى قال حدثنى جعفر بن محمد الصادق ع عن أبيه عن جده أن عليا ع كان يوما يؤم الناس و هو يجهر بالقراءة فجهر ابن الكواء من خلفه و لقد أوحى إليك و إلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك و لتكفرن من الخاسرين فلما جهر ابن الكواء و هو خلفه بهاسكت على فلما أنهاها ابن الكواء عاد علي ع فأتتم قراءته فلما شرع علي ع فى القراءة أعاد ابن الكواء الجهر بتلك الآية فسكت على فلم يزال كذلك يسكت هذا و يقرأ ذاك مرارا حتى قرأ علي ع فاصبر إن وعد الله حق و لا يستخفنك الذين لا يوقنونفسكت ابن الكواء و عاد ع إلى قراءته -روايت- ١-٢-روايت- ٨٢-٦١٤ [صفحة ٣١٢]

٤١- و من خطبة له ع

إشارة

إن الوفاء توأم الصدق و لا أعلم جنته أوقى منه و ما يغدر من علم كيف المرجع و لقد أصبَحنا فى زمانٍ قد اتَّخذ أكثر أهله الغدر كيساً و نسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة ما لهم قاتلهم الله قد يرى الحول القلب و جه الحيلة و دونها مانع من أمر الله و نهيهِ فيدعها رأى عين بعد القدرة عليها و ينتهز فرصتها من لا حريجه له فى الدين يقال هذاتوأم هذا و هذه توأمتة و هما توأمان و إنما جعل الوفاء توأم الصدق لأن الوفاء صدق فى الحقيقة ألاترى أنه قدعاهد على أمر و صدق فيه و لم يخلف و كأنهما أعم و أخص و كل وفاء صدق و ليس كل صدق وفاء فإن امتنع من حيث الاصطلاح تسميه الوفاء صدقا فلأمر آخر و هو أن الوفاء قد يكون بالفعل دون القول و لا يكون الصدق إلا فى القول لأنه نوع من أنواع الخبر و الخبر قول . [صفحة ٣١٣] ثم قال و لأعلم جنة أى درعا أوقى منه أى أشد وقاية و حفظا لأدن الوفى محفوظ من الله مشكور بين الناس . ثم قال و ما يغدر من علم كيف المرجع أى من علم الآخرة و طوى عليها عقيدته منعه ذلك أن يغدر لأن الغدر يحبط الإيمان . ثم ذكر أن الناس فى هذا الزمان ينسبون أصحاب الغدر إلى الكيس و هو الفطنة و الذكاء فيقولون لمن يخدع و يغدر و لأرباب الجريرة و المكر هؤلاء أذكيا و أكياس كما كانوا يقولون فى عمرو بن العاص و المغيرة بن شعبه و ينسبون أرباب ذلك إلى حسن الحيلة و صحة التدبير. ثم قال ما لهم قاتلهم الله دعاء عليهم . ثم قال قد يرى الحول القلب و جه الحيلة و يمنعه عنها نهى الله تعالى عنها و تحريمه بعد أن قدر عليها

وأمكنه والحوال القلب الذى قد تحول وتقلب فى الأمور وجرب وحنكته الخطوب والحوادث . ثم قال وينتهد فرصتها أى يبادر إلى افتراضها ويغتمها من لاحتريجة له فى الدين أى ليس بذى حرج والتخرج التائم والحريجة التقوى وهذه كانت سجيته ع وشيمته ملك أهل الشام الماء عليه والشريعة بصفين وأرادوا قتله وقتل أهل العراق عطشا فصار بهم على الشريعة حتى ملكها عليهم وطردهم عنها فقال له أهل العراق اقتلهم بسيوف العطش وامنعهم الماء وخذهم قبضا بالأيدى فقال إن فى حد السيف لغنى عن ذلك وإنى لأستحل منعهم الماء فأفرج لهم عن الماء فوردوه ثم قاسمهم الشريعة شطرين بينهم وبينه و كان الأشر يستأذنه أن يبيت معاوية فيقول -رواية- ١-أدومه دارد [صفحه ٣١٤] إن رسول الله ص نهى أن يبيت المشركون -رواية- از قبل -٤٥- وتوارث بنوه ع هذا الخلق الأبي. أراد المضاء أن يبيت عيسى بن موسى فمنعه إبراهيم بن عبد الله . وأرسل لما ظهر بالبصرة إلى محمد بن قحطبة مولى باهله و كان قدولى لأبى جعفر المنصور بعض أعمال بفارس فقال له هل عندك مال قال لا قال لا لله قال الله قال خلوا سبيله فخرج ابن قحطبة و هو يقول بالفارسة ليس هذا من رجال أبى جعفر و قال لعبد الحميد بن لاحق بلغنى أن عندك مالا للظلمة يعنى آل أبى أيوب الموريانى كاتب المنصور فقال مالهم عندى مال قال تقسم بالله قال نعم فقال إن ظهر لهم عندك مال لأعدنك كذابا. وأرسل إلى طلحة الغدرى و كان للمنصور عنده مال بلغنا أن عندك مالا فأتنا به فقال أجل إن عندى مالا فإن أخذته منى أغرمنيه أبو جعفر فأضرب عنه . و كان لغير إبراهيم ع من آل أبى طالب من هذا النوع أخبار كثيرة و كان القوم أصحاب دين ليسوا من الدنيا بسبيل وإنما يطلبونها ليقيموا عمود الدين بالأمرة فيها فلم يستقم لهم والدنيا إلى أهلها أميل [صفحه ٣١٥]

الأخبار والأحاديث والآيات الواردة فى مدح الوفاء وذم الغدر

و من الأخبار النبوية المرفوعة فى ذم الغدر ذمة المسلمين واحدة فإن جارت عليهم أمة منهم فلا تخفروا جوارها فإن لكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة -رواية- ١-٢-رواية- ٤٦-١٥١ وروى أبوهريرة قال مر رسول الله ص برجل يبيع طعاما فسأله كيف تبيع فأخبره فأمر أباهريرة أن يدخل فيه يده فأدخلها فإذا هو مبلول فقال رسول الله ص ليس منا من غش -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-١٧٤ قال بعض الملوك لرسول ورد إليه من ملك آخر أطلعنى على سر صاحبك فقال أيها الملك إنا لانستحسن الغدر وإنه لو حول ثواب الوفاء إليه لما كان فيه عوض من قبحه وكان سماجة اسمه وبشاعة ذكره ناهيين عنه .مالك بن دينار كفى بالمرء خيانة أن يكون أمينا للخونة. وقع جعفر بن يحيى على ظهر كتاب كتبه على بن عيسى بن ماهان إلى الرشيد يسعى فيه بالبرامكة فدفعه الرشيد إلى جعفر يمين به عليه و قال أجه عنه فكتب فى ظاهره حب الله إليك الوفاء يا أخى فقد أبغضته وبغض إليك الغدر فقد أحببته إنى نظرت إلى الأشياء حتى أجد لك فيها مشبها فلم أجد فرجعت إليك فشبتهك بك ولقد بلغ من حسن ظنك بالأيام أن أملت السلامة مع البغى و ليس هذا من عاداتها و السلام . كان العهد فى عيسى بن موسى بن محمد بعد المنصور بكتاب كتبه السفاح فلما طالت أيام المنصور سامه أن يخلع نفسه من العهد ويقدم محمدا المهدي عليه فكتب إليه عيسى بدت لى أمارات من الغدر شمتها || أرى ما بدا منها سيمطركم دما [صفحه ٣١٦] و ما يعلم العالى متى هبطاته || و إن سار فى ريح الغرور مسلما أبوهريرة يرفعه اللهم إنى أعوذ بك من الجوع فبئس الضجيع وأعوذ بك من الخيانة فبئس البطانة -رواية- ١-٢-رواية- ١٩-١٠٠ و عنه مرفوعا المكر والخديعة والخيانة فى النار -رواية- ١-٢-رواية- ١٦-٤٩ قال مروان بن محمد لعبد الحميد الكاتب عند زوال أمره أرى أن تصير إلى هؤلاء فلعلك أن تنفنى فى مخلفى فقال وكيف لى بعلم الناس جميعا أن هذا عن رأيك إنهم ليقولون كلهم إنى غدرت بك ثم أنشد وغدرى ظاهر لاشك فيه || لمبصره وعذرى بالمغيب فلما ظفر به عبد

الله بن علي قطع يديه ورجليه ثم ضرب عنقه . كان يقال لا يغدر غادر إلا الصغر همته عن الوفاء واتضاع قدره عن احتمال المكاره في جنب نيل المكارم . من كلام أمير المؤمنين ع الوفاء لأهل الغدر غدر والغدر بأهل الغدر وفاء عند الله تعالى -رواية- ١-٢- روايت- ٣٠-٩٤ . قلت هذا إنما يريد به إذا كان بينهما عهد ومشارطة فغدر أحد الفريقين وخاس بشرطه فإن للآخر أن يغدر بشرطه أيضا ولا يفي به . و من شعر الحماسة واسم الشاعر العارق الطائي [صفحه ٣١٧] من مبلغ عمرو بن هند رساله || إذا استحقبتها العيس جاءت من البعد أبوعدنى والرمل بينى وبينه || تبين رويدا ماأمامه من هند و من أجأ حولى رعان كأنها || قنابل خيل من كميته و من ورد غدرت بأمر كنت أنت اجتررتنا || إليه وبئس الشيمه الغدر بالعهد . قال أبو بكر الصديق ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال سبحانه يا أيها الناس إنما بغئكم على أنفسكم و قال فمن نكث فإنما ينكث على نفسه و قال ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله -قرآن- ٨٢-١٣١-قرآن- ١٣٩-١٨٠-قرآن- ١٨٨-٢٣٣ [صفحه ٣١٨]

٤٢- و من خطبة له ع

أيها الناس إن أخوف ما أخاف عليكم اثنتان اتباع الهوى و طول الأمل فأما اتباع الهوى فيصيد عن الحق و أما طول الأمل فينسى الآخرة ألا و إن الدنيا قد ولت حذاء فلم يبق منها إلا صبابه كصبابه الإناء اصطبها صابها ألا و إن الآخرة قد أقبلت و لكل منهما بئون فكونوا من أبناء الآخرة و لا تكونوا من أبناء الدنيا فإن كل و لم يد سيلحق بأمة يوم القيامة و إن اليوم عمل و لا حساب و غدا حساب و لا عمل قال الرضى رحمه الله أقول الحذاء السريع و من الناس من يرويه جذاء بالجميم والذال أى انقطع درها وخيرها -رواية- ١-١١١ الصبابه بقيه الماء فى الإناء واصطبها صابها مثل قولك أبقاها مبقيا أو تركها تاركها ونحو ذلك يقول أخوف ما أخافه عليكم اتباع الهوى و طول الأمل أما اتباع الهوى فيصد عن الحق و هذا صحيح لا يريب فيه لأن الهوى يعمى البصيرة و قد قيل [صفحه ٣١٩] حبك الشىء يعمى ويصم ولهذا قال بعض الصالحين رحم الله امرأ أهدي إلى عيوبى و ذاك لأن الإنسان يحب نفسه و من أحب شيئا عمى عن عيوبه فلا يكاد الإنسان يلمح عيب نفسه و قد قيل أرى كل إنسان يرى عيب غيره || ويعمى عن العيب الذى هو فيه . فلهذا استعان الصالحون على معرفه عيوبهم بأقوال غيرهم علما منهم أن هوى النفس لذاتها يعميها عن أن تدرك عيبها و مازال الهوى مرديا قتالا- ولهذا قال سبحانه و نهى النفس عن الهوى -قرآن- ١٦٣-١٩٠ و قال ص ثلاث مهلكات شح مطاع و هوى متبع و إعجاب المرء بنفسه -رواية- ١-٢-رواية- ١٣-٧٠ . و أنت إذ تأملت هلاكك من هلكك من المتكلمين كالمجبره والمرجئه مع ذكائهم وفطنتهم واشتغالهم بالعلوم عرفت أنه لاسبب لهلاكهم إلا الهوى الأنفس و حبهم الانتصار للمذهب الذى قد ألقوه و قدر أسوا بطريقه وصارت لهم الأتباع والتلامذه و أقبلت الدنيا عليهم و عداهم السلاطين علماء ورؤساء فيكرهون نقض ذلك كله وإبطاله و يجبون الانتصار لتلك المذاهب والآراء التى نشئوا عليها وعرفوا بها و وصلوا إلى ما وصلوا إليه بطريقها و يخافون عار الانتقال عن المذهب و أن يشتفى بهم الخصوم و يقرعهم الأعداء و من أنصف علم أن الذى ذكرناه حق و أما طول الأمل فينسى الآخرة و هذا حق لأن الذهن إذا انصرف إلى الأمل ومد الإنسان فى مده فإنه لا يذكر الآخرة بل يصير مستغرق الوقت بأحوال الدنيا و ما يرجو حصوله منها فى مستقبل الزمان . [صفحه ٣٢٠] و من كلام مسعر بن كدام كم من مستقبل يوما ليس يستكمله ومنتظر غدا ليس من أجله و لورأيتم الأجل ومسيره أبغضتم الأمل وغروره . و كان يقال تسويف الأمل غرار و تسويل المحال ضرار . و من الشعر المنسوب إلى على ع -رواية- ١-٢-رواية- ٣٦-٣٧ غر جهولا- أمله || يموت من جا أجله و من دنا من حتفه || لم تغن عنه حيله و مابقاء آخر || قد غاب عنه أوله والمرء لا يصحبه || فى القبر لإعمله . و قال أبو العتاهية لا تأمن الموت فى لحظ و لانفس || و لو تمتعت بالحجاب والحرس واعلم بأن سهام الموت قاصده || لكل مدرع

منا ومترس مابال دينك ترضى أن تدنسه || وثوب لبسك مغسول من الدنس ترجو النجاء و لم تسلك مسالكها || إن السفينة لا تجرى على اليبس و من الحديث المرفوع أيها الناس إن الأعمال تطوى والأعمار تبنى والأبدان تبلى فى الشرى و إن الليل والنهار يتراكمضان تراكمض الفرقدين يقربان كل بعيد ويخلقان كل جديد و فى ذلك ما ألهى عن الأمل وأذكرك بحلول الأجل -روايت- ١-٢-روايت- ٢٥-٢٧ و قال بعض الصالحين بقاءك إلى فناء وفناؤك إلى بقاء فخذ من فنائك الذى لا يبقى لبنائك الذى لا يبنى . و قال بعضهم اغتتم تنفس الأجل وإمكان العمل واقطع ذكر المعاذير والعلل ودع تسويق الأمانى والأمل فإنك فى نفس معدود وعمر محدود ليس بممدود. و قال بعضهم اعمل عمل المرتحل فإن حادى الموت يحدوك ليوم لا يعدوك [صفحہ ٣٢١] ثم قال ع ألا إن الدنيا قد أدبرت حذاء بالحاء والذال المعجمة وهى السريعة وقطاه حذاء خف ريش ذنبها و رجل أخذ أى خفيف اليد و قدروى قد أدبرت حذاء بالجيم أى قد انقطع خيرها ودرها. ثم قال إن كل ولد سيلحق بأمه يوم القيامة فكونوا من أبناء الآخرة لتلحقوا بها وتفوزوا و لا تكونوا من أبناء الدنيا فتلحقوا بها وتخسروا. ثم قال اليوم عمل و لاحساب و غدا حساب و لاعمل و هذا من باب المقابلة فى علم البيان [صفحہ ٣٢٢]

٤٣- و من كلام له ع و قد أشار عليه أصحابه بالاستعداد لحرب أهل الشام بعد إرساله إلى معاوية بجريز بن عبد الله الجلى

إشارة

إِنَّ اسْتِعْدَادِي لِحَرْبِ أَهْلِ الشَّامِ وَ جَرِيرٍ عِنْدَهُمْ إِغْلَاقٌ لِلشَّامِ وَ صَرَفٌ لِأَهْلِهِ عَن خَيْرِ إِنْ أَرَادُوهُ وَ لَكِنْ قَدْ وَقَّتْ لِحَرْبِي وَقْتًا لَا يُقِيمُ بَعْدَهُ إِلَّا مَخْدُوعًا أَوْ عَاصِيًا وَ الرَّأْيُ مَعَ الْأَنَاءِ فَأَرُوذُوا وَ لَا أَكْرَهُ لَكُمْ الْإِعْدَادَ وَ لَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هَذَا الْأَمْرِ وَ عَيْنَهُ وَ قَلْبْتُ ظَهْرَهُ وَ بَطْنَهُ فَلَمْ أَرْ فِيهِ إِلَّا الْقِتَالَ أَوْ الْكُفْرَ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحْمَدٌ إِنَّهُ قَدْ كَانَ عَلَى الْأُمِّيَّةِ وَالْأَحْدَاثِ وَ أَوْجَدَ النَّاسَ مَقَالًا فَقَالُوا ثُمَّ نَقَمُوا فَغَيَّرُوا أَرُودُوا أَى اِرْفَقُوا أَرُودَ فِي السَّيْرِ إِرْوَادًا أَى سَارَ بَرَفَقَ وَالْأَنَاءُ الثَّبْتُ وَ التَّنَائِي وَ نَهَيْهِ لَهُمْ عَنِ الْإِسْتِعْدَادِ وَ قَوْلُهُ بَعْدَ وَ لَا أَكْرَهُ لَكُمْ الْإِعْدَادَ غَيْرَ مُتَنَاقِضٍ لِأَنَّهُ كَرِهَ مِنْهُمْ إِظْهَارَ الْإِسْتِعْدَادِ وَ الْجَهْرَ بِهِ وَ لَمْ يَكْرَهُ الْإِعْدَادَ فِي السَّرِّ وَ عَلَى وَجْهِ الْخِفَاءِ [صفحہ ٣٢٣] وَ الْكُتْمَانَ وَ يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ إِنَّهُ كَرِهَ اسْتِعْدَادَ نَفْسِهِ وَ لَمْ يَكْرَهُ إِعْدَادَ أَصْحَابِهِ وَ هَذَا مِنْ مَتَغَايِرِ الْوَجْهِ وَ هَذَا الْوَجْهُ اخْتَارَهُ الْقُطْبُ الرَّائِدِي . وَ لِقَائِلُ أَنْ يَقُولَ التَّعْلِيلُ الَّذِي عَلَّلَ بِهِ عَ يَقْتَضِي كَرَاهِيَةَ الْأَمْرَيْنِ مَعًا وَ هُوَ أَنْ يَتَّصَلَ بِأَهْلِ الشَّامِ الْإِسْتِعْدَادَ فَيَرْجِعُوا عَنِ السَّلْمِ إِلَى الْحَرْبِ بَلْ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ كَرَاهِيَتُهُ لِإِعْدَادِ جَيْشِهِ وَ عَسَاكِرِهِ خِيُولَهُمْ وَ آلَاتِ حَرْبِهِمْ أَوْلَى لِأَنَّ شِيَاعَ ذَلِكَ أَكْثَرُ مِنْ شِيَاعِ اسْتِعْدَادِهِ وَ وَحْدَهُ لِأَنَّهُ وَحْدَهُ يُمْكِنُ أَنْ يَكْتُمَ اسْتِعْدَادَهُ وَ أَمَا اسْتِعْدَادُ الْعَسَاكِرِ الْعَظِيمَةِ فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكْتُمَ فَيَكُونَ اتِّصَالُهُ وَ انْتِقَالُهُ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ أَسْرَعَ فَيَكُونُ إِغْلَاقُ الشَّامِ عَنِ بَابِ خَيْرِ إِنْ أَرَادُوهُ أَقْرَبَ وَ الْوَجْهُ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ مَاقْدِمَانَهُ . وَ أَمَا قَوْلُهُ عَ ضَرَبْتُ أَنْفَ هَذَا الْأَمْرِ وَ عَيْنَهُ فَمَثَلُ تَقَوْلِهِ الْعَرَبُ إِذَا أَرَادَتْ الْإِسْتِقْصَاءَ فِي الْبَحْثِ وَ التَّأَمُّلِ وَ الْفِكْرِ وَ إِنَّمَا خَصَّ الْأَنْفَ وَ الْعَيْنَ لِأَنَّهُمَا صُورَةُ الْوَجْهِ وَ الَّذِي يَتَأَمَّلُ مِنَ الْإِنْسَانِ إِنَّمَا هُوَ وَجْهُهُ . وَ أَمَا قَوْلُهُ لَيْسَ إِلَّا الْقِتَالُ أَوْ الْكُفْرُ فَلَأَنَّ النَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبٌ عَلَى الْإِمَامِ وَ لَا يَجُوزُ لَهُ الْإِقْرَارُ عَلَيْهِ فَإِنْ تَرَكَهُ فَسَقَ وَ وَجِبَ عَزْلُهُ عَنِ الْإِمَامَةِ . وَ قَوْلُهُ أَوْ الْكُفْرُ مِنْ بَابِ الْمُبَالَغَةِ وَ إِنَّمَا هُوَ الْقِتَالُ أَوْ الْفُسْقُ فَسُمِّيَ الْفُسْقُ كَفْرًا تَغْلِيظًا وَ تَشْدِيدًا فِي الزَّجْرِ عَنْهُ . وَ قَوْلُهُ عَ أَوْجَدَ النَّاسَ مَقَالًا أَى جَعَلَهُمْ وَاجِدِينَ لَهُ . وَ قَالَ الرَّائِدِي أَوْجَدَ هَاهُنَا بِمَعْنَى أَغْضَبَ وَ هَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ لِأَنَّهُ لَا شَيْءَ يَنْصَبُ بِهِ مَقَالًا إِذَا كَانَ بِمَعْنَى أَغْضَبَ وَ الْوَالِي الْمَشَارَ إِلَيْهِ

عثمان [صفحہ ٣٢٤]

ذكر ماأورده القاضي عبدالجبار من دفع ماتعلق به الناس على عثمان من الأحداث

يجب أن نذكر هاهنا أحداثه و مايقوله أصحابنا في تأويلاتها و ماتكلم به المرتضى في كتاب الشافى في هذا المعنى فنقول إن قاضى القضاة رحمه الله تعالى قال فى المغنى قبل الكلام فى تفصيل هذه الأحداث كلاما مجملا معناه أن كل من تثبت عدالته ووجب توليه إما على القطع وإما على الظاهر فغير جائز أن يعدل فيه عن هذه الطريقة إلا بأمر متيقن يقتضى العدول عنها يبين ذلك أن من شاهدناه على ما يوجب الظاهر توليه وتعظيمه يجب أن يبقى فيه على هذه الطريقة و إن غاب عنا و قد عرفنا أنه مع الغيبة يجوز أن يكون مستمرا على حالته ويجوز أن يكون منتقلا و لم يقدر هذا التجويز فى وجوب ما ذكرناه . ثم قال فالحدث الذى يوجب الانتقال عن التعظيم والتولى إذا كان من باب محتمل لم يجز الانتقال لأجله والأحوال المتقررة فى النفوس بالعادة والأحوال المعروفة فيمن نتولاه أقوى فى باب الإمارة من الأمور المتجددة فإن مثل فرقد السبخى ومالك بن دينار لو شوهدا فى دار فيها منكر لقوى فى الظن حضورهما للتغيير والإنكار [صفحہ ۳۲۵] أو على وجه الإكراه أو الغلط و لو كان الحاضر هناك من علم من حاله الاختلاط بالمنكر لجوز حضوره للفساد بل كان ذلك هو الظاهر من حاله . ثم قال واعلم أن الكلام فيما يدعى من الحدث والتغير فيمن ثبت توليه قد يكون من وجهين أحدهما هل علم بذلك أم لا . والثانى أنه مع يقين حصوله هل هو حدث يؤثر فى العدالة أم لا- و لا فرق بين تجويز ألا- يكون حدث أصلا و بين أن يعلم حدوثه ويجوز ألا- يكون حدثا . ثم قال كل محتمل لو أخبر الفاعل أنه فعله على أحد الوجهين و كان يغلب على الظن صدقه لوجب تصديقه فإذا عرف من حاله المتقررة فى النفوس ما يطابق ذلك جرى مجرى الإقرار بل ربما كان أقوى ومتى لم نسلك هذه الطريقة فى الأمور المشتبهة لم يصح فى أكثر من نتولاه ونعظمه أن تسلم حاله عندنا فإننا لورأينا من يظن به الخير يكلم امرأة حسناء فى الطريق لكان ذلك من باب المحتمل فإذا كان لو أخبر أنها أخته أو امرأته لوجب ألا نحول عن توليه فكذلك إذا كان قد تقدم فى النفوس ستره وصلاحه فالواجب أن نحمله على هذا الوجه . ثم قال وقول الإمام له مزية فى هذا الباب لأنه أكد من غيره و أما ما ينقل عن رسول الله ص فإنه و إن لم يكن مقطوعا به يؤثر فى هذا الباب و يكون أقوى مما تقدم . ثم قال و قد طعن الطاعنون فيه بأمر متنوعه مختلفة ونحن نقدم على تلك المطاعن كلاما مجملا يبين بطلانها على الجملة ثم نتكلم عن تفصيلها . [صفحہ ۳۲۶] قال و ذلك أن شيخنا أبا على رحمه الله تعالى قد قال لو كانت هذه الأحداث مما توجب طعنا على الحقيقة لوجب من الوقت الذى ظهر ذلك من حاله أن يطلب المسلمون رجلا- ينصب للإمامة و أن يكون ظهور ذلك عن عثمان كموته فإنه لا خلاف أنه متى ظهر من الإمام ما يوجب خلعه أن الواجب على المسلمين إقامة إمام سواه فلما علمنا أن طلبهم لإقامة إمام إنما كان بعد قتله و لم يكن من قبل والتمكن قائم علمنا بطلان ما أضيف إليه من الأحداث . قال و ليس لأحد أن يقول إنهم لم يتمكنوا من ذلك لأن المتعالم من حالهم أنهم حصروه ومنعوه من التمكن من نفسه و من التصرف فى سلطانه خصوصا والخصوم يدعون أن الجميع كانوا على قول واحد فى خلعه والبراءة منه . قال ومعلوم من حال هذه الأحداث أنها لم تحصل أجمع فى الأيام التى حوصر فيها وقتل بل كانت تحصل من قبل حالا بعد حال فلو كان ذلك يوجب الخلع والبراءة لماتأخر من المسلمين الإنكار عليه ولكان كبار الصحابة المقيمون بالمدينة أولى بذلك من الواردين من البلاد لأن أهل العلم والفضل بإنكار ذلك أحق من غيرهم . قال فقد كان يجب على طريقتهم أن تحصل البراءة والخلع من أول الوقت الذى حصل منه ما أوجب ذلك وألا ينتظر حصول غيره من الأحداث لأنه لو وجب انتظار ذلك لم ينته إلى حد إلا- و ينتظر غيره . ثم ذكر أن إمساكهم عن ذلك إذ اتيقنوا الأحداث منه يوجب نسبة الجميع إلى الخطأ والضلال و لا يمكنهم أن يقولوا إن علمهم بذلك إنما حصل فى الوقت الذى حصر ومنع لأن من جملة الأحداث التى يذكرونها ما تقدم عن هذه الحال بل كلها أوجلتها تقدم هذا الوقت وإنما يمكنهم أن يتعلقوا فيما حدث فى هذا الوقت بما يذكرونه من [

صفحة ٣٢٧] حديث الكتاب النافذ إلى ابن أبي سرح بالقتل و ماوجب كون ذلك حدثا يوجب كون غيره حدثا فكان يجب أن يفعلوا ذلك من قبل واحتمال المتقدم للتأويل كاحتمال المتأخر. ثم قال و بعدفليس يخلو من أن يدعوا أن طلب الخلع وقع من كل الأمة أو من بعضهم فإن ادعوا ذلك في بعض الأمة فقد علمنا أن الإمامة إذاثبت بالإجماع لم يجز إبطالها بلا خلاف لأن الخطأ جائز على بعض الأمة و إن ادعوا في ذلك الإجماع لم يصح لأن من جملة أهل الإجماع عثمان و من كان ينصره و لايمكن إخراجه من الإجماع بأن يقال إنه كان على باطل لأن بالإجماع يتوصل إلى ذلك و لم يثبت . ثم قال على أن الظاهر من حال الصحابة أنها كانت بين فريقين أما من نصره فقد روى عن زيد بن ثابت أنه قال لعثمان و من معه من الأنصار ائذن لنا بنصرك و روى مثل ذلك عن ابن عمر و أبي هريرة و المغيرة بن شعبه و الباقر ممتنعون انتظارا لزوال العارض إلا أنه لوضيق عليهم الأمر في الدفع ماقدعوا بل المتعالم من حالهم ذلك . ثم ذكر ماروى من إنفاذ أمير المؤمنين ع الحسن و الحسين ع إليه و أنه لماقتل لامهماع على وصول القوم إليه ظنا منه أنهما قصرأ. و ذكر أن أصحاب الحديث يروون عن النبي ص أنه قال ستكون فتنة و اختلاف و أن عثمان و أصحابه يومئذ على الهدى -رواية ١-٢-رواية ٥٧-١١٦ و ماروى عن عائشة من قولها قتل و الله مظلوما. قال و لايمتنع أن يتعلق بأخبار الأحاديث في ذلك لأنه ليس هناك أمر ظاهر يدفعه نحو دعواهم أن جميع الصحابة كانوا عليه لأن ذلك دعوى منهم و إن كان فيه رواية من جهة الآحاد و إذاتعارضت الروايات سقطت ووجب الرجوع إلى ماثبت من أحواله السليمة ووجوب توليه . [صفحہ ٣٢٨] قال و لايجوز أن يعدل عن تعظيمه و صحة إمامته بأمر محتملة فلا شىء مما ذكره إلا- و يحتمل الوجه الصحيح . ثم ذكر أن للإمام أن يجتهد برأيه في الأمور المنوطة به و يعمل فيها على غالب ظنه و قد يكون مصيبا و إن أفضت إلى عاقبة مذمومة. فهذه جملة ما ذكره قاضى القضاء رحمه الله تعالى في المغنى من الكلام إجمالا في دفع مايتعلق به على عثمان من الأحداث

رد المرتضى على ماأوردته القاضى عبدالجبار من الدفاع عن عثمان

واعترض المرتضى رحمه الله تعالى فى الشافى فقال أما قوله من تثبت عدالته ووجب توليه إما قطعاً أو على الظاهر فغير جائز أن يعدل فيه عن هذه الطريقة إلا بأمر متيقن فغير مسلم لأن من نتولاه على الظاهر و تثبت عدالته عندنا من جهة غالب الظن يجب أن نرجع عن ولايته بما يقتضى غالب الظن دون اليقين ولهذا يؤثر فى جرح الشهود و سقوط عدالتهم أقوال الجارحين و إن كانت مظنوننة غير معلومة و ما يظهر من أنفسهم من الأفعال التى لها ظاهر يظن معه القبيح بهم حتى نرجع عما كنا عليه من القول بعدالتهم و إن لم يكن كل ذلك متيقنا و إنما يصح ما ذكره فيمن ثبتت عدالته على القطع ووجب توليه على الباطن فلايجوز أن يؤثر فى حاله ما يقتضى الظن لأن الظن لا يقابل العلم و الدلالة لا تقابل الأمانة. فإن قال لم أرد بقولى إلا بأمر متيقن أن كونه حدثا متيقن و إنما أردت تيقن وقوع الفعل نفسه. قلنا الأمران سواء فى تأثير غلبة الظن فيهما ولهذا يؤثر فى عدالة من تقدمت [صفحہ ٣٢٩] عدالته عندنا على سبيل الظن أقوال من يخبرنا عنه بارتكاب القبائح إذا كانوا عدولا و إن كانت أقوالهم لا تقتضى اليقين بل يحصل عندها غالب الظن و كيف لا نرجع عن ولايته من توليناه على الظاهر بوقوع أفعال منه يقتضى ظاهرها خلاف الولاية و نحن إنما قلنا بعدالته فى الأصل على سبيل الظاهر و مع التجويز لأن يكون ما وقع منه فى الباطن قبيحا لا يستحق به التولى و التعظيم أ لا ترى أن من شاهدناه يلزم مجالس العلم و يكرر تلاوة القرآن و يدمن الصلاة و الصيام و الحج يجب أن نتولاه و نعظمه على الظاهر و إن جوزنا أن يكون جميع ما وقع منه مع خبث باطنه و أن غرضه فى فعله القبيح فلم نتوله إلا على الظاهر و مع التجويز فكيف لا نرجع عن ولايته بما يقابل هذه الطريقة فأما من غاب عنا و تقدمت له أحوال تقتضى الولاية فيجب أن نستمر على ولايته و إن

جوزنا على الغيبة أن يكون منتقلا عن الأحوال الجميلة التي عهدناها منه إلا أن هذاتجوز محض لاظاهر معه يقابل ماتقدم من الظاهر الجميل و هو بخلاف ما ذكرناه من مقابلة الظاهر للظاهر و إن كان في كل واحد من الأمرين تجوز. قال وقد أصاب في قوله إن ما يحتمل لا ينتقل له عن التعظيم والتولى إن أراد بالاحتمال ما لا ظاهر له و أما ما له ظاهر و مع ذلك يجوز أن يكون الأمر فيه بخلاف ظاهره فإنه لا يسمى محتملا و قد يكون مؤثرا فيما ثبت من التولى على الظاهر على ما ذكرناه . قال فأما قوله إن الأحوال المتقررة في النفوس بالعادات فيمن نتولاه تؤثر ما لا يؤثر غيرها و تقتضى حمل أفعاله على الصحة والتأول له فلاشك أن ما ذكره مؤثر وطريق قوى إلى غلبة الظن إلا- أنه ليس يقتضى ما يتقرر في نفوسنا لبعض من نتولاه على الظاهر أن نتأول كل ما يشاهد منه من الأفعال التي لها ظاهر قبيح ونحمل الجميع على [صفحة ٣٣٠] أجمل الوجوه و إن كان بخلاف الظاهر بل ربما تبين الأمر فيما يقع منه من الأفعال التي ظاهرها القبيح إلى أن تؤثر في أحواله المقررة ونرجع بها عن ولايته ولهذا نجد كثيرا من أهل العدالة المتقررة لهم في النفوس ينسلخون منها حتى يلحقوا بمن لا تثبت له في وقت من الأوقات عدالة وإنما يكون ذلك بما يتوالى منهم ويتكرر من الأفعال القبيحة الظاهرة. قال فأما ما استشهد به من أن مثل مالك بن دينار لو شاهدناه في دار فيها منكر لقوى في الظن حضوره لأجل التغيير والإنكار أو على وجه الإكراه والغلط و أن غيره يخالفه في هذا الباب فصحيح لا يخالف ما ذكرناه لأن مثل مالك بن دينار ممن تناصرت أمارات عدالته وشواهد نزاهته حالا بعد حال لا يجوز أن يقدر فيه فعل له ظاهر قبيح بل يجب لما تقدم من حاله أن نتأول فعله ونخرجه عن ظاهره إلى أجمل وجوهه وإنما وجب ذلك لأن الظنون المتقدمة أقوى وأولى بالترجيح والغلبة فنجعلها قاضية على الفعل والفعلين ولهذا متى توالى من الأفعال القبيحة الظاهرة وتكررت قدحت في حاله وأثرت في ولايته كيف لا يكون كذلك وطريق ولايته في الأصل هو الظن والظاهر و لا بد من قدح الظاهر في الظاهر وتأثير الظن في الظن على بعض الوجوه . قال فأما قوله فإن كل محتمل لو أخبرنا عنه و هو مما يغلب على الظن صدقه أنه فعله على أحد الوجهين وجب تصديقه فمتى عرف من حاله المتقررة في النفوس ما يطابق ذلك جرى مجرى الإخبار فأول ما فيه أن المحتمل هو ما لا ظاهر له من الأفعال و الذي يكون جواز كونه قبيحا كجواز كونه حسنا ومثل هذا الفعل لا يقتضى ولاية [صفحة ٣٣١] و لاعداءه وإنما يقتضى الولاية ما له من الأفعال ظاهر جميل و يقتضى العداوة ما له ظاهر قبيح . فإن قال أردت بالمحتمل ما له ظاهر لكنه يجوز أن يكون الأمر بخلاف ظاهره . قيل له ما ذكرته لا يسمى محتملا فإن كنت عينته فقد وضعت العبارة في غير موضعها ولاشك في أنه إذا كان ممن لو أخبرنا بأنه فعل الفعل على أحد الوجهين لوجب تصديقه وحمل الفعل على خلاف ظاهره فإن الواجب لما تقرر له في النفوس أن يتأول له ويعدل بفعله عن الوجه القبيح إلى الوجه الجميل إلا أنه متى توالى من الأفعال التي لها ظواهر قبيحة فلا بد أن تكون مؤثرة في تصديقه متى خبرنا بأن غرضه في الفعل خلاف ظاهره كما تكون مانعة من الابتداء بالتأول . و ضربه المثل بأن من نراه يكلم امرأة حسناء في الطريق إذا أخبر أنها أخته أو امرأته في أن تصديقه واجب و لو لم يخبر بذلك لحملنا كلامه لها على أجمل الوجوه لما تقدم له في النفوس صحيح إلا أنه لا بد من مراعاة ما تقدم ذكره من أنه قد يقوى الأمر لقوة الأمارات والظواهر إلى حد لا يجوز معه تصديقه و لا التأول له و لو لا أن الأمر قد ينتهي إلى ذلك لما صح أن يخرج أحد عندنا من الولاية إلى العداوة و لا- من العدالة إلى خلافها لأنه لا شيء مما يفعله الفساق المتهتكون إلا ويجوز أن يكون له باطن بخلاف الظاهر و مع ذلك فلا يلتفت إلى هذاتجوز يبين صحة ما ذكرناه أنا لورأينا من يظن به الخير يكلم امرأة حسناء في الطريق ويداعبها ويصاحكها لظننا به الجميل مرة ومرات ثم ينتهي الأمر إلى ألا نظنه وكذلك لو شاهدناه وبحضرته المنكر لحملنا حضوره على الغلط أو الإكراه أو غير ذلك من الوجوه الجميلة ثم لا بد من انتهاء الأمر إلى أن نظن به القبيح و لانصدقه في كلامه . [صفحة ٣٣٢] قال ثم نقول له أخبرنا عن شاهدناه من بعد و هو مفترش امرأة نعلم أنها ليست له بمحرم و أن لها في الحال زوجا غيره و هو ممن تقرر له في النفوس عدالة متقدمة ماذا يجب أن نظن به وهل نرجع بهذا الفعل عن

ولايته أم نحمله على أنه غالط ومتوهم أن المرأة زوجته أو على أنه مكره على الفعل أو غير ذلك من الوجوه الجميلة. فإن قال نرجع عن الولاية اعترف بخلاف ماقصده في الكلام وقيل له أى فرق بين هذاالفعل و بين جميع ماعددناه من الأفعال وادعيت أن الواجب أن نعدل عن ظاهرها و ماجواز الجميل فى ذلك إلاكجواز الجميل فى هذاالفعل . و إن قال لأرجع بهذا الفعل عن ولايته بل نؤوله على بعض الوجوه الجميلة.قيل له أرأيت لو تكرر هذاالفعل وتوالى هو وأمثاله حتى نشاهده حاضرا فى دور القمار ومجالس اللهو واللعب ونراه يشرب الخمر بعينها و كل هذامما يجوز أن يكون عليه مكرها و فى أنه القبيح بعينه غالطا أ كان يجب علينا الاستمرار على ولايته أم العدول عنها فإن قال نستمر وتتأول ارتكب ما لاشبهه فى فساده وألزم ما قدقدمنا ذكره من أنه لا طريق إلى الرجوع عن ولاية أحد و لو شاهدنا منه أعظم المناكير ووقف أيضا على أن طريق الولاية المتقدمة إذا كان الظن دون القطع فكيف لانرجع عنها لمثل هذاالطريق فلايبد إذن من الرجوع إلى مايبناه وفصلناه فى هذاالباب . قال فأما قوله إن قول الإمام له مزية لأنه أكد من غيره فلامعنى له لأن قول الإمام على مذهبا يجب أن يكون له مزية من حيث كان معصوما مأمون الباطن و على مذهبه إنما تثبت ولايته بالظاهر كماثبتت ولاية غيره من سائر المؤمنين فأى مزية له فى هذاالباب . [صفحہ ۳۳۳] و قوله إن ماينقل عن الرسول و إن لم يكن مقطوعا عليه يؤثر فى هذاالباب و يكون أقوى مما تقدم غير صحيح على إطلاقه لأن تأثير ماينقل إذا كان يقتضى غلبة الظن لاشبهه فيه فأما تقويته على غيره فلاوجه له و قد كان يجب أن يبين من أى الوجوه يكون أقوى . فهذه جملة مااعترض به المرتضى على الفصل الأول من كلام قاضى القضاة رحمه الله تعالى . تم الجزء الثانى من شرح نهج البلاغة

المجلد ۳

الجزء الثالث

تنمة الخطب والأوامر

تنمة خطبة ۴۳

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الواحد العدل الكريم واعلم أن الذى ذكره المرتضى رحمه الله تعالى وأورده على قاضى القضاة جيد ولازم متى ادعى قاضى القضاة أن العدالة إذثبتت ظنا أوقطعا لم يجز العدول عنها والتبرؤ إلا بما يوجب القطع ويعلم به علما يقينيا زوالها فأما إذا ادعى أن المعلوم لايزول إلا بما يوجب العلم فلايرد عليه ما ذكره المرتضى رحمه الله تعالى . و له أن يقول قد ثبتت بالإجماع إمامة عثمان والإجماع دليل قطعى عند أصحابنا و كل من ثبتت إمامته ثبتت عدالته بالطريق التى به اثبتت إمامته لأنه لايجوز أن تكون إمامته معلومة وشرائطها مظنونة لأن الموقوف على المظنون مظنون فتكون إمامته مظنونة و قد فرضناها معلومة وهذاخلف ومحال و إذا كانت عدالته معلومة لم يجز القول بانتفائها وزوالها إلا بأمر معلوم . والأخبار التى رويت فى أحداثه أخبار آحاد لا تفيد العلم فلايجوز العدول عن المعلوم بهافهذا الكلام إذا رتب هذاالترتيب اندفع به مااعترض به المرتضى رحمه الله تعالى [صفحہ ۴]

بقية رد المرتضى على ما أورده القاضي عبد الجبار من الدفاع عن عثمان

فأما كلام المرتضى رحمه الله تعالى على الفصل الثاني من كلام قاضى القضاة وهو الفصل المحكى عن شيخنا أبى على رحمه الله تعالى فنحن نورده قال رحمه الله تعالى . أما قوله لو كان ما ذكر من الأحداث قادحا لوجب من الوقت الذى ظهرت الأحداث فيه أن يطلبوا رجلا ينصبونه فى الإمامة لأن ظهور الحدث كموته فلما رأيناهم طلبوا إماما بعد قتله دل على بطلان ما أضافوه إليه من الأحداث فليس بشىء معتمد لأن تلك الأحداث وإن كانت مزيلة عندهم لإمامته وفاسخة لها ومقتضية لأن يعقدوا لغيره الإمامة إلا أنهم لم يكونوا قادرين على أن يتفقوا على نصب غيره مع تشبته بالأمر خوفا من الفتنة والتنازع والتجاذب وأرادوا أن يخلع نفسه حتى تزول الشبهة وينشط من يصلح للأمر لقبول العقد والتكفل بالأمر وليس يجرى ذلك مجرى موته لأن موته يحسم الطمع فى استمرار ولايته ولا تبقى شبهة فى خلو الزمان من إمام وليس كذلك حدثه الذى يسوغ فيه التأويل على بعده وتبقى معه الشبهة فى استمرار أمره وليس نقول إنهم لم يتمكنوا من ذلك كما سأل نفسه بل الوجه فى عدولهم ما ذكرناه من إرادتهم حسم المواد وإزالة الشبهة وقطع أسباب الفتنة. [صفحة ٥] قال فأما قوله إنه معلوم من حال هذه الأحداث أنها لم تحصل أجمع فى الأيام التى حصر فيها وقتل بل كانت تقع حالا بعد حال فلو كانت توجب الخلع والبراءة لمات آخر من المسلمين الإنكار عليه ولكان المقيمون من الصحابة بالمدينة أولى بذلك من الواردين من البلاد فلا شك أن الأحداث لم تحصل فى وقت واحد إلا أنه غير منكر أن يكون نكيرهم إنما تأخر لأنهم تأولوا ما ورد عليهم من أفعاله على أجمل الوجوه حتى زاد الأمر وتفاقم و بعد التأويل وتعذر التخريج ولم يبق للظن الجميل طريق فحينئذ أنكروا وهدامستمر على ما قدمنا ذكره من أن العدالة والطريقة الجميلة يتأول لها فى الفعل والأفعال القليلة بحسب ما تقدم من حسن الظن به ثم ينتهى الأمر بعد ذلك إلى بعد التأويل والعمل على الظاهر القبيح . قال على أن الوجه الصحيح فى هذا الباب أن أهل الحق كانوا معتقدين بخلعه من أول حدث بل معتقدين أن إمامته لم تثبت وقتا من الأوقات وإنما منعهم من إظهار ما فى نفوسهم ما قدمناه من أسباب الخوف والتقية لأن الاعتذار بالوجل كان عاما فلما تبين أمره حالا بعد حال وأعرضت الوجوه عنه وقل العاذر له قويت الكلمة فى خلعه وهذا إنما كان فى آخر الأمر دون أوله فليس يقتضى الإمساك عنه إلى الوقت الذى وقع الكلام فيه نسبة الخطأ إلى الجميع على ما ظنه . قال فأما دفعه بأن تكون الأمة أجمعت على خلعه بخروجه نفسه وخروج من كان فى حيزه عن القوم فليس بشىء لأنه إذا ثبت أن من عداه وعدا عبيده والرهيط من فجار أهله وفساقهم كمروان و من جرى مجراه كانوا مجمعين على خلعه فلا شبهة [صفحة ٦] فى أن الحق فى غير حيزه لأنه لا يجوز أن يكون هو المصيب وجميع الأمة مبطل وإنما يدعى أنه على الحق لمن ينازع فى إجماع من عداه فأما مع التسليم لذلك فليس يبقى شبهة ومانجد مخالفينا يعتبرون فى باب الإجماع بإجماع الشذاذ والنفر القليل الخارجين من الإجماع لا ترى أنهم لا يحفلون بخلاف سعد وأهله وولده فى بيعه أبى بكر لقلتهم وكثرة من بإزائهم ولذلك لا يعتدون بخلاف من امتنع من بيعه أمير المؤمنين ع ويجعلونه شاذا لا تأثير بخلافه فكيف فارقوا هذه الطريقة فى خلع عثمان وهل هذا إلا تقلب وتلون . قلت أما إذا احتج أصحابنا على إمامة أبى بكر بالإجماع فاعتراض حجتهم بخلاف سعد وولده وأهله اعتراض جيد وليس يقول أصحابنا فى جوابه هؤلاء شذاذ فلا نحفل بخلافهم وإنما المعتبر بالكثرة التى بإزائهم وكيف يقولون هذا وحجتهم الإجماع ولا إجماع ولكنهم يجيبون عن ذلك بأن سعدا مات فى خلافة عمر فلم يبق من يخالف فى خلافة عمر فاعتقد الإجماع عليها وباع ولد سعد وأهله من قبله وإذا صحت خلافة عمر صحت خلافة أبى بكر لأنها فرع عليها ومحال أن يصح الفرع و يكون الأصل فاسدا فهكذا يجب أصحابنا عن الاعتراض بخلاف سعد إذا احتجوا بالإجماع فأما إذا احتجوا بالاختيار فلا يتوجه نحوهم الاعتراض بخلاف سعد وأهله وولده لأنه ليس من شرط ثبوت الإمامة بالاختيار إجماع الأمة على الاختيار وإنما يكفى فيه بيعه خمسة من

أهل الحل والعقد على الترتيب الذى يرتب أصحابنا الدلالة عليه وبهذا الطريق يثبت عندهم إمامة على ع و لم يحفل بخلاف معاوية و أهل الشام فيها. [صفحة ٧] قال رحمه الله تعالى فأما قوله إن الصحابة كانت بين فريقين من نصره كزيد بن ثابت و ابن عمر و فلان و فلان و الباقر و ممتنعون انتظارا لزوال العارض ولأنه ماضيق عليهم الأمر فى الدفع عنه فعجيب لأن الظاهر أن أنصاره هم الذين كانوا معه فى الدار يقاتلون عنه و يدفون الهاجمين عليه . فأما من كان فى منزله ما أغنى عنه فتبلا فلا يعد ناصرا وكيف يجوز ممن أراد نصرته و كان معتقدا لصوابه و خطأ المطالبين له بالخلع أن يتوقف عن النصره طلبا لزوال العارض و هل تراءى النصره إلا للدفع العارض و بعد زواله لا حاجة إليها و ليس يحتاج فى نصرته إلى أن يضيق هو عليهم الأمر فيها بل من كان معتقدا لها لا يحتاج حمله إلى إذنه فيها و لا يحفل بنهيه عنها لأن المنكر مما قد تقدم أمر الله تعالى بالنهى عنه فليس يحتاج فى إنكاره إلى أمر غيره . قال فأما زيد بن ثابت فقد روى ميله إلى عثمان و ما يغنى ذلك و بإزائه جميع المهاجرين و الأنصار و لميله إليه سبب معروف فإن الواقدي روى فى كتاب الدار أن مروان بن الحكم لما حصر عثمان الحصر الأخير أتى زيد بن ثابت فاستصحبه إلى عائشة ليكلماها فى هذا الأمر فمضيا إليها وهى عازمة على الحج فكلماها فى أن تقيم و تذب عنه فأقبلت على زيد بن ثابت فقالت و ما منعك يا ابن ثابت و لك الأشراف قد اقتطعتكها عثمان و لك كذا و كذا و أعطاك عثمان من بيت المال عشرة آلاف دينار قال زيد فلم أرجع عليها حرفا واحدا و أشارت إلى مروان بالقيام فقام مروان و هو يقول [صفحة ٨] حرق قيس على البلاد || حتى إذا اضطرت أجذما . فنادته عائشة و قد خرج من العتبه يا ابن الحكم أ على تمثل الأشعار قد و الله سمعت ما قلت أترانى فى شك من صاحبك و الذى نفسى بيده لوددت أنه الآن فى غرارة من غرائرى مخيط عليه فألقيه فى البحر الأخضر قال زيد بن ثابت فخرجنا من عندها على اليأس منها. و روى الواقدي أن زيد بن ثابت اجتمع عليه عصابة من الأنصار و هو يدعوهم إلى نصره عثمان فوقف عليه جبله بن عمرو بن حبه المازنى فقال له و ما يمنعك يا زيد أن تذب عنه أعطاك عشرة آلاف دينار و حدثت من نخل لم ترث عن أبيك مثل حديقته منها. فأما ابن عمر فإن الواقدي روى أيضا عنه أنه قال و الله ما كان فينا إلا خاذل أو قاتل و الأمر على هذا و أوضح من أن يخفى . فأما ما ذكره من إنفاذ أمير المؤمنين ع الحسن و الحسين ع فإنما أنفذهما إن كان أنفذهما ليمنعا من انتهاك حريمه و تعمده قتله و منع خرمه و نساته من الطعام و الشراب و لم ينفذهما ليمنعا من مطالبته بالخلع و كيف و هو ع مصرح بأنه يستحق بإحداثه الخلع و القوم الذين سعوا فى ذلك إليه كانوا يغدون و يروحون و معلوم منه ضرورة أنه كان مساعدا على خلعه و نقض أمره لاسيما فى المرة الأخيرة فأما ادعاؤه أنه ع لعن قتله فهو يعلم ما فى هذا من الروايات المختلفة التى [صفحة ٩] هى أظهر من هذه الرواية و إن صحت فيجوز أن تكون محمولة على لعن من قتله متعمدا قتله قاصدا إليه فإن ذلك لم يكن لهم . فأما ادعاؤه أن طلحة رجع لما ناشده عثمان يوم الدار فظاهر البطلان و غير معروف فى الرواية و الظاهر المعروف أنه لم يكن على عثمان أشد من طلحة و لا أغلظ منه . قال و لو حكيما من كلامه فيه ما قدروى لأفينا قطعة كثيرة من هذا الكتاب و قدروى أن عثمان كان يقول يوم الدار اللهم اكفنى طلحة و يكرر ذلك علما بأنه أشد القوم عليه و روى أن طلحة كان عليه يوم الدار درع و هو يرمى الناس و لم ينزع عن القتال حتى قتل الرجل . فأما ادعاؤه الرواية عن رسول الله ص ستكون فتنة و أن عثمان و أصحابه يومئذ على الهدى -رواية ١- ٢-رواية ٢٢- ٧٢ فهو يعلم أن هذه الرواية الشاذة لا تكون فى مقابلة المعلوم ضرورة من إجماع الأمة على خلعه و خذله و كلام وجوه المهاجرين و الأنصار فيه و بإزاء هذه الرواية ما ملاما الطروس عن النبى ص وغيره مما يتضمن ما تضمنته و لو كانت هذه الرواية معروفة لكان عثمان أولى الناس بالاحتجاج بها يوم الدار و قد احتج عليهم بكل غث و سمين و قبل ذلك لما خوصم و طولب بأن يخلع نفسه و لا احتج بها عنه بعض أصحابه و أنصاره و فى علمنا بأن شيئا من ذلك لم يكن دلالة على أنها مصنوعة موضوعة . فأما مارواه عن عائشة من قولها قتل و الله مظلوما فأقوال عائشة فيه معروفة و معلومة و إخراجها قميص رسول الله ص و هى تقول هذا قميصه لم يبيل و قد أبلى عثمان سنته إلى غير ذلك مما لا يحصى كثرة. [صفحة

١٠] فأما مدحها له وثناؤها عليه فإنما كانا عقيب علمها بانتقال الأمر إلى من انتقل إليه والسبب فيه معروف و قدوقفت عليه وقوبل بين كلامها فيه متقدما ومتأخرا. فأما قوله لايمتنع أن يتعلق بأخبار الآحاد في ذلك لأنها في مقابلة مايدعونه مما طريقه أيضا الآحاد فواضح البطلان لأن إطباق الصحابة و أهل المدينة إلا من كان في الدار معه على خلافه فإنهم كانوا بين مجاهد ومقاتل مبارز و بين متقاعد خاذل معلوم ضرورة لكل من سمع الأخبار وكيف يدعى أنها من جهة الآحاد حتى يعارض بأخبار شاذة نادرة وهل هذا إلا مكابرة ظاهرة. فأما قوله إنا لانعدل عن ولايته بأمر محتملة فقد مضى الكلام في هذا المعنى وقلنا إن المحتمل هو ما لاظاهر له ويتجاذبه أمور محتملة فأما ما له ظاهر فلايسمى محتملا و إن سماه بهذه التسمية فقد بينا أنه مما يعدل من أجله عن الولاية وفصلنا ذلك تفصيلا بينا. و أما قوله إن للإمام أن يجتهد برأيه في الأمور المنوطة به و يكون مصيبا و إن أفضت إلى عاقبة مذمومة فأول ما فيه أنه ليس للإمام و لاغيره أن يجتهد في الأحكام و لايجوز أن يعمل فيها إلا على النص ثم إذا سلمنا الاجتهاد فلاشك أن هاهنا أمورا لايسوغ فيها الاجتهاد حتى يكون من خبرنا عنه بأنه اجتهد فيها غير مصوب و تفصيل هذه الجملة يبين عند الكلام على ماتعاطاه من الإعذار عن أحداثه على جهة التفصيل . قلت الكلام في هذا الموضوع على سبيل الاستقصاء إنما يكون في الكتب الكلامية المبسوطة في مسألة الإمامة و ليس هذا موضع ذاك ولكن يكفي قاضي القضاة أن يقول [صفحہ ١١] قد ثبت بالإجماع صحة إمامة عثمان فلايجوز الرجوع عن هذا الإجماع إلا بإجماع معلوم على خلعه وإباحة قتله و لم يجمع المسلمون على ذلك لأنه قد كان بالمدينة من ينكر ذلك و إن قتلوا و قد كان أهل الأمصار ينكرون ذلك كالشام والبصرة والحجاز واليمن ومكة وخراسان وكثير من أهل الكوفة وهؤلاء مسلمون فيجب أن تعتبر أقوالهم في الإجماع فإذا لم يدخلوا فيمن أوجب عليه لم ينعقد الإجماع على خلعه و لا على إباحة دمه فوجب البقاء على ماقتضاه الإجماع الأول

ذكر المطاعن التي طعن بها على عثمان والرد عليها

فأما الكلام في المطاعن المفصلة التي طعن بها فيه فنحن نذكرها ونحكي ما ذكره قاضي القضاة و ما عترضه به المرئضى رحمه الله تعالى . الطعن الأول قال قاضي القضاة في المغنى فمما طعن به عليه قولهم إنه ولي أمور المسلمين من لا يصلح لذلك و لا يؤتمن عليه و من ظهر منه الفسق والفساد و من لا علم عنده مراعاة منه لحرمة القرابة وعدولا عن مراعاة حرمة الدين والنظر للمسلمين حتى ظهر ذلك منه وتكرر و قد كان عمر حذره من ذلك حيث وصفه بأنه كلف بأقاربه و قال له إذا وليت هذا الأمر فلا تسلط بنى أبي معيط على رقاب الناس فوق وقع منه ما حذره إياه و عوتب في ذلك فلم ينفع العتب و ذلك نحو استعماله الوليد بن عقبة و تقليده إياه [صفحہ ١٢] حتى ظهر منه شرب الخمر واستعماله سعيد بن العاص حتى ظهرت منه الأمور التي عندها أخرجه أهل الكوفة و توليته عبد الله بن أبي سرح و عبد الله بن عامر بن كريز حتى روى عنه في أمر ابن أبي سرح أنه لما تظلم منه أهل مصر و صرفه عنهم بمحمد بن أبي بكر كاتبه بأن يستمر على ولايته فأبطن خلاف ما أظهر فعل من غرضه خلاف الدين ويقال إنه كاتبه بقتل محمد بن أبي بكر وغيره ممن يرد عليه و ظفر بذلك الكتاب ولذلك عظم التظلم من بعد و كثر الجمع و كان سبب الحصار والقتل حتى كان من أمر مروان و تسلطه عليه و على أموره ما قتل بسببه و ذلك ظاهر لا يمكن دفعه . قال رحمه الله تعالى وجوابنا عن ذلك أن نقول أما ما ذكر من توليته من لايجوز أن يستعمل فقد علمنا أنه لا يمكن أن يدعى أنه حين استعمالهم علم من أحوالهم خلاف الستر والصلاح لأن الذي ثبت عنهم من الأمور القبيحة حدث من بعد و لا يمتنع كونهم في الأول مستورين في الحقيقة أو مستورين عنده وإنما كان يجب تخطئه لو استعمالهم وهم في الحال لا يصلحون لذلك . فإن قيل فلما علم بحالهم كان يجب أن يعزلهم قيل كذلك فعل لأنه إنما استعمال الوليد بن عقبة قبل ظهور شرب الخمر عنه [صفحہ ١٣] فلما شهد عليه

بذلك جلده الحد وصرفه و قدروى مثله عن عمر فإنه ولى قدامة بن مظعون بعض أعماله فشهدوا عليه بشرب الخمر أشخصه و جلده الحد فإذا عد ذلك فى فضائل عمر لم يجز أن يعد مذكروه فى الوليد من معايب عثمان ويقال إنه لما أشخصه أقام عليه الحد بمشهد أمير المؤمنين ع . و قد اعتذر من عزله سعد بن أبى وقاص بالوليد بأن سعدا شكاه أهل الكوفة فأداه اجتهاده إلى عزله بالوليد. فأما سعيد بن العاص فإنه عزله عن الكوفة وولى مكانه أبا موسى وكذلك عبد الله بن أبى سرح عزله وولى مكانه محمد بن أبى بكر و لم يظهر له من مروان ما يوجب أن يصرفه عما كان مستعملا فيه و لو كان ذلك طعنا لوجب مثله فى كل من ولى و قد علمنا أن رسول الله ص ولى الوليد بن عقبه فحدث منه ما حدث وحدث من بعض أمراء أمير المؤمنين ع الخيانة كالققعاق بن شور لأنه ولاه على ميسان فأخذ مالها ولحق بمعاوية وكذلك فعل الأشعث بن قيس بمال آذربيجان وولى أبا موسى الحكم فكان منه ما كان و لا يجب أن يعاب أحد بفعل غيره و إذا لم يلحقه عيب فى ابتداء ولايته فقد زال العيب فيما بعده . و قولهم إنه قسم أكثر الولايات فى أقاربه و زال عن طريقة الاحتياط للمسلمين و قد كان عمر حذره من ذلك فليس يعيب لأن تولية الأقارب كتولية الأبعد فى أنه يحسن إذا كانوا على صفات مخصوصة و لوقيل إن تقديمهم أولى لم يمتنع إذا كان المولى لهم أشد تمكنا من عزلهم والاستبدال بهم و قد ولى أمير المؤمنين ع عبد الله بن العباس البصرة و عبيد الله بن العباس اليمن وقثم بن العباس مكة حتى قال مالك الأشرع عند ذلك [صفحہ ۱۴] على ماذا قتلنا الشيخ أمس فيما يروى و لم يكن ذلك بعيب إذا أدى ما وجب عليه فى اجتهاده . فأما قولهم إنه كتب إلى ابن أبى سرح حيث ولى محمد بن أبى بكر بأنه يقتله و يقتل أصحابه فقد أنكر ذلك أشد إنكار حتى حلف عليه و بين أن الكتاب الذى ظهر ليس كتابه و لا الغلام غلامه و لا الراحلة راحلته و كان فى جملة من خاطبه فى ذلك أمير المؤمنين ع فقبل عذره و ذلك بين لأن قول كل أحد مقبول فى مثل ذلك و قد علم أن الكتاب يجوز فيه التزوير فهو بمنزلة الخبر الذى يجوز فيه الكذب . فإن قيل فقد علم أن مروان هو الذى زور الكتاب لأنه هو الذى كان يكتب عنه فهلا أقام فيه الحد. قيل ليس يجب بهذا القدر أن يقطع على أن مروان هو الذى فعل ذلك لأنه و إن غلب ذلك فى الظن فلا يجوز أن يحكم به و قد كان القوم يسومونه تسليم مروان إليهم و ذلك ظلم لأن الواجب على الإمام أن يقيم الحد على من يستحقه أو التأديب و لا يحل له تسليمه إلى غيره فقد كان الواجب أن يثبتوا عنده ما يوجب فى مروان الحد والتأديب ليفعله به و كان إذا لم يفعل والحال هذه يستحق التعنيف و قد ذكر الفقهاء فى كتبهم أن الأمر بالقتل لا يوجب قودا و لادية و لاحدا فلو ثبت فى مروان مذكروه لم يستحق القتل و إن استحق التعزير لكنه عدل عن تعزيره لأنه لم يثبت و قد يجوز أن يكون عثمان ظن أن هذا الفعل فعل بعض من يعادى مروان تقيحا لأمره لأن ذلك يجوز كما يجوز أن يكون من فعله و لا يعلم كيف كان اجتهاده وظنه و بعد فإن هذا الحدث من أجل ما نقموا عليه فإن كان شىء من ذلك يوجب خلع عثمان وقتله فليس إلا هذا و قد علمنا أن هذا الأمر لو ثبت ما كان يوجب القتل لأن الأمر بالقتل لا يوجب القتل سيما قبل وقوع القتل المأمور به فنقول لهم لو ثبت ذلك على عثمان أ كان يجب قتله فلا يمكنهم ادعاء [صفحہ ۱۵] ذلك لأنه بخلاف الدين و لا بد أن يقولوا إن قتله ظلم وكذلك حبسه فى الدار ومنعه من الماء فقد كان يجب أن يدفع القوم عن كل ذلك و أن يقال إن من لم يدفعهم وينكر عليهم يكون مخطئا. و فى القول بأن الصحابة اجتمعوا على ذلك كلهم تخطئه لجميع أصحاب رسول الله ص و ذلك غير جائز و قد علم أيضا أن المستحق للقتل والخلع لا يحل أن يمنع الطعام والشراب و علم أن أمير المؤمنين ع لم يمنع أهل الشام من الماء فى صفيين و قد تمكن من منعهم و كل ذلك يدل على كون عثمان مظلوما و أن ذلك من صنع الجهال و أن أعيان الصحابة كانوا كارهين لذلك وأيضا فإن قتله لو وجب لم يجز أن يتولاه العوام من الناس و لاشبهة أن الذين أقدموا على قتله كانوا بهذه الصفة و إذا صح أن قتله لم يكن لهم فمنعهم والنكير عليهم واجب . وأيضا فقد علم أنه لم يكن من عثمان ما يستحق به القتل من كفر بعد إيمان أوزنى بعد إحصان أو قتل نفس بغير حق و أنه لو كان منه ما يوجب القتل لكان الواجب أن يتولاه الإمام فقتله على كل حال منكر

وإنكار المنكر واجب . و ليس لأحد أن يقول إنه أباح قتل نفسه من حيث امتنع من دفع الظلم عنهم لأنه لم يمتنع من ذلك بل أنصفهم ونظر في حالهم ولأنه لو لم يفعل ذلك لم يحل لهم قتله لأنه إنما يحل قتل الظالم إذا كان على وجه الدفع والمروى أنهم أحرقوا بابه وهجموا عليه في منزله وبعجوه بالسيف والمشاقص وضربوا يد زوجته لما وقعت عليه وانتهوا متاع داره ومثل هذه القتل لا تحل في الكافر والمرتد فكيف يظن أن الصحابة لم ينكروا ذلك و لم يعدوه ظلما حتى يقال إنه مستحق من حيث لم يدفع القوم عنه و قد تظاهر الخبر بما جرى من تجمع القوم عليه وتوسط أمير المؤمنين ع لأمرهم و أنه [صفحہ ۱۶] بذل لهم ما أرادوه وأعتبهم وأشهد على نفسه بذلك و أن الكتاب الموجود بعد ذلك المتضمن لقتل القوم ووقف عليه وممن أوقفه عليه أمير المؤمنين ع فحلف أنه ما كتبه و لأمر به فقال له فمن تتهم قال ما أتهم أحدا و إن للناس لحيلا. والرواية ظاهرة أيضا بقوله إن كنت أخطأت أو تعمدت فإنني تائب ومستغفر -روایت- ۱-۲-روایت- ۹-۵۴ فكيف يجوز والحال هذه أن تهتك فيه حرمة الإسلام وحرمة البلد الحرام ولاشبهة في أن القتل على وجه الغيلة لا يحل فيمن يستحق القتل فكيف فيمن لا يستحقه و لو لا أنه كان يمنع من محاربة القوم لظنا منه أن ذلك يؤدي إلى القتل الذريع لكثير أنصاره . و قد جاء في الرواية أن الأنصار بدأت معونته ونصرته و أن أمير المؤمنين ع قد بعث إليه ابنه الحسن ع فقال له قل لأبيك فلتأتني فأراد أمير المؤمنين ع المصير إليه فمنعه من ذلك محمدابنه واستعان بالنساء عليه حتى جاء الصريح بقتل عثمان فمد يده إلى القبلة و قال اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان . فإن قالوا إنهم اعتقدوا أنه من المفسدين في الأرض و أنه داخل تحت آية المحاربين . قيل فقد كان يجب أن يتولى الإمام هذا الفعل لأن ذلك يجري مجرى الحد وكيف يدعى ذلك والمشهور عنه أنه كان يمنع من مقاتلتهم حتى روى أنه قال لعبيدة ومواليه و قد هموا بالقتال من أغمد سيفه فهو حر ولقد كان مؤثرا لنكير ذلك الأمر بما لا يؤدي إلى إراقه الدماء والفتنة ولذلك لم يستعن بأصحاب الرسول ص و إن كان لما اشتد الأمر أعانه من أعان لأن عند ذلك تجب النصرة والمعونة فحيث [صفحہ ۱۷] كانت الحال متماسكة و كان ينهى عن إنجاده وإعانتته بالحرب امتنعوا وتوقفوا وحيث اشتد الأمر أعانه ونصره من أدركه دون من لم يغلب ذلك في ظنه . اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذا الكلام فقال أما قوله لم يكن عالما بحال الفسقة الذين ولاهم قبل الولاية فلا تعويل عليه لأنه لم يول هؤلاء النفر إلا -وحالهم مشهورة في الخلاعة والمجانة والتجرم والتهتك و لم يختلف اثنان في أن الوليد بن عقبه لم يستأنف التظاهر بشرب الخمر والاستخفاف بالدين على استقبال ولايته للكوفة بل هذه كانت سنته والعادة المعروفة منه وكيف يخفى على عثمان و هو قريبه ولصيقه وأخوه لأمه من حاله ما لا يخفى على الأجانب الأبعاد ولهذا قال له سعد بن أبي وقاص في رواية الواقدي و قد دخل الكوفة يا أباهب أميراً زائر قال بل أمير فقال سعد ما أدري أحمقت بعدك أم كست بعدى قال ما حمقت بعدى ولا كست بعدك ولكن القوم ملكوا فاستأثروا فقال سعد ما أراكم إلا صادقا. و في رواية أبي مخنف لوط بن يحيى الأزدي أن الوليد لمادخل الكوفة مر على مجلس عمرو بن زرارة النخعي فوقف فقال عمرو يامعشر بنى أسد بئسما استقبلنا به أخوكم ابن عفان أ من عدله أن ينزع عنا ابن أبي وقاص الهين اللين السهل القريب ويبعث بدله أخاه الوليد الأحمق الماجن الفاجر قديما وحديثا واستعظم الناس مقدمه وعزل سعد به وقالوا أراد عثمان كرامة أخيه بهوان أمة محمدص و هذا تحقيق ما ذكرناه من أن حاله كانت مشهورة قبل الولاية لاريب فيها عند أحد فكيف [صفحہ ۱۸] يقال إنه كان مستورا حتى ظهر منه مظهر و في الوليد نزل قوله تعالى أ فَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ فَمَا لَمُؤْمِنٍ هَاهُنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع وَالْفَاسِقِ الْوَلِيدِ عَلَى مَا ذَكَرَهُ أَهْلُ التَّأْوِيلِ وَ فِيهِ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تَصِيبُوا قَوْمًا بِيَهَالِهِ فَتَصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ كَذَبَ عَلَى بَنِي الْمُصْطَلِقِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ص وَادْعَى أَنَّهُمْ مَنَعُوهُ الصَّدَقَةَ وَ لَوْ قَصَصْنَا مَخَازِيهِ الْمُتَقَدِّمَةَ وَمَسَاوِيهِ لَطَالَ بِهَا الشَّرْحُ . وَ أَمَا شَرِبَهُ الْخَمْرَ بِالْكَوْفَةِ وَسَكَّرَهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ [مِنْ دَخَلَ] وَأَخَذَ خَاتَمَهُ مِنْ إصْبَعِهِ وَ هُوَ لَا يَعْلَمُ فِظَاهِرَهُ وَ قَدَسَارَتَ بِهِ الرِّكْبَانَ وَ كَذَلِكَ كَلَامُهُ فِي الصَّلَاةِ وَ التَّفَاتِهِ إِلَى مَنْ يَقْتَدِي بِهِ

فيها و هوسكران و قوله لهم أزيدكم فقالوا لا قد قضينا صلواتنا حتى قال الحطيئة في ذلك . -قرآن- ٧٢-١٢٦-قرآن- ٢٢٥-٣٦٣ شهد الحطيئة يوم يلقي ربه || أن الوليد أحق بالعدر [صفحة ١٩] نادى و قد نفذت صلاتهم || أزيدكم ثملا و ما يدري ليزيدهم خيرا و لوقبلوا || منه لقادهم على عشر فأبوا أباهب و لوفعلوا || لقرنت بين الشفع و الوتر حبسوا عنانك إذ جريت و لو || خلوا عنانك لم تزل تجرى . و قال فيه أيضا تكلم في الصلاة و زاد فيها || علانية و جاهر بالنفاق و مچ الخمر في سنن المصلى || و نادى و الجميع إلى افتراق أزيدكم على أن تحمدوني || فما لكم و ما لى من خلاق . و أما قوله إنه جلده الحد و عزله فبعد أى شىء كان ذلك و لم يعزله إلا- بعد أن دافع و مانع و احتج عنه و ناضل و لو لم يقهره أمير المؤمنين ع على رأيه لماعزله و لأمكن من جلده و قدروى الواقدى أن عثمان لما جاءه الشهود يشهدون على الوليد بشرب الخمر أو عدهم و تهددهم . قال الواقدى و يقال إنه ضرب بعض الشهود أيضا أسواطاً فأتوا أمير المؤمنين ع فشكوا إليه فأتى عثمان فقال عطلت الحدود و ضربت قوما شهدوا على أخيك فقلت الحكم و قد قال لك عمر لا تحمل بنى أمية و آل أبى معيط على رقاب الناس قال فما ترى قال أرى أن تعزله و لاتولىه شيئا من أمور المسلمين و أن تسأل عن الشهود فإن لم يكونوا أهل ظنة و لاعداوة أقتت على صاحبك الحد و تكلم في مثل ذلك طلحة و الزبير و عائشة و قالوا أقوالا شديدة و أخذته الألسن من كل جانب فحينئذ عزله و ممكن من إقامة الحد عليه . [صفحة ٢٠] و قدروى الواقدى أن الشهود لما شهدوا عليه فى وجهه و أراد عثمان أن يحده ألبسه جبّة خز و أدخله بيتا فجعل إذ ابعث إليه رجلا- من قريش ليضربه قال له الوليد أنشدك الله أن تقطع رحمى و تغضب أمير المؤمنين فلما رأى على ع ذلك أخذ السوط و دخل عليه فجلده به فأى عذر لعثمان فى عزله و جلده بعد هذه الممانعة الطويلة و المدافعة الشديدة. و قصة الوليد مع الساحر الذى كان يلعب بين يديه و يغر الناس بمكره و خديعته و أن جندب بن عبد الله الأزدي امتعض من ذلك و دخل عليه فقتله و قال له أحى نفسك إن كنت صادقا و أن الوليد أراد أن يقتل جندبا بالساحر حتى أنكر الأزدي ذلك عليه فحبسه و طال حبسه حتى هرب من السجن معروفة مشهورة. فإن قيل فقد ولى رسول الله ص الوليد بن عقبه هذا صدقة بنى المصطلق و ولاه عمر صدقة تغلب فكيف تدعون أن حاله فى أنه لا يصلح للولاية ظاهرة. قلنا لا جرم إنه غر رسول الله ص و كذب على القوم حتى نزلت فيه الآية التى قدمنا ذكرها فعزله و ليس خطب ولاية الصدقة مثل خطب ولاية الكوفة. فأما عمر فإنه لم يبلغه قوله إذا ما شدت الرأس منى بمشوذ || فويلك منى تغلب ابنة وائل عزله . و أما عزل أمير المؤمنين ع بعض أمرائه لما ظهر من الحدث كالعقاع بن شور وغيره و كذلك عزل عمر قدامة بن مظعون لما شهد عليه بشرب الخمر و جلده له فإنه لا يشبه ما تقدم لأن كل واحد ممن ذكرناه لم يول إلا من هو حسن الظاهر عنده و عند الناس غير معروف باللعب و لامشهور بالفساد ثم لما ظهر منه ما ظهر [صفحة ٢١] لم يحام عنه و لا كذب الشهود عليه و كابرههم بل عزله مختارا غير مضطر و كل هذا لم يجر فى أمراء عثمان و قد بينا كيف كان عزل الوليد و إقامة الحد عليه. فأما أبو موسى فإن أمير المؤمنين ع لم يوله الحكم مختارا لكنه غلب على رأيه و قهر على أمره و لا رأى لمقهور. فأما قوله إن ولاية الأقارب كولاية الأبعد بل الأقارب أولى من حيث كان التمكن من عزلهم أشد و ذكر تولية أمير المؤمنين ع أولاد العباس رحمه الله تعالى وغيرهم فليس بشىء لأن عثمان لم ينقم عليه تولية الأقارب من حيث كانوا أقارب بل من حيث كانوا أهل بيت الظنة و التهمة ولهذا حذره عمر و أشعر بأنه يحملهم على رقاب الناس و أمير المؤمنين ع لم يول من أقاربه متهما و لا ظنينا و حين أحس من ابن العباس ببعض الريبة لم يمهلها و لا ما احتمله و كاتبه بما هو شائع ظاهر و لو لم يجب على عثمان أن يعدل عن ولاية أقاربه إلا من حيث جعل عمر ذلك سبب عدوله عن النص عليه و شرط عليه يوم الشورى ألا يحمل أقاربه على رقاب الناس و لا يؤثرهم لمكان القرابة بما لا يؤثر به غيرهم لكان صارفا قويا فضلا عن أن ينضاف إلى ذلك ما نضاف من خصالهم الذميمة و طرائقهم القبيحة. فأما سعيد بن أبى العاص فإنه قال فى الكوفة إنما السواد بستان لقريش تأخذ منه ماشاءت و تترك حتى قالوا له أتجعل ما أفاء الله علينا بستانا لك و لقومك و نابذوه و أفضى الأمر

إلى تسييره من سير عن الكوفة والقصة مشهورة ثم انتهى الأمر إلى منع أهل الكوفة سعيدا من دخولها وتكلموا فيه وفيه عثمان كلاما ظاهرا حتى [صفحة ٢٢] كادوا يخلعون عثمان فاضطر حينئذ إلى إجابتهم إلى ولاية أبي موسى فلم يصرف سعيدا مختارا بل ماصرفه جملة وإنما صرفه أهل الكوفة عنهم. فأما قوله إنه أنكر الكتاب المتضمن لقتل محمد بن أبي بكر وأصحابه وحلف على أن الكتاب ليس بكتابه ولا الغلام غلامه ولا الراحلة راحلته وأن أمير المؤمنين ع قبل عذره فأول ما فيه أنه حكى القصة بخلاف ماجرت عليه لأن جميع من يروى هذه القصة ذكر أنه اعترف بالخاتم والغلام والراحلة وإنما أنكر أن يكون أمر بالكتابة لأنه روى أن القوم لماظفروا بالكتاب قدموا المدينة فجمعوا أمير المؤمنين ع وطلحة والزبير وسعدا وجماعة الأصحاب ثم فكوا الكتاب بمحضر منهم وأخبروهم بقصة الغلام فدخلوا على عثمان والكتاب مع أمير المؤمنين فقال له أ هذا الغلام غلامك قال نعم قال والبعير بعيرك قال نعم قال أفأنت كتبت هذا الكتاب قال لا - وحلف بالله أنه ما كتب الكتاب ولا أمر به فقال له فالخاتم خاتمك قال نعم قال فكيف يخرج غلامك على بعيرك بكتاب عليه خاتمك ولا تعلم به . وفي رواية أخرى أنه لما واقفه عليه قال عثمان أما الخط فخط كاتبى وأما الخاتم فعلى خاتمي قال فمن تتهم قال أتهمك وأتهم كاتبى فخرج أمير المؤمنين ع مغضبا وهو يقول بل بأمرك ولزم داره وبعد عن توسط أمره حتى جرى عليه ماجرى . وأعجب الأمور قوله لأمر المؤمنين ع إنى أتهمك وتظايره بذلك وتلقيه إياه في وجهه بهذا القول مع بعده من التهمة والظنة في كل شيء وفي أمره خاصة فإن القوم في الدفعة الأولى أرادوا أن يعجلوا له ما أخبروه حتى قام أمير المؤمنين ع بأمره وتوسطه وأصلحه وأشار عليه بأن يقاربهم ويعينهم حتى انصرفوا عنه وهذا [صفحة ٢٣] فعل النصيح المشفق الحذب المتحنن ولو كان ع وحوشى من ذلك متهما عليه لما كان للتهمة عليه مجال في أمر الكتاب خاصة لأن الكتاب بخط عدوه مروان وفي يد غلام عثمان ومحمول على بعيره ومختوم بخاتمه فأى ظن تعلق بأمر المؤمنين ع في هذا المكان لو لا العداوة وقله الشكر للنعمة. ولقد قال له المصريون لما جحد أن يكون الكتاب كتابه شيئا لازيادة عليه في باب الحجة لأنهم قالوا له إذا كنت ما كتبت ولا أمرت به فأنت ضعيف من حيث تم عليك أن يكتب كاتبك بما تختمه بخاتمك وينفذه بيد غلامك وعلى بعيرك بغير أمرك ومن تم عليه ذلك لا يصلح أن يكون واليا على أمور المسلمين فاختلف عن الخلافة على كل حال . قال ولقد كان يجب على صاحب المغنى أن يستحى من قوله إن أمير المؤمنين ع قبل عذره وكيف يقبل عذر من يتهمه ويستغسه وهو له ناصح و ما قاله أمير المؤمنين ع بعد سماع هذا القول منه معروف . وقوله إن الكتاب يجوز فيه التزوير ليس بشيء لأنه لا يجوز التزوير في الكتاب والغلام والبعير وهذه الأمور إذا انضاف بعضها إلى بعض بعد فيها التزوير وقد كان يجب على كل حال أن يبحث عن القصة وعمن زور الكتاب وأنفذ الرسول ولا ينام عن ذلك حتى يعرف من أين دهم وكيف تمت الحيلة عليه فيحترز من مثلها ولا يغضى عن ذلك إغضاء ساتر له خائف من بحثه وكشفه. فأما قوله إنه وإن غلب على الظن أن مروان كتب الكتاب فإن الحكم بالظن لا يجوز وتسليمه إلى القوم على ما سأله إياه ظلم لأن الحد والأدب إذا وجب عليه فالإمام يقيمه دونهم فتعلل بما لا يجدى لأننا لانعمل إلا على قوله فى أنه لم يعلم أن [صفحة ٢٤] مروان هو الذى كتب الكتاب وإنما غلب على ظنه أ ما كان يستحق مروان بهذا الظن بعض التعنيف والزجر والتهديد أو ما كان يجب مع وقوع التهمة عليه وقوة الإمارات فى أنه جالب الفتنة وسبب الفرقة أن يعده عنه ويطرده من داره ويسلبه ما كان يخصه به من إكرامه وما فى هذه الأمور أظهر من أن ينبه له. فأما قوله إن الأمر بالقتل لا يوجب قودا ولا دية سيما قبل وقوع القتل المأمور به فهب أن ذلك على ما قال أ ما أوجب الله تعالى على الأمر بقتل المسلمين تأديبا ولا تعزيرا ولا طردا ولا إبعادا. وقوله لم يثبت ذلك قدمضى ما فيه وبين أنه لم يستعمل فيه ما يجب استعماله من البحث والكشف وتهديد المتهم وطرده وإبعاده والتبرؤ من التهمة بما يتبرأ به من مثلها. فأما قوله إن قتله ظلم وكذلك حبسه فى الدار ومنعه من الماء وإنه لو استحق القتل أو الخلع لا يحل أن يمنع الطعام والشراب وقوله إن من لم يدفع عن ذلك من الصحابة يجب أن يكون مخطئا و

قوله إن قتله لو وجب لم يجز أن يتولاه العوام من الناس فباطل لأن الذين قتلوه غير منكر أن يكونوا تعمدوا قتله وإنما طالبوه بأن يخلع نفسه لما ظهر لهم من أحداثه ويعتزل عن الأمر اعتزالا يتمكنون معه من إقامة غيره فليج و صمم على الامتناع وأقام على أمر واحد فقصد القوم بحصره أن يلجئوه إلى خلع نفسه فاعتصم بداره واجتمع إليه نفر من أوباش بنى أمية يدفعون عنه ويرمون من دنا إلى الدار فانتهى الأمر إلى القتال بتدريج ثم إلى القتل و لم يكن القتال و لا القتل مقصودين فى الأصل وإنما أفضى الأمر إليهما على ترتيب و جرى ذلك مجرى [صفحہ ۲۵] ظالم غلب إنسانا على رحله أو متاعه فالواجب على المغلوب أن يمانعه ويدافعه ليخلص ماله من يده و لا يقصد إلى إتلافه و لا قتله فإن أفضى الأمر إلى ذلك بلا قصد كان معذورا وإنما خاف القوم فى التأنى به والصبر عليه إلى أن يخلع نفسه من كتبه التى طارت فى الآفاق يستنصر عليهم ويستقدم الجيوش إليهم و لم يأمنوا أن يرد بعض من يدفع عنه فيؤدى ذلك إلى الفتنة الكبرى والبليئة العظمى . و أما منع الماء والطعام فما فعل ذلك إلا تضيقا عليه ليخرج ويحوج إلى الخلع الواجب عليه و قد يستعمل فى الشريعة مثل ذلك فيمن لجأ إلى الحرم من ذوى الجنائيات وتعذر إقامة الحد عليه لمكان الحرم على أن أمير المؤمنين ع قد أنكر منع الماء والطعام وأنفذ من مكن من حمل ذلك لأنه قد كان فى الدار من الحرم والنسوان والصبيان من لا يحل منعه من الطعام والشراب و لو كان حكم المطالبة بالخلع والتجمع عليه والتضافر فيه حكم منع الطعام والشراب فى القبح والمنكر لأنكره أمير المؤمنين ع ومنع منه كما منع من غيره فقد روى عنه ع أنه لما بلغه أن القوم قدموا الدار من الماء قال لأرى ذلك إن فى الدار صبيانا وعيالا لأرى أن يقتل هؤلاء عطشا بجرم عثمان فصرح بالمعنى الذى ذكرناه ومعلوم أن أمير المؤمنين ع ما أنكر المطالبة بالخلع بل كان مساعدا على ذلك ومشاورا فيه . فأما قوله إن قتل الظالم إنما يحل على سبيل الدفع فقد بينا أنه لا ينكر أن يكون قتله وقع على ذلك الوجه لأنه فى تمسكه بالولاية عليهم و هو لا يستحقها فى حكم الظالم لهم فمدافعتهم واجبة . [صفحہ ۲۶] و أما قصه الكتاب الموجود فلم يحكها على الوجه و قد شرحنا نحن الرواية الواردة بها . و أما قوله إنه قال إن كنت أخطأت أو تعمدت فإنى تائب مستغفر فقد أجابه القوم عن هذا وقالوا هكذا قلت فى المرة الأولى وخطبت على المنبر بالتوبة والاستغفار ثم وجدنا كتابك بما يقتضى الإصرار على أقبح ما عتبنا منه فكيف نقى بتوبتك واستغفارك . فأما قوله إن القتل على وجه الغيلة لا يحل فيمن يستحق القتل فكيف فيمن لا يستحقه فقد بينا أنه لم يكن على سبيل الغيلة و أنه لا يمتنع أن يكون إنما وقع على سبيل المدافعة . فأما ادعاؤه أنه منع من نصرته وأقسم على عيبه بترك القتال فقد كان ذلك لعمري فى ابتداء الأمر ظنا منه أن الأمر ينصلح والقوم يرجعون عما هموا به فلما اشتد الأمر ووقع اليأس من الرجوع والنزوع لم يمنع أحدا من نصرته والمحاربة عنه وكيف يمنع من ذلك و قد بعث إلى أمير المؤمنين ع يستنصره ويستصرخه . و الذى يدل على أنه لم يمنع فى الابتداء من محاربتهم إلا للوجه الذى ذكرناه دون غيره أنه لاختلاف بين أهل الرواية غب عن نصره الحاضر من يستدعى نصره الغائب . فأما قوله إن أمية أن كتبه تفرقت فى الآفاق يستنصر ويستدعى الجيوش فكيف يرير المؤمنين ع أراد أن يأتية حتى منعه ابنه محمد فقول بعيد مما جاءت به الرواية جدا لأنه لا إشكال فى أن أمير المؤمنين ع لما واجهه عثمان بأنه يتهمه ويستغشه انصرف مغضبا عامدا على أنه لا يأتية أبدا قائلا فيه ما يستحقه من الأقوال . [صفحہ ۲۷] فأما قوله فى جواب سؤال من قال إنهم اعتقدوا فيه أنه من المفسدين فى الأرض و أن آية المحاربة تتناوله و أنه قد كان يجب أن يتولى الإمام ذلك الفعل بنفسه لأن ذلك يجرى مجرى الحد فطريف لأن الإمام يتولى ما يجرى هذا المجرى إذا كان منصوبا ثابتا و لم يكن على مذهب القوم هناك إمام يجوز أن يتولى ما يجرى مجرى الحدود ومتى لم يكن إمام يقوم بالدفع عن الدين والذب عن الأمة جاز أن تتولى الأمة ذلك بنفسها . قال و مارأيت أعجب من ادعاء مخالفتنا أن أصحاب الرسول ص كانوا كارهين لما جرى على عثمان وأنهم كانوا يعتقدونه منكرا وظلما و هذا يجرى عند من تأمله مجرى دفع الضرورات قبل النظر فى الأخبار و سماع ماورد من شرح هذه القصة لأنه معلوم أن ما يكرهه جميع الصحابة أو أكثرهم فى دار عزهم وبحيث ينفذ أمرهم ونهيمهم لا يجوز أن يتم ومعلوم أن

نفر من أهل مصر لا يجوز أن يقدموا المدينة فيغلبوا جميع المسلمين على آرائهم ويفعلوا بإمامهم ما يكرهونه بمرأى منهم ومسمع وهذا معلوم بطلانه بالبدهة والضرورات قبل تصفح الأخبار وتأملها و قد روى الواقدي عن ابن أبي الزناد عن أبي جعفر القارئ مولى بنى مخزوم قال كان المصريون الذين حصروا عثمان ستمائة عليهم عبدالرحمن بن عديس البلوى وكنانة بن بشر الكندي وعمرو بن الحمق الخزاعي والذين قدموا المدينة من الكوفة مائتين عليهم مالك الأشتر النخعي والذين قدموا من البصرة مائة رجل رئيسهم حكيم بن جبلة العبدي وكان أصحاب النبي ص الذين خذلوه لا يرون أن الأمر يبلغ به القتل ولعمري لو قام بعضهم فحشا التراب في وجه أولئك لانصرفوا وهذه الرواية تضمنت من عدد القوم الوافدين في هذا الباب أكثر مما تضمنه غيرها. وروى شعبه بن الحجاج عن سعد بن ابراهيم بن عبدالرحمن بن عوف قال قلت له [صفحة ٢٨] كيف لم يمنع أصحاب رسول الله ص عن عثمان فقال إنما قتله أصحاب رسول الله ص. وروى عن أبي سعيد الخدري أنه سئل عن مقتل عثمان هل شهده أحد من أصحاب رسول الله ص فقال نعم شهده ثمانمائة. وكيف يقال إن القوم كانوا كارهين وهؤلاء المصريون كانوا يغدون إلى كل واحد منهم ويروحون ويشاورونه فيما يصنعونه وهذا عبدالرحمن بن عوف وهو عاقد الأمر لعثمان وجالبه إليه ومصيره في يده يقول على مارواه الواقدي وقد ذكر له عثمان في مرضه الذي مات فيه عاجلوه قبل أن يتمادى في ملكه فبلغ ذلك عثمان فبعث إلى بثر كان عبدالرحمن يسقى منها نعمه فمنع منها ووصى عبدالرحمن ألا يصلى عليه عثمان فصلى عليه الزبير أوسع بن أبي وقاص وقد كان حلف لمتابعت أحداث عثمان ألا يكلمه أبدا. وروى الواقدي قال لمتوفى أبوذر بالربذة تذاكر أمير المؤمنين ع وعبدالرحمن فعل عثمان فقال أمير المؤمنين ع له هذا عملك فقال عبدالرحمن فإذا شئت فخذ سيفك و آخذ سيفي إنه خالف ما أعطاني. فأما محمد بن مسلمة فإنه أرسل إليه عثمان يقول له عند قدوم المصريين في الدفعة الثانية اردد عنى فقال لا والله لا أكذب الله في سنه مرتين وإنما عنى بذلك أنه كان أحد من كلم المصريين في الدفعة الأولى وضمن لهم عن عثمان الرضا. وفي رواية الواقدي أن محمد بن مسلمة كان يموت وعثمان محصور فيقال له عثمان مقتول فيقول هو قتل نفسه. [صفحة ٢٩] فأما كلام أمير المؤمنين ع وطلحة والزبير وعائشة وجميع الصحابة واحدا واحدا فلو تعاطينا ذكره لطلال به الشرح و من أراد أن يقف على أقوالهم مفصلة و ماصرحوا به من خلعه والإجلاب عليه فعليه بكتاب الواقدي فقد ذكر هو وغيره من ذلك ما لازيادة عليه. الطعن الثاني كونه رد الحكم بن أبي العاص إلى المدينة وقد كان رسول الله ص طرده وامتنع أبو بكر من رده فصار بذلك مخالفا للسنة ولسيره من تقدمه مدعيا على رسول الله ص عاملا بدعواه من غير بيته. قال قاضي القضاة رحمه الله وجوابنا عن ذلك أن المروى في الأخبار أنه لما عوتب في ذلك ذكر أنه استأذن رسول الله ص فيه وإنما لم يقبل أبو بكر وعمر قوله لأنه شاهد واحد وكذلك روى عنهما فكانهما جعللا ذلك بمنزلة الحقوق التي تختص فلم يقبل فيه خبر الواحد وأجرباه مجرى الشهادة فلما صار الأمر إليه حكم بعلمه لأن للحاكم أن يحكم بعلمه في هذا الباب وفي غيره عند شيخنا ولا يفصلان بين حد وحق ولا بين أن يكون العلم قبل الولاية أو حال الولاية ويقولان إنه أقوى من البينة والإقرار. وقال شيخنا أبو علي رحمه الله تعالى إنه لا وجه يقطع به على كذب روايته في إذن [صفحة ٣٠] النبي ص في رده ولا بد من تجويز كونه صادقا وفي تجويز ذلك كونه معذورا. فإن قيل الحاكم إنما يحكم بعلمه مع زوال التهمة وقد كانت التهمة في رد الحكم قوية لقرابته. قيل الواجب على غيره ألا يتهمه إذا كان لفعله وجه يصح عليه لأنه قد نصب منصبا يقتضى زوال التهمة عنه وحمل أفعاله على الصحة ومتى طرقت عليه التهمة أدى إلى بطلان كثير من الأحكام وقد قال الشيخ أبو الحسين الخياط رحمه الله تعالى إنه لو لم يكن في رده إذن من رسول الله ص لجاز أن يكون طريقه الاجتهاد لأن النفي إذا كان صلاحا في الحال لا يمتنع أن يتغير حكمه باختلاف الأوقات وتغير حال المنفى وإذا كان لأبي بكر أن يسترد عمر من جيش أسامة للحاجة إليه وإن كان قد أمر رسول الله ص بنفوذه من حيث تغيرت الحال فغير ممتنع مثله في الحكم. اعترض المرتضى رحمه الله تعالى على هذا فقال أمادعواه أن عثمان

ادعى أن رسول الله ص أذن في رد الحكم فشىء لم يسمع إلا من قاضى القضاء ولا يدري من أين نقله ولا فى أى كتاب وجده وألذى رواه الناس كلهم خلاف ذلك روى الواقدي من طرق مختلفة وغيره أن الحكم بن أبى العاص لما قدم المدينة بعد الفتح أخرجه النبي ص إلى الطائف وقال لا تسكنى فى بلد أبدا فجاءه عثمان فكلمه فأبى ثم كان من أبى بكر مثل ذلك ثم كان من عمر مثل ذلك فلما قام عثمان أدخله ووصله وأكرمه فمضى فى ذلك على والزبير وطلحة وسعد و عبدالرحمن بن عوف [صفحة ٣١] وعمار بن ياسر حتى دخلوا على عثمان فقالوا له إنك قد أدخلت هؤلاء القوم يعنون الحكم ومن معه وقد كان النبي ص أخرجهم وإنما نذكرك الله والإسلام ومعادك فإن لك معادا ومنقلا وقد أتت ذلك الولاية قبلك ولم يطمع أحد أن يكلمها فيهم وهذا شىء نخاف الله فيه عليك فقال عثمان إن قرابتهم منى ماتعلمون وقد كان رسول الله ص حيث كلمته أطمعنى فى أن يأذن لهم وإنما أخرجهم لكلمة بلغته عن الحكم ولم يضرهم مكانهم شيئا وفى الناس من هوشر منهم فقال على ع لا أجد شرا منه ولا منهم ثم قال هل تعلم عمر يقول والله ليحملن بنى أبى معيط على رقاب الناس والله إن فعل ليقنتله فقال عثمان ما كان منكم أحد ليكون بينه وبينه من القرابة ما بينى وبينه وينال من المقدره ما نلت إلا قد كان سيدخله وفى الناس من هوشر منه قال فغضب على ع وقال والله لتأتينا بشر من هذا إن سلمت وسترى يا عثمان غب ماتفعل ثم خرجوا من عنده . وهذا كما ترى خلاف ما ادعاه صاحب المغنى لأن الرجل لما احتفل ادعى أن رسول الله ص كان أطمعه فى رده ثم صرح بأن رعايته فيه القرابة هى الموجبة لرده ومخالفة الرسول ع وقدروى من طرق مختلفة أن عثمان لما كلم أبابكر وعمر فى رد الحكم أغلظا له وزبراه وقال له عمر يخرج رسول الله ص وتأمرنى أن أدخله والله لو أدخلته لم آمن أن يقول قائل غير عهد رسول الله ص والله لأشق باثنتين كما شق الأبلهه أحب إلى من أن أخالف لرسول الله أمرا وإياك يا ابن عفان أن تعاودنى فيه بعد اليوم ومارأينا [صفحة ٣٢] عثمان قال فى جواب هذا التعنيف والتوبيخ من أبى بكر وعمر إن عندى عهدا من رسول الله ص فيه لأستحق معه عتابا ولا تهجينا وكيف تطيب نفس مسلم موقر لرسول الله ص معظم له أن يأتى إلى عدو رسول الله ص مصرح بعداوته والوقيعه فيه حتى بلغ به الأمر إلى أن كان يحكى مشيته طرده رسول الله وأبعده ولعنه حتى صار مشهورا بأنه طريد رسول الله ص فيكرمه ويرده إلى حيث أخرج منه ويصله بالمال العظيم إما من مال المسلمين أو من ماله إن هذا العظيم كبير قبل التصفح والتأمل والتعلل بالتأويل الباطل فأما قول صاحب المغنى إن أبابكر وعمر لم يقبلوا قوله لأنه شاهد واحد وجعلا ذلك بمنزلة الحقوق التى تخص فأول ما فيه أنه لم يشهد عندهما بشىء واحد فى باب الحكم على مارواه جميع الناس ثم ليس هذا من باب الذى يحتاج فيه إلى الشاهدين بل هو بمنزلة كل ما يقبل فيه أخبار الآحاد وكيف يجوز أن يجرى أبوبكر وعمر مجرى الحقوق ما ليس منها وقوله لا بد من تجويز كونه صادقا فى روايته لأن القطع على كذب روايته لا سبيل إليه ليس بشىء لأنا قدينا أنه لم يرو عن الرسول ص إذنا إنما ادعى أنه أطمعه فى ذلك وإذ جوزنا كونه صادقا فى هذه الروايه بل قطعنا على صدقه لم يكن معذورا. فأما قوله الواجب على غيره ألا يتهمه إذا كان لفعله وجه يصح عليه لانتصابه منصبا يزيل التهمه فأول ما فيه أن الحاكم لا يجوز أن يحكم بعلمه مع التهمه والتهمه قد تكون لها أمارات وعلامات فما وقع منها عن أمارات وأسباب تتهم فى العاده كان مؤثرا وما لم يكن كذلك فلا تأثير له والحكم هو عم عثمان وقريبه ونسيبه ومن [صفحة ٣٣] قد تكلم فى رده مرة بعد أخرى ولوال بعدوال وهذه كلها أسباب التهمه فقد كان يجب أن يتجنب الحكم بعلمه فى هذا الباب خاصة لتطرق التهمه إليه. فأما ما حكاها عن أبى الحسين الخياط من أن الرسول ص لو لم يأذن فى رده لجاز أن يرده إذا أداه اجتهاده إلى ذلك لأن الأحوال قد تتغير فظاهر البطلان لأن الرسول ع إذا حضر شيئا أو أباحه لم يكن لأحد أن يجتهد فى إباحه المحظور أو حظر المباح ومن يجوز الاجتهاد فى الشريعة لا يقدم على مثل هذا لأنه إنما يجوز عندهم فيما لانص فيه ولو سوغنا الاجتهاد فى مخالفة ماتناوله النص لم يؤمن أن يؤدى اجتهاد مجتهد إلى تحليل الخمر وإسقاط الصلاة بأن تتغير الحال وهذا هدم للشريعة فأما الاستشهاد باسترداد عمر من جيش أسامة فالكلام فى

الأمرين واحد. الطعن الثالث أنه كان يؤثر أهل بيته بالأموال العظيمة التي هي عدة المسلمين نحو ما روى أنه دفع إلى أربعة أنفس من قريش زوجهم بناته أربع مائة ألف دينار وأعطى مروان مائة ألف عند فتح إفريقية ويروى خمس إفريقية وغير ذلك وهذا بخلاف سيرة من تقدمه في القسمة على الناس بقدر الاستحقاق وإيثار الأباعد على الأقارب . قال قاضي القضاء وجوابنا عن ذلك أن من الظاهر المشهور أن عثمان كان عظيم اليسار كثير المال فلا يمتنع أن يكون إنما أعطى أهل بيته من ماله وإذ احتل ذلك وجب حمله على الصحة . وقد قال شيخنا أبو علي رحمه الله تعالى أن الذي روى من دفعه إلى ثلاثة نفر من قريش زوجهم بناته إلى كل واحد منهم مائة ألف دينار إنما هو من ماله ولا رواية [صفحة ٣٤] تصح أنه أعطاهم ذلك من بيت المال ولو صح ذلك لكان لا يمتنع أن يكون أعطاهم من بيت المال ليرد عوضه من ماله لأن للإمام عند الحاجة أن يفعل ذلك كما له أن يقرض غيره . وقال شيخنا أبو علي أيضا أن ما روى من دفعه خمس إفريقية لما فتحت إلى مروان ليس بمحفوظ ولا منقول على وجه يجب قبوله وإنما يرويه من يقصد التشنيع وقد قال الشيخ أبو الحسين الخياط أن ابن أبي سرح لما غزا البحر ومعه مروان في الجيش ففتح الله عليهم وغنموا غنيمة عظيمة اشترى مروان من ابن أبي سرح الخمس بمائة ألف وأعطاه أكثرها ثم قدم على عثمان بشيرا بالفتح وقد كانت قلوب المسلمين تعلقت بأمر ذلك الجيش فرأى عثمان أن يهب له ما بقى عليه من المال وللإمام فعل مثل ذلك ترغيبا في مثل هذه الأمور . قال وهذا الصنع كان منه في السنة الأولى من إمامته ولم يبرأ أحد منه فيها فلا وجه للتعلم بذلك . وذكر أبو الحسين الخياط أيضا فيما أعطاه أقاربه أنه وصلهم لحاجتهم فلا يمتنع مثله في الإمام إذا رآه صلاحا وذكر في إقطاعه القطائع لبنى أمية أن الأئمة قد تحصل في أيديهم الضياع لأمالك لها ويعلمون أنها لا بد فيهما ممن يقوم بإصلاحها وعمارتها ويؤدي عنها ما يجب من الحق فله أن يصرف من ذلك إلى من يقوم به وله أيضا أن يهد بعضها على بعض بحسب ما يعلم من الصلاح والتألف وطريق ذلك الاجتهاد . اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذا الكلام فقال أما قوله يجوز أن يكون إنما أعطاهم من ماله فالرواية بخلاف ذلك وقد صرح الرجل بأنه كان يعطى من بيت المال [صفحة ٣٥] صلة لرحمه ولما عوتب على ذلك لم يعتذر عنه بهذا الضرب من العذر ولا قال إن هذه العطايا من مالي فلا اعتراض لأحد فيهما روى الواقدي بإسناده عن المسور بن عتبة قال سمعت عثمان يقول إن أبا بكر وعمر كانا يتأولان في هذا المال ظلف أنفسهما وذوى أرحامهما وإنى تأولت فيه صلة رحمي . وروى عنه أيضا أنه كان بحضرته زياد بن عبيد مولى الحارث بن كلدة الثقفي وقد بعث إليه أبو موسى بمال عظيم من البصرة فجعل عثمان يقسمه بين ولده وأهله بالصحاف فبكى زياد فقال لا تبك فإن عمر كان يمنع أهله وذوى قرابته ابتغاء وجه الله وأنا أعطى أهلي وولدي وقرابتي ابتغاء وجه الله . وقد روى هذا المعنى عنه من عدة طرق بألفاظ مختلفة . وروى الواقدي أيضا بإسناده قال قدمت إبل من إبل الصدقة على عثمان فوهبها للحارث بن الحكم بن أبي العاص وروى أيضا أنه ولي الحكم بن أبي العاص صدقات قضاة فبلغت ثلاثمائة ألف فوهبها له حين أتاه بها وروى أبو مخنف والواقدي أن الناس أنكروا على عثمان إعطاء سعيد بن العاص مائة ألف وكلمه على والزبير وطلحة وسعد و عبد الرحمن في ذلك فقال إن له قرابة ورحما قالوا فما كان لأبي بكر وعمر قرابة وذوو رحم فقال إن أبا بكر وعمر كان يحتسبان في منع قرابتهما وأنا احتسب في إعطاء قرابتي قالوا فهديهما والله أحب إلينا من هديك . وروى أبو مخنف أن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية قدم على عثمان من مكة ومعه ناس فأمر لعبد الله بثلاثمائة ألف ولكل واحد من القوم بمائة ألف [صفحة ٣٦] وصك بذلك على عبد الله بن الأرقم وكان خازن بيت المال فاستكثره ورد الصك به ويقال إنه سأل عثمان أن يكتب عليه بذلك كتابا فأبى وامتنع ابن الأرقم أن يدفع المال إلى القوم فقال له عثمان إنما أنت خازن لنا فما حملك على ما فعلت فقال ابن الأرقم كنت أراني خازن المسلمين وإنما خازنك غلامك والله لا إلى لك بيت المال أبدا وجاء بالمفاتيح فعلقها على المنبر ويقال بل ألقاها إلى عثمان فرفعها إلى نائل مولاه . وروى الواقدي أن عثمان أمر زيد بن ثابت أن يحمل من بيت مال المسلمين إلى عبد الله بن

الأرقم في عقب هذا الفعل ثلاثمائة ألف درهم فلما دخل بها عليه قال له يا أبا محمد إن أمير المؤمنين أرسل إليك يقول إنا قد شغلناك عن التجارة ولك ذو رحم أهل حاجة ففرق هذا المال فيهم واستعن به على عيالك فقال عبد الله بن الأرقم ما لي إليه حاجة وما عملت لأن يثيني عثمان والله إن كان هذا من بيت مال المسلمين ما بلغ قدر عملي أن أعطى ثلاثمائة ألف ولئن كان من مال عثمان ما أحب أن أرزاه من ماله شيئا وما في هذه الأمور أوضح من أن يشار إليه وينبه عليه. فأما قوله و لو صح أنه أعطاهم من بيت المال لجاز أن يكون ذلك على طريق القرض فليس بشيء لأن الروايات أولا تخالف ما ذكره وقد كان يجب لماتنقم عليه وجوه الصحابة إعطاء أقاربه من بيت المال أن يقول لهم هذا على سبيل القرض وأنا أريد عوضه ولا يقول ماتنقم ذكره من أنني أصل به رحمة على أنه ليس للإمام أن يقترض من بيت مال المسلمين إلا ما ينصرف في مصلحة لهم مهمة يعود عليهم نفعها أو في سد خلته وفاقه لا يتمكنون من القيام بالأمر معها فأما أن يقرض المال ليتسع به [صفحة ٣٧] ويمرح فيه مترفى بنى أمية وفساقهم فلا أحد يجيز ذلك. فأما قوله حاكيا عن أبي علي إن دفعه خمس إفريقية إلى مروان ليس بمحفوظ ولا منقول فباطل لأن العلم بذلك يجري مجرى العلم بسائر ماتنقم ومن قرأ الأخبار علم ذلك على وجه لا يعترض فيه شك كما يعلم نظائره. روى الواقدي عن أسامة بن زيد عن نافع مولى الزبير عن عبد الله بن الزبير قال أغزانا عثمان سنة سبع وعشرين إفريقية فأصاب عبد الله بن سعد بن أبي سرح غنائم جليدة فأعطى عثمان مروان بن الحكم تلك الغنائم وهذا كما ترى يتضمن الزيادة على إعطاء الخمس ويتجاوزها إلى إعطاء الأصل. وروى الواقدي عن عبد الله بن جعفر عن أم بكر بنت المسور قالت لمابني مروان داره بالمدينة دعا الناس إلى طعامه وكان المسور ممن دعاه فقال مروان وهو يحدثهم والله ما أنفقت في داري هذه من مال المسلمين درهما فما فوقه فقال المسور لو أكلت طعامك وسكت كان خيرا لك لقد غزوت معنا إفريقية وإنك لأقلنا مالا ورقيقا وأعوانا وأخفنا ثقلا فأعطاك ابن عمك خمس إفريقية وعملت على الصدقات فأخذت أموال المسلمين. وروى الكلبي عن أبيه عن أبي مخنف أن مروان ابتاع خمس إفريقية بمائتي ألف درهم ومائتي ألف دينار وكلم عثمان فوهبها له فأنكر الناس ذلك على عثمان وهذا بعينه هو الذي اعترف به أبو الحسين الخياط واعتذر عنه بأن قلوب المسلمين تعلقت بأمر ذلك الجيش فرأى عثمان أن يهب لمروان ثمن ما ابتاعه من الخمس لما جاءه بشيرا بالفتح على سبيل الترغيب وهذا الاعتذار ليس بشيء لأن الذي رويناه من الأخبار في هذا الباب خال من البشارة وإنما يقتضى أنه سأله ترك ذلك عليه فتركه وابتدأ هو بصلته ولو أتى بشيرا بالفتح كما ادعوا لما جاز أن يترك عليه خمس الغنيمه العائد نفعه على المسلمين [صفحة ٣٨] لأن تلك البشارة لا تبلغ إلى أن يستحق البشير بهامائتي ألف درهم ولا اجتهاد في مثل هذا ولا فرق بين من جوز أن يؤدي الاجتهاد إلى مثله ومن جوز أن يؤدي الاجتهاد إلى دفع أصل الغنيمه إلى البشير بها ومن ارتكب ذلك أزم جواز أن يؤدي الاجتهاد إلى إعطاء هذا البشير جميع أموال المسلمين في الشرق والغرب. فأما قوله إنه وصل بنى عمه لحاجتهم ورأى في ذلك صلاحا فقد بينا أن صلته لهم كانت أكثر مما تقتضيه الخلّة والحاجة وأنه كان يصل فيهم المياسير ثم الصلاح الذي زعم أنه رآه لا يخلو إما أن يكون عائدا على المسلمين أو على أقاربه فإن كان على المسلمين فمعلوم ضرورة أنه لا صلاح لأحد من المسلمين في إعطاء مروان مائتي ألف دينار والحكم بن أبي العاص ثلاثمائة ألف درهم وابن أسيد ثلاثمائة ألف درهم إلى غير ما ذكرنا بل على المسلمين في ذلك غاية الضرر وإن أراد الصلاح الرجوع إلى الأقارب فليس له أن يصلح أمر أقاربه بفساد أمر المسلمين وينفعهم بما يضر به المسلمين. وأما قوله إن القطائع التي أقطعها بنى أمية إنما أقطعهم إياها لمصلحة تعود على المسلمين لأن تلك الضياع كانت خرابا لا عامر لها فسلمها إلى من يعمرها ويؤدي الحق عنه فأول ما فيه أنه لو كان الأمر على ما ذكره ولم تكن هذه القطائع على سبيل الصلّة والمعونة لأقاربه لما خفى ذلك على الحاضرين ولكانوا لا يعدون ذلك من مثالبه ولا يوافقونه عليه في جملة ما وافقوه عليه من أحداثه ثم كان يجب لو فعلوا ذلك أن يكون جوابه بخلاف ما روى من جوابه لأنه كان يجب أن يقول لهم و أي منفعة

فى هذه القطائع عائدة على قرابتي حتى تعدوا ذلك من جملة صلاتى لهم وإيصالى المنافع إليهم وإنما جعلتهم فيها بمنزلة الأكره الذين ينتفع بهم أكثر من انتفاعهم أنفسهم و ما كان [صفحه ٣٩] يجب أن يقول ما تقدمت روايته من أنى محتسب فى إعطاء قرابتي و أن ذلك على سبيل الصلة لرحمى إلى غير ذلك مما هو خال من المعنى الذى ذكره. الطعن الرابع إنه حمى الحمى عن المسلمين مع أن رسول الله ص جعلهم سواء فى الماء والكأل. قال قاضى القضاة وجوابنا عن ذلك إنه لم يحم الكأل لنفسه و لاستأثر به لكنه حماه لإبل الصدقة التى منفعتها تعود على المسلمين و قدروى عنه هذا الكلام بعينه و أنه قال إنما فعلت ذلك لإبل الصدقة و قد أطلقته الآن و أنا أستغفر الله و ليس فى الاعتذار ما يزيد عن ذلك. اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذا الكلام فقال أما أولاً فالمروى بخلاف ما ذكر لأن الواقدى روى بإسناده قال كان عثمان يحمى الربذة والشرف والبقيع فكان لا يدخل الحمى بعير له و لافرس و لابلبنى أمية حتى كان آخر الزمان فكان يحمى الشرف لإبله و كانت ألف بعير و لإبل الحكم بن أبى العاص و يحمى الربذة لإبل الصدقة و يحمى البقيع لخيل المسلمين وخيله و خيل بنى أمية. قال على أنه لو كان إنما حماه لإبل الصدقة لم يكن بذلك مصيباً لأن الله تعالى ورسوله أباحا الكأل وجعلاه مشتركاً فليس لأحد أن يغير هذه الإباحة و لو كان [صفحه ٤٠] فى هذا الفعل مصيباً و أنه إنما حماه لمصلحة تعود على المسلمين لما جاز أن يستغفر الله منه ويعتذر لأن الاعتذار إنما يكون من الخطأ دون الصواب. الطعن الخامس إنه أعطى من بيت مال الصدقة المقاتلة وغيرها و ذلك مما لا يحل فى الدين قال قاضى القضاة وجوابنا عن ذلك أنه إنما جاز له ذلك لعلمه بحاجة المقاتلة واستغناء أهل الصدقة ففعل ذلك على سبيل الإفراض و قد فعل رسول الله ص مثله وللإمام فى مثل هذه الأمور أن يفعل ما جرى هذا المجرى لأن عند الحاجة ربما يجوز له أن يقترض من الناس فأن يجوز له أن يتناول من مال فى يده ليرد عوضه من المال الآخر أولى. اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذا الكلام فقال إن المال الذى جعل الله تعالى له جهة مخصوصة لا يجوز أن يعدل به عن جهته بالاجتهاد و لو كانت المصلحة فى ذلك موقوفة على الحاجة لشرطها الله تعالى فى هذا الحكم لأنه سبحانه أعلم بالمصالح واختلافها منا و لكان لا يجعل لأهل الصدقة منها القسط مطلقاً. و أما قوله إن الرسول ص فعل مثله فهى دعوى مجردة من برهان و قد كان يجب أن يروى ما ذكر فى ذلك و أما ما ذكره من الاقتراض فأين كان عثمان عن هذا العذر لما ووقف عليه. الطعن السادس أنه ضرب عبد الله بن مسعود حتى كسر بعض أضلاعه [صفحه ٤١] قال قاضى القضاة قال شيخنا أبو على رحمه الله تعالى لم يثبت عندنا و لاصح عندنا ما يقال من طعن عبد الله عليه و إكفاره له و الذى يصح من ذلك أن عبد الله كره منه جمعه الناس على قراءة زيد بن ثابت و إحراقه المصاحف و ثقل ذلك عليه كما يثقل على الواحد منا تقديم غيره عليه . و قد قيل إن بعض موالى عثمان ضربه لما سمع منه الواقعة فى عثمان و لوصح أنه أمر بضربه لم يكن بأن يكون طعنا فى عثمان بأولى من أن يكون طعنا فى ابن مسعود لأن للإمام تأديب غيره و ليس لغيره الواقعة فيه إلا بعد البيان و قد ذكر الشيخ أبو الحسين الخياط أن ابن مسعود إنما عابه لعزله إياه و قدروى أن عثمان اعتذر إليه فلم يقبل عذره و لما حضر إليه عطاءه فى مرضه قال ابن مسعود منعنى إياه إذ كان ينفعنى و جئتنى به عند الموت لا أقبله و أنه وسط أم حبيبة زوج النبى ص ليزيل ما فى نفسه فلم يجب و هذا يوجب ذم ابن مسعود إذ لم يقبل الندم و يوجب براءة عثمان من هذا العيب لوصح ما صح مارووه من ضربه. اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذا الكلام فقال المعلوم المروى خلاف ما ذكره أبو على و لا يختلف أهل النقل فى طعن ابن مسعود على عثمان و قوله فيه أشد الأقوال وأعظمها والعلم بذلك كالعلم بكل ما يدعى فيه الضرورة و قدروى كل من روى السيرة من أصحاب الحديث على اختلاف طرقهم أن ابن مسعود كان يقول ليتنى و عثمان برمى عالج يحثو على و أحثو عليه حتى يموت الأعجز منى و منه . ورووا أنه كان يطعن عليه فيقال له ألا خرجت عليه ليخرج معك فيقول لأن أزاول جبلاً راسياً أحب إلى من أن أزاول ملكاً مؤجلاً. [صفحه ٤٢] و كان يقوم كل يوم جمعة بالكوفة جاهراً معلناً أن أصدق القول كتاب الله وأحسن الهدى محمد و شر الأمور محدثاتها و كل

محدث بدعة و كل بدعة ضلالة و كل ضلالة في النار وإنما كان يقول ذلك معرضا بعثمان حتى غضب الوليد بن عقبه من استمرار تعريضه ونهاه عن خطبته هذه فأبى أن ينتهي فكتب إلى عثمان فيه فكتب عثمان يستقدمه عليه . وروى أنه لما خرج عبد الله بن مسعود إلى المدينة مزعجا عن الكوفة خرج الناس معه يشيعونه وقالوا له يا أبا عبد الرحمن ارجع فوالله لا نؤصله إليك أبدا فإننا لأنأمنه عليك فقال أمر سيكون و لأحب أن أكون أول من فتحه . و قد روى عنه أيضا من طرق لا تحصى كثرة أنه كان يقول ما يزن عثمان عند الله جناح ذباب و تعاطى ماروى عنه في هذا الباب يطول و هو أظهر من أن يحتاج إلى الاستشهاد عليه و أنه بلغ من إصرار عبد الله على مظاهرته بالعداوة أن قال لما حضره الموت من يتقبل منى وصية أوصيه بها على ما فيها فسكت القوم و عرفوا الذي يريد فأعادها فقال عمار بن ياسر رحمه الله تعالى أنا أقبلها فقال ابن مسعود ألا يصلى على عثمان قال ذلك لك فيقال إنه لمادفن جاء عثمان منكرا لذلك فقال له قائل أن عمارا ولى الأمر فقال لعمار ما حملك على أن لم تؤذنى فقال عهد إلى ألا- أوزنك فوقف على قبره وأثنى عليه ثم انصرف و هو يقول رفعتم و الله أيدىكم عن خير من بقى فتمثل الزبير بقول الشاعر لا ألفتك بعد الموت تندبنى || و فى حياتى ما زودتنى زادى . و لما مرض ابن مسعود مرضه الذى مات فيه أتاه عثمان عائدا فقال ماتشتكى فقال ذنوبى قال فما تشتهى قال رحمة بى قال ألا أدعو لك طيبا قال [صفحہ ۴۳] الطيب أمرضى قال أ فلا- أمر لك بعطائك قال منعته و أنا محتاج إليه و تعطينيه و أنا مستغن عنه قال يكون لولدك قال رزقهم على الله تعالى قال استغفر لى يا أبا عبد الرحمن قال أسأل الله أن يأخذ لى منك حتى . قال و صاحب المغنى قد حكى بعض هذا الخبر فى آخر الفصل الذى حكاه من كلامه و قال هذا يوجب ذم ابن مسعود من حيث لم يقبل العذر و هذا منه طريف لأن مذهبه لا يقتضى قبول كل عذر ظاهر وإنما يجب قبول العذر الصادق الذى يغلب فى الظن أن الباطن فيه كالظاهر فمن أين لصاحب المغنى أن اعتذار عثمان إلى ابن مسعود كان مستوفيا للشرائط التى يجب معها القبول و إذا جاز ما ذكرناه لم يكن على ابن مسعود لوم فى الامتناع من قبول عذره . فأما قوله إن عثمان لم يضربه وإنما ضربه بعض مواليه لماسمع و قيعته فيه فالأمر بخلاف ذلك و كل من قرأ الأخبار علم أن عثمان أمر بإخراجه عن المسجد على أعنف الوجوه و بأمره جرى ماجرى عليه و لو لم يكن بأمره و رضاه لوجب أن ينكر على مولاه كسر ضلعه و يعتذر إلى من عاتبه على فعله باين مسعود بأن يقول إنى لم أمر بذلك و لارضيته من فاعله و قد أنكرت عليه فعله . و فى علمنا بأن ذلك لم يكن دليل على ما قلنا و قد روى الواقدى بإسناده وغيره أن ابن مسعود لما استقدم المدينة دخلها ليلة جمعة فلما علم عثمان بدخوله قال أيها الناس إنه قد طرقتكم الليلة دويبة من تمشى على طعامه يقىء و يسلم فقال ابن مسعود لست كذلك ولكننى صاحب رسول الله ص يوم بدر و صاحبه يوم أحد و صاحبه يوم بيعة الرضوان و صاحبه يوم الخندق و صاحبه يوم حنين قال و صاحته عائشة يا عثمان أتقول هذا لصاحب رسول الله ص فقال عثمان اسكتى ثم قال لعبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن عبد العزى بن قصى أخرجه إخراجا عنيفا فأخذه [صفحہ ۴۴] ابن زمعة فاحتمله حتى جاء به باب مسجد فضرب به الأرض فكسر ضلعا من أضلاعه فقال ابن مسعود قتلنى ابن زمعة الكافر بأمر عثمان و فى رواية أخرى أن ابن زمعة الذى فعل به ما فعل كان مولى لعثمان أسود مسدما طويلا و فى رواية أخرى أن فاعل ذلك يحموم مولى عثمان و فى رواية أنه لما احتمله ليخرجه من المسجد ناداه عبد الله أنشدك الله ألا- تخرجنى من مسجد خليلى ص . قال الراوى فكأنى أنظر إلى حموشة ساقى عبد الله بن مسعود و رجلاه تختلفان على عنق مولى عثمان حتى أخرج من المسجد و هو الذى يقول فيه رسول الله ص لساقا ابن أم عبد أثقل فى الميزان يوم القيامة من جبل أحد . و قد روى محمد بن إسحاق عن محمد بن كعب القرظى أن عثمان ضرب ابن مسعود أربعين سوطا فى دفنه بأبذر و هذه قصة أخرى و ذلك أن أبذر رحمه الله تعالى لما حضرته الوفاة بالربذة و ليس معه إلا امرأته و غلامه عهد إليهما أن غسلانى ثم كفنانى ثم ضعانى على قارعة الطريق فأول ركب يمرون بكم قولوا لهم هذا أبوذر صاحب رسول الله ص فأعينونا على دفنه فلما مات فعلوا ذلك و أقبل ابن مسعود فى ركب من العراق

معتمرين فلم يرعهم إلا الجنازة على قارعه الطريق قد كادت الإبل تطؤها فقام إليهم العبد فقال هذا أبوذر صاحب رسول الله ص فأعينونا على دفنه فانهل ابن مسعود باكيا وقال صدق رسول الله ص قال له تمشى وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك ثم نزل هو وأصحابه فواروه قال فأما قوله إن ذلك ليس بأن يكون طعنا في عثمان بأولى من أن يكون طعنا في ابن مسعود فواضح البطلان وإنما كان طعنا في عثمان دون ابن مسعود لأنه لاخلاف [صفحة ٤٥] بين الأمة في طهارة ابن مسعود وفضله وإيمانه ومدح رسول الله ص وثنائه عليه و أنه مات على الجملة المحموده منه و في جميع هذاخلاف بين المسلمين في عثمان .فأما قوله إن ابن مسعود كره جمع عثمان الناس على قراءة زيد وإحراقه المصاحف فلاشك أن عبد الله كره ذلك كماكرهه جماعة من أصحاب رسول الله ص وتكلموا فيه وقد ذكر الرواة كلام كل واحد منهم في ذلك مفصلا وماكره عبد الله من ذلك إلا مكروها وهو الذي يقول رسول الله ص في حقه من سره أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد -رواية- ١-٢- رواية- ٣٢-١٠١ وروى عن ابن عباس رحمه الله تعالى أنه قال قراءة ابن أم عبدهي القراءة الأخيرة -رواية- ١-٢-رواية- ٥٢- ٨٩ إن رسول الله ص كان يعرض عليه القرآن في كل سنة من شهر رمضان فلما كان العام الذي توفي فيه عرض عليه دفتين فشهد عبد الله مانسخ منه و ماصح فهي القراءة الأخيرة. وروى عن الأعمش قال قال ابن مسعود لقد أخذت القرآن من في رسول الله ص سبعين سورة و إن زيد بن ثابت لغلام في الكتاب له ذؤابة -رواية- ١-٢-رواية- ٤٠-١٣٧. فأما حكايته عن أبي الحسين الخياط أن ابن مسعود إنما عاب عثمان لعزله إياه فعبد الله عند كل من عرفه بخلاف هذه الصورة وإنه لم يكن ممن يخرج على عثمان ويطعن في إمامته بأمر يعود إلى منفعة الدنيا و إن كان عزله بما لاشبهه فيه في دين و لأمانه عيبا لاشك فيه [صفحة ٤٦] الطعن السابع أنه جمع الناس على قراءة زيد بن ثابت خاصة وأحرق المصاحف وأبطل ما لاشك أنه نزل من القرآن و أنه مأخوذ عن الرسول ص و لو كان ذلك مما يسوغ لسبق إليه رسول الله ص ولفعله أبوبكر وعمر. قال قاضي القضاة وجوابنا عن ذلك أن الوجه في جمع القرآن على قراءة واحدة تحصين القرآن وضبطه وقطع المنازعة والاختلاف فيه وقولهم لو كان ذلك واجبا لفعله الرسول ص غير لازم لأن الإمام إذ فعله صار كأن الرسول ص فعله ولأن الأحوال في ذلك تختلف و قدروى أن عمر كان عزم على ذلك فمات دونه و ليس لأحد أن يقول إن إحراقه المصاحف استخفاف بالدين و ذلك لأنه إذاجاز من الرسول ص أن يخرب المسجد الذي بنى ضرارا وكفرا فغير ممتنع إحراق المصاحف .اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذاالكلام فقال إن اختلاف الناس في القراءة ليس بموجب لماصنعه لأنهم يروون أن النبي ص قال نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف -رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-٦٥ فهذا الاختلاف عندهم في القرآن مباح مسند عن الرسول ص فكيف يحظر عليهم عثمان من التوسع في الحروف ما هو مباح فلو كان في القراءة الواحدة تحصين القرآن كما ادعى لما أباح النبي ص في الأصل إلا القراءة الواحدة لأنه أعلم بوجوه المصالح من جميع أمته من حيث كان مؤيدا بالوحي موقفا في كل ما يأتي ويذر و ليس له أن يقول حدث من الاختلاف في أيام عثمان ما لم يكن في أيام الرسول ص و لا ما أباحه و ذلك لأن الأمر [صفحة ٤٧] لو كان على هذاالوجب أن ينهى عن القراءة الحادثة والأمر المبتدع و لا يحمله ما أحدث من القراءة على تحريم المتقدم بلا شبهة. و قوله إن الإمام إذ فعل ذلك فكأن الرسول ص فعله تعلق بالباطل وكيف يكون كما ادعى و هذاالاختلاف بعينه قد كان موجودا في أيام الرسول ص فلو كان سبب الانتشار الزيادة في القرآن و في قطعه تحصين له لكان ع بالنهى عن هذاالاختلاف أولى من غيره اللهم إلا أن يقال حدث اختلاف لم يكن فقد قلنا فيه ما كفى . و أما قوله إن عمر قد كان عزم على ذلك فمات دونه فما سمعناه إلا منه و لو فعل ذلك أى فاعل كان لكان منكرا.فأما الاعتذار عن كون إحراق المصاحف لا يكون استخفافا بالدين بحمله إياه على تخريب مسجد الضرار فبين الأمرين بون بعيد لأن البنيان إنما يكون مسجدا وبيتا لله تعالى بنية الباني وقصده و لو لا ذلك لم يكن بعض البنيان بأن يكون مسجدا أولى من بعض و لما كان قصد الباني لذلك الموضع غير القربة والعبادة بل خلافها وضدها

من الفساد والمكيدة لم يكن في الحقيقة مسجداً و إن سمي بذلك مجازاً على ظاهر الأمر فهدهم لاجرج فيه و ليس كذلك ما بين الدفتين لأنه كلام الله تعالى الموقر المعظم الذي يجب صيانتة عن البدله والاستخفاف فأى نسبة بين الأمرين. الطعن الثامن أنه أقدم عمار بن ياسر بالضرب حتى حدث به فتق ولهذا صار أحد من ظاهر المتظلمين من أهل الأمصار على قتله و كان يقول قتلناه كافراً. [صفحة ٤٨] قال قاضى القضاة و قد أجاب شيخنا أبو على رحمه الله تعالى عن ذلك فقال إن ضرب عمار غير ثابت و لو ثبت أنه ضربه للقول العظيم الذى كان يقوله لم يجب أن يكون طعنا عليه لأن للإمام تأديب من يستحق التأديب و مما يبعد صحة ذلك أن عماراً لا يجوز أن يكفره و لما يقع منه ما يستوجب به الكفر لأن الذى يكفر به الكافر معلوم ولأنه لو كان قد وقع ذلك لكان غيره من الصحابة أولى بذلك ولوجب أن يجتمعوا على خلعه و لوجب أن يكون قتله مباحاً لهم بل كان يجب أن يقيموا إماماً ليقتله على ما قدمناه و ليس لأحد أن يقول إنما كفره عمار من حيث وثب على الخلافة و لم يكن لها أهلاً لأننا قد بينا القول فى ذلك ولأنه كان منصوباً لأبى بكر وعمر ماتقدم و قد بينا أن صحة إمامتهما تقتضى صحة إمامة عثمان . و قد روى أن عماراً نازع الحسن بن على ع فى أمر عثمان فقال عمار قتل عثمان كافراً و قال الحسن ع قتل مؤمناً و تعلق بعضهما ببعض فصارا إلى أمير المؤمنين ع فقال ماذا تريد من ابن أخيك فقال إنى قلت كذا و قال كذا فقال له أمير المؤمنين ع أنكفر برب كان يؤمن به عثمان فسكت عمار -رواية ١-٢-رواية ١٢-٢٩٣ و قد ذكر الشيخ أبو الحسين الخياط أن عثمان لما نقم عليه ضربه عماراً احتج لنفسه فقال جاءنى سعد و عمار فأرسلا إلى أن ائتنا فإننا نريد أن نذاكرك أشياء فعلتها فأرسلت إليهما أنى مشغول فانصرفا فموعداً كما يوم كذا فانصرف سعد وأبى عمار أن ينصرف فأعدت الرسول إليه فأبى أن ينصرف فتناوله بغير أمرى و والله ما أمرت به و لارضيت وها أنا فليقتص منى. قال و هذا من أنصف قول و عدله. اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذا الكلام فقال أما الدفع لضرب عمار فهو [صفحة ٤٩] كالإنكار لطلوع الشمس ظهوراً وانتشاراً و كل من قرأ الأخبار و تصفح السير يعلم من هذا الأمر ما لا تنبيه عنه مكابرة و لا مدافعة و هذا الفعل أعنى ضرب عمار لم تختلف الرواة فيه و إنما اختلفوا فى سببه فروى عباس بن هشام الكلبي عن أبى مخنف فى إسناده أنه كان فى بيت المال بالمدينة سفظ فيه حلى و جواهر فأخذ منه عثمان ما حلى به بعض أهله فأظهر الناس الطعن عليه فى ذلك و كلموه فيه بكل كلام شديد حتى أغضبوه فخطب فقال لناخذن حاجتنا من هذا الفىء و إن رغمت به أنوف أقوام فقال له على ع إذن تمنع من ذلك و يحال بينك و بينه فقال عمار أشهد الله أن أنفى أول راغم من ذلك فقال عثمان أ على يا ابن ياسر تجترئ خذوه فأخذ و دخل عثمان فدعا به فضربه حتى غشى عليه ثم أخرج فحمل حتى أتى به منزل أم سلمة رضى الله تعالى عنها فلم يصل الظهر والعصر والمغرب فلما أفاق توضعاً و صلى و قال الحمد لله ليس هذا أول يوم أودينا فى الله تعالى فقال هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي و كان عمار حليفاً لبنى مخزوم يا عثمان أما على فاتقيته و أمانحن فاجترأت علينا و ضربت أخانا حتى أشفيت به على التلف أما و الله لئن مات لأقتلن به رجلاً من بنى أمية عظيم الشأن فقال عثمان و إنك لها هنا يا ابن القسرية قال فإنهما قسريتان و كانت أم هشام وجدته قسريتين من بجيلة فشتمه عثمان و أمر به فأخرج فأتى به أم سلمة رضى الله تعالى عنها فإذا هى قد غضبت لعمار و بلغ عائشة رضى الله تعالى عنها ما صنع بعمار فغضبت أيضاً و أخرجت شعراً من شعر رسول الله ص و نعلا من نعاله و ثوبا من ثيابه و قالت ما أسرع ما تركتم سنه نبيكم و هذا شعره و ثوبه و نعله لم يبيل بعد. [صفحة ٥٠] و روى آخرون أن السبب فى ذلك أن عثمان مر بقبر جديد فسأل عنه فقيل عبد الله بن مسعود فغضب على عمار لكتمانها إياه موته إذ كان المتولى للصلاة عليه والقيام بشأنه فعندها وطئ عثمان عماراً حتى أصابه الفتق . و روى آخرون أن المقداد و عماراً و طلحة و الزبير و عدة من أصحاب رسول الله ص كتبوا كتاباً عددوا فيه أحداث عثمان و خوفوه به و أعلموه أنهم موأثبوه إن لم يقلع فأخذ عمار الكتاب فأتاه به فقرأ منه صدراً ثم قال له أ على تقدم من بينهم فقال لأنى أنصحهم لك قال كذبت يا ابن سمية فقال أنا و الله ابن سمية و ابن ياسر فأمر عثمان غلماناً له فمدوا بيديه و رجليه ثم ضربه

عثمان برجليه وهى فى الخفين على مذاكيره فأصابه الفتق و كان ضعيفا كبيرا فغشى عليه . قال فضرب عمار على ماترى غيرمختلف فيه بين الرواة وإنما اختلفوا فى سببه والخبر الذى رواه صاحب المغنى وحكاه عن أبى الحسين الخياط مانعرفه وكتب السيرة المعلومة خالية منه و من نظيره و قد كان يجب أن يضيفه إلى الموضع الذى أخذ منه فإن قوله وقول من أسند إليه ليس بحجة و لو كان صحيحا لكان يجب أن يقول بدل قوله ها أنا فليقتص منى إذا كان ما أمر بذلك و لارضى عنه وإنما ضربه الغلام الجانى فليقتص منه فإنه أولى وأعدل . و بعد فلاتنافى بين الروائين لو كان مارواه معروفا لأنه يجوز أن يكون غلامه ضربه فى حال و ضربه هو فى حال أخرى والروايات إذا لم تتعارض لم يجز إسقاط شىء منها. فأما قوله إن عمارا لايجوز أن يكفره و لم يقع منه ما يوجب الكفر فإن تكفير عمار و غير عمار له معروف و قد جاءت به الروايات و قدروى من طرق مختلفة وبأسانيد كثيرة أن عمارا كان يقول ثلاثة يشهدون على عثمان بالكفر و أنا الرابع و أناشر [صفحة ٥١] الأربعة و من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون و أنا أشهد أنه قد حكم بغير ما أنزل الله . و روى عن زيد بن أرقم من طرق مختلفة أنه قيل له بأى شىء كفرتم عثمان فقال بثلاث جعل المال دولة بين الأغنياء وجعل المهاجرين من أصحاب رسول الله ص بمنزلة من حارب الله ورسوله وعمل بغير كتاب الله . و روى عن حذيفة أنه كان يقول ما فى عثمان بحمد الله أشك لكنى أشك فى قاتله لأدرى أكافر قتل كافرا أم مؤمن خاض إليه الفتنة حتى قتله و هو أفضل المؤمنين إيمانا فأما مارواه من منازعة الحسن ع عمارا فى ذلك و ترافعهما إلى أمير المؤمنين ع فهو أولا- غيردافع لكون عمار مكفرا له بل شاهد بذلك من قوله ع ثم إن كان الخبر صحيحا فالوجه فيه أن عمارا كان يعلم من لحن كلام أمير المؤمنين ع وعدوله عن أن يقضى بينهما بصريح من القول أنه متمسك بالتيقن فأمسك عمار متابعه لغرضه . فأما قوله لايجوز أن يكفره من حيث وثب على الخلافة لأنه كان مصوبا لأبى بكر وعمر لما تقدم من كلامه فى ذلك فإننا لانسلم له أن عمارا كان مصوبا لهما و ماتقدم من كلامه قد تقدم كلامنا عليه . فأما قوله عن أبى على أنه لو ثبت أنه ضربه للقول العظيم الذى كان يقوله فيه لم يكن طعنا لأن للإمام تأديب من يستحق ذلك فقد كان يجب أن يستوحش صاحب كتاب المغنى أو من حكى كلامه من أبى على وغيره من أن يعتذر من ضرب عمار ووقده حتى لحقه من الغشى ماترك له الصلاة ووطئه بالأقدام امتهاناً واستخفافاً بشىء من العذر - قرآن - ٩ - ٧٣ [صفحة ٥٢] فلاعذر يسمع من إيقاع نهاية المكروه بمن روى أن النبى ص قال فيه عمار جلده ما بين العين والأنف ومتى تنكأ الجلدة يدم الأنف - روايت - ١ - ٢ - روايت - ٧ - ٩٤ وروى أنه قال ع مالهم ولعمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونهم إلى النار - روايت - ١ - ٢ - روايت - ٢٢ - ٧٤ روى العوام بن حوشب عن سلمة بن كهيل عن علقمة عن خالد بن الوليد أن رسول الله ص قال من عادى عمارا عاداه الله و من أبغض عمارا أبغضه الله - روايت - ١ - ٢ - روايت - ٩٢ - ١٥١ و أى كلام غليظ سمعه عثمان من عمار يستحق به ذلك المكروه العظيم الذى يجاوز مقدار ما فرضه الله تعالى فى الحدود وإنما كان عمار وغيره أثبتوا عليه أحداثه ومعاييه أحيانا على ما يظهر من سبب أفعاله و قد كان يجب عليه أحد أمرين إما أن ينزع عما يواقف عليه من تلك الأفعال أو يبين من عذره عنها وبرائه منها ما يظهر ويشتهر فإن أقام مقيم بعد ذلك على توبيخه وتفسيره زجره عن ذلك بوعظ أو غيره و لا يقدم على ما يفعله الجابرة والأكاسرة من شفاء الغيظ بغير ما أنزل الله تعالى وحكم به الطعن التاسع إقدامه على أبى ذر مع تقدمه فى الإسلام حتى سيره إلى الربذة ونفاه وقيل إنه ضربه . قال قاضى القضاة فى الجواب عن ذلك أن شيخنا أبا على رحمه الله تعالى قال إن الناس اختلفوا فى أمر أبى ذر رحمه الله تعالى وروى أنه قيل لأبى ذر عثمان أنزلك الربذة فقال لا بل اخترت لنفسى ذلك . وروى أن معاوية كتب يشكوه و هو بالشام فكتب عثمان إليه أن صر إلى المدينة فلما صار إليها قال ما أخرجك إلى الشام قال لأنى سمعت رسول الله ص - روايت - ١ - ٢ [صفحة ٥٣] يقول إذ بلغت عمارة المدينة موضع كذا فأخرج عنها - روايت - ٩ - ٥٥ فلذلك خرجت فقال فأى البلاد أحب إليك بعد الشام قال الربذة فقال صر إليها. قال و إذ تكافأت الأخبار لم يكن لهم فى ذلك حجة و لو ثبت ذلك لكان لا يمتنع أن يخرج به إلى الربذة لصالح

يرجع إلى الدين فلا- يكون ظلما لأبي ذر بل يكون إشفاقا عليه وخوفا من أن يناله من بعض أهل المدينة مكروه فقد روى أنه كان يغلظ في القول ويخشن الكلام فيقول لم يبق أصحاب محمد على ماعهد وينغر بهذا القول فرأى إخراجهم أصح لم يرجع إليه وإليه وإلى الدين و قد روى أن عمر أخرج عن المدينة نصر بن الحجاج لما خاف ناحيته و قد ندب الله سبحانه إلى خفض الجناح للمؤمنين و إلى القول اللين للكافرين و بين للرسول ص أنه لو استعمل الفظاظه لانفضوا من حوله فلما رأى عثمان من خشونة كلام أبي ذر و ما كان يورده مما يخشى منه التغير فعل ما فعل . قال و قد روى عن زيد بن وهب قال قلت لأبي ذر رحمه الله تعالى و هو بالربذة ما أنزلك هذا المنزل قال أخبرك أني كنت بالشام في أيام معاوية و قد ذكرت هذه الآية و الذين يَكْتَبُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ وَ لَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ فقال معاوية هذه في أهل الكتاب فقلت هي فيهم و فينا فكتب معاوية إلى عثمان في ذلك فكتب إلى أن أقدم على فقدمت عليه فانتال الناس إلى كأنهم لم يعرفوني فشكوت ذلك إلى عثمان فخبرني و قال انزل حيث شئت فتزلت الربذة. -قرآن- ٩٠٦-١٠١٤ [صفحة ٥٤] و قد ذكر الشيخ أبو الحسين الخياط قريبا مما تقدم من أن إخراج أبي ذر إلى الربذة كان باختياره و روى في ذلك خبرا قال و أقل ما في ذلك أن تختلف الأخبار فتطرح و يرجع إلى الأمر الأول في صحة إمامة عثمان و سلامته أحواله . اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذا الكلام فقال أما قول أبي علي إن الأخبار في سبب خروج أبي ذر إلى الربذة متكافئة فمعاذ الله أن تتكافأ في ذلك بل المعروف والظاهر أنه نفاه أولا إلى الشام ثم استقدمه إلى المدينة لما شكاه منه معاوية ثم نفاه من المدينة إلى الربذة و قد روى جميع أهل السير على اختلاف طرقهم و أسانيدهم أن عثمان لما أعطى مروان بن الحكم ما أعطاه و أعطى الحارث بن الحكم بن أبي العاص ثلاثمائة ألف درهم و أعطى زيد بن ثابت مائة ألف درهم جعل أبو ذر يقول بشر الكانزين بعذاب أليم و يتلو قول الله تعالى وَ الَّذِينَ يَكْتَبُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ وَ لَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ فرفع ذلك مروان إلى عثمان فأرسل إلى أبي ذر نائلا مولاه أن انت عما يبلغني عنك فقال أيتهاني عثمان عن قراءة كتاب الله و عيب من ترك أمر الله فو الله لأن أرضي الله بسخط عثمان أحب إلى و خير لي من أن أسخط الله برضاه فأغضب عثمان ذلك و أحفظه فتصابر . و قال يوما أيجوز للإمام أن يأخذ من المال فإذا أيسر قضى فقال كعب الأحمق لا بأس بذلك فقال له أبو ذر يا ابن اليهوديين أتعلمنا ديننا فقال عثمان قد كثر أذاك لي و تولعك بأصحابي الحق بالشام فأخرجه إليها فكان أبو ذر ينكر على معاوية أشياء يفعلها فبعث إليه معاوية ثلاثمائة دينار فقال أبو ذر إن كانت هذه - قرآن- ٧٥٦-٨٦٤ [صفحة ٥٥] من عطائي الذي حرمتومنيه عامي هذا قبلتها و إن كانت صلة فلا حاجة لي فيها و ردها عليه . و بنى معاوية الخضراء بدمشق فقال أبو ذر يا معاوية إن كانت هذه من مال الله فهي الخيانة و إن كانت من مالك فهو الإسراف . و كان أبو ذر رحمه الله تعالى يقول و الله لقد حدثت أعمال ما أعرفها و الله ما هي في كتاب الله و لاسنة نبيه و الله إنني لأرى حقا يظفأ و باطلا يحيا و صادقا مكذبا و أثره بغير تقى و صالحا مستأثرا عليه فقال حبيب بن مسلمة الفهري لمعاوية أن أباذر لمفسد عليكم الشام فتدارك أهله إن كانت لكم حاجة فيه فكتب معاوية إلى عثمان في كتاب عثمان إلى معاوية أما بعد فاحمل جندبا إلى علي أغلظ مركب و أوعره فوجه به مع من سار به الليل والنهار و حمله على شارف ليس عليها إلا قتب حتى قدم به المدينة و قد سقط لحم فخذي من الجهد فلما قدم أبو ذر المدينة بعث إليه عثمان أن الحق بأى أرض شئت فقال بمكة قال لا قال فبيت المقدس قال لا- قال فأحد المصريين قال لا- ولكني مسيرك إلى الربذة فسيره إليها فلم يزل بها حتى مات . و في رواية الواقدي أن أباذر لمادخل على عثمان قال له لا أنعم الله بك عينا يا جنيدب فقال أبو ذر أنا جنيدب و سمانى رسول الله ص عبد الله فاخترت اسم رسول الله الذي سمانى به على اسمي فقال عثمان أنت الذي تزعم أنا نقول إن يد الله مغلوله و إن الله فقير ونحن أغنياء فقال أبو ذر لو كنتم لاتزعمون لأنفقتم [صفحة ٥٦] مال الله على عباده ولكني أشهد لسمعت رسول الله ص يقول إذ بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلا- جعلوا مال الله دولا- و عباد الله خولا- و دين الله دخلا- -رواية- ١-٢-رواية- ٤٣-١٣٣ فقال عثمان لمن حضره

أسمعتوها من نبي الله فقالوا ماسمعناه فقال عثمان ويلك يا أباذر أتكذب على رسول الله فقال أبوذر لمن حضر أ ماتظنون أني صدقت قالوا لا والله ماندرى فقال عثمان ادعوا لي عليا فدعى فلما جاء قال عثمان لأبي ذر اقصص عليه حديثك في بني أبي العاص فحدثه فقال عثمان لعلي هل سمعت هذا من رسول الله ص فقال علي ع لا وقد صدق أبوذر قال عثمان بم عرفت صدقه قال لأنى سمعت رسول الله ص يقول ماأظلت الخضراء ولاأقلت الغبراء من ذى لهجه أصدق من أبي ذر -رواية- ١-٢-رواية- ٤٠-١٠٤ فقال جميع من حضر من أصحاب النبي ص لقد صدق أبوذر فقال أبوذر أحدثكم أنى سمعت هذا من رسول الله ص ثم تتهمونى ماكنت أظن أنى أعيش حتى أسمع هذا من أصحاب محمد ص . وروى الواقدي فى خبر آخر بإسناده عن صهبان مولى الأسلميين قال رأيت أباذر يوم دخل به على عثمان فقال له أنت الذى فعلت وفعلت فقال له أبوذر نصحتك فاستغششتى ونصحت صاحبك فاستغشنى فقال عثمان كذبت ولكنك تريد الفتنة وتحبها قدانغلت الشام علينا فقال له أبوذر اتبع سنة صاحبك لا يكن لأحد عليك كلام قال عثمان ما لك و ذلك لأم لك قال أبوذر والله ماوجدت لى عذرا إلاالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فغضب عثمان وقال أشيروا على فى هذاالشيخ الكذاب إما أن أضربه أوأحبسه أوأقتله فإنه قدفرق جماعة المسلمين أوأنفيه من أرض الإسلام فتكلم على ع و كان حاضرا وقال أشير عليك [صفحة ٥٧] بما قاله مؤمن آل فرعون وإن يك كاذبا فعليه كذبته وإن يك صادقا يصب بكم بعض الئدى يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب قال فأجابه عثمان بجواب غليظ لأحب ذكره وأجابه ع بمثله قال ثم إن عثمان حظر على الناس أن يقاعدوا أباذر أو يكلموه فمكث كذلك أياما ثم أمر أن يؤتى به فلما أتى به وقف بين يديه قال ويحك ياعثمان أمارأيت رسول الله ص ورأيت أبا بكر وعمر هل رأيت هذاهديهم إنك لتبتطش بى بطش جبار فقال اخرج عنا من بلادنا فقال أبوذر ماأبغض إلى جوارك فإلى أين أخرج قال حيث شئت قال فأخرج إلى الشام أرض الجهاد قال إنما جلبتكم من الشام لما قدأفسدتها فأردك إليها قال فأخرج إلى العراق قال لا قال و لم قال تقدم على قوم أهل شبه وطعن فى الأئمة قال فأخرج إلى مصر قال لا قال فإلى أين أخرج قال حيث شئت قال أبوذر فهو إذن التعرب بعدالهجرة أأخرج إلى نجد فقال عثمان الشرف الأبعد أقصى فأقصى امض على وجهك هذا ولاتعدون الربذة فخرج إليها. وروى الواقدي عن مالك بن أبى الرجال عن موسى بن ميسرة أن أباالأسود الدؤلى قال كنت أحب لقاء أبى ذر لأسأله عن سبب خروجه فنزلت الربذة فقلت له ألا تخبرنى أخرجت من المدينة طائعا أم أخرجت مكرها فقال كنت فى ثغر من ثغور المسلمين أغنى عنهم فأخرجت إلى مدينة الرسول ع فقلت أصحابى ودار هجرتى فأخرجت منها إلى ماترى -قرآن- ٢٨-١٦٥ ثم قال بينا أناذات ليلة نائم فى المسجد إذ مر بى رسول الله ص فضربنى برجله وقال لاأراك نائما فى المسجد فقلت بأبى أنت -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-١٢-ادامه دارد [صفحة ٥٨] وأمى غلبتنى عينى فنمت فيه فقال كيف تصنع إذاأخرجوك منه فقلت إذن ألحق بالشام فإنها أرض مقدسة وأرض بقية الإسلام وأرض الجهاد فقال فكيف تصنع إذاأخرجت منها فقلت أرجع إلى المسجد قال فكيف تصنع إذاأخرجوك منه قلت آخذ سيفى فأضرب به فقال ص ألا أدلك على خير من ذلك انسق معهم حيث ساقوك وتسمع وتطيع فسمعت وأطعت وأناسمع وأطيع والله ليلقين الله عثمان وهو آثم فى جنبى. و كان يقول بالربذة ماترك الحق لى صديقا و كان يقول فيهاردنى عثمان بعدالهجرة أعرابيا. والأخبار فى هذاالباب أكثر من أن تحصر وأوسع من أن نذكرها ومايحمل نفسه على ادعاء أن أباذر خرج مختارا إلى الربذة إلا المكابر ولسنا ننكر أن يكون ماأورده صاحب كتاب المغنى من أنه خرج مختارا قدروى إلا- أنه من الشاذ النادر وبإزاء هذه الرواية الفذة كل الروايات التى تتضمن خلافها و من تصفح الأخبار علم أنها غيرمتكافئة على ماظن صاحب المغنى وكيف يجوز خروجه عن اختيار وإنما أشخص من الشام على الوجه الذى أشخص عليه من خشونة المركب وقبح السير به للموجدة عليه ثم لماقدم منع الناس من كلامه وأغلظ له فى القول و كل هذا لايشبه أن يكون خروجه إلى الربذة باختياره وكيف يظن عاقل أن أباذر يختار الربذة منزلا مع جذبها وقحطها وبعدها

عن الخيرات و لم تكن بمنزل مثله . فأما قوله إنه أشفق عليه من أن يناله بعض أهل المدينة بمكروه من حيث كان يغلظ لهم القول فليس بشيء لأنه لم يكن في أهل المدينة إلا من كان راضيا بقوله عاتبا بمثل عتبه إلا أنهم كانوا بين مجاهر بما في نفسه ومخف ما عنده و ما في أهل المدينة إلا -رواية-از قبل-١-رواية-٢-ادامه دارد [صفحه ٥٩] من رثي لأبي ذر مما حدث عليه و من استفظعه و من رجع إلى كتب السيرة عرف ما ذكرناه . فأما قوله أن عمر أخرج من المدينة نصر بن حجاج فيا بعد ما بين الأمرين و ما كنا نظن أن أحدا يسوى بين أبي ذر و هو وجه الصحابة و عينهم و من أجمع المسلمون على توقيره و تعظيمه و أن رسول الله ص مدحه من صدق اللهجة بما لم يمدح به أحدا و بين نصر بن الحجاج الحدث الذي كان خاف عمر من افتتان النساء بشبابه و لاحظ له في فضل و لادين على أن عمر قد ذم بإخراجه نصر بن الحجاج من غير ذنب كان منه فإذا كان من أخرج نصر بن حجاج مذموما فكيف من أخرج أبأذر . فأما قوله إن الله تعالى و الرسول قد ندبا إلى خفض الجناح و لين القول للمؤمن و الكافر فهو كما قال إلا أن هذا أدب كان ينبغي أن يتأدب به عثمان في أبي ذر و لا يقابله بالتكذيب و قد قطع رسول الله ص على صدقه و لا يسمعه مكروه الكلام وإنما نصح له و أهدى إليه عيوبه و عاتبه على ما لوزع عنه لكان خيرا له في الدنيا و الآخرة . الطعن العاشر تعطيله الحد الواجب على عبيد الله بن عمر بن الخطاب فإنه قتل الهرمزان مسلما فلم يقده به و قد كان أمير المؤمنين ع يطلبه لذلك . قال قاضي القضاة في الجواب عن ذلك أن شيخنا أبا على رحمه الله تعالى قال إنه لم يكن للهرمزان و لى يطلب بدمه و الإمام و لى من لا و لى له و للولى أن يعفو كما له أن يقتل و قدروى أنه سأل المسلمين أن يعفوا عنه فأجابوا عنه إلى ذلك . -رواية-از قبل-١-رواية-٢-ادامه دارد [صفحه ٦٠] قال و إنما أراد عثمان بالعفو عنه ما يعود إلى عزالدين لأنه خاف أن يبلغ العدو قتله فيقال قتلوا إمامهم وقتلوا ولده و لا يعرفون الحال في ذلك فيكون فيه شماتة و قد قال الشيخ أبو الحسين الخياط أن عامة المهاجرين أجمعوا على أنه لا يقاد بالهرمزان و قالوا لعثمان هذادم سفك في غير ولايتك و ليس له و لى يطلب به و أمره إلى الإمام فاقبل منه الدية فذلك صلاح للمسلمين -رواية-از قبل-٣٨٢ . قال و لم يثبت أن أمير المؤمنين ع كان يطلبه ليقته بالهرمزان لأنه لا يجوز قتل من عفا عنه و لى المقتول و إنما كان يطلبه ليضع من قدره و يصغر من شأنه . قال و يجوز أن يكون ماروى عن على ع من أنه قال لو كنت بدل عثمان لقتلته -رواية-١-٢-رواية-٣٦-٦٤ يعنى أنه كان يرى ذلك أقوى في الاجتهاد و أقرب إلى التشدد في دين الله سبحانه . اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذا الكلام قال أما قوله لم يكن للهرمزان و لى يطلب بدمه فالإمام يكون و ليه و له أن يعفو عنه كما له أن يقتص فليس بمعتمد لأن الهرمزان رجل من أهل فارس و لم يكن له و لى حاضر يطالب بدمه و قد كان الواجب أن يبذل الإنصاف لأوليائه و يؤمنوا متى حضروا حتى أنه لو كان له و لى يريد المطالبة حضر و طالب ثم لو لم يكن له و لى لم يكن عثمان و لى دمه لأنه قتل في أيام عمر فصار عمر و لى دمه و قد أوصى عمر على ماجاءت به الروايات الظاهرة بقتل ابنه عبيد الله إن لم تقم البينة العادلة على الهرمزان و جفينة أنهما أمرا أبالؤلوة غلام المغيرة بن شعبة بقتله و كانت وصيته بذلك إلى أهل الشورى فقال أيكم و لى هذا الأمر فليفعل كذا و كذا مما ذكرناه فلما مات عمر طلب المسلمون إلى عثمان إمضاء [صفحه ٦١] الوصية في عبيد الله بن عمر فدافع عن ذلك و عللهم و لو كان هو و لى الدم على ما ذكروا لم يكن له أن يعفو و أن يبطل حدا من حدود الله تعالى و أى شماتة للعدو في إقامة حد من حدود الله تعالى و إنما الشماتة كلها من أعداء الإسلام في تعطيل الحدود و أى حرج في الجمع بين قتل الإمام و ابنه حتى يقال كره أن ينتشر الخبر بأن الإمام و ابنه قتلا و إنما قتل أحدهما ظلما و الآخر عدلا أو أحدهما بغير أمر الله و الآخر بأمره سبحانه . و قدروى زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق عن أبان بن صالح أن أمير المؤمنين ع أتى عثمان بعد ما استخلف فكلمه في عبيد الله و لم يكلمه أحد غيره فقال اقتل هذا الفاسق الخبيث الذي قتل أميرا مسلما فقال عثمان قتلوا أباه بالأمس و أقتله اليوم و إنما هو رجل من أهل الأرض فلما أبى عليه مر عبيد الله على على ع فقال له إيه يافاسق أما و الله لئن ظفرت بك يوما من الدهر لأضربن عنقك فلذلك

خرج مع معاوية عليه -رواية- ١-٢-رواية- ٧٦-٤٤٢ وروى القناد عن الحسن بن عيسى بن زيد عن أبيه أن المسلمين لما قال عثمان إنى قد عفوت عن عبيد الله بن عمر قالوا ليس لك أن تعفو عنه قال بلى إنه ليس لجفينة والهرمان قرابته من أهل الإسلام و أناولى أمر المسلمين و أناولى بهما و قد عفوت فقال على ع إنه ليس كما تقول إنما أنت فى أمرهما بمنزلة أقصى المسلمين إنه قتلها فى إمرة غيرك و قد حكم الوالى الذى قتلها فى إمارته بقتله و لو كان قتلها فى إمارتك لم يكن لك العفو عنه فاتق الله فإن الله سائلك عن هذا -رواية- ١-٢-رواية- ٥٣-٤٨٤ فلما رأى عثمان أن المسلمين قد أبوا لإقتل عبيد الله أمره فارتحل إلى الكوفة وأقطع بهادارا وأرضا وهى التى يقال لها كوفيفه بن عمر فعظم ذلك عند المسلمين وأكبروه وكثر كلامهم فيه . [صفحة ٦٢] وروى عن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ع أنه قال ما أمسى عثمان يوم ولى حتى نعموا عليه فى أمر عبيد الله بن عمر حيث لم يقتله بالهرمان -رواية- ١-٢-رواية- ٨١-١٧٣ فأما قوله إن أمير المؤمنين ع لم يطلبه ليقتله بل ليضع من قدره فهو بخلاف ما صرح به ع من أنه إن تمكن ليضرب عنقه . و بعد فإن ولى الدم إذ عفا عنه على مادعوا لم يكن لأحد أن يستخف به و لا يضع من قدره كما ليس له أن يقتله . و أما قوله إن أمير المؤمنين ع لا يجوز أن يتوعده مع عفو الإمام عنه فإنما يكون صحيحا لو كان ذلك العفو مؤثرا و قد بينا أنه غير مؤثر . و أما قوله يجوز أن يكون ع رأى أن قتله أقوى فى الاجتهاد وأقرب إلى التشدد فى دين الله فلاشك أنه كذلك و هذا بناء منه على أن كل مجتهد مصيب و قد بينا أن الأمر بخلاف ذلك و إذا كان اجتهاد أمير المؤمنين ع يقتضى قتله فهو الذى لا يسوغ خلافه . الطعن الحادى عشر و هو إجمالى قالوا وجدنا أحوال الصحابة دالة على تصديقهم المطاعن فيه وبراءتهم منه والدليل على ذلك أنهم تركوه بعد قتله ثلاثة أيام لم يدفوه و لأنكروا على من أجلب عليه من أهل الأمصار بل أسلموه و لم يدفوا عنه ولكنهم أعانوا عليه و لم يمنعوا من حصره و لا من منع الماء عنه و لا من قتله مع تمكنهم من خلاف ذلك و هذا من أقوى الدلائل على ما قلناه و لو لم يدل على أمره عندهم إلا ماروى عن على ع أنه قال الله قتله و أنامعه و أنه كان فى أصحابه ع من يصرح بأنه قتل [صفحة ٦٣] عثمان و مع ذلك لا يقيدهم بل و لا ينكر عليهم و كان أهل الشام يصرحون بأن مع أمير المؤمنين قتله عثمان و يجعلون ذلك من أوكد الشبه و لا ينكر ذلك عليهم مع أنانعلم أن أمير المؤمنين ع لو أراد أن يتعاضد هو و أصحابه على المنع عنه لما وقع فى حقه ما وقع فصار كفه و كف غيره عن ذلك من أدل الدلائل على أنهم صدقوا عليه مانسب إليه من الأحداث و أنهم لم يقبلوا منه ما جعله عذرا . و أجاب قاضى القضاة عن هذا فقال أمارك بعد القتل ثلاثة أيام لم يدفن فليس بثابت و لو صح لكان طعنا على من لزمه القيام به و قد قال شيخنا أبو على رحمه الله تعالى إنه لا يمتنع أن يشتغلوا بإبرام البيعة لأمر المؤمنين ع خوفا على الإسلام من الفتنة فيؤخروا دفنه . قال و بعيد مع حضور قریش و قبائل العرب و سائر بنى أمية و مواليتهم أن يترك عثمان و لا يدفن هذه المدة و بعيد أن يكون أمير المؤمنين ع لا يتقدم بدفنه و لومات فى جواره يهودى أو نصرانى و لم يكن له من يواريه ماتركه أمير المؤمنين ألا- يدفن فكيف يجوز مثل ذلك فى عثمان و قدروى أنه دفن فى تلك الليلة و هذا هو الأولى . فأما التعلق بأن الصحابة لم تنكر على القوم و لا دفعت عنه فقد سبق القول فى ذلك والصحيح عن أمير المؤمنين ع أنه تبرأ من قتل عثمان و لعن قتلته فى البر والبحر والسهل والجبل وإنما كان يجرى من جيشه هذا القول منه على جهة المجاز لأننا نعلم أن جميع من كان يقول نحن قتلناه لم يقتله لأن فى الخبر أن العدد الكثير كانوا يصرحون بذلك والذين دخلوا عليه وقتلوه اثنان أو ثلاثة وإنما كانوا يقصدون بهذا القول أى احسبوا أن قتلناه فما لكم و ذلك أن الإمام هو الذى يقوم بأمر القود و ليس للخارج عليه أن يطالب بذلك و لم يكن لأمر المؤمنين ع أن يقتل قتلته لو عرفهم بينة أو إقرار و ميزهم من غيرهم إلا عند المطالبة ولى الدم والذين كانوا أولياء [صفحة ٦٤] الدم لم يكونوا يطالبونه و لا كانت صفتهم صفة من يطالب لأنهم كانوا كلهم أو بعضهم يدعون أن عليا ع ليس بإمام و لا يحل لولى الدم مع هذا الاعتقاد أن يطالب بالقود فلذلك لم يقتلهم ع هذا لوصح أنه كان يميزهم فكيف و ذلك غير صحيح . فأما ماروى عنه من قوله ع قتله الله و

أنامعه -رواية- ١-٢-رواية- ٣٢-٥٤ فإن صح فمعناه مستقيم يريد أن الله أماته وسيميتني وسائر العباد. ثم قال سائلا نفسه كيف يقول ذلك وعثمان مات مقتولا من جهته المكلفين وأجاب بأنه و إن قتل بالإماتة من قبل الله تعالى ويجوز أن يكون ماناله من الجراح لا يوجب انتفاء الحياة لامحالة فإذا ماتت الإماتة على طريق الحقيقة. اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذا الكلام فقال أماتضعيفه أن يكون عثمان ترك بعد القتل ثلاثة أيام لم يدفن فليس بحجة لأن ذلك قدره جماعة الرواة و ليس يخالف في مثله أحد يعرف بالرواية و قد ذكر ذلك الواقدي وغيره وروى أن أهل المدينة منعوا الصلاة عليه حتى حمل بين المغرب والعتمة و لم يشهد جنازته غير مروان وثلاثة من مواليه و لما أحسوا بذلك رموه بالحجارة وذكروه بأسوأ الذكر و لم يقع التمكن من دفنه إلا بعد أن أنكر أمير المؤمنين ع المنع من دفنه وأمر أهله بتولى ذلك منه. فأما قوله إن ذلك إن صح كان طعنا على من لزمه القيام بأمره فليس الأمر على ما ظنه بل يكون طعنا على عثمان من حيث لا يجوز أن يمنع أهل المدينة و فيها وجوه الصحابة من دفنه والصلاة عليه إلا لا اعتقاد قبيح أولأن أكثرهم وجمهورهم يعتقد ذلك و هذا طعن لا شبهة فيه واستبعاد صاحب المغنى لذلك مع ظهور الرواية به [صفحة ٦٥] لا يلتفت إليه فأما أمير المؤمنين ع واستبعاد صاحب المغنى منه ألا يتقدم بدفنه فقد بينا أنه تقدم بذلك بعدمما كسبه ومراوضة وأعجب من كل شىء قول صاحب المغنى إنهم أخروا دفنه تشاغلا بالبيعة لأمر المؤمنين ع و أى شغل فى البيعة لأمر المؤمنين يمنع من دفنه والدفن فرض على الكفاية لوقام به البعض وتشاغل الباقون بالبيعة لجاز و ليس الدفن ولا البيعة أيضا مفتقرة إلى تشاغل جميع أهل المدينة بها. فأما قوله إنه قدروى أن عثمان دفن تلك الليلة فما تعرف هذه الرواية و قد كان يجب أن يسندها ويعزوها إلى راويها أو الكتاب الذى أخذها منه فالذى ظهر فى الرواية هو ما ذكرناه. فأما إحالته على ماتقدم فى معنى الإنكار من الصحابة على القوم المجلبين على عثمان فقد سبق القول فى ذلك. فأما روايته عن أمير المؤمنين ع تبرؤه من قتل عثمان ولعنه قتلته فى البر والبحر والسهل والجبل فلا شك فى أنه ع كان بريئا من قتله و قدروى عنه ع أنه قال و الله ما قتلت عثمان و لا مالات فى قتله -رواية- ١-٢-رواية- ٣٠-٧٤ والممالة هى المعاونة والموازرة و قد صدق ع فى أنه ما قتل و لا موازر على القتل. فأما لعنه قتلته فضعيف فى الرواية و إن كان قدروى فأظهر منه مارواه الواقدي عن الحكم بن الصلت عن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه قال رأيت عليا ع على منبر رسول الله ص حين قتل و هو يقول ما أحببت قتله و لا كرهته و لا أمرت به و لا نهيت عنه -رواية- ١-٢-رواية- ٨٠-١٩٣ و قدروى محمد بن سعد عن عفان بن جرير بن بشير عن أبي جلدة أنه سمع عليا -رواية- ١-٢ [صفحة ٦٦] ع يقول و هو يخطب فذكر عثمان و قال و الله الذى لا إله إلا هو ما قتلت و لا مالات على قتله و لا ساءنى -رواية- ١٢-١١١ و روى ابن بشير عن عبيدة السلماني قال سمعت عليا ع يقول من كان سائلى عن دم عثمان فإن الله قتله و أنا معه -رواية- ١-٢-رواية- ٩٥-٢٣١. قال فإن قيل كيف يصح الجمع بين معانى هذه الأخبار. قلنا لا تنافى بينها لأنه ع تبرأ من مباشرة قتله والموازرة عليه ثم قال ما أمرت بذلك و لا نهيت عنه يريد أن قاتليه لم يرجعوا إلى و لم يكن منى قول فى ذلك بأمر و لا نهى فأما قوله الله قتله و أنا معه فيجوز أن يكون المراد به الله حكم بقتله و أوجه و أنا كذلك لأن من المعلوم أن الله تعالى لم يقتله على الحقيقة فإضافة القتل إليه لا تكون إلا بمعنى الحكم والرضا و ليس يمتنع أن يكون مما حكم الله تعالى به ما لم يتوله بنفسه و لا آزر عليه و لا شايح فيه. فإن قال قائل هذا ينافى ماروى عنه من قوله ما أحببت قتله و لا كرهته وكيف يكون من حكم الله و حكمه أن يقتل و هو لا يحب قتله. قلنا يجوز أن يريد بقوله ما أحببت قتله و لا كرهته أن ذلك لم يكن منى على سبيل التفصيل و لا خطر لى ببال و إن كان على سبيل الجملة يحب قتل من غلب المسلمين [صفحة ٦٧] على أمورهم وطالبوه بأن يعتزل لأنه مستول عليهم بغير حق فامتنع من ذلك و يكون فائدة

هذا الكلام التبرؤ من مباشرة قتله والأمر به على سبيل التفصيل أو النهى عنه ويجوز أن يريد أنى ما أحببت قتله إن كانوا تعمدوا القتل و لم يقع على سبيل الممانعة و هو غير مقصود ويريد بقوله ماكرهته أنى لم أكرهه على كل حال و من كل وجه .فأما لعنه قتله فقد بينا أنه ليس بظاهر ظهور ما ذكرناه و إن صح فهو مشروط بوقوع القتل على الوجه المحظور من تعمد له وقصد إليه و غير ذلك على أن المتولى للقتل على ما صحت به الرواية كنانة بن بشير التجيبي وسودان بن حمران المرادى و مامنهما من كان غرضه صحيحا فى القتل و لا له أن يقدم عليه فهو ملعون به فأما محمد بن أبى بكر فما تولى قتله وإنما روى أنه لما جثا بين يديه قابضا على لحيته قال له يا ابن أخى دع لحيتى فإن أباك لو كان حيا لم يقعد منى هذا المقعد فقال محمد أن أبى لو كان حيا ثم يراك تفعل مات فعل لأنكره عليك ثم وجأه بجماعة قذاح كانت فى يده فحزت فى جلده و لم تقطع وبادره من ذكرناه فى قتله بما كان فيه قتله .فأما تأويله قول أمير المؤمنين ع قتله الله و أنامعه على أن المراد به الله أماته و سيميتنى فبعيد من الصواب لأن لفظه أنا لا تكون كناية عن المفعول وإنما تكون كناية عن الفاعل و لو أراد ما ذكره لكان يقول وإياى معه و ليس له أن يقول إننا نجعل قوله و أنامعه مبتدأ محذوف الخبر و يكون تقدير الكلام و أنامعه مقتول و ذلك لأن هذا ترك للظاهر وإحالة على ما ليس فيه والكلام إذا مكن حملة على معنى يستقل ظاهره به من غير تقدير وحذف كان أولى مما يتعلق بمحذوف على أنهم إذا جعلوه مبتدأ وقدروا خبرا لم يكونوا بأن يقدروا ما يوافق مذهبهم بأولى من تقدير خلافه و يجعل بدلا من لفظه المقتول المحذوف لفظه معين أو ظهير. [صفحة ٦٨] و إذا تكافأ القولان فى التقدير وتعارضوا سقطا ووجب الرجوع إلى ظاهر الخبر على أن عثمان مضى مقتولا فكيف يقال إن الله تعالى أماته والقتل كاف فى انتفاء الحياة و ليس يحتاج معه إلى ناف للحياة يسمى موتا. وقول صاحب المغنى يجوز أن يكون ماناله من الجراح لا يوجب انتفاء الحياة ليس بشىء لأن المروى أنه ضرب على رأسه بعمود عظيم من حديد و أن أحد قتله قال جلست على صدره فوجأته تسع طعنات علمت أنه مات فى ثلاث ووجأته الست الأخر لما كان فى نفسى عليه من الحق . و بعد فإذا كان جائزا فمن أين علمه أمير المؤمنين ع حتى يقول إن الله أماته و إن الحياة لم تنتف بما فعله القاتلون وإنما انتفت بشىء زاد على فعلهم من قبل الله تعالى مما لا يعلمه على سبيل التفصيل لإعلام الغيوب سبحانه . والجواب عن هذه المطاعن على وجهين إجمالا- وتفصيلا أما الوجه الإجمالى فهو أننا لاننكر أن عثمان أحدث أحداثا أنكرها كثير من المسلمين ولكننا ندعى مع ذلك أنها لم تبلغ درجة الفسق و لأحبطت ثوابه وأنها من الصغائر التى وقعت مكفرة و ذلك لأننا قد علمنا أنه مغفور له و أنه من أهل الجنة لثلاثة أوجه .أحدها أنه من أهل بدر و قد قال رسول الله ص إن الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم -رواية-١-٢-رواية-٢٨-٩٢ و لا يقال إن عثمان لم يشهد بدرا لأننا نقول صدقتم أنه لم يشهدا ولكنه تخلف على رقية ابنه رسول الله ص [صفحة ٦٩] بالمدينة لمرضها وضرب له رسول الله ص بسهمه وأجره باتفاق سائر الناس . وثانيها أنه من أهل بيعة الرضوان الذين قال الله تعالى فيهم لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ و لا يقال إنه لم يشهد البيعة تحت الشجرة لأننا نقول صدقتم أنه لم يشهدا ولكنه كان رسول الله ص أرسله إلى أهل مكة ولأجله كانت بيعة الرضوان حيث أرفجف بأن قريشا قتلت عثمان -قرآن-١٤٠-٢١٢ فقال رسول الله ص إن كانوا قتلوه لأضرمنا عليها نارا ثم جلس تحت الشجرة وبايع الناس على الموت ثم قال إن كان عثمان حيا فأنا أبايع عنه فصفح بشماله على يمينه و قال شمالى خير من يمين عثمان -رواية-١-٢-رواية-٢٤-٢٠٩ روى ذلك جميع أرباب أهل السيرة متفقا عليه . وثالثها أنه من جملة العشرة الذين تظاهرت الأخبار بأنهم من أهل الجنة. و إذا كانت الوجوه الثلاثة دالة على أنه مغفور له و أن الله تعالى قدرضى عنه و هو من أهل الجنة بطل أن يكون فاسقا لأن الفاسق يخرج عندنا من الإيمان ويحبط ثوابه ويحكم له بالنار و لا يغفر له و لا يرضى عنه و لا يرى الجنة و لا يدخلها فاقترضت هذه الوجوه الصحيحة الثابتة أن يحكم بأن كل ما وقع منه فهو من باب الصغائر المكفرة توفيقا بين هذه الوجوه و بين روايات الأحداث المذكورة. و أما الوجه التفصيلى فهو المذكور فى كتب أصحابنا

المطولة في الإمامة فليطلب من مظانه فإنهم قد استقصوا في الجواب عن هذه المطاعن استقصاء لا مزيد عليه [صفحة ٧٠]

بيعة جرير بن عبد الله البجلي لعلی

فأما خبر جرير بن عبد الله البجلي وبعث أمير المؤمنين ع إياه إلى معاوية فحنن نذكره نقلا من كتاب صفين لنصر بن مزاحم بن بشار المنقري ونذكر حال أمير المؤمنين ع منذ قدم الكوفة بعد وقعة الجمل ومراسلته معاوية وغيره ومراسله معاوية له ولغيره وما كان من ذلك في مبدأ حالتهما إلى أن سار على ع إلى صفين . قال نصر حدثني محمد بن عبيد الله عن الجرجاني قال لما قدم على ع الكوفة بعد انقضاء أمر الجمل كاتب العمال فكتب إلى جرير بن عبد الله البجلي مع زحر بن قيس الجعفي و كان جرير عاملا لعثمان على ثغر همدان أما بعد فإن الله لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَ ما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ وإني أخبرك عن نيا من سرنا إليه من جموع طلحة والزبير عند نكثهم بيعتي و ما صنعوا بعاملي عثمان بن حنيف إني نهضت من المدينة بالمهاجرين والأنصار حتى إذا كنت بالعذيب بعثت إلى أهل الكوفة الحسن بن علي و عبد الله بن عباس وعمار بن ياسر وقيس بن عباد فاستنفرتهم فأجابوا فسرت بهم حتى نزلت بظهر البصرة فأعدت في -رواية ١- ٢-رواية ٥٥-
إدامه دارد [صفحة ٧١] الدعاء وأقلت العثرة وناشدتهم عهد بيعتهم فأبوا لإقتالي فاستعنت الله عليهم فقتل من قتل وولوا مدبرين إلى مصرهم وسألوني ما كنت دعوتهم إليه قبل اللقاء فقبلت العافية ورفعت السيف واستعملت عليهم عبد الله بن العباس وسرت إلى الكوفة و قد بعثت إليك زحر بن قيس فأسأله عما بدا لك و السلام -رواية- از قبل -٣٠٤. قال فلما قرأ جرير الكتاب قام فقال أيها الناس هذا كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ع و هو المأمون على الدين والدنيا و قد كان من أمره وأمر عدوه ما نحمد الله عليه و قد بايعه الناس الأولون من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان و لوجعل هذا الأمر شوري بين المسلمين كان أحقهم بها ألا و إن البقاء في الجماعة والفناء في الفرقة و إن عليا حاملكم على الحق ما استقمتم فإن ملتكم أقم ميلكم فقال الناس سمعا وطاعة رضيينا رضيينا. فكتب جرير إلى علي ع جواب كتابه بالطاعة. قال نصر و كان مع علي رجل من طيئ ابن أخت لجرير فحمل زحر بن قيس شعرا له إلى خاله جرير و هو جرير بن عبد الله لا تردد الهدى || و بايع عليا إنني لك ناصح فإن عليا خير من وطئ الحصى || سوى أحمد والموت غاد ورائع ودع عنك قول الناكثين فإنما || أولاك أبا عمرو و كلاب نوابح و بايع إذا بايعته بنصيحة || و لا يك منها من ضميرك قاذح فإنك إن تطلب بها الدين تعطه || و إن تطلب الدنيا فإنك رابح [صفحة ٧٢] و إن قلت عثمان بن عفان حقه || علي عظيم والشكور مناصح فحق علي إذ وليك كحقه || وشكرك ما أوليت في الناس صالح و إن قلت لأرضى عليا إمامنا || فدع عنك بحرا ضل فيه السوابح أبي الله إلا أنه خير دهره || وأفضل من ضمت عليه الأباطح قال نصر ثم إن جريرا قام في أهل همدان خطيبا فقال الحمد لله الذي اختار لنفسه الحمد وتولاه دون خلقه لا شريك له في الحمد ولا نظير له في المجد ولا إله إلا الله وحده الدائم القائم إله السماء والأرض وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالنور الواضح والحق الناطق داعيا إلى الخير وقائدا إلى الهدى ثم قال أيها الناس إن عليا قد كتب إليكم كتابا لا يقال بعده إلا رجيع من القول ولكن لا بد من رد الكلام إن الناس بايعوا عليا بالمدينة عن غير محاباة له بيعتهم لعلمه بكتاب الله وسنن الحق و إن طلحة والزبير نقضا بيعته علي غير محاباة حدثت وألبا عليه الناس ثم لم يرضيا حتى نصبا له الحرب وأخرجوا أم المؤمنين فلقبيها فأعذر في الدعاء وأحسن في البقية وحمل الناس على ما يعرفون فهذا عيان ما غاب عنكم و إن سألتكم الزيادة زدناكم و لا قوة إلا بالله ثم قال أتانا كتاب علي فلم || ترد الكتاب بأرض العجم و لم نعص ما فيه لما أتى || و لمانذم و لمانلم ونحن ولاة علي ثغرنا || نضيم العزيز ونحمي الدمم نساقهم الموت عند اللقاء || بكأس المنايا ونشفي القرم [صفحة ٧٣] فصلي الإله على أحمد || رسول

المليڪ تمام النعم رسول المليڪ و من بعده || خليفتنا القائم المدعم عليا عنيت وصى النبي || نجالد عنه غواة الأمم له الفضل والسبق والمكرمات || وبيت النبوة لايهتضم قال نصر فسر الناس بخطبة جرير وشعره . و قال ابن الأزور القسرى فى جرير يمدحه بذلك لعمر أيبك والأنباء تنمى || لقد جلى بخطبته جرير و قال مقالته جدعت رجالا || من الحيين خطبهم كبير بدا بك قبل أمته على || ومخك إن رددت الحق رير أتاك بأمره زحر بن قيس || وزحر بالتي حدثت خبير فكنت لماً أتاك به سميعة || وكدت إليه من فرح تطير فأنت بما سعدت به ولى || و أنت لمتعد له نصير وأحرزت الثواب ورب حاد || حدا بالركب ليس له بغير

بيعة الأشعث لعلی

قال نصر وكتب على ع إلى الأشعث و كان عامل عثمان على آذربيجان [صفحة ٧٤] يدعوه إلى البيعة والطاعة وكتب جرير بن عبد الله البجلي إلى الأشعث يحضه على طاعة أمير المؤمنين ع وقبول كتابه أما بعد فإنى أتتى ببيعة على فقبلتها و لم أجد إلى دفعها سبيلا- لأنى نظرت فيما غاب عنى من أمر عثمان فلم أجد له يلزمنى و قدشهد المهاجرون والأنصار فكان أوفق أمرهم فيه الوقوف فأقبل بيعة فإنك لا تنقلب إلى خير منه واعلم أن بيعة على خير من مصارع أهل البصرة و السلام . قال نصر فقبل الأشعث البيعة وسمع وأطاع وأقبل جرير سائرا من ثغر همدان حتى ورد على ع الكوفة فبايعه ودخل فيما دخل فيه الناس من طاعته ولزوم أمره

دعوة على معاوية إلى البيعة والطاعة ورد معاوية عليه

قال نصر فلما أراد على ع أن يبعث إلى معاوية رسولا قال له جرير ابعتنى يا أمير المؤمنين إليه فإنه لم يزل لى مستخضا وودا آتية فأدعوه على أن يسلم لك هذا الأمر ويجمعك على الحق على أن يكون أميرا من أمرائك وعاملا من عمالك ما عمل بطاعة الله واتبع ما فى كتاب الله وأدعو أهل الشام إلى طاعتك وولايتك فجلهم قومي و أهل بلادى و قدرجوت ألا يعصونى . فقال له الأشر لا تبعته و لا تصدقه فو الله إنى لأظن هواه هواهم ونيته نيتهم . فقال له على ع دعه حتى نظر ما يرجع به إلينا فبعته على ع و قال له ع حين أراد أن يبعثه إن حولى من أصحاب رسول الله ص من أهل الرأى والدين من قدرأيت و قد اخترتك عليهم لقول رسول الله فيك -رواية- ١-ادامه دارد [صفحة ٧٥] إنك من خير ذى يمن ائت معاوية بكتابى فإن دخل فيما دخل فيه المسلمون و إلا فانبذ إليه و أعلمه إنى لأرضى به أميرا و أن العامة لا ترضى به خليفة -رواية- از قبل -١٥٣ . فانطلق جرير حتى أتى الشام ونزل بمعاوية فلما دخل عليه حمد الله وأثنى عليه و قال أما بعد يا معاوية فإنه قد اجتمع لابن عمك أهل الحرمين و أهل المصرين و أهل الحجاز و أهل اليمن و أهل مصر و أهل العروض والعروض عمان و أهل البحرين واليمامة فلم يبق إلا هذه الحصون التى أنت فيها لوسال عليها سيل من أوديته غرقها و قد أتيتك أدعوك إلى ما يرشدك ويهديك إلى مبايعة هذا الرجل ودفع إليه كتاب على ع و فيه أما بعد فإن بيعتى بالمدينة لزمتهك و أنت بالشام لأنه بايعنى القوم الذين بايعوا أبابكر وعمر وعثمان على ما بايعوا عليه فلم يكن للشاهد أن يختار و لالغائب أن يرد وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار إذا اجتمعوا على رجل فسموه إماما كان ذلك لله رضا فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو رغبة ردوه إلى ما خرج منه فإن أبى قاتلوه على اتباع سبيل المؤمنين وولاه الله ماتولى ويصليه جهنم وساءت مصيرا و إن طلحة والزبير بايعانى ثم نقضا بيعتى فكان نقضهما كردتهما فجاهدتهما على

ذلك حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون فادخل فيما دخل فيه المسلمون فإن أحب الأمور إلى فيك العافية إلا أن تتعرض للبلاء فإن تعرضت له قاتلتك واستعنت بالله عليك . وقد أكثرت في قتله عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم إلى أحملك -رواية- ١-٢-رواية- ١٠-١٠-ادامه دارد [صفحه ٧٦] وإياهم على كتاب الله فأما تلك التي تريدها فخذعة الصبي عن اللين ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ قريش من دم عثمان واعلم أنك من الطلقاء الذين لا يحل لهم الخلافة ولا تعرض فيهم الشورى وقد أرسلت إليك و إلى من قبلك جرير بن عبد الله البجلي و هو من أهل الإيمان والهجرة فبايع و لا قوة إلا بالله -رواية- از قبل- ٣٣١ . فلما قرأ الكتاب قام جرير فخطب فقال الحمد لله المحمود بالعوائد والمأمول منه الزوائد المرتجى منه الثواب المستعان على النوائب أحمده وأستعينه في الأمور التي تحير دونها الألباب وتضمحل عندها الأسباب وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كل شىء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بعد فترة من الرسل الماضية والقرون الخالية وأبدان البالية والجبلة الطاغية فبلغ الرسالة ونصح للأمة وأدى الحق الذى استودعه الله وأمره بأدائه إلى أمته ص من رسول ومبتعث ومنتجب . أيها الناس إن أمر عثمان قد أعيا من شاهده فكيف بمن غاب عنه و إن الناس بايعوا عليا غير واطر و لاموتور و كان طلحة والزبير ممن بايعاه ثم نكثا بيعته على غير حدث ألا و إن هذا الدين لا يحتمل الفتن ألا و إن العرب لا تحتمل الفتن و قد كانت بالبصرة أمس روعة ملحمة إن يشفع البلاء بمثلها فلابقاء للناس [صفحه ٧٧] و قد بايعت الأمة عليا و لوملكنا و الله الأمور لم نختر لها غيره و من خالف هذا استعيب فادخل يامعاوية فيما دخل فيه الناس . فإن قلت استعملني عثمان ثم لم يعزني فإن هذا قول لوجاز لم يقيم لله دين و كان لكل امرئ ما فى يديه ولكن الله جعل للآخر من الولاة حق الأول وجعل الأمور موطأة ينسخ بعضها بعضا ثم قعد . قال نصر فقال معاوية أنظر وتنظر وأستطلع رأى أهل الشام فمضت أيام وأمر معاوية مناديا ينادى الصلاة جامعة فلما اجتمع الناس صعد المنبر ثم قال الحمد لله الذى جعل الدعائم للإسلام أركانها والشرائع للإيمان برهانا يتوقد قبسه فى الأرض المقدسة جعلها الله محل الأنبياء والصالحين من عباده فأحلهم أرض الشام ورضيهم لها ورضيها لهم لما سبق فى مكنون علمه من طاعتهم ومناصحتهم خلفاءه والقوام بأمره والذابين عن دينه وحرماته ثم جعلهم لهذه الأمة نظاما و فى سبيل الخيرات أعلما يردع الله بهم الناكثين ويجمع بهم ألفة المؤمنين و الله نستعين على ماتشعب من أمر المسلمين بعد الائتام وتباعد بعد القرب اللهم انصرنا على أقوام يوقظون نائمنا ويخيفون آمننا ويريدون إراقه دماننا وإخافة سبلنا و قد علم الله أنا لا نريد لهم عقابا و لانتهكك لهم حجابا و لانوطئهم زلقا غير أن الله الحميد كسانا [صفحه ٧٨] من الكرامة ثوبا لن ننزعه طوعا ماجابوب الصدى وسقط الندى وعرف الهدى حملهم على ذلك البغى والحسد فنستعين الله عليهم أيها الناس قد علمتم أنى خليفه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وخليفه أمير المؤمنين عثمان بن عفان عليكم وأنى لم أقم رجلا منكم على خزاية قط وأنى ولى عثمان و قد قتل مظلوما و الله تعالى يقول وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطٰنًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا و أنا أحب أن تعلمونى ذات أنفسكم فى قتل عثمان . فقام أهل الشام بأجمعهم فأجابوا إلى الطلب بدم عثمان وبايعوه على ذلك وأوثقوا له على أن يبذلوا بين يديه أموالهم وأنفسهم حتى يدركوا بثأره أو تلتحق أرواحهم بالله . قال نصر فلما أمسى معاوية اغتم بما هو فيه وجنة الليل وعنده أهل بيته فقال -قرآن- ٣٢٢-٤٢٤ تطاول ليلى واعترتنى وساوسى || لآت أتى بالترهات البسابس أتانى جرير والحوادث جمه || بتلك التى فيها اجتداع المعاطس أكايده والسيف بينى وبينه || ولست لأثواب الدنيا بلايس إن الشام أعطت طاعة يمنية || توأصفها أشياخها فى المجالس فإن يفعلوا أصدم عليا بجبهه || تفت عليه كل رطب ويابس وإنى لأرجو خير مانال نائل || و ما أنا من ملك العراق بأيس و منه قول النبى ص ليس فى الجبهه صدقه -رواية- ١-٢-رواية- ٢٤-٢٥ أى زكاة. [صفحه ٧٩] قال نصر فاستحثه جرير بالبيعة فقال يا جرير إنها ليست بخلسة وإنه أمر له مابعده فأبلغنى ريقى حتى أنظر ودعا ثقاته فأشار عليه أخوه بعمر بن العاص و قال له إنه من قد عرفت و قد اعترل عثمان فى حياته و

هو لأمر ك أشد اعتزالا إلا أن يثمن له دينه . و قد ذكرنا فيما تقدم خبر استدعائه عمرا و ما شرط له من ولاية مصر واستقدامه شرحبيل بن السمط رئيس اليمينية وشيخها والمقدم عليها وتدسيس الرجال إليه يغرونه بعلى ع ويشهدون عنده أنه قتل عثمان حتى ملثوا صدره وقلبه حقدا وتره وإحنه على على ع وأصحابه بما لاحاجة إلى إعادته . قال نصر فحدثني محمد بن عبيد الله عن الجرجاني قال جاء شرحبيل إلى حصين بن نمير فقال ابعث إلى جرير فليأتنا فبعث حصين بن نمير إلى جرير أن زرنا فعندنا شرحبيل فاجتمعا عند حصين فتكلم شرحبيل [صفحہ ۸۰] فقال يا جرير أتيتنا بأمر ملفف لتلقينا في لهوات الأسد وأردت أن تخلط الشام بالعراق وأطريت عليا و هو قاتل عثمان و الله سائلك عما قلت يوم القيامة . فأقبل عليه جرير و قال يا شرحبيل أما قولك إنني جئت بأمر ملفف فكيف يكون ملففا و قد اجتمع عليه المهاجرون والأنصار وقوتل على رده طلحة والزبير . و أما قولك إنني ألقيت نفسي في لهوات الأسد ففى لهواتها ألقيت نفسي . و أما خلط أهل الشام بأهل العراق فخلطهما على حق خير من فرقتهما على باطل . و أما قولك إن عليا قتل عثمان فو الله ما فى يديك من ذلك إلا القذف بالغيب من مكان بعيد ولكنك ملت إلى الدنيا و شىء كان فى نفسك على زمن سعد بن أبى وقاص . فبلغ ما قالاه إلى معاوية فبعث إلى جرير فرجره قال نصر و كتب إلى شرحبيل كتاب لا يعرف كاتبه فيه . شرحبيل يا ابن السمط لا تتبع الهوى || فما لك فى الدنيا من الدين من بدل و لا تك كالمجرى إلى شر غاية || فقد خرق السربال واستنوق الجمل و قل لابن حرب ما لك اليوم خلة || تروم بها مارمت و اقطع له الأمل شرحبيل إن الحق قد جد جده || فكن فيه مأمون الأديم من النغل وأرود و لا تفرط بشىء نخافه || عليك و لا تعجل فلاخير فى العجل [صفحہ ۸۱] مقال ابن هند فى على عضيئه || والله فى صدر بن أبى طالب أجل و ما من على فى ابن عفان سقطه || بقول و لا مالا عليه و لا قتل و ما كان إلا لازما قعر بيته || إلى أن أتى عثمان فى داره الأجل فمن قال قولا غير هذا فحسبه || من الزور والبهتان بعض الذى احتمل وصى رسول الله من دون أهله || و من باسمه فى فضله يضرب المثل . قال نصر فلما قرأ شرحبيل الكتاب ذعر و فكر و قال هذه نصيحة لى فى دينى و لا و الله لا أعجل فى هذا الأمر بشىء و فى نفسى منه حاجة و كاد يحول عن نصر معاوية و يتوقف فلفق له معاوية الرجال يدخلون إليه و يخرجون ويعظمون عنده قتل عثمان و يرمون به عليا و يقيمون الشهادة الباطلة و الكتب المختلقة حتى أعادوا رأيه و شحذوا عزمه . [صفحہ ۸۲] قال نصر و حدثنا عمر بن سعد بإسناده قال بعث معاوية إلى شرحبيل بن السمط إنه قد كان من إجابتك إلى الحق و ما وقع فيه أجرك على الله و قبله عنك صلحاء الناس ما علمت و إن هذا الأمر الذى نحن فيه لا يتم إلا برضا العامة فسر فى مدائن الشام و ناد فيهم بأن عليا قتل عثمان و أنه يجب على المسلمين أن يطلبوا بدمه . فسار شرحبيل فبدأ بأهل حمص فقام فيهم خطيبا و كان مأمونا فى أهل الشام ناسكا متألها فقال أيها الناس إن عليا قتل عثمان فغضب له قوم من أصحاب رسول الله ص فلقبهم فهزم الجمع و قتل صلحاءهم و غلب على الأرض فلم يبق إلا الشام و هو واضع سيفه على عاتقه ثم خائض غمرات الموت حتى يأتكم أو يحدث الله أمرا و لا نجد أحدا أقوى على قتاله من معاوية فجدوا و انهضوا . فأجابته الناس كلهم إلا ناسكا من أهل حمص فإنهم قالوا له بيوتنا قبورنا و مساجدنا و أنت أعلم بما ترى . قال و جعل شرحبيل يستنهض مدائن الشام حتى استفرغها لا يأتى على قوم إلا قبلوا [صفحہ ۸۳] ما أتاهم به فبعث إليه النجاشى بن الحارث و كان له صديقا . شرحبيل مال للدين فارقت ديننا || ولكن لبغض المالكى جرير و شحناء دبت بين سعد و بينه || فأصبحت كالحادى بغير بعير و ما أنت إذ كانت بجيلة عاتبت || قريشا فيا لله بعد نصير أتفصل أمرا غبت عنه بشبهه || و قد حار فيه عقل كل بصير بقول رجال لم يكونوا أئمة || و لاللتى لقوكها بحضور و ما قول قوم غائبين تقاذفوا || من الغيب ما دلاهم بغرور و تترك أن الناس أعطوا عهدهم || عليا على أنس به و سرور إذا قيل هاتوا واحدا يقتدى به || نظيرا له لم يفصحوا بنظير لعلك أن تشقى الغداة بحربه || فليس الذى قد جئته بصغير . قال نصر و حدثنا عمر بن سعد عن نمير بن وعلة عن الشعبي أن شرحبيل بن السمط بن الأسود بن جبلة الكندى دخل على معاوية فقال له أنت عامل أمير المؤمنين و ابن عمه ونحن المؤمنون

فإن كنت رجلا تجاهد عليا وقتله عثمان حتى ندرك ثارنا أوتذهب أرواحنا استعملناك علينا و إلاعزلناك واستعملنا غيرك ممن نريد ثم جاهدنا معه حتى ندرك بدم عثمان أونهلك . فقال جرير بن عبد الله و كان حاضرا مهلا ياشرحيل فإن الله قدحقن الدماء و لم الشعث وجمع أمر الأمة ودنا من هذه الأمة سكون فإياك أن تفسد بين الناس [صفحہ ۸۴] وأمسك عن هذاالقول قبل أن يشيع ويظهر عنك قول لاتستطيع رده فقال لا و الله لأسره أبدا ثم قام فتكلم به فقال الناس صدق صدق القول ما قال والرأى مارأى فأيس جرير عند ذلك من معاوية و من عوام أهل الشام . قال نصر وحدثني محمد بن عبيد الله عن الجرجاني قال كان معاوية قدأتى جريرا قبل ذلك في منزله فقال له يا جرير إني قد رأيت رأيا قال هاته قال اكتب إلى صاحبك يجعل لى الشام ومصر جباية فإذا حضرته الوفاة لم يجعل لأحد بعده في عنقى بيعه وأسلم له هذاالأمر و اكتب إليه بالخلافة فقال جرير اكتب ماأردت أكتب معك . فكتب معاوية بذلك إلى على فكتب على ع إلى جرير أما بعدفإنما أراد معاوية ألا يكون لى فى عنقه بيعه و أن يختار من أمره ماأحب وأراد أن يريشك وبيطئك حتى يذوق أهل الشام و أن المغيرة بن شعبه قد كان أشار على أن أستعمل معاوية على الشام و أناحينئذ بالمدينة فأبيت ذلك عليه و لم يكن الله ليرانى أتخذ المضلين عضدا فإن بايعك الرجل و إلا فأقبل و السلام -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۵-۳۳۸ . قال نصر وفشا كتاب معاوية فى العرب فبعث إليه الوليد بن عقبه معاوى إن الشام شامك فاعتصم || بشامك لاتدخل عليك الأفاعيا وحام عليها بالصوارم والقنا || و لانك موهون الذراعين وانيا و إن عليا ناظر ماتجيبه || فأهد له حربا تشيب النواصيا [صفحہ ۸۵] و لإفسلم إن فى السلم راحة || لمن لا يريد الحرب فاختر معاويا و إن كتابا يا ابن حرب كتبتة || على طمع يزجى إليك الدواهيا سألت عليا فيه مالن تناله || و لولنته لم يبق إلا لياليا و سوف ترى منه التى ليس بعدها || بقاء فلا-تكثر عليك الأمانيا أمثل على تعتربه بخدعة || و قد كان ماجربت من قبل كافيا . قال وكتب الوليد بن عقبه إلى معاوية أيضا يوقظه ويشير عليه بالحرب وألا يكتب جواب جرير معاوى إن الملك قدجب غاربه || و أنت بما فى كفك اليوم صاحبه أتاك كتاب من على بخطه || هى الفصل فاختر سلمه أوتحاربه فلا تخرج عندالواترين مودة || و لاتأمن اليوم الذى أنت راهبه و حاربه إن حاربت حرب ابن حرة || و لإفسلم لاتدب عقاربه فإن عليا غير ساحب ذيله || على خدعة ماسوغ الماء شاربه و لا قابل ما لا يريد و هذه || يقوم بها يوما عليه نوادبه فلاتدعن الملك والأمر مقبل || و تطلب ما أعيت عليك مذاهبه فإن كنت تنوى أن تجيب كتابه || فقبح ممليه وقبح كاتبه و إن كنت تنوى أن ترد كتابه || و أنت بأمر لامحالة راکبه فألق إلى الحى اليمانيين كلمة || تنال بهاالأمر الذى أنت طالبه تقول أمير المؤمنين أصابه || عدو ومالأهم عليه أكاربه أفانين منهم قائل ومحرض || بلا ترة كانت و آخر سالبه [صفحہ ۸۶] و كنت أميرا قبل بالشام فيكم || فحسبى وإياكم من الحق واجبه فجيثوا و من أرسى ثبيرا مكانه || ندافع بحرا لا-ترد غواربه فأقلل وأكثر مالها اليوم صاحب || سواك فصرح لست ممن تواربه . قال نصر وخرج جرير يوما يتجسس الأخبار فإذا هو بغلام يتغنى على قعود له هو يقول حكيم وعمار الشجا و محمد || وأشتر والمكشوح جروا الدواهيا و قد كان فيها للزبير عجاجه || وصاحبه الأذنى أثاروا الدواهيا فأما على فاستجار بيته || فلا أمر فيها و لم يك ناهيا فقل فى جميع الناس ماشئت بعده || فلو قلت أخطأ الناس لم تك خاطيا و إن قلت عم القوم فيه بفتنة || فحسبك من ذاك الذى كان كافيا فقولوا لأصحاب النبى محمد || وخصا الرجال الأقربين الأذنايا أيقتل عثمان بن عفان بينكم || على غير شىء ليس إلا تعاميا فلانوم حتى نستبيح حريمكم || ونخضب من أهل الشنان العواليا . فقال جرير يا ابن أخى من أنت فقال غلام من قريش وأصلى من ثقيف أنا ابن المغيرة بن الأخنس بن شريق قتل أبى مع عثمان يوم الدار فعجب جرير [صفحہ ۸۷] من شعره وقوله وكتب بذلك إلى على ع فقال على و الله ما أخطأ الغلام شيئا . قال نصر و فى حديث صالح بن صدقة قال أبطأ جرير عندمعاوية حتى اتهمه الناس و قال على ع قدوقت لجرير وقتا لا يقيم بعده إلا مخدوعا أو عاصيا وأبطأ على على حتى أيس منه . قال و فى حديث محمد و صالح بن صدقة قالا فكتب على ع إلى جرير بعد ذلك إذا أتاك كتابى هذا فاحمل

معاوية على الفصل ثم خيره وخذه بالجواب بين حرب مخزيه أو سلم محظية فإن اختار الحرب فانبذ إليه و إن اختار السلم فخذه ببيعته و السلام -روايت- ١-٢-روايت- ٧٦-٢٤٤ . قال فلما انتهى الكتاب إلى جرير أتى معاوية فأقرأه الكتاب و قال له يا معاوية إنه لا يطبع على قلب إلا بذنوب و لا يشرح صدر إلا بتوبة و لا أظن قلبك إلا مطبوعا عليه أراك قد وقفت بين الحق و الباطل كأنك تنتظر شيئا في يد غيرك . فقال معاوية ألقاك بالفصل في أول مجلس إن شاء الله . فلما بايع معاوية أهل الشام بعد أن ذاقهم قال يا جرير الحق بصاحبك و كتب إليه بالحرب و كتب في أسفل الكتاب شعر كعب بن جعيل أرى الشام تكره أهل العراق || و أهل العراق لهم كارهونا [صفحة ٨٨] و قد ذكرنا هذا الشعر فيما تقدم . و قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد في كتاب الكامل إن عليا لما أراد أن يبعث جريرا إلى معاوية قال و الله يا أمير المؤمنين ما أدخرك من نصرتي شيئا و ما أطمع لك في معاوية فقال علي ع إنما قصدى حجة أقيمها عليه فلما أتى جرير معاوية دافعه بالبيعة فقال له جرير إن المنافق لا يصلح حتى لا يجد من الصلاة بدا فقال معاوية إنها ليست بخدعة الصبي عن اللبن فأبلغني ريقى إنه أمر له ما بعده . قال و كتب مع جرير إلى علي ع جوابا عن كتابه إليه من معاوية بن صخر إلى علي بن أبي طالب أما بعد فلعمري لو بايعك القوم الذين بايعوك و أنت برىء من دم عثمان كنت كأبي بكر و عمر و عثمان ولكنك أغريت بعثمان المهاجرين و خذلت عنه الأنصار فأطاعك الجاهل و قوى بك الضعيف و قد أبى أهل الشام لإقتالك حتى تدفع إليهم قتله عثمان فإن فعلت كانت شورى بين المسلمين و لعمري ليس حججك على كحججك على طلحة و الزبير لأنهما بايعاك و لم أباعك و ما حججتك على أهل الشام كحججتك على أهل البصرة لأن أهل البصرة أطاعوك و لم يطعك أهل الشام فأما شرفك في الإسلام و قرابتك من النبي ص و موضعك من قريش فلست أدفعه . [صفحة ٨٩] ثم كتب في آخر الكتاب شعر كعب بن جعيل الذي أوله أرى الشام تكره أهل العراق || و أهل العراق لهم كارهونا قال أبو العباس المبرد رحمه الله تعالى فكتب إليه علي ع جوابا عن كتابه هذا من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى معاوية بن صخر بن حرب أما بعد فإنه أتاني منك كتاب امرئ ليس له بصر يهديه و لا قائد يرشده دعاه الهوى فأجابه و قاده الضلال فاتبعه زعمت أنك إنما أفسد عليك بيعتي خطيئتي في عثمان و لعمري ما كنت إلا رجلا من المهاجرين أوردت كما أوردوا و أصدرت كما أصدروا و ما كان الله ليجمعهم على الضلال و لا ليضربهم بالعمى و بعد فما أنت و عثمان إنما أنت رجل من بنى أمية و بنو عثمان أولى بمطالبة دمه فإن زعمت أنك أقوى على ذلك فادخل فيما دخل فيه المسلمون ثم حاكم القوم إلى و أما تمييزك بينك و بين طلحة و الزبير و بين أهل الشام و أهل البصرة فلعمري ما الأمر فيما هناك إلا سواء لأنها بيعة شاملة لا يستثنى فيها الخيار و لا يستأنف فيها النظر و أما شرفي في الإسلام و قرابتي من رسول الله ص و موضعي من قريش فلعمري لو استطعت دفعه لدفعته - روايت- ١-٢-روايت- ٨٣-٨٧١ . قال ثم دعا النجاشي أحد بنى الحارث بن كعب فقال له إن ابن جعيل شاعر أهل الشام و أنت شاعر أهل العراق فأجب الرجل فقال يا أمير المؤمنين أسمعني قوله قال إذن أسمعك شعر شاعر ثم أسمعك فقال النجاشي يجيبه [صفحة ٩٠] دعا يا معاوية ما لن يكونا || فقد حقق الله ما تحذروننا أتاكم على بأهل العراق || و أهل الحجاز فما تصنعونا على كل جرداء خيفانته || وأشعث نهد يسر العيون عليها فوارس مخشية || كأسد العرين حمين العرينا يرون الطعان خلال العجاج || و ضرب الفوارس في النقع دينا هم هزموا الجمع جمع الزبير || و طلحة و المعشر الناكثين و آلوا يمينا على حلفه || لنهذى إلى الشام حربا زبونا تشيب النواهد قبل المشيب || و تلقى الحوامل منها الجنينا فإن تكرهوا الملك ملك العراق || فقد رضى القوم ما تكرهونا فقل للمضلل من وائل || و من جعل الغث يوما سميئا جعلتم عليا و أشياعه || نظير ابن هند أ ما تستحونا إلى أفضل الناس بعد الرسول || و صنو الرسول من العالمينا و صهر الرسول و من مثله || إذا كان يوم يشيب القرونا . قلت أبيات كعب بن جعيل خير من هذه الأبيات و أخبث مقصدا و أدهى و أحسن . و زاد نصر بن مزاحم في هذه الرسالة بعد قوله و لا ليضربهم بالعمى و ما ألبت فتلزمنى خطيئة الأمر و لا تقتلت فيجب على القصاص و أما قولك إن [صفحة ٩١] أهل الشام هم الحكام على أهل

الحجاز فهات رجلا- من أهل الشام يقبل في الشورى أو تحل له الخلافة فإن زعمت ذلك كذبتك المهاجرون والأنصار و إلا أتيتك به من قريش الحجاز و أما ولوعك بي في أمر عثمان فما قلت ذلك عن حق العيان و لا يقين الخبر. و هذه الزيادة التي ذكرها نصر بن مزاحم تقتضى أنه كان في كتاب معاوية إليه ع أن أهل الشام هم الحكام على أهل الحجاز و ما وجدنا هذا الكلام في كتابه

أخبار متفرقة

وروى نصر بن مزاحم قال لما قتل عثمان ضربت الركبان إلى الشام بقتله فيينا معاوية يوما إذا قبل رجل متلفف فكشف عن وجهه و قال لمعاوية يا أمير المؤمنين أتعرفنى قال نعم أنت الحجاج بن خزيمة بن الصمة فأين تريد قال إليك القربان نعى ابن عفان ثم قال إن بنى عمك عبدالمطلب || هم قتلوا شيخكم غير كذب و أنت أولى الناس بالوثب فثب || واغضب معاوية للاله واحتسب و سر بنا سير الجرير المتلب || وانهض بأهل الشام ترشد و تصب ثم اهزز الصعدة للشأس الشغب . قال يعنى عليا ع قلت المتلب المستقيم المطرد يقال هذا قياس متلب أى مستمر مطرد [صفحة ٩٢] ويقال مكان شأس أى غليظ صلب والشغب الهائج للشر و من رواه للشاسى بالياء فأصله الشاسى بالصاد و هو المرتفع يقال شصا السحاب إذا ارتفع فأبدل الصاد سينا و مراده هنا نسبة على ع إلى التيه و الترفع عن الناس . قال نصر فقال له معاوية أفيك مهز فقال نعم فقال أخبر الناس فقال الحجاج يا أمير المؤمنين و لم يخاطب معاوية بأمر المؤمنين قبلها إني كنت فيمن خرج مع يزيد بن أسد القسرى مغيا لعثمان فقدمت أنا و زفر بن الحارث فلقينا رجلا- زعم أنه ممن قتل عثمان فقتلناه و إني أخبرك يا أمير المؤمنين إنك لتقوى على بدون ما يقوى به عليك لأن معك قوما لا يقولون إذا قلت و لا يسألون إذا أمرت و إن مع على قوما يقولون إذا قال و يسألون إذا أمر فليل ممن معك خير من كثير ممن معه و اعلم أنه لا يرضى على إلا بالرضا و إن رضاه سخطك و لست و على سواء على لا يرضى بالعراق دون الشام و أنت ترضى بالشام دون العراق . قال نصر فضاقت معاوية صدرا بما أتاه و ندم على خذلان عثمان و قال أتاني أمر فيه للنفس غمة || و فيه بكاء للعيون طويل و فيه فناء شامل و خزاية || و فيه اجتداع للأنوف أصيل مصاب أمير المؤمنين و هده || تكاد لها صم الجبال تزول فله عينا من رأى مثل هالك || أصيب بلا ذنب و ذاك جليل تداعت عليه بالمدينة عصبه || فريقان منهم قاتل و خذول دعاهم فصموا عنه عند دعائه || و ذاك على ما فى النفوس دليل ندمت على ما كان من تبعى الهوى || وقصرى فيه حسرة و عويل [صفحة ٩٣] سأبغى أبا عمرو بكل مثقف || وبيض لها فى الدار عين صليل تركتك للقوم الذين هم هم || شجاك فما ذا بعد ذاك أقول فلست مقيما ما حييت ببلدة || أجر بها ذيلى و أنت قتيل فلانوم حتى تشجر الخيل بالقنا || ويشفى من القوم الغواة غليل و نطحهم طحن الرحي بفعالها || و ذاك بما أسدوا إليك قليل فأما التى فيها مودة بيننا || فليس إليها ما حييت سبيل سألقحها حربا عوانا ملحة || و إني بها من عامنا لكفيل قال نصر و افتخر الحجاج على أهل الشام بما كان من تسليمه على معاوية بأمره المؤمنين . قال نصر و حدثنا صالح بن صدقة عن ابن إسحاق عن خالد الخزاعى وغيره ممن لا يتهم أن عثمان لما قتل و أتى معاوية بكتاب على ع بعزله عن الشام صعد المنبر و نادى فى الناس أن يحضروا فحضروا فخطبهم فحمد الله و أثنى عليه و صلى على رسوله ثم قال يا أهل الشام قد علمتم أنى خليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب و خليفة عثمان و قد قتل أنا ابن عمه و وليه و الله تعالى يقول و مَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا و أنا أحب أن تعلمونى ما فى نفوسكم من قتل خليفةكم . - قرآن - ٤٦٥-٥٢١ [صفحة ٩٤] فقام مرة بن كعب و فى المسجد يومئذ أربع مائة رجل من أصحاب النبى ص أو نحوها فقال و الله لقد قمت مقامى هذا و إني لأعلم أن فيكم من هو أقدم صحبة لرسول الله ص منى ولكنى شهدت رسول الله

ص نصف النهار في يوم شديد الحر و هو يقول لتكونن فتنة حاضرة فمر رجل مقنع فقال رسول الله و هذا المقنع يومئذ على الهدى فقلت فأخذت بمنكبه وحسرت عن رأسه فإذا عثمان فأقبلت بوجهه على رسول الله ص و قلت هذا يا رسول الله فقال نعم فأصفق أهل الشام مع معاوية حينئذ و بايعوه على الطلب بدم عثمان أميراً لا يطمع في الخلافة ثم الأمر شورى . و روى ابراهيم بن الحسن بن ديزيل في كتاب صفين عن أبي بكر بن عبد الله الهذلي أن الوليد بن عقبه كتب إلى معاوية يستبطنه في الطلب بدم عثمان و يحرضه و ينهاه عن قطع الوقت بالمكاتبة ألا أبلغ معاوية بن حرب || فإنك من أخى ثقة مليم قطعت الدهر كالسدم المعنى || تهدر في دمشق و لا-تريم [صفحة ٩٥] فإنك و الكتاب إلى على || كدابغة و قدحلم الأديم لك الولايات أقحمها عليهم || فخير الطالبى الترة الغشوم . قال فكتب معاوية إليه الجواب بيتا من شعر أوس بن حجر و مستعجب مما يرى من أناتنا || و لوزبنته الحرب لم يترمم . و روى ابن ديزيل قال لما عزم على ع على المسير إلى الشام دعا رجلا فأمره أن يتجهز و يسير إلى دمشق فإذا دخل أناخ راحلته بباب المسجد و لا يلقي من ثياب سفره شيئا فإن الناس إذا رأوه عليه آثار الغربة سألوه فليقل لهم تركت عليا قد نهت إليكم بأهل العراق فانظر ما يكون من أمرهم ففعل الرجل ذلك فاجتمع الناس و سألوه فقال لهم فكثروا عليه يسألونه فأرسل [صفحة ٩٦] إليه معاوية بالأعور السلمى يسأله فأتاه فسأله فقال له فأتى معاوية فأخبره فنأدى الصلاة جامعة ثم قام فخطب الناس و قال لهم إن عليا قد نهت إليكم في أهل العراق فما ترون فضرب الناس بأذقانهم على صدورهم لا يتكلمون فقام ذو الكلاع الحميرى فقال عليك ام رأى و علينا ام فعال و هى لغة حمير. فنزل و نادى فى الناس بالخروج إلى معسكرهم و عاد إلى على ع فأخبره فنأدى الصلاة جامعة ثم قام فخطب الناس فأخبرهم أنه قدم عليه رسول كان بعثه إلى الشام و أخبره أن معاوية قد نهت إلى العراق فى أهل الشام فما رأى. قال فاضطرب أهل المسجد هذا يقول رأى كذا و هذا يقول رأى كذا و كثر اللغظ و اللجب فلم يفهم على ع من كلامهم شيئا و لم يدر المصيب من المخطئ فنزل عن المنبر و هو يقول إنا لله و إنا إليه راجعون ذهب بها ابن آكلة الأكباد يعنى معاوية. و روى ابن ديزيل عن عقبه بن مكرم عن يونس بن بكير عن الأعمش قال كان أبو مريم صديقا لعلى ع فسمع بما كان فيه على ع من اختلاف أصحابه عليه فجاءه فلم يرع عليا ع إلا و هو قائم على رأسه بالعراق فقال له أبا مريم ماجاء بك نحوى قال ماجاء بى غيرك عهدى بك لووليت أمر الأمة كفتيهم ثم سمعت بما أنت فيه من الاختلاف فقال يا أبا مريم إنى منيت بشرار خلق الله أريدهم على الأمر الذى هو الرأى فلا يتبعوننى. [صفحة ٩٧] و روى ابن ديزيل عن عبد الله بن عمر عن زيد بن الحباب عن علاء بن جرير العنبرى عن الحكم بن عمير الشمالى و كانت أمه بنت أبى سفيان بن حرب قال قال رسول الله ص لأصحابه ذات يوم كيف بك يا أبا بكر إذا ولت قال لا يكون ذلك أبدا قال فكيف بك يا عمر إذا ولت فقال آكل حجرا لقد لقيت إذن شرا قال فكيف بك يا عثمان إذا ولت قال آكل و أظم و أقسم و لا أظم قال فكيف بك يا على إذا ولت قال آكل الفوت و أحمى الجمره و أقسم التمره و أخفى الصور قال أى العورة فقال ص أما إنكم كلكم سيلى و سيرى الله أعمالكم ثم قال يا معاوية كيف بك إذا ولت قال الله و رسوله أعلم فقال أنت رأس الحطم و مفتاح الظلم حصبا و حقا تتخذ الحسن قبيحا و السيئة حسنة يربو فيها الصغير و يهرم فيها الكبير أجلك يسير و ظلمك عظيم -رواية- ١-٢-رواية- ١٥٢-٧٢٠ . و روى ابن ديزيل أيضا عن عمر بن عون عن هشيم عن أبى فلج عن عمرو بن ميمون قال قال عبد الله بن مسعود كيف أنتم إذا لقيتكم فتنة يهرم فيها الكبير و يربو فيها الصغير تجرى بين الناس و يتخذونها سنة فإذا غيرت قيل هذا منكر. و روى ابن ديزيل قال حدثنا الحسن بن الربيع البجلي عن أبى إسحاق الفزارى عن حميد الطويل عن أنس بن مالك فى قوله تعالى فإما نذهب بك فإنا منهم منتقمون أو نرينك آلذى وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون قال أكرم الله تعالى نبيه ع أن يريه فى أمته ما يكره رفعه إليه و بقيت النعمة. - قرآن- ٣٥٣-٤٦٥ [صفحة ٩٨] قال ابن ديزيل و حدثنا عبد الله بن عمر قال حدثنا عمرو بن محمد قال أخبرنا أسباط عن السدى عن أبى المنهال عن أبى هريرة قال قال رسول الله ص سألت ربي لأمتى ثلاث خلال فأعطاني اثنتين و منعنى واحدة سألته ألا

تكفر أمتي صفقه واحده فأعطانيها وسألته ألا يعذبهم بما عذب به الأمم قبلهم فأعطانيها وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها -
روایت-۱-۲-روایت-۱۵۱-۳۵۲. قال ابن ديزيل وحدثنا يحيى بن عبد الله الكرابيسي قال حدثنا أبو كريب قال حدثنا أبو معاوية
عن عمار بن زريق عن عمار الدهني عن سالم بن أبي الجعد قال جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود فقال إن الله تعالى قد آمننا أن
يظلمنا و لم يؤمننا أن يفتننا رأيت إذا أنزلت فتنة كيف أصنع فقال عليك كتاب الله تعالى قال أفرأيت إن جاء قوم كلهم يدعو
إلى كتاب الله تعالى فقال ابن مسعود سمعت رسول الله ص يقول إذا اختلف الناس كان ابن سميء مع الحق -روایت-۱-۲-
روایت-۴۶-۸۷ وروى ابن ديزيل قال حدثنا يحيى بن زكريا قال حدثنا علي بن القاسم عن سعيد بن طارق عن عثمان بن القاسم
عن زيد بن أرقم قال قال رسول الله ص ألا أدلكم على ما إن تساءلتم عليه لم تهلكوا إن وليكم الله و إن إمامكم علي بن أبي
طالب فناصره و صدقوه فإن جبريل أخبرني بذلك -روایت-۱-۲-روایت-۱۵۱-۲۸۹. فإن قلت هذان صريح في الإمامة فما
الذي تصنع المعتزلة بذلك . قلت يجوز أن يريد أنه إمامهم في الفتاوى والأحكام الشرعية لا في الخلافة. وأيضا فإننا قد شرحنا
من قول شيوخنا البغداديين ما محصله إن الإمامة كانت لعلي [صفحة ۹۹] ع إن رغب فيها ونازع عليها و إن أقرها في غيره
وسكت عنها تولينا ذلك الغير وقلنا بصحة خلافته و أمير المؤمنين ع لم ينازع الأئمة الثلاثة و لا جرد السيف و لا استنجد بالناس
عليهم فدل ذلك على إقراره لهم على ما كانوا فيه فلذلك توليناهم وقلنا فيهم بالطهارة والخير والصالح و لو حاربهم و جرد
السيف عليهم واستصرخ العرب على حربهم لقلنا فيهم ما قلناه فيمن عامله هذه المعاملة من التفسيق والتضليل . قال ابن ديزيل و
حدثنا عمرو بن الربيع قال حدثنا السري بن شيبان عن عبد الكريم أن عمر بن الخطاب قال لماطن يا أصحاب محمد تناصحو
فإنكم إن لم تفعلوا غلبكم عليها عمرو بن العاص و معاوية بن أبي سفيان . قلت إن محمد بن النعمان المعروف بالمفيد أحد
الإمامية قال في بعض كتبه إنما أراد عمر بهذا القول إغراء معاوية و عمرو بن العاص بطلب الخلافة و إطماعهما فيها لأن معاوية
كان عامله و أميره علي الشام و عمرو بن العاص عامله و أميره علي مصر و خاف أن يضعف عثمان عنها و أن تصير إلى علي ع
فألقى هذه الكلمة إلى الناس لتتقل إليهما و هما بمصر و الشام فيتغلبا علي هذين الإقليمين إن أفضت إلى علي ع . و هذا عندي من
باب الاستنباطات التي يوجبها الشنآن و الحق و عمر كان أتقى لله من أن يخطر له هذا ولكنه من فراسته الصادقة التي كان يعلم
بها كثيرا من الأمور المستقبلية كما قال عبد الله بن عباس في وصفه و الله ما كان أوس بن حجر عنى أحدا سواه بقوله الألعى
الذي يظن بك الظن || كان قد رأى و قد سمعا [صفحة ۱۰۰] و روى ابن ديزيل عن عفان بن مسلم عن وهب بن خالد عن
أيوب عن أبي قلابه عن أبي الأشعث عن مرة بن كعب قال ذكر رسول الله ص فتنة فقربها فمر رجل قد تقنع بثوبه فقال ع هذا
و أصحابه يومئذ على الحق فقامت إليه فأخذت بمنكبه فقلت هو هذا فقال نعم فإذا هو عثمان بن عفان -روایت-۱-۲-روایت-
۱۱۳-۲۷۷. قلت هذا الحديث قدرناه كثير من محققى أصحاب الحديث و رواه محمد بن إسماعيل البخارى في تاريخه الكبير
بعده روايات و ليس لقائل أن يقول فهذا الحديث إذا صححتموه كان حجة للسفانية لأننا نقول الخبر يتضمن أن عثمان و أصحابه
على الحق و هذا مذهبنا لأننا نذهب إلى أن عثمان قتل مظلوما و أنه و ناصريه يوم الدار على الحق و أن القوم الذين قتلوه لم
يكونوا على الحق فأما معاوية و أهل الشام الذين حاربوا عليا ع بصفين فليسوا بداخلين في الخبر و لا في ألفاظ الخبر لفظ عموم
يتعلق به ألا ترى أنه ليس فيه كل من أظهر الانتصار لعثمان في حياته و بعد وفاته فهو على الحق و إنما خلاصته أنه ستقوم فتنة
يكون عثمان فيها و أصحابه على الحق و نحن لأنابى ذلك بل هو مذهبنا. و روى نصر بن مزاحم في كتاب صفين قال لما قدم عبيد
الله بن عمر بن الخطاب على معاوية بالشام أرسل معاوية إلى عمرو بن العاص إن الله قد أحيا لك عمر بن الخطاب بالشام بقدم
عبيد الله بن عمر و قدرأيت أن أقيم خطيبا يشهد على علي بقتل عثمان و ينال منه فقال رأى ما رأيت فبعث إليه فأتاه فقال له
معاوية يا ابن أخى إن لك [صفحة ۱۰۱] اسم أبيك فانظر بملء عينيك و أنطق بملء فيك فأنت المأمون المصدق فاصعد

المنبر واشتم عليا واشهد عليه أنه قتل عثمان . فقال أيها الأمير أماشتمه فإن أباه أبو طالب وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم فما عسى أن أقول في حسبه و أمابأسه فهو الشجاع المطرق و أماأيامه فما قد عرفت ولكني ملزمه دم عثمان فقال عمرو بن العاص قد وأبيك إذن نكأت القرحة. فلما خرج عبيد الله بن عمر قال معاوية أما والله لو لاقتله الهرمزان ومخافته عليا على نفسه ماأتانا أبداً لا تترى إلى تقيظه عليا فقال عمرو يامعاوية إن لم تغلب فاخلب قال وخرج حديثهما إلى عبيد الله فلما قام خطيباً تكلم بحاجته فلما انتهى إلى أمر علي أمسك و لم يقل شيئاً فلما نزل بعث إليه معاوية يا ابن أخي إنك بين عى وخيانته فبعث إليه إنى كرهت أن أقطع الشهادة على رجل لم يقتل عثمان وعرفت أن الناس محتملوها عنى فتركتها. قال فهجره معاوية واستخف به وفسقه فقال عبيد الله معاوية لم أحرص بخطبة خاطب || و لم أك عيا فى لؤى بن غالب ولكنى زاوت نفساً أئيبه || على قذف شيخ بالعراقين غائب وقذفى عليا بابن عفان جهرة || كذاب و ما طبى سجايا المكاذب ولكنه قد قرب القوم جهده || ودبوا حوالبه ديب العقارب فما قال أحسستم و لا قدأسأتم || وأطرق إطراق الشجاع الموابث [صفحة ١٠٢] فأما ابن عفان فأشهد أنه || أصيب بريثاً لابسا ثوب تائب و قد كان فيها للزبير عجاجة || وطلحة فيها جاهد غير لاعب و قد أظهرها من بعد ذلك توبة || فيا ليت شعرى ما هما فى العواقب . قال فلما بلغ معاوية شعره بعث إليه فأرضاه و قال حسبى هذا منك . وروى نصر عن عبيد الله بن موسى قال سمعت سفيان بن سعيد المعروف بسفيان الثورى يقول ما أشك أن طلحة والزبير بايعا عليا و ما نقما عليه جوراً فى حكم و لا استشارا بفىء و ما قاتل عليا أحد إلا و على أولى بالحق منه . وروى نصر بن مزاحم أن علياً قدم من البصرة فى غرة شهر رجب من سنة ست و ثلاثين إلى الكوفة وأقام به أسبعة عشر شهراً تجرى الكتب بينه و بين معاوية وعمرو بن العاص حتى سار إلى الشام . قال نصر و قدروى من طريق أبى الكنود وغيره أنه قدم الكوفة بعد وقعة الجمل لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر رجب سنة ست و ثلاثين . قال نصر فدخل الكوفة ومعه أشرف الناس من أهل البصرة وغيرهم فاستقبله أهل الكوفة وفيهم قراؤهم وأشرفهم فدعوا له بالبركة وقالوا يا أمير المؤمنين أين تنزل أتزل القصر قال لا ولكنى أنزل الرحبة فنزلها وأقبل حتى دخل المسجد الأعظم فصلى فيه ركعتين ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال -رواية ١- ٢-رواية ١١-ادامه دارد [صفحة ١٠٣] أما بعد يا أهل الكوفة فإن لكم فى الإسلام فضلاً ما لم تبدلوا وتغيروا دعوتكم إلى الحق فأجبتكم وبدأتم بالمنكر فغيرتم ألا إن فضلكم فيما بينكم و بين الله فأما فى الأحكام والقسم فأنتم أسوء غيركم ممن أجابكم ودخل فيما دخلتم فيه ألا إن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل أما اتباع الهوى فيصد عن الحق و أما طول الأمل فينسى الآخرة ألا إن الدنيا قد ترحلت مدبرة و إن الآخرة قد ترحلت مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة اليوم عمل و لا حساب و غدا حساب و لا عمل الحمد لله الذى نصر وليه و خذل عدوه وأعز الصادق المحق وأذل الناكث المبطل عليكم بتقوى الله وطاعة من أطاع الله من أهل بيت نبيكم الذين هم أولى بطاعتكم فيما أطاعوا الله فيه من المستحلين المدعين المقابلين إلينا يتفضلون بفضلنا ويجاحدوننا أمرنا و ينازعوننا حقنا و يباعدوننا عنه فقد ذاقوا وبال ما اجترحوا فسوف يلقون غيا ألا إنه قد قعد عن نصرتى رجال منكم و أنا عليهم عاتب زار فاهجروهم وأسمعوهم ما يكرهون حتى يعتبوا ليعرف بذلك حزب الله عند الفرقة فقام إليه مالك بن حبيب اليربوعى و كان صاحب شرطته فقال و الله إنى لأرى الهجر و سماع المكروه لهم قليلاً و الله لو أمرتنا لنقتلهم فقال على ع سبحان الله يا مال جزت المدى وعدوت الحد فأغرقت فى النزع فقال يا أمير المؤمنين لبعض الغشم أبلغ فى أمر ينبوك من مهاندته الأعدى فقال على ع ليس هكذا قضى الله يا مال قال سبحانه النفس بالنفس فما بال ذكر الغشم -رواية ١- از قبل ١-رواية ٢-ادامه دارد [صفحة ١٠٤] و قال تعالى و مَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَاناً فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ وَالْإِسْرَافِ فِي الْقَتْلِ أَنْ تَقْتُلَ غَيْرَ قَاتِلِكَ فَقَدْ نَهَى اللَّهُ عَنْهُ وَ ذَاكَ هُوَ الْغَشْمُ فَقَامَ إِلَيْهِ أَبُو بَرْدَةَ بْنُ عَوْفِ الْأَزْدِيِّ وَ كَانَ مِمَّنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَرَأَيْتَ الْقَتْلَى حَوْلَ عَائِشَةَ وَ طَلْحَةَ وَ الزَّبِيرَ عِلَامَ قَتْلَوْا أَوْ قَالَ بِمَ قَتَلُوا فَقَالَ عَلَى ع قَتَلُوا بِمَا قَتَلُوا شِيعَتِي وَعَمَالِي وَقَتَلُوا أَخَا رَبِيعَةَ الْعَبْدِي فِي عَصَابَةِ

من المسلمين قالوا إنا لانكث كما نكثتم ولا نعدر كما غدرتم فوثبوا عليهم فقتلوهم فسألتهم أن يدفعوا إلى قتله إخواني أقتلهم بهم ثم كتاب الله حكم بيني وبينهم فأبوا على وقتلوني وقاتلوني وبعثوا عليهم ودماء قريب من ألف رجل من شيعتي فقتلتهم أفي شك أنت من ذلك فقال قد كنت في شك فأما الآن فقد عرفت واستبان لي خطأ القوم وأنك المهتدى المصيب -رواية-از قبل-٧٦٤. قال نصر و كان أشياخ الحي يذكرون أنه كان عثمانيا و قدشهد على ذلك صفيين مع علي ع ولكنه بعد ما رجع كان يكتب معاوية فلما ظهر معاوية أقطعه قطيعه بالفلوجة و كان عليه كريما. قال ثم إن عليا ع تهيأ لينزل و قام رجال ليتكلموا فلما رأوه نزل جلسوا و سكتوا. قال و نزل علي ع بالكوفة على جعدة بن هبيرة المخزومي. قلت جعدة ابن أخته أم هانئ بنت أبي طالب كانت تحت هبيرة بن أبي وهب المخزومي فأولدها جعدة و كان شريفا. [صفحة ١٠٥] قال نصر و لما قدم علي ع إلى الكوفة نزل على باب المسجد فدخل فضلى ثم تحول فجلس إليه الناس فسأل عن رجل من الصحابة كان نزل الكوفة فقال قائل استأثر الله به فقال علي ع إن الله تبارك و تعالي لا يستأثر بأحد من خلقه إنما أراد الله جل ذكره بالموت إعزاز نفسه و إذلال خلقه و قرأ كُتُم أموالاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم قال نصر فلما لحقه ع ثقله قالوا أنزل القصر فقال قصر الخبال لا تنزلوا فيه -رواية-١-٢-رواية-١٧-٢٦٤ قال نصر و دخل سليمان بن صرد الخزاعي على علي ع مرجعه من البصرة فعاتبه و عدله و قال له ارتبت و تربصت و راوغت و قد كنت من أوثق الناس في نفسي و أسرعهم فيما أظن إلى نصرتي فما قعد بك عن أهل بيت نبيك و ما زهدك في نصرته فقال يا أمير المؤمنين لا تردن الأمور على أعقابها و لا تؤنبنني بما مضى منها و استبق مودتي تخلص لك نصيحتي فقد بقيت أمور تعرف فيها عدوك من وليك فسكت عنه و جلس سليمان قليلا ثم نهض فخرج إلى الحسن بن علي ع و هو قاعد في باب المسجد فقال أ لا أعجبك من أمير المؤمنين و مالقيت منه من التوبيخ و التبكيت فقال الحسن إنما يعاتب من ترجى مودته و نصيحته فقال لقد وثبت أمور ستشرع فيها القنا و تنتضي فيها السيوف و يحتاج فيها إلى أشباهي فلا -رواية-١-٢-رواية-١١-ادامه دارد [صفحة ١٠٦] تستغشوا عتي و لا تتهموا نصحي فقال الحسن رحمك الله ما أنت عندنا بظنين -رواية-از قبل-٧٧ قال نصر و دخل عليه سعيد بن قيس الأزدي فسلم عليه فقال و عليك السلام و إن كنت من المتربصين قال حاش لله يا أمير المؤمنين فإنني لست من أولئك فقال لعل الله فعل ذلك -رواية-١-٢-رواية-١١-١٧٨. قال نصر و حدثنا عمر بن سعد قال حدثنا يحيى بن سعيد عن محمد بن مخنف قال دخلت مع أبي علي ع مقدمه من البصرة و هو عام بلغت الحلم فإذا بين يديه رجال يؤنبهم و يقول لهم ما أبطأ بكم عنى و أنتم أشراف قومكم و الله إن كان من ضعف النية و تقصير البصيرة إنكم لبور و إن كان من شك في فضلى و مظاهرة على إنكم لعدو -رواية-١-٢-رواية-١٥-١٦١. فقالوا حاش لله يا أمير المؤمنين نحن سلمك و حرب عدوك ثم اعتذر القوم فمنهم من ذكر عذرا و منهم من اعتل بمرض و منهم من ذكر غيبة فنظرت إليهم فعرفتهم فإذا عبد الله المعتم العبسى و حنظلة بن الربيع التميمي و كلاهما كانت له صحبة و إذا أبو بردة بن عوف الأزدي و إذا غريب بن شرحبيل الهمداني. قال و نظر علي ع إلى أبي فقال ولكن مخنف بن مسلم و قومه لم يتخلفوا و لم يكن مثلهم كمثل القوم الذين قال الله تعالى فيهم و إن منكم لمن لئبطنن فإن -رواية-١-٢-رواية-٩-ادامه دارد [صفحة ١٠٧] أصابتكم مصة بيبة قال قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا و لئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم و بينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما -رواية-از قبل-٢٣١. قال نصر ثم إن عليا ع مكث بالكوفة فقال الشنى في ذلك [شن بن عبد القيس] قل لهذا الإمام قد خبت الحرب || و تمت بذلك النعماء و فرغنا من حرب من نقض العهد || و بالشام حية صماء تنفث السم مالم نهشته || فارمها قبل أن تعض شفاء إنه و الذى يحج له الناس || و من دون بيته البيداء لضعيف النخاع إن رمى اليوم || بخيل كأنها أشلاء تتبارى بكل أصيد كالفحل || بكفيه صعدة سمراء إن تذره فما معاوية الدهر || بمعطيك ما أراك تشاء و لنيل السماء أقرب من ذاك || و نجم العيوق و العواء فأعد بالحد و الحديد إليهم || ليس و الله غير ذاك دواء . [صفحة ١٠٨] قال نصر و أتم

على ع صلاته يوم دخل الكوفة فلما كانت الجمعة خطب الناس فقال الحمد لله الذى أحمده وأستعينه وأستهديه وأعوذ بالله من الضلالة من يهد الله فلا مضل له و من يضل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله انتجبه لأمره واختصه بنبوته أكرم خلقه عليه وأحبهم إليه فبلغ رسالته ربه ونصح لأمة وأدى الذى عليه أوصيكم بتقوى الله فإن تقوى الله خير ما تواصى به عباد الله وأقربه إلى رضوان الله وخيره فى عواقب الأمور عند الله وبتقوى الله أمرتم وللإحسان والطاعة خلقتم فاحذروا من الله ما حذركم من نفسه فإنه حذر بأسا شديدا واخشوا خشية ليست بتعذير واعملوا فى غيرياء و لاسمعة فإنه من عمل لغير الله وكله الله إلى ما عمل له و من عمل لله مخلصا تولى الله أجره أشفقوا من عذاب الله فإنه لم يخلقكم عبثا و لم يترك شيئا من أمركم سدى قدسمى آثاركم وعلم أعمالكم وكتب آجالكم فلاتغتروا بالدنيا فإنها غرارة لأهلها مغرور من اغتر بها و إلى فناء ماهى و إن الآخرة هى دار الحيوان لو كانوا يعلمون أسأل الله منازل الشهداء ومرافقة الأنبياء ومعيشة السعداء وإنما نحن به و له -رواية 1- 2-رواية 11- 1063. قال نصر ثم استعمل على ع العمال وفرقهم فى البلاد وكتب إلى معاوية مع جرير بن عبد الله الجلى ماتقدم ذكره [صفحة 109] قال نصر و قال معاوية لعمر بن العاص أيام كان جرير عنده ينتظر جوابه إننى قدرأيت أن نلقى إلى أهل مكة و أهل المدينة كتابا نذكر فيه أمر عثمان فإما أن ندررك به حاجتنا أونكف القوم عنا فقال له عمرو إنما تكتب إلى ثلاثة نفر رجل راض بعلى فلا يزيد كتابك إلا بصيرة فيه أو رجل يهوى عثمان فلن يزيده كتابك على ما هو عليه أو رجل معتزل فلست فى نفسه بأوثق من على . قال على ذاك فكتبا أما بعد فإنه مهما غاب عنا من الأمور فلم يغب عنا أن عليا قتل عثمان والدليل على ذلك مكان قتله منه وإنما نطلب قتله حتى يدفعوا إلينا فنقتلهم بكتاب الله عز و جل فإن دفعهم على إلينا كففنا عنه وجعلناها شورى بين المسلمين على ما جعلها عليه عمر بن الخطاب فأما الخلافة فلسنا نطلبها فأعينونا على أمرنا هذا وانفضوا من ناحيتكم فإن أيدينا وأيديكم إذا اجتمعت على أمر واحد هاب على ما هو فيه و السلام . فكتب إليهما عبد الله بن عمر أما بعد فلعمري لقد أخطأتما موضع النصرة وتناولتماها من مكان بعيد و ما زاد الله من شك فى هذا الأمر بكتابكما إلا شكا و ما أنتما والمشورة و ما أنتما والخلافة أما أنت يامعاوية فطليق و أما أنت ياعمر و فظنين ألا فكفا أنفسكما فليس لكم فينا ولى و لانصير و السلام . قال نصر و كتب رجل من الأنصار إليهما مع كتاب عبد الله بن عمر [صفحة 110] معاوى إن الحق أبلج واضح || و ليس بما ربصت أنت و لاعمر و نصبت ابن عفان لنا اليوم خدعة || كما نصب الشيخان إذ قضى الأمر . يعنى طلحة و الزبير رحمهما الله فهذا كهذاك البلا حدو نعله || سواء كرقراق يغربه السفر رميتم عليا بالذى لا يضيره || و إن عظمت فيه المكيدة والمكر و ما ذنبه إن نال عثمان معشر || أتوه من الأحياء تجمعهم مصر فتار إليه المسلمون بيعة || علانية ما كان فيهم قسر و بايعه الشيخان ثم تحملا || إلى العمرة العظمى و باطنها الغدر فكان الذى قد كان مما اقتصاصه || يطول فى الله ما أحدث الدهر و ما أنتما والنصر منا و أنتما || بعثا حروب ما يبوخ لها جمر و ما أنتما لله در أبيكما || و ذكر كما الشورى و قد وضح الفجر . قال نصر و قام عدى بن حاتم الطائى إلى على ع فقال يا أمير المؤمنين إن عندى رجلا لا يوازى به رجل و هو يريد أن يزور ابن عمه حابس بن سعد الطائى بالشام فلو أمرناه أن يلقى معاوية لعله أن يكسره ويكسر أهل الشام فقال على [صفحة 111] ع نعم فأمره عدى بذلك و كان اسم الرجل خفاف بن عبد الله . فقدم على ابن عمه حابس بن سعد بالشام و حابس سيد طيء بهافحدث خفاف حابسا أنه شهد عثمان بالمدينة و سار مع على إلى الكوفة و كان لخفاف لسان وهيشة وشعر فعدا حابس بخفاف إلى معاوية فقال إن هذا ابن عم لى قدم الكوفة مع على وشهد عثمان بالمدينة و هو ثقة فقال له معاوية هات حدثنا عن عثمان فقال نعم حصره المكشوح و حكم فيه حكيم و وليه عمار و تجرد فى أمره ثلاثة نفر عدى بن حاتم والأشتر النخعى و عمرو بن الحمق وجد فى أمره رجلاين و طلحة و الزبير وأبرأ الناس منه على قال ثم مه قال ثم تهافت الناس على على بالبيعة تهافت الفراش حتى ضاعت النعل وسقط الرداء ووطئ الشيخ و لم يذكر عثمان و لم يذكر له ثم تهيأ للمسير وخف معه

المهاجرون والأنصار وكره القتال معه ثلاثة نفر سعد بن مالك و عبد الله بن عمر و محمد بن مسلمة فلم يستكره أحدا واستغنى
بمن خف معه عمن ثقل ثم سار حتى أتى جبل طىء فأتته منا جماعة كان ضاربا بهم الناس حتى إذا كان ببعض الطريق أتاه
مسير طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة فسرح رجالا إلى الكوفة يدعونهم فأجابوا دعوته فسار إلى البصرة فإذا هي فى كفه ثم قدم
الكوفة فحمل إليه الصبى ودبت إليه العجوز وخرجت إليه العروس فرحا به وشوقا إليه وتركته و ليس له هممة إلا الشام . فذعر
معاوية من قوله و قال حابس أيها الأمير لقد أسمعنى شعرا غير به حالى فى عثمان وعظم به عليا عندى . [صفحہ ۱۱۲] فقال
معاوية أسمعني ياخفاف فأنشده شعرا أوله قلت والليل ساقط الأكناف || ولجنى عن الفراش تجاف . يذكر فيه حال عثمان وقلته
وفيه إطالة عدلنا عن ذكره ... و من جملته قدمضى مامضى ومر به الدهر || كما مر ذاهب الأسلاف إننى و الذى يحج له الناس
|| على لحق البطون عجاف تتبارى مثل القسى من النبع || بشعث مثل السهام نحاف أهرب اليوم إن أتاكم على || صيحة مثل
صيحة الأحقاف إنه الليث غاديا وشجاع || مطرق نافث بسم زعاف واضح السيف فوق عاتقه الأيمن || يفرى به شئون القحاف
سوم الخيل ثم قال لقوم || بايعوه إلى الطعان خفاف استعدوا لحرب طاغية الشام || فلبوه كاليدى اللطاف ثم قالوا أنت الجناح
لك الريش || القدامى ونحن منه الخوافى فانظر اليوم قبل بادرة القوم || بسلم تهم أم بخلاف . قال فانكسر معاوية و قال
ياحابس إنى لأظن هذا عينا لعلى أخرجه عنك لئلا يفسد علينا أهل الشام . [صفحہ ۱۱۳] قال نصر و حدثنا عطية بن غنى عن
زيد بن رستم قال كتب معاوية إلى عبد الله بن عمر خاصة و إلى سعد بن أبى وقاص و إلى محمد بن مسلمة دون كتابه إلى
أهل المدينة فكان كتابه إلى عبد الله بن عمر أما بعد فإنه لم يكن أحد من قريش أحب إلى أن يجتمع عليه الناس بعد قتل عثمان
منك ثم ذكرت خذلك إياه وطعنك على أنصاره فتغيرت لك و قد هون ذلك على خلافك على على ومحا عنك بعض ما
كان منك فأعنا رحمك الله على حق هذا الخليفة المظلوم فإنى لست أريد الإمارة عليك ولكنى أريدها لك فإن أبيت كانت
شورى بين المسلمين . فأجابه عبد الله بن عمر أما بعد فإن رأى الذى أطمعك فى هو الذى صيرك إلى ماصيرك إليه اترك
عليا فى المهاجرين والأنصار وطلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين وأتبعك و أما زعمك أنى طعنت على على فلعمرى ما أنا على
فى الإيمان والهجرة ومكانه من رسول الله ص ونكايته فى المشركين ولكنى عهد إلى فى هذا الأمر عهد ففزعته فيه إلى الوقوف
و قلت إن كان هذا هدى ففضل تركته و إن كان ضلالا فشر نجوت منه فأغن عنا نفسك و السلام . [صفحہ ۱۱۴] قال و كان
كتاب معاوية إلى سعد أما بعد فإن أحق الناس بنصر عثمان أهل الشورى من قريش الذين أثبتوا حقه واختاروه على غيره و
قد نصره طلحة والزبير وهما شريكان فى الأمر ونظيراك فى الإسلام وخفت لذلك أم المؤمنين فلا تكرهن مارضوا ولا تردن
ماقبلوا فإنما نردنا شورى بين المسلمين . فأجابه سعد أما بعد فإن عمر لم يدخل فى الشورى إلا من تحل له الخلافة من قريش فلم
يكن أحد منا أحق بها من صاحبه إلا ياجماعنا عليه إلا . أن عليا كان فيه ما فىنا و لم يكن فىنا ما فيه و هذا أمر قد كرهت أوله
و كرهت آخره فأما طلحة والزبير فلو لزمنا بيوتهما لكان خيرا لهما و الله يغفر لأم المؤمنين ما أتت و السلام . قال و كان كتاب
معاوية إلى محمد بن مسلمة أما بعد فإنى لم أكتب إليك و أنا أرجو مبايعتك ولكنى أردت أن أذكرك النعمة التى خرجت منها
والشك الذى صرت إليه إنك فارس الأنصار وعدة المهاجرين و قد ادعيت على رسول الله ص أمرا لم تستطع إلا أن تمضى عليه
و هو أنه نهاك عن قتال أهل القبلة أ فلا نهيت أهل القبلة عن قتال بعضهم بعضا [صفحہ ۱۱۵] فقد كان عليك أن تكره لهم
ما كره رسول الله ص ألم تر عثمان و أهل الدار من أهل القبلة فأما قومك فقد عصوا الله و خذلوا عثمان و الله سائلهم وسائلك
عما كان يوم القيامة و السلام . قال فكتب إليه محمد بن مسلمة أما بعد فقد اعتزل هذا الأمر من ليس فى يده من رسول الله ص
مثل الذى فى يده قد أخبرنى رسول الله ص بالذى هو كائن قبل أن يكون فلما كان كسرت سيفى وجلست فى بيتى واتهمت
الرأى على الدين إذ لم يصح لى معروف أمر به ولا منكر أنهى عنه و أما أنت فلعمرى ما طلبت إلا الدنيا ولا اتبعت إلا الهوى و إن

مفارقة جرير بن عبد الله البجلي لعلی

قد أتينا على ما أردنا ذكره من حال أمير المؤمنين ع منذ قدم من حرب البصرة إلى الكوفة و ماجرى بينه و بين معاوية من المراسلات و ماجرى بين معاوية و بين غيره من الصحابة من الاستنجاد والاستصراخ و ما أجابوه به ونحن نذكر الآن ماجرى لجرير بن عبد الله عند عودته إلى أمير المؤمنين من تهمة الشيعة له بممالة معاوية عليهم ومفارقتهم جنبه أمير المؤمنين . قال نصر بن مزاحم حدثنا صالح بن صدقة بإسناده قال قال لمارجع جرير [صفحة ١١٦] إلى علي ع كثر قول الناس في التهمة لجرير في أمر معاوية فاجتمع جرير والأشتر عند علي ع فقال الأشتر أما والله يا أمير المؤمنين أن لو كنت أرسلتني إلى معاوية لكنت خيرا لك من هذا الذي أرخى خناقه وأقام عنده حتى لم يدع بابا يرجو فتحه إلا فتحه و لا بابا يخاف أمره إلا سده . فقال جرير لو كنت والله أتيتهم لقتلوك وخوفه بعمر و وذى الكلاع وحوشب و قال إنهم يزعمون أنك من قتلته عثمان . فقال الأشتر والله لو أتيتهم يا جرير لم يعنى جوابها و لم يثقل على محملها ولحملت معاوية على خطئة أعجله فيها عن الفكر . قال فائتتم إذا قال الآن و قد أفسدتهم و وقع بينهم الشر . و روى نصر بن نمير بن وعلة عن الشعبي قال اجتمع جرير والأشتر عند علي ع فقال الأشتر أليس قد نهيتك يا أمير المؤمنين أن تبعث جريرا وأخبرتكم بعداوته وغشه وأقبل الأشتر يشتمه و يقول يا أخا بجيلة إن عثمان اشترى منك دينك بهمدان و الله ما أنت بأهل أن تترك تمشى فوق الأرض إنما أتيتهم لتتخذ عندهم يدا بمسيرك إليهم ثم رجعت إلينا من عندهم تهددنا بهم و أنت و الله منهم و لا أرى سعيك إلا لهم لئن أطاعني فيك أمير المؤمنين ليحبسكنك وأشباهك في حبس لا تخرجون منه حتى تستتم هذه الأمور ويهلك الله الظالمين . قال جرير وددت و الله أن لو كنت مكاني بعثت إذن و الله لم ترجع . [صفحة ١١٧] قال فلما سمع جرير مثل ذلك من قوله فارق عليا ع فلحق بقرقيسياء ولحق به ناس من قسر من قومه فلم يشهد صفيين من قسر غير تسعة عشر رجلا ولكن شهدا من أحمر سبعمائه رجل . قال نصر و قال الأشتر فيما كان من تخويف من جرير إياه بعمر و وحوشب و ذى الكلاع لعمر ك يا جرير لقول عمرو || وصاحبه معاوى بالشام و ذى كلع و وحوشب ذى ظليم || أخف على من ريش النعام إذا اجتمعوا على فخل عنهم || و عن باز مخالبه دوامى و لست بخائف ما خوفونى || وكيف أخاف أحلام النيام وهمهم الذى حاموا عليه || من الدنيا وهمى ما أمامى فإن أسلم أعمهم بحرب || يشيب لهولها رأس الغلام و إن أهلك فقد قدمت أمرا || أفوز بفلجه يوم الخصام و قد زادوا على و أوعدونى || و من ذامات من خوف الكلام

نسب جرير بن عبد الله البجلي وبعض أخباره

وذكر ابن قتيبة في المعارف أن جريرا قدم على رسول الله ص [صفحة ١١٨] سنة عشر من الهجرة في شهر رمضان فبايعه وأسلم و كان جرير صبيح الوجه جميلا قال رسول الله ص كأن على وجهه مسح ملك -رواية- ١-٧٦ و كان عمر يقول جرير يوسف هذه الأمة و كان طوالا -يفتل في ذروة البعير من طوله و كانت نعله ذراعا و كان يخضب لحيته بالزعفران من الليل ويغسلها إذا أصبح فتخرج مثل لون التبر واعتزل عليا ع و معاوية و أقام بالجزيرة و نواحيها حتى توفي بالشرأة سنة أربع و خمسين في ولاية الضحاك بن قيس على الكوفة . فأما نسبه فقد ذكره ابن الكلبي في جمهرة الأنساب فقال هو جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك بن نصر بن ثعلب بن جشم بن عوييف بن حرب بن علي بن مالك بن سعد بن بدير بن قسر واسمه ملك بن عبقر بن أنمار بن

أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن زيد بن كهلان . ويذكر أهل السير أن علياً هدم دار جرير ودور قوم ممن خرج معه حيث فارق علياً منهم أبوأراكه بن مالك بن عامر القسري كان ختنه على ابنته وموضع داره بالكوفة كان يعرف بدار أبي أراكه قديماً ولعله اليوم نسي ذلك الاسم [صفحہ ۱۱۹]

۴۴- و من كلام له ع لماهرب مصقلة بن هبيرة الشيباني إلى معاوية

اشاره

و كان قدابتاع سبى بنى ناجية من عامل أمير المؤمنين ع وأعتقه فلما طالبه بالمال خاس به وهرب إلى الشام فقال قَبِحَ اللَّهُ مَصْقَلَةَ فَعَلَ فِعْلَ السَّادَةِ وَفَرَّارَ الْعَبِيدِ فَمَا أَنْطَقَ مَا دَحَهُ حَتَّى أَسَكَّتَهُ وَلَا صَدَقَ وَاصِفَهُ حَتَّى بَكَتَهُ وَ لَوْ أَقَامَ لَأَخَذْنَا مَيْسُورَهُ وَ انْتَهَرْنَا بِمَالِهِ وَفُورَهُ خَاسَ بِهِ يَخِيسُ وَيَخُوسُ أَي غَدَرَ بِهِ وَخَاسَ فَلَانَ بِالْعَهْدِ أَي نَكَثَ . وَقَبِحَ اللَّهُ فَلَانَا أَي نَحَاهُ عَنِ الْخَيْرِ فَهُوَ مَقْبُوحٌ . وَالتَّبَكِيتُ كَالْتَقْرِيعِ وَالتَّعْنِيفِ وَالْوَفُورِ مَصْدَرٌ وَفَرَّ الْمَالُ أَي تَمَّ وَيَجِيءُ مَتَعَدِيًا وَيُرْوَى مَوْفُورُهُ وَالمَوْفُورُ التَّامُ وَقد أَخَذَ هَذَا المَعْنَى بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فَقَالَ يَا مَنْ مَدَحْنَاهُ فَأَكْذَبْنَا || بَعَالَهُ وَأَثَابْنَا خَجَلًا بَرْدًا قَشِييَا مِنْ مَدَائِحِنَا || سَرَبَلَتْ فَارَدَدَهُ لَنَا سَمَلًا إِنْ التَّجَارِبُ تَهْتَكُ المَسْتُورَ مِنْ || أبنائها وتبهرج الرجال [صفحہ ۱۲۰]

نسب بنى ناجية

فأما القول في نسب بنى ناجية فإنهم ينسبون أنفسهم إلى سامة بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وقريش تدفعهم عن هذا النسب ويسمونهم بنى ناجية وهي أمهم وهي امرأة سامة بن لؤى بن غالب ويقولون إن سامة خرج إلى ناحية البحرين مغاضبا لأخيه كعب بن لؤى في مماظة كانت بينهما فطأطأت ناقته رأسها لتأخذ العشب فعلق بمشفرها أفعى ثم عطفت على قتبها فحكته به فدب الأفعى على القتب حتى نهش ساق سامة فقتله فقال أخوه كعب بن لؤى يرثيه عين جودي لسامه بن لؤى || علقت ساق سامة العلاقه رب كأس هرقتها ابن لؤى || حذر الموت لم تكن مهراقه . قالوا وكانت معه امرأته ناجية فلما مات تزوجت رجلا في البحرين فولدت منه الحارث ومات أبوه و هو صغير فلما ترعرع طمعت أمه أن تلحقه بقريش فأخبرته أنه ابن سامة بن لؤى بن غالب فرحل من البحرين إلى مكة ومعه أمه فأخبر كعب بن لؤى أنه ابن أخيه سامة فعرف كعب أمه ناجية فظن أنه صادق في دعواه فقبله ومكث عنده مدة حتى قدم مكة ركب من البحرين فرأوا الحارث فسلموا عليه وحادثوه فسألهم كعب بن لؤى من أين يعرفونه فقالوا هذا ابن رجل من بلدنا يعرف بفلان وشرحوا له خبره فنفاه كعب عن مكة ونفى أمه فرجعا إلى البحرين فكانا هناك وتزوج الحارث فأعقب هذا العقب . [صفحہ ۱۲۱] وقال هؤلاء إنه روى عن رسول الله ص أنه قال عمى سامة لم يعقب -روایت- ۱- ۲-روایت- ۴۱- ۶۰ . وزعم ابن الكلبي أن سامة بن لؤى ولد غالب بن سامة والحارث بن سامة وأم غالب بن سامة ناجية ثم هلك سامة فخلف عليها ابنه الحارث بن سامة نكاح مقت ثم هلك ابنا سامة و لم يعقبا و إن قوما من بنى ناجية بن جرم بن ربان بن علاف ادعوا أنهم بنو سامة بن لؤى و أن أمهم ناجية هذه ونسبها هذا النسب و انتموا إلى الحارث بن سامة وهم الذين باعهم على ع على مصقلة بن هبيرة و هذا هو قول الهيثم بن عدى كل هذا ذكره أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني الكبير . و وجدت أنا في جمهرة النسب لابن الكلبي

كلاما قدصرح فيه بأن سامه بن لؤى أعقب فقال ولد سامه بن لؤى الحارث وأمه هند بنت تيم وغالب بن سامه وأمه ناجية بنت جرم بن بابان من قضاة فهلك غالب بعد أبيه و هو ابن اثنتي عشرة سنة فولد الحارث بن سامه لؤيا وعبيده وربيعة وسعدا وأمهم سلمى بنت تيم بن شيبان بن محارب بن فهر و عبدالبيت وأمه ناجية بنت جرم خلف عليها الحارث بعد أبيه بنكاح مقت فهم الذين قتلهم على ع . قال أبوالفرج الأصفهاني أماالزبير بن بكار فإنه أدخلهم في قريش وهم قريش العازبة قال وإنما سموا العازبة لأنهم عزبوا عن قومهم فنسبوا إلى أمهم ناجية بنت جرم بن ربان بن علاف و هوأول من اتخذ الرحال العلافية فنسبت إليه [صفحہ ۱۲۲] واسم ناجية ليلي وإنما سميت ناجية لأنها سارت مع سامه في مفازة فعضت فاستسقته فقال لها الماء بين يديك و هويريهما السراب حتى أتت إلى الماء فشربت فسميت ناجية. قال أبوالفرج وللزبير بن بكار في إدخالهم في قريش مذهب و هو مخالفه أمير المؤمنين على ع وميله إليهم لإجماعهم على بغضه ع حسب المشهور المأثور من مذهب الزبير في ذلك

نسب علي بن الجهم وذكر طائفة من أخباره وشعره

و من المنتسبين إلى سامه بن لؤى على بن الجهم الشاعر و هو على بن الجهم بن بدر بن جهم بن مسعود بن أسيد بن أذينة بن كراز بن كعب بن جابر بن مالك بن عتبة بن الحارث بن عبدالبيت بن سامه بن لؤى بن غالب . هكذا ينسب نفسه و كان مبغضا لعلى ع ينحو نحو مروان بن أبي حفصة في هجاء الطالبيين وذم الشيعة و هو القائل ورافضة تقول بشعب رضوى || إمام خاب ذلك من إمام إمام من له عشرون ألفا || من الأتراك مشرعة السهام . و قد هجاه أبوعبادة البحرى فقال فيه إذا ما حصلت عليا قريش || فلا- في العير أنت و لاالنفير و لوأعطاك ربك ماتمنى || لزد الخلق في عظم الأيور [صفحہ ۱۲۳] و ماالجهم بن بدر حين يعزى || من الأعمار ثم و لاالبدر علام هجوت مجتهدا عليا || بما لفتت من كذب وزور أما لك في استك الوجعاء شغل || يكفك عن أذى أهل القبور . وسمع أبوالعلاء على بن الجهم يوما يطعن على أمير المؤمنين فقال له أناأدرى لم تطعن على أمير المؤمنين فقال أتعنى قصة بيعه أهلى من مصقلة بن هبيرة قال لا أنت أوضع من ذلك ولكنه ع قتل الفاعل من قوم لوط والمفعول به و أنت أسفلهما و من شعر على بن الجهم لماحبسه المتوكل أ لم تر مظهرين على عتبا || وهم بالأمس إخوان الصفاء فلما أن بليت غدوا وراحوا || على أشد أسباب البلاء أبت أخطارهم أن ينصرونى || بمال أوبجاه أوثرأ وخافوا أن يقال لهم خذلتكم || صديقا فادعوا قدم الجفاء تظافت الروافض والنصارى || و أهل الاعتزال على هجائى [صفحہ ۱۲۴] وعابونى و ماذنبى إليهم || سوى علمى بأولاد الزناء . يعنى بالروافض نجاح بن مسلمة والنصارى بختيشوع و أهل الاعتزال على بن يحيى بن المنجم . قال أبوالفرج و كان على بن الجهم من الحشوية شديد النصب عدوا للتوحيد والعدل فلما سخط المتوكل على أحمد بن أبى دواد وكفاه شمت به على بن الجهم فهجاه و قال فيه يا أحمد بن أبى دواد دعوه || بعثت عليك جنادلا وحديدا ما هذه البدع التى سميتها || بالجهل منك العدل والتوحيد أفسدت أمر الدين حين وليته || ورميته بأبى الوليد وليدا . [صفحہ ۱۲۵] أبوالوليد بن أحمد بن أبى دواد و كان رتبة قاضيا لامحكما جلدا و لامستطرفا || كهلا و لامستحدثا محمودا شرها إذاذكر المكارم والعلا || ذكر القلايا مبدئا ومعيدا ويود لومسخت ربيعة كلها || وبنو أياذ صحفة وثريدا و إذاترع فى المجالس خلته || ضبعا وملت بنى أبيه قرودا و إذاتبسم ضاحكا شبهته || شرقا تعجل شره مردودا لأصبحت بالخير عين أبصرت || تلك المناخر والثنايا السودا . و قال يهجو لمافلج لم يبق منك سوى خيالك لامعا || فوق الفراش ممهدا بوساد فرحت بمصرعك البرية كلها || من كان منهم موقنا بمعاد كم مجلس لله قدعطلته || كى لا يحدث فيه بالإسناد ولكم مصايح لنا أطفأتها || حتى تحيد عن الطريق الهادى ولكم كريمة معشر أرملتها || ومحدث أوثقت فى الأقياد إن الأسارى فى السجون تفرجوا || لماأنتك

مواكب العواد وغدا لمصرعك الطبيب فلم يجد || لدواء دائك حيلة المرتاد فذق الهوان معجلا ومؤجلا || و الله رب العرش بالمرصاد لازال فالجك الذى بك دائما || وفجعت قبل الموت بالأولاد . [صفحہ ۱۲۶] وروى أبو الفرج الأصفهاني فى كتاب الأغاني فى ترجمه مروان بن أبى حفصه الأصغر أن على بن الجهم خطب امرأه من قريش فلم يزوجه وبلغ المتوكل ذلك فسأل عن السبب فحدث بقصه بنى سامه بن لوى و أن أبابكر وعمر لم يدخلاهم فى قريش و أن عثمان أدخلهم فيها و أن عليا ع أخرجهم منها فارتدوا و أنه قتل من ارتد منهم وسبى بقيتهم فباعهم من مصقلة بن هبيرة فضحك المتوكل وبعث إلى على بن الجهم فأخبره بما قال القوم و كان فيهم مروان بن أبى حفصه المكنى أبالسمط و هو مروان الأصغر و كان المتوكل يغريه بعلى بن الجهم و يضعه على هجائه و ثلثه فيضحك منهما فقال مروان إن جهما حين تنسبه || ليس من عجم و لا عرب ليج فى شتى بلا سبب || سارق للشعر والنسب من أناس يدعون أبا || ما له فى الناس من عقب . فغضب على بن الجهم و لم يجبه لأنه كان يستحقره فأوما إليه المتوكل أن يزيده فقال أنتم يا ابن جهم من قريش || و قد باعوك ممن تريد أترجو أن تكاثرنا جهارا || بأصلكم و قديع الجدود . فلم يجبه ابن الجهم فقال فيه أيضا على تعرضت لى ضله || لجهلك بالشعر يامائق تروم قريشا و أنسابها || و أنت لأنسابها سارق فإن كان سامه جدا لكم || فأمك منى إذاطلق [صفحہ ۱۲۷]

نسب مصقلة بن هبيرة

فأما نسب مصقلة بن هبيرة فإن ابن الكلبي قد ذكره فى جمهرة النسب فقال هو مصقلة بن هبيرة بن شبل بن يثربى بن امرئ القيس بن ربيعة بن مالك بن ثعلبة بن شيبان بن ثعلبة بن عكاب بن صعب بن على بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان

خبر بنى ناجية مع على

و أما خبر بنى ناجية مع أمير المؤمنين ع فقد ذكره ابراهيم بن هلال الثقفى فى كتاب الغارات قال حدثنى محمد بن عبد الله بن عثمان عن نصر بن مزاحم قال حدثنى عمر بن سعد عن حدثه ممن أدرك أمر بنى ناجية قال لما بايع أهل البصرة عليا بعد الهزيمة دخلوا فى الطاعة غير بنى ناجية فإنهم عسكروا فبعث إليهم على ع رجلا من أصحابه فى خيل ليقاتلهم فأتاهم فقال ما بالكم عسكرتم و قد دخل الناس فى الطاعة غيركم فافترقوا ثلاث فرق فرقه قالوا كنا نصارى فأسلمنا و دخلنا فيما دخل الناس فيه من الفتنة و نحن نبايع كما بايع الناس فأمرهم فاعتزلوا و فرقه قالوا كنا نصارى فلم نسلم و خرجنا مع القوم الذين كانوا خرجوا قهرونا فاخرجونا كرها فخرجنا معهم فهزموا فنحن ندخل فيما دخل الناس فيه و نعطيكم الجزية كما أعطيناكم فقالوا فاعتزلوا فاعتزلوا و فرقه قالوا كنا نصارى فأسلمنا فلم يعجبنا الإسلام فرجعنا إلى النصرانية فنحن نعطيكم الجزية كما أعطاكم النصارى فقال لهم توبوا و ارجعوا إلى الإسلام فأبوا فقتل مقاتلهم و سبى ذراريهم و قدم بهم على على ع [صفحہ ۱۲۸]

قصة الخريت بن راشد الناجى و خروجه على على

قال ابن هلال الثقفى و روى محمد بن عبد الله بن عثمان عن أبى سيف عن الحارث بن كعب الأزدي عن عمه عبد الله بن قعين

الأزدى قال كان الخريت بن راشد الناجى أحد بنى ناجية قدشهد مع على ع صفيين فجاء إلى على ع بعدانقضاء صفيين و بعدتحكيم الحكمين فى ثلاثين من أصحابه يمشى بينهم حتى قام بين يديه فقال لا والله لأطيع أمرك ولاأصلى خلفك وإنى غدا لمفارق لك فقال له ثكلتك أمك إذاتنقض عهدك وتعصى ربك ولا تنصر إلا نفسك أخبرنى لم تفعل ذلك قال لأنك حكمت فى الكتاب وضعفت عن الحق إذ جد الجدد وركنت إلى القوم الذين ظلموا أنفسهم فأنا عليك راد وعليهم ناقد ولكم جميعا مباين . فقال له على ع ويحك هلم إلى أدارسك وأناظرك فى السنن وأفاتحك أمورا من الحق أنا أعلم بهامنك فلعلك تعرف ما أنت الآن له منكرو تبصر ما أنت الآن عنه عم و به جاهل فقال الخريت فىإنى غاد عليك غدا فقال على ع اغد ولايستهويناك الشيطان ولايتقمن بك رأى السوء ولايستخفناك الجهلاء الذين لايعلمون فوالله إن استرشدتنى واستنصحتنى وقبلت منى لأهديناك سبيل الرشاد -رواية- ١-٢-رواية- ١٤١-٩٩٥. فخرج الخريت من عنده منصرفا إلى أهله . قال عبد الله بن قعين فعجلت فى أثره مسرعا وكان لى من بنى عمه صديق فأردت أن ألقى ابن عمه فى ذلك فأعلمه بما كان من قوله لأمير المؤمنين وأمر ابن عمه أن يشتد بلسانه عليه وأن يأمره بطاعة أمير المؤمنين ومناصحته ويخبره أن ذلك خير له فى عاجل الدنيا وآجل الآخرة. قال فخرجت حتى انتهيت إلى منزله وقدسبقتنى فقامت عند باب دار فيهارجال من أصحابه لم يكونوا شهدوا معه دخوله على أمير المؤمنين ع فوالله ما رجعت [صفحة ١٢٩] ولاندم على ما قال لأمير المؤمنين و ما رد عليه ولكنه قال لهم يا هؤلاء إنى قدرأيت أن أفارق هذا الرجل وقدفارقت على أن أرجع إليه من غد ولاأرى إلاالمفارقة فقال له أكثر أصحابه لاتفعل حتى تأتبه فإن أتاك بأمر تعرفه قبلت منه وإن كانت الأخرى فما أقدرك على فراقه قال لهم نعم ما رأيتم قال فاستأذنت عليهم فأذنوا لى فأقبلت على ابن عمه وهو مدرك بن الريان الناجى وكان من كبراء العرب فقلت له إن لك على حقا لإحسانك وودك وحق المسلم على المسلم إن ابن عمك كان منه ما قد ذكر لك فأخل به فاردد عليه رأيه وعظم عليه ماأتى واعلم أنى خائف إن فارق أمير المؤمنين أن يقتلك ونفسه وعشيرته فقال جزاك الله خيرا من أخ إن أراد فراق أمير المؤمنين ع ففى ذلك هلاكه وإن اختار مناصحته والإقامة معه ففى ذلك حظه ورشده . قال فأردت الرجوع إلى على ع لأعلمه الذى كان ثم اطمأنت إلى قول صاحبه فرجعت إلى منزلى فبت ثم أصبحت فلما ارتفع النهار أتيت أمير المؤمنين ع فجلست عنده ساعة وأناأريد أن أحدثه بالذى كان على خلوة فأطلت الجلوس ولايزداد الناس إلاكثره فدنوت منه فجلست وراءه فأصغى إلى برأسه فأخبرته بما سمعته من الخريت وما قلت لابن عمه وما رد على فقال ع دعه فإن قبل الحق ورجع عرفنا له ذلك وقبلناه منه فقلت يا أمير المؤمنين فلم لاتأخذ الآذ فتستوثق منه فقال إنا لوفعلنا هذا بكل من يتهم من الناس ملأنا السجون منهم ولاأرانى يسعنى الوثوب بالناس والحبس لهم وعقوبتهم حتى يظهروا لى الخلاف . قال فسكت عنه وتنحيت فجلست مع أصحابى هنيهة فقال لى ع [صفحة ١٣٠] ادن منى فدنوت فقال لى مسرا اذهب إلى منزل الرجل فاعلم ما فعل فإنه قل يوم لم يكن يأتينى فيه قبل هذه الساعة فأتيت إلى منزله فإذا ليس فى منزله منهم ديار فدرت على أبواب دور أخرى كان فيها طائفة من أصحابه فإذا ليس فيها داع ولامجيب فأقبلت إلى أمير المؤمنين ع فقال لى حين رآنى أوطنوا فأقاموا أم جنبوا فظعنوا قلت لابل ظعنوا فقال أبعدهم الله كما بعدت ثمود أما والله لو قد أشرعت لهم الأسنة وصبت على هامهم السيوف لقد ندموا إن الشيطان قد استهواهم وأضلهم وهو غدا متبرئ منهم ومخل عنهم فقام إليه زياد بن خصفة فقال يا أمير المؤمنين إنه لو لم يكن من مضره هؤلاء إلافراقهم إيانا لم يعظم فقدهم علينا فإنهم قلما يزيدون فى عددنا لو أقاموا معنا وقلما ينقصون من عددنا بخروجهم منا ولكننا نخاف أن يفسدوا علينا جماعة كثيرة ممن يقدمون عليهم من أهل طاعتك فائذن لى فى اتباعهم حتى أردهم عليك إن شاء الله . فقال له ع فاخرج فى آثارهم راشدا فلما ذهب ليخرج قال له وهل تدرى أين توجه القوم قال لا والله ولكنى أخرج فأسأل وأتبع الأثر فقال اخرج رحمك الله حتى تنزل دير أبى موسى ثم لاتبرحه حتى يأتيك أمرى فإنهم إن كانوا خرجوا ظاهرين بارزين للناس فى جماعة فإن عمالى ستكتب إلى

بذلك و إن كانوا متفرقين مستخفين فذلك أخفى لهم وسأكتب إلى من حولي من عمالي فيهم . فكتب نسخة واحدة وأخرجها إلى العمال من عبد الله على أمير المؤمنين إلى من قرئ عليه كتابي هذا من العمال أما بعد فإن رجلا لنا عندهم تبعه خرجوا هرابا نظنهم خرجوا نحو بلاد البصرة فاسأل عنهم أهل بلادك واجعل عليهم العيون في كل ناحية من أرضك ثم اكتب إلى بما ينتهي إليك عنهم و السلام -رواية- 1-2-رواية- 39-304 . [صفحہ 131] فخرج زياد بن خصفة حتى أتى داره وجمع أصحابه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يامعشر بكر بن وائل إن أمير المؤمنين ندبني لأمر من أموره مهم له وأمرني بالانكماش فيه بالعشيرة حتى أتى أمره وأنتم شيعته وأنصاره وأوثق حتى من أحياء العرب في نفسه فانتدبوا معي الساعة وعجلوا فوالله ما كان إلا ساعة حتى اجتمع إليه مائة وثلاثون رجلا فقال اكتفينا لانريد أكثر من هؤلاء فخرج حتى قطع الجسر ثم أتى دير أبي موسى فنزله فأقام به بقية يومه ذلك ينتظر أمر أمير المؤمنين ع . قال ابراهيم بن هلال فحدثني محمد بن عبد الله عن ابن أبي سيف عن أبي الصلت التيمي عن أبي سعيد عن عبد الله بن وائل التيمي قال إني لعند أمير المؤمنين إذ فوج قد جاءه يسعي بكتاب من قرظة بن كعب بن عمرو الأنصاري و كان أحد عماله فيه لعبد الله على أمير المؤمنين من قرظة بن كعب سلام عليك إني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد إني أخبر أمير المؤمنين أن خيلا مرت من قبل الكوفة متوجهة نحو نفر و أن رجلا من دهاقين أسفل الفرات قد أسلم وصلى يقال له زاذان فروخ أقبل من عند أخوال له فلقوه فقالوا له أمسلم أنت أم كافر قال بل مسلم قالوا فما تقول في على قال أقول فيه خيرا أقول إنه أمير المؤمنين ع وسيد البشر ووصى رسول الله ص فقالوا كفرت ياعدو الله ثم حملت عليه عصابة منهم فقطعوه بأسيا فمهم وأخذوا معه رجلا من أهل الذمة يهوديا فقالوا له ما دينك قال يهودي فقالوا [صفحہ 132] خلوا سبيل هذا لاسبيل لكم عليه فأقبل إلينا ذلك الذي فآخبرنا الخبر و قد سألت عنهم فلم يخبرني أحد عنهم بشيء فليكتب إلى أمير المؤمنين فيهم برأى أنته إليه إن شاء الله . فكتب إليه أمير المؤمنين ع أما بعد فقد فهمت ما ذكرت من أمر العصابة التي مرت بعملك فقتلت البر المسلم وأمن عندهم المخالف المشرك و أن أولئك قوم استهواهم الشيطان فضلوا كالذين حسبوا ألا تكون فتنة فعموا و صموا فأسمع بهم وأبصر يوم تخبر أعمالهم فالزم عملك وأقبل على خراجك فإنك كما ذكرت في طاعتك ونصيحتك و السلام -رواية- 1-2-رواية- 32-335 قال فكتب على ع إلى زياد بن خصفة مع عبد الله بن وائل التيمي كتابا نسخته أما بعد فقد كنت أمرتك أن تنزل دير أبي موسى حتى يأتيك أمرى و ذلك أنى لم أكن علمت أين توجه القوم و قد بلغني أنهم أخذوا نحو قرية من قرى السواد فاتبع آثارهم وسل عنهم فإنهم قد قتلوا رجلا من أهل السواد مسلما مصليا فإذا أنت لحقت بهم فارددهم إلى فإن أبوا فناجزهم واستعن بالله عليهم فإنهم قد فارقوا الحق وسفكوا الدم الحرام وأخافوا السبيل و السلام -رواية- 1-2-رواية- 8-452 . قال عبد الله بن وائل فأخذت الكتاب منه ع و أنا يومئذ شاب فمضيت به غير بعيد ثم رجعت إليه فقلت يا أمير المؤمنين أ لا أمضى مع زياد بن خصفة إلى عدوك إذ دفعت إليه كتابك فقال يا ابن أخي افعل فوالله إني لأرجو أن تكون من أعوانى على الحق وأنصارى على القوم الظالمين قال فوالله ما أحب أن لى بمقالته [صفحہ 133] تلك حمر النعم فقلت له يا أمير المؤمنين أنا والله كذلك من أولئك أنا والله حيث تحب . ثم مضيت إلى زياد بالكتاب و أنا على فرس رائع كريم و على السلاح فقال لى زياد يا ابن أخي والله ما لى عنك من غنى وإني أحب أن تكون معى فى وجهى هذا فقلت إني قد استأذنت أمير المؤمنين فى ذلك فأذن لى فسر بذلك ثم خرجنا حتى أتينا الموضع الذى كانوا فيه فسألنا عنهم فقليل أخذوا نحو المدائن فلحقناهم وهم نزول بالمدائن و قد أقاموا بها يوما و ليلة و قد استراحوا و علفوا خيولهم فهم جامون مريحون وأتيناهم و قد تقطعنا ولغبنا ونصنا فلما رأونا وثبوا على خيولهم فاستووا عليها فجئنا حتى انتهينا إليهم فنادى الخريت بن راشد ياعميان القلوب والأبصار أ مع الله و كتابه أنتم أم مع القوم الظالمين فقال له زياد بن خصفة بل مع الله و كتابه وسنة رسوله و مع من الله ورسوله و كتابه أثر عنده من الدنيا ثوبا و لو أنها منذ يوم خلقت إلى يوم تفنى لآثر الله عليها أيها العمى الأبصار الصم الأسماع . فقال الخريت فأخبرونا ماتريدون

فقال له زياد و كان مجربا رفيقا قد ترى ما بنا من النصب واللغوب و الذى جئنا له لا يصلح فيه الكلام علانية على رءوس أصحابك ولكن تنزلون وتنزل ثم نخلو جميعا فتذاكر أمرنا وننظر فيه فإن رأيت فيما جئنا له حضا لنفسك قبلته و إن رأيت فيما أسمع منك أمرا أرجو فيه العافية لنا و لك لم أرده عليك . فقال الخريت انزل فنزل فأقبل إلينا زياد فقال انزلوا على هذا الماء فأقبلنا حتى انتهينا إلى الماء فنزلنا به فما هو إلا أن نزلنا فتفرقنا فتعلقنا عشرة و تسعة و ثمانية و سبعة تضع كل حلقة طعامها بين أيديها لتأكل ثم تقوم إلى الماء فتشرب . [صفحہ ۱۳۴] و قال لنا زياد علقوا على خيولكم فعلقنا عليها مخاليها ووقف زياد فى خمسة فوارس أحدهم عبد الله بن و آل بيننا و بين القوم وانطلق القوم ففتحوا فنزلوا و أقبل إلينا زياد فلما رأى تفرقنا و تحلقنا قال سبحان الله أنتم أصحاب حرب و الله لو أن هؤلاء جاءوكم الساعة على هذه الحالة ما أرادوا من غرتكم أفضل من أعمالكم التى أنتم عليها عجلوا قوموا إلى خيولكم فأسرعنا فمننا من يتوضأ و منا من يشرب و منا من يسقى فرسه حتى إذا فرغنا من ذلك أتينا زيادا و إن فى يده لعرقا ينهسه فنهس منه نهستين أو ثلاثة ثم أتى بإداوة فيها ماء فشرب ثم ألقى العرق من يده و قال يا هؤلاء إنا قد لقينا العدو و إن القوم لفى عدتكم و لقد حزرتهم فما أظن أحد الفريقين يزيد على الآخر خمسة نفر فإنى أرى أمركم و أمرهم سيصير إلى القتال فإن كان ذلك فلا تكونوا أعجز الفريقين . ثم قال ليأخذ كل رجل منكم بعنان فرسه فإذا نوت منهم و كلمت صاحبهم فإن تابعنى على ما أريد و إلا فإذا دعوتكم فاستتوا على متون خيلكم ثم أقبلوا معا غير متفرقين ثم استقدم أمامنا و أمامه فسمعت رجلا من القوم يقول جاءكم القوم و هم كالون معيون و أنتم جامون مريحون فتركتموهم حتى نزلوا فأكلوا و شربوا و أراحوا دوابهم هذا و الله سوء الرأى . قال و دعا زياد صاحبهم الخريت فقال له اعتزل ننظر فى أمرنا فأقبل إليه فى خمسة نفر فقلت لزياد أدعو لك ثلاثة نفر من أصحابنا حتى نلقاهم فى عددهم فقال ادع من أحببت فدعوت له ثلاثة فكان خمسة و هم خمسة . فقال له زياد ما الذى نقت على أمير المؤمنين و علينا حتى فارقتنا فقال لم أرض [صفحہ ۱۳۵] صاحبكم إماما و لم أرض بسيرتكم سيرة فرأيت أن أعتزل و أكون مع من يدعو إلى الشورى بين الناس فإذا اجتمع الناس على رجل هو لجميع الأمة رضا كنت مع الناس . فقال زياد و يحك و هل يجتمع الناس على رجل يدانى عليا عالما بالله و بكتابه و سنه رسوله مع قرابته و سابقته فى الإسلام فقال الخريت هو ما أقول لك فقال فقيم قتلتم الرجل المسلم فقال الخريت ما أناقلته قتلته طائفة من أصحابى قال فادفعهم إلينا قال ما إلى ذلك من سبيل قال أو هكذا أنت فاعل قال هو ما تسمع . قال فدعونا أصحابنا و دعا الخريت أصحابه ثم اقتلنا فو الله ما رأيت قتالا مثله منذ خلقنى الله لقد تطاعنا بالرماح حتى لم يبق فى أيدينا رمح ثم اضطربنا بالسيوف حتى انحنت و عقرت عامه خيلنا و خيلهم و كثرت الجراح فيما بيننا و بينهم و قتل منا رجلا من مولى لزياد كانت معه رأيته يدعى سويدا و رجل من الأبناء يدعى واقد بن بكر و صرع منهم خمسة نفر و حال الليل بيننا و بينهم و قد و الله كرهونا و كرهناهم و هرونا و هروناهم و قد جرح زياد و جرحت ثم إنا بتنا فى جانب و تنحوا فمكثوا ساعة من الليل ثم مضوا فذهبوا و أصبحنا فوجدناهم قد ذهبوا فو الله ما كرهنا ذلك فمضينا حتى أتينا البصرة و بلغنا أنهم أتوا الأهواز فنزلوا فى جانب منها و تلاحق بهم ناس من أصحابهم نحو مائتين كانوا معهم بالكوفة لم يكن لهم من القوة ما ينهضون به معهم حين نهضوا فاتبعوهم من بعد لحوقهم بالأهواز فأقاموا معهم . قال و كتب زياد بن خصفة إلى على ع أما بعد فإننا لقينا عدو الله الناجى و أصحابه بالمدائن فدعوناهم إلى الهدى و الحق و كلمه [صفحہ ۱۳۶] السواء فتولوا عن الحق و أخذتهم العزة بالإثم و زين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فقصدونا و صمدنا صمدهم فاقتلنا قتالا شديدا ما بين قائم الظهر إلى أن دلكت الشمس و استشهد منا رجلا صالحا و أصيب منهم خمسة نفر و خلوا لنا المعركة و قد فشت فينا و فيها الجراح ثم إن القوم لما أدركوا الليل خرجوا من تحته متنكرين إلى أرض الأهواز و قد بلغنى أنهم نزلوا من الأهواز جانبا و نحن بالبصرة نداوى جراحنا و ننتظر أمرك رحمك الله و السلام . فلما أتاه الكتاب قرأه على الناس فقام إليه معقل بن قيس الرياحى فقال أصلحك الله يا أمير المؤمنين إنما كان ينبغى أن يكون مكان كل رجل من

هؤلاء الذين بعثتهم في طلبهم عشرة من المسلمين فإذا الحقوهم استأصلوا شأفتهم وقطعوا دابرهم فأما أن تلقاهم بأعدادهم فلعمري ليصبرن لهم فإنهم قوم عرب والعدة تصبر للعدة فيقاتلون كل القتال . قال فقال ع له تجهز يامعقل إليهم وندب معه ألفين من أهل الكوفة فيهم يزيد بن معقل -رواية- 1-2-رواية- 8-94 وكتب إلى عبد الله بن العباس بالبصرة رحمه الله تعالى أما بعد فابعث رجلا من قبلك صليبا شجاعا معروفا بالصلاح في ألقى رجل من أهل البصرة فليتب معقل بن قيس فإذا خرج من أرض البصرة فهو أمير أصحابه حتى يلقي معقلا فإذا لقيه فمعقل أمير الفريقين فليسمع منه وليطعه ولا يخالفه ومر زياد بن خصفة فليقبل إلينا فنعم المرء زياد ونعم القبيل قبيله و السلام -رواية- 1-2-رواية- 62-369 [صفحة 137] قال وكتب ع إلى زياد بن خصفة أما بعد فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت به الناجي وأصحابه الذين طبع الله على قلوبهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فهم حيارى عمون يحسبون أنهم يحسنون صنعا ووصفت ما بلغ بك وبهم الأمر فأما أنت وأصحابك فله سعيكم و عليه جزاؤكم وأيسر ثواب الله للمؤمن خير له من الدنيا التي يقبل الجاهلون بأنفسهم عليها فما عندكم ينفد و ما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون و أمانعوكم الذين لقيتم فحسبهم خروجهم من الهدى وارتكاسهم في الضلالة وردهم الحق وجماعهم في التيه فذرهم و ما يفترون ودعهم في طغيانهم يعمهون فأسمع بهم وأبصر فكأنك بهم عن قليل بين أسير وقتيل فأقبل إلينا أنت وأصحابك مأجورين فقد أطعتم وسمعتهم وأحستهم البلاء و السلام -رواية- 1-2-رواية- 34-731 . قال ونزل الناجي جانبا من الأهواز واجتمع إليه علوج كثير من أهلها ممن أراد كسر الخراج و من اللصوص وطائفة أخرى من الأعراب ترى رأيه . قال ابراهيم بن هلال فحدثنا محمد بن عبد الله قال حدثني ابن أبي سيف عن الحارث بن كعب عن عبد الله بن قعين قال كنت أنا وأخى كعب بن قعين في ذلك الجيش مع معقل بن قيس فلما أراد الخروج أتى أمير المؤمنين ع يودعه فقال يامعقل بن قيس اتق الله ما استطعت فإنه وصية الله للمؤمنين لا تبغ على أهل القبلة ولا تظلم أهل الذمة ولا تتكبر فإن الله لا يحب المتكبرين -رواية- 1-2-رواية- 9-155 فقال معقل الله المستعان فقال خير مستعان . [صفحة 138] ثم قام فخرج وخرجنا معه حتى نزل الأهواز فأقمنا ننتظر بعث البصرة فأبطأ علينا فقام معقل فقال أيها الناس إنا قد انتظرنا أهل البصرة و قدأبطؤا علينا و ليس بنا بحمد الله قلة و لا وحشة إلى الناس فسيروا بنا إلى هذا العدو القليل الذليل فإني أرجو أن ينصركم الله ويهلكهم فقام إليه أخى كعب بن قعين فقال أصبت إن شاء الله رأينا رأيك وإني لأرجو أن ينصرنا الله عليهم و إن كانت الأخرى فإن في الموت على الحق لتعزيه عن الدنيا فقال سيروا على بركة الله فسرنا فو الله مازال معقل بن قيس لى ولأخى مكرما وادا ما يعدل بنا أحدا من الجند و لا يزال يقول لأخى كيف قلت إن في الموت على الحق لتعزيه عن الدنيا صدقت و الله وأحسننت ووقفت وفقك الله قال فو الله ماسرنا يوما و إذابفيج يشند بصحيفة في يده . من عبد الله بن عباس إلى معقل بن قيس أما بعد فإن أدركك رسولى بالمكان الذى كنت مقيما به أو أدركك و قد شخصت منه فلا تبرحن من المكان الذى ينتهى إليك رسولى و أنت فيه حتى يقدم عليك بعثنا الذى وجهناه إليك فقد وجهت إليك خالد بن معدان الطائى و هو من أهل الدين والصلاح والنجدة فاسمع منه وأعرف ذلك له إن شاء الله و السلام . قال فقراءه معقل بن قيس على أصحابه فسروا به وحمدوا الله و قد كان ذلك الوجه هالهم وأقمنا حتى قدم علينا خالد بن معدان الطائى وجاءنا حتى دخل على صاحبنا فسلم عليه بالإمرة واجتمعنا جميعا فى عسكر واحد ثم خرجنا إلى الناجى وأصحابه فأخذوا يرتفعون نحو جبال رامهرمز يريدون قلعة حصينة وجاءنا أهل البلد فأخبرونا بذلك فخرجنا فى آثارهم فلحقناهم و قد دنوا من الجبل فصففنا لهم ثم أقبلنا نحوهم فجعل معقل على ميمنته يزيد بن المعقل الأزدى و على يسارته منجاب بن راشد الضبى ووقف [صفحة 139] الخريت بن راشد الناجى بمن معه من العرب فكانوا ميمنة وجعل أهل البلد والعلوج و من أراد كسر الخراج وجماعة من الأكراد ميسرة. قال وسار فينا معقل يحرضنا و يقول يا عباد الله لا تبدءوا القوم و غصوا الأبصار وأقلوا الكلام ووطنوا أنفسكم على الطعن والضرب وأبشروا فى قتالهم بالأجر العظيم إنما تقاتلون مارقة مرقت وعلوجا

منعوا الخراج ولصوصا وأكرادا فما تنتظرون فإذا حملت فشدوا شدة رجل واحد. قال فمر في الصف يكلمهم يقول هذه المقالة حتى إذا مر بالناس كلهم أقبل فوقف وسط الصف في القلب ونظرنا إليه ما يصنع فحرك رأسه تحريكتين ثم حمل في الثالثة وحملنا معه جميعا فوالله ما صبروا لنا ساعة حتى ولوا وانهزموا وقتلنا سبعين عربيا من بنى ناجية و من بعض من اتبعه من العرب ونحو ثلاثمائة من العلوج والأكراد. قال كعب ونظرت فإذا صديقي مدرك بن الريان قتيلا. وخرج الخريت منهزما حتى لحق بسيف من أسياف البحر و بهاجماعة من قومه كثير فما زال يسير فيهم ويدعوهم إلى خلاف علي ع ويزين لهم فراقه ويخبرهم أن الهدى في حربه ومخالفته حتى اتبعه منهم ناس كثير. وأقام معقل بن قيس بأرض الأهواز وكتب إلى أمير المؤمنين ع بالفتح وكنت أنا الذي قدم بالكتاب عليه و كان في الكتاب لعبد الله على أمير المؤمنين من معقل بن قيس سلام عليك فياني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإننا لقينا المارقين وقد استظهروا علينا بالمشركين [صفحة ١٤٠] فقتلنا منهم ناسا كثيرا و لم نعد فيهم سيرتك فلم نقتل منهم مدبرا ولا أسيرا و لم نذف منهم على جريح و قد نصرك الله والمسلمين والحمد لله رب العالمين . قال فلما قدمت بالكتاب على علي ع قرأه على أصحابه واستشارهم في الرأي فاجتمع رأى عامتهم على قول واحد قالوا نرى أن تكتب إلى معقل بن قيس يتبع آثارهم ولا يزال في طلبهم حتى يقتلهم أو ينفهم من أرض الإسلام فإننا لنا من أن يفسدوا عليك الناس . قال فردني إليه وكتب معي أما بعد فالحمد لله على تأييده أوليائه وخذله أعداءه جزاك الله والمسلمين خيرا فقد أحسنتم البلاء وقضيتم ما عليكم فاسأل عن أخى بنى ناجية فإن بلغك أنه استقر في بلد من البلدان فسر إليه حتى تقتله أو تنفيه فإنه لم يزل للمسلمين عدوا وللناسقين وليا والسلام -رواية ١-٢-رواية ٨-٣٠١. قال فسأل معقل عن مسيره والمكان الذي انتهى إليه فنبئ بمكانه بسيف البحر بفارس و أنه قد رد قومه عن طاعة علي ع وأفسد من قبله من عبد القيس و من والاهم من سائر العرب و كان قومه قد منعوا الصدقة عام صفيين ومنعوا في ذلك العام أيضا فسار إليهم معقل بن قيس في ذلك الجيش من أهل الكوفة والبصرة فأخذوا على أرض فارس حتى انتهوا إلى أسياف البحر فلما سمع الخريت بن راشد بمسيره أقبل على من كان معه من أصحابه ممن يرى رأى الخوارج فأسر إليهم إنى أرى رأيكم و أن عليا ما كان ينبغي له أن يحكم الرجال في دين الله و قال لمن يرى رأى عثمان وأصحابه أنا على رأيكم و إن عثمان قتل مظلوما معقولا و قال لمن منع الصدقة [صفحة ١٤١] شدوا أيديكم على صدقاتكم ثم صلوا بها أرحامكم وعودوا إن شئتم على فقرائكم فأرضى كل طائفة بضرب من القول و كان فيهم نصارى كثير و قد كانوا أسلموا فلما رأوا ذلك الاختلاف قالوا والله لدينا الذي خرجنا منه خير وأهدى من دين هؤلاء الذين لا ينههم دينهم عن سفك الدماء وإخافة السبل فرجعوا إلى دينهم. فلقى الخريت أولئك فقال ويحكم إنه لا ينجيكم من القتل إلا الصبر لهؤلاء القوم ولقتالهم أتدرون ما حكم على فيمن أسلم من النصارى ثم رجع إلى النصرانية لا والله لا يسمع له قولا ولا يبرى له عذرا ولا يقبل منه توبة ولا يدعوها إليها و إن حكمه فيه أن يضرب عنقه ساعة يستمكن منه فما زال حتى خدعهم وجاءهم من كان من بنى ناجية في تلك الناحية و من غيرهم فاجتمع إليه ناس كثير و كان منكرا داهيا. قال فلما رجع معقل قرأ على أصحابه كتابا من علي ع فيه من عبد الله على أمير المؤمنين إلى من قرئ عليه كتابي هذا من المسلمين و المؤمنين والمارقين والنصارى والمرتدين سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وكتابه والبعث بعد الموت وافيا بعهد الله و لم يكن من الخائنين أما بعد فإنى أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه و أن أعمل فيكم بالحق وبما أمر الله تعالى في كتابه فمن رجع منكم إلى رحله وكف يده واعتزل هذا المارق الهالك المحارب الذي حارب الله ورسوله والمسلمين وسعى في الأرض فسادا فله الأمان على ماله ودمه و من تابعه على حربنا والخروج من طاعتنا استعنا بالله عليه وجعلناه بيننا وبينه وكفى بالله وليا والسلام -رواية ١-٢-رواية ٨-٦١٨. قال فأخرج معقل رايه أمان فنصبها و قال من أتاه من الناس فهو آمن إلا الخريت وأصحابه الذين نابذوا أول مرة فتفرق عن الخريت كل من كان معه من غير قومه وعبأ معقل بن قيس أصحابه ثم زحف بهم نحوه و قد حضر مع الخريت

جميع [صفحہ ۱۴۲] قومه مسلمہم ونصرانیہم ومانعی الصدقۃ منهم فجعل مسلمیہم یمنہ والنصارى ومانعی الصدقۃ یسرہ وجعل یقول لقومه امنعوا الیوم حریمکم وقاتلوا عن نساءکم وأولادکم و اللہ لئن ظہروا علیکم لیقتلنکم ویسلبنکم . فقال له رجل من قومه هذا و اللہ ماجرتہ علینا یدک ولسانک فقال لهم قاتلوا فقد سبق السیف العذل . قال وسار معقل بن قیس یحرض أصحابہ فیما بین الیمینۃ والمیسرۃ و یقول أیہا الناس ماتدرون ماسیق إلیکم فی هذاالموقف من الأجر العظیم إن اللہ ساقکم إلی قوم منعوا الصدقۃ وارتدوا عن الإسلام و نکتوا البیعۃ ظلما وعدوانا إنی شہید لمن قتل منکم بالجنۃ و من عاش بأن اللہ یقر عینہ بالفتح والغنیمة ففعل ذلك حتی مر بالناس أجمعین ثم وقف فی القلب برایتہ وبعث إلی یزید بن المعقل الأزدی و هو فی الیمینۃ أن احمل علیہم فحمل فثبتوا له فقاتل طویلا وقاتلوه ثم رجع حتی وقف موقفہ ألدی کان فیہ من الیمینۃ ثم بعث إلی المنجاب بن راشد الضبی و هو فی المیسرۃ أن احمل علیہم فحمل فثبتوا له فقاتل طویلا وقاتلوه ثم رجع حتی وقف موقفہ ألدی کان فی المیسرۃ ثم بعث معقل إلی یمنتہ ومیسرته إذاحملت فاحملوا جمیعا ثم أجرى فرسہ وضربها وحمل أصحابہ فصبروا لهم ساعۃ . ثم إن النعمان بن صہبان الراسبی بصر بالخریت فحمل علیہ فصرعہ عن فرسہ ثم نزل إلیہ و قدجرحه فاختلفا بینہما ضربتین فقتله النعمان وقتل معہ فی المعرکۃ سبعون ومائۃ وذهب الباقون فی الأرض یمینا وشمالا وبعث معقل الخیل إلی رحالہم فسی من أدرك فیہارجالا ونساء وصبیانا ثم نظر فیہم فمن کان مسلما خلأه وأخذ [صفحہ ۱۴۳] بیعتہ وخلی سبیل عیالہ و من کان ارتد عن الإسلام عرض علیہ الرجوع إلی الإسلام وإلاقتل فأسلموا فخلی سبیلہم وسبیل عیالاتہم إلاشیخا منهم نصرانیا یقال له الرماحس بن منصور فإنه قال و اللہ مازلت مصیبا مذعقت إلا فی خروجی من دینی دین الصدق إلی دینکم دین السوء لا و اللہ لاأدع دینی ولاأقرب دینکم ما حییت . فقدمہ معقل فضرب عنقه وجمع الناس فقال أدوا ما علیکم فی ہذہ السنین من الصدقۃ فأخذ من المسلمین عقالین وعمد إلی النصارى وعیالاتہم فاحتملہم معہ وأقبل المسلمون الذین کانوا معہم یشیعونہم فأمر معقل بردهم فلما ذهبوا لینصرفوا تصایحوا ودعا الرجال والنساء بعضہم إلی بعض . قال فلقد رحمتہم رحمۃ مارحمتہا أحدا قبلہم ولابعدهم وکتب معقل إلی علی ع أما بعدفانی أخبر امیر المؤمنین عن جنده و عن عدوہ إنا دفعنا إلی عدونا بأسیاف البحر فوجدنا بہاقبائل ذات حد و عدد و قد جمعوا لنا فدعوناہم إلی الجماعۃ والطاعۃ و إلی حکم الکتاب والسنۃ وقرأنا علیہم کتاب امیر المؤمنین ع ورفعنا لهم رایۃ أمان فمالت إلینا طائفۃ منهم وثبت طائفۃ أخرى فقبلنا أمر التی أقبلت وصمدنا إلی التی أدبرت فضرب اللہ وجوہہم ونصرنا علیہم فأما من کان مسلما فإننا مننا علیہ وأخذنا بیعتہ لأمیر المؤمنین وأخذنا منهم الصدقۃ التی كانت علیہم و أما من ارتد فعرضنا علیہم الرجوع إلی الإسلام و إلاقتلناہم فرجعوا إلی الإسلام غیر رجل واحد فقتلناہ و أماالنصارى فإننا سینناہم وأقبلنا بہم لیکونوا نکالا۔ لمن بعدہم من أهل الذمۃ کی لا یمنعوا الجزیۃ ولا یجتروا علی قتال أهل القبلۃ وہم للصغار والذللۃ [صفحہ ۱۴۴] أهل رحمک اللہ یا امیر المؤمنین وعلیک الصلاۃ والسلام وأوجب لک جنات النعیم والسلام . قال ثم أقبل بالأساری حتی مر علی مصقلۃ بن ہبیرۃ الشیبانی و هو عامل لعلی ع علی أردشیرخرۃ وہم خمسمائۃ إنسان فبکی إلیہ النساء والصبیان وتصایح الرجال یا أباالفضل یا حامل الثقل یا مؤی الضعیف وفکاکک العصا امنن علینا فاشترنا وأعتقنا فقال مصقلۃ أقسم باللہ لأتصدقن علیہم إن اللہ یجزی المتصدقین فبلغ قولہ معقل بن قیس فقال و اللہ لوأعلمہ قالہا توجعا لهم وإزراء علی لضربت عنقہ و إن کان فی ذلك فناء بنی تمیم وبکر بن وائل . ثم إن مصقلۃ بعث ذہل بن الحارث الذہلی إلی معقل فقال بعنی نصاری ناجیۃ فقال أبیعکم بألف درہم فأبی علیہ فلم یزل یراودہ حتی باعہ إیاہم بخمسمائۃ ألف درہم ودفعہم إلیہ وقال عجل بالمال إلی امیر المؤمنین ع فقال مصقلۃ أناباعث الآن بصدر منہ ثم أتبعک بصدر آخر ثم كذلك حتی لا یبقی منہ شیء وأقبل معقل إلی امیر المؤمنین ع فأخبرہ بما کان من الأمر فقال له أحسنت وأصبت ووفقت . وانتظر علی ع مصقلۃ أن یبعث بالمال فأبطأ بہ وبلغ علیا ع أن مصقلۃ خلی الأساری و لم یسألہم أن یعینوہ فی فکاکک أنفسہم بشیء فقال ماأری مصقلۃ إلا

قد حمل حمالة و لا أراكم إلا سترونه عن قريب مبلدحا ثم كتب إليه -رواية- ١-٢-رواية- ١٧-ادامه دارد [صفحة ١٤٥] أما بعد فإن من أعظم الخيانة خيانة الأمة وأعظم الغش على أهل المصر غش الإمام وعندك من حق المسلمين خمسمائة ألف درهم فابعث بها إلى حين يأتيك رسولي و إلا فأقبل إلى حين تنظر في كتابي فإني قد تقدمت إلى رسولي ألا يدعك ساعة واحدة تقيم بعد قدومه عليك إلا أن تبعث بالمال و السلام -رواية- از قبل -٢٩٩. و كان الرسول أبو جرة الحنفى فقال له أبو جرة إن تبعث بهذا المال و إلا فأشخص معي إلى أمير المؤمنين فلما قرأ كتابه أقبل حتى نزل البصرة و كان العمال يحملون المال من كور البصرة إلى ابن عباس فيكون ابن عباس هو الذى يبعث به إلى أمير المؤمنين ع ثم أقبل من البصرة حتى أتى عليا بالكوفة فأقره أياما لم يذكر له شيئا ثم سأله المال فأدى إليه مائتى ألف درهم وعجز عن الباقي. قال فروى ابن أبي سيف عن أبي الصلت عن ذهل بن الحارث قال دعانى مصقلة إلى رحله فقدم عشاء فطعمنا منه ثم قال و الله إن أمير المؤمنين ع يسألنى هذا المال و و الله ما أقدر عليه فقلت له لو شئت لم يمض عليك جمعة حتى تجمع هذا المال فقال ما كنت لأحملها قومي و لا أطلب فيها إلى أحد. ثم قال و الله لو أن ابن هند مطالبى بها أو ابن عفان لتركها لى أ لم تر إلى عثمان كيف أعطى الأشعث مائة ألف درهم من خراج آذربيجان فى كل سنة فقلت إن هذا لا يرى ذلك الرأى و ما هو بتارك لك شيئا فسكت ساعة وسكت عنه فما مكث ليلة واحدة بعد هذا الكلام حتى لحق بمعاوية فبلغ ذلك عليا فقال ما له ترحه الله فعل السيد وفر فرار العبد وخان خيانه الفاجر أما إنه لو أقام فعجز ما زدنا على حبسه فإن وجدنا له شيئا أخذناه [صفحة ١٤٦] و إن لم نجد له مالا- تركناه ثم سار على ع إلى داره فهدمها. و كان أخوه نعيم بن هبيرة الشيبانى شيعه لعلى ع مناصحا فكتب إليه مصقلة من الشام مع رجل من نصارى تغلب يقال له حلوان أما بعد فإني كلمت معاوية فيك فوعدك الكرامة و مناك الإمارة فأقبل ساعة تلقى رسولى و السلام. فأخذه مالك بن كعب الأرحبى فسرح به إلى علي ع فأخذ كتابه فقرأه ثم قدمه فقطع يده فمات و كتب نعيم إلى أخيه مصقلة شعرا لم يرده عليه لا ترمين هداك الله معترضا || بالظن منك فما بالى وحلوانا ذاك الحريص على مانال من طمع || و هو البعيد فلا يورثك أحزانا ماذا أردت إلى إرساله سفها || ترجو سقاط امرئ لم يلف و سنانا عرضته لعلى إنه أسد || يمشى العرضة من آساد خفانا قد كنت فى خير مصطفى و مرتب || تحمى العراق و تدعى خير شيبانا حتى تقحمت أمرا كنت تكرهه || للراكيين له سرا و إعلانا لو كنت أديت مال الله مصطفى || للحق زكيت أحيانا و موتانا لكن لحقت بأهل الشام ملتسا || فضل ابن هند فذاك الرأى أشجانا فالיום تفرع سن العجز من ندم || ماذا تقول و قد كان الذى كانا أصبحت تبغضك الأحياء قاطبه || لم يرفع الله بالعصيان إنسانا [صفحة ١٤٧] فلما بلغ الكتاب إليه علم أن النصرانى قد هلك و لم يلبث التغلبيون إلا قليلا حتى بلغهم هلاك صاحبهم فأتوا مصقلة فقالوا أنت أهلك صاحبنا فإما أن تجيئنا به و إما أن تديه فقال أما أن أجيء به فلست أستطيع ذلك و أما أن أديه فنعم فوداه. قال ابراهيم و حدثنى ابن أبي سيف عن عبدالرحمن بن جندب عن أبيه قال قيل لعلى ع حين هرب مصقلة اردد الذين سبوا و لم تستوف أثمانهم فى الرق فقال ليس ذلك فى القضاء بحق قد عتقوا إذ أعتقهم الذى اشتراهم و صار مالى دينا على الذى اشتراهم. و روى ابراهيم أيضا عن ابراهيم بن ميمون عن عمرو بن القاسم بن حبيب التمار عن عمار الدهنى قال لما هرب مصقلة قال أصحاب علي ع له يا أمير المؤمنين فيئنا قال إنه قد صار على غريم من الغرماء فاطلبوه. و قال ظبيان بن عماره أحد بنى سعد بن زيد مناة فى بنى ناجية هلا صبرت للقراع ناجيا || والمرهفات تختلى الهودايا والظعن فى نحوركم تواليا || وصائبات الأسهم القواضيا. و قال ظبيان أيضا ألا فاصبروا للظعن والضرب ناجيا || وللمرهفات يختلين الهودايا فقد صب رب الناس خزيا عليكم || وصيركم من بعد عزموا ليا [صفحة ١٤٨] سما لكم بالخيل جرذا عواديا || أخو ثقة لا يبرح الدهر غازيا فصبحكم فى رحلكم و خيولكم || بضرب يرى منه المدجج هاويا فأصبحتم من بعد عز و كثرة || عبيد العصا لا تمنعون الذرارييا قال ابراهيم بن هلال و روى عبدالرحمن بن حبيب عن أبيه أنه لما بلغ عليا ع مصاب بنى ناجية و قتل صاحبهم قال هوت أمه ما

كان أنقص عقله وأجره إنه جاءني مرة فقال إن في أصحابك رجلا قد خشيت أن يفارقوك فما ترى فيهم فقلت إنى لا آخذ على التهمة ولا أعاقب على الظن ولا أقاتل إلا من خالفني وناصبني وأظهر العداوة لى ثم لست مقاتله حتى أدعوه وأعذر إليه فإن تاب ورجع قبلنا منه و إن أبى إلا الاعتزام على حربنا استعنا بالله عليه وناجزناه فكف عنى ماشاء الله ثم جاءني مرة أخرى فقال لى إنى قد خشيت أن يفسد عليك عبد الله بن وهب وزيد بن حصين الطائى إنى سمعتهما يذكرانك بأشياء لوسمعتهما لم تفارقهما حتى تقتلها أو توثقهما فلا يزالان بمحبسك أبدا فقلت له إنى مستشيرك فيهما فما ذا تأمرنى به قال إنى آمرك أن تدعو بهما فتضرب رقابهما فعلمت أنه لا ورع له ولا عقل فقلت له و الله ما أظن لك ورعا ولا عقلا لقد كان ينبغى لك أن تعلم أنى لا أقتل من لم يقاتلنى و لم يظهر لى عداوته للذى كنت أعلمته من رأى حيث جئتنى فى المرة الأولى ولقد كان ينبغى لك لو أردت قتلهم أن تقول لى اتق الله بم تستحل قتلهم و لم يقتلوا أحدا و لم ينادوك و لم يخرجوا من طاعتك -رواية- ١-

٢-رواية- ٦٢-١١٠٧. فأما ما يقوله الفقهاء فى مثل هذا السبى فقبل أن نذكر ذلك نقول إن الرواية قد [صفحة ١٤٩] اختلفت فى المرتدين من بنى ناجية فالرواية الأولى التى رواها محمد بن عبد الله بن عثمان عن نصر بن مزاحم تتضمن أن الأمير الذى من قبل على ع قتل مقاتلة المرتدين منهم بعد امتناعهم من العود إلى الإسلام وسبى ذراريهم فقدم بها على على ع فعلى هذه الرواية يكون الذين اشتراهم مصقلة ذرارى أهل الردة. والرواية الثانية التى رواها محمد بن عبد الله عن ابن أبى سيف تتضمن أن معقل بن قيس الأمير من قبل على ع لم يقتل من المرتدين من بنى ناجية إلا رجلا واحدا و أما الباقيون فرجعوا إلى الإسلام والاسترقاق إنما كان للنصارى الذين ساعدوا فى الحرب وشهروا السيف على جيش الإمام وليسوا مرتدين بل نصارى فى الأصل وهم الذين اشتراهم مصقلة. فإن كانت الرواية الأولى هى الصحيحة ففيها إشكال لأن المرتدين لا يجوز عند الفقهاء استرقاقهم ولا عرف خلافا فى هذه المسألة ولا أظن الإمامية أيضا تخالف فيها وإنما ذهب أبو حنيفة إلى أن المرأة المرتدة إذ لحقت بدار الحرب جاز استرقاقها وسائر الفقهاء على خلافه و لم يختلفوا فى أن الذكور البالغين من المرتدين لا يجوز استرقاقهم فلا أعلم كيف وقع استرقاق المرتدين من بنى ناجية على هذه الرواية على أنى أرى أن الرواية المذكورة لم يصرح فيها باسترقاقهم ولا بأنهم بيعوا على مصقلة لأن لفظ الراوى فأبوا فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم فقدم بهم على على ع و ليس فى الرواية ذكر استرقاقهم ولا يبيعهم على مصقلة بل فيها ما ينافى بيعهم على مصقلة و هو قوله فقدم بهم على على ع فإن مصقلة ابتاع السبى من الطريق فى أردشير خرة قبل قدومه على على ع و لفظ الخبر فقدم بهم على على ع . وإنما يبقى الأشكال على هذه الرواية أن يقال إذا كان قد قدم بهم على على ع [صفحة ١٥٠] فمصقلة من اشترى و لا يمكن دفع كون مصقلة اشترى قوما فى الجملة فإن الخبر بذلك مشهور جدا يكاد يكون متواترا. فإن قيل فما قولكم فيما إذا ارتد البالغون من الرجال والنساء ثم أولدوا ذرية صغارا بعد الردة هل يجوز استرقاق الأولاد فإن كان يجوز فهلا حملتم الخبر عليه قيل إذا ارتد الزوجان فحملت منه فى حال الردة وأت بولد كان محكوما بكفره لأنه ولد بين كافرين . وهل يجوز استرقاقه فيه للشافعى قولان و أما أبو حنيفة فقال إن ولد فى دار الإسلام لم يجز استرقاقه و إن ولد فى دار الحرب جاز استرقاقه فإن كان استرقاق هؤلاء الذرية موافقا لأحد قولى الشافعى فلعنه ذاك . و أما الرواية الثانية فإن كانت هى الصحيحة و هو الأولى فالفقه فى المسألة أن الذمى إذا حارب المسلمين فقد نقض عهده فصار كالمشركين الذين فى دار الحرب فإذا ظفر به الإمام جاز استرقاقه و بيعه وكذلك إذا امتنع من أداء الجزية أو امتنع من التزام أحكام الإسلام . واختلف الفقهاء فى أمور سبعة هل ينتقض بها عهدهم ويجوز استرقاقهم أم لا وهى أن يزنى الذمى بمسلمة أو يصيبها باسم نكاح أو يفتن مسلما عن دينه أو يقطع الطريق على المسلمين أو يؤوى للكفار عينا أو يدل على عورات المسلمين أو يقتل مسلما. فأصحاب الشافعى يقولون إن شرط عليهم فى عقد الذمة الكف عن ذلك فهل ينتقض عهدهم بفعله فيه وجهان و إن لم يشترط ذلك فى عقد الذمة لم ينتقض عهدهم بذلك . و قال الطحاوى من أصحاب أبى حنيفة ينتقض عهدهم بذلك سواء

شورطوا عن [صفحہ ۱۵۱] الكف عنه في عقد الذمة أو لم يشارطوا عليه . فنصارى بنى ناجية على هذه الرواية قد انتقض عهدهم بحرب المسلمين فأبيحت دماؤهم و جاز للإمام قتلهم و جاز له استرقاقهم كالمشركين الأصليين في دار الحرب و أما استرقاق أبي بكر بن أبي قحافة لأهل الردة و سببه ذراريهم فإن صح كان مخالفا لما يقول الفقهاء من تحريم استرقاق المرتدين إلا أن يقولوا إنه لم يسب المرتدين وإنما سبى من ساعدتهم و أعانهم في الحرب من المشركين الأصليين و في هذا الموضوع نظر [صفحہ ۱۵۲]

۴۵- و من خطبة له ع

اشاره

الْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ لَا مَخْلُوفٍ مِنْ نِعْمَتِهِ وَ لَا مَأْيُوسٍ مِنْ مَغْفِرَتِهِ وَ لَا مُسْتَكْفٍ عَنْ عِبَادَتِهِ الَّذِي لَا تَبْرُحُ مِنْهُ رَحْمَةٌ وَ لَا تُفْقَدُ لَهُ نِعْمَةٌ وَ الدُّنْيَا دَارٌ مَنِيَّ لَهَا الْفَنَاءُ وَ لِأَهْلِهَا مِنَ الْجَلَاءِ وَ هِيَ حُلُوءٌ خَضِرَةٌ وَ قَدْ عَجَلَتْ لِلطَّالِبِ وَ التَّبَسَّتْ بِقَلْبِ النَّاطِرِ فَارْتَحِلُوا مِنْهَا بِأَحْسَنِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ وَ لَا تَسْأَلُوا فِيهَا فَوْقَ الْكَفَافِ وَ لَا تَطْلُبُوا مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ الْبَلَاغِ مَنْ لَهَا الْفَنَاءُ أَيْ قَدْرُ وَالْجَلَاءِ بِفَتْحِ الْجِيمِ الْخُرُوجُ عَنِ الْوَطَنِ قَالَ سُبْحَانَهُ وَ لَوْ لَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ . وَ حُلُوءُ خَضِرَةٌ مَأْخُوذٌ مِنْ - قُرْآن - ۷۴-۱۱۹ قول رسول الله ص إن الدنيا حلوة خضرة و إن الله مستخلفكم فيها فانظروا كيف تعملون -روایت ۱-۲-روایت ۲۲-۸۷ . والكفاف من الرزق قدر القوت و هو ما كف عن الناس أى أغنى . والبلاغ والبلغة من العيش ما يبلغ به . [صفحہ ۱۵۳] واعلم أن هذا الفصل يشتمل على فصلين من كلام أمير المؤمنين ع أحدهما حمد الله والثناء عليه إلى قوله و لا تفقد له نعمه و الفصل الثانى ذكر الدنيا إلى آخر الكلام و أحدهما غير مختلط بالآخر و لا منسوق عليه و لكن الرضى رحمه الله تعالى يلتقط كلام أمير المؤمنين ع التقاطا و لا يقف مع الكلام المتوالى لأن غرضه ذكر فصاحته ع لا غير و لو أتى بخطبه كلها على وجهها لكانت أضعاف كتابه الذى جمعه

فصل بلاغى فى الموازنة والسجع

فأما الفصل الأول فمشتمل من علم البيان على باب كبير يعرف بالموازنة و ذلك غير مقنوط فإنه وازنه فى الفقرة الثانية بقوله و لا مخلو ألاترى أن كل واحدة منهما على وزن مفعول ثم قال فى الفقرة الثالثة و لا مأىوس فجاء بها على وزن مفعول أيضا و لم يمكنه فى الفقرة الرابعة ما يمكنه فى الأولى فقال و لا مستكف فجاء به على وزن مستفعل و هو و إن كان خارجا عن الوزن فإنه غير خارج عن المفعولية لأن مستفعل مفعول فى الحقيقة كقولك زيد مستحسن ألاترى أن مستحسنا من استحسنة فهو أيضا غير خارج عن المفعولية . ثم وازن ع بين قوله لا تبرح و قوله لا تفقد و بين رحمه و نعمة فأعطت هذه الموازونات الكلام من الطلاوة و الصنعة ما لا تجده عليه لو قال الحمد لله غير مخلو من نعمته و لا مبعده من رحمته لأن مبعده بوزن مفعول و هو غير مطابق و لا مماثل لمفعول بل هو بناء آخر . و كذلك لو قال لا تزول منه رحمه فإن تزول ليست فى المماثلة و الموازنة [صفحہ ۱۵۴] لتفقد كتبرح ألاترى أنها معتلة و تلك صحيحة و كذلك لو قال لا تبرح منه رحمه و لا يفقد له أنعام فإن أنعاما ليس فى وزن رحمه و الموازنة مطلوبة فى الكلام الذى يقصد فيه الفصاحة لأجل الاعتدال الذى هو مطلوب الطبع فى جميع الأشياء و الموازنة أعم من السجع لأن السجع تماثل أجزاء الفواصل لو أوردها على حرف واحد نحو القريب والغريب والنسيب و ما أشبه ذلك و أما الموازنة فنحو

القريب والشديد والجليل و ما كان على هذا الوزن و إن لم يكن الحرف الآخر بعينه واحدا و كل سجع موازنة و ليس كل موازنة سجعا و مثال الموازنة في الكتاب العزيز و آتيناها الكتاب المستبين و هديناهما الصراط المستقيم و قوله تعالى ليكونوا لهم عزا ثم قال و يكونون عليهم ضيدا ثم قال تؤزهم أزا ثم قال نعيد لهم عدا هذه الموازنة. و مما جاء من المثال في الشعر قوله -قرآن- ٥٤٠-٦١٣-قرآن-٦٢٩-٦٥١-قرآن-٦٦١-٦٨٨-قرآن-٦٩٨-٧١٢-قرآن-٧٢٢-٧٣٩ بأشدهم بأسا على أعدائهم || وأعزهم فقدا على الأصحاب. فقوله وأعزهم بإزاء أشدهم و قوله فقدا بإزاء بأسا. و الموازنة كثيرة في الكلام وهي في كتاب الله تعالى أكثر

نبد من كلام الحكماء في مدح القناعة و ذم الطمع

فأما الفصل الثاني فيشتمل على التحذير من الدنيا و على الأمر بالقناعة و الرضا بالكفاف فأما التحذير من الدنيا فقد ذكرنا و نذكر منه ما يحضرنا و أما القناعة فقد ورد فيها شيء كثير. [صفحة ١٥٥] قال رسول الله ص لأخوين من الأنصار لا تئسا من روح الله مات هزنت رء و سكما فإن أحدكم يولد لاقشر عليه ثم يكسوه الله و يرزقه -رواية- ١-٢-رواية- ١-٢-رواية- ١٣٤-٤١ و عنه ص و يعزى إلى أمير المؤمنين ع القناعة كتر لا ينفد -رواية- ١-٢-رواية- ١-٢-رواية- ٤٣-٦٢ و ما يقال إنه من كلام لقمان الحكيم كفى بالقناعة عزا و بطيب النفس نعيما -رواية- ١-٢-رواية- ١-٢-رواية- ٤٢-٨٠ و من كلام عيسى ع اتخذوا البيوت منازل و المساجد مساكن و كلوا من بقل البرية و اشربوا من الماء القراح و اخرجوا من الدنيا بسلام لعمري لقد انقطعتم إلى غير الله فما ضيعكم أفتحافون الضيعة إذا انقطعتم إليه -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-٢١٢. و في بعض الكتب الإلهية القديمة يقول الله تعالى يا ابن آدم أتخاف أن أقتلك بطاعتي هزلا و أنت تتفتق بمعصيتي سنا -رواية- ١-٢-رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-٩٢. قال أبووائل ذهبت أنا و صاحب لي إلى سلمان الفارسي فجلسنا عنده فقال لو لا- أن رسول الله ص نهى عن التكلف لتكلفت لكم ثم جاء بخبز و ملح ساذج لا-أبزار عليه فقال صاحبي لو كان لنا في ملحنا هذا سعت فبعث سلمان بمطهرته فرهنها على سعت فلما أكلنا قال صاحبي الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا فقال سلمان لو قنعت بما رزقك لم تكن مطهرتي مرهونة. عباد بن منصور لقد كان بالبصرة من هو أفاقه من عمرو بن عبيد و أفصح ولكنه كان أصبرهم عن الدينار و الدرهم فساد أهل البصرة. قال خالد بن صفوان لعمرو بن عبيد لم لا تأخذ مني فقال لا يأخذ أحد من أحد إلا ذل له و أنا أكره أن أذل لغير الله. [صفحة ١٥٦] كان معاش عمرو بن عبيد من دار و رثها كان يأخذ أجرتها في كل شهر ديناراً واحداً فيتبلغ به. الخليل بن أحمد كان الناس يكتسبون الرغائب بعلمه و هو بين أخصاص البصرة لا يلتفت إلى الدنيا و لا يطلبها. و هب بن منبه أرملت مرة حتى كدت أفضت فأتاني آت في المنام و معه شبه لوزة فقال افضض ففضضتها فإذا حريرة فيها ثلاثة أسطر لا ينبغي لمن عقل عن الله أمره و عرف الله عدله أن يستبطئ الله في رزقه فقنعت و صبرت ثم أعطاني الله فأكثر. قيل للحسن ع إن أبأذر كان يقول الفقير أحب إلى من الغنى و السقم أحب إلى من الصحة فقال رحم الله أبأذر أما أنا فأقول من اتكل إلى حسن الاختيار من الله لم يتمن أنه في غير الحال التي اختارها الله له لعمري يا ابن آدم الطير لا تأكل رغدا و لا تخبأ لغد و أنت تأكل رغدا و تخبأ لغد فالطير أحسن ظنا منك بالله عز و جل -رواية- ١-٣٢٩ حبس عمر بن عبد العزيز الغذاء عن مسلمة حتى برح به الجوع ثم دعا بسويق فسقاه فلما فرغ منه لم يقدر على الأكل فقال يا مسلمة إذا كفاك من الدنيا ما رأيت فعلام التهافت في النار. عبد الواحد بن زيد ما أحسب شيئا من الأعمال يتقدم الصبر إلا الرضا و القناعة و لا أعلم درجة أرفع من الرضا و هورأس المحبة. قال ابن شبرمة في محمد بن واسع لو أن إنسانا اكتفى بالتراب لا-كتفى به. يقال من جملة ما أوحى الله تعالى إلى موسى ع قل لعبادي المتسخطين لرزقي إياكم أن أغضب فأبسط عليكم الدنيا -رواية- ١-٢-رواية- ١-١١٧. [صفحة ١٥٧] كان لبعض الملوك نديم فسكر ففاته الصلاة فجاءت جارية له بجمرة نار فوضعتها على رجله فانتبه مذعورا فقالت إنك لم تصبر على نار الدنيا

فكيف تصبر على نار الآخرة فترك الدنيا وانقطع إلى العبادة وقعد يبيع البقل فدخل عليه الفضيل و ابن عيينة فإذا تحت رأسه لبنه و ليس تحت جنبه حصير فقال له إنا روينا أنه لم يدع أحد شيئا لله إلا عوضه خيرا منه فما عوضك قال القناعة والرضا بما أنا فيه . أصابت داود الطائي ضائقة شديدة فجاء حماد بن أبي حنيفة بأربعمائة درهم من تركة أبيه فقال داود هي لعمري من مال رجل ما أقدم عليه أحدا في زهده وورعه وطيب كسبه و لو كنت قابلا من أحد شيئا لقبقتها إعظاما للميت وإيجابا للحى ولكنى أحب أن أعيش فى عزالقناعة.سفيان الثوري ماأكلت طعام أحد قط إلاهنت عليه .مسعر بن كدام من صبر على الخل والبقل لم يستعبد.فضيل أصل الزهد الرضا بما رزقك الله ألاتراه كيف يصنع بعبد ماتصنع الوالدة الشفيقة بولدها تطعمه مرة خبيصا ومرة صبرا تريد بذلك ما هوأصلح له . المسيح ع أنا الذى كبت الدنيا على وجهها وقدرتها بقدرها ليس لى ولد يموت ولايت يخرب وسادى الحجر وفراسى المدر وسراجى القمر -رواية-1-2-رواية-13-135 أمير المؤمنين ع أكل تمر دقل ثم شرب عليه ماء ومسح بطنه -رواية-1-2-رواية-21-64 و قال من أدخلته بطنه النار فأبعده الله ثم أنشد -رواية-1-2-رواية-10-56 فإنك إن أعطيت بطنك سؤله || وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا [صفحة 158] فى الحديث الصحيح المرفوع إن روح القدس نفث فى روعى أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فأجملوا فى الطلب -رواية-1-2-رواية-31-116 . من كلام الحكماء من ظفر بالقناعة فقد ظفر بالكيمياء الأعظم . الحسن الحريص الراغب والقانع الزاهد كلاهما مستوف أجله مستكمل أكله غيرمزداد ولامنتقص مما قدر له فعلام التحم فى النار. ابن مسعود رفعه إنه ليس أحد بأكيس من أحد قد كتب النصيب والأجل وقسمت المعيشة والعمل و الناس يجرون منهما إلى منتهى معلوم -رواية-1-2-رواية-19-131 المسيح ع انظروا إلى طير السماء تغدو وتروح ليس معها شىء من أرزاقها لاتحترث ولاتحصد و الله يرزقها فإن زعمتم أنكم أوسع بطونا من الطير فهذه الوحوش من البقر والحمر لا-تحترث ولاتحصد و الله يرزقها -رواية-1-2-رواية-13-201 .سويد بن غفلة كان إذا قيل له قدولى فلان يقول حسبى كسرتى وملحى.وفد عروة بن أذينة على هشام بن عبدالملك فشكا إليه خلته فقال له ألسنت القائل لقد علمت و ماالإشراف من خلقى || أن الذى هورزقى سوف يأتينى أسعى له فيعنينى تطلبه || و لو قعدت أتانى لايعنينى .فكيف خرجت من الحجاز إلى الشام تطلب الرزق ثم اشتغل عنه فخرج وقعد على ناقته ونصها راجعا إلى الحجاز فذكره هشام فى الليل فسأل عنه فقيل إنه رجع إلى الحجاز فتذمر وندم و قال رجل قال حكمه ووفد على مستجديا فجهته [صفحة 159] ورددته ثم وجه إليه بألفى درهم فجاء الرسول و هو بالمدينة فدفعها إليه فقال له قل لأمير المؤمنين كيف رأيت سعيت فأكدت وقعدت فى منزلى فأتانى رزقى.عمر بن الخطاب تعلم أن الطمع فقر و أن اليأس غنى و من يئس من شىء استغنى عنه أهدى لرسول الله ص طائران فأكل أحدهما عشية فلما أصبح طلب غداء فأته بعض أزواجه بالطائر الآخر فقال ألم أنهك أن ترفعى شيئا لغد فإن من خلق الغد خلق رزقه -رواية-1-168 و فى الحديث المرفوع قدأفلح من رزق كفافا وقنعه الله بما آتاه -رواية-1-2-رواية-25-70 من حكمه سليمان ع قد جربنا لين العيش وشدته فوجدنا أنها أدناه -رواية-1-2-رواية-22-71 وهب فى قوله تعالى فَلَنَحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً قال القناعة.بعض حكماء الشعراء -قرآن-22-52 فلا تجزع إذا أعسرت يوما || فقد أيسرت فى الدهر الطويل و لاتظنن بربك ظن سوء || فإن الله أولى بالجميل و إن العسر يتبعه يسار || وقيل الله أصدق كل قيل و لو أن العقول تجر رزقا || لكان المال عند ذوى العقول عائشة قال لى رسول الله ص إن أردت للحوق بى فيكفيك من الدنيا زاد الراكب و لاتخلقى ثوبا حتى ترقيه وإياك و مجالسة الأغنياء -رواية-1-2-رواية-32-136 [صفحة 160] يقال إن جبرائيل ع جاء إلى رسول الله ص بمفاتيح خزائن الدنيا فقال لاحاجة لى فيها بل جوعتان وشبعة -رواية-1-2-رواية-8-108 .وجد مكتوبا على صخرة عادية يا ابن آدم لست ببالغ أملكك و لاسابق أجلك و لامغلوب على رزقك و لامرزوق ما ليس لك فعلام تقتل نفسك . الحسين بن الضحاک ياروح من عظمت قناعته || حسم المطامع من غد و غد من لم يكن لله متهما || لم يمس محتاجا إلى أحد أوحى الله

تعالى إلى بعض أنبيائه أتدري لم رزقت الأحمق قال لا قال ليعلم العاقل أن طلب الرزق ليس بالاحتمال -رواية- ١-١١٩ فقط يوسف بن يعقوب ع في الجب لجوع اعتراه فأوحى إليه انظر إلى حائط البئر فنظر فانفرج الحائط عن ذرة على صخرة معها طعامها فقيل له أتراني لأغفل عن هذه الذرة وأغفل عنك و أنت نبي ابن نبي -رواية- ١-١٩٩ دخل على ع المسجد و قال لرجل أمسك على بغلتي فخلع لجامها وذهب به فخرج على ع بعد ما قضى صلاته ويده درهماً ليدفعهما إليه مكافأة له فوجد البغلة عطلة -فدفع إلى أحد غلمانة الدرهمين ليشتري بهما لجاما فصادف الغلام اللجام المسروق في السوق قد باعه الرجل بدرهمين فأخذه بالدرهمين وعاد إلى مولاه فقال على ع إن العبد ليحرم نفسه الرزق الحلال بترك الصبر -رواية- ١-١٠١-ادامه دارد [صفحة ١٦١] و لايزاد على ما قدر له -رواية- از قبل -٢٧ سليمان بن المهاجر البجلي كسوت جميل الصبر وجهى فصانه || به الله عن غشيان كل بخيل فلم يتبدلني البخيل و لم أقم || على بابه يوما مقام ذليل و إن قليلا يستر الوجه أن يرى || إلى الناس مبدولا لغير قليل .وقف بعض الملوك على سقراط و هو في المشرفة فقال له سل حاجتك قال حاجتي أن تزيل عني ظلك فقد منعتني الرفق بالشمس فأحضر له ذهبا و كسوة ديباج فقال إنه لا حاجة بسقراط إلى حجارة الأرض ولعاب الدود إنما حاجته إلى أمر يصحبه حيثما توجه .صلى معروف الكرخي خلف إمام فلما انفتل سأل ذلك الإمام معروفا من أين تأكل قال اصبر على حتى أعيد ماصليته خلفك قال لماذا قال لأن من شك في الرزق شك في الرازق قال الشاعر و لا تهلكن النفس وجدا وحسرة || على الشيء أسداه لغيرك قادرة و لا تيأسن من صالح أن تناله || و إن كان نهبا بين أيد تبادره فإنك لا تعطى أمرا حظ نفسه || و لا تمنع الشق الذي الغيث ناصره قال عمر بن الخطاب لعلي بن أبي طالب قدملت الناس وأحببت أن ألحق بصاحبي فقال إن سرك للقوق بهما فقصر أملك و كل دون الشيع واخصف النعل وكن كميث الإزار مرفوع القميص تلحق بهما -رواية- ١-١٩٤ . [صفحة ١٦٢] و قال بعض شعراء العجم غلا السعر في بغداد من بعد رخصة || و إنى في الحاليين بالله واثق فلست أخاف الضيق و الله واسع || غناه و لا الحرمان و الله رازق قيل لعلي ع لو سدد على رجل باب بيت و ترك فيه من أين كان يأتيه رزقه قال من حيث كان يأتيه أجله -رواية- ١-١٠٥ . قال بعض الشعراء صبرت النفس لأجز || ع من حادثة الدهر رأيت الرزق لا يكسب || بالعرف و لا النكر و لا بالسلف الأمثل || أهل الفضل والذكر و لا بالسمر اللدن || و لا بالخدم البتر و لا بالعقل والدين || و لا الجاه و لا القدر و لا يدرك بالطيش || و لا الجهل و لا الهذر ولكن قسم تجرى || بما ندرى و لا ندرى .جاء فتح بن شخرف إلى منزله بعد العشاء فلم يجد عندهم ما يتعشى به و لا وجد دهنًا للسراج وهم في الظلمة فجلس ليلة يبكي من الفرح و يقول بأى يد قد كانت منى بأى طاعة تنعم على بأن أترك على مثل هذه الحال .لقى هرم بن حيان أويسا القرني فقال السلام عليك يا أوييس بن عامر فقال وعليك السلام يا هرم بن حيان فقال هرم أما إنى عرفتك بالصفة فكيف عرفتنى قال إن أرواح المؤمنين لتشام كما تشام الخيل فيعرف بعضها بعضا قال أوصنى [صفحة ١٦٣] قال عليك بسيف البحر قال فمن أين المعاش قال أف لك خالطت الشك الموعظة أتفر إلى الله بدينك و تنهمه في رزقك .منصور الفقيه الموت أسهل عندي || بين القنا والأسنه والخيل تجرى سراعا || مقطعات الأعنة من أن يكون لنذل || على فضل و منه .أعرابي أتيس أن يقارنك النجاح || فأين الله والقدر المتاح قال رجل لرسول الله ص أوصنى قال إياك والطمع فإنه فقر حاضر و عليك باليأس مما فى أيدي الناس -رواية- ١-١٠١ .حكيم أحسن الأحوال حال يغبطك بها من دونك و لا يحقرك لها من فوقك . أبوالعلاء المعرى فإن كنت تهوى العيش فابغ توسطًا || فعند التناهي يقصر المتناول توقي البدور النقص و هى أهله || ويدركها النقصان و هى كوامل .خالد بن صفوان كن أحسن ماتكون فى الظاهر حالا أقل ماتكون فى الباطن مالا فإن الكريم من كرمته عند الحاجة خلته واللثيم من لثومت عند الفاقة طعمته . [صفحة ١٦٤] شعر وكم ملك جانبته من كراهة || لإغلاق باب أولت شديد حاجب ولى فى غنى نفسى مراد ومذهب || إذا أبهمت دونى وجوه المذاهب .بعض الحكماء ينبغى للعاقل أن يكون فى دنياه كالمدعو إلى الوليمة إن أتته صحفة تناولها و

اشاره

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعَثَاءِ السِّفْرِ وَ كَأَيَّةِ الْمُنْقَلَبِ وَ سُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَ الْمَالِ وَ الْوَلَدِ اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السِّفْرِ وَ أَنْتَ الْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ وَ لَمَّا يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ لِأَنَّ الْمُسْتَخْلَفَ لَا يَكُونُ مُسْتَصْحَبًا وَ الْمُسْتَصْحَبُ لَا يَكُونُ مُسْتَخْلَفًا قَالَ الرضی رحمہ اللہ وابتداء هذا الكلام مروى عن رسول الله ص و قد قفاه أمير المؤمنين ع بأبلغ كلام و تممه بأحسن تمام من قوله و لا يجمعهما غيرك إلى آخر الفصل -روایت- ۱-۱۷۲ و عتاء السفر مشقته وأصل الوعث المكان السهل الكثير الدهس تغيب فيه الأقدام ويشق على من يمشى فيه أوعث القوم أى وقعوا فى الوعث والكآبة الحزن والمنقلب مصدر من انقلب منقلبا أى رجع و سوء المنظر قبح المرأى . [صفحہ ۱۶۶] و صدر الكلام مروى عن رسول الله ص فى المسانيد الصحيحة و ختمه أمير المؤمنين ع و تممه بقوله و لا يجمعهما غيرك و هو الصحيح لأن من يستصحب لا يكون مستخلفا فإنه مستحيل أن يكون الشىء الواحد فى المكانين مقيما وسائرا وإنما تصح هذه القضية فى الأجسام لأن الجسم الواحد لا يكون فى جهتين فى وقت واحد فأما ما ليس بجسم و هو البارئ سبحانه فإنه فى كل مكان لا على معنى أن ذاته ليست مكانية وإنما المراد علمه و إحاطته و نفوذ حكمه وقضائه و قدره فقد صدق ع أنه المستخلف و أنه المستصحب و أن الأمرين مجتمعان له جل اسمه . و هذا الدعاء دعا به أمير المؤمنين ع بعد وضع رجله فى الركاب من منزله بالكوفة متوجها إلى الشام لحرب معاوية و أصحابه ذكره نصر بن مزاحم فى كتاب صفين و ذكره غيره أيضا من رواة السيرة

أدعية على

عند خروجه من الكوفة لحرب معاوية قال نصر لما وضع على ع رجله فى ركاب دابته يوم خرج من الكوفة إلى صفين قال بسم الله فلما جلس على ظهرها قال سبحان الذى سخر لنا هذا و ما كنا له مقرنين و إنا إلى ربنا لمنقلبون اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۱-۲۱۹ إلى آخر الفصل و زاد فيه نصر و من الحيرة بعد اليقين قال ثم خرج أمامه الحر بن سهم بن طريف و هو يرتجز و يقول يافرسى سيرى و أمى الشاما || وقطعى الحزون والأعلاما و نابذى من خالف الإماما || إني لأرجو إن لقينا العاما [صفحہ ۱۶۷] جمع بنى أمية الطغاما || أن نقتل العاصى و الهماما و أن نزيل من رجال هاما قال و قال حبيب بن مالك و هو على شرطة على ع و هو أخذ بعنان دابته يا أمير المؤمنين أخرج بالمسلمين فيصيبوا أجر الجهاد بالقتال و تخلفنى بالكوفة لحشر الرجال فقال ع إنهم لن يصيبوا من الأجر شيئا إلا كنت شريكهم فيه و أنت هاهنا أعظم غناء عنهم منك لو كنت معهم فخرج على ع حتى إذا حاذى الكوفة صلى ركعتين -روایت- ۱-۲-روایت- ۸-۳۲۳ . قال و حدثنا عمرو بن خالد عن أبى الحسين زيد بن على ع عن آبائه أن عليا ع خرج و هو يريد صفين حتى إذا قطع النهر أمر مناديه فنادى بالصلاة فتقدم فصلى ركعتين حتى إذا قضى الصلاة أقبل على الناس بوجهه فقال أيها الناس ألا من كان مشيعا أو مقيما فليتم الصلاة فإنا قوم سفر ألا و من صحبنا فلا يصوم من المفروض و الصلاة المفروضة ركعتان -روایت- ۱-۲-روایت- ۹-۱۳۳ . قال نصر ثم خرج حتى نزل دير

أبى موسى و هو من الكوفة على فرسخين فصلى به العصر فلما انصرف من الصلاة قال سبحان الله ذى الطول والنعم سبحان الله ذى القدرة والإفضال أسأل الله الرضا بقضائه والعمل بطاعته والإنابة إلى أمره إنه سميع الدعاء -رواية- ١-٢-رواية- ٨-١٥٠ . قال نصر ثم خرج ع حتى نزل على شاطئ نرس بين موضع حمام أبى بردة وحمام عمر فصلى بالناس المغرب فلما انصرف قال الحمد لله الذى يولج -رواية- ١-٢-رواية- ٨-١٦٨ [صفحة ١٦٨] الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل والحمد لله كلما وقب ليل وغسق والحمد لله كلما لاح نجم وخفق -رواية- از قبل -١١٠ . ثم أقام حتى صلى الغداة ثم شخص حتى بلغ إلى قبة قيين و فيها نخل طوال إلى جانب البيعة من وراء النهر فلما رآها قال والنخل باسقات لها طلع نضيد ثم أقحم دابته النهر فعبر إلى تلك البيعة فزلها ومكث قدر الغداء. قال نصر و حدثنا عمر بن سعد عن محمد بن مخنف بن سليم قال إنى لأنظر إلى أبى و هويساير عليا ع و على يقول له إن بابل أرض قد خسف بها -رواية- ١-٢-رواية- ٢٠-٤٦ فحرك دابتك لعلنا نصلى العصر خارجا منها فحرك دابته وحرك الناس دوابهم فى أثره فلما جاز جسر الفرات نزل فصلى بالناس العصر قال حدثنى عمر بن عبد الله بن يعلى بن مرة الثقفى عن أبيه عن عبدخبر قال كنت مع على أسير فى أرض بابل قال وحضرت الصلاة صلاة العصر قال فجعلنا لأناتى مكانا لإرأيناه أفيح من الآخر قال حتى أتينا على مكان أحسن مارأينا و قد كادت الشمس أن تغيب قال فنزل على ع فنزلت معه قال فدعا الله فرجعت الشمس كمقدارها من صلاة العصر قال فصليت العصر ثم غابت الشمس ثم خرج حتى أتى دير كعب ثم خرج منه فبات بسباط فأتاه دهاقينها يعرضون عليه النزول والطعام فقال لا- ليس ذلك لنا عليكم فلما أصبح و هو بمظلم سباط [صفحة ١٦٩] قرأ تَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ. قال نصر وبلغ عمرو بن العاص مسيره فقال -قرآن- ٥-٤٥ لاتحسبنى يا على غافلا- || لأوردن الكوفة القنابلا- بجمعى العام وجمعى قابلا- . قال فبلغ ذلك عليا ع فقال -رواية- ١-٢-رواية- ٩-١٠ لأوردن العاصى ابن العاصى || سبعين ألفا عاقدى النواصى مستحقين حلق الدلاص || قد جنبوا الخيل مع القلاص أسود غيل حين لامناص

نزول على بكرلاء

قال نصر و حدثنا منصور بن سلام التميمى قال حدثنا حيان التيمى عن أبى عبيدة عن هرثمة بن سليم قال غزونا مع على ع صفين فلما نزل بكرلاء صلى بنا فلما سلم رفع إليه من تربتها فشمها ثم قال واهى لك ياتربته ليحشرن منك قوم يدخلون الجنة بغير حساب -رواية- ١-٢-رواية- ١٠٣-٢٥٧ . قال فلما رجع هرثمة من غزاته إلى امرأته جرداء بنت سمير وكانت من شيعة على ع حدثها هرثمة فيما حدث فقال لها ألا أعجبك من صديقك أبى حسن [صفحة ١٧٠] قال لما نزلنا بكرلاء و قد أخذ حفنة من تربتها فشمها و قال واهى لك أيتها التربة ليحشرن منك قوم يدخلون الجنة بغير حساب -رواية- ١-٢-رواية- ٨-١٢٤ و ما علمه بالغيب فقالت المرأة له دعنا منك أيها الرجل فإن أمير المؤمنين ع لم يقل إلا حقا. قال فلما بعث عبيد الله بن زياد البعث الذى بعثه إلى الحسين ع كنت فى الخيل التى بعث إليهم فلما انتهيت إلى الحسين ع وأصحابه عرفت المنزل الذى نزلنا فيه مع على ع والبقعة التى رفع إليه من تربتها والقول الذى قاله فكرهت مسيرى فأقبلت على فرسى حتى وقفت على الحسين ع فسلمت عليه وحدثته بالذى سمعت من أبيه فى هذا المنزل فقال الحسين أم علينا فقلت يا ابن رسول الله لا معك و لا عليك تركت ولدى و عيالى أخاف عليهم من ابن زياد فقال الحسين ع فول هربا حتى لا ترى مقتلنا فو الذى نفس حسين بيده لا يرى اليوم مقتلنا أحد ثم لا يعيننا إلا دخل النار -رواية- ١-٢-رواية- ١٧-٢٤٥ . قال فأقبلت فى الأرض أشد هربا حتى خفى على مقتلهم . قال نصر و حدثنا مصعب قال حدثنا الأجلح بن عبد الله الكندى عن أبى جحيفة قال جاء عروة البارقى إلى سعد بن وهب فسأله فقال حديث

حدثناه عن علي بن أبي طالب قال نعم بعثني مخنف بن سليم إلى علي عند توجهه إلى صفين فأتيته بكر بلاء فوجدته يشير بيده و يقول هاهنا هاهنا فقال له -رواية- ١-٢-رواية- ١٢٨-إداهه دارد [صفحه ١٧١] رجل و ماذاك يا أمير المؤمنين فقال ثقل لآل محمد ينزل هاهنا فويل لهم منكم وويل لكم منهم فقال له الرجل ماعنى هذا الكلام يا أمير المؤمنين قال وويل لهم منكم تقتلونهم وويل لكم منهم يدخلكم الله بقتلهم النار -رواية- از قبل- ٢٢٨ قال نصر و قدروى هذا الكلام على وجه آخر أنه ع قال فويل لكم منهم وويل لكم عليهم فقال الرجل أماويل لنا منهم فقد عرفناه فويل لنا عليهم ماعناه فقال ترونهم يقتلون لا يستطيعون نصرتهم -رواية- ١-٢-رواية- ٥٧-٢٠٢ قال نصر و حدثنا سعيد بن حكيم العيسى عن الحسن بن كثير عن أبيه أن علياً ع أتى كربلاء فوقف بهافقيل له يا أمير المؤمنين هذه كربلاء فقال ذات كرب و بلاء ثم أوماً بيده إلى مكان فقال هاهنا موضع رحالهم و مناخ ركابهم ثم أوماً بيده إلى مكان آخر فقال هاهنا مرق دمائهم ثم مضى إلى ساباط -رواية- ١-٢-رواية- ٦٩-٢٩٦

خروج علي لحرب معاوية و مادار بينه و بين أصحابه

وينبغى أن نذكر هاهنا ابتداء عزمه على مفارقة الكوفة والمسير إلى الشام و ماخاطب به أصحابه و ماخاطبوه به و ما كاتب به العمال و كاتبوه جواباً عن كتبه و جميع ذلك منقول من كتاب نصر بن مزاحم . قال نصر حدثنا عمر بن سعد عن إسماعيل بن أبي خالد عن عبدالرحمن بن عبيد أبي الكنود قال لما أراد علي ع المسير إلى الشام دعا من كان معه من المهاجرين و الأنصار فجمعهم ثم حمد الله و أثنى عليه و قال أما بعد فإنكم ميامين -رواية- ١-٢-رواية- ٩١-إداهه دارد [صفحه ١٧٢] الرأى مراجيح الحلم مباركو الأمر و مقاويل بالحق و قد عزمنا على المسير إلى عدونا و عدوكم فأشيروا علينا برأيكم -رواية- از قبل- ١١٥ . فقام هاشم بن عتبة بن أبي وقاص فحمد الله و أثنى عليه و قال أما بعد يا أمير المؤمنين فأنا بالقوم جد خبير هم لك و لأشباعك أعداء وهم لمن يطلب حرث الدنيا أولياء وهم مقاتلوكم و مجادلوك لا ييقون جهداً مشاحه على الدنيا و ضنا بما فى أيديهم منها ليس لهم إربة غيرها إلا ما يخذعون به الجهال من طلب دم ابن عفان كذبوا ليس لدمه ينفرون ولكن الدنيا يطلبون انهض بنا إليهم فإن أجابوا إلى الحق فليس بعد الحق إلا الضلال و إن أبوا إلا الشقاق فذاك ظنى بهم و الله ما أراهم يبايعون و قد بقى فيهم أحد ممن يطاع إذ أنهى و يسمع إذا أمر . قال نصر و حدثنا عمر بن سعد عن الحارث بن حصيرة عن عبدالرحمن بن عبيد أبي الكنود أن عمار بن ياسر قام فحمد الله و أثنى عليه و قال يا أمير المؤمنين إن استطعت ألا تقيم يوماً واحداً فافعل اشخص بنا قبل استعارة نار الفجرة و اجتماع رأيهم على الصدود و الفرقة و ادعهم إلى حظهم و رشدهم فإن قبلوا سعدوا و إن أبوا إلا حربنا فو الله إن سفك دمائهم و الجد فى جهادهم لقربة عند الله و كرامة منه ثم قام قيس بن سعد بن عبادة فحمد الله و أثنى عليه ثم قال يا أمير المؤمنين انكمش بنا إلى عدونا و لاتعرج فو الله لجهادهم أحب إلى من جهاد الترك [صفحه ١٧٣] و الروم لإدهانهم فى دين الله و استدلالهم أولياء الله من أصحاب محمد ص من المهاجرين و الأنصار و التابعين يا حسان إذا غضبوا على رجل حبسوه و ضربوه و حرموه و سيروه و فيئنا لهم فى أنفسهم حلال و نحن لهم فيما يزعمون قطين قال يعنى رقيق فقال أشياخ الأنصار منهم خزيمه بن ثابت و أبو أيوب و غيرهما لم تقدمت أشياخ قومك و بدأتهم بالكلام يا قيس فقال أما إنى عارف بفضلكم معظم لشأنكم ولكنى وجدت فى نفسى الضغن الذى فى صدوركم جاش حين ذكرت الأحزاب . فقال بعضهم لبعض ليقم رجل منكم فليجب أمير المؤمنين عن جماعتكم فقام سهل بن حنيف فحمد الله و أثنى عليه ثم قال يا أمير المؤمنين نحن سلم لمن سالمت و حرب لمن حاربت و رأينا رأيك و نحن يمينك و قدرأينا أن تقوم بهذا الأمر فى أهل الكوفة فتأمرهم بالشخوص و تخبرهم بما صنع لهم فى ذلك من الفضل فإنهم أهل البلد وهم الناس فإن استقاموا لك استقام لك الذى تريد و تطلب فأما نحن فليس عليك خلاف منا متى

دعوتنا أجبناك ومتى أمرتنا أطعناك . قال نصر فحدثنا عمر بن سعد عن أبي مخنف عن زكريا بن الحارث عن أبي خشيش عن معبد قال قام على ع خطيبا على منبره فكننت تحت المنبر أسمع تحريضه الناس وأمره لهم بالمسير إلى صفين لقتال أهل الشام فسمعتة يقول -رواية- ١-٢-رواية- ٩٠-ادامه دارد [صفحة ١٧٤] سيروا إلى أعداء الله سيروا إلى أعداء القرآن والسنة سيروا إلى بقية الأحزاب وقتله المهاجرين والأنصار -رواية- از قبل- ١٠٥ فقام رجل من بنى فزارة فقال له أتريد أن تسير بنا إلى إخواننا من أهل الشام فنقتلهم لك كما سرت بنا إلى إخواننا من أهل البصرة فقتلتهم كلاها الله إذا لانفعل ذلك . فقام الأشر فقتل من هذا المارق . فهرب الفزاري واشتد الناس على أثره فلحق في مكان من السوق تباع فيه البراذين فوطئوه بأرجلهم وضربوه بأيديهم ونعال سيوفهم حتى قتل فأتى على ع فقيل له يا أمير المؤمنين قتل الرجل قال و من قتله قالوا قتلتهم همدان ومعهم شوب من الناس فقال قتيل عمية لا يدري من قتله ديته من بيت مال المسلمين -رواية- ١-١٧٤ فقال بعض بنى تيم اللات بن ثعلبة أعوذ بربي أن تكون منيتي || كما مات في سوق البراذين أريد تعاوره همدان خفق نعالهم || إذ رفعت عنه يد وضعت يد . فقام الأشر فقال يا أمير المؤمنين لا يهدنك مارأيت ولا يؤيسنك من نصرنا ما سمعت من مقالة هذا الشقي الخائن إن جميع من ترى من الناس شيعتك لا يرغبون بأنفسهم عن نفسك ولا يحبون البقاء بعدك فإن شئت فسر بنا إلى عدوك فوالله ما ينجو من الموت من خافه ولا يعطى البقاء من أحبه وإنما لعل بينه من ربنا وإن أنفسنا لن تموت حتى يأتي أجلها وكيف لانقاتل قوما هم كما وصف أمير المؤمنين وقد وثبت عصابه منهم على طائفة من المسلمين بالأمس وباعوا خلاقهم بعرض من الدنيا يسير. [صفحة ١٧٥] فقال على ع الطريق مشترك والناس في الحق سواء ومن اجتهد رأيه في نصيحة العامة فقد قضى ما عليه ثم نزل فدخل منزله -رواية- ١-٢-رواية- ١٧-١٢٧ . قال نصر و حدثنا عمر بن سعد قال حدثني أبوزهير العباسي عن النضر بن صالح أن عبد الله بن المعتم العباسي وحنظلة بن الربيع التميمي لما أمر على ع الناس بالمسير إلى الشام دخلا عليه في رجال كثير من غطفان وبنى تميم فقال له حنظلة يا أمير المؤمنين إنا قدمشينا إليك في نصيحة فاقبلها ورأينا لك رأيا فلا تردنه علينا فإنا نظرنا لك ولمن معك أقم و كاتب هذا الرجل ولا تعجل إلى قتال أهل الشام فإنا والله ماندرى ولا تدرى لمن تكون الغلبة إذ التقيتم ولا على من تكون الدبرة . وقال ابن المعتم مثل قوله وتكلم القوم الذين دخلوا معهما بمثل كلامهما فحمد على ع الله وأثنى ثم قال أما بعد فإن الله وارث العباد والبلاد ورب السموات السبع والأرضين السبع وإليه ترجعون يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء أما الدبرة فإنها على الضالين العاصين ظفروا أو ظفر بهم وإيم الله إنى لأسمع كلام قوم ما أراهم يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرا -رواية- ١-٣٣١ . فقام إليه معقل بن قيس الرياحي فقال يا أمير المؤمنين إن هؤلاء والله ما آثروك بنصح ولا دخلوا عليك إلا يبغش فاحذرهم فإنهم أدنى العدو . وقال له مالك بن حبيب إنه بلغنى يا أمير المؤمنين أن حنظلة هذا يكتب معاوية فادفعه إلينا نحسبه حتى تنقضى غزاتك وتنصرف . [صفحة ١٧٦] وقام من بنى عيس قائد بن بكير وعياش بن ربيعة العباسيان فقالا- يا أمير المؤمنين إن صاحبنا عبد الله بن المعتم قد بلغنا أنه يكتب معاوية فاحسبه أو مكننا من حسبه حتى تنقضى غزاتك ثم تنصرف . فقالا هذا جزء لمن نظر لكم وأشار عليكم بالرأى فيما بينكم وبين عدوكم . فقال لهما على ع الله بينى وبينكم وإليه أكلكم وبه أستظهر عليكم اذهبوا حيث شئتم -رواية- ١-٩٠ قال نصر وبعث على ع إلى حنظلة بن الربيع المعروف بحنظلة الكاتب وهو من الصحابة فقال له يا حنظلة أنت على أم لى فقال لا لك ولا عليك قال فما تريد قال اشخص إلى الرها فإنه فرج من الفروج اصمد له حتى ينقضى هذا الأمر -رواية- ١-٢-رواية- ١١-٢٢٩ . فغضب من قوله خيار بنى عمرو بن تميم وهم رهطه فقال إنكم والله لا تغرونى من دينى دعونى فإنا أعلم منكم فقالوا والله إن لم تخرج مع هذا الرجل لاندع فلانة تخرج معك لأم ولده ولا ولدها ولئن أردت ذلك لنقتلنك . فأعانه ناس من قومه واخترطوا سيوفهم فقال أجلونى حتى أنظر ودخل منزله وأغلق بابه حتى إذا أمسى هرب إلى معاوية وخرج من بعده إليه من قومه رجال كثير وهرب ابن المعتم أيضا

حتى أتى معاوية في أحد عشر رجلا من قومه . و أما حنظلة فخرج إلى معاوية في ثلاثة وعشرين رجلا من قومه لكنهما لم يقاتلا مع معاوية واعتزلا الفريقين جميعا. [صفحة ١٧٧] وقال وأمر على ع بهدم دار حنظلة فهدمت هدمها عرفهم شبت بن ربي وبكر بن تميم فقال حنظلة بهجوهما أيا راكبا إما عرضت فبلغن || مغلغة عنى سراة بنى عمرو فأوصيكم بالله والبر والتقوى || و لا تنظروا فى النائبات إلى بكر و لاشبت ذى المنخرين كأنه || أرب جمال قدرغا ليلة النفر . و قال أيضا يحرض معاوية بن أبى سفيان أبلغ معاوية بن حرب خطه || ولكل سائلة تسيل قرار لا تقبلن ذنية ترضونها || فى الأمر حتى تقتل الأنصار و كمانبوء دماؤهم بدمائكم || و كمانبوء بالديار ديار وترى نساؤهم يجلن حواسرا || ولهن من ثكل الرجال جوار . قال نصر حدثنا عمر بن سعد عن سعد بن طريف عن أبى المجاهد عن المحل بن خليفة قال قام عدى بن حاتم الطائى بين يدى على ع فحمد الله وأثنى عليه و قال يا أمير المؤمنين ما قلت إلا يعلم و لادعوت إلا إلى حق و لا أمرت إلا برشد ولكن إذ رأيت أن تستأنى هؤلاء القوم و تستديمهم حتى تأتيمهم كتبك و يقدم عليهم رسلك فعلت فإن يقبلوا يصيبوا رشدهم والعافية أوسع لنا ولهم [صفحة ١٧٨] و إن يتمادوا فى الشقاق و لا ينزعوا عن الغى فسر إليهم و قد قدمنا إليهم بالعدو و دعوناهم إلى ما فى أيدينا من الحق فو الله لهم من الحق أبعد و على الله أهون من قوم قاتلناهم أمس بناحية البصرة لمادعوناهم إلى الحق فتركوه نأوجناهم براكاء القتال حتى بلغنا منهم مانحب وبلغ الله منهم رضا . فقام زيد بن حصين الطائى و كان من أصحاب البرانس المجتهدين فقال الحمد لله حتى يرضى و لا إله إلا الله ربنا أما بعد فو الله إن كنا فى شك من قتال من خالفنا و لا تصلح لنا النية فى قتالهم حتى نستديمهم و نستأنيهم ما الأعمال إلا فى تباب و لا السعى إلا فى ضلال و الله تعالى يقول وَ أَمَا يَنْعَمِيَهُ رَبُّكَ فَحَدَّثَانَا و الله ما ارتبنا طرفه عين فيمن يتبعونه فكيف بأتباعه القاسية قلوبهم القليل من الإسلام حظهم أعوان الظلمة و أصحاب الجور والعدوان ليسوا من المهاجرين و لا الأنصار و لا التابعين يا حسان . فقام رجل من طيئ فقال يازيد بن حصين أكلام سيدنا عدى بن حاتم تهجن فقال زيد ما أنتم بأعرف بحق عدى منى ولكنى لأدع القول بالحق و إن سخط الناس . قال نصر و حدثنا عمر بن سعد عن الحارث بن حصين قال دخل أبو زينب - قرآن - ٥٨٧-٦١٩ [صفحة ١٧٩] بن عوف على على ع فقال يا أمير المؤمنين لئن كنا على الحق لأنت أهدانا سيلا - وأعظمتنا فى الخير نصيبا ولئن كنا على ضلال إنك لأثقلنا ظهرا وأعظمتنا وزرا قد أمرتنا بالمسير إلى هذا العدو و قد قطعنا ما بيننا وبينهم من الولاية و أظهرنا لهم العداوة نريد بذلك ما يعلمه الله تعالى من طاعتك أ ليس الذى نحن عليه هو الحق المبين و الذى عليه عدونا هو الحوب الكبير . فقال ع بلى شهدت أنك إن مضيت معنا ناصرا لدعوتنا صحيح النية فى نصرنا قد قطعت منهم الولاية و أظهرت لهم العداوة كما زعمت فإنك ولى الله تسبح فى رضوانه و ترضى فى طاعته فأبشر أبازينب - رواية ١-٢-رواية ١٢-١٩٤ . و قال له عمار بن ياسر اثبت أبازينب و لا تشك فى الأحزاب أعداء الله ورسوله . فقال أبو زينب ما أحب أن لى شاهدين من هذه الأمة شهدا لى عما سألت من هذا الأمر الذى أهمنى مكانكما . قال وخرج عمار بن ياسر و هو يقول سيروا إلى الأحزاب أعداء النبى || سيروا فخير الناس أتباع على هذا أو ان طاب سل المشرفى || و قودنا الخيل و هز السمهري . قال نصر و حدثنا عمر بن سعد عن أبى روق قال دخل يزيد بن قيس الأرحبى على على ع فقال يا أمير المؤمنين نحن أولو جهاز و عدة و أكثر [صفحة ١٨٠] الناس أهل قوة و من ليس به ضعف و لاعله فمر منا ديك فليناد الناس يخرجوا إلى معسكرهم بالنخيلة فإن أخا الحرب ليس بالسئوم و لا النثوم و لا من إذا أمكنته الفرص أجلها واستشار فيها و لا من يؤخر عمل الحرب فى اليوم لغد و بعد غد . فقال زياد بن النضر لقد نصح لك يزيد بن قيس يا أمير المؤمنين و قال ما يعرف فتوكل على الله وثق به واشخص بنا إلى هذا العدو راشدا معانا فإن يرد الله بهم خيرا لا يتركوك رغبة عنك إلى من ليس له مثل سابقتك و قدمك و لا ينيبوا و يقبلوا و يأبوا إلا حربنا نجد حربهم علينا هينا و نرجو أن يصرعهم الله مصارع إخوانهم بالأمس . ثم قام عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى فقال يا أمير المؤمنين إن القوم لو كانوا الله يريدون والله يعملون ما خالفونا ولكن القوم إنما يقاتلونا

فرارا من الأسوة وحبا للأثرة وضنا بسلطانهم وكرها لفراق دنياهم التي في أيديهم و على إحن في نفوسهم و عداوة يجدونها في صدورهم لوقائع أوقعتها يا أمير المؤمنين بهم قديمة قتلت فيها آباءهم وأعوانهم . ثم التفت إلى الناس فقال كيف يبايع معاوية عليا وقد قتل أخاه حنظلة وخاله الوليد وجده عتبة في موقف واحد و الله ما أظنهم يفعلون ولن يستقيموا لكم دون أن تقصف فيهم قنا المران وتقطع على هامهم السيوف وتثر حواجبهم بعمد الحديد وتكون أمور جمه بين الفريقين . [صفحہ ۱۸۱] قال نصر و حدثنا عمر بن سعد عن الحارث بن حصين عن عبد الله بن شريك قال خرج حجر بن عدى وعمر بن الحماق يظهران البراءة من أهل الشام فأرسل علي ع إليهما أن كفا عما يبلغني عنكما فأتياه فقالا يا أمير المؤمنين ألسنا محقين قال بلى قالوا ليسوا مبطلين قال بلى قال فلم منعنا من شتمهم قال كرهت لكم أن تكونوا لعانيين شتامين تشتمون وتبءون ولكن لو وصفتهم مساوئ أعمالهم فقلت من سيرتهم كذا وكذا و من أعمالهم كذا وكذا كان أصوب في القول وأبلغ في العذر و قلمت مكان لعنكم إياهم وبراءتكم منهم اللهم احقن دماءهم ودماءنا وأصلح ذات بينهم وبيننا واهددهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق منهم من جهله ويرعوى عن الغي والعدوان منهم من لهج به لكان أحب إلى وخيرا لكم فقالا- يا أمير المؤمنين نقبل عظمتك ونتأدب بأدبك -روایت-۱-۲-روایت-۷۷-۷۴۴ . قال نصر و قال له عمرو بن الحمق يومئذ و الله يا أمير المؤمنين إنى ما أحببتك و لا يابعتك على قرابة بينى وبينك و لا إرادة مال تؤتيني و لا التماس سلطان ترفع ذكرى به ولكنى أحببتك بخصال خمس إنك ابن عم رسول الله ص ووصيه و أبوالذرية التي بقيت فينا من رسول الله ص و أسبق الناس إلى الإسلام و أعظم المهاجرين سهما في الجهاد فلو أنى كلفت نقل الجبال الرواسى و نزع البحور الطوامى حتى يأتى على يومى فى أمر أقوى به وليك و أهين عدوك ما رأيت أنى قد أدبت فيه كل الذى يحق على من حقك . فقال علي ع اللهم نور قلبه بالتقى و اهدده إلى صراطك المستقيم -روایت-۱-۲-روایت-۱۷-ادامه دارد [صفحہ ۱۸۲] ليت أن فى جندي مائة مثلك -روایت-از قبل-۳۲ فقال حجر إذا و الله يا أمير المؤمنين صح جندك و قل فيهم من يغشك . قال نصر و قام حجر بن عدى فقال يا أمير المؤمنين نحن بنو الحرب و أهلها الذين نلقحها و ننتجها قد ضارستنا و ضارسانها و لنا أعوان و عشيرة ذات عدد و رأى مجرب و بأس محمود و أزمنا منقادة لك بالسمع و الطاعة فإن شرت شرقنا و إن غربت غربنا و ما أمرتنا به من أمر فعلنا فقال علي ع أ كل قومك يرى مثل رأيك قال ما رأيت منهم إلا حسنا و هذه يدى عنهم بالسمع و الطاعة و حسن الإجابة فقال له علي ع خيرا -روایت-۱-۲-روایت-۱۷-۱۴۱ . قال نصر حدثنا عمر بن سعد قال كتب ع إلى عماله حينئذ يستفزههم فكتب إلى مخنف بن سليم سلام عليك فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو أما بعد فإن جهاد من صدف عن الحق رغبة عنه و عب فى نعاس العمى و الضلال اختيارا له فريضة على العارفين إن الله يرضى عن من أراضاه و يسخط على من عصاه و إنا قد هممنا بالسير إلى هؤلاء القوم الذين عملوا فى عباد الله بغير ما أنزل الله و استأثروا بالفى و عطلوا الحدود و أماتوا الحق و أظهروا فى الأرض الفساد و اتخذوا الفاسقين وليجة من دون المؤمنين فإذاولى الله أعظم أحداثهم أبغضوه و أقصوه و حرموه و إذا ظالم ساعدهم على ظلمهم أحبوه و أدنوه و بروه فقد أصروا على الظلم و أجمعوا على الخلاف و قديما ما صدوا عن الحق و تعاونوا على الإثم و كانوا ظالمين فإذا أتيت بكتابى هذا فاستخلف على عملك أوثق أصحابك فى نفسك و أقبل إلينا لعلك تلقى معنا هذا العدو -روایت-۱-۲-روایت-۲۷-ادامه دارد [صفحہ ۱۸۳] المحل فتأمر بالمعروف و تنهى عن المنكر و تجماع الحق و تباين الباطل فإنه لا غناء بنا و لا بك عن أجر الجهاد و حسنا الله و نعم الوكيل -روایت-از قبل-۱۳۹ . و كتبه عبيد الله بن أبى رافع فى سنة سبع و ثلاثين . قال فاستعمل مخنف على أصبهان الحارث بن أبى الحارث بن الربيع و استعمل على همدان سعيد بن وهب و كلاهما من قومه و أقبل حتى شهد مع علي ع صفين . قال نصر و كتب عبد الله بن العباس من البصرة إلى علي ع يذكر له اختلاف أهل البصرة فكتب إليه علي ع من عبد الله بن علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن عباس أما بعد فقد قدم على رسولك و قرأت كتابك تذكر فيه حال أهل البصرة و اختلافهم بعد انصرافى عنهم

وسأخبرك عن القوم وهم بين مقيم لرغبة يرجوها أو خائف من عقوبته يخشاها فأرغب راغبهم بالعدل عليه والإنصاف له والإحسان إليه واحلل عقدة الخوف عن قلوبهم وانه إلى أمرى ولا تعده وأحسن إلى هذا الحى من ربيعه و كل من قبلك فأحسن إليه ما استطعت إن شاء الله -رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-٤٤٤ . قال نصر وكتب إلى أمراء أعماله كلهم بنحو ما كتب به إلى مخنف بن سليم وأقام ينتظرهم . قال فحدثنا عمر بن سعد عن أبي روق قال قال زياد بن النضر الحارثى لعبد الله بن بديل إن يومنا اليوم عصبب ما يصبر عليه إلا كل مشيع القلب الصادق [صفحه ١٨٤] النية رابط الجأش وايم الله ما أظن ذلك اليوم يبقى منهم و لا منا إلا الرذال . فقال عبد الله بن بديل أنا و الله أظن ذلك فيبلغ كلامهما عليا ع فقال لهما ليكن هذا الكلام مخزوناً في صدوركما لا تظهراه و لا يسمعه منكما سامع إن الله كتب القتل على قوم والموت على آخرين و كل آتية منيته كما كتب الله له فطوبى للمجاهدين فى سبيله والمقتولين فى طاعته -رواية- ١-٢-رواية- ١٣-٢١٥ . قال نصر فلما سمع هاشم بن عتبة ما قاله أتى عليا ع فقال سر بنا يا أمير المؤمنين إلى هؤلاء القوم القاسية قلوبهم الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم وعملوا فى عباد الله بغير رضا الله فأحلوا حرامه وحرّموا حلاله واستوى بهم الشيطان ووعدهم بالأبطل ومنهم الأمانى حتى أزاعهم عن الهدى وقصد بهم قصد الردى وحبب إليهم الدنيا فهم يقاتلون على دنياهم رغبة فيها كرهت لنا فى الآخرة وانتجاز موعد ربنا و أنت يا أمير المؤمنين أقرب الناس من رسول الله ص رحما وأفضل الناس سابقه و قدما وهم يا أمير المؤمنين يعلمون منك مثل الذى نعلم ولكن كتب عليهم الشقاء ومالت بهم الأهواء وكانوا ظالمين فأيدينا مبسوطة لك بالسمع والطاعة وقلوبنا منسرحه لك ببذل النصيحة وأنفسنا تنصرك على من خالفك وتولى الأمر دونك جدله و الله ما أحب أن لى ما على الأرض مما أقلت و لا ماتحت السماء مما أظلت وأنى واليت عدوا لك أو عادت و ليا لك فقال ع اللهم ارزقه الشهادة فى سبيلك والمرافقة لنبيك -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-٦١ قال نصر ثم إن عليا ع صعد المنبر فخطب الناس ودعاهم إلى الجهاد فبدأ بحمد الله والثناء عليه ثم قال -رواية- ١-٢-رواية- ١١-ادامه دارد [صفحه ١٨٥] إن الله قد أكرمكم بدينه وخلقكم لعبادته فانصبوا أنفسكم فى أداء حقه وتنجزوا موعوده واعلموا أن الله جعل أمراس الإسلام متينة وعراه وثيقة ثم جعل الطاعة حظ الأنفس ورضا الرب و غنيمه الأكياس عند تفریط العجزه و قد حملت أمر أسودها وأحمرها و لا قوة إلا بالله ونحن سائرون إن شاء الله إلى من سفه نفسه وتناول ما ليس له و ما لا يدركه معاوية و جنده الفئة الطاغية الباغية يقودهم إبليس و يبرق لهم ببارق تسويفه ويدليهم بغروره وأنتم أعلم الناس بالحلال والحرام فاستغنوا بما علمتم واحذروا ما حذركم الله من الشيطان وارغبوا فيما عنده من الأجر والكرامة واعلموا أن المسلوب من سلب دينه وأمانته والمغرور من آثر الضلالة على الهدى فلا تعرفن أحدا منكم تقاعس عنى و قال فى غيرى كفاية فإن الذود إلى الذود إبل و من لا يزد عن حوضه يتهدم ثم إنى آمركم بالشدة فى الأمر والجهاد فى سبيل الله وألا تغتابوا مسلما وانتظروا للنصر العاجل من الله إن شاء الله -رواية- از قبل -٨٧٤ قال نصر ثم قام ابنه الحسن بن على ع فقال الحمد لله لا إله غيره و لا شريك له ثم قال إن مما عظم الله عليكم من حقه وأسبغ عليكم من نعمه ما لا يحصى ذكره و لا يؤدى شكره و لا يبلغه قول و لا صفة ونحن إنما غضبنا لله ولكم إنه لم يجتمع قوم قط على أمر واحد إلا اشتد أمرهم واستحكمت عقدتهم فاحتشدوا فى قتال عدوكم معاوية وجنوده و لا تخاذلوا فإن الخذلان يقطع نياط القلوب و إن الإقدام على الأسنة نخوة وعصمة لم يتمنع قوم قط إلا رفع الله عنهم العلة وكفاهم جوائح الذلة وهداهم إلى معالم الملة ثم أنشد -رواية- ١-٢-رواية- ١١-ادامه دارد [صفحه ١٨٦] والصلح تأخذ منه ما رضيت به || والحرب يكفيك من أنفاسها جرع -رواية- از قبل -١-رواية- ٢-ادامه دارد ثم قام الحسين بن على ع فحمد الله وأثنى عليه و قال يا أهل الكوفة أنتم الأحبة الكرماء والشعار دون الدثار جدوا فى إطفاء مادثر بينكم وتسهيل ماتوعر عليكم ألا إن الحرب شرها ذريع وطعمها فظيع فمن أخذ لها أهبتها واستعد لها عدتها و لم يألم كلومها قبل حلولها فذاك صاحبها و من عاجلها قبل أو ان فرصتها واستبصار سعيه فيها فذاك قمن ألا ينفع قومه و أن يهلك نفسه نسال الله بقوته أن يدعمكم بالفيئة ثم

نزل -رواية- از قبل- ٤٢٢ قال نصر فأجاب علياً إلى السير جل الناس إلا أن أصحاب عبد الله بن مسعود أتوه فيهم عبيدة السلماني وأصحابه فقالوا له إنا نخرج معكم ولا نترك عسكركم ونعسكر على حدة حتى ننظر في أمركم وأمر أهل الشام فمن رأيناه أراد ما لا يحل له أوبدا لنا منه بغى كنا عليه فقال لهم علي ع مرحبا وأهلا هذا هو الفقه في الدين والعلم بالسنة من لم يرض بهذا فهو خائن جبار -رواية- ١-٢-رواية- ١١-٣٧١ . وأتاه آخرون من أصحاب عبد الله بن مسعود منهم الربيع بن خثيم وهم يومئذ أربعمائه رجل فقالوا يا أمير المؤمنين إنا قد شككنا في هذا القتال على معرفتنا بفضلك ولاغناء بنا ولا بك ولا بالمسلمين عمن يقاتل العدو فولنا بعض هذه الثغور نكمن ثم نقاتل عن أهلنا فوجه علي ع بالربيع بن خثيم على ثغر الرى فكان أول لواء عقده ع بالكوفة لواء الربيع بن خثيم . [صفحة ١٨٧] قال نصر وحدثني عمر بن سعد عن يوسف بن يزيد عن عبد الله بن عوف بن الأحمري أن علياً لم يبرح النخيلة حتى قدم عليه ابن عباس بأهل البصرة قال وكان كتاب علي ع إلى ابن عباس أما بعد فاشخص إلى بمن قبلك من المسلمين والمؤمنين وذكرهم بلائى عندهم وعتوى عنهم في الحرب وأعلمهم الذى لهم فى ذلك من الفضل والسلام -رواية- ١-١٥٠ قال فلما وصل كتابه إلى ابن عباس بالبصرة قام فى الناس فقرأ عليهم الكتاب وحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس استعدوا للشخص إلى إمامكم وانفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فإنكم تقاتلون المحلين القاسطين الذين لا يقرءون القرآن ولا يعرفون حكم الكتاب ولا يدينون دين الحق مع أمير المؤمنين و ابن عم رسول الله الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والصادق بالحق والقيم بالهدى والحاكم بحكم الكتاب الذى لا يرتشى فى الحكم ولا يدهن الفجار ولا تأخذ فى الله لومة لائم -رواية- ١-٢-رواية- ٨-٥١٣ . فقام إليه الأحنف بن قيس فقال نعم والله لنجيبنك ولنخرجن معك على العسر واليسر والرضا والكراهة نحتسب فى ذلك الأجر ونأمل به من الله العظيم حسن الثواب . وقام خالد بن المعمر السدوسى فقال سمعنا وأطعنا فمتى استنفرتنا نفرنا ومتى دعوتنا أجبتنا . وقام عمرو بن مرجوم العبدى فقال وفق الله أمير المؤمنين وجمع له أمر المسلمين [صفحة ١٨٨] ولعن المحلين القاسطين لا يقرءون القرآن نحن والله عليهم حقوق ولهم فى الله مفارقون فمتى أردتنا صحبتك خيلنا ورجلنا إن شاء الله . قال وأجاب الناس إلى المسير ونشطوا وخفوا فاستعمل ابن عباس على البصرة أبا الأسود الدؤلى وخرج حتى قدم على علي ع بالنخيلة

كتاب محمد بن أبى بكر إلى معاوية وجوابه عليه

قال نصر وكتب محمد بن أبى بكر إلى معاوية من محمد بن أبى بكر إلى الغاوى معاوية بن صخر سلام على أهل طاعة الله ممن هو سلم لأهل ولاية الله أما بعد فإن الله بجلاله وعظمته وسلطانه وقدرته خلق خلقا بلا عبث ولا ضعف فى قوته لا حاجة به إلى خلقهم ولكنه خلقهم عبيدا وجعل منهم شقيا وسعيدا وغويا ورشيدا ثم اختارهم على علمه فاصطفى وانتخب منهم محمدا صفاختصه برسالته واختاره لوحيه واثمنه على أمره وبعثه رسولا مصدقا لما بين يديه من الكتب ودليلا على الشرائع فدعا إلى سبيل أمره بالحكمة والموعظة الحسنة فكان أول من أجاب وأجاب وصدق ووافق فأسلم وسلم أخوه وابن عمه على بن أبى طالب ع فصدقه بالغيب المكتوم وآثره على كل حميم ووقاه كل هول وواساه بنفسه فى كل خوف فحارب حربه وسالم سلمه فلم يبرح مبتذلا لنفسه فى ساعات الأزل ومقامات الروع حتى برز سابقا [صفحة ١٨٩] لا نظير له فى جهاده ولا مقارب له فى فعله وقد رأيتك تساميه وأنت أنت وهو هو السابق المبرز فى كل خير أول الناس إسلاما وأصدق الناس نية وأطيب الناس ذرية وأفضل الناس زوجة وخير الناس ابن عم وأنت اللعين ابن اللعين لم تزل أنت وأبوك تبغيان لدين الله الغوائل وتجتهدان على إطفاء نور الله وتجمعان على ذلك الجموع وتبذلان فيه المال وتحالفان فى ذلك القبائل على هذامات أبوك وعلى ذلك خلفته والشاهد

عليك بذلك من يأوى ويلجأ إليك من بقية الأحزاب ورءوس النفاق والشقاق لرسول الله ص والشاهد لعلى مع فضله وسابقته القديمة أنصاره الذين ذكرهم الله تعالى فى القرآن ففضلهم وأثنى عليهم من المهاجرين والأنصار فهم معه كتائب وعصائب يجالدون حوله بأسيا فهم ويهريقون دماءهم دونه يرون الفضل فى اتباعه والشقاق والعصيان فى خلافه فكيف يا لك الويل تعدل نفسك بعلى و هو وارث رسول الله ص ووصيه و أبولده وأول الناس له اتباعا و آخرهم به عهدا يخبره بسره ويشركه فى أمره و أنت عدوه و ابن عدوه فتمتع ما استطعت بباطلك و ليمددك لك ابن العاص فى غوايتك فكان أجلك قد انقضى وكيدك قد وهى وسوف تستبين لمن تكون العاقبة العليا واعلم أنك إنما تكايد ربك الذى قد أمنت كيدك وأيست من روحه و هو لك بالمرصاد و أنت منه فى غرور وباللّه وبأهل بيت رسوله عنك الغناء و السلام على من اتبع الهدى . فكتب إليه معاوية من معاوية بن أبى سفيان إلى الزارى على أبيه محمد بن أبى بكر سلام على أهل طاعة الله أما بعد فقد أتانى كتابك تذكر فيه ما لله أهله فى قدرته وسلطانه و ما أصفى به نبيه مع كلام ألفته ووضعت له لأريك فيه تضعيف ولأبيك فيه تعنيف ذكرت حق [صفحة ١٩٠] ابن أبى طالب وقديم سابقته وقربته من نبي الله ونصرته له ومواساته إياه فى كل خوف وهول واحتجاجك على وفخرك بفضل غيرك لا بفضلك فاحمد إليها صرف ذلك الفضل عنك وجعله لغيرك فقد كنا وأبوك معنا فى حياة نبينا نرى حق ابن أبى طالب لازما لنا وفضله مبرزا علينا فلما اختار الله لنبيه ماعنده وأتم له ما وعده وأظهر دعوته وأفلح حجته قبضه الله إليه فكان أبو بكر وفاروقه أول من ابتزّه وخالفه على ذلك اتفقا واتسقا ثم دعواه إلى أنفسهما فأبطأ عنهما وتلكا عليهما فهما به الهموم وأرادا به العظيم فبايعهما وسلم لهما لا يشركانه فى أمرهما ولا يطلعانه على سرهما حتى قبضا وانقضى أمرهما ثم أقاما بعدهما ثالثهما عثمان بن عفان يهتدى بهديهما ويسير بسيرتهما فعبته أنت وصاحبك حتى طمع فيه الأفاصى من أهل المعاصى وبطنتما وظهرتما وكشفتما له عداوتكما وغلكما حتى بلغتما منه مناكما فخذ حذررك يا ابن أبى بكر فسترى وبال أمرك وقس شبرك بفترك تقصر عن أن تساوى أوتوازى من يزن الجبال حلمه و لا تلين على قسر قناته و لا يدرك ذو مدى أناته أبو بكر مهد له مهاده وبنى ملكه وشاده فإن يكن مانحن فيه صوابا فأبو بكر أوله و إن يكن جورا فأبو بكر أسه ونحن شركاؤه فبهدها أخذنا وبفعله اقتدينا رأينا أباك فعل مافعل فاحتدينا مثاله واقتدينا بفعاله فعب أباك بما بدا لك أودع و السلام على من أناب ورجع من غوايته وناب . قال وأمر على ع الحارث الأعور أن ينادى فى الناس اخرجوا إلى معسكركم [صفحة ١٩١] بالنخيلة فنادى الحارث فى الناس بذلك وبعث إلى مالك بن حبيب اليربوعى صاحب شرطته يأمره أن يحشر الناس إلى المعسكر ودعا عقبه بن عمرو الأنصارى فاستخلفه على الكوفة و كان أصغر أصحاب العقبة السبعين ثم خرج ع وخرج الناس معه . قال نصر ودعا على ع زياد بن النضر وشريح بن هانئ وكانا على مذحج والأشعريين فقال يا زياد اتق الله فى كل ممسى ومصبح وخف على نفسك الدنيا الغرور لا تأمنها على حال واعلم أنك إن لم تزعها عن كثير مما تحب مخافة مكروهة سمت بك الأهواء إلى كثير من الضرر فكن لنفسك مانعا وازعا من البغى والظلم والعدوان فإنى قد ولتتك هذا الجند فلا تستطيلن عليهم إن خيركم عند الله أتقاكم تعلم من عالمهم وعلم جاهلهم واحلم عن سفيهم فإنك إنما تدرك الخير بالحلم وكف الأذى والجهل -رواية ١-٢-رواية ١١-٤٨٥ . فقال زياد أوصيت يا أمير المؤمنين حافظا لو وصيتك مؤديا لأربك يرى الرشد فى نفاذ أمرك والغى فى تضييع عهدك . فأمرهما أن يأخذا فى طريق واحد و لا يختلفا وبعثهما فى اثنى عشر ألفا على مقدمته و كل واحد منهما على جماعة من ذلك الجيش فأخذ شريح يعتزل بمن معه من أصحابه على حدة و لا يقرب زيادا فكتب زياد إلى على ع مع مولى له يقال له شوذب لعبد الله على أمير المؤمنين من زياد بن النضر سلام عليك فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو أما بعد فإنك وليتني أمر [صفحة ١٩٢] الناس و إن شريحا لا يرى بى عليه طاعة و لاحقا و ذلك من فعله بى استخفاف بأمرك وترك لعهدك و السلام . وكتب شريح بن هانئ إلى على ع لعبد الله على أمير المؤمنين من شريح بن هانئ سلام عليك فإنى أحمد الله إليك الذى لا إله إلا هو أما بعد فإن زياد

بن النضر حين أشركته في أمرك ووليته جندا من جنودك طغى واستكبر ومال به العجب والخيلاء والزهو إلى ما لا يرضى الله تعالى به من القول والفعل فإن رأى أمير المؤمنين ع أن يعزله عنا ويبعث مكانه من يحب فليفعل فإننا له كارهون والسلام . فكتب على ع إليهما من عبد الله على أمير المؤمنين إلى زياد بن النضر وشريح بن هانئ سلام عليكم فإنى أحمد إليكما الله الذى لا إله إلا هو أما بعد فإنى قد وليت مقدمتى زياد بن النضر وأمرته عليها وشريح بن هانئ على طائفة منها أمير فإن انتهى جمعكما إلى بأس فزياد بن النضر على الناس كلهم وإن افترقتما فكل واحد منكما أمير الطائفة التى وليناها أمرها واعلما أن مقدمه القوم عيونهم وعيون المقدمة طلائعهم فإذا أنتما خرجتما من بلادكما فلا تسأما من توجيه الطلائع و من نفص الشعاب والشجر والخمر فى كل جانب كى لا يغتركما عدو أو يكون لهم كمين ولا تسيرن الكتائب والقبائل من لدن الصباح إلى المساء إلا على تعبئة فإن دهمكم عدو أو غشيكم مكروه كنتم قد تقدمتم فى التعبئة فإذا نزلتم بعدو أو نزل بكم فليكن معسكركم فى قبل الأشراف أوسفاح -رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-ادامه دارد [صفحه ١٩٣] الجبال وأثناء الأنهار كيما يكون ذلك لكم رداء وتكون مقاتلتكم من وجه واحد أو اثنين واجعلوا رقباء كما فى صياصى الجبال وبأعلى الأشراف ومناكب الأنهار يرون لكم كى لا يأتىكم عدو من مكان مخافة أو أمن وإياكم والفرق فإذا نزلتم فانزلوا جميعا وإذ ارحلتم فارحلوا جميعا فإذا غشيكم الليل فنزلتم فحفوا عسكركم بالرماح والترسة ولتكن رمايتكم من وراء ترسكم ورماحكم يلونهم و ما أقمتم فكذلك فافعلوا كى لا تصاب لكم غفلة ولا تلتفى لكم غرة فما قوم يحفون عسكرهم برماحهم وترستهم من ليل أو نهار إلا كانوا كأنهم فى حصون واحرسا عسكركما بأنفسكما وإياكما أن تذوقا نوما حتى تصبحا لإغرازا أو مضمضة ثم ليكن ذلك شأنكما ودأبكما حتى تنتهيا إلى عدوكم وليكن كل يوم عندى خبركما ورسول من قبلكما فإنى ولا شىء إلا - ما شاء الله حيث السير فى أثركما عليكم فى جريكما بالتؤدة وإياكما والعجلة إلا أن تمكنكما فرصة بعد الإعدار والحجة وإياكما أن تقاتلا حتى أقدم عليكم إلا أن تبدءا أو يأتىكما أمرى إن شاء الله -رواية- از قبل- ٩٠٨ . قال نصر وكتب على ع إلى أمراء الأجناد و كان قد قسم عسكره أسباعا فجعل على كل سبع أميرا فجعل سعد بن مسعود الثقفى على قيس و عبد القيس ومعمل بن قيس اليربوعى على تميم وضبة والرباب وقريش [صفحه ١٩٤] وكنانة وأسد ومخنف بن سليم على الأزدي وبجيلة وخثعم والأنصار وخزاعة وحجر بن عدى الكندى على كندة وحضرموت وقضاة وزياد بن النضر على مذحج والأشعريين وسعيد بن مرة الهمداني على همدان و من معهم من حمير وعدى بن حاتم الطائى على طيى تجمعهم الدعوة مع مذحج وتختلف الرايتان راية مذحج مع زياد بن النضر وراية طيى مع عدى بن حاتم هذه عساكر الكوفة و أماعساكر البصرة فخالد بن معمر السدوسى على بكر بن وائل وعمرو بن مرجوم العبدى على عبد القيس و ابن شيمان الأزدي على الأزدي والأحنف على تميم وضبة والرباب وشريك بن الأعور الحارثى على أهل العالية أما بعد فإنى أبرأ إليكم من معرة الجنود إلا من جوعه إلى شبعة و من فقر إلى غنى أو عمى إلى هدى فإن ذلك عليهم فأغربوا الناس عن الظلم والعدوان وخذوا على أيدي سفهائكم واحترسوا أن تعملوا أعمالا لا يرضى الله بها عنا فيرد بها علينا وعليكم دعاءنا فإنه تعالى يقول ما يعجزوا بكم ربى لو لا -دُعَاؤُكُمْ و إن الله إذامقت قوما من السماء هلكوا فى الأرض فلاتألوا أنفسكم خيرا ولا الجنند حسن سيرة ولا الرعية معونة ولا دين الله قوة وأبلوا فى سبيله ما استوجب عليكم فإن الله قد اصطنع عندنا وعندكم ما يجب علينا أن نشكره بجهدنا و أن نصره ما بلغت قوتنا ولا قوة إلا بالله -رواية- ١-٥٨٠ [صفحه ١٩٥] وكتب ع إلى جنوده يخبرهم بالذى لهم وعليهم أما بعد فإن الله جعلكم فى الحق جميعا سواء أسودكم وأحمركم وجعلكم من الوالى وجعل الوالى منكم بمنزلة الوالى من الولد وبمنزلة الولد من الوالى الذى لا يكفيه منعه إياهم طلب عدوه والتهمة به ما سمعتم وأطعتم وقضيتم الذى عليكم فحقكم عليه إنصافكم والتعديل بينكم والكف عن فيئكم فإذا فعل معكم ذلك وجبت عليكم طاعته فيما وافق الحق ونصرته والدفع عن سلطان الله فإنكم وزعة الله فى الأرض فكونوا له أعوانا ولدينه أنصارا ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها إن الله لا يحب المفسدين -

روایت-۱-۲-روایت-۵۱-۵۵۰ قال نصر و حدثنا عمر بن سعد قال حدثنا سعد بن طريف عن الأصمغ بن نباته قال قال علي ع ما يقول الناس في هذا القبر و في النخيلة و بالنخيلة قبر عظيم يدفن اليهود موتاهم حوله فقال الحسن بن علي ع يقولون هذا قبر هود لماعصاه قومه جاء فمات هاهنا فقال كذبوا لأننا أعلم به منهم هذا قبر يهودا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بكر يعقوب ثم قال أها هنا أحد من مهرة فأتى بشيخ كبير فقال أين منزلك قال علي شاطئ البحر قال أين أنت من الجبل قال أنا قريب منه قال فما يقول قومك فيه قال يقولون إن فيه قبر ساحر قال كذبوا ذاك قبر هود النبي ع و هذا قبر يهودا بن يعقوب ثم قال -روایت-۱-۲-روایت-۹۱-ادامه دارد [صفحه ۱۹۶] ع يحشر من ظهر الكوفة سبعون ألفا على غرة الشمس يدخلون الجنة بغير حساب -روایت-از قبل-۷۶. قال نصر فلما نزل علي ع النخيلة متوجها إلى الشام وبلغ معاوية خبره و هو يومئذ بدمشق قد ألبس منبر دمشق قميص عثمان مختضا بالدم و حول المنبر سبعون ألف شيخ يكون حوله لا تجف دموعهم على عثمان خطبهم و قال يا أهل الشام قد كنتم تكذبونني في علي و قد استبان لكم أمره و الله ما قتل خليفتم غير ه و هو أمر بقتله و ألب الناس عليه و آوى قتلته و هم جنده و أنصاره و أعوانه و قد خرج بهم قاصدا بلادكم و دياركم لإبادتكم يا أهل الشام الله الله في دم عثمان فأنا وليه و أحق من طلب بدمه و قد جعل الله لولي المقتول ظلما سلطانا فانصروا خليفتم المظلوم فقد صنع القوم به ما تعلمون قتلوه ظلما و بغيا و قد أمر الله تعالى بقتال الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله ثم نزل . قال نصر فأعطوه الطاعة و انقادوا له و جمع إليه أطرافه و استعد للقاء علي ع [صفحه ۱۹۷]

۴۷- و من كلام له ع في ذكر الكوفة

اشاره

كَأَنِّي بِحِكِّ يَا كُوفَةُ تَمِيدِينَ مِيدَ الْأَدِيمِ الْعُكَاظِي تَعْرَكِينَ بِالْتَوَازِلِ وَ تُرْكَبِينَ بِالزَّلَازِلِ وَ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِكَ جَبَّارٌ سُوءًا إِلَّا ابْتِلَاءَهُ اللَّهُ بِشَاغِلٍ أَوْ رَمِيَاهُ بِقَاتِلٍ عَكَازٍ اسْمُ سَوْقٍ لِلْعَرَبِ بِنَاحِيَةِ مَكَّةَ كَانُوا يَجْتَمِعُونَ بِهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ يَقِيمُونَ شَهْرًا وَيَتْبَاعُونَ وَيَتَنَاشِدُونَ شِعْرًا وَيَتَفَاخَرُونَ قَالَ أَبُو ذُؤَيْبٍ إِذْ بَنَى الْقَبَابَ عَلَى عَكَازٍ || وَقَامَ الْبَيْعُ وَاجْتَمَعَ الْأَلُوفُ . فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامَ هَدَمَ ذَلِكَ وَأَكْثَرَ مَا كَانَ يَبَاعُ الْأَدِيمُ بِهَا فَنَسَبَ إِلَيْهَا . وَالْأَدِيمُ وَاحِدٌ وَالْجَمْعُ أَدَمٌ كَمَا قَالُوا أَفِيقٌ لِلْجِلْدِ الَّذِي لَمْ تَتَمَّ دَبَاغَتُهُ وَ جَمَعَهُ أَفَقٌ وَ قَدِ جَمَعَ أَدِيمٌ عَلَى آدَمَةَ كَمَا قَالُوا رَغِيفٌ وَأَرْغَفَةٌ . وَالزَّلَازِلُ هَاهُنَا الْأُمُورُ الْمَزْعُجَةُ وَالْخُطُوبُ الْمَحْرُكَةُ . [صفحه ۱۹۸] وَ قَوْلُهُ ع تَمْدِينَ مَدَّ الْأَدِيمِ اسْتِعَارَةٌ لِمَا يَنْبَغِيهَا مِنَ الْعَسْفِ وَالْخُبْطِ وَ قَوْلُهُ تَعْرَكِينَ مِنْ عَرَكْتِ الْقَوْمِ الْحَرْبِ إِذَا مَارَسْتَهُمْ حَتَّى اتَّعَبْتَهُمْ

فصل في ذكر فضل الكوفة

و قد جاء في فضل الكوفة عن أهل البيت ع شيء كثير نحو قول أمير المؤمنين ع نعمت المدرة -روایت-۱-۲-روایت-۲۵-۳۸ و قوله ع إنه يحشر من ظهرها يوم القيامة سبعون ألفا وجوههم على صورة القمر -روایت-۱-۲-روایت-۱۴-۸۰ و قوله ع هذه مدينتنا ومحلتنا ومقر شيعتنا -روایت-۱-۲-روایت-۱۴-۴۷ وقول جعفر بن محمد ع اللهم ارم من رماها وعاد من عادها -روایت-۱-۲-روایت-۲۶-۶۲ و قوله ع تربة تحبنا ونحبها -روایت-۱-۲-روایت-۱۴-۳۲. فأما ما هم به الملوك وأرباب السلطان فيها من السوء ودفع الله تعالى عنها فكثير. قال المنصور لجعفر بن محمد ع إنني قد هممت أن أبعث إلى الكوفة من ينقض منازلها

ويجمر نخلها ويستصفي أموالها ويقتل أهل الريبة منها فأشر على فقال يا أمير المؤمنين إن المرء ليقتدى بسلفه و لك أسلاف ثلاثة سليمان أعطى فشكر وأيوب ابتلى فصبر ويوسف قدر فغفر فاقتد بأبهم شئت فصمت قليلا ثم قال قدغفرت -رواية- ١- ٣١٠. [صفحة ١٩٩] وروى أبوالفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي في كتاب المنتظم أن زيادا لماحصبه أهل الكوفة و هو يخطب على المنبر قطع أيدي ثمانين منهم وهم أن يخرب دورهم ويجمر نخلهم فجمعهم حتى ملأ بهم المسجد والرحبة يعرضهم على البراءة من علي ع وعلم أنهم سيمتنعون فيحتج بذلك على استئصالهم وإخراب بلدهم . قال عبدالرحمن بن السائب الأنصاري فيأني لمع نفر من قومي و الناس يومئذ في أمر عظيم إذ هومت تهويمه فرأيت شيئا أقبل طويل العنق مثل عنق البعير أهدر أهدل فقلت ما أنت فقال أناالنقاد ذو الرقبة بعثت إلى صاحب هذاالقصر فاستيقظت فزعا فقلت لأصحابي هل رأيتم مارأيت قالوا لا فأخبرتهم وخرج علينا خارج من القصر فقال انصرفوا فإن الأمير يقول لكم إنني عنكم اليوم مشغول و إذابالطاعون قدضربه فكان يقول إنني لأجد في النصف من جسدني حر النار حتى مات فقال عبدالرحمن بن السائب ما كان منتها عما أراد بنا || حتى تناوله النقاد ذو الرقبة فاثبت الشق منه ضربه عظمت || كماتناول ظلما صاحب الرحبة . قلت قديظن ظان أن قوله صاحب الرحبة يمكن أن يحتج به من قال إن قبر أمير المؤمنين ع في رحبة المسجد بالكوفة و لاحجة في ذلك لأن أمير المؤمنين كان يجلس معظم زمانه في رحبة المسجد يحكم بين الناس فجاز أن ينسب إليه بهذا الاعتبار [صفحة ٢٠٠]

٤٨- و من خطبة له ع

إشارة

الْحَمْدُ لِلَّهِ كَلِمًا وَقَبَ لَيْلٍ وَ غَسَقَ وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا لَاحَ نَجْمٌ وَ خَفَقَ وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَفْقُودِ الْإِنْعَامِ وَ لَا مُكَافَأِ الْإِفْضَالِ أَمَا بَعْدُ فَقَدْ بَعَثْتُ مَقْدَمَتِي وَ أَمَرْتُهُمْ بَلْزُومِ هَذَا الْمِلْطَاطِ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرِي وَ قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَقْطَعَ هَذِهِ النَّظْفَةَ إِلَى شَرِّ ذِمَّةٍ مِنْكُمْ مُوْطِنِينَ أَكْتَأَفُ دِجْلَةَ فَأَنْهَضَهُمْ مَعَكُمْ إِلَى عَدُوِّكُمْ وَ أَجْعَلَهُمْ مِنْ أَمْدَادِ الْقُوَّةِ لَكُمْ قَالَ الرضی رحمه الله یعنی ع بالملطاط ها هنا السمت الذي أمرهم بلزومه و هوشاطي الفرات ويقال ذلك أيضا لشاطي البحر وأصله مااستوى من الأرض ويعنى بالنظفة ماء الفرات و هو من غريب العبارات وعجيبها وقب الليل أي دخل قال الله تعالى وَ مِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ. وغسق أي أظلم وخفق النجم أي غاب . -قرآن- ٢٤٤-٢٧٣ [صفحة ٢٠١] ومقدمه الجيش بكسر الدال أوله و مايتقدم منه على جمهور العسكر ومقدمه الإنسان بفتح الدال صدره والملطاط حافة الوادي وشفيرة وساحل البحر قال رؤبه نحن جمعنا الناس بالملطاط . قال الأصمعي یعنی به ساحل البحر وقول ابن مسعود هذاالملطاط طريق بقیة المؤمنین هرابا من الدجال یعنی به شاطي الفرات . فأما قول الرضی رحمه الله تعالی الملطاط السمت الذي أمرهم بلزومه و هوشاطي الفرات ويقال ذلك لشاطي البحر فلامعنى له لأنه لافرق بين شاطي الفرات وشاطي البحر وكلاهما أمر واحد و كان الواجب أن يقول الملطاط السمت في الأرض ويقال أيضا لشاطي البحر. والشردمة نفر قليلون . وموطنين أكتاف أي قدجعلوا أكتافها وطنا وأوطنت البقعة والأكتاف الجوانب واحدا كنف والأمداد جمع مدد و هو مايمد به الجيش تقوية له . و هذه الخطبة خطب بها أمير المؤمنين ع و هو بالنخيلة خارجا من الكوفة ومتوجها إلى صفين لخمس بقين من شوال سنة سبع وثلاثين ذكرها جماعة من أصحاب السير وزادوا فيها قدأمرت على المصر عقبه بن عمرو الأنصاري و لم آلكم و لانفسى فإياكم والتخلف والتربص فيأني قدخلفت مالک بن حبيب اليربوعي وأمرته ألا يترك متخلفا إلا-ألحقه بكم عاجلا- إن شاء الله -رواية- ١-١٨٨. [صفحة ٢٠٢] وروى نصر بن مزاحم عوض قوله فأنهضهم معكم إلى

عدوكم فأنهضهم معكم إلى عدو الله قال نصر فقام إليه معقل بن قيس الرياحي فقال يا أمير المؤمنين والله ما يتخلف عنك إلاظنين ولا يتربص بك إلا منافق فمر مالك بن حبيب فليضرب أعناق المتخلفين فقال قد أمرته بأمرى وليس بمقصر إن شاء الله -رواية- ٢-١-١١-٢١٧

أخبار على في جيشه و هو في طريقه إلى صفين

قال نصر بن مزاحم ثم سارع حتى انتهى إلى مدينة بهرسير و إذا رجل من أصحابه يقال له حر بن سهم بن طريف من بنى ربيعة بن مالك ينظر إلى آثار كسرى ويتمثل بقول الأسود بن يعفر جرت الرياح على محل ديارهم || فكأنما كانوا على ميعاد فقال له ع ألا قلت كم تر كوا من جنات و عيون و زروع و مقام كريم و نعيمه كانوا فيها فأكهين كذلك و أورتناها قوماً آخرين فما بكت عليهم السماء و الأرض و ما كانوا منظرين إن هؤلاء كانوا وارثين فأصبحوا مورثين و لم يشكروا النعمة فسلبوا دنياهم بالمعصية إياكم و كفر النعم لا تحل بكم النقم انزلوا بهذه الفجوة -رواية- ٢-١-١٦-٣٦٦ . [صفحة ٢٠٣] قال نصر و حدثنا عمر بن سعد عن مسلم الأعور عن حبه العرنى قال أمر على ع الحارث الأعور فصاح فى أهل المدائن من كان من المقاتلة فليواف أمير المؤمنين ع صلاة العصر فوافوه فى تلك الساعة فحمد الله و أثنى عليه ثم قال أما بعد فإنى قد تعجبت من تخلفكم عن دعوتكم و انقطاعكم عن أهل مصركم فى هذه المساكن الظالم أهلها الهالك أكثر ساكنيها لا معروف يأمرون به و لا منكر ينهون عنه -رواية- ٢-١-١٢-١٧٧. قالوا يا أمير المؤمنين إنا ننتظر أمرك مرنا بما أحببت فسار و خلف عليهم عدى بن حاتم أقام عليهم ثلاثا ثم خرج فى ثمانمائة رجل منهم و خلف ابنه زيادا بعده فلحقه فى أربعمائة رجل منهم . وجاء على ع حتى مر بالأنبار فاستقبله بنو خشنوشك دهاقينها قال نصر الكلمة فارسية أصلها خش أى الطيب قال فلما استقبلوه نزلوا عن خيولهم ثم جاءوا يشتدون معه و بين يديه و معهم براذين قد أوقفوها فى طريقه فقال ما هذه الدواب التى معكم و ما أردتم بهذا الذى صنعتم قالوا أما هذا الذى صنعنا فهو خلق منا نعظم به الأمراء و أما هذه البراذين فهديئة لك و قد صنعنا للمسلمين طعاما و هيأنا لدوابكم علفا كثيرا. فقال ع أما هذا الذى زعمتم أنه فىكم خلق تعظمون به الأمراء فو الله ما ينفع ذلك الأمراء و إنكم لتشقون به على أنفسكم و أبدانكم فلا تعودوا -رواية- ٢-١-١٢-ادامه دارد [صفحة ٢٠٤] له و أمادوا بكم هذه فإن أحببتم أن آخذها منكم و أحسبها لكم من خراجكم أخذناها منكم و أماطعناكم الذى صنعتم لنا فإننا نكره أن نأكل من أموالكم إلا بئمن قالوا يا أمير المؤمنين نحن نقومه ثم نقبل ثمنه قال إذا لا تقومونه قيمته نحن نكتفى بما هودونه قالوا يا أمير المؤمنين فإن لنا من العرب موالى و معارف أتمنعنا أن نهدي لهم أو تمنعهم أن يقبلوا منا فقال كل العرب لكم موال و ليس ينبغي لأحد من المسلمين أن يقبل هديتكم و إن غضبكم أحد فأعلمونا قالوا يا أمير المؤمنين إنا نحب أن تقبل هديتنا و كرامتنا قال و يحكم فنحن أغنى منكم و تركهم و سار -رواية- از قبل -٥٦٣. قال نصر و حدثنا عبدالعزيز بن سياه قال حدثنا حبيب بن أبى ثابت قال حدثنا أبو سعيد التيمى المعروف بعقيصى قال كنا مع على ع فى مسيره إلى الشام حتى إذا كنا بظهر الكوفة من جانب هذا السواد عطش الناس و احتاجوا إلى الماء فانطلق بنا على ع حتى أتى بنا إلى صخرة ضرس فى الأرض كأنها ربضة عتر فأمرنا فاقبلناها فخرج لنا من تحتها ماء فشرب الناس منه و ارتووا ثم أمرنا فأكفأناها عليه و سار الناس حتى إذا مضى قليلا -قال ع أنكم أحد يعلم مكان هذا الماء الذى شربتم منه قالوا نعم يا أمير المؤمنين قال فانطلقوا إليه فانطلق منا رجال ركبانا و مشاة فاقترضنا الطريق إليه حتى انتهينا إلى المكان الذى نرى أنه فيه فطلبناه فلم نقدر على شىء حتى إذا عيل علينا انطلقنا إلى دير قريب [صفحة ٢٠٥] منا فسألناهم أين هذا الماء الذى عندكم قالوا ليس قربنا ماء فقلنا بلى إنا شربنا منه قالوا أنتم شربتم منه قلنا نعم فقال صاحب الدير و

الله ما بنى هذا الدير إلا بذلك الماء وما استخرجه إلا بنى أو وصى نبي. قال نصر ثم مضى ع حتى نزل بأرض الجزيرة فاستقبله بنو تغلب والنمر بن قاسط بجزور فقال ع ليزيد بن قيس الأرحبي يا يزيد قال ليبيك يا أمير المؤمنين قال هؤلاء قومك من طعامهم فاطعم و من شرابهم فاشرب -رواية- ١-٢-رواية- ١١-٢٠٧. قال ثم سار حتى أتى الرقة و جل أهلها عثمانية فروا من الكوفة إلى معاوية فأغلقوا أبوابها دونه و تحصنوا و كان أميرهم سماك بن مخرقه الأسدي في طاعة معاوية و قد كان فاروق عليا ع في نحو من مائة رجل من بني أسد ثم كاتب معاوية و أقام بالرقة حتى لحق به سبعمائة رجل . قال نصر فروى حبة أن عليا ع لما نزل على الرقة نزل بموضع يقال له البليخ على جانب الفرات فنزل راهب هناك من صومعته فقال لعلي ع إن عندنا كتابا توارثناه عن آباؤنا كتبه أصحاب عيسى ابن مريم أعرضه عليك قال نعم فقرأ الراهب الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم الذي قضى فيما قضى و سطر فيما كتب أنه باعث في الأميين رسولا منهم يعلمهم الكتاب و الحكمة و يدلهم على سبيل الله لافظ و لا غليظ و لا صخاب في الأسواق و لا يجزى بالسيئة السيئة بل يعفو و يصفح أمته الحمادون الذين يحمدون الله على كل نشر و في كل صعود و هبوط تذلل ألسنتهم [صفحہ ٢٠٦] بالتكبير و التهليل و التسبيح و ينصره الله على من ناواه فإذا توفاه الله اختلفت أمته من بعده ثم اجتمعت فلبثت ماشاء الله ثم اختلفت فيمر رجل من أمته بشاطئ هذا الفرات يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر و يقضى بالحق و لا يركس الحكم الدنيا أهون عليه من الرماد في يوم عصفت به الريح و الموت أهون عليه من شرب الماء على الضمان يخاف الله في السر و ينصح له في العلانية لا يخاف في الله لومة لائم فمن أدرك ذلك النبي من أهل هذه البلاد فآمن به كان ثوابه رضوانى و الجنة و من أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره فإن القتل معه شهادة. ثم قال له أنا مصاحبك فلا أفارقك حتى يصيبني ما أصابك فبكى ع ثم قال الحمد لله الذي لم أكن عنده منسيا الحمد لله الذي ذكرني عنده في كتب الأبرار -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-٩٤. فمضى الراهب معه فكان فيما ذكروا يتعدى مع أمير المؤمنين و يتعشى حتى أصيب يوم صفين فلما خرج الناس يدفون قتلاهم قال ع اطلبوه فلما وجدوه صلى عليه و دفنه و قال هذا منا أهل البيت و استغفر له مرارا -رواية- ١-٢-رواية- ١١-٩١. روى هذا الخبر نصر بن مزاحم في كتاب صفين عن عمر بن سعد عن مسلم الأعمور عن حبة العرنى و رواه أيضا ابراهيم بن ديزيل الهمداني بهذا الإسناد عن حبة أيضا في كتاب صفين . و روى ابن ديزيل في هذا الكتاب قال حدثني يحيى بن سليمان حدثني يحيى بن عبد الملك بن حميد بن عتيبة عن أبيه عن إسماعيل بن رجاء عن أبيه و محمد -رواية- ١-٢ [صفحہ ٢٠٧] بن فضيل عن الأعمش عن إسماعيل بن رجاء عن أبي سعيد الخدرى رحمه الله قال كنا مع رسول الله ص فانقطع شسع نعله فألقاها إلى علي ع يصلحها ثم قال إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله فقال أبو بكر الصديق أنا هو يا رسول الله فقال لا- فقال عمر بن الخطاب أنا هو يا رسول الله قال لا ولكنه ذاكم خاصف النعل -رواية- ٨١-٣٤٦ و يد علي ع على نعل النبي ص يصلحها. قال أبو سعيد فأتيت عليا ع فبشرته بذلك فلم يحفل به كأنه شيء قد كان علمه من قبل . و روى ابن ديزيل في هذا الكتاب أيضا عن يحيى بن سليمان عن ابن فضيل عن ابراهيم الهجرى عن أبي صادق قال قدم علينا أبو أيوب الأنصارى العراق فأهدت له الأزدر جزرا فبعثوها معى فدخلت إليه فسلمت عليه و قلت له يا أبا أيوب قد كرمك الله عز و جل بصحبة نبيه ص و نزوله عليك فما لى أراك تستقبل الناس بسيفك تقاتلهم هؤلاء مرة و هؤلاء مرة قال إن رسول الله ص عهد إلينا أن نقاتل مع على الناكثين فقد قاتلناهم و عهد إلينا أن نقاتل مع القاسطين فهذا وجهنا إليهم يعنى معاوية و أصحابه و عهد إلينا أن نقاتل مع المارقين و لم أرهم بعد. و روى ابن ديزيل أيضا في هذا الكتاب عن يحيى بن يعلى بن عبيد الحنفى عن إسماعيل السدى عن زيد بن أرقم قال كنا مع رسول الله ص و هو -رواية- ١-٢-رواية- ١١٤-ادامه دارد [صفحہ ٢٠٨] فى الحجره يوحى إليه ونحن ننتظره حتى اشتد الحر فجاء على بن أبى طالب و معه فاطمة و حسن و حسين ع فقعدها فى ظل حائط ينتظرونه فلما خرج رسول الله ص رآهم فأتاهم و وقفنا نحن مكاننا ثم جاء إلينا و هو يظلمهم بثوبه ممسكا بطرف الثوب و على ممسك بطرفه الآخر و هو يقول

اللهم إني أحبهم فأحبهم اللهم إني سلم لمن سالمهم وحرب لمن حاربهم قال فقال ذلك ثلاث مرات -رواية- از قبل- ٣٧٧ قال ابراهيم في الكتاب المذكور وحدثنا يحيى بن سليمان قال حدثنا ابن فضيل قال حدثنا الحسن بن الحكم النخعي عن رباح بن الحارث النخعي قال كنت جالسا عند علي ع إذ قدم عليه قوم مثلثون فقالوا السلام عليك يا مولانا فقال لهم أ ولستم قوما عربا قالوا بلى ولكننا سمعنا رسول الله ص يقول يوم غدیر خم من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله قال فلقد رأيت عليا ع ضحك حتى بدت نواجذه ثم قال اشهدوا -رواية- ١-٢-رواية- ١٥٠-٤٦٨ . ثم إن القوم مضوا إلى رحالهم فتبعتهم فقلت لرجل منهم من القوم قالوا نحن رهط من الأنصار وذاك يعنون رجلا منهم أبوأيوب صاحب منزل رسول الله ص قال فأتيته فصافحته . قال نصر وحدثني عمر بن سعد عن نمير بن وعلة عن أبي الوداك أن عليا ع بعث من المدائن معقل بن قيس الرياحي في ثلاث آلاف و قال له خذ علي -رواية- ١-٢-رواية- ٦٢-ادامه دارد [صفحه ٢٠٩] الموصل ثم نصيبين ثم القنى بالرقعة فإني موافيهما وسكن الناس وأمنهم ولا تقاتل إلا من قاتلك وسر البردين وغور بالناس أقم الليل ورفه في السير ولا تسر أول الليل فإن الله جعله سكننا أرح فيه بدنك وجندك وظهرك فإذا كان السحر أوحين يتبلج الفجر فسر -رواية- از قبل- ٢٦٠ . فسار حتى أتى الحديثه وهى إذ ذاك منزل الناس وإنما بنى مدينة الموصل بعد ذلك محمد بن مروان فإذا بكبشين ينتطحان و مع معقل بن قيس رجل من خثعم يقال له شداد بن أبي ربيعة قتل بعد ذلك مع الحرورية فأخذ يقول إيه إيه فقال معقل ماتقول فجاء رجلان نحو الكبشين فأخذ كل واحد منهما كبشا وانصرفا فقال الخثعمي لمعقل لا تغلبون و لا تغلبون فقال معقل من أين علمت قال أ ما أبصرت الكبشين أحدهما مشرق والآخر مغرب التقيا فاقتتلا وانتطحا فلم يزل كل واحد من مصاحبه منتصفا حتى أتى كل واحد منهما صاحبه فانطلق به فقال معقل أ و يكون خيرا مما تقول يا أخا خثعم ثم مضى حتى وافى عليا بالرقعة . قال نصر وقالت طائفة من أصحاب علي ع له يا أمير المؤمنين اكتب إلى معاوية و من قبله من قومك فإن الحجة لاتزداد عليهم بذلك إلا عظما فكتب إليهم ع بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله على أمير المؤمنين إلى معاوية و من قبله من قریش -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-ادامه دارد [صفحه ٢١٠] سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو أما بعد فإن لله عبادا آمنوا بالتنزيل وعرفوا التأويل وفقهوا فى الدين و بين الله فضلهم فى القرآن الحكيم وأنتم فى ذلك الزمان أعداء للرسول تكذبون بالكتاب مجمعون على حرب المسلمين من ثقفتهم منهم حبستموه أو عدبتموه أو قتلتموه حتى أراد الله تعالى إعزاز دينه وإظهار أمره فدخلت العرب فى الدين أفواجا وأسلمت له هذه الأمة طوعا وكرها فكنتم فى هذا الدين إما رغبة وإما رهبة على حين فاز أهل السبق بسبقهم وفاز المهاجرون الأولون بفضلهم و لا ينبغي لمن ليست له مثل سوابقهم فى الدين و لا فضائلهم فى الإسلام أن ينازعهم الأمر الذى هم أهله وأولى به فيجور ويظلم و لا ينبغي لمن كان له عقل أن يجهل قدره ويعدو طوره ويشقى نفسه بالتماس ما ليس بأهله فإن أولى الناس بأمر هذه الأمة قديما وحديثا أقربها من الرسول وأعلمها بالكتاب وأفقهها فى الدين أولها إسلا ما وأفضلها جهادا وأشدها بما تحمله الأئمة من أمر الأمة اضطلاعا فاتقوا الله الذى إليه ترجعون و لا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون واعلموا أن خيار عباد الله الذين يعملون بما يعلمون و أن شرارهم الجهال الذين ينازعون بالجهل أهل العلم فإن للعالم بعلمه فضلا و إن الجاهل لا يزداد بمنازعته العالم إلا جهلا ألا وإنى أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه وحقن دماء هذه الأمة فإن قبلتم أصبتم رشدكم واهتديتم لحظكم و إن أبيتم إلا الفرقة وشق عصا هذه الأمة لم تزدادوا من الله إلا بعدا و لا يزداد الرب عليكم إلا سخطا و السلام -رواية- از قبل- ١٤٠٢ . فكتب إليه معاوية جواب هذا الكتاب سطرا واحدا و هو أما بعد فإنه [صفحه ٢١١] ليس بينى و بين قيس عتاب || غير طعن الكلى و ضرب الرقاب فقال علي ع لما أتاه هذا الجواب إنك لا تهدي من أحببت و لكن الله يهدي من يشاء و هو أعلم بالمهتدين -رواية- ١-٢-رواية- ٣٧-١٣٤ قال نصر و قال علي ع لأهل الرقة جسروا لى جسرا أعبر عليه من هذا المكان إلى الشام -رواية- ١-٢-رواية- ١١-٨٩ فأبوا و قد كانوا

ضموا السفن إليهم فنهض من عندهم ليعبر على جسر منبج وخلف عليهم الأشتر فقال يا أهل هذا الحصن إنى أقسم بالله إن مضى أمير المؤمنين ع و لم تجسروا له عند مدنتكم حتى يعبر منها لأجردن فيكم السيف فلاقتلن مقاتلكم ولآخرين أرضكم ولاخذن أموالكم .فلقى بعضهم بعضا فقالوا إن الأشتر يفي بما حلف عليه وإنما خلفه على عندنا ليأتينا بشر فبعثوا إليه إنا ناصبون لكم جسرا فأقبلوا فأرسل الأشتر إلى علي ع فجاء ونصبوا له الجسر فعبر الأثقال والرجال وأمر الأشتر فوقف في ثلاثة آلاف فارس حتى لم يبق من الناس أحد إلا عبر ثم عبر آخر الناس رجلا. قال نصر وازدحمت الخيل حين عبرت فسقطت قلنسوة عبد الله بن أبي الحصين فنزل فأخذها وركب ثم سقطت قلنسوة عبد الله بن الحجاج فنزل فأخذها ثم ركب فقال لصاحبه إن يك ظن الزاجري الطير صادقا || كما زعموا أقتل وشيكا وتقتل . فقال عبد الله بن أبي الحصين ما شئ أحب إلى مما ذكرت فقتلا معا يوم صفين . [صفحه ٢١٢] قال نصر فلما قطع علي ع الفرات دعا زياد بن النضر وشريح بن هانئ فسرحهما أمامه نحو معاوية على حالهما الذي كانا عليه حين خرجا من الكوفة في اثني عشر ألفا وقد كانا حيث سرحهما من الكوفة مقدمة له أخذها على شاطئ الفرات من قبل البر مما يلي الكوفة حتى بلغا عانات فبلغهم أخذ علي ع طريق الجزيرة وعلم أن معاوية قد أقبل في جنود الشام من دمشق لاستقباله فقالا- والله ما هذا برأى أن نسير وبيننا وبين أمير المؤمنين هذا البحر ومالنا خير في أن نلقى جموع الشام في قلعة من العدد منقطعين عن المدد فذهبوا ليعبروا من عانات فمنعهم أهلها وحبسوا عنهم السفن فأقبلوا راجعين حتى عبروا من هيت ولحقوا عليا ع بقرية دون قرقيسيا فلما لحقوا عليا ع عجب وقال مقدمتي تأتي من ورائي فقام له زياد وشريح وأخبراه بالرأى الذي رأيا فقال قد أصبتما رشدكما فلما عبروا الفرات قدمهما أمامه نحو معاوية فلما انتهيا إلى معاوية لقيهما أبو الأعور السلمي في جنود من أهل الشام وهو على مقدمة معاوية فدعواه إلى الدخول في طاعة أمير المؤمنين ع فأبى فبعثوا إلى علي ع إنا قد لقينا أبا الأعور السلمي بسور الروم في جند من أهل الشام فدعواه وأصحابه إلى الدخول في طاعتك فأبى علينا فمرنا بأمرك . فأرسل علي ع إلى الأشتر فقال يا مال إن زيادا وشريحا أرسلنا إلى يعلمانني أنهما لقيا أبا الأعور السلمي في جند من أهل الشام بسور الروم ونبأني الرسول أنه تركهم متواقفين فالنجاه النجاه إلى أصحابك فإذا أتيتهم فأنت عليهم وإياك أن تبدأ القوم بقتال إن لم يبدؤوك وألقهم واسمع منهم ولا يجرمنك شأنهم على قتالهم قبل -رواية ١-٢-رواية ٩-٩-ادامه دارد [صفحه ٢١٣] دعائهم والإعذار إليهم مرة بعد مرة واجعل علي ميمنتك زيادا و علي ميسرتك شريحا وقف من أصحابك وسطا ولا تدن منهم دنو من يريد أن ينشب الحرب ولا يتباعد عنهم تباعد من يهاب الناس حتى أقدم عليك فإني حثيث السير إليك إن شاء الله -رواية ٢-از قبل -٢٣٩ قال وكتب علي ع إليهما و كان الرسول الحارث بن جهمان الجعفي أما بعد فإني قد أمرت عليكما مالكا فاسمعا له وأطيعا أمره و هو ممن لا يخاف رهنقه ولا سقاطه ولا ببطؤه عما الإسراع إليه أحزم ولا إسراعه إلى ما البطء عنه أمثل وقد أمرته بمثل الذي أمرتكما ألا يبدأ القوم بقتال حتى يلقاهم ويدعوهم ويعذر إليهم إن شاء الله -رواية ١-٢٦٣ . قال فخرج الأشتر حتى قدم على القوم فاتبع ما أمره به علي ع وكف عن القتال فلم يزالوا متواقفين حتى إذا كان عند المساء حمل عليهم أبو الأعور فثبتوا له واضطربوا ساعة ثم إن أهل الشام انصرفوا ثم خرج هاشم بن عتبة في خيل ورجال حسن عدتها وعددها فخرج إليهم أبو الأعور السلمي فاقتتلوا يومهم ذلك تحمل الخيل على الخيل والرجال على الرجال وصبر بعضهم لبعض ثم انصرفوا وبكر عليهم الأشتر فقتل من أهل الشام عبد الله بن المنذر التبوخي قتله ظبيان بن عمارة التميمي و ما هو يومئذ إلا فتى حديث السن و إن كان الشامي لفارس أهل الشام وأخذ الأشتر يقول ويحكم أروني أبو الأعور. ثم إن أبو الأعور دعا الناس فرجعوا نحوه فوقف على تل من وراء المكان الذي كان فيه أول مرة وجاء الأشتر حتى صف أصحابه في المكان الذي كان فيه أبو الأعور أول مرة فقال الأشتر لسنان بن مالك النخعي انطلق إلى أبو الأعور فادعه إلى المبارزة [صفحه ٢١٤] فقال إلى مبارزتي أم إلى مبارزتك فقال أ و لو أمرتك بمبارزته فعلت قال نعم و الذي لا إله إلا هو لو أمرتني أن أعترض صفهم بسيفي لفعلت حتى أضربه بالسيف فقال يا

ابن أخى أطل الله بقاءك قد والله ازددت فيك رغبة لا ما أمرتك بمبارزته إنما أمرتك أن تدعوه لمبارزتي فإنه لا يبارز إن كان ذلك من شأنه إلا ذوى الأسنان والكفاءة والشرف و أنت بحمد الله من أهل الكفاءة والشرف ولكنك حديث السن وليس يبارز الأحداث فاذهب فادعه إلى مبارزتي. فأتاهم فقال أنا رسول فآمنوني فجاء حتى انتهى إلى أبي الأعور. قال نصر فحدثني عمر بن سعد عن أبي زهير العبسي عن صالح بن سنان عن أبيه قال فقلت له إن الأشر يدعوك إلى المبارزة قال فسكت عنى طويلا ثم قال إن خفة الأشر وسوء رأيه وهوانه دعاه إلى إجلاء عمال عثمان وافترائه عليه يقبح محاسنه ويجهل حقه ويظهر عداوته و من خفة الأشر وسوء رأيه أنه سار إلى عثمان فى داره وقراره فقتله فيمن قتله وأصبح متبعا بدمه لاحاجة لى فى مبارزته . فقلت إنك قد تكلمت فاسمع حتى أجيبك فقال لاحاجة لى فى جوابك و لا الاستماع منك اذهب عنى وصاح بى أصحابه فانصرفت عنه و لوسم لأسمعته عذر صاحبي وحجته . فرجعت إلى الأشر فأخبرته أنه قد أبى المبارزة فقال لنفسه نظرا . قال فتواقفنا فإذاهم قد انصرفوا قال وصبحنا على ع غدوة سائرا نحو معاوية فإذا أبوالأعور قد سبق إلى سهولة الأرض وسعة المنزل وشريعة الماء مكان [صفحہ ۲۱۵] أفيح و كان أبوالأعور على مقدمة معاوية واسمه سفيان بن عمرو و قد جعل على ساقته بسر بن أرطاة العامرى و على الخيل عبيد الله بن عمر بن الخطاب و دفع اللواء إلى عبدالرحمن بن خالد بن الوليد و جعل على يمينته حبيب بن مسلمة الفهري و على رجالته من الميمنة يزيد بن زحر الضبي و على الميسرة عبد الله بن عمرو بن العاص و على الرجالة من الميسرة حابس بن سعيد الطائي و على خيل دمشق الضحاک بن قيس الفهري و على رجالة أهل دمشق يزيد بن أسد بن كرز الجلي و على أهل حمص ذا الكلاع و على أهل فلسطين مسلمة بن مخلد و كان وصول على ع إلى صفين لثمان بقين من المحرم من سنة سبع وثلاثين [صفحہ ۲۱۶]

۴۹- و من خطبة له ع

اشاره

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَطَّنَ خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ وَ دَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ الظُّهُورِ وَ امْتَنَعَ عَلَى عَيْنِ البَصِيرِ فَلَا عَيْنَ مَنْ لَمْ يَرَهُ تُنْكِرُهُ وَ لَا قَلْبَ مَنْ أُثْبِتَهُ يُبْصِرُهُ سَبَقَ فِي الْعُلُوِّ فَلَا شَيْءَ أَعْلَى مِنْهُ وَ قَرَّبَ فِي الدُّنُوِّ فَلَا شَيْءَ أَقْرَبَ مِنْهُ فَلَا اسْتِعْلَاؤُهُ بَاعَدَهُ عَن شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ وَ لَا قُرْبُهُ سَاوَاهُمْ فِي الْمَكَانِ بِهِ لَمْ يُطْلِعِ الْعُقُولَ عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِهِ وَ لَمْ يَحْجُبْهَا عَن وَاجِبِ مَعْرِفَتِهِ فَهُوَ الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ أَعْلَامُ الوُجُودِ عَلَى إِقْرَارِ قَلْبِ ذِي الْجُجُودِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُهُ الْمُشْبِهُونَ بِهِ وَ الْجَا حِدُونَ لَهُ عُلُوًّا كَبِيرًا بَطَّنَتْ سِرَ فَلَانِ أَى أَخْفِيَتِهِ . وَ الْأَعْلَامُ جَمْعُ عِلْمٍ وَ هُوَ الْمَنَارُ يَهْتَدَى بِهِ ثُمَّ جَعَلَ لِكُلِّ مَادِلٍ عَلَى شَيْءٍ فَقِيلَ لِمَعْجَزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ أَعْلَامٌ لِدَلَالَتِهَا عَلَى نُبُوَّتِهِمْ وَ قَوْلُهُ عَ أَعْلَامُ الظُّهُورِ أَى الْأَدْلَةُ الظَّاهِرَةُ الواضحة . وَ قَوْلُهُ فِيمَا بَعْدَ أَعْلَامِ الْوُجُودِ أَى الْأَدْلَةُ الواضحة . وَ قَوْلُهُ فِيمَا بَعْدَ أَعْلَامِ الْوُجُودِ أَى الْأَدْلَةُ الموجودة والدلالة هي الوجود نفسه وسيأتي شرح ذلك . وَ قَوْلُهُ وَ امْتَنَعَ عَلَى عَيْنِ البَصِيرِ يَقُولُ إِنَّهُ سَبْحَانَهُ لَيْسَ بِمَرْنَى بِالْعَيْنِ وَ مَعَ [صفحہ ۲۱۷] ذَلِكَ فَلَا يُمْكِنُ مِنْ لَمْ يَرَهُ بَعِينَهُ أَنْ يَنْكِرَهُ لِدَلَالَةِ كُلِّ شَيْءٍ عَلَيْهِ بَلْ لِدَلَالَتِهِ سَبْحَانَهُ عَلَى نَفْسِهِ . ثُمَّ قَالَ وَ لِقَلْبِ مَنْ أُثْبِتَهُ يَبْصِرُهُ أَى لَسَبِيلَ لِمَنْ أُثْبِتَ وَجُودَهُ أَنْ يَحِيطَ عِلْمًا بِجَمِيعِ أَحْوَالِهِ وَ مَعْلُومَاتِهِ وَ مَصْنُوعَاتِهِ أَوْ أَرَادَ أَنَّهُ لَا تَعْلَمُ حَقِيقَةَ ذَاتِهِ كَمَا قَالَ قَوْمٌ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ . وَ قَدَرُوى هَذَا الْكَلَامِ عَلَى وَجْهِ آخِرٍ قَالُوا فِي الْخُطْبَةِ فَلَا قَلْبَ مَنْ لَمْ يَرَهُ يَنْكِرُهُ وَ لَاعَيْنَ مَنْ أُثْبِتَهُ تَبْصِرُهُ وَ هَذَا غَيْرُ مَحْتَاجٍ إِلَى تَفْسِيرٍ لَوْضُوحِهِ . وَ قَوْلُهُ عَ فَلَاسْتِعْلَاؤُهُ بَاعَدَهُ أَى لَيْسَ عِلْوُهُ وَ لِقُرْبِهِ كَمَا نَعْقَلُهُ مِنَ الْعُلُوِّ وَ الْقُرْبِ الْمَكَانِيِّينَ بَلْ هُوَ عُلُوٌّ وَ قُرْبٌ خَارِجٌ مِنْ ذَلِكَ فَلَيْسَ عِلْوُهُ يَقْتَضِي بَعْدَهُ بِالْمَكَانِ عَنِ الْأَجْسَامِ وَ لِقُرْبِهِ يَقْتَضِي مَسَاوَاتِهِ إِيَّاهَا فِي الْحَاجَةِ إِلَى الْمَكَانِ وَ الْجَهَّةِ . وَ الْبَاءُ فِي بِهِ مُتَعَلِّقَةٌ بِسَاوَاهُمْ مَعْنَاهُ وَ لِقُرْبِهِ سَاوَاهُمْ بِهِ

فى الحاجة إلى المكان أى لم يقتض قربه مماثلته ومساواته إياهم فى ذلك

فصول فى العلم الإلهى

وهذا الفصل يشتمل على عدة مباحث من العلم الإلهى أولها كونه تعالى عالما بالأمور الخفية. والثانى كونه تعالى مدلولاً عليه بالأمور الظاهرة يعنى أفعاله. والثالث أن هويته تعالى غير معلومة للبشر. والرابع نفى تشبيهه بشىء من مخلوقاته. [صفحة ٢١٨] والخامس بيان أن الجاحد لإثباته مكابر بلسانه وعارف به بقلبه. ونحن نذكر القول فى جميع ذلك على سبيل اقتصاص المذاهب والأقوال ونحيل فى البرهان على الحق من ذلك وبطلان شبه المخالفين فيه على ما هو مذكور فى كتبنا الكلامية إذ ليس هذا الكتاب موضوعاً لذلك وإن كنا قد لانخلى بعض فصوله من إشارة إلى الدليل موجزاً وتلويح إلى الشبهة لطيف فنقول أما

الفصل الأول و هو الكلام فى كونه تعالى عالماً بالأمور الخفية

فاعلم أن أمير المؤمنين ع إنما قال بطن خفيات الأمور وهذا القدر من الكلام يقتضى كونه تعالى عالماً يعلم الأمور الخفية الباطنة وهذا منقسم قسمين أحدهما أن يعلم الأمور الخفية الحاضرة. والثانى أن يعلم الأمور الخفية المستقبلية. والكلام من حيث إطلاقه يحتمل الأمرين فنحمله عليهما معا فقد خالف فى كل واحدة من المسألتين قوم فمن الناس من نفى كونه عالماً بالمستقبلات و من الناس من نفى كونه عالماً بالأمور الحاضرة سواء كانت خفية أو ظاهرة وهذا يقتضينا أن نشرح أقوال العقلاء فى هذه المسائل فنقول إن الناس فيها على أقوال القول الأول قول جمهور المتكلمين وهو أن البارئ سبحانه يعلم كل معلوم الماضى والحاضر والمستقبل ظاهرها وباطنها ومحسوسها وغير محسوسها فهو تعالى العالم بما كان وما هو حاضر وما سيكون وما لم يكن أن لو كان كيف كان يكون كقوله [صفحة ٢١٩] تعالى وَ لَوْ رَدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ هَذَا علم بأمر مقدر على تقدير وقوع أصله الذى قد علم أنه لا يكون. القول الثانى قول من زعم أنه تعالى لا يعلم الأمور المستقبلية وشبهوه بكونه مدركا قالوا كما أنه لا يدرك المستقبلات فكذلك لا يعلم المستقبلات وهو قول هشام بن الحكم. القول الثالث قول من زعم أنه لا يعلم الأمور الحاضرة وهذا القول نقيض القول الثانى وشبهوه بكونه قادرا قالوا كما أنه لا يقدر على الموجود فكذلك لا يعلم الموجود ونسب ابن الراوندى هذا القول إلى معمر بن عباد أحد شيوخنا وأصحابنا يكذبونه فى ذلك ويدفعون الحكاية عنه. القول الرابع قول من زعم أنه تعالى لا يعلم نفسه خاصة ويعلم كل ماعدا ذاته ونسب ابن الراوندى هذه المقالة إلى معمر أيضا وقال إنه يقول إن العالم غير المعلوم والشىء لا يكون غير نفسه وأصحابنا يكذبون ابن الراوندى فى هذه الحكاية وينزهون معمر عنها. القول الخامس قول من قال إنه تعالى لم يكن فيما لم يزل عالما بشىء أصلا وإنما أحدث لنفسه علما به الأشياء وهو قول جهنم بن صفوان. القول السادس قول من قال إنه تعالى لا يعلم كل المعلومات على تفصيلها وإنما يعلم ذلك إجمالا وهؤلاء يسمون المسترسلية لأنهم يقولون يسترسل علمه على المعلومات - قرآن - ٨-٤٧ [صفحة ٢٢٠] إجمالا لتفصيلها وهو مذهب الجوينى من متكلمى الأشعرية. القول السابع قول من قال إنه تعالى يعلم المعلومات المفصلة ما لم يفيض القول به إلى محال وزعموا أن القول بأنه يعلم كل شىء يفيض إلى محال وهو أن يعلم ويعلم أنه يعلم وهلم جرا إلى ما لانهاية له وكذلك المحال لازم إذ قيل إنه يعلم الفروع وفروع الفروع ولوازمها ولوازمها إلى ما لانهاية له قالوا ومحال اجتماع كل هذه العلوم غير المتناهية فى الوجود وهذا مذهب

أبى البركات البغدادي صاحب المعبر. القول الثامن قول من زعم أنه تعالى لا يعلم الشخصيات الجزئية وإنما يعلم الكليات التي لا يجوز عليها التغيير كالعالم بأن كل إنسان حيوان ويعلم نفسه أيضا وهذا مذهب أرسطو وناصرى قوله من الفلاسفة كابن سينا وغيره. القول التاسع قول من زعم أنه تعالى لا يعلم شيئا أصلا لا كليا ولا جزئيا وإنما وجد العالم عنه لخصوصية ذاته فقط من غير أن يعلمه كما أن المغناطيس يجذب الحديد لقوة فيه من غير أن يعلم بالجذب وهذا قول قوم من قدماء الفلاسفة. فهذا تفصيل المذاهب في هذه المسألة. واعلم أن حجة المتكلمين على كونه عالما بكل شيء إنما تتضح بعد إثبات حدوث العالم وأنه فعله بالاختيار فحينئذ لا بد من كونه عالما لأنه لو لم يكن عالما بشيء أصلا لما صح أن يحدث العالم على طريق الاختيار لأن الإحداث على طريق الاختيار إنما يكون بالعرض والداعي وذلك يقتضى كونه عالما فإذا ثبت أنه عالم بشيء أفسدوا حينئذ أن يكون عالما بمعنى اقتضى له العالمية أو بأمر خارج عن ذاته مختارا كان أو غير مختار [صفحة ٢٢١] فحينئذ ثبت لهم أنه إنما علم لأنه هذه الذات المخصوصة للشئ أزيد منها فإذا كان لهم ذلك وجب أن يكون عالما بكل معلوم لأن الأمر الذى أوجب كونه عالما بأمر ما هو ذاته يوجب كونه عالما بغيره من الأمور لأن نسبة ذاته إلى الكل نسبة واحدة. فأما الجواب عن شبه المخالفين فمذكور فى المواضع المختصة بذلك فليطلب من كتبنا الكلامية

الفصل الثانى فى تفسير قوله ع ودلت عليه أعلام الظهور

فنقول إن الذى يستدل به على إثبات الصانع يمكن أن يكون من وجهين وكلاهما يصدق عليه أنه أعلام الظهور أحدهما الوجود والثانى الموجود. أما الاستدلال عليه بالوجود نفسه فهى طريقة المدققين من الفلاسفة فإنهم استدلوا على أن مسمى الوجود مشترك وأنه زائد على ماهيات الممكنات وأن وجود الباري لا يصح أن يكون زائدا على ماهيته فتكون ماهيته وجودا ولا يجوز أن تكون ماهيته عارية عن الوجود فلم يبق إلا أن تكون ماهيته هى الوجود نفسه وأثبتوا وجوب ذلك الوجود واستحالة تطرق العدم بوجه ما فلم يفتقروا فى إثبات الباري إلى تأمل أمر غير نفس الوجود. وأما الاستدلال عليه بالموجود لا بالوجود نفسه فهو الاستدلال عليه بأفعاله وهى طريقة المتكلمين قالوا كل ما لم يعلم بالبدية ولا بالحس وإنما يعلم بآثاره الصادرة عنه والبارئ تعالى كذلك فالطريق إليه ليس بالأفعال فاستدلوا عليه بالعالم وقالوا تارة العالم محدث و كل محدث له محدث وقالوا تارة أخرى العالم ممكن فله مؤثر [صفحة ٢٢٢] وقال ابن سينا إن الطريقة الأولى وهى الاستدلال عليه بالوجود نفسه أعلى وأشرف لأنه لم يحتج فيها إلى الاحتجاج بأمر خارج عن ذاته واستنبط آية من الكتاب العزيز فى هذا المعنى وهى قوله تعالى سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فى الآفاقِ وَ فى أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ. قال ابن سينا أقول إن هذا حكم لقوم يعنى المتكلمين وغيرهم ممن يستدل عليه تعالى بأفعاله وتمام الآية أَو لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ. قال هذا حكم الصديقين الذين يستشهدون به لا عليه يعنى الذين استدلوا عليه بنفس الوجود و لم يفتقروا إلى التعلق بأفعاله فى إثبات ربوبيته -قرآن- ٢٠١-٢٨٥-قرآن- ٣٩٦-

الفصل الثالث فى أن هويته تعالى غير هوية البشر

وذلك معنى قوله ع وامتنع على عين البصير وقوله و لا قلب من أثبتته يبصره وقوله و لم يطلع العقول على تحديد صفته فنقول إن جمهور المتكلمين زعموا أن نعرف حقيقة ذات الإله و لم يتحاشوا من القول بأنه تعالى لا يعلم من ذاته إلا ما نعلمه نحن منها

وذهب ضرار بن عمرو أن الله تعالى ماهية لا يعلمها إلا هو وهذا هو مذهب [صفحة ٢٢٣] الفلاسفة وقد حكي عن أبي حنيفة وأصحابه أيضا وهو الظاهر من كلام أمير المؤمنين ع في هذا الفصل

الفصل الرابع في نفي التشبيه عنه تعالى

وهو معنى قوله ع بعد وقرب أى في حال واحدة وذلك يقتضى نفي كونه تعالى جسما وكذلك قوله ع فلا استعلاؤه باعده ولا يقربه ساواهم فى المكان به فنقول إن مذهب جمهور المتكلمين نفي التشبيه وهذا القول يتنوع أنواعا. النوع الأول نفي كونه تعالى جسما مركبا أو جوهرًا فردا غير مركب والمراد بالجواهر هاهنا الجرم والحجم وهو قول المعتزلة وأكثر محققى المتكلمين من سائر الفرق وإليه ذهب الفلاسفة أيضا. وقال قوم من مستضعفى المتكلمين خلاف ذلك فذهب هشام بن الحكم إلى أنه تعالى جسم مركب كهذه الأجسام واختلفت الحكايات عنه فروى عنه أنه قال إنه يشبر نفسه سبعة أشبار وروى عنه أنه قال إنه على هيئة السبيكة وروى عنه أنه قال إنه على هيئة البلورة الصافية المستوية الاستدارة من حيث أتيتها رأيتها على هيئة واحدة وروى عنه أيضا قال إنه ذو صورة وأصحابه من الشيعة يدفعون اليوم هذه الحكايات عنه ويزعمون أنه لم يزد على قوله أنه جسم لا كالأجسام وأنه إنما أراد بإطلاق هذا اللفظ عليه إثباته. [صفحة ٢٢٤] وصدقوا عنه أنه كان يطلق عليه كونه نورا لقول الله سبحانه الله نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ. وحكى عن محمد بن النعمان الأحول المعروف بشيطان الطاق وهشام بن سالم المعروف بالجواليقى وأبى مالك بن الحضرمى أنه نور على صورة الإنسان وأنكروا مع ذلك أن يكون جسما وهذه مناقضة ظاهرة. وحكى عن على بن ميثم مثله وقد حكى عنه أنه كان يقول بالصورة والجسم. وحكى عن مقاتل بن سليمان وداود الجواربى ونعيم بن حماد المصرى أنه فى صورة الإنسان وأنه لحم ودم وله جوارح وأعضاء من يد ورجل ولسان ورأس وعينين وهو مع ذلك لا يشبه غيره ولا يشبهه غيره وافقهم على ذلك جماعة من العامة ومن لا ينظر له. وحكى عن داود الجواربى أنه قال اعفونى من الفرج واللحية وسلونى عما وراء ذلك وحكى عنه أنه قال هو أجوف من فيه إلى صدره وماسوى ذلك مصمت. وحكى أبو عيسى الوراق أن هشام بن سالم الجواليقى كان يقول إن له وفرة سوداء. وذهب جماعة من هؤلاء إلى القول بالمؤانسة والخلو والمجالسة والمحادثه. وسئل بعضهم عن معنى قوله تعالى فى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ فقال يقعد معه على سريره ويغلفه بيده. وقال بعضهم سألت معاذ العنبرى فقلت أله وجه فقال نعم حتى عدت -قرآن- ٦٣-١١١-قرآن- ٩٧٥-١٠١٥ [صفحة ٢٢٥] جميع الأعضاء من أنف وفم وصدر وبطن واستحييت أن أذكر الفرج فأومأت بيدي إلى فرجى فقال نعم فقلت أذكر أم أنشى فقال ذكر. ويقال إن ابن خزيمة أشكل عليه القول فى أنه أذكر أم أنشى فقال له بعض أصحابه إن هذا مذکور فى القرآن وهو قوله تعالى وَ لَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى فقال أفدت وأجدت وأودعه كتابه. ودخل إنسان على معاذ بن معاذ يوم عيد وبين يديه لحم فى طبيخ سكباج فسأله عن البارئ تعالى فى جملة ما سأله فقال هو والله مثل هذا الذى بين يدي لحم ودم. وشهد بعض المعتزلة عند معاذ بن معاذ فقال له لقد هممت أن أسقطك لو لآنى سمعتك تلعن حماد بن سلمة فقال أما حماد فلم ألعنه ولكنى ألعن من يقول إنه سبحانه ينزل ليلة عرفه من السماء إلى الأرض على جمل أحمر فى هودج من ذهب فإن كان حماد يروى هذا أو يقوله فعليه لعنة الله فقال أخرجه فأخرج. وقال بعضهم خرجنا يوم عيد إلى المصلى فإذا جماعة بين يدي أمير والطبول تضرب والأعلام تخفق فقال واحد من خلفنا اللهم لا تطبل إلا تطبلك فقل له لا تنقل هكذا فليس لله تعالى طبل فبكى وقال أرايتم هويجىء وحده ولا يضرب بين يديه طبل ولا ينصب على رأسه علم فإذا ن هودون الأمير. وروى بعضهم أنه تعالى أجرى خيلا فخلق نفسه من مثلها. وروى قوم منهم أنه نظر فى المرأة فرأى صورة نفسه فخلق آدم عليها. ورووا أنه

يضحك حتى تبدو نواجذه . -قرآن- ٢٥٦-٢٨٢ [صفحة ٢٢٦] ورووا أنه أمرد جعد ققط في رجليه نعلان من ذهب و أنه في روضة خضراء على كرسى تحمله الملائكة. ورووا أنه يضع رجلا على رجل ويستلقى فإنها جلسة الرب . ورووا أنه خلق الملائكة من زغب ذراعيه و أنه اشكى عينه فعادته الملائكة و أنه يتصور بصورة آدم ويحاسب الناس في القيامة و له حجاب من الملائكة يحجبونه . ورووا عن النبي ص أنه قال رأيت ربي في أحسن صورة فسألته عما يختلف فيه الملائكة الأعلی فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها فعلمت ماختلفوا فيه -روایت- ١-٢-روایت- ٣٣-١٥١ . ورووا أنه ينزل إلى السماء الدنيا في نصف شعبان و أنه جالس على العرش قدفضل منه أربع أصابع من كل جانب و أنه يأتي الناس يوم القيامة فيقول أنار بكم فيقولون نعوذ بالله منك فيقول لهم أفتعرفونه إن رأيتموه فيقولون بيننا وبينه علامة فيكشف لهم عن ساقه و قد تحول في الصورة التي يعرفونها فيخرون له سجدا. ورووا أنه يأتي في غمام فوقه هواء و تحته هواء. و كان بطبرستان قاص من المشبهة يقص على الناس فقال يوما في قصصه إن يوم القيامة تجيء فاطمة بنت محمد معها قميص الحسين ابنها تلمس القصاص من يزيد بن معاوية فإذا رآها الله تعالى من بعيد دعا يزيد و هو بين يديه فقال له ادخل تحت قوائم العرش لا تطرف بك فاطمة فيدخل ويختبئ و تحضر فاطمة فتتظلم و تبكي فيقول سبحانه انظري يا فاطمة إلى قدمي و يخرجها إليها و به جرح من سهم نمرود [صفحة ٢٢٧] فيقول هذا جرح نمرود في قدمي و قد عفوت عنه أ فلاتعفين أنت عن يزيد فتقول هي أشهد يارب أني قد عفوت عنه . وذهب بعض متكلمي المجسمة إلى أن البارئ تعالى مركب من أعضاء على حروف المعجم . و قال بعضهم إنه ينزل على حمار في صورة غلام أمرد في رجليه نعلان من ذهب و على وجهه فراش من ذهب يتطاير. و قال بعضهم إنه في صورة غلام أمرد صبيح الوجه عليه كساء أسود ملتحف به . وسمعت أنا في عصرى هذا من قال في قوله تعالى وَ تَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُنَادُونَ بِأَسْمَاءِ ذُنُوبِهِمْ بِأَسْمَاءِ ذُنُوبِهِمْ فَاسْتَجَبُوا لَهَا وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ ذُنُوبَكُمْ وَأَنْتُمْ مَسْكُونُونَ آخر على سبيل التهكم به يحرسونه من المعتزلة أن يفتكوا به فغضب و قال هذا الحداد. ورووا أن النار تزفر و تتغيظ تغيظا شديدا فلا تسكن حتى يضع قدمه فيها فتقول قط قط أى حسبي حسبي ويرفعون هذا الخبر مسندا و قد ذكر شبيهه به في الصحاح . وروى في الكتب الصحاح أيضا أن الله خلق آدم على صورته و قيل إن في التوراة نحو ذلك في السفر الأول . و اعلم أن أهل التوحيد يتأولون ما يحتمل التأويل من هذه الروايات على وجوه محتملة غير مستبعدة و ما لا يحتمل التأويل منها يقطعون ببطلانه و بأنه موضوع و للاستقصاء في هذا المعنى موضع غير هذا الموضوع . و حكى أبو إسحاق النظام و محمد بن عيسى برغوث أن قوما قالوا إنه تعالى الفضاء نفسه و ليس بجسم لأن الجسم يحتاج إلى مكان و نفسه مكان الأشياء. -قرآن- ٤٣٣-٤٨٠ [صفحة ٢٢٨] و قال برغوث و طائفة منهم يقولون هو الفضاء نفسه و هو جسم تحل الأشياء فيه و ليس بذى غاية و لانهائية و احتجوا بقوله تعالى وَ جَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ. فأما من قال إنه جسم لا كالأجسام على معنى أنه بخلاف العرض الذى يستحيل أن يتوهم منه فعل و نفوا عنه معنى الجسمية و إنما أطلقوا هذه اللفظة لمعنى أنه شىء لا كالأشياء و ذات لا كالدوات فأمرهم سهل لأن خلافهم في العبارة و هم على بن منصور و السكاك و يونس بن عبد الرحمن و الفضل بن شاذان و كل هؤلاء من قدماء رجال الشيعة و قد قال بهذا القول ابن كرام و أصحابه قالوا معنى قولنا فيه سبحانه أنه جسم أنه قائم بذاته لا بغيره . و المتعصبون لهشام بن الحكم من الشيعة فى وقتنا هذا يزعمون أنه لم يقل بالتجسيم المعنوى و إنما قال إنه جسم لا كالأجسام بالمعنى الذى ذكرناه عن يونس و السكاك و غيرهما و إن كان الحسن بن موسى النوبختى و هو من فضلاء الشيعة قد روى عنه التجسيم المحض فى كتاب الآراء و الديانات. النوع الثانى نفى الأعضاء و الجوارح عنه سبحانه فالذى يذهب إليه المعتزلة و سائر المحققين من المتكلمين نفى ذلك عنه و قد تأولوا ماورد فى القرآن العزيز من ذلك من نحو قوله تعالى لِمَا خَلَقْتُ بِيَدِيّ و قوله سبحانه عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ و غير ذلك و حملوه على وجوه صحيحة جائزة فى اللغة العربية. و أطلقت الكرامة عليه سبحانه لفظ اليمين و الوجه و قالوا لا تتجاوز الإطلاق -قرآن- ١٢٥-١٦٠-قرآن- ١٠٦١-١٠٨٢-قرآن- ١٠٩٨-١١٢٩ [صفحة ٢٢٩] و لانفسر ذلك و لانتأوله و إنما نقصر على

إطلاق ماورد به النص . وأثبت الأشعري اليمين صفة قائمة بالبارئ سبحانه وكذلك الوجه من غير تجسيم . وقالت المجسمة إن لله تعالى يدين هما عضوان له وكذلك الوجه والعين وأثبتوا له رجلين قد فصلتا عن عرشه وساقين يكشف عنهما يوم القيامة وقدما يضعها في جهنم فتمتلي وأثبتوا له ذلك معنى لالفاظا وحقيقة لامجازا. فأما أحمد بن حنبل فلم يثبت عنه تشبيه ولا تجسيم أصلا وإنما كان يقول بترك التأويل فقط ويطلق ما أطلقه الكتاب والسنة ولا يخوض في تأويله ويقف على قوله تعالى وما يعلم تأويله إلا الله وأكثر المحصلين من أصحابه على هذا القول. النوع الثالث نفى الجهة عنه سبحانه فالذى يذهب إليه المعتزلة وجمهور المحققين من المتكلمين أنه سبحانه ليس في جهة ولا مكان وأن ذلك من توابع الجسمية أو العرضية اللاحقة بالجسمية فإذا انتفى عنه كونه جسما وكونه عرضا لم يكن في جهة أصلا وإلى هذا القول يذهب الفلاسفة. وذهبت الكرامية والحشوية إلى أن الله تعالى في جهة فوق وإلى ذهب هشام بن الحكم وعلی بن منصور ويونس بن عبدالرحمن وهشام بن سالم الجواليقي وكثير من أهل الحديث . وذهب محمد بن الهيصم متكلم الكرامية إلى أنه تعالى ذات موجودة منفردة بنفسها عن سائر الموجودات لا تحل شيئا لحلول الأعراض ولا تمازج شيئا ممازجة الأجسام -قرآن- ٥٢٦-٥٦٢ [صفحة ٢٣٠] بل هو مابن للمخلوقين إلا- أنه في جهة فوق وبينه وبين العرش بعد لا يتناهى. هكذا يحكى المتكلمون عنه ولم أره فى شىء من تصانيفه وأحالوا ذلك لأن ما لا يتناهى لا يكون محصورا بين حاصرين وأناستبعد عنه هذه الحكاية لأنه كان أذكى من أن يذهب عليه فساد هذا القول وحقيقة مذهب مثبتى المكان أنه سبحانه متمكن على العرش كما يتمكن الملك على سريره فليل بعض هؤلاء أ هو أكبر من العرش أم أصغر أم مساو له فقال بل أكبر من العرش فليل له فكيف يحمله فقال كما تحمل رجلا الكركى جسم الكركى وجسمه أكبر من رجليه ومنهم من يجعله مساويا للعرش فى المقدار ولا يمتنع كثير منهم من إطلاق القول بأن أطرافه تفضل عن العرش وقد سمعت أنا من قال منهم إنه مستو على عرشه كما أنامستو على هذه الدكة ورجلاه على الكرسي الذى وسع السموات والأرض والكرسي تحت العرش كما يجعل اليوم الناس تحت أسرتهم كراسى يستريحون بوضع أرجلهم عليها. و قال هؤلاء كلهم إنه تعالى ينزل ويصعد حقيقة لامجازا وإنه يتحرك وينزل فمن ذلك نزوله إلى السماء الدنيا كما ورد فى الخبر و من ذلك إتيانه ومجيئه كما نطق به الكتاب العزيز فى قوله سبحانه هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام وقوله وجاء ربيك والمملك صفا صفا. وأطلق ابن الهيصم عليه هذه الألفاظ اتباعا لما ورد فى الكتاب والسنة و قال لأقول بمعانيها ولا أعتقد حركته الحقيقية وإنما أرسلها إرسالا كما وردت و أما غيره فاعتقد معانيها حقيقة و قال ابن الهيصم فى كتاب المقالات إن أكثر الحشوية يجيز عليه تعالى العدو والهولة. -قرآن- ١٠٤٧-١١١٤-قرآن- ١١٢٣-١١٦٠ [صفحة ٢٣١] و قال قوم منهم إنه تعالى يجوز أن ينزل فيطوف البلدان ويدور فى السكك . و قال بعض الأشعريين إن سائلا سأل السكاك فقال إذا أجزت عليه الحركة فهلا- أجزت عليه أن يطفر فقال لا يجوز عليه الطفر لأن الطفر إنما يكون فرارا من ضد أو اتصالا بشكل فقال له فالحركة أيضا كذلك فلم يأت بفرق. فأما القول بأنه تعالى فى كل مكان فإن المعتزلة يقولون ذلك وتريد به أنه و إن لم يكن فى مكان أصلا فإنه عالم بما فى كل مكان ومدبر لما فى كل مكان وكأنه موجود فى جميع الأمكنة لإحاطته بالجميع . و قال قوم من قدماء الفلاسفة إن البارئ تعالى روح شديد فى غاية اللطافة وفى غاية القوة ينفذ فى كل العالم وهؤلاء يطلقون عليه أنه فى كل مكان حقيقة لا تأويلا و من هؤلاء من أوضح هذا القول و قال إنه تعالى سار فى هذا العالم سريان نفس الواحد منا فى بدنه فكما أن كل بدن منا له نفس سارية فيه تدبره كذلك البارئ سبحانه هو نفس العالم وسار فى كل جزء من العالم فهو إذا فى كل مكان بهذا الاعتبار لأن النفس فى كل جزء من البدن . وحكى الحسن بن موسى النوبختى عن أهل الرواق من الفلاسفة أن الجوهر الإلهى سبحانه روح نارى عقلى ليس له صورة لكنه قادر على أن يتصور بأى صورة شاء ويتشبه بالكل وينفذ فى الكل بذاته وقوته لابعلمه وتدييره. النوع الرابع نفى كونه عرضا حالا فى المحل فالذى تذهب إليه المعتزلة وأكثر المسلمين والفلاسفة

نفى ذلك القول باستحالته عليه سبحانه لوجوب وجوده وكون كل حال في الأجسام ممكنا بل حادثا. [صفحة ٢٣٢] وذهبت الحلولية من أهل الملة وغيرها إلى أنه تعالى يحل في بعض الأجسام دون بعض كما يشاء سبحانه و إلى هذا القول ذهب أكثر الغلاة في أمير المؤمنين ومنهم من قال بانتقاله من أمير المؤمنين ع إلى أولاده ومنهم من قال بانتقاله من أولاده إلى قوم من شيعته وأوليائه واتبعهم على هذه المقالة قوم من المتصوفة كالحلاجية والبسطامية وغيرهم . وذهبت النسطورية من النصارى إلى حلول الكلمة في بدن عيسى ع كحلول السواد في الجسم .فأما اليعقوبية من النصارى فلاتثبت الحلول وإنما تثبت الاتحاد بين الجوهر الإلهي والجوهر الجسماني وهو أشد بعدا من الحلول .النوع الخامس في نفى كونه تعالى محلا لشيء ذهب المعتزلة وأكثر أهل الملة والفلاسفة إلى نفى ذلك والقول باستحالته على ذاته سبحانه . وذهبت الكرامية إلى أن الحوادث تحل في ذاته فإذا أحدث جسما أحدث معنى حالا- في ذاته وهو الأحداث فحدث ذلك الجسم مقارنا لذلك المعنى أو عقيبه قالوا وذلك المعنى هو قول كن وهو المسمى خلقا والخلق غير المخلوق قال الله تعالى ما أشهدتكم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهمقالوا لكنه قد أشهدنا ذواتها فدل على أن خلقها غيرها. -قرآن-٩٣٦-١٠٠٠ [صفحة ٢٣٣] وصرح ابن الهيصم في كتاب المقالات بقيام الحوادث بذات البارئ فقال إنه تعالى إذا أمر أو نهى أو أراد شيئا كان أمره ونهيه وإراداته كائنه بعد أن لم تكن وهي قائمة به لأن قوله منه يسمع وكذلك إرادته منه توجد. قال وليس قيام الحوادث بذاته دليلا على حدوثه وإنما يدل على الحدود تعاقب الأضداد التي لا يصح أن يتعطل منها والبارئ تعالى لاتتعاقب عليه الأضداد. وذهب أبو البركات البغدادي صاحب المعبر إلى أن الحوادث تقوم بذات البارئ سبحانه وإنه لا يصح إثبات الإلهية إلا بذلك وقال إن المتكلمين ينزهونه عن ذلك والتزيه عن هذا التزيه هو الواجب . وذهب أصحابنا وأكثر المتكلمين إلى أن ذلك لا يصح في حق واجب الوجود وأنه دليل على إمكان ذاته بل على حدوثها وأجازوا مع ذلك عليه أن يتجدد له صفات يعنون الأحوال لا المعاني نحو كونه مدركا بعد أن لم يكن وكقول أبي الحسين أنه يتجدد له عالمية بما وجد و كان من قبل عالما بأنه سيوجد وإحدى هاتين الصفتين غير الأخرى . وقالوا إن الصفات والأحوال قيل مفرد عن المعاني والمحال إنما هو حلول المعاني في ذاته لاتتجدد الصفات لذاته وللکلام في هذا الباب موضع هو أليق به .النوع السادس في نفى اتحاده تعالى بغيره ذهب أكثر العقلاء إلى استحالة ذلك وذهبت اليعقوبية من النصارى إلى أن الكلمة اتحدت بعيسى فصارت جوهرًا من جوهرين أحدهما إلهي والآخر جسماني وقد أجاز الاتحاد في نفس الأمر لا في ذات [صفحة ٢٣٤] البارئ قوم من قدماء الفلاسفة منهم فرفيوس وأجازه أيضا منهم من ذهب إلى أن النفس إنما تعقل المعقولات لاتحدها بالجواهر المفارقة للمفوض للنفوس على الأبدان وهو المسمى بالعقل الفعال .النوع السابع في نفى الأعراض الجسمانية عنه من التعب والاستراحة والألم واللذة والغم والسرور ونحو ذلك . وذهبت المعتزلة وأكثر العقلاء من أهل الملة وغيرهم إلى نفى ذلك والقول باستحالته عليه سبحانه . وذهبت الفلاسفة إلى جواز اللذة عليه وقالوا إنه يلتذ بإدراك ذاته وكماله لأن إدراك الكمال هو اللذة أو سبب اللذة وهو تعالى أكمل الموجودات وإدراكه أكمل الإدراكات و إلى هذا القول ذهب محمد الغزالي من الأشعرية. وحكى ابن الراوندي عن الجاحظ أن أحد قدماء المعتزلة ويعرف بأبي شعيب كان يجوز عليه تعالى السرور والغم والغيرة والأسف ويذكر في ذلك ما روى عن النبي ص أنه قال لا أحد أغير من الله وإنه تعالى يفرح بتوبة عبده ويسر بها -رواية-١-٢-رواية-٢٧-٨٨ . وقال تعالى فَلَمَّا آسَفُونَا انتقمنا منهم وقال مقال المتحسر على الشيء يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ وحكى عنه أيضا أنه يجوز عليه أن يتعب ويستريح ويحتج بقوله وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ .-قرآن-١٦-٤٨-قرآن-٨٠-١٠٤-قرآن-١٦٧-١٩٠ [صفحة ٢٣٥] وهذه الألفاظ كلها عند أصحابنا متأولة محمولة على محامل صحيحة تشتمل على شرحها الكتب المبسوطه.النوع الثامن في أنه تعالى ليس بمتلون لم يصرح أحد من العقلاء قاطبة بأن الله تعالى متلون وإنما ذهب قوم من أهل التشبيه والتجسيم إلى أنه نور فإذا أبصرته العيون وأدركته أبصرت شخصا نورانيا مضيئا لم يزيديا على ذلك و لم يصرحوا

بإثبات اللون بهذه العبارة و إن كان كل مضية ملونا. النوع التاسع فى أنه تعالى لا يشتهى و لا ينفرد ذهب شيوخنا المتكلمون إلى أنه سبحانه لا يصح عليه الشهوة و النفرة لأنهما إنما يصحان على ما يقبل الزيادة و النقصان بطريق الاغتذاء و النمو و البارى سبحانه و تعالى يتعالى عن ذلك و ما عرفت لأحد من الناس خلافا فى ذلك اللهم إلا- أن يطلق هاتان اللفظتان على مسمى الإرادة و الكراهية على سبيل المجاز. النوع العاشر فى أن البارى تعالى غير متناهى الذات قالت المعتزلة لما كان البارى تعالى ليس بجسم و جسمانى و كانت النهاية من لواحق الأشياء ذوات المقادير يقال هذا الجسم متناه أى ذو طرف. قلنا إن ذات البارى تعالى غير متناهية لا على معنى أن امتداد ذاته غير متناه فإنه سبحانه ليس بذى امتداد بل بمعنى أن الموضوع الذى يصدق عليه النهاية ليس بمتحقق فى حقه سبحانه فقلنا إن ذاته غير متناهية كما يقول المهندس إن النقطة غير متناهية لا على معنى أن لها امتدادا غير متناه فإنها ليست بممتدة أصلا بل على معنى أن الأمر [صفحة ٢٣٦] الذى تصدق عليه النهاية و هو الامتداد لا يصدق عليها فإذا صدق عليها أنها غير متناهية و هذا قول الفلاسفة و أكثر المحققين . و قالت الكرامية البارى تعالى ذات واحدة مفردة عن العالم قائمة بنفسها مباينة للموجودات متناهية فى ذاتها و إن كنا لانطلق عليها هذا اللفظ لما فيه من إيهام انقطاع وجودها و تصرم بقائها. و أطلق هشام بن الحكم و أصحابه عليه تعالى القول بأنه متناهى الذات غير متناهى القدرة. و قال الجاحظ إن لى قوما زعموا أنه تعالى ذاهب فى الجهات الست التى لانهاية لها. النوع الحادى عشر فى أنه تعالى لا تصح رؤيته قالت المعتزلة رؤية البارى تعالى مستحيلة فى الدنيا و الآخرة و إنما يصح أن يرى المقابل ذو الجهة. و قالت الكرامية و الحنابلة و الأشعرية تصح رؤيته و يرى فى الآخرة يراه المؤمنون ثم اختلفوا فقالت الكرامية و الحنابلة يرى فى جهة فوق و حكى عن مضر و كهمس و أحمد الجبى أنهم أجازوا رؤيته فى الدنيا و ملاسته و مصافحته و زعموا أن المخلصين يعانقونه متى شاءوا و يسمون الحبيبة. و حكى شيخنا أبو الحسين فى التصريح عن أيوب السجستاني من المرجئة أن البارى تعالى تصح رؤيته و لمسه . و ذهب قوم إلى أنهم لا يزالون يرون الله تعالى و أن الناس كلهم كافرهم و مؤمنهم يرونه ولكن لا يعرفونه . [صفحة ٢٣٧] و قال من ترفع عن هذه الطبقة منهم لا يجوز أن يرى بعين خلقت للفناء و إنما يرى فى الآخرة بعين خلقت للبقاء. و قال كثير من هؤلاء إن محمدا رأى ربه بعينى رأسه ليلة المعراج . و روى عن كعب الأحمبار أن الله تعالى قسم كلامه و رؤيته بين موسى و محمد ع . و روى عن المبارك بن فضالة أن الحسن كان يحلف بالله قدرأى محمدره . و تعلق كثير منهم بقوله تعالى وَ لَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى و قالوا كلمه موسى ع مرتين و رآه محمدا مرتين . و أنكر ابن الهيصم مع اعتقاده أقوال الكرامية ذلك و قال إن محمدا لم يره ولكنه سوف يراه فى الآخرة. قال و إلى هذا القول ذهب عائشة و أبوذر و قتادة و قدروى مثله عن ابن عباس و ابن مسعود. و اختلف من قال إنه يرى فى الآخرة هل يجوز أن يراه الكافر فقال أكثرهم إن الكفار لا يرونه لأن رؤيته كرامة و الكافر لا كرامة له و قالت السالمية و بعض الحشوية إن الكفار يرونه يوم القيامة و هو قول محمد بن إسحاق بن خزيمة ذكر ذلك عنه محمد بن الهيصم . فأما الأشعرى و أصحابه فإنهم لم يقولوا كما قال هؤلاء إنه يرى كما يرى الواحد منا بل قالوا يرى و ليس فوقا و لا تحتا و لا يمينا و لا شمالا و لا أماما و لا وراء و لا يبرى كله و لا بعضه و لا هو فى مقابلة الرائي و لا منحرفا عنه و لا تصح الإشارة إليه إذارئى - قرآن - ٣٦٦-٣٩٣ [صفحة ٢٣٨] و هو مع ذلك يرى و يبصر و أجازوا أيضا عليه أن تسمع ذاته و أن تشم و تذوق و تحس لا- على طريق الاتصال بل تتعلق هذه الإدراكات كلها بذاته تعلقا عاريا عن الاتصال و أنكرت الكرامية ذلك و لم يجيزوا عليه إلا إدراك البصر وحده و ناقضهم شيخنا أبو الحسين فى التصريح و ألزمهم أحد أمرين إما نفى الجميع أو إثبات إدراكه من جميع الجهات كما يقوله الأشعرية. و ذهب ضرار بن عمرو إلى أن الله تعالى يرى يوم القيامة بحاسة سادسة لا بهذا البصر و قيل ذلك عن جماعة غيره . و قال قوم يجوز أن يحول الله تعالى قوة القلب إلى العين فيعلم الله تعالى بها فيكون ذلك الإدراك علما باعتبار أنه بقوة القلب و رؤيته باعتبار أنه قد وقع بالمعنى الحال فى العين . فهذه الأنواع الأحد عشر هى الأقوال و المذاهب التى يشتمل قوله ع بنفى التشبيه عليها و سيأتى من كلامه

ع في نفى التشبيه ما هو أشد تصريحاً من الألفاظ التي نحن في شرحها

الفصل الخامس في بيان أن الجاحد له مكابر بلسانه ومثبت له بقلبه

وهو معنى قوله ع فهو الذي تشهد له أعلام الوجود على إقرار قلب ذي الجحود. لاشبهه في أن العلم بافتقار المتغير إلى المتغير ضروري والعلم بأن المتغير ليس هو المتغير [صفحة ٢٣٩] إما أن يكون ضرورياً أو قريبا من الضروري فإذا قد شهدت أعلام الوجود على أن الجاحد لإثبات الصانع إنما هو جاحد بلسانه لا بقلبه لأن العقلاء لا يجحدون الأوليات بقلوبهم وإن كابرُوا بألسنتهم ولم يذهب أحد من العقلاء إلى نفى الصانع سبحانه . و أما القائلون بأن العالم وجد عن طبيعة وأن الطبيعة هي المدبرة له والقائلون بتصادم الأجزاء في الخلاء الذي لانهاية له حتى حصل منها هذا العالم والقائلون بأن أصل العالم وأساس بنيته هو النور والظلمة والقائلون بأن مبادئ العالم هي الأعداد المجردة والقائلون باليهولي القديمة التي منها حدث العالم والقائلون بعشق النفس لليهولي حتى تكونت منها هذه الأجسام فكل هؤلاء أثبتوا الصانع وإنما اختلفوا في ماهيته وكيفية فعله . وقال قاضي القضاة إن أحداً من العقلاء لم يذهب إلى نفى الصانع للعالم بالكلية ولكن قوماً من الوراقين اجتمعوا ووضعوا بينهم مقالة لم يذهب أحد إليها وهي أن العالم قديم لم يزل على هيئته هذه ولا إله للعالم ولا صانع أصلاً وإنما هو هكذا مازال ولا يزال من غير صانع ولا مؤثر. قال وأخذ ابن الراوندي هذه المقالة فنصرها في كتابه المعروف بكتاب التاج قال فأما الفلاسفة القدماء والمتأخرون فلم ينفوا الصانع وإنما نفوا كونه فاعلاً بالاختيار وتلك مسألة أخرى قال والقول بنفى الصانع قريب من القول بالسفسطة بل هو هو بعينه لأن من شك في المحسوس أعذر ممن قال إن المتحركات تتحرك من غير محرك حركها. وقول قاضي القضاة هذا هو محض كلام أمير المؤمنين ع وعينه وليس قول الجاحظ هو هذا لأن الجاحظ يذهب إلى أن جميع المعارف والعلوم الإلهية ضرورية ونحن مادعين في هذا المقام إلا أن العلم بإثبات الصانع فقط هو الضروري فأين أحد القولين من الآخر [صفحة ٢٤٠]

٥٠- ومن خطبة له ع

إِنَّمَا يَدُءُ وَقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءُ تُتَّبَعُ وَ أَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللَّهِ وَ يَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّهِ فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِرَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخَفْ عَلَى الْمُؤْتَدِينَ وَ لَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَادِيَةِ وَ لَكِنْ يُؤَخَذُ مِنْ هَذَا ضِعْفٌ وَ مِنْ هَذَا ضِعْفٌ فَيَمْرَجَانِ فُهَذَا لِكَيْ يَسْتَوْلِيَ الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ وَ يَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى الْمُرْتَادِ الطَّالِبِ وَالضَّعْفُ مِنَ الْحَشِيشِ الْقَبْضَةُ مِنْهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَ خُذْ بِيَدِكَ ضِعْفًا. يَقُولُ عَ إِنْ الْمَذَاهِبَ الْبَاطِلَةَ وَالْآرَاءَ الْفَاسِدَةَ الَّتِي يَفْتِنُ النَّاسَ بِهَا أَصْلَهَا اتَّبَعَ الْأَهْوَاءَ وَابْتَدَعَ الْأَحْكَامَ الَّتِي لَمْ تَعْرِفْ يَخَالَفُ فِيهَا الْكِتَابَ وَتَحْمِلُ الْعَصْبِيَّةَ وَالهوى على تولى أقوام قالوا بها على غير وثيقه من الدين ومستند وقوع هذه الشبهات امتزاج الحق بالباطل في النظر الذي هو الطريق إلى استعلام المجهولات فلو أن النظر تخلص مقدماته وترتب قضاياها من قضايا باطلة لكان الواقع عنه هو العلم المحض وانقطع عنه ألسن المخالفين وكذلك لو كان النظر تخلص مقدماته من قضايا صحيحة بأن كان كله مبنياً -قرآن- ٦٥-٨٦ [صفحة ٢٤١] على الفساد لظهر فساده لطلبة الحق وإنما يقع الاشتباه لامتزاج قضاياها الصادقة بالقضايا الكاذبة. مثال ذلك احتجاج من أجاز الرؤية بأن البارئ تعالى ذات موجودة و كل موجود يصح أن يرى فأحدى المقدمتين حق والأخرى باطل فالتبس أمر النتيجة على كثير من الناس . ومثال ما يكون المقدمتان جميعاً باطلتين قول قوم من الباطنية البارئ لا موجود ولا معدوم و كل ما لا يكون موجوداً و

لامعدوما يصح أن يكون حيا قادرا فالبارئ تعالى يصح أن يكون حيا قادرا فهاتان المقدمتان جميعا باطلتان لاجرم أن هذه المقالة مرغوب عنها عند العقلاء. ومثال ماتكون مقدماته حقا كلها العالم متغير و كل متغير ممكن فالعالم ممكن فهذا مما لاخلاف فيه بين العقلاء. فإن قيل فما معنى قوله ع فهنالكَ يستولى الشيطان على أوليائه وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى أليس هذا إشعارا بقول المجبره وتلويحا به . قيل لا إشعار في ذلك بالجبر ومراده ع أنه إذا امتزج في النظر الحق بالباطل وتركبت المقدمات من قضايا صحيحة و فاسده تمكن الشيطان من الإضلال والإغواء ووسوس إلى المكلف وخيل له النتيجة الباطلة وأماله إليها وزينها عنده بخلاف ما إذا كانت المقدمات حقا كلها فإنه لا يقدر الشيطان على أن يخيل له ما يخالف العقل الصريح و لا يكون له مجال في تزيين الباطل عنده أ لا ترى أن الأوليات لا سبيل للإنسان إلى جحدها وإنكارها لا بتخييل الشيطان و لا بغير ذلك . [صفحہ ۲۴۲] ومعنى قوله على أوليائه أى على من عنده استعداد للجهل و تمرن على اتباع الهوى وزهد فى تحقيق الأمور العقلية على وجهها تقليدا للأسلاف و محبة لاتباع المذهب المألوف فذاك هو الذى يستولى عليه الشيطان ويضله وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى وهم الذين يتبعون محض العقل و لا يركنون إلى التقليد و يسلكون مسلك التحقيق و ينظرون النظر الدقيق يجتهدون فى البحث عن مقدمات أنظارهم و ليس فى هذا الكلام تصريح بالجبر و لا إشعار به على وجه من الوجوه و هذا واضح . و حمل الراوندى قوله ع فلو أن الباطل خلص إلى آخره على أن المراد به نفي القياس فى الشرع قال لأن القائسين يحملون المسكوت عنه على المنطوق فيمتزج المجهول بالمعلوم فيلتبس و يظن لامتزاج بعضه ببعض حقا و هذا غير مستقيم لأن لفظ الخطبة أن الحق يمتزج بالباطل و أصحاب القياس لا يسلمون أن استخراج العلة من الحكم المعلوم باطل بل يقولون إنه حق و إن الدليل الدال على ورود العبارة بالقياس قد آمنهم من كونه باطلا- و اعلم أن هذا الكلام الذى قاله ع حق إذا تأملته و إن لم تفسره على ما قدمناه من التفسير فإن الذين ضلوا من مقلد اليهود والنصارى و أرباب المقالات الفاسدة من أهل الملة الإسلامية وغيرها إنما ضل أكثرهم بتقليد الأسلاف و من يحسن الظن فيه من الرؤساء و أرباب المذاهب و إنما قلدهم الأتباع لما شاهدوا من إصلاح ظواهرهم و رفضهم الدنيا و زهدهم فيها و إقبالهم على العبادة و تمسكهم بالدين و أمرهم بالمعروف و نهيهم عن المنكر و شدتهم فى ذات الله و جهادهم فى سبيله و قوتهم فى [صفحہ ۲۴۳] مذاهبهم و صلابتهم فى عقائدهم فاعتقد الأتباع والخلف والقرون التى جاءت بعدهم أن هؤلاء يجب اتباعهم و تحرم مخالفتهم و أن الحق معهم و أن مخالفهم مبتدع ضال فقلدهم فى جميع ما نقل إليهم عنهم و وقع الضلال والغلط بذلك لأن الباطل استتر وانغمر بما مزجه من الحق الغالب الظاهر المشاهد عيانا أو الحكم الظاهر ولولاه لماتزوج الباطل و لا كان له قبول أصلا [صفحہ ۲۴۴]

۵۱- و من كلام له ع لما غلب أصحاب معاوية أصحابه ع على شريعة الفرات بصفين ومنعوه من الماء

إشارة

قَدْ اسْتَطَعْمُوكُمُ الْقِتَالَ فَأَقْرُوا عَلَى مَذَلَّةٍ وَ تَأْخِيرِ مَحَلَّةٍ أَوْ رَوُّوا السُّيُوفَ مِنَ الدَّمَاءِ تَرَوُّوا مِنَ الْمَاءِ فَالْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ وَ الْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ أَلَا وَ إِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادَ لُمَةً مِنَ الْغَوَاةِ وَ عَمَسَ عَلَيْهِمُ الْخَبْرَ حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاصَ الْمَيْتَةِ اسْتَطَعْمُوكُمُ الْقِتَالَ كَلِمَةً مَجَازِيَةً وَمَعْنَاهَا طَلَبُوا الْقِتَالَ مِنْكُمْ كَأَنَّهُ جَعَلَ الْقِتَالَ شَيْئًا يَسْتَطَعْمُ أَى يَطْلُبُ أَكَلَهُ وَ فِي الْحَدِيثِ إِذَا اسْتَطَعْمَكُمْ الْإِمَامُ فَاطْعَمُوهُ يَعْنِي إِمَامَ الصَّلَاةِ أَى إِذَا رَتَجَ فَاسْتَفْتَحَكُمْ فَافْتَحُوا عَلَيْهِ وَ تَقُولُ فُلَانٌ يَسْتَطَعْمُنِي الْحَدِيثُ أَى يَسْتَدْعِيهِ مِنِّي وَيَطْلُبُهُ . وَ اللممة بالتخفيف جماعه قليلة. و عمس عليهم الخبر يجوز بالتشديد و يجوز بالتخفيف و التشديد يعطى الكثرة و يفيدها ومعناه

أبهم عليهم الخبر وجعله مظلما ليل عماس أى مظلم و قدعمس الليل نفسه [صفحة ٢٤٥] بالكسر إذا أظلم وعمسه غيره وعمست عليه عمسا إذا أريته أنك لا تعرف الأمر و أنت به عارف . والأغراض جمع غرض و هو الهدف . و قوله فأقروا على مذله وتأخير محله أى أثبتوا على الذل وتأخر المرتبة والمنزلة أوفاعلوا كذا وكذا. ونحو قوله ع فالموت فى حياتكم مهوورين قول أبى نصر بن نباتة و الحسين الذى رأى الموت فى العز حياة والعيش فى الذل قتلا. و قال التهامى و من فاته نيل العلا بعلمه || وأقلامه فليغها بحسامه فموت الفتى فى العز مثل حياته || وعيشته فى الذل مثل حمامه

الأشعار الواردة فى الإباء والأنف من احتمال الضيم

والأشعار فى الإباء الأنف من احتمال الضيم والذل والتحريض على الحرب كثيرة ونحن نذكر منها هاهنا طرفا فمن ذلك قول عمرو بن براقه الهمداني وكيف ينام الليل من جل ماله || حسام كلون الملح أبيض صارم كذبتم وبيت الله لا تأخذونها || مراغمة مادام للسيف قائم و من يطلب المال الممنوع بالقنا || يعيش ماجدا أوتخترمه الخوارم . [صفحة ٢٤٦] ومثله و من يطلب المال الممنوع بالقنا || يعيش ماجدا أويؤذ فيما يمارس . و قال حرب بن مسعر عطفت عليه المهر عطفة باسل || كمى و من لا يظلم الناس يظلم فأوجرته لذن الكعوب مثقفا || فخر صريعا لليدين وللهم . و قال الحارث بن الأرقم و ماضاق صدرى ياسليمى بسخطكم || ولكننى فى الحادثات صليب تروك لدار الخسف والضيم منكر || بصير بفعل المكرمات أريب إذا سامنى السلطان ذلا أبيتته || و لم أعط خسفا ما أقام عسيب . و قال العباس بن مرداس السلمى بأبى فوارس لا يعرى صواهلها || أن يقبلوا الخسف من ملك و إن عظما لا والسيوف بأيدينا مجردة || لا كان منا غداة الروح منهزما . و قال وهب بن الحارث لا تحسبني كأقوام عبث بهم || لن يأنفوا الذل حتى تأنف الحمر لا تعلقنى قذاة لست فاعلها || واحذر شباتى فقدما ينفع الحذر فقد علمت بأنى غير مهتضم || حتى يلوح بيطن الراحة الشعر . و قال المسيب بن علس أبلغ ضيعة أن البلاد || فيها لذي قوة مغضب [صفحة ٢٤٧] و قد يقعد القوم فى دارهم || إذا لم يضاموا و إن أجذبوا ويرتحل القوم عند الهوان || عن دارهم بعد ما أخصبوا و قد كان سامة فى قومه || له مطعم و له مشرب فساموه خسفا فلم يرضه || و فى الأرض عن ضيمهم مهرب . و قال آخر إن الهوان حمار القوم يعرفه || والحر ينكره والرسلة الأجد و لا يقيم على خسف يراد به || إلا الأذلان غير الحى والوند هذا على الخسف مشدود برمته || وذا يشج فلا يأوى له أحد فإن أقمتم على ضيم يراد بكم || فإن رحلى له وال ومعتمد و فى البلاد إذا ما خفت بادرة || مكروهة عن ولاة السوء مفتقد . و قال بعض بنى أسد إنى امرؤ من بنى خزيمه لا || أطعم خسفا لناعب نعبا لست بمعط ظلامه أبدا || عجما و لا أتقى بهاعربا . دخل مويلك السدوسى إلى البصرة يبيع إبلا فأخذ عامل الصدقة بعضها فخرج إلى البادية و قال ناقد إنى أرى المقام على الضيم || عظيما فى قبة الإسلام قد أرانى و لى من العامل النصف || بحد السنان أوبالحسام [صفحة ٢٤٨] و وثقت بالدينا و أنت || ترى جماعتها شتاتا وعزمت ويك على الحياة || وطولها عزما بتاتا يا من رأى أبويه فيمن || قدرأى كانا فماتا هل فيهما لك عبرة || أم خلت إن لك انفلاتا و من الذى طلب التفلت || من منيته ففاتا كل تصبحة المنية || أوتبيته بياتا . و له أرى الدنيا لمن هى فى يديه || عذابا كلما كثرت لديه تهين المكرمين لها بصغر || وتكرم كل من هانت عليه إذا استغنى عن شىء فدعه || وخذ ما أنت محتاج إليه . و له ألم تر ريب الدهر فى كل ساعة || له عارض فيه المنية تلمع أيا بانى الدنيا لغيرك تبتنى || و ياجامع الدنيا لغيرك تجمع أرى المرء وثابا على كل فرصة || وللمرء يوما لا محالة مصرع ينازل ما لا يملك الملك غيره || متى تنقضى حاجات من ليس يشبع و أى امرئ فى غاية ليس نفسه || إلى غاية أخرى سواها تطلع . و له سل الأيام عن أمم تقضت || ستخبرك المعالم والرسوم [صفحة ٢٤٩] و لإحساما يبهر العين لمححه || كصاعقة فى عارض

أبأه الضيم وأخبارهم

سيد أهل الإباء ألقى علم الناس الحمية والموت تحت ظلال السيوف اختيارا له على الدنيا أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب عرض عليه الأمان وأصحابه فأنف من الذل وخاف من ابن زياد أن يناله بنوع من الهوان إن لم يقتله فاختر الموت على ذلك . وسمعت النقيب أبازيد يحيى بن زيد العلوي البصري يقول كان أبيات أبي تمام في محمد بن حميد الطائي ما قبلت إلا في الحسين ع وقد كان فوت الموت سهلا فرده || إليه الحفاظ المر والخلق الوعر ونفس تعاف الضيم حتى كأنه || هو الكفر يوم الروع أو دونه الكفر فأثبت في مستنقع الموت رجله || وقال لها من تحت أخصك الحشر تردى ثياب الموت حمرا فما أتى || لها الليل إلا وهي من سندس خضر . لما فر أصحاب مصعب عنه وتخلف في نفر يسير من أصحابه كسر جفن سيفه وأنشد فإن الأمل بالطف من آل هاشم || تأسوا فسنوا للكرام التأسيا فعلم أصحابه أنه قد استقتل . و من كلام الحسين ع يوم الطف المنقول عنه نقله عنه زين العابدين علي ابنه ع ألا و إن الدعى بن الدعى قد خيرنا بين اثنتين السلة -رواية ١- ٢-رواية ٨٦- ادامة دارد [صفحہ ٢٥٠] أو الذلة وهيات منا الذلة يابى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وحجز طهرت وأنوف حمية ونفوس أبية -رواية- از قبل ١١٥ . و هذانحو قول أبيه ع وقد ذكرناه فيما تقدم إن امرأ أمكن عدوا من نفسه يعرق لحمه ويفرى جلده ويهشم عظمه لعظيم عجزه ضعيف ماضمت عليه جوانح صدره فكن أنت ذاك إن شئت فأما أنافدون أن أعطى ذلك ضرب بالمشرفية تطير منه فراش الهام وتطيح السواعد والأقدام -رواية ١- ٢٢٣ . وقال العباس بن مرداس السلمى مقال امرئ يهدى إليك نصيحة || إذ امعشر جادوا بعرضك فابخل و إن بوءوك منزلا -غير طائل || غليظا فلا تنزل به وتحول ولا تطعمن ما يعلفونك إنهم || أتوك على قرباهم بالمثل أراك إذا قدصرت للقوم ناصحا || يقال له بالغرب أدبر وأقبل فخذها فليست للعزير بخطئة || وفيها مقام لامرئ متدلل . [صفحہ ٢٥١] وله أيضا فحارب فإن مولاك حارد نصره || ففى السيف مولى نصره لا يحارد . وقال مالك بن حريم الهمداني وكنت إذ أقوم غزوني غزوتهم || فهل أنا فى ذا يال همدان ظالم متى تجمع القلب الذكى وصارما || وأنفا حميا تجتنبك المظالم . وقال رشيد بن ريمض العنزى باتوا نياما و ابن هند لم ينم || بات يقاسيها غلام كالزلم خدلج الساقين خفاق القدم || قدلفها الليل بسواق حطم ليس براعى إبل ولا غنم || ولا يجزار على ظهر وضم من يلبنى يود كما أودت إرم . وقال آخر ولست بمبتاع الحياة بسبة || ولا مرتق من خشية الموت سلما ولما رأيت الود ليس بنافعى || عمدت إلى الأمر الذى كان أحزما . [صفحہ ٢٥٢] ومن أبأه الضيم يزيد بن المهلب كان يزيد بن عبد الملك يشنؤه قبل خلافته لأسباب ليس هذا موضع ذكرها فلما أفضت إليه الخلافة خلعه يزيد بن المهلب ونزع يده من طاعته وعلم أنه إن ظفر به قتله وناله من الهوان ما للقتل دونه فدخل البصرة وملكها عنوة وحبس عدى بن أرطاة عامل يزيد بن عبد الملك عليها فسرحت إليه يزيد بن عبد الملك جيشا كثيفا ويشتمل على ثمانين ألفا من أهل الشام والجزيرة وبعث مع الجيش أخاه مسلمة بن عبد الملك و كان أعرف الناس بقيادة الجيوش وتديريها وأيمن الناس نقيبه فى الحرب وضم إليه ابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك فسار يزيد بن المهلب من البصرة فقدم واسط فأقام بها أياما ثم سار عنها فنزل العقر واشتملت جريدة جيشه على مائة وعشرين ألفا وقدم مسلمة بجيوش الشام فلما تراءى العسكران وشبت الحرب أمر مسلمة قائدا من قواده أن يحرق الجسور التى كان عقدها يزيد بن المهلب فأحرقها فلما رأى أهل العراق الدخان قد علا انهزموا فليل يزيد بن المهلب قد انهزم الناس قال ومم انهزموا هل كان قتال ينهزم الناس من مثله فليل له إن مسلمة أحرق الجسور فلم يثبتوا فقال قبهم الله بق دخن عليه فطار ثم

وقف ومعه أصحابه فقال اضربوا وجوه المنهزمين ففعلوا ذلك حتى كثروا عليه واستقبله منهم أمثال الجبال فقال دعوهم قبحهم
الله غنم عدا في نواحيها الذئب و كان يزيد لا يحدث نفسه بالفرار و قد كان أتاه يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي بواسط
فقال له فعش ملكا أو مت كريما فإن تمت || وسيفك مشهور بكفكك تعذر . فقال ما شعرت فقال [صفحہ ۲۵۳] إن بنى مروان
قد باد ملكهم || فإن كنت لم تشعر بذلك فاشعر . فقال أما هذا فعسى فلما رأى يزيد انهزام أصحابه نزل عن فرسه وكسر جفن
سيفه واستقتل فأتاه آت فقال إن أخاك حبيبا قد قتل فزاده ذلك بصيرة في توطينه نفسه على القتل و قال لا خير في العيش
بعد حبيب و الله لقد كنت أبغض الحياة بعد الهزيمة و قد ازددت لها بغضا امضوا قدما فعلم أصحابه أنه مستميت فتسلل عنه من
يكره القتال وبقى معه جماعة خشية فهو يتقدم كلما مر بخيل كشفها و هو يقصد مسلمة بن عبد الملك لا يريد غيره فلما دنا منه
أدنى مسلمة فرسه ليركب و حالت خيول أهل الشام بينهما و عطف على يزيد بن المهلب فجالداهم بالسيف مصلتا حتى قتل
و حمل رأسه إلى مسلمة و قتل معه أخوه محمد بن المهلب و كان أخوهما المفضل بن المهلب يقاتل أهل الشام في جهة أخرى و
لا يعلم بقتل أخويه يزيد و محمد فأتاه أخوه عبد الملك بن المهلب و قال له مات صنع و قد قتل يزيد و محمد و قبلهما قتل حبيب و
قد انهزم الناس . و قد روى أنه لم يأت بالخبر على وجهه و خاف أن يخبره بذلك فيستقتل و يقتل فقال له إن الأمير قد انحدر إلى
واسط فاقتص أثره فانحدر المفضل حينئذ فلما علم بقتل إخوته حلف ألا يكلم أخاه عبد الملك أبدا و كانت عين المفضل
قد أصيبت من قبل في حرب الخوارج فقال فضحني عبد الملك فضحه الله ما عذرى إذ آرنى الناس فقالوا شيخ أعور مهزوم ألا
صدقتي فقتلت ثم قال و لا خير في طعن الصناديد بالقنا || و لا في لقاء الناس بعد يزيد فلما اجتمع من بقى من آل المهلب
بالبصرة بعد الكسرة أخرجوا عدى بن أرتاة أمير البصرة من الحبس فقتلوه و حملوا عيالهم في السفن البحرية و لججوا في البحر
فبعث إليهم مسلمة بن عبد الملك بعثا عليه قائد من قواده فأدر كههم في قدايل فحاربهم [صفحہ ۲۵۴] و حاربوه و تقدم بنو
المهلب بأسيا فمهم فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم و هم المفضل بن المهلب و زياد بن المهلب و مروان بن المهلب و عبد الملك بن
المهلب و معاوية بن يزيد بن المهلب و المنهال بن أبي عيينة بن المهلب و عمرو و المغيرة ابنا قبيصة بن المهلب و حملت رءوسهم
إلى مسلمة بن عبد الملك و في أذن كل واحد منهم رقعة فيها اسمه و استؤسر الباقون في الوقعة فحملوا إلى يزيد بن عبد الملك
بالشام و هم أحد عشر رجلا فلما دخلوا عليه قام كثير بن أبي جمعة فأنشد حليم إذا مانال عاقب مجملا || أشد العقاب أو عفا لم
يثرب ففعلوا أمير المؤمنين و حسبته || فما تأتته من صالح لك يكتب أساء و إن تصفح فإنك قادر || و أفضل حلم حسبته حلم
مغضب . فقال يزيد أظت بك الرحم يا أباصخر لو لأنهم قد حوا في الملك لعفوت عنهم ثم أمر بقتلهم فقتلوا و بقى منهم صبي
صغير فقال اقتلوني فلست بصغير فقال يزيد بن عبد الملك انظروا هل أنبت فقال أنا أعلم بنفسى قد احتلمت و وطئت النساء
فاقتلوني فلا خير في العيش بعد أهلى فأمر به فقتل . قال أبو عبيدة معمر بن المثنى و أسماء الأسارى الذين قتلوا صبورا و هم أحد عشر
مهلبيا المعارك و عبد الله و المغيرة و المفضل و المنجاب بنو يزيد بن المهلب و دريد و الحجاج و غسان و شبيب و الفضل بنو
المفضل بن المهلب لصلبه و الفضل بن قبيصة بن المهلب قال و لم يبق بعد هذه الوقعة الثانية لأهل المهلب باقية إلا أبو عيينة بن
المهلب و عمر بن يزيد بن المهلب و عثمان بن المفضل بن المهلب فإنهم لحقوا برتبيل ثم أومنوا بعد ذلك . [صفحہ ۲۵۵] و قال
الرضى الموسوى رحمه الله تعالى ألا لله بادرة الطلاب || و عزم لا يروع بالعتاب و كل مشمر البردين يهوى || هوى المصلتات
إلى الرقاب أعاتبه على بعد التناهي || فيعدلنى على قرب الإياب رأيت العجز يخضع لليالى || ويرضى عن نوابها الغضاب و آمل
أن تطاوعنى لليالى || وينشب فى المنى ظفرى و نابى و لو لاصولة الأقدار دونى || هجمت على العلا من كل باب . و قال أيضا
لا يبذ الهموم إلا غلام || يركب الهول و الحسام رديف ما يذل الزمان بالفقر حرا || كيفما كان فالشريف شريف . و قال أيضا
رحمه الله تعالى و لست أضل فى طرق المعالى || و نار العز عالية الشعاع و دون المجد رأى مستطيل || و باع غير محبوب الذراع

ويعجبني البعاد كان قلبي || يحدث عن عدى بن الرقاع فرد نهى العلاء بلا رقيب || وشمر في الأمور بلا نزاع ولا تغررك قعقعة الأعدى || فذاك الصخر خر من اليفاع ونحن أحق بالدنيا ولكن || تخيرت القطوف على الوساع . [صفحة ٢٥٦] وقال حارثة بن بدر الغداني أهان وأقصى ثم ينتصحنوني || و من ذا الذي يعطى نصيحته قسرا رأيت أكف المصلتين عليكم || ملاء وكفى من عطائكم صفرا متى تسألوني ما على وتمنعوا || الذي لى لأستطيع فى ذلكم صبيرا . وقال بعض الخوارج تعيرنى بالحرب عرسى و مادرت || بأنى لها فى كل ماأمرت ضد لحا الله قوما يقعدون وعندهم || سيوف و لم يعصب بأيديهم قد . وقال الأعشى أباالموت خشتنى عباد وإنما || رأيت منايا القوم يسعى دليلها و ماموتة إن متها غير عاجز || بعار إذا ماغالت النفس غولها . وقال آخر فلاأسمعن فيكم بأمر هزيمة || و ضيم و لاتسمع به هامتى بعدى فإن السنان يركب المرء حده || من الضيم أويعدو على الأسد الورد . ومثله إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته || على طرف الهجران إن كان يعقل ويركب حد السيف من أن تضيمه || إذا لم يكن عن شفرة السيف معدل . [صفحة ٢٥٧] وقال آخر كرهوا الموت فاستبيح حماهم || وأقاموا فعل اللئيم الذليل أ من الموت تهربون فإن || الموت الذليل غير جميل . وقال بشامة بن الغدير و إن التى سامكم قومكم || هم جعلوها عليكم عدولا أخزى الحياة وكره الممات || فكلا أراه طعاما ويلا فإن لم يكن غير إحداهما || فسيروا إلى الموت سيرا جميلا و لاتقعدوا وبكم منه || كفى بالحوادث للمرء غولا . قال يزيد بن المهلب فى حرب جرجان لأخيه أبى عينه ماأحسن منظر رأيت فى هذه الحرب قال سيف بن أبى سبرة وبيضته و كان عبد الله بن أبى سبرة حمل على غلام تركى قدأفرج الناس له وصدوا عنه لبأسه وشجاعته فتضاربا ضربتين فقتله ابن أبى سبرة بعد أن ضربه التركى فى رأسه فنشب سيفه فى بيضة ابن أبى سبرة فعاد إلى الصف وسيفه مصبوغ بدم التركى وسيف التركى ناشب فى بيضته كجزء منها يلمع فقال الناس هذاكوكب الذنب وعجبوا من منظره . وقال هديبة بن خشرم و إنى إذ ماالموت لم يك دونه || قدى الشبر أحمى الأنف أن أتأخرا ولكننى أعطى الحفيظة حقها || فأعرف معروفًا وأنكر منكرا . وقال آخر إنى أنا المرء لا يغضى على ترة || و لا يقر على ضيم إذاغشما [صفحة ٢٥٨] ألقى المنية خوفا أن يقال فتى || أمسى و قدثبت الصفان منهزما . وقال آخر قوض خيامك والتمس بلدا || تنأى عن الغاشيك بالظلم أوشد شدة يهس فعسى || أن يتقوك بصفحة السلم . استنصر سبيع بن الخطيم التيمى من بنى تميم اللات بن ثعلبة زيد الفوارس الضبى فنصره فقال نهبت زيدا فلم أفزع إلى وكل || رث السلاح و لا فى الحى مغمور سالت عليه شعاب الحى حين دعا || أنصاره بوجوه كالدنانير . وقال أبوطالب بن عبدالمطلب كذبتم وبيت الله نخلى محمدا || و لمانطاعن دونه وناضل ونصره حتى نصرع حوله || ونذهل عن أنبائنا والحلائل . لمابرز على وحمزة وعبيدة ع يوم بدر إلى عتبة وشيبة والوليد قتل على ع الوليد وقتل حمزة شيبة على اختلاف فى روايه ذلك هل كان شيبة قرنه أم عتبة و تجالد عبيدة وعتبة بسيفيهما فجرح عبيدة عتبة فى رأسه وقطع عتبة ساق عبيدة فكر على وحمزة ع على صاحبهما فاستنقذهما من عتبة وخطاه بسيفيهما حتى قتلاه واحتملا صاحبهما فوضعهما بين يدى رسول الله ص فى العريش و هو وجود بنفسه و إن مخ ساقه ليسيل فقال يا رسول الله لو كان أبوطالب حيا لعلم أنى أولى منه بقوله [صفحة ٢٥٩] كذبتم وبيت الله نخلى محمدا || و لمانطاعن دونه وناضل ونصره حتى نصرع حوله || ونذهل عن أنبائنا والحلائل و قال اللهم أنجز لى ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة لاتعبد فى الأرض - روايت-١-٢-روايت-١٠-٨٢ . لماقدم جيش الحره إلى المدينة و على الجيش مسلم بن عقبه المرى أباح المدينة ثلاثا واستعرض أهلها بالسيف جزرا كما يجزر القصاب الغنم حتى ساخت الأقدام فى الدم وقتل أبناء المهاجرين والأنصار وذرية أهل بدر وأخذ البيعة ليزيد بن معاوية على كل من استبقاه من الصحابة والتابعين على أنه عبدقن لأمير المؤمنين يزيد بن معاوية هكذا كانت صورة المبايعه يوم الحره إلا على بن الحسين بن على ع فإنه أعظمه وأجلسه معه على سريره وأخذ بيعته على أنه أخو أمير المؤمنين يزيد بن معاوية و ابن عمه دفعا له عما بايع عليه غيره و كان ذلك بوصاه من يزيد بن معاوية له فهرب على بن عبد الله

بن العباس رحمه الله تعالى إلى أخواله من كنده فحموه من مسلم بن عقبة وقالوا لا يبايع ابن أختنا إلا على ما يبايع عليه ابن عمه على بن الحسين فأبى مسلم بن عقبة ذلك وقال إنى لم أفعل ما فعلت إلا بوصاء أمير المؤمنين و لو لا ذلك لقتلته فإن أهل هذا البيت أجدر بالقتل أو لأخذت بيعته على ما أخذت عليه بيعه غيره وسفر السفراء بينه وبينهم حتى وقع الاتفاق على أن يبايع و يقول أنا يبايع لأمر المؤمنين يزيد بن معاوية وألترم طاعته و لا يقول غير ذلك فقال على بن عبد الله بن العباس أبى العباس رأس بنى قصى || وأخوالى الملوكة بنو وليعه هم منعوا ذمارى يوم جاءت || كتاب مسرف و بنو اللكيعة [صفحة ٢٦٠] أراد بى التى لا عز فيها || فحالت دونه أيد منيعه . مسرف كناية عن مسلم وأم على بن عبد الله بن العباس زرعه بنت مشرح بن معديكرب بن وليعه بن شرحبيل بن معاوية بن كنده. قال الحسين بن الحمام ولست بمبتاع الحياة بسبه || و لا مرتق من خشية الموت سلما تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد || لنفسى حياة مثل أن أتقدما فلسنا على الأقباب تدمى كلومنا || ولكن على أقدامنا تقطر الدما نفلق هامنا من رجال أعزة || علينا وهم كانوا أعق وأظلمنا أبى لابن سلمى أنه غير خالد || ملاقى المنيا أى صرف تيمما . ابن سلمى يعنى نفسه وسلمى أمه . و قال الطرماح بن حكيم و مامنت دار و لا عز أهلها || من الناس إلا بالقنا والقنابل . و قال آخر و إن التى حدثتها فى أنوفنا || وأعناقنا من الإباء كما هيا . و قال آخر فإن تكن الأيام فينا تبدلت || بيؤسى ونعمى والحوادث تفعل فما لينت منا قناه صليبه || و لا ذللتنا لتى ليس تجمل ولكن رحلناها نفوسا كريمه || تحمل ما لا يستطاع فتحمل . [صفحة ٢٦١] و قال آخر إذا جانب أعياك فاعمد لجانب || فإنك لاق فى البلاد معولا . و قال أبو النشاش إذا المرء لم يسرح سواما و لم يرح || سواما و لم تعطف عليه أقاربه فللموت خير للفتى من قعوده || عديما و من مولى تدب عقاربه و لم أر مثل الهم ضاجعه الفتى || و لا -كسواد الليل أخفق طالبه فعش معدما أومت كريما فإننى || أرى الموت لا ينجو من الموت هاربه . وفد يحيى بن عروة بن الزبير على عبد الملك فجلس يوما على بابه ينتظر إذنه فجرى ذكر عبد الله بن الزبير فنال منه حاجب عبد الملك فلطم يحيى وجهه حتى أدمى أنفه فدخل على عبد الملك ودمه يجرى من أنفه فقال من ضربك قال يحيى بن عروة قال أدخله و كان عبد الملك متكئا فجلس فلما دخل قال ما حملك على ما صنعت بحاجبى قال يا أمير المؤمنين إن عمى عبد الله كان أحسن جوارا لعمتك منك لنا و الله إن كان ليوصى أهل ناحيته ألا يسمعوها قذعا و لا يذكر وكم عندها إلا بخير و إن كان ليقول لها من سب أهلك فقد سب أهلها فأنا و الله المعتم المخول تفرقت العرب بين عمى وخالى فكنت كما قال الأول يداه أصابت هذه حتف هذه || فلم تجد الأخرى عليها مقدا . فرجع عبد الملك إلى متكنه و لم يزل يعرف منه الزيادة فى إكرام يحيى بعدها . [صفحة ٢٦٢] وأم يحيى هذه ابنة الحكم بن أبى العاص عمه عبد الملك بن مروان . و قال سعيد بن عمر الحرشى أمير خراسان فلست لعامر إن لم ترونى || أمام الخيل أطعن بالعوالى وأضرب هامه الجبار منهم || بماضى الغرب حودث بالصقال فما أنا فى الحروب بمستكين || و لا أخشى مصاوله الرجال أبى لى والدى من كل ذم || وخالى حين يذكر خير خال . قال عبد الله بن الزبير لما خطب حين أتاه نعى مصعب أما بعد فإنه أتانا من العراق خبر أفرحنا وأحزننا أتانا خبر قتل المصعب فأما الذى أحزننا فلو عه يجدها الحميم عند فراق حميمه ثم يرعوى بعدها ذو اللب إلى حسن الصبر وكرم العزاء . و أما الذى أفرحنا فإن ذلك كان له شهادة و كان لنا و له خيرة إنا و الله مانموت حبا كما يموت آل أبى العاص مانموت لإقتلا قعصا بالرماح وموتا تحت ظلال السيوف فإن يهلك المصعب فإن فى آل الزبير لخلفا . وخطب مرة أخرى فذكره فقال لوددت و الله أن الأرض قاءتنى عنده حين لفظ غصته وقضى نجه شعر خذيه فجرية ضباع وأبشرى || بلحم امرئ لم يشهد اليوم ناصره . [صفحة ٢٦٣] و قال الشداخ بن يعمر الكنانى قاتلوا القوم يا خزاع و لا || يدخلكم من قتالهم فشل القوم أمثالكم لهم شعر || فى الرأس لا ينشرون إن قتلوا . و قال يحيى بن منصور الحنفى و لمأنت عنا العشيرة كلها || أنخنا فحالفنا السيوف على الدهر فما أسلمتنا عند يوم كريةه || و لانحن أغضينا الجفون على وتر . قيل لرجل شهد يوم الطف مع عمر بن سعد ويحك أقتلتم ذرية رسول الله ص فقال عضضت

بالجندل إنك لو شهدت ماشهدنا لفلعت مافعلنا ثارت علينا عصابة أيديها في مقابض سيوفها كالأسود الضاريه تحطم الفرسان
يميناً وشمالاً وتلقى أنفسها على الموت لاتقبل الأمان ولا ترغب في المال ولا يحول حائل بينها وبين الورد على حياض المنية
أوالاستيلاء على الملك فلو كففنا عنها رويداً لأنت على نفوس العسكر بحذافيرها فما كنا فاعلين لأم لك . السخاء من باب
الشجاعة والشجاعة من باب السخاء لأن الشجاعة إنفاق العمر وبذله فكانت سخاء والسخاء إقدام على إتلاف ما هو تعديل المهجة
فكان شجاعة أهتمام في تفضيل الشجاعة على السخاء كم بين قوم إنما نفقاتهم || مال وقوم ينفقون نفوساً . [صفحہ ۲۶۴] قيل
لشيخنا أبي عبد الله البصري رحمه الله تعالى أتجد في النصوص ما يدل على تفضيل على ع بمعنى كثرة الثواب لا بمعنى كثرة
مناقبه فإن ذاك أمر مفروغ منه فذكر حديث الطائر المشوى و أن المحبة من الله تعالى إرادة الثواب فليل له قدسبقتك الشيخ أبو
على رحمه الله تعالى إلى هذافهل تجد غير ذلك قال نعم قول الله تعالى إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَمَا كَانَتْهُمْ بُيَانٌ
مَرُصُوصٌ فَإِذَا كَانَ أَصْلَ الْمُحِبَّةِ لَمَنْ ثَبِتَ كَتَبَتِ الْبَيَانَ الْمَرُصُوصَ فَكُلٌّ مِنْ زَادِ ثَبَاتِهِ زَادَتِ الْمُحِبَّةُ لَهُ وَمَعْلُومٌ أَنَّ عَلِيَّ عَ مَافِرٍ
فِي زَحْفِ قَطِ وَفَرِغِيهِ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ . وَقَالَ أَبُو تَمَامٍ - قُرْآن - ۳۳۳-۴۱۸ السيف أصدق أبناء من الكتب || في حده الحد بين
الجد واللعب بيض الصفائح لاسود الصفائح في || متونهن جلاء الشك والريب والعلم في شهب الأرماع لامعة || بين
الخميسين لا في السبعة الشهب . وقال أبو الطيب المتنبي حتى رجعت وأقلامى قوائلى || المجد للسيف ليس المجد للقلم [صفحہ ۲۶۵]
اكتب بنا أبدا بعد الكتاب به || فإنما نحن للأسياف كالخدم أسمعنى ودوائى ماأشرت به || فإن غفلت فدائى قلته
الفهم من اقتضى بسوى الهندى حاجته || أجاب كل سؤال عن هل بلم . قال عطاى بن محمد الألوسى أمكابد الزفرات مؤصدة
|| تلتذ خوف القطع بالشلل صرف همومك تنتدب همما || فالسكر يعقب نشوة الثمل وليلة الميلاد مفرحة || تنسى الحوامل
أشهر الجبل سر فى البلاد تخوضها لججا || فالدر ليس يصاب فى الوشل واجعل لصبوتك الظبا سكنا || والدور أكوارا على
الإبل والعيش والوطن الممهد فى || غرب الحسام وغارب الجمل واشدد عليك وخذ إليك ودع || ضعة الخمول وفترة الكسل
وارم العداة بكل صائبة || ماالرمى موقوفا على ثعل لاتحسب النكبات منقصة || قد يستجاد السيف بالفلل . وقال عروة بن الورد
لحا الله صعلوكا إذاجن ليله || مصافى المشاش ألفا كل مجزر [صفحہ ۲۶۶] يعد الغنى من نفسه كل ليلة || أصاب قراها من
صديق ميسر ينام عشاء ثم يصبح ناعسا || يحث الحصى من جنبه المتعفر يعين نساء الحى ما يستعنه || ويمسى طليحا كالبعير
المحسر ولكن صعلوكا صفيحة وجهه || كضوء شهاب القابس المتنور مطالـ على أعدائه يزجرونه || بساحتهم زجر المنيح
المشهر و إن قعدوا لا يأمنون اقترابه || تشوف أهل الغائب المنتظر فذلك إن يلق المنية يلقيها || حميدا و إن يستغن يوما فأجدر .
وقال آخر ولست بمولى سوءة أدعى لها || فإن لسوآت الأمور مواليا وسيان عندى أن أموت و أن أرى || كبعض رجال
يوطنون المخازيا ولن يجد الناس الصديق ولا العدا || أديمى إذاعدوا أديمى واهيا و إن نجارى بابن غنم مخالف || نجار لئام
فابغنى من ورائيا ولست بهياب لمن لا يهابنى || ولست أرى للمرء ما لا يرى ليا إذا المرء لم يحببك إلا تکرها || عراض العلوق
لم يكن ذاك باقيا . [صفحہ ۲۶۷] نهار بن توسعه فى يزيد بن المهلب و ما كنا نؤمل من أمير || كما كنا نؤمل من يزيد فأخطأ
ظننا فيه وقدا || زهدنا فى معاشره الزهيد إذا لم يعطنا نصفا أمير || مشينا نحوه مشى الأسود . كان هدبة الشكرى و هو ابن عم
شوذب الخارجى الشكرى شجاعا مقداما و كان ابن عمه بسطام الملقب شوذبا الخارج فى خلافه عمر بن عبدالعزيز ويزيد بن
عبد الملك فأرسل إليه يزيد بن عبد الملك جيشا كثيفا فحاربه فانكشفت الخوارج وثبت هدبة وأبى الفرار فقاتل حتى قتل فقال
أيوب بن خولى يرثيه فى هذب للهيجا و ياهدب للندى || و ياهدب للألد يحاربه و ياهدب كم من ملحم قدأجبتة || و
قدأسلمته للرماح كتائبه تزودت من دنياك درعا ومغفرا || وعضبا حساما لم تخنك مضاربه وأجرد محبوبك السراة كأنه ||
إذا انفض وافى الریش حجن مخالفه . كانت وصايا ابراهيم الإمام وكتبه ترد إلى أبى مسلم بخراسان إن استطعت ألا تدع بخراسان

أحدا يتكلم بالعربية إلا وقتلته فافعل وأيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه [صفحة ٢٦٨] فاقتله وعليك بمضر فإنهم العدو القريب الدار فأبد خضراءهم ولا تدع على الأرض منهم ديارا. قال المتنبي لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى || حتى يراق على جوانبه الدم . وله و من عرف الأيام معرفتي بها || وبالناس روى رمحه غير راحم فليس بمرحوم إذاظفروا به || ولا فى الردى الجارى عليهم بآثم . وقال المتنبي أيضا ردى حياض الردى يانفس واطرحى || حياض خوف الردى للشاء والنعم إن لم أذكر على الأرماع سائلة || فلادعيت ابن أم المجد والكرم . و من أباه الضيم قتيبة بن مسلم الباهلى أمير خراسان و ماوراء النهر لم يصنع أحد صنيعه فى فتح بلاد الترك و كان الوليد بن عبد الملك أراد أن ينزع أخاه سليمان بن عبد الملك من العهد بعده ويجعله فى ابنه عبدالعزيز بن الوليد فأجابه إلى ذلك قتيبة بن مسلم و جماعة من الأمراء فلما مات الوليد قبل إتمام ذلك وقام سليمان بالأمر بعده و كان [صفحة ٢٦٩] قتيبة أشد الناس فى أمر سليمان وخلعه عن العهد علم أنه سيعزله عن خراسان ويوليها يزيد بن المهلب لود كان بينه و بين سليمان فكتب قتيبة إليه كتابا يهنئه بالخلافة و يذكر بلائه و طاعته لعبد الملك وللوليد بعده و أنه على مثل ذلك إن لم يعزله عن خراسان و كتب إليه كتابا آخر يذكره فيه بفتوحه و آثاره و نكايته فى الترك و عظم قدره عند ملوكهم و هيبه العجم و العرب له و عظم صيته فيهم و يذم آل المهلب و يحلف له بالله لئن استعمل يزيد بن المهلب خراسان ليخلعنه و ليملأنها عليه خيلا- و رجلا- و كتب كتابا ثالثا فيه خلع سليمان و بعث بالكتب الثلاثة مع رجل من قومه من باهلة يثق به و قال له ادفع الكتاب الأول إليه فإن كان يزيد بن المهلب حاضرا عنده فقرأ الكتاب ثم دفعه إلى يزيد فادفع إليه هذا الثانى فإن قرأه و ألقاه إليه أيضا فادفع إليه الثالث و إن قرأ الكتاب الأول و لم يدفعه إلى يزيد فاحتبس الكتابين الآخرين معك . فقدم الرسول على سليمان و دخل عليه و عنده يزيد بن المهلب فدفع إليه الكتاب الأول فقرأه و ألقاه إلى يزيد فادفع إليه الكتاب الثانى فقرأه و ألقاه إلى يزيد أيضا فدفع إليه الكتاب الثالث فقرأه و تغير لونه و طواه و أمسكه بيده و أمر بإنزال الرسول و إكرامه ثم أحضره ليلا- و دفع إليه جائزته و أعطاه عهد قتيبة على خراسان و كان ذلك مكيدة من سليمان يسكنه ليطمئن ثم يعزله و بعث مع رسوله رسولا فلما كان بحلولا بلغه خلع قتيبة سليمان بن عبد الملك فرجع رسول سليمان إليه فلما اختلفت العرب على قتيبة حين أبدى صفحته لسليمان و خلع ربقه الطاعة بايعوا و كيع بن أبى سود التميمى على أماره خراسان و كانت أمراء القبائل قد تنكرت لقتيبة لإذلاله إياهم و استهانته بهم و استظالته عليهم و كرهوا إمارته فكانت بيعه و كيع فى أول الأمر [صفحة ٢٧٠] سرا ثم ظهر لقتيبة أمره فأرسل إليه يدعوه فوجده قد طلا رجله بمغرة و علق فى عنقه خرزا و عنده رجلا يرقيان رجله فقال للرسول قد ترى ما برجلى فرجع و أخبر قتيبة فأعاده إليه فقال قل له ليأتينى محمولا قال لا أستطيع فقال قتيبة لصاحب شرطته انطلق إلى و كيع فأتنى به فإن أبى فاضرب عنقه و ائتنى برأسه و وجهه معه خيلا- فقال و كيع لصاحب الشرطة البث قليلا- تلحق الكتاب و قام فلبس سلاحه و نادى فى الناس فأتوه فخرج فتلقاه رجل فقال ممن أنت فقال من بنى أسد فقال ما اسمك فقال ضرغام فقال ابن من قال ابن ليث فتمن به و أعطاه رايته و أتاه الناس إرسالا من كل وجه فتقدم بهم و هو يقول قرم إذا حمل مكروهه || شد الشراسيف لها و الحزيم . و اجتمع إلى قتيبة أهله و ثقاته و أكثر العرب ألسنتهم له و قلوبهم عليه فأمر قتيبة رجلا فنادى أين بنو عامر و قد كان قتيبة جفاهم فى أيام سلطانه فقال له مجفر بن جزء الكلابى نادهم حيث وضعتهم فقال قتيبة أنشدكم الله و الرحم و ذاك لأن باهله و عامرا من قيس عيلان فقال مجفر أنت قطعتها قال فلکم العتبي فقال مجفر لا أقالنا الله إذا فقال قتيبة يانفس صبرا على ما كان من ألم || إذ لم أجد لفضول العيش أقرانا . ثم دعا ببرذون له و مدرس ليركبه فجعل يمنعه الركوب حتى أعيا فلما رأى ذلك [صفحة ٢٧١] عاد إلى سريره فجلس و قال دعوه فإن هذا أمر يراد و جاء حيان النبطى و هو يومئذ أمير الموالى و عدتهم سبعة آلاف و كان واجدا على قتيبة فقال له عبد الله بن مسلم أخو قتيبة احمل يا حيان فقال لم يأن بعد فقال له ناولنى قوسك فقال حيان ليس هذا يوم قوس ثم قال حيان لابنه إذ رأيتنى قد حولت قلنسوتى و مضيت نحو عسكر و كيع فمل بمن معك من العجم إلى فلما حول حيان قلنسوته و مضى نحو عسكر

وكيع مالت الموالى معه بأسرها فبعث قتيبة أخاه صالح بن مسلم إلى الناس فرماه رجل من بنى ضببة فأصاب رأسه فحمل إلى قتيبة ورأسه مائل فوضعه على مصلاه وجلس عند رأسه ساعة وتهايج الناس وأقبل عبدالرحمن بن مسلم أخو قتيبة نحوهم فرماه الغوغاء و أهل السوق فقتلوه وأشير على قتيبة بالانصراف فقال الموت أهون من الفرار وأحرق وكيع موضعا كانت فيه إبل قتيبة ودوابه وزحف بمن معه حتى دنا منه فقاتل دونه رجل من أهله قتالا شديدا فقال له قتيبة أنج بنفسك فإن مثلك يضمن به عن القتل قال بئسما جزيتك به أيها الأمير إذا وقد أطعمتني الجردق والبستني النمرق وتقدم الناس حتى بلغوا فسطاط قتيبة فأشار عليه نصحاؤه بالهرب فقال إذالست لمسلم بن عمرو ثم خرج إليهم بسيفه يجالدهم فجرح جراحات كثيرة حتى ارتث وسقط فأكبوا عليه فاحتزوا رأسه وقتل معه من إخوته عبدالرحمن و عبد الله وصالح والحصين و عبدالكريم ومسلم وقتل معه جماعة من أهله وعدة من قتل معه من أهله وإخوته أحد عشر رجلا وصعد وكيع بن أبي سود المنبر وأنشد من ينك العير ينك نياكا . [صفحة ٢٧٢] إن قتيبة أراد قتلى و أنافقت الأقران ثم أنشد قد جربوني ثم جربوني || من غلوتين و من المئين حتى إذا شبت وشيوني || خلوا عناني ثم سيوني حذار منى وتنكيوني || فإننى رام لمن يرمينى . ثم قال أنا أبو مطرف يكررها مرارا ثم قال أنا ابن خندف تمنينى قبائلها || للصلحات وعمى قيس عيلانا . ثم أخذ بلحيته وقال إنى لأقتلن ثم لأقتلن ولأصلبن ثم لأصلبن إن مرزبانكم هذا ابن الزانية قد أغلى أسعاركم و الله لئن لم يصر القفيز بأربعة دراهم لأصلبته صلوا على نبيكم . ثم نزل وطلب رأس قتيبة وخاتمه فقبل له إن الأزدي أخذته فخرج مشهرا وقال و الله الذى لا إله إلا هو لأبرح حتى أوتى بالرأس أو يذهب رأسى معه فقال له الحصين بن المنذر يا أبا مطرف فإنك توتى به ثم ذهب إلى الأزدي فأخذ الرأس وأتاه به فسيره إلى سليمان بن عبدالملك فأدخل عليه ومعه رؤوس إخوته وأهله وعنده الهذيل بن زفر بن الحارث الكلابى فقال أساءك هذا ياهذيل قال لوساءنى لساء ناسا كثيرا فقال سليمان ما أردت هذا كله وإنما قال سليمان ذلك للهذيل لأن قيس عيلان تجمع كلابا وباهلة قالوا ماولى خراسان أحد كقتيبة بن مسلم و لو كانت باهلة فى الدناءة والضعف واللؤم إلى أقصى غاية لكان لها بقتيبة الفخر على قبائل العرب . [صفحة ٢٧٣] قال رؤساء خراسان من العجم لما قتل قتيبة يامعشر العرب قتلتم قتيبة و الله لو كان منا ثم مات لجعلناه فى تابوت فكنا نستفتح به إذا غزونا . وقال الأصهبذ يامعشر العرب قتلتم قتيبة ويزيد بن المهلب لقد جئتم شيئا إذا فليل له أيهما كان أعظم عندكم وأهيب قال لو كان قتيبة بأقصى حجرة فى المغرب مكبلا بالحديد والقيود ويزيد معنا فى بلدنا وال علينا لكان قتيبة أهيب فى صدورنا وأعظم . و قال عبدالرحمن بن جماعة الباهلى يرثى قتيبة كأن أبا حفص قتيبة لم يسر || بجيش إلى جيش و لم يعل منبرا و لم تخفق الرايات والجيش حوله || صفوفا و لم يشهد له الناس عسكرا دعتة المنايا فاستجاب لربه || وراح إلى الجنات عفا مطهرا فما رزى الإسلام بعد محمد || بمثل أبى حفص فبكيه عبهرا و فى الحديث الصحيح أن من خير الناس رجلا ممسكا بعنان فرسه فى سبيل الله كلما سمع هيعه طار إليها -رواية- ١-٢-رواية- ٢٤-١٠٥ . كتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد واعلم أن عليك عيوننا من الله ترعاك وتراكم فإذا القيت العدو فاحرص على الموت توهب لك الحياة و لا تغسل الشهداء من دمائهم فإن دم الشهيد يكون له نورا يوم القيامة . [صفحة ٢٧٤] عمر لا تزالون أصحاء مانزعتم ونزوتم يزيد مانزعتم فى القوس ونزوتم على الخيل بعض الخوارج و من يخش أظفار المنايا فإننا || لبسنا لهن السابغات من الصبر و إن كرية الموت عذب مذاقه || إذا مامزجناه بطيب من الذكر . حفص منصور بن عمار فى قصصه على الغزو والجهاد فطرح فى المجلس صرة فيها شىء ففتحت فإذا فيها ضفيرتا امرأة و قد كتبت رأيتك يا ابن عمار تحض على الجهاد و و الله إنى لأملكك لنفسى مالا و لأملكك سوى ضفيرتى هاتين و قد ألقىتهما إليك فتالله إلا جعلتهما قيد فرس غاز فى سبيل الله فلعل الله أن يرحمنى بذلك . فارتج المجلس بالبكاء والضجيج . لبعض شعراء العجم وا سوء تا لامرئ شيبته || فى عنفوان وماؤه خضل راض بنزر المعاش مضطهد || على تراث الآباء يتكل لاحفظ الله ذاك من رجل || و لارعاها ما أطت الإبل كلا وربى حتى تكون فتى || قد نهكته الأسفار والرحل

مشمرا يطلب الرئاسة أو || يضرب يوما بهلكه المثل حتى متى تتبع الرجال ولا || تتبع يوما لأمك الهبل . [صفحہ ۲۷۵] عبد الله بن ثعلبة الأزدي فلئن عمرت لأشفين || النفس من تلك المساعي ولأعلمن البطن أن || الزاد ليس بمستطاع أما النهار فقد أرى || قومي بمرقبه يفاع في قره هلك وشوك || مثل أنياب الأفاعى ترد السباع معى فتحسبني || السباع من السباع . مجير الجراد أبوحنبل حارثه بن مر الطائي أجار جرادا نزل به ومنع من صيده حتى طار من أرضه فسمى مجير الجراد . وقال هلال بن معاوية الطائي وبالجليل لنا معقل || صعدا إلى بصم الصعاد ملكناه في أوليات الزمان || من قبل نوح و من قبل عاد ومنا ابن مر أبوحنبل || أجار من الناس رجل الجراد وزيد لنا ولنا حاتم || غياث الورى فى السنين الشداد . وقال يحيى بن منصور الحنفى و لمأناث عنا العشيرو كلها || أنخنا فحالفنا السيوف على الدهر فما أسلمتنا عند يوم كريبه || ولانحن أغضينا الجفون على وتر . [صفحہ ۲۷۶] وقال آخر أرق لأرحام أراها قريبه || لحراب بن كعب لالجرم وراسب و إنا نرى أقدامنا فى نعالهم || وآفنا بين اللحي والحواجب وأقدامنا يوم الوغى وإبانا || إذا ما أبينا لاندرا لعاصب . حاصرت الترك مدينه برذعه من أعمال آذربيجان فى أيام هشام بن عبدالملك حصارا شديدا واستضعفتها وكادت تملكها وتوجه إليها لمعاونتها سعيد الحرشى من قبل هشام بن عبدالملك فى جيوش كثيفه وعلم الترك بقره منهم فخافوا وأرسل سعيد واحدا من أصحابه إلى أهل برذعه سرا يعرفهم وصوله ويأمرهم بالصبر خوفا ألا يدركهم فسار الرجل ولقيه قوم من الترك فأخذه وسأله عن حاله فكتمهم فعذبوه فأخبرهم وصدقهم فقالوا إن فعلت مانأمرك به أطلقناك و إقتناك فقال ماتريدون قالوا أنت عارف بأصحابك ببرذعه وهم يعرفونك فإذا وصلت تحت السور فنأدهم إنه ليس خلفى مدد ولا . من يكشف مابكم وإنما بعثت جاسوسا فأجابهم إلى ذلك فلما صار تحت سورها وقف حيث يسمع أهلها كلامه وقال لهم أتعرفوننى قالوا نعم أنت فلان بن فلان فإن سعيدا الحرشى قد وصل إلى مكان كذا فى مائه ألف سيف وهو يأمركم بالصبر وحفظ البلد وهو مصبحكم أو ممسيكم فرفع أهل برذعه أصواتهم بالتكبير وقتلت الترك ذلك الرجل ورحلوا عنها ووصل سعيد فوجد أبوابها مفتوحة وأهلها سالمين . وقال الراجز من كان ينوى أهله فلارجع || فر من الموت و فى الموت وقع . [صفحہ ۲۷۷] أشرف معاوية يوما فرأى عسكر على ع بصفين فهاله فقال من طلب عظيما خاطر بعظيمته . وقال الكلبه إذا المرء لم يغش المكاره أوشكت || حبال الهوينى بالفتى أن تقطعا . و من شعر الحماسه أقول لها و قدارت شعاعا || من الأبطال ويحك لاتراعى فإنك لوسألت بقاء يوم || على الأجل الذى لك لم تطاعى فصبرا فى مجال الموت صبيرا || فما نيل الخلود بمستطاع ولا ثوب البقاء بثوب عز || فيطوى عن أخى الخنع اليراع سبيل الموت غايه كل حى || فداعيه لأهل الأرض داع و من لا يعتبب يسأم ويهرم || وتسلمه المنون إلى انقطاع و ماللمرء خير فى حياه || إذا ماعد من سقط المتاع . و منه أيضا و فى الشر نجاه حين لاينجيك إحسان . و منه أيضا و لم ندر إن جضنا عن الموت جيضه || كم العمر باق والمدى متناول . [صفحہ ۲۷۸] و منه أيضا ولايكشف الغماء إلا . ابن حره || يرى غمرات الموت ثم يزورها . و منه أيضا فلاتحسبى أنى تخشعت بعدكم || لشيء و لأنى من الموت أفرق و لا أن نفسى يزدهيها وعيدكم || ولأننى بالمشى فى القيد أخرق . و منه أيضا سأغسل عنى العار بالسيف جالبا || على قضاء الله ما كان جالبا وأذهل عن دارى وأجعل هدمها || لعرضى من باقى المذمه حاجبا ويصغر فى عينى تلامدى إذا انتنت || يمينى يادراك الذى كنت طالبا فإن تهدموا بالغر دارى فإنها || تراث كريم لايبالى العواقبا أخى عزمات لايطيع على الذى || يهم به من مفضع الأمر عاتبا إذاهم ألقى بين عينيه عزمه || ونكب عن ذكر العواقب جانبا فىا لرزام رشحوا بى مقدا || إلى الموت خواضا إليه السباسبا إذاهم لم تردع عزيمة همه || و لم يأت ما يأتى من الأمر هائبا و لم يستشر فى أمره غير نفسه || و لم يرض لإقائم السيف صاحبا . و منه أيضا هما خطنا إما إسار ومنه || وإما دم والقتل بالحر أجدر . [صفحہ ۲۷۹] و منه أيضا و أنالقوم لانرى القتل سبه || إذا مارأته عامر وسلول يقصر حب الموت آجالنا لنا || وتكرهه آجالهم فتطول و مامات منا سيد حتف أنهف || ولاطل منا حيث كان قتيل تسيل على حد الطبات نفوسنا

|| وليست على غير السيوف تسيل . و منه أيضا لا يركن أحد إلى الإحجام || يوم الوغى متخوفا لحمام فلقد أرانى للرماح دريئة
|| من عن يمينى تارة وأمأى حتى خضبت بما تحدر من دمي || أكناف سرجى أوعنان لجامى ثم انصرفت وقد أصبت و لم
أصب || جذع البصيرة قارح الأقدام . و منه أيضا وإنى لدى الحرب الضروس موكل || بإقدام نفس لا أريد بقاءها متى يأت
هذا الموت لا تلف حاجة || لنفسى إلا قد قضيت قضاءها . كتب عبد الحميد بن يحيى عن مروان بن محمد إلى أبى مسلم كتابا
حمل على جمل لعظمه وكثرته وقيل إنه لم يكن فى الطول إلى هذه الغاية و قد حمل على جمل تعظيما لأمره و قال لمروان بن
محمد إن قرأه خاليا نخب قلبه و إن قرأه فى ملاء من [صفحہ ۲۸۰] أصحابه ثبطهم و خذلهم فلما وصل إلى أبى مسلم أحرقه
بالنار و لم يقرأه و كتب على بياض كان على رأسه و أعاده إلى مروان محا السيف أسطار البلاغة وانتحت || إليك ليوث الغاب
من كل جانب فإن تقدموا نعمل سيوفا شحيذة || يهون عليها العتب من كل عاتب . ويقال إن أول الكتاب كان لو أراد الله بالنملة
صلاحا لما أنبت لها جناحا و كتب أبو مسلم إلى نصر بن سيار و هو أول كتاب صدر عن أبى مسلم إلى نصر و ذلك حين لبس
السواد و أعلن بالدعوة فى شهر رمضان من سنة تسع وعشرين ومائة أما بعد فإن الله جل ثناؤه ذكر أقواما فقال و أَسْمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ
أَيْمَانِهِمْ لِيُنْزِلَ عَلَيْهِمْ نِزِيرًا لِيَكُونُوا هُدًى مِنْ إِيَّاهِمْ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَ مَكْرَ السَّيِّئِ وَ
لَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا . فلما ورد
الكتاب إلى نصر تعاضمه أمره و كسر له إحدى عينيه و قال إن لهذا الكتاب لأخوات و كتب إلى مروان يستصرخه و إلى يزيد بن
هبيبة يستنجده فقعدا عنه حتى أفضى ذلك إلى خروج الأمر عن بنى عبد شمس . الرضى الموسوى رحمه الله تعالى - قرآن -
۲۷۰-۶۲۶ سأمضى للتى لا عيب فيها || و إن لم أستفد لإعناء [صفحہ ۲۸۱] وأطلب غايه إن طوحت بى || أصابت بى الحمام
أوالعلاء نمانى من أباه الضيم أب || أفاض على تلك الكبرياء و منا كل أغلب مستميت || إذا أنت لدوته بالذل قاء إذا ماضيم
نمر صفحتيه || و قام على برائته إباء و نأبى أن ينال النصف منا || و أن نعطي مقارعنا السواء و لو كان العداء يسوغ فينا ||
لماسمنا الورى إلا العداء . و له سيقطعك المهند ماتمنى || و يعطيك المثقف ماتشاء و ماينجى من الغمرات إلا- || طعان
أوضراب أورماء . و من أهل الإباء الذين كرهوا الدينه و اختاروا عليها المنيه عبد الله بن الزبير تفرق عنه لما حاربه الحجاج بمكة
و حصره فى الحرم عامه أصحابه و خرج كثير منهم إلى الحجاج فى الأمان حتى حمزة و خبيب ابناه فدخل عبد الله على أمه أسماء
بنت أبى بكر الصديق و كانت قد كف بصرها وهى عجوز كبيرة فقال لها خذلى الناس حتى ولدى وأهلى و لم يبق معى إلا من
ليس عنده من الدفع أكثر من ساعة و القوم يعطوننى من الدنيا ما سألت فما رأيك فقالت أنت يابنى أعلم بنفسك إن كنت تعلم
أنك على حق و إليه تدعو فامض له فقد قتل أكثر أصحابك فلا تمكن من رقتك يتلاعب بها غلمان بنى أمية و إن كنت إنما
أردت الدنيا فبئس العبد أنت أهلكت [صفحہ ۲۸۲] نفسك و أهلكت من قتل معك و إن كنت قاتلت على الحق فما وهن
أصحابك إلا ضعفت فليس هذا فعل الأحرار و لا أهل الدين و كم خلودك فى الدنيا القتل أحسن . فدنا عبد الله منها فقبل رأسها
و قال هذا و الله رأيى و الله ماركنت إلى الدنيا و لا أحببت الحياة فيها و مادعانى إلى الخروج إلا الغضب لله تعالى عز و جل أن
تستحل محارمه ولكننى أحببت أن أعلم رأيك فقد زدتنى بصيرة فانظرى يا أمأه أنى مقتول يومى هذا فلا يشتد جزعك و سلمى
لأمر الله فإن ابنك لم يتعمد إتيان منكر و لاعملا بفاحشه و لم يجر فى حكم الله و لم يظلم مسلما و لامعاهدا و لا بلغنى ظلم عن
عامل من عمالى فرضيت به بل أنكرته و لم يكن شىء عندى آثر من رضا الله . اللهم إنى لأقول هذا تزيه لنفسى أنت أعلم بى
ولكنى أقوله تعزية لأمى لتسلو عنى فقالت إنى لأرجو من الله أن يكون عزائى فيك حسنا إن تقدمتنى فاخرج لأنظر إلى ماذا
يصير أمرك فقال جزاك الله خيرا يا أمى فلا تدعى الدعاء لى حيا وميتا قالت لا أدعه أبدا فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق
ثم قالت اللهم ارحم طول ذلك القيام فى الليل الطويل و ذلك النحيب فى الظلماء و ذلك الصوم فى هواجر مكة و المدينة وبره

بأبيه وبى اللهم إني قد أسلمت لأمرك ورضيت بما قضيت فيه فأثبني عليه ثواب الصابرين . و قدروى فى قصة عبد الله مع أمه أسماء رواية أخرى أنه لمادخل عليها و عليه الدرع والمغفر وهى عمياء لا تبصر و وقف فسلم ثم دنا فتناول يدها فقبلها قالت هذا وداع فلا تبعد فقال نعم إنما جئت مودعا إني لأرى هذا اليوم آخر أيامى من الدنيا واعلمى يا أمى أنى إذا قتلت فإنما أنا لحم لا يضرنى ما صنع بى فقالت صدقت يا بنى أقم على بصيرتك و لا تمكن ابن أبى عقيل منك ادن منى لأودعك فدنا منها فقبلته [صفحہ ۲۸۳] وعانقته فوجدت مس الدرع فقالت ما هذا صنع من يريد ما تريد فقال إنما لبسته لأشد منك قالت إنه لا يشد منى ثم انصرف عنها و هو يقول إني إذا أعرف يومى أصبر || إذ بعضهم يعرف ثم ينكر . وأقام أهل الشام على كل باب من أبواب الحرم رجالا - وقائدا فكان لأهل حمص الباب الذى يواجه باب الكعبة ولأهل دمشق باب بنى شيبه ولأهل الأردن باب الصفا ولأهل فلسطين باب جمع ولأهل قيسرين باب بنى سهم وخرج ابن الزبير فمرة يحمل هاهنا ومرة يحمل هاهنا وكأنه أسد لا يقدم عليه الرجال وأرسلت إليه زوجته فأخرج فأقاتل معك فقال لا وأنشد كتب القتل والقتال علينا || و على المحصنات جر الذبول . فلما كان الليل قام يصلى إلى قريب السحر ثم أغفى محتبيا بحمائل سيفه ثم قام فتوضأ وصلى وقرآن و القلم و ما يسطرون ثم قال بعد انقضاء صلاته من كان عنى سائلا فإني فى الرعيل الأول ثم أنشد - قرآن - ۱۰۱-۱۳۱ ولست بمبتاع الحياة بسبه || و لا مرتق من خشية الموت سلما . ثم حمل حتى بلغ الحجون فرمى بأجرة فأصاب وجهه فدمى فلما وجد سخونة الدم يسيل على وجهه أنشد ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا || ولكن على أقدامنا تقطر الدما . ثم حمل على أهل الشام فغاص فيهم واعتوروه بأسيا فمهم حتى سقط وجاء الحجاج [صفحہ ۲۸۴] فوقف عليه و هوميت ومعه طارق بن عمرو فقال ما ولدت النساء أذكر من هذا وبعث برأسه إلى المدينة فنصب بها ثم حمل إلى عبدالملك . أبو الطيب المتنبى أطاعن خيلا من فوارسها الدهر || وحيدا و ما قولى كذا ومعى الصبر وأشجع منى كل يوم سلامتى || و ما ثبتت إلا و فى نفسها أمر تمرست بالآفات حتى تركتها || تقول أمات الموت أم دعر الذعر وأقدمت إقدام الأبى كأن لى || سوى مهجتي أو كان لى عندها وتر ذر النفس تأخذ حظها قبل بينها || فمفترق جاران دارهما العمر و لا تحسبن المجد زقا وقينه || فما المجد إلا السيف والفتكة البكر وتضريب هامات الملوک و أن ترى || لك الهبوات السود والعسكر المجر وتركك فى الدنيا دويا كأنما || تداول سمع المرء أنمله العشر . و قال ابن حيوس ولست كمن أخنى عليه زمانه || فظل على أحداثه يتعتب تلذ له الشكوى و إن لم يفد بها || صلاحا كما يلتذ بالحك أجرب ولكننى أحمى ذمارى بعزمه || تنوب مناب السيف والسيف مقضب [صفحہ ۲۸۵] و ليس الفتى من لم تسم جسمه الطبا || ويحطم فيه من قنا الخط أكعب . و له أيضا أخفق المترف الجنوح إلى الخفض || وفاز المخاطر المقدم و إذا ما السيوف لم تشهد الحرب || فسيان صارم وكهام . وممن تقبل مذاهب الأسلاف فى إباء الضيم وكراهية الذل واختار القتل على ذلك و أن يموت كريما أبو الحسين زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب أمه أم ولد و كان السبب فى خروجه وخلعه طاعة بنى مروان أنه كان يخاصم عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب ع فى صدقات على ع هذا يخاصم عن بنى حسين و هذا عن بنى حسن فتنازعا يوما عند خالد بن عبدالملك بن الحارث بن الحكم أمير المدينة فأغلظ كل واحد منهما لصاحبه فسر خالد بن عبدالملك بذلك وأعجبه سبابهما و قال لهما حين سكما اغدوا على فلست بابن عبدالملك إن لم أفضل بينكما غدا فباتت المدينة تغلى كالمرجل فمن قائل يقول قال زيد كذا وقائل يقول قال عبد الله كذا فلما كان الغد جلس خالد فى المسجد وجمع الناس فمن بين شامت ومغموم ودعا بهما و هو يحب أن يتشاما فذهب عبد الله يتكلم فقال زيد لا تعجل يا أبا محمد أعتق زيد ما يملكك إن خاصمك إلى خالد أبدا ثم أقبل على خالد فقال له أجمعت ذرية رسول الله ص لأمر ما كان يجمعهم عليه أبوبكر و لا عمر فقال خالد أ مال هذا السفیه أحد يكلمه . فتكلم رجل من الأنصار من آل عمرو بن حزم فقال يا ابن أبى تراب و يا ابن [صفحہ ۲۸۶] حسين السفیه أ ماترى عليك لوال حقا و لاطاعة فقال زيد اسكت أيها القحطاني فإننا لانجيب مثلك فقال الأنصارى

و لم ترغب عنى فوالله إني لخير منك و أبى خير من أيبك و أمى خير من أمك فتصاحك زيد و قال يامعشر قريش هذاالدين قدذهب أفذهبت الأحساب فتكلم عبد الله بن واقد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فقال كذبت أيها القحطاني و الله لهو خير منك نفسا و أبا و أما ومحتدا وتناوله بكلام كثير وأخذ كفا من الحصى فضرب به الأرض و قال إنه و الله مالنا على هذا من صبر وقام. فقام زيد أيضا وشخص من فوره إلى هشام بن عبدالملك فجعل هشام لا يأذن له و زيد يرفع إليه القصص و كلما رفع إليه قصة كتب هشام فى أسفلها ارجع إلى أرضك فيقول زيد و الله لأأرجع إلى ابن الحارث أبدا ثم أذن له بعد حبس طويل وهشام فى عليه له فرقى زيد إليها و قد أمر هشام خادما له أن يتبعه حيث لا يراه زيد ويسمع ما يقول فصعد زيد و كان بادنا فوقف فى بعض الدرجة فسمعه الخادم و هو يقول ما أحب الحياة إلا من ذل فأخبر الخادم هشاما بذلك فلما قعد زيد بين يدي هشام وحدثه حلف له على شىء فقال هشام لاأصدقك فقال زيد إن الله لايرفع أحدا عن أن يرضى بالله و لم يضع أحدا عن أن يرضى بذلك منه قال له هشام إنه بلغنى أنك تذكر الخلافة و تتمناها ولست هناك لأنك ابن أمة فقال زيد إن لك جوابا قال تكلم قال إنه ليس أحد أولى بالله و لأرفع درجة عنده من نبي ابتعته و هو إسماعيل بن ابراهيم و هو ابن أمة قداختاره الله لنبوته وأخرج منه خير البشر فقال هشام فما يصنع أخوك البقرة فغضب زيد حتى كاد يخرج من إهابه ثم قال سماه رسول الله ص الباقر وتسميه أنت البقرة لشد ماختلفتما لتخالفته فى الآخرة كماخالفته فى الدنيا فيرد الجنة وترد النار. [صفحہ ۲۸۷] فقال هشام خذوا بيد هذاالأحمق المائق فأخرجوه فأخذ الغلمان بيده فأقاموه فقال هشام احملوا هذاالخائن الأهوج إلى عامله فقال زيد و الله لئن حملتنى إليه لأأجمع أنا و أنت حيين وليموتن الأعجل منا فأخرج زيد وأشخص إلى المدينة ومعه نفر يسيرونه حتى طردوه عن حدود الشام فلما فارقه عدل إلى العراق ودخل الكوفة و بايع لنفسه فأعطاه البيعة أكثر أهلها والعامل عليها و على العراق يومئذ يوسف بن عمر الثقفى فكان بينهما من الحرب ما هو مذكور فى كتب التواريخ وخذل أهل الكوفة زيدا وتخلف معه ممن تابعه نفر يسير وأبلى بنفسه بلاء حسنا وجهادا عظيما حتى أتاه سهم غرب فأصاب جانب جبهته اليسرى فثبت فى دماغه فحين نزع منه مات ع .عنف محمد بن عمر بن على بن أبى طالب ع زيدا لماخرج و حذرته القتل و قال له إن أهل العراق خذلوا أباك عليا وحسنا وحسينا ع وإنك مقتول وإنهم خاذلوك فلم يشن ذلك عزمه وتمثل بكرت تخوفنى الحتوف كأننى || أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل فأجبتها إن المنية منهل || لا بد أن أسقى بذاك المنهل إن المنية لوتمثل مثلت || مثلى إذانزلوا بضيق المنزل فاقنى حياءك لا أبا لك واعلمى || أنى امرؤ سأموت إن لم أقتل . [صفحہ ۲۸۸] العلوى البصرى صاحب الزنج يقول و إذاتنازعى أقول لها قرى || موت الملوك على صعود المنبر ما قدقضى سيكون فاصطبرى له || و لك الأمان من الذى لم يقدر . و قال أيضا إني وقومى فى أنساب قومهم || كمسجد الخيف فى بحبوحة الخيف ماعلق السيف منا بابتعاشه || إلا وعزمته أمضى من السيف . بعض الطالبين وإننا لتصبح أسيافنا || إذا ما انتضين ليوم سفوك منا برهن بطون الأكف || وأغمادهن رءوس الملوك . بعض الخوارج يصف أصحابه وهم الأسود لدى العرين بسالة || و من الخشوع كأنهم أحبار يمضون قدكسروا الجفون إلى الدعاء || متبسمين وفيهم استبشار فكأنما أعداؤهم أحبابهم || فرحا إذا خطر القنا الخطار يردون حومات الحمام وإنها || تالله عند نفوسهم لصغار ولقد مضوا و أنا الحبيب إليهم || وهم لدى أحبة أبرار قدر يخلفنى ويمضيهم به || يالهدف كيف يفوتنى المقدار و فى الحديث المرفوع خلقان يحبهما الله الشجاعة والسخاء -رواية- ۱-۲-رواية- ۲۵-۶۰ . كان بشر بن المعتمر من قدماء شيوخنا رحمه الله تعالى يقول بتفضيل على ع [صفحہ ۲۸۹] و يقول كان أشجعهم وأسخاهم و منه سرى القول بالتفضيل إلى أصحابنا البغدادين قاطبة و فى كثير من البصريين . دخل النضر بن راشد العبدى على امرأته فى حرب الترك بخراسان فى ولاية الجنيد بن عبدالرحمن المرى فى خلافة هشام بن عبدالملك و الناس يقتتلون فقال لها كيف تكونين إذ أتيت بى فى لبد قتيلا مضرجا بالدماء فشقت جيبها ودعت بالويل فقال حسبك لو أعولت على كل أنثى لعصيتها شوقا إلى الجنة ثم

خرج فقاتل حتى قتل وحمل إلى امرأته في لبد ودمه يقطر من خلاله . قال أبو الطيب المتنبى إذا غامرت في شرف مروم || فلا تنفع بما دون النجوم فطعم الموت في أمر حقير || كطعم الموت في أمر عظيم يرى الجبناء إن الجبن حزم || وتلك خديعة الطبع اللئيم و كل شجاعه في المرء تغنى || و لا مثل الشجاعه في الحكيم . و قال إذا لم تجد ما يتر العمر قاعدا || فقم واطلب الشىء الذى يتر العمرا . و قال أهم بشىء والليالى كأنها || تطاردنى عن كونه وأطارده وحيدا من الخلان فى كل بلدة || إذا عظم المطلوب قل المساعد . [صفحہ ۲۹۰] قيل لأبى مسلم فى أيام صباه نراك تنظر إلى السماء كثيرا كأنك تسترق السمع أو تنتظر نزول الوحي قال لا ولكن لى همه عالية و نفس تتطلع إلى معالى الأمور مع عيش كعيش الهمج والرعا و حال متناهية فى الاتضاع قيل فما الذى يشفى علتك ويروى غلتك قال الملك قيل فاطلب الملك قال إن الملك لا يطلب هكذا قيل فما تصنع و أنت تذوب حسرا و تموت كمدا قال سأجعل بعض عقلى جهلا . و أطلب به ما لا يطلب إلا بالجهل و أحرس بالباقي ما لا يحرس إلا بالعقل فأعيش بين تدبير ضددين فإن الخمول أخو العدم و الشهرة أخت الكون . قال ابن حيوس أمواتهم بالذكر كالأحياء || ولحيهم فضل على الأحياء نزلوا على حكم المروءة و امتطوا || بالبأس ظهر الغزاة القعساء و العز لا يبقى لغير معود || أن يكشف الغماء بالغماء لا تحسب الضراء ضراء إذا || أفضت بصاحبها إلى السراء . و قال وهى الرئاسة لا تبوح بسرها || إلا لأروع لا يباح ذماره يحمى حماه قلبه ولسانه || و تذود عنه يمينه و يساره لا العذل ناهيه و لا الحرص الذى || أمر النفوس بشحها أماره فليعلم الساعى ليلبغ ذا المدى || أن الطريق كثيرة أخطاره . [صفحہ ۲۹۱] كان ثابت قطنه فى خيل عبد الله بن بسطام فى فتح شكند من بلاد الترك فى أيام هشام بن عبد الملك فاشتدت شوكة الترك و انحاز كثير من المسلمين و استؤسر منهم خلق فقال ثابت و الله لا ينظر إلى بنو أمية غدا مشدودا فى الحديد أطلب الفداء اللهم إنى كنت ضيف ابن بسطام البارحة فاجعلنى ضيفك الليلة ثم حمل و حمل معه جماعة فكسرتهم الترك فرجع أصحابه و ثبت هو فرمى برذونه فشب و ضربه فأقدم فصرع ثابت و ارتث فقال اللهم إنك استجبت دعوتى و أنا الآن ضيفك فاجعل قرأى الجنة فنزل تركى فأجهز عليه . قال يزيد بن المهلب لابنه خالد و قد أمره على جيش فى حرب جرجان يابنى إن غلبت على الحياة فلا تغلبن على الموت و إياك أن أراك غدا عندى مهزوما . عن النبى ص الخير فى السيف و الخير مع السيف و الخير بالسيف -روایت ۱- ۲-روایت ۱۷- ۶۵ كما يقال المنية و لا الدنية و النار و لا العار و السيف و لا الحيف . قال سيف بن ذى يزن حين أعانه بوهرز الديلمى و من معه لأنوشروان أيها الملك أين تقع ثلاثة آلاف من خمسين ألفا فقال يا أعرابى كثير الحطب يكفيه قليل النار . لما حبس مروان بن محمد ابراهيم الإمام خرج أبو العباس السفاح و أخوه أبو جعفر و عبد الوهاب و محمد ابنا ابراهيم الإمام و عيسى و صالح و إسماعيل و عبد الله و عبد الصمد أبناء على بن عبد الله بن العباس و عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس و يحيى بن جعفر بن تمام بن العباس من الحميمة من أرض السراة يطلبون الكوفة و قد كان داود بن على بن عبد الله بن العباس و ابنه موسى بن داود بالعراق فخرجا يطلبان الشام فتلقاهما أبو العباس و أهل بيته بدومة الجندل فسألهم داود عن [صفحہ ۲۹۲] خروجهم فأخبروه أنهم يريدون الكوفة ليظهروا بها و يدعوا إلى البيعة لأبى العباس فقال يا أبا العباس يظهر أمرك الآن بالكوفة و مروان بن محمد شيخ بنى أمية بحران مطل على العراق فى جيوش أهل الشام و الجزيرة و يزيد بن عمر بن هبيرة شيخ العرب بالعراق فى فرسان العرب فقال ياعم من أحب الحياة ذل ثم تمثل بقول الأعشى فما ميتة إن متها غير عاجز || بعار إذا ما غالت النفس غولها . فقال داود لابنه موسى صدق ابن عمك ارجع بنا معه فإما أن نهلك أو نموت كراما . و كان عيسى بن موسى يقول بعد ذلك إذا ذكر خروجهم من الحميمة يريدون الكوفة إن ثلاثة عشر رجلا خرجوا من ديارهم و أهليهم يطلبون ما طلبنا لعظيمه همهم كبيرة نفوسهم شديدة قلوبهم . أبو الطيب المتنبى و إذا كانت النفوس كبارا || تعبت فى مرادها الأجسام . و له إلى أى حين أنت فى زى محرم || و حتى متى فى شقوة و إلى كم و لإتمت تحت السيوف مكرما || تمت و تقاسى الذل غير مكرم فثب و اتقا بالله و ثبته ماجد || يرى الموت فى الهيجا

جنى النحل فى الفم . [صفحہ ۲۹۳] وقال آخر إن تقتلونى فأجال الرجال كما || حدثت قتل و ما بالقتل من عار و إن سلمت لوقت بعده فعسى || و كل شىء إلى حد و مقدار . خطب الحجاج فشكا سوء ضاعه أهل العراق فقام إليه جامع المحاربى فقال أيها الأمير دع ما ياعدهم منك إلى ما يقربهم إليك و التمس العافية ممن دونك تعطها ممن فوقك فلو أحبوك لأطاعوك إنهم ماشئوك بنسبك و لالبأوك ولكن لإيقاعك بعد و عيذك و و عيذك بعد و عدك . فقال الحجاج ما أرانى أرد بنى اللكيعة إلى طاعتى إلا بالسيف فقال جامع أيها الأمير إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار فقال الحجاج الخيار يومئذ لله فقال أجل ولكنك لا تدرى لمن يجعله الله فقال ياهناه أيها فإنك من محارب فقال جامع وللحرب سمينا فكنا محاربا || إذا ما لقنا أمسى من الطعن أحمر . و من الشعر الجيد فى تحسين الإباء و الحمية و التحريض على النهوض و الحرب و طلب الملك و الرئاسة قصيدة عمارة اليمنى شاعر المصريين فى فخر الدين تورانشاه بن أيوب التى يغريه فيها بالنهوض إلى اليمن و الاستيلاء على ملكها و صادفت هذه القصيدة محلا قابلا و ملك تورانشاه اليمن بما هزت هذه القصيدة من عطفه و حركت من عزمه و أولها [صفحہ ۲۹۴] العلم مذ كان محتاج إلى العلم || و شفرة السيف تستغنى عن القلم و خير خيلك إن غامرت فى شرف || عزم يفرق بين الساق و القدم إن المعالى عروس غير واصله || ما لم تخلق راءء بها بنضح دم ترى مسامع فخر الدين تسمع ما || أملاه خاطر أفكارى على قلمى فإن أصبت فلى حظ المصيب و إن || أخطأت قصدك فاعذرني و لاتلم كم تترك البيض فى الأجفان ظامئه || إلى الموارد فى الأعناق و القمم و مقله المجد نحو العزم شاخصه || فاترك قعودك عن إدراكها و قم فعمك الملك المنصور سومها || من الفرات إلى مصر بلا سأم و اخلق لنفسك أمرا لاتضاف به || إلى سواك و أور النار فى العلم و انه المشيرين إن لجت نصيحتهم || أو لافانعم على العميان بالصمم و اعزم و صمم فقد طالت و قد سمجت || قضية لفظتها ألسن الأمم فرب أمر يهاب الناس غايته || و الأمر أهون فيه من يد لقم فكيف إن نهضت فيما هممت به || أسد تسير من الخطى فى أجم لا يدرك المجد إلا كل مقتحم || فى موج ملتطم أو فوج مضطرم لا ينقض الخطوة الأولى بثانيه || و لا يفكر فى العقبى من الندم كأنما السيف أفتاه بقتلهم || فى فتح مكة حل القتل فى الحرم و لم يراعوا لعثمان و لاعمر || و لا الحسين ذمام الأشهر الحرم فما تروم سوى فتح صوارمه || يضحكن فى كل يوم عابس البهم حتى كأن لسان السيف فى يده || يروى الشريعة عن عاد و عن إرم [صفحہ ۲۹۵] هذا ابن تومرت قد كانت بدايته || فيما يقول الورى لحما على و ضم و قد ترقى إلى أن صار طالعه || من الكواكب بالأنفاس و الكظم و كان أول هذا الدين من رجل || سعى إلى أن دعوه سيد الأمم . كذب لم يظهر الدين الحنيف المقدس على الأديان بسعى البشر بل بالتأييد الإلهى و السر الربانى صلوات الله و سلامه على القائم به و المتحمل له و البدر يبدو هلالا ثم يكشف بالأنوار || ماسترته شمله الظلم و الغيث فهو كما قد قيل أوله || قطر و بدء خراب السد بالعرم تنمو قوى الشىء بالتدرج إن رزقت || لطف و يقوى شرار النار بالضرم حاسب ضميرك عن رأى أتاك و قل || نصيحة و ردت من غير متهم أقسمت ما أنت ممن جل همته || مارق من نعم أورك من نعم و إنما أنت مرجو لواحدة || بنى بها الدهر مجدا غير منهدم كأننى بالليالى وهى هاتفة || قد صم سمع رجال دونها و عمى و بالعلى كلما لاقتك قائلة || أهلا بمنشر آمالى من الرمم . و من أباه الضيم الذين اختاروا القتل على الأسر و الموت على الدنية مصعب بن الزبير كان أمير العراقيين من قبل عبد الله بن الزبير و كان قد كسر جيوش عبد الملك مرارا و أعياه أمره فخرج إليه من الشام بنفسه فليم فى ذلك و قيل له إنك تغرر بنفسك و خلافتك فقال إنه لا يقوم لحرب مصعب غيرى هذا أمر يحتاج إلى أن يقوم به شجاع ذو رأى و ربما بعثت شجاعا و لارأى له أو ذا رأى و لاشجاعه عنده و أنابصير بالحرب شجاع بالسيف فلما أجمع على الخروج إلى حرب مصعب جاءته [صفحہ ۲۹۶] امرأته عاتكة بنت يزيد بن معاوية فالتزمته و بكت لفراقه و بكى جواريتها فقال عبد الملك قاتل الله ابن أبى جمعة كأنه شاهد هذه الصورة حيث يقول إذا هم بالأعداء لم يثن عزمه || حصان عليها نظم در يزينها نهته فلما لم تر النهى عاقه || بكت فبكى مما عراها قطينها . فسار عبد الملك حتى إذا كان

بمسكن من أرض العراق و قددنا منه عسكر مصعب تقاعد بمصعب أصحابه وقواده وخذلوه فقال لابنه عيسى الحق بمكة فأنج بنفسك وأخبر عمك عبد الله بما صنع أهل العراق بي ودعني فإني مقتول فقال لا تتحدث نساء قريش أنى فررت عنك ولكن أقاتل دونك حتى نقتل فالفرار عار و لا عار في القتل ثم قاتل دونه حتى قتل وخف من يحامى عن مصعب من أهل العراق وأيقن بالقتل فأنفذ عبد الملك إليه أخاه محمد بن مروان فأعطاه الأمان وولاية العراقين أبدا مادام حيا وألفى ألف درهم صلة فأبى و قال إن مثلي لا ينصرف عن هذا المكان إلا غالبا أو مقتولا فشد عليه أهل الشام ورموه بالنبل فأثخنوه وطعنه زائدة بن قيس بن قدامة السعدي ونادى بالثارات المختار فوقع إلى الأرض فترز إليه عبد الملك بن زياد بن ظبيان فاحتر رأسه وحمله إلى عبد الملك . لما حمل رأس مصعب إلى عبد الملك بكى و قال لقد كان أحب الناس إلى وأشدهم مودة لى ولكن الملك عقيم . كتب مصعب إلى سكينه بنت الحسين ع وكانت زوجته لما شخص إلى حرب عبد الملك وهى بالكوفة بعد ليال من فراقها و كان عزيزا إن أبيت وبيننا || حجاب فقد أصبحت منى على عشر [صفحة ٢٩٧] وأبكماها و الله للعين فاعلمى || إذا زدت مثلها فصرت على شهر وأنكى لقلبي منهما اليوم أننى || أخاف بالأنا نلتقى آخر الدهر . ثم أرسل إليها وأشخصها فشهدت معه حرب عبد الملك فدخل عليها يوم قتل و قد نزع ثيابه ثم لبس غلالة و توشح بثوب واحد و هو محتضن سيفه فعلمت أنه غير راجع فصاحت وا حزناه عليك يا مصعب فالتفت إليها و قال إن كل هذا فى قلبك قالت و ما أخفى أكثر قال لو كنت أعلم هذا كان لى و لك شأن ثم خرج فلم يرجع . فقال عبد الملك يوما لجلسائه من أشجع الناس فقالوا قطرى شبيب فلان وفلان قال عبد الملك بل رجل جمع بين سكينه بنت الحسين وعائشة بنت طلحة وأمة الحميد بنت عبد الله بن عامر بن كريز وقلابة ابنة زيان بن أنيف الكلبي سيد العرب وولى العراقين خمس سنين فأصاب كذا وكذا ألف درهم وأعطى الأمان على ذلك كله و على ولايته وماله فأبى ومشى بسيفه إلى الموت حتى قتل ذاك مصعب بن الزبير لا من قطع الجسور مرة هاهنا ومرة هاهنا . سئل سالم بن عبد الله بن عمر أى ابنى الزبير أشجع فقال كلاهما جاءه الموت و هو ينظر إليه . لما وضع رأس مصعب بين يدي عبد الملك أنشد لقد أردى الفوارس يوم حسى || غلاما غير مناع المتاع و لا فرح بخير إن أتاه || و لاهلج من الحدثان لراع و لا وقافه والخيل تردى || و لا خال كأنبوب اليراع [صفحة ٢٩٨] كان ابن ظبيان يقول ماندمت على شىء ندمى على ألا أكون لما حملت إلى عبد الملك رأس مصعب فسجد قتله فى سجده فأكون قد قتلت ملكى العرب فى يوم واحد . قال رجل لعبد الله بن ظبيان بما ذا تحتج عند الله عز و جل غدا و قد قتلت مصعبا قال إن تركت أحتج كنت أخطب من صعصعة بن صوحان . كان مصعب لما خرج إلى حرب عبد الملك سأل عن الحسين بن على ع وكيف كان قتله فجعل عروة بن المغيرة يحدث عن ذلك فقال متمثلا بقول سليمان بن قتة و إن الأملئى بالطف من آل هاشم || تأسوا فسنوا للكرام التأسيا . قال عروة فعلمت أن مصعبا لا يفتر . لما كان يوم السبخة و عسكر الحجاج بإزاء شبيب قال له الناس أيها الأمير لوتنحيت عن هذه السبخة فإنها منتنة الريح قال ماتنحوننى و الله إليه أنتن وهل ترك مصعب لكريم مفرا ثم أنشد قول الكلجبة إذا المرء لم يغش الكريهة أوشكت || حبال الهوينى بالفتى أن تقطعا . وروى أبو الفرج فى كتاب الأغانى خطبة عبد الله بن الزبير فى قتل مصعب برواية هى أتم مما ذكرناه نحن فيما تقدم قال لما أتى خبر المصعب إلى مكة أضرب عبد الله بن الزبير عن ذكره أياما حتى تحدث به جميع أهل مكة فى الطريق ثم صعد المنبر فجلس عليه مليا لا يتكلم فنظر الناس إليه و إن الكآبة على وجهه لبادية و إن [صفحة ٢٩٩] جبينه ليرشح عرفا فقال واحد لآخر ما له لا يتكلم أترأه يهاب النطق فو الله إنه لخطيب فما تراه يهاب قال أراه يريد أن يذكر قتل المصعب سيد العرب فهو يقطع بذلك فابتدأ فقال الحمد لله الذى له الخلق والأمر ملك الدنيا والآخرة يعز من يشاء ويذل من يشاء إلا أنه لا يذل من كان الحق معه و إن كان مفردا ضعيفا و لا يعز من كان الباطل معه و إن كان ذا عدد وكثرة ثم قال أتانا خبر من العراق بلد الغدر والشقاق فسأنا و سرنا أتانا أن مصعبا قتل رحمه الله فأما الذى أحزننا من ذلك فإن لفراق الحميم لذعة ولوعة يجدها حميمه عند المصيبة ثم

يرعوى ذو الرأى والدين إلى جميل الصبر و أما أذى سرنه منه فإن قتله كان له شهادة و إن الله جاعل لنا و له فى ذلك الخيرة ألا إن أهل العراق باعوه بأقل الأثمان وأخسرها وأسلموه إسلام النعم المخطمة فقتل و إن قتل لقد قتل أبوه وعمه وأخوه وكانوا الخيار الصالحين ونا و الله مانموت حتف آنافا مانموت لإقتلاقتلا و قعصا قعصا بين قصد الرماح و تحت ظلال السيوف ليس كمانموت بنو مروان و الله ماقتل منهم رجل فى جاهلية و لإسلام و إنما الدنيا عارية من الملك القهار أذى لايزول سلطانه و لايبعد ملكه فإن تقبل الدنيا على لاأخذها أخذ اللئيم البطر و إن تدبر عنى لاأبكى عليها بكاء الخرف المهتر ثم نزل . [صفحة ٣٠٠] و قال الطرماع بن حكيم و كان يرى رأى الخوارج و إنى لمقتاد جوادى فقاذف || به و بنفسى اليوم إحدى المتالف لأ- كسب مالا- أوأوب إلى غنى || من الله يكفينى عداة الخلائف فى رب إن حانت وفاتى فلاتكن || على شرجمع يعلى بخضر المطارف ولكن قبرى بطن نسر مقيله || بجو السماء فى نسور عواكف و أمسى شهيدا ثاويا فى عصابة || يصابون فى فح من الأرض خائف فوارس أشتات يؤلف بينهم || هدى الله نزالون عندالمواقف . قال ابن شبرمة مرتت يوما فى بعض شوارع الكوفة فىإذابنعش حوله رجال و عليه مطرف خز أخضر فسألت عنه فقيل الطرماع فعلمت أن الله تعالى لم يستجب له . و قال محمد بن هانى و لم أجد الإنسان إلا ابن سعيه || فمن كان أسعى كان بالمجد أجدرا وبالهمة العلياء ترقى إلى العلا || فمن كان أعلى همه كان أظهرها و لم يتأخر من أراد تقدما || و لم يتقدم من أراد تأخرا . الرضى الموسوى رحمه الله تعالى و من أخرته نفسه مات عاجزا || و من قدمته نفسه مات سيدا . [صفحة ٣٠١] و له رحمه الله مامقامى على الهوان و عندى || مقول صارم وأنف حمى و إباء محلق بى عن الضيم || كمازاغ طائر وحشى . أبو الطيب المتنبى تقولين ما فى الناس مثلك عاشق || جدى مثل من أحببته تجدى مثلى محب كنى بالبيض عن مرهفاتة || وبالحسن فى أجسامهن عن الصقل و بالسمر عن سمر القنا غيرأنتى || جناها أحبائى و أطرافها رسلى عدمت فوادا لم بيت فيه فضلة || لغير ثنايا الغر و الحدق النجل تريدن إدراك المعالى رخيصة || و لا بد دون الشهد من أبر النحل . ابن الهبارية الهمم العلية و المهج الأبية تقرب المنية منك أو الأمنية . أبو تمام فتى النكبات من يأوى إذا ما || قطفن به إلى خلق وساع يثير عجاجه فى كل فح || يهيم بهاعدى بن الرقاع يخوض مع السباع الماء حتى || لتحسبه السباع من السباع [صفحة ٣٠٢] فلب العزم إن حاولت يوما || بأن تستطيع غيرالمستطاع فلم تركب كناعية المهارى || و لم تركب همومك كالزمام . و له أيضا إن خيرا مما رأيت من الصفح || عن النائبات و الإغماض غربة تقندى بغربة قيس || بن زهير و الحارث بن مضااض غرضى نكبتين ما فتلا رأيا || فخافا عليه نكت انتقاض من ابن البيوت أصبح فى ثوب || من العيش ليس بالفضفاض صلتان أعداؤه حيث حلوا || فى حديث من ذكره مستفاض و الفتى من تعرقته الليالى || و الفيافى كالحية النضناض كل يوم له بصرف الليالى || فتكئة مثل فتكئة البراض . و له أيضا إن ترينى ترى حساما صقيلا || مشرفيا من السيوف الحداد ثانى الليل ثالث البيد و السير || نديم النجوم ترب السهاد أخذ هذا اللفظ أبو عبادة البحرى فقال ياندىمى بالسواجير من شمس || بن عمرو و بحتربن عتود [صفحة ٣٠٣] اطلبا ثالثا سواى فإنى || رابع العيس و الدجى و البيد لست بالعاجز الضعيف و لا القائل || يوما إن الغنى بالجدود و إذا استصعبت مقادة أمر || سهلته أيدى المهارى القود . و قال الرضى رحمه الله تعالى و لم أر كالرجاء اليوم شيئا || تذلل له الجماجم و الرقاب و بعض العدم مأثرة و فخر || و بعض المال منقصة و عاب بنانى و العنان إذ انبت بى || ربا أرض و رجلى و الركاب و قد عرفت توقلى الليالى || كما عرفت توقلى العقاب لأمنع جانبا و أفيد عزا || و عزالموت ما عزالجناب إذاهول دعاك فلاتهه || فلم يبق الذين أبوا و هابوا كليب عافسته يد و أودى || عتبية يوم أفضه ذؤاب سواء من أقل الترب منا || و من وارى معالمه التراب و إن مزايل العيش اعتباطا || مساو للذين بقوا و شابوا و أولنا العناء إذ اطلعنا || إلى الدنيا و آخرنا الذهاب إلى كم ذا التردد فى الأمانى || و كم يلوى بناظرى السراب و لانقع يثار و لاقتام || و لا طعن يشب و لا ضرب [صفحة ٣٠٤] و لا خيل معقدة النواصى || يموج على شكائهما اللعاب عليها كل ملتهب الحواشى || يصيب من العدو و لا يصاب

سأخطبها بحد السيف فعلا || إذا لم يغن قول أوخطاب وآخذها و إن رغمت أنوف || مغالبه و إن ذلت رقاب .قعد سليمان بن عبدالمك يعرض ويفرض فأقبل فتى من بنى عيس وسيم فأعجبه فقال مااسمك قال سليمان قال ابن من قال ابن عبدالمك فأعرض عنه وجعل يفرض لمن دونه فعلم الفتى أنه كره موافقه اسمه واسم أبيه فقال يا أمير المؤمنين لاعدمت اسمك ولاشقى اسم يوافق اسمك فافرض فإنما أناسيف بيدك إن ضربت به قطعت و إن أمرتنى أطعت وسهم فى كنانتك أشدت إن أرسلت وأنفذ حيث وجهت فقال له سليمان و هو يروزه ويختبره ماقولك يافتى لولقيت عدوا قال أقول حسبى الله ونعم الوكيل قال سليمان أكنت مكتفيا بهذا لولقيت عدوك دون ضرب شديد قال الفتى إنما سألتنى يا أمير المؤمنين ما أنت قائل فأخبرتكم و لوسألتنى ما أنت فاعل لأنبأتك أنه لو كان ذلك لضربت بالسيف حتى يتعقف ولطعنت بالرمح حتى يتقصف ولعلمت إن أمت فإنهم يأمون ولرجوت من الله ما لا يرجون فأعجب سليمان به وألحقه فى العطاء بالأشراف وتمثل إذا ما اتقى الله الفتى ثم لم يكن || على أهله كلا فقد كمل الفتى . [صفحہ ۳۰۵] السر تحت قوله ثم لم يكن على أهله كلا- يقال فى المثل لا تكن كلا على أهلک فتهلك .عدى بن زيد فهل من خالد إما هلکنا || وهل بالموت ياللناس عار .الرضى الموسوى رحمه الله تعالى إذا لم يكن إلا الحمام فإننى || سأكرم نفسى عن مقال اللوائم وألبسها حمراء تضفون ذبولها || من الدم بعدا عن لباس الملاوم فمن قبل ما اختار ابن الأشعث عيشه || على شرف عال رفيع الدعائم فطار ذميما قد تقلد عارها || بشر جناح يوم دير الجماجم وجاءهم يجرى البريد برأسه || و لم يغن إيغال به فى الهزائم وقد حاص من خوف الردى كل حيصة || فلم ينج والأفدأر ضربة لازم و هذا يزيد بن المهلب نافرت || به الذل أعراق الجدود الأكارم فقال و قد عن الفرار أو الردى || لحا الله أخزى ذكرة فى المواسم و ما غمرات الموت إلا انغماسة || ولاذى المنايا غير تهويم نائم [صفحہ ۳۰۶] رأى أن هذا السيف أهون محملا || من العار يبقى وسمه فى المخاطم و ما قلده البيض المباتير عنقه || سوى الخوف من تقليدها بالأداهم فعاغ الدنيا و امتطى الموت شامخا || بمارن عز لا يذل لخاطم و قد حلقت خوف الهوان بمصعب || قوادم آباء كرام المقادم على حين أعطوه الأمان فعاغه || وخير فاختر الردى غير نادم و فى خدره غراء من آل طلحة || علاقة قلب للنديم المخالم تحجب أيام الحياة وإنها || لأعذب من طعم الخلود لطاعم ففارقها والملك لمارآهما || يجران إذلال النفوس الكرائم و لما ألح الحوفزان من الردى || حذاه المخازى رمح قيس بن عاصم و غادرها شنعاء إن ذكرت له || من العار طأطأ رأس خزيان واجم كذاك منى بعد الفرار أمية || بشقشقة لوثاء من آل دارم و سل لها سل الحسام ابن معمر || فكر على أعقاب ناب بصارم يردد ذكرى كل نجد و غائر || وألجم خوفى كل باع و ظالم و هددنى الأعداء فى المهدي لم يحن || نهوضى و لم تقطع عقود تمانى و عندى يوم لويزيد و مسلم || بدا لهما لاستصغرا يوم واقم على العزمت لاميته مستكينه || تزيل عن الدنيا بشم المراغم و خاطر على الجلى خطار ابن حرة || و إن زاحم الأمر العظيم فراحم . [صفحہ ۳۰۷] و من أباة الضيم و مؤثرى الموت على الحياة الدليله محمد و ابراهيم ابنا عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ع لما أحاطت عساكر عيسى بن موسى بمحمد و هو بالمدينه قيل له أنج بنفسك فإن لك خيلا مضمرة و نجائب سابقه فاقعد عليها و التحق بمكة أو باليمن قال إنى إذ العبد و خرج إلى الحرب يباشرها بنفسه و بمواليه فلما أمسى تلك الليله و أيقن بالقتل أشير عليه بالاستتار فقال إذن يستعرض عيسى أهل المدينه بالسيف فيكون لهم يوم كيوم الحره لا- و الله لا أحفظ نفسى بهلاك أهل المدينه بل أجعل دمي دون دمائهم فبذل له عيسى الأمان على نفسه و أهله و أمواله فأبى و نهى إلى الناس بسيفه لا يقاربه أحد إلا قتله لا و الله ما يبقى شيئا و إن أشبه خلق الله به فيما ذكر هو حمزة بن عبدالمطلب ورمى بالسهم و دهمته الخيل فوقف إلى ناحية جدار و تحاماه الناس فوجد الموت فتحامل على سيفه فكسره فالزيدية تزعم أنه كان سيف رسول الله ص ذا الفقار . و روى أبو الفرج الأصفهاني فى كتاب مقال الطالبين أن محمدا ع قال لأخته ذلك اليوم إنى فى هذا اليوم على قتال هؤلاء فإن زالت الشمس و أمطرت السماء فإنى مقتول و إن زالت الشمس و لم تمطر السماء و هبت الريح

فإني أظفر بالقوم فأججى التناير وهيئى هذه الكتب يعنى كتب البيعة الواردة عليه من الآفاق فإن زالت الشمس ومطرت السماء فاطرحى هذه الكتب فى التناير فإن قدرتم على بدنى [صفحة ٣٠٨] فخذوه و إن لم تقدرُوا على رأسى فخذوا سائر بدنى فأتوا به ظلُّه بنى بليُّه على مقدار أربعة أذرع أو خمسهُ منها فاحفروا لى حفيرة وادفونى فيها فمطرت السماء وقت الزوال وقتل محمد ع و كان عندهم مشهورا أن آية قتل النفس الزكية أن يسيل دم بالمدينة حتى يدخل بيت عاتكة فكانوا يعجبون كيف يسيل الدم حتى يدخل ذلك البيت فأمطرت السماء ذلك اليوم وسال الدم بالمطر حتى دخل بيت عاتكة وأخذ جسده فحفر له حفيرة فى الموضوع الذى حده لهم فوقوا على صخرة فأخرجوها فإذا فيها مكتوب هذا قبر الحسن بن على بن أبى طالب ع فقالت زينب أخت محمد ع رحم الله أخى كان أعلم حيث أوصى أن يدفن فى هذا الموضع . وروى أبو الفرج قال قدم على المنصور قادم فقال هرب محمد فقال له كذبت إنا أهل البيت لانفر. و أما ابراهيم ع فروى أبو الفرج عن المفضل بن محمد الضبى قال كان ابراهيم بن عبد الله بن الحسن متواريا عندى بالبصرة وكنت أخرج وأتركه فقال لى إذا خرجت ضاق صدرى فأخرج إلى شيئا من كتبك أتفرج به فأخرجت إليه كتبا من الشعر فاختر منها القصائد السبعين التى صدرت بها كتاب المفضليات ثم أتممت عليها باقى الكتاب . فلما خرج خرجت معه فلما صار بالمريد مرىد سليمان بن على وقف عليهم وأمنهم واستسقى ماء فأتى به فشرب فأخرج إليه صبيان من صبيانهم فضمهم إليه [صفحة ٣٠٩] وقال هؤلاء و الله منا ونحن منهم لحمنا ودمنا ولكن آباءهم انتروا على أمرنا وابتزوا حقوقنا وسفكوا دماءنا ثم تمثل مهلا بنى عمنا ظلامتنا || إن بنا سورة من الغلق لمثلكم نحمل السيوف ولا || تغمز أحسابنا من الرقق إنى لأنمى إذا انتميت إلى || عزعزى ومعشر صدق بيض سباط كان أعينهم || تكحل يوم الهياج بالعلق . فقلت له ما أجود هذه الأبيات وأفلها فلمن هى فقال هذه يقولها ضرار بن الخطاب الفهرى يوم عبر الخندق على رسول الله ص وتمثل بها على بن أبى طالب يوم صفين و الحسين يوم الطف وزيد بن على يوم السبخة ويحيى بن زيد يوم الجوزجان فتطيرت له من تمثله بأبيات لم يتمثل بها أحد إلا قتل ثم سرنا إلى باخمري فلما قرب منها أتاه نعى أخيه محمد فتغير لونه وجرى بريقه ثم أجهش باكيا وقال اللهم إن كنت تعلم أن محمدا خرج يطلب مرضاتك ويؤثر أن تكون كلمتك العليا وأمرك المتبع المطاع فاغفر له وارحمه وارض عنه واجعل مانقلته إليه من الآخرة خيرا مما نقلته عنه من الدنيا ثم انفجر باكيا ثم تمثل أبا المنازل ياخير الفوارس من || يفجع بمثلك فى الدنيا فقد فجعا الله يعلم إنى لو خشيتهم || أو أنس القلب من خوف لهم فزعا لم يقتلوك و لم أسلم أخى لهم || حتى نعيش جميعا أونموت معا . قال المفضل فجعلت أعزىه وأعاتبه على ماظهر من جزعه فقال إنى و الله فى هذا كما قال دريد بن الصمة [صفحة ٣١٠] يقول ألا تبكى أخاك و قدأرى || مكان البكا لكن بنيت على الصبر لمقتل عبد الله والهالك الذى || على الشرف الأعلى قتيل أبى بكر و عبيدغوث تحجل الطير حوله || و جل مصابا جثو قبر على قبر فأما ترينا لا تزال دماؤنا || لدى و اتر يسعى بها آخر الدهر فإننا للحم السيف غير نكيره || ونلحمه طورا و ليس بذى نكر يغار علينا و اترين فيشتفى || بنا إن أصبنا أونغير على وتر بذاك قسمن الدهر شطرين بيننا || فما ينقضى إلا ونحن على شطر . قال المفضل ثم ظهرت لنا جيوش أبى جعفر مثل الجراد فتمثل ابراهيم ع قوله إن يقتلونى لاتصب أرماحهم || تأرى ويسعى القوم سعيا جاهدا نبث أن بنى جذيمة أجمعت || أمرا تدبره لتقتل خالدأرمى الطريق و إن رصدت بضيقه || وأنازل البطل الكمى الحاردا . فقلت له من يقول هذا الشعر يا ابن رسول الله فقال يقوله خالد بن جعفر بن كلاب يوم شعب جبله و هذا اليوم الذى لقيت فيه قيس تميما قال وأقبلت عساكر أبى جعفر فطعن رجلا وطعنه آخر فقلت له أتباشر القتال بنفسك وإنما العسكر منوط بك فقال إليك يا أخا بنى ضبة فإنى لكما قال عوفى القوافى ألتمت سعاد وإلمامها || أحاديث نفس وأحلامها محجبة من بنى مالك || تطاول فى المجد أعلامها [صفحة ٣١١] و إن لنا أصل جرثومة || ترد الحوادث أيامها ترد الكتيبة مفلولة || بها أفنها و بها ذامها . والتحمت الحرب واشتدت فقال يامفضل احكنى بشىء فذكرت أبياتا لعوفى القوافى لما كان ذكره هو من شعره فأنشدته ألا

أيها الناهي فزاره بعد ما || أجدت لسير إما أنت ظالم أبي كل حر أن يبيت بوتره || وتمنع منه النوم إذ أنت نائم أقول لفتيان كرام تروحو || على الجرد في أفواههن الشكائم قفوا وقفه من يحي لا-يخز بعدها || و من يخترم لا-تتبعه اللوائم وهل أنت إن باعدت نفسك عنهم || لتسلم فيما بعد ذلك سالم . فقال أعد وتبينت من وجهه أنه يستقتل فانتهدت و قلت أو غير ذلك فقال لا بل أعد الأبيات فأعدتها فتمطى في ركابيه فقطعهما وحمل فغاب عني وأتاه سهم عائر فقتله و كان آخر عهدي به ع قلت في هذا الخبر ما يحتاج إلى تفسير أما قوله إن بنا سورة من الغلق . فالغلق الضجر وضيق الصدر والحدة يقال احتد فلان فنشب في حدته وغلق والسورة الوثوب يقال إن لغضبه لسورة وإنه لسوار أى وثاب معرب وسورة الشراب وثوبه في الرأس وكذلك سورة السم وسورة السلطان سطوته واعتداؤه . و أما قوله لمثلكم نحمل السيوف فمعناه أن غيركم ليس بكفء لنا لنحمل له السيوف وإنما نحملها لكم لأنكم أكفأؤنا فنحن نحاربكم على الملك والرئاسة و إن كانت أحسابنا واحدة وهى شريفة لامغمز فيها. [صفحہ ۳۱۲] والرقق بفتح الراء الضعف و منه قول الشاعر لم تلق فى عظمها وهنا ولا رققا . و قوله تكحل يوم الهياج بالعلق . فالعلق الدم يريد أن عيونهم حمر لشدة الغيظ والغضب فكأنها كحلت بالدم . و قوله لكن بنيت على الصبر أى خلقت وبنيت بنية تقتضى الصبر والشرف لأعلى العالى وبنو أبى بكر بن كلاب من قيس عيلان ثم أحد بنى عامر بن صعصعة . و أما قوله إن يقتلونى لا-تصب أرماحهم . فمعناه أنهم إن قتلونى ثم حاولوا أن يصيبوا رجلا آخر مثلى يصلح أن يكون لى نظيرا و أن يجعل دمه بواء لدمى وسعوا فى ذلك سعيا جاهدا فإنهم لم يجدوا و لم يقدروا عليه . و قوله أرمى الطريق ... البيت يقول أسلك الطريق الضيق و لوجعل على فيه الرصد لقتلى . والحارد المنفرد فى شجاعته الذى لا مثل له

غلبة معاوية على الماء بصفين ثم غلبة على عليه بعد ذلك

فأما حديث الماء وغلب أصحاب معاوية على شريعة الفرات بصفين فنحن نذكره من كتاب صفين لنصر بن مزاحم . قال نصر كان أبو الأعور السلمى على مقدمة معاوية و كان قدناوش مقدمه [صفحہ ۳۱۳] على ع وعليها الأشر النخعي مناوشة ليست بالعظيمة و قد ذكرنا ذلك فيما سبق من هذا الكتاب وانصرف أبو الأعور عن الحرب راجعا فسبق إلى الماء فغلب عليه فى الموضع المعروف بقناصرين إلى جانب صفين وساق الأشر يتبعه فوجده غالبا على الماء و كان فى أربعة آلاف من مستبصرى أهل العراق فصدموا أبا الأعور وأزالوه عن الماء فأقبل معاوية فى جميع الفيلق بقضه وقضيضه فلما رأهم الأشر انحاز إلى على ع وغلب معاوية و أهل الشام على الماء وحالوا بين أهل العراق وبينه وأقبل على ع فى جموعه فطلب موضعا لعسكره وأمر الناس أن يضعوا أثقالهم وهم أكثر من مائة ألف فارس فلما نزلوا تسرع فوارس من فوارس على ع على خيولهم إلى جهة معاوية يتطاعنون ويرمون بالسهم ومعاوية بعد لم ينزل فناوشهم أهل الشام القتال فاقتتلوا هويا . قال نصر فحدثنى عمر بن سعد عن سعد بن طريف عن الأصبغ بن نباته فكتب معاوية إلى على ع عافانا الله وإياك ما أحسن العدل والإنصاف من عمل || وأقبح الطيش ثم النفس فى الرجل . وكتب بعده اربط حمارك لاتزع سويته || إذيرد و قيد العير مكروب ليست ترى السيد زيدا فى نفوسهم || كما يراه بنو كوز ومرهوب إن تسألوا الحق نعط الحق سائله || والدرع محقبة والسيوف مقروب أو تأنفون فإننا معشر أنف || لانطعم الضيم إن السم مشروب . [صفحہ ۳۱۴] فأمر على ع أن يوزع الناس عن القتال حتى أخذ أهل الشام مصافهم ثم قال أيها الناس إن هذا موقف من نطف فيه نطف يوم القيامة و من فلج فيه فلج يوم القيامة -رواية- ۱- ۲-رواية- ۱۲- ۹۷ ثم قال لمارأى نزول معاوية بصفين -رواية- ۱- ۲-رواية- ۴۰- ۴۱ لقد أتانا كاشرا عن نابه || يهبط الناس على اعتزابه فليأتينا الدهر بما أتى به قال نصر وكتب على ع إلى معاوية جواب كتابه أما بعد -رواية- ۱- ۲-رواية- ۴۹- ۵۸ فإن للحرب عراما شررا || إن عليها قائدا

عشئزرا ينصف من أحرر أوتنمرا || على نواحيها مزجا زمجرا إذاونين ساعة تغشمرأ . وكتب بعده -روايت- ١-١٥ ألم تر قومي إن دعاهم أخوهم || أجابوا و إن يغضب على القوم يغضبوا هم حفظوا غيبي كماكنت حافظا || لقومي أخرى مثلها إن يغيبوا بنو الحرب لم تقعد بهم أمهاتهم || وآباؤهم آباء صدق فأنجبوا قال قد تراجع الناس كل من الفريقين إلى معسكرهم وذهب شباب من الناس إلى أن يستقوا فمنعهم أهل الشام . قلت في هذه الألفاظ ماينبغي أن يشرح . [صفحه ٣١٥] قوله فاقتتلوا هويا بفتح الهاء أى قطعاً من الزمان وذهب هوى من الليل أى فريق منه . والنفس كثرة الكلام والدعاوى وأصله من نفس الصوف . والسوية كساء محشو بتمام ونحوه كالبرذعة وكرب القيد إذاضيقه على المقيد وقيد مكروب أى ضيق يقول لا-تنزع برذعة حمارك عنه واربطه وقيد و إلاعيد إليك وقيد ضيق و هذامثل ضربه لعلى ع يأمره فيه بأن يردع جيشه عن التسرع والعجلة فى الحرب . وزيد المذكور فى الشعر هوزيد بن حصين بن ضرار بن عمرو بن مالك بن زيد بن كعب بن بجالة بن ذهل بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان و هوالمعروف بزيد الخيل و كان فارسهم وبنو السيد من ضبة أيضا وهم بنو السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة بن أد بن طابخة ... إلى آخر النسب وبنو السيد بنو عم زيد الفوارس لأنه من بنى ذهل بن مالك وهؤلاء بنو السيد بن مالك وبينهم عداوة النسب يقول إن بنى السيد لا يرون زيدا فى نفوسهم كما تراه أهله الأذنون منه نسبا وهم بنو كوز وبنو مرهوب فأما بنو كوز فإنهم بنو كوز بن كعب بن بجالة بن ذهل بن مالك و أما بنو مرهوب فإنهم بنو مرهوب بن عبيد بن هاجر بن كعب بن بجالة بن ذهل بن مالك يقول نحن لانعظم زيدا و لانعتقد فيه من الفضيلة مايعتقده أهله وبنو عمه الأذنون والمثل لعلى ع أى نحن لا-نرى فى على ما يراه أهل العراق من تعظيمه وتبجيله . و قوله والدرع محقبة والسيف مقروب . أى والدرع بحالها فى حقابها و هو مايشد به فى غلافها والسيف بحاله أى فى قرابه [صفحه ٣١٦] و هو جفنه يقال حقت الدرع وقربت السيف كلاهما ثلاثيان يقول إن سألتهم الحق أعطيناكموه من غير حاجة إلى الحرب بل نجيبكم إليه والدرع بحالها لم تلبس والسيوف فى أجفانها لم تشهر . و أما إثبات النون فى تأنفون فإن الأصوب حذفها لعطف الكلمة على المجزوم قبلها ولكنه استأنف و لم يعطف كأنه قال أ وكنتم تأنفون يقول و إن أنفتم وأبيتم إلا الحرب فإننا نأنف مثلكم أيضا لانطعم الضيم و لانقبله ثم قال إن السم مشروب أى إن السم قدنشره و لانشر الضيم أى نختار الموت على الضيم والذلة ويروى و إن أنفتم فإننا معشر أنف || لانطعم الضيم إن الضيم مرهوب . والشعر لعبد الله بن عنمة الضبى من بنى السيد و من جملة و قدأروح أمام الحى يقدمنى || صافى الأديم كميث اللون منسوب محنب مثل شاة الربل محتفز || بالقصريين على أولاه مصبوب يبد ملجمه هاد له تلح || كأنه من جذوع العين مشذوب فذاك ذخرى إذا ماخيلهم ركضت || إلى المثوب أو مقاء سرحوب . فأما قوله ع هذا موقف من نطف فيه نطف يوم القيامة أى من تلطخ [صفحه ٣١٧] فيه بعب من فرار أونكول عن العدو يقال نطف فلان بالكسر إذاتدنس بعب ونطف أيضا إذافسد يقول من فسدت حاله اليوم فى هذاالجهاد فسدت حاله غدا عند الله . قوله من فلج فيه بفتح اللام أى من ظهر وفاز وكذلك يكون غدا عند الله يقال فلج زيد على خصمه بالفتح يفلج بضم اللام أى ظهرت حجته عليه و فى المثل من يأت الحكم وحده يفلج . قوله يهبط الناس أى يقهرهم ويخبطهم وأصله الأخذ بغير تقدير . و قوله على اعتزابه أى على بعده عن الإمارة والولاية على الناس والعرام بالضم الشراسة والهوج والعشئز الشديد القوى . وأحجر ظلم الناس حتى ألجأهم إلى أن دخلوا حجرهم أو بيوتهم وتنمر أى تنكر حتى صار كالنمر يقول هذاالقائد الشديد القوى ينصف من يظلم الناس ويتنكر لهم أى ينصف منه فحذف حرف الجر كقوله و اختار موسى قومَه أى من قومه والمزج بكسر الميم السريع النفوذ وأصله الرمح القصير كالمزراق . و رجل زمجر أى مانع حوزته والميم زائدة و من رواها زمخرا بالخاء عنى به المرتفع العالى الشأن وجعل الميم زائدة أيضا من زخر الوادى أى علا وارتفع . وغشمر السيل أقبل والغشمة إثبات الأمر بغير تثبيت يقول إذابطأن ساقهن سوقا عنيفا . والأبيات البائية لربيعة بن مقروم الطائى . قال نصر حدثنا عمر

بن سعد عن يوسف بن يزيد عن عبد الله بن عوف بن -قرآن- ٧٢١-٧٤٣ [صفحة ٣١٨] الأحمر قال لما قدمنا على معاوية و أهل الشام بصفين وجدناهم قد نزلوا منزلا اختاروه مستويا بساطا واسعا وأخذوا الشريعة فهى فى أيديهم و قدصف عليها أبو الأعور الخيل والرجاله و قدم الراميه و معهم أصحاب الرماح والدرق و على رءوسهم البيض و قد أجمعوا أن يمنعونا الماء ففزعنا إلى أمير المؤمنين ع فأخبرناه بذلك فدعا صعصعته بن صوحان فقال ائت معاوية و قل له إنا سرنا إليك مسيرنا هذا و أناكره لقتالكم قبل الإعذار إليكم و إنك قدمت خيلك فقاتلنا قبل أن نقاتلك و بدأتنا بالحرب و نحن ممن رأينا الكف حتى ندعوك و نحتج عليك و هذه أخرى قد فعلتموها قد حلتم بين الناس و بين الماء فخل بينهم و بينه حتى ننظر فيما بيننا و بينكم و فيما قدمنا له و قدمتم له و إن كان أحب إليك أن ندع ماجئنا له و ندع الناس يقتتلون حتى يكون الغالب هو الشارب فعلنا -رواية- ١-٢-رواية- ٩-٤٢٥ . فلما مضى صعصعته برسالته إلى معاوية قال معاوية لأصحابه ماترون فقال الوليد بن عقبه أنعمهم الماء كما منعوه ابن عفان حصروه أربعين يوما يمنعونه برد الماء و لين الطعام أقتلهم عطشا قتلهم الله . و قال عمرو بن العاص خل بين القوم و بين الماء فإنهم لن يعطشوا و أنت ريان ولكن لغير الماء فانظر فيما بينك و بينهم . فأعاد الوليد مقالته . و قال عبد الله بن سعيد بن أبى سرح و كان أخوا عثمان من الرضا عة أنعمهم الماء إلى الليل فإنهم إن لم يقدروا عليه رجعوا و كان رجوعهم هزيمتهم أنعمهم الماء منعمهم [صفحة ٣١٩] الله يوم القيامة فقال صعصعته بن صوحان إنما يمنعه الله يوم القيامة الفجرة الكفرة شربة الخمر ضربك و ضرب هذا الفاسق يعنى الوليد بن عقبه . فتواثبوا إليه يشتمونه و يتهددونه فقال معاوية كفوا عن الرجل فإنما هو رسول . قال عبد الله بن عوف بن الأحمر إن صعصعته لما رجع إلينا حدثنا بما قال معاوية و ما كان منه و مارده عليه قلنا و ما الذى رده عليك معاوية قال لما أردت الانصراف من عنده قلت ماترد على قال سيأتىكم رأيى قال فو الله ماراعنا لإلتسوية الرجال والصفوف والخيل فأرسل إلى أبى الأعور امنعمهم الماء فإزدلفنا و الله إليهم فارتمينا و أطعنا بالرماح واضطربنا بالسيوف فطال ذلك بيننا و بينهم حتى صار الماء فى أيدينا فقلنا لا و الله لانسقيهم فأرسل إلينا على ع أن خذوا من الماء حاجتكم و ارجعوا إلى معسكركم و خلوا بينهم و بين الماء فإن الله قد نصركم عليهم بظلمهم و بغيهم -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-١٣٨ . و روى نصر بن محمد بن عبد الله قال قام ذلك اليوم رجل من أهل الشام من السكون يعرف بالشليل بن عمر إلى معاوية فقال اسمع اليوم ما يقول الشليل || إن قولى قول له تأويل امنع الماء من صحاب على || أن يذوقوه فالذليل ذليل و اقل القوم مثل ما قتل الشيخ || صدى فالقصاص أمر جميل إننا و الذى تساق له البدن || هدايا كأنهن الفيول لو على و صحبه وردوا الماء || لما ذقتموه حتى تقولوا [صفحة ٣٢٠] قدرضينا بأمركم و علينا || بعد ذاك الرضا جلاذ ثقيل فامنع القوم ماء كم ليس للقوم || بقاء و إن يكن فقليل . فقال معاوية أما أنت فندرى ماتقول و هو الرأى و لكن عمرا لا يدرى فقال عمرو خل بينهم و بين الماء فإن عليا لم يكن ليظما و أنت ريان و فى يده أعنة الخيل و هو ينظر إلى الفرات حتى يشرب أو يموت و أنت تعلم أنه الشجاع المطرق و معه أهل العراق و أهل الحجاز و قد سمعته أنامارا و هو يقول لو استمكنت من أربعين رجلا يعنى فى الأمر الأول -رواية- ١-٢-رواية- ٣٤-٨٤ . و روى نصر قال لما غلب أهل الشام على الفرات فرحوا بالغلبة و قال معاوية يا أهل الشام هذا و الله أول الظفر لاسقانى الله و لا أباسفیان أن شربوا منه أبدا حتى يقتلوا بأجمعهم عليه و تباشر أهل الشام فقام إلى معاوية رجل من أهل الشام همدانى ناسك يتأله و يكثر العبادة يعرف بمعرى بن أقبل و كان صديقا لعمرو بن العاص و أخوا له فقال يا معاوية سبحان الله لأن سبقتم القوم إلى الفرات فغلبتموهم عليه تمنعوهم الماء أما و الله لو سبقوكم إليه لسقوكم منه أليس أعظم ماتنالون من القوم أن تمنعوهم الفرات فينزولوا على فرضة أخرى و يجازوكم بما صنعتم أ ماتعلمون أن فيهم العبد و الأمة و الأجير و الضعيف و من لا يذنب له هذا و الله أول الجور لقد شجعت الجبان و نصرت المرتاب و حملت من لا يريد قتالك على كتفيك فأغلظ له معاوية و قال لعمرو اكفى صديقك فأتاه عمرو فأغلظ له فقال الهمداني فى ذلك شعرا لعمرو أبى معاوية بن حرب || وعمرو مال دائمها دواء [صفحة ٣٢١] سوى طعن

يحار العقل فيه || وضرب حين تختلط الدماء ولست بتابع دين ابن هند || طوال الدهر ما أرسى حراء لقد ذهب العتاب فلاعتاب
|| وقد ذهب الولاء فلاولاء وقولى فى حوادث كل خطب || على عمرو وصاحبه العفاء ألا الله درك يا ابن هند || لقد برح
الخفاء فلاخفاء أتحمون الفرات على رجال || وفى أيديهم الأسل الظماء وفى الأعناق أسياف حداد || كأن القوم عندهم نساء
أترجو أن يجاوركم على || بلا- ماء وللأحزاب ماء دعاهم دعوة فأجاب قوم || كجرب الإبل خالطها الهناء . قال ثم سار
الهمدانى فى سواد الليل حتى لحق بعلى ع . قال ومكث أصحاب على ع بغير ماء واغتم على ع بما فيه أهل العراق . قال نصر و
حدثنا محمد بن عبد الله عن الجرجاني قال لما غتم على بما فيه أهل العراق من العطش خرج ليلا قبل رايات مذحج فإذا رجل
ينشد شعرا أيمنعنا القوم ماء الفرات || وفيما الرماح وفيما الحجف وفيما الشواذب مثل الوشيح || وفيما السيوف وفيما الزغف [
صفحة ٣٢٢] وفيما على له سورة || إذا خوفه الردى لم يخف ونحن الذين غداة الزبير || وطلحة خضنا غمار التلف فما بالنا
أمس أسد العرين || وما بالنا اليوم شاء النجف فما للعراق وما للحجاز || سوى الشام خصم فصكوا الهدف وثوروا عليهم كيزل
الجمال || دوين الذميل وفوق القطف فإما تفوزوا بماء الفرات || ومنا ومنهم عليه جيف وإما تموتوا على طاعة || تحل الجنان
وتحبو الشرف وإفانتم عبيد العصا || و عبدالعصا مستذل نطف . قال فحرك ذلك عليا ع ثم مضى إلى رايات كنده فإذا إنسان
ينشد إلى جانب منزل الأشعث وهو يقول لئن لم يجل الأشعث اليوم كربه || من الموت فيها للنفوس تعنت فنشرب من ماء
الفرات بسيفه || فهنا أناسا قبل ذاك فموتوا فإن أنت لم تجمع لنا اليوم أمرنا || وتنض التى فيها عليك المذلة [صفحة ٣٢٣]
فمن ذا الذى تننى الخناصر باسمه || سواك و من هذا إليه التلفت وهل من بقاء بعد يوم و ليلة || نزل خفوتا والعدو يصوت
هلموا إلى ماء الفرات ودونه || صدور العوالى والصفيح المشتت و أنت امرؤ من عصبه يمنية || و كل امرئ من سنخه حين
ينبت . قال فلما سمع الأشعث قول الرجل قام فأتى عليا ع فقال يا أمير المؤمنين أيمنعنا القوم ماء الفرات و أنت فينا والسيوف فى
أيدينا خل عنا و عن القوم فو الله لا نرجع حتى نرده أو نموت وممر الأشر فليعل بخيله ويقف حيث تأمره فقال على ع ذلك إليكم
. فرجع الأشعث فنادى فى الناس من كان يريد الماء أو الموت فميعاده موضع كذا فإنى ناهض فأتاه اثنا عشر ألفا من كنده وأفناء
قحطان واضعى سيوفهم على عواتقهم فشد عليه سلاحه ونهض بهم حتى كاد يخالط أهل الشام وجعل يلقي رمحه ويقول
لأصحابه بأبى وأمى أنتم تقدموا إليهم قاب رمحى هذا فلم يزل ذلك دأبه حتى خالط القوم وحسر عن رأسه ونادى أنا الأشعث
بن قيس خلوا عن الماء فنادى أبو الأعور أما والله حتى لا تأخذنا وإياكم السيوف فقال الأشعث [صفحة ٣٢٤] قد والله أظنها دنت
منا ومنكم و كان الأشر قد تعالى بخيله حيث أمره على فبعث إليه الأشعث أقحم الخيل فأقحمها حتى وضعت سنابكها فى
الفرات وأخذت أهل الشام السيوف فولوا مدبرين . قال نصر و حدثنا عمرو بن شمر عن جابر عن أبى جعفر وزيد بن الحسن قال
فنادى الأشعث عمرو بن العاص فقال ويحك يا ابن العاص خل بيننا وبين الماء فو الله لئن لم تفعل لتأخذنا وإياكم السيوف فقال
عمرو و الله لا نخلى عنه حتى تأخذنا السيوف وإياكم فيعلم ربنا أننا أصبر اليوم فترجل الأشعث والأشر وذوو البصائر من أصحاب
على ع وترجل معهما اثنا عشر ألفا فحملوا على عمرو و أبى الأعور و من معهما من أهل الشام فأزالوهم عن الماء حتى غمست
خيل على ع سنابكها فى الماء . قال نصر فروى عمر بن سعد أن عليا ع قال ذلك اليوم هذا يوم نصرتم فيه بالحمية -رواية ١-
٢-رواية ٥٥-٨٣ . قال نصر و حدثنا عمرو بن شمر عن جابر قال سمعت تميمنا الناجى يقول سمعت الأشعث يقول حال عمرو
بن العاص بيننا وبين الفرات فقلت له ويحك يا عمرو أما والله إن كنت لأظن لك رأيا فإذا أنت لا عقل لك أترانا نخليك
والماء تربت يداك أ ما علمت أنا معشر عرب ثكلتك أمك وهبلك لقد رمت أمرا عظيما فقال لى عمرو أما والله لتعلمن اليوم
أناسنقى بالعهد ونحكّم العقد ونلقاكم [صفحة ٣٢٥] بصبر وجد فنادى به الأشر يا ابن العاص أما والله لقد نزلنا هذه الفرضة
وإننا لنريد القتال على البصائر والدين و ماقتلنا سائر اليوم لإحمية . ثم كبر الأشر وكبرنا معه وحملنا فما ثار الغبار حتى انهزم أهل

الشام .قالوا فلقى عمرو بن العاص بعدانقضاء صفين الأشعث فقال له ياأخا كنده أما والله لقد أبصرت صواب قولك يوم الماء ولكن كنت مقهورا على ذلك الرأي فكابرتك بالتهدد والوعيد والحرب خدعة. قال نصر ولقد كان من رأى عمرو التخليه بين أهل العراق والماء ورجع معاوية بأخرة إلى قوله بعداختلاط القوم فى الحرب فإن عمرا فيما رويانا أرسل إلى معاوية أن خل بين القوم و بين الماء أترى القوم يموتون عطشا وهم ينظرون إلى الماء فأرسل معاوية إلى يزيد بن أسد القسرى أن خل بين القوم و بين الماء يا أبا عبد الله فقال يزيد و كان شديد العثمانيه كلا والله لنقتلنهم عطشا كماقتلوا أمير المؤمنين . قال فحدثنا عمرو بن شمر عن جابر قال خطب على ع يوم الماء فقال أما بعد فإن القوم قدبدءوكم بالظلم و فاتحوكم بالبغى واستقبلوكم بالعدوان و قداستطعموكم القتال حيث منعوكم الماء فأقروا على مذلة وتأخير مهلة -رواية- ١-٢-رواية- ٦٧-٢١٥... الفصل إلى آخره . قال نصر و كان قدبلغ أهل الشام أن عليا ع جعل للناس إن فتح الشام أن يقسم بينهم التبر والذهب وهما الأحمران و أن يعطى كلا منهم خمسمائة كما أعطاهم بالبصرة فنأدى ذلك اليوم منأدى أهل الشام يا أهل العراق لماذا نزلتم بعجاج [صفحه ٣٢٦] من الأرض نحن أزد شنوءة لا-أزد عمان يا أهل العراق لاخمس لإجنبدل الأحرين || والخمس قدتجشمك الأمرين . قال نصر فحدثني عمرو بن شمر عن إسماعيل السدى عن بكر بن تغلب قال حدثني من سمع الأشعث يوم الفرات و قد كان له غناء عظيم من أهل العراق وقتل رجلا من أهل الشام بيده و هو يقول و الله إن كنت لكارها قتال أهل الصلاة ولكن معى من هو أقدم منى فى الإسلام وأعلم بالكتاب والسنة فهو الذى يسخى بنفسه . [صفحه ٣٢٧] قال نصر وحمل ظبيان بن عماره التميمى على أهل الشام و هو يقول هل لك ياظبيان من بقاء || فى ساكنى الأرض بغير ماء لا وإله الأرض والسماء || فاضرب وجوه الغدر الأعداء بالسيف عندحمس الهيجاء || حتى يجيوك إلى السواء . قال فضر بهم و الله حتى خلوا له الماء. قال نصر ودعا الأشتر بالحارث بن همام النخعى ثم الصهبانى فأعطاه لواءه و قال له يا حارث لو لآنى أعلم أنك تصبر عندالموت لأخذت لوائى منك و لم أحبك بكرامتى فقال و الله يامالك لأسرنك أو لأموتن فاتبعنى ثم تقدم باللواء وارتجز فقال ياأخا الخيرات ياخير النخع || وصاحب النصر إذاعم الفزع وكاشف الخطب إذا الأمر وقع || ما أنت فى الحرب العوان بالجذع قدجزع القوم وعموا بالجزع || وجرعوا الغيظ و غصوا بالجرع إن تسقنا الماء فليست بالبدع || أو نعطش اليوم فجند مقتطع ماشئت خذ منها و ماشئت فدع . فقال الأشتر ادن منى يا حارث فدنا منه فقبل رأسه فقال لايتبع رأسه اليوم إلاخير ثم صاح الأشتر فى أصحابه فدتكم نفسى شدوا شدة المحرج الراجى للفرج فإذا نالتكم الرماح فالتوا فيها فإذا عضتكم السيوف فليعض الرجل على نواجذه فإنه أشد لشئون الرأس ثم استقبلوا القوم بهامكم . [صفحه ٣٢٨] قال و كان الأشتر يومئذ على فرس له محذوف أدهم كأنه حلكت الغراب وقتل بيده من أهل الشام من فرسانهم و صناديدهم سبعة صالح بن فيروز العكى ومالك بن أدهم السلمانى ورياح بن عتيك الغسانى والأجلح بن منصور الكندى و كان فارس أهل الشام و ابراهيم بن وضاح الجمحى وزامل بن عبيد الحزامى و محمد بن روضة الجمحى. قال نصر فأول قتيل قتله الأشتر بيده ذلك اليوم صالح بن فيروز ارتجز على الأشتر و قال له يا صاحب الطرف الحصان الأدهم || أقدم إذاشئت علينا أقدم أنا ابن ذى العز و ذى التكرم || سيد عك كل عك فاعلم . قال و كان صالح مشهورا بالشدة والبأس فارتجز عليه الأشتر فقال له أنا ابن خير مذحج مركبا || وخيرها نفسا و أما و أبا آليت لأرجع حتى أضربا || بسيفى المصقول ضربا معجبا . ثم شد عليه فقتله فخرج إليه مالك بن أدهم السلمانى و هو من مشهوريهم أيضا فحمل على الأشتر بالرمح فلما رهقه التوى الأشتر على فرسه ومار السنان فأخطأه ثم استوى على فرسه وشد على الشامى فقتله طعنا بالرمح ثم قتل بعده رياح بن عقيل و ابراهيم بن وضاح ثم برز إليه زامل بن عقيل و كان فارسا فطعن الأشتر فى موضع الجوشن فصرعه عن فرسه و لم يصب مقتلا وشد عليه الأشتر بالسيف راجلا فكشف قوائم فرسه وارتجز عليه فقال [صفحه ٣٢٩] لا بد من قتلى أو من قتلكا || قتلت منكم أربعا من قبلكا كلهم كانوا حماة مثلكا . ثم ضربه بالسيف وهما راجلان فقتله ثم خرج إليه محمد بن روضة فقال و

هو يضرب في أهل العراق ضرباً منكراً يأساكنى الكوفة يا أهل الفتن || ياقاتلى عثمان ذاك المؤمن أورت قلبى قتله طول الحزن || أضربكم ولا أرى أباحسن . فشد عليه الأشر فقتله وقال لا يبعد الله سوى عثماننا || وأنزل الله بكم هوانا ولا يسلى عنكم الأجزاناً . ثم برز إليه الأجلح بن منصور الكندى وكان من شجعان العرب وفرسانها وهو على فرس له اسمه لاحق فلما استقبله الأشر كره لقاءه واستحيا أن يرجع عنه فتضاربا بسيفيهما فسبقه الأشر بالضربة فقتله فقالت أخته ترضيه ألا فابكى أختاً ثقتاً || فقد والله أبكىنا لقتل الماجد القمقام || لا مثل له فينا أتانا اليوم مقتله || فقد جزت نواصينا كريم ماجد الجدين || يشفى من أعادينا شفانا الله من أهل || العراق فقد أبادونا أ ما يخشون ربهم || ولم يرعوا له ديناً . [صفحة ٣٣٠] قال وبلغ شعرها علياً فقال أما إنهن ليس بملكهن مارأيتن من الجزع أما إنهن قد أضروا بنسائهم فتركون أيامى حزانى بائسات قاتل الله معاوية اللهم حمله آثامهم وأوزاراً وأثقالاً مع أثقاله اللهم لا تعف عنه -رواية ١-٢-رواية ٩-١٩١ . قال نصر وحدثنا عمرو بن شمر عن جابر عن الشعبي عن الحارث بن أدهم وعن صعصعة قال أقبل الأشر يوم الماء فضرب بسيفه جمهور أهل الشام حتى كشفهم عن الماء وهو يقول لا تذكروا ما قدمضى وفاء || والله ربي الباعث الأموات من بعد ما صاروا كذا رفاتاً || لأوردن خيلى الفراتا شعث النواصي أويقال ماتا . قال وكان لواء الأشعث بن قيس مع معاوية بن الحارث فقال له الأشعث لله أبوك ليست النخع بخير من كنده قدم لواءك فإن الحظ لمن سبق فتقدم لواء الأشعث وحملت الرجال بعضها على بعض وحمل فى ذلك اليوم أبو الأعور السلمى وحمل الأشر عليه فلم ينتصف أحدهما من صاحبه وحمل شرحبيل بن السمط على الأشعث فكانا كذلك وحمل حوشب ذو ظليم على الأشعث أيضاً وانفصلا ولم ينل أحدهما من صاحبه أما فما زالوا كذلك حتى انكشف أهل الشام عن الماء وملك أهل العراق المشرعة . قال نصر فحدثنا محمد بن عبد الله عن الجرجاني قال قال عمرو بن العاص لمعاوية لماملك أهل العراق الماء ما ظنك يا معاوية بالقوم إن منعوك اليوم الماء كما منعتهم [صفحة ٣٣١] أمس أتراك تضاربهم عليه كما تضاربوك عليه ما أغنى عنك أن تكشف لهم السوءة فقال معاوية دع عنك ماضى فما ظنك بعلى قال ظنى أنه لا يستحل منك ما استحللت منه وأن الذى جاء له غير الماء قال فقال له معاوية قولاً أغضبته فقال عمرو أمرتك أمراً فسخفته || وخالفنى ابن أبى سرحه وأغمضت فى رأى إغماضة || ولم ترفى الحرب كالفسحة فكيف رأيت كباش العراق || ألم ينطحوا جمعنا نطحة فإن ينطحونا غداً مثلها || نكن كالزبيرى أو طلحة أظن لها اليوم ما بعدها || وميعاد ما بيننا صبحه وإن أخروها لما بعدها || فقد قدموا الخبط والنفحة وقد شرب القوم ماء الفرات || وقلدك الأشر الفضة قال نصر فقال أصحاب على ع له امنعهم الماء يا أمير المؤمنين كما منعوك فقال لا خلوا بينهم وبينه لا أفعل ما فعله الجاهلون سنعرض عليهم كتاب الله وندعوهم إلى الهدى فإن أجابوا وإلغى حد السيف ما يغنى إن شاء الله -رواية ١-٢-رواية ١١-٢٢٨ . قال فوالله ما أمسى الناس حتى رأوا سقاتهم وسقاء أهل الشام ورواياهم وروايا أهل الشام يزدحمون على الماء ما يؤذى إنسان إنساناً [صفحة ٣٣٢]

٥٢- ومن خطبة له ع

إشاره

وقد تقدم مختارها برواية ونذكر ما ذكره هنا برواية أخرى لتغاير الروایتين ألاً وإن الدنيا قد تصيرمت وأذنت بانقضاء وتكبر معروفة وأدبرت خدءاً فهى تحفز بالفناء سيكاتها وتحذو بالموت جيرانها وقد أمر فيها ما كان حلواً وكدر منها ما كان صيفوا فلم يبق منها إلا سملة كسملة الإداوة أو جرعته كجرعه المقله لو تمزرها الصديان لم ينفع فآزمعوا عباد الله الرحيل عن هذه الدار

المقدورِ عَلَى أَهْلِهَا الزَّوَالُ وَ لَا يَغْلِبَنَّكُمْ فِيهَا الْأَمَلُ وَ لَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمْ فِيهَا الْأَمَدُ فَوَاللَّهِ لَوْ حَنَنْتُمْ حَيْنَ الْوَلِّهِ الْعِجَالِ وَ دَعَوْتُمْ بِهَدِيلِ الْحَمَامِ وَ جَارْتُمْ جُؤَارَ مُتَبَلِّي الرِّهَابِ وَ خَرَجْتُمْ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ التَّمَّاسِ الْقُرْبِيَّةِ إِلَيْهِ فِي ارْتِفَاعِ دَرَجَتِهِ عِنْدَهُ أَوْ غَفْرَانِ سَيِّئِهِ أَحْصَيْتَهَا كُتُبُهُ وَ حَفِظْتَهَا رُسُلُهُ لَكَانَ قَلِيلًا فِيمَا أَرْجُو لَكُمْ مِنْ ثَوَابِهِ وَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ عِقَابِهِ وَ بِاللَّهِ لَوْ انْمَأَتْ قُلُوبُكُمْ انْمِيَاً وَ سَأَلْتُمْ عُيُونُكُمْ مِنْ رَغْبَتِهِ إِلَيْهِ أَوْ رَهْبَتِهِ مِنْهُ دَمًا ثُمَّ عُمَرْتُمْ فِي الدُّنْيَا مَا الدُّنْيَا بَاقِيَةٌ مَا جَزَتْ أَعْمَالُكُمْ وَ لَوْ لَمْ تُبْقُوا شَيْئًا مِنْ جُهِدِكُمْ أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ الْعِظَامَ وَ هُدَاهُ إِيَّاكُمْ لِلْإِيمَانِ [صفحہ ۳۳۳] تصرمت انقطعت و فنيت و آذنت بانقضاء أعلمت بذلك آذنته بكذا أى أعلمته و تنكر معروفها جهل منها ما كان معروفًا. و الحذاء السريعة الذهاب و رحم حذاء مقطوعة غير موصولة و من رواه جذاء بالجيم أراد منقطعة الدر و الخير. و تحفر بالفناء سكانها تعجلهم و تسوقهم و أمر الشيء صار مرا و كدر الماء بكسر الدال و يجوز كدر بضمها و المصدر من الأول كدرا و من الثاني كدورة. و السملة بفتح الميم البقية من الماء تبقى فى الإناء و المقلة بفتح الميم و تسكين القاف حصاة القسم التى تلقى فى الماء ليعرف قدر ما يسقى كل واحد منهم و ذلك عندقله الماء فى المفاوز قال قذفوا سيدهم فى ورطة || قذفك المقلة وسط المعترك . و التمزز تمصص الشراب قليلا قليلا و الصديان العطشان . و لم ينقع لم يرو و هذا يمكن أن يكون لازما و يمكن أن يكون متعديا تقول نقع الرجل بالماء أى روى و شفى غليله ينقع و نقع الماء الصدى ينقع أى سكنه . فأزعموا الرحيل أى اعزموا عليه يقال أزعمت الأمر و لا يجوز أزعمت على الأمر و أجازته الفراء. قوله المقدور على أهلها الزوال أى المكتوب قال و اعلم بأن ذا الجلال قد قدر || فى الصحف الأولى الذى كان سطر . [صفحہ ۳۳۴] أى كتب و الوله العجال النوق الوالهة الفاقدة أولادها الواحدة عجول و الوله ذهاب العقل و فقد التمييز و هديل الحمام صوت نوحه و الجؤار صوت مرتفع و المتبتل المنقطع عن الدنيا و انماث القلب أى ذاب . و قوله و لو لم تبقوا شيئا من جهدكم اعتراض فى الكلام . و أنعمه منصوب لأنه مفعول جزت . و فى هذا الكلام تلويح و إشارة إلى مذهب البغداديين من أصحابنا فى أن الثواب على فعل الطاعة غير واجب لأنه شكر النعمة فلا يقتضى و جوب ثواب آخر و هو قوله ع لو انماثت قلوبكم انميًا ... إلى آخر الفصل . و أصحابنا البصريون لا يذهبون إلى ذلك بل يقولون إن الثواب واجب على الحكيم سبحانه لأنه قد كلفنا ما يشق علينا و تكليف المشاق كما إنزال المشاق فكما اقتضت الآلام و المشاق النازلة بنا من جهته سبحانه أعوضا مستحقه عليه تعالى عن إنزالها بنا كذلك تقتضى التكاليف الشاقة ثوابا مستحقا عليه تعالى عن إلزامه إيانا بها قالوا فأما ما سلف من نعمه علينا فهو تفضل منه تعالى و لا يجوز فى الحكمة أن يتفضل الحكيم على غيره بأمر من الأمور ثم يلزمه أفعالا شاقة و يجعلها يازاء ذلك التفضل إلا إذا كان فى تلك الأمور منافع عائدة على ذلك الحكيم فكان ما سلف من المنافع جاريا مجرى الأجرة كمن يدفع درهما إلى إنسان ليخيط له ثوبا و البارئ تعالى منزه عن المنافع و نعمه علينا منزه أن تجرى مجرى الأجرة على تكليفنا المشاق . و أيضا فقد يتساوى اثنان من الناس فى النعم المنعم بها عليهما و يختلفان فى التكاليف [صفحہ ۳۳۵] فلو كان التكليف لأجل ماضى من النعم لوجب أن يقدر بحسبها فإن قيل فعلى ماذا يحمل كلام أمير المؤمنين ع و فيه إشارة إلى مذهب البغداديين . قيل إنه ع لم يصرح بمذهب البغداديين ولكنه قال لو عبدتموه بأقصى ما ينتهى الجهد إليه و ما وفيتم بشكر أنعمه و هذا حق غير مختلف فيه لأن نعم البارئ تعالى لا تقوم العباد بشكرها و إن بالغوا فى عبادته و الخضوع له و الإخلاص فى طاعته و لا يقتضى صدق هذه القضية و صحتها صحة مذهب البغداديين فى أن الثواب على الله تعالى غير واجب لأن التكليف إنما كان باعتبار أنه شكر النعمة السالفة

ما قبل من الأشعار فى ذم الدنيا

فأما مقاله الناس فى ذم الدنيا و غرورها و حوادثها و خطوبها و تنكرها لأهلها و الشكوى منها و العتاب لها و الموعظة بها و تصرمها

وتقبلها فكثير من ذلك قول بعضهم هي الدنيا تقول بملء فيها || حذار حذار من بطشى وفتكى فلا يغركم حسن ابتسامي ||
فقولى مضحك والفعل مبك . وقال آخر تنح عن الدنيا ولا تطلبها || ولا تخطن قتاله من تناكح فليس يفى مرجوها بمخوفها
|| ومكروها إما تأملت راجح لقد قال فيها القائلون فأكثروا || وعندى لها وصف لعمر ك صالح سلاف قصارها ذعاف
ومركب || شهى إذا استلذذته فهو جامح وشخص جميل يعجب الناس حسنه || ولكن له أفعال سوء قبائح . [صفحہ ۳۳۶] وقال
أبو الطيب أبدا تسترد ماتهب الدنيا || فيا ليت جودها كان بخلا وهى معشوقه على الغدر لا تحفظ || عهدا ولا تتم وصلا كل دمع
يسيل منها عليها || وبفك الديدن عنها تخلى شيم الغايات فيها ولا أدري || لذا أنت اسمها الناس أم لا . وقال آخر إنما الدنيا
عوار || والعواري مسترده شدة بعد رخاء || ورخاء بعد شدة . وقال محمد بن هانئ المغربي وما الناس إلا طاعن فمودع || وثاو
قريح الجفن يبكى لراحل فما الدهر إلا كالزمان الذى مضى || ولا نحن إلا كالقرون الأوائل نساق من الدنيا إلى غير دائم ||
ونبكي من الدنيا على غير طائل فما عاجل نرجوه إلا كآجل || ولا آجل نخشاه إلا كعاجل . وقال ابن المظفر المغربي دنياك دار
غرور || ونعمة مستعاره ودار أكل وشرب || ومكسب وتجاره ورأس مالك نفس || فخف عليها الخساره [صفحہ ۳۳۷] و
لاتبعها بأكل || وطيب عرف وشاره فإن ملك سليمان || لا يفى بشراره . وقال أبو العتاهية ألا إنما التقوى هى البر والكرم ||
وحبك للدنيا هو الفقر والعدم وليس على عبد تقى غضاضة || إذا صحح التقوى وإن حاك أو حجم . وقال أيضا تعلقت بآمال
|| طوال أى آمال وأقبلت على الدنيا || ملحا أى إقبال أى هذا تجهز لفرق || الأهل والمال فلا بد من الموت || على حال من
الحال . وقال أيضا سكن يبقى له سكن || ما بهذا يؤذن الزمن نحن فى دار يخبرنا || ببلها ناطق لسن دار سوء لم يدم فرح ||
لامرئى فيها ولا حزن فى سبيل الله أنفسنا || كلنا بالموت مرتهن كل نفس عند موتتها || حظها من مالها الكفن إن مال المرء
ليس له || منه إلا ذكره الحسن . [صفحہ ۳۳۸] وقال أيضا ألا إننا كلنا بائد || وأى بنى آدم خالد وبدؤهم كان من ربهم || و
كل إلى ربه عائد فوا عجا كيف يعصى الإله || أم كيف يجحده الجاحد وفى كل شىء له آية || تدل على أنه الواحد . وقال
الرضى الموسوى يا آمن الأيام بادر صرفها || واعلم بأن الطالبين حثا خذ من ثرائك ما استطعت فإنما || شركاؤك الأيام
والوراث لم يقض حق المال إلا معشر || نظروا الزمان يعيث فيه فعاثوا تحثو على عيب الغنى يد الغنى || والفقر عن عيب الفتى
بحاث المال مال المرء ما بلغت به || الشهوات أودفعت به الأحداث ما كان منه فاضلا عن قوته || فليعلمن بأنه ميراث ما لى إلى
الدنيا الدنية حاجة || فليجن ساحر كيدها النفاث طلقته ألفا لأحسم داءها || وطلاق من عزم الطلاق ثلاث وثباتها مرهوبة
وعاداتها || مكذوبة وحبالها أنكاث أم المصائب لا تزال تروعا || منها ذكور حوادث وإنث إنى لأعجب للذين تمسكوا ||
بحبال الدنيا وهن رثا كنزوا الكنوز واعقلوا شهواتهم || فالأرض تشبع والبطون غراث أتراهم لم يعلموا أن التقى || أزوادنا
وديارنا الأجداث . [صفحہ ۳۳۹] وقال آخر هذه الدنيا إذا صرفت || وجهها لم تنفع الحيل وإذا ما أقبلت لعم || بصرته كيف
يفتعل وإذا ما أدبرت لذكى || غاب عنه السهل والجبل فهى كالذولاب دائرة || ترتقى طورا وتستفل فى زمان صار ثعلبية ||
أسدا واستذاب الحمل فالذنابى فيه ناصية || والنواصى خشح ذلل فاصبرى يانفس واحتملى || إن نفس الحر تحتل . وقال
أبو الطيب نعد المشرفية والعوالى || وتقتلنا المنون بلا قتال وترتبط السوابق مقربات || وما ينجين من خب الليالى و من لم يعشق
الدنيا قديما || ولكن لاسبيل إلى الوصال نصيبك فى حياتك من حبيب || نصيبك فى منامك من خيال رمانى الدهر بالأرزاء
حتى || فؤادى فى غشاء من نبال فصرت إذا أصابتنى سهام || تكسرت النصال على النصال وهان فما أبالى بالرزايا || لأنى
ما انتفعت بأن أبالى يدفن بعضنا بعضا ويمشى || أو اخرنا على هام الأوالى وكم عين مقبله النواحي || كحيل فى الجنادل والرمال
[صفحہ ۳۴۰] ومغض كان لا يعضى لخطب || وبال كان يفكر فى الهزال . وقال أبو العتاهية فى أرجوزته المشهورة فى دم الدنيا
و فيها أنواع مختلفه من الحكمة مازالت الدنيا لنا دار أذى || ممزوجة الصفو بألوان القذى الخير والشر بها أزواج || لذا نتاج ولذا

نتاج من لك بالمحض و ليس محض || يخبث بعض ويطيب بعض لكل إنسان طبيعتان || خير وشر وهما ضدان والخير والشر إذا ما عدا || بينهما بون بعيد جدا إنك لو تستنشق الشحيجا || وجدته أنتن شىء ربحا حسبك مما تتبغيه القوت || ما أكثر القوت لمن يموت الفقر فيما جاوز الكفايا || من اتقى الله رجا وخافا هى المقادير فلمنى أوفذر || إن كنت أخطأت فما أخطأ القدر لكل ما يؤذى و إن قل ألم || ما أطول الليل على من لم ينم ما انتفع المرء بمثل عقله || وخير ذخر المرء حسن فعله إن الفساد ضده الصلاح || ورب جد جره المزاح من جعل المنام عينا هلكا || مبلغك الشر كباغيه لكا إن الشباب والفراغ والجده || مفسدة للمرء أى مفسده يغنيك عن كل قبيح تركه || قديوهن الرأى الأصيل شكه ماعيش من آفته بقاءه || نغص عيشا ناعما فناه [صفحة ٣٤١] يارب من أسخطنا بجهدك || قدسرنا الله بغير حمدك ما تطلع الشمس و لا تغيب || إلا الأمر شأنه عجيب لكل شىء قدر وجوهه || وأوسط وأصغر وأكبر و كل شىء لاحق بجوهه || أصغره متصل بأكبره من لك بالمحض و كل ممتزج || وساوس فى الصدر منك تعتلج عجت واستغرقتى السكوت || حتى كأنى حائر مبهور إذا قضى الله فكيف أصنع || والصمت إن ضاق الكلام أوسع . و قال أيضا كل على الدنيا له حرص || والحادثات لنا بها قرص و كان من واروه فى جدث || لم يد منه لناظر شخص يهوى من الدنيا زيادتها || و زيادة الدنيا هى النقص ليد المنية فى تطفها || عن ذخر كل نفيسة فحص . و قال أيضا أبلغ الدهر فى مواعظه بل || زاد فيهن لى من الإبلاغ أى عيش يكون أطيب من عيش || كفاف قوت بقدر البلاغ غصبتى الأيام أهلى ومالى || وشبابى وصحتى وفراغى صاحب البغى ليس يسلم منه || و على نفسه بغى كل باغ رب ذى نعمه تعرض منها || حائل بينه و بين المساغ . [صفحة ٣٤٢] و قال ابن المعتز حمدا لربى وذما للزمان فما || أقل فى هذه الدنيا مسراتى كفت يدى أملى عن كل مطلب || وأغلقت بابها من دون حاجاتى . و له أيضا ألتت ترى يا صاح ما أعجب الدهرا || فذما له لكن للخالق الشكرا لقد حجب الموت البقاء الذى أرى || فىا حبذا منى لمن سكن القبرا وسبحان ربى راضيا بقضائه || و كان اتقائى الشر يغرى بى الشرا . و له قل لدنياك قد تمكنت منى || فافعلى ما أردت أن تفعلنى بى واخرقى كيف شئت خرق جهول || إن عندى لك اصطبار لبيب . و قال أبو العلاء المعرى والدهر إبرام ونقض وتفريق || و جمع ونهار وليل لو قال لى صاحبه سمه || ماجزت عن ناجية أوبديل . و قال آخر والدهر لا يبقى على حاله || لا بد أن يدبر أويقبلا . و قال أبو الطيب مالى وللدينا طلابى نجومها || ومسعاى منها فى شدوق الأرقام . [صفحة ٣٤٣] و قال آخر لعمر ك ما الأيام لإمعارة || فما اسطعت من معروفها فتزود . و قال آخر لعمر ك ما الأيام إلا كماترى || رزية مال أوفراق حبيب . الوزير المهلبى ألاموت يباع فأشتره || فهذا العيش ما لاخير فيه ألاحرم المهيمن نفس حر || تصدق بالممات على أخيه . و له أشكو إلى الله أحداثا من الزمن || ييرينى مثل برى القدح بالسفن لم يبق بالعيش لى إلامراته || إذا تذوقته والحلو منه فى لا تحسبن نعما سرتك صحبتها || لإمفاتح أبواب من الحزن . عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ألا أيها الدهر الذى قدملته || سألتك إلا ما سللت حياتى فقد و جلال الله حبيت جاهدا || إلى على كره الممات مماتى . و له ألم تر أن الدهر يهدم ما بنى || ويسلب ما أعطى ويفسد ما أسدى فمن سره ألا يرى ما يسوءه || فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا . البحترى كان الليالى أغريت حادثاتها || بحب الذى نأبى وبغض الذى نهوى [صفحة ٣٤٤] و من عرف الأيام لم ير خفضها || نعيما و لم يعدد مضرتها بلوى . أبوبكر الخوارزمى ما أثقل الدهر على من ركبه || حدثنى عنه لسان تجربته لا تشكر الدهر لخير سببه || فإنه لم يتعمد بالهبه وإنما أخطأ فيك مذهبه || كالسيل قد يسقى مكانا أخر به والسسم يستشفى به من شره . و قال آخر يسعى الفتى فى صلاح العيش مجتهدا || والدهر ماعاش فى إفساده ساعى . آخر يغر الفتى مر الليالى سليمة || وهن به عما قليل عواثر . آخر إذا مال الدهر جر على أناس || كلاله كله أناخ بأخرينا فقل للشامتين بنا أفيقوا || سيلقى الشامتون كمالقينا . آخر قل لمن أنكر حالا منكره || ورأى من دهره ما حيره ليس بالمنكر ما أنكرته || كل من عاش رأى ما لم يره . ابن الرومى سكن الزمان وتحت سكتته || دفع من الحركات والبطش [صفحة ٣٤٥] كالأفعوان تراه منبطحا ||

بالأرض ثم يشور للنهش . أبو الطيب أنالفي زمن ترك القبيح به || من أكثر الناس إحسان وإجمال ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته || ماقاته وفضول العيش أشغال . وقال آخر جار الزمان علينا فى تصرفه || و أى حر عليه الدهر لم يجر عندى من الدهر ما لو أن أيسره || يلقى على الفلك الدوار لم يدر . آخر هذا الزمان أذى كنا نحاذره || فيما يحدث كعب و ابن مسعود إن دام هذا و لم تعقب له غير || لم يبيك ميت و لم يفرح بمولود . آخر يازمانا ألبس || الأحرار ذلا ومهانه لست عندى بزمان || إنما أنت زمانه أجنون مانراه || منك يبدو أم مجانه . الرضى الموسوى تأبى الليالى أن تديما || يؤسا لخلق أونعيما والمرء بالإقبال يبلغ || وادعا خطرا جسيما فإذا انقضى إقباله || رجع الشفيح له خصيما [صفحہ ۳۴۶] و هو الزمان إذانبا || سلب أذى أعطى قديما كالريح ترجع عاصفا || من بعد ما بدأت نسيما . أبو عثمان الخالدى ألفت من حادثات الدهر أكبرها || فما أعادى على أحداثها الصغر تزيدنى قسوة الأيام طيب نثا || كأنى المسك بين الفهر والحجر . السرى الرفاء تنكد هذا الدهر فيما يرومه || على أنه فيما نحاذره ندب فسير أذى نرجوه سير مقيد || وسير أذى نخشى غوائله وثب . ابن الرومى ألا إن فى الدنيا عجائب جمه || وأعجبها ألا يشيب وليدها إذ اذل فى الدنيا الأجزاء واكتست || أذلتها عزا وساد مسودها هناك فلاجادت سماء بصوبها || و لا أمرعت أرض و لا اخضر عودها أرى الناس مخسوفاً بهم غير أنهم || على الأرض لم يقلب عليهم صعيدها و ما الخسف أن يلقى أسافل بلدة || أعاليها بل أن يسود عبيدها . السرى الرفاء لنا من الدهر خصم لانطالبه || فما على الدهر لو كفت نوابه يرتد عنه جريحا من يسالمه || فكيف يسلم منه من يحاربه و لوأمنت أذى تجنى أراقمه || على هان أذى تجنى عقاربه . [صفحہ ۳۴۷] أبو فراس بن حمدان تصفحت أحوال الزمان و لم يكن || إلى غير شاك للزمان وصول أ كل خليل هكذا غير منصف || و كل زمان بالكرام بخيل . ابن الرومى رأيت الدهر يرفع كل وغد || ويخفض كل ذى شيم شريفه كمثل البحر يغرق فيه حى || و لا ينفك تطفو فيه جيفه أو الميزان يخفض كل واف || ويرفع كل ذى زنه خفيفه . ابن نباته وأصغر عيب فى زمانك أنه || به العلم جهل والعفاف فسوق وكيف يسر الحرفيه بمطلب || و ما فيه شىء بالسرور حقيق . أبو العتاهية لتجذبني يد الدنيا بقوتها || إلى المنايا و إن نازعتها رسنى لله دنيا أناس دائبين لها || قدارتعوا فى غياض الغى والفتن كسائمات رواع تبتغى سمنا || وحتفها لودرت فى ذلك السمن . و له أيضا أنساك محياك المماتا || فطلبت فى الدنيا الثباتا . [صفحہ ۳۴۸] و قال يزيد بن مفرغ الحميرى لاذعرت السوام فى فلق الصبح || مغيرا و لادعيت يزيدا يوم أعطى من المخافه ضيما || والمنايا يرصدنى أن أحيدا . و قال آخر لاتحسبني يأمامه || عاجزا دنسا ثيابه إنى إذ اخفت الهوان || مشيع ذل ركابه . مثله قول عنتره ذل ركابى حيث شئت مشاعى || لى وأحفزه برأى مبرم . و قال آخر أخشيه الموت در دركم || أعطيتم القوم فوق ماسألوا إنا لعمر الإله نأبى أذى قالوا || و لماتقصف الأسل نقبل ضيما ونحن نعرفه || مادام منا بظهرها رجل . و قال آخر ورب يوم حبست النفس مكرهه || فيه لأكبت أعداء أحاشيها أبى و آنف من أشياء أخذها || رث القوى وضعيف القوم يعطيها . مثله للشداخ أينا فلانعطى مليكا ظلامه || و لاسوقه إلا الوشيج المقوما [صفحہ ۳۴۹] تروم الخلد فى دار التفانى || و كم قدرام قبلك ماتروم لأمر ماتصرمت الليالى || وأمر ماتقلبت النجوم تنام و لم تنم عنك المنايا || تنبه للمنيه يانثوم إلى ديان يوم الدين نمضى || و عند الله تجتمع الخصوم . حسبنا الله وحده وصلواته على خيرته من خلقه سيدنا محمد وآله الطاهرين تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع وأوله فى ذكر يوم النحر وصفه الأضحيه

إِشَارَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْعَدْلِ الْحَكِيمِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ الْكَرِيمِ

تَمَّةُ الْخُطْبَةِ الثَّانِيَةِ وَالْخَمْسِينَ

إِشَارَةٌ

وَمِنْهَا فِي ذِكْرِ يَوْمِ النَّحْرِ وَصَفَةُ الْأُضْحِيَّةِ وَمِنْ تَمَامِ الْأُضْحِيَّةِ اسْتِشْرَافُ أُذُنِهَا وَسَيِّمَامَةُ عَيْنِهَا فَإِذَا سَلِمَتِ الْأُذُنُ وَالْعَيْنُ سَلِمَتِ الْأُضْحِيَّةُ وَتَمَّتْ وَلَوْ كَانَتْ عَضْبَاءَ الْقَرْنِ تَجَزَّ رِجْلُهَا إِلَى الْمَنَسْكِ قَالَ الرَّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَالْمَنَسْكِ هَاهُنَا الْمَذْبَحُ -رَوَايَةٌ ١-٤٨- الْأُضْحِيَّةُ مَا يَذْبَحُ يَوْمَ النَّحْرِ وَمَا يَجْرَى مَجْرَاهُ أَيَّامَ التَّشْرِيقِ مِنَ النِّعَمِ وَاسْتِشْرَافُ أُذُنِهَا انْتِصَابُهَا وَارْتِفَاعُهَا أُذُنُ شَرْفَاءِ أَى مُنْتَصِبَةٌ. وَالْعَضْبَاءُ الْمَكْسُورَةُ الْقَرْنِ وَالتَّى تَجْرُ رِجْلُهَا إِلَى الْمَنَسْكِ كِنَايَةٌ عَنِ الْعِرْجَاءِ وَيَجُوزُ الْمَنَسْكِ بِفَتْحِ السِّينِ وَكُسْرِهَا

اِخْتِلَافُ الْفُقَهَاءِ فِي حُكْمِ الْأُضْحِيَّةِ

وَإِخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِي وَجُوبِ الْأُضْحِيَّةِ فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ هِيَ وَاجِبَةٌ عَلَى الْمُقِيمِينَ مِنْ أَهْلِ [صَفْحَةٌ ٤] الْأَمْصَارِ وَيُعْتَبَرُ فِي وَجُوبِهَا النِّصَابُ وَبِهِ قَالَ مَالِكٌ وَالثَّوْرِيُّ إِلَّا أَنْ مَالِكًا لَمْ يُعْتَبَرِ الْإِقَامَةُ. وَقَالَ الشَّافِعِيُّ الْأُضْحِيَّةُ سَنَةٌ مُؤَكَّدَةٌ وَبِهِ قَالَ أَبُو يُونُسَ وَمُحَمَّدٌ وَأَحْمَدٌ. وَإِخْتَلَفُوا فِي الْعِمْيَاءِ هَلْ تَجَزَّى أَمْ لَا فَأَكْثَرَ الْفُقَهَاءُ عَلَى أَنَّهَا لَا تَجَزَّى وَكَلَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع فِي هَذَا الْفَصْلِ يَقْتَضِي ذَلِكَ لِأَنَّهُ قَالَ إِذَا سَلِمَتِ الْعَيْنُ سَلِمَتِ الْأُضْحِيَّةُ فَيَقْتَضِي أَنَّهُ إِذَا لَمْ تَسْلَمْ الْعَيْنُ لَمْ تَسْلَمْ الْأُضْحِيَّةُ وَمَعْنَى انْتِفَاءِ سَلَامَةِ الْأُضْحِيَّةِ انْتِفَاءُ أَجْزَائِهَا. وَحَكَى عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الظَّاهِرِ أَنَّهُ قَالَ تَجَزَّى الْعِمْيَاءُ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ النُّعْمَانَ الْمَعْرُوفُ بِالْمُفِيدِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَحَدُ فُقَهَاءِ الشَّيْخَةِ فِي كِتَابِهِ الْمَعْرُوفِ بِالْمَقْنَعَةِ إِنَّ الصَّادِقَ ع سَأَلَ عَنِ الرَّجُلِ يَهْدِي الْهَدْيَ أَوْ الْأُضْحِيَّةَ وَهِيَ سَمِينَةٌ فَيَصِيبُهَا مَرَضٌ أَوْ تَفْقَأَ عَيْنَهَا أَوْ تَنْكَسَرَ فِتْبَلُغُ يَوْمِ النَّحْرِ وَهِيَ حَيَّةٌ أَتَجَزَّى عَنْهُ فَقَالَ نَعَمْ -رَوَايَةٌ ١-١٤٦. فَأَمَّا الْأُذُنُ فَقَالَ أَحْمَدٌ لَا يَجُوزُ التَّضْحِيَّةُ بِمَقْطُوعَةِ الْأُذُنِ وَكَلَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع يَقْتَضِي ذَلِكَ وَقَالَ سَائِرُ الْفُقَهَاءِ تَجَزَّى إِلَّا أَنَّهُ مَكْرُوهٌ. وَأَمَّا الْعَضْبَاءُ فَأَكْثَرَ الْفُقَهَاءُ عَلَى أَنَّهَا تَجَزَّى إِلَّا - أَنَّهُ مَكْرُوهٌ وَكَلَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع يَقْتَضِي ذَلِكَ وَكَذَلِكَ الْحُكْمُ فِي الْجِلْحَاءِ وَهِيَ الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ لَهَا قَرْنَ وَالْقِصْمَاءُ وَهِيَ الَّتِي انْكَسَرَ غِلَافُ قَرْنِهَا وَالشَّرْفَاءُ وَهِيَ الَّتِي انْتَقَبَتْ أُذُنُهَا مِنَ الْكِيِّ وَالخِرْقَاءُ وَهِيَ الَّتِي شَقَّتْ أُذُنُهَا طَوْلًا. وَقَالَ مَالِكٌ إِنْ كَانَتْ الْعَضْبَاءُ يَخْرُجُ مِنْ قَرْنِهَا دَمٌ لَمْ تَجَزَّى. وَقَالَ أَحْمَدُ وَالنَّخَعِيُّ لَا تَجُوزُ التَّضْحِيَّةُ بِالْعَضْبَاءِ. [صَفْحَةٌ ٥] فَأَمَّا الْعِرْجَاءُ الَّتِي كُنِيَ عَنْهَا بِقَوْلِهِ تَجْرُ رِجْلُهَا إِلَى الْمَنَسْكِ فَأَكْثَرَ الْفُقَهَاءُ عَلَى أَنَّهَا لَا تَجَزَّى وَكَلَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع يَقْتَضِي أَنَّهَا تَجَزَّى وَ قَدْ نَقَلَ أَصْحَابُ الشَّافِعِيِّ عَنْهُ فِي أَحَدِ قَوْلِيهِ أَنَّ الْأُضْحِيَّةَ إِذَا كَانَتْ مَرِيضَةً مَرَضًا يَسِيرًا أَجْزَأَتْ. وَقَالَ الْمَاوَرِدِيُّ مِنَ الشَّافِعِيِّ فِي كِتَابِهِ الْمَعْرُوفِ بِالْحَاوِي إِنْ عَجَزَتْ عَنْ أَنْ تَجْرُ رِجْلُهَا خَلْقَهُ أَجْزَأَتْ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ عَنْ مَرَضٍ لَمْ تَجَزَّى [صَفْحَةٌ ٦]

فَتَدَاكُوا عَلَيَّ تَدَاكُ الْإِبِلِ الْهَيْمِ يَوْمَ وَرَدَهَا وَ قَدْ أَرْسَلَهَا رَاعِيَهَا وَ خُلِعَتْ مَثَانِيهَا حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِيَّ أَوْ بَعْضُهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ وَ قَدْ قَلْبْتُ هَذَا الْأَمْرَ بَطْنَهُ وَ ظَهَرَهُ حَتَّى مَنَعَنِي النَّوْمَ فَمَا وَجَدْتُنِي يَسْعُنِي إِلَّا قِتَالَهُمْ أَوْ الْجُحُودُ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ الْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ الْعِقَابِ وَ مَوَاتُ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوَاتِ الْآخِرَةِ تَدَاكُوا أزدحموا والهيم العطاش و يوم وردها يوم شربها الماء والمثاني الحبال جمع مثناة ومثناة بالفتح والكسر و هو الحبل . و جهاد البغاء واجب على الإمام إذا وجد أنصارا فإذا أخل بذلك أخل بواجب واستحق العقاب . فإن قيل إنه ع قال لم يسعني إقتالهم أو الجحود بما جاء به محمد ص -رواية- ١-٢-رواية- ١٥-٦٦ فكيف يكون تارك الواجب جاحدا لما جاء به النبي ص . قيل إنه في حكم الجاحد لأنه مخالف وعاص لاسيما على مذهبنا في أن تارك الواجب يخلد في النار و إن لم يجحد النبوة [صفحہ ٧]

بيعة علي وأمر المتخلفين عنها

اختلف الناس في بيعة أمير المؤمنين ع فالذي عليه أكثر الناس وجمهور أرباب السير أن طلحة والزبير بايعاه طائعين غير مكرهين ثم تغيرت عزائمهما وفسدت نياتهما وغدرا به . و قال الزبيريون منهم عبد الله بن مصعب والزبير بن بكار وشيعتهم و من وافق قولهم من بنى تيم بن مرة أرباب العصبية لطلحة إنهما بايعا مكرهين و إن الزبير كان يقول بايعت واللج على قفى واللج سيف الأشر و قفى لغه هذلية إذا ضافوا المقصور إلى أنفسهم قلبوا الألف ياء وأدغموا إحدى الياءين في الأخرى فيقولون قد وافق ذلك هوى أى هوى و هذه عصى أى عصاى . و ذكر صاحب كتاب الأوائل أن الأشر جاء إلى علي ع حين قتل عثمان فقال قم فبايع الناس فقد اجتمعوا لك و رغبوا فيك و الله لئن نكلت عنها لتعصرن عليها عينيك مرة رابعة فجاء حتى دخل بئر سكن واجتمع الناس وحضر طلحة والزبير لا يشكان أن الأمر شورى فقال الأشر أنتظرون أحدا قم يطلحة فبايع فتعاس فقال قم يا ابن الصبغة وسل سيفه فقام طلحة يجرجر رجله حتى بايع فقال قائل أول من بايعه أشل لا يتم أمره ثم لا يتم قال قم يازبير و الله لا ينزاع أحد إلا وضربت قرطه بهذا السيف فقام الزبير فبايع ثم انثال الناس عليه فبايعوا . وقيل أول من بايعه الأشر ألقى خميصه كانت عليه واخترط سيفه وجذب يد علي ع فبايعه و قال للزبير وطلحة قوما فبايعا و إلا كنتما الليلة عند عثمان فقاما يعثران فى ثيابهما لا يرجوان نجاه حتى صفقا بأيديهما على يده ثم قام بعدهما البصريون [صفحہ ٨] وأولهم عبدالرحمن بن عديس البلوى فبايعوا و قال له عبدالرحمن خذها إليك واعلمن أبا حسن || أنامر الأمر إمرار الرسن . و قد ذكرنا نحن فى شرح الفصل الذى فيه أن الزبير أقر بالبيعة وادعى الوليجه أن بيعة أمير المؤمنين لم تقع إلا - عن رضا جميع أهل المدينة أولهم طلحة والزبير و ذكرنا فى ذلك ما يبطل رواية الزبير . و ذكر أبو مخنف فى كتاب الجمل أن الأنصار والمهاجرين اجتمعوا فى مسجد رسول الله ص لينظروا من يولونه أمرهم حتى غص المسجد بأهله فاتفق رأى عمار و أبى الهيثم بن التيهان و رفاعه بن رافع و مالك بن عجلان و أبى أيوب خالد بن يزيد على إقعاد أمير المؤمنين ع فى الخلافة و كان أشدهم تهالكا عليه عمار فقال لهم أيها الأنصار قد سار فيكم عثمان بالأمس بما رأيتموه وأنتم على شرف من الوقوع فى مثله إن لم تنظروا لأنفسكم و إن عليا أولى الناس بهذا الأمر لفضله وسابقته فقالوا رضينا به حينئذ وقالوا بأجمعهم لبقية الناس من الأنصار والمهاجرين أيها الناس إننا لن نألوكم خيرا وأنفسنا إن شاء الله و إن عليا من قد علمتم و ما نعرف مكان أحد أحمل لهذا الأمر منه و لأولى به فقال الناس بأجمعهم قدرضينا و هو عندنا ما ذكرتم وأفضل . وقاموا كلهم فأتوا عليا فاستخرجوه من داره وسألوه بسط يده فقبضها فتداكوا عليه تداك الإبل الهيم على

وردها حتى كاد بعضهم يقتل بعضها فلما رأى منهم ما رأى سألهم أن تكون بيعته في المسجد ظاهرة للناس وقال إن كرهني رجل واحد من الناس لم أدخل في هذا الأمر. فنهض الناس معه حتى دخل المسجد فكان أول من بايعه طلحة فقال قبيصة بن ذؤيب الأسدي تخوفت ألا يتم له أمره لأن أول يد بايعته شلاء ثم بايعه الزبير [صفحة ٩] وبايعه المسلمون بالمدينة إلا محمد بن مسلمة وعبد الله بن عمر وأسامة بن زيد وسعد بن أبي وقاص وكعب بن مالك وحسان بن ثابت وعبد الله بن سلام. فأمر بإحضار عبد الله بن عمر فقال له بايع قال لا أبايع حتى يبايع جميع الناس فقال له ع فأعطني حميلاً ألا تبرح قال ولا أعطيك حميلاً فقال الأشرع يا أمير المؤمنين إن هذا قد آمن سوطك وسيفك فدعني أضرب عنقه فقال لست أريد ذلك منه على كره خلوا سبيله فلما انصرف قال أمير المؤمنين لقد كان صغيراً وهوسىء الخلق وهو في كبره أسوأ خلقاً. ثم أتى بسعد بن أبي وقاص فقال له بايع فقال يا أبا الحسن خلني فإذا لم يبق غيري بايعتك فوالله لا يأتيك من قبلي أمر تكرهه أبداً فقال صدق خلوا سبيله. ثم بعث إلى محمد بن مسلمة فلما أتاه قال له بايع قال إن رسول الله ص أمرني إذا اختلف الناس وصاروا هكذا وشبك بين أصابعه أن أخرج بسيفي فأضرب به عرض أحد فإذا تقطع أتيت منزلي فكننت فيه لأبرحه حتى تأتيني يد خاطية أو منية قاضية فقال له ع فانطلق إذا فكن كما أمرت به. ثم بعث إلى أسامة بن زيد فلما جاء قال له بايع فقال إني مولاك ولا خلاف مني عليك وستأتيك بيعتي إذا سكن الناس فأمره بالانصراف ولم يبعث إلى أحد غيره. وقيل له أ لا تبعث إلى حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن سلام فقال لا حاجة لنا فيمن لا حاجة له فينا -رواية- ١-١١٥. فأما أصحابنا فإنهم يذكرون في كتبهم أن هؤلاء الرهط إنما اعتذروا بما اعتذروا به [صفحة ١٠] لماندبهم إلى الشيوخ معه لحرب أصحاب الجمل وأنهم لم يتخلفوا عن البيعة وإنما تخلفوا عن الحرب. وروى شيخنا أبو الحسين رحمه الله تعالى في كتاب الغرر أنهم لما اعتذروا إليه بهذه الأعذار قال لهم ما كل مفتون يعاتب أعندكم شك في بيعتي قالوا لا قال فإذا بايعتم فقد قاتلتم وأعفاهم من حضور الحرب -رواية- ١-٢-رواية- ٦٠-٢٠٩. فإن قيل رويتم أنه قال إن كرهني رجل واحد من الناس لم أدخل في هذا الأمر ثم رويتم أن جماعة من أعيان المسلمين كرهوا ولم يقف مع كراهتهم. قيل إنما مراده ع أنه متى وقع الاختلاف قبل البيعة نفضت يدي عن الأمر ولم أدخل فيه فأما إذا بويع ثم خالف ناس بعد البيعة فلا يجوز له أن يرجع عن الأمر ويتركه لأن الإمامة تثبت بالبيعة وإذا ثبتت لم يجز له تركها. وروى أبو مخنف عن ابن عباس قال لما دخل علي ع المسجد وجاء الناس ليباعوه خفت أن يتكلم بعض أهل الشنثان لعل ع ممن قتل أباه أو أخاه أو ذا قرابته في حياة رسول الله ص فيزهد علي في الأمر ويتركه فكانت أرصد ذلك وأتخوفه فلم يتكلم أحد حتى بايعه الناس كلهم راضين مسلمين غير مكرهين. لما بايع الناس علياً ع وتخلف عبد الله بن عمر وكلمه علي ع في البيعة فامتنع عليه أتاه في اليوم الثاني فقال إني لك ناصح إن بيعتك لم يرض بها كلهم فلو نظرت لدينك ورددت الأمر شورى بين المسلمين فقال علي ع ويحك وهل ما كان عن طلب مني له أ لم يبلغك صنيعهم قم عنى يا أحمق ما أنت وهذا الكلام [صفحة ١١] فلما خرج أتى علياً في اليوم الثالث آت فقال إن ابن عمر قد خرج إلى مكة يفسد الناس عليك فأمر بالبعث في أثره فجاءت أم كلثوم ابنته فسألته وضرعت إليه فيه وقالت يا أمير المؤمنين إنما خرج إلى مكة ليقيم بها وإنه ليس بصاحب سلطان ولا هو من رجال هذا الشأن وطلبت إليه أن يقبل شفاعتها في أمره لأنه ابن بعلها فأجابها وكف عن البعثة إليه وقال دعوه و ماأراده [صفحة ١٢]

٥٤- ومن كلام له ع وقد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفيان

أَمَّا قَوْلُكُمْ أَكْمَلْ ذَلِكَ كَرَاهِيَةَ الْمَوْتِ فَوَاللَّهِ مَا أَبَالِي دَخَلْتُ إِلَى الْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ وَ أَمَّا قَوْلُكُمْ شَكَّا فِي أَهْلِ الشَّامِ فَوَاللَّهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْمًا إِلَّا وَ أَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بِي وَ تَعُشُوْا إِلَيَّ ضَوْئِي فَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَيَّ ضَلَالِيهَا وَ إِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِآثَامِهَا مِنْ رَوَاهُ أ كُلَّ ذَلِكَ بِالنَّصْبِ فَمَفْعُولُ فِعْلٍ مُقَدَّرٌ أَى تَفْعَلُ كُلَّ ذَلِكَ وَ كَرَاهِيَةُ مَنْصُوبٍ لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ وَ مِنْ رَوَاهُ أ كُلَّ ذَلِكَ بِالرَّفْعِ أَجَازَ فِي كَرَاهِيَةِ الرَّفْعِ وَ النَّصْبِ أَمَا الرَّفْعُ فَإِنَّهُ يُجْعَلُ كُلُّ مَبْتَدَأٍ وَ كَرَاهِيَةُ خَبْرِهِ وَ أَمَا النَّصْبُ فَيُجْعَلُهَا مَفْعُولًا لَهُ كَمَا قُلْنَا فِي الرِّوَايَةِ الْأُولَى وَيُجْعَلُ خَبْرَ الْمَبْتَدَأِ مُحذُوفًا وَ تَقْدِيرُهُ أ كُلُّ هَذَا مَفْعُولٌ أَوْ تَفْعَلُهُ كَرَاهِيَةُ لِلْمَوْتِ ثُمَّ أَقْسَمَ إِنَّهُ لَا يَبَالِي أَعْرَضَ هُوَ لِلْمَوْتِ حَتَّى يَمُوتَ أَمْ جَاءَهُ الْمَوْتُ ابْتِدَاءً مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَعَرَّضَ لَهُ . وَعِشَا إِلَى النَّارِ يَعِشُوا اسْتَدَلَّ عَلَيْهَا بِبَصْرِ ضَعِيفٍ قَالَ مَتَى تَأْتَهُ تَعِشُوا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ || تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرَ مَوْقِدٍ . [صَفْحَةٌ ١٣] وَ هَذَا الْكَلَامُ اسْتِعَارَةٌ شَبَّهَ مِنْ عَسَاهُ يَلْحَقُ بِهِ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ بِمَنْ يَعِشُوا لَيْلًا إِلَى النَّارِ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ بَصَائِرَ أَهْلِ الشَّامِ ضَعِيفَةٌ فَهَمَّ مِنَ الْإِهْتِدَاءِ بِهَدَاهِ عَ كَمَنْ يَعِشُوا بِبَصْرِ ضَعِيفٍ إِلَى النَّارِ فِي اللَّيْلِ قَالَ ذَاكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهُمْ عَلَى ضَلَالِهِمْ وَ إِنْ كُنْتُ لَوْ قَتَلْتَهُمْ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ لَبَاءُوا بِآثَامِهِمْ أَى رَجَعُوا قَالَ سُبْحَانَ إِنْئِي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَ إِثْمِكَ أَى تَرْجِعْ - قرآن- ٣٠٦-٣٥٢

من أخبار يوم صفين

لماملك أمير المؤمنين ع الماء بصفين ثم سمح لأهل الشام بالمشاركة فيه والمساهمة رجاء أن يعطفوا إليه واستماله لقلوبهم وإظهارا للمعدلة وحسن السيرة فيهم مكث أياما لا يرسل إلى معاوية ولا يأتيه من عند معاوية أحد واستبطن أهل العراق إذنه لهم في القتال وقالوا يا أمير المؤمنين خلفنا ذرارينا ونساءنا بالكوفة وجئنا إلى أطراف الشام لتتخذها وطننا ائذن لنا في القتال فإن الناس قد قالوا قال لهم ع ما قالوا فقال منهم قائل إن الناس يظنون أنك تكره الحرب كراهية للموت وإن من الناس من يظن أنك في شك من قتال أهل الشام فقال ع ومتى كنت كارها للحرب قط إن من العجب حبي لها غلاما ويفعا وكراهيتي لها شيئا بعد نفاد العمر وقرب الوقت وأما شكي في القوم فلو شككت فيهم لشككت في أهل البصرة والله لقد ضربت هذا الأمر ظهرا وبطنا فما وجدت يسعني إلا القتال أو أن أعصى الله ورسوله ولكني أستأني بالقوم عسى أن يهتدوا أو تهتدي منهم طائفة فإن -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-إداهه دارد [صفحة ١٤] رسول الله ص قال لي يوم خيبر لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس -رواية- از قبل ٩٦ قال نصر بن مزاحم حدثنا محمد بن عبيد الله عن الجرجاني قال فبعث علي ع إلى معاوية بشير بن عمرو بن محسن الأنصاري وسعيد بن قيس الهمداني وشبث بن الربيعي التميمي فقال اتوا هذا الرجل فادعوه إلى الله عز وجل وإلى الطاعة والجماعة وإلى اتباع أمر الله سبحانه فقال له شبث يا أمير المؤمنين ألا تظن في سلطان توليه إياه ومنزلة يكون له بها أثره عندك إن هو بايعك فقال اتوه الآين والقوه واحتجوا عليه وانظروا ما رأيته في هذا. فأتوه فدخلوا عليه فحمد أبو عمرو بن محسن الله وأثنى عليه وقال أما بعد يا معاوية فإن الدنيا عنك زائلة وإنك راجع إلى الآخرة وإن الله مجازيك بعملك ومحاسبك بما قدمت يداك وإنني أنشدك الله ألا تفرق جماعة هذه الأمة وألا تسفك دماءها بينها فقطع معاوية عليه الكلام وقال فهلا أوصيت صاحبك فقال سبحان الله إن صاحبني لا يوصي إن صاحبني ليس مثلك صاحبني أحق الناس بهذا الأمر في الفضل والدين والسابقة في الإسلام والقراية من الرسول قال معاوية فتقول ماذا قال أدعوك إلى تقوى ربك وإجابة ابن عمك إلى ما يدعوك إليه من الحق فإنه أسلم لك في دينك وخير لك في عاقبة أمرك قال ويطل دم عثمان لا والرحمن لأفعل ذلك أبدا. [صفحة ١٥] فذهب سعيد بن قيس يتكلم فبدره شبث بن الربيعي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا معاوية قد فهمت ما رددت علي ابن محسن إنه لا يخفى علينا ما تقرر وما تطلب إنك لا تجد شيئا تستغوي به الناس ولا شيئا تستميل به

أهواءهم وتستخلص به طاعتهم إلا- أن قلت لهم قتل إمامكم مظلوما فهلوموا نطلب بدمه فاستجاب لك سفهاء طغام رذال و قدعلمنا أنك أبطأت عنه بالنصر وأحببت له القتل لهذه المنزلة التي تطلب ورب مبتغ أمرا وطالب له يحول الله دونه وربما أوتى الممتنى أمنيته وربما لم يؤتها و والله ما لك في واحدة منهما خير و الله لئن أخطأك ماترجو أنك لشر العرب حالا ولئن أصبت ماتمنا لا تصيبه حتى تستحق صلى النار فاتق الله يامعاوية ودع ما أنت عليه و لاتنازع الأمر أهله. فحمد معاوية الله وأثنى عليه و قال أما بعد فإن أول ما عرفت به سفهك وخفة حلمك قطعك على هذا الحبيب الشريف سيد قومه منطقه ثم عتبت بعد فيما لا يعلم لك به ولقد كذبت ولؤمت أيها الأعرابي الجلف الجافي في كل ما وصفت و ذكرت انصرفوا من عندي فإنه ليس بيني وبينكم إلا السيف . وغضب فخرج القوم وشبث يقول أعلننا تهول بالسيف أما و الله لنجعلنه إليك فأتوا عليا ع فأخبروه بالذي كان من قوله و ذلك في شهر ربيع الآخر. قال نصر وخرج قراء أهل العراق وقراء أهل الشام فعسكروا ناحية صفيين ثلاثين ألفا. [صفحة ١٦] قال وعسكر على ع على الماء وعسكر معاوية فوقه على الماء أيضا ومشت القراء فيما بين على ع ومعاوية منهم عبدة السلماني وعلقمة بن قيس النخعي و عبد الله بن عتبة وعامر بن عبد القيس و قد كان في بعض تلك السواحل فانصرف إلى عسكروا على ع فدخلوا على معاوية فقالوا يامعاوية ما الذي تطلب قال أطلب بدم عثمان قالوا ممن تطلب بدم عثمان قال أطلبه من على قالوا و على قتله قال نعم هو قتله و آوى قتلته فانصرفوا من عنده فدخلوا على على ع فقالوا إن معاوية يزعم أنك قتلت عثمان قال اللهم لكذب فيما قال لم أقتله. فرجعوا إلى معاوية فأخبروه فقال لهم إنه إن لم يكن قتله بيده فقد أمر ومالاً فرجعوا إلى على فقالوا إن معاوية يزعم أنك إن لم تكن قلت بيديك فقد أمرت ومالاً على قتل عثمان فقال اللهم لكذب فيما قال فرجعوا إلى معاوية فقالوا إن عليا يزعم أنه لم يفعل فقال معاوية إن كان صادقا فليقدنا من قتله عثمان فإنهم في عسكره وجنده وأصحابه وعضده فرجعوا إلى على ع فقالوا إن معاوية يقول لك إن كنت صادقا فادفع إلينا قتله عثمان أو مكننا منهم فقال لهم إن القوم تأولوا عليه القرآن ووقعت الفرقة فقتلوه في سلطانه و ليس على ضربهم قود فخصم على معاوية. قلت على ضربهم هاهنا على مثلهم يقال زيد ضرب عمرو و من ضربه أي مثله و من صنفه و لا أدري لم عدل ع عن الحجته بما هو أوضح من هذا الكلام و هو أن يقول إن الذين باشروا قتله بأيديهم كانوا اثنين وهما قتيبة بن وهب وسودان بن حمران وكلاهما قتل يوم الدار قتلها عبيد عثمان والباقون الذين هم جندي وعضدي [صفحة ١٧] كما تزعمون لم يقتلوا بأيديهم وإنما أغروا به وحصره وأجلبوا عليه وهجموا على داره كمحمد بن أبي بكر والأشتر وعمرو بن الحمق وغيرهم و ليس على مثل هؤلاء قود. قال نصر فقال لهم معاوية إن كان الأمر كما تزعمون فلم ابتز الأمر دوننا على غير مشورة منا و لا ممن هاهنا معنا فقال على ع إن الناس تبع المهاجرين والأنصار وهم شهود للمسلمين في البلاد على ولاتهم وأمراء دينهم فرضوا بي وبايعوني ولست أستحل أن أدع ضرب معاوية يحكم بيده على الأمة ويركبهم ويشق عصاهم. فرجعوا إلى معاوية فأخبروه بذلك فقال ليس كما يقول فما بال من هاهنا من المهاجرين والأنصار لم يدخلوا في هذا الأمر ويؤامروا فيه. فانصرفوا إلى على ع فأخبروه بقوله فقال ويحكم هذا اللبديين دون الصحابة ليس في الأرض بدرى إلا و قد بايعني و هو معي أو قد قام ورضى فلا يغرنكم معاوية من أنفسكم ودينكم . قال نصر فتراسلوا بذلك ثلاثة أشهر ربيع الآخر وجماديين وهم مع ذلك يفزعون الفرعة فيما بينهما فيزحف بعضهم إلى بعض وتحجز القراء بينهم . قال فرعوا في ثلاثة أشهر خمسا وثمانين فرعة كل فرعة يزحف بعضهم إلى بعض وتحجز القراء بينهم لا يكون بينهم قتال . قال نصر وخرج أبو أمامة الباهلي و أبو الدرداء فدخلوا على معاوية وكانا معه فقالا يامعاوية علام تقاتل هذا الرجل فوالله لهو أقدم منك إسلاما وأحق بهذا [صفحة ١٨] الأمر وأقرب من رسول الله ص فعلام تقاتله فقال أقاتله على دم عثمان وإنه آوى قتلته فقولوا له فليقدنا من قتلته و أنا أول من بايعه من أهل الشام. فانطلقوا إلى على ع فأخبروه بقول معاوية فقال إنما يطلب الذين ترون فخرج عشرون ألفا أو أكثر متسربلين الحديد لا يرى منهم إلا الحدق فقالوا كلنا قتله فإن شاءوا فليروموا ذلك منا فرجع

أبوأمامة و أبوالدرداء فلم يشهدا شيئا من القتال . قال نصر حتى إذا كان رجب وخشى معاوية أن يتابع القراء عليا ع أخذ في المكر وأخذ يحتال للقراء لكيما يحجموا ويكفوا حتى ينظروا. قال فكتب في سهم من عبد الله الناصح إنى أخبركم أن معاوية يريد أن يفجر عليكم الفرات فيغرقكم فخذوا حذركم ثم رمى بالسهم فى عسكر على ع فوقع السهم فى يد رجل فقراه ثم أقرأه صاحبه فلما قرأه وقرأته الناس وأقرأه من أقبل وأدبر قالوا هذاأخ لنا ناصح كتب إليكم يخبركم بما أراد معاوية فلم يزل السهم يقرأ ويرتفع حتى رفع إلى على ع و قدبعث معاوية مائتى رجل من العملة إلى عاقول من النهر بأيديهم المرور والزبل يحفرون فيهابحيال عسكر على ع فقال على ع ويحكم إن الذى يعالج معاوية لا يستقيم له و لايقوى عليه إنما يريد أن يزيلكم عن مكانكم فانتهوا عن ذلك فقالوا له لاندعهم و الله يحفرون فقال على ع لا تكونوا ضعفى ويحكم لا تغلبونى على رأى فقالوا و الله لنتحلن فإن شئت فارتحل و إن شئت فأقم فارتحلوا وصعدوا بعسكرهم مليا وارتحل على ع فى أخريات الناس و هو يقول [صفحه ١٩] فلو أنى أطعت عصمت قومي || إلى ركن اليمامة أو شمام ولكنى متى أبرمت أمرا || منيت بخلف آراء الطغام . قال وارتحل معاوية حتى نزل معسكر على ع الذى كان فيه فدعا على ع الأشر فقال ألم تغلبنى على رأى أنت والأشعث فدونكما فقال الأشعث أنا أكفيك يا أمير المؤمنين سأداوى ماأفسدت اليوم من ذلك فجمع كنده فمعهش كنده لا تفضحونى اليوم و لا تخزونى فإنى إنما أقارع بكم أهل الشام فخرجوا معه رجاله يمشون وييده رمح له يلقيه على الأرض و يقول امشوا قيد رمحى هذا يمشون فلم يزل يقيس لهم الأرض برمحه ويمشون معه رجاله حتى لقي معاوية وسط بنى سليم واقفا على الماء و قد جاءه أدانى عسكره فاقتتلوا قتالا شديدا على الماء ساعة وانتهى أوائل أهل العراق فنزلوا وأقبل الأشر فى خيل من أهل العراق فحمل على معاوية والأشعث يحارب فى ناحية أخرى فانحاز معاوية فى بنى سليم فرد وجوه إبله قدر ثلاثة فراسخ ثم نزل ووضع أهل الشام أثقالهم والأشعث يهدر و يقول أرضيتك يا أمير المؤمنين ثم تمثل بقول طرفة بن العبد ففداء لبنى سعد على || ما أصاب الناس من خير و شر ما أقلت قدماى إنهم || نعم الساعون فى الحى الشطر ولقد كنت عليكم عاتبا || فعقبتم بذنوب غيرمر [صفحه ٢٠] كنت فيكم كالمغطى رأسه || فانجلى اليوم قناعى و خمر سادرا أحسب غيبى رشدا || ففناهيت و قد صابت بقر . و قال الأشر يا أمير المؤمنين قد غلب الله لك على الماء فقال على ع أنتما كما قال الشاعر تلاقين قيسا وأشياعه || فيوقد للحرب نارا فنارا أخو الحرب إن لقت بازلا- || سما للعلا وأجل الخطارا . قال نصر فكان كل واحد من على ومعاوية يخرج الرجل الشريف فى جماعة فيقاتل مثله وكانوا يكرهون أن يتراخفوا بجميع الفيلق مخافة الاستئصال والهلاك فاقتل الناس ذا الحجة كله فلما انقضى تداعوا إلى أن يكف بعضهم عن بعض إلى أن ينقضى المحرم لعل الله أن يجرى صلحا أو إجماعا فكف الناس فى المحرم بعضهم عن بعض . قال نصر حدثنا عمر بن سعد عن أبى المجاهد عن المحل بن خليفة قال لما توادعوا فى المحرم اختلفت الرسل فيما بين الرجلين رجاء الصلح فأرسل على ع إلى معاوية عدى بن حاتم الطائى وشبث بن ربعى التميمى ويزيد بن قيس وزياد بن خصفة فلما دخلوا عليه حمد الله تعالى عدى بن حاتم الطائى وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإننا أتيناك لندعوك إلى أمر يجمع الله فيه كلمتنا وأمتنا ويحققن به دماء [صفحه ٢١] المسلمين ندعوك إلى أفضل الناس سابقه وأحسنهم فى الإسلام آثارا و قد اجتمع إليه الناس و قد أروشدهم الله بالذى رأوا وأتوا فلم يبق أحد غيرك و غير من معك فانتة يامعاوية من قبل أن يصيبك الله وأصحابك بمثل يوم الجمل . فقال له معاوية كأنك إنما جئت مهتدا و لم تأت مصلحا هيئات ياعدى إنى لابن حرب مايقعق لى بالشنان أما و الله إنك من المجليين على عثمان وإنك لمن قتلته وإنى لأرجو أن تكون ممن يقتله الله . فقال له شبث بن ربعى وزياد بن خصفة و تنازعا كلاما واحدا أتيناك فيما يصلحنا وإياك فأقبلت تضرب لنا الأمثال دع ما لا ينفع من القول والفعل وأجبنا فيما يعمننا وإياك نفعه . وتكلم يزيد بن قيس الأرحبى فقال إنا لم نأتك إلا لنبلغك ما بعثنا به إليك ولنؤدى عنك ما سمعنا منك و لم ندع أن نصح لك و أن نذكر ما ظننا أن لنا عليك به حجة أو أنه راجع بك إلى الألفة والجماعة إن

صاحبنا من قد عرفت وعرف المسلمون فضله و لاأظنه يخفى عليك إن أهل الدين والفضل لا يعدلونك بعلى و لايميلون بينك وبينه فاتق الله يامعاوية و لاتخالف عليا فإننا و الله مارأينا رجلا قط أعمل بالتقوى و لأزهد فى الدنيا و لأجمع لخصال الخير كلها منه .فحمد الله معاوية و أثنى عليه و قال أما بعد فإنكم دعوتم إلى الجماعة و الطاعة فأما الجماعة التى دعوتم إليها فعنما هى و أما الطاعة لصاحبكم فإننا لانراها إن صاحبكم قتل خليفتنا و فرقتنا و فرقتنا و صاحبكم يزعم أنه لم يقتله فنحن [صفحہ ۲۲] لانرد ذلك عليه أرايتم قتله صاحبنا أستم تعلمون أنهم أصحاب صاحبكم فليدفعهم إلينا فلنقتلهم به ونحن نجيبكم إلى الطاعة و الجماعة. فقال له شيب بن ربيع أيسرك بالله يامعاوية إن أمكنت من عمار بن ياسر فقتلته قال و ما يمنعنى من ذلك و الله لو أمكنتنى صاحبكم من ابن سميئة ماقتلته بعثمان ولكنى كنت أقتله بنائيل مولى عثمان . فقال شيب و إله السماء ما عدلت معدلا و لا- و الذى لا-إله إلا- هو لاتصل إلى قتل ابن ياسر حتى تنذر الهام عن كواهل الرجال و تضيق الأرض الفضاء عليك برحبها. فقال معاوية إنه إذا كان ذلك كانت عليك أضيق . ثم رجح القوم عن معاوية فبعث إلى زياد بن خصفة من بينهم فأدخل عليه فحمد معاوية الله و أثنى عليه ثم قال أما بعد ياأخا ربيعة فإن عليا قطع أرحامنا و قتل إمامنا و آوى قتله صاحبنا و إنى أسألك النصره بأسرتك و عشيرتك و لك على عهد الله و ميثاقه إذا ظهرت أن أوليك أى المصرين أحببت . قال أبوالمجاهد فسمعت زياد بن خصفة يحدث بهذا الحديث . قال فلما قضى معاوية كلامه حمدت الله و أثنت عليه ثم قلت أما بعد فإنى لعلى بينه من ربي و بما أنعم على فلن أكون ظهيرا للمجرمين ثم قمت . فقال معاوية لعمر بن العاص و كان إلى جانبه مالهم غضبهم الله ماقلبهم إلا قلب رجل واحد. قال نصر و حدثنا سليمان بن أبى راشد عن عبدالرحمن بن عبيد أبى الكنود [صفحہ ۲۳] قال بعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهري إلى على بن أبى طالب ع و بعث معه شرحبيل بن السمط و معن بن يزيد بن الأخنس السلمى فدخلوا على على ع فتكلم حبيب بن مسلمة فحمد الله و أثنى عليه و قال أما بعد فإن عثمان بن عفان كان خليفة مهديا يعمل بكتاب الله و يثيب إلى أمر الله فاستسقلت حياته و استبطأتم وفاته فعدوتم عليه فقتلتموه فادفع إلينا قتله عثمان نقتلهم به فإن قلت إنك لم تقتله فاعتزل أمر الناس فيكون أمرهم هذا شورى بينهم يولى الناس أمرهم من أجمع عليه رأيهم . فقال له على و ما أنت لأم لك و الولاية و العزل و الدخول فى هذا الأمر اسكت فإنك لست هناك و لا بأهل لذاك فقام حبيب بن مسلمة و قال أما و الله لترينى حيث تكره فقال له ع و ما أنت و لو أجلبت بخيلك و رجليك اذهب فصوب و سعد ما بدا لك فلا أبقي الله عليك إن أبقيت . فقال شرحبيل بن السمط إن كلمتك فلعمري ما كلامى لك إلا نحو كلام صاحبى فهل لى عندك جواب غير الجواب الذى أجبت به فقال نعم قال فقله فحمد الله على ع و أثنى عليه ثم قال أما بعد فإن الله سبحانه بعث محمدا ص فأنقذ به من الضلالة و نعش به من الهلكة و جمع به بعد الفرقة ثم قبضه الله إليه و قد أدى ما عليه فاستخلف الناس أبا بكر ثم استخلف أبو بكر عمر فأحسننا السيرة و عدلا فى الأمة و وجدنا -رواية- ۱- ۱-ادامه دارد [صفحہ ۲۴] عليهما أن توليا الأمر دوننا و نحن آل الرسول و أحق بالأمر فغفرنا ذلك لهما ثم ولى أمر الناس عثمان فعمل بأشياء عابها الناس عليه فسار إليه ناس فقتلوه ثم أتانى الناس و أنا معتزل أمرهم فقالوا لى بايع فأبيت عليهم فقالوا لى بايع فإن الأمة لاترضى إلا بك و إنا نخاف إن لم تفعل أن يفترق الناس فبايعتهم فلم يرعنى إلا شقاق رجلين قد بايعا و خلافا معاوية إياى الذى لم يجعل الله له سابقة فى الدين و لاسلف صدق فى الإسلام طليق ابن طليق و حزب من الأحزاب لم يزل لله و لرسوله و للمسلمين عدوا هو و أبوه حتى دخلا فى الإسلام كارهين مكرهين فيا عجا لكم و لإجلابكم معه و انقيادكم له و تدعون آل بيت نبيكم الذين لا ينبغي لكم شقاقهم و لا خلافهم و لاتعدلوا بهم أحدا من الناس إنى أدعوكم إلى كتاب ربكم و سنه نبيكم و إمامه الباطل و إحياء معالم الدين أقول قولى هذا و أستغفر الله لنا و لكل مؤمن و مؤمنة و مسلم و مسلمة -رواية- از قبل ۸۳۹ فقال له شرحبيل و معن بن يزيد أتشهد أن عثمان قتل مظلوما فقال لهما إنى لا أقول ذلك قال- فمن لم يشهد أن عثمان قتل مظلوما فنحن برآء منه ثم قاما فانصرفا. فقال على ع إنك لا تسمع الموتى و لا تسمع الصيم

الدعاء إذا ولوا مُدبرينَ وما أنتَ بهادي العمي عن ضالّتهم إن تسمع إلّا من يؤمنُ بآياتنا فهمُ مُسلمونَ ثم أقبل على أصحابه فقال لا يكن هؤلاء في ضالّتهم بأولى بالجد منكم في حقكم وطاعة إمامكم -رواية- ١-٢-رواية- ١٧-٢٩٣ ثم مكث الناس متوادعين إلى انسلاخ المحرم فلما انسلخ المحرم واستقبل الناس صفراً من سنة سبع وثلاثين بعث على ع نفرًا من أصحابه حتى إذا كانوا [صفحة ٢٥] من معسكر معاوية بحيث يسمعونهم الصوت قام مرثد بن الحارث الجشمي فنأدى عند غروب الشمس يا أهل الشام إن أمير المؤمنين عليا وأصحاب رسول الله ص يقولون لكم إنا لم نكف عنكم شكاً في أمركم ولا إبقاء عليكم وإنما كففنا عنكم لخروج المحرم وقد انسلخ وإنا قد نبذنا إليكم على سواء إن الله لا يحب الخائنين . قال فتحاجز الناس وثاروا إلى أمرائهم . قال نصر فأما رواية عمرو بن شمر عن جابر عن أبي الزبير أن نداء مرثد بن الحارث الجشمي كانت صورته يا أهل الشام ألا- إن أمير المؤمنين يقول لكم إني قد استدمتكم واستأنيت بكم لتراجعوا الحق وتثوبوا إليه واحتججت عليكم بكتاب الله ودعوتكم إليه فلم تتناهوا عن طغيان و لم تجيبوا إلى حق وإني قد نبذت إليكم على سواء إن الله لا يحب الخائنين . قال فثار الناس إلى أمرائهم ورؤسائهم . قال نصر وخرج معاوية وعمرو بن العاص يكتبان الكتاب ويعيبان العساكر وأوقدوا النيران وجاءوا بالشموع وبات على ع تلك الليلة كلها يعيب الناس ويكتب الكتاب ويدور في الناس ويحرضهم . قال نصر حدثنا عمر بن سعد بإسناده عن عبد الله بن جندب عن أبيه أن علياً كان يأمرنا في كل موطن لقينا معه عدوه فيقول -رواية- ١-٢-رواية- ٦٩-
ادامه دارد [صفحة ٢٦] لا تقاتلوا القوم حتى يبيدوكم فهي حجة أخرى لكم عليهم فإذا قاتلتموهم فهزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل فإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا سترها ولا تدخلوا داراً إلا بإذن ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلا ما وجدتم في عسكرهم ولا تهيجوا امرأة وإن شتمن أعراضكم وتناولن أمراءكم وصلحاءكم فإنهن ضعاف القوى والأنفس والعقول ولقد كنا وإنا لنؤمر بالكف عنهن وهن مشركات وإن كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالهراوة أو الحديد فيغير به عقبه من بعده -رواية- از قبل- ٥١٣ قال نصر وحدثنا عمر بن سعد عن إسماعيل بن يزيد يعني ابن أبي خالد عن أبي صادق أن علياً عرض الناس في حروبه فقال عباد الله اتقوا الله وعضوا أبصاركم واخفضوا الأصوات وأقلوا الكلام ووطنوا أنفسكم على المنازلة والمجاورة والمبارزة والمعانقة وفأثبثوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون لا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم و اصبروا إن الله مع الصابرين اللهم ألهمهم الصبر وأنزل عليهم النصر وأعظم لهم الأجر -رواية- ١-٢-
رواية- ٨٣-٤٥٧ . قال نصر و كان ترتيب عسكر علي ع بموجب ما رواه لنا عمرو بن شمر عن جابر عن محمد بن علي وزيد بن حسن و محمد بن عبدالمطلب أنه جعل على الخيل عمار بن ياسر و على الرجاله عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي و دفع اللواء [صفحة ٢٧] إلى هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري وجعل على اليمينه الأشعث بن قيس و على اليسرة عبد الله بن العباس وجعل على رجاله اليمينه سليمان بن صرد الخزاعي و على رجاله اليسرة الحارث بن مرة العبدي وجعل القلب مضر الكوفة والبصرة وجعل على ميمنة القلب اليمن و على اليسرة ربيعة و عقد ألوية القبائل فأعطاها قوما منهم بأعيانهم وجعلهم رؤساءهم وأمراءهم وجعل على قريش وأسد وكنانة عبد الله بن عباس و على كندة حجر بن عدى الكندي و على بكر البصرة الحصين بن المنذر الرقاشي و على تميم البصرة الأحنف بن قيس و على خزاعة عمرو بن الحمق و على بكر الكوفة نعيم بن هبيرة و على سعد البصرة وربابها جارية بن قدامة السعدي و على بجيلة رفاعه بن شداد و على ذهل الكوفة رويما الشيباني أو يزيد بن رويم و على عمرو البصرة و حنظلتها أعين بن ضبيعة و على قضاة وطيب عدى بن حاتم الطائي و على لهازم الكوفة عبد الله بن حجل العجلي و على تميم الكوفة عمير بن عطار و على الأزدي واليمن جندب بن زهير و على ذهل البصرة خالد بن المعمر السدوسي و على عمرو الكوفة و حنظلتها شيبث بن ربعي و على همدان سعيد بن قيس و على لهازم البصرة حريث بن جابر الجعفي و على سعد الكوفة وربابها الطفيل أباصريمة و على مذحج الأشر بن الحارث النخعي و على عبد القيس الكوفة صعصعة بن صوحان و على

عبد القيس البصره عمرو بن حنظله و على قيس الكوفه عبد الله بن الطفيل البكائي و على قريش البصره الحارث بن نوفل الهاشمي و على قيس البصره قبيصه بن شداد الهلالي و على الليف من القواصي القاسم بن حنظله الجهني . و أماماويه فاستعمل على الخيل عبيد الله بن عمر بن الخطاب و على الرجاله مسلم بن عقبه المري و جعل على الميمنه عبد الله بن عمرو بن العاص و على الميسره حبيب [صفحه ٢٨] بن مسلمه الفهري و أعطى اللواء عبدالرحمن بن خالد بن الوليد و جعل على أهل دمشق وهم القلب الضحاك بن قيس الفهري و على أهل حمص وهم الميمنه ذا الكلاع الحميري و على أهل قنسرين وهم فى الميمنه أيضا زفر بن الحارث الكلابي و على أهل الأردن وهم الميسره سفيان بن عمرو أبالأعور السلمى و على أهل فلسطين وهم فى الميسره أيضا مسلمه بن مخلد و على رجاله أهل دمشق بسر بن أبى أرطاة العامري بن لوى بن غالب و على رجاله أهل حمص حوشبا ذا ظليم و على رجاله قيس طريف بن حابس الألهاني و على رجاله الأردن عبدالرحمن بن قيس القيني و على رجاله أهل فلسطين الحارث بن خالد الأزدي و على رجاله قيس دمشق همام بن قبيصه و على قضاة حمص وإيادها بلال بن أبى هبيرة الأزدي وحاتم بن المعتمر الباهلي و على رجاله الميمنه حابس بن سعيد الطائي و على قضاة دمشق حسان بن بحدل الكلبي و على قضاة عباد بن يزيد الكلبي و على كنده دمشق حسان بن حوى السكسكي و على كنده حمص يزيد بن هبيرة السكوني و على سائر اليمن يزيد بن أسد البجلي و على حمير وحضرموت اليمان بن غفير و على قضاة الأردن حبيش بن دلجه القيني و على كنانة فلسطين شريكا الكناني و على مذحج الأردن المخارق بن الحارث الزبيدي و على جذام فلسطين ولخما نائل بن قيس الجذامي و على همدان الأردن حمزه بن مالك الهمداني و على الخثعم حمل بن عبد الله الخثعمي و على غسان الأردن يزيد بن الحارث و على جميع القواصي القعقاع بن أبرهه الكلاعي أصيب فى المبارزة أول يوم تراءت فيه الفتان . قال نصر فأما رواية الشعبي التى رواها عنه إسماعيل بن أبى عميره فإن عليا [صفحه ٢٩] ع بعث على ميمنته عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي و على ميسرته عبد الله بن العباس و على خيل الكوفه الأشتر و على البصره سهل بن حنيف و على الكوفه عمار بن ياسر و على رجاله أهل البصره قيس بن سعد كان قد أقبل من مصر إلى صفين و جعل معه هاشم بن عقبه و جعل مسعود بن فدكى التميمي على قراء أهل البصره و أمراء أهل الكوفه فصاروا إلى عبد الله بن بديل و عمار بن ياسر . قال نصر و أما ترتيب عسكر الشام فيما رواه لنا عمر بن سعد عن عبدالرحمن بن يزيد بن جابر عن القاسم مولى يزيد بن معاويه فإن معاويه بعث على ميمنته ذا الكلاع و على ميسرته حبيب بن مسلمه الفهري و على مقدمته من يوم أقبل من دمشق أبالأعور السلمى و كان على خيل دمشق كلها عمرو بن العاص و معه خيول أهل الشام بأسرها و جعل مسلم بن عقبه المري على رجاله دمشق والضحاك بن قيس على سائر الرجاله بعد . قال نصر و تباع رجال من أهل الشام على الموت و تحالفوا عليه و عقولوا أنفسهم بالعمائم و كانوا صفوفًا خمسه معقلين كانوا يخرجون فيصطفون أحد عشر صفاً و يخرج أهل العراق فيصطفون أحد عشر صفاً أيضا . قال نصر فخرجوا أول يوم من صفر من سنه سبع و ثلاثين و هو يوم الأربعاء فاقتتلوا و على من خرج يومئذ من أهل الكوفه الأشتر و على أهل الشام حبيب بن مسلمه [صفحه ٣٠] فاقتتلوا قتالا شديداً جل النهار ثم تراجعوا و قد انتصف بعضهم من بعض ثم خرج فى اليوم الثانى هاشم بن عقبه فى خيل و رجال حسن عددها و وعدتها فخرج إليه من أهل الشام أبوالأعور السلمى فاقتتلوا يومهم ذلك تحمل الخيل على الخيل و الرجال على الرجال . ثم انصرفوا و قد صبر القوم بعضهم لبعض و خرج فى اليوم الثالث عمار بن ياسر و خرج إليه عمرو بن العاص فاقتتل الناس كأشد قتال كان و جعل عمار يقول يا أهل الشام أتريدون أن تنظروا إلى من عادى الله و رسوله وجاهدهما و بغى على المسلمين و ظاهر المشركين فلما أراد الله أن يظهر دينه و ينصر رسوله أتى إلى النبى ص فأسلم و هو و الله فيما يرى راهب غير راغب ثم قبض الله رسوله و إنا و الله لنعرفه بعداوة المسلم و مودة المجرم ألا و إنه معاويه فقاتلوه و العنوه فإنه ممن يطفى نور الله و يظاهر أعداء الله . قال و كان مع عمار زياد بن النضر على الخيل فأمره أن يحمل فى الخيل فحمل فصبروا له

و شد عمار في الرجاله فأزال عمرو بن العاص عن موقفه وبارز يومئذ زياد بن النضر أخاه من بني عامر يعرف بمعاوية بن عمرو العقيلي وأمهما هند الزبيديّة فانصرف كل واحد منهما عن صاحبه بعد المبارزة سالما ورجع الناس يومهم ذلك . قال نصر وحدثني أبو عبدالرحمن المسعودي قال حدثني يونس بن الأرقم عن حدثه من شيوخ بكر بن وائل قال كنا مع علي ع بصفين فرجع عمرو بن العاص شقّه خميصه سوداء في رأس رمح فقال ناس هذا لواء عقده له رسول الله ص فلم يزلوا يتحدثون حتى وصل ذلك إلى علي ع فقال -رواية- 1-2-رواية- 110-ادامه دارد [صفحه 31] أتدرون ما أمر هذا اللواء إن عدو الله عمرا أخرج له رسول الله ص هذه الشقّه فقال من يأخذها بما فيها فقال عمرو و ما فيها يا رسول الله قال فيها ألا تقاتل بهما مسلما و لا تقربها من كافر فأخذها فقد و الله قريبا من المشركين وقاتل بها اليوم المسلمين و الذي فلق الحبة و برأ النسمة ما أسلموا ولكنهم استسلموا وأسروا الكفر فلما وجدوا عليه أعوانا أظهروه -رواية- از قبل -351 وروى نصر عن أبي عبدالرحمن المسعودي عن يونس بن الأرقم عن عوف بن عبد الله عن عمرو بن هند البجلي عن أبيه قال لما نظر علي ع إلى رايات معاوية و أهل الشام قال و الذي فلق الحبة و برأ النسمة ما أسلموا ولكن استسلموا وأسروا الكفر فلما وجدوا عليه أعوانا رجعوا إلى عداوتهم لنا إلا أنهم لم يتركوا الصلاة -رواية- 1-2-رواية- 123-314 وروى نصر عن عبدالعزیز بن سياه عن حبيب بن أبي ثابت قال لما كان قتال صفين قال رجل لعمار يا أبا اليقظان أ لم يقل رسول الله ص قاتلوا الناس حتى يسلموا فإذا أسلموا عصموا مني دماءهم وأموالهم قال بلى ولكن و الله ما أسلموا ولكن استسلموا وأسروا الكفر حتى وجدوا عليه أعوانا -رواية- 1-2-رواية- 64-286 . وروى نصر عن عبدالعزیز عن حبيب بن أبي ثابت عن منذر الثوري قال قال محمد بن الحنفية لما أتاهم رسول الله ص من أعلى الوادي و من أسفله [صفحه 32] وملا الأودية كتائب يعني يوم فتح مكة استسلموا حتى وجدوا أعوانا. وروى نصر عن الحكم بن ظهير عن إسماعيل عن الحسن قال و حدثنا الحكم أيضا عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ص إذا رأيت معاوية بن أبي سفيان يخطب على منبري فاضربوا عنقه -رواية- 1-2-رواية- 165-229 فقال الحسن فو الله ما فعلوا و لا أفعلوا [صفحه 33]

٥٥- و من كلام له ع

اشاره

و لقد كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَ أَبْنَاءَنَا وَ إِخْوَانَنَا وَ أَعْمَامَنَا مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيمَانًا وَ تَسْلِيمًا وَ مُضِيًّا عَلَى اللَّقْمِ وَ صَبْرًا عَلَى مَضِّضِ الْأَلْمِ وَ جِدًّا فِي جِهَادِ الْعِدُوِّ وَ لَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَ الْآخَرُ مِنْ عَدُوِّنَا يَتَصَاوَلَانِ تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ الْمُنُونِ فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا وَ مَرَّةً لِعَدُوِّنَا مِنَّا فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بَعْدُونَا الْكَبْتَ وَ أَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ حَتَّى اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ مُلْقِيًا جِرَانَهُ وَ مُتَّبِعًا أَوْطَانَهُ وَ لَعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ وَ لَأَخْضَرَ لِلْإِيمَانِ عُودٌ وَ أَيْمَ اللَّهُ لَتَحْتَلِبُنَّهَا دَمًا وَ لَتَسْبِعُنَّهَا نَدْمًا لَقَمِ الطَّرِيقِ الْجَادَةَ الْوَاضِحَةَ مِنْهَا وَالْمَضْضَ لِدَعِ الْأَلْمِ وَ بَرِحَاؤُهُ وَ التَّصَاوُلَ أَنْ يَحْمَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْقَرْنَيْنِ عَلَى صَاحِبِهِ وَ التَّخَالَسَ التَّسَالِبَ وَ الْإِتْتِهَابَ وَ الْكَبْتَ الْإِذْلَالَ وَ جِرَانَ الْبَعِيرِ مَقْدَمَ عُنُقِهِ وَ تَبَوَّاتِ الْمَنْزِلِ نَزْلَتَهُ وَ يُقَالُ لِمَنْ أَسْرَفَ فِي الْأَمْرِ لَتَحْتَلِبَنَّ دَمًا وَ أَصْلُهُ النَّاقَةُ يَفْرَطُ فِي حَلْبِهَا فَيَحْلِبُ الْحَالِبُ الدَّمَ . [صفحه 34] و هذه ألفاظ مجازية من باب الاستعارة وهي . قوله استقر الإسلام ملقيا جرانه أي ثابتا متمكنا كالبعير يلقي جرانه على الأرض . و قوله متبوعا أوطانه جعله كالجسم المستقر في وطنه ومكانه . و قوله ما قام للدين عمود جعله كالبيت القائم على العمود . و قوله ولا اخضر للإيمان عود

جعله كالشجرة ذات الفروع والأغصان. فأما قتلهم الأقارب في ذات الله فكثير قتل على ع الجم الغفير من بنى عبدمناف وبنى عبدالدار في يوم بدر وأحد وهم عشيرته وبنو عمه وقتل عمر بن الخطاب يوم بدر خاله العاص بن هشام بن المغيرة وقتل حمزة بن عبدالمطلب شبيه بن ربيعة يوم بدر وهو ابن عمه لأنهما ابنا عبدمناف ومثل ذلك كثير مذكور في كتب السيرة. و أما كون الرجل منهم وقرنه يتصاولان ويتخالسان فإن الحال كذلك كانت بارز على ع الوليد بن عتبة وبارز طلحة بن أبي طلحة وبارز عمرو بن عبدود وقتل هؤلاء الأقران مبارزة وبارز كثيرا من الأبطال غيرهم وقتلهم وبارز جماعة من شجعان الصحابة جماعة من المشركين فمنهم من قتل ومنهم من قتل وكتب المغازي تتضمن تفصيل ذلك

فتنة عبد الله بن الحضرمي بالبصرة

وهذا الكلام قاله أمير المؤمنين ع في قصة ابن الحضرمي حيث قدم البصرة من قبل معاوية واستنهض أمير المؤمنين ع أصحابه إلى البصرة فتقاعدوا. قال أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال الثقفي في كتاب الغارات [صفحة ٣٥] حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا الحسن بن علي الزعفراني عن محمد بن عبد الله بن عثمان عن ابن أبي سيف عن يزيد بن حارثة الأزدي عن عمرو بن محسن أن معاوية لما أصاب محمد بن أبي بكر بمصر وظهر عليها دعا عبد الله بن عامر الحضرمي فقال له سر إلى البصرة فإن جل أهلها يرون رأينا في عثمان ويعظمون قتله وقد قتلوا في الطلب بدمه فهم موتورون حقون لما أصابهم ودوا لويجدون من يدعوهم ويجمعهم وينهض بهم في الطلب بدم عثمان واحذر ربيعة وانزل في مضر وتودد الأزدي فإن الأزدي كلها معك إلا قليلا منهم وإنهم إن شاء الله غير مخالفيك . فقال عبد الله بن الحضرمي له إنا سهم في كنانتك وأنا من قد جريت وعدو أهل حربك وظهيرك على قتلة عثمان فوجهني إليهم متى شئت فقال اخرج غدا إن شاء الله فودعه وخرج من عنده . فلما كان الليل جلس معاوية وأصحابه يتحدثون فقال لهم معاوية في أي منزل ينزل القمر الليلة فقالوا بسعد الذابح فكره معاوية ذلك وأرسل إليه ألا تبرح حتى يأتيك أمرى فأقام . ورأى معاوية أن يكتب إلى عمرو بن العاص وهو يومئذ بمصر عامله عليها يستطلع رأيه في ذلك فكتب إليه وقد كان تسمى بإمرة المؤمنين بعد يوم صفين و بعد تحكيم الحكيم من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص سلام عليك أما بعد فإني قد رأيت رأيا هممت بأمضائه ولم يخذلني عنه [صفحة ٣٦] إلا استطلاع رأيك فإن توافقني أحمد الله وأمضه وإن تخالفني فإني أستخير الله وأستهديه إنني نظرت في أمر أهل البصرة فوجدت معظم أهلها لنا ولعلى وشيعته عدوا وقد أوقع بهم على الوقعة التي علمت فأحقاد تلك الدماء ثابتة في صدورهم لا تبرح ولا تريم وقد علمت أن قتلنا ابن أبي بكر ووقعنا بأهل مصر قد أطفأت نيران أصحاب على في الآفاق ورفعت رءوس أشياعنا أينما كانوا من البلاد وقد بلغ من كان بالبصرة على مثل رأينا من ذلك ما بلغ الناس وليس أحد ممن يرى رأينا أكثر عددا ولا أضر خلافا على على من أولئك فقد رأيت أن أبعث إليهم عبد الله بن عامر الحضرمي فينزله في مضر ويتودد الأزدي ويحذر ربيعة ويتبغى دم ابن عفان ويذكرهم وقعة على بهم التي أهلكت صالحى إخوانهم وآبائهم وأبنائهم فقد رجوت عند ذلك أن يفسد على على وشيعته ذلك الفرج من الأرض ومتى يؤتوا من خلفهم وأمامهم يضل سعيهم ويبطل كيدهم فهذا رأيي فما رأيك فلا تحبس رسولى إلا قدر مضى الساعة التي ينتظر فيها جواب كتابي هذا أرشدنا الله وإياك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . فكتب عمرو بن العاص إلى معاوية . أما بعد فقد بلغنى رسولك وكتابك فقرأته وفهمت رأيك الذى رأيت ففجبت له وقلت إن الذى ألقاه فى روعك وجعله فى نفسك هو التأثير بآبى عفان والطالب بدمه وإنه لم يك منك ولا منا منذ نهضنا فى هذه الحروب وبأدينا أهلها ولا رأى الناس رأيا أضر على عدوك ولا أسر لوليك من هذا الأمر الذى ألهمته فامض رأيك مسددا فقد وجهت الصليب

الأريب الناصح غيرالظنين و السلام . [صفحہ ۳۷] فلما جاءه كتاب عمرو دعا ابن الحضرمي و قد كان ظن حين تركه معاوية أياما لا يأمره بالشخص أن معاوية قد رجع عن إشخاصه إلى ذلك الوجه فقال يا ابن الحضرمي سر على بركة الله إلى أهل البصرة فانزل في مضر واحذر ربيعه وتودد الأزدي وانع ابن عفان وذكرهم الوقعة التي أهلكتهم و من لمن سمع وأطاع دنيا لا تفنى وأثره لا يفقدها حتى يفقدنا أو نفقده . فودعه ثم خرج من عنده و قد دفع إليه كتابا وأمره إذا قدم أن يقرأه على الناس . قال عمرو بن محسن ف كنت معه حين خرج فلما خرجنا سرنا ما شاء الله أن نسير فسمح لنا طيبي أعضب عن شمائلنا فنظرت إليه فو الله لرأيت الكراهية في وجهه ثم مضينا حتى نزلنا البصرة في بني تميم فسمع بقدمونا أهل البصرة فجاءنا كل من يرى رأى عثمان فاجتمع إلينا رؤوس أهلها فحمد الله ابن الحضرمي وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس فإن إمامكم إمام الهدى عثمان بن عفان قتله على بن أبي طالب ظلما فطلبتم بدمه وقاتلتم من قتله فجزاكم الله من أهل مصر خيرا و قد أصيب منكم الملاء الأخيار و قد جاءكم الله بإخوان لكم لهم بأس يتقى و عدد لا يحصى فلقوا عدوكم الذين قتلوكم فبلغوا الغاية التي أرادوا صابرين ورجعوا و قد نالوا ما طلبوا فمألوهم وساعدوهم و تذكروا ثاركم لتشرفوا صدوركم من عدوكم . فقام إليه الضحاک بن عبد الله الهلالي فقال قبح الله ما جئنا به و مادعوتنا إليه جئنا و الله بمثل ما جاء به صاحبك طلحة و الزبير أتينا و قد بايعنا عليا واجتمعنا له فكلمتنا واحدة و نحن على سبيل مستقيم فدعوانا إلى الفرقة وقاما فينا بزخرف القول حتى ضربنا بعضنا بعضا عدوانا وظلما فاقتلنا على ذلك وإيم الله ما سلمنا من عظيم وبال [صفحہ ۳۸] ذلك ونحن الآن مجمعون على بيعه هذا العبد الصالح الذي أقال العثرة وعفا عن المسيء وأخذ بيعه غائبا وشاهدنا أفتأمرنا الآن أن نختلع أسيفنا من أغمادها ثم يضرب بعضنا بعضا ليكون معاوية أميرا وتكون له وزيراً ونعدل بهذا الأمر عن علي و الله ليوم من أيام علي مع رسول الله ص خير من بلاء معاوية وآل معاوية لوبقوا في الدنيا ما الدنيا باقية . فقام عبد الله بن خازم السلمى فقال للضحاک اسكت فلست بأهل أن تتكلم في أمر العامة ثم أقبل على ابن الحضرمي فقال نحن يدك وأنصارك والقول ما قلت و قد فهمنا عنك فادعنا أنى شئت فقال الضحاک لابن خازم يا ابن السوداء و الله لا يعز من نصرت و لا يذل بخذلانك من خذلت فتشأتنا . قال صاحب كتاب الغارات والضحاک هذا هو الذي يقول يا أيها السائل عن نسبي || بين ثقيف وهلال من نصبي أمي أسماء وضحاک أبي . قال و هو القائل في بني العباس ما ولدت من ناقة لفحل || في جبل نعلمه وسهل كستة من بطن أم الفضل || أكرم بها من كهلة وكهل عم النبي المصطفى ذى الفضل || وخاتم الأنبياء بعد الرسل . قال فقام عبدالرحمن بن عمير بن عثمان القرشى ثم التيمي فقال عباد الله إنا لم ندعكم إلى الاختلاف والفرقة و لانريد أن تقتلوا و لاتتنازروا ولكننا إنما ندعوكم إلى أن تجمعوا كلمتكم وتوازروا إخوانكم الذين هم على رأيكم و أن تلموا شعثكم [صفحہ ۳۹] وتصلحوا ذات بينكم فمهلا مهلا رحمكم الله استمعوا لهذا الكتاب وأطيعوا الذي يقرأ عليكم . ففصوا كتاب معاوية و إذا فيه من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى من قرئ كتاب هذا عليه من المؤمنين والمسلمين من أهل البصرة . سلام عليكم أما بعد فإن سفك الدماء بغير حلها وقتل النفوس التي حرم الله قتلها هلاك موبق وخسران مبین لا يقبل الله ممن سفكها صرفا ولا عدلا و قدرأيتم رحمكم الله آثار ابن عفان وسيرته و حبه للعافية ومعدلته وسده للشغور وإعطاءه في الحقوق وإنصافه للمظلوم و حبه للضعيف حتى توثب عليه المتوثبون وتظاهر عليه الظالمون فقتلوه مسلما محرما ظلما صائما لم يسفك فيهم دما و لم يقتل منهم أحدا و لا يطلبونه بضربة سيف و لا سوط وإنما ندعوكم أيها المسلمون إلى الطلب بدمه و إلى قتال من قتله فإنا وإياكم على أمر هدى واضح وسبيل مستقيم إنكم إن جامعتمونا طفئت النائرة واجتمعت الكلمة واستقام أمر هذه الأمة وأقر الظالمون المتوثبون الذين قتلوا إمامهم بغير حق فأخذوا بجرائهم و ما قدمت أيديهم إن لكم أن تعمل فيكم بالكتاب و أن أعطيتكم في السنة عطاءين و لا أحتمل فضلا من فينكم عنكم أبدا . فسارعوا إلى ما تدعون إليه رحمكم الله و قد بعثت إليكم رجلا من الصالحين كان من أمناء خليفتم المظلوم ابن عفان وعماله وأعوانه على الهدى والحق جعلنا الله وإياكم ممن يجيب إلى

الحق ويعرفه وينكر الباطل ويجحده و السلام عليكم ورحمة الله . قال فلما قرئ عليهم الكتاب قال معظمهم سمعنا وأطعنا. قال وروى محمد بن عبد الله بن عثمان بن علي عن أبي زهير عن أبي منقر الشيباني قال قال الأحنف لما قرئ عليهم كتاب معاوية أما أنا فلاناقة لي في هذا ولا جمل وأعتزل أمرهم ذلك . [صفحہ ۴۰] وقال عمرو بن مرجوم من عبد القيس أيها الناس الزموا طاعتكم ولا تنكثوا بيعتكم فتقع بكم واقعة وتصيبكم قارعة ولا يكن بعدها لكم بقیة إلا إني قد نصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين . قال ابراهيم بن هلال وروى محمد بن عبد الله عن ابن أبي سيف عن الأسود بن قيس عن ثعلبة بن عباد أن الذي كان سدد لمعاوية رأيه في تسريح ابن الحضرمي كتاب كتبه إليه عباس بن ضحاک العبدی و هو ممن كان يرى رأى عثمان ويخالف قومه في حبهم عليا ع ونصرتهم إياه و كان الكتاب . أما بعد فقد بلغنا وقعتك بأهل مصر الذين بغوا على إمامهم وقتلوا خليفتهم طمعا وبغيا فقرت بذلك العيون وشفيت بذلك النفوس وبردت أفئدة أقوام كانوا لقتل عثمان كارهين ولعدوه مفارقين ولكم موالين وبك راضين فإن رأيت أن تبعث إلينا أميرا طيبا ذكيا ذا عفاف ودين إلى الطلب بدم عثمان فعلت فإني لا إخال الناس إلا مجمعين عليك و إن ابن عباس غائب عن مصر و السلام . قال فلما قرأ معاوية كتابه قال لا عزم رأيا سوى ما كتبت به إلى هذا وكتب إليه جوابه . أما بعد فقد قرأت كتابك فعرفت نصيحتك وقبلت مشورتك رحمك الله وسددك اثبت هداك الله على رأيك الرشيد فكأنك بالرجل الذي سألت قاداتك وكأنك بالجيش قد أطل عليك فسررت وحييت و السلام . قال ابراهيم وحدثنا محمد بن عبد الله قال حدثني علي بن أبي سيف عن أبي زهير [صفحہ ۴۱] قال لما نزل ابن الحضرمي في بني تميم أرسل إلى الرءوس فأتوه فقال لهم أجيئوني إلى الحق وانصروني على هذا الأمر. قال و إن الأمير بالبصرة يومئذ زياد بن عبيد قداستخلفه عبد الله بن عباس و قدم على علي ع إلى الكوفة يعزیه عن محمد بن أبي بكر قال فقام إليه ابن ضحاک فقال إی و الذي له أسعى وإياه أخشى لنصرتك بأسيا فإنا وأيدينا. وقام المثنى بن مخزوم العبدی فقال لا و الذي لا إله إلا هؤلئ لم ترجع إلى مكانك الذي أقبلت منه لنجاهدك بأسيا فإنا وأيدينا ونبالنا وأسنة رماحنا نحن ندع ابن عم رسول الله ص وسيد المسلمين وندخل في طاعة حزب من الأحزاب طاغ و الله لا يكون ذلك أبدا حتى نسير كتيبة ونفلق السيوف بالهام . فأقبل ابن الحضرمي على صبرة بن شيمان الأزدي فقال يا صبرة أنت رأس قومك وعظيم من عظماء العرب وأحد الطلبة بدم عثمان رأينا رأيك ورأيك رأينا وبلاء القوم عندك في نفسك وعشيرتك ما قد ذقت ورأيت فانصرتني وكن من دوني فقال له إن أنت أتيتني فنزلت في داري نصرتك ومنعتك فقال إن أمير المؤمنين معاوية أمرني أن أنزل في قومه من مضر فقال اتبع ما أمرك به . وانصرف من عنده وأقبل الناس إلى ابن الحضرمي وكثر تبعه ففرغ لذلك زياد وهاله و هو في دار الإمارة فبعث إلى الحضين بن المنذر ومالك بن مسمع فدعاهما فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإنكم أنصار أمير المؤمنين وشيعته وثقته و قد جاءكم هذا الرجل بما قد بلغكم فأجروني حتى يأتيني أمر أمير المؤمنين ورأيه . فأما مالك بن مسمع فقال هذا أمر فيه نظر أرجع إلى من ورائي وأنظر وأستشير في ذلك . و أما الحضين بن المنذر فقال نعم نحن فاعلون ولن نخذلك ولن نسلمك . [صفحہ ۴۲] فلم ير زياد من القوم ما يطمئن إليه فبعث إلى صبرة بن شيمان الأزدي فقال يا ابن شيمان أنت سيد قومك وأحد عظماء هذا المصر فإن يكن فيه أحد هو أعظم أهله فأنت ذاك أفلا تجيرني وتمنعني وتمنع بيت مال المسلمين فإنما أنا أمين عليه فقال بلى إن تحملت حتى تنزل في داري منعتك فقال إني فاعل . فارتحل ليلا حتى نزل دار صبرة بن شيمان وكتب إلى عبد الله بن عباس و لم يكن معاوية ادعى زيادا بعد لأنه إنما ادعاه بعد وفاة علي ع . للأمر عبد الله بن عباس من زياد بن عبيد . سلام عليك أما بعد فإن عبد الله بن عامر بن الحضرمي أقبل من قبل معاوية حتى نزل في بني تميم ونعى ابن عفان ودعا إلى حرب فبايعه جل أهل البصرة فلما رأيت ذلك استجرت بالأزد بصبرة بن شيمان وقومه لنفسى وليت مال المسلمين ورحلت من قصر الإمارة فنزلت فيهم و إن الأزد معي وشيعة أمير المؤمنين من فرسان القبائل تختلف إلى وشيعة عثمان تختلف إلى ابن الحضرمي والقصر خال منا ومنهم فارفع

ذلك إلى أمير المؤمنين ليرى فيه رأيه وأعجل إلى بالذى ترى أن يكون منه فيه و السلام عليك ورحمة الله وبركاته . قال فرجع ذلك ابن عباس إلى على ع وشاع فى الناس بالكوفة ما كان من ذلك وكانت بنو تميم وقيس و من يرى رأى عثمان قد أمروا ابن الحضرمى أن يسير إلى قصر الإمارة حين خلاه زياد فلما تهيأ لذلك ودعا أصحابه ركبت الأزد وبعثت إليه وإليهم إنا والله لانددعكم تأتون القصر فتنزلون فيه من لانرضى و من نحن له كارهون حتى يأتى رجل لنا ولكم رضا فأبى أصحاب ابن الحضرمى إلا- أن يسيروا إلى القصر وأبت الأزد إلا- أن يمنعوهم فركب الأ-حنف فقال لأصحاب ابن الحضرمى إنكم والله [صفحہ ۴۳] ما أنتم أحق بقصر الإمارة من القوم و مالكم أن تؤمروا عليهم من يكرهونه فانصرفوا عنهم ففعلوا ثم جاء إلى الأزد فقال إنه لم يكن ماتكرهون ولا يؤتى إلا ماتحبون فانصرفوا رحمكم الله ففعلوا. قال ابراهيم وحدثنا محمد بن عبد الله بن أبى سيف عن الكلبي أن ابن الحضرمى لما أتى البصرة ودخلها نزل فى بنى تميم فى دار سننيل ودعا بنى تميم وأخلاق مضر فقال زياد لأبى الأسود الدؤلى أ ماترى ماصغى أهل البصرة إلى معاوية و ما فى الأزد لى مطمع فقال إن كنت تركتهم لم ينصروك و إن أصبحت فيهم منعوك . فخرج زياد من ليلته فأتى صبرة بن شيمان الحدانى الأزدى فأجاره و قال له حين أصبح يا زياد إنه ليس حسنا بنا أن تقيم فينا مختفيا أكثر من يومك هذا فأعد له منبرا وسريرا فى مسجد الحدان وجعل له شرطا وصلى بهم الجمعة فى مسجد الحدان . وغلب ابن الحضرمى على ما يليه من البصرة وجباها وأجمعت الأزد على زياد فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا معشر الأزد إنكم كنتم أعدائى فأصبحتم أوليائى وأولى الناس بى وإنى لو كنت فى بنى تميم و ابن الحضرمى فيكم لم أطمع فيه أبدا وأنتم دونه فلا يطمع ابن الحضرمى فى وأنتم دونى و ليس ابن آكله الأكباد فى بقية الأحزاب وأولياء الشيطان بأدنى إلى الغلبة من أمير المؤمنين فى المهاجرين والأنصار و قد أصبحت فيكم مضمونا وأمانة مؤداة و قدرأينا وقعتكم يوم الجمل فاصبروا مع الحق صبركم مع الباطل فإنكم لانحمدون إلا على النجدة و لانعدرون على الجبن . فقام شيمان أبوصبرة و لم يكن شهد يوم الجمل و كان غائبا فقال يا معشر الأزد [صفحہ ۴۴] ما أبتت عواقب الجمل عليكم إلا سوء الذكر و قد كنتم أمس على على ع فكونوا اليوم له واعلموا أن إسلامكم له ذل وخذلانكم إياه عار وأنتم حى مضماركم الصبر وعاقبتكم الوفاء فإن سار القوم بصاحبهم فسيروا بصاحبكم و إن استمدوا معاوية فاستمدوا عليا ع و إن وادعوكم فوادعوهم . ثم قام صبرة ابنه فقال يا معشر الأزد إنا قلنا يوم الجمل نمنع مصرنا ونطيع أمانا نطلب دم خليفتنا المظلوم فجددنا فى القتال وأقمنا بعدانهمام الناس حتى قتل منا من لاخير فينا بعده و هذا زياد جاركم اليوم والجار مضمون ولسنا نخاف من على مانخاف من معاوية فهبوا لنا أنفسكم وامنعوا جاركم أوفأبلغوه مأمنه . فقالت الأزد إنما نحن لكم تبع فأجبروه فضحك زياد و قال يا صبرة أتخشون ألا تقوموا لبنى تميم فقال صبرة إن جاءونا بالأ-حنف جئناهم بأبى صبرة و إن جاءونا بالحباب جئت أنا و إن كان فيهم شباب كثير فقال زياد إنما كنت مازحا . فلما رأت بنو تميم أن الأزد قد قامت دون زياد بعثت إليهم أخرجوا صاحبكم ونحن نخرج صاحبنا فأى الأميرين غلب على أومعاوية دخلنا فى طاعته و لانهلك عامتنا . فبعث إليهم أبوصبرة إنما كان هذا يرجى عندنا قبل أن نجيره ولعمري ما قتل زياد وإخراجه إلا سوء وإنكم لتعلمون أنا لم نجره إلا كرما فالهوا عن هذا. قال وروى أبوالكنود أن شيبث بن ربيعى قال لعلى ع يا أمير المؤمنين ابعث إلى هذا الحى من تميم فادعهم إلى طاعتك ولزوم بيعتك و لاتسلط عليهم أزد عمان البعداء البغضاء فإن واحدا من قومك خير لك من عشرة من غيرهم . [صفحہ ۴۵] فقال له مخنف بن سليم الأزدى إن البعيد البغيض من عصى الله وخالف أمير المؤمنين وهم قومك و إن الحبيب القريب من أطاع الله ونصر أمير المؤمنين وهم قومى وأحدهم خير لأمير المؤمنين من عشرة من قومك . فقال أمير المؤمنين ع مه تناهوا أيها الناس وليردعكم الإسلام ووقاره عن التباغى والتهاذى ولتجتمع كلمتكم والزموا دين الله الذى لا يقبل من أحد غيره وكلمة الإخلاص التى هى قوام الدين وحجة الله على الكافرين واذكروا إذ كنتم قليلا مشركين متباغضين متفرقين فألف بينكم بالإسلام فكشرتهم واجتمعتم وتحاببتم فلا-تفرقوا بعد إذ اجتمعتم ولا تتباغضوا بعد إذ

تحابيتهم و إذار أيتم الناس بينهم النائرة و قد تداعوا إلى العشائر والقبائل فاقصدوا لهمهم ووجوههم بالسيف حتى يفرغوا إلى الله و إلى كتابه و سنه نبيه فأما تلك الحمية من خطرات الشياطين فانتهاها عنها لا بألكم تفلحوا و تنجحوا -رواية- ١-٢-رواية- ٢٧-

٦٠٠ ثم إنه ع دعا أعين بن ضبيعة المجاشعي و قال يا أعين أ لم يبلغك أن قومك و ثبوا على عاملي مع ابن الحضرمي بالبصرة يدعون إلى فراقي و شقايي و يساعدون الضلال القاسطين على فقال لا تسأ يا أمير المؤمنين و لا يكن ماتكره ابعتني إليهم فأنا لك زعيم بطاعتهم و تفريق جماعتهم و نفى ابن الحضرمي من البصرة أوقته قال فاخرج الساعة. فخرج من عنده و مضى حتى قدم البصرة. [صفحة ٤٦] هذه رواية ابن هلال صاحب كتاب الغارات . و روى الواقدي أن عليا ع استنفر بني تميم أياما لينهض منهم إلى البصرة من يكفيه أمر ابن الحضرمي و يرد عادية بني تميم الذين أجاروه بهافلهم يجبه أحد فخطبهم و قال أ ليس من العجب أن ينصرني الأزدي و تخذلني مضر و أعجب من ذلك تقاعد تميم الكوفة بي و خلاف تميم البصرة على و أن أستنجد بطائفة منها تشخص إلى إخوانها فتدعوهم إلى الرشاد فإن أجابت و إلا فالمنابذة و الحرب فكأنني أخطب صما بكما لا يفقهون حوارا و لا يجيبون نداء كل هذا جبا عن البأس و جبا للحياة لقد كنا مع رسول الله ص نقتل آباءنا و أبناءنا -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-٥١٨ الفصل إلى آخره . قال فقام إليه أعين بن ضبيعة المجاشعي فقال أنا إن شاء الله أكفيك يا أمير المؤمنين هذا الخطب و أتكفل لك بقتل ابن الحضرمي أو إخراجه عن البصرة فأمره بالتهيؤ للشخص فشخص حتى قدم البصرة. قال ابراهيم بن هلال فلما قدمها دخل على زياد و هو بالأزد مقيم فرحب به و أجلسه إلى جانبه فأخبره بما قال له على ع و ما رد عليه و ما ألقى عليه فإنه إذ يكلمه جاءه كتاب من على ع فيه من عبد الله على أمير المؤمنين إلى زياد بن عبيد سلام عليك أما بعد فإني قد بعثت أعين بن ضبيعة ليفرق قومه عن ابن الحضرمي فارقب ما يكون منه فإن فعل و بلغ من ذلك ما يظن به و كان في ذلك تفريق تلك الأوباش فهو مانح و إن ترامت الأمور بالقوم إلى الشقاق و العصيان -رواية- ١-٢-رواية- ٥٤-إداهه دارد [صفحة ٤٧] فانبذ بمن أطاعك إلى من عصاك فجاهدهم فإن ظهرت فهو ما ظننت و إلا فطاولهم و ما ظلمهم فكان كتاب المسلمين قد أطلت عليك فقتل الله المفسدين الظالمين و نصر المؤمنين المحقين و السلام -رواية- از قبل- ١٩٠ . فلما قرأه زياد أقرأه أعين بن ضبيعة فقال له إني لأرجو أن يكفي هذا الأمر إن شاء الله ثم خرج من عنده فأتى رحله فجمع إليه رجالا من قومه فحمد الله و أثنى عليه ثم قال يا قوم على ماذا تقتلون أنفسكم و تهريقون دماءكم على الباطل مع السفهاء الأشرار و إني و الله ما جئتكم حتى عيبت إليكم الجنود فإن تنبوا إلى الحق يقبل منكم و يكف عنكم و إن أبيتم فهو و الله استئصالكم و بواركم . فقالوا بل نسمع و نطيع فقال انهضوا الآن على بركة الله عز و جل فنهض بهم إلى جماعة ابن الحضرمي فخرجوا إليه مع ابن الحضرمي فصافوه و وافقهم عامة يومه يناشدهم الله و يقول يا قوم لا تنكثوا بيعتكم و لا تخالفوا إمامكم و لا تجعلوا على أنفسكم سبيلا- فقد رأيتم و جربتم كيف صنع الله بكم عند نكثكم بيعتكم و خلافكم . فكفوا عنه و لم يكن بينه و بينهم قتال و هم في ذلك يشتمونه و ينالون منه فانصرف عنهم و هو منهم منتصف فلما أوى إلى رحله تبعه عشرة نفر يظن الناس أنهم خوارج فضربوه بأسيا فهم و هو على فراشه و لا يظن أن الذي كان يكون فخرج يشدد عريانا فلحقوه في الطريق فقتلوه فأراد زياد أن يناهض ابن الحضرمي حين قتل أعين بجماعة من معه من الأزدي و غيرهم من شيعه على ع فأرسل بنو تميم إلى الأزدي و الله ما عرضنا لجاركم إذ أجزتموه و لالما هو له و لا لأحد ليس على رأينا فما تريدون [صفحة ٤٨] إلى حربنا و إلى جارنا فكان الأزدي عند ذلك كرهت قتالهم . فكتب زياد إلى على ع أما بعد يا أمير المؤمنين فإن أعين بن ضبيعة قدم علينا من قبلك بجد و مناصحة و صدق و يقين فجمع إليه من أطاعه من عشيرته فحثهم على الطاعة و الجماعة و حذرهم الخلاف و الفرقة ثم نهض بمن أقبل معه إلى من أدبر عنه فوافقهم عامة النهار فهال أهل الخلاف تقدمه و تصدع عن ابن الحضرمي كثير ممن كان يريد نصرته فكان كذلك حتى أمسى فأتى في رحله فبيته نفر من هذه الخارجه المارقة فأصيب رحمه الله تعالى فأردت أن أناهض ابن الحضرمي عند ذلك فحدث أمر قد أمرت صاحب كتابي هذا أن يذكره

لأمير المؤمنين و قد رأيت إن رأى أمير المؤمنين ما رأيت أن يبعث إليهم جارية بن قدامة فإنه نافذ البصيرة ومطاع في العشيـرة شديد على عدو أمير المؤمنين فإن يقدم يفرق بينهم بإذن الله و السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فلما جاء الكتاب دعا جارية بن قدامة فقال له يا ابن قدامة تمنع الأزدي عاملي وبيت مالي و تشاقتني مضر و تنابذني و بنا ابتدأها الله تعالى بالكرامة و عرفها الهدى و تداعوا إلى المعشر الذين حادوا الله و رسوله و أرادوا إطفاء نور الله سبحانه حتى علت كلمة الله و هلك الكافرون - روايت- ١-٢٧٦ . فقال يا أمير المؤمنين ابعثني إليهم و استعن بالله عليهم قال قد بعثتك إليهم و استعنت بالله عليهم . قال ابراهيم فحدثنا محمد بن عبد الله قال حدثني ابن أبي السيف عن سليمان بن أبي راشد عن كعب بن قعين قال خرجت مع جارية من الكوفة إلى البصرة [صفحہ ٤٩] في خمسين رجلا من بنى تميم ما كان فيهم يمانى غيرى و كنت شديد التشيع فقلت لجارية إن شئت كنت معك و إن شئت ملت إلى قومي فقال بل معى فو الله لو ددت أن الطير و البهائم تنصرنى عليهم فضلا عن الإنس . قال و روى كعب بن قعين أن عليا ع كتب مع جارية كتابا و قال أقرئه على أصحابك قال فمضينا معه فلما دخلنا البصرة بدأ بزياد فرحب به و أجلسه إلى جانبه و نجاه ساعة و ساء له ثم خرج فكان أفضل ما أوصاه به أن قال احذر على نفسك و اتق أن تلقى مالمقى صاحبك القادم قبلك . و خرج جارية من عنده فقام فى الأزدي فقال جزاكم الله من حى خيرا ما أعظم غناءكم و أحسن بلاءكم و أطوعكم لأمركم لقد عرفتم الحق إذ ضيعه من أنكره و دعوتكم إلى الهدى إذ تركه من لم يعرفه ثم قرأ عليهم و على من كان معه من شيعة على ع و غيرهم كتاب على ع فإذا فيه من عبد الله على أمير المؤمنين إلى من قرئ عليه كتابى هذا من ساكنى البصرة من المؤمنين و المسلمين سلام عليكم أما بعد فإن الله حلیم ذو أناة لا يعجل بالعقوبة قبل البينة و لا يأخذ المذنب عند أول وهلة ولكنه يقبل التوبة و يستديم الأناة و يرضى بالإنابة ليكون أعظم للحجة و أبلغ فى المعذرة و قد كان من شقاق جلکم أيها الناس ما استحققتهم أن تعاقبوا عليه فعفوت عن مجرمكم و رفعت السيف عن مدبركم و قبلت من مقبلكم و أخذت بيعتكم فإن تفوا ببيعتى و تقبلوا نصيحتى و تستقيموا على طاعتي أعمل - روايت- ١-١٠١-١٠٢-١٠٣-١٠٤-١٠٥-١٠٦-١٠٧-١٠٨-١٠٩-١١٠-١١١-١١٢-١١٣-١١٤-١١٥-١١٦-١١٧-١١٨-١١٩-١٢٠-١٢١-١٢٢-١٢٣-١٢٤-١٢٥-١٢٦-١٢٧-١٢٨-١٢٩-١٣٠-١٣١-١٣٢-١٣٣-١٣٤-١٣٥-١٣٦-١٣٧-١٣٨-١٣٩-١٤٠-١٤١-١٤٢-١٤٣-١٤٤-١٤٥-١٤٦-١٤٧-١٤٨-١٤٩-١٥٠-١٥١-١٥٢-١٥٣-١٥٤-١٥٥-١٥٦-١٥٧-١٥٨-١٥٩-١٦٠-١٦١-١٦٢-١٦٣-١٦٤-١٦٥-١٦٦-١٦٧-١٦٨-١٦٩-١٧٠-١٧١-١٧٢-١٧٣-١٧٤-١٧٥-١٧٦-١٧٧-١٧٨-١٧٩-١٨٠-١٨١-١٨٢-١٨٣-١٨٤-١٨٥-١٨٦-١٨٧-١٨٨-١٨٩-١٩٠-١٩١-١٩٢-١٩٣-١٩٤-١٩٥-١٩٦-١٩٧-١٩٨-١٩٩-٢٠٠-٢٠١-٢٠٢-٢٠٣-٢٠٤-٢٠٥-٢٠٦-٢٠٧-٢٠٨-٢٠٩-٢١٠-٢١١-٢١٢-٢١٣-٢١٤-٢١٥-٢١٦-٢١٧-٢١٨-٢١٩-٢٢٠-٢٢١-٢٢٢-٢٢٣-٢٢٤-٢٢٥-٢٢٦-٢٢٧-٢٢٨-٢٢٩-٢٣٠-٢٣١-٢٣٢-٢٣٣-٢٣٤-٢٣٥-٢٣٦-٢٣٧-٢٣٨-٢٣٩-٢٤٠-٢٤١-٢٤٢-٢٤٣-٢٤٤-٢٤٥-٢٤٦-٢٤٧-٢٤٨-٢٤٩-٢٥٠-٢٥١-٢٥٢-٢٥٣-٢٥٤-٢٥٥-٢٥٦-٢٥٧-٢٥٨-٢٥٩-٢٦٠-٢٦١-٢٦٢-٢٦٣-٢٦٤-٢٦٥-٢٦٦-٢٦٧-٢٦٨-٢٦٩-٢٧٠-٢٧١-٢٧٢-٢٧٣-٢٧٤-٢٧٥-٢٧٦-٢٧٧-٢٧٨-٢٧٩-٢٨٠-٢٨١-٢٨٢-٢٨٣-٢٨٤-٢٨٥-٢٨٦-٢٨٧-٢٨٨-٢٨٩-٢٩٠-٢٩١-٢٩٢-٢٩٣-٢٩٤-٢٩٥-٢٩٦-٢٩٧-٢٩٨-٢٩٩-٣٠٠-٣٠١-٣٠٢-٣٠٣-٣٠٤-٣٠٥-٣٠٦-٣٠٧-٣٠٨-٣٠٩-٣١٠-٣١١-٣١٢-٣١٣-٣١٤-٣١٥-٣١٦-٣١٧-٣١٨-٣١٩-٣٢٠-٣٢١-٣٢٢-٣٢٣-٣٢٤-٣٢٥-٣٢٦-٣٢٧-٣٢٨-٣٢٩-٣٣٠-٣٣١-٣٣٢-٣٣٣-٣٣٤-٣٣٥-٣٣٦-٣٣٧-٣٣٨-٣٣٩-٣٤٠-٣٤١-٣٤٢-٣٤٣-٣٤٤-٣٤٥-٣٤٦-٣٤٧-٣٤٨-٣٤٩-٣٥٠-٣٥١-٣٥٢-٣٥٣-٣٥٤-٣٥٥-٣٥٦-٣٥٧-٣٥٨-٣٥٩-٣٦٠-٣٦١-٣٦٢-٣٦٣-٣٦٤-٣٦٥-٣٦٦-٣٦٧-٣٦٨-٣٦٩-٣٧٠-٣٧١-٣٧٢-٣٧٣-٣٧٤-٣٧٥-٣٧٦-٣٧٧-٣٧٨-٣٧٩-٣٨٠-٣٨١-٣٨٢-٣٨٣-٣٨٤-٣٨٥-٣٨٦-٣٨٧-٣٨٨-٣٨٩-٣٩٠-٣٩١-٣٩٢-٣٩٣-٣٩٤-٣٩٥-٣٩٦-٣٩٧-٣٩٨-٣٩٩-٤٠٠-٤٠١-٤٠٢-٤٠٣-٤٠٤-٤٠٥-٤٠٦-٤٠٧-٤٠٨-٤٠٩-٤١٠-٤١١-٤١٢-٤١٣-٤١٤-٤١٥-٤١٦-٤١٧-٤١٨-٤١٩-٤٢٠-٤٢١-٤٢٢-٤٢٣-٤٢٤-٤٢٥-٤٢٦-٤٢٧-٤٢٨-٤٢٩-٤٣٠-٤٣١-٤٣٢-٤٣٣-٤٣٤-٤٣٥-٤٣٦-٤٣٧-٤٣٨-٤٣٩-٤٤٠-٤٤١-٤٤٢-٤٤٣-٤٤٤-٤٤٥-٤٤٦-٤٤٧-٤٤٨-٤٤٩-٤٥٠-٤٥١-٤٥٢-٤٥٣-٤٥٤-٤٥٥-٤٥٦-٤٥٧-٤٥٨-٤٥٩-٤٦٠-٤٦١-٤٦٢-٤٦٣-٤٦٤-٤٦٥-٤٦٦-٤٦٧-٤٦٨-٤٦٩-٤٧٠-٤٧١-٤٧٢-٤٧٣-٤٧٤-٤٧٥-٤٧٦-٤٧٧-٤٧٨-٤٧٩-٤٨٠-٤٨١-٤٨٢-٤٨٣-٤٨٤-٤٨٥-٤٨٦-٤٨٧-٤٨٨-٤٨٩-٤٩٠-٤٩١-٤٩٢-٤٩٣-٤٩٤-٤٩٥-٤٩٦-٤٩٧-٤٩٨-٤٩٩-٥٠٠-٥٠١-٥٠٢-٥٠٣-٥٠٤-٥٠٥-٥٠٦-٥٠٧-٥٠٨-٥٠٩-٥١٠-٥١١-٥١٢-٥١٣-٥١٤-٥١٥-٥١٦-٥١٧-٥١٨-٥١٩-٥٢٠-٥٢١-٥٢٢-٥٢٣-٥٢٤-٥٢٥-٥٢٦-٥٢٧-٥٢٨-٥٢٩-٥٣٠-٥٣١-٥٣٢-٥٣٣-٥٣٤-٥٣٥-٥٣٦-٥٣٧-٥٣٨-٥٣٩-٥٤٠-٥٤١-٥٤٢-٥٤٣-٥٤٤-٥٤٥-٥٤٦-٥٤٧-٥٤٨-٥٤٩-٥٥٠-٥٥١-٥٥٢-٥٥٣-٥٥٤-٥٥٥-٥٥٦-٥٥٧-٥٥٨-٥٥٩-٥٦٠-٥٦١-٥٦٢-٥٦٣-٥٦٤-٥٦٥-٥٦٦-٥٦٧-٥٦٨-٥٦٩-٥٧٠-٥٧١-٥٧٢-٥٧٣-٥٧٤-٥٧٥-٥٧٦-٥٧٧-٥٧٨-٥٧٩-٥٨٠-٥٨١-٥٨٢-٥٨٣-٥٨٤-٥٨٥-٥٨٦-٥٨٧-٥٨٨-٥٨٩-٥٩٠-٥٩١-٥٩٢-٥٩٣-٥٩٤-٥٩٥-٥٩٦-٥٩٧-٥٩٨-٥٩٩-٦٠٠-٦٠١-٦٠٢-٦٠٣-٦٠٤-٦٠٥-٦٠٦-٦٠٧-٦٠٨-٦٠٩-٦١٠-٦١١-٦١٢-٦١٣-٦١٤-٦١٥-٦١٦-٦١٧-٦١٨-٦١٩-٦٢٠-٦٢١-٦٢٢-٦٢٣-٦٢٤-٦٢٥-٦٢٦-٦٢٧-٦٢٨-٦٢٩-٦٣٠-٦٣١-٦٣٢-٦٣٣-٦٣٤-٦٣٥-٦٣٦-٦٣٧-٦٣٨-٦٣٩-٦٤٠-٦٤١-٦٤٢-٦٤٣-٦٤٤-٦٤٥-٦٤٦-٦٤٧-٦٤٨-٦٤٩-٦٥٠-٦٥١-٦٥٢-٦٥٣-٦٥٤-٦٥٥-٦٥٦-٦٥٧-٦٥٨-٦٥٩-٦٦٠-٦٦١-٦٦٢-٦٦٣-٦٦٤-٦٦٥-٦٦٦-٦٦٧-٦٦٨-٦٦٩-٦٧٠-٦٧١-٦٧٢-٦٧٣-٦٧٤-٦٧٥-٦٧٦-٦٧٧-٦٧٨-٦٧٩-٦٨٠-٦٨١-٦٨٢-٦٨٣-٦٨٤-٦٨٥-٦٨٦-٦٨٧-٦٨٨-٦٨٩-٦٩٠-٦٩١-٦٩٢-٦٩٣-٦٩٤-٦٩٥-٦٩٦-٦٩٧-٦٩٨-٦٩٩-٧٠٠-٧٠١-٧٠٢-٧٠٣-٧٠٤-٧٠٥-٧٠٦-٧٠٧-٧٠٨-٧٠٩-٧١٠-٧١١-٧١٢-٧١٣-٧١٤-٧١٥-٧١٦-٧١٧-٧١٨-٧١٩-٧٢٠-٧٢١-٧٢٢-٧٢٣-٧٢٤-٧٢٥-٧٢٦-٧٢٧-٧٢٨-٧٢٩-٧٣٠-٧٣١-٧٣٢-٧٣٣-٧٣٤-٧٣٥-٧٣٦-٧٣٧-٧٣٨-٧٣٩-٧٤٠-٧٤١-٧٤٢-٧٤٣-٧٤٤-٧٤٥-٧٤٦-٧٤٧-٧٤٨-٧٤٩-٧٥٠-٧٥١-٧٥٢-٧٥٣-٧٥٤-٧٥٥-٧٥٦-٧٥٧-٧٥٨-٧٥٩-٧٦٠-٧٦١-٧٦٢-٧٦٣-٧٦٤-٧٦٥-٧٦٦-٧٦٧-٧٦٨-٧٦٩-٧٧٠-٧٧١-٧٧٢-٧٧٣-٧٧٤-٧٧٥-٧٧٦-٧٧٧-٧٧٨-٧٧٩-٧٨٠-٧٨١-٧٨٢-٧٨٣-٧٨٤-٧٨٥-٧٨٦-٧٨٧-٧٨٨-٧٨٩-٧٩٠-٧٩١-٧٩٢-٧٩٣-٧٩٤-٧٩٥-٧٩٦-٧٩٧-٧٩٨-٧٩٩-٨٠٠-٨٠١-٨٠٢-٨٠٣-٨٠٤-٨٠٥-٨٠٦-٨٠٧-٨٠٨-٨٠٩-٨١٠-٨١١-٨١٢-٨١٣-٨١٤-٨١٥-٨١٦-٨١٧-٨١٨-٨١٩-٨٢٠-٨٢١-٨٢٢-٨٢٣-٨٢٤-٨٢٥-٨٢٦-٨٢٧-٨٢٨-٨٢٩-٨٣٠-٨٣١-٨٣٢-٨٣٣-٨٣٤-٨٣٥-٨٣٦-٨٣٧-٨٣٨-٨٣٩-٨٤٠-٨٤١-٨٤٢-٨٤٣-٨٤٤-٨٤٥-٨٤٦-٨٤٧-٨٤٨-٨٤٩-٨٥٠-٨٥١-٨٥٢-٨٥٣-٨٥٤-٨٥٥-٨٥٦-٨٥٧-٨٥٨-٨٥٩-٨٦٠-٨٦١-٨٦٢-٨٦٣-٨٦٤-٨٦٥-٨٦٦-٨٦٧-٨٦٨-٨٦٩-٨٧٠-٨٧١-٨٧٢-٨٧٣-٨٧٤-٨٧٥-٨٧٦-٨٧٧-٨٧٨-٨٧٩-٨٨٠-٨٨١-٨٨٢-٨٨٣-٨٨٤-٨٨٥-٨٨٦-٨٨٧-٨٨٨-٨٨٩-٨٩٠-٨٩١-٨٩٢-٨٩٣-٨٩٤-٨٩٥-٨٩٦-٨٩٧-٨٩٨-٨٩٩-٩٠٠-٩٠١-٩٠٢-٩٠٣-٩٠٤-٩٠٥-٩٠٦-٩٠٧-٩٠٨-٩٠٩-٩١٠-٩١١-٩١٢-٩١٣-٩١٤-٩١٥-٩١٦-٩١٧-٩١٨-٩١٩-٩٢٠-٩٢١-٩٢٢-٩٢٣-٩٢٤-٩٢٥-٩٢٦-٩٢٧-٩٢٨-٩٢٩-٩٣٠-٩٣١-٩٣٢-٩٣٣-٩٣٤-٩٣٥-٩٣٦-٩٣٧-٩٣٨-٩٣٩-٩٤٠-٩٤١-٩٤٢-٩٤٣-٩٤٤-٩٤٥-٩٤٦-٩٤٧-٩٤٨-٩٤٩-٩٥٠-٩٥١-٩٥٢-٩٥٣-٩٥٤-٩٥٥-٩٥٦-٩٥٧-٩٥٨-٩٥٩-٩٦٠-٩٦١-٩٦٢-٩٦٣-٩٦٤-٩٦٥-٩٦٦-٩٦٧-٩٦٨-٩٦٩-٩٧٠-٩٧١-٩٧٢-٩٧٣-٩٧٤-٩٧٥-٩٧٦-٩٧٧-٩٧٨-٩٧٩-٩٨٠-٩٨١-٩٨٢-٩٨٣-٩٨٤-٩٨٥-٩٨٦-٩٨٧-٩٨٨-٩٨٩-٩٩٠-٩٩١-٩٩٢-٩٩٣-٩٩٤-٩٩٥-٩٩٦-٩٩٧-٩٩٨-٩٩٩-١٠٠٠-١٠٠١-١٠٠٢-١٠٠٣-١٠٠٤-١٠٠٥-١٠٠٦-١٠٠٧-١٠٠٨-١٠٠٩-١٠١٠-١٠١١-١٠١٢-١٠١٣-١٠١٤-١٠١٥-١٠١٦-١٠١٧-١٠١٨-١٠١٩-١٠٢٠-١٠٢١-١٠٢٢-١٠٢٣-١٠٢٤-١٠٢٥-١٠٢٦-١٠٢٧-١٠٢٨-١٠٢٩-١٠٣٠-١٠٣١-١٠٣٢-١٠٣٣-١٠٣٤-١٠٣٥-١٠٣٦-١٠٣٧-١٠٣٨-١٠٣٩-١٠٤٠-١٠٤١-١٠٤٢-١٠٤٣-١٠٤٤-١٠٤٥-١٠٤٦-١٠٤٧-١٠٤٨-١٠٤٩-١٠٥٠-١٠٥١-١٠٥٢-١٠٥٣-١٠٥٤-١٠٥٥-١٠٥٦-١٠٥٧-١٠٥٨-١٠٥٩-١٠٦٠-١٠٦١-١٠٦٢-١٠٦٣-١٠٦٤-١٠٦٥-١٠٦٦-١٠٦٧-١٠٦٨-١٠٦٩-١٠٧٠-١٠٧١-١٠٧٢-١٠٧٣-١٠٧٤-١٠٧٥-١٠٧٦-١٠٧٧-١٠٧٨-١٠٧٩-١٠٨٠-١٠٨١-١٠٨٢-١٠٨٣-١٠٨٤-١٠٨٥-١٠٨٦-١٠٨٧-١٠٨٨-١٠٨٩-١٠٩٠-١٠٩١-١٠٩٢-١٠٩٣-١٠٩٤-١٠٩٥-١٠٩٦-١٠٩٧-١٠٩٨-١٠٩٩-١١٠٠-١١٠١-١١٠٢-١١٠٣-١١٠٤-١١٠٥-١١٠٦-١١٠٧-١١٠٨-١١٠٩-١١١٠-١١١١-١١١٢-١١١٣-١١١٤-١١١٥-١١١٦-١١١٧-١١١٨-١١١٩-١١٢٠-١١٢١-١١٢٢-١١٢٣-١١٢٤-١١٢٥-١١٢٦-١١٢٧-١١٢٨-١١٢٩-١١٣٠-١١٣١-١١٣٢-١١٣٣-١١٣٤-١١٣٥-١١٣٦-١١٣٧-١١٣٨-١١٣٩-١١٤٠-١١٤١-١١٤٢-١١٤٣-١١٤٤-١١٤٥-١١٤٦-١١٤٧-١١٤٨-١١٤٩-١١٥٠-١١٥١-١١٥٢-١١٥٣-١١٥٤-١١٥٥-١١٥٦-١١٥٧-١١٥٨-١١٥٩-١١٦٠-١١٦١-١١٦٢-١١٦٣-١١٦٤-١١٦٥-١١٦٦-١١٦٧-١١٦٨-١١٦٩-١١٧٠-١١٧١-١١٧٢-١١٧٣-١١٧٤-١١٧٥-١١٧٦-١١٧٧-١١٧٨-١١٧٩-١١٨٠-١١٨١-١١٨٢-١١٨٣-١١٨٤-١١٨٥-١١٨٦-١١٨٧-١١٨٨-١١٨٩-١١٩٠-١١٩١-١١٩٢-١١٩٣-١١٩٤-١١٩٥-١١٩٦-١١٩٧-١١٩٨-١١٩٩-١٢٠٠-١٢٠١-١٢٠٢-١٢٠٣-١٢٠٤-١٢٠٥-١٢٠٦-١٢٠٧-١٢٠٨-١٢٠٩-١٢١٠-١٢١١-١٢١٢-١٢١٣-١٢١٤-١٢١٥-١٢١٦-١٢١٧-١٢١٨-١٢١٩-١٢٢٠-١٢٢١-١٢٢٢-١٢٢٣-١٢٢٤-١٢٢٥-١٢٢٦-١٢٢٧-١٢٢٨-١٢٢٩-١٢٣٠-١٢٣١-١٢٣٢-١٢٣٣-١٢٣٤-١٢٣٥-١٢٣٦-١٢٣٧-١٢٣٨-١٢٣٩-١٢٤٠-١٢٤١-١٢٤٢-١٢٤٣-١٢٤٤-١٢٤٥-١٢٤٦-١٢٤٧-١٢٤٨-١٢٤٩-١٢٥٠-١٢٥١-١٢٥٢-١٢٥٣-١٢٥٤-١٢٥٥-١٢٥٦-١٢٥٧-١٢٥٨-١٢٥٩-١٢٦٠-١٢٦١-١٢٦٢-١٢٦٣-١٢٦٤-١٢٦٥-١٢٦٦-١٢٦٧-١٢٦٨-١٢٦٩-١٢٧٠-١٢٧١-١٢٧٢-١٢٧٣-١٢٧٤-١٢٧٥-١٢٧٦-١٢٧٧-١٢٧٨-١٢٧٩-١٢٨٠-١٢٨١-١٢٨٢-١٢٨٣-١٢٨٤-١٢٨٥-١٢٨٦-١٢٨٧-١٢٨٨-١٢٨٩-١٢٩٠-١٢٩١-١٢٩٢-١٢٩٣-١٢٩٤-١٢٩٥-١٢٩٦-١٢٩٧-١٢٩٨-١٢٩٩-١٣٠٠-١٣٠١-١٣٠٢-١٣٠٣-١٣٠٤-١٣٠٥-١٣٠٦-١٣٠٧-١٣٠٨-١٣٠٩-١٣١٠-١٣١١-١٣١٢-١٣١٣-١٣١٤-١٣١٥-١٣١٦-١٣١٧-١٣١٨-١٣١٩-١٣٢٠-١٣٢١-١٣٢٢-١٣٢٣-١٣٢٤-١٣٢٥-١٣٢٦-١٣٢٧-١٣٢٨-١٣٢٩-١٣٣٠-١٣٣١-١٣٣٢-١٣٣٣-١٣٣٤-١٣٣٥-١٣٣٦-١٣٣٧-١٣٣٨-١٣٣٩-١٣٤٠-١٣٤١-١٣٤٢-١٣٤٣-١٣٤٤-١٣٤٥-١٣٤٦-١٣٤٧-١٣٤٨-١٣٤٩-١٣٥٠-١٣٥١-١٣٥٢-١٣٥٣-١٣٥٤-١٣٥٥-١٣٥٦-١٣٥٧-١٣٥٨-١٣٥٩-١٣٦٠-١٣٦١-١٣٦٢-١٣٦٣-١٣٦٤-١٣٦٥-١٣٦٦-١٣٦٧-١٣٦٨-١٣٦٩-١٣٧٠-١٣٧١-١٣٧٢-١٣٧٣-١٣٧٤-١٣٧٥-١٣٧٦-١٣٧٧-١٣٧٨-١٣٧٩-١٣٨٠-١٣٨١-١٣٨٢-١٣٨٣-١٣٨٤-١٣٨٥-١٣٨٦-١٣٨٧-١٣٨٨-١٣٨٩-١٣٩٠-١٣٩١-١٣٩٢-١٣٩٣-١٣٩٤-١٣٩٥-١٣٩٦-١٣٩٧-١٣٩٨-١٣٩٩-١٤٠٠-١٤٠١-١٤٠٢-١٤٠٣-١٤٠٤-١٤٠٥-١٤٠٦-١٤٠٧-١٤٠٨-١٤٠٩-١٤١٠-١٤١١-١٤١٢-١٤١٣-١٤١٤-١٤١٥-١٤١٦-١٤١٧-١٤١٨-١٤١٩-١٤٢٠-١٤٢١-١٤٢٢-١٤٢٣-١٤٢٤-١٤٢٥-١٤٢٦-١٤٢٧-١٤٢٨-١٤٢٩-١٤٣٠-١٤٣١-١٤٣٢-١٤٣٣-١٤٣٤-١٤٣٥-١٤٣٦-١٤٣٧-١٤٣٨-١٤٣٩-١٤٤٠-١٤٤١-١٤٤٢-١٤٤٣-١٤٤٤-١٤٤٥-١٤٤٦-١٤٤٧-١٤٤٨-١٤٤٩-١٤٥٠-١٤٥١-١٤٥٢-١٤٥٣-١٤٥٤-١٤٥٥-١٤٥٦-١٤٥٧-١٤٥٨-١٤٥٩-١٤٦٠-١٤٦١-١٤٦٢-١٤٦٣-١٤٦٤-١٤٦٥-١٤٦٦-١٤٦٧-١٤٦٨-١٤٦٩-١٤٧٠-١٤٧١-١٤٧٢-١٤٧٣-١٤٧٤-١٤٧٥-١٤٧٦-١٤٧٧-١٤٧٨-١٤٧٩-١٤٨٠-١٤٨١-١٤٨٢-١٤٨٣-١٤٨٤-١٤٨٥-١٤٨٦-١٤٨٧-١٤٨٨-١٤٨٩-١٤٩٠-١٤٩١-١٤٩٢-١٤٩٣-١٤٩٤-١٤٩٥-١٤٩٦-١٤٩٧-١٤٩٨-١٤٩٩-١٥٠٠-١٥٠١-١٥٠٢-١٥٠٣-١٥٠٤-١٥٠٥-١٥٠٦-١٥٠٧-١٥٠٨-١٥٠٩-١٥١٠-١٥١١-١٥١٢-١٥١٣-١٥١٤-١٥١٥-١٥١٦-١٥١٧-١٥١٨-١٥١٩-١٥٢٠-١٥٢١-١٥٢٢-١٥٢٣-١٥٢٤-١٥٢٥-١٥٢٦-١٥٢٧-١٥٢٨-١٥٢٩-١٥٣٠-١٥٣١-١٥٣٢-١٥٣٣-١٥٣٤-١٥٣٥-١٥٣٦-١٥٣٧-١٥٣٨-١٥٣٩-١٥٤٠-١٥٤١-١٥٤٢-١٥٤٣-١٥٤٤-١٥٤٥-١٥٤٦-١٥٤٧-١٥٤٨-١٥٤٩-١٥٥٠-١٥٥١-١٥٥٢-١٥٥٣-١٥٥٤-١٥٥٥-١٥٥٦-١٥٥٧-١٥٥٨-١٥٥٩-١٥٦٠-١٥٦١-١٥٦٢-١٥٦٣-١٥٦٤-١٥٦٥-١٥٦٦-١٥٦٧-١٥٦٨-١٥٦٩-١٥٧٠-١٥٧١-١٥٧٢-١٥٧٣-١٥٧٤-١٥٧٥-١٥٧٦-١٥٧٧-١٥٧٨-١٥٧٩-١٥٨٠-١٥٨١-١٥٨٢-١٥٨٣-١٥٨٤-١٥٨٥-١٥٨٦-١٥٨٧-١٥٨٨-١٥٨٩-١٥٩٠-١٥٩١-١٥٩٢-١٥٩٣-١٥٩٤-١٥٩٥-١٥٩٦-١٥٩٧-١٥٩٨-١٥

مع الندم و لو كانت هذه فتنة لدعونا القوم إلى إبطال الدماء واستئناف الأمور ولكنها جماعة دماؤها حرام وجروحها قصاص ونحن معك نحب ما أحببت. فعجب زياد من كلامه وقال ما أظن في الناس مثل هذا. ثم قام صبره ابنه فقال إنا والله ما أصبنا بمصيبة في دين و لا دنيا كما أصبنا أمس يوم الجمل وإنا لندرجو اليوم أن نمحص ذلك بطاعة الله وطاعة أمير المؤمنين و أما أنت يا زياد فوالله ما أدركت أملكك فينا و لا أدركنا أملنا فيك دون ردك إلى دارك ونحن رادوك إليها غدا إن شاء الله تعالى فإذا فعلنا فلا يكن أحد أولى بك منا فإنك إلا تفعل لم تأت ما يشبهك وإنا والله نخاف من حرب على في الآخرة ما لانخاف من حرب معاوية في الدنيا فقدم هواك و آخر هوانا فنحن معك وطوعك . ثم قام خنقر الحمانى فقال أيها الأمير إنك لورضيت منا بما ترضى به من غيرنا لم نرض ذلك لأنفسنا سر بنا إلى القوم إن شئت وإيم الله مالقينا قوما قط إلا اكتفينا بعفونا دون جهدنا إلا ما كان أمس . [صفحہ ۵۲] قال ابراهيم فأما جارية فإنه كلم قومه فلم يجيبوه وخرج إليه منهم أوباش فناوشوه بعد أن شتموه وأسمعوه فأرسل إلى زياد والأزد يستصرخهم ويأمرهم أن يسيروا إليه فسارت الأزد بزياد وخرج إليهم ابن الحضرمي و على خيله عبد الله بن خازم السلمى فاقتتلوا ساعة وأقبل شريك بن الأعور الحارثي و كان من شيعة على ع و صديقا لجارية بن قدامة فقال أ لا أقاتل معك عدوك فقال بلى فما لبث بنو تميم أن هزموهم واضطروهم إلى دار سنبل السعدى فحصرها ابن الحضرمي وحدوه فأتى رجل من بنى تميم ومعه عبد الله بن خازم السلمى فجاءت أمه وهى سوداء حبشية اسمها عجلي فنادته فأشرف عليها فقالت يا بنى انزل إلى فأبى فكشفت رأسها وأبدت قناعها وسألته النزول فأبى فقالت والله لتنزلن أولأتعرين وأهوت بيدها إلى ثيابها فلما رأى ذلك نزل فذهبت به وأحاط جارية وزياد بالدار وقال جارية على بالنار فقالت الأزد لسنا من الحريق بالنار فى شيء وهم قومك و أنت أعلم فحرق جارية الدار عليهم فهلك ابن الحضرمي فى سبعين رجلا أحدهم عبدالرحمن بن عمير بن عثمان القرشى التيمى وسمى جارية منذ ذلك اليوم محرقا وسارت الأزد بزياد حتى أوطنوه قصر الإمارة ومعه بيت المال وقالت له هل بقى علينا من جوارك شيء قال لا قالوا فبرئنا منه فقال نعم فانصرفوا عنه وكتب زياد إلى أمير المؤمنين ع أما بعد فإن جارية بن قدامة العبد الصالح قدم من عندك فناهض جمع ابن الحضرمي بمن نصره وأعانه من الأزد ففضه واضطره إلى دار من دور البصرة فى عدد كثير من أصحابه فلم يخرج حتى حكم الله تعالى بينهما فقتل ابن الحضرمي وأصحابه منهم من أحرق بالنار ومنهم من ألقى عليه جدار ومنهم من هدم عليه البيت من أعلاه ومنهم من قتل بالسيف وسلم [صفحہ ۵۳] منهم نفر أنابوا وتابوا فصفح عنهم وبعدا لمن عصى وغوى والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فلما وصل كتاب زياد قرأه على ع على الناس و كان زياد قد أنفذه مع ظبيان بن عماره فسر على ع بذلك وسر أصحابه وأثنى على جارية و على الأزد وذم البصرة فقال إنها أول القرى خرابا أما غرقا و أما حرقا حتى يبقى مسجدها كجؤجؤ سفينة ثم قال لظبيان أين منزلك منها فقال مكان كذا فقال عليك بضواحيها -رواية ۱- ۲-رواية ۹- ۱۴۷ . وقال ابن العرندس الأزدى يذكر تحريق ابن الحضرمي ويعير تميما بذلك رددنا زيادا إلى داره || وجار تميم ينادى الشجب لحا الله قوما شووا جارهم || لعمري لبئس الشواء الشصب ينادى الخناق وأبناءها || و قد شيطوا رأسها باللهب . والخناق لقب قوم بنى تميم [صفحہ ۵۴]

۵۶- و من كلام له ع لأصحابه

إشارة

أَمَّا إِنَّهُ سَيُظْهِرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ مُنْدَحِقُ الْبُطْنِ يَأْكُلُ مِمَّا يَجِدُ وَ يَطْلُبُ مِمَّا لَا يَجِدُ فَاقْتُلُوهُ وَ لَنْ تَقْتُلُوهُ أَلَا وَ إِنَّهُ

سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِيٍّ وَ الْبِرَاءَةِ مِنْنِي فَأَمَّا السَّبُّ فَسَيُبُونِي فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ وَ لَكُمْ نَجَاةٌ وَ أَمَّا الْبِرَاءَةُ فَلَا تَبْرَأُوا مِنِّي فَإِنِّي وُلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ وَ سَبَقْتُ إِلَى الْإِيمَانِ وَ الْهَجْرَةِ مَنْدُحِقِ الْبَطْنِ بَارِزِهَا وَ الدَّحُوقِ مِنَ النُّوقِ الَّتِي يُخْرِجُ رَحْمَهَا عِنْدَ الْوِلَادَةِ وَ سَيُظْهِرُ سَيَغْلِبُ وَ رَحِبِ الْبُلْعُومِ وَ اسْعِهِ . وَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّهُ عَنِ زِيَادَا وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ يَقُولُ إِنَّهُ عَنِ الْحِجَاكِجِ وَ قَالَ قَوْمٌ إِنَّهُ عَنِ الْمَغِيرَةِ بْنِ شَعْبَةَ وَ الْأَشْبَهَةِ عِنْدِي أَنَّهُ عَنِ مَعَاوِيَةَ لِأَنَّهُ كَانَ مَوْصُوفًا بِالنَّهْمِ وَ كَثْرَةِ الْأَكْلِ وَ كَانَ بَطِينًا يَقْعُدُ بَطْنَهُ إِذَا جَلَسَ عَلَى فِخْذِيهِ وَ كَانَ مَعَاوِيَةَ جَوَادًا بِالْمَالِ وَ الصَّلَاتِ وَ بِخِيَلَا عَلَى الطَّعَامِ يُقَالُ إِنَّهُ مَازَحَ أَعْرَابِيَا عَلَى طَعَامِهِ وَ قَدِ قَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ خُرُوفَ فَأَمْعَنَ الْأَعْرَابِيَّ فِي أَكْلِهِ فَقَالَ لَهُ مَا ذَنْبُهُ إِلَيْكَ أَنْطَحَكَ أَبُوهُ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ وَ مَا حَنُوكَ عَلَيْهِ أَرْضَعْتِكَ أُمَّهُ . وَ قَالَ لِأَعْرَابِيٍّ يَأْكُلُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَ قَدِ اسْتَعْظَمَ أَكْلَهُ أَلَا أَبْغِيكَ سَكِينًا فَقَالَ [صَفْحَهُ ٥٥] كَلَّ امْرَأٌ سَكِينَةً فِي رَأْسِهِ فَقَالَ مَا اسْمُكَ قَالَ لَقِيمٌ قَالَ مِنْهَا أَتَيْتَ . كَانَ مَعَاوِيَةَ يَأْكُلُ فَيَكْثُرُ ثُمَّ يَقُولُ ارْفَعُوا فَوَاللَّهِ مَا شَبِعْتُ وَ لَكِنِّ مَلَلْتُ وَ تَعَبْتُ . تَظَاهَرَتْ الْأَخْبَارُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَسَلَّمَ دَعَا عَلَى مَعَاوِيَةَ لِمَا بَعَثَ إِلَيْهِ يَسْتَدْعِيهِ فَوَجَدَهُ يَأْكُلُ ثُمَّ بَعَثَ فَوَجَدَهُ يَأْكُلُ فَقَالَ اللَّهُمَّ لَا تَشِيعْ بَطْنَهُ - رَوَايَاتُ ١- ١١٨ قَالَ الشَّاعِرُ وَ صَاحِبُ لِي بَطْنَهُ كَالْهَآوِيَةِ || كَأَنَّ فِي أَحْشَائِهِ مَعَاوِيَةَ . وَ فِي هَذَا الْفَصْلِ مَسَائِلُ الْأُولَى فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ عَاقِلْتُوهُ وَ لَنْ تَقْتُلُوهُ فَنَقُولُ إِنَّهُ لَا تَنَافَى بَيْنَ الْأَمْرِ بِالشَّيْءِ وَ الْإِخْبَارِ عَنْ أَنَّهُ لَا يَقَعُ كَمَا أَخْبَرَ الْحَكِيمُ سَبْحَانَهُ عَنْ أَنَّ أَبَالَهَبَ لَا يُؤْمِنُ وَأَمْرُهُ بِالْإِيمَانِ وَ كَمَا قَالَ تَعَالَى فَتَمَتُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ثُمَّ قَالَ وَ لَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا وَ أَكْثَرَ التَّكْلِيفَاتِ عَلَى هَذَا الْمَنْهَاجِ - قُرْآنُ ٢١٩- ٢٥٨ - قُرْآنُ ٢٦٨- ٢٩٤

مسألة كلامية في الأمر بالشئ مع العلم بأنه لا يقع

واعلم أن أهل العدل والمجبرة لم يختلفوا في أنه تعالى قديماً بما يعلم أنه لا يقع أو يخبر عن أنه لا يقع وإنما اختلفوا هل يصح أن يريد ما يعلم أنه لا يقع أو يخبر عنه أنه لا يقع فقال أصحابنا يصح ذلك و قال المجبرة لا يصح لأن إرادة ما يعلم المريد أنه لا يقع قضية متناقضة لأن تحت قولنا أراد مفهوم أن ذلك المراد مما يمكن حصوله لأن إرادة المحال ممتنع وتحت قولنا إنه يعلم أنه لا يقع مفهوم أن ذلك المراد مما لا يمكن حصوله لأننا قد [صَفْحَهُ ٥٦] فرضنا أنه لا يقع و ما لا يقع لا يمكن حصوله مع فرض كونه لا يقع فقال لهم أصحابنا هذا يلزمكم في الأمر لأنكم قد أجزتم أن يأمر بما يعلم أنه لا يقع فقالوا في الجواب نحن عندنا أنه يأمر بما لا يريد فإذا أمر بما يعلم أنه لا يقع أو يخبر عن أنه لا يقع كان ذلك الأمر أمراً عارياً عن الإرادة والمحال إنما نشأ من إرادة ما علم المريد أنه لا يقع وهاهنا لا إرادة. فقل لهم هب أنكم ذهبتم إلى أن الأمر قديعري من الإرادة مع كونه أمراً ألتستم تقولون أن الأمر يدل على الطلب والطلب شئ آخر غير الإرادة وتقولون إن ذلك الطلب قائم بذات البارئ فنحن نلزمكم في الطلب القائم بذات البارئ الذي لا يجوز أن يعرى الأمر منه ما ألتزمتونا في الإرادة. ونقول لكم كيف يجوز أن يطلب الطالب ما يعلم أنه لا يقع أ ليس تحت قولنا طلب مفهوم أن ذلك المطلوب مما يمكن وقوعه فالحال في الطلب كالحال في الإرادة حذو النعل بالنعل ولنا في هذا الموضوع أبحاث دقيقة ذكرناها في كتبنا الكلامية

فصل فيما روى من سب معاوية وحزبه لعلي

المسألة الثانية في قوله ع يأمركم بسبى والبراءة مني فنقول إن معاوية أمر الناس بالعراق والشام وغيرهما بسب علي ع والبراءة منه . وخطب بذلك على منابر الإسلام وصار ذلك سنة في أيام بني أمية إلى أن قام عمر بن عبدالعزيز رضى الله تعالى عنه فأزاله وذكر شيخنا أبو عثمان الجاحظ أن معاوية كان يقول في آخر خطبة الجمعة اللهم إن أباتراب ألد في دينك وصد عن سبيلك

[صفحه ٥٧] فالعنه لعنا وبيلا وعذبه عذابا أليما وكتب بذلك إلى الآفاق فكانت هذه الكلمات يشار بها على المنابر إلى خلافة عمر بن عبدالعزيز. وذكر أبو عثمان أيضا أن هشام بن عبد الملك لما حج خطب بالموسم فقام إليه إنسان فقال يا أمير المؤمنين إن هذا يوم كانت الخلفاء تستحب فيه لعن أبي تراب فقال اكفف فما لهذا جننا. وذكر المبرد في الكامل أن خالد بن عبد الله القسري لما كان أمير العراق في خلافة هشام كان يلحن عليا ع على المنبر فيقول اللهم العن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم صهر رسول الله ص على ابنته و أبا الحسن والحسين ثم يقبل على الناس فيقول هل كنت . وروى أبو عثمان أيضا أن قوما من بنى أمية قالوا لمعاوية يا أمير المؤمنين إنك قد بلغت ما أملت فلو كفت عن لعن هذا الرجل فقال لا والله حتى يربو عليه الصغير ويهرم عليه الكبير ولا يذكر له ذاك فضلا. وقال أبو عثمان أيضا وما كان عبد الملك مع فضله وأناته وسداده ورجحانه ممن يخفى عليه فضل علي ع و أن لعنه على رءوس الأشهاد وفي أعطاف الخطب و على صهوات المنابر مما يعود عليه نقصه ويرجع إليه وهنه لأنهما جميعا من بنى عبد مناف والأصل واحد والجرثومة منبت لهما وشرف علي ع وفضله عائد عليه ومحسوب له ولكنه أراد تشييد الملك وتأكيد مافعله الأسلاف و أن يقرر في أنفس الناس أن بنى هاشم لاحظ لهم في هذا الأمر و أن سيدهم الذي به يصلون وبفخره يفخرون [صفحه ٥٨] هذا حاله وهذا مقداره فيكون من ينتمى إليه ويدلى به عن الأمر أبعد و عن الوصول إليه أشحط وأنزح . وروى أهل السيرة أن الوليد بن عبد الملك في خلافته ذكر عليا ع فقال لعنه الله بالجر كان لص ابن لص . فعجب الناس من لحنه فيما لا يلحن فيه أحد و من نسبته عليا ع إلى اللصوصية وقالوا ما ندري أيهما أعجب و كان الوليد لحنانا. وأمر المغيرة بن شعبه و هو يومئذ أمير الكوفة من قبل معاوية حجر بن عدى أن يقوم في الناس فليلعن عليا ع فآبى ذلك فتوعده فقام فقال أيها الناس إن أميركم أمرني أن ألعن عليا فالعنوه فقال أهل الكوفة لعنه الله وأعاد الضمير إلى المغيرة بالنية والقصد. وأراد زياد أن يعرض أهل الكوفة أجمعين على البراءة من علي ع ولعنه و أن يقتل كل من امتنع من ذلك ويخرب منزله فضربه الله ذلك اليوم بالطاعون فمات لارحمه الله بعد ثلاثة أيام و ذلك في خلافة معاوية. و كان الحجاج لعنه الله يلحن عليا ع ويأمر بلعنه و قال له متعرض به يوما و هوراكب أيها الأمير إن أهلي عقوني فسموني عليا فغير اسمي وصلني بما أتبلغ به فإني فقير فقال للطف ما توصلت به قد سميتك كذا ووليتك العمل الفلاني فاشخص إليه . فأما عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه فإنه قال كنت غلاما أقرأ القرآن على بعض ولد عتبة بن مسعود فمر بي يوما و أنا ألعن مع الصبيان ونحن نلعن عليا . [صفحه ٥٩] فكره ذلك ودخل المسجد فتركت الصبيان وجئت إليه لأدرس عليه وردى فلما رأني قام فصلى وأطال في الصلاة شبه المعرض عني حتى أحسست منه بذلك فلما انفتل من صلاته كلح في وجهي فقلت له ما بال الشيخ فقال لي يا بني أنت اللاعن عليا منذ اليوم قلت نعم قال فمتى علمت أن الله سخط على أهل بدر بعد أن رضي عنهم فقلت يا أبت وهل كان علي من أهل بدر فقال ويحك وهل كانت بدر كلها إلا له فقلت لا أعوذ فقال الله أنك لا تعود قلت نعم فلم ألعنه بعدها ثم كنت أحضر تحت منبر المدينة و أبي يخطب يوم الجمعة و هو حينئذ أمير المدينة فكنت أسمع أبي يمر في خطبه تهدير شقاشقه حتى يأتي إلى لعن علي ع فيجتمجم ويعرض له من الفهاهة والحصر ما الله عالم به فكنت أعجب من ذلك فقلت له يوما يا أبت أنت أفصح الناس وأخطبهم فما بالي أراك أفصح خطيب يوم حفلك حتى إذ امررت بلعن هذا الرجل صرت ألعن عليا فقال يا بني إن من ترى تحت منبرنا من أهل الشام وغيرهم لو علموا من فضل هذا الرجل ما يعلمه أبوك لم يتبعنا منهم أحد فوقرت كلمته في صدري مع ما كان قاله لي معلما أيام صغري فأعطيت الله عهدا لئن كان لي في هذا الأمر نصيب لأغيرنه فلما من الله علي بالخلافة أسقطت ذلك وجعلت مكانه إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون وكتب به إلى الآفاق فصار سنة. وقال كثير بن عبد الرحمن يمدح عمر ويذكر قطعه السب - قرآن - ١١١٠ - ١٢٥٦ وليت فلم تشتم عليا و لم تخف || بر يا و لم تقبل إساءة مجرم وكفرت بالعفو الذنوب مع الذي || أتيت فأضحى راضيا كل مسلم [صفحه ٦٠] ألا إنما

يكفى الفتى بعدزيغته || من الأود البادى ثقاف المقوم و مازلت تواقا إلى كل غايه || بلغت بها أعلى العلاء المقدم فلما أتاك الأمر عفوا و لم يكن || لطالب دنيا بعده من تكلم تركت أذى يفتى لأن كان بائدا || وآثرت مايقى برأى مصمم . و قال الرضى أبو الحسن رحمه الله تعالى يا ابن عبدالعزيز لوبكت العين || فتى من أمية لبيكتك غير أنى أقول أنك قد طبت || و إن لم يطب و لم يزك بيتك أنت نزهتنا عن السب والقذف || فلو أمكن الجزاء جزيتك و لو أنى رأيت قبرك لاستحييت || من أن أرى و ماحييتك و قليل أن لوبذلت دماء || البدن صرفا على الذرا وسقيتك دير سمعان فيك مأوى أبى حفص || بودى لو أنى آويتك دير سمعان لأغبك غيث || خير ميت من آل مروان ميتك أنت بالذكر بين عيني وقلبي || إن تدانيت منك أو إن نأيتك و إذاحرك الحشا خاطر منك || توهمت أنى قدر أيتك وعجيب أنى قلت بنى مروان || طرا وأنى ماقلتك قرب العدل منك لمانأى الجور || بهم فاجتويتهم واجتبيتك فلو أنى ملكت دفعا لمانابك || من طارق الردى لفديتك . [صفحہ ۶۱] وروى ابن الكلبي عن أبيه عن عبدالرحمن بن السائب قال قال الحجاج يوما لعبد الله بن هانىء و هو رجل من بنى أود حى من قحطان و كان شريفا فى قومه قدشهد مع الحجاج مشاهده كلها و كان من أنصاره وشيعته و الله ماكافأتك بعد ثم أرسل إلى أسماء بن خارجة سيد بنى فزارة أن زوج عبد الله بن هانىء بابنتك فقال لا و الله و لاكرامة فدعا بالسياط فلما رأى الشر قال نعم أزوجه ثم بعث إلى سعيد بن قيس الهمداني رئيس اليمانية زوج ابنتك من عبد الله بن أود فقال و من أود لا و الله لأزوجه و لاكرامة فقال على بالسيف فقال دعنى حتى أشاور أهلى فشاورهم فقالوا زوجة و لاتعرض نفسك لهذا الفاسق فزوجه فقال الحجاج لعبد الله قدزوجتك بنت سيد فزارة و بنت سيد همدان و عظيم كهلان و ماأود هناك فقال لاتقل أصلح الله الأمير ذاك فإن لنا مناقب ليست لأحد من العرب قال و ماهى قال ماسب أمير المؤمنين عبدالملك فى ناد لنا قط قال منقبة و الله قال وشهد منا صفيين مع أمير المؤمنين معاوية سبعون رجلا ماشهد منا مع أبى تراب إلا رجل واحد و كان و الله ماعلمته امرأ سوء قال منقبة و الله قال و منا نسوة نذرن إن قتل الحسين بن على أن تنحر كل واحدة عشر قلائص ففعلن قال منقبة و الله قال و مانا رجل عرض عليه شتم أبى تراب ولعنه لإفعل وزاد ابنه حسنا وحسينا وأمهما فاطمة قال منقبة و الله قال و ماأحد من العرب له من الصباحة والملاحه مالنا فضحك الحجاج و قال أما هذه يا أباهانىء فدعها و كان عبد الله دميما شديدا الأدمه مجدورا فى رأسه عجر مائل الشدق أحول قبيح الوجه شديد الحول . و كان عبد الله بن الزبير يبغض عليا ع و ينتقصه وينال من عرضه . [صفحہ ۶۲] وروى عمر بن شبة و ابن الكلبي والواقدي وغيرهم من رواة السير أنه مكث أيام ادعائه للخلافة أربعين جمعة لا يصلى فيها على النبي ص و قال لايمعنى من ذكره إلا أن تشمخ رجال بآنافها . و فى رواية محمد بن حبيب و أبى عبيدة معمر بن المثنى أن له أهيل سوء ينغضون رءوسهم عند ذكره . وروى سعيد بن جبيرة أن عبد الله بن الزبير قال لعبد الله بن عباس ما حديث أسمعه عنك قال و ما هو قال تأنيبى و ذمى فقال إنى سمعت رسول الله ص يقول بئس المرء المسلم يشبع ويجوع جاره -رواية ۱- ۲-رواية ۹- ۷۸ فقال ابن الزبير إنى لأكتم بغضكم أهل هذا البيت منذ أربعين سنة و ذكر تمام الحديث . وروى عمر بن شبة أيضا عن سعيد بن جبيرة قال خطب عبد الله بن الزبير فقال من على ع فبلغ ذلك محمد بن الحنفية فجاء إليه و هو يخطب فوضع له كرسي فقطع عليه خطبته و قال يامعشر العرب شاهت الوجوه أيتقصص على وأنتم حضور إن عليا كان يد الله على أعداء الله وصاعقه من أمره أرسله على الكافرين والجاحدين لحقه فقتلهم بكفرهم فشنئوه وأبغضوه وأضمرؤا له الشنف والحسد و ابن عمه ص حى بعد لم يمت فلما نقله الله إلى جواره و أحب له ما عنده أظهرت له رجال أحقادها و شفت أضغانها فمنهم من ابتز حقه ومنهم من ائتم به ليقته ومنهم من شتمه وقذفه بالأباطيل فإن يكن لذريته وناصرى دعوته دولة تنشر عظامهم وتحفر على أجسادهم والأبدان منهم يومئذ بالية بعد أن تقتل الأحياء منهم وتذل رقابهم فيكون الله عزاسمه قدعذبهم بأيدينا وأخزاهم ونصرنا عليهم و شفا صدورنا منهم إنه و الله مايشتم عليا إلا كافر يسر شتم رسول الله ص ويخاف أن يبوح به [صفحہ ۶۳] فيكنى بشتم على ع عنه أما إنه قدتخطت المنية

منكم من امتد عمره وسمع قول رسول الله ص فيه لا يجبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق -رواية- ١-٢-رواية- ٢٧-٦٦ و
سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ فعاد ابن الزبير إلى خطبته وقال عذرت بنى الفواطم يتكلمون فما بال ابن أم حنيفة فقال
محمد يا ابن أم رومان و ما لى لأتكلم وهل فاتنى من الفواطم إلا واحدة و لم يفتنى فخرها لأنها أم أخوى أنا ابن فاطمة بنت
عمران بن عائذ بن مخزوم جده رسول الله ص و أنا ابن فاطمة بنت أسد بن هاشم كافلة رسول الله ص والقائمة مقام أمه أما والله
لو لا خديجة بنت خويلد ما تركت فى بنى أسد بن عبد العزى عظما إلا هشمته ثم قام فانصرف -قرآن- ١-٥٨

فصل فى ذكر الأحاديث الموضوعه فى ذم على

وذكر شيخنا أبو جعفر الإسكافى رحمه الله تعالى و كان من المتحققين بموالاة على ع والمبالغين فى تفضيله و إن كان القول
بالتفضيل عاما شائعا فى البغداديين من أصحابنا كافة إلا أن أبا جعفر أشدهم فى ذلك قولا وأخلصهم فيه اعتقادا أن معاوية وضع
قوما من الصحابة وقوما من التابعين على رواية أخبار قبيحة فى على ع تقتضى الطعن فيه والبراءة منه وجعل لهم على ذلك جعلاً
يرغب فى مثله فاختلفوا ما أرضاه منهم أبوهريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة و من التابعين عروة بن الزبير. روى الزهرى
أن عروة بن الزبير حدثه قال حدثتني عائشة قالت كنت عند -رواية- ١-٢-رواية- ٦٣-٦٤-ادامه دارد [صفحة ٦٤] رسول الله إذ
أقبل العباس و على فقال يا عائشة إن هذين يموتان على غير ملتى أو قال دينى -رواية- از قبل -٩٦. وروى عبدالرزاق عن معمر
قال كان عند الزهرى حديثان عن عروة عن عائشة فى على ع فسألته عنهما يوماً فقال ما تصنع بهما وبحديثهما الله أعلم بهما إنى
لأتھمهما فى بنى هاشم . قال فأما الحديث الأول فقد ذكرناه و أما الحديث الثانى فهو أن عروة زعم أن عائشة حدثته قالت كنت
عند النبى ص إذ أقبل العباس و على فقال يا عائشة إن سررك أن تنظرى إلى رجلين من أهل النار فانظرى إلى هذين قد طلعا
فنظرت فإذا العباس و على بن أبى طالب -رواية- ١-٢-رواية- ٨-١٧٢ . و أما عمرو بن العاص فروى عنه الحديث الذى أخرجه
البخارى ومسلم فى صحيحهما مسندا متصلا بعمرو بن العاص قال سمعت رسول الله ص يقول إن آل أبى طالب ليسوا لى بأولياء
إنما وليى الله وصالح المؤمنين -رواية- ١-٢-رواية- ٣٤-١٠٣ و أما أبوهريرة فروى عنه الحديث الذى معناه أن عليا ع خطب
ابنة أبى جهل فى حياة رسول الله ص فأسخطه فخطب على المنبر و قال لاها الله لا تجتمع ابنة ولى الله وابنة عدو الله أبى جهل إن
فاطمة بضعة منى يؤذنى ما يؤذيها فإن كان على يريد ابنة أبى جهل فليفارق ابنتى وليفعل ما يريد -رواية- ١-٢٩٠ أو كلاما
هذامعناه والحديث مشهور من رواية الكرايسى. قلت هذا الحديث أيضا مخرج فى صحيحى مسلم والبخارى عن المسور بن
مخرمة الزهرى و قد ذكره المرتضى فى كتابه المسمى تنزيه الأنبياء والأئمة وذكر أنه رواية [صفحة ٦٥] حسين الكرايسى و أنه
مشهور بالانحراف عن أهل البيت ع وعداوتهم والمناصبه لهم فلا تقبل روايته . ولشيعاء هذا الخبر وانتشاره ذكره مروان بن أبى
حفصة فى قصيدة يمدح بها الرشيد ويذكر فيها ولد فاطمة ع وينحى عليهم ويذمهم و قد بالغ حين ذم عليا ع ونال منه وأولها سلام
على جمل وهيهات من جمل || و يا حبذا جمل و إن صرمت جلى . يقول فيها على أبوكم كان أفضل منكم || أباه ذوو
الشورى وكانوا ذوى الفضل وساء رسول الله إذ ساء بنته || بخطبته بنت اللعين أبى جهل فذم رسول الله صهر أبيكم || على منبر
بالمنطق الصادع الفضل وحكم فيها حاكمين أبوكم || هما خلعا خلع ذى النعل للنعل و قد باعها من بعده الحسن ابنه || فقد
أبطلت دعواكم الرثة الحبل و خليتموها وهى فى غير أهلها || و طالبتموها حين صارت إلى أهل . و قد روى هذا الخبر على وجوه
مختلفة و فيه زيادات متفاوتة فمن الناس من يروى فيه مهما ذمنا من صهر فإننا لم نذم صهر أبى العاص بن الربيع و من الناس
من يروى فيه ألا إن بنى المغيرة أرسلوا إلى على ليزوجه كريمتهم و غير ذلك . وعندى أن هذا الخبر لو صح لم يكن على أمير

المؤمنين فيه غضاضةً ولاقده لأن [صفحة ٦٦] الأمة مجمعة على أنه لونكح ابنة أبي جهل مضافاً إلى نكاح فاطمة ع لجاز لأنه داخل تحت عموم الآية المبيحة للنساء الأربع فابنة أبي جهل المشار إليها كانت مسلمة لأن هذه القصة كانت بعد فتح مكة وإسلام أهلها طوعاً وكرهاً ورواه الخبر موافقون على ذلك فلم يبق إلا أنه إن كان هذا الخبر صحيحاً فإن رسول الله ص لمارأى فاطمة ع قد غارت وأدركها ما يدرك النساء عتاب علياً وكتاب الأهل و كما يستثبت الوالد رأى الولد ويستعطفه إلى رضا أهله وصلاح زوجته ولعل الواقع كان بعض هذا الكلام فحرف وزيد فيه و لو تأملت أحوال النبي ص مع زوجته و ما كان يجري بينه وبينهن من الغضب تارة والصلح أخرى والسخط تارة والرضا أخرى حتى بلغ الأمر إلى الطلاق مرة و إلى الإيلاء مرة و إلى الهجر والقطيعة مرة و تدبرت ماورد في الروايات الصحيحة مما كن يلقينه ع به ويسمعه إياه لعلمت أن أذى عاب الحسدة والشائون علياً ع به بالنسبة إلى تلك الأحوال قطرة من البحر المحيط و لو لم يكن لإقصه مارية و ماجرى بين رسول الله ص و بين تينك الامرأتين من الأحوال والأقوال حتى أنزل فيهما قرآن يتلى في المحاريب و يكتب في المصاحف و قيل لهما ما لا يقال للإسكندر ملك الدنيا لو كان حياً منابذاً لرسول الله ص و إن تظاهراً عليه فإن الله هو مولاه و جبريل و صالح المؤمنين و الملائكة بعد ذلك ظهير ثم أردف بعد ذلك بالوعيد والتخويف عسى ربه إن طلقنا الآيات بتمامها ثم ضرب لهما مثلاً امرأة نوح وامرأة لوط اللتين خانتا بعليهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وتمام الآية معلوم فهل ماروى في الخبر من تعصب فاطمة على علي ع - قرآن - ١١١١-١٢٣١-قرآن-١٢٦٧-١٢٩٢-قرآن-١٣٧٠-١٤٠٩ [صفحة ٦٧] وغيرها من تعريض بنى المغيرة له بنكاح عقيلتهم إذ قويس إلى هذه الأحوال وغيرها مما كان يجري إلا كنسبة التأيف إلى حرب البسوس ولكن صاحب الهوى والعصية لا علاج له . ثم نعود إلى حكاية كلام شيخنا أبي جعفر الإسكافي رحمه الله تعالى قال أبو جعفر وروى الأعمش قال لما قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة جاء إلى مسجد الكوفة فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه ثم ضرب صلته مرارا و قال يا أهل العراق أتزعمون أنى أكذب على الله و على رسوله وأحرق نفسى بالنار و الله لقد سمعت رسول الله ص يقول إن لكل نبي حرماً و إن حرماً بالمدينة ما بين عير إلى ثور فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة و الناس أجمعين - رويت-١-٢-روايت-٤١-١٦٣ وأشهد بالله أن علياً أحدث فيها فلما بلغ معاوية قوله أجازته وأكرمه وولاه أمانة المدينة. قلت أما قوله ما بين عير إلى ثور فالظاهر أنه غلط من الراوى لأن ثورا بمكة و هو جبل يقال له ثور أطحل و فيه الغار الذى دخله النبي ص و أبو بكر وإنما قيل أطحل لأن أطحل بن عبدمناف بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن عدنان كان يسكنه و قيل اسم الجبل أطحل فأضيف ثور إليه و هو ثور بن عبدمناف والصواب ما بين عير إلى أحد. فأما قول أبي هريرة أن علياً أحدث فى المدينة فحاش لله كان على ع أتقى لله من ذلك و الله لقد نصر عثمان نصراً لو كان المحصور جعفر بن أبى طالب لم يبذل له إلا مثله . قال أبو جعفر و أبو هريرة مدخول عند شيوخنا غير مرضى الرواية ضربه عمر [صفحة ٦٨] بالدره و قال قد أكثرت من الرواية وأحربك أن تكون كاذباً على رسول الله ص . وروى سفیان الثورى عن منصور عن ابراهيم التيمى قال كانوا لا يأخذون عن أبى هريرة إلا ما كان من ذكر جنه أنوار. وروى أبو أسامة عن الأعمش قال كان ابراهيم صحيح الحديث فكنت إذ اسمعت الحديث أتيت فعرضته عليه فأتيته يوماً بأحد من حديث أبى صالح عن أبى هريرة فقال دعنى من أبى هريرة إنهم كانوا يتركون كثيراً من حديثه . و قدروى عن علي ع أنه قال ألا إن أكذب الناس أو قال أكذب الأحياء على رسول الله ص أبو هريرة الدوسى . وروى أبو يوسف قال قلت لأبى حنيفة الخبر يجىء عن رسول الله ص يخالف قياسنا ما تصنع به قال إذا جاءت به الرواة الثقات عملنا به وتركنا الرأى فقلت ما تقول فى رواية أبى بكر وعمر فقال ناهيك بهما فقلت على و عثمان قال كذلك فلما رآنى أعد الصحابة قال والصحابة كلهم عدول ماعدا رجالاتهم ثم عد منهم أباهريرة وأنس بن مالك . وروى سفیان الثورى عن عبدالرحمن بن القاسم عن عمر بن عبدالغفار أن أباهريرة لما قدم الكوفة مع معاوية كان يجلس بالعشيات بباب كندة ويجلس

الناس إليه فجاء شاب من الكوفة فجلس إليه فقال يا أبا هريرة أنشدك الله أسمعت رسول الله ص يقول لعلي بن أبي طالب اللهم وال من والاه وعاد من عاداه -رواية- ١-٢-رواية- ٤٣-٨٠ فقال اللهم نعم قال فأشهد بالله لقد واليت عدوه وعاديت وليه ثم قام عنه . [صفحہ ٦٩] وروت الرواة أن أبا هريرة كان يؤاكل الصبيان في الطريق ويلعب معهم و كان يخطب و هو أمير المدينة فيقول الحمد لله الذي جعل الدين قياما و أبا هريرة إماما يضحك الناس بذلك و كان يمشى و هو أمير المدينة في السوق فإذا انتهى إلى رجل يمشى أمامه ضرب برجليه الأرض و يقول الطريق الطريق قد جاء الأمير يعنى نفسه . قلت قد ذكر ابن قتيبة هذا كله في كتاب المعارف في ترجمة أبي هريرة و قوله فيه حجة لأنه غير متهم عليه . قال أبو جعفر و كان المغيرة بن شعبه يلعن عليا لعنا صريحا على منبر الكوفة و كان بلغه عن علي ع في أيام عمر أنه قال لئن رأيت المغيرة لأرجمته بأحجاره يعنى واقعة الزناء بالمرأة التي شهد عليه فيها أبو بكر و نكل زياد عن الشهادة فكان يبغضه لذاك ولغيره من أحوال اجتمعت في نفسه . قال و قد تظاهرت الرواية عن عروة بن الزبير أنه كان يأخذ الزمعة عند ذكر علي ع فيسبه و يضرب بإحدى يديه على الأخرى و يقول و ما يغني أنه لم يخالف إلى ما نهى عنه و قد أراق من دماء المسلمين مآراق . قال و قد كان في المحدثين من يبغضه ع و يروى فيه الأحاديث المنكرة منهم حريز بن عثمان كان يبغضه و ينتقصه و يروى فيه أخبارا مكذوبة و قد روى [صفحہ ٧٠] المحدثون أن حريزا رأى في المنام بعد موته فقيل له ما فعل الله بك قال كاد يغفر لي لو لا بغض علي . قلت قد روى أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري في كتاب السقيفة قال حدثني أبو جعفر بن الجنيد قال حدثني ابراهيم بن الجنيد قال حدثني محفوظ بن المفضل بن عمر قال حدثني أبو البهلول يوسف بن يعقوب قال حدثنا حمزة بن حسان و كان مولى لبنى أمية و كان مؤذنا عشرين سنة و حج غير حجة و أثنى أبو البهلول عليه خيرا قال حضرت حريز بن عثمان و ذكر علي بن أبي طالب فقال ذاك الذي أحل حرم رسول الله ص حتى كاد يقع . قال محفوظ قلت ليحيى بن صالح الوحاظي قد رويت عن مشايخ من نظراء حريز فما بالك لم تحمل عن حريز قال إنى أتيت فناولني كتابا فإذا فيه حديثي فلان عن فلان إن النبي ص لما حضرته الوفاة أوصى أن تقطع يد علي بن أبي طالب ع -رواية- ١-٢-رواية- ٢٤-٩٦ فرددت الكتاب و لم أستحل أن أكتب عنه شيئا . قال أبو بكر و حدثني أبو جعفر قال حدثني ابراهيم قال حدثني محمد بن عاصم صاحب الخانات قال قال لنا حريز بن عثمان أنتم يا أهل العراق تحبون علي بن أبي طالب ع ونحن نبغضه قالوا لم قال لأنه قتل أجدادى . قال محمد بن عاصم و كان حريز بن عثمان نازلا علينا . قال أبو جعفر رحمه الله تعالى و كان المغيرة بن شعبه صاحب دنيا يبيع دينه بالقليل النزر منها و يرضى معاوية بذكر علي بن أبي طالب ع قال يوما في مجلس معاوية إن عليا لم ينكحه رسول الله ابنته حبا ولكنه أراد أن يكافئ بذلك إحسان أبي طالب إليه . [صفحہ ٧١] قال و قد صح عندنا أن المغيرة لعنه على منبر العراق مرات لا تحصى و يروى أنه لما مات و دفنوه أقبل رجل راكب ظليما فوقف قريبا منه ثم قال أ من رسم دار من مغيرة تعرف || عليها زواني الإنس والجن تعزف فإن كنت قد لاقيت فرعون بعدنا || وهامان فاعلم أن ذا العرش منصف . قال فطلبوه فغاب عنهم و لم يروا أحدا فعلموا أنه من الجن . قال فأما مروان بن الحكم فأحقر و أقل من أن يذكر في الصحابة الذين قد غمضناهم وأوضحنا سوء رأينا فيهم لأنه كان مجاهرا بالإلحاد هو وأبوه الحكم بن أبي العاص وهما الطريدان اللعينان كان أبوه عدو رسول الله ص يحكيه في مشيه و يغمز عليه عينه و يدلح له لسانه و يتهكم به و يتهانف عليه هذا و هو في قبضته و تحت يده و في دار دعوته بالمدينة و هو يعلم أنه قادر على قتله أى وقت شاء من ليل أو نهار فهل يكون هذا إلا من شأنى شديد البغضة و مستحكم العداوة حتى أفضى أمره إلى أن طرده رسول الله ص عن المدينة و سيره إلى الطائف . و أما مروان ابنه فأخبث عقيدة و أعظم إلحادا و كفرا و هو الذى خطب يوم وصل إليه رأس الحسين ع إلى المدينة و هو يومئذ أميرها و قد حمل الرأس على يديه فقال يا حبذا بردك فى اليمين || و حمرة تجرى على الخدين كأنما بت بمسجدين . [صفحہ ٧٢] ثم رمى بالرأس نحو قبر النبي و قال يا محمد يوم بيوم بدر و هذا القول مشتق من الشعر الذى تمثل به يزيد بن معاوية و هو شعر ابن

الزبعرى يوم وصل الرأس إليه . والخبر مشهور. قلت هكذا قال شيخنا أبو جعفر والصحيح أن مروان لم يكن أمير المدينة يومئذ بل كان أميرها عمرو بن سعيد بن العاص و لم يحمل إليه الرأس وإنما كتب إليه عبيد الله بن زياد يبشره بقتل الحسين ع فقراً كتابه على المنبر وأشد الرجز المذكور وأوماً إلى القبر قائلاً يوم بيوم بدر فأنكر عليه قوله قوم من الأنصار. ذكر ذلك أبو عبيدة فى كتاب المثالب . قال وروى الواقدي أن معاوية لما عاد من العراق إلى الشام بعدبيعة الحسن ع واجتماع الناس إليه خطب فقال أيها الناس إن رسول الله ص قال لى إنك ستلى الخلافة من بعدى فاختر الأرض المقدسة فإن فيها الأبدال -روايت- ١-٢- روايت- ٣١-٩٧ و قد اخترتكم فالعنوا أبا تراب فلعنوه فلما كان من الغد كتب كتاباً ثم جمعهم فقرأ عليهم وفيه هذا كتاب كتبه أمير المؤمنين معاوية صاحب وحى الله الذى بعث محمداً نبياً و كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب فاصطفى له من أهله وزيرا كاتباً أميناً فكان الوحي ينزل على محمد و أنا أكتبه و هو لا يعلم ما أكتب فلم يكن بينى و بين الله أحد من خلقه فقال له الحاضرون كلهم صدقت يا أمير المؤمنين . [صفحہ ٧٣] قال أبو جعفر و قدروى أن معاوية بذل لسمره بن جندب مائة ألف درهم حتى يروى أن هذه الآية نزلت فى على بن أبى طالب و من الناس من يُعجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَ يُهْلِكَ الْحَرثَ وَ النَّسْلَ وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ و أن الآية الثانية نزلت فى ابن ملجم وهى قوله تعالى و من الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات اللّٰه فلم يقبل فبذل له مائة ألف درهم فلم يقبل فبذل له ثلاثمائة ألف فلم يقبل فبذل له أربعمائة ألف فقبل وروى ذلك . قال و قد صح أن بنى أمية منعوا من إظهار فضائل على ع و عاقبوا على ذلك الراوى له حتى أن الرجل إذا روى عنه حديثاً لا يتعلق بفضله بل بشرائع الدين لا يتجاسر على ذكر اسمه فيقول عن أبى زينب . وروى عطاء عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال وددت أن أترك فأحدث بفضائل على بن أبى طالب ع يوماً إلى الليل و أن عنقى هذه ضربت بالسيف . قال فالأحاديث الواردة فى فضله لو لم تكن فى الشهرة والاستفاضه وكثرة النقل إلى غاية بعيدة لانقطع نقلها للخوف والتقية من بنى مروان مع طول المدة و شدة العداوة . و لو لا أن الله تعالى فى هذا الرجل سرا يعلمه من يعلمه لم يرو فى فضله حديث و لا عرفت له منقبه أ لا ترى أن رئيس قرية لوسخط على واحد من أهلها ومنع الناس أن يذكروه بخير وصلاح لخمّل ذكره ونسى اسمه وصار و هو موجود معدوماً و هو حى ميتاً هذه خلاصة ما ذكره شيخنا أبو جعفر رحمه الله تعالى فى هذا المعنى فى كتاب التفضيل -قرآن- ١٢٣-٣٥٠-قرآن- ٤٠٨-٤٦٦ [صفحہ ٧٤]

فصل فى ذكر المنحرفين عن على

وذكر جماعة من شيوخنا البغداديين أن عدة من الصحابة والتابعين والمحدثين كانوا منحرفين عن على ع قائلين فيه السوء ومنهم من كتم مناقبه وأعان أعداءه ميلاً مع الدنيا وإيثارا للعاجلة فمنهم أنس بن مالك ناشد على ع الناس فى رحبة القصر أو قال رحبة الجامع بالكوفة أيكم سمع رسول الله ص يقول من كنت مولاه فعلى مولاه -روايت- ١-١٢٣ فقام اثنا عشر رجلاً فشهدوا بها وأنس بن مالك فى القوم لم يقم فقال له يأنس ما يمنعك أن تقوم فتشهد ولقد حضرتها فقال يا أمير المؤمنين كبرت ونسيت فقال اللهم إن كان كاذباً فارمه بها بيضاء لا توارىها الغمامة -روايت- ١-٢-روايت- ٩-٦٥ قال طلحة بن عمير فو الله لقد رأيت الواضح به بعد ذلك أبيض بين عينيه . وروى عثمان بن مطرف أن رجلاً سأل أنس بن مالك فى آخر عمره عن على بن أبى طالب فقال إنى آليت ألا أكرم حديثاً سئلت عنه فى على بعد يوم الرحبة ذاك رأس المتقين يوم القيامة سمعته و الله من نبيكم - روايت- ١-٢-روايت- ٢٥-٢١٢ وروى أبو إسرائيل عن الحكم عن أبى سليمان المؤذن أن علياً ع نشد الناس من سمع رسول الله ص يقول من كنت مولاه فعلى مولاه فشهد له قوم وأمسك زيد بن أرقم فلم يشهد و كان يعلمها فدعا على ع عليه بذهاب البصر

فعمى -رواية- ١-٢-رواية-٥٥-٢٢٧ فكان يحدث الناس بالحديث بعد ماكف بصره .قالوا و كان الأشعث بن قيس الكندى و جرير بن عبد الله البجلي يبغضانه وهدم على ع دار جرير بن عبد الله . قال إسماعيل بن جرير هدم على دارنا مرتين . [صفحہ ٧٥] وروى الحارث بن حصين أن رسول الله ص دفع إلى جرير بن عبد الله نعلين نعاله و قال احتفظ بهما فإن ذهابهما ذهاب دينك -رواية- ١-٢-رواية-٢٦-١٢٧ فلما كان يوم الجمل ذهبت إحداهما فلما أرسله على ع إلى معاوية ذهبت الأخرى ثم فارق عليا واعتزل الحرب . وروى أهل السيرة أن الأشعث خطب إلى على ع ابنته فزبره و قال يا ابن الحائك أغرك ابن أبي قحافة -رواية- ١-٢-رواية-١٠-٤٧ وروى أبو بكر الهذلي عن الزهري عن عبيد الله بن عدى بن الخيار بن نوفل بن عبد مناف قال قام الأشعث إلى على ع فقال إن الناس يزعمون أن رسول الله ص عهد إليك عهدا لم يعهده إلى غيرك فقال إنه عهد إلى ما فى قراب سيفى لم يعهد إلى غير ذلك فقال الأشعث هذه إن قلتها فهى عليك لا لك دعها ترحل عنك فقال له و ما علمك بما على مما لى منافق ابن كافر حائكك ابن حائكك إنى لأجد منك بنه الغزل ثم التفت إلى عبيد الله بن عدى بن الخيار فقال يا عبيد الله إنك لتسمع خلافا وترى عجا ثم أنشد -رواية- ١-٢-رواية-٩٤-٥٠٧ أصبحت هزءا لراعى الضأن أتبعه || ماذا يرييك منى راعى الضأن . و قد ذكرنا فى بعض الروايات المتقدّمات أن سبب قوله هذه عليك لا لك أمر آخر والروايات تختلف . وروى يحيى بن عيسى الرملى عن الأعمش أن جريرا والأشعث خرجا إلى جبان الكوفة فمر بهما ضب يعدو وهما فى ذم على ع فنادياه يا أباحسل هلم [صفحہ ٧٦] يدك نبايعك بالخلافه فبلغ عليا ع قولهما فقال أما إنهما يحشران يوم القيامة وإمامهما ضب -رواية- ١-٢-رواية-٩-٥٢ . و كان أبو مسعود الأنصارى منحرفا عنه ع روى شريك عن عثمان بن أبى زرعة عن زيد بن وهب قال تذاكرنا القيام إذ امرت الجنازة عند على ع فقال أبو مسعود الأنصارى قد كنا نقوم فقال على ع ذاك وأنتم يومئذ يهود -رواية- ١-٢-رواية-٥٦-١٧٣ وروى شعبه عن عبيد بن الحسن عن عبد الرحمن بن معقل قال حضرت عليا ع و قد سأله رجل عن امرأة توفى عنها زوجها وهى حامل فقال تتربص أبعده الأجلين فقال رجل فإن أبا مسعود يقول وضعها انقضاء عدتها فقال على ع إن فروجا لا يعلم -رواية- ١-٢-رواية-٦٢-٢٣٤ فبلغ قوله أبا مسعود فقال بلى و الله إنى لأعلم أن الآخر شر . وروى المنهال عن نعيم بن دجاجة قال كنت جالسا عند على ع إذ جاء أبو مسعود فقال على ع جاءكم فوج فجاء فجلس فقال له على ع بلغنى أنك تفتى الناس قال نعم وأخبرهم أن الآخر شر قال فهل سمعت من رسول الله ص شيئا قال نعم سمعته يقول لا يأتى على الناس سنه مائة و على الأرض عين تطرف قال أخطأت استك الحفرة وغلطت فى أول ظنك إنما عنى من حضره يومئذ وهل الرخاء إلا بعد المائة -رواية- ١-٢-رواية-٤١-٣٩٥ . [صفحہ ٧٧] وروى جماعة من أهل السير أن عليا ع كان يقول عن كعب الأحبار إنه لكذاب -رواية- ١-٢-رواية-٢٩-٨٠ و كان كعب منحرفا عن على ع و كان النعمان بن بشير الأنصارى منحرفا عنه وعدوا له وخاض الدماء مع معاوية خوضا و كان من أمراء يزيد ابنه حتى قتل و هو على حاله . و قد روى أن عمران بن الحصين كان من المنحرفين عنه ع و أن عليا سيره إلى المدائن و ذلك أنه كان يقول إن مات على فلا أدري ماموته و إن قتل فعسى أنى إن قتل رجوت له . و من الناس من يجعل عمران فى الشيعة . و كان سمرة بن جندب من شرطة زياد روى عبد الملك بن حكيم عن الحسن قال جاء رجل من أهل خراسان إلى البصرة فترك مالا كان معه فى بيت المال وأخذ براءة ثم دخل المسجد فصلى ركعتين فأخذه سمرة بن جندب واتهمه برأى الخوارج فقدمه فضرب عنقه و هو يومئذ على شرطة زياد فنظروا فيما معه فإذا البراءة بخط بيت المال فقال أبو بكره ياسمرة أ ما سمعت الله تعالى يقول قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَ ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى فقال أخوك أمرنى بذلك . وروى الأعمش عن أبى صالح قال قيل لنا قد قدم رجل من أصحاب رسول الله ص فأتيناه فإذا هو سمرة بن جندب و إذا عند إحدى رجله خمر و عند الأخرى ثلج فقلنا ما هذا قالوا به النقرس و إذا قوم قد أتوه فقالوا ياسمرة - قرآن - ٧٥٠-٨٠٢ [صفحہ ٧٨] ما تقول لربك غدا توتى بالرجل فيقال لك هو من الخوارج فتأمر بقتله ثم توتى بآخر فيقال لك

ليس الذى قتلته بخارجى ذاك فتى وجدناه ماضيا فى حاجته فشبّه علينا وإنما الخارجى هذا فتأمر بقتل الثانى فقال سمرة و أى بأس فى ذلك إن كان من أهل الجنة مضى إلى الجنة و إن كان من أهل النار مضى إلى النار. وروى واصل مولى أبى عبينه عن جعفر بن محمد بن على ع عن آباءه قال كان لسمرة بن جندب نخل فى بستان رجل من الأنصار فكان يؤذيه فشكا الأنصارى ذلك إلى رسول الله ص فبعث إلى سمرة فدعاه فقال له بع نخلك من هذا وخذ ثمنه قال لأفعل قال فخذ نخلا مكان نخلك قال لأفعل قال فاشتر منه بستانه قال لأفعل قال فاترك لى هذا النخل و لك الجنة قال لأفعل فقال ص للأنصارى اذهب فاقطع نخله فإنه لاحق له فيه -رواية- ١-٢-رواية- ٧٦-٤٣١. وروى شريك قال أخبرنا عبد الله بن سعد عن حجر بن عدى قال قدمت المدينة فجلست إلى أبى هريرة فقال ممن أنت قلت من أهل البصرة قال ما فعل سمرة بن جندب قلت هوحى قال ما أحد أحب إلى طول حياة منه قلت و لم ذاك قال إن رسول الله ص قال لى و له ولحذيفة بن اليمان آخركم موتا فى النار -رواية- ١-٢-رواية- ٨-٨٣ فسبقنا حذيفة و أنا الآن أتمنى أن أسبقه قال فبقي سمرة بن جندب حتى شهد مقتل الحسين . وروى أحمد بن بشير عن مسعر بن كدام قال كان سمرة بن جندب أيام مسير [صفحة ٧٩] الحسين ع إلى الكوفة على شرطة عبيد الله بن زياد و كان يحرض الناس على الخروج إلى الحسين ع وقتاله . و من المنحرفين عنه المبغضين له عبد الله بن الزبير و قد ذكرناه آنفا كان على ع يقول مازال الزبير منا أهل البيت حتى نشأ ابنه عبد الله فأفسده -رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-٨٣ . و عبد الله هو الذى حمل الزبير على الحرب و هو الذى زين لعائشة مسيرها إلى البصرة و كان سبابا فاحشا يبغض بنى هاشم ويلعن ويسب على بن أبى طالب ع و كان على ع يقنت فى صلاة الفجر و فى صلاة المغرب ويلعن معاوية و عمر و المغيرة و الوليد بن عقبه و أبى الأعمش و الضحاک بن قيس و بسر بن أرطاة و حبيب بن مسلمة و أبى موسى الأشعري و مروان بن الحكم و كان هؤلاء يقتنون عليه ويلعنونه . وروى شيخنا أبو عبد الله البصرى المتكلم رحمه الله تعالى عن نصر بن عاصم الليثى عن أبيه قال أتيت مسجد رسول الله ص و الناس يقولون نعوذ بالله من غضب الله و غضب رسوله فقلت ما هذا قالوا معاوية قام الساعة فأخذ بيد أبى سفيان فخرجا من المسجد فقال رسول الله ص لعن الله التابع و المتبوع رب يوم لأمتى من معاوية ذى الأستاه -رواية- ١-٢-رواية- ٢٤-٩٠ و قال روى العلاء بن حريز القشيري أن رسول الله ص قال لمعاوية لتتخذن يامعاوية البدعة سنة و القبح حسنا أكلك كثير و ظلمك عظيم -رواية- ١-٢-رواية- ٣٨-١٣٥ قال وروى الحارث بن حصيرة عن أبى صادق عن ربيعة بن ناجذ قال قال -رواية- ١-٢ [صفحة ٨٠] على ع نحن و آل أبى سفيان قوم تعادوا فى الأمر و الأمر يعود كما بدا -رواية- ١١-٧٢ . قلت و قد ذكرنا نحن فى تلخيص نقض السفينانية ما فيه كفاية فى هذا الباب . وروى صاحب كتاب الغارات عن أبى صادق عن جندب بن عبد الله قال ذكر المغيرة بن شعبة عند على ع و جده مع معاوية قال و ما المغيرة إنما كان إسلامه لفجرة و غدره غدرها بنفر من قومه فتك بهم وركبها منهم فهرب منهم فأتى النبى ص كالعائذ بالإسلام و الله مارأى أحد عليه منذ ادعى الإسلام خضوعا و لا خشوعا ألا وإنه يكون من ثقيف فراعنة قبل يوم القيامة يجانبون الحق و يسعون نيران الحرب و يوازرون الظالمين ألا إن ثقيفا قوم غدر لا يوفون بعهد يبغضون العرب كأنهم ليسوا منهم و لرب صالح قد كان منهم فمنهم عروة بن مسعود و أبو عبيد بن مسعود المستشهد يوم قس الناطف و إن الصالح فى ثقيف لغريب -رواية- ١-٢-رواية- ٧١-٦٠٨ . قال شيخنا أبو القاسم البلخى من المعلوم الذى لا ريب فيه لاشتهار الخبر به و إطباق الناس عليه أن الوليد بن عقبه بن أبى معيط كان يبغض عليا و يشتمه و أنه هو الذى لاحاه فى حياة رسول الله ص و نابذه و قال له أنا أثبت منك جنانا و أحد سنانا فقال له على ع اسكت يافاسق فأنزل الله تعالى فيهما فَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ والآيات المتلوة وسمى الوليد بحسب ذلك فى حياة رسول الله ص الفاسق فكان لا يعرف إلا بالوليد الفاسق . -قرآن- ٣٠٤-٣٥٨ [صفحة ٨١] و هذه الآية من الآيات التى نزل فيها القرآن بموافقة على ع كما نزل فى مواضع بموافقة عمر و سماه الله تعالى فاسقا فى آية أخرى و هو قوله تعالى إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا و سبب نزولها مشهور و

هو كذبه على بنى المصطلق وادعاؤه أنهم منعوا الزكاة وشهروا السيف حتى أمر النبي ص بالتجهز للمسير إليهم فأنزل الله تعالى في تكذيبه وبراءة ساحه القوم هذه الآية. و كان الوليد مذموما معيا عند رسول الله ص يشنؤه ويعرض عنه و كان الوليد يبغض رسول الله ص أيضا ويشنؤه وأبوه عقبه بن أبي معيط هو العدو الأزرق بمكة و الذى كان يؤذى رسول الله ص فى نفسه وأهله وأخباره فى ذلك مشهورة فلما ظفر به يوم بدر ضرب عنقه وورث ابنه الوليد الشنآن والبغضة لمحمد وأهله فلم يزل عليهما إلى أن مات . قال الشيخ أبو القاسم و هو أحد الصبيه الذين قال أبو عقبه فيهم و قد قدم ليضرب عنقه من للصبيه يا محمد فقال النار اضربوا عنقه . قال وللوليد شعر يقصد فيه الرد على رسول الله ص حيث قرآن- ١٤٩- ١٨٨ قال إن تولوها عليا تجدوه هاديا مهديا -روايت- ١- ٤١ قال و ذلك أن عليا ع لما قتل قصد بنوه أن يخفوا قبره خوفا من بنى أمية أن يحدثوا فى قبره حدثا فأوهموا الناس فى موضع قبره تلك الليلة و هى ليلة دفنه إيهامات مختلفة فشدوا على جمل تابوتا موثقا بالحبال يفوح منه روائح الكافور وأخرجوه من الكوفة فى سواد الليل صحبه ثقاتهم يوهمون أنهم يحملونه إلى المدينة فيدفنونه عند فاطمة ع وأخرجوا بغلا و عليه جنازة مغطاة [صفحه ٨٢] يوهمون أنهم يدفنونه بالحيرة وحفروا حفائر عدة منها بالمسجد ومنها برحبة القصر قصر الإمارة ومنها فى حجرة من دور آل جعدة بن هبيرة المخزومي ومنها فى أصل دار عبد الله بن يزيد القسرى بحداء باب الوراقين مما يلي قبلة المسجد ومنها فى الكناسة ومنها فى الثوية فعمى على الناس موضع قبره و لم يعلم دفنه على الحقيقة إلا بنوه والخواص المخلصون من أصحابه فإنهم خرجوا به ع وقت السحر فى الليلة الحادية والعشرين من شهر رمضان فدفنوه على النجف بالموضع المعروف بالغرى بوصاه منه ع إليهم فى ذلك وعهد كان عهد به إليهم وعمى موضع قبره على الناس واختلفت الأراجيف فى صبيحة ذلك اليوم اختلافا شديدا وافترقت الأقوال فى موضع قبره الشريف وتشعبت وادعى قوم أن جماعة من طيى وقعوا على جمل فى تلك الليلة و قد أضله أصحابه ببلادهم و عليه صندوق فظنوا فيه مالا فلما رأوا ما فيه خافوا أن يطلبوا به فدفنوا الصندوق بما فيه ونحروا البعير وأكلوه وشاع ذلك فى بنى أمية وشيعتهم واعتقدوه حقا فقال الوليد بن عقبه من أبيات يذكره ع فيها فإن يك قد ضل البعير بحمله || فما كان مهديا و لا كان هاديا . وروى الشيخ أبو القاسم البلخى أيضا عن جرير بن عبد الحميد عن مغيرة الضبى قال مر ناس بالحسن بن على ع وهم يريدون عيادة الوليد بن عقبه و هو فى عله له شديدة فأتاه الحسن ع معهم عائدا فقال للحسن أتوب إلى الله تعالى مما كان بينى وبين جميع الناس إلا ما كان بينى وبين أبيك فإنى لا أتوب منه . قال شيخنا أبو القاسم البلخى وأكد بغضه له ضربه إياه الحد فى ولاية عثمان وعزله عن الكوفة. [صفحه ٨٣] و قد اتفقت الأخبار الصحيحة التى لاريب فيها عند المحدثين على أن النبي ص قال لا يبغضك إلا منافق و لا يجبك إلا مؤمن -روايت- ١- ٢-روايت- ٢٢- ٦١ قال وروى حبه العرنى عن على ع أنه قال إن الله عز و جل أخذ ميثاق كل مؤمن على حبي وميثاق كل منافق على بغضى فلو ضربت وجه المؤمن بالسيف ما أبغضنى و لو صببت الدنيا على المنافق ما أحببى -روايت- ١- ٢-روايت- ٤٨- ٢٠٤ وروى عبد الكريم بن هلال عن أسلم المكى عن أبى الطفيل قال سمعت عليا ع و هو يقول لو ضربت خياشيم المؤمن بالسيف ما أبغضنى و لو نثرت على المنافق ذهبا وفضة ما أحببى إن الله أخذ ميثاق المؤمنين بحبى وميثاق المنافقين ببغضى فلا يبغضنى مؤمن و لا يحببى منافق أبدا -روايت- ١- ٢-روايت- ٩٠- ٢٧٦ . قال الشيخ أبو القاسم البلخى و قد روى كثير من أرباب الحديث عن جماعة من الصحابة قالوا ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله ص إلا ببغض على بن أبى طالب . ذكر إبراهيم بن هلال صاحب كتاب الغارات فيمن فارق عليا ع والتحق بمعاوية يزيد بن حجية التيمى من بنى تيم بن ثعلبة بن بكر بن وائل و كان ع قد استعمله على الرى ودستبى فكسر الخوارج واحتجج المال لنفسه فحبسه على ع وجعل معه سعدا مولاه فقرب يزيد ركائبه وسعد نائم فالتحق بمعاوية و قال [صفحه ٨٤] خادعت سعدا وارتمت بى ركائبى || إلى الشام واخترت الذى هو أفضل وغادرت سعدا نائما فى عباءة || وسعد غلام مستهام مضلل . ثم خرج حتى أتى الرقة وكذلك كان يصنع من يفارق عليا ع يبدأ بالرقه حتى يستأذن معاوية فى القدوم عليه

وكانت الرقة والرهما وقرقيسيا وحران من حيز معاوية وعليها الضحاك بن قيس وكانت هيت وعانات ونصييين ودارا وآمد وسنجار من حيز علي ع وعليها الأشتر وكانا يقتتلان في كل شهر. وقال يزيد بن حجية وهو بالرقة يهجو عليا ع ياتول ليلي بالرقا لم أنم || من غير عشق صبت نفسي ولاسقم لكن لذكر أمور جمه طرقت || أخشى على الأصل منها زله القدم أخشى عليا عليهم أن يكون لهم || مثل العقور الذي عفى على إرم . و بعد ذلك ما لاندكره . قال ابراهيم بن هلال و قد كان زياد بن خصفه التيمي قال لعلي ع يوم هرب يزيد بن حجية ابعتني يا أمير المؤمنين في أثره أردت إليك فبلغ قوله يزيد بن حجية فقال في ذلك أبلغ زيادا أنني قد كفته || أموري وخليت الذي هو عاتبه و باب شديد موثق قد فتحت || عليك و قد أعت عليك مذهب هبت أ ماترجو غنائى ومشهدى || إذ الخصم لم يوجد له من يجاذبه [صفحہ ۸۵] فأقسم لو لا أن أمك أمنا || وأنك مولى ما طفت أعاتبه وأقسم لو أدركتني مارددتني || كلانا قد اصطفت إليه جلائبه . قال ابن هلال و كتب إلى العراق شعرا يذم فيه عليا ع ويخبره أنه من أعدائه فدعا عليه و قال لأصحابه عقيب الصلاة ارفعوا أيديكم فادعوا عليه فدعا عليه وأمن أصحابه . قال أبو الصلت التيمي كان دعاؤه عليه اللهم إن يزيد بن حجية هرب بمال المسلمين ولحق بالقوم الفاسقين فاكفنا مكره وكيده واجزه جزاء الظالمين -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۶-۱۵۴ . قال ورفع القوم أيديهم يؤمنون و كان في المسجد عفاق بن شرحبيل بن أبي رهم التيمي شيخا كبيرا و كان يعد ممن شهد على حجر بن عدى حتى قتله معاوية فقال عفاق على من يدعو القوم قالوا على يزيد بن حجية فقال تربت أيديكم أ على أشرفنا تدعون فقاموا إليه فضربوه حتى كاد يهلك و قام زياد بن خصفه و كان من شيعة علي ع فقال دعوا لى ابن عمى فقال علي ع دعوا للرجل ابن عمه فتركه الناس فأخذ زياد بيده فأخرجه من المسجد وجعل يمشى معه يمسح التراب عن وجهه وعفاق يقول و الله لأحبكم ماسعيت ومشيت و الله لأحبكم ماختلفت الدرء والجرء و زياد يقول ذلك أضر لك ذلك شر لك . و قال زياد بن خصفه يذكر ضرب الناس عفاقا دعوت عفاقا للهدى فاستغشنى || وولى فريا قوله و هو مغضب و لو لادفعاى عن عفاق ومشهدى || هوت بعفاق عوض عنقاء مغرب [صفحہ ۸۶] أنبه أن الهدى فى اتباعنا || فيأبى ويضريه المرء فيشغب فإن لايشاغب عفاق فإننا || على الحق ماغنى الحمام المطرب سيغنى الإله عن عفاق وسعيه || إذ ابعت للناس جأواء تحرب قبائل من حىي معد ومثلها || يمانية لاتنتهى حين تندب لهم عدد مثل التراب وطاعة || تود وبأس فى الوغى لا يؤنب . فقال له عفاق لو كنت شاعرا لأجبتك ولكنى أخبركم عن ثلاث خصال كن منكم و الله ما أرى أن تصيبوا بعدهن شيئا مما يسركم . أما واحدة فإنكم سرتم إلى أهل الشام حتى إذا دخلتم عليهم بلادهم قاتلتموهم فلما ظن القوم أنكم لهم قاهرون رفعوا المصاحف فسحروا بكم فردوكم عنهم فلا و الله لا تدخلونها بمثل ذلك الجد والحد والعدد الذى دخلتم به أبدا . و أما الثانية فإنكم بعثتم حكما وبعث القوم حكما فأما حكمكم فخلعكم و أما حكمهم فأثبتهم فرجع صاحبهم يدعى أمير المؤمنين ورجعتم متلاعين متباغضين فو الله لا يزال القوم فى علاء و لا تزالون فى سفال . و أما الثالثة فإنه خالفكم قراؤكم وفرسانكم فعدوتم عليهم فذبحتموهم بأيديكم فو الله لا تزالون بعدها متضعضعين . قال و كان يمر عليهم بعد فيقول اللهم إنى منهم برىء ولا بن عفان ولى فيقولون اللهم إنا لعلى أولياء و من ابن عفان برآء ومنك يا عفاق . [صفحہ ۸۷] قال فأخذ لايقلع فدعوا رجلا منهم له سجاعة كسجاعة الكهان فقالوا ويحك أ ماتكفينا بسجعك وخطبك هذا فقال كفيتكم فمر عفاق عليهم فقال كما كان يقول فلم يمهل أن قال له اللهم اقتل عفاقا فإنه أسر نفاقا وأظهر شقاقا و بين فراقا وتلون أخلاقا . فقال عفاق ويحكم من سلط على هذا قال الله بعثنى إليك وسلطنى عليك لأقطع لسانك وأنصل سنامك وأطرد شيطانك . قال فلم يك يمر عليهم بعد إنما يمر على مزينة . وممن فارقه ع عبد الله بن عبد الرحمن بن مسعود بن أوس بن إدريس بن معتب الثقفى شهد مع علي ع صفين و كان فى أول أمره مع معاوية ثم صار إلى علي ع ثم رجع بعد إلى معاوية و كان علي ع يسميه الهجنع والهجنع الطويل . ومنهم القعقاع بن شور استعمله علي ع على كسكر فنقم منه أمورا منها أنه تزوج امرأة فأصدقها مائة ألف

درهم فهرب إلى معاوية. ومنهم النجاشي الشاعر من بني الحارث بن كعب كان شاعر أهل العراق بصفين و كان على ع يأمره بمحاربة شعراء أهل الشام مثل كعب بن جعيل وغيره فشرب الخمر بالكوفة فحده على ع فغضب ولحق بمعاوية وهجا عليا ع . [صفحة ٨٨] حدث ابن الكلبي عن عوانة قال خرج النجاشي في أول يوم من شهر رمضان فمر بأبي سمال الأسدي و هو قاعد بفناء داره فقال له أين تريد قال أردت الكناسة فقال هل لك في رءوس وأليات قد وضعت في التنور من أول الليل فأصبحت قد أينعت وقد تهرأت قال ويحك في أول يوم من رمضان قال دعنا مما لانعرف قال ثم مه قال أسقيك من شراب كالورس يطيب النفس ويجري في العرق ويزيد في الطرق يهضم الطعام ويسهل للقدم الكلام فنزل فتغديا ثم أتاه بنيذ فشرابه فلما كان آخر النهار علت أصواتهما ولهما جار من شيعه على ع فأتاه فأخبره بقصتهما فأرسل إليهما قوما فأحاطوا بالدار فأما أبو سمال فوثب إلى دور بني أسد فأقلت وأخذ النجاشي فأتى ع به فلما أصبح أقامه في سراويل فضربه ثمانين ثم زاده عشرين سوطا فقال يا أمير المؤمنين أما الحد فقد عرفته فما هذه العلاوة قال لجراء تك على الله وإفطارك في شهر رمضان ثم أقامه في سراويله للناس فجعل الصبيان يصيحون به خرى النجاشي خرى النجاشي وجعل يقول كلا إنها يمانية وكاؤها شعر. قال ومر به هند بن عاصم السلولى فطرح عليه مطرفا فجعل الناس يمرون به ويطرحون عليه المطارف حتى اجتمعت عليه مطارف كثيرة فمدح بنى سلول فقال إذا الله حيا صالحا من عباده || تقيا فحيا الله هند بن عاصم و كل سلولى إذا مادعوته || سريع إلى داعى العلاء والمكارم هم البيض أقداما وديباج أوجه || جلوها إذا سودت وجوه الملائم ولا يأكل الكلب السروق نعالهم || ولا يتغى المخ الذى فى الجماجم . [صفحة ٨٩] ثم لحق معاوية وهجا عليا ع فقال ألا من مبلغ عنى عليا || بأنى قد أمنت فلا أخاف عمدت لمستقر الحق لما || رأيت أموركم فيها اختلاف . وروى عبد الملك بن قريب الأصمعى عن ابن أبى الزناد قال دخل النجاشي على معاوية و قد أذن للناس عامة فقال لحاجبه ادع النجاشي والنجاشي بين يديه ولكن اقتحمته عينه فقال ها أناذا النجاشي بين يديك يا أمير المؤمنين إن الرجال ليست بأجسامها إنما لك من الرجل أصغراه قلبه ولسانه قال ويحك أنت القائل ونجا ابن حرب سابح ذو علالة || أجش هزيم والرماح دوانى إذا قلت أطراف الرماح تنوشه || مرته به الساقان والقدمان . ثم ضرب بيده إلى ثديه فقال ويحك إن مثلى لاتعدو به الخيل فقال يا أمير المؤمنين إنى لم أعنك إنما عنيت عتبه. وروى صاحب كتاب الغارات أن عليا ع لما حد النجاشي غضبت اليمانية لذلك و كان أخصهم به طارق بن عبد الله بن كعب النهدي فدخل عليه فقال يا أمير المؤمنين ما كنا نرى أن أهل المعصية والطاعة و أهل الفرقة والجماعة عند ولادة العدل ومعادن الفضل سيان فى الجزاء حتى رأينا ما كان من صنعك بأخى الحارث [صفحة ٩٠] فأوغرت صدورنا وشتت أمورنا وحملتنا على الجادة التى كنا نرى أن سبيل من ركبها النار فقال على ع وَ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ يَا أْحَا نَهْد وَهَلْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْتَهَك حَرَمَهُ مِنْ حَرَمِ اللَّهِ فَأَقَمْنَا عَلَيْهِ حُدَا كَانَ كَفَارَتَهُ إِنْ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ وَ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ آلَا تَعْدِلُوا اءِدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى -روايت- ١-٢-روايت- ١٧-٢٦٣ قال فخرج طارق من عنده فلقية الأشتر فقال ياتارق أنت القائل لأمير المؤمنين أوغرت صدورنا وشتت أمورنا قال طارق نعم أنا قائلها قال و الله ماذاك كما قلت إن صدورنا له لسامعة و إن أمورنا له لجامعة فغضب طارق و قال ستعلم ياأشتر أنه غير ما قلت فلما جنه الليل همس هو والنجاشي إلى معاوية فلما قدما عليه دخل آذنه فأخبره بقدمهما وعنده وجوه أهل الشام منهم عمرو بن مرة الجهنى وعمرو بن صيفى وغيرهما فلما دخلا نظر إلى طارق و قال مرحبا بالمورق غصنه والمعرق أصله المسود غير المسود من رجل كانت منه هفوة ونبوة باتباعه صاحب الفتنة ورأس الضلالة والشبهة الذى اغترز فى ركاب الفتنة حتى استوى على رجلها ثم أوجف فى عشوة ظلمتها وتيه ضلالتها واتبعه رجرجه من الناس وأشبابه من الحثالة لأفئدة لهم أ فلا يتدبزون القرآن أم على قلوب أقفالها. فقام طارق فقال يامعاوية إنى متكلم فلا يسخطك ثم قال و هو متكئ على سيفه إن المحمود على كل حال رب علا فوق عباده فهم منه بمنظر ومسمع بعث فيهم -قرآن- ٧١٤-٧٧٠ [صفحة ٩١] رسولا- منهم يتلو كتابا لم يكن من قبله ولا يخطه

بيمينه إذا لارتاب المبطّلون فعليه السلام من رسول كان بالمؤمنين برا رحيمًا أما بعد فإن ما كنا نوضع فيما أوضعنا فيه بين يدي إمام تقي عادل مع رجال من أصحاب رسول الله ص أتقياء مرشدين مازالوا منارا للهدى ومعالم للدين خلفا عن سلف مهتدين أهل دين لادنيا كل الخير فيهم واتبعهم من الناس ملوك وأقيال وأهل بيوتات وشرف ليسوا بناكثين ولا قاسطين فلم يكن رغبة من رغب عنهم وعن صحبتهم إلا المرارة الحق حيث جرعوها ولوعورته حيث سلكوها وغلبت عليهم دنيا مؤثرة وهومتع وكان أمر الله قدرا مقدورا وقد فارق الإسلام قبلنا جبله بن الأيهم فرارا من الضيم وأنفا من الذلة فلاتفخرن يامعاوية إن شددنا نحوك الرحال وأوضعنا إليك الركاب أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولجميع المسلمين .فعظم على معاوية ماسمعه وغضب لكنه أمسك وقال يا عبد الله إنا لم نرد بما قلناه أن نوردك مشرع ظمًا ولا أن نصدرك عن مكرع رى ولكن القول قد يجرى بصاحبه إلى غير ما ينطوى عليه من الفعل ثم أجلسه معه على سريره ودعا له بمقطعات وبرود فصبها عليه وأقبل نحوه بوجهه يحدثه حتى قام . وقام معه عمرو بن مرة وعمرو بن صيفى الجهنيان فأقبلا عليه بأشد العتاب وأمضه يلومانه فى خطبته و ماواجه به معاوية . فقال طارق و الله ما قمت بما سمعتهما حتى خيل لى أن بطن الأرض خير لى من ظهرها عند سماعى ما أظهر من العيب والنقص لمن هو خير منه فى الدنيا والآخرة و مازهت به نفسه وملكه عجبه وعاب أصحاب رسول الله ص واستنقصهم فقامت مقاما أوجب الله على فيه إلا أقول لإحقا و أى خير فيمن لا ينظر ما يصير إليه غدا -قرآن- ٥٩-٨٥ [صفحہ ٩٢] فبلغ عليا ع قوله فقال لو قتل النهدي يومئذ لقتل شهيدا -روایت- ١-٢-روایت- ٩-٤٣ . وقال معاوية للهيثم بن الأسود أبى العريان وكان عثمانيا وكانت امرأته علوية الرأى تكتب بأخبار معاوية فى أعنة الخيل وتدفعها إلى عسكر على ع بصفين فيدفعونها إليه فقال معاوية بعد التحكيم ياهيثم أهل العراق كانوا أنصح لعلى فى صفين أم أهل الشام لى فقال أهل العراق قبل أن يضربوا بالبلاء كانوا أنصح لصاحبهم قال كيف قلت ذلك قال لأن القوم ناصحوه على الدين وناصحك أهل الشام على الدنيا وأهل الدين أصبر وهم أهل بصيرة وإنما أهل الدنيا أهل طمع ثم و الله مالبت أهل العراق أن نبذوا الدين وراء ظهورهم ونظروا إلى الدنيا فالتحقوا بك . فقال معاوية فما الذى يمنع الأشعث أن يقدم علينا فيطلب ما قبلنا قال إن الأشعث يكرم نفسه أن يكون رأسا فى الحرب وذنبا فى الطمع . و من المفارقين لعلى ع أخوه عقيل بن أبى طالب قدم على أمير المؤمنين بالكوفة يسترفده فعرض عليه عطاء فقال إنما أريد من بيت المال فقال تقيم إلى يوم الجمعة فلما صلى ع الجمعة قال له ماتقول فيمن خان هؤلاء أجمعين قال بش الرجل قال فإنك أمرتنى أن أخونهم وأعطيك فلما خرج من عنده شخص إلى معاوية فأمر له يوم قدمه بمائة ألف درهم وقال له يا أبانيزيد أنا خير لك أم على قال وجدت عليا أنظر لنفسه منه لى ووجدتك أنظر لى منك لنفسك . وقال معاوية لعقيل إن فيكم يابنى هاشم لينا قال أجل إن فينا لينا من غير [صفحہ ٩٣] ضعف وعزا من غير عنف و إن لينكم يامعاوية غدر وسلمكم كفر فقال معاوية و لا كل هذا يا أبانيزيد . وقال الوليد بن عقبه لعقيل فى مجلس معاوية غلبك أخوك يا أبانيزيد على الثروة قال نعم وسبقنى وإياك إلى الجنة قال أما و الله إن شديقه لمضمومان من دم عثمان فقال و ما أنت وقريش و الله ما أنت فينا إلا كنيطح التيس فغضب الوليد وقال و الله لو أن أهل الأرض اشتركوا فى قتله لأرهبوا صعودا و إن أخاك لأشد هذه الأمة عذابا فقال صه و الله إنا لنرغب بعبد من عبيده عن صحبة أبيك عقبه بن أبى معيط . وقال معاوية يوما وعنده عمرو بن العاص وقد أقبل عقيل لأضحكنك من عقيل فلما سلم قال معاوية مرحبا برجل عمه أبولهب فقال عقيل وأهلا برجل عمته حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد لأذن امرأة أبى لهب أم جميل بنت حرب بن أمية . قال معاوية يا أبانيزيد ما ظنك بعمك أبى لهب قال إذا دخلت النار فخذ على يسارك تجده مفترشا عمك حمالة الحطب أفناكح فى النار خير أم منكوح قال كلاهما شر و الله . وممن فارقه ع حظلة الكاتب خرج هو وجرير بن عبد الله البجلي من الكوفة إلى قرقيسيا وقال لا نقيم بلدة يعاب فيها عثمان . [صفحہ ٩٤] وممن فارقه وائل بن حجر الحضرمي وخبره المذكور فى قصة بسر بن أرطاة . وروى صاحب كتاب الغارات عن إسماعيل بن حكيم عن

أبي مسعود الجريري قال كان ثلاثة من أهل البصرة يتواصلون على بغض علي ع مطرف بن عبد الله بن الشخير والعلاء بن زياد و عبد الله بن شفيق . قال صاحب كتاب الغارات و كان مطرف عابدا ناسكا و قدروى هشام بن حسان عن ابن سيرين أن عمار بن ياسر دخل على أبي مسعود وعنده ابن الشخير فذكر عليا بما لا يجوز أن يذكر به فقال عمار يافاسق وإنك لها هنا فقال أبو مسعود أذكرك الله يا أبا اليقظان في ضيفي . قال وأكثر مبغضيه ع أهل البصرة كانوا عثمانية وكانت في أنفسهم أحقاد يوم الجمل و كان هو ع قليل التألف للناس شديدا في دين الله لا يبالي مع علمه بالدين واتباعه الحق من سخط و من رضى . قال و قدروى يونس بن أرقم عن يزيد بن أرقم عن أبي ناجية مولى أم هانئ قال كنت عند علي ع فأتاه رجل عليه زى السفر فقال يا أمير المؤمنين إني أتيتك من بلدة مارأيت لك بهامجا قال من أين أتيت قال من البصرة قال أما إنهم لو يستطيعون أن يحبوني لأحبوني إني وشيعتي في ميثاق الله لايزاد فينا رجل و لا ينقص إلى يوم القيامة -رواية- ١-٢-رواية- ٨٤-٣٤٣ . وروى أبو غسان البصرى قال بنى عبيد الله بن زياد أربعة مساجد بالبصرة تقوم على بغض علي بن أبي طالب والوقعة فيه مسجد بنى عدى ومسجد بنى مجاشع [صفحة ٩٥] ومسجد كان فى العلافين على فرضة البصرة ومسجد فى الأزدي . ومما قيل عنه إنه يبغض عليا ع ويذمه الحسن بن أبي الحسن البصرى أبوسعيد وروى عنه حماد بن سلمة أنه قال لو كان علي يأكل الحشف بالمدينة لكان خيرا له مما دخل فيه ورواه عنه أنه كان من المخذلين عن نصرته . وروى عنه أن عليا ع رآه و هو يتوضأ للصلاة و كان ذا وسوسة فصب على أعضائه ماء كثيرا فقال له أرقت ماء كثيرا يا حسن فقال ما أراق أمير المؤمنين من دماء المسلمين أكثر قال أوساء ك ذلك قال نعم قال فلازلت مسوا -رواية- ١-٢-رواية- ١٤-٢١٩ . قالوا فما زال الحسن عابسا قاطبا مهموما إلى أن مات . فأما أصحابنا فإنهم يدفعون ذلك عنه وينكرونه ويقولون إنه كان من محبى علي بن أبي طالب ع والمعظمين له . وروى أبو عمر بن عبد البر المحدث فى كتابه المعروف بالاستيعاب فى معرفة الصحاب أن إنسانا سأل الحسن عن علي ع فقال كان و الله سهما صائبا من مرامى الله على عدوه وربانى هذه الأمة وذا فضلها وذا سابقتها وذا قرابتها من رسول الله ص لم يكن بالثومة عن أمر الله و لا بالملومة فى دين الله و لا بالسروقة لمال الله أعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض موقنة ذلك علي بن أبي طالب يالكع . وروى الواقدي قال سئل الحسن عن علي ع و كان يظن به الانحراف عنه و لم يكن كما يظن فقال ما أقول فيمن جمع الخصال الأربع ائتمانه على براءة [صفحة ٩٦] و ما قال له الرسول فى غزاة تبوك فلو كان غير النبوة شىء يفوته لاستثناه و قول النبى ص الثقلان كتاب الله وعترتى -رواية- ١-٢-رواية- ١٩-٤٨ . إنه لم يؤمر عليه أمير قبط و قد أمرت الأمراء على غيره . وروى أبان بن عياش قال سألت الحسن البصرى عن علي ع فقال ما أقول فيه كانت له السابقة والفضل والعلم والحكمة والفقه والرأى والصحة والنجدة والبلاء والزهد والقضاء والقرابة إن عليا كان فى أمره عليا رحم الله عليا وصلى عليه فقلت يا أبوسعيد أتقول صلى عليه لغير النبى فقال ترحم على المسلمين إذاذكروا وصل على النبى وآله و على خير آله فقلت أ هو خير من حمزة و جعفر قال نعم قلت وخير من فاطمة وابنيها قال نعم و الله إنه خير آل محمد كلهم و من يشك أنه خير منهم و قد قال رسول الله ص وأبوهما خير منهما -رواية- ١-٢-رواية- ٢٨-٤٧ و لم يجر عليه اسم شرك و لا شرب خمر و قد قال رسول الله ص لفاطمة ع زوجتك خير أمتى -رواية- ١-٢-رواية- ٣٧-٥٤ فلو كان فى أمته خير منه لاستثناه ولقد آخى رسول الله ص بين أصحابه فأخى بين علي ونفسه فرسول الله ص خير الناس نفسا وخيرهم أخا فقلت يا أبوسعيد فما هذا الذى يقال عنك إنك قلت فى علي فقال يا ابن أخى احقن دمي من هؤلاء الجبابرة و لو لا ذلك لشالت بى الخشب . قال شيخنا أبو جعفر الإسكافى رحمه الله تعالى و وجدته أيضا فى كتاب الغارات لإبراهيم بن هلال الثقفى و قد كان بالكوفة من فقهاؤها من يعادى عليا ويبغضه مع غلبة التشيع على الكوفة فمنهم مرة الهمداني . [صفحة ٩٧] وروى أبونعيم الفضل بن دكين عن فطر بن خليفة قال سمعت مرة يقول لأن يكون علي جملا يستقى عليه أهله خير له مما كان عليه . وروى إسماعيل بن بهرام عن إسماعيل بن محمد عن عمرو بن مرة قال قيل لمرء الهمداني كيف تخلفت عن

على قال سبقنا بحسناته وابتلينا بسيئاته . قال إسماعيل بن بهرام و قدرونا عنه أنه قال أشد فحشا من هذا ولكننا نتورع عن ذكره . وروى الفضل بن دكين عن الحسن بن صالح قال لم يصل أبو صادق على مرة الهمداني . قال الفضل بن دكين وسمعت أن أباصادق قال في أيام حياة مرة و الله لا يظنني وإياه سقف بيت أبدا . قال و لمامات لم يحضره عمرو بن شرحبيل قال لأحضره لشيء كان في قلبه على بن أبي طالب . قال ابراهيم بن هلال فحدثنا المسعودي عن عبد الله بن نمير بهذا الحديث قال ثم كان عبد الله بن نمير يقول وكذلك أنا و الله لومات رجل في نفسه شيء على بن علي ع لم أحضره و لم أصل عليه . ومنهم الأسود بن يزيد و مسروق بن الأجدع روى سلمة بن كهيل أنهما كانا يمشيان إلى بعض أزواج رسول الله ص فيقعان في علي ع فأما الأسود فمات على ذلك و أما مسروق فلم يمت حتى كان لا يصلي لله تعالى صلاة [صفحة ٩٨] إلا يصلي بعدها على بن أبي طالب ع لحديث سمعه من عائشة في فضله . وروى أبو نعيم الفضل بن دكين عن عبد السلام بن حرب عن ليث بن أبي سليم قال كان مسروق يقول كان على كحاطب ليل قال فلم يمت مسروق حتى رجع عن رأيه هذا . وروى سلمة بن كهيل قال دخلت أنا و زبيد اليمامي على امرأة مسروق بعد موته فحدثتنا قالت كان مسروق و الأسود بن يزيد يفرطان في سب علي بن أبي طالب ثم مامات مسروق حتى سمعته يصلي عليه و أما الأسود فمضى لشأنه . قال فسألناها لم ذلك قالت شيء سمعه من عائشة ترويه عن النبي ص فيمن أصاب الخوارج . وروى أبو نعيم عن عمرو بن ثابت عن أبي إسحاق قال ثلاثة لا يؤمنون على بن أبي طالب مسروق و مرة و شريح . وروى أن الشعبي رابعهم . وروى عن هيثم عن مجالد عن الشعبي أن مسروقا ندم على إبطائه عن علي بن أبي طالب ع . وروى الأعمش عن ابراهيم التيمي قال قال علي ع لشريح و قد قضى قضية نقم عليه أمرها و الله لأنفينك إلى بانقيا شهرين تقضى بين اليهود -رواية ١-٢-رواية ٤٢-١٤٣ قال ثم قتل علي ع و مضى دهر فلما قام المختار بن أبي عبيد قال لشريح ما قال لك أمير المؤمنين ع يوم كذا قال إنه قال لي كذا قال فلا و الله لا تقعد حتى تخرج إلى بانقيا تقضى بين اليهود فسيره إليها فقضى بين اليهود شهرين . [صفحة ٩٩] و منهم أبو وائل شقيق بن سلمة كان عثمانيا يقع في علي ع ويقال إنه كان يرى رأى الخوارج و لم يختلف في أنه خرج معهم و أنه عاد إلى علي ع منبيا مقلعا . روى خلف بن خليفة قال قال أبو وائل خرجنا أربعة آلاف فخرج إلينا على فما زال يكلمنا حتى رجع منا ألفان . وروى صاحب كتاب الغارات عن عثمان بن أبي شيبة عن الفضل بن دكين عن سفیان الثوري قال سمعت أبا وائل يقول شهدت صفين و بس الصفوف كانت . قال و قدروى أبو بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود قال كان أبو وائل عثمانيا و كان زر بن حبيش علويا . و من المبغضين القالين أبو بردة بن أبي موسى الأشعري و رث البغضة له لا - عن كلاله . وروى عبد الرحمن بن جندب قال قال أبو بردة لزياد أشهد أن حجر بن عدى قد كفر بالله كفره أصلع قال عبد الرحمن إنما عنى بذلك نسبة الكفر إلى علي بن أبي طالب ع لأنه كان أصلع . قال و قدروى عبد الرحمن المسعودي عن ابن عياش المنتوف قال رأيت أبا بردة قال لأبي العادية الجهني قاتل عمار بن ياسر أنت قتلت عمار بن ياسر قال نعم قال ناولني يدك قبلها و قال لا تمسك النار أبدا . [صفحة ١٠٠] وروى أبو نعيم عن هشام بن المغيرة عن الغضبان بن يزيد قال رأيت أبا بردة قال لأبي العادية قاتل عمار بن ياسر مرحبا بأخي هاهنا فأجلسه إلى جانبه . و من المنحرفين عنه ع أبو عبد الرحمن السلمى القارئ روى صاحب كتاب الغارات عن عطاء بن السائب قال قال رجل لأبي عبد الرحمن السلمى أنشدك بالله إن سألتك لتخبرني قال نعم فلما أكد عليه قال بالله هل أبغضت عليا إلا يوم قسم المال في الكوفة فلم يصلحك و لا أهل بيتك منه بشيء قال أما إذ أنشدتني بالله فلقد كان كذلك . قال وروى أبو عمر الضرير عن أبي عوانة قال كان بين عبد الرحمن بن عطية و بين أبي عبد الرحمن السلمى شيء في أمر علي ع فأقبل أبو عبد الرحمن على حيان فقال هل تدري ماجراً صاحبك على الدماء يعنى عليا قال و ماجراه لا أبا لغيرك قال حدثنا أن رسول الله ص قال لأهل بدر اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم -رواية ١-٢-رواية ١٤-٧٨ أو كلاما هذا معناه . و كان عبد الله بن عكيم عثمانيا و كان عبد الرحمن بن أبي ليلي علويا

فروى موسى الجهني عن ابنة عبد الله بن عكيم قالت تحدثا يوما فسمعت أبي يقول لعبد الرحمن أما إن صاحبك لو صبر لأتاه الناس . و كان سهم بن طريف عثمانيا و كان على بن ربيعة علويا فضرب أمير الكوفة على الناس بعثا وضرب على سهم بن طريف معهم فقال سهم لعلي بن ربيعة اذهب إلى الأمير فكلمه في أمرى ليعفينى فأتى على بن ربيعة الأمير فقال أصلحك الله [صفحة ١٠١] إن سهماً أعمى فأعفه قال قد أعفيتَه فلما التقيا قال قد أخبرت الأمير أنك أعمى وإنما عنيت عمى القلب . و كان قيس بن أبي حازم يبغض علياً روى وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال أتيت علياً ليكلم لى عثمان فى حاجة فأبى فأبغضته . قلت وشيوخنا المتكلمون رحمهم الله يسقطون روايته عن النبي ص إنكم لترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر -رواية- ١-٢-رواية- ١٧-٦٢ ويقولون إنه كان يبغض علياً فكان فاسقاً ونقلوا عنه أنه قال سمعت علياً يخطب على المنبر و يقول انفروا إلى بقیة الأحزاب -رواية- ١-٢-رواية- ٥٠-٧٥ فدخل بغضه فى قلبى . و كان سعيد بن المسيب منحرفاً عنه ع وجبهه عمر بن على ع فى وجهه بكلام شديد . روى عبدالرحمن بن الأسود عن أبى داود الهمداني قال شهدت سعيد بن المسيب وأقبل عمر بن على بن أبى طالب ع فقال له سعيد يا ابن أخى ما أراك تكثر غشيان مسجد رسول الله ص كما يفعل إختوك وبنو أعمامك فقال عمر يا ابن المسيب أكلما دخلت المسجد أجيء فأشهدك فقال سعيد ما أحب أن تغضب سمعت أباك يقول إن لى من الله مقاما لهو خير لبنى عبدالمطلب مما على الأرض من شىء -رواية- ١-٢-رواية- ٢٠-٩٣ فقال عمر و أناسمعت أبى يقول ما كلمه حكمه -رواية- ١-٢-رواية- ٣٤-٣٤ ادامه دارد [صفحة ١٠٢] فى قلب منافق فيخرج من الدنيا حتى يتكلم بها -رواية- از قبل -٥٠ فقال سعيد يا ابن أخى جعلتني منافقا قال هو ما أقول لك ثم انصرف . و كان الزهري من المنحرفين عنه ع . و روى جرير بن عبد الحميد عن محمد بن شيبه قال شهدت مسجد المدينة فإذا الزهري وعروة بن الزبير جالسان يذكران علياً فقالا منه فبلغ ذلك على بن الحسين ع فجاء حتى وقف عليهما فقال أما أنت يا عروة فإن أبى حاكم أباك إلى الله فحكم لأبى على أبيك و أما أنت يا زهري فلو كنت بمكة لأريتك كبر أبيك -رواية- ١-٢-رواية- ٥٠-٣٠٧ . و قدروى من طرق كثيرة أن عروة بن الزبير كان يقول لم يكن أحد من أصحاب رسول الله ص يزهو إلا على بن أبى طالب وأسامة بن زيد . و روى عاصم بن أبى عامر البجلي عن يحيى بن عروة قال كان أبى إذا ذكر علياً نال منه . و قال لى مرة يابنى و الله ما أحجم الناس عنه إلا طلباً للدنيا لقد بعث إليه أسامة بن زيد أن ابعث إلى بعثائى فو الله إنك لتعلم أنك لو كنت فى فم أسد لدخلت معك فكتب إليه أن هذا المال لمن جاهد عليه ولكن لى مالا بالمدينة فأصب منه ماشئت . قال يحيى فكنت أعجب من وصفه إياه بما وصفه به و من عيبه له وانحرافه عنه . و كان زيد بن ثابت عثمانيا شديدا فى ذلك و كان عمرو بن ثابت عثمانيا من أعداء على ع ومبغضيه وعمرو بن ثابت هو الذى روى عن أبى أيوب الأنصارى حديث سته أيام من شوال . [صفحة ١٠٣] روى عن عمرو أنه كان يركب ويدور القرى بالشام ويجمع أهلها و يقول أيها الناس إن علياً كان رجلاً منافقا أراد أن ينخس برسول الله ص ليلة العقبة فالعنوه فيلعنه أهل تلك القرية ثم يسير إلى القرية الأخرى فيأمرهم بمثل ذلك و كان فى أيام معاوية . و كان مكحول من المبغضين له ع روى زهير بن معاوية عن الحسن بن الحر قال لقيت مكحولاً فإذا هو مطبوع يعنى مملوءاً بغضاً لعلى ع فلم أزل به حتى لان وسكن . و روى المحدثون عن حماد بن زيد أنه قال أرى أن أصحاب على أشد حبا له من أصحاب العجل لعجلهم و هذا كلام شنيع . و روى عن شبابة بن سوار أنه ذكر عنده ولد على ع وطلبهم الخلافة فقال و الله لا يصلون إليها أبداً و الله ما استقامت لعلى و لا فرح بها يوماً فكيف تصير إلى ولده هيهات هيهات لا و الله لا يذوق طعم الخلافة من رضى بقتل عثمان . و قال شيخنا أبو جعفر الإسكافى كان أهل البصرة كلهم يبغضونه وكثير من أهل الكوفة وكثير من أهل المدينة و أما أهل مكة فكلهم كانوا يبغضونه قاطبة وكانت قريش كلها على خلافه و كان جمهور الخلق مع بنى أمية عليه . و روى عبدالملك بن عمير عن عبدالرحمن بن أبى بكره قال سمعت علياً ع و هو يقول مالقى أحد من الناس مالقيت ثم بكى ع -رواية- ١-٢-رواية- ٨٤-

١٢٦ وروى الشعبي عن شريح بن هانئ قال قال علي ع اللهم إني أستعديك -رواية- ١-٢-رواية- ٥٣-٥٣-ادامه دارد [صفحه ١٠٤] على قريش فإنهم قطعوا رحمى وأصغوا إنائي وصغروا عظيم منزلتي وأجمعوا على منازعتي -رواية- از قبل ٨٨ وروى جابر عن أبي الطفيل قال سمعت عليا ع يقول اللهم إني أستعديك على قريش فإنهم قطعوا رحمى وغصبوني حتى وأجمعوا على منازعتي أمرا كنت أولى به ثم قالوا إن من الحق أن نأخذه و من الحق أن تتركه -رواية- ١-٢-رواية- ٥٤-٥٤ وروى المسيب بن نجبة الفزاري قال قال علي ع من وجدتموه من بني أمية في ماء فغطوا على صماخه حتى يدخل الماء في فيه -رواية- ١-٢-رواية- ٥٢-١٢٧ . وروى عمرو بن دينار عن ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة قال لقي عبدالرحمن بن عوف عمر بن الخطاب فقال ألم تكن نقرأ من جملة القرآن قاتلوهم في آخر الأمر كما قاتلتموهم في أوله قال بلى ولكن ذاك إذا كان الأمراء بني أمية والوزراء بني مخزوم . وروى أبو عمر النهدي قال سمعت علي بن الحسين يقول ما بمكة والمدينة عشرون رجلا يحبنا -رواية- ١-٢-رواية- ٥٧-٩٢ وروى سفیان الثوري عن عمرو بن مرة عن أبي البختری قال أثنى رجل على علي بن أبي طالب في وجهه و كان يبغضه فقال علي أنادون ماتقول وفوق ما في نفسك -رواية- ١-٢-رواية- ٦١-١٦٣ وروى أبو غسان النهدي قال دخل قوم من الشيعة على علي ع في الرحبة و هو على حصير خلق فقال ماجاء بكم قالوا حبك يا أمير المؤمنين قال أما إنه من أحبني رأني حيث يحب أن يراني و من أبغضني رأني حيث يكره أن يراني ثم قال ما عبد الله أحد قبلي إلا نبهه ع ولقد هجم أبوطالب علينا و أنا و هو ساجدان فقال أ فعلتموها ثم قال لي و أنا غلام ويحك انصر ابن عمك ويحك لا تخذله -رواية- ١-٢-رواية- ٣١-٣١-ادامه دارد [صفحه ١٠٥] وجعل يحثني على مؤازرته ومكانفته فقال له رسول الله ص أ فلا تصلي أنت معنا ياعم فقال لأفعل يا ابن أخي لا تعلقوني استى ثم انصرف -رواية- از قبل ١٤٢ وروى جعفر بن الأحمر عن مسلم الأعور عن حبة العرنى قال قال علي ع من أحبني كان معي أما إنك لو صمت الدهر كله وقمت الليل كله ثم قتلت بين الصفا والمروة أو قال بين الركن والمقام لمابعثك الله إلا مع هواك بالغا ما بلغ إن في جنه ففى جنه و إن في نار ففى نار -رواية- ١-٢-رواية- ٧٣-٢٧٥ وروى جابر الجعفي عن علي ع أنه قال من أحبنا أهل البيت فليستعد عدة للبلاء -رواية- ١-٢-رواية- ٤٤-٨٤ وروى أبو الأحوص عن أبي حيان عن علي ع يهلك في رجلان محب غال ومبغض قال -رواية- ١-٢-رواية- ٤٦-٨٤ وروى حماد بن صالح عن أيوب عن كهمس أن عليا ع قال يهلك في ثلاثة اللاعن والمستمع المقر وحامل الوزر و هو الملك المترف الذي يتقرب إليه بلعنتي ويبرأ عنده من ديني وينتقص عنده حسبي وإنما حسبي حسب رسول الله ص و ديني دينه وينجو في ثلاثة من أحبني و من أحب محبي و من عادى عدوى فمن أشرب قلبه بغضى أو ألب علي بغضى أو انتقصني فليعلم أن الله عدوه وخصمه و الله عدو للكافرين -رواية- ١-٢-رواية- ٥٧-٣٩٩ وروى محمد بن الصلت عن محمد بن الحنفية قال من أحبنا نفعه الله بحبنا و لو كان أسيرا بالدليم -رواية- ١-٢-رواية- ٤٩-١٠٠ وروى أبو صادق عن ربيعة بن ناجد عن علي ع قال قال لي رسول الله ص إن فيك لشبهها من عيسى ابن مريم أحبته النصارى حتى أنزلته بالمنزلة التي ليست له وأبغضته اليهود حتى بهتت أمه -رواية- ١-٢-رواية- ٥٢-١٩٤ [صفحه ١٠٦] وروى صاحب كتاب الغارات حديث البراءة على غير الوجه المذكور في كتاب نهج البلاغة قال أخبرنا يوسف بن كليب المسعودي عن يحيى بن سليمان العبدى عن أبي مريم الأنصارى عن محمد بن علي الباقر ع قال خطب علي ع على منبر الكوفة فقال سيعرض عليكم سبى وستذبحون عليه فإن عرض عليكم سبى فسبونى و إن عرض عليكم البراءة منى فإنى على دين محمد ص و لم يقل فلا تبرءوا منى -رواية- ١-٢-رواية- ١٥٧-٢٩٩ و قال أيضا حدثني أحمد بن مفضل قال حدثني الحسن بن صالح عن جعفر بن محمد ع قال قال علي ع و الله لتذبحن علي سبى وأشار بيده إلى حلقه ثم قال فإن أمروكم بسبى فسبونى و إن أمروكم أن تبرءوا منى فإنى على دين محمد ص و لم ينههم عن إظهار البراءة -رواية- ١-٢-رواية- ١٠١-٢٦٣ وروى شيخنا أبو القاسم البلخي رحمه الله تعالى عن سلمة بن كهيل عن المسيب بن نجبة قال بينا علي ع

يخطب إذ قام أعرابي فصاح وا مظلّماته فاستدناه على ع فلما دنا قال له إنما لك مظلّمه واحده و أنا قد ظلمت عدد المدر والوبر -
روایت-۱-۲-روایت-۹۴-۲۳۲ قال و فی روایه عباد بن یعقوب إنه دعاه فقال له ويحك و أنا و الله مظلوم أيضا هات فلندع على
من ظلمنا -روایت-۱-۲-روایت-۳۴-۱۱۱ وروی سدير الصيرفي عن أبي جعفر محمد بن علي قال اشتكى على ع شكاة فعاده
أبو بكر وعمر وخرجا من عنده فأتيا النبي ص فسألهما من أين جئتما قالا عدنا عليا قال كيف رأيتما قال رأيناه يخاف عليه مما به
فقال كلا إنه لن يموت حتى يوسع غدرا وبغيا وليكونن في هذه الأمة عبرة يعتبر به الناس من بعده -روایت-۱-۲-روایت-۵۶-
۳۰۹ [صفحه ۱۰۷] وروی عثمان بن سعيد عن عبد الله بن الغنوي أن عليا ع خطب بالرحبة فقال أيها الناس إنكم قد أبيتم إلا أن
أقولها ورب السماء و الأرض إن من عهد النبي الأمي إلى أن الأمة ستغدر بك بعدى -روایت-۱-۲-روایت-۷۸-۱۹۳ وروی
هيثم بن بشير عن إسماعيل بن سالم مثله و قدروى أكثر أهل الحديث هذا الخبر بهذا اللفظ أو بقریب منه . وروی أبو
جعفر الإسكافي أيضا أن النبي ص دخل على فاطمة ع فوجد عليا نائما فذهبت تنبهه فقال دعيه فرب سهر له بعدى طويل ورب
جفوة لأهل بيتي من أجله شديدة فبكت فقال لا تبكى فإنكما معي و في موقف الكرامة عندي -روایت-۱-۲-روایت-۳۲-۲۲۲
وروی الناس كافة أن رسول الله ص قال له هذا وليي و أنا وليه عادت من عاداه و سألت من سالمه -روایت-۱-۲-روایت-۲۰-
۱۰۴ وروی أيضا محمد بن عبيد الله بن أبي رافع عن زيد بن علي بن الحسين ع قال قال رسول الله ص لعلي ع عدوك عدوى
وعدوى عدو الله عز و جل -روایت-۱-۲-روایت-۸۳-۱۴۹ وروی یونس بن حباب عن أنس بن مالك قال كنا مع رسول الله
ص و علي بن أبي طالب معنا فمررنا بحديقة فقال علي يا رسول الله ألا ترى ما أحسن هذه الحديقة فقال إن حديقتك في الجنة
أحسن منها حتى مررنا بسبع حدائق يقول علي ما قال و يجيبه رسول الله ص بما أجابه ثم إن رسول الله ص وقف فوقنا فوضع
رأسه على رأس علي و بكى فقال علي ما يبكيك يا رسول الله قال ضغائن في صدور قوم لا يريدونها لك حتى يفقدوني -روایت-
۱-۲-روایت-۴۶-ادامه دارد [صفحه ۱۰۸] فقال يا رسول الله أ فلا أضع سيفي على عاتقي فأبيد خضراءهم قال بل تصبر قال فإن
صبرت قال تلاقى جهدا قال أ في سلامة من ديني قال نعم قال فإذا لأبالي -روایت-از قبل-۱۶۳ وروی جابر الجعفي عن محمد
بن علي ع قال قال علي ع ما رأيت منذ بعث الله محمدا ص رياء لقد أخافتني قریش صغيرا و أنصبتني كبيرا حتى قبض الله رسوله
فكانت الطامة الكبرى وَ اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ -روایت-۱-۲-روایت-۶۱-۲۲۰ وروی صاحب كتاب الغارات عن
الأعمش عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله ص يقول سيظهر على الناس رجل من أمتي عظيم السرم واسع البلعوم يأكل و
لا يشبع يحمل وزر الثقلين يطلب الإمارة يوما فإذا أدركتموه فابقروا بطنه قال و كان في يد رسول الله ص قضيب قد وضع طرفه في
بطن معاوية -روایت-۱-۲-روایت-۸۸-۲۹۶ . قلت هذا الخبر مرفوع مناسب لمقاله علي ع في نهج البلاغة و مؤكدا لاختيارنا أن
المراد به معاوية دون مقاله كثير من الناس إنه زياد و المغيرة . وروی جعفر بن سليمان الضبعي عن أبي هارون العبدى عن أبي
سعيد الخدرى قال ذكر رسول الله ص يوما لعلي ما يلقى بعده من العنت فأطال فقال له ع أنشدك الله و الرحم يا رسول الله
لمادعوت الله أن يقبضني إليه قبلك قال كيف أسأله في أجل مؤجل قال يا رسول الله فعلام أقاتل من أمرتني بقتاله قال على
الحدث في الدين -روایت-۱-۲-روایت-۸۲-۳۳۵ وروی الأعمش عن عمار الدهني عن أبي صالح الحنفي عن علي ع قال -
روایت-۱-۲-روایت-۷۲-ادامه دارد [صفحه ۱۰۹] قال لنا يوما لقد رأيت الليلة رسول الله ص في المنام فشكوت إليه مالقيت
حتى بكيت فقال لي انظر فنظرت فإذا جلا مبد و إذا رجلا من مصفدان قال الأعمش هما معاوية و عمرو بن العاص قال فجعلت
أرضخ رءوسهما ثم تعود ثم أرضخ ثم تعود حتى انتهت -روایت-از قبل-۲۴۳ وروی نحو هذا الحديث عمرو بن مرة عن أبي
عبد الله بن سلمة عن علي ع قال رأيت الليلة رسول الله ص فشكوت إليه فقال هذه جهنم فانظر من فيها فإذا معاوية و عمرو بن
العاص معلقين بأرجلهم منكسين ترسخ رءوسهما بالحجارة أو قال تشدخ -روایت-۱-۲-روایت-۸۰-۲۳۹ وروی قيس بن

الربيع عن يحيى بن هانئ المرادى عن رجل من قومه يقال له ريباد بن فلان قال كنا فى بيت مع على ع نحن شيعة وخواصه فالتفت فلم ينكر منا أحدا فقال إن هؤلاء القوم سيظهرون عليكم فيقطعون أيديكم ويسملون أعينكم فقال رجل منا و أنت حى يا أمير المؤمنين قال أعاذنى الله من ذلك فالتفت فإذا واحد يبكى فقال له يا ابن الحمقاء أترى اللذات فى الدنيا والدرجات فى الآخرة إنما وعد الله الصابرين -رواية- ١-٢-رواية- ٩٨-٢٢٤ وروى زرارة بن أعين عن أبيه عن أبى جعفر محمد بن على ع قال كان على ع إذا صلى الفجر لم يزل معقبا إلى أن تطلع الشمس فإذا طلعت اجتمع إليه الفقراء والمساكين وغيرهم من الناس فيعلمهم الفقه والقرآن و كان له وقت يقوم فيه من مجلسه ذلك فقام يوما فمر برجل فرماه بكلمة هجر قال لم يسمه محمد بن على ع فرجع عوده على بدئه حتى صعد المنبر وأمر فنودى الصلاة جامعة فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال أيها الناس إنه ليس شىء أحب إلى الله و لا-أعم نفعا من -رواية- ١-٢-رواية- ٧٠-إدامه دارد [صفحة ١١٠] حلم إمام وفقهه و لا شىء أبغض إلى الله و لا-أعم ضررا من جهل إمام وخرقه ألا وإنه من لم يكن له من نفسه واعظ لم يكن له من الله حافظ ألا وإنه من أنصف من نفسه لم يزد الله إلا عززا ألا و إن الذل فى طاعة الله أقرب إلى الله من التعزز فى معصيته ثم قال أين المتكلم أنفا فلم يستطع الإنكار فقال ها أناذا يا أمير المؤمنين فقال أما إنى لوأشاء لقلت فقال إن تعف وتصفح فأنت أهل ذلك قال قد عفوت وصفح فليل لمحمد بن على ع ماأراد أن يقول قال أراد أن ينسبه -رواية- از قبل- ٤٨٥ وروى زرارة أيضا قال قيل لجعفر بن محمد ع إن قوما هاهنا ينتقصون عليا ع قال بم ينتقصونه لا أبالهم وهل فيه موضع نقيصة و الله ماعرض لعلى أمران قط كلاهما الله طاعة لإععمل بأشدهما وأشقهما عليه ولقد كان يعمل العمل كأنه قائم بين الجنة والنار ينظر إلى ثواب هؤلاء فيعمل له وينظر إلى عقاب هؤلاء فيعمل له و إن كان ليقوم إلى الصلاة فإذا قال وجهت وجهى تغير لونه حتى يعرف ذلك فى وجهه ولقد أعتق ألف عبد من كد يده كل منهم يعرق فيه جبينه وتحفى فيه كفه ولقد بشر بعين نبت فى ماله مثل عنق الجزور فقال بشر الوارث بشر ثم جعلها صدقة على الفقراء والمساكين و ابن السبيل إلى أن يرث الله الأرض و من عليها ليصرف الله النار عن وجهه ويصرف وجهه عن النار -رواية- ١-٢-رواية- ٢٥-٦٨٥ وروى القناد عن أبى مريم الأنصارى عن على ع لا-يحبى كافر و لاولد زنا -رواية- ١-٢-رواية- ٥٢-٧٩. وروى جعفر بن زياد عن أبى هارون العبدى عن أبى سعيد الخدرى قال كنا بنور إيماننا نحب على بن أبى طالب ع فمن أحبه عرفنا أنه منا [صفحة ١١١]

فصل فى معنى قول على فسبونى فإنه لى زكاة

المسألة الثالثة فى معنى قوله ع فسبونى فإنه لى زكاة ولكم نجاه فنقول إنه أباح لهم سبه عند الإكراه لأين الله تعالى قدأباح عند الإكراه التلظ بكلمة الكفر فقال إلا من أكره و قلبه مطمئن بالإيمان والتلظ بكلمة الكفر أعظم من التلظ بسب الإمام. فأما قوله فإنه لى زكاة ولكم نجاه فمعناه أنكم تنجون من القتل إذا أظهرتم ذلك ومعنى الزكاة يحتمل أمرين أحدهما ماورد فى الأخبار النبوية أن سب المؤمن زكاة له وزيادة فى حسناته . والثانى أن يريد به أن سبهم لى لاينقص فى الدنيا من قدرى بل أزيد به شرفا وعلو قدر وشياع ذكر وهكذا كان فإن الله تعالى جعل الأسباب التى حاول أعداؤه بها الغض منه عللا لانتشار صيته فى مشارق الأرض ومغاربها. و قدلمح هذا المعنى أبو نصر بن نباته فقال للشريف الجليل محمد بن عمر العلوى -قرآن- ١٦٩-٢١٨ وأبوك الوصى أول من شاد || منار الهدى وصام وصلى نشرت حبله قريش فأعطته || إلى صبحه القيامة فتلا . واحتذيت أناحذوه فقلت لأبى المظفر هبة الله بن موسى الموسوى رحمه الله تعالى فى قصيده أذكر فيها أباه أمك الدرء التى أنجبت من || جوهر المجد راضيا مرضيا وأبوك الإمام موسى كظيم || الغيظ حتى يعيده منسيا [صفحة ١١٢] وأبوه تاج الهدى جعفر الصادق

|| وحيًا عن الغيوب وحيًا وأبوه محمد باقر العلم || مضى لنا هاديًا مهديًا وأبوه السجاد أتقى عباد || الله الله مخلصًا ووفيا و الحسين الذي تخير أن || يقضى عزيزًا ولا يعيش دنيا وأبوه الوصي أول من || طاف ولبي سبعا وساق الهديا طامنت مجده قريش فأعطته || إلى سدرة السماء رقيًا أخلت صيته فطار إلى أن || ملأ الأفق ضجئًا ودويا و أبوطالب كفيل أبي || القاسم كهلا ويافعا وفتيا ولشيخ البطحاء تاج معد || شبيهة الحمد هل علمت سميًا و أبوعمر العلاء هاشم الجود || و من مثل هاشم بشريا وأبوه الهمام عبدمناف || قل تقل صادقًا وتبدي بديًا ثم زيد أعنى قصي الذي لم || يك عن ذروة العلاء قصيا نسب إن ترفع النسب المحض || لفاعا كان السليب العريا و إذا ظلمت مناسخة الأحساب || يوما كان المنير الجليا يا له مجده على قدم الدهر || و قد يفضل العتيق الطريا . و ذكرنا ها هنا ما قبل المعنى و ما بعده لأن الشعر حديث والحديث كما قيل يأخذ بعضه براقب بعض ولأن ما قبل المعنى و ما بعده مكمل له و موضح مقصده . فإن قلت أي مناسبة بين لفظ الزكاة وانتشار الصيت والسمع . قلت لأن الزكاة هي النماء والزيادة و منه سميت الصدقة المخصوصة زكاة لأنها تنمي المال المزكى وانتشار الصيت نماء وزيادة [صفحة ١١٣]

فصل في اختلاف الرأي في معنى السب والبراءة

المسألة الرابعة أن يقال كيف قال ع فأما السب فسيبوني فإنه لى زكاة ولكم نجاه و أما البراءة فلا تبرءوا منى و أى فرق بين السب والبراءة وكيف أجاز لهم السب ومنعهم عن التبرؤ والسب أفحش من التبرؤ. والجواب أما الذى يقوله أصحابنا فى ذلك فإنه لافرق عندهم بين سبه والتبرؤ منه فى أنهما حرام وفسق وكبيرة و أن المكروه عليهما يجوز له فعلهما عندخوفه على نفسه كما يجوز له إظهار كلمة الكفر عند الخوف . ويجوز ألا يفعلهما و إن قتل إذا قصد بذلك إعزاز الدين كما يجوز له أن يسلم نفسه للقتل و لا يظهر كلمة الكفر إعزازا للدين وإنما استفحش ع البراءة لأن هذه اللفظة ماوردت فى القرآن العزيز إلا عن المشركين أ لا ترى إلى قوله تعالى براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين و قال تعالى أن الله برىء من المشركين ورسوله فقد صارت بحسب العرف الشرعى مطلقه على المشركين خاصة فإذا ن يحمل هذا النهى على ترجيح تحريم لفظ البراءة على لفظ السب و إن كان حكمهما واحدا أ لا ترى إن إلقاء المصحف فى القدر أفحش من إلقاء المصحف فى دن الشراب و إن كانا جميعا محرمين و كان حكمهما واحدا. -قرآن- ٦٣٨-٧١٢-قرآن- ٧٢٧-٧٧٧ فأما الإمامية فتروى عنه ع أنه قال إذا عرضتم على البراءة منا فمدوا الأعناق -رواية- ١-٢-رواية- ٤١-٨٣ ويقولون إنه لا يجوز التبرؤ منه و إن كان الحالف صادقًا و إن عليه الكفارة. [صفحة ١١٤] ويقولون إن حكم البراءة من الله تعالى و من الرسول و منه ع و من أحد الأئمة ع حكم واحد. ويقولون إن الإكراه على السب يبيح إظهاره و لا يجوز الاستسلام للقتل معه و أما الإكراه على البراءة فإنه يجوز معه الاستسلام للقتل و يجوز أن يظهر التبرؤ والأولى أن يستسلم للقتل

فصل فى معنى قول على إني ولدت على الفطرة

المسألة الخامسة أن يقال كيف علل نهيهم لهم على البراءة منه ع بقوله إني ولدت على الفطرة فإن هذا التعليل لا يختص به ع لأن كل أحد يولد على الفطرة قال النبى ص كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه وينصرانه -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-٧٦ والجواب أنه ع علل نهيهم لهم عن البراءة منه بمجموع أمور وعلل وهى كونه ولد على الفطرة و كونه سبق إلى الإيمان والهجرة و

لم يعلل بأحد هذا المجموع ومراده هاهنا بالولادة على الفطرة أنه لم يولد في الجاهلية لأنه ولد ع ثلاثين عاما مضت من عام الفيل و النبي ص أرسل لأربعين سنة مضت من عام الفيل و قد جاء في الأخبار الصحيحة أنه ص مكث قبل الرسالة سنين عشرين يسمع الصوت ويرى الضوء و لا يخاطبه أحد و كان ذلك إرهابا لرسالته ع فحكم تلك السنين العشر حكم أيام رسالته ص فالمولود فيها إذا كان في حجره و هو المتولى لتربيته مولود في أيام كأيام النبوة و ليس بمولود في جاهلية محضة ففارقت حاله حال من يدعى له من الصحابة مماثلته في الفضل و قدروى أن السنة التي ولد فيها على [صفحة ١١٥] ع هي السنة التي بدئ فيها برسالة رسول الله ص فأسمع الهتاف من الأحجار والأشجار وكشف عن بصره فشهد أنوارا وأشخاصا و لم يخاطب فيها بشيء و هذه السنة هي السنة التي ابتدأ فيها بالتبتل والانقطاع والعزلة في جبل حراء فلم يزل به حتى كوشف بالرسالة وأنزل عليه الوحي و كان رسول الله ص يتيمن بتلك السنة وبولادة على ع فيها ويسميتها سنة الخير وسنة البركة و قال لأهله ليلة ولادته و فيها شاهد ماشهد من الكرامات والقدرة الإلهية و لم يكن من قبلها شاهد من ذلك شيئا لقد ولد لنا الليلة مولود يفتح الله علينا به أبوابا كثيرة من النعمة والرحمة -رواية- ١-٧٧ و كان كما قال ص فإنه ع كان ناصره والمحامي عنه وكاشف الغماء عن وجهه وبسيفه ثبت دين الإسلام و رست دعائمه وتمهدت قواعده . و في المسألة تفسير آخر و هو أن يعنى بقوله ع فإنى ولدت على الفطرة -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-٣٥ أى على الفطرة التي لم تتغير و لم تحل و ذلك أن معنى قول النبي ص كل مولود يولد على الفطرة -رواية- ١-٢-رواية- ١٧-٤٣ أن كل مولود فإن الله تعالى قد هياه بالعقل الذى خلقه فيه وبصحة الحواس والمشاعر لأن يعلم التوحيد والعدل و لم يجعل فيه مانعا يمنعه عن ذلك ولكن التربية والعقيدة فى الوالدين والإلف لاعتقادهما وحسن الظن فيهما يصدده عما فطر عليه و أمير المؤمنين ع دون غيره ولد على الفطرة التي لم تحل و لم يصد عن مقتضاها مانع لا من جانب الأبوين و لا- من جهة غيرهما وغيره ولد على الفطرة ولكنه حال عن مقتضاها وزال عن موجبها. ويمكن أن يفسر بأنه ع أراد بالفطرة العصمة و أنه منذ ولد لم يواقع قبيحا [صفحة ١١٦] و لا- كان كافرا طرفة عين قط و لا مخطئا و لا غالطا فى شىء من الأشياء المتعلقة بالدين و هذا تفسير الإمامية

فصل فيما قيل من سبق على إلى الإسلام

المسألة السادسة أن يقال كيف قال وسبقت إلى الإيمان و قد قال قوم من الناس إن أبابكر سبقه و قال قوم إن زيد بن حارثة سبقه . والجواب أن أكثر أهل الحديث وأكثر المحققين من أهل السيرة رويوا أنه ع أول من أسلم ونحن نذكر كلام أبي عمر يوسف بن عبد البر المحدث فى كتابه المعروف بالإستيعاب . قال أبو عمر فى ترجمة على ع المروى عن سلمان و أبى ذر والمقداد و خباب و أبى سعيد الخدرى و زيد بن أسلم أن عليا ع أول من أسلم وفضله هؤلاء على غيره . قال أبو عمر و قال ابن إسحاق أول من آمن بالله وبمحمد رسول الله ص على بن أبى طالب ع و هو قول ابن شهاب إلا أنه قال من الرجال بعد خديجة . قال أبو عمر و حدثنا أحمد بن محمد قال حدثنا أحمد بن الفضل قال حدثنا محمد بن جرير قال حدثنا على بن عبد الله الدهقان قال حدثنا محمد بن صالح عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال لعلى ع أربع خصال ليست -رواية- ١-٢-رواية- ١٩٥-ادامه دارد [صفحة ١١٧] لأحد غيره هو أول عربى وعجمى صلى مع رسول الله ص و هو الذى كان معه لواؤه فى كل زحف و هو الذى صبر معه يوم فر عنه غيره و هو الذى غسله وأدخله قبره -رواية- از قبل- ١٦٣ قال أبو عمر و روى عن سلمان الفارسى أنه قال أول هذه الأمة و رويها على نبيهاص الحوض أولها إسلاما على بن أبى طالب -رواية- ١-٢-رواية- ٥٠-١٢٢ و قدروى هذا الحديث مرفوعا عن سلمان عن النبي ص أنه قال أول هذه الأمة و رويها على الحوض أولها إسلاما على بن أبى

طالب -رواية- ١-٢-رواية- ٣٧-١٠١ . قال أبو عمر ورفعه أولى لأن مثله لا يدرك بالرأى. قال أبو عمر فأما إسناد المرفوع فإن أحمد بن قاسم قال حدثنا قاسم بن أصبغ قال حدثنا ابن الحارث بن أبي أسامة قال حدثني يحيى بن هاشم قال حدثنا سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل عن أبي صادق عن حنش بن المعتمر عن عليم الكندي عن سلمان الفارسي قال قال رسول الله ص أولكم واردة على الحوض أولكم إسلاما على بن أبي طالب -رواية- ١-٢-رواية- ٢٤٦-٣٠٣ قال أبو عمر وروى أبو داود الطيالسي قال حدثنا أبو عوانة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس أنه قال أول من صلى مع النبي ص بعد خديجة على بن أبي طالب -رواية- ١-٢-رواية- ١١٤-١٦٩ قال أبو عمر وحدثنا عبدالوارث بن سفيان قال حدثنا قاسم بن أصبغ قال حدثنا أحمد بن زهير بن حرب قال حدثنا الحسن بن حماد قال حدثنا أبو عوانة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس قال كان على أول من آمن من الناس بعد خديجة -رواية- ١-٢-رواية- ١٩٧-٢٤٠ . قال أبو عمر هذا الإسناد لا مطعن فيه لأحد لصحته وثقة نقلته و قد عارض [صفحته ١١٨] ما ذكرنا في باب أبي بكر الصديق عن ابن عباس والصحيح في أمر أبي بكر أنه أول من أظهر إسلامه -رواية- ١-٢-رواية- ١٧-٦٧ كذلك قاله مجاهد وغيره قالوا ومنعه قومه . قال أبو عمر اتفق ابن شهاب و عبد الله بن محمد بن عقيل وقتادة و ابن إسحاق على أن أول من أسلم من الرجال على واتفقوا على أن خديجة أول من آمن بالله ورسوله وصدقه فيما جاء به ثم على بعد. وروى عن أبي رافع مثل ذلك . قال أبو عمر وحدثنا عبدالوارث قال حدثنا قاسم قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا عبد السلام بن صالح قال حدثنا عبدالعزيز بن محمد الدراوردي قال حدثنا عمر مولى غفرة قال سئل محمد بن كعب القرظي عن أول من أسلم على أم أبي بكر فقال سبحان الله على أولهما إسلاما وإنما شبه على الناس لأن عليا أخفى إسلامه من أبي طالب وأسلم أبو بكر فأظهر إسلامه . قال أبو عمر و لا شك عندنا أن عليا أولهما إسلاما ذكر عبدالرزاق في جامعه عن معمر عن قتادة عن الحسن وغيره قالوا أول من أسلم بعد خديجة على بن أبي طالب ع . وروى معمر عن عثمان الجزري عن مقسم عن ابن عباس قال أول من أسلم على بن أبي طالب -رواية- ١-٢-رواية- ٦٠-٩٣ قال أبو عمر وروى ابن فضيل عن الأجلح عن حبة بن جوين العرنى قال سمعت عليا يقول لقد عبت الله قبل أن يعبد أحد من هذه الأمة خمس سنين -رواية- ١-٢-رواية- ٩٠-١٤٩ قال أبو عمر وروى شعبة عن سلمة بن كهيل عن حبة العرنى قال سمعت عليا يقول إنا أول من صلى مع رسول الله ص -رواية- ١-٢-رواية- ٧٩-١١٥ [صفحته ١١٩] قال أبو عمر و قدروى سالم بن أبي الجعد قال قلت لابن الحنفية أبو بكر كان أولهما إسلاما قال لا. قال أبو عمر وروى مسلم الملائي عن أنس بن مالك قال استنبت النبي ص يوم الإثنين وصلى على يوم الثلاثاء. قال أبو عمر و قال زيد بن أرقم أول من آمن بالله بعد رسول الله ص على بن أبي طالب . قال و قدروى حديث زيد بن أرقم من وجوه ذكرها النسائي وأسلم بن موسى وغيرهما منها ما حدثنا به عبدالوارث قال حدثنا قاسم قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا علي بن الجعد قال حدثنا شعبة قال أخبرني عمرو بن مرة قال سمعت أبا حمزة الأنصاري قال سمعت زيد بن أرقم يقول أول من صلى مع رسول الله ص على بن أبي طالب . قال أبو عمر وحدثنا عبدالوارث حدثنا قاسم حدثنا أحمد بن زهير بن حرب حدثنا أبي قال حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد قال حدثنا ابن إسحاق قال حدثنا يحيى بن أبي الأشعث عن إسماعيل بن إلياس بن عفيف الكندي عن أبيه عن جده قال كنت امرأ تاجرا فقدمت الحج فأتيت العباس بن عبدالمطلب لأبتاع منه بعض التجارة و كان امرأ تاجرا فو الله إنى لعنده بمنى إذ خرج رجل من خباء قريب منه فنظر إلى الشمس فلما رآها قد مالت قام يصلى ثم خرجت امرأه من ذلك الخباء الذى خرج منه ذلك الرجل فقامت خلفه تصلى ثم خرج غلام حين راهق الحلم من ذلك الخباء فقام معه يصلى فقلت للعباس ما هذا يا عباس قال هذا محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب ابن أخي قلت من هذه المرأة [صفحته ١٢٠] قال امرأته خديجة بنت خويلد قلت ما هذا الفتى قال على بن أبي طالب ابن عمه قلت ما هذا الذى يصنع قال يصلى و هو يزعم أنه نبي و لم يتبعه على أمره إلا امرأته و ابن عمه هذا الغلام و هو يزعم أنه سيفتح على أمته

كنوز كسرى وقيصر قال فكان عفيف الكندي يقول وقد أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه لو كان الله رزقني الإسلام يومئذ كنت أكون ثانيا مع علي . قال أبو عمر وقد ذكرنا هذا الحديث من طرق في باب عفيف الكندي من هذا الكتاب . قال أبو عمر ولقد قال علي ع صليت مع رسول الله ص كذا وكذا لا يصلى معه غيري إلا خديجة -رواية- ١-٢-رواية- ٣٣-٩٤ . فهذه الروايات والأخبار كلها ذكرها أبو عمر يوسف بن عبد البر في الكتاب المذكور وهي كما تراها تكاد تكون إجماعا . قال أبو عمر وإنما الاختلاف في كمية سنة ع يوم أسلم ذكر الحسن بن علي الحلواني في كتاب المعرفة له قال حدثنا عبد الله بن صالح قال حدثنا الليث بن سعد عن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن أنه بلغه أن عليا والزيير أسلما وهما ابنا ثمانى سنين كذا يقول أبو الأسود يتيم عروة وذكره أيضا ابن أبي خيثمة عن قتيبة بن سعيد عن الليث بن سعد عن أبي الأسود وذكره عمر بن شبة عن الحزامي عن أبي وهب عن الليث عن أبي الأسود قال الليث وهما ابنا ثمان عشرة سنة . قال أبو عمر ولا أعلم أحدا قال بقول أبي الأسود هذا . قال أبو عمر وروى الحسن بن علي الحلواني قال حدثنا عبد الرزاق قال حدثنا معمر عن قتادة عن الحسن قال أسلم علي و هو ابن خمس عشرة سنة [صفحہ ١٢١] قال أبو عمر وأخبرنا أبو القاسم خلف بن قاسم بن سهل قال حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن إسماعيل الطوسي قال أخبرنا أبو العباس محمد بن إسحاق بن إبراهيم السراج قال حدثنا محمد بن مسعود قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة عن الحسن قال أسلم علي و هو أول من أسلم و هو ابن خمس عشرة سنة أوست عشرة سنة . قال أبو عمر قال ابن وضاح و ماريت أحدا قط أعلم بالحديث من محمد بن مسعود ولا بالرأى من سحنون . قال أبو عمر قال ابن إسحاق أول ذكر آمن بالله ورسوله علي بن أبي طالب ع و هو يومئذ ابن عشر سنين . قال أبو عمر والروايات في مبلغ سنة ع مختلفة قيل أسلم و هو ابن ثلاث عشرة سنة وقيل ابن اثنتي عشرة سنة وقيل ابن خمس عشرة سنة وقيل ابن ست عشرة سنة وقيل ابن عشر سنة وقيل ابن ثمان . قال أبو عمر وذكر عمر بن شبة عن المدائني عن ابن جعدة عن نافع عن ابن عمر قال أسلم علي و هو ابن ثلاث عشرة سنة . قال وأخبرنا إبراهيم بن المنذر الحرامى قال حدثنا محمد بن طلحة قال حدثني جدي إسحاق بن يحيى عن طلحة قال كان علي بن أبي طالب ع والزيير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص أعمارا واحدة . قال وأخبرنا عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن قال حدثنا إسماعيل بن علي الخطبى قال حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثني أبي قال حدثنا حجين أبو عمر قال حدثنا حبان عن معروف عن أبي معشر قال كان علي ع وطلحة والزيير في سن واحدة . [صفحہ ١٢٢] قال وروى عبد الرزاق عن الحسن وغيره أن أول من أسلم بعد خديجة علي بن أبي طالب ع و هو ابن خمس عشرة سنة أوست عشرة سنة . قال أبو عمر وروى أبو يزيد عمر بن شبة قال حدثنا شريح بن النعمان قال حدثنا الفرات بن السائب عن ميمون بن مهران عن ابن عمر قال أسلم علي و هو ابن ثلاث عشرة سنة وتوفى و هو ابن ثلاث وستين سنة . قال أبو عمر هذا أصح ما قيل في ذلك و الله أعلم . انتهى حكاية كلام أبي عمر في كتاب الإستيعاب . واعلم أن شيوخنا المتكلمين لا يكادون يختلفون في أن أول الناس إسلاما علي بن أبي طالب ع إلا من عساه خالف في ذلك من أوائل البصريين فأما الذي تقررت المقالة عليه الآن فهو القول بأنه أسبق الناس إلى الإيمان لا تكاد تجد اليوم في تصانيفهم و عند متكلميهم والمحققين منهم خلافا في ذلك . واعلم أن أمير المؤمنين ع مازال يدعى ذلك لنفسه ويفتخر به ويجعله في أفضليته على غيره ويصرح بذلك وقد قال غير مرة أنا الصديق الأكبر والفاروق الأول أسلمت قبل إسلام أبي بكر وصليت قبل صلته . وروى عنه هذا الكلام بعينه أبو محمد بن قتيبة في كتاب المعارف و هو غير متهم في أمره . و من الشعر المروى عنه ع في هذا المعنى الأبيات التي أولها -رواية- ١-٢-رواية- ٦٦-٦٧ محمد النبي أخى وصهرى || وحمزة سيد الشهداء عمى و من جملتها -رواية- ١-١٤ سبقتكم إلى الإسلام طرا || غلاما ما بلغت أوان حلمى [صفحہ ١٢٣] والأخبار الواردة في هذا الباب كثيرة جدا لا يتسع هذا الكتاب لذكرها فلنطلب من مظانها . و من تأمل كتب السير والتواريخ عرف من ذلك ما قلناه . فأما الذاهبون إلى أن أبا بكر أقدمهما إسلاما فنفر قليلون ونحن نذكر ما أورده ابن عبد البر أيضا في كتاب

الإستيعاب في ترجمه أبي بكر. قال أبو عمر حدثني خالد بن القاسم قال حدثنا أحمد بن محبوب قال حدثنا محمد بن عبدوس قال حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال حدثنا شيخ لنا قال أخبرنا مجالد عن الشعبي قال سألت ابن عباس أو سئل أي الناس كان أول إسلاما فقال أ ما سمعت قول حسان بن ثابت إذا تذكرت شجوا من أخي ثقة || فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا خير البرية أتقاها وأعدلها || بعد النبي وأوفاها بما حملا والثاني التالي المحمود مشهده || وأول الناس منهم صدق الرسل ويروى أن النبي ص قال لحسان هل قلت في أبي بكر شيئا قال نعم وأنشده هذه الأبيات وفيها بيت رابع -رواية 1-2-رواية 10-109- وثاني اثنين في الغار المنيف وقد || طاف العدو به إذ صعدا الجبل فسر بذلك رسول الله ص وقال أحسنت يا حسان و قد روى فيها بيت خامس -رواية 1-71- وكان حب رسول الله قد علموا || من البرية لم يعدل به رجلا [صفحة 124] وقال أبو عمر وروى شعبة عن عمرو بن مرة عن إبراهيم النخعي قال أول من أسلم أبو بكر. قال وروى الجريري عن أبي نصر قال قال أبو بكر لعلي ع أنا أسلمت قبلك في حديث ذكره فلم ينكره عليه . قال أبو عمر وقال فيه أبو محجن الثقفي وسميت صديقا و كل مهاجر || سواك يسمى باسمه غير منكر سبقت إلى الإسلام والله شاهد || وكنت جليسا بالعريش المشهر وبالغار إذ سميت خلا وصاحبا || وكنت رفيقا للنبي المطهر قال أبو عمر وروينا من وجوه عن أبي أمامة الباهلي قال حدثني عمرو بن عبسة قال أتيت رسول الله ص و هو نازل بعكاظ فقلت يا رسول الله ص من اتبعك على هذا الأمر فقال حر و عبد أبو بكر وبلال قال فأسلمت عند ذلك -رواية 1-2-رواية 83-217 وذكر الحديث . هذا مجموع ما ذكره أبو عمر بن عبد البر في هذا الباب في ترجمه أبي بكر ومعلوم أنه لانسبة لهذه الروايات إلى الروايات التي ذكرها في ترجمه علي ع الدالة على سبقه ولا ريب أن الصحيح ما ذكره أبو عمر أن عليا كان هو السابق و أن أبا بكر هو أول من أظهر إسلامه فظن أن السبق له . و أما زيد بن حارثة فإن أبا عمر بن عبد البر رضى الله تعالى عنه ذكر في كتاب الإستيعاب أيضا في ترجمه زيد بن حارثة قال ذكر معمر بن شبة في جامعه عن الزهري أنه قال ما علمنا أحدا أسلم قبل زيد بن حارثة. [صفحة 125] قال عبد الرزاق و ما أعلم أحدا ذكره غير الزهري. و لم يذكر صاحب الإستيعاب ما يدل على سبق زيد إلا هذه الرواية واستغريها فدل مجموع ما ذكرناه أن عليا أول الناس إسلاما و أن المخالف في ذلك شاذ والشاذ لا يعتد به

فصل فيما ذكر من سبق علي إلى الهجرة

المسألة السابعة أن يقال كيف قال إنه سبق إلى الهجرة ومعلوم أن جماعة من المسلمين هاجروا قبله منهم عثمان بن مظعون وغيره و قد هاجر أبو بكر قبله لأنه هاجر في صحبة النبي ص وتخلف علي ع عنهما فبات علي فراش رسول الله ص ومكث أياما يرد الودائع التي كانت عنده ثم هاجر بعد ذلك . والجواب أنه ع لم يقل وسبقت كل الناس إلى الهجرة وإنما قال وسبقت فقط و لا يدل ذلك على سبقه للناس كافة ولا شبهة أنه سبق معظم المهاجرين إلى الهجرة و لم يهاجر قبله أحد إلا نفر يسير جدا. وأيضا فقد قلنا إنه علل أفضليته وتحريم البراءة منه مع الإكراه بمجموع أمور منها ولادته على الفطرة ومنها سبقه إلى الإيمان ومنها سبقه إلى الهجرة وهذه الأمور الثلاثة لم تجتمع لأحد غيره فكان مجموعها متميزا عن كل أحد من الناس . وأيضا فإن اللام في الهجرة يجوز ألا تكون للمعهود السابق بل تكون للجنس و أمير المؤمنين ع سبق أبا بكر وغيره إلى الهجرة التي قبل هجرة المدينة فإن النبي ص هاجر عن مكة مرارا يطوف على أحياء العرب وينتقل من [صفحة 126] أرض قوم إلى غيرها و كان علي ع معه دون غيره . أما هجرته إلى بني شيبان فما اختلف أحد من أهل السيرة أن عليا كان معه هو و أبو بكر وأنهم غابوا عن مكة ثلاثة عشر يوما وعادوا إليها لما لم يجدوا عند بني شيبان ما أرادوه من النصره. وروى المدائني في كتاب الأمثال عن المفضل الضبي أن

رسول الله ص لما خرج عن مكة يعرض نفسه على قبائل العرب خرج إلى ربيعة ومعه علي ع و أبو بكر فدفعوا إلى مجلس من مجالس العرب فتقدم أبو بكر و كان نسابه فسلم فردوا عليه السلام فقال ممن القوم قالوا من ربيعة قال أ من هامتها أم من لهازمتها قالوا من هامتها العظمى فقال من أى هامتها العظمى أنتم قالوا من ذهل الأكبر قال أفمنكم عوف الذى يقال له لاجر بوادى عوف قالوا لا- قال أفمنكم بسطام ذو اللواء ومنتهى الأحياء قالوا لا قال أفمنكم جساس حامى الذمار ومانع الجار قالوا لا قال أفمنكم الحوفزان قاتل الملوك وسالبها أنفسها قالوا لا قال أفمنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة قالوا لا قال أفأنتم أخوال الملوك من كندة قالوا لا قال فلستم إذن ذهلا الأكبر أنتم ذهل الأصغر فقام إليه غلام قد بقل وجهه اسمه دغفل فقال إن على سائلنا أن نسأله || والعبء لاتعرفه أوتحملة . [صفحہ ۱۲۷] يا هذا إنك قد سألتنا فأجبتك و لم نكتمك شيئا فممن الرجل قال من قريش قال بخ بنخ أهل الشرف والرئاسة فمن أى قريش أنت قال من تيم بن مرة قال أمكنت و الله الرامى من الثغرة أمنكم قصى بن كلاب الذى جمع القبائل من فھر فكان يدعى مجمعا قال لا قال أفمنكم هاشم الذى هشم لقومه الثريد قال لا قال أفمنكم شيبه الحمد مطعم طير السماء قال لا قال أفمن المفيضين بالناس أنت قال لا قال أفمن أهل الندوة أنت قال لا قال أفمن أهل الرفادة أنت قال لا قال أفمن أهل الحجابة أنت قال لا قال أفمن أهل السقاية قال لا قال فاجتذب أبو بكر زمام ناقته ورجع إلى رسول الله ص هاربا من الغلام فقال دغفل صادف درء السيل درء يصدعه . أما و الله لو ثبت لأخبرتكم أنك من زمعات قريش فتبسم رسول الله ص و قال على ع لأبى بكر لقد وقعت يا أبابكر من الأعرابى على باقعة -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۷-۷۰ قال أجل إن لكل طامة طامة والبلاء موكل بالمنطق فذهبت مثلا. و أما هجرته ص إلى الطائف فكان معه على ع و زيد بن [صفحہ ۱۲۸] حارثة فى رواية أبى الحسن المدائنى و لم يكن معهم أبو بكر و أماروايه محمد بن إسحاق فإنه قال كان معه زيد بن حارثة وحده و غاب رسول الله ص عن مكة فى هذه الهجرة أربعين يوما ودخل إليها فى جوار مطعم بن عدى. و أما هجرته ص إلى بنى عامر بن صعصعة وإخوانهم من قيس عيلان فإنه لم يكن معه إلا على ع وحده و ذلك عقيب وفاة أبى طالب أوحى إليه ص أخرج منها فقد مات ناصر ك فخرج إلى بنى عامر بن صعصعة ومعه على ع وحده فعرض نفسه عليهم وسألهم النصر وتلا عليهم القرآن فلم يجيبوه فعاد ع إلى مكة وكانت مدة غيبته فى هذه الهجرة عشرة أيام وهى أول هجرة هاجرها ص بنفسه. فأما أول هجرة هاجرها أصحابه و لم يهاجر بنفسه فهجرة الحبشة هاجر فيها كثير من أصحابه ع إلى بلاد الحبشة فى البحر منهم جعفر بن أبى طالب ع فغابوا عنه سنين ثم قدم عليه منهم من سلم وطالت أيامه و كان قدوم جعفر عليه عام فتح خيبر فقال ص ما أدرى بأيهما أنا أسر أبقدم جعفر أم بفتح خيبر -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۲-۶۲ [صفحہ ۱۲۹]

۵۷- و من كلام له ع كلم به الخوارج

إشارة

أصابكم حاصبٌ و لا بقى منكم آبرٌ أ بعد إيماني بالله و جهادى مع رسول الله ص أشهد على نفسي بالكفر لقد ضللت إذا و ما أنا من المهتدين فأوبؤا شر مآب و ارجعوا على أثر الأعقاب أميا إنكم سي تلقون بعدي ذلا شاملا و سيفا قاطعا و أثره يتجدد الظالمون فيكم سيئته قال الرضى رحمه الله قوله ع و لابقى منكم آبر يروى على ثلاثة أوجه أحدها أن يكون كما ذكرناه آبر بالراء من قولهم رجل آبر للذى يأبر النخل أى يصلحه . ويروى آثر بالثاء بثلاث نقط يراد به الذى يأثر الحديث أى يرويه ويحكيه و هو أصح الوجوه عندى كأنه ع قال لا يبقى منكم مخبر. ويروى آبز بالزاي المعجمة و هو الواثب والهالك أيضا يقال له آبز -

روایت-۱-۳۵۶ [صفحة ۱۳۰] الحاصب الريح الشديدة التي تثير الحصباء و هو صغار الحصى ويقال لها أيضا حصبة قال لبيد جرت عليها إذ خوت من أهلها || أذيا لها كل عصف حصبه .فأما التفسيرات التي فسر بها الرضى رحمه الله تعالى قوله ع أبر فيمكن أن يزداد فيها فيقال يجوز أن يريد بقوله ولا يبقى منكم أبر أى نمام يفسد ذات السبين والمثيرة النميمة وأبر فلان أى نم والآبر أيضا من يبغى القوم الغوائل خفية مأخوذ من أبرت الكلب إذا أطمعته الإبرة فى الخبز و فى الحديث المؤمن كالكلب المأبور -روایت-۱-۲-روایت-۱۶-۴۰ ويجوز أن يكون أصله هابر أى من يضرب بالسيف فيقطع وأبدلت الهاء همزة كما قالوا فى آل أهل و إن صحت الرواية الأخرى آثر بالثاء بثلاث نقط فيمكن أن يريد به ساجى باطن خف البعير وكانوا يسجون باطن الخف بحديدة ليقتص أثره رجل آثر وبعير مأثور. وقوله ع فأوبوا شر مآب أى ارجعوا شر مرجع والأعقاب جمع عقب بكسر القاف و هو مؤخر القدم و هذا كله دعاء عليهم قال لهم أولا- أصابكم حاصب و هذا من دعاء العرب قال تميم بن أبى مقبل فإذا دخلت من أهلها وقطينها || فأصابها الحصباء والسفان . ثم قال لهم ثانيا لا يبقى منكم مخبر ثم قال لهم ثالثا ارجعوا شر مرجع ثم قال لهم رابعا اعودوا على أثر الأعقاب و هو مأخوذ من قوله تعالى وَ نَزَّدَ قرآن-۱۴۳-۱۵۱ . ثم قال لهم ثانيا لا يبقى منكم مخبر ثم قال لهم ثالثا ارجعوا شر مرجع ثم قال لهم رابعا اعودوا على أثر الأعقاب و هو مأخوذ من قوله تعالى وَ نَزَّدَ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ وَالْمَرَاد انعكاس حالهم وعودهم من العز إلى الذل و من الهداية إلى الضلال . وقوله ع وأثره يتخذها الظالمون فيكم سنة فالأثر هاهنا الاستبداد عليهم بالفىء والغنائم واطراح جانبهم -قرآن-۱-۴۰ و قال النبى ص للأنصار ستلقون بعدى أثره فاصبروا حتى تلقوني -روایت-۱-۲-روایت-۲۷-۶۶ [صفحة ۱۳۲]

أخبار الخوارج وذكر رجالهم وحروبهم

واعلم أن الخوارج على أمير المؤمنين ع كانوا أصحابه وأنصاره فى الجمل وصفين قبل التحكيم و هذه المخاطبة لهم و هذا الدعاء عليهم و هذا الإخبار عن مستقبل حالهم و قد وقع ذلك فإن الله تعالى سلط على الخوارج بعده الذل الشامل والسيف القاطع والأثر من السلطان و ما زالت حالهم تضحل حتى أفناهم الله تعالى وأفنى جمهورهم ولقد كان لهم من سيف المهلب بن أبى صفرة وبنيه الحنف القاضى والموت الزؤام . ونحن نذكر من أخبار الخوارج وحروبهم هاهنا طرفا

عروة بن حدير

فمنهم عروة بن حدير أحد بنى ربيعة بن حنظلة من بنى تميم ويعرف بعروة بن أديه وأديه جد له جاهلية و كان له أصحاب و أتباع وشيعة فقتله زياد فى خلافة معاوية صبرا

نجدة بن عويمر الحنفى

ومنهم نجدة بن عويمر الحنفى كان من رؤسائهم و له مقالة مفردة من مقالة الخوارج [صفحة ۱۳۳] و له أتباع وأصحاب وإليهم أشار الصلتان العبدى بقوله أرى أمه شهرت سيفها || و قد زيد فى سوطها الأصبحي بنجدية أوحريه || وأزرق يدعو إلى أزرقى فملتنا أننا مسلمون || على دين صديقنا و النبى أشاب الصغير وأفنى || الكبير مر الغداة وكر العشى إذ ليلته أهرمت يومها

|| أتى بعد ذلك يوم فتى نروح ونغدو لحاجاتنا || وحاجته من عاش لاتنقضى تموت مع المرء حاجاته || وتبقى له حاجة مابقى . و كان نجده يصلى بمكة بحذاء عبد الله بن الزبير فى جمعة [فى كل جمعة] و عبد الله يطلب الخلافة فيمسكان عن القتال من أجل الحرم . وقال الراعى يخاطب عبدالمملك إنى حلفت على يمين بره || لأكذب اليوم الخليفة قىلا ما إن أتيت أبأخييب وافدا || يوما أريد لييعتى تبديلا و لما أتيت نجيدة بن عويمر || أبغى الهدى فيزيدنى تضليلا من نعمه الرحمن لا من حيلتى || أنى أعد له على فضولا . واستولى نجده على اليمامة وعظم أمره حتى ملك اليمن والطائف وعمان والبحرين ووادى تميم وعامر ثم إن أصحابه نعموا عليه أحكاما أحدثها فى مذهبهم منها قوله إن [صفحه ١٣٤] المخطئ بعدالاجتهاد معذور و إن الدين أمران معرفة الله ومعرفة رسوله و ماسوى ذلك فالناس معذرون بجهله إلى أن تقوم عليهم الحجة فمن استحل محرما من طريق الاجتهاد فهو معذور حتى أن من تزوج أخته أوأمه مستحلا لذلك بجهالة فهو معذور ومؤمن فخلعوه وجعلوا اختيار الإمام إليه فاختر لهم أبأفديك أحد بنى قيس بن ثعلبة فجعله رئيسهم ثم إن أبأفديك أنفذ إلى نجده بعد من قتله ثم تولاه بعدقتله طوائف من أصحابه بعد أن تفرقوا عليه وقالوا قتل مظلوما

المستورد بن سعد التميمي

ومنهم المستورد بن سعد أحد بنى تميم كان ممن شهد يوم النخيلة ونجا بنفسه فيمن نجا من سيف على ع ثم خرج بعد ذلك بمدة على المغيرة بن شعبه و هووالى الكوفة لمعاوية بن أبى سفيان فى جماعة من الخوارج فوجه المغيرة إليه معقل بن قيس الرياحى فلما توافقا دعاه المستورد إلى المبارزة وقال له علام تقتل الناس بينى وبينك فقال معقل النصف سألت فأقسم عليه أصحابه فقال ماكنت لأبى عليه فخرج إليه فاختلفا ضربتين خر كل واحد منهما من ضربة صاحبه قتيلا. و كان المستورد ناسكا كثير الصلاة و له آداب وحكم مأثارة

حوثره الأسدى

ومنهم حوثره الأسدى خرج على معاوية فى عام الجماعة فى عصابة من الخوارج فبعث إليه معاوية جيشا من أهل الكوفة فلما نظر حوثره إليهم قال لهم ياأعداء الله أنتم بالأمس تقاتلون معاوية لتهدوا سلطانه وأنتم اليوم تقاتلون معه لتشدوا سلطانه فلما [صفحه ١٣٥] التحمت الحرب قتل حوثره قتله رجل من طيى وفضت جموعه

قريب بن مرة وزحاف الطائى

ومنهم قريب بن مرة الأنزدى وزحاف الطائى كانا عابدين مجتهدين من أهل البصرة فخرجا فى أيام معاوية فى إمارة زياد واختلف الناس أيهما كان الرئيس فاعترضا الناس فلقيا شيخا ناسكا من بنى ضبيعة من ربيعة بن نزار فقتلاه و كان يقال له رؤبة الضبعى وتنادى الناس فخرج رجل من بنى قطيعة من الأزدي و فى يده السيف فناده الناس من ظهور البيوت الحرورية أنج بنفسك فنادوه لسنا حرورية نحن الشرط فوقف فقتلوه فبلغ أبابلال مرداس بن أديه خبرهما فقال قريب لاقربه الله وزحاف لاعفا الله عنه ركباه عشاء مظلمة يريد اعتراضهما الناس ثم جعلا لايمران بقبيلة الإقتلا من وجدا حتى مرا على بنى على بن سود من الأزدي

على عهد رسول الله ص لأنهم كانوا بمكة مقهورين محصورين لا يجدون إلى الهرب سيلا ولا إلى الاتصال بالمسلمين طريقا وهؤلاء قد تفقهوا في الدين وقرءوا القرآن والطريق لهم نهج واضح وقد عرفت ما قال الله تعالى فيمن كان مثلهم إذ قالوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ فَقَالَ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا وَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالَ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ فَيُجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَسْمَاءِهِمْ مِنْهُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فَانظُرْ إِلَى أَسْمَائِهِمْ وَسَمَاتِهِمْ . وَأَمَّا الْأَطْفَالُ فَإِنَّ نوحا نبى الله كان أعلم بالله منى ومنك وقد قال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا فَمَا لَهُمْ بِالْكَفْرِ وَهُمْ أَطْفَالٌ وَقَبْلَ أَنْ يُولَدُوا فَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ - قرآن- ٦٠٧-٦٣٧-قرآن- ٦٤٤-٦٩٦-قرآن- ٧١١-٨٣٨- قرآن- ٨٤٦-٨٩٧-قرآن- ٩٤٨-٩٩٦-قرآن- ١٠٩٧-١٢٢٥] [صفحة ١٣٩] فى قوم نوح ولا تقول فى قومنا و الله تعالى يقول أ كُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَوْلِيَّكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ وَهَؤُلَاءِ كَمُشْرِكِي الْعَرَبِ لَا يَقْبَلُ مِنْهُمْ جَزِيَّةٌ وَ لَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ إِلَّا السَّيْفُ أَوَالِئِ السَّلَامِ . وَ أَمَّا اسْتِحْلَالُ أَمَانَاتٍ مِنْ خَالَفْنَا فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَحَلَّ لَنَا أَمْوَالَهُمْ كَمَا أَحَلَّ دِمَاءَهُمْ لَنَا فَمَا وَهُمْ حَلَالٌ طَلَقَ وَأَمْوَالَهُمْ فِىءَ لِّلْمُسْلِمِينَ فَاتَّقِ اللَّهَ وَرَاجِعْ نَفْسَكَ فَإِنَّهُ لَا عَذْرَ لَكَ إِلَّا بِالتَّوْبَةِ وَلَنْ يَسْعَكَ خِذْلَانُنَا وَالْقَعُودُ عَنَا وَتَرْكُ مَا نَهَجْنَاهُ لَكَ مِنْ مَقَالَتِنَا وَ السَّلَامُ عَلَى مَنْ أَقْرَبَ الْحَقَّ وَعَمِلَ بِهِ . وَ كَتَبَ إِلَى مَنْ بِالْبَصْرَةِ مِنَ الْمَحْكَمَةِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّ الشَّرِيعَةَ وَاحِدَةٌ وَالدِّينَ وَاحِدٌ فَفِيمَ الْمَقَامِ بَيْنَ أَظْهَرَ الْكُفَّارِ تَرُونَ الظُّلْمَ لَيْلًا وَنَهَارًا وَ قَد نَدَبَكُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى الْجِهَادِ فَقَالَ وَ قَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً وَ لَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ فِي التَّخَلُّفِ عِذْرًا فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ فَقَالَ انْفِرُوا خِفَافًا وَ ثِقَالًا وَ إِنَّمَا عَذْرُ الضَّعْفَاءِ وَ الْمَرْضَى وَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ وَ مَنْ كَانَتْ إِقَامَتُهُ لَعْلَةً ثُمَّ فَضَّلَ عَلَيْهِمْ مَعَ ذَلِكَ الْمَجَاهِدِينَ فَقَالَ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ وَ الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَا تَغْتَرَبُوا وَ تَطْمَئِنُوا إِلَى الدُّنْيَا فَإِنَّهَا غَرَارَةٌ مَكَارَةٌ لَذَّتْهَا نَافِئَةٌ وَ نَعِيمُهَا بَائِدٌ حَفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ اغْتَرَابًا وَ أَظْهَرَتْ حَبْرَةً وَ أَضْمَرَتْ عِبْرَةً فَلَيْسَ أَكَلُ مِنْهَا أَكْلُهُ تَسْرَهُ وَ لَا شَارِبُ مِنْهَا شَرْبُهُ تَوْنَقُهُ إِلَّا - وَ دَنَا بِهَا دَرَجَةٌ إِلَى أَجَلِهِ وَ تَبَاعَدَ بِهَا مَسَافَةٌ مِنْ أَمَلِهِ وَ إِنَّمَا جَعَلَهَا اللَّهُ دَارَ الْمَتْرُودِ مِنْهَا إِلَى النِّعَمِ الْمَقِيمِ وَ الْعَيْشِ السَّلِيمِ فَلَيْسَ يَرْضَى بِهَا حَازِمٌ دَارًا وَ لَا حَكِيمٌ قَرَارًا فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ تَزُودُوا - قرآن- ٥٥-١١٩-قرآن- ٧٣١-٧٦٢-قرآن- ٨٢١-٨٤٧-قرآن- ٩٦٦- ١٠٦٦] [صفحة ١٤٠] فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَ السَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى . فَلَمَّا أَظْهَرَ نَافِعُ مَقَالَتَهُ هَذِهِ وَ انْفَرَدَ عَنِ الْخَوَارِجِ بِهَا أَقَامَ فِي أَصْحَابِهِ بِالْأَهْوَاذِ يَسْتَعْرِضُ النَّاسَ وَ يَقْتُلُ الْأَطْفَالَ وَ يَأْخُذُ الْأَمْوَالَ وَ يَجْبِي الْخَرَاجَ وَ فِشَا عَمَالَهُ بِالسَّوَادِ فَارْتَاعَ لِذَلِكَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ وَ اجْتَمَعَ مِنْهُمْ عَشْرَةٌ آلَافٍ إِلَى الْأَحْنَفِ وَ سَأَلُوهُ أَنْ يُؤْمَرَ عَلَيْهِمْ أَمِيرًا يَحْمِيهِمْ مِنَ الْخَوَارِجِ وَ يَجَاهِدُ بِهِمْ فَأَتَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ وَ هُوَ الْمَسْمُومُ بِبَيْتِهِ فَسَأَلَهُ أَنْ يُؤْمَرَ عَلَيْهِمْ وَ بَيْتُهُ يَوْمَئِذٍ أَمِيرُ الْبَصْرَةِ مِنْ قَبْلِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فَأَمَرَ عَلَيْهِمْ مُسْلِمُ بْنُ عُبَيْسِ بْنِ كَرِيزٍ وَ كَانَ دِينًا شَجَاعًا فَلَمَّا خَرَجَ بِهِمْ مِنْ جَسْرِ الْبَصْرَةِ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ وَ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي مَا خَرَجْتُ لِامْتِيَارٍ ذَهَبٍ وَ لَا فِضَّةٍ وَ إِنِّي لِأَحَارِبُ قَوْمًا إِنْ ظَفَرْتُ بِهِمْ فَمَا وَرَاءَهُمْ إِلَّا السِّيُوفُ وَ الرِّمَاحُ فَمَنْ كَانَ شَأْنُهُ الْجِهَادَ فَلْيَنْهَضْ وَ مَنْ أَحَبَّ الْحَيَاةَ فَلْيَرْجِعْ . فَرَجَعَ نَفَرٌ يَسِيرٌ وَ مَضَى الْبَاقُونَ مَعَهُ فَلَمَّا صَارُوا بِدَوْلَابٍ خَرَجَ إِلَيْهِمْ نَافِعٌ وَ أَصْحَابُهُ فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا حَتَّى تَكَسَّرَتِ الرِّمَاحُ وَ عَقِرَتِ الْخَيْلُ وَ كَثُرَ الْجِرَاحُ وَ الْقَتْلُ وَ تَضَارَبُوا بِالسِّيُوفِ وَ الْعِمَدِ فَقَتَلَ ابْنُ عُبَيْسِ أَمِيرُ الْبَصْرَةِ وَ قَتَلَ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ أَمِيرُ الْخَوَارِجِ وَ ادَّعَى قَتْلَهُ سَلَامَةً الْبَاهِلِيَّ وَ كَانَ نَافِعٌ قَدِ اسْتَخْلَفَ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ بَشِيرِ بْنِ الْمَاحُوزِ السَّلِيطِيَّ الْيَرْبُوعِيَّ وَ اسْتَخْلَفَ ابْنَ عُبَيْسِ الرَّبِيعِ بْنِ عَمْرٍو الْأَجْدَمَ الْغَدَانِيَّ الْيَرْبُوعِيَّ فَكَانَ الرَّئِيسَانِ مِنْ بَنِي يَرْبُوعٍ فَاقْتَتَلُوا بَعْدَ قَتْلِ ابْنِ عُبَيْسِ وَ نَافِعٌ قَتَلَ شَدِيدًا نِيفًا وَ عَشْرِينَ يَوْمًا حَتَّى قَالَ الرَّبِيعُ لِأَصْحَابِهِ إِنِّي رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ كَأَنَّ يَدِي [صفحة ١٤١] الَّتِي أَصَابَتْ بِكَابِلِ انْحَطَّتْ مِنَ السَّمَاءِ فَاسْتَشَلَّتْنِي فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَاتَلَهُمْ إِلَى اللَّيْلِ ثُمَّ عَاوَدَهُمُ الْقِتَالُ فَقَتَلَ فَتَدَاعَى أَهْلُ الْبَصْرَةِ الرَّايَةَ حَتَّى خَافُوا الْعَطْبَ إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ رِيسٌ ثُمَّ أَجْمَعُوا عَلَى الْحِجَاجِ بْنِ رَبَابِ الْحَمِيرِيِّ فَأَبَاهَا فَقِيلَ لَهُ أَلَا تَرَى رُؤْسَاءَ الْعَرَبِ قَدِ اخْتَارُواكَ مِنْ بَيْنِهِمْ فَقَالَ إِنَّهَا مَشْتُومَةٌ

لا يأخذها أحد إلا قتل ثم أخذها فلم يزل يقاتل القوم بدولاب حتى التقى بعمران بن الحارث الراسبي و ذلك بعد أن اقتتلوا زهاء شهر فاختلغا ضربتين فخرا ميتين . وقام حارثه بن بدر الغداني بأمر أهل البصرة بعده وثبت بإزاء الخوارج يناوشهم القتال مناوشة خفيفة ويزجي الأوقات انتظارا لقدوم أمير من قبل بيه يلى حرب الخوارج وهذه الحرب تسمى حرب دولاب وهي من حروب الخوارج المشهورة انتصف فيها الخوارج من المسلمين وانتصف المسلمون منهم فلم يكن فيها غالب ولا مغلوب

عيد الله بن بشير بن الماحوز اليربوعي

ومنهم عبيد الله بن بشير بن الماحوز اليربوعي قام بأمر الخوارج يوم دولاب بعد قتل نافع بن الأزرق وقام بأمر أهل البصرة عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي ولاء عبد الله بن الزبير ذلك و لقيه كتابه بالإمارة و هو يريد الحج و قد صار إلى بعض الطريق فرجع فأقام بالبصرة وولى أخاه عثمان بن عبيد الله بن معمر محاربة الأزارقة فخرج إليهم في اثني عشر ألفا فلقية أهل البصرة الذين كانوا في وجه الأزارقة ومعهم حارثه بن بدر الغداني يقوم بأمرهم عن غير و لايته و كان ابن الماحوز حينئذ في سوق الأهواز فلما عبر [صفحة ١٤٢] عثمان إليهم دجيلا نهضت إليه الخوارج فقال عثمان لحارثه ما الخوارج إلا ما أرى فقال حارثه حسبك بهؤلاء قال لا -جرم لا تغدى حتى أناجزهم فقال حارثه إن هؤلاء القوم لا يقا تلون بالتعسف فأبق على نفسك و جندك فقال أبيتم يا أهل العراق إلا جينا و أنت يا حارثه ما علمك بالحرب أنت و الله بغير هذا أعلم يعرض له بالشراب و كان حارثه بن بدر صاحب شراب فغضب حارثه فاعتزل و حاربهم عثمان يومه إلى أن غربت الشمس فأجلت الحرب عنه قتيلا و انهزم الناس و أخذ حارثه بن بدر الراية و صاح بالناس أنا حارثه بن بدر فثاب إليه قوم فعب بهم دجيلا و بلغ قتل عثمان البصرة فقال شاعر من بني تميم مضى ابن عبيس صابرا غير عاجز || و أعقبنا هذا الحجازي عثمان فأرعد من قبل اللقاء ابن معمر || و أبرق و البرق اليماني خوان فضحت قريشا غثها و سمينها || و قيل بنو تميم بن مرة عزلان فلو لا ابن بدر للعراقيين لم يقم || بما قام فيه للعراقيين إنسان إذا قيل من حامى الحقيقة أو مات || إليه معد بالأكف و قحطان . و وصل الخبر إلى عبد الله بن الزبير بمكة فكتب إلى عمر بن عبيد الله بن معمر بعزله و لى الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي المعروف بالقبايع البصرة فقدمها فكتب إليه حارثه بن بدر يسأله الولاية و المدد فأراد توليته فقال له رجل من بكر بن [صفحة ١٤٣] وائل إن حارثه ليس بذلك إنما هو صاحب شراب و كان حارثه مستهترا بالشراب معاقرا للخمر و فيه يقول رجل من قومه ألم تر أن حارثه بن بدر || يصلى و هو أكفر من حمار ألم تر أن للفتيان حظا || و حظك في البغايا و العقار . فكتب إليه القبايع تكفى حربهم إن شاء الله فأقام حارثه يدافعهم حتى تفرق أصحابه عنه و بقى في خف منهم فأقام بنهر تيرى فعبرت إليه الخوارج فهرب من تخلف معه من أصحابه و خرج يركض حتى أتى دجيلا فجلس في سفينة و اتبعه جماعة من أصحابه فكانوا معه فيها و وافاه رجل من بني تميم عليه سلاحه و الخوارج وراءه و قد توسط حارثه دجيلا فصاح به يا حارثه ليس مثلى يضع فقال للملاح قرب فحرف و لافرضه هناك فظفر بسلاحه في السفينة فساخت بالقوم جميعا و هلك حارثه . و روى أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني الكبير أن حارثه لما عقدوا له الرئاسة و سلموا إليه الراية أمرهم بالثبات و قال لهم إذا فتح الله عليكم فللعرب زيادة فريضة و للموالي زيادة فريضة و ندب الناس فالتقوا و ليس بأحد منهم طرق قد فشت فيهم الجراحات و ماتطأ الخيل إلا على القتلى فيينا هم كذلك إذ أقبل جمع [صفحة ١٤٤] من الشراة من جهة اليمامة يقول المكثرون إنهم مائتان و المقلل إنهم أربعون فاجتمعوا و هم مريحون مع أصحابهم فصاروا كوكبة واحدة فلما رأهم حارثه بن بدر ركض برايته منهزما و قال لأصحابه كرنبوا و دولبوا || أوحيت شتم فاذهبوا . و قال أير الحمار فريضة لعبيدكم || و الخصيتان فريضة الأعراب . قال كرنبوا أى اطلبوا كرنبي و هي قرية قريبة من الأهواز و دولبوا اطلبوا دولاب و هي

ضيعه بينها و بين الأهواز أربعة فراسخ . قال فتتابع الناس على أثره منهزمين وتبعتهم الخوارج فألقى الناس أنفسهم فى الماء فغرق منهم بدجيل الأهواز خلق كثير

الزبير بن على السليطى وظهور أمر المهلب

ومنهم الزبير بن على السليطى التميمى كان على مقدمة ابن الماحوز و كان ابن الماحوز يخاطب بالخلافه ويخاطب الزبير بالإماره ووصل الزبير بعد هلاك حارثه بن بدر وهرب أصحابه إلى البصره فخافه الناس خوفا شديدا وضح أهل البصره إلى الأحنف فأتى القبايع فقال أصلح الله الأمير إن هذا العدو قد غلبنا على سوادنا وفيئنا فلم يبق إلا أن يحصرنا فى بلدنا حتى نموت هزالا قال فسموا إلى رجلا يلى الحرب فقال الأحنف لأرى لها رجلا إلا المهلب بن أبى صفره فقال أ و هذا رأى [صفحه ١٤٥] جميع أهل البصره اجتمعوا إلى فى غد لأنظر وجاء الزبير حتى نزل على البصره وعقد الجسر ليعبر إليها فخرج أكثر أهل البصره إليه وانضم إلى الزبير جميع كور الأهواز وأهلها رغبه ورهبه فوافاه البصريون فى السفن و على الدواب فاسودت بهم الأرض فقال الزبير لمارأهم أبى قومنا إلا كفرا وقطع الجسر وأقام الخوارج يازائهم واجتمع الناس عند القبايع وخافوا الخوارج خوفا شديدا وكانوا ثلاث فرق سمى قوم المهلب وسمى قوم مالك بن مسمع وسمى قوم زياد بن عمرو بن أشرف العتكى فاختر القبايع ما عند مالك وزياد فوجهما متناقلين عن الحرب وعاد إليه من أشار بهما وقالوا قدرجعنا عن رأينا مانرى لها إلا المهلب فوجه إليه القبايع فأتاه فقال له يا أباسعيد قدرتى ما قدرهقتنا من هذا العدو وقد أجمع أهل مصرك عليك و قال له الأحنف يا أباسعيد أنا والله ما آثرناك ولكننا لم نر من يقوم مقامك . ثم قال القبايع وأوما إلى الأحنف أن هذا الشيخ لم يسمك إلا يثارا للدين والبقيا و كل من فى مصرك ماد عينه إليك راج أن يكشف الله عنه هذه الغمه بك فقال المهلب لاحول و لاقوه إلا بالله إنى عندنفسى لدون ما وصفتم ولست أبى مادعوتم إليه لكن لى شروطا أشرطها قالوا قل قال على أن أنتخب من أحببت قال الأحنف ذاك لك قال و لى إمرة كل بلد أغلب عليه قالوا لك ذلك قال و لى فى كل بلد أظفر به قال الأحنف ليس ذاك لك و لالنا إنما هوفىء للمسلمين فإن سلبتهم إياه كنت عليهم كعدوهم ولكن لك أن تعطى أصحابك من فى كل بلد تغلب عليه ما أحببت وتنفق منه على محاربه عدوك فما فضل عنكم كان للمسلمين فقال المهلب لاحول و لاقوه إلا بالله فمن لى بذلك قال الأحنف نحن وأميرك وجماعه أهل مصرك قال قدقبلت فكتبوا بينهم بذلك كتابا ووضع على يدى الصلت بن حريث بن جابر الجعفى وانتخب المهلب من جميع الأخماس فبلغت نخبته اثنى عشر ألفا ونظروا فى بيت المال [صفحه ١٤٦] فلم يكن إلا مائتى ألف درهم فعبزت فبعث المهلب إلى التجار فقال إن تجاراتكم منذ حول قدفسدت بانقطاع مواد الأهواز وفارس عنكم فهلتموا فبايعونى واخرجوا معى أوفكم حقوقكم فبايعوه وتاجروه فأخذ منهم من المال ماأصلح به عسكره واتخذ لأصحابه الخفاتين والرانات المحشوه بالصوف ثم نهض و كان أكثر أصحابه رجاله حتى إذا صار بحذاء القوم أمر بسفن فأصلحت وأحضرت فما ارتفع النهار حتى فرغ منها ثم أمر الناس بالعبور وأمر عليهم ابنه المغيرة فخرج الناس فلما قاربوا الشط خاضت إليهم الخوارج فحاربوهم وحاربهم المغيرة ونضحهم بالسهام حتى تنحوا وصار هو وأصحابه على الشط فحاربوا الخوارج فكشفوهم وشغلوهم حتى عقد المهلب الجسر وعبر والخوارج منهزمون فنهى الناس عن اتباعهم ففى ذلك يقول شاعر من الأنزد إن العراق وأهله لم يخبروا || مثل المهلب فى الحروب فسلموا أمضى وأيمن فى اللقاء نقيبه || وأقل تهليلا إذا ماأحجموا . وأبلى مع المغيرة يومئذ عطية بن عمرو العنبرى من فرسان تميم وشجعانهم و من شعر عطية يدعى رجال للعتاء وإنما || يدعى عطية للطعان الأجرد . و قال فيه شاعر من بنى تميم و ما فارس إلا عطية فوقه || إذا الحرب أبدت عن نواجذها الفما به هزم الله الأزارق بعد ما || أباحوا من المصرين حلا ومحرمنا . فأقام

المهلب أربعين ليلة يجبي الخراج بكور دجلة والخوارج بنهر تيرى والزبير بن علي منفرد بعسكره عن عسكر ابن الماحوز فقضى المهلب التجار وأعطى أصحابه [صفحة ١٤٧] فأسرع الناس إليه رغبة في مجاهدة العدو وطمعا في الغنائم والتجارات فكان فيمن أتاه محمد بن واسع الأزدي و عبد الله بن رباح ومعاوية بن قره المزني و كان يقول لوجاءت الديلم من هاهنا والحرورية من هاهنا لحاربت الحرورية وجاءه أبو عمران الجوني و كان يروى عن كعب أن قتل الحرورية يفضل قتل غيرهم بعشرة أبواب . ثم أتى المهلب إلى نهر تيرى فتنحوا عنه إلى الأهواز وأقام المهلب يجبي ماحواليه من الكور و قد دس الجواسيس إلى عسكر الخوارج يأتونه بأخبارهم و من في عسكرهم و إذا حشوه ما بين قصاب و حداد وداعر فخطب المهلب الناس و ذكر لهم ذلك و قال أمثل هؤلاء يغلبونكم على فيثكم و لم يزل مقيما حتى فهمهم وأحكم أمرهم وقوى أصحابه وكثرت الفرسان في عسكره وتتام أصحابه عشرين ألفا. ثم مضى يؤم كور الأهواز فاستخلف أخاه المعارك بن أبي صفرة على نهر تيرى وجعل المغيرة على مقدمته فسار حتى قاربهم فناوشهم وناوشوه فانكشف عن المغيرة بعض أصحابه وثبت المغيرة نفسه بقيه يومه وليلته يو قد النيران ثم غاداهم فإذا القوم قد أوقدوا النيران في بقيه متاعهم وارتحلوا عن سوق الأهواز فدخلها المغيرة و قد جاءت أوائل خيل المهلب فأقام بسوق الأهواز و كتب بذلك إلى الحارث القباع كتابا يقول فيه . أما بعد فإننا مذ خرجنا نؤم العدو في نعم من فضل الله متصله علينا ونقم متتابعة عليهم نقدم ويحجمون ونحل ويرتحلون إلى أن حللنا سوق الأهواز والحمد لله رب العالمين الذي من عنده النصر و هو العزيز الحكيم [صفحة ١٤٨] فكتب إليه الحارث هنيئا لك أخا الأزدي الشرف في الدنيا والأجر في الآخرة إن شاء الله . فقال المهلب لأصحابه ما أجفى أهل الحجاز أ ماترونه عرف اسمي وكنيتي واسم أبي قالوا و كان المهلب يث الأحراس في الأمن كما يثهم في الخوف و يذكي العيون في الأمصار كما يذكيها في الصحارى و يأمر أصحابه بالتحرز و يخوفهم البيات و إن بعد منه العدو و يقول احذروا أن تكادوا كما تكيدون و لاتقولوا هزمناهم و غلبناهم والقوم خائفون وجلون فإن الضرورة تفتح باب الحيلة. ثم قام فيهم خطيبا فقال أيها الناس قد عرفتم مذهب هؤلاء الخوارج وأنهم إن قدروا عليكم فتوكم في دينكم و سفكوا دماءكم فقاتلوهم على ما قاتلهم عليه أولكم على بن أبي طالب لقد لقيهم الصابر المحتسب مسلم بن عيسى والعجل المفرط عثمان بن عبيد الله والمعصى المخالف حارثة بن بدر فقتلوا جميعا وقتلوا بالقوهم بحد وجد فإنما هم مهنتكم و عبيدكم و عار عليكم و نقص في أحسابكم و أديانكم أن يغلبكم هؤلاء على فيثكم و يطئوا حريمكم . ثم سار يريدهم وهم بمناذر الصغرى فوجه عبيد الله بن بشير بن الماحوز رئيس الخوارج رجلا يقال له واقد مولى لآل أبي صفرة من سبي الجاهلية في خمسين رجلا فيهم صالح بن مخراق إلى نهر تيرى و بها المعارك بن أبي صفرة فقتلوه وصلبوه فتمى [صفحة ١٤٩] الخبر إلى المهلب فوجه ابنه المغيرة فدخل نهر تيرى و قد خرج واقد منها فاستنزل عمه فدفنه وسكن الناس واستخلف بها ورجع إلى أبيه و قد نزل بسولاف والخوارج بها فواقهم وجعل على بنى تميم الحريش بن هلال فخرج رجل من أصحاب المهلب يقال له عبد الرحمن الإسكاف فجعل يحض الناس ويهون أمر الخوارج ويختال بين الصفيين فقال رجل من الخوارج لأصحابه يامعشر المهاجرين هل لكم في قتله فيها الجنة فحمل جماعة منهم على الإسكاف فقاتلهم وحده فارسا ثم كبا به فرسه فقاتلهم راجلا قائما وباركا ثم كثرت به الجراحات فذبح بسيفه ثم جعل يحثو في وجوههم التراب والمهلب غير حاضر فقتل ثم حضر المهلب فأعلم فقال للحريش ولعطية العنبري أسلمتما سيد أهل العراق لم تعيناه و لم تستنقذاه حسدا له لأنه رجل من الموالي و وبخهما. وحمل رجل من الخوارج على رجل من أصحاب المهلب فقتله فحمل عليه المهلب فطعنه فقتله ومال الخوارج بأجمعهم على العسكر فانهمز الناس وقتل منهم سبعون رجلا وثبت المهلب وابنه المغيرة يومئذ وعرف مكانه . ويقال حاص المهلب يومئذ حصه و يقول الأزدي بل كان يرد المنهزمة ويحمي أدبارهم وبنو تميم تزعم أنه فر و قال شاعرهم بسولاف أضعت دماء قومي || وطرت على مواشكة درور . و قال آخر من بنى تميم تبعنا الأعور الكذاب طوعا || يزجي كل أربعة حمارا [صفحة ١٥٠] فيا ندمى على تركى عطائي

|| معاینه و اطلبه ضماریا إذا الرحمن یسر لی قفولا || فحرق فی قرى سولاف ناراً . قوله الأعور الکذاب یعنی به المهلب کانت عینه عارت بسهم أصابها وسموه الکذاب لأنه کان فقیها و کان يتأول ماورد فی الأثر من أن کل کذب یکتب کذبا إلا ثلاثة الکذب فی الصلح بین رجلین و کذب الرجل لامرأته بوعد و کذب الرجل فی الحرب بتوعد و تهدد قالوا وجاء عنه ص إنما أنت رجل فخذل عنا ما استطعت -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۱-۵۵ و قال إنما الحرب خدعة -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۰-۲۷ فكان المهلب ربما صنع الحدیث لیشد به من أمر المسلمین ماضعف و یضعف به من أمر الخوارج ما اشتد و کان حی من الأزد یقال لهم الندب إذا رأوا المهلب رائحا إلیهم قالوا راح لیکذب و فیہ یقول رجل منهم أنت الفتی کل الفتی || لو کنت تصدق ماتقول فبات المهلب فی ألفین فلما أصبح رجع بعض المنهزمة فصاروا فی أربعة آلاف فخطب أصحابه فقال و الله ما بکم من قلة و ما ذهب عنکم إلا أهل الجبن والضعف والطمع فإن یمسکم قرح فقد مس القوم قرح مثله فسیروا إلی عدوکم علی بركة الله . فقام إلیه الحریش بن هلال فقال أنشدک الله أيها الأمير أن تقاتلهم إلا أن یقاتلوك فإن فی أصحابک جراحا و قد أنختهم هذه الجولة . فقبل منه و مضى المهلب فی عشرة فأشرف علی عسکر الخوارج فلم یر منهم أحدا [صفحة ۱۵۱] يتحرك فقال له الحریش ارتحل عن هذا المنزل فارتحل فعبّر دجیلا- و صار إلی عاقول لا یؤتی إلا- من جهة واحدة فأقام به و أقام الناس ثلاثا مستریحین . و فی یقوم سولاف یقول ابن قیس الرقیات ألا طرقت من آل میه طارقه || علی أنها معشوقه الدل عاشقه تراءت و أرض السوس بینى و بینها || و رستاق سولاف حمته الأزارقه إذ انحن شئنا صادفتنا عصابة || حرورية فیها من الموت بارقه أجازت عینا العسکرین کلینهما || فبات لنا دون اللحاف معانقه . فأقام المهلب فی ذلك العاقول ثلاثة أيام ثم ارتحل و الخوارج بسلی و سلبری فنزل قریبا منهم فقال ابن الماحوز لأصحابه ماتتظرون بعدوکم و قد هزمتوهم بالأمس و کسرتهم حدهم فقال له و اقد مولی أبی صفره یا أمير المؤمنین إنما تفرق عنهم أهل الضعف و الجبن و بقى أهل النجدة و القوة فإن أصبتهم لم یکن ظفرا هینا لأنى أراهم لا یصابون حتى یصیبوا و إن غلبوا ذهب الدین فقال أصحابه نافق و اقد فقال ابن الماحوز لا تعجلوا علی أخیکم فإنه إنما قال هذا نظرا لکم . ثم وجه الزبیر بن علی إلی عسکر المهلب لینظر ما حالهم فأتاهم فی مائتین فحزروهم و رجع و أمر المهلب أصحابه بالتحارس حتى إذا أصبح ركب إلیهم فی تعبئة فالتقوا بسلی و سلبری فتصافوا فخرج من الخوارج مائة فارس فركزوا رماحهم بین الصفین و اتکتوا علیها و أخرج إلیهم المهلب أعدادهم ففعلوا مثل ما فعلوا لا یرعون إلا الصلاة حتى إذا أمسوا رجع کل قوم إلی معسکرهم ففعلوا هكذا ثلاثة أيام . [صفحة ۱۵۲] ثم إن الخوارج تطاردوا لهم فی الیوم الثالث فحمل علیهم هؤلاء الفرسان فجالوا ساعة ثم إن رجلا من الخوارج حمل علی رجل قطعنه فحمل علیه المهلب فقطعنه فحمل الخوارج بأجمعهم کما صنعوا یوم سولاف فضعضوا الناس و فقد المهلب و ثبت المغیره فی جمع أكثرهم أهل عمان . ثم نجم المهلب فی مائة و قد انغمس کماه فی الدم و علی رأسه قنسوة مربعة فوق المغفر محشوة قرا و قد تمزقت و إن حشوها لیتطایر و هو یلهث و ذلك فی وقت الظهر فلم یزل یحاربهم حتى أتى اللیل و کثر القتلى فی الفریقین فلما کان الغد غاداهم و قد کان وجه بالأمس رجلا من طاحیه بن سود بن مالک بن فهم من الأزد من ثقاته و أصحابه یرد المنهزمین فمر به عامر بن مسمع فرده فقال إن الأمير أذن لی فی الانصراف فبعث إلی المهلب فأعلمه فقال دعه فلا حاجة لی فی مثله من أهل الجبن و الضعف ثم غاداهم المهلب فی ثلاثة آلاف و قد تفرق عنه أكثر الناس و قال لأصحابه ما بکم من قلة أیعجز أحدکم أن یلقى رمحه ثم یتقدم فیأخذه ففعل ذلك رجل من کنده و اتبعه قوم ثم قال المهلب لأصحابه أعدوا مخالی فیها حجارة و ارموا بها فی وقت الغفلة فإنها تصد الفارس و تصرع الراجل ففعلوا ثم أمر منادیا ینادى فی أصحابه یأمرهم بالجد و الصبر و یطمعهم فی العدو ففعل ذلك حتى مر بنى العدویة من بنى مالک بن حنظلة فنادى فیهم فضربوه فدعا المهلب بسیدهم و هو معاویة بن عمرو فجعل یرکله برجله فقال أصلح الله الأمير اعفنى من أم کیسان و الأزد تسمى الرکبة أم کیسان ثم حمل المهلب و حملوا و اقتتلوا قتالا شديدا فجهد الخوارج و نادى مناد

منهم ألا إن المهلب قد قتل [صفحة ١٥٣] فركب المهلب برذونا وردا وأقبل يركض بين الصفيين و إن إحدى يديه لفي القباء و ما يشعر لها و هو يصيح أنا المهلب فسكن الناس بعد أن كانوا قد ارتاعوا وظنوا أن أميرهم قد قتل و كل الناس مع العصر فصاح المهلب بابنه المغيرة تقدم ففعل وصاح بذكوان مولاة قدم رايتك ففعل فقال له رجل من ولده إنك تغرر بنفسك فزجره وصاح يابني سلمة أمركم فتعصوني فتقدم وتقدم الناس فاجتلدوا أشد جلاد حتى إذا كان مع المساء قتل ابن الماحوز وانصرف الخوارج و لم يشعر المهلب بقتله فقال لأصحابه ابغوا لي رجلا جلدا يطوف في القتلى فأشاروا عليه برجل من جرم وقالوا إنا لم نر قط رجلا أشد منه فجعل يطوف ومعه النيران فجعل إذا مر بجريح من الخوارج قال كافر ورب الكعبة فأجهز عليه و إذا مر بجريح من المسلمين أمر بسقيه وحمله وأقام المهلب يأمرهم بالاحتراس حتى إذا كان في نصف الليل وجه رجلا من اليماني في عشرة فصاروا إلى عسكر الخوارج فإذا هم قد تحملوا إلى أرجان فرجع إلى المهلب فأعلمه فقال لهم أنا الساعة أشد خوفا أحذروا البيات . ويروى عن شعبة بن الحجاج أن المهلب قال لأصحابه يوما إن هؤلاء الخوارج قديسوا من ناحيتكم إلا من جهة البيات فإن يكن ذلك فاجعلوا شعاركم حم لا ينصرون فإن رسول الله ص كان يأمر بها. ويروى أنه كان شعار أصحاب علي بن أبي طالب ع . فلما أصبح القوم غدوا على القتلى فأصابوا ابن الماحوز قتيلًا ففي ذلك يقول رجل من الخوارج [صفحة ١٥٤] بسلى وسلبرى مصارع فتية || كرام وعقري من كميته و من ورد . وقال آخر بسلى وسلبرى جماجم فتية || كرام وصرعى لم توسد خدودها . وقال رجل من موالى المهلب لقد صرعت يومئذ بحجر واحد ثلاثة رميت به رجلا فصرعته ثم رميت به رجلا فأصبت به أصل أذنه فصرعته ثم أخذت الحجر وصرعت به ثالثا و في ذلك يقول رجل من الخوارج أتانا بأحجار ليقتلنا بها || وهل يقتل الأبطال ويحك بالحجر . وقال رجل من أصحاب المهلب في يوم سلى وسلبرى وقتل ابن الماحوز و يوم سلى وسلبرى أحاط بهم || منا صواعق لا تبقى ولا تذر حتى تركنا عبيد الله منجلا || كما تجدل جذع مال منقعر . ويروى أن رجلا من الخوارج يوم سلى حمل على رجل من أصحاب المهلب فطعنه فلما خالطه الرمح صاح يا أمته فصاح به المهلب لاكثر الله منك في المسلمين فضحك الخارجي وقال أمك خير لك منى صاحبا || تسقيك محضا وتعل راثبا . و كان المغيرة بن المهلب إذا نظر إلى الرماح قد تشاجرت في وجهه نكس على [صفحة ١٥٥] قربوس السرج وحمل من تحتها فبرأها بسيفه وأثر في أصحابها فتحوميت الميمنة من أجله و كان أشد ماتكون الحرب استعارا أشد ما يكون تبسما و كان المهلب يقول ماشهد معي حربا قط إلا رأيت البشرية في وجهه . وقال رجل من الخوارج في هذا اليوم فإن تك قتلى يوم سلى تتابعت || فكم غادرت أسيفنا من قمام غداة نكر المشرقية فيهم || بسولاف يوم المأزق المتلاحم . فكتب المهلب إلى الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة القباع . أما بعد فإننا لقينا الأزارقة المارقة بحد وجد فكانت في الناس جولة ثم تاب أهل الحفاظ والصبر بنيات صادقة وأبدان شداد وسيوف حداد فأعقب الله خير عاقبة وجاوز بالنعمة مقدار الأمل فصاروا دريئة رماحنا و ضرائب سيوفنا وقتل الله أميرهم ابن الماحوز وأرجو أن يكون آخر هذه النعمة كأولها و السلام . فكتب إليه القباع قد قرأت كتابك يا أخا الأزدي فأريتك قد وهب لك شرف الدنيا وعزها وذخر لك إن شاء الله ثواب الآخرة وأجرها ورأيتك أوثق حصون المسلمين وهاد [صفحة ١٥٦] أركان المشركين وذا الرئاسة وأخا السياسة فاستدم الله بشكره يتمم عليكم نعمه و السلام . وكتب إليه أهل البصرة يهنئونه و لم يكتب إليه الأحنف ولكن قال اقرءوا عليه السلام وقولوا إنا لك على ما فارقتك عليه فلم يزل يقرأ الكتب وينظر في تضاعيفها ويلتمس كتاب الأحنف فلا يراه فلما لم يره قال لأصحابه أ ما كتب أبو بجر فقال له الرسول إنه حملني إليك رسالة فأبلغه فقال هذا أحب إلي من هذه الكتب . واجتمعت الخوارج بأرجان فبايعوا الزبير بن علي و هو من بنى سليط بن يربوع من رهط ابن الماحوز فرأى فيهم انكسارا شديدا وضعفا بينا فقال لهم اجتمعوا فاجتمعوا فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد رسوله ص ثم أقبل عليهم فقال إن البلاء للمؤمنين تمحيص وأجر و هو على الكافرين عقوبة وخزي و إن يصب منكم أمير المؤمنين فما صار إليه خير مما خلف و قد أصبتم منهم

مسلم بن عبيس وربيعة الأجدم والحجاج بن رباب وحاته بن بدر وأشجيتم المهلب وقتلتم أخاه المعارك و الله يقول لإخوانكم المؤمنين إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله و تلك الأيام نداؤها بين الناس فيوم سلى كان لكم بلاء وتمحيصا و يوم سولاف كان لهم عقوبة و نكالا- فلا تغلبن على الشكر في حينه والصبر في وقته وثقوا بأنكم المستخلفون في الأرض والعاقبة للمتقين . ثم تحمل للمحاربة نحو المهلب فنفتحهم المهلب نفحة فرجعوا وأكمنوا للمهلب في غمض من غموض الأرض يقرب من عسكره مائة فارس ليغتلوه فسار المهلب -قرآن- ٩١٥-١٠١٠ [صفحة ١٥٧] يوما يطيف بعسكره ويتفقد سواده فوقف على جبل فقال إن من التدبير لهذه المارقة أن تكون قد أكنمت في سفح هذا الجبل كميننا فبعث المهلب عشرة فوارس فاطلعوا على المائة فلما علموا بهم قطعوا القنطرة ونجوا وانكشفت الشمس فصاحوا بأعداء الله لوقامت القيامة لجددنا ونحن في جهادكم . ثم يس الزبير من ناحية المهلب فضرب إلى ناحية أصبهان ثم كر راجعا إلى أرجان و قد جمع جموعا و كان المهلب يقول كأنى بالزبير و قد جمع لكم فلا ترهبوهم فتنخب قلوبكم و لا تغفلوا الاحتراس فيطمعوا فيكم فجاءوه من أرجان فلقوه مستعدا آخذا بأفواه الطرق فحاربهم فظهر عليهم ظهورا بينا ففي ذلك يقول رجل من بنى يربوع سقى الله المهلب كل غيث || من الوسمى ينتحر انتحارا فما وهن المهلب يوم جاءت || عوابس خيلهم تبغى الغوارا . و قال المهلب يومئذ ما وقفت في مضيق من الحرب إلا رأيت أمامي رجلا- من بنى الهجيم بن عمرو بن تميم يجالدون و كان لحاهم أذنان العقاقع و كانوا صبروا معه في غير مواطن . و قال رجل من أصحاب المهلب من بنى تميم [صفحة ١٥٨] ألا يا من لصب مستهام || قريح القلب قدمل المزونا لهان على المهلب ما لقينا || إذا مراح مسرورا بطينا يجر السابري ونحن شعث || كأن جلودنا كسيت طحينا . وحمل يومئذ الحارث بن هلال على قيس الإكاف و كان من أنجد فرسان الخوارج قطعنه فذق صلبه و قال قيس الإكاف غداة الروع يعلمنى || ثبت المقام إذا لاقيت أقرانى . و قد كان بعض جيش المهلب يوم سلى و سلبرى صاروا إلى البصرة فذكروا أن المهلب قد أصيب فهم أهل البصرة بالنقلة إلى البادية حتى ورد كتابه بظفره فأقام الناس و تراجع من كان ذهب منهم فعند ذلك قال الأحنف البصرة بصرة المهلب و قدم رجل من كنده يعرف بابن أرقم فعنى ابن عم له و قال إنى رأيت رجلا من الخوارج و قدمكن رمحه من صلبه فلم ينشب أن قدم المنعى سالما فقبل له ذلك فقال صدق ابن أرقم لما أحسست برمحه بين كنفى صحت به البقية فرفعه و تلابقت اللئ خير لكم إن كُنتم مؤمنين و وجه المهلب بعقب هذه الوقعة رجلا من الأزدي برأس عبيد الله بن بشير بن الماحوز إلى الحارث بن عبد الله فلما صار بكريج دينار لقيته إخوة عبيد الله حبيب و عبد الملك و على بنو بشير بن الماحوز -قرآن- ٤٦٥-٥١٣ [صفحة ١٥٩] فقالوا ما الخبر و هو لا يعرفهم فقال قتل الله ابن الماحوز المارق و هذا رأسه معى فوثبوا عليه فقتلوه وصلبوه و دفنوا رأس أخيهم عبيد الله فلما ولى الحجاج دخل عليه على بن بشير و كان وسيما جسيما فقال من هذا فخره فقتله و وهب ابنه الأزهر وابنته لأهل الأزدي المقتول و كانت زينب بنت بشير لهم مواصلة فوهبوا لها. قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد فى كتاب الكامل و لم يزل المهلب يقاتل الخوارج فى ولاية الحارث القباغ حتى عزل وولى مصعب بن الزبير فكتب إلى المهلب أن أقدم على واستخلف ابنك المغيرة ففعل بعد أن جمع الناس و قال لهم إنى قد استخلفت المغيرة عليكم و هو أبو صغيركم رقة و رحمة و ابن كبيركم طاعة و برا و تبجيلا و أخو مثله مواساة و مناصحة فلتحسن له طاعتكم و ليلن له جانبكم فو الله ما أردت صوابا قط إلا سبقنى إليه . ثم مضى إلى مصعب فكتب مصعب إلى المغيرة بولايته و كتب إليه أنك إن لم تكن كأبيك فإنك كاف لماوليت فشمروا و انتثر وجد واجتهد. ثم شخص المصعب إلى المزار فقتل أحمر بن شميظ ثم أتى الكوفة فقتل المختار و قال للمهلب أشر على برجل أ جعله بينى و بين عبد الملك فقال له اذكر واحدا من ثلاثة محمد بن عمير بن عطارد الدارمى أوزياد بن عمرو بن الأشرف العتكى أوداود بن قحذم قال أ و تكفينى أنت قال أكفيك إن شاء الله فشخص فولاه الموصل فخرج إليها و صار مصعب إلى البصرة لينفر إلى أخيه بمكة فشاور الناس فيمن يستكفيه [صفحة ١٦٠] أمر الخوارج فقال قوم ول عبد الله بن أبى بكره و قال قوم

ول عمر بن عبيد الله بن معمر و قال قوم ليس لهم إلا المهلب فاردده إليهم وبلغت المشورة الخوارج فأداروا الأمر بينهم فقال قطري بن الفجاءة المازني و لم يكن أمره عليهم بعد إن جاءكم عبد الله بن أبي بكره أناكم سيد سمح كريم جواد مضيع لعسكره و إن جاءكم عمر بن عبيد الله أناكم فارس شجاع بطل جاد يقاتل لدينه وملكه و بطيعة لم أر مثلها لأحد فقد شهدته في وقائع فما نودي في القوم لحرب إلا كان أول فارس حتى يشد على قرنه و يضربه و إن رد المهلب فهو من قد عرفتموه إذا أخذتم بطرف ثوب أخذ بطرفه الآخر يمدّه إذا أرسلتموه و يرسله إذا مددتموه لا يبيدوكم إلا أن تبدءوه إلا أن يرى فرصة فينتهزها فهو الليث المبر و الثعلب الرواغ و البلاء المقيم . فولى مصعب عليهم عمر بن عبيد الله بن معمر و لاه فارس و الخوارج بأرجان يومئذ و عليهم الزبير بن علي السليطي فشخص إليهم فقاتلهم و ألح عليهم حتى أخرجهم منها فألحقهم بأصبهان فلما بلغ المهلب أن مصعبا ولى حرب الخوارج عمر بن عبيد الله قال رماهم بفارس العرب و فتاها فجمع الخوارج له و أعدوا و استعدوا ثم أتوا سابور فسار إليهم حتى نزل منهم على أربعة فراسخ فقال له مالك بن أبي حسان الأزدي إن المهلب كان يذكي العيون و يخاف البيات و يرتقب الغفلة و هو على أبعد من هذه المسافة منهم . فقال عمر اسكت خلع الله قلبك أتراك تموت قبل أجلك و أقام هناك فلما كان ذات ليلة بيته الخوارج فخرج إليهم فحاربهم حتى أصبح فلم يظفروا منه بشيء فأقبل على مالك بن أبي حسان فقال كيف رأيت فقال قد سلم الله و لم يكونوا [صفحته ١٦١] يطمعون في مثلها من المهلب فقال أما إنكم لو ناصحتموني ناصحتكم المهلب لرجوت أن أنفي هذا العدو و لكنكم تقولون قرشي حجازي بعيد الدار خيره لغيرنا فتقاتلون معي تعذيرا ثم زحف إلى الخوارج من غد ذلك اليوم فقاتلهم قتالا شديدا حتى ألجأهم إلى قنطرة فتكاثف الناس عليها حتى سقطت فأقام حتى أصلحها ثم عبر و تقدم ابنه عبيد الله بن عمر و أمه من بنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب فقاتلهم حتى قتل فقال قطري للخوارج لا تقاتلوا عمر اليوم فإنه مورتور قد قتلتم ابنه و لم يعلم عمر بقتل ابنه حتى أفضى إلى القوم و كان مع ابنه النعمان بن عباد فصاح به عمر يا نعمان أين ابني قال أحسبته فقد استشهد صابرا مقبلا غير مدبر فقال إنا لله و إنا إليه راجعون ثم حمل على الخوارج حملة لم ير مثلها و حمل أصحابه بحملته فقتلوا في وجههم ذلك تسعين رجلا من الخوارج و حمل على قطري فضربه على جبينه ففلقه و انهزمت الخوارج و انتهبها فلما استقروا و رأى ما نزل بهم قال ألم أشر عليكم بالانصراف فجعلوه حينئذ من وجوههم حتى خرجوا من فارس و تلقاهم في ذلك الوقت الفزر بن مهزم العبدي فسألوه عن خبره و أرادوا قتله فأقبل على قطري و قال إني مؤمن مهاجر فسأله عن أقاويلهم فأجاب إليها فخلوا عنه ففي ذلك يقول في كلمة له فشدوا و ثاقى ثم ألجوا خصومتي || إلى قطري ذي الجبين المفلق و حاججتهم في دينهم فحججتهم || و مادينهم غير الهوى و التخلق . ثم رجعوا و تكانفوا و عادوا إلى ناحية أرجان فسار إليهم عمر بن عبيد الله و كتب إلى مصعب [صفحته ١٦٢] أما بعد فإنني لقيت الأزارقة فرزق الله عز و جل عبيد الله بن عمر الشهادة و وهب له السعادة و رزقنا بعد عليهم الظفر فتفرقوا شذر مذر و بلغني عنهم عودة فيممتهم و بالله أستعين و عليه أتوكل . فسار إليهم معه عطية بن عمرو و مجاعة بن سحر فالتقوا فألح عليهم عمر حتى أخرجهم و انفرد من أصحابه فعمد إلى أربعة عشر رجلا من مذكورهم و شجعانهم و في يده عمود فجعل لا يضرب رجلا منهم ضربة إلا صرعه فركض إليه قطري على فرس طمر و عمر على مهر فاستعلاه قطري بقوة فرسه حتى كاد يصرعه فبصر به مجاعة فأسرع إليه فصاحت الخوارج يا أبانعامه إن عدو الله قدره قك فانحط قطري على قربوسه و طعنه مجاعة و على قطري درعان فهتكهما و أسرع السنان في رأس قطري فكشط جلده و نجا و ارتحل القوم إلى أصفهان فأقاموا برهة ثم رجعوا إلى الأهواز و قدارتحل عمر بن عبيد الله إلى إصطخر فأمر مجاعة فجبى الخراج أسبوعا فقال له كم جبيت قال تسعمائة ألف فقال هي لك . و قال يزيد بن الحكم لمجاعة و دعاك دعوة مرهق فأجبتة || عمر و قد نسي الحياة و ضاعا فرددت عادية الكتبية عن فتى || قد كاد يترك لحمه أوزاعا . قال ثم عزل مصعب بن الزبير و ولى عبد الله بن الزبير العراق ابنه حمزة [صفحته ١٦٣] بن عبد الله بن الزبير فمكث قليلا ثم أعيد مصعب إلى العراق و الخوارج

بأطراف أصبهان والوالى عليها عتاب بن ورقاء الرياحى فأقام الخوارج هناك يجبون شيئا من القرى ثم أقبلوا إلى الأهواز من ناحية فارس فكتب مصعب إلى عمر بن عبيد الله ما أنصفنا أقت بفراس تجبى الخراج ومثل هذا العدو يجتاز بك لاتحاربه و الله لوقاتلت ثم هزمت لكان أعذر لك . وخرج مصعب من البصرة يريدهم وأقبل عمر بن عبيد الله يريدهم فتنحى الخوارج إلى السوس ثم أتوا إلى المدائن وبسطوا فى القتل فجعلوا يقتلون النساء والصبيان حتى أتوا المذار فقتلوا أحمر طيى و كان شجاعا و كان من فرسان عبيد الله بن الحر و فى ذلك يقول الشاعر تركتم فتى الفتيان أحمر طيى || بساباط لم يعطف عليه خليل . ثم خرجوا عامدين إلى الكوفة فلما خالطوا سوادها وواليتها الحارث القباع تناقل عن الخروج و كان جبانا فذمره ابراهيم بن الأشتر ولامه الناس فخرج متحاملا حتى أتى النخيلة ففى ذلك يقول الشاعر إن القباع سار سيرا نكرا || يسير يوما ويقيم عشرا . وجعل يعد الناس بالخروج ولا يخرج والخواارج يعيشون حتى أخذوا امرأة فقتلوا أباهما بين يديها وكانت جميلة ثم أرادوا قتلها فقالت أتقتلون من ينشأ فى الحلية و هو فى الخصام غير مبين فقال قائل منهم دعوها فقالوا قدفتتكتك ثم قدموها فقتلوها. [صفحہ ۱۶۴] وقربوا امرأة أخرى وهم يازاء القباع والجسر معقود بينهم فقطعه القباع و هو فى ستة آلاف والمرأة تستغيث به وهى تقبل وتقول علام تقتلوننى فو الله مافسقت ولا كفرت ولا زنت و الناس يتفلتون إلى القتال والقباع يمنعهم . فلما خاف أن يعصوه أمر عندذاك بقطع الجسر فأقام بين دبيرى ودباها خمسة أيام والخواارج بقربه و هو يقول للناس فى كل يوم إذالقيتم العدو غدا فأثبتوا أقدامكم واصبروا فإن أول الحرب الترامى ثم إشراع الرماح ثم السلة فثكلت رجلا- أمه فر من الزحف . فقال بعضهم لما أكثر عليهم أماالصفة فقد سمعناها فمتى يقع الفعل . و قال الراجز إن القباع سار سيرا ملسا || بين دباها ودبيرى خمسا . وأخذ الخوارج حاجتهم و كان شأن القباع التحصن منهم ثم انصرفوا ورجع إلى الكوفة وساروا من فورهم إلى أصبهان فبعث عتاب بن ورقاء الرياحى إلى الزبير بن على أنا ابن عمك ولست أراك تقصد فى انصرافك من كل حرب غيرى فبعث إليه الزبير إن أدنى الفاسقين وأبعدهم فى الحق سواء. فأقام الخوارج يغادون عتاب بن ورقاء القتال ويراوحنه حتى طال عليهم المقام و لم يظفروا بكبير شىء فلما كثر عليهم ذلك انصرفوا لايمرون بقرية بين أصبهان والأهواز إلا استباحوها وقتلوا من فيها وشاور المصعب الناس فيهم فأجمع رأيهم على [صفحہ ۱۶۵] المهلب فبلغ الخوارج مشاورتهم فقال لهم قطرى إن جاءكم عتاب بن ورقاء فهو فاتك يطلع فى أول المقنب ولا يظفر بكثير و إن جاءكم عمر بن عبيد الله ففارس يقدم إما عليه وإما له و إن جاءكم المهلب فرجل لا يناجزكم حتى تناجزوه ويأخذ منكم ولا يعطيكم فهو البلاء الملازم والمكروه الدائم . وعزم مصعب على توجيه المهلب و أن يشخص هولحرب عبدالملك فلما أحس به الزبير خرج إلى الرى و بهازيد بن الحارث بن رويم فحاربه ثم حصره فلما طال عليه الحصار خرج إليه فكان الظفر للخواارج فقتل يزيد بن الحارث بن رويم ونادى يزيد ابنه حوشبا ففر عنه و عن أمه لطيفة و كان على بن أبى طالب ع دخل على الحارث بن رويم يعود ابنه يزيد فقال عندى جارية لطيفة الخدمة أبعث بها إليك فسامها يزيد لطيفة فقتلت مع بعلها يزيد يومئذ و قال الشاعر مواقفنا فى كل يوم كريمة || أسر وأشفى من مواقف حوشب دعاه أبوه والرماح شوارع || فلم يستجب بل راغ ترواغ ثعلب و لو كان شههم النفس أودا حفيظة || رأى مارأى فى الموت عيسى بن مصعب . و قال آخر نجا حليلته وأسلم شيخه || نصب الأسنة حوشب بن يزيد . [صفحہ ۱۶۶] قال ثم انحط الزبير على أصفهان فحصر بهاعتاب بن ورقاء سبعة أشهر وعتاب يحاربه فى بعضهن فلما طال به الحصار قال لأصحابه ماتنتظرون و الله ماتوتون من قلته وإنكم لفرسان عشائركم ولقد حاربتموهم مرارا فانتمصفتم منهم و مابقى مع هذاالحصار إلا أن تبنى ذخائركم فيموت أحدكم فيدفنه أخوه ثم يموت أخوه فلا يجد من يدفنه فقاتلوا القوم وبكم قوة من قبل أن يضعف أحدكم عن أن يمشى إلى قرنه . فلما أصبح صلى بهم الصبح ثم خرج إلى الخوارج وهم غارون و قد نصب لواء لجارية له يقال لها ياسمين فقال من أراد البقاء فليلحق بلواء ياسمين و من أراد الجهاد فليخرج معى فخرج فى ألفين وسبعمائئة فارس فلم يشعر بهم الخوارج حتى غشوهم فقاتلوهم بجد

لم تر الخوارج منهم مثله فعقروا منهم خلقا كثيرا وقتل الزبير بن علي وانهزمت الخوارج فلم يتبعهم عتاب ففي ذلك يقول القائل
و يوم بجى تلافيته || و لولاك لاصطلم العسكر . و قال آخر خرجت من المدينة مستميتا || و لم أك في كتيبة ياسمينا [صفحہ
١٦٧] أليس من الفضائل أن قومي || غدوا مستلثمين مجاهدين . قال وتزعم الرواة أنهم في أيام حصارهم كانوا يتواقفون
ويحمل بعضهم على بعض وربما كانت مواقفه بغير حرب وربما اشتدت الحرب بينهم و كان رجل من أصحاب عتاب يقال له
شريح ويكنى أباهريرة إذا تحاجز القوم مع المساء نادى بالخوارج والزبير بن علي يا ابن أبي الماحوز والأشرار || كيف ترون
يا كلاب النار شد أبي هريرة الهرار || يهركم بالليل والنهار ألم تروا جيا على المضممار || تسمى من الرحمن في جوار . فغاضهم
ذلك فكمن له عبيدة بن هلال فضربه بالسيف واحتمله أصحابه وظنت الخوارج أنه قد قتل فكانوا إذا تواقفوا نادوهم مافعل الهرار
فيقولون ما به من بأس حتى أبل من علتة فخرج إليهم فقال يا أعداء الله أترون بي بأسا فصاحوا به قد كنا نرى أنك قد لحقت
بأمك الهاوية إلى النار الحامية

قطري بن الفجاءة المازني

ومنهم قطري بن الفجاءة المازني قال أبو العباس لما قتل الزبير بن علي أدارت الخوارج أمرها فأرادوا توليته عبيدة بن هلال فقال
أدلكم على من هو خير لكم مني من يطاعن في قبل ويحمي في دبر عليكم [صفحہ ١٦٨] بقطري بن الفجاءة المازني فبايعوه
وقالوا يا أمير المؤمنين امض بنا إلى فارس فقال إن بفارس عمر بن عبيد الله بن معمر ولكن نسير إلى الأهواز فإن خرج مصعب
من البصرة دخلناها فأتوا الأهواز ثم ترفعوا عنها على إيذج و كان المصعب قد عزم على الخروج إلى باجميرا و قال لأصحابه إن
قطريا لمطل علينا و إن خرجنا عن البصرة دخلها فبعث إلى المهلب فقال اكفنا هذا العدو فخرج إليهم المهلب فلما أحس به قطري
يتم نحو كرمان وأقام المهلب بالأهواز ثم كر عليه قطري و قد استعد و كانت الخوارج في حالاتهم أحسن عدة ممن يقاتلهم
بكثره السلاح و كثرة الدواب و حصانة الجن فحاربهم المهلب فدفعهم فصاروا إلى رامهرمز و كان الحارث بن عميرة الهمداني
قد صار إلى المهلب مراغما لعتاب بن ورقاء و يقال إنه لم يرضه عن قتله الزبير بن علي و كان الحارث بن عميرة هو الذي قتله
وخاض إليه أصحابه ففي ذلك يقول أعشى همدان إن المكارم أكملت أسبابها || لابن الليوث الغر من همدان للفارس الحامي
الحقيقة معلما || زاد الرفاق وفارس الفرسان [صفحہ ١٦٩] الحارث بن عميرة الليث الذي || يحمي العراق إلى قرى نجران ود
الأزراق لو يصاب بطعنة || ويموت من فرسانهم مائتان . قال أبو العباس و خرج مصعب إلى باجميرا ثم أتى الخوارج خبر مقتله
بمسكن و لم يأت المهلب وأصحابه فتواقفوا يوما برامهرمز على الخندق فناداهم الخوارج ماتقولون في مصعب قالوا إمام هدى
قالوا فما تقولون في عبد الملك قالوا ضال مضل فلما كان بعد يومين أتى المهلب قتل المصعب و إن أهل العراق قد اجتمعوا على
عبد الملك وورد عليه كتاب عبد الملك بولايته فلما تواقفوا ناداهم الخوارج ماتقولون في المصعب قالوا لانخبركم قالوا فما
تقولون في عبد الملك قالوا إمام هدى قالوا يا أعداء الله بالأمس ضال مضل واليوم إمام هدى ياعبيد الدنيا عليكم لعنة الله . و روى
أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني الكبير قال كان الشراء والمسلمون في حرب المهلب وقطري يتواقفون ويتساءلون بينهم
عن أمر الدين و غير ذلك على أمان وسكون لا يهيج بعضهم بعضا فتواقف يوما عبيدة بن هلال الشكري و أبو حزابة التميمي
فقال عبيدة يا أباحزابة إنني أسألك عن أشياء أفتصدقني عنها في الجواب قال نعم إن ضمننت لي مثل ذلك قال قد فعلت قال فسل
عما بدا لك قال ماتقولون في أئمتكم قال يبيحون الدم الحرام قال ويحك فكيف فعلهم في المال قال يجبونه من غير حله
وينفقونه في غير وجهه قال فكيف فعلهم في اليتيم قال يظلمونه ماله ويمنعونه حقه وينيكون أمه قال ويحك يا أباحزابة أمثل

هؤلاء تتبع قال قد أجبتك فاسمع سؤالي ودع عتابي على رأيي [صفحة ١٧٠] قال سل قال أى الخمر أطيب خمر السهل أم خمر الجبل قال ويحك أمثلى يسأل عن هذا قال قد أوجبت على نفسك أن تجيب قال أما إذ أبيت فإن خمر الجبل أقوى وأسكر وخمر السهل أحسن وأسلس قال فأى الزوانى أفره أزوانى رامهرمز أم زوانى أرجان قال ويحك إن مثلى لا يسأل عن هذا قال لا بد من الجواب أو تغدر. قال أما إذ أبيت فزوانى رامهرمز أرق أبشارا وزوانى أرجان أحسن أبدانا قال فأى الرجلين أشعر جرير أم الفرزدق قال عليك وعليهما لعنة الله قال لا بد أن تجيب قال أيهما أذى يقول وطوى الطراد مع القياد بطونها || طى التجار بحضرموت برودا قال جرير قال فهو أشعرهما. قال أبو الفرج وقد كان الناس تجادلوا فى أمر جرير والفرزدق فى عسكر المهلب حتى توثبوا وصاروا إليه محكمين له فى ذلك فقال أتريدون أن أحكم بين هذين الكلبين المتهارشين فيمضغانى ما كنت لأحكم بينهما ولكنى أدلكم على من يحكم بينهما ثم يهون عليه سبابهما عليكم بالشرأة فاسألوهم إذا تواقفتم فلما تواقفوا سأل أبو حزابة عبيدة بن هلال عن ذلك فأجابه بهذا الجواب . وروى أبو الفرج أن امرأة من الخوارج كانت مع قطرى بن الفجاءة يقال لها أم حكيم وكانت من أشجع الناس وأجملهم وجهها وأحسنهم بالدين تمسكا وخطبها [صفحة ١٧١] جماعة منهم فردتهم ولم تجبهم فأخبر من شاهدها فى الحرب أنها كانت تحمل على الناس وترتجز فتقول أحمل رأسا قد سئمت حمله || وقدمت دهنه وغسله ألافى يحمل عنى ثقله . والخوارج يقدونها بالآباء والأمهات فما رأينا قبلها ولا بعدها مثلها. وروى أبو الفرج قال كان عبيدة بن هلال إذ تكاف الناس ناداهم ليخرج إلى بعضكم فيخرج إليه فتيان من عسكر المهلب فيقول لهم أيما أحب إليكم أقرأ عليكم القرآن أم أنشدكم الشعر فيقولون له أما القرآن فقد عرفناه مثل معرفتك ولكن نشدنا فيقول يافسقة قد والله علمت أنكم تختارون الشعر على القرآن ثم لا يزال ينشدهم ويستنشدهم حتى يملوا ويفترقوا. قال أبو العباس وولى خالد بن عبد الله بن أسيد فقدم فدخل البصرة فأراد عزل المهلب فأشير عليه بالألا يفعل وقيل له إنما أمن أهل هذا المصر لأن المهلب بالأهواز وعمر بن عبيد الله بفارس فقد تنحى عمر و إن نحيت المهلب لم تأمن على البصرة فأبى إلا عزله فقدم المهلب البصرة وخرج خالد إلى الأهواز فاستصحبه فلما صار بكر بيج دينار لقيه قطرى فمنعه حط أثقاله وحاربه ثلاثين يوما. ثم أقام قطرى بإزائه وخذق على نفسه فقال المهلب لخالد إن قطريا ليس [صفحة ١٧٢] بأحق بالخذق منك فعبر دجيلا إلى شق نهر تيرى واتبعه قطرى فصار إلى مدينة نهر تيرى فبنى سورها وخذق عليها فقال المهلب لخالد خندق على نفسك فإنى لا آمن البيات فقال يا أباسعيد الأمر أعجل من ذاك فقال المهلب لبعض ولده إنى أرى أمرا ضائعا ثم قال لزيد بن عمرو خندق علينا فخذق المهلب على نفسه وأمر بسفنه ففرغت وأبى خالد أن يفرغ سفنه فقال المهلب لفيروز حصين صر معنا فقال يا أباسعيد إن الحزم ماتقول غيرانى أكره أن أفارق أصحابى قال فكن بقربنا قال أما هذه فنعم . وقد كان عبد الملك كتب إلى بشر بن مروان يأمره أن يمد خالد بجيش كثيف أميره عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ففعل فقدم عليه عبد الرحمن فأقام قطرى يغاديهم القتال ويروحهم أربعين يوما فقال المهلب لمولى أبى عيينة سر إلى ذلك الناموس فبت عليه كل ليلة فمتى أحسست خبرا للخوارج أو حركة أو سهيل خيل فأعجل إلينا. فجاءه ليلة فقال قد تحرك القوم فجلس المهلب بباب الخندق وأعد قطرى سفنا فيها حطب وأشعلها نارا وأرسلها على سفن خالد وخرج فى أديارها حتى خالطهم لا يمر برجل إلا قتله ولا بدابة إلا عقرها ولا بفسطاط إلا هتكه فأمر المهلب يزيد ابنه فخرج فى مائة فارس فقاتل وأبلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث يومئذ بلاء حسنا وخرج فيروز حصين فى مواليه فلم يزل يرميهم بالنشاب هو و من معه فأثر أثرا جميلا وصرع يزيد بن المهلب يومئذ وصرع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فحامى عنهما أصحابهما حتى ركبا وسقط فيروز حصين فى [صفحة ١٧٣] الخندق فأخذ بيده رجل من الأزد فاستنقذه فوهب له فيروز عشرة آلاف وأصبح عسكر خالد كأنه حره سوداء فجعل لا يرى إلا قتيلًا أو جريحًا فقال للمهلب يا أباسعيد كدنا نفتضح فقال خندق على نفسك فإن لم تفعل عادوا إليك فقال اكفىنى أمر الخندق فجمع له الأحماس فلم يبق شريف إلا عمل فيه فصاح بهم الخوارج والله لو لا هذا الساحر

المزوني لكان الله قددمر عليكم وكانت الخوارج تسمى المهلب الساحر لأنهم كانوا يدبرون الأمر فيجدون المهلب قدسبق إلى نقض تدبيرهم . وقال أعشى همدان لابن الأشعث يذكره بلاء القحطانية عنده في كلمة طويلة و يوم أهواذك لاتنسه || ليس الشنا والذكر بالبائد . ثم مضى قطرى إلى كرمان وانصرف خالد إلى البصرة وأقام قطرى بكرمان شهرا ثم عمد لفارس فخرج خالد إلى الأهواز ونذب الناس للرحيل فجعلا يطلبون المهلب فقال خالد ذهب المهلب بحظ هذاالمصر إني قدوليت أخی قتال الأزارقة.فولى أخاه عبدالعزيز واستخلف المهلب على الأهواز فى ثلاثمائة ومضى عبدالعزيز والخوارج بدرابجرد و هو فى ثلاثين ألفا فجعل عبدالعزيز يقول فى طريقه يزعم أهل البصرة أن هذاالأمر لايتم إلابالمهلب سيعلمون . قال صقعب بن يزيد فلما خرج عبدالعزيز عن الأهواز جاءنى كردوس [صفحة ١٧٤] حاجب المهلب فدعانى فجتت إلى المهلب و هو فى سطح و عليه ثياب هروية فقال ياصقعب أناضائع كأنى أنظر إلى هزيمة عبدالعزيز وأخشى أن توافينى الأزارقة و لاجند معى فابعث رجلا من قبلك يأتينى بخبرهم سابقا إلى به فوجهت رجلا من قبلى يقال له عمران بن فلان و قلت له اصحب عسكر عبدالعزيز واكتب إلى بخبر يوم فيوم فجعلت أورده على المهلب فلما قاربهم عبدالعزيز وقف وقفه فقال له الناس هذامنزل فينبغى أن تنزل فيه أيها الأمير حتى نطمئن ثم نأخذ أهبتنا فقال كلا الأمر قريب فنزل الناس عن غير أمره فلم يستتم النزول حتى ورد عليه سعد الطلائع فى خمسمائة فارس كأنهم خيط ممدود فناهضهم عبدالعزيز فواقفوه ساعة ثم انهزموا عنه مكيدة واتبعهم فقال له الناس لاتتبعهم فإننا على غير تعبية فأبى فلم يزل فى آثارهم حتى اقتحموا عقبه فاقتمها وراءهم و الناس ينهونه ويأبى و كان قدجعل على بنى تميم عبس بن طلق الصريمى الملقب عبس الطعان و على بكر بن وائل مقاتل بن مسمع و على شرطته رجلا من بنى ضبيعة بن ربيعة بن نزار فنزلوا عن العقبة ونزل خلفهم و كان لهم فى بطن العقبة كمين فلما صاروا من ورائها خرج عليهم الكمين وعطف سعد الطلائع فترجل عبس بن طلق فقتل وقتل مقاتل بن مسمع وقتل الضبيعى صاحب شرطة عبدالعزيز وانحاز عبدالعزيز واتبعهم الخوارج فرسخين يقتلونهم كيف شاءوا و كان عبدالعزيز قدأخرج معه أم حفص بنت المنذر بن الجارود امرأته فسبوا النساء يومئذ وأخذوا أسارى لاتحصى فقتلوه فى غار بعد أن شدوهم وثاقا ثم سدوا عليهم بابه حتى ماتوا فيه . و قال بعض من حضر ذلك اليوم رأيت عبدالعزيز و إن ثلاثين رجلا ليضربونه [صفحة ١٧٥] بسيوفهم فما تحيك فى جنبه ونودى على السبى يومئذ فغولى بأم حفص فبلغ بها رجل سبعين ألفا و كان ذلك الرجل من مجوس كانوا أسلموا ولحقوا بالخوارج ففرضوا لكل رجل منهم خمسمائة فكاد ذلك الرجل يأخذ أم حفص فشق ذلك على قطرى و قال ماينبغى لرجل مسلم أن يكون عنده سبعون ألفا إن هذه لفتنة فوثب عليها أبوالحديد العبدى فقتلها فأتى به قطرى فقال مهيم يا أباالحديد فقال يا أمير المؤمنين رأيت المؤمنين تزايدوا فى هذه المشركة فخشيت عليهم الفتنة فقال قطرى أحسنت فقال رجل من الخوارج كفانا فتنة عظمت وجلت || بحمد الله سيف أبى الحديد إهاب المسلمون بها وقالوا || على فرط الهوى هل من مزيد فزاد أبوالحديد بنصل سيف || رقيق الحد فعل فتى رشيد . و كان العلاء بن مطرف السعدى ابن عم عمرو القنا و كان يحب أن يلقاه فى صدر مبارزة فلحقه عمرو القنا يومئذ و هو منهزم فضحك منه و قال متمثلا- تمنانى ليلقانى لقيط || أعام لك ابن صعصعة بن سعد . ثم صاح به أنج يا أباالمصدى و كان العلاء بن مطرف قدحمل معه امرأتين [صفحة ١٧٦] إحداهما من بنى ضبة يقال لها أم جميل والأخرى بنت عمه يقال لها فلانة بنت عقيل فطلق الضبية وحملها أولا وتخلص بانة عمه فقال فى ذلك ألت كريما إذ أقول لفتيتى || قفوا فاحملوها قبل بنت عقيل و لو لم يكن عودى نضارا لأصبحت || تجر على المتنين أم جميل . قال الصقعب بن يزيد وبعثنى المهلب لآتية بالخبر فصرت إلى قنطرة أربك على فرس اشتريته بثلاثة آلاف درهم فلم أحس خبرا فسرت مهجرا إلى أن أمسيت فلما أمسينا وأظلمنا سمعت كلام رجل عرفته من الجهاضم فقلت ماوراءك قال الشرقت فأين عبدالعزيز قال أمامك فلما كان آخر الليل إذا أنا بزهاء خمسين فارسا معهم لواء فقلت لواء من هذاقالوا لواء عبدالعزيز فتقدمت إليه فسلمت عليه و قلت أصلح الله

الأمير لا يكبرن عليك ما كان فإنك كنت في شر جند وأخبثه قال لي أو كنت معنا قلت لا ولكن كآني شاهد أمرك ثم أقبلت إلى المهلب وتركته فقال لي ما وراءك قلت مايسرك هزم الرجل وفل جيشه فقال ويحك و مايسرنى من هزيمة رجل من قريش وفل جيش من المسلمين قلت قد كان ذلك ساءك أو سررك فوجه رجلا إلى خالد يخبره بسلامة أخيه قال الرجل فلما خبرت خالدًا قال كذبت ولؤمت ودخل رجل من قريش فكذبني فقال لي خالد والله لقد هممت أن أضرب عنقك فقلت أصلح الله الأمير إن كنت كاذبا فاقتلني وإن كنت صادقا فأعطني مطرف هذا المتكلم فقال خالد لبئس ما أخطرت به دمك فما برحت حتى دخل عليه بعض الفل وقدم عبدالعزیز سوق الأهواز فأكرمه المهلب وكساه وقدم معه على خالد واستخلف المهلب ابنه حبيبا وقال له [صفحة ١٧٧] تجسس الأخبار فإن أحسست بخيل الأزارقة قريبا منك فانصرف إلى البصرة على نهر تيرى فلما أحس حبيب بهم دخل البصرة وأعلم خالدًا بدخوله فغضب وخاف حبيب منه فاستتر في بني عامر بن صعصعة وتزوج هناك في استتاره الهلالية وهي أم ابنه عباد بن حبيب وقال الشاعر لخالد يفيل رأيه بعثت غلاما من قريش فروقه || وتترك ذا الرأي الأصيل المهلبا أبا الذم واختار الوفاء وأحكمت || قواه و قدساس الأمور وجربا . وقال الحارث بن خالد المخزومي فر عبدالعزیز إذ راء عيسى || وابن داود نازلا قطريا عاهد الله إن نجا مملنايا || ليعودن بعدها حرميا يسكن الخل والصفاح فغورينا || مرارا ومرة نجديا حيث لا يشهد القتال ولا || يسمع يوما لكر خيل دويا . وكتب خالد إلى عبدالملك بعذر عبدالعزیز وقال للمهلب ماترى أمير المؤمنين صنعا بى قال يعزلك قال أتراه قاطعا رحى قال نعم قدأنته هزيمة أمية أخيك ففعل يعنى هرب أمية من سجستان فكتب عبدالملك إلى خالد [صفحة ١٧٨] أما بعدفإنى كنت حددت لك حدا فى أمر المهلب فلما ملكت أمرك نبذت طاعتي وراءك واستبددت برأيك فوليت المهلب الجباية ووليت أخاك حرب الأزارقة فقبح الله هذا رأيا أتبعث غلاما غرا لم يجرب الأمور والحروب للحرب وتترك سيدا شجاعا مدبرا حازما قد مارس الحروب ففلج فشغلته بالجباية أما لو كافتك على قدر ذنبك لأتاك من نكيرى ما لابقية لك معه ولكن تذكرت رحمك فكفتنى عنك و قد جعلت عقوبتك عزلك والسلام قال وولى بشر بن مروان الإمارة و هو بالكوفة وكتب إليه أما بعدفإنك أخو أمير المؤمنين يجمعك وإياه مروان بن الحكم وإن خالدًا لا مجتمع له مع أمير المؤمنين دون أمية فانظر المهلب بى أبى صفره فوله حرب الأزارقة فإنه سيد بطل مجرب وامدده من أهل الكوفة بثمانية آلاف رجل والسلام فشق على بشر ما أمره به فى المهلب وقال والله لأقتلنه فقال له موسى بن نصير أيها الأمير إن للمهلب حفاظا ووفاء وبلاء. وخرج بشر بن مروان يريد البصرة فكتب موسى بن نصير وعكرمة بن ربعى إلى المهلب أن يتلقاه لقاء لا يعرفه به فتلقاه المهلب على بغل وسلم عليه فى غمار الناس فلما جلس بشر مجلسه قال مافعل أميركم المهلب قالوا قد تلقاك أيها الأمير وهوشاك فهم بشر أن يولى حرب الأزارقة عمر بن عبيد الله بن معمر وشد عزمه أسماء [صفحة ١٧٩] بن خارجة وقال له إنما ولاك أمير المؤمنين لترى رأيك فقال له عكرمة بن ربعى اكتب إلى أمير المؤمنين فأعلمه علئ المهلب فكتب إليه بذلك وأن بالبصرة من يغنى غناه ووجه بالكتاب مع وفد أوفدهم إليه رئيسهم عبد الله بن حكيم المجاشعى فلما قرأ عبدالملك الكتاب خلا بعبد الله فقال له إن لك دينا ورأيا وحزما فمن لقتال هؤلاء الأزارقة قال المهلب قال إنه عليل قال ليست علتة بمانعة فقال عبدالملك لقد أراد بشر أن يفعل مافعل خالد فكتب إليه يعزم عليه أن يولى المهلب الحرب فوجه إليه فقال أنا عليل ولا يمكننى الاختلاف فأمر بشر بحمل الدواوين إليه فجعل ينتخب فعزم عليه بشر بالخروج فاقتطع أكثر نخبته ثم عزم عليه ألا يقيم بعدثالثه و قدأخذت الخوارج الأهواز وخلفوها وراء ظهورهم وصاروا بالفرات فخرج المهلب حتى صار إلى شهار طاق فأتاه شيخ من بنى تميم فقال أصلح الله الأمير إن سنى ماترى فهبنى لعيالى فقال على أن تقول للأمير إذا خطب فحثكم على الجهاد كيف تحثنا على الجهاد وأنت تحبس عنه أشرفنا وأهل النجدة منا ففعل الشيخ ذلك فقال له بشر و ما أنت وذاك ثم أعطى المهلب رجلا ألف درهم على أن يأتى بشرا فيقول له أيها الأمير أعن المهلب بالشرطة والمقاتلة ففعل الرجل ذلك فقال له بشر و ما أنت وذاك

فقال نصيحة حضرتهى للأمير والمسلمين و لا أعود إلى مثلها فأمدته بشر بالشرطة والمقاتلة وكتب إلى خليفته على الكوفة أن يعقد لعبد الرحمن بن مخنف على ثمانية آلاف من كل ربع ألفين ويوجه بهم مددا للمهلب [صفحة ١٨٠] فلما أتاه الكتاب بعث إلى عبد الرحمن بن مخنف الأزدي يعقد له واختار من كل ربع ألفين فكان على ربع أهل المدينة بشر بن جرير بن عبد الله البجلي و على ربع تميم وهمدان محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني و على ربع كنده محمد بن إسحاق بن الأشعث بن قيس الكندي و على ربع مذحج وأسد زحر بن قيس المذحجي فقدموا على بشر بن مروان فخلا بعبد الرحمن بن مخنف و قال له قد عرفت رأيي فيك وثقتي بك فكن عند ظني بك وانظر إلى هذا المزوني فخالفه في أمره وأفسد عليه رأيه. فخرج عبد الرحمن و هو يقول ما أعجب ما طلب مني هذا الغلام يأمرني أن أصغر شأن شيخ من مشايخ أهلي وسيد من ساداتهم فلحق بالمهلب . فلما أحس الأزارقة بدنو المهلب منهم انكشفوا عن الفرات فأتبعهم المهلب إلى سوق الأهواز فنفاهم عنها ثم اتبعهم إلى رامهرمز فهزمهم عنها فدخلوا فارس وأبلى يزيد ابنه في وقائعه هذه بلاء شديدا تقدم فيه و هو ابن إحدى وعشرين سنة. فلما صار القوم إلى فارس وجه إليهم ابنه المغيرة فقال له عبد الرحمن بن صالح أيها الأمير إنه ليس لك برأى قتل هذه الأكلب ولئن والله قتلتهم لتقعدن في بيتك ولكن طاولهم و كل بهم فقال ليس هذا من الوفاء فلم يلبث برامهرمز إلا شهرا حتى أتاه موت بشر بن مروان. فاضطرب الجند على ابن مخنف فوجه إلى إسحاق بن الأشعث و ابن زحر فاستحلفهما ألا يرحا فحلفا له و لم يفيا وجعل الجند من أهل الكوفة يتسللون حتى اجتمعوا [صفحة ١٨١] بسوق الأهواز وأراد أهل البصرة الانسلا من المهلب فخطبهم فقال إنكم لستم كأهل الكوفة إنما تذبون عن مصركم وأموالكم وحرمكم. فأقام منهم قوم وتسلس منهم قوم كثير. و كان خالد بن عبد الله خليفه بشر بن مروان فوجه مولى له بكتاب منه إلى من بالأهواز يحلف بالله مجتهدا لئن لم يرجعوا إلى مراكزهم وانصرفوا عصاة لا يظفر بأحد لإقتله فجاءهم مولاة فجعل يقرأ عليهم الكتاب و لا يرى في وجوههم قبولا فقال إنى أرى وجوها ما القبول من شأنها فقال له ابن زحر أيها العبد اقرأ ما فى الكتاب وانصرف إلى صاحبك فإنك لا تدري ما فى أنفسنا وجعلوا يستحثونه بقراءته ثم قصدوا قصد الكوفة فزلوا النخيلة وكتبوا إلى خليفه بشر يسألونه أن يأذن لهم فى دخول الكوفة فأبى فدخلوها بغير إذن. فلم يزل المهلب و من معه من قواده و ابن مخنف فى عدد قليل فلم يلبثوا أن ولى الحجاج العراق. فدخل الكوفة قبل البصرة و ذلك فى سنة خمس و سبعين فخطبهم الخطبة المشهورة و تهددهم ثم نزل فقال لوجوه أهلها ما كانت الولاة تفعل بالعصاة قالوا كانت تضرب و تحبس فقال ولكن ليس لهم عندى إلا السيف إن المسلمين لو لم يغزوا المشركين لغزاهم المشركون و لو ساغت المعصية لأهلها ما قوتل عدو و لا جبى فىء و لا عزدين . ثم جلس لتوجيه الناس فقال قد أجلتكم ثلاثا وأقسم بالله لا يتخلف أحد من [صفحة ١٨٢] أصحاب ابن مخنف بعدها لإقتلته ثم قال لصاحب حرسه و لصاحب شرطته إذامضت ثلاثة أيام فاشحذا سيوفكما فجاءه عمير بن ضبابى البرجمى بابه فقال أصلح الله الأمير إن هذا أنفع لكم منى و هو أشد بنى تميم أبدانا و أجمعهم سلاحا و أربطهم جأشا و أنا شيخ كبير عليل واستشهد جلساءه فقال له الحجاج إن عذرك لو اوضح و إن ضعفك ليين ولكنى أكره أن يجترئ بك الناس على و بعد فأنت ابن ضبابى صاحب عثمان و أمر به فقتل فاحتمل الناس و إن أحدهم ليتبع بزاده و سلاحه ففى ذلك يقول عبد الله بن الزبير الأسدى أقول لعبد الله يوم لقيته || أرى الأمر أمسى منصبا متشعبا [صفحة ١٨٣] تجهز فإما أن تزور ابن ضبابى || عميرا و إما أن تزور المهلبا هما خطتا خسف نجاؤك منهما || ركوبك حوليا من الثلج أشهبأ فما إن أرى الحجاج يغمد سيفه || مدى الدهر حتى يترك الطفل أشيبا فأضحى و لو كانت خراسان دونه || رآها مكان السوق أوهى أقربا. و هرب سوار بن المضرب السعدى من الحجاج و قال أقاتلى الحجاج إن لم أزر له || دراب و أترك عند هند فؤاديا . فى قصيدة مشهورة له. فخرج الناس عن الكوفة و أتى الحجاج البصرة فكان أشد عليهم إلحاحا و قد كان أتاهم خبره بالكوفة فتحمل الناس قبل قدومه و أتاه رجل من بنى يشكر و كان شيخا أعور يجعل على عينه العوراء صوفة فكان يلقب ذا

الكرسفة فقال [صفحہ ۱۸۴] أصلح الله الأمير إن بي فتقا و قدعذرني بشر بن مروان و قدرددت العطاء فقال إنك عندى لصادق ثم أمر به فضربت عنقه ففى ذلك يقول كعب الأشقرى أوالفرزدق لقد ضرب الحجاج بالمصر ضربه || تفرقر منها بطن كل عريف . ويروى عن أبى البثر قال إنا لتتعدى معه يوما إذ جاءه رجل من بنى سليم برجل يقوده فقال أصلح الله الأمير إن هذا عاص فقال له الرجل أنشدك الله أيها الأمير فى دمي فو الله ما قبضت ديوانا قط و لاشهدت عسكرا قط و إنى لحائكك أخذت من تحت الحف فقال اضربوا عنقه فلما أحس بالسيف سجد فلحقه السيف و هو ساجد فأمسكنا عن الأكل فأقبل علينا و قال ما لى أراكم قد صفرت أيديكم و اصفرت وجوهكم و وحد نظركم من قتل رجل واحد ألا إن العاصى يجمع خلا لا يخل بمركزه و يعصى أميره و يغر المسلمين و هو أجير لهم و إنما يأخذ الأجرة لما يعمل و الوالى مخير فيه إن شاء قتل و إن شاء عفا. ثم كتب إلى المهلب أما بعد فإن بشرا استكره نفسه عليك و أراك غناه عنك و أنا أريك حاجتى إليك فأرني الجد فى قتال عدوك و من خفته على المعصية ممن قبلك فاقتله [صفحہ ۱۸۵] فإنى قاتل من قبلى و من كان عندى ممن هرب عنك فأعلمنى مكانه فإنى أرى أن آخذ السمي بالسمى و الولى بالولى. فكتب إليه المهلب ليس قبلى إلا مطيع و إن الناس إذا خافوا العقوبة كبروا الذنب و إذا آمنوا العقوبة صغروا الذنب و إذا بسوا من العفو أكفروهم ذلك فهب لى هؤلاء الذين سميتهم عصاة فإنهم فرسان أبطال أرجو أن يقتل الله بهم العدو و نادى على ذنبه . فلما رأى المهلب كثرة الناس عنده قال اليوم قوتل هذا العدو. و لما رأى ذلك قطرى قال لأصحابه انهضوا بنا نريد السردن فنتحصن فيها فقال عبيدة بن هلال أو تاتى سابور فتأخذ منها ما نريد و تصير إلى كرمان فأتوا سابور و خرج المهلب فى آثارهم فأتى أرجان و خاف أن يكونوا قد تحصنوا بالسردن و ليست بمدينة و لكنها جبال محدقة منيعة فلم يصب بها أحدا فخرج فعسكر بكازرون و استعدوا لقتاله فخذق على نفسه ووجه إلى عبدالرحمن [صفحہ ۱۸۶] بن مخنف خندق على نفسك فوجه إليه خنادقنا سيوفنا فوجه المهلب إليه إني لا آمن عليك البيات فقال ابنه جعفر ذاك أهون علينا من ضرورة جمل فأقبل المهلب على ابنه المغيرة فقال لم يصيبوا الرأى و لم يأخذوا بالوثيقة. فلما أصبح القوم عاودوه الحرب فبعث إلى ابن مخنف يستمده فأمدته بجماعة جعل عليهم ابنه جعفرا فجاءوا و عليهم أقبية بيض جدد فأبلوا يومئذ حتى عرف مكانهم المهلب و أبلى بنوه يومئذ كبلاء الكوفيين أو أشد. ثم أتى رئيس من الخوارج يقال له صالح بن مخراق و هو ينتخب قوما من جلة العسكر حتى بلغ أربعمائته فقال لابنه المغيرة ما أراه يعد هؤلاء إلا للبيات . و انكشفت الخوارج و الأمر للمهلب عليهم و قد كثر فيهم الجراح و القتل و قد كان الحجاج يتفقد العصاة و يوجه الرجال و كان يحبسهم نهارا و يفتح الحبس ليلا فيتسلل الرجال إلى ناحية المهلب و كان الحجاج لا يعلم فإذ رأى إسراعهم تمثل إن لها لسائقا عشزرا || إذا وثبن وثبة تغشما . ثم كتب الحجاج إلى المهلب يستحثه أما بعد فإنه قد بلغنى أنك قد أقبلت على جباية الخراج و تركت قتال العدو و إنى وليتك و أنا أرى مكان عبد الله بن حكيم المجاشعى و عباد بن الحصين الحبطى و اخترتك و أنت من أهل عمان ثم رجل من الأزدي فالفهم يوم كذا فى مكان كذا و إلا أشرعت إليك صدر الرمح . [صفحہ ۱۸۷] فشاور المهلب بنيه فقالوا أيها الأمير لا تغلظ عليه فى الجواب. فكتب إليه ورد إلى كتابك تزعم أنى أقبلت على جباية الخراج و تركت قتال العدو و من عجز عن جباية الخراج فهو عن قتال العدو أعجز و زعمت أنك وليتني و أنت ترى مكان عبد الله بن حكيم و عباد بن الحصين و لو وليتهما لكانا مستحقين لذلك لفضلهما و غنائهما و بطشهما و زعمت أنك اخترتني و أنا رجل من الأزدي و لعمري إن شرا من الأزدي لقبيلة تنازعتها ثلاث قبائل لم تستقر فى واحدة منهن و زعمت أنى إن لم ألقهم يوم كذا فى مكان كذا أشرعت إلى صدر الرمح لو فعلت لقلبت لك ظهر المجن و السلام . قال ثم كانت الواقعة بينه و بين الخوارج عقيب هذا الكتاب . فلما انصرف الخوارج تلك الليلة قال لابنه المغيرة إني أخاف البيات على بنى تميم فانهمض إليهم فكن فيهم فأتاهم المغيرة فقال له الحريش بن هلال يا أبا حاتم أيخاف الأمير أن يؤتى من ناحيتنا قل له فليت آمنا فإننا كافوه ما قبلنا إن شاء الله . فلما انتصف الليل و قد رجع المغيرة إلى أبيه سرى صالح بن مخراق فى القوم الذين كان أعدهم للبيات إلى

ناحية بنى تميم ومعه عبيدة بن هلال و هو يقول إني لمذك للشراء نارها || ومانع ممن أتاها دارها وغاسل بالسيف عنها عارها . [صفحه ١٨٨] فوجد بنى تميم أيقاظا متحارسين وخرج إليهم الحريش بن هلال و هو يقول وجدتمونا وقرا أنجادا || لاكشفنا ميلا- ولا أوغادا . ثم حمل على الخوارج فرجعوا عنه فاتبعهم ثم صاح بهم إلى أين يا كلاب النار فقالوا إنما أعدت لك ولأصحابك فقال الحريش كل مملوك لي حر إن لم تدخلوا النار مادخلها مجوسى فيما بين سفوان وخراسان . ثم قال بعضهم لبعض نأتى عسكر ابن مخنف فإنه لاخندق عليه وقد بعث فرسانهم اليوم مع المهلب وقد زعموا أنا هون عليهم من ضرورة جمل فأتوهم فلم يشعر ابن مخنف وأصحابه إلا وقد خالطوهم فى عسكرهم . و كان ابن مخنف شريفا وفيه يقول رجل من بنى عامر لرجل يعاتبه ويضرب بابن مخنف المثل تروح وتغدو كل يوم معظما || كأنك فينا مخنف و ابن مخنف . فترجل عبدالرحمن تلك الليلة يجالدهم حتى قتل وقتل معه سبعون رجلا من القراء فيهم نفر من أصحاب على بن أبى طالب ونفر من أصحاب ابن مسعود وبلغ الخبر المهلب و جعفر بن عبدالرحمن بن مخنف عندالمهلب فجاءهم مغيبا فقاتل حتى ارتث ووجه المهلب إليهم ابنه حبيبا فكشفهم ثم جاء المهلب حتى صلى على عبدالرحمن بن مخنف وأصحابه وصار جنده فى جند المهلب فضمهم إلى ابنه حبيب فغيرهم البصريون وسموا جعفرأ خضفة الجمل . [صفحه ١٨٩] وقال رجل منهم لجعفر بن عبدالرحمن بن مخنف تركت أصحابكم تدمى نحورهم || وجئت تسعى إلينا خضفة الجمل . فلام المهلب أهل البصرة وقال بئسما قلتم والله ما فروا ولا جبنوا ولكنهم خالفوا أميرهم أفلاتذكرون فراركم بدولاب عنى وفراركم بدارس عن عثمان . ووجه الحجاج البراء بن قبيصة إلى المهلب يستحثه فى مناجزة القوم وكتب إليه إنك تحب بقاءهم لتأكل بهم فقال المهلب لأصحابه حر كوهم فخرج فرسان من أصحابه فخرج إليهم من الخوارج جمع كثير فاقتلوا إلى الليل فقال لهم الخوارج ويلكم أ ماتملون فقالوا لا حتى تملوا فقالوا فمن أنتم قالوا تميم فقالت الخوارج ونحن تميم أيضا فلما أمسوا افترقوا فلما كان الغد خرج عشرة من أصحاب المهلب وخرج إليهم من الخوارج عشرة واحترف كل واحد منهم حفيرة وأثبت قدميه فيها كلما قتل رجل جاء رجل من أصحابه فاجتره وقام مكانه حتى أعتموا فقال لهم الخوارج ارجعوا فقالوا بل ارجعوا أنتم قالوا لهم ويلكم من أنتم قالوا تميم قالوا ونحن [صفحه ١٩٠] تميم أيضا فرجع البراء بن قبيصة إلى الحجاج فقال له مهيم قال رأيت أيها الأمير قوما لايعين عليهم إلا الله . وكتب المهلب جواب الحجاج إني منتظر بهم إحدى ثلاث موتا ذريعا أو جوعا مضرا أو اختلافا من أهوائهم . و كان المهلب لا يتكل فى الحراسة على أحد كان يتولى ذلك بنفسه ويستعين عليه بولده وبمن يحل محلهم فى الثقة عنده . قال أبو حرملة العبدى يهجو المهلب و كان فى عسكره عدمتك يامهلب من أمير || أ ماتندى يمينك للفقير بدولاب أضعت دماء قومى || وطرت على مواشكة درور . فقال له المهلب ويحك والله إني لا أقيكم بنفسى وولدى قال جعلنى الله فداء الأمير فذاك الذى نكره منك ماكلنا يحب الموت قال ويحك وهل عنه من محيص قال لا ولكننا نكره التعجيل و أنت تقدم عليه إقداما قال المهلب ويلك أ ماسمعت قول الكلبة اليربوعى فقلت لكأس أجميعها فإنما || نزلنا الكتيب من زرود لنفرعا . [صفحه ١٩١] فقال بلى قد سمعت ولكن قولى أحب إلى منه و لماوقفتم غدوة وعدوكم || إلى مهجتى وليت أعداءكم ظهري وطرت و لم أحفل ملامة جاهل || يساقى المنايا بالردنية السمر . فقال المهلب بئس حشو الكتيبة أنت والله يا أبا حرملة إن شئت أذنت لك فانصرفت إلى أهلك قال بل أقيم معك أيها الأمير فوهب له المهلب وأعطاه فقال يمدحه يرى حتما عليه أبوسعيد || جلاد القوم فى أولى النفير إذ نادى الشراء أبوسعيد || مشى فى رفل محكمة القتير . قال و كان المهلب يقول مايسرنى أن فى عسكرى ألف شجاع مكان بيهس بن صهيب فيقال له أيها الأمير بيهس ليس بشجاع فيقول أجل ولكنه سيد رأى محكم العقل وذو رأى حذر سئول فأنا آمن أن يغتفل و لو كان مكانه ألف شجاع لخلت أنهم ينشامون حيث يحتاج إليهم . قال ومطرت السماء مطرا شديدا وهم بسابور و بين المهلب و بين الشراء عقبه فقال المهلب من يكفيننا أمر هذه العقبة الليلة فلم يبق أحد فلبس المهلب سلاحه وقام إلى العقبة واتبعه ابنه المغيرة فقال رجل من

أصحابه دعانا الأمير إلى ضبط العقبة والحظ [صفحہ ۱۹۲] فى ذلك لنا فلم نطعه ولبس سلاحه واتبعه جماعة من العسكر فصاروا إليه فإذا المهلب والمغيرة و لاثالث لهما فقالوا انصرف أيها الأمير فنحن نكفيك إن شاء الله فلما أصبحوا إذاهم بالشرأة على العقبة فخرج إليهم غلام من أهل عمان على فرس فجعل يحمل وفرسه تزلق ويلقاه مدرك فى جماعة معه حتى ردوهم عن العقبة فلما كان يوم النحر والمهلب على المنبر يخطب الناس إذ الشرأة قد أكبوا فقال المهلب سبحان الله أ فى مثل هذا اليوم يامغيرة اكفنيهم فخرج إليهم المغيرة وأمامه سعد بن نجد القردوسى و كان سعد مقدما فى شجاعته و كان الحجاج إذا ظن برجل أن نفسه قد أعجبتة قال له لو كنت سعد بن نجد القردوسى ماعدا فخرج أمام المغيرة و مع المغيرة جماعة من فرسان المهلب فالتقوا وأمام الخوارج غلام جامع السلاح مديد القامة كرىه الوجه شديد الحملة صحيح الفروسيه فأقبل يحمل على الناس ويرتجز فيقول نحن صبحناكم غداة النحر || بالخيال أمثال الوشيح تجرى . فخرج إليه سعد بن نجد القردوسى من الأزد فتجاوزا ساعة ثم طعنه سعد فقتله والتقى الناس فصرع المغيرة يومئذ فحامى عليه سعد بن نجد ودينار السجستاني وجماعة من الفرسان حتى ركب وانكشف الناس عندسقطه المغيرة حتى صاروا إلى المهلب فقالوا قتل المغيرة فأتاه دينار السجستاني فأخبره بسلامته فأعتق كل مملوك كان بحضرته . [صفحہ ۱۹۳] قال ووجه الحجاج الجراح بن عبد الله إلى المهلب يستبطنه فى مناجزة القوم وكتب إليه أما بعد فإنك جبيت الخراج بالعلل وتحصنت بالخذاق وطاولت القوم و أنت أعز ناصرا وأكثر عددا و ماأظن بك مع هذا معصية و لاجبنا ولكنك اتخذتهم أكلا و كان بقاؤهم أيسر عليك من قتالهم فناجزهم و إلا أنكرتنى و السلام . فقال المهلب للجراح يا أبا عقبه و الله ما تركت حيلة إلا احتلتها و لا مكيدة إلا أعملتها و ما العجب من إبطاء النصره و تراخى الظفر ولكن العجب أن يكون الرأى لمن يملكه دون من يبصره . ثم ناهضهم ثلاثة أيام يغاديهم القتال فلا يزالون كذلك إلى العصر وينصرف أصحابه وبهم قرح و بالخوارج قرح و قتل فقال له الجراح قد أعذرت . فكتب المهلب إلى الحجاج أتانى كتابك تستبطنى فى لقاء القوم على أنك لا تظن بى معصية و لاجبنا و قد عاتبتنى معاتبه الجبان و أوعدتنى و عيذ العاصى فسل الجراح و السلام . فقال الحجاج للجراح كيف رأيت أخاك قال و الله أيها الأمير مارأيت مثله قط و لا ظننت أن أحدا يبقى على مثل ما هو عليه و لقد شهدت أصحابه أياما ثلاثة يغدون إلى الحرب ثم ينصرفون عنها وهم يتطاعنون بالرماح و يتجالدون بالسيوف [صفحہ ۱۹۴] و يتخابطون بالعمد ثم يروحون كأن لم يصنعوا شيئا و روح قوم تلك عاداتهم و تجارتهم . فقال الحجاج لشد ما مدحته بأعقبه فقال الحق أولى . وكانت ركب الناس قديما من الخشب فكان الرجل يضرب ركابه فينقطع فإذا أراد الضرب أو الطعن لم يكن له معتمد فأمر المهلب بضرب الركب من الحديد فهو أول من أمر بطبعها و فى ذلك يقول عمران بن عصام العنزى ضربوا الدراهم فى إمارتهم || وضربت للحدثان والحرب حلقتى منها مرافقهم || كمنابك الجماله الجرب . قال و كتب الحجاج إلى عتاب بن ورقاء الرياحى من بنى رياح بن يربوع و هو والى أصفهان يأمره بالمسير إلى المهلب و أن يضم إليه جند عبدالرحمن بن مخنف فكل بلد يدخلانه من فتوح أهل البصرة فالمهلب أمير الجماعة فيه و أنت على أهل الكوفة فإذا دخلتم بلدا فتحه أهل الكوفة فأنت أمير الجماعة و المهلب على أهل البصرة . فقدم عتاب فى إحدى جماديين من سنة ست و سبعين على المهلب و هو بسابور و هى من فتوح أهل البصرة فكان المهلب أمير الناس و عتاب على أصحاب ابن مخنف و الخوارج بأيديهم كرمان و هم بإزاء المهلب بفارس يحاربونه من جميع النواحي . [صفحہ ۱۹۵] قال ووجه الحجاج إلى المهلب رجلين يستحانه لمناجزة القوم أحدهما يقال له زياد بن عبدالرحمن من بنى عامر بن صعصعة و الآخر من آل أبى عقيل من رهط الحجاج فضم المهلب زيادا إلى ابنه حبيب و ضم الثقفى إلى ابنه يزيد و قال لهما خذا يزيد و حبيبا بالمناجزة و غادوا الخوارج فاقتتلوا أشد قتال فقتل زياد بن عبدالرحمن العامرى و فقد الثقفى ثم باكروهم فى اليوم الثانى و قد وجد الثقفى فدعا به المهلب ودعا بالغداء فجعل النبل يقع قريبا منهم و يتجاوزهم و الثقفى يعجب من أمر المهلب فقال الصلتان العبدى ألا يا أصحابانى قبل عوق العوائق || و قبل اختراط القوم مثل العقائق غداة

حبيب في الحديد يقودنا || يخوض المنيا في ظلال الخوافق حرون إذا ما الحرب طار شرارها || وهاج عجاج النقع فوق
المفارق فمن مبلغ الحجاج أن أمينه || زيادا أطاحته رماح الأزارق . فلم يزل عتاب بن رقاء مع المهلب ثمانية أشهر حتى ظهر
شيب بن يزيد فكتب الحجاج إلى عتاب يأمره بالمصير إليه ليوجهه إلى شيب وكتب إلى المهلب يأمره أن يرزق الجند فرزق
أهل البصرة وأبى أن يرزق أهل الكوفة فقال له عتاب ما أنيأرح حتى ترزق أهل الكوفة فأبى فجرت بينهما غلظة فقال له عتاب
قد كان يبلغني أنك شجاع فرأيتك جباناً و كان يبلغني أنك جواد فرأيتك بخيلاً فقال له المهلب يا ابن اللخناء فقال له عتاب
لكنك معم مخول . [صفحہ ۱۹۶] فغضبت بكر بن وائل للمهلب للحلف ووثب نعيم بن هبيرة ابن أخي مصقلة بن هبيرة على
عتاب فشمته وقد كان المهلب كارها للحلف فلما رأى نصره بكر بن وائل له سره واغتبط به فلم يزل يؤكد و غضبت تميم
البصرة لعتاب و غضبت أزد الكوفة للمهلب فلما رأى ذلك المغيرة مشى بين أبيه وبين عتاب وقال لعتاب يا أبورقاء إن الأمير
يصير إلى كل ماتحب وسأل أباه أن يرزق أهل الكوفة ففعل فصلح الأمر فكانت تميم قاطبة وعتاب بن رقاء يحمدون المغيرة بن
المهلب و كان عتاب يقول إنى لأعرف فضله على أبيه . وقال رجل من الأزد من بنى أباد بن سود ألا أبلغ أبورقاء عنا || فلو
لأننا كنا غضابا على الشيخ المهلب إذ جفانا || للاقته خيلكم منا ضربا . قال و كان المهلب يقول لبنيه لا تبدءوا الخوارج بقتال
حتى يبدءوكم ويبنوا عليكم فإنهم إذ بنوا عليكم نصرتم عليهم . فشخص عتاب إلى الحجاج فى سنة سبع وسبعين فوجهه إلى
شيب فقتله شيب . وأقام المهلب على حربهم فلما انقضى من مقامه ثمانية عشر شهرا اختلفوا وافتقرت كلمتهم و كان سبب
اختلافهم أن رجلا - حدادا من الأزارقة كان يعمل نصالا - مسمومة فيرمى بها أصحاب المهلب فرفع ذلك إلى المهلب فقال
أنا أكفيكموه إن شاء الله فوجه رجلا - من أصحابه بكتاب وألف درهم إلى عسكر قطرى فقال له ألق هذا الكتاب فى العسكر
والدراهم واحذر على نفسك و كان الحداد يقال له أبزى فمضى الرجل و كان فى الكتاب أما بعد فإن نصالك قد وصلت إلى و
قد وجهت إليك بألف درهم فاقبضها وزدنا من هذه النصال . [صفحہ ۱۹۷] فوقع الكتاب إلى قطرى فدعا بأبزى فقال ما
هذا الكتاب قال لا - أدرى قال فما هذه الدراهم قال لأعلم فأمر به فقتل فجاءه عبدربه الصغير مولى بنى قيس بن ثعلبة فقال له
أقتلت رجلا - على غير ثقته و لا - تبين قال قطرى فما حال هذه الألف قال يجوز أن يكون أمرها كذبا ويجوز أن يكون حقا فقال
قطرى إن قتل رجل فى صلاح الناس غير منكر وللإمام أن يحكم بما رآه صلاحا و ليس للرعية أن تعترض عليه فتنكر له عبدربه
فى جماعة معه و لم يفارقوه . وبلغ ذلك المهلب فدرس إليهم رجلا نصرانيا جعل له جعلاً يرغب فى مثله و قال له إذ رأيت قطريا
فاسجد له فإذ نهاك فقل إنما سجدت لك ففعل ذلك النصرانى فقال قطرى إنما السجود لله تعالى فقال ما سجدت إلا لك فقال
رجل من الخوارج إنه قد عبدك من دون الله وتلايكم و ما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون فقال قطرى إن
النصارى قد عبدوا عيسى ابن مريم فما ضر عيسى ذلك شيئا فقام رجل من الخوارج إلى النصرانى فقتله فأنكر قطرى ذلك عليه
وأنكر قوم من الخوارج إنكاره . وبلغ المهلب ذلك فوجه إليهم رجلا يسألهم فأتاهم الرجل فقال أرايتم رجلين خرجا مهاجرين
إليكم فمات أحدهما فى الطريق وبلغ الآخر إليكم فامتحنتموه فلم يجز المحنة ماتقولون فيهما فقال بعضهم أما الميت فمؤمن من
أهل الجنة و أما الذى لم يجز المحنة فكافر حتى يجيز المحنة . وقال قوم آخرون بل هما كافران حتى يجيز المحنة فكفر
الاختلاف . وخرج قطرى إلى حدود إصطخر فأقام شهرا والقوم فى اختلافهم ثم أقبل فقال - قرآن - ۷۱۰-۷۸۸ [صفحہ ۱۹۸] لهم
صالح بن مخراق يا قوم إنكم أفرتم عين عدوكم وأطمعتموه فيكم بما يظهر من خلافكم فعودوا إلى سلامة القلوب واجتماع
الكلمة . وخرج عمرو القنا و هو من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم فنأدى يأيها المحلون هل لكم فى الطراد فقد طال عهدى به
ثم قال ألم تر أنامذ ثلاثين ليلة || جديب وأعداء الكتاب على خفض . فتهايج القوم وأسرع بعضهم إلى بعض وكانت الوقعة
وأبلى يومئذ المغيرة بن المهلب وصار فى وسط الأزارقة فجعلت الرماح تحطه وترفعه واعتورت رأسه السيوف و عليه ساعد

حديد فوضع يده على رأسه فلم يعمل السيف فيه شيئا واستنقذه فرسان من الأزدي بعد أن صرع و كان ألدَى صرعه عبيده بن هلال بن يشكر بن بكر بن وائل و كان يقول يومئذ أنا ابن خير قومه هلال || شيخ على دين أبي بلال وذاك ديني آخر الليالي . فقال رجل للمغيرة كنا نعجب كيف تصرع والآن نعجب كيف تنجو و قال المهلب لبيته إن سرحكم لغار ولست آمنهم عليه أفوكلتم به أحدا قالوا لا فلم يستتم الكلام حتى أتاه آت فقال إن صالح بن مخراق قد أغار على السرح فشق على المهلب و قال كل أمر لا إليه بنفسى فهو ضائع و تدمر عليهم فقال له بشر بن المغيرة أرح نفسك فإن كنت إنما تريد مثلك فو الله ما يعدل خيرنا شسع نعلك [صفحہ ۱۹۹] فقال خذوا عليهم الطريق فبادر بشر بن المغيرة ومدرك والمفضل ابنا المهلب فسبق بشر إلى الطريق فإذا رجل أسود من الأزارقة يشل السرح و هو يقول نحن قمعناكم بشل السرح || و قد نكنا القرح بعد القرح . ولحقه المفضل ومدرك فصاحا برجل من طيئ اكفنا الأسود فاعتوره الطائي وبشر بن المغيرة فقتلاه وأسرا رجلا من الأزارقة من همدان واستردا السرح . قال و كان عياش الكندي شجاعا بئسا فأبلى يومئذ فلما مات على فراشه بعد ذلك قال المهلب لا وألت نفس الجبان بعد عياش و قال المهلب ما رأيت تالله كهؤلاء القوم كلما انتقص منهم يزيد فيهم . ووجه الحجاج رجلين إلى المهلب يستحثانه بالقتال أحدهما من كلب والآخر من سليم فقال المهلب متمثلا بشعر لأوس بن حجر ومستعجب مما يرى من أناتنا || و لوزبنته الحرب لم يترمم . فقال المهلب ليزيد ابنه حرك القوم فحركهم فتهايجوا و ذلك فى قرية من قرى إصطخر فحمل رجل من الخوارج على رجل من أصحاب المهلب وطعنه فشك فخذ به بالسرج فقال المهلب للسلمي والكلبي كيف يقاتل قوم هذا طعنهم وحمل [صفحہ ۲۰۰] يزيد عليهم و قد جاء الرقاد و هو من فرسان المهلب و هو أحد بنى مالك بن ربيعة على فرس له أدهم و به نيف وعشرون جراحة و قد وضع عليها القطن فلما حمل يزيد ولى الجمع وحماهم فرسان منهم فقال يزيد لقيس الخشني مولى العتيك من لهذين قال أنا فحمل عليهما فطعف عليه أحدهما فطعنه قيس فصرعه وحمل عليه الآخر فتعانقا فسقطا جميعا إلى الأرض فصاح قيس الخشني اقتلونا جميعا فحملت خيل هؤلاء وخيل هؤلاء فحجزوا بينهما فإذا معانق قيس امرأة فقام قيس مستحيا فقال له يزيد يا أبابشر أما أنت فبارزتها على أنها رجل فقال أرأيت لو قتلت أ ما كان يقال قتلتها امرأة وأبلى يومئذ ابن المنجب السدوسي فقال غلام له يقال له خلاج و الله لو ددنا أنافضنا عسكريهم حتى نصير إلى مستقرهم فاستلب مما هناك جاريتين فقال له مولا ابن المنجب وكيف تمنيت ويحك اثنتين فقال لأعطيك إحداهما و آخذ الأخرى فقال ابن المنجب أخلاج إنك لن تعانق طفلة || شرقا بها الجادى كالتمثال حتى تلاقى فى الكتيبة معلما || عمرو القنا وعبيده بن هلال وترى المقعطر فى الفوارس مقدما || فى عصبه نشطوا على الضلال [صفحہ ۲۰۱] أو أن يعلمك المهلب غزوه || وترى جبالا قد دنت لجبال . قال و كان بدر بن الهذيل من أصحاب المهلب شجاعا و كان لحنانه كان إذا أحس بالخوارج ينادى يا خيل الله اركبى و إليه يشير القائل و إذ اطلبت إلى المهلب حاجة || عرضت توابع دونه وعبيد العبد كردس و بدر مثله || وعلاج باب الأحمرين شديد . قال و كان بشر بن المغيرة بن أبى صفرة أبلى يومئذ بلاء حسنا عرف مكانه فيه و كانت بينه و بين المهلب جفوة فقال لبيته يا بنى عم إنى قد قصرت عن شكاه العاتب و جاوزت شكاه المستعتب حتى كأنى لا موصول و لا محروم فاجعلوا لى فرجة أعيش بها وهبوني امرأ رجوتم نصره أو خفتم لسانه فرجعوا له و وصلوه و كلموا فيه المهلب فوصله . وولى الحجاج كردما فارس ووجهه إليها والحرب قائمة فقال رجل من أصحاب المهلب و لوراها كردم لكردما || كردمة العير أحس الضيغما . فكتب المهلب إلى الحجاج يسأله أن يتجافى له عن إصطخر و دارا مجرد لأرزاق الجند ففعل و قد كان قطرى هدم مدينة إصطخر لأن أهلها كانوا يكاتبون المهلب بأخباره و أراد مثل ذلك بمدينة فسا فاشتراها منه آزاذ مرد بن الهربذ بمائة ألف درهم [صفحہ ۲۰۲] فلم يهدمها فواقعه وجه المهلب فهزمه فنفاه إلى كرمان و اتبعه المغيرة ابنه و قد كان دفع إليه سيفا وجه به الحجاج إلى المهلب وأقسم عليه أن يتقلده فدفعه إلى المغيرة بعد ماتقلده فرجع به المغيرة إليه و قد دماه فسر المهلب و قال ما يسرنى أن يكون

كنت دفعته إلى غيرك من ولدي وقال له اكفنى جباية خراج هاتين الكورتين وضم إليه الرقاد فجعلنا يجبان ولا يعطيان الجند شيئاً ففى ذلك يقول رجل من بنى تميم فى كلمه له ولوعلم ابن يوسف مانلاقى || من الآفات والكره الشداد لفاضت عينه جزعا علينا || وأصلح ما استطاع من الفساد ألا قل للأمر جزيت خيرا || أرحنا من مغيرة والرقاد فما رزق الجنود بهم قفيزا || و قدساست مطامير الحصاد . أى وقع فيها السوس . قال ثم حاربهم المهلب بالسيرجان حتى نفاهم عنها إلى جيرفت واتبعهم ونزل قريبا منهم . ثم اختلفت كلمه الخوارج و كان سبب ذلك أن عبيده بن هلال اتهم بامرأة رجل نجار رأوه يدخل مرارا إليها بغير إذن فأتى قطريا فذكروا ذلك له فقال لهم إن عبيده من الدين بحيث علمتم و من الجهاد بحيث رأيتم فقالوا إنا لانقار على الفاحشه فقال [صفحه ٢٠٣] انصرفوا ثم بعث إلى عبيده فأخبره و قال له أنا لأأقار على الفاحشه فقال بهتوني يا أمير المؤمنين فما ترى قال إني جامع بينك وبينهم فلا تخضع خضوع المذنب و لا تتناول تطاول البريء فجمع بينهم فتكلموا فقام عبيده فقال بسم الله الرحمن الرحيم إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ... حتى تلا الآيات فبكوا وقاموا إليه فاعتنقوه وقالوا استغفر لنا ففعل فقال عبدربه الصغير مولى بنى قيس بن ثعلبه و الله لقد خدعكم فتابع عبدربه منهم ناس كثير و لم يظهرها و لم يجدوا على عبيده فى إقامة الحد ثبنا . و كان قطرى قد استعمل رجلا من الدهاقين فظهرت له أموال كثيرة فأتوا قطريا فقالوا إن عمر بن الخطاب لم يكن يقار عماله على مثل هذا فقال قطرى إني استعملته و له ضياع وتجارات فأوغر ذلك صدورهم وبلغ المهلب ذلك فقال اختلافهم أشد عليهم منى ثم قالوا لقطرى ألا تخرج بنا إلى عدونا فقال لا ثم خرج فقالوا قد كذب وارتد فاتبعوه يوما فأحس بالشر ودخل دارا مع جماعه من أصحابه فاجتمعوا عليه وصاحوا اخرج إلينا يادابه فخرج إليهم فقال أرجعتم بعدى كفارا قالوا أ و لست دابه قال الله تعالى وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَلَكِنَّكَ كَدِّفْتُمْ بِقَوْلِكَ أَنَا قَدَرَجَعْنَا كَفَارًا فِتْبًا إِلَى اللَّهِ فَشَاوِرْ عبيده فى ذلك فقال له إن تب تب لم يقبلوا منك فقل إني استفهمت فقلت أرجعتم بعدى كفارا فقال لهم ذلك فقبلوا منه فرجع إلى منزله - قرآن - ٢٥٠-٢٩٢-قرآن-١٠١٠-١٠٦٥ [صفحه ٢٠٤]

عبدربه الصغير

ومنهم عبدربه الصغير أحد موالى قيس بن ثعلبه . لما اختلفت الخوارج على قطرى بايعه منهم جمع كثير و كان قطرى قد عزم على أن يبايع للمقعر العبدى ويخلع نفسه فجعله أمير الجيش فى الحرب قبل أن يعهد إليه بالخلافه فكرهه القوم وأبوه و قال صالح بن مخراق عنهم و عن نفسه ابغ لنا غير المقعر فقال لهم قطرى إني أرى طول العهد قد غيركم وأنتم بصدد عدو فاتقوا الله وأقبلوا على شأنكم واستعدوا للقاء القوم فقال صالح إن الناس قبلنا قد سألوا عثمان بن عفان أن يعزل سعيد بن العاصى عنهم ففعل و يجب على الإمام أن يعفى الرعيه مما كرهت فأبى قطرى أن يعزل المقعر فقال له القوم إنا قد دخلناك و بايعنا عبدربه الصغير و كان عبدربه هذا معلم كتاب و كان عبدربه الكبير بائع رمان وكلاهما من موالى قيس بن ثعلبه فانفصل إلى عبدربه الصغير أكثر من شطهم وجلهم الموالى والعجم و كان منهم هناك ثمانيه آلاف وهم القراء ثم ندم صالح بن مخراق و قال لقطرى هذه نفخه من نفخات الشيطان فأعفنا من المقعر وسر بنا إلى عدونا وعدوك فأبى قطرى إلا للمقعر وحمل فتى من الشراء على صالح بن مخراق فطعنه فأنفذه وأوجره الرمح . فنشبت الحرب بينهم فتهاجروا ثم انحاز كل قوم إلى صاحبهم فلما كان الغد اجتمعوا فاقتتلوا فأجلت الحرب عن ألقى قتيل فلما كان الغد عاودوا الحرب فلم ينتصف النهار حتى أخرجت العجم العرب عن المدينه فأقام عبدربه بها وصار قطرى خارجا من [صفحه ٢٠٥] مدينه جيرفت بإزائهم فقال له عبيده بن هلال يا أمير المؤمنين إن أقت لم آمن هذه العبيد عليك إلا أن تخندق على نفسك فخندق على باب المدينه وجعل يناوشهم وارتحل المهلب و كان منهم على

ليلة و رسول الحجاج معه يستحثه فقال له أصلح الله الأمير عاجلهم قبل أن يصطلحوا فقال المهلب إنهم لن يصطلحوا ولكن دعهم فإنهم سيصيرون إلى حال لا يفلحون معها ثم دس رجلا من أصحابه فقال أنت عسكر قطرى فقل إنى لم أزل أرى قطريا يصيب الرأى حتى نزل منزله هذا فظهر خطؤه أقيم بين المهلب و عبدربه يغاديه القتال هذا و يراوحوه هذا فسمى الكلام إلى قطرى فقال صدق تنحوا بنا عن هذا الموضوع فإن اتبعنا المهلب قاتلناه و إن أقام على عبدربه رأيتهم فيه ماتحبون . فقال له الصلت بن مرة يا أمير المؤمنين إن كنت إنما تريد الله فأقدم على القوم و إن كنت إنما تريد الدنيا فأعلم أصحابك حتى يستأمنوا ثم قال قل للمحلين قدقرت عيونكم || بفرقة القوم والبغضاء والهرب كنا أناسا على دين فغيرنا || طول الجدل و خلط الجدل باللعب ما كان أغنى رجلا قل جيشهم || عن الجدل وأغناهم عن الخطب إنى لأهونكم فى الأرض مضطربا || ما لى سوى فرسى والرمح من نشب . ثم قال أصبح المهلب يرجو منا ما كنا نطمع منه فيه . و ارتحل قطرى وبلغ ذلك المهلب فقال لهزيم بن أبى طحمة المجاشعى إنى لا آمن أن يكون كاذبا بترك موضعه اذهب فتعرف الخبر فمضى الهزيم فى اثنى عشر فارسا فلم ير فى المعسكر إلاعبدا وعلجا مريضين فسألهما عن قطرى وأصحابه فقالا [صفحة ٢٠٦] مضوا يرتادون غير هذا المنزل فرجع هزيم إلى المهلب فأخبره فارتحل حتى نزل خندق قطرى فجعل يقاتل عبدربه أحيانا بالعداء و أحيانا بالعشى فقال رجل من سدوس يقال له المعتق و كان فارسا لبت الحرائر بالعراق شهدنا || ورأينا بالسفح ذى الأجدال فنكحن أهل الجدل من فرساننا || والضاربين جماجم الأبطال . ووجه المهلب يزيد ابنه إلى الحجاج يخبره بأنه قدنزل منزل قطرى و أنه مقيم على عبدربه ويسأله أن يوجه فى أثر قطرى رجلا- جلدا فسر بذلك الحجاج سرورا أظهره ثم كتب إلى المهلب يستحثه لمناجزة القوم مع عبيد بن موهب . أما بعد فإنك تتراخى عن الحرب حتى تأتيك رسلى فيرجعون بعدرك و ذلك أنك تمسك حتى تبرأ الجراح وتنسى القتلى وتحمل الكال ثم تلقاهم فتحمل منهم ثقل ما يحتملون منك من وحشة القتل و ألم الجراح و لو كنت تلقاهم بذلك الجدل لكان الداء قدحسم والقرن قدقصم ولعمري ما أنت والقوم سواء لأن من ورائك رجلا- وأمامك أمولا و ليس للقوم إلا مانعهد و لا يدرك الوجيف بالدبيب و لا الظفر بالتعذير . فلما ورد عليه الكتاب قال لأصحابه يا قوم إن الله قدأراحكم من أمور أربعة قطرى بن الفجاءة و صالح بن مخراق و عبيدة بن هلال و سعد بن الطلائع و إنما بين أيديكم عبدربه الصغير فى خشار من خشار الشيطان تقتلونهم إن شاء الله تعالى . [صفحة ٢٠٧] فكانوا يتغادون القتال و يتراوحوون فتصيبهم الجراح ثم يتحاجزون فكأنما انصرفوا عن مجلس كانوا يتحدثون فيه يضحك بعضهم إلى بعض فقال عبيد بن موهب للمهلب قدبان عذرك فاكتب فإنى مخبر الأمير . فكتب إلى الحجاج أما بعد فإنى لم أعط رسلك على قول الحق أجرا و لم أحتج منهم عن المشاهدة إلى تلقين ذكرت إنى أجم القوم و لا بد من وقت راحة يستريح فيه الغالب و يحتال فيه المغلوب و ذكرت أن فى الجمام ما ينسى القتلى و تبرأ منه الجراح هيئات أن ينسى ما بيننا وبينهم تأبى ذلك قتلى لم تجن وقروح لم تتقرب ونحن والقوم على حالة وهم يرقبون منا حالات إن طمعوا حاربوا و إن ملوا وقفوا و إن يسوا انصرفوا وعلينا أن نقاتلهم إذاقاتلوا و نتحرز إذاوقفوا و نطلب إذاهربوا فإن تركتني والرأى كان القرن مقصوما والداء بإذن الله محسوما و إن أعجلتني لم أطعك و لم أعصك وجعلت وجهى إلى بابك وأعوذ بالله من سخط الله ومقت الناس . قال و لما اشتد الحصار على عبدربه قال لأصحابه لا تفتقروا إلى من ذهب عنكم من الرجال فإن المسلم لا يفتقر مع الإسلام إلى غيره والمسلم إذاصح توحيدة عزبربه و قدأراحكم الله من غلظة قطرى وعجلة صالح بن مخراق ونخوته واختلاط عبيدة بن هلال و وكلكم إلى بصائرهم فالفقوا عدوكم بصبر ونية وانتقلوا عن منزلكم هذا فمن قتل منكم قتل شهيدا و من سلم من القتل فهو المحروم . [صفحة ٢٠٨] قال وورد فى ذلك الوقت على المهلب عبيد بن أبى ربيعة بن أبى الصلت الثقفى من عند الحجاج يستحثه بالقتال ومعه أمينان فقال للمهلب خالفت وصية الأمير و آثرت المدافعة والمطاوله فقال له المهلب و الله ما تركت جهدا . فلما كان العشى خرجت الأزارقة و قد حملوا حريمهم وأموالهم وخف متاعهم لينتقلوا فقال المهلب

لأصحابه الزموا مصافكم وأشرعوا رماحكم ودعوهم والذهاب فقال له عبيده بن أبي ربيعة هذا العمري أيسر عليك فغضب وقال للناس ردوهم عن وجههم وقال لبيته تفرقوا في الناس وقال لعبيده بن أبي ربيعة كن مع يزيد فخذ بالمحاربة أشد الأخذ وقال لأحد الأميين كن مع المغيرة ولا ترخص له في الفتور. فاقتلوا قتالا شديدا حتى عقرت الخيل وصرع الفرسان وقتلت الرجال وجعلت الخوارج تقاتل عن القدرح يؤخذ منها والسوط والعلف والحشيش أشد قتال . وسقط رمح لرجل من مراد من الخوارج فقاتلوا عليه حتى كثر الجراح والقتل وذلك مع المغرب والمرادى يرتجز ويقول الليل ليل فيه ويل ويل || قدسال بالقوم الشراء السيل إن جاز للأعداء فينا قول . [صفحہ ۲۰۹] فلما عظم الخطب في ذلك الرمح بعث المهلب إلى المغيرة خل لهم عن الرمح عليهم لعنة الله فخلوا لهم عنه ومضت الخوارج فتزلت على أربعة فراسخ من جيرفت فدخلها المهلب وأمر بجمع ما كان لهم من متاع و ماخلفوه من دقيق وجثم عليه و هو والثقفى والأمينان ثم اتبعهم فوجدهم قد نزلوا على ماء وعين لا يشرب منها أحد إلا قوى يأتي الرجل بالدلو قد شدها في طرف رمحه فيستقى بها وهناك قرية فيها أهلها فغاداهم القتال وضم الثقفى إلى ابنه يزيد وأحد الأميين إلى المغيرة فاقتل القوم إلى نصف النهار. وقال المهلب لأبي علقمة العبدى وكان شجاعا وكان عاتيا هازلا أمددنا يا أبا علقمة بخيل الحمد وقل لهم فليعيرونا جماجمهم ساعة فقال أيها الأمير إن جماجمهم ليست بفخار فتعار ولا أعناقهم كرادى فتنتب . وقال لحبيب بن أوس كر على القوم فلم يفعل وقال يقول لى الأمير بغير علم || تقدم حين جد به المراس فما لى إن أطعتك من حياة || و ما لى غير هذا الرأس رأس . وقال لمعن بن المغيرة بن أبى صفرة أحمل فقال لا إلا أن تزوجنى ابنتك أم مالك فقال قد زوجتك فحمل على الخوارج فكشفهم وطعن فيهم وقال ليت من يشتري الحياة بمال || ملكة كان عندنا فيرانا [صفحہ ۲۱۰] نصل الكر عند ذاك بطعن || إن للموت عندنا ألوانا . قوله ملكة أى تزويجا ونكاحا . قال ثم جال الناس جولة عند حمله حملها عليهم الخوارج فالتفت المهلب فقال للمغيرة ابنه ما فعل الأمين الذى كان معك قال قتل وهرب الثقفى فقال ليزيد ما فعل عبيد بن أبى ربيعة قال لم أره منذ كانت الجولة فقال الأمين الآخر للمغيرة أنت قتلت صاحبى فلما كان العشى رجع الثقفى فقال رجل من بنى عامر بن صعصعة ما زلت يا ثقفى تخطب بيننا || وتغمنا بوصية الحجاج حتى إذا ما الموت أقبل زاخرا || وسقى لنا صرفا بغير مزاج وليت يا ثقفى غير مناظر || تنساب بين أحرز وفجاج ليست مقارعة الكماة لدى الوغى || شرب المدامة فى إناء زجاج . فقال المهلب للأمين الآخر ينبغى أن تتوجه مع ابنى حبيب فى ألف رجل حتى تبيتوا عسكرهم فقال ماتريد أيها الأمير إلا أن تقتلنى كما فعلت بصاحبى فضحك المهلب وقال ذاك إليك و لم يكن للقوم خنادق فكان كل حذرا من صاحبه غير أن الطعام والعدة مع المهلب و هو فى زهاء ثلاثين ألفا فلما أصبح أشرف على واد فإذا هو برجل معه رمح مكسور مخضوب بالدم و هو ينشد وبنى لأعفى ذا الخمار وصنعتى || إذ اراح أطواء بنى الأصاغر [صفحہ ۲۱۱] أخادعهم عنه ليغيب دونهم || وأعلم غير الظن أنى مغاور كأنى وأبدان السلاح عشية || يمر بنا فى بطن فيحان طائر . فقال له أتميمى أنت قال نعم قال أحظلى قال نعم قال أيربوعى قال نعم قال أ من آل نويرة قال نعم أنا ولد مالك بن نويرة قال قد عرفتك بالشعر . قال أبو العباس وذو الخمار فرس مالك بن نويرة . قال فمكثوا أياما يتحاربون ودوابهم مسرجة و لا خنادق لهم حتى ضعف الفريقان فلما كان الليلة التى قتل فى صبيحتها عبدربه جمع أصحابه فقال يامعشر المهاجرين إن قطريا وعبيده هربا طلبا للبقاء و لا سبيل إلى البقاء فalcوا عدوكم غدا فإن غلبوكم على الحياة فلا يغلبنكم على الموت فتلقوا الرماح بنحوركم والسيوف بوجوهكم وهبوا أنفسكم لله فى الدنيا يهبها لكم فى الآخرة . فلما أصبحوا غادوا المهلب فاقتلوا قتالا شديدا أنسى ما كان قبله وقال رجل من الأزدي من أصحاب المهلب من يبايعنى على الموت فبايعه أربعون رجلا من الأزدي فصرع بعضهم وقتل بعضهم وجرح بعضهم . [صفحہ ۲۱۲] وقال عبد الله بن رزام الحارثى للمهلب احملا فقال المهلب أعرابى مجنون و كان من أهل نجران فحمل وحده فاخترق القوم حتى خرج من ناحية أخرى ثم كر ثانية ففعل فعلته الأولى و تهايج الناس فترجلت الخوارج وعقروا دوابهم فناداهم عمرو

القنا و لم يترجل هو و لأصحابه وهم زهاء أربعمائئ فقتل موتوا على ظهور دوابكم كراما و لاتعقروها فقالوا إنا إذا كنا على الدواب ذكرنا الفرار فاقتلوا ونادى المهلب بأصحابه الأرض الأرض و قال لبيته تفرقوا فى الناس ليروا وجوهكم ونادت الخوارج ألا إن العيال لمن غلب فصبر بنو المهلب وقاتل يزيد بين يدي أبيه قتالا شديدا أبلى فيه فقال له أبوه يابنى إنى أرى موطننا لا ينجو فيه إلا- من صبر و مامر بى يوم مثل هذامنذ مارست الحروب . و كسرت الخوارج أجفان سيوفها و تجاوزوا فأجلت جولتهم عن عبدربه مقتولا. فهرب عمرو القنا و أصحابه و استأمن قوم و أجلت الحرب عن أربعة آلاف قتيل و جريح من الخوارج و مأسور و أمر المهلب أن يدفع كل جريح إلى عشيرته و ظفر بعسكرهم فحوى ما فيه ثم انصرف إلى جيرفت فقال الحمد لله الذى ردنا إلى الخفض و الدعة فما كان عيشنا ذلك العيش . ثم نظر المهلب إلى قوم فى عسكره و لم يعرفهم فقال ما أشد عادة السلاح ناولنى درعى فلبسها ثم قال خذوا هؤلاء فلما صيرهم إليه قال ما أنتم قالوا جئنا لنطلب غرتك للفتك بك فأمر بهم فقتلوا [صفحہ ۲۱۳]

طرف من أخبار المهلب وبنه

ووجه كعب بن معدان الأشقرى و مرة بن بليد الأزدي فوردوا على الحجاج فلما طلعا عليه تقدم كعب فأنشده يا حفص إنى عدانى عنكم السفر . فقال الحجاج أشاعر أم خطيب قال شاعر فأنشده القصيدة فأقبل عليه الحجاج و قال خبرنى عن بنى المهلب قال المغيرة سيدهم و فارسهم و كفى يزيد فارسا شجاعا [صفحہ ۲۱۴] و جوادهم و سخيهم قبيصة و لا يستحى الشجاع أن يفر من مدرك و عبد الملك سم نافع و حبيب موت ذعاف و محمد ليث غاب و كفاك بالفضل نجده فقال له فكيف خلفت جماعة الناس قال خلفتهم بخير قد أدركوا ما أملوا و أمنوا ما خافوا قال فكيف كان بنو المهلب فيهم قال كانوا حماة السرح فإذا ألبوا ففرسان البيات قال فأفيهم كان أنجد قال كانوا كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها قال فكيف كنتم أنتم و عدوكم قال كنا إذا أخذنا عفونا و إذا أخذوا يئسنا منهم و إذا اجتهدنا واجتهدوا طمعنا فيهم قال الحجاج إن العاقبة للمتقين فكيف أفلتكم قطرى قال كدناه و ظن أن قد كادنا بأن صرنا منه إلى التى نحب قال فهلا اتبعتموه قال كان حرب الحاضر آثر عندنا من اتباع الغل قال فكيف كان المهلب لكم و كنتم له قال كان لنا منه شفقة الوالد و له منا بر الولد قال فكيف كان اغتباط الناس به قال نشأ فيهم الأمن و شملهم النفل قال أكنت أعددت لى هذا الجواب قال لا يعلم الغيب إلا الله قال هكذا و الله تكون الرجال المهلب كان أعلم بذلك حيث بعثك . هذه رواية أبى العباس . و روى أبو الفرج فى الأغانى أن كعبا لما أوفده المهلب إلى الحجاج أنشده قصيدته التى أولها [صفحہ ۲۱۵] يا حفص إنى عدانى عنكم السفر || و قد سهرت و آذى عيني السهر . يذكر فيها حروب المهلب مع الخوارج و يصف و قانعه فيهم فى بلد و هى طويلة و من جملتها كنا نهون قبل اليوم شأنهم || حتى تفاقم أمر كان يحتقر لما وهنا و قد حلوا بساحتنا || و استنفر الناس تارات فما نفروا نادى امرؤ لا خلاف فى عشيرته || عنه و ليس به عن مثله قصر خبوا كمينهم بالسفح إذ نزلوا || بكازرون فما عزوا و لانصروا باتت كتائبنا تردى مسمومة || حول المهلب حتى نور القمر هناك و لوا خزايا بعد ما هزموا || و حال دونهم الأنهار و الجدر تأبى علينا حزازات النفوس فما || نبقى عليهم و لا ييقون إن قدروا . فضحك الحجاج و قال إنك لمنصف يا كعب ثم قال له كيف كانت حالكم مع عدوكم قال كنا إذالقيناهم بعفونا و عفوهم يئسنا منهم و إذالقيناهم بجدا و جدهم طمعنا فيهم قال فكيف كان بنو المهلب قال حماة الحرير نهارا و فرسان الليل تيقظا قال فأين السماع من العيان قال السماع دون العيان قال [صفحہ ۲۱۶] صفهم لى رجلا رجلا قال المغيرة فارسهم و سيدهم نار ذاكية و صعدة عالية و كفى يزيد فارسا شجاعا ليث غاب و بحر جم العباب و جوادهم قبيصة ليث المغار و حامى الذمار و لا يستحى الشجاع أن يفر من مدرك و كيف لا يفر من مدرك و كيف لا يفر من الموت الحاضر و الأسد الخادر و عبد الملك سم نافع و سيف قاطع و حبيب

الموت الذعاف طود شامخ وبحر باذح و أبو عيينة البطل الهمام والسيف الحسام وكفاك بالمفضل نجدة ليث هدار وبحر مواز و محمد ليث غاب وحسام ضراب قال فأيهم أفضل قال هم كالحلقة المفرغة لا يعرف طرفاها قال فكيف جماعة الناس قال على أحسن حال أرضاهم العدل وأغناهم النفل قال فكيف رضاهم بالمهلب قال أحسن رضا لا يعدمون منه إشفاق الوالد ولا يعدم منهم بر الولد وذكر تمام الحديث . وقال إن الحجاج أمر له بعشرين ألف درهم وحمله على فرس وأوفده على عبد الملك فأمر له بعشرين ألفا أخرى . قال أبو الفرج وكعب الأشقرى من شعراء المهلب ومادحيه و هو شاعر مجيد قال عبد الملك بن مروان للشعراء تشبهوننى مرة بالأسد ومرة بالبازي ألا قلت كما قال كعب الأشقرى للمهلب وولده براك الله حين براك بحرا || وفجر منك أنهارا غزارا [صفحہ ۲۱۷] بنوك السابقون إلى المعالي || إذا ما أعظم الناس الخطارا كأنهم نجوم حول بدر || تكمل إذ تكمل فاستدارا ملوك ينزلون بكل ثغر || إذا ما الهام يوم الروع طارا رزان في الخطوب ترى عليهم || من الشيخ الشمائل والنجارا نجوم يهتدى بهم إذا ما || أخو الغمرات في الظلماء حارا . قال أبو الفرج وهذا الشعر من قصيدة لكعب يمدح بها المهلب ويذكر الخوارج ومنها سلوا أهل الأباطح من قريش || عن المجد المؤثل أين صارا [صفحہ ۲۱۸] لقوم الأزد في الغمرات أمضى || وأوفى ذمة وأعز جارا هم قادوا الجياد على وجاها || من الأمصار يقذفن المهارا إلى كرمان يحملن المنيا || بكل ثنية يوقدن نارا شواذب ما أصبنا الثار حتى || رددناها مكلمة مرارا غداة تركن مصرع عبد رب || نثرن عليه من رهج غبارا و يوم الزحف بالأهواز ظلنا || نرؤى منهم الأسل الحرارا فقرت أعين كانت حزينا || قليلا نومها لإغرارها و لولا الشيخ بالمصرين ينفى || عدوهم لقد نزلوا الديارا ولكن قارع الأبطال حتى || أصابوا الأمن واحتلوا القرارا [صفحہ ۲۱۹] إذا وهنوا وحل بهم عظيم || يدق العظم كان لهم جبارا ومبهمه يحيد الناس عنها || تشب الموت شد لها إزارا شهاب تنجلي الظلماء عنه || يرى في كل مظلمة منارا براك الله حين براك بحرا || وفجر منك أنهارا غزارا . الأبيات المتقدمة . قال أبو الفرج وحدثني محمد بن خلف وكيع بإسناد ذكره أن الحجاج لما كتب إلى المهلب يأمره بمناجزة الخوارج حينئذ ويستبطنه ويضعفه ويعجزه من تأخيره أمرهم ومطاولته لهم قال المهلب لرسوله قل له إنما البلاء أن يكون الأمر لمن يملكه لالمن يعرفه فإن كنت نصبتني لحرب هؤلاء القوم على أن أدبرها كما أرى فإذا أمكنتني فرصة انتهزتها وإن لم تمكنني توقفت فأنا أدبر ذلك بما يصلحه وإن أردت أن أعمل برأيك و أنا حاضر و أنت غائب فإن كان صوابا فلك و إن كان خطأ فعلى فابعث من رأيت مكاني و كتب من فوره بذلك إلى عبد الملك فكتب عبد الملك إلى الحجاج لاتعارض المهلب فيما يراه و لاتعجله ودعه يدبر أمره . قال وقام كعب الأشقرى إلى المهلب فأنشده بحضرة رسول الحجاج إن ابن يوسف غره من أمركم || خفض المقام بجانب الأمصار لو شهد الصفين حيث تلاقيا || ضاقت عليه رحبئة الأقطار من أرض سابور الجنود وخيلنا || مثل القداح بربتها بشفار [صفحہ ۲۲۰] من كل صنديد يرى بلبانه || وقع الطبات مع القنا الخطار لرأى معاودة الرباع غنيمه || أزمان كان محالف الإقتار فدع الحروب لشيها وشبابها || وعليك كل غريرة معطار . فبلغت أبياته الحجاج فكتب إلى المهلب يأمره بإشخاص كعب الأشقرى إليه فأعلم المهلب كعبا بذلك وأوفده إلى عبد الملك من ليلته وكتب إليه يستوبه منه فقدم كعب على عبد الملك برسالة المهلب فاستنطقه فأعجبه وأوفده إلى الحجاج وكتب إليه يقسم عليه أن يصفح ويعفو عما بلغه من شعره فلما دخل قال إيه يا كعب لرأى معاودة الرباع غنيمه . فقال أيها الأمير والله لو ددت في بعض ماشاهدته من تلك الحروب و ما أوردناه المهلب من خطرها أن أنجو منها وأكون حجاجا أو حائكا قال أولى لك لو لاقسم أمير المؤمنين مانفعك ماتقول الحق بصاحبك وردة إلى المهلب . قال أبو العباس و كان كتاب المهلب إلى الحجاج الذي بشره فيه بالظفر والنصر بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الكافي بالإسلام فقد ماسواه الحاكم بالأل ينقطع المزيد من فضله حتى ينقطع الشكر من عباده أما بعد [صفحہ ۲۲۱] فقد كان من أمرنا ما قد بلغك وكنا نحن وعدونا على حالين مختلفين يسرنا منهم أكثر مما يسوءنا ويسوءهم منا أكثر مما يسرهم على اشتداد شوكتهم فقد كان علا أمرهم حتى

ارتاعت له الفتاة ونوم به الرضيع فانتهزت الفرصة منهم في وقت إمكانها وأدانت السواد من السواد حتى تعارفت الوجوه فلم نزل كذلك حتى بلغ الكتاب أجله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين . فكتب إليه الحجاج أما بعد فقد فعل الله بالمسلمين خيرا وأراحهم من بأس الجلاذ وثقل الجهاد ولقد كنت أعلم بما قبلك فالحمد لله رب العالمين فإذا ورد عليك كتابي فأقسم في المجاهدين فيهم ونفل الناس على قدر بلائهم وفضل من رأيت تفضيله وإن كانت بقية من القوم بقيه فخلف خيلا تقوم بإزائهم واستعمل على كرمان من رأيت وول الخيل شهما من ولدك ولا ترخص لأحد في اللحاق بمنزلة دون أن تقدم بهم على وعجل القدوم إن شاء الله . فولى المهلب يزيد ابنه كرمان وقال له يا بني إنك اليوم لست كما كنت إنما لك من كرمان ما فضل عن الحجاج ولن تحتمل إلا - على ما احتمل عليه أبوك فأحسن إلى من تبعك وإن أنكرت من إنسان شيئا فوجهه إلى وتفضل على قومك إن شاء الله . [صفحہ ۲۲۲] ثم قدم المهلب على الحجاج فأجلسه إلى جانبه وأظهر بره وإكرامه وقال يا أهل العراق أنتم عبيد قن للمهلب ثم قال أنت والله كمالقبط فقلدوا أمركم لله دركم || رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه || هم يكاد حشاه يقصم الضلعا لا مترفا إن رخاء العيش ساعده || ولا إذ اعرض مكروه به خشعا مازال يحلب هذا الدهر أشطره || يكون متبعا طورا ومتبعا حتى استمرت على شرر مريرته || مستحکم الرأي لاقحما ولا ضرعا . وروى أنه قام إليه رجل فقال أصلح الله الأمير والله لكأنى أسمع الساعة قطريا وهو يقول لأصحابه المهلب والله كما قال لقيط الأيادي ثم أنشد هذا الشعر فسر الحجاج حتى امتلأ سرورا فقال المهلب أما والله ما كنا أشد من عدونا ولا أحد ولكن دمع الحق الباطل وقهرت الجماعة الفتنة والعاقبة للمتقين وكان ما كرهناه من المطاولة خيرا لنا مما أحببناه من المعاجلة . [صفحہ ۲۲۳] فقال الحجاج صدقت اذكر لى القوم الذين أبلوا وصف لى بلاءهم فأمر الناس فكتبوا ذلك إلى الحجاج فقال لهم المهلب ما ذخر الله لكم خير لكم من عاجل الدنيا إن شاء الله فذكرهم المهلب على مراتبهم فى البلاء وتفاضلهم فى الغناء وقدم بنىه المغيرة وي زيد ومدركا وحييا وقبيصة والمفضل وعبد الملك ومحمدا وقال والله لو واحد يقدمهم فى البلاء لقدمته عليهم ولو لا أن أظلمهم لآخرتهم فقال الحجاج صدقت وما أنت أعلم بهم منى وإن حضرت وغبت إنهم لسيوف من سيوف الله ثم ذكر معن بن المغيرة والرقاد وأشباههما . فقال الحجاج من الرقاد فدخل رجل طويل أجنا فقال المهلب هذا فارس العرب فقال الرقاد للحجاج أيها الأمير إنى كنت أقاتل مع غير المهلب فكنت كبعض الناس فلما صرت مع من يلزمنى الصبر ويجعلنى أسوء نفسه وولده ويجازينى على البلاء صرت أنا وأصحابى فرسانا . فأمر الحجاج بتفضيل قوم على قوم على قدر بلائهم وزاد ولد المهلب ألفين ألفين وفعل بالرقاد وبجماعة شبيها بذلك . وقال يزيد بن حبناء من الأزارقة دعى اللوم إن العيش ليس بدائم || ولا تعجلى باللوم يأم عاصم فإن عجلت منك الملامة فاسمعى || مقالة معنى بحقك عالم ولا تعذلىنا فى الهدية إنما || تكون الهدايا من فضول المغانم [صفحہ ۲۲۴] وليس بمهد من يكون نهاره || جلادا ويمسى ليله غير نائم يريد ثواب الله يوما بطعنه || غموس كشدق العنبرى بن سالم أبيت وسربالى دلاص حصينه || ومغفرها والسيوف فوق الحيازم حلفت برب الواقفين عشيء || لدى عرفات حلفه غير آثم لقد كان فى القوم الذين لقيتهم || بسابور شغل عن بزوز اللطائم توقد فى أيديهم زاعبية || ومرهفة تفرى شئون الجماجم . وقال المغيرة الحنظلى من أصحاب المهلب إنى امرؤ كفى ربي وأكرمنى || عن الأمور التى فى غبها وخم وإنما أنا إنسان أعيش كما || عاشت رجال وعاشت قبلها أمم ماعاقنى عن قفول الجند إذ قفلوا || عى بما صنعوا حولى ولاصمم و لو أردت قفولا ماتجهمنى || إذن الأمير ولا الكتاب إذ رقموا إن المهلب إن أشقت لرؤيته || أو أمتدحه فإن الناس قد علموا أنه الأريب الذى ترجى نوافله || والمستنير الذى تجلى به الظلم والقائل الفاعل الميمون طائره || أبوسعيد إذا ماعدت النعم أزمان كرمان إذ غص الحديد بهم || وإذ تمنى رجال أنهم هزموا . [صفحہ ۲۲۵] وقال حبيب بن عوف من قواد المهلب أباسعيد جزاك الله صالحه || فقد كفيت ولم تعنف على أحد داويت بالحلم أهل الجهل فانقمعوا || وكنت كالوالد الحانى على الولد . وقال عبيدة بن

هلال الخارجي يذكر رجلا من أصحابه يهوى فترفعه الرماح كأنه || شلو تنشب في مخالبا ضار يهوى صريعا والرماح تنوشه ||
إن الشراء قصيرة الأعمار

شبيب بن يزيد الشيباني

ومنهم شبيب بن يزيد الشيباني و كان في ابتداء أمره يصحب صالح بن مسرح أحد الخوارج الصفرية و كان ناسكا مصفر الوجه صاحب عبادة و له أصحاب يقرئهم القرآن ويفقههم ويقص عليهم ويقدم الكوفة فيقيم بها الشهر والشهرين و كان بأرض الموصل والجزيرة و كان إذا فرغ من التحميد والصلاة على النبي ص ذكر أبابكر فأثنى عليه وثنى بعمر ثم ذكر عثمان و ما كان من أحداثه ثم عليا و تحكيمه الرجال في دين الله و يتبرأ من عثمان و علي ثم [صفحة ٢٢٦] يدعو إلى مجاهدة أئمة الضلال و قال تيسروا يا إخواني للخروج من دار الفناء إلى دار البقاء واللحاق بإخواننا المؤمنين الذين باعوا الدنيا بالآخرة و لا تجزعوا من القتل في الله فإن القتل أيسر من الموت والموت نازل بكم مفرق بينكم و بين آبائكم وإخوانكم وأبنائكم وحلائلكم وديناكم و إن اشتد لذلك جزعكم ألا فيبعوا أنفسكم طائعين وأموالكم تدخلوا الجنة وأشبه هذا من الكلام . و كان فيمن يحضره من أهل الكوفة سويد والبطين فقال يوما لأصحابه ماذا تنتظرون ما يزيد أئمة الجور لإعتوا وعلوا وتباعدا من الحق وجراءة على الرب فراسلوا إخوانكم حتى يأتوكم و ننظر في أمورنا مانحن صانعون و أى وقت إن خرجنا نحن خارجون . فيينا هو كذلك إذ أتاه المحلل بن وائل بكتاب من شبيب بن يزيد و قد كتب إلى صالح أما بعد فقد أردت الشخوص و قد كنت دعوتني إلى أمر أستجيب لك فإن كان ذلك من شأنك فإنك شيخ المسلمين و لم يعدل بك منا أحد و إن أردت تأخير ذلك أعلمني فإن الآجال غادية ورائحة و لا آمن أن تخترمني المنية و لما أجاهد الظالمين فيا له غنا و يا له فضلا جعلنا الله وإياكم ممن يريد الله بعلمه ورضوانه والنظر إلى وجهه ومرافقة الصالحين في دار السلام و السلام عليك . [صفحة ٢٢٧] فأجابه صالح بجواب جميل يقول فيه إنه لم يمنعني من الخروج مع ما أنا فيه من الاستعداد لإانتظارك فأقدم علينا ثم اخرج بنا فإنك ممن لا تقضى الأمور دونه و السلام عليك . فلما ورد كتابه على شبيب دعا القراء من أصحابه فجمعهم إليه منهم أخوه مصاد بن يزيد والمحلل بن وائل والصقر بن حاتم و إبراهيم بن حجر وجماعة مثلهم ثم خرج حتى قدم على صالح بن مسرح و هو بدارات أرض الموصل فبث صالح رسله وواعدهم بالخروج في هلال صفر ليلة الأربعاء سنة ست وتسعين . فاجتمع بعضهم إلى بعض واجتمعوا عنده تلك الليلة فحدث فروة بن لقيط قال إني لمعهم تلك الليلة عند صالح و كان رأيي استعراض الناس لمارأيت من المكر والفساد في الأرض فقلت إليه فقلت يا أمير المؤمنين كيف ترى السيرة في هؤلاء الظلمة أنقتلهم قبل الدعاء أم ندعوهم قبل القتال فإنني أخبرك برأبي فيهم قبل أن تخبرني بذلك إنا نخرج على قوم طاغين قد تركوا أمر الله وأراضين بذلك فأرى أن نضع السيف فقال لابل ندعوهم ولعمري لا يجيبك إلا من يرى رأيك وليقاتلنك من يزري عليك والدعاء أقطع لحجتهم وأبلغ في الحجة عليهم لك فقلت [صفحة ٢٢٨] وكيف ترى فيمن قاتلنا فظفرنا به و ماتقول في دمائهم وأموالهم فقال إن قتلنا و غنمنا فلنا و إن تجاوزنا و عفونا فموسع علينا . ثم قال صالح لأصحابه ليلته تلك اتقوا الله عباد الله و لا تعجلوا إلى قتال أحد من الناس إلا أن يكونوا قوما يريدونكم وينصبون لكم فإنكم إنما خرجتم غضبا لله حيث انتهكت محارمه وعصى في الأرض وسفكت الدماء بغير حقها وأخذت الأموال غضبا فلا تعيبوا على قوم أعمالا ثم تعملونها فإن كل ما أنتم عاملون أنتم عنه مسئولون و إن عظمكم رجاله و هذه دواب لمحمد بن مروان في هذا الرستاق و ابدءوا بها فاحملوا عليها راجلكم و تقووا بها على عدوكم . ففعلوا ذلك و تحصن منهم أهل دارا . وبلغ خبرهم محمد بن مروان و هو يومئذ أمير الجزيرة فاستخف بأمرهم وبعث إليهم عدى بن عميرة في خمسمائة

و كان صالح فى مائه وعشره فقال عدى أصلح الله [صفحه ٢٢٩] الأمير تبعثنى إلى رأس الخوارج منذ عشرين سنه ومعه رجال سموا لى كانوا يعازوننا و إن الرجل منهم خير من مائه فارس فى خمسمائه فقال له إنى أزيدك خمسمائه فسر إليهم فى ألف فارس .فسار من حران فى ألف رجل و كأنما يساقون إلى الموت و كان عدى رجلا ناسكا فلما نزل دوغان نزل بالناس و أنفذ إلى صالح بن مسرح رجلا- دسه إليه فقال إن عديا بعثنى إليك يسألك أن تخرج عن هذا البلد وتأتى بلدا آخر فتقاتل أهله فإنى للقتال كاره فقال له صالح ارجع إليه فقل له إن كنت ترى رأينا فأرنا من ذلك مانعرف ثم نحن مدلجون عنك و إن كنت على رأى الجبابرة وأئمة السوء رأينا رأينا فإما بدأنا بك و إلا رحلنا إلى غيرك .فانصرف إليه الرسول فأبلغه فقال له عدى ارجع إليه فقل له إنى و الله لا-أرى رأيك ولكنى أكره قتالك و قتال غيرك من المسلمين . فقال صالح لأصحابه اركبوا فركبوا واحتبس الرجل عنده ومضى بأصحابه حتى أتى عديا فى سوق دوغان و هو قائم يصلى الضحى فلم يشعر إلا بالخيلى طالعه عليهم فلما دنا صالح منهم رأهم على غير تعبئة و قد تنادوا وبعضهم يجول فى بعض فأمر شيبيا فحمل عليهم فى كتيبة ثم أمر سويدا فحمل فى كتيبة فكانت هزيمتهم [صفحه ٢٣٠] وأتى عدى بدابته فركبها ومضى على وجهه واحتوى صالح على عسكره و ما فيه وذهب فل عدى حتى لحقوا بمحمد بن مروان فغضب ثم دعا بخالد بن جزء السلمى فبعثه فى ألف وخمسمائة ودعا الحارث بن جعونة فى ألف وخمسمائة و قال لهما اخرجا إلى هذه الخارجة القليلة الخبيثة وعجلا الخروج وأغذا السير فأيكما سبق فهو الأمير على صاحبه فخرجا وأغذا فى السير وجعلا يسألان عن صالح فقيل لهما توجه نحو آمد فاتبعاه حتى انتهيا إليه بأمد فنزلا ليلا وخندقا وهما متساندان كل واحد منهما على حدته فوجه صالح شيبيا إلى الحارث بن جعونة فى شطر أصحابه وتوجه هونحو خالد السلمى فاقتتلوا أشد قتال اقتتله قوم حتى حجز بينهم الليل و قد انتصف بعضهم من بعض .فتحدث بعض أصحاب صالح قال كنا إذا حملنا عليهم استقبلنا رجالهم بالرماح ونضحنا رمااتهم بالنبل وخيلهم تطاردنا فى خلال ذلك فانصرفنا عندالليل و قد كرهناهم و كرهونا فلما رجعنا وصلينا وتروحنا وأكلنا من الكسر دعانا صالح و قال ياأخلائى ماذا ترون فقال شيبب إنا إن قاتلنا هؤلاء القوم وهم معتصمون بخندقهم لم نل منهم طائلا-والرأى أن نرحل عنهم فقال صالح و أناأرى ذلك فخرجوا من تحت ليلتهم حتى قطعوا أرض الجزيرة وأرض الموصل ومضوا حتى قطعوا أرض الدسكرة فلما بلغ ذلك الحجاج سرح عليهم الحارث بن عميرة فى ثلاثة آلاف [صفحه ٢٣١] فسار وخرج صالح نحو جلولاء وخانقين واتبعه الحارث حتى انتهى إلى قرية يقال لها المدبج وصالح يومئذ فى تسعين رجلا فعبى الحارث بن عميرة أصحابه ميمينه وميسره وجعل صالح أصحابه ثلاثة كراديس و هو فى كردوس وشيبب فى ميمينه فى كردوس وسويد بن سليم فى كردوس فى ميسرته فى كل كردوس منهم ثلاثون رجلا فلما شد عليهم الحارث بن عميرة انكشف سويد بن سليم وثبت صالح فقتل وضارب شيبب حتى صرع عن فرسه فوقع بين رجاله فجاء حتى انتهى إلى موقف صالح فوجده قتيلا فنأدى إلى يامعشر المسلمين فلاذوا به فقال لأصحابه ليجعل كل رجل منكم ظهره إلى ظهر صاحبه وليطاعن عدوه إذاقدم عليه حتى ندخل هذاالحصن ونرى رأينا.ففعلوا ذلك حتى دخلوا الحصن وهم سبعون رجلا مع شيبب وأحاط بهم الحارث بن عميرة ممسيا و قال لأصحابه أحرقوا الباب فإذا صار جمرا فدعوه فإنهم لايقدرن على الخروج حتى نصب فقتلهم ففعلوا ذلك بالباب ثم انصرفوا إلى معسكرهم . فقال شيبب لأصحابه يا هؤلاء ماتتظرون فو الله إن صبحوكم غدوة إنه لهلاككم فقالوا له مرنا بأمرك فقال لهم إن الليل أخفى للويل بايعونى إن شئتم أو بايعوا من شئتم منكم ثم اخرجوا بنا حتى نشد عليهم فى عسكرهم فإنهم آمنون منكم وإنى أرجو أن ينصركم الله عليهم قالوا ابسط يدك فبايعوه فلما جاءوا [صفحه ٢٣٢] إلى الباب وجدوه جمرا فأتوه باللبود فبلوها بالماء ثم ألقوها عليه وخرجوا فلم يشعر الحارث بن عميرة إلا وشيبب وأصحابه يضربونهم بالسيوف فى جوف عسكرهم فضارب الحارث حتى صرع واحتمله أصحابه وانهمزوا وخلصوا لهم المعسكر و ما فيه ومضوا حتى نزلوا المدائن و كان ذلك الجيش أول جيش هزمه شيبب

ثم ارتفع في أدانى أرض الموصل ثم ارتفع إلى نحو آذربيجان يجبى الخراج و كان سفيان بن أبي العالیه قد أمر أن يحارب صاحب طبرستان فأمر بالقول نحو شبيب و أن يصلح صاحب طبرستان فصالحه فأقبل في ألف فارس و قدورد عليه كتاب من الحجاج . أما بعد فأقم بالدسكرة فيمن معك حتى يأتيك جيش الحارث بن عميرة قاتل صالح بن مسرح ثم سر إلى شبيب حتى تناجزه . ففعل سفيان ذلك ونزل إلى الدسكرة حتى أتوه وخرج مرتحلا- في طلب شبيب فارتفع شبيب عنهم كأنه يكره قتالهم ولقاءهم و قد أكن لهم أخاه مصادا في خمسين رجلا في هضم من الأرض فلما رأوا شبيبا جمع أصحابه ومضى في سفح من الجبل [صفحہ ۲۳۳] مشرقا قالوا هرب عدو الله واتبعوه فقال لهم عدى بن عميرة الشيباني أيها الناس لاتعجلوا عليهم حتى تضرب في الأرض ونستبرئها فإن يكونوا أكنونا كميننا حذرناه و إلا كان طلبهم بين أيدينا لن يفوتنا فلم يسمعوا منه فأسرعوا في آثارهم . فلما رأى شبيب أنهم قد جازوا الكمين عطف عليهم فحمل من أمامهم وخرج الكمين من ورائهم فلم يقاتل أحد وإنما كانت الهزيمة وثبت سفيان بن أبي العالیه في مائتي رجل فقاتل قتالا شديدا حتى انتصف من شبيب فقال سويد بن سليم لأصحابه أمنكم أحد يعرف أمير القوم ابن أبي العالیه فقال له شبيب أنا من أعرف الناس به أما ترى صاحب الفرس الأغر الذى دونه المرامية فإنه هو فإن كنت تريده فأمهله قليلا . ثم قال ياقعب اخرج في عشرين فأتهم من ورائهم فخرج قعب في عشرين فارتفع عليهم فلما رأوه يريد أن يأتيهم من ورائهم جعلوا ينتقصون ويتسللون وحمل سويد بن سليم على سفيان بن أبي العالیه يطاعنه فلم تصنع رماحهما شيئا ثم اضطربا بسيفهما ثم اعتنق كل واحد منهما صاحبه فوقعوا إلى الأرض يعتركان ثم تحاجزا وحمل عليهم شبيب فانكشف من كان مع سفيان ونزل غلام له يقال له غزوان عن برذونه و قال لسفيان اركب يامولاي فركب سفيان وأحاط به أصحاب شبيب فقاتل دونه غزوان حتى قتل و كان معه رايته وأقبل سفيان منهزما حتى انتهى [صفحہ ۲۳۴] إلى بابل مهروذ فنزل بها وكتب إلى الحجاج و كان الحجاج أمر سورة بن أبجر أن يلحق بسفيان فكتب سورة سفيان و قال له انتظرني فلم يفعل وعجل نحو الخوارج فلما عرف الحجاج خبر سفيان قرأ كتابه قال للناس من صنع كما صنع هذا وأبلى كما أبلى فقد أحسن ثم كتب إليه يعذره و يقول إذا خف عليك الوجل فأقبل ماجورا إلى أهلك وكتب إلى سورة بن أبجر . أما بعد يا ابن أم سورة فما كنت خليقا أن تجترئ على ترك عهدى وخذلان جندى فإذا أتاك كتابى فابعث رجلا ممن معك صليبا إلى المدائن فلينتخب من جندها خمسمائة رجل ثم ليقدم بهم عليك ثم سر بهم حتى تلقى هذه المارقة واحزم أمرك وكد عدوك فإن أفضل أمر الحروب حسن المكيدة والسلام . فلما أتى سورة كتاب الحجاج بعث عدى بن عمير إلى المدائن و كان بها ألف فارس فانتخب منهم خمسمائة ثم رحل بهم حتى قدم على سورة ببابل مهروذ [صفحہ ۲۳۵] فخرج بهم في طلب شبيب وخرج شبيب يجول في جوخى وسورة في طلبه فجاء شبيب إلى المدائن فتحصن منه أهلها فانتهب المدائن الأولى وأصاب دواب من دواب الجند وقتل من ظهر له و لم يدخل البيوت ثم أتى فليل له هذا سورة قد أقبل إليك فخرج في أصحابه حتى انتهى إلى النهروان فنزلوا به وتوضئوا وصلوا ثم أتوا مصارع إخوانهم الذين قتلهم على بن أبي طالب فاستغفروا لهم وتبرءوا من على وأصحابه وبكوا فأطالوا البكاء ثم عبروا جسر النهروان فنزلوا جانبه الشرقى وجاء سورة حتى نزل بنفطانا وجاءته عيونته فأخبروه بمنزل شبيب بالنهروان فدعا سورة رءوس أصحابه فقال لهم إن الخوارج قلما يلقون في صحراء أو على ظهر إلا انتصفوا وقد حدثت أنهم لا يزيدون على مائة رجل و قدرأيت أن انتخبكم وأسير في ثلاثمائة رجل منكم من أقويائكم وشجعانكم فأبيتهم فإنهم آيسون من بياتكم وإنى والله أرجو أن يصرعهم الله مصارع إخوانهم فى النهروان من قبل فقالوا اصنع ما أحببت . فاستعمل على عسكره حازم بن قدامة وانتخب ثلاثمائة من شجعان أصحابه ثم أقبل بهم حتى قرب من النهروان وبات وقد أذكى الحرس ثم بيتهم فلما دنا أصحاب

سورة منهم نذروا بهم فاستووا على خيولهم وتعبوا تعيبتهم فلما انتهى إليهم سورة وأصحابه أصابوهم و قدنذروا فحمل عليهم سورة فصاح شيب بأصحابه فحمل عليهم [صفحة ٢٣٦] حتى تركوا له العرصة وحمل شيب وجعل يضرب ويقول من ينك العير ينك نياكا . فرجع سورة مفلولا قد هزم فرسانه و أهل القوة من أصحابه وأقبل نحو المدائن وتبعه شيب حتى انتهى سورة إلى بيوت المدائن وانتهى شيب إليهم و قد دخل الناس البيوت وخرج ابن أبي عصفير و هو أمير المدائن يومئذ في جماعة فلقيهم في شوارع المدائن ورماهم الناس بالنبل والحجارة من فوق البيوت . ثم سار شيب إلى تكريت فبينا ذلك الجند بالمدائن إذ أرجف الناس فقالوا هذا شيب قد أقبل يريد أن يبيت أهل المدائن فارتحل عامة الجند فلقوا بالكوفة و إن شيبا بتكريت فلما أتى الحجاج الخبر قال قبح الله سورة ضيع العسكر وخرج يبيت الخوارج و الله لأسوءه . [صفحة ٢٣٧] ثم دعا الحجاج بالجزل و هو عثمان بن سعيد فقال له تيسر للخروج إلى هذه المارقة فإذا لقيتهم فلا تعجل عجلة الخرق النزق و لا تحجم إحجام الواني الفرق أفهمت قال نعم أصلح الله الأمير قد فهمت قال فاخرج وعسكر بدير عبدالرحمن حتى يخرج الناس إليك فقال أصلح الله الأمير لا تبعث معي أحدا من الجند المهزوم المفلول فإن الرعب قد دخل قلوبهم و قد خشيت ألا ينفعك والمسلمين منهم أحد قال ذلك لك و لأراكي إلا قد أحسنت الرأي و وفتت ثم دعا أصحاب الدواوين فقال اضربوا على الناس البعث وأخرجوا أربعة آلاف من الناس وعجلوا فجمعت العرفاء و جلس أصحاب الدواوين وضربوا البعث فأخرجوا أربعة آلاف فأمرهم باللاحاق بالعسكر ثم نودي فيهم بالرحيل فارتحلوا ونادى منادى الحجاج أن برئت الذمة من رجل أصبناه من بعث الجزل متخلفا . فمضى بهم الجزل و قد قدم بين يديه عياض بن أبي لينه الكندي على مقدمته فخرج حتى أتى المدائن فأقام بها ثلاثا ثم خرج وبعث إليه ابن أبي عصفير بفرس وبرذون وألفى درهم و وضع للناس من الحطب والعلف ما كفاهم ثلاثة أيام وأصاب الناس ماشاءوا من ذلك . ثم إن الجزل خرج بالناس أثر شيب فطلبه في أرض جوخي فجعل شيب يريه الهيبة فيخرج من رستاق إلى رستاق و من طسوج إلى طسوج و لا يقيم له [صفحة ٢٣٨] يريد بذلك أن يفرق الجزل أصحابه و يتعجل إليه فيلقاه في عدد يسير على غير تعبته فجعل الجزل لا يسير إلا على تعبته و لا ينزل إلا خندق على نفسه وأصحابه فلما طال ذلك على شيب دعا يوما أصحابه وهم مائة وستون رجلا هو في أربعين ومصاد أخوه في أربعين وسويد بن سليم في أربعين والمحلل بن وائل في أربعين و قدأته عيونته فأخبرته أن الجزل بن سعيد قد نزل بئر سعيد فقال لأخيه وللأمراء الذين ذكرناهم إنني أريد أن أبيت الليلة هذا العسكر فأتهم أنت يامصاد من قبل حلوان وسأتيهم أنا من أمامهم من قبل الكوفة و أتهم أنت ياسويد من قبل المشرق و أتهم أنت يامحلل من قبل المغرب و ليلج كل امرئ منكم على الجانب الذي يحمل عليه و لا تغلوا عنهم حتى يأتكم أمرى . قال فروة بن لقيط و كنت أنا في الأربعين الذين كانوا معي فقال لجماعتنا تيسروا و ليسر كل امرئ منكم مع أميره و لينظر ما يأمره به أميره فليتبعه فلما قضت دوابنا و ذلك أول ما هدأت العيون خرجنا حتى انتهينا إلى دير الخرازة فإذا القوم عليهم مسلحة ابن أبي لينه فما هو إلا أن رآهم مصاد أخو شيب حتى حمل عليهم في أربعين رجلا . و كان شيب أراد أن يرتفع عليهم حتى يأتهم من ورائهم كما أمره . [صفحة ٢٣٩] فلما لقي هؤلاء قاتلهم فصبروا له ساعة و قاتلوه ثم إننا دفعنا إليهم جميعا فهزمناهم و أخذوا الطريق الأعظم و ليس بينهم و بين عسكرهم بدير يزدجرد إلا نحو ميل فقال لنا شيب اركبوا معاشر المسلمين أكتافهم حتى تدخلوا معهم عسكرهم إن استطعتم فاتبعناهم ملظين بهم ملحين عليهم مانرفه عنهم وهم منهزمون مالهم همهة إلا عسكرهم . فمنعهم أصحابهم أن يدخلوا عليهم ورشقوهم بالنبل و كانت لهم عيون قد أتتهم فأخبرتهم بمكاننا و كان الجزل قد خندق عليهم و تحرز و وضع هذه المسلحة الذين لقيناهم بدير الخرازة و وضع مسلحة أخرى مما يلي حلوان . فلما اجتمعت المسالحو ورشقوهم بالنبل ومنعونا من خندقهم رأى شيب أنه لا يصل إليهم فقال لأصحابه سيروا و دعوهم فلما سار عنهم أخذ على طريق حلوان حتى كان منهم على سبعة أميال قال لأصحابه انزلوا فاقضموا دوابكم و قيلوا و تروحوا فصلوا ركعتين ثم اركبوا ففعلوا ذلك ثم أقبل بهم راجعا إلى عسكر الكوفة و

قال سيروا على تعيبتكم التي عبأتكم عليها أول الليل وأطيفوا بعسكرهم كما أمرتكم فأقبلنا معه وقد أدخل أهل العسكر مسالحهم إليهم وأمنوا فما شعروا حتى سمعوا وقع حوافر الخيل فانتبهينا إليهم قبيل الصبح وأحطنا بعسكرهم وصحنا بهم من كل ناحية فقاتلونا ورمونا بالنبل فقال شيب لأخيه مصاد و كان يقاتلهم من الجانب [صفحة ٢٤٠] ألقى يلى الكوفة خل لهم سبيل [طريق الكوفة فخلى لهم وقتلناهم من تلك الوجوه الثلاثة الأخرى إلى الصبح ثم سرنا وتركانهم لأننا لم نظفر بهم فلما سار شيب سار الجزل في أثره يطلبه وجعل لايسير إلا على تعبيته وترتيب ولاينزل إلا على خندق و أماشيب فضرب في أرض جوخي وترك الجزل فطال أمره على الحجاج فكتب إلى الجزل كتابا قرئ على الناس و هو أما بعد فإنى بعثتك فى فرسان أهل المصر ووجوه الناس وأمرتك باتباع هذه المارقة وألا- تقلع عنها حتى تقتلها وتفنيها فجعلت التعريس فى القرى والتخيم فى الخنادق أهون عليك من المضى لمناهضتهم ومناجزتهم و السلام . قال فشق كتاب الحجاج على الجزل وأرجف الناس بأمره وقالوا سيعزله فما لبث الناس أن بعث الحجاج سعيد بن المجالد أميرا بدله وعهد إليه إذلقى المارقة أن يزحف إليهم ولاينظرهم ولايطاولهم ولايصنع صنع الجزل و كان الجزل يومئذ قدانتهى فى طلب شيب إلى النهروان و قدلزم عسكره وخندق عليهم فجاء سعيد حتى دخل عسكر أهل الكوفة أميرا فقام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أهل الكوفة إنكم قدعجزتم ووهنتم وأغضبتم عليكم أميركم أنتم فى طلب هذه الأعراب العجف منذ شهرين قدأخربوا بلادكم وكسروا خراجكم وأنتم [صفحة ٢٤١] حذرون فى جوف هذه الخنادق لاترايلونها إلا أن يبلغكم أنهم قدارتحلوا عنكم ونزلوا بلدا سوى بلدكم اخرجوا على اسم الله إليهم . ثم خرج وخرج الناس معه فقال له الجزل ماتريد أن تصنع قال أقدم على شيب وأصحابه فى هذه الخيل فقال له الجزل أقم أنت فى جماعة الناس فارسهم وراجلهم و لاتفرق أصحابك ودعنى أصحر له فإن ذلك خير لك وشر لهم . فقال سعيد بل تقف أنت فى الصف و أناأصحر له فقال الجزل إنى برىء من رأيك هذاسمع الله و من حضر من المسلمين فقال سعيد هورأبى إن أصبت فيه فالله وفقنى و إن أخطأت فيه فأنتم برآء.فوقف الجزل فى صف أهل الكوفة و قدأخرجهم من الخندق وجعل على ميمنتهم عياض بن أبى لينه الكندى و على يسيرتهم عبدالرحمن بن عوف أباحميد الراسبى ووقف الجزل فى جماعتهم واستقدم سعيد بن مجالد فخرج وأخرج الناس معه و قدأخذ شيب إلى براز الروز فنزل قطفنا وأمر دهقانها أن يشوى لهم غنما ويعد لهم غداء ففعل وأغلق مدينه قطفنا و لم يفرغ [صفحة ٢٤٢] الدهقان من طعامه حتى أحاط بها ابن مجالد فصعد الدهقان ثم نزل و قدتغير لونه فقال شيب مابالك قال قدجاءك جمع عظيم قال أبلغ شواؤك قال لا قال دعه يبلغ ثم أشرف الدهقان إشرافه أخرى ثم نزل فقال قدأحاطوا بالجوسق قال هات شواءك فجعل يأكل غيرمكترث بهم و لافزع فلما فرغ قال لأصحابه قوموا إلى الصلاة وقام فتوضأ فصلى بأصحابه صلاة الأولى ولبس درعه وتقلد سيفه وأخذ عموده الحديد ثم قال أسرجوا لى بغلتى فقال أخوه أفى مثل هذااليوم تركب بغلة قال نعم أسرجوها فركبها ثم قال يافلان أنت على الميمنه و أنت يافلان على الميسره و أنت يامصاد يعنى أخاه على القلب وأمر الدهقان ففتح الباب فى وجوههم . فخرج إليهم و هو يحكم وحمل حمله عظيمة فجعل سعيد وأصحابه يرجعون القهقرى حتى صار بينهم و بين الدير ميل وشيب يصيح أتاكم الموت الزؤام فاثبتوا وسعيد يصيح يامعشر همدان إلى إلى أنا ابن ذى مران فقال شيب لمصاد ويحك استعرضهم استعراضا فإنهم قدتقطعوا وإنى حامل على أميرهم وأثكلنيك الله إن لم أأكله ولده ثم حمل على سعيد فعلاه بالعمود فسقط ميتا وانهزم أصحابه و لم يقتل يومئذ من الخوارج إلا رجل واحد. وانتهى قتل سعيد إلى الجزل فناداهم أيها الناس إلى إلى وصاح عياض بن أبى لينه أيها الناس إن يكن أميركم هذاالقادم هلك فهذا أميركم الميمون النقيبه أقبلوا إليه فمنهم من أقبل إليه ومنهم من ركب فرسه منهزما وقاتل الجزل يومئذ قتالا شديدا حتى صرع وحامى عنه خالد بن نهيك وعياض بن أبى لينه حتى استنقذاه [صفحة ٢٤٣] مرتتا وأقبل الناس منهزمين حتى دخلوا الكوفة وأتى بالجزل جريحا حتى دخل المدائن فكتب إلى الحجاج أما بعد فإنى أخبر الأمير أصلحه الله أنى خرجت

فيمن قبلي من الجند الذي وجهني فيه إلى عدوه وقد كنت حفظت عهد الأمير إلى فيهم ورأيه فكنت أخرج إلى المارقين إذ رأيت الفرصة وأحبس الناس عنهم إذا خشيت الورطة فلم أزل كذلك أدير الأمر وأرفق في التدبير وقد أراذني العدو بكل مكيدة فلم يصب مني غرة حتى قدم على سعيد بن مجالد فأمرته بالتؤدة ونهيته عن العجلة وأمرته ألا يقاتلهم إلا في جماعة الناس عامة فعصاني وتعجل إليهم في الخيل فأشهدت الله عليه وأهل المصرين إنني بريء من رأيه الذي رأى وإنني لأهوى الذي صنع فمضى فقتل تجاوز الله عنه ودفع الناس إلى فنزلت ودعوتهم إلى نفسي ورفعت رايتي وقاتلت حتى صرعت فحملني أصحابي من بين القتلى فما أفقت إلا وأنا على أيديهم على رأس ميل من المعركة وأنا اليوم بالمدائن وفي جراحات قديموت الإنسان من دونها وقد يعافى من مثلها فليسأل الأمير أصلحه الله عن نصيحتي له ولجندته وعن مكيدتي عدوه وعن موقفي يوم البأس فإنه سيبين له عند ذلك أنني صدقته ونصحت له والسلام. فكتب إليه الحجاج [صفحة ٢٤٤] أما بعد فقد أتاني كتابك وقرأته وفهمت كل ما ذكرته فيه من أمر سعيد وأمر نفسك وقد صدقتك في نصيحتك لأمريرك وحيطتك على أهل مصرك وشدتك على عدوك وقد رضيت عجلة سعيد وتؤدتك فأما عجلته فإنها أفضت به إلى الجنة وأما تؤدتك فإنها ما لم تدع الفرصة إذا أمكنت حزم وقد أحسنت وأصبت وأجرت وأنت عندي من أهل السمع والطاعة والنصيحة وقد أشخصت إليك حيان بن أبجر الطيب ليدأوبك ويعالج جراحاتك وقد بعثت إليك بألفي درهم نفقة تصرفها في حاجتك وما ينوبك والسلام. وبعث عبد الله بن أبي عصفير والى المدائن إلى الجزل بألف درهم وكان يعود ويتعاهده بالأطاف والهدايا. وأما شيب فأقبل حتى قطع دجلة عند الكرخ وأخذ بأصحابه نحو الكوفة وبلغ الحجاج مكانه بحمام أعين فبعث إليه سويد بن عبد الرحمن السعدي فجهزه بألفي فارس منتخين وقال له اخرج إلى شيب فالقه ولا تتبعه فخرج بالناس بالسبخة وبلغه أن شيبا قد أقبل فسار نحوه كأنما يساق إلى الموت هو وأصحابه وأمر الحجاج عثمان بن قطن فمسكر بالناس في السبخة ونادى ألا برئت الذمة من رجل من هذا الجند بات الليلة بالكوفة ولم يخرج إلى عثمان بن قطن بالسبخة فيينا سويد بن عبد الرحمن يسير في الألفين الذين معه وهو يعيهم ويحرضهم إذ قيل له [صفحة ٢٤٥] قد غشيك شيب فنزل ونزل معه جل أصحابه وقدم رايته فأخبر أن شيبا لم اعلم بمكانه تركه ووجد مخاضة فعبير الفرات يريد الكوفة من غير الوجه الذي سويد بن عبد الرحمن به ثم قيل أ ما تراهم فنادى في أصحابه فركبوا في آثارهم فأتى شيب دار الرزق فنزلها وقيل له إن أهل الكوفة بأجمعهم معسكرون فلما بلغهم مكان شيب ماج الناس بعضهم إلى بعض وجالوا وهموا بدخول الكوفة حتى قيل هذا سويد بن عبد الرحمن في آثارهم قد لحقهم وهو يقاتلهم في الخيل ومضى شيب حتى أخذ على شاطئ الفرات ثم أخذ على الأنبار ثم دخل دقوقاء ثم ارتفع إلى أداني آذربيجان. وخرج الحجاج من الكوفة إلى البصرة حيث بعد شيب واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة فما شعر الناس إلا بكتاب من مادارست دهقان بابل مهروز إلى عروة بن المغيرة بن شعبة أن تاجرا من تجار الأنبار من أهل بلادى [صفحة ٢٤٦] أتاني يذكر أن شيبا يريد أن يدخل الكوفة في أول هذا الشهر المستقبل وأحببت إعلامك ذلك لترى رأيك وإنني لم أثبت بعد ذلك إذ جاءني اثنان من جيرانى فحدثاني أن شيبا قد نزل خانيجار. فأخذ عروة كتابه فأدرجه وسرح به إلى الحجاج إلى البصرة فلما قرأ الحجاج أقبل جادا إلى الكوفة وأقبل شيب يسير حتى انتهى إلى قرية حربى على شاطئ دجلة فعبرها وقال لأصحابه يا هؤلاء إن الحجاج ليس بالكوفة وليس دون أخذها شيء إن شاء الله فسيروا بنا فخرج يبادر الحجاج إلى الكوفة وكتب عروة إلى الحجاج إن شيبا قد أقبل مسرعا يريد الكوفة فالعجل العجل. فطوى الحجاج المنازل مسابقا لشيب إلى الكوفة فسبقه ونزلها صلاة العصر ونزل شيب السبخة صلاة العشاء الآخرة فأصاب هو وأصحابه من الطعام شيئا يسيرا ثم ركبوا خيولهم فدخل شيب الكوفة في أصحابه حتى انتهى إلى السوق وشد حتى ضرب باب القصر بعموده فحدث جماعة أنهم رأوا أثر ضرب شيب بالعمود بباب القصر ثم أقبل حتى وقف عند باب المصطبة وأنشد [صفحة ٢٤٧] وكان حافرها بكل ثنية || فرق يكيل به شحيح معدم . ثم

أقحم هو وأصحابه المسجد الجامع و لا يفارقه قوم يصلون فيه فقتل منهم جماعة و مر هو بدار حوشب و كان هو على شرطه الحجاج فوقف على بابه فى جماعة فقالوا إن الأمير يعنون الحجاج يدعو حوشبا و قد أخرج ميمون غلامه برذونه ليركب فكأنه أنكرهم فظنوا أنه قد اتهمهم فأراد أن يدخل إلى صاحبه فقالوا له كما أنت حتى يخرج صاحبك إليك فسمع حوشب الكلام فأنكر القوم و ذهب لينصرف فبعجلوا نحوه فأغلق الباب دونه فقتلوا غلامه ميمونا و أخذوا برذونه و مضوا حتى مروا بالجحاف بن نبيط الشيبانى من رهط حوشب فقال له سويد انزل إلينا فقال ماتصنع بنزولى فقال انزل إني لم أقضك ثمن البكرة التى ابتعتها منك بالبادية فقال الجحاف بئس ساعة القضاء هذه و بئس المكان لقضاء الدين هذا ويحك أ ما ذكرت أداء أمانتك إلا والليل مظلم و أنت على متن فرسك قبح الله يا سويد دينا لا يصلح و لا يتم إلا بقتل الأنفس و سفك الدماء ثم مروا بمسجد بنى ذهل فلقوا ذهل بن الحارث و كان يصلى فى مسجد قومه فيطيل الصلاة إلى الليل فصادفوه منصرفا إلى منزله فقتلوه ثم خرجوا متوجهين نحو الردمة و أمر الحجاج المنادى يا خيل الله اركبى و أبشرى و هو فوق باب القصر و هناك مصباح مع غلام له قائم . [صفحة ٢٤٨] و كان أول من جاء من الناس عثمان بن قطن و معه مواليه و ناس من أهله و قال أعلموا الأمير مكاني أنا عثمان بن قطن فليأمرنى بأمره فناداه الغلام صاحب المصباح قف مكانك حتى يأتيك أمر الأمير و جاء الناس من كل جانب و بات عثمان مكانه فيمن اجتمع إليه من الناس حتى أصبح . و قد كان عبد الملك بن مروان بعث محمد بن موسى بن طلحة على سجستان و كتب له عهده عليها و كتب إلى الحجاج إذ أقدم عليك محمد بن موسى الكوفة فجهز معه ألفى رجل و عجل سراحه إلى سجستان . فلما قدم الكوفة جعل يتجهز فقال له أصحابه و نصحاؤه تعجل أيها الرجل إلى عملك فإنك لا تدري ما يحدث و عرض أمر شبيب حينئذ و دخوله الكوفة فقبل للحجاج إن محمد بن موسى إن سار إلى سجستان مع نجدته و صهره لأمر المؤمنين عبد الملك فلجأ إليه أحد ممن تطلبه منعك منه قال فما الحيلة قالوا أن تذكر له أن شيبا فى طريقه و قد أعياك و أنك ترجو أن يريح الله منه على يده فيكون له ذكر ذلك و شهرته . فكتب إليه الحجاج إنك عامل على كل بلد مررت به و هذا شبيب فى طريقك تجاهده و من معه و لك أجره و ذكره و وصيته ثم تمضى إلى عملك فاستجاب له . و بعث الحجاج بشر بن غالب الأسدى فى ألفى رجل و زياد بن قدامة فى ألفين و أبا الضريس مولى تميم فى ألف من الموالى و أعين صاحب حمام أعين مولى لبشر بن مروان فى ألف و جماعة غيرهم فاجتمعت تلك الأمراء فى أسفل الفرات و ترك شبيب الوجه الذى فيه جماعة هؤلاء القواد و أخذ نحو القادسية فوجه الحجاج زحر بن قيس [صفحة ٢٤٩] فى جريدة خيل نقاوة عدتها ألف و ثمانمائة فارس و قال له اتبع شيبا حتى تواقعه حيثما أدركته فخرج زحر بن قيس حتى انتهى إلى السيلحين و بلغ شيبا مسيره إليه فأقبل نحوه فالتقيا و قد جعل زحر على يمينته عبد الله بن كناز و كان شجاعا و على يسرته عدى بن عدى بن عميرة الكندى و جمع شبيب خيله كلها كبكبة واحدة ثم اعترض بها الصف يوجف و جيفا حتى انتهى إلى زحر بن قيس فنزل زحر فقاتل حتى صرع و انهزم أصحابه و ظن أنه قد قتل . فلما كان الليل و أصابه البرد قام يمشى حتى دخل قرية فبات بها و حمل منها إلى الكوفة و بوجهه أربع عشرة ضربة فمكث أياما ثم أتى الحجاج و على وجهه و جراحه القطن فأجلسه معه على السرير و قال أصحاب شبيب لشبيب [صفحة ٢٥٠] وهم يظنون أنهم قد قتلوا زحرا قد هزمتنا جندهم و قتلنا أميرا من أمرائهم عظيما فانصرف بنا الآن موفورين فقال لهم إن قتلكم هذا الرجل و هزيمتكم هذا الجند قد أربح هؤلاء الأمراء فاقصدوا بنا قصدهم فو الله لئن نحن قتلناهم مادون قتل الحجاج و أخذ الكوفة شىء فقالوا له نحن طوع لأمرك و رأيك فانقض بهم جادا حتى أتى ناحية عين التمر و استخبر عن القوم فعرف اجتماعهم فى روذبار فى أسفل الفرات على رأس أربعة و عشرين فرسخا من الكوفة . و بلغ الحجاج مسير شبيب إليهم فبعث إليهم إن جمعكم قتال فأمر الناس زائدة بن قدامة . فانتهى إليهم شبيب و فيهم سبعة أمراء على جماعتهم زائدة بن قدامة و قد عصى كل أمير أصحابه على حدة و هو واقف فى أصحابه فأشرف شبيب على الناس و هو على فرس أغر كميته فنظر إلى تعييتهم ثم رجع إلى أصحابه و أقبل فى

ثلاث كتائب يزحف بها حتى إذا دانا من الناس مضت كتيبة فيها سويد بن سليم . [صفحہ ۲۵۱] فوقفت بإزاء ميمنة زائدة بن قدامة و فيها زياد بن عمرو العتكي و مضت كتيبة فيهما مصاد أخو شيبب فوقفت بإزاء الميسرة و فيها بشر بن غالب الأسدي و جاء شيبب في كتيبة حتى وقف مقابل القوم في القلب فخرج زائدة بن قدامة يسير في الناس بين الميمنة و الميسرة يحرض الناس و يقول عباد الله إنكم الطيبون الكثيرون و قد نزل بكم الخيثون القليلون فاصبروا جعلت لكم الفداء إنما هي حملتان أو ثلاث ثم هو النصر ليس دونه شيء ألا ترونهم و الله لا يكونون مائتي رجل إنما هم أكلة رأس و هم السراق المراق إنما جاء وكم ليهريقوا دماءكم و يأخذوا فيكم فلا يكونوا على أخذه أقوى منكم على منعه و هم قليل و أنتم كثير و هم أهل فرقة و أنتم أهل جماعة غصوا الأبصار و استقبلوهم بالأسنة و لا تحملوا عليهم حتى أمركم . ثم انصرف إلى موقفه فحمل سويد بن سليم على زياد بن عمرو العتكي فكشف صفه و ثبت زياد قليلا ثم ارتفع سويد عنهم يسيرا ثم كر عليهم ثانية . فقال فروة بن لقيط الخارجي اطعنا ذلك اليوم ساعة فصبروا لنا حتى ظننت أنهم لن يزولوا و قاتل زياد بن عمرو قتالا شديدا و لقد رأيت سويد بن سليم يومئذ و إنه لأشد العرب قتالا و أشجعهم و هو واقف لا يعرض لهم ثم ارتفعنا عنهم فإذا هم يتقوضون فقال بعض أصحابنا لبعض ألا ترونهم يتقوضون احملوا عليهم فأرسل إلينا شيبب خلوهم لا تحملوا عليهم حتى يخفوا فتركانهم قليلا ثم حملنا عليهم الثالثة فانهزموا فنظرت إلى زياد بن عمرو و إنه ليضرب بالسيوف و ما من سيف يضرب به [صفحہ ۲۵۲] إلا نبا عنه و لقد اعتوره أكثر من عشرين سيفاً و هو مجفف فما ضربه شيء منها ثم انهزم . و انتهينا إلى محمد بن موسى بن طلحة أمير سجستان عند المغرب و هو قائم في أصحابه فقاتلناه قتالا شديدا و صبر لنا . ثم إن مصادا حمل على بشر بن غالب في الميسرة فصبر و كرم و أبلى و نزل معه رجال من أهل البصرة نحو خمسين فصاربوا بأسيا فمهم حتى قتلوا ثم انهزم أصحابه فشددنا على أبي الضريس فهزمناه ثم انتهينا إلى موقف أعين ثم شدنا على أعين فهزمناهم حتى انتهينا إلى زائدة بن قدامة فلما انتهوا إليه نزل و نادى يا أهل الإسلام الأرض الأرض ألا يكونون على كفرهم أصبر منكم على إيمانكم فقاتلوا عامة الليل إلى السحر . ثم إن شيببا شد على زائدة بن قدامة في جماعة من أصحابه فقتله و قتل ربيعة حوله من أهل الحفاظ و نادى شيبب في أصحابه ارفعوا السيف و ادعوهم إلى البيعة فدعوهم عند الفجر إلى البيعة . قال عبد الرحمن بن جندب فكنت فيمن تقدم فبايعه بالخلافة و هو واقف على [صفحہ ۲۵۳] فرس أغر كميته و خيله واقفة دونه و كل من جاء لبياعه يتزع سيفه عن عاتقه و يؤخذ سلاحه ثم يدنو من شيبب فيسلم عليه بإمرة المؤمنين ثم يبايع فإنا كذلك إذ أضاء الفجر و محمد بن موسى بن طلحة في أقصى العسكر مع أصحابه و كان الحجاج قد جعل موقفه آخر الناس و زائدة بن قدامة بين يديه و مقام محمد بن موسى مقام الأمير على الجماعة كلها فأمر محمد مؤذنه فأذن فلما سمع شيبب الأذان قال ما هذا قيل هذا ابن طلحة لم يبرح قال ظننت أن حمقه و خيلاءه سيحملانه على هذان حوا هؤلاء عنا و انزلوا بنا فلنصل فنزل و أذن هو ثم استقدم فصلى بأصحابه و قرأ ويل لكل همزة لمرة و أ رأيت العبدى يكذب بالدین ثم سلم و ركب و أرسل إلى محمد بن موسى بن طلحة إنك امرؤ مخدوع قد اتقى بك الحجاج المنية و أنت لى جار بالكوفة و لك حق فانطلق لما أمرت به و لك الله ألا أسوءك فأبى محاربتة فأعاد عليه الرسول فأبى لإقتاله فقال له شيبب كأنى بأصحابك لو التقت حلقتا البطان قد أسلموك و صرعت مصرع أمثالك فأطعنى و انصرف - قرآن - ۵۴۹ - ۵۷۸ - قرآن - ۵۸۱ - ۶۱۶ [صفحہ ۲۵۴] لشأنك فإنى أنفس بك عن القتل فأبى و خرج بنفسه و دعا إلى البراز فبرز له البطين ثم قعب بن سويد و هو يأبى لإشيببا فقالوا لشيبب إنه قدرغب عنا إليك قال فما ظنكم بمن يرغب عن الأشراف ثم برز له و قال له أنشدك الله يا محمد فى دمك فإن لك جوارا فأبى لإقتاله فحمل عليه بعموده الحديد و كان فيه اثنا عشر رطلا فهشم رأسه و بيضه كانت عليه فقتله و نزل إليه فكفنه و دفنه و تتبع ما غنم الخوارج من عسكره فبعث به إلى أهله و اعتذر إلى أصحابه و قال هو جارى بالكوفة و لى أن أهب ما غنمت فقال له أصحابه مادون الكوفة الآن أحد يمنعك فنظر فإذا أصحابه قد فشا فيهم الجراح فقال ليس عليكم أكثر مما قد فعلتم . و خرج بهم على نفر ثم خرج بهم نحو بغداد يطلب خانيجار

وبلغ الحجاج أن شيبيا قد أخذ نحو نفر فظن أنه يريد المدائن وهي باب الكوفة و من أخذ المدائن كان ما فى يديه من أرض الكوفة أكثر فهال ذلك الحجاج وبعث إلى عثمان بن قطن فسرحه إلى المدائن وولاه منبرها والصلاة ومعونه جوخى كلها وخراج الأستان فجاء مسرعا حتى نزل المدائن وعزل الحجاج ابن أبى عصفير عن المدائن و كان الجزل مقيما بهايىداوى جراحاته و كان ابن أبى عصفير يعود ويكرمه ويلطفه فلما قدم عثمان بن قطن لم يكن يتعاهده ولا يلففه بشىء فكان الجزل يقول اللهم زد ابن أبى عصفير فضلا وكرما وزد عثمان بن قطن ضيقا وبخلا. [صفحہ ۲۵۵] ثم إن الحجاج دعا عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث فقال له انتخب الناس فأخرج ستمائة من قومه من كنده وأخرج من سائر الناس ستة آلاف واستحثه الحجاج على الشخوص فخرج بعسكره بدير عبدالرحمن فلما استتموا هناك كتب إليهم الحجاج كتابا قرئ عليهم . أما بعد فقد اعتدتم عادة الأذلاء ووليتم الدبر يوم الزحف دأب الكافرين و قدصفحت عنكم مرة بعدمرة وتارة بعد أخرى وإنى أقسم بالله قسما صادقا لئن عدتم لذلك لأوقعن بكم إيقاعا يكون أشد عليكم من هذا العدو الذى تنهزمون منه فى بطون الأودية والشعاب وتستترون منه بأثناء الأنهار والواد الجبال فليخف من كان له معقول على نفسه ولا يجعل عليها سبيلا فقد أعذر من أنذر والسلام . وارتحل عبدالرحمن بالناس حتى مر بالمدائن فنزل بهايوما ليشتري أصحابه منها حوائجهم ثم نادى فى الناس بالرحيل وأقبل حتى دخل على عثمان بن قطن مودعا ثم أتى الجزل عائدا فسأله عن جراحته وحادثه فقال الجزل يا ابن عم إنك تسير إلى فرسان العرب وأبناء الحرب وأحلاس الخيل والله لكأنا خلقوا من ضلوعها ثم ربوا على ظهورها ثم هم أسد الأجم الفارس منهم أشد من مائة إن لم يبدأ به [صفحہ ۲۵۶] بدأ هو وإن هججه أقدم وإنى قدقاتلتهم وبلوتهم فإذا أصحرت لهم انتصفوا منى و كان لهم الفضل على و إذا خندق أوقاتلت فى مضيق نلت منهم ما أحب وكانت لى عليهم فلا تلقهم و أنت تستطيع إلا و أنت فى تعيئه أو خندق ثم ودعه و قال له هذه فرسى الفيسفساء خذها فيها لاتجارى فأخذها ثم خرج بالناس نحو شيبى فلما دنا منه ارتفع شيبى عنه إلى دقواق وشهرزور فخرج عبدالرحمن فى طلبه حتى إذا كان على تخوم تلك الأرض أقام و قال إنما هو فى أرض الموصل فليقاتل أميرالموصل وأهلها عن بلادهم أو فليدعوا. وبلغ ذلك الحجاج فكتب إليه أما بعد فاطلب شيبيا واسلك فى أثره أين سلك حتى تدركه فقتله أو تنفيه عن الأرض فإنما السلطان سلطان أمير المؤمنين والجند جنده والسلام . فلما قرأ عبدالرحمن كتاب الحجاج خرج فى طلب شيبى فكان شيبى يدعه حتى إذا دنا منه لبيته فيجده قد خندق وحذر فيمضى و يتركة فيتبعه عبدالرحمن فإذا بلغ شيبيا أنه قد تحمّل وسار يطلبه كر فى الخيل نحوه فإذا انتهى إليه وجده قد صنف خيله ورجالته المرامية فلا يصيب له غرة ولا غفلة فيمضى ويدعه . و لمارأى شيبى أنه لا يصيب غرته ولا يصل إليه صار يخرج كلما دنا منه عبدالرحمن حتى ينزل على مسيرة عشرين فرسخا ثم يقيم فى أرض غليظة وعرة فيجىء عبدالرحمن فى ثقله وخيله حتى إذا دنا من شيبى ارتحل فسار عشرين أو خمسة عشر فرسخا فنزل منزلا غليظا خشنا ثم يقيم حتى يبلغ عبدالرحمن ذلك المنزل ثم يرتحل فعذب العسكر وشق عليهم وأحفى دوابهم ولقوا منه كل بلاء. [صفحہ ۲۵۷] فلم يزل عبدالرحمن يتبعه حتى صار إلى خانقين و جلولاء ثم أقبل على تامرا فصار إلى البت ونزل على تخوم الموصل ليس بينه وبين الكوفة إلا نهر حولايا وجاء عبدالرحمن حتى نزل بشرقى حولايا وهم فى راذان الأعلى من أرض جوخى ونزل فى عواقل من النهر ونزلها عبدالرحمن حيث نزلها وهي تعجبه يرى أنها مثل الخندق الحصين . فأرسل شيبى إلى عبدالرحمن أن هذه الأيام أيام عيد لنا ولكم فإن رأيتم أن توادعونا حتى تمضى هذه الأيام فعلتم فأجابه عبدالرحمن إلى ذلك و لم يكن شىء أحب إلى عبدالرحمن من المطاولة والموادعة فكتب عثمان بن قطن إلى الحجاج أما بعد فإنى أخبر الأمير أصلحه الله أن عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث قد حفر جوخى كلها عليه خندقا واحدا وخلق شيبيا وكسر خراجها فهو يأكل أهلها والسلام . فكتب إليه الحجاج قد فهمت ما ذكرت و قد لعمرى فعل عبدالرحمن فسر إلى الناس فأنت أميرهم وعاجل المارقة حتى تلقاهم فإن الله إن شاء ناصرك عليهم والسلام . وبعث الحجاج على المدائن مطرف بن

المغيرة بن شعبة وخرج عثمان حتى قدم على [صفحة ٢٥٨] عبدالرحمن و من معه وهم معسكرون على نهر حولايا قريبا من البت و ذلك يوم التروية عشاء فنأدى فى الناس و هو على تلعة أيها الناس اخرجوا إلى عدوكم فوثبوا إليه وقالوا نشدك الله هذا المساء قد غشينا و الناس لم يوطنوا أنفسهم على القتال فبت الليلة ثم اخرج على تعبية فجعل يقول لأناجزهم الليلة ولتكونن الفرصة لى أولهم فأتاه عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث فأخذ بعنان بغلته وناشده الله لمانزل و قال له عقيل بن شداد السلونى إن الذى تريده من مناجزتهم الساعة أنت فاعله غدا و هو خير لك وللناس إن هذه ساعة ريح قد اشتدت مساء فانزل ثم أبكر بنا غدوة. فنزل وسفت عليه الريح و شق عليه الغبار فاستدعى صاحب الخراج علوجا فبنوا له قبة فبات فيها ثم أصبح فخرج بالناس فاستقبلتهم ريح شديدة و غيره فصاح الناس إليه وقالوا نشدك الله ألا تخرج بنا فى هذا اليوم فإن الريح علينا فأقام ذلك اليوم . و كان شيب يخرج إليهم فلما رأهم لا يخرجون إليه أقام فلما كان الغد خرج عثمان يعبى الناس على أرباعهم وسألهم من كان على ميمنتكم وميسرتكم فقالوا خالد بن نهيك بن قيس الكندى على ميسرتنا وعقيل بن شداد السلونى على ميمنتنا فدعاهما و قال لهما قفا فى مواقفكما التى كنتما بها فقد وليتكما المجنبتين فاثبتا و لاتفرا فو الله لأزول حتى تزول نخيل راذان عن أصولها فقالا نحن و الله الذى لا إله إلا هو لانفر حتى نظفر أو نقتل فقال لهما جزا كما الله خيرا ثم أقام حتى صلى بالناس الغداة ثم خرج بالخيال فنزل يمشى فى الرجال وخرج شيب و معه يومئذ مائة وأحد وثمانون رجلا فقطع إليهم النهر و كان هو فى ميمنة أصحابه وجعل على الميسرة سويد بن سليم وجعل فى القلب مصادا أخاه وزحفوا و كان عثمان بن قطن يقول لأصحابه فيكثر قل لن [صفحة ٢٥٩] ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل و إذا لاتمتعون إلا قليلا. ثم قال شيب لأصحابه إنى حامل على ميسرتهم مما يلى النهر فإذا هزمتها فليحمل صاحب ميسرتى على ميمنتهم و لا يبرح صاحب القلب حتى يأتية أمرى ثم حمل فى ميمنة أصحابه مما يلى النهر على ميسرة عثمان بن قطن فانهمزوا ونزل عقيل بن شداد مع طائفة من أهل الحفاظ فقاتل حتى قتل وقتلوا معه . ودخل شيب عسكرهم وحمل سويد بن سليم فى ميسرة شيب على ميمنة عثمان بن قطن فهزمها وعليها خالد بن نهيك الكندى فنزل خالد وقاتل قتالا شديدا فحمل عليه شيب من ورائه فلم يثن حتى علاه بالسيف فقتله ومشى عثمان بن قطن و قد نزلت معه العرفاء والفرسان وأشرف الناس نحو القلب و فيه أخو شيب فى نحو من ستين رجلا فلما دنا منهم عثمان شد عليهم فى الأشراف و أهل الصبر فضربهم مصاد وأصحابه حتى فرقوا بينهم وحمل شيب من ورائهم بالخيال فما شعروا إلا والرماح فى أكتافهم تكبهم لوجوههم وعطف عليهم سويد بن سليم أيضا فى خيله وقاتل عثمان فأحسن القتال . ثم إن الخوارج شدوا عليهم فأحاطوا بعثمان وحمل عليه مصاد أخو شيب فضربه ضربة بالسيف فاستدار لها وسقط و قال و كان أمر الله قدرا مقدورا فقتل و قتل معه العرفاء ووجوه الناس و قتل من كنده يومئذ مائة وعشرون رجلا و قتل من سائر الناس نحو ألف و وقع عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث إلى الأرض فعرفه [صفحة ٢٦٠] ابن أبى سبرة فنزل وأركبه وصار رديفا له و قال له عبدالرحمن ناد فى الناس ألحقوا بدير ابن أبى مريم فنأدى بذلك وانطلقا ذاهبين وأمر شيب أصحابه فرفعوا عن الناس السيف ودعاهم إلى البيعة فأتاه من بقى من الرجال فبايعوه و بات عبدالرحمن بدير اليعار فأتاه فارسان ليلا فخلا به أحدهما يناجيه طويلا وقام الآخر قريبا منهما ثم مضيا و لم يعرفا فتحدث الناس أن المناجى له كان شيبا و أن الذى كان يرقبهما كان مصادا أخاه واتهم عبدالرحمن بمكاتبة شيب من قبل . ثم خرج عبدالرحمن آخر الليل فسار حتى أتى دير ابن أبى مريم فإذا هو بالناس قبله قد سبقوه و قد وضع لهم ابن أبى سبرة صبر الشعير وألقت كأنها القصور ونحر لهم من الجزور ماشاءوا واجتمع الناس إلى عبدالرحمن فقالوا له إن علم شيب بمكانك أتاك فكنت له غنيمه قد تفرق الناس عنك و قتل خيارهم فالحق أيها الرجل بالكوفة. فخرج وخرج معه الناس حتى دخل الكوفة مستترا من الحجاج إلى أن أخذ له الأمان بعد ذلك . ثم إن شيبا اشتد عليه الحر و على أصحابه فأتى ماه بهراذان فصيف بها ثلاثة أشهر وأتاه ناس ممن كان يطلب الدنيا والغنيمه كثير ولحق به ناس ممن كان يطلبهم [صفحة ٢٦١] الحجاج

بمال وتبعه فمنهم رجل يقال له الحر بن عبد الله بن عوف كان قتل دهقانين من أهل نهر درقيط كانا أساء إليه ولحق بشيب حتى شهد معه موطنه إلى أن هلك و له مقام عند الحجاج وكلام سلم به من القتل و هو أن الحجاج بعد هلاك شيب أمن كل من خرج إليه ممن كان يطلبهم الحجاج بمال أو تبعه فخرج إليه الحر فيمن خرج فجاء أهل الدهقانين يستعدون عليه الحجاج فأحضره وقال يا عدو الله قتلت رجلين من أهل الخراج فقال قد كان أصلحك الله منى ما هو أعظم من هذا قال و ما هو قال خروجي عن الطاعة و فراقى الجماعة ثم إنك أمنت كل من خرج عليك و هذا أمانى و كتابك لى . فقال الحجاج قد لعمرى فعلت ذلك أولى لك و خلى سبيله . ثم لما باخ الحر و سكن عن شيب خرج من ماه نهران في نحو من ثمانمائة رجل فأقبل نحو المدائن و عليها المطرف بن المغيرة بن شعبة فجاء حتى نزل قناطر حذيفة بن اليمان فكتب ما ذرأسب و هو عظيم بابل مهروذ إلى الحجاج يخبره خبير شيب و قدومه إلى قناطر حذيفة فقام الحجاج فى الناس و خطبهم و قال أيها الناس لتقاتلن عن بلادكم و فيئكم أولأبعثن إلى قوم هم أطوع و أسمع و أصبر على البلاء منكم فيقاتلون عدوكم و يأكلون فيئكم يعنى جند الشام . فقام إليه الناس من كل جانب يقولون بل نحن نقاتلهم و نغيث الأمير ليندبنا إليهم فإنا حيث يسره . [صفحہ ۲۶۲] و قام إليه زهرة بن حوية و هو يومئذ شيخ كبير لا يستتم قائما حتى يؤخذ بيده فقال أصلح الله الأمير إنك إنما تبعث الناس متقطعين فاستنفر إليهم الناس كافة و ابعث عليهم رجلا متينا شجاعا مجربا يرى الفرار هزما و عارا و الصبر مجدا و كرما فقال الحجاج فأنت ذاك فاخرج . فقال أصلح الله الأمير إنما يصلح لهذا الموقف رجل يحمل الرمح و الدرع و يهز السيف و يثبت على متن الفرس و أنا لا أطيق ذلك قد ضعفت و ضعف بصرى و لكن ابعثنى مع أمير تعتمده فأكون فى عسكره و أشير عليه برأى . فقال جزاك الله عن الإسلام و الطاعة خيرا لقد نصحت و صدقت و أنا مخرج الناس كافة ألا فسيروا أيها الناس . فانصرف الناس يتجهزون و ينتشرون و لا يدرون من أميرهم . و كتب الحجاج إلى عبد الملك أما بعد فإنى أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أن شيبا قد شارف المدائن و إنما يريد الكوفة و قد عجز أهل العراق عن قتاله فى مواطن كثيرة فى كلها تقتل أمراؤهم و يفلى خيولهم و أجنادهم فإن رأى أمير المؤمنين أن يبعث إلى جندا من جند الشام ليقاتلوا عدوهم و يأكلوا بلادهم فعل إن شاء الله . فلما أتى عبد الملك كتابه بعث إليه سفيان بن الأبرد فى أربعة آلاف و بعث إليه حبيب بن عبد الرحمن الحكمى من مذحج فى ألفين و سرحهم نحوه حين أتاه الكتاب . [صفحہ ۲۶۳] و قد كان الحجاج بعث إلى عتاب بن ورقاء الرياحى ليأتيه و كان على خيل الكوفة مع المهلب و دعا الحجاج أشراف أهل الكوفة منهم زهرة بن حوية و قبيصة بن و الق فقال من ترون أن أبعث على هذا الجيش قالوا رأيك أيها الأمير أفضل قال إنى قد بعثت إلى عتاب بن ورقاء و هو قادم عليكم الليلة فيكون هو الذى يسير بالناس فقال زهرة بن حوية أصلح الله الأمير رميتهم بحجرهم لا و الله لا يرجع إليك حتى يظفر أو يقتل . فقال قبيصة بن و الق و إنى مشير عليك أيها الأمير برأى اجتهدته نصيحة لك و لأمر المؤمنين و لعامة المسلمين إن الناس قد تحدثوا أن جيشا قد وصل إليك من الشام لأن أهل الكوفة قد هزموا و هان عليهم الفرار و العار من الهزيمة فكأنما قلوبهم فى صدور قوم آخرين فإن رأيت أن تبعث إلى الجيش الذى قد أمددت به من أهل الشام فليأخذوا حذرهم و لا يشبثوا بمنزل إلا - و هم يرون أنهم يبيتون فعلت فإن فعلت فإنك إنما تحارب حولا قلبا محلا لا مطعانا إن شيبا بينا هو فى أرض إذا هو فى أخرى و لا آمن أن يأتيهم و هم غارون فإن يهلكوا يهلكك العراق كله . فقال الحجاج لله أبوك ما أحسن ما رأيت و ما أصح ما أشرت به فبعث إلى الجيش الوارد عليه من الشام كتابا قرءوه و قد نزلوا هيت و هو أما بعد فإذا حاذيتهم هيت فدعوا طريق الفرات و الأنبار و أخذوا على عين التمر حتى تقدموا الكوفة إن شاء الله . فأقبل القوم سراعا و قدم عتاب بن ورقاء فى الليلة التى قال الحجاج إنه فيها قادم فأمره الحجاج فخرج بالناس و عسكر بحمام أعين و أقبل شيب حتى انتهى [صفحہ ۲۶۴] إلى كلواذا فقطع منها دجلة و أقبل حتى نزل بهر سير و صار بينه و بين مطرف بن المغيرة بن شعبة جسر دجلة فقطع مطرف الجسر و رأى رأيا صالحا كاد به شيبا حتى حبسه عن وجهه و ذلك أنه بعث إليه أن ابعث إلى رجالا - من فقهاء أصحابك و قرائهم

وأظهر له أنه يريد أن يدارسهم القرآن وينظر فيما يدعون إليه فإن وجد حقا اتبعه فبعث إليه شبيب رجلا فيهم قعنب وسويد والمحلل ووصاهم ألا يدخلوا السفينة حتى يرجع رسوله من عند مطرف وأرسل إلى مطرف أن ابعث إلى من أصحابك ووجوه فرسانك بعدة أصحابي ليكونوا رهنا في يدي حتى ترد على أصحابي فقال مطرف لرسوله القه وقل له كيف آمنك الآن على أصحابي إذ أبعثهم إليك و أنت لا تأمنني على أصحابك فأبلغه الرسول فقال قل له قد علمت أنا لانستحل الغدر في ديننا وأنتم قوم غدر تستحلون الغدر وتفعلونه فبعث إليه مطرف جماعة من وجوه أصحابه فلما صاروا في يد شبيب سرح إليه أصحابه فعبروا إليه في السفينة فأتوه فمكثوا أربعة أيام يتناظرون و لم يتفقوا على شيء فلما تبين لشبيب أن مطرفا كاده وأنه غير متابع له تعبى للمسير وجمع إليه أصحابه وقال لهم إن هذا الثقفى قطعنى عن رأبى منذ أربعة أيام و ذلك أنى هممت أن أخرج فى جريدة من الخيل حتى ألقى هذا الجيش المقبل من الشام وأرجو أن أصادف غرتهم قبل أن يحذروا و كنت ألقاهم منقطعين عن المصر ليس عليهم أمير كالحجاج يستندون إليه و لالههم مصر كالكوفة يعتصمون به و قد جاءنى عيون أن أوائلهم قد دخلوا عين التمر فهم الآن قد شارفوا الكوفة و جاءنى أيضا عيون من نحو عتاب أنه نزل بحمام أعين بجماعة أهل الكوفة و أهل البصرة فما أقرب ما بيننا وبينهم فتيسروا بنا للمسير إلى عتاب . [صفحہ ۲۶۵] و كان عتاب حينئذ قد أخرج معه خمسين ألفا من المقاتلة وهددهم الحجاج إن هربوا كعادة أهل الكوفة و توعدهم و عرض شبيب أصحابه بالمداخن فكانوا ألف رجل فخطبهم و قال يا معشر المسلمين إن الله عز و جل كان ينصركم و أنتم مائة و مائتان و اليوم فأنتم مئون و مئون ألا و إنى مصل الظهر ثم سائر بكم إن شاء الله . فصلى الظهر ثم نادى فى الناس فتخلف عنه بعضهم . قال فروة بن لقيط فلما جاز ساباط و نزلنا معه قص علينا و ذكرنا بأيام الله و زهدنا فى الدنيا و رغبنا فى الآخرة ثم أذن مؤذنه فصلى بنا العصر ثم أقبل حتى أشرف على عتاب بن ورقاء فلما رأى جيش عتاب نزل من ساعته و أمر مؤذنه فأذن ثم تقدم فصلى بأصحابه صلاة المغرب و خرج عتاب بالناس كلهم فعبأهم و كان قد خندق على نفسه مذ يوم نزل . و جعل على ميمنته محمد بن عبدالرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني قال له يا ابن أخى إنك شريف فاصبر و صابر فقال أما أنا فوالله لأقاتلن ما ثبت معى إنسان . و قال لقيصة بن و القى التغلبى الكفى الميسرة فقال أنا شيخ كبير غايتى أن أثبت تحت رايتى أ ما ترانى لأستطيع القيام إلا أن أقام و أخى نعيم بن عليم ذو غناء فابعثه على الميسرة فبعثه عليها و بعث حنظلة بن الحارث الرياحى ابن عمه و شيخ [صفحہ ۲۶۶] أهل بيته على الرجاله و بعث معه ثلاثة صفوف صف فيه الرجاله و معهم السيوف و وصف هم أصحاب الرماح و وصف فيه المرامية . ثم سار عتاب بين الميمنة و الميسرة يمر بأهل راية راية فيحرض من تحتها على الصبر و من كلامه يومئذ إن أعظم الناس نصيبا من الجنة الشهداء و ليس الله لأحد أمقت منه لأهل البغى أ لا ترون عدوكم هذا يستعرض المسلمين بسيفه لا يرى ذلك إلا قربة لهم فهم شرار أهل الأرض و كلاب أهل النار فلم يجبه أحد فقال أين القصاص يقصون على الناس و يحرضونهم فلم يتكلم أحد فقال أين من يروى شعر عنترة فيحرك الناس فلم يجبه أحد و لارد عليه كلمة فقال لا حول و لا قوة إلا بالله و الله لكأنى بكم و قد تفرقتم عن عتاب و تركتموه تسفى فى استه الريح ثم أقبل حتى جلس فى القلب و معه زهرة بن حوية و عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث . و أقبل شبيب فى ستمائة و قد تخلف عنه من الناس أربعمائة فقال إنه لم يتخلف عنى إلا من لأحب أن أراه معى فبعث سويد بن سليم فى مائتين إلى الميسرة و بعث المحلل بن وائل فى مائتين إلى القلب و مضى هو فى مائتين إلى الميمنة و ذلك بين المغرب و العشاء الآخرة حين أضاء القمر فناداهم لمن هذه الرايات قالوا رايات همدان . فقال رايات طالما نصرت الحق و طالما نصرت الباطل لها فى كل نصيب أنا أبوالمدلة اثبتوا إن شئتم ثم حمل عليهم وهم على مسناة أمام الخندق ففضهم و ثبت أصحاب رايات قيصة بن و القى . فجاء شبيب فوقف عليه و قال لأصحابه مثل هذا قوله تعالى وَ اتل عَلَيْهِم - قرآن - ۱۳۱۵ - ۱۳۳۰ أهل بيته على الرجاله و بعث معه ثلاثة صفوف صف فيه الرجاله و معهم السيوف و وصف هم أصحاب الرماح و وصف فيه المرامية . ثم سار عتاب بين الميمنة و الميسرة يمر بأهل راية راية فيحرض من تحتها على الصبر و من كلامه

يومئذ إن أعظم الناس نصيباً من الجنة الشهداء و ليس الله لأحد أمقت منه لأهل البغي ألاترون عدوكم هذا يستعرض المسلمين بسيفه لا يرى ذلك إلا قربته لهم فهم شرار أهل الأرض و كلاب أهل النار فلم يجبه أحد فقال أين القصاص يقصون على الناس و يحرضونهم فلم يتكلم أحد فقال أين من يروى شعر عنتره فيحرك الناس فلم يجبه أحد و لارد عليه كلمه فقال لاحول و لا قوة إلا بالله و الله لكأني بكم و قد تفرقتم عن عتاب و تركتموه تسفى فى استه الريح ثم أقبل حتى جلس فى القلب و معه زهره بن حويه و عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث . و أقبل شبيب فى ستمائه و قد تخلف عنه من الناس أربعمائئ فقال إنه لم يتخلف عنى إلا من لا أحب أن أراه معى فبعث سويد بن سليم فى مائتين إلى الميسرة و بعث المحلل بن وائل فى مائتين إلى القلب و مضى هو فى مائتين إلى الميمنه و ذلك بين المغرب و العشاء الآخرة حين أضاء القمر فناداهم لمن هذه الرايات قالوا رايات همدان . فقال رايات طالما نصرت الحق و طالما نصرت الباطل لها فى كل نصيب أنا أبوالمدله اثبتوا إن شئتم ثم حمل عليهم و هم على مسنئه أمام الخندق ففضهم و ثبت أصحاب رايات قبيصه بن والى . فجاء شبيب فوقف عليه و قال لأصحابه مثل هذا قوله تعالى وَ اتل عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبِعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ - قرآن - ١-٩٢ . ثم حمل على الميسرة ففضها و صمد نحو القلب و عتاب جالس على طنفسه هو و زهره بن حويه فغشيهم شبيب فانفض الناس عن عتاب و تركوه فقال عتاب يازهره هذا يوم كثر فيه العدد و قل فيه الغناء لهفى على خمسمائه فارس من وجوه الناس أ لاصابر لعدوه أ لامواس بنفسه فمضى الناس على وجوههم فلما دنا منه شبيب و ثب إليه فى عصابة قليله صبرت معه فقال له بعضهم إن عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث قدهرب و انصفق معه ناس كثير فقال أما إنه قدفر قبل اليوم و مارأيت مثل ذلك الفتى مايبالى ما صنع ثم قاتلهم ساعه و هو يقول مارأيت كالיום قط موطننا لم أبل بمثله أقل ناصرا و لا أكثرها ربا خاذلا فرآه رجل من بنى تغلب من أصحاب شبيب و كان أصاب دما فى قومه و التحق بشبيب فقال إنى لأظن هذا المتكلم عتاب بن ورقاء فحمل عليه فطعنه فوق و قتل و وطئت الخيل زهره بن حويه فأخذ يذب بسيفه و هو شيخ كبير لا يستطيع أن ينهض فجاءه الفضل بن عامر الشيبانى فقتله و انتهى إليه شبيب فوجده صريعا فعرفه فقال من قتل هذا قال الفضل أنا قتلته فقال شبيب هذا زهره بن حويه أما و الله لئن كنت قتلت على ضلالة لرب يوم من أيام المسلمين قدحسن فيه بلاؤك و عظم فيه غناؤك و لرب خيل للمشركين هزمتها و سريه لهم ذعرتها و مدينه لهم فتحتها ثم كان فى علم الله أن تقتل ناصرا للظالمين . و قتل يومئذ وجوه العرب من عسكر العراق فى المعركه و استمكن شبيب من أهل العسكر فقال ارفعوا عنهم السيف و دعاهم إلى البيعه فبايعه الناس عامه من ساعتهم و احتوى على جميع ما فى العسكر و بعث إلى أخيه و هو بالمدائن فأتاه فأقام بموضع المعركه يومين و دخل سفيان بن الأبرد الكلبى و حبيب بن عبدالرحمن فيمن معهما [صفحه ٢٦٨] إلى الكوفه فشدوا ظهر الحجاج و استغنى بهم عن أهل العراق و ووصلته أخبار عتاب و عسكره فصعد المنبر فقال يا أهل الكوفه لأعز الله من أراد بكم العز و لانصر من أراد منكم النصر اخرجوا عنا فلا تشهدوا معنا قتال عدونا و الحقوا بالحيره فانزلوا مع اليهود و النصارى و لا يقاتلن معنا إلا من لم يشهد قتال عتاب بن ورقاء . و خرج شبيب يريد الكوفه فأنتهى إلى سورا فقال لأصحابه أيكم يأتينى برأس عاملها فانتدب إليه قطين و قعنب و سويد و رجلان من أصحاب شبيب فكانوا خمسئه و ساروا حتى انتهوا إلى دار الخراج و العمال فيها فقالوا أجبوا الأمير فقال الناس أى أمير قالوا أمير قد خرج من قبل الحجاج يريد هذا الفاسق شيبيا فاغتر بذلك عامل سورا فخرج إليهم فلما خالطهم شهره السيف و حكموا و خبطوه بها حتى قتلوه و قبضوا ما وجدوا فى دار الخراج من مال و لحقوا بشبيب . فلما رأى شبيب البدر قال أتيتمونا بفتنه المسلمين هلم يا غلام الحربه فخرق بها البدر و أمر أن تنخس الدواب التى كانت البدر عليها فمرت رائحه و المال يتناثر من البدر حتى وردت الصراه فقال إن كان بقى شىء فاقدفوه فى الماء . و قال سفيان بن الأبرد للحجاج ابعثنى إلى شبيب أستقبله قبل أن يرد الكوفه فقال لا ما أحب أن نفرق حتى ألقاه فى جماعتكم و الكوفه فى ظهرنا و أقبل شبيب حتى نزل حمام أعين و دعا الحجاج الحارث بن معاويه بن أبى زرعه بن مسعود الثقفى فوجهه فى ناس لم يكونوا

شهدوا يوم عتاب فخرج في ألف رجل حتى انتهى إلى شيبب ليدفعه عن الكوفة فلما رآه شيبب حمل عليه فقتله وفل أصحابه فجاءوا حتى دخلوا [صفحة ٢٦٩] الكوفة وبعث شيبب البطين في عشرة فوارس يرتادون له منزلا- على شاطئ الفرات في دار الرزق فوجه الحجاج حوشب بن يزيد في جمع من أهل الكوفة فأخذوا بأفواه السكك فقاتلهم البطين فلم يبق عليهم فبعث إلى شيبب فأمدته بفوارس من أصحابه فعقروا فرس حوشب وهزموه فنجبا بنفسه ومضى البطين إلى دار الرزق في أصحابه ونزل شيبب بها ولم يوجه إليه الحجاج أحدا فابتنى مسجدا في أقصى السبخة وأقام ثلاثا لم يوجه إليه الحجاج أحدا ولا يخرج إليه من أهل الكوفة ولا من أهل الشام أحد وكانت امرأته غزاة نذرت أن تصلى في مسجد الكوفة ركعتين تقرأ فيهما بالقرء وآل عمران فجاء شيبب مع امرأته حتى أوفت بنذرهما في المسجد وأشير على الحجاج أن يخرج بنفسه إليه فقال لقتيبة بن مسلم إنى خارج فاخرج أنت فارتد لي معسكرا فخرج وعاد فقال وجدت المدى سهلا فسر أيها الأمير على اسم الله والطائر الميمون فخرج الحجاج بنفسه ومر على مكان فيه كناسة وأقذار فقال ألقوا لي هنا بساطا فليل له إن الموضع قذر فقال ماتدعونى إليه أقدر الأرض تحته طيبة والسما فوقه طيبة. ووقف هناك وأخرج مولى له يعرف بأبى الورد وعليه تجفاف وأحاط به غلمان كثير وقيل هذا الحجاج فحمل عليه شيبب فقتله وقال إن يكن الحجاج فقد أرحت الناس منه ودلف الحجاج نحوه حينئذ وعلى ميمنته مطر بن ناجية وعلى ميسرته خالد بن عتاب بن ورقاء وهو في زهاء أربعة آلاف فليل له أيها الأمير لانعرف [صفحة ٢٧٠] شيببا بمكانك فتكر وأخفى مكانه وتشبه به مولى آخر للحجاج في هيئته وزيه فحمل عليه شيبب فضربه بالعمود فقتله ويقال إنه قال لماسقط أخ بالخاء المعجمة فقال شيبب قاتل الله ابن أم الحجاج اتقى الموت بالعبيد وذلك أن العرب تقول عند التأوه أح بالخاء المهملة. ثم تشبه بالحجاج أعين صاحب حمام أعين ولبس لبسته فحمل عليه شيبب فقتله فقال الحجاج على بالبغل لأركبه فأتى ببغل محجل وقيل أيها الأمير أصلحك الله إن الأعاجم كانت تتطير أن تركب مثل هذا البغل في مثل هذا اليوم فقال أدنوه منى فإنه أغر محجل وهذا يوم أغر محجل فركبه ثم سار في الناس يمينا وشمالا ثم قال اطرحوا لى عباءة فطرحته له فنزل فجلس عليها ثم قال اتنوني بكرسى فأتى به فقام فجلس عليه ثم نادى أهل الشام فقال يا أهل الشام يا أهل السمع والطاعة لا يغلبن باطل هؤلاء الأرجاس حقكم غضوا الأبصار واجثوا على الركب واستقبلوا القوم بأطراف الأسنة فجتوا على الركب وكانهم حره سوداء. ومنذ هذا الوقت ركدت ريح شيبب وأذن الله تعالى في إديار أمره وانقضاء أيامه فأقبل حتى إزدانا من أهل الشام عبي أصحابه ثلاثة كراديس كتيبة معه وكتيبة مع سويد بن سليم وكتيبة مع المحلل بن وائل وقال لسويد احمل عليهم فى خيلك فحمل عليهم فثبوا له حتى إذا غشى أطراف أسنتهم وثبوا فى وجهه فقاتلهم طويلا فصبروا له ثم طاعنوه قدما قدما حتى ألحقوه بأصحابه. فلما رأى شيبب صبرهم نادى ياسويد احمل فى خيلك فى هذه الرايات الأخرى لعلك تزيل أهلها فتأتى الحجاج من ورائه ونحمل نحن عليه من أمامه فحمل سويد على تلك الرايات وهى بين جدران الكوفة فرمى بالحجارة من سطوح البيوت و من أفواه السكك فانصرف ولم يظفروا. [صفحة ٢٧١] ورماه عروة بن المغيرة بن شعبة بالسهم وقد كان الحجاج جعله فى ثلاثمائة رام من أهل الشام رداء له كى لا يئوتى من ورائه فصاح شيبب فى أصحابه. يا أهل الإسلام إنما شريتم الله و من يكن شراؤه لله لم يضره ما أصابه من ألم وأذى لله أبوكم الصبر الصبر شدة كشداتكم الكريمة فى مواطنكم المشهورة. فشدوا شدة عظيمة فلم يزل أهل الشام عن مراكزهم فقال شيبب الأرض دبوا دبيا تحت تراسكم حتى إذا صارت أسنة أصحاب الحجاج فوقها فأذلقوها صعدا وادخلوا تحتها واضربوا سوقهم وأقدامهم وهى الهزيمة بإذن الله فأقبلوا يدبون دبيا تحت الحجف صمدا صمدا نحو أصحاب الحجاج. فقال خالد بن عتاب بن ورقاء أيها الأمير أنا موتور ولا أتهم فى نصيحتى فأذن لى حتى آتيهم من ورائهم فأغير على معسكرهم وتقلهم فقال افعل ذلك فخرج فى جمع من مواليه وشاكريته وبنى عمه حتى صار من ورائهم فالتقى بمصاد أخى شيبب فقتله وقتل غزاة امرأة شيبب وألقى النار فى معسكرهم والتفت شيبب والحجاج فشاهدا النار فأما الحجاج فكبر وكبر أصحابه و أما شيبب فوثب هو و

كل راجل من أصحابه على خيولهم مرعوبين فقال الحجاج لأصحابه شدوا عليهم فقد أتاهم ما أربعهم فشدوا عليهم فهزمهم وتخلف شيب في خاصة الناس حتى خرج من الجسر وتبعه خيل الحجاج وغشيه النعاس فجعل يخفق برأسه والخيل تطلبه . قال أصغر الخارجي كنت معه ذلك اليوم فقلت يا أمير المؤمنين التفت [صفحة ٢٧٢] فانظر من خلفك فالتفت غير مكترث وجعل يخفق برأسه قال ودنوا منا فقلت يا أمير المؤمنين قد دنا القوم منك فالتفت والله ثانية غير مكترث بهم وجعل يخفق برأسه وبعث الحجاج خيلا تركض تقول دعوه يذهب في حرق الله فتركوه وانصرفوا عنه . ومضى شيب بأصحابه حتى قطعوا جسر المدائن فدخلوا ديرا هناك وخالد بن عتاب يقفهم فحصرهم في الدير فخرج شيب إليه فهزمه وأصحابه نحو من فرسخين حتى ألقى خالد نفسه في دجلة هو وأصحابه بخيولهم فمر به شيب فرآه في دجلة ولوأوه في يده فقال قاتله الله فارسا وقاتل فرسه فرس هذا أشد الناس قوة وفرسه أقوى فرس في الأرض وانصرف فليل له بعد انصرافه إن الفارس الذي رأيت هو خالد بن عتاب بن ورقاء فقال معرق في الشجاعة لو علمت لأفحمت خلفه و لودخل النار . ثم دخل الحجاج الكوفة بعد هزيمة شيب فصعد المنبر وقال والله ما قوتل شيب قط قبل اليوم ولى هاربا وترك امرأته يكسر في استها القصب . ثم دعا حبيب بن عبدالرحمن فبعثه في أثره في ثلاثة آلاف من أهل الشام وقال احذر بياته وحيثما لقيته فنازله فإن الله تعالى قدفل حده وقصم نابه فخرج حبيب في أثره حتى نزل الأنبار وبعث الحجاج إلى العمال أن دسوا إلى أصحاب شيب من جاءنا منك فهو آمن فكان كل من ليست له بصيرة في دين الخوارج ممن هزه القتال وكرهه ذلك اليوم يجيء فيؤمن وقبل ذلك كان الحجاج نادى يوم هزم شيب من جاءنا فهو آمن فتفرق عن شيب ناس كثير من أصحابه . [صفحة ٢٧٣] وبلغ شيبا منزل حبيب بن عبدالرحمن بالأنبار فأقبل بأصحابه حتى دنا منه فقال يزيد السكسكي كنت مع أهل الشام بالأنبار ليلة جاءنا شيب فبيتنا فلما أمسينا جمعنا حبيب بن عبدالرحمن فجعلنا أرباعا وجعل على كل ربع أميرا وقال لنا ليحم كل ربع منكم جانبه فإن قتل هذا الربع فلا يعنهم الربع الآخر فإنه بلغني أن الخوارج منكم قريب فوطنوا أنفسكم على أنكم مبيتون فمقاتلون قال فما زلنا على تعيبتنا حتى جاءنا شيب تلك الليلة فبيتنا فشد على ربع منا فصابرهم طويلا فما زالت قدم إنسان منهم ثم تركهم وأقبل إلى ربع آخر فقاتلهم طويلا فلم يظفر بشيء ثم طاف بنا يحمل علينا ربعا ربعا حتى ذهب ثلاثة أرباع الليل ولصق بنا حتى قلنا لا يفارقنا ثم ترجل فنازلنا راجلا نزالا طويلا هو وأصحابه فسقطت والله بيننا وبينهم الأيدي والأرجل وفقئت الأعين وكثرت القتلى فقتلنا منهم نحو ثلاثين وقتلوا منا نحو مائة وإيم الله لو كانوا أكثر من مائتي رجل لأهلكونا ثم فارقونا وقدملناهم وملونا وكرهناهم وكرهونا ولقد رأيت الرجل منا يضرب الرجل منهم بالسيف فما يضربه من الإعياء والضعف ولقد رأيت الرجل منا يقاتل جالسا ينفخ بسيفه ما يستطيع أن يقوم من الإعياء والبحر حتى ركب شيب وقال لأصحابه الذين نزلوا معه اركبوا وتوجه بهم منصرفا عنا . فقال فروة بن لقيط الخارجي وكان شهد معه موطنه كلها قال لنا ليلتئذ و قدرأى [صفحة ٢٧٤] بنا كأبه ظاهرة وجراحات شديدة ما أشد هذا الذي بنا لو كنا نطلب الدنيا وما يسر هذا في طاعة الله وثوابه فقال أصحابه صدقت يا أمير المؤمنين . قال فروة بن لقيط وسمعتك تلك الليلة يحدث سويد بن سليم ويقول له لقد قتلت منهم أمس رجلين من أشجع الناس خرجت عشية أمس طليعة لكم فلقيت منهم ثلاثة نفر دخلوا قرية يشترون منها حوائجهم فاشترى أحدهم حاجته وخرج قبل أصحابه فخرجت معه فقال لي أراك لم تشتتر علفا فقلت إن لي رفقاء قد كفوني ذلك ثم قلت له أين ترى عدونا هذانزل فقال بلغني أنه قد نزل قريبا منا وإيم الله لوددت أني لقيت شبيهم هذا قلت أفتحب ذلك قال إي والله قلت فخذ حذرنا فأنا والله شيب وانتضيت السيف فخر والله ميتا فقلت له ارتفع ويحك وذهبت أنظر فإذا هو قدمات فانصرفت راجعا فاستقبلت الآخر خارجا من القرية فقال أين تذهب هذه الساعة التي يرجع فيها الناس إلى معسكرهم فلم أكلمه ومضيت فنفرت بي فرسى وذهبت تتمطر فإذا به في أثرى حتى لحقني فعطفت عليه وقلت ما بالك قال أظنك والله من عدونا قلت أجل والله قال إذا لا تبرح حتى أقتلك أو تقتلني فحملت عليه وحمل على فاضطر بنا

بسيّنا ساعة فو الله مافصلته فى شدة نفس و لا إقدام إلا أن سيفى كان أقطع من سيفه فقتلته . وبلغ شيبا أن جند الشام الذى مع حبيب حملوا معهم حجرا وحلفوا لا يفرون حتى يفر هذا الحجر فأراد أن يكذبهم فعمد إلى أربعة أفراس وربط فى أذناها ترسة [صفحة ٢٧٥] فى ذنب كل فرس ترسين ثم ندب ثمانية نفر من أصحابه وغلاما له يقال له حيان كان شجاعا فاتكا وأمره أن يحمل معه إداوة من ماء ثم سار ليلا حتى أتى ناحية من عسكر أهل الشام فأمر أصحابه أن يكونوا فى نواحي العسكر الأربع و أن يكون مع كل رجلين فرس ثم يلبسوها الحديد حتى تجد حره ثم يخلوها فى العسكر وواعدهم تلعة قريبة من العسكر و قال من نجا منكم فإن موعده التلعة فكره أصحابه الإقدام على ما أمرهم فنزل بنفسه حتى صنع بالخيال ما أمرهم به حتى دخلت فى العسكر ودخل هو يتلوها ويشد خلفها شدا محكما فتفرقت فى نواحي العسكر واضطرب الناس فضرب بعضهم بعضا وماجوا ونادى حبيب بن عبدالرحمن ويحكم إنها مكيدة فالزموا الأرض حتى يتبين لكم الأمر ففعلوا وحصل شيب بينهم فلزم الأرض معهم حتى رأهم قد سكنوا وقد أصابته ضربة عمود أو هنته . فلما هدأ الناس ورجعوا إلى مراكزهم خرج فى غمارهم حتى أتى التلعة فإذا مولاة حيان فقال أفرغ ويحك على رأسى من هذه الإداوة فلما مد رأسه ليصب عليه من الماء هم حيان بضرب عنقه و قال لنفسه لا أجد مكرمة لى و لا ذكرا أرفع من هذا فى هذه الخلوة و هو أمانى من الحجاج فأخذته الرعدة حين هم بما هم به فلما أبطأ عليه قال له ويحك ما انتظارك بحلها ناولنيها وتناول السكين من موزجه فخرقها به ثم ناوله إياها فأفرغ عليه من الماء فكان حيان بعد ذلك يقول لقد هممت فأخذتني الرعدة فجبت عنه و ما كنت أعهد نفسى جانا . ثم إن الحجاج أخرج الناس إلى شيب وقسم فيهم أموالا عظيمة وأعطى الجرحى و كل ذى بلاء وأمر سفيان بن الأبرد أن يسير بهم فشق ذلك على حبيب [صفحة ٢٧٦] بن عبدالرحمن و قال تبعث سفيان إلى رجل قد فتلته وقتلت فرسانه و كان شيب قد أقام بكرمان حتى جبر واستراش هو وأصحابه فمضى سفيان بالرجال واستقبله شيب بدجيل الأهواز و عليه جسر معقود فعبر إلى سفيان فوجده قد نزل بالرجال وجعل مهاصر بن صيفى على خيله وبشر بن حسان الفهرى على ميمنته وعمر بن هبيرة الفزارى على ميسرته وأقبل شيب فى ثلاثة كراديس هو فى كتيبة وسويد بن سليم فى كتيبة وقعب فى كتيبة وخلف المحلل فى عسكره فلما حمل سويد و هو فى ميمنته على ميسرة سفيان وقعب و هو فى ميسرته على ميمنة سفيان حمل هو على سفيان ثم اضطربوا مليا حتى رجعت الخوارج إلى مكانها الذى كانوا فيه . فقال يزيد السكسكى و كان من أصحاب سفيان يومئذ كر علينا شيب وأصحابه أكثر من ثلاثين كرة و لا يزول من صفنا أحد فقال لنا سفيان لا تحملوا عليهم متفرقين ولكن لترحف عليهم الرجال زحفا ففعلنا و مازلنا نطاعنهم حتى اضطربناهم إلى الجسر فقاتلونا عليه أشد قتال يكون لقوم قط ثم نزل شيب ونزل معه نحو مائة رجل فما هو إلا أن نزلوا حتى أوقعوا بنا من الضرب والطعن شيئا مارأينا مثله قط و لا ظنناه يكون فلما رأى سفيان أنه لا يقدر عليهم و لا يأمن ظفرهم دعا الرماة فقال ارشقوهم بالنبل و ذلك عند المساء و كان الالتقاء ذلك اليوم نصف النهار فرشقهم أصحابه و قد كان سفيان صفهم على حدة و عليهم أمير فلما رشقوهم شدوا عليهم فشددنا نحن وشغلناهم عنهم فلما رأوا ذلك ركب شيب وأصحابه وكروا على أصحاب النبل كرة شديدة صرعوا منهم فيها أكثر من ثلاثين راميا ثم عطف علينا يطاعنا بالرماح حتى اختلط الظلام ثم انصرف عنا فقال سفيان بن الأبرد لأصحابه [صفحة ٢٧٧] يا قوم دعوهم لا تتبعوهم يا قوم دعوهم لا تتبعوهم حتى نصبهم قال فكففنا عنهم و ليس شىء أحب إلينا من أن ينصرفوا عنا . قال فروة بن لقيظ الخارجى فلما انتهينا إلى الجسر قال شيب اعبروا معاشر المسلمين فإذا أصبحنا باكرناهم إن شاء الله تعالى قال فعبرنا أمامه وتخلف فى آخرنا وأقبل يعبر الجسر وتحتة حصان جموح و بين يديه فرس أنثى ماذيانة فزنا حصانه عليها و هو على الجسر فاضطربت الماذيانة وزل حافر فرس شيب عن حرف السفينة فسقط فى الماء فسمعنا يقول لما سقط ليقضى الله أمرا كان مفعولا واغتمس فى الماء ثم ارتفع فقال ذلك تقدير العزيز العليم ثم اغتمس فى الماء فلم يرتفع . هكذا روى أكثر الناس و قال قوم إنه كان مع شيب رجال كثير بايعوه فى الوقائع التى كان يهزم

الجيش فيها وكانت بيعتهم إياه على غير بصيرة و قد كان أصاب عشائهم وساداتهم فهم منه موتورون فلما تخلف في أخريات الناس يومئذ قال بعضهم لبعض هل لكم أن نقطع به الجسر فندرك ثارنا الساعة فقالوا هذا هو الرأى فقطعوا الجسر فمالت به السفينة ففزع حصانه ونفر فسقط في الماء وغرق . والرواية الأولى أشهر فحدث قوم من أصحاب سفیان قالوا سمعنا صوت الخوارج يقولون غرق أمير المؤمنين فعبرنا إلى عسكرهم فإذا هو ليس فيه صافر و لأثر فنزلنا فيه وطلبنا شيئا حتى استخرجناه من الماء و عليه الدرع فيزعم الناس أنهم [صفحة ٢٧٨] شقوا بطنه وأخرجوا قلبه فكان مجتمعا صلبا كالصخرة و أنه كان يضرب به الأرض فنيبو ويشب قامة الإنسان . ويحكى أن أم شبيب كانت لا تصدق أحدا نعاها إليها و قد كان قيل لها مرارا إنه قد قتل فلا تقبل فلما قيل لها إنه قد غرق بكت فقيل لها في ذلك فقالت رأيت في المنام حين ولدته أنه خرج من فرجى نار ملأت الآفاق ثم سقطت في ماء فخدمت فعلمت أنه لا يهلك إلا بالغرق

المجلد ٥

الجزء الخامس

تتمة الخطب والأوامر

إشاره

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله أجمعين

٥٨- و قال ع لماعزم على حرب الخوارج وقيل له إن القوم قد عبروا جسر النهر وان

إشاره

مَصَارِعُهُمْ دُونَ النَّظْفَةِ وَاللَّهِ لَا يُفْلِتُ مِنْهُمْ عَشْرَةٌ وَلَا يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشْرَةٌ قَالَ الرضی رحمه الله یعنی بالنظفة ماء النهر وهى أفصح كناية عن الماء و إن كان كثيرا جما و قد أشرنا إلى ذلك فيما تقدم عندمضى ما أشبهه -روایت- ١-١٤١ هذا الخبر من الأخبار التى تكاد تكون متواترة لاشتهاره ونقل الناس كافة له و هو من معجزاته وأخباره المفصلة عن الغيوب . والأخبار على قسمين أحدهما الأخبار المجملة و لا إعجاز فيها نحو أن يقول الرجل لأصحابه إنكم [صفحة ٤] ستصرون على هذه الفئة التى تلقونها غدا فإن نصر جعل ذلك حجة له عند أصحابه و سماها معجزة و إن لم ينصر قال لهم تغيرت نياتكم وشككتكم فى قولى فمنعكم الله نصره و نحو ذلك من القول ولأنه قد جرت العادة أن الملوك والرؤساء يعدون أصحابهم بالظفر والنصر و يمينونهم الدول فلا يدل وقوع ما يقع من ذلك على إخبار عن غيب يتضمن إعجاز. والقسم الثانى فى الأخبار المفصلة عن الغيوب مثل هذا الخبر فإنه لا يحتمل التليس لتقيده بالعدد المعين فى أصحابه و فى الخوارج و وقوع الأمر بعد الحرب بموجبه من غير زيادة و لانقصان و ذلك أمر إلهى عرفه من جهة رسول الله ص و عرفه رسول الله ص من جهة الله سبحانه والقوة البشرية تقصر عن إدراك مثل هذا ولقد كان له من هذا الباب ما لم يكن لغيره . وبمقتضى ما شاهد الناس من معجزاته وأحواله المنافية لقوى البشر غلا فيه من غلا حتى نسب إلى أن الجوهر الإلهى حل فى بدنه كما قالت النصارى فى عيسى ع و قد أخبره النبى ص بذلك فقال يهلك فيك

رجلان محب غال ومبغض قال -روایت- ۱-۲-روایت- ۹-۴۹ قال له تارة أخرى و ألقى نفسى بيده لو لأنى أشفق أن يقول طوائف من أمتى فيك ما قالت النصارى فى ابن مريم لقلت اليوم فيك مقالا- لا-تمر بملا من الناس إلا أخذوا التراب من تحت قدميك للبركة -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۲-۲۰۴ [صفحة ۵]

ذكر الخبر عن ظهور الغلاة

وأول من جهر بالغلو فى أيامه عبد الله بن سبأ قام إليه و هو يخطب فقال له أنت أنت وجعل يكررها فقال له ويلك من أنا فقال أنت الله فأمر بأخذه وأخذ قوم كانوا معه على رأيه . وروى أبو العباس أحمد بن عبيد الله عن عمار الثقفى عن على بن محمد بن سليمان النوفلى عن أبيه و عن غيره من مشيخته أن عليا قال يهلك فى رجلا ن محب مطر يضعنى غير موضعى ويمدحنى بما ليس فى ومبغض مفتر يرمى بما أنا منه برىء -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۳۸-۲۴۰ . و قال أبو العباس و هذاتأويل الحديث المروى عن النبى ص فيه و هو قوله إن فيك مثلا- من عيسى ابن مريم أحبته النصارى فرفعته فوق قدره وأبغضته اليهود حتى بهتت أمه -روایت- ۱-۲-روایت- ۹-۱۰۸ . قال أبو العباس و قد كان على عثر على قوم خرجوا من محبته باستحواذ الشيطان عليهم إلى أن كفروا بربهم وجحدوا ماجاء به نبيهم واتخذوه ربا وإلها وقالوا أنت خالقنا ورازقنا فاستتابهم وتوعدهم فأقاموا على قولهم فحفر لهم حفرا دخن عليهم فيها طمعا فى رجوعهم فأبوا فحرقهم بالنار و قال -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۰-۱۱ ألاترون قد حفرت حفرا || إني إذ رأيت أمرا منكرا و قدت نارى و دعوت قبرا . [صفحة ۶] وروى أصحابنا فى كتب المقالات أنه لما حرقهم صاحوا إليه الآن ظهر لنا ظهورا بينا أنك أنت الإله لأن ابن عمك الذى أرسلته قال لا يعذب بالنار إلا رب النار -روایت- ۱-۲-روایت- ۸-۳۷ وروى أبو العباس عن محمد بن سليمان بن حبيب المصيصى عن على بن محمد النوفلى عن أبيه و مشيخته أن عليا مر بهم وهم يأكلون فى شهر رمضان نهارا فقال أسفر أم مرضى قالوا و لا واحدة منهما قال أفمن أهل الكتاب أنتم قالوا لا قال فما بال الأكل فى شهر رمضان نهارا قالوا أنت أنت لم يزيدوه على ذلك ففهم مرادهم فنزل عن فرسه فألصق خده بالتراب ثم قال ويلكم إنما أنا عبد من عبيد الله فاتقوا الله وارجعوا إلى الإسلام فأبوا فدعاهم مرارا فأقاموا على أمرهم فنهض عنهم ثم قال شدوهم وثاقا و على بالفعل و النار و الحطب ثم أمر بحفر بئرين فحفرتا فجعل إحداهما سربا و الأخرى مكشوفة و ألقى الحطب فى المكشوفة و فتح بينهما فتحا و ألقى النار فى الحطب فدخن عليهم و جعل يهتف بهم و يناشدهم ارجعوا إلى الإسلام فأبوا فأمر بالحطب و النار و ألقى عليهم فاحترقوا -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۰۳-۷۷۳ فقال الشاعر لترم بى المنية حيث شاءت || إذا لم ترم بى فى الحفرتين إذا ما حشتا حطبا بنار || فذاك الموت نقدا غير دين قال فلم يبرح واقفا عليهم حتى صاروا حمما. قال أبو العباس ثم إن جماعة من أصحاب على منهم عبد الله بن عباس شفعوا فى عبد الله بن سبأ خاصة و قالوا يا أمير المؤمنين إنه قد تاب فاعف عنه فأطلقه بعد أن اشترط عليه ألا يقيم بالكوفة فقال أين أذهب قال المدائن فنفاه إلى المدائن [صفحة ۷] فلما قتل أمير المؤمنين ع أظهر مقالته و صارت له طائفة و فرقة يصدقونه و يتبعونه و قال لما بلغه قتل على و الله لو جئتمونا بدماعه فى سبعين صرة لعلمنا أنه لم يمت و لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه فلما بلغ ابن عباس ذلك قال لو علمنا أنه يرجع لماتزوجنا نساءه و لاقسمنا ميراثه . قال أصحاب المقالات و اجتمع إلى عبد الله بن سبأ بالمدائن جماعة على هذا القول منهم عبد الله بن صبرة الهمداني و عبد الله بن عمرو بن حرب الكندى و آخرون غيرهما و تفاقم أمرهم . و شاع بين الناس قولهم و صار لهم دعوة يدعون إليها و شبهة يرجعون إليها و هى ما ظهر و شاع بين الناس من إخباره بالمغيبات حالا بعد حال فقالوا إن ذلك لا يمكن أن يكون إلا من الله تعالى أو ممن حلت ذات الإله فى جسده و لعمرى إنه لا يقدر على ذلك إلا بإقدار الله تعالى إياه عليه ولكن لا يلزم من إقداره إياه عليه أن يكون هو الإله

أوتكون ذات الإله حالة فيه وتعلق بعضهم بشبهه ضعيفة نحو قول عمر و قدفقاً على عين إنسان ألحد فى الحرم مأقول فى يد الله فقأت عينا فى حرم الله ونحو قول على و الله ماقلت باب خبير بقوة جسدانية بل بقوة إلهية -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-٦٦ قول رسول الله ص لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده -رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-٨٨ و الذى هزم الأحزاب هو على بن أبى طالب لأنه قتل بارعهم وفارسهم عمرا لماقتحموا الخندق فأصبحوا صبيحة تلك الليلة هارين مفلولين من غير حرب سوى قتل فارسهم و قدأوماً بعض شعراء الإمامية إلى هذه المقالة فجعلها من فضائله و ذلك قوله إذا كنتم ممن يروم لحاقه || فهلا برزتم نحو عمرو ومرحب [صفحة ٨] وكيف فررتم يوم أحد وخبير || و يوم حنين مهربا بعدمهرب ألم تشهدوا يوم الإخاء وبيعة || الغدير و كل حضر غيرغيب فكيف غدا صنو النفيلى ويحه || أميرا على صنو النبى المرجب وكيف علا- من لايطأ ثوب أحمد || على من علا- من أحمدفوق منكب إمام هدى ردت له الشمس جهرة || فصلى أداء عصره بعدمغرب و من قبله أفنى سليمان خيله || رجاء فلم يبلغ بهانيل مطلب يجلى عن الأفهام كنه صفاته || ويرجع عنها الذهن رجعة أخيب فليس بيان القول عنه بكاشف || غطاء و لافصل الخطاب بمعرب وحق لقبر ضم أعضاء حيدر || وغودر منه فى صفيح مغيب [صفحة ٩] يكون ثراه سر قدس ممنع || وحصباؤه من نور وحي محجب وتغشاه من نور الإله غمامة || تغاديه من قدس الجلال بصيب وتنقض أسراب النجوم عواكفا || على حجرته كوكب بعدكوكب فلولاك لم ينج ابن متى و لاخبا || سعير لإبراهيم بعدتلهب و لافلق البحر ابن عمران || بالعصا و لافرت الأحزاب عن أهل يثرب و لاقلت من عابد صلواته || و لاغفر الرحمن زلة مذنب و لم يغل فيك المسلمون جهالة || ولكن لسر فى علا-ك مغيب . وقالوا أيضا إن بكريا وشيعيا تجادلا واحتكما إلى بعض أهل الذمة ممن لاهوى له مع أحد الرجلين فى التفضيل فأنشدهما كم بين من شك فى عقيدته || و بين من قيل إنه الله

طرق الإخبار عن الغيوب

فأما الإخبار عن الغيوب فلمعترض أن يقول قديقع الإخبار عن الغيوب من طريق النجوم فإن المنجمين قداتفقوا على أن شكلا من أشكال الطالع إذاوقع لمولود اقتضى أن يكون صاحبه متمكنا من الإخبار عن الغيوب . و قديقع الإخبار عن الغيوب من الكهان كمايحكى عن سطيح وشق و سواد بن قارب وغيرهم . [صفحة ١٠] و قديقع الإخبار عن الغيوب لأصحاب زجر الطير والبهائم كمايحكى عن بنى لهب فى الجاهلية . و قديقع الإخبار عن الغيوب للقاءة كمايحكى عن بنى مدلج . و قديخير أرباب النيرنجات وأرباب السحر والطلسمات بالمغيبات و قديقع الإخبار عن الغيوب لأرباب النفس الناطقة القوية الصافية التى تتصل مادتها الروحانية على ماتقوله الفلاسفة و قديقع الإخبار عن الغيوب بطريق المنامات الصادقة على مارآه أكثر الناس و قدوردت الشريعة نصا به . و قديقع الإخبار عن الغيوب بأمر صناعى يشبه الطبيعى كما رأيناها عن أبى البيان وابنه . و قديقع الإخبار عن الغيوب بواسطة إعلام ذلك الغيب إنسانا آخر لنفسه بنفس ذلك المخبر اتحاد أو كالاتحاد و ذلك كمايحكى أبو البركات بن ملكا الطبيب فى كتاب المعبر قال والمرأة العمياء التى رأيناها ببغداد وتكررت مشاهدتنا لها منذ مدة مديدة قدرها مايقارب ثلاثين سنة وهى على ذلك إلى الآن تعرض عليها الخبايا فتدل عليها بأنواعها وأشكالها ومقاديرها وأعدادها غريبها ومألوفها دقيقتها [صفحة ١١] وجليلها تجيب على أثر السؤال من غيرتوقف و لاستعانه بشىء من الأشياء إلا أنها كانت تلتمس أن ترى الذى يسأل عنه أبوها أويسمعه فى بعض الأوقات دون بعض و عندقوم دون قوم فيتصور فى أمرها أن الذى تقوله بإشارة من أبيها و كان الذى تقوله يبلغ من الكثرة إلى مايزيد على عشرين كلمة إذاقيل بصريح الكلام الذى هو الطريق الأخصر وإنما كان أبوها يقول

إذ أرى ما يراه من أشياء كثيرة مختلفه الأنواع والأشكال فى مدّه واحده كلمه واحده وأقصاه كلمتان وهى التى يكررها فى كل قول ومع كل ما يسمع ويرى سلها وسلها تخبرك أوقولى له أوقولى يا صغيره. قال أبو البركات ولقد عانته يوما وحققته فى الأيتكلم البتة وأريته عدة أشياء فقال لفظه واحده فقلت له الشرط أملك فاغتاظ واحتد طيشه عن أن يملك نفسه فباح بخبيته قال ومثلك يظن أننى أشرت إلى هذا كله بهذه اللفظة فاسمع الآن ثم التفت إليها وأخذ يشير بإصبعه إلى شىء وهو يقول تلك الكلمه وهى تقول هذا كذا وهذا كذا على الاتصال من غير توقف وهو يقول تلك الكلمه لازيادة عليها وهى لفظه واحده بلحن واحد وهيئه واحده حتى ضجرنا واشتد تعجبنا ورأينا أن هذه الإشارة لو كانت تتضمن هذه الأشياء لكانت أعجب من كل ماتقوله العمياء. قال أبو البركات ومن عجيب ما شاهدناه من أمرها أن أباها كان يغلط فى شىء يعتقد على خلاف ما هو به فتخبره عن على معتقد أبيها كان نفسها هى نفسه. قال أبو البركات ورأيناها تقول ما لا يعلمه أبوها من خبيته فى الخبيته التى اطلع عليها أبوها فكانت تطلع على ما قد علمه أبوها وعلى ما لم يعلمه أبوها وهذا أعجب وأعجب. [صفحة ١٢] قال أبو البركات وحكاياتها أكثر من أن تعد وعند كل أحد من الناس من حديثها ما ليس عند الآخر لأنها كانت تقول من ذلك على الاتصال لشخص شخص جوابا بحسب السؤال. قال ومازلت أقول إن من يأتى بعدنا لا يصدق ما رأيناها منها فإن قلت لى أريد أن تفيدينى العلة فى معرفة المغيبات هذه قلت لك العلة التى تصلح فى جواب لم فى نسبة المحمول إلى الموضوع تكون الحد الأوسط فى القياس وهذه فالعلة الفاعلة الموجبة لذلك فيها هى نفسها بقوتها وخاصتها فما الذى أقوله فى هذا وهل لى أن أجعل ما ليس بعلة علة. واعلم أنا لا ننكر أن يكون فى نوع البشر أشخاص يخبرون عن الغيوب ولكن كل ذلك مستند إلى البارئ سبحانه بإقداره وتمكينه وتهيئه أسبابه فإن كان المخبر عن الغيوب ممن يدعى النبوة لم يجر أن يكون ذلك إلا بإذن الله سبحانه وتمكينه وأن يريد به تعالى استدلال المكلفين على صدق مدعى النبوة لأنه لو كان كاذبا لكان يجوز أن يمكن الله تعالى الجن من تعليمه ذلك إضلالا للمكلفين وكذلك لا يجوز أن يمكن سبحانه الكاذب فى ادعاء النبوة من الإخبار عن الغيب بطريق السحر وتسخير الكواكب والطلسمات والبالزجر والبالقيافه ولا بغير ذلك من الطرق المذكورة لما فيه من استفساد البشر وإغوائهم. و أما إذا لم يكن المخبر عن الغيوب مدعى للنبوة نظر فى حاله فإن كان ذلك من الصالحين الأتقياء نسب ذلك إلى أنه كرامة أظهرها الله تعالى على يده إبانة له وتمييزا [صفحة ١٣] من غيره كما فى حق على ع وإن لم يكن كذلك أمكن أن يكون ساحرا أو كاهنا أونحو ذلك. وبالجملة فصاحب هذه الخاصية أفضل وأشرف ممن لا تكون فيه من حيث اختصاصه بها فإن كان للإنسان العارى منها مزية أخرى يختص بها توازيها أو تزيد عليها فنرجع إلى التمييز والترجيح بينهما وإلا فالمختص بهذه الخاصية أرجح وأعظم من الخالى منها على جميع الأحوال [صفحة ١٤]

٥٩- وقال لما قتل الخوارج

إشارة

وقيل له يا أمير المؤمنين هل لك القوم بأجمعهم كلاً والله إنهم نطف فى أصلاب الرجال وقرارات النساء وكلما نجم منهم قرن قطع حتى يكون آخرهم لوصفاً سلبين نجم ظهر وطلع قرارات النساء كناية لطيفة عن الأرحام. ومن الكنايات اللطيفة الجارية هذا المجرى قوله تعالى أو لا مستئم النساء يعنى الجماع. وقوله تعالى إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة. وقوله شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم يعنى الفروج - قرآن - ١١٠ - ١٣١ - قرآن - ١٦١ - ٢٠٦ - قرآن - ٢١٦ - ٢٦٧ [صفحة ١٥] وقول رسول الله

الكنايه والرموز والتعريض مع ذكر مثل منها

والكنايه إبدال لفظه يستحي من ذكرها أو يستهجن ذكرها أو يتطير بها ويقتضى الحال رفضها لأمر من الأمور بلفظه ليس فيها ذلك المانع و من هذا الباب قول إمري القيس سموت إليها بعد مانام أهلها || سمو حباب الماء حالا على حال فقالت لك الولايات إنك فاضحي || ألت ترى السمار و الناس أحوالى فلما تنازعا الحديث وأسمحت || هصرت بغصن ذى شماريخ ميال فصرنا إلى الحسنى ورق كلامنا || ورضت فذلت صعبه أى إذلال . قوله فصرنا إلى الحسنى كناية عن الرفث ومقدمات الجماع . و قال ابن قتيبة تمازح معاوية والأحنف فما رثى مازحان أوقر منهما قال [صفحہ ١٦] معاوية يا أباحر ما الشىء الملفف فى البجاد فقال السخينة يا أمير المؤمنين وإنما كنى معاوية عن رمى بنى تميم بالنهم وحب الأكل بقول القائل إذا مامات ميت من تميم || فسرك أن يعيش فجىء بزاد بخبز أو بتمر أو بسمن || أو الشىء الملفف فى البجاد تراه يطوف فى الآفاق حرصا || ليأكل رأس لقمان بن عاد . وأراد الشاعر وطب اللبن فقال الأحنف هو السخينة يا أمير المؤمنين لأن قريشا كانت تعبر بأكل السخينة قبل الإسلام لأن أكثر زمانها كان زمان قحط والسخينة ما يسخن بالنار ويذر عليه دقيق و غلب ذلك على قريش حتى سميت سخينة قال حسان زعمت سخينة أن ستغلب ربها || وليغلبن مغالب الغلاب . فعبر كل واحد من معاوية والأحنف عما أراد بلفظ غير مستهجن ولامستقيح وعلم كل واحد منهما مراد صاحبه و لم يفهم الحاضرون مادار بينهما و هذا من باب التعريض و هو قريب من الكناية . و من كنايات الكتاب العزيز أيضا قوله تعالى وَ أَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَ دِيَارَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ وَ أَرْضاً لَمْ تَطُوهَا كنى بذلك عن مناكح النساء . ومنها قوله تعالى نِسَاءُكُمْ حَرِّثُ لَكُمْ فَاتُّوا حَرِّثُكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ كنى عن مواقع النسل بمواقع الحرث . -قرآن- ٢٢٩-٣٠٠-قرآن- ٣٤٨-٣٩٨ [صفحہ ١٧] ومما ورد فى الأخبار النبوية فى هذا الباب الخبر الذى فيه أن المرأة قالت للرجل القاعد منها مقعد القابلة لا يحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه فقام عنها وتركها . و قد أخذ الصاحب بن عباد هذه اللفظة فقال لأبى العلاء الأصفهاني و قد دخل بزوجة له بكر قلبى على الجمره يا أبا العلاء || فهل فتحت الموضع المقفلا وهل فضضت الكيس عن ختمه || وهل كحلت الناظر الأحوال . وأنشد الفرزدق فى سليمان بن عبد الملك شعرا قال فيه دفن إلى لم يطمئن قبلى || وهن أصح من بيض النعام فبتن بجانبى مصرعات || وبت أفض أغلاق الختام . فاستنكر سليمان ذلك و كان غيورا جدا و قال له قد أقررت بالزنا فلأجلد نك فقال يا أمير المؤمنين إنى شاعر و إن الله يقول فى الشعراء وَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ و قد قلت ما لم أفعل قال سليمان نجوت بها . -قرآن- ١٣٧-١٧٤ و من الأخبار النبوية أيضا قوله ع فى الشهادة على الزنا حتى تشاهد الميل فى المكحلة -روايت- ١-٨٦ [صفحہ ١٨] ومنها قوله ع للمرأة التى استفتته فى الذى استخلت له و لم يستطع جماعها لا حتى تذوقى عسيلته و يذوق عسيلتك -روايت- ١-١١٥ . ومنها قول المرأة التى شكت إلى عائشة زوجها أنه يطمح بصره إلى غيرها إنى عزمت على أن أفيد الجمل إشارة إلى ربطه . ومنها قول عمر يا رسول الله هلكت قال و ما أهلكك قال حولت رحلى فقال ع أقبل وأدبر واتق الحيضة -روايت- ١-١٠٢ ففهم ص ما أراد . ورأى عبد الله بن سلام على إنسان ثوبا معصفرا فقال لو أن ثوبك فى تنور أهلك لك خيرا لك فذهب الرجل فأحرق ثوبه فى تنور أهله وظن أنه أراد الظاهر و لم يرد ابن سلام ذلك وإنما أراد لو صرف ثمنه فى دقيق يخبزه فى تنور أهله . و من ذلك قوله ص إياكم وخضراء الدمن -روايت- ١-٤٢ والدمن جمع دمنه وهى المزبله فيها البعر تنبت نباتا أخضر وكنى بذلك عن المرأة الحسناء فى منبت السوء . و من ذلك قولهم إياك وعقيلة الملح لأن الدرّة تكون فى الماء الملح ومرادهم النهى عن المرأة الحسناء وأهلها أهل سوء . و من ذلك قولهم لبس

له جلد النمر وقلب له ظهر المجن و قال أبو نواس لأذود الطير عن شجر || قد بلوت المر من ثمره . [صفحہ ۱۹] و قد فسر قوم قوله تعالى وَ إِذَا مَرَّوْا بِاللَّغْوِ مَرَّوْا كِرَامًا فَقَالُوا أَرَادَ وَإِذَاعِبْرُوا عَنِ اللَّفْظِ بِمَا يَقْبِحُ ذَكَرَهُ كُنُوا عَنْهُ فَسَمِيَ التَّعْبِيرُ عَنِ الشَّيْءِ مَرُورًا بِهِ وَ سَمِيَ الْكُنْيَاةُ عَنْهُ كَرَمًا . وَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ بِنْتَ أَعْرَابِيَّةٍ صَرَخَتْ وَقَالَتْ لَسَعْتَنِي الْعَقْرَبُ فَقَالَتْ أَمَهَا أَيْنَ فَقَالَتْ مَوْضِعٌ لَا يَضَعُ الرَّاقِي فِيهِ أَنْفَهُ كُنْتُ بِذَلِكَ عَنِ السَّوْءَةِ . وَ مِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُ سَبَّحَانَهُ مَيَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلْمَا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَ أُمَّتُهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ قَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَفْسَرِينَ هُوَ كُنْيَاةٌ عَنِ الْغَائِظِ لِأَنَّهُ يَكُونُ مِنَ الطَّعَامِ فَكُنِيَ عَنْهُ إِذَا هُوَ مِنْهُ مَسْبَبٌ كَمَا كُنُوا عَنِ السَّمَةِ بِالنَّارِ فَقَالُوا مَا نَارُ تِلْكَ أَيَّ مَاسَمَتْهَا وَ مِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ - قُرْآن - ۲۷ - ۶۵ - قُرْآن - ۳۴۲ - ۴۵۶ قَدْ وَسَمُوا آبَالَهْمِ بِالنَّارِ || وَ النَّارُ قَدْ تَشْفَى مِنَ الْأَوَارِ . وَ هَذَا مِنْ آيَاتِ الْمَعَانِي يَقُولُ هُمْ أَهْلُ عِزٍّ وَ مَنَعَةٍ فَسَقَى رَاعِيهِمْ إِبْلَهُمْ بِالسَّمَاتِ الَّتِي عَلَى الْإِبْلِ وَ عِلْمُ الْمَزَاحِمُونَ لَهُ فِي الْمَاءِ أَنَّهُ لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِمَنَازَعَتِهِمْ عَلَيْهِ لِعِزِّهِمْ فَكَانَتْ السَّمَاتُ سَبِيحًا لِسُقْيَاهَا وَ الْأَوَارُ الْعَطَشُ فَكُنِيَ سَبَّحَانَهُ بِقَوْلِهِ يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ عَنِ إِيْتَانِ الْغَائِظِ لِمَا كَانَ أَكَلَ الطَّعَامَ سَبِيحًا لَهُ كَمَا كُنِيَ الشَّاعِرُ بِالنَّارِ عَنِ السَّمَةِ لِمَا كَانَتْ النَّارُ سَبَبَ السَّمَةِ . - قُرْآن - ۲۳۰ - ۲۴۷ [صفحہ ۲۰] وَ مِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُ سَبَّحَانَهُ وَ كَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَ قَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضِكُنِي بِالْإِفْضَاءِ عَنِ الْجَمَاعِ . - قُرْآن - ۳۰ - ۸۳ وَ مِنْ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ مِنْ كَشْفِ قِنَاعِ امْرَأَةٍ وَ جَبَّ عَلَيْهِ مَهْرَهَا - رَوَايَاتُ - ۱ - ۶۱ كُنِيَ عَنِ الدَّخُولِ بِهَا بِكَشْفِ الْقِنَاعِ لِأَنَّهُ يَكْشِفُ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ غَالِبًا . وَ الْعَرَبُ تَقُولُ فِي الْكُنْيَاةِ عَنِ الْعِفَّةِ مَا وَضَعَتْ مَوْسِمَهُ عِنْدَهُ قِنَاعًا . وَ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ كَانَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصِيبُ مِنْ رَعْوَسِ نِسَائِهِ وَ هُوَ صَائِمٌ - رَوَايَاتُ - ۱ - ۷۰ كُنْتُ بِذَلِكَ عَنِ الْقَبْلَةِ . وَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَ أَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ كُنِيَ بِذَلِكَ عَنِ الْجَمَاعِ وَ الْمَخَالَطَةِ . وَ قَالَ النَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ - قُرْآن - ۴۶ - ۸۶ إِذَا مَا لَضَجِيعٌ ثَنَى عَطْفَهَا || تَنَتَتْ فَكَانَتْ عَلَيْهِ لِبَاسًا . وَ قَدْ كُنْتُ الْعَرَبُ عَنِ الْمَرْأَةِ بِالرِّيْحَانِ وَ بِالسَّرْحَةِ قَالَ ابْنُ الرِّقِيَّاتِ لِأَشْمِ الرِّيْحَانِ إِبْلَعِي || كَرَمًا إِنَّمَا تَشْمُ الْكِلَابِ أَيَّ أَفْنَعٍ مِنَ النِّسَاءِ بِالنَّظَرِ وَ لَا أَرْتَكِبُ مِنْهُنَّ مُحْرَمًا . وَ قَالَ حَمِيدُ بْنُ ثَوْرٍ الْهَلَالِيُّ أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ سَرَحَهُ مَالِكٌ || عَلَى كُلِّ أَفْنَانٍ الْعِضَاءُ تَرُوقُ فَيَا طِيبَ رِيَاهَا وَ بَرْدَ ظِلَالِهَا || إِذَا حَانَ مِنْ حَامِي النَّهَارِ وَ دَيْقُ [صفحہ ۲۱] وَ هَلْ أَنَا إِنْ عَلَلْتُ نَفْسِي بِسَرْحَةٍ || مِنْ السَّرْحِ مَسْدُودٌ عَلَى طَرِيقِ وَالسَّرْحَةُ الشَّجْرَةُ . وَ قَالَ أَعْرَابِيٌّ وَ كُنِيَ عَنْ امْرَأَتَيْنِ أَيَّا نَخَلْتِي أَوْ إِذَا كَانَ فِيكُمَا || جَنِي فَانظُرَا مِنْ تَطْعَمَانِ جَنَّاكُمَا وَ يَانَخَلْتِي أَوْ إِذَا هَبَّتِ الصَّبَا || وَ أَمْسَيْتُ مَقْرُورًا ذَكَرْتُ ذَرَاكُمَا وَ مِنْ الْأَخْبَارِ النَّبَوِيَّةِ قَوْلُهُ عَ مِنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَسْقِينِ مَاءَهُ زَرْعٌ غَيْرِهِ - رَوَايَاتُ - ۱ - ۹۴ أَرَادَ النَّهْيَ عَنِ نِكَاحِ الْحَبَائِلِ لِأَنَّهُ إِذَا وَطَّئَهَا فَقَدْ سَقَى مَاءَهُ زَرْعٌ غَيْرِهِ . وَ قَالَ صَخْوَاتُ بْنُ جَبْرِ مَافَعَلَ جَمَلُكَ يَا خَوَاتِ يَمَازِحُهُ فَقَالَ قَيْدُهُ الْإِسْلَامُ يَا رَسُولَ اللَّهِ - رَوَايَاتُ - ۱ - ۹۰ لِأَنَّ خَوَاتَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَتْ يَغْشَى الْبُيُوتَ وَ يَقُولُ شَرْدُ جَمَلِي وَ أَنَا أَطْلُبُهُ وَ إِنَّمَا يَطْلُبُ النِّسَاءَ وَ الْخُلُوءَ بَيْنَهُنَّ وَ خَوَاتُ هَذَا هُوَ صَاحِبُ ذَاتِ النَّحِيينِ . وَ مِنْ كُنَايَاتِ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ قَوْلُهُ تَعَالَى وَ لَا يَأْتِيَنَّ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِيْنَهُ بَيْنَ أَيْدِيْنَهُنَّ وَ أَرْجُلِهِنَّ كُنِيَ بِذَلِكَ عَنِ الزَّوْنِ لِأَنَّ الرَّجُلَ يَكُونُ فِي تِلْكَ الْحَالِ بَيْنَ يَدَيْ الْمَرْأَةِ وَ رِجْلَيْهَا . وَ مِنْهُ فِي الْحَدِيثِ إِذَا قَعَدَ الرَّجُلُ بَيْنَ شَعْبَيْهَا الْأَرْبَعِ . - قُرْآن - ۱۷۷ - ۲۴۵ [صفحہ ۲۲] وَ قَدْ فُسِّرَ قَوْمٌ قَوْلَهُ تَعَالَى وَ امْرَأَتُهُ حَمَالَةٌ الْحَطَبِ عَنِ النَّمِيمَةِ وَ الْعَرَبُ تَقُولُ لِمَنْ يَنْمُو وَيَشِي يُوْقَدُ بَيْنَ النَّاسِ الْحَطَبُ الرَّطْبُ . وَ قَالَ الشَّاعِرُ يَذْكُرُ امْرَأَةً - قُرْآن - ۲۷ - ۵۸ مِنْ الْبَيْضِ لَمْ تَصْطَدْ عَلَى خَيْلٍ لَامَةٌ || وَ لَمْ تَمْشِ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَطَبِ الرَّطْبِ أَيَّ لَمْ تَوْخِذْ عَلَى أَمْرِ تَلَامٍ عَلَيْهِ وَ لَمْ تَفْسُدْ بَيْنَ الْحَيِّ بِالْكَذْبِ وَ النَّمِيمَةِ . وَ مِمَّا وَرَدَ نَظِيرُ مِمَّا زَحَّهُ مَعَاوِيَةُ وَ الْأَحْنَفُ مِنَ التَّعْرِيفَاتِ أَنَّ أَبَا غَسَّانَ الْمَسْمَعِيَّ مَرَّ بِأَبِي غَفَّارِ السَّدُوسِيِّ فَقَالَ يَا غَفَّارُ مَافَعَلَ الدَّرْهَمَانُ فَقَالَ لِحَقًّا بِالدَّرْهِمِ أَرَادَ بِاللِّدَّرْهِمِيِّينَ قَوْلُ الْأَخْطَلِ فَإِنْ تَبَخَّلَ سَدُوسٌ بِدَرْهِمِيهَا || فَإِنَّ الرِّيحَ طَيِّبَةً قَبُولٌ . وَ أَرَادَ الْآخِرُ قَوْلَ بَشَّارٍ وَ فِي جِحْدَرِ لُؤْمٍ وَ فِي آلِ مَسْمَعٍ || صِلَاحٌ وَ لَكِنْ دَرْهَمُ الْقَوْمِ كَوَكْبٍ . وَ كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ عَقَالِ الْمَجَاشَعِيُّ عِنْدَ يَزِيدِ بْنِ مَزِيدِ الشَّيْبَانِيِّ وَ عِنْدَهُ سَيْفٌ تَعْرُضُ عَلَيْهِ فَدَفَعَ سَيْفًا مِنْهَا إِلَى يَدِ مُحَمَّدٍ فَقَالَ كَيْفَ تَرَى هَذَا السَّيْفَ فَقَالَ نَحْنُ أَبْصَرْنَا بِالتَّمْرِ مِنَ السَّيْفِ أَرَادَ يَزِيدُ قَوْلَ جَرِيرِ فِي الْفَرَزْدَقِ بِسَيْفِ أَبِي رَغْوَانَ سَيْفِ مَجَاشَعٍ || ضَرَبْتُ وَ لَمْ تَضْرِبْ بِسَيْفِ ابْنِ ظَالِمٍ ضَرَبْتُ بِهِ عِنْدَ الْإِمَامِ فَاَرَعَشْتُ || يَدَاكَ وَقَالُوا مُحَدَّثٌ غَيْرُ صَارِمٍ . [صفحہ ۲۳] وَ أَرَادَ مُحَمَّدُ قَوْلَ مَرْوَانَ

بن أبي حفصه لقد أفسدت أسنان بكر بن وائل || من التمر ما لوأصلحته لمارها . و قال محمد بن عمير بن عطاء التميمي لشريك النميري و على يده صقر ليس فى الجوارح أحب إلى من البازى فقال شريك إذا كان يصيد القطا أراد محمد قول جرير أناالبازى المطل على نمير || أتيح من السماء لها انصبابا . وأراد شريك قول الطرماح تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا || و لوسلكت سبل المكارم ضلت . ودخل عبد الله بن ثعلبة المحاربى على عبد الملك بن يزيد الهلالي و هو يومئذ والى أرمينية فقال له ماذا لقينا الليلة من شيوخ محارب منعونا النوم بضوضائهم و لغطهم فقال عبد الله بن ثعلبة إنهم أصلح الله الأمير أضلوا الليلة برقعا فكانوا يطلبونه أراد عبد الملك قول الشاعر تكش بلا شىء شيوخ محارب || و ماخلتها كانت تريش و لاتبرى ضفادع فى ظلماء ليل تجاوبت || فدل عليها صوتها حية البحر . وأراد عبد الله قول القائل لكل هلالي من اللؤم برقع || ولا بن يزيد برقع و جلال . [صفحہ ۲۴] وروى أبو بكر بن دريد فى كتاب الأمالى عن أبى حاتم عن العتبي عن أبيه أنه عرض على معاوية فرس و عنده عبد الرحمن بن الحكم بن أبى العاص فقال كيف ترى هذا الفرس يا أباطرف قال أراه أجش هزيما قال معاوية أجل لكنه لا يطلع على الكنائن قال يا أمير المؤمنين ما استوجبت منك هذا الجواب كله قال قد عوضتك عنه عشرين ألفا . قال أبو بكر بن دريد أراد عبد الرحمن التعريض بمعاوية بما قاله النجاشى فى أيام صفين و نجا ابن حرب سابع ذو علالة || أجش هزيم و الرماح دوانى إذا قلت أطراف الرماح تنوشه || مرته له الساقان و القدمان . فلم يحتمل معاوية منه هذا المزاح و قال لكنه لا يطلع على الكنائن لأن عبد الرحمن كان يتهم بنساء إخوته . وروى ابن دريد أيضا فى كتاب الأمالى عن أبى حاتم النخعى أن النجاشى دخل على معاوية فقال له كيف قلت و نجا ابن حرب سابع و قد علمت أن الخيل لا تجرى بمثلى فرارا قال إنما عنيت عتبه أخاك و عتبه جالس فلم يقل معاوية و لا عتبه شيئا . [صفحہ ۲۵] وورد إلى البصرة غلام من بنى فقعس كان يجلس فى المربد فينشد شعرا و يجمع الناس إليه فذكر ذلك للفرزدق فقال لأسوءه ف جاء إليه فسمع شيئا من شعره فحسده عليه فقال ممن أنت قال من بنى فقعس قال كيف تركت القنان فقال لمقابل ل صاف فقال يا غلام هل أنجدت أمك قال بل أنجد أبى . قال أبو العباس المبرد أراد الفرزدق قول الشاعر ضمن القنان لفقعس سواتها || إن القنان لفقعس لمعمر . و القنان جبل فى بلاد فقعس يريد أن هذا الجبل يستر سواتهم و أراد الغلام قول أبى المهوش و إذا يسرك من تميم خلة || فلما يسوءك من تميم أكثر أكلت أسيد و الهجيم و دارم || أير الحمار و خصيته العنبر قد كنت أحسبهم أسود خفية || فإذا الصاف يبيض فيه الحمر . و ل صاف جبل فى بلاد بنى تميم و أراد بقوله هل أنجدت أمك أى إن كانت [صفحہ ۲۶] أنجدت فقد أصابها أبى فخرجت تشبهنى فقال بل أنجد أبى يريد بل أبى أصاب أمك فوجدها بغيا . قال عبد الله بن سوار كنا على مائدة إسحاق بن عيسى بن على الهاشمى فأتينا بحريرة قد عملت بالسكر و السمن و الدقيق فقال معد بن غيلان العبدى يا حبذا السخينة ما أكلت أيها الأمير سخينة ألد من هذه فقال إنها تولد الرياح فى الجوف كثيرا فقال إن المعايب لا تذكر على الخوان . أراد معد ما كانت العرب تعير به قريشا فى الجاهلية من أكل السخينة و قد قدمنا ذكره و أراد إسحاق بن عيسى ما يعير به عبد القيس من الفسوق قال الشاعر و عبد القيس مصفر لحاها || كان فساهها قطع الضباب . و كان سنان بن أحمر النميرى يساير الأمير عمر بن هبيرة الفزارى و هو على بغلة له فتقدمت البغلة على فرس الأمير فقال اغضض بغلتك يا سنان فقال أيها الأمير إنها مكتوبة فضحك الأمير أراد عمر بن هبيرة قول جرير فغض الطرف إنك من نمير || فلا كعبا بلغت و لا كلابا . و أراد سنان قول ابن داره لا تأمنن فزاريا خلوت به || على قلو صك و اكتبها بأسيار . [صفحہ ۲۷] و كانت فزارة تعير بإتيان الإبل و لذلك قال الفرزدق يهجو عمر بن هبيرة هذا و يخاطب يزيد بن عبد الملك أمير المؤمنين و أنت بر || تقى لست بالجشع الحريص أطعمت العراق ورافديه || فزاريا أخذ يد القميص تفتق بالعراق أبوالمثنى || و علم قومه أكل الخبيص و لم يك قبلها راعى مخاض || لتأمنه على وركى قلو ص . الرافدان دجلة و الفرات و أخذ يد القميص كناية عن السرقة و الخيانة و تفتق تنعم و سمن و جارية فتق أى سمينه . و البيت الآخر كناية عن إتيان الإبل الذى كانوا يعيرون به .

وروى أبو عبيدة عن عبد الله بن عبد الأعلى قال كنا نتغدى مع الأمير عمر بن هبيرة فأحضر طباخه جام خبيص فكرهه للبيت المذكور السابق إلا- أن جلده أدركه فقال ضعه يا غلام قاتل الله الفرزدق لقد جعلنى أرى الخبيص فأستحي منه . قال المبرد و قديسير البيت فى واحد ويرى أثره عليه أبدا كقول أبى العتاهية [صفحة ٢٨] فى عبد الله بن معن بن زائدة فما تصنع بالسيف || إذا لم تك قتالا فكسر حليه السيف || وصغها لك خلخالاً . و كان عبد الله بن معن إذا تقلد السيف ورأى من يرمقه بان أثره عليه فظهر الخجل منه . ومثل ذلك ما يحكى أن جريرا قال و الله لقد قلت فى بنى تغلب بيتا لو طعنوا بعدها بالرمح فى أستاذهم ما حكوها و هو والتغلبى إذا تنحج للقرى || حكك استه وتمثل الأمثالا . وحكى أبو عبيدة عن يونس قال قال عبد الملك بن مروان يوما وعندة رجال هل تعلمون أهل بيت قيل فيهم شعر ودوا لو أنهم افتدوا منه بأموالهم فقال أسماء بن خارجة الفزارى نحن يا أمير المؤمنين قال و ما هو قال قول الحارث بن ظالم المرى و ما قومى بثعلبة بن سعد || و لا بفزارة الشعر الرقابا . فو الله يا أمير المؤمنين إنى لألبس العمامة الصفيقة فيخيل لى أن شعر قفاى قد بدا منها . [صفحة ٢٩] و قال هانئ بن قبيصة النميرى نحن يا أمير المؤمنين قال و ما هو قال قول جرير فغض الطرف إنك من نمير || فلا كعبا بلغت و لا كلابا . كان النميرى يا أمير المؤمنين إذا قيل له ممن أنت قال من نمير فصار يقول بعد هذا البيت من عامر بن صعصعة . ومثل ذلك ما يروى أن النجاشى لما هجا بنى العجلان بقوله إذا الله عادى أهل لؤم وقله || فعادى بنى العجلان رهط ابن مقبل قبيلة لا يغدرون بدمه || و لا يظلمون الناس حبة خردل و لا يردون الماء إلا عشية || إذا صدر الورد عن كل منهل و ماسمى العجلان إلا لقوله || خذ القعب فاحلب أيها العبد واعجل . فكان الرجل منهم إذا سئل عن نسبه يقول من بنى كعب و ترك أن يقول عجلانى . و كان عبد الملك بن عمير القاضى يقول و الله إن التنحج والسعال ليأخذنى و أنا فى الخلاء فأرده حياء من قول القائل إذا ذات دل كلمته لحاجة || فهم بأن يقضى تنحج أوسعل . [صفحة ٣٠] و من التعريضات اللطيفة ما روى أن المفضل بن محمد الضبى بعث بأضحية هزيل إلى شاعر فلما لقيه سأله عنها فقال كانت قليلة الدم فضحك المفضل و قال مهلا يا أبافلان أراد الشاعر قول القائل و لو ذبح الضبى بالسيف لم تجد || من اللؤم للضبى لحما و لادما . و روى ابن الأعرابى فى الأمالى قال رأى عقال بن شبة بن عقال المجاشعى على إصبع ابن عنبس وضحا فقال ما هذا البياض على إصبعك يا أبالجراح فقال سلح النعامه يا ابن أخى أراد قول جرير فضح العشيرة يوم يسلم قائما || سلح النعامه شبة بن عقال . و كان شبة بن عقال قد برز يوم الطوانة مع العباس بن الوليد بن عبد الملك إلى رجل من الروم فحمل عليه الرومى فنكص وأحدث فبلغ ذلك جريرا باليمامة فقال فيه ذلك . ولقى الفرزدق مخنثا يحمل قماشه كأنه يتحول من دار إلى دار فقال أين راحت عمتنا فقال قد نفاها الأغر يا أبافراس يريد قول جرير فى الفرزدق نفاك الأغر ابن عبدالعزيز || وحقك تنفى من المسجد . [صفحة ٣١] و ذلك أن الفرزدق ورد المدينة والأمير عليها عمر بن عبدالعزيز فأكرمه حمزة بن عبد الله بن الزبير وأعطاه وقعد عنه عبد الله بن عمرو بن عفان وقصر به فمدح الفرزدق حمزة بن عبد الله وهجا عبد الله فقال ما أنتم من هاشم فى سرها || فاذهب إليك و لابنى العوام قوم لهم شرف البطاح وأنتم || وضر البلاط موطئوا الأقدام . فلما تناشد الناس ذلك بعث إليه عمر بن عبدالعزيز فأمره أن يخرج عن المدينة و قال له إن وجدتك فيها بعد ثلاث عاقبتك فقال الفرزدق ما أرانى إلا- كشمود حين قيل لهم تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام فقال جرير يهجو -قرآن- ١٦٩-٢٠٧ نفاك الأغر ابن عبدالعزيز || وحقك تنفى من المسجد وسميت نفسك أشقى ثمود || فقالوا ضللت و لم تهتد و قد أجلوا حين حل العذاب || ثلاث ليال إلى الموعد وجدنا الفرزدق بالموسمين || خبيث المداخل والمشهد . وحكى أبو عبيدة قال بينا نحن على أشرف الكوفة وقوف إذ جاء أسماء بن خارجة الفزارى فوقف وأقبل ابن مكعب الضبى فوقف متنحيا عنه فأخذ أسماء خاتما كان فى يده فسه فيروز أزرق فدفعه إلى غلامه وأشار إليه أن يدفعه إلى ابن مكعب فأخذ ابن مكعب شسع نعله فربطه بالخاتم وأعادته إلى أسماء فتمازحا و لم يفهم أحد من الناس ما أرادا أراد أسماء بن خارجة قول الشاعر لقد زرقت عيناك يا ابن مكعب || كذا كل

ضبي من اللؤم أزرق . [صفحہ ۳۲] وأراد ابن مكعب قول الشاعر لاتأمنن فزاريا خلوت به || على قلو صك و اكتبها بأسيار . وكانت فزاره تعير ياتيان الإبل وعيرت أيضا بأكل جردان الحمار لأن رجلا منهم كان في سفر فجاج فاستطعم قوما فدفعوا إليه جردان الحمار فشواه وأكله فأكثر الشعراء ذكرهم بذلك و قال الفرزدق جهز إذا كنت مرتادا ومنتجعا || إلى فزاره عيرا تحمل الكمر إن الفزاري لويعمى فيطعمه || أير الحمار طيب أبرأ البصر إن الفزاري لايشفيه من قرم || أطايب العير حتى ينهش الذكرا . و في كتب الأمثال أنه اصطحب ثلاثة فزاري وتغلبى ومرى و كان اسم التغلبى مرقمة فصادوا حمارا وغاب عنهما الفزاري لحاجة فقالوا نخبا له جردانه نضحك منه وأكلوا سائره فلما جاء دفعا إليه الجردان وقالوا هذانصبيك فنهسه فإذا هو صلب فعرف أنهم عرضوا له بما تعاب به فزاره فاستل سيفه و قال لتأكلانه و دفعه إلى مرقمة فأبى أن يأكله فضربه فقتله فقال المرى طاح مرقمة قال و أنت إن لم تلقمه فأكله . و ذكر أبو عبيدة أن إنسانا قال لمالك بن أسماء بن خارجة الفزاري اقض ديني أيها الأمير فإن على دينا قال ما لك عندي إلا ما ضرب به الحمار بطنه فقال له عبيد بن أبي محجن [صفحہ ۳۳] بارك الله لكم يا بنى فزاره فى أير الحمار إن جعتم أكلتموه و إن أصابكم غرم قضيتموه به . ويحكى أن بنى فزاره و بنى هلال بن عامر بن صعصعة تنافروا إلى أنس بن مدرك الخثعمي وتراضوا به فقال بنو هلال أكلتم يا بنى فزاره أير الحمار فقالت بنو فزاره و أنتم مدرتم الحوض بسلككم فقضى أنس لبنى فزاره على بنى هلال فأخذ الفزاريون منهم مائة بعير كانوا تخاطروا عليها و فى مادر يقول الشاعر لقد جللت خزيا هلال بن عامر || بنى عامر طرا بسلحة مادر فأف لكم لا تذكروا الفخر بعدها || بنى عامر أنتم شرار المعاشر . و ذكر أبو العباس محمد بن يزيد المبرد فى كتاب الكامل أن قتيبة بن مسلم لمافتح سمرقند أفضى إلى أثاث لم ير مثله وآلات لم يسمع مثلها فأراد أن يرى الناس عظيم ما فتح الله عليه ويعرفهم أقدار القوم الذين ظهر عليهم فأمر بدار ففرشت و فى صحنها قدور يرتقى إليها بالسلايم فإذا بالحضين بن المنذر بن الحارث بن وعله الرقاشى قد أقبل و الناس جلوس على مراتبهم والحضين شيخ كبير فلما رآه عبد الله بن مسلم قال لأخيه قتيبة ائذن لى فى معاتبته قال لا ترده فإنه خبيث الجواب فأبى عبد الله إلا أن يأذن له و كان عبد الله يضعف و كان قد تسور حائطا إلى امرأه قبل ذلك فأقبل على الحضين فقال أ من الباب دخلت يا أباساسان قال أجل أسن عمك عن تسور [صفحہ ۳۴] الحيطان قال رأيت هذه القدور قال هى أعظم من ألا ترى قال ما أحسب بكر بن وائل رأى مثلها قال أجل و لاعيلان و لورأها سمى شعبان و لم يسم عيلان فقال عبد الله أتعرف يا أباساسان الذى يقول عزلنا وأمرنا وبكر بن وائل || تجر خصاها تبغى من تحالف . فقال أعرفه وأعرف الذى يقول فأدى الغرم من نادى مشيرا || و من كانت له أسرى كلاب و خبيبة من يخيب على غنى || وباهله بن أعصر والرباب . فقال أفتعرف الذى يقول كأن فقاح الأزد حول ابن مسمع || و قد عرقت أفواه بكر بن وائل . قال نعم وأعرف الذى يقول قوم قتيبة أمهم وأبوهم || لو لاقتيبة أصبحوا فى مجهل . قال أما الشعر فأراك ترويه فهل تقرأ من القرآن شيئا قال نعم أقرأ الأكثر الأطيب هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا - قرآن - ۸۵-۱۵۴ [صفحہ ۳۵] فأغضبه فقال و الله لقد بلغنى أن امرأه الحضين حملت إليه وهى حبلى من غيره قال فما تحرك الشيخ عن هيأته الأولى بل قال على رسله و ما يكون تلد غلاما على فراشى فيقال فلان ابن الحضين كما يقال عبد الله بن مسلم فأقبل قتيبة على عبد الله و قال له لا يبعد الله غيرك . و غرضنا من هذه الحكاية الأدبية المستحسنه قول الحضين تعريضا بفاحشه عبد الله أجل أسن عمك عن تسور الحيطان . ويحكى أن أبا العيناء أهدى إلى أبى على البصير و قد ولد له مولود حجرا يذهب فى ذلك إلى قوله ع الولد للفراش وللعاهر الحجر - روايت - ۱-۲-روايت - ۱۲-۴۰ فاستخرج أبو على ذلك بفطنته وذكائه ثم ولد بعد أيام لأبى العيناء مولود فقال له فى أى وقت ولد لك قال وقت السحر فقال اطرده قياسه و خرج فى الوقت الذى يخرج فيه أمثاله يعنى السؤال يعرض بأن أبا العيناء شحاذ و أن ولده خرج يشبهه . و من التعريضات والرموز بالفعل دون القول ما ذكره مؤرخ بن عمرو السدوسى فى كتاب الأمثال أن الأحوص بن جعفر الكلابى أتاه آت من قومه فقال أن رجلا لانعرفه جاءنا فلما دنا

منا حيث نراه نزل عن راحلته فعلق على شجره وطبا من لبن ووضع في بعض أغصانها حنظلّه ووضع صرة من تراب وحزمة من شوكة ثم أثار راحلته فاستوى عليها وذهب و كان أيام حرب تميم وقيس عيلان فنظر الأحوص في ذلك فعى به فقال أرسلوا إلى قيس بن زهير فأتوا قيسا فجاءوا به إليه فقال له ألم تك أخبرتنى أنه لا يرد [صفحة ٣٦] عليك أمر إلا عرف ما فيه ما لم تر نواصي الخيل قال ما خبرك فأعلمه فقال قد بين الصبح لذي عينين هذا رجل قد أخذت عليه العهود ألا يكلمكم ولا يرسل إليكم وأنه قد جاء فأنذركم أما الحنظلّه فإنه يخبركم أنه قد أتاكم بنو حنظلّه وأما الصرة من التراب فإنه يزعم أنهم عدد كثير وأما الشوك فيخبركم أن لهم شوكة وأما الوطب فإنه يدلكم على قرب القوم وبعدهم فذوقوه فإن كان حليبا فالقوم قريب وإن كان قارصا فالقوم بعيد وإن كان المسيخ لاحتوا ولا حامضا فالقوم لا يقرب ولا بعيد فقاموا إلى الوطب فوجدوه حليبا فبادروا الاستعداد وغشيتهم الخيل فوجدتهم مستعدين . و من الكنايات بل الرموز الدقيقة ما حكى أن قتيبة بن مسلم دخل على الحجاج وبين يديه كتاب قد ورد إليه من عبد الملك وهو يقرؤه ولا يعلم معناه وهو مفكر فقال ما ألقى أحزن الأمير قال كتاب ورد من أمير المؤمنين لا أعلم معناه فقال إن رأى الأمير إعلامى به فإوله إياه وفيه أما بعد فإنك سالم والسلام . فقال قتيبة ما لى إن استخرجت لك ما أريد به قال ولاية خراسان قال إنه ما يسرك أيها الأمير ويقر عينك إنما أراد قول الشاعر يديرونى عن سالم وأديرهم || و جلده بين العين والأنف سالم أى أنت عندى مثل سالم عند هذا الشاعر فولاه خراسان . حكى الجاحظ فى كتاب البيان والتبيين قال خطب الوليد بن عبد الملك فقال [صفحة ٣٧] أمير المؤمنين عبد الملك قال إن الحجاج جلده ما بين عيني وأنفى الأ- وإنى أقول إن الحجاج جلده وجهى كله . وعلى ذكر هذا البيت حكى أن رجلا- كان يسقى جلساءه شرابا صرفا غير ممزوج وكان يحتاج إلى المزج لبقوته فجعل يغنى لهم يديرونى عن سالم وأديرهم || و جلده بين العين والأنف سالم . فقال له واحد منهم يا أبا فلان لونقلت ما من غنائك إلى شرابك لصلح غناؤنا ونبينا جميعا . ويشبه حكاية قتيبة والحجاج كتاب عبد الملك إلى الحجاج جوابا عن كتاب كتبه إليه يغلظ فيه أمر الخوارج ويذكر فيه حال قطرى وغيره وشدة شوكتهم فكتب إليه عبد الملك أوصيك بما أوصى به البكرى زيدا والسلام . فلم يفهم الحجاج ما أراد عبد الملك فاستعلم ذلك من كثير من العلماء بأخبار العرب فلم يعلموه فقال من جاءنى بتفسيره فله عشرة آلاف درهم وورد رجل من أهل الحجاز يتظلم من بعض العمال فقال له قائل أتعلم ما أوصى به البكرى زيدا قال نعم أعلمه فليل له فأت الأمير فأخبره ولك عشرة آلاف درهم فدخل عليه فسأله فقال نعم أيها الأمير إنه يعنى قوله أقول لزيد لا تترتر فإنهم || يرون المنايا دون قتلك أوقلتى فإن وضعوا حربا فضعها وإن أبوا || فعرضه نار الحرب مثلك أو مثلى وإن رفعوا الحرب العوان التى ترى || فشب وقود النار بالحطب الجزل . فقال الحجاج أصاب أمير المؤمنين فيما أوصانى وأصاب البكرى فيما أوصى به زيدا وأصبت أيها الأعرابى ودفع إليه الدراهم . [صفحة ٣٨] وكتب إلى المهلب أن أمير المؤمنين أوصانى بما أوصى به البكرى زيدا وأنا أوصيك بذلك وبما أوصى به الحارث بن كعب بنيه . فنظر المهلب فى وصية الحارث بن كعب فإذا فيها يابنى كونوا جميعا ولا تكونوا شيئا فتفرقوا وبزوا قبل أن تبزوا الموت فى قوة وعزير من الحياة فى ذل وعجز . فقال المهلب صدق البكرى وأصاب وصدق الحارث وأصاب . واعلم أن كثيرا مما ذكرناه داخل فى باب التعريض وخارج عن باب الكناية وإنما ذكرناه لمشابهة الكناية وكونهما كالنوعين تحت جنس عام وسنذكر كلاما كلييا فيهما إذا انتهينا إلى آخر الفصل إن شاء الله . و من الكنايات قول أبى نواس وناظرة إلى من النقاب || تلاحظنى بطرف مستراب كشفت قناعها فإذا عجز || مموه المفارق بالخضاب فما زالت تجشمنى طويلا || وتأخذ فى أحاديث التصابى تحاول أن يقوم أبوزياد || ودون قيامه شيب الغراب أت بجرابها تكتال فيه || فقامت وهى فارغة الجراب . والكناية فى البيت الأخير وهى ظاهرة ومنها قول أبى تمام ما لى رأيت ترابكم بئس الثرى || ما لى أرى أطوادكم تتهدم . [صفحة ٣٩] فكنى ببئس الثرى عن تنكر ذات بينهم وبتهدم الأطواد عن خفة حلومهم وطيش عقولهم . ومنها قول أبى الطيب وشر ما فنصته راحتى فنص

|| شهب البزاة سواء فيه والرخم . كنى بذلك عن سيف الدولة و أنه يساوى بينه و بين غيره من أراذل الشعراء وخامليهم فى الصلّة والقرب . و قال الأقيشر لرجل ماأراد الشاعر بقوله ولقد غدوت بمشرف يافوخه || مثل الهراوة ماؤه يتفصد أرن يسيل من المراح لعابه || ويكاد جلد إهابه يتقدد . قال إنه يصف فرسا فقال حملك الله على مثله وهذان البيتان من لطيف الكناية ورشيقتها وإنما عنى العضو . وقريب من هذه الكناية قول سعيد بن عبدالرحمن بن حسان و هو غلام يختلف إلى عبدالصمد بن عبدالأعلى مؤدب ولد هشام بن عبدالملك و قد جمشه عبدالصمد فأغضبه فدخل إلى هشام فقال له إنه و الله لو لا أنت لم || ينج منى سالما عبدالصمد . [صفحہ ٤٠] فقال هشام و لم ذلك قال إنه قد رام منى خطه || لم يرمها قبله منى أحد . قال هشام و ماهى ويحك قال رام جهلا بى و جهلا بأبى || يدخل الأفعى إلى بيت الأسد . فضحك هشام و قال لوضربته لم أنكر عليك . و من هذا الباب قول أبى نواس إذا ماكنت جار أبى حسين || فتم ويداك فى طرف السلاح فإن له نساء سارقات || إذا مابتن أطراف الرماح سرقن و قدنزلت عليه عضوى || فلم أظفر به حتى الصباح فجاء و قد تخدش جانباه || يثن إلى من ألم الجراح . و الكناية فى قوله أطراف الرماح و فى قوله فى طرف السلاح . و من الكناية الحسنه قول الفرزدق يرثى امرأته و قد ماتت بجمع و جفن سلاح قدرزئت فلم أنح || عليه و لم أبعث عليه البواكيا و فى جوفه من دارم ذو حفيظة || لو أن المنيا أخطأته لياليا . [صفحہ ٤١] أخذه الرضى رحمه الله تعالى فقال يرثى امرأه إن لم تكن نصلا فعمد نصول || غالته أحداث الزمان بغول أو لم تكن بأبى شبول ضيغم || تدمى أظافره فأم شبول . و من الكنايات ما يروى أن رجلا من خواص كسرى أحب الملك امرأته فكان يختلف إليها سرا و تختلف إليه فعلم بذلك فهجرها و ترك فراشها فأخبرت كسرى فقال له يوما بلغنى أن لك عينا عذبة و أنك لا تشرب منها فقال بلغنى أيها الملك أن الأسد يردّها فخفته فتركتها له فاستحسن ذلك منه و وصله . و من الكنايات الحسنه قول حاتم و ماتشتكىنى جارتى غيرأنتى || إذا غاب عنها بعلمها لأزورها سيبلغها خيري ويرجع بعلمها || إليها و لم يسبل على ستورها . فكنى بإسبال الستر عن الفعل لأنه يقع عنده غالبا . فأما قول عمر من أرخى سترا أو أعلق بابا فقد وجب عليه المهر -رواية- ١-٢- رواية- ١١-٥٩ فيمكن أن يكنى بذلك عن الجماع نفسه ويمكن أن يكنى به عن الخلوة فقط و هو مذهب أبى حنيفة و هو الظاهر من اللفظ لأمرين أحدهما قوله أعلق بابا فإنه لو أراد الكناية لم يحسن الترديد بأو و ثانيهما أنه قد كان مقررا عندهم أن الجماع نفسه يوجب كمال المهر فلم يكن به حاجة إلى ذكر ذلك . ويشبه قول حاتم فى الكناية المقدم ذكرها قول بشار بن بشر [صفحہ ٤٢] و إنى لعف عن زيارة جارتى || و إنى لمشئوء إلى اغتياها و لم أك طلابا أحاديث سرها || و لاعالما من أى حوك ثيابها إذا غاب عنها بعلمها لم أكن لها || زءورا و لم تنبح على كلابها . و قال الأخطل فى ضد ذلك يهجو رجلا و يرميه بالزنا سبنتى يظل الكلب يمضغ ثوبه || له فى ديار الغايات طريق . السبنتى النمر يريد أنه جرىء وقح و أن الكلب لأنسه به و كثرة اختلافه إلى جاراته يعرفه ويمضغ ثوبه يطلب ما يطعمه والعفيف ينكره الكلب و لا يأنس به ثم أكد ذلك بأنه قد صار له بكثرة تردده إلى ديار النساء طريق معروف . و من جيد الكناية عن العفة قول عقيل بن علفه المرى ولست بسائل جارات بيتى || أغياب رجالك أم شهود [صفحہ ٤٣] و لاملق لذى الودعات سوطى || الأعبه و ريبته أريد . و من جيد ذلك ومختاره قول مسكين الدارمى نارى و نار الجار واحدة || و إليه قبلى تنزل القدر ماضر جارا لى أجاوره || ألا يكون لبابه ستر أعمى إذا ماجارتى برزت || حتى يوارى جارتى الخدر . والعرب تكنى عن الفرج بالإزار فتقول هو عفيف الإزار وبالذيل فتقول هو طاهر الذيل وإنما كنوا بهما لأن الذيل والإزار لا بد من رفعهما عند الفعل و قد كنوا بالإزار عن الزوجة فى قول الشاعر ألا أبلغ أبابشر رسولا || فدا لك من أخى ثقة إزارى . يريد به زوجتى أو كنى بالإزار هاهنا عن نفسه . و قال زهير [صفحہ ٤٤] الحافظون ذمام عهدهم || والطيبون معاقد الأزر الستر دون الفاحشات و لا- || يلقاك دون الخير من ستر . ويقولون فى الكناية عن العفيف ما وضعت مومسة عنده قناعها و لارفع عن مومسة ذيلا . و قد أحسن ابن طباطبا فى قوله فطربت طربة فاسق متهتك || وعففت عفة

ناسك متحرج الله يعلم كيف كانت عفتي || ما بين خلخال هناك ودملج . و من الكناية عن العفة قول ابن ميادة و مانلت منها محرما غير أننى || أقبل بساما من الثغر أفلجا وألثم فاها آخذا بقرونها || وأترك حاجات النفوس تحرجا . فكنى عن الفعل نفسه بحاجات النفوس كما كنى أبو نواس عنه بذلك العمل فى قوله مر بنا والعيون ترمقه || تجرح منه مواضع القبل [صفحہ ۴۵] أفرغ فى قالب الجمال فما || يصلح إلالذلك العمل . و كما كنى عنه ابن المعتز بقوله وزارنى فى ظلام الليل مستترا || يستعجل الخطو من خوف و من حذر ولاح ضوء هلال كاد يفضحه || مثل القلامه قد قصت من الظفر فقامت أفرش خدى فى الطريق له || ذلا- وأسحب أذيالى على الأثر فكان ما كان مما لست أذكره || فظن خيرا و لاتسأل عن الخبر . ومما تطيروا من ذكره فكنوا عنه قولهم مات فإنهم عبروا عنه بعبارات مختلفه داخله فى باب الكناية نحو قولهم لعق إصبعة وقالوا اصفرت أنامله لأن اصفرار الأنامل من صفات الموتى قال الشاعر فقربانى بأبى أنتما || من وطنى قبل اصفرار البنان وقبل منعائى إلى نسوة || منزلها حران والرقتان . و قال ليلى و كل أناس سوف تدخل بينهم || دويهية تصفر منها الأنامل يعنى الموت . ويقولون فى الكناية عنه صك لفلان على أبى يحيى و أبويحيى كنية الموت كنى عنه بضده كما كنوا عن الأسود بالأبيض و قال الخوارزمى سريعه موت العاشقين كأنما || يغار عليهم من هواها أبويحيى [صفحہ ۴۶] و كنى رسول الله ص عنه بهاذم اللذات فقال أكثروا من ذكر هاذم اللذات -روايت- ۱- ۲-روايت- ۹- ۳۷ . و قال أبو العتاهية رأيت المنايا قسمت بين أنفس || ونفسى سيأتى بينهن نصيبها فيا هاذم اللذات مامتك مهرب || تحاذر نفسى منك ماسيبيها . وقالوا حلقت به العنقاء وحلقت به عنقاء مغرب قال فلو لادفعاى اليوم عنك لحلقت || بشلوك بين القوم عنقاء مغرب . وقالوا فيه زل الشراك عن قدمه قال لا يسلمون العداة جارهم || حتى يزل الشراك عن قدمه أى حتى يموت فيستغنى عن لبس النعل . فأما قولهم زلت نعله فيكنى به تارة عن غلظه وخطئه وتارة عن سوء حاله واختلال أمره بالفقر وهذا المعنى الأخير أرادہ الشاعر بقوله سأشكر عمرا ماتراخت منيتى || أيا دى لم تمنن و إن هى جلت [صفحہ ۴۷] فتى غير محجوب الغنى عن صديقه || و لا مظهر الشكوى إذا النعل زلت رأى خلتي من حيث يخفى مكانها || فكانت قذى عينيه حتى تجلت . ويقولون فيه شالت نعماته قال ياليت أمتى قد شالت نعماتها || أيما إلى جنه أيما إلى نار ليست بشبعى و لو أوردتها هجرا || و لا بريا و لو حلت بذى قار أى لا يشبعها كثرة التمر و لو نزلت هجر و هجر كثيرة النخل و لا تروى و لو نزلت ذا قار و هو موضع كثير الماء . قال ابن دريد والنعامه خط باطن القدم فى هذه الكناية . ويقال أيضا للقوم قد تفرقوا بجلاء عن منازلهم شالت نعماتهم و ذلك لأن النعامه خفيفه الطيران عن وجه الأرض كأنهم خفوا عن منزلهم . و قال ابن السكيت يقال لمن يغضب ثم يسكن شالت نعماته ثم وقعت وقالوا أيضا فى الكناية عن الموت مضى لسبيله واستأثر الله به ونقله إلى جواره ودعى فأجاب وقضى نجه والنحب النذر كأنهم رأوا أن الموت لما كان حتما فى الأعناق كان نذرا . وقالوا فى الدعاء عليه اقتضاه الله بذنبه إشارة إلى هذا وقالوا ضحا ظله ومعناه صار ظله شمسا و إذا صار الظل شمسا فقد عدم صاحبه . ويقولون أيضا خلى فلان مكانه وأنشد ثعلب للعتبي فى السرى بن عبد الله كان الذى يأتى السرى لحاجة || أباح إليه بالذى جاء يطلب إذا ما ابن عبد الله خلى مكانه || فقد حلقت بالجود عنقاء مغرب . [صفحہ ۴۸] و قال دريد بن الصمه فإن يك عبد الله خلى مكانه || فما كان وقافا و لا طائش اليد . وكثير ممن لا يفهم يعتقد أنه أراد بقوله خلى مكانه فر و لو كان كذلك لكان هجاء . ويقولون وقع فى حياض غتيم و هو اسم للموت . ويقولون طار من ماله الثمين يريدون الثمن يقال ثمن و ثمين وسبع وسبيع و ذلك لأن الميت ترث زوجته من ماله الثمن غالبا قال الشاعر يذكر جوده بماله ويخاطب امرأته فلا وأبيك لأولى عليها || لتمنع طالبا منها اليمين فإننى لست منك ولست منى || إذا ما طار من مالى الثمين أى إذ امت فأخذت ثمنك من تركتى . وقالوا لحق باللطيف الخبير قال و من الناس من يحبك حبا || ظاهر الود ليس بالتقصير فإذا ما سألته ربع فلس || ألحق الود باللطيف الخبير . و قال أبو العلاء لاتسل عن عداك أين استقروا || لحق القوم باللطيف الخبير . [صفحہ ۴۹] ويقولون قرض رباطه أى كاد يموت جهدا وعطشا .

وقالوا فى الدعاء عليه لاعد من نفره أى إذاعد قومه فلاعد معهم وإنما يكون كذلك إذامات قال إمرؤ القيس فهو لانمى رميته || ما له لاعد من نفره . و هذاإنما يريد به وصفه والتعجب منه لا أنه يدعو عليه حقيقة كما تقول لمن يجيد الطعن شلت يده ماأحدقه . وقالوا فى الكناية عن الدفن أضلوه وأصلوا به قال الله تعالى وَ قَالُوا أَ إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أى إذادفنا فى الأرض . وقال المخبل السعدى -قرآن- ١٧٣-٢٣٩ أضلت بنو قيس بن سعد عميها || وسيها فى الدهر قيس بن عاصم . ويقولون للمقتول ركب الأشقر كناية عن الدم وإليه أشار الحارث بن هشام المخزومى فى شعره الذى يعتذر به عن فراره يوم بدر عن أخيه أبى جهل بن هشام حين قتل الله يعلم ما تركت قتالهم || حتى علوا فرسى بأشقر مزبد [صفحه ٥٠] وعلمت أنى إن أقاتل واحدا || أقتل ولايضرر عدوى مشهدى فصدت عنهم والأحبة فيهم || طمعا لهم بعقاب يوم مرصد . أراد بدم أشقر فحذف الموصوف وأقام الصفة مقامه كناية عنه والعرب تقيم الصفة مقام الموصوف كثيرا كقوله تعالى وَ حَمَلْنَا عَلَى ذَاتِ الْأَوَاحِ وَ دُسِيرٍ أى على سفينة ذات ألواح وكقول عنتره -قرآن- ١١٧-١٥٦ تمكو فريسته كشدق الأعلم أى كشدق الإنسان الأعلم أوالبعير الأعلم . ويقولون ترك فلان بجعجاج أى قتل قال أبوقيس بن الأسلت من يذق الحرب يجد طعمها || مرا وتركه بجعجاج أى تتركه قتيلا- مخلى بالفضاء . ومما كنوا عنه قولهم للمقيد هو محمول على الأدهم والأدهم القيد قال الشاعر أوعدنى بالسجن والأدهم || رجلى ورجلى شنة المناسم . وقال الحجاج للغضبان بن القبعثرى لأحملنك على الأدهم فتجاهل عليه وقال مثل الأمير حمل على الأدهم والأشهب . [صفحه ٥١] وقد كنوا عن القيد أيضا بالأسمر أنشد ابن عرفة لبعضهم فما وجد صعلوك بصنعاء موثق || بساقيه من سمر القيود كبول قليل الموالى مسلم بجريرة || له بعدنومات العيون غليل يقول له البواب أنت معذب || غداة غد أوراخ فقتيل بأكثر من وجدى بكم يوم راعنى || فراق حبيب ما إليه سبيل و هذا من لطيف شعر العرب وتشبيهها . و من كناياتهم عنه ركب رده وأصله فى السهم يرمى به فيرتدع نصله فيه يقال ارتدع السهم إذارجع النصل فى السنخ متجاوزا فقولهم ركب رده أى وقص فدخل عنقه فى صدره قال الشاعر و هو من شعر الحماسة تقول وصكت صدرها بيمينها || أبعلى هذا بالرحا المتقاعس فقلت لها لاتعجلى وتبينى || بلاى إذاالتفت على الفوارس ألت أرد القرن يركب رده || و فيه سنان ذو غرارين يابس لعمر أيبك الخير إنى لخدام || لضيفى وإنى إن ركبت لفارس . وأنشد الجاحظ فى كتاب البيان والتبيين لبعض الخوارج ومسوم للموت يركب رده || بين الأسنان والقنا الخطار يدنو وترفعه الرماح كأنه || شلو تنشب فى مخالِب ضارى [صفحه ٥٢] فتوى صريعا والرماح تنوشه || إن الشراة قصيرة الأعمار . وقد تطيرت العرب من لفظه البرص فكنوا عنه بالوضح فقالوا جذيمة الوضح يريدون الأبرص وكنى عنه بالأبرص أيضا و كل أبيض عندالعرب وضاح ويسمون اللبن وضحا يقولون ما أكثر الوضح عندبنى فلان . ومما تفاءلوا به قولهم للفلاة التى يظن فيهاالهلاك مفازة اشتقاقا من الفوز و هو النجاة و قال بعض المحدثين أحب الفأل حين رأى كثيرا || أبوه عن اقتناء المجد عاجز فسماه لقلته كثيرا || كتلقب المهالك بالمفاوز . فأما من قال إن المفازة مفعلة من فوز الرجل أى هلك فإنه يخرج هذه اللفظة من باب الكنايات . و من هذا تسميتهم اللديغ سليما قال كأنى من تذكر ماألقى || إذا ماأظلم الليل البهيم سليم مل منه أقربوه || وأسلمه المجاور والحميم . [صفحه ٥٣] وقال أبوتمام فى الشيب شعلة فى المفارق استودعتنى || فى صميم الأحشاء ثكلا صميما تستثير الهموم مااكتن منها || صعدا وهى تستثير الهموما دقة فى الحياة تدعى جلالا || مثلما سمي اللديغ سليما غرة بهمة ألا إنما كنت || أغرا أيام كنت بهيما حلمتنى زعمتم وأرانى || قبل هذا التحليم كنت حليفا . و من هذا قولهم للأعور ممتع كأنهم أرادوا أنه قدم مع بقاء إحدى عينيه و لم يحرم ضوءهما معا . و من كناياتهم على العكس قولهم للأسود يا أباالبيضاء وللأسود أيضا ياكافور وللأبيض يا أباالجون وللأقرع يا أباالجعد . وسموا الغراب أعور لحدة بصره قال ابن ميادة لإطرقتنا أم عمرو ودونها || فياف من البيداء يعشى غرابها [صفحه ٥٤] خص الغراب بذلك لحدة نظره أى فكيف غيره . ومما جاء فى تحسين اللفظ ماروى أن المنصور كان فى

بستان داره والربيع بين يديه فقال له ما هذه الشجرة فقال وفاق يا أمير المؤمنين وكانت شجرة خلاف فاستحسن منه ذلك . ومثل هذا استحسن الرشيد قول عبد الملك بن صالح وقد أهدى إليه باكورة فأكهه في أطباق خيزران بعثت إلى أمير المؤمنين في أطباق قضبان تحمل من جنايا باكورة بستانه ماراج وأينع فقال الرشيد لمن حضر ما أحسن ما كنى عن اسم أمنا. ويقال إن عبد الملك سبق بهذه الكناية وإن الهادي قال لابن دأب وفي يده عصا ماجنس هذه فقال من أصول القنا يعني الخيزران والخيزران أم الهادي والرشيد معا. وشبيه بذلك ما يقال إن الحسن بن سهل كان في يده ضغث من أطراف الأبراك فسأله المأمون عنه ما هذه فقال محاسنك يا أمير المؤمنين تجنبا لأن يقول مساوئك وهذا الطيف . و من الكنايات اللطيفة أن عبد الملك بعث الشعبي إلى أخيه عبدالعزيز بن مروان وهو أمير مصر يومئذ ليسبر أخلاقه وسياسته ويعود إليه فيخبره بحاله فلما عاد سأله فقال وجدته أحوج الناس إلى بقائك يا أمير المؤمنين وكان عبدالعزيز يضعف . و من الألفاظ التي جاءت عن رسول الله ص من باب الكنايات قوله ص بعثت إلى الأسود والأحمر -رواية 1-2-رواية 12-37 يريد إلى العرب والعجم فكنى عن العرب بالسود وعن العجم بالحمر والعرب تسمى العجمي أحمر لأن الشقرة تغلب عليه . [صفحہ 55] قال ابن قتيبة خطب إلى عقيل بن علفه المري ابنته هشام بن إسماعيل المخزومي وكان والي المدينة وخال هشام بن عبد الملك فرده لأنه كان أبيض شديد البياض وكان عقيل أعرايا جافيا غيورا مفرط الغيرة وقال رددت صحيفة القرشي لما || أبت أعراقه إلا احمرارا فرده لأنه توسم فيه أن بعض أعراقه ينزع إلى العجم لمارأى من بياض لونه وشقرته . و منه قول جرير يذكر العجم يسموننا الأعراب والعرب اسمنا || وأسماءهم فينا رقاب المزود وإنما يسمونهم رقاب المزود لأنها حمراء. و من كناياتهم تعبيرهم عن المفخرة بالمساجلة وأصلها من السجل وهي الدلو المليء كان الرجلان يستقيان فأيهما غلب صاحبه كان الفوز والفخر له قال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب بن عبدالمطلب وأنا الأخضر من يعرفني || أخضر الجلد من بيت العرب من يساجلني يساجل ماجدا || يملأ الدلو إلى عقد الكرب برسول الله وابن عمه || وعباس بن عبدالمطلب . ويقال إن الفرزدق مر بالفضل وهو ينشد من يساجلني فقال أنا أساجلك [صفحہ 56] ونزع ثيابه فقال الفضل برسول الله وابن عمه فلبس الفرزدق ثيابه وقال أعرض الله من يساجلك بما نفت المواسي من بظر أمه ورواها أبو بكر بن دريد بما أبقث المواسي. و قد نزل القرآن العزيز على مخرج كلام العرب في المساجلة فقال تبارك وتعالى فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمُ الذُّنُوبِ الدُّلُوعِ والمراد ما ذكرناه . و قال المبرد المراد بقوله وأنا الأخضر أي الأسمر والأسود والعرب كانت تفتخر بالسمر والسواد وكانت تكره الحمرة والشقرة وتقول إنهما من ألوان العجم . و قال ابن دريد مراده أن بيتي ربيع أبدا مخصب كثير الخير لأن الخصب مع الخضرة و قال الشاعر -قرآن- 252-310 قوم إذا خضرت نعالهم || يتناهقون تناهق الحمر . أي إذا أعشبت الأرض خضرت نعالهم من وطئهم إياها فأغار بعضهم على بعض والتناهى هاهنا أصواتهم حين ينادون للغارة ويدعو بعضهم بعضا ونظير هذا البيت قول الآخر قوم إذا نبت الربيع لهم || نبتت عداوتهم مع البقل . أي إذا أخصبوا وشبعوا غزا بعضهم بعضا ومثله قول الآخر يا ابن هشام أهلك الناس اللبن || فكلهم يغدو بسيف وقرن . أي تسفهوا لمارأوا من كثرة اللبن والخصب فأفسدوا في الأرض وأغار بعضهم على بعض والقرن الجعبة. [صفحہ 57] وقيل لبعضهم متى يخاف من شر بني فلان فقال إذا البنوا. و من الكنايات الداخلة في باب الإيماء قول الشاعر فتى لا يرى قد القميص بخصره || ولكنما يوهى القميص عواتقه . لما كان سلامة القميص من الخرق في موضع الخصر تابعا لدقة الخصر ووهنه في الكاهل تابعا لعظم الكاهل ذكر مادل بهما على دقة خصر هذا الممدوح وعظم كاهله و منه قول مسلم بن الوليد فرعاء في فرعها ليل على قمر || على قضيب على حقف النقا الدهس كأن قلبي وشاحا إذا خطرت || وقلبها قلبها في الصمت والخرس تجرى محبتها في قلب عاشقها || مجرى السلامة في أعضاء منتكس . فلما كان قلق الوشاح تابعا لدقة الخصر ذكره دالا- به عليه . و من هذا الباب قول القائل إذا غرد المكاء في غير روضة || فويل لأهل الشاء والحمراء

أوماً بذلك إلى الجذب لأن المكاء يألف الرياض فإذا أجدبت الأرض سقط في غير روضه وغرد فالويل حينئذ لأهل الشاء والحر. ومنه قول القائل لعمري لنعم الحى حى بنى كعب || إذا جعل الخلخال فى موضع القلب . [صفحہ ۵۸] القلب السوار يقول نعم الحى هؤلاء إذ اربيع الناس وخافوا حتى إن المرأة لشده خوفها تلبس الخلخال مكان السوار فاختصر الكلام اختصارا شديدا. ومنه قول الأفوه الأودى إن بنى أود هم ما هم || للحرب أوللجذب عام الشمس . أشار إلى الجذب وقله السحب والمطر أى الأيام التى كلها أيام شمس وصحو لا غيم فيها ولا مطر. فقد ذكرنا من الكنايات والتعريضات وما يدخل فى ذلك ويجرى مجراه من باب الإيماء والرمز قطعة صالحه وسنذكر شيئا آخر من ذلك فيما بعد إن شاء الله تعالى إذ امرنا فى شرح كلامه ع بما يقتضيه ويستدعيه [صفحہ ۵۹]

حقيقة الكناية والتعريض والفرق بينهما

وقد كنا وعدنا أن نذكر كلاما كليا فى حقيقة الكناية والتعريض والفرق بينهما فنقول الكناية قسم من أقسام المجاز وهو إبدال لفظه عرض فى النطق بهامان بلفظه لا مانع عن النطق بها كقوله ع قرارات النساء لما وجد الناس قد تواضعوا على استهجان لفظه أرحام النساء. وأما التعريض فقد يكون بغير اللفظ كدفع أسماء بن خارجة الفص الفيروز الأزرق من يده إلى ابن معكبر الضبى ادكارا له بقول الشاعر كذا كل ضبى من اللؤم أزرق . فالتعريض إذا هو التنبه بفعل أو لفظ على معنى اقتضت الحال العدول عن التصريح به . وأنا حكى هاهنا كلام نصر الله بن محمد بن الأثير الجزرى فى كتابه المسمى بالمثل السائر فى الكناية والتعريض وأذكر ما عندى فيه قال خلط أرباب هذه الصناعة الكناية بالتعريض ولم يفصلوا بينهما فقال ابن سنان إن قول إمري القيس فصرنا إلى الحسنى ورق كلامنا || ورضت فذلت صعبة أى إذلال [صفحہ ۶۰] من باب الكناية والصحيح أنه من باب التعريض . قال وقد قال الغانمى والعسكرى وابن حمدون وغيرهم نحو ذلك ومزجوا أحد القسمين بالآخر. قال وقد حد قوم الكناية فقالوا هى اللفظ الدال على الشىء بغير الوضع الحقيقى بوصف جامع بين الكناية والمكنى عنه كاللمس والجماع فإن الجماع اسم لموضوع حقيقى واللمس كناية عنه وبينهما وصف جامع إذ الجماع لمس وزيادة فكان دالا عليه بالوضع المجازى. قال وهذا الحد فاسد لأنه يجوز أن يكون حدا للتشبيه والمشبه فإن التشبيه هو اللفظ الدال على الوضع الحقيقى الجامع بين المشبه والمشبه به فى صفة من الأوصاف ألا ترى إذ قلنا زيد أسد كان ذلك لفظا دالا على غير الوضع الحقيقى بوصف جامع بين زيد والأسد وذلك الوصف هو الشجاعة. قال وأما أصحاب أصول الفقه فقالوا فى حد الكناية إنها اللفظ المحتمل ومعناه أنها اللفظ الذى يحتمل الدلالة على المعنى وعلى خلافه . وهذا منقوض بالألفاظ المفردة المشتركة وبكثير من الأقوال المركبة المحتملة للشىء وخلافه وليست بكنايات . قال وعندى أن الكنايات لا بد أن يتجاوزها جانبا حقيقة ومجاز ومتى أفردت جاز حملها على الجانبين معا ألا ترى أن اللمس فى قوله سبحانه أو لا مستم النساء - قرآن - ۱۰۶۲-۱۰۸۳ [صفحہ ۶۱] يجوز حمله على الحقيقة والمجاز وكل منهما يصح به المعنى ولا يختل ولهذا قال الشافعى إن ملامسة المرأة تنقض الوضوء والطهارة. وذهب غيره إلى أن المراد باللمس فى الآية الجماع وهو الكناية المجازية فكل موضع يرد فيه الكناية فسيبيله هذا السبيل وليس التشبيه بهذه الصورة ولا غيره من أقسام المجاز لأنه لا يجوز حمله إلا على جانب المجاز خاصة ولو حمل على جانب الحقيقة لاستحال المعنى ألا ترى أنا إذ قلنا زيد أسد لم يصح أن يحمل إلا على الجهة المجازية وهى التشبيه بالأسد فى شجاعته ولا يجوز حمله على الجهة الحقيقية لأن زيدا لا يكون سبعا ذا أنياب ومخالب فقد صار إذن حد الكناية أنها اللفظ الدال على معنى يجوز حمله على جانبى الحقيقة والمجاز بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز. قال والدليل على ذلك أن الكناية فى أصل الوضع أن تتكلم بشىء وتريد غيره يقال

كنيت بكذا عن كذا فهي تدل على ماتكلمت به و على ماأردته من غيره فلايخلو إما أن يكون فى لفظ تجاذبه جانباً حقيقةً وحقيقةً أو فى لفظ تجاذبه جانباً مجازاً ومجازاً أو فى لفظ لايتجاذبه أمر و ليس لنا قسم رابع . والثانى باطل لأن ذاك هو اللفظ المشترك فإن أطلق من غير قرينه مخصصه كان مبهماً غير مفهوم و إن كان معه قرينه صار مخصصاً لشيء بعينه والكناية أن تتكلم بشيء وتريد غيره و ذلك مخالف للفظ المشترك إذا أضيف إليه القرينه لأنه يختص بشيء واحد بعينه ولا يتعداه إلى غيره والثالث باطل أيضاً لأن المجاز لا بد له من حقيقة ينقل عنها لأنه فرع عليها. [صفحة ٦٢] و ذلك اللفظ الدال على المجاز إما أن يكون للحقيقة شركة فى الدلالة عليه أو لا يكون لها شركة فى الدلالة عليه كان اللفظ الواحد قد دل على ثلاثة أشياء أحدها الحقيقة والآخرا المجازان . وهذا مخالف لأصل الوضع لأن أصل الوضع أن تتكلم بشيء و أنت تريد غيره وهاهنا يكون قد تكلمت بشيء و أنت تريد شيئين غيرين و إن لم يكن للحقيقة شركة فى الدلالة كان ذلك مخالفاً لأصل الوضع أيضاً إذ أصل الوضع أن تتكلم بشيء و أنت تريد غيره فيكون الذى تكلمت به دالاً على غيره و إذا أخرجت الحقيقة عن أن يكون لها شركة فى الدلالة لم يكن الذى تكلمت به و هذا محال فثبت إذن أن الكناية هى أن تتكلم بالحقيقة و أنت تريد المجاز. قال و هذا ما لم يسبقنى إليه أحد. ثم قال قد أتى من الكلام ما يجوز أن يكون كنايةً ويجوز أن يكون استعارةً ويختلف ذلك باختلاف النظر إليه بمفرده والنظر إلى ما بعده كقول نصر بن سيار فى أبياته المشهورة التى يحرض بها على بنى أمية عند خروج أبى مسلم أرى خلل الرماد وميض جمر || ويوشك أن يكون له ضرام فإن النار بالزندان تورى || و إن الحرب أولها كلام [صفحة ٦٣] أقول من التعجب ليت شعرى || أيقاظ أمية أم نيام . فالبيت الأول لو ورد بمفرده لكان كنايةً لأنه لا يجوز حمله على جانبى الحقيقة والمجاز فإذا نظرنا إلى الآيات بجملتها كان البيت الأول المذكور استعارةً لا كنايةً. ثم أخذ فى الفرق بين الكناية والتعريض فقال التعريض هو اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم لا بالوضع الحقيقى و لا بالمجازى فإنك إذا قلت لمن تتوقع معروفه وصلته بغير طلب أنا محتاج و لا شيء فى يدي و أنا عريان والبرد قد آذانى فإن هذا وأشباهه تعريض بالطلب و ليس اللفظ موضوعاً للطلب لا حقيقةً و لا مجازاً وإنما يدل عليه من طريق المفهوم بخلاف قوله أو لأمست النساء و على هذا ورد تفسير التعريض فى خطبة النكاح كقولك للمرأة أنت جميلة أو إنك خلية و أنا عزب فإن هذا وشبهه لا يدل على طلب النكاح بالحقيقة و لا بالمجاز والتعريض أخفى من الكناية لأن دلالة الكناية وضعية من جهة المجاز ودلالة التعريض من جهة المفهوم المركب وليست وضعية وإنما يسمى التعريض تعريضاً لأن المعنى فيه يفهم من عرض اللفظ المفهوم أى من جانبه . -قرآن- ٥٢٣-٥٢٤ [صفحة ٦٤] قال واعلم أن الكناية تشتمل على اللفظ المفرد واللفظ المركب فتأتى على هذا مرة و على هذا أخرى و أما التعريض فإنه يختص باللفظ المركب و لا يأتى فى اللفظ المفرد البتة لأنه لا يفهم المعنى فيه من جهة الحقيقة و لا من جهة المجاز بل من جهة التلويح والإشارة و هذا أمر لا يستقل به اللفظ المفرد ويحتاج فى الدلالة عليه إلى اللفظ المركب . قال فقد ظهر فيما قلنا فى البيت الذى ذكره ابن سنان مثال الكناية ومثال التعريض هوييت إمري القيس لأن غرض الشاعر منه أن يذكر الجماع إلا أنه لم يذكره بل ذكر كلاماً آخر ففهم الجماع من عرضه لأن المصير إلى الحسنى ورقة الكلام لا يدلان على الجماع لا حقيقةً و لا مجازاً. ثم ذكر أن من باب الكناية قوله سبحانه أنزل من السماء ماءً فسالت أوديةً بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً و مما يؤقدون عليه فى النار... الآية قال كنى بالماء عن العلم والأودية عن القلوب وبالزبد عن الضلال . قال وقد تحقق ما اخترعناه وقدرناه من هذه الآية لأنه يجوز حملها على جانب الحقيقة كما يجوز حملها على جانب المجاز. قال وقد أخطأ الفراء حيث زعم أن قوله سبحانه و تعالى و إن كان مكرهم لتزول منه الجبال كناية عن أمر النبى ص و أنه كنى عنه بالجبال قال ووجه الخطأ أنه لا يجوز أن يتجاذب اللفظ هاهنا جانباً الحقيقة والمجاز لأن مكرهم لم يكن لتزول منه الجبال الحقيقية فالآية إذا من باب المجاز لا من باب الكناية. -قرآن- ٦٥٧-٧٩٠-قرآن- ١٠٣٧-١٠٨١ [صفحة ٦٥] قال و من الكنايات المستحسنه قوله ع للحادى بالنساء يا أنجشة رفقا بالقوارير -

روایت-۱-۲-روایت-۱۲-۵۱. وقول امرأه لرجل قعد منها مقعد القابلة لا يحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه . وقول بديل بن ورقاء الخزاعي لرسول الله ص إن قريشا قد نزلت على ماء الحديدية معها العوذ المطافيل وإنهم صادوك عن البيت . قال فهذه كناية عن النساء والصبيان لأن العوذ المطافيل الإبل الحديدات التناج ومعها أولادها. و من الكناية ماورد في شهادة الزنا أن يشهد عليه برؤية الميل في المكحلة. ومنها قول عمر لرسول الله ص هلكت يا رسول الله قال و ما أهلكك قال حولت رحلى البارحة -

روایت-۱-۲-روایت-۳۴-۹۵ قال أشار بذلك إلى الإتيان في غير المأتي. ومنها قول ابن سلام لمن رأى عليه ثوبا معصفرا لو أن ثوبك في تنور أهلك لكان خيرا لك . قال و من الكنايات المستقبحة قول الرضى يرثى امرأة إن لم تكن نصلا فغمد نصول لأن الوهم يسبق في هذا الموضع إلى ما يقبح وإنما سرقة من قول الفرزدق في امرأته و قد ماتت بجمع و جفن سلاح قدرزئت فلم أنح || عليه و لم أبعث عليه البواكيا [صفحة ۶۶] و في جوفه من دارم ذو حفيظة || لو أن المنايا أخطأته لياليا فأخذه الرضى فأفسده و لم يحسن تصريفه . قال فأما أمثلة التعريض فكثيرة منها قوله تعالى فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشْرًا مِثْلًا وَمَا نَرَاكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِي الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَنْظُرُكُمْ كَإِذِيقُنَا قَوْلَهُ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشْرًا مِثْلًا تَعْرِيزُ بِأَنَّهُمْ أَحَقُّ بِالنَّبْوَةِ وَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَوْ أَرَادَ أَنْ يَجْعَلَهَا فِي وَاحِدٍ مِنَ الْبَشَرِ لَجَعَلَهَا فِيهِمْ فَقَالُوا هَبْ إِنَّكَ وَاحِدٌ مِنَ الْمَلَأِ وَمَوَازِيهِمْ فِي الْمَنْزَلَةِ فَمَا جَعَلَكَ أَحَقُّ بِالنَّبْوَةِ مِنْهُمْ أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ هَذِهِ خِلاصَةٌ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي هَذَا الْبَابِ . وَاعْلَمْ أَنَا قَدْ تَكَلَّمْنَا عَلَيْهِ فِي كَثِيرٍ مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ فِي كِتَابِنَا الَّذِي أَفْرَدْنَاهُ لِلنَّقْضِ عَلَيْهِ وَ هُوَ الْكِتَابُ الْمَسْمُومُ بِالْفَلَكَ الدَّائِرُ عَلَى الْمِثْلِ السَّائِرِ فَقَلْنَا أَوْلَا أَنَّهُ اخْتَارَ حُدُودَ الْكِنَايَةِ وَ شَرَعَ يَبْرَهُنَّ عَلَى التَّحْدِيدِ وَالْحُدُودِ لَيَبْرَهُنَّ عَلَيْهَا وَ لَاهِي مِنْ بَابِ الدَّعَاوَى الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى الْأَدْلَةِ لِأَنَّ مِنْ وَضَعِ لَفْظِ الْكِنَايَةِ لِمَفْهُومٍ مَخْصُوصٍ لَا يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ كَمَنْ وَضَعَ لَفْظَ الْجِدَارِ لِلْحَائِطِ لَا يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ . ثُمَّ يُقَالُ لَهُ لَمْ قُلْتَ إِنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَتَرَدَّدَ لَفْظُ الْكِنَايَةِ بَيْنَ مَحْمُولِي حَقِيقَةٍ وَمَجَازٍ وَ لَمْ لَا يَتَرَدَّدُ بَيْنَ مَجَازِينَ وَ مَا اسْتَدَلَّتْ بِهِ عَلَى ذَلِكَ لِأَنَّ لَمْ يَمَعْنَى لَهُ أَمَا أَوْلَا فَلَا تُنَكِّ أُرَدْتُ أَنْ تَقُولَ إِمَّا أَنْ تَكُونَ لِلْفِظَةِ الدَّالَّةِ عَلَى الْمَجَازِينَ شَرَكَةٌ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْحَقِيقَةِ أَوْ لَا يَكُونُ لَهَا فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْحَقِيقَةِ شَرَكَةٌ لِأَنَّ كَلَامَكَ هَكَذَا يَقْتَضِي وَ لَا يَنْتَظِمُ إِلَّا إِذَا قُلْتَ هَكَذَا فَلَمْ تَقْلَهُ وَ قُلْتَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ لِلْحَقِيقَةِ شَرَكَةٌ فِي -قُرْآن- ۹۱-۲۹۶-قُرْآن- ۳۰۳-۳۳۳-قُرْآن- ۵۲۶-۵۵۹ [صفحة ۶۷] اللفظ الدال على المجازين و هذا قلب للكلام الصحيح وعكس له . و أمائنا فلم قلت إنه لا يكون للفظ الدالة على المجازين شركة في الدلالة على الحقيقة التي هي أصل لهما فأما قولك هذا يقتضي أن يكون الإنسان متكلماً بشيء و هو يريد شيئاً غيره وأصل الوضع أن يتكلم بشيء و هو يريد غيره فليس معنى قولهم الكناية أن تتكلم بشيء و أنت تريد غيره أنك تريد شيئاً واحداً غيره كـلا- ليس هذا هو المقصود بل المقصود أن تتكلم بشيء و أنت تريد ما هو مغاير له و إن أردت شيئاً واحداً أو شيئاً أو ثلاثة أشياء أو ما زاد فقد أردت ما هو مغاير له لأن كل مغاير لماد عليه ظاهر لفظك فليس في لفظه غير ما يقتضي الوحدة والإفراد. و أمائنا فلم لا يجوز أن يكون للفظ الدال على المجازين شركة في الدلالة على الحقيقة أصلاً بل يدل على المجازين فقط فأما قولك إذا خرجت الحقيقة عن أن يكون لها في ذلك شركة لم يكن الذي تكلمت به دالاً على ما تكلمت به و هو محال ومرادك بهذا الكلام المقلوب أنه إذا خرجت اللفظة عن أن يكون لها شركة في الدلالة على الحقيقة التي هي موضوعها لها في الأصل لم يكن ما تكلم به الإنسان دالاً على ما تكلم به و هو حقيقة و لا دالاً أيضاً على ما تكلم به و هو مجاز لأنه إذا لم يدل على الحقيقة وهي الأصل لم يجز أن يدل على المجاز الذي هو الفرع لأن انتفاء الدلالة على الأصل يوجب انتفاء الدلالة على الفرع وهكذا يجب أن يتأول استدلاله و إلا- لم يكن له معنى محصل لأن اللفظ هو الدال على مفهوماته و ليس المفهوم دالاً على اللفظ و لا له شركة في الدلالة عليه و لا على مفهوم آخر يعترض اللفظ بتقدير انتقال اللفظ اللهم إلا أن يكون دلالة عقلية و كلامنا في الألفاظ ودلالاتها. [صفحة ۶۸] فإذا أصلحنا كلامه على ما ينبغي قلنا له في الاعتراض عليه لم قلت إنه إذا خرج اللفظ عن أن يكون له شركة في

الدلالة على الحقيقة لم يكن ماتكلم به الإنسان دالا على ماتكلم به و لم لا يجوز أن يكون للحقيقة مجازان قد كثر استعمالهما حتى نسيت تلك الحقيقة فإذا تكلم الإنسان بذلك اللفظ كان دالا به على أحد ذينك المجازين و لا يكون له تعرض مابتلك الحقيقة فلا يكون الذى تكلم به غير دال على ماتكلم به لأن حقيقة تلك اللفظة قد صارت ملغاة منسية فلا يكون عدم إرادتها موجبا أن يكون اللفظ الذى يتكلم به المتكلم غير دال على ماتكلم به لأنها قد خرجت بترك الاستعمال عن أن تكون هي ماتكلم به المتكلم . ثم يقال إنك منعت أن يكون قولنا زيد أسد كناية و قلت لأنه لا يجوز أن يحمل أحد هذا اللفظ على أن زيدا هو السبع ذو الأنياب والمخالب ومنعت من قول الفراء إن الجبال فى قوله لَتُرْوَلْ مِنْهُ الْجِبَالُ كناية عن دعوة محمدص وشريعته لأن أحدا لا يعتقد و لا يتصور أن مكر البشر يزيل الجبال الحقيقية عن أماكنها ومنعت من قول من قال إن قول الشاعر -قرآن- ٧٩٤- ٨١٧ و لوسكتوا أثنت عليك الحقائق من باب الكناية لأن أحدا لا يتصور أن الحقائق وهي جمادات تشنى وتشكر. و قلت لا بد أن يصح حمل لفظ الكناية على محمل الحقيقة والمجاز ثم قلت إن [صفحة ٦٩] قول عبد الله بن سلام لصاحب الثوب المعصفر لو أنك جعلت ثوبك فى تنور أهلك كناية وقول الرضى فى امرأة ماتت إن لم تكن نصلا فغمد نصول كناية و إن كانت مستقبحة وقول النبى ص يا أنجشة رفقا بالقوارير -رواية ١-٢-رواية ١٩-٤٣ و هو يحدو بالنساء كناية فهل يجوز عاقل قط أو يتصور فى الأذهان أن تكون المرأة غمدا للسيف وهل يحمل أحد قط قوله للحادى رفقا بالقوارير على أنه يمكن أن يكون نهاه عن العنف بالزجاج أو يحمل أحد قط قول ابن سلام على أنه أراد إحراق الثوب بالنار أو يحمل قط أحد قوله الميل فى المكحلة على حقيقتها أو يحمل قط أحد قوله لا يحل لك فض الخاتم على حقيقته وهل يشك عاقل قط فى أن هذه الألفاظ ليست دائرة بين المحملين دوران اللمس والجماع والمصافحة و هذه مناقضة ظاهرة و لاجواب عنها إلا بإخراج هذه المواضع من باب الكناية أو بحذف ذلك الشرط الذى اشترطته فى حد الكناية. فأما ما ذكره حكاية عن غيره فى حد الكناية بأنها اللفظ الدال على الشئ بغير الوضع الحقيقى بوصف جامع بين الكناية والمكنى عنه و قوله هذا الحد هو حد التشبيه فلا يجوز أن يكون حد الكناية. فلقاتل أن يقول إذا قلنا زيد أسد كان ذلك لفظا دالا على غير الوضع الحقيقى و ذلك المدلول هو بعينه الوصف المشترك بين المشبه والمشبه به ألا ترى أن المدلول هو الشجاعة وهي المشتركة بين زيد والأسد وأصحاب الحد قالوا فى حدهم الكناية هي اللفظ الدال على الشئ بغير الوضع الحقيقى باعتبار وصف جامع بينهما فجعلوا المدلول أمرا [صفحة ٧٠] والوصف الجامع أمرا آخر باعتباره وقت الدلالة ألا ترى أن لفظا لمستئيدل على الجماع الذى لم يوضع لفظا لمستئم له وإنما يدل عليه باعتبار أمر آخر هو كون الملامسة مقدمة الجماع ومفضية إليه فقد تغاير إذن حد التشبيه وحد الكناية و لم يكن أحدهما هو الآخر. فأما قوله إن الكناية قد تكون بالمفردات والتعريض لا- يكون بالمفردات فدعوى و ذلك أن اللفظ المفرد لا ينتظم منه فائدة وإنما تفيد الجملة المركبة من مبتدأ وخبر أو من فعل وفاعل والكناية والتعريض فى هذا الباب سواء وأقل ما يمكن أن يقيد فى الكناية قولك لامست هنداً وكذلك أقل ما يمكن أن يفيد فى التعريض أناعزب كما قد ذكره هو فى أمثلة التعريض فإن قال أردت أنه قد يقال اللمس يصلح أن يبنى به عن الجماع واللمس لفظ مفرد قيل له وقد يقال التعزب يصلح أن يعرض به فى طلب النكاح. فأما قوله إن بيت نصر بن سيار إذا نظر إليه لمفرده صلح أن يكون كناية وإنما يخرج عن كونه كناية ضم الأبيات التى بعده إليه ويدخله فى باب الاستعارة فلزم عليه أن يخرج قول عمر حولت رحلى عن باب الكناية بما انضم إليه من قوله هلكت -قرآن- ٦٥-٧٣- قرآن- ١٠٩-١١٧ وبما أجابه رسول الله ص من قوله أقبل وأدبر واتق الدبر والحیضة -رواية ١-٢-رواية ٤٠-٧٢ وبقرينة الحال و كان يجب إلا تذكر هذه اللفظة فى أمثلة الكنايات. فأما بيت إمرئ القيس فلاوجه لإسقاطه من باب الكناية وإدخاله فى باب [صفحة ٧١] التعريض إلا فيما اعتمد عليه من أن من شرط الكناية أن يتجاوزها جانبا حقيقة ومجاز و قد بينا بطلان اشتراط ذلك فبطل ما يترفع عليه . و أما قول بدليل بن ورقاء معها العوذ المطافيل فإنه ليس بكناية عن النساء والأولاد كما زعم بل أراد به الإبل

ونتاجها فإن كتب السير كلها متفقاً على أن قريشا لم يخرج معها في سنه الحديبية نساؤها وأولادها و لم يحارب رسول الله ص قوما أحضروا معهم نساءهم وأولادهم إلاهوازن يوم حنين و إذا لم يكن لهذا الوجه حقيقة و لا وجود فقد بطل حمل اللفظ عليه . فأما ما زرى به على الرضى رحمه الله تعالى من قوله إن لم تكن نصلا فغمد نصول و قوله هداما يسبق الوهم فيه إلى ما يستقبح واستحسانه شعر الفرزدق و قوله إن الرضى أخذه منه فأساء الأخذ فالوهم الذى يسبق إلى بيت الرضى يسبق مثله إلى بيت الفرزدق لأنه قد جعل هذه المرأة جفن السلاح فإن كان الوهم يسبق هناك إلى قبيح فها هنا أيضا يسبق إلى مثله . و أما الآية التى مثل بها على التعريض فإنه قال إن قوله تعالى ما نراك إلا بشراً مثلاً تعريض بأنهم أحق بالنبوة منه و لم يبين ذلك وإنما قال فحوى الكلام أنهم قالوا له هب إنك واحد من الملا وموازيهم فى المنزلة فما جعلك أحق بالنبوة منهم ألا ترى إلى قوله و ما نرى لكم علينا من فضل و هذا الكلام لا يقتضى ما ادعى أن قوله ما نراك إلا بشراً مثلاً تعريض بأنهم أحق بالنبوة منه و ما قرره به يقتضى مساواته لهم و لا يقتضى كونهم أحق بالنبوة منه فبطل دعوى الأحقية التى زعم أن التعريض إنما كان بها . -قرآن- ٣٤٩-٣٧٩-قرآن- ٥٥٩-٥٩٢-قرآن- ٦٦٣-٦٩٣ [صفحه ٧٢] فأما قوله تعالى أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زيدا و قوله إن هذا من باب الكناية و إنه تعالى كنى به عن العلم والضلال و قلوب البشر فبعيد والحكيم سبحانه لا يجوز أن يخاطب قوما بلغتهم فيعمى عليهم و أن يصطلح هونفسه على ألقاظ لا يفهمون المراد بها وإنما يعلمها هو وحده ألا ترى أنه لا يجوز أن يحمل قوله تعالى و لقد زيننا الدنيا بمصاييح و جعلناها رجوماً للشياطين على أنه أراد أنازينا رءوس البشر بالحواس الباطنة والظاهرة المجعولة فيها وجعلناها بالقوى الفكرية والخيالية المركبة فى الدماغ راجمة وطاردة للشبه المضلة و إن من حمل كلام الحكيم سبحانه على ذلك فقد نسبه إلى الإلغاز والتعمية و ذلك يقدر فى حكمته تعالى والمراد بالآية المقدم ذكرها ظاهرها والمتكلف لحملها على غيرها سخييف العقل و يؤكد ذلك قوله تعالى و مما يؤقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زيدا مثله أفترى الحكيم سبحانه يقول إن للذهب والفضة زيدا مثل الجهل والضلال و يبين ذلك قوله كذلك يضرب الله الأمثال لضرب سبحانه الماء الذى يبقى فى الأرض فينتفع به الناس والزبد الذى يعلو فوق الماء فيذهب جفاء مثلا للحق والباطل كما صرح به سبحانه فقال كذلك يضرب الله الحق و الباطل و لو كانت هذه الآية من باب الكنايات و قد كنى سبحانه بالأودية عن القلوب وبالماء الذى أنزله من السماء عن العلم وبالزبد عن الضلال لما جعل تعالى هذه الألقاظ أمثالا فإن الكناية خارجة عن باب المثل ولهذا لا تقول إن قوله تعالى أو لامستم النساء من باب المثل ولهذا أفرد هذا الرجل فى كتابه بابا آخر غير باب الكناية سماه باب المثل وجعلهما قسمين متغايرين فى علم البيان والأمر فى هذا -قرآن- ١٨-٩٩-قرآن- ٣٦٧-٤٤٦-قرآن- ٨٠٧-٨٨٨-قرآن- ٩٧٩-١٠١٠-قرآن- ١١٥٥-١١٩٥-قرآن- ١٤٢٨-١٤٤٩ [صفحه ٧٣] الموضوع واضح ولكن هذا الرجل كان يحب هذه الترهات ويذهب وقته فيها و قد استقصينا فى مناقضته والرد عليه فى كتابنا الذى أشرنا إليه . فأما قوله ع كلما نجم منهم قرن قطع فاستعاره حسنة يريد كلما ظهر منهم قوم استوصلوا فعبر عن ذلك بلفظة قرن كما يقطع قرن الشاة إذانجم و قد صح إخباره ع عنهم أنهم لم يهلكوا بأجمعهم فى وقعة النهروان و أنها دعوة سيدعو إليها قوم لم يخلقوا بعد وهكذا وقع وصح إخباره ع أيضا أنه سيكون آخرهم لصوصا سلايين فإن دعوة الخوارج اضمحلت ورجالها فنيت حتى أفضى الأمر إلى أن صار خلفهم قطاع طريق متظاهرين بالفسوق والفساد فى الأرض

مقتل الوليد بن طريف الخارجي ورتاء أخته له

فممن انتهى أمره منهم إلى ذلك الوليد بن طريف الشيبانى فى أيام الرشيد بن المهدي فأشخص إليه يزيد بن يزيد الشيبانى فقتله

وحمل رأسه إلى الرشيد وقالت أخته ترضيه وتذكر أنه كان من أهل التقى والدين على قاعدة شعراء الخوارج و لم يكن الوليد كمازعت أيا شجر الخابور ما لك مورقا || كأنك لم تجزع على ابن طريف فتى لا يحب الزاد إلا من التقى || ولا المال إلا من قنا وسيوف [صفحہ ۷۴] ولا الذخر إلا كل جرداء شطبة || و كل رقيق الشفرتين خفيف فقدناك فقدان الربيع وليتنا || فديناك من ساداتنا بألوف . وقال مسلم بن الوليد يمدح يزيد بن يزيد ويذكر قتله الوليد والمارق ابن طريف قد دلفت له || بعارض للمنايا مسبل هطل لو أن شيئا بكى مما أطاف به || فاز الوليد بقدر الناضل الخصل ما كان جمعهم لمالقيتهم || إلا كرجل جراد ريع منجفل فاسلم يزيد فما في الملك من أود || إذ اسلمت و لا في الدين من خلل

خروج ابن عمرو الخثعمي وأمره مع محمد بن يوسف الطائي

ثم خرج في أيام المتوكل ابن عمرو الخثعمي بالجزيرة فقطع الطريق وأخاف السبيل وتسمى بالخلافة فحاربه أبو سعيد محمد بن يوسف الطائي الثغري الصامتي فقتل كثيرا من أصحابه وأسرا كثيرا منهم ونجا بنفسه هاربا فمدحه أبو عبادة البحرى وذكر ذلك فقال كنا نكفر من أمية عصبه || طلبوا الخلافة فجرة وفسوقا ونلوم طلحة والزبير كليهما || ونعنف الصديق والفاروقا ونقول تيم أقرب وعديها || أمرا بعيدا حيث كان سحيقا وهم قريش الأبطحون إذ انتموا || طابوا أصولا في العلا وعروقا [صفحہ ۷۵] حتى غدت جشم بن بكر تبتغي || إرث النبي وتدعيه حقوقا جاءوا براعيهم ليتخذوا به || عمدا إلى قطع الطريق طريقا عقدوا عمامته برأس قناته || ورأوه برا فاستحال عقوقا وأقام ينفذ في الجزيرة حكمه || ويظن وعد الكاذبين صدوقا حتى إذا مالحيه الذكر انكفى || من أرزن حربا يمج حريقا غضبان يلقي الشمس منه بهامة || يعشى العيون تألقا وبروقا أوفى عليه فضل من دهش || يظن البر بحرا والفضاء مضيقا غدرت أمانيه به وتمزقت || عنه غيابة سكره تمزيقا طلعت جياذك من ربا الجودي قد || حملن من دفع المنون وسوقا فدعا فريقا من سيوفك حتفهم || وشددت في عقد الحديد فريقا ومضى ابن عمرو قد أساء بعمره || ظنا ينزق مهره تنزيقا فاجتاز دجلة خائضا وكأنها || قعب على باب الكحيل أريقا لو خاضها عمليق أو عوج إذا || ماجوزت عوجا و لاعمليقا لو لا اضطراب الخوف في أحشائه || رسب العباب به فمات غريقا لو نفسته الخيل لفته ناظر || ملأ البلاد زلازلا وفتوقا لثنى صدور الخيل تكشف كربه || ولوى رماح الخط تفرج ضيقا ولبكرت بكر وراحت تغلب || في نصر دعوته إليه طروقا حتى يعود الذئب ليثا ضيغما || والغصن ساقا والقرارة نيقا [صفحہ ۷۶] هيهات مارس فليقا متيقظا || قلقا إذ اسكن البليد رشيقا مستسلفا جعل الغبوق صبوحه || ومرى صبوح غد فكان غبوقا . و هذه القصيدة من ناصع شعر البحرى ومختاره

ذكر جماعة ممن كان يرى رأى الخوارج

وقد خرج بعدهذين جماعة من الخوارج بأعمال كرمان وجماعة أخرى من أهل عمان لانباهة لهم وقد ذكرهم أبو إسحاق الصابى فى الكتاب التاجى وكلهم بمعزل عن طرائق سلفهم وإنما وكدهم وقصدهم إخافة السبيل والفساد فى الأرض واكتساب الأموال من غير حلها ولا حاجة لنا إلى الإطالة بذكرهم و من المشهورين برأى الخوارج الذين تم بهم صدق قول أمير المؤمنين ع إنهم نطف فى أصلاب الرجال وقرارات النساء عكرمة مولى ابن عباس ومالك بن أنس الأصبحى الفقيه يروى عنه أنه كان يذكر عليا و عثمان وطلحة والزبير فيقول والله ما اقتتلوا إلا على الشريد الأعفر. ومنهم المنذر بن الجارود العبدى ومنهم يزيد بن أبى مسلم مولى الحجاج . وروى أن الحجاج أتى بامرأة من الخوارج وبحضرته مولاة يزيد بن أبى مسلم و كان يستسر برأى

الخوارج فكلم الحجاج المرأة فأعرضت عنه فقال لها يزيد الأمير ويلك يكلمك فقالت بل الويل لك أيها الفاسق الردىء والردىء عند الخوارج هو الذى يعلم الحق من قولهم ويكتمه . ومنهم صالح بن عبدالرحمن صاحب ديوان العراق . ومن ينسب إلى هذا الرأى من السلف جابر بن زيد وعمرو بن دينار ومجاهد . ومن ينسب إليه بعد هذه الطبقة أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى يقال إنه كان يرى رأى الصفرية . [صفحہ ۷۷] ومنهم اليمان بن رباب و كان على رأى البيهسية و عبد الله بن يزيد و محمد بن حرب و يحيى بن كامل و هؤلاء إباضية . و قدنسب إلى هذا المذهب أيضا من قبل أبوهارون العبدى و أبوالشعثاء و إسماعيل بن سميع و هبيرة بن بريم . و زعم ابن قتيبة أن ابن هبيرة كان من غلاة الشيعة . و نسب أبو العباس محمد بن يزيد المبرد إلى رأى الخوارج لإطنا به فى كتاب المعروف ب الكامل فى ذكرهم و ظهور الميل منه إليهم [صفحہ ۷۸]

٦٠- و قال ع فى الخوارج

اشاره

لَا تُقَاتِلُوا الْخَوَارِجَ بَعْدِي فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ كَمَنْ طَلَبَ الْبَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ قَالَ الرضى رحمه الله يعنى معاوية وأصحابه - روايت- ١-٤٦ مراده أن الخوارج ضلوا بشبهه دخلت عليهم و كانوا يطلبون الحق ولهم فى الجملة تمسك بالدين ومحاماه عن عقيدته اعتقدوها و إن أخطئوا فيها و أمامعاوية فلم يكن يطلب الحق وإنما كان ذا باطل لا يحامى عن اعتقاد قدبناه على شبهه و أحواله كانت تدل على ذلك فإنه لم يكن من أرباب الدين و لا ظهر عنه نسك و لا صلاح حال و كان مترفا يذهب مال الفىء فى مآربه و تمهيد ملكه و يصانع به عن سلطانه و كانت أحواله كلها مؤذنه بانسلاخه عن العدالة و إصراره على الباطل و إذا كان كذلك لم يجوز أن ينصر المسلمون سلطانه و تحارب الخوارج عليه و إن كانوا أهل ضلال لأنهم أحسن حالا منه فإنهم كانوا ينهون عن المنكر و يرون الخروج على أئمة الجور واجبا . و عند أصحابنا أن الخروج على أئمة الجور واجب و عند أصحابنا أيضا أن الفاسق المتغلب [صفحہ ۷۹] بغير شبهه يعتمد عليها لا يجوز أن ينصر على من يخرج عليه ممن ينتمى إلى الدين و يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر بل يجب أن ينصر الخارجون عليه و إن كانوا ضالين فى عقيدته اعتقدوها بشبهه دينيه دخلت عليهم لأنهم أعدل منه و أقرب إلى الحق و لا ريب فى تلزم الخوارج بالدين كما لا ريب فى أن معاوية لم يظهر عنه مثل ذلك [صفحہ ۸۰]

عود إلى أخبار الخوارج و ذكر رجالهم و حروبهم

ذكر أبو العباس المبرد فى الكتاب الكامل أن عروة بن أديه أحد بنى ربيعة بن حنظله و يقال إنه أول من حكم حضر حرب النهروان و نجا فيها فيمن نجا فلم يزل باقيا مدة من خلافة معاوية ثم أخذ فأتى به زياد و معه مولى له فسأله عن أبى بكر و عمر فقال خيرا فقال له فما تقول فى عثمان و فى أبى تراب فتولى عثمان ست سنين من خلافته ثم شهد عليه بالكفر و فعل فى أمر على ع مثل ذلك إلى أن حكم ثم شهد عليه بالكفر ثم سأله عن معاوية فسبه سبا قبيحا ثم سأله عن نفسه فقال أولك لريبه و آخرك لدعوه و أنت بعد عاص ربك فأمر فضربت عنقه ثم دعا مولاه فقال صف لى أموره فقال أظن أم أختصر قال بل أختصر قال ماأتيته بطعام فى نهار قط و لا فرشت له فراشا فى ليل قط . قال و حدثت أن واصل بن عطاء أباحذيفه أقبل فى رفقه فأحسوا

بالخوارج فقال واصل لأهل الرفقة إن هذا ليس من شأنكم فاعتزلوا ودعوني وإياهم و قد كانوا قد أشرفوا على العطب فقالوا شأنك فخرج إليهم فقالوا ما أنت وأصحابك فقال قوم مشركون مستجرون بكم ليسمعوا كلام الله ويفهموا حدوده فقالوا قد أجرناكم قال فلموننا فجعلوا يعلمونهم أحكامهم وواصل يقول قد قبلت أنا و من معي قالوا فامضوا مصاحبين فإنكم إخواننا فقال ليس ذاك إليكم قال الله و عز و جل وَ إِن أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ - قرآن - ١١٢٦-١٢٢٩ [صفحة ٨١] فأبلغونا مأمننا فنظر بعضهم إلى بعض ثم قالوا ذاك لكم فساروا معهم بجمعهم حتى أبلغوهم المأمن . و قال أبو العباس أتى عبدالملك بن مروان برجل من الخوارج فبحثه فرأى منه ماشاء فهما وعلمنا ثم بحثه فرأى منه ماشاء أدبا وذهدا فرغب فيه فاستدعاه إلى الرجوع عن مذهبه فرآه مستبصرا محققا فزاده في الاستدعاء فقال تغنيك الأولى عن الثانية و قد قلت وسمعت فاسمع أقل قال قل فجعل يبسط من قول الخوارج ويزين له من مذهبهم بلسان طلق وألغاز بينة ومعان قريبة فقال عبدالملك بعد ذلك على معرفته وفضله لقد كاد يوقع في خاطري أن الجنة إنما خلقت لهم وأنى أولى العباد بالجهاد منهم ثم رجعت إلى ما ثبت الله على من الحجّة وقرر في قلبي من الحق فقلت له الدنيا والآخرة لله و قد سلطنا الله في الدنيا ومكن لنا فيها وأراك لست تجيئنا إلى ما نقول و الله لأقتلنك إن لم تطع فأنا في ذلك إذ دخل على بابني مروان . قال أبو العباس و كان مروان أخوا يزيد بن عبدالملك لأمه أمهما عاتكة بنت يزيد بن معاوية و كان أبيا عزيز النفس فدخل به على أبيه في هذا الوقت باكيا [صفحة ٨٢] لضرب المؤدب إياه فشق ذلك على عبدالملك فأقبل عليه الخارجي و قال له دعه يبك فإنه أرحب لشدقه وأصح لدماغه وأذهب لصوته وأحرى ألا تأبى عليه عينه إذا حضرته طاعة واستدعى عبرتها. فأعجب ذلك من قوله عبدالملك و قال له متعجبا أ ما يشغلك ما أنت فيه ويعرضك عن هذا فقال ما ينبغي أن يشغل المؤمن عن قول الحق شيء فأمر بحبسه وصفح عن قتله و قال بعدمعتذرا إليه لو لا أن تفسد بألفاظك أكثر رعيتي ما حبستك ثم قال عبدالملك لقد شككني ووهمني حتى مالت بي عصمة الله و غير بعيد أن يستهوى من بعدى

مرداس بن حدير

قال أبو العباس و كان من المجتهدين من الخوارج البلجاء وهى امرأة من بنى حرام بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . و كان مرداس بن حدير أبو بلال أحد بنى ربيعة بن حنظلة ناسكا تعظمه الخوارج و كان كثير الصواب في لفظه مجتهدا فلقبه غيلان بن خرشة الضبى فقال يا أبا بلال إنى سمعت الأمير البارحة يعنى عبيد الله بن زياد يذكر البلجاء وأحسبها ستؤخذ فمضى إليها أبو بلال فقال إن الله قد وسع على المؤمنين فى التقيّة فاستترى فإن هذا [صفحة ٨٣] المسرف على نفسه الجبار العنيد قد ذكرك قالت إن يأخذنى فهو أشقى به فأما أنا فما أحب أن يعنت إنسان بسببى فوجه إليها عبيد الله بن زياد فأتى بها فقطع يديها ورجليها ورمى بها فى السوق فمر بها أبو بلال و الناس مجتمعون فقال ما هذا قالوا البلجاء فخرج إليها فنظر ثم عض على لحيته و قال لنفسه لهذه أطيّب نفسا من بقيّة الدنيا منك يا مرداس . قال ثم إن عبيد الله أخذ مرداسا فحبسه فرأى صاحب السجن منه شدة اجتهاده وحلاوة منطقته فقال له إنى أرى لك مذهبا حسنا وإنى لأحب أن أوليك معروفا أفرأيتك إن تركتك تنصرف ليلا إلى بيتك أتدلج إلى قال نعم فكان يفعل ذلك به . ولج عبيد الله فى حبس الخوارج وقتلهم وكلم فى بعضهم فأبى و قال أقمع النفاق قبل أن ينجم لكلام هؤلاء أسرع إلى القلوب من النار إلى اليراع . فلما كان ذات يوم قتل رجل من الخوارج رجلا من الشرطة فقال ابن زياد ما أدرى ما أصنع بهؤلاء كلما أمرت رجلا بقتل رجل منهم فتكوا بقاتله لأقتلن من فى حبسى منهم وأخرج السجن مرداسا إلى منزله كما كان يفعل فأتى مرداسا الخبر فلما كان فى السحر تهيأ للرجوع إلى السجن فقال له أهله اتق الله فى

نفسك فإنك إذ رجعت قتلت فأبى وقال والله ما كنت لألقى الله غادرا فرجع إلى السجن فقال إني قد علمت ما عزم عليه صاحبك قال أعلمت ثم جئت . [صفحہ ۸۴] قال أبو العباس ويروى أن مرداسا مر بأعرابي يهنا بعيرا له فهرج البعير فسقط مرداس مغشيا عليه فظن الأعرابي أنه صرع فقرأ في أذنه فلما أفاق قال له الأعرابي إني قرأت في أذنك فقال مرداس ليس بي ما خفته على ولكني رأيت بعيرا هرج من القطران فذكرت به قطران جهنم فأصابني مارأيت فقال الأعرابي لا جرم والله لا أفارقك أبدا . قال أبو العباس وكان مرداس قد شهد مع علي بن صفين ثم أنكر التحكيم وشهد النهروان ونجا فيمن نجا ثم حبسه ابن زياد كما ذكرناه وخرج من حبسه فرأى جد ابن زياد في طلب الشراء فعزم على الخروج فقال لأصحابه إنه والله ما يسعنا المقام مع هؤلاء الظالمين تجرى علينا أحكامهم مجانيين للعدل مفارقين للقصد والله إن الصبر على هذا العظيم وإن تجريد السيف وإخافة الناس لعظيم ولكننا نتبذ عنهم ولا نجرد سيفا ولا نقاتل إلا من قاتلنا فاجتمع إليه أصحابه زهاء ثلاثين رجلا منهم حريث بن حجل وكهمس بن طلق الصريمي وأرادوا أن يولوا أمرهم حريثا فأبى فولوا أمرهم مرداسا فلما مضى بأصحابه لقيه عبد الله بن رباح الأنصاري وكان له صديقا فقال يا أخى أين تريد قال أريد أن أهرب بديني ودين أصحابي من أحكام هؤلاء الجورة فقال أعلم بكم أحد قال لا قال فارجع قال أوتخاف علي نكرا قال نعم وأن يؤتى بك قال لا تخف فإني لأجرد سيفا ولا أخيف أحدا ولا أقاتل إلا من قاتلني . ثم مضى حتى نزل آسك وهى ما بين رامهرمز وأرجان فمر به مال يحمل إلى ابن [صفحہ ۸۵] زياد وقد قارب أصحابه الأربعين فحط ذلك المال وأخذ منه عطاء وعطاء أصحابه ورد الباقي على الرسل وقال قولوا لصاحبكم إنا قبضنا أعطياتنا فقال بعض أصحابه علام ندع الباقي فقال إنهم يقيمون هذا الفىء كما يقيمون الصلاة فلانقاتلهم على الصلاة . قال أبو العباس ولأبى بلال مرداس فى الخروج أشعار اخترت منها قوله أ بعد ابن وهب ذى النزاهة والتقى || و من خاض فى تلك الحروب المهالكا أحب بقاء أو أرجى سلامة || وقد قتلوا زيد بن حصن ومالكافيا رب سلم نيتى وبصيرتى || وهب لى التقى حتى ألقى أولئكا . قال أبو العباس ثم إن عبيد الله بن زياد ندب جيشا إلى خراسان فحكى بعض من كان فى ذلك الجيش قال مررنا بآسك فإذا نحن بهم ستة وثلاثين رجلا فصاح بنا أبو بلال أقاصدون لقاتلنا أنتم قال وكنت أنا وأخى قد دخلنا زربا فوقف أخى ببابه فقال السلام عليكم فقال مرداس وعليكم السلام ثم قال لأخى أجتئم لقاتلنا قال لا إنما نريد خراسان قال فأبلغوا من لقيتم أنا لم نخرج لنفسد فى الأرض ولا لنروع أحدا ولكن هربا من الظلم ولسنا نقاتل إلا من يقاتلنا ولا نأخذ من الفىء إلا أعطياتنا ثم قال أندب لنا أحد قلنا نعم أسلم بن زرعة الكلابى قال فمتى ترونه يصل إلينا قلنا يوم كذا وكذا فقال أبو بلال حسبنا الله ونعم الوكيل . قال أبو العباس وجهز عبيد الله بن زياد أسلم بن زرعة فى أسرع مدة ووجهه إليهم [صفحہ ۸۶] فى ألفين وقد تمام أصحاب مرداس أربعين رجلا فلما صار أسلم إليهم صاح به أبو بلال اتق الله يا أسلم فإننا لانريد فسادا فى الأرض ولا نحتجر فيئا فما الذى تريد قال أريد أن أردكم إلى ابن زياد قال إذن يقتلنا قال وإن قتلكم قال تشرك فى دماننا قال إني أدين بأنه محق وأنتم مبطلون فصاح به حريث بن حجل أ هو محق وهويطبع الفجرة وهو أحدهم ويقتل بالظنة ويخص بالفىء ويجور فى الحكم أما علمت أنه قتل بابن سعاد أربعة برآء وأنا أحد قتلته وقد وضعت فى بطنه دراهم كانت معه . ثم حملوا على أسلم حملة رجل واحد فانهمز هو وأصحابه من غير قتال وكاد يأسره معبد أحد الخوارج فلما عاد إلى ابن زياد غضب عليه غضبا شديدا وقال ويلك أتمضى فى ألفين فتهمز بهم من حملة أربعين فكان أسلم يقول لأن يذمنى ابن زياد وأناحى أحب إلى أن يمدحنى وأنا ميت . وكان إذا خرج إلى السوق أو مر بصبيان صاحوا به أبو بلال وراءك وربما صاحوا به يامعبد خذته حتى شكا إلى ابن زياد فأمر الشرط أن يكفوا الناس عنه ففى ذلك يقول عيسى بن فاتك من بنى تيم اللات بن ثعلبة أحد الخوارج فلما أصبحوا صلوا وقاموا || إلى الجرد العتاق مسومينا فلما استجمعوا حملوا عليهم || فظل ذوو الجعائل يقتلوننا بقیة يومهم حتى أتاهم || سواد الليل فيه يراوغونا يقول نصيرهم لما أتاهم || فإن القوم ولوا هاربينا ألفا مؤمن فيكم زعمتم || ويهزمكم بآسك أربعونا]

صفحة ٨٧] كذبتهم ليس ذاك كما زعمتم || ولكن الخوارج مؤمنونا هم الفئة القليلة غير شك || على الفئة الكثيرة ينصروننا . قال أبو العباس أما قول حريث بن حجل أ ما علمت أنه قتل بابن سعاد أربعة برآء و أنا أحد قتلته فابن سعاد هو المثلث بن مسروح الباهلي وسعاد اسم أمه و كان من خبره أنه ذكر لعبيد الله بن زياد رجل من سدوس يقال له خالد بن عباد أو ابن عباد و كان من نساك الخوارج فوجه إليه فأخذه فأتاه رجل من آل ثور فكذب عنه و قال هو صهرى و فى ضمنى فخلى عنه فلم يزل الرجل يتفقدته حتى تغيب فأتى ابن زياد فأخبره فلم يزل يبعث إلى خالد بن عباد حتى ظفر به فأخذه فقال أين كنت فى غيبتك هذه قال كنت عند قوم يذكرون الله ويسبحونه ويذكرون أئمة الجور فيتبرءون منهم قال ادلنى عليهم قال إذن يسعدوا وتشقى و لم أكن لأروعهم قال فما تقول فى أبى بكر وعمر فقال خيرا قال فما تقول فى عثمان و فى معاوية أتتولاهما فقال إن كانا وليين لله فلست معاديهما فأراغه مرارا ليرجع عن قوله فلم يفعل فعزم على قتله فأمر بإخراجه إلى رحبة تعرف برحبة الرسى وقتله بها فجعل الشرطة يتفادون من قتله ويروغون عنه توقيا لأنه كان متقشفا عليه أثر العبادة حتى أتى المثلث بن مسروح الباهلي و كان من الشرطة فتقدم فقتله فائتمر به الخوارج أن يقتلوه و كان مغرما باللحاق يتبعها فيشتريها من مظانها وهم فى تفقده فسدوا إليه رجلا فى هيئة الفتيان عليه ردع [صفحة ٨٨] زعفران فلقبه بالمربد و هو يسأل عن لقحة صفى فقال له الفتى إن كنت تتبغى فعندى ما يغنيك عن غيره فامض معى فمضى المثلث معه على فرسه يمشى الفتى أمامه حتى أتى به بنى سعد فدخل دارا و قال له أدخل على فرسك فلما دخل وتوغل فى الدار أغلق الباب وثارت به الخوارج فاعتوره حريث بن حجل وكهمس بن طلق الصريمى فقتلاه وجعلا دراهم كانت معه فى بطنه ودفناه فى ناحية الدار وحكا آثار الدم و خليا فرسه فى الليل فأصيب فى الغد فى المربد وتجنس عنه الباهليون فلم يروا له أثرا فاتهموا بنى سدوس به فاستعدوا عليهم السلطان وجعل السدوسية يحلفون فتحامل ابن زياد مع الباهليين فأخذ من السدوسيين أربع ديات و قال ما أدرى ما أصنع بهؤلاء الخوارج كلما أمرت بقتل رجل اغتالوا قاتله فلم يعلم بمكان المثلث حتى خرج مرداس وأصحابه فلما واقفهم ابن زرع الكلابى صاح بهم حريث و قال أها هنا من باهله أحد قالوا نعم قال يأعداء الله أخذتم للمثلث من بنى سدوس أربع ديات و أنا قتلته وجعلت دراهم كانت معه فى بطنه و هو فى موضع كذا مدفون فلما انهزم ابن زرع وأصحابه صاروا إلى الدار فأصابوا أشلاء ففى ذلك يقول أبو الأسود وآليت لأغدو إلى رب لقحة || أساومه حتى يثوب المثلث . [صفحة ٨٩] قال أبو العباس فأما ما كان من مرداس فإن عبيد الله بن زياد ندب إليه الناس فاختر عباد بن أخضر المازنى و ليس بابن أخضر بل هو عباد بن علقمة المازنى و كان أخضر زوج أمه وغلب عليه فوجهه إلى مرداس وأصحابه فى أربعة آلاف فارس وكانت الخوارج قد نتحت من موضعها بدارا مجرد من أرض فارس فصار إليهم عباد فكان التفاوض فى يوم جمعة فناده أبو بلال اخرج إلى يا عباد فإنى أريد أن أحاورك فخرج إليه فقال ما الذى تبغى قال أن آخذ بأقفيتكم فأردكم إلى الأمير عبيد الله بن زياد قال أ و غير ذلك إن نرجع فإننا لانخيف سيلا و لاندعر مسلما و لانحارب إلا من يحاربنا و لانجبنى إلا ما حميننا فقال عباد الأمر ما قلت لك فقال له حريث بن حجل أتحاول أن ترد فئة من المسلمين إلى جبار عنيد ضال فقال لهم أنتم أولى بالضلال منه و ما من ذاك من بد. قال وقدم القعقاع بن عطية الباهلي من خراسان يريد الحج فلما رأى الجمع قال ما هذا قالوا الشراة فحمل عليهم ونشبت الحرب بينهم فأخذت الخوارج القعقاع أسيرا فأتوا به بأبالال فقال له من أنت قال ما أنا من أعدائك إنما قدمت للحج فحملت وغررت فأطلقه فرجع إلى عباد وأصلح من شأنه وحمل على الخوارج ثانية و هو يقول أقاتلهم و ليس على بعث || نشاطا ليس هذا بالنشاط أكر على الحروريين مهري || لأحملهم على وضح الصراط . فحمل عليه حريث بن حجل السدوسى وكهمس بن طلق الصريمى فأسراه وقتلاه و لم يأتيا به بأبالال و لم يزل القوم يجتلدون حتى جاء وقت صلاة الجمعة فناداهم أبو بلال يا قوم هذا وقت الصلاة فوادعونا حتى نصلى وتصلوا قالوا لك ذاك فرمى القوم [صفحة ٩٠] أجمعون بأسلحتهم وعمدوا للصلاة فأسرع عباد و من معه وقضوا صلاتهم والحرورية مبطنون فيهم ما بين راعع وساجد وقائم فى الصلاة وقاعد حتى

مال عليهم عباد و من معه فقتلوهم جميعا وأتى برأس أبي بلال . قال ويرى الشراء أن مرداسا أبا بلال لماعقد على أصحابه وعزم على الخروج رفع يديه فقال اللهم إن كان مانحن فيه حقا فأرنا آية فرجع البيت . و قال آخرون فارتفع السقف . ويقال إن رجلا من الخوارج ذكر ذلك لأبي العالیه الرياحى يعجبه من الآيه ويرغبه فى مذهب القوم فقال أبو العالیه كاد الخسف ينزل بهم ثم أدركتهم نظرة من الله . قال فلما فرغ عباد من الجماعة أقبل بهم فصلب رءوسهم وفيهم داود بن شبيب و كان ناسكا وفيهم حبيبه البكرى من عبدالقيس و كان مجتهدا ويروى عنه أنه قال لماعزمت على الخروج فكرت فى بناتى فقلت ذات ليلة لأمسكن عن نفقتهن حتى أنظر فلما كان فى جوف الليل استسقت بنيه لى فقالت ياأبت اسقنى فلم أجبها وأعدت فقامت أخت لها فسقتها فعلمت أن الله عز و جل غيرمضيعهن فأتممت عزمى . و كان فى القوم كهمس و كان من أبر الناس بأمه فقال لها ياأمه لو لامكانك لخرجت فقالت يابنى وهبتك لله .ففى مقتلهم يقول عيسى بن فاتك الخطى ألا فى الله لا فى الناس سالت || بدادود وإخوته الجذوع مضوا قتلا- وتمزيقا وصلبا || تحوم عليهم طير وقوع إذا ماالليل أظلم كابدوه || فيسفر عنهم وهم ركوع أطار الخوف نومهم فقاموا || و أهل الأرض فى الدنيا هجوع . [صفحہ ۹۱] و قال عمران بن حطان ياعين بكى لمرداس ومصرعه || يارب مرداس اجعلنى كمرداس تركتنى هائما أبكى لمرزئه || فى منزل موحش من بعد إيناس أنكرت بعدك من قد كنت أعرفه || ما الناس بعدك يامرداس بالناس إما شربت بكأس دار أولها || على القرون فذاقوا جرعة الكأس فكل من لم يذقها شاربا عجلا- || يسقى بأنفاس ورد بعد أنفاس . و قال أيضا لقد زاد الحياة إلى بغضا || وحبا للخروج أبو بلال أحاذر أن أموت على فراشى || وأرجو الموت تحت ذرا العوالى فمن يك همه الدنيا فإنى || لها و الله رب البيت قال

عمران بن حطان

و قال أبو العباس وعمران هذا أحد بنى عمرو بن يسار بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن عك بن بكر بن وائل و كان رأس القعد من الصفرية و فقيهم و خطيبهم و شاعرهم و شعره هذا بخلاف شعر أبى خالد القناني و كان من قعد الخوارج أيضا و قد كان كتب قطرى بن الفجاءة المازنى يلومه على القعود [صفحہ ۹۲] أبا خالد أيقن فلست بخالد || و ماجعل الرحمن عذرا لقاعد أتزعم أن الخارجى على الهدى || وأنتم مقيم بين لص و جاحد . فكتب إليه أبو خالد لقد زاد الحياة إلى حبا || بناتى إنهن من الضعاف أحاذر أن يرين الفقر بعدى || و أن يشربن رنقا بعد صاف و أن يعرين إن كسى الجوارى || فتنبو العين عن كرم عجاف و لو لا ذاك قد سومت مهري || و فى الرحمن للضعفاء كاف . و قال أبو العباس و مما حدثنى به العباس بن أبى الفرج الرياشى عن محمد بن سلام أن عمران بن حطان لما طرده الحجاج جعل يتنقل فى القبائل و كان إذا نزل بحى انتسب نسبا يقرب منهم ففى ذلك يقول نزلنا فى بنى سعد بن زيد || و فى عك و عامر عوثنان و فى لخم و فى أدد بن عمرو || و فى بكر و حى بنى الغدان . ثم خرج حتى لقى روح بن زنباع الجذامى و كان روح يقرى الأضياف و كان مسائرا لعبد الملك بن مروان أثيرا عنده و قال ابن عبد الملك فيه من أعطى مثل ما أعطى أبو زرعة أعطى فقه الحجاز و دهاء أهل العراق و طاعة أهل الشام . و انتهى عمران إليه أنه من الأزدي فكان روح لا يسمع شعرا نادرا و لاحديثا غريبا [صفحہ ۹۳] عند عبد الملك فيسأل عنه عمران إلا عرفه و زاد فيه فقال روح لعبد الملك إن لى ضيفا ما أسمع من أمير المؤمنين خبرا و لاشعرا إلا عرفه و زاد فيه فقال أخبرنى ببعض أخباره فأخبره و أنشده فقال إن اللغة لغة عدنانية و لأحسبه لإعمران بن حطان حتى تذاكروا ليلة البيتين اللذين أولهما يا ضربة فلم يدر عبد الملك لمن هما فرجع روح فسأل عمران عنهما فقال هذا الشعر لعمران بن حطان يمدح عبد الرحمن بن ملجم فرجع روح إليه فأخبره فقال ضيفك عمران بن حطان فاذهب فجننى به فرجع إليه فقال أمير المؤمنين قد أحب أن يراك فقال له

عمران قد أردت أن أسألك ذاك فاستحييت منك فاذهب فإنى بالأثر فرجع روح إلى عبد الملك فخبه فقال أما إنك سترجع فلا تجده فرجع فوجد عمران قد احتمل وخلف رقعة فيها ياروح كم من أختى مثوى نزلت به || قد ظن ظنك من لحم وغسان حتى ذا خفته زابلت منزله || من بعد ما قيل عمران بن حطان قد كنت جارك حولا لا يرو عنى || فيه طوارق من إنس و لاجان حتى أردت بى العظمى فأدركنى || ما أدرك الناس من خوف ابن مروان فاعذر أخاك ابن زنباع فإن له || فى الحادثات هنات ذات ألوان يوما يمان إذا لاقيت ذا يمن || وإن لقيت معديا فعدنانى لو كنت مستغفرا يوما لطاغية || كنت المقدم فى سرى وإعلانى لكن أبت ذاك آيات مطهرة || عند التلاوة فى طه وعمران [صفحة ٩٤]. ثم ارتحل حتى نزل بزفر بن الحارث أحد بنى عمرو بن كلاب فانتسب له أوزاعيا و كان عمران يطيل الصلاة فكان غلمان بنى عامر يضحكون منه فأتاه رجل ممن كان عند روح فسلم عليه فدعاه زفر فقال له من هذا فقال رجل من الأزد رأيت ضيفا لروح بن زنباع فقال له زفر يا هذا أزديا مرة وأوزاعيا أخرى إن كنت خائفا أماناك و إن كنت فقيرا جبرناك فلما أمسى خلف فى منزله رقعة وهرب فوجدوا فيها إن التى أصبحت يعيا بهازفر || أعت عياء على روح بن زنباع مازال يسألنى حولا- لأخبره || والناس ما بين مخدوع وخداع حتى إذا انقطعت منى وسائله || كفى السؤال و لم يولع ياهل-ع فاكفف لسانك عن لومى ومسألتي || ماذا تريد إلى شيخ بلا راع فاكفف كما كف عنى إننى رجل || إما صميم وإما فقة القاع [صفحة ٩٥] أما الصلاة فإنى غير تاركها || كل امرئ للذى يعنى به ساع أكرم بروح بن زنباع وأسرته || قوم دعا أوليهم للعلا داع جاورتهم سنة مما أسر به || عرضى صحيح ونومى غير تهجاع فاعمل فإنك منعى بواحدة || حسب الليب بهذا الشيب من داع . ثم ارتحل حتى أتى عمان فوجدهم يعظمون أمر أبى بلال ويظهر فيهم فأظهر أمره فيهم فبلغ ذلك الحجاج فكتب فيه إلى أهل عمان فهرب حتى أتى قوما من الأزد فى سواد الكوفة فنزل بهم فلم يزل عندهم حتى مات و فى نزوله فيهم يقول نزلنا بحمد الله فى خير منزل || نسر بما فيه من الأنس والخفر نزلنا بقوم يجمع الله شملهم || و ليس لهم دعوى سوى المجد يعتصر من الأزد إن الأزد أكرم أسوة || يمانية طابوا إذا انتسب البشر فأصبحت فيهم آمنا لا كعشر || أتونى فقالوا من ربيعة أومضر أم الحى قحطان فتلكم سفاهة || كما قال لى روح وصاحبه زفر و مامنهما إلا يسر بنسبة || تقربنى منه و إن كان ذا نفر فنحن عباد الله و الله واحد || وأولى عباد الله بالله من شكر . [صفحة ٩٦] قال أبو العباس و من الخوارج من مشى فى الرمح و هو فى صدره خارجا من ظهره حتى خالط طاعنه فضره بالسيف فقتله و هو يقول وعجلت إليك رب لترضى . ومنهم الذى سأل عليا ع يوم النهروان المبارزة فى قوله أظعنهم و لا أرى عليا || و لوبدا أوجرته الخطيا . فخرج إليه على فضره بالسيف فقتله فلما خالطه السيف قال يا حبذا الروححة إلى الجنة . ومنهم ابن ملجم وقطع الحسن بن على يديه ورجليه و هو فى ذلك يذكر الله ثم عمد إلى لسانه فقطعه فجزع فقيل له فى ذلك قال أحببت ألا يزال لسانى رطبا من ذكر الله . ومنهم القوم الذين وثب رجل منهم على رطبة سقطت من نخلة فوضعها فى فيه فلفظها تورعا . ومنهم أبو بلال مرداس الذى ينحله من الفرق لتقشفه وتصومه وصحة عبادته وصلابه نيته . أما المعتزلة فتنحله وتقول إنه خرج منكرا لجور السلطان داعيا إلى الحق وإنه من أهل العدل ويحتجون لذلك بقوله لزياد و قد كان قال فى خطبته على المنبر و الله لآخذن المحسن بالمسئء والحاضر بالغائب والصحيح بالسقيم فقام إليه مرداس فقال قد سمعنا ما قلت أيها الإنسان و ما هكذا قال الله تعالى لنبىه ابراهيم إذ يقول [صفحة ٩٧] وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى أَلَمْ تَرَ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِ عَقِيبَ هَذَا الْيَوْمِ . و أما الشيعة فتنحله وتزعم أنه كتب إلى الحسين بن على بنى و الله لست من الخوارج و لا أرى رأيهم وإنى على دين أبىك ابراهيم

ومنهم المستورد أحد بنى سعد بن زيد بن مناة كان ناسكا مجتهدا و هو أحد من ترأس على الخوارج فى أيام على و له الخطبة المشهورة التى أولها أن رسول الله ص أتانا بالعدل تخفق راياته وتلمع معالمه فبلغنا عن ربه ونصح لأمته حتى قبضه الله تعالى مخيرا مختارا. ونجا يوم النخيلة من سيف على فخرج بعدمده على المغيرة بن شعبه و هووالى الكوفة فبارزه معقل بن قيس الرياحى فاختلفا ضربتين فخر كل واحد منهما ميتا. و من كلام المستورد لوملكت الدنيا بحدافيرها ثم دعيت إلى أن أستفيد بهاخطيئة ما فعلت . و من كلامه إذاأفضيت بسرى إلى صديقى فأفشاء لم ألمه لأنى كنت أولى بحفظه . و من كلامه كن أحرص على حفظ سرى منك على حقن دمك . و كان يقول أول مايدل على عيب الناس معرفته بالعيوب و لايعيب إلامعيب . [صفحة ٩٨] و كان يقول المال غيرباق عليك فاشتر به من الحمد والأجر مايقى عليك

حوثرة الأسدى

قال أبوالعباس وخرج من الخوارج على معاوية بعدقتل على حوثره الأسدى وحابس الطائى خرجا فى جمعهما فصارا إلى مواضع أصحاب النخيلة ومعاوية يومئذ بالكوفة قددخلها فى عام الجماعة و قدنزل الحسن بن على وخرج يريد المدينة فوجه إليه معاوية و قدتجاوز فى طريقه يسأله أن يكون المتولى لمحاربة الخوارج فكان جواب الحسن و الله لقد كفت عنك لحقن دماء المسلمين و ماأحسب ذاك يسعنى أفاقاتل عنك قوما أنت و الله أولى بالقتال منهم . قلت هذا موافق لقول أبيه لانتقاتلوا الخوارج بعدى فليس من طلب الحق فأخطأه مثل من طلب الباطل فأدركه و هوالحق الذى لايعدل عنه و به يقول أصحابنا فإن الخوارج عندهم أعذر من معاوية وأقل ضلالا ومعاوية أولى بأن يحارب منهم . قال أبوالعباس فلما رجع الجواب إلى معاوية أرسل إلى حوثره الأسدى أباه و قال له اذهب فاكفنى أمر ابنك فصار إليه أبوه فدعاه إلى الرجوع فأبى فمراه فصمم فقال يابنى أجيئك بابنك فلعلك تراه فتحن إليه فقال ياأبت أنا و الله إلى طعنة نافذة أتقلب فيها على كعوب الرمح أشوق منى إلى ابنى. [صفحة ٩٩] فرجع إلى معاوية فأخبره فقال يا أباحوثره لقد عتا بحق هذا جدا ثم وجه إليه جيشا أكثره أهل الكوفة فلما نظر إليهم حوثره قال لهم يا أعداء الله أنتم بالأمس تقاتلون معاوية لتهدوا سلطانه وأنتم اليوم تقاتلون معه لتشدوا سلطانه فخرج إليه أبوه فدعاه إلى البراز فقال ياأبت لك فى غيرى مندوحة و لى فى غيرك مذهب ثم حمل على القوم و هو يقول أكرر على هذى الجموع حوثره || فعن قليل ماتتال المغفرة . فحمل عليه رجل من طيى فقتله فلما رأى أثر السجود قدلوح جبهته ندم على قتله

الرهين المرادى

و قال الرهين المرادى أحد فقهاء الخوارج ونساکها يانفس قذطال فى الدنيا مراوغتى || لا تأمنن لصرف الدهر تنغيصا إنى لبائع مايفنى لباقيته || إن لم يعقنى رجاء العيش تريصا وأسأل الله بيع النفس محتسبا || حتى ألقى فى الفردوس حرقوصا و ابن المنيح ومرداسا وإخوته || إذ فارقوا هذه الدنيا مخاميصا . قال أبوالعباس وأكثرهم لم يكن يبالى بالقتل وشيتمهم استعذاب الموت والاستهانة بالمنية. ومنهم الهازى بالأمرء و قدقدم إلى السيف ولى زياد شيبان بن عبد الله الأشعرى صاحب مقبرة بنى شيبان باب عثمان و مايليه بالبصرة فجد فى طلب الخوارج وأخافهم فلم [صفحة ١٠٠] يزل على ذلك حتى أتاه ليلة و هو متكى بباب داره رجلاين من الخوارج فضرباه بأسيا فهما فقتلاه فأتى زياد بعد ذلك برجل من الخوارج فقال اذهبوا به فاقتلوه متكنا كماقتل شيبان متكنا فصاح به الخارجى يا عدلاه يهزأ به

قال و أماعباد بن أخضر قاتل أبي بلال مرداس بن أديه و قد ذكرنا قصته فإنه لم يزل بعد قتله مرداسا محمودا في المصر موصوفا بما كان منه حتى ائتمر جماعة من الخوارج أن يقتلوه فذمر بعضهم بعضا على ذلك فجلسوا له يوم جمعة بعد أن أقبل على بغلته وابنه رديفه فقام إليه رجل منهم فقال له أسألك عن مسألة قال قل رأيت رجلا قتل رجلا بغير حق وللقاتل جاه وقدر وناحية من السلطان و لم يعد عليه السلطان لجوره ألولى ذلك المقتول أن يقتل القاتل إن قدر عليه فقال بل يرفعه إلى السلطان قال إن السلطان لا يعدي عليه لمكانه منه ولعظم جاهه عنده قال أخاف عليه إن فتك به فتك به السلطان قال دع ماتخافه من السلطان أيلحقه تبعه فيما بينه و بين الله قال لا فحكم هو وأصحابه ثم خبطوه بأسياهم ورمى عباد بابنه فنجوا وتنادى الناس قتل عباد فاجتمعوا فأخذوا أفواه الطرق و كان مقتل عباد في سكة بني مازن عند مسجد بني كليب بن يربوع فجاء معبد بن أخضر أخو عباد و هو معبد [صفحه ١٠١] بن علقمة وأخضر زوج أمهما في جماعة من بني مازن وصاحوا بالناس دعونا وثارنا فأحجم الناس فتقدم المازنيون فحاربوا الخوارج حتى قتلوهم جميعا لم يفلت منهم أحد إلا عبيدة بن هلال فإنه خرق خصا ونفذ فيه ففي ذلك يقول الفرزدق لقد أدرك الأوتار غير ذميمة || إذا ذم طلاب الترات الأخضر هم جردوا الأسياف يوم ابن أخضر || فنالوا التي ما فوقها نال ثائر أقادوا به أسدا لها في اقتحامها || إذا برزت نحو الحروب بصائر . ثم هجا كليب بن يربوع رهط جرير بن الخطفي لأنه قتل بحضرة مسجدهم و لم ينصروه فقال في كلمته هذه كفعل كليب إذ أخلت بجارها || ونصر اللثيم معتم و هو حاضر و مال كليب حين تذكر أول || و مال كليب حين تذكر آخر . قال و كان مقتل عباد بن أخضر و عبيد الله بن زياد بالكوفة و خليفته على البصرة عبيد الله بن أبي بكره فكتب إليه يأمره ألا يدع أحدا يعرف بهذا الرأي إلا حبسه فجد في طلب من تعيب عنه وجعل يتبعهم و يأخذهم فإذا شفع إليه أحد منهم كفله إلى أن يقدم به على ابن زياد حتى أتوه بعروة بن أديه فأطلقه و قال أنا كفيلك فلما قدم ابن زياد أخذ من في الحبس فقتلهم جميعا و طلب الكفلاء بمن كفلوا به فكل من جاء بصاحبه أطلقه و قتل الخارجي و من لم يأت بمن كفله به منهم قتله . ثم قال لابن أبي بكره هات عروة بن أديه قال لا أقدر عليه قال إذا و الله أقتلك فإنك كفيله فلم يزل يطلبه حتى دل عليه في سرب العلاء بن سوية المنقري فكتب بذلك إلى عبيد الله بن زياد فقرأ عليه كتابه فقال إنا قد أصبنا في شرب [صفحه ١٠٢] العلاء فتهانف به عبيد الله و قال صحفت ولؤمت إنما هو في سرب العلاء ولوددت أنه كان ممن شرب النبيذ فلما أقيم عروة بين يديه قال لم جهزت أخاك على يعنى أبا بلال فقال و الله لقد كنت به ضنينا و كان لي عزا ولقد أردت له ما أريد لنفسى فعزم عزم فمضى عليه و ما أحب لنفسى إلا المقام و ترك الخروج فقال له أفأنت على رأيه قال كلنا نعبد ربا واحدا قال أما و الله لأمتلن بك قال اختر لنفسك من القصاص ماشئت فأمر به فقطعوا يديه ورجليه ثم قال له كيف ترى قال أفسدت على دنياى و أفسدت عليك آخرتك فأمر به فصلب على باب داره

قال أبو العباس و كان أبو الواعز الراسبي من مجتهدي الخوارج و نساكها و كان يذم نفسه و يلوها على القعود و كان شاعرا و كان يفعل ذلك بأصحابه فأتى نافع بن الأزرق و هو في جماعة من أصحابه يصف لهم جور السلطان و فساد العامة و كان نافع ذا لسان غضب واحتجاج و صبر على المنازعة فأتاه أبو الواعز فقال له يانافع إنك [صفحه ١٠٣] أعطيت لسانا صارما و قلبا كليلا فلوددت أن صرامة لسانك كانت لقلبك و كلال قلبك كان للسانك أتخص على الحق و تقعد عنه و تقبح الباطل و تقيم عليه فقال نافع يا

أبالوازع إنما تنتظر الفرص إلى أن تجمع من أصحابك من تنكئ به عدوك فقال أبو الوازع لسانك لاتنكى به القوم إنما || تنال بكفيك النجاة من الكرب فجاهد أناسا حاربوا الله واصطبر || عسى الله أن يجزي غوى بنى حرب .يعنى معاوية ثم قال و الله لألومك ونفسى ألوم ولأغدود غدوة لأنتنى بعدها أبدا ثم مضى فاشترى سيفا وأتى صيقلا كان يذم الخوارج ويدل على عوارتهم فشاوره فى السيف فحمدته ثم قال اشحذه فشحذه حتى إذارضيه خبط به الصيقل فقتله وحمل على الناس فهربوا منه حتى أتى مقبرة بنى يشكر فدفن عليه رجل حائط ستره فشدخه وأمر ابن زياد بصلبه

عمران بن الحارث الراسبي

قال أبو العباس و من نساكهم الذين قتلوا فى الحرب عمران بن الحارث الراسبي قتل يوم دولاب التقى هو والحجاج بن باب الحميرى و كان الأمير يومئذ على أهل البصرة وصاحب رايتهم فاختلفا ضربتتا فخرتا ميتتا فقالت أم عمران ترثيه الله أيد عمراننا وطهره || و كان يدعو الله فى السحر [صفحه ١٠٤] يدعو سرا وإعلانا ليرزقه || شهادة بيدي ملحاده غدر ولى صحابته عن حر ملحمة || وشد عمران كالضرغامه الذكر . قال وممن قتل من رؤسائهم يوم دولاب نافع بن الأزرق و كان خليفتهم خاطبوه بامرمة المؤمنين فقال رجل منهم يرثيه شمت ابن بدر والحوادث جممة || والجائرون بنافع بن الأزرق والموت حتم لامحاله واقع || من لايصبحه نهارا يطرق فتن أمير المؤمنين أصابه || ريب المنون فمن يصبه يغلق . و قال قطرى بن الفجاءة يذكر يوم دولاب لعمر ك إنى فى الحياه لزاهد || و فى العيش ما لم ألق أم حكيم من الخفرت البيض لم ير مثلها || شفاء لذى بث و لالسقيم [صفحه ١٠٥] لعمر ك إنى يوم ألطم وجهها || على نائبات الدهر جد لئيم فلو شهدتنا يوم دولاب شاهدت || طعان فتى فى الحرب غير ذميم غداة طفت علماء بكر بن وائل || وعجنا صدور الخيل نحو تميم و كان بعد القيس أول جدنا || وأحلافها من يحصب وسليم وظلت شيوخ الأزدي فى حومه الوغى || تعوم فمن مستنزل وهزيم فلم أر يوما كان أكثر مقعصا || يمج دما من فائظ وكليم وضاربه خدا كريما على فتى || أغر نجيب الأمهات كريم [صفحه ١٠٦] أصيب بدولاب و لم تك موطنا || له أرض دولاب وأرض حميم فلو شهدتنا يوم ذاك وخيلنا || تبيح الكفار كل حريم رأت فتية باعوا الإله نفوسهم || بجنات عدن عنده ونعيم

عبد الله بن يحيى طالب الحق

و من رؤساء الخوارج وكبارهم عبد الله بن يحيى الكندي الملقب طالب الحق وصاحبه المختار بن عوف الأزدي صاحب وقعة قديد ونحن نذكر ما ذكره أبو الفرج الأصفهاني من قصتهما فى كتاب الأغاني مختصرا محذوفا منه ما لاحاجة بنا فى هذاالموضع إليه . قال أبو الفرج كان عبد الله بن يحيى من حضرموت و كان مجتهدا عابدا و كان يقول قبل أن يخرج لقينى رجل فأطال النظر إلى و قال ممن أنت قلت من كنده فقال من أيهم فقلت من بنى شيطان فقال و الله لتملكن وتبلغن وادى القرى و ذلك بعد أن تذهب إحدى عينيك و قد ذهبت و أنا أتخوف ما قال وأستخير الله . فرأى باليمن جورا ظاهرا وعسفا شديدا وسيرة فى الناس قبيحة فقال لأصحابه إنه لا يحل لنا المقام على مانرى و لا الصبر عليه و كتب إلى جماعة من الإباضية بالبصرة وغيرها يشاورهم فى الخروج فكتبوا إليه إن استطعت ألا تقيم يوما واحدا فافعل [صفحه ١٠٧] فإن المبادرة بالعمل الصالح أفضل و لست تدري متى يأتي أجلك و لله بقيه خير من عباده يبعثهم إذا شاء بنصر دينه ويختص بالشهادة منهم من يشاء . وشخص إليه أبو حمزة المختار بن

عوف الأزدي وبلج بن عقبه المسعودي في رجال من الإباضية فقدموا عليه حضرموت فحرضوه على الخروج وأتوه بكتب أصحابه يوصونه ويوصون أصحابه إذا خرجتم فلا تغلوا ولا تغدروا واقتدوا بسلفكم الصالحين وسيروا بسيرتهم فقد علمتم أن الذي أخرجهم على السلطان العيب لأعمالهم. فدعا عبد الله أصحابه فبايعوه وقصدوا دار الإمارة و على حضرموت يومئذ إبراهيم بن جبلة بن مخرمه الكندي فأخذه فحبسه يوما ثم أطلقه فأتى صنعاء وأقام عبد الله بحضرموت وكثر جمعه وسموه طالب الحق . وكتب إلى من كان من أصحابه بصنعاء أني قادم عليكم ثم استخلف على حضرموت عبد الله بن سعيد الحضرمي وتوجه إلى صنعاء و ذلك في سنة تسع وعشرين ومائة في ألفين والعامل على صنعاء يومئذ القاسم بن عمرو وأخو يوسف بن عمرو الثقفي فجرت بينه وبين عبد الله بن يحيى حروب ومناوشات كانت الدولة فيها والنصرة لعبد الله بن يحيى فدخل إلى صنعاء وجمع ما فيها من الخزائن والأموال فأحرزها. فلما استولى على بلاد اليمن خطب فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله وذكر وحذر ثم قال إنا ندعوكم أيها الناس إلى كتاب الله وسنة نبيه وإجابة من دعا إليهما الإسلام ديننا ومحمد نبينا والكعبة قبلتنا والقرآن إمامنا رضينا بالحلال حلالا- لا نبتغي به بدلا ولا نشترى به ثمنا وحرمانا الحرام ونبذناه وراء ظهورنا ولا حول ولا قوة إلا بالله و إلى الله المشتكى و عليه المعول من زنى فهو كافر و من سرق فهو كافر و من شرب الخمر فهو كافر و من شك في أنه كافر فهو كافر ندعوكم إلى فرائض بينات وآيات محكمات [صفحة ١٠٨] وآثار نقتدى بها ونشهد أن الله صادق فيما وعد وعدل فيما حكم وندعو إلى توحيد الرب واليقين بالوعد والوعيد وأداء الفرائض والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والولاية لأهل ولاية الله والعداوة ولأعداء الله أيها الناس إن من رحمة الله أن جعل في كل فترة بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ويصبرون على الألم في جنب الله ويقتلون على الحق في سالف الأيام شهداء فما نسيهم ربهم و ما كان ربك نسيا أوصيكم بتقوى الله وحسن القيام على ما وكلتم بالقيام عليه وقابلوا الله حسنا في أمره وزجره أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم . قال وأقام عبد الله بن يحيى بصنعاء أشهرها يحسن السيرة في الناس ويلين جانبه لهم ويكف الأذى عنهم وكثر جمعه وأتته الشراة من كل جانب فلما كان في وقت الحج وجه أبا حمزة المختار بن عوف وبلج بن عقبه وأبرهه بن الصباح إلى مكة والأمير عليهم أبو حمزة في ألف وأمره أن يقيم بمكة إذا صدر الناس ويوجه بلجا إلى الشام فأقبل المختار إلى مكة يوم التروية وعليها و على المدينة عبدالواحد بن سليمان بن عبدالملك في خلافة مروان بن محمد بن مروان وأم عبدالواحد بنت عبد الله بن خالد بن أسيد فكره عبدالواحد قتالهم و فرغ الناس منهم حين رأوهم و قدطلعوا عليهم بعرفة ومعهم أعلام سود في رءوس الرماح وقالوا لهم مالكم و ما حالكم فأخبروهم بخلافهم مروان وآل مروان والتبري منهم فراسلهم عبدالواحد في ألا- يعطلوا على الناس حجتهم فقال أبو حمزة نحن بحجنا أضن و عليه أشح فضالهم على أنهم جميعا آمنون بعضهم من بعض حتى ينفر الناس النفر الأخير وأصبحوا من الغد ووقفوا بحيال عبدالواحد بعرفة ودفع عبدالواحد بالناس فلما كانوا بمنى قيل لعبد الواحد قد أخطأت فيهم و لو حملت عليهم الحاج ما كانوا إلا أكلة رأس . [صفحة ١٠٩] وبعث عبدالواحد إلى أبي حمزة عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب و محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان و عبدالرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر وعبيد الله بن عمر بن حفص العمري و ربيعة بن عبدالرحمن و رجلا- أمثالهم فلما قربوا من أبي حمزة أخذتهم مسالحة فأدخلوا على أبي حمزة فوجدوه جالسا و عليه إزار قطري قدر بطه بحوره في قفاه فلما دنوا تقدم إليه عبد الله بن الحسن العلوي و محمد بن عبد الله العثماني فنسبهما فلما انتسبا له عبس في وجوههما وأظهر الكراهية لهما ثم تقدم إليه بعدهما البكري والعمري فنسبهما فانتسبا له فهش إليهما وتبسم في وجوههما و قال و الله ما خرجنا إلا لنسير سيرة أبيكم فقال له عبد الله بن حسن و الله ما جئناك لتفاخر بين آبائنا ولكن الأمير بعثنا إليك برسالة و هذاربيعة يخبركها فلما أخبره ربيعة قال له إن الأمير يخاف نقض العهد قال معاذ الله أن نقض العهد أونخيس به و الله لأفعل و لو قطعت رقبتي هذه ولكن إلى أن تقضى الهدنة بيننا وبينكم . فخرجوا من عنده فأبلغوا عبدالواحد فلما كان النفر

الأخير نفر عبدالواحد وخلي مكة لأبي حمزة فدخل بغير قتال فقال بعض الشعراء يهجو عبدالواحد زار الحجيج عصابة قدخالفوا
|| دين الإله ففر عبدالواحد ترك الإمارة والمواسم هاربا || ومضى يخبط كالبعير الشارد فلو أن والده تخير أمه || لصف
خلانقه بعرق الوالد . [صفحہ ۱۱۰] ثم مضى عبدالواحد حتى دخل المدينة ودعا بالديوان فضرب على الناس البعث وزادهم في
العطاء عشرة عشرة واستعمل على الجيش عبدالعزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان فخرجوا فلقيتهم جزر منحورة فتشاءم
الناس بها فلما كانوا بالعقيق علق لواء عبدالعزيز بسمرة فانكسر الرمح فتشاءموا بذلك أيضا. ثم ساروا حتى نزلوا قديدا فنزل
بهاقوم معتزلون ليسوا بأصحاب حرب وأكثرهم تجار أعمار قدخرجوا في المصبغات والثياب الناعمة واللهم لا يظنون أن للخوارج
شوكه ولا يشكون في أنهم في أيديهم . وقال رجل منهم من قريش لو شاء أهل الطائف لكفونا أمر هؤلاء ولكنهم داهنوا في
دين الله والله لنظفرن ولنسيرن إلى أهل الطائف فلنسينهم ثم قال من يشتري منى من سبي أهل الطائف . قال أبوالفرج فكان هذا
الرجل أول المنهزمين فلما وصل المدينة ودخل داره أراد أن يقول لجاريته أغلقت الباب قال لها غاق باق دهشا فلقيه أهل
المدينة بعد ذلك غاق باق و لم تفهم الجارية قوله حتى أوما إليها بيده فأغلقت الباب . قال و كان عبدالعزيز يعرض الجيش بذي
الحليفة فمر به أمية بن عنبسة بن سعيد بن العاص فرحب به وضحك إليه ثم مر به عمارة بن حمزة بن مصعب بن الزبير فلم
يكلمه و لم يلتفت إليه فقال له عمران بن عبد الله بن مطيع و كان ابن خالته أمهما ابنتا عبد الله بن خالد بن أسيد سبحان الله مر
بك شيخ من شيوخ قريش فلم تنظر [صفحہ ۱۱۱] إليه و لم تكلمه و مر بك غلام من بنى أمية فضحكت إليه ولاطفته أما والله
لوالتقى الجمعان لعلمت أيهما أصبر. قال فكان أمية بن عنبسة أول من انهزم وركب فرسه ومضى و قال لغلامه يامجيب أما والله
لئن أحرزت هذه الأكلب من بنى الشراة إني لعاجز. و أماعمارة بن حمزة بن مصعب بن الزبير فقاتل يومئذ حتى قتل و كان
يحمل ويتمثل و إني إذاضن الأمير بإذنه || على الإذن من نفسى إذاشئت قادر والشعر للأغر بن حماد اليشكري. قال فلما بلغ
أباحزمة إقبال أهل المدينة إليه استخلف على مكة أبرهة بن الصباح وشخص إليهم و على مقدمته بلج بن عقبه. فلما كان في
الليلة التي وافاهم في صبيحتها و أهل المدينة نزول بقديد قال لأصحابه إنكم ملاقو القوم غدا وأميرهم فيما بلغنى ابن عثمان أول
من خالف سنة الخلفاء وبدل سنة رسول الله ص و قدوضح الصبح لذى عينين فأكثروا ذكر الله وتلاوة القرآن ووطنوا أنفسكم
على الموت وصبحهم غداة الخميس لتسع خلون من صفر سنة ثلاثين ومائة. قال أبوالفرج و قال عبدالعزيز لغلامه فى تلك الليلة
ابغنا علفا قال هوغال فقال ويحك البواكى علينا غدا أغلى وأرسل أبوحمزة إليهم بلج بن عقبه ليدعوهم فأتاهم فى ثلاثين راكبا
فذكرهم الله وسألهم أن يكفوا عنهم و قال لهم خلوا سبيلنا إلى الشام لنسير [صفحہ ۱۱۲] إلى من ظلمكم و جاز فى الحكم
عليكم و لا تجعلوا حدنا بكم فإننا لانريد قتالكم فشتمهم أهل المدينة وقالوا يا أعداء الله أنحن نخليكم ونترككم تفسدون فى
الأرض . فقالت الخوارج يا أعداء الله أنحن نفسد فى الأرض إنما خرجنا لنكف الفساد ونقاتل من قاتلنا منكم واستأثر بالفىء
فانظروا لأنفسكم واخلعوا من لم يجعل الله له طاعة فإنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق فادخلوا فى السلم وعاونوا أهل الحق
. فناداه عبدالعزيز ماتقول فى عثمان قال قدبرئى منه المسلمون قبلى و إنا متبع آثارهم ومقتد بهم قال ارجع إلى أصحابك فليس
بيننا وبينكم إلاالسيف فرجع إلى أبى حمزة فأخبره فقال كفوا عنهم و لاتقاتلوهم حتى يبدءوكم بالقتال فوافقوهم و لم يقاتلوهم
فرمى رجل من أهل المدينة بسهم فى عسكر أبى حمزة فجرح منهم رجلا . فقال أبوحمزة شأنكم الآن فقد حل قتالهم فحملوا
عليهم فثبت بعضهم لبعض وراية قريش مع ابراهيم بن عبد الله بن مطيع ثم انكشف أهل المدينة فلم يتبعوهم و كان على عامتهم
صخر بن الجهم بن حذيفة العدوى فكبر وكبر الناس معه فقاتلوا قليلا ثم انهزموا فلم يبعثوا حتى كبر ثانية فثبت معه ناس وقاتلوا
ثم انهزموا هزيمة لم يبق بعدها منهم باقية فقال على بن الحصين لأبى حمزة اتبع آثار القوم أودعنى أتبعهم فأقتل المدبر وأذفف
على الجريح فإن هؤلاء شر علينا من أهل الشام و لو قد جاءك أهل الشام غدا لرأيت من هؤلاء ماتكره قال لا أفعل و لا أخالف

سيرة أسلافنا. وأخذ جماعة منهم أسرا وأراد إطلاقهم فمنعه على بن الحصين و قال إن لكل [صفحة ١١٣] زمان سيرة وهؤلاء لم يؤسروا وهم هراب وإنما أسروا وهم يقاتلون و لوقتلوا في ذلك الوقت لم يحرم قتلهم فهكذا الآن قتلهم حلال ودعا بهم فكان إذارأى رجلا- من قريش قتله و إذارأى رجلا- من الأنصار أطلقه . قال أبوالفرج و ذلك لأن قريشا كانوا أكثر الجيش وبهم كانت الشوكة و أتى محمد بن عبدالعزيز بن عمرو بن عثمان فنسبه فقال أنا رجل من الأنصار فسأل الأنصار فأقرت بذلك فأطلقه فلما ولى قال و الله إنى لأعلم أنه قرشى ولكن قدأطلقته . قال و قدبلغت قتلى قديد ألفين ومائتين وثلاثين رجلا منهم من قريش أربعمائه وخمسون رجلا و من الأنصار ثمانون رجلا و من الموالى وسائر الناس ألف وسبعمائه رجل . قال و كان في قتلى قريش من بنى أسد بن عبدالعزيز بن قصي أربعون رجلا- قال و قتل يومئذ أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان خرج مقنعا فلم يكلم أحدا وقاتل حتى قتل ودخل بلج المدينة بغير حرب فدخلوا في طاعته و كف عنهم ورجع إلى ملكه و كان على شرطته أبوبكر بن عبد الله بن عمر من آل سراقه فكان أهل المدينة يقولون لعن الله السراقى ولعن الله بلجا العراقى وقالت نائحة أهل المدينة تبكيهم ماللزمان و ماليه || أفنت قديد رجاليه فلايبكين سريره || ولأبكين علانية ولأبكين على قديد || بسوء ماأولانيه ولأعوين إذاخلوت || مع الكلاب العاوية [صفحة ١١٤]

أبوحمزة الشارى

قال أبوالفرج و لماسار عبدالواحد بن سليمان بن عبدالملك إلى الشام و خلف المدينة لبلج أقبال أبوحمزة من مكة حتى دخلها فرقى المنبر فحمد الله و قال يا أهل المدينة سألناكم عن ولا-تكم هؤلاء فأسأتم لعمرى و الله القول فيهم وسألناكم هل يقتلون بالظن فقلتم نعم وسألناكم هل يستحلون المال الحرام والفرج الحرام فقلتم نعم فقلنا لكم تعالوا نحن وأنتم فأنشدوا الله وحده أن يتنحوا عنا وعنكم ليختار المسلمون لأنفسهم فقلتم لانفعل فقلنا لكم تعالوا نحن وأنتم نلقاهم فإن نظهر نحن وأنتم يأت من يقيم لنا كتاب الله وسنة نبيه ويعدل في أحكامكم ويحملكم على سنة نبيكم فأبيتم وقاتلتمونا فقاتلناكم وقتلناكم فأبعدكم الله وأسحقكم يا أهل المدينة مررت بكم في زمن الأحوال هشام بن عبدالملك و قدأصابتكم عاهة في ثماركم فركبتم إليه تسألونه أن يضع خراجكم عنكم فكتب بوضعه عن قوم من ذوى اليسار منكم فزاد الغنى غنى والفقير فقرا و قلمت جزاه الله خيرا فلاجزاه خيرا ولاجزاكم . قال أبوالفرج فأما خطبتا أبى حمزة المشهورتان اللتان خطب بهما في المدينة فإن إحداهما قوله تعلمون يا أهل المدينة أنا لم نخرج من ديارنا وأموالنا أشرا ولابطرا ولاعبثا ولالهوا ولالدولة ملك نريد أن نخوض فيه ولا لثأر قديم نيل منا ولكننا لمارأينا مصاييح الحق قدأطفئت ومعالم العدل قدعطلت وعنف القائم بالحق وقتل القائم بالقسط ضاقت علينا الأرض بما رحبت وسمعنا داعيا يدعو إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن فأجبنا داعى الله و من لا يُجِبِ داعى الله فليس بمُعْجِزٍ فى الأرض - قرآن-١٣٤٧-١٤٠٦ [صفحة ١١٥] فأقبلنا من قبائل شتى النفر منا على البعير الواحد و عليه زادهم يتعاورون لحفا واحدا قليلون مستضعفون فى الأرض فأوانا الله وأيدنا بنصره وأصبحنا و الله المحمود من أهل فضله ونعمته ثم لقينا رجالكم بقديد فدعوناهم إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن فدعوناهم إلى طاعة الشيطان وحكم مروان فشتان لعمرك الله ما بين الغى والرشد ثم أقبلوا يزفون ويهرعون قدضرب الشيطان فيهم بجرانه وصدق عليهم إبليس ظنه وأقبل أنصار الله عصائب وكتائب بكل مهند ذى روتق فدارت رحانا واستدارت رحاهم بضرب يرتاب منه المبطلون . وإيم الله يا أهل المدينة إن تنصروا مروان وآل مروان فيسحتكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا ويشف صدور قوم مؤمنين . يا أهل المدينة الناس منا ونحن منهم إلا مشركا عباد وثن أو كافرا من أهل الكتاب أو إماما جائرا. يا أهل المدينة من يزعم أن الله تعالى كلف نفسا فوق طاقتها وسألها عما لم يؤتها فهو لنا حرب . يا أهل المدينة

أخبروني عن ثمانية أسهم فرضها الله في كتابه على القوى والضعيف فجاء تاسع ليس له منها سهم فأخذها جميعا لنفسه مكابرا محاربا لربه ماتقولون فيه وفيمن عاونه على فعله . يا أهل المدينة بلغني أنكم تنتقصون أصحابي قلتهم هم شباب أحداث وأعراب جفأه ويحكم يا أهل المدينة وهل كان أصحاب رسول الله ص إلاشبابا [صفحة ١١٦] أحداثا نعم والله إن أصحابي لشباب مكتهلون في شبابهم غضيضه عن الشر أعينهم ثقيله عن الباطل أقدامهم قدباعوا أنفسا تموت غدا بأنفس لا تموت أبدا قدخلطوا كاللهم بكلالهم وقيام ليلهم بصيام نهارهم محنية أصلابهم على أجزاء القرآن كلما مروا بآية خوف شهقوا خوفا من النار وكلما مروا بآية رجاء شهقوا شوقا إلى الجنة وإذ انظروا إلى السيوف وقد انتضيت وإلى الرماح وقد أشرعت وإلى السهام وقد فوقت وأرعدت الكتيبة بصواعق الموت استخفوا وعيدها عند وعيد الله وانغمسوا فيها فطوبى لهم وحسن مأب فكم من عين في منقار طائر طالما بكى بها صاحبها من خشية الله وكم من يد قد أبيت عن ساعدها طالما اعتمد عليها صاحبها راکعا وساجدا في طاعة الله أقول قولي هذا وأستغفر الله و ماتوفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب . و أما الخطبة الثانية فقولته يا أهل المدينة ما لى رأيت رسم الدين فيكم عافيا وآثاره دارسة لا تقبلون عليه عظة ولا تفقهون من أهله حجة قد بليت فيكم جدته وانظمت عنكم سنته ترون معروفه منكرا والمنكر من غيره معروفا فإذا انكشفت لكم العبر وأوضحت لكم النذر عميت عنها أبصاركم وصمت عنها آذانكم ساهين في غمرة لاهين في غفلة تنبسط قلوبكم للباطل إذ انشر وتنقبض عن الحق إذا ذكر مستوحشة من العلم مستأنسة بالجهل كلما وردت عليها موعظة زادتها عن الحق نفورا تحملون قلوبا في صدوركم كالحجارة أو أشد قسوة من الحجارة فهى لاتلين بكتاب الله الذى لو أنزل على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله . [صفحة ١١٧] يا أهل المدينة إنه لاتغنى عنكم صحة أبدانكم إذا سقمت قلوبكم قد جعل الله لكل شىء سببا غالبا عليه لينقاد إليه مطيع أمره فجعل القلوب غالبه على الأبدان فإذا ماتت القلوب ميلا كانت الأبدان لها تبعا وإن القلوب لاتلين لأهلها إلا بصحتها ولا يصححها إلا المعرفة بالله وقوة النية ونفاذ البصيرة و لو استشعرت تقوى الله قلوبكم لاستعملت في طاعة الله أبدانكم . يا أهل المدينة داركم دار الهجرة ومثوى الرسول ص لمانبت به داره وضاق به قراره وآذاه الأعداء وتجهمت له فنقله الله إليكم بل إلى قوم لعمرى لم يكونوا أمثالكم متوازيين مع الحق على الباطل مختارين الأجل على العاجل يصبرون للضراء رجاء ثوابها فنصروا الله وجاهدوا فى سبيله وآزرُوا رسوله ص واتبعوا النور الذى أنزل معه وآثروا الله على أنفسهم و لو كان بهم خصاصة فقال الله تعالى لهم ولأمثالهم ولمن اهتدى بهديهم وَ مَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وأنتم أبناءهم و من بقى من خلفهم تتركون أن تقتدوا بهم أو تأخذوا بسنتهم عمى القلوب صم الأذان اتبعتم الهوى فأرداكم عن الهدى وأسهاكم عن مواعظ القرآن لاتزجركم فتزجرون ولا تعظكم فتتعظون و لاتوقظكم فتستيقظون لبس الخلف أنتم من قوم مضوا قبلكم ماسرتم سيرتهم و لاحفظتم وصيتهم و لا احتذيتم مثالهم لوشقت عنهم قبورهم فعرضت عليهم أعمالكم لعجبوا كيف صرف العذاب عنكم ألا ترون إلى خلافة الله وإمامة المسلمين كيف أضيعت حتى تداولها بنو مروان أهل بيت اللعنة وطرداء رسول الله وقوم من الطلقاء ليسوا من المهاجرين و لا الأنصار و لا التابعين يا حسان فأكلوا مال الله أكلا وتلعبوا بدين الله لعبا واتخذوا عباد الله عبيدا يورث الأكبر منهم ذلك الأصغر فيا لها -قرآن- ٧٩٤- ٨٤٧ [صفحة ١١٨] أمه ما أضعفها وأضعيها ومضوا على ذلك من سبي أعمالهم واستخفافهم بكتاب الله قد نبذوه وراء ظهورهم فالعنوهم لعنهم الله لعنا كما يستحقونه . ولقد ولى منهم عمر بن عبدالعزيز فاجتهد و لم يكده وعجز عن الذى أظهر حتى مضى لسبيله قال و لم يذكره بخير و لا بشر ثم قال وولى بعده يزيد بن عبد الملك غلام سفيه ضعيف غير مأمون على شىء من أمور المسلمين لم يبلغ أشده و لم يؤنس رشده و قد قال الله عز و جل فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَأْمُرْ أُمَّةً مُّحَمَّدِمْ وَأَحْكَامُهَا وَفُرُوجُهَا وَدُمَائُهَا أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ و إن كان عند الله عظيما غلام مأبون فى فرجه وبطنه يأكل الحرام ويشرب الخمر ويلبس بردين قد حيكما من غير حلها و صرفت أثمانها فى غير وجهها بعد أن ضربت فيهما الأبخار وحلقت فيهما

الأشعار استحل ما لم يحله الله لعبد صالح و لالنبى مرسل فأجلس حبابه عن يمينه وسلامه عن يساره يغنيانه بمزامير الشيطان ويشرب الخمر الصراح المحرمة نصابا بعينها حتى إذا أخذت منه مأخذها وخالطت روحه ولحمه ودمه وغلبت سورتها على عقله مزق برديه ثم التفت إليهما فقال أتأذنان لى بأن أطير نعم فطر إلى النار طر إلى لعنة الله طر إلى حيث لا يردك الله . ثم ذكر بنى أمية وأعمالهم فقال أصابوا إمرة ضائعة وقوما طغاما جهالا لا يقومون لله بحق ولا يفرقون بين الضلالة والهدى ويرون أن بنى أمية أرباب لهم فملكوا الأمر وتسلطوا فيه تسلط ربوبية بطش الجبابرة يحكمون بالهوى ويقتلون على الغضب ويأخذون بالظن ويعطلون الحدود بالشفاعات ويؤمنون الخونة ويعصون ذوى -قرآن- ٤١٠-٤٦٧ [صفحة ١١٩] الأمانة ويتناولون الصدقة من غير فرضها ويضعونها غير موضعها فتلك الفرقة الحاكمة بغير ما أنزل الله فالعنوهم لعنهم الله . قال ثم ذكر شيعة آل أبى طالب فقال و أما إخواننا من الشيعة وليسوا بإخواننا فى الدين لكنى سمعت الله يقول يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ و أنثى و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا فإنها فرقة تظاهرت بكتاب الله و آثرت الفرقة على الله لا يرجعون إلى نظر نافذ فى القرآن و لاعقل بالغ فى الفقه و لا تفتيش عن حقيقة الثواب قد قلدوا أمورهم أهواءهم و جعلوا دينهم العصبية لحزب لزموه و أطاعوه فى جميع ما يقوله لهم غيا كان أو رشدًا ضلالة كان أو هدى ينتظرون الدول فى رجعة الموتى و يؤمنون بالبعث قبل الساعة و يدعون علم الغيب لمخلوقين لا يعلم واحد منهم ما فى بيته بل لا يعلم ما ينطوى عليه ثوبه أو يحويه جسمه ينقمون المعاصى على أهلها و يعملون بها و لا يعلمون المخرج منها جفاة فى دينهم قليلة عقولهم قد قلدوا أهل بيت من العرب دينهم و زعموا أن موالاتهم لهم تغنيهم عن الأعمال الصالحة و تنجيهم من عقاب الأعمال السيئة قاتلهم الله أنى يؤفكون . فأى الفرق يا أهل المدينة تتبعون أم بأى مذاهبهم تقتدون و لقد بلغنى مقالكم فى أصحابى و ما عبتموه من حدائث أسنانهم و يحكم و هل كان أصحاب رسول الله ص إلا أحداثا نعم إنهم لشباب مكتهلون فى شبابهم غضبضة عن الشر أعينهم ثقيلة فى الباطل أرجلهم أنضاء عبادة قد نظر الله إليهم فى جوف الليل محنية أصلابهم على أجزاء القرآن كلما مر أحدهم بأية فيها ذكر الجنة بكى شوقا و كلما مر بأية فيها ذكر النار شهق خوفا كأن زفير جهنم بين أذنيه قد أكلت الأرض جباههم و ركبهم -قرآن- ٢٣٢-٣٣٤ [صفحة ١٢٠] و وصلوا كلال ليلهم بكلال نهارهم مصفرة ألوانهم ناحلة أبدانهم من طول القيام و كثرة الصيام يوفون بعهد الله منجزون لوعد الله قدشروا أنفسهم فى طاعة الله حتى إذا التقت الكتيبتان و أبرقت سيوفهما و فوقت سهامهما و أشرعت رماحهما لقوا شبا الأسنان و زجاج السهام و ظبى السيوف بنحورهم و وجوههم و صدورهم فمضى الشاب منهم قدما حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه و اختضبت محاسن وجهه بالدماء و عفر جبينه بالتراب و الثرى و انحطت عليه الطير من السماء و مزقته سباع الأرض فكم من عين فى منقار طائر طالما بكى بها صاحبها فى جوف الليل من خوف الله و كم من وجه رقيق و جبين عتيق قد فلق بعمد الحديد . ثم بكى فقال آه آه على فراق الإخوان رحمة الله تعالى على تلك الأبدان اللهم أدخل أرواحها الجنان . قال أبو الفرج و سار أبو حمزة و خلف بالمدينة المفضل الأزدي فى جماعة من أصحابه و بعث مروان بن محمد عبد الملك بن عطية السعدى فى أربعة آلاف من أهل الشام فيهم فرسان عسكره و وجوههم لحرب أبى حمزة و عبد الله بن يحيى طالب الحق و أمر ابن عطية بالجد فى المسير و أعطى كل رجل من الجيش مائة دينار و فرسا عربيا و بغلا لثقله فخرج ابن عطية حتى إذا كان بالمعلى فكان رجل من أهل وادى القرى يقال له العلاء [صفحة ١٢١] بن أفلح أبى الغيث يقول لقينى فى ذلك اليوم و أنا غلام رجل من أصحاب ابن عطية فقال لى ما اسمك يا غلام فقلت العلاء فقال ابن من قلت ابن أفلح قال أعربى أم مولى فقلت مولى قال مولى من قلت مولى أبى الغيث قال فأين نحن قلت بالمعلى قال فأين نحن غدا قلت بغالب قال فما كلمنى حتى أردفنى خلفه و مضى حتى أدخلنى على ابن عطية و قال له أيها الأمير سل الغلام ما اسمه فسأل و أنا أرد عليه القول فسر بذلك و وهب لى دراهم . قال أبو الفرج و قدم أبو حمزة و أمامه بلج بن عقبه فى ستمائة رجل ليقاتل عبد الملك بن عطية فلقه بوادى القرى لأيام خلت من جمادى الأولى سنة ثلاثين و مائة فتوافقوا و دعاهم بلج إلى الكتاب و السنة

وذكر بنى أمية وظلمهم فشتمه أهل الشام وقالوا يا أعداء الله أنتم أحق بهذا ممن ذكرتم فحمل بلج وأصحابه عليهم وانكشفت طائفه من أهل الشام وثبت ابن عطية فى عصبه صبروا معه فناداهم يا أهل الشام يا أهل الحفاظ ناضلوا عن دينكم وأميركم واصبروا وقاتلوا قتالا شديدا فقتل بلج وأكثر أصحابه وانحازت قطعته من أصحابه نحو المائه إلى جبل اعتصموا به فقاتلهم ابن عطية ثلاثة أيام فقتل منهم سبعين رجلا ونجا منهم ثلاثون. فرجعوا إلى أبى حمزة و هو بالمدينة وقداغتموا وجزعوا من ذلك الخبر وقالوا فررنا من الزحف فقال لهم أبو حمزة لا تجزعوا فإننا لكم فئه وإلى تحيزتم . وخرج أبو حمزة إلى مكة فدعا عمر بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أهل المدينة إلى قتال المفضل خليفة أبى حمزة على المدينة فلم يجد أحدا لأن القتل قد كان أسرع فى الناس وخرج وجوه أهل البلد عنه فاجتمع إلى عمر البربر والزنوج و أهل السوق والعييد [صفحه ١٢٢] فقاتل بهم الشراء فقتل المفضل وعامة أصحابه وهرب الباقون فلم يبق منهم أحد فقال فى ذلك سهيل مولى زينب بنت الحكم بن أبى العاص لىت مروان رأنا || يوم الإثنين عشية إذ غسلنا العار عنا || وانتضينا المشرفية . قال فلما قدم ابن عطية أتاه عمر بن عبد الرحمن فقال له أصلحك الله إنى جمعت قضى وقضيضى فقاتلت هؤلاء الشراء فلقبه أهل المدينة قضى وقضيضى. قال أبو الفرج وأقام ابن عطية بالمدينة شهرا و أبو حمزة مقيم بمكة ثم توجه إليه فقال على بن الحصين العبدى لأبى حمزة إنى كنت أشرت عليك يوم قديد وقبله أن تقتل الأسرى فلم تفعل حتى قتلوا المفضل وأصحابنا المقيمين معه بالمدينة و أنا أشير عليك الآن أن تضع السيف فى أهل مكة فإنهم كفره فجرة و لو قد قدم ابن عطية لكانوا أشد عليك من أهل المدينة فقال لأرى ذلك لأنهم قد دخلوا فى الطاعة وأقروا بالحكم ووجب لهم حق الولاية. فقال إنهم سيغدرون فقال فمَنْ نَكْتُ فَإِنَّمَا يَنْكُتُ عَلَى نَفْسِهِ. وقدم ابن عطية مكة فصير أصحابه فرقتين ولقى الخوارج من وجهين فكان هويأزاء أبى حمزة فى أسفل مكة وجعل طائفه أخرى بالأبطح يأزاء أبرهه بن الصباح فقتل أبرهه كمن له ابن هبار و هو على خيل دمشق فقتله عندبئر ميمون والتقى ابن عطية بأبى حمزة فخرج أهل مكة بأجمعهم مع ابن عطية وتكاثر الناس على أبى حمزة فقتل على فم الشعب وقتلت معه امرأته وهى ترتجز -قرآن- ٦١٦-٦٥٧ أنا الجديعاء و بنت الأعلم || من سأل عن اسمى فاسمى مريم [صفحه ١٢٣] بعث سوارى بعضب مخدّم . وقتلت الخوارج قتلا ذريعا وأسر منهم أربعمائة فقال لهم ابن عطية ويلكم مادعاكم إلى الخروج مع هذا فقالوا ضمن لنا الكنة يريدون الجنة فقتلهم كلهم وصلب أباحمزة وأبرهه بن الصباح على شعب الخيف ودخل على بن الحصين دارا من دور قريش فأحرق أهل الشام بها فأحرقوها فرمى بنفسه عليهم وقاتل فأسر وقتل وصلب مع أبى حمزة فلم يزلوا مصلوبين حتى أفضى الأمر إلى بنى هاشم فأنزلوا فى خلافة أبى العباس . قال أبو الفرج وذكر ابن الماجشون أن ابن عطية لما التقى بأبى حمزة قال أبو حمزة لأصحابه لا تقاتلوهم حتى تختبروهم فصاحوا فقالوا يا أهل الشام ماتقولون فى القرآن والعمل به فقال ابن عطية نضعه فى جوف الجوالق قالوا فما تقولون فى اليتيم قالوا نأكل ماله ونفجر بأمه فى أشياء بلغنى أنهم سئلوا عنها فلما سمعوا كلامهم قاتلوهم حتى أمسوا فصاحت الشراء ويحك يا ابن عطية إن الله جل و عز قد جعل الليل سكنا فاسكن ونسكن فأبى وقاتلهم حتى أفناهم . قال و لما خرج أبو حمزة من المدينة خطب فقال يا أهل المدينة إنا خارجون لحرب مروان فإن نظهر عليه نعدل فى أحكامكم ونحملكم على سنة نبيكم و إن يكن ماتميتم لنا فسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون [صفحه ١٢٤] قال و قد كان اتبعه على رأيه قوم من أهل المدينة وبايعوه منهم بشكست النحوى فلما جاءهم قتله وثب الناس على أصحابه فقتلوهم و كان ممن قتلوه بشكست النحوى طلبوه فرقى فى درجة دار فلحقوه فأنزلوه وقتلوه و هو يصيح يا عباد الله فيم تقتلوننى فقيل فيه لقد كان بشكست عبدالعزيز || من أهل القراءة والمسجد فبعدا لبشكست عبدالعزيز || و أما القرآن فلا تبعد . قال أبو الفرج وحدثنى بعض أصحابنا أنه رأى رجلا واقفا على سطح يرمى بالحجارة قوم أبى حمزة بمكة فقيل له ويلك أتدرى من ترمى مع اختلاط الناس فقال و الله ما أبالى من رميت إنما يقع حجرى فى شام أو شار و الله ما أبالى أيهما قتلت . قال أبو الفرج وخرج ابن عطية إلى الطائف وأتى قتل أبى

حمزة إلى عبد الله بن يحيى طالب الحق و هو بصنعاء فأقبل في أصحابه يريد حرب ابن عطية ف شخص ابن عطية إليه والتقوا فقتل بين الفريقين جمع كثير وترجل عبد الله بن يحيى في ألف رجل فقاتلوا حتى قتلوا كلهم وقتل عبد الله بن يحيى وبعث ابن عطية رأسه إلى مروان بن محمد وقال أبو صخر الهذلي يذكر ذلك قتلنا عبيدا و ألدنى يكتنى الكنى || أبا حمزة القارئ المصلى اليمانيا وأبرهه الكندي خاضت رماحنا || وبلجا منحناه السيوف المواضيا [صفحة ١٢٥] و ماتركت أسيفنا منذ جردت || لمروان جبارا على الأرض عاصيا . وقال عمرو بن الحصين العنبري يرثي أبا حمزة وغيره من الشراة و هذه القصيدة من مختار شعر العرب هبت قبيل تبليج الفجر || هند تقول ودمعها يجرى إذ أبصرت عيني وأدمعها || تنهل واكفه على النحر أنى اعتراك وكنت عهدى لا || سرب الدموع وكنت ذا صبر أقذى بعينك لا يفوقها || أم عائر أم مالها تدرى أم ذكر إخوان فجعت بهم || سلكوا سبيلهم على قدر فأجبتها بل ذكر مصرعهم || لاغيره عبراتها تمرى يارب أسلكنى سبيلهم || ذا العرش واشدد بالتقى أزرى فى فتية صبروا نفوسهم || للمشرفية والقنا السمر تالله ما فى الدهر مثلهم || حتى أكون رهينة القبر أوفى بدمتهم إذا عقدوا || وأعف عند العسر واليسر متأهبون لكل صالحه || ناهون من لا قوا عن النكر صمت إذا حضروا مجالسهم || من غير ماعى بهم يزرى لإلتجيتهم فإنهم || رجف القلوب بحضرة الذكر [صفحة ١٢٦] متأوهون كأن جمر غضا || للموت بين ضلوعهم يسرى فهم كأن بهم جرى مرض || أومسهم طرف من السحر لاليلهم ليل فيلبسهم || فيه غواشى النوم بالسكر إلا كرى خلسا وآونه || حذر العقاب فهم على ذعر كم من أخ لك قد فجعت به || قوام ليلته إلى الفجر متأوها يتلو قوارع من || آى الكتاب مفرع الصدر ظمان وقده كل هاجرة || تراك لذته على قدر رفاض ماتهى النفوس إذا || رغب النفوس دعت إلى المرز ومبرأ من كل سيئه || عف الهوى ذا مرة شزر والمصطفى بالحرب يوقدها || بحسامه فى فتية زهر يختاضها بأفل ذى شطب || غضب المضارب ظاهر الأثر لا - شىء يلقاه أسر له || من طعنه فى ثغرة النحر منهارة منه تجيش بما || كانت عواصم جوفه تجرى [صفحة ١٢٧] لخليلك المختار أذك به || من معتد فى الله أومسرى خواض غمرة كل متلفه || فى الله تحت العثير الكدر نزال ذى النجوات مختضبا || بنجيعة بالطعنة الشزر و ابن الحصين وهل له شبه || فى العرف أنى كان والنكر بشهامه لم تحن أضلعه || لذوى أحزته على غدر طلق اللسان بكل محكمة || رآب صدع العظم ذى الكسر لم ينفكك فى جوفه حزن || تغلى حرارته وتستشرى ترقى وآونه يخفضها || بتنفس الصعداء والزفر ومخالطى بلج وخالصتى || سهم العدو وجابر الكسر نكل الخصوم إذا هم شغبوا || وسداد ثلمة عورة الثغر والخائض الغمرات يخطر فى || وسط الأعدى أيما خطر بمشطب أو غير ذى شطب || هام العدا بذبابه يفرى وأخيك أبرهه الهجان أخى الحرب || العوان وموقد الجمر والضارب الأخدود ليس لها || حد ينهنها عن السحر وولى حكمهم فجعت به || عمرو فوا كبدى على عمرو قوال محكمة وذو فهم || عف الهوى مثبت الأمر ومسيب فا ذكر وصيته || لاتنس إما كنت ذا ذكر [صفحة ١٢٨] فكلاهما قد كان مختشعا || لله ذا تقوى وذا بر فى مختبتين و لم أسمهم || كانوا ندى وهم أولو نصرى وهم مساعر فى الوغى رجح || وخيار من يمشى على العفر حتى وفوا لله حيث لقوا || بعهود لا كذب ولا غدر فتخالسوا مهجات أنفسهم || وعداتهم بقواضب بتر وأسنة أثبتن فى لدن || خطية بأكفهم زهر تحت العجاج وفوقهم حرق || يخفقن من سود و من حمر فتوقدت نيران حربهم || ما بين أعلى البيت والحجر وتصرعت عنهم فوارسهم || لم يغمضوا عينا على وتر صرعى فخاوية بيوتهم || وخوامع بجسومهم تفرى . قال أبو الفرج وأقام ابن عطية بحضرموت بعد ظفروه بالخوارج حتى أتاه كتاب مروان يأمره بالتعجيل إلى مكة فيحج بالناس فشخص إلى مكة متعجلا مخفا فى تسعة عشر فارسا وندم مروان على ما كتبه وقال قتلت ابن عطية وسوف يخرج متعجلا مخفا من اليمن ليلحق الحج فيقتله الخوارج فكان كما قال صادفه فى طريقه جماعة متلفه فمن كان منهم إباضيا قال ماتتظنر أن ندرك نأر إخواننا و من لم يكن منهم إباضيا ظن أنه إباضى منهزم من ابن عطية فصمد له سعيد وجمانه ابنا الأخنس [صفحة ١٢٩] الكنديان فى جماعة من قومهما وكانوا على رأى

الخوارج فعطف ابن عطية على سعيد فضربه بالسيف وطعنه جمائنه فصرعه فنزل إليه سعيد فقعد على صدره فقال له ابن عطية هل لك في أن تكون أكرم العرب أسيرا فقال سعيد يا عدو الله أتظن الله يهملك أو تطمع في الحياة وقد قتلت طالب الحق وأباحمزة وبلجا وأبرهه فذبحه وقتل أصحابه أجمعون. فهذا يسير مما هو معلوم من حال هذه الطائفة في خشونتها في الدين وتلزمها بناموسه وإن كانت في أصل العقيدة على ضلال وهكذا قال النبي ص عنهم تستحق صلاة أحدكم في جنب صلاتهم وصيام أحدكم في جنب صيامهم -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-٨٨ ومعلوم أن معاوية و من بعده من بنى أمية لم تكن هذه الطريقة طريقتهم ولا هذه السنة سنتهم وأنهم كانوا أهل دنيا وأصحاب لعب ولهو وانغماس في اللذات وقله مبالاة بالدين ومنهم من هو رمى بالزندقة والإلحاد

أخبار متفرقة عن معاوية

وقد طعن كثير من أصحابنا في دين معاوية و لم يقتصروا على تفسيقه وقالوا عنه إنه كان ملحدا لا يعتقد النبوة ونقلوا عنه في فلتات كلامه وسقطات ألفاظه ما يدل على ذلك . وروى الزبير بن بكار في الموفقيات و هو غير متهم على معاوية ولا منسوب إلى اعتقاد الشيعة لما هو معلوم من حاله من مجانية على ع والانحراف عنه قال المطرف بن المغيرة بن شعبة دخلت مع أبي على معاوية و كان أبي يأتيه فيتحدث معه ثم ينصرف إلى فيذكر معاوية وعقله ويعجب بما يرى منه إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء ورأيت مغتما فانتظرت ساعة وظننت أنه لأمر حدث [صفحة ١٣٠] فينا فقلت ما لي أراك مغتما منذ الليلة فقال يا بني جئت من عند أكر الناس وأخبثهم قلت و ماذا قال قلت له و قد خلوت به إنك قد بلغت سنا يا أمير المؤمنين فلو أظهرت عدلا وبسطت خيرا فإنك قد كبرت و لو نظرت إلى إخوتك من بنى هاشم فوصلت أرحامهم فو الله ما عندهم اليوم شيء تخافه و إن ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه فقال هيهات هيهات أي ذكر أرجو بقاءه ملك أخو تيم فعدل و فعل ما فعل فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره إلا أن يقول قائل أبو بكر ثم ملك أخو عدى فاجتهد و شمر عشر سنين فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره إلا أن يقول قائل عمر و إن ابن أبي كبشة ليصاح به كل يوم خمس مرات أشهد أن محمدا رسول الله فأى عملى يبقى و أى ذكر يدوم بعد هذا لا أبأ لك لا و الله لإدنا دفنا. و أما أفعاله المجانية للعدالة الظاهرة من لبسه الحرير و شربه فى آنية الذهب والفضة حتى أنكر عليه ذلك أبو الدرداء فقال له إنى سمعت رسول الله ص يقول إن الشارب فيها ليجر جر فى جوفه نار جهنم -رواية- ١-٢-رواية- ٣٤-٧٦ و قال معاوية أما أنا فلا أرى بذلك بأسا فقال أبو الدرداء من عذيرى من معاوية أنا أخبره عن الرسول ص و هو يخبرنى عن رأيه لا أساكنك بأرض أبدا. نقل هذا الخبر المحدثون والفقهاء فى كتبهم فى باب الاحتجاج على أن خبر الواحد معمول به فى الشرع و هذا الخبر يقدر فى عدالته كما يقدر أيضا فى عقيدته لأن من قال فى مقابلة خبر قدروى عن رسول الله ص أما أنا فلا أرى بأسا فيما حرمه رسول الله ص ليس بصحيح العقيدة و من المعلوم أيضا من حاله استنثاره بمال الفىء و ضربه من لحد عليه و إسقاط الحد عن من يستحق إقامة الحد عليه و حكمه [صفحة ١٣١] برأيه فى الرعية و فى دين الله واستلحاقه زيادا و هو يعلم قول رسول الله ص الولد للفراش وللعاهر الحجر -رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-٥٠ وقتله حجر بن عدى وأصحابه و لم يجب عليهم القتل ومهانتة لأبى ذر الغفارى وجبهه و شتمه وإشخاصه إلى المدينة على قتب بعير و طاء لإنكاره عليه ولعنه عليا و حسنا و حسينا و عبد الله بن عباس على منابر الإسلام وعهده بالخلافة إلى ابنه يزيد مع ظهور فسقه و شربه المسكر جهارا ولعبه بالنرد ونومه بين القيان المغنيات واصطباحه معهن ولعبه بالطبور بينهن وتطريقه بنى أمية للوثوب على مقام رسول الله ص وخلافته حتى أفضت إلى يزيد بن عبد الملك والوليد بن يزيد المفتضحين الفاسقين صاحب حياة وسلامة والآخر رامى

المصحف بالسهم وصاحب الأشعار فى الزندقه والإلحاد. ولا ريب أن الخوارج إنما برىء أهل الدين والحق منهم لأنهم فارقوا عليا وبرئوا منه و ماعدا ذلك من عقائدهم نحو القول بتخليد الفاسق فى النار والقول بالخروج على أمراء الجور وغير ذلك من أقاويلهم فإن أصحابنا يقولون بها ويذهبون إليها فلم يبق ما يقتضى البراءة منهم إلا براءتهم من على وقد كان معاوية يلعنه على رءوس الأشهاد وعلى المنابر فى الجمع والأعياد فى المدينة ومكة وفى سائر مدن الإسلام فقد شارك الخوارج فى الأمر المكروه منهم وامتازوا عليه بإظهار الدين والتلزم بقوانين الشريعة والاجتهاد فى العبادة وإنكار المنكرات وكانوا أحق بأن ينصروا عليه من أن ينصر عليهم فوضح بذلك قول أمير المؤمنين لا تقاتلوا الخوارج بعدى يعنى فى ملك معاوية ومما يؤكد هذا المعنى أن عبد الله بن الزبير استنصر على يزيد بن معاوية بالخوارج واستدعاهم إلى ملكه فقال فيه الشاعر يا ابن الزبير أتتهوى فتية قتلوا || ظلما أباك و لماتنزع الشكك ضحوا بعثمان يوم النحر ضاحية || ياطيب ذاك الدم الزاكي الذى سفكوا . فقال ابن الزبير لوشايعنى الترك والدليم على محاربة بنى أمية لشايعتهم وانتصرت بهم [صفحہ ۱۳۲]

٦- و من كلام له ع لماخوف من الغيلة

إشارة

وَ إِنْ عَلَى مِنَ اللَّهِ جُنَّةٌ حَصِيَّةً فَإِذَا جَاءَ يَوْمِي انْفَرَجَتْ عَنِّي وَ أَسَلَمْتَنِي فَحَيِّتَنِي لَأَ يَطِيئُ السَّيْهُمُ وَ لَأَ يَبْرَأُ الْكَلِمُ الْغِيلَةُ الْقَتْلُ عَلَى غَيْرِ عِلْمٍ وَ لَشَعُورِ الْجَنَّةِ الدَّرْعُ وَ مَا يَجْنُ بِهِ أَى يَسْتَرُ مِنْ تَرَسٍ وَ غَيْرِهِ وَ طَاشِ السَّهْمُ إِذَا صَدَفَ عَنِ الْغَرَضِ وَ الْكَلِمُ الْجَرْحُ وَ يَعْنَى بِالْجَنَّةِ هَاهُنَا الْأَجَلَ وَ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى الشَّعْرُ الْمَنْسُوبُ إِلَيْهِ عَ مِنْ أَى يَوْمِي مِنَ الْمَوْتِ أَمْرٌ || أَى يَوْمٌ لَمْ يَقْدِرْ أَمْ يَوْمٌ قَدِرَ فِيَوْمٍ لَا يَقْدِرُ لِأَرْهَبِهِ || وَ يَوْمٌ قَدِرَ لَا يَعْنَى الْحَذَرَ . وَ مِنْهُ قَوْلُ صَاحِبِ الزَّنْجِ وَ إِذَا تَنَازَعْنِي أَقُولُ لَهَا قَرِي || مَوْتٌ يَرِيحُكَ أَوْ صُعُودُ الْمَنْبَرِ مَا قَدِرَ قَضَى سَيَكُونُ فَاصْطَبْرِي لَهُ || وَ لَكَ الْأَمَانُ مِنَ الْأَذَى لَمْ يَقْدِرْ . وَ مِثْلُهُ قَدِ عِلْمُ الْمَسْتَأْخِرُونَ فِي الْوَهْلِ || أَنَّ الْفِرَارَ لَا يَزِيدُ فِي الْأَجْلِ . وَ الْأَصْلُ فِي هَذَا كَلِمَةُ تَعَالَى وَ مَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا - قرآن - ٣٥-١٠٣ [صفحہ ۱۳۳] وَ قَوْلُهُ تَعَالَى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَ لَا يَسْتَقْدِمُونَ . وَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَ هُمْ لَا يُفْرَطُونَ وَ فِي الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ كَثِيرٌ مِنْ ذَلِكَ - قرآن - ١٦-٨٠ - قرآن - ٩٧-١٣٦

اختلاف الناس فى الآجال

واختلف الناس فى الآجال فقالت الفلاسفة والأطباء لأجل مضروب لأحد من الحيوان كله من البشر ولا من غيرهم والموت عندهم على ضربين قسرى وطبيعى. فالقسرى الموت بعراض إما من خارج الجسد كالمتردى والغريق والمقتول ونحو ذلك أو من داخل الجسد كما يعرض من الأمراض القاتلة مثل السل والاستسقاء والسرسام ونحو ذلك . والموت الطبيعى ما يكون بوقوف القوة الغذائية التى تورده على البدن عوض ما يتحلل منه وهذه القوة المستخدمة للقوى الأربع الجاذبة والدافعة والماسكة والهاضمة والبدن لا يزال فى التحلل دائما من الحركات الخارجية ومن الأفكار والهجوم وملاقاة الشمس والرياح والعوارض الطارئة ومن الجوع والعطش والقوة الغذائية تورده على البدن عوض الأجزاء المتحللة فتصرفها فى الغذاء المتناول واستخدام القوى الأربع المذكورة. ومنتهى بقاء هذه القوة فى الأعم الأغلب للإنسان مائة وعشرون سنة وقد رأيت فى كتب بعض الحكماء أنها تبقى مائة

وستين سنة و لا يصدق هؤلاء بما يروى من بقاء المعمرين فأما أهل الملل فيصدقون بذلك . [صفحہ ۱۳۴] واختلف المتكلمون في الآجال فقالت المعتزلة ينبغي أولاً- أن نحقق مفهوم قولنا أجل ليكون البحث في التصديق بعد تحقق التصور فالأجل عندنا هو الوقت الذي يعلم الله أن حياة ذلك الإنسان أو الحيوان تبطل فيه كما أن أجل الدين هو الوقت الذي يحل فيه فإذا سألنا سائل فقال هل للناس آجال مضروبة قلنا له ماتعنى بذلك أتريد هل يعلم الله تعالى الأوقات التي تبطل فيها حياة الناس أم تريد بذلك أنه هل يراد بطلان حياة كل حي في الوقت الذي بطلت حياته فيه . فإن قال عنيت الأول قيل له نعم للناس آجال مضروبة بمعنى معلومة فإن الله تعالى عالم بكل شيء . و إن قال عنيت الثاني قيل لا يجوز عندنا إطلاق القول بذلك لأنه قد تبطل حياة نبي أو ولي يقتل ظالم والبارئ تعالى لا يريد عندنا ذلك . فإن قيل فهل تقولون إن كل حيوان يموت وتبطل حياته بأجله قيل نعم لأن الله قد علم الوقت الذي تبطل حياته فيه فليس تبطل حياته إلا في ذلك الوقت لأن العلم ساق إلى ذلك بل إنما تبطل حياته بالأمر الذي اقتضى بطلانه والبارئ تعالى يعلم الأشياء على ما هي عليه فإن بطلت حياته بقتل ظالم فذلك ظلم وجور و إن بطلت حياته من قبل الله تعالى فذلك حكمه وصواب و قد يكون ذلك لظلم بعض المكلفين . واختلف الناس لو لم يقتل القاتل المقتول هل كان يجوز أن يقيه الله تعالى فقطع الشيخ أبو الهذيل على موته لو لم يقتله القاتل و إليه ذهب الكرامية قال محمد بن الهيصم مذهبنا أن الله تعالى قد أجل لكل نفس أجلا لن ينقضى عمره دون بلوغه و لا يتأخر عنه ومعنى الأجل هو الوقت الذي علم الله أن الإنسان يموت فيه و كتب ذلك في اللوح المحفوظ و ليس يجوز أن يكون الله تعالى قد أجل له أجلا ثم يقتل قبل بلوغه أو يخترم دونه و لا أن [صفحہ ۱۳۵] يتأخر عما أجل له ليس على معنى أن القاتل مضطر إلى قتله حتى لا يمكنه الامتناع منه بل هو قادر على أن يمتنع من قتله ولكنه لا يمتنع منه إذ كان المعلوم أنه يقتله لأجله بعينه و كتب ذلك عليه . و لو توهمنا في التقدير أنه يمتنع من قتله لكان الإنسان يموت لأجل ذلك لأنهما أمران مؤجلان بأجل واحد فأحدهما قتل القاتل إياه والثاني تصرف مدة عمره وحلول الموت به فلو قدرنا امتناع القاتل من قتله لكان لا يجب بذلك ألا يقع المؤجل الثاني الذي هو حلول الموت به بل كان يجب أن يموت بأجله . قال و بيان ذلك من كتاب الله توبيخه المنافقين على قولهم لو كانوا عندنا ما ماتوا و ما قُتلوا فقال تعالى لهم قُلْ فَادْرُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فدل على أنهم لو تجنبوا مصارع القتل لم يكونوا ليدروا بذلك الموت عن أنفسهم . وقالت الأشعرية والجهمية والجبرية كافة إنها آجال مضروبة محدودة و إذا أجل الأجل و كان في المعلوم أن بعض الناس يقتله وجب وقوع القتل منه لا محالة و ليس يقدر القاتل على الامتناع من قتله و تقدير انتفاء القتل يقال كيف كانت تكون الحال تقدير أمر محال كتقدير عدم القديم وإثبات الشريك و تقدير الأمور المستحيلة لغو وخلف من القول . و قال قوم من أصحابنا البغداديين رحمهم الله بالقطع على حياته لو لم يقتله القاتل و هذا عكس مذهب أبي الهذيل و من وافقه وقالوا لو كان المقتول يموت في ذلك الوقت لو لم يقتله القاتل لما كان القاتل مسيئا إليه إذ لم يفوت عليه حياة لو لم يبطلها لبقية و لما استحق - قرآن - ۵۷۲ - ۶۱۴ - قرآن - ۶۳۲ - ۶۸۹ [صفحہ ۱۳۶] القود و لكان ذابح الشاة بغير إذن مالكها قد أحسن إلى مالكها لأنه لو لم يذبحها لماتت فلم يكن ينتفع بلحمها . قالوا و الذي احتج به من كونهما مؤجلين بأجل واحد فلو قدرنا انتفاء أحد الأمرين في ذلك الوقت لم يجب انتفاء الآخر ليس بشيء لأن أحدهما علة الآخر فإذا قدرنا انتفاء العلة وجب أن ينتفى في ذلك التقدير انتفاء المعلول فالعلة قتل القاتل والمعلول بطلان الحياة وإنما كان يستمر ويصلح ما ذكره لو لم يكن بين الأمرين عليية العلية والمعلولية . قالوا والآية التي تعلقوا فيها لا تدل على قولهم لأنه تعالى لم ينكر ذلك القول إنكار حاكم بأنهم لو لم يقتلوا لماتوا بل قال كل حي ميت أي لا بد من الموت إما معجلا - وإما مؤجلا . قالوا فإذا قال لنا قائل إذا قتلتم إنه يبقى لو لم يقتله القاتل ألستم تكونون قد قتلتم إن القاتل قد قطع عليه أجله . قلنا له إنما يكون قاطعا عليه أجله لو قتل قبل الوقت الذي علم الله تعالى أن حياته تبطل فيه و ليس الأمر كذلك لأن الوقت الذي علم الله تعالى أن حياته تبطل فيه هو الوقت الذي قتل فيه القاتل و لم يقتله القاتل

أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ لَا يُسَلَّمُ مِنْهَا إِلَّا فِيهَا وَ لَا يُنَجَّى بِشَيْءٍ كَانَ لَهَا ابْتُلِيَ النَّاسُ بِهَا فِتْنَةً فَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لَهَا أَخْرَجُوا مِنْهُ وَ حُوسِبُوا عَلَيْهِ وَ مَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لِغَيْرِهَا قَدِمُوا عَلَيْهِ وَ أَقَامُوا فِيهِ فَإِنَّهَا عِنْدَ ذَوِي الْعُقُولِ كَفَىءِ الظِّلِّ بَيْنَا تَرَاهُ سَابِغًا حَتَّى قَلَصَ وَ زَائِدًا حَتَّى نَقَصَ تقدير الكلام أن الدنيا دار لا يسلم من عقاب ذنوبها إلا فيها و هذا حق لأن العقاب المستحق إنما يسقط بأحد أمرين إما بثواب على طاعات تفضل على ذلك العقاب المستحق أو بتوبه كامله الشروط. وكلا الأمرين لا يصح من المكلفين إيقاعه إلا في الدنيا فإن الآخرة ليست دار تكليف ليصح من الإنسان فيها عمل الطاعة والتوبه عن المعصية السالفه فقد ثبت إذا أن الدنيا دار لا يسلم منها إلا- فيها. إن قيل بينوا أن الآخرة ليست بدار تكليف. قيل قد بين الشيوخ ذلك بوجهين أحدهما الإجماع على المنع من تجويز استحقاق ثواب أو عقاب في الآخرة. والثاني أن الثواب يجب أن يكون خالصا من المشاق والتكليف يستلزم المشقة لأنها شرط في صحته فبطل أن يجوز استحقاق ثواب في الآخرة للمكلفين المشايين في الآخرة [صفحة ١٤١] لأجل تكاليفهم في الآخرة و أما المعاقبون فلو كانوا مكلفين لجاز وقوع التوبه منهم وسقوط العقاب بها و هذا معلوم فساده ضرورة من دين الرسول ع . وهاهنا اعتراضان أحدهما أن يقال فما قولكم في قوله تعالى كَلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ وَ هذا أمر وخطاب لأهل الجنة والأمر تكليف . والثاني أن الإجماع حاصل على أن أهل الجنة يشكرون الله تعالى والشكر عبادة و ذلك يستدعي استحقاق الثواب . والجواب عن الأول أن قوله كَلُوا وَ اشْرَبُوا عند شيخنا أبي على رحمه الله تعالى ليس بأمر على الحقيقة و إن كانت له صورته كما في قوله تعالى كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا. و أما الشيخ أبو هاشم فعنده أن قوله كَلُوا وَ اشْرَبُوا أمر لكنه زائد في سرور أهل الجنة إذ علموا أن الله تعالى أراد منهم الأكل وأمرهم به ولكنه ليس بتكليف لأن الأمر إنما يكون تكليفا إذا انضمت إليه المشقة. و أما الجواب عن الثاني فإن الشكر الذي بالقلب رجوعه إلى الاعتقادات و الله تعالى يفعل في أهل الجنة المعارف كلها فلا وجوب إذ عليهم و أما الشكر باللسان فيجوز أن يكون لهم فيه لذة فيكون بذلك غير مناف للثواب الحاصل لهم . وبهذا الوجه نجيب عن قول من يقول أليس زبانية النار يعالجون أهل العذاب في جهنم أعاذنا الله منها وهل هذا إلا محض تكليف لأننا نقول إنه يجوز أن يكون للزبانية في ذلك لذة عظيمة فلا يثبت التكليف معها كما لا يكون الإنسان مكلفا في الدنيا بما يخلص إليه شهوته و لا مشقة عليه فيه . -قرآن- ٢٠٩-٢٥٠-قرآن- ٤٣٥-٤٥٢-قرآن- ٥٥٣-٥٨١-قرآن- ٦٢١-٦٣٨ [صفحة ١٤٢] إن قيل هذا الجواب يبنى على أن معارف أهل الآخرة ضرورية لأنكم أجبتم عن مسألة الشكر بأن الله تعالى يفعل المعارف في أهل الجنة فدللوا على ذلك بل يجب عليكم أن تدللوا أولا على أن أهل الآخرة يعرفون الله تعالى. قيل أما الدليل على أنهم يعرفونه تعالى فإن المثاب لا بد أن يعلم وصول الثواب إليه على الوجه الذي استحقه و لا يصح ذلك إلا مع المعرفة بالله تعالى ليعلم أن ما فعله به هو الذي لمستحقه والقول في المعاقب كالقول في المثاب . وأيضا فإن من شرط الثواب مقارنه التعظيم والتبجيل له من فاعل الثواب لأن تعظيم غير فاعل الثواب لا يؤثر والتعظيم لا يعلم إلا- مع العلم بالقصد إلى التعظيم ويستحيل أن يعلموا قصده تعالى و لا يعلموه والقول في العقاب وكون الاستحقاق والإهانة تقارنه تجرى هذا المجرى. فأما بيان أن هذه المعرفة ضرورية فلأنها لو كانت من فعلهم لكانت إما أن تقع عن نظر يتحرون فيه ويلجئون إليه أو عن تذكّر نظر أو بأن يلجئوا إلى نفس المعرفة من غير تقدم نظر والأول باطل لأن ذلك تكليف وفيه مشقة و قد بينا سقوط التكليف في الآخرة و لا يجوز أن يلجئوا إلى النظر لأنهم لو ألجئوا إلى النظر لكان إلجائهم إلى المعرفة أولا وإلجائهم إلى المعرفة يمنع من إلجائهم إلى النظر و لا يجوز وقوعها عند تذكّر النظر لأن المتذكر للنظر تعرض له الشبه ويلزمه دفعها و في ذلك عود الأمر إلى التكليف و ليس معاينة الآيات بمانع عن وقوع الشبه كما لم تمنع معاينة المعجزات والأعلام عن وقوعها و لا يجوز أن يكون الإلجاء إلى المعرفة لأن الإلجاء إلى أفعال القلوب لا يصح إلا من الله تعالى فيجب أن يكون الملجأ إلى المعرفة عارفا بهذه القضية و في ذلك استغناؤه بتقدم هذه المعرفة على الإلجاء إليها. إن قيل إذا قلتم إنهم مضطرون إلى المعارف فهل تقولون إنهم مضطرون إلى الأفعال . [صفحة ١٤٣] قيل لأنه تعالى قال وَ

فَاكِبَهُ مِمَّا يَنْخَيَّرُونَ وَلأن من تدبر ترغيبات القرآن في الجنة والثواب علم قطعاً أن أهل الجنة غير مضطرين إلى أفعالهم كما يضطر المرتعش إلى الرعشة. إن قيل فإذا كانوا غير مضطرين فلم يمنعهم من وقوع القبيح منهم. قيل لأن الله تعالى قد خلق فيهم علماً بأنهم متى حاولوا القبيح منعوا منه وهذا يمنع من الإقدام على القبيح بطريق الإلجاء. ويمكن أيضاً أن يعلمهم استغناءهم بالحسن عن القبيح مع ما في القبيح من المضرة فيكونون ملجئين إلى ألا يفعلوا القبيح. فأما قوله ع ولا ينجى بشيء كان لها فمعاها أن أفعال المكلف التي يفعلها لأغراضه الدنيوية ليست طريقاً إلى النجاة في الآخرة كمن ينفق ماله رثاء الناس وليست طرق النجاة إلا بأفعال البر التي يقصد فيها وجه الله تعالى لا غير وقد أوضح ع ذلك بقوله فما أخذوه منها لها أخرجوا منه وحوسبوا عليه وما أخذوه منها لغيرها قدموا عليه وأقاموا فيه. فمثال الأول من يكتسب الأموال ويدخرها لملاذنه ومثال الثاني من يكسبها لينفقها في سبيل الخيرات والمعروف. ثم قال ع وإنما عند ذوى العقول كفىء الظل... إلى آخر الفصل وإنما قال كفىء الظل لأن العرب تضيف الشيء إلى نفسه قال تأبط شرا - قرآن - ٢٥-٥٥ إذا حاص عينه كرى النوم لم يزل || له كالى من قلب شيحان فاتك. [صفحة ١٤٤] ويمكن أن يقال الظل أعم من الفىء لأن الفىء لا يكون إلا بعد الزوال و كل فىء ظل و ليس كل ظل فيئا فلما كان فيهما تغاير معنوى بهذا الاعتبار صحت الإضافة. والسابع التام وقلص أى انقبض. وقوله ع بينا تراه أصل بينا بين فأشبع الفتحة فصارت بينا على وزن فعلى ثم تقول بينما فتزيد ما والمعنى واحد تقول بينا نحن نرقبه أتاناً أى بين أوقات رقتنا إياه أتاناً والجمل تضاف إليها أسماء الزمان كقولك أتيتك زمن الحجاج أمير ثم حذف المضاف الذى هو أوقات وولى الظرف الذى هو بين الجملة التى أقيمت مقام المضاف إليه كقوله وَ سئلِ القَريَّةُ. و كان الأصمعى يخفض بينا إذا صلح فى موضعه بين وينشد بيت أبى ذؤيب بالجر - قرآن - ٥٤٥-٥٦٢ بينا تعنقه الكمأة وروغه || يوماً أتيتك له جرىء سلفع. وغيره يرفع ما بعد بينا وبينما على الابتداء والخبر وينشد هذا البيت على الرفع. وهذا المعنى متداول قال الشاعر ألا إنما الدنيا كظل غمامة || أظلت يسيراً ثم خفت فولت. وقال ظل الغمام وأحلام المنام فما || تدوم يوماً لمخلوق على حال [صفحة ١٤٥]

٦٣- ومن خطبة له ع

إشارة

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَ بَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ وَ ابْتَاَعُوا مَا بِيَقَى لَكُمْ بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ وَ تَرَحَّلُوا فَقَدْ جُئِدَ بِكُمْ وَ اسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظْلَكُمْ وَ كُونُوا قَوْمًا صَاحِبِيحَ بِهِمْ فَانْتَبَهُوا وَ عَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِمَدَارٍ فَاسْتَبَدُّوا فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا وَ لَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى وَ مَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَ بَيْنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزَلَ بِهِ وَ إِنَّ غَايَةَ تَنْقِصِهَا اللَّحْظَةُ وَ تَهْدِمُهَا السَّاعَةُ لَجَدِيرَةٌ بِقِصْرِ الْمِيَدَةِ وَ إِنَّ غَايَةَ يَحْدُوهُ الْجَدِيدَانِ اللَّيْلُ وَ النَّهَارُ لِحَرِيِّ بِسُرْعَةِ الْأَوْبَةِ وَ إِنَّ قَادِمًا يَقْدَمُ بِالْفَوْزِ أَوْ الشَّقْوَةِ لِمُسْتَحِقِّ لِأَفْضَلِ الْعِيْدَةِ فَتَزُوْدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تَحْرِزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا فَاتَّقُوا عَبْدَ رَبِّهِ نَصِيحَ نَفْسِهِ وَ قَدَمَ تَوْبَتِهِ وَ غَلَبَ شَهْوَتَهُ فَإِنَّ أَجَلَ مَسْتَوْرٍ عَنْهُ وَ أَمَلَهُ خَادِعٌ لَهُ وَ الشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ يُزَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِئُرْكَبَهَا وَ يُمَيِّنُ التَّوْبَةَ لِئُسَوِّفَهَا إِذَا هَجَمَتْ مَتِيئَةً عَلَيْهِ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا فَيَا لَهَا حَسْرَةً عَلَى ذِي غَفْلَةٍ أَنْ يَكُونَ عُمُرُهُ عَلَيْهِ حُجْرَةً وَ أَنْ تُؤَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى الشَّقْوَةِ نَسَأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَنَا وَ إِيَّاكُمْ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ وَ لَا تُقْصِرُهُ بِهِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ غَايَةً وَ لَا تُحَلِّ بِهَ بَعْدَ الْمَوْتِ نَدَامَةً وَ لَا كَأَبَهُ [صفحة ١٤٦] بادروا آجالكم بأعمالكم أى سابقوها وعاجلواها البدار العجلة وابتاعوا الآخرة الباقية بالدنيا الفانية الزائلة. وقوله فقد جد بكم أى حثتم على الرحيل يقال جد الرحيل وقد جد بفلان إذا أزعج وحث على الرحيل. واستعدوا للموت يمكن أن يكون بمعنى أعدوا فقد جاء

استفعل بمعنى أفعّل كقولهم استجاب له أى أجابه . ويمكن أن يكون بمعنى الطلب كما تقول استطعم أى طلب الطعام فيكون بالاعتبار الأول كأنه قال أعدوا للموت عدةً وبمعنى الاعتبار الثانى كأنه قال اطلبوا للموت عدةً. وأظلمكم قرب منكم كأنه ألقى عليهم ظله و هذا من باب الاستعارة. والعبث اللعب أو ما لاغرض فيه أو ما لاغرض صحيح فيه . و قوله و لم يترككم سدى أى مهملين . و قوله أن ينزل به موضعه رفع لأنه بدل من الموت والغائب المشار إليه هو الموت . ويحدوه الجديدان يسوقه الليل والنهار وقيل الغائب هنا هو الإنسان يسوقه الجديدان إلى الدار التى هى داره الحقيقية وهى الآخرة و هو فى الدنيا غائب على الحقيقة عن داره التى خلق لها والأول أظهر. و قوله فتزودوا فى الدنيا من الدنيا كلام فصيح لأن الأمر الذى به يتمكن المكلف من إحراز نفسه فى الآخرة إنما هو يكتسبه فى الدنيا منها و هو التقوى والإخلاص والإيمان . والفاء فى قوله فاتقى عبدربه لبيان ماهية الأمر الذى يحرز الإنسان به نفسه [صفحه ١٤٧] ولتفصيل أقسامه وأنواعه كما تقول فعل اليوم فلان أفعالا جميلة فأعطى فلانا وصفح عن فلان وفعل كذا و قدروى اتقى عبدربه بلا فاء بتقدير هلا ومعناه التحضيض . و قدروى ليسوفها بكسر الواو وفتحها والضمير فى الرواية الأولى يرجع إلى نفسه و قد تقدم ذكرها قبل بكلمات يسيرة ويجوز أن يعنى به ليسوف التوبة كأنه جعلها مخاطبةً يقول لها سوف أوقعك والتسويق أن يقول فى نفسه سوف أفعّل وأكثر ما يستعمل للوعد الذى لانجاز له و من روى بفتح الواو جعله فعل ما لم يسم فاعله وتقديره ويمنيه الشيطان التوبة أى يجعلها فى أمنيته ليكون مسوفا إياها أى يعد من المسوفين المخدوعين . و قوله فيا لها حسرةً يجوز أن يكون نادى الحسرة وفتح اللام على أصل نداء المدعو كقولك يالرجال و يكون المعنى هذا وقتك أيتها الحسرة فاحضرى ويجوز أن يكون المدعو غير الحسرة كأنه قال يالرجال للحسرة فتكون لامها مكسورة نحو الأصل لأنها المدعو إليه إلا أنها لما كانت للضمير فتحت أى أدعوكم أيها الرجال لتقضوا العجب من هذه الحسرة

عظة للحسن البصرى

و هذا الكلام من مواعظ أمير المؤمنين البالغة ونحوه من كلام الحسن البصرى ذكره شيخنا أبو عثمان فى البيان والتبيين [صفحه ١٤٨] ابن آدم بع دنياك بأخرتك تريحهما جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا و إذأرأيت الناس فى الخير فقا سمهم فيه و إذأرأيتهم فى الشر فلا تغبطهم عليه البقاء هاهنا قليل والبقاء هناك طويل أمتكم آخر الأمم وأنتم آخر أمتكم و قد أسرع بخياركم فما تنتظرون المعاينة فكأن قدهيات هيات ذهبت الدنيا بحاليها و بقيت الأعمال قلاند فى الأعناق فيا لها موعظة لو وافقت من القلوب حياة ألا إنه لأمة بعد أمتكم و لانبى بعد نبيكم و لا كتاب بعد كتابكم أنتم تسوقون الناس والساعة تسوقكم وإنما ينتظر بأولكم أن يلحق آخركم من رأى محمداص فقد رآه غاديا رائحا لم يضع لبنه على لبنه و لا قصبه على قصبه رفع له علم فسمما إليه فالوحي الوحي النجاء النجاء على ماذا تعرجون ذهب أمثالكم وأنتم تزدلون كل يوم فما تنتظرون . إن الله بعث محمدا على علم منه اختاره لنفسه وبعثه برسالته وأنزل إليه كتابه و كان صفوته من خلقه ورسوله إلى عباده ثم وضعه من الدنيا موضعا ينظر إليه أهل الأرض فأتاه فيها قوتا وبلغته ثم قال لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن أَقْوَامٌ إِلَىٰ غَيْرِ عِشَّتِهِ وَسَخَطُوا مَارِضَىٰ لَهُ رَبِّهِ فَأَبَدَهُمْ وَاسْحَقَهُمْ . يا ابن آدم طأ الأرض بقدمك فإنها عن قليل قيرك واعلم أنك لم تزل فى هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك رحم الله امرأ نظر فتفكر وتفكر فاعتبر واعتبر -قرآن- ٩٣١-٩٨٢ [صفحه ١٤٩] فأبصر وأبصر فأقصر فقد أبصر أقوام و لم يقصروا ثم هلكوا فلم يدركوا ما طلبوا و لارجعوا إلى ما فارقوا. يا ابن آدم اذكر قوله عز و جل وَ كَلَّ إِنْسَانٌ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَ نُخْرِجْ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ حَسِبًا عدل و الله عليك من جعلك حسيب نفسك .خذوا صفوة الدنيا ودعوا كدرها ودعوا ما يريبكم إلى ما لا يريبكم ظهر الجفاء و قلت العلماء

وعفت السنة وشاعت البدعة لقد صحبت أقواما ماكانت صحبتهم إلاقره عين لكل مسلم وجلاء الصدور ولقد رأيت أقواما كانوا من حسناتهم أن ترد عليهم أشفق منكم من سيئاتكم أن تعذبوا عليها وكانوا مما أحل الله لهم من الدنيا أزهد منكم فيما حرم عليكم منها. ما لى أسمع حسيسا ولاأرى أنيسا ذهب الناس وبقى السناس لوتكاشفتم ماتدافتتم تهدايتم الأطباق ولم تتهادوا النصائح أعدوا الجواب فإنكم مسئولون إن المؤمن من لا يأخذ دينه عن رأيه ولكن عن ربه إلا- إن الحق قدأجهد أهله وحال بينهم و بين شهواتهم ومايصبر عليه إلا من عرف فضله ورجا عاقبته فمن حمد الدنيا ذم الآخرة ولايكره لقاء الله إلامقيم على مايسخطه إن الإيمان ليس بالتمنى ولا بالتشهى ولكن ماوقر فى القلوب وصدقته الأعمال . وهذاكلام حسن وموعظة بالغه إلا أنه فى الجزالة والفصاحة دون كلام أمير المؤمنين ع بطبقات -قرآن-١٣٣-٢٩٤ [صفحه ١٥٠]

من خطب عمر بن عبدالعزيز

و من خطب عمر بن عبدالعزيز إن لكل سفر زادا لامحالة فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة فكونوا كمن عاين ماأعد الله تعالى من ثوابه وعقابه فرغبوا ورهبوا ولايطولن عليكم الأمر فتقسو قلوبكم وتنقادوا لعدوكم فإنه والله مايسط من لايدرى لعله لايصبح بعدإمسائه ولايمسى بعدإصباحه وربما كانت بين ذلك خطفات المنايا فكم رأينا وأنتم من كان بالدنيا مغترا فأصبح فى حبال خطوبها ومناياها أسيرا وإنما تقر عين من وثق بالنجاة من عذاب الله وإنما يفرح من أمن من أهوال يوم القيامة فأما من لايبىأ من كلم إلاأصابه جارح من ناحية أخرى فكيف يفرح أعوذ بالله أن أخبركم بما أنهى عنه نفسى فتخبب صفقتى وتظهر عورتى وتبدو مسكنتى فى يوم يبدو فيه الغنى والفقير والموازين منصوبة والجوارح ناطقة لقد عنيت بأمر لوعنت به النجوم لانكدت و لوعنت به الجبال لذابت أو الأرض لانفطرت أ ماتعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلة وأنكم صائرون إلى أحدهما. و من خطب عمر بن عبدالعزيز أيها الناس إنكم لم تخلقوا عبثا ولم تتركوا سدى وإن لكم معادا يبين الله لكم فيه الحكم والفصل بينكم فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التى وسعت كل شىء وحرمت الجنة التى عرضها السموات والأرض . [صفحه ١٥١] واعلموا أن الأمان لمن خاف الله وباع قليلا بكثير وفانيا بيباق ألا ترون أنكم فى أسلاب الهالكين وسيلبها بعدكم الباقون حتى ترد إلى خير الوارثين ثم إنكم فى كل يوم تشيعون غاديا ورائحا إلى الله عز وجل قدقضى نجهه وبلغ أجله تغييونه فى صدع من الأرض ثم تدعونه غير ممهد ولاموسد قدصرم الأسباب وفارق الأجاب وواجه الحساب وصار فى التراب غنيا عما ترك فقيرا إلى ماقدم

من خطب ابن نباتة

و من خطب ابن نباتة الجيدة فى ذكر الموت أيها الناس ماأسلس قياد من كان الموت جريه وأبعد سداد من كان هواه أميره وأسرع فطام من كانت الدنيا ظئره وأمنع جناب من أضحت التقوى ظهيره فاتقوا الله عباد الله حق تقواه وراقبوه مراقبه من يعلم أنه يراه وتأهبوا لوثبات المنون فإنها كامنة فى الحركات والسكون بينما ترى المرء مسرورا بشبابه مغرورا بإعجابه مغمورا بسعة اكتسابه مستورا عما خلق له لمايغرى به إذ أسعرت فيه الأسقام شهابها وكدرت له الأيام شرابها وحومت عليه المنية عقابها وأعلقت فيه ظفرها ونابها فسرت فيه أوجاعه وتنكرت عليه طباعه وأظل رحيله ووداعه وقل عنه منعه ودفاعه فأصبح ذا بصر حائر وقلب طائر ونفس غابر فى قطب هلاك دائر قدأيقن بمفارقة أهله ووطنه وأذعن بانتزاع روحه عن بدنه حتى إذاتحقق منه اليأس

وحل به المحذور والبأس أو ما إلى خاص عواده موصيا لهم بأصاغر أولاده جزعا عليهم من ظفر أعدائه وحساده [صفحة ١٥٢] والنفس بالسياق تجذب والموت بالفراق يقرب العيون لهول مصرعه تسكب والحامة عليه تعدد وتندب حتى تجلى له ملك الموت من حجه فقضى فيه قضاء أمر ربه فعافه الجليس وأوحش منه الأنيس وزود من ماله كفنا وحصر في الأرض بعمله مرتها وحيدا على كثرة الجيران بعيدا على قرب المكان مقيما بين قوم كانوا فزالوا وحوت عليهم الحادثات فحالوا لا يخبرون بما إليه آلا و لو قدروا على المقال لقالوا قد شربوا من الموت كأسا مرة و لم يفقدوا من أعمالهم ذرة وآلى عليهم الدهر ألياً بره ألا يجعل لهم الدنيا كره كأنهم لم يكونوا للعيون قره و لم يعدوا في الأحياء مرة أسكتهم ألقى أنطقهم وأبادهم ألقى خلقهم وسيو جدهم كما خلقهم ويجمعهم كما فرقهم يوم يعيد الله العالمين خلقا جديدا ويجعل الله الظالمين لنار جهنم وقودا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً و ما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً يعيداً -قرآن- ٧١٦-٨٤٤ [صفحة ١٥٣]

٦٤- و من خطبة له ع

إشارة

الحمد لله الذي لم يسبق له حال حالاً فيكون أولاً قبل أن يكون آخراً و يكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً كل مسمى بالوحدانية غيره قليل و كل عزيز غيره ذليل و كل قوي غيره ضعيف و كل مالك غيره مملوك و كل عالم غيره متعلم و كل قادر غيره يقدر و يعجز و كل سميع غيره يصم عن لطيف الأصوات و يصمه كبرها و يذهب عنه ما بعيد منها و كل بصير غيره يعمي عن خفي الألوان و لطيف الأجسام و كل ظاهر غيره غير باطن و كل باطن غيره ظاهر لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان و لا تخوف من عواقب زمان و لما استعانته على تد مئاو و لا شريك مكاثر و لا ضد مناف و لكن خلائق مربوبون و عباد داخرون لم يحلل في الأشياء فيقال هو فيها كائن و لم ينأ عنها فيقال هو منها بائن لم يؤده خلق ما ابتدأ و لا تدير ما ذرا و لا وقف به عجز عما خلق و لما ولجت عليه شبهة فيما قضى و قدر يبل قضاء متقن و علم محكم و أمر مبرم المأمول مع النقم المرهوب مع النعم يصم بفتح الصاد لأن الماضي صممت يازيد والصمم فساد حاسة السمع ويصمه بكسرها يحدث الصمم عنده وأصممت زيدا. [صفحة ١٥٤] والنند المثل والنظير والمثاور الموائب والشريك المكاثر المفتخر بالكثرة والضد المنافر المحاكم في الحسب نافرت زيدا فنفرته أي غلبته ومربوبون مملوكون وداخرون ذليلون خاضعون . و لم ينأ لم يبعد و لم يؤده لم يتعبه وذرا خلق وولجت عليه الشبهة بفتح اللام أي دخلت والمرهوب المخوف . فأما قوله الذي لم يسبق له حال حالاً فيكون أولاً قبل أن يكون آخراً فيمكن تفسيره على وجهين أحدهما أن معنى كونه أولاً أنه لم يزل موجودا ولا شيء من الأشياء بموجود أصلا ومعنى كونه آخرا أنه باق لا يزال و كل شيء من الأشياء يعدم عدما محضا حسب عدمه فيما مضى وذاته سبحانه ذات يجب لها اجتماع استحقاق هذين الاعتبارين معا في كل حال فلاحال قط إلا ويصدق على ذاته أنه يجب كونها مستحققة للأولية والآخريه بالاعتبار المذكور استحقاقا ذاتيا ضروريا و ذلك الاستحقاق ليس على وجه وصف الترتيب بل مع خلاف غيره من الموجودات الجسمانية فإن غيره مما يبقى زمانين فصاعدا إذانسناه إلى ما يبقى دون زمان بقائه لم يكن استحقاقه الأولية والآخريه بالنسبة إليه على هذا الوصف بل إما يكون استحقاقا بالكلية بأن يكون استحقاقا قريبا فيكون إنما يصدق عليه أحدهما لأن الآخر لم يصدق عليه أويكونا معا يصدقان عليه مجتمعين غير مرتبين لكن ليس ذلك لذات الموصوف بالأولية والآخريه بل إنما ذلك الاستحقاق لأمر خارج عن ذاته . الوجه الثاني أن يريد بهذا الكلام أنه تعالى لا يجوز أن يكون موردا للصفات المتعاقبة على ما يذهب إليه قوم من أهل

التوحيد قالوا لأنه واجب لذاته والواجب لذاته [صفحة ١٥٥] واجب من جميع جهاته إذ لو فرضنا جواز اتصافه بأمر جديد ثبوتى أو سلبى لقلنا إن ذاته لا تكفى فى تحققه و لو قلنا ذلك لقلنا إن حصول ذلك الأمر أو سلبه عنه يتوقف على حصول أمر خارج عن ذاته أو على عدم أمر خارج عن ذاته فتكون ذاته لا محالة متوقفة على حصول ذلك الحصول أو السلب والمتوقف على المتوقف على الغير متوقف على الغير و كل متوقف على الغير ممكن والواجب لا- يكون ممكنا فيكون معنى الكلام على هذا التفسير نفي كونه تعالى ذا صفة بكونه أولا- و آخرها بل إنما المرجع بذلك إلى إضافات لا وجود لها فى الأعيان و لا يكون ذلك من أحوال ذاته الراجعة إليها كالعالمية ونحوها لأن تلك أحوال ثابتة ونحن إنما ننفي عنه بهذه الحجة الأحوال المتعاقبة. و أما قوله أو يكون ظاهرا قبل أن يكون باطنا فإن للباطل والظاهر تفسيراً على وجهين أحدهما أنه ظاهر بمعنى أن أدلة وجوده وأعلام ثبوته وإلهيته جلية واضحة ومعنى كونه باطنا أنه غير مدرك بالحواس الظاهرة بل بقوة أخرى باطنة وهى القوة العقلية. وثانيهما أن معنى بالظاهر الغالب يقال ظهر فلان على بنى فلان أى غلبهم ومعنى الباطن العالم يقال بطنت سر فلان أى علمته والقول فى نفيه عنه سبحانه أن يكون ظاهرا قبل كونه باطنا كقولنا فيما تقدم من نفيه عنه سبحانه كونه أولا قبل كونه آخراً. و أما قوله كل مسمى بالوحدة غيره قليل فلأن الواحد أقل العدد ومعنى كونه واحداً يبين ذلك لأن معنى كونه واحداً إما نفي الثانى فى الإلهية أو كونه يستحيل عليها الانقسام و على كلا التفسيرين يسلب عنها مفهوم القلة. هذا إذ فسرنا كلامه على التفسير الحقيقى و إن فسرناه على قاعدة البلاغة وصناعة [صفحة ١٥٦] الخطابية كان ظاهراً لأن الناس يستحقرون القليل لقلته ويستعظمون الكثير لكثرتة قال الشاعر تجمعت من كل أوب ووجهة || على واحد لازلتم قرن واحد. و أما قوله و كل عزيز غيره ذليل فهو حق لأن غيره من الملوك و إن كان عزيزاً فهو ذليل فى قبضة القضاء والقدر و هذا هو تفسير قوله و كل قوى غيره ضعيف و كل مالك غيره مملوك. و أما قوله و كل عالم غيره متعلم فهو حق لأنه سبحانه مفيض العلوم على النفوس فهو المعلم الأول جلت قدرته. و أما قوله و كل قادر غيره يقدر ويعجز فهو حق لأنه تعالى قادر لذاته ويستحيل عليه العجز وغيره قادر لأمر خارج عن ذاته أما القدرة كما قاله قوم أولبانية وتركيب كما قاله قوم آخرون والعجز على من عداه غير ممتنع و عليه مستحيل. و أما قوله ع و كل سميع غيره يصم عن لطيف الأصوات ويصمه كبيرها ويذهب عنه ما بعد منها فحق لأن كل ذى سمع من الأجسام يضعف سمعه عن إدراك خفى الأصوات ويتأثر من شديدها وقويها لأنه يسمع بألة جسمانية والآلة الجسمانية ذات قوة متناهية واقفة عند حد محدود والبارى تعالى بخلاف ذلك. و اعلم أن أصحابنا اختلفوا فى كونه تعالى مدركاً للمسموعات والمبصرات فقال شيخنا أبو على و أبو هاشم وأصحابهما إن كونه مدركاً صفة زائدة على كونه عالماً وقالوا إنا نصف البارى تعالى فيما لم يزل بأنه سميع بصير و لانصفه بأنه سامع مبصر ومعنى كونه سامعاً مبصراً أنه مدرك للمسموعات والمبصرات. [صفحة ١٥٧] وقال شيخنا أبو القاسم و أبو الحسين وأصحابهما أن معنى كونه تعالى مدركاً هو أنه عالم بالمدركات و لانصفه له زائدة على صفته بكونه عالماً وهذا البحث مشروح فى كتبى الكلامية لتقرير الطريقتين و فى شرح الغرر وغيرهما. والقول فى شرح قوله و كل بصير غيره يعمى عن خفى الألوان ولطيف الأجسام كقولنا فيما تقدم فى إدراك السمع. و أما قوله و كل ظاهر غيره غير باطن و كل باطن غيره غير ظاهر فحق لأن كل ظاهر غيره على التفسير الأول فليس بباطن كالشمس والقمر وغيرهما من الألوان الظاهرة فإنها ليست إنما تدرك بالقوة العقلية بل بالحواس الظاهرة و أما هو سبحانه فإنه أظهر وجوداً من الشمس لكن ذلك الظهور لم يمكن إدراكه بالقوى الحاسة الظاهرة بل بأمر آخر إما خفى فى باطن هذا الجسد أو مفارق ليس فى الجسد و لا فى جهة أخرى غير جهة الجسد. و أما على التفسير الثانى فلأن كل ملك ظاهر على رعيته أو على خصومه وقاهر لهم ليس بعالم ببواطنهم و ليس مطلعاً على سرائرهم والبارى تعالى بخلاف ذلك و إذ فهمت شرح القضية الأولى فهمت شرح الثانية وهى قوله و كل باطن غيره غير ظاهر

فأما قوله لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطانه إلى قوله عباد داخرون فاعلم أن [صفحة ١٥٨] الناس اختلفوا فى كمية خلقه تعالى للعالم ماهى على أقوال القول الأول قول الفلاسفة قال محمد بن زكريا الرازى عن أرسطاطاليس إنه زعم أن العالم كان عن البارئ تعالى لأن جوهره وذاته جوهر وذات مسخرة للمعدوم أن يكون مسخرا موجودا. قال وزعم ابن قيس أن علة وجود العالم وجود البارئ. قال و على كلا القولين يكون العالم قديما أما على قول أرسطو فلأن جوهر ذات البارئ لما كان قديما لم يزل وجب أن يكون أثرها ومعلولها قديما و أما على قول ابن قيس فلأن البارئ موجود لم يزل لأن وجوده من لوازم ذاته فوجب أن يكون فيضه وأثره أيضا لم يزل هكذا. قال ابن زكريا فأما الذى يقول أصحاب أرسطاطاليس الآن فى زماننا فهو أن العالم لم يجب عن الله سبحانه عن قصد و لاغرض لأن كل من فعل فعلا لغرض كان حصول ذلك الغرض له أولى من لاحصوله فيكون كاملا لحصول ذلك الغرض و واجب الوجود لايجوز أن يكون كاملا بأمر خارج عن ذاته لأن الكامل لا من ذاته ناقص من ذاته قالوا لكن تمثل نظام العالم فى علم واجب الوجود يقتضى فيض ذلك النظام منه قالوا و هدامعنى قول الحكماء الأوائل إن علمه تعالى فعلى لا انفعالى و إن العلم على قسمين أحدهما ما يكون المعلوم سببا له والثانى ما يكون هو سبب المعلوم مثال الأول أن نشاهد صورة فعلعلمها ومثال الثانى أن يتصور الصانع أو النجار أو البناء كيفية العمل فيوقعه فى الخارج على حسب ماتصوره . [صفحة ١٥٩] قالوا وعلمه تعالى من القسم الثانى و هذا هوالمعنى المعبر عنه بالعناية و هوإحاطة علم الأول الحق سبحانه بالكل وبالواجب أن يكون عليه الكل حتى يكون على أحسن النظام وبأن ذلك واجب عن إحاطته فيكون الموجود وفق المعلوم من غيرانبعث قصد وطلب عن الأول الحق سبحانه فعلمه تعالى بكيفية الصواب فى ترتيب الكل هوالمنبع لفيضان الوجود فى الكل . القول الثانى قول حكاة أبوالقاسم البلخى عن قدماء الفلاسفة و إليه كان يذهب محمد بن زكريا الرازى من المتأخرين . و هو أن علة خلق البارئ للعالم تنبيه النفس على أن ماتراه من الهيولى وتريده غيرمممكن لترفض محبتها إياها وعشقها لها وتعود إلى عالمها الأول غيرمشتاقه إلى هذاالعالم . واعلم أن هذاالقول هوالقول المحكى عن الحرنانية أصحاب القدماء الخمسة و حقيقة مذهبهم إثبات قدماء خمسة اثنان منهم حيان فاعلان وهما البارئ تعالى والنفس ومرادهم بالنفس ذات هى مبدأ لسائر النفوس التى فى العالم كالأرواح البشرية والقوى النباتية والنفوس الفلكية ويسمون هذه الذات النفس الكلية وواحد من الخمسة منفعل غيرحى و هوالهيولى واثنان لآحيان و لافاعلان و لامنفعلان وهما الدهر والقضاء قالوا والبارئ تعالى هو مبدأ العلوم والمنفعلات و هو قائم العلم والحكمة كما أن النفس مبدأ الأرواح والنفوس فالعلوم والمنفعلات تفيض من البارئ سبحانه فيض النور عن قرص الشمس والنفوس والأرواح تفيض عن النفس الكلية فيض النور عن القرص إلا أن النفوس جاهلة لاتعرف الأشياء إلا على أحد وجهين إما أن يفيض فيض البارئ تعالى عليها تعقلا وإدراكا وإما أن تمارس غيرها وتمازجه فتعرف ماتعرف باعتبار الممارسة والمخالطة معرفة ناقصة و كان البارئ تعالى فى الأزل عالما بأن النفس تميل إلى التعلق بالهيولى [صفحة ١٦٠] وتعشقها وتطلب اللذة الجسمانية وتكره مفارقة الأجسام وتنسى نفسها و لما كان البارئ سبحانه قائم العلم والحكمة اقتضت حكمته تركيب الهيولى لماتعلقت النفس بها ضروبا مختلفه من التراكيب فجعل منها أفلاكا وعناصر وحيوانات ونباتات فأفاض على النفوس تعقلا وشعورا جعله سببا لتذكرها عالمها الأول ومعرفتها أنها مادامت فى هذاالعالم مخالطة للهيولى لم تنفك عن الآلام فيصير ذلك مقتضيا شوقها إلى عالمها الأول الذى لها فيه اللذات الخالية عن الآلام ورفضها هذاالعالم الذى هو سبب أذاها ومضرتها. القول الثالث قول المجوس إن الغرض من خلق العالم أن يتحصن الخالق جل اسمه من العدو و أن يجعل العالم شبكة له ليوقع العدو فيه ويجعله فى ربط ووثاق والعدو عندهم هو الشيطان وبعضهم يعتقد قدمه وبعضهم حدوثة . قال قوم منهم إن البارئ تعالى استوحش ففكر

فكرة رديئة فتولد منها الشيطان . و قال آخرون بل شك شكاً رديئاً فتولد الشيطان من شكه . و قال آخرون بل تولد من عفونة رديئة قديمة وزعموا أن الشيطان حارب البارئ سبحانه و كان فى الظلم لم يزل بمعزل عن سلطان البارئ سبحانه فلم يزل يزحف حتى رأى النور فوثب وثباً عظيماً فصار فى سلطان الله تعالى فى النور وأدخل معه الآفات والبلايا والسرور فبنى الله سبحانه هذه الأفلاك و الأرض والعناصر شبكة له و هو فيها محبوس لا يمكنه الرجوع إلى سلطانه الأول و صار فى الظلمة فهو أبداً يضطرب ويرمى الآفات على خلق الله سبحانه فمن أحياء الله رماه الشيطان بالموت و من أصحبه رماه الشيطان بالسقم و من سره رماه بالحزن والكآبة فلا يزال كذلك و كل يوم ينتقص سلطانه وقوته لأن الله تعالى يحتال له كل يوم ويضعفه إلى أن تذهب قوته كلها [صفحہ ۱۶۱] وتجمد وتصير جماداً لا حراك به فيضعه الله تعالى حينئذ فى الجو والجو عندهم هو الظلمة و لا منتهى له فيصير فى الجو جماداً جامداً هوائياً ويجمع الله تعالى أهل الأديان فيعذبهم بقدر ما يطهرهم ويصفيهم من طاعة الشيطان ويغسلهم من الأدناس ثم يدخلهم الجنة وهى جنة لا أكل فيها ولا شرب و لا تمتع ولكنها موضع لذة و سرور. القول الرابع قول المانوية و هو أن النور لانهاية له من جهة فوق و أما من جهة تحت فله نهاية و الظلمة لانهاية لها من جهة أسفل و أما من جهة فوق فلها نهاية و كان النور والظلمة هكذا قبل خلق العالم وبينهما فرجة و أن بعض أجزاء النور اقتحم تلك الفرجة لينظر إلى الظلمة فأسرتة الظلمة فأقبل عالم كثير من النور فحارب الظلمة ليستخلص المأسورين من تلك الأجزاء وطالت الحرب واختلط كثير من أجزاء النور بكثير من أجزاء الظلمة فاقتضت حكمة نور الأنوار و هو البارئ سبحانه عندهم أن عمل الأرض من لحوم القتلى والجبال من عظامهم والبحار من صديدهم ودمائهم والسماء من جلودهم وخلق الشمس والقمر وسيرهما لاستقصاء ما فى هذا العالم من أجزاء النور المختلطة بأجزاء الظلمة وجعل حول هذا العالم خندقاً خارج الفلك الأعلى يطرح فيه الظلام المستقصى فهو لا يزال يزيد ويتضاعف ويكثر فى هذا الخندق و هو ظلام صرف قد استقصى نوره و أما النور المستخلص فيلحق بعد الاستقصاء بعالم الأنوار من فوق فلا تزال الأفلاك متحركة و العالم مستمراً إلى أن يتم استقصاء النور الممتزج و حينئذ يبقى من النور الممتزج شىء يسير فينعقد بالظلمة لا تقدر النيران على استقصائه فعند ذلك تسقط الأجسام العالية وهى الأفلاك على الأجسام السافلة وهى الأرضون وتثور نار و تضطرم فى تلك الأسافل [صفحہ ۱۶۲] وهى المسمأة بجهنم و يكون الاضطرام مقدار ألف و أربعمائة سنة فتحلل بتلك النار تلك الأجزاء المنعقدة من النور الممتزجة بأجزاء الظلمة التى عجز الشمس والقمر عن استقصائها فيرتفع إلى عالم الأنوار ويبطل العالم حينئذ ويعود النور كله إلى حالة الأولى قبل الامتزاج فكذلك الظلمة. القول الخامس قول متكلمى الإسلام و هو على وجوه أولها قول جمهور أصحابنا إن الله تعالى إنما خلق العالم للإحسان إليهم والإنعام على الحيوان لأن خلقه حياً نعمة عليه لأن حقيقة النعمة موجودة فيه و ذلك أن النعمة هى المنفعة المفعولة للإحسان و وجود الجسم حياً منفعة مفعولة للإحسان أما بيان كون ذلك منفعة فلأن المنفعة هى اللذة والسرور و دفع المضار المخوفة و ما أدى إلى ذلك و صححه ألا ترى أن من أشرف على أن يهوى من جبل فمنعه بعض الناس من ذلك فإنه يكون منعماً عليه و من سر غيره بأمر وأوصل إليه لذة يكون قد أنعم عليه و من دفع إلى غيره ما لا يكون قد أنعم عليه لأنه قدمه بدفعه إليه من الانتفاع و صححه له و لا ريب أن وجودنا أحياء يصحح لنا اللذات ويمكننا منها لأننا لو لم نكن أحياء لم يصح ذلك فينا قالوا وإنما قلنا إن هذه المنفعة مفعولة للإحسان لأنها إما أن تكون مفعولة للغرض أو لغرض الأول باطل لأن ما يفعل للغرض عبث والبارئ سبحانه لا يصح أن تكون أفعاله عبثاً لأنه حكيم . و أما الثانى فإما أن يكون ذلك الغرض عائداً عليه سبحانه بنفع أو دفع ضرر أو يعود على غيره والأول باطل لأنه غنى لذاته يستحيل عليه المنافع والمضار و لا يجوز أن يفعله لمضرة يوصلها إلى غيره لأن القصد إلى الإضرار بالحيوان من غير استحقاق و لا منفعة يوصل إليها بالمضرة قبيح تعالى الله عنه فثبت أنه سبحانه إنما خلق الحيوان [صفحہ ۱۶۳] لنفعه و أما غير الحيوان فلو لم يفعله لينفع به الحيوان لكان خلقه عبثاً والبارئ تعالى لا يجوز عليه العبث فإذا جميع ما فى العالم إنما خلقه لينفع به الحيوان. فهذا

هو الكلام فى علته خلق العالم عندهم و أما الكلام فى وجه حسن تكليف الإنسان فذاك مقام آخر لسنا الآن فى بيانه و لا الحاجة داعية إليه . و ثانيها قول قوم من أصحابنا البغداديين إنه خلق الخلق ليظهر به لأرباب العقول صفاته الحميدة و قدرته على كل ممكن و علمه بكل معلوم و ما يستحقه من الثناء و الحمد قالوا و قد ورد الخبر أنه تعالى قال كنت كنتا لأعرف فأحييت أن أعرف -رواية- ١-٦٧ و هذا القول ليس بعيدا . و ثالثها للمجبرة إنه خلق الخلق لا لغرض أصلا و لا يقال لم كان كل شىء لعلته و لا علة لفعله و مذهب الأشعرى و أصحابه أن إرادته القديمة تعلقت بإيجاد العالم فى الحال التى وجد فيها لذاتها و لا لغرض و لا لداع و ما كان يجوز ألا يوجد العالم حيث وجد لأن الإرادة القديمة لا يجوز أن تتقلب و تتغير حقيقتها و كذلك القول عندهم فى أجزاء العالم المجددة من الحركات و السكنات و الأجسام و سائر الأعراض . و رابعها قول بعض المتكلمين إن البارئ تعالى إنما فعل العالم لأنه ملتذ بأن يفعل و أجاز أرباب هذا القول عليه اللذة و السرور و الابتهاج قالوا و البارئ سبحانه و إن كان قبل أن يخلق العالم ملتذا بكونه قادرا على خلق العالم إلا أن لذة الفعل أقوى من لذة القدرة على الفعل كان يلتذ بأنه قادر على أن يكتب خطا مستحسنا أو يبنى بيتا محكما فإنه إذا أخرج تلك الصناعة من القوة إلى الفعل كانت لذته أتم و أعظم قالوا و لم يثبت بالدليل العقلى استحالة اللذة عليه و قد ورد فى الآثار النبوية أن الله تعالى يسر و اتفقت الفلاسفة على أنه ملتذ بذاته و كماله . [صفحة ١٦٤] و عندي فى هذا القول نظر و لى فى اللذة و الألم رسالة مفردة و أما قوله لم يحلل فى الأشياء فيقال لا هو فيها كائن و لا منها مبين فينبغى أن يحمل على أنه أراد أنه لم ينأ عن الأشياء نأيا مكانيا فيقال هو بائن بالمكان هكذا ينبغى أن يكون مراده لأنه لا يجوز إطلاق القول بأنه ليس بائن عن الأشياء و كيف و المجرى بالضرورة بائن عن ذى الوضع ولكنها بينونة بالذات لا بالجهة و المسلمون كلهم متفقون على أنه تعالى يستحيل أن يحل فى شىء إلا من اعتزى إلى الإسلام من الحلولية كالذين قالوا بحلوله فى على و ولده و كالذين قالوا بحلوله فى أشخاص يعتقدون فيها إظهاره كالحلاجية و غيرهم و الدليل على استحالة حلوله سبحانه فى الأجسام أنه لو صح أن يحل فيها لم يعقل منفردا بنفسه أبدا كما أن السواد لا يعقل كونه غير حال فى الجسم لأنه لو يعقل غير حال فى الجسم لم يكن سوادا و لا يجوز أن يكون الله تعالى حالا أبدا و لا أن يلقى الجسم إذ ذلك يستلزم قدم الأجسام و قد ثبت أنها حادثة . فأما قوله لم يؤده خلق ما ابتدأ إلى قوله عما خلق فهو حق لأنه تعالى قادر لذاته و القادر لذاته لا يتعب و لا يعجز لأنه ليس بجسم و لا قادر بقدرة يقف مقدورها عند حد و غاية بل إنما يقدر على شىء لأنه تعالى ذات مخصوصة يجب لها أن تقدر على الممكنات فيكون كل ممكن داخلا تحت هذه القضية الكلية و الذات التى تكون هكذا لا تعجز و لا تقف مقدوراتها عند حد و غاية أصلا و يستحيل عليها التعب لأنها ليست ذات أعضاء و أجزاء . و أما قوله و لا ولجت عليه شبهة إلى قوله و أمر مبرم فحق لأنه تعالى عالم لذاته أى إنما علم ما علمه لا بمعنى أن يتعلق بمعلوم دون معلوم بل إنما علم أى شىء أشرت إليه لأنه ذات مخصوصة و نسبة تلك الذات إلى غير ذلك الشىء المشار إليه [صفحة ١٦٥] كنسبتها إلى المشار إليه فكانت عالمة بكل معلوم و استحالة دخول الشبهة عليها فيما يقضيه و يقدره . و أما قوله المأمول مع النقم المرهوب مع النعم فمعنى لطيف و إليه وقعت الإشارة بقوله تعالى أ فأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا و هم نائمون أ و أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى و هم يلعبون و قوله سبحانه سنستدرجهم من حيث لا يعلمون و قوله تعالى فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا و قوله سبحانه فعسى أن تكررهما شيئا و يجعل الله فيه خيرا كثيرا و إليه نظر الشاعر فى قوله -قرآن- ١٩٥-٣٣٩-قرآن- ٣٥٥-٣٩٣-قرآن- ٤٠٩-٤٥٩-قرآن- ٤٧٥-٥٤١ من عاش لاقى ما يسوء || من الأمور و ما يسر و لرب حترف فوqe || ذهب و ياقوت و در . و قال البحرى يسرك الشىء قد يسوء و كم || نوه يوما بخامل لقبه لا يئس المرء أن ينجيه || ما يحسب الناس أنه عطبه . و قال آخر رب غم يدب تحت سرور || و سرور يأتى من المحذور . و قال سعيد بن حميد كم نعمة مطوية || لك بين أثناء النوائب [صفحة ١٦٦] و مسرة قد أقبلت || من حيث تنتظر المصائب . و قال آخر أنتظر الروح و أسبابه || أياس ما كنت من الروح . و قال آخر ربما تجزع النفوس من الأمر

|| له فرجه كحل العقال . و قال آخر العسر أكرمه ليس بعده || ولأجل عين ألف عين تكرم والمرء يكره يومه ولعله || يأتيه فيه سعادة لا تعلم . و قال الحلاج ولربما هاج الكبير || من الأمور لك الصغير ولرب أمر قد تضيق || به الصدور ولا يصير . و قال آخر يراقد الليل مسرورا بأوله || إن الحوادث قديطرقن أسحارا . و قال آخر كم مرة حفت بك المكاره || خار لك الله و أنت كاره . و من شعري الذي أناجى به البارئ سبحانه في خلواتي و هوفن أطويه وأكتمه عن الناس وإنما ذكرت بعضه في هذاالموضع لأن المعنى ساق إليه والحديث ذو شجون يا من جفاني فوجدى بعده عدم || هبنى أسأت فأين العفو والكرم [صفحة ١٦٧] أناالمرباط دون الناس فاجف وصل || واقبل وعاقب وحاسب لست انهزم إن المحب إذاصحت محبته || فما لوقع المواضى عنده ألم وحق فضلك مااستيأست من نعم || تسرى إلى و إن حلت بي النقم ولاأمنت نكالا منك أربهه || و إن ترادفت الآلاء والنعم حاشاك تعرض عنمن في حشاشته || نار لحبك طول الدهر تضطرم ألم تقبل إن من يدنو إلى قدر الذراع || أدنو له باعا وأبتسم و الله و الله لوعاقبتني حقبا || بالنار تأكلني حطما وتلتهم ماقلت عن حبك الباقي فليس على || حال بمنصرم والدهر ينصرم [صفحة ١٦٨]

٦٥- و من كلام له ع كان يقوله لأصحابه في بعض أيام صفيه

إشارة

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ اسْتَشْعَرُوا الْخَشْيَةَ وَ تَجَلَّبَبُوا السِّكِينَةَ وَ عَضُّوا عَلَى التَّوَاجِدِ فَإِنَّهُ أُنْبَى لِلسَّيُوفِ عَنِ الْهَامِ وَ أَكْمَلُوا اللَّامَةَ وَ قَلَقُوا السَّيُوفَ فِي أَعْمَادِهَا قَبْلَ سَيْلِهَا وَ الْحَطُّوا الْخَزَرَ وَ اطْعَمُوا الشَّرَرَ وَ نَافِخُوا بِالطَّبِي وَ صَلُّوا السَّيُوفَ بِالْخَطَا وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ بَعَيْنِ اللَّهِ وَ مَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ فَعَاوَدُوا الْكُرَّ وَ اسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرِّ فَإِنَّهُ عَارٌّ فِي الْأَعْقَابِ وَ نَارٌ يَوْمَ الْحِسَابِ وَ طِيبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْسًا وَ امشُوا إِلَى الْمَوْتِ مَشْيًا سَيْجِحًا وَ عَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ وَ الرَّوَاقِ الْمُطَنَّبِ فَاضْرِبُوا تَبَجَّهُ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ وَ قَدْ قَدَّمَ لِلْوَثِيَّةِ يَدًا وَ آخَرَ لِلنُّكُوصِ رَجُلًا فَصِيْ مَدًّا صِيْ مَدًّا حَتَّى يَنْجَلِيَ لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ وَ أَنْتُمْ الْأَعْلُونَ وَ اللَّهُ مَعَكُمْ وَ لَنْ يَتَّركُمْ أَعْمَالَكُمْ قوله استشعروا الخشية أى اجعلوا الخوف من الله تعالى من شعاركم والشعار من الثياب ما يكون دون الدثار و هو يلى الجلد و هو الصق ثياب الجسد و هذه استعاره حسنة والمراد بذلك أمرهم بملازمة الخشية والتقوى كما أن الجلد يلازم الشعار. [صفحة ١٦٩] قوله وتجلببوا السكينة أى اجعلوا السكينة والحلم والوقار جلبابا لكم والجلباب الثوب المشتمل على البدن . قوله وعضوا على النواجذ جمع ناجذ و هو أقصى الأضراس وللإنسان أربعة نواجذ فى كل شق والنواجذ بعدالأرحاء ويسمى الناجذ ضررس الحلم لأنه ينبت بعدالبلوغ وكمال العقل ويقال إن العاض على نواجذه ينبو السيف عن هامته نبوا ما و هداما يساعد التعليل الطبيعى عليه و ذلك أنه إذاعض على نواجذه تصلبت الأعصاب والعضلات المتصلة بدماعه وزال عنها الاسترخاء فكانت على مقاومة السيف أقدر و كان تأثير السيف فيها أقل . و قوله فإنه أنبى الضمير راجع إلى المصدر الذى دل الفعل عليه تقديره فإن العضم أنبى كقولهم من فعل خيرا كان له خيرا أى كان فعله خيرا وأنبى أفعل من نبا السيف إذا لم يقطع . قال الراوندى هذاكلام ليس على حقيقته بل هو كناية عن الأمر بتسكين القلب وترك اضطرابه واستيلاء الرعدة عليه إلى أن قال ذلك أشد إبعادا لسيف العدو عن هامتكم . قوله وأكملوا اللأمة اللأمة بالهمزة الدرع والهمزة ساكنة على فعله مثل النأمة للصوت وإكمالها أن يزداد عليها البيضة والسواعد ونحوها ويجوز أن يعبر باللأمة عن جميع أداء الحرب كالدرع والرمح والسيف يريد أكملوا السلاح الذى تحاربون العدو به . قوله وقلقلوا السيوف فى أعمادها قبل سلها يوم الحرب لثلا يدوم مكثها فى الأجفان فتلحج فيها فيستصعب

سليها وقت الحاجة إليها. و قوله والحظوا الخزر الخزر أن ينظر الإنسان بعينه وكأنه ينظر بمؤخرها وهي أماره الغضب و الذى أعرفه الخزر بالتحريك قال الشاعر [صفحه ١٧٠] إذ اتخازرت و مابى من خزر || ثم كسرت العين و مابى من عور ألفتى أوى بعيد المستمر || أحمل ما حملت من خير و شر . فإن كان قد جاء مسكنا فتسكينه جائز للسجعة الثانية و هي قوله و اطعنوا الشزر و الطعن شزرا هو الطعن عن اليمين و الشمال و لا يسمى الطعن تجاه الإنسان شزرا و أكثر ما تستعمل لفظه الشزر فى الطعن لما كان عن اليمين خاصة و كذلك إدارة الرحى و خزرا و شزرا صفتان لمصدرين محدوفين تقديره الحظوا لحظا خزرا و اطعنوا طعنا شزرا و عين اطعنوا مضمومة يقال طعنت بالرمح اطعن بالضم و طعنت فى نسيه أطعن بالفتح أى قدحت قال يطوف بى عكب فى معد || و يطعن بالصملة فى قفيا . قوله نافحوا بالطبى أى ضاربوا نفعه بالسيف أى ضربة و نفحت الناقة برجلها أى ضربت و الطبى جمع طبة و هي طرف السيف . قوله و صلوا السيوف بالخطا مثل قول الشاعر إذ اقصرت أسيفنا كان وصلها || خطانا إلى أعدائنا فنضارب . قالوا بكسر نضارب لأنه معطوف على موضع جزاء الشرط الذى هو إذا . و قال آخر نصل السيوف إذ اقصرن بخطونا || يوما و نلحقها إذا لم تلحق . و أنشدنى شيخنا أبو القاسم الحسين بن عبد الله العكبى و لم يسم قائله و وجدته بعد لنا بعه بنى الحارث بن كعب إن تسألنى عنا سمي فإنه || يسمو إلى قحم العلاء أدانا [صفحه ١٧١] و تبيت جارتنا حصانا عفة || ترضى و يأخذ حقه مولانا و نقوم إن رق المنون بسحرة || لوصاه و الدنا الذى أوصانا ألا نفر إذا الكتيبة أقبلت || حتى تدور رحاهم و رحانا و تعيش فى أحلامنا أشياخنا || مردا و ما وصل الوجوه لحانا و إذا السيوف قصرن طولها لنا || حتى تناول ما نريد خطانا . و قال حميد بن ثور الهلالى إلى أن نزلنا بالفضاء و مالنا || به معقل إلا الرماح الشواجر و وصل الخطا بالسيف و السيف بالخطا || إذا ظن أن المرء ذا السيف قاصر . و هذه الأبيات من قطعة لحميد جيدة و من جملتها قضى الله فى بعض المكاره للفتى || برشد و فى بعض الهوى ما يحاذر أ لم تعلمى أنى إذا الإلف قادنى || إلى الجور لانقاد و الإلف جائر و قد كنت فى بعض الصباوة أتقى || أمورا و أخشى أن تدور الدوائر و أعلم أنى أن تغطيت مرة || من الدهر مكشوف غطائى فناظر . و من المعنى الذى نحن فى ذكره ماروى أن رجلا من الأزدي رفع إلى المهلب سيفا له فقال ياعم كيف ترى سيفى هذا فقال إنه لجيد لو لا أنه قصير قال أطوله ياعم بخطوتى فقال و الله يا ابن أخى أن المشى إلى الصين أو إلى آذربيجان على أنياب الأفاعى أسهل من تلك الخطوة و لم يقل المهلب ذلك جبنا بل قال ما توجهه الصورة إذ كانت [صفحه ١٧٢] تلك الخطوة قريبة للموت قال أبو سعد المخزومى فى هذا المعنى رب نار رفعتها و دجى الليل || على الأرض مسبل الطيلسان و أمون نحرته لضيوف || و ألوف نقدتهن لجانى و حروب شهدتها جامع القلب || فلم تنكر الكمأة مكانى و إذا ما الحسام كان قصيرا || طولته إلى العدو بنانى . من الناس من يرويه فى ديوانه لجانى بالجيم أى حملت الحماله عنه و منهم من يرويها بالحاء يعنى الخمار . و من المعنى المذكور أولا قول بعض الشعراء يمدح صخر بن عمرو بن الشريد الأسلمى إن ابن عمرو بن الشريد || له فخار لا يرام و حجا إذا عدم الحجا || و ندى إذا بخل الغمام يصل الحسام بخطوة || فى الروع إن قصر الحسام . و مثله قول الراجز يخطو إذا ما قصر العضب الذكر || خطوا ترى منه المنايا تبتدر . و مثله و إنا لقوم مانرى القتل سبه || إذا مارأته عامر و سلول يقصر ذكر الموت آجالنا لنا || و تكرهه آجالهم فتطول . و منها و إن قصرت أسيفنا كان وصلها || خطانا إلى أعدائنا فتطول . [صفحه ١٧٣] و مثله قول وداك بن ثميل المازنى مقاديم وصالون فى الروع خطوهم || بكل رقيق الشفرتين يمانى إذا استجدوا لم يسألوا من دعاهم || لأية حرب أم بأى مكان . و قال آخر إذا الكمأة تنحوا أن يصيبهم || حد السيوف وصلناها بأيدينا . و قال آخر وصلنا الرقاق المرهفات بخطونا || على الهول حتى أمكنتنا المضارب . و قال بعض الرجاز الطاعنون فى النحور و الكلى || و الواصلون للسيوف بالخطا . قوله ع و اعلموا أنكم بعين الله أى يراكم و يعلم أعمالكم و الباء هاهنا كالباء فى قوله أنت بمرأى منى و مسمع . قوله فعاودوا الكر أى إذا كررت على العدو كره فلا تقتصر على بل كروا كره أخرى بعدها ثم قال لهم و استحيوا من الفرار فإنه عار فى الأعقاب أى

فى الأولاد فى الأبناء يعبرون بفرار الآباء ويجوز أن يريد بالأعقاب جمع عقب و هو العاقبة و ما يؤول إليه الأمر قال سبحانه خَيْرٌ ثَوَابًا وَ خَيْرٌ عُقْبًا أى خير عاقبة فيعنى على هذا الوجه أن الفرار عار فى عاقبة أمركم و ما يتحدث به الناس فى مستقبل الزمان عنكم . ثم قال و نار يوم الحساب لأن الفرار من الزحف ذنب عظيم و هو عند -قرآن- ٣٨٧-٤١٥ [صفحہ ١٧٤] أصحابنا المعتزلة من الكبائر قال الله تعالى وَ مَنْ يُؤَلِّمُ يَوْمَئِذٍ ذُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَكَذَّبَ بَاءً بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَ مَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَ الْجِهَادُ بَيْنَ يَدَى الْإِمَامِ كَالجِهَادِ بَيْنَ يَدَى الرَّسُولِ ع . قوله ع و طيبوا عن أنفسكم نفسا لمانصب نفسا على التمييز وحده لأن التمييز لا يكون إلا واحدا و إن كان فى معنى الجمع تقول انعموا بالا- و لاتضيّقوا ذرعا و أبقى الأنفس على جمعها لما لم يكن به حاجة إلى توحيدها يقول و طنوا أنفسكم على الموت و لا تكرهوه و هونوه عليكم تقول طبت عن مالى نفسا إذا هونت ذهابه . و قوله و امشوا إلى الموت مشيا سحجا أى سهلا و السجاجة السهولة يقال فى أخلاق فلان سجاحة و من رواه سمحا أراد سهلا أيضا . و السواد الأعظم يعنى به جمهور أهل الشام . قوله و الرواق المطنب يريد به مضرب معاوية ذا الأطناب و كان معاوية فى مضرب عليه قبة عالية و حوله صنديد أهل الشام و ثبجه وسطه و ثبج الإنسان ما بين كاهله إلى ظهره . و الكسر جانب الخباء و قوله فإن الشيطان كامن فى كسره يحتمل وجهين أحدهما أن يعنى به الشيطان الحقيقى و هو إبليس والثانى أن يعنى به معاوية والثانى هو الأظهر للقرينة التى تؤيده و هى قوله قد قدم للوثبة يدا و آخر للنكوص رجلا أى إن جبنتم و ثب و إن شجعتم نكص أى تأخر و فر و من حملة على الوجه الأول جعله من باب المجاز أى إن إبليس كالإنسان الذى يعتوره دواعى مختلفه بحسب المتجددات فإن أنتم صدقتم عدوكم القتال فر عنكم بفرار عدوكم و إن تخاذلتم و تواقلم طمع فيكم بطمعه و أقدم عليكم بإقدامه . -قرآن- ٤٦-١٨٧ [صفحہ ١٧٥] و قوله ع فصمدا صمدا أى اصمدوا صمدا صمدا صمدا صمدا لفلان أى قصدت له . و قوله حتى ينجلي لكم عمود الحق أى يسطع نوره و ضوءه و هذا من باب الاستعارة و الواو فى قوله و أنتم الأعلون و الواو الحال . و لن يترك أعمالكم أى لن ينقصكم و هاهنا مضاف محذوف تقديره جزاء أعمالكم و هو من كلام الله تعالى رصع به خطبته ع . و هذا الكلام خطب به أمير المؤمنين ع فى اليوم الذى كانت عشيته ليلة الهرير فى كثير من الروايات . و فى رواية نصر بن مزاحم أنه خطب به فى أول أيام اللقاء و الحرب بصفين و ذلك فى صفر من سنه سبع و ثلاثين .

من أخبار يوم صفين

قال نصر كان على ع يركب بغلة له يستلذها قبل أن يلتقى الفئتان بصفين فلما حضرت الحرب و بات تلك الليلة يعبى الكتاب حتى أصبح قال اثنتونى بفرس فأتى بفرس له ذنوب أدهم يقاد بشطنين يبحث الأرض بيديه جميعا له حمحمه -رواية- ١-٢- رواية- ١١-ادامه دارد [صفحہ ١٧٦] و سهيل فركبه و قال سبحان الذى سخر لنا هذا و ما كنا له مقرنين لاقوه إلا بالله العلى العظيم -رواية- از قبل- ١٠٦ قال نصر و حدثنا عمرو بن شمر عن جابر الجعفى قال كان على ع إذا سار إلى قتال ذكر اسم الله قبل أن يركب كان يقول الحمد لله على نعمه علينا و فضله سبحان الذى سخر لنا هذا و ما كنا له مقرنين و إننا إلى ربنا لمنقلبون ثم يستقبل القبلة و يرفع يديه إلى السماء و يقول اللهم إليك نقلت الأقدام و أتعبت الأبدان و أفضت القلوب و رفعت الأيدي و شخصت الأبصار ربنا افتح بيننا و بين قومنا بالحق و أنت خير الفاتحين ثم يقول سيروا على بركة الله ثم يقول الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله أكبر يا الله يا أحد يا صمد يا رب محمدا كفف عنا بأس الظالمين الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إياك نعبد و إياك نستعين بسم الله الرحمن الرحيم و لاقوه و لاقوه إلا بالله العلى العظيم قال و كانت هذه الكلمات شعاره بصفين -رواية- ١-٢-رواية- ١١-٥١-٧٦٨ قال و روى سعد بن طريف عن الأصبغ بن نباتة قال ما كان على ع فى قتال إلا نادى

ياكهيص -روايت-1-2-روايت-52-96 قال نصر و حدثنا قيس بن الربيع عن عبدالواحد بن حسان العجلي عن حدثه أنه سمع عليا يقول يوم لقائه أهل الشام بصفين اللهم إليك رفعت الأبصار وبسطت الأيدي ونقلت الأقدام ودعت الألسن وأفضت القلوب وتحوكم إليك في الأعمال فاحكم بيننا وبينهم بالحق و أنت خير الفاتحين اللهم إنا نشكو إليك غيبه -روايت-1-2-روايت-76-ادامه دارد [صفحه 177] نبينا وقله عددنا وكثرة عدونا وتشئت أهواننا وشدة الزمان وظهور الفتن فأعنا على ذلك بفتح منك تعجله ونصر تعز به سلطان الحق وتظهره -روايت-از قبل-139 قال نصر و حدثنا عمر بن سعد عن سلام بن سويد عن علي ع في قوله وَ أَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى قال هي لا إله إلا الله و في قوله الله أكبر قال هي آية النصر -روايت-1-2-روايت-58-164 قال سلام كانت شعاره ع يقولها في الحرب ثم يحمل فيورد و الله من اتبعه و من حاده حياض الموت . قال نصر و حدثنا عمر بن سعد عن عبدالرحمن بن جندب عن أبيه قال لما كان غداة الخميس لسبع خلون من صفر من سنة سبع وثلاثين صلى علي ع الغداة فغلس مارأيت عليا غلس بالغداة أشد من تغليسه يومئذ وخرج بالناس إلى أهل الشام فزحف نحوهم و كان هويبدوهم فيسير إليهم فإذا رأوه قد زحفوا استقباله بزحوفهم . قال نصر فحدثني عمر بن سعد عن مالك بن أعين عن زيد بن وهب قال لما خرج علي ع إليهم غداة ذلك اليوم فاستقبلوه رفع يديه إلى السماء و قال اللهم رب هذا السقف المحفوظ المكفوف الذي جعلته محيطا بالليل والنهار وجعلت فيه مجرى الشمس والقمر ومنازل الكواكب والنجوم وجعلت سكانه سبطا من الملائكة لا يسأمون العبادة ورب هذه الأرض التي جعلتها قرارا للأنام والهوام والأنعام و ما لا يحصى مما يرى ومما لا يرى من خلقك العظيم ورب الفلك التي تجرى في البحر المحيط بما ينفع الناس ورب السحاب المسخر بين السماء والأرض ورب البحر -روايت-1-2-روايت-68-ادامه دارد [صفحه 178] المسجور المحيط بالعالمين ورب الجبال الرواسي التي جعلتها للأرض أوتادا وللخلق متاعا إن أظهرتنا على عدونا فجنبا البغي وسددنا للحق و إن أظهرتهم علينا فارزقنا الشهادة واعصم بقية أصحابي من الفتنة -روايت-از قبل-206 . قال فلما رأوه قد أقبل تقدموا إليه بزحوفهم و كان علي ميمنته يومئذ عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي و علي ميسرته عبد الله بن العباس بن عبدالمطلب وقراء العراق مع ثلاثة نفر عمار بن ياسر وقيس بن سعد بن عبادة و عبد الله بن بديل و الناس على راياتهم ومراكزهم و علي ع في القلب في أهل المدينة جمهورهم الأنصار ومعه من خزاعة و من كنانة عدد حسن . قال نصر و كان علي ع رجلا ربه أذعج العينين كان وجهه القمر ليلة البدر حسنا ضخم البطن عريض المسربة شثن الكفين ضخم الكسور كأن عنقه إبريق فضة أصلع من خلفه شعر خفيف لمنكبه مشاش كمشاش الأسد الضاري إذامشى تكفأ ومار به جسده ولظهره سنام كسنام الثور لايبين عضده من ساعده قد أدمجت إدماجا لم يمسك بذراع رجل قط إلا أمسك بنفسه فلم يستطع أن يتنفس ولونه إلى سمرة ما و هو أذلف الأنف إذامشى إلى الحرب هرول قد أيداه الله تعالى في حروبه بالنصر والظفر . [صفحه 179] قال نصر و رفع معاوية قبة عظيمة وألقى عليها الكرايبس وجلس تحتها . قال نصر و قد كان لهم قبل هذا اليوم أيام ثلاثة وهي الرابع من صفر هذا واليوم الخامس واليوم السادس كانت فيها مناوشات و قتال ليس بذلك الكثير فأما اليوم الرابع فأن محمد بن الحنفية ع خرج في جمع من أهل العراق فأخرج إليه معاوية عبيد الله بن عمر بن الخطاب في جمع من أهل الشام فاقتتلوا ثم إن عبيد الله بن عمر أرسل إلى محمد بن الحنفية أن اخرج إلى أبارزك فقال نعم ثم خرج إليه فبصر بهما علي ع فقال من هذان المتبارزان قيل محمد بن الحنفية وعبيد الله بن عمر فحرك دابته ثم دعا محمدا إليه فجاءه فقال أمسك دابتي فأمسكها فمشى راجلا- بيده سيفه نحو عبيد الله و قال له أنا أبارزك فهلم إلي فقال عبيد الله لا حاجة بي إلى مبارزتك قال بلى فهلم إلي قال لا أبارزك ثم رجع إلى صفه فرجع علي ع فقال ابن الحنفية يا أبت لم منعني من مبارزته فوالله لو تركتني لرجوت أن أقتله قال يابني لو مبارزته أنا لقتلته و لو مبارزته أنت لرجوت لك أن تقتله و ما كنت آمن أن يقتلك فقال يا أبت أتبرز بنفسك إلى هذا الفاسق اللثيم عدو الله و الله لو أبوه يسألك المبارزة لرغبت بك عنه فقال يابني لا تذكر أباه و لا تقل

فيه إلهاماً رحيماً . قال نصر و أما اليوم الخامس فإنه خرج فيه عبد الله بن العباس فخرج إليه الوليد بن عقبة فأكثر من سب بنى عبدالمطلب و قال يا ابن عباس قطعتم [صفحة ١٨٠] أرحامكم وقتلتم إمامكم فكيف رأيتم صنع الله بكم لم تعطوا ما طلبتم و لم تدركوا ما أملتكم و الله إن شاء مهلككم وناصرنا عليكم فأرسل إليه عبد الله بن العباس أن ابرز إلى فأبى أن يفعل وقاتل ابن عباس ذلك اليوم قتالاً شديداً ثم انصرفوا و كل غير غالب . قال نصر وخرج في ذلك اليوم شمر بن أبرهة بن الصباح الحميري فلحق بعلي ع في ناس من قراء أهل الشام ففت ذلك في عضد معاوية و عمرو بن العاص و قال عمرو يامعاوية إنك تريد أن تقاتل بأهل الشام رجلاً له من محمد ص قرابة قريبة ورحم ماسة و قدم في الإسلام لا يعتد أحد بمثله وحده في الحرب لم تكن لأحد من أصحاب محمد ص و إنه قد سار إليك بأصحاب محمد المعدودين و فرسانهم و قرائهم و أشرفهم و قدمائهم في الإسلام ولهم في النفوس مهابة فبادر بأهل الشام مخاشن الأوعار و مضايق العياض و احملهم على الجهد و ائتهم من باب الطمع قبل أن ترفههم فيحدث عندهم طول المقام مللاً فتظهر فيهم كآبة الخذلان و مهما نسيت فلاتنس أنك على باطل و أن علياً على حق فبادر الأمر قبل اضطرابه عليك فقام معاوية في أهل الشام خطيباً فقال أيها الناس أعيرونا جماجمكم و أنفسكم لا تقتتلوا و لا تتجادلوا فإن اليوم يوم خطار و يوم حقيقة و حفاظ إنكم لعلى حق و بأيديكم حجة إنما تقاتلون من نكث البيعة و سفك الدم الحرام فليس له في السماء عاذر . قدموا أصحاب السلاح المستلثة و أخرجوا الحاسر و احملوا بأجمعكم فقد بلغ الحق مقطعه و إنما هو ظالم و مظلوم . [صفحة ١٨١] قال نصر و خطب على ع أصحابه فيما حدثنا به عمر بن سعد عن أبي يحيى عن محمد بن طلحة عن أبي سنان عن أبيه قال كأنى أنظر إليه متوكئاً على قوسه و قد جمع أصحاب رسول الله ص عنده فهم يلونه كأنه أحب أن يعلم الناس أن الصحابة متوافرون معه فحمد الله و أثنى عليه و قال أما بعد فإن الخيلاء من التجبر و إن النخوة من التكبر و إن الشيطان عدو حاضر يعدكم الباطل ألا إن المسلم أخو المسلم فلا تنازلاً و لا تنازلاً و لا تنازلاً إلا إن شرائع الدين واحدة و سبله قاصده من أخذ بهالحق و من فارقها محق و من تركها مرق ليس المسلم بالخائن إذا و ائتمن و لا بالمخلف إذا و اعد و لا بالكذاب إذا نطق نحن أهل بيت الرحمة و قولنا الصدق و فعلنا القصد و منا خاتم النبيين و فينا قادة الإسلام و فينا حملة الكتاب ألا إنا ندعوكم إلى الله و إلى رسوله و إلى جهاد عدوه و الشدة في أمره و ابتغاء مرضاته و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة و حج البيت و صيام شهر رمضان و توفير الفىء على أهله ألا و إن من أعجب العجائب أن معاوية بن أبي سفيان الأموى و عمرو بن العاص السهمى أصبحا يحرضان الناس على طلب الدين بزعمهما و لقد علمتم أنى لم أخالف رسول الله ص قط و لم أعصه في أمر أقيه بنفسى في المواطن التى ينكص فيها الأبطال و ترعد فيها الفرائض بنجدة أكرمنى الله سبحانه بها و له الحمد و لقد قبض رسول الله ص و إن رأسه لفى حجرى و لقد وليت غسله بيدي و حدى قلبه الملائكة المقربون معى و ايم الله ما اختلفت أمة قط بعد نبياها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها إلا ماشاء الله -روایت- ١-٢-روایت- ١١٧-١٣٥٧ [صفحة ١٨٢] قال أبو سنان الأسلمى فأشهد لقد سمعت عمار بن ياسر يقول للناس أما أمير المؤمنين فقد أعلمكم أن الأمة لم تستقم عليه أولاً و أنها لن تستقيم عليه آخراً -روایت- ١-٢-روایت- ٦٧-١٥٥ . قال ثم تفرق الناس و قد نفذت أبصارهم في قتال عدوهم فتأهبوا و استعدوا قال نصر و حدثنا عمر بن سعد عن مالك بن أعين عن زيد بن وهب أن علياً قال في هذه الليلة حتى متى لا نناهض القوم بأجمعنا ثم قام في الناس فقال الحمد لله الذى لا يبرم مانقض و لا ينقض ما أبرم و لو شاء ما اختلف اثنان من هذه الأمة و لا من خلقه و لا تنازع البشر فى شىء من أمره و لا جحد المفضول ذا الفضل فضله و قد ساقنا و هؤلاء القوم الأقدار حتى لفت بيننا فى هذا الموضع و نحن من ربنا بمرأى و مسمع و لو شاء لعجل النعمة و لكان منه النصر حتى يكذب الله الظالم و يعلم الحق أين مصيره ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال و الآخرة دار الجزاء و القرار ليجزى العذبة أساؤاً بما عملوا و يجزى العذبة أحسنياً إلا إنكم لا تقوا العدو غداً إن شاء الله فأطيلوا الليلة القيام و أكثروا تلاوة القرآن و أسألوا الله الصبر و النصر و القوهم بالجد و الحزم و كونوا صادقين -روایت- ١-٢-روایت- ٦٢-٧٨٥ . قال فوثب الناس إلى

رماحهم وسيوفهم ونبالهم يصلحونها وخرج ع فعبى الناس ليلته تلك كلها حتى أصبح وعقد الألوية وأمر الأمراء وكتب الكتاب وبعث إلى أهل الشام مناديا نادى فيهم اغدوا على مصافكم فضج أهل الشام فى معسكرهم واجتمعوا إلى معاوية فعبى خيله وعقد ألويته وأمر أمراءه وكتب كتائبه وأحاط به أهل حمص فى راياتهم وعليهم أبو الأعور السلمى و أهل الأردن فى راياتهم عليهم عمرو بن العاص و أهل قنسرين وعليهم زفر بن الحارث الكلابى و أهل دمشق وهم القلب [صفحة ١٨٣] وعليهم الضحاك بن قيس الفهرى فأطافوا كلهم بمعاوية و كان أهل الشام أكثر من أهل العراق بالضعف وسار أبو الأعور وعمرو بن العاص و من معهما حتى وقفا بحيال أهل العراق فنظرا إليهم واستقلا جمعهم وطمعا فيهم ونصب لمعاوية منبر فقعد عليه فى قبة ضربها ألقى عليها الثياب والأرائك وأحاط به أهل يمن و قال لا يقربن هذا المنبر أحد لا تعرفونه إلا قتلتموه كائنا من كان . قال نصر وأرسل عمرو إلى معاوية قد عرفت ما بيننا من العهد والعقد فاعصب برأسى هذا الأمر وأرسل إلى أبى الأعور فنحه عنى ودعنى والقوم فأرسل معاوية إلى أبى الأعور أن لأبى عبد الله رأيا وتجربة ليست لى و لا لك و قدوليته أعنة الخيل فسر أنت حتى تقف بخيلك على تل كذا ودعه والقوم .فسار أبو الأعور وبقي عمرو بن العاص فيمن معه واقفا يازاء عسكر العراق فنادى عمرو ابنه عبد الله ومحمدا فقال لهما قدما هؤلاء الدرع وأخرا هؤلاء الحسر وأقيما الصف قص الشارب فإن هؤلاء قد جاءوا بخطة قد بلغت السماء .فمشيا برايتهما فعذلا الصفوف وسار بينهما عمرو فأحسن الصف ثانية ثم حمل قيسا و كليبيا و كنانة على الخيول و رجل سائر الناس . قال نصر وبات كعب بن جعيل التغلبى شاعر أهل الشام تلك الليلة يرتجز وينشد أصبحت الأمة فى أمر عجب || والملك مجموع غدا لمن غلب أقول قولا صادقا غير كذب || إن غدا يهلك أعلام العرب غدا نلقى ربنا فنحتسب || غدا يصيرون رمادا قد ذهب [صفحة ١٨٤] بعد الجمال والحياء والحسب || يارب لا تشمت بنا و لا تصب من خلع الأنداد طرا والصلب . قال نصر و قال معاوية من فى ميسرة أهل العراق فقيل ربيعة فلم يجد فى الشام ربيعة فجاء بحمير فجعلها يازاء ربيعة على قرعة أقرعها بين حمير وعك فقال ذو الكلاع الحميرى باستك من سهم لم تبغ الضراب كأنه أنف عن أن تكون حمير يازاء ربيعة فبلغ ذلك حجدرا الحنفى فحلف بالله إن عاينه ليقتلنه أوليموتن دونه فجاءت حمير حتى وقفت بإزاء ربيعة وجعل السكاسك والسكون يازاء كنده وعليهما الأشعث بن قيس وجعل يازاء همدان العراق الأزدي و يازاء مذحج العراق عكا . و قال راجز من أهل الشام ويل لأم مذحج من عك || وأمهم قائمة تبكى نصكهم بالسيف أى صك || فلارجال كرجال عك . قال وطرح عك حجرا بين أيديهم وقالوا لانفر حتى يفر هذا الحكر بالكاف وعك تقلب الجيم كافا وصف القلب خمسة صفوف وفعل أهل العراق أيضا مثل ذلك ونادى عمرو بن العاص بأعلى صوته يا أيها الجند الصليب الإيمان || قوموا قياما واستعينوا الرحمن إنى أتانى خبر ذو ألوان || إن عليا قتل ابن عفان ردوا علينا شيخنا كما كان . [صفحة ١٨٥] فرد عليه أهل العراق وقالوا أبت سيوف مذحج وهمدان || بأن ترد نعثلا كما كان خلقا جديدا مثل خلق الرحمن || ذلك شأن قدمضى وذا شان . ثم نادى عمرو بن العاص ثانية برفع صوته ردوا علينا شيخنا ثم بجل || أو لا تكونوا جزرا من الأسل . فرد عليه أهل العراق كيف نرد نعثلا و قد قحل || نحن ضربنا رأسه حتى انجفل وأبدل الله به خير بدل || أعلم بالدين وأزكى بالعمل . و قال ابراهيم بن أوس بن عبيدة من أهل الشام لله در كتائب جاء تكم || تبكى فوارسها على عثمان تسعون ألفا ليس فيهم قاسط || يتلون كل مفصل ومثان يسلون حق الله لا يعدونى || ومجيبكم للملك والسلطان فأتوا بينة على ماجئتم || أو لا فحسبكم من العدوان وأتوا بما يمحو قصاص خليفة || لله ليس بكاذب خوان . [صفحة ١٨٦] قال نصر وبات على ع ليلته يعبى الناس حتى إذا أصبح زحف بهم وخرج إليه معاوية فى أهل الشام فجعل يقول من هذه القبيلة و من هذه القبيلة يعنى قبائل أهل الشام فيسمون له حتى إذا عرفهم وعرف مراكزهم قال للأزد اكفونى الأزد و قال لخنعم اكفونى خنعم وأمر كل قبيلة من العراق أن تكفيه أختها من أهل الشام لإقبيلة ليس منهم بالعراق إلا القليل مثل بجيلة فإن لخما كانت يازائها ثم تناهض القوم يوم الأربعاء سادس صفر واقتتلوا إلى آخر نهارهم

حدثنا عمرو بن شمر عن جابر عن الشعبي عن مالك بن قدامة الأرحبي قال قام سعيد بن قيس يخطب أصحابه بقناصرين فقال الحمد لله الذى هدانا لدينه وأورثنا كتابه وامتن علينا بنيه فجعله رحمة للعالمين وسيدا للمرسلين وقائدا للمؤمنين وخاتما للنبيين ووجهة الله العظيم على الماضين والغابرين ثم كان فيما قضى الله وقدره و له الحمد على ما أحببنا وكرهنا أن ضمنا وعدونا بقناصرين فلا يجمل بنا اليوم الحياص و ليس هذا بأوان انصراف ولات حين مناص و قد خصنا الله منه برحمته لانستطيع أداء شكرها و لانقدر قدرها إن أصحاب محمد المصطفين الأخيار معنا [صفحہ ۱۸۹] و فى حيز فو الله الذى هو بالعباد بصير أن لو كان قائدنا رجلا مجدعا إلا أن معنا من البدرين سبعين رجلا لكان ينبغى لنا أن تحسن بصائرنا وتطيب أنفسنا فكيف وإنما رئيسنا ابن عم نبينا بدرى صدق صلى صغيرا وجاهد مع نبيكم كثيرا و معاوية طليق من وثاق الإسار و ابن طليق ألا إنه أغوى جفأة فأوردتهم النار و أوردتهم العار و الله محل بهم الذل والصغار ألا إنكم ستلقون عدوكم غدا فعليكم بتقوى الله من الجد والحزم والصدق والصبر فإن الله مع الصابرين ألا- إنكم تفوزون بقتلهم ويشقون بقتلكم و الله لا يقتل رجلا منكم رجلا- منهم إلا أدخل الله القاتل جنات عدن و أدخل المقتول نارا تلظى لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَ هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ عَصِمْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِمَا عَصِمَ بِهِ أَوْلِيَاءَهُ وَ جَعَلْنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ أَطَاعَهُ وَ اتَّقَاهُ وَ اسْتَغْفَرَ اللَّهُ الْعَظِيمَ لِي وَ لَكُمْ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ . ثم قال الشعبي ولقد صدق فعله ما قال فى خطبته . قال نصر و حدثنا عمرو بن شمر عن جابر عن أبى جعفر وزيد بن الحسن قالا طلب معاوية إلى عمرو بن العاص أن يسوى صفوف أهل الشام فقال له عمرو على أن لى حكى أن قتل الله ابن أبى طالب واستوثقت لك البلاد فقال أ ليس حكمتك فى مصر قال وهل مصر تكون عوضا عن الجنة و قتل ابن أبى طالب ثمنا لعذاب النار الذى لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَ هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ فقال معاوية إن لك حكمتك أبا عبد الله إن قتل ابن أبى طالب رويدا لا يسمع أهل الشام كلامك فقام عمرو -قرآن- ۵۹۸-۶۳۹-قرآن- ۱۱۲۰-۱۱۶۱ [صفحہ ۱۹۰] فقال معاشر أهل الشام سوا صفوفكم قص الشارب وأعيرونا جماجمكم ساعة فقد بلغ الحق مقطعه فلم يبق إلا ظالم أو مظلوم . قال نصر وأقبل أبو الهيثم بن التيهان و كان من أصحاب رسول الله ص بدريا نقيبا عقيبا يسوى صفوف أهل العراق و يقول يا معاشر أهل العراق إنه ليس بينكم و بين الفتح فى العاجل والجنة فى الآجل إلا ساعة من النهار فأرسوا أقدامكم وسوا صفوفكم وأعيروا ربكم جماجمكم استعينوا بالله إلهكم وجاهدوا عدو الله وعدوكم واقتلوهم قتلهم الله وأبادهم واصبروا فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . قال نصر و حدثنا عمرو بن شمر عن جابر عن الفضل بن أدهم عن أبيه أن الأشتر قام يخطب الناس بقناصرين و هو يومئذ على فرس أدهم مثل حلك الغراب فقال الحمد لله الذى خلق السموات العلى الرّحمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى بِحَمْدِهِ عَلَى حَسَنِ الْبَلَاءِ وَ تَظَاهَرَ النِّعْمَاءِ حَمْدًا كَثِيرًا بِكْرَةً وَأَصِيلًا مِنْ هِدَاةِ اللَّهِ فَقَدْ اهْتَدَى وَ مِنْ يَضَلُّ فَقَدْ غَوَى أَرْسَلَ مُحَمَّدًا بِالصُّوَابِ وَ الْهَدَى فَأَظْهَرَ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَدْ كَانَ مِمَّا قَضَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَقَدَّرَ أَنْ سَاقَتْنَا الْمَقَادِيرُ إِلَى أَهْلِ هَذِهِ الْبَلَدَةِ مِنَ الْأَرْضِ فَلَفَّتْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ عَدُوِّ اللَّهِ وَعَدُونَا فَنَحْنُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَ نِعْمِهِ مِنْهُ وَ فَضْلِهِ قَرِيرَةٌ أَعَيْنَا طَيْبَةً أَنْفُسَنَا نَرْجُو بِقِتَالِهِمْ حَسَنَ الثَّوَابِ وَ الْأَمْنِ مِنَ الْعِقَابِ مَعْنَى ابْنِ عَمِّ نَبِينَا وَسَيْفٍ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ عَلَى بَنِ أَبِي طَالِبٍ صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَى الصَّلَاةِ -روایت- ۱-۲- روایت- ۶۷-ادامه دارد [صفحہ ۱۹۱] ذکر حتى كان شيخا لم تكن له صبوة و لانبوة و لاهفوة و لاسقطه فقيه فى دين الله تعالى عالم بحدود الله ذو رأى أصيل و صبر جميل و عفاف قديم فاتقوا الله و عليكم بالحزم والجد واعلموا أنكم على الحق و أن القوم على الباطل إنما تقاتلون معاوية و أنتم مع البدرين قريب من مائة بدرى سوى من حولكم من أصحاب محمد أكثر مامعكم رايات قد كانت مع رسول الله و مع معاوية رايات قد كانت مع المشركين على رسول الله فما يشك فى قتال هؤلاء إلاميت القلب أنتم على إحدى الحسينيين إما الفتح وإما الشهادة عصمنا الله وإياكم بما عصم به من أطاعه و اتقاه و ألهمنا وإياكم طاعته و تقواه و أستغفر الله لى ولكم -روایت- از قبل- ۶۱۳ . قال نصر و حدثنا عمرو بن شمر عن جابر عن الشعبي عن صعصعة بن صوحان عن

زامل بن عمرو الجذامي قال طلب معاويةً إلى ذى الكلاع أن يخطب الناس ويحرضهم على قتال علي ع و من معه من أهل العراق ففقد فرسه و كان من أعظم أصحاب معاويةً خطرا وخطب الناس فقال الحمد لله حمدا كثيرا ناميا واضحا منيرا بكرة وأصيلا أحمده وأستعينه وأومن به وأتوكل عليه وكفى بالله وكيلا وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالفرقان إماما وبالهدى ودين الحق حين ظهرت المعاصي ودرست الطاعة وامتألت الأرض جورا وضلالة واضطرت الدنيا نيرانا وفتنة وورثك عدو الله إبليس على أن يكون قد عبد في أكنافها واستولى على جميع أهلها فكان محمداً هو الذي أطفأ الله به نيرانها ونزع به أوتادها وأوهن به [صفحة ١٩٢] قوى إبليس وآيسه مما كان قد طمع فيه من ظفريه بهم وأظهره على الدين كله و لو كره المشركون ثم كان من قضاء الله أن ضم بيننا وبين أهل ديننا بصفين وإنا لنعلم أن فيهم قوما قد كانت لهم مع رسول الله ص سابقه ذات شأن وخطر عظيم ولكنى ضربت الأمر ظهرا وبطنا فلم أر يسعنى أن يهدر دم عثمان صهر نبيناص الذي جهز جيش العسرة وألحق في مصلى رسول الله ص بيتا وبنى سقاية بايع له نبي الله بيده اليمنى على اليسرى واختصه بكرميتيه أم كلثوم ورقية فإن كان قد أذنب ذنبا فقد أذنب من هو خير منه قال الله سبحانه لنبيه لِيُغْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ وَقَتْلَ مُوسَى نَفْسًا ثُمَّ اسْتَغْفَرَ اللَّهُ فَغْفَرَ لَهُ وَقَدْ أَذْنَبَ نُوحٌ ثُمَّ اسْتَغْفَرَ اللَّهُ فَغْفَرَ لَهُ وَقَدْ أَذْنَبَ أَبُوكُمْ آدَمُ ثُمَّ اسْتَغْفَرَ اللَّهُ فَغْفَرَ لَهُ وَ لَمْ يَعْرِ أَحَدَكُمْ مِنَ الذُّنُوبِ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ كَانَتْ لَابْنِ أَبِي طَالِبٍ سَابِقَةٌ حَسَنَةٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَالًا عَلَى قَتْلِ عُثْمَانَ فَلَقَدْ خَذَلَهُ وَإِنَّهُ لِأَخُوهُ فِي دِينِهِ وَابْنِ عَمِّهِ وَسَلْفِهِ وَابْنِ عَمَّتِهِ ثُمَّ قَدْ أَقْبَلُوا مِنْ عِرَاقِهِمْ حَتَّى نَزَلُوا شَامَكُمْ وَبِلَادَكُمْ وَبِيضْتَكُمْ وَإِنَّمَا عَامَتُهُمْ بَيْنَ قَاتِلٍ وَخَاذِلٍ فَاسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا فَلَقَدْ ابْتَلَيْتُمْ آيَتَهَا الْأُمَّةَ وَلَقَدْ رَأَيْتَ فِي مَنَامِي فِي لَيْلَتِي هَذِهِ لَكَانَا وَ أَهْلَ الْعِرَاقِ اعْتَوَرْنَا مَصْحَفًا نَضْرِبُهُ بِسَيْفُونَا وَنَحْنُ فِي ذَلِكَ جَمِيعًا نُنَادِي وَبِحُكْمِ اللَّهِ وَ مَعَنَا اللَّهُ لَانْفَارِقَ الْعَرِصَةَ حَتَّى نَمُوتَ فَعَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَلِتَكُنَ النِّيَّاتُ لِلَّهِ فَإِنِّي - قرآن - ٥٣٩-٥٩٨ سمعت عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله ص يقول إنما يبعث المقتتلون على النيات -رواية ١-٢-رواية ٥٥-٨٩ أفرغ الله علينا وعليكم الصبر وأعز لنا ولكم النصر و كان لنا ولكم في كل أمر وأستغفر الله لى ولكم . [صفحة ١٩٣] قال نصر و حدثنا عمرو بن شمر عن ابن عامر عن صعصعة العبدى عن أبرهه بن الصباح قال قام يزيد بن أسد البجلي فى أهل الشام يخطب الناس بصفين و عليه قباء من خز وعمامة سوداء آخذًا بقائم سيفه واضعًا نصل السيف فى الأرض متوكئًا عليه قال صعصعة فذكر لى أبرهه أنه كان يومئذ من أجمل العرب وأكرمها وأبلغها فقال الحمد لله الواحد الفرد ذى الطول والجلال العزيز الجبار الحكيم الغفار الكبير المتعال ذى العطاء والفعال والسخاء والنوال والبهاء والجمال والمن والإفضال مالك اليوم الذى لا يبيع فيه و لا خلال أحمده على حسن البلاء وتظاهر النعماء و فى كل حال من شدة أورخاء أحمده على نعمه التوام وآلائه العظام حمدا يستنير بالليل والنهار وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كلمة النجاة فى الحياة و عند الوفاة و فيها الخلاص يوم القصاص وأشهد أن محمدا عبده ورسوله النبى المصطفى وإمام الهدى ص ثم كان من قضاء الله أن جمعنا و أهل ديننا فى هذه الرقعة من الأرض و الله يعلم أنى كنت كارها لذلك ولكنهم لم يبلعوننا ريقنا و لم يتركونا نرتاد لأنفسنا ونظر لمعادنا حتى نزلوا بين أظهرنا و فى حريمنا وبيضتنا و قد علمنا أن فى القوم أحلاما وطغاما ولسنا نأمن من طعامهم على ذرارينا ونسائنا ولقد كنا نحب ألا نقاتل أهل ديننا فأخرجونا حتى صارت الأمور إلى أن قاتلناهم غدا حمية فإنا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله رب العالمين . [صفحة ١٩٤] أما و الذى بعث محمدا بالرسالة لوددت أنى مت منذ سنة ولكن الله إذا أراد أمرا لم يستطع العباد رده فنستعين بالله العظيم وأستغفر الله لى ولكم . قال نصر و حدثنا عمرو عن أبى روق الهمداني أن يزيد بن قيس الأرحبى حرض أهل العراق بصفين يومئذ فقال إن المسلم السليم من سلم دينه ورأيه و إن هؤلاء القوم و الله ما أن يقاتلوننا على إقامة دين رأونا ضيعناه و لا- على إحياء حق رأونا أمتناه و لا يقاتلوننا إلا على هذه الدنيا ليكونوا فيها جابرة وملوكا و لو ظهروا عليكم لأأراهم الله ظهورا و لاسرورا إذ الوليكم مثل سعيد والوليد و عبد الله بن عامر السفهيه يحدث أحدهم فى

مجلسه بذيت وذيت ويأخذ مال الله و يقول لا إثم على فيه كأنما أعطى تراثه من أبيه كيف إنما هو مال الله أفاءه علينا بأسيا فانا ورماحنا قاتلوا عباد الله القوم الظالمين الحاكمين بغير ما أنزل الله و لا تأخذكم فيهم لومة لائم إنهم أن يظهروا عليكم يفسدوا عليكم دينكم و دنياكم وهم من قد عرفتم و جربتم و الله ما أرادوا باجتماعهم عليكم إلا شرا و أستغفر الله العظيم لى ولكم . قال نصر وارتجز عمرو بن العاص و أرسل بها إلى على [صفحة ١٩٥] لا تأمننا بعدها أباحسن || إنا نمر الأمر إمرار الرسن و يروى خذها إليك و اعلمن أباحسن لتصبحن مثلها أم لبن || طاحنة تدقكم دق الحفن . قال فأجابه شاعر من شعراء أهل العراق ألا احذروا فى حربكم أباحسن || ليشا أباشيلين محذور فطن يدقكم دق المهاريس الطحن || لتغبنن يا جاهلا أى غبن حتى تغض الكف أو تفرع سن . قال نصر فحدثنا عمرو بن شمر عن جابر عن الشعبي أن أول فارسين التقيا فى هذا اليوم و هو اليوم السابع من صفر و كان من الأيام العظيمة فى صفين ذا أهوال شديدة حجر الخير و حجر الشر أما حجر الخير فهو حجر بن عدى صاحب أمير المؤمنين على بن أبى طالب ع و أما حجر الشر فابن عمه كلاهما من كنده و كان من أصحاب معاوية فأطعنا برمجيهما و خرج رجل من بنى أسد يقال له خزيمه من عسكر معاوية فضرب حجر بن عدى ضربة برمحه فحمل أصحاب على ع فقتلوا خزيمه الأسدى و نجا حجر الشر هاربا فالتحق بصف معاوية ثم برز حجر الشر [صفحة ١٩٦] ثانية فبرز إليه الحكم بن أزره من أهل العراق فقتله حجر الشر فخرج إليه رفاعه بن ظالم الحميرى من صف العراق فقتله و عاد إلى أصحابه يقول الحمد لله الذى قتل حجر الشر بالحكم بن أزره . ثم إن عليا ع دعا أصحابه إلى أن يذهب واحد منهم بمصحف كان فى يده إلى أهل الشام فقال من يذهب إليهم فيدعوهم إلى ما فى هذا المصحف فسكت الناس و أقبل فتى اسمه سعيد فقال أناصحبه فأعاد القول ثانية فسكت الناس و تقدم الفتى فقال أناصحبه فسلمه إليه فقبضه بيده ثم أتاهم فأنشدهم الله و دعاهم إلى ما فيه فقتلوه فقال على ع لعبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى احمل عليهم الآن فحمل عليهم بمن معه من أهل الميمنة و عليه يومئذ سيفان و درعان فجعل يضرب بسيفه قدما و يقول لم يبق غير الصبر و التوكل || و الترس و الرمح و سيف مقصل ثم التمشى فى الرعيل الأول || مشى الجمال فى حياض المنهل . فلم يزل يحمل حتى انتهى إلى معاوية و الذين بايعوه إلى الموت فأمرهم أن يصمدوا لعبد الله بن بديل و بعث إلى حبيب بن مسلمة الفهرى و هو فى الميسرة أن يحمل عليه بجميع من معه و اختلط الناس و اضطرم الفيلقان ميمنة أهل العراق و ميسرة أهل الشام و أقبل عبد الله بن بديل يضرب الناس بسيفه قدما حتى أزال معاوية عن موقفه و جعل ينادى يا ثارات عثمان و إنما يعنى أخوا له قد قتل و ظن معاوية و أصحابه أنه يعنى عثمان بن عفان و تراجع معاوية عن مكانه القهقرى كثيرا و أشفق على نفسه و أرسل إلى حبيب بن مسلمة مرة ثانية و ثالثة يستنجده و يستصرخه و يحمل حبيب حملة [صفحة ١٩٧] شديدة بميسرة معاوية على ميمنة العراق فكشفها حتى لم يبق مع ابن بديل إلا نحو مائة إنسان من القراء فاستند بعضهم إلى بعض يحمون أنفسهم و لجج ابن بديل فى الناس و صمم على قتل معاوية و جعل يطلب موقفه و يصمد نحوه حتى انتهى إليه و مع معاوية عبد الله بن عامر واقفا فنادى معاوية فى الناس و يلکم الصخر و الحجارة إذا عجزتم عن السلاح فرضخه الناس بالصخر و الحجارة حتى أثنوه فسقط فأقبلوا عليه بسيفهم فقتلوه . وجاء معاوية و عبد الله بن عامر حتى وقفا عليه فأما عبد الله بن عامر فألقى عمامته على وجهه و ترحم عليه و كان له أخوا صديقا من قبل فقال معاوية اكشف عن وجهه فقال لا و الله لا يمثل به و فى روح فقال معاوية اكشف عن وجهه فإنا لانمثل به قد وهبناه لك فكشف ابن عامر عن وجهه فقال معاوية هذا كبش القوم و رب الكعبة اللهم أظفرنى بالأشتر النخعى و الأشعث الكندى و الله مامثل هذا إلا كما قال الشاعر أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها || و إن شمرت عن ساقها الحرب شمرا و يحمى إذا ما الموت كان لقاؤه || قدى الشبر يحمى الأنف أن يتأخرا كليث هزبر كان يحمى ذماره || رمته المنايا قصدها فتقطرا . ثم قال إن نساء خزاعة لو قدرت على أن تقاتلنى فضلا عن رجالها لفعلت . قال نصر فحدثنا عمرو عن أبى روق قال استعلى أهل الشام عند قتل ابن بديل على أهل العراق يومئذ و انكشف أهل العراق من قبل الميمنة

وأجفلوا إجمالا [صفحة ١٩٨] شديدا فأمر على ع سهل بن حنيف فاستقدم من كان معه ليرفد الميمنة ويعضدها فاستقبلهم جموع أهل الشام فى خيل عظيمة فحملت عليهم فألحقتهم بالميمنة وكانت ميمنة أهل العراق متصله بموقف على ع فى القلب فى أهل اليمن فلما انكشفوا انتهت الهزيمة إلى على ع فانصرف يمشى نحو الميسرة فانكشف مضر عن الميسرة أيضا فلم يبق مع على ع من أهل العراق إلا ربيعة وحدها فى الميسرة. قال نصر فحدثنا عمرو قال حدثنا مالك بن أعين عن زيد بن وهب قال لقد مر على ع يومئذ ومع بنوه نحو الميسرة ومع ربيعة وحدها وإنى لأرى النبل يمر بين عاتقه ومنكبيه و ما من بنيه إلا من يقيه بنفسه فيكره على ع ذلك فيتقدم عليه ويحول بينه وبين أهل الشام ويأخذه بيده إذا فعل ذلك فيلقيه من ورائه ويصير به أحمر مولى بنى أمية وكان شجاعا وقال على ع ورب الكعبة قتلنى الله إن لم أقتلك فأقبل نحوه فخرج إليه كيسان مولى على ع فاختلفا ضربتين فقتله أحمر وخالط عليا ليضربه بالسيف وينتزهه على فتقع يده فى جيب درعه فجذبه عن فرسه فحمله على عاتقه فوالله لكأنى أنظر إلى رجلى أحمر تختلفان على عنق على ثم ضرب به الأرض فكسر منكبه وعضديه وشد ابنا على حسين و محمد فضرباه بأسيا فهما حتى برد فكأنى أنظر إلى على قائما وشبلاه يضربان الرجل حتى إذا أتيا عليه أقبلًا - على أبيهما والحسن قائم معه فقال له على يابنى مامنك أن تفعل كما فعل أخواك فقال كفيانى يا أمير المؤمنين . [صفحة ١٩٩] قال ثم إن أهل الشام دنوا منه يريدونه والله ما يزيد قربهم منه ودنواهم إليه سرعة فى مشيته فقال له الحسن ماضرك لوأسرعت حتى تنتهى إلى الذين صبروا لعدوك من أصحابك قال يعنى ربيعة الميسرة فقال على يابنى إن لأبيك يوما لن يعدوه ولا يبطئ به عند السعى ولا يقربه إليه الوقوف إن أباك لا يبالى أن وقع على الموت أو وقع الموت عليه . قال نصر وحدثنا عمرو بن شمر عن جابر عن أبى إسحاق قال خرج على ع يوما من أيام صفين و فى يده عترة فمر على سعيد بن قيس الهمداني فقال له سعد أ ما تخشى يا أمير المؤمنين أن يغتالك أحد و أنت قرب عدوك فقال على ع إنه ليس من أحد إلا - و عليه من الله حفظة يحفظونه من أن يتردى فى قلب أو يخر عليه حائط أو تصيبه آفة فإذا جاء القدر خلوا بينه وبينه -رواية ١-٢-رواية ٣٥٨-٥٨ . قال نصر وحدثنا عمرو عن فضيل بن خديج قال لما انهزمت ميمنة العراق يومئذ أقبل على ع نحو الميسرة يركض يستثيب الناس ويستوقفهم ويأمرهم بالرجوع نحو الفزع فمر بالأشتر فقال يامالك قال لبيك يا أمير المؤمنين قال ائت هؤلاء القوم فقل لهم أين فراركم من الموت الذى لن تعجزوه إلى الحياة التى لا تبقى لكم -رواية ١-١٥٧ فمضى الأشتر فاستقبل الناس منهزمين فقال لهم الكلمات وناداهم إلى أيها الناس أنامالك بن الحارث يكررها فلم يلو أحد منهم عليه وظن أن [صفحة ٢٠٠] الأشتر أعرف فى الناس من مالك بن الحارث فجعل ينادى ألا أيها الناس فأنا الأشتر فانقلب نحوه طائفة وذهبت عنه طائفة فقال عضضتم بهن أباكم ما أقبح والله ما فعلتم اليوم أيها الناس غضوا الأبصار وعضوا على النواجذ واستقبلوا القوم بهامكم وشدوا عليهم شدة قوم موتورين بآبائهم وأبنائهم وإخوانهم حنقا على عدوهم قدوطنوا على الموت أنفسهم كى لا يسبقوا بثأر إن هؤلاء القوم والله لن يقاتلوكم إلا عن دينكم ليطفئوا السنة ويحيوا البدعة ويدخلوكم فى أمر قد أخرجكم الله منه بحسن البصيرة فطيبوا عباد الله نفسا بدمائكم دون دينكم فإن الفرار فيه سلب العز والغلبة على الفء وذل المحيا والممات وعار الدنيا والآخرة وسخط الله وأليم عقابه . ثم قال أيها الناس أخلصوا إلى مذحجا فاجتمعت إليه مذحج فقال لهم عضضتم بصم الجندل والله ما أرضيتم اليوم ربكم ولا نصحتم له فى عدوه وكيف ذلك وأنتم أبناء الحرب وأصحاب الغارات وفتيان الصباح وفرسان الطراد وحتوف الأقران ومذحج الطعان الذين لم يكونوا سبقوا بثأرهم ولم تطل دماؤهم ولم يعرفوا فى موطن من المواطن بخسف وأنتم سادة مصركم وأعز حى فى قومكم و ماتفعلوا فى هذا اليوم فهو مأثور بعد اليوم فاتقوا مأثور الحديث فى غد واصدقوا عدوكم اللقاء فإن الله مع الصابرين و الذى نفس مالك بيده ما من هؤلاء وأشار بيده إلى أهل الشام رجل على مثل جناح البعوضة من دين الله إن الله أنتم ما أحسنتم اليوم القراع احبسوا سواد وجهى يرجع فيه دمي عليكم هذا السواد الأعظم فإن الله لو قد فضه تبعه من بجانبيه كما يتبع السيل مقدمه . [صفحة

٢٠١] فقالوا خذ بنا حيث أحببت فصمد بهم نحو عظيمهم واستقبله أشباههم من همدان وهم نحو ثمانمائة مقاتل قدانهزموا آخر الناس وكانوا قد صبروا في ميمنة على ع حتى قتل منهم مائة وثمانون رجلا وأصيب منهم أحد عشر رئيسا كلما قتل منهم رئيس أخذ الراية آخر وهم بنو شريح الهمدانيون وغيرهم من رؤساء العشيرة فأول من أصيب منهم كريب بن شريح وشرحيل بن شريح ومرثد بن شريح وهبيرة بن شريح وهريم بن شريح وشهر بن شريح وشمر بن شريح قتل هؤلاء الإخوة الستة في وقت واحد. ثم أخذ الراية سفيان بن زيد ثم كرب بن زيد ثم عبد بن زيد فقتل هؤلاء الإخوة الثلاثة أيضا ثم أخذ الراية عمير بن بشر ثم أخوه الحارث بن بشر فقتلا جميعا ثم أخذ الراية أبو القلوص وهب بن كريب فقال له رجل من قومه انصرف يرحمك الله بهذه الراية ترحها الله فقد قتل الناس حولها فلا تقتل نفسك ولا من بقي معك فانصرفوا وهم يقولون ليت لنا عديدا من العرب يحالفونا على الموت ثم نستقدم نحن وهم فلا ننصرف حتى نظفر أونقتل فمروا بالأشتر وهم يقولون هذا القول فقال لهم الأشتر أنا أحالفكم وأعاقدكم على ألا نرجع أبدا حتى نظفر أونهلك فوقفوا معه على هذه النية والعزيمة فهذا معنى قول كعب بن جعيل وهمدان زرق تبتغي من تحالف. قال وزحف الأشتر نحو الميمنة وثاب إليه أناس تراجعوا من أهل الصبر والوفاء [صفحة ٢٠٢] والحياء فأخذ لا يصمد لكتيبة إلا كشفها ولا لجمع إلا حازه ورده فإنه وكذلك إذ امر بزياد بن النضر مستلحما فقال الأشتر هذا والله الصبر الجميل هذا والله الفعل الكريم إلى وقد كان هو وأصحابه في ميمنة العراق فتقدم فرفع رايته لهم فصبروا وقاتل حتى صرع ثم لم يلبث الأشتر إلا يسيرا كلا شيء حتى مر بهم يزيد بن قيس الأرحبي مستلحما أيضا محمولا فقال الأشتر من هذا قالوا يزيد بن قيس لماصرع زياد بن النضر دفع رايته لأهل الميمنة فقاتل تحتها حتى صرع فقال الأشتر هذا والله الصبر الجميل هذا والله الفعل الكريم أ لا يستحيى الرجل أن ينصرف أ يقتل ولم يقتل ولم يشف به على القتل. قال نصر وحدثنا عمرو عن الحارث بن الصباح قال كان بيد الأشتر يومئذ صفيحة له يمانية إذا طأها خلعت فيهما ماء ينصب و إذا رفعها يكاد يعشى البصر شعاعها ومر يضرب الناس بها قدما ويقول الغمرات ثم ينجلينا. [صفحة ٢٠٣] قال فبصر به الحارث بن جمهان الجعفي والأشتر مقنع في الحديد فلم يعرفه فدنا منه وقال له جزاك الله منذ اليوم عن أمير المؤمنين وعن جماعة المسلمين خيرا فعرفه الأشتر فقال يا ابن جمهان أمثلك يتخلف اليوم عن مثل موطنى هذا فتأمله ابن جمهان فعرفه وكان الأشتر من أعظم الرجال وأطولهم إلا أن فى لحمه خفة قليلة فقال له جعلت فداك لا والله ما علمت مكانك حتى الساعة ولا والله لا أفارقك حتى أموت. قال نصر وحدثنا عمرو عن الحارث بن الصباح قال رأى الأشتر يومئذ منقذا وحميرا ابنى قيس اليقظيان فقال منقذ لحمير ما فى العرب رجل مثل هذا إن كان ما أرى من قتاله على نية فقال له حمير وهل النية إلا ماترى قال إنى أخاف أن يكون يحاول ملكا. قال نصر وحدثنا عمرو عن فضيل بن خديج عن مولى الأشتر قال لما اجتمع مع الأشتر عظم من كان انهزم من الميمنة حرضهم فقال لهم عضوا على النواجذ من الأضراس واستقبلوا القوم بهامكم فإن الفرار من الزحف فيه ذهاب العز والغلبة على الفء وذو المحيا والممات وعار الدنيا والآخرة. [صفحة ٢٠٤] ثم حمل على صفوف أهل الشام حتى كشفهم فألحقهم بمضارب معاوية وذلك بين العصر والمغرب. قال نصر وحدثنا عمرو عن مالك بن أعين عن زيد بن وهب أن عليا ع لما رأى ميمنته قد عادت إلى موقفها ومصافها وكشفت من يازائها حتى ضاربوهم فى مواقفهم ومراكزهم أقبل حتى انتهى إليهم فقال إنى قدر أيت جولتكم وانحيازكم من صفوفكم يحوزكم الجفأة الطغاة وأعراب أهل الشام وأنتم لهاميم العرب والسنام الأعظم وعمار الليل بتلاوة القرآن وأهل دعوة الحق إذ ضل الخاطئون فلو لا إقبالكم بعد إداركم وكركم بعد انحيازكم وجب عليكم ماوجب على المولى يوم الزحف دبره وكنتم فيما أرى من الهالكين ولقد هون على بعض وجدى وشفى بعض لاعج نفسى إنى رأيتكم بأخرة حزتموهم كما حازوكم وأزلمتموهم عن مصافهم كما أزالوكم تحشونهم بالسيوف يركب أولهم آخرهم كالإبل المطرودة الهيم فالآن فاصبروا نزلت عليكم السكينة وثبتكم الله باليقين وليعلم المنهزم أنه يسخط ربه ويوبق نفسه وفى الفرار موجدة الله عليه والذل اللازم له وفساد العيش وأن

الفار لا يزيد الفرار في عمره ولا يرضى ربه فموت الرجل محقا قبل إتيان هذه الخصال خير من الرضا بالتلبس بها والإصرار عليها -رواية- ١-٢-رواية- ٥٦-٩٨١. قال نصر وحدثنا عمرو وقال حدثنا أبو علقمة الخثعمي أن عبد الله بن حنش الخثعمي رأس خثعم الشام أرسل إلى أبي كعب الخثعمي رأس خثعم العراق إن شئت توافقنا فلم نقتل فإن ظهر صاحبكم كنا معكم وإن ظهر صاحبنا كنتم معنا ولا يقتل [صفحة ٢٠٥] بعضنا بعضا فأبى أبو كعب ذلك فلما التقت خثعم وخثعم وزحف الناس بعضهم إلى بعض قال عبد الله بن حنش لقومه يامعشر خثعم إنا قد عرضنا على قومنا من أهل العراق المودعة صلء لأرحامها وحفظا لحقها فأبوا إلا قتالنا وقد بدءونا بالقطيعة فكفوا أيديكم عنهم حفظا لحقهم أبدا ما كفوا عنكم فإن قاتلوكم فقاتلوهم فخرج رجل من أصحابه فقال إنهم قد ردوا عليك رأيك وأقبلوا إليك يقاتلونك ثم برز فنأدى رجل يا أهل العراق فغضب عبد الله بن حنش قال اللهم قيض له وهب بن مسعود يعني رجلا من خثعم الكوفة كان شجاعا يعرفونه في الجاهلية لم يبارزه رجل قط إلا قتله فخرج إليه وهب بن مسعود فقتله ثم اضطربوا ساعة واقتتلوا أشد قتال فجعل أبو كعب يقول لأصحابه يامعشر خثعم خذوا أي ضربوا موضع الخدمة وهي الخلخال يعني اضربوهم في سوقهم فداده عبد الله بن حنش يا أبا كعب الكل قومك فأنصف قال إى والله وأعظم واشتد قتالهم فحمل شمر بن عبد الله الخثعمي من خثعم الشام على أبي كعب فطعنه فقتله ثم انصرف بيكى ويقول يرحمك الله أبا كعب لقد قتلتك في طاعة قوم أنت أمس بي رحما منهم وأحب إلى منهم نفسا ولكنى والله لا أدري ما أقول ولا أرى الشيطان إلا -قد فتنتنا ولا- أرى قريشا إلا وقد لعبت بنا قال ووثب كعب بن أبى كعب إلى رايه أبيه فأخذها ففقت عينه وصرع ثم أخذها شريح بن مالك الخثعمي فقاتل القوم تحتها حتى صرع منهم حول رايتهم نحو ثمانين رجلا وأصيب من خثعم الشام مثلهم ثم ردها شريح بن مالك بعد ذلك إلى كعب بن أبى كعب. قال نصر وحدثنا عمرو قال حدثنا عبد السلام بن عبد الله بن جابر أن رايه بجيلة في صفين مع أهل العراق كانت في أحمس مع أبى شداد قيس بن المكشوح بن [صفحة ٢٠٦] هلال بن الحارث بن عمرو بن عوف بن عامر بن على بن أسلم بن أحمس بن الغوث بن أنمار قالت له بجيلة خذ رايته فقال غيرى خير لكم منى قالوا لا نريد غيرك قال فو الله لئن أعطيتمونيها لأنتهى بكم دون صاحب الترس المذهب قالوا وكان على رأس معاوية رجل قائم معه ترس مذهب يستره من الشمس فقالوا اصنع ماشئت فأخذها ثم زحف بها وهم حوله يضربون الناس حتى انتهى إلى صاحب الترس المذهب وهو فى خيل عظيمة من أصحاب معاوية وكان عبد الرحمن بن خالد بن الوليد فاقتل الناس هناك قتالا شديدا وشد أبوشداد بسيفه نحو صاحب الترس فتعرض له رومى من دونه لمعاوية فضرب قدم أبى شداد فقطعها وضرب أبوشداد ذلك الرومى فقتله وأسرعته إليه الأسنة فقتل فأخذ الرايه بعده عبد الله بن قلع الأحمسي وارتجز وقال لا يبعد الله أباشداد || حيث أجاب دعوة المنادى وشد بالسيف على الأعادى || نعم الفتى كان لدى الطراد وفى طعان الخيل والجلاد. ثم قاتل حتى قتل فأخذها بعده أخوه عبد الرحمن بن قلع فقاتل حتى قتل ثم أخذها عفيف بن إياس الأحمسي فلم تزل بيده حتى تحاجز الناس. [صفحة ٢٠٧] قال نصر وحدثنا عمرو قال حدثنا عبد السلام قال قتل يومئذ من بنى أحمس حازم بن أبى حازم أخو قيس بن أبى حازم ونعيم بن شهيد بن التغلبية فأتى سمية ابن عمه نعيم بن الحارث بن التغلبية معاوية وكان من أصحابه فقال إن هذا القتل ابن عمى فهبه لى أدفنه فقال لا تدفنوهم فليسوا لذلك بأهل والله ما قدرنا على دفن عثمان بينهم إلا سرا قال والله لتأذن لى فى دفنه أو لألحقن بهم ولأدعنك قال ويحك ترى أشياخ العرب لانواريهم وأنت تسألنى فى دفن ابن عمك ادفنه إن شئت أودعه فأتاه فدفنه. قال نصر وحدثنا عمرو قال حدثنا أبوزهير العبسى عن النضر بن صالح أن رايه غطفان العراق كانت مع عياش بن شريك بن حارثة بن جندب بن زيد بن خلف بن رواحة فخرج رجل من آل ذى الكلاع فسأل المبارزة فبرز إليه قائد بن بكير العبسى فبارزه فشد عليه الكلاعى فأوهطه فقال أبوسليم عياش بن شريك لقومه إنى مبارز هذا الرجل فإن أصبت فرأسكم الأسود بن حبيب بن جمانة بن قيس بن زهير فإن أصيب فرأسكم هرم بن شتير بن عمرو بن جندب فإن أصيب فرأسكم

عبد الله بن ضرار من بنى حنظلة بن رواحة ثم مشى نحو الكلاعى فلحقه هرم بن شتير فأخذ بظهره و قال ليمسك رحم لا تبرز إلى هذا الطوال فقال هبلك الهبول وهل هو إلا الموت قال وهل الفرار إلا منه قال وهل منه بد و الله لأقتلنه أوليلحقنى [صفحة ٢٠٨] بقائد بن بكير فيرز له ومعه حجفة من جلود الإبل فدنا منه فإذا الحديد مفرغ على الكلاعى لايبين من نحره إلا مثل شراك النعل من عنقه بين بيضته ودرعه فضربه الكلاعى فقطع جحفته إلا نحا من شبر فضربه عياش على ذلك الموضع فقطع نخاعه فقتله وخرج ابن الكلاعى ثائرا بأبيه فقتله بكير بن وائل . قال نصر و حدثنا عمرو بن شمر عن الصلت بن زهير النهدي أن راية بنى نهد بالعراق أخذها مسروق بن الهيثم بن سلمة فقتل ثم أخذها صخر بن سمى فارتث ثم أخذها على بن عمير فقاتل حتى ارتث ثم أخذها عبد الله بن كعب فقتل ثم أخذها سلمة بن خديم بن جرثومة فارتث وصرع ثم أخذها عبد الله بن عمرو بن كبشة فارتث ثم أخذها أبو مسيح بن عمرو فقتل ثم أخذها عبد الله بن النزال فقتل ثم أخذها ابن أخيه عبد الرحمن بن زهير فقتل ثم أخذها مولاة مخارق فقتل حتى صارت إلى عبد الرحمن بن مخنف الأزدي . قال نصر فحدثنا عمرو قال حدثنا الصلت بن زهير قال حدثني عبد الرحمن بن مخنف قال صرع يزيد بن المغفل إلى جنبى فقتلت قاتله و قمت على رأسه ثم صرع أبو زينب بن عروة فقتلت قاتله و قمت على رأسه وجاءنى سفيان بن عوف فقال أقتلتم يزيد بن المغفل فقلت إى و الله [صفحة ٢٠٩] إنه لهذا الذى ترانى قائما على رأسه قال و من أنت حياك الله قلت أنا عبد الرحمن بن مخنف فقال الشريف الكريم حياك الله ومرحبا بك يا ابن عم أ فلاتدفعه إلى فأنا عمه سفيان بن عوف بن المغفل فقلت مرحبا بك أما الآن فنحن أحق به منك ولسنا بدافعيه إليك و أما ماعدا ذلك فلمعمرى أنت عمه ووارثه . قال نصر حدثنا عمرو قال حدثنا الحارث بن حصين عن أشياخ الأزدي أن مخنف بن سليم خطب لماندبت أزد العراق إلى قتال أزد الشام فقال الحمد لله والصلاة على محمد رسوله ثم قال إن من الخطب الجليل والبلاء العظيم إنا صرفنا إلى قومنا و صرفوا إلينا و الله ماهى إلا أيدينا نقطعها بأيدينا و ماهى إلا أجنحتنا نحذفها بأسيافا فإن نحن لم نفعل لم ناصح صاحبنا و لم نواس جماعتنا و إن نحن فعلنا فعزنا آلمنا و نارنا أخدمنا . و قال جندب بن زهير الأزدي و الله لو كنا آباؤهم ولدناهم أو كانوا آباؤنا ولدونا ثم خرجوا عن جماعتنا و طعنوا على إمامنا و وازروا الظالمين الحاكمين بغير الحق على أهل ملتنا و ديننا ما فترقنا بعد إن اجتمعنا حتى يرجعوا عما هم عليه و يدخلوا فيما ندعوهم إليه أو تكثر القتلى بيننا وبينهم . فقال مخنف أعزبك الله فى التيه و الله ما علمتك صغيرا و لا إلاكبيرا مشئوما و الله ما ميلنا فى الرأى بين أمرين قط أيهما نأتى و أيهما ندع فى جاهلية و لا إسلام [صفحة ٢١٠] إلا اخترت أعسرهما و أنكدهما أللهم أن تعافينا أحب إلى من أن تتبلىنا أللهم أعط كل رجل منا ما سألك . فتقدم جندب بن زهير فبارز أزديا من أزد الشام فقتله الشامى . قال نصر و حدثنا عمرو عن الحارث بن حصين عن أشياخ الحى أن عتبة بن جويرة قال يوم صفين لأهله و أصحابه ألا إن مرعى الدنيا قد أصبح هشيمًا و أصبح شجرها حصيدا و جديدها سملا و حلوها مرا ألا و إنى أنبئكم نبأ امرئ صادق أنى قد سئمت الدنيا و عزفت نفسى عنها و لقد كنت أتمنى الشهادة و أتعرض لها فى كل حين فأبى الله إلا أن يبلغنى هذا اليوم إلا و إنى متعرض ساعتى هذه لها و قد طمعت ألا أحرما فما تنظرون عباد الله من جهاد أعداء الله أخوف الموت القادم عليكم الداهب بنفوسكم أو من ضربه كف أو جبين بالسيف أتستبدلون الدنيا بالنظر إلى وجه الله و مرافقة النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين فى دار القرار ما هذا بالرأى السديد . ثم قال يا إخوتاه إنى قد بعثت هذه الدار بالدار التى أمامها و هذا وجهى إليها لا يبرح الله و جوهكم و لا يقطع أرحامكم . فتبعه أخواه عبد الله و عوف فقلا لانطلب ورق العيش دونك قبج الله الدنيا بعدك أللهم إنا نحتسب أنفسنا عندك . فاستقدموا جميعا و قاتلوا حتى قتلوا . [صفحة ٢١١] قال نصر و حدثنا عمرو قال حدثني رجل من آل الصلت بن خارجة أن تمينا لما ذهب لتهزم ذلك اليوم ناداهم مالك بن حرى النهشلى ضاع الضراب اليوم و الذى إنا له عبد يابنى تميم فقالوا أ لا ترى الناس قد انهزموا فقال ويحكم أفرارا و اعتذارا ثم نادى بالأحساب فجعل يكررها فقال له قوم منهم أتنادى ببناء الجاهلية إن هذا لا يحل فقال الفرار و يلکم أقبح إن لم تقاتلوا على

الدين واليقين فقاتلوا على الأحساب ثم جعل يقاتل ويرتجز فيقول إن تميما أخلفت عنك ابن مر || وقد أراهم وهم الحى الصبر
فإن يفروا أو يخيّموا لا أفر . فقتل مالك ذلك اليوم أخوه نهشل بن حرى التميمي يرثيه تطاول هذا الليل ما كاد ينجلى || كليل
التمام ما يريد انصراما وبت بذكري مالك بكآبه || أؤرق من بعد العشاء نياما أبى جزعى فى مالك غير ذكره || فلا تعذلىنى إن
جزعت أماما فأبكى أخى مادام صوت حمامة || يؤرق من وادى البطاح حماما وأبعث أنواحا عليه بسحرة || وتذرف عيناي
الدموع سجاما وأدعو سراة الحى تبكى لمالك || وأبعث نوحا يلتدمن قياما يقلن ثوى رب السماحة والحجا || وذو عزة يأبى بها
أن يضاما وفارس خيل لا تنازل خيله || إذا اضطرت نار العدو ضراما وأحيا عن الفحشاء من ذات كلة || يرى ما يهاب الصالحون
حراما [صفحہ ۲۱۲] وأجرأ من ليث بخفان مخدر || وأمضى إذ ارام الرجال صداما . وقال أيضا يرثيه بكى الفتى الأبيض
البهلول سنته || عند النداء فلانكسا ولا ورعا بكى على مالك الأضياف إذ نزلوا || حين الشتاء وعزالرسل فانقطعا ولم يجد
لقراهم غير مربعة || من العشار تزجى تحتها ربعا أهوى لها السيف صلتا وهى راتعة || فأوهن السيف عظم الساق فانجذعا
فجاءهم بعدرفد الناس أطيبها || وأشبع منهم من نام واضطجعا يافارس الروع يوم الروع قد علموا || وصاحب العزم لانكسا و
لا طبعا ومدرك التبل فى الأعداء يطلبه || وإن طلبت بتبل عنده منعوا قالوا أخوك أتى الناعى بمصرعه || فانشق قلبى غدة القول
فانصدعا ثم ارعوى القلب شيئا بعد طربته || والنفس تعلم أن قد أثبتت وجعا . قال نصر وحدثنا عمرو قال حدثنى يونس بن أبى
إسحاق قال قال لنا أدهم [صفحہ ۲۱۳] بن محرز الباهلى ونحن معه بأذرح هل رأى أحد منكم شمر بن ذى الجوشن فقال عبد
الله بن كبار النهدي وسعيد بن حازم البلوى نحن رأينا قال فهل رأيتما ضربه بوجهه قال نعم قال أنا والله ضربته تلك الضربة
بصفين . قال نصر وحدثنا عمرو قال قد كان خرج أدهم بن محرز من أصحاب معاوية إلى شمر بن ذى الجوشن فى هذا اليوم
فاختلفا ضربتين فضربه أدهم على جبينه فأسرع فيه السيف حتى خالط العظم وضربه شمر فلم يصنع شيئا فرجع إلى عسكره فشرب
ماء وأخذ رمحا ثم أقبل وهو يقول إنى زعيم لأخى باهله || بطعنه إن لم أمت عاجله وضربة تحت الوغى فاصله || شبيهة
بالقتل أوقاتله . ثم حمل على أدهم وهو يعرف وجهه وأدهم ثابت له لم ينصرف فطعنه فوقع عن فرسه وحال أصحابه دونه
فانصرف شمر وقال هذه بتلك . قال نصر وخرج سويد بن قيس بن يزيد الأرحبى من عسكر معاوية يسأل المبارزة فخرج إليه
من عسكر العراق أبو العمرطه قيس بن عمرو بن عمير بن يزيد وهو ابن عم سويد وكان كل منهما لا يعرف صاحبه فلما تقاربا
تعارفا وتواقفا وتساءلا . ودعا كل واحد منهما صاحبه إلى دينه فقال أبو العمرطه أما أنا فوالله الذى لا إله إلا هو لئن استطعت
لأضربن بسيفى هذه القبة البيضاء يعنى القبة التى كان فيها معاوية ثم انصرف كل واحد منهما إلى أصحابه . [صفحہ ۲۱۴] قال
نصر ثم خرج رجل من عسكر الشام من أزد شنوءه يسأل المبارزة فخرج إليه رجل من أهل العراق فقتله الأزدى فخرج إليه الأشر
فما ألبته أن قتله فقال قائل كان هذاريحا فصارت إعصارا . قال نصر وقال رجل من أصحاب على ع أما والله لأحملن على معاوية
حتى أقتله فركب فرسا ثم ضربه حتى قام على سنا بكة ثم دفعه فلم ينهنه شىء عن الوقوف على رأس معاوية فهرب معاوية
ودخل خباء فنزل الرجل عن فرسه ودخل عليه فخرج معاوية من جانب الخباء الآخر فخرج الرجل فى أثره فاستصرخ معاوية
بالناس فأحاطوا به وحالوا بينهما فقال معاوية ويحكم إن السيوف لم يؤذن لها فى هذا ولو لا ذلك لم يصل إليكم فعليكم
بالحجارة فرفضوه بالحجارة حتى همد فعاد معاوية إلى مجلسه قال نصر وحمل رجل من أصحاب على ع يدعى أبا أيوب وليس
بأبى أيوب الأنصارى على صف أهل الشام ثم رجع فوافق رجلا من أهل الشام صادرا قد حمل على صف أهل العراق ثم رجع
فاختلفا ضربتين فنفضه أبو أيوب بالسيف فأبان عنقه فثبت رأسه على جسده كما هو وكذب الناس أن يكون هو ضربه فأرأبهم
ذلك حتى إذا أدخلته فرسه فى صف أهل الشام ندر رأسه ووقع ميتا فقال على ع والله لأننا من ثبات رأس الرجل أشد تعجبا من
الضربة وإن كان إليها ينتهى وصف الواصفين . وجاء أبو أيوب فوقف بين يدى على ع فقال له أنت والله كما قال الشاعر وعلمنا

الضرب آباؤنا || ونحن نعلم أيضا بنينا . قال نصر فلما انقضى هذا اليوم بما فيه أصبحوا في اليوم الثامن من صفين والفيلقان متقابلان فخرج رجل من أهل الشام فسأل المبارزة فخرج إليه رجل من أهل العراق [صفحة ٢١٥] فاقتتلا بين الصفين قتالا شديدا ثم إن العراقي اعتنقه فوقعا جميعا وغار الفرسان ثم إن العراقي قهره فجلس على صدره وكشف المغفر عنه يريد ذبحه فإذا هو أخوه لأبيه وأمه فصاح به أصحاب علي ع ويحك أجهز عليه قال إنه أخى قالوا فاتركه قال لا والله حتى يأذن أمير المؤمنين فأخبر علي ع بذلك فأرسل إليه أن دعه فتركه فقام فعاد إلى صف معاوية . قال نصر وحدثنا محمد بن عبيد الله عن الجرجاني قال كان فارس معاوية الذي يعده لكل مبارز ولكل عظيم حريث مولاه و كان يلبس سلاح معاوية متشبهها به فإذا قاتل قال الناس ذاك معاوية وإن معاوية دعاه فقال له يا حريث اتق عليا وضع رمحك حيث شئت فأتاه عمرو بن العاص فقال يا حريث إنك والله لو كنت قرشيا لأحب لك معاوية أن تقتل عليا ولكن كره أن يكون لك حظها فإن رأيت فرصة فاقتحم قال وخرج علي ع في هذا اليوم أمام الخيل فحمل عليه حريث . قال نصر فحدثني عمرو بن شمر عن جابر قال برز حريث مولى معاوية هذا اليوم و كان شديدا أيدا ذا بأس لا يرام فصاح يا علي هل لك في المبارزة فأقدم أبا حسن إن شئت فأقبل علي ع وهو يقول -رواية- ١-٢- رواية- ٤٤-١٩٢ أنا علي و ابن عبدالمطلب || نحن لعمر الله أولى بالكتب [صفحة ٢١٦] منا النبي المصطفى غير كذب || أهل اللواء والمقام والحجب نحن نصرناه على كل العرب ثم خالطه فما أمهله أن ضربه ضربة واحدة فقطعه نصفين -رواية- ١-٥٧ . قال نصر فحدثنا محمد بن عبيد الله قال حدثني الجرجاني قال جزع معاوية على حريث جزعا شديدا وعاتب عمرا في إغرائه إياه بعلي ع وقال في ذلك شعرا حريث ألم تعلم وجهلك ضائر || بأن عليا للفوارس قاهر و أن عليا لم يبارزه فارس || من الناس إلا أقصدته الأظافر أمرتك أمرا حازما فعصيتني || فجدك إذ لم تقبل النصح عاثر ودلاك عمرو والحوادث جمه || غرورا و ماجرت عليك المقادر وظن حريث أن عمرا نصيحه || و قديهلك الإنسان من لا يحاذر . قال نصر فلما قتل حريث برز عمرو بن الحصين السكسكي فنادى يا أبا حسن هلم إلى المبارزة فأومأ ع إلى سعيد بن قيس الهمداني فبارزه فضره بالسيف فقتله . [صفحة ٢١٧] وقال نصر و كان لهمدان بلاء عظيم في نصره علي ع في صفين و من الشعر الذي لا يشك أن قائله علي ع لكثرة الرواة له -رواية- ١-٢-رواية- ١٣-١٢٣ دعوت فلبناني من القوم عصبه || فوارس من همدان غير لثام فوارس من همدان ليسوا بعزل || غداة الوغى من شاكر وشبام بكل رديني وعضب تخاله || إذا اختلف الأقوم شعل ضرام لهمدان أخلاق كرام تزينهم || وبأس إذا اقوا وحد خصام وجد وصدق في الحروب ونجدة || وقول إذا قالوا بغير أثم متى تأتهم في دارهم تستضيفهم || تبت ناعما في خدمة وطعام جزى الله همدان الجنان فإنها || سمم العدا في كل يوم زحام فلو كنت بوابا علي باب جنه || لقلت لهمدان ادخلوا بسلام قال نصر فحدثني عمرو بن شمر قال ثم قام علي ع بين الصفين ونادى يا معاوية يكررها فقال معاوية سلوه ماشأه قال أحب أن يظهر لي فأكلمه كلمة واحدة فبرز معاوية ومعه عمرو بن العاص فلما قارباه لم يلتفت إلى عمرو وقال لمعاوية ويحك علام يقتل الناس بيني وبينك ويضرب بعضهم بعضا ابرز إلى فأينا قتل صاحبه فالأمر له فالتفت معاوية إلى عمرو فقال ماترى يا أبا عبد الله قال قد أنصفك الرجل واعلم أنك إن نكلت عنه لم يزل سبه عليك و علي عقبك مابقي على ظهر الأرض عري فقال معاوية يا ابن العاص ليس مثلي يخدع عن نفسه و الله ما بارز ابن أبي طالب شجاع قط إلا وسقى الأرض من دمه ثم انصرف معاوية راجعا حتى انتهى إلى [صفحة ٢١٨] آخر الصفوف وعمرو معه فلما رأى علي ع ذلك ضحك وعاد إلى موقفه . قال نصر و في حديث الجرجاني أن معاوية قال لعمرو ويحك ما أحمقك تدعونني إلى مبارزته ودونى عك وجذام والأشعرون . قال نصر قال وحقدتها معاوية على عمرو باطنا وقال له ظاهرا ما أظنك قلت ماقلت يا أبا عبد الله إلامازحا فلما جلس معاوية مجلسه أقبل عمرو يمشى حتى جلس إلى جانبه فقال معاوية يا عمرو إنك قد قشرت لي العصا || برضاك لي وسط العجاج برازى يا عمرو إنك قد أشرت بظننه || حسب المبارز خطفة من بازى ولقد ظننتك قلت مزحة مازح || والهزل يحمله

مقال الهازى فإذا ألدى منتك نفسك حاكيا || قتلى جزاك بما نويت الجازى ولقد كشفت قناعها مذمومه || ولقد لبست بهائيب الخازى . فقال عمرو أيها الرجل أتجن عن خصمك وتتهم نصيحتك و قال مجيبا له معاوى إن نكلت عن البراز || وخفت فإنها أم المخازى معاوى ما اجترمت إليك ذنبا || ولا أنا فى ألدى حدث خازى [صفحه ٢١٩] و ما ذنبى بأن نادى على || وكبش القوم يدعى للبراز و لوبارزته بارزت ليشا || حديد الناب يخطف كل بازى وترعم أننى أضمرت غشا || جزانى بالذى أضمرت جازى . وروى ابن قتيبة فى كتابه المسمى عيون الأخبار قال أبو الأغر التميمى بينا أنا واقف بصفين مر بى العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب مكفرا بالسلاح وعينه تبصان من تحت المغفر كأنهما عينا أرقم ويده صفيحة يمانية يقبلها و هو على فرس له صعب فيينا هويمغته ويلين من عريكته هتف به هاتف من أهل الشام يعرف بعرار بن أدهم ياعباس هلم إلى البراز قال العباس فالنزول إذافانه إياس من القفول فتزل الشامى و هو يقول إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا || أوتزلون فإننا معشر نزل . وثنى العباس رجله و هو يقول ويصد عنك مخيلة الرجل العريض || موضحة عن العظم بحسام سيفك أولسانك والكلم || الأصيل كأرغب الكلم . ثم عصب فضلات درعه فى حجزته و دفع فرسه إلى غلام له أسود يقال له أسلم [صفحه ٢٢٠] كانى و الله أنظر إلى فلافل شعره ثم دلف كل واحد منهما إلى صاحبه فذكرت قول أبى ذؤيب فتنازلا و توافقا خيلاهما || وكلاهما بطل اللقاء مخدع . وكفت الناس أعنة خيولهم ينظرون ما يكون من الرجلين فتكافحا بسيفيهما مليا من نهارهما لا يصل واحد منهما إلى صاحبه لكمال لأتمه إلى أن لحظ العباس وهنا فى درع الشامى فأهوى إليه بيده فهتكه إلى ثنودته ثم عاد لمجاولته و قد أصحح له مفتق الدرع فضربه العباس ضربة انتظم بها جوانح صدره فخر الشامى لوجهه وكبر الناس تكبيرة ارتجت لها الأرض من تحتهم وسما العباس فى الناس فإذا قاتل يقول من ورائى قاتلوههم يُعَذَّبُهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَ يُخْزِيهِمْ وَ يَنْصُرُكُمْ عَلَيْهِمْ وَ يَشْفِي صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَ يُيْذِبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَ يَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ فَالتفت فإذا أمير المؤمنين فقال لى يا أباالأغر من المنازل لعدونا قلت هذا ابن أخيكم هذا العباس بن ربيعة فقال وإنه لهو ياعباس ألم أنهك و ابن عباس أن تخلا بمرآكز كما و أن تباشرا حربا قال إن ذلك كان قال فما عدا مما بدا قال يا أمير المؤمنين أفأدعى إلى البراز فلا أجيب قال نعم طاعة إمامك أولى من إجابة عدوك ثم تغيط واستطار حتى قلت الساعة الساعة ثم سكن وتظامن - قرآن - ٤١٠-٥٧٩ و رفع يديه مبتهلا فقال اللهم اشكر للعباس مقامه واغفر ذنبه إنى قد غفرت له فاغفر له - رواية - ١-٩١ قال ولهف معاوية على عرار و قال متى ينتطح فحل لمثله أيطل دمه لاها الله إذا أأ رجل يشرى نفسه لله يطلب بدم عرار فانتدب له رجلان من لخم [صفحه ٢٢١] فقال لهما اذهبا فأيكما قتل العباس برازا فله كذا فأتياه فدعواه للبراز فقال إن لى سيدا أريد أن أوامره فأتى عليا فأخبره الخبر فقال ع و الله لود معاوية أنه مابقى من بنى هاشم نافخ ضرمه إلا طعن فى بطنه إطفاء لنور الله ويأبى الله إلا أن يتم نوره و لو كره المشركون أما و الله ليملكنهم منا رجال و رجال يسومونهم الخسف حتى يحتفروا الآبار ويتكففوا الناس ويتكفوا على المساحى ثم قال ياعباس ناقلنى سلاحك بسلاحى - رواية - ١-٢ - رواية - ١٢-٣٠٤ فناقله ووثب على فرس العباس وقصد اللخمين فما شكا أنه هو فقالا إذن لك صاحبك فخرج أن يقول نعم فقال إذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا و إن الله على نصرهم لقدير فبرز إليه أحدهما فكأنما اختطفه ثم برز له الآخر فألحقه بالأول ثم أقبل و هو يقول الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ثم قال ياعباس خذ سلاحك وهات سلاحى فإن عاد لك أحد فعد إلى . قال فمنى الخبر إلى معاوية فقال قبح الله اللجاج إنه لعود ماركبه قط إلا أخذت . فقال عمرو بن العاص المخذول و الله اللخميان لا أنت فقال اسكت أيها الرجل وليست هذه من ساعاتك قال و إن لم يكن فرحم الله اللخمين و ما أراه يفعل قال فإن ذاك و الله أخسر لصفقتك وأضيق لحجزتك . قال قد علمت ذاك و لو لامصر لركبت المنجاة منها قال هى أعمتك ولولاها ألقيت بصيرا . [صفحه ٢٢٢] قال نصر بن مزاحم و حدثنا عمرو قال حدثنى فضيل بن خديج قال خرج رجل من أهل الشام يدعوا إلى المبارزة فخرج إليه

عبدالرحمن بن محرز الكندي ثم الطمحي فتجاولا ساعة ثم إن عبدالرحمن حمل على الشامي قطعنه في نقره نحره فصرعه ثم نزل إليه فسلبه درعه وسلاحه فإذا هو عبدأسود فقال إنما الله أخطرت نفسي بعبد أسود قال وخرج رجل من عك فسأل البراز فخرج إليه قيس بن فهران الكندي فما ألبته أن طعنه فقتله و قال لقد علمت عك بصفين أننا || إذا ماتا لقي الخيل نطعننا شزرا ونحمل رايات القتال بحقها || فنوردها بيضا ونصدرها حمرا . قال وحمل عبد الله بن الطفيل البكائي على صفوف أهل الشام فلما انصرف حمل عليه رجل من بني تميم يقال له قيس بن فهد الحنظلي اليربوعي فوضع الرمح بين كتفي عبد الله فاعترضه يزيد بن معاوية البكائي ابن عم عبد الله بن الطفيل فوضع الرمح بين كتفي التميمي و قال و الله لئن طعنته لأطعنك فقال عليك عهد الله لئن رفعت السنان عن ظهر صاحبك لترفعه عن ظهري قال نعم لك العهد والميثاق بذلك فرفع السنان عن ظهر عبد الله فرفع يزيد السنان عن التميمي فوقف التميمي و قال ليزيد ممن أنت قال من بني عامر قال جعلني الله فداكم أينما لقيناكم كراما أما و الله إنى لآخر أحد عشر رجلا من بني تميم قتلتموهم اليوم . قال نصر فبعد ذلك بدهر عتب يزيد على عبد الله بن الطفيل فأذكره ما صنع معه يوم صفين فقال [صفحه ٢٢٣] ألم ترني حاميت عنك مناصحا || بصفين إذ خلاك كل حميم ونهنت عنك الحنظلي و قدأتي || على سابع ذي مبعه وهزيم . قال نصر وخرج ابن مقيدة الحمار الأسدي و كان ذا بأس وشجاعه و هو من فرسان الشام فطلب البراز فقام المقطع العامري و كان شيخا كبيرا فقال على ع له اقعد فقال يا أمير المؤمنين لا تردني إما أن يقتلني فأعجل الجنة وأستريح من الحياة الدنيا في الكبر والههم أو أقتله فأريحك منه . و قال له ع ما سمك فقال المقطع قال مامعنى ذلك قال كنت أدعى هشيما فأصابتنى جراحة منكرة فدعيت المقطع منها فقال له ع اخرج إليه وأقدم عليه اللهم انصر المقطع على ابن مقيدة الحمار فحمل على ابن مقيدة الحمار فأدهشه لشدة الحمله فهرب و هو يتبعه حتى مر بمضرب معاوية حيث يراه والمقطع على أثره فجاوزا معاوية بكثير فلما رجع المقطع ورجع ابن مقيدة الحمار ناداه معاوية لقد شمس بك العراقي قال أما إنه قد فعل أيها الأمير ثم عاد المقطع فوقف في موقفه . قال نصر فلما كان عام الجماعة وبايع الناس معاوية سأل عن المقطع العامري حتى أدخل عليه و هو شيخ كبير فلما رآه قال آه لو لأنك على مثل هذه الحال لما أقلت مني قال نشدتك الله لإقتلني وأرحتنى من بؤس الحياة وأدبنتني إلى لقاء الله قال إنى لا أقتلك و إن بى إليك لحاجة قال ماهى قال أحب أن تؤاخذني قال أنا وإياكم افترقنا في الله فلا نجتمع حتى يحكم الله بيننا في الآخرة . [صفحه ٢٢٤] قال فزوجني ابنتك قال قدمنتك ما هو أهون على من ذلك قال فاقبل منى صلة قال لا حاجة لي فيما قبلك . قال فخرج من عنده و لم يقبل منه شيئا . قال نصر ثم التقى الناس فاقتلوا قتالا شديدا وحاربت طيئ مع أمير المؤمنين ع حربا عظيما وتداعت وارتجزت فقتل منها أبطال كثيرون وفقئت عين بشر بن العوس الطائي و كان من رجال طيئ وفرسانها فكان يذكر بعد ذلك أيام صفين فيقول وددت أنى كنت قتلت يومئذ ووددت أن عيني هذه الصحيحة فقتت أيضا و قال ألا ليت عيني هذه مثل هذه || و لم امش بين الناس إلا بقائد و ياليت رجلى ثم طنت بنصفها || و ياليت كفى ثم طاحت بساعدي و ياليتني لم أبق بعد مطرف || وسعد و بعد المستنير بن خالد فوارس لم تغد الحواضن مثلهم || إذا هي أبدت عن خدام الخرائد . قال نصر وأبليت محارب يومئذ مع أمير المؤمنين ع بلاء حسنا و كان عنتر بن عبيد بن خالد بن المحاربي أشجع الناس يومئذ فلما رأى أصحابه متفرقين ناداهم يامعشر قيس أطاعة الشيطان أبر عندكم من طاعة الرحمن ألا إن الفرار فيه معصية الله وسخطه و إن الصبر فيه طاعة و رضوانه أفتخارون سخط الله على رضوانه ومعصيته على طاعته ألا إنما الراحة بعد الموت لمن مات محتسبا لنفسه ثم يرتجز فيقول لا وألت نفس امرئ ولي الدبر || أنا الذى لا أنثنى و لا أفر [صفحه ٢٢٥] و لا يرى مع المعازيل الغدر وقاتل حتى ارتث . قال نصر وقاتلت النخع مع على ع ذلك اليوم قتالا شديدا وقطعت رجل علقمة بن قيس النخعي وقتل أخوه أبى بن قيس فكان علقمة يقول بعد ما أحب أن رجلى أصح ما كانت لما أرجو بها من حسن الثواب و كان يقول لقد كنت أحب أن أبصر أخى فى نومى فرأيتة فقلت له يا أخى ما الذى قدمتم عليه فقال لى

التقينا نحن و أهل الشام بين يدي الله سبحانه فاحتجنا عنده فحججناهم فما سررت بشيء منذ عقلت سرورى بتلك الرؤيا. قال نصر و حدثنا عمرو بن شمر عن سويد بن حبة البصرى عن الحضين بن المنذر الرقاشى قال إن ناسا أتوا عليا قبل الوقعة فى هذا اليوم فقالوا له إنا لانرى خالد بن المعمر السدوسى إلا قد كاتب معاوية و قدخشينا أن يلتحق به ويبايعه فبعث إليه على ع و إلى رجال من أشراف ربيعة فجمعهم فحمد الله وأثنى عليه و قال يامعشر ربيعة أنتم أنصارى ومجيبو دعوتى و من أوثق أحياء العرب فى نفسى و قدبلغنى أن معاوية قد كاتب صاحبكم هذا و هو خالد بن المعمر و قدأتيت به و جمعتكم لأشهدكم عليه و تسمعوا منى و منه ثم أقبل عليه فقال ياخالد بن المعمر إن كان مابلغنى عنك حقا فإنى أشهد من حضرنى من المسلمين أنك آمن حتى تلحق بالعراق أو بالحجاز أو بأرض لاسلطان لمعاوية فيها و إن كنت مكذوبا عليك فأبر صدورنا بإيمان نظمئن إليها فحلف له -رواية- ١-٢-رواية- ٨٨-ادامه دارد [صفحه ٢٢٦] خالد بالله مافعل و قال رجال منا كثير و الله يا أمير المؤمنين لو نعلم أنه فعل لقتلناه -رواية- از قبل ٩٤. و قال شقيق بن ثور السدوسى ماوفق الله خالد بن المعمر حين ينصر معاوية و أهل الشام على على و أهل العراق و ربيعة فقال له زياد بن خصفة يا أمير المؤمنين استوثق من ابن المعمر بالأيمان لا يغدر بك فاستوثق منه ثم انصرفوا. فلما تصاف الناس فى هذا اليوم وحمل بعضهم على بعض تضععت ميمنه أهل العراق فجاءنا على ع ومعه بنوه حتى انتهى إلينا فنادى بصوت عال جهير لمن هذه الرايات فقلنا رايات ربيعة فقال بل هى رايات الله عصم الله أهلها و صبرهم وثبت أقدامهم ثم قال لى و أنا حامل راية ربيعة يومئذ يافتى ألا تدنى رايتك هذه ذراعا فقلت بلى و الله وعشرة أذرع ثم ملت بها هكذا فأدنيته فقال لى حسبك مكانك . قال نصر و حدثنا عمرو قال حدثنى يزيد بن أبى الصلت التيمى قال سمعت أشياخ الحى من بنى تيم بن ثعلبة يقولون كانت راية ربيعة كلها كوفيتها وبصيرتها مع خالد بن المعمر السدوسى من ربيعة البصرة ثم نافسه فى الراية شقيق بن ثور من بكر بن وائل من أهل الكوفة فاصطلحا على أن يوليا الراية لحضين بن المنذر الرقاشى و هو من أهل البصرة أيضا وقالوا هذا فتى له حسب تعطيه الراية إلى أن نرى رأينا و كان الحضين يومئذ شابا حدث السن . قال نصر و حدثنا عمرو بن شمر قال أقبل الحضين بن المنذر يومئذ و هو غلام يزحف براية ربيعة وكانت حمراء فأعجب عليا ع زحفه و ثباته فقال -رواية- ١-٢-رواية- ٣٥-ادامه دارد [صفحه ٢٢٧] لمن راية حمراء يخفق ظلها || إذا قيل قدمها حضين تقدا و يدنو بها فى الصف حتى يزيرها || حمام المنايا تقطر الموت والدماء تراه إذا ما كان يوم عظيمه || أبى فيه لإعزة و تكرا ما جزى الله قوما صابروا فى لقائهم || لدى الناس حرا ما أعف وأكرما وأحزم صبيرا يوم يدعى إلى الوغى || إذا كان أصوات الكمأة تغمغما ربيعة أعنى إنهم أهل نجدة || وبأس إذا اقوا خميسا عرمرما و قدصبرت عك ولحم وحمير || لمذحج حتى لم يفارق دم دما ونادت جذام يال مذحج ويحك || جزى الله شرا أينما كان أظلما أما تتقون الله فى حرما تكم || و ما قرب الرحمن منها وعظما أذقنا ابن حرب طعننا و ضربنا || بأسيا فنا حتى تولى وأحجما وفر ينادى الزبرقان وظالما || ونادى كلاعا والكريب وأنعما وعمرا وسفينا وجهما ومالكا || وحوشب والغاوى شريحا وأظلما وكرز بن تيهان وعمرو بن جحدر || وصباحا القينى يدعو وأسلما -رواية- از قبل ١-٢-رواية- ٢-ادامه دارد . قلت هكذا روى نصر بن مزاحم وسائر الرواة وروا له ع الأبيات الستة الأولى وروا باقى الأبيات من قوله و قدصبرت عك للحضين بن المنذر صاحب الراية. قال نصر وأقبل ذو الكلاع فى حمير و من لف لفها ومعهم عبيد الله بن عمر -رواية- از قبل ١-٢-رواية- ٢-ادامه دارد [صفحه ٢٢٨] بن الخطاب فى أربعة آلاف من قراء أهل الشام وذو الكلاع فى حمير فى الميمنة وعبيد الله فى القراء فى الميسرة فحملوا على ربيعة وهم فى ميسرة أهل العراق وفيهم عبيد الله بن العباس حملة شديدة فتضععت رايات ربيعة. ثم إن أهل الشام انصرفوا فلم يمكثوا إلا قليلا حتى كروا ثانية وعبيد الله بن عمر فى أوائلهم يقول يا أهل الشام هذا الحى من العراق قتله عثمان بن عفان وأنصار على بن أبى طالب ولئن هزمتهم هذه القبيلة أدر كنتم تأركم من عثمان وهلك على و أهل العراق فشدوا على الناس شدة عظيمة فثبتت لهم ربيعة وصبرت صبورا حسنا إلا قليلا من

الضعفاء. فأما أهل الرايات وذوو البصائر منهم والحفاظ فثبتوا وقاتلوا قتالا شديداً و أما خالد بن المعمر فإنه لمارأى بعض أصحابه قد انصرفوا انصرف معهم فلما رأى أهل الرايات ثابتين صابرين رجع إليهم وصاح بمن انهزم وأمرهم بالرجوع فكان من يتهمه من قومه يقول إنه فر فلما رأنا قد ثبتنا رجع إلينا وقال هو لمارأيت رجالاتنا قد انهزموا رأيت أن أستقبلهم ثم أردتهم إلى الحرب فجاء بأمر مشتبه . قال نصر و كان في جملة ربيعة من عنزة وحدها أربعة آلاف مجفف . قلت لاريب عند علماء السيرة أن خالد بن المعمر كان له باطن سوء مع معاوية و أنه انهزم هذا اليوم ليكسر الميسرة على على ع ذكر ذلك الكلبي والواقدي وغيرهما ويدل على باطنه هذا أنه لما استظهرت ربيعة على معاوية و على صفوف أهل الشام فى اليوم الثانى من هذا أرسل معاوية إلى خالد بن المعمر أن كف عنى و لك إماره خراسان -رواية- از قبل -1-رواية-2-ادامه دارد [صفحه 229] ما بقيت فكف عنه فرجع بريعه و قد شارفوا أخذه من مضربه وسيأتى ذكر ذلك . قال نصر فلما رجع خالد بن المعمر واستوت صفوف ربيعة كما كانت خطبهم فقال يا معشر ربيعة إن الله تعالى قد أتى بكل رجل منكم من منبته ومسقط رأسه فجمعكم فى هذا المكان جمعاً لم تجتمعوا مثله قط منذ أفرشكم الله الأرض وإنكم إن تمسكوا أيديكم وتنكلوها عن عدوكم وتحولوا عن مصافكم لا يرضى الرب فعلكم ولا تعدموا معيراً يقول فضحت ربيعة الذمار وخاموا عن القتال وأتيت من قبلهم العرب فإياكم أن يتشاءم بكم اليوم المسلمون وإنكم إن تمضوا مقدمين وتصبروا محتسبين فإن الإقدام منكم عادة والصبر منكم سجية فاصبروا ونيتمكم صادقة تؤجروا فإن ثواب من نوى ما عند الله شرف الدنيا وكرامة الآخرة و الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً. فقام إليه رجل من ربيعة و قال قد ضاع و الله أمر ربيعة حين جعلت أمرها إليك تأمرنا ألا نحول و لا نزول حتى نقتل أنفسنا ونسفك دماءنا. فقام إليه رجال من قومه فتناولوه بقسيهم ولكروه بأيديهم وقالوا لخالد بن المعمر أخرجوا هذا من بينكم فإن هذا أن بقى فيكم ضرركم و إن خرج منكم لم ينقصكم عدداً هذا الذى لا ينقص العدد و لا يملأ البلد ترحك الله من خطيب قوم لقد جنبك الخير قبح الله ما جئت به . -رواية- از قبل -1-رواية-2-ادامه دارد [صفحه 230] قال نصر واشتد القتال بين ربيعة وحمير وعبيد الله بن عمر حتى كثرت القتلى وجعل عبيد الله يحمل و يقول أنا الطيب ابن الطيب فتقول له ربيعة بل أنت الخبيث ابن الطيب . ثم خرج نحو خمسمائة فارس أو أكثر من أصحاب على ع رء وسهم البيض وهم غائصون فى الحديد لا يرى منهم إلا الحدق وخرج إليهم من أهل الشام نحوهم فى العدة فاقتتلوا بين الصفيين و الناس و قوف تحت راياتهم فلم يرجع من هؤلاء و لا من هؤلاء مخبر لا عراقى و لا شامى قتلوا جميعاً بين الصفيين . قال نصر و حدثنا عمرو بن شمر عن جابر عن تميم قال نادى منادى أهل الشام ألا إن معنا الطيب ابن الطيب عبيد الله بن عمر فنادى منادى أهل العراق بل هو الخبيث ابن الطيب ونادى منادى أهل العراق ألا إن معنا الطيب ابن الطيب محمد بن أبى بكر فنادى منادى أهل الشام بل الخبيث ابن الطيب . قال نصر و كان بصفيين تل تلقى عليه جماجم الرجال فكان يدعى تل الجماجم فقال عقبه بن مسلم الرقاشى من أهل الشام -رواية- از قبل -1-رواية-2-ادامه دارد و لم أر فرساناً أشد حفيظة || وامنح منا يوم تل الجماجم غداة غدا أهل العراق كأنهم || نعم تلافى فى فجاج المخارم إذا قلت قدولوا ثوب كتيبة || مللمة فى البيض شمط المقادم وقالوا لنا هذا على فبايعوا || فقلنا صه بل بالسيوف الصوارم -رواية- از قبل -1-رواية-2-ادامه دارد . -رواية- از قبل -1-رواية-2-ادامه دارد [صفحه 231] و قال شيب بن ربيع التميمى -رواية- از قبل -1-رواية-2-ادامه دارد وقفنا لديهم يوم صفيين بالقنا || لدن غدوة حتى هوت لغروب وولى ابن حرب والرماح تنوشه || و قد أرضت الأسياف كل غضوب نجالدهم طورا وطورا نشلهم || على كل محبوك السراة شوب فلم أر فرساناً أشد حفيظة || إذغشى الآفاق رهج جنوب أكر وأحمى بالغطاريف والقنا || و كل حديد الشفرتين قضوب -رواية- از قبل -1-رواية-2-ادامه دارد . قال نصر ثم ذهب هذا اليوم بما فيه فأصبحوا فى اليوم التاسع من صفر و قد خطب معاوية أهل الشام و حرضهم فقال إنه قد نزل بكم من الأمر ماترون و حضركم ما حضركم فإذ انهدتم إليهم إن شاء الله فقدموا الدارع وأخروا الحاسر و صفوا الخيل

وأجنبوها وكونوا كقص الشارب وأعيرونا جماجمكم ساعة فإنما هو ظالم أو مظلوم وقد بلغ الحق مقطعه . قال نصر وروى الشعبي قال قام معاوية فخطب الناس بصفين في هذا اليوم فقال الحمد لله الذي دنا في علوه وعلا في دنوه وظهر وبطن وارتفع فوق كل ذي -رواية- از قبل -1-رواية-2-ادامه دارد [صفحه 232] منظر هو الأول والآخِر والظاهر والباطن يقضى فيفصل ويقدر فيغفر ويفعل ما يشاء إذا أراد أمرا أمضاه و إذا عزم على شيء قضاه لا يؤامر أحدا فيما يملك ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون والحمد لله رب العالمين على ما أحببنا وكرهنا وقد كان فيما قضاه الله إن ساقتنا المقادير إلى هذه البقعة من الأرض ولف بيننا وبين أهل العراق فنحن من الله بمنظر وقد قال الله سبحانه وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ. انظروا يا أهل الشام إنكم غدا تلقون أهل العراق فكونوا على إحدى ثلاث خصال إما أن تكونوا قوما طلبتم ما عند الله في قتال قوم بغوا عليكم فأقبلوا من بلادهم حتى نزلوا في بيضتكم وإما أن تكونوا قوما تطلبون بدم خليفتمكم وصهر نبيكم وإما أن تكونوا قوما تذبون عن نساءكم وأبنائكم فعليكم بتقوى الله والصبر الجميل أسأل الله لنا ولكم النصر و أن يفتح بيننا وبين قوما بالحق و هو خير الفاتحين . فقام ذو الكلاع فقال يا معاوية إنا نحن الصبر الكرام لانثنى عند الخصام بنو الملوك العظام ذوى النهى والأحلام لا يقربون الآثام . فقال معاوية صدقت . -رواية- از قبل -439 [صفحه 233] قال نصر وكانت التبعية في هذا اليوم كالتبعية في الذى قبله وحمل عبيد الله بن عمر في قراء أهل الشام ومعه ذو الكلاع في حمير على ربيعة وهى فى ميسرة على ع فقاتلوا قتالا شديدا فأتى زياد بن خصفة إلى عبد القيس فقال لهم لا بكر بن وائل بعد اليوم إن ذا الكلاع وعبيد الله أبادا ربيعة فانهضوا لهم و إلاهلكوا فركبت عبد القيس وجاءت كأنها غمامة سوداء فشدت أزر الميسرة فعضم القتال فقتل ذو الكلاع الحميرى قتله رجل من بكر بن وائل اسمه خندف وتضععت أركان حمير وثبت بعد قتل ذى الكلاع تحارب مع عبيد الله بن عمر وأرسل عبيد الله إلى الحسن بن على ع أن لى إليك حاجة فالقنى فلقية الحسن ع فقال له عبيد الله إن أباك قدوتر قريشا أولا وآخرا وقد شنته الناس فهل لك فى خلعه و أن تتولى أنت هذا الأمر فقال كلا والله لا يكون ذلك ثم قال يا ابن الخطاب والله لكأنى أنظر إليك مقتولا فى يومك أو غداك أما إن الشيطان قد زين لك و خدعك حتى أخرجك مخلقا بالخلق ترى نساء أهل الشام موقفك وسيصرعك الله و يبطحك لوجهك قتيلا. قال نصر فو الله ما كان إلا يياض ذلك اليوم حتى قتل عبيد الله و هو فى كتيبة رقطاء وكانت تدعى الخضرية كانوا أربعة آلاف عليهم ثياب خضر فمر الحسن ع فإذا رجل متوسد برجل قتيل قد ركز رمحه فى عينه وربط فرسه برجله فقال الحسن ع لمن معه انظروا من هذا فإذا رجل من همدان و إذا القليل عبيد الله بن عمر بن الخطاب قد قتله الهمدانى فى أول الليل و بات عليه حتى أصبح . قال نصر و قد اختلف الرواة فى قاتل عبيد الله فقالت همدان نحن قتلناه قتله هانىء بن الخطاب الهمدانى و ركز رمحه فى عينه و ذكر الحديث وقالت حضرموت نحن قتلناه قتله مالك بن عمرو الحضرمى وقالت بكر بن وائل نحن قتلناه قتله محرز [صفحه 234] بن الصحصح من بنى تيم اللات بن ثعلبة و أخذ سيفه الوشاح . فلما كان عام الجماعة طلب معاوية السيف من ربيعة الكوفة فقالوا إنما قتله رجل من ربيعة البصرة يقال له محرز بن الصحصح فبعث إليه معاوية فأخذ السيف منه . قال نصر و قد روى أن قاتله حريث بن جابر الحنفى و كان رئيس بنى حنيفة يوم صفين مع على ع حمل عبيد الله بن عمر على صف بنى حنيفة و هو يقول أنا عبيد الله ينمىنى عمر || خير قريش من مضى و من غبر إلا رسول الله و الشيخ الأغر || قد أبطأت عن نصر عثمان مضر والربيعون فلا أسقوا المطر || وسارع الحى اليمانون الغرر والخير فى الناس قديما يبتدر . فحمل عليه حريث بن جابر الحنفى و قال قد سارعت فى نصرها ربيعة || فى الحق والحق لها شريعة فاكفف فلست تارك الوقعة || فى العصبية السامعة المطيعة حتى تذوق كأسها الفظيعة وطعنه فصرعه . قال نصر فقال كعب بن جعيل التغلبى يرثى عبيد الله و كان كعب شاعر أهل الشام الأ- إنما تبكى العيون لفارس || بصفين أجلت خيله و هو واقف تبدل من أسماء أسياف وائل || و أى فتى لو أخطأته المتالف [صفحه 235] تركتم عبيد الله فى القاع مسلما || يمج دماء والعروق نوازف ينوء و تغشاه شآبيب من دم || كملاح فى

جيب القميص الكفائف دعاهن فاستسمعن من أين صوته || فأقبلن شتى والعيون ذوارف تحلن عنه زر درع حصينه || وينكر منه بعد ذاك معارف وقرت تميم سعدها وربابها || وخالفت الخضراء فيمن يخالف و قدصبرت حول ابن عم محمد || لدى الموت شهباء المناكب شارف بمرج ترى الرايات فيه كأنها || إذا جنحت للطعن طير عواكف فما برحوا حتى رأى الله صبرهم || وحتى أسرت بالأكف المصاحف جزى الله قتلانا بصفين خير ما || أثيب عباد غادرتها المواقف . قلت هذا الشعر نظمه كعب بن جعيل بعد رفع المصاحف وتحكيم الحكيم يذكرك فيه مامضى لهم من الحرب على عادة شعراء العرب والضمير فى قوله دعاهن فاستسمعن من أين صوته يرجع إلى نساء عبيد الله وكانت تحته أسماء بنت عطارد بن حاجب بن زرارة التميمي وبحرية بنت هانئ بن قبيصة الشيباني و كان عبيد الله قد أخرجهما معه إلى الحرب ذلك اليوم لينظرا إلى قتاله فوقفتا راجلتين و إلى أسماء بنت عطارد أشار كعب بن جعيل بقوله تبدل من أسماء أسياف وائل . والشعر يدل على أن ربيعة قتلتها لاهمدان و لاضر موت . ويدل أيضا على ذلك مارواه ابراهيم بن ديزيل الهمداني فى كتاب صفين قال شدت [صفحہ ۲۳۶] ربيعة الكوفة وعليها زياد بن خصفة على عبيد الله بن عمر ذلك اليوم و كان معاوية قد أقرع بين الناس فخرج سهم عبيد الله بن عمر على ربيعة فقتلته فلما ضرب فسطاط زياد بن خصفة بقى طنب من الأطناب لم يجدوا له وتدا فشدوه برجل عبيد الله بن عمر و كان ناحية فجروه حتى ربطوا الطنب برجله وأقبلت امرأته حتى وقفنا عليه فبكتا عليه وصاحتا فخرج زياد بن خصفة فقيل له هذه بحرية ابنة هانئ بن قبيصة الشيباني ابنة عمك فقال لها ما حاجتك يا ابنة أخى قالت تدفع زوجى إلى فقال نعم خذيه فجىء ببغل فحملته عليه فذكروا أن يديه ورجليه خطتا بالأرض عن ظهر البغل . قال نصر ومما رثى به كعب بن جعيل عبيد الله بن عمر قوله يقول عبيد الله لمابدت له || سحابة موت تقطر الحتف والدماء ألا يالقومى فاصبروا إن صبركم || أعف وأحجى عفة وتكرما فلما تدانى القوم خر مجدلا || صريعا تلاقى الترب كفيه والفما وخلف أطفالا يتامى أذله || وعرسا عليه تسكب الدمع أيما حلالا لها الخطاب لا يمنعهم || و قد كان يحمى غيره أن تكلموا . و قال الصلتان العبدى يذكركمقتل عبيد الله و أن حريث بن جابر الحنفى قتله ألا ياعبيد الله مازلت مولعا || ب بكر لها تهدي القرى والتهددا و كنت سفيها قد تعودت عادة || و كل امرئ جار على ماتعودا فأصبحت مسلوبا على شر آله || صريع القنا تحت العجاجة مفردا [صفحہ ۲۳۷] تشق عليك جيها ابنة هانئ || مسلبة تبنى الشجا والتلهددا وكانت ترى ذا الأمر قبل عيانه || ولكن حكم الله أهدي لك الردى وقالت عبيد الله لاتأت وائلا || فقلت لها لاتعجلي وانظري غدا فقد جاء ما قدمسها فتسلبت || عليك وأمسى الجيب منها مقددا حباك أخو الهيجا حريث بن جابر || بجياشة تحكى بهالنهر مزبدا كان حماة الحى بكر بن وائل || بذى الرمث أسد قد تبوان غرقدا . قال نصر فأما ذو الكلاع فقد ذكرنا مقتله و أن قاتله خندف البكرى . و حدثنا عمرو بن شمر عن جابر قال لما حمل ذو الكلاع ذلك اليوم بالفيلق العظيم من حمير على صفوف أهل العراق ناداهم أبو شجاع الحميرى و كان من ذوى البصائر مع على ع فقال يامعشر حمير تبت أيديكم أترون معاوية خيرا من على ع أضل الله سعيكم ثم أنت يا ذا الكلاع قد كنا نرى أن لك نية فى الدين فقال ذو الكلاع إيها يا أباشجاع و الله إنى لأعلم مامعاوية بأفضل من على ع ولكنى أقاتل على دم عثمان قال فأصيب ذو الكلاع حينئذ قتله خندف بن بكر البكرى فى المعركة . قال نصر فحدثنا عمرو قال حدثنا الحارث بن حصيرة أن ابن ذى الكلاع [صفحہ ۲۳۸] أرسل إلى الأشعث بن قيس رسولا يسأله أن يسلم إليه جثة أبيه فقال الأشعث إنى أخاف أن يتهمنى أمير المؤمنين فى أمره فأطلبه من سعيد بن قيس فهو فى الميمنة فذهب إلى معاوية فاستأذنه أن يدخل إلى عسكر على ع يطلب أباه بين القتلى فقال له إن عليا قد منع أن يدخل أحد منا إلى معسكره يخاف أن يفسد عليه جنده فخرج ابن ذى الكلاع فأرسل إلى سعيد بن قيس الهمداني يستأذنه فى ذلك فقال سعيد إنا لانمنعك من دخول العسكر إن أمير المؤمنين لايبالى من دخل منكم إلى معسكره فأدخل فدخل من قبل الميمنة فطاف فلم يجده ثم أتى الميسرة فطاف فلم يجده ثم وجدته و قدربطت رجله بطنب من أطناب بعض فساطيط العسكر

فجاء فوقف على باب الفسطاط فقال السلام عليكم يا أهل البيت فقيل له وعليك السلام فقال أتأذنون لنا فى طنب من أطناب فسطاطكم ومعه عبدأسود لم يكن معه غيره فقالوا قدأذنا لكم وقالوا له معذرة إلى الله وإليكم أماإنه لو لا بغيه علينا ما صنعنا به ماترون فنزل ابنه إليه فوجده قدانتفخ و كان من أعظم الناس خلقا فلم يطق احتمالاه فقال هل من فتى معوان فخرج إليه خندف البكرى فقال تنحوا عنه فقال ابنه و من الذى يحمله إذانتحنينا عنه قال يحمله قاتله فاحتمله خندف حتى رمى به على ظهر بغل ثم شده بالحبال فانطلقا به . قال نصر و قال معاوية لماقتل ذو الكلاع لأنا أشد فرحا بقتل ذى الكلاع منى بفتح مصر لو فتحتها قال لأن ذا الكلاع كان يحجر على معاوية فى أشياء كان يأمر بها. قال نصر فلما قتل ذو الكلاع اشتدت الحرب وشدت عك و لخم و جذام والأشعريون من أهل الشام على مذحج من أهل العراق جعلهم معاوية بإزائهم ونادى منادى عك [صفحه ٢٣٩] ويل لأم مذحج من عك || لتتركن أهمم تبكى نقتلهم بالطعن ثم الصك || بكل قرن باسل مصك فلارجال كرجال عك . فنادى منادى مذحج يالمذحج خدموا أى اضربوا السوق مواضع الخدمة وهى الخلاخيل فاعتزضت مذحج سوق القوم فكان فيه بوار عامتهم ونادى منادى جذام حين طحنت رحى القوم وخاضت الخيل والرجال فى الدماء. الله الله فى جذام ألاتذكرون الأرحام أفنيتم لخم الكرام والأشعريين وآل ذى حمام أين النهى والأحلام هذى النساء تبكى الأعلام . ونادى منادى عك ياعك أين المفر اليوم تعلم ماالخبر لأنكم قوم صبر كونوا كمجتمع المدر لا تشمتن بكم مضر حتى يحول ذا الخبر. ونادى منادى الأشعريين يامذحج من للنساء غدا إذافناكم الردى الله الله فى الحرمات أ ماتذكرون نساءكم والبنات أ ماتذكرون فارس والروم والأتراك لقد أذن الله فيكم بالهلاك . قال والقوم ينحز بعضهم بعضا ويتكادمون بالأفواه . قال نصر وحدثنى عمرو بن الزبير لقد سمعت الحضين بن المنذر يقول أعطانى [صفحه ٢٤٠] على ع ذلك اليوم راية ربيعة و قال باسم الله سر يا حاضين واعلم أنه لا تخفق على رأسك راية مثلها أبدا هذه راية رسول الله ص قال فجاء أبو عرفاء جبلة بن عطية الذهلى إلى الحضين و قال هل لك أن تعطينى الراية أحملها لك فيكون لك ذكرها و يكون لى أجرها فقال الحضين و ماغناى ياعم عن أجرها مع ذكرها قال إنه لاغنى بك عن ذلك ولكن أعرها عمك ساعة فما أسرع ما ترجع إليك قال الحضين فقلت إنه قد استقتل وإنه يريد أن يموت مجاهدا فقلت له خذها فأخذها ثم قال لأصحابه إن عمل الجنة كره كله وثقيل و إن عمل النار خف كله وخيىث إن الجنة لا يدخلها إلا الصابرون الذين صبروا أنفسهم على فرائض الله وأمره و ليس شىء مما افترض الله على العباد أشد من الجهاد هو أفضل الأعمال ثوبا عند الله فإذا رأيتمنى قد شدت فشدوا ويحكم أ ماتشتاقون إلى الجنة أ ماتحبون أن يغفر الله لكم فشدوا مع فقاتلوا قتالا شديدا فقتل أبو عرفاء رحمه الله تعالى و شدت ربيعة بعده شدة عظيمة على صفوف أهل الشام فنقضتها و قال مجزأة بن ثور أضربهم و لا أرى معاوية || الأبرج العين العظيم الحاوية هوت به فى النار أم هاويه || جاوره فيها كلاب عاويه أغوى طغاما لاهدته هاديه . قال نصر و كان حريث بن جابر يومئذ نازلا بين الصفيين فى قبة له حمراء يسقى أهل العراق اللبن والماء والسويق ويطعمهم اللحم والثريد فمن شاء أكل و من شاء شرب ففى ذلك يقول شاعرهم فلو كان بالدنا حريث بن جابر || لأصبح بحرا بالمفازة جاريا . [صفحه ٢٤١] قلت هذا حريث بن جابر هو الذى كتب معاوية إلى زياد فى أمره بعد عام الجماعة و حريث عامل لزياد على همدان أما بعد فاعزل حريث بن جابر عن عمله فما ذكرت موافقه بصفيين إلا كانت حزاة فى صدرى فكتب إليه زياد خفض عليك يا أمير المؤمنين فإن حريثا قد بلغ من الشرف مبلغا لا تزيدة الولاية و لا ينقصه العزل . قال نصر فاضطرب الناس يومئذ بالسيوف حتى تقطعت و تكسرت وصارت كالمناجل و تطاعنوا بالرماح حتى تقصفت و تناثرت أسنتها ثم جثوا على الركب فتحاثوا بالتراب يحثو بعضهم التراب فى وجه بعض ثم تعانقوا و تكادموا بالأفواه ثم تراموا بالصخر والحجارة ثم تحاجزوا فكان الرجل من أهل العراق يمر على أهل الشام فيقول كيف آخذ إلى رايات بنى فلان فيقولون ها هنا لاهداك الله ويمر الرجل من أهل الشام على أهل العراق فيقول كيف آخذ إلى راية بنى فلان فيقولون ها هنا لا حفظك الله و لا عافاك . قال نصر و قال معاوية

لعمر بن العاص أ ماترى يا أبا عبد الله إلى ما قد دفعنا كيف ترى أهل العراق غدا صانعين إنا لمعرض خطر عظيم فقال له إن أصبحت غدا ربيعة وهم متعطفون حول علي ع تعطف الإبل حول فحلها لقيت منهم جلادا صادقا وبأسا شديدا وكانت التي لا تعزى لها فقال معاوية أيجوز أنك تخوفنا يا أبا عبد الله قال إنك سألتني فأجبتك فلما أصبحوا في اليوم العاشر أصبحوا وبيعة محدة بعلي ع إحداق بياض العين بسوادها. [صفحة ٢٤٢] قال نصر فحدثني عمرو قال لما أصبح علي ع هذا اليوم جاء فوقف بين رايات ربيعة فقال عتاب بن لقيط البكري من بني قيس بن ثعلبة يامعشر ربيعة حاموا عن علي منذ اليوم فإن أصيب فيكم افتضحتم ألاترونه قائما تحت راياتكم وقال لهم شقيق بن ثور يامعشر ربيعة ليس لكم عذر عند العرب إن وصل إلى علي وفيكم رجل حتى فامنعوه اليوم واصدقوا عدوكم اللقاء فإنه حمد الحياة تكسبونه فتعاهدت ربيعة وتحالفت بالأيمان العظيمة منها تباع سبعة آلاف على ألا- ينظر رجل منهم خلفه حتى يردوا سرادق معاوية فقاتلوا ذلك اليوم قتالا شديدا لم يكن قبله مثله وأقبلوا نحو سرادق معاوية فلما نظر إليهم قد أقبلوا قال إذا قلت قدولت ربيعة أقلت || كئائب منها كالجبال تجالد . ثم قال لعمر بن يعمر ماترى قال أرى ألا تحت أحوالي اليوم فقام معاوية وخلى لهم سرادقه ورحله وخرج فارا عنه لائذا ببعض مضارب العسكر في أخريات الناس فدخله وانتهت ربيعة سرادقه ورحله وبعث إلى خالد بن المعمر إنك قد ظفرت ولك إمرة خراسان أن لم تتم فقطع خالد القتال ولم يتمه وقال لربيعة قد برت أيمانكم فحسبكم فلما كان عام الجماعة وباع الناس معاوية أمره معاوية على خراسان وبعثه إليها فمات قبل أن يبلغها. قال نصر في حديث عمرو بن سعد أن عليا ع صلى بهم هذا اليوم صلاة الغداة ثم زحف بهم فلما أبصروه قد خرج استقبالوه بزحوفهم فاقتلوا قتالا شديدا ثم إن خيل أهل الشام حملت على خيل أهل العراق فاقتطعوا من أصحاب علي ع ألف رجل أو أكثر فأحاطوا بهم وحالوا بينهم وبين أصحابهم فلم يروهم فنأدى [صفحة ٢٤٣] علي ع يومئذ ألا رجل يشرى نفسه لله ويبيع دنياه بأخرته فأتاه رجل من جعف يقال له عبدالعزیز بن الحارث على فرس أدهم كأنه غراب مقنع في الحديد لا يرى منه إلا عيناه فقال يا أمير المؤمنين مرني بأمرك فوالله لا تأمرني بشيء إلا صنعته فقال علي ع سمحت بأمر لا يطاق حفيظة || وصدقا وإخوان الوفاء قليل جزاك إله الناس خيرا فإنه || لعمرك فضل ما هناك جزيل يا أبا الحارث شد الله ركنك احمل على أهل الشام حتى تأتي أصحابك فتقول لهم إن أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم هللوا وكبروا من ناحيتكم ونهلل نحن ونكبر من هاهنا واحملوا من جانبكم ونحمل نحن من جانبنا على أهل الشام فضرب الجعفي فرسه حتى إذا قامه على أطراف سنا بكة حمل على أهل الشام المحيطين بأصحاب علي ع فطاعنهم ساعة وقاتلهم فأفرجوا له حتى خلص إلى أصحابه فلما رأوه استبشروا به وفرحوا وقالوا مافعل أمير المؤمنين قال صالح يقرئكم السلام ويقول لكم هللوا وكبروا واحملوا حملة شديدة من جانبكم ونهلل نحن ونكبر ونحمل من جانبنا ففعلوا ما أمرهم به وهللوا وكبروا وهلل علي ع وكبر هو وأصحابه وحمل على أهل الشام وحملوا هم من وسط أهل الشام فانفرج القوم عنهم وخرجوا و ما أصيب منهم رجل واحد ولقد قتل من فرسان الشام يومئذ زهاء سبع مائة إنسان قال علي ع من أعظم الناس اليوم غناء فقالوا أنت يا أمير المؤمنين فقال كلا ولكنه الجعفي. [صفحة ٢٤٤] قال نصر و كان علي ع لا يعدل ربيعة أحدا من الناس فشق ذلك على مضر وأظهروا لهم القبيح وأبدوا ذات أنفسهم فقال الحضين بن المنذر الرقاشي شعرا أغضبهم به من جملة أرى مضرا صارت ربيعة دونها || شعار أمير المؤمنين وذا الفضل فأبدوا لنا مما تجن صدورهم || هو السوء والبغضاء والحقد والغل فأبلوا بلانا أو أقروا بفضلنا || ولن تلحقونا الدهر ما حنت الإبل . فقام أبو الطفيل عامر بن وائلة الكناني وعمير بن عطار بن حاجب بن زرارة التميمي وقبيصة بن جابر الأسدي و عبد الله بن الطفيل العامري في وجوه قبائلهم فأتوا عليا ع فتكلم أبو الطفيل فقال أنا والله يا أمير المؤمنين مانحسد قوما خصهم الله منك بخير و إن هذا الحي من ربيعة قد ظنونا أنهم أولى بك منا فاعفهم عن القتال أياما واجعل لكل امرئ منا يوما يقاتل فيه فإننا إذا اجتمعنا اشتبه عليك بلاؤنا فقال علي ع نعم أعطيكم ما طلبتم وأمر ربيعة أن تكف عن القتال وكانت يازاء اليمن من صفوف

أهل الشام فغدا أبو الطفيل عامر بن واثله في قومه من كنانة وهم جماعة عظيمة فتقدم أمام الخيل و يقول طاعنوا وضاربوا ثم حمل وارتجز فقال قدضاربت في حربها كنانة || والله يجزيها به جنانه من أفرغ الصبر عليه زانه || أوغلب الجبن عليه شانته أو كفر الله فقد أهانه || غدا يعرض من عصى بنانه . [صفحہ ۲۴۵] فاقتتلوا قتالا شديدا ثم انصرف أبو الطفيل إلى علي ع فقال يا أمير المؤمنين إنك أنبأتنا أن أشرف القتل الشهادة وأحظى الأمر الصبر وقد والله صبرنا حتى أصبنا فقتلنا شهيد وحينا سعيد فليطلب من بقى ثار من مضى فإننا وإن كنا قد ذهب صفونا وبقى كدرنا فإن لنا ديننا لا يميل به الهوى ويقينا لا ترحمه الشبهة فأثنى علي ع عليه خيرا. ثم غدا في اليوم الثاني عمير بن عطارد بجماعة من بني تميم وهو يومئذ سيد مضر الكوفة فقال يا قوم إنى أتبع آثار أبي الطفيل فاتبعوا آثار كنانة ثم قدم رايته وارتجز فقال قدضاربت في حربها تميم || إن تميما خطبها عظيم لها حديث ولها قديم || إن الكريم نسله كريم دين قوييم وهوي سليم || إن لم تردهم رايته فلو مووا . ثم طعن بريته حتى خضبها وقاتل أصحابه قتالا شديدا حتى أمسوا وانصرف عمير إلى علي ع و عليه سلاحه فقال يا أمير المؤمنين قد كان ظني بالناس حسنا و قدرأيت منهم فوق ظني بهم قاتلوا من كل جهة وبلغوا من عفوهم جهد عدوهم وهم لهم إن شاء الله . ثم غدا في اليوم الثالث قبيصة بن جابر الأسدي في بني أسد و قال لأصحابه يابني أسد أما أنا فلا أقصر دون صاحبي و أما أنتم فذاك إليكم ثم تقدم بريته و قال قدحافظت في حربها بنو أسد || مامثلها تحت العجاج من أحد [صفحہ ۲۴۶] أقرب من يمن وأنأى من نكد || كأننا ركنا ثبير أو أحد لسنا بأوباش و لابيض البلد || لكننا المحه من ولد معد . فقاتل القوم إلى أن دخل الليل ثم انصرفوا . ثم غدا في اليوم الرابع عبد الله بن الطفيل العامري في جماعة هوازن فحارب بهم حتى الليل ثم انصرفوا . قال نصر فانتصفوا المضريه من الربعية وظهر أثرها وعرف بلاؤها و قال أبو الطفيل وحامت كنانة في حربها || وحامت تميم وحامت أسد وحامت هوازن يوم اللقا || فما خام منا ومنهم أحد لقينا الفوارس يوم الخميس || والعيد والسبت ثم الأحد لقينا قبائل أنسابهم || إلى حضرموت و أهل الجند فأمدادهم خلف آذانهم || و ليس لنا من سوانا مدد فلما تنادوا بأبائهم || دعونا معدا ونعم المعد فظننا نفلق هاماتهم || و لم نك فيهابيض البلد ونعم الفوارس يوم اللقا || فقل في عديد وقل في عدد وقل في طعان كفرغ الدلاء || وضرب عظيم كنار الوفد ولكن عصفتنا بهم عصفه || و في الحرب يمن و فيها نكد طحنا الفوارس وسط العجاج || وسقنا الزعانف سوق النقد [صفحہ ۲۴۷] وقلنا على لنا والد || ونحن له طاعة كالولد . قال نصر و حدثنا عمرو عن الأشعث بن سويد عن كردوس قال كتب عقبه بن مسعود عامل على على الكوفة إلى سليمان بن صرد الخزاعي و هو مع على بصفين أما بعد فإنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تغلحوا إذا أبدا فعليكم بالجهاد والصبر مع أمير المؤمنين و السلام . قال نصر و حدثنا عمرو بن سعد وعمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر قال قام علي ع فخطب الناس بصفين فقال الحمد لله على نعمه الفاضله على جميع من خلق من البر والفاجر و على حججه البالغة على خلقه من أطاعه فيهم و من عصاه أن يرحم بفضله و منه و إن عذب فيما كسبت أيديهم و إن الله ليس بظلام للعبيد أحمده على حسن البلاء و تظاهر النعماء و أستعينه على ما نابنا من أمر الدنيا والآخرة و أتوكل عليه و كفى بالله وكيلا ثم إنى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ارتضاه لذلك و كان أهله واصطفاه لتبليغ رسالته وجعله رحمة منه على خلقه فكان علمه فيه رءوفا -روايت- ۱-۲-روايت- ۷۰-ادامه دارد [صفحہ ۲۴۸] رحيمًا أكرم خلق الله حسبا وأجملهم منظرا وأسخاهم نفسا وأبرهم لوالدا وأوصلهم لرحم وأفضلهم علما وأثقلهم حلما وأوفاهم لعهد و آمنهم على عقد لم يتعلق عليه مسلم و لا كافر بمظلمة قط بل كان يظلم فيغفر ويقدر فيصفح حتى مضى ص مطيعا لله صابرا على ما أصابه مجاهدا في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ص فكان ذهابه أعظم المصيبة على أهل الأرض البر والفاجر ثم ترك فيكم كتاب الله يأمركم بطاعة الله وينهاكم عن معصيته و قدعهد إلى رسول الله عهدا فلست أحميد عنه و قدحضرتم عدوكم وعلمتم أن رئيسهم منافق يدعوهم إلى النار و ابن عم نبيكم معكم و بين أظهركم

يدعوكم إلى الجنة و إلى طاعة ربكم والعمل بسنة نبيكم و لاسواء من صلى قبل كل ذكر لم يسبقني بصلاة مع رسول الله أحد و أنا من أهل بدر و معاوية طليق و ابن طليق و الله أنا على الحق و إنهم على الباطل فلا يجتمعن على باطلهم و تتفرقوا عن حاكم حتى يغلب باطلهم حاكم قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم فإن لم تفعلوا يعذبهم بأيدي غيركم فقام أصحابه فقالوا يا أمير المؤمنين انهض بنا إلى عدونا و عدوك إذاشت فو الله ما نريد بك بدلا بل نموت معك و نحيا معك فقال لهم و ألقى نفسي بيده لنظر إلى النبي ص أضرب بين يديه بسيفي هذا فقال لاسيف إلا ذو الفقار و لافتي إلا على و قال لي يا على أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لاني بعدى -رواية- از قبل -1-رواية-2-ادامه دارد [صفحه 249] و موتك و حياتك يا على معي و الله ما كذب و لا كذبت و لا ضل و لا ضلت و لا ضل بي و لانسيت ما عهد إلى و إنى على بينة من ربي و على الطريق الواضح ألقه لقطا -رواية- از قبل -163 . ثم نهض إلى القوم فاقتتلوا من حين طلعت الشمس حتى غاب الشفق الأحمر و ما كانت صلاة القوم في ذلك اليوم إلا تكبيرا. قال و حدثنا عمرو بن شمر عن جابر عن الشعبي عن صعصعة بن صوحان قال برز في بعض أيام صفيين رجل من حمير من آل ذي يزن اسمه كريب بن الصباح ليس في الشام يومئذ رجل أشهر بالبأس و النجدة منه فنأدى من يبارز فخرج إليه المرتفع بن الوضاح الزبيدي فقتله ثم نادى من يبارز فخرج إليه الحارث بن الجلاح فقتله ثم نادى من يبارز فخرج إليه عابد بن مسروق الهمداني فقتله ثم رمى بأجسادهم بعضها فوق بعض و قام عليها بغيا و اعتداء و نادى من يبارز فخرج إليه على و ناداه و يحكك يا كريب إنى أحذرك الله و بأسه و نقمته و أدعوك إلى سنة الله و سنة رسوله و يحكك لا يدخلنك معاوية النار فكان جوابه له أن قال ما أكثر ما قد سمعت منك هذه المقالة و لاحتاجة لنا فيها أقدم إذاشت من يشتري سيفي و هذا أثره فقال على لاحول و لا قوة إلا بالله ثم مشى إليه فلم يمهل أن ضربه ضربة خر منها قتيلًا يشحط في دمه ثم نادى من يبرز فبرز إليه الحارث بن وداعة الحميري فقتله ثم نادى من يبرز فبرز إليه المطاع بن مطلب العنسي [صفحه 250] فقتله ثم نادى من يبرز فلم يبرز إليه أحد فنأدى يامعشر المسلمين الشهر الحرام بالشهر الحرام و الحرمان قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم و اتقوا الله و اعلموا أن الله مع المتقين و يحكك يا معاوية هلم إلى فبارزني و لا يقتلن الناس فيما بيننا فقال عمرو بن العاص اغتنمه منتها قد قتل ثلاثة من أبطال العرب و إنى أطمع أن يظفرك الله به فقال معاوية و الله لن تريد إلا أن أقتل فتصيب الخلافة بعدى اذهب إليك عنى فليس مثلى يخدع . قال نصر و حدثنا عمرو و قال حدثنا خالد بن عبد الواحد الجريري قال حدثني من سمع عمرو بن العاص قبل الوقعة العظمى بصفيين و هو يحرض أهل الشام و قد كان منحيا على قوس فقال الحمد لله العظيم في شأنه القوى في سلطانه العلى في مكانه الواضح في برهانه أحمده على حسن البلاء و تظاهر النعماء في كل رزية من بلاء أو شدة أورخاء و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أن محمدا عبده و رسوله ثم إنا نحتسب عند الله رب العالمين ما أصبح في أمة محمد ص من اشتعال نيرانها و اضطراب حبلها و وقوع بأسها بينها فإنا لله و إنا إليه راجعون و الحمد لله رب العالمين أ و لاتعلمون أن صلاتنا و صلواتهم و صيامنا و صيامهم و حجتنا و حجهم و قتلنا و قتلهم [صفحه 251] و ديننا و دينهم واحد ولكن الأهواء مختلفه اللهم أصلح هذه الأمة بما أصلحت به أولها و احفظ في ما بيننا مع أن القوم قد و طئوا بلادكم و نعوا عليكم فجدوا في قتال عدوكم و استعينوا بالله ربكم و حافظوا على حرمانكم ثم جلس قال نصر و خطب عبد الله بن العباس أهل العراق يومئذ فقال الحمد لله رب العالمين الذي دحا تحتنا سبعا و سمك فوقنا سبعا و خلق فيما بينهن خلقا و أنزل لنا منهن رزقا ثم جعل كل شىء قدرا يبلى و يفنى غير وجهه الحى القيوم الذي يحيا و يبقى إن الله تعالى بعث أنبياء و رسلا فجعلهم حججا على عباده عذرا أو نذرا لا يطاع إلا بعلمه و إذنه يمن بالطاعة على من يشاء من عباده ثم يثيب عليها و يعصى بعلم منه فيعفو و يغفر بحلمه لا يقدر قدره و لا يبلغ شىء مكانه أحصى كل شىء عددا و أحاط بكل شىء علما و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمدا عبده و رسوله إمام الهدى و النبي المصطفى و قد ساقنا قدر الله إلى ماترون حتى كان مما اضطرب من حبل هذه الأمة و انتشر من أمرها أن معاوية بن

أبى سفيان وجد من طعام الناس أعوانا على على ابن عم رسول الله وصهره وأول ذكر صلى معه بدرى قدشهد مع رسول الله ص كل مشاهدة التي فيهاالفضل ومعاقبة مشرك كان يعبد الأصنام و الذى ملك الملك وحده وبان به و كان أهله لقد قاتل على بن أبى طالب مع رسول الله و هو يقول صدق الله ورسوله ومعاقبة يقول كذب الله ورسوله فعليكم بتقوى الله والجد والحزم والصبر و الله إنا لنعلم -رواية- ١-٢-رواية- ١١-١١-ادامه دارد [صفحه ٢٥٢] إنكم لعلى حق و إن القوم لعلى باطل فلايكونن أولى بالجد على باطلهم منكم فى حقكم وإنا لنعلم أن الله سيعذبهم بأيديكم أو بأيدي غيركم اللهم أعنا و لاتخذلنا وانصرنا على عدونا و لاتحل عنا وافتح بيننا و بين قومنا بالحق و أنت خير الفاتحين -رواية- از قبل- ٢٥٢ قال نصر و حدثنا عمرو قال حدثنا عبدالرحمن بن جندب عن جندب بن عبد الله قال قام عمار يوم صفين فقال انهضوا معى عباد الله إلى قوم يزعمون أنهم يطلبون بدم ظالم إنما قتله الصالحون المنكرون للعدوان الآمرون بالإحسان فقال هؤلاء الذين لايبالون إذاسلمت لهم دنياهم و لودرس هذاالدين لم قتلتموه فقلنا لإحدائه فقالوا إنه لم يحدث شيئا و ذلك لأنه مكنهم من الدنيا فهم يأكلونها ويرعونها و لايبالون لوانهدمت الجبال و الله ماأظنهم يطلبون بدم ولكن القوم ذاقوا الدنيا فاستحلوها واستمرءوها و علموا أن صاحب الحق لووليهم لحال بينهم و بين ماأكلون ويرعون منها إن القوم لم يكن لهم سابقة فى الإسلام يستحقون بهاالطاعة و الولاية فخدعوا أتباعهم بأن قالوا قتل إمامنا مظلوما ليكونوا بذلك جابرة و ملوكا تلك مكيدة قذبلغوا بها ماترون ولولاها مابايعهم من الناس رجل اللهم إن تنصرنا فطالما نصرت و إن تجعل -رواية- ١-٢-رواية- ٨٢-٨٢-ادامه دارد [صفحه ٢٥٣] لهم الأمر فادخر لهم بما أحدثوا لعبادك العذاب الأليم ثم مضى و مضى معه أصحابه فدنا من عمرو بن العاص فقال ياعمرو بعث دينك بمصر فتبا لك و طالما بغيت للإسلام عوجا ثم قال اللهم إنك تعلم أنى لوأعلم أن رضاك فى أن أقذف بنفسى فى هذاالبحر لفعلت اللهم إنك تعلم أنى لوأعلم أن رضاك أن أضع ظبة سيفى فى بطنى ثم انحنى عليه حتى يخرج من ظهري لفعلت اللهم إنى أعلم مما علمتنى أنى لأعمل عملا صالحا هذااليوم هوأرضى من جهاد هؤلاء الفاسقين و لوأعلم اليوم عملا هوأرضى لك منه لفعلته -رواية- از قبل- ٥١٢ . قال نصر وحدثنى عمرو بن سعيد عن الشعبى قال نادى عمار عبد الله بن عمرو بن العاص فقال له بعث دينك بالدنيا من عدو الله و عدو الإسلام معاوية وطلبت هوى أبيك الفاسق فقال لا ولكنى أطلب بدم عثمان الشهيد المظلوم قال كلا أشهد على علمى فيك أنك أصبحت لا تطلب بشيء من فعلك وجه الله و أنك إن لم تقتل [صفحه ٢٥٤] اليوم فستموت غدا فانظر إذا أعطى الله العباد على نياتهم مانيتك . وروى ابن ديزيل فى كتاب صفين عن صيف الضبى قال سمعت الصعب بن حكيم بن شريك بن نملة المحاربى يروى عن أبيه عن جده شريك قال كان الناس من أهل العراق و أهل الشام يقتتلون أيام صفين و يتزايلون فلايستطيع الرجل أن يرجع إلى مكانه حتى يسفر الغبار عنه فاقتلوا يوما و تزايلوا و أسفر الغبار فإذا على تحت رايتنا يعنى بنى محارب فقال هل من ماء فأتيته بإداوة فختتها له ليشرب فقال لا إنا نهينا أن نشرب من أفواه الأسقية -رواية- ١-٢-رواية- ٩-٩٨ ثم علق سيفه و إنه لمخضب بالدم من ظبته إلى قائمه فصببت له على يديه فغسلهما حتى أنقاهما ثم شرب بيديه حتى إذاروى رفع رأسه ثم قال أين مضر فقلت أنت فيهم يا أمير المؤمنين فقال من أنتم بارك الله فيكم فقلنا نحن بنو محارب فعرف موقفه ثم رجع إلى موضعه . قلت خنت الإداوة إذأثيت فاهأ إلى خارج وإنما نهى رسول الله ص عن اختناث الأسقية لأن رجلا اختنت سقاء فشرب فدخل إلى جوفه حية كانت فى السقاء. قال ابن ديزيل وروى إسماعيل بن أبى أويس قال حدثنى عبدالملك بن قدامة بن ابراهيم بن حاطب الجمحى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال لى رسول الله ص كيف بك يا عبد الله إذأبقيت فى حثالة من الناس قدمرجت عهدهم وموآثيقهم وكانوا هكذا وخالف بين أصابعه فقلت تأمرنى بأمرك يا رسول الله قال تأخذ مما تعرف و تدع ما تنكر و تعمل بخاصة نفسك و تدع الناس وهوام أمرهم -رواية- ١-٢-رواية- ١٧٦-٤٢٣ . قال فلما كان يوم صفين قال له أبوه عمرو بن العاص يا عبد الله اخرج فقاتل فقال [صفحه

[٢٥٥] ياأبتاه أتأمرني أن أخرج فأقاتل و قدسمعت ماسمعت يوم عهد إلى رسول الله ص ماعهد فقال أنشدك الله يا عبد الله أ لم يكن آخر ماعهد إليك رسول الله ص أن أخذ بيدك فوضعها في يدي فقال أطع أباك فقال أللهم بلى قال فإني أعزم عليك أن تخرج فتقاتل فخرج عبد الله بن عمرو فقاتل يومئذ متقلدا سيفين قال و إن من شعر عبد الله بن عمرو بعد ذلك يذكر عليا بصفين فلو شهدت جمل مقامى ومشهدى || بصفين يوما شاب منها الذوائب عشيء جا أهل العراق كأنهم || سحاب ربيع رفعته الجنائب إذا قلت قدولت سراعاً بدت لنا || كتائب منهم وارجحت كتائب وجناتهم فرادى كأن صفوفنا || من البحر مدوجه متراكب فدارت رحانا واستدارت رحاهم || سراء النهار ماتولى المناكب فقالوا لنا إنا نرى أن تبايعوا || فقلنا بلى إنا نرى أن تضاربوا . وروى ابن ديزيل عن يحيى بن سليمان الجعفى قال حدثنا مسهر بن عبدالمملك بن سلع الهمداني قال حدثنى أبى عن عبدخير الهمداني قال كنت أنا و عبدخير فى سفر قلت يا أباعمارء حدثنى عن بعض ماكنتم فيه بصفين فقال لى يا ابن أخى و ماسؤالك فقلت أحببت أن أسمع منك شيئاً فقال يا ابن أخى إنا كنا لنصلى الفجر فنصف ويصف أهل الشام ونشرع الرماح إليهم ويشرعون بهانحونا أما لودخلت تحتها لأظلتك و الله يا ابن أخى إنا كنا لنقف ويقفون فى الحرب لانفتر و لايفترون حتى نصلى [صفحہ ٢٥٦] العشاء الآخرة مايعرف الرجل منا طول ذلك اليوم من عن يمينه و لا من عن يساره من شدة الظلمة والنقع الإبقرع الحديد بعضه على بعض فيبرز منه شعاع كشعاع الشمس فيعرف الرجل من عن يمينه و من عن يساره حتى إذاصلينا العشاء الآخرة جبرنا قتالنا إلينا فتوسدناهم حتى نصبح وجروا قتلاهم فتوسدوهم حتى يصبحوا قال قلت له يا أباعمارء هذا و الله الصبر. وروى ابن ديزيل قال كان عمرو بن العاص إذامر عليه رجل من أصحاب على فسأل عنه فأخبر به فقال يرى على ومعاوية أنهما بريئان من دم هذا. قال ابن ديزيل وروى ابن وهب عن مالك بن أنس قال جلس عمرو بن العاص بصفين فى رواق و كان أهل العراق يدفنون قتلاهم و أهل الشام يجعلون قتلاهم فى العباء والأكسية يحملونهم فيها إلى مدافنهم فكلما مر عليه برجل قال من هذا فيقال فلان فقال عمرو كم من رجل أحسن فى الله عظيم الحال لم ينج من قتله فلان وفلان قال يعنى عليا ومعاوية. قلت ليت شعرى لم برأ نفسه و كان رأسا فى الفتنة بل لولاه لم تكن ولكن الله تعالى أنطقه بهذا الكلام وأشباهه ليظهر بذلك شكه و أنه لم يكن على بصيرة من أمره . وروى نصر بن مزاحم قال حدثنى يحيى بن يعلى قال حدثنى صباح المزنى عن الحارث بن حصن عن زيد بن أبى رجاء عن أسماء بن حكيم الفزارى قال كنا بصفين مع على تحت راية عمار بن ياسر ارتفاع الضحى و قداستظللنا برداء أحمر إذ أقبل رجل يستقرى الصف حتى انتهى إلينا فقال أيكم عمار بن ياسر فقال عمار أناعمار قال أبواليقظان قال نعم قال إن لى إليك حاجة أفأنتطق بها [صفحہ ٢٥٧] سرا أوعلانية قال اختر لنفسك أيهما شئت قال لابل علانية قال فانطق قال إنى خرجت من أهلى مستبصرا فى الحق الذى نحن عليه لأشك فى ضلالة هؤلاء القوم وأنهم على الباطل فلم أزل على ذلك مستبصرا حتى ليلتى هذه فإنى رأيت فى منامى مناديا تقدم فأذن وشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله ص ونادى بالصلاة ونادى مناديهم مثل ذلك ثم أقيمت الصلاة فصلينا صلاة واحدة وتلونا كتابا واحدا ودعونا دعوة واحدة فأدركنى الشك فى ليلتى هذه فبت بلبلة لايعلمها إلا الله تعالى حتى أصبحت فأتيت أمير المؤمنين فذكرت ذلك له فقال هل لقيت عمار بن ياسر قلت لا قال فالقه فانظر ماذا يقول لك عمار فاتبعه فجتتك لذلك فقال عمار تعرف صاحب الراية السوداء المقابلة لى فإنها راية عمرو بن العاص قاتلتها مع رسول الله ص ثلاث مرات و هذه الرابعة فما هى بخيرهن و لا أبرهن بل هى شرهن وأفجرهن أشهدت بدرا وأحدا و يوم حنين أوشهدها أب لك فيخبرك عنها قال لا قال فإن مراكزنا اليوم على مراكز رايات رسول الله ص يوم بدر و يوم أحد و يوم حنين و إن مراكز رايات هؤلاء على مراكز رايات المشركين من الأحزاب فهل ترى هذاالعسكر و من فيه و الله لوددت أن جميع من فيه ممن أقبل مع معاوية يريد قتالنا مفارقا للذى نحن عليه كانوا خلقا واحدا فقطعته وذبحته و الله لدمائهم جميعا أحل من دم عصفور أفترى دم عصفور حراما قال لابل حلال قال فإنهم حلال كذلك أترانى بينت لك قال قدبينت لى

قال فاختر أى ذلك أحبيت . [صفحہ ۲۵۸] فانصرف الرجل فدعاه عمار ثم قال أما إنهم سيضربونكم بأسيافهم حتى يرتاب المبتلون منكم فيقولوا لو لم يكونوا على حق ما أظهروا علينا و الله ما هم من الحق على ما يقذى عين ذباب و الله لو ضربونا بأسيافهم حتى يبلغونا سعفات هجر لعلمنا أنا على حق وأنهم على باطل . قال نصر و حدثنا يحيى بن يعلى عن الأصمغ بن نباتة قال جاء رجل إلى على فقال يا أمير المؤمنين هؤلاء القوم الذين نقاتلهم الدعوة واحدة و الرسول واحد و الصلاة واحدة و الحج واحد فما ذا نسميهم قال سمهم بما سماهم الله فى كتابه قال ما كل ما فى الكتاب أعلمه قال أ ما سمعت الله تعالى يقول تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَى قَوْلِهِ وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَ لَكِنْ اِخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَ مِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ فَلَمَّا وَقَعَ الْاِخْتِلَافُ كُنَّا نَحْنُ أَوْلَى بِاللَّهِ وَ بِالْكِتَابِ وَ بِالنَّبِيِّ وَ بِالْحَقِّ فَنَحْنُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ شَاءَ اللَّهُ فَتَالَهُمْ فَقَاتِلَهُمْ بِمَشِيئَتِهِ وَ إِرَادَتِهِ -روایت- ۱-۲-روایت- ۵۸-۶۵۲

المجلد ۶

الجزء السادس

تممة الخطب والأوامر

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطاهرين

۶۶- و من كلام له ع فى معنى الأنصار

اشاره

قَالُوا لَمَا انْتَهَتْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَ أَنْبَاءَ السَّقِيْفَةِ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ص قَالَ ع مَا قَالَتِ الْأَنْصَارُ قَالُوا قَالَتْ مِنَّا أَمِيرٌ وَ مِنْكُمْ أَمِيرٌ قَالَ ع فَهَلَّا احْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إِلَى مُحْسِنِيهِمْ وَ يُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئَتِهِمْ قَالُوا وَ مَا فِى هَذَا مِنَ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ فَقَالَ ع لَوْ كَانَ الْإِمَامَةُ فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِهِمْ ثُمَّ قَالَ ع فَمَاذَا قَالَتْ قُرَيْشٌ قَالُوا احْتَجَّتْ بِأَنَّهَا شَجَرَةُ الرَّسُولِ ص فَقَالَ ع [صفحہ ۴] احْتَجَّجُوا بِالشَّجَرَةِ وَ أَضَاعُوا الثَّمَرَةَ قَدْ ذَكَرْنَا فِيمَا تَقَدَّمَ طَرَفًا مِنْ أَخْبَارِ السَّقِيْفَةِ فَأَمَّا هَذَا الْخَبْرُ الْوَارِدُ فِى الْوَصِيَّةِ بِالْأَنْصَارِ فَهُوَ خَيْرٌ صَحِيحٌ أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبَخَارِيُّ وَ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ الْقَشِيرِيُّ فِى مَسْنَدَيْهِمَا عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ مَرَّ أَبُو بَكْرٍ وَ الْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا بِمَجْلِسٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فِى مَرَضِ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ هُمْ يَبْكُونَ فَقَالَ مَا يَبْكِيكُمْ قَالُوا ذَكَرْنَا مُحَاسِنَ رَسُولِ اللَّهِ ص فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ص وَ أَخْبَرَاهُ بِذَلِكَ فَخَرَجَ ص وَ قَدِ عَصَبَ عَلَى رَأْسِهِ حَاشِيَةً بِرَدِّهِ فَصَعِدَ الْمَنْبِرَ وَ لَمْ يَصْعُدْهُ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمَ فَحَمِدَ اللَّهُ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ أَوْصِيكُمْ بِالْأَنْصَارِ فَإِنَّهُمْ كَرَشَى وَعَيْتَى وَ قَدْ قَضَوْا الَّذِى عَلَيْهِمْ وَ بَقِيَ الَّذِى لَهُمْ فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَ تَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئَتِهِمْ -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۲-۱۲۶ . فَأَمَّا كَيْفِيَّةُ الْاِحْتِجَاجِ عَلَى الْأَنْصَارِ فَقَدْ ذَكَرَهَا عَلَى ع وَ هِىَ أَنَّهُ لَوْ كَانَ ص مِمَّنْ يَجْعَلُ الْإِمَامَةَ فِيهِمْ لِأَوْصَى إِلَيْهِمْ وَ لَمْ يَوْصِ بِهِمْ . وَ إِلَى هَذَا نَظَرَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ وَ هُوَ الْمَسْمُومُ بِالْأَشْدَقِ فَإِنَّ أَبَاهُ لِمَامَاتٍ خَلْفَهُ غَلَامًا فَدَخَلَ إِلَى مَعَاوِيَةَ فَقَالَ إِلَى مِنْ أَوْصَى بِكَ أَبُوكَ فَقَالَ إِنَّ أَبَى أَوْصَى إِلَى وَ

لم يوص بي فاستحسن معاوية منه ذلك فقال إن هذا الغلام لأشدق فسمى الأشدق. فأما قول أمير المؤمنين احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة فكلام قد تكرر منه [صفحة ٥] ع أمثاله نحو قوله إذا احتج عليهم المهاجرون بالقرب من رسول الله ص كانت الحجة لنا على المهاجرين بذلك قائمة فإن فلجت حجتهم كانت لنا دونهم وإلا فالأنصار على دعوتهم -رواية ١- ٢-رواية- ١٢-١٦٩. ونحو هذا المعنى قول العباس لأبي بكر و أما قولك نحن شجرة رسول الله ص فإنكم جيرانها ونحن أغصانها

يوم السقيفة

ونحن نذكر خبر السقيفة روى أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري في كتاب السقيفة قال أخبرني أحمد بن إسحاق قال حدثنا أحمد بن سيار قال حدثنا سعيد بن كثير بن عفير الأنصاري أن النبي ص لما قبض اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة فقالوا إن رسول الله ص قد قبض فقال سعد بن عباد لابنه قيس أول بعض بنيه إني لأستطيع أن أسمع الناس كلامي لمرضى ولكن تلق مني قولي فأسمعهم فكان سعد يتكلم ويستمع ابنه ويرفع به صوته ليسمع قومه فكان من قوله بعد حمد الله والثناء عليه أن قال إن لكم سابقة إلى الدين وفضيلة في الإسلام ليست لقبيلة من العرب أن رسول الله ص لبث في قومه بضع عشرة سنة يدعوهم إلى عبادة الرحمن وخلع الأوثان فما آمن به من قومه إلا قليل والله ما كانوا يقدر أن يمنعوا رسول الله [صفحة ٦] ولا يعزوا دينه ولا يدفعوا عنه عداه حتى أراد الله بكم خير الفضيلة وساق إليكم الكرامة وخصكم بدينه ورزقكم الإيمان به وبرسوله والإعزاز لدينه والجهاد لأعدائه فكنتم أشد الناس على من تخلف عنه منكم وأثقله على عدوه من غيركم حتى استقاموا لأمر الله طوعا وكرها وأعطى البعيد المقادة صاغرا داخرا حتى أنجز الله لنييكم الوعد ودانت لأسيافكم العرب ثم توفاه الله تعالى وهو عنكم راض وبكم قرير عين فشدوا يديكم بهذا الأمر فإنكم أحق الناس وأولاهم به. فأجابوا جميعا أن وفقت في الرأي وأصبحت في القول ولن نعدو ما أمرت نوليكم هذا الأمر فأنت لنا مقنع ولصالح المؤمنين رضا. ثم إنهم ترادوا الكلام بينهم فقالوا إن أبت مهاجرة قريش فقالوا نحن المهاجرون وأصحاب رسول الله ص الأولون ونحن عشيرته وأولياؤه فعلام تنازعونا هذا الأمر من بعده فقالت طائفة منهم إذا نقول منا أمير ومنكم أمير لن نرضى بدون هذان منهم أبدا لنا في الإيواء والنصرة ما لهم في الهجرة ولنا في كتاب الله ما لهم فليسوا يعدون شيئا إلا - ونعد مثله وليس من رأينا الاستئثار عليهم فمننا أمير ومنهم أمير. فقال سعد بن عبادة هذا أول الوهن. وأتى الخبر عمر فأتى منزل رسول الله ص فوجد أبا بكر في الدار وعليها في جهاز رسول الله ص وكان الذي أتاه بالخبر مع بن عدى فأخذ بيد عمر وقال قم فقال عمر إني عنك مشغول فقال إنه لا بد من قيام فقام معه فقال له إن هذا الحي من الأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة معهم سعد بن عبادة يدورون حوله ويقولون أنت المرجى ونجلك المرجى و ثم أناس من [صفحة ٧] أشرافهم وقد خشيت الفتنة فانظر يا عمر ماذا ترى واذكر لإخوتك من المهاجرين واختاروا لأنفسكم فإني انظر إلى باب فتنة قد فتح الساعة إلا أن يغلقه الله ففزع عمر أشد الفزع حتى أتى أبا بكر فأخذ بيده فقال قم فقال أبو بكر إني عنك مشغول فقال عمر لا بد من قيام وسنرجع إن شاء الله. فقام أبو بكر مع عمر فحدثه الحديث ففزع أبو بكر أشد الفزع وخرجا مسرعين إلى سقيفة بني ساعدة وفيها رجال من أشراف الأنصار ومعهم سعد بن عبادة وهو مريض بين أظهرهم فأراد عمر أن يتكلم ويمهد لأبي بكر وقال خشيت أن يقصر أبو بكر عن بعض الكلام فلما نبس عمر كفه أبو بكر وقال على رسلك فتلق الكلام ثم تكلم بعد كلامي بما بدا لك فشهد أبو بكر ثم قال. إن الله جل ثناؤه بعث محمدا بالهدى ودين الحق فدعا إلى الإسلام فأخذ الله بقلوبنا ونواصينا إلى مادعانا إليه وكنا معاشر المسلمين المهاجرين أول الناس إسلاما والناس لنا في ذلك تبع ونحن عشيرة رسول الله ص وأوسط العرب أنسابا ليس من قبائل العرب إلا ولقريش فيها ولادة وأنتم أنصار الله وأنتم نصرتم رسول الله ص ثم

أنتم وزراء رسول الله ص وإخواننا في كتاب الله وشركاؤنا في الدين وفيما كنا فيه من خير فأنتم أحب الناس إلينا وأكرمهم علينا وأحق الناس بالرضا بقضاء الله والتسليم لماساق الله إلى إخوانكم من المهاجرين وأحق الناس ألا تحسدوهم فأنتم المؤثرون على أنفسهم حين الخصاصة وأحق الناس ألا يكون انتفاض هذا الدين واختلاطه على أيديكم وأنا أدعوكم إلى أبي عبيدة وعمر فكلاهما قدرصيت لهذا الأمر وكلاهما أراه له أهلا. [صفحة ٨] فقال عمر و أبو عبيدة ما ينبغي لأحد من الناس أن يكون فوقك أنت صاحب الغار ثاني اثنين وأمرك رسول الله بالصلاة فأنت أحق الناس بهذا الأمر. فقال الأنصار والله ما نحسدكم على خير ساقه الله إليكم ولا أحد أحب إلينا ولا أرضى عندنا منكم ولكننا نشفق فيما بعد هذا اليوم ونحذر أن يغلب على هذا الأمر من ليس منا ولا منكم فلو جعلتم اليوم رجلا منكم بايعنا ورضينا على أنه إذا هلك اخترنا واحدا من الأنصار فإذا هلك كان آخر من المهاجرين أبدا ما بقيت هذه الأمة كان ذلك أجدر أن نعدل في أمه محمدص فيشفق الأنصاري أن يزيغ فيقبض عليه القرشي ويشفق القرشي أن يزيغ فيقبض عليه الأنصاري. فقام أبوبكر فقال إن رسول الله ص لم يبعث عظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم فخالفوه وشاقوه وخص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه والإيمان به والمواساة له والصبر معه على شدة أذى قومه ولم يستوحشوا لكثرة عدوهم فهم أول من عبد الله في الأرض وهم أول من آمن برسول الله وهم أولياؤه وعترته وأحق الناس بالأمر بعده لا ينازعهم فيه إلا ظالم وليس أحد بعد المهاجرين فضلا وقدا في الإسلام مثلكم فحن الأمراء وأنتم الوزراء لانتماز دونكم بمشورة ولا نقضى دونكم الأمور. فقام الحباب بن المنذر بن الجموح فقال يا معشر الأنصار املكوا عليكم أيديكم إنما الناس في فيئكم وظلمكم ولن يجترئ مجترئ على خلافكم ولا يصدر الناس إلا عن أمركم أنتم أهل الإيواء والنصرة وإليكم كانت الهجرة وأنتم أصحاب الدار والإيمان والله ما عبد الله علانية إلا عندكم وفي بلادكم [صفحة ٩] ولا جمعت الصلاة إلا في مساجدكم ولا عرف الإيمان إلا من أسيافكم فاملكوا عليكم أمركم فإن أبي هؤلاء فمننا أمير ومنهم أمير. فقال عمر هيهات لا يجتمع سيفان في غمد إن العرب لا ترضى أن تؤمركم ونبيها من غيركم وليس تمتنع العرب أن تولى أمرها من كانت النبوة فيهم وأولو الأمر منهم لنا بذلك الحجة الظاهرة على من خالفنا والسلطان المبين على من نازعنا من ذا يخاصمنا في سلطان محمد وميراثه ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل بباطل أو متجانف لاثم أو متورط في هلكة. فقام الحباب وقال يا معشر الأنصار لا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصبيكم من الأمر فإن أبوا عليكم ما أعطيتموهم فاجلوهم عن بلادكم وتولوا هذا الأمر عليهم فأنتم أولى الناس بهذا الأمر إنه دان لهذا الأمر بأسيافكم من لم يكن يدين له أناجذيلها المحكك وعذيقها المرجب إن شتمت لنعيدنها جذعة والله لا يرد أحد على ما أقول إلا حطمت أنفه بالسيف. قال فلما رأى بشير بن سعد الخزرجي ما اجتمعت عليه الأنصار من تأمير سعد بن عباد و كان حاسدا له و كان من سادة الخزرج قام فقال أيها الأنصار إنا وإن كنا ذوى سابقة فإنا لم نرد بجهدنا وإسلامنا لإرضاء ربنا وطاعة نبينا ولا ينبغي لنا أن نستطيل بذلك على الناس ولا نبتغى به عوضا [صفحة ١٠] من الدنيا إن محمدا ص رجل من قريش وقومه أحق بميراث أمره وإيم الله لا يراني الله أنزعهم هذا الأمر فاتقوا الله ولا تنازعوهم ولا تخالفوهم. فقام أبوبكر وقال هذا عمر و أبو عبيدة بايعوا أيهما شتمت فقالا والله لا نتولى هذا الأمر عليك و أنت أفضل المهاجرين وثاني اثنين وخليفة رسول الله ص على الصلاة والصلاة أفضل الدين ابسط يدك نبايعك. فلما بسط يده وذها ببايعانه سبقهما بشير بن سعد فبايعه فناداه الحباب بن المنذر يا بشير عكك عقاق والله ما اضطرك إلى هذا الأمر إلا الحسد لابن عمك. و لمارأت الأوس أن رئيسا من رؤساء الخزرج قد بايع قام أسيد بن حضير و هورئيس الأوس فبايع حسدا لسعد أيضا ومنافسة له أن يلي الأمر فبايعت الأوس كلها لمبايع أسيد وحمل سعد بن عباد و هو مريض فأدخل إلى منزله فامتنع من البيعة في ذلك اليوم وفيما بعده وأراد عمر أن يكرهه عليها فأشير عليه ألا يفعل و أنه لا يبايع حتى يقتل و أنه لا يقتل حتى يقتل أهله ولا يقتل أهله حتى يقتل الخزرج و إن حوربت الخزرج كانت الأوس معها. وفسد الأمر فتركوه فكان لا يصلى بصلاتهم ولا يجمع بجماعتهم ولا يقضى بقضائهم و

لو وجد أعوانا لضاربهم فلم يزل كذلك حتى مات أبو بكر ثم لقي عمر في خلافته و هو على فرس وعمر على بعير فقال له عمر هيهات ياسعد فقال ياسعد هيهات يا عمر فقال أنت صاحب من أنت صاحبه قال نعم أنا ذاك ثم قال لعمر و الله ماجورني أحد هو أبغض إلى جوارا منك قال عمر فإنه من كره جوار رجل انتقل عنه فقال سعد إنى لأرجو أن أخليها لك عاجلا إلى جوار من هو أحب إلى [صفحته ١١] جوارا منك و من أصحابك فلم يلبث سعد بعد ذلك إلا قليلا حتى خرج إلى الشام فمات بحوران و لم يبايع لأحد إلا لأبي بكر و لالعمر و لالغيرهما. قال و كثر الناس على أبي بكر فبايعه معظم المسلمين في ذلك اليوم واجتمعت بنو هاشم إلى بيت علي بن أبي طالب و معهم الزبير و كان يعد نفسه رجلا من بني هاشم كان على يقول مازال الزبير منا أهل البيت حتى نشأ بنوه فصرفوه عنا. واجتمعت بنو أمية إلى عثمان بن عفان واجتمعت بنو زهرة إلى سعد و عبدالرحمن فأقبل عمر إليهم و أبو عبيدة فقال ما لي أراكم ملتائين قوموا فبايعوا أبا بكر فقد بايع له الناس و بايعه الأنصار فقام عثمان و من معه و قام سعد و عبدالرحمن و من معهما فبايعوا أبا بكر. و ذهب عمر و معه عصابة إلى بيت فاطمة منهم أسيد بن حضير و سلمة بن أسلم فقال لهم انطلقوا فبايعوا فأبوا عليه و خرج إليهم الزبير بسيفه فقال عمر عليكم الكلب فوثب عليه سلمة بن أسلم فأخذ السيف من يده فضرب به الجدار ثم انطلقوا به و بعلى و معها بنو هاشم و على يقول أنا عبد الله و أخو رسول الله ص حتى انتهوا به إلى أبي بكر فقيل له بايع فقال أنا حق بهذا الأمر منكم لا بأبيكم و أنتم أولى بالبيعة لى أخذتم هذا الأمر من الأنصار و احتجتم عليهم بالقرابة من رسول الله فأعطوكم المقادة و سلموا إليكم الإمارة و أنا أحتج عليكم بمثل ما احتجتم به على الأنصار فأنصفونا إن كنتم تخافون الله من أنفسكم و اعرفوا لنا من الأمر مثل ما عرفت الأنصار لكم و إلابوءوا بالظلم و أنتم تعلمون -رواية ١-٢-رواية ١٦-٤٤٣. فقال عمر إنك لست متروكا حتى تباع فقال له على احلب يا عمر حلبا لك شطره اشد له اليوم أمره ليرد عليك غدا إلا - و الله لا أقبل قولك و لا بأبيعه فقال له أبو بكر [صفحته ١٢] فإن لم تباعني لم أكرهك فقال له أبو عبيدة يا أبا الحسن إنك حديث السن و هؤلاء مشيخة قريش قومك ليس لك مثل تجربتهم و معرفتهم بالأمر و لا أرى أبا بكر إلا أقوى على هذا الأمر منك و أشد احتمالا له و اضطلاعا به فسلم له هذا الأمر و ارض به فإنك إن تعش و يطل عمرك فأنت لهذا الأمر خليق و به حقيق في فضلك و قرابتك و سابقتك و جهادك . فقال على يا معشر المهاجرين الله الله لا تخرجوا سلطان محمد عن داره و بيته إلى بيوتكم و دوركم و لا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس و حقه فو الله يا معشر المهاجرين لنحن أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم أما كان منا القارئ لكتاب الله الفقيه في دين الله العالم بالسنة المصطلح بأمر الرعية و الله إنه لفينا فلا تتبعوا الهوى فتردادوا من الحق بعدا -رواية ١-٢-رواية ١٤-٣٦٠. فقال بشير بن سعد لو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصار يا على قبل بيعتهم لأبى بكر ما اختلف عليك اثنان و لكنهم قد بايعوا و انصرف على إلى منزله و لم يبايع و لزم بيته حتى ماتت فاطمة فبايع . قلت هذا الحديث يدل على بطلان ما يدعى من النص على أمير المؤمنين و غيره لأنه لو كان هناك نص صريح لاحتج به و لم يجز للنص ذكر و إنما كان الاحتجاج منه و من أبى بكر و من الأنصار بالسوابق و الفضائل و القرب فلو كان هناك نص على أمير المؤمنين أو على أبى بكر لاحتج به أبو بكر أيضا على الأنصار و لاحتج به أمير المؤمنين على أبى بكر فإن هذا الخبر و غيره من الأخبار المستفيضة يدل على أنه قد كان كاشفهم و هتك القناع بينه و بينهم ألا تراه كيف نسبهم إلى التعدي عليه و ظلمه و تمنع من طاعتهم [صفحته ١٣] و أسمعهم من الكلام أشده و أغلظه فلو كان هناك نص لذكره أو ذكره بعض من كان من شيعته و حزبه لأنه لا يعطى بعد عروس . و هذا أيضا يدل على أن الخبر المروي في أبى بكر في صحيح البخارى و مسلم غير صحيح و هو مروي من قوله لعائشة في مرضه ادعى لى أباك حتى أكتب لأبى بكر كتابا فإنى أخاف أن يقول قائل أو يتمنى متمن و يأبى الله و المؤمنون إلا أبا بكر -رواية ١-٢-رواية ٤٣-١٦١ و هذا هو نص مذهب المعتزلة. و قال أحمد بن عبدالعزيز الجوهري أيضا حدثنا أحمد و قال حدثنا ابن عفير قال حدثنا أبو عوف عبد الله بن عبدالرحمن عن أبى جعفر محمد بن على رضى الله عنهما أن عليا حمل فاطمة

على حمار وسار بهاليلاً إلى بيوت الأنصار يسألهم النصره وتسألهم فاطمه الانتصار له فكانوا يقولون يا بنت رسول الله قدمضت بيعتنا لهذا الرجل لو كان ابن عمك سبق إلينا أبابكر ماعدلنا به فقال على أكنت أترك رسول الله ميتا في بيته لأجهزه وأخرج إلى الناس أنازعهم في سلطانه وقالت فاطمه ماصنع أبوحسن إلا ما كان ينبغي له وصنعوا هم ما الله حسبهم عليه -روايت- ١-٢- روايت- ١٦٣-٥٤٩ و قال أبوبكر أحمد بن عبدالعزيز و حدثنا أحمد قال حدثني سعيد بن كثير قال حدثني ابن لهيعة أن رسول الله ص لمات و أبوذر غائب و قدم و قدولى أبوبكر فقال أصبتم قناعه و تركتم قرابه لوجعلتم هذا الأمر في أهل بيت نبيكم لما اختلف عليكم اثنان -روايت- ١-٢- روايت- ٩٤-٢٥٤ [صفحه ١٤] قال أبوبكر وأخبرنا أبو زيد عمر بن شبة قال حدثنا أبو قبيصة محمد بن حرب قال لماتوفى النبي ص و جرى في السقيفة ماجرى تمثل على -روايت- ١-٢- روايت- ٧٩-١٣٤ وأصبح أقوام يقولون ما شتهوا || ويطغون لما غال زيدا غوائله

قصيدة أبي القاسم المغربي وتعصبه للأنصار على قريش

وحدثني أبو جعفر يحيى بن محمد بن زيد العلوي نقيب البصرة قال لما قدم أبو القاسم على بن الحسين المغربي من مصر إلى بغداد استكتبه شرف الدولة أبو على بن بويه و هو يومئذ سلطان الحضرة و أمير الأمراء بها والقادر خليفة ففسدت الحال بينه و بين القادر و اتفق لأبي القاسم المغربي أعداء سوء أوحشوا القادر منه وأوهموه أنه مع شرف الدولة في القبض عليه و خلعه من الخلافة فأطلق لسانه في ذكره بالقبيح وأوصل القول فيه والشكوى منه و نسبه إلى الرفض و سب السلف و إلى كفران النعمة و أنه هرب من يد الحاكم صاحب مصر بعد إحسانه إليه . قال النقيب أبو جعفر رحمه الله تعالى فأما الرفض فنعم و أما إحسان الحاكم إليه فلا كان الحاكم قتل أباه وعمه وأخا من إخوته وأفلت منه أبو القاسم بخديعة الدين و لوظفر به لألحقه بهم . قال أبو جعفر و كان أبو القاسم المغربي ينسب في الأزدي و يتعصب لقحطان على عدنان و للأنصار على قريش و كان غالبا في ذلك مع تشييعه و كان أديبا فاضلا شاعرا مترسلا و كثير الفنون عالما و انحدر مع شرف الدولة إلى واسط فاتفق أن حصل بيد القادر كتاب بخطه شبه مجموع قد جمعه من خطه و شعره و كلامه مسود أتحفه به بعض من كان يشنأ بأب القاسم و يريد كيد فوجد القادر في ذلك المجموع قصيدة من شعره فيها تعصب شديد للأنصار على المهاجرين حتى خرج إلى نوع من الإلحاد و الزندقة لإفراط غلوه [صفحه ١٥] و فيها تصريح بالرفض مع ذلك فوجدها القادر تمرة الغراب و أبرزها إلى ديوان الخلافة فقري المجموع و القصيدة بمحضر من أعيان الناس من الأشراف و القضاة و المعدلين و الفقهاء و يشهد أكثرهم أنه خطه و أنهم يعرفونه كما يعرفون وجهه و أمر بمكاتبة شرف الدولة بذلك فإلى أن وصل الكتاب إلى شرف الدولة بما جرى اتصل الخبر بأبي القاسم قبل وصول الكتاب إلى شرف الدولة فهرب ليلا و معه بعض غلمان و جارية كان يهواها و يتحطاها و مضى إلى البطحاء ثم منها إلى الموصل ثم إلى الشام و مات في طريقه فأوصى أن تحمل جثته إلى مشهد على فحملت في تابوت و معها خفراء العرب حتى دفن بالمشهد بالقرب منه ع . و كنت برهه أسأل النقيب أبا جعفر عن القصيدة و هو يدافعني بها حتى أملاها على بعضي و قد أوردت ها هنا بعضها لأنى لم أستجز و لم أستحل إيرادها على وجهها فمن جملتها و هو يذكر في أولها رسول الله ص و يقول إنه لو لا الأنصار لم تستقم لدعوته دعامة و لأرست له قاعدة في أبيات فاحشة كرهنا ذكرها نحن الذين بنا استجار فلم يضع || فينا و أصبح في أعز جوار بسيوفنا أمست سخيئة بركا || في بدرها كنجائر الجزائر و لنحن في أحد سمحنا دونه || بنفوسنا للموت خوف العار فنجأ بمهجته فلو لا ذنبا || عنه تنشب في مخالبا ضار و حمية السعدين بل بحماية السدين || يوم الجحفل الجرار في الخندق المشهور إذ ألقى بها || بيد ورام دفاعها بشمار قالا- معاذ الله إن هضيمه || لم نعظها في سالف الأعصار [صفحه ١٦] ما عندنا إلا السيوف

وأقبلا || نحو الحتوف بهابدار بدار ولنا بيوم حنين آثار متى || تذكر فهن كرائم الآثار لماتصدع جمعه فغدا بنا || مستصرخا بعقيرة وجوار عطف عليه كمانتا فتحصنت || منا جموع هوازن بفرار وفدته من أبناء قيلة عصبه || شروى النقيير وجننه البقار أفنح أولى بالخلافة بعده || أم عبدتيم حاملو الأوزار ما الأمر إلا أمرنا وبسعدنا || زفت عروس الملك غيرنوار لكنما حسد النفوس وشحها || وتذكر الأذحال والأوتار أفضى إلى هرج ومرج فانبرت || عشواء خابطه بغير نهار وتداولتها أربع لولا أبو || حسن لقلت لؤمت من إستار من عاجز ضرع و من ذى غلظه || جاف و من ذى لوثه خوار ثم ارتدى المحروم فضل ردائها || فغلت مراجل إحنة ونفار فتأكلت تلك الجذى وتلمظت || تلك الظبا ورقا أجيج النار تالله لوألقوا إليه زمامها || لمشى بهم سجحا بغير عثار و لوأنها حلت بساحة مجده || بادی بدا سكنت بدار قرار هو كالنبي فضيلة لكن ذا || من حظه كاس و هذا عار والفضل ليس بنافع أربابه || إلا بمسعدة من الأقدار ثم امتطاهها عبدشمس فاغتدت || هزوا وبدل ربها بخسار وتنقلت فى عصبه أموية || ليسوا بأطهار و لا أبرار [صفحة ١٧] ما بين مافون إلى مترندق || ومداهن ومضاعف و حمار. فهذه الأبيات هى نظيف القصيدة التقطناها وحذفنا الفاحش و فى الملتقط المذكور أيضا ما لا يجوز و هو قوله نحن الذين بنا استجار و قوله ألقى بها بيد و قوله فنجأ بمهجته البيت و قوله عن أبى بكر عبدتيم و قوله لولا على لقلت فى الأربعة أنهم إستار لؤم وذكره الثلاثة رضى الله عنهم بما ذكرهم ونسبهم إليه و قوله إن عليا كالنبي فى الفضيلة و قوله إن النبوة حظ أعطيه و حرمه على ع. فأما قوله فى بنى أمية ما بين مافون البيت فمأخوذ من قول عبد الملك بن مروان و قد خطب فذكر الخلفاء من بنى أمية قبله فقال إني و الله لست بالخليفة المستضعف و لا بالخليفة المداهن و لا بالخليفة المأفون عنى بالمستضعف عثمان و بالمداهن معاوية و بالمأفون يزيد بن معاوية فزاد هذا الشاعر فيهم اثنين وهما المترندق و هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك و الحمار و هو مروان بن محمد بن مروان

أمر المهاجرين والأنصار بعدبيعة أبى بكر

وروى الزبير بن بكار فى الموفقيات قال لمابيع بشير بن سعد أبابكر وازدحم الناس على أبى بكر فبايعوه مر أبوسفیان بن حرب بالبيت الذى فيه على بن أبى طالب ع فوقف وأنشد بنى هاشم لا تطعموا الناس فيكم || و لاسيما تيم بن مرة أوعدى فما الأمر إلا فيكم وإليكم || و ليس لها إلا أبو حسن على [صفحة ١٨] أباحسن فاشدد بها كف حازم || فإنك بالأمر الذى يرتجى ملئ و أى امرئ يرمى قصيا ورأيها || منيع الحمى و الناس من غالب قصى فقال على لأبى سفیان إنك تريد أمرا لسنا من أصحابه و قد عهد إلى رسول الله ص عهدا فأنا عليه -رواية ١-٢-رواية ٢٦-١٠٠ فتركه أبوسفیان وعدل إلى العباس بن عبدالمطلب فى منزله فقال يا أباالفضل أنت أحق بميراث ابن أخيك امدد يدك لأبايعك فلايختلف عليك الناس بعدبيعتى إياك فضحك العباس و قال يا أباسفیان يدفعا على ويطلبها العباس فرجع أبوسفیان خائبا. قال الزبير وذكر محمد بن إسحاق أن الأوس تزعم أن أول من بايع أبابكر بشير بن سعد وتزعم الخزرج أن أول من بايع أسيد بن حضير. قلت بشير بن سعد خزرجى وأسيد بن حضير أوسى وإنما تدافع الفريقان الروايتين تفاديا عن سعد بن عباد و كراهية كل حى منهما أن يكون نقض أمره جاء من جهة صاحبه فالخزرج هم أهله وقرايته لايقرون أن بشير بن سعد هو أول من بايع أبابكر وأبطل أمر سعد بن عباد و يجيلون بذلك على أسيد بن حضير لأنه من الأوس أعداء الخزرج و أما الأوس فتكره أيضا أن ينسب أسيد إلى أنه أول من نقض أمر سعد بن عباد كى لايرموه بالحسد للخزرج لأن سعد بن عباد خزرجى فيجيلون بانتقاض أمره على قبيلته وهم الخزرج ويقولون إن أول من بايع أبابكر ونقض دعوة سعد بن عباد بشير بن سعد و كان بشير أعور. و الذى ثبت عندى أن أول من بايعه عمر ثم بشير بن سعد ثم أسيد بن حضير ثم أبو عبيدة بن الجراح ثم سالم مولى أبى حذيفة. [صفحة ١٩] قال الزبير و قد كان مالا أبابكر وعمر

على نقض أمر سعد وإفساد حاله رجلا من الأنصار ممن شهد بدرا وهما عويم بن ساعدة ومعن بن عدى. قلت كان هذان الرجلان ذوى حب لأبى بكر فى حياة رسول الله ص واتفق مع ذلك بغض وشحناء كانت بينهما و بين سعد بن عبادة ولها سب مذكور فى كتاب القبائل لأبى عبيدة معمر بن المثنى فليطلب من هناك . وعويم بن ساعدة هو القائل لمانصب الأنصار سعدا يامعشر الخزرج إن كان هذا الأمر فيكم دون قريش فعرفونا ذلك وبرهنوا حتى نبايعكم عليه و إن كان لهم دونكم فسلموا إليهم فو الله ماهلك رسول الله ص حتى عرفنا أن أبابكر خليفة حين أمره أن يصلى بالناس فشمته الأنصار وأخرجوه فانطلق مسرعا حتى التحق بأبى بكر فشحذ عزمه على طلب الخلافة. ذكر هذا بعينه الزبير بن بكار فى الموفقيات . وذكر المدائنى والواقدي أن معن بن عدى اتفق هو وعويم بن ساعدة على تحريض أبى بكر وعمر على طلب الأمر و صرفه عن الأنصار قالا- و كان معن بن عدى يشخصهما إشخاصا ويسوقهما سوقا عنيفا إلى السقيفة مبادرة إلى الأمر قبل فواته . قال الزبير بن بكار فلما بويح أبوبكر أقبلت الجماعة التى بايعته تزفه زفا إلى مسجد رسول الله ص فلما كان آخر النهار افرقوا إلى منازلهم فاجتمع قوم من الأنصار وقوم من المهاجرين فتعابوا فيما بينهم فقال عبدالرحمن بن عوف يامعشر الأنصار إنكم و إن كنتم أولى فضل ونصر وسابقة ولكن ليس فيكم مثل أبى بكر ولا عمر ولا على ولا أبى عبيدة فقال زيد بن أرقم إنا لاننكر فضل من ذكرت [صفحہ ۲۰] يا عبدالرحمن و إن منا لسيد الأنصار سعد بن عبادة و من أمر الله رسوله أن يقرئه السلام و أن يأخذ عنه القرآن أبى بن كعب و من يجىء يوم القيامة أمام العلماء معاذ بن جبل و من أمضى رسول الله ص شهادته بشهادة رجلين خزيمه بن ثابت و إنا لنعلم أن ممن سميت من قريش من لو طلب هذا الأمر لم ينازعه فيه أحد على بن أبى طالب . قال الزبير فلما كان من الغد قام أبوبكر فخطب الناس و قال أيها الناس إنى وليت أمركم ولست بخيركم فإذا أحسنت فأعينونى و إن أسأت فقومونى إن لى شيطانا يعترينى فإياكم وإياى إذا غضبت لا أوثر فى أشعاركم وأبشاركم الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف منكم قوى حتى أرد إليه حقه والقوى ضعيف حتى آخذ الحق منه إنه لا يدع قوم الجهاد إلا ضربهم الله بالذل و لاتشيع فى قوم الفاحشة إلا عهمم البلاء أطيعونى ما أطعت الله فإذا عصيت فلا طاعة لى عليكم قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله . قال ابن أبى عمير القريشى شكرا لمن هو بالثناء حقيق || ذهب اللجاج وبويح الصديق من بعد ما زلت بسعد نعله || ورجا رجاء دونه العيوق حفت به الأنصار عاصب رأسه || فأتاهم الصديق والفاروق و أبو عبيدة والذين إليهم || نفس المؤمن للقاء تتوق كنا نقول لها على والرضا || عمر وأولاهم بذاك عتيق فدعت قريش باسمه فأجابها || إن المنوه باسمه الموثوق قل للألى طلبوا الخلافة زله || لم يخط مثل خطاهم مخلوق إن الخلافة فى قريش مالكم || فيها ورب محمد معروف [صفحہ ۲۱] . وروى الزبير بن بكار قال روى محمد بن إسحاق أن أبابكر لما بويح افتخرت تيم بن مرة قال و كان عامه المهاجرين و جل الأنصار لا يشكون أن عليا هو صاحب الأمر بعد رسول الله ص فقال الفضل بن العباس يامعشر قريش و خصوصا يابنى تيم إنكم إنما أخذتم الخلافة بالنبوة ونحن أهلها دونكم و لو طلبنا هذا الأمر الذى نحن أهله لكانت كراهة الناس لنا أعظم من كراهتهم لغيرنا حسدا منهم لنا وحقدا علينا و إنا لنعلم أن عند صاحبنا عهدا هو ينتهى إليه . و قال بعض ولد أبى لهب بن عبدالمطلب بن هاشم شعرا ما كنت أحسب أن الأمر منصرف || عن هاشم ثم منها عن أبى حسن أ ليس أول من صلى لقبلكم || وأعلم الناس بالقرآن والسنن وأقرب الناس بهذا بالنبى و من || جبريل عون له فى الغسل والكفن ما فيه ما فيهم لا يمترون به || و ليس فى القوم ما فيه من الحسن ماذا الذى ردهم عنه فنعلمه || ها إن ذا غبنا من أعظم الغبن . قال الزبير فبعث إليه على فنهاه وأمره ألا يعود و قال سلامة الدين أحب إلينا من غيره -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۰-۴۳ . [صفحہ ۲۲] قال الزبير و كان خالد بن الوليد شيعة لأبى بكر و من المنحرفين عن على فقام خطيبا فقال أيها الناس إنا رمينا فى بدء هذا الدين بأمر ثقل علينا و الله محمله وصعب علينا مرتقاه و كنا كأنا فيه على أوتار ثم و الله ما لبثنا أن خف علينا ثقله وذل لنا صعبه و عجبنا ممن شكك فيه بعد عجبنا ممن آمن به حتى أمرنا بما كنا ننهى عنه ونهينا عما كنا نأمر به و لا و الله ما سبقنا إليه بالعقول

ولكنه التوفيق ألا- وإن الوحي لم ينقطع حتى أحكم ولم يذهب النبي ص فستبدل بعده نبيا ولا بعد الوحي وحيا ونحن اليوم أكثر منا أمس ونحن أمس خير منا اليوم من دخل في هذا الدين كان ثوابه على حسب عمله و من تركه رددناه إليه وإنه والله ماصاحب الأمر يعني أبابكر بالمسئول عنه ولا المختلف فيه ولا الخفي الشخص ولا المغموز القنأة. فعجب الناس من كلامه ومدحه حزن بن أبي وهب المخزومي وهو الذي سماه رسول الله ص سهلا وهو جد سعيد بن المسيب الفقيه وقال وقامت رجال من قريش كثيره || فلم يك منهم في الرجال كخالد ترقى فلم يزاق به صدر نعله || وكف فلم يعرض لتلك الأوابد فجاء بهاغراء كالبدر ضوءها || فسميتها في الحسن أم القلائد أخالد لاتعدم لؤى بن غالب || قيامك فيها عند قذف الجلامد كسائك الوليد بن المغيرة مجده || وعلمك الأشياخ ضرب القماحد تقارع في الإسلام عن صلب دينه || وفي الشرك عن أحساب جد ووالد [صفحہ ۲۳] وكنت لمخزوم بن يقظة جنه || يعدك فيها ماجدا و ابن ماجد إذا ماسما في حربها ألف فارس || عدلت بألف عند تلك الشدائد و من يك في الحرب المثيرة واحدا || فما أنت في الحرب العوان بواحد إذ اناب أمر في قريش مخلج || تشيب له رءوس العذارى النواهد توليت منه ما يخاف و إن تغب || يقولوا جميعا حظنا غير شاهد . قال الزبير و حدثنا محمد بن موسى الأنصاري المعروف بابن مخرمه قال حدثني ابراهيم بن سعد بن ابراهيم بن عبدالرحمن بن عوف الزهري قال لما بويج أبوبكر واستقر أمره ندم قوم كثير من الأنصار على بيعته ولام بعضهم بعضا وذكروا على بن أبي طالب وهتفوا باسمه وإنه في داره لم يخرج إليهم وجزع لذلك المهاجرون وكثر في ذلك الكلام . و كان أشد قريش على الأنصار نفر فيهم وهم سهيل بن عمرو أحد بنى عامر بن لؤى والحارث بن هشام وعكرمة بن أبي جهل المخزوميان وهؤلاء أشراف قريش الذين حاربوا النبي ص ثم دخلوا في الإسلام و كلهم موتور قدوتره الأنصار أما سهيل بن عمرو فأسره مالك بن الدخشم يوم بدر و أما الحارث بن هشام فضربه عروة بن عمرو فجرحه يوم بدر و هوفار عن أخيه و أماعكرمة بن أبي جهل فقتل أباه ابنا عفراء وسلبه درعه يوم بدر زياد بن لييد و في أنفسهم ذلك . فلما اعتزلت الأنصار تجمع هؤلاء فقام سهيل بن عمرو فقال يامعشر قريش إن هؤلاء القوم قد سماهم الله الأنصار وأثنى عليهم في القرآن فلهم بذلك حظ عظيم وشأن غالب و قد دعوا إلى أنفسهم و إلى على بن أبي طالب و على [صفحہ ۲۴] في بيته لو شاء لردهم فادعوهم إلى صاحبكم و إلى تجديد بيعته فإن أجابوكم و إلاقا تلوهم فوالله إنى لأرجو الله أن ينصركم عليهم كما نصرتم بهم . ثم قام الحارث بن هشام فقال إن تكن الأنصار تبوأ الدار والإيمان من قبل و نقلوا رسول الله ص إلى دورهم من دورنا فأووا ونصروا ثم مارضوا حتى قاسمونا الأموال و كفونا العمل فإنهم قد لهجوا بأمر إن ثبتوا عليه فإنهم قد خرجوا مما سموا به و ليس بيننا وبينهم معاتبه إلا السيف و إن نزعوا عنه فقد فعلوا الأولى بهم والمظنون معهم . ثم قام عكرمة بن أبي جهل فقال و الله لو لا قول رسول الله ص الأئمة من قريش -روایت- ۱- ۲-روایت- ۲۲- ۳۸- ما أنكرنا أمره الأنصار و لكانوا لها أهلا ولكنه قول لاشك فيه و لا خيار و قد عجلت الأنصار علينا و الله ما قبضنا عليهم الأمر و لا أخرجناهم من الشورى و إن ألقى هم فيه من فلتات الأمور ونزغات الشيطان و ما لا يبلغه المنى و لا يحمله الأمل أعذروا إلى القوم فإن أبوا فقاتلوهم فوالله لو لم يبق من قريش كلها إلا رجل واحد لصير الله هذا الأمر فيه . قال وحضر أبو سفيان بن حرب فقال يامعشر قريش إنه ليس للأنصار أن يتفضلوا على الناس حتى يقرؤا بفضلنا عليهم فإن تفضلوا فحسبنا حيث انتهى بها و إلفحسبهم حيث انتهى بهم وإيم الله لئن بطروا المعيشة وكفروا النعمة لنضربنهم على الإسلام كما ضربوا عليه فأما على بن أبي طالب فأهل و الله أن يسود على قريش وتطيعه الأنصار. فلما بلغ الأنصار قول هؤلاء الرهط قام خطيبهم ثابت بن قيس بن شماس فقال يامعشر الأنصار إنما يكبر عليكم هذا القول لوقاله أهل الدين من قريش فأما إذا كان من أهل الدنيا لاسيما من أقوام كلهم موتور فلا يكبرن عليكم إنما الرأي [صفحہ ۲۵] والقول مع الأخيار المهاجرين فإن تكلمت رجال قريش والذين هم أهل الآخرة مثل كلام هؤلاء فعند ذلك قولوا ما أحببتم و إلفأمسكوا. و قال حسان بن ثابت يذكر ذلك تنادى سهيل و ابن حرب وحارث || وعكرمة الشاني

لنا ابن أبي جهل قتلنا أباه وانتزعنا سلاحه || فأصبح بالبطحا أذل من النعل فأما سهيل فاحتواه ابن دخشم || أسيرا ذليلا لا يمر و لا يحلى وصخر بن حرب قد قتلنا رجاله || غداة لوا بدر فمرجله يغلى وراكضنا تحت العجاجة حارث || على ظهر جرداء كباسقه النخل يقبلها طورا وطورا يحثها || ويعدلها بالنفس والمال والأهل أولئك رهط من قريش تبايعوا || على خطئه ليست من الخبط الفضل وأعجب منهم قابلو ذاك منهم || كانا اشتملنا من قريش على ذحل وكلهم ثان عن الحق عطفه || يقول اقتلوا الأنصار يابئس من فعل نصرنا وأوينا النبي و لم نخف || صروف الليالي والبلاء على رجل بذلنا لهم أنصاف مال أكفنا || كقسمة أيسار الجزور من الفضل و من بعد ذاك المال أنصاف دورنا || وكنا أناسا لانعير بالبخل ونحمي ذمار الحي فهر بن مالك || ونوقد نار الحرب بالحطب الجزل فكان جزاء الفضل منا عليهم || جهالتهم حمقا وما ذاك بالعدل فبلغ شعر حسان قريشا فغضبوا وأمروا ابن أبي عزة شاعرهم أن يجيبه فقال معشر الأنصار خافوا ربكم || واستجبروا الله من شر الفتن إننى أرهب حربا لاقحا || يشرق المرضع فيها باللبن جرها سعد وسعد فتنه || ليت سعد بن عباد لم يكن خلف برهوت خفيا شخصه || بين بصرى ذى رعين وجدن [صفحة ٢٦] ليس ما قدر سعد كائنا || ماجرى البحر وما دام حزن ليس بالقاطع منا شعرة || كيف يرجى خير أمر لم يحن ليس بالمدر ك منها أبدا || غير أضغاث أمانى الوسن . قال الزبير لما اجتمع جمهور الناس لأبى بكر أكرمت قريش معن بن عدى وعويم بن ساعدة و كان لهما فضل قديم فى الإسلام فاجتمعت الأنصار لهما فى مجلس ودعهما فلما أحضرا أقبلت الأنصار عليهما فغيروهما بانطلاقهما إلى المهاجرين وأكبروا فعلهما فى ذلك فتكلم معن فقال يامعشر الأنصار إن الذى أراد الله بكم خير مما أردتم بأنفسكم وقد كان منكم أمر عظيم البلاء وصغرته العاقبة فلو كان لكم على قريش ما لقريش عليكم ثم أردتموهم لما أرادوكم به لم آمن عليهم منكم مثل من آمن عليكم منهم فإن تعرفوا الخطأ فقد خرجتم منه و إلا فأنتم فيه . قلت قوله و قد كان منكم أمر عظيم البلاء وصغرته العاقبة يعنى عاقبة الكف والإمساك يقول قد كان منكم أمر عظيم و هو دعوى الخلافة لأنفسكم وإنما جعل البلاء معظما له لأنه لو لم يتعقبه الإمساك لأحدث فتنه عظيمة وإنما صغره سكونهم ورجوعهم إلى بيعة المهاجرين . و قوله و كان لكم على قريش إلى آخر الكلام معناه لو كان لكم الفضل على قريش كفضل قريش عليكم وادعت قريش الخلافة لها ثم أردتم منهم الرجوع عن دعواهم و جرت بينكم وبينهم من المنازعة مثل هذه المنازعة التى جرت الآن بينكم لم آمن عليهم منكم أن تقتلوهم وتقدموا على سفك دمائهم و لم يحصل لى من سكون النفس إلى [صفحة ٢٧] حلمكم عنهم وصبركم عليهم مثل ما أنا آمن عليكم منهم فإنهم صبروا وحلموا و لم يقدموا على استباحة حربكم والدخول فى دمائكم . قال الزبير ثم تكلم عويم بن ساعدة فقال يامعشر الأنصار إن من نعم الله عليكم أنه تعالى لم يرد بكم ما أردتم بأنفسكم فاحمدوا الله على حسن البلاء وطول العافية وصرف هذه البلية عنكم و قد نظرت فى أول فتنكم و آخرها فوجدتها جاءت من الأمانى والحسد واحذروا النقم فوددت أن الله صير إليكم هذا الأمر بحقه فكنا نعيش فيه . فوثبت عليهما الأنصار فاغلظوا لهما وفحشوا عليهما وانبرى لهما فروة بن عمرو فقال أنسيتما قولكما لقريش إنا قد خلفنا وراءنا قوما قد حلت دماؤهم بفتنتهم هذا و الله ما لا يغفر و لا ينسى قد تصرف الحية عن وجهها وسمها فى نابها فقال معن فى ذلك وقالت لى الأنصار إنك لم تصب || فقلت أما لى فى الكلام نصيب فقالوا بلى قل ما بدا لك راشدا || فقلت ومثلى بالجواب طيب تركتكم و الله لمارأيتكم || تيوسا لها بالحرتين نبيب تنادون بالأمر الذى النجم دونه || ألا كل شىء ماسواه قريب فقلت لكم قول الشفيق عليكم || وللقلب من خوف البلاء وجيب دعوا الرخص واثنوا من أعنة بغيكم || ودبوا فسير القاصدين ديب و خلوا قريشا والأمور و بايعوا || لمن بايعوه ترشدوا وتصيبوا [صفحة ٢٨] أراكم أخذتم حقتكم بأكفكم || و ما الناس إلا مخطئ ومصيب فلما أبيتتم زلت عنكم إليهم || وكنت كأنى يوم ذاك غريب فإن كان هذا الأمر ذنبى إليكم || فلى فيكم بعد الذنوب ذنوب فلا تبعثوا منى الكلام فإننى || إذاشتت يوما شاعر وخطيب وإنى لخلو تعتربنى مرارة || وملح أجاج تارة وشروب لكل امرئ عندى الذى

هو أهله || أفانين شتى والرجال ضروب . وقال عويم بن ساعده في ذلك وقالت لى الأنصار أضعاف قولهم || لمعن وذاك القول جهل من الجهل فقلت دعونى لا أبالأبيكم || فإنى أخوكم صاحب الخطر الفصل أنصاحب القول الذى تعرفونه || أقطع أنفاس الرجال على مهل فإن تسكتوا أسكت و فى الصمت راحة || و إن تنطقوا أصمت مقاتلكم تبلى و مالمت نفسى فى الخلاف عليكم || و إن كنتم مستجمعين على عدلى أريد بذاك الله لا شىء غيره || و ما عندرب الناس من درج الفضل و ما لى رحم فى قريش قريبه || و لادارها دارى و لأصلها أصلى ولكنهم قوم علينا أئمة || أدين لهم ما أنفذت قدمى نعلى و كان أحق الناس أن تقنعوا به || ويحتملوا من جاء فى قوله مثلى لأنى أخف الناس فيما يسركم || وفيما يسوء لأمر و لأحلى . قال فروة بن عمر و كان ممن تخلف عن بيعه أبى بكر و كان ممن جاهد مع [صفحہ ۲۹] رسول الله وقاد فرسين فى سبيل الله و كان يتصدق من نخله بألف وسق فى كل عام و كان سيذا و هو من أصحاب على و ممن شهد معه يوم الجمل قال فذكر معنا وعويما وعاتبهما على قولهما خلفنا وراءنا قوما قدحلت دماؤهم بفتنتهم ألا قل لمعن إذا جئته || و ذاك الذى شيخه ساعده بأن المقال الذى قلتما || خفيف علينا سوى واحده مقالكم إن من خلفنا || مراض قلوبهم فاسده حلال الدماء على فتنة || فيا بشما ربت الوالده فلم تأخذا قدر أثمانها || و لم تستفيدا بهافائده لقد كذب الله ما قلتما || و قديكذب الرائد الواعده . قال الزبير ثم إن الأنصار أصلحوا بين هذين الرجلين و بين أصحابهما ثم اجتمعت جماعة من قريش يوما وفيهم ناس من الأنصار وأخلاق من المهاجرين و ذلك بعد انصراف الأنصار عن رأيها وسكون الفتنة فاتفق ذلك عند قدوم عمرو بن العاص من سفر كان فيه فجاء إليهم فأفاضوا فى ذكر يوم السقيفة وسعد ودعواه الأمر فقال عمرو بن العاص و الله لقد دفع الله عنا من الأنصار عظيمة و لمادفع الله عنهم أعظم كادوا و الله أن يحلوا حبل الإسلام كما قاتلوا عليه ويخرجوا منه من أدخلوا فيه و الله لئن كانوا سمعوا قول رسول الله ص الأئمة من قريش -روايت- ۱-۲-روايت- ۲۲-۳۸ ثم ادعوا لقد هلكوا وأهلكوا و إن كانوا لم يسمعوا فما هم كالمهاجرين و لا كأبى بكر و لا المدينة [صفحہ ۳۰] كمكة و لقد قاتلونا أمس فغلبونا على البدء و لوقاتلناهم اليوم لغلبناهم على العاقبة فلم يجبه أحد وانصرف إلى منزله و قد ظفر فقال ألا- قل لأوس إذا جئتها || و قل كلما جئت للخزرج تمنيت الملك فى يثرب || فأنزلت القدر لم تنضج وأخذتجتم الأمر قبل التمام || وأعجب بذا المعجل المخدج تريدون نتج الحيال العشار || و لم تلقوه فلم ينتج عجت لسعد وأصحابه || و لو لم يهيجوه لم يهتج رجا الخزرجى رجا السراب || و قديخلف المرء ما يرتجى فكان كمنح على كفه || بكف يقطعها أهوج . فلما بلغ الأنصار مقالته وشعره بعثوا إليه لسانهم وشاعرهم النعمان بن العجلان و كان رجلا- أحمر قصيرا تزدرية العيون و كان سيذا فخما فأتى عمرا و هو فى جماعة من قريش فقال و الله ياعمر و ماكرهتم من حربنا إلا- ماكرهنا من حربكم و ما كان الله ليخرجكم من الإسلام بمن أدخلكم فيه إن كان النبى ص قال الأئمة من قريش فقد قال لوسلك الناس شعبا وسلك الأنصار شعبا لسلك شعبا الأنصار -روايت- ۱-۲-روايت- ۲۷-۱۰۹ و الله ما أخرجناكم من الأمر إذ قلنا منا أمير ومنكم أمير و أما من ذكرت فأبو بكر لعمرى خير من سعد لكن سعدا فى الأنصار أطوع من أبى بكر فى قريش فأما المهاجرون والأنصار فلأفرق بينهم أبدا ولكنك يا ابن العاص وترت بنى عبدمناف بمسيرك إلى الحبشة لقتل جعفر وأصحابه و وترت بنى مخزوم بإهلاك عمارة بن الوليد ثم انصرف فقال [صفحہ ۳۱] فقل لقريش نحن أصحاب مكة || و يوم حنين والفوارس فى بدر وأصحاب أحد والنضير وخيبر || ونحن رجعا من قريظة بالذكر و يوم بأرض الشام أدخل جعفر || وزيد و عبد الله فى علق يجرى و فى كل يوم ينكر الكلب أهله || نطاعن فيه بالمتفقه السمر ونضرب فى نقع العجاجة أرؤسا || بيض كأمثال البروق إذا تسرى نصرنا وآوينا النبى و لم نخف || صروف الليالى والعظيم من الأمر و قلنا لقوم هاجروا قبل مرحبا || وأهلا وسهلا قد أمتتم من الفقر نقاسمكم أموالنا وبيوتنا || كقسمة أيسار الجزور على الشطر ونكفيكم الأمر الذى تكرهونه || وكنا أناسا نذهب العسر باليسر وقلتم حرام نصب سعد ونصبكم || عتيق بن عثمان حلال أبابكر و أهل أبوبكر لها خير قائم

|| و إن عليا كان أخلق بالأمر و كان هوانا في علي وإنه || لأهل لها ياعمرو من حيث لا تدري فذاك بعون الله يدعو إلى الهدى
 || وينهى عن الفحشاء والبغى والنكر وصى النبي المصطفى و ابن عمه || وقاتل فرسان الضلالة والكفر و هذا بحمد الله يهدى
 من العمى || ويفتح آذاننا ثقلن من الوقر نجى رسول الله في الغار وحده || وصاحبه الصديق في سالف الدهر فلو لاتقاء الله لم
 تذهبوا بها || ولكن هذا الخير أجمع للصبر و لم نرض إلا بالرضا ولربما || ضربنا بأيدينا إلى أسفل القدر . فلما انتهى شعر
 النعمان وكلامه إلى قريش غضب كثير منها وألقى ذلك قدوم خالد بن سعيد بن العاص من اليمن و كان رسول الله استعمله
 عليها و كان له ولأخيه أثر قديم [صفحہ ۳۲] عظيم في الإسلام وهما من أول من أسلم من قريش ولهما عبادة وفضل فغضب
 للأنصار و شتم عمرو بن العاص و قال يامعشر قريش إن عمرا دخل في الإسلام حين لم يجد بدا من الدخول فيه فلما لم يستطع
 أن يكيده بيده كاده بلسانه و إن من كيده الإسلام تفريقه وقطعه بين المهاجرين والأنصار و الله ما حاربناهم للدين و لا للدنيا لقد
 بذلوا دماءهم لله تعالى فينا و ما بذلنا دماءنا لله فيهم و قاسمونا ديارهم و أموالهم و ما فعلنا مثل ذلك بهم و آثرونا على الفقر
 و حرمانهم على الغنى و لقد وصى رسول الله بهم و عزاهم عن جفوة السلطان فأعوذ بالله أن أكون و إياكم الخلف المضيع
 و السلطان الجانى . قلت هذا خالد بن سعيد بن العاص هو الذى امتنع من بيعه أبى بكر و قال لأبايع إلا عليا و قد ذكرنا خبره فيما
 تقدم . و أما قوله فى الأنصار و عزاهم عن جفوة السلطان فإشارة إلى قول النبي ص ستلقون بعدى أثره فاصبروا حتى تقدموا على
 الحوض -رواية- ۱-۲-رواية- ۱۷-۶۶ و هذا الخبر هو الذى يكفر كثير من أصحابنا معاوية بالاستهزاء به و ذلك أن النعمان بن
 بشير الأنصارى جاء فى جماعة من الأنصار إلى معاوية فشكوا إليه فقرهم و قالوا لقد صدق رسول الله ص فى قوله لنا ستلقون
 بعدى أثره فقد لقيناها قال معاوية فما ذا قال لكم قالوا قال لنا فاصبروا حتى تردوا على الحوض -رواية- ۱-۲-رواية- ۴۵-۱۴۶
 قال فافعلوا ما أمركم به عساكم تلاقونه غدا عند الحوض كما أخبركم و حرمتهم و لم يعطهم شيئا . قال الزبير و قال خالد بن سعيد
 بن العاص فى ذلك تفوه عمرو بالذى لا نريده || وصرح للأنصار عن شناعة البغض فإن تكن الأنصار زلت فإننا || نقييل و
 لانجزيمهم بالقرض [صفحہ ۳۳] فلا تقطن ياعمرو ما كان بيننا || و لا تحملن ياعمرو بعضا على بعض أنتسى لهم ياعمرو ما كان
 منهم || ليالى جئناهم من النفل والقرض و قسمتنا الأموال كاللحم بالمدى || و قسمتنا الأوطان كل به يقضى ليالى كل الناس
 بالكفر جهرة || ثقال علينا مجمعون على البغض فساووا و آووا و انتهينا إلى المنى || و قر قرارانا من الأمن والخفض . قال الزبير
 ثم إن رجالا- من سفهاء قريش و مشيرى الفتن منهم اجتمعوا إلى عمرو بن العاص فقالوا له إنك لسان قريش و رجلها فى الجاهلية
 و الإسلام فلا تدع الأنصار و ما قالت وأكثروا عليه من ذلك فراح إلى المسجد و فيه ناس من قريش و غيرهم فتكلم و قال إن
 الأنصار ترى لنفسها ما ليس لها و ايم الله لوددت أن الله خلى عنا و عنهم و قضى فيهم و فينا بما أحب و لنحن الذين أفسدنا على
 أنفسنا أحرزناهم عن كل مكروه و قدمناهم إلى كل محبوب حتى أمنوا المخوف فلما جاز لهم ذلك صغروا حقنا و لم يراعوا
 ما أعظمنا من حقوقهم . ثم التفت فرأى الفضل بن العباس بن عبدالمطلب و ندم على قوله للخثولة التى بين ولد عبدالمطلب و بين
 الأنصار ولأن الأنصار كانت تعظم عليا و تهتف باسمه حينئذ فقال الفضل ياعمرو إنه ليس لنا أن نكتم ما سمعنا منك و ليس لنا
 أن نجيبك و أبو الحسن شاهد بالمدينة إلا أن يأمرنا فنفعل . ثم رجع الفضل إلى على فحدثه فغضب و شتم عمرا و قال آذى الله
 و رسوله ثم قام فأتى المسجد فاجتمع إليه كثير من قريش و تكلم مغضبا فقال يامعشر قريش إن حب الأنصار إيمان و بغضهم نفاق
 و قد قضيوا ما عليهم -رواية- ۱-۲-رواية- ۹-۱۰-ادامه دارد [صفحہ ۳۴] وبقى ما عليكم و اذكروا أن الله رغب لئيبكم عن مكة فنقله
 إلى المدينة و كره له قريشا فنقله إلى الأنصار ثم قدمنا عليهم دارهم فقا سمونا الأموال و كفونا العمل فصرنا منهم بين بذل الغنى
 و إثارة الفقير ثم حاربنا الناس فوقونا بأنفسهم و قد أنزل الله تعالى فيهم آية من القرآن جمع لهم فيها بين خمس نعم فقال و الَّذِينَ
 تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَ الْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَ لَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَ يُوَثِّقُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ

كَانَ بِهِمْ خَصَاصِيَّةٌ وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. أَلَا وَ إِنِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ قَدْ قَامَ مَقَامَ آذَى فِيهِ الْمَيْتِ وَالْحَى سَاءَ بِهِ الْوَاتِرُ وَسَرَّ بِهِ الْمَوْتُورُ فَاسْتَحَقَّ مِنَ الْمَسْتَمَعِ الْجَوَابَ وَ مِنَ الْغَائِبِ الْمَقْتِ وَإِنَّهُ مِنْ أَحَبِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَحَبُّ الْأَنْصَارِ فَلْيَكْفِفْ عَمْرُو عَنَا نَفْسَهُ -رَوَايَاتُ- أَزْ قَبْلَ ٧٦٥. قَالَ الزَّيْبِرُ فَمَشَتْ قَرِيشٌ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ فَقَالُوا أَيُّهَا الرَّجُلُ أَمَا إِذَا غَضِبَ عَلَيَّ فَكَفِّفْ. وَ قَالَ خَزِيمَةُ بْنُ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ يَخَاطِبُ قَرِيشًا أَيُّهَا لَقَرِيشٍ أَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِنَا || وَبَيْنَكُمْ قَدْ طَالَ حَبْلُ التَّمَاحِكِ فَلَا تَخِيرُ فِيكُمْ بَعْدَنَا فَارْفُقُوا بِنَا || وَ لِأَخِيرِ فِينَا بَعْدَ فَهْرِ بْنِ مَالِكِ كَلَانَا عَلَى الْأَعْدَاءِ كَفِّ طَوِيلَهُ || إِذَا كَانَ يَوْمَ فِيهِ جَبُّ الْحَوَارِكِ فَلَا تَذْكُرُوا مَا كَانَ مِنَّا وَمِنْكُمْ || فَفِي ذِكْرِ مَا قَدْ كَانَ مَشَى التَّسَاوُكُ قَالَ الزَّيْبِرُ وَ قَالَ عَلِيُّ لِلْفَضْلِ يَافِضِلُ انصُرِ الْأَنْصَارَ بِلِسَانِكَ وَ يَدِكَ فَإِنَّهُمْ مِنْكَ وَ إِنَّكَ مِنْهُمْ -رَوَايَاتُ- ١-٢-رَوَايَاتُ- ١٤-٩١ فَقَالَ الْفَضْلُ قُلْتَ يَا عَمْرُو مَقَالًا فَاحِشًا || إِنْ تَعَدَّ يَا عَمْرُو وَ اللَّهُ فَلَكَ [صَفْحَةُ ٣٥] إِنَّمَا الْأَنْصَارُ سَيْفٌ قَاطِعٌ || مِنْ تَصْبِهِ ظُبَّةُ السَّيْفِ هَلَكُ وَ سَيْوْفٌ قَاطِعٌ مُضْرِبُهَا || وَ سَهَامٌ اللَّهُ فِي يَوْمِ الْحَلَكِ نَصَرُوا الدِّينَ وَ آوُوا أَهْلَهُ || مَنزَلٌ رَحْبٌ وَ رِزْقٌ مُشْتَرِكٌ وَ إِذَا الْحَرْبُ تَلَطَّتْ نَارُهَا || بَرَكُوا فِيهَا إِذَا الْمَوْتُ بَرَكَ وَ دَخَلَ الْفَضْلُ عَلَيَّ فَاسْمَعَهُ شَعْرَهُ فَفَرِحَ بِهِ وَ قَالَ وَرَيْتُ بَكَ زَنَادِي يَافِضِلُ أَنْتَ شَاعِرُ قَرِيشٍ وَ فَتَاهَا فَأَظْهَرَ شَعْرَكَ وَ ابْعَثْ بِهِ إِلَى الْأَنْصَارِ فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْأَنْصَارُ قَالَتْ لِأَحَدٍ يُجِيبُ الْإِحْسَانَ الْحَسَامُ فَبَعَثُوا إِلَى حَسَانَ بْنِ ثَابِتٍ فَعَرَضُوا عَلَيْهِ شَعْرَ الْفَضْلِ فَقَالَ كَيْفَ أَصْنَعُ بِجَوَابِهِ إِنْ لَمْ أَتَحَرَّ قَوَافِيهِ فَضَحْنِي فَرَوَيْدًا حَتَّى أَقْفُو أَثْرَهُ فِي الْقَوَافِي فَقَالَ لَهُ خَزِيمَةُ بْنُ ثَابِتٍ إِذْ ذَكَرَ عَلِيًّا وَآلَهُ يَكْفِيكَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ فَقَالَ جَزَى اللَّهُ عَنَا وَ الْجَزَاءُ بِكَفِّهِ || أَبَاحَسْنُ عَنَا وَ مِنْ كَأْبِي حَسَنٌ سَبَقَتْ قَرِيشًا بِالذِّى أَنْتَ أَهْلُهُ || فَصَدْرَكَ مَشْرُوحٌ وَ قَلْبِكَ مَمْتَحَنٌ تَمَنَّتْ رِجَالٌ مِنْ قَرِيشٍ أَعَزَّهُ || مَكَانَكَ هِيَهَاتَ الْهَزَالِ مِنَ السَّمَنِ وَ أَنْتَ مِنَ الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ || بِمَنْزَلَةِ الدَّلْوِ الْبَطِينِ مِنَ الرَّسَنِ غَضِبْتَ لَنَا إِذْ قَامَ عَمْرُو بِخَطْبِهِ || أَمَاتَ بِهَا التَّقْوَى وَ أَحْيَا بِهَا الْإِحْنَ فَكُنْتَ الْمَرْجِيَّ مِنْ لَوْىِ بْنِ غَالِبٍ || لَمَّا كَانَ مِنْهُمْ وَ الَّذِي كَانَ لَمْ يَكُنْ حَفِظْتَ رَسُولَ اللَّهِ فِينَا وَ عَهْدَهُ || إِلَيْكَ وَ مِنْ أَوْلَى بِهِ مِنْكَ مِنْ وَ مِنْ أَلْسَتُ أَخَاهُ فِي الْهَدْيِ وَ وَصِيهِ || وَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ بِالْكِتَابِ وَ بِاللِّسَنِ فَحَقَّقَكَ مَا دَامَتْ بَنُجْدٌ وَ شَيْجَةٌ || عَظِيمٌ عَلَيْنَا ثُمَّ بَعْدَ عَلِيٍّ الْيَمَنُ قَالَ الزَّيْبِرُ وَ بَعَثْتَ الْأَنْصَارَ بِهَذَا الشَّعْرِ إِلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَخَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ -رَوَايَاتُ- ١-٢-رَوَايَاتُ- ١٤-١٤-دَامَهُ دَارِدٌ [صَفْحَةُ ٣٦] وَ قَالَ لَمَنْ بِهِ مِنْ قَرِيشٍ وَ غَيْرِهِمْ يَا مَعْشَرَ قَرِيشٍ إِنْ اللَّهُ جَعَلَ الْأَنْصَارَ أَنْصَارًا فَأَنْتِي عَلَيْهِمْ فِي الْكِتَابِ فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ بَعْدَهُمْ إِنَّهُ لَا يَزَالُ سَفِيهًا مِنْ سَفَهَاءِ قَرِيشٍ وَ تَرَهُ الْإِسْلَامَ وَ دَفَعَهُ عَنِ الْحَقِّ وَ أَطْفَأَ شَرْفَهُ وَ فَضَّلَ غَيْرَهُ عَلَيْهِ يَقُومُ مَقَامًا فَاحِشًا فَيَذْكُرُ الْأَنْصَارَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ ارْعَوْا حَقَّهُمْ فَوَ اللَّهُ لَوْ زَالُوا لَزَلْتَ مَعَهُمْ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ لَهُمْ أَزُولُ مَعَكُمْ حَيْثَمَا زَلْتُمْ -رَوَايَاتُ- أَزْ قَبْلَ ٣٥٣ فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ جَمِيعًا رَحِمَكَ اللَّهُ يَا أَبَا الْحَسَنِ قُلْتَ قَوْلًا -صَادِقًا. قَالَ الزَّيْبِرُ وَ تَرَكَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ الْمَدِينَةَ وَ خَرَجَ عَنْهَا حَتَّى رَضِيَ عَنْهُ عَلِيُّ وَ الْمُهَاجِرُونَ قَالَ الزَّيْبِرُ ثُمَّ إِنْ الْوَلِيدُ بْنُ عَقْبَةَ بْنِ أَبِي مَعِيْطٍ وَ كَانَ يَبْغِضُ الْأَنْصَارَ لِأَنَّهُمْ أَسْرَوْا أَبَاهُ يَوْمَ بَدْرٍ وَ ضَرَبُوا عُنُقَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ قَامَ يَشْتُمُ الْأَنْصَارَ وَ ذَكَرَهُمْ بِالْهَجْرِ فَقَالَ إِنْ الْأَنْصَارَ لَتَرَى لَهَا مِنَ الْحَقِّ عَلَيْنَا مَا لِأَنْرَاهُ وَ اللَّهُ لَتُنَّ كَانُوا آوُوا لِقَدِّ عَزْوَانَا وَ لَتُنَّ كَانُوا آسَوْا لِقَدِّ مَنَّا عَلَيْنَا وَ اللَّهُ مَا نَسْتَطِيعُ مَوَدَّتَهُمْ لِأَنَّهُ لَا يَزَالُ قَائِلٌ مِنْهُمْ يَذْكُرُ ذُنُوبَنَا بِمَكَّةَ وَ عَزَّنَا بِالْمَدِينَةِ وَ لَا يَنْفَكُونَ يَعْبُرُونَ مَوْتَانَا وَ يَغِيظُونَ أَحْيَاءَنَا فَإِنْ أَجْبَنَاهُمْ قَالُوا غَضِبْتَ قَرِيشَ عَلَى غَارِبِهَا وَ لَكِنْ قَدْ هَوَى عَلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ حَرَصُهُمْ عَلَى الدِّينِ أَمْسَ وَ اعْتَذَرَهُمْ مِنَ الذَّنْبِ الْيَوْمِ ثُمَّ قَالَ تَبَاذَخْتَ الْأَنْصَارَ فِي النَّاسِ بِاسْمِهَا || وَ نَسَبْتَهَا فِي الْأَزْدِ عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ وَ قَالُوا لَنَا حَقٌّ عَظِيمٌ وَمَنْهُ || عَلَيَّ كُلِّ بَادٍ مِنْ مَعَدٍ وَ حَاضِرٍ فَإِنْ يَكُ لِلْأَنْصَارِ فَضْلٌ فَلَمْ تَنْلِ || بِحَرَمَتِهِ الْأَنْصَارِ فَضْلُ الْمُهَاجِرِ وَ إِنْ تَكُنَّ الْأَنْصَارُ آوَتْ وَ قَاسَمَتْ || مَعَايِشَهَا مِنْ جَاءَ قِسْمُهُ جَازَرَ فَقَدْ أَفْسَدْتَ مَا كَانَ مِنْهَا بِمَنْهَا || وَ مَا ذَاكَ فَعَلَ الْأَكْرَمِينَ الْأَكَابِرَ إِذَا قَالَ حَسَانَ وَ كَعْبُ قَصِيدَةٌ || بِشْتُمُ قَرِيشٍ غَنِيَّتَ فِي الْمَعَاشِرِ وَ سَارَ بِهَا الرِّكْبَانُ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ || وَ أَعْمَلَ فِيهَا كُلَّ خَفٍّ وَ حَافِرٍ [صَفْحَةُ ٣٧] فَهَذَا لَنَا مِنْ كُلِّ صَاحِبِ خُطْبَةٍ || يَقُومُ بِهَا مِنْكُمْ وَ مِنْ كُلِّ شَاعِرٍ وَ أَهْلِ بَأْنٍ يَهْجُو بِكُلِّ قَصِيدَةٍ || وَ أَهْلِ بَأْنٍ يَرْمُوا بِنَبْلِ فَوَاقِرٍ. قَالَ فَفَشَا شَعْرَهُ فِي النَّاسِ فَغَضِبْتَ الْأَنْصَارَ وَ غَضِبَ لَهَا مِنْ قَرِيشٍ قَوْمٌ مِنْهُمْ ضَرَارُ بْنُ الْخَطَّابِ الْفَهْرِيُّ وَ زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ وَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ فَبَعَثُوا

إلى الوليد فجاء فتكلم زيد بن الخطاب فقال يا ابن عقبة بن أبي معيط أما والله لو كنت من الفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا لأحببت الأنصار ولكنك من الجفأ في الإسلام البطاء عنه الذين دخلوا فيه بعد أن ظهر أمر الله وهم كارهون إنا نعلم أننا أتيناهم ونحن فقراء فأغنونا ثم أصبنا الغنى فكفوا عنا و لم يرزونا شيئا فأما ذكرهم ذلة قريش بمكة وعزها بالمدينة فكذلك كنا وكذلك قال الله تعالى وَ اذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَصَرْنَاهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِمْ وَأَوَانَا إِلَى مَدِينَتِهِمْ . و أما غضبك لقريش فإننا لانصر كافرا ولا نواد ملحدا ولا فاسقا ولقد قلت وقالوا فقطعك الخطيب وأجمك الشاعر . و أما ذكرك الذي كان بالأمس فدع المهاجرين والأنصار فإنك لست من ألسنتهم في الرضا ولا نحن من أيديهم في الغضب . وتكلم يزيد بن أبي سفيان فقال يا ابن عقبة الأنصار أحق بالغضب لقتلى أحد فاكفف لسانك فإن من قتله الحق لا يغضب له . وتكلم ضرار بن الخطاب فقال أما والله لو لا -قرآن- ٥٨٨-٦٨٠ أن رسول الله ص قال -رواية- ١-٢-رواية- ٢٧-٢٧-ادامه دارد [صفحه ٣٨] الأئمة من قريش -رواية- از قبل ١٨-قلنا الأئمة من الأنصار ولكن جاء أمر غلب الرأي فاقمع شرتك أيها الرجل ولا تكن امرا سوء فإن الله لم يفرق بين الأنصار والمهاجرين في الدنيا وكذلك الله لا يفرق بينهم في الآخرة . وأقبل حسان بن ثابت مغضبا من كلام الوليد بن عقبة وشعره فدخل المسجد وفيه قوم من قريش فقال يامعشر قريش إن أعظم ذنبا إليكم قتلنا كفاركم وحمايتنا رسول الله ص و إن كنتم تنقمون منا منه كانت بالأمس فقد كفى الله شرها فما لنا و مالكم و الله ما يمنعنا من قتالكم الجين و لا من جوابكم العي إنا لحي فعال ومقال ولكننا قلنا إنها حرب أولها عار وآخرها ذل فأغضينا عليها عيوننا وسحبنا ذيولنا حتى نرى وتروا فإن قلمنا قلنا و إن سكتكم سكتنا فلم يجبه أحد من قريش ثم سكت كل من الفريقين عن صاحبه ورضى القوم أجمعون وقطعوا الخلاف والعصية . انتهى ما ذكره الزبير بن بكار في الموفقيات ونعود الآن إلى ذكر ما أورده أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهرى في كتاب السقيفة . قال أبو بكر حدثني أبو يوسف يعقوب بن شيبه عن بحر بن آدم عن رجاله عن سالم بن عبيد قال لما توفي رسول الله وقالت الأنصار منا أمير ومنكم أمير أخذ عمر بيد أبي بكر وقال سيفان في غمد واحد إذا لا يصلحان ثم قال من له هذه الثلاث ثاني اثنين إذ هما في الغار من هما إذ يقول لصاحبه لا تحزن من صاحبه إن الله معنا مع من ثم بسط يده إلى أبي بكر فبايعه فبايعه الناس أحسن بيعة وأجملها . -قرآن- ١١٠١-١١٣٥-قرآن- ١١٤٣-١١٧٤-قرآن- ١١٨٥-١٢٠٢ [صفحه ٣٩] قال أبو بكر حدثنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي عن أبي بكر بن عياش عن زيد بن عبد الله قال إن الله تعالى نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ع خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه وابتعته برسالته ثم نظر في قلوب الأمم بعد قلبه فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون عن دينه فما رأى المسلمون حسنا فهو عند الله حسن و ما رأى المسلمون سيئا فهو عند الله سيئ . قال أبو بكر بن عياش و قدرأى المسلمون أن يولوا أبا بكر بعد النبي ص فكانت ولايته حسنة . قال أبو بكر و حدثنا يعقوب بن شيبه قال لما قبض رسول الله ص و قال الأنصار منا أمير ومنكم أمير قال عمر أيها الناس أيكم يطيب نفسا أن يتقدم قدمين قدمهما رسول الله ص في الصلاة رضيك الله لدينا أ فلا نرضاك لدينا قال أبو بكر وأخبرنا أبو يزيد عمر بن شبة قال حدثني زيد بن يحيى الأنماطي قال حدثنا صخر بن جويرية عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه قال أخذ أبو بكر بيد عمر ويد رجل من المهاجرين يروونه أبا عبيدة حتى انطلقوا إلى الأنصار و قد اجتمعوا عند سعد في سقيفة بني ساعدة فقال عمر قلت لأبي بكر دعني أتكلم وخشيت جد أبي بكر و كان ذا جد فقال أبو بكر لا بل أنا أتكلم فما هو و الله إلا أن انتهينا إليهم فما كان في نفسى شىء أريد أن أقوله إلا أتى أبو بكر عليه فقال لهم يامعشر الأنصار ما ينكر حقاكم مسلم إنا و الله ما أصبنا خيرا قط إلا شر كنتمونا [صفحه ٤٠] فيه لقد آويتم ونصرتم و آزرتم و و اسيتم ولكن قد علمتم أن العرب لا تقر و لا تطيع إلا لامرئ من قريش هم رهط النبي ص أوسط العرب وشيعة رحم و أوسط الناس دارا وأعرب الناس ألسنا وأصبح الناس أوجها و قد عرفتم بلاء ابن الخطاب في الإسلام وقدمه هلم فلنبايعه . قال عمر بل إياك نبايع قال عمر فكنت

أول الناس مد يده إلى أبي بكر فبايعه إلاجلا من الأنصار أدخل يده بين يدي ويد أبي بكر فبايعه قبلي ووطئ الناس فراش سعد فقبل قتلتم سعدا فقال عمر قتل الله سعدا فوثب رجل من الأنصار فقال أنا جدي لها المحكك وعذيقها المرجب فأخذ ووطئ في بطنه ودسوا في فيه التراب . قال أبو بكر وحدثني يعقوب عن محمد بن جعفر عن محمد بن إسماعيل عن مختار اليمان عن عيسى بن زيد قال لما بوع أبو بكر جاء أبوسفيان إلى علي فقال أغلبكم على هذا الأمر أذل بيت من قريش وأقلها أما والله لئن شئت لأملأنها على أبي فضيل خيلا ورجلا ولأسدنها عليه من أقطارها فقال علي يا أباسفيان طالما كدت الإسلام وأهله فما ضرهم شيئا أمسك عليك فإننا رأينا أبابكر لها أهلا. قال أبو بكر وحدثنا يعقوب عن رجالة قال لما بوع أبو بكر تخلف على فلم يبايع فقيل لأبي بكر إنه كره إمارتك فبعث إليه أكرهت إمارتي قال لا- ولكن القرآن خشيت أن يزداد فيه فحلفت ألا- أرتدى رداء حتى أجمعه اللهم إلا إلى صلاة الجمعة. [صفحہ ۴۱] فقال أبو بكر لقد أحسنت قال فكتبه ع كما أنزل بناسخه ومنسوخه . قال أبو بكر حدثنا يعقوب عن أبي النضر عن محمد بن راشد عن مكحول أن رسول الله ص استعمل خالد بن سعيد بن العاص على عمل فقدم بعد ما قبض رسول الله ص و قدبايع الناس أبابكر فدعاه إلى البيعة فأبى فقال عمر دعني وإياه فمنعه أبو بكر حتى مضت عليه سنة ثم مر به أبو بكر و هو جالس على باب فناداه خالد يا أبابكر هل لك في البيعة قال نعم قال فادن منه فبايعه خالد و هو قاعد على باب . قال أبو بكر و حدثنا أبو يوسف يعقوب بن شيبه عن خالد بن مخلد عن يحيى بن عمر قال حدثني أبو جعفر الباقر قال جاء أعرابي إلى أبي بكر على عهد رسول الله ص و قال له أوصني فقال لا تأمر على اثنين ثم إن الأعرابي شخص إلى الربذة فبلغه بعد ذلك وفاة رسول الله ص فسأل عن أمر الناس من وليه فقيل أبو بكر فقدم الأعرابي إلى المدينة فقال لأبي بكر أأمرتني ألا- تأمر على اثنين قال بلى قال فما بالك فقال أبو بكر لم أجد لها أحدا غيري أحق مني قال ثم رفع أبو جعفر الباقر يديه وخفضهما فقال صدق صدق -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۱۰-۵۱۱ . قال أبو بكر و قدروى هذا الخبر برواية أتم من هذه الرواية حدثنا يعقوب بن شيبه قال حدثنا يحيى بن حماد قال حدثنا أبو عوانه عن سليمان الأعمش عن سليمان بن ميسرة عن طارق بن شهاب عن رافع بن أبي رافع الطائي قال بعث رسول الله ص جيشا فأمر عليهم عمرو بن العاص وفيهم أبو بكر وعمر وأمرهم [صفحہ ۴۲] أن يستنفروا من مروا به فمروا علينا فاستنفرونا فنفرنا معهم في غزاة ذات السلاسل وهي التي تفخر بها أهل الشام فيقولون استعمل رسول الله ص عمرو بن العاص على جيش فيه أبو بكر وعمر قال فقلت و الله لأختارن في هذه الغزاة لنفسى رجلا من أصحاب رسول الله ص أستهديه فإني لست أستطيع إتيان المدينة فاخترت أبابكر و لم آل و كان له كساء فدكى يخله عليه إذ اركب ويلبسه إذ انزل و هو الذي غيرته به هوازن بعد النبي ص وقالوا لانباع ذا الخلال قال فلما قضينا غزاتنا قلت له يا أبابكر إنى قد صحبتك و إن لى عليك حقا فعلمنى شيئا أنتفع به فقال قد كنت أريد ذلك لو لم تقل لى تعبد الله لا تشرك به شيئا و تقيم الصلاة المكتوبة و تؤدى الزكاة المفروضة و تحج البيت و تصوم شهر رمضان و لا تأمر على رجلين فقلت أما العبادات فقد عرفت ما رأيت نهيك لى عن الإمارة و هل يصيب الناس الخير والشر إلا بالإمارة فقال إنك استجهدتني فجهدت لك إن الناس دخلوا فى الإسلام طوعا وكرها فأجارهم الله من الظلم فهم جيران الله و عواد الله و فى ذمة الله فمن يظلم منكم إنما يحقر ربه و الله إن أحدكم لياخذ شويبهه جاره أو بعيره فيظل عمله بأسا بجاره و الله من وراء جاره قال فلم يلبث إلا قليلا حتى أتتنا وفاة رسول الله ص فسألت من استخلف بعده قيل أبو بكر قلت أصحابي الذى كان ينهاني عن الإمارة فشددت على راحلتى فأتيت المدينة فجعلت أطلب خلوته حتى قدرت عليها فقلت أتعرفنى أنا فلان بن فلان أتعرف و وصية أوصيتني بها قال نعم إن رسول الله قبض و الناس حديثو عهد بالجاهلية فخشيت أن يفتتنوا و أن أصحابي حملونيها فما زال يعتذر إلى حتى عذرتة و صار من أمرى بعد أن صرت عريفا. قال أبو بكر و أخبرنا أبو زيد عمر بن شبة عن رجالة عن الشعبي قال قام الحسن بن علي ع إلى أبي بكر و هو يخطب على المنبر فقال له انزل عن منبر أبي فقال -روایت- ۱-۲-روایت- ۶۷-۱-دأمه دارد [صفحہ ۴۳] أبو بكر صدقت و الله

إنه لمنبر أبيك لامنبر أبي فبعث على إلى أبي بكر إنه غلام حدث وإنما لم نأمره فقال أبو بكر صدقت إنما لم تنتهكم -رواية- از قبل- ١٣٩ . قال أبو بكر وروى أبو يزيد عن حباب بن يزيد عن جرير عن المغيرة أن سلمان والزيير وبعض الأنصار كان هواهم أن يبايعوا عليا بعد النبي ص فلما بويح أبو بكر قال سلمان للصحابه أصبتم الخير ولكن أخطأتم المعدن قال و في رواية أخرى أصبتم ذا السن منكم ولكنكم أخطأتم أهل بيت نبيكم أما لوجعلتموها فيهم ماختلف منكم اثنان ولأكلتموها رغدا. قلت هذا الخبر هو الذي رواه المتكلمون في باب الإمامة عن سلمان أنه قال كرديد ونكرديد تفسره الشيعة فتقول أراد أسلمتم وما أسلمتم ويفسره أصحابنا فيقولون معناه أخطأتم وأصبتم . قال أبو بكر وأخبرنا أبو يزيد قال حدثنا محمد بن يحيى قال حدثنا غسان بن عبد الحميد قال لما أكثر في تخلف علي عن البيعة واشتد أبو بكر وعمر في ذلك خرجت أم مسطح بن أثاثة فوفقت عند قبر النبي ص ونادته يا رسول الله قد كان بعدك أبناء وهينمة || لو كنت شاهدا لم تكثر الخطب إنما فقدناك فقد الأرض وابلها || فاختل قومك فاشهدهم ولا تغب . قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز وسمعت أبا يزيد عمر بن شبة يحدث رجلا يحدث لم أحفظ إسناده قال مر المغيرة بن شعبة بأبي بكر وعمر وهما جالسان على باب النبي حين قبض فقال ما يقعدكما قال لا تنتظر هذا الرجل يخرج فبايعه يعينان عليا فقال أتريدون أن تنظروا جبل الحبله من أهل هذا البيت وسعوا في قريش تسع . [صفحہ ٤٤] قال فقاما إلى سقيفة بنى ساعدة أو كلاما هذا معناه . قال أبو بكر وأخبرنا أبو جعفر محمد بن عبد الملك الواسطي عن يزيد بن هارون عن سفيان بن حسين عن الزهري عن أنس بن مالك قال لما مرض رسول الله مرضه الذي مات فيه أتاه بلال يؤذنه بالصلاة فقال بعد مرتين يا بلال قد أبلغت فمن شاء فليصل بالناس و من شاء فليدع -رواية- ١-٢-رواية- ١٣٠-٢٧٠ . قال ورفعت الستور عن رسول الله فنظرنا إليه كأنه ورقة بيضاء و عليه خميصه له فرجع إليه بلال فقال مروا بأب بكر فليصل بالناس قال فما رأيناه بعد ذلك ع . و قال أبو بكر وحدثني أبو الحسن علي بن سليمان النوفلي قال سمعت أبا يقول ذكر سعد بن عبادة يوما عليا بعد يوم السقيفة فذكر أمرا من أمره نسيه أبو الحسن يوجب ولايته فقال له ابنه قيس بن سعد أنت سمعت رسول الله ص يقول هذا الكلام في علي بن أبي طالب ثم تطلب الخلافة و يقول أصحابك منا أمير ومنكم أمير لا كلمتك و الله من رأسى بعد هذا كلمه أبدا. قال أبو بكر وحدثني أبو الحسن علي بن سليمان النوفلي قال حدثني أبي قال حدثني شريك بن عبد الله عن إسماعيل بن خالد عن زيد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده قال قال علي كنت مع الأنصار لرسول الله ص على السمع والطاعة له في المحبوب والمكروه فلما عز الإسلام وكثر أهله قال يا علي زد فيها علي أن تمنعوا رسول الله و أهل بيته مما تمنعون منه أنفسكم وذرائعكم قال فحملها على ظهور القوم فوفى بها من وفى وهلك من هلك -رواية- ١-٢-رواية- ١٨٧-٤٤٤ مارواه أبو الفرج الأصفهاني في كتاب مقاتل الطالبين أن -رواية- ١-٢-رواية- ٥٩-ادامه دارد [صفحہ ٤٥] جعفر بن محمد ع وقف مستترا في خفية يشاهد المحامل التي حمل عليها عبد الله بن الحسن وأهله في القيود والحديد من المدينة إلى العراق فلما مروا به بكى و قال ما وفت الأنصار ولا أبناء الأنصار لرسول الله ص بايعهم على أن يمعنوا محمدا وأبناءه وأهله وذريته مما يمنعون منه أنفسهم وأبناءهم وأهلهم وذرائعهم فلم يفوا اللهم أشدد وطأتك على الأنصار -رواية- از قبل- ٣٥٨ قال أبو بكر و حدثنا أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد قال حدثنا أحمد بن الحكم قال حدثنا عبد الله بن وهب عن ليث بن سعد قال تخلف علي عن بيعة أبي بكر فأخرج ملبيا يمضى به ركضا و هو يقول معاشر المسلمين علام تضرب عنق رجل من المسلمين لم يتخلف لخلاف وإنما تخلف لحاجة فما مر بمجلس من المجالس إلا يقال له انطلق فبايع -رواية- ١-٢-رواية- ١٢٦-٣٢٨ قال أبو بكر و حدثنا علي بن جرير الطائي قال حدثنا ابن فضل عن الأجلح عن حبيب بن ثعلبة بن يزيد قال سمعت عليا يقول أما ورب السماء والأرض ثلاثا إنه لعهد النبي الأُمى إلى لتغدرن بك الأمة من بعدى -رواية- ١-٢-رواية- ١٢٢-٢٠٨ . قال أبو بكر و حدثنا أبو يزيد عمر بن شبة بإسناد رفعه إلى ابن عباس قال إنى لأماشى عمر في سكة من سكة المدينة يده في يدي فقال يا ابن عباس ما أظن صاحبك لإمظلوما

فقلت فى نفسى و الله لا يسبقنى بهافقلت يا امير المؤمنين فاردد إليه ظلامته فانترع يده من يدى ثم مر بهمهم ساعة ثم وقف فلحقته فقال لى يا ابن عباس ماأظن القوم منعهم من صاحبك إلا أنهم استصغروه فقلت فى نفسى هذه شر من الأولى فقلت و الله مااستصغره الله حين أمره أن يأخذ سورة براءة من أبى بكر [صفحه ٤٦]

ذكر أمر فاطمة مع أبى بكر

فأما مارواه البخارى ومسلم فى الصحيحين من كيفية المبايعة لأبى بكر بهذا اللفظ الذى أورده عليك ولإسناد إلى عائشة أن فاطمة والعباس أتيا أبابكر يلتزمان ميراثهما من النبى ص وهما حينئذ يطلبان أرضه من فذك وسهمه من خير فقال لهما أبوبكر إنى سمعت رسول الله ص يقول إنا معشر الأنبياء لانورث ماتركناه صدقة إنما يأكل آل محمد من هذا المال -رواية- ١-٢- روايت- ٢١-٢٥٥ وبنى و الله لا-أدع أمرا رأيت رسول الله ص يصنعه إلاصنعتة فهجرتة فاطمة و لم تكلمه فى ذلك حتى ماتت فدفنها على ليلا- و لم يؤذن بها أبابكر و كان لعلى وجهه من الناس فى حياة فاطمة فلما توفيت فاطمة انصرفت وجوه الناس عن على فمكثت فاطمة ستة أشهر ثم توفيت فقال رجل للزهرى و هو الراوى لهذا الخبر عن عائشة فلم يبايعه على ستة أشهر قال و لأحد من بنى هاشم حتى بايعه على فلما رأى ذلك ضرع إلى مبايعة أبى بكر فأرسل إلى أبى بكر أن اتنا و لايات معك أحد وكره أن يأتية عمر لماعرف من شدته فقال عمر لا تأتهم و حدك فقال أبوبكر و الله لا تينهم و حدى و ماعسى أن يصنعوا بى فانطلق أبوبكر حتى دخل على على و قد جمع بنى هاشم عنده فقام على فحمد الله و أثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد فإنه لم يمنعا أن نبايعك يا أبابكر إنكار لفضلك و لامنافسة لخير ساقه الله إليك و لكنا كنا نرى أن لنا فى هذا الأمر حقا فاستبددتم به علينا -رواية- ١-٢٠٤ و ذكر قرابته من رسول الله ص و حقه فلم يزل على يذكر ذلك حتى بكى أبوبكر فلما صمت على تشهد أبوبكر فحمد الله و أثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد [صفحه ٤٧] فو الله لقرابة رسول الله ص أحب إلى أن أصلها من قرابتي وبنى و الله ماآلوكم من هذه الأموال التى كانت بينى وبينكم إلاالخير و لكنى سمعت رسول الله ص يقول لانورث ماتركناه صدقة و إنما يأكل آل محمد فى هذا المال -رواية- ١-٢- روايت- ٣٧-٩٦ وبنى و الله لا-أترك أمرا صنعه رسول الله ص إلاصنعتة إن شاء الله قال على موعدك العشيء للبيعة فلما صلى أبوبكر الظهر أقبل على الناس ثم عذر عليا ببعض مااعتذر به ثم قام على فعظم من حق أبى بكر و ذكر فضله و سابقته ثم مضى إلى أبى بكر فبايعه فأقبل الناس إلى على فقالوا أصبت و أحسنت و كان على قريبا إلى الناس حين قارب الأمر بالمعروف . وروى أبوبكر أحمد بن عبدالعزيز قال حدثنى أبوزيد عمر بن شبة قال حدثنى ابراهيم بن المنذر قال حدثنا ابن وهب عن ابن لهيعة عن أبى الأسود قال غضب رجال من المهاجرين فى بيعه أبى بكر بغير مشورة و غضب على و الزبير فدخلوا بيت فاطمة معهما السلاح فجاء عمر فى عصابة فيهم أسيد بن حضير و سلمة بن سلامة بن قريش وهما من بنى الأشهل فاقتحما الدار فصاحت فاطمة و ناشدتهم الله فأخذوا سيفيهما فضربوا بهما الحجر حتى كسروهما فأخرجهما عمر يسوقهما حتى بايعا. ثم قام أبوبكر فخطب الناس فاعتذر إليهم و قال إن بيعتى كانت فلتة و قى الله شرها و خشيت الفتنة و ايم الله ماحرصت عليها يوما قط و لاسألها الله فى سر و لاعلانية قط و لقد قلت أمرا عظيما ما لى به طاقة و لايدان و لقد وددت أن أقوى الناس عليه مكانى. [صفحه ٤٨] فقبل المهاجرون و قال على و الزبير ماغضبنا إلا فى المشورة و إنا لنرى أبابكر أحق الناس بها إنه لصاحب الغار و ثانى اثنين و إنا لنعرف له سنة و لقد أمره رسول الله ص بالصلاة و هوى. قال أبوبكر و ذكر ابن شهاب بن ثابت أن قيس بن شماس أخا بنى الحارث من الخزرج كان مع الجماعة الذين دخلوا بيت فاطمة. قال وروى سعد بن ابراهيم أن عبدالرحمن بن عوف كان مع عمر ذلك اليوم و أن محمد بن مسلمة كان معهم و أنه هو الذى كسر سيف الزبير. قال أبوبكر

وحدثني أبو يزيد عمر بن شبة عن رجاله قال جاء عمر إلى بيت فاطمة في رجال من الأنصار ونفر قليل من المهاجرين فقال و
الذى نفسى بيده لتخرجن إلى البيعة أو لأحرقن البيت عليكم فخرج إليه الزبير مصلتا بالسيف فاعتنقه زياد بن لبيد الأنصاري و
رجل آخر فندر السيف من يده فضرب به عمر الحجر فكسره ثم أخرجهم بتلابيبهم يساقون سوقا عنيفا حتى بايعوا أبابكر. قال
أبو زيد وروى النضر بن شميل قال حمل سيف الزبير لماندر من يده إلى أبي بكر و هو على المنبر يخطب فقال اضربوا به الحجر
قال أبو عمرو بن حماس ولقد رأيت الحجر وفيه تلك الضربة و الناس يقولون هذا أثر ضربة سيف الزبير. قال أبو بكر وأخبرني
أبو بكر الباهلي عن إسماعيل بن مجالد عن الشعبي قال قال أبو بكر يا عمر أين خالد بن الوليد قال هو هذا فقال انطلقا إليهما يعنى
عليا والزبير فأتاني بهما فانطلقا فدخل عمر ووقف خالد على الباب من خارج فقال عمر للزبير ما هذا السيف قال أعدده لأبيع
عليا قال و كان في البيت ناس كثير منهم المقداد بن الأسود وجمهور الهاشميين فاخترط عمر السيف فضرب به صخرة في البيت
[صفحة ٤٩] فكسره ثم أخذ بيد الزبير فأقامه ثم دفعه فأخرجه و قال يا خالد دونك هذا فأمسكه خالد و كان خارج البيت مع
خالد جمع كثير من الناس أرسلهم أبو بكر ردا لهما ثم دخل عمر فقال لعلى قم فبايع فتلكأ واحتبس فأخذ بيده و قال قم فأبى أن
يقوم فحملة و دفعه كما دفع الزبير ثم أمسكهما خالد وساقهما عمر و من معه سوقا عنيفا واجتمع الناس ينظرون وامتلات شوارع
المدينة بالرجال و رأت فاطمة ما صنع عمر فصرخت وولولت واجتمع معها نساء كثير من الهاشميات وغيرهن فخرجت إلى باب
حجرتها ونادت يا أبابكر ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله و الله لا أكلم عمر حتى ألقى الله -رواية- ١-٢٠٤ . قال فلما
بايع على والزبير وهدأت تلك الفورة مشى إليها أبو بكر بعد ذلك فشفع لعمر وطلب إليها فرضيت عنه . قال أبو بكر وحدثني
المؤمل بن جعفر قال حدثني محمد بن ميمون قال حدثني داود بن المبارك قال أتينا عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن
حسن بن علي بن أبي طالب ع ونحن راجعون من الحج في جماعة فسألناه عن مسائل و كنت أحد من سأله فسألته عن أبي بكر
وعمر فقال أجيئك بما أجاب به جدى عبد الله بن الحسن فإنه سئل عنهما فقال كانت أمنا صديقة ابنه نبي مرسل وماتت وهى
غضبية على قوم فنحن غضاب لغضبها. قلت قد أخذ هذا المعنى بعض شعراء الطالبين من أهل الحجاز أنشدنيه النقيب جلال
الدين عبدالحميد بن محمد بن عبدالحميد العلوى قال أنشدني هذا الشاعر لنفسه وذهب عنى اسمه قال يا أباحفص الهوينى و
ما كنت || مليا بذاك لو لا الحمام [صفحة ٥٠] أتموت البتول غضبى ونرضى || ما كذا يصنع البنون الكرام . يخاطب عمر و يقول
له مهلا ورويدا يا عمر أى ارفق واتند و لاتعنف بنا و ما كنت مليا أى و ما كنت أهلا لأن تخاطب بهذا وتستعطف و لا كنت قادرا
على ولوج دار فاطمة على ذلك الوجه الذى ولجتها عليه لو لا أن أباهما الذى كان بيتها يحترم ويصان لأجله مات فطمع فيها من
لم يكن يطمع ثم قال أتموت أمنا وهى غضبى ونرضى نحن إذلسنا بكرام فإن الولد الكريم يرضى لرضا أبيه وأمه ويغضب
لغضبهما. والصحيح عندى أنها ماتت وهى واجدة على أبى بكر وعمر وأنها أوصت ألا يصليا عليها و ذلك عند أصحابنا من
الأمر المغفورة لهما و كان الأولى بهما إكرامها واحترام منزلها لكنهما خافا الفرقة وأشفقا من الفتنة ففعلا ما هو الأصلح بحسب
ظنهما وكانا من الدين وقوة اليقين بمكان مكين لاشك فى ذلك والأمور الماضية يتعذر الوقوف على عللها وأسبابها و لا يعلم
حقائقها إلا من قد شاهدتها ولا بسها بل لعل الحاضرين المشاهدين لها يعلمون باطن الأمر فلا يجوز العدول عن حسن الاعتقاد
فيهما بما جرى و الله ولى المغفرة والعفو فإن هذا لو ثبت أنه خطأ لم يكن كبيرة بل كان من باب الصغائر التى لا تقتضى التبرؤ و
لا توجب زوال التولى. قال أبو بكر وأخبرنا أبو يزيد عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن حاتم عن رجاله عن ابن عباس قال مر عمر
بعلى و أنامعه بفناء داره فسلم عليه فقال له على أين تريد قال البقيع قال أ فلاتصل صاحبك ويقوم معك قال بلى فقال لى على
قم معه فقلت فمشيت إلى جانبه فشبك أصابعه فى أصابعى ومشينا قليلا حتى إذا خلفنا البقيع قال لى يا ابن عباس أما و الله إن
صاحبك هذا أولى الناس بالأمر بعد رسول الله ص إلا أنا خفناه على اثنين قال ابن عباس فجاء بكلام لم أجد بدا من [صفحة

[٥١] مسألته عنه فقلت ماهما يا أمير المؤمنين قال خفناه على حداثة سنة وحبه بنى عبدالمطلب . قال أبو بكر وحدثني أبو زيد قال حدثني محمد بن عباد قال حدثني أخى سعيد بن عباد عن الليث بن سعد عن رجاله عن أبي بكر الصديق أنه قال ليتنى لم أكشف بيت فاطمة ولو أعلن على الحرب . قال أبو بكر وحدثنا الحسن بن الربيع عن عبدالرزاق عن معمر عن الزهري عن علي بن عبد الله بن العباس عن أبيه قال لما حضرت رسول الله ص الوفاة و في البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال رسول الله ص ائتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتابا لاتضلون بعدى -رواية-١-٢-رواية-١٢٤-٢٦٦ فقال عمر كلمة معناها أن الوجد قد غلب على رسول الله ص ثم قال عندنا القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف من في البيت واختصموا فمن قائل يقول القول ما قال رسول الله ص و من قائل يقول القول ما قال عمر فلما أكثروا اللغو واللغو والاختلاف غضب رسول الله فقال قوموا إنه لا ينبغي لنبى أن يختلف عنده هكذا -رواية-١-٢-رواية-٩-٥٦ فقاموا فمات رسول الله ص فى ذلك اليوم فكان ابن عباس يقول إن الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله ص -رواية-١-٢-رواية-٢٤-٨٦ يعنى الاختلاف واللغو. قلت هذا الحديث قدخرجه الشيخان محمد بن إسماعيل البخارى ومسلم بن الحجاج القشيري فى صحيحيهما واتفق المحدثون كافة على روايته . قال أبو بكر وحدثنا أبو زيد عن رجاله عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله -رواية-١-٢ [صفحہ ٥٢] ص إن تولوها أبابكر تجدوه ضعيفا فى بدنه قويا فى أمر الله و إن تولوها عمر تجدوه قويا فى بدنه قويا فى أمر الله و إن تولوها عليا و ما أراكم فاعلين تجدوه هاديا مهديا يحملكم على المحجة البيضاء والصرط المستقيم -رواية-٦-٢١٩ قال أبو بكر وحدثنا أحمد بن إسحاق بن صالح عن أحمد بن سيار عن سعيد بن كثير الأنصارى عن رجاله عن عبد الله بن عبدالرحمن أن رسول الله ص فى مرض موته أمر أسامة بن زيد بن حارثة على جيش فيه جلة المهاجرين والأنصار منهم أبو بكر وعمر و أبو عبيدة بن الجراح و عبدالرحمن بن عوف و طلحة والزبير وأمره أن يغير على مؤتة حيث قتل أبوه زيد و أن يغزو وادى فلسطين فتناقل أسامة و تناقل الجيش بتناقله وجعل رسول الله ص فى مرضه يثقل ويخف ويؤكد القول فى تنفيذ ذلك البعث حتى قال له أسامة بأبى أنت وأمى أتأذن لى أن أمكث أياما حتى يشفيك الله تعالى فقال اخرج وسر على بركة الله فقال يا رسول الله إن أنا خرجت و أنت على هذه الحال خرجت و فى قلبى قرحة منك فقال سر على النصر والعافية فقال يا رسول الله إنى أكره أن أسأل عنك الركبان فقال انفذ لما أمرتك به ثم أغمى على رسول الله ص وقام أسامة فتجهز للخروج فلما أفاق رسول الله ص سأل عن أسامة والبعث فأخبر أنهم يتجهزون فجعل يقول انفذوا بعث أسامة لعن الله من تخلف عنه وكرر ذلك -رواية-١-٢-رواية-١٢٩-٩٧٤ فخرج أسامة واللواء على رأسه والصحابة بين يديه حتى إذا كان بالجرف نزل ومعه أبو بكر وعمر وأكثر المهاجرين و من الأنصار أسيد بن حضير وبشير بن سعد وغيرهم من الوجوه فجاء رسول أم أيمن يقول له ادخل فإن رسول الله يموت فقام من فوره فدخل المدينة واللواء معه فجاء به حتى ركزه بباب رسول الله و رسول الله قدمات فى تلك الساعة. قال فما كان أبو بكر وعمر يخاطبان أسامة إلى أن ماتا إلا بالأمير [صفحہ ٥٣]

٦٧- و من كلام له ع لما قلد محمد بن أبى بكر مصر فملك عليه وقتل

إشارة

وَقَدْ أَرَدْتُ تَوَلِيَّهَ مِصْرَ هَاشِمِ بْنِ عُتْبَةَ وَ لَوْ وُلِّيْتُهُ إِيَّاهَا لَمَا خَلَى لَهُمُ الْعَرِصَةَ وَ لَا أَنْهَزَهُمُ الْفُرْصَةَ بِلَا ذَمٍّ لِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ فَلَقَدْ كَانَ إِلَى حَبِيْبًا وَ كَانَ لى رَبِيْبًا

ذكر محمد بن أبي بكر وذكر ولده

أم محمد بن أبي بكر أسماء بنت عميس بن النعمان بن كعب بن مالك بن قحافة بن خثعم كانت تحت جعفر بن أبي طالب وهاجرت معه إلى الحبشة فولدت له هناك عبد الله بن جعفر الجواد ثم قتل عنها يوم مؤتة ف خلف عليها أبو بكر الصديق فأولدها محمدا ثم مات عنها ف خلف عليها علي بن أبي طالب و كان محمدربيبه وخريجه وجاريا عنده مجرى أولاده رضع الولاء والتشيع مذ زمن الصبا فنشأ عليه فلم يكن يعرف له أبا غير علي ولا يعتقد لأحد فضيلة غيره حتى قال علي ع محمدابني من صلب أبي بكر -رواية 1- 2-رواية 16- 43 و كان يكنى أبا القاسم في قول ابن قتيبة و قال غيره بل كان يكنى أبا عبدالرحمن . [صفحہ 54] و كان محمد من نساك قريش و كان ممن أعان علي عثمان في يوم الدار واختلف هل باشر قتل عثمان أم لا و من ولد محمد القاسم بن محمد بن أبي بكر فقيه الحجاز وفاضلها و من ولد القاسم عبدالرحمن بن القاسم بن محمد كان من فضلاء قريش و يكنى أبا محمد و من ولد القاسم أيضا أم فروة تزوجها الباقر أبو جعفر محمد بن علي فأولدها الصادق أبا عبد الله جعفر بن محمد ع و إلى أم فروة أشار الرضى أبو الحسن بقوله يفاخرنا قوم بمن لم نلدهم || بتيم إذاعد السوابق أوعدى وينسون من لو قدموه لقدموا || عذار جواد في الجياد مقلد فتى هاشم بعد النبي وباعها || لمرمى علا أونيل مجد وسؤدد و لو لا علي ماعلوا سرواتها || و لا جمعجوعا فيها برعى ومورد أخذنا عليكم بالنبي وفاطم || طلاع المساعي من مقام ومقعد وطلنا بسبطي أحمد ووصيه || رقاب الورى من متهمين ومنجد وحرنا عتيقا و هو غايه فخر كم || بمولد بنت القاسم بن محمد فجد نبى ثم جد خليفه || فأكرم بجدينا عتيق و أحمد و ما افتخرت بعد النبي بغيره || يد صفقت يوم البياع على يد . قوله و لو لا علي ماعلوا سرواتها البيت ينظر فيه إلى قول المأمون في أبيات يمدح فيها عليا أولها الأم على حبي الوصى أبا الحسن || و ذلك عندي من أعاجيب ذا الزمن . والبيت المنظور إليه منها قوله [صفحہ 55] ولولاه ماعدت لهاشم إمرة || و كان مدى الأيام يعصى ويمتهن

هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ونسبه

و أما هاشم بن عتبة بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب فعمه سعد بن أبي وقاص أحد العشرة وأبوه عتبة بن أبي وقاص الذى كسر رباعية رسول الله ص يوم أحد وكلم شفثيه وشج وجهه فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم و هو يدعوهم إلى ربهم -رواية 1- 2-رواية 11- 74 فأنزل الله عز وجل لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ . و قال حسان بن ثابت فى ذلك اليوم -قرآن 22- 107 إذا الله حيا معشرنا بفعالهم || ونصرهم الرحمن رب المشارق فهدك ربي يا عتيب بن مالك || ولقاك قبل الموت إحدى الصواعق بسطت يمينا للنبي محمد || فدميت فاه قطعت بالبوارق فهلا ذكرت الله والمنزل الذى || تصير إليه عند إحدى الصعائق فمن عاذرى من عبد عذرة بعد ما || هوى فى دجوى شديد المضايق [صفحہ 56] وأورث عارا فى الحياة لأهله || و فى النار يوم البعث أم البوائق . وإنما قال عبد عذرة لأن عتبة بن أبي وقاص وإخوته وأقاربه فى نسبهم كلام ذكر قوم من أهل النسب أنهم من عذرة وأنهم أدياء فى قريش ولهم خبر معروف وقصة مذكورة فى كتب النسب . وتنازع عبد الله بن مسعود وسعد بن أبي وقاص فى أيام عثمان فى أمر فاخصما فقال سعد لعبد الله اسكت يا عبد هذيل فقال له عبد الله اسكت يا عبد عذرة . وهاشم بن عتبة هو المرقال سمي المرقال لأنه كان يرقل فى الحرب إرقالا و هو من شيعة علي و سنفصل مقتله إذا انتهينا إلى فصل من كلامه يتضمن ذكر صفين . فأما قوله لماخلى لهم العرصة فيعنى عرصة مصر و قد كان محمدرحمه الله تعالى

لماضاق عليه الأمر ترك لهم مصر وظن أنه بالفرار ينجو بنفسه فلم ينجح وأخذ وقتل . و قوله و لأنهم الفرصة أى و لاجعلهم
للفرصة منتهزين والهمزة للتعدية يقال أنهزتها غيرى . ونحن نذكر فى هذاالموضع ابتداء أمر الذين ولاهم على
ع مصر إلى أن انتهى إلى كيفية ملك معاوية لها وقتل محمد بن أبى بكر و نقتل ذلك من كتاب ابراهيم بن سعد بن هلال
الثقفى و هو كتاب الغارات [صفحہ ۵۷]

ولاية قيس بن سعد على مصر ثم عزله

قال ابراهيم حدثنا محمد بن عبد الله بن عثمان الثقفى قال حدثنى على بن محمد بن أبى سيف عن الكلبي أن محمد بن أبى
حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبدشمس هو أذى حرص المصريين على قتل عثمان وندبهم إليه و كان حينئذ بمصر فلما ساروا
إلى عثمان وحصروه و ثب هو بمصر على عامل عثمان عليها و هو عبد الله بن سعد بن أبى سرح أحد بنى عامر بن لؤى فطرده
عنها و صلى بالناس فخرج ابن أبى سرح من مصر و نزل على تخوم أرضها مما يلى فلسطين و انتظر ما يكون من أمر عثمان فطلع
عليه راكب فقال له يا عبد الله ما وراءك ماخبر الناس بالمدينة قال قتل المسلمون عثمان فقال ابن أبى سرح إنا لله و إنا إليه
راجعون ثم صنعوا ماذا يا عبد الله قال بايعوا ابن عم رسول الله على بن أبى طالب فقال ثانيه إنا لله و إنا إليه راجعون فقال الرجل
أرى أن ولاية على عدلت عندك قتل عثمان قال أجل فنظر إليه متأملا له فعرفه فقال أظنك عبد الله بن سعد بن أبى سرح
أمير مصر قال أجل قال إن كانت لك فى الحياة حاجة فالنجاه النجاه فإن رأى على فيك و فى أصحابك إن ظفر بكم قتلكم
أونفاكم عن بلاد المسلمين و هذا أمير تقدم بعدى عليكم قال و من الأمير قال قيس بن سعد بن عبادة فقال ابن أبى سرح أبعد الله
ابن أبى حذيفة فإنه بغى على ابن عمه وسعى عليه و قد كان كفله ورباه و أحسن إليه و أمن جواره فجهز الرجال إليه حتى قتل
و وثب على عامله . و خرج ابن أبى سرح حتى قدم على معاوية بدمشق . قال ابراهيم و كان قيس بن سعد بن عبادة من شيعة على
و مناصحيه فلما ولى الخلافة قال له سر إلى مصر فقد وليتها و ليحكها و اخرج إلى ظاهر المدينة و اجمع ثقاتك و من -روایت- ۱- ۲-
روایت- ۱۷- ادامه دارد [صفحہ ۵۸] أحببت أن يصحبك حتى تأتى مصر و معك جند فإن ذلك أربع لعدوك و أعز لوليک
فإذا أنت قدمتها إن شاء الله فأحسن إلى المحسن و اشتد على المريب و ارفق بالعامه و الخاصة فالرفق يمن . فقال قيس رحمك الله
يا أمير المؤمنين قد فهمت ما ذكرت فأما الجند فإنى أدعه لك فإذا احتجت إليهم كانوا قريبا منك و إن أردت بعثهم إلى وجه من
و جوهك كان لك عدة و لكنى أسير إلى مصر بنفسى و أهل بيتى و أما ما أوصيتنى به من الرفق و الإحسان فالله تعالى
هو المستعان على ذلك قال فخرج قيس فى سبعة نفر من أهله حتى دخل مصر فصعد المنبر و أمر بكتاب معه يقرأ على الناس فيه
من عبد الله على أمير المؤمنين إلى من بلغه كتابى هذا من المسلمين سلام عليكم فإنى أحمد الله إليكم الذى لا إله إلا هو أما بعد
فإن الله بحسن صنعه و قدره و تدبيره اختار الإسلام دينا لنفسه و ملائكته و رسله و بعث به أنبياءه إلى عباده فكان مما أكرم الله عز و
جل به هذه الأمة و خصهم به من الفضل أن بعث محمداص إليهم فعلمهم الكتاب و الحكمة و السنة و الفرائض و أدبهم لكيما
يهتدوا و جمعهم لكيلا يتفرقوا و زكاهم لكيما يتطهروا فلما قضى من ذلك ما عليه قبضه الله إليه فعليه صلوات الله و سلامه و رحمته
و رضوانه ثم إن المسلمين من بعده استخلفوا أميرين منهم صالحين فعملا بالكتاب و السنة و أحيا السيرة و لم يعدوا السنة ثم توفيا
رحمهما الله فولى بعدهما و ال أحدث أحداثا فوجدت الأمة عليه مقالا فقالوا ثم نقموا فغيروا ثم جاءونى فبايعونى و أنا أستهدى
الله الهدى و أستعينه على التقوى ألا- و إن لكم علينا العمل بكتاب الله و سنة رسوله و القيام بحقه و النصيح لكم بالغيب و الله
المستعان على ماتصفون و حسبنا الله و نعم الوكيل -روایت- از قبل- ۱- روایت- ۲- ادامه دارد [صفحہ ۵۹] و قد بعثت لكم قيس بن

سعد الأنصاري أميرا فوازره وأعينوه على الحق وقدمته بالإحسان إلى محسنكم والشدة على مريكم والرفق بعوامكم وخواصكم و هو ممن أرضى هديه وأرجو صلاحه ونصحه نسأل الله لنا ولكم عملا زاكيا وثوبا جزيلا ورحمة واسعة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته -رواية-از قبل-٢٨٧. وكتبه عبد الله بن أبي رافع في صفر سنة ست وثلاثين . قال ابراهيم فلما فرغ من قراءة الكتاب قام قيس خطيبا فحمد الله وأثنى عليه و قال الحمد لله الذي جاء بالحق وأما الباطل وكتب الظالمين أيها الناس إنا بايعنا خير من نعلم من بعدنينا محمدص فقوموا فبايعوا على كتاب الله وسنة رسوله فإن نحن لم نعمل بكتاب الله وسنة رسوله فلابيعة لنا عليكم .فقام الناس فبايعوا واستقامت مصر وأعمالها لقيس وبعث عليها عماله إلا أن قرية منها قدأعظم أهلها قتل عثمان وبها رجل من بنى كنانة يقال له يزيد بن الحارث فبعث إلى قيس إنا لانأتيك فابعث عمالك فالأرض أرضك ولكن أقرنا على حالنا حتى ننظر إلى ما يصير أمر الناس . ووثب محمد بن مسلمة بن مخلد بن صامت الأنصاري فنعى عثمان ودعا إلى الطلب بدمه فأرسل إليه قيس ويحك أ على تثب و الله ما أحب أن لى ملك الشام ومصر وأنى قتلتك فاحقن دمك فأرسل إليه مسلمة إنى كاف عنك مادمت أنت والى مصر. و كان قيس بن سعد ذا رأى وحزم فبعث إلى الذين اعتزلوا أنى لاأكرهكم على البيعة ولكنى أدعكم وأكف عنكم فهادنهم وهادن مسلمة بن مخلد وجبى الخراج و ليس أحد ينازعه . [صفحة ٦٠] قال ابراهيم وخرج على ع إلى الجمل وقيس على مصر ورجع من البصرة إلى الكوفة و هو بمكانه فكان أثقل خلق الله على معاوية لقرب مصر وأعمالها من الشام ومخافة أن يقبل على أهل العراق ويقبل إليه قيس بأهل مصر فيقع بينهما.فكتب معاوية إلى قيس و على يومئذ بالكوفة قبل أن يسير إلى صفين من معاوية بن أبى سفيان إلى قيس بن سعد سلام عليك فإنى أحمد إليك الله الذى لاإله إلا هو. أما بعد فإنكم إن كنتم نعمتم على عثمان فى أثره رأيتموها أو ضربه سوط ضربها أو فى شتمه رجلا أو تعبيره واحدا أو فى استعماله الفتیان من أهله فإنكم قدعلمتم إن كنتم تعلمون أن دمه لم يحل لكم بذلك فقد ركبتم عظيما من الأمر وجئتم شيئا إذا فتب يا قيس إلى ربك إن كنت من المجلبين على عثمان إن كانت التوبة قبل الموت تغنى شيئا و أما صاحبك فقد استيقنا أنه أغرى الناس بقتله وحملهم على قتله حتى قتلوه و أنه لم يسلم من دمه عظم قومك فإن استطعت يا قيس أن تكون ممن يطلب بدم عثمان فافعل وتابنا على على فى أمرنا هذا و لك سلطان العراقين إن أناظفرت ما بقيت ولمن أحببت من أهل بيتك سلطان الحجاز مادام لى سلطان وسلنى عن غير هذامما تحب فإنك لاتسألنى شيئا إلاأتيته واكتب إلى رأيك فيما كتبت إليك . فلما جاء إليه كتاب معاوية أحب أن يدافعه ولا يبدى له أمره ولا يعجل له حربه فكتب إليه أما بعد فقد وصل إلى كتابك وفهمت الذى ذكرت من أمر عثمان و ذلك أمر لم أقاربه وذكرت أن صاحبى هو الذى أغرى الناس بعثمان و دسهم إليه حتى قتلوه و هذا أمر لم أطلع عليه وذكرت لى أن عظم عشيرتى لم تسلم من دم عثمان فلعمرى إن أولى [صفحة ٦١] الناس كان فى أمره عشيرتى و أما ما سألتنى من مبايعتك على الطلب بدمه و ماعرضته على فقد فهمته و هذا أمر لى نظر فيه وفكر و ليس هذامما يعجل إلى مثله و أنا كاف عنك و ليس يأتيتك من قبلى شىء تكرهه حتى ترى ونرى إن شاء الله تعالى و السلام عليك ورحمة الله وبركاته . قال ابراهيم فلما قرأ معاوية كتابه لم يره إلا مقاربا مباعدا و لم يأمن أن يكون له فى ذلك مخادعا مكايذا فكتب إليه أما بعد فقد قرأت كتابك فلم أرك تدنو فأعدك سلما و لم أرك تتباعد فأعدك حربا أراك كحبل الجرور و ليس مثلى يصانع بالخداع ولا يخدع بالمكاييد ومعه عدد الرجال وأعنة الخيل فإن قبلت الذى عرضت عليك فلك ما أعطيتك و إن أنت لم تفعل ملأت مصر عليك خيلا ورجلا و السلام . فلما قرأ قيس كتابه وعلم أنه لا يقبل منه المدافعة والمطاوله أظهر له ما فى نفسه فكتب إليه من قيس بن سعد إلى معاوية بن أبى سفيان أما بعد فالعجب من استسقاطك رأبى والطمع فى أن تسومنى لا-أبالغيرك الخروج من طاعة أولى الناس بالأمر وأقولهم بالحق وأهداهم سبيلا وأقربهم من رسول الله وسيله وتأمرنى بالدخول فى طاعتك وطاعة أبعده الناس من هذا الأمر وأقولهم بالزور وأضلهم سبيلا وأدناهم من رسول الله وسيله ولديك قوم ضالون مضلون طواغيت

من طواغيت إبليس و أماقولك إنك تملأ على مصر خيلا ورجلا فلئن لم أشغلك عن ذلك حتى يكون منك إنك لذو جد و السلام . فلما أتى معاوية كتاب قيس أيس و ثقل مكانه عليه و كان أن يكون مكانه غيره أحب إليه لما يعلم من قوته و تأييه و نجدته و اشتداد أمره على معاوية فأظهر للناس أن [صفحہ ۶۲] قيسا قد بايعكم فادعوا الله له و قرأ عليهم كتابه الذى لان فيه و قاربه و اختلق كتابا نسيه إلى قيس فقراه على أهل الشام . للأمير معاوية بن أبى سفيان من قيس بن سعد . أما بعد إن قتل عثمان كان حدثا فى الإسلام عظيما و قد نظرت لنفسى و دىنى فلم أر يسعنى مظاهره قوم قتلوا إمامهم مسلما محرما برا تقيا فنستغفر الله سبحانه لذنوبنا و نسأله العصمه لديتنا ألا و إنى قد ألقيت إليكم بالسلام و أحببتك إلى قتال قتله إمام الهدى المظلوم فاطلب منى ما أحببت من الأموال و الرجال أعجله إليك إن شاء الله و السلام على الأمير و رحمته الله و بركاته . قال فشاع فى الشام كلها أن قيسا صالح معاوية و أتت عيون على بن أبى طالب إليه بذلك فأعظمه و أكبره و تعجب له و دعا ابنه حسنا و حسيننا و ابنه محمدا و عبد الله بن جعفر فأعلمهم بذلك و قال مارأيكم فقال عبد الله بن جعفر يا أمير المؤمنين دع ما يريبك إلى ما لا يريبك اعزل قيسا عن مصر قال على و الله إنى غير مصدق بهذا على قيس فقال عبد الله اعزله يا أمير المؤمنين فإن كان ما قد قيل حقا فلا يعتزل لك أن عزلته قال و إنهم لكذلك إذ جاءهم كتاب من قيس بن سعد فيه أما بعد فإنى أخبر يا أمير المؤمنين أكرمك الله و أعزك إن قبلى رجلا - معتزلين سألونى أن أكف عنهم و أدعهم على حالهم حتى يستقيم أمر الناس فزرى و يرون و قد رأيت أن أكف عنهم و لأعجل بحربهم و أن أتألفهم فيما بين ذلك لعل الله أن يقبل بقلوبهم و يفرقهم عن ضلالتهم إن شاء الله و السلام . فقال عبد الله بن جعفر يا أمير المؤمنين إنك إن أطعته فى تركهم و اعترالهم استشرى الأمر و تفاقمت الفتنة و قعد عن بيعتك كثير ممن تريده على الدخول فيها ولكن مره بقتالهم فكتب إليه - رواية ۱- ۲- رواية ۱۴- ادامه دارد [صفحہ ۶۳] أما بعد فسر إلى القوم الذين ذكرت فإن دخلوا فيما دخل فيه المسلمون و إلفناجزهم و السلام - رواية - از قبل ۹۶ قال فلما أتى هذا الكتاب قيسا فقراه لم يتمالك أن كتب إلى على أما بعد يا أمير المؤمنين تأمرنى بقتال قوم كافين عنك و لم يمدوا يدا للفتنة و لا أرسدوا لها فأطعنى يا أمير المؤمنين و كف عنهم فإن رأى تركهم و السلام . فلما أتاه هذا الكتاب قال عبد الله بن جعفر يا أمير المؤمنين ابعث محمد بن أبى بكر إلى مصر يكفك أمرها و اعزل قيسا فو الله لبلغنى أن قيسا يقول إن سلطانا لا يتم إلا بقتل مسلمة بن مخلد لسلطان سوء و الله ما أحب أن لى سلطان الشام مع سلطان مصر و أنى قتلت ابن مخلد و كان عبد الله بن جعفر أخا محمد بن أبى بكر لأمه و كان يحب أن يكون له إمرة و سلطان فاستعمل على ع محمد بن أبى بكر على مصر لمحبة له و لهوى عبد الله بن جعفر أخيه فيه و كتب معه كتابا إلى أهل مصر فسار حتى قدمها فقال له قيس ما بال أمير المؤمنين ما غيره أدخل أحد بينى و بينه قال لا - و هذا السلطان سلطانك و كان بينهما نسب كان تحت قيس قريبه بنت أبى قحافة أخت أبى بكر الصديق فكان قيس زوج عمته فقال قيس لا - و الله لا - أقيم معك ساعة واحدة و غضب حين عزله على عنها و خرج منها مقبلا إلى المدينة و لم يمض إلى على بالكوفة . قال ابراهيم و كان قيس مع شجاعته و نجدته جوادا مفضالا فحدثنى على بن محمد بن أبى سيف عن هاشم عن عروة عن أبيه قال لما خرج قيس بن سعد من مصر فمر بأهل بيت من بلقين فنزل بمائهم فنحر له صاحب المنزل جزورا و أتاه بها فلما كان الغد نحر له أخرى ثم حبستهم السماء اليوم الثالث فنحر لهم ثالثة ثم إن السماء أقلعت [صفحہ ۶۴] فلما أراد قيس أن يرتحل وضع عشرين ثوبا من ثياب مصر و أربعة آلاف درهم عند امرأة الرجل و قال لها إذا جاء صاحبك فادفعى هذه إليه ثم رحل فما أتت عليه إلا ساعة حتى لحقه الرجل صاحب المنزل على فرس و معه رمح و الثياب و الدراهم بين يديه فقال يا هؤلاء خذوا ثيابكم و دراهمكم فقال قيس انصرف أيها الرجل فإننا لم نكن لناخذها قال و الله لناخذنها فقال قيس لله أبوك أ لم تكرمنا و تحسن ضيافتنا فكافأناك فليس بهذا بأس فقال الرجل إننا لناخذ لقرى الأضياف ثمنا و الله لا آخذها أبدا فقال قيس أما إذ أبى ألا يأخذها فخذوها فو الله ما فضلنى رجل من العرب غيره . قال ابراهيم و قال أبو المنذر مر قيس فى طريقه برجل من بلى يقال له

الأسود بن فلان فأكرمه فلما أراد قيس أن يرتحل وضع عند امرأته ثيابا ودرهما فلما جاء الرجل دفعته إليه فلحقه فقال ما أنابائع ضيافتى و الله لتأخذن هذا أولأنفذن الرمح بين جنبيك فقال قيس ويحكم خذوه . قال ابراهيم ثم أقبل قيس حتى قدم المدينة فجاهه حسان بن ثابت شامتا به و كان عثمانيا فقال له نزعك على بن أبى طالب و قد قتلت عثمان فبقى عليك الإثم و لم يحسن لك الشكر فزجره قيس و قال يا أعمى القلب يا أعمى البصر و الله لو لألقى بين رهطى و رهطك حربا لضربت عنقك ثم أخرجه من عنده . قال ابراهيم ثم إن قيسا وسهل بن حنيف خرجا حتى قدما على الكوفة فخبره قيس الخبر و ما كان بمصر فصدقه و شهد مع على صفين هو وسهل بن حنيف قال ابراهيم و كان قيس طوالا أطول الناس و أمدهم قامه و كان سناطا أصلع شيخا شجاعا مجربا مناصحا لعلى و لولده و لم يزل على ذلك إلى أن مات . [صفحہ ۶۵] قال ابراهيم حدثنى أبو غسان قال أخبرنى على بن أبى سيف قال كان قيس بن سعد مع أبى بكر و عمر فى سفر فى حياة رسول الله ص فكان ينفق عليهما و على غيرهما و يفضل فقال له أبوبكر إن هذا لا يقوم به مال أيبك فأمسك يدك فلما قدموا من سفرهم قال سعد بن عبادة لأبى بكر أردت أن تبخل ابنى إنا لقوم لانستطيع البخل . قال و كان قيس بن سعد يقول فى دعائه اللهم ارزقنى حمدا و مجدا و شكرا فإنه لاحمد الإبفعال و لامجد الإبمال اللهم وسع على فإن القليل لا يسعنى و لأسعه

ولاية محمد بن أبى بكر على مصر وأخبار مقتله

قال ابراهيم و كان عهد على إلى محمد بن أبى بكر الذى قرئ بمصر هذا ماعهد عبد الله على أمير المؤمنين إلى محمد بن أبى بكر حين و لاه مصر أمره بتقوى الله فى السر و العلانية و خوف الله تعالى فى المغيب و المشهد و أمره باللين على المسلم و الغلظ على الفاجر و بالعدل على أهل الذمة و بالإنصاف للمظلوم و بالشدة على الظالم و بالعفو عن الناس و بالإحسان ما استطاع و الله يجزى المحسنين و أمره أن يدعو من قبله إلى الطاعة و الجماعة فإن لهم فى ذلك من العاقبة و عظم المثوبة ما لا يقدر قدره و لا يعرف كنهه و أمره أن يجبى خراج الأرض على ما كانت تجبى عليه من قبل و لا ينتقص و لا يبتدع ثم يقسمه بين أهله كما كانوا يقسمونه عليه من قبل و إن تكن لهم حاجة يواس بينهم فى مجلسه و وجهه ليكون القريب و البعيد عنده على سواء و أمره أن يحكم بين الناس بالحق و أن يقوم بالقسط و لا يتبع الهوى و لا يخاف فى الله لومة لائم فإن الله مع من اتقاها و آثر طاعته على من سواه - رويت - ۱- ۲- رويت - ۱۷- ۸۸۷ [صفحہ ۶۶] و كتبه عبد الله بن أبى رافع مولى رسول الله لغرة شهر رمضان سنة ست و ثلاثين . قال ابراهيم ثم قام محمد بن أبى بكر خطيبا فحمد الله و أثنى عليه و قال أما بعد فالحمد لله الذى هدانا و إياكم لما اختلف فيه من الحق و بصرنا و إياكم كثيرا مما عمى عند الجاهلون ألا و إن أمير المؤمنين و لانى أموركم و عهد إلى بما سمعتم و أوصانى بكثير منه مشافهة و لن آلوكم خيرا ما استطعت و ماتوفيقى إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب فإن يكن ماترون آثارى و أعمالى طاعة لله و تقوى فاحمدوا الله على ما كان من ذلك فإنه هو الهادى إليه فإن رأيتم من ذلك عملا بغير الحق فارفعوه إلى و عاتبونى عليه فإنى بذلك أسعد و أنتم بذلك جديرون و فقنا الله و إياكم لصالح العمل . قال ابراهيم و حدثنى يحيى بن صالح عن مالك بن خالد الأسدى عن الحسن بن ابراهيم عن عبد الله بن الحسن بن الحسن قال كتب على ع إلى أهل مصر لمابعث محمد بن أبى بكر إليهم كتابا يخاطبهم به و يخاطب محمدا أيضا فيه أما بعد فإنى أوصيكم بتقوى الله فى سر أمركم و علانيته و على أى حال كنتم عليها و ليعلم المرء منكم أن الدنيا دار بلاء و فناء و الآخرة دار جزاء و بقاء فمن استطاع أن يؤثر ما يبقى على ما يفنى فليفعل فإن الآخرة تبقى و الدنيا تفنى رزقنا الله و إياكم بصرا لمابصرنا و فهما لمافهمنا حتى لانقصر عما أمرنا و لانتعدى إلى مانهاننا و اعلم يا محمد إنك و إن كنت محتاجا إلى نصيبيك من الدنيا إلا أنك إلى نصيبيك من الآخرة أحوج فإن عرض لك أمران أحدهما

للاخرة والآخر للدنيا فابدأ بأمر الآخرة ولتعظم رغبتك في الخير ولتحسن فيه نيتك فإن الله عز وجل يعطي العبد على قدر نيته و إذا أحب الخير وأهله و لم يعمله كان إن شاء الله كمن عمله فإن رسول الله ص قال حين رجع من تبوك إن بالمدينة لأقواما ماسرتم من مسير و لاهبطتم من واد إلا -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣٠-إداهه دارد [صفحة ٦٧] كانوا معكم ما حبسهم إلا المرض يقول كانت لهم نية ثم اعلم يا محمد إنى قدوليتك أعظم أجنادى أهل مصر ووليتك ماوليتك من أمر الناس فأنت محقوق أن تخاف فيه على نفسك وتحذر فيه على دينك و لو كان ساعة من نهار فإن استطعت ألا تسخط ربك لرضا أحد من خلقه فافعل فإن في الله خلفا من غيره و ليس فى شىء خلف منه فاشتد على الظالم ولن لأهل الخير وقربهم إليك واجعلهم بطانتك وإخوانك و السلام -رواية- از قبل- ٢-١-٢٠٢ قال ابراهيم حدثنى يحيى بن صالح عن مالك بن خالد عن الحسن بن ابراهيم عن عبد الله بن الحسن قال كتب على إلى محمد بن أبى بكر و أهل مصر أما بعد فإنى أوصيكم بتقوى الله والعمل بما أنتم عنه مسئولون فأنتم به رهن و إليه صائرون فإن الله عز وجل يقول كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينَةٌ وَقَالَ وَيَحذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ وَقَالَ فَو رَبِّكَ لَنَسْتَلُنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ فاعلموا عباد الله أن الله سائلكم عن الصغير من أعمالكم والكبير فإن يعذب فنحن الظالمون و إن يغفر ويرحم فهو أرحم الراحمين واعلموا أن أقرب ما يكون العبد إلى الرحمة والمغفرة حينما يعمل بطاعة الله ومناصحته فى التوبة فعليكم بتقوى الله عز وجل فإنها تجمع من الخير ما لا يجمع غيرها ويدرك بها من الخير ما لا يدرك غيرها خير الدنيا وخير الآخرة يقول الله سبحانه وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَ لِدَارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَ لِنَعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ واعلموا عباد الله أن المؤمنين المتقين قد ذهبوا بعاجل الخير وآجله شركوا أهل الدنيا فى دنياهم -رواية- ١-٢-رواية- ١٢٠-إداهه دارد [صفحة ٦٨] و لم يشاركهم أهل الدنيا فى آخرتهم يقول الله عز وجل قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَكَنُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَا سَكَنَتْ وَأَكَلُوهَا بِأَفْضَلِ مَا أَكَلَتْ شَارِكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ فَأَكَلُوهَا مِنْ أَفْضَلِ مَا يَأْكُلُونَ وَ شَرِبُوا مِنْ أَفْضَلِ مَا يَشْرَبُونَ وَيَلْبَسُونَ مِنْ أَفْضَلِ مَا يَلْبَسُونَ وَيَسْكُنُونَ مِنْ أَفْضَلِ مَا يَسْكُنُونَ أَصَابُوا لَذَّةَ أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَ أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَ أَنَّهُمْ غَدَا مِنْ جِيرَانِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَ جَلَّ يَتَمَنُونَ عَلَيْهِ لَإِذَا يَرَدُ لَهُمْ دَعْوَةٌ وَ لَا يَنْقُصُ لَهُمْ لَذَّةُ مَا فِي هَذَا مَا يَشْتَاقُ إِلَيْهِ مِنْ كَانَ لَهُ عَقْلٌ وَ اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنكُمْ إِذَا اتَّقَيْتُمْ رَبَّكُمْ وَ حَفِظْتُمْ نَبِيَكُمْ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ فَقَدْ عِبَدْتُمُوهُ بِأَفْضَلِ مَا ذَكَرْتُمُوهُ بِأَفْضَلِ مَا ذَكَرَ وَ شَكَرْتُمُوهُ بِأَفْضَلِ مَا شَكَرَ وَأَخَذْتُمْ بِأَفْضَلِ الصَّبْرِ وَ جَاهَدْتُمْ بِأَفْضَلِ الْجِهَادِ وَ إِنْ كَانَ غَيْرُكُمْ أَطْوَلَ صَلَاةً مِنْكُمْ وَأَكْثَرَ صِيَامًا إِذَا كُنْتُمْ أَتَقَى اللَّهَ وَ أَنْصَحَ لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ وَ أَخْشَعَ وَ أَحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ الْمَوْتَ وَ نَزْوَلَهُ وَ خَذَلُوهُ فَإِنَّهُ يَدْخُلُ بِأَمْرِ عَظِيمٍ خَيْرٌ لَا يَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبَدًا أَوْ شَرٌّ لَا يَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أَبَدًا وَ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يَفَارِقُ رُوحَهُ جَسَدَهُ حَتَّى يَعْلَمَ إِلَى أَيِّ الْمَرْتَلَتَيْنِ يَصِيرُ إِلَى الْجَنَّةِ أَمْ إِلَى النَّارِ أَعْدُوهُ هُوَ اللَّهُ أَمْ وَلِيٌّ لَهُ فَإِنْ كَانَ وَلِيًّا فَتَحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَ شَرَعَ لَهُ طَرِيقُهَا وَ نَظَرَ إِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِأَوْلِيَائِهِ فِيهَا فَرَّغَ مِنْ كُلِّ شُغْلٍ وَ وُضِعَ عَنْهُ كُلُّ ثِقَلٍ وَ إِنْ كَانَ عَدُوًّا فَتَحَتْ لَهُ أَبْوَابُ النَّارِ وَ سَهَّلَ لَهُ طَرِيقُهَا وَ نَظَرَ إِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ فِيهَا لِأَهْلِهَا وَ اسْتَقْبَلَ كُلَّ مَكْرُوهِ وَ فَارَقَ كُلَّ سُرُورٍ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ واعلموا عباد الله أن الموت ليس منه فوت فاحذروه وأعدوا له عدته فإنكم -رواية- از قبل- ١٦٧٨ [صفحة ٦٩] طرداء للموت إن قمتم أخذكم و إن هربتم أدرككم و هو ألزم لكم من ظلكم معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من خلفكم فأكثروا ذكر الموت عند ما تنازعكم إليه أنفسكم من الشهوات فإنه كفى بالموت واعظا قال رسول الله ص أكثروا ذكر الموت فإنه هادم اللذات واعلموا عباد الله أن ما بعد الموت أشد من الموت لمن لم يغفر الله له ويرحمه واحذروا القبر وضمته وضيعه وظلمته فإنه الذى يتكلم كل يوم أنابت التراب و أنابت الغربه و أنابت الدود والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار إن المسلم إذ مات قالت له الأرض مرحبا وأهلا قد كنت ممن أحب أن تمشى على

المسلمين وبعيدهم جعل الله خلتنا وودنا خلة المتقين وود المخلصين وجمع بيننا وبينكم في دار الرضوان إخوانا على سرر متقابلين إن شاء الله -رواية-از قبل-٣٣٩. قال ابراهيم بن سعد الثقفي فحدثني عبد الله بن محمد بن عثمان عن علي بن محمد بن أبي سيف عن أصحابه أن عليا لما كتب إلى محمد بن أبي بكر هذا الكتاب كان ينظر فيه ويتأدب بأدبه فلما ظهر عليه عمرو بن العاص وقتله أخذ كتبه أجمع فبعث بها إلى معاوية فكان معاوية ينظر في هذا الكتاب ويتعجب منه فقال الوليد بن عقبة و هو عند معاوية و قدرأى إعجابه به مر بهذه الأحاديث أن تحرق فقال معاوية مه لا رأى لك فقال الوليد أفمن رأى أن يعلم الناس أن أحاديث أبي تراب عندك تتعلم منها قال معاوية ويحك أتأمرني أن أحرق علما مثل هذا و الله ما سمعت بعلم هو أجمع منه و لا أحكم فقال الوليد إن كنت تعجب من علمه وقضائه فعلا م تقاتله فقال لو لا أن أباتراب قتل عثمان ثم أفتانا لأخذنا عنه ثم سكت هنيهة ثم نظر إلى جلسائه فقال إنا لا نقول إن هذه من كتب علي بن أبي طالب ولكن نقول هذه من كتب أبي بكر الصديق كانت عند ابنه محمد فنحن ننظر فيها ونأخذ منها. قال فلم تزل تلك الكتب في خزائن بنى أمية حتى ولى عمر بن عبدالعزيز فهو الذى أظهر أنها من أحاديث علي بن أبي طالب ع . قلت الأليق أن يكون الكتاب الذى كان معاوية ينظر فيه ويعجب منه [صفحة ٧٣] ويفتى به ويقضى بقضاياه وأحكامه هو عهد علي ع إلى الأشر فإنه نسيج وحده و منه تعلم الناس الآداب والقضايا والأحكام والسياسة و هذا العهد صار إلى معاوية لماسم الأشر ومات قبل وصوله إلى مصر فكان ينظر فيه ويعجب منه وحقيق من مثله أن يقتنى في خزائن الملوك . قال ابراهيم فلما بلغ عليا ع أن ذلك الكتاب صار إلى معاوية اشتد عليه حزنا. وحدثني بكر بن بكار عن قيس بن الربيع عن ميسرة بن حبيب عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة قال صلى بنا علي ع فلما انصرف قال -رواية-١-٢-رواية-١٠٢-١٣٦ لقد عثرت عثرة لأعتذر || سوف أكيس بعدها وأستمر وأجمع الأمر الشيت المتشتر فقلنا ما بالك يا أمير المؤمنين فقال إني استعملت محمد بن أبي بكر على مصر فكتب إلى أنه لا علم لى بالسنة فكتبت إليه كتابا فيه أدب وسنة فقتل وأخذ الكتاب -رواية-١-١٦١ قال ابراهيم فحدثني عبد الله محمد عن ابن أبي سيف المدائني قال فلم يلبث محمد بن أبي بكر شهرا كاملا حتى بعث إلى أولئك المعتزلين الذين كان قيس بن سعد موادعا لهم فقال ياهؤلاء أما أن تدخلوا في طاعتنا و أما أن تخرجوا من بلادنا فبعثوا إليه أنا لانفعل فدعنا حتى ننظر إلى ما يصير إليه أمر الناس فلا تعجل علينا فأبى عليهم فامتنعوا منه وأخذوا حذرهم ثم كانت وقعة صفين وهم لمحمد هائبون فلما أتاهم خبر معاوية و أهل الشام ثم صار الأمر إلى الحكومة و أن عليا و أهل العراق قد قفلوا عن معاوية والشام إلى عراقهم اجترءوا على محمد بن أبي بكر وأظهروا المنابذة له فلما رأى محمد ذلك بعث إليهم ابن جمهان البلوى ومعه يزيد بن الحارث الكناني فقاتلاهم [صفحة ٧٤] فقتلوهما ثم بعث إليهم رجلا من كلب فقتلوه أيضا وخرج معاوية بن حديج من السكاسك يدعو إلى الطلب بدم عثمان فأجابه القوم وناس كثير آخرون وفسدت مصر على محمد بن أبي بكر فبلغ عليا توثبهم عليه فقال ما أرى لمصر إلا أحد الرجلين صاحبنا الذى عزلنا بالأمس يعنى قيس بن سعد بن عبادة أو مالك بن الحارث الأشر و كان على حين رجوع عن صفين رد الأشر إلى عمله بالجزيرة و قال لقيس بن سعد أقم أنت معى على شرطتى حتى نفرغ من أمر هذه الحكومة ثم اخرج إلى آذربيجان فكان قيس مقيما على شرطته فلما أن انقضى أمر الحكومة كتب على إلى الأشر و هو يومئذ بنصيبين أما بعد فإنك ممن أستظهر به على إقامة الدين وأقمع به نخوة الأثيم وأسد به الثغر المخوف و قد كنت وليت محمد بن أبي بكر مصر فخرجت عليه خوارج و هو غلام حدث السن ليس بذى تجربة للحروب فاقدم على لنظر فيما ينبغى واستخلف على عملك أهل الثقة والنصيحة من أصحابك و السلام -رواية-١-٢-رواية-٤٢-٣٢١. فأقبل الأشر إلى علي واستخلف على عمله شبيب بن عامر الأزدي و هو وجد الكرمانى الذى كان بخراسان صاحب نصر بن سيار فلما دخل الأشر على علي حدثه حديث مصر وخبره خبر أهلها و قال له ليس لها غيرك فاخرج إليها رحمك الله فإنى لا أوصيك اكتفاء برأيك واستعن بالله على ما همك واخط الشدة باللين و ارفق ما

كان الرفق أبلغ واعتزم على الشدة حين لا يغنى عنك إلا الشدة. فخرج الأشتر من عنده فأتى برحله وأتت معاوية عيونه فأخبروه بولاية الأشتر مصر فعظم ذلك عليه و قد كان طمع في مصر فعلم أن الأشتر إن قدم عليها كان أشد عليه من محمد بن أبي بكر فبعث إلى رجل من أهل الخراج يثق به و قال له إن الأشتر قدولى مصر فإن كفتنيه لم آخذ منك خراجا ما بقيت و بقيت فاحتل في هلاكه ما قدرت عليه . [صفحہ ۷۵] فخرج الأشتر حتى انتهى إلى القلزم حيث تركب السفن من مصر إلى الحجاز فأقام به فقال له ذلك الرجل و كان ذلك المكان مكانه أيها الأمير هذامنزل فيه طعام و علف و أنا رجل من أهل الخراج فأقم واسترح و أتاه بالطعام حتى إذ طعم سقاه شربة عسل قد جعل فيها سما فلما شربها مات . قال ابراهيم و قد كان أمير المؤمنين كتب على يد الأشتر كتابا إلى أهل مصر روى ذلك الشعبي عن صعصعة بن صوحان من عبد الله على أمير المؤمنين إلى من بمصر من المسلمين سلام الله عليكم فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو أما بعد فإني قد بعثت إليكم عبدا من عباد الله لا ينال أيام الخوف و لا ينكل عن الأعداء حذار الدوائر لا تأكل من قدم و لاواه في عزم من أشد عباد الله بأسا و أكرمهم حسبا أضر على الفجار من حريق النار و أبعد الناس من دنس أوعار و هو مالک بن الحارث الأشتر حسام صارم لانا بى الضريبة و لا كيل الحد حليم في السلم رزين في الحرب ذو رأى أصيل و صبر جميل فاسمعوا له و أطيعوا أمره فإن أمركم بالنفر فانفروا و إن أمركم أن تقيموا فأقيموا فإنه لا يقدم و لا يحجم إلا بأمرى و قد آثرتمكم به على نفسى نصيحة لكم و شدة شكيمه على عدوكم عصمكم الله بالهدى و ثبتكم بالقوى و ووفقنا و إياكم لما يحب و يرضى و السلام عليكم ورحمة الله -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۷۵-۱۶۳ . قال ابراهيم و روى جابر عن الشعبي قال هلك الأشتر حين أتى عقبه أفيق . قال ابراهيم و حدثنا وطبة بن العلاء بن المنهال الغنوى عن أبيه عن عاصم [صفحہ ۷۶] بن كليب عن أبيه أن عليا لما بعث الأشتر إلى مصر واليا عليها و بلغ معاوية خبره بعث رسولا يتبع الأشتر إلى مصر و أمره باغتياله فحمل معه مزودين فيهما شراب و صحب الأشتر فاستسقى الأشتر يوما فسقاه من أحدهما ثم استسقى يوما آخر منه فسقاه من الآخر و فيه سم فشربه فمالت عنقه و طلب الرجل ففاتهم . قال ابراهيم و حدثنا محرز بن هشام عن جرير بن عبد الحميد عن مغيرة الضبي أن معاوية دس للأشتر مولى لآل عمر فلم يزل المولى يذكر للأشتر فضل على و بنى هاشم حتى اطمأن إليه و استأنس به فقدم الأشتر يوما ثقله أو تقدم ثقله فاستسقى ماء فقال له مولى آل عمر وهل لك في شربة سويق فسقاه شربة سويق فيها سم فمات . و قد كان معاوية قال لأهل الشام لمادس إليه مولى آل عمر ادعوا على الأشتر فدعوا عليه فلما بلغه موته قال ألا ترون كيف استجيب لكم . قال ابراهيم قدروى من بعض الوجوه أن الأشتر قتل بمصر بعد قتال شديد . و الصحيح أنه سقى سما فمات قبل أن يبلغ مصر . قال ابراهيم و حدثنا محمد بن عبد الله بن عثمان عن علي بن محمد بن أبي سيف المدائنى أن معاوية أقبل يقول لأهل الشام أيها الناس إن عليا قد وجه الأشتر إلى مصر فادعوا الله أن يكفيكموه فكانوا يدعون عليه في دبر كل صلاة و أقبل الذى سقاه السم إلى معاوية فأخبره بهلاك الأشتر فقام معاوية في الناس خطيبا فقال أما بعد فإنه كان لعلى بن أبى طالب يدان يمينان فقطعت إحداهما يوم صفين و هو عمار بن ياسر و قد قطعت الأخرى اليوم و هو مالک الأشتر . [صفحہ ۷۷] قال ابراهيم فلما بلغ عليا موت الأشتر قال إنا لله و إنا إليه راجعون و الحمد لله رب العالمين اللهم إني أحسبه عندك فإن موته من مصائب الدهر ثم قال رحم الله مالكا فلقد وفى بعهدة و قضى نجه و لقي ربه مع أنا قد و طنا أنفسنا أن نصبر على كل مصيبة بعد مصابنا برسول الله ص فإنها من أعظم المصيبات -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۷-۳۱۱ . قال ابراهيم و حدثنا محمد بن هشام المرادى عن جرير بن عبد الحميد عن مغيرة الضبي قال لم يزل أمر على شديدا حتى مات الأشتر و كان الأشتر بالكوفة أسود من الأحنف بالبصرة . قال ابراهيم و حدثنا محمد بن عبد الله عن ابن أبى سيف المدائنى عن جماعة من أشياخ النخع قالوا دخلنا على أمير المؤمنين حين بلغه موت الأشتر فوجدناه يتلهف و يتأسف عليه ثم قال لله در مالک و مامالک لو كان من جبل لكان فندا و لو كان من حجر لكان صلدا أما و الله ليهدن موتك عالما و ليفرحن عالما على مثل مالک فلتبک البواكى و هل

مرجو كمالك وهل موجود كمالك -رواية- 1-2-رواية- 104-380. قال علقمة بن قيس النخعي فما زال على يتلهف ويتأسف حتى ظننا أنه المصاب به دوننا وعرف ذلك في وجهه أياما. قال ابراهيم وحدثنا محمد بن عبد الله عن المدائني قال حدثنا مولى للأشتر قال لماهلك الأشتر أصيب في ثقله رسالة على إلى أهل مصر من عبد الله أمير المؤمنين إلى نفر من المسلمين الذين غضبوا لله إذ عصى في الأرض وضرب الجور برواقه على البر والفاجر فلاحق يستراح إليه ولا منكر يتناهى عنه سلام عليكم فإنني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو -رواية- 1-2-رواية- 85-ادامه دارد [صفحة 78] أما بعد فقد وجهت إليكم عبدا من عباد الله لا ينم في الخوف ولا ينكل من الأعداء حذار الدوائر أشد على الكافرين من حريق النار وهو مالك بن الحارث الأشتر أخو مذحج فاسمعوا له وأطيعوا فإنه سيف من سيوف الله لانا بنى الضريبة ولا كليل الحد فإن أمركم أن تقيموا فأقيموا وإن أمركم أن تنفروا فانفروا وإن أمركم أن تحجموا فأحجموا فإنه لا يقدم ولا يحجم إلا بأمرى وقد آثرتمكم به على نفسى لنصيحتته وشدته شكيمة على عدوه عصمكم الله بالحق وثبتكم بالتقوى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته -رواية- از قبل -500 قال ابراهيم وحدثنا محمد بن عبد الله عن المدائني عن رجاله أن محمد بن أبي بكر لما بلغه أن عليا قد وجه الأشتر إلى مصر شق عليه فكتب ع إليه عند مهلك الأشتر أما بعد فقد بلغني موجدتك من تسريح الأشتر إلى عملك ولم أفعل ذلك استبطاء لك عن الجهاد ولا استزادة لك منى في الجد و لوزعت ماحوت يداك من سلطانك لوليتك ما هو أيسر مئونة عليك وأعجب ولاية إليك ألا إن الرجل الذي وليته مصر كان رجلا لنا مناصحا وهو على عدونا شديد فرحمه الله عليه فقد استكمل أيامه ولاقى حمامه ونحن عنه راضون فرضى الله عنه وضاعف له الثواب وأحسن له المآب فاصحر لعدوك وشمر للحرب وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وأكثر ذكر الله والاستعانة به والخوف منه يكفك ما همك ويعنك على ما ولاك أعاننا الله وإياك على ما لا ينال إلا برحمته والسلام -رواية- 1-2-رواية- 67-762. قال فكتب محمد بن أبي بكر إليه جوابه [صفحة 79] إلى عبد الله أمير المؤمنين من محمد بن أبي بكر. سلام عليك فإنني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فقد انتهى إلى كتاب أمير المؤمنين وفهمته وعرفت ما فيه وليس أحد من الناس أشد على عدو أمير المؤمنين ولا أرف وأرق لوليه منى وقد خرجت فعسكرت وأمنت الناس إلا من نصب لنا حربا وأظهر لنا خلافا وأنا أتبع أمر أمير المؤمنين وحافظ ولاجئ إليه وقائم به والله المستعان على كل حال والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. قال ابراهيم فحدث محمد بن عبد الله بن عثمان عن ابن سيف المدائني عن أبي جهضم الأزدي أن أهل الشام لما انصرفوا عن صفين كانوا ينتظرون ما يأتي به الحكمان فلما انصرفا وتفرقا وبايع أهل الشام معاوية بالخلافة لم يزد معاوية إلا قوة واختلف أهل العراق على بن أبي طالب فلم يكن هم معاوية إلا مصر وقد كان لأهلها هائبا لقربهم منه وشدتهم على من كان على رأى عثمان وقد كان علم أن بها قوما قدساءهم قتل عثمان وخالفوا عليا مع أنه كان يرجو أن يكون له فيها معاونة إذ أظهر عليها على حرب على لوفور خراجها فدعا معاوية من كان معه من قریش وهم عمرو بن العاص السهمي وحبيب بن مسلمة الفهري وبسر بن أبي أرطاة العامري والضحاك بن قيس الفهري و عبدالرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي ودعا من غير قریش نحو شرحبيل بن السمط الحميري و أبي الأعور السلمى وحمزة بن مالك الهمداني فقال أتدرون لماذا دعوتكم قالوا لا قال فإنني دعوتكم لأمر هو لى مهم وأرجو أن يكون الله عز وجل قد أعان عليا فقال له القوم أو من قال له منهم إن الله لم يطلع على غيبه أحدا ولسنا ندرى ماتريد فقال عمرو بن العاص أرى والله أن أمر هذه البلاد المصرية لكثرة خراجها وعدد أهلها قد أهمك [صفحة 80] فدعوتنا تسألنا عن رأينا فى ذلك فإن كنت لذلك دعوتنا و له جمعتنا فاعزم واصرم ونعم الرأى مارأيت إن فى افتتاحها عزك و عز أصحابك وذل عدوك و كبت أهل الخلاف عليك. قال معاوية أهمك ما أهمك يا ابن العاص وذلك أن عمرا كان بايع معاوية على قتال على و أن مصر له طعمه مابقى فأقبل معاوية على أصحابه وقال إن هذا يعنى ابن العاص قد ظن وحقق ظنه قالوا ولكننا لا ندرى ولعل أبا عبد الله قد أصاب

فقال عمرو و أنا أبو عبد الله إن أفضل الظنون ماشابه اليقين . ثم إن معاوية حمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فقد رأيتكم كيف صنع الله لكم في حربكم هذه على عدوكم ولقد جاءوكم وهم لا يشكون أنهم يستأصلون بيضتكم ويجوزون بلادكم ما كانوا يرون إلا-أنكم في أيديهم فردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكفاكم مئوتهم . وحاكمتموهم إلى الله فحكم لكم عليهم ثم جمع كلمتنا وأصلح ذات بيننا وجعلهم أعداء متفرقين يشهد بعضهم على بعض بالكفر ويسفك بعضهم دم بعض والله إنى لأرجو أن يتم الله لنا هذا الأمر وقد رأيت أن أحاول حرب مصر فما ذا ترون . فقال عمرو بن العاص قد أخبرتك عما سألت وأشرت عليك بما سمعت . فقال معاوية ماترون فقالوا نرى مارأى عمرو بن العاص فقال معاوية إن عمرا قد عزم وصرم بما قال و لم يفسر كيف ينبغي أن نصنع . قال عمرو فإنى مشير عليك بما تصنع أرى أن تبعث جيشا كثيفا عليهم رجل صارم تأمنه وتثق به فيأتى مصر فيدخلها فإنه سيأتينا من كان على مثل رأينا من أهلها فنظاهاهه على من كان من عدونا فإن اجتمع بهاجندك و من كان بها من شيعتك على من بها من أهل حربك رجوت الله أن يعز نصرك ويظهر فلجك . [صفحہ ۸۱] فقال معاوية هل عندك شىء غير هذانعمله فيما بيننا وبينهم قبل هذا قال ما أعلمه . قال معاوية فإن رأى غير هذا أرى أن نكتب من كان بها من شيعتنا و من كان بها من عدونا فأما شيعتنا فأمهمم بالثبات على أمرهم ونمنينهم قدومنا عليهم و أما من كان بها من عدونا فندعوهم إلى صلحنا ونمنينهم شكرنا ونخوفهم حربنا فإن صلح لنا ماقبلهم من غير حرب و لاقتال فذلك ما أحببنا و إلا فحربهم من وراء ذلك . إنك يا ابن العاص لا مروؤ بورك لك في العجلة و بورك لى فى التؤدة . قال عمرو فاعمل بما أراك الله فو الله ما أرى أمرهم يصير إلا إلى الحرب . قال فكتب معاوية عند ذلك إلى مسلمة بن مخلد الأنصارى و إلى معاوية بن حديج الكندى و كانا قد خالفا عليا أما بعد فإن الله عز و جل قد ابتعثكما لأمر عظيم أعظم به أجركما ورفع درجتكما و مرتبتكما فى المسلمين طلبتما بدم الخليفة المظلوم و غضبتما لله إذ ترك حكم الكتاب و جاهدتما أهل الظلم و العدوان فأبشرا برضوان الله و عاجلا نصره أولياء الله و المواساة لكما فى دار الدنيا و سلطاننا حتى ينتهى ذلك إلى ما يرضيكما و يؤدى به حقكما فالزما أمركما و جاهدوا عدوكم و ادعوا المدبرين منكم إلى هداكم فكان الجيش قد أظلم عليكم فاندفع كل ماتكرهان و دام كل ماتهويمان و السلام عليكم و رحمة الله . و بعث بالكتاب مع مولى له يقال له سبيع فخرج بكتابه حتى قدم به عليهما بمصر [صفحہ ۸۲] و محمد بن أبى بكر يومئذ أميرها قد ناصبه هؤلاء نفر الحرب وهم هائبون الإقدام عليه فدفع الكتاب إلى مسلمة بن مخلد فقرأه فقال التى به معاوية بن حديج ثم القنى به حتى أجيب عنى و عنه فانطلق الرسول بكتاب معاوية فأقرأه إياه ثم قال له إن مسلمة قد أمرنى أن أرد الكتاب إليه لكى يجيب عنك و عنه قال قل له فليفعل فأتى مسلمة بالكتاب فكتب الجواب عنه و عن معاوية بن حديج أما بعد فإن هذا الأمر الذى قد ندبنا له أنفسنا و ابتغيا الله به على عدونا أمر نرجو به ثواب ربنا و النصر على من خالفنا و تعجيل النعمة على من سعى على إمامنا و طأطأ الركض فى مهادنا و نحن بهذه الأرض قد نفينا من كان بها من أهل البغى و أنهضنا من كان بها من أهل القسط و العدل و قد ذكرت موازرتك فى سلطانك و ذات يدك و بالله إنه لا من أجل مال نهضنا و لا إياه أردنا فإن يجمع الله لنا ما نريد و نطلب أو يرينا ما تمنينا فإن الدنيا و الآخرة لله رب العالمين و قد يشوبهما الله جميعا عالما من خلقه كما قال فى كتابه فاتاهم الله ثواب الدنيا و حسن ثواب الآخرة و الله يحب المحسنين جعل لنا بخيلك و رجلك فإن عدونا قد كان علينا جريئا و كنا فيهم قليلا و قد أصبحوا لنا هائبين و أصبحنا لهم منابذين فإن يأتنا مدد من قبلك يفتح الله عليك و لا قوة إلا بالله و هو حسبنا و نعم الوكيل . قال فجاء هذا الكتاب معاوية و هو يومئذ بفلسطين فدعا نفر الذين سميناهم من قريش و غيرهم و أقرأهم الكتاب و قال لهم ماذا ترون قالوا نرى أن تبعث إليهم جيشا من قبلك فانت مفتتحها إن شاء الله بإذن الله . قال معاوية فتجهز إليها يا أبا عبد الله يعنى عمرو بن العاص فبعثه فى ستة آلاف - قرآن - ۹۰۵-۹۹۱ [صفحہ ۸۳] فخرج يسير و خرج معه معاوية يودعه فقال له معاوية عند وداعه إياه أو صيكت بتقوى الله يا عمرو وبالرفق فإنه يمن و بالتؤدة فإن العجلة من الشيطان و بأن

تقبل من أقبل وتعفو عمن أدبر أنظره فإن تاب وأتاب قبلت منه و إن أبى فإن السطوة بعد المعرفة أبلغ فى الحجته وأحسن فى العاقبة وادع الناس إلى الصلح والجماعة فإن أنت ظفرت فليكن أنصارك أير الناس عندك و كل الناس فأول حسنا. قال فسار عمرو فى الجيش حتى دنا من مصر فاجتمعت إليه العثمانية فأقام وكتب إلى محمد بن أبى بكر أما بعد فتفتح عنى بدمك يا ابن أبى بكر فإنى لأحب أن يصيبك منى ظفر و إن الناس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك ورفض أمرك وندموا على اتباعك وهم مسلموك لو قد التقت حلقتا البطان فاخرج منها فإنى لك من الناصحين و السلام . قال وبعث عمرو إلى محمد مع هذا الكتاب كتاب معاوية إليه و هو أما بعد فإن غب الظلم والبغى عظيم الوبال و إن سفك الدم الحرام لا يسلم صاحبه من النعمة فى الدنيا والتبعة الموبقة فى الآخرة و مانعلم أحدا كان أعظم على عثمان بغيا و لآسوأ له عيبا و لأشد عليه خلافا منك سعيت عليه فى الساعين وساعدت عليه مع المساعدين وسفكت دمه مع السافكين ثم تظن أنى نائم عنك فتأتى بلده فتأمن فيها و جل أهلها أنصارى يرون رأبى ويرفضون قولك ويستصرخوننى عليك و قد بعثت إليك قوما حناقا عليك يسفكون دمك ويتقربون إلى الله عز و جل بجهادك و قد أعطوا الله عهدا ليقطنك و لو لم يكن منهم إليك ما قالوا لقتلك الله بأيديهم أو بأيدى غيرهم من أوليائه و أنا أحذرك وأذكرك فإن الله مقيد منك ومقتص لوليه وخليفته بظلمك له وبغيك عليه [صفحہ ۸۴] ووقعتك فيه وعداوتك يوم الدار عليه تطعن بمشاقصك فيما بين أحشائه وأوداجه و مع هذا فإنى أكره قتلك و لأحب أن أتولى ذلك منك ولن يسلمك الله من النعمة أين كنت أبدا فتفتح وانج بنفسك و السلام . قال فطوى محمد بن أبى بكر كتابيهما وبعث بهما إلى على ع وكتب إليه أما بعد يا أمير المؤمنين فإن العاصى ابن العاص قد نزل أدانى مصر واجتمع إليه من أهل البلد من كان يرى رأيهم و هو فى جيش جرار و قد رأيت ممن قبلى بعض الفشل فإن كان لك فى أرض مصر حاجة فامدنى بالأموال والرجال و السلام عليك ورحمة الله وبركاته . قال فكتب إليه على أما بعد فقد أتانى رسولك بكتابك تذكر أن ابن العاص قد نزل فى جيش جرار و أن من كان على مثل رأيه قد خرج إليه وخرج من كان يرى رأيه خير لك من إقامته عندك و ذكرت أنك قد رأيت ممن قبلك فشلا فلاتفشل و إن فشلوا حصن قريتكم واضمم إليك شيعتك وأذك الحرس فى عسكرك وانذب إلى القوم كنانة بن بشر المعروف بالنصيحة والتجربة والبأس و أنا نادب إليك الناس على الصعب والذلول فاصبر لعدوك وامض على بصيرتك وقاتلهم على نيتك وجاهدهم محتسبا لله سبحانه و إن كانت فتتك أقل الفئتين فإن الله تعالى يعين القليل ويخذل الكثير و قد قرأت كتابى الفاجرين المتحايين على المعصية والمتلائمين على الضلالة والمرتشين على الحكومة والمتكبرين على أهل الدين الذين استمتعوا بخلاقهم كما استمتع الذين من -روایت ۱- ۲-روایت ۲۴-ادامه دارد [صفحہ ۸۵] قبلهم بخلاقهم فلا يضرنك إرعادهما وإبراقهما وأجبهما إن كنت لم تجبهما بما أهله فإنك تجد مقالا ماشئت و السلام -روایت- از قبل- ۱۲۰ قال فكتب محمد بن أبى بكر إلى معاوية جواب كتابه أما بعد فقد أتانى كتابك تذكر من أمر عثمان أمرا لا أعتذر إليك منه وتأمرنى بالتنحى عنك كأنك لى ناصح وتخوفنى بالحرب كأنك على شفيق و أنا أرجو أن تكون الدائرة عليكم و أن يهلككم الله فى الوقعة و أن ينزل بكم الذل و أن تولوا الدبر فإن يكن لكم الأمر فى الدنيا فكم وكم لعمرى من ظالم قد نصرتم وكم من مؤمن قد قتلتم ومثلتم به و إلى الله المصير و إليه ترد الأمور و هو أرحم الراحمين و الله المستعان على ماتصفون . قال وكتب محمد بن أبى بكر إلى عمرو بن العاص جواب كتابه أما بعد فهتمت كتابك وعلمت ما ذكرت زعمت أنك تكره أن يصيبنى منك ظفر فأشهد بالله إنك لمن المبطلين وزعمت أنك ناصح لى وأقسم أنك عندى ظنين و قد زعمت أن أهل البلد قد رفضونى وندموا على اتباعى فأولئك حزبك وحزب الشيطان الرجيم وحسبنا الله رب العالمين ونعم الوكيل وتوكلت على الله العزيز الرحيم رب العرش العظيم . قال ابراهيم فحدثنا محمد بن عبد الله عن المدائنى قال فأقبل عمرو بن العاص يقصد قصد مصر فقام محمد بن أبى بكر فى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد يا معشر المؤمنين فإن القوم الذين كانوا ينتهكون

الحرمة ويغشون الضلالة ويستطيون بالجبرية فدنصبوا لكم العداوة وساروا إليكم بالجنود فمن أراد الجنة والمغفرة فليخرج إلى هؤلاء القوم فليجاهدهم في الله انتدبوا رحمكم الله مع [صفحة ٨٦] كنانة بن بشر ثم ندب معه نحو ألفي رجل وتخلف محمد في ألفين واستقبل عمرو بن العاص كنانة وهو على مقدمته محمد فلما دنا عمرو من كنانة سرح إليه الكتائب كتيبة بعد كتيبة فلم تأتته من كتائب الشام كتيبة إلا شد عليها بمن معه فيضربها حتى يلحقها بعمره ففعل ذلك مرارا فلما رأى عمرو ذلك بعث إلى معاوية بن حديج الكندي فأتاه في مثل الدهم فلما رأى كنانة ذلك الجيش نزل عن فرسه ونزل معه أصحابه فضاربهم بسيفه وهو يقول وَ مَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا. فلم يزل يضاربهم بالسيف حتى استشهد رحمه الله . قال ابراهيم حدثنا محمد بن عبد الله عن المدائني عن محمد بن يوسف أن عمرو بن العاص لما قتل كنانة أقبل نحو محمد بن أبي بكر وقد تفرق عنه أصحابه فخرج محمد متمهلا فمضى في طريقه حتى انتهى إلى خربة فأوى إليها وجاء عمرو بن العاص حتى دخل الفسطاط وخرج معاوية بن حديج في طلب محمد حتى انتهى إلى علوج على قارعة الطريق فسألهم هل مر بهم أحد ينكرونه قالوا لا قال أحدهم إني دخلت تلك الخربة فإذا أنا برجل جالس قال ابن حديج هو هو ورب الكعبة فانطلقوا يركضون حتى دخلوا على محمد فاستخرجوه وقد كاد يموت عطشا فأقبلوا به نحو الفسطاط. قال ووثب أخوه عبدالرحمن بن أبي بكر إلى عمرو بن العاص وكان في جنده فقال لا والله لا يقتل أخى صبيرا بعث إلى معاوية بن حديج فأنه فأرسل عمرو بن العاص أن ائتني بمحمد فقال معاوية أقتلتم كنانة بن بشر ابن عمى وأخلى عن محمد. -قرآن- ٤٢٨-٤٩٦ [صفحة ٨٧] هيهات أ كُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولِيكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ فقال محمد اسقوني قطرة من الماء فقال له معاوية بن حديج لا سقاني الله إن سقيتك قطرة أبدا إنكم منعتم عثمان أن يشرب الماء حتى قتلتموه صائما محرما فسقاه الله من الرحيق المختوم والله لأقتلنك يا ابن أبي بكر وأنت ظمان ويسقيك الله من الحميم والغسلين فقال له محمد يا ابن اليهودية النساجة ليس ذلك اليوم إليك ولا إلى عثمان إنما ذلك إلى الله يسقى أوليائه ويظمى أعداءه وهم أنت وقرناؤك و من تولاك وتوليته والله لو كان سيفي في يدي ما بلغت منى ما بلغت فقال له معاوية بن حديج أتدرى ما أصنع بك أدخلك جوف هذا الحمار الميت ثم أحرقه عليك بالنار قال إن فعلتم ذاك بي فطالما فعلتم ذاك بأوليائه الله وايم الله إني لأرجو أن يجعل الله هذه النار التي تخوفني بهابردا وسلاما كما جعلها الله على ابراهيم خليله و أن يجعلها عليك وعلى أوليائك كما جعلها على نمرود وأوليائه وإني لأرجو أن يحرقك الله وإمامك معاوية وهذا وأشار إلى عمرو بن العاص بنار تلظى كلما خبت زادها الله عليكم سعيرا فقال له معاوية بن حديج إني لأقتلك ظلما إنما أقتلك بعثمان بن عفان قال محمد و ما أنت وعثمان رجل عمل بالجور وبدل حكم الله والقرآن وقد قال الله عز وجل وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ فَوَنَقَمْنَا عَلَيْهِ أَشْيَاءَ عَمَلهَا فَأَرَدْنَا أَنْ يُخْلَعَ مِنَ الْخِلَافَةِ عَلْنَا فَلَمْ يَفْعَلْ فقتله من قتله من الناس . -قرآن- ٧-٧١-قرآن- ١١٦٨-١٢٣٢-قرآن- ١٢٣٣-١٢٦٠-قرآن- ١٢٦١-١٢٨٧ [صفحة ٨٨] فغضب معاوية بن حديج فقدمه فضرب عنقه ثم ألقاه في جوف حمار وأحرقه بالنار. فلما بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزعا شديدا وقتت في دبر كل صلاة تدعو على معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ومعاوية بن حديج وقبضت عيال محمد أخيها وولده إليها فكان القاسم بن محمد من عيالها. قال وكان ابن حديج ملعونا خبيثا يسب على بن أبي طالب ع . قال ابراهيم وحدثني عمرو بن حماد بن طلحة القناد عن علي بن هاشم عن أبيه عن داود بن أبي عوف قال دخل معاوية بن حديج على الحسن بن علي في مسجد المدينة فقال له الحسن ويلك يا معاوية أنت الذي تسب أمير المؤمنين عليا أما والله لئن رأيت يوم القيامة و ما أظنك تراه لترينه كاشفا عن ساق يضرب وجوه أمثالك عن الحوض ضرب غرائب الإبل -رواية- ١-٢-رواية- ١٠٧-٣٥٥ قال ابراهيم وحدثني محمد بن عبد الله بن عثمان عن المدائني عن عبدالملك بن عمير عن عبد الله بن شداد قال حلفت عائشة لا تأكل شواء أبدا بعد قتل محمد فلم تأكل شواء حتى لحقت بالله و ما عثرت قط إلا قالت تعس معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن

العاص ومعاوية بن حديج . قال ابراهيم و قدروى هاشم أن أسماء بنت عميس لما جاءها نعى محمد ابنتها و ما صنع به قامت إلى مسجدها و كظمت غيظها حتى تشخبت دما . قال ابراهيم و روى ابن عائشة التيمي عن رجاله عن كثير النواء أن أبا بكر خرج [صفحہ ۸۹] فى حياة رسول الله ص فى غزاة فرأت أسماء بنت عميس وهى تحته كأن أبا بكر مخضب بالحناء رأسه و لحيته و عليه ثياب بيض فجاءت إلى عائشة فأخبرتها فقالت إن صدقت رؤياك فقد قتل أبو بكر إن خضابه الدم و إن ثيابه أكفانه ثم بكت فدخل النبي ص وهى كذلك فقال ما أبكاها فقالوا يا رسول الله ما أبكاها أحد ولكن أسماء ذكرت رؤيا رأتها لأبى بكر فأخبر النبي ص فقال ليس كما عبرت عائشة ولكن يرجع أبو بكر صالحا فيلقى أسماء فتحمل منه بسلام فتسميه محمدا يجعله الله غيظا على الكافرين والمنافقين -رواية- ۱-۲-رواية- ۹-۱۴۳ . قال فكان كما أخبر ص . قال ابراهيم حدثنا محمد بن عبد الله عن المدائنى قال فكتب عمرو بن العاص إلى معاوية بن أبى سفيان عند قتل محمد بن أبى بكر و كنانة بن بشر أما بعد فإننا لقينا محمد بن أبى بكر و كنانة بن بشر فى جموع من أهل مصر فدعوناهم إلى الكتاب والسنة فعصوا الحق فتهولوا فى الضلال فجاهدناهم واستنصرنا الله جل و عز عليهم فضرب الله وجوههم وأدبارهم ومنحنا أكتافهم فقتل محمد بن أبى بكر و كنانة بن بشر والحمد لله رب العالمين . قال ابراهيم وحدثني محمد بن عبد الله عن المدائنى عن الحارث بن كعب بن عبد الله بن قعين عن حبيب بن عبد الله قال و الله إنى لعند على جالس إذ جاءه عبد الله بن معين و كعب بن عبد الله من قبل محمد بن أبى بكر يستصرخانه قبل الوقعة فقام على فنأدى فى الناس الصلاة جامعة فاجتمع الناس فصعد المنبر فحمد الله وأثنى -رواية- ۱-۲-رواية- ۱۲۷-ادامه دارد [صفحہ ۹۰] عليه وذكر رسول الله ص فصلى عليه ثم قال أما بعد فهذا صريح محمد بن أبى بكر وإخوانكم من أهل مصر قد سار إليهم ابن النابغة عدو الله وعدو من والاه وولى من عادى الله فلا يكونن أهل الضلال إلى باطلهم والركون إلى سبيل الطاغوت أشد اجتماعا على باطلهم وضلالتهم منكم على حركم فكأنكم بهم و قد بدءوكم وإخوانكم بالغزو فاعجلوا إليهم بالمواساة والنصر عباد الله إن مصر أعظم من الشام وخير أهلا فلا تغلبوا على مصر فإن بقاء مصر فى أيديكم عزلكم و كبت لعدوكم اخرجوا إلى الجرعة قال والجرعة بين الحيرة والكوفة لتتوافى هناك كلنا غدا إن شاء الله -رواية- از قبل- ۵۵۷ . قال فلما كان الغد خرج يمشى فنزلها بكرة فأقام بها حتى انتصف النهار فلم يوافه مائة رجل فرجع فلما كان العشى بعث إلى الأشراف فجمعهم فدخلوا عليه القصر و هو كئيب حزين فقال الحمد لله على ما قضى من أمر و قدر من فعل و ابتلانى بكم أيها الفرقة التى لا تطيع إذا أمرتها و لا تجيب إذا دعوتها لا بألغيركم ماذا تنتظرون بنصركم والجهاد على حركم الموت خير من الذل فى هذه الدنيا لغير الحق و الله إن جاءنى الموت وليأتينى لتجدتنى لصحبتكم جدا قال أ لادين يجمعكم أ لاحمية تغضبكم أ لاتسمعون بعدوكم ينتقص بلادكم ويشن الغارة عليكم أ و ليس عجا أن معاوية يدعو الجفأة الطغام الظلمة فيتبعونه على غير عطاء و لامعونه و يجيئون فى السنة المرة والمرتين والثلاث إلى أى وجه شاء ثم أنا أدعوكم وأنتم أولو النهى و بقيهة الناس تختلفون و تفرقون عنى و تعصونى و تخالفون على -رواية- ۱-۲-رواية- ۹-ادامه دارد [صفحہ ۹۱] فقام إليه مالك بن كعب الأرحبى فقال يا أمير المؤمنين اندب الناس معى فإنه لا عطر بعد عروس و إن الأجر لا يأتى إلا بالكرة ثم التفت إلى الناس و قال اتقوا الله و أجيئوا دعوة إمامكم وانصروا دعوته وقاتلوا عدوكم إننا نسير إليهم يا أمير المؤمنين فأمر على سعدا مولاه أن ينادى ألا سيروا مع مالك بن كعب إلى مصر و كان وجهها مكروها فلم يجتمعوا إليه شهرا فلما اجتمع له منهم ما اجتمع خرج بهم مالك بن كعب فعسكر بظاهر الكوفة و خرج معه على فنظر فإذا جميع من خرج نحو من ألفين فقال على سيروا و الله ما أنتم ما إخالكم تدركون القوم حتى ينقضى أمرهم -رواية- از قبل- ۵۵۷ . فخرج مالك بهم و سار خمس ليال و قدم الحجاج بن غزية الأنصارى على على و قدم عليه عبدالرحمن بن المسيب الفزارى من الشام فأما الفزارى فكان عينا لعلى ع لا ينام و أما الأنصارى فكان مع محمد بن أبى بكر فحدثه الأنصارى بما عاين وشاهد وأخبره بهلاك محمد وأخبره الفزارى أنه لم يخرج من الشام حتى قدمت البشرية من قبل عمرو بن العاص يتبع بعضها

بعضا بفتح مصر وقتل محمد بن أبي بكر و حتى أذن معاوية بقتله على المنبر و قال يا أمير المؤمنين ما رأيت يوما قط سرورا مثل سرور رأيت به بالشام حين أتاها قتل محمد بن أبي بكر فقال على أما إن حزنا على قتله على قدر سرورهم به لا بل يزيد أضعافا - روايت- ١-١٨٠ . قال فسرح على عبدالرحمن بن شريح إلى مالك بن كعب فرده من الطريق قال وحزن على على محمد بن أبي بكر حتى رثى ذلك فيه وتبين في وجهه وقام في الناس خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ألا و إن مصر قد افتتحتها الفجرة - روايت- ١-٢-٨-ادامه دارد [صفحه ٩٢] أولياء الجور والظلم الذين صدوا عن سبيل الله وبغوا الإسلام عوجا ألا و إن محمد بن أبي بكر قد استشهد رحمه الله عليه و عند الله نحتسبه أما و الله لقد كان ما علمت ينتظر القضاء ويعمل للجزاء ويغض شكل الفاجر ويحب سميت المؤمن إنى و الله لألوم نفسى على تقصير و لاعجز و إنى بمقاساة الحرب لجد بصير إنى لأقدم على الحرب وأعرف وجه الحزم وأقوم بالرأى المصيب فأستصرحكم معلنا وأناديكم مستغيثا فلا تسمعون لى قولا و لا تطيعون إلى أمرا حتى تصير الأمور إلى عواقب المساءة وأنتم القوم لا يدرك بكم الثأر و لا تنقض بكم الأوتار دعوتكم إلى غياث إخوانكم منذ بضع وخمسين ليلة فجر جرتم على جرجرة الجمل الأسر و تناقلم إلى الأرض تناقل من لانية له فى الجهاد و لا رأى له فى الاكتساب للأجر ثم خرج إلى منكم جنيد متدائب ضعيف كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون فأف لكم ثم نزل فدخل رحله -روايت- از قبل ٨١٣ قال ابراهيم فحدثنا محمد بن عبد الله عن المدائنى قال كتب على إلى عبد الله بن عباس و هو على البصرة من عبد الله على أمير المؤمنين ع إلى عبد الله بن عباس سلام عليك ورحمة الله وبركاته أما بعد فإن مصر قد افتتحت و قد استشهد محمد بن أبي بكر فعند الله عز و جل تحتسبه و قد كنت كتبت إلى الناس و تقدمت إليهم فى بدء الأمر وأمرتهم بإغاثة -روايت- ١-٢-١٧٠-ادامه دارد [صفحه ٩٣] قبل الوقعة ودعوتهم سرا وجهرا وعودا وبدءا فمنهم الآتى كارها ومنهم المتعلل كاذبا ومنهم القاعد خاذلا- أسأل الله أن يجعل لى منهم فرجا و أن يريحنى منهم عاجلا فو الله لو لا طمعى عند لقاء عدوى فى الشهادة و توطيئى نفسى عند ذلك لأحببت ألا أبقى مع هؤلاء يوما واحدا عزم الله لنا و لك على تقواه وهداه إنه على كل شىء قدير و السلام عليك ورحمة الله وبركاته -روايت- از قبل ٣٧٠ . قال فكتب إليه عبد الله بن عباس لعبد الله على أمير المؤمنين من عبد الله بن عباس سلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . أما بعد فقد بلغنى كتابك تذكر فيه افتتاح مصر وهلاك محمد بن أبي بكر وإنك سألت الله ربك أن يجعل لك من رعيتك التى ابتليت بها فرجا ومخرجا و أنا أسأل الله أن يعلى كلمتك و أن يغشيك بالملائكة عاجلا- واعلم أن الله صانع لك ومعز دعوتك و كابت عدوك وأخبرك يا أمير المؤمنين أن الناس ربما تباطؤوا ثم نشطوا فارتفق بهم يا أمير المؤمنين ودارهم ومنهم واستعن بالله عليهم كفاك الله الهم و السلام عليك ورحمة الله وبركاته . قال ابراهيم وروى عن المدائنى أن عبد الله بن عباس قدم من البصرة على على فعزاه عن محمد بن أبي بكر. وروى المدائنى أن عليا قال رحم الله محمدا كان غلاما حدثا لقد كنت أردت أن أولى المرقال هاشم بن عتبة مصر فإنه و الله لو وليها لماخلى لابن العاص وأعوانه العرصه و لاقتل إلا وسيفه فى يده بلا ذم لمحمد فلقد أجهد نفسه فقضى ما عليه -روايت- ١-٢- روايت- ٣٢-٢٤٦ [صفحه ٩٤] قال المدائنى وقيل لعلى ع لقد جزعت على محمد بن أبي بكر يا أمير المؤمنين فقال و ما يمنعنى أنه كان لى ريبا و كان لبنى أخا و كنت له والدا أعده ولدا -روايت- ١-٢-روايت- ١٧-١٦١

خطبة للإمام على بعد مقتل محمد بن أبي بكر

وروى ابراهيم عن رجاله عن عبدالرحمن بن جندب عن أبيه قال خطب على ع بعد فتح مصر وقتل محمد بن أبي بكر فقال أما بعد فإن الله بعث محمدا نذيرا للعالمين وأمينا على التنزيل وشهيدا على هذه الأمة وأنتم معاشر العرب يومئذ على شر دين و فى

شر دار منيخون على حجارة خشن وحيات صم وشوك ماثوث في البلاد تشربون الماء الخبيث وتأكلون الطعام الخبيث تسفكون دماءكم وتقتلون أولادكم وتقطعون أرحامكم وتأكلون أموالكم بينكم بالباطل سبلكم خائفه والأصنام فيكم منصوبه ولا يؤمن أكثرهم بالله إلا- وهم مشركون. فمن الله عز وجل عليكم بمحمد فبعثه إليكم رسولا- من أنفسكم فعملكم الكتاب والحكمة والفرائض والسنن وأمركم بصله أرحامكم وحقن دمائكم وصلاح ذات البين وأن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وأن توفوا بالعهد ولا-تنقضوا الأيمان بعدتوكيدها وأن تعاطفوا وتباروا وتراحموا ونهاكم عن التنهاب والتظالم والتحاسد والتباغي والتقاذف وعن شرب الخمر وبخس المكيال ونقص الميزان وتقدم إليكم فيما يتلى عليكم ألا- تزنوا ولا تربوا ولا تأكلوا أموال-روايت- ١-٢- روايت- ١٢٠-١٢٠-ادامه دارد [صفحه ٩٥] اليتامى ظلما وأن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ولا تعثوا في الأرض مفسدين ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين وكل خير يدني إلى الجنة ويباعد عن النار أمركم به وكل شر يدني إلى النار ويباعد عن الجنة نهاكم عنه فلما استكمل مدته توفاه الله إليه سعيدا حميدا فيا لها مصيبة خست الأقرين وعمت المسلمين ما أصيبوا قبلها بمثها ولن يعاينوا بعدها أختها فلما مضى لسبيله ص تنازع المسلمون الأمر بعده فوالله ما كان يلقي في روعى ولا يخطر على بالى أن العرب تعدل هذا الأمر بعد محمد عن أهل بيته ولا أنهم منحوه عنى من بعده فما راعنى إلا انثيال الناس على أبى بكر وإجفالهم إليه ليباعوه فأمسكت يدى ورأيت أنى أحق بمقام محمدص فى الناس ممن تولى الأمر من بعده فلبثت بذاك ماشاء الله حتى رأيت راجعة من الناس رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين الله ومله محمدص فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلما وهدما يكون المصاب بهما على أعظم من فوات ولاية أموركم التى إنما هى متاع أيام قلائل ثم يزول ما كان منها كما يزول السراب وكما يتشع السحاب فمشيت عند ذلك إلى أبى بكر فبايعته ونهضت فى تلك الأحداث حتى زاغ الباطل وزهق وكانت كلمة الله هى العليا ولو كره الكافرون فتولى أبوبكر تلك الأمور فيسر وسدد وقارب واقتصد وصحبه مناصحا وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهدا و ما طمعت أن لو حدث به حادث وأناحى أن يرد إلى الأمر الذى نازعته فيه طمع مستيقن ولا يئست منه يأس من لا يرجوه ولو لا خاصة ما كان بينه وبين عمر لظننت أنه لا يدفعها عنى فلما احتضر بعث إلى عمر فولاه فسمعنا وأطعنا وناصحنا - روايت-از قبل ١٤٥٩- [صفحه ٩٦] وتولى عمر الأمر فكان مرضى السيرة ميمون النقية حتى إذا احتضر فقلت فى نفسى لن يعدلها عنى ليس يدافعها عنى فجعلنى سادس ستته فما كانوا لولاية أحد منهم أشد كراهة لولايتى عليهم كانوا يسمعون عند وفاة رسول الله ص لجاج أبى بكر وأقول يامعشر قريش إنا أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم ما كان فىنا من يقرأ القرآن ويعرف السنه ويدين بدين الحق فخشى القوم إن أناوليت عليهم ألا- يكون لهم من الأمر نصيب ما بقوا فأجمعوا إجماعا واحدا فصرفوا الولاية إلى عثمان وأخرجونى منها رجاء أن ينالوها ويتداولوها إذ يسوا أن ينالوا بها من قبلى ثم قالوا هلم فبايع وإلا جاهدناك فبايعت مستكرها وصبرت محتسبا فقال قائلهم يا ابن أبى طالب إنك على هذا الأمر لحريص فقلت أنتم أحرص منى وأبعد أينا أحرص أنا الذى طلبت ميراثى وحقى الذى جعلنى الله ورسوله أولى به أم أنتم إذ تضربون وجهى دونه وتحولون بينى وبينه فبهتوا والله لا يهدى القوم الظالمين اللهم إنى أستعديك على قريش فإنهم قطعوا رحمى وأضاعوا إياى وصغروا عظيم منزلتى وأجمعوا على منازعتى حقا كنت أولى به منهم فسلبونيه ثم قالوا ألا إن فى الحق أن تأخذه وفى الحق أن تمنعه فاصبر كمدا أومت أسفا حنقا فنظرت فإذا ليس معى رافد ولا ذاب ولا ناصر ولا ساعد إلا أهل بيتى فضننت بهم عن المنية وأغضيت على القذى وتجرعت ريقى على الشجا وصبرت من كظم الغيظ على أمر من العلقم وآلم للقلب من حز الشفار حتى إذا قمتم على عثمان أتيتموه فقتلتموه ثم جئتمونى لتبايعونى فأبيت عليكم وأمسكت يدى فنازعتمونى ودافعتمونى وبسطتم يدى فكففتها ومددتموها فقبضتها وازدحمت على حتى ظننت أن بعضكم قاتل بعضكم أو أنكم قاتلى فقلت بايعنا لانجد غيرك ولا نرضى إلا بك بايعنا -روايت- ١-١-ادامه دارد [صفحه ٩٧] لا-تفترو ولا-تختلف كلمتنا فبايعتكم ودعوت الناس إلى بيعتى فمن بايع طوعا قبلته ومن أبى لم

للولوا عليكم فأظهروا فيكم الكفر والفساد والفجور والتسلط بجبرية واتبعوا الهوى وحكموا بغير الحق ولأنتم على ما كان فيكم من تواكل وتخاذل خير منهم وأهدى سبيلا- فيكم العلماء والفقهاء والنجباء والحكماء وحملته الكتاب والمتهجدون بالأسحار وعمار المساجد بتلاوة القرآن أفلاتسخطون وتهتمون أن ينازعكم الولاية عليكم سفهاؤكم والأشرار الأراذل منكم -روایت-از قبل-۱۳۸۴ [صفحه ۱۰۰] فاسمعوا قولي وأطيعوا أمرى فو الله لئن أطمعتموني لاتغوون و إن عصيتموني لاترشدون خذوا للحرب أهبتها وأعدوا لها عدتها فقد شبت نارها وعلا سنانها وتجرد لكم فيها الفاسقون كى يعذبوا عباد الله ويطفئوا نور الله ألا إنه ليس أولياء الشيطان من أهل الطمع والمكر والجفاء بأولى فى الجدد فى غيهم وضلالتهم من أهل البر والزهادة والإخبات فى حقهم وطاعة ربهم إني و الله لولقيتهم فردا وهم ملاء الأرض ماباليت ولاستوحشت و إني من ضلالتهم التى هم فيها والهدى الذى نحن عليه لعلى ثقة وبينه ويقين وبصيرة و إني إلى لقاء ربي لمشتاق ولحسن ثوابه لمنتظر ولكن أسفا يعتريني وحزنا يخامرني أن يلى أمر هذه الأمة سفهاؤها وفجارها فيتخذوا مال الله دولا- وعباده خولا- والفاسقين حزبا و ايم الله لو لا ذلك لما أكثرت تأنيبكم وتحريضكم ولتركتكم إذ ونيتم وأبيتم حتى ألقاهم بنفسى متى حم لى لقاءهم فو الله إني لعلى الحق و إني للشهادة لمحب فانفروا خفافا وثقالا- وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون و لاتثاقلوا إلى الأرض فتفروا بالخسف وتبوءوا بالذل ويكن نصيبكم الخسران إن أخا الحرب اليقظان و من ضعف أودى و من ترك الجهاد كان كالمغبون المهين اللهم اجمعنا وإياهم على الهدى وزهدنا وإياهم فى الدنيا واجعل الآخرة خيرا لنا ولهم من الأولى -روایت- ۱-۱۱۹۴

خبر مقتل محمد بن أبى حذيفة

قال ابراهيم وحدثني محمد بن عبد الله بن عثمان عن المدائني أن محمد بن أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبدشمس أصيب لمافتح عمرو بن العاص مصر فبعث به [صفحه ۱۰۱] إلى معاوية بن أبى سفيان و هو يومئذ بفلسطين فحبسه معاوية فى سجن له فمكث فيه غير كثير ثم هرب و كان ابن خال معاوية فأرى معاوية الناس أنه كره انفلاته من السجن و كان يحب أن ينجو فقال لأهل الشام من يطلبه فقال رجل من خثعم يقال له عبيد الله بن عمرو بن ظلام و كان شجاعا و كان عثمانيا أناأطلبه فخرج فى خيل فلحقه بحوارين . و قد دخل بغار هناك فجاءت حمر فدخلته فلما رأت الرجل فى الغار فزعت ونفرت فقال حمارون كانوا قريبا من الغار إن لهذه الحمر لشأنا مانفراها من هذا الغار إلاأمر فذهبوا ينظرون فإذاهم به فخرجوا به فوافاهم عبد الله بن عمرو بن ظلام فسألهم ووصفه لهم فقالوا ها هو هذا فجاء حتى استخرجه وكره أن يصير به إلى معاوية فيخلى سبيله فضرب عنقه رحمه الله تعالى [صفحه ۱۰۲]

٦٨- و من كلام له ع فى ذم أصحابه

إشارة

كَمْ أَدَارِيكُمْ كَمَا تُدَارَى الْبِكَارِ الْعَمْدَةُ وَ النَّيَابُ الْمُنْدَاعِيَّةُ كُلَّمَا حِيصَتْ مِنْ جَانِبٍ تَهْتَكَتْ مِنْ آخَرَ كُلَّمَا أَطَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْسِيرٌ مِنْ مَنَاسِيرِ أَهْلِ الشَّامِ أَغْلَقَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ وَ أَنْجَحَرَ أَنْجَحَارَ الضَّبِّ فِي جُحْرِهَا وَ الضَّبُّ فِي وَجَارِهَا الدَّلِيلُ وَ اللَّهُ مَنْ نَصَرْتُمُوهُ وَ مَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقِ نَاصِلِ إِنْكُمْ وَ اللَّهُ لَكثيرٌ فِي الْبَاحَاتِ قَلِيلٌ تَحْتَ الرَّاياتِ وَ إِنْ لِعَالَمٍ بِمَا يُصْلِحُكُمْ وَ يُقِيمُ أَوْدَكُمْ وَ

لَكِنِّي وَ اللّٰهَ لَمَّا أَرَىٰ إِصْلَاحَكُم بِإِفْسَادِ نَفْسِي أَضْرَعَ اللّٰهُ خُدُودَكُمْ وَ أَتَعَسَ حُدُودَكُمْ لَمَّا تَعْرِفُونَ الْحَقَّ كَمَعْرِفَتِكُمُ الْبَاطِلَ وَ لَا تُبْطِلُونَ الْبَاطِلَ كَابْطَالِكُمُ الْحَقَّ الْبَكَارِ جَمْعُ بَكَرٍ وَ هُوَ الْفَتَىٰ مِنَ الْإِبِلِ وَ الْعَمْدَةُ الَّتِي قَدَانَشِدَخْتَ أَسْنَمْتَهَا مِنْ دَاخِلٍ وَ ظَاهِرَهَا صَحِيحٌ وَ ذَلِكَ لِكثْرَةِ رُكُوبِهَا. وَ الثِّيَابُ الْمَتَدَاعِيَةُ الْأَسْمَالُ الَّتِي قَد أَخْلَقْتَ وَ إِنَّمَا سَمِيَتْ مَتَدَاعِيَةً لِأَنَّ بَعْضَهَا يَتَخَرَّقُ فَيَدْعُو بَعْضَهَا إِلَىٰ مِثْلِ حَالِهِ. وَ حِيصَتْ خَيْطُهَا وَ الْحَوِصُ الْخِيَاطَةُ وَ تَهْتَكُ تَخَرَّقَتْ [صَفْحَةُ ١٠٣] وَ أَطَّلَ عَلَيْكُمْ أَيَّ أَشْرَفٍ وَ رَوَىٰ أَظْلَ بِالْظَاءِ الْمَعْجَمَةُ وَ الْمَعْنَىٰ وَاحِدٌ. وَ مَنْسَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْجَيْشِ تَمُرُ قَدَامَ الْجَيْشِ الْكَثِيرِ وَ الْأَفْصَحُ مَنْسَرٌ بِكَسْرِ الْمِيمِ وَ فَتْحِ السَّيْنِ وَ يَجُوزُ مَنْسَرٌ بِفَتْحِ الْمِيمِ وَ كَسْرِ السَّيْنِ. وَ أَنْجَحَرُ اسْتَرَّ فِي بَيْتِهِ أَجْحَرَتْ الضُّبُّ إِذَا أَلْجَأْتَهُ إِلَىٰ جِحْرِهِ فَانْجَحَرَ. وَ الضُّبُّ أَنْثَىٰ الضُّبَابِ وَ إِنَّمَا أَوْقَعَ التَّشْبِيهَ عَلَىٰ الضُّبِّ مَبَالِغَةً فِي وَصْفِهِمْ بِالْجَبْنِ وَ الْفِرَارِ لِأَنَّ الْأَنْثَىٰ أَجْبَنُ وَأَذَلُّ مِنَ الذَّكَرِ وَ الْوَجَارُ بَيْتُ الضُّعْفِ. وَ السَّهْمُ الْأَفْوَقُ النَّاصِلُ الْمَكْسُورُ الْفَوْقَ الْمَنْزُوعُ النَّصْلُ وَ الْفَوْقُ مَوْضِعُ الْوَتْرِ مِنَ السَّهْمِ يُقَالُ نَصَلَ السَّهْمُ إِذَا خَرَجَ مِنْهُ النَّصْلُ فَهُوَ نَاصِلٌ وَ هَذَا مِثْلُ يُضْرَبُ لِمَنْ اسْتَنْجَدَ بِمَنْ لَا يَنْجِدُهُ. وَ الْبَاحَاتُ جَمْعُ بَاحَةٍ وَ هِيَ سَاحَةُ الدَّارِ وَ الْأَوْدُ الْعُوجُ أَوْدُ الشَّيْءِ بِكَسْرِ الْوَاوِ يَأْوِدُ أَوْ دَا أَيُّ أَعُوجٍ وَ تَأْوِدُ أَيُّ تَعُوجٍ وَ أَضْرَعُ اللَّهُ خُدُودَكُمْ أَذَلُّ وَ جَوْهَكُمُ. ضَرَعَ الرَّجُلُ ذُلًّا وَ أَضْرَعَهُ غَيْرُهُ وَ مِنْهُ الْمِثْلُ الْحَمِيَّ أَضْرَعْتَهُ لَكَ. وَ أَتَعَسَ جَدُودَكُمْ أَيُّ أَحَالَ حَظُوظَكُمْ وَ سَعُودَكُمْ وَ أَهْلَكَهَا فَجَعَلَهَا إِدْبَارًا وَ نَحْسًا. وَ التَّعَسُ الْهَلَاكُ وَ أَصْلُهُ الْكَبُّ وَ هُوَ ضِدُّ الْإِنْتِعَاشِ تَعَسَ الرَّجُلُ بِفَتْحِ الْعَيْنِ يَتَعَسُ تَعَسًا يَقُولُ كَمْ أَدَارِيكُمْ كَمَا يَدَارِي رَاكِبُ الْبَعِيرِ بَعِيرَهُ الْمَنْفُضَخُ السَّنَامُ وَ كَمَا يَدَارِي لَابِسُ الثَّوْبِ السَّمْلُ ثَوْبُهُ الْمَتَدَاعِيُّ الَّذِي كَلَّمَا خَيْطٌ مِنْهُ جَانِبٌ تَمَزَّقَ جَانِبٌ. ثُمَّ ذَكَرَ خَبِيثَهُمْ وَ ذَلَمَهُمْ وَقَلَّةَ انْتِصَارِهِمْ مِنْ يَنْتَصِرُ بِهِمْ وَ أَنَّهُمْ كَثِيرٌ فِي الصُّورَةِ قَلِيلٌ فِي الْمَعْنَىٰ ثُمَّ قَالَ إِنِّي عَالِمٌ بِمَا يَصْلِحُكُمْ يَقُولُ إِنَّمَا يَصْلِحُكُمْ فِي السِّيَاسَةِ السَّيْفُ وَ صَدَقَ فَإِنَّ كَثِيرًا لَا يَصْلِحُ إِلَّا عَلَيْهِ كَمَا فَعَلَ الْحِجَابُ بِالْجَيْشِ الَّذِي تَقَاعَدَ بِالْمَهْلَبِ [صَفْحَةُ ١٠٤] فَإِنَّهُ نَادَىٰ مَنَادِيَهُ مِنْ وَجْدَانِهِ بَعْدَ ثَلَاثَةِ لَمْ يَلْتَحِقْ بِالْمَهْلَبِ فَقَدْ حَلَّ لَنَا دَمُهُ ثُمَّ قَتَلَ عَمِيرَ بْنِ ضَابِيٍّ وَ غَيْرَهُ فَخَرَجَ النَّاسُ يَهْرَعُونَ إِلَىٰ الْمَهْلَبِ. وَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَكُنْ لِيَسْتَحِلَّ مِنْ دَمَاءِ أَصْحَابِهِ مَا يَسْتَحِلُّهُ مَنْ يَرِيدُ الدُّنْيَا وَ سِيَاسَةَ الْمَلِكِ وَ انْتِظَامَ الدَّوْلَةِ قَالَ عَ لَكِنِّي لَا أَرَىٰ إِصْلَاحَكُمْ بِإِفْسَادِ نَفْسِي - رَوَايَتُ ١- ٢- رَوَايَتُ ١١- ٤٦ أَيُّ يَأْفِسَادُ دِينِي عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَىٰ. فَإِنَّ قَلْتِ أَلَيْسَتْ نَصْرَةُ الْإِمَامِ وَاجِبَةٌ عَلَيْهِمْ فَلَمْ لَا يَقْتُلُهُمْ إِذْ أَخْلَوْا بِهَذَا الْوَاجِبِ قَلْتِ لَيْسَ كُلُّ إِخْلَالٍ بِوَاجِبٍ يَكُونُ عَقُوبَتُهُ الْقَتْلُ كَمَنْ أَخْلَىٰ بِالْحَجِّ وَ أَيضًا فَإِنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ عَاقِبَةَ الْقَتْلِ فَسَادُهُمْ عَلَيْهِ وَ اضْطِرَابُهُمْ فَلَوْ أَسْرَعَ فِي قَتْلِهِمْ لَشَغِبُوا عَلَيْهِ شَغْبًا يَفْضِي إِلَىٰ أَنْ يَقْتُلُوهُ وَ يَقْتُلُوا أَوْلَادَهُ أَوْ يَسْلَمُوهُ وَيَسْلَمُوهُمْ إِلَىٰ مَعَاوِيَةَ وَ مَتَىٰ عَلِمَ هَذَا أَوْ غَلَبَ عَلَىٰ ظَنِّهِ لَمْ يَجْزَلْهُ أَنْ يَسُوسَهُمْ بِالْقَتْلِ الَّذِي يَفْضِي إِلَىٰ هَذِهِ الْمَفْسُودَةِ فَلَوْ سَاسَهُمْ بِالْقَتْلِ وَ الْحَالُ هَذِهِ لَكَانَ آثِمًا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَىٰ وَ مَوَاقِعًا لِلْقِيحِ وَ فِي ذَلِكَ إِفْسَادُ دِينِهِ كَمَا قَالَ لَا تَعْرِفُونَ الْحَقَّ كَمَعْرِفَتِكُمُ الْبَاطِلَ إِلَىٰ آخِرِ الْفَصْلِ فَكَأَنَّهُ قَالَ لَا تَعْتَقِدُونَ الصَّوَابَ وَ الْحَقَّ كَمَا تَعْتَقِدُونَ الْخَطَأَ وَ الْبَاطِلَ أَيُّ اعْتِقَادِكُمْ الْحَقَّ قَلِيلٌ وَ اعْتِقَادِكُمُ الْبَاطِلَ كَثِيرٌ فَغَبْرٌ عَنِ الْإِعْتِقَادِ الْعَامِّ بِالْمَعْرِفَةِ الْخَاصَّةِ وَ هِيَ نَوْعٌ تَحْتَ جِنْسِهِ مَجَازًا. ثُمَّ قَالَ وَ لَا تَسْرَعُونَ فِي نَقْضِ الْبَاطِلِ سَرَعْتَكُمْ فِي نَقْضِ الْحَقِّ وَ هَدَمَهُ

طائفة من الأشعار الواردة في ذم الجبن

وَ اعْلَمْ أَنَّ الْهَجَاءَ بِالْجَبْنِ وَ الذَّلَّ الْفَرْقُ كَثِيرٌ جَدًّا وَ نَظِيرُ قَوْلِهِ إِنَّكُمْ لَكَثِيرٌ فِي الْبَاحَاتِ قَلِيلٌ تَحْتَ الرِّيَاطِ قَوْلُ مَعْدَانَ الطَّائِي فَأَمَّا الَّذِي يَحْصِيهِمْ فَمَكْتَرٌ || وَ أَمَا الَّذِي يَطْرِيهِمْ فَمَقْلَلٌ [صَفْحَةُ ١٠٥] وَ نَحْوُ قَوْلِ قِرَادِ بْنِ حَنْشٍ وَ هُوَ مِنْ شَعْرِ الْحَمَاسَةِ وَ أَنْتُمْ سَمَاءٌ يَعْجَبُ النَّاسُ رِزْهَا || بِأَبْدَةٍ تَنْحَىٰ شَدِيدًا وَ يُبْدَاهَا تَقْطَعُ أَطْنَابَ الْبُيُوتِ بِحَاصِبٍ || وَ أَكْذَبُ شَيْءٍ بِرِقْهَا وَ رَعُودَهَا فَوَيْلِمَهَا خَيْلًا بِهَاءٍ وَ شَارَةً || إِذَا لَقْتَ الْأَعْدَاءَ لَوْ لَا صَدُودَهَا. وَ مِنْ شَعْرِ الْحَمَاسَةِ فِي هَذَا الْمَعْنَىٰ لَقَدْ كَانَ فِيكُمْ لَوْ فَوَيْتُمْ بِجَارِكُمْ || لَحَىٰ وَ رِقَابَ عُرْدَةٍ وَ مَنَاخِرٍ مِنَ الصَّهْبِ أَثْنَاءَ وَجْدَعَا كَأَنَّهَا || عَذَارَىٰ عَلَيْهَا شَارَةٌ وَ مَعَاجِرٌ. وَ مِنْ الْهَجَاءِ بِالْجَبْنِ وَ الْفِرَارِ قَوْلُ بَعْضِ بَنِي طَيْئِ

يهجو حاتما و هو من شعر الحماسة أيضا لعمرى و ماعمرى على بهين || لبئس الفتى المدعو بالليل حاتم غداة أتى كالثور أخرج فاتقى || بجبهته أقتاله و هوقائم كأن بصحراء المريط نعامه || تبادرها جنح الظلام نائم أعارتك رجليها وهافى لبها || و قد جردت بيض المتون صوارم [صفحہ ۱۰۶] ونظير المعنى الأول أيضا قول بعضهم من شعر الحماسة كثر بسعد إن سعدا كثيرة || ولا-ترج من سعد وفاء و لانصرا يروعك من سعد بن عمرو و جسمها || وتزهد فيها حين تقتلها خيرا . و منه قول عوف القوافى و ما أمكم تحت الخوافق والقنا || بثكلى و لاهراء من نسوة زهر أستم أقل الناس عندلوائهم || وأكثرهم عندالذبيحة والقدر . و ممن حسن الجبن والفرار بعض الشعراء فى قوله أضحت تشجعنى هند و قد علمت || أن الشجاعة مقرون بها العطب لا و الذى حجت الأنصار كعبته || ما يشتهى الموت عندى من له أرب للحرب قوم أضل الله سعيهم || إذ ادعتهم إلى حوماتها وثبوا و لست منهم و لأهوى فعالهم || لا القتل يعجبني منها و لا السلب . و من هذا قول أيمن بن خريم الأسدى إن للفتنة ميطا بينا || ووريد الميظ منها يعتدل فإذا كان عطاء فابتدر || و إذا كان قتال فاعتزل إنما يسعها جهالها || حطب النار فدعها تشتعل . و ممن عرف بالجبن أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد عيره عبدالملك بن مروان فقال [صفحہ ۱۰۷] إذ اصوت العصفور طار فؤاده || وليث حديد الناب عند الثرائد . و قال آخر يطير فؤاده من نبج كلب || ويكفيه من الزجر الصفير . و قال آخر و لو أنها عصفورة لحسبتها || مسومة تدعو عبيدا و أزنا

أخبار الجبناء وذكر نوادرهم

و من أخبار الجبناء مارواه ابن قتيبة فى كتاب عيون الأخبار قال رأى عمرو بن العاص معاوية يوما فضحك و قال مم تضحك يا أمير المؤمنين أضحك الله سنك قال أضحك من حضور ذهنك عند إبدائك سوء تك يوم ابن أبى طالب و الله لقد وجدته منانا كريما و لو شاء أن يقتلك لقتلك فقال عمرو يا أمير المؤمنين أما و الله إنى لعن يمينك حين دعاك إلى البراز فأحولت عيناك وانفتح سحرك و بدا منك ما أكره ذكره لك فمن نفسك فاضحك أوفدع قال ابن قتيبة و قدم الحجاج على الوليد بن عبدالملك و عليه درع و عمامة سوداء و قوس عريية و كنانة فبعثت أم البنين بنت عبدالعزيز بن مروان إلى الوليد و هى تحته يومئذ من هذا الأعرابى المستلثم فى الصلاح عندك على خلوة و أنت فى غلالة [صفحہ ۱۰۸] فأرسل إليها الوليد أنه الحجاج فأعدت عليه الرسول و الله لأين يخلو بك ملك الموت أحب إلى من أن يخلو بك الحجاج فضحك و أخبر الحجاج بقولها و هو يمازحه فقال الحجاج يا أمير المؤمنين دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول فإنما المرأة ريحانة وليست بقهرمانه فلاتطلعها على سرك و مكايده عدوك . فلما انصرف الحجاج و دخل الوليد على امرأته أخبرها بمقالة الحجاج فقالت يا أمير المؤمنين حاجتى إليك اليوم أن تأمره غدا أن يأتينى مستلثما ففعل ذلك و أتاه الحجاج فحجبه ثم أدخلته و لم تأذن له فى القعود فلم يزل قائما ثم قالت إيه يا حجاج أنت الممتن على أمير المؤمنين بقتلك ابن الزبير و ابن الأشعث أما و الله لو لا- أن الله علم أنك شر خلقه ما ابتلاك برمى الكعبة الحرام و لا يقتل ابن ذات النطاقين أول مولود فى الإسلام و أمانهيك أمير المؤمنين عن مفاكهة النساء و بلوغ لذاته و أوطاره فإن كن يفرجن عن مثلك فما أحقه بالقبول منك و إن كن يفرجن عن مثله فهو غير قابل لقولك أما و الله لو نفض نساء أمير المؤمنين الطيب من غدائهن فبعنه فى أعطية أهل الشام حين كنت فى أضيقت من القرن قد أظلتك الرماح و أثنخك الكفاح و حين كان أمير المؤمنين أحب إليهم من آبائهم و أبنائهم فأنجاك الله من عدو أمير المؤمنين بحبهم إياه قاتل الله القائل حين ينظر إليك و سنان غزالة بين كتفيك أسد على و فى الحروب نعامه || ربداء تنفر من صفير الصافر هلا برزت إلى غزالة فى الوغى || أم كان قلبك فى جناحى طائر . ثم قالت لجواربها أخرجنه فاخرج . [صفحہ ۱۰۹] و من طريف حكايات

الجبناء ما ذكره ابن قتيبة أيضا في الكتاب المذكور قال كان بالبصرة شيخ من بنى نهشل بن دارم يقال له عروة بن مرثد ويكنى أبا الأعز ينزل في بنى أخت له من الأزرد في سكة بنى مازن فخرج رجالهم إلى ضياعهم في شهر رمضان وخرج النساء يصلين في مسجدهم و لم يبق في الدار إلا إمام فدخل كلب يتعسس فرأى بيتا مفتوحا فدخله وانصفق الباب عليه فسمع بعض الإماء الحركة فظنوا أنه لص دخل الدار فذهبت إحداهن إلى أبي الأعز فأخبرته فقال أبو الأعز إلام يبتغي اللص عندنا وأخذ عصاه وجاء حتى وقف بباب البيت وقال إيه يافلان أما والله إنى بك لعارف فهل أنت من لصوص بنى مازن شربت حامضا خبيثا حتى إذا دارت في رأسك منتك نفسك الأمانى و قلت أطرق دور بنى عمرو والرجال خلوف والنساء يصلين في مسجدهن فأسرقهن سوءة لك والله ما يفعل هذا ولد الأحرار وإيم الله لتخرجن أولاهن هتفه مشؤمة يلتقى فيها الحيان عمرو وحظله وتجيء سعد عدد الحصى وتسيل عليك الرجال من هنا وهنا ولئن فعلت لتكونن أشأم مولود. فلما رأى أنه لا يجيبه أخذه باللين فقال اخرج بأبى أنت مستورا والله ما أراك تعرفنى ولوعرفتني لقتعت بقولى واطمأنت إلى ابن أختي البار الوصول أنافديتك أبو الأعز النهشلى وأناحال القوم وجلده بين أعينهم لا يعصوننى ولا تضار الليلة وأنت فى ذمتى وعندى قوصرتان أهداهما إلى ابن أختي البار الوصول فخذ إحداهما فانبذها حلالا من الله ورسوله . وكان الكلب إذا سمع الكلام أطرق وإذا سكت أبو الأعز وثب يريد المخرج فتهانف أبو الأعز ثم تضاحك وقال يا ألام الناس وأوضعهم أ لا أرانى لك منذ الليلة [صفحة ١١٠] فى واد وأنت لى فى واد آخر أقبلت السوداء والبيضاء فتصيح وتطرق فإذا سكت عنك وثبت تريد الخروج والله لتخرجن أولاهن عليك البيت . فلما طال وقوفه جاءت إحدى الإماء فقالت أعرابى مجنون والله ما أرى فى البيت شيئا فدفعت الباب فخرج الكلب شاردا وحاد عنه أبو الأعز ساقطا على قفاه شائلة رجلاه وقال تالله ما رأيت كالليلة هذه ما أراه إلا كلبا ولوعلمت بحاله لولجت عليه . ونظير هذه الحكاية حكاية أبى حية النميرى وكان جبانا قليل كان لأبى حية سيف ليس بينه وبين الخشب فرق كان يسميه لعاب المنية فحكى عنه بعض جيرانه أنه قال أشرفت عليه ليلة وقادنتضاه وهو واقف بباب بيت فى داره وقد سمع فيه حسا وهو يقول أيها المغتر بنا المجترى علينا بئس والله ما اخترت لنفسك خير قليل وسيف صقيل لعاب المنية الذى سمعت به مشهورة صولته ولا تخاف نبوته اخرج بالعفو عنك لا أدخل بالعقوبة عليك إنى والله إن أدع قيسا تملأ الفضاء عليك خيلا ورجلا سبحان الله ما أكثرها وأطيبها والله ما أنت ببعيد من تابعها والرسوب فى تيار لجتها . وقال وهبت ريح ففتحت الباب فخرج كلب يشدد فلبط بأبى حية وأربد وشغر برجليه وتبادرت إليه نساء الحى فقلن يا أباحية لتفرخ روعتك إنما هو كلب فجلس وهو يقول الحمد لله الذى مسحك كلبا وكفانى حربا . وخرج مغيرة بن سعيد العجلي فى ثلاثين رجلا ظهر الكوفة فطعموا وخالد بن عبد الله القسرى أمير العراق يخطب على المنبر فغرق واضطرب وتحير وجعل يقول أطمعونى ماء فهجاه ابن نوفل فقال [صفحة ١١١] أخالد لا جزاك الله خيرا || وأيرى فى حرامك من أمير تروم الفخر فى أعراب قسر || كأنك من سراة بنى جرير جرير من ذوى يمن أصيل || كريم الأصل ذو خطر كبير وأمك علجة وأبوك وغد || وما الأذنان عدل للصدور وكنت لدى المغيرة عبد سوء || تبول من المخافة للزئير لأعلاج ثمانية وشيخ || كبير السن ليس بذى ضرير صرخت من المخافة أطمعونى || شرابا ثم بلت على السرير . وقال آخر يعيره بذلك بل المنابر من خوف ومن دهش || واستطعم الماء لما جد فى الهرب . ومن كلام ابن المقفع فى ذم الجبن الجبن مقتلته والحرص محرمة فانظر فيما رأيت وسمعت من قتل فى الحرب مقبلا أكثر أم من قتل مدبرا وانظر من يطلب إليك بالإجمال والتكرم أحق أن تسخو نفسك له بالعطية أم من يطلب ذلك بالشره والحرص [صفحة ١١٢]

مَلَكَتْنِي عَيْنِي وَ أَنَا حَيِّ السِّ فَسَنَحَ لِي رَسُولَ اللَّهِ ص فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَاذَا لَقِيتُ مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ الْأَوْدِ وَاللَّمَدِ فَقَالَ ادْعُ عَلَيْهِمْ فَقُلْتُ أَيْدِنِي اللَّهُ بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَ أَبَدَلَهُمْ بِي شَرًّا لَهُمْ مَنِي قَالَ الرضی رحمه الله یعنی بالأود الاعوجاج وباللدد الخصام و هذا من أفصح الكلام -روایت- ۱-۸۶ قوله ملكتنی عینی من فصیح الكلام یرید غلبنی النوم قوله فسبح لى رسول الله ص یرید مر بى كما تسبح الطباء والطير یر بک و يعترض لك . وذا هاهنا بمعنى الذى كقوله تعالى ما ذا ترى أى ما الذى ترى يقول قلت له ما الذى لقيت من أمتك و ما هاهنا استفهامية كأى ويقال ذلك فيما يستعظم أمره كقوله سبحانه القارعة ما القارعة و شرا هاهنا لا يدل على أن فيه شرا كقوله قل أ ذلك خير أم جنة الخلد لا يدل على أن فى النار خيرا -قرآن- ۱۷۷-۱۸۶-قرآن- ۳۱۲-۳۳۶- قرآن- ۳۷۹-۴۱۵ [صفحة ۱۱۳]

خبر مقتل الإمام على كرم الله وجهه

ويجب أن نذكر فى هذا الموضوع مقتله ع وأصح ماورد فى ذلك ما ذكره أبو الفرج على بن الحسين الأصفهاني فى كتاب مقاتل الطالبين . قال أبو الفرج على بن الحسين بعد أسانيد ذكرها مختلفه متفرقة تجتمع على معنى واحد نحن ذا كروه إن نفرا من الخوارج اجتمعوا بمكة فتذاكروا أمر المسلمين فعابوهم وعابوا أعمالهم عليهم وذكروا أهل النهروان فترحموا عليهم و قال بعضهم لبعض لو أنا شرينا أنفسنا لله عز و جل فأتينا أئمة الضلال وطلبنا غرتهم وأرحنا منهم العباد والبلاد وثارنا بإخواننا الشهداء بالنهروان فتعاقدوا عند انقضاء الحج فقال عبدالرحمن بن ملجم أنا أكفيكم عليا و قال واحد أنا أكفيكم معاوية و قال الثالث أنا أكفيكم عمرو بن العاص فتعاقدوا وتوافقوا على الوفاء وألا ينكل أحد منهم عن صاحبه الذى يتوجه إليه و لا عن قتله و اتعدوا لشهر رمضان فى الليلة التى قتل فيها ابن ملجم عليا. قال أبو الفرج قال أبو مخنف قال أبو زهير العباسى الرجلان الآخران البرك بن عبد الله التميمى و هو صاحب معاوية وعمرو بن بكر التميمى و هو صاحب عمرو بن العاص . قال فأما صاحب معاوية فإنه قصده فلما وقعت عينه عليه ضربه فوقعت ضربته على أليته وأخذ فجاء الطبيب إليه فنظر إلى الضربة فقال إن السيف مسموم فاختر إما أن أحمى لك حديدة فأجعلها فى الضربة فتبرأ وإما أن أسقيك دواء فتبرأ وينقطع نسلك فقال أما النار فلا أطيقتها و أما النسل ففى يزيد و عبد الله ماتقر عيني وحسبى بهما. فسقاه الدواء فعوفى وعالج جرحه حتى التأم و لم يولد له بعد ذلك . [صفحة ۱۱۴] و قال له البرك بن عبد الله إن لك عندى بشارة قال و ماهى فأخبره خبر صاحبه و قال له إن عليا قتل فى هذه الليلة فاحتبسنى عندك فإن قتل فأنت ولى ماتراه فى أمرى و إن لم يقتل أعطيتك العهود والمواثيق أن أمضى إليه فأقتله ثم أعود إليك فأضع يدي فى يدك حتى تحكم فى بما ترى فحبسه عنده فلما أتى الخبر أن عليا قتل فى تلك الليلة خلى سبيله . هذه رواية إسماعيل بن راشد و قال غيره من الرواة بل قتله من وقته . و أما صاحب عمرو بن العاص فإنه وافاه فى تلك الليلة و قد وجد علة فأخذ دواء واستخلف رجلا يصلى بالناس يقال له خارجه بن أبى حبيبة أحد بنى عامر بن لؤى فخرج للصلاة فشد عمرو بن بكر فضربه بالسيف فأثبته وأخذ الرجل فأتى به عمرو بن العاص فقتله ودخل من غد إلى خارجه و هو يوجد بنفسه فقال أما و الله يا أبا عبد الله ما أريد غيرك قال عمرو ولكن الله أراد خارجه . و أما ابن ملجم فإنه قتل عليا تلك الليلة. قال أبو الفرج وحدثنى محمد بن الحسن الأشنادانى وغيره قال أخبرنى على بن المنذر الطريقي قال حدثنا ابن فضيل قال حدثنا فطر عن أبى الطفيل قال جمع على ع الناس للبيعة فجاء عبدالرحمن بن ملجم فرده على مرتين أو ثلاثا ثم مديده فبايعه فقال له على ما يحبس أشقاها فوالذى نفسى

بيده لتخضبن هذه من هذه ثم أنشد -رواية- ١-٢-رواية- ١٥٣-٣٢٨ اشدد حيازيمك للموت || فإن الموت لاتيكا ولا تجزع من الموت || إذا حل بواديكما قال أبو الفرج -رواية- ١-٢ [صفحة ١١٥] و قد روى لنا من طرق غير هذه أن عليا أعطى الناس فلما بلغ ابن ملجم أعطاه و قال له -رواية- ٣٣-٩٣ أريد حياته ويريد قتلى || عذيرك من خليلك من مراد قال أبو الفرج وحدثني أحمد بن عيسى العجلي بإسناد ذكره في الكتاب إلى أبي زهير العبسي قال كان ابن ملجم من مراد وعداده في كندة فأقبل حتى قدم الكوفة فلقى بها أصحابه و كتمهم أمره وطوى عنهم ماتعاقد هو وأصحابه عليه بمكة من قتل أمراء المسلمين مخافة أن ينتشر وزار رجلا من أصحابه ذات يوم من بني تميم الرباب فصادف عنده قطام بنت الأخصر من بني تميم الرباب و كان علي قتل أخاها وأباها بالنهروان و كانت من أجمل نساء أهل زمانها فلما رآها شغف بها واشتد إعجابها فخطبها فقالت له ما ألدى تسمى لي من الصداق فقال احتكمتي ما بدا لك فقالت أحتكم عليك ثلاثة آلاف درهم ووصيفا وخادما و أن تقتل علي بن أبي طالب . فقال لها لك جميع ما سألت و أماقتل علي فأني لي بذلك قالت تلمس غرته فإن أنت قتلتني شفيت نفسي وهناك العيش معي و إن قتلت فما عند الله خير لك من الدنيا فقال لها أما و الله ما أقدمني هذا المصير و قد كنت هاربا منه لآمن أهله إلا ما سألتني من قتل علي . قالت له فأنا طالبة لك بعض من يساعدك على هذا ويقويك ثم بعثت إلى وردان بن مجالد أحد بني تميم الرباب فخبرتة الخبر وسألته معاونة ابن ملجم فتحمل لها ذلك وخرج ابن ملجم فأتى رجلا من أشجع يقال له شبيب بن بجرة و قال له يا شبيب هل لك في شرف الدنيا والآخرة قال و ماذا قال تساعدني على قتل علي و كان شبيب على رأى الخوارج فقال له هببتك الهبول لقد جئت شيئا إذا وكيف تقدر ويحك على ذلك قال ابن ملجم نكمن له في المسجد الأعظم [صفحة ١١٦] فإذا خرج لصلاة الفجر فتكنا به وشفينا أنفسنا منه وأدركنا ثأرنا فلم يزل به حتى أجابه . فأقبل به حتى دخلا على قطام وهي معتكفة في المسجد الأعظم قد ضربت لها قبة فقالا لها قد أجمع رأينا على قتل هذا الرجل قالت لهما فإذا أردتما ذلك فالتقياني في هذا الموضع فانصرفا من عندها فلبثا أياما ثم أتياها ومعهما وردان بن مجالد الذي كلفته مساعدة ابن ملجم و ذلك في ليلة الجمعة لتسع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أربعين . قال أبو الفرج هكذا في رواية أبي مخنف و في رواية أبي عبد الرحمن السلمى أنها كانت ليلة سبع عشرة من شهر رمضان فقال لها ابن ملجم هذه الليلة هي التي وعدت فيها صاحبي و وعداني أن يقتل كل واحد منا صاحبه الذي يتوجه إليه . قلت إنما تواعدوا بمكة عبد الرحمن والبرك وعمرو على هذه الليلة لأنهم يعتقدون أن قتل ولاية الجور قربة إلى الله وأحرى القربات ماتقرب به في الأوقات الشريفة المباركة . و لما كانت ليلة الجمعة التاسعة عشرة من شهر رمضان ليلة شريفة يرجى أن تكون ليلة القدر عيناها لفعل ما يعتقدونه قربة إلى الله فليعجب المتعجب من العقائد كيف تسرى في القلوب وتغلب على العقول حتى يرتكب الناس عظام الأمور وأهوال الخطوب لأجلها قال أبو الفرج فدعت لهم بحرير فعصبت به صدورهم وتقلدوا سيوفهم ومضوا فجلسوا مقابل السدة التي كان يخرج منها على ع إلى الصلاة . [صفحة ١١٧] قال أبو الفرج و قد كان ابن ملجم أتى الأشعث بن قيس في هذه الليلة فخلا به في بعض نواحي المسجد ومر بهما حجر بن عدى فسمع الأشعث و هو يقول لابن ملجم النجاء النجاء بحاجتك فقد فضحكك الصبح قال له حجر قتلت يا أعور وخرج مبادرا إلى علي و قد سبقه ابن ملجم فضربه فأقبل حجر و الناس يقولون قتل أمير المؤمنين . قال أبو الفرج وللأشعث بن قيس في انحرافه عن أمير المؤمنين أخبار يطول شرحها منها حديث حديثه محمد بن الحسين الأشناداني قال حدثني إسماعيل بن موسى قال حدثنا علي بن مسهر عن الأجلح عن موسى بن أبي النعمان قال جاء الأشعث إلى علي يستأذن عليه فرده قنبر فأدمى الأشعث أنفه فخرج علي و هو يقول ما لي و لك يا أشعث أما و الله لو بعدت ثقيف تمرست لاقشعرت شعيراتك قيل يا أمير المؤمنين و من عبد ثقيف قال غلام لهم لا يبقى أهل بيت من العرب إلا أدخلهم ذلا - قيل يا أمير المؤمنين كم يلي أوكم يمكث قال عشرين إن بلغها - رواية- ١-٢-رواية- ١٤٧-٤٦٤ قال أبو الفرج وحدثني محمد بن الحسين أيضا بإسناد ذكره أن الأشعث دخل علي فكلمه

فأغظ علي له فعرض له الأشعث أنه سيفتكك به فقال له علي أباالموت تخوفني أوتهددني فوالله ماأبالي وقعت على الموت أوقع الموت علي -رواية- ١-٢-رواية- ٦٠-٢٣٥ . قال أبوالفرج قال أبو مخنف فحدثني أبي عن عبد الله بن محمد الأزدي قال إني لأصلي تلك الليلة في المسجد الأعظم مع رجال من أهل المصر كانوا يصلون في ذلك الشهر من أول الليل إلى آخره إذ نظرت إلى رجال يصلون قريبا من السدة قياما وقعودا وركوعا وسجودا مايسأمون إذ خرج عليهم علي بن أبي طالب الفجر فأقبل ينادي الصلاة الصلاة فرأيت بريق السيف وسمعت قائلا- يقول الحكم لله يا علي لا- لك [صفحہ ١١٨] ثم رأيت بريق سيف آخر وسمعت صوت علي ع يقول لا-يقوتنكم الرجل . قال أبوالفرج فأما بريق السيف الأول فإنه كان شبيب بن بجرة ضربه فأخطأه ووقعت ضربته في الطاق و أما بريق السيف الثاني فإنه ابن ملجم ضربه فأثبت الضربة في وسط رأسه وشد الناس عليهما من كل ناحية حتى أخذوهما. قال أبو مخنف فهذان تذكر أن رجلا منهم يكنى أباأدماء أخذ ابن ملجم . وقال غيرهم بل أخذه المغيرة بن الحارث بن عبدالمطلب طرح عليه قطيفة ثم صرعه وأخذ السيف من يده وجاء به . قال و أما شبيب بن بجرة فإنه خرج هاربا فأخذه رجل فصرعه وجلس على صدره وأخذ السيف من يده ليقته فرأى الناس يقصدون نحوه فخشى أن يعجلوا عليه فوثب عن صدره وخلاه وطرح السيف عن يده و أما شبيب بن بجرة ففاته فخرج هاربا حتى دخل منزله فدخل عليه ابن عم له فرآه يحل الحرير عن صدره فقال له ما هذا العلك قتلت أمير المؤمنين فأراد أن يقول لا فقال نعم فمضى ابن عمه فاشتمل علي سيفه ثم دخل عليه فضربه حتى قتله . قال أبو مخنف فحدثني أبي عن عبد الله بن محمد الأزدي قال أدخل ابن ملجم علي علي ع ودخلت عليه فيمن دخل فسمعت عليا يقول النفس بالنفس إن أنامت فاقتلوه كماقتلني و إن سلمت رأيت فيه رأيي فقال ابن ملجم ولقد اشتريته بألف يعنى السيف وسممته بألف فإن خانني فأبعده الله قال فنادته أم كلثوم يا عدو الله قتلت أمير المؤمنين قال إنما قتلت أباك قالت يا عدو الله إني لأرجو -رواية- ١-٢-رواية- ٦٥-١١٩-ادامه دارد [صفحہ ١١٩] ألا- يكون عليه بأس قال فأراك إنما تبكين عليا إذا و الله لقد ضربته ضربة لو قسمت بين أهل الأرض لأهلكتهم -رواية- از قبل- ١١٢ . قال أبوالفرج وأخرج ابن ملجم من بين يديه و هو يقول نحن ضربنا يابنة الخير إذ طغى || أباحسن مأمومة فتفطرا ونحن حللنا ملكه من نظامه || بضربة سيف إذ علا- وتجبرا ونحن كرام في الصباح أعزة || إذا المرء بالموت ارتدى وتأزرا . قال وانصرف الناس من صلاة الصبح فأحدقوا بابن ملجم ينهشون لحمه بأسنانهم كأنهم السباع ويقولون يا عدو الله ماذا صنعت أهلكت أمه محمد وقتلت خير الناس وإنه لصامت ماينطق . قال أبوالفرج وروى أبو مخنف عن أبي الطفيل أن صعصعة بن صوحان استأذن علي علي ع و قد أتاه عائدا لماضربه ابن ملجم فلم يكن عليه إذن فقال صعصعة للآذن قل له يرحمك الله يا أمير المؤمنين حيا وميتا فلقد كان الله في صدرك عظما ولقد كنت بذات الله عليما فأبلغه الآذن مقالته فقال قل له و أنت يرحمك الله فلقد كنت خفيف المثونة كثير المعونة -رواية- ١-٢-رواية- ٤٩-٣٥٨ . قال أبوالفرج ثم جمع له أطباء الكوفة فلم يكن منهم أحد أعلم بجرحه من أثير بن عمرو بن هانئ السكوني و كان متطببا صاحب كرسى يعالج الجراحات و كان من الأربعة غلاما الذين كان خالد بن الوليد أصابهم في عين التمر فسباهم فلما نظر أثير إلى جرح أمير المؤمنين دعا برثه شاء حارة فاستخرج منها عرقا وأدخله في الجرح ثم نفخه ثم [صفحہ ١٢٠] استخرجه و إذا عليه بياض الدماغ فقال يا أمير المؤمنين اعهد عهدك فإن عدو الله قد وصلت ضربته إلى أم رأسك فدعا علي ع عند ذلك بدواة وصحيفة وكتب وصيته هذا ما أوصى به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أوصى بأنه يشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون صلوات الله وبركاته عليه إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت و أنا أول المسلمين أوصيكم يا حسن وجميع ولدى و أهل بيتي و من بلغه كتابي هذا بتقوى الله ربنا وربكم و لا تموتن إلا و أنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا و لا تفرقوا فإني سمعت رسول الله يقول صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام و إن المبيرة حالقة الدين إفساد

يزوره الناس الآن جاء جعفر بن محمد بن أبوه محمد بن علي بن الحسين ع إليه فزاراه و لم يكن إذ ذاك قبرا معروفا ظاهرا وإنما كان به سرح عضاه حتى جاء محمد بن زيد الداعي صاحب الديلم فأظهر القبر. وسألت بعض من أثق به من عقلاء شيوخ أهل الكوفة عما ذكره الخطيب أبوبكر في تاريخه أن قوما يقولون إن هذا القبر الذي تزوره الشيعة إلى جانب الغرى هو قبر المغيرة بن شعبة فقال غلطوا في ذلك قبر المغيرة وقبر زياد بالثوية من أرض الكوفة ونحن نعرفهما وننقل ذلك عن آبائنا وأجدادنا وأنشدني قول الشاعر يرثي زيادا وقد ذكره أبوتمام في الحماسة صلى الإله على قبر وطهره || عندالثوية يسفى فوقه المور زفت إليه قريش نعش سيدها || فالحلم والجود فيه اليوم مقبور أباالمغيرة والدنيا مفعجة || وإن من غرت الدنيا لمغرور [صفحة ١٢٤] قد كان عندك للمعروف معرفة || و كان عندك للمنكور تنكير و كنت تغشى وتعطى المال من سعة || فالיום قبرك أضحي و هو مهجور و الناس بعدك قدخفت حلومهم || كأنما نفخت فيه الأعاصير . وسألت قطب الدين نقيب الطالبين أبا عبد الله الحسين بن الأقباسى رحمه الله تعالى عن ذلك فقال صدق من أخبرك نحن وأهلها كافة نعرف مقابر ثقيف إلى الثوية وهى إلى اليوم معروفة وقبر المغيرة فيها إلا أنها لاتعرف و قدابتلعها السبخ وزبد الأرض وفورانها فطمست واختلط بعضها ببعض . ثم قال إن شئت أن تتحقق أن قبر المغيرة فى مقابر ثقيف فانظر إلى كتاب الأغاني لأبى الفرج على بن الحسين والمخ ماقاله فى ترجمة المغيرة و أنه مدفون فى مقابر ثقيف ويكفيك قول أبى الفرج فإنه الناقد البصير والطبيب الخبير فتصفحت ترجمة المغيرة فى الكتاب المذكور فوجدت الأمر كماقاله النقيب . قال أبوالفرج كان مصقله بن هبيرة الشيبانى قدلاحى المغيرة فى شىء كان بينهما منازعة فصرع له المغيرة وتواضع فى كلامه حتى طمع فيه مصقله فاستعلى عليه و شتمه و قال إنى لأعرف شهبى فى عروة ابنك فأشهد المغيرة على قوله هذا شهودا ثم قدمه إلى شريح القاضى فأقام عليه البينة فضربه شريح الحد وآلى مصقله ألا يقيم ببلده فيها المغيرة فلم يدخل الكوفة حتى مات المغيرة فدخلها فتلقاه قومه فسلموا عليه فما فرغ من السلام حتى سألهم عن مقابر ثقيف فأرشدوه إليها فجعل قوم من مواليه [صفحة ١٢٥] يلتقطون الحجارة فقال لهم ما هذا فقالوا نظن أنك تريد أن ترجم قبر المغيرة فقال ألقوا ما فى أيديكم فانطلق حتى وقف على قبره ثم قال و الله لقد كنت ما علمت نافعا لصديقك ضارا لعدوك و مامثلك إلا كما قال مهلهل فى كليب أخيه إن تحت الأحجار حزما وعزما || وخصيما ألد ذا معلاق حية فى الوجار أربد لاينفع || منه السليم نفثه راق . قال أبوالفرج فأما ابن ملجم فإن الحسن بن على بعددفته أمير المؤمنين دعا به وأمر بضرب عنقه فقال له إن رأيت أن تأخذ على العهود أن أرجع إليك حتى أضع يدي فى يدك بعد أن أمضى إلى الشام فأنظر ما صنع صاحبي بمعاوية فإن كان قتله و إلاقنته ثم عدت إليك حتى تحكم فى حكمك فقال هيهات و الله لاتشرب الماء البارد حتى تلحق روحك بالنار ثم ضرب عنقه واستوهبت أم الهيثم بنت الأسود النخعية جثته منه فوهبها لها فأحرقتها بالنار. و قال ابن أبى مياس الفزارى و هو من الخوارج فلم أر مهرا ساقه ذو سماحة || كمهر قطام من غنى ومعدم ثلاثة آلاف و عبد وقينه || وضرب على بالحسام المصمم فلامهر أغلى من على و إن غلا || و لافتك لإدون فتك ابن ملجم . و قال عبد الله بن العباس بن عبدالمطلب وهز على بالعراقين لحية || مصيبتها جلت على كل مسلم و قال سيأتيا من الله نازل || ويخضبها أشقى البرية بالدم فعاجله بالسيف شلت يمينه || لشؤم قطام عندذاك ابن ملجم [صفحة ١٢٦] فيا ضربة من خاسر ضل سعيه || تبوأ منها مقعدا فى جهنم ففاز أمير المؤمنين بحظه || و إن طرقت إحدى الليالى بمعظم ألا إنما الدنيا بلاء وفتنة || حلاوتها شبيبت بصاب وعلقم . قال أبوالفرج وأنشدنى عمى الحسن بن محمد قال أنشدنى محمد بن سعد لبعض بنى عبدالمطلب يرثى عليا و لم يذكر اسمه ياقبر سيدنا المجن سماحة || صلى الإله عليك ياقبر ماضر قبرا أنت ساكنه || ألا يحل بأرضه القطر فليندين سماح كفك بالثرى || وليورقن بجنبك الصخر و الله لوبك لم أجد أحدا || لإقتلت لفاتنى الوتر [صفحة ١٢٧]

أَمَا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ حَمَلَتْ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ وَ مَاتَ قَيْمُهَا وَ طَالَ تَأْيِمُهَا وَ وَرَثَهَا أَبْعَدُهَا. أَمَا وَ اللَّهُ مَا أَيْتَيْتُكُمْ اخْتِيَاراً وَ لَكِنْ جِئْتُ إِلَيْكُمْ سَوْقاً وَ لَقَدْ بَلَّغْتِي أَنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَيَّ يَكْذِبُ قَاتَلَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى فَعَلَى مَنْ أَكْذَبُ أَعَلَى اللَّهِ فَأَنَا أَوْلُ مَنْ آمَنَ بِهِ أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ فَأَنَا أَوْلُ مَنْ صَدَّقَ بِهِ كَلِّا وَ اللَّهُ لَكِنَّهَا لَهَجَةٌ غِبْتُمْ عَنْهَا وَ لَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا وَيَلْمُهُ كَيْلًا بِغَيْرِ ثَمَنِ لَوْ كَانَ لَهُ وَعِيَاءٌ وَ لَتَعَلَّمَنَّ نَبِيَّاهُ بَعْدَ حِينٍ أَمْلَصَتْ الْحَامِلُ أَلْقَتْ وَلِدهَا سَقَاطًا وَ قِيمَهَا بَعْلِهَا وَ تَأْيِمَهَا خُلُوهَا عَنِ الْأَزْوَاجِ يَقُولُ لِمَا شَارَفْتُمْ اسْتِثْصَالَ أَهْلِ الشَّامِ وَ ظَهَرَتْ أَمَارَاتُ الظُّفْرِ لَكُمْ وَ دَلَائِلُ الْفَتْحِ نَكَصْتُمْ وَ جَنَحْتُمْ إِلَى السَّلْمِ وَ الْإِجَابَةِ إِلَى التَّحْكِيمِ عِنْدَ رَفْعِ الْمَصَاحِفِ فَكُنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ لِمَا أَتَمَّتْ أَشْهَرَ حَمَلِهَا أَلْقَتْ وَلِدهَا إِقْلَاءً غَيْرَ طَبِيعِي نَحْوُ أَنْ تَلْقِيهِ لِسَقَطَةٍ أَوْ ضَرْبَةٍ أَوْ عَارِضٍ يَقْتَضِي أَنْ تَلْقِيَهُ هَالِكًا. ثُمَّ لَمْ يَكْتَفِ لَهُمْ بِذَلِكَ حَتَّى قَالَ وَمَاتَ بَعْلِهَا وَ طَالَ تَأْيِمَهَا وَ وَرَثَهَا أَبْعَدُهَا أَى لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ وَ هُوَ أَقْرَبُ الْمُخْلِفينَ إِلَى الْمَيْتِ وَ لَمْ يَكُنْ لَهَا بَعْلٌ فَوَرَثَهَا الْأَبَاعِدُ عَنْهَا [صَفْحَةُ ١٢٨] كَالسَّافِلِينَ مِنْ بَنِي عَمٍّ وَ كَالْمَوْلَاةِ تَمُوتُ مِنْ غَيْرِ وَلَدٍ وَ لَا- مِنْ يَجْرِي مَجْرَاهُ فِيرِثُهَا مَوْلَاهَا وَ لَا نَسَبَ بَيْنَهَا وَ بَيْنِهِ . ثُمَّ أَقْسَمَ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِهِمْ اخْتِيَارًا وَ لَكِنْ الْمَقَادِيرُ سَاقَتْهُ إِيْلَهُمْ سَوْقًا يَعْنِي اضْطِرَارًا. وَ صَدَقَ عَ لِأَنَّهُ لَوْ لَا يَوْمَ الْجَمَلِ لَمْ يَحْتَجْ إِلَى الْخُرُوجِ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الْعِرَاقِ وَ إِنَّمَا اسْتَجَدَّ بِأَهْلِ الْكُوفَةِ عَلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ اضْطِرَارًا إِيْلَهُمْ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ جَيْشُهُ الْحِجَازِي وَ أَيْبَا بِأَهْلِ الْبَصْرَةِ الَّذِينَ أَصْفَقُوا عَلَى حَرْبِهِ وَ نَكثَ بَيْعَتِهِ وَ لَمْ يَكُنْ خُرُوجُهُ عَنِ الْمَدِينَةِ وَ هِيَ دَارُ الْهَجْرَةِ وَ مَفَارِقَتُهُ لِقَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ قَبْرِ فَاطِمَةَ عَنِ إِيشَارٍ وَ مَحَبَّةٍ وَ لَكِنْ الْأَحْوَالُ تَحْكُمُ وَ تَسُوقُ النَّاسَ إِلَى مَا لَا يَخْتَارُونَهُ ابْتِدَاءً. وَ قَدَرُوا هَذَا الْكَلَامَ عَلَى وَجْهِ آخِرٍ مَا أَيْتَيْتُمْ اخْتِيَارًا وَ لَاجَتْ إِيْلَيْكُمْ شَوْقًا بِالشَّيْنِ الْمَعْجَمَةِ. ثُمَّ قَالَ بَلَّغْتِي أَنْتُمْ تَقُولُونَ يَكْذِبُ وَ كَانَ كَثِيرًا مَا يَخْبُرُ عَنِ الْمَلَاحِمِ وَ الْكَائِنَاتِ وَ يَوْمِي إِلَى أُمُورٍ أَخْبَرَهُ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ص فِيَقُولُ الْمُنَافِقُونَ مِنْ أَصْحَابِهِ يَكْذِبُ كَمَا كَانَ الْمُنَافِقُونَ الْأَوَّلُونَ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ص يَقُولُونَ عَنْهُ يَكْذِبُ . وَ رَوَى صَاحِبُ كِتَابِ الْغَارَاتِ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنِ رَجَالِهِ قَالَ خَطَبَ عَلِيٌّ ع فَقَالَ وَ اللَّهُ لَوْ أَمَرْتُمْ فَجَمَعْتُمْ مِنْ خِيَارِكُمْ مَائَةً ثُمَّ لَوْ شِئْتَ لَحَدَّثْتُمْ مِنْ غَدْوَةٍ إِلَى أَنْ تَغِيْبَ الشَّمْسُ لَا- أَخْبَرْتُمْ إِلَّا حَقًّا ثُمَّ لَتَخْرُجَنَّ فَلْتَرَعَمَنَّ أُنَى أَكْذَابِ النَّاسِ وَأَفْجَرَهُمْ - رَوَايَاتُ ١- ٢- رَوَايَاتُ ٧٣- ٢٣٠ وَ قَدَرُوا صَاحِبَ هَذَا الْكِتَابِ وَ غَيْرِهِ مِنَ الرُّوَاهِ أَنَّهُ قَالَ إِنْ أَمَرْنَا صَعْبَ مُسْتَصْعَبٍ لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا الْمَلِكُ مُقْرَبٌ أَوْ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ أَوْ عَبْدًا مَتَحَنُّنًا اللَّهُ قَبْلَهُ لِلإِيْمَانِ - رَوَايَاتُ ١- ٢- رَوَايَاتُ ٥٦- ١٤٨ . [صَفْحَةُ ١٢٩] وَ هَذَا الْكَلَامُ مِنْهُ كَلَامٌ عَارِفٌ عَالِمٌ بِأَنَّ فِي النَّاسِ مَنْ لَا يَصْدُقُهُ فِيمَا يَقُولُ وَ هَذَا أَمْرٌ مَرْكُوزٌ فِي الْجَبَلَةِ الْبَشْرِيَّةِ وَ هُوَ اسْتِبْعَادُ الْأُمُورِ الْغَرِيبَةِ وَ تَكْذِيبُ الْأَخْبَارِ بِهَا وَ إِذَا تَأَمَّلْتَ أَحْوَالَهُ فِي خِلَافَتِهِ كُلِّهَا وَ جَدَّتْهَا هِيَ مُخْتَصِرَةٌ مِنْ أَحْوَالِ رَسُولِ اللَّهِ ص فِي حَيَاتِهِ كَأَنَّهَا نَسْخَةٌ مُنْتَسَخَةٌ مِنْهَا فِي حَرْبِهِ وَ سَلْمِهِ وَ سِيرَتِهِ وَ أَخْلَاقِهِ وَ كَثْرَةَ شِكَايَتِهِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَ الْمُخَالِفِينَ لِأَمْرِهِ وَ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ ذَلِكَ عِلْمًا وَاضِحًا فَاقْرَأْ سُورَةَ بَرَاءَةٍ فِيهَا الْجَمُّ الْغَفِيرُ مِنَ الْمَعْنَى الَّذِي أَشْرْنَا إِلَيْهِ

ذكر مطاعن النظام على الإمام علي والرد عليه

واعلم أن النظام لما تكلم في كتاب النكت وانتصر لكون الإجماع ليس بحجة اضطر إلى ذكر عيوب الصحابة فذكر لكل منهم عيبا ووجه إلى كل واحد منهم طعنا و قال في علي إنه لما حارب الخوارج يوم النهروان كان يرفع رأسه إلى السماء تارة ينظر

إليها ثم يطرق إلى الأرض فينظر إليها تارة أخرى يوهم أصحابه أنه يوحى إليه ثم يقول ما كذبت ولا كذبت فلما فرغ من قتالهم وأدبل عليهم ووضعت الحرب أوزارها قال الحسن ابنه يا أمير المؤمنين أكان رسول الله ص تقدم إليك في أمر هؤلاء بشيء فقال لا ولكن رسول الله ص أمرني بكل حق و من الحق أن أقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين -رواية- ١-١٨٧ . قال النظام و قوله ما كذبت ولا كذبت ورفع رأسه أحيانا إلى السماء وأطرقه إلى الأرض إيهام أمال نزول الوحي عليه أولاً لأنه قد أوصى من قبل في شأن الخوارج بأمر ثم هو يقول ما أوصى فيهم على خصوصيتهم بأمر وإنما أوصى بكل الحق وقتالهم من الحق . [صفحة ١٣٠] وهذا عجيب طريف . فنقول إن النظام أخطأ عندنا في تعريضه بهذا الرجل خطأ قبيحا و قال قولاً منكراً نستغفر الله له من عقابه ونسأله عفوه عنه وليست الرواية التي رواها عن الحسن وسؤاله لأبيه وجوابه له بصحيفة ولا معروفة والمشهور المعروف المنقول نقلاً يكاد يبلغ درجة المتواتر من الأخبار ماروى عن رسول الله ص في معنى الخوارج بأعيانهم وذكرهم بصفاتهم وقوله ص لعلى ع إنك مقاتلهم وقتلهم و إن المخدج ذا الثدي منهم وإنك ستقاتل بعدى الناكثين والقاسطين والمارقين -رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-١٢٦ فجعلهم أصنافاً ثلاثة حسب ما وقعت الحال عليه و هذا من معجزات الرسول ص وإخباره عن الغيوب المفصلة فما أعلم من أى كتاب نقل النظام هذه الرواية ولا عن أى محدث رواها ولقد كان رحمه الله تعالى بعيداً عن معرفة الأخبار والسير من فنونه ولا من علومه ولا ريب أنه سمعها ممن لا يوثق بقوله فنقلها كما سمعها . فأما كونه ع كان ينظر تارة إلى السماء وتارة إلى الأرض وقوله ما كذبت ولا كذبت فصحيح وموثوق بنقله لاستقامته وشهرته وكثرة روايته والوجه في ذلك أنه استبطأ وجود المخدج حيث طلبه في جملة القتلى فلما طال الزمان وأشفق من دخول شبهة على أصحابه لما كان قدمه إليهم من الأخبار قلقوا واهتم وجعل يكرر قوله ما كذبت ولا كذبت أى ما كذبت على رسول الله ص ولا كذبتى رسول الله ص فيما أخبرني به . فأما رفعه رأسه إلى السماء تارة وأطرقه إلى الأرض أخرى فإنه حيث كان يرفع [صفحة ١٣١] رأسه كان يدعو ويتضرع إلى الله في تعجيل الظفر بالمخدج وحيث يطرق كان يغلبه الهم والفكر فيطرق . ثم حين يقول ما كذبت ولا كذبت كيف ينتظر نزول الوحي فإن من نزل عليه الوحي لا يحتاج أن يسند الخبر إلى غيره و يقول ما كذبت فيما أخبرتكم به عن رسول الله ص . ومما طعن به النظام عليه أنه ع قال إذا حدثتكم عن رسول الله ص فهو كما حدثتكم فو الله لأن آخر من السماء أحب إلى من أن أكذب على رسول الله ص و إذا سمعتموني أحدثكم فيما بيني وبينكم فإنما الحرب خدعة -رواية- ١-٢-رواية- ١٦-١٩١ . قال النظام هذا جرى مجرى التدليس في الحديث و لو لم يحدثهم عن رسول الله ص بالمعاريض و على طريق الإيهام لما اعتذر من ذلك . فنقول في الجواب إن النظام قد وهم وانعكس عليه مقصد أمير المؤمنين و ذلك أنه ع لشدة ورعه أراد أن يفصل للسامعين بين ما يخبر به عن نفسه و بين ما يرويه عن رسول الله ص و ذلك لأن الضرورة ربما تدعوه إلى استعماله المعاريض لاسيما في الحرب المبنية على الخديعة والرأى فقال لهم كلما أقول لكم قال لى رسول الله ص فاعلموا أنه سليم من المعاريض خال من الرمز والكناية لأنى لا أستجيز ولا أستحل أن أعمى أو ألغز فى حديث رسول الله ص . و ما حدثتكم به عن نفسى فربما أستعمل فيه المعاريض لأن الحرب خدعة . [صفحة ١٣٢] وهذا كلام رجل قد استعمل التقوى والورع فى جميع أموره وبلغ من تعظيم أمر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام وإجلال قدره واحترام حديثه ألا يرويه إلا بالألفاظه لا بمعانيه ولا بأمر يقتضى فيه إلباساً وتعمية و لو كان مضطراً إلى ذلك ترجيحاً للجانب الذى على جانب مصلحته فى خاص نفسه فأما إذا هو قال كلاماً يبتدئ به من نفسه فإنه قد يستعمل فيه المعاريض إذا اقتضت الحكمة والتدبير ذلك فقد كان رسول الله ص باتفاق الرواة كافة إذا أراد أن يغزو وجهاً ورى عنه بغيره و لما خرج ع من المدينة لفتح مكة قال لأصحابه كلاماً يقتضى أنه يقصد بنى بكر بن عبدمناة من كنانة فلم يعلموا حقيقة حاله حتى شارف مكة و قال حين هاجر وصحبه أبو بكر الصديق لأعرابي لقيهما من أين أنت وممن أنت فلما انتسب لهما

قال له الأعرابي أما أنا فقد اطلعتكما طلع أمرى فممن أنت فقال من ماء لم يزد على ذلك فجعل الأعرابي يفكر و يقول من أى ماء من ماء بنى فلان من ماء بنى فلان فتركه و لم يفسر له وإنما أراد ع أنه مخلوق من نطفة. فأما قول النظام لو لم يحدث عن رسول الله ص بالمعاريض لما اعتذر من ذلك فليس فى كلامه اعتذار ولكنه نفى أن يدخل المعاريض فى روايته وأجازها فيما يتدئ به عن نفسه و ليس يتضمن هذا اعتذارا و قوله لأن آخر من السماء يدل على أنه مافعل ذلك و لا يفعله . ثم قال على من أكذب يقول كيف أكذب على الله و أنا أول المؤمنين به وكيف أكذب على رسول الله و أنا أول المصدقين به أخرجه مخرج الاستبعاد لدعواهم وزعمهم . فإن قلت كيف يمكن أن يكون المكلف الذى هو من أتباع الرسول كاذبا على الله إلا بواسطة إخباره عن الرسول لأنه لا واصله و لا واسطه بينه و بين الله تعالى إلا الرسول . [صفحہ ۱۳۳] و إذا لم يمكن كذبه على الله إلا بكذبه على الرسول لم يبق لتقسيم الكذب و قوله أفأنا أكذب على الله أو على رسوله معنى . قلت يمكن أن يكذب الكاذب على الله دون أن يكون كاذبا على الرسول و إن كان من أتباع الرسول نحو أن يقول كنت مع الرسول ص ليلة فى مقبرة فأحيا الله تعالى فلانا الميت فقام و قال كذا أو يقول كنت معه يوم كذا فسمعت مناديا يناديه من السماء افعل كذا أونحو ذلك من الأخبار بأمور لا تستند إلى حديث الرسول . ثم قال ع كلا و الله أى لا و الله وقيل إن كلا بمعنى حقا وإنه إثبات . قال ولكنها لهجة غبتم عنها اللهجة بفتح الجيم وهى آله النطق يقال له هوفصيح اللهجة وصادق اللهجة ويمكن أن يعنى باللهجة رسول الله ص فيقول شهدت وغبتم ويمكن أن يعنى باللهجة هوفيقول إنها لهجة غبتم عن منافعها وأعدمتم أنفسكم ثمن مناصحتها. ثم قال ويلمه الضمير راجع إلى ما دل عليه معنى الكلام من العلم لأنه لما ذكر اللهجة وشهوده إياها وغيوبتهم عنها دل ذلك على علم له خصه به الرسول ع فقال ويلمه و هذه كلمة تقال للتعجب والاستعظام يقال ويلمه فارسا وتكتب موصولة كماهى بهذه الصورة وأصله ويل أمه مرادهم التعظيم والمدح و إن كان اللفظ موضوعا لصد ذلك كقوله ع فاظفر بذات الدين تربت يداك -رواية- ۱-۲-رواية- ۱۲-۴۳ و كقولهم للرجل يصفونه ويقرظونه لا أبأ له . و قال الحسن البصرى و هو يذكر عليا ع ويصف كونه على الحق [صفحہ ۱۳۴] فى جميع أموره حتى قال فلما شارف الظفر وافق على التحكيم و ما لك فى التحكيم والحق فى يديك لا أبأ لك . قال أبو العباس المبرد هى كلمة فيها جفاء وخشونة كانت الأعراب تستعملها فيمن يستعظمون أمره قال و لما أشد سليمان بن عبد الملك قول بعض الأعراب رب العباد مالنا و مالكا || قد كنت تسقينا فما بدا لكا أنزل علينا الغيث لا أبأ لكا . قال أشهد أنه لأب له و لاصحبه و لا ولد فأخرجها أحسن مخرج . ثم قال ع كيلا بغير ثمن لو كان له وعاء انتصب كيلا لأنه مصدر فى موضع الحال ويمكن أن ينتصب على التمييز كقولهم لله دره فارسا يقول أنا أكيل لكم العلم والحكمة كيلا- و لا-أطلب لذلك ثمنا لو وجدت وعاء أى حاملا للعلم و هذا مثل قوله ع ها إن بين جنبي علما جما لو أجد له حملة -رواية- ۱-۲-رواية- ۲۲-۶۲ . ثم ختم الفصل بقوله تعالى وَ لَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ و هو أحسن ما ختم هذا الكلام به -قرآن- ۳۱-۶۵

خطبة الإمام على بعد يوم النهروان

وروى المدائنى فى كتاب صفين قال خطب على ع بعد انقضاء أمر النهروان فذكر طرفا من الملاحم قال إذا كثرت فيكم الأخلاط واستولت الأنباط دنا خراب العراق ذاك إذا بنيت مدينه ذات أثل وأنهار فإذا غلت فيها الأسعار وشيد فيها البنيان وحكم فيها الفساق واشتد البلاء وتفاسخ الغوغاء دنا خسوف البيداء وطاب الهرب والجلاء وستكون قبل الجلاء أمور يشيب منها الصغير ويعطب الكبير ويخرس الفصيح -رواية- ۱-۲-رواية- ۱۰۲-ادامه دارد [صفحہ ۱۳۵] ويهت الليب يعاجلون بالسيف صلتا و قد كانوا قبل ذلك فى غصارة من عيشهم يمرحون فى لها مصيبة حينئذ من البلاء العقيم والبكاء الطويل والويل والعويل وشدة الصريخ فى

ذلك أمر الله و هو كائن وقتا يريح فيا بن حره الإمام متى تنتظر أبشر بنصر قريب من رب رحيم ألا فويل للمتكبرين عند حصاد الحاصدين وقتل الفاسقين عصاه ذى العرش العظيم فبأبى وأمى من عدة قليلة أسماؤهم فى الأرض مجهولة قد دنا حينئذ ظهورهم و لو شئت لأخبرتكم بما يأتى و يكون من حوادث دهركم و نوائب زمانكم و بلايا أيامكم و غمرات ساعاتكم ولكنه أفضيه إلى من أفضيه إليه مخافه عليكم و نظرا لكم علما منى بما هو كائن و ما يكون من البلاء الشامل ذلك عند ترمذ الأشرار و طاعة أولى الخسار ذاك أوان الحتف و الدمار ذاك أدبار أمركم و انقطاع أصلكم و تشتت ألفتكم و إنما يكون ذلك عند ظهور العصيان و انتشار الفسوق حيث يكون الضرب بالسيف أهون على المؤمنين من اكتساب درهم حلال حين لا تنال المعيشه إلا بمعصية الله فى سمائه حين تسكرون من غير شراب و تحلفون من غير اضطرار و تظلمون من غير منفعة و تكذبون من غير إخراج تفكهمون بالفسوق و تبادرون بالمعصية قولكم البهتان و حديثكم الزور و أعمالكم الغرور فعند ذلك لا تأمنون البيات فيا له من بيات ما أشد ظلمته و من صائح ما أظع صوته ذلك بيات لا ينى صاحبه فعند ذلك تقتلون و بأنواع البلاء تضربون و بالسيف تحصدون و إلى النار تصيرون و يعضكم البلاء كما يعض الغارب القتب ياعجبا كل العجب بين جمادى و رجب من جمع أشتات و حصد نبات و من أصوات بعدها أصوات ثم قال سبق القضاء سبق القضاء -رواية- از قبل -1-رواية-2-ادامه دارد [صفحه 136] قال رجل من أهل البصرة لرجل من أهل الكوفة إلى جانبه أشهد أنه كاذب على الله و رسوله قال الكوفى و ما يدريك قال فو الله ما نزل على من المنبر حتى فليح الرجل فحمل إلى منزله فى شق محمل فمات من ليلته -رواية- از قبل -213

من خطب الإمام على أيضا

وروى المدائنى أيضا قال خطب على ع فقال لو كسرت لى الوسادة لحكمت بين أهل التوراه بتوراتهم و بين أهل الإنجيل بإنجيلهم و بين أهل الفرقان بفرقانهم و ما من آية فى كتاب الله أنزلت فى سهل أو جبل إلا و أنا عالم متى أنزلت و فيمن أنزلت فقال رجل من القعود تحت منبره يا الله و للددعوى الكاذبه و قال آخر إلى جانبه أشهد أنك أنت الله رب العالمين -رواية- 1-2-رواية- 47-363 قال المدائنى فانظر إلى هذا التناقض و التباين فيه و روى المدائنى أيضا قال خطب على ع فذكر الملاحم فقال سلونى قبل أن تفقدونى أما و الله لتشغرن الفتنة الصماء برجلها و تطأ فى خطامها يالها من فتنة شبت نارها بالحطب الجزل مقبله من شرق الأرض رافعه ذيلها داعية و يلها بدجلة أو حولها ذاك إذا استدار الفلك و قلمت مات أو هلك بأى واد سلك فقال قوم تحت منبره لله أبوه ما أفصحه كاذبا -رواية- 1-2-رواية- 60-340 و روى صاحب كتاب الغارات عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث -رواية- 1-2 [صفحه 137] قال سمعت عليا يقول على المنبر ما أحد جرت عليه المواسى إلا و قد أنزل الله فيه قرآنا فقام إليه رجل فقال يا أمير المؤمنين فما أنزل الله تعالى فيك قال يريد تكذيبه فقام الناس إليه يلكرونه فى صدره و جنبه فقال دعوه أقرأت سورة هود قال نعم قال أقرأت قوله سبحانه أ فمن كان على بينة من ربه و يتلوه شاهد منه قال نعم قال صاحب البيهقه محمد و التالى الشاهد أنا -رواية- 35-393 [صفحه 138]

71- و من خطبة له ع علم فيها الناس الصلاة على النبى ص

اللَّهُمَّ دَاحِيَ الْمِدْحَاتِ وَدَاعِمَ الْمَسْمُوكَاتِ وَجَابِلَ الْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَاتِهَا شَقِيهَا وَسَعِيدَهَا اجْعَلْ شَرَائِفَ صِلَوَاتِكَ وَنَوَامِي
 بَرَكَاتِكَ عَلَى مُحَمِّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ وَالْفَاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ وَ الْمُعْلِنِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ وَ الدَّافِعِ جِيشَاتِ الْأَبَاطِيلِ وَ
 الدَّامِغِ صَوْلَاتِ الْأَضَالِيلِ كَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ قَائِمًا بِأَمْرِكَ مُسْتَوْفِرًا فِي مَرْضَاتِكَ غَيْرَ نَاكِلٍ عَنِ قُدْمٍ وَ لَا وَاهٍ فِي عَزْمٍ وَاعِيًا لَوْحِيكَ
 حَافِظًا لِعَهْدِكَ مَاضِيًا عَلَى نَفَازِ أَمْرِكَ حَتَّى أَوْزَى قَبَسَ الْقَائِسِ وَ أَضَاءَ الطَّرِيقَ لِلْخَابِطِ وَ هَدَيْتَ بِهِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ وَ
 الْآثَامِ وَ أَقَامَ بِمُوضِعَاتِ الْأَعْلَامِ وَ نَبَرَاتِ الْأَحْكَامِ فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ وَ خَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونُ وَ شَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ وَ بَعِيثُكَ
 بِالْحَقِّ وَ رَسُولُكَ إِلَى الْخَلْقِ اللَّهُمَّ افْسِحْ لَهُ مَفْسِيحًا فِي ظِلِّكَ وَ اجْزِهِ مَضَاعِفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ اللَّهُمَّ وَ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ
 بِنَاءَهُ وَ أَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنْزِلَتَهُ وَ أَتِمِّمْ لَهُ نُورَهُ وَ اجْزِهِ مِنْ ابْتِعَاثِكَ لَهُ مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ مَرْضِيَّ الْمَقَالَةِ ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ وَ خُطْبَةٍ فَصَلِّ اللَّهُمَّ
 اجْمَعْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُ فِي بَرْدِ الْعَيْشِ وَ قَرَارِ النِّعْمَةِ وَ مَنَى الشَّهَوَاتِ وَ أَهْوَاءِ اللَّذَاتِ وَ رِخَاءِ الدَّعَةِ وَ مُنْتَهَى الطَّمَأْنِينَةِ وَ تُحْفِ الْكِرَامَةِ [
 صفحه ۱۳۹] دحوت الرغيف دحوا بسطته والمدحوات هنا الأرضون . فإن قلت قد ثبت أن الأرض كرية فكيف تكون بسيطة
 والبسيط هو المسطح والكري لا يكون مسطحاً . قلت الأرض بجملتها شكل كرة و ذلك لا يمنع أن تكون كل قطعة منها مبسوطة
 تصلح لأن تكون مستقراً ومجالاً للبشر وغيرهم من الحيوان فإن المراد بانبساطها هاهنا ليس هو السطح الحقيقي الذي لا يوجد في
 الكرة بل كون كل قطعة منها صالحه لأن يتصرف عليها الحيوان لايعنى به غير ذلك . وداحى المدحوات ينتصب لأنه منادى
 مضاف تقديره يابسط الأرضين المبسوطات قوله وداعم المسموكات أى حافظ السموات المرفوعات دعمت الشىء إذا حفظته
 من الهوى بدعامة والمسموك المرفوع قال إن الذى سمك السماء بنى لنا || بيتا دعائمه أعز وأطول . ويجوز أن يكون عنى
 بكونها مسموكة كونها ثخينه وسمك الجسم هو البعد الذى يعبر عنه المتكلمون بالعمق و هو قسيم الطول والعرض و لا
 شىء أعظم ثخنا من الأفلاك . فإن قلت كيف قال إنه تعالى دعم السموات وهى بغير عمد . قلت إذا كان حافظا لها من الهوى
 بقدرته وقوته فقد صدق عليه كونه داعما لها لأن قوته الحافظة تجرى مجرى الدعامة . قوله وجابل القلوب أى خالقها والجبل
 الخلق وجبله الإنسان خلقته وفطراتها بكسر الفاء وفتح الطاء جمع فطرة ويجوز كسر الطاء كما قالوا فى سدره سدرات وسدرات
 والفطرة الحالة التى يفطر الله عليها الإنسان أى يخلقه عليها خاليا من الآراء [صفحه ۱۴۰] والديانات والعقائد والأهوية وهى
 ما يقتضيه محض العقل وإنما يختار الإنسان بسوء نظره ما يفضى به إلى الشقوة و هذا معنى قول النبى ص كل مولود يولد على
 الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه -روايت- ۱- ۲-روايت- ۱۷- ۷۶ قوله شقيها وسعيدها بدل من القلوب وتقدير الكلام وجابل
 الشقى من القلوب والسعيد على ما فطرت عليه . والنوامى الزوائد والخاتم لما سبق أى لما سبق من الملل والفتاح لما انغلق من أمر
 الجاهلية والمعلن الحق بالحق أى المظهر للحق الذى هو خلاف الباطل بالحق أى بالحرب والخصومة يقال حاق فلان فلانا فحقه
 أى خاصمه فخصمه ويقال ما فيه حق أى خصومه . قوله والدافع جيشت الأباطيل جمع جيشه من جاشت القدر إذا ارتفع غليانها .
 والأباطيل جمع باطل على غير قياس والمراد أنه قامع مانجم من الباطل . والدماغ المهلك من دماغه أى شجه حتى بلغ الدماغ و مع
 ذلك يكون الهلاك . والصولات جمع صولة وهى السطوة والأضاليل جمع ضلال على غير قياس . قوله كما حمل أى لأجل أنه
 يحمل والعرب تستعمل هذه الكاف بمعنى التعليل قال الشاعر فقلت له أباالملحاء خذها || كما أو سعتنا بغيا وعدوا أى هذه
 الضربة لبغيك علينا وتعديك . وقوله كما حمل يعنى حمل أعباء الرسالة فاضطلع أى نهض بها قويا فرس ضليع أى قوى وهى
 الضلاعة أى القوة . مستوفزا أى غير بطيء بل يحث نفسه ويجهدا فى رضا الله سبحانه والوفز العجلة والمستوفز المستعجل . [
 صفحه ۱۴۱] غيرناكل عن قدم أى غير جبان و لا متأخر عن إقدام والمقدام المتقدم يقال مضى قدما أى تقدم وسار و لم يعرج .
 قوله و لاواه فى عزم وهى أى ضعف والواهى الضعيف . واعيا لوحيك أى فاهما وعيت الحديث أى فهمته وعقلته . ماضيا على
 نفاذ أمرك فى الكلام حذف تقديره ماضيا مصرا على نفاذ أمرك كقوله تعالى فى تسع آيات إلى فرعون و لم يقل مرسلا لأن

الكلام يدل بعضه على بعض . و قوله حتى أورى قيس القابس يقال ورى الزند يرى أى خرج ناره وأوريته أنا والقيس شعله من النار والمراد بالقيس ها هنا نور الحق والقابس الذى يطلب النار يقال قيست منه نارا وأقيسنى نارا أى أعطانيها. وقال الراوندى أقيست الرجل علما وقيسته نارا أعطيته فإن كنت طلبتها له قلت أقيسته نارا. وقال الكسائي أقيسته نارا وعلما سواء قال ويجوز قبيسته بغير همزة فيهما. قوله وأضاء الطريق للخابط أى جعل الطريق للخابط مضئاً والخابط الذى يسير ليلاً على غير جادة واضحة. وهذه الألفاظ كلها استعارات ومجازات . وخوضات الفتن جمع خوضه وهى المرة الواحدة من خضت الماء والوحد أخوضهما وتقدير الكلام وهديت به القلوب إلى الأعلام الموضحة بعد أن خاضت فى الفتن أطواراً والأعلام جمع علم وهو ما يستدل به على الطريق كالمنارة ونحوها. والموضحة التى توضح للناس الأمور وتكشفها والنيرات ذوات النور. قوله فهو أمينك المأمون أى أمينك على وحيك والمأمون من ألقاب رسول الله ص قال كعب بن زهير -قرآن- ٣٠٤-٣٣٢ [صفحة ١٤٢] سقاك أبوبكر بكأس روية || وانهلك المأمون منها وعلكا . وخازن علمك المخزون بالجر صفة علمك والعلم الإلهى المخزون هو ما طلع الله تعالى عليه ورسوله من الأمور الخفية التى لا تتعلق بالأحكام الشرعية كالملاحم وأحكام الآخرة وغير ذلك لأن الأمور الشرعية لا يجوز أن تكون مخزونة عن المكلفين . و قوله وشهدك يوم الدين أى شاهدك قال سبحانه فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا. والبعيث المبعوث فعيل بمعنى مفعول كقتيل وجريح وصریح ومفسحا مصدر أى وسع له مفسحا. و قوله فى ظلك يمكن أن يكون مجازاً كقولهم فلان يشملنى بظله أى بإحسانه وبره ويمكن أن يكون حقيقة ويعنى به الظل الممدود الذى ذكره الله تعالى فقال وَظِلٌّ مَمْدُودٍ وَ مَاءٌ مَسْكُوبٌ. و قوله وأعل على بناء البانين بناءه أى اجعل منزلته فى دار الثواب أعلى المنازل . وأتم له نوره من قوله تعالى رَبَّنَا أْتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَقَدْرُوهُ أَنَّهُ تَطْفَأُ سَائِرَ الْأَنْوَارِ لِأَنْوَارِ مُحَمَّدٍ ثُمَّ يُعْطَى الْمَخْلُصُونَ مِنْ أَصْحَابِهِ أَنْوَارًا يَسِيرَةً يَبْصُرُونَ بِهَا مَوَاطِئَ الْأَقْدَامِ فَيَدْعُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِزِيَادَةِ تِلْكَ الْأَنْوَارِ وَإِتْمَامِهَا ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَتِمُّ نُورَ مُحَمَّدٍ فَيَسْتَطِيلُ حَتَّى يَمْلَأَ الْأَفَاقَ فَذَلِكَ هُوَ إِتْمَامُ نُورِهِ ص . قوله من ابتعائك له أى فى الآخرة. مقبول الشهادة أى مصداقاً فيما يشهد به على أمته وعلى غيرها من الأمم . -قرآن- ٢٩٤-٣٧٣-قرآن- ٦٢٣-٦٥٥-قرآن- ٧٧٧-٨٠٢ [صفحة ١٤٣] و قوله ذا منطق عدل أى عادل وهو مصدر أقيم مقام اسم الفاعل كقولك رجل فطر وصوم أى مفطر وصائم . و قوله وخطبة فصل أى يخطب خطبة فاصلة يوم القيامة كقوله تعالى إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ أى فاصل يفصل بين الحق والباطل وهذا هو المقام المحمود الذى ذكره الله تعالى فى الكتاب فقال عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً وهو الذى يشار إليه فى الدعوات فى قولهم أَللَّهُمَّ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَالدرجَةَ الرَّفِيعَةَ وَابْعَثْهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ. قوله فى برد العيش تقول العرب عيش بارد ومعيشة باردة أى لا حرب فيها ولا نزاع لأن البرد والسكون متلازمان كتلازم الحر والحركة. وقرار النعمة أى مستقرها يقال هذا قرار السيل أى مستقره ومن أمثالهم لكل سائلة قرار. ومنى الشهوات ماتتعلق به الشهوات من الأمانى وأهواء اللذات ماتهوا النفوس وتستلذه والرخاء المصدر من قولك رجل رخي البال فهو بين الرخاء أى واسع الحال . والدعة السكون والطمانينة وأصلها الواو. ومنتهى الطمانينة غايتها التى ليس بعدها غاية. والتحف جمع تحفة وهى ما يكرم به الإنسان من البر واللفظ ويجوز فتح الحاء -قرآن- ١٦٧-٢٠٧-قرآن- ٣٠٧-٣٤٩

معنى الصلاة على النبي والخلاف فى جواز الصلاة على غيره

فإن قلت مامعنى الصلاة على الرسول ص التى قال الله تعالى فيها [صفحة ١٤٤] إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا. قلت الصلاة من الله تعالى هى الإكرام والتبجيل ورفع المنزلة والصلاة منا على النبي ص هى

الدعاء له بذلك فقوله سبحانه هُوَ الَّذِي يُصَلِّيَ عَلَيْكُمْ أَي هُوَ الَّذِي يَرْفَعُ مَنَازِلَكُمْ فِي الْآخِرَةِ وَقَوْلُهُ وَ مَلَائِكَتُهُ أَي يَدْعُونَ لَكُمْ بِذَلِكَ . وَقِيلَ جَعَلُوا لَكُمْ دَعْوَةً كَانَتْ دَعْوَةً فَاعْلَمُوا أَنَّ التَّعْظِيمَ لِلْمُؤْمِنِ وَرَفْعَ الْمَنَزَلَةِ وَنَظِيرَهُ قَوْلُهُ حَيَّاكَ اللَّهُ أَي أَحْيَاكَ اللَّهُ وَأَبْقَاكَ وَحَيَّتِكَ أَي دَعَاكَ لَكَ بِأَنْ يَحْيِيكَ لِأَنَّكَ لَا تَعْتَمِدُكَ عَلَى إِجَابَةِ دَعْوَتِكَ وَوَتُوقُكَ بِذَلِكَ كَأَنَّكَ تَحْيِيهِ وَتَبْقِيهِ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَهَكَذَا الْقَوْلُ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَ إِنْ اللَّهَ وَ مَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ . وَ قَدْ اختلفَ فِي الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَ هَلْ هِيَ وَاجِبَةٌ أَمْ لَا . فَمِنَ النَّاسِ مَنْ لَمْ يَقُلْ بِوَجُوبِهَا وَجَعَلَ الْأَمْرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ لِلدُّبِّ وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ إِنَّهَا وَاجِبَةٌ . وَ اختلفوا فِي حَالِ وَجُوبِهَا فَمِنْهُمْ مَنْ أَوْجَبَهَا كَمَا جَرَى ذِكْرُهُ - قُرْآن - ١ - ١١٧ - قُرْآن - ٢٤٤ - ٢٧٢ - قُرْآن - ٣١٨ - ٣٣٢ - قُرْآن - ٦٢٨ - ٦٧٩ وَ فِي الْحَدِيثِ مِنْ ذَكَرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يَصِلْ عَلَى دَخْلِ النَّارِ وَأَبْعَدَهُ اللَّهُ - رَوَايَت - ١ - ٢ - رَوَايَت - ١٦ - ٧١ وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ تَجِبُ فِي كُلِّ مَجْلَسٍ مَرَّةً وَاحِدَةً وَ إِنْ تَكَرَّرَ ذِكْرُهُ وَمِنْهُمْ مَنْ أَوْجَبَهَا فِي الْعَمْرُومَةِ وَاحِدَةً وَكَذَلِكَ قَالَ فِي إِظْهَارِ الشَّهَادَتَيْنِ . وَ اختلفَ أَيْضًا فِي وَجُوبِهَا فِي الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ فَأَبُو حَنِيفَةَ وَأَصْحَابُهُ لَا يَوْجِبُونَهَا فِيهَا وَرَوَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ أَنَّهُمْ كَانُوا يَكْتَفُونَ بِعِنَى الصَّحَابَةِ عَنْهَا بِالتَّشْهَدِ وَ هُوَ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ وَأَوْجَبَهَا الشَّافِعِيُّ وَأَصْحَابُهُ وَ اختلفَ أَصْحَابُهُ فِي وَجُوبِ الصَّلَاةِ عَلَى آلِ مُحَمَّدٍ صَ فَالْأَكْثَرُونَ عَلَى أَنَّهَا وَاجِبَةٌ وَأَنَّهَا شَرْطٌ فِي صِحَّةِ الصَّلَاةِ . [صَفْحَةُ ١٤٥] فَإِنْ قُلْتَ فَمَا تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ عَلَى الصَّحَابَةِ وَ الصَّالِحِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . قُلْتَ الْقِيَاسُ جَوَازُ الصَّلَاةِ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ لِقَوْلِهِ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يُصَلِّيَ عَلَيْكُمْ وَ مَلَائِكَتُهُ وَقَوْلُهُ وَ صَلَّى عَلَيْهِمْ إِنْ صَلَّاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَقَوْلُهُ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ وَلَكِنَّ الْعُلَمَاءَ قَالُوا إِذَا ذَكَرَ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ تَبَعًا لِلنَّبِيِّ عَ فَلَكَامٍ فِي جَوَازِ ذَلِكَ وَ أَمَا إِذَا فَرَدُوا أَوْ ذَكَرَ أَحَدٌ مِنْهُمْ فَأَكْثَرَ النَّاسِ كَرِهُوا الصَّلَاةَ عَلَيْهِ لِأَنَّ ذَلِكَ شِعَارُ رَسُولِ اللَّهِ فَلَا يَشْرِكُهُ فِيهِ غَيْرُهُ . وَ أَمَا أَصْحَابُنَا مِنَ الْبَغْدَادِيِّينَ فَهَلُمُ اصْطِلَاحٌ آخَرٌ وَ هُوَ أَنَّهُمْ يَكْرَهُونَ إِذَا ذَكَرُوا عَلِيًّا عَ أَنْ يَقُولُوا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ لَا يَكْرَهُونَ أَنْ يَقُولُوا صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَ جَعَلُوا اللَّفْظَةَ الْأُولَى مَخْتَصَةً بِالرَّسُولِ صَ وَ جَعَلُوا اللَّفْظَةَ الثَّانِيَةَ مَشْتَرِكَةً فِيهَا بَيْنَهُمَا عَ وَ لَمْ يَطْلُقُوا لَفْظَ الصَّلَاةِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا عَلَى عَلِيٍّ وَ وَاحِدَهُ - قُرْآن - ١١٩ - ١٦٣ - قُرْآن - ١٧٢ - ٢١٤ - قُرْآن - ٢٢٣ - ٢٧١] صَفْحَةُ [١٤٦]

٧٢- و من كلام له ع قاله لمروان بن الحكم بالبصرة

اشاره

قَالُوا أُخِذَ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ أَسِيرًا يَوْمَ الْجَمَلِ فَاسْتَشْفَعَ الْحَسَنَ وَ الْحُسَيْنَ عَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَ فَكَلَّمَاهُ فِيهِ فَخَلَّى سَبِيلَهُ فَقَالَ لَهُ يُبَايِعُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ عَ أَوْ لَمْ يُبَايِعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ لَا حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ إِنَّهَا كَفُّ يَهُودِيَّةٍ لَوْ بَايَعَنِي بِيَدِهِ لَغَدَرَ بِسَبْتِهِ أَمَا إِنْ لَهُ إِمْرَةٌ كَلَعَتْهُ الْكَلْبُ أَنْفَهُ وَ هُوَ أَبُو الْأَكْبَشِ الْأَرْبَعِيُّ وَ سَلَّمَ عَلَى الْأُمَمِ مِنْهُ وَ مِنْ وُلْدِهِ يَوْمًا أَحْمَرٌ قَدْرُوِي هَذَا الْخَبْرُ مِنْ طَرَفٍ كَثِيرَةٍ وَ رَوِيَتْ فِيهِ زِيَادَةٌ لَمْ يَذْكُرْهَا صَاحِبُ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ وَ هِيَ قَوْلُهُ عَ فِي مَرْوَانَ يَحْمِلُ رَايَةَ ضَلَالَةٍ بَعْدَ مَا يَشِيبُ صَدْغَاهُ وَ إِنْ لَهُ إِمْرَةٌ - رَوَايَت - ١ - ٢ - رَوَايَت - ٢٧ - ٧٧ إِلَى آخِرِ الْكَلَامِ . وَ قَوْلُهُ فَاسْتَشْفَعَ الْحَسَنَ وَ الْحُسَيْنَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَ هُوَ الْوَجْهُ يُقَالُ اسْتَشْفَعْتُ فَلَانًا إِلَى فَلَانٍ أَي سَأَلْتُهُ أَنْ يَشْفَعَ لِي إِلَيْهِ وَ تَشْفَعْتُ إِلَى فَلَانٍ فِي فَلَانٍ فَشَفَعَنِي فِيهِ تَشْفِيعًا وَقَوْلُ النَّاسِ اسْتَشْفَعْتُ بِفُلَانٍ إِلَى فَلَانٍ بِالْبَاءِ لَيْسَ بِذَلِكَ الْجَيِّدِ . وَقَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَ أَوْ لَمْ يُبَايِعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ أَي وَ قَدْ غَدَرَ وَ هَكَذَا لَوْ بَايَعَنِي الْآنَ . [صَفْحَةُ ١٤٧] وَ مَعْنَى قَوْلِهِ إِنَّهَا كَفُّ يَهُودِيَّةٍ أَي غَادِرَةٌ وَ الْيَهُودُ تَنْسَبُ إِلَى الْغَدْرِ وَ الْخَبْثِ وَ قَالَ تَعَالَى لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عِدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ . وَ السَّبَبُ الْإِسْتِ بَفَتْحِ السِّينِ سَبَبُهُ يَسْبِبُهُ أَي طَعَنَهُ فِي الْمَوْضِعِ وَ مَعْنَى الْكَلَامِ مَحْمُولٌ عَلَى وَجْهَيْنِ . أَحَدُهُمَا أَنْ

يكون ذكر السببة إهانته له وغلظته عليه والعرب تسلك مثل ذلك في خطبها وكلامها قال المتوكل لأبي العيناء إلى متى تمدح الناس وتذمهم فقال ما أحسنوا وأساءوا ثم قال يا أمير المؤمنين إن الله تعالى رضى عن واحد فمدحه وسخط على آخر فهجاه وهجا أمه قال نعم العبد إنّه أوابٌ و قال عْتَلَّ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْنَمُ وَالزَيْنَمُ وَلِدُ الزَّيْنَاءِ. الوجه الثانى أن يريد بالكلام حقيقةً لامجازاً و ذلك لأن الغادر من العرب كان إذا عزم على الغدر بعد عهد قدها أو عقد قدها حيق استهزاء بما كان قد أظهره من اليمين والعهد وسخريه وتهكما. والإمره الولايه بكسر الهمزة وقوله كلعقه الكلب أنفه يريد قصر المده وكذلك كانت مده خلافة مروان فإنه ولى تسعة أشهر. والأكبش الأربعة بنو عبد الملك الوليد وسليمان ويزيد وهشام و لم يل الخلافة من بنى أمية و لا من غيرهم أربعة إخوة إلهؤلاء. و كل الناس فسروا الأكبش الأربعة بمن ذكرناه وعندى أنه يجوز أن يعنى به -قرآن- ٨٤-١٤٥- قرآن- ٥٠٥-٥٣٢- قرآن- ٥٤٠-٥٦٥ [صفحة ١٤٨] بنى مروان لصلبه وهم عبد الملك و عبدالعزيز وبشر و محمد و كانوا كباشا أبطالاً أنجاداً أما عبد الملك فولى الخلافة و أما بشر فولى العراق و أما محمد فولى الجزيرة و أما عبدالعزيز فولى مصر ولكل منهم آثار مشهورة و هذا التفسير أولى لأن الوليد وإخوته أبناء ابنه وهؤلاء بنوه لصلبه . ويقال لليوم الشديد يوم أحمر وللسنة ذات الجذب سنة حمراء. و كل ما أخبر به أمير المؤمنين ع فى هذا الكلام وقع كما أخبر به وكذلك قوله يحمل رايه ضلالة بعد ما يشيب صدغاه فإنه ولى الخلافة و هو ابن خمسة وستين فى أعدل الروايات

مروان بن الحكم ونسبه وأخباره

ونحن ذاكرون فى هذا الموضوع نسبه وجملا- من أمره وولايته للخلافة ووفاته على سبيل الاختصار. هو مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وأمه آمنه بنت علقمة بن صفوان بن أمية الكنانى يكنى أبا عبد الملك ولد على عهد رسول الله ص منذ سنة اثنتين من الهجرة وقيل عام الخندق وقيل يوم أحد وقيل غير ذلك و قال قوم بل ولد بمكة وقيل ولد بالطائف ذكر ذلك كله أبو عمر بن عبد البر فى كتاب الإستيعاب . قال أبو عمر وممن قال بولادته يوم أحد مالك بن أنس و على قوله يكون [صفحة ١٤٩] رسول الله ص قد توفى وعمره ثمان سنين أونحوها. وقيل إنه لمانفى مع أبيه إلى الطائف كان طفلاً لا يعقل وإنه لم ير رسول الله ص و كان الحكم أبوه قد طرده رسول الله عن المدينة وسيره إلى الطائف فلم يزل بها حتى ولى عثمان فرده إلى المدينة فقدمها هو وولده فى خلافة عثمان وتوفى فاستكتبه عثمان وضمه إليه فاستولى عليه إلى أن قتل . والحكم بن أبى العاص هو عم عثمان بن عفان كان من مسلمة الفتح و من المؤلفه قلوبهم وتوفى الحكم فى خلافة عثمان قبل قتله بشهور. واختلف فى السبب الموجب لنفى رسول الله ص فقيل إنه كان يتحيل ويستخفى ويتسمع ما يسهه رسول الله ص إلى أكابر الصحابة فى مشركى قريش وسائر الكفار والمنافقين ويفشى ذلك عنه حتى ظهر ذلك عنه . وقيل كان يتجسس على رسول الله ص و هو عند نسائه ويسترق السمع ويصغى إلى ما يجرى هناك مما لا يجوز الاطلاع عليه ثم يحدث به المنافقين على طريق الاستهزاء. وقيل كان يحكيه فى بعض مشيته وبعض حر كاته فقد قيل إن النبى ص كان إذامشى يتكفأ و كان الحكم بن أبى العاص يحكيه و كان شائناً له مبغضاً حاسداً فالتفت رسول الله ص يوماً فرآه يمشى خلفه يحكيه فى مشيته [صفحة ١٥٠] فقال له كذلك فلتكن يا حكم فكان الحكم مختلجاً يرتعش من يومئذ فذكر ذلك عبدالرحمن بن حسان بن ثابت فقال لعبد الرحمن بن الحكم يهجوهُ إن اللعين أبوك فارم عظامه || إن ترم ترم مخلجاً مجنوناً يمشى خميص البطن من عمل التقى || ويظل من عمل الخبيث بطينا . قال صاحب الإستيعاب أما قول عبدالرحمن بن حسان إن اللعين أبوك فإنه روى عن عائشة من طرق ذكرها ابن أبى خيثمة وغيره أنها قالت لمروان إذ قال فى أخيها عبدالرحمن إنه أنزل فيه وَ أَلْعَدِي قَالَ لَوْلَا دَيْهِ أَفَّ لَكُمَا أَ

تَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعِثَانِ اللَّهَ وَيَلْكُ آمِنْ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقَّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ
أما أنت يامروان فأشهد أن رسول الله ص لعن أباك و أنت فى صلبه . -قرآن- ١٨٧-٣٩٧ وروى صاحب كتاب الإستيعاب بإسناد
ذكره عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ص قال يدخل عليكم رجل لعين قال عبد الله و كنت قد رأيت أبى يلبس ثيابه
ليقبل إلى رسول الله ص فلم أزل مشفقاً أن يكون أول من يدخل فدخل الحكم بن أبى العاص -رواية- ١-٢-رواية- ١٠٠-
٢٦٢ قال صاحب الإستيعاب ونظر على ع يوماً إلى مروان فقال له ويل لك وويل لأمة محمد منك و من بنيك إذا شاب صدغاك
-رواية- ١-٢-رواية- ٢٤-١١٧ و كان مروان يدعى [صفحة ١٥١] خيط باطل قيل لأنه كان طويلاً مضطرباً. وضرب يوم الدار
على قفاه فخر لفيه فلما بويح له بالخلافة قال فيه أخوه عبدالرحمن بن الحكم و كان ماجناً شاعراً محسناً و كان لا يرى رأى مروان
فو الله ما أدري و إنى لسائل || حليلاً مضرب القفا كيف تصنع لحا الله قوماً أمروا خيط باطل || على الناس يعطى ما يشاء ويمنع .
وقيل إنما قال له أخوه عبدالرحمن ذلك حين ولاه معاوية إمرة المدينة و كان كثيراً ما يهجوهم و من شعره فيه وهبت نصيبى منك
يامرو كله || لعمرو ومروان الطويل وخالد ورب ابن أم زائد غير ناقص || و أنت ابن أم ناقص غير زائد . و قال مالك بن الربيع
يهجو مروان بن الحكم لعمرك مامروان يقضى أمورنا || ولكن ما يقضى لنا بنت جعفر فيا ليتها كانت علينا أميره || وليتك
يامروان أمسيت ذا حر . و من شعر أخيه عبدالرحمن فيه ألا- من يبلغن مروان عنى || رسولا- والرسول من البيان بأنك لن ترى
طرداً لحر || كالصاق به بعض الهوان وهل حدثت قبلى عن كريم || معين فى الحوادث أو معان يقيم بدار مضيعة إذا لم ||
يكن حيران أو خفق الجنان [صفحة ١٥٢] فلا تقذف بى الرجوين إنى || أقل القوم من يغنى مكانى سأكفيك الذى استكفيت
منى || بأمر لا تخالجه اليدان فلو أنا بمنزلة جرينا || جريت و أنت مضطرب العنان و لولا- أن أم أيبك أمى || و أن من
قد هجاك فقد هجانى لقد جاهرت بالبغضاء إنى || إلى أمر الجهارة والعلان . و لما صار أمر الخلافة إلى معاوية و لى مروان
المدينة ثم جمع له إلى المدينة مكة والطائف ثم عزله وولى سعيد بن العاص فلما مات يزيد بن معاوية وولى ابنه أبولبلى معاوية
بن يزيد فى سنة أربع وستين عاش فى الخلافة أربعين يوماً ومات فقالت له أمه أم خالد بنت أبى هاشم بن عتبة بن ربيعة بن
عبدشمس اجعل الخلافة من بعدك لأخيك فأبى و قال لا يكون لى مرها ولكم حلوها فوثب مروان عليها وأنشد إنى أرى فتنة
تغلى مراحلها || والملك بعد أبى ليلى لمن غلبا . و ذكر أبو الفرج على بن الحسين الأصفهاني فى كتاب الأغاني أن معاوية
لما عزل مروان بن الحكم عن إمرة المدينة والحجاز وولى مكانه سعيد بن العاص وجه مروان أخاه عبدالرحمن بن الحكم أمامه
إلى معاوية و قال له ألقه قبلى فعاتبه لى واستصلحه . قال أبو الفرج و قدروى أن عبدالرحمن كان بدمشق يوماً فلما بلغه خبر
عزل مروان وقدمه إلى الشام خرج وتلقاه و قال له أقم حتى أدخل إلى أخيك فإن كان عزلك عن موجدة دخلت إليه منفرداً و
إن كان عن غير موجدة دخلت إليه مع الناس [صفحة ١٥٣] فأقام مروان ومضى عبدالرحمن فلما قدم على معاوية دخل إليه و
هو يعشى الناس فأنشده أتتك العيس تنفخ فى براها || تكشف عن مناكبها القطوع بأبيض من أمية مضرحى || كأن جبينه سيف
صنيع . فقال له معاوية أزايراً جئت أم مفاخرا مكابرا فقال أى ذلك شئت فقال ما أشاء من ذلك شيئاً وأراد معاوية أن يقطعه عن
كلامه الذى عن له فقال له على أى ظهر جئتنا فقال على فرس قال ما صفته قال أجش هزيم يعرض بقول النجاشى فى معاوية يوم
صفين ونجا ابن حرب سابع ذو علاله || أجش هزيم والرماح دوان إذا قلت أطراف الرماح تناله || مرته له الساقان والقدمان
فغضب معاوية و قال إلا أنه لا يركبه صاحبه فى الظلم إلى الربيع و لا هو ممن يتسور على جاراته و لا يتوثب بعد هجعة الناس على
كنائنه و كان عبدالرحمن يتهم بذلك فى امرأة أخيه فخرج عبدالرحمن و قال يا أمير المؤمنين ما حملك على عزل ابن عمك
الخيانة أوجبت ذلك أم لرأى رأيتته وتديبر استصلحته قال بل لتديبر استصلحته قال فلا بأس بذلك فخرج من عنده فلقى أخاه
مروان فأخبره بما دار بينه و بين معاوية فاستشاط غيظاً و قال لعبد الرحمن قبحك الله ما أضعفك عرضت للرجل بما أغضبه حتى

إذا انتصر [صفحہ ۱۵۴] منک أحجمت عنه ثم لبس حلتہ وركب فرسہ وتقلد سيفه ودخل على معاوية فقال له حين رآه وتبين الغضب في وجهه مرحبا بأبي عبد الملك لقد زرتنا عند اشتياق منا إليك فقال لاها الله ما زرتك لذلك ولا قدمت عليك فألفيتك إلا عاقا قاطعا والله ما أنصفتنا ولا جزيتنا جزاءنا لقد كانت السابقة من بني عبد شمس لآل أبي العاص والصهر عن رسول الله ص لهم والخلافة منهم فوصلوكم يابني حرب وشرفوكم وولوكم فما عزلوكم ولا آثروا عليكم حتى إذا وليتم وأفضى الأمر إليكم أبيتم إلا أثره وسوء صنيعه وقبح قطيعه فرويدا رويدا فقد بلغ بنو الحكم وبنو بنيه نيفا وعشرين وإنما هي أيام قلائل حتى يكملوا أربعين ثم يعلم امرؤ ما يكون منهم حينئذ ثم هم للجزء بالحسنى والسوء بالمرصاد. قال أبو الفرج هذا رمز إلى قول رسول الله ص إذ بلغ بنو أبي العاص أربعين رجلا- اتخذوا مال الله دولا- وعباد الله خولا- روايت- ۱- ۲- روايت- ۲۲- ۹۷ فكان بنو أبي العاص يذكرون أنهم سيلون أمر الأمة إذ بلغوا هذه العدة. قال أبو الفرج فقال له معاوية مهلا أبا عبد الملك إنى لم أعزلك عن خيانه وإنما عزلتك لثلاثة لو لم يكن منهن إلا واحدة لأوجبت عزلك إحداهن أنى أمرتك على عبد الله بن عامر وبينكما ما بينكما فلن تستطيع أن تشتفى منه والثانية كراهيتك لإمرة زياد والثالثة أن ابنتى رمله استعدتكم على زوجها عمرو بن عثمان فلم تعدها فقال مروان أما ابن عامر فإنى لا أنتصر منه فى سلطاني ولكن إذ اتسوات الأقدام علم أين موقعه وأما كراهتى لإمرة زياد فإن سائر بنى أمية كرهوه وجعل الله لنا فى ذلك الكره خيرا كثيرا وأما استعداد رمله على عمرو فو الله إنه ليأتى على سنه أو أكثر [صفحہ ۱۵۵] وعندى بنت عثمان فما أكشف لها ثوبا يعرض بأن رمله إنما تستعدى على عمرو بن عثمان طلب النكاح فغضب معاوية فقال يا ابن الوزغ لست هناك فقال مروان هو ما قلت لك وإنى الآن لأبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة وقد كاد ولد أبى أن يكملوا العدة يعنى أربعين ولو قد بلغوها لعلمت أين تقع منى فانخرل معاوية و قال فإن أك فى شراركم قليلا || فإنى فى خياركم كثير بغاث الطير أكثرها فراخا || وأم الصقر مقلات نزور . ثم استخذى معاوية فى يد مروان وخضع و قال لك العتبي و أنارادك إلى عملك فوثب مروان و قال كلا وعيشك لا رأيتنى عائدا وخرج . فقال الأحنف لمعاوية ما رأيت قط لك سقطه مثلها ما هذا الخضوع لمروان و أى شىء يكون منه و من بنى أبيه إذ بلغوا أربعين و ما الذى تخشاه منهم فقال ادن منى أخبرك ذلك فدنا الأحنف منه فقال له إن الحكم بن أبى العاص كان أحد من قدم مع أختى أم حبيبة لما زفت إلى رسول الله ص و هو يتولى نقلها إليه فجعل رسول الله ص يحد النظر إليه فلما خرج من عنده قيل يا رسول الله لقد أهدت النظر إلى الحكم فقال ابن المخزوميه ذاك رجل إذ بلغ بنو أبيه ثلاثين أو أربعين ملكوا الأمر من بعدى فو الله لقد تلقاها مروان من عين صافية فقال الأحنف رويدا يا أمير المؤمنين لا يسمع هذا منك أحد فإنك تضع من قدرك وقدر ولدك بعدك و إن يقض الله أمرا يكن فقال [صفحہ ۱۵۶] معاوية اكتبها يا أبا بحر على إذ ا فقد لعمرك صدقت ونصحت . و ذكر شيخنا أبو عثمان الجاحظ فى كتاب مفاخره هاشم و عبد شمس أن مروان كان يضعف و أنه كان ينشد يوم مرج راهط والرءوس تندر عن كواهلها و ماضرهم غير حين النفوس || أى غلامى قريش غلب . قال و هذا حمق شديد وضعف عظيم قال وإنما ساد مروان و ذكر بانه عبد الملك كما ساد بنوه و لم يكن فى نفسه هناك . فأما خلافة مروان فذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى التاريخ أن عبد الله بن الزبير لما أخرج بنى أمية عن الحجاز إلى الشام فى خلافة يزيد بن معاوية خرجوا وفيهم مروان و ابنه عبد الملك و لم تطل مدة يزيد فتوفى و مات ابنه بعده بأيام يسيرة و كان من رأى مروان أن يدخل إلى ابن الزبير بمكة فيبايعه بالخلافة فقدم عبید الله بن زياد و قد أخرج أهل البصرة عنها بعد وفاة يزيد فاجتمع هو و بنو أمية و أخبروه بما قد أجمع عليه مروان فجاء إليه و قال استجبت لك يا أبا عبد الملك فما يريد أنت كبير قريش وسيدها تصنع ماتصنع وتشخص إلى أبى حبيب فتبايعه بالخلافة فقال مروان ما فات شىء بعد فقام مروان واجتمع إليه بنو أمية ومواليهم و عبید الله بن زياد و كثير من أهل اليمن و كثير من كلب فقدم دمشق وعليها الضحاک بن قيس الفهري قدبايعه الناس على أن يصلى بهم و يقيم لهم أمرهم حتى يجتمع [صفحہ ۱۵۷] الناس على

إمام و كان هوى الضحاك مع ابن الزبير إلا- أنه لم يبایع له بعد و كان زفر بن الحارث الكلبي بفسرين يخطب لابن الزبير والنعمان بن بشير الأنصاري بحمص يخطب لابن الزبير و كان حسان بن مالك بن بحدل الكلبي بفلسطين يهوى هوى بنى أمية ثم من بينهم بنى حرب لأنه كان عاملا- لمعاوية ثم ليزيد بن معاوية من بعده و كان حسان بن مالك مطاعا فى قومه عظيما عندهم فخرج عن فلسطين يريد الأردن واستخلف على فلسطين روح بن زنباع الجذامى فوثب عليه بعدشخص حسان بن مالك وناتل بن قيس الجذامى أيضا فأخرجه عن فلسطين وخطب لابن الزبير و كان له فيه هوى فاستوثقت الشام كلها لابن الزبير ماعدا الأردن فإن حسان بن مالك الكلبي كان يهوى هوى بنى أمية ويدعو إليهم فقام فى أهل الأردن فخطبهم و قال لهم ماشهادتكم على ابن الزبير وقتلى المدينة بالحره قالوا نشهد أن ابن الزبير كان منافقا و أن قتلى أهل المدينة بالحره فى النار قال فما شهدتكم على يزيد بن معاوية وقتلاكم بالحره قالوا نشهد أن يزيد بن معاوية كان مؤمنا و كان قتلانا بالحره فى الجنة قال و أناشهد أنه إن كان دين يزيد بن معاوية و هوحى حقا إنه اليوم لعلى حق هو وشيعته و إن كان ابن الزبير يومئذ هو وشيعته على باطل إنه اليوم وشيعته على باطل قالوا صدقت نحن نبايعك على أن نقاتل معك من خالفك من الناس وأطاع ابن الزبير على أن تجنبا ولاية هذين الغلامين ابني يزيد بن معاوية وهما خالد و عبد الله فإنهما حديثه أسنانهما ونحن نكره أن يأتينا الناس بشيخ ونأتيهم بصبي. قال و قد كان الضحاك بن قيس يوالى ابن الزبير باطنا ويهوى هواه ويمنعه إظهار ذلك بدمشق والبيعه له أن بنى أمية وكلبا كانوا بحضرته و كلب أخوال يزيد [صفحه ١٥٨] بن معاوية وبنيه ويطلبون الإمرة لهم فكان الضحاك يعمل فى ذلك سرا وبلغ حسان بن مالك بن بحدل ما أجمع عليه الضحاك فكتب إليه كتابا يعظم فيه حق بنى أمية ويذكر الطاعة والجماعة وحسن بلاء بنى أمية عنده وصنيعهم إليه ويدعوه إلى بيعتهم وطاعتهم ويذكر ابن الزبير ويقع فيه ويشتمه ويذكر أن منافق قدخلع خليفتين وأمره أن يقرأ كتابه على الناس ثم دعا رجلا من كلب يقال له ناغضة فسرح بالكتاب معه إلى الضحاك بن قيس وكتب حسان نسخة ذلك الكتاب ودفعه إلى ناغضة و قال له إن قرأ الضحاك كتابى على الناس و إلا فقم أنت و اقرأ هذا الكتاب عليهم و كتب حسان إلى بنى أمية يأمرهم أن يحضروا ذلك فقدم ناغضة بالكتاب على الضحاك فدفعه إليه و دفع كتاب بنى أمية إليهم سرا. فلما كان يوم الجمعة وصعد الضحاك على المنبر وقدم إليه ناغضة فقال أصلح الله الأمير ادع بكتاب حسان فاقرأه على الناس فقال له الضحاك اجلس فجلس ثم قام ثانية فتكلم مثل ذلك فقال له اجلس فجلس ثم قام ثالثة و كان كالثانية والأولى فلما رآه ناغضة لا يقرأ الكتاب أخرج الكتاب الذى معه فقرأه على الناس فقام الوليد بن عتبة بن أبى سفيان فصدق حسان وكذب ابن الزبير وشتمه وقام يزيد بن أبى النمى الغسانى فصدق مقالة حسان وكتابه وشتم ابن الزبير وقام سفيان بن أبرد الكلبي فصدق مقالة حسان وشتم ابن الزبير وقام عمر بن يزيد الحكمى فشتم حسان وأثنى على ابن الزبير فاضطرب الناس ونزل الضحاك بن قيس فأمر بالوليد بن عتبة وسفيان بن الأبرد ويزيد بن أبى النمى الذين كانوا صدقوا حسان وشتموا ابن الزبير فحبسوا وجال الناس بعضهم فى بعض ووثبت كلب على عمر بن يزيد الحكمى فضربوه وخرقوا ثيابه و قد كان قام خالد بن يزيد بن معاوية فصعد مرقاتين من المنبر و هو يومئذ غلام . والضحاك بن قيس فوق المنبر فتكلم بكلام أوجز فيه لم يسمع بمثله ثم نزل . [صفحه ١٥٩] فلما دخل الضحاك بن قيس داره جاءت كلب إلى السجن فأخرجوا سفيان بن أبرد الكلبي وجاءت غسان فأخرجوا يزيد بن أبى النمى و قال الوليد بن عتبة لو كنت من كلب أو غسان لأخرجت فجاء ابنا يزيد بن معاوية خالد و عبد الله ومعهما أخوالهما من كلب فأخرجوه من السجن . ثم إن الضحاك بن قيس خرج إلى مسجد دمشق فجلس فيه وذكر يزيد بن معاوية فوقع فيه فقام إليه سنان من كلب ومعه عصا فضربه بها و الناس جلوس حلقا متقلدى السيوف فقام بعضهم إلى بعض فى المسجد فاقتتلوا فكانت قيس عيلا من قاطبة تدعو إلى ابن الزبير ومعهما الضحاك و كلب تدعو إلى بنى أمية ثم إلى خالد بن يزيد فيتعصبون له فدخل الضحاك دار الإمارة وأصبح الناس فلم يخرج الضحاك إلى صلاة الفجر. فلما ارتفع النهار بعث إلى بنى

أمية فدخلوا عليه فاعتذر إليهم وذكر حسن بلائهم عنده و أنه ليس يهوى شيئا يكرهونه ثم قال تكتبون إلى حسان ونكتب ويسير حسان من الأردن حتى ينزل الجابية ونسير نحن وأنتم حتى نوافيه بها فيجتمع رأى الناس على رجل منكم فرضيت بذلك بنو أمية وكتبوا إلى حسان وهو بالأردن وكتب إليه الضحاک يأمره بالموافاة فى الجابية وأخذ الناس فى الجهاز للرحيل . وخرج الضحاک بن قيس من دمشق وخرج الناس وخرجت بنو أمية وتوجهت الرايات يريدون الجابية فجاء ثور بن معن يزيد بن الأخنس السلمى إلى الضحاک فقال دعوتنا إلى طاعة ابن الزبير فبايعناك على ذلك ثم أنت الآن تسير إلى هذا الأعرابى من كلب لتستخلف ابن أخته خالد بن يزيد بن معاوية فقال الضحاک فما رأى قال رأى أن [صفحة ١٦٠] نظهر ما كنا نسر وندعو إلى طاعة ابن الزبير ونقاتل عليها فمال الضحاک بمن معه من الناس وانخزل من بنى أمية و من معهم من قبائل اليمن فنزل مرج راهط . قال أبو جعفر واختلف فى أى وقت كانت الوقعة بمرج راهط فقال الواقدى كانت فى سنة خمس وستين و قال غيره فى سنة أربع وستين . قال أبو جعفر وسارت بنو أمية ولفيفها حتى وافوا حسان بالجابية فصلى بهم أربعين يوما و الناس يتشاورون وكتب الضحاک بن قيس من مرج راهط إلى النعمان بن بشير الأنصارى و هو على حمص يستنجده و إلى زفر بن الحارث و هو فى قنسرين و إلى نائل بن قيس و هو على فلسطين ليستمدهم و كلهم على طاعة ابن الزبير فأمدوه فاجتمعت الأجناد إليه بمرج راهط و أمالذين بالجابية فكانت أهواؤهم مختلفة فأما مالك بن هبيرة السكونى فكان يهوى هوى يزيد بن معاوية و يجب أن تكون الخلافة فى ولده و أما حصين بن نمير السكونى فكان يهوى هوى بنى أمية و يجب أن تكون الخلافة لمروان بن الحكم فقال مالك بن هبيرة للحصين بن نمير هلم فلنبايع لهذا الغلام الذى نحن ولدنا أباه و هو ابن أختنا فقد عرفت منزلتنا التى كانت من أبيه إنك إن تابيعه يحملك غدا على رقاب العرب يعنى خالد بن يزيد فقال الحصين لا لعمر الله لا يأتينا العرب بشيخ و نأتيها بصبى فقال مالك أظن هواك فى مروان و الله إن استخلفت مروان ليحسدنك على سوطك و شراك نعلك و ظل شجرة تستظل بها إن مروان أبوعشرة و أخو عشرة و عم عشرة فإن بايعتموه كنتم عبيدا لهم ولكن عليكم بابن أختكم خالد بن يزيد فقال الحصين إنى رأيت فى المنام قنديلا معلقا من السماء وإنه جاء كل من يمد عنقه إلى الخلافة ليتناوله فلم يصل إليه وجاء مروان فتناوله و الله لنستخلفنه . [صفحة ١٦١] فلما اجتمع رأيهم على بيعته واستمالوا حسان بن بحدل إليها قام روح بن زنباع الجذامى فحمد الله و أثنى عليه فقال أيها الناس إنكم تذكرون لهذا الأمر عبد الله بن عمر بن الخطاب و تذكرون صحبته لرسول الله ص و قدمه فى الإسلام و هو كما تذكرون لكنه رجل ضعيف و ليس صاحب أمه محمد بالضعيف و أما عبد الله بن الزبير و ما يذكر الناس من أمره و أن أباه حوارى رسول الله ص و أمه أسماء بنت أبى بكر ذات النطاقين فهو لعمرى كما تذكرون ولكنه منافق قد دخل خليفتين يزيد و أباه معاوية و سفك الدماء و شق عصا المسلمين و ليس صاحب أمه محمد ص بالمنافق و أما مروان بن الحكم فو الله ما كان فى الإسلام صدع قط إلا كان مروان ممن يشعب ذلك الصدع و هو الذى قاتل عن عثمان بن عفان يوم الدار و الذى قاتل على بن أبى طالب يوم الجمل و إنا نرى للناس أن يبائعوا الكبير و يستشبهوا الصغير يعنى بالكبير مروان وبالصغير خالد بن يزيد . فاجتمع رأى الناس على البيعة لمروان ثم لخالد بن يزيد من بعده ثم لعمر بن سعيد بن العاص بعدهما على أن تكون فى أيام خلافة مروان إمرة دمشق لعمر بن سعيد و إمرة حمص لخالد بن يزيد فلما استقر الأمر على ذلك دعا حسان بن بحدل خالد بن يزيد فقال يا ابن أختى إن الناس قد أبوك لحدثه سنك و إنى و الله ما أريد هذا الأمر إلا لك و لأهل بيتك و ما أباع مروان إلا نظرا لكم فقال خالد بل عجزت عنا فقال لا و الله لم أعجز عنك ولكن رأى لك ما رأيت . ثم إن حسان دعا مروان بن الحكم فقال له يا مروان إن الناس كلهم لا يرضون [صفحة ١٦٢] بك فما ترى فقال مروان إن يرد الله أن يعطينيها لم يمنعها أحد من خلقه و إن يرد أن يمنعيها لا يعطينيها أحد من خلقه فقال حسان صدقت . ثم صعد حسان المنبر فقال أيها الناس إنى مستخلف فى غد أحدكم إن شاء الله فاجتمع الناس بكرة الغد ينتظرون فصعد حسان المنبر و بايع لمروان و بايع الناس و سار

من الجابية حتى نزل بمرج راهط حيث الضحاك بن قيس نازل فجعل مروان على يمينته عمرو بن سعيد بن العاص و على يسرته عبيد الله بن زياد وجعل الضحاك على يمينته زياد بن عمرو بن معاوية العتكي و على يسرته ثور بن معن السلمى و كان يزيد بن أبى النمى الغسانى بدمشق لم يشهد الجابية و كان مريضا فلما حصل الضحاك بمرج راهط ثار بأهل دمشق فى عبيده وأهله فغلب عليها وأخرج عامل الضحاك منها وغلب على الخزان وبيت المال وباع لمروان وأمده من دمشق بالرجال والمال والسلاح فكان ذلك أول فتح فتح لمروان . ثم وقعت الحرب بين مروان والضحاك فاقتتلوا بمرج راهط عشرين ليلة فهزم أصحاب الضحاك وقتلوا وقتل أشرف الناس من أهل الشام وقتلت قيس مقتلة لم تقتل مثلها فى موطن قط وقتل ثور بن معن السلمى الذى رد الضحاك عن رأيه . قال أبو جعفر وروى أن بشير بن مروان كان صاحب الراية ذلك اليوم و أنه كان ينشد إن على الرئيس حقا حقا || أن يخضب الصعدة أويندقا . وصرع ذلك اليوم عبدالعزيز بن مروان ثم استنقذ. قال و مر مروان برجل من محارب و هو فى نفر يسير من أصحاب مروان فقال له [صفحة ١٦٣] لوانضمامت إلى أصحابك رحمك الله فإنى أراك فى قلة فقال إن معنا يا أمير المؤمنين من الملائكة مددا أضعاف من تأمرنا بالانضمام إليهم قال فضحك مروان وسر بذلك و قال للناس ممن كان حوله ألا تستمعون قال أبو جعفر و كان قاتل الضحاك رجلا من كلب يقال له زحنة بن عبد الله فلما قتله وأحضر الرأس إلى مروان ظهرت عليه كآبة و قال الآن حين كبرت سنى ودق عظمى وصرت فى مثل ظمء الحمار أقبلت أضرب الكنائب بعضها ببعض . قال أبو جعفر وروى أن مروان أنشد لمابويح ودعا إلى نفسه لمارأيت الأمر أمرانها || سيرت غسان لهم وكلبا والسكسكين رجلا غلبا || وطيئا تأباه لإضربا والقين تمشى فى الحديد نكبا || و من تنوخ مشمخرا صعبا لا يملكون الملك إلاغصبا || و إن دنت قيس فقل لا قربا قال أبو جعفر وخرج الناس منهزمين بعد قتل الضحاك فأنهى أهل حمص إلى حمص وعليها النعمان بن بشير فلما عرف الخبر خرج هاربا ومعه ثقله وولده وتحير ليلته كلها وأصبح و هو بباب مدينة حمص فرآه أهل حمص فقتلوه وخرج زفر بن الحارث الكلابى من قنسرين هاربا فلحق بقريسياء وعليها عياض بن أسلم الجرشى فلم يمكنه من دخولها فحلف له زفر بالطلاق والعناق أنه إذا دخل حمامها خرج منها و قال له إن لى حاجة إلى دخول الحمام فلما دخلها لم يدخل حمامها وأقام بها وأخرج عياضا [صفحة ١٦٤] منها وتحصن فيها وثابت إليه قيس عيلان وخرج نائل بن قيس الجذامى من فلسطين هاربا فالتحق بابن الزبير بمكة وأطبق أهل الشام على مروان واستوثقوا له واستعمل عليهم عماله ففى ذلك يقول زفر بن الحارث أرينى سلاحى لا أبا لك إننى || أرى الحرب لا تزدد إلا تماديا أتانى عن مروان بالغيب أنه || مريق دمي أوقاطع من لسانيا و فى العيس منجاء و فى الأرض مهرب || إذ نحن رفعنا لهن المبانيا فقد نبت المرعى على دمن الثرى || وتبقى حزازات النفوس كماهايا أتذهب كلب لم تنلها رماحنا || وتترك قتلى راهط هى ماهايا لعمرى لقد أبت وقيعه راهط || لحسان صدعا بينا متنائيا أ بعد ابن عمرو و ابن معن تتايعا || ومقتل همام أمنى الأمانيا و لم تر منى نبوة قبل هذه || فرارى وتركى صاحبى ورائيا أيذهب يوم واحد إن أسأته || بصالح أيامى وحسن بلائيا فلاصلح حتى تنحط الخيل بالقنا || وتثار من نسوان كلب نسائيا . و قال زفر بن الحارث أيضا و هو من شعر الحماسة أ فى الله أمابحدل و ابن بحدل || فيحيا و أما ابن الزبير فيقتل كذبتم وبيت الله لا تقتلونه || و لمايكن يوم أغر محجل [صفحة ١٦٥] و لمايكن للمشرية فوقكم || شعاع كقرن الشمس حين ترجل . و أما وفاة مروان والسبب فيها أنه كان قد استقر الأمر بعده لخالد بن يزيد بن معاوية على ما قدمنا ذكره فلما استوثق له الأمر أحب أن يبايع لعبد الملك و عبدالعزيز ابنيه فاستشار فى ذلك فأشير عليه أن يتزوج أم خالد بن يزيد وهى ابنة أبى هاشم بن عتبة بن ربيعة ليصغر شأنه فلا يرشح للخلافة فتزوجها ثم قال لخالد يوما فى كلام دار بينهما والمجلس غاص بأهله اسكت يا ابن الرطبة فقال خالد أنت لعمرى مؤتمن وخبير . ثم قام باكيا من مجلسه و كان غلاما حينئذ فدخل على أمه فأخبرها فقالت له لايعرفن ذلك فيك واسكت فأنا أكفيك أمره فلما دخل عليها مروان قال لها ما قال لك خالد قالت و ماعساه يقول قال أ لم

يشكنى إليك قالت إن خالدا أشد إعظاما لك من أن يشتكيك فصدقها ثم مكثت أياما فنام عندها و قدواعدت جواريتها وقمن إليه فجعلن الوسائد والبراذع عليه وجلسن عليه حتى خنقه و ذلك بدمشق فى شهر رمضان . و هو ابن ثلاث وستين سنة فى قول الواقدى . و أمهشام بن محمد الكلبى فقال ابن إحدى وثمانين سنة و قال كان ابن إحدى وثمانين عاش فى الخلافة تسعة أشهر وقيل عشرة أشهر و كان فى أيام كتابته لعثمان بن عفان أكثر حكما و أشد تطفلا و تسلطا منه فى أيام خلافته و كان ذلك من أعظم الأسباب الداعية إلى خلع عثمان و قتله . و قد قال قوم إن الضحاك بن قيس لمانزل مرج راهط لم يدع إلى ابن الزبير وإنما دعا إلى نفسه و بوبع بالخلافة و كان قرشيا و الأكثر الأشهر أنه كان يدعو إلى ابن الزبير [صفحة ١٦٦]

٧٣- و من كلام له ع لماعزموا على بيعه عثمان

إشارة

لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ بِهَا مِنْ غَيْرِي وَ وَاللَّهِ لَأُسَلِّمَنَّ مَا سَلِمْتُمْ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ وَ لَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً التَّمَّاسًا لِأَجْرِ ذَلِكْ وَ فَضْلِهِ وَ زُهْدًا فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرَفِهِ وَ زَبْرَجِهِ نَافَسْتُمْ فِي الشَّيْءِ مَنَافَسَةً وَ نَفَاسًا إِذَا رَغِبْتُمْ فِيهِ عَلَى وَجْهِ الْمُبَارَاةِ فِي الْكُرْمِ وَ تَنَافَسُوا فِيهِ أَى رَغَبُوا . وَ الزُّخْرُفُ الذَّهَبُ ثُمَّ شَبَّهَ بِهِ كُلَّ مَمُوءٍ مَزُورٍ قَالَ تَعَالَى حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَ الْمَزْخَرُفُ الْمَزِينُ . وَ الزُّبْرَجُ الزَّيْنَةُ مِنْ وَشَى أَوْ جَوْهَرٍ وَ نَحْوِ ذَلِكَ وَ يُقَالُ الزُّبْرَجُ الذَّهَبُ أَيْضًا . يَقُولُ لِأَهْلِ الشُّورَى إِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَحَقُّ بِالْخِلَافَةِ مِنْ غَيْرِي وَ تَعْدِلُونَ عَنِّي ثُمَّ أَقْسَمَ لِيَسْلَمَنَّ وَ لِيَتْرَكَنَ الْمَخَالَفَةَ لَهُمْ إِذَا كَانَ فِي تَسْلِيمِهِ وَ نَزُولِهِ عَنِ حَقِّهِ سَلَامَةً أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ وَ لَمْ يَكُنْ الْجَوْرُ وَ الْحَيْفُ إِلَّا- عَلَيْهِ خَاصَّةً وَ هَذَا كَلَامٌ مِثْلُهُ لِأَنَّهُ إِذَا عَلِمَ أَوْ غَلِبَ عَلَى ظَنِّهِ أَنَّهُ أَنْ نَازَعَ وَ حَارَبَ دَخَلَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَ هُنَّ وَ ثَلَمَ لَمْ يَخْتَرْ لَهُ الْمَنَازَعَةَ وَ إِنْ كَانَ -قُرْآن- ١٥١-١٨٧ [صفحة ١٦٧] يَطْلُبُ بِالْمَنَازَعَةِ مَا هُوَ حَقٌّ وَ إِنْ عَلِمَ أَوْ غَلِبَ عَلَى ظَنِّهِ بِالْإِمْسَاكِ عَنِ طَلْبِ حَقِّهِ إِنَّمَا يَدْخُلُ الثَّلْمَ وَ الْوَهْنَ عَلَيْهِ خَاصَّةً وَ يَسْلَمُ الْإِسْلَامَ مِنَ الْفِتْنَةِ وَ جِبَّ عَلَيْهِ أَنْ يَغْضَى وَ يَصْبِرَ عَلَى مَا تَوَاتَرَتْ إِلَيْهِ مِنْ أَخْذِ حَقِّهِ وَ كَفَّ يَدَهُ حِرَاسَةً لِلْإِسْلَامِ مِنَ الْفِتْنَةِ . فَإِنْ قَلَّتْ فَهَلَّا سَلِمَ إِلَى مَعَاوِيَةَ وَ إِلَى أَصْحَابِ الْجَمَلِ وَ أَغْضَى عَلَى اغْتِصَابِ حَقِّهِ حِفْظًا لِلْإِسْلَامِ مِنَ الْفِتْنَةِ . قَلَّتْ إِنْ الْجَوْرُ الدَّاخِلُ عَلَيْهِ مِنْ أَصْحَابِ الْجَمَلِ وَ مِنْ مَعَاوِيَةَ وَ أَهْلِ الشَّامِ لَمْ يَكُنْ مَقْصُورًا عَلَيْهِ خَاصَّةً بَلْ كَانَ يَعْمُ الْإِسْلَامَ وَ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا عِنْدَهُ مِمَّنْ يَصْلِحُ لِرِئَاسَةِ الْأُمَّةِ وَ تَحْمِلُ أَعْيَابَ الْخِلَافَةِ فَلَمْ يَكُنِ الشَّرْطُ الَّذِي اشْتَرَطَهُ مَتَحَقِّقًا وَ هُوَ قَوْلُهُ وَ لَمْ يَكُنْ فِيهِ جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً . وَ هَذَا الْكَلَامُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ خِلَافَةَ عُثْمَانَ كَانَتْ تَتَضَمَّنُ جَوْرًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَ الْإِسْلَامِ وَ إِنَّمَا كَانَتْ تَتَضَمَّنُ جَوْرًا عَلَيْهِ خَاصَّةً وَ أَنَّهَا وَقَعَتْ عَلَى جِهَةٍ مَخَالَفَةً الْأُولَى لَا عَلَى جِهَةِ الْفَسَادِ الْكُلِّيِّ وَ الْبَطْلَانِ الْأَصْلِيِّ وَ هَذَا مَحْضُ مَذْهَبِ أَصْحَابِنَا

كلام لعلى قبل المبايعة لعثمان

ونحن نذكر فى هذا الموضوع ما استفاض فى الروايات من مناشدته أصحاب الشورى و تعديده فضائله و خصائصه التى بان بهامتهم و من غيرهم قدروى الناس ذلك فأكثرنا و الذى صح عندنا أنه لم يكن الأمر كما روى من تلك التعديلات الطويلة ولكنه قال لهم بعد أن بايع عبدالرحمن والحاضرون عثمان و تلكا هوع عن البيعة إن لنا حقا إن نعطه نأخذه و إن نمنعه نركب أعجاز الإبل و إن طال السرى -رواية- ١-١٥٧ فى كلام قد ذكره أهل السيرة و قد أوردنا بعضه فيما تقدم ثم قال لهم أنشدكم الله أفيكم أحد

آخى رسول الله ص بينه و بين نفسه حيث آخى بين بعض المسلمين وبعض غيرى -روايت- ١-ادامه دارد [صفحه ١٦٨] فقالوا لا فقال أفيكم أحد قال له رسول الله ص من كنت مولاه فهذا مولاه غيرى فقالوا لا فقال أفيكم أحد قال له رسول الله ص أنت منى بمنزله هارون من موسى إلا- أنه لانبى بعدى غيرى قالوا لا- قال أفيكم من أوتمن على سورة براءة و قال له رسول الله ص إنه لا يؤدى عنى إلا أنا أو رجل منى غيرى قالوا لا قال ألاتعلمون أن أصحاب رسول الله ص فروا عنه فى ماقط الحرب فى غير موطن و ما فررت قط قالوا بلى قال ألاتعلمون أنى أول الناس إسلاما قالوا بلى قال فأينا أقرب إلى رسول الله ص نسبا قالوا أنت فقطع عليه عبدالرحمن بن عوف كلامه و قال يا على قد أبى الناس إلا على عثمان فلا تجعلن على نفسك سيلا ثم قال يا أباطلحة ما الذى أمرك به عمر قال أن أقتل من شق عصا الجماعة فقال عبدالرحمن لعلى بايع اذن و إلا- كنت متبعا غير سبيل المؤمنين وأنفذنا فيك ما أمرنا به فقال لقد علمتم أنى أحق بها من غيرى و الله لأسلمن -روايت- از قبل ٨٥٧ الفصل إلى آخره ثم مد يده فبايع [صفحه ١٦٩]

٧٤- و من كلام له ع لما بلغه اتهام بنى أمية له بالمشاركة فى دم عثمان

أَو لَمْ يَنْهَ بَنِي أُمِّيَّةَ عِلْمَهُمَا بِي عَنْ قَرْفِي أَوْ مَيَا وَزَعِ الْجُهَّالِ سَابِقَتِي عَنْ تَهْمَتِي وَ لَمَّا وَعَظَهُمُ اللَّهُ بِهِ أَبْلَغَ مِنْ لِسَانِي أَنَا حَجِيجُ الْمَارِقِينَ وَ خَصِيمُ الْمُرَاتِبِينَ وَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعْرُضُ الْأَمْثَالُ وَ بَمَا فِي الصِّدُورِ تُجَارَى الْعِبَادُ الْقَرْفُ الْعَيْبُ قَرْفَتُهُ بِكَذَا أَى عِبْتَهُ وَوزع كف وردع و منه قوله لا بد للناس من وزعه جمع وازع أى من رؤساء و أمراء و التهمة بفتح الهاء هى اللغة الفصيحة و أصل التاء فيه واو. و الحجيج كالخصيم ذو الحجاج و الخصومة يقول ع أ ما كان فى علم بنى أمية بحالى ما ينهاها عن قرفى بدم عثمان و حاله التى أشار إليها و ذكر أن علمهم بها يقتضى ألا يقرفوه بذلك هى منزلته فى الدين التى لا منزلته أعلى منها و مانطق به الكتاب الصادق من طهارته و طهارة بنيه و زوجته فى قوله إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا - قرآن- ٤٧٠-٥٥٥ و قول النبى ص أنت منى بمنزله هارون من موسى -روايت- ١-٢-روايت- ١٩-٥٣ و ذلك يقتضى عصمته عن الدم الحرام [صفحه ١٧٠] كما أن هارون معصوم عن مثل ذلك و ترادف الأقوال و الأفعال من رسول الله ص فى أمره التى يضطر معها الحاضرون لها و المشاهدون إياها إلى أن مثله لا يجوز أن يسعى فى إراقه دم أمير مسلم لم يحدث حدثا يستوجب به إحلال دمه . و هذا الكلام صحيح معقول و ذاك أنانرى من يظهر ناموس الدين و يواظب على نوافل العبادات و نشاهد من ورعه و تقواه ما يتقرر معه فى نفوسنا استشعاره الدين و اعتقاده إياه فيصرفنا ذلك عن قرفه بالعيوب الفاحشة و نستبعد مع ذلك طعن من يطعن فيه و ننكره و نأباه و نكذبه فكيف ساغ لأعداء أمير المؤمنين ع مع علمهم بمنزلته العلية فى الدين التى لم يصل إليها أحد من المسلمين أن يطلقوا ألسنتهم فيه و ينسبوه إلى قتل عثمان أو الممالة عليه لاسيما و قد اتصل بهم و ثبت عندهم أنه كان من أنصاره لا من المجلبين عليه و أنه كان أحسن الجماعة فيه قولاً و فعلاً. ثم قال أ لم تزع الجهال و تردعهم سابقتى عن تهمتى و هذا الكلام تأكيد للقول الأول . ثم قال إن الذى وعظهم الله تعالى به فى القرآن من تحريم الغيبة و القذف و تشبيه ذلك بأكل لحم الميت أبلغ من وعظى لهم لأنه لا عظة أبلغ من عظة القرآن . ثم قال أنا حجيج المارقين و خصيم المرتابين يعنى يوم القيامة روى عنه ع أنه قال أنا أول من يجثو للحكومة بين يدى الله تعالى -روايت- ١-٢-روايت- ٢٥-٧٢ و قدر روى عن النبى ص مثل ذلك مرفوعا فى قوله تعالى هَذَا خِطْمَانِ اخْتَصَيْهِمْ مَوْا فِي رَبِّهِمْ و أنه ص سئل عنها فقال على و حمزة و عبيدة و عتبة و شيبة و الوليد -روايت- ١-٢-روايت- ٢٦-١٥٨ و كانت حادتهم أول حادثه وقعت فيها مبارزة أهل الإيمان لأهل الشرك و كان المقتول الأول بالمبارزة الوليد بن عتبة قتله على ع ضربه على رأسه فبدرت عيناه على و جنته [صفحه ١٧١] فقال النبى ص فيه و فى أصحابه ما قال و كان

على ع يكثر من قوله أنا حجاج المارقين ويشير إلى هذا المعنى . ثم أشار إلى ذلك بقوله على كتاب الله تعرض الأمثال يريد قوله تعالى هذان خصمان اختصموا في ربهم . ثم قال وبما في الصدور تجازى العباد إن كنت قتلت عثمان أو مالات عليه فإن الله تعالى سيجازيني بذلك و إلفسوف يجازى بالعقوبة والعذاب من اتهمنى به ونسبه إلى . وهذا الكلام يدل على ما يقوله أصحابنا من تبرؤ أمير المؤمنين ع من دم عثمان وفيه رد وإبطال لما يزعمه الإمامية من كونه رضى به وأباحه وليس يقول أصحابنا أنه ع لم يكن ساخطاً أفعال عثمان ولكنهم يقولون إنه و إن سخطها وكرها وأنكرها لم يكن مبيحاً لدمه و لامالاً على قتله و لا يلزم من إنكار أفعال الإنسان إحلال دمه فقد لا يبلغ الفعل فى القبح إلى أن يستحل به الدم كما فى كثير من المناهى -قرآن- ١٨٧-٢٢٢] صفحه ١٧٢]

٧٥- ومن خطبة له ع

رَحِمَ اللَّهُ امراً سَمِعَ حُكماً فَوَعَى وَ دَعَى إِلَى رَشَادٍ فَدَنَا وَ أَخَذَ بِحُجْرَةٍ هَادٍ فَجَا رَاقِبَ رَبِّهِ وَ خَافَ ذَنْبُهُ قَدَمَ خَالِصاً وَ عَمِلَ صَالِحاً اِكْتَسَبَ مِذْحُوراً وَ اجْتَنَبَ مَحْذُوراً رَمَى غَرَضاً وَ أَحْرَزَ عَوْضاً كَابِراً هَوَاهُ وَ كَذَبَ مَنَاهُ جَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيئَةً نَجَاتِهِ وَ التَّقْوَى عُدَّةً وَفَاتِهِ رَكِبَ الطَّرِيقَةَ الْغَرَاءَ لَزِمَ الْمَحِيزَةَ الْبَيْضَاءَ اغْتَنَّمَ الْمَهْلَ وَ بَادَرَ الْأَجَلَ وَ تَزَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ الْحَكْمِ هَاهُنَا الْحِكْمَةَ قَالَ سَبْحَانَهُ وَ آتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيحاً وَ وَعَى حِفْظَ وَعَيْتِ الْحَدِيثِ أَعِيهِ وَعِيَا وَأَذْنَ وَعَاعِيَهُ أَى حَافِظُهُ وَ دَنَا قَرَبَ وَ الْحِجْرَةَ مَعْقِدَ الْإِزَارِ وَ أَخَذَ فُلَانٌ بِحِجْرَةٍ فُلَانٌ إِذَا اعْتَصَمَ بِهِ وَ لَجَأَ إِلَيْهِ . ثم حذف ع الواو فى اللفظت الأخر فلم يقل وراقب ربه و لا- و قدم خالصاً وكذلك إلى آخر اللفظت و هذانوع من الفصاحة كثير فى استعمالهم . واكتسب بمعنى كسب يقال كسبت الشىء واكتسبته بمعنى . والغرض ما يرمى بالسهم يقول رحم الله امراً رمى غرضاً أى قصد الحق كمن يرمى غرضاً يقصده لا من يرمى فى عمياء لا يقصد شيئاً بعينه . -قرآن- ٣٢-٥٨] صفحه ١٧٣] والعوض المحرز هاهنا هو الثواب . وقوله كابر هواه أى غلبه وروى كاث بالثاء المنقوطة بالثلاث أى غالب هواه بكثرة عقله يقال كاثرتناهم فكثرتناهم أى غلبناهم بالكثرة . وقوله وكذب مناه أى أمنيته والطريقة الغراء البيضاء والمهل النظر والتؤدة [صفحه ١٧٤]

٧٦- ومن كلام له ع

إِنَّ بَنِي أُمِّيَّةٍ لِيُفَوِّقُونَنِي تُرَاثَ مُحَمَّدٍ بِدِصِّ تَفْوِيْقاً وَ اللَّهُ لَئِن بَقِيَتْ لَهُمْ لَأَنْفُضَنَّاهُمْ نَفْضَ اللَّيَامِ الْوِدَامِ التَّرِيَّةَ قَالَ الرضى رحمه الله ويروى التراب الودمة و هو على القلب . وقوله ع ليفوقونى أى يعطونى من المال قليلا- كفواق الناقة و هو الحلبه الواحدة من لبنها . والودام التربة جمع ودمه و هى الحزة من الكرش أو الكبد تقع فى التراب فتنفض -رواية- ١-٢٣٤ اعلم أن أصل هذا الخبر قدرناه أبو الفرج على بن الحسين الأصفهاني فى كتاب الأغاني بإسناد رفعه إلى الحارث بن حبيش قال بعثنى سعيد بن العاص و هو يومئذ أمير الكوفة من قبل عثمان بهدايا إلى المدينة وبعث معى هدية إلى على ع وكتب إليه أنى لم أبعث إلى أحد أكثر مما بعثت به إليك إلا- إلى أمير المؤمنين فلما أتيت عليا ع وقرأ كتابه قال لشد ما يحظر على بنو أمية تراث محمدص أما و الله لئن وليتها لأنفضنهنها نفض القصاب التراب الودمة -رواية- ١-٢-رواية- ٨-١٠٦ . [صفحه ١٧٥] قال أبو الفرج و هذا خطأ إنما هو الودام التربة . قال و قد حدثنى بذلك أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن أبى زيد عمر بن شبة بإسناد ذكره فى الكتاب أن سعيد بن العاص حيث كان أمير الكوفة بعث مع ابن أبى عائشه مولاة إلى على بن أبى طالب ع بصله فقال على ع و الله لا يزال غلام من غلمان بنى أمية يبعث إلينا مما أفاء الله على رسوله بمثل قوت الأرملة و الله لئن بقيت لأنفضنهنها نفض القصاب الودام

٧٧- ومن كلمات كان ع يدعو بها

اشاره

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي فَإِنْ عُدْتُ فَعُدْتُ عَلَيَّ بِالْمَغْفِرَةِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا وَأَيْتٌ مِنْ نَفْسِي وَ لَمْ تَجِدْ لَهُ وَفَاءً عِنْدِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا تَقَرَّبْتُ بِهِ إِلَيْكَ بِلِسَانِي ثُمَّ خَالَفَهُ قَلْبِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي رَمَزَاتِ الْأَلْحَاطِ وَ سَيَقَطَاتِ الْأَلْفَازِ وَ سَيَهَوَاتِ الْجَنَانِ وَ هَفَوَاتِ اللَّسَانِ وَأَيْتِ أَى وَعَدتِ وَالْوَأَى الوعد ورمزات الألفاظ الإشارة بها والألفاظ جمع لحظ بفتح اللام وهو مؤخر العين وسقطات الألفاظ لغوها وسهوات الجنان غفلاته والجنان القلب وهفوات اللسان زلاته . و في هذاالموضع يقال ما فائدة الدعاء عندكم والقديم تعالى إنما يغفر الصغائر لأنها تقع مكفرة فلاحاجة إلى الدعاء بغفرانها ولا يؤثر الدعاء أيضا في أفعال البارى سبحانه لأنه إنما يفعل بحسب المصالح ويرزق المال والولد و غير ذلك ويصرف المرض والجذب وغيرهما بحسب ما يعلمه من المصلحة فلا تأثير للدعاء فى شىء من ذلك . والجواب أنه لا يمتنع أن يحسن الدعاء بما يعلم أن القديم يفعله لامحالة و يكون وجه حسنه صدوره عن المكلف على سبيل الانقطاع إلى الخالق سبحانه . [صفحه ١٧٧] ويجوز أيضا أن يكون فى الدعاء نفسه مصلحة و لطف للمكلف لقد حسن منا الاستغفار للمؤمنين والصلاة على الأنبياء والملائكة . وأيضا فليس كل أفعال البارئ سبحانه واجبة عليه بل معظمها ما يصدر على وجه الإحسان والتفضل فيجوز أن يفعله ويجوز ألا يفعله . فإن قلت فهل يسمى فعل الواجب الذى لا بد للقديم تعالى من فعله إجابة لدعاء المكلف . قلت لا وإنما يسمى إجابة إذا فعل سبحانه ما يجوز أن يفعله ويجوز ألا يفعله كالتفضل وأيضا فإن اللطف والمصلحة قد يكون لطفًا ومصلحة في كل حال و قد يكون لطفًا عند الدعاء و لو لا الدعاء لم يكن لطفًا و ليس بممتنع فى القسم الثانى أن يسمى إجابة للدعاء لأن للدعاء على كل حال تأثيرا فى فعله . فإن قيل أيجوز أن يدعو النبى ص بدعاء فلا يستجاب له . قيل إن من شرط حسن الدعاء أن يعلم الداعى حسن ما يطلبه بالدعاء وإنما يعلم حسنه بألا يكون فيه وجه قبح ظاهر و ما غاب عنه من وجوه القبح نحو كونه مفسدة يجب أن يشترطه فى دعائه ويطلب ما يطلبه بشرط ألا يكون مفسدة و إن لم يظهر هذا الشرط فى دعائه وجب أن يضمه فى نفسه فمتى سأل النبى ربه تعالى أمرا فلم يفعله لم يجز أن يقال إنه ما أجيب دعوته لأنه يكون قدسأل بشرط ألا يكون مفسدة فإذا لم يقع ما يطلبه فلأن المطلوب قد علم الله فيه من المفسدة ما لم يعلمه النبى ص فلا يقال إنه ما أجيب دعائه لأن دعائه كان مشروطا وإنما يصدق قولنا ما أجيب دعائه على من طلب أمرا طلبا مطلقا غير مشروط فلم يقع و النبى ص لا يتحقق ذلك فى حقه [صفحه ١٧٨]

من أدعية رسول الله المأثورة

ونحن نذكر فى هذاالموضع جملة من الأدعية المأثورة طلبا لبركتها ولينتفع قارئ الكتاب بها كان من دعاء رسول الله ص إذا أصبح أن يقول أصبحنا وأصبح الملك والكبرياء والعظمة والجلال والخلق والأمر والليل والنهار و مايسكن فيهما الله عز و جل وحده لا شريك له اللهم اجعل أول يومى هذاصلاحا وأوسطه فلاحا وآخره نجاحا اللهم إنى أسألك خير الدنيا والآخرة يا أرحم الراحمين اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا و بين معاصيك و من طاعتنا ما تبلغنا به رحمتك و من اليقين ما تهون به علينا

مصيبات الدنيا اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا واجعلهما الوارث منا وانصرنا على من ظلمنا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا -رواية- ١-٢-رواية- ٥٠-٥٩١

من أدعية الصحيفة

و من دعاء أمير المؤمنين ع و كان يدعو به زين العابدين على بن الحسين ع و هو من أدعية الصحيفة يا من يرحم من لا يرحمه العباد و يا من يقبل من لا تقبله البلاد و يا من لا يحتقر أهل الحاجة إليه يا من لا يجبه بالرد أهل الإلحاح إليه يا من لا يخفى عليه صغير ما يتحف به و لا يضيع يسير ما يعمل له يا من يشكر على القليل ويجازى بالجليل يا من يدنو إلى من دنا منه يا من يدعو إلى نفسه من أدير عنه يا من لا يغير النعمة و لا يبادر بالنعمة يا من يثمر الحسنه حتى ينميها ويتجاوز عن السيئه حتى يعفيها انصرفت -رواية- ١-٢-رواية- ١٠٢-ادامه دارد [صفحه ١٧٩] دون مدى كرمك الحاجات وامتلاأت ببعض جودك أوعيه الطلبات و تفسخت دون بلوغ نعتك الصفات فلك العلو الأعلى فوق كل عال والجلال الأجد فوق كل جلال كل جليل عندك حقير و كل شريف في جنب شرفك صغير خاب الوافدون على غيرك وخسر المتعرضون إلا لك وضاع الملمون إلا بك وأجذب المنتجعون إلا من انتجع فضلك لأنك ذو غاية قريبه من الراغبين وذو مجد مباح للسائلين لا يخيب لديك الآملون و لا يخفق من عطائك المتعرضون و لا يشقى بنعمتك المستغفرون رزقك مبسوط لمن عصاك وحلمك معرض لمن ناواك وعادتك الإحسان إلى المسيئين وستك الإبقاء على المعتدين حتى لقد غرتهم أناتك عن النزوع وصددهم إمهالك عن الرجوع وإنما تأنيت بهم ليفيئوا إلى أمرك وأمهلتهم ثقه بدوام ملكك فمن كان من أهل السعادة ختمت له بها و من كان من أهل الشقاوة خذلتها. كلهم صائر إلى رحمتك وأمورهم آئله إلى أمرك لم يهن على طول مدتهم سلطانك و لم تدحض لترك معاجلتهم حججك حجتك قائمه و سلطانك ثابت فالويل الدائم لمن جنح عنك والخيبه الخاذله لمن خاب أمله منك والشقاء الأشقى لمن اغتر بك ما أكثر تقلبه في عذابك و ما أعظم تردده في عقابك و ما أبعد غايته من الفرج و ما أثبطه من سهوله المخرج عدلا من قضائك لا تجور فيه و إنصافا من حكمك لا تحيف عليه قد ظاهرت الحجج و أزلت الأعدار و تقدمت بالوعيد و تلطفت في الترغيب و ضربت الأمثال و أطلت الإمهال و أخرت و أنت تستطيع المعاجله و تأنيت و أنت ملئء بالمبادره لم تك أناتك عجزا و لاحلمك وهنا و لإمساكك لعله و لا انتظارك لمداراه بل لتكون حجتك الأبلغ و كرمك الأكمل و إحسانك الأوفى و نعمتك الأتم -رواية- از قبل- ١-٢-رواية- ٢-ادامه دارد [صفحه ١٨٠] كل ذلك كان و لم يزل و هو كائن لا يزول نعمتك أجل من أن توصف بكلها و مجدك أرفع من أن يحد بكنهه و إحسانك أكبر من أن يشكر على أقله فقد أقصرت ساكتا عن تحميدك و تهيبت ممسكا عن تمجيدك لارغبه يا إلهي عنك بل عجزا و لازهدا فيما عندك بل تقصيرا وها أناذا يا إلهي أومل بالوفاده و أسألك حسن الرفاده فاسمع ندائي و استجب دعائي و لاتختم عملي بخييتي و لاتجبهني بالرد في مسألتي و أكرم من عندك منصرفي إنك غير ضائق عما تريد و لا عاجز عما تشاء و أنت على كل شىء قدير -رواية- از قبل- ٤٨١ و من أدعيته ع و هو من أدعية الصحيفة أيضا اللهم يا من برحمته يستغيث المذنبون و يا من إلى إحسانه يفرح المضطرون و يا من لخيفته ينتحب الخاطئون يا أنس كل مستوحش غريب يفرج كل مكروب حريب ياعون كل مخذول فريد ياعانذ كل محتاج طريد أنت الذى وسعت كل شىء رحمه و علما و أنت الذى جعلت لكل مخلوق فى نعمتك سهما و أنت الذى عفوه أعلى من عقابه و أنت الذى رحمته أمام غضبه و أنت الذى إعطاؤه أكبر من منعه و أنت الذى وسع الخلائق كلهم بعفوه و أنت الذى لا يرغب فى غنى من أعطاه و أنت الذى لا يفرط فى عقاب من عصاه . و أنا ياسيدى عبدك الذى أمرته بالدعاء فقال لييك وسعديك و أنا ياسيدى

عبدك الذى أوقرت الخطايا ظهره و أنا الذى أفنت الذنوب عمره و أنا الذى بجهله عصاك و لم يكن أهلا منه لذلك فهل أنت يامولاي راحم من دعاك فاجتهد فى الدعاء أم أنت غافر لمن بكى لك فأسرع فى البكاء أم أنت متجاوز عن عفر لك وجهه متذلا أم أنت مغن من شكا إليك فقره متوكلا -رواية- ١-٢-رواية-٤٦-إداهه دارد [صفحہ ١٨١] اللهم فلا تخيب من لا يجد معطيا غيرك و لا تخذل من لا يستغنى عنك بأحد دونك اللهم لا تعرض عنى و قد أقبلت عليك و لا تحرمنى و قدر غبت إليك و لا تجبهنى بالرد و قد انتصبت بين يديك أنت الذى وصفت نفسك بالرحمة و أنت الذى سميت نفسك بالعفو فارحمنى واعف عنى فقد ترى ياسيدى فيض دموعى من خيفتك و وجيب قلبى من خشيتك وانتفاض جوارحى من هيبتك كل ذلك حياء منك بسوء عملى و خجلا منك لكثرة ذنوبى قد كل لسانى عن مناجاتك و خمد صوتى عن الدعاء إليك يا إلهى فكم من عيب سترته على فلم تفضحنى و كم من ذنب غطيت عليه فلم تشهر بى و كم من عائبه ألممت بها فلم تهتك عنى سترها و لم تقلدنى مكروها شئها و لم تبد على محرمات سوا آتها فمن يلتمس معايينى من جيرتى و حسده نعمتك عندى ثم لم ينهنى ذلك حتى صرت إلى أسوأ ما عهدت منى فمن أجهل منى ياسيدى برشدك و من أغفل منى عن حظه منك و من أبعد منى من استصلاح نفسه حين أنفقت ما أجريت على من رزقك فيما نهيتنى عنه من معصيتك و من أبعد غورا فى الباطل و أشد إقداما على السوء منى حين أقف بين دعوتك و دعوة الشيطان فأتابع دعوته على غير عمى عن المعرفة به و لانسيان من حفظى له و أنا حينئذ موقن أن منتهى دعوتك الجنة و منتهى دعوته النار سبحانك فما أعجب ما أشهد به على نفسى و أعدده من مكنون أمرى و أعجب من ذلك أناتك عنى و إبطاؤك عن معاجلتى و ليس ذلك من كرمى عليك بل تأتيا منك بى و تفضلا منك على لأن ارتدع عن خطئى ولأن عفوك أحب إليك من عقوبتى بل أنا يا إلهى أكثر ذنوبا و أقبح آثارا و أشنع أفعالا و أشد فى الباطل تهورا و أضعف عند طاعتك تيقظا و أغفل لوعيدك انتباها من أن أحصى لك عيوبى و أقدر على تعديده -رواية- از قبل -١٥٠٦ [صفحہ ١٨٢] ذنوبى و إنما أوبخ بهذا نفسى طمعا فى رافتك التى بها إصلاح أمر المذنبين و رجاء لعصمتك التى بها فكاك رقاب الخاطئين اللهم و هذه رقبتى قد أرققتها الذنوب فأعتقها بعفوك و قد أثقلتها الخطايا فخفف عنها بمنك اللهم إنى لوبيكيت حتى تسقط أشفار عيني و انتحبت حتى ينقطع صوتى و قمت لك حتى تنتشر قدماى و ركعت لك حتى ينجذع صلبى و سجدت لك حتى تتفقا حدقتاى و أكلت التراب طول عمرى و شربت ماء الرماد آخر دهرى و ذكرتك فى خلال ذلك حتى يكل لسانى ثم لم أرفع طرفى إلى آفاق السماء استحياء منك لما استوجبت بذلك محو سيئه واحدة من سيئاتى فإن كنت تغفر لى حين أستوجب مغفرتك و تعفو عنى حين أستحق عفوك فإن ذلك غير واجب لى بالاستحقاق و لا أنا أهل له على الاستيجاب إذ كان جزائى منك من أول ما عصيتك النار فإن تعذبنى فإنك غير ظالم إلهى فإن تغمدتنى بستر ك فلم تفضحنى و أمهلتنى بكرمك فلم تعاجلنى و حلمت عنى بتفضلك فلم تغير نعمك على و لم تكدر معروفك عندى فارحم طول تضرعى و شدة مسكنتى و سوء موقفى اللهم صل على محمد و آل محمد و أنقذنى من المعاصى و استعملنى بالطاعة و ارزقنى حسن الإنابة و طهرنى بالتوبة و أيدنى بالعصمة و استصلحنى بالعافية و ارزقنى حلاوة المغفرة و اجعلنى طليق عفوك و اكتب لى أمانا من سخطك و بشرنى بذلك فى العاجل دون الآجل بشرى أعرفها و عرفنى له علامة أتبينها أن ذلك لا يضيق عليك فى وجدك و لا يتكادك فى قدرتك و أنت على كل شىء قدير -رواية- ١-١٢٩٤ و من أدعيته ع و هو من أدعية الصحيفة -رواية- ١-٢-رواية-٤١-إداهه دارد [صفحہ ١٨٣] اللهم يا ذا الملك المتأبد بالخلود و السلطان الممتنع بغير جنود و المعز الباقي على مر الدهور عز سلطانك عزا لاحد له و لا منتهى لآخره و استعلى ملكك علوا سقطت الأشياء دون بلوغ أمدده و لا يبلغ أدنى ما استأثرت به من ذلك نعوت أقصى نعت الناعتين ضلت فيك الصفات و تفسخت دونك النعوت و حارت فى كبرياتك لطائف الأوهام كذلك أنت الله فى أوليتك و على ذلك أنت دائم لا تزول و كذلك أنت الله فى آخريتك و كذلك أنت ثابت لا تحول و أنا العبد الضعيف عملا

الجسيم أملا- خرجت من يدي أسباب الوصلات إلى رحمتك وتقطعت عنى عصم الآمال إلا ما أنا معتمصم به من عفوك قل عندى ما أعتد به من طاعتك وكثر عندى ما أبوء به من معصيتك ولن يفوتك عفو عن عبدك وإن أساء فاعف عنى اللهم قد أشرف على كل خطايا الأعمال علمك وانكشف كل مستور عند خبرك فلا ينطوى عنك دقائق الأمور ولا يعزب عنك خفايا السرائر وقد هربت إليك من صغائر ذنوب موبقة وكبائر أعمال مردية فلا شفيع يشفع لى إليك ولا خفير يؤمننى منك ولا حصن يحجبني عنك ولا ملاذ ألبأ إليه غيرك هذا مقام العائذ بك ومحل المعترف لك فلا يضيقت عنى فضلك ولا يقصرن دونى عفوك ولا أكون أخيب عبادك التائبين ولا أقنط وفودك الآملين واغفر لى إنك خير الغافرين اللهم إنك أمرتنى ففعلت ونهيتنى فركبت وهذا مقام من استحيا لنفسه منك وسخط عليها ورضى عنك وتلقاك بنفس خاشعة وعين خاضعة وظهر مثقل من الخطايا واقفا بين الرغبة إليك والرهبه منك وأنت أولى من رجاء وأحق من خشيه واتقاه -رواية- از قبل -١- -رواية- ٢-
ادامه دارد [صفحه ١٨٤] فأعطنى يارب مارجوت وأمنى ما حذرت وعد على بفضلك ورحمتك إنك أكرم المسئولين اللهم وإذ سترتنى بعفوك وتعمدتنى بفضلك فى دار الفناء فأجرنى من فضيحات دار البقاء عند مواقف الأشهاد من الملائكة المقربين والرسل المكرمين والشهداء الصالحين من جار كنت أكاتمه سيئاتى و من ذى رحم كنت أحتشم منه لسريراتى لم أثق بهم فى الستر على ووثقت بك فى المغفرة لى وأنت أولى من وثق به وأعطى من رغب إليه وأرأف من استرحم فارحمنى اللهم إنى أعوذ بك من نار تغلظت بها على من عصاك وأوعدت بها من ضارك وناواك وصدف عن رضاك و من نار نورها ظلمة وهينها صعب وقريبها بعيد و من نار يأكل بعضها بعضا ويصول بعضها على بعض و من نار تذر العظام رميما وتسقى أهلها حميما و من نار لا تبقى على من تضرع ولا ترحم من استعطفها ولا تقدر على التخفيف عن خشع لها واستبتل إليها تلقى سكانها بأحر مالديها من أليم النكال وشديد الوبال اللهم بك أعوذ من عقاربها الفاغرة أفواها وحياتها الناهشة بأنيابها وشرابها الذى يقطع الأمعاء ويذيب الأحشاء وأستهديك لما باعد عنها وأنقذ منها فأجرنى بفضل رحمتك وأقلنى عثرتى بحسن إقالتك ولا تخذلى يا خير المجيرين اللهم صل على محمد وآل محمد إذا ذكر الأبرار وصل على محمد وآل محمد ما اختلف الليل والنهار صلاة لا ينقطع مددها ولا يحصى عددها صلاة تشحن الهواء وتملأ الأرض والسماء صل اللهم عليه وعليهم حتى ترضى وصل عليه وعليهم بعد الرضا صلاة لاحد لها ولا منتهى يا أرحم الراحمين -رواية- از قبل -١٣٣٤ [صفحه ١٨٥] و من دعائه ع و هو من أدعية الصحيفة اللهم إنى أعوذ بك من هيجان الحرص وسورة الغضب وغلبة الحسد وضعف الصبر وقلة القناعة وشكاسة الخلق وإلحاح الشهوة وملكة الحمية ومتابعة الهوى ومخالفة الهدى وسنة الغفلة وتعاطى الكلفة وإيثار الباطل على الحق والإصرار على المآثم والاستكثار من المعصية والإقلال من الطاعة ومباهات المكثرين والإزراء على المقلين وسوء الولاية على من تحت أيدينا وترك الشكر لمن اصطنع العارفة عندنا و أن نعصد ظالما أونخذل ملهوفاً أونروم ما ليس لنا بحق أونقول بغير علم ونعوذ بك أن ننطوى على غش لأحد و أن نعجب بأموالنا وأعمالنا و أن نمد فى آمالنا ونعوذ بك من سوء السريرة واحتقار الصغيرة و أن يستحوذ علينا الشيطان أو يشتد لنا الزمان أو يتهضمنا السلطان ونعوذ بك من حب الإسراف وفقدان الكفاف و من شماتة الأعداء والفقر إلى الأصدقاء و من عيشة فى شدة أو موت على غير عدة ونعوذ اللهم بك من الحسرة العظمى والمصيبة الكبرى و من سوء المآب وحرمان الثواب وحلول العقاب اللهم أعذنا من كل ذلك برحمتك ومنك وجودك إنك على كل شىء قدير -رواية- ١-٢-رواية- ٤٠-٩٦٩ و من دعائه ع وتحميده وذكره النبى ص و هو من أدعية الصحيفة أيضا الحمد لله بكل ما حمده أدنى ملائكته إليه وأكرم خلقه عليه وأرضى حامديه لديه حمدا يفضل سائر الحمد كفضل ربنا جل جلاله على جميع خلقه ثم له الحمد مكان كل نعمة له علينا وعلى جميع عباده الماضين والباقيين عدد ما أحاط به علمه و من جميع الأشياء أضعافا مضاعفة أبدا سرمداً إلى يوم القيامة وإلى ما لانهاية له -رواية- ١-٢-رواية- ٧١-٧١-ادامه دارد [صفحه ١٨٦] من بعد القيامة حمدا لا غاية

لحدته و لاحساب لعدده و لامبلغ لأعداده و لانقطاع لآماده حمدا يكون وصله إلى طاعته وسببا إلى رضوانه وذريعه إلى مغفرته وطريقا إلى جنته وخفيرا من نعمته وأما من غضبه وظهيرا على طاعته وحاجزا عن معصيته وعونا على تأديته حقه ووظائفه حمدا نسعد به في السعداء من أوليائه ومنتظم به في نظام الشهداء بسيوف أعدائه والحمد لله الذي من علينا بنبيه محمدص دون الأمم الماضية والقرون السالفة لقدرته التي لاتعجز عن شيء و إن عظم و لايفوتها شيء و إن لطف اللهم فصل على محمدأمينك على وحيك ونجيك من خلقك وصفيك من عبادك إمام الرحمة وقائد الخير ومفتاح البركة كما نصب لأمرك نفسه وعرض فيك للمكروه بدنه وكاشف في الدعاء إليك حاسته وحارب في رضاك أسرته وقطع في نصره دينك رحمه وأقصى الأذنين على عنودهم عنك وقرب الأقصين على استجابتهم لك ووالى فيك الأبعدين وعاند فيك الأقربين وأدأب نفسه في تبليغ رسالتك وأتعبها في الدعاء إلى ملتك وشغلها بالنصح لأهل دعوتك وهاجر إلى بلاد الغربه ومحل النأي عن موطن رحله وموضع رحله ومسقط رأسه ومأنس نفسه إرادة منه لإعزاز دينك واستنصارا على أهل الكفر بك حتى استتب له ماحاول في أعدائك واستتم له مادبر في أوليائك فنهذ إلى المشركين بك مستفتحا بعونك ومتقويا على ضعفه بنصرك فغزاهم في عقر ديارهم وهجم عليهم في بجوحة قرارهم حتى ظهر أمرك وعلت كلمتك و قدكره المشركون اللهم فارفعه بما كدح فيك إلى الدرجة العليا من جنتك حتى لايساوى في منزله و لايكافأ في مرتبه و لا-يوازيه لديك ملك مقرب و لا-نبي مرسل وعرفه في أمته من -روايت-از قبل ١-روايت-٢-ادامه دارد [صفحه ١٨٧] حسن الشفاعة أجل ما وعدته يانافذ العدة ياوافى القول يامبدل السيئات بأضعافها من الحسنات إنك ذو الفضل العظيم -روايت-از قبل ١١٨-

من الأدعية المأثورة عن عيسى ع

و من الأدعية المروية عن عيسى ابن مريم ع اللهم أنت إله من في السماء وإله من في الأرض لاإله فيهما غيرك و أنت حكيم من في السماء وحكيم من في الأرض لا-حكيم فيهما غيرك و أنت ملك من في السماء وملك من في الأرض لاملك فيهما غيرك قدرتك في السماء كقدرتك في الأرض وسلطانك في السماء كسلطانك في الأرض أسألك باسمك الكريم ووجهك المنير وملكك القديم أن تفعل بي كذا وكذا -روايت-١-٢-روايت-٤٦-٣٩٧

من الأدعية المأثورة عن بعض الصالحين

و كان بعض الصالحين يدعو فيقول اللهم لاتدخلنا النار بعد أن أسكنت قلوبنا توحيدك وإني لأرجو ألا تفعل و إن فعلت لتجمعن بيننا و بين قوم عاديناهم فيك و من دعاء بعضهم اللهم إنك لم تشرک في خلقنا غيرك فلا تشرک في الإحسان إلينا غيرك اللهم لا رب لنا غيرك فلا تجعل حاجتنا عندغيرك اللهم إنا لانعبد غيرك فلا تسلط علينا غيرك قام أعرابي على قبر رسول الله ص فقال [صفحه ١٨٨] بأبي أنت وأمي يا رسول الله قلت فقبلنا وتلوت فوعينا ثم ظلمنا أنفسنا وقرأنا فيما أتيتنا به عن ربنا و لو أنهم إذ ظلموا أنفسهم هم جاؤك فاستغفروا الله و استغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً اللهم إنا قد جئنا رسولك ونحن نستغفرك ونسأل رسولك أن يستغفر لنا خطايانا فاغفر لنا وتب علينا. فيقال إن إنسانا حضر ذلك الدعاء فرأى تلك الليلة رسول الله ص في منامه يقول له أبلغ الأعرابي أن الله قد غفر له . و من أدعية بعض الصالحين اللهم إني لم آتک بعمل صالح قدمته و لاشفاعة مخلوق رجوته أتيتك مقرا بالظلم والإساءة على نفسي أتيتك بلا حجة أتيتك أرجو عظيم عفوك الذي عدت

به على الخاطئين ثم لم يمنعك عكوفهم على عظيم الجرم أن جدت لهم بالمغفرة فيا صاحب العفو العظيم اغفر الذنب العظيم برحمتك يا أرحم الراحمين - قرآن- ١٠٤-٢٣٥ وروى أن عليا ع اعتمر فرأى رجلا متعلقا بأستار الكعبة وهو يقول يا من لا يشغله سمع عن سمع يا من لا تقلقه المسائل ولا يبهرمه إلحاح الملحني أذقني برد عفوك وحلاوة مغفرتك وعذوبة عافيتك والفوز بالجنة والنجاة من النار فقال على ع و ألقى نفسه بيده إن قالها و عليه مثل السموات و الأرض من الذنوب قولا مخلصا ليغفرن له -رواية- ١-٢-رواية- ٩-٣٣٤. ودعا أعرابي عند الملتزم فقال اللهم إن لك على حقوقا فتصدق بها على و إن للناس قبلي تبعات فتحملها عني و قد أوجبت لكل ضيف قري و أناضيفك الليلة فاجعل قرأى الجنة. [صفحة ١٨٩] ودعا بعض الأعراب أيضا و قد خرج حاجا فقال اللهم إليك خرجت و ما عندك طلبت فلا تحرمني خير ما عندك لشرا ما عندى اللهم إن كنت لم تحرم تعبي و نصبي فإنها لمصيبة أصبت بها فلا تحرمني أجر المصاب على المصيبة. ودعا بعضهم فقال اللهم إنك سترت علينا في الدنيا ذنوبا كثيرة و نحن إلى سترها في الآخرة أحوج فاغفر لنا. و من دعاء بعضهم اللهم اجعل الموت خيرا غائب ننتظره واجعل القبر خيرا بيت نعمه واجعل ما بعده خيرا لنا منه اللهم إليك عجت الأصوات بصنوف اللغات تسألك الحاجات و حاجتى إليك أن تذكرني عند طول البلى إذ انسيني أهل الدنيا. و قال بعضهم كنت أدعو الله بعد وفاة مالك بن دينار أن أراه في منامى فرأيته بعد سنه فقلت يا أبا يحيى علمنى كيف أدعو فقال قل اللهم يسر الجواز و سهل المجاز. و قال الشعبي حسدت عبد الملك بن مروان على دعاء كان يدعو به على المنبر يقول اللهم إن ذنوبى كثيرة جلّت أن توصف و هى صغيرة فى جنب عفوك فاعف عني. و من دعاء بعض الزهاد اللهم إني أعوذ بك من أهل يلهينى و من هوى يردينى و من عمل يخزينى و من صاحب يغوينى و من جار يؤذينى و من غنى يطغينى و من فقر ينسينى اللهم اجعلنا نستحييك و نتقيك و نخافك و نرجوك و نطيعك فى السر و العلانية اللهم استرنا بالمعافاة و الغنى أستعين الله على أمورى و أستغفر الله لذنوبى و أعوذ بك من شر نفسى. و يروى أن رجلا- أعمى جاء إلى رسول الله ص فشكا إليه ذهاب بصره فقال ص له قل ياسبوح يا قدوس يا نور الأنوار يا نور السموات و الأرض يا أول الأولين و يا آخر الآخرين و يا أرحم الراحمين أسألك -رواية- ١-٢-رواية- ١٠-١٠-ادامه دارد [صفحة ١٩٠] أن تغفر لى الذنوب التى تغير النعم و الذنوب التى تنزل النقم و الذنوب التى تهتك العصم و الذنوب التى توجب البلاء و الذنوب التى تقطع الرجاء و الذنوب التى تحبس الدعاء و الذنوب التى تكشف الغطاء و الذنوب التى تعجل الفناء و الذنوب التى تظلم الهواء و أسألك باسمك العظيم و وجهك الكريم أن ترد على بصرى فدعا بذلك فرد عليه بصره -رواية- از قبل- ٣٤٥ و من الآثار المنقولة أن الله تعالى غضب على أمة فأنزل عليهم العذاب و كان فيهم ثلاثة صالحون فخرجوا و ابتهلوا إلى الله سبحانه فقام أحدهم فقال اللهم إنك أمرتنا أن نعق أرقاءنا و نحن أرقاؤك فاعتقنا ثم جلس و قام الثانى فقال اللهم إنك أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا و قد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا ثم جلس و قام الثالث فقال اللهم أنا على ثقة أنك لم تخلق خلقا أوسع من مغفرتك فاجعل لنا فى سعتها نصيبا فرفع عنهم العذاب . قيل لسفيان بن عيينة ما حديث رويته عن رسول الله ص أفضل دعاء أعطيته أنا و النبيون قبلى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك و له الحمد يحيى ويميت و هو حي لا يموت بيده الخير و هو على كل شىء قدير -رواية- ١-٢-رواية- ٥٨-٢٢٤ كأنهم لم يروه دعاء فقال ما تنكرون من هذا ثم روى لهم قول رسول الله ص من تشاغل بالثناء على الله أعطاه الله فوق رغبة السائلين -رواية- ١-٢-رواية- ٣٦-٩٧ ثم قال هذا أمية بن أبى الصلت يقول لابن جدعان أذكر حاجتى أم قد كفانى || حياؤك إن شيمتك الحياء إذ أثنى عليك المرء يوما || كفاه من تعرضه الثناء . و قال هذا مخلوق يقول لمخلوق فما ظنكم برب العالمين . [صفحة ١٩١] و من دعائه ص اللهم إني أعوذ بك من الفقر إلا إليك و من الذل إلا لك -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-٧٦ و من دعائه ع اللهم ارزقنى عينين هطالتين تسقيان القلوب مذروف الدموع قبل أن يكون الدمع دما و قرع الضرس ندما -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-١٢٣ و من دعائه ع اللهم طهر لسانى من الكذب و قلبى من

النفاق وعملى من الرياء وبصرى من الخيانة فإنك تعلم خائنه الأعين و ماتخفى الصدور -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-١٤٢ ومما رواه أنس بن مالك لاتعجزوا عن الدعاء فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد -رواية- ١-٢-رواية- ٢٨-٧٨ و من رواية جابر بن عبد الله لقد بارك الله للرجل فى الحاجة بكثرة الدعاء فيها أعطيتها أو منعها -رواية- ١-٢-رواية- ٣٣-٩٧ أبوهريرة يرفعه اللهم أصلح لى فى دينى الذى هو عصمة أمرى وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى وأصلح لى آخرتى التى إليها معادى واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير والموت راحة لى من كل شر -رواية- ١-٢-رواية- ١٩-١٩٦. قيل لأعرابى أتحنس أن تدعو ربك فقال نعم ثم دعا فقال اللهم إنك مننت علينا بالإسلام من غير أن نسألك فلاتحرمننا الجنة ونحن نسألك سمعت أعرابيه تقول فى دعائها يا عريض الجفنة يا أبا المكارم يا أبيض الوجه فزجرها رجل فقالت دعونى أصف ربي بما يستحقه . و كان موسى بن جعفر يقول فى سجوده آخر الليل إلهى عظم الذنب من عبدك فليحسن العفو من عندك -رواية- ١-٢-رواية- ٥٥-١٠٥. ذكر عند بعض الصالحين رجل قد أصابه بلاء عظيم و هو يدعو فتبطنى عنه الإجابة فقال بلغنى أن الله تعالى يقول كيف أرحم المبتلى من شىء أرحمه به [صفحه ١٩٢] قال طاوس إنى لفى الحجر ليله إذ دخل على بن الحسين ع فقلت رجل صالح من أهل بيت صالح لأسمعن دعاءه فسمعته يقول فى أثناء دعائه عبدك بفنائك سائلك بفنائك مسكينك بفنائك فما دعوت بهن فى كرب إلا- وفرج عنى -رواية- ١-٢-رواية- ١٣-٢٢٤ عمر بن ذر اللهم إن كنا عصيناك فقد تركنا من معاصيك أبغضها إليك و هو الإشراك و إن كنا قصرنا عن بعض طاعتك فقد تمسكنا منها بأحبها إليك و هو شهادة أن لا إله إلا أنت و أن رسلك جاءت بالحق من عندك . أعرابى اللهم إنا نبات نعمتك فلاتجعلنا حصائد نعمتك . بعضهم اللهم إن كنت قد بلغت أحدا من عبادك الصالحين درجة ببلاء فبلغنيها بالعافية. حج أعرابى فكان لا يستغفر إذ أصلى كما يستغفر الناس فليل له فقال كما أن تركى الاستغفار مع ما أعلم من عفو الله و رحمته ضعف فكذلك استغفارى مع ما أعلم من إصرارى لؤم . لما صاف قتيبة بن مسلم الترك و هاله أمرهم سأل عن محمد بن واسع فليل هو فى أقصى الميمنة جانحا على سية قوسه مبصبصا بإصبعة نحو السماء فقال قتيبة لتلك الإصبع القارورة أحب إلى من مائة ألف سيف شهير و رمح طير . سمع مطرف بن الشخير صيحة الناس بالدعاء فقال لقد هممت أن أحلف أن الله غفر لهم ثم ذكرت أنى فيهم فكففت . كان المأمون إذ ارفعت المائدة من بين يديه يقول الحمد لله الذى جعل أرزاقنا أكثر من أقواتنا. الحسن البصرى من دخل المقبرة فقال اللهم رب الأرواح العالیه والأجساد الباليه [صفحه ١٩٣] والعظام النخرة التى خرجت من الدنيا وهى مؤمنة بك أدخل عليهم روحا منك وسلاما منى كتب الله له بعدد من ولد منذ زمن آدم إلى أن تقوم الساعة حسنات . على ع الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات و الأرض -رواية- ١-٢-رواية- ١١-٦٨. قيل إن فيما أنزله الله تعالى من الكتب القديمه أن الله يتلى العبد و هو يحبه لىسمع دعاءه و تضرعه . أبوهريرة اطلبوا الخير دهركم كله و تعرضوا لنفحات من رحمة الله تعالى فإن الله تعالى نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده و اسألوا الله أن يستر عوراتكم و يؤمن روعاتكم . صلى رجل إلى جنب عبد الله بن المبارك فلما سلم الإمام سلم و قام عجلا ف جذب عبد الله بثوبه و قال أما لك إلى ربك حاجة. قيل لعمر بن عبدالعزيز جزاك الله عن الإسلام خيرا فقال لابل جزى الله الإسلام عنى خيرا. على ع الداعى بغير عمل كالرامى بغير وتر -رواية- ١-٢-رواية- ١١-٤٧ . كان الزهرى إذ فرغ من الحديث تلاه فدعا اللهم إنى أسألك خير ما أحاط به علمك فى الدنيا والآخرة و أعود بك من شر ما أحاط به علمك فى الدنيا والآخرة. كان زبيد النامى يستتبع الصبيان إلى المسجد و فى كفه الجوز و يقول من يتبعنى منكم فأعطيه خمس جوزات فإذا دخلوا المسجد قال ارفعوا أيديكم و قولوا اللهم اغفر لزيد فإذا دعوا قال اللهم استجب لهم فإنهم لم يذنبوا. على ع جعل فى يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك فيه من مسألته فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمته واستمطرت شآبيب رحمته فلا يقطنك إبطاء -رواية- ١-٢-رواية- ١١-ادامه دارد [صفحه ١٩٤] إجابته فإن العطيه على قدر النية وربما أخرت عنك الإجابة ليكون

ذلك أعظم لأجر السائل وأجزل لعطاء الأمل وربما سألت الشيء فلا تتواته وأوتيت خيرا منه أو صرف عنك بما هو لك خير واعلم أنه رب أمر قد طلبت فيه هلاك دينك لو أوتيته -رواية- از قبل -٢٣٧ و من الدعاء المرفوع اللهم من أراد بنا سوء فأحط به ذلك سوء كإحاطة القلائد بترائب الولايد وأرسخه على هامته كرسوخ السجيل على قمم أصحاب الفيل -رواية- ١-٢-رواية- ٢٤-١٥٦ سمع عمر رجلا يقول في دعائه اللهم اجعلني من الأقلين فقال ما أردت بهذا قال قول الله عز وجل وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ وقوله تعالى وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ فقال عليكم من الدعاء بما عرف -رواية- ١-٢-رواية- ٣٢-٢١٤ . قال سعيد بن المسيب مر بي صلة بن أشيم فقلت له ادع لي فقال رغبتك الله فيما يبقى وزهدك فيما يفنى ووهب لك اليقين الذي لا تسكن النفوس إلا إليه ولا تعول إلا عليه . كان علي بن عيسى بن ماهان صاحب خراسان و في أيامه عصام بن يوسف الزاهد فلقبه في الطريق وسلم عليه على فأعرض عنه و لم يرد عليه فوقف على ورفع يديه وأسبل عينيه وقال اللهم إن هذا الرجل يتقرب إليك ببغضى وأنا أتقرب إليك بحبه فإن كنت غفرت له ببغضى فاغفر لي بحبه يا كريم ثم سار. قال الأصمعي سمعت أعرابيا يدعو ويقول اللهم إن كان رزقي في السماء فأنزله و إن كان في الأرض فأخرجه و إن كان بعيدا فقربه و إن كان قريبا فيسره و إن كان قليلا فكثره و إن كان كثيرا فبارك لي فيه . [صفحته ١٩٥] من دعاء عمرو بن عبيد اللهم أغنى بالافتقار إليك و لا تنفقرني بالاستغناء عنك اللهم أعنى على الدنيا بالقناعة و على الدين بالعصمة. شكا رجل إلى الحسن رحمه الله تعالى رجلا يظلمه فقال له إذا صليت الركعتين بعد المغرب فاسجد وقل يا شديد القوى يا شديد المحال يا عزيز أذلت لعزك جميع من خلقت فصل على محمد و آل محمد واكفني مؤنة فلان بما شئت فدعا به فلم يرعه إلا الواعية بالليل فسأل فقيل مات فلان فجاءه -رواية- ١-٢٨٦ قال موسى ع يارب إنك لتعطيني أكثر من أملى قال لأنك تكثر من قول ماشاء الله لاقوة إلا بالله -رواية- ١-٢-رواية- ١٧-١٠٣ . كان بعض الصالحين يقول قبل الصلاة يا محسن قد جاءك المسيء و قد أمرت المحسن أن يتجاوز عن المسيء فتجاوز عن قبيح ما عندي بجميل ما عندك اللهم ارزقني عمل الخائفين وخوف العاملين حتى أنعم بترك التنعم طمعا فيما وعدت وخوفا مما أوعدت . و من الأدعية الجامعة اللهم أغنى بالعلم وزيني بالحلم وجملى بالعافية وكرمنى بالتقوى -رواية- ١-٢-رواية- ٢٤-٩٥ . أحمد بن يوسف كاتب المأمون إذا دخل عليه حياة بتحية أبرويز الملك عشت الدهر ونلت المنى وجنبت طاعة النساء. و من الدعاء المروى عن رسول الله ص اللهم اغفر لي ذنوبي وخطاياي كلها اللهم أنعشني وأجزني وانصرني واهدني لصالح الأعمال والأخلاق -رواية- ١-٢-رواية- ٤٢-٤٢-ادامه دارد [صفحته ١٩٦] إنه لا يهدى لصالحها و لا يصرف عن سيئها إلا- أنت اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم إنك أنت علام الغيوب -رواية- از قبل -٢٦٠

آداب الدعاء

قالوا و من آداب الدعاء أن ترصد له الأوقات الشريفة كما بين الأذان والإقامة و كوقت السجود و وقت السحر ويستحب أن يدعو مستقبل القبلة رافعا يديه لما روى سلمان عن النبي ص أن ربكم كريم يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرا -رواية- ١-٢-رواية- ٣٢-٩٨ ويستحب أن يمسح بهما وجهه بعد الدعاء فإن ذلك قدروى عن رسول الله ص . ويكره أن يرفع بصره إلى السماء لقوله ع ليتتهين أقوام عن رفع أبصارهم إلى السماء عند الدعاء أولتخطفن أبصارهم -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-٨٥ و قدرخص في ذلك للصديقين والأئمة العادلين ويستحب أن يخفض صوته لقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية -قرآن-

١١٧-٨٣ و قدروى أن عمر سمع رجلا- يجهر بالدعاء فقال لكن زكريا نادى ربه نداء خفيا -روايت-١-٢-روايت-١٢-٨٠ . ويكره أن يتكلف الكلام المسجوع ويستحب الإتيان بالمطبوع منه لقوله ص إياكم والسجع فى الدعاء بحسب أحدكم أن يقول اللهم إني أسألك الجنة و ما قرب إليها من قول أو عمل وأعوذ بك من النار و ما قرب إليها من قول أو عمل -روايت-١-٢- روايت-١٢-١٦٣ . [صفحہ ١٩٧] وقيل فى الوصية الصالحة ادع ربك بلسان الذلة والاحتقار لابلسان الفصاحة والتشوق . و قال سفيان بن عيينة لا يمتنع أحدكم من الدعاء ما يعلمه من نفسه فإن الله تعالى أجاب دعاء شر خلقه إبليس حيث قال أنظرنى . - قرآن-٢٠٥-٢١٤ النبى ص إذا سأل أحدكم ربه مسألة فتعرف الإجابة فليقل الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات و من أبطأ عنه شىء من ذاك فليقل الحمد لله على كل حال -روايت-١-٢-روايت-١٣-١٥٩ . و من الآداب أن يفتتح بالذكر و لا يبتدىء بالمسألة كان رسول الله ص قبل أن يدعو يقول سبحان ربي العلى الوهاب -روايت-١-٢-روايت-١-٦٦ أبو سليمان الداراني من أراد أن يسأل الله تعالى حاجته فليبدأ بالصلاة على رسول الله ص ثم يسأل حاجته ثم يختم بالصلاة على رسول الله ص فإن الله تعالى يقبل الصلاتين و هو أكرم من أن يدع ما بينهما -روايت-١-٢-روايت-٢٤-٢١٣ و من دعاء على ع اللهم صن وجهى باليسار و لا تبذل جاهى بالإقتار فأسترزق طالبى رزقك و أستعطف شرار خلقك و أبتلى بحمد من أعطانى و أفتتن بدم من منعى و أنت من وراء ذلك كله ولى الإعطاء و المنع إنك على كل شىء قدير -روايت-١-٢-روايت-٢١-٢٢٧ و من دعاء الحسن رحمه الله تعالى اللهم إني أعوذ بك من قلب يعرف و لسان يصف و أعمال تخالف -روايت-١-٢-روايت-٣٨-١٠٠ و من دعاء أهل البيت ع و فيه راحة من كلام أمير المؤمنين ع الذى نحن فى شرحه اللهم إني أستغفرك لما تبت منه إليك ثم عدت فيه و أستغفرك - روايت-١-٢-روايت-٨٥-١٩٨ [صفحہ ١٩٨] لما وعدتك من نفسى ثم أخلفتك و أستغفرك للنعم التى أنعمت بها على فتقويت على معصيتك و أستغفرك من كل ذنب تمكنت منه بعافيتك و نالته يدي بفضل نعمتك و انبسطت إليه بسعة رزقك و احتجبت فيه عن الناس بسترک و اتكلت فيه على أكرم عفوك اللهم إني أعوذ بك أن أقول حقا ليس فيه رضاك ألتمس به أحدا سواك و أعوذ بك أن أترين للناس بشىء يشيننى عندك و أعوذ بك أن أكون عبرة لأحد من خلقك و أن يكون أحد من خلقك أسعد بما علمتنى منى و أعوذ بك أن أستعين بمعصية لك على ضرر يصينى -روايت-از قبل-٤٩١ . كان أبو مسلم الخولانى إذا همهم أمر قال يا مالک يوم الدين إياك نعبد و إياك نستعين . و من دعاء على ع اللهم إن تهت عن مسألتى و أعميت عن طلبتى فدلنى على مصالحى و خذ بقلبى إلى مرادى اللهم احملنى على عفوك و لا تحملنى على عدلك -روايت-١-٢- روايت-٢١-١٥٤ [صفحہ ١٩٩]

٧٨- و من كلام له ع قاله لبعض أصحابه لما عزم على المسير إلى الخوارج

إشارة

و قد قال له إن سرت يا أمير المؤمنين فى هذا الوقت خشيت ألا تظفر بمرادك من طريق علم النجوم فقال ع أترعّم أنك تهدي إلى الساعة التى من سار فيها صيرف عنه السوء و تخوف من الساعة التى من سار فيها حاق به الضرر فمن صدقك بهذا فقد كذب القرآن و استغنى عن الاستعانة بالله فى نيل المحبوب و دفع المكروه و تبتغى فى قولك للعامل بأمرك أن يوليئك الحمد دون ربه لأنك بزعمك أنت هديته إلى الساعة التى نال فيها النفع و أمن الضرر ثم أقبل ع على الناس فقال أيها الناس إياكم و تعلمم النجوم إلا ما يهتدى به فى برّ أو بحر فإنها تدعو إلى الكهانة المنجم كالكاهن و الكاهن كالساحر و الساحر كالكافر و الكافر فى

النَّارِ سَيَّرُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ حَاقَ بِهِ الضَّرَّ أَى أَحَاطَ بِهِ قَالَ تَعَالَى وَ لَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ. ويوليكم الحمد مضارع أولئك وأولئك معدى بالهمزة من ولى يقال ولى - قرآن - ٣٧-٨٢ [صفحة ٢٠٠] الشىء ولاية وأوليته ذلك أى جعلته واليا له ومتسلطا عليه والكاهن واحد الكهان وهم الذين كانوا يخبرون عن الشياطين بكثير من الغائبات

القول فى أحكام النجوم

واعلم أن الناس قد اختلفوا فى أحكام النجوم فأنكرها جمهور المسلمين والمحققون من الحكماء ونحن نتكلم هاهنا فى ذلك ونبحث فيه بحثين بحثا كلاميا وبحثا حكيميا. أما البحث الكلامى هو أن يقال أما أن يذهب المنجمون إلى أن النجوم مؤثرة أو أمارات . والوجه الأول ينقسم قسمين أحدهما أن يقال إنها تفعل بالاختيار والثانى أن تفعل بالإيجاب . والقول بأنها تفعل بالاختيار باطل لأن المختار لا بد أن يكون قادرا حيا والإجماع من المسلمين حاصل على أن الكواكب ليست حية ولا قادرة والإجماع حجة وقد بين المتكلمون أيضا أن من شرط الحياة الرطوبة و أن تكون الحرارة على قدر مخصوص متى أفرط امتنع حلول الحياة فى ذلك الجسم فإن النار على صرافتها يستحيل أن تكون حية و أن تحلها الحياة لعدم الرطوبة وإفراط الحرارة فيها واليبس والشمس أشد حرارة من النار لأنها على بعدها تؤثره النار على قربها و ذلك دليل على أن حرارتها أضعاف حرارة النار وبينوا أيضا أنها لو كانت حية قادرة لم يجر أن تفعل فى غيرها ابتداء لأن القادر بقدره لا يصح منه الاختراع وإنما يفعل فى غيره على سبيل التوليد ولا بد من وصلة بين الفاعل والمفعول فيه والكواكب غير مماسة لنا فلا وصلة بينها وبيننا فيستحيل أن تكون فاعلة فينا. [صفحة ٢٠١] فإن ادعى مدع أن الوصلة هى الهواء فعن ذلك أجوبه أحدها أن الهواء لا يجوز أن يكون وصلة وآلة فى الحركات الشديدة وحمل الأثقال لاسيما إذا لم يتموج . والثانى أنه كان يجب أن نحس بذلك ونعلم أن الهواء يحركنا ويصرفنا كما نعلم فى الجسم إذا حررنا بصرفنا بالهوى موضع تحريكه لنا بتلك الآلة. والثالث أن فى الأفعال الحادثة فينا ما لا يجوز أن يفعل بالهوى ولا يتولد عن سبب كالإرادات والاعتقادات ونحوها. وقد دلل أصحابنا أيضا على إبطال كون الكواكب فاعلة للأفعال فينا بأن ذلك يقتضى سقوط الأمر والنهى والمدح والذم ويلزمهم ما يلزم المجبرة وهذا الوجه يبطل كون الكواكب فاعلة فينا بالإيجاب كما يبطل كونها فاعلة بالاختيار. و أما القول بأنها أمارات على ما يحدث ويتجدد فيمكن أن ينصر بأن يقال لم لا يجوز أن يكون الله تعالى أجرى العادة بأن يفعل أفعالا مخصوصة عند طلوع كوكب أو غروبه أو اتصاله بكوكب آخر. والكلام على ذلك بأن يقال هذا غير ممتنع لو ثبت سمع مقطوع به يقتضى ذلك فإن هذا ما لا يعلم بالعقل . فإن قالوا نعلم بالتجربة. قيل لهم التجربة إنما تكون حجة إذا استمرت واطردت وأتم خطؤكم فيما تحكمون به أكثر من صوابكم فهلا نسبتهم الصواب الذى يقع منكم إلى الاتفاق والتخمين فقد رأينا من أصحاب الزرق والتخمين من يصيب أكثر مما يصيب المنجم وهو من غير أصل صحيح ولا قاعدة معتمده ومتى قلت إنما أخطأ المنجم لغلطه فى تسيير الكواكب [صفحة ٢٠٢] قيل لكم و لم لا يكون سبب الإصابة اتفاقا وإنما يصح لكم هذا التأويل والتخريج لو كان على صحة أحكام النجوم دليل قاطع هو غير إصابة المنجم. فأما إذا كان دليل صحة الأحكام الإصابة فهلا- كان دليل فسادها الخطأ فما أحدهما إلا فى مقابلة صاحبه . ومما قيل على أصحاب الأحكام إن قيل لهم فى شىء بعينه خذوا الطالع واحكموا أيؤخذ أم يترك فإن حكموا بأحدهما خولفوا وفعل خلاف ما أخبروا به وهذه المسألة قد أعضل عليهم جوابها. وقال بعض المتكلمين لبعض المنجمين أخبرني لو فرضنا جادة مسلوكة وطريقا يمشى فيها الناس نهارا وليلا و فى تلك المحجة آبار متقاربة و بين بعضها وبعض طريق يحتاج سالكه إلى تأمل وتوقف حتى يتخلص من السقوط فى بعض تلك الآبار هل يجوز أن تكون سلامة من يمشى بهذا الطريق من العميان كسلامة من يمشى فيه من

البصراء والمفروض أن الطريق لا يخلو طرفه عين من مشاة فيها عميان ومبصرون وهل يجوز أن يكون عطب البصراء مقاربا لعطب العميان . فقال المنجم هداما لا يجوز بل الواجب أن تكون سلامة البصراء أكثر من سلامة العميان . فقال المتكلم فقد بطل قولكم لأن مسألتنا نظير هذه الصورة فإن مثال البصراء هم الذين يعرفون أحكام النجوم ويميزون مساعدتها من منحاسها ويتوقون بهذه المعرفة مضار الوقت والحركات ويتخطونها ويعتمدون منافعها ويقصدونها ومثال العميان كل من لا يحسن علم النجوم و لا يقولون به من أهل العلم والعامه وهم أضعاف أضعاف عدد المنجمين . [صفحہ ۲۰۳] ومثال الطريق الذى فيه الآبار الزمان الذى مضى ومر على الخلق أجمعين ومثال آباره مصائبه ومحنه . وقد كان يجب لو صح علم أحكام النجوم أن سلامة المنجمين أكثر ومصائبهم أقل لأنهم يتوقون المحن ويتخطونها لعلمهم بها قبل كونها و أن تكون محن المعرضين عن علم أحكام النجوم على كثرتهم أوفر وأظهر حتى تكون سلامة كل واحد منهم هي الطريقة الغريبة والمعلوم خلاف ذلك فإن السلامة والمحن فى الجميع متقاربه متناسبه غير متفاوتة . و أما البحث الحكيمى فى هذا الموضوع فهو أن الحادث فى عالم العناصر عند حلول الكوكب المخصوص فى البرج المخصوص إما أن يكون المقتضى له مجرد ذلك الكوكب أو مجرد ذلك البرج أو حلول ذلك الكوكب فى ذلك البرج فالأولان باطلان و إلا لوجب أن يحدث ذلك الأمر قبل أن يحدث والثالث باطل أيضا لأنه إما أن يكون ذلك البرج مساويا لغيره من البروج فى الماهية أو مخالفا والأول يقتضى حدوث ذلك الحادث حال ما كان ذلك الكوكب حالا فى غيره من البروج لأن حكم الشىء حكم مثله والثانى يقتضى كون كرة البروج متخالفة الأجزاء فى أنفسها ويلزم فى ذلك كونها مركبة و قد قامت الدلالة على أنه لا شىء من الأفلاك بمركب . و قد اعترض على هذا الدليل بوجهين أحدهما أنه لم لا يجوز أن تختلف أفعال الكواكب المتحيرة عند حلولها فى البروج للاختلاف البروج فى نفسها بل لاختلاف ما فى تلك البروج من الكواكب الثابتة المختلفة الطبائع . الوجه الثانى لم لا يجوز أن يقال الفلك التاسع مكوكب بكواكب صغار لانراها [صفحہ ۲۰۴] لغاية بعدها عنا فإذا تحركت فى كرات تداويرها سامت مواضع مخصوصه من كرة الكواكب الثابتة وهى فلك البروج فاختلفت آثار الكواكب المتحيرة عند حلولها فى البروج باعتبار اختلاف تلك الكواكب الصغيرة و لم لا يجوز إثبات كرة بين الكرة الثامنة و بين الفلك الأطلس المدبر لجميع الأفلاك من المشرق إلى المغرب وتكون تلك الكرة المتوسطة بينهما بطيئة الحركة بحيث لا تنفى أعمارنا بالوقوف على حركتها وهى مكوكبه بتلك الكواكب الصغار المختلفة الطبائع . وأجيب عن الأول بأنه لو كان الأمر كما ذكر لوجب أن تختلف بيوت الكواكب وأشرفها وحدودها عند حركة الثوابت بحركة فلكها حتى أنها تتقدم على مواضعها فى كل مائة سنة على رأى المتقدمين أو فى كل ست وستين سنة على رأى المتأخرين درجة واحدة لكن ليس الأمر كذلك فإن شرف القمر كما أنه فى زماننا فى درجة الثالثة من الثور فكذلك كان عند الذين كانوا قبلنا بألف سنة وبألفى سنة . و أما الوجه الثانى فلا جواب عنه . واعلم أن الفلاسفة قد عولت فى إبطال القول بأحكام النجوم على وجه واحد و هو أن مبنى هذا العلم على التجربة و لم توجد التجربة فيما يدعيه أرباب علم النجوم فإن هاهنا أمور لا تتكرر إلا فى الأعمار المتطاولة مثل الأدوار والألوف التى زعم أبو معشر أنها هى الأصل فى هذا العلم ومثل مماسة جرم زحل للكرة المكوكبه ومثل انطباق معدل النهار على دائرة فلك البروج فإنهم يزعمون أن ذلك يقتضى حدوث طوفان الماء وإحاطته بالأرض من جميع الجوانب مع أن هذه الأمور لا توجد إلا فى ألوف الألوف من السنين فكيف تصح أمثال هذه الأمور بالتجربة . وأيضا فإننا إذ أرىنا حادثا حدث عند حلول كوكب مخصص فى برج مخصص [صفحہ ۲۰۵] فكيف نعلم استناد حدوثه إلى ذلك الحلول فإن فى الفلك كواكب لا تحصى فما الذى خصص حدوث ذلك الحدوث بحلول ذلك الكوكب فى ذلك البرج لا غيره وبتقدير أن يكون لحلوله تأثير فى ذلك فلا يمكن الجزم قبل حلوله بأنه إذ احل فى البرج المذكور لا بد أن يحدث ذلك الحادث لجواز أن يوجد ما يبطل تأثيره نحو أن يحل كوكب آخر فى برج آخر فيدفع تأثيره ويبطل عمله أولعل المادة الأرضية لا تكون مستعدة لقبول

تلك الصورة وحدوث الحادث كما يتوقف على حصول الفاعل يتوقف على حصول القابل و إذا وقع الشك في هذه الأمور بطل القول بالجزم بعلم أحكام النجوم وهذه الحجة جيدة إن كان المنجمون يطلبون القطع في علمهم .فأما أن كانوا يطلبون الظن فإن هذه الحجة لا تفسد قولهم .فأما أبو البركات بن ملكا البغدادي صاحب كتاب المعبر فإنه أبطل أحكام النجوم من وجه وأثبتته من وجه . قال أما من يريد تطبيق علم أحكام النجوم على قاعدة العلم الطبيعي فإنه لا سبيل له إلى ذلك فإننا لانعلق من أقوالهم إلا بأحكام يحكمون بها من غير دليل نحو القول بحر الكواكب ويردها أورطوبتها ويوستها واعتدالها كقولهم إن زحل بارد يابس والمشتري معتدل والاعتدال خير والإفراط شر وينتجون من ذلك أن الخير يوجب سعادة والشر يوجب منحة و ماجانس ذلك مما لم يقل به علماء الطبيعيين و لم تنتجهم مقدماتهم في أنظارهم وإنما الذي أنتجته هو أن الأجرام السماوية فعالة فيما تحويه وتشتمل عليه وتتحرك حوله فعلا- على الإطلاق غير محدود بوقت و لا مقدر بتقدير والقائلون بالأحكام ادعوا حصول علمهم بذلك من توقيف وتجربة لا يطابق نظر الطبيعي. و إذا قلت بقول الطبيعي بحسب أنظاره أن المشتري سعد والمريخ نحس أو أن زحل [صفحة ٢٠٦] بارد يابس والمريخ حار يابس والبارد من الملموسات و مادل على هذا المس و ما استدل عليه بلمس كتأثيره فيما يلمسه فإن ذلك لم يظهر للحس في غير الشمس حيث تسخن الأرض بشعاعها و لو كان في السماويات شيء من طبائع الأضداد لكان الأولى أن تكون كلها حارة لأن كواكبها كلها منيرة. ومتى يقول الطبيعي بتقطيع الفلك وتقسيمه إلى أجزاء كما قسمه المنجمون قسمه وهمية إلى بروج ودرج ودقائق و ذلك جائز للمتوهم كجواز غيره و ليس بواجب في الوجود و لا حاصل فنقلوا ذلك التوهم الجائز إلى الوجود الواجب في أحكامهم و كان الأصل فيه على زعمهم حركة الشمس والأيام والشهور فحصلوا منها قسمه وهمية وجعلوها كالحاصلة الوجودية المثمرة بحدود وخطوط كان الشمس بحركتها من وقت إلى مثله خبطت في السماء خطوطا وأقامت فيها جدرا أو حدودا أو غيرت في أجزائها طباعا تغييرا يبقى فيبقى به القسمة إلى تلك الدرج والدقائق مع جواز الشمس عنها و ليس في جوهر الفلك اختلاف يتميز به موضع عن موضع سوى الكواكب والكواكب تتحرك عن أمكنتها فبقيت الأمكنة على التشابه فيما ذا تتميز بروجه ودرجه ويبقى اختلافها بعد حركة المتحرك في سمتها وكيف يقيس الطبيعي على هذه الأصول وينتج منها نتائج ويحكم بحسبها أحكاما وكيف له أن يقول بالحدود ويجعل خمس درجات من برج الكوكب وستا لآخر وأربعا لآخر ويختلف فيها البابليون والمصريون وجعلوا أرباب البيوت كأنها ملاك والبيوت كأنها أملاك تثبت لأربابها بصكوك وأحكام الأسد للشمس والسرطان للقمر و إذا نظر الناظر وجد الأسد أسدا من جهة كواكب شكلوها بشكل الأسد ثم انقلبت عن مواضعها وبقي الموضع أسدا وجعلوا الأسد للشمس و قد ذهبت منه الكواكب التي كان بها أسدا كان ذلك الملك بيت للشمس مع انتقال الساكن وكذلك السرطان للقمر. [صفحة ٢٠٧] و من الدقائق في العلم النجومى الدرجات المدارة والغربية والمظلمة والنيرة والزائدة في السعادة ودرجات الآثار من جهة أنها أجزاء الفلك إن قطعوها و ما انقطعت و مع انتقال ما ينتقل من الكواكب إليها و عنها ثم أنتجوا من ذلك نتائج أنظارهم من أعداد الدرج وأقسام الفلك فقالوا إن الكوكب ينظر إلى الكواكب من ستين درجة نظر تسديس لأنه سدس من الفلك و لا ينظر إليه من خمسين و لا من سبعين و قد كان قبل الستين بعشر درج و هو أقرب من ستين وبعدها بعشر درج و هو أبعد من ستين لا ينظر. فليت شعري ما هذا النظر أترى الكواكب تظهر للكوكب ثم تحتجب عنه ثم شعاعه يختلط بشعاعه عند حد لا يختلط به قبله و لا بعده . وكذلك التريبع من الربع الذي هو تسعون درجة والثلاث من الثلث الذي هو مائة وعشرون درجة فلم لا يكون التخسيس والتسيع والتعشير على هذا القياس ثم يقولون الحمل حار يابس نارى والثور بارد يابس أرضى والجوزاء حار رطب هوائى والسرطان بارد رطب مائى ما قال الطبيعي هذا قاط و لا- يقول به . و إذا احتجوا وقاسوا كانت مبادئ قياساتهم الحمل برج ينقلب لأن الشمس إذا نزلت فيه ينقلب الزمان من الشتاء إلى الربيع والثور برج ثابت لأن الشمس إذا نزلت فيه ثبت الربيع على ربيعته . والحق أنه لا ينقلب الحمل و

لا يثبت الثور بل هما على حالهما في كل وقت ثم كيف يبقى دهره منقلبا مع خروج الشمس منه وحلولها فيه أتراها تخلف فيه أثرا أو تحيل منه طبعا وتبقى تلك الاستحالة إلى أن تعود فتجددها و لم لا- يقول قائل إن السرطان حار يابس لأن الشمس إذ انزلت فيه يشتد حر الزمان و ما يجانس هذا ما لا يلزم لا هو ولا ضده فليس في الفلك اختلاف يعرفه الطبيعي إلا بما فيه من الكواكب و هو في نفسه [صفحہ ۲۰۸] واحد متشابه الجوهر والطبع ولكنها أقوال قال بها قائل قبلها قائل ونقلها ناقل فحسن فيها ظن السامع واعتبر بها من لا خيرة له ولا قدرة له على النظر. ثم حكم بها الحاكمون بجيد وردىء وسلب وإيجاب وبت وتجاوز فصادف بعضه موافقة الوجود فصدق فيعتبر به المعتبرون و لم يلتفتوا إلى ما كذب منه فيكذبوه بل عذروا وقالوا إنما هو منجم و ليس بنبي حتى يصدق في كل ما يقول واعتذروا له بأن العلم أوسع من أن يحيط به أحد ولو أحاط به أحد لصدق في كل شيء ولعمر الله إنه لو أحاط به علما صادقا لصدق والشأن في أن يحيط به على الحقيقة لا أن يفرض فرضا ويتوهم وهما فينقله إلى الوجود وينسب إليه ويقيس عليه . قال و ألقى يصح من هذا العلم ويلتفت إليه العقلاء هي أشياء غير هذه الخرافات التي لا أصل لها فما حصل توقيف أو تجربة حقيقة كالقرانات والمقابلة فإنها أيضا من جملة الاتصالات كالمقارنة من جهة أن تلك غاية القرب و هذه غاية البعد ونحو ممر كوكب من المتحيرة تحت كوكب من الثابتة ونحوه ما يعرض للمتحيرة من رجوع واستقامة وارتفاع في شمال وانخفاض في جنوب وأمثال ذلك . فهذا كلام ابن ملكا كما تراه يبطل هذا الفن من وجه و يقول به من وجه . و قد وقفت لأبي جعفر محمد بن الحسين الصنعاني المعروف بالخازن صاحب كتاب زيج الصفائح على كلام في هذا الباب مختصر له سماه كتاب العالمين أنذاكره في هذا الموضوع على وجهه لأنه كلام لا بأس به قال إن بعض المصدقين بأحكام النجوم و كل المكذبين بها قد زاغوا عن طريق الحق والصواب فيها فإن الكثير من المصدقين بها قد أدخلوا فيها ما ليس منها و ادعوا ما لم يمكن إدراكه بها حتى كثر فيها خطلهم و ظهر كذبهم و صار ذلك سببا لتكذيب أكثر الناس بهذا العلم . [صفحہ ۲۰۹] فأما المكذبون به فقد بلغوا من إنكار صحيحه ورد ظاهره إلى أن قالوا إنه لا يصح منه شيء أصلا ونسبوا أهله إلى الرزق والاحتياال والخداع والتمويه فلذلك رأينا أن نبتدئ بتبيين صحة هذه الصناعة ليظهر فساد قول المكذبين لها بأسرها ثم نبين ما يمكن إدراكه بها لبيطل دعوى المدعين فيها ما يمتنع وجوده بها. أما الوجوه التي بهاتصح صناعة الأحكام فهي كثيرة منها ما يظهر لجميع الناس من قبل الشمس فإن حدوث الصيف والشتاء و ما يعرض فيهما من الحر والبرد والأمطار والرياح ونبات الأرض وخروج وقت الأشجار وحملها الثمار وحركة الحيوان إلى النسل والتوالد و غير ذلك مما يشاكله من الأحوال إنما يكون أكثر ذلك بحسب دنو الشمس من سمت الرءوس في ناحية الشمال وتباعدها منه إلى ناحية الجنوب وبفضل قوة الشمس على قوة القمر وقوى سائر الكواكب ظهر ما قلنا لجميع الناس . و قد ظهر لهم أيضا من قبل الشمس في تغيير الهواء كل يوم عند طلوعها و عند توسطها السماء و عند غروبها ما لا يخفى به من الآثار. و من هذه الوجوه ما يظهر للفلاحين والملاحين بأدنى تفقد للأشياء التي تحدث فإنهم يعلمون أشياء كثيرة من الآثار التي يؤثرها القمر وأنوار الكواكب الثابتة كالمد والجزر وحركات الرياح والأمطار وأوقاتها عند الحدوث و ما يوافق من أوقات الزراعات و ما لا يوافق وأوقات اللقاح والنتاج . و قد يظهر من آثار القمر في الحيوان ألقى يتوالد في الماء والرطوبات ما هو مشهور لا ينكر. ومنها جهات أخرى يعرفها المنجمون فقط على حسب فضل علمهم ودقة نظرهم في هذا [صفحہ ۲۱۰] العلم و إذ قد و صفتنا على سبيل الإجمال ما يوجب حقيقة هذا العلم فإننا نصف ما يمكن إدراكه به أو لا يمكن فنقول لما كانت تغيرات الهواء إنما تحدث بحسب أحوال الشمس والقمر والكواكب المتحيرة والثابتة صارت معرفة هذه التغيرات قد تدرك من النجوم مع سائر ما يتبعها من الرياح والسحاب والأمطار والثلج والبرد والرعد والبرق لأن الأشياء التي تلى الأرض وتصل إليها هذه الآثار من الهواء المحيط بها كانت الأعراض العامة التي تعرض في هذه الأشياء تابعة لتلك الآثار مثل كثرة مياه الأنهار و قتلها وكثرة الثمار و قتلها وكثرة خصب الحيوان و قتلته والجدوبة والقحط والوباء والأمراض التي تحدث في الأجناس

والأنواع أو فى جنس دون جنس أو فى نوع دون نوع وسائر مايشاكل ذلك من الأحداث . و لما كانت أخلاق النفس تابعة لمزاج البدن وكانت الأحداث التى ذكرناها مغيرة لمزاج البدن صارت أيضا مغيرة للأخلاق ولأن المزاج الأول الأصيل هو الغالب على الإنسان فى الأمر الأكثر و كان المزاج الأصيل هو الذى طبع عليه الإنسان فى وقت كونه فى الرحم و فى وقت مولده وخروجه إلى جو العالم صار وقت الكون ووقت المولد أدل الأشياء على مزاج الإنسان و على أحواله التابعة للمزاج مثل خلقه البدن وخلق النفس والمرض والصحة وسائر مايتبع ذلك فهذه الأشياء و مايشبهها من الأمور التى لا تشارك شيئا من الأفعال الإرادية فيه مما يمكن معرفته بالنجوم و أما الأشياء التى تشارك الأمور الإرادية بعض المشاركة فقد يمكن أن يصدق فيها هذا العلم على الأمر الأكثر و إذا لم يستعمل فيه الإرادة جرى على ما تقود إليه الطبيعة. على أنه قد يعرض الخطأ والغلط لأصحاب هذه الصناعة من أسباب كثيرة بعضها يختص بهذه الصناعة دون غيرها وبعضها يعمها وغيرها من الصنائع . [صفحہ ۲۱۱] فأما ما يعم فهو من قصور طبيعة الناس فى معرفة الصنائع أيا كانت عن بلوغ الغاية فيها حتى لا يبقى وراءها غاية أخرى فكثرة الخطأ وقتله على حسب تقصير واحد واحد من الناس . و أما ما يخص هذه الصناعة فهو كثير ما يحتاج صاحبها إلى معرفته مما لا يمكن أن يعلم كثيرا منه إلا بالحدس والتخمين فضلا عن لطف الاستنباط وحسن القياس ومما يحتاج إلى معرفة علم أحوال الفلك ومما يحدث فى كل واحد من تلك الأحوال فإن كل واحد منها له فعل خاص ثم يؤلف تلك الأحوال بعضها مع بعض على كثرة فنونها واختلافاتها ليحصل من جميع ذلك قوة واحدة وفعل واحد يكون عنه الحادث فى هذا العالم و ذلك أمر عسير فمتى أغفل من ذلك شىء كان الخطأ الواقع بحسب الشىء الذى سها عنه وترك استعماله . ثم من بعد تحصيل ما وصفناه ينبغى أن يعلم الحال التى عليها يوافق فى تلك القوة الواحدة الأشياء التى تعرض فيها تلك الأحداث كأنه مثلا إذا دل ما فى الفلك على حدوث حر وكانت الأشياء التى يعرض فيها ما يعرض قدمر بها قبل ذلك حر فحميت وسخت أثر ذلك فيها أثرا قويا فإن كان قدمر بها برد قبل ذلك أثر ذلك فيها أثرا ضعيفا وهذا شىء يحتاج إليه فى جميع الأحداث التى تعمل فى غيرها مما يناسب هذه المعرفة. و أما الأحداث التى تخص ناحية ناحية أو قوما قوما أو جنسا جنسا أو مولودا واحدا من الناس فيحتاج مع معرفتها إلى أن يعلم أيضا أحوال البلاد والعادات والأغذية والأوباء وسائر ما يشبه ذلك مما له فيه أثر وشركة مثل ما يفعل الطبيب فى المعالجة و فى تقدمه المعرفة ثم من بعد تحصيل هذه الأشياء كلها ينبغى أن ينظر فى الأمر الذى قد استدل على حدوثه هل هو مما يمكن أن يرد أو يتلافى بما يبطله أو بغيره من جهة [صفحہ ۲۱۲] الطب والحيل أم لا كأنه مثلا استدل على أنه يصيب هذا الإنسان حرارة يحم منها فينبغى أن يحكم بأنه يحم أن لم يتلاف تلك الحرارة بالتبريد فإنه إذ فعل ذلك أنزل الأمور منازلها وأجراها مجاريها. ثم إن كان الحادث قويا لا يمكن دفعه ببعض ما ذكرنا فليس يلزم الحاجة إلى ما قلنا فإن الأمر يحدث لامحالة و ما قوى وشمل الناس فإنه لا يمكن دفعه و لا فسخه و إن أمكن فإنما يمكن فى بعض الناس دون بعض . و أما أكثرهم فإنه يجرى أمره على ما قد شمل وعم فقد يعم الناس حر الصيف و إن كان بعضهم يحتال فى صرفه بالأشياء التى تبرد وتنفى الحر. فهذه جملة ما ينبغى أن يعلم ويعمل عليه أمور هذه الصناعة. قلت هذا اعتراف بأن جميع الأحداث المتعلقة باختيار الإنسان وغيره من الحيوان لا مدخل لعلم أحكام النجوم فيه فعلى هذا لا يصح قول من يقول منهم لزيد مثلا إنك تتزوج أو تشتري فرسا أو تقتل عدوا أو تسافر إلى بلد ونحو ذلك و هو أكثر ما يقولونه ويحكمون به . و أما الأمور الكلية الحادثة لا بإرادة الحيوان واختياره فقد يكون لكلامهم فيه وجه من الطريق التى ذكرها وهى تعلق كثير من الأحداث بحركة الشمس والقمر إلا- أن المعلوم ضرورة من دين رسول الله ص إبطال حكم النجوم وتحريم الاعتقاد بها والنهى والزجر عن تصديق المنجمين و هذا معنى قول أمير المؤمنين فى هذا الفصل فمن صدقك بهذا فقد كذب القرآن واستغنى عن الاستعانة بالله ثم أردف [صفحہ ۲۱۳] ذلك وأكده بقوله كان يجب أن يحمد المنجم دون البارى تعالى لأن المنجم هو الذى هدى الإنسان إلى الساعة التى ينجح فيها و صده عن الساعة التى يخفق ويكدى

فيها فهو المحسن إليه إذا والمحسن يستحق الحمد والشكر و ليس للبارئ سبحانه إلى الإنسان في هذا الإحسان المخصوص فوجب ألا يستحق الحمد على ظفر الإنسان بطلبه لكن القول بذلك والتزامه كفر محض [صفحہ ۲۱۴]

۲۹- و من كلام له ع بعد فراغه من حرب الجمل في ذم النساء

اشاره

مَعَاشِرِ النَّاسِ إِنَّ النَّسَاءَ نَوَاقِصُ الْإِيمَانِ نَوَاقِصُ الْحُطُوطِ نَوَاقِصُ الْعُقُولِ فَأَمَّا نُقْصَانُ إِيْمَانِهِنَّ فَتَقْوُدُهُنَّ عَنِ الصَّلَاةِ وَ الصَّيَامِ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ وَ أَمَّا نُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ مِنْهُنَّ كَشَهَادَةِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ وَ أَمَّا نُقْصَانُ حُطُوطِهِنَّ فَمَوَارِيئُهُنَّ عَلَى الْأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ الرِّجَالِ فَاتَّقُوا شَرَّارَ النَّسَاءِ وَ كُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ وَ لَا تُطِيعُوهُنَّ فِي الْمَعْرُوفِ حَتَّى لَا يَطْمَعَنَّ فِي الْمُنْكَرِ جَعَلَ عِزَّ النَّسَاءِ نَقْصَانًا فِي الْإِيمَانِ وَ هَذَا هُوَ قَوْلُ أَصْحَابِنَا إِنَّ الْأَعْمَالَ مِنَ الْإِيمَانِ وَ إِنَّ الْمَقْرَبَةَ بِالتَّوْحِيدِ وَ النُّبُوَّةِ وَ هُوَ تَارِكٌ لِلْعَمَلِ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ . وَ قَوْلُهُ ع وَ لَا تُطِيعُوهُنَّ فِي الْمَعْرُوفِ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ وَ إِنَّمَا هُوَ نَهْيٌ عَنِ طَاعَتِهِنَّ أَيْ لَا تَفْعَلُوهُ لِأَجْلِ أَمْرِهِنَّ لَكُمْ بِهِ بَلْ أَفْعَلُوهُ لِأَنَّهُ مَعْرُوفٌ وَ الْكَلَامُ يَنْحَوُّ نَحْوَ الْمَثَلِ الْمَشْهُورِ لَا تَعْطِ الْعَبْدَ كِرَاعًا فَيَأْخُذَ ذِرَاعًا . وَ هَذَا الْفَصْلُ كُلُّهُ رَمَزَ إِلَى عَائِشَةَ وَ لَا يَخْتَلِفُ أَصْحَابِنَا فِي أَنَّهَا أَخْطَأَتْ فِيمَا فَعَلَتْ ثُمَّ تَابَتْ وَ مَاتَتْ تَائِبَةً وَ إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ . [صفحہ ۲۱۵] قَالَ كُلُّ مَنْ صَنَفَ فِي السِّيرِ وَ الْأَخْبَارِ أَنَّ عَائِشَةَ كَانَتْ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَلَى عِثْمَانَ حَتَّى إِنَّهَا أَخْرَجَتْ ثُوبًا مِنْ ثِيَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص فَنَصَبَتْهُ فِي مَنْزِلِهَا وَ كَانَتْ تَقُولُ لِلدَّخَالِينِ إِلَيْهَا هَذَا ثُوبُ رَسُولِ اللَّهِ ص لَمْ يَبْلُغْهُ عِثْمَانُ قَدِ ابْتَلَى سُنَّتَهُ . قَالُوا أَوَّلُ مَنْ سَمِيَ عِثْمَانُ نَعْتًا عَائِشَةَ وَ النَّعْتُ الْكَثِيرُ شَعْرُ اللَّحْيَةِ وَ الْجَسَدُ وَ كَانَتْ تَقُولُ اقْتُلُوا نَعْتًا قَتَلَ اللَّهُ نَعْتًا . وَ رَوَى الْمَدَائِنِيُّ فِي كِتَابِ الْجَمَلِ قَالَ لِمَا قَتَلَ عِثْمَانَ كَانَتْ عَائِشَةُ بِمَكَّةَ وَ بَلَغَ قَتْلُهُ إِلَيْهَا وَ هِيَ بِشِرَافِ فَلَمْ تَشْكُ فِي أَنْ طَلَحَهُ هُوَ صَاحِبُ الْأَمْرِ وَ قَالَتْ بَعْدًا لِنَعْتِهَا وَ سَحَقًا إِلَيْهَا ذَا الْإِصْبَعِ إِلَيْهَا أَبَاشِبِلَ إِلَيْهَا يَا ابْنَ عَمِّ لَكَ أُنْظِرْ إِلَيَّ إِصْبَعَهُ وَ هُوَ بِبَيْعِهَا لَهُ حِثْوَةُ الْإِبِلِ وَ دَعْدَعُوهَا . قَالَ وَ قَدْ كَانَ طَلَحَهُ حِينَ قَتَلَ عِثْمَانَ أَخَذَ مَفَاتِيحَ بَيْتِ الْمَالِ وَ أَخَذَ نَجَائِبَ كَانَتْ لِعِثْمَانَ فِي دَارِهِ ثُمَّ فَسَدَ أَمْرُهُ فَدَفَعَهَا إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ع

أخبار عائشة في خروجها من مكة إلى البصرة بعد مقتل عثمان

وَ قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ لُوطُ بْنُ يَحْيَى الْأَزْدِيُّ فِي كِتَابِهِ أَنَّ عَائِشَةَ لَمَّا بَلَغَهَا قَتْلُ عِثْمَانَ وَ هِيَ بِمَكَّةَ أَقْبَلَتْ مُسْرِعَةً وَ هِيَ تَقُولُ إِلَيْهَا ذَا الْإِصْبَعِ اللَّهُ أَبُو كُفٍّ أَمَا إِنَّهُمْ وَجَدُوا طَلْحَةَ لَهَا كَفُّوا فَلَمَّا انْتَهَتْ إِلَى شِرَافِ اسْتَقْبَلَهَا عُبَيْدُ بْنُ أَبِي سَلْمَةَ اللَّيْثِيُّ فَقَالَتْ لَهُ مَا عِنْدَكَ قَالَ قَتَلَ عِثْمَانَ قَالَتْ ثُمَّ مَاذَا قَالَ ثُمَّ حَارَتْ بِهِمُ الْأُمُورُ إِلَى خَيْرِ مَحَارِبِ بَاعِعُوا عَلِيًّا فَقَالَتْ لَوْ دِدْتُ أَنَّ السَّمَاءَ انْطَبَقَتْ عَلَى الْأَرْضِ إِنْ تَمَّ هَذَا وَيُحَكُّ انْظُرْ مَا تَقُولُ قَالَ هُوَ مَا قَلْتُ لَكَ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ فَوَلَوْلَا فَقَالَ لَهَا مَا شَأْنُكَ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ [صفحہ ۲۱۶] وَ اللَّهُ مَا أَعْرَفَ بَيْنَ لَابِتَيْهَا أَحَدًا أَوْلَى بِهَا مِنْهُ وَ لِأَحَقِّ وَ لِأَرَى لَهُ نَظِيرًا فِي جَمِيعِ حَالَاتِهِ فَلَمَّا ذَا تَكَرَّهِيْنَ وَ لَائِيْتَهُ قَالَ فَمَا رَدَّتْ عَلَيْهِ جَوَابًا . قَالَ وَ قَدَرَوِي مِنْ طَرَفٍ مُخْتَلَفَةٍ أَنَّ عَائِشَةَ لَمَّا بَلَغَهَا قَتْلُ عِثْمَانَ وَ هِيَ بِمَكَّةَ قَالَتْ أَبْعُدْهُ اللَّهُ ذَلِكَ بِمَا قَدِمْتَ يَدَاهُ وَ مَا اللَّهُ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ . قَالَ وَ قَدَرَوِي قَيْسُ بْنُ أَبِي حَازِمٍ أَنَّهُ حَاجِمٌ فِي الْعَامِ الَّذِي قَتَلَ فِيهِ عِثْمَانَ وَ كَانَ مَعَ عَائِشَةَ لَمَّا بَلَغَهَا قَتْلُهُ فَتَحَمَّلَ إِلَى الْمَدِينَةِ قَالَ فَسَمِعَهَا تَقُولُ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ إِلَيْهَا ذَا الْإِصْبَعِ وَ إِذَا ذَكَرْتَ عِثْمَانَ قَالَتْ أَبْعُدْهُ اللَّهُ حَتَّى أَتَاهَا خَبْرُ بَيْعِهِ عَلَى فَقَالَتْ لَوْ دِدْتُ أَنَّ هَذِهِ وَقَعَتْ عَلَى هَذِهِ ثُمَّ أَمَرْتُ بَرْدَ رُكَّابِهَا إِلَى مَكَّةَ فَرَدَّتْ مَعَهَا وَ رَأَيْتَهَا فِي سَيْرِهَا إِلَى مَكَّةَ تَخَاطَبَتْ نَفْسَهَا كَأَنَّهَا تَخَاطَبَتْ أَحَدًا قَتَلُوا ابْنَ

عفان مظلوما فقلت لها يا أم المؤمنين ألم أسمعك أنفا تقولين أبعده الله و قدر أيتك قبل أشد الناس عليه وأقبحهم فيه قولاً
فقلت لقد كان ذلك ولكنى نظرت في أمره فرأيتهم استتابوه حتى إذا تركوه كالفضة البيضاء أتوه صائماً محرماً في شهر حرام
فقتلوه . قال وروى من طرق أخرى أنها قالت لمابلغها قتله أبعده الله قتله ذنبه وأقاده الله بعمله يامعشر قريش لا يسومنكم قتل
عثمان كما سام أحمر ثمود قومه أن أحق الناس بهذا الأمر ذو الإصبع فلما جاءت الأخبار ببيعة علي ع قالت تعسوا تعسوا لا يردون
الأمر في تيم أبدا . كتب طلحة والزبير إلى عائشة وهي بمكة كتاباً أن خذلى الناس عن بيعة علي وأظهرى الطلب بدم عثمان
وحملاً الكتاب مع ابن أختها عبد الله بن الزبير فلما قرأت الكتاب كاشفت وأظهرت الطلب بدم عثمان وكانت أم سلمة رضى الله
عنها بمكة في ذلك العام فلما رأت صنع عائشة قابلتها بنقيض ذلك وأظهرت موالاة علي ع ونصرته على مقتضى العداوة
المركوزة في طباع الصرتين . [صفحہ ۲۱۷] قال أبو مخنف جاءت عائشة إلى أم سلمة تخادعها على الخروج للطلب بدم عثمان
فقلت لها يا بنت أبي أمية أنت أول مهاجرة من أزواج رسول الله ص و أنت كبيرة أمهات المؤمنين و كان رسول الله ص يقسم لنا
من بيتك و كان جبريل أكثر ما يكون في منزلك فقلت أم سلمة لأمر ما قلت هذه المقالة فقلت عائشة إن عبد الله أخبرني أن
القوم استتابوا عثمان فلما تاب قتله صائماً في شهر حرام و قد عزمت على الخروج إلى البصرة ومعى الزبير و طلحة فأخرجى معنا
لعل الله أن يصلح هذا الأمر على أيدينا بنا فقلت أم سلمة إنك كنت بالأمس تحرضين على عثمان و تقولين فيه أخبث القول و ما
كان اسمه عندك إلا نعتلاً و إنك لتعرفين منزلة علي بن أبي طالب عند رسول الله ص أفأذكرك قالت نعم قالت أتذكرين يوم
أقبل ع ونحن معه حتى إذا هبط من قديد ذات الشمال خلا - بعلى يناجيه فأطال فأردت أن تهجمي عليهما فنهيتك فعصيتني
فهجمت عليهما فما لبثت أن رجعت باكية فقلت ماشأنك فقلت إنى هجمت عليهما وهما يتناجيان فقلت لعلى ليس لى من
رسول الله إلا - يوم من تسعة أيام أفما تدعنى يا ابن أبي طالب و يومى فأقبل رسول الله ص على و هو غضبان محمر الوجه فقال
ارجعى وراءك و الله لا يبغضه أحد من أهل بيتى و لا من غيرهم من الناس إلا و هو خارج من الإيمان فرجعت نادمة ساقطة قالت
عائشة نعم أذكر ذلك قالت و أذكرك أيضا كنت أنا و أنت مع رسول الله ص و أنت تغسلين رأسه و أنا أحيس له حيسا و كان
الحيس يعجبه فرفع رأسه و قال ياليت شعرى أيتكن صاحبة الجمل الأذنب تنبجها كلاب الحوآب فتكون ناكبة -روایت- ۱-۲-
روایت- ۸-۱-ادامه دارد [صفحہ ۲۱۸] عن الصراط فرفعت يدي من الحيس فقلت أعوذ بالله وبرسوله من ذلك ثم ضرب على
ظهرك و قال إياك أن تكونيها ثم قال يا بنت أبي أمية إياك أن تكونيها ياحميراء أما أنا فقد أنذرتك قالت عائشة نعم أذكر
هذا قالت و أذكرك أيضا كنت أنا و أنت مع رسول الله ص فى سفر له و كان على يتعاهد نعلى رسول الله ص فيخصفها ويتعاهد
أثوابه فيغسلها فنقبت له نعل فأخذها يومئذ يخصفها و قعد فى ظل سمره و جاء أبوك و معه عمر فاستأذنا عليه فقمنا إلى الحجاب
و دخلا يحادثانه فيما أراد ثم قالوا يا رسول الله إنا لاندري قدر ماتصحبنا فلو أعلمتنا من يستخلف علينا ليكون لنا بعدك مفزعا
فقال لهما أما إنى قد أرى مكانه و لو فعلت لتفرقتم عنه كما تفرقت بنو إسرائيل عن هارون بن عمران فسكتا ثم خرجا فلما خرجنا
إلى رسول الله ص قلت له و كنت أجراً عليه منا من كنت يا رسول الله مستخلفا عليهم فقال خاصف النعل فنظرنا فلم نر أحدا
إلا عليا فقلت يا رسول الله ما أرى إلا عليا فقال هو ذاك فقلت عائشة نعم أذكر ذلك فقلت فأى خروج تخرجين بعد هذا فقلت
إنما أخرج للإصلاح بين الناس و أرجو فيه الأجر إن شاء الله فقلت أنت و رأيك فانصرفت عائشة عنها و كتبت أم سلمة بما قالت
وقيل لها إلى علي ع -روایت- از قبل- ۱۰۹۲ . فإن قلت فهذا نص صريح فى إمامة علي ع فما تصنع أنت و أصحابك المعترزة به
قلت كلا- إنه ليس بنص كما ظننت لأنه ص لم يقل قد استخلفته وإنما قال لو قد استخلفت أحدا لاستخلفته و ذلك لا يقتضى
حصول الاستخلاف [صفحہ ۲۱۹] ويجوز أن تكون مصلحة المكلفين متعلقة بالنص عليه لو كان النبى ص مأمورا بأن ينص على
إمام بعينه من بعده و أن يكون من مصلحتهم أن يختاروا لأنفسهم من شاءوا إذا تركهم النبى ص و آراءهم و لم يعين أحدا .

وروى هشام بن محمد الكلبي في كتاب الجمل أن أم سلمة كتبت إلى علي ع من مكة أما بعد فإن طلحة والزبير وأشياعهم أشياع الضلالة يريدون أن يخرجوا بعائشة إلى البصرة ومعهم عبد الله بن عامر بن كريز ويذكرون أن عثمان قتل مظلوما وأنهم يطلبون بدمه والله كافيهم بحوله وقوته ولو لا ما نهانا الله عنه من الخروج وأمرنا به من لزوم البيت لم أذع الخروج إليك والنصرة لك ولكنني باعثة نحوك ابني عدل نفسي عمر بن أبي سلمة فاستوص به يا أمير المؤمنين خيرا. قال فلما قدم عمر على علي ع أكرمه ولم يزل مقيما معه حتى شهد مشاهدته كلها ووجهه أميرا على البحرين وقال لابن عم له بلغني أن عمر يقول الشعر فابعث إلى من شعره فبعث إليه بأبيات له أولها جزتك أمير المؤمنين قرابة || رفعت بها ذكرى جزاء موفرا. فعجب علي ع من شعره واستحسنه. ومن الكلام المشهور الذي قيل إن أم سلمة رحمها الله كتبت به إلى عائشة إنك جنه بين رسول الله ص وبين أمته وإن الحجاب دونك لمضروب على حرمة و قد جمع القرآن ذلك فلاتندحيه وسكن عقيراك فلاتصحريها لو أذكرتك قوله من رسول الله ص تعرفينها لنهشت بهانهش الرقشاء المطرقة ما كنت [صفحة ٢٢٠] قائله لرسول الله ص لولقيك ناصه قلوب عودك من منهل إلى منهل قد تركت عهدها وهتكت ستره إن عمود الدين لا يقوم بالنساء وصدعه لا يرأب بهن حماديات النساء خفض الأصوات وخفض الأعراض اجعلى قاعدة البيت قبرك حتى تلقينه و أنت على ذلك. فقالت عائشة ما أعرفني بنصحك وأقبلني لوعظك وليس الأمر حيث تذهيب ما أنا بعمية عن رأيك فإن أقم ففى غير حرج وإن أخرج ففى إصلاح بين فئتين من المسلمين. وقد ذكر هذا الحديث أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة فى كتابه المصنف فى غريب الحديث فى باب أم سلمة على ما أورده عليك قال لما أرادت عائشة الخروج إلى البصرة أتتها أم سلمة فقالت لها إنك سده بين محمد رسول الله ص وبين أمته وحجابك مضروب على حرمة قد جمع القرآن ذلك فلاتندحيه وسكن عقيراك فلاتصحريها الله من وراء هذه الأمة لو أراد رسول الله ص أن يعهد إليك عهدا علت علت بل قد نهاك عن الفرطه فى البلاد إن عمود الإسلام لا يتأب بالنساء إن مال و لا يرأب بهن إن صدع حماديات النساء غرض الأطراف وخفض الأعراض وقصر الوهازة ما كنت قائله لو أن رسول الله ص عارضك بعد الفلوات ناصه قلوبا من منهل إلى آخر إن بعين الله مهواك و على رسوله ترددين و قد وجهت سدافته ويروى سجاته وتركت عهدها لوسرت مسيرك هذا ثم قيل لى ادخلى الفردوس لاستحييت أن ألقى محمدا ص هاتكة حجابا و قد ضربه على اجعلى حصنك بيتك ووقاعة الستر قبرك حتى تلقينه و أنت على تلك أطوع ما تكونين لله [صفحة ٢٢١] بالرقبة وأنصر ما تكون للدين ما حلت عنه لو ذكرتك قولاً تعرفينه لنهشت به نهش الرقشاء المطرقة. فقالت عائشة ما أقبلني لوعظك و ليس الأمر كما تظنين ولنعم المسير مسير فزعت فيه إلى فئتان متناجزتان أو قالت متناحرتان إن أقعد ففى غير حرج و إن أخرج فإلى ما لا بد لى من الازدياد منه. تفسير غريب هذا الخبر السده الباب و منه حديث رسول الله ص أنه ذكر أول من يرد عليه الحوض فقال الشعث رءوسا الدنس ثيابا الذين لا تفتح لهم السدد و لا ينكحون المتنعمات -رواية ١- ٢-رواية ٣٠- ١٤٣ وأرادت أم سلمة أنك باب بين النبي ص وبين الناس فمتى أصيب ذلك الباب بشىء فقد دخل على رسول الله ص فى حرمة وحوزته واستيحيح ما حماه تقول فلاتكونى أنت سبب ذلك بالخروج الذى لا يجب عليك فتحوجى الناس إلى أن يفعلوا ذلك و هذا مثل قول نعمان بن مقرن للمسلمين فى غزاة نهاوند الأ- وإنكم باب بين المسلمين والمشركين إن كسر ذلك الباب دخل عليهم منه. وقولها قد جمع القرآن ذلك فلاتندحيه أى لاتفتحيه و لا توسعيه بالحركة والخروج يقال ندحت الشىء إذا وسعته و منه يقال فلان فى مندوحة عن كذا أى فى سعة تريد قول الله تعالى وَ قَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ و من روى تبدحيه بالباء فإنه من البداح و هو المتسع من الأرض و هو معنى الأول. وسكن عقيراك من عقر الدار و هو أصلها أهل الحجاز يضمنون العين و أهل نجد يفتحونها وعقير اسم مبنى من ذلك على صيغة التصغير ومثله مما جاء مصغرا الثريا والحميا و هو سورة الشراب قال ابن قتيبة و لم أسمع بعقيرا إلا فى هذا الحديث. -قرآن- ٥٥٣- ٥٧٦ [صفحة ٢٢٢] قولها فلاتصحريها أى لا تبرزها وتجعلها بالصحراء يقال أصحرا كما يقال أنجد وأسهل وأحزن. وقولها الله

من وراء هذه الأمة أى محيط بهم وحافظ لهم وعالم بأحوالهم كقوله تعالى وَ اللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ قَوْلُهَا لُوَأْرَادَ رَسُولَ اللَّهِ ص الْجَوَابَ مَحذُوفٌ أَى لِفِعْلِ وَلِعَهْدٍ وَ هَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَ لَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَى لَكَانَ هَذَا الْقُرْآنَ قَوْلُهَا عِلْتُ أَى جَرْتُ فِى هَذَا الْخُرُوجِ وَعَدَلْتُ عَنِ الْجَوَابِ وَالْعَوْلُ الْمِيلُ وَالْجُورُ قَالَ تَعَالَى ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا وَ مِنْ النَّاسِ مَنْ يَرُوبِهِ عِلْتُ عِلْتُ بِكَسْرِ الْعَيْنِ أَى ذَهَبْتُ فِى الْبِلَادِ وَأَبْعَدْتُ السَّيْرَ يُقَالُ عَالَ فُلَانٌ فِى الْبِلَادِ أَى ذَهَبَ وَأَبْعَدَ وَ مِنْهُ قِيلَ لِلذُّبِّ عِيَالٌ. قَوْلُهَا عَنِ الْفُرْطَةِ فِى الْبِلَادِ أَى عَنِ السَّفَرِ وَالشَّخْصِ مِنَ الْفُرْطِ وَ هُوَ السَّبْقُ وَالتَّقَدُّمُ وَ رَجُلٌ فَارَطُ أَتَى الْمَاءَ أَى سَابِقٌ. قَوْلُهَا لَا يَثَابُ بِالنِّسَاءِ أَى لَا يَرِدُ بِهِنَ إِنْ مَالَ إِلَى اسْتَوَائِهِ مِنْ قَوْلِكَ ثَابَ فُلَانٌ إِلَى كَذَا أَى عَادَ إِلَيْهِ. قَوْلُهَا وَ لَا يَرَأْبُ بِهِنَ إِنْ صَدَعَ أَى لَا يَسُدُّ بِهِنَ وَ لَا يَجْمَعُ وَ الصَّدَعُ الشَّقُّ وَيُرْوَى إِنْ صَدَعَ بَفَتْحِ الصَّادِ وَالدَّالِ أَجْرُوهُ مَجْرَى قَوْلِهِمْ جَبِرَتْ الْعِظْمُ فَجَبِرَ. قَوْلُهَا حَمَادِيَاتُ النِّسَاءِ يُقَالُ حَمَادَاكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا مِثْلَ قِصَارَاكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا أَى جَهْدَكَ وَغَايَتَكَ . -قرآن- ١٧٥-٢٠٥-قرآن- ٢٨١-٣٤٦-قرآن- ٤٥٨-٤٨٤ [صفحة ٢٢٣] وَغَضُّ الْأَطْرَافِ جَمْعُهَا وَخَفْرُ الْأَعْرَاضِ الْخَفْرُ الْحَيَاءُ وَ الْأَعْرَاضُ جَمْعُ عَرْضٍ وَ هُوَ الْجَسَدُ يُقَالُ فُلَانٌ طَيِّبُ الْعَرَضِ أَى طَيِّبُ رِيحِ الْبَدَنِ وَ مِنْ رَوَاهِ الْأَعْرَاضِ بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ جَعَلَهُ مَصْدَرًا مِنْ أَعْرَضَ عَنْ كَذَا. قَوْلُهَا وَ قَصَرَ الْوَهَازَةَ قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةَ سَأَلْتُ عَنْ هَذَا فَقَالَ لِي مِنْ سَأَلْتَهُ عَنْهُ أَعْرَابِيَا فَصِيْحَا فَقَالَ الْوَهَازَةُ الْخَطْوَةُ يُقَالُ لِلرَّجُلِ إِنْهُ لَمْتَوْهَزٌ وَ مَتَوْهَرٌ إِذَا وَطِئَ وَ طَنَا ثَقِيْلًا. قَوْلُهَا نَاصَةٌ قُلُوصًا أَى رَافِعَةٌ لَهَا فِى السَّيْرِ وَالنَّصُّ الرِّفْعُ وَ مِنْهُ يُقَالُ حَدِيثٌ مَنْصُوصٌ أَى مَرْفُوعٌ وَ الْقُلُوصُ مِنَ النَّوْقِ الشَّابَةِ وَ هِيَ بِمَنْزِلَةِ الْفَتَاةِ مِنَ النِّسَاءِ. وَ الْمَنْهَلُ الْمَاءُ تَرَدُّهُ الْإِبِلُ. قَوْلُهَا إِنْ بَعِينَ اللَّهُ مَهْوَاكَ أَى إِنْ اللَّهُ يَرَى سَيْرَكَ وَ حَرَكَتَكَ وَ الْهَوَى الْانْحِدَارُ فِى السَّيْرِ مِنَ النَّجْدِ إِلَى الْغُورِ. قَوْلُهَا وَ عَلَى رَسُولِهِ تَرْدِينَ أَى تَقْدَمِينَ فِى الْقِيَامَةِ. قَوْلُهَا وَ قَدِ وَجَّهَتْ سَدَافَتَهُ السَّدَافَةُ الْحِجَابُ وَ السَّرَى هِيَ مِنَ الْأَسَدِ اللَّيْلِ إِذَا سَرَّ بِظَلْمَتِهِ كَأَنَّهُ أَرخَى سَتُورًا مِنَ الظَّلَامِ وَيُرْوَى بِفَتْحِ السَّيْنِ وَ كَذَلِكَ الْقَوْلُ فِى سَجَافَتِهِ إِنْهُ يُرْوَى بِكَسْرِ السَّيْنِ وَفَتْحِهَا وَ السَّدَافَةُ وَ السَّجَافَةُ بِمَعْنَى . وَ وَجَّهَتْ أَى نَظَّمَتَهَا بِالْخَرْزِ وَ الْوَجِيهَةُ خَرْزَةٌ مَعْرُوفَةٌ وَ عَادَةُ الْعَرَبِ أَنْ تَنْظُمَ عَلَى الْمَحْمَلِ خَرْزَاتٌ إِذَا كَانَ لِلنِّسَاءِ. قَوْلُهَا وَ تَرَكْتَ عَهْدِيَهَ لَفْظَةٌ مَصْغُورَةٌ مَأْخُوذَةٌ مِنَ الْعَهْدِ مِثْلَ مِثَابَةٍ لِمَا سَلَفَ مِنْ قَوْلِهَا عَقِيْرَاكَ وَ حَمَادِيَاتُ النِّسَاءِ. قَوْلُهَا وَ وَقَاعَةُ السَّرَى أَى مَوْقِعُهُ عَلَى الْأَرْضِ إِذَا أُرْسِلَتْ وَ هِيَ الْمَوْقِعَةُ أَيْضًا وَ مَوْقِعَةُ الطَّائِرِ. [صفحة ٢٢٤] قَوْلُهَا حَتَّى تَلْقِيْنَهُ وَ أَنْتَ عَلَى تَلْكِ أَى عَلَى تَلْكِ الْحَالِ فَحَذَفَ. قَوْلُهَا أَطْوَعُ مَا تَكُونِيْنُ لِلَّهِ إِذَا لَزِمْتَهُ أَطْوَعُ مَبْتَدَأٌ وَ إِذَا لَزِمْتَهُ خَبَرَ الْمَبْتَدَأِ وَ الضَّمِيرُ فِى لَزِمْتَهُ رَاجِعٌ إِلَى الْعَهْدِ وَ الْأَمْرُ الَّذِى أَمَرْتُ بِهِ. قَوْلُهَا لَنْهَشْتُ بِهِ نَهَشَ الرِّقْشَاءَ الْمَطْرَقَةَ أَى لَعَضْتُكَ وَ نَهَشْتُكَ مَا أَذَكَرَهُ لَكَ وَ أَذَكَرَكَ بِهِ كَمَا تَنْهَشُكَ أَفْعَى رِقْشَاءَ وَ الرِّقْشُ فِى ظَهْرِهَا هُوَ النَّقْطُ وَ الْجَرَادَةُ أَيْضًا رِقْشَاءٌ قَالَ النَّابِغَةُ فَبْتُ كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي ضَيْئِلَةٌ || مِنْ الرِّقْشِ فِى أَنْبَابِهَا السَّمُّ نَاقِعٌ . وَ الْأَفْعَى يُوصَفُ بِالْإِطْرَاقِ وَ كَذَلِكَ الْأَسَدُ وَ النَّمْرُ وَ الرَّجُلُ الشَّجَاعُ وَ كَانَ مَعَاوِيَةَ يَقُولُ فِى عَالِي الشَّجَاعِ الْمَطْرَقُ وَ قَالَ الشَّاعِرُ وَ ذَكَرَ أَفْعَى أَصَمٌ أَعْمَى مَا يَجِيْبُ الرِّقَى || مِنْ طَوْلِ إِطْرَاقِ وَ إِسْبَاتِ. قَوْلُهَا فَتَّانٌ مِتَّاجِزَتَانِ أَى تَسْرَعُ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا إِلَى نَفُوسِ الْآخَرِي وَ مِنْ رَوَاهِ مِتَّاحِرَتَانِ أَرَادَ الْحَرْبَ وَ طَعْنَ النُّحُورَ بِالْأَسْنَةِ وَ رَشَقَهَا بِالسَّهَامِ . وَ فَرَعَتْ إِلَى فُلَانٍ فِى كَذَا أَى لَذْتُ بِهِ وَ التَّجَأْتُ إِلَيْهِ . وَ قَوْلُهَا إِنْ أَقْعَدْتُ فِى غَيْرِ حَرْجٍ أَى فِى غَيْرِ إِثْمٍ وَ قَوْلُهَا فِإِنْ أَخْرَجْتُ فِإِلَى مَا لَا يَبْدُلِي مِنْ الْإِزْدِيَادِ مِنْهُ كَلَامٌ مِنْ يَعْتَقِدُ الْفُضِيْلَةَ فِى الْخُرُوجِ أَوْ يَعْرِفُ مَوْقِعَ الْخَطِيءِ وَيَصِرُ عَلَيْهِ . لِمَا عَزَمْتُ عَائِشَةَ عَلَى الْخُرُوجِ إِلَى الْبَصْرَةِ طَلَبُوا لَهَا بَعِيْرًا أَيَّدَا يَحْمِلُ هُوَ دَجَهَا فَجَاءَهُمْ يَعْلى بنُ أُمِيَّةَ بَعِيْرَهُ الْمَسْمُومَ عَسْكَرًا وَ كَانَ عَظِيمَ الْخَلْقِ شَدِيدًا فَلَمَّا رَأَتْهُ أَعْجَبَهَا وَأَنْشَأَ الْجَمَالَ يَحْدِثُهَا بِقُوَّتِهِ وَ شِدَّتِهِ وَ يَقُولُ فِى أَثْنَاءِ كَلَامِهِ عَسْكَرٌ فَلَمَّا سَمِعَتْ هَذِهِ اللَّفْظَةَ اسْتَرْجَعَتْ وَ قَالَتْ رَدُوهُ لِاحْتِاجَةٍ لِي فِيهِ وَ ذَكَرْتُ حَيْثُ سَأَلْتُ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ [صفحة ٢٢٥] ص ذَكَرَ لَهَا هَذَا الْاسْمَ وَ نَهَاها عَنْ رُكُوبِهِ وَ أَمَرْتُ أَنْ يَطْلُبَ لَهَا غَيْرَهُ فَلَمْ يَجِدْ لَهَا مَا يَشْبَهُهُ فَغَيَّرَ لَهَا بِجَلَالٍ غَيْرِ جَلَالِهِ وَ قِيلَ لَهَا قَدْ أَصْبَنَّا لَكَ أَعْظَمَ مِنْهُ خَلْقًا وَ أَشَدَّ قُوَّةً وَ أَتَيْتُ بِهِ فَرَضِيَّتِي . قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ وَ أُرْسِلْتُ إِلَى حَفْصَةَ تَسْأَلُهَا الْخُرُوجَ وَ الْمَسِيرَ مَعَهَا فَلَبِغَ ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَمْرِو فَاتَى أُخْتَهُ فَعَزَمَ عَلَيْهَا فَأَقَامَتْ وَ حَطَّتِ الرِّحَالَ بَعْدَ مَا هَمَّتْ . كَتَبَ الْأَشْجَرُ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى عَائِشَةَ وَ هِيَ بِمَكَّةَ أَمَا بَعْدَ فَإِنَّكَ ظَعِينَةُ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ

قد أمرك أن تقرى فى بيتك فإن فعلت فهو خير لك فإن آبيت إلا أن تأخذى منسأتك وتلقى جلابك وتبدى للناس شعيراتك قاتلتك حتى أردك إلى بيتك والموضع الذى يرضاه لك ربك .فكتبت إليه فى الجواب أما بعد فإنك أول العرب شب الفتنة ودعا إلى الفرقة وخالف الأئمة وسعى فى قتل الخليفة و قد علمت أنك لن تعجز الله حتى يصيبك منه بنقمة ينتصر بها منك للخليفة المظلوم و قد جاءنى كتابك وفهمت ما فيه وسيكفينيك الله و كل من أصبح مماثلا لك فى ضلالك وغيك إن شاء الله . و قال أبو مخنف لما انتهت عائشة فى مسيرها إلى الحوآب و هو ماء لبنى عامر بن صعصعة نبحتها الكلاب حتى نفرت صعاب إبلها فقال قائل من أصحابها ألا ترون ما أكثر كلاب الحوآب و ما أشد نباها فأمسكت زمام بعيرها وقالت وإنما لكلاب الحوآب ردونى ردونى فإنى سمعت رسول الله ص يقول وذكرت الخبر فقال لها قائل مهلا يرحمك الله فقد جزنا ماء الحوآب فقالت فهل من شاهد فلفقوا لها خمسين أعرايبا جعلوا لهم جعلاء فحلفوا لها أن هذا ليس بماء الحوآب فسارت لوجهها. لما انتهت عائشة و طلحة و الزبير إلى حفر أبى موسى قريبا من البصرة أرسل [صفحة ٢٢٦] عثمان بن حنيف و هو يومئذ عامل على ع على البصرة إلى القوم أبوالأسود الدؤلى يعلم له علمهم فجاء حتى دخل على عائشة فسألها عن مسيرها فقالت أطلب بدم عثمان قال إنه ليس بالبصرة من قتله عثمان أحد قالت صدقت ولكنهم مع على بن أبى طالب بالمدينة و جئت أستنهض أهل البصرة لقتاله أنغضب لكم من سوط عثمان و لانغضب لعثمان من سيوفكم فقال لها ما أنت من السوط والسيوف إنما أنت حبيس رسول الله ص أمرك أن تقرى فى بيتك وتلى كتاب ربك و ليس على النساء قتال و لالهن الطلب بالدماء و إن عليا لأولى بعثمان منك وأمس رحما فإنهما ابنا عبد مناف فقالت لست بمنصرفه حتى أمضى لما قدمت له أفتظن يا أبوالأسود أن أحدا يقدم على قتالى قال أما و الله لتقاتلن قتالا أهونه الشديد. ثم قام فأتى الزبير فقال يا أبا عبد الله عهد الناس بك و أنت يوم بويح أبوبكر آخذ بقائم سيفك تقول لأحد أولى بهذا الأمر من ابن أبى طالب و أين هذا المقام من ذاك فذكر له دم عثمان قال أنت وصاحبك وليتماه فيما بلغنا قال فانطلق إلى طلحة فاسمع ما يقول فذهب إلى طلحة فوجده سادرا فى غيه مصرا على الحرب والفتنة فرجع إلى عثمان بن حنيف فقال إنها الحرب فتأهب لها. لما نزل على ع بالبصرة كتبت عائشة إلى زيد بن صوحان العبدى من عائشة بنت أبى بكر الصديق زوج النبى ص إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان أما بعد فأقم فى بيتك وخذل الناس عن على وليبلغنى عنك ما أحب فإنك أوثق أهلى عندى و السلام .فكتب إليها من زيد بن صوحان إلى عائشة بنت أبى بكر أما بعد فإن الله أمرك بأمرنا بأمر أمرك أن تقرى فى بيتك وأمرنا أن نجاهد و قد أتانى كتابك [صفحة ٢٢٧] فأمرتنى أن أصنع خلاف ما أمرنى الله فأكون قد صنعت ما أمرك الله به و صنعت ما أمرنى الله به فأمرك عندى غير مطاع و كتابك غير مجاب و السلام . روى هذين الكتابين شيخنا أبو عثمان عمرو بن بحر عن شيخنا أبى سعيد الحسن البصرى. و ركبت عائشة يوم الحرب الجمل المسمى عسكرا فى هودج قد ألبس الرفرف ثم ألبس جلود النمر ثم ألبس فوق ذلك دروع الحديد. الشعبى عن مسلم بن أبى بكره عن أبى بكره قال لما قدم طلحة و الزبير البصرة تقلدت سيفى و أنا أريد نصرهما فدخلت على عائشة و إذاهى تأمر وتنهى و إذا الأمر أمرها فذكرت حديثا كنت سمعته عن رسول الله ص لن يفلح قوم تدبر أمرهم امرأة -رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-٥٥ و قدروى هذا الخبر على صورة أخرى أن قوما يخرجون بعدى فى فئه رأسها امرأة لا يفلحون أبدا -رواية- ١-٢-رواية- ٣٦-٩٣ . كان الجمل لواء عسكر البصرة لم يكن لواء غيره .خطبت عائشة و الناس قد أخذوا مصافهم للحرب فقالت أما بعد فإننا كنا نقمنا على عثمان ضرب السوط وإمرة الفتیان ومرتع السحابة المحمية ألا وإنكم استعنتبتموه فأعتبكم فلما مصتموه كما يماص الثوب الرحيض عدوتم عليه فارتكبتم منه دما حراما وإيم الله إن كان لأحصنكم فرجا وأتقاكم لله . [صفحة ٢٢٨] خطب على ع لما تواقف الجمعان فقال لا تقاتلوا القوم حتى يبدءوكم فإنكم بحمد الله على حجة و كفكم عنهم حتى يبدءوكم حجة أخرى و إذا قاتلتموهم فلا تجهزوا على جريح و إذا هزمتوهم فلا تتبعوا مدبرا و لا تكشفوا عورة و لا تمثلوا بقتيل و إذا وصلتكم إلى رحال القوم فلا تهتكوا ستر و

لاتدخلوا دارا ولا تأخذوا من أموالهم شيئا ولا تهيجوا أمره بأذى وإن شتمن أعراضكم وسبين أمراءكم وصلحاءكم فإنهن ضعاف القوى والأنفس والعقول لقد كنا نؤمر بالكف عنهن وإنهن لمشركات وإن كان الرجل ليتناول المرأة بالهراوة والجريدة فيعير بها وعقبه من بعده -رواية- ١-٢-رواية- ٤٠-٥٤٨. قتل بنو ضبة حول الجمل فلم يبق فيهم إلا من لانفع عنده وأخذت الأزدي بخطامه فقالت عائشة من أنتم قالوا الأزدي قالت صبرا وإنما يصبر الأحرار ما زلت أرى النصر مع بنى ضبة فلما فقدتهم أنكرته فحرضت الأزدي بذلك فقاتلوا قتالا شديدا ورمى الجمل بالنبل حتى صارت القبة عليه كهيئة القنفذ. قال علي ع لمافني الناس على خطام الجمل وقطعت الأيدي وسالت النفوس ادعوا لي الأشر وعمارا فجاء فقال اذهبا فاعقرا هذا الجمل فإن الحرب لا يبوخ ضرامها مادام حيا إنهم قد اتخذوه قبلة فذهبا ومعهما فتیان من مراد يعرف أحدهما بعمر بن عبد الله فما زال يضربان الناس حتى خلاصا إليه فضربه المرادي على عرقوبيه فأقعى و له رغاء ثم وقع لجنبه وفر الناس من حوله فنادى علي ع اقطعوا -رواية- ١-٢-رواية- ١٦-١٦-ادامه دارد [صفحة ٢٢٩] أنساع اليهودج ثم قال لمحمد بن أبي بكر اكفني أختك فحملها محمد حتى أنزلها دار عبد الله بن خلف الخزاعي -رواية- از قبل- ١١١. بعث علي عبد الله بن عباس إلى عائشة يأمرها بالرحيل إلى المدينة قال فأتيها فدخلت عليها فلم يوضع لي شيء أجلس عليه فتناولت وسادة كانت في رحلها فقعدت عليها فقالت يا ابن عباس أخطأت السنة قعدت علي وسادتنا في بيتنا بغير إذننا فقلت ليس هذابيتك الذي أمرك الله أن تقرى فيه و لو كان بيتك ماقعدت علي وسادتك إلا يا ذنك ثم قلت إن أمير المؤمنين أرسلني إليك يأمرك بالرحيل إلى المدينة فقالت وأين أمير المؤمنين ذاك عمر فقلت عمر و علي قالت أبيت قلت أما والله ما كان أبوك إلا قصير المدء عظيم المشقة قليل المنفعة ظاهر الشؤم بين النكد و ماعسى أن يكون أبوك و الله ما كان أمرك إلا كحلب شاء حتى صرت لا تأمرين و لا تنهين و لا تأخذين و لا تعطين و ما كنت إلا كما قال أخو بني أسد مازال إهداء الصغائر بيننا || نث الحديث وكثرة الألقاب حتى نزلت كأن صوتك بينهم || في كل نائبة طنين ذباب . قال فبكت حتى سمع نحيبها من وراء الحجاب ثم قالت إني معجلة الرحيل إلى بلادي إن شاء الله تعالى و الله ما من بلد أبغض إلي من بلد أنتم فيه قلت و لم ذاك فو الله لقد جعلناك للمؤمنين أما وجعلنا أباك صديقا قالت يا ابن عباس أتمن علي برسول الله قلت ما لي لا أمن عليك بمن لو كان منك لمننت به علي . ثم أتيت عليا فأخبرته بقولها وقولي فسر بذلك و قال لي ذرية بعضها من بعض و الله سميع عليم و في رواية أنا كنت أعلم بك حيث بعثتك [صفحة ٢٣٠]

٨٠- و من كلام له ع

إشاره

أَيُّهَا النَّاسُ الزَّهَادَةُ قِصْرُ الْأَمَلِ وَ الشُّكْرُ عِنْدَ النَّعْمِ وَ التَّوَرُّعُ عِنْدَ الْمَحَارِمِ فَإِنْ عَزَبَ ذَلِكَ عَنْكُمْ فَلَا يَغْلِبِ الْحَرَامُ صَبْرَكُمْ وَ لَا تَنْسُوا عِنْدَ النَّعْمِ شُكْرَكُمْ فَقَدْ أَعَدَّ اللَّهُ إِلَيْكُمْ بِحُجَجٍ مُسْفِرَةٍ ظَاهِرَةٍ وَ كُتُبٍ بَارِزَةٍ الْعُدْرِ وَاضِحَةٍ فَسِرْعَ لَفْظِ الزَّهَادَةِ وَ هِيَ الزَّهْدُ بِثَلَاثَةِ أُمُورٍ وَ هِيَ قِصْرُ الْأَمَلِ وَ شُكْرُ النَّعْمَةِ وَ الْوَرَعُ عَنِ الْمَحَارِمِ فَقَالَ لَا يُسَمَّى الزَّاهِدَ زَاهِدًا حَتَّى يَسْتَكْمَلَ هَذِهِ الْأُمُورَ الثَّلَاثَةَ ثُمَّ قَالَ فَإِنْ عَزَبَ ذَلِكَ عَنْكُمْ أَى بَعْدَ فَاأَمْرَانِ مِنَ الثَّلَاثَةِ لِأَبَدٍ مِنْهُمَا وَ هُمَا الْوَرَعُ وَ شُكْرُ النَّعْمِ جَعَلَهُمَا آكِدًا وَ أَهَمَّ مِنْ قِصْرِ الْأَمَلِ . وَ اعْلَمْ أَنَّ الزَّهْدَ فِي الْعَرَفِ الْمَشْهُورِ هُوَ الْإِعْرَاضُ عَنِ مَتَاعِ الدُّنْيَا وَ طَيِّبَاتِهَا لَكِنَّهُ لِمَا كَانَتِ الْأُمُورَ الثَّلَاثَةَ طَرِيقًا مَوْطِئَةً إِلَى ذَلِكَ أَطْلُقُ لَفْظَ الزَّهْدِ عَلَيْهَا عَلَى وَجْهِ الْمَجَازِ . وَ قَوْلُهُ فَقَدْ أَعَذَرَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ أَى بِالْغِ يَقَالُ أَعَذَرَ فَلَانَ فِي الْأَمْرِ أَى بِالْغِ فِيهِ وَيُقَالُ ضَرَبَ فَلَانٌ فَلَانَ فَأَعَذَرَ أَى أَشْرَفَ عَلَى الْهَلَاكِ وَأَصْلُ اللَّفْظَةِ مِنَ الْعُدْرِ يَرِيدُ أَنَّهُ [صفحة ٢٣١] قد أوضح لكم بالحجج النيرة المشرفة ما يجب اجتنابه و

ما يجب فعله فإن خالفتم استوجبتم العقوبة فكان له في تعذيبكم العذر

الآثار والأخبار الواردة في الزهد

والآثار الواردة في الزهد كثيرة قال رسول الله ص أفلح الزاهد في الدنيا حظي بعز العاجلة وبثواب الآخرة -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-٧٨ و قال ص من أصبحت الدنيا همه وسدمه نزع الله الغنى من قلبه وصير الفقر بين عينيه و لم يأت من الدنيا إلا ما كتب له و من أصبحت الآخرة همه وسدمه نزع الله الفقر عن قلبه وصير الغنى بين عينيه وأتته الدنيا وهي راغمة -رواية- ١-٢-رواية- ١٣-٢٣١ و قال ع للضحاك بن سفيان ما طعامك قال اللحم واللبن قال ثم يصير إلى ماذا قال إلى ما علمت قال فإن الله ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلاً للدنيا -رواية- ١-١٥١ . و كان الفضيل بن عياض يقول لأصحابه إذا فرغ من حديثه انطلقوا حتى أريكم الدنيا فيجىء بهم إلى المزبلة فيقول انظروا إلى عنبهم وسمنهم ودجاجهم وبطهم صار إلى ماترون . و من الكلام المنسوب إلى المسيح ع الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها -رواية- ١-٢-رواية- ١-٢-رواية- ٧٤-٤٠-٧٤ سئل رسول الله ص عن قوله سبحانه فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ -رواية- ١-١-ادامه دارد [صفحہ ٢٣٢] يشرح صدره للإسلام فقال إذا دخل النور القلب انفسح فذلك شرح الصدر فليل ذلك علامة يعرف بها قال نعم الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله -رواية- از قبل- ١٩٤ قالوا أوحى الله تعالى إلى نبي من الأنبياء اتخذ الدنيا ظمرا واتخذ الآخرة أما -رواية- ١-٨١ . الشعبي ما أعلم لنا وللدنيا مثلاً إلا قول كثير أسئني بنا أو أحسنى لاملومه || لدينا ولا مقلية إن تقلت . بعض الصالحين المستغنى عن الدنيا بالدنيا كالمطفي النار بالتبن . و في بعض الكتب القديمة الإلهية قال الله للدنيا من خدمني فاخدميه و من خدمك فاستخدميه . دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم و عليه مدرعة من صوف فقال ما هذه فسكت فأعاد عليه السؤال فقال أكره أن أقول زهدا فأزكى نفسى أوفقرا فأشكو ربي . قيل في صفة الدنيا والآخرة هما كضرتين إن أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى . قيل لمحمد بن واسع إنك لترضى بالدون قال إنما رضى بالدون من رضى بالدنيا . خطب أعرابي كان عاملاً لجعفر بن سليمان على ضريبة يوم جمعة خطبه لم يسمع أوجز منها و لأفصح فقال إن الدنيا دار بلاغ و إن الآخرة دار قرار فخذوا من ممركم لمستقركم و لا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم وأخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم ففيها جثثم ولغيرها خلقتهم إن المرء إذا هلك قال الناس ماترك وقالت الملائكة ما قدم فله آثاركم قدموا بعضا يكن لكم [صفحہ ٢٣٣] و لا تؤخروا كلا فيكون عليكم أقول قولي هذا وأستغفر الله والمدعو له الخليفة ثم الأمير جعفر ونزل . أبو حازم الأعرج الدنيا كلها غموم فما كان فيها سرورا فهو ربح . محمد بن الحنفية من عزت عليه نفسه هانت عليه الدنيا . قيل لعلى بن الحسين ع من أعظم الناس خطرا قال من لم ير الدنيا لنفسه خطرا -رواية- ١-٨١ قال المسيح ع لأصحابه حب الدنيا رأس كل خطيئة واقتناء المال فيها داء عظيم قالوا له كيف ذلك قال لا يسلم صاحبه من البغي والكبر قيل فإن سلم منهما قال يشغله إصلاحه عن ذكر الله -رواية- ١-٢-رواية- ١-٢-٢٦-١٨٨ أشرف أبو الدرداء على أهل دمشق فقال يا أهل دمشق تبون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تأكلون وتأملون ما لا تدركون أين من كان قبلكم بنوا شديدا وأملوا بعيدا وجمعوا كثيرا فأصبحت مساكنهم قبورا وجمعهم بورا وأملهم غرورا . قال المأمون لو سئلت الدنيا عن نفسها لم تسطع أن تصف نفسها بأحسن من قول الشاعر إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت || له عن عدو في ثياب صديق و قال رجل يا رسول الله كيف لي أن أعلم أمري قال إذا أردت شيئا من أمور الدنيا فعسر عليك فاعلم أنك بخير و إذا أردت شيئا من أمر الدنيا فيسر لك فاعلم أنه شر لك -رواية- ١-١٧٠ قال رجل ليونس بن عبيد إن فلانا يعمل بعمل الحسن البصرى فقال و الله ما أعرف أحدا يقول بقوله فكيف يعمل بعمله قيل فصفه لنا قال كان إذا أقبل [صفحہ ٢٣٤] فكأنه أقبل من دفن حبيب و إذا جلس فكأنه

أسير أجلس لضرب عنقه و إذا ذكرت النار فكأنها لم تخلق إلا له . و قال بعض الصالحين لرجل يافلان هل أنت على حال أنت فيهما مستعد للموت قال لا قال فهل أنت عالم بأنك تنتقل إلى حال ترضى به قال لا قال أفتعلم بعد الموت دارا فيهما مستعب قال لا قال أفتأمن الموت أن يأتيك صباحا أو مساء قال لا قال أفيرضى بهذه الحال عاقل و قال أبو الدرداء أضحكنتي ثلاث و أبكتني ثلاث أضحكني مؤمل الدنيا و الموت يطلبه و غافل و ليس بمغفول عنه و ضاحك ملء فيه لا يدري أراض عنه الله أم ساخط و أبكاني فراق محمد و حزبه و أبكاني هول الموت و أبكاني هول الموقف يوم تبدو السرائر حين لا أدري أيؤخذ بي إلى جنة أم إلى نار . و كان عبد الله بن صغير يقول أتضحك و لعل أكفانك قد خرجت من عند القصار و كان يقال من أتى الذنب ضاحكا دخل النار باكيا . و كان مالك بن دينار يقول و ددت أن رزقي في حصاة أمصها حتى أبول فلقد اختلفت إلى الخلاء حتى استحيت من ربي . و قال رسول الله ص لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما ليس به بأس حذرا عما به البأس -رواية- ١-٢-رواية- ٢٥-١٠٦ و قال المسيح ع بحق أقول لكم إن من طلب الفردوس فخبز الشعير و النوم على المزابل مع الكلاب له كثير -رواية- ١-٢-رواية- ٢٠-١٠٩ . و أوصى ابن محرز رجلا فقال إن استطعت أن تعرف و لا تعرف و تسأل و لا تسأل و تمشى و لا يمشى إليك فافعل . [صفحہ ٢٣٥] و قال علي ع طوبى لمن عرف الناس و لم يعرفوه تعجلت له منيته و قل تراثه و فقد باكياته -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-٩٧ . و كان يقال في الجوع ثلاث خصال حياة للقلب و مذلّة للنفس و يورث العقل الدقيق من المعانى . و قال رجل لإبراهيم بن أدهم أريد أن تقبل منى دراهم قال إن كنت غنيا قبلتها منك و إن كنت فقيرا لم أقبلها قال فإني غنى قال كم تملك قال ألفى درهم قال أفسرك أن تكون أربعة آلاف قال نعم قال لست بغنى و دراهمك لا أقبلها . و كان أبو حازم الأعرج إذا نظر إلى الفاكهة في السوق قال موعذك الجنة إن شاء الله تعالى . و مر أبو حازم بالقصابين فقال له رجل منهم يا أبا حازم هذا سمين فاشتر منه قال ليس عندي دراهم قال أنا أنظرك قال فأفكر ساعة ثم قال أنا أنظر نفسي . نزل الحجاج في يوم حار على بعض المياه و دعا بالغداء و قال لحاجبه انظر من يتغدى معي و اجهد ألا يكون من أهل الدنيا فرأى الحاجب أعرايا نائما عليه شملة من شعر فضربه برجله و قال أجب الأمير فأتاه فدعاه الحجاج إلى الأكل فقال دعاني من هو خير من الأمير فأجبتة قال من هو قال الله دعاني إلى الصوم فصمت قال أ في هذا اليوم الحار قال نار جهنم أشد حرا قال أفطر و تصوم غدا قال إن ضمنت لى البقاء إلى غد قال ليس ذلك إلى قال فكيف أدع عاجلا - لآجل لا تقدر عليه قال إنه طعام طيب قال إنك لم تطيبه و لا الخباز ولكن العافية طيبته لك . و قال شبيب كنا سنة في طريق مكة فجاء أعرابي في يوم صائف شديد الحر [صفحہ ٢٣٦] و معه جارية سوداء و صحيفة فقال أفيكم كاتب قلنا نعم و حضر غداؤنا فقلنا له لودخلت فأصبت من طعامنا قال إني صائم قلنا الحر و شدته و جفاء البادية فقال إن الدنيا كانت و لم أكن فيها و ستكون و لا أكون فيها و ما أحب أن أغبن أمامي ثم نبذ إلينا الصحيفة فقال للكاتب اكتب و لا تزدد على ما أمليه عليك هذا ما اعتق عبد الله بن عقيل الكلبي أعتق جارية له سوداء اسمها لؤلؤة ابتغاء وجه الله و جواز العقبة و إنه لا سبيل له عليها إلا سبيل الولاية و المنة لله علينا و عليها واحدة . قال الأصمعي فحدث بذلك الرشيد فأمر أن يعتق عنه ألف نسمة و يكتب لهم هذا الكتاب . و قال خالد بن صفوان بت ليلتي هذه أتمنى فكبست البحر الأخضر بالذهب الأحمر فإذا الذى يلقانى من ذلك رغيفان و كوزان و طمران . و رأى رجل رجلا من ولد معاوية يعمل على بعير له فقال هذا بعد ما كنتم فيه من الدنيا قال رحمك الله يا ابن أخى ما فقدنا إلا الفضول . و قال الحسن يا ابن آدم إنما أنت أيام مجموعك كلما ذهب يوم ذهب بعضك . قال يونس الكاتب لوقيل بيت دريد فى زاهد كان به جديرا قليل التشكى للمصيبات ذاكر || من اليوم أعقاب الأحاديث فى غد . و قال الحسن ما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل . و قال رجل للفضيل بن عياض ما أعجب الأشياء قال قلب عرف الله ثم عصاه . قال و كيع ما أحسنت قط إلى أحد و لا أسأت إليه قيل كيف قال لأن الله تعالى قال إن أحسيتنم أحسيتنم لأنفسكم و إن أسأتنم فلها - قرآن - ٢٠٦-٢٦٤ [صفحہ ٢٣٧] و قال الحسن لرجل إن استطعت ألا تسيء إلى أحد ممن تحبه فافعل

قال الرجل يا أباسعيد أويسىء المرء إلى من يحبه قال نعم نفسك أحب النفوس إليك فإذا عصيت الله فقد أسأت إليها. و كان مالك بن دينار إذ امتنع نفسه شيئا من الشهوات قال اصبرى فوالله ما منعك إلا الكرامتك على . قام رسول الله ص الليل حتى تورمت قدماه فقيل له يا رسول الله أتفعل هذا وقد غفر الله ماتقدم من ذنبك و ماتأخر قال أ فلاأكون عبدا شكورا -روايت- ١- ١٤٨ . وقال عبد الله بن مسعود لا يكونن أحدكم جيفة ليله قطرب نهاره . و كان يقال من كثرت صلواته بالليل حسن وجهه بالنهار. و كان مالك بن دينار يقول فى قصصه ماأشد فطام الكبر وينشد أتروض عرسك بعد ماهرمت || و من العناء رياضة الهرم . و قال آخر إن كنت تؤمن بالقيامة || واجترأت على الخبيثة فلقد هلكت و إن || جحدت فذاك أعظم للبلية [صفحه ٢٣٨]

٨١- و من كلام له ع فى صفة الدنيا

مِا أَصِفُ مِنْ دَارٍ أَوْلُهَا عَنَاءٌ وَ آخِرُهَا فَنَاءٌ فِي حَلَالِهَا حِسَابٌ وَ فِي حَرَامِهَا عِقَابٌ مَنْ اسْتَعْنَى فِيهَا فِتْنٌ وَ مَنْ افْتَقَرَ فِيهَا حَزَنٌ وَ مَنْ سَاعَاها فَاتَتْهُ وَ مَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ وَ مَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصْرَتَهُ وَ مَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتُهُ قَالَ الرضى رحمه الله أقول و إذا تأمل المتأمل قوله ع و من أبصر بها بصيرته وجد تحته من المعنى العجيب والغرض البعيد ما لا يبلغ غايته و لا يدرك غوره لاسيما إذا قرن إليه قوله و من أبصر إليها أعمته فإنه يجد الفرق بين أبصر بها و أبصر إليها واضحا نيرا و عجيبا باهرا -روايت- ١- ٢٧٣ العناء التعب وساعاها جاراها سعيًا وواتته طاوعته . و نظر الرضى إلى قوله أولها عناء و آخرها فناء فقال وأولنا العناء إذا طلعتنا || إلى الدنيا و آخرنا الذهاب . [صفحه ٢٣٩] و نظر إلى قوله ع فى حلالها حساب و فى حرامها عقاب بعض الشعراء فقال الدهر يومان فيوم مضى || عنك بما فيه و يوم جديد حلال يوميك حساب و فى || حرام يوميك عذاب شديد تجمع ما يأكله وارث || و أنت فى القبر وحيد فريد إنى لغيرى واعظ تارك || نفسى وقولى من فعلى بعيد حلاوة الدنيا ولذاتها || تكلف العاقل ما لا يريد . و من المعنى أيضا قول بعضهم حلالها حسرة تفضى إلى ندم || و فى المحارم منها الغنم منزور . و نظر الحسن البصرى إلى قوله ع من استغنى فيها فتن و من افتقر فيها حزن فقال و قد جاءه إنسان يبشره بمولود له ذكر ليهنك الفارس يا أباسعيد فقال بل الراجل ثم قال لا مرحبا بمن إن كان غنيا فتننى و إن كان فقيرا أحزننى و إن عاش كدنى و إن مات هدى ثم لأرضى بسعى له سعيًا و لا بكدحى له كدحا حتى أهتم بما يصيبه بعدموتى و أنا فى حال لا ينالنى بمساءته حزن و لا بسروره جذل . و نظر ابن المعتز إلى قوله ع من ساعاها فاتته و من قعد عنها واتته فقال الدنيا كظلك كلما طلبته زاد منك بعدا . و نظرت إلى قوله ع و من أبصر بها بصيرته و من أبصر إليها أعمته فقلت دنياك مثل الشمس تدنى إليك || الضوء لكن دعوة المهلك إن أنت أبصرت إلى نورها || تعش و إن تبصر به تدرك . [صفحه ٢٤٠] فإن قلت المسموع أبصرت زيدا و لم يسمع أبصرت إلى زيد قلت يجوز أن يكون قوله ع و من أبصر إليها أى و من أبصر متوجها إليها كقوله فى تسع آياتٍ إلى فرعون و لم يقل مرسلا ويجوز أن يكون أقام ذلك مقام قوله نظر إليها لما كان مثله كما قالوا فى دخلت البيت و دخلت إلى البيت أجروه مجرى ولجت إلى البيت لما كان نظيره قرآن- ١٣٥- ١٦٣ [صفحه ٢٤١]

٨٢- و من خطبة له ع وتسمى بالغراء

وهي من الخطب العجيبة الحمد لله الذي علما بحوله ودنا بطوله مانح كل غنيمته وفضل و كاشف كل عظيمته و أزل أحمدته على عواطف كرمه و سوايح نعمه و أومن به أولا باديا و أستهديه قريبا هاديا و أستعينه قاهرا قادرا و أتوكل عليه كافيا ناصرا و أشهد أن محمدا عبده و رسوله أرسله لإنفاذ أمره و إنهاء عذره و تقديم نذره الحول القوة والطول الإفضال والمانح المعطي والأزل بفتح الهمزة الضيق والحبس والعواطف جمع عاطفه وهي ما يعطفك على الغير ويدنيه من معروفك والسوايح التوام الكوامل سبغ الظل إذا عم وشمل . وأولا هاهنا منصوب على الظرفية كأنه قال قبل كل شيء والأول نقيض الآخر أصله أوئل على أفعل مهموز الوسط قلبت الهمزة واوا وأدغم يدل على ذلك قولهم هذا أول منك والإتيان بحرف الجر دليل على أنه أفعل كقولهم هذا أفضل منك وجمعه على أوائل وأوال أيضا على القلب و قال قوم أصله وول على فوعل فقلبت الواو الأولى همزة وإنما لم يجمع على ووال لاستثقالهم اجتماع الواوين وبينهما ألف الجمع . [صفحہ ۲۴۲] و إذا جعلت الأول صفة لم تصرفه تقول لقيته عاما أول لاجتماع وزن الفعل وتقول مارأيت مذ عام أول كلاهما بغير تنوين فمن رفع جعله صفة لعام كأنه قال أول من عامنا و من نصب جعله كالظرف كأنه قال مذ عام قبل عامنا فإن قلت ابدأ بهذا أول ضمته على الغاية . والإنهاء الإبلاغ أنهيت إليه الخبر فأنتهى أى بلغ والمعنى أن الله تعالى أعذر إلى خلقه وأنذرهم فإعذاره إليهم أن عرفهم بالحجج العقلية والسمعية أنهم إن عصوه استحقوا العقاب فأوضح عذره لهم فى عقوبته إياهم على عصيانه وإنذاره لهم تخويفه إياهم من عقابه و قد نظر البحتري إلى معنى قوله ع علا بحوله ودنا بطوله فقال دنوت تواضعا وعلوت قدرا || فشأنك انخفاض وارتفاع كذاك الشمس تبعد أن تسامى || ويدنو النور منها والشعاع . و فى هذا الفصل ضروب من البديع فمنها أن دنا فى مقابلة علا لفظا ومعنى وكذلك حوله وطوله . فإن قلت لاريب فى تقابل دنا وعلا من حيث المعنى واللفظ و أماحوله وطوله فإنهما يتناسبان لفظا وليسا متقابلين معنى لأنهما ليسا ضدین كما فى العلو والدنو . قلت بل فيهما معنى التضاد لأن الحول هو القوة وهى مشعرة بالسطوة والقهر و منه منشأ الانتقام والطول الإفضال والتكرم و هو نقيض الانتقام والبطش . فإن قلت أنت وأصحابك لا تقولون إن الله تعالى قادر بقدره و هو عندكم قادر [صفحہ ۲۴۳] لذاته فكيف تتأولون قوله ع الذى علا بحوله أليس فى هذا إثبات قدرة له زائدة على ذاته و هذا يخالف مذهبكم . قلت إن أصحابنا لا يمتنعون من إطلاق قولهم إن لله قوة وقدره وحولا وحاش لله أن يذهب ذاهب منهم إلى منع ذلك ولكنهم يطلقونه ويعنون به حقيقته العرفية وهى كون الله تعالى قويا قادرا كما تقول نحن والمخالف إن لله وجودا وبقاء وقدماء ولانعى بذلك أن وجوده أوبقاءه أوقدمه معان زائدة على نفسه لكننا نعنى كلنا بإطلاق هذه الألفاظ عليه كونه موجودا أواباقيا أوقديما و هذا هو العرف المستعمل فى قول الناس لاقوة لى على ذلك و لاقدره لى على فلان لا يعنون نفى المعنى بل يعنون كون الإنسان قادرا قويا على ذلك . ومنها أن مانحا فى وزن كاشف و غنيمه بإزاء عظيمه فى اللفظ وضدها فى المعنى وكذلك فضل وأزل . ومنها أن عواطف بإزاء سوايح ونعمه بإزاء كرمه . ومنها و هو أطف ما يستعمله أرباب هذا الصناعة أنه جعل قريبا هاديا مع قوله أستهديه لأن الدليل القريب منك أجدر بأن يهديك من البعيد النازح و لم يجعله مع قوله وأستعينه وجعل مع الاستعانة قاهرا قادرا لأن القادر القاهر يليق أن يستعان ويستنجد به و لم يجعله قادرا قاهرا مع التوكل عليه وجعل مع التوكل كافيا ناصرا لأن الكافى الناصر أهل لأن يتوكل عليه . و هذه اللطائف والدقائق من معجزاته ع التى فات بها البلغاء وأخرس الفصحاء [صفحہ ۲۴۴] أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذى ضرب لكم الأمثال و وقت لكم الآجال و ألبسكم الرياش و أرفع لكم المعاش و أحاط بكم الإحصاء و أرسد لكم الجزاء و آثركم بالنعم السوايح و الرّفد الزوافغ و أنذركم بالحجج البوالغ فأحصاكم عِدداً و وظّف لكم مِدداً فى قرارِ حَبْرَةٍ و دارِ عِبْرَةٍ أنتم مُخْتَبِرُونَ فِيهَا و مُحَاسِبُونَ عَلَيْهَا وقت وأقت بمعنى أى جعل الآجال لوقت مقدر . والرياش والريش واحد و هو اللباس قال تعالى يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَ رِيشًا . وقرئ ورياشا ويقال الرياش الخصب والغنى و منه ارتاش فلان حسنت حاله و يكون لفظ ألبسكم مجازا إن فسر بذلك . و أرفع لكم المعاش أى جعله رفيغا أى واسعا مخصبا يقال رفع

بالضم عيشه رفاعه اتسع فهو رافع ورتفع الرجل و هو فى رفاعيه من العيش مخففا مثل رفاعيه وثمانيه. و قوله وأحاط بكم الإحصاء يمكن أن ينصب الإحصاء على أنه مصدر فيه اللام والعامل فيه غيرلفظه كقوله يعجبه السخون ثم قال حبا و ليس - قرآن- ٩٢-١١٩ [صفحه ٢٤٥] دخول اللام بمانع من ذلك تقول ضربته الضربه كما تقول ضربته ضربا ويجوز أن ينصب بأنه مفعول به و يكون ذلك على وجهين . أحدهما أن يكون من حاط ثلاثيا تقول حاط فلان كرمه أى جعل عليه حائطا فكأنه جعل الإحصاء والعد كالحائط المدار عليهم لأنهم لا يبعدون منه ولا يخرجون عنه . والثانى أن يكون من حاط الحمار عانته يحوطها بالواو أى جمعها فأدخل الهمزة كأنه جعل الإحصاء يحوطهم ويجمعهم تقول ضربت زيدا وأضربته أى جعلته ذا ضرب فلذلك كأنه جعل ع الإحصاء ذا تحويط عليهم بالاعتبار الأول أوجعله ذا جمع لهم بالاعتبار الثانى. ويمكن فيه وجه آخر و هو أن يكون الإحصاء مفعولا- له و يكون فى الكلام محذوف تقديره وأحاط بكم حفظته وملائكته للإحصاء ودخول اللام فى المفعول له كثير كقوله والهول من تهول الهبور . قوله وأرصد يعنى أعد و فى الحديث إلا أن أرصده لدين على . وآثركم من الإيثار وأصله أن تقدم غيرك على نفسك فى منفعه أنت قادر على الاختصاص بها و هو فى هذاالموضع مجاز مستحسن . والرصد جمع رفة مثل كسرة وكسر وفدره وفدر والرفة والرصد واحد وهى العطيءة والصلة ورفدت فلانا رفدا بالفتح والمضارع أرفده بكسر الفاء ويجوز أرفدته بالهمزة. والروافع الواسعة والحجج البوالغ الظاهرة المبينة قال سبحانه فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ. -قرآن- ٤٠٦-٤٣٣ [صفحه ٢٤٦] ووظف لكم مددا أى قدر و منه وظيفة الطعام . وقرار خبره بكسر الخاء أى دار بلاء واختبار تقول خبرت زيدا أخبره خبره بالخبر بالضم وخبره بالكسر إذابلوته واختبرته و منه قولهم صغر الخبر الخبر. ودار عبرة أى دار اعتبار واتعاظ والضمير فى فيها وعليها ليس واحدا فإنه فى فيها يرجع إلى الدار و فى عليها يرجع إلى النعم والرصد ويجوز أن يكون الضمير فى عليها عائدا إلى الدار على حذف المضاف أى على سكانها فإن الدنيا رنق مشربها رديغ مشرعها يوبق منظرها و يوبق مخبرها غرور حائل و ضوء آفتل و ظل زائل و سناد مائل حتى إذا أنس نافرها و اطمأن ناكرها قمصت بأرجلها و قنصت بأحليلها و أقصدت بأسهمها و أعلقت المرء أوهاق المتيئة قائدة له إلى ضنك المضجع و وحشه المرجع و معانيته المحل و ثواب العمل. و كذلك الخلف بعقب السيلف لا تقلع المتيئة اختراما و لا يروعى الباقون اجتراما يحتيدون مثلا و يمضون أسالا إلى غايه الانتهاء و صيور الفناء يقال عيش رنق بكسر النون أى كدر وماء رنق بالتسكين أى كدر والرنق بفتح النون مصدر قولك رنق الماء بالكسر ورنقته أناترينقا أى كدرته والرواية [صفحه ٢٤٧] المشهورة فى هذاالفصل رنق مشربها بالكسر أقامه مقام قولهم عيش رنق و من رواه رنق مشربها بالسكون وهم الأفلون أجرى اللفظ على حقيقته . ويقال مشرع رديغ ذو طين ووحل روى الرديغ بالتحريك ويجوز تسكين الدال والجمع رداغ وردغ . ويوبق منظرها يعجب الناظر آنقنى الشىء أعجبني ويوبق مخبرها يهلك وبق الرجل يبق وبقوا هلك والموبق مفعول منه كالموعد مفعول من وعد يعد و منه قوله سبحانه و جعلنا بينهم موبقا و قد جاء وبق يبق بالكسر فيهما و هونادر كورث يرث وجاء أيضا وبق يوبق وبقا. والغرور بضم الغين ما يغتر به من متاع الدنيا والغرور بالفتح الشيطان والحائل الزائل والأفل الغائب أفل غاب يأفل ويأفل أفولا. والسناد دعامة يسند بهاالسقف وناكرها فاعل من نكرت كذا أى أنكرته . وقمصت بأرجلها قمص الفرس وغيره يقمص و يقمص قمصا و قماصا أى استن و هو أن يرفع يديه ويطرحهما معا ويعجن برجليه و فى المثل المضروب لمن ذل بعدعزة مالعير من قماص . وجمع فقال بأرجلها وإنما للدابة رجلا ن إما لأن المثنى قد يطلق عليه صيغة الجمع كما فى قولهم امرأة ذات أوراك و ماكم وهما وركان وإما لأنه أجرى اليدين والرجلين مجرى واحد فسامها كلها أرجلا و من رواه بالحاء فهو جمع رحل الناقة. وأقصدت قتلت مكانها من غير تأخير. -قرآن- ٣٩٩-٤٢٦ [صفحه ٢٤٨] والأوهاق جمع وهق بالتحريك و هو الحبل و قد يسكن مثل نهر ونهر وأعلقت المرء الأوهاق جعلت الأوهاق عالقة به والضمنك الضيق . والمضجع المصدر أوالمكان والفعل ضجع الرجل جنبه بالأرض بالفتح يضجع ضجوعا وضجعا فهو ضاجع ومثله أضجع .

والمرجع مصدر رجح و منه قوله تعالى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ و هو شاذ لأن المصادر من فعل يفعل بكسر العين إنما يكون بالفتح . قوله ومعانيه المحل أى الموضوع الذى يحل به المكلف بعد الموت و لابد لكل مكلف أن يعلم عقيب الموت مصيره أما إلى جنه و أما إلى نار. و قوله ثواب العمل يريد جزاء العمل ومراده الجزاء الأعم الشامل للسعادة والشقاوة لالجزء الأخص الذى هو جزاء الطاعة وسمى الأعم ثوابا على أصل الحقيقة اللغوية لأن الثواب فى اللغة الجزاء يقال قد أثنى فلان الشاعر لقصيدته كذا أى جازاه . و قوله وكذلك الخلف بعقب السلف الخلف المتأخرون و السلف المتقدمون وعقب هاهنا بالتسكين و هو بمعنى بعد جئت بعقب فلان أى بعده وأصله جرى الفرس بعد جريه يقال لهذا الفرس عقب حسن و قال ابن السكيت يقال جئت فى عقب شهر كذا بالضم إذا جئت بعد ما يمضى كله وجئت فى عقب بكسر القاف إذا جئت و قد بقيت منه بقيه و قد روى يعقب السلف أى يتبع . و قوله لا تقلع المنية أى لا تكف والاخترام إذهاب الأنفس واستئصالها. -قرآن- ٢٧٨-٣٠٥ [صفحہ ٢٤٩] و ارعوى كف عن الأمر وأصل فعله الماضى رعى يرعى أى كف عن الأمر وفلان حسن الرعوه والرعوه والرعوه والرعوى والارعواء والاخترام افتعال من الجرم و هو الذنب ومثله الجريمة يقال جرم وأجرم بمعنى . قوله يحتذون مثالا أى يقتدون وأصله من حذوت النعل بالنعل حذوا إذا قدرت كل واحدة على صاحبها. قوله ويمضون أرسالا بفتح الهمزة جمع رسل بفتح السين و هو القطيع من الإبل أو الغنم يقال جاءت الخيل أرسالا أى قطيعا قطيعا. و صيور الأمر آخره و ما يثول إليه حتى إذا تَصَيَّرَتِ الْأُمُورُ وَ تَقَضَّتِ الدَّهْرُ وَ أَرَفَ النَّشُورُ أَخْرَجَهُمْ مِنْ ضَرَائِحِ الْقُبُورِ وَ أَوَكَرِ الطَّيُورِ وَ أَوْجَرَهُ السِّبَاعِ وَ مَطَارِحِ الْمَهَالِكِ سِرَاعًا إِلَىٰ أَمْرِ مَهْطِعِينَ إِلَىٰ مَعَادِهِ رَعِيلاً صَبِيحًا قِيَامًا صَبِيحًا فَيُنْفِذُهُمُ الْبَصِيرُ وَ يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِيَ عَلَيْهِمْ لَبُوسِ الْإِسْتِكَانَةِ وَ ضَرَعِ الْإِسْتِسْلَامِ وَ الدَّلَّةِ قَدْ ضَلَّتِ الْحَيْلُ وَ انْقَطَعَ الْأَمَلُ وَ هَوَتْ الْأَفْنِدَةُ كَاظِمَةً وَ خَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ مَهِينَةً وَ أَلْجَمَ الْعَرَقُ وَ عَظُمَ الشَّقَقُ وَ أُرْعِدَتِ الْأَسْمَاعُ لِزَبْرَةِ الدَّاعِي إِلَىٰ فَصْلِ الْخِطَابِ وَ مُقَايَضَةِ الْجَزَاءِ وَ نَكَالِ الْعِقَابِ وَ نَوَالِ الثَّوَابِ [صفحہ ٢٥٠] تصرمت الأمور تقطعت ومثله تقضت الدهور وأزف قرب ودنا يأزف أزفا و منه قوله تعالى أَرَفَتِ الْآرِزَةَ أى القيامة الفاعل آرف . والضرائح جمع ضريح و هو الشق فى وسط القبر واللحد ما كان فى جانب القبر وضرحت وضرحا إذا حفرت الضريح . والأوكر جمع وكر يفتح الواو و هو عش الطائر وجمع الكثرة وكور وكر الطائر يكر وكرا أى دخل وكره والوكن بالفتح مثل الوكر أى العش . وأوجره السباع جمع وجر بكسر الواو ويجوز فتحها و هو بيت السبع والضبع ونحوهما. مهطعين مسرعين والرعى القطعة من الخيل . قوله ع ينفذهم البصر ويسمعهم الداعى أى هم مع كثرتهم لا يخفى منهم أحد عن إدراك البارئ سبحانه وهم مع هذه الكثرة أيضا لا يبقى منهم أحد إلا إذا دعا داعى الموت سمع دعاءه ونداءه . واللبوس بفتح اللام ما يلبس قال -قرآن- ٨٨-١٠٥ البس لكل حالة لبوسها || إما نعيمها وإما بوسها . و منه قوله تعالى وَ عَلَّمْنَاهُ صَبِيحَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ يَعْنِي الدَّرُوعَ . والاستكانة الخضوع والضرع الخضوع والضعف ضرع الرجل يضرع وأضرعه غيره . وكاظمته ساكنة كظم يكظم كظوما أى سكت وقوم كظم أى ساكتون . - قرآن- ٢٢-٥٥ [صفحہ ٢٥١] ومهينمة ذات هينمة وهى الصوت الخفى وألجم العرق صار لجاما و فى الحديث إن العرق ليجرى منهم حتى إن منهم من يبلغ ركبتيه ومنهم من يبلغ صدره ومنهم من يبلغ عنقه ومنهم من يلجمه وهم أعظمهم مشقة -رواية- ١-٢-رواية- ١٦-١٥٠ . و قال لى قائل ما أرى لقوله ع المؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-٥٣ كثير فائدة لأن طول العنق جدا ليس مما يرغب فى مثله فذكرت له الخبر الوارد فى العرق و قلت إذا كان الإنسان شديد طول العنق كان عن إجمام العرق أبعد فظهرت فائدة الخبر. ويروى وأنجم العرق أى كثر ودام . والشقق والشفقة بمعنى و هو الاسم من الإشفاق و هو الخوف والحذر قال الشاعر تهوى حياتى وأهوى موتها شققا || والموت أكرم نزال على الحرم . وأرعدت الأسماع عرتها الرعدة وزبرة الداعى صدته و لا يقال الصوت زبرة إلا إذا خالطه زجر وانتهار زبرته أزبره بالضم . و قوله إلى فصل الخطاب إلى هاهنا يتعلق بالداعى وفصل الخطاب بت الحكومه التى بين الله و بين عباده فى الموقف رزقنا الله المسامحة فيها بمنه وإنما

إذ ابال أحدكم فليرتد لبوله -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۶-۴۶ أى فليطلب مكانا لنا أو منحدرًا والرائد الذى يرسله القوم فى طلب الكلاب- و فى المثل الرائد لا يكذب أهله والأناة التؤدة والانتظار مثل القناة. وتأنى فى الأمر ترفق واستأنى فلان بفلان أى انتظر به وجاء الأناة بالفتح والمد على فعال قال الحطيئة وأكرت العشاء إلى سهيل || أو الشعرى فطال بى الأناة . والمقتبس متعلم العلم هاهنا ولا بد له من أناة ومهل ليلبغ حاجته فضررب مثلا وجاء [صفحہ ۲۵۵] فى بعض الروايات ومقبوضون اختصارا بالخاء المعجمة و هو موت الشاب غضا أخضر أى مات شابا و كان فتیان يقولون لشيخ أجززت يا أبافلان فيقول أى بنى وتختضرون أجز الحشيش آن أن يجز و منه قيل للشيخ كاد يموت قد أجز والرواية الأولى أحسن لأنها أعم . و فى رواية لمضمار الخيار أى للمضمار الذى يستبق فيه الأبرار الأتقياء إلى رضوان الله سبحانه فيا لها أمثالا صائبة و موعظ شافية لو صادفت قلوبا زاكية و أسماعا واعية و آراء عازمة و ألبابا حازمة فاتقوا الله تقيته من سيمع فخشع و اقترف فاعترف و وجل فعمل و حاذر فبادر و أيقن فأحسن و عبر فاعتبر و حذر فحذر و زجر فازدجر و أجاب فأناب و راجع فتاب و اقتدى فاحتدى و أرى فرأى فأسرع طالبا و نجا هاربا فأفاد ذخيرة و أطاب سيريرة و عمّر معادا و استظهر زادا ليوم رحيله و وجه سبيله و حال حاجته و موطن فاقته و قدم أمانه إدار مقامه فاتقوا الله عباد الله جهة ما خلقكم له و احذروا منه كنه ما حذركم من نفسه و استحقوا منه ما أعد لكم بالتنجز لصديق ميعاده و الحذر من هول معاده صائبة غير عادلة عن الصواب صاب السهم يصوب صوبه أى قصد و لم يجر [صفحہ ۲۵۶] و صاب السهم القرطاس يصيبه صبيا لغة فى أصابه و فى المثل مع الخواطى سهم صائب . و شافية تبرئ من مرض الجهل والهوى والقلوب الزاكية الطاهرة والأسماع الواعية الحافظة والآراء العازمة ذات العزم والألباب العقول والحازمة ذات الحزم والحزم ضبط الرجل أمره . و خشع الرجل أى خضع واقترف اكتسب ومثله قرف يقرف بالكسر يقال هو يقرف لعياله أى يكسب . و وجل الرجل خاف و جلا بفتح الجيم ومستقبله يوجل ويأجل ويوجل ويكسر الياء المضارعة . و بادر سارع و عبر أى أرى العبر مرارا كثيرة لأن التشديد هاهنا دليل التكثر. فاعتبر أى فاتعظ والزجر النهى والمنع زجر أى منع و ازدجر مطاوع ازدجر اللفظ فيهما واحد تقول ازدجرت زيدا عن كذا فازدجر هو و هذا غريب وإنما جاء مطاوع ازدجر فى زجر لأنهما كالشئ الواحد و فى بعض الروايات ازدجر فازدجر فلا يحتاج مع هذه الرواية إلى تأويل . و أناب الرجل إلى الله أى أقبل و تاب و اقتدى بزید فعل مثل فعله و احتدى مثله . قوله ع فأفاد ذخيرة أى فاستفاد و هو من الأضداد أفدت المال زيدا أعطيته إياه وأفدت أنامالا أى استفدته واكتسبته . قوله ع فاتقوا الله عباد الله جهة ما خلقكم له نصب جهة بفعل مقدر تقديره واقصدوا جهة ما خلقكم له يعنى العبادة لأنه تعالى قال و ما خلقت الجن و الإنس إلا ليعبدون فحذف الفعل واستغنى عنه بقوله فاتقوا لله لأن التقوى -قرآن- ۱۱۱۳-۱۱۶۲-قرآن- ۱۱۹۵- ۱۲۱۰ [صفحہ ۲۵۷] ملازمة لقصد المكلف العبادة فدلّت عليه واستغنى بها عن إظهاره . والكنه الغاية والنهاية تقول أعرفه كنه المعرفة أى نهايتها. ثم قال ع واستحقوا منه ما أعد لكم أى اجعلوا أنفسكم مستحقين لثوابه الذى أعد لكم إن أطعتم . والباء فى بالتنجز متعلق باستحقوا ويقال فلان يتنجز الحاجة أى يستنجحها ويطلب تعجلها والناجز العاجل يقال ناجزا بناجز كقولك يدا بيد أى تعجلا بتعجيل والتنجز من المكلفين بصدق ميعاد القديم سبحانه و هو مواظبتهم على فعل الواجب وتجنب القبيح و والحذر مجرور بالعطف على التنجز لا على الصدق لأنه لا معنى له و منها جعل لكم أسماعا لتعي ما عناها و أبصارا لتجلو عن عشاها و أشلاء جامعية لأعضائها ملائمة لأحناؤها فى تركيب صورها و مديد عمرها بأبدان قائمة بأرقاقها و قلوب رائدة لأرزاقها فى مجللات نعمه و موجبات مننه و حواجز عافيته و قدر لكم أعمارا سترها عنكم و خلف لكم عبرا من آثار الماضين قبلكم من مستمتع خلقهم و مستفسح حناقيهم أرهقتهم المنايا دون الآمال و شدّبهم عنها تحزّم الآجال لم يمهّدوا فى سلامه الأبدان و لم يعتبروا فى أنف الأوان [صفحہ ۲۵۸] قوله لتعى ما عاناها أى لتحفظ وتفهم ما أهمها و منه الأثر المرفوع من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۴-۶۴ . و لتجلو أى لتكشف . و عن هاهنا زائدة ويجوز أن تكون بمعنى بعد كما قال لقحت حرب وائل

عن حيال . أى بعد حيال فيكون قد حذف المفعول وحذفه جائز لأنه فضله و يكون التقدير لتجلو الأذى بعد عشاها والعشى مقصور مصدر عشى بكسر الشين يعشى فهو عش إذا أبصر نهارا و لم يبصر ليلا. والأشلاء جمع شلو و هو العضو. فإن قلت فأى معنى فى قوله أعضاء تجمع أعضاءها وكيف يجمع الشىء نفسه قلت أراد ع بالأشلاء هاهنا الأعضاء الظاهرة وبالأعضاء الجوارح الباطنة و لا يرب أن الأعضاء الظاهرة تجمع الأعضاء الباطنة وتضمها والملاءمة الموافقة والأحناء الجوانب والجهات ووجه الموافقة والملاءمة أن كون اليد فى الجانب أولى من كونها فى الرأس أو فى أسفل القدم لأنها إذا كانت فى الجانب كان البطش وتناول ما يراود ودفع ما يؤذى أسهل وكذلك القول فى جعل العين فى الموضع الذى جعلت به لأنها كديديبان السفينة البحرية و لو جعلت فى أم الرأس لم ينتفع بها هذا الحد من الانتفاع الآن و إذا تأملت سائر أدوات الجسد وأعضائه وجدتها كذلك . [صفحہ ۲۵۹] ثم قال فى تركيب صورها كأنه قال مركبة أو مصورة فأتى بلفظه فى كما تقول ركب بسلاحه و فى سلاحه أى متسححا. و قوله بأرفاقها أى بمنافعها جمع رفق بكسر الراء مثل حمل وأحمال وأرقت فلانا أى نفعته والمرفق من الأمر ما ارتفعت به وانتفعت ويروى بأرفاقها والرمق بقية الروح . ورائدة طالبة ومجلات النعم تجلل الناس أى تعمهم من قولهم سحاب مجلل أى يطبق الأرض و هذا من باب إضافة الصفة إلى الموصوف كقولك أنا فى ساينغ ظلك وعميم فضلك كأنه قال فى نعمه المجللة وكذلك القول فى موجبات مننه أى فى مننه التى توجب الشكر. و فى هاهنا متعلقة بمحذوف والموضع نصب على الحال . ثم قال وحواجر عافيته الحواجر الموانع أى فى عافية تحجز وتمنع عنكم المضار. ويروى وحواجر بليته و قدفسر قوله حواجر عافيته على أن يراد به ما يحجز العافية ويمنعها عن الزوال والعدم . قوله ع من مستمتع خلاقهم الخلاق النصيب قال تعالى وَ مَا لَهُ فِى الآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ و قال تعالى فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وتقدير الكلام خلف لكم عبرا من القرون السالفة منها تمتعهم بنصيبيهم من الدنيا ثم فناؤهم ومنها فسحة خناقهم وطول إمهالهم ثم كانت عاقبتهم الهلكة. وأرهقتهم المنايا أدركتهم مسرعة. -قرآن- ۸۳۵-۸۶۹-قرآن- ۸۸۴-۹۵۸ [صفحہ ۲۶۰] والمرهق الذى أدرك ليقتل وشذبهم عنها قطعهم وفرقهم من تشذيب الشجرة و هو تقشيرها. وتخرمت زيدا المنية استأصلته واقتطعته . ثم قال لم يمهدوا فى سلامة الأبدان أى لم يمهدوا لأنفسهم من تمهيد الأمور و هو تسويتها وإصلاحها. وأنف الأوان أوله يقال روضة أنف لم ترع قبل وكأس أنف لم يشرب بهاقبل فهل ينتظر أهل بضاضة الشباب إلا حوانى الهرم و أهل غصارة الصيحة إلا نوازل السقم و أهل مدة البقاء إلا آونة الفناء مع قرب الزيال و أزوف الانتقال و علز القلق و ألم المصض و غصص الجرض و تلقت الاستغائنة بنصرة الحفدة و الأقرباء و الأعزة و القرناء فهل دفعت الأقارب أو نفعت التواجب و قد غودر فى محللة الأموات رهينا و فى ضيق المصجع وحيدا قد هتكت الهوام جلدته و أبلت التواهيك جدته و عفت العواصف آثاره و مخا الحدثان معالمة و صارت الأجساد شجبة بعد بضيتها و العظام نخزة بعد قوتها و الأرواح مرتهنة بثقل أعباؤها موفنة بغيب أبنائها لا تسترأد من صالح عملها و لا تستعتب من سيئ زللها [صفحہ ۲۶۱] البضاضة مصدر من بوضت يا رجل بوضت بالفتح والكسر بضاضة وبوضه و رجل بض أى ممتلى البدن رقيق الجلد وامرأة بضة. و حوانى الهرم جمع حانية وهى العلة التى تحنى شطاط الجسد وتميله عن الاستقامة. والهرم الكبر والغضارة طيب العيش و منه المثل أباد الله غضراءهم أى خيرهم وخصبهم . و آونة الفناء جمع أوان و هو الحين كزمان وأزمته وفلان يصنع ذلك الأمر آونة كقولك تارات أى يصنعه مرارا ويدعه مرارا. والزيال مصدر زايله مزايلة وزياالا أى فارقه . والأزوف مصدر أرف أى دنا. والعلز قلق وخفة وهلع يصيب الإنسان و قد علز بالكسر وبات علزا أى وجعا قلعا والمضض الوجع أمضنى الجرح ومضنى لغتان و قدمضت يا رجل بالكسر. والغصص جمع غصة وهى الشجا والغصص بالفتح مصدر قولك غصصت يا رجل تغص بالطعام فأنت غاص وغصان وأغصصته أنا. والجريض الريق يغص به جرض بريقه بالفتح يجرض بالكسر مثل كسر يكسر و هو أن يبلع ريقه على هم وحزن بالجهد والجريض الغصة و فى المثل حال [صفحہ ۲۶۲] الجريض دون القريض وفلان يجرض

بنفسه إذا كان يموت وأجرضه الله بريقه أغصه . والحفدة الأعوان والخدم وقيل ولد الولد واحدهم حافد والباء فى بنصره الحفدة متعلق بالاستعانة يقول إن الميت عند نزول الأمر به يتلفت مستغيثا بنصره أهله وولده أى يستنصر يستصرخ بهم . والنواح جمع ناحية وهى الرافعة صوتها بالبكاء ويروى النوادب . والهوام جمع هامة وهى ما يخاف ضرره من الأحناس كالعقارب والعناكب ونحوها والنواهك جمع ناهكة وهى ما ينهك البدن أى يبليه . وعفت درست ويروى بالتشديد وشحبه هالكه والشحبه الهلاك شحبت الرجل بالكسر يشحب وجاء شحبت بالفتح يشحب بالضم أى هلك وشحبه الله يشحبه يتعدى ولا يتعدى . ونخرة بالية والأعباء الأثقال واحدها عبء . وقال موقنة بغيث أنبائها لأن الميت يعلم بعدموته ما يصير إليه حاله من جنه أوار . ثم قال إنها لا تكلف بعد ذلك زيادة فى العمل الصالح ولا يطلب منها التوبة من العمل القبيح لأن التكليف قد بطل أ و لستم أبناء القوم و الآياء و إخوانهم و الأقرباء تحثذون أمثلتهم و تركبون قدتهم و تطئون حادتهم فالقلوب قاسية عن حظها لاهية عن رُشدِها [صفحہ ۲۶۳] سأل كة فى غير مضمارها كأن المعنى سواها و كأن الرشد فى إحراز دنيها القدة بالبدال المهملة وبكسر القاف الطريقة ويقال لكل فرقة من الناس إذا كانت ذات هوى على حدة قدة ومنه قوله تعالى كنا طرائق قدداً و من رواه ويركبون قذتهم بالبدال المعجمة وضم القاف أراد الواحد من قذذ السهم وهى ريشة يقال حذو القذة بالقذة ويكون معنى وتركبون قذتهم تفتنون آثارهم وتشابهون بهم فى أفعالهم . ثم قال وتطئون جادتهم وهذه لفظة فصيحة جدا . ثم ذكر قساوة القلوب وضلالها عن رشدها وقال كأن المعنى سواها - قرآن - ۱۲۲ - ۱۴۳ هذامثل قول النبى ص كأن الموت فيها على غيرنا كتب وكأن الحق فيها على غيرنا وجب - روایت - ۱ - ۲ - روایت - ۲۶ - ۹۰ و اعلموا أن مجازكم على الصراط و مزالقي دحضه و أهو ويل زلله و تازات أهواله فاتقوا الله عباد الله تقيته ذى لب شغل التفكير قلبه و أنصب الخوف يده و أسهر التهجد غرار نومه و أظما الرجاء هواجز يومه و ظلف الزهد شهواته [صفحہ ۲۶۴] و أوجف الذكر بلسانه و قدم الخوف لأمانه و تنكب المخالغ عن وضح السبيل و سلك أقصد المسالك إلى النهج المطلوب و لم تفتله فائتلت الغرور و لم تعم عليه مشتبهات الأمور ظافراً بفرجة البشرى و راحة النعمى فى أنعم نومه و آمن يومه قد عبر معبر العاجلة حميداً و قدم زاد الآجلة سعيداً و بادر عن وجل و أكمش فى مهل و رغب فى طلب و ذهب عن هرب و راقب فى يومه غده و ربما نظر قدماً أمامه فكفى بالجنة ثواباً و نوالاً و كفى بالنار عقاباً و وبالاً و كفى بالله منتقماً و نصيراً و كفى بالكتاب حجيجاً و خصيماً وقال أصحابنا رحمهم الله تعالى الصراط الوارد ذكره فى الكتاب العزيز هو الطريق لأهل الجنة إلى النار و لأهل النار بعد المحاسبة قالوا لأن أهل الجنة ممرهم على باب النار فمن كان من أهل النار عدل به إليها وقذف فيها و من كان من أهل الجنة مر بالنار مروراً نجا منها إلى الجنة و هو معنى قوله تعالى و إن منكم إلماً وارد هالاً و ورودها هو القرب منها والدنو إليها و قد دل القرآن على سور مضروب بين مكان النار و بين الموضع الذى يجتازون منه إلى الجنة فى قوله فصر رب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة و ظاهره من قبله العذاب . - قرآن - ۳۱۴ - ۳۴۱ - قرآن - ۴۸۰ - ۵۷۳ [صفحہ ۲۶۵] قالوا و لا يصح ما روى فى بعض الأخبار أن الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف و أن المؤمن يقطعه كمرور البرق الخاطف والكافر يمشى عليه حبوا و أنه ينتفض بالذين عليه حتى تترايل مفاصلهم قالوا لأن مثل ذلك لا يكون طريقاً للماشى و لا يتمكن من المشى عليه و لو أمكن لم يصح التكليف فى الآخرة ليؤمر العقلاء بالمرور عليه على وجه التعبد . ثم سأل أصحابنا أنفسهم فقالوا أى فائدة فى عمل هذا السور و أى فائدة فى كون الطريق الذى هو الصراط منتها إلى باب النار منفرجا منها إلى الجنة أستم تعلقون أفعال الباري تعالى بالمصالح والآخرة ليست دار تكليف ليفعل فيها هذه الأفعال للمصالح . وأجابوا بأن شعور المكلفين فى الدنيا بهذه الأشياء مصالح لهم وأطاف فى الواجبات العقلية فإذا علم المكلفون بها واجب إيقاعها على حسب ما وعدوا وأخبروا به لأن الله صادق لاخلف فى إخباره . وعندى أنه لا يمتنع أن يكون الصراط على ماوردت به الأخبار و لا مانع من ذلك قولهم لا يكون طريقاً للماشى و لا يتمكن من المشى عليه مسلم ولكن لم لا يجوز أن يكون

فى جعله على هذا الوجه والإخبار عن كفيته هذه مصلحة للمكلفين فى الدنيا و ليس عدم تمكن الإنسان من المشى عليه بمانع من إيقاعه على هذا الوجه لأن المراد من هذا وأمثاله هو التخويف والزجر. و أما قولهم الآخرة ليست دار تكليف فلقائل أن يقول لهم لم قلت إنه تكليف و لم لا يجوز أن يكون المكلفون مضطرين إلى سلوكه اضطرابا فالمؤمن يخلق الله فيه الثبات والسكينة والحركة السريعة فينجو ويسلم والكافر يخلق فيه ضد ذلك فيهوى ويعطب و لمانع من ذلك . [صفحہ ۲۶۶] يقال مكان دحض ودحض بالتحريك أى زلق وأدحضته أنازلقته فدحض هو. والأهويل الأمور المفزعة وتارات أهواله كقوله دفعات أهواله وإنما جعل أهواله تارات لأن الأمور الهائلة إذا استمرت لم تكن فى الإزعاج والترويع كما تكون إذا طرات تارة وسكنت تارة. وانصب الخوف بدنه أتعب والنصب التعب والتهجد هنا صلاة الليل وأصله السهر و قد جاء التهجد بمعنى النوم أيضا و هو من الأضداد. الغرار قلة النوم وأصله قلة لبن الناقة ويقال غارت الناقة تغار غرارا قل لبناها. فإن قلت كيف توصف قلة النوم بالسهر وإنما يوصف بالسهر الإنسان نفسه قلت هذا من مجازات كلامهم كقولهم ليل ساهر و ليل نائم . والهواجر جمع هاجرة وهى نصف النهار عند اشتداد الحر يقال قد هجر النهار وأتينا أهلنا مهجرين أى سائرين فى الهاجرة. وظلف منع وظلفت نفس فلان بالكسر عن كذا أى كفت . وأوجف أسرع كأنه جعل الذكر لشدة تحريكه اللسان موجفا به كما توجف الناقة براكبها والوجيف ضرب من السير. ثم قال وقدم الخوف لأمانه اللام هاهنا لام التعليل أى قدم خوفه ليأمن والمخالج الأمور المختلجة أى الجاذبة خلجه واختلجه أى جذبته . وأقصد المسالك أقومها وطريق قاصد أى مستقيم . وقتله عن كذا أى رده و صرفه و هو قلب لفت . ويروى قدعير معبر العاجلة حميدا وقدم زاد الآجلة سعيدا. [صفحہ ۲۶۷] وأكمش أسرع ومثله انكمش و رجل كمش أى سريع و قد كمش بالضم كما مشه فهو كمش و كمش و كمشته تكميشا أعجلته . قوله و رغب فى طلب و ذهب عن هرب أى و رغب فيما يطلب مثله وفر عما يهرب من مثله فأقام المصدر مقام ذى المصدر. ونظر قدما أمامه أى ونظر ما بين يديه مقدما لم ينش و لم يعرج والدال مضمومة هاهنا. قال الشاعر يذم امرأة تمضى إذا زجرت عن سواءه قدما || كأنها هدم فى الجفر منقاض . و من رواه بالتسكين جاز أن يعنى به هذا و يكون قد خفف كما قالوا حلم وحلم . و جاز أن يجعله مصدرا من قدم الرجل بالفتح يقدم قدما أى تقدم قال الله تعالى يَـقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أى يتقدمهم إلى و رودها كأنه قال ونظر بين يديه متقدما لغيره و سابقا إياه إلى ذلك والباء فى الجنة والنار وباللهم وبالكتاب زائدة والتقدير كفى الله وكفى الكتاب -قرآن- ١٦١-١٩٢ [صفحہ ۲۶٨] أوصيكم بتقوى الله ألدى أعدر بما أندر و احتيج بما نهج و حذر كم عدواً نفذ فى الصدور خفياً و نفث فى الآذان نجياً فأصل و أردى و وعد فمنى و زين سيئات الجرائم و هون موبقات العظام حتى إذا استدرج قرينته و استعلق رهينته أنكر ما زين و استعظم ما هون و حذر ما آمن أعدر بما أندر ما هاهنا مصدرية أى أعدر بإنذاره ويجوز أن تكون بمعنى الذى . والعدو المذكور الشيطان . و قوله نفذ فى الصدور ونفث فى الآذان كلام صحيح بديع و فى قوله نفذ فى الصدور مناسبة لقوله ص الشيطان يجرى من بنى آدم مجرى الدم -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-٥٢ والنجى الذى يساره والجمع الأنجىة قال إنى إذا ما القوم كانوا أنجيه . و قد يكون النجى جماعة مثل الصديق قال الله تعالى خَلَصُوا نَجِيًّا أى متناجين . القرينة هاهنا الإنسان الذى قارنه الشيطان و لفظه لفظ التأنيث و هو مذكر أراد القرين قال تعالى فَبَسَّسَ الْقَرِينُ ويجوز أن يكون أراد بالقرينة النفس و يكون -قرآن- ٥٦-٧١-قرآن- ١٨٢-١٩٨ [صفحہ ۲۶٩] الضمير عائدا إلى غير المذكور لفظا لمادل المعنى عليه لأن قوله فأصل وأردى و وعد فمنى معناه أضل الإنسان وأردى و وعد فمنى فالمفعول محذوف لفظا و إليه رجع الضمير على هذا الوجه ويقال غلق الرهن إذا لم يفتكه الراهن فى الوقت المشروط فاستحقه المرتهن . و هذا الكلام مأخوذ من قوله تعالى وَ قَالَ الشَّيْطَانُ لِمَا قَضَى الْاَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَ مَا كَانَ لى عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ اِلَّا اَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لى فَلَا تَلْمُؤُنِى وَ لَوْ مَوَا اَنْفُسِ كُمْ مَا اَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَ مَا اَنْتُمْ بِمُصْرِخِى الْاَيَةُ -قرآن- ٢٩٧-٥٦٠ وَ مِنْهَا فى صِفَةِ خَلْقِ الْاِنْسَانِ اَمْ هَيْدَا اَلْاَلْدِى اَنْشَاَهُ فى ظُلُمَاتِ الْاَرْحَامِ وَ

شُغِفِ الأَسْتَارِ نُطْفَةً دِهَاقًا وَ عَلَقَةً مَحَاقًا وَ جِنِينًا وَ رَاضِعًا وَ وِلِيدًا وَ يَافِعًا ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْبًا حَافِظًا وَ لِسَانًا لَافِظًا وَ بَصْرًا لَاحِظًا لِيَفْهَمَ مُعْتَبِرًا وَ يُقْضِرَ مُرْدَجِرًا حَتَّى إِذَا قَامَ اِعْتِدَالُهُ وَ اسْتَوَى مِثَالُهُ نَفَرَ مُسْتَكْبِرًا وَ خَبَطَ سَادِرًا مَاتِحًا فِي غَرْبِ هَوَاهُ كَادِحًا سَعِيًّا لِدُنْيَاهُ فِي لَذَاتِ طَرَبِهِ وَ يَدَوَاتِ أَرَبِهِ ثُمَّ لَا يَحْتَسِبُ رَزِيئَةً وَ لَا يَخْشَعُ تَقِيئَةً فَمَاتَ فِي فِتْنَتِهِ غَرِيبًا وَ عَاشَ فِي هَفْوَتِهِ يَسِيرًا لَمْ يُفِدْ عَوْضًا وَ لَمْ يَقْضِ مُفْتَرَضًا دَهْمَتَهُ فَجَعَلَتْ المَيِّتَةَ فِي غُيْبِ جِمَاحِهِ وَ سَنَنِ مِرَاحِهِ فَظَلَّ سَادِرًا وَ بَاتَ سَاهِرًا فِي غَمَرَاتِ الأَلَامِ وَ طَوَارِقِ الأَوْجَاعِ وَ الأَسْقَامِ بَيْنَ أَخِ شَقِيْقٍ وَ وَالِدِ شَفِيْقٍ [صَفْحَةُ ٢٧٠] وَ دَاعِيئِهِ بِالأَوْبِلِ جَزَعًا وَ لَادِمَهُ لِلصَّدْرِ قَلَقًا وَ المَرءِ فِي سَكْرَةٍ مُلْهَثَةٍ وَ عَمْرَةٍ كَارِثَةٍ وَ أَنَّهُ مُوجِعٌ وَ جَذِبِيَّةٌ مُكْرِبِيَّةٌ وَ سَوْقَةٌ مُتَعَبِيَّةٌ ثُمَّ أُدْرِجَ فِي أَكْفَانِهِ مُبْلِسًا وَ جُذِبَ مُنْقَادًا سَيْلِسًا ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَى الأَعْوَادِ رَجِيْعٌ وَ صَبٌّ وَ نِضْوٌ سَقَمٌ تَحْمِلُهُ حَفْصَةُ الوَلْدَانِ وَ حَشْدَةُ الإِخْوَانِ إِلَى دَارِ غُرْبَتِهِ وَ مُنْقَطِعِ زَوْرَتِهِ وَ مَفْرَدِ وَحْشَتِهِ حَتَّى إِذَا انْصَرَفَ المُشِيْعُ وَ رَجَعَ المُتَفَجِّعُ أَقْعَدَ فِي حُفْرَتِهِ نَجِيًّا لِيَهْتَهُ السُّوَالُ وَ عَثْرَةَ الأَمْتِحَانِ وَ أَعْظَمَ مَا هُنَالِكَ بَلِيَّةُ نُزُولِ الحَمِيمِ وَ تَصْلِيَةُ الجَحِيمِ وَ فَوْرَاتِ السَّعِيرِ وَ سَوْرَاتِ الزَّفِيرِ لَمَّا فَتَرَهُ مُرْبِحَةً وَ لَمَّا دَعَا مَرْبِحَةً وَ لَمَّا قُوَّةً حَاجِرَةً وَ لَمَّا مَوْتَةً نَاجِرَةً وَ لَمَّا سِنَةً مُسْلِيَةً بَيْنَ أَطْوَارِ المَوَاتِ وَ عَذَابِ السَّاعَاتِ إِنَّا بِاللَّهِ عَائِدُونَ أَمْ هُنَا إِمَّا اسْتِفْهَامِيَّةٌ عَلَى حَقِيقَتِهَا كَأَنَّهُ قَالَ أَعْظَمُكَ وَأَذْكَرُكَ بِحَالِ الشَّيْطَانِ وَإِغْوَانِهِ أَمْ بِحَالِ الإِنْسَانِ مِنْذُ ابْتِدَاءِ وَجُودِهِ إِلَى حِينِ مَمَاتِهِ وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ مُنْقَطِعَةً بِمَعْنَى بَلْ كَأَنَّهُ قَالَ عَادِلًا- وَتَارِكًا لِمَا وَعَظَمَهُمْ بِهِ بَلْ أَتَلُو عَلَيْكُمْ نَبَأَ هَذَا الإِنْسَانِ أَلَّذِي حَالُهُ كَذَا. الشُّغْفُ بِالغَيْنِ المَعْجَمَةُ جَمْعُ شَغَافٍ بِفَتْحِ الشَّيْنِ وَأَصْلُهُ غَلَافُ القَلْبِ يُقَالُ شَغَفَهُ الحُبُّ أَيْ بَلَغَ شَغَافَهُ وَقَرْنَقَدَ شَغَفَهَا حُبًّا. وَالدِّهَاقُ المَمْلُوءَةُ وَيُرْوَى دِفَاقًا مِنْ دَفَقَتِ المَاءُ أَيْ صَبَبَتْهُ. قَالَ وَعَلَقَةُ مَحَاقًا المَحَاقُ ثَلَاثُ لَيَالٍ مِنْ آخِرِ الشَّهْرِ وَسَمِيَتْ مَحَاقًا لِأَنَّ القَمَرَ يَمْتَحِقُ فِيهِنَّ أَيْ يَخْفَى وَتَبْطُلُ صُورَتُهُ وَإِنَّمَا جَعَلَ العَلَقَةَ مَحَاقًا هَاهُنَا لِأَنَّهَا لَمْ تَحْصَلْ لَهَا الصُّورَةُ الإِنْسَانِيَّةُ بَعْدَ فَكَانَتْ مَمْحُوءَةً مَمْحُوءَةً. -قُرْآن- ٣٥٧-٣٧٤ [صَفْحَةُ ٢٧١] وَاليَافِعُ الغُلَامُ المَرْتَفِعُ أَيْفَعُ وَ هُوَ يَافِعُ وَ هَذَا مِنْ النُّوَادِرِ وَغُلَامٌ يَفَعُ وَيَفَعُهُ وَغُلَامَانُ أَيْفَاعُ وَيَفَعُهُ أَيْضًا. قَوْلُهُ وَخَبَطَ سَادِرًا خَبَطَ البَعِيرُ إِذَا ضَرَبَ بِيَدَيْهِ إِلَى الأَرْضِ وَمَشَى لِأَيْتَوَقَى شَيْئًا. وَالسَادِرُ المَتَحِيرُ وَالسَادِرُ أَيْضًا أَلَّذِي لَا يَهْتَمُّ وَ لَا يَبَالِي بِمَاصِنَعِ وَالمَوْضِعِ يَحْتَمِلُ كِلَا التَّفْسِيرَيْنِ. وَالمَاتِحُ أَلَّذِي يَسْتَقِي المَاءَ مِنَ البَثْرِ وَ هُوَ عَلَى رَأْسِهَا وَالمَاتِحُ أَلَّذِي نَزَلَ البَثْرُ إِذْ قَلَّ مَآؤُهَا فَيَمْلَأُ الدَّلَاءَ وَسئَلُ بَعْضِ أئِمَّةِ اللُّغَةِ عَنِ الفَرْقِ بَيْنَ المَاتِحِ وَالمَاتِحِ فَقَالَ اعْتَبِرْ نَقَطَتِي الإِعْجَامَ فَالأَعْلَى لِالأَعْلَى وَالأَدْنَى لِالأَدْنَى وَالعَرَبُ الدَّلُوُ العَظِيمَةُ وَالكَدْحُ شِدَّةُ السَّعْيِ وَالحَرَكَةُ قَالَ تَعَالَى يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَادِحًا. قَوْلُهُ وَبَدَوَاتِ أَيْ مَا يَخْطُرُ لَهُ مِنْ آرَائِهِ الَّتِي تَخْتَلِفُ فِيهَا دَوَاعِيهِ فَتَقْدَمُ وَتَحْجَمُ وَمَاتَ غَرِيْبًا أَيْ شَابًا وَيُمْكِنُ أَنْ يَرَادَ بِهِ أَنَّهُ غَيْرُ مُجْرَبٍ لِلأُمُورِ. وَالهَفْوَةُ الزَّلَّةُ هَفَا يَهْفُو لَمْ يَفِدْ عَوْضًا أَيْ لَمْ يَكْتَسِبْ. وَغَبْرُ جِمَاحِهِ بَقَايَاهُ قَالَ أَبُو كَبِيرٍ الهَذَلِيُّ -قُرْآن- ٥٥١-٦٠٣ وَمَبْرًا مِنْ كُلِّ غَبْرِ حَيْضَةٍ || وَفَسَادُ مَرَضَةٍ وَدَاءٌ مَغِيلٌ. وَالجِمَاحُ الشَّرُّ وَارْتِكَابُ الهَوَى وَسَنَنِ مِرَاحِهِ السَّنَنِ الطَّرِيقَةُ وَالمِرَاحُ شِدَّةُ الفَرَجِ وَالنَّشَاطِ. قَوْلُهُ فَظَلَّ سَادِرًا هَاهُنَا غَيْرُ السَادِرِ الأَوَّلِ لِأَنَّهُ هَاهُنَا المَغْمَى عَلَيْهِ كَأَنَّهُ [صَفْحَةُ ٢٧٢] سَكَرَانَ وَأَصْلُهُ مِنْ سَدَرَ البَعِيرِ مِنْ شِدَّةِ الحَرِّ وَكَثْرَةِ الطَّلَاءِ بِالقَطْرَانِ فَيَكُونُ كَالنَّائِمِ لَا يَحْسُ وَمرَادُهُ عَ هَاهُنَا أَنَّهُ بَدَأَ بِهِ المَرَضُ وَالأَدَمَةُ لِلصَّدْرِ ضَارِبَةٌ لَهُ وَالتَّدَامُ النِّسَاءُ ضَرْبُهُنَّ الصَّدُورُ عِنْدَ النِّيَاحَةِ سَكْرَةٌ مُلْهَثَةٌ تَجْعَلُ الإِنْسَانَ لَاهِثًا لِشِدَّتِهَا لَهْثٌ يَلْهَثُ لَهْثَانًا وَلَهَاثًا وَيُرْوَى مُلْهِيَّةٌ بِالبَاءِ أَيْ تَلْهَى الإِنْسَانَ وَتَشْغَلُهُ. وَالكَارِثَةُ فَاعِلَةٌ مِنْ كَرِثَهُ الغَمُّ يَكْرِثُهُ بِالصُّمِّ أَيْ اشْتَدَّ عَلَيْهِ وَبَلَغَ مِنْهُ غَايَةُ المَشَقَّةِ. الجَذِبَةُ جَذَبَ المَلِكُ الرُّوحَ مِنَ الجَسَدِ أَوْ جَذَبَ الإِنْسَانُ إِذَا حَضَرَ لِيَسْجَى. وَالسَوْقَةُ مِنْ سَيَاقِ الرُّوحِ عِنْدَ المَوْتِ وَالمَبْلِيسُ أَلَّذِي يَبْئِسُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ وَ مِنْهُ سَمِيَ إبْلِيسُ وَالإِبْلَاسُ أَيْضًا الانْكَسَارُ وَالحِزْنُ وَالسَّلْسُلُ السَّهْلُ المَقَادَةُ وَالأَعْوَادُ خَشْبُ الجِنَازَةِ وَرَجِيْعٌ وَصَبُّ الرَجِيْعِ المَعْنَى الكَالُ وَالمَوْصِبُ الوَجْعُ وَصَبُّ الرَجُلِ يَوْصِبُ فَهُوَ وَاصِبٌ وَأَوْصَبَهُ اللهُ فَهُوَ مَوْصِبٌ وَالمَوْصِبُ بِالتَّشْدِيدِ الكَثِيرِ الأَوْجَاعِ وَالنِّضْوُ الهَزِيلُ وَحَشْدَةُ الإِخْوَانِ جَمْعُ حَاشِدٍ وَهُوَ المَتَأَهَبُ المَسْتَعِدُّ وَدَارُ غُرْبَتِهِ قَبْرُهُ وَكَذَلِكَ مُنْقَطِعُ زَوْرَتِهِ لِأَنَّ الزِّيَارَةَ تَنْقَطِعُ عِنْدَهُ. وَمَفْرَدٌ وَحْشَتُهُ نَحْوُ ذَلِكَ لِأَنَّفَرَادَهُ بِعَمَلِهِ وَاسْتِيحَاشِ النَّاسِ مِنْهُ حَتَّى إِذَا انْصَرَفَ المُشِيْعُ وَ هُوَ الخَارِجُ مَعَ جِنَازَتِهِ أَقْعَدَ فِي حُفْرَتِهِ هَذَا تَصْرِيْحٌ بِعَذَابِ القَبْرِ وَسَنَذَكَرُ مَا يَصْلُحُ ذَكَرَهُ فِي هَذَا المَوْضِعِ. وَالنَّجِيُّ المَنَاجِيُّ وَنَزُولُ

الحميم وتصلية الجحيم من الألفاظ الشريفة القرآنية. ثم نفى ع أن يكون في العذاب فتور يجد الإنسان معه راحة أو سكون يزيح عنه الألم أى يزيله أو أن الإنسان يجد في نفسه قوة تحجز بينه وبين الألم أى تمنع ويموت موتا ناجزا معجلا فيستريح أو ينام فيسلو وقت نومه عما أصابه من الألم فى اليقظة كما فى دار الدنيا. [صفحة ٢٧٣] ثم قال بين أطوار الموتات و هذا فى ظاهره متناقض لأنه نفى الموت مطلقا ثم قال بين أطوار الموتات والجواب أنه أراد بالموتات الآلام العظيمة فسامها موتات لأن العرب تسمى المشقة العظيمة موتا كما قال إنما الميت ميت الأحياء . ويقولون الفقر الموت الأحمر واستعمالهم مثل ذلك كثير جدا. ثم قال إنا بالله عائدون عدت بفلان واستعدت به أى التجأت إليه

فصل فى ذكر القبر وسؤال منكر ونكير

واعلم أن لقاضى القضاة فى كتاب طبقات المعتزلة فى باب القبر وسؤال منكر ونكير كلاما أنا أورد ها هنا بعضه قال رحمه الله تعالى إن عذاب القبر إنما أنكره ضرار بن عمرو و لما كان ضرار من أصحاب واصل بن عطاء ظن كثير من الناس أن ذلك مما أنكرته المعتزلة و ليس الأمر كذلك بل المعتزلة رجلا ن أحدهما يجوز عذاب القبر و لا يقطع به وهم الأقلون والآخر يقطع على ذلك وهم أكثر أصحابنا لظهور الأخبار الواردة فيه وإنما تنكر المعتزلة قول طائفة من الجهلة إنهم يعذبون وهم موتى لأن العقل يمنع من ذلك و إذا كان الإنسان مع قرب العهد بموته و لما يدفن يعلمون أنه لا يسمع و لا يبصر و لا يدرك و لا يألم و لا يلتذ فكيف يجوز عليه ذلك و هوميت فى قبره و ماروى من أن الموتى يسمعون لا يصح إلا- أن يراد به أن الله تعالى أحياهم وقوى حاسة سمعهم فسمعوا وهم أحياء. [صفحة ٢٧٤] قال رحمه الله تعالى وأنكر أيضا مشايخنا أن يكون عذاب القبر دائما فى كل حال لأن الأخبار إنما وردت بذلك فى الجملة فالذى يقال به هو قدر ما تقتضيه الأخبار دون ما زاد عليه مما لا دليل عليه ولذلك لسا نوقت فى التعذيب وقتا و إن كان الأقرب فى الأخبار أنها الأوقات المقارنة للدفن و إن كان لانعينا بأعيانها. هكذا قال قاضى القضاة و الذى أعرفه أنا من مذهب كثير من شيوخنا قبل قاضى القضاة أن الأغلب أن يكون عذاب القبر بين النفختين . ثم إن قاضى القضاة سأل نفسه فقال إذا كانت الآخرة هى وقت المجازاة فكيف يعذب فى القبر فى أيام الدنيا. وأجاب بأن القليل من العقاب المستحق قد يجوز أن يجعله الله فى الدنيا لبعض المصالح كما فعل فى تعجيل إقامة الحدود على من يستحقها فلا يمنع منه تعالى أن يفعل ذلك بالإنسان إذا كان من أهل النار. ثم سأل نفسه فقال إذا كان بالموت قد زال عنه التكليف فكيف يقولون يكون ذلك من مصالحه . وأجاب بأننا لم نقل إن ذلك من مصالحه و هوميت وإنما نقول إنه مصلحة أن نعلم فى الدنيا ذلك من حال الموتى لأنه إذا تصور أنه مات عوجل بضرب من العقاب فى القبر كان أقرب إلى أن ينصرف عن كثير من المعاصى و قد يجوز أن يكون ذلك لطفًا للملائكة الذين يتولون هذا التعذيب . فأما القول فى منكر ونكير فإنه سأل نفسه رحمه الله تعالى و قال كيف يجوز أن يسموا بأسماء الذم و عندكم أن الملائكة أفضل من الأنبياء. [صفحة ٢٧٥] وأجاب فقال إن التسمية إذا كانت لقبًا لم يقع بهاذم لأن الذم إنما يقع لفائدة الاسم والألقاب كالأشارات لافائدة تحتها ولذا يلقب الرجل المسلم بظالم و كلب ونحو ذلك فيجوز أن يكون هذان الاسمان من باب الألقاب و يجوز أن يسميا بذلك من حيث يهجمان على الإنسان عند إكمال الله تعالى عقله على وجه ينكره ويرتاع منه فسميا منكرًا ونكيرًا. قال و قدروى فى المسألة فى القبر أخبار كثيرة و كل ذلك مما لا يبح فيه بل يجوز أن يكون من مصالح المكلفين فلا يصح المنع عنه . وجملة الأمر أن كل ما ثبت من ذلك بالتواتر والإجماع و ليس بمستحيل فى القدرة و لا يبيح فى الحكمة يجب القول به و ما عدها مما وردت به آثار و أخبار آحاد يجب أن يجوز ويقال إنه مزنون ليس بمعلوم إذا لم يمنع منه الدليل عياد الله أين العذرين عَمَرُوا فَعَمَرُوا وَ عَمَرُوا فَعَمَرُوا وَ أَنْظَرُوا فَهَمَرُوا وَ سَلِمُوا فَسَلِمُوا

أَمَهُلُوا طَوِيلًا وَ مُئِحُوا جَمِيلًا وَ حَذَرُوا أَلِيمًا وَ وُعِدُوا جَسِيمًا أَحَذَرُوا الذُّنُوبَ المُوَرَّطَةَ وَ العُيُوبَ المُسَخَّطَةَ أُولَى الأَبْصَارِ وَ الأَسْمَاعِ وَ العَافِيَةِ وَ المَتَاعِ هَلْ مِنْ مَنَاصٍ أَوْ خَلَاصٍ أَوْ مَعَاذٍ أَوْ مَلَاذٍ أَوْ فِرَارٍ أَوْ مَحَارٍ فَأَنَّى تُؤفَكُونَ أَمْ أَيْنَ تُصَرَّفُونَ أَمْ بِمَا ذَا تَعْتَرُونَ وَ إِنَّمَا حَيَّظَ أَحَدِكُمْ مِنَ الأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَ العَرَضِ قَيْدُ قَدَمِهِ مُنْعَفِرًا عَلَيَّ نَحْمَدُهُ الآنَ عِبَادَ اللهِ وَ الخِنَاقُ مُهْمَلٌ وَ الرُّوحُ مُرْسَلٌ فِي فَيْئِهِ الإِرشَادِ وَ رَاحَةِ [صَفْحَه ٢٧٦] الأَجْسَادِ وَ بَاحَةِ الإِحْتِشَادِ وَ مَهَلِ البَقِيَّةِ وَ أَنفِ المَشْتَبِيَةِ وَ إِنظَارِ التَّوْبَةِ وَ انْفِسَاحِ الحَوْبَةِ قَبْلَ الضَّنكِ وَ المَضَيِّقِ وَ الزُّرُوعِ وَ الزُّهُوقِ وَ قَبْلَ قُدُومِ الغَائِبِ المُتَنظَّرِ وَ أَخْذَةِ العَزِيزِ المُقْتَدِرِ قال الرضى رحمه الله و فى الخبر أنه ع لماخطب بهذه الخطبة اقشعرت لها الجلود و بكت العيون و رجفت القلوب و من الناس من يسمى هذه الخطبة الغراء -روايت- ١-١٥٣ نعم الرجل ينعم ضد قولك بئس وجاء شاذًا نعم ينعم بالكسر و أنظروا أمهلوا و الذنوب المورطة التى تلقى أصحابها فى الورطة وهى الهلاك قال رؤبة فأصبحوا فى ورطة الأوراط . وأصله أرض مطمئنة لا طريق فيها و قدأورطت زيدا وورطته توريطا فتورط ثم قال ع أولى الأبصار و الأسماع ناداهم نداء ثانيا بعد النداء الذى فى أول الفصل و هو قوله عباد الله فقال يا من منحهم الله أبصارا و أسماعا و أعطاهم عافية و متعمهم متاعا هل من مناص و هو الملبأ و المفري يقال ناص عن قرنه مناصا أى فر و راوغ قال سبحانه وَ لَآئِمَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ . -قرآن- ٣٢٧-٣٤٦ [صَفْحَه ٢٧٧] و المحار المرجع من حار يحور أى رجع قال تعالى إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ . و يؤفكون يقبلون أفكه يأفكه عن كذا قلبه عنه إلى غيره و مثله يصرفون . و قيد قده مقدار قده يقال قرب منه قيد رمح و قاد رمح و المراد هاهنا هو القبر لأنه بمقدار قامه الإنسان . و المنعفر الذى قد لاس العفر و هو التراب . ثم قال ع الآن و الخناق مهمل تقديره اعملوا الآن و أنتم مخلون متمكنون لم يعقد الجبل فى أعناقكم و لم تقبض أرواحكم . و الروح يذكر و يؤنث و الفينة الوقت و يروى و فينة الارتياح و هو الطلب . و أنف المشية أول أوقات الإرادة و الاختيار. قوله و انفساح الحوبة أى سعة وقت الحاجة و الحوبة الحاجة و الأرب قال الفرزدق -قرآن- ٤٩-٧٥ فهب لى خنيسا و اتخذ فيه منه || لحوبة أم ميسوغ شرابها . و الغائب المنتظر هو الموت . قال شيخنا أبو عثمان رحمه الله تعالى حدثنى ثمامة قال سمعت جعفر بن يحيى و كان من أبلغ الناس و أفصحهم يقول الكتابة ضم اللفظة إلى أختها ألم تسمعوا قول شاعر لشاعر و قد تفاخرا أنا أشعر منك لأنى أقول البيت و أخاه و أنت تقول البيت و ابن عمه ثم قال و ناهيك حسنا بقول على بن أبى طالب ع هل من مناص أو خلاص أو معاذ أو ملاذ أو فرار أو محار. [صَفْحَه ٢٧٨] قال أبو عثمان و كان جعفر يعجب أيضا بقول على ع أين من جد و اجتهد و جمع و احتشد و بنى فشىد و فرش فمهد و زخرف فنجد -روايت- ١-٢-روايت- ١٨-١١٩ قال ألاترى أن كل لفظه منها آخذة بعنق قرينتها جاذبة إياها إلى نفسها دالة عليها بذاتها قال أبو عثمان فكان جعفر يسميه فصيح قريش . و اعلم أننا لا يتخالجنا الشك فى أنه ع أفصح من كل ناطق بلغة العرب من الأولين و الآخرين إلا من كلام الله سبحانه و كلام رسول الله ص و ذلك لأن فضيلة الخطيب و الكاتب فى خطابته و كتابته تعتمد على أمرين هما مفردات الألفاظ و مركباتها. أما المفردات فأن تكون سهلة سلسة غير وحشية و لا معقدة و ألفاظه ع كلها كذلك فأما المركبات فحسن المعنى و سرعته و وصوله إلى الأفهام و اشتماله على الصفات التى باعتبارها فضل بعض الكلام على بعض و تلك الصفات هى الصناعة التى سماها المتأخرون البديع من المقابلة و المطابقة و حسن التقسيم و ورد آخر الكلام على صدره و الترصيع و التسهيم و التوشيح و المماثلة و الاستعارة و لطافة استعمال المجاز و الموازنة و التكافؤ و التسميط و المشاكلة. و لاشبهه أن هذه الصفات كلها موجودة فى خطبه و كتبه مبثوثة متفرقة فى فرش كلامه ع و ليس يوجد هذان الأمران فى كلام أحد غيره فإن كان قد عملها و أفكر فيها و أعمل رويته فى رصفها و نشرها فلقد أتى بالعجب العجيب و ووجب [صَفْحَه ٢٧٩] أن يكون إمام الناس كلهم فى ذلك لأنه ابتكره و لم يعرف من قبله و إن كان اقتضبها ابتداء و فاضت على لسانه مرتجلة و جاش بهاطبعه بديهة من غير روية و لا اعتماد فأعجب و أعجب . و على كلا الأمرين فلقد جاء مجليا و الفصحاء تنقطع أنفاسهم على أثره و بحق ما قال معاوية لمحقق الضبى لما قال له جئتكم من عند أعيان الناس يا ابن اللخاء ألعلى تقول هذا وهل سن الفصاحة لقريش

غيره . واعلم أن تكلف الاستدلال على أن الشمس مضيئة يتعب وصاحبه منسوب إلى السفه و ليس جاحد الأمور المعلومة علما
ضروريا بأشد سفها ممن رام الاستدلال بالأدلة النظرية عليها [صفحه ٢٨٠]

٨٣- و من كلام له ع في ذكر عمرو بن العاص

إشارة

عَجَبًا لِابْنِ التَّابِعِ يَزْعُمُ لِأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِي دُعَايِهِ وَ أَنْتَى امْرُؤٌ تَلْعَابِيَةٌ أَعَافِسُ وَ أَمَارِسُ لَقَدْ قَالَ بَاطِلًا وَ نَطَقَ آثِمًا أَمَا وَ شَرَّ الْقَوْلِ
الْكَذِبُ إِنَّهُ لَيَقُولُ فِيكَذِبٍ وَ يِعْتَدُ فَيُخْلِفُ وَ يُسْأَلُ فَيُبْخَلُ وَ يُسْأَلُ فَيُلْحِفُ وَ يَخُونُ الْعَهْدَ وَ يَقْطَعُ الْإِلَّ فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْحَرْبِ فَأَيَّ
زَاجِرٍ وَ أَمْرٍ هُوَ مَا لَمْ تَأْخُذِ السِّيُوفُ مَأْخِذَهَا فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ أَكْبَرُ [أَكْبَرُ] مَكِيدَتِهِ أَنْ يَمْنَحَ الْقَوْمَ سَبَبَتَهُ أَمَا وَ اللَّهُ إِنِّي لَيَمْنَعُنِي
مِنَ اللَّعِبِ ذِكْرُ الْمَوْتِ وَ إِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ نَسْيَانُ الْآخِرَةِ وَ إِنَّهُ لَمْ يُبَايِعْ مُعَاوِيَةَ حَتَّى شَرَطَ لَهُ أَنْ يُؤْتِيَهُ أُتَيْتَهُ وَ يَرْضَخَ لَهُ عَلَى
تَرْكِ الدِّينِ رَضِيحَةً الدُّعَابَةِ الْمَزَاحِ دَعَبَ الرَّجُلِ بِالْفَتْحِ وَ رَجُلٌ تَلْعَابِيَةٌ بِكَسْرِ التَّاءِ كَثِيرُ اللَّعْبِ وَ التَّلْعَابُ بِالْفَتْحِ مَصْدَرُ لَعِبَ .
والمعافسة المعالجة والمصارعة و منه الحديث عافسنا النساء والممارسة نحوه . يقول ع إن عمرا يقده في عند أهل الشام بالدعابة
واللعب وأنى كثير [صفحه ٢٨١] الممازحة حتى أنى الأعب النساء وأغازلهن فعل المترف الفارغ القلب الذى تتقضى أوقاته
بملاذ نفسه . ويلحف يلح في السؤال قال تعالى لا- يَسْتَلُونَ النَّاسَ إِلَّا حِفْأً وَ مِنْهُ الْمَثَلُ لَيْسَ لِلْمَلْحَفِ مِثْلُ الرَّدِّ . وَالْإِلَّ الْعَهْدُ وَ
لَمَا اخْتَلَفَ اللَّفْظَانِ حَسَنَ التَّقْسِيمِ بَهُمَا وَ إِنْ كَانَ الْمَعْنَى وَاحِدًا . وَمَعْنَى قَوْلِهِ مَا لَمْ تَأْخُذِ السِّيُوفُ مَأْخِذَهَا أَيْ مَا لَمْ تَبْلُغِ الْحَرْبَ
إِلَى أَنْ تَخَالَطَ الرِّعْوسُ أَيْ هُوَ مَلِيءٌ بِالتَّحْرِيفِ وَ الْإِغْرَاءِ قَبْلَ أَنْ تَلْتَحِمَ الْحَرْبَ فَإِذَا التَّحَمْتَ وَ اشْتَدَّتْ فَلَإِيْمَكْتُ وَ فَعَلَتْهُ التِّي
فَعَلَ . وَ السَّبُّ الْإِسْتِ وَ سَبَّهُ يَسْبُهُ طَعَنَهُ فِي السَّبِّ . وَ يَجُوزُ رَفْعُ أَكْبَرَ وَ نَصْبُهُ فَإِنْ رَفَعْتَ فَهُوَ الْإِسْمُ وَ إِنْ نَصَبْتَ فَهُوَ الْخَبْرُ . وَ الْأُتَيْتَهُ
الْعَطِيَّةُ وَ الْإِيْتَاءُ الْإِعْطَاءُ وَ رَضِخَ لَهُ رَضِخًا أَعْطَاهُ عَطَاءً بِالْكَثِيرِ وَ هِيَ الرِّضِيخَةُ لِمَا يُعْطَى - قرآن - ١٣٩-١٦٨

نسب عمرو بن العاص و طرف من أخباره

ونحن نذكر طرفا من نسب عمرو بن العاص وأخباره إلى حين وفاته إن شاء الله . هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد
بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر يكنى أبا عبد الله ويقال أبو محمد. [صفحه
٢٨٢] أبوه العاص بن وائل أحد المستهزئين برسول الله ص والمكاشفين له بالعداوة والأذى وفيه وفي أصحابه أنزل قوله تعالى
إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ . ويلقب العاص بن وائل في الإسلام بالأبتر لأنه قال لقريش سيموت هذا الأبتر غدا فينقطع ذكره يعنى
رسول الله ص لأنه لم يكن له ص ولد ذكر يعقب منه فأنزل الله سبحانه إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ . وَ كَانَ عَمْرُو أَحَدَ مَنْ يُؤْذَى رَسُولَ
اللَّهِ ص بِمَكَّةَ وَيَشْتَمُهُ وَيَضَعُ فِي طَرِيقِهِ الْحِجَارَةَ لِأَنَّهُ كَانَ ص يَخْرُجُ مِنْ مَنْزِلِهِ لِيَلَا فَيَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ وَ كَانَ عَمْرُو يُجْعَلُ لَهُ الْحِجَارَةُ
فِي مَسْلِكِهِ لِيَعْتَرِ بِهَا وَ هُوَ أَحَدُ الْقَوْمِ الَّذِينَ خَرَجُوا إِلَى زَيْنَبِ ابْنَةِ رَسُولِ اللَّهِ ص لَمَّا خَرَجَتْ مَهَاجِرَةً مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَرَوَعُوهَا
وَقَرَعُوهَا هُوَ دَجَّهَا بِكَعُوبِ الرِّمَاحِ حَتَّى أَجْهَضَتْ جَنِينًا مِيتًا مِنْ أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ بَعْلَهَا فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ص نَالَ مِنْهُ
وَشَقَّ عَلَيْهِ مَشَقَّةً شَدِيدَةً وَلَعْنَهُمْ رَوَى ذَلِكَ الْوَاقِدِيُّ . وَ رَوَى الْوَاقِدِيُّ أَيْضًا وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ أَنَّ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ هَجَا
رَسُولَ اللَّهِ ص هَجَاءً كَثِيرًا كَانَ يَعْلَمُهُ صَبِيانُ مَكَّةَ فَيَنْشُدُونَهُ وَيُصِيحُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ إِذَا مَرُّوا بِهِمْ رَافِعِينَ أَصْوَاتَهُمْ بِذَلِكَ الْهَجَاءِ -

قرآن-١٢٥-١٥٥-قرآن-٣٣٠-٣٥٧ فقال رسول الله ص و هو يصلى بالحجر اللهم إن عمرو بن العاص هجاني ولست بشاعر فalcنه بعدد ماهجاني -روایت-١-٢-روایت-٤١-١٠٨ . وروى أهل الحديث أن النضر بن الحارث وعقبه بن أبي معيط وعمرو بن العاص عهدوا إلى سلى جمل فرفعوه بينهم ووضعوه على رأس رسول الله ص و هو ساجد بفناء الكعبة فسأل عليه فصبر و لم يرفع رأسه وبكى فى سجوده ودعا عليهم [صفحہ ٢٨٣] فجاءت ابنته فاطمة ع وهى باكية فاحتضنت ذلك السلا فرفعتة عنه فألقته وقامت على رأسه تبكى فرفع رأسه ص و قال اللهم عليك بقريش قالها ثلاثا ثم قال رافعا صوته إني مظلوم فانتصر قالها ثلاثا -روایت-١-٢-روایت-١٠-٩٣ ثم قام فدخل منزله و ذلك بعد وفاة عمه أبى طالب بشهرين . ولشدة عداوة عمرو بن العاص لرسول الله ص أرسله أهل مكة إلى النجاشى ليزهده فى الدين وليطرد عن بلاده مهاجرة الحبشة وليقتل جعفر بن أبى طالب عنده إن أمكنه قتله فكان منه فى أمر جعفر هناك ما هو مذکور مشهور فى السير وسنذكر بعضه . فأما النابغة فقد ذكر الزمخشري فى كتاب ربيع الأبرار قال كانت النابغة أم عمرو بن العاص أمة لرجل من عترة فسييت فاشتراها عبد الله بن جدعان التيمي بمكة فكانت بغيا ثم أعتقها فوقع عليها أبو لهب بن عبدالمطلب وأمية بن خلف الجمحي وهشام بن المغيرة المخزومي و أبوسفيان بن حرب والعاص بن وائل السهمي فى طهر واحد فولدت عمرا فادعاه كلهم فحكمت أمة فيه فقالت هو من العاص بن وائل وذاك لأن العاص بن وائل كان ينفق عليها كثيرا قالوا و كان أشبه بأبى سفيان و فى ذلك يقول أبوسفيان بن الحارث بن عبدالمطلب فى عمرو بن العاص أبوك أبوسفيان لاشك قد بدت || لنا فيك منه بينات الشمائل . و قال أبو عمر بن عبد البر صاحب كتاب الإستيعاب كان اسمها سلمى وتلقبت بالنابغة بنت حرملة من بنى جلال بن عترة بن أسد بن ربيعة بن نزار [صفحہ ٢٨٤] أصابها سباء فصارت إلى العاص بن وائل بعد جماعة من قريش فأولدها عمرا . قال أبو عمر يقال إنه جعل لرجل ألف درهم على أن يسأل عمرا و هو على المنبر من أمة فسأله فقال أمة سلمى بنت حرملة تلقب بالنابغة من بنى عترة ثم أحد بنى جلالن وأصابتها راح العرب فبيعت بعكاظ فاشتراها الفاكه بن المغيرة ثم اشتراها منه عبد الله بن جدعان ثم صارت إلى العاص بن وائل فولدت فأنجبت فإن كان جعل لك شىء فخذ . و قال المبرد فى كتاب الكامل اسمها ليلي و ذكر هذا الخبر و قال إنها لم تكن فى موضع مرضى قال المبرد و قال المنذر بن الجارود مرة لعمرو بن العاص أى رجل أنت لو لا أن أمك أمك فقال إني أحمد الله إليك لقد فكرت البارحة فيها فأقبلت أنقلها فى قبائل العرب ممن أحب أن تكون منها فما خطرت لى عبدالقيس على بال . و قال المبرد ودخل عمرو بن العاص مكة فرأى قوما من قريش قد جلسوا حلقة فلما رأوه رمقوه بأبصارهم فعدل إليهم فقال أحسبكم كنتم فى شىء من ذكرى قالوا أجل كنا نمثل بينك و بين أخيك هشام بن العاص أيكما أفضل فقال عمرو إن لهشام على أربعة أمة بنت هشام بن المغيرة وأمة من قد عرفتم و كان أحب إلى أبيه منى و قد علمتم معرفة الوالد بولده وأسلم قبلى واستشهد وبقيت . وروى أبو عبيدة معمر بن المثنى فى كتاب الأنساب أن عمرا اختصم فيه يوم [صفحہ ٢٨٥] ولادته رجلا بن أبوسفيان بن حرب والعاص بن وائل فليل لتحكم أمة فقالت أمة إنه من العاص بن وائل فقال أبوسفيان أما إني لأشك أنى وضعته فى رحم أمة فأبت إلا العاص . فليل لها أبوسفيان أشرف نسبا فقالت إن العاص بن وائل كثير النفقة على و أبوسفيان شحيح . ففى ذلك يقول حسان بن ثابت لعمرو بن العاص حيث هجاه مكافئا له عن هجاء رسول الله ص أبوك أبوسفيان لاشك قد بدت || لنا فيك منه بينات الدلائل ففاخر به إما فخرت و لا تكن || تفاخر بالعاص الهجين بن وائل و إن التى فى ذاك ياعمر و حكمت || فقالت رجاء عند ذاك لنائل من العاص عمرو تخبر الناس كلما || تجمعت الأقوام عند المحافل

وروى الزبير بن بكار فى كتاب المفاخرات قال اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص والوليد بن عقبه بن ابي معيط وعقبه بن ابي سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبه وقد كان بلغهم عن الحسن بن على ع قوارص وبلغه عنهم مثل ذلك فقالوا يا امير المؤمنين ان الحسن قد احيا اباه وذكره وقال فصدق وامر فاطيع وخفقت له النعال و ان ذلك لرافعه الى ما هو اعظم منه ولا يزال يبلغنا عنه ما يسوءنا. قال معاوية فما تريدون قالوا ابعث عليه فليحضر لنسبه ونسب اباه ونعيه ونوبخه ونخبره ان اباه قتل عثمان ونقرره بذلك ولا يستطيع ان يغير علينا شيئا من ذلك . [صفحه ٢٨٦] قال معاوية انى لا ارى ذلك و لا افعله قالوا عزمنا عليك يا امير المؤمنين لتفعلن فقال ويحكم لا تفعلوا فوالله ما رايته قط جالسا عندى الاخفت مقامه وعييه لى قالوا ابعث اليه على كل حال قال ان بعثت اليه لانصفه منكم . فقال عمرو بن العاص اتخشى ان ياتى باطله على حقنا او يربى قوله على قولنا قال معاوية اما انى ان بعثت اليه لامرته ان يتكلم بلسانه كله قالوا مره بذلك . قال اما اذ عصيتمونى وبعثتم اليه و ابيتم الا ذلك فلا ترضوا له فى القول واعلموا انهم اهل بيت لا يعيبيهم العائب ولا يلصق بهم العار ولكن اقدفوه بحجره تقولون له ان اباك قتل عثمان وكره خلافة الخلفاء من قبله . فبعث اليه معاوية فجاءه رسوله فقال ان امير المؤمنين يدعوك . قال من عنده فسماهم له فقال الحسن ع مالهم خر عليهم السقف من فوقهم و اتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ثم قال يا جارية ابغينى ثيابى اللهم انى اعوذ بك من شرورهم و ادرا بك فى نحورهم و استعين بك عليهم فاكفنيهم كيف شئت و انى شئت بحول منك و قوة يا ارحم الراحمين ثم قام فلما دخل على معاوية اعظمه و اكرمه و اجلسه الى جانبه و قد اتاد القوم و خطروا خطران الفحول بغيا فى انفسهم و علوا ثم قال يا ابا محمد ان هؤلاء بعثوا اليك و عصونى . فقال الحسن ع سبحان الله الدار دارك و الايذن فيها اليك و الله ان كنت اجبتهم الى ما ارادوا و ما فى انفسهم انى لاستحى لك من الفحش و ان كانوا غلبوك على رايك انى لاستحى لك من الضعف فأيهما تقرر و أيهما تنكر اما انى - روايت ١- ٢- روايت ١٩- ادا مه دارد [صفحه ٢٨٧] لوعلمت بمكانهم جئت معى بمثلهم من بنى عبدالمطلب و ما لى ان اكون مستوحشا منك و لامنهم ان و لى الله و هو يتولى الصالحين - روايت - از قبل ١٣٤ . فقال معاوية يا هذا انى كرهت ان ادعوك ولكن هؤلاء حملونى على ذلك مع كراهتى له و ان لك منهم النصف و منى و انما دعوناك لنقررك ان عثمان قتل مظلوما و ان اباك قتله فاستمع منهم ثم اجبهم و لا تمنعك وحدتك و اجتماعهم ان تتكلم بكل لسانك . فتكلم عمرو بن العاص فحمد الله و صلى على رسوله ثم ذكر عليا ع فلم يترك شيئا يعيبه به الاقاله و قال انه شتم ابا بكر و كره خلافته و امتنع من بيعته ثم بايعه مكرها و شرك فى دم عمر و قتل عثمان ظلما و ادعى من الخلافة ما ليس له . ثم ذكر الفتنة يعيره بها و اضاف اليه مساوى و قال انكم يابنى عبدالمطلب لم يكن الله ليعطيكم الملك على قتلكم الخلفاء و استحلالكم ما حرم الله من الدماء و حرصكم على الملك و اتيانكم ما لا يحل ثم انك يا حسن تحدث نفسك ان الخلافة صائرة اليك و ليس عندك عقل ذلك و لاله كيف ترى الله سبحانه سلبك عقلك و تركك احمق قريش يسخر منك و يهزأ بك و ذلك لسوء عمل ابيك و انما دعوناك لنسبك و اباك فاما ابوك فقد تفرد الله به و كفانا امره و اما انت فانك فى ايدينا نختار فيك الخصال و لو قتلناك ما كان علينا اثم من الله و لا عيب من الناس فهل تستطيع ان ترد علينا و تكذبنا فان كنت ترى انا كذبنا فى شىء فاردده علينا فيما قلنا و الافاعلم انك و اباك ظالمان ثم تكلم الوليد بن عقبه بن ابي معيط فقال يابنى هاشم انكم كنتم احوال عثمان فنعم الولد كان لكن فعرف حقكم و كنتم اصهاره فنعم الصهر كان لكم يكرمكم فكنتم [صفحه ٢٨٨] اول من حسده فقتله ابوك ظلما لا عذر له و لاحجة فكيف ترون الله طلب بدمه و انزلكم منزلتكم و الله ان بنى امية خير لبنى هاشم من بنى هاشم لبنى امية و ان معاوية خير لك من نفسك . ثم تكلم عقبه بن ابي سفيان فقال يا حسن كان ابوك شر قريش لقريش اسفكها لدمائها و اقطعها لأرحامها طويل السيف و اللسان يقتل الحى و يعيب الميت و انك ممن قتل عثمان و نحن قاتلوك به و امارجاؤك الخلافة فلست فى زندها قادحا و لا - فى ميزانها راجحا و انكم يابنى هاشم قتلتم عثمان و ان فى الحق ان نقتلك

وأحاك به فأما أبوك فقد كفانا الله أمره وأقاد منه و أما أنت فو الله ما علينا لو قتلناك بعثمان إثم و لاعدوان . ثم تكلم المغيرة بن شعبه فشتم عليا و قال و الله ما أعيبه فى قضيه يخون و لا فى حكم يميل ولكنه قتل عثمان ثم سكتوا. فتكلم الحسن بن على ع فحمد الله وأثنى عليه و صلى على رسوله ص ثم قال أما بعد يامعاوية فما هؤلاء شتمونى ولكنك شتمتنى فحشا ألفتة و سوء رأى عرفت به و خلقا سيئا ثبت عليه و بغيا علينا عداوة منك لمحمد و أهله ولكن اسمع يامعاوية و اسمعوا فلاقولن فيك و فيهم ما هودون ما فيكم أنشدكم الله أيها الرهط أتعلمون أن الذى شتمتموه منذ اليوم صلى القبلتين كليهما و أنت يامعاوية بهما كافر تراها ضلالة و تعبد اللات و العزى غواية و أنشدكم الله هل تعلمون أنه بايع البيعتين كليهما بيعه الفتح و بيعه الرضوان و أنت يامعاوية بإحداهما كافر و بالأخرى ناكث و أنشدكم الله هل تعلمون أنه أول الناس إيمانا و أنك يامعاوية و أباك -رواية- ١-٢-

رواية- ٢٨-١-٢-ادامه دارد [صفحه ٢٨٩] من المؤلفه قلوبهم تسرون الكفر و تظهرون الإسلام و تستمالون بالأموال و أنشدكم الله أستم تعلمون أنه كان صاحب رايه رسول الله ص يوم بدر و أن رايه المشركين كانت مع معاوية و مع أبيه ثم لقيكم يوم أحد و يوم الأحزاب و معه رايه رسول الله ص و معك و مع أبيك رايه الشرك و فى كل ذلك يفتح الله له و يفلج حجته و ينصر دعوته و يصدق حديثه و رسول الله ص فى تلك المواطن كلها عنه راض و عليك و على أبيك ساخط و أنشدك الله يامعاوية أتذكر يوما جاء أبوك على جمل أحمر و أنت تسوقه و أخوك عتبه هذايقوده فرآكم رسول الله ص فقال اللهم العن الراكب و القائد و السائق أتسى يامعاوية الشعر الذى كتبه إلى أبيك لما هم أن يسلم تنهاه عن ذلك -رواية- از قبل- ٦٥٩- ياصخر لا تسلمن يوما فتفضحنا || بعدالذين بيدر أصبحوا فرقا خالى و عمى و عم الأم ثالثهم || و حنظل الخير قد أهدى لنا الأرقا لا تركن إلى أمر تكلفنا || و الراقصات به فى مكة الخرقا فالموت أهون من قول العداة لقد || حاد ابن حرب عن العزى إذ فرقا و الله لما أخفيت من أمرك أكبر مما أبديت و أنشدكم الله أيها الرهط أتعلمون أن عليا حرم الشهوات على نفسه بين أصحاب رسول الله ص فأنزل فيه يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم و أن رسول الله ص بعث أكابر أصحابه إلى بنى قريظة فزلوا من حصنهم فهزموا فبعث عليا بالراية فاستنزلهم على حكم الله و حكم رسوله و فعل فى خير مثلها -رواية- ١-١-ادامه دارد [صفحه ٢٩٠] ثم قال يامعاوية أظنك لا تعلم أنى أعلم مادعا به عليك رسول الله ص لما أراد أن يكتب كتابا إلى بنى خزيمه فبعث إليك ابن عباس فوجدك تأكل ثم بعثه إليك مرة أخرى فوجدك تأكل فدعا عليك الرسول بجوعك و نهمك إلى أن تموت و أنتم أيها الرهط نشدتكم الله ألا تعلمون أن رسول الله ص لعن أباسفيان فى سبعة مواطن لا يستطيعون ردها أولها يوم لقي رسول الله ص خارجا من مكة إلى الطائف يدعو ثقيفا إلى الدين فوقع به و سبه و سفهه و شتمه و كذبه و توعدده و هم أن يبطش به فلعنه الله و رسوله و صرف عنه و الثانية يوم العير إذ عرض لها رسول الله ص و هى جائيه من الشام فطردها أبوسفيان و ساحل بها فلم يظفر المسلمون بها و لعنه رسول الله ص و دعا عليه فكانت وقعة بدر لأجلها و الثالثة يوم أحد حيث وقف تحت الجبل و رسول الله ص فى أعلاه و هوينادى أعل هبل مرارا فلعنه رسول الله ص عشر مرات و لعنه المسلمون و الرابعة يوم جاء بالأحزاب و غطفان و اليهود فلعنه رسول الله و ابتهل و الخامسة يوم جاء أبوسفيان فى قريش فصدوا رسول الله ص عن المسجد الحرام و الهدى معكوبا أن يبلغ محله ذلك يوم الحديبية فلعن رسول الله ص أباسفيان و لعن القادة و الأتباع و قال ملعونون كلهم و ليس فيهم من يؤمن فقيل يا رسول الله أفما يرجى الإسلام لأحد منهم فكيف باللعنة فقال لا تصيب اللعنة أحدا من الأتباع و أمالقادة فلا يفلح منهم أحد -رواية- از قبل- ١٢٥١- [صفحه ٢٩١] و السادسة يوم الجمل الأحمر و السابعة يوم وقفوا لرسول الله ص فى العقبة ليستنفرؤا ناقته و كانوا اثنى عشر رجلا منهم أبوسفيان فهذا لك يامعاوية و أما أنت يا ابن العاص فإن أمرك مشترك و وضعتك أمك مجهولا من عهر و سفاح فيك أربعة من قريش فغلب عليك جزاها الأمهم حسبا و أحببهم منصبا ثم قام أبوك فقال أناشاني محمد الأبر فأنزل الله فيه ما أنزل و قاتلت رسول الله ص فى جميع المشاهد و هجوته و آذيته بمكة و كدته كيدك كله و كنت من أشد الناس له

تكذبا وعداوة ثم خرجت تريد النجاشي مع أصحاب السفينة لتأتي بجعفر وأصحابه إلى أهل مكة فلما أخطأك مارحوت ورجعك الله خائبا وأكذبك واشيا جعلت حدك على صاحبك عمارة بن الوليد فوشيت به إلى النجاشي حسدا لمارتكب مع حليلتك ففضحكك الله وفضح صاحبك فأنت عدو بني هاشم في الجاهلية والإسلام ثم إنك تعلم و كل هؤلاء الرهط يعلمون أنك هجوت رسول الله ص بسبعين بيتا من الشعر فقال رسول الله ص اللهم إنى لا أقول الشعر ولا ينبغى لى اللهم العنه بكل حرف ألف لعنة فعليك إذا من الله ما لا يحصى من اللعن و أما ذكرت من أمر عثمان فأنت سعت عليه الدنيا نارا ثم حلقت بفلسطين فلما أتاك قتله قلت أنا أبو عبد الله إذانكأت قرحة أدميتها ثم حبست نفسك إلى معاوية وبعث دينك بدنياه فلسنا نلومك على بغض و لانعابتك على ود وبالله -روایت- ۱-ادامه دارد [صفحه ۲۹۲] مانصرت عثمان حيا و لا غضبت له مقتولا ويحك يا ابن العاص ألت القائل فى بنى هاشم لماخرجت من مكة إلى النجاشي -روایت- از قبل- ۱۱۹ تقول ابنتى أين هذا الرحيل || و ماالسير منى بمستنكر فقلت ذرىنى فإنى امرؤ || أريد النجاشي فى جعفر لأكويه عنده كية || أقيم بهانخوة الأصغر وشانئ أحمد من بينهم || وأقولهم فيه بالمنكر وأجرى إلى عتبه جاهدا || و لو كان كالذهب الأحمر و لا أنثنى عن بنى هاشم || و مااسطعت فى الغيب والمحضر فإن قبل العتب منى له || و لإلوليت له مشفري فهذا جوابك هل سمعته و أما أنت ياوليد فو الله ماألومك على بغض على و قدجلدك ثمانين فى الخمر وقتل أباك بين يدى رسول الله صبرا و أنت الذى سماه الله الفاسق وسمى عليا المؤمن حيث تفاخرتما فقلت له اسكت يا على فأنا أشجع منك جنانا وأطول منك لسانا فقال لك على اسكت ياوليد فأنا مؤمن و أنت فاسق فأنزل الله تعالى فى موافقة قوله أ فمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستون ثم أنزل فيك على موافقة قوله أيضا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ويحك ياوليد مهما نسيت فلا تنس قول الشاعر فيك و فيه -روایت- ۱- ۵۳۵ أنزل الله والكتاب عزيز || فى على و فى الوليد قرآنا [صفحه ۲۹۳] فتبوا الوليد إذ ذاك فسقا || و على مبوأ إيمانا ليس من كان مؤمنا عمر ك الله || كمن كان فاسقا خوانا سوف يدعى الوليد بعد قليل || و على إلى الحساب عيانا فعلى يجزى بذاك جنانا || ووليد يجزى بذاك هوانا رب جد لعقبه بن أبان || لابس فى بلادنا تبارنا و ما أنت وقريش إنما أنت علعج من أهل صفورية و أقسم بالله لأنت أكبر فى الميلاد وأسمن ممن تدعى إليه و أما أنت يا عتبه فو الله ما أنت بحصيف فأجيبك و لاعاقل فأحاورك و أعاتبك و ما عندك خير يرجى و لا شر يتقى و ما عقلك و عقل أمتك إلا سوء و ما يضر عليا لوسبته على رءوس الأشهاد و أما وعيدك إياى بالقتل فهلا قتلت اللحيانى إذا وجدته على فراشك أما تستحى من قول نصر بن حجاج فيك -روایت- ۱- ۳۹۲ بالرجال و حادث الأزمان || ولسبة تخزى أباسفيان نبث عتبه خانه فى عرسه || جبس لئيم الأصل من لحيان و بعد هذا ماأربأ بنفسى عن ذكره لفحشه فكيف يخاف أحد سيفك و لم تقتل فاضحك و كيف ألومك على بغض على و قدقتل خالك الوليد مبارزة يوم بدر و شرك حمزة فى قتل جدك عتبه و أوحدهك من أخيك حنظلة فى مقام واحد و أما أنت يامغيرة فلم تكن بخليق أن تقع فى هذا وشبهه وإنما مثلك مثل البعوضة إذ قالت للنخلة استمسكى فإنى طائره عنك فقالت النخلة وهل علمت بك واقعة على فأعلم بك طائره عنى -روایت- ۱-ادامه دارد [صفحه ۲۹۴] و الله مانشر بعداوتك إيانا و لا اغتمنا إذ علمنا بها و لا يشق علينا كلامك و إن حد الله فى الزنا لثابت عليك و لقد درأ عمر عنك حقا الله سائلة عنه و لقد سألت رسول الله ص هل ينظر الرجل إلى المرأة يريد أن يتزوجها فقال لا بأس بذلك يامغيرة ما لم ينو الزنا لعلمه بأنك زان و أما فخركم علينا بالإمارة فإن الله تعالى يقول و إذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا. ثم قام الحسن فنفض ثوبه وانصرف -روایت- از قبل- ۴۸۶ فتعلق عمرو بن العاص بثوبه و قال يا أمير المؤمنين قد شهدت قوله فى وقذفه أمى بالزنا و أنا مطالب له بحد القذف فقال معاوية خل عنه لاجزاك الله خيرا فتركه فقال معاوية قد أنبأتكم أنه ممن لا تطاق عارضته ونهيتكم أن تسبوه فعصيتومنى و الله ما قام حتى أظلم على البيت قوموا عنى فلقد فضحككم الله و أخزاكم بترككم الحزم وعدولكم عن رأى

عمرو بن العاص و معاوية

وروى الشعبي قال دخل عمرو بن العاص على معاوية يسأله حاجة و قد كان بلغ معاوية عنه ما كرهه فكره قضاءها و تشاغل فقال عمرو يا معاوية إن السخاء فطنة و اللؤم تغافل و الجفاء ليس من أخلاق المؤمنين فقال معاوية يا عمرو بما ذا تستحق منا قضاء الحوائج العظام فغضب عمرو و قال بأعظم حق و أوجب إذ كنت في بحر عجاج فلو لا عمرو لغرقت في أقل مائه و أرقه ولكني دفعتك فيه دفعة فصرت في وسطه ثم دفعتك فيه أخرى فصرت في أعلى المواضع منه فمضى حكمك و نفذ أمرك و انطلق [صفحة ٢٩٥] لسانك بعد تلجلجه و أضاء وجهك بعد ظلمته و طمست لك الشمس بالعهن المنفوش و أظلمت لك القمر بالليله المدلهمة. فتناوم معاوية و أطبق جفنيه مليا فخرج عمرو فاستوى معاوية جالسا و قال لجلسائه أرايتم ما خرج من فم ذلك الرجل ما عليه لو عرض في التعريض ما يكفي ولكنه جبهني بكلامه و رمانى بسموم سهامه . فقال بعض جلسائه يا أمير المؤمنين إن الحوائج لتقضى على ثلاث خصال إما أن يكون السائل لقضاء الحاجة مستحقا فتقضى له بحقه و إما أن يكون السائل لثيما فيصون الشريف نفسه عن لسانه فيقضى حاجته و إما أن يكون المسئول كريما فيقضيها لكرمه صغرت أو كبرت . فقال معاوية لله أبوك ما أحسن مناطق و بعث إلى عمرو فأخبره و قضى حاجته و وصله بصله جليله فلما أخذها و لى منصرفا فقال معاوية فإن أعطوا منها رضوا و إن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون فسمعها عمرو فالتفت إليه مغضبا و قال و الله يا معاوية لا أزال آخذ منك قهرا و لأطيع لك أمرا و أحفر لك بئرا عميقا إذا وقعت فيه لم تدرك إلا رميما فضحك معاوية فقال ما أريدك يا أبا عبد الله بالكلمة و إنما كانت آية تلوتها من كتاب الله عرضت بقلبي فاصنع ماشئت - قرآن - ٦٩٥-٧٦٥

عبد الله بن جعفر و عمرو بن العاص في مجلس معاوية

وروى المدائني قال بينا معاوية يوما جالسا عنده عمرو بن العاص إذ قال الآذن قد جاء عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فقال عمرو و الله لأسوءه اليوم فقال معاوية لا تفعل يا أبا عبد الله فإنك لا تنصف منه و لعلك أن تظهر لنا من منقبتة ما هو خفى عنا و ما لانحب أن نعلمه منه . [صفحة ٢٩٦] و غشيهم عبد الله بن جعفر فأداناه معاوية و قربه فمال عمرو إلى بعض جلساء معاوية فقال من على ع جهارا غير سائر له و ثلبه ثلثا قبيحا. فالتمع لون عبد الله بن جعفر و اعتراه أفكل حتى أرعدت خصائله ثم نزل عن السرير كالفنيق فقال عمرو مه يا أبا جعفر فقال له عبد الله مه لأأم لك ثم قال أظن الحلم دل على قومي || و قد يستجهل الرجل الحليم . ثم حسر عن ذراعيه و قال يا معاوية حتام نتجرع غيظك و إلى كم الصبر على مكروه قولك و سيئ أدبك و ذميم أخلاقك هببتك الهبول أ ما يجررك ذمام المجالسة عن القذع لجليسك إذا لم تكن لك حرمة من دينك تنهاك عما لا يجوز لك أما و الله لو عطفتك أو اصر الأرحام أو حاميت على سهمك من الإسلام ما أرايت بنى الإمام المتك و العبيد الصك أعراض قومك . و ما يجهل موضع الصفوة إلا أهل الجفوة و إنك لتعرف و شائظ قريش و صبوة غرائرها فلا يدعونك تصويب ما فرط من خطئك في سفك دماء المسلمين و محاربة أمير المؤمنين إلى التمدادى فيما قد وضح لك الصواب في خلافه فاقصد لمنهج الحق فقد طال عمهك عن سبيل الرشد و خبطك في بحور ظلمة الغى. [صفحة ٢٩٧] فإن آبيت إلاتابعا في قبح اختيارك لنفسك فأعفنا من سوء القالة فينا إذا ضمنا و إياك الندى و شأنك و ماتريد إذا خلوت و الله حسيبك فو الله لو لا ما جعل الله لنا في يديك لما أتيناك

. ثم قال إنك إن كلفتني ما لم أطق ساءك ماسرك مني من خلق . فقال معاوية يا أبا جعفر أقسمت عليك لتجلسن لعن الله من أخرج ضب صدرك من وجاره محمول لك ما قلت و لك عندنا ماأملت فلو لم يكن محمدك ومنصبك لكان خلقك وخلقك شافعين لك إلينا و أنت ابن ذى الجناحين وسيد بنى هاشم . فقال عبد الله كلا بل سيد بنى هاشم حسن وحسين لاينازعهما فى ذلك أحد. فقال أبا جعفر أقسمت عليك لما ذكرت حاجة لك لإقضيتها كأنه ماكانت و لو ذهبت بجميع ماأملك فقال أما فى هذاالمجلس فلا- ثم انصرف .فأتبعه معاوية بصره و قال و الله لكأنه رسول الله ص مشيه وخلقته وخلقته وإنه لمن مشكاته و لو ددت أنه أخى بنفيس ماأملك . ثم التفت إلى عمرو فقال أبا عبد الله ماتراه منعه من الكلام معك قال ما لاختفاء به عنك قال أظنك تقول إنه هاب جوابك لا- و الله ولكنه ازدراك واستحقرك و لم يرك للكلام أهلا- أ ما رأيت إقباله على دونك ذاهبا بنفسه عنك . فقال عمرو فهل لك أن تسمع ماأعدته لجوابه قال معاوية اذهب إليك أبا عبد الله فلاه حين جواب سائر اليوم . ونهض معاوية وتفرق الناس [صفحہ ۲۹۸]

عبد الله بن العباس ورجالات قريش فى مجلس معاوية

وروى المدائنى أيضا قال وفد عبد الله بن عباس على معاوية مرة فقال معاوية لابنه يزيد ولزيد ابن سمية وعتبة بن أبى سفيان ومروان بن الحكم وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وسعيد بن العاص و عبدالرحمن ابن أم الحكم إنه قذال العهد بعبد الله بن عباس و ما كان شجر بيننا وبينه و بين ابن عمه ولقد كان نصبه للتحكيم فدفع عنه فحركوه على الكلام لنبلغ حقيقة صفته ونقف على كنه معرفته ونعرف ما صرف عنا من شبا حده وزوى عنا من دهاء رأيه فربما وصف المرء بغير ما هو فيه وأعطى من النعت والاسم ما لا يستحقه . ثم أرسل إلى عبد الله بن عباس فلما دخل واستقر به المجلس ابتدأه ابن أبى سفيان فقال يا ابن عباس مامنع عليا أن يوجه بك حكما فقال أما و الله لو فعل لقرن عمرا بصعبه من الإبل يوجع كفه مراسها ولأذهلت عقله وأجرضته بريقه وقدحت فى سويداء قلبه فلم يبرم أمرا و لم ينفض ترابا إلا كنت منه بمرأى ومسمع فإن أنكأه أدميت قواه و إن أدمه فصمت عراه بغرب مقول لا يقل حده وأصالة رأى كمتاح الأجل لاوزر منه أصدع به أديمه وأفل به شبا حده وأشحد به عزائم المتقين وأزيح به شبه الشاكين . فقال عمرو بن العاص هذا و الله يا أمير المؤمنين نجوم أول الشر وأفول آخر الخير و فى حسمه قطع مادته فبادره بالحملة وانتهاز منه الفرصة و اردع بالتنكيل به غيره و شرده به من خلفه . فقال ابن عباس يا ابن النابغة ضل و الله عقلك وسفه حلمك ونطق الشيطان على لسانك هلا توليت ذلك بنفسك يوم صفين حين دعيت نزال وتكافح الأبطال [صفحہ ۲۹۹] وكثرت الجراح وتقصفت الرماح وبرزت إلى أمير المؤمنين مصلولا فانكفأ نحوك بالسيف حاملا- فلما رأيت الكواشر من الموت أعددت حيلة السلامة قبل لقائه والانكفاء عنه بعد إجابته دعائه فمنحته رجاء النجاة عورتك وكشفت له خوف بأسه سوأتك حذرا أن يصطلمك بسطوته ويلتهمك بحملته ثم أشرت على معاوية كالناصح له بمبارزته وحسنت له التعرض لمكافحته رجاء أن تكتفى مؤنته وتعدم صورته فعلم غل صدرك و ما انحنت عليه من النفاق أضلعك وعرف مقر سهمك فى غرضك . فاكفف غرب لسانك واقمع عوراء لفظك فإنك لمن أسد خادر وبحر زاخر إن تبرزت للأسد افترسك و إن عمت فى البحر قمسك . فقال مروان بن الحكم يا ابن عباس إنك لتصرف أنيابك وتورى نارك كأنك ترجو الغلبة وتؤمل العافية و لو لاحم أمير المؤمنين عنكم لتناولكم بأقصر أنامله فأوردكم منها ببعيدا صدره ولعمرى لئن سطا بكم ليأخذن بعض حقه منكم ولئن عفا عن جرائمكم فقديما مانسب إلى ذلك . فقال ابن عباس وإنك لتقول ذلك يا عدو الله وطريد رسول الله والمباح دمه والداخل بين عثمان ورعيته بما حملهم على قطع أوداجه وركوب أثباجه أما و الله لو طلب معاوية ثأره لأخذك به و

لونظر في أمر عثمان لوجدك أوله وآخره . و أماقولك لي إنك لتصرف أنيابك وتورى نارك فسل معاوية وعمرا يخبراك ليله الهرير كيف ثباتنا للمثالات واستخفافنا بالمعضلات وصدق جلادنا عندالمصاوله وصبرنا [صفحہ ۳۰۰] على اللأواء والمطاولة ومصافحتنا بجباهانا السيوف المرهفة ومباشرتنا بنحورنا حد الأسنه هل خمننا عن كرائم تلك المواقف أم لم نبذل مهجنا للمتالف و ليس لك إذ ذاك فيهما مقام محمود و لا يوم مشهود و لأثر معدود وإنيهما شهدا ما لوشهدت لأفلكك فأربع على ظلعك و لا-تعرض لما ليس لك فإنك كالمغروز في صغد لا يهبط برجل و لا يرقى بيد. فقال زياد يا ابن عباس إني لأعلم مامنع حسنا وحسينا من الوفود معك على أمير المؤمنين إلا ماسولت لهما أنفسهما وغرهما به من هو عندالبأساء سلمهما وإيم الله لوليتهما لأدأبا في الرحلة إلى أمير المؤمنين أنفسهما ولقل بمكانهما لثهما. فقال ابن عباس إذن و الله يقصر دونهما باعك ويضيق بهما ذراعك و لورمت ذلك لوجدت من دونهما فئه صدقا صبيرا على البلاء لا يخيمون عن اللقاء فلعر كوك بكلاكلهم ووطوك بمناسمهم وأوجروك مشق رماحهم وشفار سيوفهم و وخر أستنتهم حتى تشهد بسوء ما أتيت وتبين ضياع الحزم فيما جنيت فحذار حذار من سوء النية فتكافأ برد الأمنية وتكون سببا لفساد هذين الحيين بعد صلاحهما وسعيا في اختلافهما بعد اتلافهما حيث لا يضرهما إبساسك و لا يغني عنهما إيناسك . فقال عبدالرحمن ابن أم الحكم لله در ابن ملجم فقد بلغ الأمل وأمن الوجل وأحد الشفرة والآن المهرة وأدرك الثأر ونفى العار وفاز بالمتزلة العليا ورقى الدرجة القصوى . فقال ابن عباس أما و الله لقد كرع كأس حتفه بيده وعجل الله إلى النار بروحه [صفحہ ۳۰۱] و لوأبدي لأمير المؤمنين صفحته لخالطه الفحل القطم والسيف الخدم ولألعله صابا وسقاه سما وألحقه بالوليد وعتبه وحنظلة فكلهم كان أشد منه شكيمه وأمضى عزيمة ففري بالسيف هامهم ورملمهم بدمائهم وقرى الذئاب أشلاءهم و فرق بينهم و بين أحبائهم أولئك حصب جهنم هم لها واردون وهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا و لاغرو إن ختل و لاوصمه إن قتل فإننا لكما قال دريد بن الصمه فإننا للحم السيف غيرمكره || ونلحمه طورا و ليس بذى نكر يغار علينا واترين فيشتفى || بنا إن أصبنا أونغير على وتر . فقال المغيرة بن شعبة أما و الله لقد أشرت على علي بالنصيحة فأثر رأيه ومضى على غلوائه فكانت العاقبة عليه لا له وإني لأحسب أن خلقه يقتدون بمنهجه . فقال ابن عباس كان و الله أمير المؤمنين ع أعلم بوجوه الرأى ومعاهد الحزم وتصريف الأمور من أن يقبل مشورتك فيما نهى الله عنه وعنف عليه قال سبحانه لا تجد قوما يؤمنون بالله و اليوم الآخر يؤادون من حاد الله و رسوله ولقد وقفك على ذكر مبين وآية متلوة قوله تعالى و ما كنت متخذ المضللين -قرآن- ۳۱۹-۴۱۳-قرآن- ۴۶۳-۴۹۴ . فقال المغيرة بن شعبة أما و الله لقد أشرت على علي بالنصيحة فأثر رأيه ومضى على غلوائه فكانت العاقبة عليه لا- له وإني لأحسب أن خلقه يقتدون بمنهجه . فقال ابن عباس كان و الله أمير المؤمنين ع أعلم بوجوه الرأى ومعاهد الحزم وتصريف الأمور من أن يقبل مشورتك فيما نهى الله عنه وعنف عليه قال سبحانه لا تجد قوما يؤمنون بالله و اليوم الآخر يؤادون من حاد الله و رسوله ولقد وقفك على ذكر مبين وآية متلوة قوله تعالى و ما كنت متخذ المضللين عضا دأ وهل كان يسوغ له أن يحكم فى دماء المسلمين وفى المؤمنين من ليس بمأمون عنده و لاموثوق به فى نفسه هيهات هيهات هو أعلم بفرض الله وسنة رسوله أن يبطن خلاف ما يظهر إلاللتقية ولات حين تقيه مع وضوح الحق وثبوت الجنان وكثرة الأنصار يمضى كالسيف المصلت فى أمر الله مؤثرا لطاعة ربه والتقوى على آراء أهل الدنيا. فقال يزيد بن معاوية يا ابن عباس إنك لتنتطق بلسان طلق ينبئ عن مكنون قلب حرق فاطو ما أنت عليه كشحا فقد محاضوء حقا ظلمة باظلمكم . فقال ابن عباس مهلا يزيد فو الله ماصفت القلوب لكم منذ تكدرت بالعداوة عليكم و لادنت بالمحبة إليكم مذ نأت بالبغضاء عنكم لارضيت اليوم منكم ماسخطت بالأمس من أفعالكم و إن تدل الأيام نستقض ماسد عنا ونسترجع ما ابتز منا كيلا بكيل ووزنا بوزن و إن تكن الأخرى فكفى بالله وليا لنا ووكيلا على المعتدين علينا. فقال معاوية إن فى نفسى منكم لحزازات يابنى هاشم وإني لخليق أن أدرك فيكم الثأر وأنفى العار فإن دماءنا قبلكم وظلامتنا فيكم . فقال ابن عباس و الله إن رمت ذلك يامعاوية لثيرن

عليك أسدا مخدرة وأفاعي مطرقة لايفثوها كثرة السلاح ولايعضها نكاية الجراح يضعون أسياهم على عواتقهم يضربون قدما قدما من ناوهم يهون عليهم نباح الكلاب وعواء الذئاب -قرآن- ١-٨ [صفحة ٣٠٣] لايفاتون بوتر ولايسبقون إلى كريم ذكر قدوطنوا على الموت أنفسهم وسمت بهم إلى العلياء همهم كماقالت الأزدية قوم إذاشهدوا الهياج فلا || ضرب ينهتهم ولازجر وكأنهم آساد غينة قد || غرث وبل متونها القطر. فلتكونن منهم بحيث أعددت ليلة الهرير للهرب فرسك و كان أكبر همك سلامة حشاشة نفسك و لو لاطغام من أهل الشام وقوك بأنفسهم وبدلوا دونك مهجهم حتى إذاذاقوا وخز الشفار وأيقنوا بحلول الدمار رفعوا المصاحف مستجيرين بها وعائذين بعصمتها لكنت شلوا مطروحا بالعراء تسفى عليك رياحها ويعتورك ذبابها. و ماأقول هذاأريد صرفك عن عزيمتك ولاإزالتك عن معقود نيتك لكن الرحم التي تعطف عليك والأوامر التي توجب صرف النصيحة إليك . فقال معاوية لله درك يا ابن عباس ماتكشف الأيام منك إلا عن سيف صقيل ورأى أصيل وبالله لو لم يلد هاشم غيرك لمانقص عددهم و لو لم يكن لأهلك سواك لكان الله قدكثهم . ثم نهض فقام ابن عباس وانصرف . وروى أبوالعباس أحمد بن يحيى ثعلب فى أماليه أن عمرو بن العاص قال لعتبة بن أبى سفيان يوم الحكمين أ ماترى ابن عباس قدفتح عينيه ونشر أذنيه و لو قدر أن يتكلم بهما فعل و إن غفلة أصحابه لمجبورة بفطنته وهى ساعتنا الطولى فاكفنيه . قال عتبة بجهدى. [صفحة ٣٠٤] قال فقلت فقعدت إلى جانبه فلما أخذ القوم فى الكلام أقبلت عليه بالحديث ففرع يدى و قال ليست ساعة حديث قال فأظهرت غضبا و قلت يا ابن عباس إن ثقتك بأحلامنا أسرعت بك إلى أعراضنا و قد و الله تقدم من قبل العذر و كثر منا الصبر ثم أقذعته فجاش لى مرجه وارتفعت أصواتنا فجاء القوم فأخذوا بأيدينا فنحوه عنى ونحونى عنه فجئت فقربت من عمرو بن العاص فرمانى بمؤخر عينيه و قال ماصنعت فقلت كفيتك التقواله فحمم كمايحمم الفرس للشعير قال وفات ابن عباس أول الكلام فكره أن يتكلم فى آخره . و قد ذكرنا نحن هذاالخبر فيما تقدم فى أخبار صفين على وجه آخر غير هذاالوجه

عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص فى الحبشة

فأما خبر عمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي أخى خالد بن الوليد مع عمرو بن العاص فقد ذكره ابن إسحاق فى كتاب المغازى قال كان عمارة بن الوليد بن المغيرة وعمرو بن العاص بن وائل بعدمبعث رسول الله ص خرجا إلى أرض الحبشة على شركهما وكلاهما كان شاعرا عارما فاتكا. و كان عمارة بن الوليد رجلا جميلا وسيما تهواه النساء صاحب محادثة لهن فركبا البحر و مع عمرو بن العاص امرأته حتى إذاصاروا فى البحر ليالى أصابا من خمر معهما فلما انتشى عمارة قال لامرأة عمرو بن العاص قبلى فقال لها عمرو قبلى ابن عمك فقبلته فهويها عمارة وجعل يراودها عن نفسها فامتنعت منه ثم إن عمرا جلس على منجاف [صفحة ٣٠٥] السفينة يبول فدفعه عمارة فى البحر فلما وقع عمرو سبح حتى أخذ بمنجاف السفينة فقال له عمارة أما و الله لو علمت أنك سابح ما طرحتك ولكننى كنت أظن أنك لاتحسن السباحة فضغن عمرو عليه فى نفسه وعلم أنه كان أراد قتله ومضيا على وجههما ذلك حتى قدما أرض الحبشة فلما نزلها كتب عمرو إلى أبيه العاص بن وائل أن اخلعنى وتبرأ من جريرتى إلى بنى المغيرة وسائر بنى مخزوم وخشى على أبيه أن يتبع بجريرته فلما قدم الكتاب على العاص بن وائل مشى إلى رجال بنى المغيرة وبنى مخزوم فقال إن هذين الرجلين قدخرجا حيث علمتم وكلاهما فاتك صاحب شر غيرأمونين على أنفسهما ولاأدرى ما يكون منهما وإنى أبرأ إليكم من عمرو وجريرته فقد خلعتهم فقال عند ذلك بنو المغيرة وبنو مخزوم و أنت تخاف عمرا على عمارة ونحن فقد خلعنا عمارة وتبرأنا إليك من جريرته فحل بين الرجلين قال قدفعلت فخلعوهما وبرئ كل قوم من صاحبهم ومايجرى منه . قال فلما اطمأنا بأرض الحبشة لم يلبث عمارة بن الوليد أن دب لامرأة النجاشى و كان جميلا صبيحا

وسيما فأدخلته فاختلف إليها وجعل إذارج من مدخله ذلك يخبر عمرا بما كان من أمره فيقول عمرو لأصدقك أنك قدرت على هذا إن شأن هذه المرأة أرفع من ذلك فلما أكثر عليه عماره بما كان يخبره و كان عمرو قد علم صدقه وعرف أنه دخل عليها ورأى من حاله وهيبته و ماتصنع المرأة به إذا كان معها وبيتوته عندها حتى يأتي إليه مع السحر ما عرف به ذلك وكانا في منزل واحد ولكنه كان يريد أن يأتيه بشيء لا يستطيع دفعه إن هورفع شأنه إلى النجاشي فقال له في بعض [صفحة ٣٠٦] مايتذاكران من أمرها إن كنت صادقاً فقل لها فلتدهنك بدهن النجاشي الذي لا يدهن به غيره فإنني أعرفه وائتني بشيء منه حتى أصدقك قال أفعل .فجاء في بعض مايدخل إليها فسألها ذلك فدهنته منه وأعطته شيئاً في قارورة فلما شممه عمرو عرفه فقال أشهد أنك قد صدقت لقد أصبت شيئاً ماأصاب أحد من العرب مثله قط ونلت من امرأة الملك شيئاً ماسمعنا بمثل هذا وكانوا أهل جاهلية وشبانا و ذلك في أنفسهم فضل لمن أصابه وقدر عليه . ثم سكت عنه حتى اطمأن ودخل على النجاشي فقال أيها الملك إن معي سفهاء من سفهاء قريش و قدخشيت أن يعرني عندك أمره وأردت أن أعلمك بشأنه وألا أرفع ذلك إليك حتى استثبت أنه قد دخل على بعض نساءك فأكثر و هذاهنك قد أعطته وادهن به . فلما شم النجاشي الدهن قال صدقت هذاهنني الذي لا- يكون إلا- عندنسائي فلما أثبت أمره دعا بعمارة ودعا نسوة أخر فجرده من ثيابه ثم أمرهن أن ينفخن في إحليله ثم خلى سبيله .فخرج هاربا في الوحش فلم يزل في أرض الحبشة حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب فخرج إليه رجال من بنى المغيرة منهم عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة و كان اسم عبد الله قبل أن يسلم بجيرا فلما أسلم سماه رسول الله ص عبد الله فرصدوه على ماء بأرض الحبشة كان يرده مع الوحش فزعموا أنه أقبل في حمر من حمر الوحش ليرد معها فلما وجد ريح الإنس هرب منه حتى إذاأجهد العطش ورد فشرب حتى تملأ- وخرجوا في طلبه . [صفحة ٣٠٧] قال عبد الله بن أبي ربيعة فسبقت إليه فالتزمته فجعل يقول أرسلني أني أموت إن أمسكتني قال عبد الله فضبطته فمات في يدي مكانه فواروه ثم انصرفوا. و كان شعره فيما يزعمون قد غطى كل شيء منه فقال عمرو بن العاص يذكر ما كان صنع به و ماأراد من أمراته تعلم عمار أن من شر سنه || على المرء أن يدعى ابن عم له ابناً أ أن كنت ذا بردين أحوى مرجلا || فليست براع لابن عمك محرماً إذا المرء لم يترك طعاما يحبه || و لم ينه قلبا غاويا حيث يمما قضى وطرا منه سيرا وأصبحت || إذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

أمر عمرو بن العاص مع جعفر بن أبي طالب في الحبشة

و أماخبر عمرو بن العاص في شخوصه إلى الحبشة ليكيده جعفر بن أبي طالب والمهاجرين من المؤمنين عندالنجاشي فقد رواه كل من صنف في السيرة قال محمد بن إسحاق في كتاب المغازي قال حدثني محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري عن أبي بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي عن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية زوجة رسول الله ص قالت لمانزلنا بأرض الحبشة جاورنا بهاخير جار النجاشي أمنا على ديننا وعبدنا الله لا نؤذى كما كنا نؤذى بمكة و لانسمع شيئاً نكرهه فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا [صفحة ٣٠٨] بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي في أمرنا رجلين منهم جلدتين و أن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة و كان من أعجب ما يأتيه منه الأدم فجمعوا أدماً كثيراً و لم يتركوا من بطارقه بطريقاً إلاأهدوا إليه هدية ثم بعثوا بذلك مع عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي و عمرو بن العاص بن وائل السهمي وأمروهما أمرهم وقالوا لهما ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلمنا النجاشي فيهم . ثم قدما إلى النجاشي ونحن عنده في خير دار عندخير جار فلم يبق من بطارقه بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلمنا النجاشي ثم قالوا للبطارقة أنه قد فر إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم و لم يدخلوا في دينكم وجاءوا بدين مبتدع لانعرفه نحن و لأنتم و قدبعثنا إلى الملك أشرف

قومهم لتردهم إليهم فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه أن يسلمهم إلينا و لا يكلمهم فإن قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم فقالوا لهما نعم . ثم إنهما قربا هدايا الملك إليه فقبلها منهم ثم كلماه فقالا له أيها الملك قدفر إلى بلادك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم و لم يدخلوا في دينك جاءوا بدين ابتدعوه لانعرفه نحن و لا أنت و قدبعثنا فيهم إليك أشرف قومنا من آبائهم وأعمامهم وعشائهم لتردهم عليهم فهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم وعينوه منهم . قالت أم سلمة و لم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع النجاشي كلامهم . فقالت بطارقة الملك وخواصه حوله صدقا أيها الملك قومهم أعلى بهم عينا وأعلم [صفحة ٣٠٩] بما عابوا عليهم فليسلمهم الملك إليهما ليرادهم إلى بلادهم وقومهم . فغضب الملك و قال لاها الله إذا لآسلمهم إليهما و لآخر قوما جاوروني و نزلوا بلادى و اختاروني على سواى حتى أدعوهم و أسألهم عما يقول هذان فى أمرهم فإن كانوا كما يقولون أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم و إن كانوا على غير ذلك منعتهم منهم و أحسنت جوارهم ماجاوروني . قالت ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ص فدعاهم فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض ماتقولون للرجل إذا جئتموه قالوا نقول و الله ما علمناه و ما أمرنا به نيناص كائنا فى ذلك ما هو كائن فلما جاءوه و قد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله سألهم فقال لهم ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم و لم تدخلوا فى دينى و لا فى دين أحد من هذه الملل قالت أم سلمة و كان الذى كلمه جعفر بن أبى طالب فقال له أيها الملك إنا كنا قوما فى جاهلية نعبد الأصنام و نأكل الميتة و نأتى الفواحش و نقطع الأرحام و نسىء الجوار و يأكل القوى منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله عز و جل علينا رسولا منا نعرف نسبه و صدقه و أماتته و عفاه فدعانا إلى الله لنوحده و نعبده و نخلع ما كنا عليه نحن و آباؤنا من دونه من الحجارة و الأوثان و أمرنا بصدق الحديث و أداء الأمانة و صلة الرحم و حسن التجاور و الكف عن المحارم و الدماء و نهانا عن سائر الفواحش و قول الزور و أكل مال اليتيم و قذف المحصنة و أمرنا أن نعبد الله لانشرك به شيئا و بالصلاة و بالزكاة و بالصيام . [صفحة ٣١٠] قالت فعدد عليه أمور الإسلام كلها فصدقناه و آمنا به و اتبعناه على ما جاء به من الله فعبدنا الله و وحده فلم نشرك به شيئا و حررنا ما حرم علينا و أحللنا ما أحل لنا فعدا علينا قوما فعذبونا و فتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأصنام و الأوثان عن عبادة الله و أن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا و ظلمونا و ضيقوا علينا و حالوا بيننا و بين ديننا خرجنا إلى بلدك و اخترناك على من سواك و رغبتنا فى جوارك و رجونا ألا نظلم عندك أيها الملك . فقال النجاشي فهل معك مما جاء به صاحبكم عن الله شيء فقال جعفر نعم فقال اقرأه على فقرا عليه صدرا من كهيعص فبكى حتى اخضلت لحيته و بكت أساقفته حتى أخضلوا لحاهم ثم قال النجاشي و الله إن هذا و الذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة و الله لآسلمكم إليهم . قالت أم سلمة فلما خرج القوم من عنده قال عمرو بن العاص و الله لأعييهم غدا عنده بما يستأصل به خضراءهم فقال له عبد الله بن أبى ربيعة و كان أتقى الرجلين لاتفعل فإن لهم أرحاما و إن كانوا قد خالفوا قال و الله لأخبرنه غدا أنهم يقولون فى عيسى ابن مريم أنه عبد ثم غدا عليه من الغد فقال أيها الملك إن هؤلاء يقولون فى عيسى ابن مريم قولا عظيما فأرسل إليهم فسلمهم عما يقولون فيه فأرسل إليهم . قالت أم سلمة فما نزل بنا مثلها واجتمع المسلمون و قال بعضهم لبعض ماتقولون فى عيسى إذا سألكم عنه فقال جعفر بن أبى طالب نقول فيه و الله ما قال عز و جل و ما جاء به نبينا ع كائنا فى ذلك ما هو كائن . فلما دخلوا عليه قال لهم ماتقولون فى عيسى ابن مريم فقال جعفر نقول إنه عبد الله [صفحة ٣١١] ورسوله وروحه و كلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول . قالت فضرب النجاشي يديه على الأرض و أخذ منها عودا و قال ما عدا عيسى ابن مريم ما قال هذا العود . قالت فقد كانت بطارقتة تناخرت حوله حين قال جعفر ما قال فقال لهم النجاشي و إن تناخرتم . ثم قال للمسلمين اذهبوا فأنتم سيوم بأرضى أى آمنون من سبكم غرم ثم من سبكم غرم ثم من سبكم غرم ما أحب أن لى دبرا ذهبا و أنى آذيت رجلا منكم و الدبر بلسان الحبشة الجبل ردوا عليهما هداياهما فلاحاجة لى فيهما فو الله ما أخذ الله منى الرشوة حتى ردنى إلى ملكى

فأخذ الرشوة فيه و ما أطاع الناس في أفطيعهم فيه . قالت فخرج الرجلان من عنده مقبوحين مردودا عليهما ماجاء به وأقمنا عنده في خير دار مع خير جار فو الله إنا لعلى ذلك إذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه فى ملكه . قالت أم سلمة فو الله ما أصابنا خوف وحزن قط كان أشد من خوف وحزن نزل بنا أن يظهر ذلك الرجل على النجاشى فيأتى رجل لا يعرف من حقنا ما كان يعرف منه . قالت وسار إليه النجاشى وبينهما عرض النيل فقال أصحاب رسول الله ص من رجل يخرج حتى يحضر وقعة القوم ثم يأتينا بالخبر فقال الزبير بن العوام أنا و كان من أحدث المسلمين سنا فنفخوا له قرية فجعلناها تحت صدره ثم سبى [صفحة ٣١٢] عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التى بها يلتقى القوم ثم انطلق حتى حضرهم قالت ودعونا الله للنجاشى بالظهور على عدوه والتمكين له فى بلاده فو الله إنا لعلى ذلك متوقعون لما هو كائن إذ طلع الزبير يسعى ويلوح بثوبه و يقول ألا- أبشروا فقد ظهر النجاشى وأهلك الله عدوه . قالت فو الله ما علمنا فرحنا فرحة مثلها قط ورجع النجاشى و قد أهلك الله عدوه وتمكن ومكن له فى بلاده واستوثق له أمر الحبشة فكنا عنده فى خير منزل ودار إلى أن رجعنا إلى رسول الله ص بمكة . وروى عن عبد الله بن جعفر بن محمد ع أنه قال لقد كاد عمرو بن العاص عمنا جعفر بأرض الحبشة عند النجاشى و عند كثير من رعيته بأنواع الكيد ردها الله تعالى عنه بلطفه رماه بالقتل والسرق والزنا فلم يلصق به شىء من تلك العيوب لما شاهدته القوم من طهارته وعبادته ونسكه وسيما النبوة عليه فلما نبا معوله عن صفاته هيا له سما قذفه إليه فى طعام فأرسل الله هرا كفاً تلك الصحف و قدم يداه نحو ثم مات لوقته و قد أكل منها فتبين لجعفر كيد و غائلته فلم يأكل بعدها عنده و مازال ابن الجزار عدوا لنا أهل البيت

أمر عمرو بن العاص فى صفين

و أما خبر عمرو فى صفين واتقائه حملة على ع بطرحة نفسه على الأرض وإبداء سواته فقد ذكره كل من صنف فى السير كتابا وخصوصا الكتب الموضوعه لصفين . [صفحة ٣١٣] قال نصر بن مزاحم فى كتاب صفين قال حدثنا محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبى عمرو و عن عبد الرحمن بن حاطب قال كان عمرو بن العاص عدوا للحارث بن نصر الخثعمى و كان من أصحاب على ع و كان على ع قد تهيبته فرسان الشام وملأ قلوبهم بشجاعته و امتنع كل منهم من الإقدام عليه و كان عمرو قلما جلس مجلسا إلا ذكر فيه الحارث بن نصر الخثعمى وعابه فقال الحارث ليس عمرو بتارك ذكره الحارث || بالسوء أو يلاقى عليا واضع السيف فوق منكبه الأيمن || لا يحسب الفوارس شيا ليت عمرا يلقاه فى حومة النقع || و قد أمست السيوف عصيا حيث يدعو للحرب حاميه القوم || إذا كان بالبراز مليا فالقه إن أردت مكرمة الدهر || أو الموت كل ذاك عليا . فشاعت هذه الأبيات حتى بلغت عمرا فأقسم بالله ليلقين عليا و لومات ألف موة فلما اختلطت الصفوف لقيه فحمل عليه برمحه فتقدم على ع و هو مخترب سيفا [صفحة ٣١٤] معتقل رمحا فلما رهقه همز فرسه ليعلو عليه فألقى عمرو نفسه عن فرسه إلى الأرض شاغرا برجليه كاشفا عورته فانصرف عنه لافتا وجهه مستديرا له فعد الناس ذلك من مكارمه وسؤدده وضرب بها المثل . قال نصر وحدثنى محمد بن إسحاق قال اجتمع عند معاوية فى بعض ليالى صفين عمرو بن العاص وعتبة بن أبى سفيان والوليد بن عقبه ومروان بن الحكم و عبد الله بن عامر و ابن طلحة الطلحات الخزاعى فقال عتبة إن أمرنا وأمر على بن أبى طالب لعجب ما فينا إلاموتور مجتاح . أما أنا فقتل جدى عتبة بن ربيعة وأخى حنظلة وشرك فى دم عمى شبيهة يوم بدر . و أما أنت يا وليد فقتل أباك صبيرا و أما أنت يا ابن عامر فصرع أباك وسلب عمك . و أما أنت يا ابن طلحة فقتل أباك يوم الجمل وأيتم إخوتك و أما أنت يا مروان فكما قال الشاعر وأفلتهن علباء جريضا || و لو أدركته صفر الوطاب . فقال معاوية هذا الإقرار فأين الغير قال مروان و أى غير تريد قال أريد أن تشجروه بالرماح قال و الله يا معاوية ما أراك إلا هاذيا أو هازئا و ما أرانا إلا ثقلنا عليك فقال ابن عقبه يقول لنا معاوية بن حرب || أ

مافيكم لو اتركم طلبو يشد على أبي حسن على || بأسمر لاتهجنه الكعوب [صفحة ٣١٥] فيهتك مجمع اللبات منه || ونقع الحرب مطرد يثوب فقلت له أتلعب يا ابن هند || كأنك بيننا رجل غريب أتغرنا بحية بطن واد || إذ نهشت فليس لها طيب و ماضع يدب ببطن واد || أتيح له به أسد مهيب بأضعف حيلة منا إذا ما || لقيناه ولقياه عجيب سوى عمرو وقته خصيته || و كان لقلبه منه وجيب كان القوم لماعينوه || خلال النقع ليس لهم قلوب لعمر أبي معاوية بن حرب || و ماظني ستلحقه العيوب لقد ناداه في الهيجا على || فأسمعه ولكن لا يجيب . فغضب عمرو و قال إن كان الوليد صادقا فليلق عليا أو فليقف حيث يسمع صوته . و قال عمرو يذكرني الوليد دعا على || ونطق المرء يملؤه الوعيد متى تذكر مشاهده قريش || يطر من خوفه القلب الشديد فأما في اللقاء فأين منه || معاوية بن حرب والوليد وعيرني الوليد لقاء ليث || إذا ماشد هابته الأسود لقيت ولست أجهله عليا || وقد بلت من العلق اللبود فأطعنه ويطعني خلاسا || و ماذا بعد طعنته أريد فرمها منه يا ابن أبي معيط || و أنت الفارس البطل النجيد وأقسم لو سمعت ندا على || لطار القلب وانتفخ الوريد [صفحة ٣١٦] و لولا قيته شقت جيوب || عليك ولطمت فيك الخدود . و ذكر أبو عمر بن عبد البر في كتاب الإستيعاب في باب بسر بن أرطاة قال كان بسر من الأبطال الطغاة و كان مع معاوية بصفين فأمره أن يلقي عليا في القتال و قال له إنى سمعتك تتمنى لقاءه فلو أظفرك الله به وصرعته حصلت على الدنيا والآخرة و لم يزل يشجعه ويمنيه حتى رأى عليا في الحرب فقصده والتقيا فصرعه على ع و عرض له معه مثل ما عرض له مع عمرو بن العاص في كشف السوأة . قال أبو عمر و ذكر ابن الكلبي في كتابه في أخبار صفين أن بسر بن أرطاة بارز عليا يوم صفين فطعنه على ع فصرعه فانكشف له فكف عنه كما عرض له مثل ذلك مع عمرو بن العاص . قال وللشعراء فيهما أشعار مذكورة في موضعها من ذلك الكتاب منها فيما ذكر ابن الكلبي والمدائني قول الحارث بن نصر الخثعمي و كان عدوا لعمر بن العاص و بسر بن أرطاة أفي كل يوم فارس لك ينتهي || وعورته وسط العجاجة بادية يكف لها عنه على سنانة || ويضحك منها في الخلاء معاوية [صفحة ٣١٧] بدت أمس من عمرو فقع رأسه || وعورة بسر مثلها حذو حاذيه فقولا لعمر بن بسر ألا انظرا || لنفسكما لا تلقيا الليث ثانيه و لا تحمدا إلا الحيا وخصاكما || هما كانتا و الله للنفس واقية ولولاهما لم تنجوا من سنانة || وتلك بما فيها إلى العود ناهيه متى تلقيا الخيل المغيرة صبحه || و فيها على فتركها الخيل ناحيه وكونا بعيدا حيث لا يبلغ القنا || نحور كما إن التجارب كافيه . وروى الواقدي قال قال معاوية يوما بعد استقرار الخلافة له لعمر بن العاص يا أبا عبد الله لا أراك إلا- و يغلبني الضحك قال بما ذا قال أذكر يوم حمل عليك أبو تراب في صفين فأزريت نفسك فرقا من شبا سنانة و كشفت سواتك له فقال عمرو أنا منك أشد ضحكا إنى لأذكر يوم دعاك إلى البراز فانتفخ سحرك و ربا لسانك في فمك و غصصت بريقك و ارتعدت فرائصك و بدا منك ما أكره ذكره لك فقال معاوية لم يكن هذا كله و كيف يكون ودوني عك و الأشعريون قال إنك لتعلم أن الذي وصفت دون ما أصابك و قد نزل ذلك بك و دونك عك و الأشعريون فكيف كانت حالك لو جمعكما ما قط الحرب فقال يا أبا عبد الله خض بنا الهزل إلى الجد إن الجبن والفرار من على لا عار على أحد فيهما [صفحة ٣١٨]

خبر إسلام عمرو بن العاص

فأما القول في إسلام عمرو بن العاص فقد ذكره محمد بن إسحاق في كتاب المغازي قال حدثني زيد بن أبي حبيب عن راشد مولى حبيب بن أبي أوس الثقفي عن حبيب بن أبي أوس قال حدثني عمرو بن العاص من فيه قال لما انصرفنا مع الأحزاب من الخندق جمعت رجالا- من قريش كانوا يرون رأيي ويسمعون مني فقلت لهم و الله إنى لأرى أمر محمد يعلو الأمور علوا منكرا و إنى قدرأيت رأيا فما ترون فيه فقالوا مارأيت فقلت أرى أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده فإن ظهر محمد على قومه أقمنا

عند النجاشي فأن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد فإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلن يأتنا منهم إلا -خير قالوا إن هذا الرأي فقلت فاجمعوا ما نهدي له و كان أحب ما يأتني من أرضنا الأدم فجمعنا له أدما كثيرا ثم خرجنا حتى قدمنا عليه فو الله إنا لعنده إذ قدم عمرو بن أمية الضمري و كان رسول الله ص بعثه إليه في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه . قال فدخل عليه ثم خرج من عنده فقلت لأصحابي هذا عمرو بن أمية لو قد دخلت على النجاشي فسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه فإذا فعلت ذلك رأيت قريش أني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد قال فدخلت عليه فسجدت له فقال مرحبا بصديقي [صفحة ٣١٩] أهديت إلى من بلادك شيئا قلت نعم أيها الملك قد أهديت لك أدما كثيرا ثم قربته إليه فأعجبه واشتهاه ثم قلت له أيها الملك إنني قد رأيت رجلا -خرج من عندك و هو رسول رجل عدو لنا فأعطينيه لأقتله فإنه قد أصاب من أشرفنا وخيارنا. فغضب الملك ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقا منه ثم قلت أيها الملك و الله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتك فقال أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتني الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله فقلت أيها الملك أكذلك هو فقال إي و الله أتعني ويحك و اتبعه فإنه و الله لعلى حق وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده قلت فبايعني له على الإسلام فبسط يده فبايعته على الإسلام وخرجت عامدا لرسول الله ص فلما قدمت المدينة جئت إلى رسول الله ص و قد أسلم خالد بن الوليد و قد كان صحبني في الطريق إليه فقلت يا رسول الله أبايعك على أن تغفر لي ما تقدم من ذنبي و لم أذكر ما تأخر فقال بايع يا عمرو فإن الإسلام يجب ما قبله و إن الهجرة تجب ما قبلها -رواية ١-٢-رواية ٩-٧٣ فبايعته وأسلمت . و ذكر أبو عمر في الاستيعاب أن إسلامه كان سنة ثمان و أنه قدم و خالد بن الوليد و عثمان بن طلحة المدينة فلما رأهم رسول الله قال رمتكم مكة بأفلاذ كبدها. قال و قد قيل إنه أسلم بين الحديبية و خيبر و القول الأول أصح

بعث رسول الله عمرا إلى ذات السلاسل

قال أبو عمر وبعث رسول الله عمرا إلى ذات السلاسل من بلاد قضاة في ثلاثمائة و كانت أم العاص بن وائل من بلي فبعث رسول الله ص عمرا إلى أرض بلي [صفحة ٣٢٠] و عذرة يتألفهم بذلك و يدعوهم إلى الإسلام فسار حتى إذا كان على ماء أرض جذام يقال له السلاسل و قد سميت تلك الغزاة ذات السلاسل خاف فكتب إلى رسول الله ص يستنجد فأمد به جيش فيه مائتا فارس فيه أهل الشرف و السوابق من المهاجرين و الأنصار فيهم أبو بكر و عمر و أمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح فلما قدموا على عمرو قال عمرو أنا أميركم و إنما أنتم مددي فقال أبو عبيدة بل أنا أمير من معي و أنت أمير من معك فأبى عمرو ذلك فقال أبو عبيدة إن رسول الله ص عهد إلي فقال إذ قدمت إلى عمرو فتطاوعا و لا تختلفا فإن خالفتني أطعتك قال عمرو فإنى أخالفك فسلم إليه أبو عبيدة و صلى خلفه في الجيش كله و كان أميرا عليهم و كانوا خمسمائة

ولايات عمرو في عهد الرسول والخلفاء

قال أبو عمر ثم و لاه رسول الله ص عمان فلم يزل عليها حتى قبض رسول الله ص و عمل لعمر و عثمان و معاوية و كان عمر بن الخطاب و لاه بعد موت يزيد بن أبي سفيان فلسطين و الأردن و ولى معاوية دمشق و بعلبك و البلقاء و ولى سعيد بن عامر بن خديم حمص ثم جمع الشام كلها لمعاوية و كتب إلى عمرو بن العاص أن يسير إلى مصر فسار إليها فافتتحها فلم يزل عليها و إليها حتى

مات عمر فأمره عثمان عليها أربع سنين ونحوها ثم عزله عنها وولاهها عبد الله بن سعد العامري. قال أبو عمر ثم إن عمرو بن العاص ادعى على أهل الإسكندرية أنهم قد نقضوا العهد الذي كان عاهدهم فعمد إليها فحارب أهلها وافتتحها وقتل مقاتلته وسبى الذرية فنقم ذلك عليه عثمان و لم يصح عنده نقضهم العهد فأمر برد السبي الذي سبوا من القرى إلى مواضعهم وعزل عمرا عن مصر وولى عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري [صفحة ٣٢١] مصر بدله فكان ذلك بدو الشر بين عمرو بن العاص و عثمان بن عفان فلما بدا بينهما من الشر ما بدا اعتزل عمرو في ناحية فلسطين بأهله و كان يأتي المدينة أحيانا فلما استقر الأمر لمعاوية بالشام بعثه إلى مصر بعد تحكيم الحكيم فافتتحها فلم يزل بها إلى أن مات أميرا عليها في سنة ثلاث وأربعين وقيل سنة اثنتين وأربعين وقيل سنة ثمان وأربعين وقيل سنة إحدى وخمسين . قال أبو عمر والصحيح أنه مات في سنة ثلاث وأربعين ومات يوم عيد الفطر من هذه السنة وعمره تسعون سنة ودفن بالمقطم من ناحية السفح وصلى عليه ابنه عبد الله ثم رجع فصلى بالناس صلاة العيد فولاه معاوية مكانه ثم عزله وولى مكانه أخاه عتبة بن أبي سفيان . قال أبو عمر و كان عمرو بن العاص من فرسان قريش وأبطالهم في الجاهلية مذكورا فيهم بذلك و كان شاعرا حسن الشعر وأحد الدهاء المتقدمين في الرأي والذكاء و كان عمر بن الخطاب إذا استضعف رجلا في رأيه وعقله قال أشهد أن خالقك وخالق عمرو واحد يريد خالق الأضداد

نبد من كلام عمرو بن العاص

ونقلت أنا من كتب متفرقة كلمات حكمية تنسب إلى عمرو بن العاص استحسنتها وأوردتها لأنى لأجحد لفاضل فضله و إن كان دينه عندي غير مرضى. فمن كلامه ثلاث لا أملهن جليسى مافهم عنى وثوبى ماسترنى ودابتى ما حملت رحلى. [صفحة ٣٢٢] وقال لعبد الله بن عباس بصفين إن هذا الأمر الذي نحن وأنتم فيه ليس بأول أمر قاده البلاء و قد بلغ الأمر منا ومنكم ماترى و ما أبت لنا هذه الحرب حياة و لاصبرا ولسنا نقول ليت الحرب عادت ولكننا نقول ليتها لم تكن كانت فافعل فيما بقى بغير مامضى فإنك رأس هذا الأمر بعد على وإنما هو أمر مطاع ومأمور مطيع ومبارز مأمون و أنت هو. و لما نصب معاوية قميص عثمان على المنبر وبكى أهل الشام حوله قال قد هممت أن أدعه على المنبر فقال له عمرو إنه ليس بقميص يوسف أنه إن طال نظرهم إليه وبحثوا عن السبب وقفوا على ما لا تحب أن يقفوا عليه ولكن لذعهم بالنظر إليه في الأوقات . و قال ما وضعت سرى عند أحد فأفشاه فلمته لأنى أحق باللوم منه إذ كنت أضيق به صدرا منه . و قال ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر لكن العاقل من يعرف خير الشرين . و قال عمر بن الخطاب لجلسائه يوما وعمرو فيهم ما أحسن الأشياء فقال كل منهم ما عنده فقال ماتقول أنت يا عمرو فقال الغمرات ثم ينجلينا و قال لعائشة لوددت أنك قتلت يوم الجمل قالت و لم لا أبا لك قال كنت تموتين بأجلك وتدخلين الجنة و نجعلك أكبر التشنيع على على بن أبى طالب ع . و قال لبيته يا بنى اطلبوا العلم فإن استغنيتم كان جمالا و إن افتقرتم كان مالا. و من كلامه أمير عادل خير من مطر وابل وأسد حطوم خير من سلطان ظلوم و سلطان ظلم خير من فتنة تدوم و زلة الرجل عظم يجبر و زلة اللسان لا تبقى و لاتذر واستراح من لاعقل له . [صفحة ٣٢٣] و كتب إليه عمر يسأله عن البحر فكتب إليه خلق عظيم يركبه خلق ضعيف . دود على عود بين غرق ونزق . و قال لعثمان و هو يخطب على المنبر يا عثمان إنك قدر كتبت بهذه الأمة نهاية من الأمر وزغت فزاغوا فاعتدل أو اعتزل . و من كلامه استوحش من الكريم الجائع و من اللئيم الشبعان فإن الكريم يصول إذا جاع واللئيم يصول إذا شبع . و قال جمع العجز إلى التواني فتتج بينهما الندامة و جمع الجبن إلى الكسل فتتج بينهما الحرمان . و روى عبد الله بن عباس قال دخلت على عمرو بن العاص و قد احتضر فقلت يا أبا عبد الله كنت تقول أشتهى أنى أرى عاقلا يموت حتى أسأله كيف تجد فما ذا تجد قال أجد السماء كأنها مطبقة على الأرض و أنا بينهما وأرانى كأنما

أتففس من خرق إبرة ثم قال اللهم خذ منى حتى ترضى ثم رفع يده فقال اللهم أمرت فعصينا ونهيت فركبنا فلابرئ فأعذر و لاقوى فأنتصر ولكن لاإله إلاالله فجعل يرددها حتى فاض . و قدروى أبو عمر بن عبدالبر هذا الخبر فى كتاب الإستيعاب قال لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة قال اللهم أمرتنى فلم آتمر وزجرتنى فلم أنزجر ووضعه يده فى موضع الغل ثم قال اللهم لاقوى فأنتصر و لابرئ فأعذر و لامستكبر بل مستغفر لاإله إلا أنت فلم يزل يردددها حتى مات . قال أبو عمر وحدثنى خلف بن قاسم قال حدثنى الحسن بن رشيق قال حدثنا الطحاوى قال حدثنا المنزنى قال سمعت الشافعى يقول دخل ابن عباس على عمرو بن العاص فى مرضه فسلم عليه فقال كيف أصبحت يا أبا عبد الله قال أصبحت و قد أصلحت من دنياى قليلا و أفسدت من دينى كثيرا فلو كان الذى أصلحت هو الذى [صفحه ٣٢٤] أفسدت و الذى أفسدت هو الذى أصلحت لفزت و لو كان ينفعنى أن أطلب طلبت و لو كان ينجينى أن أهرب هربت فقد صرت كالمنخفق بين السماء و الأرض لا أرقى بيدين و لا أهبط برجلين فعظنى بعضه أنتفع بها يا ابن أخى فقال ابن عباس هيهات أبا عبد الله صار ابن أخيك أخاك و لا تشاء أن تبلى لإبليت كيف يؤمر برحيل من هو مقيم فقال عمرو على حينها من حين ابن بضع وثمانين تقطنى من رحمة ربى اللهم إن ابن عباس يقطنى من رحمتك فخذ منى حتى ترضى فقال ابن عباس هيهات أبا عبد الله أخذت جديدا و تعطى خلقا قال عمرو ما لى و لك يا ابن عباس ما أرسل كلمة إلا أرسلت نقيضها . و روى أبو عمر فى كتاب الإستيعاب أيضا عن رجال قد ذكروهم وعددهم أن عمرا لما حضرت الوفاة قال له ابنه عبد الله و قدر آه يبكى لم تبكى أجزعا من الموت قال لا و الله ولكن لما بعده فقال له لقد كنت على خير فجعل يذكره صحبة رسول الله ص و فتوحه بالشام فقال له عمرو تركت أفضل من ذلك شهادة أن لاإله إلا الله إنى كنت على ثلاثة أطباق ليس منها طبق إلا عرفت نفسى فيه كنت أول أمرى كافرا فكنت أشد الناس على رسول الله ص فلو مت حينئذ و جيت لى النار فلما بايعت رسول الله ص كنت أشد الناس حياء منه فما ملأت منه عينى قط فلو مت يومئذ قال الناس هنيئا لعمرو أسلم و كان على خير و مات على خير أحواله فسرحوا له بالجنة ثم تلبث بعد ذلك بالسلطان و بأشياء فلا أدرى [صفحه ٣٢٥] أ على أم لى فإدامت فلا تبكين على باكية و لا يتبعنى نائح و لا تقربوا من قبرى نارا و شدوا على إزارى فإنى مخاصم و شنوا على التراب شنا فإن جنبى الأيمن ليس بأحق من جنبى الأيسر و لا تجعلوا فى قبرى خشبة و لا حجرا و إذا واريتمنى فاعدوا عندى قدر نحر جزور و تقطيعها أستأنس بكم . فإن قلت فما الذى يقوله أصحابك المعتزلة فى عمرو بن العاص قلت إنهم يحكمون على كل من شهد صفين بما يحكم به على الباغى الخارج على الإمام العادل و مذهبهم فى صاحب الكبيرة إذا لم يتب معلوم . فإن قلت أليس فى هذه الأخبار ما يدل على توبته نحو قوله و لامستكبر بل مستغفر و قوله اللهم خذ منى حتى ترضى و قوله أمرت فعصيت و نهيت فركبت . و هذا اعتراف و ندم و هو معنى التوبة قلت إن قوله تعالى وَ لَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْإِيمَانَ مِنْ كُونَ هذاتوبة و شروط التوبة و أركانها معلومة و ليس هذا الاعتراف و التأسف منها فى شىء . و قال شيخنا أبو عبد الله أول من قال بالإرجاء المحض معاوية و عمرو بن العاص كانا يزعمان أنه لا يضر مع الإيمان معصية و لذلك قال معاوية لمن قال له حاربت من تعلم و ارتكبت ما تعلم فقال و ثق بقوله تعالى إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً - قرآن - ٦٩٠ - ٨٠٢ - قرآن - ١١٠٤ - ١١٤١ [صفحه ٣٢٦] و إلى هذا المعنى أشار عمرو بقوله لابنه تركت أفضل من ذلك شهادة أن لاإله إلا الله

فصل فى شرح مانسب إلى على من الدعابة

فأما ما كان يقوله عمرو بن العاص فى على ع لأهل الشام إن فيه دعابة يروم أن يعييه بذلك عندهم فأصل ذلك كلمة قالها عمر

فتلقفها حتى جعلها أعداؤه عيبا له وطعنا عليه . قال أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب في كتاب الأمالي كان عبد الله بن عباس عند عمر فتنفس عمر نفسا عاليا قال ابن عباس حتى ظننت أن أضلاعه قد انفرجت فقلت له ما أخرج هذا النفس منك يا أمير المؤمنين إلا هم شديد. قال إى و الله يا ابن عباس إنى فكرت فلم أدر فيمن أجعل هذا الأمر بعدى ثم قال لعلك ترى صاحبك لها أهلا قلت و ما يمنع من ذلك مع جهاده وسابقته و قرابته و علمه قال صدقت ولكنه امرؤ فيه دعابة قلت فأين أنت من طلحة قال هو ذو البأ و يا صبعه المقطوعة قلت فعبد الرحمن قال رجل ضعيف لو صار الأمر إليه لوضع خاتمه فى يد امرأته قلت فالزبير قال شكس لقس يلاطم فى البقيع فى صاع من بر قلت فسعد بن أبى وقاص قال صاحب مقنب و سلاح قلت فعثمان قال أوه أوه مرارا ثم قال و الله لئن وليها ليحملن بنى أبى معيط على رقاب الناس ثم لئنهنن إليه العرب فتقتله ثم قال يا ابن عباس إنه لا يصلح لهذا الأمر إلا حصيف العقدة قليل الغرة لا تأخذه فى الله لومة لائم يكون شديدا من غير عنف لنا من [صفحة ٣٢٧] غير ضعف جوادا من غير سرف ممسكا من غير وكف قال ابن عباس و كانت هذه صفات عمر ثم أقبل على فقال إن أحرهم أن يحملهم على كتاب ربهم و سنة نبيهم لصاحبك و الله لئن وليها ليحملنهم على المحجة البيضاء و الصراط المستقيم . و اعلم أن الرجل ذا الخلق المخصوص لا يرى الفضيلة إلا فى ذلك الخلق ألا ترى أن الرجل يبخل فيعتقد أن الفضيلة فى الإمساك و البخل يعيب أهل السماح و الجود و ينسبهم إلى التذير و إضاعة الحزم و كذلك الرجل الجواد يعيب البخلاء و ينسبهم إلى ضيق النفس و سوء الظن و حب المال و الجبان يعتقد أن الفضيلة فى الجبن و يعيب الشجاعة و يعتقد كونها خرقا و تغيرا بالنفس كما قال المتنبي يرى الجبناء أن الجبن حزم و الشجاع يعيب الجبان و ينسبه إلى الضعف و يعتقد أن الجبن ذل و مهانة و هكذا القول فى جميع الأخلاق و السجايا المقتسمة بين نوع الإنسان و لما كان عمر شديد الغلظة و عر الجانب خشن الملمس دائم العبوس كان يعتقد أن ذلك هو الفضيلة و أن خلافه نقص و لو كان سهلا طلقا مطبوعا على البشاشة و سماحة الخلق لكان يعتقد أن ذاك هو الفضيلة و أن خلافه نقص حتى لو قدرنا أن خلقه حاصل لعلى ع و خلق على حاصل له لقال فى على لو لا شراسته فيه . فهو غير ملموم عندى فيما قاله و لا منسوب إلى أنه أراد الغض من على و القدح [صفحة ٣٢٨] فيه ولكنه أخبر عن خلقه ظانا أن الخلافة لا تصلح إلا للشديد الشكيمة العظيم الوعورة و بمقتضى ما كان يظنه من هذا المعنى تمم خلافة أبى بكر بمشاركته إياه فى جميع تدبيراته و سياسته و سائر أحواله لرفق و سهوله كانت فى أخلاق أبى بكر و بمقتضى هذا الخلق المتمكن عنده كان يشير على رسول الله ص فى مقامات كثيرة و خطوب متعددة بقتل قوم كان يرى قتلهم و كان النبى ص يرى استبقاءهم و استصلاحهم فلم يقبل ع مشورته على هذا الخلق . و أما إشارته عليه يوم بدر بقتل الأسرى حيث أشار أبو بكر بالفداء فكان الصواب مع عمر و نزل القرآن بموافقته فلما كان فى اليوم الثانى و هو يوم الحديبية أشار بالحرب و كره الصلح فنزل القرآن بضد ذلك فليس كل وقت يصلح تجريد السيف و لا كل وقت يصلح إغماده و السياسة لا تجرى على منهاج واحد و لا تلزم نظاما واحدا . و جملة الأمر أنه رضى الله عنه لم يقصد عيب على ع و لا كان عنده معيبا و لا منقوصا ألا ترى أنه قال فى آخر الخبر أن أحرهم أن وليها أن يحملهم على كتاب الله و سنة رسوله لصاحبك ثم أكد ذلك بأن قال إن وليهم ليحملنهم على المحجة البيضاء و الصراط المستقيم فلو كان أطلق تلك اللفظة و عنى بها ما حملها عليه الخصوم لم يقل فى خاتمة كلامه ماقاله . و أنت إذ تأملت حال على ع فى أيام رسول الله ص و جدته بعيدا عن أن ينسب إلى الدعابة و المزاح لأنه لم ينقل عنه شىء من ذلك أصلا لا فى كتب الشيعة و لا فى كتب المحدثين و كذلك إذ تأملت حاله فى أيام الخليفين أبى بكر و عمر لم تجد فى كتب السيرة حديثا واحدا يمكن أن يتعلق به متعلق فى دعابته و مزاحه فكيف يظن [صفحة ٣٢٩] بعمر أنه نسبه إلى أمر لم ينقله عنه ناقل و لا ندد به صديق و عدو وإنما أراد سهولة خلقه لا غير و ظن أن ذلك مما يفضى به إلى ضعف إن ولى أمر الأمة لا اعتقاده أن قوام هذا الأمر إنما هو بالوعورة بناء على ما قد ألفته نفسه و طبعت عليه سجيته و الحال فى أيام عثمان و أيام ولايته ع الأمر كالحال فيما تقدم فى أنه لم يظهر منه دعابة و

لامزاح يسمى الإنسان لأجله ذا دعابة ولعب و من تأمل كتب السير عرف صدق هذا القول وعرف أن عمرو بن العاص أخذ كلمة عمر إذ لم يقصد بها العيب فجعلها عيبا وزاد عليها أنه كثير اللعب يعافس النساء ويمارسهن و أنه صاحب هزل . ولعمرك الله لقد كان أبعد الناس من ذلك و أى وقت كان يتسع لعلى ع حتى يكون فيه على هذه الصفات فإن أزمانه كلها فى العبادة والصلاة والذكر والفتاوى والعلم واختلاف الناس إليه فى الأحكام وتفسير القرآن ونهاره كله أو معظمه مشغول بالصلاة هذا فى أيام سلمه فأما أيام حربه فبالسيف الشهير والسنان الطير وركوب الخيل وقود الجيش ومباشرة الحروب . ولقد صدق ع فى قوله إننى ليمنعنى من اللعب ذكر الموت -رواية- ١-٣٧ ولكن الرجل الشريف النبيل الذى لا يستطيع أعداؤه أن يذكروا له عيبا أو يعدوا عليه وصمة لا بد أن يحتالوا ويبدلوا جهدهم فى تحصيل أمر ما و إن ضعف يجعلونه عذرا لأنفسهم فى ذمه ويتوسلون به إلى أتباعهم فى تحسينهم لهم مفارقتة والانحراف عنه و مازال المشركون والمنافقون يصنعون لرسول الله ص الموضوعات ينسبون إليه ما قد برأه الله عنه من العيوب والمطاعن فى حياته و بعد وفاته إلى زماننا هذا و ما يزيد الله سبحانه الإرفة وعلوا فغير منكر أن يعيب عليا ع عمرو بن العاص وأمثاله من أعدائه بما إذا تأمله المتأمل علم أنهم باعتمادهم عليه وتعلقهم به قد اجتهدوا [صفحة ٣٣٠] فى مدحه والثناء عليه لأنهم لو وجدوا عيبا غير ذلك لذكروه و لو بالغ أمير المؤمنين وبذل جهده فى أن يثنى أعداؤه وشأنه عليه من حيث لا يعلمون لم يستطع إلى أن يجد إلى ذلك طريقا ألطف من هذه الطريق التى أسلكهم الله تعالى فيها وهداهم إلى منهاجها فظنوا أنهم يغضون منه وإنما أعلوا شأنه ويضعون من قدره وإنما رفعوا منزلته ومكانه

أقوال وحكايات فى المزاح

ونحن نذكر من بعد ماجاء فى الأحاديث الصحاح والآثار المستفيضة المتفق على نقلها مزاح رسول الله ص ومزاح الأشراف والأفاضل والأكابر من أصحابه والتابعين له ليعلم أن المزاح إذا لم يخرج عن القاعدة الشرعية لم يكن قبيحا. فأول ذلك مارواه الناس قاطبة أن رسول الله ص قال إنى أمزح و لأقول إلا حقا -رواية- ١-٢-رواية- ٥٧-٨٥ . وقيل لسفيان الثورى المزاح هجئة فقال بل هوسنة لقول رسول الله ص إنى أمزح و لأقول إلا الحق -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-٥٣ وجاء فى الخبر أن رسول الله ص قال لامرأة من الأنصار الحقى زوجك فإن فى عينه بياضا فسعت نحوه مرعوبة فقال لها مادهاك فأخبرته فقال نعم إن فى عيني بياضا لالسوء فخفضى عليك فهذا من مزاح رسول الله ص -رواية- ١-٢-رواية- ١٧-٢١٥ وأت عجوز من الأنصار إليه ع فسألته أن يدعو الله تعالى لها بالجنة فقال إن الجنة لا تدخلها العجز فصاحت فتبسم ع فقال إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا -رواية- ١-١٦٠ [صفحة ٣٣١] وفى الخبر أيضا أن امرأة استحملت فقال إنا حاملوك إن شاء الله تعالى على ولد الناقة فجعلت تقول يا رسول الله و ما أصنع بولد الناقة وهل يستطيع أن يحملنى و هو يتبسم و يقول لأحملك إلا عليه حتى قال لها أخيرا وهل يلد الإبل إلا النوق -رواية- ١-٢-رواية- ١٩-٢٤٨ وفى الخبر أنه ع مر ببلال و هونائم فضربه برجله و قال أنا نائمة أم عمرو فقال بلال مرعوبا فضرب بيده إلى مذاكيره فقال له مابالك قال ظننت أنى تحولت امرأة قيل فلم يمزح رسول الله بعد هذه -رواية- ١-٢-رواية- ١٤-٢٠٥ وفى الخبر أيضا أن نغرا كان لصبى من صبيان الأنصار فطار من يده فبكى الغلام فكان رسول الله ص يمر به فيقول يا أبا عمير ما فعل النغير والغلام يبكى -رواية- ١-٢-رواية- ١٩-١٥٧ و كان يمازح ابنى بنته مزاحا مشهورا و كان يأخذ الحسين ع فيجعله على بطنه و هو ع نائم على ظهره و يقول له حزقة حزقة ترق عين بقه -رواية- ١-٢-رواية- ١٥-٣٩ و فى الحديث الصحيح المتفق عليه أنه مر على أصحاب الدر كلهم وهم يلعبون ويرقصون فقال جدوا يا بنى أرفده حتى يعلم اليهود والنصارى أن فى ديننا فسحة -رواية- ١-٢-رواية- ٣٨-١٥٦ . قال أهل اللغة الدر كلته بكسر الدال والكاف لعبة للحبش

فيها ترقص وبنو أرفدته جنس من الحبش يرقصون . وجاء في الخبر أنه سابق عائشة فسبته ثم سابقها فسبها فقال هذه بتلك -
روایت- ۱- ۲- روایت- ۱۷- ۷۵ و في الخبر أيضا أن أصحاب الزفافه وهم الراقصون كانوا يجمعون باب حجرة عائشة فتخرج إليهم
مستمعه ومبصرة فيخرج هوع من ورائها مستترا بها -روایت- ۱- ۲- روایت- ۱۹- ۱۴۴ و كان نعيان و هو من أهل بدر أولع الناس
بالمزاح عند رسول الله ص -روایت- ۱- ادامة دارد [صفحہ ۳۳۲] و كان يكثر الضحك فقال رسول الله ص يدخل الجنة و
هو يضحك -روایت- از قبل -۶۳ . وخرج نعيان هو وسويط بن عبدالعزيز و أبو بكر الصديق في تجارة قبل وفاة رسول الله ص
بعامين و كان سويط على الزاد فكان نعيان يستطعمه فيقول حتى يجيء أبو بكر فمر بركب من نجران فباعه نعيان منهم على
أنه عبد له بعشر قلائص و قال لهم إنه ذو لسان ولهجة وعساه يقول لكم أنا حر فقالوا لا عليك . وجاءوا إليه فوضعوا عمامته في
عنقه وذهبوا به فلما جاء أبو بكر أخبر بذلك فرده وأعاد القلائص إليهم فضحك رسول الله ص وأصحابه من ذلك سنة . وروى
أن أعرابيا باع نعيان عكة غسل فاشتراها منه فجاء بها إلى بيت عائشة في يومها و قال خذوها فظن رسول الله ص أنه أهداها إليه
ومضى نعيان فنزل الأعرابي على الباب فلما طال قعوده نادى ياهؤلاء إما أن تعطونا ثمن العسل أو تردوه علينا فعلم رسول الله ص
بالقصة وأعطى الأعرابي الثمن و قال لنعيان ما حملك على ما فعلت قال رأيتك يا رسول الله تحب العسل ورأيت العكة مع
الأعرابي فضحك رسول الله ص و لم ينكر عليه . وسئل النخعي هل كان أصحاب رسول الله يضحكون ويمزحون فقال نعم
والإيمان في قلوبهم مثل الجبال الرواسي . وجاء في الخبر أن يحيى ع لقي عيسى ع وعيسى متبسم فقال يحيى ع ما لى أراك
لا هيا كأنك آمن فقال ع ما لى أراك عابسا -روایت- ۱- ۲- روایت- ۱۷- ادامة دارد [صفحہ ۳۳۳] كأنك آيس فقالا لانبرح
حتى ينزل علينا الوحي فأوحى الله إليهما أحبكما إلى الطلق البسام أحسنكما ظنا بي -روایت- از قبل -۱۱۳ . وروى عن كبراء
الصحابه رضى الله تعالى عنهم أنهم كانوا يتمازحون ويتناشدون الأشعار فإذا خاضوا في الدين انقلبت حماليقهم وصاروا في صور
أخرى . وروى أن عبد الله بن عمر قال لجاريتته خلقتي خالق الخير وخلقك خالق الشر فبكت فقال لا عليك فإن الله تعالى
هو خالق الخير و هو خالق الشر . قلت يعنى بالشر المرض والغلاء ونحوهما . و كان ابن سيرين ينشد نبئت أن فتاة كنت أخطبها ||
عرقوبها مثل شهر الصوم فى الطول . ثم يضحك حتى يسيل لعابه . وجاء عبد الرحمن بن عوف إلى باب عمر بن الخطاب فوجده
مستلقيا على مرفقة له رافعا إحدى رجله على الأخرى منشدا بصوت عال وكيف ثوائي بالمدينة بعد ما || قضى وطرا منها جميل
بن معمر . فلما دخل عبد الرحمن وجلس قال يا أبا محمد إنا إذا دخلنا قلنا كما يقول الناس . و كان سعيد بن المسيب ينشد لقد
أصبحت عرس الفرزدق جامحا || و لورضيت رمح استه لاستقرت ويضحك حتى يستغرق . و كان يقال لأبأس بقليل المزاح
يخرج منه الرجل عن حد العبوس . [صفحہ ۳۳۴] و من كلام بعض الأدباء ونحن نحمد الله إليك فإن عقدة الإسلام فى قلوبنا
صحيحة وأواخيه عندنا ثابتة و قد اجتهد قوم أن يدخلوا قلوبنا من مرض قلوبهم و أن يشوبوا يقيننا بشكهم فعصم الله منهم وحال
توفيقه دونهم ولنا بعد مذهب فى الدعابة جميل لا يشوبه أذى و لا قذى يخرج بنا إلى الأنا من العبوس و إلى الاسترسال من
القطوب ويلحقنا بأحرار الناس الذين ارتفعوا عن لبسة الرياء وأنفوا من التشوف بالتصنع . و قال ابن جريج سألت عطاء عن القراءة
على ألحان الغناء والحداء فقال لى لأبأس بذلك حدثنى عبيد الله بن عمر الليثى أنه كان لداود النبي ع معزة قد يضرب بها إذقرأ
الزبور فتجمع إليه الطير والوحش فيبكي ويبكى من حوله . و قال جابر بن عبد الله الجعفي رأيت الشعبي يقول لخياط يمازحه
عندنا حب مكسور وأحب أن تخيطه فقال الخياط أحضر لى خيوطا من ريش لأخيطه لك . وسئل الشعبي هل يجوز أن يؤكل
الجنى لو ظفر به فقال ليتنا نخرج منه كفافا لالنا و لاعلينا . وسأل إنسان محمد بن سيرين عن هشام بن حسان فقال توفى البارحة أ
ماشعرت فخرج يسترجع فلما رأى ابن سيرين جزعه قرأ الله يتوفى الأنفس حين موتها . و كان زيد بن ثابت من أفكاه الناس فى
بيته وأرفنتهم و قد أباح الله تعالى الرفث إلى النساء فقال أحل لكم ليامة الصيام الرث إلى نسائكم هن لباس لكم -قرآن- ۹۹۱-

١٠٣٠-قرآن-١١٣١-١٢٠١ و من كلام بعض الأدباء ونحن نحمد الله إليك فإن عقده الإسلام في قلوبنا صحيحة وأواخيه عندنا ثابتة وقد اجتهد قوم أن يدخلوا قلوبنا من مرض قلوبهم و أن يشوبوا يقيننا بشكهم فعصم الله منهم وحال توفيقه دونهم ولنا بعدمذهب في الدعابة جميل لا يشوبه أذى ولا قذى يخرج بنا إلى الأُنس من العبوس و إلى الاسترسال من القطوب ويلحقنا بأحرار الناس الذين ارتفعوا عن لبسة الرياء وأنفوا من التشوف بالتصنع . و قال ابن جريج سألت عطاء عن القراءة على أَلحان الغناء والحداء فقال لى لأبأس بذلك حدثني عبيد الله بن عمر الليثي أنه كان لداود النبي ع معزفة قديضرب بها إذقرأ الزبور فتجمع إليه الطير والوحش فيكي ويكي من حوله . و قال جابر بن عبد الله الجعفي رأيت الشعبي يقول لخياط يمازحه عندنا حب مكسور وأحب أن تخطيه فقال الخياط أحضر لى خيوطا من ريش لأخيطه لك . وسئل الشعبي هل يجوز أن يؤكل الجنى لوظفر به فقال ليتنا نخرج منه كفافا لالنا ولاعلينا. وسأل إنسان محمد بن سيرين عن هشام بن حسان فقال توفي البارحة أ ماشعرت فخرج يسترجع فلما رأى ابن سيرين جزعه قرأ الله يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا. و كان زيد بن ثابت من أفكه الناس في بيته وأرفثهم وقدأباح الله تعالى الرث إلى النساء فقال أُحِلَّ لَكُمْ لِيَلَّهَ الصَّيَّامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِيَابِسٌ لَكُمْ وَ أَنْتُمْ لِيَابِسٌ لَهُنَّ و قال أهل اللغة الرث القول الفاحش تخاطب به المرأة حال الجماع . ومر بالشعبي حمال على ظهره دن خل فوضع الدن و قال له ما كان اسم امرأة إبليس فقال الشعبي ذلك نكاح ماشهدناه . و قال عكرمة ختن ابن عباس بنيه فأرسلني فدعوت اللعابين فلعبوا فأعطاهم أربعة دراهم . وتقدم رجلان إلى شريح في خصومة فأقر أحدهما بما ادعى عليه و هو لايدري فقضى شريح عليه فقال أصلحك الله أتقضى على بغير بينة قال بلى شهد عندي ثقة قال و من هو قال ابن أخت خالتك . -قرآن-١-٢٤ وجاء في الخبر أن النبي ص مر بصهيب و هوأرمد يأكل تمرا فنهاه فقال إنما آكله عن جانب العين الصحيحة يا رسول الله فضحك منه و لم ينكر عليه -رواية-١-٢-رواية-١٧-١٤٩ و في الخبر أنه ص مر بحسان بن ثابت و قدرش أطماره وعنده جارية تغنيه -رواية-١-٢-رواية-١٤-٧٧ هل على ويحكما || إن لغوت من حرج فقال ص لا-حرج إن شاء الله -رواية-١-٣١ . وقيل إن عبد الله بن جعفر قال لحسان بن ثابت في أيام معاوية لوغنتك فلانة جاريتي صوت كذا لم تدرك ركابك فقال يا أبا جعفر فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير. [صفحة ٣٣٦] و قال أسلم مولى عمر بن الخطاب مر بي عمر و أنا وعاصم نغني غناء النصب فوقف و قال أعيدا على فأعدنا عليه وقلنا أينأ أحسن صنعة يا أمير المؤمنين فقال مثلكما كحماري العبادي قيل له أي حماريك شر فقال هذا ثم هذا فقلت يا أمير المؤمنين أناالأول من الحمارين فقال أنت الثاني منهما. ومر نعيمان و هو بدرى بمخرمة بن نوفل في خلافة عثمان و قدكف بصره فقال ألا يقودني رجل حتى أبول فأخذ نعيمان بيده حتى صار به إلى مؤخر المسجد و قال ها هنا فبل فبال فصاح به الناس فقال من قادني قيل نعيمان قال لله على أن أضربه بعصاي هذه فبلغ نعيمان فأتاه فقال بلغني أنك أقسمت لتضربن نعيمان فهل لك فيه قال نعم قال قم فقام معه حتى وافى به عثمان بن عفان و هو يصلى فقال دونك الرجل فجمع محرمة يديه في العصا وضربه بها فصاح الناس ويلك أمير المؤمنين قال من قادني قالوا نعيمان قال و ما لي ولنعيمان لأعرض له أبدا. و كان طويس يتغنى في عرس فدخل النعمان بن بشير الأنصاري العرس وطويس يغنيهم أجد بعمرة هجرانها || وتسخط أم شاننا شانها . فأشاروا إليه بالسكوت فقال النعمان دعوه إنه لم يقل بأسا إنما قال وعمرة من سروات النساء || تنفح بالمسك أردانها . وعمرة هذه أم النعمان و فيها قيل هذاالنسيب . و قدروى عن جماعة من الصحابة والتابعين اللعب بالنرد والشطرنج ومنهم من روى عنهم شرب النبيذ وسماع الغناء المطرب . [صفحة ٣٣٧] فأما أمير المؤمنين على ع فإذا نظرت إلى كتب الحديث والسير لم تجد أحدا من خلق الله عدوا ولا صديقا روى عنه شيئا من هذا الفن لاقولا ولا فعلا و لم يكن جد أعظم من جده ولا وقار أتم من وقاره و ماهزل قط ولا لعب ولا فارق الحق والناموس الدينى سرا ولا جهرا وكيف يكون هازلا و من كلامه المشهور عنه مامزح امرؤ مزحة إلا ومج معها من عقله مجة -رواية-١-٢-رواية-٢٨-٧٣ ولكنه خلق على سجية

لطيفه وأخلاق سهله ووجه طلق وقول حسن وبشر ظاهر و ذلك من فضائله ع وخصائصه التي منحه الله بشرفها واختصه بمزيتها وإنما كانت غلظته وفضاظته فعلا لاقولا وضربا بالسيف لاجبها بالقول وطعنا باللسان كما قال الشاعر وتسفه أيدينا ويحلم رأينا || ونشتم بالأفعال لا بالتكلم

نبد وأقول في حسن الخلق ومدحه

فأما سوء الخلق فلم يكن من سجايه فقد قال النبي ص خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق -رواية- ١-٢-رواية- ٢١-٦٨ وقال الله تعالى لنبية ص وَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ وقال أيضا وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضْنَا مِنْ حَوْلِكَ. -قرآن- ٣٠-٦٠-قرآن- ٧٢-١٢٨ وقيل لرسول الله ص ما للشؤم فقال سوء الخلق -رواية- ١-٤٩. وصحب جابر رجلا في طريق مكة فأذاه سوء خلقه فقال جابر إنني لأرحمه نحن نفارقه ويبقى معه سوء خلقه. [صفحة ٣٣٨] وقيل لعبد الله بن جعفر كيف تجاوز بنى زهرة و في أخلاقهم زعارة قال لا يكون لى قبلهم شىء إلا تركته و لا يطلبون منى شيئا إلا أعطيتهم. و في الحديث المرفوع أنه ص قال ألا أنبئكم بشر الناس قالوا بلى يا رسول الله قال من نزل وحده ومنع رفته وضرب عبده ثم قال ألا أنبئكم بشر من ذلك قالوا بلى قال من لم يقل عشرة و لا يقبل معذرة -رواية- ١-٢-رواية- ١-٢-رواية- ٣٨-٢١٢. وقال ابراهيم بن عباس الصولى لو وزنت كلمة رسول الله ص بمحاسن الخلق كلها لرجحت قوله إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم -رواية- ١-٢-رواية- ٩-٥٩ و في الخبر المرفوع حسن الخلق زمام من رحمه الله فى أنف صاحبه والزمام بيد الملك والملك يجره إلى الخير والخير يجره إلى الجنة وسوء الخلق زمام من عذاب الله فى أنف صاحبه والزمام بيد الشيطان والشيطان يجره إلى الشر والشر يجره إلى النار -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-٢٥٤ وروى الحسن بن على ع عن النبي ص أن الرجل يدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم وإنه ليكتب جبارا ولا يملك إلا أهله -رواية- ١-٢-رواية- ١٣٠-٤٢ وروى أبو موسى الأشعري قال بينا رسول الله ص يمشى وامرأة بين يديه فقلت الطريق لرسول الله ص فقالت الطريق معرض إن شاء أخذ يمينا وإن شاء أخذ شمالا فقال ص دعوها فإنها جبارة -رواية- ١-٢-رواية- ٣٢-١٨٦. وقال بعض السلف الحسن الخلق ذو قرابة عند الأجانب والسيئ الخلق أجنبي عند أهله. و من كلام الأحنف ألا أخبركم بالمحمدة بلا مذمة الخلق السجيج والكف عن القبيح ألا أخبركم بأدوأ الداء الخلق الدنىء واللسان البذىء. [صفحة ٣٣٩] و فى الحديث المرفوع أول ما يوضع فى الميزان الخلق الحسن -رواية- ١-٢-رواية- ٢٥-٦٤ وجاء مرفوعا أيضا المؤمن هين لين كالجمال الأنف إن قيد انقاد وإن أنيخ على صخرة استناخ -رواية- ١-٢-رواية- ٢٠-٩٤ وجاء مرفوعا أيضا ألا أخبركم بأحبكم إلى وأقربكم منى مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون ألا أخبركم بأبغضكم إلى وأبعدكم منى مجالس يوم القيامة الثرثارون المتفيهقون -رواية- ١-٢-رواية- ٢٠-٢١٨. أبورجاء العطاردى من سره أن يكون مؤمنا حقا فليكن أذل من قعود كل من مر به ادعاه. فضيل بن عياض لأن يصحبنى فاجر حسن الخلق أحب إلى من أن يصحبنى عابد سيئ الخلق لأدن الفاسق إذا حسن خلقه خف على الناس وأحبوه والعابد إذا ساء خلقه ثقل على الناس ومقتوه. دخل فرقد و محمد بن واسع على رجل يعودانه فجرى ذكر العنف والرفق فروى فرقد عن رسول الله ص أنه قيل له على من حرمت النار يا رسول الله قال على الهين اللين السهل القريب فلم يجد محمد بن واسع بياضا يكتب ذلك فيه فكتبه على ساقه -رواية- ١-٢٤٧. عبد الله بن الدارنى ماضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب. عائشة قال رسول الله ص إذا أراد الله بأهل بيت خيرا أدخل عليهم باب رفق -رواية- ١-٢-رواية- ٢٨-٨٠ وعنهما عنه ص من أعطى حظه من الرفق أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة -رواية- ١-٢-رواية- ١٧-٧٥ [صفحة ٣٤٠] جرير بن عبد الله البجلي رفعه أن الله ليعطى على الرفق ما

لا يعطى على الخرق فإذا أحب الله عبدا أعطاه الرفق -رواية- ١-٢-رواية- ٣٤-١١٧ و كان يقال مادخل الرفق فى شىء إلازانه . أبوعون الأنصارى ماتكلم الإنسان بكلمة عنيفة إلا و إلى جانبها كلمة ألين منها تجرى مجراها. سئلت عائشة عن خلق رسول الله ص فقالت كان خلقه القرآن خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ -رواية- ١-١١٧ . وسئل ابن المبارك عن حسن الخلق فقال بسط الوجه وكف الأذى وبذل الندى . ابن عباس أن الخلق الحسن يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الحديد و أن الخلق السيئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل -رواية- ١-٢-رواية- ١٣-١١٩ على ع ما من شىء فى الميزان أثقل من خلق حسن -رواية- ١-٢-رواية- ١١-٥٤ و عنه ع عنوان صحيفة المؤمن حسن خلقه -رواية- ١-٢-رواية- ١٣-٤٥ و عنه ع مرفوعا عليكم بحسن الخلق فإنه فى الجنة وإياكم وسوء الخلق فإنه فى النار -رواية- ١-٢-رواية- ١٩-٨٩ . قال المنصور لأخيه أبى العباس فى بنى حسن لما أزمعوا الخروج عليه آنسهم يا أمير المؤمنين بالإحسان فإن استوحشوا فالشر يصلح ما يعجز عنه الخير و لاندع محمدا يمرح فى أعنة العقوق فقال أبو العباس يا أبا جعفر إنه من شدد نفر و من لان ألف والتغافل من سجايا الكرام

فصل فى ذكر أسباب الغلظة والفظاظة

ونحن نذكر بعد كلاما كليا فى سبب الغلظة والفظاظة و هو الخلق المنافى للخلق الذى كان عليه أمير المؤمنين فنقول [صفحة ٣٤١] إنه قد يكون لأمر عائد إلى المزاج الجسمانى و قد يكون لأمر راجع إلى النفس فأما الأول فإنما يكون من غلبة الأخلاق السوداوية و ترمدها و عدم صفاء الدم و كثرة كدرته و عكره فإذا غلظ الدم و ثخن غلظ الروح النفسانى و ثخن أيضا لأنه متولد من الدم فيحدث منه نوع مما يحدث لأصحاب الفطرة من الاستيحاش و النبوة عن الناس و عدم الاستئناس و البشاشة و صار صاحبه ذا جفاء و أخلاق غليظة و يشبه أن يكون هذا سببا ماديا فإن الذى يقوى فى نفسى أن النفوس إن صحت و ثبتت مختلفة بالذات . و أما الراجع إلى النفس فإن يجتمع عندها أسقاط و أنصباء من قوى مختلفة مذمومة نحو أن تكون القوة الغضبية عندها متوافرة و ينضاف إليها تصور الكمال فى ذاتها و توهم النقصان فى غيرها فيعتقد أن حركات غيره واقعة على غير الصواب و أن الصواب ماتوهمه . و ينضاف إلى ذلك قلة أدب النفس و عدم الضبط لها و استحقاقها للغير و يقل التوقير له و ينضاف إلى ذلك لججاج و ضيق فى النفس و حدة و استشاط و قلة صبر عليه فيتولد من مجموع هذه الأمور خلق دنى و هو الغلظة و الفظاظة و الوعورة و البادرة المكروهة و عدم حبه الناس و لقاءهم بالأذى و قلة المراقبة لهم و استعمال القهر فى جميع الأمور و تناول الأمر من السماء و هو قادر على أن يتناوله من الأرض . و هذا الخلق خارج عن الاعتدال و داخل فى حيز الجور و لا ينبغى أن يسمى بأسماء المدح و أعنى بذلك أن قوما يسمون هذا النوع من العنف و الخلق الوعر رجولية و شدة و شكيمة و يذهبون به مذهب قوة النفس و شجاعتها الذى هو بالحقيقة مدح و شتان بين الخلقين فإن صاحب هذا الخلق الذى ذمناه تصدر عنه أفعال كثيرة يجور فيها على نفسه ثم على إخوانه على الأقرب فالأقرب من معاملته حتى ينتهى إلى عبيده و حرمة فيكون عليهم سوط عذاب لا يقيهم عثرة و لا يرحم لهم عبرة و إن كانوا برآء الذنوب غير مجرمين و لا مكتسبى سوء بل يتجرم عليهم و يهيج من أدنى سبب يجد به طريقا إليهم [صفحة ٣٤٢] حتى يبسط يده و لسانه و هم لا يمتنعون منه و لا يتجاسرون على رده عن أنفسهم بل يدعون له و يقرون بذنوب لم يقترفوها استكفافا لعاديته و تسكينا لغضبه و هو فى ذلك يستمر على طريقته لا يكف يدا و لسانا . و أصل هذا الخلق الذى ذكرناه أنه مركب من قوى مختلفة من شدة القوة الغضبية فهى الحاملة لصاحب هذا الخلق على ما يصدر عنه من البادرة المكروهة و الجبة و القحة و قد رأينا و شاهدنا من تشدد القوة الغضبية فيه فيتجاوز الغضب على نوع الإنسان إلى البهائم التى لا تعقل و إلى الأوانى التى لا تحس و ربما قام إلى الحمار و إلى البرذون فضربهما و لطمهما و ربما كسر الآنية لشدة غضبه و ربما عض القفل إذا تعسر

عليه وربما كسر القلم إذاتعلقت به شعره من الدواة واجتهد في إزالتها فلم تزل . ويحكى عن بعض ملوك اليونان المتقدمين أنه كان يغضب على البحر إذاهاج واضطرب وتأخرت سفنه عن النفوذ فيه فيقسم بمعبوده ليظمنه وليطرحن الجبال فيه حتى يصير أرضا ويقف بنفسه على البحر ويهدده بذلك ويزجره زجرا عنيفا حتى تدر أوداجه ويشتد احمرار وجهه ومنهم من لايسكن غضبه حتى يصب عليه ماء بارد أو حتى يبول ولهذا ورد في الشريعة الأمر لمن اشتد غضبه أن يتوضأ للصلاة ويصلى . و كان عمر بن الخطاب إذاغضب على واحد من أهله لايسكن غضبه حتى يعض يده عضا شديدا حتى يدميها . وذكر الزبير بن بكار في الموفقيات أن سريه جاءت لعبد الرحمن أولعبيد الله [صفحه ٣٤٣] بن عمر بن الخطاب إليه تشكوه فقالت يا أمير المؤمنين أ لاتعذرني من أبي عيسى قال و من أبو عيسى قالت ابنك عبيد الله قال ويحك و قدتكني بأبي عيسى ثم دعاه فقال أيها اكتنيت بأبي عيسى فحذر وفرع وأخذ يده فعضها ثم ضربه و قال ويلك وهل لعيسى أب أتدرى ماكنى العرب أبوسلمة أبوحنظلة أبوعرفطة أبومرة . قال الزبير و كان عمر إذاغضب على بعض أهله لم يسكن غضبه حتى يعض يده عضا شديدا و كان عبد الله بن الزبير كذلك ولقوة هذاالخلق عنده أضمر عبد الله بن عباس في خلافته إبطال القول بالعول وأظهره بعده فقيل له هلا قلت هذا في أيام عمر فقال هبته و كان أميرا مهيبا . ولذلك قال أيضا أبوسفیان في استلحاق زياد أخاف من هذاالعرير الجالس أن يخرق على إهابي فإذاها به أبوسفیان و هو من بنى عبدمناف في المنزلة التي تعلم وحواله بنو عبدشمس وهم جمرة قريش فما ظنك بمن هودونه . و قدعلمت حال جبلة بن الأيهم وارتداده عن الإسلام لتهدده له ووعيده إياه أن يضربه بالدره وفساد الحال بينه و بين خالد بن الوليد بعد أن كان وليا مضافيا ومنحرفا عن غيره قاليا والشأن ألدی كان بينه و بين طلحة حتى هم أن يوقع به و حتى هم طلحة أن يجاهره وطلحة هو ألدی قال لأبي بكر عندموته ماذا تقول لربك و قدوليت فينا فظا غليظا و هوالقائل له ياخليفة رسول الله إنا كنا لانحتمل شراسته و أنت حى تأخذ على يديه فكيف يكون حالنا معه و أنت ميت و هوالخليفة . واعلم أنا لانريد بهذا القول ذمه رضی الله عنه و كيف نذمه و هوأولى الناس بالمدح [صفحه ٣٤٤] والتعظيم ليمن نقيته وبركة خلافته و كثرة الفتوح في أيامه وانتظام أمور الإسلام على يده ولكننا أردنا أن نشرح حال العنف والرفق وحال سعة الخلق وضيقة وحال البشاشة والعبوس وحال الطلاقة والوعورة فنذكر كل واحد منها ذكرا كليا لانخص به إنسانا بعينه فأما عمر فإنه و إن كان وعرا شديدا خشنا فقد رزق من التوفيق والعناية الإلهية ونجح المساعي وطاعة الرعية ونفوذ الحكم وقوة الدين وحسن النية وصحة الرأي مايربى محاسنه ومحامده على ما في ذلك الخلق من نقص و ليس الكامل المطلق إلا الله تعالى وحده . فأما حديث الرضيخة و ماجعل معاوية لعمر و بن العاص من جعله على مبايعته ونصرته فقد تقدم ذكره في أخبار صفين المشروحة في هذاالكتاب من قبل [صفحه ٣٤٥]

٨٤- و من خطبة له ع

وَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْأَوَّلُ لَا شَيْءَ قَبْلَهُ وَ الْآخِرُ لَا غَايَةَ لَهُ لَا تَقَعُ الْأَوْهَامُ لَهُ عَلَى صِفَةٍ وَ لَا تُعَقَّدُ الْقُلُوبُ مِنْهُ عَلَى كَيْفِيَّةٍ وَ لَمَّا تَنَالَهُ التَّجَزُّؤُ وَ التَّبَعِيضُ وَ لَمَّا تُحِيطُ بِهِ الْأَبْصَارُ وَ الْقُلُوبُ فِي هَذَاالفصل على قصره ثمانى مسائل من مسائل التوحيد.الأولى أنه لاثنانى له سبحانه فى الإلهية. والثانية أنه قديم لاأول له فإن قلت ليس يدل كلامه على القدم لأنه قال الأول لا شىء قبله فيوهم كونه غيرقديم بأن يكون محدثا و ليس قبله شىء لأنه محدث عن عدم والعدم ليس بشىء قلت إذا كان محدثا كان له محدث فكان ذلك المحدث قبله فثبت أنه متى صدق أنه ليس شىء قبله صدق كونه قديما. والثالثة أنه أبدي لانتهاء و لانقضاء لذاته . والرابعة نفى الصفات عنه أعنى المعانى. والخامسة نفى كونه مكيفا لأن كيف إنما يسأل بها عن ذوى الهيئات

والأشكال و هو منزه عنها. والسادسة أنه غير متبعض لأنه ليس بجسم ولا عرض . [صفحہ ۳۴۶] والسابعة أنه لا يرى ولا يدرك . والثامنة أن ماهيته غير معلومة و هو مذهب الحكماء وكثير من المتكلمين من أصحابنا وغيرهم . وأدلة هذه المسائل مشروحة في كتبنا الكلامية. واعلم أن التوحيد والعدل والمباحث الشريفة الإلهية ما عرفت إلا من كلام هذا الرجل و أن كلام غيره من أكابر الصحابة لم يتضمن شيئا من ذلك أصلا ولا كانوا يتصورونه و لو تصوروه لذكروه و هذه الفضيلة عندى أعظم فضائله ع و منها فَاتَّعِظُوا عِبَادَ اللَّهِ بِالْعَبْرِ النَّوَافِعِ وَاعْتَبِرُوا بِالْآسِ السَّوَاطِعِ وَازْدَجِرُوا بِالنَّذْرِ الْبَوَالِغِ وَانْتَفِعُوا بِالذِّكْرِ وَالْمَوَاعِظِ فَكَأَنَّ قَدَّ عَلِقْتُمْ مَخَالِبَ الْمَيْتَةِ وَانْقَطَعَتْ مِنْكُمْ عَلَائِقُ الْأُمِّيَّةِ وَدَهَمَتْكُمْ مُفْطِئَاتُ الْأُمُورِ وَالسِّيَاقَةُ إِلَى الْوَرْدِ الْمَوْرُودِ فَكُلَّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَى مَحْشَرِهَا وَشَاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا الْعِبْرَ جَمْعُ عِبْرَةٍ وَهِيَ مَا يَعْتَبَرُ بِهِ أَى يَتَعَزَّ وَالْآى جَمْعُ آيَةٍ وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ [صفحہ ۳۴۷] بِهَا آى الْقُرْآنَ وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِهَا آيَاتِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَفِي غَرَائِبِ الْحَوَادِثِ فِي الْعَالَمِ . وَالسَّوَاطِعُ الْمَشْرِقَةُ الْمُنِيرَةُ. وَالنَّذْرُ جَمْعُ نَذِيرٍ وَهُوَ الْمَخُوفُ وَالْأَحْسَنُ أَنْ يَكُونَ النَّذْرُ هَاهُنَا هِيَ الْإِنذَارَاتُ نَفْسَهَا لِأَنَّهُ قَدْ وَصَفَ ذَلِكَ بِالْبَوَالِغِ وَفَوَاعِلُ لَا تَكُونُ فِي الْأَكْثَرِ إِلَّا صِفَةُ الْمُؤَنَّثِ . وَمَفْطِئَاتُ الْأُمُورِ شِدَائِدُهَا الشَّنِيعَةُ أَفْطَعُ الْأَمْرُ فَهُوَ مَفْطَعٌ وَيَجُوزُ فِطْعُ الْأَمْرِ بِالضَّمِّ فِطَاعَةٌ فَهُوَ فَطِيعٌ وَأَفْطَعُ الرَّجُلُ عَلَى مَا لَمْ يَسْمُ فَاعِلُهُ أَى نَزَلَ بِهِ ذَلِكَ . وَقَوْلُهُ وَالسِّيَاقَةُ إِلَى الْوَرْدِ الْمَوْرُودِ يَعْنِي الْمَوْتَ وَقَوْلُهُ سَائِقٌ وَشَهِيدٌ قَدْ فَسَّرَ ذَلِكَ وَقَالَ سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَى مَحْشَرِهَا وَشَاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْمَفْسِرِينَ إِنَّ الْآيَةَ لَا تَقْتَضِي كَوْنَهُمَا اثْنَيْنِ بَلْ مِنْ الْجَائِزِ أَنْ يَكُونَ مَلَكًا وَاحِدًا جَامِعًا بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ كَأَنَّهُ قَالَ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا مَلَكٌ يَسُوقُهَا وَيَشْهَدُ عَلَيْهَا وَكَلَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَحْتَمِلُ ذَلِكَ أَيْضًا لِأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ أَحَدُهُمَا لَكِنِ الْأَظْهَرُ فِي الْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ أَنَّهُمَا مَلَكَانِ . فَإِنْ قُلْتَ إِذَا كَانَ تَعَالَى عَالِمًا بِكُلِّ شَيْءٍ فَأَى حَاجَةٌ إِلَى الْمَلَائِكَةِ الَّتِي تَكْتُبُ الْأَعْمَالَ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ وَإِذَا كَانَ تَعَالَى أَعْدَلَ الْعَادِلِينَ فَأَى حَاجَةٌ إِلَى مَلَكٍ يَشْهَدُ عَلَى الْمَكْلُوفِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِذَا كَانَ قَادِرًا لِدَاتِهِ فَأَى حَاجَةٌ إِلَى مَلَكٍ يَسُوقُ الْمَكْلُوفَ إِلَى الْمَحْشَرِ قُلْتَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي تَقْرِيرِ مِثْلِ ذَلِكَ فِي أَنْفُسِ الْمَكْلُوفِينَ فِي الدُّنْيَا أَلطَافٌ وَمَصَالِحٌ لَهُمْ فِي أَدْيَانِهِمْ فَيَخَاطِبُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ - قرآن - ۹۱۵-۹۵۰ [صفحہ ۳۴۸] لَوْجُوبِ اللَّطْفِ فِي حِكْمَتِهِ وَإِذَا خَاطَبَهُمْ بِهِ وَجِبَ فَعَلَهُ فِي الْآخِرَةِ لِأَنَّ خَيْرَهُ سُبْحَانَهُ لَا يَجُوزُ الْخَلْفُ عَلَيْهِ وَ مِنْهَا فِي صِفَةِ الْجَنَّةِ دَرَجَاتٌ مُتَفَاضِلَةٌ لِمَاتٍ وَ مَنَازِلٌ مُتَفَاوِتَاتٌ لَا يَنْقَطِعُ نَعِيمُهَا وَلَا يَظَعُنُ مُقِيمُهَا وَلَا يَهْرَمُ خَالِدُهَا وَلَا مَيَّأَسُ سَاكِنُهَا الدَّرَجَاتُ جَمْعُ دَرَجَةٍ وَهِيَ الطَّبَقَاتُ وَالْمَرَاتِبُ وَيُقَالُ لَهَا دَرَجَاتٌ فِي الْجَنَّةِ وَدَرَكَاتٌ فِي النَّارِ وَإِنَّمَا تَفَاضَلَتْ وَتَفَاوَتَتْ بِحَسَبِ الْأَعْمَالِ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَقَعَ ذَلِكَ تَفَضُّلاً لِأَنَّ التَّفَضُّلَ بِالثَّوَابِ قَبِيحٌ . فَإِنْ قُلْتَ فَمَا قَوْلُكَ فِي الْحُورِ وَالْوَالِدَانِ وَالْأَطْفَالِ وَالْمَجَانِينِ قُلْتَ يَكُونُ الْوَاصِلُ إِلَيْهِمْ نَعِيمًا وَلِذَلِكَ لِأَنَّ الثَّوَابَ لَهُمْ وَلَا يَنَالُونَهُ وَالثَّوَابُ أَمْرٌ أَحْصَى مِنَ الْمَنَافِعِ وَالنَّعِيمِ لِأَنَّهُ مَنَافِعٌ يَقْتَرِنُ بِهَا التَّعْظِيمُ وَالتَّجْذِيلُ وَهَذَا الْأَمْرُ الْأَخْصَى لَا يَحْسَنُ إِيْصَالُهُ إِلَّا إِلَى أَرْبَابِ الْعَمَلِ . وَقَوْلُهُ لَا يَنْقَطِعُ نَعِيمُهَا وَلَا يَظَعُنُ مُقِيمُهَا قَوْلٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ أَهْلِ الْمَلَأَةِ إِلَّا مَا يَحْكِي عَنْ أَبِي الْهَزْدِيلِ أَنَّ حَرَكَاتِ أَهْلِ الْجَنَّةِ تَنْتَهِي إِلَى سَكُونٍ دَائِمٍ وَقَدْ نَزَّهَهُ قَوْمٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ هَذَا الْقَوْلِ وَأَكْذَبُوا رَوَاتِهِ وَمَنْ أَثْبَتَهُ مِنْهُمْ عَنْهُ زَعَمَ أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ بِانْقِطَاعِ النَّعِيمِ لَكِنِ بِانْقِطَاعِ الْحَرَكَاتِ مَعَ دَوَامِ النَّعِيمِ وَإِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا اسْتَدَلَّ عَلَى أَنَّ [صفحہ ۳۴۹] الْحَرَكَاتِ الْمَاضِيَةَ يَسْتَحِيلُ أَلَّا يَكُونَ لَهَا أَوَّلٌ عَوْرُضٌ بِالْحَرَكَاتِ الْمُسْتَقْبَلَةِ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَالْتَرَمُّ أَنَّهَا مُتَنَاهِيَةٌ وَإِنَّمَا اسْتَبْعَدَ هَذَا عَنْهُ لِأَنَّهُ كَانَ أَجَلَ قَدْرًا مِنْ أَنْ يَذْهَبَ عَلَيْهِ الْفَرْقُ بَيْنَ الصُّورَتَيْنِ . وَيَبْأَسُ مَضَارِعَ بئس وجاء فيه يبئس بالكسر و هو شاذ كشذوذ يحسب وينعم ومعنى يبأس يصيبه البؤس و هو الشقاء [صفحہ ۳۵۰]

قَدْ عَلِمَ السِّرَائِرَ وَ حَبَرَ الضَّمَائِرَ لَهُ الإِحَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ وَ الْعَلْبَةُ لِكُلِّ شَيْءٍ وَ الْقُوَّةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُ مِنْكُمْ فِي أَيَّامِ مَهَلِهِ قَبْلَ إِرْهَاقِ أَجَلِهِ وَ فِي فِرَاقِهِ قَبْلَ أَوَانِ شُغْلِهِ وَ فِي مُتَنَفِّسِهِ قَبْلَ أَنْ يُؤَخَّذَ بِكَطْمِهِ وَ لِيَمْهَدَ لِنَفْسِهِ وَ قَدَمِهِ وَ لِيَتَزَوَّدَ مِنْ دَارِ طَعْنِهِ لِدَارِ إِقَامَتِهِ فَاللَّهُ اللَّهُ أَيُّهَا النَّاسُ فِيمَا اسْتَحْفَظْتُمْ مِنْ كِتَابِهِ وَ اسْتَوَدَعْتُمْ مِنْ حُفْوِهِ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا وَ لَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى وَ لَمْ يَدْعُكُمْ فِي جَهَالَتِهِ وَ لَمَّا عَمِيَ قَدِ سَيَّمَى آثَارَكُمْ وَ عَلِمَ أَعْمَالَكُمْ وَ كَتَبَ آجَالَكُمْ وَ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَ عَمَرَ فِيكُمْ نَبِيَّهُ أَرْمَانًا حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ وَ لَكُمْ فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ دِينَهُ الَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِهِ وَ أَنْهَى إِلَيْكُمْ عَلَى لِسَانِهِ مَجَابَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَ مَكَارِهِهِ وَ نَوَاهِيهِ وَ أَوْامِرُهُ وَ أَلْفَى إِلَيْكُمْ الْمَعْدِرَةَ وَ اتَّخَذَ عَلَيْكُمْ الْحِجَّةَ وَ قَدَّمَ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ وَ أَنْذَرَكُمْ بَيْنَ يَدَيِ عَذَابٍ شَدِيدٍ السَّرَائِرُ جَمْعُ سَرِيرَةٍ وَ هُوَ مَا يَكْتُمُ مِنَ السِّرِّ. وَ خَيْرُ الضَّمَائِرِ بَفَتْحِ الْبَاءِ امْتَحْنُهَا وَ ابْتَلَاها وَ مِنْ رَوَاهُ بِكَسْرِ الْبَاءِ أَرَادَ عِلْمَ وَالِاسْمِ [صَفْحَهُ ٣٥١] الْخَبْرُ بضم الخاء وَ هُوَ الْعِلْمُ وَالضَّمَائِرُ جَمْعُ ضَمِيرٍ وَ هُوَ مَا تَضَمَّرَهُ وَ تَكْنَهُ فِي نَفْسِكَ . وَ فِي قَوْلِهِ لَهُ الْإِحَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ وَ قَدِيمِنَهَا ثَلَاثُ مَسَائِلَ فِي التَّوْحِيدِ إِحْدَاهُنَّ أَنَّهُ تَعَالَى عَالِمٌ بِكُلِّ الْمَعْلُومَاتِ . وَ الثَّانِيَةُ أَنَّهُ لِالشَّرِيكَ لَهُ وَ إِذَا ثَبَتَ كَوْنُهُ عَالِمًا بِكُلِّ شَيْءٍ كَانَ فِي ضَمْنِ ذَلِكَ نَفْيُ الشَّرِيكَ لِأَنَّ الشَّرِيكَ لَا يَكُونُ مَغْلُوبًا . وَ الثَّلَاثَةُ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ مَا يَصِحُّ تَعَلُّقُ قَادِرِيَّتِهِ تَعَالَى بِهِ . وَ أَدْلَةٌ هَذِهِ الْمَسَائِلُ مَذْكُورَةٌ فِي الْكُتُبِ الْكَلَامِيَّةِ . وَ قَوْلُهُ فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُ مِنْكُمْ إِلَى قَوْلِهِ وَ لِيَتَزَوَّدَ مِنْ دَارِ طَعْنِهِ لِدَارِ إِقَامَتِهِ مَأْخُذٌ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ص فِي خُطْبَتِهِ الْمَشْهُورَةِ وَ هِيَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ لَكُمْ مَعَالِمٌ فَانْتَهَوْا إِلَى مَعَالِمِكُمْ وَ إِنْ لَكُمْ غَايَةٌ فَانْتَهَوْا إِلَى غَايَتِكُمْ إِنْ الْمُؤْمِنُ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ بَيْنَ أَجْلِ قَدَمُضَى لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ صَانِعٌ بِهِ وَ أَجْلِ قَدْبَقَى لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ قَاضٍ فِيهِ فَلْيَأْخُذِ الْعَبْدُ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ وَ مِنْ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ وَ مِنْ الشَّبِيهِ قَبْلَ الْهَرَمِ وَ مِنْ الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَوْتِ فَوَ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدِيَّةٍ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ مَسْتَعْتَبٍ وَ مَا بَعْدَ الدُّنْيَا مِنْ دَارِ إِلا الْجَنَّةَ أَوْ النَّارَ - رَوَايَتُ ١- ٢- رَوَايَتُ ٨- ٣٧٩ . وَ الْمَهْلُ الْمَهْلَةُ وَ التَّوْدَةُ وَ الْإِرْهَاقُ مَصْدَرٌ أَرْهَقَ تَقُولُ أَرْهَقُهُ قَرْنَهُ فِي الْحَرْبِ إِرْهَاقًا إِذَا غَشِيَهُ لِيَقْتُلَهُ وَ زَيْدٌ مَرْهَقٌ قَالَ الشَّاعِرُ تَسْدَى أَكْفَهُمْ وَ فِي آيَاتِهِمْ || ثَقَّةُ الْمَجَاوِرِ وَ الْمَضَافُ الْمَرْهَقُ . وَ فِي مُتَنَفِّسِهِ أَيُّ فِي سَعَةِ وَقْتِهِ يُقَالُ أَنْتَ فِي نَفْسٍ مِنْ أَمْرٍ كَأَيِّ فِي سَعَةِ. [صَفْحَهُ ٣٥٢] وَ الْكُطْمُ بِفَتْحِهِمَا مَخْرَجُ النَّفْسِ وَ الْجَمْعُ أَكْطَامٌ وَ يَجُوزُ طَعْنُهُ وَ طَعْنُهُ بِتَحْرِيكِ الْعَيْنِ وَ تَسْكِينِهَا وَ قُرِئَ بِهَمَايُومٍ طَعْنُكُمْ وَ طَعْنُكُمْ وَ نَصَبَ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى الْإِغْرَاءِ وَ هُوَ أَنْ تَقْدِرَ فَعْلًا - يَنْصَبُ الْمَفْعُولُ بِهِ أَيُّ اتَّقُوا اللَّهَ وَ جَعَلَ تَكَرِيرَ الْفِعْلِ نَائِبًا عَنِ الْفِعْلِ الْمَقْدَرِ وَ دَلِيلًا عَلَيْهِ . اسْتَحْفَظْتُمْ مِنْ كِتَابِهِ جَعَلْتُمْ حِفْظَهُ لَهُ جَمْعُ حَافِظٍ. السُّدَى الْمَهْمَلُ وَ يَجُوزُ سُدَى بِالْفَتْحِ أُسْدِيَّتِ الْإِبِلِ أَهْمَلْتَهَا وَ قَوْلُهُ قَدِ سَمِيَ آثَارَكُمْ يَفْسِرُ بِتَفْسِيرَيْنِ أَحَدُهُمَا قَدْ بَيْنَ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ خَيْرَهَا وَ شَرَّهَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَ هَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ وَ الثَّانِي قَدْ أَعْلَى مَا تَرَكْتُمْ أَيُّ رَفَعَ مَنَازِلَكُمْ إِنْ أَطْعَمْتُمْ وَ يَكُونُ سَمِيٌّ بِمَعْنَى أَسْمَى كَمَا كَانَ فِي الْوَجْهِ الْأَوَّلِ بِمَعْنَى أَبَانَ وَ أَوْضَحَ . وَ التَّبْيَانُ بِكَسْرِ التَّاءِ مَصْدَرٌ وَ هُوَ شَاذٌ لِأَنَّ الْمَصَادِرَ إِنَّمَا تَجِيءُ عَلَى التَّفْعَالِ بِفَتْحِهَا مِثْلُ التَّذْكَارِ وَ التَّكْرَارِ وَ لَمْ يَأْتِ بِالْكَسْرِ إِلا حِرْفَانٌ وَ هُمَا التَّبْيَانُ وَ التَّلْقَاءُ . وَ قَوْلُهُ حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ وَ لَكُمْ دِينَهُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي . وَ قَوْلُهُ الَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِهِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى وَ لِيَمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمُ اللَّهُ إِذَا رَتَضَى لَهُمْ فَقَدْ ارْتَضَاهُ لِنَفْسِهِ أَيُّ ارْتَضَى أَنْ يَنْسَبَ إِلَيْهِ فَيُقَالُ هَذَا دِينُ الْحَقِّ وَ أَنْهَى إِلَيْكُمْ عَرَفْتُمْ وَ أَعْلَمْتُمْ . وَ مَحَابَهُ جَمْعُ مَحَبَّةٍ وَ مَكَارِهِهُ جَمْعُ مَكْرَهَةٍ وَ هِيَ مَا تَكْرَهُ وَ فِي هَذَا دَلَالَةٌ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَحِبُّ الطَّاعَةَ وَ يَكْرَهُ الْمَعْصِيَةَ وَ هُوَ خِلَافُ قَوْلِ الْمَجْبُورَةِ . - قُرْآنُ ٩٩- ١١٢- قُرْآنُ ٤٥٠- ٤٧٢- قُرْآنُ ٧٩٩- ٨٦٠- قُرْآنُ ٩٠٤- ٩٥٤] [صَفْحَهُ ٣٥٣] وَ الْأَوْامِرُ جَمْعُ أَمْرٍ وَ أَنْكَرَهُ قَوْمٌ وَقَالُوا هَاهُنَا جَمْعُ أَمْرٍ كَالْأَحْوَصِ جَمْعُ أَحْوَصٍ وَ الْأَحْمَارُ جَمْعُ أَحْمَرٍ يَعْنِي الْكَلَامَ الْأَمْرَ لَهُمْ بِالطَّاعَاتِ وَ هُوَ الْقُرْآنُ . وَ النَّوَاهِي جَمْعُ نَاهِيَةٍ كَالسُّوَارِي جَمْعُ سَارِيَةٍ وَ الْغَوَادِي جَمْعُ غَادِيَةٍ يَعْنِي الْآيَاتِ النَّاهِيَةَ لَهُمْ عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَ يُضْعَفُ أَنْ يَكُونَ الْأَوْامِرُ وَ النَّوَاهِي جَمْعُ أَمْرٍ وَ نَهْيٍ لِأَنَّ فَعْلًا لَا يَجْمَعُ عَلَى أَفَاعِلٍ وَ فَوَاعِلٍ وَ إِنْ كَانَ قَالٌ ذَلِكَ بَعْضُ الشَّوَادِ مِنْ

أهل الأدب . و قوله وألقى إليكم المعذرة كلام فصيح و هو من قوله تعالى ألقى إليكم السلام . وقدم إليكم بالوعيد وأذركم بين يدي عذاب شديد أى أمامه وقبله مأخوذ أيضا من القرآن ومعنى قوله بين يدي عذاب شديد أى أمامه وقبله لأن ما بين يديك متقدم لك -قرآن- ٤٤٢-٤٦٥ فاستدرِكوا ببقية أيامكم و اصبروا لها أنفسكم فإنها قليل في كثير الأيام التي تكون منكم فيها الغفلة والتشاغل عن الموعظة و لا ترخصوا لأنفسكم فتذهب بكم الرخص مذاهب الظلمة و لا تدهنوا فيهم بكم الإدهان على المعصية عبادة الله إن أنصح الناس لنفسه أطوعهم لربه و إن أغشهم لنفسه أعصاهم لربه و المغبون من غبن نفسه و المغبوط من سيلم له دينه و السعيد من وعظ بغيره و الشقي من انخدع لهواه و غروره [صفحة ٣٥٤] و اعلّموا أن يسير الرياء شرك و مجالسة أهل الهوى منسأة للإيمان و محضرة للشيطان جائبوا الكذب فإنه مجانب للإيمان الصادق على شفا منجاة و كرامة و الكذب على شرف مهواة و مهانة و لا تحاسدوا فإن الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب و لا تباعضوا فإنها الحارقة و اعلّموا أن الأمل سيهي العقل و ينسى الذكر فأكذبوا الأمل فإنه غرور و صاحبه مغرور قوله فاستدرِكوا ببقية أيامكم يقال استدركت مافات وتداركت مافات بمعنى واصبروا لها أنفسكم مأخوذ من قوله تعالى و اصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يقال صبر فلان نفسه على كذا أى حبسها عليه يتعدى فينصب قال عنتره -قرآن- ١١٧-١٨٧ فصبرت عارفة لذلك حرة || ترسو إذانفس الجبان تطلع و فى الحديث النبوى فى رجل أمسك رجلا وقتله الآخر فقال ع اقتلوا القاتل واصبروا الصابر -رواية- ١-٢-رواية- ٢٤-٩٥ أى احبسوا الذى أمسكه حتى يموت . والضمير فى فإنها قليل عائد إلى الأيام التى أمرهم باستدراكها يقول إن هذه الأيام التى قد بقيت من أعماركم قليلة بالنسبة والإضافة إلى الأيام التى تغفلون فيها عن الموعظة . [صفحة ٣٥٥] و قوله فإنها قليل فأخبر عن المؤث بصيغة المذكر إنما معناه فإنها شىء قليل بحذف الموصوف كقوله و حشيت أولئك رفيقا أى قبيلا رفيقا . ثم قال و لا ترخصوا نهى عن الأخذ برخص المذاهب و ذلك لأنه لا يجوز للواحد من العامة أن يقلد كلا من أئمة الاجتهاد فيما خف و سهل من الأحكام الشرعية أو لاتساهلوا أنفسكم فى ترك تشديد المعصية و لاتسامحوها وترخصوا إليها فى ارتكاب الصغائر والمحقرات من الذنوب فتهجم بكم على الكبائر لأن من مرّن على أمر تدرج من صغيره إلى كبيره . والمداهنة النفاق والمصانعة والادهان مثله قال تعالى ودّوا لو تُدّهن فيدهنون . قوله إن أنصح الناس لنفسه أطوعهم لربه لأنه قد صانها عن العقاب وأوجب لها الثواب و ذلك غاية ما يمكن من نصيحتها ونفعها . قوله و إن أغش الناس لنفسه أعصاهم لربه لأنه ألقاها فى الهلاك الدائم و ذلك أقصى ما يمكن من غشها والإضرار بها . ثم قال والمغبون من غبن نفسه أى أحق الناس أن يسمى مغبونا من غبن نفسه يقال غبنته فى البيع غبنا بالتسكين أى خدعته و قد غبن فهو مغبون و غبن الرجل رأيه بالكسر غبنا بالتحريك فهو غبين أى ضعيف الرأى و فيه غبانة و لفظ الغبن يدل على أنه من باب غبن البيع والشراء لأنه قال والمغبون و لم يقل والغبين . والمغبوط الذى يتمنى مثل حاله و الذى يتمنى زوال حاله وانتقالها هو الحاسد -قرآن- ٩٩-١٢٥ -قرآن- ٥٣١-٥٦١ [صفحة ٣٥٦] والحسد مذموم والغبطة غير مذمومة يقال غبطته بما نال أغبطه غبطا و غبطة فاعبط هو كقولك منعته فامتنع وحبسته فاحتبس قال الشاعر وبينما المرء فى الأحياء مغتبط || إذ صار فى الرمس تعفوه الأعاصير . هكذا أنشدوه بكسر الباء وقالوا فيه مغتبط أى مغبوط . قوله والسعيد من وعظ بغيره مثل من الأمثال النبوية . و قد ذكرنا فيما تقدم ماجاء فى ذم الرياء وتفسير كونه شركا . و قوله ع منسأة للإيمان أى داعية إلى نسيان الإيمان وإهماله والإيمان الاعتقاد والعمل . ومحضرة للشيطان موضع حضوره كقولك مسبعة أى موضع السباع ومفعاة أى موضع الأفاعى . ثم نهى عن الكذب و قال إنه مجانب للإيمان وكذا ورد فى الخبر المرفوع . وشفا منجاة أى حرف نجا و خلاص وشفا الشىء حرفه قال تعالى و كنتم على شفا حفرة من النار و أشفى على الشىء وأشرف عليه بمعنى وأكثر ما يقال ذلك فى المكروه يقال أشفى المريض على الموت و قد استعمله هاهنا فى غير المكروه . والشرف المكان العالى بفتح الشين وأشرفت عليه أى اطلعت من فوق . والمهواة موضع السقوط والمهانة الحقارة . ثم نهى عن

الحسد و قال إنه يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب و قدورد هذا الكلام فى الأخبار المرفوعة و قد تقدم منا كلام فى الحسد و ذكرنا كثيرا مما جاء فيه . -قرآن- ٤٧٦-٥١٥ [صفحہ ٣٥٧] ثم نهى عن المباغضة و قال إنها الحالقة أى المستأصلة التى تأتى على القوم كالحلق للشعر. ثم نهى عن الأمل و طوله و قال إنه يورث العقل سهوا و ينسى الذكر ثم أمر بأكاذب الأمل و نهى عن الاعتماد عليه و السكون إليه فإنه من باب الغرور. و قد ذكرنا فى الأمل و طوله نكتا نافعة فيما تقدم و يجب أن نذكر ما جاء فى النهى عن الكذب

فصل فى ذم الكذب و حقارة الكذابين

جاء فى الخبر عن رسول الله ص إذا كذب العبد كذبه تباعد الملك منه مسيرة ميل من تنن ما جاء به -روایت- ١-٢-روایت- ٣٤-١٠٠ و عنه ع إياكم و الكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور و الفجور يهدى إلى النار و إن الرجل ليكذب و يتحرى الكذب فيكتب عند الله كاذبا و عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر و إن البر ليهدى إلى الجنة و إن الرجل ليصدق و يتحرى الصدق فيكتب عند الله صادقا -روایت- ١-٢-روایت- ١٣-٢٦١ و روى أن رجلا قال للنبي ص أنا يا رسول الله أستسر بخلال أربع الزنا و شرب الخمر و السرقة و الكذب فأيتهن شئت تركتها لك قال دع الكذب فلما ولى هم بالزنا فقال يسألنى فإن جحدت نقضت ما جعلت له و إن أقررت حددت ثم هم بالسرقة ثم بشرب الخمر ففكر فى مثل ذلك فرجع إليه فقال قد أخذت على السبيل كله فقد تركتهن أجمع -روایت- ١-٢-روایت- ٩-٣٣٠ قال العباس بن عبدالمطلب لابنه عبد الله يا بنى أنت أفقه منى و أنا أعدل منك -روایت- ١-٢-روایت- ٤٧-ادامه دارد [صفحہ ٣٥٨] و إن هذا الرجل يدنيك يعنى عمر بن الخطاب فاحفظ عنى ثلاثا لا تغشين له سرا و لا تغتابين عنده أحدا و لا يطلعن منك على كذبه قال عبد الله فكانت هذه الثلاث أحب إلى من ثلاث بدرات ياقوتا -روایت- از قبل ١٩٤ قال الواثق لأحمد بن أبى داود رحمه الله تعالى كان ابن الزيات عندى فذكرك بكل قبيح قال الحمد لله الذى أحوجه إلى الكذب على و نزهنى عن الصدق فى أمره . و كان يقال أمران لا يكاد أحدهما ينفك من الكذب كثرة المواعيد و شدة الاعتذار. و من الحكم القديمة إنما فضل الناطق على الأخرس بالنطق و زين المنطق الصدق فالكاذب شر من الأخرس . قال الرشيد للفضل بن الربيع فى كلام جرى بينهما كذبت فقال يا أمير المؤمنين وجه الكذوب لا يقابلك و لسانه لا يحاورك . قيل فى تفسير قوله تعالى وَ لَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ نَهَى فى الكذابين فالويل لكل كاذب إلى يوم القيامة. و من كلام بعض الصالحين لو لم أترك الكذب تأثما لتركته تكريما. أبوحيان الكذب شعار خلق و مورد رفق و أدب سيئ و عادة فاحشة و قل من استرسل معه إلا أله و قل من أله إلا أله و الصدق ملبس بهى و منهل غدى و شعاع منبث و قل من اعتاده و مرن عليه إلا صحبته السكينة و أيده التوفيق و خدمته القلوب بالمحبة و لحظته العيون بالمهابة. -قرآن- ٤٩١-٥٢٣ [صفحہ ٣٥٩] ابن السماك لا أدرى أوجر على ترك الكذب أم لا لأنى أتركة أنفه. يحيى بن خالد رأيت شريب خمر نزع و لصا ألق و صاحب فواحش ارتدع و لم أر كاذبا رجح . قالوا فى تفسير هذا إن المولع بالكذب لا يكاد يصبر عنه فقد عوتب إنسان عليه فقال لمعاتبه يا ابن أخى لو تغرغرت به لما صبرت عنه . و قيل لكاذب معروف بالكذب أصدقت قط قال لو لأنى أخاف أن أصدق لقلت لا . و جاء فى بعض الأخبار المرفوعة قيل له يا رسول الله أ يكون المؤمن جبانا قال نعم قيل أ يكون بخيلا قال نعم قيل أ يكون كاذبا قال لا -روایت- ١-٢-روایت- ٣٣-١٤٢ و قال ابن عباس الحدث حدثان حدث من فيك و حدث من فرجك -روایت- ١-٢-روایت- ٢٠-٦٢ . و قال بعضهم من أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون أخذه شاعر فقال و من دعا الناس إلى ذمه || ذموه بالحق و بالباطل . و كان يقال خذوا عن أهل الشرف فإنهم قلما يكذبون . و قال بعض الصالحين لو صحبني رجل فقال

لى اشترط على خصله واحده لاتزيد عليها لقلت لاتكذب . و كان يقال خصلتان لايجمعان الكذب والمروءة. كان يقال من شرف الصدق أن صاحبه يصدق على عدوه و من دناءة الكذب أن صاحبه يكذب و إن كان صادقا. [صفحه ٣٦٠] ومثل هذا قولهم من عرف بالصدق جاز كذبه و من عرف بالكذب لم يجز صدقه . وجاء فى الخبر المرفوع أن فى المعاريض لمندوحة عن الكذب -روايت- ١-٢-روايت- ٢٦-٦٢ . وقال ابن سيرين الكلام أوسع من أن يكذب ظريف . وقالوا فى قوله تعالى لا تؤاخذني بما نسيت لم ينس ولكنه من معاريض الكلام وكذلك قالوا فى قول ابراهيم **إِنِّي سَيِّئٌ** . وقال العتبي **إني لأصدق فى صغار ما يضرني فكيف لأصدق فى كبار ما ينعني** وقال بعض الشعراء -قرآن- ٧٨-١٠٤-قرآن- ١٦٩-١٨٢ لا يكذب المرء إلا من مهانتة **|| أوعاده السوء أو من قله الأدب لعص جيفة كلب خير رائحة ||** من كذبه المرء فى جد و فى لعب . شهد أعرابي عند معاوية بشهادة فقال له كذبت فقال الكاذب و الله المتزمل فى ثيابك فقال معاوية هذا جزء من عجل . وقال معاوية يوما للأحنف وحده حديثا أتكذب فقال له الأحنف و الله ما كذبت منذ علمت أن الكذب يشين أهله . ودخل عبد الله بن الزبير يوما على معاوية فقال له اسمع أبياتا قلتها و كان واجدا على معاوية فقال هات فأنشده إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته **|| على طرف الهجران إن كان يعقل ويركب حد السيف من أن تضيئه ||** إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل . فقال معاوية لقد شعرت بعدنا يا أبابكر ثم لم يلبث معاوية أن دخل عليه معن [صفحه ٣٦١] بن أوس المزنى فقال أقلت بعدنا شيئا قال نعم وأنشده لعمر ك لا أدري وإني لأوجل **|| على أينا تعدو المنية أول . حتى صار إلى الأبيات التي أنشدها ابن الزبير فقال معاوية يا أبابكر أ ما ذكرت آنفا أن هذا الشعر لك فقال أنا أصلحت المعاني و هو ألف الشعر و بعد فهو ظئرى و ما قال من شىء فهو لى . و كان عبد الله بن الزبير مسترضعا فى مزيئه . و روى أبو العباس المبرد فى الكامل أن عمر بن عبدالعزيز كتب فى إشخاص إياس بن معاوية المزنى وعدى بن أوطاه الفزاري أمير البصرة وقاضيا إليها فصار عدى إلى إياس وقدر أنه يمزنه عند عمر بن عبدالعزيز ويشنى عليه فقال له يا أبواثله إن لنا حقا ورحما فقال إياس أ على الكذب تريدنى و الله ما يسرنى أن كذبت كذبه يغفرها الله لى و لا يطلع عليها هذا وأوما إلى ابنه و لى ما طلعت عليه الشمس . و روى أبو العباس أيضا أن عمرو بن معديكرب الزبيدى كان معروفا بالكذب . وقيل لخلف الأحمر و كان مولى لهم وشديد التعصب لليمن أ كان عمرو بن معديكرب يكذب قال يكذب فى المقال ويصدق فى الفعال . [صفحه ٣٦٢] قال أبو العباس فروى لنا أن أهل الكوفة الأشراف كانوا يظهرن بالكناسة فيركبون على دوابهم حتى تطردهم الشمس فوقف عمرو بن معديكرب الزبيدى وخالد بن الصقعب النهدي وعمرو لا يعرفه إنما يسمع باسمه فأقبل عمرو يحدثه فقال أغرنا مرة على بنى نهد فخرجوا مسترعفين بخالد بن الصقعب فحملت عليه فطعنته فأذريته ثم ملت عليه بالصمصامة فأخذت رأسه فقال خالد بن الصقعب حلا بأثور إن قتيلك هو المحدث فقال عمرو يا هذا إذا حدثت فاستمع فإنما نتحدث بمثل ما تسمع لنرهب به هذه المعدية . قوله مسترعفين أى مقدمين له و قوله حلا بأثور أى استثنى يقال حلف و لم يتحلل أى لم يستثنى والمعدية مضر وربيعه وأياد بنو معد بن عدنان وهم أعداء اليمن فى المفاخرة والتكاثر [صفحه ٣٦٣]**

٨٦- و من خطبة له ع

إشاره

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَيْهِ عَبْدًا أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ فَاسْتَشَعَرَ الْحُزْنَ وَ تَجَلَّبَبَ الْخَوْفَ فَزَهَرَ مِصْبَاحُ الْهُدَى فِي قَلْبِهِ وَ أَعَدَّ الْقَرَى لِيَوْمِهِ النَّازِلِ بِهِ فَقَرَّبَ عَلَى نَفْسِهِ الْبَعِيدَ وَ هَوَّنَ الشَّدِيدَ نَظَرَ فَأَبْصَرَ وَ ذَكَرَ فَاسْتَكْتَرَّ وَ ارْتَوَى مِنْ عَذَابِ فُزَاتٍ سُهَّلَتْ لَهُ مَوَارِدُهُ

فَشْرِبَ نَهْلًا وَ سَيْلًا حَيْدًا قَدْ خَلَعَ سَيْرَابِيلَ الشَّهَوَاتِ وَ تَخَلَّى عَنِ الْهُمُومِ إِلَّا هَمًّا وَاحِدًا انْفَرَدَ بِهِ فَخَرَجَ مِنْ صِفَةِ الْعَمَى وَ مُشَارَكَةِ أَهْلِ الْهَوَى وَ صَارَ مِنْ مَفَاتِيحِ أَبْوَابِ الْهُدَى وَ مَغَالِقِ أَبْوَابِ الرِّدَى قَدْ أَبْصَرَ طَرِيقَهُ وَ سَيْلَكَ سَبِيلَهُ وَ عَرَفَ مَنَارَهُ وَ قَطَعَ غَمِيرَهُ وَ اسْتَمْسَكَ مِنَ الْعُرَى بِأَوْثِقِهَا وَ مِنَ الْجِبَالِ بِأَمْتِنِهَا فَهُوَ مِنَ الْيَقِينِ عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ الشَّمْسِ قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلَّهِ سَبِيحَانَهُ فِي أَرْفَعِ الْأُمُورِ مِنْ إِصْدَارِ كُلِّ وَارِدٍ عَلَيْهِ وَ تَصْيِيرِ كُلِّ فَرَعٍ إِلَى أَصْلِهِ مِصْبَاحُ ظُلُمَاتٍ كَشَافُ عَشَوَاتٍ مِفْتَاحُ مَبْهَمَاتٍ دَفَاعُ مُعْضَلَاتٍ دَلِيلُ فُلُواتٍ يَقُولُ فِيهِمْ وَ يَسْكُتُ فَيَسْلُمُ قَدْ أَخْلَصَ لِلَّهِ فَاسْتَخْلَصَهُ فَهُوَ مِنْ مَعَادِنِ دِينِهِ وَ أَوْتَادِ أَرْضِهِ قَدْ أَلْزَمَ [صَفْحَهُ ٣٦٤] نَفْسَهُ الْعِيدَ فَكَانَ أَوَّلُ عِيدِهِ نَفْيُ الْهَوَى عَنْ نَفْسِهِ يَصِفُ الْحَقَّ وَ يَعْمَلُ بِهِ لَا يَدْعُ لِلْخَيْرِ غَايَةً إِلَّا أَمَّهَا وَ لَا مَظْنَةَ إِلَّا قَصِدَهَا قَدْ أَمَكَّنَ الْكِتَابَ مِنْ زِمَامِهِ فَهُوَ قَائِدُهُ وَ إِمَامُهُ يُحَلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقُلَهُ وَ يَنْزِلُ حَيْثُ كَانَ مَنزِلُهُ اسْتَشْعَرَ الْحُزْنَ جَعَلَهُ كَالشَّعَارِ وَ هُوَ مَا يَلِي الْجَسَدَ مِنَ الثِّيَابِ وَ تَجَلِبُّهُ الْخَوْفُ جَعَلَهُ جَلْبَابًا أَيْ ثَوْبًا. زهر مصباح الهدى أضواء وأعد القرى ليومه أى أعد ما قدمه من الطاعات قرى لضيف الموت النازل به والفرات العذب . و قوله فشرب نهلا- يجوز أن يكون أراد بقوله نهلا- المصدر من نهل ينهل نهلا أى شرب حتى روى ويجوز أن يريد بالنهل الشرب الأول خاصة ويريد أنه اكتفى بما شربه أولا فلم يحتج إلى العلل . وطريق جدد لا عثار فيه لقوة أرضه وقطع غماره يقال بحر غمر أى كثير الماء وبحار غمار واستمسك من العرى بأوثقها أى من العقود الوثيقة قال تعالى فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى . ونصب نفسه لله أى أقامها. كشاف عشوات جمع عشوة وعشوة بالحركات الثلاث وهى الأمر الملتبس يقال أوطأنى عشوة. -قرآن- ٥٤٣-٥٧٨ [صَفْحَهُ ٣٦٥] والمعضلات جمع معضلة وهى الشدائد والأمور التى لا يهتدى لوجهها. دليل فلووات أى يهتدى به كما يهتدى الركب فى الفلاة بدليلهم . أمها قصدها ومظنة الشىء حيث يظن وجوده والثقل متاع المسافر وحشمه

فصل فى العباد والزهاد والعارفين وأحوالهم

واعلم أن هذا الكلام منه أخذ أصحاب علم الطريقة والحقيقة علمهم و هو تصريح بحال العارف ومكانته من الله تعالى . والعارفان درجة حال رفيعة شريفة جدا مناسبة للنبوة ويختص الله تعالى بها من يقربه إليه من خلقه . والأولياء على طبقات ثلاث الطبقة الأولى حال العابد و هو صاحب الصلاة الكثيرة والصوم الدائم والحج والصدقة. والطبقة الثانية حال الزاهد و هو المعرض عن ملاذ الدنيا وطيباتها تفنعه الكسرة وتستره الخرقه لآمال و لازوجه و لاولد. والطبقة الثالثة حال العارف و هو الواصل إلى الله سبحانه بنفسه لا يبدنه والبارئ سبحانه متمثل فى نفسه تمثل المعشوق فى ذات العاشق و هو أرفع الطبقات وبعده الزاهد. و أمال العابد فهو أدونها و ذلك لأن العابد معامل كالتاجر يعبد ليثاب ويتعب نفسه ليرتاح فهو يعطى من نفسه شيئا ويطلب ثمنه وعوضه و قد يكون العابد غنيا موسرا كثير المال والولد فليست حاله من أحوال الكمال . و أما الزاهد فإنه احتقر الدنيا وعروضها وقيناتها فخلصت نفسه من دناءة المطامع [صَفْحَهُ ٣٦٦] وصار عزيزا ملكا لاسلطان عليه لنفسه و لالغيره فاستراح من الذل والهوان و لم يبق لنفسه شىء تشتاق إليه بعد الموت فكان أقرب إلى السلامة والنجاه من العابد الغنى الموسر. و أما العارف فإنه بالحال التى وصفناها ويستلزم مع وجودها أن يكون زاهدا لأنه لا يتصور العرفان مع تعلق النفس بملاذ الدنيا وشهواتها نعم قديحصل بعض العرفان لبعض العلماء الفضلاء مع تعلقهم بشهوات الدنيا ولكنهم لا يكونون كاملين فى أحوالهم وإنما تحصل الحالة الكاملة لمن رفض الدنيا وتخلى عنها وتستلزم الحالة المذكورة أيضا أن يكون عابدا عبادة ما و ليس يشترط فى حصول حال العرفان أن يكون على قدم عظيمه من العبادة بل الإكثار من العبادة حجاب كما قيل ولكن لا بد من القيام بالفرائض و شىء يسير من النوافل . واعلم أن العارف هو العارف بالله تعالى وصفاته وملائكته ورسله وكتبه وبالْحِكْمَةَ المودعة فى نظام العالم لاسيما الأفلاك

والكواكب وتركيب طبقات العناصر والأحكام و في تركيب الأبدان الإنسانية. فمن حصل له ذلك فهو العارف و إن لم يحصل له ذلك فهو ناقص العرفان و إن انضم إلى ذلك استشعاره جلال الله تعالى وعظمته ورياضة النفس والمجاهدة والصبر والرضا والتوكل فقد ارتفع طبقته أخرى فإن حصل له بعد ذلك الإعراض عن كل شىء سوى الله و أن يصير مسلوبا عن الموجودات كلها فلا يشعر إلا بنفسه وبالله تعالى فقد ارتفع طبقته أخرى وهى أرفع طبقات . [صفحہ ۳۶۷] وهناك طبقته أخرى يذكرونها وهى أن يسلب عن نفسه أيضا فلا يكون له شعور بها أصلا وإنما يكون شاعرا بالقيوم الأول سبحانه لا غير و هذه درجة الاتحاد بأن تصير الذاتان ذاتا واحدة. و هذا قول قوم من الأوائل و من المتأخرين أيضا و هو مقام صعب لا تثبت العقول لتصوره واكتناحه . واعلم أن هذه الصفات والشروط والنوعت التى ذكرها فى شرح حال العارف إنما يعنى بهانفسه ع و هو من الكلام الذى له ظاهر وباطن فظاهره أن يشرح حال العارف المطلق وباطنه أن يشرح حال عارف معين و هونفسه ع وسيأتى فى آخر الخطبة ما يدل على ذلك . ونحن نذكر الصفات التى أشار ع إليها واحدة واحدة فأولها أن يكون عبدا أعانه الله على نفسه ومعنى ذلك أن يخصه بألطف يختار عندها الحسن ويتجنب القبيح فكأنه أقام النفس فى مقام العدو وأقام الألفاظ مقام المعونة التى يمده الله سبحانه بهافيكسر عادية العدو المذكور وبهذا الاعتبار سمى قوم من المتكلمين اللطف عوناً. وثانيها أن يستشعر الحزن أى يحزن على الأيام الماضية إن لم يكن اكتسب فيها من موجبات الاختصاص أضعاف ما اكتسبه . وثالثها أن يتجلبب الخوف أى يخاف من الإعراض عنه بأن يصدر عنه ما يمحوه من جريده المخلصين . ورابعها أن يعد القرى لضعيف المنية و ذلك بإقامة وظائف العبادة. [صفحہ ۳۶۸] وخامسها أن يقرب على نفسه البعيد و ذلك بأن يمثل الموت بين عينيه صباحا ومساء وألا يطيل الأمل . وسادسها أن يهون عليه الشدائد و ذلك باحتمال كلف المجاهدة ورياضة النفس على عمل المشاق . وسابعها أن يكون قد نظر فأبصر و ذلك بترتيب المقدمات المطابقة لمترقاتها ترتيبا صحيحا لتنتج العلم اليقيني . وثامنها أن يذكر الله تعالى فيستكثر من ذكره لأن ذكره سبحانه والإكثار منه يقتضى سكون النفس وطمأنينتها كما قال تعالى **أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** . وتاسعها أن يرتوى من حب الله تعالى و هو العذب الفرات الذى سهل موارده على من انتخبه الله وجعله أهلا للوصول إليه فشرب منه ونهل وسلك طريقا لا عثار فيه و لا وعث . وعاشرها أن يخلع سراويل الشهوات لأن الشهوات تصدئ مرآة العقل فلا تنطبع المعقولات فيها كما ينبغي وكذلك الغضب . وحادى عشرها أن يتخلى من الهموم كلها لأنها تزيد وقواطع عن المطلوب إلاهما واحدا و هو همه بمولاه الذى لذته وسروره الاهتمام به والتفرد بمناجاته ومطالعة أنوار عزته فحينئذ يخرج عن صفة أهل العمى و من مشاركة أهل الهوى لأنه قدامتاز عنهم بهذه المرتبة والخاصية التى حصلت له فصار مفتاحا لباب الهدى ومغلاقا لباب الضلال والردى قد أبصر طريق الهدى وسلك سبيله وعرف مناره وقطع غماره . -قرآن- ۴۲۷-۴۶۵ [صفحہ ۳۶۹] وثانى عشرها أن ينصب نفسه لله فى أرفع الأمور و هو الخلو به ومقابلته أنوار جلاله بمرآة فكره حتى تتكيف نفسه بتلك الكيفية العظيمة الإشراق فهذا أرفع الأمور وأجلها وأعظمها و قدرمز فى هذا الفصل ومزجه بكلام خرج به إلى أمر آخر و هو فقه النفس فى الدين والأمر الشرعية النافعة للناس فى دنياهم وأخراهم أما فى دنياهم فلردع المفسد وكف الظالم و أما فى أخراهم فللغفور بالسعادة باعتبار امتثال الأوامر الإلهية فقال فى إصدار كل وارد عليه أى فى فتيا كل مستفت له وهداية كل مسترشد له فى الدين ثم قال وتصيير كل فرع إلى أصله ويمكن أن يحتج بهذا من قال بالقياس ويمكن أن يقال إنه لم يرد ذلك بل أراد تخريج الفروع العقلية وردها إلى أصولها كما يتكلف أصحابنا القول فى بيان حكمه القديم تعالى فى الآلام وذبح الحيوانات ردا له إلى أصل العدل و هو كونه تعالى لا يفعل القبيح . وثالث عشرها أن يكون مصباحا لظلمات الضلال كشفا لعشوات الشبه مفتاحا لمبهمات الشكوك المستغلقة دفاعا لمعضلات الاحتجاجات العقلية الدقيقة الغامضة دليلا فى فلول الأنظار الصعبة المشتبهة و لم يكن فى أصحاب محمد ص أحد بهذه الصفة إلا هو . ورابع عشرها أن يقول مخاطبا غيره فيفهمه

ماخاطبه به و أن يسكت فيسلم و ذلك لأنه ليس كل قائل مفهما و لا كل ساكت سالما. وخامس عشرها أن يكون قد أخلص لله فاستخلصه الله والإخلاص لله مقام عظيم جدا و هو يترجمه الأفعال عن الرياء و ألا يمازج العبادة أمر لا يكون لله سبحانه ولهذا كان بعض الصالحين يصيح من طول العبادة نصبا قشفا فيكتحل ويدهن ليذهب بذلك أثر العبادة عنه . [صفحہ ۳۷۰] و قوله فهو من معادن دينه وأوتاد أرضه معادن دينه الذين يقتبس السدين منهم كمعادن الذهب والفضة وهي الأرضون التي يلتقط ذلك منها وأوتاد أرضه هم الذين لولاهم لمادت الأرض وارتجت بأهلها و هذا من باب الاستعارة الفصيحة و أهل هذا العلم يقولون أوتاد الأرض جماعة من الصالحين ولهم في الأوتاد والأبدال والأقطاب كلام مشهور في كتبهم . و سادس عشرها أن يكون قد أزم نفسه العدل والعدالة ملكة تصدر بها عن النفس الأفعال الفاضلة خلقا لا تخلقا. وأقسام العدالة ثلاثة هي الأصول و ما عداها من الفضائل فروع عليها الأولى الشجاعة ويدخل فيها السخاء لأنه شجاعة و تهوين للمال كما أن الشجاعة الأصلية تهوين للنفس فالشجاع في الحرب جواد بنفسه والجواد بالمال شجاع في إنفاقه ولهذا قال الطائي أيقنت أن من السماح شجاعة || تدمى و أن من الشجاعة جودا . والثانية الفقه ويدخل فيها القناعة والزهد والعزلة. والثالثة الحكمة وهي أشرفها. و لم تحصل العدالة الكاملة لأحد من البشر بعد رسول الله ص إلا لهذا الرجل و من أنصف علم صحة ذلك فإن شجاعته وجوده وعفته وقناعته وزهده يضرب بها الأمثال . و أما الحكمة والبحث في الأمور الإلهية فلم يكن من فن أحد من العرب و لا نقل في جهاد أكابره وأصاغرهم شيء من ذلك أصلا و هذافن كانت اليونان وأوائل الحكماء وأساطين الحكمة ينفردون به وأول من خاض فيه من العرب على ع ولهذا [صفحہ ۳۷۱] تجد المباحث الدقيقة في التوحيد والعدل ماثورة عنه في فرش كلامه و خطبه و لا تجد في كلام أحد من الصحابة والتابعين كلمة واحدة من ذلك و لا يتصورونه و لو فهموه لم يفهموه و أنى للعرب ذلك . ولهذا انتسب المتكلمون الذين لججوا في بحار المعقولات إليه خاصة دون غيره و سموه أستاذهم ورئيسهم واجتذبتهم كل فرقة من الفرق إلى نفسها أ لا ترى أن أصحابنا ينتمون إلى واصل بن عطاء و واصل تلميذ أبي هاشم بن محمد بن الحنفية و أبو هاشم تلميذ أبيه محمد و محمد تلميذ أبيه علي ع . فأما الشيعة من الإمامية والزيدية والكيسانية فانتماؤهم إليه ظاهر. و أما الأشعرية فإنهم بأخرة ينتمون إليه أيضا لأن أبا الحسن الأشعري تلميذ شيخنا أبي علي رحمه الله تعالى و أبو علي تلميذ أبي يعقوب الشحام و أبو يعقوب تلميذ أبي الهذيل و أبو الهذيل تلميذ أبي عثمان الطويل و أبو عثمان الطويل تلميذ واصل بن عطاء فعاد الأمر إلى انتهاء الأشعرية إلى علي ع . و أما الكرامية فإن ابن الهيثم ذكر في كتاب المقالات أن أصل مقالتهم و عقيدتهم تنتهي إلى علي ع من طريقين أحدهما بأنهم يسندون اعتقادهم عن شيخ بعد شيخ إلى أن ينتهي إلى سفيان الثوري ثم قال وسفيان الثوري من الزيدية ثم سأل نفسه فقال إذا كان شيخكم الأكبر الذي تنتمون إليه كان زيدا فما بالكم لا تكونون زيدية و أجاب بأن سفيان الثوري رحمه الله تعالى و أن أشهر عنه الزيدية إلا أن تزیده إنما كان عبارة عن موالاة أهل البيت و إنكار ما كان بنو أمية عليه من الظلم و إجلال زيد بن علي و تعظيمه و تصوينه في أحكامه و أحواله و لم ينقل عن سفيان الثوري أنه طعن في أحد من الصحابة. [صفحہ ۳۷۲] الطريق الثاني أنه عد مشايخهم واحدا فواحدا حتى انتهى إلى علماء الكوفة من أصحاب علي كسلمة بن كهيل و حبة العرنى و سالم بن الجعد و الفضل بن دكين و شعبة و الأعمش و علقمة و هبيرة ابن مريم و أبي إسحاق الشعبي وغيرهم ثم قال وهؤلاء أخذوا العلم من علي بن أبي طالب ع فهو رئيس الجماعة يعني أصحابه و أقوالهم منقولة عنه و مأخوذة منه . و أما الخوارج فانتماؤهم إليه ظاهر أيضا مع طعنهم فيه لأنهم كانوا أصحابه و عنه مرقوا بعد أن تعلموا عنه و اقتبسوا منه و هم شيعته و أنصاره بالجمل و صفيين ولكن الشيطان ران على قلوبهم و أعمى بصائرهم . ثم إنه ع ذكر حال هذا العارف العادل فقال أول عدله نفى الهوى عن نفسه و ذلك لأن من يأمر و لا ياتمر وينهى و لا ينتهى لا تؤثر عظمته و لا ينفع إرشاده ثم شرح ذلك فقال يصف الحق و يعمل به ثم قال لا يدع للخير غاية إلا أمها و لا مظنة إلا قصدتها و ذلك لأن الخير لذته و سروره و راحته فمتى وجد إليه طريقا سلكها ثم قال قد أمكن الكتاب يعني

القرآن من زمامه أى قد أطاع الأوامر الإلهية فالقرآن قائده وإمامه يحل حيث حل وينزل حيث نزل و آخر قد تسمى عالماً وليس به فاقبتبس جهائل من جهالٍ و أضاليل من ضلالٍ و نصب للناس أشراكاً من حبايل غرورٍ و قول زورٍ قد حمل الكتاب على آرائه و عطف الحق على أهوائه يؤمن الناس من العظام و يهون كيبير الجرائم يقول أقف عند الشبهات و فيها وقع و يقول أعتزل البدع و بينها اضطحع فالصورة [صفحة ٣٧٣] صورة إنسان و القلب قلب حيوان لا يعرف باب الهدى فيتبعه و لا باب العمى فيصيد عنه و ذلك ميت الأحياء فأين تذهبون و أنى توفكون و الأعلام قائمه و الآيات واضحة و المنار منصوبه فأين يتاه بكم و كيف تعمهون و بينكم عتره نبيكم و هم أزمه الحق و أعلام الدين و ألسنة الصدق فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن و ردوهم و رود الهيم العطاش أيها الناس خذوها عن خاتم النبيين ص إنه يموت من مات منيا و ليس بميت و يبلى من بلى منيا و ليس بيال فلما تقولوا بما لا تعرفون فإن أكثر الحق فيما تنكرون و أعدروا من لا حجة لكم عليه و هو أنا ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر و أترك فيكم الثقل الأصغر قد ركزت فيكم راية الإيمان و وفقتكم على حدود الحلال و الحرام و ألبستكم العافية من عدلي و فرشتكم المعروف من قولي و فعللي و أريتكم كرائم الأخلاق من نفسي فلما تستعملوا الرأي فيما لا يدرك قعره البصير و لا تتغلغل إليه الفكر الجهائل جمع جهالة كما قالوا علاقة و علائق و الأضاليل الضلال جمع لا واحد له من لفظه . و قوله و قد حمل الكتاب على آرائه يعنى قد فسر الكتاب و تأوله على مقتضى هواه و قد أوضح ذلك بقوله و عطف الحق على أهوائه . [صفحة ٣٧٤] و قوله يؤمن الناس من العظام فيه تأكيد لمذهب أصحابنا فى الوعيد و تضعيف لمذهب المرجئه الذين يؤمنون الناس من عظام الذنوب و يمتنونهم العفو مع الإصرار و ترك التوبة و جاء فى الخبر المرفوع المشهور الكيس من دان نفسه و عمل لما بعد الموت و الأحق من أتبع نفسه هواها و تمنى على الله -رواية- ١-٢-رواية- ٣٤-١٢٣ . و قوله يقول أقف عند الشبهات يعنى أن هذا المدعى للعلم يقول لنفسه وللناس أنا واقف عند أدنى شبهة تحرجا و تورعا كما قال ص دع ما يريبك إلى ما لا يريبك -رواية- ١-٢-رواية- ١٥-٤٥ . ثم قال و فى الشبهات وقع أى بجهله لأن من لا يعلم الشبهه ماهى كيف يقف عندها و يتخرج من الورطة فيها و هو لا يأمن من كونها غير شبهة على الحقيقة . و قوله أعتزل البدع و بينها اضطحع إشارة إلى تضعيف مذاهب العامة و الحشوية الذين رفضوا النظر العقلى و قالوا نعتزل البدع . و قوله فالصورة صورة إنسان و مابعد فمراده بالحيوان هاهنا الحيوان الأخرس كالحمار و الثور و ليس يريد العموم لأن الإنسان داخل فى الحيوان و هذامثل قوله تعالى إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً . و قال الشاعر -قرآن- ٤٤٣- ٤٩١ و كائن ترى من صامت لك معجب || زيادته أو نقصه فى التكلم لسان الفتى نصف و نصف فواده || فلم يبق إلا صورة اللحم و الدم . [صفحة ٣٧٥] قوله و ذلك ميت الأحياء كلمة فصيحة و قد أخذها شاعر فقال ليس من مات فاستراح بميت || إنما الميت ميت الأحياء . إلا- أن أمير المؤمنين ع أراد لجهله و الشاعر أراد لبؤسه . و توفكون تقبلون و تصرفون . و الأعلام المعجزات هاهنا جمع علم و أصله الجبل أو الراهبة و المنارة تنصب فى الفلاة ليهدى بها . و قوله فأين يتاه بكم أى أين يذهب بكم فى التيه و يقال أرض تيهاء يتحير سالكها و تعمهون تتحiron و تضلون . و عتره رسول الله ص أهله الأذنون و نسله و ليس بصحيح قول من قال إنهم رهطه و إن بعدوا و إنما قال أبو بكر يوم السقيفة أوبعدنا نحن عتره رسول الله ص و بيضته التى فقت عنه على طريق المجاز لأنهم بالنسبة إلى الأمصار عتره له لا فى الحقيقة ألاترى أن العدنانى يفاخر القحطانى فيقول له أنا ابن عم رسول الله ص ليس يعنى أنه ابن عمه على الحقيقة بل هو بالإضافة إلى القحطانى كأنه ابن عمه و إنما استعمل ذلك و نطق به مجازاً فإن قدر مقدر أنه على طريق حذف المضافات أى ابن ابن عم أب الأب إلى عدد كثير فى البنين و الآباء فكذلك أراد أبو بكر أنهم عتره أجداده على طريق حذف المضاف و قد بين رسول الله ص عترته من هى لما قال إنى تارك فيكم الثقلين -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-٣٨ فقال عترتى أهل بيتى -رواية- ١-٢-رواية- ٩-٢٦ و بين فى مقام آخر من أهل بيته حيث طرح عليهم كساء و قال حين نزلت إنما يريد الله -قرآن- ٧٤-٩٤ و بين فى مقام آخر من أهل بيته حيث طرح عليهم كساء و قال حين نزلت إنما

يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ - قرآن- ١-٤٠ اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب الرجس عنهم -رواية- ١-٤٤. فإن قلت فمن هي العترة التي عناها أمير المؤمنين ع بهذا الكلام . قلت نفسه وولده والأصل في الحقيقة نفسه لأن ولديه تابعان له ونسبتهما إليه مع وجوده كنسبة الكواكب المضيئة مع طلوع الشمس المشرقة و قدنبه النبي ص على ذلك بقوله وأبو كما خير منكما -رواية- ١-٢-رواية- ٩-٢٨. وقوله وهم أئمة الحق جمع زمام كأنه جعل الحق دائرا معهم حيثما داروا وذاهبا معهم حيثما ذهبوا كما أن الناقة طوع وزمهاها و قدنبه الرسول ص على صدق هذه القضية بقوله وأدر الحق معه حيث دار -رواية- ١-٢-رواية- ٩-٣٥. وقوله وألسنة الصدق من الألفاظ الشريفة القرآنية قال الله تعالى وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ لما كان يصدر عنهم حكم ولا يقول إلا- وهو موافق للحق والصواب جعلهم كأنهم ألسنة صدق لا يصدر عنها قول كاذب أصلا بل هي كالمطبوعة على الصدق . وقوله فأنزلوهم منازل القرآن تحته سر عظيم وذلك أنه أمر المكلفين بأن يجرؤا العترة في إجلالها وإعظامها والانقياد لها والطاعة لأوامرها مجرى القرآن . فإن قلت فهذا القول منه يشعر بأن العترة معصومة فما قول أصحابكم في ذلك . قلت نص أبو محمد بن متويه رحمه الله تعالى في كتاب الكفاية على أن عليا ع معصوم وإن لم يكن واجب العصمة ولا العصمة شرط في الإمامة لكن أدلة النصوص قد دلت على عصمته والقطع على باطنه ومغيبه وأن ذلك أمر اختص -قرآن- ٧٠- [صفحہ ٣٧٧] هو به دون غيره من الصحابة والفرق ظاهر بين قولنا زيد معصوم وبين قولنا زيد واجب العصمة لأنه إمام من شرط الإمام أن يكون معصوما فالاعتبار الأول مذهبا والاعتبار الثاني مذهب الإمامية . ثم قال وردوهم ورود الهيم العطاش أي كونوا ذوى حرص وانكماش على أخذ العلم والدين منهم كحرص الهيم الظماء على ورود الماء . ثم قال أيها الناس خذوها عن خاتم النبيين إلى قوله وليس ببال هذا الموضوع يحتاج إلى تल्प في الشرح لأن لقائل أن يقول ظاهر هذا الكلام متناقض لأنه قال يموت من مات منا وليس بميت وهذا كما تقول يتحرك المتحرك وليس بمتحرك وكذلك قوله ويلى من بلى منا وليس ببال ألا ترى أنه سلب وإيجاب لشيء واحد فإن قلت أراد بقاء النفس بعدموت الجسد كما قاله الأوائل وقوم من المتكلمين قيل لكم فلا اختصاص للنبي ولا لعلى بذلك بل هذه قضية عامة في جميع البشر والكلام خرج مخرج التمدح والفخر فنقول في الجواب إن هذا يمكن أن يحمل على وجهين أحدهما أن يكون النبي ص و على و من يتلوها من أطائب العترة أحياء بأبدانهم التي كانت في الدنيا بأعيانها قدر فعملهم الله تعالى إلى ملكوت سماواته و على هذا لو قدرنا أن محترفا احتقر تلك الأجداد الطاهرة عقب دفنهم لم يجد الأبدان في الأرض و قدروى في الخبر النبوى ص مثل ذلك و هو قوله إن الأرض لم تسلط على وإنها لا تأكل لى لحما ولا تشرب لى دما -رواية- ١-٢-رواية- ١١٦-٥٢ نعم يبقى الأشكال فى قوله ويلى من بلى منا وليس ببال فإنه إن صح هذا التفسير فى الكلام الأول و هو قوله يموت [صفحہ ٣٧٨] من مات منا و ليس بميت فليس يصح فى القضية الثانية و هى حديث البلاء لأنها تقتضى أن الأبدان تبلى و ذاك الإنسان لم يبلى فأحوج هذا الأشكال إلى تقدير فاعل محذوف فيكون تقدير الكلام يموت من مات حال موته و ليس بميت فيما بعد ذلك من الأحوال والأوقات ويلى كفن من بلى منا و ليس هو ببال فحذف المضاف كقوله وَ إِلَى مَدِينِ أَى و إلى أهل مدين و لما كان الكفن كالجزة من الميت لاشتماله عليه عبر بأحدهما عن الآخر للمجاورة والاشتمال كما عبروا عن المطر بالسما و عن الخارج المخصوص بالغائط و عن الخمر بالكأس ويجوز أن يحذف الفاعل كقوله تعالى حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ وَقَلَّوْا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ وَقَوْلِ حَاتِمِ إِذَا حَشْرَجَتْ وَحَذَفِ الْفَاعِلُ كَثِيرًا. والوجه الثانى أن أكثر المتكلمين ذهبوا إلى أن للإنسان الحى الفعال أجزاء أصلية فى هذه البنية المشاهدة و هى أقل ما يمكن أن تأتلف منه البنية التى معها يصح كون الحى حيا وجعلوا الخطاب متوجها نحوها والتكليف واردا عليها و ماعداها من الأجزاء فهى فاضلة ليست داخله فى حقيقة الإنسان و إذ اصح ذلك جاز أن ينتزع الله تلك الأجزاء الأصلية من أبدان الأنبياء والأوصياء فيرفعها إليه بعد أن يخلق لها من الأجزاء الفاضلة عنها نظير ما كان لها فى الدار الأولى كما قاله من ذهب إلى قيامة

الأنفس والأبدان معا فنتعم عنده وتلتذ بضروب اللذات الجسمانية و يكون هذا مخصصا بهذه الشجرة -قرآن- ٣٢٢-٣٣٦-قرآن- ٥٦٠-٥٨٣-قرآن- ٥٨٦-٦١٨ [صفحه ٣٧٩] المباركة دون غيرها و لاجب فقد ورد في حق الشهداء نحو ذلك في قوله تعالى وَ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ. و على الوجه الأول لو أن محترفا احتفر أجدانهم لوجد الأبدان فيها و إن لم يعلم أن أصول تلك البنى قد انتزعت منها و نقلت إلى الرفيق الأعلى و هذا الوجه لا يحتاج إلى تقدير ما قدرناه أولا من الحذف لأن الجسد يبلى في القبر إلا قدر ما انتزع منه و نقل إلى محل القدس و كذلك أيضا يصدق على الجسد أنه ميت و إن كان أصل بنيته لم يمت -قرآن- ٧٩-١٧٦ و قد ورد في الخبر الصحيح أن أرواح الشهداء من المؤمنين في حواصل طيور خضر تدور في أفناء الجنان و تأكل من ثمارها و تأوى إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش -رواية- ١-٢-رواية- ٢٨-١٦٦ فإذا جاء هذا في الشهداء فما ظنك بموالى الشهداء و ساداتهم . فإن قلت فهل يجوز أن يتأول كلامه فيقال لعله أراد بقاء الذكر و الصيت . قلت إنه لبعيد لأن غيرهم يشركهم في ذلك ولأنه أخرج الكلام مخرج المستغرب المستعظم له . فإن قلت فهل يمكن أن يقال إن الضمير يعود إلى النبي ص لأنه قد ذكره في قوله خاتم النبيين فيكون التقدير أنه يموت من مات منا و النبي ص ليس بميت و يبلى من بلى منا و النبي ليس ببالي . قلت هذا أبعد من الأول لأنه لو أراد ذلك لقال إن رسول الله ص لا تبليه الأرض و أنه الآن حي و لم يأت بهذا الكلام الموهوم ولأنه في سياق تعظيم العترة و تبجيل أمرها و فخره بنفسه و تمدحه بخصائصه و مزاياه فلا يجوز أن يدخل في غضون ذلك ما ليس منه . [صفحه ٣٨٠] فإن قلت فهل هذا الكلام منه أم قاله مرفوعا قلت بل ذكره مرفوعا ألاتراه قال خذوها عن خاتم النبيين ثم نعود إلى التفسير فنقول إنه لما قال لهم ذلك علم أنه قال قولاً عجيباً و ذكر أمراً غريباً و علم أنهم ينكرون ذلك و يعجبون منه فقال لهم فلا تقولوا ما لا تعرفون أي لا تكذبوا إخباري و لا تكذبوا إخبار رسول الله لكم بهذا فتقولون ما لا تعلمون صحته ثم قال فإن أكثر الحق في الأمور العجيبة التي تنكرونها كإحياء الموتى في القيامة و كالصراط و الميزان و النار و الجنة و سائر أحوال الآخرة هذا إن كان خاطب من لا يعتقد الإسلام فإن كان الخطاب لمن يعتقد الإسلام فإنه يعني بذلك أن أكثرهم كانوا مرجئة و مشبهة و مجبرة و من يعتقد أفضلية غيره عليه و من يعتقد أنه شرك في دم عثمان و من يعتقد أن معاوية صاحب حجة في حربه أو شبهة يمكن أن يتعلق بهامتلق و من يعتقد أنه أخطأ في التحكيم إلى غير ذلك من ضروب الخطأ التي كان أكثرهم عليها. ثم قال و أعذروا من لاجبة لكم عليه و هو أنا يقول قد عدلت فيكم و أحسنت السيرة و أقمتكم على المحجة البيضاء حتى لم يبق لأحد منكم حجة يحتج بها على ثم شرح ذلك فقال عملت فيكم بالثقل الأكبر يعني الكتاب و خلفت فيكم الأصغر يعني ولديه لأنهما بقيتا الثقل الأصغر فجاز أن يطلق عليهما بعد ذهاب من ذهب منه أنهما الثقل الأصغر وإنما سمي النبي ص الكتاب و العترة الثقليين لأن الثقل في اللغة متاع المسافر و حشمه فكأنه ص لما شارف الانتقال إلى جوار ربه تعالى جعل نفسه كالسافر الذي ينتقل من منزل إلى منزل و جعل الكتاب و العترة كمتاعه و حشمه لأنهما أخص الأشياء به . قوله و ركزت فيكم راية الإيمان أي غرستها و أثبتها و هذا من باب الاستعارة. [صفحه ٣٨١] وكذلك قوله و ووقفتكم على حدود الحلال و الحرام من باب الاستعارة أيضا مأخوذ من حدود الدار و هي الجهات الفاصلة بينها و بين غيرها. قوله و ألبستكم العافية من عدلى استعارة فصيحة و أفصح منها قوله و فرشتكم المعروف من قولى و فعلى أى جعلته لكم فراشا و فرش هاهنا متعد إلى مفعولين يقال فرشته كذا أى أوسعته إياه . ثم نهاهم أن يستعملوا الرأى فيما ذكره لهم من خصائص العترة و عجائب ما منحها الله تعالى فقال إن أمرنا أمر صعب لا تهتدى إليه العقول و لا تدرك الأبصار قعره و لا تغلغل الأفكار إليه -رواية- ١-٢-رواية- ٩-١٠٠ و التغلغل الدخول من تغلغل الماء بين الشجر إذا دخلها و دخل بين أصولها و منها حتى يظن الظان أن الدنيا معقولة على بنى أمية تمنحهم درها و توردهم صيفوها و لا يرفع عن هذه الأمة سوطها و لا سيفها و كذب الظان لذلك بل هي محية من لذيذ العيش يتطعمونها برهية ثم يلفظونها جملة معقولة محبوسة بعقال كمتعقل الناقة و تمنحهم تعطيهم و المنح

العطاء منح يمنح بالفتح والاسم المنحة بالكسر واستمنحت زيدا طلبت منحة . والدر في الأصل اللبن جعل الدنيا كناقذة معقولة عليهم تمنحهم لبنها ثم استعمل [صفحہ ۳۸۲] الدر في كل خير ونفع فقيل لادر درة أي لاكثر خيره ويقال في المدح لله درة أي عمله . ومجة من لذيذ العيش مصدر مج الشراب من فيه أي رمى به وقذفه ويقال انمجت نقطة من القلم أي ترششت وشيخ ماج أي كبير يمج الريق ولايستطيع حبسه لكبره . ويتطعمونها أي يذوقونها وبرهه أي مدة من الزمان فيهاطول ولفظت الشيء من فمى ألفظه لفظا رميته و ذلك الشيء اللفاظه واللفاظ أي يلفظونها كلها لايبقى منها شيء معهم . وهذه الخطبة طويلة و قدحذف الرضى رحمه الله تعالى منها كثيرا و من جملتها أما و الذي فلق الحبة وبرأ النسمة لا يرون الذي ينتظرون حتى يهلك المتمدنون ويضمحل المحلون ويتثبت المؤمنون وقليل ما يكون و الله و الله لا ترون الذي تنتظرون حتى لاتدعون الله بالإشارة بأيديكم وإيماضا بحواجبكم و حتى لا تملكون من الأرض إلا مواضع أقدامكم و حتى يكون موضع سلاحكم على ظهوركم فيومئذ لا ينصرني إلا الله بملائكته و من كتب على قلبه الإيمان و الذي نفس على بيده لا تقوم عصابة تطلب لى أولغيرى حقا أو تدفع عنا ضيما إلاصرعتهم البلية حتى تقوم عصابة شهدت مع محمدص بدرا لا يودى قتلهم و لا يداوى جريحهم و لا ينعش صريعهم - روايت-۱-۵۵۸ ومنها لقد دعوتكم إلى الحق وتوليتهم وضربتكم بالدرة فما استقمتم وستليكم - روايت-۱-۲-روايت-۹-۱-ادامه دارد [صفحہ ۳۸۳] بعدى ولاءه يعذبونكم بالسياط والحديد وسياطيتكم غلاما ثقيف أخفش وجعوب يقتلان ويظلمان وقليل ما يمكنان - روايت-از قبل-۱۱۰ . قلت الأخفش الضعيف البصر خلقه والجعوب القصير الذميمة وهما الحجاج ويوسف بن عمر و فى كتاب عبد الملك إلى الحجاج قاتلك الله أخفش العينين أصك الجاعرين . و من كلام الحسن البصرى رحمه الله تعالى يذكر فيه الحجاج أتانا أعيش أعيش يمد بيد قصيرة البنان ماعرق فيها عنان فى سبيل الله . و كان المثل يضرب بقصر يوسف بن عمر و كان يغضب إذا قيل له قصير فصل له الخياط ثوبا فأبقى منه فضلا كثيرة فقال له ما هذه قال فضلت من قميص الأمير فضربه مائة سوط فكان الخياطون بعد ذلك يفصلون له اليسير من الثوب و يأخذون الباقي لأنفسهم [صفحہ ۳۸۴]

۸۷- و من خطبة له ع

أمرًا بعد فإن لم يقصم جباري دهر قط إلا بعد تمهيل و رخاء و لم يجبر عظم أحد من الأمم إلا بعد أزل و بلاء و فى دون ما استقبلتم من عتب و ما استدبرتم من خطب معتبر و ما كل ذي قلب بليب و لا كل ذي سميع بسميع و لا كل ذي ناظر بصير فيا عجباً و ما لى لما أعجب من خطباً هذه الفرق على اختلاف حجاجها فى دينها لا يقتصون أثر نبي و لا يقتدون بعمل وصي و لا يؤمنون بغيب و لما يعفون عن عيب يعملون فى الشبهات و يسيرون فى الشهوات المعروفة فىهم ما عرفوا و المنكر عندهم ما أنكروا مفرغهم فى المعصيات إلى أنفسهم و تعويلهم فى المهتمات على آرائهم كأن كل امرئ منهم إمام نفسه قد أخذ منها فيما يرى بعرى ثقات و أسباب محكمات القصم بالقاف والصاد المهمل الكسر قصمته فانقصم و قصمته فتقصم و رجل أقصم الثنية أى مكسورها بين القصم بفتح الصاد. والتمهيل التأخير ويروى رجاء و هو التأخير أيضا والرواية المشهورة و رخاء أى بعد إعطائهم من سعة العيش و خصب الحال ما اقتضته المصلحة. [صفحہ ۳۸۵] والأزل بفتح الهمزة الضيق و يقتصون يتبعون قال سبحانه و تعالى و قالت لأختة قصيه . ويعفون بكسر العين عفت عن كذا أعف عفا و عفة و عفاة أى كفت فأننا عفا و عفيف و امرأه عفة و عفيفه و قد أعفه الله و استعف عن المسألة أى عفا . و تعفف الرجل أى تكلف العفة و يروى و لا يعفون عن عيب أى لا يصفحون . و مفرغهم ملجؤهم و فيما يرى أى فيما يظن و يرى بفتح الياء أى فيما يراه هو و روى بعرا و ثقات . يقول إن عادة الله تعالى ألا يقصم الجابرة إلا بعد الإمهال والاستدراج بإضافة النعم عليهم و ألا يجير أولياءه وينصرهم إلا بعد بؤس و بلاء يمتحنهم به ثم قال

لأصحابه إن في دون ما استقبلتم من عتب لمعتبر أى من مشقة يعنى بما استقبلوه ملاقوه فى مستقبل زمانهم من الشيب وولاء السوء وتكر الوقت وسمى المشقة عتبا لأن العتب مصدر عتب عليه أى وجد عليه فجعل الزمان كالواجد عليهم القائم فى إنزال مشاقه بهم مقام الإنسان ذى الموجدة يعتب على صاحبه وروى من عتب بفتح التاء جمع عتبه يقال لقد حمل فلان على عتبه أى أمر كرهه من البلاء وفى المثل ما فى هذا الأمر رتب ولا عتب أى شدة وروى أيضا من عنت وهو الأمر الشاق وما استديروه من خطب يعنى به ما تصرف عنهم من الحروب والوقائع التى قضوها ونضوها واستديروها ويروى واستدبرتم من خصب وهورخاء العيش وهذا يقتضى المعنى الأول أى وما خلفتم وراءكم من الشباب والصحة وصفو العيشة. ثم قال ما كل ذى قلب بليب الكلام إلى آخره وهو مأخوذ من قول الله -قرآن- ٦٧-٩٢ [صفحة ٣٨٦] تعالى لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَ لَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا. ثم تعجب من اختلاف حجج الفرق فى الدين وخطئهم وكونهم لا يتبعون أقوال الأنبياء ولا أقوال الأوصياء ثم نعى عليهم أحوالهم القبيحة فقال إنهم لا يؤمنون بالغيب أى لا يصدقون بما لم يشاهدوه ولا يكفون عن الأمور القبيحة لكنهم يعملون فى الشبهات أى يعملون أعمالا داخله فى الشبهات متوسطة لها ويسيرون فى الشهوات جعل الشهوات كالطريق التى يسير فيها الإنسان . ثم قال المعروف فيهم ما عرفوه أى ليس المعروف عندهم ما دل الدليل على كونه معروفا وصوابا وحقا بل المعروف عندهم ما ذهبوا إلى أنه حق سواء كان حقا فى نفس الأمر أو لم يكن والمنكر عندهم ما أنكروه كما شرحناه فى المعروف . ثم قال إنهم لا يستشيرون بعالم ولا يستفتون فقيها فاضلا بل مفزعهم فى الأمور المشككة إلى أنفسهم وآرائهم ولقد صدق ع فإن هذه صفات من يدعى العلم والفضل فى زماننا وقبلة بدهر طويل وذلك أنهم يأنفون من التعلم والاسترشاد فالبادئ منهم يعتقد فى نفسه أنه أفضل من البارع المنتهى ومتى ظفر الواحد منهم بمبادئ علم وحمله شرع فى التدريس والتصنيف فمنعه التزامه بذلك من التردد إلى أبواب العلماء وأنف من سؤالهم عن الأمور المشككة فدام جهله إلى أن يموت . ثم قال كان كل واحد منهم إمام نفسه ويروى بحذف كان وإسقاطها وهو أحسن -قرآن- ٨-١٠٩ [صفحة ٣٨٧]

٨٨- ومن خطبة له ع

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ وَ طُولِ هَجْعِهِ مِنَ الْأُمَمِ وَ اعْتِرَامِ مِنَ الْفِتَنِ وَ انْتِشَارِ مِنَ الْأُمُورِ وَ تَلَطُّ مِنَ الْحُرُوبِ وَ الدُّنْيَا كَاسِئَةً التُّورِ ظَاهِرَةً الْغُرُورِ عَلَى حِينِ اصْفِرَارِ مِنْ رَوَقِهَا وَ إِيَّاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا وَ إِعْوَارٍ مِنْ مَائِنِهَا قَدْ دَرَسَتْ مَنَارُ الْهُدَى وَ ظَهَرَتْ أَعْلَامُ الرَّدَى فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ لِأَهْلِهَا عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا ثَمَرَهَا الْفِتْنَةُ وَ طَعَامُهَا الْجِيفَةُ وَ شِعَارُهَا الْخَوْفُ وَ دِنَارُهَا السَّيْفُ. فَاعْتَبِرُوا عِبَادَ اللَّهِ وَ اذْكُرُوا تَيْكَ التِّي آيَاؤُكُمْ وَ إِخْوَانُكُمْ بِهَا مَرْتَهُونُونَ وَ عَلَيْهَا مُحَاسِبُونَ وَ لِعَمْرِي مَا تَقَادَمَتْ بِكُمْ وَ لَا بِهَمِّ الْعُهُودِ وَ لَا خَلَّتْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمُ الْأَحْقَابُ وَ الْقُرُونُ وَ مَا أَنْتُمْ الْيَوْمَ مِنْ يَوْمِ كُنْتُمْ فِي أَصْلَابِهِمْ بِبَعِيدٍ. وَ اللَّهُ مَا أَسْمَعَكُمْ الرُّسُولُ شَيْئًا إِلَّا وَ هَا أَنَا ذَا الْيَوْمِ مُسْمِعُكُمْهُ وَ مَا أَسْمَاعُكُمْ الْيَوْمَ بِدُونِ أَسْمَاعِكُمْ بِالْأَمْسِ وَ لَا شُقَّتْ لَهُمُ الْأَبْصَارُ وَ لَا جُعِلَتْ لَهُمُ الْأَفْنِدَةُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ إِلَّا وَ قَدْ أُعْطِيتُمْ مِثْلَهَا فِي هَذَا الزَّمَانِ وَ وَ اللَّهُ مَا بَصَّرْتُمْ بَعْدَهُمْ شَيْئًا جَهْلُوهُ وَ لَا أَصْفَيْتُمْ بِهِ وَ حَرْمُوهُ وَ لَقَدْ نَزَلَتْ بِكُمْ الْبَلِيَّةُ جَانِلًا خَطَامُهَا رِخْوًا بَطَانُهَا فَلَا يُعْرَفُكُمْ مَا أَصْبَحَ فِيهِ أَهْلُ الْغُرُورِ فَإِنَّمَا هُوَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ [صفحة ٣٨٨] الفترة بين الرسل انقطاع الرسالة والوحى وكذلك كان إرسال محمدص لأن بين محمد وبين عهد المسيح ع عهدا طويلا أكثر الناس على أنه ستمائة سنة ولم يرسل فى تلك المدة رسول اللهم إلا ما يقال عن خالد بن سنان العيسى ولم يكن نبيا ولا مشهورا. والهجعة النومه ليلا والهجوم مثله وكذلك التهجاج بفتح التاء فأما الهجعة بكسر الهاء فهى الهيئة كالجلسه من الجلوس . قوله واعتزام من الفتن كأنه جعل الفتن معترمه أى مريده مصممه للشغب والهرج ويروى واعتراض ويروى واعتزام بالراء المهملة من العرام وهى

الشره والتلظى التلهب . وكاسفه النور قد ذهب ضوءها كما تكسف الشمس ثم وصفها بالتغير وذبول الحال فجعلها كالشجرة التي اصفر ورقها وييس ثمرها وأعور ماؤها والإعوار ذهاب الماء فلاة عوراء لاماء بها و من رواه وإغوار من مائها بالغين المعجمة جعله من غار الماء أى ذهب و منه قوله تعالى أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا . ومتجهمه لأهلها كالحه فى وجوههم . ثم قال ثمرها الفتنة أى نتيجتها و ما يتولد عنها وطعامها الجيفة يعنى أكل الجاهلية الميتة أو يكون على وجه الاستعارة أى أكلها خبيث ويروى الخيفة أى الخوف ثم جعل الخوف والسيف شعارها و دثارها فالشعار ما يلى الجسد والذثار فوق -قرآن- ٧٩٣-٨٣٠ [صفحہ ٣٨٩] الشعار و هذا من بديع الكلام و من جيد الصناعة لأنه لما كان الخوف يتقدم السيف والسيف يتلوه جعل الخوف شعارا لأنه الأقرب إلى الجسد وجعل الذثار تاليا له . ثم قال واذكروا تيك كلمة إشارة إلى المؤنثة الغائبة فيمكن أن يعنى بها الدنيا التي تقدم ذكرها و قد جعل آباءهم وإخوانهم مرتين بها ومحاسبين عليها والارتهان الاحتباس ويمكن أن يعنى بها الأمانة التي عرضت على الإنسان فحملها والمراد بالأمانة الطاعة والعبادة وفعل الواجب وتجنب القبيح و قال تيك و لم يجر ذكرها كما قال تعالى الم ذلك الكتاب و لم يجر ذكره لأن الإشارة إلى مثل هذا أعظم وأهيب وأشد روعة فى صدر المخاطب من التصريح . قوله و لا خلت فيما بينكم وبينهم الأحقاب أى لم يطل العهد والأحقاب المدد المتطاولة والقرون الأمم من الناس . وقوله من يوم كنتم يروى بفتح الميم من يوم على أنه مبنى إذ هو مضاف إليه الفعل المبني ويروى بجرها بالإضافة على اختلاف القولين فى علم العربية . ثم اختلفت الرواية فى قوله و الله ما أسمعكم فروى بالكاف وروى أسمعهم وكذلك اختلفت الرواية فى قوله و ما أسمعكم اليوم بدون أسمعكم بالأمس فروى هكذا وروى بدون أسمعهم فمن رواه بهاء الغيبة فى الموضوعين فالكلام منتظم لا يحتاج إلى تأويل و من رواه بكاف الخطاب قال إنه خاطب به من صحب النبي ص وشاهده وسمع خطابه لأن أصحاب على ع كانوا فريقين صحابة وتابعين ويعضد الرواية الأولى سياق الكلام . وقوله و لا شقت لهم الأبصار إلا و قد أعطيتم مثلها . -قرآن- ٥٠١-٥١٩ [صفحہ ٣٩٠] وأصفيتم به منحتموه من الصفا و هو ما يصطفيه الرئيس من المغنم لنفسه قبل القسمة يقال صفى وصفية . و خلاصة هذا الكلام أن جميع ما كان رسول الله ص قاله لأصحابه قد قلت مثله لكم فأطاع أولئك وعصيتم أنتم وحالكم مساوية لحالهم . قلت لو أن مجيبا منهم يجيبه لأمكن أن يقول له المخاطبون و إن كانوا نوعا واحدا متساويا إلا أن المخاطب مختلف الحال و ذلك لأنك و إن كنت ابن عمه فى النسب وأخاه ولحمه ودمه وفضائلك مشتقة من فضائله و أنت قبس من نوره وثانيه على الحقيقة و لا ثالث لكما إلا أنك لم ترزق القبول الذى رزقه و لا ما نفع لك نفوس الناس لك حسب انفعالها له وتلك خاصية النبوة التي امتاز بها عنك فإنه كان لا يسمع أحد كلامه إلا أحبه و مال إليه ولذلك كانت قريش تسمى المسلمين قبل الهجرة الصباة ويقولون نخاف أن يصبو الوليد بن المغيرة إلى دين محمد ص ولئن صبا الوليد و هوريجانه قريش لتصبون قريش بأجمعها وقالوا فيه ما كلامه إلا السحر و إنه ليفعل بالألباب فوق ما تفعل الخمر ونهوا صبيانهم عن الجلوس إليه لئلا يستميلهم بكلامه و شمائله و كان إذا صلى فى الحجر وجهر يجعلون أصابعهم فى آذانهم خوفا أن يسحرهم ويستميلهم بقرائه و بوعظه وتذكيره هذا هو معنى قوله تعالى جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَ اسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ . ومعنى قوله وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا لأنهم كانوا يهربون إذا سمعوه يتلو القرآن خوفا أن يغير عقائدهم فى أصنامهم ولهذا -قرآن- ١١٠٩-١١٦٤ [صفحہ ٣٩١] أسلم أكثر الناس بمجرد سماع كلامه ورؤيته ومشاهدة رواه ومنظره و مذاقوه من حلاوة لفظه وسرى كلامه فى آذانهم وملك قلوبهم وعقولهم حتى بذلوا المهج فى نصرته و هذا من أعظم معجزاته ع و هو القبول الذى منحه الله تعالى والطاعة التي جعلها فى قلوب الناس له و ذلك على الحقيقة سر النبوة الذى تفرد به ص فكيف يروم أمير المؤمنين من الناس أن يكونوا معه كما كان آباؤهم وإخوانهم مع النبي ص مع اختلاف حال الرئيسين وتساوى الأثرين كما يعتبر فى تحققه تساوى حال المحلين يعتبر فى حقيقته أيضا تساوى حال العلتين . ثم نعود إلى التفسير قال ولقد نزلت بكم

البليّة أى المحنة العظيمة يعنى فتنه معاوية وبنى أمية. و قال جائلا خطامها لأن الناقه إذا اضطرب زمامها استصعبت على راکبها ويسمى الزمام خطاما لكونه فى مقدم الأنف والخطم من كل دابه مقدم أنفها وفمها وإنما جعلها رخوا بطانها لتكون أصعب على راکبها لأنه إذا استرخى البطن كان الراكب فى معرض السقوط عنها وبطن القتب هو الحزام الذى يجعل تحت بطن البعير. ثم نهاهم عن الاغترار بالدنيا ومتاعها و قال إنها ظل ممدود إلى أجل معدود وإنما جعلها كالظل لأنه ساكن فى رأى العين و هو متحرك فى الحقيقة لا يزال يتقلص كما قال تعالى ثم قبضناه إلینا قبضاً یسیراً و هو أشبه شىء بأحوال الدنيا. و قال بعض الحكماء أهل الدنيا كركب سير بهم وهم نيام -قرآن- ۱۱۱۴-۱۱۵۱ [صفحہ ۳۹۲]

۸۹- و من خطبة له ع

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيِيهِ وَ الْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيِيهِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ قَائِمًا دَائِمًا إِذْ لَا سَمَاءَ ذَاتُ أَبْرَاجٍ وَ لَا حُجُبَ ذَاتُ إِرْتَاجٍ وَ لَا لَيْلٌ دَاجٍ وَ لَا بَحْرٌ سَاجٍ وَ لَا جَبَلٌ ذُو فِجَاجٍ وَ لَا فَجٌّ ذُو عَوْجَاجٍ وَ لَا أَرْضٌ ذَاتُ مِهَادٍ وَ لَا خَلْقٌ ذُو اعْتِمَادٍ وَ ذَلِكَ مُبْتَدِعُ الْخَلْقِ وَ وَارِثُهُ وَ إِلَهُ الْخَلْقِ وَ رَازِقُهُ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ ذَاتَانِ فِي مَرْضَاتِهِ يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ وَ يَقْرَبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ الرُّوِيَةُ الْفِكْرَةُ وَأَصْلُهَا الْهَمَزُ رَوَاتُ فِي الْأَمْرِ وَ قَدْ جَاءَ مِثْلُهَا كَلِمَاتٌ يَسِيرَةٌ شَادَةٌ نَحْوَ الْبَرِيَّةِ مِنْ بَرَأَ أَى خَلَقَ وَالذَّرِيَّةُ مِنْ ذَرَأَ أَى خَلَقَ أَيْضًا وَالذَّرِيَّةُ وَهِيَ مَا يَسْتَتِرُ بِهِ الصَّائِدُ أَصْلُهُ مِنْ دَرَأَتْ أَى دَفَعَتْ وَفَلَانٌ بَرَى أَصْلُهُ بَرَىءٌ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ يَعْرِفُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَتَعَلَّقَ الْأَبْصَارُ بِذَاتِهِ وَيَخْلُقُ مِنْ غَيْرِ تَفَكَّرَ وَتَرَوُ فِيمَا يَخْلُقُهُ . لَمْ يَزَلْ قَائِمًا الْقَائِمُ وَالْقِيَوْمُ بِمَعْنَى وَهُوَ الثَّابِتُ الَّذِي لَا يَزُولُ وَيَعْبُرُ عَنْهُ فِي الْإِصْطِلَاحِ النَّظَرِيُّ بِالْوَجِبِ الْوُجُودِ وَ قَدْ يَفْسِرُ الْقَائِمُ عَلَى مَعْنَى قَوْلِهِمْ فَلَانِ قَائِمٌ بِأَمْرٍ كَذَا أَى وَالْوَاسِطُ لَهُ أَنْ يَضْطَرِبَ . ثُمَّ قَالَ هُوَ مَوْصُوفٌ بِأَنَّهُ قَائِمٌ دَائِمٌ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْلُقَ الْعَالَمَ وَ هَذَا يُؤَكِّدُ التَّفْسِيرَ [صَفْحَةُ ۳۹۳] الْأَوَّلُ لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنِ الْعَالَمُ مَخْلُوقًا بَعْدَ لَمْ يَصْدُقْ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَائِمٌ بِأَمْرِهِ إِلَّا بِالْقُوَّةِ لَا بِالْفِعْلِ كَمَا يَصْدُقُ عَلَيْهِ أَنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ فِي الْأَزْلِ أَى إِذَا وَجَدْتَ الْمَسْمُوعَاتِ وَالْمَبْصُرَاتِ سَمِعَهَا وَأَبْصَرَهَا وَ لَوْ سُمِّيَ قَبْلَ خَلْقِ الْكَلَامِ مَتَكَلِّمًا عَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ لَمْ أَسْتَبْعِدْهُ وَ إِنْ كَانَ أَصْحَابُنَا يَأْبُونَهُ . وَالْأَبْرَاجُ الْأَرْكَانُ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ . فَإِنْ قُلْتَ فَهَلْ يَطَابِقُ هَذَا التَّفْسِيرَ مَا يَعْتَقِدُهُ أَصْحَابُ الْهَيْئَةِ وَ كَثِيرٌ مِنَ الْحُكَمَاءِ وَ الْمُتَكَلِّمِينَ أَنَّ السَّمَاءَ كَرَّةٌ لِأَزْوَانِ فِيهَا وَ لِأَضْلَعٍ . قُلْتَ نَعَمْ لِأَمْنَفَاءَ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ لِأَنَّ الْفَلَكَ وَ إِنْ كَانَ كَرَّةً لَكِنْ فِيهِ مِنَ الْمَتَمَمَاتِ مَا يَجْرِي مَجْرَى أَرْكَانِ الْحِصْنِ أَوِ السُّورِ فَصَحَّ إِطْلَاقُ لَفْظِ الْأَبْرَاجِ عَلَيْهِ وَ الْمَتَمَمَاتِ أَجْسَامٌ فِي حِشْوِ الْفَلَكَ تَخْفُفُ فِي مَوْضِعٍ وَ النَّاسُ كُلُّهُمْ أَثْبَتُوهَا . فَإِنْ قُلْتَ فَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يَحْمَلَ لَفْظَ الْأَبْرَاجِ عَلَى مَا يَعْتَقِدُهُ الْمَنْجُمُونَ وَ أَهْلُ الْهَيْئَةِ وَ كَثِيرٌ مِنَ الْحُكَمَاءِ وَ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنْ كَوْنِ الْفَلَكَ مَقْسُومًا بِاثْنَيْ عَشَرَ قِسْمًا كُلَّ قِسْمٍ مِنْهَا يُسَمَّى بِرَجَا . قُلْتَ لِأَمْنَعٍ مِنْ ذَلِكَ لِأَنَّ هَذَا الْمَسْمُومَ كَانَ مَعْلُومًا مَتَصُورًا قَبْلَ نَزُولِ الْقُرْآنِ وَ كَانَ أَهْلُ الْإِصْطِلَاحِ قَدْ وَضَعُوا هَذَا اللَّفْظَ بِأَزَانِهِ فَجَازَ أَنْ يَنْزَلَ الْقُرْآنُ بِمَوْجِبِهِ قَالَ تَعَالَى وَ السَّمَاءُ ذَاتُ الْبُرُوجِ وَأَخَذَهَا عَلَى عَمَلٍ مِنْهُ فَقَالَ إِذْ لِأَسْمَاءِ ذَاتِ أَبْرَاجٍ وَارْتَفَعَتْ سَمَاءٌ لِأَنَّهُ مَبْتَدَأٌ وَخَبْرُهُ مَحذُوفٌ وَتَقْدِيرُهُ فِي الْوُجُودِ . ثُمَّ قَالَ وَ لِأَحْجَبِ ذَاتِ إِرْتَاجٍ وَ لِإِرْتَاجٍ مَصْدَرٌ أَرْتَجُ أَى أَغْلِقُ أَى ذَاتِ إِغْلَاقٍ وَ مِنْ رَوَاهُ ذَاتِ رَتَاجٍ عَلَى فِعَالٍ فَالْرَتَاجُ الْبَابُ الْمَغْلُوقُ وَيَبْعَدُ رَوَايَةٌ مِنْ رَوَاهُ الْقُرْآنُ -۹۸۵-۱۰۱۰] [صَفْحَةُ ۳۹۴] ذَاتُ أَرْتَاجٍ لِأَنَّ فِعَالًا قَلَّ أَنْ يَجْمَعَ عَلَى أَفْعَالٍ وَيَعْنَى بِالْحَجْبِ ذَاتُ الْإِرْتَاجِ حَجَبُ النُّورِ الْمَضْرُوبَةُ بَيْنَ عَرْشِهِ الْعَظِيمِ وَ بَيْنَ مَلَائِكَتِهِ وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِالْحَجْبِ السَّمَوَاتِ أَنْفُسَهَا لِأَنَّهَا حَجَبَتْ الشَّيَاطِينَ عَنْ أَنْ تَعْلَمَ مَا الْمَلَائِكَةُ فِيهِ . وَ اللَّيْلُ الدَّاجِي الْمَظْلَمُ وَ الْبَحْرُ السَّاجِي السَّاكِنُ وَ الْفَجَاجُ جَمْعُ فَجٍّ وَ هُوَ الطَّرِيقُ الْوَاسِعُ بَيْنَ جَبَلَيْنِ وَ الْمِهَادُ الْفَرَّاشُ . قَوْلُهُ وَ لِأَخْلَقَ ذُو اعْتِمَادٍ أَى وَ لِأَخْلَقَ يَسْعَى بِرَجْلَيْنِ فَيَعْتَمِدُ عَلَيْهِمَا أَوْ يَطِيرُ بِجَنَاحِيهِ فَيَعْتَمِدُ عَلَيْهِمَا وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِالْاعْتِمَادِ هُنَا الْبَطْشَ وَ التَّصَرُّفَ مَبْتَدِعُ الْخَلْقِ مَخْرَجُهُ مِنَ الْعَدَمِ الْمَحْضِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ دَائِبَانِ تَثْنِيَةٌ دَائِبٌ وَ هُوَ الْجَادُ الْمَجْتَهِدُ الْمَتَعَبُ دَائِبٌ فِي

عمله أى جد وتعب دأبا ودعوبا فهو دءيب ودأبته أنا وسمى الشمس والقمر دائيين لتعاقبهما على حال واحدة دائما لايفتران و لايسكنان وروى دائيين بالنصب على الحال و يكون خبر المبتدأ بيليان و هذه من الألفاظ القرآنية -قرآن- ٥٢٧-٥٥٥ قَسَمَ أَرْزَاقَهُمْ وَ أَحْصَى آثَارَهُمْ وَ أَعْمَالَهِمْ وَ عَدَدَ أَنْفُسِهِمْ وَ خَائِنَةَ أَعْيُنِهِمْ وَ مَا تَخْفَى صُدُورُهُمْ مِنَ الضَّمِيرِ وَ مُسْتَقَرَّهُمْ وَ مُسْتَوْدَعَهُمْ مِنَ الْأَرْحَامِ وَ الظُّهُورِ إِلَى أَنْ تَتَنَاهَى بِهِمُ الْغَايَاتِ آثَارَهُمْ يُمْكِنُ أَنْ يَعْنَى بِهِ آثَارَ وَطَنِهِمْ فِي الْأَرْضِ إِيْذَانًا بِأَنَّهُ تَعَالَى عَالَمٌ بِكُلِّ مَعْلُومٍ [صَفْحَةٌ ٣٩٥] كَمَا آذَنَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَ مَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا بِذَلِكَ وَيُمْكِنُ أَنْ يَعْنَى بِهِ حَرَكَاتِهِمْ وَ تَصَرُّفَاتِهِمْ .

و روى وعدد أنفاسهم على الإضافة. وخائنة الأعين ما يومئى به مسارقة وخفية ومستقرهم أى فى الأرحام ومستودعهم أى فى الأصلاب وقدر ذلك فتكون من متعلقة بمستودعهم ومستقرهم على إرادة تكررها ويمكن أن يقال أراد مستقرهم ومأواهم على ظهر الأرض ومستودعهم فى بطنها بعد الموت وتكون من هاهنا بمعنى مذ أى مذ زمان كونهم فى الأرحام والظهور إلى أن تتناهى بهم الغايات أى إلى أن يحشروا فى القيامة وعلى التأويل الأول يكون تنهى الغايات بهم عبارة عن كونهم أحياء فى الدنيا -قرآن- ٢٢-٦٣ هُوَ الَّذِي اشْتَدَّتْ نِقْمَتُهُ عَلَى أَعْدَائِهِ فِي سَعَةِ رَحْمَتِهِ وَ اتَّسَعَتْ رَحْمَتُهُ لِأَوْلِيَائِهِ فِي شِدَّةِ نِقْمَتِهِ فَاهْرُ مِنْ عَازِهِ وَ مُدْمِرٌ مِنْ شَاقَّةٍ وَ مُدِلٌّ مِنْ نَاوَاهُ وَ غَالِبٌ مِنْ عَادَاهُ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ وَ مَنْ سَأَلَهُ أَعْطَاهُ وَ مَنْ أَقْرَضَهُ قَضَاهُ وَ مَنْ شَكَرَهُ جَزَاهُ عِبَادَ اللَّهِ زُنُوبًا أَنْفُسُكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُوزَنُوا وَ حَاسِبُوهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُحَاسَبُوا وَ تَنْفَسُوا قَبْلَ ضَيْقِ الْخِنَاقِ وَ انْقَادُوا قَبْلَ عُنْفِ السِّيَاقِ وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ لَمْ يُعْنِ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى يَكُونَ لَهُ مِنْهَا وَاعِظٌ وَ زَاجِرٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا لَمَّا زَاجِرٌ وَ لَا وَاعِظٌ [صَفْحَةٌ ٣٩٦] يَجُوزُ نِقْمَةٌ وَ نِقْمَةٌ مِثْلُ كَلِمَةٍ وَ كَلِمَةٌ وَ لِبْنَةٍ وَ لِبْنَةٌ وَمَعْنَى الْكَلَامِ أَنَّهُ مَعَ كَوْنِهِ وَاسِعِ الرَّحْمَةِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ وَ أَنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَإِنَّهُ شَدِيدُ النِقْمَةِ عَلَى أَعْدَائِهِ وَ مَعَ كَوْنِهِ عَظِيمِ النِقْمَةِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ وَ كَوْنِهِ شَدِيدِ الْعِقَابِ فَإِنَّهُ وَاسِعِ الرَّحْمَةِ لِأَوْلِيَائِهِ وَعَازِهِ أَيْ غَالِبِهِ وَعَازِهِ أَيْ أَهْلِكَ أَيْ غَلْبِهِ وَ مِنْهُ وَ عَزَّيْنِي فِي الْخِطَابِ وَ فِي الْمِثْلِ مِنْ عَزِيزِ أَيْ مِنْ غَلْبِ سَلْبِ وَ الْمَدْمَرِ الْمَهْلِكِ دَمَرَهُ وَ دَمَرَهُ عَلَيْهِ بِمَعْنَى أَيْ أَهْلِكَ وَ شَاقَّةٍ عَادَاهُ قِيلَ إِنْ أَصْلَهُ مِنَ الشَّقِّ وَ هُوَ النِّصْفُ لِأَنَّ الْمَعَادَى يَأْخُذُ فِي شَقِّ وَ الْمَعَادَى فِي شَقِّ يَقَابِلُهُ وَ نَاوَاهُ أَيْ عَادَاهُ وَ اللَّفْظَةُ مَهْمُوزَةٌ وَ إِنَّمَا لِيْنَهَا لِأَجْلِ الْقَرِينَةِ السَّجْعِيَّةِ وَأَصْلُهَا نَاوَاتُ الرَّجْلِ مَنَاوَاهُ وَ نَوَاءٌ وَيُقَالُ فِي الْمِثْلِ إِذَا نَاوَاتُ الرَّجْلِ فَاصْبِرْ. قَوْلُهُ زُنُوبًا أَنْفُسُكُمْ قِيلَ أَنْ تُوزَنُوا مِنَ الْكَلَامِ الْفَصِيحِ النَّادِرِ اللَّطِيفِ يَقُولُ اعْتَبَرُوا أَعْمَالَكُمْ وَأَنْتُمْ مَخْتَارُونَ قَادِرُونَ عَلَى اسْتِدْرَاكِ الْفَارِطِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْإِعْتَابُ فَعَلٌ غَيْرُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَقْتَدِرُونَ عَلَى اسْتِدْرَاكِ الْفَارِطِ وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ وَ حَاسِبُوهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُحَاسَبُوا. ثُمَّ قَالَ وَ تَنْفَسُوا قَبْلَ ضَيْقِ الْخِنَاقِ أَيْ انْتَهَزُوا الْفُرْصَةَ وَ اعْمَلُوا قَبْلَ أَنْ يَفُوتَكُمْ الْأَمْرُ وَ يَجِدَ بِكُمْ الرَّحِيلَ وَ يَقَعُ النَّدَمُ قَالَ الشَّاعِرُ -قُرْآنَ- ٢٧٨-٣٠١ اخْتِمْ وَ طِينِكَ رَطْبٌ إِنْ قَدَرْتَ فِكْمَ || قَدْ أَمْكِنَ الْخْتِمَ أَقْوَامًا فَمَا خْتَمُوا . ثُمَّ قَالَ وَ انْقَادُوا قَبْلَ عُنْفِ السِّيَاقِ هُوَ الْعُنْفُ بِالضَّمِّ وَ هُوَ ضِدُّ الرِّفْقِ يُقَالُ عُنْفٌ عَلَيْهِ وَ عُنْفٌ بِهِ أَيْضًا وَ الْعُنْفُ الَّذِي لَارْفَقُ لَهُ بِرُكُوبِ الْخَيْلِ وَ الْجَمْعُ عُنْفٌ وَ اعْتَنَفْتُ الْأَمْرَ أَيْ أَخَذْتُهُ بِعُنْفٍ يَقُولُ انْقَادُوا أَنْتُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ قَبْلَ أَنْ تَقَادُوا وَ تَسَاقُوا [صَفْحَةٌ ٣٩٧] بِغَيْرِ اخْتِيَارِكُمْ سَوْقًا عَنِيفًا ثُمَّ قَالَ مَنْ لَمْ يَعْنِ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى يَجْعَلَ لَهُ مِنْهَا وَاعِظًا وَ زَاجِرًا لَمْ يَنْفَعِهِ الزُّجْرُ وَ الْوَعِظُ مِنْ غَيْرِهَا أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى شَاعِرٌ فَقَالَ وَأَقْصَرْتُ عَمَّا تَعْهَدِينَ وَ زَاجِرٌ || مِنَ النَّفْسِ خَيْرٌ مِنْ عِتَابِ الْعَوَازِلِ . فَإِنْ قُلْتَ أَلَيْسَ فِي هَذَا الْكَلَامِ إِشْعَارٌ مَا بِالْجَبْرِ . قُلْتَ إِنَّهُ لِاخْتِلَافِ بَيْنِ أَصْحَابِنَا فِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَلْطَافًا يَفْعَلُهَا بِعِبَادِهِ فَيُقْرِبُهُمْ مِنَ الْوَاجِبِ وَ يَبْعِدُهُمْ مِنَ الْقَبِيحِ وَ مَنْ يَعْلَمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ حَالِهِ أَنَّهُ لَاطِفٌ لَهُ لِأَنَّ كُلَّ مَا يَعْزُضُ لَطْفًا لَهُ فَإِنَّهُ لَا يُوَثِّرُ فِي حَالِهِ وَ لَا يَزِيدُ بِهِ إِلَّا إِصْرَارًا عَلَى الْقَبِيحِ وَ الْبَاطِلِ فَهُوَ الَّذِي عَنَاهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَ بِقَوْلِهِ مَنْ لَمْ يَعْنِ عَلَى نَفْسِهِ لِأَنَّهُ مَاقْبَلُ الْمَعُونَةِ وَ لَا انْقَادَ إِلَى مَقْتَضَاهَا وَ قَدْرُوهَا وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ لَمْ يَعْنِ عَلَى نَفْسِهِ بِكَسْرِ الْعَيْنِ أَيْ مَنْ لَمْ يَعْنِ الْوَاعِظِينَ لَهُ وَ الْمُنْذِرِينَ عَلَى نَفْسِهِ وَ لَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ إِلَّا عَلَيْهَا وَقَاهِرًا لَهَا لَمْ يَنْتَفِعْ بِالْوَعِظِ وَ الزُّجْرِ لِأَنَّ هُوَ نَفْسُهُ يَغْلِبُ وَعِظُ كُلِّ وَاعِظٍ وَ زَجْرُ كُلِّ زَاجِرٍ [صَفْحَةٌ ٣٩٨]

رَوَى مَسْعَدَةُ بْنُ صَدَقَةَ عَنِ الصَّيَادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ع أَنَّهُ قَالَ خَطَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِهَذِهِ الْخُطْبَةِ عَلَى مِثَرِ الْكُوفَةِ وَ ذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا أَتَاهُ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صِفْ لَنَا رَبَّنَا مِثْلَ مَا نَرَاهُ عَيْنَانَا لِنَزِدَادَ لَهُ حُبًّا وَ بِهِ مَعْرِفَةً فَغَضِبَ وَ نَادَى الصَّيْلَمَةَ جَامِعِيَّةً فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ حَتَّى غَصَّ الْمَسْجِدُ بِأَهْلِهِ فَصَعِدَ الْمِثْبَرُ وَ هُوَ مُغْضَبٌ مُتَغَيِّرُ اللَّوْنِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ وَ صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ص ثُمَّ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمَّا يَفْرَهُ الْمَنْعَ وَ الْجُمُودَ وَ لَمَّا يُكَدِّدِيهِ الْإِعْطَاءَ وَ الْجُودَ إِذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقِصٌ سِوَاهُ وَ كُلُّ مَانِعٍ مَذْمُومٌ مَا خَلَّاهُ وَ هُوَ الْمَنَانُ بِفَوَائِدِ النَّعْمِ وَ عَوَائِدِ الْمَزِيدِ وَ الْقِسْمِ عِيَالَهُ الْخَلَائِقُ ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ وَ قَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ وَ نَهَجَ سَبِيلَ الرَّاعِيَيْنِ إِلَيْهِ وَ الطَّالِبِينَ مَا لَدَيْهِ وَ لَيْسَ بِمَا سُرِّئِلَ بِأَجُودَ مِنْهُ بِمَا لَمْ يُسْأَلِ الْأَوَّلُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلُ فَيَكُونُ شَيْءٌ قَبْلَهُ وَ الْآخِرُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ بَعْدُ فَيَكُونُ شَيْءٌ بَعْدَهُ وَ الرَّادِعُ أَنَّاسِي الْأَبْصَارِ عَنِ أَنْ تَنَالَهُ أَوْ تُدْرِكَهُ مِمَّا اخْتَلَفَ عَلَيْهِ دَهْرٌ فَيَخْتَلِفُ مِنْهُ الْجِبَالُ وَ لَمَّا كَانَ فِي مَكَانٍ فَيَجُوزُ عَلَيْهِ الْإِتِّتْقَالُ الْأَشْبَاحِ الْأَشْخَاصِ وَ الْمَرَادُ بِهِمْ هَاهُنَا الْمَلَائِكَةُ لِأَنَّ الْخُطْبَةَ تَتَضَمَّنُ ذِكْرَ الْمَلَائِكَةِ. [صَفْحَةُ ٣٩٩] وَ قَوْلُهُ الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ مَنْصُوبٌ بِفِعْلِ مَقْدَرِ أَيْ أَحْضَرُوا الصَّلَاةَ وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ جَامِعَةٌ مَنْصُوبٌ عَلَى الْحَالِ مِنَ الصَّلَاةِ. وَ غُصَّ الْمَسْجِدُ بِفَتْحِ الْغَيْنِ أَيْ امْتَلَأَ وَ الْمَسْجِدُ غَاصَ بِأَهْلِهِ وَ يُقَالُ رَجُلٌ مُغْضَبٌ بِفَتْحِ الضَّادِ أَيْ قَدْ أَغْضَبَ أَيْ فَعَلَ بِهِ مَا يُوجِبُ غَضَبَهُ. وَ يَفْرَهُ الْمَنْعَ يَزِيدُ فِي مَالِهِ وَ الْمَوْفُورُ التَّامُ وَ فَرَتِ الشَّيْءُ وَ فَرَا وَ وَفَرَ الشَّيْءُ نَفْسَهُ وَ فُورًا يَتَعَدَّى وَ لَا يَتَعَدَّى وَ فِي أَمْثَالِهِمْ يُوفِرُ وَ يُحْمَدُ هُوَ مِنْ قَوْلِكَ وَ فَرْتَهُ عَرْضُهُ وَ وَفَرْتَهُ مَالُهُ. وَ قَوْلُهُ وَ لَا يُكَدِّدِيهِ الْإِعْطَاءُ أَيْ لَا يَفْقِرُهُ وَ لَا يَنْفَدُ خَزَائِنُهُ يُقَالُ كَدَدْتُ الْأَرْضَ تَكْدُ وَ فُهِى كَادِيَةٌ إِذَا بَطَأَ نَبَاتُهَا وَ قُلَّ خَيْرُهَا فَهَذَا لِأَنَّهَا لَا تَمُوتُ إِذْ أُعِدَّتْ بِأُتِيَتْ بِالْهَمْزَةِ فَقُلْتُ أَكْدَيْتُ الْأَرْضَ أَيْ جَعَلْتُهَا كَادِيَةً وَ تَقُولُ أَكْدَى الرَّجُلَ إِذَا قَلَّ خَيْرُهُ وَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَ أَعْطَى قَلِيلًا وَ أَكْدَى أَيْ قَطَعَ الْقَلِيلَ يَقُولُ إِنَّهُ سَبَّحَانَهُ قَادِرٌ عَلَى الْمَقْدُورَاتِ وَ لَيْسَ كَالْمَلُوكِ مِنَ الْبَشَرِ الَّذِينَ إِذَا أُعْطُوا نَقَصَتْ خَزَائِنُهُمْ وَ إِنْ مَنَعُوا زَادَتْ وَ قَدْ شَرَحْتُ ذَلِكَ وَ قَالَ إِذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقِصٌ أَيْ مَنْقُوصٌ وَ يَجِيءُ انْتِقَاصُ الْأَزْمَا وَ مُتَعَدِّيَا تَقُولُ انْتَقَصَ الشَّيْءُ نَفْسَهُ وَ انْتَقَصْتُ الشَّيْءَ أَيْ نَقَصْتَهُ وَ كَذَلِكَ نَقَصَ يَجِيءُ لِأَزْمَا وَ مُتَعَدِّيَا. ثُمَّ قَالَ وَ كُلُّ مَانِعٍ مَذْمُومٌ غَيْرُهُ وَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا يَمْنَعُ مَنْ تَقْتَضِي الْحِكْمَةَ وَ الْمَصْلَحَةَ مَنَعَهُ وَ لَيْسَ كَمَا يَمْنَعُ الْبَشَرُ وَ سَأَلَ رَجُلٌ عَلَى بَنِ مُوسَى الرِّضَا عَنِ الْجُودِ فَقَالَ إِنْ لَكَلَامِكَ وَ جِهَيْنَ فَإِنْ كُنْتَ تَسْأَلُ عَنِ الْمَخْلُوقِ فَإِنَّ الْجُودَ هُوَ الَّذِي يُؤَدِي مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ الْبَخِيلُ هُوَ الَّذِي يَبْخُلُ بِمَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ إِنْ كُنْتَ تَعْنِي الْخَالِقَ - قُرْآن - ٦٣٤ - ٦٥٩ [صَفْحَةُ ٤٠٠] فَهُوَ الْجُودُ إِنْ أُعْطِيَ وَ هُوَ الْجُودُ إِنْ مَنَعَ لِأَنَّهُ إِنْ أُعْطِيَ عَبْدًا أَعْطَاهُ مَا لَيْسَ لَهُ وَ إِنْ مَنَعَ مَنَعَهُ مَا لَيْسَ لَهُ. قَوْلُهُ وَ لَيْسَ بِمَا سُرِّئِلَ بِأَجُودَ مِنْهُ بِمَا لَمْ يُسْأَلِ فِيهِ مَعْنَى لَطِيفٌ وَ ذَاكَ لِأَنَّ هَذَا الْمَعْنَى مِمَّا يَخْتَصُّ بِالْبَشَرِ لِأَنَّهُمْ يَتَحَرَّكُونَ بِالسُّؤَالِ وَ تَهْزُهُمُ الطَّلِبَاتُ فَيَكُونُونَ بِمَا سَأَلَهُمُ السُّؤَالُ أَجُودَ مِنْهُمْ بِمَا لَمْ يُسْأَلَهُمْ إِيَّاهُ وَ أَمَا الْبَارِي سَبَّحَانَهُ فَإِنَّ جُودَهُ لَيْسَ عَلَى هَذَا الْمَنْهَاجِ لِأَنَّ جُودَهُ عَامٌ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ. ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ جُودَهُ تَعَالَى لَيْسَ بِزَمَانِي فَلَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ الْبَعْدِيَّةُ وَ الْقَبْلِيَّةُ كَمَا يُطْلَقُ عَلَى الزَّمَانِيَّاتِ وَ إِنَّمَا لَمْ يَكُنْ جُودُهُ زَمَانِيًّا لِأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ الْحَرَكَةَ وَ الزَّمَانَ مِنْ لَوَاحِقِ الْحَرَكَةِ وَ إِنَّمَا لَمْ يُطْلَقْ عَلَيْهِ الْبَعْدِيَّةُ وَ الْقَبْلِيَّةُ إِذْ لَمْ يَكُنْ زَمَانِيًّا لِأَنَّ قَوْلَنَا فِي الشَّيْءِ إِنَّهُ بَعْدَ الشَّيْءِ الْفُلَانِي أَيْ الْمَوْجُودُ فِي زَمَانٍ حَضَرَ بَعْدَ تَقْضِي زَمَانٍ ذَلِكَ الشَّيْءُ الْفُلَانِي وَ قَوْلَنَا فِي الشَّيْءِ إِنَّهُ قَبْلَ الشَّيْءِ الْفُلَانِي أَيْ إِنَّهُ مَوْجُودٌ فِي زَمَانٍ حَضَرَ وَ لَمْ يَحْضُرْ زَمَانٌ ذَلِكَ الشَّيْءُ الْفُلَانِي بَعْدَ مَا لَيْسَ فِي الزَّمَانِ لَيْسَ يَصْدُقُ عَلَيْهِ الْقَبْلُ وَ الْبَعْدُ الزَّمَانِيَّانِ فَيَكُونُ تَقْدِيرُ الْكَلَامِ عَلَى هَذَا الْأَوَّلِ الَّذِي لَا يَصْدُقُ عَلَيْهِ الْقَبْلِيَّةُ الزَّمَانِيَّةُ لِيُمْكِنَ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ مَابَعْدَهُ. وَ قَدْ يَحْمَلُ الْكَلَامُ عَلَى وَجْهِ آخَرَ أَقْرَبَ مِمَّا نَوَّلَا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَ هُوَ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ مَحْدُثًا أَيْ مَوْجُودًا قَدْ سَبَقَهُ عَدَمٌ

يقال إنه مسبوق بشيء من الأشياء إما المؤثر فيه أو الزمان المقدم عليه و أنه ليس بذات يمكن فناؤها وعدمها فيما لا يزال فيقال إنه ينقضى وينصرم و يكون بعده شيء من الأشياء إما الزمان أو غيره والوجه الأول أدق وألطف ويؤكد كونه مرادا قوله عقيب ما اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال و ذلك لأن واجب الوجود أعلى من الدهر والزمان فنسبة ذاته إلى الدهر والزمان بجملته وتفصيل أجزائه نسبة متحدة. [صفحة ٤٠١] فإن قلت إذا لم يكن قبل الأشياء بالزمان و لا بعدها بالزمان فهو معها بالزمان لأنه لا يبقى بعد نفى القبليّة والبعدية إلا المعية. قلت إنما يلزم ذلك فيما وجوده زماني و أما ما ليس زمانيا لا يلزم من نفى القبليّة والبعدية إثبات المعية كما أنه ما لم يكن وجوده مكانيا لم يلزم من نفى كونه فوق العالم أو تحت العالم بالمكان أن يكون مع العالم بالمكان . ثم قال الرادع أناسى الأبصار عن أن تناله أو تدركه الأناسى جمع إنسان و هو المثل الذي يرى فى السواد و هذا اللفظ بظاهرة يشعر بمذهب الأشعريّة و هو قولهم إن الله تعالى خلق فى الأبصار مانعا عن إدراكه إلا أن الأدلة العقلية من جانبنا اقتضت تأويل هذا اللفظ كما تأول شيوخنا قوله تعالى وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاضِرَةٌ فَقَالُوا إِلَىٰ جَنَّةٍ رَبُّهَا فنقول تقديره الرادع أناسى الأبصار أن تنال أنوار جلالته . فإن قلت أثبتون له تعالى أنوارا يمكن أن تدركها الأبصار وهل هذا إلا قول بالتجسيم . قلت كلا- لا تجسيم فى ذلك فكما أن له عرشا وكرسيا و ليس بجسم فكذلك أنوار عظيمة فوق العرش و ليس بجسم فكيف تنكر الأنوار و قد نطق الكتاب العزيز بها فى غير موضع كقوله وَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَ كقوله مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ - قرآن - ٦٥٣-٦٩٩-قرآن - ١٠٤٠-١٠٧٤-قرآن - ١٠٨٣-١١٢٠ [صفحة ٤٠٢] وَ لَوْ وَهَبَ مِآ تَنَفَسَتْ عَنْهُ مَعَادِنُ الْجِبَالِ وَ ضَحِكَتْ عَنْهُ أَصْدَافُ الْبِحَارِ مِنْ فِئْرِ اللَّجِينِ وَ الْعَقِيَانِ وَ نَثَارَةُ الدَّرِّ وَ حَصِيدُ الْمَرْجَانِ مَا أَثَّرَ ذَلِكَ فِي جُودِهِ وَ لَا أَنْفَدَ سَيِّعَةً مَا عِنْدَهُ وَ لَكَانَ عِنْدَهُ مِنْ ذَخَائِرِ الْأَنْعَامِ مَا لَا تُنْفِذُهُ مَطَالِبُ الْأَنْامِ لِأَنَّهُ الْجَوَادُ أَلَّذِي لَا يَغِيضُهُ سُؤَالَ السَّائِلِينَ وَ لَا يُبِخِلُهُ إِحْتِيَاجُ الْمَلْحِينِ هَذَا الْكَلَامُ من تتمه الكلام الأول و هو قوله لا يفره المنع و لا يكديه الإعطاء و الجود و تنفست عنه المعادن استعاره كأنها لما أخرجته و ولدته كانت كالحيوان يتنفس فيخرج من صدره ورثته الهواء. وضحكت عنه الأصداف أى تفتحت عنه و انشقت يقال للطلع حين ينشق الضحك بفتح الضاد وإنما سمي الضاحك ضاحكا لأنه يفتح فاه و الفلز اسم الأجسام الذائبة كالذهب و الفضة و الرصاص و نحوها و اللجين اسم الفضة جاء مصغرا كالكميت و الثريا و العقيان الذهب الخالص و يقال هو ما نبت نباتا و ليس مما يحصل من الحجاره و نثاره الدر ما تناثر منه كالسقاطه و النخاله و تأتي فعالة تارة للجدد المختار و تارة للساقط المتروك فالأول نحو الخلاصة و الثانى نحو القلامه. و حصيد المرجان كأنه أراد المتبدد منه كما يتبدد الحب المحصود و يجوز أن يعنى به الصلب المحكم من قولهم شىء مستحصد أى مستحصف مستحكم يعنى أنه ليس برخو و لاهش و يروى و حصباء المرجان و الحصباء الحصى و أرض حصبة و محصبة [صفحة ٤٠٣] بالفتح ذات حصباء و المرجان صغار اللؤلؤ و قد قيل إنه هذا الحجر و استعمله بعض المتأخرين فقال آدمى لها المرجان صفحة حده || و بكى عليها اللؤلؤ المكنون . و تنفده تغنيه نغد الشىء أى فنى و أنفدته أنا و مطالب الأنام جمع مطلب و هو المصدر من طلبت الشىء طلبا و مطلبا. و يغيبه بفتح حرف المضارعة ينقصه و يقال غاض الماء فهذا لازم و غاض الله الماء فهذا متعد و جاء أغاض الله الماء. و الإلحاح مصدر ألح على الأمر أى أقام عليه دائما من ألح السحاب إذا دام مطره و ألح البعير حرن كما تقول خلأمت الناقة و روى و لا يبخله بالتخفيف تقول أبخلت زيدا أى صادفته بخيلا- و أجبنته وجدته جبانا. و فى هذا الفصل من حسن الاستعاره و بديع الصنعة ما لا يخفى به فأنظر أيها السائل فما ذلك القرآن عليه من صفة فأنتم به و استصفي بنور هدايته و ما كلفك الشيطان علمه مما ليس فى الكتاب عليك فرضه و لا فى سنة النبي ص و أئمة الهدى أثره فكل علمه إلى الله سبحانه فإن ذلك منتهى حق الله عليك و اعلم أن الراسخين فى العلم هم المدين أعناهم عن اقتحام الشد المضر و به دون الغيوب الإقرا بجملة ما جهلوا تفسيه يره من الغيب المحجوب فمدح الله [صفحة ٤٠٤] اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علما و سمي تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رُسوخا فاقصرت ر على ذلك و لا تقدرة عظيمة الله سبحانه على قدر

عَقَلَتِكَ فَتَكُونَ مِنَ الْهَائِكِينَ تقول ائتم فلان بفلان أى جعله إماما واقتدى به فكل علمه من وكله إلى كذا وكلا- ووكولا- و هذا الأمر موكول إلى رأيك والاحتحام الهجوم والدخول مغالبة والسدد المضروبة جمع سده وهى الرتاج . واعلم أن هذا الفصل يمكن أن تتعلق به الحشوية المانعون من تأويل الآيات الواردة فى الصفات القائلين بالجمود على الظواهر ويمكن أيضا أن يتعلق به من نفى النظر وحرمة أصلا ونحن قبل أن نحققه ونتكلم فيه نبدأ بتفسير قوله تعالى وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرِّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يقولون إن من الناس من وقف على قوله إَلَّا اللَّهُ ومنهم من لم يقف على ذلك وهذا القول أقوى من الأول لأنه إذا كان لا يعلم تأويل المتشابه إلا الله لم يكن فى إنزاله ومخاطبة المكلفين به فائدة بل يكون كخطاب العربى بالزنجية ومعلوم أن ذلك عيب قبيح . فإن قلت فما الذى يكون موضع يَقُولُونَ من الإعراب . قلت يمكن أن يكون نصبا على أنه حال من الراسخين ويمكن أن يكون كلاما مستأنفا أى هؤلاء العالمون بالتأويل يقولون آمنا به . -قرآن- ٤٢٨-٤٩٢-قرآن- ٥٣٣-٥٤٤-قرآن- ٧٨٩- ٧٩٨ [صفحة ٤٠٥] و قدروى عن ابن عباس أنه تأول آية فقال قائل من الصحابة وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ فقال ابن عباس وَ الرِّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ و أنا من جملة الراسخين . ثم نعود إلى تفسير كلام أمير المؤمنين ع فنقول إنه غضب وتغير وجهه لقول السائل صف لنا ربنا مثل مانراه عيانا وإذا هذا المعنى ينصرف وصية له بما أوصاه به من اتباع ماجاء فى القرآن والسنة و ذلك لأن العلم الحاصل من رؤية الشىء عيانا علم لا يمكن أن يتعلق مثله بالله سبحانه لأن ذاته تعالى لا يمكن أن تعلم من حيث هى هى كمتعلم المحسوسات ألا ترى أنا إذا علمنا أنه صانع العالم و أنه قادر عالم حى سميع بصير مرید و أنه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض و علمنا جميع الأمور السلبية والإيجابية المتعلقة به فإنما علمنا سلوبا وإضافات ولا شك أن ماهية الموصوف مغايرة لماهية الصفات والذوات المحسوسة بخلاف ذلك لأننا إذا رأينا السواد فقد علمنا نفس حقيقة السواد لاصفة من صفات السواد وأيضا فإننا لو قدرنا أن العلم بوجوده وصفاته السلبية والإيجابية يستلزم العلم بذاته من حيث هى هى لم يكن عالما بذاته علما جزئيا لأنه يمكن أن يصدق هذا العلم على كثيرين على سبيل البدل و إذا ثبت أنه يستحيل أن يصدق على كثيرين على سبيل البدل ثبت أنه يستحيل أن يصدق على كثيرين على سبيل الجمع والعلم بالمحسوس يستحيل أن يصدق على كثيرين لا على سبيل الجمع ولا على سبيل البدل فقد بان أنه يستحيل أن يعلم الله تعالى كما يعلم الشىء المرئى عيانا فأمر المؤمنين ع أنكر هذا السؤال كما أنكره الله تعالى على بنى إسرائيل لما طلبوا الرؤية قال تعالى وَ إِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ . -قرآن- ٦٠-٩٦-قرآن- ١١٣-١٣٩-قرآن- ١٤٣٦-١٥٢٧ [صفحة ٤٠٦] ثم قال للسائل بعد غضبه واستحاله لونه وظهور أثر الإنكار عليه مادلك القرآن عليه من صفته فخذ به فإن لم تجده فى الكتاب فأطلبه من السنة و من مذاهب أئمة الحق فإن لم تجد ذلك فاعلم أن الشيطان حينئذ قد كلفك علم ما لم يكلفك الله علمه و هذا حق لأن الكتاب والسنة قد نطقا بصفات الله من كونه عالما قادرا حيا مريدا سميعا بصيرا ونطقا أيضا بتنزيهه عن سمات الحدوث كالجسمية والحلول والجهة و ما استلزم الجهة كالرؤية فلا إنكار على من طلب فى مدارك العقول وجوها تعضد ماجاء به القرآن والسنة وتوفى بين بعض الآيات وبعض وتحمل أحد اللفظين على الآخر إذ تناقضا فى الظاهر صيانة لكلام الحكيم عن التهافت والتعارض و أما ما لم يأت الكتاب والسنة فيه بشىء فهو الذى حرم وحظر على المكلفين الفكر فيه كالكلام فى الماهية التى يذهب ضرار المتكلم إليها وكإثبات صفات زائدة على الصفات المعقولة لذات البارئ سبحانه وهى على قسمين أحدهما ما لم يرد فيه نص كإثبات طائفة تعرف بالماتريديّة صفة سموها التكوين زائدة على القدرة والإرادة. والثانى ماورد فيه لفظ فأخطأ بعض أهل النظر فأثبت لأجل ذلك اللفظة صفة غير معقولة للبارئ سبحانه نحو قول الأشعريين إن اليمين صفة من صفات الله والاستواء على العرش صفة من صفات الله و إن وجه الله صفة من صفاته أيضا ثم قال إن الراسخين فى العلم الذين غنوا بالإقرار بما عرفوه عن الولوج والتقدم فيما لم يعرفوه وهؤلاء هم أصحابنا المعتزلة لاشبهته فى ذلك ألا ترى أنهم يعللون أفعال الله تعالى بالحكم والمصالح فإذا ضاق عليهم الأمر فى تفصيل

بعض المصالح في بعض المواضع قالوا نعلم على الجملة أن لهذا وجه حكمه ومصلحه و إن كنا لانعرف تفصيل تلك المصلحه كما يقولون في تكليف من يعلم الله تعالى منه أنه يكفر و كما يقولون في اختصاص الحال التي حدث فيها العالم بحدوثه دون ما قبلها و ما بعدها. [صفحہ ۴۰۷] و قد تأول القطب الراوندى كلام أمير المؤمنين في هذا الفصل فقال إنما أنكر على من يقول لم تعبد الله المكلفين بإقامه خمس صلوات وهلا- كانت ستا أو أربعا و لم جعل الظهر أربع ركعات والصبح ركعتين وهلا عكس الحال و هذا التأويل غير صحيح لأنه ع إنما أخرج هذا الكلام مخرج المنكر على من سأله أن يصف له الباري سبحانه و لم يكن السائل قدسأل عن العلة في أعداد الصلاة و كمية أجزاء العبادات . ثم إنه ع قد صرح في غضون الكلام بذلك فقال فانظر أيها السائل فما ذلك القرآن عليه من صفته فائتم به و ما لم يدلك عليه فليس عليك أن تخوض فيه و هذا الكلام تصريح بأن البحث إنما هو في النظر العقلي في فن الكلام فلا يجوز أن يحمل على ما هو بمعزل عنه . و اعلم أننا نتساهل في ألفاظ المتكلمين فنوردها بعباراتهم كقولهم في المحسوسات والصواب المحسبات لأنه لفظ المفعول من أحس الرباعى لكننا لمارأينا العدول عن ألفاظهم إذا خضنا في مباحثهم مستهجننا عبرنا بعبارتهم على علم منا أن العريية لا تسوغها هو القادر الذي إذا ارتمت الأوهام لتدرك منقطع قدرته و أول الفكر المبرأ من خطر الوساوس أن يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته و تولهت القلوب إليه لتجري في كيفية صفاته و غمضت مداخل العقول في حيث لا تبلغه الصافات لتتاؤل علم ذاته ردعها و هي تجوب مهاوى سدف الغيوب متخلصه إليه سبحانه فرجعت إذ جبهت معترفه بأنه لما يتألم بجور الاعتساف كنه معرفته و لا تخطر ببال أولي الرويات خاطره من تقدير جلال عزته [صفحہ ۴۰۸] ارتمت الأوهام أى ترامت يقال ارتمى القوم بالنبل أى تراموا فشبه جولان الأوهام والأفكار وتعارضها بالترامى. و خطر الوسواس بتسكين الطاء مصدر خطر له خاطر أى عرض فى قلبه و روى من خطرات الوسواس . و تولهت القلوب إليه اشتد عشقها حتى أصابها الوله و هو الحيرة. و قوله لتجري في كيفية صفاته أى لتصادف مجرى ومسلكا فى ذلك و غمضت مداخل العقول أى غمض دخولها ودق فى الأنظار العميقة التي لا تبلغ الصفات كنهها لدقتها و غموضها طالبة أن تنال معرفته تعالى . و لفظه ذات لفظه قد طال فيها كلام كثير من أهل العريية فأنكر قوم إطلاقها على الله تعالى وإضافتها إليه أما إطلاقها فلأنها لفظه تأنيث والبارئ سبحانه منزه عن الأسماء والصفات المؤنثة و أما إضافتها فلأنها عين الشىء والشىء لا يضاف إلى نفسه وأجاز آخرون إطلاقها فى الباري تعالى وإضافتها إليه أما استعمالها فلوجهين أحدهما أنها قد جاءت فى الشعر القديم قال خبيب الصحابي عند صلبه و ذلك فى ذات الإله و إن يشأ || يبارك على أوصال شلو موزع . و يروى ممزوع و قال النابغة محلتهم ذات الإله و دينهم || قديم فما يخشون غير العواقب . والوجه الثانى أنها لفظه اصطلاحية فجاز استعمالها لا على أنها مؤنث ذو بل تستعمل [صفحہ ۴۰۹] ارتجالا فى مسماهما الذى عبر عنه بها أرباب النظر الإلهي كما استعمالوا لفظ الجوهر والعرض وغيرهما فى غير ما كان أهل العريية واللغة يستعملونها فيه . و أمانعهم إضافتها إليه تعالى و أنه لا يقال ذاته لأن الشىء لا يضاف إلى نفسه فباطل بقولهم أخذته نفسه وأخذته عينه فإنه بالاتفاق جائز و فيه إضافة الشىء إلى نفسه . ثم نعود إلى التفسير قوله ع ردعها أى كفها وتجوب أى تقطع والمهاوى المهالك الواحدة مهواه بالفتح وهى ما بين جبلين أو حائطين ونحو ذلك والسدف جمع سدفة وهى القطعة من الليل المظلم وجبهت أى ردت وأصله من جبهته أى صككت جبهته والجور العدول عن الطريق والاعتساف قطع المسافة على غير جادة معلومة. و خلاصة هذا الفصل أن العقول إذا حاولت أن تدرك متى ينقطع اقتداره على المقدرات نكصت عن ذلك لأنه قادر أبدا دائما على ما لا يتناهى و إذا حاول الفكر الذى قد صفا وخلا عن الوسواس والعواقب أن يدرك مغيبات علمه تعالى كل وحسر ورجع ناقصا أيضا و إذا اشتد عشق النفوس له و تولهت نحوه لتسلك مسلكا تقف منه على كيفية صفاته عجزت عن ذلك و إذا تغلغت العقول و غمضت مداخلها فى دقائق العلوم النظرية الإلهية التي لا توصف لدقتها طالبة أن تعلم حقيقة ذاته تعالى انقطعت وأعيت و ردها سبحانه و تعالى وهى تجول وتقطع ظلمات الغيب لتخلص إليه فارتدت حيث جبهتها

وردعها مقررّة معترفة بأن إدراكه ومعرفته لاتنال باعتساف المسافات التي بينها وبينه و إن أرباب الأفكار والرويات يتعذر عليهم أن يخطر لهم خاطر يطابق ما في الخارج من تقدير جلال عزته و لا بد من أخذ هذا القيد في الكلام لأن أرباب الأنظار [صفحہ ۴۱۰] لا بد أن تخطر لهم الخواطر في تقدير جلال عزته ولكن تلك الخواطر لاتكون مطابقتها لها في الخارج لأنها خواطر مستندة الوهم لا للعقل الصريح و ذلك لأن الوهم قدألف الحسيات والمحسوسات فهو يعقل خواطر بحسب ماألفه من ذلك و جلال واجب الوجود أعلى وأعظم من أن يتطرق الوهم نحوه لأنه يرى من المحسوسات سبحانه و أماالعقل الصريح فلا يدرك خصوصية ذاته لما تقدم . و اعلم أن قوله تعالى فَارْجِعِ الْبَصِيرَ هَل تَرَى مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصِيرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَ هُوَ حَسِيرٌ فيه إشارة إلى هذا المعنى وكذلك قوله يعلم ما بين أيديهم و ما خلفهم و لا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ -قرآن- ۳۹۶-۵۱۴-قرآن- ۵۵۴-۶۳۲ أَلَمْ يَدْعِ الْخَلْقَ عَلَىٰ غَيْرِ مِثَالٍ امْتَلَأُ وَ لَا مِقْدَارٍ احْتَدَىٰ عَلَيْهِ مِنْ خَالِقٍ مَعْبُودٍ كَانَ قَبْلَهُ وَ أَرَانَا مِنْ مَلَكُوتٍ قُدْرَتِهِ وَ عَجَائِبِ مَا نَطَقْتَ بِهِ آثَارُ حِكْمَتِهِ وَ اعْتِرَافِ الْحَاجِيَةِ مِنَ الْخَلْقِ إِلَىٰ أَنْ يُقِيمَهَا بِمَسَاكٍ قُوَّتِهِ مَا دَلَّنَا بِاضْطِرَارٍ قِيَامِ الْحَاجِيَةِ لَهُ عَلَىٰ مَعْرِفَتِهِ فَظَهَرَتْ فِي الْبِدَائِعِ الَّتِي أَحَدَتْهَا آثَارُ صِنْعَتِهِ وَ أَعْلَامِ حِكْمَتِهِ فَصَارَ كُلُّ مَا خَلَقَ حُجَّةً لَهُ وَ دَلِيلًا عَلَيْهِ وَ إِنْ كَانَ خَلْقًا صَامِتًا فَحُجَّتُهُ بِالتَّيْدِيرِ نَاطِقَةً وَ دَلَّالَتُهُ عَلَى الْمُبْدِعِ قَائِمَةٌ [صفحہ ۴۱۱] المساك بكسر الميم مايمسك ويعصم به . و قوله ابتدع الخلق على غير مثال امتثله يحتمل وجهين أحدهما أن يريد بامتثله مثله كما تقول صنعت واصطنعت بمعنى فيكون التقدير أنه لم يمثل لنفسه مثالا قبل شروعه في خلق العالم ثم احتذى ذلك المثال وركب العالم على حسب ترتيبه كالصانع الذي يصوغ حلقة من رصاص مثالا- ثم يصوغ حلقة من ذهب عليها وكالبناء يقدر ويفرض رسوما وتقديرات في الأرض وخطوطا ثم يبني بحسبها. والوجه الثاني أنه يريد بامتثله احتذاه وتقبله واتبعه والأصل فيه امتثال الأمر في القول فنقل إلى احتذاء الترتيب العقلي فيكون التقدير أنه لم يمثل له فاعل آخر قبله مثالا اتبعه واحتذاه وفعل نظيره كما يفعل التلميذ في الصباغة والنجارة شيئا قدمثل له أستاذه صورته وهيئة . و اعلم أن هذا أحد الأسئلة التي يذكرها أصحابنا في باب كونه عالما لأنهم لما استدلوا على كونه تعالى عالما بطريق إحكام العلم وإتقانه سألوا أنفسهم فقالوا لم لا يجوز أن يكون القديم سبحانه أحدث العالم محتذيا لمثال مثله وهيئة اقتضاها والمحتذى لا يجب كونه عالما بما يفعله ألا ترى أن من لا يحسن الكتابة قد يحتذى خطأ مخصوصا فيكتب قريبا منه وكذلك من يطبع الشمع بالخاتم ثم يطبع فيه مثال الخاتم فهو فعل الطابع و لا يجب كونه عالما. وأجاب أصحابنا عن ذلك فقالوا إن أول فعل محكم وقع منه ثم احتذى عليه يكفي في ثبوت كونه عالما وأيضا فإن المحتذى ليست العالمية بمسلوبة عنه بل موصوف بها [صفحہ ۴۱۲] ألا ترى أنه متصور صورة ما يحتذيه ثم يوقع الفعل مشابها له فالمحتذى عالم في الجملة ولكن علمه يحدث شيئا فشيئا. فأما معنى الفصل فظاهر يقول ع إنه ابتدع الخلق على غير مثال قدمه لنفسه و لا قدم له غيره ليحتذى عليه وأرانا من عجائب صنعته و من اعتراف الموجودات كلها بأنها فقيرة محتاجة إلى أن يمسكها بقوته ما دلنا على معرفته ضرورة و في هذا إشارة إلى أن كل ممكن مفتقر إلى المؤثر و لما كانت الموجودات كلها غيره سبحانه ممكنة لم تكن غنية عنه سبحانه بل كانت فقيرة إليه لأنها لولاه ما بقيت فهو سبحانه غني عن كل شيء و لا شيء من الأشياء مطلقا بغنى عنه سبحانه و هذه من خصوصية الإلهية وأجل ما تدركه العقول من الأنظار المتعلقة بها. فإن قلت في هذا الكلام إشعار بمذهب شيخكم أبي عثمان في أن معرفته تعالى ضرورية. قلت يكاد أن يكون الكلام مشعرا بذلك إلا أنه غير دال عليه لأنه لم يقل ما دلنا على معرفته باضطرار ولكن قال ما دلنا باضطرار قيام الحجّة له على معرفته فالاضطرار راجع إلى قيام الحجّة لا إلى المعرفة. ثم قال ع وظهرت آثار صنعته ودلائل حكمته في مخلوقاته فكانت وهي صامتة في الصورة ناطقة في المعنى بوجوده وربوبيته سبحانه و إلى هذا المعنى نظر الشاعر فقال فوجبا كيف يعصى الإله || أم كيف يجحده الجاحد و في كل شيء له آية || تدل على أنه واحد . [صفحہ ۴۱۳] و قال في تفسير قوله تعالى وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ عَابَرٌ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى -قرآن-

٣٠-١٠٤ فَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبَائِنِ أَعْضَاءِ خَلْقِكَ وَ تَلَاَحُمِ حِقَاقِ مَفَاصِلِهِمُ الْمُحْتَجِبَةِ لِتَدْبِيرِ حِكْمَتِكَ لَمْ يَعْقِدْ غَيْبَ ضَمِيرِهِ عَلَى مَعْرِفَتِكَ وَ لَمْ يُبَاشِرْ قَلْبَهُ الْيَقِينُ بِأَنَّهُ لَا نِدَّ لَكَ وَ كَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ تَبَرُّؤَ التَّابِعِينَ عَنِ الْمَشُوعِينَ إِذْ يَقُولُونَ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكَ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِكَ إِذْ شَبَّهُوكَ بِأَصْنَامِهِمْ وَ نَحَلُّوكَ حَلِيَّةَ الْمَخْلُوقِينَ بِأَوْهَامِهِمْ وَ جَزَّؤَكَ تَجْزِئَةَ الْمُجَسِّمَاتِ بِخَوَاطِرِهِمْ وَ قَدَّرُوكَ عَلَى الْخِلْقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْقُوَى بِقَرَائِحِ عُقُولِهِمْ وَ أَشْهَدُ أَنَّ مَنْ سَاوَاكَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِعَيْكَ وَ الْعَادِلُ بِكَ كَافِرٌ بِمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ مُحْكَمَاتُ آيَاتِكَ وَ نَطَقَتْ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجُجِ بَيِّنَاتِكَ وَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَمْ تَتَنَاهَ فِي الْعُقُولِ فَتَكُونَ فِي مَهَبِّ فِكْرِهَا مُكَيِّفًا وَ لَمَّا فِي رَوِيَّاتِ خَوَاطِرِهَا مَحْدُودًا مُصَيَّرَفًا -قرآن- ٣٠٨-٣٨١ حَقَاقِ الْمَفَاصِلِ جَمَعَ حَقَّةَ وَجَاءَ فِي جَمْعِهَا حَقَاقٌ وَ حَقَّقَ وَ حَقَّ وَ لَمَّا قَالَ بِتَبَائِنِ أَعْضَاءِ خَلْقِكَ وَ تَلَاَحُمِ حِقَاقِ مَفَاصِلِهِمْ فَأَوْقَعَ التَّلَاَحُمَ فِي مَقَابِلَةِ التَّبَائِنِ صِنَاعَةً وَ بَدِيعًا وَ رَوَى [صَفْحَةُ ٤١٤] الْمُحْتَجِبَةَ فَمَنْ قَالَ الْمُحْتَجِبَةَ أَرَادَ الْمَحْتَجِبَةَ لِأَنَّهَا بِمَا فِيهَا مِنْ لَطِيفِ الصَّنْعَةِ كَالْمَحْتَجِبَةِ الْمَسْتَدَلَّةَ عَلَى التَّدْبِيرِ الْحَكْمِيِّ مِنْ لَدُنْهُ سُبْحَانَهُ وَ مَنْ قَالَ الْمُحْتَجِبَةَ أَرَادَ الْمَسْتَرَّةَ لِأَنَّ تَرْكِيبَهَا الْبَاطِنَ خَفِيَ مَحْجُوبًا . وَ النَّدُّ الْمَثَلُ وَ الْعَادِلُونَ بِكَ الَّذِينَ جَعَلُوا لَكَ عَدِيلًا وَ نَظِيرًا وَ نَحَلُّوكَ أَعْطُوكَ وَ هِيَ النُّحْلَةُ وَ رَوَى لَمْ يَعْقِدْ عَلَى مَا لَمْ يَسْمُ فَاعِلُهُ . وَ غَيْبَ ضَمِيرِهِ بِالرَّفْعِ وَ الْقَرَائِحِ جَمَعَ قَرِيحَةً وَ هِيَ الْقُوَّةُ الَّتِي تَسْتَنْبِطُ بِهَا الْمَعْقُولَاتُ وَ أَصْلُهُ مِنْ قَرِيحَةِ الْبُرِّ وَ هُوَ أَوَّلُ مَائِهَا . وَ مَعْنَى هَذَا الْفَصْلِ أَنَّهُ عَ شَهِدَ بِأَنَّ الْمَجْسَمَ كَافِرٌ وَ أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ اللَّهَ وَ أَنَّ مَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِالْمَخْلُوقِينَ ذُوِي الْأَعْضَاءِ الْمُتَبَايِنَةِ وَ الْمَفَاصِلِ الْمُتَلَاَحِمَةِ لَمْ يَعْرِفْهُ وَ لَمْ يَبَاشِرْ قَلْبَهُ الْيَقِينُ فَإِنَّهُ لَا نِدَّ لَهُ وَ لَا مَثَلَ ثُمَّ أَكَّدَ ذَلِكَ بِآيَاتٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَ هِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى فَكُبِّكِبُوا فِيهَا هُمْ وَ الْغَاوُونَ وَ جُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ قَالُوا وَ هُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكَ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ حِكَايَةَ قَوْلِ الْكُفَّارِ فِي النَّارِ وَ هُمْ التَّابِعُونَ لِلَّذِينَ أَغْوَوْهُمْ مِنَ الشَّيَاطِينِ وَ هُمْ الْمَتَّبِعُونَ لِقَدِّ كُنَّا ضَالِّينَ إِذْ سَوَيْنَاكُمْ بِاللَّهِ تَعَالَى وَ جَعَلْنَاكُمْ مِثْلَهُ وَ وَجْهَ الْحُجَّةِ أَنَّهُ تَعَالَى حَكِي ذَلِكَ حِكَايَةَ مُنْكَرٍ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ شَيْئًا مِنَ الْأَشْيَاءِ يَجُوزُ تَسْوِيَّتَهُ بِالْبَارِي سُبْحَانَهُ فَلَوْ كَانَ الْبَارِي سُبْحَانَهُ جَسْمًا مَصُورًا لَكَانَ مِثَابًا لِسَائِرِ الْأَجْسَامِ الْمَصُورَةِ فَلَمْ يَكُنْ لِإِنْكَارِهِ عَلَى مَنْ سِوَاهِ الْمَخْلُوقَاتِ مَعْنَى . ثُمَّ زَادَ فِي تَأْكِيدِ هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِكَ الْمُشَبَّهُونَ لَكَ نَظِيرًا وَ شَبَّهًا بِهَا بِعَيْنِ الْمَشْبَهَةِ وَ الْمَجْسَمَةِ إِذْ قَالُوا إِنَّكَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ فَشَبَّهُوكَ بِالْأَصْنَامِ الَّتِي -قرآن- ٦٨٢-٨٥٤ [صَفْحَةُ ٤١٥] كَانَتْ الْجَاهِلِيَّةُ تَعْبُدُهَا وَ أَعْطُوكَ حَلِيَّةَ الْمَخْلُوقِينَ لِمَا قَتَضَتْ أَوْهَامُهُمْ ذَلِكَ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَأْلَفُوا أَنَّ يَكُونَ الْقَادِرُ الْفَاعِلُ الْعَالَمِ إِلَّا جَسْمًا وَ جَعَلُوكَ مَرْكَبًا وَ مَتَجَزَّأًا كَمَا تَتَجَزَّأُ الْأَجْسَامُ وَ قَدَّرُوكَ عَلَى هَذِهِ الْخِلْقَةِ يَعْنِي خِلْقَةَ الْبَشَرِ الْمُخْتَلِفَةِ الْقُوَى لِأَنَّهَا مَرْكَبَةٌ مِنْ عُنَاصِرٍ مُخْتَلِفَةِ الطَّبَائِعِ ثُمَّ كَرَّرَ الشَّهَادَةَ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّ مَنْ سَاوَاكَ بِغَيْرِكَ وَ أَثْبَتَ أَنَّكَ جَوْهَرٌ أَوْ جَسْمٌ فَهُوَ عَادِلٌ بِكَ كَافِرٌ وَ قَالَتْ تِلْكَ الْخَارِجِيَّةُ لِلْحِجَابِ أَشْهَدُ أَنَّكَ قَاسِطٌ عَادِلٌ فَلَمْ يَفْهَمْ أَهْلُ الشَّامِ حَوْلَهُ مَا قَالَتْ حَتَّى فَسَّرَهُ لَهُمْ قَالَ عَ فَمَنْ يَذْهَبُ إِلَى هَذَا الْمَذْهَبِ فَهُوَ كَافِرٌ بِالْكِتَابِ وَ بِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ حُجُجُ الْعُقُولِ ثُمَّ قَالَ وَ إِنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ أَيْ وَ أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَمْ تَحْطِ الْعُقُولُ بِكَ كَإِحَاظِهَا بِالْأَشْيَاءِ الْمُتَنَاهِيَةِ فَتَكُونَ ذَا كَيْفِيَّةٍ . وَ قَوْلُهُ فِي مَهَبِّ فِكْرِهَا اسْتِعَارَةٌ حَسَنَةٌ ثُمَّ قَالَ وَ لَا- فِي رَوِيَّاتِ خَوَاطِرِهَا أَيْ فِي أَفْكَارِهَا مَحْدُودًا ذَا حَدٍّ مَصْرَفًا أَيْ قَابِلًا لِلْحُرْكَةِ وَ التَّغْيِيرِ . وَ قَدَّاسْتَدَلَّ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ عَلَى نَفْيِ كَوْنِ الْبَارِي سُبْحَانَهُ جَسْمًا بِمَا هُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ فَقَالَ لَوْ جَازَ أَنْ يَكُونَ الْبَارِي جَسْمًا لَجَازَ أَنْ يَكُونَ الْقَمَرُ هُوَ إِلَهُ الْعَالَمِ لَكِنْ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْقَمَرُ إِلَهُ الْعَالَمِ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْبَارِي جَسْمًا بَيَانُ الْمَلَازِمَةِ أَنَّهُ لَوْ جَازَ أَنْ يَكُونَ الْبَارِي سُبْحَانَهُ جَسْمًا لَمَّا كَانَ بَيْنَ الْإِلَهِيَّةِ وَ بَيْنَ الْجَسْمِيَّةِ مَنَافَاةٌ عَقْلِيَّةٌ وَ إِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا مَنَافَاةٌ عَقْلِيَّةٌ أَمْكَنَ اجْتِمَاعُهُمَا وَ إِذَا أَمْكَنَ اجْتِمَاعُهُمَا جَازَ أَنْ يَكُونَ الْقَمَرُ هُوَ إِلَهُ الْعَالَمِ لِأَنَّهُ لَا مَنَاعَ مِنْ كَوْنِهِ إِلَهُ الْعَالَمِ إِلَّا كَوْنُهُ جَسْمًا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْحُرْكَةُ وَ الْأَفْوَالُ وَ نَقْصَانُ ضَوْئِهِ تَارَةً وَ امْتِلَاؤُهُ أُخْرَى فَإِذَا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مَنَافِيًا لِلْإِلَهِيَّةِ جَازَ أَنْ يَكُونَ الْقَمَرُ إِلَهُ الْعَالَمِ وَ بَيَانُ الثَّانِي إِجْمَاعُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى كُفْرٍ مِنْ أَجَازِ كَوْنِ الْقَمَرِ إِلَهُ الْعَالَمِ وَ إِذَا ثَبَّتَ الْمَلَازِمَةَ وَ ثَبَّتَ الْمَقْدِمَةَ الثَّانِيَةَ فَقَدْ تَمَّتِ الدَّلَالَةُ [صَفْحَةُ ٤١٦] وَ مِنْهَا قَدَّرَ مَا خَلَقَ فَأَحْكَمَ تَقْدِيرَهُ وَ دَبَّرَهُ فَأَلْطَفَ تَدْبِيرَهُ وَ وَجَّهَهُ لِتَوَجُّهِهِ فَلَمْ يَتَّعِدْ حُدُودَ مَنَزَلَتِهِ وَ لَمْ يَقْصُرْ دُونَ الْإِنْتِهَاءِ إِلَى غَايَتِهِ وَ لَمْ

يَسْتَصْعِبُ إِذْ أَمَرَ بِالْمُضِيِّ عَلَى إِرَادَتِهِ فَكَيْفَ وَ إِنَّمَا صَدَرَتْ الْأُمُورُ عَنْ مَشِيئَتِهِ الْمُنَشِئِ أَصْنَافَ الْأَشْيَاءِ بِلَا رُؤْيِهِ فِكْرٍ آلَ إِلَيْهَا وَ لَا قَرِيحَهُ غَرِيزَهُ أَضْمَرَ عَلَيْهَا وَ لَا تَجْرِيئَهُ أَفَادَهَا مِنْ حَوَادِثِ الدَّهْورِ وَ لَا شَرِيكَكَ أَعَانَهُ عَلَى ابْتِدَاعِ عَجَائِبِ الْأُمُورِ فَتَمَّ خَلْقَهُ بِأَمْرِهِ وَ أَدْعَنَ لِطَاعَتِهِ وَ أَجَابَ إِلَى دَعْوَتِهِ لَمْ يَعْتَرِضْ دُونَهُ رَيْثُ الْمُطْبِئِ وَ لَا أَنَاةُ الْمُتَلَكِّي فَأَقَامَ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَوْدَهَا وَ نَهَجَ حُدُودَهَا وَ لَاءَمَ بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ مُتَضَادِّهَا وَ وَصَلَ أَسْبَابَ قَرَائِنِهَا وَ فَرَقَهَا أَجْنَاسًا مُخْتَلِفَاتٍ فِي الحُدُودِ وَ الْأَقْدَارِ وَ الْغَرَائِزِ وَ الْهَيْئَاتِ بَدَايَا خَلَاتِقَ أَحْكَمَ صُنْعَهَا وَ فَطَرَهَا عَلَى مَا أَرَادَ وَ ابْتَدَعَهَا الْوَجْهَهُ بِالْكَسْرِ الْجَهَهُ الَّتِي يَتَوَجَّهَ نَحْوَهَا قَالَ تَعَالَى وَ لِكُلِّ وَجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيُهَا. وَ الرَيْثُ الْبَطْءُ وَ الْمُتَلَكِّي الْمَتَأَخِّرُ وَ الْأَوْدُ الْاِعْوَجَاجُ وَ لَاءَمَ بَيْنَ كَذَا وَ كَذَا أَى جَمَعَ الْقَرَائِنَ هُنَا الْاَنْفُسَ وَاحِدَتَهَا قَرُونَهُ وَ قَرِينَهُ يَقَالُ سَمَحَتْ قَرِينَتَهُ وَ قَرُونَتَهُ أَى أَطَاعَتَهُ نَفْسَهُ وَ ذَلَّتْ وَ تَابَعَتَهُ عَلَى الْأَمْرِ وَ بَدَايَا هَاهُنَا جَمَعَ بَدِيئَهُ - قرآن - ٥١-٨٢ [صفحة ٤١٧] وَ هِيَ الْحَالَةُ الْعَجِيْبَةُ أَبْدَأَ الرَّجُلُ إِذَا جَاءَ بِالْأَمْرِ الْبَدِيئِ أَى الْمَعْجَبِ وَ الْبَدِيئَةُ أَيْضًا الْحَالَةُ الْمَبْتَدَأَةُ الْمَبْتَكِرَةُ وَ مِنْهُ قَوْلُهُمْ فَعَلَهُ بَادِيٌّ ذِي بَدْيٍ عَلَى وَزْنِ فَعِيلٍ أَى أَوَّلِ كُلِّ شَيْءٍ وَ يُمْكِنُ أَنْ يَحْمَلَ كَلَامَهُ أَيْضًا عَلَى هَذَا الْوَجْهِ . وَ أَمَا خَلَاتِقٌ فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَضَافًا بِدَايَا إِلَيْهَا وَ يَجُوزُ إِلا يَكُونَ أَضَافَةً إِلَيْهَا بَلْ جَعَلَهَا بَدَلًا مِنْ أَجْنَاسَا وَ يَرُوى بِرَايَا جَمَعَ بَرِيئَةً يَقُولُ عَ إِنَّهُ تَعَالَى قَدَرَ الْأَشْيَاءَ الَّتِي خَلَقَهَا فَخَلَقَهَا مُحْكَمَةً عَلَى حَسَبِ مَا قَدَرَ وَ أَلْطَفَ تَدْبِيرَهَا أَى جَعَلَهَا لَطِيفًا وَ أَمْضَى الْأُمُورَ إِلَى غَايَاتِهَا وَ حُدُودَهَا الْمَقْدَرَةَ لَهَا فَهِيَ الصَّقْرَةُ لِلْاِصْطِيَادِ وَ الْخَيْلُ لِلرُّكُوبِ وَ الطَّرَادُ وَ السَيْفُ لِلْقَطْعِ وَ الْقَلَمُ لِلْكِتَابَةِ وَ الْفَلَكُ لِلدُّورَانِ وَ نَحْوَ ذَلِكَ وَ فِي هَذَا الْإِشَارَةِ إِلَى قَوْلِ النَّبِيِّ صَ كُلِّ مَيْسِرٍ لِمَا خَلَقَ لَهُ - رَوَايَاتُ - ١-٢- رَوَايَاتُ - ١٧-٣٨ فَلَمْ تَتَعَدَّ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتُ حُدُودَ مَنْزِلَتِهَا الَّتِي جَعَلَتْ غَايَتَهَا وَ لَاقْصُرَتْ دُونَ الْاِنْتِهَاءِ إِلَيْهَا يَقُولُ لَمْ تَقْفَ عَلَى الْغَايَةِ وَ لَا تَجَاوَزْتَهَا ثُمَّ قَالَ وَ لَا اسْتَصْعِبْتَ وَ اِمْتَنَعْتَ إِذَا أَمَرَهَا بِالْمُضِيِّ إِلَى تِلْكَ الْغَايَةِ بِمَقْتَضَى الْاِِرَادَةِ الْاِلهِيَّةِ وَ هَذَا كَلِمَةٌ مِنْ بَابِ الْمَجَازِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. وَ خِلَاصَةُ ذَلِكَ الْاِبَانَةُ عَنْ نَفُوذِ اِِرَادَتِهِ وَ مَشِيئَتِهِ . ثُمَّ عُلِّلَ نَفْيَ الْاِسْتَصْعَابِ فَقَالَ وَ كَيْفَ يَسْتَصْعَبُ وَ إِنَّمَا صَدَرَتْ عَنْ مَشِيئَتِهِ يَقُولُ إِذَا كَانَتْ مَشِيئَتُهُ هِيَ الْمَقْتَضِيَّةُ لَوْجُودِ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ فَكَيْفَ يَسْتَصْعَبُ عَلَيْهِ بَلُوغُهَا إِلَى غَايَاتِهَا الَّتِي جَعَلَتْ لِأَجْلِهَا وَ أَصْلَ وَجُودِهَا إِنَّمَا هُوَ مَشِيئَتُهُ إِذَا كَانَ أَصْلَ وَجُودِهَا بِمَشِيئَتِهِ فَكَيْفَ يَسْتَصْعَبُ عَلَيْهِ تَوْجِيهَهَا لَوْجْهَتِهَا وَ هُوَ فَرْعٌ مِنْ فُرُوعِ وَجُودِهَا وَ تَابَعٌ لَهُ . - قرآن - ٢٥٢-٣٢٤ [صفحة ٤١٨] ثُمَّ أَعَادَ مَعَانِيَ الْقَوْلِ الْأَوَّلِ فَقَالَ إِنَّهُ أَنْشَأَ الْأَشْيَاءَ بَغْيِرِ رُويَةٍ وَ لَافِكْرَةٍ وَ لَاغَرِيزَةٍ أَضْمَرَ عَلَيْهَا خَلْقَ مَا خَلَقَ عَلَيْهَا وَ لَا تَجْرِبَةَ أَفَادَهَا أَى اسْتَفَادَهَا مِنْ حَوَادِثِ مَرَّتْ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ كَمَا تَكْسِبُ التَّجَارِبُ عُلُومًا لَمْ تَكُنْ وَ لِابْتِسَاعَةِ شَرِيكَكَ أَعَانَهُ عَلَيْهَا فَتَمَّ خَلْقَهُ بِأَمْرِهِ إِشَارَةً إِلَى قَوْلِهِ وَ لَمْ يَسْتَصْعَبْ إِذْ أَمَرَ بِالْمُضِيِّ فَلَمَّا أَثْبَتَ هُنَاكَ كَوْنَهَا أَمَرَتْ أَعَادَ لَفْظَ الْأَمْرِ هَاهُنَا وَ الْكُلُّ مَجَازٌ وَ مَعْنَاهُ نَفُوذُ اِِرَادَتِهِ وَ أَنَّهُ إِذَا شَاءَ أَمَرَ اسْتِحَالَ الْأَيُّقُوعُ وَ هَذَا الْمَجَازُ هُوَ الْمَجَازُ الْمُسْتَعْمَلُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى إِِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ تَعْبِيرًا بِهَذَا اللَّفْظِ عَنْ سُرْعَةِ مَوَاتَاةِ الْأُمُورِ لَهُ وَ اِنْقِيَادِهَا تَحْتَ قُدْرَتِهِ . ثُمَّ قَالَ لَيْسَ كَالْوَاحِدِ مَنْ يَعْتَرِضُ دُونَ مَرَادِهِ رَيْثُ وَ بَطْءُ وَ تَأَخِيرُ وَ التَّوَاءُ ثُمَّ قَالَ وَ أَقَامَ الْعُوجَ وَ أَوَضَحَ الطَّرِيقَ وَ جَمَعَ بَيْنَ الْأُمُورِ الْمُتَضَادَّةِ أَلَا تَرَى أَنَّهُ جَمَعَ فِي بَدَنِ الْحَيَوَانَاتِ وَ النَّبَاتِ بَيْنَ الْكَيْفِيَّاتِ الْمُتَبَايِنَةِ الْمُتَنَافِرَةِ مِنَ الْحَرَارَةِ وَ الْبُرُودَةِ وَ الرُّطُوبَةِ وَ الْيَبُوسَةِ وَ وَصَلَ أَسْبَابَ أَنْفُسِهَا بِتَعْدِيلِ اِمْتِزَاجِهَا لِأَنَّ اِعْتِدَالَ الْمِزَاجِ أَوَّلَ الْقُرْبِ مِنَ الْاِعْتِدَالِ سَبَبُ بَقَاءِ الرُّوحِ وَ فَرَقَهَا أَجْنَاسًا مُخْتَلِفَاتٍ الْحُدُودِ وَ الْأَقْدَارِ وَ الْخَلْقِ وَ الْاِخْلَاقِ وَ الْأَشْكَالِ أُمُورَ عَجِيْبَةً بَدِيئَةً مَبْتَكِرَةً الصَّنْعَةَ غَيْرَ مَحْتَدٍ بِهَا حَذُو صَانِعِ سَابِقِ بَلْ مَخْلُوقَةٌ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ قَدْ أَحْكَمَ سُبْحَانَهُ صُنْعَهَا وَ خَلَقَهَا عَلَى مُوجِبِ مَا أَرَادَ وَ أَخْرَجَهَا مِنَ الْعَدَمِ الْمَحْضِ إِلَى الْوُجُودِ وَ هُوَ مَعْنَى الْاِبْتِدَاعِ فَإِنَّ الْخَلْقَ فِي الْاِصْطِلَاحِ النَّظْرِيُّ عَلَى قَسْمَيْنِ أَحَدُهُمَا صُورَةٌ تَخْلُقُ فِي مَادَّةٍ وَ الثَّانِي مَا لِاِمَادَةٍ لَهُ بَلْ يَكُونُ وَجُودَ الثَّانِي مِنَ الْأَوَّلِ فَقَطْ مِنْ غَيْرِ تَوْسُطِ الْمَادَّةِ فَالْأَوَّلُ يُسَمَّى التَّكْوِينُ وَ الثَّانِي يُسَمَّى الْاِبْتِدَاعُ وَ مَرْتَبَةُ الْاِبْتِدَاعِ أَعْلَى مِنْ مَرْتَبَةِ التَّكْوِينِ - قرآن - ٤٦٢-٥٢٥ [صفحة ٤١٩] وَ مِنْهَا فِي صِفَةِ السَّمَاءِ وَ نَظْمٌ بِلَا تَعْلِيْقٍ رَهَوَاتٍ فُرَجِّحَهَا وَ لِمَا حَمَّ صُدُوعَ اِنْفِرَاجِهَا وَ وَشَّجَ بَيْنَهَا وَ بَيْنَ أَرْوَاجِهَا وَ ذَلَّلَ لِلْهَابِطِينَ بِأَمْرِهِ وَ الصَّاعِدِينَ بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ حُزُونَةً مِعْرَاجِهَا وَ نَادَاهَا بَعْدَ إِذْ هِيَ دُخَانٌ فَالْتَحَمَتْ عُرَى أَشْرَاجِهَا وَ فَتَقَّ بَعْدَ الْاِرْتِنَاقِ صَوَامِتَ أَبْوَابِهَا وَ أَقَامَ رَصْدًا مِنَ الشُّهْبِ الثَّوَابِقِ عَلَى نِقَابِهَا وَ

أَمْسِيَكَهَا مِنْ أَنْ تُمُورَ فِي خَرَقِ الْهَوَاءِ بِأَيْدِهِ وَ أَمْرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ وَ جَعَلَ شَمْسِيَهَا آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا وَ قَمَرَهَا آيَةً مَمْحُورَةً مِنْ لَيْلِهَا وَ أَجْرَاهُمَا فِي مَنَاقِلِ مَجْرَاهُمَا وَ قَدَّرَ سَيْرَهُمَا فِي مَدَارِجِ دَرَجِهِمَا لِيُمَيِّزَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ بِهِمَا وَ لِيَعْلَمَ عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِصَابِ بِمَقَادِيرِهِمَا ثُمَّ عَلَّقَ فِي جَوْهَرِهَا فَلَكَهَا وَ نَاطَ بِهَا زِينَتَهَا مِنْ خَفِيَّاتِ دَرَارِيِّهَا وَ مَصَابِيحِ كَوَاكِبِهَا وَ رَمَى مُسْتَرْقِي السَّمْعِ بِثَوَاقِبِ شُهْبِهَا وَ أَجْرَاهَا عَلَى أَذْلالِ تَسْخِيرِهَا مِنْ ثَبَاتِ ثَابِتِهَا وَ مَسِيرِ سَائِرِهَا وَ هُبُوطِهَا وَ صُجُودِهَا وَ نُحُوسِهَا وَ سُجُودِهَا الرَّهَوَاتِ جَمْعَ رَهْوَةٍ وَ هِيَ الْمَكَانُ الْمُرْتَفِعُ وَالْمُنخَفُضُ أَيْضًا يَجْتَمِعُ فِيهِ مَاءُ الْمَطَرِ وَ هُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ وَالْفَرْجُ جَمْعُ فَرْجَةٍ وَ هِيَ الْمَكَانُ الْخَالِي وَ لَاحِمُ الْأَصْقِ وَالصَّدْعُ الشَّقُّ وَوَشَجٌ بِالتَّشْدِيدِ أَيْ شَبَكٌ وَوَشَجَتِ الْعُرُوقُ وَالْأَغْصَانُ بِالتَّخْفِيفِ اشْتَبَكَتْ وَبَيْنَا رَحِمٌ وَاشْجَةٌ أَيْ مُشْتَبِكَةٌ. وَأَزْوَاجُهَا أَقْرَانُهَا وَأَشْبَاهُهَا قَالَ تَعَالَى وَ كُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً أَيْ أَصْنَافًا ثَلَاثَةً. -قرآن- ٢٩٢-٣١٨ [صفحة ٤٢٠] والحزونة ضد السهولة وأشراجها جمع شرح و هو عرا العيبة وأشرجت العيبة أى أفضت أشراجها وتسمى مجرة السماء شرحا تشبيها بشرج العيبة وأشراج الوادى ما انفسح منه واتسع . والارتقاق الارتجاج والنقاب جمع نقب و هو الطريق فى الجبل وتمور تتحرك وتذهب وتجىء قال تعالى يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا والأيد القوة وناط بهاعلق والدرارى الكواكب المضيئة نسبت إلى الدر لبياضها واحدا درى ويجوز كسر الدال مثل بحر لجى ولجى. والثواقب المضيئات وتقول افعل ماأمرتك على أذلاله أى على وجهه ودعه فى أذلاله أى على حاله وأمور الله جارية على أذلالها أى على مجاريها وطرقها. يقول ع كانت السماء أول ماخلقت غيرمنتظمة الأجزاء بل بعضها أرفع وبعضها أخفض فنظمها سبحانه فجعلها بسيطا واحدا نظما اقتضته القدرة الإلهية من غير تعليق أى لا- كماينظم الإنسان ثوبا مع ثوب أو عقدا مع عقد بال تعليق والخياطة وألصق تلك الفروج والشقوق فجعلها جسما متصلا وسطحا أملس لانتوات فيه و لافرج و لاصدوع بل جعل كل جزء منها ملتصقا بمثله وذل للملائكة الهابطين بأمره والصاعدين بأعمال خلقه لأنهم الكتبة الحافظون لها حزونة العروج إليها و هوالصعود. ثم قال وناداهما بعدإذ هى روى بإضافه بعد إلى إذ وروى بضم بعد أى وناداهما بعد ذلك إذ هى دخان والأول أحسن وأصوب لأنها على الضم تكون دخانا بعدنظمه رهوات فروجها وملاحمة صدوعها والحال تقتضى أن دخانها قبل ذلك لابعده . -قرآن- ٢٧١-٢٩٩ [صفحة ٤٢١] فإن قلت ما هذا النداء قلت هو قوله ائتيا طوعاً أو كرها فهو أمر فى اللفظ ونداء فى المعنى و هو على الحقيقة كناية عن سرعة الإبداع ثم قال وفق بعدالارتقاق صوامت أبوابها هذاصريح فى أن للسماء أبوابا وكذلك قوله على نقابها و هو مطابق لقوله سبحانه و تعالى لا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ وكلام هذاالإمام المعظم أولى بالاتباع من كلام الفلاسفة الذين أحالوا الخرق على الفلك و أما إقامة الرصد من الشهب الثواقب فهو نص القرآن العزيز وَ أَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَمَاتٍ حَرَسًا شَدِيدًا وَ شُهْبًا وَ أَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصِيدًا والقول بإحراق الشهب للشياطين اتباعا لنص الكتاب أولى من قول الفلاسفة الذين أحالوا الانقراض على الكواكب . ثم قال وأمسكها على الحركة بقوته وأمرها بالوقوف فاستمسكت ووقفت ثم ذكره الشمس والقمر تذكرة مأخوذ من قول الله تعالى وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ آيَاتِينَ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَ جَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً. ثم ذكر الحكم فى جريان الشمس والقمر فى مجراهما تذكرة مأخوذ من قوله تعالى وَ الشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا وَ قَوْلُهُ وَ الْقَمَرُ قَدَرْنَا مَنَازِلَ وَ قَوْلُهُ وَ لَتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسَابِ. -قرآن- ٣٨-٦١-قرآن- ٢٦٧-٣٠٠-قرآن- ٤٦٩-٦٣٨-قرآن- ٨٧٧-٩٧٦-قرآن- ١٠٥٦-١٠٩٠-قرآن- ١٠٩٩-١١٢٨-قرآن- ١١٣٧-١١٧٩ [صفحة ٤٢٢] ثم قال ثم علق فى جوها فلكها و هذا يقتضى أن الفلك غيرالسماء و هوخلاف قول الجمهور و قد قال به قائلون ويمكن أن نفسر ذلك إذا أردنا موافقة قول الجمهور بأنه أراد بالفلك دائرة معدل النهار فإنها الدائرة العظمى فى الفلك الأعظم وهى فى الاصطلاح النظرى تسمى فلكا. ثم ذكر أنه زين السماء الدنيا بالكواكب وأنها رجوم لمسترقى السمع و هو مأخوذ من قوله تعالى إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ وَ حِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَ يُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُخُورًا وَ لَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ. ثم شرح حال الدنيا فقال من

ثبات ثابتها يعنى الكواكب التى فى كرة البروج ومسير سائرها يعنى الخمسة والنيرين لأنها سائرة دائما. ثم قال وصعودها وهبوطها وذلك أن للكواكب السيارة صعودا فى الأوج وهبوطا فى الحضيض فالأول هو البعد الأبعد عن المركز والثانى البعد الأقرب . فإن قلت ما باله ع قال ونحوسها وسعودها وهو القائل لمن أشار عليه ألا يحارب فى يوم مخصوص المنجم كالكاهن والكاهن كالساحر والساحر كالكاfer والكافر فى النار. قلت إنه ع إنما أنكر فى ذلك القول على من يزعم أن النجوم مؤثرة فى الأمور الجزئية كالذين يحكمون لأرباب المواليد وعليهم وكن يحكم فى حرب أو سلم أو سفر أو مقام بأنه للسعد أو النحس وأنه لم ينكر على من قال إن النجوم تؤثر صعودا ونحوسا فى الأمور الكلية نحو أن تقتضى حرا أو بردا أو تدل على مرض عام -قرآن- ٣٦٨-٥٥٢ [صفحة ٤٢٣] أوقحط عام أو مطر دائم ونحو ذلك من الأمور التى لاتخص إنسانا بعينه وقد قدمنا فى ذلك الفصل ما يدل على تصويب هذا الرأى وإفساد ما عاده و منها فى صفة الملائكة ثم خلق سبحانه لإسكان سماءاته و عمارة الصفيح الأعلى من ملكوته خلقا يديعا من ملائكته وملأ بهم فروج فجاجها وحشى بهم فتوق أجوائها وبين فحوات تلك الفروج زجل المسبحين منهم فى حظائر القدس و شترات الحجب و سرادقات المجد و وراء ذلك الرجيج الذى تستك منه الأسماع سبحات نور تردع الأبصار عن بلوغها فتقف حاسنة على حدودها. و أنشأهم على صور مختلفات و أقدار متفاوتة أولى أجنحة تسبح جلال عزته لما ينتحلون ما ظهر فى الخلق من صنعه و لا يدعون أنهم يخلقون شيئا معه مما انفرد بهل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون نجعلهم الله فيما هنالك أهل الأمانة على وحيه و حملهم إلى المرسلين و ذائع أمره و نهيه و عصيهم من ريب الشبهات فما منهم زائغ عن سبيل مرضاته و أمدهم بفوائد المعونة و أشعر قلوبهم تواضع إجابات السكينة و فتح لهم أبوابا دلا إلى تماجيده و نصب لهم منارا واضحة على أعلام توحيده لم تثقلهم مؤصرات الآثام و لم ترتحلهم عقب الليالى و الأيام و لم ترم الشكوك بنوازعها عزيمة إيمانهم و لم تعترك الظنون على معاهد يقينهم و لا قدحت قاذحة الإحن فيما بينهم و لا سلبتهم الحيرة ما لاق من معرفته بصمائرهم و ما سكن من عظمتيه -قرآن- ٧٤٦-٨٢٠ [صفحة ٤٢٤] و هيبه جلاله فى أثناء صدورهم و لم تطمع فيهم الوسيسوس فتتسع برينها على فكرهم و منهم من هو فى خلق الغمام الدلح و فى عظم الجبال الشمخ و فى فترة الظلام الأيهم و منهم من قد خرقت أقدامهم تحوم الأرض السيفلى فهى كرايات بيض قد نفذت فى مخارق الهواء و تحتها ريح هفافة تحبسها على حيث انتهت من الحدود المتناهيه قد استفرغتهم أشغال عبادته و وصلت حقائق الإيمان بينهم و بين معرفته و قطعهم الإيقان به إلى الوله إليه و لم تجاوز رغباتهم ما عنده إلى ما عند غيره قد ذاقوا حلاوة معرفته و شربوا بالكأس الزوية من محبته و تمكنت من سويداوات قلوبهم و شيجه خيفته فحنوا بطول الطاعيه اعتدال ظهورهم و لم ينفد طول الرغبه إليه مادة تصرعهم و لا أطلق عنهم عظيم الزلفه ربق خشوعهم و لم يتوهم الإعجاب فيستكثروا ما سلف منهم و لا تركت لهم استكانة الإجلال نصيبا فى تعظيم حسنانهم و لم تجر الفترات فيهم على طول دءوهم و لم تغض رغباتهم فيخالقوا عن رجاء ربهم و لم تجف لطول المناجاة أسلمات ألسنتهم و لا ملكتهم الأشغال فتقطع بهمس الجوار إليه أصواتهم و لم تختلف فى مقاوم الطاعيه مناكبهم و لم يشوا إلى راحه التقصير فى أمره رقابهم. و لا تعدو على عزيمة جدهم بلادة الغفلات و لا تنتضل فى همهم خدائع الشهوات قد اتخذوا ذا العرش ذخيرة ليوم فاقبتهم و يئموه عند انقطاع الخلق إلى المخلوقين برغبتهم لا يقطعون أمد غايه عبادته و لا يرجع بهم الاستهتار [صفحة ٤٢٥] بلزوم طاعته إلا إلى مواد من قلوبهم غير منقطع من رجائه و مخافته لم تنقطع أسباب الشفقة منهم فينوا فى جدهم و لم تأسرهم الأطماع فيؤثروا وشيك السعى على اجتهدهم لم يستعظموا ما مضى من أعمالهم و لو استعظموا ذلك لنسخ الرجاء منهم شفقات وجلهم و لم يختلفوا فى ربهم باستحواذ الشيطان عليهم و لم يفرقهم سوء التقاطع و لما تولاهم غل التحاسيد و لا تشعبتهم مصارف الزيب و لا اقتسمتهم أحياف الهمم فهم أسراء إيمان لم يفكهم من ربقتهم زيب و لا عدول و لا ونى و لا فتور و ليس فى أطباق السماء موضع إهاب إلا و عليه ملك ساجد أو ساع حافد يزدادون على طول الطاعيه برهم علما و تزداد عزة ربهم

فى قلوبهم عظاماً هذا موضع المثل إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل إذا جاء هذا الكلام الربانى واللفظ القدسى بطلت فصاحة العرب وكانت نسبة الفصيح من كلامها إليه نسبة التراب إلى النضار الخالص و لو فرضنا أن العرب تقدر على الألفاظ الفصيحة المناسبة أو المقاربة لهذه الألفاظ من أين لهم المادة التى عبرت هذه الألفاظ عنها و من أين تعرف الجاهلية بل الصحابة المعاصرون لرسول الله ص هذه المعانى الغامضة السمائية ليتها لها التعبير عنها أما الجاهلية فإنهم إنما كانت تظهر فصاحتهم فى صفة بعير أوفرس أو حمار وحش أو ثور فلاة أو صفة جبال أو فلوات ونحو ذلك و أما الصحابة [صفحہ ۴۲۶] فالمدكورون منهم بفصاحة إنما كان منتهى فصاحة أحدهم كلمات لا تتجاوز السطرين أو الثلاثة أما فى موعظة تتضمن ذكر الموت أو ذم الدنيا أو يتعلق بحرب وقتال من ترغيب أو ترهيب فأما الكلام فى الملائكة وصفاتها وصورها وعباداتها وتسييحها ومعرفتها بخالقها وحبها له وولها إليه و ما جرى مجرى ذلك مما تضمنه هذا الفصل على طوله فإنه لم يكن معروفًا عندهم على هذا التفصيل نعم ربما علموه جملة غير مقسمة هذا التقسيم و لا مرتبة هذا الترتيب بما سمعوه من ذكر الملائكة فى القرآن العظيم و أما من عنده علم من هذه المادة كعبد الله بن سلام و أمية بن أبى الصلت وغيرهم فلم تكن لهم هذه العبارة و لا قدروا على هذه الفصاحة فثبت أن هذه الأمور الدقيقة فى مثل هذه العبارة الفصيحة لم تحصل إلا لعلو وحده و أقسم أن هذا الكلام إذا تأمله اللبيب اقشعر جلده و رجف قلبه و استشعر عظمة الله العظيم فى روعه و خلدته و هام نحوه و غلب الوجد عليه و كاد أن يخرج من مسكه شوقاً و أن يفارق هيكله صباة و وجدًا. ثم نعود إلى التفسير فنقول الصفيح الأعلى سطح الفلك الأعظم و يقال لوجه كل شىء عريض صفيح و صفحة. و الفروج الأماكن الخالية و الفجاج جمع فج و الفج الطريق الواسع بين جبلين أو حائطين و أجوائها جمع جو و هو ما اتسع من الأودية و يقال لما بين السماء و الأرض جو و يروى أجوائها جمع جوب و هى الفرجة فى السحاب وغيره و يروى أجواها جمع جوز و هو وسط الشىء و الفجوات جمع فجوة و هى الفرجة بين الشيتين تقول منه تفاجى الشىء إذا صار له فجوة و منه الفجاء و هو تباعد ما بين عرقوبى البعير. و الزجل الصوت و حظائر القدس لفظة و ردت فى كلام رسول الله ص و أصل الحظيرة ما يعمل شبه البيت للإبل من الشجر ليقبها البرد فسمى [صفحہ ۴۲۷] ع تلك المواطن الشريفة المقدسة العالية التى فوق الفلك حظائر القدس و القدس بتسكين الدال و ضمها الطهر و التقديس و تطهير و تقديس تطهر و الأرض المقدسة المطهرة و بيت المقدس أيضا و النسبة إليه قدسى و مقدسى و السترات جمع سترة و الرجيج الزلزلة و الاضطراب و منه ارتج البحر و تستك الأسماع تنسد قال النابغة و نبئت خير الناس أنك لمتنى || و تلك التى تستك منها المسامع. سبحات النور بضم السين و الباء عبارة عن جلاله الله تعالى و عظمته و تردع الأبصار تكفها و خاسئته أى سادته و منه يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَ هُوَ حَسِيْرٌ وَ خَسَا بَصْرُهُ خَسَا وَ خَسُوْا أَيْ سَدَرُوا. و قوله على حدودها أى تقف حيث تنتهى قوتها لأن قوتها متناهية فإذا بلغت حدها و قفت و قوله أولى أجنحة من الألفاظ القرآنية. و قوله لا ينتحلون ما ظهر فى الخلق من صنعه أى لا يدعون الإلهية لأنفسهم و إن كان قوم من البشر يدعونها لهم و قوله لا يدعون أنهم يخلقون شيئًا معه مما انفرد به فيه إشارة إلى مذهب أصحابنا فى أن أفعال العباد مخلوقة لهم لأن فائدة هذا القيد و هو قوله انفرد به إنما تظهر بذلك. و أما الآيات المقدسة فالرواية المشهورة مُكْرَمُونَ و قرئ مكرمون بالتحديد و قرئ لا يسبقونه بالضم و المشهور القراءة بالكسر و المعنى أنهم يتبعون قوله و لا يقولون شيئًا حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله و أراد أن يقول لا يسبقونه بقولهم فحذف الضمير المضاف إليه و أناب اللام منابه. - قرآن- ۱۱۳- ۱۶۱- قرآن- ۶۳۹- ۶۴۸ [صفحہ ۴۲۸] ثم قال وهم بأمره يعملون أى كما أن قولهم تابع لقوله فعلمهم أيضا كذلك فرع على أمره لا يعملون عملا ما لم يؤمروا به وجاء فى الخبر المرفوع عن رسول الله ص أنه رأى جبرائيل ليلة المعراج ساقطًا كالحلس من خشية الله -روایت- ۱- ۲-روایت- ۴۵- ۱۰۶ و الحلس الكساء الخفيف. و الزائغ العادل عن الطريق و الإخبات التذلل و الاستكانة و أبوابا ذللا أى سهلة و طيئة و منه دابة ذلول و تماجيده الشاء عليه بالمجد و المؤصرات المثقلات و الإصر الثقل. و تقول ارتحلت البعير أى ركبته و العقبه النوبة و الجمع عقب و معنى قوله و لم

ترتلهم عقب الليالى والأيام أى لم تؤثر فيهم نوبات الليالى والأيام وكرورها كما يؤثر ارتحال الإنسان البعير فى ظهره ونوازعها شهواتها النازعة المحركة وروى نوازعها بالغبين المعجمه من نزع بينهم أى أفسد. و لم تعترك الظنون أى لم تزدحم الظنون على يقينهم الذى عقدوه . والإحن جمع إحنه وهى الحقد يقول لم تقدر قوادح الحقد فى ضمائرهم . و ملاق أى ماالتصق وأثناء صدورهم جمع ثنى وهى التضاعيف والرین الدنس والغلبه قال تعالى كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ. وتقرع من الاقتراع بالسهام بأن يتناوب كل من الوسواس عليها ويروى فيفتزع بالفاء أى تعلق برينها فرعه أى علاه . والغمام جمع غمامه وهى السحابة والدلح الثقال جاء يدلح بجمله أى جاء مثقلا به والجبال الشمخ العالیه الشاهقه. و قوله فى فترة الظلام أى سواده والأيهم لا يهتدى فيه و منه -قرآن- ٧١٤-٧٤٣ [صفحه ٤٢٩] فلاة يهماء والتخوم بضم التاء جمع تخم و هو منتهى الأرض أو القرية مثل فلس وفلوس ويروى تخوم بفتح التاء على أنها واحد والجمع تخم مثل صبور وصبر. وريح هفافة أى ساكنة طيبة يقول كان أقدامهم التى خرقت الهواء إلى حضيض الأرض رايات بيض تحتها ريح ساكنة ليست مضطربة فتموج تلك الرايات بل هى ساكنة تحبسها حيث انتهت وجاء فى الخبر أن لإسرافيل جناحين أحدهما فى أقصى المشرق والآخر فى أقصى المغرب و أن العرش على كاهله و أنه ليتضاءل أحيانا لعظمة الله حتى يعود مثل الوضع و هو العصفور -رواية- ١-٢-رواية- ١٧-١٧٧. ثم قال قداستفرغتهم أشغال عبادته تعالى أى جعلتهم فارغين لإمنها ويروى ووسلت حقائق الإيمان بالسبين المشددة يقال وسل فلان إلى ربه وسيلة والوسيلة مايتقرب به والجمع وسيل ووسائل ويقال وسلت إليه وتوسلت إليه بمعنى . وسويداوات القلوب جمع سويداء وهى حبة القلب والشيجة فى الأصل عرق الشجرة وهى هنا استعارة وحنيت ضلعي أى عوجتها والريق جمع ربة وهى الحبل . قوله و لم يتولهم الإعجاب أى لم يستول عليهم والدءوب الجدد والاجتهاد والأسلات جمع أسله وهى طرف اللسان ومستدقه والجوار الصوت المرتفع والهمس الصوت الخفى يقول ليست لهم أشغال خارجة عن العبادة فيكون لأجلها أصواتهم المرتفعة خافية ساكنة لاتعدو من عدا عليه إذقهره وظلمه و هوها هنا استعارة. و لاتنتضل الخدائع فى هممهم استعارة أيضا من النضال و هو المراماة بالسهم وذو العرش هو الله تعالى و هذه لفظه قرآنية قال سبحانه إِذَا لَابَتَّغُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ الْقَرْنِ -قرآن- ٨٢٢-٨٥٥. ثم قال قداستفرغتهم أشغال عبادته تعالى أى جعلتهم فارغين لإمنها ويروى ووسلت حقائق الإيمان بالسبين المشددة يقال وسل فلان إلى ربه وسيلة والوسيلة مايتقرب به والجمع وسيل ووسائل ويقال وسلت إليه وتوسلت إليه بمعنى . وسويداوات القلوب جمع سويداء وهى حبة القلب والشيجة فى الأصل عرق الشجرة وهى هنا استعارة وحنيت ضلعي أى عوجتها والريق جمع ربة وهى الحبل . قوله و لم يتولهم الإعجاب أى لم يستول عليهم والدءوب الجدد والاجتهاد والأسلات جمع أسله وهى طرف اللسان ومستدقه والجوار الصوت المرتفع والهمس الصوت الخفى يقول ليست لهم أشغال خارجة عن العبادة فيكون لأجلها أصواتهم المرتفعة خافية ساكنة لاتعدو من عدا عليه إذقهره وظلمه و هوها هنا استعارة. و لاتنتضل الخدائع فى هممهم استعارة أيضا من النضال و هو المراماة بالسهم وذو العرش هو الله تعالى و هذه لفظه قرآنية قال سبحانه إِذَا لَابَتَّغُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا يعنى لابتغوا إلى الله تعالى سبيلا و قال تعالى ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَلَّ لِمَا يُرِيدُ والاستهتار مصدر استهتر فلان بكذا أى لازمه وأولع به . و قوله فينوا أى فيضعفوا ونى بنى والجد الاجتهاد والانكماش . ثم قال إنهم لا يستعظمون عبادتهم و لو أن أحدا منهم استعظم عبادته لأذهب خوفه رجاء الذى يتولد من استعظام تلك العبادة يصفهم بعظم التقوى . والاستحواذ الغلبة والغل الحقد وتشعبتهم تقسمتهم وفرقتهم و منه قيل للمنية شعوب أى مفرقة وأخيف الهمم أى الهمم المختلفة وأصله من الخيف و هو كحل إحدى العينين دون الأخرى و منه المثل الناس أخيف أى مختلفون والإهاب الجلد والحافد المسرع و منه الدعاء اللهم إليك نسعى ونحفد. واعلم أنه ع إنما كرر وأكد صفاتهم بما وصفهم به ليكون ذلك مثلا يحتذى عليه أهل العرفان من البشر فإن أعلى درجات البشر أن يتشبه بالملك وخلاصة ذلك أمور. منها العبادة القائمة. ومنها ألا يدعى أحد لنفسه الحول والقوة بل لاحول و لا قوة. ومنها أن

يكون متواضعا ذا سكينه ووقار. ومنها أن يكون ذا يقين لا تقدر فيه الشكوك والشبهات . ومنها ألا يكون في صدره إحنة على أحد من الناس . ومنها شدة التعظيم والهيبة لخالق الخلق تبارك اسمه . ومنها أن تستفرغه أشغال العبادة له عن غيرها من الأشغال . -قرآن- ١-٩-قرآن- ٦٠-١٠١ [صفحہ ٤٣١] ومنها أنه لا تتجاوز رغبته مما عند الله تعالى إلى ما عنده غيره سبحانه . ومنها أن يعقد ضميره وقلبه على محبة الله تعالى ويشرب بالكأس الروية من حبه . ومنها عظم التقوى بحيث يأمن كل شئ عدا الله و لا يهاب أحدا إلا الله . ومنها الخشوع والخضوع والإخبت والذل لجلال عزته سبحانه . ومنها ألا يستكثر الطاعة والعمل وإن جل وعظم . ومنها عظم الرجاء الواقع في مقابلة عظم الخوف فإن الله تعالى يحب أن يرجى كما يحب أن يخاف

أبحاث تتعلق بالملائكة

واعلم أنه يجب أن تعلم أبحاث متعددة تتعلق بالملائكة ويقصد فيها قصد حكاية المذهب خاصة ونكل الاحتجاج والنظر إلى ما هو مذکور في كتبنا الكلامية. البحث الأول في وجود الملائكة قال قوم من الباطنية السبيل إلى إثبات الملائكة هو الحس والمشاهدة و ذلك أن الملائكة عندهم أهل الباطن . وقالت الفلاسفة هي العقول المفارقة وهي جواهر مجردة عن المادة لاتعلق لها بالأجسام تدييرا واحترزوا بذلك عن النفوس لأنها جواهر مفارقة إلا أنها تدبر الأبدان وزعموا أنهم أثبتوها نظرا. وقال أصحابنا المتكلمون الطريق إلى إثبات الملائكة الخبر الصادق المدلول على صدقه و في المتكلمين من زعم أنه أثبت الملائكة بطريق نظري و هو أنه لما وجد خلقا من طين وجب في العقل أن يكون في المخلوقات خلق من الهواء وخلق من النار فالمخلوق من الهواء هو الملك والمخلوق من النار الشيطان . [صفحہ ٤٣٢] البحث الثاني في بنية الملائكة وهيئة تركيبهم قال أصحابنا المتكلمون أن الملائكة أجسام لطاف وليسوا من لحم ودم وعظام كما خلق البشر من هذه الأشياء وقال أبو حفص المعود القرينسي من أصحابنا إن الملائكة من أجسام من لحم وعظم إنه لافرق بينهم وبين البشر وإنما لم يروا لبعده المسافة بيننا وبينهم . وقد تبعه على هذا القول جماعة من معتزلة ما وراء النهر وهي مقالة ضعيفة لأن القرآن يشهد بخلافه في قوله وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ وقوله إِذِ تَلَقَى الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ فَلَوْ كَانُوا أَجْسَامًا كَثِيفَةً كَأَجْسَامِنَا لرأيناهم . البحث الثالث في تكليف الملائكة حكى عن قوم من الحشوية أنهم يقولون إن الملائكة مضطرون الله جميع أفعالهم وليسوا مكلفين . وقال جمهور أهل النظر إنهم مكلفون . وحكى عن أبي إسحاق النظام إنه قال إن قوما من المعتزلة قالوا إنهم جبلوا على الطاعة لمخالفة خلقهم خلقه المكلفين وأنهم قالوا لو كانوا مكلفين لم يؤمن أن يعصوا فيما أمروا به وقد قال تعالى لا يعصون الله ما أمرهم ولا يعصون ما يفتنون . وقال قوم إن أكثر الملائكة مكلفون وإن فيهم من ليس بمكلف بل هو مسخر للملائكة المكلفين كما أن الحيوانات ما هو غير مكلف بل هو مسخر للبشر ومخلوق لمصالحهم . قالوا ولا ننكر أن يكون الملائكة الذين ذكر منهم أنهم غلظ الأجسام وعظم الخلق والتركيب بحيث تبلغ أقدامهم إلى قرار الأرض قد جعلوا عمدا للسماوات والأرض فهم -قرآن- ٤١١-٤٤١-قرآن- ٤٥٠-٥١٧-قرآن- ٩٢١-٩٧٩ [صفحہ ٤٣٣] يحملونها بمنزلة الأساطين التي تحمل السقوف العالية و لم يرشحوها لأمر من الأمور سوى ذلك . البحث الرابع فيما يجوز من الملائكة و ما لا يجوز قال شيخنا أبو القاسم حكى أبو الحسن الخياط عن قدماء المعتزلة أنه لا يجوز أن يعصى أحد من الملائكة و لم يذكر عنهم علة في ذلك . وقال قوم إنهم لا يعصون ولا يجوز أن يعصوا لأنهم غير مطيقين الشهوة والغضب فلا داعي لهم إلى المعصية والفاعل لا يفعل إلا بداع إلى الفعل . وقال قوم إنهم لا يعصون لأنهم يشاهدون من عجائب صنع الله وآثار هيئته ما يبهتهم عن فعل المعصية والقصد إليها وكذلك قال تعالى وَ هُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ . وقال قوم إنما لم يجر أن يعصوا لأن الله تعالى أخبر عنهم أنهم لا يعصون ولا ينكر مع ذلك أن يكون

منهم من يتغير حاله ويتبدل بها حاله أخرى ويعصى على ماورد من خبر الملكين ببايل وخبر إبليس وإنما يسلب عنهم المعصية ماداموا على حالهم التي هي عليها. وقال شيوخنا أصحاب أبي هاشم رحمه الله تعالى إن المعصية تجوز عليهم كما تجوز علينا إلا أن الله تعالى علم أن لهم الطافا يمتنعون معها من القبيح لفعالها فامتنعوا من فعل القبيح اختيارا فكانت حالهم كحال الأنبياء من البشر يقدرون على المعصية ولا يفعلونها -قرآن- ٥٤٤-٥٧٤ [صفحة ٤٣٤] اختيارا من أنفسهم باعتبار الألفاظ المفعولة لهم و لو كان لإبليس أو فرعون أو نمrod أطفاف يعلم الله تعالى إذا فعلها فعلوا الواجب و امتنعوا من فعل القبيح لفعالها بهم ولكنوا معصومين كالأنبياء والملائكة لكنه تعالى علم أنهم لا يؤمنون و لو فعل مهما فعل فللطف في المعلوم و هذا عندهم حكم عام لجميع المكلفين من الإنس والجن والملائكة. البحث الخامس في أن أى القليلين أفضل الملائكة أو الأنبياء قال أصحابنا نوع الملائكة أفضل من نوع البشر والملائكة المقربون أفضل من نوع الأنبياء و ليس كل ملك عند الإطلاق أفضل من محمد ص بل بعض المقربين أفضل منه و هو أفضل من ملائكة أخرى غير الأولين والمراد بالأفضل الأكثر ثوابا وكذلك القول في موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء و الذى يحكيه قوم من أرباب المقالات أن المعتزلة قالوا إن أدنى ملك في السماء أفضل من محمد ص ليس بصحيح عنهم . و قال أهل الحديث والأشعرية أن الأنبياء أفضل من الملائكة. و قال الشيعة الأنبياء أفضل من الملائكة والأئمة أفضل من الملائكة. و قال قوم منهم و من الحشوية إن المؤمنين أفضل من الملائكة. البحث السادس في قدم الملائكة وحدوثهم أما الفلاسفة القائلون بأنهم العقول المفارقة فإنهم يذهبون إلى قدم الملائكة. و قال غيرهم من أهل الملل إنهم محدثون . و قال قوم من متأخري الحكماء إن نفوس البشر إذا فارقت الأبدان بالموت بقيت قائمة بأنفسها غير مدبرة لشيء من الأبدان فإن كانت خيرة سالحة فهي الملائكة [صفحة ٤٣٥] و إن كانت شريرة رديئة الجوهر فهي الشياطين فالملائكة عندهم عند هؤلاء محدثون وعندهم أن هذه النفوس تساعد نفوسا أخرى متعلقة بتدبير الأبدان أما على الخير أو على الشر فما ينسب في الكتب الإلهية إلى إغواء الشياطين للناس وإضلالهم فالمراد به تلك النفوس الشريرة و ما ينسب فيها إلى إعانة الملائكة لهم على الخير والصالح فالمراد به تلك النفوس الخيرة. البحث السابع في إبليس أ هو من الملائكة أو ليس منها قال شيخنا أبو عثمان و جماعة من أصحابنا إنه من الملائكة ولذلك استثناه الله تعالى فقال **فَسَيَجِدَ الْمَلَائِكَةَ كُفَّهِمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ**. و قال قوم إنه كان من الملائكة بدلالة هذه الآية لكن الله مسخه حيث خالف الأمر فهو بعد المسخ خارج عن الملائكة و قد كان قبل ذلك ملكا قالوا ومعنى قوله **كَانَ مِنَ الْجِنَّ** أى من جن الجن و روى ذلك عن ابن عباس قالوا و يحمل على معناه أنه صار من الجن فيكون كان بمعنى صار كقوله تعالى **كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا** أى من صار لأنها لو كانت كان على حقيقتها لوجب إياكم بعضهم بعضا لأنهم كانوا صبيانا في المهد. قالوا ومعنى صيرورته من الجن صيرورته ضالا كما أن الجن ضالون لأن الكفار بعضهم من بعض كما قال تعالى **الْمُنَافِقُونَ وَ الْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ**. -قرآن- ٤٩٤-٥٤٨-قرآن- ٧٠٧-٧٢٢-قرآن- ٨٤٤-٨٨٦-قرآن- ١٠٩٤-١١٤١ [صفحة ٤٣٦] و قال معظم أصحابنا إن إبليس ليس من الملائكة و لا كان منها وإنما استثناه الله تعالى منهم لأنه كان مأمورا بالسجود معهم فهو مستثنى من عموم المأمورين بالسجود لا من خصوص الملائكة. البحث الثامن في هاروت وماروت هل هما من الملائكة أم لا قال جمهور أصحابنا إنهما من الملائكة و إن القرآن العظيم قد صرح بذلك في قوله **وَ مَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بَابِلَ هَارُوتَ وَ مَارُوتَ** و إن الذى أنزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله تعالى للناس فمن تعلمه منهم وعمل به كان كافرا و من تجنبه أو تعلمه لا يعمل به ولكن ليتوقاه كان مؤمنا قالوا و ما كان هذان الملكان يعلمان أحدا حتى ينباه وينباهه وينصحه ويقول له **إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ** أى ابتلاء واختبار من الله فلا تكفر و لا تتعلمه معتقدا أنه حق . و حكى عن الحسن البصرى أن هاروت وماروت علجان ألقفان من أهل بابل كانا يعلمان الناس السحر وقرأ الحسن على الملكين ببايل بكسر اللام . و قال قوم كانا من الملائكة فعصيا الله تعالى بالحيث في الحكومة و قد كان استقضاهما في الأرض وركب فيهما الشهوة

والغضب على نحو ماركب في البشر امتحانا لهما لأنهما قد كانا عيرا البشر بالمعصية فلما عصيا حبسهما الله تعالى وعاقبهما بعذاب معجل وألهمهما كلاما إذا تكلما به سكن بعض ما بهما من الألم و إن السحرة يستمعون ذلك الكلام فيحفظونه ويفرقون به بين المرء وزوجه فإنهما يتقدما إلى من يحضرهما عند ما يتكلمان بالزجر عن العمل بذلك الكلام ويقولان إِنَّمَا نَحْنُ -قرآن- ٣٢٧- ٣٨٥-قرآن- ٦٣٤-٦٥٣-قرآن- ٦٨٢-٦٩٢-قرآن- ١٣٢١-١٣٣٢ و قال معظم أصحابنا إن إبليس ليس من الملائكة ولا كان منها وإنما استثناه الله تعالى منهم لأنه كان مأمورا بالسجود معهم فهو مستثنى من عموم المأمورين بالسجود لا- من خصوص الملائكة. البحث الثامن في هاروت وماروت هل هما من الملائكة أم لا قال جمهور أصحابنا إنهما من الملائكة و إن القرآن العظيم قد صرح بذلك في قوله وَ مَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكِينَ بِأَبْلِ هَارُوتَ وَ مَارُوتَ وَ إِن الَّذِي أُنزِلَ عَلَيْهِمَا هُوَ عِلْمُ السَّحْرِ ابْتِلَاءَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِلنَّاسِ فَمَنْ تَعَلَّمَهُ مِنْهُمْ وَعَمِلَ بِهِ كَانَ كَافِرًا وَ مَنْ تَجَنَّبَهُ أَوْ تَعَلَّمَهُ لِيَعْمَلَ بِهِ وَلَكِنْ لِيَتَّقَاهُ كَانَ مُؤْمِنًا قَالُوا وَ مَا كَانَ هَذَا الْمَلِكَانِ يَعْلَمَانِ أَحَدًا حَتَّى يَنْبَهِاهُ وَيَنْصَحَاهُ وَيَقُولَا لَهُ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ أَى ابْتِلَاءَ وَ اخْتِبَارَ مِنَ اللَّهِ فَلَا تَكْفُرْ وَ لَا تَتَعَلَّمَهُ مَعْتَقِدًا أَنَّهُ حَقٌّ . وَ حَكَى عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّ هَارُوتَ وَ مَارُوتَ عَلِجَانِ أَقْلِفَانِ مِنْ أَهْلِ بَابِلَ كَانَا يَعْلَمَانِ النَّاسَ السَّحْرَ وَقَرَأَ الْحَسَنُ عَلَى الْمَلَكِينَ بِبَابِلَ بِكَسْرِ اللَّامِ . وَ قَالَ قَوْمٌ كَانَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَعَصِيَا اللَّهَ تَعَالَى بِالْحَيْفِ فِي الْحُكُومَةِ وَ قَدْ كَانَ اسْتِقْضَاهُمَا فِي الْأَرْضِ وَرَكِبَ فِيهِمَا الشَّهْوَةَ وَ الْغَضَبَ عَلَى نَحْوِ مَارَكَبَ فِي الْبَشَرِ امْتِحَانًا لِهِمَا لِأَنَّهُمَا قَدْ كَانَا عِيرَا الْبَشَرِ بِالْمَعْصِيَةِ فَلَمَّا عَصِيَا حَبَسَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى وَعَاقَبَهُمَا بِعَذَابٍ مَعْجَلٍ وَأَلْهَمَهُمَا كَلَامًا إِذَا تَكَلَّمَا بِهِ سَكَنَ بَعْضُ مَا بِهِمَا مِنَ الْأَلْمِ وَ إِن السَّحْرَةَ يَسْتَمْعُونَ ذَلِكَ الْكَلَامَ فِيحْفُظُونَهُ وَيَفْرُقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ فَإِنَّمَا يَتَقَدَّمَانِ إِلَى مَنْ يَحْضُرُهُمَا عِنْدَ مَا يَتَكَلَّمَانِ بِالزَّجْرِ عَنِ الْعَمَلِ بِذَلِكَ الْكَلَامِ وَيَقُولَانِ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ وَ هُمَا لَمْ يَكْفُرَا وَ لَادْعُوا إِلَى السَّحْرِ وَ إِن عَذَابَهُمَا سَيَقْطَعُ وَ قَدْ جَاءَ فِي الْأَخْبَارِ مَا يُوَافِقُ هَذَا . وَ قَالَ قَوْمٌ مِنَ الْحَشَوِيَّةِ إِنَّهُمَا شَرَبَا الْخَمْرَ وَقَتَلَا النَّفْسَ وَ زَنِيَا بِامْرَأَةٍ اسْمُهَا بَاهِيدٌ فَمَسَخَتْ وَ هِيَ الزَّهْرَةُ الَّتِي فِي السَّمَاءِ -قرآن- ١-٢٠ وَ مِنْهَا فِي صَفَةِ الْأَرْضِ وَ دَحْوِيَّهَا عَلَى الْمَاءِ كَبَسَ الْأَرْضَ عَلَى مَوْرِ أَمْوَاجٍ مُسْتَفْجِلَةٍ وَ لُجَجٍ بِحَارٍ زَاخِرَةٍ تَلْتَطِمُ أَوْ أَدَى أَمْوَاجِهَا وَ تَصْطَفِقُ مُتَقَاذِفَاتٍ أَتْبَاجِهَا وَ تَرْغُو زَيْدًا كَالْفُحُولِ عِنْدَ هِيَاجِهَا فَخَضَعَ جِمَاحُ الْمَاءِ الْمُتَلَاطِمِ لِثِقَلِ حَمْلِهَا وَ سَيَكُنْ هَيْجُ ارْتِمَائِهِ إِذْ وَطِئَتْهُ بِكُلِّكَلِهَا وَ ذَلَّ مُسْتَخْذِيًا إِذْ تَمَعَّتْ عَلَيْهِ بِكَوَاهِلِهَا فَأَصْبَحَ بَعْدَ اصْطِحَابِ أَمْوَاجِهِ سَاجِيًا مَقْهُورًا وَ فِي حِكْمَتِهِ الذَّلُّ مُنْقَادًا أَسِيرًا وَ سَيَكُنُّبُ الْأَرْضُ مِدْحُوَّةً فِي لُجِيَّتِهِ تَيَّارُهُ وَ رَدَّتْ مِنْ نَحْوِهِ بَأُوهِ وَ اعْتَلَّاهُ وَ شَمُوخَ أَنْفِهِ وَ سِيْمُو غُلُوَائِهِ وَ كَعَمَّتُهُ عَلَى كِطْفِهِ جَرِيَّتِهِ فَهَيَّئِدَ بَعْدَ نَزَقَاتِهِ وَ لَبَدَ بَعْدَ زَيْفَانٍ وَ ثَبَاتِهِ فَلَمَّا سَيَكُنْ هَيْجُ الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ أَكْنَافِهَا وَ حَمَلَتْ شَوَاهِقَ الْجِبَالِ الشَّمَخِ الْبُدْخِ عَلَى أَكْنَافِهَا فَجَرَّ يَنْبَيعَ الْعُيُونِ مِنْ عَرَانِينَ أَنْوْفِهَا وَ فَرَقَهَا فِي شُهُوبٍ بِيَدِهَا وَ أَخَادِيدِهَا وَ عَدَدَلَّ حَرَكَاتِهَا بِالرَّاسِيَّاتِ مِنْ جَلَامِيدِهَا وَ ذَوَاتِ الشَّنَاخِيْبِ الشَّمِّ مِنْ صَيَاخِيدِهَا فَسَكَنَتْ مِنَ الْمِيْدَانِ لِرُسُوبِ الْجِبَالِ فِي قِطْعِ أَدِيمِهَا وَ تَغْلُغَلِهَا مُتَسَرِّبَةً فِي جُوبَاتِ حَيَاشِيمِهَا وَ رُكُوبِهَا أَعْنَاقَ شُهُولِ الْأَرْضِ يَنْ وَ جَرَاثِيمِهَا وَ فَسَحَ [صفحة ٤٣٨] بَيْنَ الْجَوْ وَ بَيْنِهَا وَ أَعْيَدَ الْهَوَاءَ مُنْسِيْمًا لِسَاكِنِهَا وَ أَخْرَجَ إِلَيْهَا أَهْلَهَا عَلَى تَمَامِ مَرَاْفِقِهَا ثُمَّ لَمْ يَدَعِ جُرُزَ الْأَرْضِ الَّتِي تَقْصُرُ مِيَاهُ الْعُيُونِ عَنْ رَوَائِبِهَا وَ لَا تَجِدُ حَيْدًا أَوَّلَ الْأَنْهَارِ ذَرِيْعَةً إِلَى بُلُوغِهَا حَتَّى أَنْشَأَ لَهَا نَاشِئَةً سَيَحَابٍ تَحِيْبِي مَوَاتِهَا وَ تَسْتَخْرِجُ نَبَاتِهَا أَلْفَ غَمَامِهَا بَعْدَ افْتِرَاقِ لُوعِهِ وَ تَبَائِنِ قَرْعِهِ حَتَّى إِذَا تَمَخَّضَتْ لُجَّةُ الْمُزْنِ فِيهِ وَ التَّمَعُ بَرْقُهُ فِي كَفْفِهِ وَ لَمْ يَنْمِ وَ مِيْضُهُ فِي كَنْهَوْرِ رَبَائِهِ وَ مُتْرَاكِمِ سَيَحَابِهِ أَرْسِلُهُ سَيَحًا مُتَدَارِكًا قَدْ أَسْفَتْ هَيْدَبُهُ يَمْرِي الْجُنُوبِ دَرَّرَ أَهَاضِيْبِيَهُ وَ دَفَعَ شَائِبِيَهُ . فَلَمَّا أَلْقَتِ السَّيْحَابُ بَرَكَ بَوَائِنِهَا وَ بَعَّاعَ مَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ مِنَ الْعَبِّ الْمَحْمُولِ عَلَيْهَا أَخْرَجَ بِهِ مِنَ هَوَامِدِ الْأَرْضِ الثَّبَاتَ وَ مِنْ زُعْرِ الْجِبَالِ الْأَعْشَابَ فَهِيَ تَبْهَجُ بِزِينَتِهَا رِيَاضِيَّتِهَا وَ تَرْدَهِي بِمَا أَلْبَسَتْهُ مِنْ رِيْبِ أَزَاهِيرِهَا وَ حَلِيَّتِهَا مَا سَمِطَتْ بِهِ مِنْ نَاضِرِ أَنْوَارِهَا وَ جَعَلَ ذَلِكَ بَلَاغًا لِلْأَنَامِ وَ رِزْقًا لِلْأَنْعَامِ وَ خَرَقَ الْفِجَاجَ فِي آفَاقِهَا وَ أَقَامَ الْمَنَارَ لِلسَّالِكِينَ عَلَى جُودِ طُرُقِهَا كَبَسَ الْأَرْضَ أَى أَدْخَلَهَا فِي الْمَاءِ بِقُوَّةٍ وَ اعْتِمَادٍ شَدِيدٍ وَ يُقَالُ لَضَرْبِ مِنَ التَّمْرِ الْكَيْسَ لِأَنَّهُ يَكْبَسُ حَتَّى يَتْرَاصَ وَ الْمَوْرُ مَصْدَرُ مَا أَى ذَهَبَ وَ جَاءَ وَ مَسْتَفْحَلُهُ هَائِجُهُ هِيَجَانِ الْفُحُولِ وَ اسْتَفْحَلُ الْأَمْرِ تَفَاقَمَ وَ اشْتَدَّ وَ زَاخِرُهُ زَخْرُ الْمَاءِ أَى امْتَدَّ جَدًا وَ ارْتَفَعَ .

والأواذى جمع آذى و هوالموج وتصطقق يضرب بعضها بعضا والأثباج هاهنا [صفحه ٤٣٩] أعالى الأمواج وأصل الشبح ما بين الكاهل إلى الظهر فنقل إلى هذاالموضع استعاره. وترغو تصوت صوت البعير والرغاء صوت ذات الخف و فى المثل كفى برغائها مناديا أى أن رغاء بعير المضيف يقوم مقام نداءه للضيافة والقرى وزبدا على هذامنصوب بفعل مقدر تقديره وترغو قاذفه زبدا والزبد ما يظهر فوق السيل يقال قدأزبد البحر والسيل وبحر مزبد أى مالح يقذف بالزبد والفحول عندهياجها فحول الإبل إذاهاجت للضراب . وجماح الماء صعوده وغليانه وأصله من جماح الفرس و هو أن يعز فارسه ويغلبه والجموح من الرجال الذى يركب هواه فلايمكن رده وخضع ذل وهيج الماء اضطرابه هاج هيجاً وهياجاً وهيجاناً واهتاج وتهيج كله بمعنى أى ثار وهاجه غيره يتعدى و لايتعدى وهيج ارتمائه يعنى تقاذفه وتلاطمه يقال ارتمى القوم بالسهم وبالجملة ارتماء وكلكلها صدرها وجاء كلكل وكلكال وربما جاء فى ضرورة الشعر مشدداً قال كأن مهواها على الكلكل || موضع كفى راهب مصلى . والمستخذى الخاضع وقديهمز وقيل لأعرابى فى مجلس أبى زيد كيف تقول استخذأت ليتعرف منه الهمزة فقال العرب لا تستخذئ وهمزه وأكثر ما يستعمل ملينا وأصله من خذا الشىء يخذو وخذوا أى استرخى ويجوز خذى بكسر الذال وأذن خذواء بينه الخذاء أى مسترخية. وتمعكت تمرغت مستعار من تمعك الدابة فى الأرض وقالوا معكت الأديم أى دلكته وكواهلها جمع كاهل و هو ما بين الكتفين ويسمى الحارك . [صفحه ٤٤٠] واصطخاب أمواجه افتعال من الصخب و هوالصياح والجلبة يقال صخب الرجل فهو صخبان واصطخب افتعل منه قال إن الضفادع فى الغدران تصطخب . والساجى الساكن والحكمة مأحاط من اللجام بحنك الدابة وكانت العرب تتخذها من القد والأبق لأن الزينة لم تكن قصدهم قال زهير القائد الخيل منكوبا دوابرها || قدأحكمت حكمت القد والأبقا . واستعار الحكمة هاهنا فجعل للذل حكمة ينقاد الماء بها ويذل إليها. ومدحوة مبسوطة قال تعالى وَ الْأَرْضَ بَعَدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ويجوز أن تكون مدحوة هاهنا بمعنى مقدوفة مرمية يقال دحوت الحصاة أى قذفتها ويقال لللاعب الجوز ادح وأبعد المدى والتيار أعظم الموج ولجته أعمقه والبأو الكبير والفخر تقول بأوت على القوم أبأى بأوا قال حاتم -قرآن- ٩٥-١٢٣ فما زادنا بأوا على ذى قرابة || غنانا و لأزرى بأحسابنا الفقر . و هذاالكلام استعاره يقال كسرت الأرض سورة الماء الجامح كمتكسر سورة بأو الرجل المتكبر المفتخر والاعتلاء التيه والتكبر والشموخ العلو مصدر شمش بأنفه أى تكبر والجبال الشوامخ الشاهقة والسمو العلو وسمو علوانه أى غلوه وتجاوزته الحد. [صفحه ٤٤١] وكعمته أى شددت فمه لماهاج من الكعام و هو شىء يجعل فى فم البعير وبعير مكعوم . والكظة الجهد والثقل الذى يعترى الإنسان عندالامتلاء من الطعام يقول كعمت الأرض الماء حال كونه مكظوظا لشدة امتلائه وكثرته وازدحام أمواجه فهمد أى سكن همدت النار تهمد بالضم همودا أى طفئت وذهبت البتة والخمود دون الهمود والنزقات الخفة والطيش نرق الرجل بالكسر ينزق نزقا والنزقات الدفعات من ذلك . ولبد الشىء بالأرض يلبد بالضم لبودا أى لصق بها ساكنا والزيفان التبخر فى المشى زاف البعير يزيف والزيفاء من النوق المختالة ويروى ولبد بعدزيفان وثباته والزيفان شدة هبوب الريح يقال زفته الريح زيفانا أى طردته وناقاة زيفان سريعة وقوس زيفان سريعة الإرسال للسهم وأكنافها جوانبها وكنفا الطائر جناحاه ويقال صلاء مكنف أى أحيط به من جوانبه وتكنفه القوم واكتنفوه أحاطوا به . والجبال الشواهق العالية ومثله البذخ والعرنين أول الأنف تحت مجتمع الحاجبين والينابيع جمع ينبوع و هو ما انفجر من الأرض عن الماء والسهوب جمع سهب و هو الفلاة والبيد جمع بيداء وهى الفلاة أيضا. والأخاديد جمع أخدود و هو الشق فى الأرض قال تعالى قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ وَالرَّاسِيَاتِ الثَّقَالِ وَالشَّناخِبِ رءوس الجبال والشم العالية والجلاميد الصخور واحدها جلمود والصياخيد جمع صيخود وهى الصخرة الصلبة. -قرآن- ١٠٤٨-١٠٧٢ [صفحه ٤٤٢] والميدان التحرك والاضطراب وماد الرجل يמיד أى تبخر ورسوب الجبال نزولها رسب الشىء فى الماء أى سفلى فيه وسيف رسوب ينزل فى العظام . وقوله فى قطع أديمها جمع قطعة يريد فى أجزائها وأبعاضها ويروى فى قطع أديمها بضم القاف وفتح الطاء جمع قطعة وهى القطعة مفروزة من

الأرض وحكى أن أعرابيا قال ورثت من أبي قطعته ويروى في قطع أديمها بسكون الطاء والقطع طنفسه الرحل فنقل ذلك إلى هذا الموضع استعاره كأنه جعل الأرض ناقه وجعل لها قطعاً وجعل الجبال ثابتة في ذلك القطع . وأديم الأرض وجهها وظاهرها وتغلغل الماء في الشجر دخوله وتخلله في أصوله . وعروقه متسربة أي داخلته تسرب الثعلب أي دخل السرب وجوبات جمع جوبه وهي الفرجة في جبل أو غيره وخياشيمها جمع خيشوم وهو أقصى الأنف وتقول خشمت الرجل خشما أي كسرت خيشومه وجرائيمها جمع جرثومة وهي أصل الشجر. وفسح أوسع ومنتسما يعنى موضع النسيم و الأرض الجرذ التي لانبات فيها الانقطاع المطر عنها وهذه من الألفاظ القرآنية والروابي التلاع و ماعلا- من الأرض والجداول الأنهار الصغار جمع جدول والذريعة الوصلة. وناشئة سحب مايتدئ ظهوره والموات بفتح الميم القفر من الأرض واللمع جمع لمعه وهي القطعة من السحاب أو غيره وتباين قزعه القزح قطع من السحاب رقيقة واحدها قزعة قال الشاعر [صفحه ٤٤٣] كأن رعاله قزح الجهام . و في الحديث كأنهم قزح الخريف وتباينها افتراقها وتمخضت تحركت بقوة يقال تمخض اللبن إذا تحرك في الممخضة وتمخض الولد تحرك في بطن الحامل والهاء في فيه ترجع إلى المزن أي تحركت لجة المزن في المزن نفسه أي تحرك من السحاب وسطه وثبجه . والتمع البرق ولمع أي أضاء وكففه جمع كفه والكفة كالدارة تكون في السحاب . و كان الأصمعي يقول كل ما استطال فهو كفه بالضم نحو كفه الثوب وهي حاشيته وكفه الرمل والجمع كفاف و كل ما استدار فهو كفه بالكسر نحو كفه الميزان وكفه الصائد وهي حبالته والجمع كفف ويقال أيضا كفه الميزان بالفتح والوميض الضياء واللمعان . و قوله لم ينم أي لم يفتر و لم ينقطع فاستعار له لفظه النوم والكنهور العظيم من السحاب والرباب الغمام الأبيض ويقال إنه السحاب الذي تراه كأنه دون السحاب وقد يكون أبيض وقد يكون أسود و هو جمع والواحدة ربابه و به سميت المرأة الرباب . والمتراكم الذي قدر كب بعضه بعضا والميم بدل من الباء وسحا صبا وسحابة سحوح وتسحسح الماء سال ومطر سحساح أي يسح شديدا ومداركا يلحق بعضه بعضا من غير انقطاع وأسف دنا من الأرض وهيدبه ماتهدب منه أي تدلى كما يتدلى هذب العين على أشفارها ويمرى الجنوب و هو بمعنى يحلب ويستدر ويروى تمرية الجنوب . على أن يعدى الفعل إلى المفعولين كما تقول حلبت الناقة لبنا ويروى تمرى الجنوب و هو بمعنى تمرى من مريت الفرس وامتريته إذا استخرجت بالسوط ما عنده من الجرى وإنما [صفحه ٤٤٤] خص الجنوب بذلك لأنها الريح التي يكون عليها المطر والدرر جمع درة وهي كثرة اللبن وسيلانه وصبه والأهاضيب جمع هضاب والهضاب جمع هضب وهي حلبات القطر بعد القطر والدفع جمع دفعة بالضم وهي كالدفقة من المطر بالضم أيضا والشآيب جمع شؤبوب وهي رشة قوية من المطر تنزل دفعة بشدة والبرك الصدر وبوانيتها تشية بوان على فعال بكسر الفاء و هو عمود الخيمة والجمع بون بالضم قال الشاعر أصبر من ذى ضاغط عر كرك || ألقى بوانى زوره للمبرك . و من روى بوانيتها أراد لواصلها من قولك قوص بانية إذا التصقت بالوتر. والرواية الأولى أصح وبعاع السحاب ثقله بالمطر قال إمرؤ القيس وألقى بصحراء الغبيط بعاعه || نزول اليماني بالعياب المثقل . والعبء الثقل واستقلت ارتفعت ونهضت وهوامد الأرض هي الأرضون التي لانبات بها وزعر الجبال جمع أزعر والمراد به قلة العشب والخلى وأصله من الزعر وهو قلة الشعر فى الرأس قال من يك ذا لمة يرجلها || فإننى غير ضائرى زعرى . و قد زعر الرجل يزعر قل شعره وتبهج تسر وتفرح تقول بهجنى أمر كذا بالفتح وأبهجنى معا أى سرنى و من رواه بضم الهاء أراد يحسن ويملح من البهجة وهي الحسن يقال بهج الرجل بالضم بهاجة فهو بهيج أى حسن قال الله تعالى من كمل زوج بهيج وتقول قد أبهجت الأرض بالهمزة أى بهج نباتها وحسن . -قرآن- ٢٢٧-٢٤٨ [صفحه ٤٤٥] وتزدهى أى تتكبر وهي اللغة التي حكاها ابن دريد قال تقول زها الرجل يزهو زهوا أى تكبر و على هذه اللغة تقول ازدهى الرجل يزدهى كما تقول من علا اعلى يعتلى و من رمى ارتمى يرتمى و أما من رواها وتزدهى بما ألبسته على ما لم يسم فاعله فهي اللغة المشهورة تقول زهى فلان علينا وللعرب أحرف تتكلم بها على سبيل المفعول به و إن كانت بمعنى الفاعل كقولهم عنى بالأمر ونتجت الناقة

فتقول على هذه اللغة فلان يزدهى بكذا. والريظ جمع ريطة وهى الملاءة غير ذات لفقين والأزاهير النور ذو الألوان . وسمطت به علق عليها السموط جمع سمط و هو العقدة و من رواه شمطت بالشين المعجمة أراد ماخالط سواد الرياض من النور الأبيض كالأفحوان ونحوه فصارت الرياض كالشعر الأشمط والناصر ذو النضارة وهى الحسن والطراوة. وبلاغا للأنام أى كفاية والآفاق النواحي والمنار الأعلام

فصول متنوعة تتعلق بالخطبة

وينبغى أن نتكلم فى هذاالموضع فى فصول .الفصل الأول فى كيفية ابتداء خلق الأرض .ظاهر كلام أمير المؤمنين ع أن الماء خلق قبل الأرض وقد ذكرنا فيما تقدم أنه قول لبعض الحكماء و أنه موافق لما فى التوراة إلا أن فى كلامه ع فى هذاالموضع إشكالا و ذلك أن لقائل أن يقول كلامه يشعر بأن هيجان الماء و غليانه ووجهه [صفحة ٤٤٦] سكن بوضع الأرض عليه و هذاخلاف مايشاهد وخلاف مايقضيه العقل لأن الماء الساكن إذاجعل فيه جسم ثقيل اضطرب وتموج وصعد علوا فكيف الماء المتموج يسكن بطرح الجسم الثقيل فيه . والجواب أن الماء إذا كان تموجه من قبل ريح هائجة جاز أن يسكن هيجانه بجسم يحول بينه و بين تلك الريح ولذلك إذاجعلنا فى الإناء ماء وروحناه بمروحة تموجه فإنه يتحرك فإن جعلنا على سطح الماء جسما يملأه حافات الإناء وروحناه بالمروحة فإن الماء لايتحرك لأن ذلك الجسم قدحال بين الهواء المجتلب بالمروحة و بين سطح الماء فمن الجائز أن يكون الماء الأول هائجا لأجل ريح محركة له فإذاوضعت الأرض عليه حال بين سطح الماء و بين تلك الريح و قدمر فى كلام أمير المؤمنين فى الخطبة الأولى ذكر هذه الريح فقال ريح اعتقم مهبها وأدام مربها وأعصف مجراها وأبعد منشأها فأمرها بتصفيق الماء الزخار وإثارة موج البحار فمخضت مخض السقاء وعصفت به عصفها بالفضاء.الفصل الثانى فى بيان قوله ع فلما سكن هيج الماء من تحت أكتافها وحمل شواحق الجبال البذخ على أكتافها فجر ينابيع العيون فيها وعدل حركاتها بالراسيات من جلاميدها. و ذلك لأن العامل فى لمايجب أن يكون أمرا مباينا لماأضيفت إليه مثاله لمقام زيد قام عمرو فقام الثانية هى العاملة فى لمايفجوز أن تكون أمرا مباينا لماأضيف لما إليه و هوقيام زيد وهانها قد قال ع لماحمل الله تعالى شواحق الجبال على الأرض عدل حركات الأرض بالجبال ومعلوم أن أحد الأمرين هو الآخر. والجواب أنه ليس أحد الأمرين هو الآخر بعينه بل الثانى معلول الأول وموجب [صفحة ٤٤٧] عنه لأن الأول هو حمل الجبال عليها والثانى تعديل حركاتها بالجبال المحمول عليها فكأنه قال حمل عليها الجبال فاقتضى ذلك الحمل تعديل حركاتها ومعلوم أن هذاالكلام منتظم .الفصل الثالث فى قوله إن الجبال هى المسكنة للأرض .فنقول إن هذاالقول يخالف قول الحكماء لأن سكنون الأرض عندالحكماء لم يكن لذلك بل لأنها تطلب المركز وهى حاصلة فى حيزها الطبيعى لكنا و إن كان مخالفا لقول الحكماء فإننا نعتقد دينا ومذهبا ونعدل عن قول الحكماء لأن اتباع قوله ع أولى من اتباع أقوالهم .الفصل الرابع فى ذكر نظائر لماوصف به المطر والسحاب .فمن ذلك مارواه عبدالرحمن ابن أخى الأصمعى عن عمه قال سئل أعرابى عن مطر فقال استقل سد مع انتشار الطفل فشصا واحزأل ثم اكفهرت أرجاؤه واحمومت ارحاؤه وانزعت فوارقه وتضاحكت بوارقه واستطار وادقه وأرسعت جوبه وارتعن هيدبه وحسكت أخلافه واستقلت أردافه وانتشرت أكنافه فالرعد يرتجس والبرق يختلس والماء ينبجس فأترع الغدر وأنبت الوجر وخلط الأوعال بالآجال وقرن الصيران بالرتال فللأودية هدير وللشراج خريز وللتلاع زفير وحط النبع والعنم من القلل الشم إلى القيعان الصحم فلم يبق فى القلل إلا معصم [صفحة ٤٤٨] مجرثم أوداحض محرجم و ذلك من فضل رب العالمين على عباده المذنبين . قلت السد السحاب الذى يسد الأفق وأصل الجبل والطفل اختلاط الظلام وانتشاره حال غروب الشمس وشصا ارتفع

وعلا واحزال انتصب واكفهرت أرجاؤه غلظت نواحيه وجوانبه وتراكت واحمومت اسودت مع مخالطة حمرة وأرجاؤه أوساطه وانزعت تفرقت والفوارق قطع من السحاب تتفرق عنه مثل فرق الإبل وهي النوق إذا أرادت الولادة فارتق الإبل وبعدت عنها حيث لا ترى وتضاحكت بوارقه لمعت واستطار انتشر والوداق ذو الودق و هو مطر كبار وأرسعت جوبه أى تلاءمت فرجه والتحمت وارتعن استرخى وهيدبه ماتدلى منه وحسكت أخلافه امتلأت ضروعه وأرادفه مآخره وأكنافه نواحيه ويرتجس يصوت والرجس الصوت ويختلس يستلب البصر وينبجس ينصب فأترع الغدر ملأها جمع غدير وأنبت الوجر حفرها جمع وجار و هويت الضيع والآجال جمع إجل و هو قطيع البقر والصيران مثله جمع صوار والرئال جمع رأل و هو فرخ النعام والهدير الصوت والشراج جمع شرج و هو مسيل الماء إلى الحره وخريير الماء صوته وزفير التلاع أن تزفر بالماء لفرط امتلائها والنوع شجر والعنم شجر آخر وكلاهما لا ينبت إلا في رءوس الجبال والشم العالية والصحم السود التى تضرب إلى الصفرة والمعصم المعتصم الملتجى والمجرثم المتقبض والداحض الزالق الواقع والمحرجم المصروع . و من ذلك مارواه أبو حاتم عن الأصمعي قال سألت أعرابيا من بنى عامر بن صعصعة عن مطر أصاب بلادهم فقال نشأ عارضا فطلع ناهضا ثم ابتسم وامضا فاعتن فى الأقطار فأشجاها وامتد فى [صفحہ ۴۴۹] الآفاق فغطاها ثم ارتجس فهمهم ثم دوى فأظلم فأرك و دث وبغش وطش ثم قطقط فأفرط ثم ديم فأغمط ثم ركد فأثجم ثم وبل فسجم وجاد فأنعم فقمس الربا وأفرط الزبى سيعا تباعا يريد انقشاعا حتى إذا ارتوت الحزون وتضحضحت المتون ساقه ربك إلى حيث يشاء كما جلبه من حيث شاء. قلت العارض سحاب يعترض فى الأفق واعتن اعترض وأشجاها ملأها فكان كالشجى فى حلقها وارتجس صوت والهمهمة صوت الرعد ودوى أحدث دويا فأظلم أعدم الضوء من الأرض بتكائفه فأرك أى مطر ركا والرك المطر الضعيف وكذلك الدث والبغش والطش وفوق ذلك القطقط وديم صار ديمه وهى المطر أياما لا يقلع وأغمط أى دام وأثجم أقام ووبل جاء بالوابل و هو المطر العظيم وسجم صب وأنعم بالغ وقمس غوص فى الماء وأفرط الزبى ملأها جمع زبييه وهى حفيرة تحفر للوحوش فى مكان مرتفع والحزون جمع حزن و هو ما غلظ من الأرض والمتون جمع متن و هو الصلب من الأرض وتضحضحت صار فوقها ضحضاح من الماء و هو الرقيق . و من ذلك مارواه أبو حاتم أيضا عن الأصمعي قال سألت أعرابيا عن مطر أصابهم بعد جذب فقال ارتاح لنا ربك بعد ما استولى اليأس على الظنون وخامر القلوب القنوط فأنشأ بنوء الجبهه قزعة كالقرص من قبل العين فاحزالت عند ترجل النهار لأدهم السرار حتى إذا نهضت فى الأفق طالعة أمر مسخرها الجنوب فتبسمت لها فانتشرت أحضانها واحمومت أركانها وبسق عنانها واكفهرت رحاها وانبعجت كلاها وذمرت [صفحہ ۴۵۰] أخراها أولاهها ثم استطارت عقائقتها وارتعجت بوارقها وتعققت صواعقها ثم ارتعبت جوانبها وتداعت سواكبها ودرت حوالبها فكانت للأرض طبقا شج فهضب وعم فأحسب فعل القيعان وضحضح الغيطان وصوح الأضواج وأترع الشراج فالحمد لله الذى جعل كفاء إساءتنا إحسانا وجزاء ظلمنا غفرانا. قلت نوء الجبهه محمود عندهم للمطر والقزعة القطعة الصغيرة من السحاب والقرص الترس والعين ما عن يمين قبله العراق وترجل النهار انبساط الشمس والأدهم أحد ليالى السرار والأحضان النواحي واحمومت اسودت وبسق علا والعنان ما يعترض من السحاب فى الأفق وانبعجت انفتقت وذمرت حضت والعقائق البروق وارتعجت اهتزت وارتعدت وطبقا أى غطت الأرض وهضب جاء بالمطر دفعة دفعة وأحسب كفى وعل القيعان سقاها مرة بعد أخرى والغيطان جمع غائط و هو ما سفل من الأرض وصوح الأضواج هدم الأجواف وأترع الشراج ملأ المسيلات . و من ذلك مارواه ابن دريد عن عبدالرحمن عن عمه الأصمعي قال سمعت أعرابيا من بنى عامر يصف مطرا قال نشأ عند القصر بنوء الغفر حيا عارضا ضاحكا وامضا فكلا و لا ما كان حتى شجيت به أقطار الهواء واحتجبت به السماء ثم أطرق فاكفهر وتراكم فادلهم وبسق فالألم ثم حدثت به الريح فخر والبرق مرتعج والرعد مبتوج والحدج مبتعج فأثجم ثلاثا متحيرا هتھائا أخلافه حاشكته ودفعه متواشكته وسوامه متعاركة ثم ودع منجما وأقلع متهما محمود البلاء مترع النهاء مشكور النعماء بطول ذى الكبرياء.

قلت القصر العشى والغفر من نجوم الأسد والحيا الدانى من الأرض . و قوله كلا ولا أى فى زمان قصير جدا وشجيت به الأقطار صار كالشجى لها [صفحہ ۴۵۱] وازلام انتصب والمرتعج المتدارك والمبتوج العالى الصوت والحدج السحاب أول ماينشأ ويتبعج يشقق وأتجم دام متحيرا أى كأنه قدتحير لوجه له يقصده والهثهات المداخل وأخلافه حاشكئة أى ضروعه ممتلئة ودفعه متواشكئة أى مسرعة وسوامه متعاركئة شبه قطع السحاب بسوام الإبل ومنجما مقلعا ومتهما يسير نحو تهامة

الفصل الخامس فى بيان أنه ع إمام أرباب صناعة البديع

و ذلك لأن هذا الفن لا يوجد منه فى كلام غيره ممن تقدمه إلا ألفاظ يسيرة غير مقصودة ولكنها واقعة بالاتفاق كما وقع التنجيس فى القرآن العزيز اتفاقا غير مقصود و ذلك نحو قوله يا أسيفى على يوسف و كما وقعت المقابلة أيضا غير مقصودة فى قوله وَ السِّمَاءَ رَفَعَهَا وَ وَضَعَ الْمِيزَانَ عَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ مَقَابِلَةٌ فى المعنى بل من اللفظ خاصة و لماتأمل العلماء شعر إمرئ القيس ووجدوا فيه من الاستعارة بيتا أوبيتين نحو قوله يصف الليل -قرآن- ۱۷۵-۱۹۶-قرآن- ۲۴۲-۲۸۱ فقلت له لماتمطى بصلبه || وأردف أعجازا وناء بكلكل . و قوله و إن يك قدساء تك منى خليقة || فسلى ثيابى من ثيابك تنسل و لم ينشدوا مثل ذلك فى أشعار الجاهلية حكموا له بأنه إمام الشعراء ورئيسهم . و هذا الفصل من كلام أمير المؤمنين ع قد اشتمل من الاستعارة العجيبة وغيرها من أبواب البديع على ما لو كان موجودا فى ديوان شاعر أكثر أو مترسل أكثر [صفحہ ۴۵۲] لكان مستحق التقديم بذلك ألا تراه كيف وصف الأمواج بأنها مستفحلة وأنها ترغو رغاء فحول الإبل ثم جعل الماء جماحا ثم وصفه بالخضوع وجعل للأرض كلكلا وجعلها واطئة للماء به ووصف الماء بالذل والاستخذاء لما جعل الأرض متمعكة عليه كما يتمعك الحمار أو الفرس وجعل لها كواهل وجعل للذل حكمه وجعل الماء فى حكمه الذل منقادا أسيرا وساجيا مقهورا وجعل الماء قد كان ذا نخوة وبأو واعتلاء فردته الأرض خاضعا مسكينا وطأطأت من شموخ أنفه وسمو غلوائه وجعلها كاعمة له وجعل الماء ذا كظة بامتلائه كما تعترى الكظة المستكثر من الأكل ثم جعله هامدا بعد أن كانت له نزقات ولابدا بعد أن كانت له وثبات ثم جعل للأرض أكتافا وعرانين وأنوفا وخياشيم ثم نفى النوم عن وميض البرق وجعل الجنوب مارية درر السحاب ثم جعل للسحاب صدرا وبوانا ثم جعل الأرض مبهجة مسرورة مزدهاة وجعل لها ريطا من لباس الزهور وسموطة تحلى بهافيا لله وللعجب من قوم زعموا أن الكلام إنما يفضل بعضه بعضا لاشتماله على أمثال هذه الصنعة فإذا وجدوا فى مائه ورقة كلمتين أو ثلاثا منها أقاموا القيامة ونفخوا فى الصور وملئوا الصحف بالاستحسان لذلك والاستظراف ثم يمرون على هذا الكلام المشحون كله بهذه الصنعة على أطف وجه وأرصح وجه وأرشق عبارة وأدق معنى وأحسن مقصد ثم يحملهم الهوى والعصبية على السكوت عن تفضيله إذا أجملوا وأحسنوا و لم يتعصبوا لتفضيل غيره عليه على أنه لا عجب فإنه كلام على ع وحظ الكلام حظ المتكلم وأشبه امرأ بعض بزه

المجلد ۷

الجزء السابع

تتمة الخطب والأوامر

إشارة

فَلَمَّا مَهَّدَ أَرْضَهُ وَ أَنْفَذَ أَمْرَهُ اخْتَارَ آدَمَ عَ خَيْرَةً مِّنْ خَلْقِهِ وَ جَعَلَهُ أَوَّلَ جِبَلْتِهِ وَ أَسَكَنَهُ جَنَّتَهُ وَ أَرغَدَ فِيهَا أَكُلَهُ وَ أَوْعَزَ إِلَيْهِ فِيمَا نَهَاَهُ عَنْهُ وَ أَعَلَّمَهُ أَنَّ فِي الإِقْدَامِ عَلَيْهِ التَّعَرُّضَ لِمَعْصِيَةِ يَتِهِ وَ المُخَاطَرَةَ بِمَنْزِلَتِهِ فَأَقْدَمَ عَلَيَّ مَا نَهَاَهُ عَنْهُ مُوَافَاةً لِسَابِقِ عِلْمِهِ فَأَهْبَطَهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ لِيَعْمَرَ أَرْضَهُ بِنَسْلِهِ وَ لِيُتَقِيمَ الحُجَّةَ بِهِ عَلَيَّ عِبَادِهِ وَ لَمْ يُخْلِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَبَضَهُ مِمَّا يُؤَكِّدُ عَلَيْهِمْ حُجَّةَ رُبُوبِيَّتِهِ وَ يَصِلُ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَعْرِفَتِهِ بَيْلَ تَعَاهِدِهِمْ بِالحَجَرِ عَلَيَّ أَلْسِنِ الخَيْرَةِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَ مُتَحَمِّلِي وَدَائِعِ رِسَالَاتِهِ قَرْنَا فَقَرْنَا حَتَّى تَمَّتْ بَيْنَنَا مُحَمَّةٌ بِدِصِّ حُجَّتِهِ وَ بَلَغَ المَقْطَعُ عُدْرَةَ وَ نُذِرُهُ مَهْدَ أَرْضِهِ سِوَاهَا وَأَصْلَحَهَا وَ مِنْهُ المِهَادُ وَ هُوَ الفِرَاشُ وَ مَهَدَتِ الفِرَاشُ بِالتَّخْفِيفِ مَهْدًا أَى بِسَطْتِهِ وَ وَطَأْتَهُ وَ قَوْلُهُ خَيْرَةٌ مِنْ خَلْقِهِ عَلَى فَعْلَةٍ مِثْلَ عُنْبَةَ الأَسْمِ [صَفْحَةٌ ٤] مِنْ قَوْلِكَ اخْتَارَهُ اللهُ يَقَالُ مُحَمَّدُ خَيْرَةٌ اللهُ مِنْ خَلْقِهِ وَ يَجُوزُ خَيْرَةٌ اللهُ بِالتَّسْكِينِ وَ الإِخْتِيَارِ الأَصْطِفَاءِ وَ الجِبَلَةُ الخَلْقُ وَ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَ اتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَ الجِبَلَةُ الأَوَّلِينَ وَ يَجُوزُ الجِبَلَةُ بِالضَّمِّ وَ قَرَأَ بِهَا الحَسَنُ البَصْرِيُّ وَ قَرَأَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَ لَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبَلًا كَثِيرًا عَلَى وَجْهِهِ فَقَرَأَ أَهْلُ المَدِينَةِ بِالكُسْرِ وَ التَّشْدِيدِ وَ قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو جِبَلًا- كَثِيرًا مِثْلَ قِفْلٍ وَ قَرَأَ الكَسَائِيُّ جِبَلًا كَثِيرًا بِضَمِّ البَاءِ مِثْلَ حَلْمٍ وَ قَرَأَ عَيْسَى بْنُ عَمْرِو جِبَلًا بِكُسْرِ الجِيمِ وَ قَرَأَ الحَسَنُ وَ ابْنُ أَبِي إِسْحَاقَ جِبَلًا- بِالضَّمِّ وَ التَّشْدِيدِ. قَوْلُهُ وَ أَرغَدَ فِيهَا أَكُلَهُ أَى جَعَلَ أَكُلَهُ وَ هُوَ المَأْكُولُ رَغْدًا أَى وَاسِعًا طَيِّبًا قَالِ سُبْحَانَهُ وَ كَلَّا مِنْهَا رَغْدًا حَيْثُ شِثْمًا وَ تَقْرَأُ رَغْدًا وَ رَغْدًا بِكُسْرِ الغَيْنِ وَ ضَمِّهَا وَ أَرغَدَ القَوْمُ أَخْصَبُوا وَ صَارُوا فِي رَغْدٍ مِنَ العَيْشِ. قَوْلُهُ وَ أَوْعَزَ إِلَيْهِ فِيمَا نَهَاَهُ عَنْهُ أَى تَقَدَّمَ إِلَيْهِ بِالإِنْذَارِ وَ يَجُوزُ وَ وَعَزَ إِلَيْهِ بِالتَّشْدِيدِ تَوْعِيزًا وَ يَجُوزُ التَّخْفِيفُ أَيْضًا وَ عَزَا إِلَيْهِ وَ الوَاوُ فِي وَ أَعَلَّمَهُ عَاطِفَةً لِلْفِعْلِ وَ لا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ إِقْدَامُ آدَمَ عَلَى الشَّجَرَةِ لِأَجْلِ المُوَافَاةِ لِلْعِلْمِ الإِلَهِيِّ السَّابِقِ وَ لا يَسْتَمِرُّ ذَلِكَ عَلَى مَذَاهِبِنَا بَلْ يَجِبُ أَنْ يَنْصَبَ مُوَافَاةً عَلَى - قُرْآن- ١٣٤-١٨٦- قُرْآن- ٢٤٩-٢٨٧- قُرْآن- ٥٧٨-٦١٢ [صَفْحَةٌ ٥] المَصْدَرِيَّةُ المَحْضَةُ كَأَنَّهُ قَالِ فَوَافَى بِالمَعْصِيَةِ مُوَافَاةً وَ طَابِقٌ بِهَاسَبِ العِلْمِ مُطَابِقَةً. قَوْلُهُ فَأَهْبَطَهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ قَدْ اِخْتَلَفَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ فَقَالِ قَوْمٌ بَلْ أَهْبَطَهُ قَبْلَ التَّوْبَةِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِ وَ هُوَ فِي الأَرْضِ وَ قَالِ قَوْمٌ قَبْلَ الهَبُوطِ وَ هُوَ قَوْلُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَ وَ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ قُلْنَا أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَخَبِرَ عَنْ أَنَّهُ أَهْبَطَهُمْ بَعْدَ تَلَقَى الكَلِمَاتِ وَ التَّوْبَةِ وَ قَالِ تَعَالَى فِي مَوْضِعٍ آخَرَ وَ طَفِقَا يَخْصِمَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ وَ نَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَ أَقْبَلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عِيدٌ وَ مُبِينٌ قَالَا- رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَ إِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَ تَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ قَالِ أَهْبَطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عِيدٌ وَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتَاعٌ إِلَى حِينٍ. فَبَيْنَ أَنْ اعْتَرَفَهُمَا بِالمَعْصِيَةِ وَ اسْتَغْفَرَهُمَا كَانَا قَبْلَ أَمْرِهِمَا بِالهَبُوطِ وَ قَالِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَ هَدَى قَالِ أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَجَعَلَ الإِهْبَاطُ بَعْدَ الاجْتِبَاءِ وَ التَّوْبَةِ وَاحْتِجَ الأَوَّلُونَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى وَ لا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَ قُلْنَا أَهْبَطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عِيدٌ وَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتَاعٌ إِلَى حِينٍ فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِمَا قَالُوا فَخَبِرَ سُبْحَانَهُ عَنْ أَمْرِهِ لَهْمُ بِالهَبُوطِ عَقِيبَ إِزْلالِ الشَّيْطَانِ لَهْمَا ثُمَّ عَقِبَ الهَبُوطِ بِفَاءِ التَّعْقِيبِ فِي قَوْلِهِ فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَدَلَّ عَلَى أَنَّ التَّوْبَةَ بَعْدَ الهَبُوطِ. - قُرْآن- ٢٧١-٣٨٣- قُرْآن- ٤٥٨-٨٠٥- قُرْآن- ٨٩١-٩٨٨- قُرْآن- ١٠٥٢-١٣١٦- قُرْآن- ١٤٢٤-١٤٥٨ [صَفْحَةٌ ٦] وَ يُمْكِنُ أَنْ يَجِبَابُ عَنْ هَذَا يُقَالُ إِنَّهُ

تعالى لم يقل فقلنا اهبطوا بالفاء بل قال وَ قُلْنَا اهْبِطُوا بِالْوَاوِ وَالْوَاوِ لَا تَقْتَضِي التَّرْتِيبَ وَ لَوْ كَانَ عَوْضَهَا فَاءً لَكَانَتْ صَرِيحَةً فِي أَنَّ الْإِهْبَاطَ كَانَ عَقِيبَ الزَّلَّةِ فَأَمَّا الْوَاوِ فَلَا تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ بَلْ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ التَّوْبَةُ قَبْلَ الْإِهْبَاطِ وَيُخْبِرُ عَنِ الْإِهْبَاطِ بِالْوَاوِ قَبْلَ أَنْ يُخْبِرَ عَنِ التَّوْبَةِ. قَوْلُهُ عَ وَيُقِيمُ الْحُجَّةَ عَلَى عِبَادِهِ أَيَّ إِذَا كَانَ أَبُوهُمْ أَخْرَجَ مِنَ الْجَنَّةِ بِخَطِيئَتِهِ وَاحِدَةً فَأَخْلَقَ بِهَا أَلَا يَدْخُلُهَا ذُو خَطَايَا جَمْعُهُ وَ هَذَا يُؤَكِّدُ مَذْهَبَ أَصْحَابِنَا فِي الْوَعِيدِ. ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّ الْبَارِيَّ سَبَّحَانَهُ مَا أَخْلَى عِبَادَهُ بَعْدَ قَبْضِ آدَمَ وَ تَوْفِيهِ مِمَّا يُؤَكِّدُ عَلَيْهِمُ حُجْجَ الرَّبُّوبِيَّةِ بَلْ أُرْسِلَ إِلَيْهِمُ الرَّسُلُ قَرْنَا فَقَرْنَا بَفَتْحِ الْقَافِ وَ هُوَ أَهْلُ الزَّمَانِ الْوَاحِدِ قَالَ الشَّاعِرُ -قُرْآن- ٨٠-٩٧ إِذَا مَامَضَى الْقَرْنَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِمْ || وَخَلَفْتَ فِي قَرْنٍ فَأَنْتَ غَرِيبٌ. وَتَعَاهَدُهُمُ بِالْحُجْجِ أَيَّ جَدَّدَ الْعَهْدَ عِنْدَهُمْ بِهَا وَيُرْوَى بَلْ تَعَاهَدُهُمُ بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّعَاهُدِ التَّحْفِظَ بِالشَّيْءِ تَعَاهَدْتَ فَلَانَا وَتَعَاهَدْتَ ضَعِيفَتِي وَ هُوَ أَفْصَحُ مِنْ تَعَاهَدْتَ لِأَنَّ التَّفَاعُلَ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ شَيْئَيْنِ وَتَقُولُ فَلَانِ يَتَعَاهَدُهُ صَرَعٌ. قَوْلُهُ وَبَلَغَ الْمَقْطَعُ عِذْرَهُ وَنَذَرَهُ مَقْطَعُ الشَّيْءِ حَيْثُ يَنْقَطِعُ وَ لَا يَبْقَى خَلْفَهُ شَيْءٌ مِنْهُ أَيَّ لَمْ يَزَلْ يَبْعَثُ الْأَنْبِيَاءَ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ حَتَّى بَعَثَ مُحَمَّدًا صَ فَتَمَّتْ بِهِ حُجَّتُهُ عَلَى الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ وَبَلَغَ الْأَمْرَ مَقْطَعَهُ أَيَّ لَمْ يَبْقَ بَعْدَهُ رَسُولٌ يَنْتَظَرُ [صَفْحَةُ ٧] وَانْتَهَتْ عِذْرُ اللَّهِ تَعَالَى وَنَذَرَهُ فَعِذْرُهُ مَا بَيْنَ الْمَكْلُفِينَ مِنَ الْإِعْذَارِ فِي عَقُوبَتِهِ لَهُمْ إِنْ عَصَوْهُ وَنَذَرَهُ مَا أَنْذَرَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَوَادِثِ وَ مِنْ أَنْذَرَهُمْ عَلَى لِسَانِهِ مِنَ الرَّسُلِ

القول في عصمة الأنبياء

واعلم أن المتكلمين اختلفوا في عصمة الأنبياء ونحن نذكر هاهنا طرفا من حكاية المذاهب في هذه المسألة على سبيل الاقتصار ونقل الآراء لا على سبيل الحجاج ونخص قصة آدم ع والشجرة بنوع من النظر إذ كانت هذه القصة مذكورة في كلام أمير المؤمنين ع في هذا الفصل فنقول اختلف الناس في المعصوم ما هو فقال قوم المعصوم هو الذي لا يمكنه الإتيان بالمعاصي وهؤلاء هم الأقلون أهل النظر واختلفوا في عدم التمكن كيف هو فقال قوم منهم المعصوم هو المختص في نفسه أو بدنه أو فيهما بخاصية تقضى امتناع إقدامه على المعاصي. وقال قوم منهم بل المعصوم مساو في الخواص النفسية والبدنية لغير المعصوم وإنما العصمة هي القدرة على الطاعة أو عدم القدرة على المعصية وهذا قول الأشعرى نفسه وإن كان كثير من أصحابه قد خالفه فيه. وقال الأكثرون من أهل النظر بل المعصوم مختار متمكن من المعصية والطاعة. وفسروا العصمة بتفسيرين أحدهما أنها أمور يفعلها الله تعالى بالمكلف فتقتضى ألا يفعل المعصية اقتضاء [صَفْحَةُ ٨] غير بالغ إلى حد الإيجاب وفسروا هذه الأمور فقالوا إنها أربعة أشياء أولها أن يكون لنفس الإنسان ملكة مانعة من الفجور داعية إلى العفة وثانيها العلم بمثالب المعصية ومناقب الطاعة وثالثها تأكيد ذلك العلم بالوحي والبيان من الله تعالى ورابعها أنه متى صدر عنه خطأ من باب النسيان والسهو لم يترك مهملا بل يعاقب وينبه ويضيق عليه العذر قالوا فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان الشخص معصوما عن المعاصي لا محالة لأن العفة إذا انضاف إليها العلم بما في الطاعة من السعادة وما في المعصية من الشقاوة ثم أكد ذلك بتابع الوحي إليه وترادفه وتظاهر البيان عنده وتم ذلك خوفه من العتاب على القدر القليل حصل من اجتماع هذه الأمور حقيقة العصمة. وقال أصحابنا العصمة لطف يمتنع المكلف عند فعله من القبيح اختيارا وقد يكون ذلك اللطف خارجا عن الأمور الأربعة المعدودة مثل أن يعلم الله تعالى أنه إن أنشأ سحابا أو أهب ريحا أو حرك جسما فإن زيدا يمتنع عن قبيح مخصوص اختيارا فإنه تعالى يجب عليه فعل ذلك ويكون هذا اللطف عصمة لزيد وإن كان الإطلاق المشتهر في العصمة إنما هو لمجموع أطراف يمتنع المكلف بها عن القبيح مدة زمان تكليفه. وينبغي أن يقع الكلام بعد هذه المقدمة في ثلاثة فصول

الفصل الأول في حال الأنبياء قبل البعثة و من أذى يجوز أن يرسله الله تعالى إلى العباد

فالذى عليه أصحابنا المعتزلة رحمهم الله أنه يجب أن ينزه النبي قبل البعثة عما كان فيه تنفير عن الحق الذى يدعو إليه وعما فيه غضاضة وعيب . [صفحہ ۹] فالأول نحو أن يكون كافرا أو فاسقا و ذلك لأننا نجد التائب العائد إلى الصلاح بعد أن عهد الناس منه السخف والمجون والفسق لا يقع أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر عند الناس موقعهما ممن لم يعهدوه إلا- على السداد والصلاح . والثاني نحو أن يكون حجاجا أو حائكا أو محترفا بحرفه يقدرها الناس ويستخفون بصاحبها إلا أن يكون المبعوث إليهم على خلاف ما هوالمعهد الآن بالألا يكون من تعاطى ذلك مستهاننا به عندهم . ووافق أصحابنا فى هذا القوم جمهور المتكلمين . وقال قوم من الخوارج يجوز أن يبعث الله تعالى من كان كافرا قبل الرسالة و هو قول ابن فورك من الأشعرية لكنه زعم أن هذا الجائز لم يقع . وقال قوم من الحشوية قد كان محمدص كافرا قبل البعثة واحتجوا بقوله تعالى وَ وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى وَ قَالَ بَرِغوث المتكلم و هو أحد النجارية لم يكن النبي ص مؤمنا بالله قبل أن يبعثه لأنه تعالى قال له مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَ لَا الْإِيمَانُ. وروى عن السدى فى قوله تعالى وَ وَضَعْنَا عَنكَ وَزَرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ قَالَ وَزَرَهُ الشَّرِكُ فَإِنَّهُ كَانَ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً. وقال بعض الكرامية فى قوله تعالى حكاية عن ابراهيم ص -قرآن- ۶۷۴-۶۹۸-قرآن- ۸۰۵-۸۵۰-قرآن- ۸۸۵-۹۳۱] [صفحہ ۱۰] قَالَ أَسْلَمْتُنَاهُ أَسْلَمَ يَوْمئذٍ وَ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ مُسْلِمًا وَمِثْل ذَلِكَ قَالَ الْيَمَانُ بْنُ رَبَابٍ مُتَكَلِّمُ الْخَوَارِجِ . وَحَكَى كَثِيرٌ مِنْ أَرْبَابِ الْمَقَالَاتِ عَنْ شَيْخِنَا أَبِي الْهَدَيْلِ وَ أَبِي عَلِيٍّ جَوَازَ أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ قَدَارَتِكَ كَبِيرَةً قَبْلَ الْبَعْثَةِ وَ لَمْ أَجِدْ فِي كِتَابِ أَصْحَابِنَا حِكَايَةَ هَذَا الْمَذْهَبِ عَنْ الشَّيْخِ أَبِي الْهَدَيْلِ وَ وَجَدْتَهُ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ ذَكَرَهُ أَبُو مُحَمَّدٍ بِنِ مَتْوِيهِ فِي كِتَابِ الْكِفَايَةِ فَقَالَ مَنَعَ أَهْلَ الْعَدْلِ كُلَّهُمْ مِنْ تَجْوِيزِ بَعْثِهِ مِنْ كَانَ فَاسِقًا قَبْلَ النَّبُوَّةِ إِلَّا مَا جَرَى فِي كَلَامِ الشَّيْخِ أَبِي عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ثُبُوتِ فَصْلِ بَيْنَ الْبَعْثَةِ وَقَبْلِهَا فَأَجَازَ أَنْ يَكُونَ قَبْلَ الْبَعْثَةِ مَرْتَكِبًا لِكَبِيرَةٍ ثُمَّ يَتُوبُ فِيْبَعْتِهِ اللَّهُ تَعَالَى حِينَئِذٍ وَ هُوَ مَذْهَبٌ مُحْكَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ الرَّاهِرِيِّ ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَالصَّحِيحُ مِنْ قَوْلِ أَبِي عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِثْلَ مَا نَخْتَارُهُ مِنَ التَّسْوِيَةِ بَيْنَ حَالِ الْبَعْثَةِ وَقَبْلِهَا فِي الْمَنَعِ مِنْ جَوَازِ ذَلِكَ . وَ قَالَ قَوْمٌ مِنَ الْأَشْعَرِيَّةِ وَ مِنْ أَهْلِ الظَّاهِرِ وَأَرْبَابِ الْحَدِيثِ إِنْ ذَلِكَ جَائِزٌ وَاقِعٌ وَاسْتَدَلُّوا بِأَحْوَالِ إِخْوَةِ يُوسُفَ وَمَنَعَ الْمَانِعُونَ مِنْ ذَلِكَ مِنْ ثُبُوتِ نَبُوَّةِ إِخْوَةِ يُوسُفَ ثُمَّ هَؤُلَاءِ الْمَجُوزُونَ مِنْهُمْ مِنْ جَوَازِ عَلَيْهِمْ فَعَلِ الْكِبَائِرَ مُطْلَقًا وَمِنْهُمْ مَنْ جَوَازَ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ النَّدْرَةِ ثُمَّ يَتُوبُونَ عَنْهُ وَيَشْتَهَرُ حَالَهُمْ بَيْنَ الْخَلْقِ بِالصَّلَاحِ فَأَمَّا لَوْ فَضَرْنَا إِصْرَارَهُمْ عَلَى الْكِبَائِرِ بِحَيْثُ يَصِيرُونَ مَشْهُورِينَ بِالْفِسْقِ وَالْمَعَاصِي فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَجُوزُ لِأَنَّهُ يَفُوتُ الْغَرَضُ مِنْ إِرسَالِهِمْ وَنُبُوَّتِهِمْ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ . وَقَالَتِ الْإِمَامِيَّةُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيًّا قَدِ وَقَعَ مِنْهُ قَبِيحٌ قَبْلَ النَّبُوَّةِ -قرآن- ۱-۱۳] [صفحہ ۱۱] لِاصْغِيرِهَا وَ لَا- كَبِيرِهَا لِأَعْمَدِهَا وَ لِأَخْطَا وَ لَا عَلَى سَبِيلِ التَّأْوِيلِ وَالشَّبْهَةِ وَ هَذَا الْمَذْهَبُ مِمَّا تَفَرَّدُوا بِهِ فَإِنَّ أَصْحَابِنَا وَغَيْرَهُمْ مِنَ الْمَانِعِينَ لِلْكَبَائِرِ قَبْلَ النَّبُوَّةِ لَمْ يَمْنَعُوا وَقُوعَ الصَّغَائِرِ مِنْهُمْ إِذَا لَمْ تَكُنْ مَسْخُفَةً مَنفَرَةً. اطردت الإمامية هذا القول فى الأئمة فجعلت حكمهم فى ذلك حكم الأنبياء فى وجوب العصمة المطلقة لهم قبل النبوة وبعدها

الفصل الثانى فى عصمة الأنبياء فى زمن النبوة عن الذنوب فى أفعالهم وتروكهم عدا ما يتعلق بتبليغ الوحي والفتوى فى الأحكام

جوز قوم من الحشوية عليهم هذه الكبائر وهم أنبياء كالزنا واللواط وغيرهما وفيهم من جوز ذلك بشرط الاستسرار دون الإعلان وفيهم من جوز ذلك على الأحوال كلها. ومنع أصحابنا المعتزلة من وقوع الكبائر منهم ع أصلا ومنعوا أيضا من وقوع الصغائر المسخفة منهم وجوزوا وقوع الصغائر التى ليست بمسخفة منهم ثم اختلفوا فمنهم من جوز على النبي الإقدام على المعصية

الصغيرة غير المسخفة عمدا و هو قول شيخنا أبي هاشم رحمه الله تعالى فإنه أجاز ذلك و قال إنه لا يقدم ع على ذلك إلا على خوف ووجل و لا يتجرأ على الله سبحانه . و منهم من منع من تعمد إتيان الصغيرة و قال إنهم لا يقدمون على الذنوب التي يعلمونها ذنوبا بل على سبيل التأويل و دخول الشبهة و هذا قول أبي علي رحمه الله تعالى . [صفحہ ۱۲] و حكى عن أبي إسحاق النظام و جعفر بن مبشر أن ذنوبهم لا تكون إلا - على سبيل السهو والنسيان وأنهم مؤاخذون بذلك و إن كان موضوعا عن أمتهم لأن معرفتهم أقوى و دلائلهم أكثر و أخطارهم أعظم و يتهاون لهم من التحفظ ما لا يتهاون لغيرهم . و قالت الإمامية لا تجوز عليهم الكبائر و لا الصغائر لا عمدا و لا خطأ و لا سهوا و لا على سبيل التأويل و الشبهة و كذلك قولهم في الأئمة و الخلاف بيننا وبينهم في الأنبياء يكاد يكون ساقطا لأن أصحابنا إنما يجوزون عليهم الصغائر لأنه لا عقاب عليها و إنما تقتضى نقصان الثواب المستحق على قاعدتهم في مسألة الإحباط فقد اعترف إذا أصحابنا بأنه لا يقع من الأنبياء ما يستحقون به ذما و لا عقابا و الإمامية إنما تنفى عن الأنبياء الصغائر و الكبائر من حيث كان كل شئ منها يستحق فاعله به الذم و العقاب لأن الإحباط باطل عندهم فإذا كان استحقاق الذم و العقاب يجب أن ينفى عن الأنبياء و جب أن ينفى عنهم سائر الذنوب فقد صار الخلاف إذا متعلقا بمسألة الإحباط و صارت هذه المسألة فرعا من فروعها . و اعلم أن القول بجواز الصغائر على الأنبياء بالتأويل و الشبهة على ما ذهب إليه شيخنا أبو علي رحمه الله تعالى إنما اقتضاه تفسيره لآية آدم و الشجرة و تكلفه إخراجها عن تعمد آدم للعصيان فقال إن آدم نهى عن نوع تلك الشجرة لا عن عينها بقوله تعالى وَ لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ و أراد سبحانه نوعها المطلق فظن آدم أنه أراد خصوصية تلك الشجرة بعينها و قد كان أشير إليها فلم يأكل منها بعينها ولكنه أكل من شجرة أخرى من نوعها فأخطأ في التأويل و أصحاب شيخنا أبي هاشم لا يرضون هذا المذهب و يقولون إن الإشكال باق بحاله لأن آدم أخل بالنظر على - قرآن - ۱۱۷۵-۱۲۰۴ [صفحہ ۱۳] هذا القول في أن المنهى عنه هل هو عين الشجرة أو نوعها مع أنه قد كان مدلولاً على ذلك لأنه لو لم يكن مدلولاً على ذلك لكان تكليف الامتناع عن تناول تكليف ما لا يطاق و إذا دل على ذلك و جب عليه النظر و لا وجه يجب النظر لأجله إلا الخوف من تركه و إذا لم يكن بد من كونه خائفا فهو عالم إذا بوجوب هذا التأمل و النظر فإذا أخل به فقد وقعت منه المعصية مع علمه . و كما لا يرضى أصحاب شيخنا أبي هاشم هذا المذهب فكذلك لا يرضون مذهب النظام و جعفر بن مبشر و ذلك لأن القول بأن الأنبياء يؤاخذون على ما يفعلونه سهوا متناقض لأن السهو يزيل التكليف و يخرج الفعل من كونه ذنبا مؤاخذا به و لهذا لا يصح مؤاخذه المجنون و النائم و السهو في كونه مؤثرا في رفع التكليف جار مجرى فقد القدر و الآلات و الأدلة فلو جاز أن يخالف حال الأنبياء حال غيرهم في صحة تكليفهم مع السهو جاز أن يخالف حالهم حال غيرهم في صحة التكليف مع فقد القدر و الآلات و ذلك باطل . و اعلم أن الشريف المرتضى رحمه الله تعالى قد تكلم في كتابه المسمى بتتزيه الأنبياء و الأئمة على هذه الآية و انتصر لمذهب الإمامية فيها و حاول صرفها عن ظاهرها و تأول اللفظ بتأويل مستكره غير صحيح و أنا أحكى كلامه ها هنا و أتكلم عليه نصرة لأصحابنا و نصرة أيضا لأمير المؤمنين ع فإنه قد صرح في هذا الفصل بوقوع الذنب من آدم ع ألا ترى إلى قوله و المخاطرة بمنزلته و هل تكون هذه اللفظة إلا - في الذنب و كذلك سياق الفصل من أوله إلى آخره إذا تأمله المنصف و طرح الهوى و التعصب ثم إننا نذكر كلام السيد الشريف المرتضى رحمه الله تعالى قال رحمه الله تعالى [صفحہ ۱۴] أما قوله تعالى وَ عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَإِنَّ الْمَعْصِيَةَ مَخَالِفَةً لِلْأَمْرِ وَالْأَمْرُ مِنَ الْحَكِيمِ تَعَالَى قَدْ يَكُونُ بِالْوَجِبِ وَبِالنَّدْبِ مَعَا فَلَا يَمْتَنَعُ عَلَى هَذَا أَنْ يَكُونَ آدَمُ مَنَدُوبًا إِلَى تَرْكِ التَّنَاوُلِ مِنَ الشَّجَرَةِ فَيَكُونُ بِمَوَاقِعَتِهَا تَارِكًا فَرَضًا وَنَفْلًا وَغَيْرَ فَاعِلٍ قَبِيحًا وَ لَيْسَ يَمْتَنَعُ أَنْ يَسْمَى تَارِكًا النَّفْلِ عَاصِيًا كَمَا يَسْمَى بِذَلِكَ تَارِكًا الْوَجِبِ فَإِنْ تَسْمِيَةٌ مِنْ خَالِفٍ مَا أَمَرَ بِهِ سَوَاءٌ كَانَ وَاجِبًا أَوْ نَفْلًا بِأَنَّهُ عَاصٍ ظَاهِرٌ وَ لِهَذَا يَقُولُونَ أَمَرْتُ فَلَانَا بِكَذَا وَ كَذَا مِنَ الْخَيْرِ فَعَصَانِي وَ خَالَفَنِي وَ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَا أَمَرَ بِهِ وَاجِبًا . يُقَالُ لَهُ الْكَلَامُ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ مِنْ وَجْهِهَا أُولَاهَا أَنْ أَلْفَاظَ الشَّرْعِ يَجِبُ أَنْ تَحْمَلَ عَلَى حَقَائِقِهَا اللَّغْوِيَّةَ مَا لَمْ يَكُنْ لَهَا حَقَائِقُ شَرْعِيَّةٌ فَإِذَا كَانَ لَهَا حَقَائِقُ شَرْعِيَّةٌ وَجِبَ أَنْ تَحْمَلَ

على عرف الشرع واصطلاحه كالصلاة والحج والنفق والكفر ونحو ذلك من الألفاظ الشرعية وهكذا قال السيد المرتضى رحمه الله تعالى في كتابه في أصول الفقه المعروف بالذريعة في باب كون الأمر للوجوب وهو الحق الذي لامندوحه عنه وإذا كان لفظ العصيان في الاصطلاح الشرعي موضوعا لمخالفة الأمر الإيجابي لم يجز العدول عنه وحمله على مخالفة الندب . ومعلوم أن لفظ العصيان في العرف الشرعي لا يطلق إلا على مخالفة الأمر المقتضى للوجوب فالقول بجواز حملها على مخالفة الأمر الندبي قول تبطله وتدفعه تلك القاعدة المقررة التي ثبتت بالاتفاق وبالدليل على أننا قبل أن نجيب بهذا الوجه نمنع أصلا أنه يجوز أن يقال لتارك النفل إنه عاص لا في أصل اللغة ولا في العرف ولا في الشرع وذلك لأن حقيقة النفل هو ما يقال فيه للمكلف الأولى أن تفعل هذا ولك ألا تفعله ومعلوم أن -قرآن- ١٨-٣٧ [صفحة ١٥] تارك مثل ذلك لا يطلق عليه أنه عاص ويبين ذلك أن لفظ العصيان في اللغة موضوع للامتناع ولذلك سميت العصا عصا لأنه يمتنع بها ومنه قولهم قدشق العصا أى خرج عن الربقة المانعة من الاختلاف والتفرق وتارك الندب لا يمتنع من أمر لأن الأمر الندبي لا يقتضى شيئا اقتضاء اللزوم بل معناه إن فعلت فهو أولى ويجوز ألا- تفعل فأى امتناع حدث إذاخولف أمر الندب سمي المخالف له عاصيا ويبين ذلك أيضا أن لفظ عاص اسم ذم فلايجوز إطلاقه على تارك الندب كما لايسمى فاسقا وإن كان الفسق في أصل اللغة للخروج . ثم يسأل المرتضى رحمه الله تعالى عما سأل عنه نفسه فيقال له كيف يجوز أن يكون ترك الندب معصية أو ليس هذايوجب أن يوصف الأنبياء بأنهم عصاة في كل حال وأنهم لاينفكون عن المعصية لأنهم لايكادون ينفكون من ترك الندب . وقدأجاب رحمه الله تعالى عن هذا فقال وصف تارك الندب بأنه عاص توسع وتجاوز والمجاز لايقاس عليه ولايعدى عن موضعه ولوقيل إنه حقيقة في فاعل القبيح وتارك الأولى والأفضل لم يجز إطلاقه في الأنبياء إلا مع التقييد لأن استعماله قدكثر في فاعل القبائح فإطلاقه عن التقييد موهم . لكننا نقول إن أردت بوصفهم بأنهم عصاة أنهم فعلوا القبيح فلايجوز ذلك وإن أردت أنهم تركوا ما لوفعلوه لاستحقوا الثواب ولكان أولى فهم كذلك . كذلك يقال له ليس هذا من باب القياس على المجاز الذي اختلف فيه أرباب أصول الفقه لأن من قال إذاترك زيد الندب فإنه يسمى عاصيا يلزمه أن يقول إن عمرا إذاترك الندب يسمى عاصيا وليس هذاقياسا كما أن من قال لزيد البليد هذا [صفحة ١٦] حمار قال لعمر البليد هذاحمار والقياس على المجاز الذي اختلف الأصوليون في جوازه خارج عن هذاالموضع . ومثال المسألة الأصولية المختلف فيهاوَ اخْفِضْ لَهَا جَنَاحَ الدَّلَّهِلْ يجوز أن يقال طأطئ لهما عنق الذل . و أما قوله لوسلمنا أنه حقيقة في تارك الندب لم يجز إطلاقه في حق الأنبياء لأنه يوهم العصيان بل يجب أن يقيد. فيقال له لكن البارئ سبحانه أطلقه ولم يقيده في قوله وَ عَصَى آدَمُفِيْلِزْمِكَ أن يكون تعالى موهما وفاعلا للقبيح لأن إيهام القبيح قبيح . فإن قال الدلالة العقلية على استحالة المعاصي على الأنبياء تؤمن من الإيهام . قيل له وتلك الدلالة بعينها تؤمن من الإيهام في قول القائل الأنبياء عصاة فهلا أجزت إطلاق ذلك . وثانيها أنه تعالى قال فَعَوَى والغى الضلال . قال المرتضى رحمه الله تعالى معنى غوى هاهنا خاب لأنه نعلم أنه لو فعل ماندب إليه من ترك التناول من الشجرة لاستحق الثواب العظيم فإذاخالف الأمر ولم يصر إلى ماندب إليه فقد خاب لامحالة من حيث لم يصر إلى الثواب الذي كان يستحقه بالامتناع ولاشبهه في أن لفظ غوى يحتمل الخيبة قال الشاعر -قرآن- ١٤٣-١٧١-قرآن- ٣٨٧-٣٩٩-قرآن- ٦٧٥-٦٨٠ فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره || و من يغو لايعدم على الغى لائما . [صفحة ١٧] يقال له ألسنت القائل في مصنفاتك الكلامية إن المندوبات إنما ندب إليها لأنها كالمسهلات والميسرات لفعل الواجبات العقلية وأنها ليست أظافا في واجب عقلي و أن ثوابها يسير جدا بالإضافة إلى ثواب الواجب فإذا كان آدم ع ماأخل بشيء من الواجبات ولافعل شيئا من المقبحات فقد استحق من الثواب العظيم مايستحق ثواب المندوب بالإضافة إليه ومثل هذا لايقال فيه لمن ترك المندوب إنه قدخاب أ لا ترى أن من اكتسب مائة ألف قنطار من المال وترك بعد ذلك درهما واحدا كان يمكنه اكتسابه فلم يكتسبه لايقال إنه خاب . وثالثها أن ظاهر القرآن يخالف ما ذكره

لأنه تعالى أخبر أن آدم منهي عن أكل الشجرة بقوله وَ لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ وقوله أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَمَا الشَّجَرَةَ وهذا يوجب أنه قد عصى بأن فعل منهي عنه والشريف المرتضى رحمه الله تعالى يقول إنه عصى بأن ترك مأمورا به . قال المرتضى رحمه الله تعالى مجيبا عن هذا إن الأمر والنهي ليسا يختصان عندنا بصيغته ليس فيها احتمال واشتراك وقد يؤمر عندنا بلفظ النهي وينهى بلفظ الأمر وإنما يكون النهي نهيا بكرهه المنهي عنه فإذا قال تعالى لا تقربا هذه الشجرة ولم يكره قربهما لم يكن في الحقيقة ناهيا كما أنه تعالى لما قال اعملوا ما شئتموا إذا حللتم فاصطادوا ولم يرد ذلك لم يكن أمرا به وإذا كان قد صحب قوله لا- تقربا هذه الشجرة إرادة ترك تناول وجب أن يكون هذا القول أمرا وإنما سماه منهي وسمى -قرآن- ٦٢٠- ٦٧٧-قرآن- ٦٨٦-٧٢٥-قرآن- ١٠٦٢-١٠٨٨-قرآن- ١١٥٧-١١٧٤-قرآن- ١١٧٥-١٢٠١-قرآن- ١٢٥٧-١٢٨٣ [صفحة ١٨] أمره له بأنه نهى من حيث كان فيه معنى النهي لأن في النهي ترغيبا في الامتناع من الفعل وتزهيدا في الفعل نفسه و لما كان الأمر ترغيبا من فعل المأمور وتزهيدا في تركه جاز أن يسمى نهيا. وقد يتداخل هذان الوضعان في الشاهد فيقول أحدنا قد أمرت فلانا بالأمر يلقي الأمير وإنما يريد أنه نهاه عن لقائه ويقول نهيتك عن هجر زيد وإنما معناه أمرتك بمواصلته . يقال له هذا خلاف الظاهر فلا يجوز المصير إليه إلا بدلالة قاطعة تصرف اللفظ عن ظاهره ويكفي أصحاب أبي هاشم في نصرته قولهم التمسك بالظاهر. واعلم أن بعض أصحابنا تأول هذه الآية وقال إن ذلك وقع من آدم ع قبل نبوته لأنه لو كان نبيا قبل إخراجه من الجنة لكان إما أن يكون مرسلا إلى نفسه وهو باطل أو إلى حواء وقد كان الخطاب يأتيها بغير واسطة لقوله تعالى وَ لَا تَقْرَبَا أَوْ إِلَى الْمَلَائِكَةِ وَ هَذَا بَاطِلٌ لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ رَسَلُ اللَّهِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ جَاءَ لِلْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَالرَّسُولَ لَا يَحْتَاجُ إِلَى رَسُولٍ آخَرَ أَوْ يَكُونُ رَسُولًا وَ لَيْسَ هُنَاكَ مَنْ يَرْسُلُ إِلَيْهِ وَ هَذَا مُحَالٌ فَثَبِتَ أَنَّ هَذِهِ الْوَاقِعَةَ وَقَعَتْ لَهُ ع قَبْلَ نُبُوته وَإرساله -قرآن- ٧٣١-٧٤٣-قرآن- ٨٠٨-٨٣٤

الفصل الثالث في خطئهم في التبليغ والفتاوى

قال أصحابنا إن الأنبياء معصومون من كل خطأ يتعلق بالأداء والتبليغ فلا يجوز [صفحة ١٩] عليهم الكذب ولا التغيير ولا التبديل ولا الكتمان ولا تأخر البيان عن وقت الحاجة ولا الغلط فيما يؤدونه عن الله تعالى ولا السهو فيه ولا الإلغاز ولا التعمية لأن كل ذلك إما أن ينقض دلالة المعجز على صدقه أو يؤدي إلى تكليف ما لا يطاق . وقال قوم من الكرامية والحشوية يجوز عليهم الخطأ في أقوالهم كما جاز في أفعالهم قالوا وقد أخطأ رسول الله ص في التبليغ حيث قال تلك الغرائق العلاء || و إن شفاعتهن لترجي . وقال قوم منهم يجوز الغلط على الأنبياء فيما لم تكن الحجة فيه مجرد خبرهم لأنه لا يكون في ذلك إبطال حجة الله على خلقه كما وقع من النبي ص في هذه الصورة فإن قوله ذلك ليس بمبطل لحجة العقل في أن الأصنام لا يجوز تعظيمها ولا ترجى شفاعتها فأما ما كان السبيل إليه مجرد السمع فلو أمكن الغلط فيه لبطلت الحجة بإخبارهم . وقال قوم منهم إن الأنبياء يجوز أن يخطئوا في أقوالهم وأفعالهم إذا لم تجر تلك الأفعال مجرى بيان الوحي كبيانه ع لنا الشريعة ولا يجوز عليه الخطأ في حال البيان وإن كان يجوز عليه ذلك في غير حال البيان كما روى من خبر ذي اليمين حين سها النبي ص في الصلاة وكذلك ما يكون منه من تبليغ وحي فإنه لا يجوز عليه أن يخطئ فيه لأنه حجة الله على عباده فأما في أقواله الخارجة عن التبليغ فيجوز [صفحة ٢٠] أن يخطئ كما روى عنه ص في نهيه لأهل المدينة عن تأبير النخل . فأما أصحابنا المعتزلة فإنهم اختلفوا في الخبر المروي عنه ع في سورة النجم فمنهم من دفع الخبر أصلا ولم يقبله وطعن في رواته ومنهم من اعترف بكونه قرآنا منزلا . وهم فريقان أحدهما القائلون بأنه كان وصفا للملائكة فلما ظن المشركون أنه وصف آلهتهم رفع ونهى عن تلاوته وثانيهما القائلون إنه خارج على وجه الاستفهام بمعنى الإنكار فتوهم سامعوه أنه بمعنى التحقيق فنسخه الله تعالى ونهى عن تلاوته . ومنهم من قال

ليس بقرآن منزل بل هو كلام تكلم به رسول الله ص من قبل نفسه على طريق الإنكار والهزء بقريش فظنوا أنه يريد التحقيق فنسخه الله بأن بين خطأ ظنهم وهذا معنى قوله وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِمَا فَلِإِنَّ الشَّيْطَانَ هَاهُنَا هُوَ الْإِقْدَانُ الشَّبَهُةُ فِي قُلُوبِ الْمُشْرِكِينَ وَإِنَّمَا أَضَافَهُ إِلَى أُمْنِيَّتِهِ وَهِيَ تَلَاوَتُهُ الْقُرْآنَ لِأَنَّ بَغْرُورَ الشَّيْطَانِ وَوَسْوَستَهُ أَضَافَ الْمُشْرِكُونَ إِلَى تَلَاوَتِهِ عَ مَا لَمْ يَرِدْ بِهِ. وَأَنْكَرَ أَصْحَابُنَا الْأَخْبَارَ الْوَارِدَةَ الَّتِي تَقْتَضِي الطَّعْنَ عَلَى الرَّسُولِ ص قَالُوا وَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ تَصْدُقَ هَذِهِ الْأَخْبَارُ الْآحَادَ عَلَى مَنْ قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ كَذَلِكَ لَنْبُتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَقَالَ لَهُ سَيَنْقُرُوكَ فَلَا تَنْسَى وَقَالَ عَنْهُ وَ لَوْ تَقَوْلَ -قرآن- ٦٧٠-٨٣٩-قرآن- ١١٦٧-١١٩٨-قرآن- ١٢١٠-١٢٣١-قرآن- ١٢٤٤-١٢٥٨ أن يخطئ كما روى عنه ص في نهيه لأهل المدينة عن تأبير النخل. فأما أصحابنا المعتزلة فإنهم اختلفوا في الخبر المروي عنه ع في سورة النجم فمنهم من دفع الخبر أصلاً ولم يقبله وطعن في روايته ومنهم من اعترف بكونه قرآناً منزلاً وهم فريقان أحدهما القائلون بأنه كان وصفاً للملائكة فلما ظن المشركون أنه وصف آلهم رفع ونهى عن تلاوته وثانيهما القائلون إنه خارج على وجه الاستفهام بمعنى الإنكار فتوهم سامعوه أنه بمعنى التحقيق فنسخه الله تعالى ونهى عن تلاوته . ومنهم من قال ليس بقرآن منزل بل هو كلام تكلم به رسول الله ص من قبل نفسه على طريق الإنكار والهزء بقريش فظنوا أنه يريد التحقيق فنسخه الله بأن بين خطأ ظنهم وهذا معنى قوله وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِمَا فَلِإِنَّ الشَّيْطَانَ هَاهُنَا هُوَ الْإِقْدَانُ الشَّبَهُةُ فِي قُلُوبِ الْمُشْرِكِينَ وَإِنَّمَا أَضَافَهُ إِلَى أُمْنِيَّتِهِ وَهِيَ تَلَاوَتُهُ الْقُرْآنَ لِأَنَّ بَغْرُورَ الشَّيْطَانِ وَوَسْوَستَهُ أَضَافَ الْمُشْرِكُونَ إِلَى تَلَاوَتِهِ عَ مَا لَمْ يَرِدْ بِهِ. وَأَنْكَرَ أَصْحَابُنَا الْأَخْبَارَ الْوَارِدَةَ الَّتِي تَقْتَضِي الطَّعْنَ عَلَى الرَّسُولِ ص قَالُوا وَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ تَصْدُقَ هَذِهِ الْأَخْبَارُ الْآحَادَ عَلَى مَنْ قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ كَذَلِكَ لَنْبُتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَقَالَ لَهُ سَيَنْقُرُوكَ فَلَا تَنْسَى وَقَالَ عَنْهُ وَ لَوْ تَقَوْلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقْوِيلِ لِأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ وَ أَمَّا خَبَرُ ذِي الْيَدَيْنِ وَخَبَرُ تَأْبِيرِ النَّخْلِ فَقَدْ تَكَلَّمْنَا عَلَيْهِمَا فِي كِتَابِنَا الْمَصْنُفَةِ فِي أَصُولِ الْفِقْهِ -قرآن- ١-٨٥ وَ قَدَّرَ الْأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وَ قَلَّلَهَا وَ قَسَمَهَا عَلَى الضِّيقِ وَ السَّعَةِ فَعَدَلَ فِيهَا لِيَتَلَى مَنْ أَرَادَ بِمِيسُورِهَا وَ مَعْسُورِهَا وَ لِيَخْتَبِرَ بِذَلِكَ الشُّكْرَ وَ الصَّبْرَ مِنْ غَيْبِهَا وَ فِقْرِهَا ثُمَّ قَرَنَ بِسَعَتِهَا عَقَابِيلَ فَاقْتَبَاهَا وَ بِسَاءَمَاتِهَا طَوَارِقَ أَقَاتِهَا وَ بِفُرْجِ أَفْرَاحِهَا غُصَّةَ صَّ أْتْرَاحِهَا وَ خَلَقَ الْأَجَالَ فَاطَالَهَا وَ قَصَّ رَهَا وَ قَدَّمَهَا وَ أَخَّرَهَا وَ وَصَلَ بِالْمَوْتِ أَسْبَابَهَا وَ جَعَلَهُ خَالِجاً لِأَشْطَانِهَا وَ قَاطِعاً لِمَرَائِرِ أَقْرَانِهَا الضِّيقِ وَ الضِّيقِ لَغْتَانِ فَأَمَّا الْمَصْدَرُ مِنْ ضَاقَ فَالضِّيقُ بِالْكَسْرِ لَا غَيْرَ وَعَدَلَ فِيهَا مِنَ التَّعْدِيلِ وَ هُوَ التَّقْوِيمُ وَ رَوَى فَعَدَلَ بِالتَّخْفِيفِ مِنَ الْعَدْلِ نَقِيضَ الظُّلْمِ . وَ الْمِيسُورُ وَ الْمَعْسُورُ مَصْدَرَانِ وَ قَالَ سِيبَوِيهٌ هُمَا صِفَتَانِ وَ لَا يَجِيءُ عِنْدَهُ الْمَصْدَرُ عَلَى وَزْنِ مَفْعُولِ الْبَتَّةِ وَ يَتَأَوَّلُ قَوْلُهُمْ دَعَا إِلَى مِيسُورِهِ وَ يَقُولُ كَأَنَّهُ قَالَ دَعَا إِلَى أَمْرٍ يُوَسِّرُ فِيهِ وَ كَذَلِكَ يَتَأَوَّلُ الْمَعْقُولُ أَيْضاً فَيَقُولُ كَأَنَّهُ عَقَلَ لَهُ شَيْءٌ أَيْ حَبَسَ وَ أَيْدٍ وَ سَدَدَ . وَ مَعْنَى قَوْلِهِ عَ لِيَتَلَى مَنْ أَرَادَ بِمِيسُورِهَا وَ مَعْسُورِهَا هُوَ مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ ص إِنْ إِعْطَاءَ هَذَا الْمَالِ فَتَنَةٌ وَإِمْسَاكُهُ فَتَنَةٌ -رواية- ١-٢-رواية- ١٧-٥٦ . [صفحہ ٢٢] وَ الْعَقَابِيلُ فِي الْأَصْلِ الْحَلَاءُ وَ هُوَ قُرُوحٌ صَغَارٌ تَخْرُجُ بِالشَّفَةِ مِنْ بَقَايَا الْمَرَضِ وَ الْفَاقَةُ الْفَقْرُ . وَ طَوَارِقُ الْأَفَاتِ مُتَجَدِّدَاتُ الْمَصَائِبِ وَ أَصْلُ الطَّرِيقِ مَا يَأْتِي لَيْلًا . وَ الْأَتْرَاحُ الْغُمُومُ الْوَاحِدُ تَرَحُّ وَ تَرَحُّهُ تَرِيحًا أَيْ حَزَنَةً . وَ خَالِجًا جَاذِبًا وَ الْخَلِجُ الْجَذْبُ خَلَجَهُ يَخْلُجُهُ بِالْكَسْرِ وَ اخْتَلَجَهُ مِنْهُ الْخَلِيجُ الْجَبَلُ لِأَنَّهُ يَجْتَذِبُ بِهِ وَ سَمِيَ خَلِيجَ الْبَحْرِ خَلِيجًا لِأَنَّهُ يَجْتَذِبُ مِنْ مَعْظَمِ الْبَحْرِ . وَ الْأَشْطَانُ الْجِبَالُ وَ أَحَدُهَا شَطْنٌ وَ شَطْنَتُ الْفَرَسِ أَشْطَنُهُ إِذَا شَدَّدَتْهُ بِالْشَطْنِ . وَ الْقُرَائِنُ الْجِبَالُ جَمْعُ قَرْنٍ وَ هُوَ مِنْ شَوَازِ الْجَمُوعِ قَالَ الشَّاعِرُ أَبْلَغَ خَلِيفَتِنَا إِنْ كُنْتَ لِأَقِيهِ || أَنْ لَدَى الْبَابِ كَالْمَشْدُودِ فِي قَرْنٍ . وَ مَرَائِرُ الْقُرَائِنِ جَمْعُ مَرِيرٍ وَ هُوَ مَا لَطَفَ وَ طَالَ مِنْهَا وَ اشْتَدَّ فَتَلَهُ وَ هَذَا الْكَلَامُ مِنْ بَابِ الاسْتِعَارَةِ عَالِمِ السَّرِّ مِنْ صَمَائِرِ الْمُضْمِرِينَ وَ نَجْوَى الْمُتَخَافِينَ وَ خَوَاطِرِ رَجَمِ الظُّنُونِ وَ عَقْدِ عَزِيمَاتِ الْيَقِينِ وَ مَسَارِقِ إِيْمَانِ الْجُفُونِ وَ مَيَاضِ حِنْتِهِ أَكْنَانِ الْقُلُوبِ وَ غَيَابَاتِ الْعُيُوبِ وَ مَيَا أَصْغَتْ لِاسْتِرَاقِهِ مَصَائِحِ الْأَسْمَاعِ وَ مَصَائِفِ الدَّرِّ وَ مَشَاتِي الْهَوَامِّ وَ رَجَعَ الْحَيْنِ مِنَ الْمُؤَلَّهَاتِ وَ هَمَسِ الْأَقْدَامِ وَ مُنْفَسِحِ الثَّمَرَةِ مِنْ وَ لَائِحِ الْكَمَامِ وَ

مُنْقَمَعِ الْوُحُوشِ مِنْ غَيْرَانِ الْجِبَالِ وَ أوديتها وَ مُخْتَبِئِ الْبُعُوضِ بَيْنَ سُوقِ [صفحة ٢٣] الأشجارِ وَ أَلْحِيَّتِهَا وَ مَغْرَزِ الْأورَاقِ مِنَ الْأَفْنَانِ وَ مَحْطِ الْأَمْشَاجِ مِنْ مَسَارِبِ الْأَصْلَابِ وَ نَاشِئَةِ الْغُيُومِ وَ مُتَلَاجِمِهَا وَ دُرُورِ قَطْرِ السَّحَابِ فِي مُتَرَاجِمِهَا وَ مَا تَسْفِي الْأَعَاصِيرُ بِذُيُولِهَا وَ تَعْفُو الْأَمْطَارُ بِسُيُولِهَا وَ عَومَ بَنَاتِ الْأَرْضِ فِي كُثْبَانِ الرَّمَالِ وَ مُسْتَقَرِّ ذَوَاتِ الْأَجْنَحَةِ بِذُرَا شَنَاخِيبِ الْجِبَالِ وَ تَغْرِيدِ ذَوَاتِ الْمَنْطِقِ فِي دِيَابِجِ الْأَوْكَارِ وَ مَا أَوْعَبَتْهُ الْأَصْدَافُ وَ حَضَنْتْ عَلَيْهِ أَمْوَاجَ الْبِحَارِ وَ مَا عَشِيَّتَهُ سُدْفُهُ لَيْلٍ أَوْ دَرَّ عَلَيْهِ شَارِقُ نَهَارٍ وَ مَا اعْتَقَبَتْ عَلَيْهِ أَطْبَاقُ الدِّيَابِجِ وَ سُبْحَاتُ النُّورِ وَ أَثَرِ كُلِّ خَطْوَةٍ وَ حَسَّ كُلِّ حَرَكَةٍ وَ رَجَعَ كُلُّ كَلِمَةٍ وَ تَحْرِيكُ كُلِّ شَفْهِ وَ مُسْتَقَرِّ كُلِّ نَسَمَةٍ وَ مِثْقَالِ كُلِّ ذَرَّةٍ وَ هَمَاهِمِ كُلِّ نَفْسٍ هَامِيَةٍ وَ مَا عَلَيْهَا مِنْ ثَمَرِ شَجَرَةٍ أَوْ سَاقِطِ وَرَقَةٍ أَوْ قَرَارَةٍ نُطْفَةٍ أَوْ نُقَاعَةٍ دَمٍ وَ مُضْغَةٍ أَوْ نَاشِئَةِ خَلْقٍ وَ سِيْمَالَةٍ لَمْ يَلْحَقَهُ فِي ذَلِكَ كُفْلَةٌ وَ لَا اعْتَرَضَتْهُ فِي حِفْظِ مَا ابْتَدَعَ مِنْ خَلْقِهِ عَارِضَةٌ وَ لَا اعْتَوَرَتْهُ فِي تَنْفِيذِ الْأُمُورِ وَ تَدَابِيرِ الْمَخْلُوقِينَ مَلَالَةٌ وَ لَمَّا فَتَرَهُ بَلَّ نَفْسَهُمْ عِلْمُهُ وَ أَحْصَاهُمْ عَدْدُهُ وَ وَسَّعَهُمْ عَدْلُهُ وَ غَمَّرَهُمْ فَضْلُهُ مَعَ تَقْصِيرِ يَرِهِمْ عَنْ كُنْهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ لَوْ سَمِعَ النَّضْرُ بِنِ كِنَانَهُ هَذَا الْكَلَامَ لَقَالَ لِقَائِهِ مَا قَالَهُ عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ جَرِيحٍ لِإِسْمَاعِيلِ بْنِ بَلْبَلٍ قَالُوا أَبُو الصَّقَرِ مِنْ شِيْبَانٍ قُلْتَ لَهُمْ || كَلَا وَلَكِنْ لِعَمْرَى مِنْهُ شِيْبَانٍ وَ كَمْ أَبٌ قَدِ عَلَا بِابْنِ ذِرَا شَرْفٍ || كَمَا عَلَا بِرَسُولِ اللَّهِ عَدْنَانٍ . إِذْ كَانَ يَفْخَرُ بِهِ عَلِيُّ عَدْنَانٍ وَ قَحْطَانَ بَلِّ كَانَ يَقْرَأُ بِهِ عَيْنُ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ [صفحة ٢٤] وَ يَقُولُ لَهُ إِنَّهُ لَمْ يَعْصِ مَا شِيدَتْ مِنْ مَعَالِمِ التَّوْحِيدِ بَلْ أَخْرَجَ اللَّهُ تَعَالَى لَكَ مِنْ ظَهْرِي وَ لِدَا ابْتَدَعَ مِنْ عُلُومِ التَّوْحِيدِ فِي جَاهِلِيَةِ الْعَرَبِ مَا لَمْ تَبْتَدِعْهُ أَنْتَ فِي جَاهِلِيَةِ النَّبَطِ بَلْ لَوْ سَمِعَ هَذَا الْكَلَامَ أَرَسْطُو طَالِيسِ الْقَائِلُ بِأَنَّهُ تَعَالَى لَا يَعْلَمُ الْجَزْئِيَّاتِ لَخَشِعَ قَلْبُهُ وَ قَفَّ شَعْرُهُ وَ اضْطَرَبَ فِكْرُهُ أَلَا تَرَى مَا عَلَيْهِ مِنَ الرِّوَاءِ وَ الْمَهَابَةِ وَ الْعِظْمَةِ وَ الْفَخَامَةِ وَ الْمَتَانَةِ وَ الْجَزَالَةِ مَعَ مَا قَدِ اشْرَبَ مِنَ الْحَلَاوَةِ وَ الطَّلَاوَةِ وَ اللَّطْفِ وَ السَّلَاسَةِ لَا أَرَى كَلَامًا يَشْبَهُ هَذَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ كَلَامَ الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ فَإِنَّ هَذَا الْكَلَامَ نَبْعَةٌ مِنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَ جَدُولٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَحْرِ وَ جَذْوَةٌ مِنْ تِلْكَ النَّارِ وَ كَأَنَّهُ شَرَحَ قَوْلَهُ تَعَالَى وَ عِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَ يَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ مَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَتِهِ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَ لَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَ لَا رَطْبٌ وَ لَا - يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ . ثُمَّ نَعُودُ إِلَى التَّفْسِيرِ فَنَقُولُ النُّجُومُ الْمَسَارَةُ تَقُولُ انْتَجَى الْقَوْمُ وَ تَنَاجَوْا أَيْ تَسَارَوْا وَ انْتَجَيْتَ زَيْدًا إِذَا خَصَصْتَهُ بِمَنَاجَاتِكَ - قُرْآن - ٥٦٢-٧٧٥ وَ مِنْهُ الْحَدِيثُ أَنَّهُ صَ أَطَالَ النَّجْوَى مَعَ عَلِيِّ عَ فَقَالَ قَوْمٌ لَقَدْ أَطَالَ النَّجْوَى ابْنُ عَمِّهِ فَلَبَّغَهُ ذَلِكَ فَقَالَ إِنِّي مَا انْتَجَيْتَهُ وَلَكِنَّ اللَّهَ انْتَجَاهُ - رَوَايَاتُ - ١-٢- رَوَايَاتُ - ١٧-١٤٥ وَ يُقَالُ لِلْسَّرِّ نَفْسَهُ النَّجْوَى يُقَالُ نَجْوَتَهُ نَجْوَا أَيْ سَارَرْتَهُ وَ كَذَلِكَ نَاجَيْتَهُ مَنَاجَاةً وَ سَمِيَ ذَلِكَ الْأَمْرَ الْمَخْصُوصَ نَجْوَى لِأَنَّهُ يَسْتَسِرُّ بِهِ فَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى وَ إِذْ هُمْ نَجْوِيْفَجْعَلُهُمْ هَمَّ النَّجْوَى وَ إِنَّمَا النَّجْوَى فَعْلُهُمْ فَإِنَّمَا هُوَ كَقَوْلِكَ قَوْمٌ رَضَا وَ إِنَّمَا الرِّضَا فَعْلُهُمْ وَ يُقَالُ لِلَّذِي تَسَارَهُ النَّجْوَى عَلَى فَعِيلٍ وَ جَمَعَهُ أَنْجِيَهُ قَالَ الشَّاعِرُ - قُرْآن - ١٤٠-١٥٥ [صفحة ٢٥] إِنِّي إِذَا مَا الْقَوْمَ كَانُوا أَنْجِيَهُ وَ قَدْ يَكُونُ النَّجْوَى جَمَاعَةً مِثْلَ الصَّدِيقِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى خَلَصُوا نَجِيًّا وَ قَالَ الْفَرَاءُ قَدْ يَكُونُ النَّجْوَى وَ النَّجْوَى اسْمًا وَ مَصْدَرًا . وَ الْمَتَخَفَتِينَ الَّذِينَ يَسْرُونَ الْمَنْطِقَ وَ هِيَ الْمَخَافَتَةُ وَ التَّخَافَتُ وَ الْخَفْتُ قَالَ الشَّاعِرُ - قُرْآن - ٥٥-٧٠ أَخَاطَبُ جَهْرًا إِذْ لَهْنُ تَخَافَتُ || وَ شَتَانُ بَيْنَ الْجَهْرِ وَ الْمَنْطِقِ الْخَفْتُ . وَ رَجَمَ الظَّنُونَ الْقَوْلَ بِالظَّنِّ قَالَ سُبْحَانَهُ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَ مِنْهُ الْحَدِيثُ الْمَرْجَمُ بِالتَّشْدِيدِ وَ هُوَ الَّذِي لَا يَدْرِي أَحَقُّ هُوَ أَمْ بَاطِلٌ وَ يُقَالُ صَارَ رَجْمًا أَيْ لَا يُوَقِّفُ عَلَى حَقِيقَتِهِ أَمْرُهُ . وَ عَقَدَ عَزِيمَاتِ الْيَقِينِ الْعَزَائِمُ الَّتِي يَعْقِدُ الْقَلْبُ عَلَيْهَا وَ تَطْمِئِنُّ النَّفْسُ إِلَيْهَا . وَ مَسَارِقُ إِيمَاضِ الْجَفُونِ مَا تَسْتَرْقُهُ الْأَبْصَارُ حِينَ تَوْمِضُ يُقَالُ أَوْمَضَ الْبَصْرُ وَ الْبَرْقُ إِيمَاضًا إِذْ لَمَعَ لِمَعًا خَفِيْفًا وَ يَجُوزُ وَ مِضٌّ بِغَيْرِ هَمْزٍ يَمِضُ وَ مِضًا وَ مِمْضًا وَ مِمْضَانًا وَ أَكْنَانَ الْقُلُوبِ غَلْفُهَا وَ الْكُنَّ السُّتْرُ وَ الْجَمْعُ أَكْنَانٌ قَالَ تَعَالَى جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَ يَرُودُ أَكْنَةُ الْقُلُوبِ وَ هِيَ الْأَغْطِيَةُ أَيْضًا قَالَ تَعَالَى وَ جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكْنَةً وَ الْوَاحِدُ كِنَانٌ قَالَ عَمْرُ بْنُ عَمْرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ - قُرْآن - ٤٢-٥٧ - قُرْآن - ٤٥٧-٤٩١ - قُرْآن - ٥٤٢-٥٧٦] [صفحة ٢٦] تَحْتَ عَيْنِ كِنَانِنَا || ظَلَّ بَرْدٌ مَرِحَلٌ وَيَعْنَى بِالَّذِي ضَمِنْتَهُ أَكْنَانَ الْقُلُوبِ الضَّمَاثِرُ . وَ غِيَابَاتُ الْغُيُوبِ جَمْعُ غِيَابَةٍ وَ هِيَ قَعْرُ الْبُئْرِ فِي الْأَصْلِ ثُمَّ نَقَلْتُ إِلَى كُلِّ غَامِضٍ خَفِيَ مِثْلُ غِيَابَةٍ وَ قَدْرُودِي غِيَابَاتٌ بِالْبَاءِ . وَ أَصْغَتْ تَسْمَعَتْ وَ مَالَتْ نَحْوَهُ وَ لَا سْتَرَاةً لَاسْتِمَاعِهِ فِي خَفِيهِ قَالَ تَعَالَى إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ . وَ مَصَائِخُ الْأَسْمَاعِ خُرُوقُهَا الَّتِي يَصِيخُ بِهَا أَيْ يَتَسَمَعُ . وَ مَصَائِفُ الذَّرِّ الْمَوَاضِعُ

التي يصيف الذر فيها أى يقيم الصيف يقال صاف بالمكان واصطاف بمعنى والموضع مصيف ومصطاف . والذر جمع ذرة وهى أصغر النمل . ومشاتي الهوام المواضع التي تشتهو الهوام بها يقال شتوت بموضع كذا وتشتيت أى أقمت به الشتاء. والهوام جمع هامة ولا يقع هذا الاسم إلا على المخوف من الأحناش . -قرآن- ٢٣٢-٢٥٨ [صفحہ ٢٧] ورجع الحنين ترجيعه وترديده والمولهاة النوق والنساء اللواتي حيل بينهن وبين أولادهن . وهمس الأقدام صوت وطئها خفيا جدا قال تعالى فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ومنه قول الراجز . -قرآن- ١٤٢-١٦٦ فهن يمشين بنا هميسا والأسد الهومس الخفى الوطء. ومنفسح الثمرة أى موضع سعتها من الأكمام و قدروى متفسخ بالخاء المعجمة وتشديد السين وبتاء بعد الميم مصدرا من تفسخت الثمرة إذا انقطعت . واللوائح المواضع الساترة والواحدة وليجةً و هو كالكهف يستتر فيه المارة من مطر أو غيره ويقال أيضا فى جمعه ولج وأولاج . ومتقمع الوحوش موضع تقمعهوا واستتارها وسمى قمعةً بن إلياس بن مضر بذلك لأنه انقمع فى بيته كما زعموا. وغيران الجبال جمع غار و هو كالكهف فى الجبل والمغار مثل الغار والمغارة مثله . ومختبأ البعوض موضع اختبائها واستتارها وسوق الأشجار جمع ساق وألحيتها جمع لحاء و هو القشر. ومغرز الأوراق موضع غرزها فيها. [صفحہ ٢٨] والأفنان جمع فن و هو الغصن والأمشاج ماء الرجل يختلط بماء المرأة ودمها جمع مشيج كيتيم وأيتام ومحطها إما مصدر أو مكان . ومسارب الأصلاب المواضع التي يتسرب المنى فيها من الصلب أى يسيل . وناشئة الغيوم أول ما ينشأ منها و هو النشىء أيضا وناشئة الليل فى قوله تعالى إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا أَوَّلَ سَاعَاتِهِ ويقال هى ما ينشأ فى الليل من الطاعات ومتلاحمها ما يلتصق منها بعضها ببعض ويلتحم . ودرور قطر السحاب مصدر من در يدر أى سال وناقه درور أى كثيرة اللبن وسحاب درور أى كثير المطر ويقال إن لهذا السحاب لدره أى صبا والجمع درور ومتراكمها المجتمع المتكاثف منها ركمت الشىء أركمه بالضم جمعته وأقيت بعضه على بعض ورمل ركام وسحاب ركام أى مجتمع . والأعاصير جمع إعصار وهى ريح تثير الغبار فيرتفع إلى السماء كالعمود وقال تعالى فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ. وتسفى من سفت الريح التراب سفيا إذا أذرتة فهو سفى وذبولها هاهنا يريد به أطرافها و ملاحف الأرض منها. و ماتعفو الأمطار أى ماتدرس عفت الريح المنزل أى درسته وعفا المنزل نفسه يعفو درس يتعدى ولا يتعدى . وبنات الأرض الهوام والحشرات التي تكون فى الرمال وعومها فيها سباحتها ويقال لسير السفينة وسير الإبل أيضا عوم عمت فى الماء بضم أوله أعوم . -قرآن- ٢٧٨-٣١٨-قرآن- ٧٧٠-٧٩٨ [صفحہ ٢٩] وكثبان الرمال جمع كتيب و هو ما نصب من الرمل واجتمع فى مكان واحد فصار تلا وكثبت الشىء أكتبه كتبا إذا جمعته وانكثب الرمل اجتمع . وشناخيب الجبال رءوسها واحدها شخوب وذراها أعاليها جمع ذرورة وذروة بالكسر والضم . والتغريد التطريب بالغناء والتغرد مثله وكذلك الغرد بفتحهما ويقال غرد الطائر فهو غرد إذا طرب بصوته . وذوات المنطق هاهنا الأطيوار وسمى صوتها منطقا وإن كان لا يطلق إلا على ألفاظ البشر مجازا. ودياجير جمع ديجور و هو الظلام والأوكار جمع وكر و هو عش الطائر ويجمع أيضا على وكر و وكر الطائر يكر وكر أى دخل وكره . وقوله و ما أوعبته الأصداف أى من اللؤلؤ وحضنت عليه أمواج البحار أى ماضمته كما تحضن الأنثى من الطير بيضها و هو ما يكون فى لجة إما من سمك أو خشب أو ما يحمله البحر من العنبر كالجماجم بين الأمواج وغير ذلك . وسدفة الليل ظلمته وجاء بالفتح وقيل السدفة اختلاط الضوء والظلمة معا كوقت ما بين طلوع الفجر إلى الإسفار. وغشيته غطته وذو عليه شارق نهار أى ما طلعت عليه الشمس وذرت الشمس تذر بالضم ذرورا طلعت وذو البقل إذاطلع من الأرض . وشرقت الشمس طلعت وأشرقت بالهمزة إذا أضاءت وصفت . واعتقتب تعاقبت وأطباق الدياتجير أطباق الظلم وأطباقها جمع طبقة أى [صفحہ ٣٠] أعطيتها أطبقت الشىء أى غطيته وجعلته مطبقا و قد تطبق هو و منه قولهم لو تطبقت السماء على الأرض لمافعلت كذا وسبحات النور عطف على أطباق الدياتجير أى يعلم سبحانه ماتعاقب عليه الظلام والضياء وسبحات هاهنا ليس يعنى به ما يعنى بقوله سبحان وجه ربنا لأنه هناك بمعنى ما يسبح عليه النور أى يجرى من سبح الفرس و هو جريه ويقال فرس سابح . والخطوة ما بين القدمين

بالضم وخطوت خطوة بالفتح لأنه المصدر. ورجع كل كلمة ما ترجع به من الكلام إلى نفسك وتردده في فكرك . والنسمة الإنسان نفسه وجمعها نسمة ومثقال كل ذرة أى وزن كل ذرة ومما يخطئ فيه العامة قولهم للدينار مثقال وإنما المثقال وزن كل شىء قال تعالى إِنَّ اللَّهَ لَا يَظِلُّ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ. وهماهم كل نفس هامة الهماهم جمع همهمة وهى ترديد الصوت فى الصدر وحمار همهميم يهمهم فى صوته وهممتم المرأة فى رأس الصبى و ذلك إذانومته بصوت ترققه له والنفس الهامة ذات الهمة التى تعزم على الأمر. قوله و ما عليها أى ما على الأرض فجاء بالضمير و لم يسبق ذكر صاحبه اعتمادا على فهم المخاطب كما قال تعالى كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ. وقرارة النطفة ما يستقر فيه الماء من الأماكن قال الشاعر -قرآن- ٦٢٩-٦٦٥-قرآن- ٩٨٨-١٠٠٨ وأنتم قرارة كل معدن سوءة || ولكل سائلة تسيل قرار و منه قوله ع فى الخوارج إن مصارعهم النطفة -رواية- ١-٢-رواية- ٣١-٥١ أى لا يعبرون النهر ويجوز أن يريد بالنطفة المنى ويقويه ما ذكره بعده من المضغة. [صفحة ٣١] والنقاعة نقرة يجتمع فيها الدم ومثله أنقوعة ويقال لوقبه الثريد أنقوعة. والمضغة قطعة اللحم والسلالة فى الأصل ما استل من الشىء وسميت النطفة سلالة الإنسان لأنها استلت منه وكذلك الولد. والكلفة المشقة واعتورته مثل عرته ونفذهم علمه تشبيه بنفوذ السهم وعدى الفعل بنفسه و إن كان معدى فى الأصل بحرف الجر كقولك اخترت الرجال زيدا أى من الرجال كأنه جعل علمه تعالى خارقا لهم وناظرا فيهم ويروى وأحصاهم عده بالتضعيف اللَّهُمَّ أَنْتَ أَهْلُ الْوَصْفِ الْجَمِيلِ وَ التَّعَدَادِ الْكَثِيرِ إِنْ تَوَمَّلْ فَخَيْرٌ مَأْمُولٍ وَإِنْ تُرْجَ فَخَيْرٌ مَرْجُوٌّ اللَّهُمَّ فَقَدْ بَسَّطْتُ لِي فِيمَا لَمَّا أَمَدَحُ بِهِ غَيْرَكَ وَ لَأَأْتِيَنِي بِهِ عَلَى أَحَدِ سِوَاكَ وَ لَأَأُوْجِهُهُ إِلَى مَعَادِنِ الْخَيْرِيَّةِ وَ مَوَاضِعِ الرِّبِيَّةِ وَ عَدَلْتُ بِلَيْسَاتِنِي عَنْ مَدَائِحِ الْأَدَمِيِّينَ وَ الثَّنَاءِ عَلَى الْمَرْبُوبِينَ الْمَخْلُوقِينَ اللَّهُمَّ وَ لِكُلِّ مِثْنٍ عَلَى مَنْ أَتَيْتَنِي عَلَيْهِ مَثُوبِيَّةٌ مِنْ جَزَاءٍ أَوْ عَارِفَةٌ مِنْ عَطَاءٍ وَ قَدْ رَجَوْتُكَ دَلِيلًا عَلَى ذَخَائِرِ الرَّحْمَةِ وَ كُنُوزِ الْمَغْفَرَةِ اللَّهُمَّ وَ هَذَا مَقَامٌ مِنْ أَفْرَدِكَ بِالتَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ لَكَ وَ لَمْ يَرِ مُسْتَحَقًّا لِهَذِهِ الْمَحَامِدِ وَ الْمَادِحِ غَيْرَكَ وَ بِي فَاقَةٌ إِلَيْكَ لَا يَجْبُرُ مَسْكَنَتَهَا إِلَّا فَضْلُكَ وَ لَا يَنْعَشُ مِنْ خَلَّتْهَا إِلَّا مِنْكَ وَ جُودُكَ فَهَبْ لَنَا فِي هَذَا الْمَقَامِ رِضَاكَ وَ أَغْنِنَا عَنْ مَدِّ الْأَيْدِيِ إِلَى سِوَاكَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [صفحة ٣٢] التعداد مصدر وخير خير مبتدأ محذوف تقديره فأنت خير مأمول . ومعنى قوله قد بسطت لى أى قد آتيتنى لسنا وفصاحة وسعة منطلق فلامدح غيرك ولا أحمدسواك . ويعنى بمعادن الخيبة البشر لأن مادحهم ومؤملهم يخيب فى الأكثر وجعلهم مواضع الريبة لأنهم لا يوثق بهم فى حال . ومعنى قوله ع و قدرجوتك دليلا- على ذخائر الرحمة وكنوز المغفرة أنه راج منه أن يدلله على الأعمال التى ترضيه سبحانه ويستوجب بها منه الرحمة والمغفرة وكأنه جعل تلك الأعمال التى يرجو أن يدل عليها ذخائر للرحمة وكنوزا. والفاقة الفقر وكذلك المسكنة. وينعش بالفتح يرفع والماضى نعش و منه النعش لارتفاعه والمن العطاء والنعمة والمنان من أسماء الله سبحانه [صفحة ٣٣]

٩١- و من كلام له ع لما أرادته الناس على البيعة بعد قتل عثمان رضى الله عنه

إشارة

دَعُونِي وَ التَّمِسُوا غَيْرِي فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْرًا لَهُ وُجُوهٌ وَ أَلْوَانٌ لِمَا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ وَ لِمَا تَبَتُّ عَلَيْهِ الْعُقُولُ وَ إِنَّ الْآفَاقَ قَدْ أَغَامَتِ وَ الْمَحَجَّةُ قَدْ تَنَكَّرَتْ. وَ اعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مِمَّا أَعْلَمُ وَ لَمْ أَصْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وَ عَتَبِ الْعَاتِبِ وَ إِنْ تَرَكْتُمُونِي فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ وَ لَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَ أَطُوعُكُمْ لِمَنْ وَ لِيَتِمُّوهُ أَمْرُكُمْ وَ أَنَا لَكُمْ وَزِيرًا خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيرًا فِى أَكْثَرِ النِّسْخِ لِمَا أَرَادَهُ النَّاسُ عَلَى الْبَيْعَةِ وَ وَجَدْتِ فِى بَعْضِهَا أَدَارَةَ النَّاسِ عَلَى الْبَيْعَةِ فَمِنْ رَوَى الْأَوَّلَ جَعَلَ عَلَى مَتَعَلِّقَهُ بِمَحْذُوفٍ وَ تَقْدِيرُهُ مُوَافِقًا وَ مِنْ رَوَى

الثانى جعلها متعلقه بالفعل الظاهر نفسه و هو اداره تقول أدرت فلانا على كذا وداورت فلانا على كذا أى عالجته . و لا تقوم له القلوب أى لا-تصبر و أغامت الآفاق غطاها الغيم أغامت و غامت و أغيمت و تغيمت كله بمعنى و المحججه الطريق و تنكرت جهلت فلم تعرف و وزيراً و أميراً منصوبان على الحال . و هذا الكلام يحمله أصحابنا على ظاهره و يقولون إنه ع لم يكن منصوباً [صفحہ ۳۴] عليه بالإمامه من جهة الرسول ص و إن كان أولى الناس بها و أحقهم بمنزلتها لأنه لو كان منصوباً عليه بالإمامه من جهة الرسول ع لما جاز له أن يقول دعونى و التمسوا غيرى و لا أن يقول و لعلى أسمعكم و أطوعكم لمن و ليتموه أمركم و لا أن يقول و أنالكم و وزيراً خير منى لكم أميراً و تحمله الإماميه على وجه آخر فيقولون إن الذين أرادوه على البيعه هم كانوا العاقدين بيعة الخلفاء من قبل و قد كان عثمان منعمهم أو منع كثيراً منهم عن حقه من العطاء لأن بنى أمية استأصلوا الأموال فى أيام عثمان فلما قتل قالوا لعلى ع نبايعك على أن تسير فىنا سيرة أبى بكر و عمر لأنهما كانا لا يستأثران بالمال لأنفسهما و لأهلتهما فطلبوا من على ع البيعه على أن يقسم عليهم بيوت الأموال قسمه أبى بكر و عمر فاستعفاهم و سألهم أن يطلبوا غيره ممن يسير بسيرتهما و قال لهم كلاماً تحته رمز و هو قوله إنا مستقبلون أمراً له و جوه و ألوان لا-تقوم له القلوب و لا-تثبت عليه العقول و إن الآفاق قد أغامت و المحججه قد تنكرت . قالوا و هذا كلام له باطن و غور عميق معناه الإخبار عن غيب يعلمه هو و يجهلونه هم و هو الإنذار بحرب المسلمين بعضهم لبعض و اختلاف الكلمه و ظهور الفتنة . و معنى قوله له و جوه و ألوان أنه موضع شبهة و تأويل فمن قائل يقول أصاب على و من قائل يقول أخطأ و كذلك القول فى تصويب محاربيه من أهل الجمل و صفين و النهروان و تخطئتهم فإن المذاهب فيه و فيهم تشعبت و تفرقت جدا . و معنى قوله الآفاق قد أغامت و المحججه قد تنكرت أن الشبهه قد استولت على العقول و القلوب و جهل أكثر الناس محججه الحق أين هى فأنا لكم وزيراً عن رسول الله ص أفتى فيكم بشريعته و أحكامه خير لكم منى أميراً محجوراً عليه [صفحہ ۳۵] مدبراً بتدبيركم فإنى أعلم أنه لا قدرة لى أن أسير فيكم بسيرة رسول الله ص فى أصحابه مستقلاً بالتدبير لفساد أحوالكم و تعذر صلاحكم . و قد حمل بعضهم كلامه على محمل آخر فقال هذا كلام مستزید شاك من أصحابه يقول لهم دعونى و التمسوا غيرى على طريق الضجر منهم و التبرم بهم و التسخط لأفعالهم لأنهم كانوا عدلوا عنه من قبل و اختاروا عليه فلما طلبوه بعد أجابهم جواب المتسخط العاتب . و حمل قوم منهم الكلام على وجه آخر فقالوا إنه أخرجه مخرج التهكم و السخرية أى أنالكم و وزيراً خير منى لكم أميراً فيما تعتقدونه كما قال سبحانه ذُوقِ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ أى تزعم لنفسك ذلك و تعتقده . و اعلم أن ما ذكره ليس ببعيد أن يحمل الكلام عليه لو كان الدليل قد دل على ذلك فأما إذا لم يدل عليه دليل فلا يجوز صرف اللفظ عن ظاهره و نحن نتمسك بالظاهر إلا أن تقوم دلالة على مذهبهم تصدنا عن حمل اللفظ عن ظاهره و لو جاز أن تصرف الألفاظ عن ظواهرها لغير دليل قاهر يصدف و يصد عنها لم يبق و ثوق بكلام الله عز و جل و بكلام رسوله ع و قد ذكرنا فيما تقدم كيفية الحال التى كانت بعد قتل عثمان و البيعه العلوية كيف وقعت - قرآن - ۵۳۹ - ۵۷۴

فصل فيما كان من أمر طلحة و الزبير

عند قسم المال و نحن نذكر هاهنا فى هذه القصة ما ذكره شيخنا أبو جعفر الإسكافى فى كتابه [صفحہ ۳۶] الذى نقض فيه كتاب العثمانية لشيخنا أبى عثمان فإن الذى ذكره لم نوردنه نحن فيما تقدم . قال أبو جعفر لما اجتمعت الصحابه فى مسجد رسول الله ص بعد قتل عثمان للنظر فى أمر الإمامه أشار أبو الهيثم بن التيهان و رفاعه بن رافع و مالك بن العجلان و أبو أيوب الأنصارى و عمار بن ياسر بعلى ع و ذكروا فضله و سابقته و جهاده و قرابته فأجابهم الناس إليه فقام كل واحد منهم خطيباً يذكر فضل على ع فمنهم من فضله على أهل عصره خاصة و منهم من فضله على المسلمين كلهم كافة ثم بويع و صعد المنبر فى اليوم الثانى من يوم

البيعة و هو يوم السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من ذى الحجة فحمد الله وأثنى عليه وذكر محمدا فصلى عليه ثم ذكر نعمه الله على أهل الإسلام ثم ذكر الدنيا فزهدهم فيها وذكر الآخرة فرغهم إليها ثم قال أما بعد فإنه لما قبض رسول الله ص استخلف الناس أبا بكر ثم استخلف أبو بكر عمر فعمل بطريقه ثم جعلها شورى بين ستة فأفضى الأمر منهم إلى عثمان فعمل ما أنكرتم وعرفتم ثم حصر وقتل ثم جئتموني طائعين فطلبتهم إلى وإنما أنا رجل منكم لى مالكم و على ما عليكم و قد فتح الله الباب بينكم و بين أهل القبلة وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم و لا يحمل هذا الأمر إلا أهل الصبر والبصر والعلم بمواقع الأمر وإنى حاملكم على منهج نبيكم ص ومنفذ فيكم ما أمرت به إن استقمتم لى وبالله المستعان ألا إن موضعي من رسول الله ص بعد وفاته كموضعي منه أيام حياته فامضوا لماتؤمرون به وقفوا عند ماتنهون عنه و لا تعجلوا فى أمر حتى نبينه لكم فإن لنا عن كل أمر تنكرونه عذرا ألا و إن الله عالم من فوق سمائه وعرشه أنى كنت كارها للولاية على أمه محمد حتى اجتمع رأيكم على ذلك لأنى سمعت رسول الله ص يقول أيما وال ولى الأمر من بعدى أقيم على حد الصراط -رواية ١-٢-رواية ١٢-ادامه دارد [صفحة ٣٧] ونشرت الملائكة صحيفته فإن كان عادلا- أنجاه الله بعدله و إن كان جائرا انتفض به الصراط حتى تترايل مفاصله ثم يهوى إلى النار فيكون أول ما يتيقها به أنفه وحر وجهه ولكنى لما اجتمع رأيكم لم يسعنى ترككم ثم التفت ع يميننا وشمالا فقال ألا- لا يقولن رجال منكم غدا قد غمرتهم الدنيا فاتخذوا العقار وفجروا الأنهار وركبوا الخيول الفارهة واتخذوا الوصائف الروقة فصار ذلك عليهم عارا وشنارا إذا ما منعتم ما كانوا يخوضون فيه وأصرتهم إلى حقوقهم التى يعلمون فينقمون ذلك ويستنكرون ويقولون حرما ابن أبى طالب حقوقنا ألا وأيما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله ص يرى أن الفضل له على من سواه لصحبته فإن الفضل النير غدا عند الله وثوابه وأجره على الله وأيما رجل استجاب لله وللرسول فصدق ملتنا ودخل فى ديننا واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده فأنتم عباد الله والمال الله يقسم بينكم بالسوية لأفضل فيه لأحد على أحد وللمتقين عند الله غدا أحسن الجزاء وأفضل الثواب لم يجعل الله الدنيا للمتقين أجرا و لا ثوابا و ما عند الله خير للأبرار و إذا كان غدا إن شاء الله فاغدوا علينا فإن عندنا ما لا نقسمه فيكم و لا يتخلفن أحد منكم عربى و لا عجمى كان من أهل العطاء أو لم يكن إلا حضر إذا كان مسلما حرا أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ثم نزل -رواية- از قبل ١٢٠٩. قال شيخنا أبو جعفر و كان هذا أول ما أنكره من كلامه ع وأورثهم الضغن عليه و كرهوا إعطائه وقسمه بالسوية فلما كان من الغد غدا وغدا الناس لقبض المال فقال لعبيد الله بن أبى رافع كاتبه ابدأ بالمهاجرين فنادهم وأعط كل [صفحة ٣٨] رجل ممن حضر ثلاثة دنانير ثم ثن بالأنصار فافعل معهم مثل ذلك و من يحضر من الناس كلهم الأحمر والأسود فاصنع به مثل ذلك. فقال سهل بن حنيف يا أمير المؤمنين هذا غلامى بالأمس و قد أعتقته اليوم فقال نعطيه كما نعطيك فأعطى كل واحد منهما ثلاثة دنانير و لم يفضل أحدا على أحد وتخلف عن هذا القسم يومئذ طلحة والزبير و عبد الله بن عمر وسعيد بن العاص و مروان بن الحكم ورجال من قريش وغيرها. قال وسمع عبيد الله بن أبى رافع عبد الله بن الزبير يقول لأبيه وطلحة و مروان وسعيد ماخفى علينا أمس من كلام على ما يريد فقال سعيد بن العاص والتفت إلى زيد بن ثابت إياك أعنى واسمعى يا جارة فقال عبيد الله بن أبى رافع لسعيد و عبد الله بن الزبير إن الله يقول فى كتابه وَ لَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ. ثم إن عبيد الله بن أبى رافع أخبر عليا ع بذلك فقال و الله إن بقيت وسلمت لهم لأقيمهم على المحجة البيضاء والطريق الواضح قاتل الله ابن العاص لقد عرف من كلامى ونظرى إليه أمس أنى أريده وأصحابه ممن هلك فيمن هلك. قال فبينما الناس فى المسجد بعد الصبح إذ طلع الزبير وطلحة فجلسا ناحية عن على ع ثم طلع مروان وسعيد و عبد الله بن الزبير فجلسوا إليهما ثم جاء قوم من قريش فانضموا إليهم فتحدثوا نجيا ساعة ثم قام الوليد بن عقبه بن أبى معيط فجاء إلى على ع فقال يا أبا الحسن إنك قد وترتنا جميعا أما أنا فقتلت أبى يوم بدر صبورا وخذلت أخى يوم الدار بالأمس و أما سعيد فقتلت أباه يوم بدر فى الحرب و كان ثور قريش و أما مروان فسخطت أباه عند عثمان إذ ضمه إليه ونحن

إخوتك - قرآن- ٦٨٢-٧١٨ [صفحه ٣٩] ونظرًا أنك من بنى عبدمناف ونحن نبايعك اليوم على أن تضع عنا ما أصبناه من المال في أيام عثمان و أن تقتل قتلته وإنما إن خفناك تركناك فالتحقنا بالشام . فقال أما ما ذكرتم من وترى إياكم فالحق وتركم و أما وضعي عنكم ما أصبتم فليس لي أن أضع حق الله عنكم ولا- عن غيركم و أما قتلى قتلته عثمان فلو لزمنى قتلهم اليوم لقتلتهم أمس ولكن لكم على إن خفتموني أن أو منكم و إن خفتكم أن أسيركم -رواية- ١-٢-رواية- ٩-٢٥١. فقام الوليد إلى أصحابه فحدثهم وافترقوا على إظهار العداوة وإشاعة الخلاف فلما ظهر ذلك من أمرهم قال عمار بن ياسر لأصحابه قوموا بنا إلى هؤلاء النفر من إخوانكم فإنه قد بلغنا عنهم ورأينا منهم مانكره من الخلاف والطعن على إمامهم وقد دخل أهل الجفاء بينهم وبين الزبير والأعسر العاق يعنى طلحة. فقام أبو الهيثم وعمار و أبو أيوب وسهل بن حنيف وجماعة معهم فدخلوا على ع فقالوا يا أمير المؤمنين انظر في أمرك وعاتب قومك هذا الحى من قريش فإنهم قد نقضوا عهدك وأخلفوا وعدك و قد دعونا فى السر إلى رفضك هداك الله لرشدك وذاك لأنهم كرهوا الأسوة وفقدوا الأثره و لما آسيت بينهم و بين الأعاجم أنكروا واستشاروا عدوك وعظموه وأظهروا الطلب بدم عثمان فرقة للجماعة وتألفا لأهل الضلالة فأريك . فخرج على ع فدخل المسجد وصعد المنبر مرتديا بطاق مؤتزا يبرد قطري متقلدا سيفًا متوكتا على قوس فقال أما بعد فإننا نحمد الله ربنا وإلهنا وولى النعم علينا الذى أصبحت نعمه علينا ظاهرة وباطنة امتنانا منه بغير حول منا و لا قوة ليلونا أنشكر أم نكفر فمن شكر زاده و من كفر عذبه فأفضل الناس عند الله منزلة وأقربهم من الله وسيلة أطوعهم لأمره -رواية- ١-٢-رواية- ٩-ادامه دارد [صفحه ٤٠] وأعملهم بطاعته وأتبعهم لسنة رسوله وأحيهم لكتابه ليس لأحد عندنا فضل إلا بطاعة الله وطاعة الرسول هذا كتاب الله بين أظهرنا وعهد رسول الله وسيرته فينا لا يجهل ذلك إلا جاهل عاند عن الحق منكر قال الله تعالى يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ و أنثى و جعلناكم شعوباً و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ثم صاح بأعلى صوته أطيعوا الله و أطيعوا الرسول فإن توليتم فإن الله لا يحب الكافرين ثم قال يامعشر المهاجرين والأنصار أتمنون على الله ورسوله بإسلامكم بل الله يمتن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين ثم قال أنا أبو الحسن و كان يقولها إذا غضب ثم قال ألا إن هذه الدنيا التى أصبحت تمنونها وترغبون فيها وأصبحت تغضبكم وترضيكم ليست بداركم و لا منزلكم الذى خلقتم له فلا تغرنكم فقد حذر تكموها واستتموا نعم الله عليكم بالصبر لأنفسكم على طاعة الله والذل لحكمه جل ثناؤه فأما هذا الفىء فليس لأحد على أحد فيه أثره و قد فرغ الله من قسمته فهو مال الله وأنتم عباد الله المسلمون و هذا كتاب الله به أقرنا و له أسلمنا وعهد نبينا بين أظهرنا فمن لم يرض به فليتول كيف شاء فإن العامل بطاعة الله والحاكم بحكم الله لا وحشة عليه ثم نزل عن المنبر فصلى ركعتين ثم بعث بعمار بن ياسر و عبدالرحمن بن حنبل القرشى إلى طلحة والزبير وهما فى ناحية المسجد فأتياهما فدعواهما فقاما حتى جلسا إليه ع فقال لهما نشدتكما الله هل جئتماني طائعين للبيعة ودعوتمانى إليها و أناكاره لها قال نعم فقال غير مجبرين و لا مقسورين فأسلمتما لى بيعتكما وأعطيتمانى عهدكما -رواية- از قبل- ١-٢-رواية- ٢-ادامه دارد [صفحه ٤١] قال- نعم قال فما دعاكما بعد إلى ما أرى قالا أعطيناك بيعتنا على ألا تقضى الأمور و لا تقطعها دوننا و أن تستشيرنا فى كل أمر و لا تستبد بذلك علينا ولنا من الفضل على غيرنا ما قد علمت فأنت تقسم القسم وتقطع الأمر وتمضى الحكم بغير مشاورتنا و لا علمنا فقال لقد نعمتما يسيرا وأرجأتما كثيرا فاستغفرا الله يغفر لكما ألا تخبراننى أذفعتكما عن حق و جب لكما فظلمتكما إياه قالا معاذ الله قال فهل استأثرت من هذا المال لنفسى بشىء قالا معاذ الله قال أفوق حكم أوحى لأحد من المسلمين فجهلته أو ضعفت عنه قالا- معاذ الله قال فما الذى كرهتما من أمرى حتى رأيتما خلافى قالا- خلافتك عمر بن الخطاب فى القسم أنك جعلت حقنا فى القسم كحق غيرنا وسويت بيننا و بين من لا يماثلنا فيما أفاء الله تعالى علينا بأسيافا ورماحنا وأوجفنا عليه بخيلنا ورجلنا وظهرت عليه دعوتنا وأخذناه قسرا قهرا ممن لا يرى الإسلام إلا كرها فقال فأما ما ذكرتماه من الاستشارة بكما فو الله ما كانت لى فى الولاية رغبة ولكنكم دعوتمنى إليها وجعلتمونى عليها

فخفت أن أردكم فتختلف الأمة فلما أفضت إلى نظرت في كتاب الله وسنة رسوله فأمضيت مادلاني عليه واتبعته و لم أحتج إلى آرائكم فيه و لا رأى غيركم و لوقع حكم ليس في كتاب الله بيانه و لا في السنة برهانه واحتيج إلى المشاورة فيه لشاورتكم فيه و أما القسم والأسوة فإن ذلك أمر لم أحكم فيه بادئ بدء قد وجدت أنا وأنتما رسول الله ص يحكم بذلك و كتاب الله ناطق به و هو الكتاب الذى لا يأتية الباطل من بين يديه و لا- من خلفه تنزيل من حكيم حميد و أما قولكم جعلت فينا و ما أفاءته سيوفنا و رماحنا سواء بيننا و بين غيرنا فقدما سبق إلى الإسلام قوم و نصره و بسيفهم و رماحهم فلم يفضلهم رسول الله ص فى القسم و لا أثرهم بالسبق و الله -روايت-از قبل- ١٥٩٩ [صفحة ٤٢] سبحانه موف السابق والمجاهد يوم القيامة أعمالهم و ليس لكم و الله عندي و لا لغيركم إلا- هذا أخذ الله بقلوبنا و قلوبكم إلى الحق و ألهمنا و إياكم الصبر ثم قال رحم الله امرأ رأى حقا فأعان عليه و رأى جورا فرده و كان عوننا للحق على من خالفه -روايت- ١-٢٤٧ قال شيخنا أبو جعفر و قدروى أنهما قالوا له وقت البيعة نبايعك على أنا شركاؤك فى هذا الأمر فقال لهما لا ولكنكما شريكاى فى الفىء لا أستأثر عليكم و لا على عبد حبشى مجدع بدرهم فما دونه لا أنا و لا ولدائى هذان فإن أبيتما إلا لفظ الشركة فإنما عونان لى عند العجز و الفاقة لا عند القوة و الاستقامة -روايت- ١-٢-روايت- ٣١-٢٩٧. قال أبو جعفر فاشترط ما لا يجوز فى عقد الأمانة و شرط ع لهما ما يجب فى الدين و الشريعة. قال رحمه الله تعالى و قدروى أيضا أن الزبير قال فى ملائ من الناس هذا جزاؤنا من على قمنا له فى أمر عثمان حتى قتل فلما بلغ بنا ما أراد جعل فوقنا من كنا فوقه . و قال طلحة ما للوم إلا علينا كنا معه أهل الشورى ثلاثة فكرهه أحدنا يعنى سعدا و بايعناه فأعطيناه ما فى أيدينا و منعنا ما فى يده فأصبحنا قد أخطأنا اليوم ما رجوناه أمس و لا نرجو غدا ما أخطأنا اليوم . فإن قلت فإن أبابكر قسم بالسواء كما قسمه أمير المؤمنين ع و لم ينكروا ذلك كما أنكروه أيام أمير المؤمنين ع فما الفرق بين الحالتين . قلت إن أبابكر قسم محتذيا لقسم رسول الله ص فلما ولى عمر الخلافة و فضل قوما على قوم ألفوا ذلك و نسوا تلك القسمة الأولى و طالت أيام عمر [صفحة ٤٣] و أشربت قلوبهم حب المال و كثرة العطاء و أما الذين اهتضموا فقتلوا و مرنوا على القناعة و لم يخطر لأحد من الفريقين له أن هذه الحال تنتقض أو تتغير بوجه ما فلما ولى عثمان أجرى الأمر على ما كان عمر يجريه فازداد وثوق القوم بذلك و من ألف أمرا أشق عليه فراقه و تغيير العادة فيه فلما ولى أمير المؤمنين ع أراد أن يرد الأمر إلى ما كان فى أيام رسول الله ص و أبى بكر و قد نسى ذلك و رفض و تخلل بين الزمانين اثنتان و عشرون سنة فشق ذلك عليهم و أنكروه و أكبروه حتى حدث ما حدث من نقض البيعة و مفارقة الطاعة و لله أمر هو بالغه [صفحة ٤٤]

٩٢- و من خطبة له ع

إشاره

أما بعد حمد الله و الثناء عليه أيها الناس فإنى فقأت عين الفتنة و لم يكن ليجتري عليها أحد غيري بعد أن ماج غيها و اشتد كلبها فأسألونى قبل أن تفقدونى فوالذى نفسى بيده لا تسألونى عن شىء فيما بينكم و بين الساعة و لا عن فته تهدي مائه و تفضل مائه إلا أنبأتكم بناعقها و قائدها و سائقها و مناخ ركابها و محط رحالها و من يقتل من أهلها قتلا و من يموت منهم موتا و لو قد فقدتمونى و نزلت بكم كرائه الأمور و حوازب الخطوب لأطرق كثير من السائلين و فشل كثير من المسئولين و ذلك إذا قلصت حربكم و شمرت عن ساق و كانت الدنيا عليكم ضيقا تستطيلون أيام البلاء عليكم حتى يفتح الله لبقية الأبرار منكم إن الفتن إذا أقبلت شبهت و إذا أدبرت نبتت ينكرن مقبلات و يعرفن مديبرات يحمن حوم الرياح يصن بن بلدا و يخطن بلدا ألا و إن أخوف

الْفِتْنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةٌ بَنِي أُمِّيَّةَ فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمِيَاءٌ مُظْلِمَةٌ عَمَّتْ خُطْبَتُهَا وَخَصَّتْ بِلَيْتِهَا وَأَصَابَ الْبَلَاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا وَأَخْطَأَ الْبَلَاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا وَإِيْمَ اللَّهُ لَتَجِدَنَّ بَنِي أُمِّيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي كَالنَّابِ الضَّرُوسِ تَعْدُمُ [صفحة ٤٥] بِفِيهَا وَتَخِطُّ بِيَدِهَا وَتَزِينُ بِرِجْلِهَا وَتَمْنَعُ دَرَّهَا لَا يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّى لَا يَتْرُكُوا مِنْكُمْ إِلَّا نَافِعًا لَهُمْ أَوْ غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ وَلَا يَزَالُ بَلَاؤُهُمْ عَنْكُمْ حَتَّى لَا يَكُونَ انْتِصَارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلَ انْتِصَارِ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ وَالصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَصْحَبِهِ تَرُدُّ عَلَيْكُمْ فِتْنَتَهُمْ شَوْهًا مَخْشِيَةً وَقِطْعًا جَاهِلِيَّةً لَيْسَ فِيهَا مَنَارٌ هُدَى وَلَا عِلْمٌ يُرَى نَحْنُ أَهْلَ الْبَيْتِ مِنْهَا بِنَجْوَاهُ وَكَلِمَاتِهَا بِدُعَائِهِ ثُمَّ يُفَرِّجُهَا اللَّهُ عَنْكُمْ كَتَفْرِيحِ الْأَدِيمِ بِمَنْ يَسُومُهُمْ خَسْفًا وَ يَسُوقُهُمْ غَنَمًا وَيَسْقِيهِمْ بِكَأْسِ مُصْبَرَةٍ لَا يُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ وَلَا يُحْلِسُهُمْ إِلَّا الْخَوْفَ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَوَدُّ قُرَيْشٌ بِالْدُنْيَا وَمَا فِيهَا لَوْ يَرَوْنِي مَقَامًا وَاحِدًا وَلَا قَدْرَ جَزْرٍ جَزُورٍ لِأَقْبَلِ مِنْهُمْ مَا أَطْلُبُ الْيَوْمَ بَعْضَهُ فَلَا يُعْطُونَنِي فَقَاتَ عَيْنَهُ أَى بِخَفْتِهَا وَتَفَقَّاتِ السَّحَابَةِ عَنْ مَائِهَا تَشَقَّقَتْ وَتَفَقَّأَ الدَّمْلُ وَالقَرْحُ وَمَعْنَى فَتْنَهُ عَ عَيْنِ الْفِتْنَةِ إِقْدَامُهُ عَلَيْهَا حَتَّى أَطْفَأَ نَارَهَا كَأَنَّهُ جَعَلَ لِلْفِتْنَةِ عَيْنًا مَحْدَقَةً يَهَايِبُهَا النَّاسُ فَأَقْدَمَ هُوَ عَلَيْهَا فَفَقَّأَ عَيْنَهَا فَسَكَنْتَ بَعْدَ حَرَكَتِهَا وَهِيَ جَانِهَا وَهَذَا مِنْ بَابِ الِاسْتِعَارَةِ وَإِنَّمَا قَالَ وَ لَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِئَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي لِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ كَانُوا يَهَايِبُونَ قِتَالَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ وَلَا يَعْلَمُونَ كَيْفَ يَقَاتِلُونَهُمْ هَلْ يَتَّبِعُونَ مَوْلِيَهُمْ أَمْ لَا وَهَلْ يَجْهَازُونَ عَلَى جَرِيحِهِمْ أَمْ لَا وَهَلْ يَقْسِمُونَ فِيهِمْ أَمْ لَا وَكَانُوا يَسْتَعْظَمُونَ قِتَالَ مَنْ يُؤْذَنُ كَأَذَانِنَا وَيَصْلِي كَصَلَاتِنَا وَاسْتَعْظَمُوا أَيْضًا حَرْبَ عَائِشَةَ وَحَرْبَ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ لِمَكَانِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ وَتَوَقَّفَ جَمَاعَتُهُمْ عَنِ الدَّخُولِ فِي تِلْكَ الْحَرْبِ كَالْأَخْفِ بْنِ قَيْسٍ وَغَيْرِهِ فَلَوْ لَا أَنَّ عَلِيًّا اجْتَرَأَ عَلَى سَلِّ السَّيْفِ فِيهَا مَا أَقْدَمَ أَحَدٌ عَلَيْهَا حَتَّى [صفحة ٤٦] الْحَسَنُ عَ ابْنَهُ أَشَارَ عَلَيْهِ أَلَّا يَبْرَحَ عَرِصَةَ الْمَدِينَةِ وَنَهَاهُ عَنِ الْمَسِيرِ إِلَى الْبَصْرَةِ حَتَّى قَالَ لَهُ مَنْكَرًا عَلَيْهِ إِنْكَارُهُ وَ لَا تَزَالُ تَخْنُ خَنِينَ الْأُمَّةِ وَ قَدْرُوى ابْنَ هَلَالٍ صَاحِبِ كِتَابِ الْغَارَاتِ أَنَّهُ كَلَّمَ أَبَاهُ فِي قِتَالِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ بِكَلَامٍ أَغْضَبَهُ فَرَمَاهُ بَبِيضَةٍ حَدِيدٍ عَقَرَتْ سَاقَهُ فَعَوَّلَجَ مِنْهَا شَهْرَيْنِ . وَالغَيْهَبُ الظُّلْمَةُ وَالْجَمْعُ غِيَاهِبٌ وَإِنَّمَا قَالَ بَعْدَ مَا مَاجَ غَيْهَبُهَا لِأَنَّهُ أَرَادَ بَعْدَ مَا عَمَّ ضَلَالُهَا فَشَمِلَ فَكُنِيَ عَنِ الضَّلَالِ بِالْغَيْهَبِ وَكُنِيَ عَنِ الْعُمُومِ وَالشُّمُولِ بِالتَّمُوجِ لِأَنَّ الظُّلْمَةَ إِذَا تَمُوجَتْ شَمِلَتْ أَمَاكِنَ كَثِيرَةً غَيْرَ الْأَمَاكِنِ الَّتِي تَشْمَلُهَا لَوْ كَانَتْ سَاكِنَةً وَاشْتَدَّ كَلْبُهَا أَى شَرُّهَا وَأَذَاهَا وَيُقَالُ لِلْقَحْطِ الشَّدِيدِ كَلْبٌ وَكَذَلِكَ لِلْقَرِّ الشَّدِيدِ . ثُمَّ قَالَ عَ سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقُدُونِي - رَوَايَاتُ ١- ٢- رَوَايَاتُ ١٥- ٣٩ رَوَى صَاحِبُ كِتَابِ الْإِسْتِعَابِ وَ هُوَ أَبُو عَمْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ عَنِ جَمَاعَةٍ مِنَ الرُّوَاةِ وَالْمُحَدِّثِينَ قَالُوا لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ سَلُونِي إِلَّا- عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَرَوَى شَيْخُنَا أَبُو جَعْفَرٍ الْإِسْكَافِيُّ فِي كِتَابِ نَقْضِ الْعَثْمَانِيَّةِ عَنِ عَلِيِّ بْنِ الْجَعْدِ عَنِ ابْنِ شَبْرَمَةَ قَالَ لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ عَلَى الْمَنْبَرِ سَلُونِي إِلَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَ . وَالْفَنَاءُ الطَّائِفَةُ وَالْهَاءُ عَوْضٌ مِنَ الْيَاءِ الَّتِي نَقَصَتْ مِنْ وَسْطِهِ وَأَصْلُهُ فِيءٌ مِثَالُ فَيْعٍ لِأَنَّهُ مِنْ فَاءٍ وَيَجْمَعُ عَلَى فَنَاتٍ مِثْلَ شِيَاتٍ وَهَبَاتٍ وَوَلَدَاتٍ . وَنَاعَقَهَا الدَّاعِي إِليهَا مِنْ نَعِيقِ الرَّاعِي بَغْنَمِهِ وَ هُوَ صَوْتُهُ نَعَقٌ يَنْعَقُ بِالْكَسْرِ نَعِيقًا وَنَعَاقًا أَى صَاحِبُهَا وَزَجَرُهَا قَالَ الْأَخْطَلُ فَانْعَقَ بِضَانِكُ يَا جَرِيرُ فَإِنَّمَا || مَنَّكَ نَفْسُكَ فِي الْخَلَاءِ ضَلَالًا . [صفحة ٤٧] فَأَمَّا الْغَرَابُ فَيُقَالُ نَعَقَ بِالْغَيْنِ الْمَعْجَمَةُ يَنْعَقُ بِالْكَسْرِ أَيْضًا وَحَكِي ابْنُ كَيْسَانَ نَعَقَ الْغَرَابُ أَيْضًا بَعِينٌ غَيْرَ مَعْجَمَةٍ . وَالرَّكَابُ الْإِبِلُ وَاحِدَتُهَا رَاحِلَةٌ وَ لَا وَاحِدٌ لَهَا مِنْ لَفْظِهَا وَجَمْعُهَا رَكَبٌ مِثْلُ كِتَابٍ وَكُتُبٌ وَيُقَالُ زَيْتٌ رَكَابِي لِأَنَّهُ يَحْمَلُ مِنَ الشَّامِ عَلَيْهَا . وَالْمَنَاخُ بِضَمِّ الْمِيمِ وَمَحَطٌ بِفَتْحِهَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرِينَ وَ أَنْ يَكُونَ مَكَانِينَ أَمَا كُونَ الْمَنَاخُ مَصْدَرًا فَلِأَنَّهُ كَالْمَقَامِ الَّذِي بِمَعْنَى الْإِقَامَةِ وَ أَمَا كُونَ الْمَحَطُ مَصْدَرًا فَلِأَنَّهُ كَالْمَرْدِ فِي قَوْلِهِ سَبْحَانَهُ وَ أَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَ أَمَا كُونَهُمَا مَوْضِعَيْنِ فَلِأَنَّ الْمَنَاخَ مِنْ أَنْخَتِ الْجَمَلِ لَا مِنْ نَاخِ الْجَمَلِ لِأَنَّهُ لَمْ يَأْتِ وَالْفِعْلُ إِذَا جَاوَزَ الثَّلَاثَةَ فَالْمَوْضِعُ مِنْهُ يَأْتِي مَضْمُومٌ الْمِيمِ لِأَنَّهُ مِثْلُ بِنَاتِ الْأَرْبَعَةِ نَحْوَ دَحْرَجٍ وَ هَذَا مَدْحَرَجْنَا وَ مِنْ قَالَ هَذَا مَقَامُ بَنِي فَلَانَ أَى مَوْضِعُ مَقَامِهِمْ جَعَلَهُ كَمَا جَعَلْنَاهُ نَحْنُ مِنْ أَقَامٍ يَقِيمُ لَا- مِنْ قَامٍ يَقُومُ وَ أَمَا الْمَحَطُ فَإِنَّهُ كَالْمَقْتَلِ مَوْضِعُ الْقِتَالِ يَقَالُ مَقْتَلُ الرَّجُلِ بَيْنَ فُكَيْهِ وَيُقَالُ لِلْأَعْضَاءِ الَّتِي إِذَا أُصِيبَ الْإِنْسَانُ فِيهَا هَلَكَ مَقَاتِلُ وَوَجْهَ الْمِمَاتِلَةِ كَوْنَهُمَا مَضْمُومِي الْعَيْنِ - قُرْآن - ٤٢٥- ٤٥٣

واعلم أنه قد أقسم فى هذا الفصل بالله الذى نفسه بيده أنهم لا يسألونه عن أمر يحدث بينهم وبين القيامة إلا أخبرهم به و أنه ماصح من طائفة من الناس يهتدى بهامئة وتضل بهامئة إلا و هو مخبر لهم إن سألوه برعاتها وقائدها وسائقها ومواضع نزول ركابها وخيولها و من يقتل منها قتلا و من يموت منها موتا و هذه الدعوى ليست منه عليه ع ادعاء الربوبية و لادعاء النبوة ولكنه كان يقول إن رسول الله ص [صفحة ٤٨] أخبره بذلك ولقد امتحنا إخباره فوجدناه موافقا فاستدلنا بذلك على صدق الدعوى المذكورة كإخباره عن الضربة يضرب بها فى رأسه فتخضب لحيته وإخباره عن قتل الحسين ابنه ع و مقاله فى كربلاء حيث مر بها وإخباره بملك معاوية الأمر من بعده وإخباره عن الحجاج و عن يوسف بن عمر و ما أخبر به من أمر الخوارج بالنهروان و ما قدمه إلى أصحابه من إخباره بقتل من يقتل منهم وصلب من يصلب وإخباره بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين وإخباره بعدة الجيش الوارد إليه من الكوفة لما شخص ع إلى البصرة لحرب أهلها وإخباره عن عبد الله بن الزبير و قوله فيه خب صب يروم أمرا و لا يدركه ينصب حباله الدين لاصطياد الدنيا و هو بعد مصلوب قريش و كإخباره عن هلاك البصرة بالغرق وهلاكها تارة أخرى بالزنج و هو الذى صحفه قوم فقالوا بالريح و كإخباره عن ظهور الرايات السود من خراسان وتنصيبه على قوم من أهلها يعرفون بنى رزيق بتقديم المهملة وهم آل مصعب الذين منهم طاهر بن الحسين وولده إسحاق بن ابراهيم وكانوا هم وسلفهم دعاء الدولة العباسية و كإخباره عن الأئمة الذين ظهروا من ولده بطبرستان كالناصر والداعى وغيرهما فى قوله ع و إن لآل محمد بالطالقان لكنرا سيظهره الله إذا شاء دعاؤه حتى يقوم بإذن الله فيدعو إلى دين الله -رواية ١-٢-رواية ١٦-١١٨ و كإخباره عن مقتل النفس الزكية بالمدينة و قوله إنه يقتل عند أحجار الزيت و كقوله عن أخيه ابراهيم المقتول بباب حمزة يقتل بعد أن يظهر ويقهر بعد أن يقهر و قوله فيه أيضا يأتيه سهم غرب يكون فيه منيته فيا يؤسا للرامى شلت يده ووهن عضده و كإخباره عن قتلى وج و قوله فيهم هم خير أهل الأرض و كإخباره عن المملكة العلوية بالغرب وتصريحه بذكر كتامة وهم الذين نصرروا أبا عبد الله الداعى المعلم و كقوله و هو يشير إلى أبى عبد الله المهدي و هو أولهم ثم يظهر [صفحة ٤٩] صاحب القيروان الغض البض ذو النسب المحض المنتجب من سلالة ذى البداء المسجى بالرداء و كان عبيد الله المهدي أبيض مترفا مشربا بحمرة رخص البدن تار الأطراف و ذو البداء إسماعيل بن جعفر بن محمد ع و هو المسجى بالرداء لأن أباه أبا عبد الله جعفرًا سجاء بردائه لمامات وأدخل إليه وجوه الشيعة يشاهدونه ليعلموا موته وتزول عنهم الشبهة فى أمره . و كإخباره عن بنى بويه و قوله فيهم ويخرج من ديلمان بنو الصياد إشارة إليهم و كان أبوهم صياد السمك يصيد منه بيده ما يتقوت هو وعياله بثمنه فأخرج الله تعالى من ولده لصلبه ملوكا ثلاثة ونشر ذريتهم حتى ضربت الأمثال بملكهم و كقوله ع فيهم ثم يشتري أمرهم حتى يملكوا الزوراء ويخلعوا الخلفاء فقال له قائل فكم مدتهم يا أمير المؤمنين فقال مائة أو تزيد قليلا -رواية ١-٢-رواية ١٩-١٤١ و كقوله فيهم والمترف ابن الأجدم يقتله ابن عمه على دجلة و هو إشارة إلى عزالدولة بختيار بن معز الدولة أبى الحسين و كان معز الدولة أقطع اليد قطعت يده للنكوص فى الحرب و كان ابنه عزالدول بختيار مترفا صاحب لهو وشرب وقتله عضد الدولة فناخسرو ابن عمه بقصر الجص على دجلة فى الحرب وسلبه ملكه فأما خلعهم للخلفاء فإن معز الدولة خلع المستكفى ورتب عوضه المطيع وبهاء الدولة أبانصر بن عضد الدولة خلع الطائع ورتب عوضه القادر وكانت مدة ملكهم كما أخبر به ع . و كإخباره ع لعبد الله بن العباس رحمه الله تعالى عن انتقال الأمر إلى أولاده فإن على بن عبد الله لما ولد أخرجه أبوه عبد الله إلى على ع فأخذه وتفل فى فيه [صفحة ٥٠] وحنكه بتمر قديلا وكها ودفعه إليه و قال خذ إليك أبا الأملاك هكذا الرواية الصحيحة وهى التى ذكرها أبو العباس المبرد فى كتاب الكامل وليست الرواية التى يذكر فيها العدد بصحيحة و لا منقولة من كتاب معتمد عليه .

وكم له من الأخبار عن الغيوب الجارية هذا المجرى مما لو أردنا استقصاءه لكسرنا له كراريس كثيرة وكتب السير تشتمل عليها مشروحة. فإن قلت لماذا غلا الناس في أمير المؤمنين ع فادعوا فيه الإلهية لإخباره عن الغيوب التي شاهدوا صدقها عيانا ولم يغلوا في رسول الله ص فادعوا له الإلهية وأخباره عن الغيوب الصادقة قد سمعوها وعلموها يقينا وهو كان أولى بذلك لأنه الأصل المتبوع ومعجزاته أعظم وأخباره عن الغيوب أكثر قلت إن الذين صحبوا رسول الله ص وشاهدوا معجزاته وسمعوا أخباره عن الغيوب الصادقة عيانا كانوا أشد آراء وأعظم أحلاما وأوفر عقولا من تلك الطائفة الضعيفة العقول السخيفة الأحلام الذين رأوا أمير المؤمنين ع في آخر أيامه كعبد الله بن سيبا وأصحابه فإنهم كانوا من ركافة البصائر وضعفها على حال مشهورة فلا عجب عن مثلهم أن تستخفهم المعجزات فيعتقدوا في صاحبها أن الجوهر الإلهي قد حله لاعتقادهم أنه لا يصح من البشر هذا الإباحة والحلول وقد قيل إن جماعة من هؤلاء كانوا من نسل النصارى واليهود وقد كانوا سمعوا من آبائهم وسلفهم القول بالحلول في أنبيائهم ورؤسائهم فاعتقدوا فيه ع مثل ذلك ويجوز أن يكون أصل هذه المقالة من قوم ملحدين أرادوا إدخال الإلحاد في دين الإسلام فذهبوا إلى ذلك ولو كانوا في أيام رسول الله ص لقالوا فيه مثل هذه المقالة إضلالا لأهل [صفحة ٥١] الإسلام وقصدا لإيقاع الشبهة في قلوبهم ولم يكن في الصحابة مثل هؤلاء ولكن قد كان فيهم منافقون وزنادقة ولم يهتدوا إلى هذه الفتنة ولا خطر لهم مثل هذه المكيدة. ومما ينقدح لي من الفرق بين هؤلاء القوم وبين العرب الذين عاصروا رسول الله ص أن هؤلاء من العراق وسكنى الكوفة وطبقة العراق مازالت تنبت أرباب الأهواء وأصحاب النحل العجيبة والمذاهب البديعة وأهل هذا الإقليم أهل بصر وتدقيق ونظر وبحث عن الآراء والعقائد وشبه معترضة في المذاهب وقد كان منهم في أيام الأكاسرة مثل ماني وديسان ومزدك وغيرهم وليست طبقة الحجاز هذه الطينة ولا أذهان أهل الحجاز هذه الأذهان والغالب على أهل الحجاز الجفاء والعجرفة وخشونة الطبع ومن سكن المدن منهم كأهل مكة والمدينة والطائف فطباعهم قريية من طباع أهل البادية بالمجاورة ولم يكن فيهم من قبل حكيم ولا فيلسوف ولا صاحب نظر وجدل ولا موقع شبهة ولا مبتدع نحلة ولهذا نجد مقالة الغلاة طارئة وناشئة من حيث سكن على ع بالعراق والكوفة لا في أيام مقامه بالمدينة وهي أكثر عمره. فهذا ملاح لي من الفرق بين الرجلين في المعنى المقدم ذكره. فإن قلت لماذا قال عن فئة تهدي مائة وما فائدة التقييد بهذا العدد قلت لأن مادون المائة حقير تافه لا يعتد به ليذكر ويخبر عنه فكأنه قال مائة فصاعدا. قوله ع كرائه الأمور جمع كرية وهي الشدة في الحرب وحواذب الخطوب جمع حازب وحزبه الأمر أى دهمه. [صفحة ٥٢] وفشل جبن فإن قلت أما فشل المسئول فمعلوم فما الوجه في إطراق السائل قلت لشدة الأمر وصعوبته حتى أن السائل ليبت ويدهب فيطرق ولا يستطيع السؤال. قوله ع إذا قلت حربكم يروى بالتشديد وبالتخفيف ويروى عن حربكم فمن رواه مشددا أراد انضمت واجتمعت وذلك لأنه يكون أشد لها وأصعب من أن تتفرق في مواطن متباعدة ألا ترى أن الجيوش إذا اجتمعت كلها واصطدم الفيلقان كان الأمر أصعب وأفظع من أن تكون كل كتية من تلك الجيوش تحارب كتية أخرى في بلاد متفرقة متباعدة وذلك لأن اصطدام الفيلقين بأجمعهما هو الاستتصال الذي لا شوى له ولا بقيا بعده ومن رواها بالتخفيف أراد كثرت وتزايدت من قولهم قلصت البئر أى ارتفع ماؤها إلى رأسها أو دونه وهوماء قالص وقليص ومن روى إذا قلت عن حربكم أراد إذا قلت كرائه الأمور وحواذب الخطوب عن حربكم أى انكشفت عنها والمضارع من قلص يقلص بالكسر. قوله ع وشمرت عن ساق استعاره وكناية يقال للجداد في أمره قد شمر عن ساق وذلك لأن سبوغ الذيل معثرة ويمكن أن يجرى اللفظ على حقيقته وذلك أن قوله تعالى يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقِمْسِرُوهُ فَقَالُوا السَاقُ الشَّدَّةُ فيكون قد أراد بقوله وشمرت عن ساق أى كشفت عن شدة ومشقة. ثم قال تستطيلون أيام البلاء وذلك لأن أيام البؤس طويلة قال الشاعر - قرآن - ٩٧٦-٩٩٧ [صفحة ٥٣] فأيام الهموم مقصصات || وأيام السرور تطير طيرا وقال أبو تمام ثم انبرت أيام هجر أردفت || بجوى أسى فكأنها أعوام. قوله ع إن الفتن إذا قبلت شبهت معناه أن الفتن عند إقبالها وابتداء حدوثها يلتبس أمرها و

لا يعلم الحق منها من الباطل إلى أن تنقضى وتدبر فحينئذ ينكشف حالها ويعلم ما كان مشتبهاً منها ثم أكد ع هذا المعنى بقوله ينكرون مقبلات ويعرفن مدبرات ومثال ذلك فتنه الجمل وفتنه الخوارج كان كثير من الناس فيها في مبدأ الأمر متوقفين واشتبه عليهم الحال و لم يعلموا موضع الحق إلى أن انقضت الفتنة ووضعت الحرب أوزارها وبيان لهم صاحب الضلالة من صاحب الهداية. ثم وصف الفتن فقال إنها تحوم حوم الرياح يصين بلداً ويخطئن بلداً حام الطائر وغيره حول الشيء يحوم حوماً وحومانا أى دار. ثم ذكر أن أخوف ما يخاف عليهم فتنة بنى أمية ومعنى قوله عمت خطتها وخصت بليتها أنها عمت الناس كافة من حيث كانت رئاسة شاملة لكل أحد ولكن حظ أهل البيت ع وشيعتهم من بليتها أعظم ونصيبيهم فيها أوفر. ومعنى قوله وأصاب البلاء من أبصر فيها وأخطأ البلاء من عمى عنها أن العالم بارتكابهم المنكر مأثوم إذ لم ينكر والجاهل بذلك لا إثم عليه إذا لم ينههم عن المنكر لأن من لا يعلم المنكر منكراً لا يلزمه إنكاره ولا يعنى بالمنكر هاهنا [صفحة ٥٤] ما كان منكراً من الاعتقادات ولا ما يتعلق بالأمانة بل الزنى وشرب الخمر ونحوهما من الأفعال القبيحة. فإن قلت أى فرق بين الأمرين قلت لأن تلك يلحق الإثم من لا يعلمها إذا كان متمكناً من العلم بها وهذه لا يجب إنكارها إلا مع العلم بها ومن لا يعلمها لا يلحقه الإثم إذا كان متمكناً من العلم بها فافترق الموضوعان. ثم أقسم ع فقال وإيم الله وأصله وإيمن الله واختلف النحويون في هذه الكلمة فعند الأكثرين منهم أن ألفها ألف وصل وأن أيمن اسم وضع للقسم هكذا بألف وصل وبضم الميم والنون قالوا ولم يأت في الأسماء ألف وصل مفتوحة غيرها وتدخّل عليها اللام لتأكيد الابتداء فتقول ليمن الله فتذهب الألف قال الشاعر فقال فريق القوم لمانشدتهم || نعم وفريق ليمن الله ماندرى وهذا الاسم مرفوع بالابتداء وخبره محذوف والتقدير ليمن الله قسمى فإذا خاطبت قلت ليمنك وفي حديث عروة بن الزبير ليمنك لئن كنت ابتليت لقد عافيت ولئن كنت أخذت لقد أبقيت وتحذف نونه فيصير إيم الله بألف وصل مفتوحة وقد تكسر وربما حذفوا الياء فقالوا إيم الله وربما أبقوا الميم وحدها مضمومة فقالوا إيم الله وقد يكسرونها لماصارت حرفاً شبهوها بالياء وربما قالوا من الله بضم الميم والنون ومن الله بكسرهما ومن الله بفتحهما وذهب أبو عبيد وابن كيسان وابن درستويه إلى أن أيمن جمع يمين والألف همزة قطع وإنما خفت [صفحة ٥٥] وطرحت في الوصل لكثرة الاستعمال قالوا وكانت العرب تحلف باليمين فتقول يمين الله لأفعل قال إمرؤ القيس فقلت يمين الله أبرح قاعداً || ولوقطعوا رأسى لديك وأوصالى قالوا واليمين تجمع على أيمن قال زهير فتجمع أيمن منا ومنكم || بمقسمة تمرور بها الدماء. ثم حلفوا به فقالوا أيمن الله ثم كثر في كلامهم وخف على ألسنتهم حتى حذفوا منه النون كما حذفوا في قوله لم يكن فقالوا لم يك فأقسم ع لأصحابه أنهم سيجدون بنى أمية بعده لهم أرباب سوء وصدق ص فيما قال فإنهم ساموهم سوء العذاب قتلاً وصلباً وحبساً وتشريداً في البلاد. ثم شبه بنى أمية بالناب الضروس والناب الناقة المسنة والجمع نيب تقول لأفعله ما حنت النيب والضروس السيئة الخلق تعض حالبها. وتعذب بفيها تكدم والعذب الأكل بجفاء وفرس عذوم يعض بأسنانه. والزبن الدفع زبنت الناقة تزبن إذا ضربت بثفتاتها عند الحلب تدفع الحالب عنها والدر اللبن وفي المثل لادر دره الأصل لبنة ثم قيل لكل خير وناقه درور أى كثيرة اللبن. ثم قال لا يزالون بكم قتلاً وإفناء لكم حتى لا يتركوا منكم إلا من ينفعهم إبقاؤه أو لا يضرهم ولا ينفعهم قال حتى يكون انتصار أحدكم منهم كانتصار العبد من مولاه أى لا انتصار لكم منهم لأن العبد لا ينتصر من مولاه أبداً وقد جاء في كلامه [صفحة ٥٦] ع في غير هذا الموضوع تنمة هذا المعنى إن حضر أطاعه وإن غاب سبعه أى ثلته وشتمه وهذه أماره الذل كما قال أبو الطيب أبدو فيسجد من بالسوء يذكرنى || ولأعاتبه صفحا وإهوانا وهكذا كنت فى أهلى وفى وطنى || إن النفيس نفيس أينما كانا. قال ع والصاحب من مستصحبه أى والتابع من متبوعه. والشوه جمع شوهاء وهى القبيحة الوجه شاهت الوجوه تشوه شوها قبحت وشوهه الله فهو مشوه وهى شوهاء ولا يقال للذكر أشوه ومخشيه مخوفة. وقطعا جاهلية شبهها بقطع السحاب لتراكمها على الناس وجعلها جاهلية لأنها كأفعال الجاهلية الذين لم يكن لهم دين يردعهم ويروى شوهاء وقطعاء أى نكراء كالمقطوعة اليد. قوله

نحن أهل البيت منها بمنجاة أى بمعزل والنجاة والنجوة المكان المرتفع الذى تظن أنه نجاك و لا يعلوه السيل ولسنا فيها بدعاء أى لسننا من أنصار تلك الدعوة و أهل البيت منصوب على الاختصاص كقولهم نحن معشر العرب نفعل كذا ونحن آل فلان كرماء. قوله كتفريح الأديم الجلد وجمعه آدم مثل أفيق وأفق و يجمع أيضا على آدمه كرجيف وأرغفه ووجه التشبيه أن الجلد ينكشف عما تحته فوعدهم ع بأن الله تعالى يكشف تلك الغماء كانكشاف الجلد عن اللحم بمن يسومهم خسفا ويوليهم ذلا. [صفحة ٥٧] والعنف بالضم ضد الرفق وكأس مصبرة ممزوجة بالصبر لهذا المر ويجوز أن يكون مصبرة مملوءة إلى أصبارها وهى جوانبها و فى المثل أخذها بأصبارها أى تامه الواحد صبر بالضم . ويحلسهم يلبسهم أحلست البعير ألبسته الحلس و هو كساء رقيق يكون تحت البرذعة يقال له حلس وحلس مثل شبه وشبه . والجزور من الإبل يقع على الذكر والأنثى وجزرها ذبحها. و هذا الكلام إخبار عن ظهور المسودة وانقراض ملك بنى أمية ووقع الأمر بموجب إخباره ص حتى لقد صدق قوله لقد تود قريش الكلام إلى آخره فإن أرباب السير كلهم نقلوا أن مروان بن محمد قال يوم الزاب لما شاهد عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس بإزائه فى صف خراسان لوددت أن على بن أبى طالب تحت هذه الراية بدلا من هذا الفتى والقصة طويلة وهى مشهورة. و هذه الخطبة ذكرها جماعة من أصحاب السير وهى متداولة منقولة مستفيضة خطب بها على ع بعد انقضاء أمر النهروان و فيها ألفاظ لم يوردها الرضى رحمه الله من ذلك قوله ع و لم يكن ليجتري عليها غيرى و لو لم أك فيكم ما قوتل أصحاب الجمل والنهروان و ايم الله لو لا أن تتكلموا فتدعوا العمل لحدتكم بما قضى الله عز و جل على لسان نبيكم ص لمن قاتلهم مبصر لضلالتهم عارفا للهدى الذى نحن عليه سلونى قبل أن تفقدونى فإنى ميت عن قريب أو مقتول بل قتلا ما ينتظر أشقاها أن يخضب هذه بدم وضرب بيده إلى لحيته -رواية ١-٢-رواية ١٢-٣٦٣ [صفحة ٥٨] ومنها فى ذكر بنى أمية يظهر أهل باطلها على أهل حقها حتى تملأ الأرض عدوانا وظلما وبدعا إلى أن يضع الله عز و جل جيروتها ويكسر عمدتها وينزع أوتادها ألا وإنكم مدركوها فانصروا قوما كانوا أصحاب رايات بدر وحنين تؤجروا و لا نمالوا عليهم عدوهم فتصرعكم البلية وتحل بكم النعمة -رواية ١-٢-رواية ٢٦-٢٨٢ ومنها إلامثل انتصار العبد من مولاه إذ آراه أطاعه و إن توارى عنه شتمه و ايم الله لو فرقوكم تحت كل حجر لجمعكم الله لشر يوم لهم -رواية ١-٢-رواية ٩-١٣٨ ومنها فانظروا أهل بيت نبيكم فإن لبدوا فالبدوا و إن استنصروكم فانصروهم فليفرجن الله الفتنة برجل منا أهل البيت بأبى ابن خيرة الإمام لا يعطيهم إلا السيف هرجا هرجا موضوعا على عاتقه ثمانية أشهر حتى تقول قريش لو كان هذا من ولد فاطمة لرحمنا يغريه الله ببنى أمية حتى يجعلهم حطاما ورفاتا ملعونين أينما تُقِفُوا أُخِذُوا وَ قُتِلُوا تَقْتِيلًا سِنَّةَ اللَّهِ فِي الْحَذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِ وَ لَنْ تَجِدَ لِسِنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا -رواية ١-٢-رواية ٩-٤٤٠ . فإن قيل لماذا قال و لو لم أك فيكم لما قوتل أهل الجمل و أهل النهروان و لم يذكر صفين قيل لأن الشبهة كانت فى أهل الجمل و أهل النهروان ظاهرة الالتباس لأن الزبير وطلحة موعودان بالجنة وعائشة موعودة أن تكون زوجة رسول الله ص فى الآخرة كماهى زوجته فى الدنيا وحال طلحة و الزبير فى السبق والجهاد والهجرة معلومة وحال عائشة فى محبة الرسول ص لها وثنائه عليها ونزول القرآن فيها معلومة و أما أهل النهروان فكانوا أهل قرآن وعبادة واجتهاد وعزوف عن الدنيا وإقبال على أمور الآخرة وهم كانوا قراء أهل العراق وزهادهم و أمامعوية فكان فاسقا مشهورا بقله الدين والانحراف عن الإسلام وكذلك ناصره ومظاهره على أمره عمرو بن العاص و من اتبعهما من طعام أهل الشام وأجلافهم وجهال الأعراب فلم يكن أمرهم خافيا فى جواز محاربتهم واستحلال قتالهم بخلاف حال من تقدم ذكره . [صفحة ٥٩] فإن قيل و من هذا الرجل الموعود به الذى قال ع عنه بأبى ابن خيرة الإمام قيل أما الإمامية فيزعمون أنه إمامهم الثانى عشر و أنه ابن أمه اسمها نرجس و أما أصحابنا فيزعمون أنه فاطمى يولد فى مستقبل الزمان لأم ولد و ليس بموجود الآن . فإن قيل فمن يكون من بنى أمية فى ذلك الوقت موجودا حتى يقول ع فى أمرهم ما قال من انتقام هذا الرجل منهم حتى يودوا لو أن عليا ع كان المتولى لأمرهم عوضا عنه . قيل أما الإمامية فيقولون

بالرجعة ويزعمون أنه سيعاد قوم بأعيانهم من بنى أمية وغيرهم إذا ظهر إمامهم المنتظر و أنه يقطع أيدي أقوام وأرجلهم ويسمل عيون بعضهم ويصلب قوما آخرين وينتقم من أعداء آل محمد ع المتقدمين والمتأخرين و أما أصحابنا فيزعمون أنه سيخلق الله تعالى في آخر الزمان رجلا- من ولد فاطمة ع ليس موجود الآن و أنه يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا وظلما وينتقم من الظالمين وينكل بهم أشد النكال و أنه لأم ولد كما قد ورد في هذا الأثر و في غيره من الآثار و أن اسمه محمد كاسم رسول الله ص و أنه إنما يظهر بعد أن يستولى على كثير من الإسلام ملك من أعقاب بنى أمية و هو السفيناني الموعود به في الخبر الصحيح من ولد أبي سفينان بن حرب بن أمية و أن الإمام الفاطمي يقتله ويقتل أشياعه من بنى أمية وغيرهم وحينئذ ينزل المسيح ع من السماء وتبدو أشراط الساعة وتظهر دابة الأرض ويبطل التكليف ويتحقق قيام الأجساد عندنفخ الصور كما نطق به الكتاب العزيز. [صفحة ٦٠] فإن قيل فإنكم قلتما فيما تقدم أن الوعد إنما هو بالسفاح وبعمه عبد الله بن علي والسودة و ما قلتماه الآن مخالف لذلك. قيل إن ذلك التفسير هو تفسير ما ذكره الرضى رحمه الله تعالى من كلام أمير المؤمنين ع في نهج البلاغة و هذا التفسير هو تفسير الزيادة التي لم يذكرها الرضى وهي قوله بأبي ابن خيرة الإمام و قوله لو كان هذا من ولد فاطمة لرحمنا فلانما قضت بين التفسيرين [صفحة ٦١]

٩٣- و من خطبة له ع

فَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي لَا يَلْبَغُهُ بَعْدُ الْهَمَمُ وَ لَا يَنَالُهُ حَدْسُ الْفِطَنِ الْأَوَّلِ الَّذِي لَا غَايَةَ لَهُ فَيَنْتَهِي وَ لَا آخِرَ لَهُ فَيَنْقُضِي الْبِرْكَهَ كَثْرَةَ الْخَيْرِ وَ زِيَادَتَهُ وَ تَبَارَكَ اللَّهُ مِنْهُ وَ بَرَكْتَ أَى دَعْوَتِ بِالْبِرْكَهَ وَ طَعَامِ بَرِيكٍ أَى مَبَارَكٍ وَ يُقَالُ بَارَكَ اللَّهُ لَزَيْدٍ وَ فِى زَيْدٍ وَ بَارَكَ اللَّهُ زَيْدًا يَتَعَدَى بِنَفْسِهِ وَ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى أَنْ بُورِكَ مَنْ فِى النَّارِ وَ يَحْتَمِلُ تَبَارَكَ اللَّهُ مَعْنِي أَحَدَهُمَا أَنْ يَرَادَ تَبَارَكَ خَيْرُهُ وَ زَادَتْ نِعْمَتُهُ وَ إِحْسَانُهُ وَ هَذَا دَعَاءٌ وَ ثَانِيَهُمَا أَنْ يَرَادَ بِهِ تَزَايُدٌ وَ تَعَالَى فِى ذَاتِهِ وَ صِفَاتِهِ عَنْ أَنْ يُقَاسَ بِهِ غَيْرُهُ وَ هَذَا تَمْجِيدٌ. قَوْلُهُ ع لَا يَلْبَغُهُ بَعْدُ الْهَمَمُ أَى بَعْدَ الْأَفْكَارِ وَ الْأَنْظَارِ عِبْرَ عَنْهَا بِالْهَمَمِ لِمَشَابَهَتِهَا بِهَا وَ حَدْسُ الْفِطَنِ ظَنُّهَا وَ تَخْمِينُهَا حَدْسُ أَحَدٍ بِالْكَسْرِ. وَ يُسْأَلُ عَنْ قَوْلِهِ لِغَايَةِ لَهُ فَيَنْتَهِي وَ لَا- آخِرَ لَهُ فَيَنْقُضِي فَيُقَالُ إِنَّمَا تَدْخُلُ الْفَاءُ فِيمَا إِذَا كَانَ الثَّانِي غَيْرَ الْأَوَّلِ وَ كَقَوْلِهِمْ مَا تَأْتِينَا فَتَحْدِثْنَا وَ لَيْسَ الثَّانِي هَاهُنَا غَيْرَ الْأَوَّلِ لِأَنَّ الْإِنْقِضَاءَ هُوَ الْآخِرِيُّ بَعِينُهَا فَكَأَنَّهُ قَالَ لِأَخْرَ لَهُ فَيَكُونُ لَهُ آخِرٌ وَ هَذَا لُغَوً وَ كَذَلِكَ الْقَوْلُ اللَّفْظَةُ فِى الْأَوَّلَى . وَ يَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ فِى الْجَوَابِ إِنْ الْمُرَادُ لِأَخْرَ لَهُ بِالْإِمْكَانِ وَالْقُوَّةِ فَيَنْقُضِي بِالْفِعْلِ فِيمَا - قُرْآن - ١٨٦ - ٢١٢] [صفحة ٦٢] لا-يزال و لا- هو أيضا ممكن الوجود فيما مضى فيلزم أن يكون وجوده مسبقا بالعدم و هو معنى قوله فينتهى بل هو واجب الوجود في حالين فيما مضى و في المستقبل وهذان مفهومان متغايران وهما العدم وإمكان العدم فاندفع الإشكال فاستودعهم في أفضل مستودع و أقرهم في خير مستقر تناسختهم كرائم الأصلاب إلى مطهرات الأرحام كلما مضى منهم سلف قام منهم بدين الله خلف حتى أفضت كرامة الله سبحانه و تعالى إلى محمد ص فأخرجته من أفضل المعادن منبتا و أعز الأزومات مغرسا من الشجرة التي صدع منها أنبياءه و انتجب منها أمناه عترته خير العتر و أسرته خير الأسير و شجرته خير الشجر نبتت في حرم و بسقت في كرم لها فروع طوال و ثمر لا ينال فهو إمام من اتقى و بصيره من اهتدى سراج لمع ضوءه و شهاب سطر نوره و زناد برق لمعه سيرته القصد و سيرته الرشد و كلامه الفصل و حكمه العدل أرسله على حين فتره من الرسل و هفوه عن العمل و غباؤه من الأمم تناسختهم أى تناقلتهم والتناسخ فى الميراث أن يموت ورثه بعد ورثته وأصل الميراث [صفحة ٦٣] قائم لم يقسم كأن ذلك تناقل من واحد إلى آخر و منه نسخت الكتاب وانتسخته واستنسخته أى نقلت ما فيه ويروى تناسلتهم . والسلف المتقدمون والخلف الباقون ويقال خلف صدق بالتحريك وخلف سوء بالتسكين . وأفضت كرامة الله إلى محمد ص أى انتهت

والأرومات جمع أرومته وهى الأصل ويقال أروم بغير هاء وصدع شق وانتجب اصطفى والأسرة رهط الرجل . وقوله نبتت فى حرم يجوز أن يعنى به مكة ويجوز أن يعنى به المنعة والعز. وبسقت طالت ومعنى قوله وثمر لاينال ليس على أن يريد به أن ثمرها لاينتفع به لأن ذلك ليس بمدح بل يريد به أن ثمرها لاينال قهرا ولايجنى غصبا ويجوز أن يريد بثمرها نفسه ع و من يجرى مجراه من أهل البيت ع لأنهم ثمره تلك الشجرة. و لاينال أى لاينال مساعيمهم ومآثرهم ولايباريهم أحد وقدروى فى الحديث عن النبى ص فى فضل قريش وبنى هاشم الكثير المستفيض نحو قوله ع قدموا قريشا ولا تقدموها -روايت- ١-٢- روايت- ١٢-٣٦ قوله الأئمة من قريش -روايت- ١-٢- روايت- ١-٢- روايت- ٩-٢٥ قوله إن الله اصطفى من العرب معدا واصطفى من معد بنى النضر بن كنانة واصطفى هاشما من بنى النضر واصطفانى من بنى هاشم -روايت- ١-٢- روايت- ١-٢- روايت- ٩-١٢٨ قوله إن جبرائيل ع قال لى يا محمد قد طفت الأرض شرقا وغربا فلم أجد فيها أكرم منك ولايتا أكرم من بنى هاشم -روايت- ١-٢- روايت- ١-٢- روايت- ٩-١١٩ قوله نقلنا من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية -روايت- ١-٢- روايت- ١-٢- روايت- ٩-٥٥ قوله ع إن الله تعالى لم يمسنى بسفاح فى أرومتى منذ إسماعيل بن ابراهيم إلى عبد الله -روايت- ١-٢- روايت- ١-٢- روايت- ١٢-١٢- ادامه دارد [صفحه ٦٤] بن عبدالمطلب -روايت- از قبل ١٨-١٨ قوله ص سادة أهل محشر سادة أهل الدنيا أنا و على وحسن وحسين وحزمة و جعفر -روايت- ١-٢- روايت- ١٢-٧٩ قوله و قد سمع رجلا ينشد -روايت- ١-٢- روايت- ١-٢- روايت- ٩-٢٩ يأيتها الرجل المحول رحله || هلا نزلت بآل عبدالدار أهكذا قال يا أبابكر منكرا لماسمع فقال أبوبكر لا يا رسول الله إنه لم يقل هكذا ولكنه قال -روايت- ١-٢- روايت- ١-٢- روايت- ٩-٩٧ يأيتها الرجل المحول رحله || هلا نزلت بآل عبدمناف عمرو العلاء هشم الثريد لقومه || ورجال مكة مستنون عجاف فسرص بذلك -روايت- ١-٢- روايت- ١-١٣ قوله أذل الله من أذل قريشا قالها ثلاثا -روايت- ١-٢- روايت- ١-٢- روايت- ٩-٤٦ كقوله -روايت- ١-٢- روايت- ١-٢- روايت- ٩-١٠ أنا النبى لا كذب || أنا ابن عبدالمطلب كقوله الناس تبع لقريش برهم لبرهم وفاجرهم لفاجرهم -روايت- ١-٢- روايت- ١-٢- روايت- ٩-٥٩ كقوله أنا ابن الأكرمين -روايت- ١-٢- روايت- ١-٢- روايت- ٩-٢٨ قوله لبنى هاشم و الله لا يبيغضكم أحد إلا أكبه الله على منخريه فى النار -روايت- ١-٢- روايت- ١-٢- روايت- ٩-٧٩ قوله ما بال رجال يزعمون أن قرابتى غير نافعة بلى إنها لنافعة وإنه لا يبيغض أحد أهلى إلا حرمه الله الجنة -روايت- ١-٢- روايت- ٩-١١٢ . والأخبار الواردة فى فضائل قريش وبنى هاشم وشرفهم كثيرة جدا ولا نرى الإطالة هاهنا باستقصائها. وسطح الصبح يسطع سطوعا أى ارتفع والسطيع الصبح والزند العود تقدح به النار و هو الأعلى والزندة السفلى فيها تقب وهى الأنتى فإذا اجتمعا قيل زندان و لم يقل زندتان تغليا للتذكير والجمع زناد وأزند وأزنداد. والقصد الاعتدال وكلامه الفصل أى الفاصل والفارق بين الحق والباطل و هو مصدر بمعنى الفاعل كقولك رجل عدل أى عادل . والهفوة الزلة هفا يهفو والغباوة الجهل وقلة الفطنة يقال غبيت عن الشىء وغبيت [صفحه ٦٥] الشىء أيضا أغبى غباوة إذا لم يظن له وغبى على الشىء كذلك إذا لم تعرفه وفلان غبى على فعيل أى قليل الفطنة اعملوا رَحِمَكُمُ اللهُ عَلَى أَعْلَامٍ بَيْنَهُ فَالطَّرِيقُ نَهْجٌ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَ أَنْتُمْ فِي دَارِ مُسْتَعْتَبٍ عَلَى مَهَلٍ وَ فَرَاغٍ وَ الصَّيْحُ مَنْشُورَةٌ وَ الْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ وَ الْأَبْدَانُ صَيْحِيحَةٌ وَ الْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ وَ التَّوْبَةُ مَسْمُوعَةٌ وَ الْأَعْمَالُ مَقْبُولَةٌ الطريق يذكر ويؤنث يقال هذا الطريق الأعظم وهذه الطريق العظمى والجمع أطرقة وطرق . وأعلام بينة أى منار واضح ونهج أى واضح ودار السلام الجنة ويروى والطريق نهج بالواو واو الحال . وأنتم فى دار مستعتب أى فى دار يمكنكم فيها استرضاء الخالق سبحانه واستعتابه . ثم شرح ذلك فقال أنتم مهلون متفرغون وصحف أعمالكم لم تطو بعد وأقلام الحفظة عليكم لم تجف بعد وأبدانكم صحيحة وألسنتكم ما اعتقلت كما تعتقل ألسنة المحتضرين عند الموت وتوبتكم مسموعة وأعمالكم مقبولة لأنكم فى دار التكليف لم تخرجوا منها [صفحه ٦٦]

بِيَدِهِ لِيُظْهَرَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ عَلَيْكُمْ لَيْسَ لَأَنْتُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْكُمْ وَ لَكِنْ لِإِسْرَاعِهِمْ إِلَى بَاطِلِهِمْ وَ إِبْطَائِكُمْ عَنْ حَقِّي وَ لَقَدْ أَصْبَحَتْ
الْأُمَّ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِيهَا وَ أَصْبَحَتْ أَخَافُ ظُلْمَ رِعْيِي اسْتَفْرُتُكُمْ لِلْجِهَادِ فَلَمْ تَنْفِرُوا وَ أَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا وَ دَعَوْتُكُمْ سِرًّا وَ
جَهْرًا فَلَمْ تَسْتَجِيبُوا وَ نَصِيحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا شُهُودًا كَغِيَابٍ وَ عَيْدًا كَأَرْبَابٍ أَتَلَوْ عَلَيْكُمْ الْحِكْمَ فَتَنْفِرُونَ مِنْهَا وَ أَعْظَمُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ
الْبَالِغَةِ فَتَنْفِرُقُونَ عَنْهَا وَ أَحْثُكُمْ عَلَى جِهَادِ أَهْلِ الْبَغْيِ فَمَا أَتَى عَلَى آخِرِ قَوْلِي حَتَّى أَرَأَيْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ أَيْدِي سَيْبًا تَرْجِعُونَ إِلَى
مَجَالِسِكُمْ وَ تَتَخَادَعُونَ عَنْ مَوَاعِظِكُمْ أَقْوَمُكُمْ غُدُوَّةً وَ تَرْجِعُونَ إِلَى عَشِيَّتِهِ كَظَهْرِ الْحَيَّةِ عَجَزَ الْمُقَوْمُ وَ أَعْضَلَ الْمُقَوْمُ أَيُّهَا الْقَوْمُ
الشَّاهِدَةُ أَبَدَانُهُمُ الْغَائِيَّةُ عَنْهُمْ عَقُولُهُمُ الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمُ الْمُتَبَلِّغَةُ بِهِمْ أَمْرَاؤُهُمْ صَاحِبُكُمْ يُطِيعُ اللَّهَ وَ أَنْتُمْ تَعْصُونَهِ وَ صَاحِبُ أَهْلِ
الشَّامِ يَعْصِي اللَّهَ وَ هُمْ يُطِيعُونَهُ لَوَدِدْتُ وَ اللَّهَ أَنْ مُعَاوِيَةَ صَارَفَنِي بِكُمْ صَرَفَ الدِّينَارِ بِالْدَّرْهِمِ فَأَخَذَ مِنِّي عَشْرَةَ مِنْكُمْ وَ أَعْطَانِي
رَجُلًا مِنْهُمْ [صفحہ ۷۱] يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ مُنِيتُ مِنْكُمْ بِثَلَاثٍ وَ اثْنَتَيْنِ صُمُّ ذُووِ أَسْمَاعٍ وَ بُكْمُ ذُووِ كَلَامٍ وَ عُمَى ذُووِ أَبْصَارٍ لَأَ أَحْرَارُ
صِدْقٍ عِنْدَ اللَّقَاءِ وَ لَأَ إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ الْبَلَاءِ تَرَبَّتْ أَيْدِيكُمْ يَا أَشْبَاهَ الْإِبِلِ غَابَ عَنْهَا رُعَاتِيهَا كُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ تَفَرَّقَتْ مِنْ آخَرَ
وَ اللَّهُ لَكَأَنَّيْ بِكُمْ فِيمَا إِخَالُكُمْ أَنْ لَوْ حِمْسَ الْوَعَى وَ حَمَى الضَّرَابِ قَدْ انْفَرَجْتُمْ عَنْ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ انْفِرَاجَ الْمَرْأَةِ عَنْ قُبَيْلِهَا وَ إِنِّي
لَعَلَى بَيْنِيهِ مِنْ رَبِّي وَ مِنْهَاجٍ مِنْ نَبِيِّ وَ إِنِّي لَعَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ الْقُطْبَةَ لَقَطًّا أَهْلُهُ آخِرُهُ وَأَخَذَهُ فَاعِلٌ وَالْمَفْعُولُ مَحْدُوفٌ تَقْدِيرُهُ
فَلَنْ يَفُوتَهُ وَالْمَرْصَادُ الطَّرِيقُ وَهِيَ مِنْ أَلْفَاظِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ. وَمَجَازُ طَرِيقِهِ مَسْلُكُهُ وَمَوْضِعُ جَوَازِهِ وَالشَّجَا مَا يَنْشَبُ فِي الْحَلْقِ مِنْ
عَظْمٍ أَوْ غَيْرِهِ وَمَوْضِعُ الشَّجَا هُوَ الْحَلْقُ نَفْسُهُ وَمَسَاغٌ رِيقُهُ وَمَوْضِعُ الْإِسَاغَةِ أَسْغَتِ الشَّرَابُ أَوْ صَلَتْهُ إِلَى الْمَعْدَةِ وَيَجُوزُ سَغَتِ الشَّرَابِ
أَسْوَعُهُ وَأَسِيغُهُ وَمَسَاغُ الشَّرَابِ نَفْسُهُ يَسُوعُ سَوْغًا أَيْ سَهْلًا مَدْخَلُهُ فِي الْحَلْقِ يَتَعَدَى وَ لَا يَتَعَدَى وَ هَذَا الْكَلَامُ مِنْ بَابِ التَّوَسُّعِ
وَالْمَجَازُ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْحَصُولُ فِي الْجِهَاتِ وَلَكِنَّهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَقَوْلُهُ وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ
مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ. -قرآن- ۴۸۸-۵۱۸-قرآن- ۵۲۷-۵۷۰ [صفحہ ۷۲] ثُمَّ أَقْسَمُ عَ أَنْ أَهْلَ الشَّامِ لَا بَدَّ أَنْ يَظْهَرُوا عَلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ وَ
أَنْ ذَلِكَ لَيْسَ لِأَنْتُمْ عَلَى الْحَقِّ وَ أَهْلَ الْعِرَاقِ عَلَى الْبَاطِلِ بَلْ لِأَنْتُمْ أَطْوَعُ لِأَمِيرِهِمْ وَمَدَارِ النَّصْرَةِ فِي الْحَرْبِ إِنَّمَا هُوَ عَلَى طَاعَةِ
الْجَيْشِ وَانْتِظَامِ أَمْرِهِ لَا- عَلَى اعْتِقَادِ الْحَقِّ فَإِنَّهُ لَيْسَ يَغْنَى فِي الْحَرْبِ أَنْ يَكُونَ الْجَيْشُ مُحَقًّا فِي الْعَقِيدَةِ إِذَا كَانَ مُخْتَلِفَ الْآرَاءِ
غَيْرِ مُطِيعٍ لِأَمْرِ الْمَدِيرِ لَهُ وَلِهَذَا تَجَدُّ أَهْلُ الشَّرْكَ كَثِيرًا مَا يَنْتَصِرُونَ عَلَى أَهْلِ التَّوْحِيدِ. ثُمَّ ذَكَرَ نَكْتَهُ لَطِيفَةً فِي هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ
الْعَادَةُ أَنْ الرَّعِيَّةُ تَخَافُ ظُلْمَ الْوَالِيِ وَ أَنَا أَخَافُ ظُلْمَ رِعْيِي وَ مِنْ تَأَمَّلِ أَحْوَالَهُ عَ فِي خِلَافَتِهِ عِلْمٌ أَنَّهُ كَانَ كَالْمَحْجُورِ عَلَيْهِ لَا يَتِمَكَّنُ
مِنْ بُلُوغِ مَا فِي نَفْسِهِ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْعَارِفِينَ بِحَقِيقَةِ حَالِهِ كَانُوا قَلِيلِينَ وَ كَانَ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ لَا يَعتقدون فِيهِ الْأَمْرَ الَّذِي يَجِبُ اعْتِقَادُهُ
فِيهِ وَيُرُونَ تَفْضِيلَ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْخُلَفَاءِ عَلَيْهِ وَيَظُنُّونَ أَنَّ الْأَفْضَلِيَّةَ إِنَّمَا هِيَ الْخِلَافَةُ وَيَقْلُدُ أَخْلَافَهُمْ أَسْلَافَهُمْ وَيَقُولُونَ لَوْ لَا أَنَّ
الْأَوَائِلَ عِلْمُوا فَضْلَ الْمُتَقَدِّمِينَ عَلَيْهِ لِمَا قَدَّمُوهُمْ وَ لَا يَرُونَهُ إِلَّا بَعِينَ التَّبَعِيَّةَ لِمَنْ سَبَقَهُ وَ أَنَّهُ كَانَ رِعِيَّةً لَهُمْ وَأَكْثَرَهُمْ إِنَّمَا يَحَارِبُ مَعَهُ
بِالْحِمِيَّةِ وَبِنُحُوَّةِ الْعَرَبِيَّةِ لِأَنَّ الْبَالِدِينَ وَالْعَقِيدَةَ وَ كَانَ عَ مَدْفُوعًا إِلَى مَدَارَاتِهِمْ وَمَقَارِبَتِهِمْ وَ لَمْ يَكُنْ قَادِرًا عَلَى إِظْهَارِ مَا عِنْدَهُ أَلَا تَرَى
إِلَى كِتَابِهِ إِلَى قَضَاتِهِ فِي الْأَمْصَارِ. وَ قَوْلُهُ فَاقْضُوا كَمَا كُنْتُمْ تَقْضُونَ حَتَّى تَكُونَ لِلنَّاسِ جَمَاعَةٌ وَأَمُوتَ كَمَا مَاتَ أَصْحَابِي -رَوَايَتُ-
۱-۲-رَوَايَتُ- ۹-۷۸ وَ هَذَا الْكَلَامُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَفْسِيرٍ وَمَعْنَاهُ وَاضِحٌ وَ هُوَ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ اتَّبِعُوا عَادَتَكُمْ الْآنَ بِعَاجِلِ الْحَالِ فِي
الْأَحْكَامِ وَالْقَضَايَا الَّتِي كُنْتُمْ تَقْضُونَ بِهَا إِلَى أَنْ يَكُونَ لِلنَّاسِ جَمَاعَةٌ أَيْ إِلَى أَنْ تَسْفِرَ هَذِهِ الْأُمُورُ وَالْخُطُوبُ عَنِ الْجَمَاعَةِ وَ زَوَالِ
الْفِرْقَةِ وَ سَكُونِ الْفِتْنَةِ وَ حِينَئِذٍ أَعْرِفْكُمْ مَا عِنْدِي فِي هَذِهِ الْقَضَايَا وَالْأَحْكَامِ الَّتِي قَدِ اسْتَمَرَّرْتُمْ عَلَيْهَا. ثُمَّ قَالَ أَوْ أَمُوتَ كَمَا مَاتَ
أَصْحَابِي فَمَنْ قَائِلٌ يَقُولُ عَنِي بِأَصْحَابِهِ الْخُلَفَاءَ الْمُتَقَدِّمِينَ [صفحہ ۷۳] وَ مَنْ قَائِلٌ يَقُولُ عَنِي بِأَصْحَابِهِ شِيعَتَهُ كَسَلْمَانَ وَ أَبِي ذَرٍّ
وَالْمَقْدَادِ وَعِمَارٍ وَنَحْوِهِمْ أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ عَلَى الْمَنْبِرِ فِي أَمْهَاتِ الْأَوْلَادِ كَانَ رَأْيِي وَرَأْيَ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرٍ وَ أَنَا أَرَى الْآنَ بِيَعْنُ -
رَوَايَتُ- ۱-۲-رَوَايَتُ- ۳۸-۹۲ فَقَامَ عَلَيْهِ عِبِيدَةُ السَّلْمَانِي فَقَالَ لَهُ رَأْيُكَ مَعَ الْجَمَاعَةِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ رَأْيِكَ وَ حَدِّكَ فَمَا أَعَادَ عَلَيْهِ
حَرْفًا فَهَلْ يَدُلُّ هَذَا عَلَى الْقُوَّةِ وَالْقَهْرِ أَمْ عَلَى الضَّعْفِ فِي السُّلْطَانِ وَالرِّخَاوَةِ وَهَلْ كَانَتْ الْمَصْلِحَةُ وَالْحِكْمَةُ تَقْتَضِي فِي ذَلِكَ

الوقت غير السكوت والإمساك ألا ترى أنه كان يقرأ في صلاة الصبح وخلفه جماعة من أصحابه فقرأ واحد منهم رافعا صوته معارضا قراءة أمير المؤمنين ع إن الحكم إلا لله يقضى بالحق و هو خير الفاصلين فلم يضطرب ع و لم يقطع صلاته و لم يلتفت وراءه ولكنه قرأ معارضا له على البديهة فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يؤقنون وهذا صبر عظيم وأناة عجيبة وتوفيق بين وبهذا ونحوه استدل أصحابنا المتكلمون على حسن سياسته وصحة تدبيره لأن من منى بهذه الرعية المختلفة الأهواء وهذا الجيش العاصي له المتمرد عليه ثم كسر بهم الأعداء وقتل بهم الرؤساء فليس يبلغ أحد في حسن السياسة وصحة التدبير مبلغه ولا يقدر أحد قدره وقد قال بعض المتكلمين من أصحابنا إن سياسة علي ع إذا تأملها المنصف متديرا لها بالإضافة إلى أحواله التي دفع إليها مع أصحابه جرت مجرى المعجزات لصعوبة الأمر وتعذره فإن أصحابه كانوا فرقتين إحداهما تذهب إلى أن عثمان قتل مظلوما وتتولاه وتبرأ من أعدائه والأخرى وهم جمهور أصحاب الحرب وأهل الغناء والبأس يعتقدون أن عثمان قتل لأحداث أوجبت عليه القتل وقد كان منهم من يصرح بتكفيره و كل من هاتين الفرقتين يزعم أن عليا ع موافق لها على رأيها وتطالبه في كل وقت بأن يبدى مذهبه في عثمان وتساءله أن يجيب بجواب واضح في أمره و كان ع -قرآن- ٤٩١-٥٦٣ [صفحة ٧٤] يعلم أنه متى وافق إحدى الطائفتين باينته الأخرى وأسلمته وتولت عنه وخذلته فأخذ ع يعتمد في جوابه ويستعمل في كلامه ماتظن به كل واحدة من الفرقتين أنه يوافق رأيها ويمائل اعتقادها فتارة يقول الله قتله و أنامعه وتذهب الطائفة الموالية لعثمان إلى أنه أراد أن الله أماته وسيميتني كما أماته وتذهب الطائفة الأخرى إلى أنه أراد أن الله قتله عثمان مع قتله أيضا وكذلك قوله تارة أخرى ما أمرت به ولا نهيت عنه و قوله لو أمرت به لكنت قاتلا و لونهيت عنه لكنت ناصرا وأشياء من هذا الجنس مذكورة مروية عنه فلم يزل على هذه الوتيرة حتى قبض ع و كل من الطائفتين موالية له معتقدة أن رأيها في عثمان كرايها فلو لم يكن له من السياسة إلا هذا القدر مع كثرة خوض الناس حينئذ في أمر عثمان والحاجة إلى ذكره في كل مقام لكفاه في الدلالة على أنه أعرف الناس بها وأحذقهم فيها وأعلمهم بوجوه مخارج الكلام وتدبير أحوال الرجال . ثم نعود إلى الشرح قوله ع ونصحت لكم هو الأفضح و عليه ورد لفظ القرآن وقول العامة نصحتك ليس بالأفصح . قوله وعبيد كأرباب يصفهم بالكبر والته . فإن قلت كيف قال عنهم إنهم عبيد وكانوا عربا صليبة قلت يريد أن أخلاقهم كأخلاق العبيد من الغدر والخلاف ودناءة الأنفس وفيهم مع ذلك كبر السادات والأرباب و تيههم فقد جمعوا خصال السوء كلها . وأيادي سبأ مثل يضرب للمتفرقين وأصله قوله تعالى عن أهل سبأ ومزقناهم -قرآن- ١٢٦٣-١٢٧٥ يعلم أنه متى وافق إحدى الطائفتين باينته الأخرى وأسلمته وتولت عنه وخذلته فأخذ ع يعتمد في جوابه ويستعمل في كلامه ماتظن به كل واحدة من الفرقتين أنه يوافق رأيها ويمائل اعتقادها فتارة يقول الله قتله و أنامعه وتذهب الطائفة الموالية لعثمان إلى أنه أراد أن الله أماته وسيميتني كما أماته وتذهب الطائفة الأخرى إلى أنه أراد أن الله قتله عثمان مع قتله أيضا وكذلك قوله تارة أخرى ما أمرت به ولا نهيت عنه و قوله لو أمرت به لكنت قاتلا و لونهيت عنه لكنت ناصرا وأشياء من هذا الجنس مذكورة مروية عنه فلم يزل على هذه الوتيرة حتى قبض ع و كل من الطائفتين موالية له معتقدة أن رأيها في عثمان كرايها فلو لم يكن له من السياسة إلا هذا القدر مع كثرة خوض الناس حينئذ في أمر عثمان والحاجة إلى ذكره في كل مقام لكفاه في الدلالة على أنه أعرف الناس بها وأحذقهم فيها وأعلمهم بوجوه مخارج الكلام وتدبير أحوال الرجال . ثم نعود إلى الشرح قوله ع ونصحت لكم هو الأفضح و عليه ورد لفظ القرآن وقول العامة نصحتك ليس بالأفصح . قوله وعبيد كأرباب يصفهم بالكبر والته . فإن قلت كيف قال عنهم إنهم عبيد وكانوا عربا صليبة قلت يريد أن أخلاقهم كأخلاق العبيد من الغدر والخلاف ودناءة الأنفس وفيهم مع ذلك كبر السادات والأرباب و تيههم فقد جمعوا خصال السوء كلها . وأيادي سبأ مثل يضرب للمتفرقين وأصله قوله تعالى عن أهل سبأ ومزقناهم كل ممزق -قرآن- ١-١٤ وسبأ مهموز و هوسبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ويقال ذهبوا أيدي سبأ وأيادي سبأ الياء ساكنة وكذلك الألف وهكذا نقل المثل أي ذهبوا متفرقين وهما اسمان جعلتا

واحدا مثل معد يكرب . قوله تتخادعون عن مواعظكم أن تمسكون عن الاتعاض والانزجار وتقلعون عن ذلك من قولهم كان فلان يعطى ثم خدع أى أمسك وأقنع ويجوز أن يريد تتلونون وتختلفون فى قبول الموعظة من قولهم خلق فلان خلق خادع أى متلون وسوق خادعة أى مختلفة متلونه ولا يجوز أن يريد باللفظة المعنى المشهور منها لأنه إنما يقال فلان يتخادع لفلان إذا كان يريه أنه منخدع له وليس بمنخدع فى الحقيقة وهذا لا يطابق معنى الكلام . والحنية القوس وقوله كظهر الحنية يريد اعوجاجهم كما أن ظهر القوس معوج وأعطل المقوم أى أعزل داؤه أى أعيا ويروى أيها الشاهدة أبدانهم بحذف الموصوف . ثم أقسم أنه يود أن معاوية صارفه بهم فأعطاه من أهل الشام واحدا وأخذ منه عشرة صرف الدينار بالدرهم أخذ هذا اللفظ عبد الله بن الزبير لما وفد إليه أهل البصرة وفيهم الأحنف فتكلم منهم أبو حاضر الأسدى و كان خطيبا جميلا فقال له عبد الله بن الزبير اسكت فوالله لوددت أن لى بكل عشرة من أهل العراق واحدا من أهل الشام صرف الدينار بالدرهم فقال يا أمير المؤمنين إن لنا ولك مثلا أفأذن فى ذكره قال نعم قال مثلنا ومثلك ومثل أهل الشام قول الأعشى علقته عرضا وعلقت رجلا || غيرى وعلق أخرى غيرها الرجل [صفحة ٧٦] أحبك أهل العراق وأحبيت أهل الشام وأحب أهل الشام عبد الملك فما تصنع ثم ذكر ع أنه منى أى بلى منهم بثلاث واثنتين إنما لم يقل بخمس لأن الثلاث إيجابية والاثنتين سلبية فأحب أن يفرق بين الإثبات والنفي . ويروى لأحرار صدق عند اللقاء جمع صادق ولا إخوان ثقة عند البلاء أى موثوق بهم . تربت أيديكم كلمة يدعى على الإنسان بها أى لأصبتم خيرا وأصل ترب أصابه التراب فكأنه يدعو عليه بأن يفتقر حتى يلتصق بالتراب . قوله فما إخالكم أى فما أظنكم والأفصح كسر الألف وهو السماع وبنو أسد يفتحونها وهو القياس . قوله ألو أصله أن لو ثم أدغمت النون فى الألف فصارت كلمة واحدة . وحمس الوغى بكسر الميم اشتد وعظم فهو حمس وأحمس بين الحمس والحماسة . والوغى فى الأصل الأصوات والجلبة وسميت الحرب نفسها وغى لما فيها من ذلك . وقوله انفراج المرأة عن قلبها أى وقت الولادة . قوله ألقطه لقطا يريد أن الضلال غالب على الهدى فأنا ألتقط طريق الهدى من بين طريق الضلال لقطا من هاهنا وهاهنا كما يسلك الإنسان طريقا دقيقة فداكتنفها الشوك والعوسج من جانبيهما كليهما فهو يلتقط النهج التقاطا انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سيمتهم و اتبعوا أثرهم فلن يخرجوكم من هدى و لن يعيدوكم فى ردى فإن ليدوا فاليدوا وإن نهضوا فانهضوا و لا تسبقوهم فتضلموا و لا تتأخروا عنهم فتهلكوا [صفحة ٧٧] لقد رأيت أصحاب محمد يصعبون فما أرى أحدا يشبههم منكم لقد كانوا يصبحون شعنا غربا و قد باتوا سجداء و قياما يراوون بين جباههم و خدودهم و يقفون على مثل الجمر من ذكر مآداهم كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم و مآدوا كما يميئ الشجر يوم الرياح العاصف خوفا من العقاب و رجاء للثواب السمت الطريق و لبد الشىء بالأرض يلبد بالضم لبودا التصق بها ويصبحون شعنا غربا من كشف العبادة وقيام الليل وصوم النهار وهجر الملاذ فيراوون بين جباههم و خدودهم تارة يسجدون على الجباه وتارة يضعون خدودهم على الأرض بعد الصلاة تذللا وخضوعا والمراوحة بين العمل أن يعمل هذامرة و هذامرة ويرواح بين رجليه إذا قام على هذه تارة و على هذه أخرى . ويقال معزى لهذا الجنس من الغنم ومعز ومعيز وأمعوز ومعز بالتسكين وواحد المعز معاز كصحب وصاحب والأنثى معازة والجمع معاز . وهملت أعينهم سالت تهمل وتهمل . ويروى حتى تبل جباههم أى يبيل موضع السجود فتبتل الجبهة بملاقاته ومادوا تحركوا واضطربوا إما خوفا من العقاب كما يتحرك الرجل ويضطرب أوراغ للثواب كما يتحرك الشوان من الطرب و كما يتحرك الجذل المسرور من الفرح [صفحة ٧٨]

وَاللَّهُ لَا يَزَالُونَ حَتَّى لَا يَدْعُوا لِلَّهِ مُحَرَّمًا إِلَّا اسْتَحْلَوْهُ وَ لَا عَقْدًا إِلَّا حَلَّوهُ وَ حَتَّى لَا يَبْقَى بَيْتٌ مَدْرٍ وَ لَا وَبَرٍ إِلَّا دَخَلَهُ ظَلْمُهُمْ وَ نَبَأَ بِهِ سَوْءَ رِعْيَتِهِمْ وَ حَتَّى يَقُومَ الْبَاكِانِ يَبْكِيانِ بَاكِ يَبْكِي لِإِدِينِهِ وَ بَاكِ يَبْكِي لِذُنْيَاهُ وَ حَتَّى تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ كَنُصْرَةِ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ وَ إِذَا غَابَ اعْتَابَهُ وَ حَتَّى يَكُونَ أَعْظَمَكُمْ فِيهَا غَنَاءً أَحْسَنُكُمْ بِاللَّهِ ظَنًّا فَإِنْ أَتَاكُمْ اللَّهُ بِعَاقِبَةٍ فَاقْبَلُوا وَ إِنْ ابْتَلَيْتُمْ فَاصْبِرُوا فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ تَقْدِيرَ الْكَلَامِ لَا يَزَالُونَ ظَالِمِينَ فَحَذَفَ الْخَبْرَ وَ هُوَ مَرَادٌ وَسَدَتْ حَتَّى وَ مَا بَعْدَهَا مَسَدُ الْخَبْرِ وَ لَا يَصِحُّ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْمَفْسَرِينَ مِنْ أَنْ زَالَ بِمَعْنَى تَحْرُكٍ وَ انْتَقَلَ فَلَا تَكُونُ مَحْتَاجَةً إِلَى خَبْرٍ بَلْ تَكُونُ تَامَةً فِي نَفْسِهَا لِأَنَّ تِلْكَ مُسْتَقْبَلُهَا يَزُولُ بِالْوَاوِ وَ هَاهُنَا بِالْأَلْفِ لَا يَزَالُونَ فَهِيَ النَّاكِصَةُ الَّتِي لَمْ تَأْتِ تَامَةً قَطْ وَ مِثْلُهَا فِي أَنَّهَا لَا تَزَالُ نَاكِصَةٌ ظِلٌّ وَ مَا فَتَى وَ لَيْسَ . وَ الْمَحْرَمُ مَا لَا يَحِلُّ انْتِهَاكُهُ وَ كَذَلِكَ الْمَحْرَمَةُ بِفَتْحِ الرَّاءِ وَ ضَمِّهَا . وَ بِيوتِ الْمَدْرِ هِيَ الْبِيوتُ الْمَبْنِيَةُ فِي الْقَرْيِ وَ بِيوتِ الْوَبْرِ مَا يَتَّخِذُ فِي الْبَادِيَةِ مِنْ وَبْرِ الْإِبِلِ وَ الْوَبْرِ لَهَا كَالصَّوْفِ لِلضَّانِّ وَ كَالشَّعْرِ لِلْمَعْزِ . [صَفْحَةُ ٧٩] وَ قَدِوْبَرِ الْبَعِيرِ بِالْكَسْرِ فَهُوَ وَبْرٌ وَ أَوْبَرٌ إِذَا كَثُرَ وَبْرُهُ وَ نَبَأَ بِهِ مَنْزِلُهُ إِذَا ضَرَّهُ وَ لَمْ يُوَافِقْهُ وَ كَذَلِكَ نَبَأَ بِهِ فَرَاشُهُ فَالْفِعْلُ لَازِمٌ إِذَا أُرِدَتْ تَعْدِيَتُهُ بِالْهَمْزَةِ قُلْتُ قَدَأْتَنِي فَلَانَ عَلَى مَنْزِلِي أَيْ جَعَلَهُ نَابِيًا وَ إِنْ عَدِيْتَهُ بِحَرْفِ الْجَرِّ قُلْتُ قَدْنَا بِمَنْزِلِي فَلَانَ أَيْ أَنْبَأَهُ عَلَى وَ هُوَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَعْدِي بِحَرْفِ الْجَرِّ . وَ سَوْءَ رِعْيَتِهِمْ أَيْ سَوْءَ وَرَعِهِمْ أَيْ تَقْوَاهُمْ وَ الْوَرَعُ بِكَسْرِ الرَّاءِ الرَّجُلُ التَّقِيُّ وَرَعٌ بِالْكَسْرِ فِيهِمَا وَرَعًا وَرَعَةً وَ يَرَوِي سَوْءَ رِعْيَتِهِمْ أَيْ سَوْءَ سِيَاسَتِهِمْ وَ إِمْرَتِهِمْ وَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ أَيْ انْتِصَارُهُ مِنْهُ وَ انْتِقَامُهُ فَهُوَ مُصَدَّرٌ مِثْلُ الْفَاعِلِ وَ قَدْ تَقَدَّمَ شَرْحُ هَذَا الْمَعْنَى وَ قَدْ حَمَلَ قَوْمٌ هَذَا الْمَصْدَرَ عَلَى الْإِضَافَةِ إِلَى الْمَفْعُولِ وَ كَذَلِكَ نُصْرَةُ الْعَبْدِ وَ تَقْدِيرُ الْكَلَامِ حَتَّى يَكُونَ نُصْرَةً أَحَدٍ هُوَ لِأَنَّ الْوَلَاءَ لِأَحَدِكُمْ كَنُصْرَةَ سَيِّدِ الْعَبْدِ السَّيِّئِ الطَّرِيقَةَ إِيَّاهُ وَ مِنْ فِي الْمَوْضِعِينَ مِثْلُهَا إِلَى مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ مِنْ جَانِبِ أَحَدِهِمْ وَ مِنْ جَانِبِ سَيِّدِهِ وَ هَذَا ضَعِيفٌ لِمَا فِيهِ مِنَ الْفَصْلِ بَيْنَ الْعَبْدِ وَ بَيْنَ قَوْلِهِ إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ وَ هُوَ الْكَلَامُ الَّذِي إِذَا اسْتَمَرَ الْمَعْنَى جَعَلَ حَالًا - مِنْ الْعَبْدِ بِقَوْلِهِ مِنْ سَيِّدِهِ وَ الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ فِيهَا يَرْجِعُ إِلَى غَيْرِ مَذْكَورٍ لَفْظًا وَ لَكِنَّهُ كَالْمَذْكَورِ يَعْنِي الْفِتْنَةَ أَيْ حَتَّى يَكُونَ أَعْظَمَكُمْ فِي الْفِتْنَةِ غَنَاءً . وَ يَرَوِي بَرَفَعِ أَعْظَمَكُمْ وَ نَصَبِ أَحْسَنَكُمْ وَ الْأَوَّلُ أَلِيقٌ وَ هَذَا الْكَلَامُ كُلُّهُ إِشَارَةٌ إِلَى بَنِي أُمِيَّةٍ [صَفْحَةُ ٨٠]

٩٨- و من خطبة له ع

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا كَانَ وَ نَسْتَعِينُهُ مِنْ أَمْرِنَا عَلَى مَا يَكُونُ وَ نَسْأَلُهُ الْمَعَاْفَةَ فِي الْأَدْيَانِ كَمَا نَسْأَلُهُ الْمَعَاْفَةَ فِي الْأَبْدَانِ أَوْ صِيكُم بِالرِّفْضِ لِهَيْدِهِ الدُّنْيَا التَّارِكَةَ لَكُمْ وَ إِنْ لَمْ تُحِبُّوا تَرْكَهَا وَ الْمُبْلِيَةَ لِأَجْسَامِكُمْ وَ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ تَجْدِيدَهَا فَإِنَّمَا مِثْلُكُمْ وَ مِثْلُهَا كَسِيفٍ سِيلِكُوا سَبِيلًا فَكَأَنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ وَ أَمْوًا عُلَمًا فَكَأَنَّهُمْ قَدْ بَلَّغُوهُ وَ كَمَ عَسَى الْمَجْرِي إِلَى الْغَايَةِ أَنْ يَجْرِيَ إِلَيْهَا حَتَّى يَبْلُغَهَا وَ مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَقَاءً مِنْ لَهُ يَوْمٌ لَا يَعُدُّهُ وَ طَالِبٌ حَيْثُ مِنَ الْمَوْتِ يَحْدُوهُ وَ مُزْعِجٌ فِي الدُّنْيَا عَنِ الدُّنْيَا حَتَّى يُفَارِقَهَا رَغْمًا فَلَا تَنَافَسُوا فِي عِزِّ الدُّنْيَا وَ فَخْرِهَا وَ لَا تَعَجَّبُوا بِزِينَتِهَا وَ نَعِيمِهَا وَ لَا تَجْزَعُوا مِنْ ضَرَائِهَا وَ بُؤْسِهَا فَإِنَّ عِزَّهَا وَ فَخْرَهَا إِلَى انْقِطَاعِ وَ زِينَتِهَا وَ نَعِيمِهَا إِلَى زَوَالٍ وَ ضَرَاءِهَا وَ بُؤْسِهَا إِلَى نَفَادٍ وَ كُلُّ مِدَّةٍ فِيهَا إِلَى انْتِهَاءٍ وَ كُلٌّ حَتَّى فِيهَا إِلَى فَنَاءٍ أَوْ لَيْسَ لَكُمْ فِي آثَارِ الْأَوَّلِينَ مُزْدَجْرٌ وَ فِي آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ تَبَصُّرَةٌ وَ مُعْتَبَرَةٌ وَ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ أَوْ لَمْ تَرَوْا إِلَى الْمَاضِيْنَ مِنْكُمْ لَا يَرْجِعُونَ وَ إِلَى الْخَلْفِ الْبَاقِيْنَ لَا يَبْقُونَ أَوْ لَسْتُمْ تَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُمْسُونَ وَ يُصْبِحُونَ عَلَى أَحْوَالٍ شَتَّى فَمَيْتٌ يُبْكِي وَ آخِرٌ يُعْزَى وَ صَرِيحٌ مُبْتَلَى وَ عَائِدٌ يُعُودُ وَ آخِرٌ بِنَفْسِهِ يَجُودُ وَ طَالِبٌ لِلدُّنْيَا [صَفْحَةُ ٨١] وَ الْمَوْتُ يَطْلُبُهُ وَ غَافِلٌ وَ لَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ وَ عَلَى أَثَرِ الْمَاضِي مَا يَمْضِي الْبَاقِي أَلَّا فَادِكُرُوا هَذَا مِمَّا لَلذَّاتِ وَ مُنْغَصَّ الشُّهُوَاتِ وَ قَاطِعِ الْأُمِّيَّاتِ عِنْدَ الْمُسَاوَرَةِ لِلْأَعْمَالِ الْقَبِيحَةِ وَ اسْتَعِينُوا اللَّهَ عَلَى أَدَاءِ وَاجِبِ حَقِّهِ وَ مَا لَا يُحْصَى مِنْ أَعْدَادِ نَعِمِهِ وَ إِحْسَانِهِ لِمَا كَانَ الْمَاضِي مَعْلُومًا جَعَلَ الْحَمْدَ بِإِزَائِهِ لِأَنَّ الْمَجْهُولَ لَا يَحْمَدُ عَلَيْهِ وَ لِمَا كَانَ الْمُسْتَقْبَلُ غَيْرَ مَعْلُومٍ جَعَلَ الْاسْتِعَانَةَ بِإِزَائِهِ لِأَنَّ الْمَاضِي لَا يَسْتَعَانُ عَلَيْهِ وَ لَقَدْ ظَرَفَ وَ أَبْدَعَ عَ فِي قَوْلِهِ وَ نَسْأَلُهُ الْمَعَاْفَةَ فِي الْأَدْيَانِ كَمَا نَسْأَلُهُ الْمَعَاْفَةَ فِي الْأَبْدَانِ

و ذلك أن للأديان سقما وطبا وشفاء كما أن للأبدان سقما وطبا وشفاء قال محمود الوراق و إذا مرضت من الذنوب فداوها || بالذکر إن الذکر خیر دواء والسقم فی الأبدان لیس بضائر || والسقم فی الأديان شر بلاء . وقيل لأعرابي ماتشكی قال ذنوبي قيل فما تشتهي قال الجنة قيل أ فلان دعو لك طيبا قال الطيب أمرضني . سمعت عفيرة بنت الوليد البصريه العابده رجلا يقول ما أشد العمى على من كان بصيرا فقالت عبد الله غفلت عن مرض الذنوب واهتمت بمرض الأجساد عمى القلوب عن الله أشد من عمى العين عن الدنيا وددت أن الله وهب لي كنه محبته و لم يبق مني جارحة إلا تبليها . قيل لحسان بن أبي سنان في مرضه ما مرضك قال مرض لا يفهمه الأطباء قيل [صفحہ ۸۲] و ما هو قال مرض الذنوب فقيل كيف تجدك الآن قال بخير إن نجوت من النار قيل فما تشتهي قال ليلة طويلة بعيدة ما بين الطرفين أحبيها بذكر الله . ابن شبرمه عجت ممن يحتمى من الطعام مخافة الداء كيف لا يحتمى من الذنوب مخافة النار قوله ع الدنيا التاركة لكم و إن لم تحبوا تركها معنى حسن و منه قول أبي الطيب كل دمع يسيل منها عليها || وبفك اليدین عنها تخلى . والرخص الترك و إبل رخص متروكة ترعى حيث شاءت و قوم سفر أى مسافرون و أموا قصدوا والعلم الجبل أو المنار فى الطريق يهتدى به . و كأن فى هذه المواضع كهى فى قوله كأنك بالدنيا لم تكن و كأنك بالآخرة لم تزل ما أقرب ذلك وأسرع و تقدير الكلام ها هنا كأنهم فى حال كونهم غير قاطعين له قاطعون له و كأنهم فى حال كونهم غير بالغين له بالغون له لأنه لما قرب زمان إحدى الحاليتين من زمان الأخرى شبهوا وهم فى الحال الأولى بهم أنفسهم وهم على الحال الثانية . قوله ع و كم عسى المجرى أجرى فلان فرسه إلى الغاية إذا أرسلها ثم نقل ذلك إلى كل من يقصد بكلامه معنى أو بفعله غرضا فقيل فلان يجرى بقوله إلى كذا أو يجرى بحركته الفلانية إلى كذا أى يقصد وينتهى بإرادته وأغراضه و لا يعدوه و لا يتجاوزه . والحديث السريع ويحدوه يسوقه والمنافسة المحاسنة ونفست عليه بكذا أى ضننت والبؤس الشدة والنفاذ الفناء . [صفحہ ۸۳] و ما فى قوله على أثر الماضى ما يمضى الباقي إما زائدة أو مصدرية و قد أخذ هذا اللفظ الوليد بن يزيد بن عبد الملك يوم مات مسلمة بن عبد الملك قيل لمامات مسلمة بن عبد الملك واجتمع بنو أمية ورؤساء العرب ينظرون جنازته خرج الوليد بن يزيد على الناس و هونشوان ثمل يجر مطرف خز و هو يندب مسلمة ومواليه حوله فوقف على هشام فقال يا أمير المؤمنين إن عقبى من بقى لحوق من مضى و قد أقفر بعد مسلمة الصيد لمن رمى واختل الثغر فوهى و ارتج الطود فهوى و على أثر من سلف ما يمضى من خلف فتزودوا فإن خير الزاد التقوى . قوله ع عند مساورة الأعمال القبيحة العامل فى عند قوله اذكروا أى ليكن ذكركم الموت وقت مساورتكم و المساورة الموائبة و سار إليه يسور سورا و ثبت قال الأخطل يصف خمرا له لما أتوها بمصباح ومبزلهم || سارت إليهم سئور الأجل الضارى أى كوئوب العرق الذى قد فصد أو قطع فلا يكاد ينقطع دمه ويقال إن لغضبه لسورة و هو سوار أى وثاب معربد [صفحہ ۸۴]

۹۹- و من خطبة له ع

إشاره

الْحَمْدُ لِلَّهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ وَ الْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ وَ نَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ وَ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعًا وَ بَدِّكَرِهِ نَاطِقًا فَأَدَى أَمِينًا وَ مَضَى رَشِيدًا وَ خَلَفَ فِينَا رَايَةَ الْحَقِّ مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ وَ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ وَ مَنْ لَزِمَهَا لِحَقِّ دَلِيلِهَا مَكِثَ الْكَلَامِ بَطِيءُ الْقِيَامِ سَرِيعٌ إِذَا قَامَ فَإِذَا أَنْتُمْ أَلْتُمْ لَهُ رِقَابَكُمْ وَ أَشْرْتُمْ إِلَيْهِ بِأَصَابِعِكُمْ جَاءَ الْمَوْتُ فَذَهَبَ بِهِ فَلَبِثْتُمْ بَعْدَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ حَتَّى يُطَلَعَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ يَجْمَعُكُمْ وَ يَضُمُّ نَشْرُكُمْ فَلَا تَطْمَعُوا فِي غَيْرِ مُقْبِلٍ

وَلَا تَيَأْسُوا مِنْ مُدَبِّرٍ فَإِنَّ الْمُدَبِّرَ عَسَى أَنْ تَزَلَّ بِهِ إِحْدَى قَائِمَتَيْهِ وَتَثْبُتَ الْأُخْرَى فَتَرْجِعَا حَتَّى تَثْبُتَا جَمِيعًا أَلَا إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلْتُمْ مِنَ اللَّهِ فِيكُمْ الصِّدَائِعُ وَأَرَأَيْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَأْمُلُونَ يَدُهُ هَاهُنَا نِعْمَتُهُ يُقَالُ لِفُلَانٍ عِنْدِي يَدٌ أَى نِعْمَةٌ وَإِحْسَانٌ قَالَ الشَّاعِرُ فَإِنْ تَرَجَعَ الْأَيَّامُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا || فَإِنْ لَهَا عِنْدِي يَدًا لَا أُضِيعُهَا . [صَفْحَةُ ٨٥]

وَصَادَعَا أَى مَظْهَرًا وَمَجَاهِرًا لِلْمُشْرِكِينَ قَالَ تَعَالَى فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَرَأْيَهُ الْحَقُّ الثَّقَلَانِ الْمُخْلَفَانِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ص وَهُمَا الْكِتَابُ وَالْعِتْرَةُ. وَمَرَقٌ خَرَجَ أَى فَارَقَ الْحَقُّ وَمَزَقَ السَّهْمَ عَنِ الرَّمِيَةِ خَرَجَ مِنْ جَانِبِهَا الْآخَرُ وَبِهِ سَمِيَتْ الْخَوَارِقُ مَارِقَةٌ. وَزَهَقَتْ نَفْسُهُ بِالْفَتْحِ زَهَوَقًا أَى خَرَجَتْ قَالَ تَعَالَى وَتَزَهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ وَزَهَقَتْ النَّاقَةُ إِذَا سَبَقَتْ وَتَقَدَّمَتْ أَمَامَ الرِّكَابِ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ أَضْمَلُ يَقُولُ عَ مِنْ خَالَفَهَا مَتَقَدَّمَا لَهَا أَوْ مَتَأَخَّرَا عَنْهَا فَقَدْ خَرَجَ عَنِ الْحَقِّ وَ مِنْ لَازِمِهَا فَقَدْ أَصَابَ الْحَقُّ . ثُمَّ قَالَ دَلِيلُهَا مَكِيثُ الْكَلَامِ يَعْنِي نَفْسُهُ لِأَنَّهُ الْمَشَارُ إِلَى مِنَ الْعِتْرَةِ وَأَعْلَمَ النَّاسَ بِالْكِتَابِ وَمَكِيثُ الْكَلَامِ بَطِيئُهُ وَرَجُلٌ مَكِيثٌ أَى رَزِينٌ وَالْمَكْثُ اللَّبْثُ وَالِانْتِظَارُ مَكْثٌ وَمَكْثٌ بِالْفَتْحِ وَالضَّمُّ وَالِاسْمُ الْمَكْثُ وَالْمَكْثَةُ بِالضَّمِّ وَكَسْرُهَا يَعْنِي أَنَّهُ ذُو أَنَاءٍ وَتَوَدُّةٍ ثُمَّ أَكَّدَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ بَطِيءُ الْقِيَامِ ثُمَّ قَالَ سَرِيعٌ إِذَا قَامَ أَى هُوَ مَتَأَنٌ مَتَثَبٌ فِي أَحْوَالِهِ إِذَا ذَهَبَ جِدٌّ وَبَالِغٌ وَهَذَا الْمَعْنَى كَثِيرٌ جِدًّا قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ -قِرَآن- ٤٧-٦٦-قِرَآن- ٢٨٤-٣٢١ وَمَا قَلْتُ لِلْبَدْرِ أَنْتَ اللَّجِينُ || وَ لَأَقُلْتُ لِلشَّمْسِ أَنْتَ الذَّهَبُ فَيَقْلُقُ مِنْهُ الْبَعِيدُ الْأَنَاءُ || وَيَغْضَبُ مِنْهُ الْبَطِيءُ الْغَضْبُ يَعْنِي السِّيفُ الدَّوْلَةُ [صَفْحَةُ ٨٦]

أَقْوَالٌ مَأْتُورَةٌ فِي مَدْحِ الْأَنَاءِ وَذَمِّ الْعَجَلَةِ

وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ يَرِيكُ الْهُوَيْنِي وَالْأُمُورَ تَطِيرُ يَضْرِبُ لِمَنْ ظَاهِرُهُ الْأَنَاءُ وَبَاطِنُهُ إِبْرَامُ الْأُمُورِ وَتَنْفِيذُهَا وَالْحَاضِرُونَ لَا يَشْعُرُونَ وَيَقُولُونَ لِمَنْ هُوَ كَذَلِكَ وَ تَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَ هِيَ تَمْرٌ مَرَّ السَّحَابِ . وَوَقَعَ ذُو الرِّئَاسَتَيْنِ إِلَى عَامِلٍ لَهُ أَنْ أَسْرَعَ النَّارَ التَّهَابَا أَسْرَعَهَا خَمُودًا فَتَأَنَ فِي أَمْرِكَ -قِرَآن- ١٤٢-٢٠٧ وَيُقَالُ إِنَّ آدَمَ عَ أَوْصَى وَلَدَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ فَقَالَ كُلْ عَمَلٌ تَرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوهُ فَتَوْقَفُوا فِيهِ سَاعَةً فَإِنِّي لَوُتَوْقَفْتُ لَمْ يَصْبِنِي مَا أَصَابَنِي -رَوَايَتُ ١-٢-رَوَايَتُ ١٠-١٢٧ . بَعْضُ الْأَعْرَابِ يَوْصِي وَلَدَهُ إِيَاكُمْ وَالْعَجَلَةَ فَإِنَّ أَبِي كَانَ يَكْنِيهَا أُمَّ النَّدَمِ . وَكَانَ يُقَالُ مِنْ وَرْدٍ عَجَلًا صَدْرُ خَجَلًا . وَقَالَ ابْنُ هَانِي الْمَغْرِبِيُّ وَكُلُّ أَنَاءَةٍ فِي الْمَوَاطِنِ سُودَدٌ || وَ لَأَكْأَنَاءَةٌ مِنْ قَدِيرٍ مُحْكَمٌ وَ مِنْ يَتَبَيَّنُ أَنَّ لِلصَّفْحِ مَوْضِعًا || مِنْ السِّيفِ يَصْفَحُ عَنْ كَثِيرٍ وَيَحْلُمُ وَمَا الرَّأْيُ إِلَّا بَعْدَ طَوْلٍ تَثَبْتُ || وَ لَأَلْحَزَمُ إِلَّا بَعْدَ طَوْلٍ تَلُومٌ . وَقَوْلُهُ عَ بَطِيءُ الْقِيَامِ سَرِيعٌ إِذَا قَامَ فِيهِ شَبَهُ مِنْ قَوْلِ الشَّنْفَرِيِّ مَسْبَلٌ فِي الْحَيِّ أَحْوَى رَفْلٌ || وَ إِذَا يَغْرُو فَسَمِعَ أَزَلَ . وَ مِنْ أَمْثَالِهِمْ فِي مَدْحِ الْأَنَاءِ وَذَمِّ الْعَجَلَةِ أَخْطَأَ مُسْتَعَجِلٌ أَوْ كَادَ وَأَصَابَ مُتَثَبٌ أَوْ كَادَ . [صَفْحَةُ ٨٧] وَمِنْهَا وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعَجِلِ الزَّلَلُ . وَمِنْهَا رَبُّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رِيثًا وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ حَلِيمٌ إِذَا الْقَوْمُ اسْتَخَفَتْ حُلُومُهُمْ || وَقُورٌ إِذَا مَاحَدَثَ الدَّهْرُ أَجْلَبًا . قَالَ الْأَحْنَفُ لِرَجُلٍ سَبَّهُ فَأَفْرَطَ يَا هَذَا إِنَّكَ مِنْذُ الْيَوْمِ تَحْدُو بِجَمَلٍ ثَقَالٌ . وَقَالَ الشَّاعِرُ أَحْلَامُنَا تَرْنَ الْجِبَالَ رَجَاحَةً || وَتَخَالِنَا جَنَّا إِذَا مَا نَجْهَلُ

فَصَلِّ فِي مَدْحِ قَلَّةِ الْكَلَامِ وَذَمِّ كَثْرَتِهِ

فَأَمَّا قَوْلُهُ عَ مَكِيثُ الْكَلَامِ فَإِنَّ قَلَّةَ الْكَلَامِ مِنْ صِفَاتِ الْمَدْحِ وَكَثْرَتُهُ مِنْ صِفَاتِ الذَّمِّ قَالَتْ جَارِيَةٌ ابْنِ السَّمَاكِ لَهُ مَا أَحْسَنَ كَلَامِكَ لَوْ لَأَنَّكَ تَكْثُرُ تَرْدَادُهُ فَقَالَ أَرَدَدَهُ حَتَّى يَفْهَمَهُ مِنْ لَمْ يَفْهَمَهُ قَالَتْ فَإِلَى أَنْ يَفْهَمَهُ مِنْ لَمْ يَفْهَمَهُ قَدَمْلَهُ مِنْ فَهَمِهِ . بَعَثَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ إِلَى ابْنِ أَخِيهِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ قَطِيفَةَ حَمْرَاءَ وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَمَّا بَعْدَ فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ بِقَطِيفَةِ حَمْرَاءَ

حمراء حمراء فكتب إليه الوليد أما بعد فقد وصلت القطيفة و أنت يا عم أحقق أحقق . [صفحہ ۸۸] و قال المعتضد لأحمد بن الطيب السرخسى طول لسانك دليل على قصر عقلك . قيل للعتابي ما البلاغة قال كل من أفهمك حاجته من غير إعادة و لا خلسة و لا استعانة فهو بليغ قيل له ما الاستعانة قال ألا ترى الرجل إذا حدث قال يا هناه واستمع إلى وافهم و ألتست تفهم هذا كله عى و فساد . دخل على المأمون جماعة من بنى العباس فاستنطقهم فوجدهم لكنا مع يسار و هيئة و من تكلم منهم أكثر و هذر فكانت حاله أفحش من حال الساكتين فقال ما بين الخلء فى هؤلاء لا خلء الأيدى بل خلء الألسنة و الأحلام . و سئل على ع عن اللسان فقال معيار أطاشه الجهل و أرجحه العقل -روایت- ۱-۶۷ . سمع خالد بن صفوان مكثارا يتكلم فقال له يا هذا ليست البلاغة بخفة اللسان و لا بكثرة الهذيان ولكنها إصابة المعنى و القصد إلى الحجى . قال أبو سفيان بن حرب لعبد الله بن الزبيرى ما لك لاتسهب فى شعرك قال حسبك من الشعر غرة لائحة أو وصمة فاضحة . و فى خطبة كتاب البيان و التبيين لشيخنا أبى عثمان و نعوذ بك من شر السلاطة و الهذر كما نعوذ بك من العى و الحصر قال أحيحة بن الجلاح و الصمت أجمل بالفتى || ما لم يكن عى يشينه و القول ذو خطل إذا || ما لم يكن لب يعينه . و قال الشاعر يرثى رجلا لقد وارى المقابر من شريك || كثير تحلم و قليل عاب [صفحہ ۸۹] صموتا فى المجالس غير عى || جديرا حين ينطق بالصواب و كان رسول الله ص يكره التشادق و الإطالة و الهذر و قال إياك و التشادق -روایت- ۱-۷۶ و قال ص أبغضكم إلى الثرثارون المتفيهقون -روایت- ۱-۲ -روایت- ۱۳-۴۹ و روى عمرو بن عبيد رحمه الله تعالى عن النبى ص أنما عاشر الأنبياء بكاء و ن قليلو الكلام -روایت- ۱-۲ -روایت- ۵۵-۹۶ رجل بكى على فعيل . قال و كانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله . و قيل للخليل و قد اجتمع بآبن المقفع كيف رأيت فقال لسانه أرجح من عقله و قيل لابن المقفع كيف رأيت الخليل قال عقله أرجح من لسانه فكان عاقبتهم أن عاش الخليل مصونا مكرما و قتل ابن المقفع تلك القتل . و سأل حفص بن سالم عمرو بن عبيد عن البلاغة فقال ما بلغك الجنة و باعدك عن النار و بصرك مواقع رشذك و عواقب غييك قال ليس عن هذا أسأل فقال كانوا يخافون من فتنة القول و من سقطات الكلام و لا يخافون من فتنة السكوت و سقطات الصمت . قال أبو عثمان الجاحظ و كان عمرو بن عبيد رحمه الله تعالى لا يكاد يتكلم فإن تكلم لم يكذب و كان يقول لا خير فى المتكلم إذا كان كلامه لمن شاهده دون نفسه و إذا طال المتكلم الكلام عرضت له أسباب التكلف و لا خير فى شىء يأتىك بالتكلف . و قال بعض الشعراء و إذا خطبت على الرجال فلا تكن || خطل الكلام تقوله مختالا [صفحہ ۹۰] و اعلم بأن من السكوت إبانة || و من التكلف ما يكون خبالا . و كان يقال لسان العاقل من وراء قلبه فإذا أراد الكلام تفكر فإن كان له قال و إن كان عليه سكت و قلب الجاهل من وراء لسانه فإن هم بالكلام تكلم به . و قال سعد بن أبى وقاص لعمرو ابنه حين نطق مع القوم فبدهم و قد كان غضب عليه فكلموه فى الرضا عنه هذا الذى أغضبنى عليه سمعت رسول الله ص يقول يكون قوم يأكلون الدنيا بألسنتهم كما تلحس الأرض البقر بألسنتها -روایت- ۱-۲ -روایت- ۲۹-۹۵ . و قال معاوية لعمرو بن العاص فى أبى موسى قد ضم إليك رجل طويل اللسان قصير الرأى فأجد الحز و طبق المفصل و لاتلقه برأىك كله . و كان يقال لو كان الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب . و كان يقال مقتل الرجل بين فكيه و قيل بين لحييه . و كان يقال ما شىء بأحق بسجن من لسان . و قالوا اللسان سبع عقور . و أخذ أبو بكر بطرف لسانه و قال هذا الذى أوردنى الموارد . لما أنكح ضرار بن عمرو ابنته من معبد بن زرارة أوصاها حين أخرجها إليه فقال أمسكى عليك الفضلين قالت و ما هما قال فضل الغلثة و فضل الكلام . و سئل أعرابى كان يجالس الشعبى عن طول صمته فقال أسمع فأعلم و أسكت فأسلم . و قال النبى ص و هل يكب الناس فى النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم -روایت- ۱-۲ -روایت- ۱۸-۷۶ [صفحہ ۹۱] تكلم رجل فى مجلس النبى ص فخطب فى كلامه فقال ع ما أعطى العبد شرا من ذلاقة لسان -روایت- ۱-۸۸ . قال عمر بن عبدالعزيز يوم بويع بالخلافة خالد بن عبد الله القسرى و قد أنشده متمثلا و إذا الدر زان حسن نحور || كان للدر حسن نحرك زينا إن صاحبكم أعطى مقولا

وحرّم معقولاً. وقيل لإياد بن عمر ادع لنا فقال اللهم ارحمنا وعافنا وارزقنا فقالوا زدنا يا أباالرحمن فقال أعود بالله من الإسهاب .
 وكان القبايع وهو الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي مسهبا سريع الحديث كثيره فقال فيه أبو الأسود الدؤلي
 أمير المؤمنين جزيت خيرا || أرحنا من قبايع بنى المغيرة بلوانه ولمناه فأعيا || علينا ما يمر لنا مريره على أن الفتى نكح أكل ||
 ومسهب مذاهبه كثيره . وقال أبو العتاهية كل امرئ في نفسه || أعلى وأشرف من قرينه والصمت أجمل بالفتى || من منطق في
 غير حينه . وقال الشاعر وإياك المراء فإنه || إلى الشر دعاء وللشر جالب و كان يقال العجلة قيد الكلام . [صفحہ ۹۲]
 أطال خطيب بين يدي الإسكندر فزبره قال ليس حسن الخطبة على حسب طاقة الخاطب ولكن على حسب طاقة السامع .
 محمد الباقر ع إنى لأكره أن يكون مقدار لسان الرجل فاضلا على مقدار علمه كما أكره أن يكون مقدار علمه فاضلا على مقدار
 عقله -رواية- ۱-۲-رواية- ۱۷-۱۳۰ . أطال ربيعة الرأي الكلام وعنده أعرابي فلما فرغ من كلامه قال للأعرابي ماتعدون العي
 والفهامة فيكم قال ما كنت فيه أصلحك الله منذ اليوم و من كلام أمير المؤمنين ع إذا تم العقل نقص الكلام -رواية- ۱-۲-
 رواية- ۳۰-۵۸ . واصل بن عطاء لأن يقول الله لي يوم القيامة هلا قلت أحب إلى من أن يقول لي لم قلت لأنى إذا قلت طالبنى
 بالبرهان و إذا سكت لم يطالبنى بشيء . نزل النعمان بن المنذر براية فقال له رجل من أصحابه أبيت اللعن لو ذبح رجل على رأس
 هذه الرابية إلى أين كان يبلغ دمه فقال النعمان المذبوح والله أنت ولأنظرن إلى أين يبلغ دمك فذبحه فقال رجل رب كلمة
 تقول دعنى . أعرابي رب منطق صدع جمعا ورب سكوت شعب صدعا . قالت امرأة لبعها ما لك إذا خرجت تطلقت وتحدثت و
 إذا دخلت قعدت وسكت قال لأنى أدق عن جليلك وتجلين عن دقيقى . النخعي كانوا يتعلمون السكوت كما يتعلمون الكلام .
 على بن هشام لعمر ك إن الحلم زين لأهله || و ما الحلم لإعادة وتحلم إذا لم يكن صمت الفتى من بلادة || وعى فإن الصمت
 أهدي وأسلم . وهيب بن الورد إن الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها فى الصمت والعاشر العزلة عن الناس . [صفحہ ۹۳] مكث
 الربيع بن خثيم عشرين سنة لا يتكلم إلى أن قتل الحسين ع فسمعت منه كلمة واحدة قال لما بلغه ذلك أ و قد فعلوها ثم قال اللهم
 فاطر السماوات و الأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ثم عاد إلى السكوت حتى مات
 . الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب زعم ابن سلمى أن حلمى ضرنى || ماضر قبلى أهله الحلم إنا أناس من سجيبتهم ||
 صدق الحديث ورأيهم حتم لبسوا الحياء فإن نظرت حسبته || سقموا و لم يمسههم سقم إنى وجدت العدم أكبره || عدم
 العقول و ذلك العدم والمرء أكثر عيبه ضررا || خطل اللسان وصمته حكم جاء فى الحديث المرفوع عن النبى ص إذا رأيتم
 المؤمن صموتا فادنوا منه فإنه يلقى الحكمة -رواية- ۱-۲-رواية- ۴۰-۹۵ . سفيان بن عيينة من حرم العلم فليصمت فإن حرمها
 فالموت خير له . و كان يقال إذا طلبت صلاح قلبك فاستعن عليه بحفظ لسانك واعلم أن هذه الخطبة خطب بها أمير المؤمنين ع
 فى الجمعة الثالثة من خلافته وكنى فيها عن حال نفسه وأعلمهم فيها أنهم سيفارقونه ويفقدونه بعد اجتماعهم عليه وطاعتهم له
 وهكذا وقع الأمر فإنه نقل أن أهل العراق لم يكونوا أشد اجتماعا عليه من الشهر الذى قتل فيه ع . وجاء فى الأخبار أنه عقد
 للحسن ابنه ع على عشرة آلاف ولأبى أيوب [صفحہ ۹۴] الأنصارى على عشرة آلاف ولفلان ولفلان حتى اجتمع له مائة ألف
 سيف وأخرج مقدمته أمامه يريد الشام فضربه اللعين ابن ملجم و كان من أمره ما كان وانفضت تلك الجموع وكانت كالغنم
 فقد راعيها . ومعنى قوله ألنتم له رقابكم أطمعتموه ومعنى أشرتم إليه بأصابعكم أعظمتتموه وأجلتتموه كالملك الذى يشار إليه
 بالإصبع ولا يخاطب باللسان ثم أخبرهم أنهم يلبثون بعده ماشاء الله و لم يحدد ذلك بوقت معين ثم يطلع الله لهم من يجمعهم
 ويضمهم يعنى من أهل البيت ع و هذا إشارة إلى المهدي الذى يظهر فى آخر الوقت و عند أصحابنا أنه غير موجود الآن وسيوجد
 و عند الإمامية أنه موجود الآن . قوله ع فلا تطمعوا فى غير مقبل و لا تأسوا من مدبر ظاهر هذا الكلام متناقض وتأويله أنه نهاهم عن
 أن يطمعوا فى صلاح أمورهم على يد رئيس غير مستأنف الرئاسة و هو معنى مقبل أى قادم تقول سوف أفعل كذا فى الشهر

المقبل و في السنة المقبلة أى القادمة يقول كل الرئاسات التى تشاهدونها فلا تطمعوا فى صلاح أموركم بشىء منها ولأن تنصلح أموركم على يد رئيس يقدم عليكم مستأنف الرئاسة حامل الذكر ليس أبوه بخليفه و لا كان هو و لأبوه مشهورين بينكم برئاسة بل يتبع ويعلو أمره و لم يكن قبل معروفا هو و لأهله الأذنون و هذه صفه المهدي الموعود به . ومعنى قوله و لا تياسوا من مدبر أى و إذامات هذا المهدي وخلفه بنوه بعده فاضطرب أمر أحدهم فلا تياسوا و تشككوا و تقولوا لعلنا أخطأنا فى اتباع هؤلاء فإن المضطرب الأمر منا ستثبت دعائمه و تنتظم أموره و إذازلت إحدى رجليه ثبتت [صفحه ٩٥] الأخرى فثبتت الأولى أيضا و يروى فلا تطعنوا فى عين مقبل أى لا تحاربوا أحدا منا و لا تياسوا من إقبال من يدبر أمره منا. ثم ذكر ع أنهم كنجوم السماء كلما خوى نجم طلع نجم خوى مال للمغيب . ثم وعدهم بقرب الفرج فقال إن تكامل صنائع الله عندكم و رؤيته ماتأملونه أمر قد قرب وقته و كأنكم به و قد حضر و كان و هذا على نمط المواعيد الإلهية بقيام الساعة فإن الكتب المنزلة كلها صرحت بقربها و إن كانت بعيدة عندنا لأن البعيد فى معلوم الله قريب و قد قال سبحانه إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَ نَرَاهُ قَرِيباً - قرآن - ٤٧٠-٥١٤ [صفحه ٩٦]

١٠٠- و من خطبة له ع وهى من الخطب التى تشمل على ذكر الملاحم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَوَّلِ قَبْلَ كُلِّ أَوَّلٍ وَ الْآخِرِ بَعْدَ كُلِّ آخِرٍ وَ بِأَوَّلِيَّتِهِ وَ جَبَّ أَنْ لَا أَوَّلَ لَهُ وَ بِآخِرِيَّتِهِ وَ جَبَّ أَنْ لَا آخِرَ لَهُ يَقُولُ الْبَارِئُ تَعَالَى مَوْجُودٌ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ يَشِيرُ الْعَقْلُ إِلَيْهِ وَيَفْرُضُهُ أَوَّلَ الْمَوْجُودَاتِ وَ كَذَلِكَ هُوَ مَوْجُودٌ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ يَشِيرُ الْعَقْلُ إِلَيْهِ وَيَفْرُضُهُ آخِرَ مَا يَبْقَى مِنْ جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ فَإِنَّ الْبَارِئَ سَبْحَانَهُ بِالْإِعْتِبَارِ الْأَوَّلِ يَكُونُ أَوَّلًا قَبْلَ كُلِّ مَا يَفْرُضُ أَوَّلًا وَ بِالْإِعْتِبَارِ الثَّانِي يَكُونُ آخِرًا بَعْدَ كُلِّ مَا يَفْرُضُ آخِرًا. فأما قوله بأوليته و جب أن لا أول له إلى آخر الكلام فيمكن أن يفسر على وجهين أحدهما أنه تعالى لما فرضناه أولا- مطلقا تبع هذا الفرض أن يكون قديما أزليا و هو المعنى بقوله و جب أن لا أول و إنما تبعه ذلك لأنه لو لم يكن أزليا لكان محدثا فكان له محدث و المحدث متقدم على المحدث لكننا فرضناه أولا مطلقا أى لا يتقدم عليه شىء فيلزم المحال والخلف وهكذا القول فى آخريته لأننا إذا فرضناه آخرا مطلقا تبع هذا الفرض أن يكون مستحيل العدم و هو المعنى بقوله و جب أن لا آخر له [صفحه ٩٧] و إنما تبعه ذلك لأنه لو لم يستحل عدمه لصح عدمه لكن كل صحيح و ممكن فليفرض وقوعه لأنه لا يلزم من فرض وقوعه محال مع فرضنا إياه صحيحا و ممكنا لكن فرض تحقق عدمه محال لأنه لو عدم لما عدم بعد استمرار الوجودية إلا بضد لكن الضد المعدم يبقى بعد تحقق عدم الضد المعدوم لاستحالة أن يعدمه و يعدم معه فى وقت واحد لأنه لو كان وقت عدم الطارئ هو وقت عدم الضد المطرود عليه لا تمتنع عدم الضد المطرود عليه لأن حال عدمه أُلذَى هو الأثر المتجدد تكون العلة الموجبة للأثر معدومة و المعدوم يستحيل أن يكون مؤثرا البتة فثبت أن الضد الطارئ لا بد أن يبقى بعد عدم المطرود عليه و لو وقتا واحدا لكن بقاءه بعده و لو وقتا واحدا يناقض فرضنا كون المطرود عليه آخرا مطلقا لأن الضد الطارئ قدبقى بعده فيلزم من الخلف و المحال ما لزم فى المسألة الأولى . و التفسير الثانى ألا تكون الضمائر الأربعة راجعة إلى البارئ سبحانه بل يكون منها ضميران راجعين إلى غيره و يكون تقدير الكلام بأولية الأول أُلذَى فرضنا كون البارئ سابقا عليه علمنا أن البارئ لا أول له و بأخريه الآخر أُلذَى فرضنا أن البارئ متأخر عنه علمنا أن البارئ لا آخر له و إنما علمنا ذلك لأنه لو كان سبحانه أولا لأول الموجودات و له مع ذلك أول لزم التسلسل و إثبات محدثين و محدثين إلى غير نهاية و هذا محال . و لو كان سبحانه آخرا لآخر الموجودات و له مع ذلك آخر لزم التسلسل و إثبات أصداد تعدم و يعدمها غيرها إلى غير نهاية و هذا أيضا محال و أشهد أن لا إله إلا الله شهادة يوافق فيها السير الإعلان و القلب اللسان [صفحه ٩٨] أَيُّهَا النَّاسُ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي وَ لَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ عِصْيَانِي وَ لَا تَتَرَامُوا بِالْأَبْصَارِ عِنْدَ مَا تَسْمَعُونَهُ مِنِّي فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَ بَرَأَ النَّسْمَةَ إِنْ أُلذَى أُتْبِئْتُكُمْ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ص وَ اللَّهُ مَا كَذَبَ الْمُبْلَغُ

وَلَا جَهْلَ السَّامِعِ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى ضَمَلٍ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ وَ فَحَصَّ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانٍ فَإِذَا فَغَرَتْ فَاعْرِثُهُ وَ اشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ وَ ثَقَلَتْ فِي الْأَرْضِ وَطَأْتُهُ عَضَّتِ الْفِتْنَةُ أَبْنَاءَهَا بِأَيْتَابِهَا وَ مَاجَتْ الْحَرْبُ بِأَمْوَاجِهَا وَ بَدَأَ مِنَ الْأَيَّامِ كُلوْحُهَا وَ مِنَ اللَّيَالِي كُدُوحُهَا فَإِذَا أَيْعَ زَرْعُهُ وَ قَامَ عَلَى يَنْعِهِ وَ هِدَرَتْ شَقَاشِقُهُ وَ بَرَقَتْ بِوَارِقِهِ عَقِدَتْ رَايَاتُ الْفِتَنِ الْمُعْضَلَةَ وَ أَقْبَلْنَ كَاللَّيْلِ الْمُظْلِمِ وَ الْبَحْرِ الْمُتَلَطِّمِ هَيْدًا وَ كَمَ يَخْرِقُ الْكُوفَةَ مِنْ قَاصِفٍ وَ يَمُرُّ عَلَيْهَا مِنْ عَاصِفٍ وَ عَن قَلِيلٍ تَلْتَفَّ الْقُرُونُ بِالْقُرُونِ وَ يُحْصَدُ الْقَائِمُ وَ يُحْطَمُ الْمَحْصُودُ فِي الْكَلَامِ مَحْذُوفٍ وَ تَقْدِيرُهُ لَا يَجْرِمُنْكُمْ شَقَاقِي عَلَى أَنْ تَكْذِبُونِي وَ الْمَفْعُولُ فَضْلُهُ وَ حَذْفُهُ كَثِيرٌ نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَقْدِرُ فَحَذْفُ الْعَائِدِ إِلَى الْمَوْصُولِ وَمِنْهَا قَوْلُهُ سَبْحَانَهُ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ أَيَّ مِنْ رَحْمِهِ وَ لَا بَدَّ مِنْ تَقْدِيرِ الْعَائِدِ إِلَى الْمَوْصُولِ وَ قَدْ قَرِئَ قَوْلُهُ وَ مَا عَمَلْتَهُ أَيْدِيهِمْ وَ مَا عَمَلْتِ أَيْدِيَهُمْ بِحَذْفِ الْمَفْعُولِ . لَا يَجْرِمُنْكُمْ لَا يَحْمِلُنْكُمْ وَقِيلَ لَا يَكْسِبُنْكُمْ وَ هُوَ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْقُرْآنِيَّةِ . -قرآن- ١٠٧-١٥٢-قرآن- ١٩٧-٢٤٧-قرآن- ٣١٢-٣٣٦ [صفحہ ٩٩] وَ لَا يَسْتَهْوِينُكُمْ أَيَّ لَا يَسْتَهِيمُنْكُمْ يَجْعَلُكُمْ هَائِمِينَ . وَ لَا تَتْرَامُوا بِالْأَبْصَارِ أَيَّ لَا يَلْحِظُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَعَلِ الْمَنْكَرِ الْمَكْذُوبِ . ثُمَّ أَقْسَمَ بِالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَ بَرَأَ النَّسْمَةَ فَلَقَ الْحَبَّةَ مِنَ الْبَرِّ أَيَّ شَقَّهَا وَ أَخْرَجَ مِنْهَا الْوَرَقَ الْأَخْضَرَ قَالَ تَعَالَى إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوَى . وَ بَرَأَ النَّسْمَةَ أَيَّ خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَ هَذَا الْقِسْمَ لَا يَزَالُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَقْسِمُ بِهِ وَ هُوَ مِنْ مَبْتَكِرَاتِهِ وَ مَبْتَدِعَاتِهِ . وَ الْمَبْلَغُ وَ السَّامِعُ هُوَ نَفْسُهُ عَ يَقُولُ -قرآن- ٢١٩-٢٥٣ مَا كَذَبْتَ عَلَى الرَّسُولِ تَعَمُّدًا وَ لَا جَهْلًا مَقَالَهُ فَانْقَلَبَ عَنْهُ غَلَطًا -روایت- ١-٦٢ . وَ الضَّلِيلُ الْكَثِيرُ الضَّلَالِ كَالشَّرِيبِ وَ الْفَسِيقِ وَ نَحْوِهِمَا . وَ هَذَا كِنَايَةٌ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ لِأَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ وَ الْأَمَارَاتِ فِيهِ أَتَمَّ مِنْهَا فِي غَيْرِهِ لِأَنَّهُ قَامَ بِالشَّامِ حِينَ دَعَا إِلَى نَفْسِهِ وَ هُوَ مَعْنَى نَعِيقِهِ وَ فَحَصَتْ رَايَاتُهُ بِالْكَوْفَةِ تَارَةً حِينَ شَخَّصَ بِنَفْسِهِ إِلَى الْعِرَاقِ وَ قَتَلَ مَصْعَبًا وَ تَارَةً لِمَا اسْتَخْلَفَ الْأَمْرَاءَ عَلَى الْكَوْفَةِ كَبِشَرَ بْنِ مَرْوَانَ أَخِيهِ وَ غَيْرِهِ حَتَّى انْتَهَى الْأَمْرُ إِلَى الْحِجَابِ وَ هُوَ زَمَانُ اشْتِدَادِ شَكِيمَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَ ثِقَلِ وَطَأْتِهِ وَ حِينَئِذٍ صَعِبَ الْأَمْرُ جِدًّا وَ تَفَاقَمَتِ الْفِتْنُ مَعَ الْخَوَارِجِ وَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَشْعَثِ فَلَمَّا كَمَلَ أَمْرُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَ هُوَ مَعْنَى أَيْعَ زَرْعِهِ هَلَكَ وَ عَقِدَتْ رَايَاتُ الْفِتَنِ الْمُعْضَلَةَ مِنْ بَعْدِهِ كَحُرُوبِ أَوْلَادِهِ مَعَ بَنِي الْمَهْلَبِ وَ كَحُرُوبِهِمْ مَعَ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ عَ وَ كَالْفِتَنِ الْكَائِنَةِ بِالْكَوْفَةِ أَيَّامَ يُوسُفَ بْنِ عَمْرٍ وَ خَالِدِ الْقَسْرِيِّ وَ عَمْرٍ وَ هَيْبَةَ وَ غَيْرِهِمْ وَ مَا جَرَى فِيهَا مِنَ الظُّلْمِ وَ اسْتِنْتِصَالِ الْأَمْوَالِ وَ ذَهَابِ النُّفُوسِ . [صفحہ ١٠٠] وَ قَدْ قِيلَ إِنَّهُ كُنِيَ عَنْ مَعَاوِيَةَ وَ مَا حَدَّثَ فِي أَيَّامِهِ مِنَ الْفِتَنِ وَ مَا حَدَّثَ بَعْدَهُ مِنْ فِتْنَةِ يَزِيدَ وَ عِيِيدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادَ وَ وَاوَعَةَ الْحُسَيْنِ عَ وَ الْأَوَّلِ أَرْجَحُ لِأَنَّ مَعَاوِيَةَ فِي أَيَّامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَ كَانَ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ وَ دَعَاهُمْ إِلَى نَفْسِهِ وَ الْكَلَامُ يَدُلُّ عَلَى إِنْسَانٍ يَنْعِقُ فِيمَا بَعْدَ أَنْ لَا تَرَاهُ يَقُولُ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى ضَمَلٍ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ ثُمَّ نَعُودُ إِلَى تَفْسِيرِ الْأَلْفَاظِ وَ الْغَرِيبِ . النَّعِيقُ صَوْتُ الرَّاعِي بَغْنَمِهِ وَ فَحَصَ بِرَايَاتِهِ مِنْ قَوْلِهِمْ مَا لَهُ مَفْحَصٌ قَطَاةٌ أَيَّ مَجْثَمُهَا كَأَنَّهُمْ جَعَلُوا ضَوَاحِي الْكَوْفَةِ مَفْحَصًا وَ مَجْثَمًا لِرَايَاتِهِمْ . وَ كُوفَانُ اسْمُ الْكَوْفَةِ وَ الْكَوْفَةُ فِي الْأَصْلِ اسْمُ الرَّمْلَةِ الْحُمْرَاءِ وَ بِهَا سَمِيَتْ الْكَوْفَةُ وَ ضَوَاحِيهَا نَوَاحِيهَا الْقَرِيبَةُ مِنْهَا الْبَارِزَةُ عَنْهَا يَرِيدُ رَسْتَاقَهَا . وَ فَغَرَتْ فَاعْرِثُهُ فَتَحَ فَاهُ وَ هَذَا مِنْ بَابِ الِاسْتِعَارَةِ أَيَّ إِذْ فَتَحْتَ فَاهُ وَ قَتَلَ كَمَا يَفْتَحُ الْأَسَدُ فَاهُ عِنْدَ الْإِفْتِرَاسِ وَ التَّأْنِيفِ لِلْفِتْنَةِ . وَ الشَّكِيمَةُ فِي الْأَصْلِ حَدِيدَةٌ مَعْتَرِضَةٌ فِي اللَّجَامِ فِي فَمِ الدَّابَّةِ ثُمَّ قَالُوا فَلَانَ شَدِيدَ الشَّكِيمَةِ إِذَا كَانَ شَدِيدَ الْمَرَّاسِ شَدِيدَ النَّفْسِ عَسَرَ الْإِنْقِيَادَ . وَ ثَقَلَتْ وَطَأْتُهُ عَظْمُ جَوْرِهِ وَ ظَلَمَهُ وَ كَلُوحُ الْأَيَّامِ عُبُوسُهَا وَ الْكُدُوحُ الْآثَارُ مِنَ الْجَرَاحَاتِ . وَ الْقُرُوحُ الْوَاحِدُ الْكُدْحُ أَيَّ الْخُدْشُ . وَ الْمَرَادُ مِنْ قَوْلِهِ مِنَ الْأَيَّامِ ثُمَّ قَالَ وَ مِنَ اللَّيَالِي أَنَّ هَذِهِ الْفِتْنَةُ مُسْتَمِرَّةٌ الزَّمَانَ كُلَّهُ لِأَنَّ الزَّمَانَ لَيْسَ إِلَّا النَّهَارُ وَ اللَّيْلُ . وَ أَيْعَ الزَّرْعُ أَدْرَكَ وَ نَضَجَ وَ هُوَ الْيَنْعُ وَ الْيَنْعُ بِالْفَتْحِ وَ النُّضْجُ وَ النُّضْجُ [صفحہ ١٠١] وَ يَجُوزُ يَنْعُ الزَّرْعُ بَغَيْرِ هَمْزِ يَنْعُ يَنْعُ وَ لَمْ تَسْقُطِ الْيَاءُ فِي الْمَضَارِعِ لِأَنَّهَا تَقُوتُ بِأَخْتِهَا وَ زَرْعُ يَنْعُ وَ يَنْعُ مِثْلُ نَضِيجٍ وَ نَاضِجٍ وَ قَدْ رَوَى أَيْضًا هَذَا الْمَوْضِعَ بِحَذْفِ الْهَمْزِ . وَ قَوْلُهُ عَ وَقَامَ عَلَى يَنْعِهِ الْأَحْسَنُ أَنَّ يَنْعُ هَاهُنَا جَمْعُ يَنْعُ كَصَاحِبِ وَ صَحْبُ ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ كَيْسَانَ وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ الْمَصْدَرُ أَيَّ وَقَامَ عَلَى صِفَةٍ وَ حَالَةٍ هِيَ نَضِجَةٌ وَ إِدْرَاكُهُ . وَ هِدَرَتْ شَقَاشِقُهُ قَدْ مَرَّ تَفْسِيرُهُ فِي الشَّقْشَقِيَّةِ وَ بَرَقَتْ بِوَارِقِهِ سَيْوْفُهُ وَ رِمَاحُهُ وَ الْمُعْضَلَةُ الْعَسْرَةُ الْعِلَاجُ دَاءٌ مَعْضَلٌ . وَ يَخْرِقُ الْكَوْفَةَ يَقْطَعُهَا وَ الْقَاصِفُ الرِّيحُ الْقَوِيَّةُ تَكْسِرُ كُلَّ مَا تَمُرُّ عَلَيْهِ وَ تَقْصِفُهُ . ثُمَّ وَعَدَّ بِظُهُورِ دَوْلَةٍ أُخْرَى

فقال و عن قليل تلتف القرون بالقرون و هذا كناية عن الدولة العباسية التي ظهرت على دولة بنى أمية والقرون الأجيال من الناس واحدها قرن بالفتح . ويحصد القوائم ويحطم المحصود كناية عن قتل الأمراء من بنى أمية فى الحرب ثم قتل المأسورين منهم صبرا فحصد القوائم قتل المحاربة و حطم الحصيد القتل صبرا وهكذا وقعت الحال مع عبد الله بن على و أبى العباس السفاح [صفحہ ۱۰۲]

۱۰۱- و من خطبة له ع تجرى هذا المجرى

وَ ذَلِكْ يَوْمٌ يَجْمَعُ اللَّهُ فِيهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِنِقَاشِ الْحِسَابِ وَ جَزَاءِ الْأَعْمَالِ خُضُوعاً قِيَاماً قَدْ أَلْجَمَهُمُ الْعَرَقُ وَ رَجَفَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ فَأَحْسَنُ لَهُمْ حَالاً مَنْ وَجَدَ لِقَدَمِيهِ مَوْضِعاً وَ لِنَفْسِهِ مَتَسِعاً هَذَا شَرَحَ حَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَالنِقَاشُ مَصْدَرٌ نَاقَشَ أَيْ اسْتَقْصَى فِي الْحِسَابِ وَ فِي الْحَدِيثِ مِنْ نَوْقَشِ الْحِسَابِ عَذَبَ - رَوَيْتُ ۱- ۲- رَوَيْتُ ۱۶- ۳۹ . وَأَلْجَمَهُمُ الْعَرَقُ سَالَ مِنْهُمْ حَتَّى بَلَغَ إِلَى مَوْضِعِ اللَّجَامِ مِنَ الدَّابَّةِ وَ هُوَ النَّعْمُ . وَ رَجَفَتْ بِهِمْ تَحَرَّكَتْ وَ اضْطَرَبَتْ رَجْفٌ يَرْجَفُ بِالضَّمِّ وَ الرَّجْفَةُ الزَّلْزَلَةُ وَ الرَّجَافُ مِنْ أَسْمَاءِ الْبَحْرِ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِاضْطِرَابِهِ . ثُمَّ وَصَفَ الزَّحَامَ الشَّدِيدَ الَّذِي يَكُونُ هُنَاكَ فَقَالَ أَحْسَنَ النَّاسِ حَالاً هُنَاكَ مَنْ وَجَدَ لِقَدَمِيهِ مَوْضِعاً مَنْ وَجَدَ مَكَاناً يَسَعُهُ وَ مِنْهَا فَتَنُ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ لَا تَقُومُ لَهَا قَائِمَةٌ وَ لَا تُرَدُّ لَهَا رَايَةٌ تَأْتِيكُمْ مَزْمُومَةٌ مَرْحُولَةٌ يَحْفِزُهَا قَائِدُهَا وَ يَجْهَدُهَا رَاكِبُهَا أَهْلُهَا قَوْمٌ شَدِيدٌ كَلْبُهُمْ قَلِيلٌ [صفحہ ۱۰۳] سَلَبْتُهُمْ يُجَاهِدُهُمْ فِي اللَّهِ قَوْمٌ أَذَلُّهُ عِنْدَ الْمُتَكَبِّرِينَ فِي الْأَرْضِ مَجْهُولُونَ وَ فِي السَّمَاءِ مَعْرُوفُونَ فَوَيْلٌ لِمَنْ يَأْتِيهِ بَصْرَةٌ عِنْدَ ذَلِكْ مِنْ جَيْشٍ مِنْ نَقَمِ اللَّهِ لَمَّا رَهَجَ لَهُ وَ لَا حِسَّ وَ سَيِّئَتَلَى أَهْلِكَ بِالْمَوْتِ الْأَحْمَرِ وَ الْجُوعِ الْأَعْبَرِ قَطَعَ اللَّيْلَ جَمَعَ قَطَعَ وَ هُوَ الظُّلْمَةُ قَالَ تَعَالَى فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعِ مِنَ اللَّيْلِ . قَوْلُهُ لَا تَقُومُ لَهَا قَائِمَةٌ أَيْ لَا تَنْهَضُ بِحَرْبِهَا فَتُهُ نَاهِضَةٌ أَوْ لَا تَقُومُ لِتِلْكَ الْفِتَنِ قَائِمَةٌ مِنْ قَوَائِمِ الْخَيْلِ يَعْنِي لِأَسْبَابِ إِلَى قِتَالِ أَهْلِهَا وَ لَا يَقُومُ لَهَا قَلْعَةٌ قَائِمَةٌ أَوْ بِنِيَّةٌ قَائِمَةٌ بَلْ تَنْهَدُ . قَوْلُهُ وَ لَا يَرِدُ لَهَا رَايَةٌ أَيْ لَا تَنْهَضُ وَ لَا تَنْفِرُ لِأَنَّهَا إِذَا فَرَّتْ فَقَدْ رَدَّتْ عَلَى أَعْقَابِهَا . قَوْلُهُ مَزْمُومَةٌ مَرْحُولَةٌ أَيْ تَامَةٌ الْأَدْوَاتُ كَامِلَةٌ الْآلَاتُ كَالنَّاقَةِ الَّتِي عَلَيْهَا رَحْلُهَا وَ زِمَامُهَا قَدِ اسْتَعَدَّتْ لِأَنْ تَرْكَبَ . يَحْفِزُهَا يَدْفَعُهَا وَيَجْهَدُهَا يَحْمِلُ عَلَيْهَا فِي السَّيْرِ فَوْقَ طَاقَتِهَا جَهَدَتْ دَابَّتِي بِالْفَتْحِ وَيَجُوزُ أَجْهَدْتُ وَ الْمُرَادُ أَنْ أَرْبَابَ تِلْكَ الْفِتَنِ يَجْتَهِدُونَ وَيَجِدُونَ فِي إِضْرَامِ نَارِهَا رَجُلًا وَ فَرَسَانًا فَالرَّجُلُ كُنِيَ عَنْهُمْ بِالْقَائِدِ وَ الْفَرَسَانُ كُنِيَ عَنْهُمْ بِالرَّاكِبِ . وَ الْكَلْبُ الشَّدَّةُ مِنَ الْبَرْدِ وَ غَيْرِهِ وَ مِثْلُهُ الْكَلْبَةُ وَ قَدْ كَلَبَ الشِّتَاءُ وَ كَلَبَ الْقَحْطُ وَ كَلَبَ الْعَدُوَّ وَ الْكَلْبُ أَيْضًا الشَّرُّ دَفَعَتْ عَنْكَ كَلْبَ فُلَانٍ أَيْ شَرَّهُ وَ أَذَاهُ . - قُرْآن - ۴۵- ۸۲ [صفحہ ۱۰۴] وَ قَوْلُهُ قَلِيلٌ سَلَبَهُمْ أَيْ هَمَّهُمُ الْقِتْلَ لِالسَّلْبِ كَمَا قَالَ أَبُو تَمَامٍ إِنَّ الْأَسْوَدَ أَسْوَدَ الْغَابِ هَمَّتْهَا || يَوْمَ الْكُرَيْبَةِ فِي الْمَسْلُوبِ لِالسَّلْبِ ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ هَؤُلَاءِ أَرْبَابَ الْفِتَنِ يَجَاهِدُهُمْ قَوْمٌ أَذَلُّهُ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَذَلُّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعَزَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ وَ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ . ثُمَّ قَالَ هُمْ مَجْهُولُونَ عِنْدَ أَهْلِ الْأَرْضِ لِحُمُولِهِمْ قَبْلَ هَذَا الْجِهَادِ وَ لَكُنْهُمْ مَعْرُوفُونَ عِنْدَ أَهْلِ السَّمَاءِ وَ هَذَا إِذْ نَادَرَ بِمَلْحَمَةٍ تَجْرَى فِي آخِرِ الزَّمَانِ وَ قَدْ أَخْبَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَسَلَّمَ بِبَنُو ذِي الْقُرْبَيْنِ وَ قَدْ فَسَّرَ هَذَا الْفَصْلَ قَوْمٌ وَقَالُوا إِنَّهُ أَشَارَ بِهِ إِلَى الْمَلَائِكَةِ لِأَنَّهُمْ مَجْهُولُونَ فِي الْأَرْضِ مَعْرُوفُونَ فِي السَّمَاءِ وَ اعْتَدَرُوا عَنْ لَفْظِهِ قَوْمٌ فَقَالُوا يَجُوزُ أَنْ يَقَالَ فِي الْمَلَائِكَةِ قَوْمٌ كَمَا قِيلَ فِي الْجِنِّ قَوْمٌ قَالَ سُبْحَانَ فَلَمَّا قُضِيَ وَ لَوَا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ إِلَّا أَنْ لَفْظُ أَذَلُّهُ عِنْدَ الْمُتَكَبِّرِينَ يَبْعَدُ هَذَا التَّفْسِيرَ . ثُمَّ أَخْبَرَ بِهَلَاكِ الْبَصْرَةِ بِجَيْشٍ مِنْ نَقَمِ اللَّهِ لِأَرْهَاجِ لَهُ وَ لِأَحْسَنِ الرَّهْجِ الْغُبَارِ وَ كُنِيَ بِهَذَا الْجَيْشِ عَنْ جَدْبٍ وَ طَاعُونَ يَصِيبُ أَهْلَهَا حَتَّى يَبِيدَهُمُ وَ الْمَوْتَ الْأَحْمَرَ كِنَايَةً عَنِ الْوَبَاءِ وَ الْجُوعِ . الْأَغْبَرُ كِنَايَةٌ عَنِ الْمَحَلِّ وَ سُمِّيَ الْمَوْتُ الْأَحْمَرَ لِشِدَّتِهِ وَ مِنْهُ - قُرْآن - ۷۵- ۱۲۸ - قُرْآن - ۵۱۱- ۵۵۷ الْحَدِيثُ كُنَا إِذَا حَمَرَ الْبَأْسَ اتَّقِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ - رَوَيْتُ ۱- ۲- رَوَيْتُ ۱۰- ۴۹ وَ وَصَفَ الْجُوعَ بِأَنَّهُ أَغْبَرُ لِأَنَّ الْجَائِعَ يَرَى الْآفَاقَ كَأَنَّ عَلَيْهَا غَبْرَةً وَ ظِلَامًا وَ فُسِّرَ قَوْمٌ هَذَا الْكَلَامَ بِوَقْعِهِ صَاحِبِ الزَّنْجِ وَ هُوَ بَعِيدٌ لِأَنَّ جَيْشَهُ كَانَ ذَا حَسِّ وَ رَهْجٍ وَ لِأَنَّهُ أَنْذَرَ الْبَصْرَةَ بِهَذَا الْجَيْشِ

عند حدوث تلك الفتن ألاتراه قال فويل لك يا بصره عند ذلك و لم يكن قبل خروج صاحب الزنج فتن شديده على الصفات التي ذكرها أمير المؤمنين ع [صفحه ١٠٥]

١٠٢- ومن خطبة له ع

انظروا إلى الدنيا نظراً زاهدين فيها الصّادقين عنها فإنها والله عما قليل تُزِيلُ الثاوي السّاكن وَ تَفْجَعُ الْمُتَرَفَ الآمِنَ لآ يَرْجِعُ مَا تَوَلَّى مِنْهَا فَأَدْبَرَ وَ لآ يُدْرَى مَا هُوَ آتٍ مِنْهَا فَيَنْتَظِرُ سُرُورَهَا مَشُوبٌ بِالْحُزْنِ وَ جَلَدُ الرّجَالِ فِيهَا إِلَى الضّعْفِ وَ الوهنِ فَلآ يَعْزُنْكُمْ كَثْرَةُ مَا يُعْجِبْكُمْ فِيهَا لِئَلَّا مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا رَحِمَ اللّهُ امراً تَفَكَّرَ فَاعْتَبَرَ وَ اعْتَبَرَ فَأَبْصَرَ فَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الدّنيا عَن قَلِيلٍ لَمْ يَكُنْ وَ كَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الآخِرَةِ عَمَّا قَلِيلٍ لَمْ يَزَلْ وَ كُلٌّ مَعْدُودٌ مُنْقَضٌ وَ كُلٌّ مُتَوَقِّعٌ آتٍ وَ كُلٌّ آتٍ قَرِيبٌ ذَانِ الصّادِقِينَ عَنْهَا أَى المعرضين وامرأة صدوف التي تعرض وجهها عليك ثم تصدف عنك . وعما قليل عن قليل و مازائده . والثاوي المقيم ثوى يثوى ثواء و ثويا مثل مضى يمضى مضاء ومضيا ويجوز ثويت بالبصرة و ثويت البصرة وجاء أثويت بالمكان لغه في ثويت قال الأعرشى [صفحه ١٠٦] أثوى وقصر ليله ليزودا || فمضت وأخلف من قتيله موعدا . والمترف أذى قدأترفه النعمة أى أطغته يقول ع لايعود على الناس ماأدبر وتولى عنهم من أحوالهم الماضيه كالشباب والقوه و لايعلم حال المستقبل من صحه أومرض أوحياء أو موت لينتظر وينظر إلى هذا المعنى قول الشاعر وأضيق العمر لا الماضي انتفعت به || ولاحصلت على علم من الباقي . ومشوب مخلوط شبته أشوبه فهو مشوب وجاء مشيب في قول الشاعر وماء قدور في القصاع مشيب . فبناه على شيب لم يسم فاعله و في المثل هو يشوب ويروب يضرب لمن يخلط في القول أو العمل . والجلد الصلابه والقوه والوهن الضعف نفسه وإنما عطف للتأكيد كقوله تعالى لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهَا جَاءَ وَ قَوْلُهُ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ . ثم نهى عن الاغترار بكثرة العجب من الدنيا وعلل حسن هذا النهى وقبح الاغترار بما نشاهده عيانا من قله ما يصحب مفارقتها منها و قال الشاعر - قرآن-١٧١-٢١١-قرآن-٢٢٠-٢٧٢ فما تزود مما كان يجمعه || إلاحنوطا غداة البين في خرق و غيرنفته أعواد شبين له || وقل ذلك من زاد لمنطلق ثم جعل التفكير عله الاعتبار وجعل الاعتبار عله الأبصار و هذاحق لأن الفكر يوجب الاتعاظ والاتعاظ يوجب الكشف والمشاهده بالبصيره التي نورها الاتعاظ . [صفحه ١٠٧] ثم ذكر أن ما هو كائن وموجود من الدنيا سيصير عن قليل أى بعد زمان قصير معدوما والزمان القصير هاهنا انقضاء الأجل وحضور الموت . ثم قال إن أذى هو كائن وموجود من الآخرة سيصير عن قليل أى بعد زمان قصير أيضا كأنه لم يزل والزمان القصير هاهنا هو حضور القيامة وهى و إن كانت تأتى بعد زمان طويل إلا أن الميت لا يحس بطوله و لافرق بين ألف سنة عنده إذاعاد حيا و بين يوم واحد لأن الشعور بالبطء فى الزمان مشروط بالعلم بالحركه ويدل على ذلك حال النائم ثم قال كل معدود منقض و هذاتنبه بطريق الاستدلال النظرى على أن الدنيا زائله ومنصرفه و قد استدلت المتكلمون بهذا على أن حركات الفلك يستحيل ألا يكون لها أول فقالوا لأنها داخله تحت العدد و كل معدود يستحيل أن يكون غير متناه والكلام فى هذامذكور فى كتبنا العقلية . ثم ذكر أن كل مايتوقع لآبد أن يأتى || و كل ماسياتى فهو قريب وكأنه قدأتى و هذامثل قول قس بن ساعده الإيادى ما لى أرى الناس يذهبون ثم لا يرجعون أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا هناك فناموا أقسم قس قسما إن فى السماء لخبرا و إن فى الأرض لعبرا سقوف مرفوع ومهاد موضوع ونجوم تمور وبحار لا تغور اسمعوا أيها الناس وعوا من عاش مات و من مات فات و كل ما هوآت آت و منها العالم من عَرَفَ قَدْرَهُ وَ كَفَى بِالْمَرءِ جَهْلًا أَلَّا يَعْرِفَ قَدْرَهُ وَ إِنَّ مِنْ أَبْغَضِ الرّجَالِ إِلَى اللّهِ تَعَالَى لَعَبْدًا وَ كَلَهُ اللّهُ إِلَى نَفْسِهِ جَائِرًا عَن قَصْدِ السَّبِيلِ سَائِرًا بِغَيْرِ [صفحه ١٠٨] دَلِيلٍ إِنْ دَعِيَ إِلَى حَرْثِ الدّنيا عَمَلٌ وَ إِنْ دَعِيَ إِلَى حَرْثِ الآخِرَةِ كَسِبَ كَأَنَّ مَا عَمِلَ لَهُ وَاجِبٌ عَلَيْهِ وَ

كَأَنَّ مَا وَنَى فِيهِ سَاقِطٌ عَنْهُ قَوْلُهُ عَ الْعَالَمِ مِنْ عَرَفَ قَدْرَهُ مِنَ الْأَمْثَالِ الْمَشْهُورَةِ عَنْهُ عَ وَ قَدْ قَالَ النَّاسُ بَعْدَهُ فِي ذَلِكَ فَأَكْثَرُوا نَحْوَ قَوْلِهِمْ إِذَا جَهَلْتَ قَدْرَ نَفْسِكَ فَأَنْتَ لِقَدْرٍ غَيْرِكَ أَجْهَلٌ وَنَحْوَ قَوْلِهِمْ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ قَدْرَ نَفْسِهِ فَالنَّاسُ أَعْذَرُ مِنْهُ إِذَا لَمْ يَعْرِفُوهُ وَنَحْوَ قَوْلِ الشَّاعِرِ أَبِي الطَّيِّبِ وَ مَنْ جَهَلْتَ نَفْسَهُ قَدْرَهُ || رَأَى غَيْرَهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى . ثُمَّ عَبَّرَ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى بِعِبَارَةٍ أُخْرَى فَصَارَتْ مِثْلًا أَيْضًا وَهِيَ قَوْلُهُ كَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا- أَلَا يَعْرِفُ قَدْرَهُ وَ مِنْ الْكَلَامِ الْمَرْوِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ عَ مَرْفُوعًا مَا هَلَكَ أَمْرُ عَرَفَ قَدْرَهُ -رَوَايَاتُ- ١-٢-رَوَايَاتُ- ٤٥-٦٩ رَوَاهُ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدُ عَنْهُ فِي الْكَامِلِ قَالَ ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَ وَ مَا إِخَالَ رَجُلًا يَرْفَعُ نَفْسَهُ فَوْقَ قَدْرِهِ إِلَّا- مَنْ خَلَلَ فِي عَقْلِهِ -رَوَايَاتُ- ١-٢-رَوَايَاتُ- ٣٤-٩٤ رَوَى صَاحِبُ الْكَامِلِ أَيْضًا عَنْ أَبِي جَعْفَرِ الْبَاقِرِ عَ قَالَ لَمَّا حَضَرَتْ الْوَفَاةَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَ أَبِي ضَمَنِي إِلَى صَدْرِهِ ثُمَّ قَالَ يَا بَنِي أَوْصِيكَ بِمَا أَوْصَانِي بِهِ أَبِي يَوْمَ قَتْلٍ وَبِمَا ذَكَرَ لِي أَنَّ أَبَاهُ عَلِيًّا عَ أَوْصَاهُ بِهِ يَا بَنِي عَلَيْكَ بِبِذْلِ نَفْسِكَ فَإِنَّهُ لَا يَسِرُّ أَبَاكَ بِذَلِكَ نَفْسَهُ حَمْرُ النِّعَمِ -رَوَايَاتُ- ١-٢-رَوَايَاتُ- ٥٤-٢٦٩ . وَ كَانَ يُقَالُ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ اسْتِرَاحَ . [صَفْحَةُ ١٠٩] وَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ مَارْفَعٌ أَمْرٌ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا دَرَجَةً لِإِحْطَاءِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْآخِرَةِ دَرَجَاتٍ -رَوَايَاتُ- ١-٢-رَوَايَاتُ- ٢٣-٩٥ . وَ كَانَ يُقَالُ مَنْ رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ كَثَرَ السَّخَطُونَ عَلَيْهِ ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ مَنْ أَبْغَضَ الْبَشَرَ إِلَى اللَّهِ عِبَادًا وَ كَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ أَى لَمْ يَمِدَّهُ بِمَعُونَتِهِ وَ أَلْطَافِهِ لَعَلَّمَهُ أَنَّهُ لَا يَنْجِعُ ذَلِكَ فِيهِ وَ أَنَّهُ لَا يَنْجَذِبُ إِلَى الْخَيْرِ وَ الطَّاعَةِ وَ لَا يُؤَثِّرُ شَيْءٌ مَا فِي تَحْرِيكِكَ دَوَاعِيهِ إِلَيْهَا فَيَكِلُهُ اللَّهُ حِينَئِذٍ إِلَى نَفْسِهِ . وَ الْجَائِرُ الْعَادِلُ عَنِ السَّمْتِ وَ لَمَّا كَانَ هَذَا الشَّقَى خَاطِبًا فِيمَا يَعْتَقِدُهُ وَيَذْهَبُ إِلَيْهِ مُسْتَنْدًا إِلَى الْجَهْلِ وَ فِسَادِ النَّظَرِ جَعَلَهُ كَالسَّائِرِ بِغَيْرِ دَلِيلٍ . وَ الْحَرْثُ هَاهُنَا كُلُّ مَا يَفْعَلُ لِشِمْرِ فَائِدَةٍ فَحَرِثَ الدُّنْيَا كَالْتِجَارَةِ وَ الزَّرَاعَةَ وَ حَرِثَ الْآخِرَةَ فَعَلَّ الطَّاعَاتِ وَ اجْتَنَابِ الْمَقْبِحَاتِ وَ الْمَعَاصِي وَ سَمِيَ حَرْثًا عَلَى جِهَةِ الْمَجَازِ تَشْبِيهًا بِحَرْثِ الْأَرْضِ وَ هُوَ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْقُرْآنِيَّةِ . وَ كَسَلَ الرَّجُلُ بِكَسْرِ السِّينِ يَكْسَلُ أَى يَتَثَاقَلُ عَنِ الْأُمُورِ فَهُوَ كَسَلَانٌ وَ قَوْمٌ كَسَالِيٌّ وَ كَسَالِيٌّ بِالْفَتْحِ وَ الضَّمِّ . قَالَ عَ حَتَّى كَانَ مَا عَمَلَهُ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا هُوَ الْوَالِجِبُ عَلَيْهِ لِحِرْصِهِ وَ جَدِّهِ فِيهِ وَ كَانَ مَا وَنَى عَنْهُ أَى فَرَّطَ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ سَاقِطٌ عَنْهُ وَ غَيْرُ وَاجِبٍ عَلَيْهِ لِإِهْمَالِهِ وَ تَقْصِيرِهِ فِيهِ وَ مِنْهَا وَ ذَلِكَ زَمَانٌ لَا يَنْجُو فِيهِ إِلَّا كُلُّ مُؤْمِنٍ نُومَةٍ إِنْ شَهِدَ لَمْ يَعْرِفْ وَ إِنْ غَابَ [صَفْحَةُ ١١٠] لَمْ يُفْتَقَدْ أَوْلِيكَ مَصَابِيحُ الْهُدَى وَ أَعْلَامُ السَّرَى لَيْسُوا بِالْمَسَابِيحِ وَ لَا الْمَذَابِيحِ الْبُذُرِ أَوْلِيكَ يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُمْ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ وَ يَكْشِفُ عَنْهُمْ ضُرَاءَ نِقْمَتِهِ أَيُّهَا النَّاسُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يُكْفَأُ فِيهِ الْإِسْلَامُ كَمَا يُكْفَأُ الْإِنَاءُ بِمَا فِيهِ أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ اللَّهُ قَدْ أَعْيَاذُكُمْ مِنْ أَنْ يَجُورَ عَلَيْكُمْ وَ لَمْ يُعِزِّدْكُمْ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَكُمْ وَ قَدْ قَالَتْ حَيْلٌ مِنْ قَائِلَاتٍ إِنْ فِي ذَلِكَ لَأَيَاتٍ وَ إِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ - قُرْآن- ٤٣٩-٤٨٦ قَالَ الرَّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَمَا قَوْلُهُ عَ كُلِّ مُؤْمِنٍ نُومَةٌ فَإِنَّمَا أَرَادَ بِهِ الْخَامِلَ الذِّكْرَ الْقَلِيلَ الشَّرَّ وَالْمَسَابِيحَ جَمْعَ مَسَابِيحٍ وَ هُوَ الَّذِي يَسِيحُ بَيْنَ النَّاسِ بِالْفِسَادِ وَ النَّمَائِمِ وَ الْمَذَابِيحِ جَمْعَ مَذَابِيحٍ وَ هُوَ الَّذِي إِذَا سَمِعَ لِغَيْرِهِ بِفَاحِشَةٍ أَدَاعَهَا وَ نَوَّهَ بِهَا وَ الْبُذُرَ جَمْعَ بَذُورٍ وَ هُوَ الَّذِي يَكْثُرُ سَفْهُهُ وَ يَلْغُو مَنْطِقَهُ -رَوَايَاتُ- ١-٢٩٢ شَهِدَ حَضَرَ وَ كَفَأَتْ الْإِنَاءَ أَى قَلْبَتَهُ وَ كَبَيْتَهُ وَ قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ يَجُوزُ أَكْفَاتُهُ أَيْضًا وَ الْبُذُرَ جَمْعَ بَذُورٍ مِثْلَ صَبُورٍ وَ صَبْرٍ وَ هُوَ الَّذِي يَذِيعُ الْأَسْرَارَ وَ لَيْسَ كَمَا قَالَ الرَّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَقَدْ يَكُونُ الْإِنْسَانُ بَذُورًا وَ إِنْ لَمْ يَكْثُرْ سَفْهُهُ وَ لَمْ يَلْغُ مَنْطِقَهُ بِأَنْ يَكُونَ عِلْنَةً مَذَابِيحًا مِنْ غَيْرِ سَفْهِهِ وَ لَالِغُو وَ الضَّرَاءُ الشَّدَّةُ وَ مِثْلُهَا الْبُأْسَاءُ وَ هُمَا اسْمَانِ مُؤَنَّثَانِ مِنْ غَيْرِ تَذْكِيرٍ وَ أَجَازَ الْفَرَاءُ أَنْ يَجْمَعَ عَلَى آضِرٍّ وَ أَبْوَسَ كَمَا يَجْمَعُ النِّعْمَاءُ عَلَى أَنْعَمَ . [صَفْحَةُ ١١١] وَ اعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي التَّوَاضُعِ وَ هَضْمِ النَّفْسِ شَيْءٌ كَثِيرٌ وَ مِنْ ذَلِكَ الْحَدِيثُ الْمَرْفُوعُ مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ وَ مَنْ تَكَبَّرَ عَلَى اللَّهِ وَضَعَهُ -رَوَايَاتُ- ١-٢-رَوَايَاتُ- ١٩-٧٣ يُقَالُ إِنْ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ لِمُوسَى إِنَّمَا كَلِمَتُكَ لِأَنَّ فِي أَخْلَاقِكَ خَلْقًا أَحَبَّهُ اللَّهُ وَ هُوَ التَّوَاضُعُ -رَوَايَاتُ- ١-٢-رَوَايَاتُ- ٨-٩٥ . وَ رَأَى مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ ابْنَهُ يَمْشِي الْخِيَلَاءَ فَنَادَاهُ فَقَالَ وَ يَلُوكُ أَمْشَى هَذِهِ الْمَشْيَةَ وَ أَبُوكَ أَبُوكَ وَ أَمَّكَ أَمَّكَ أَمَا أَمَّكَ فَا مَةُ ابْتَعَتْهَا بِمَائَتِي دَرَاهِمٍ وَ أَمَا أَبُوكَ فَلَا كَثْرَةَ اللَّهِ فِي النَّاسِ مِثْلَهُ . وَ مِثْلُ قَوْلِهِ عَ كُلِّ مُؤْمِنٍ نُومَةٌ إِنْ شَهِدَ لَمْ يَعْرِفْ وَ إِنْ غَابَ لَمْ يَفْتَقَدْ -رَوَايَاتُ- ١-٢-رَوَايَاتُ- ١٢-٦٢ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَ رَبِّ أَشْعَثُ أَغْبَرُ ذِي طَمْرِينٍ لَا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرِ قَسَمَهُ -رَوَايَاتُ- ١-٢-رَوَايَاتُ- ٢٢-٨٩ . وَ قَالَ عَمْرُؤُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّمَسُّ الرِّفْعَةَ بِالتَّوَاضُعِ وَ الشَّرْفَ بِاللِّدِينِ وَ الْعَفْوَ مِنَ اللَّهِ

بالعفو عن الناس وإياك والخيلاء فتضع من نفسك ولا تحقرن أحدا فإنك لاتدرى لعل من تزدريه عيناك أقرب إلى الله وسيلة منك . وقال الأحنف عجبت لمن جرى فى مجرى البول مرتين من فرجين كيف يتكبر وقد جاء فى كلام رسول الله ص مايناسب كلام أمير المؤمنين ع هذا إن الله يحب الأخفاء الأتقياء الأبرياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا وإذا حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة -رواية- ١-١٤١ . و أما إفشاء السر وأذاعته فقد ورد فيه أيضا ماكثر ولو لم يرد فيه إلا - قوله سبحانه ولا - تُطع كلَّ حَلافٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ لِكُفَى . -قرآن- ٨٥-١٤٢ [صفحہ ١١٢] و فى الحديث المرفوع من أكل بأخيه أكله أطعمه الله مثلها من نار جهنم -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-٧٥ قيل فى تفسيره هو أن يسعى بأخيه ويجر نفعا بسعايته . الجنيد ستر ما عاينت أحسن من إشاعة ما ظننت . عبدالرحمن بن عوف من سمع بفاحشة فأفشاها فهو كالذى أتاها . قال رجل لعمر بن عبيد إن عليا الأسوارى لم يزل منذ اليوم يذكر بك بسوء ويقول الضال فقال عمرو يا هذا مارعيت حق مجالسة الرجل حين نقلت إلينا حديثه ولاوفيتنى حتى حين أبلغتني عن أخى ما أكرهه اعلم أن الموت يعمنا والبعث يحشرنا والقيامة تجمعنا والله يحكم بيننا . وكان يقال من نم إليك نم عليك . وقالوا فى السعاه يكفيك أن الصدق محمود إلا منهم وإن أصدقهم أخبثهم . وشى واش برجل إلى الإسكندر فقال له أتحب أن أقبل منك ما قلت فيه على أن أقبل منه ما قال فيك قال لا قال فكف عن الشريك عنك . قال رجل لفيلسوف عابك فلان بكذا قال لقيتني لقتك بما لم يلقيني به لحيائه . عاب مصعب بن الزبير الأحنف عن شىء بلغه عنه فأنكره فقال أخبرني بذلك الثقة فقال كلا أيها الأمير إن الثقة لاينم . عرض بعض عمال الفضل بن سهل عليه رقعة ساع فى طى كتاب كتبه إليه فوق الفضل قبول السعاه شر من السعاه لأن السعاه دلالة والقبول إجازة وليس من دل على قبيح كمن أجازه وعمل به فاطرد هذا الساعى عن عملك وأقصه عن بابك فإنه لو لم يكن فى سعائه كاذبا لكان فى صدقه لثيما إذ لم يرع الحرمه و لم يستر العوره و السلام . [صفحہ ١١٣] صالح بن عبدالقدوس من يخبرك بشتم عن أخ || فهو الشاتم لا من شتمك ذاك شىء لم يواجهك به || إنما اللوم على من أعلمك كيف لم ينصرك إن كان أخا || ذا حفاظ عند من قد ظلمك . طريح بن إسماعيل الثقفى إن يعلموا الخير يخفوه و إن علموا || شرا أذاعوا و إن لم يعلموا كذبوا . ومعنى قوله ع و إن غاب لم يفتقد أى لا يقال ما صنع فلان و لأين هو أى هو حامل لا يعرف . و قوله أولئك يفتح الله بهم أبواب الرحمه و يكشف بهم ضراء النقمه و روى أولئك يفتح الله بهم أبواب رحمته و يكشف بهم ضراء نقمته أى ببركاتهم يكون الخير ويندفع الشر . ثم ذكر ع أنه سيأتى على الناس زمان تنقلب فيه الأمور الدينيه إلى أضدادها ونقائضها و قد شهدنا ذلك عيانا . ثم أخبر ع أن الله لا يجور على العباد لأنه تعالى عادل و لا يظلم ولكنه يتلى عباده أى يختبرهم ثم تلا قوله تعالى إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ والمراد أنه تعالى إذا فسد الناس لا يلجئهم إلى الصلاح لكن يتركهم واختيارهم امتحانا لهم فمن أحسن أثيب و من أساء عوقب -قرآن- ٤٩٤-٥٤١ [صفحہ ١١٤]

١٠٣- و من خطبه له ع

أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا ص وَ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابًا وَ لَا يَدْعِي بُتُوَّةً وَ لَا وَحِيًّا فَفَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مِنْ عَصَاهُ يَسُوقُهُمْ إِلَى مَنَاجِبِهِمْ وَ يُبَادِرُ بِهِمُ السَّاعَةَ أَنْ تَنْزَلَ بِهِمْ يَحْسِرُ الْحَسِيرُ وَ يَقِفُ الْكَسِيرُ فَيُقِيمُ عَلَيْهِ حَتَّى يُلْحِقَهُ غَايَتُهُ إِلَّا هَالِكًا لَا خَيْرَ فِيهِ حَتَّى أَرَاهُمْ مَنَاجِبَتَهُمْ وَ بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ فَاسْتَدَارَتْ رِحَاهُمْ وَ اسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ وَ أَيُّمُ اللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَاقَتِهَا حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَائِرِهَا وَ اسْتَوَسَّيْتُ فِي قِيَادِهَا مَا ضَعُفْتُ وَ لَمَّا جَبُنْتُ وَ لَمَّا خُنْتُ وَ لَمَّا وَهَنْتُ وَ أَيُّمُ اللَّهِ لَمَّا بَقِرْنَ الْبَاطِلَ حَتَّى أُخْرِجَ الْحَقُّ مِنْ خَاصِرَتِهِ قَالَ الرضى رحمه الله تعالى و قد تقدم مختار هذه الخطبه إلا أننى وجدتها فى هذه الروايه على خلاف ما سبق من زياده

ونقصان فأوجبت الحال إثباتها ثانية -روايت- ١-١٥٤ لقائل أن يقول ألم يكن في العرب نبي قبل محمد و هو خالد بن سنان العبسي وأيضاً فقد كان فيها هود وصالح وشعيب . [صفحة ١١٥] ونجيب هذا القائل بأن مراده ع أنه لم يكن في زمان محمد ص و ماقاربه من ادعى النبوة فأما هود وصالح وشعيب فكانوا في دهر قديم جدا و أما خالد بن سنان فلم يقرأ كتابا و لا يدعى شريعته وإنما كانت نبوة مشابهة لنبوة جماعة من أنبياء بنى إسرائيل الذين لم يكن لهم كتب و لا شرائع وإنما ينهون عن الشرك و يأمرون بالتوحيد. ومنجاتهم نجاتهم نجوت من كذا نجا ممدود و نجا مقصور و منجاة على مفعله و منه قولهم الصدق منجاة. قوله ع و يبادر بهم الساعة كأنه كان يخاف أن تسبقه القيامة فهو يبادرها بهدايتهم و إرشادهم قبل أن تقوم وهم على ضلالهم . والحسير المعيا حسر البعير بالفتح يحسر بالكسر حسورا و استحسر مثله و حسرته أن يتعدى و لا يتعدى حسرا فهو حسير و يجوز أحسرتة بالهمزة و الجمع حسرى مثل قتيل وقتلى و منه حسر البصر أى كل يحسر قال تعالى يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصِيرُ خَاسِتًا وَ هُوَ حَسِيرٌ وَ هذا الكلام من باب الاستعارة و المجاز يقول ع كان النبي ص لحرصه على الإسلام و إشفاقه على المسلمين و رأفته بهم يلاحظ حال من تزلزل اعتقاده أو عرضت له شبهة أو حدث عنده ريب و لا يزال يوضح له و يرشده حتى يزيل ما خامر سره من وساوس الشيطان و يلحقه بالمخلصين من المؤمنين و لم يكن ليقتصر في مراعاة أحد من المكلفين في هذا المعنى إلا - من كان يعلم أنه لا خير فيه أصلا لعناده و إصراره على الباطل و مكابرتة للحق . و معنى قوله حتى يلحقه غايته حتى يوصله إلى الغاية التي هي الغرض بالتكليف يعنى اعتقاد الحق و سكون النفس إلى الإسلام و هو أيضا معنى قوله و بوأهم محلثهم . -قرآن- ٧٥٤-٨٠٢ [صفحة ١١٦] و معنى قوله فاستدارت رحاهم انتظم أمرهم لأن الرحي إنما تدور إذ تكاملت أدواتها و آلاتها كلها و هو أيضا معنى قوله و استقامت قناتهم و كل هذا من باب الاستعارة. ثم أقسم أنه ع كان من ساقطها الساقطة جمع سائق كقادة جمع قائد و حاكة جمع حائك و هذا الضمير المؤنث يرجع إلى غير مذكور لفظا و المراد الجاهلية كأنه جعلها مثل كتيبة مصادمة لكتيبة الإسلام و جعل نفسه من الحاملين عليها بسيفه حتى فرت و أدبرت و أتبعها يسوقها سوقا و هى مولىة بين يديه . حتى أدبرت بحذافيرها أى كلها عن آخرها. ثم أتى بضمير آخر إلى غير مذكور لفظا و هو قوله و استوسقت فى قيادها يعنى الملة الإسلامية أو الدعوة أو ما يجرى هذا المجرى و استوسقت اجتمعت يقول لما ولت تلك الدعوة الجاهلية استوسقت هذه فى قيادها كما تستوسق الإبل المقودة إلى أعطانها و يجوز أن يعود هذا الضمير الثانى إلى المذكور الأول و هو الجاهلية أى ولت بحذافيرها واجتمعت كلها تحت ذل المقادة. ثم أقسم أنه ماضعف يومئذ و لاهون و لاجين و لاخان و ليقرن الباطل الآن حتى يخرج الحق من خاصرته كأنه جعل الباطل كالشئ المشتمل على الحق غالبا عليه و محيطا به فإذا بقر ظهر الحق الكامن فيه و قد تقدم منا شرح ذلك [صفحة ١١٧]

١٠٤- و من خطبة له ع

إشارة

حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ص شَهِيدًا وَ بَشِيرًا وَ نَذِيرًا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ طِفْلًا وَ أَنْجَبَهَا كَهْلًا وَ أَطَهَرَ الْمُطَهَّرِينَ شَيْمَةً وَ أَجْوَدَ الْمُسْتَمْطَرِينَ دِيَمَةً فَمَا أَحْلَوْلَتْ لَكُمْ الدُّنْيَا فِي لَذَّتِهَا وَ لَا تَمَكَّنَتْكُمْ مِنْ رِضَاعِ أَخْلَافِهَا إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ صَادَفْتُمُوهَا جَائِلًا خِطَامَهَا قَلِقًا وَ ضِيئَهَا قَدِ صَارَ حَرَامَهَا عِنْدَ أَقْوَامٍ بِمَنْزِلَةِ السِّدْرِ الْمَخْضُودِ وَ حَلَالِهَا بِعِيدًا غَيْرَ مَوْجُودٍ وَ صَادَفْتُمُوهَا وَ اللَّهُ ظِلًّا مَمْدُودًا إِلَى أَجْلِ مَعْدُودٍ فَالْأَرْضُ لَكُمْ شَاغِرَةٌ وَ أَيْدِيكُمْ فِيهَا مَبْسُوطَةٌ وَ أَيْدِي الْقَادَةِ عَنْكُمْ مَكْفُوفَةٌ وَ سَيُؤْفِكُمْ عَلَيْهِمْ مَسِيْلَةٌ وَ سَيُؤْفِكُمْ عَنْكُمْ مَقْبُوضَةٌ أَلَا وَ إِنَّ لِكُلِّ دَمٍ

ثَائِرًا وَ لِكُلِّ حَقِّ طَالِبًا وَ إِنَّ الثَّائِرَ فِي دِمَائِنَا كَالْحَاكِمِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ وَ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ مَنْ طَلَبَ وَ لَا يَفُوتُهُ مَنْ هَرَبَ فَأَقْبِسْ بِمِ
بِاللَّهِ يَا بَنِي أُمَّيَّةَ عَمَّا قَلِيلٍ لَتَعْرِفَنَهَا فِي أَيْدِي غَيْرِكُمْ وَ فِي دَارِ عَدُوِّكُمْ مَعْنَى كَوْنِ النَّبِيِّ ص شَهِيدًا أَنَّهُ يَشْهَدُ عَلَى الْأُمَّةِ بِمَا فَعَلْتَهُ
مِنْ طَاعَةِ وَعَصِيَانِ أَنْجِبَهَا أَكْرَمَهَا وَ رَجُلٍ نَجِيبٍ أَيْ كَرِيمٍ بَيْنَ النَّجَابَةِ وَالنَّجْبَةِ مِثْلَ الْهَمْزَةِ. [صَفْحَه ١١٨] وَيُقَالُ هُوَ نَجِيبُ الْقَوْمِ أَيْ
النَّجِيبُ مِنْهُمْ وَأَنْجَبَ الرَّجُلُ أَيْ وُلِدَ وَ لِدَا نَجِيبًا وَامْرَأَةً مَنْجِبَةً وَمَنْجَابٌ تَلْدُ النَّجْبَاءُ وَنِسْوَةٌ مَنْجَابِيبٌ . وَالشِّيمَةُ الْخَلْقُ وَالدِّيمَةُ مَطْرُ
يَدُومٌ وَالْمُسْتَمَطْرُونَ الْمُسْتَجِدُونَ وَالْمُسْتَمَاحُونَ وَاحْلَوْلَتْ حَلَتْ وَ قَدَعْدَاهُ حَمِيدُ بْنُ ثَوْرٍ فِي قَوْلِهِ فَلَمَّا أَتَى عَامَانَ بَعْدَ انْفِصَالِهِ ||
عَنِ الضَّرْعِ وَاحْلَوْلَى دِمَائِنًا يَرُودُهَا وَ لَمْ يَجِئِ أَفْعَوْلٌ مُتَعَدِيًا إِلَّا هَذَا الْحَرْفُ وَحَرْفٌ آخَرٌ وَ هُوَ اعْرُورِيْتُ الْفَرَسِ وَ هُوَ الرِّضَاعُ بِفَتْحِ
الرَّاءِ رَضِعَ الصَّبِيُّ أُمَّهُ بِكَسْرِ الضَّادِ يَرْضَعُهَا رَضَاعًا مِثْلَ سَمْعٍ يَسْمَعُ سَمَاعًا وَ أَهْلُ نَجْدٍ يَقُولُونَ رَضِعَ بِالْفَتْحِ يَرْضَعُ بِالْكَسْرِ مِثْلَ
ضَرْبٍ يَضْرِبُ ضَرْبًا وَ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ أَخْبَرَنِي عَيْسَى بْنُ عَمْرِو بْنِ عَمْرِو بْنِ عَمْرِو بْنِ عَمْرِو بْنِ عَمْرِو بْنِ عَمْرِو بْنِ عَمْرِو بْنِ عَمْرِو بْنِ عَمْرِو بْنِ
أَفَاقِيقٍ حَتَّى مَا يَدْرُ لَهَا ثَعْلُ بِكَسْرِ الضَّادِ وَالْأَخْلَافُ لِلنَّاقَةِ بِمَنْزِلَةِ الْأَطْبَاءِ لِلْكَلْبَةِ وَاحِدًا خَلْفَ الْكَسْرِ وَ هُوَ حَلْمَةُ الضَّرْعِ وَالْخَطَامُ
زِمَامُ النَّاقَةِ خَطَمَتِ الْبَعِيرَ زَمَمْتَهُ وَنَاقَةٌ مَخْطُومَةٌ وَنَوْقٌ مَخْطُومَةٌ . وَالْوَضِيبُ لِلْهُودُجِ بِمَنْزِلَةِ الْبَطَانِ لِلْقَتَبِ وَالتَّصْدِيرُ لِلرَّحْلِ وَالْحِزَامُ
لِلسَّرِجِ وَ هُوَ سَيُورٌ تَنْسَجُ مِضَاعِفُهُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ يَشُدُّ بِهَا الْهُودُجُ مِنْهُ إِلَى بَطْنِ الْبَعِيرِ وَالْجَمْعُ وَضْنٌ . وَالْمَخْضُودُ الَّذِي خَضَدَ
شَوْكَةَ أَيْ قَطَعَ . وَشَاغِرَةٌ خَالِيَةٌ شَغَرَ الْمَكَانَ أَيْ خَلَا وَبَلَدَةٌ شَاغِرَةٌ إِذَا لَمْ تَمْتَنِعْ مِنْ غَارَةٍ أَحَدٌ وَالثَّائِرُ طَالِبُ الثَّأْرِ لَا يَبْقَى عَلَى شَيْءٍ
حَتَّى يَدْرُكَ ثَأْرَهُ . [صَفْحَه ١١٩] يَقُولُ عٌ مَخَاطِبًا لِمَنْ فِي عَصْرِهِ مِنْ بَقَايَا الصَّحَابَةِ وَلِغَيْرِهِمْ مِنَ التَّابِعِينَ الَّذِينَ لَمْ يَدْرُكُوا عَصْرَ
رَسُولِ اللَّهِ ص إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا وَ هُوَ أَكْرَمُ النَّاسِ شِيمَةً وَأَنْدَاهُمْ يَدَا وَخَيْرُهُمْ طِفْلَانِ وَأَنْجَبُهُمْ كَهْلَانِ فَصَانَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَيَّامِ
حَيَاتِهِ عَنْ أَنْ يَفْتَحَ عَلَيْهِ الدُّنْيَا وَأَكْرَمَهُ عَنْ ذَلِكَ فَلَمْ تَفْتَحْ عَلَيْكُمْ الْبِلَادَ وَ لَا دَرْتِ عَلَيْكُمْ الْأَمْوَالُ وَ لَا أَقْبَلَتِ الدُّنْيَا نَحْوَكُمْ وَ
مَادَالَتِ الدُّوْلَةَ لَكُمْ إِلَّا بَعْدَهُ فَمَكَّنْتُمْ مِنْ أَكْلِهَا وَالتَّمَتُّعُ بِهَا كَمَا يَتِمَكَّنُ الْحَالِبُ مِنْ احْتِلَابِ النَّاقَةِ فَيَحْلِبُهَا وَحَلَّتْ لِنَفْسِهَا لَكُمْ
وَاسْتَبْتَبْتُمْ الْعَيْشَةَ وَوَجَدْتُمُوهَا حَلْوَةً خَضْرَاءَ . ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُمْ صَادَفُوهَا بِعَيْنِ الدُّنْيَا وَ قَدَّصَعِبَتْ عَلَى مَنْ يَلِيهَا وَ لَا يَأْتِيهَا حَقٌّ كَمَا تَصْعَبُ
النَّاقَةُ عَلَى رَاكِبِهَا إِذَا كَانَتْ جَائِلَةً الْخَطَامُ لَيْسَ زِمَامُهَا بِمَمَكَّنٍ رَاكِبُهَا مِنْ نَفْسِهِ قَلَقَهُ الْوَضِيبُ لَا يَثْبِتُ هُوَ دَجُّهَا تَحْتَ الرَّاكِبِ حَرَامُهَا
سَهْلُ التَّنَاوُلِ عَلَى مَنْ يَرِيدُهُ كَالسِّدْرِ الَّذِي خَضَدَ عَنْهُ شَوْكُهُ فَصَارَ نَاعِمًا أَمْلَسَ وَحَلَالُهَا غَيْرُ مَوْجُودٍ لَغَلْبَةِ الْحَرَامِ عَلَيْهِ وَ كَوْنِهِ صَارَ
مَغْمُورًا مُسْتَهْلَكًا بِالنَّسْبَةِ إِلَيْهِ وَ هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى مَا كَانَ يَقُولُهُ دَائِمًا مِنْ اسْتِبْدَادِ الْخُلَفَاءِ قَبْلَهُ دُونَهُ بِالْأَمْرِ وَ أَنَّهُ كَانَ الْأَوْلَى وَالْأَحَقُّ .
فَإِنْ قُلْتَ إِذَا كَانَتِ الدُّنْيَا قَلَقَهُ الْوَضِيبُ جَائِلَةً الْخَطَامُ فَهِيَ صَعْبَةُ الرُّكُوبِ وَ هَذَا ضِدُّ قَوْلِهِ حَرَامُهَا بِمَنْزِلَةِ السِّدْرِ الْمَخْضُودِ لِأَنَّهُ مِنْ
الْأَمْثَالِ الْمَضْرُوبَةِ لِلسَّهْوَةِ قُلْتَ فَحَوَى كَلَامُهُ أَنَّ الدُّنْيَا جَمَحَتْ بِهِ عَ فَالْقَتَّةُ عَنْ ظَهْرِهَا بَعْدَ أَنْ كَانَ رَاكِبًا لَهَا أَوْ كَالرَّاكِبِ لَهَا
لَا اسْتِحْقَاقَهُ رُكُوبَهَا وَأَنَّهَا صَارَتْ بَعْدَهُ كَالنَّاقَةِ الَّتِي خَلَعَتْ زِمَامَهَا أَوْ أَجَالَتَهُ فَلَا يَتِمَكَّنُ رَاكِبُهَا مِنْ قَبْضِهِ وَاسْتِرْخِي وَضَمِنَهَا لِشِدَّةِ مَا
كَانَ صَدَرَ عَنْهَا مِنَ النِّفَارِ وَالتَّقَحُّمِ حَتَّى أَذْرَتْ رَاكِبَهَا فَصَارَتْ عَلَى حَالٍ لَا يَرُكِبُهَا إِلَّا مَنْ هُوَ مَوْصُوفٌ بِرُكُوبِ غَيْرِ طَبِيعِيٍّ لِأَنَّهُ
رُكِبَ مَا لَا يَنْبَغِي أَنْ يَرُكَبَ فَالَّذِينَ لَوْ لَوْ أَمَرُوا وَلَوْ هُوَ عَلَى غَيْرِ الْوَجْهِ كَمَا أَنَّ رَاكِبَ هَذِهِ النَّاقَةِ يَرُكِبُهَا عَلَى غَيْرِ الْوَجْهِ
وَلِهَذَا لَمْ يَقُلْ فَصَارَ حَرَامُهَا بِمَنْزِلَةِ السِّدْرِ الْمَخْضُودِ بَلْ قَالَ عِنْدَ أَقْوَامٍ فَخْصَصَ . وَ هَذَا الْكَلَامُ كُلُّهُ مَحْمُولٌ عِنْدَ أَصْحَابِنَا عَلَى التَّأَلُّمِ
مِنْ كَوْنِ الْمُتَقَدِّمِينَ تَرَكَوا الْأَفْضَلَ كَمَا قَدَّمَاهُ فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ . ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ الدُّنْيَا فَانِيَةٌ وَأَنَّهَا ظَلَّ مَمْدُودٌ إِلَى أَجْلِ مَعْدُودٍ ثُمَّ
ذَكَرَ أَنَّ الْأَرْضَ بِهَيُولَاءِ السَّكَّانِ فِيهَا صُورَةٌ خَالِيَةٌ مِنْ مَعْنَى كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ مَا أَكْثَرَ النَّاسَ لَا بِلَ مَا أَقْلَهُمْ || اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَقُلْ فَنَدَا
إِنِّي لِأَفْتَحَ عَيْنِي ثُمَّ أَغْمَضْتُهَا || عَلَى كَثِيرٍ وَلَكِنْ لَا أَرَى أَحَدًا . ثُمَّ أَعَادَ الشُّكُوبَ وَالتَّأَلُّمَ فَقَالَ أَيْدِيكُمْ فِي الدُّنْيَا مَبْسُوطَةٌ وَأَيْدِي
مُسْتَحْقَى الرَّئِيسَةِ وَمُسْتَوْجِبِي الْأَمْرِ مَكْفُوفَةٌ وَسَيُوفُكُمْ مُسَلِّطَةٌ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ الَّذِينَ هُمُ الْقَادَةُ وَالرُّؤَسَاءُ وَسَيُوفُهُمْ مَقْبُوضَةٌ عَنْكُمْ
وَكَأَنَّهُ كَانَ يَرْمِزُ إِلَى مَا سَيَقَعُ مِنْ قَتْلِ الْحُسَيْنِ ع وَأَهْلِهِ وَكَأَنَّهُ يَشَاطِرُ ذَلِكَ عِيَانًا وَيَخْطُبُ عَلَيْهِ وَيَتَكَلَّمُ عَلَى الْخَاطِرِ الَّذِي سَنَحَ لَهُ
وَالْأَمْرَ الَّذِي كَانَ أَخْبَرَ بِهِ ثُمَّ قَالَ إِنَّ لِكُلِّ دَمٍ ثَائِرًا يَطْلُبُ الْقُودَ وَالثَّائِرُ بِدِمَائِنَا لَيْسَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ مَطْلُوبٌ وَ لَا يَفُوتُهُ

هارب . ومعنى قوله ع كالحاكم فى حق نفسه أنه تعالى لا يقصر فى طلب دماننا كالحاكم الذى يحكم لنفسه فىكون هوالقاضى و هوالخصم فإنه إذا كان كذلك يكون مبالغا جدا فى استيفاء حقوقه . ثم أقسم وخاطب بنى أمية وصرح بذكرهم أنهم ليعرفن الدنيا عن قليل فى أيدى غيرهم و فى دورهم و أن الملك سينتزع منهم أعداؤهم ووقع الأمر بموجب إخباره ع [صفحة ١٢١] فإن الأمر بقى فى أيدى بنى أمية قريبا من تسعين سنة ثم عاد إلى البيت الهاشمى وانتقم الله تعالى منهم على أيدى أشد الناس عداوة لهم

هزيمة مروان بن محمد فى موقعة الزاب ثم مقتله بعد ذلك

سار عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس فى جمع عظيم للقاء مروان بن محمد بن مروان و هو آخر خلفاء الأمويين فالتقيا بالزاب من أرض الموصل ومروان فى جموع عظيمة وأعداد كثيرة فهزم مروان واستولى عبد الله بن على على عسكره وقتل من أصحابه خلقا عظيما وفر مروان هاربا حتى أتى الشام و عبد الله يتبعه فصار إلى مصر فاتبعه عبد الله بجنوده فقتله ببوصير الأشمونيين من صعيد مصر وقتل خواصه وبطانته كلها و قد كان عبد الله قتل من بنى أمية على نهر أبى فطرس من بلاد فلسطين قريبا من ثمانين رجلا قتلهم مثلثة واحتذى أخوه داود بن على بالحجاز فعلة فقتل منهم قريبا من هذه العدة بأنواع المثل . و كان مع مروان حين قتل ابنه عبد الله وعبيد الله وكانا وليى عهده فهربا فى خواصهما إلى أسوان من صعيد مصر ثم صارا إلى بلاد النوبة ونالهم جهد شديد وضر عظيم فهلك عبد الله بن مروان فى جماعة ممن كان معه قتلا وعطشا وضرا وشاهد من بقى منهم أنواع الشدائد وضروب المكار ووقع عبيد الله فى عدة ممن نجا معه فى أرض البجة وقطعوا البحر إلى ساحل جدة وتنقل فىمن نجا معه من أهله ومواليه فى البلاد مستترين راضين أن يعيشوا سوقة بعد أن كانوا ملوكا فظفر بعبد الله أيام السفاح فحبس [صفحة ١٢٢] فلم يزل فى السجن بقية أيام السفاح وأيام المنصور وأيام المهدي وأيام الهادي وبعض أيام الرشيد وأخرجه الرشيد وهوشىخ ضرير فسأله عن خبره فقال يا أمير المؤمنين حبست غلاما بصيرا وأخرجت شيخا ضريرا فقيل إنه هلك فى أيام الرشيد وقيل عاش إلى أن أدرك خلافة الأمين .شهد يوم الزاب مع مروان فى إحدى الروايتين ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك المخلوع الذى خطب له بالخلافة بعد أخيه يزيد بن الوليد بن عبد الملك فقتل فىمن قتل و فى الرواية الثانية أن ابراهيم قتله مروان الحمار قبل ذلك . لمانهزم مروان يوم الزاب مضى نحو الموصل فمنعه أهلها من الدخول فأتى حران وكانت داره ومقامه و كان أهل حران حين أزيل لعن أمير المؤمنين عن المنابر فى أيام الجمع امتنعوا من إزالته وقالوا لاصلاة إلا بلعن أبى تراب فاتبعه عبد الله بن على بجنوده فلما شارفه خرج مروان عن حران هاربا بين يديه وعبر الفرات ونزل عبد الله بن على على حران فهدم قصر مروان بها و كان قد أنفق على بنائه عشرة آلاف ألف درهم واحتوى على خزائن مروان وأمواله فسار مروان بأهله وعترته من بنى أمية وخواصه حتى نزل بنهر أبى فطرس وسار عبد الله بن على حتى نزل دمشق فحاصرها وعليها من قبل مروان الوليد بن معاوية بن عبد الملك بن مروان فى خمسين ألف مقاتل فألقى الله تعالى بينهم العصية فى فضل نزار على اليمن وفضل اليمى على نزار فقتل الوليد وقيل بل قتل فى حرب عبد الله بن على وملك عبد الله دمشق فأتى يزيد بن معاوية بن عبد الملك بن مروان و عبد الجبار بن يزيد بن عبد الملك بن مروان فحملهما مأسورين إلى أبى العباس السفاح فقتلها وصلبهما بالحيرة وقتل عبد الله بن على بدمشق خلقا كثيرا من أصحاب مروان وموالي بنى أمية وأتباعهم ونزل عبد الله على نهر [صفحة ١٢٣] أبى فطرس فقتل من بنى أمية هناك بضعا وثمانين رجلا و ذلك فى ذى القعدة من سنة ثنتين وثلاثين ومائة

شعر عبد الله بن عمرو العبلي في رثاء قومه

و في قتلى نهر أبي فطرس وقتلى الزاب يقول أبوعدى عبد الله بن عمرو العبلي و كان أموى الرأى تقول أمامة لمارأت || نشوزى
عن المضجع الأملس وقله نومي على مضجعى || لدى هجعة الأعين النعس أبى ماعراك فقلت الهموم || عرين أباك فلاتبلى
عرين أباك فحبسنه || من الذل فى شر مامحبس لفقد الأحبة إذ نالها || سهام من الحدث المبتس رمتها المنون بلا نكل || و
لاطائشات و لا نكس بأسهمها المتلفات النفوس || متى ماتصب مهجة تخلس فصر عنهم بنواحي البلاد || فملقى بأرض و لم
يرمس نقى أصيب وأثوابه || من العيب والعار لم تدنس و آخر قدرس فى حفرة || و آخر طار فلم يحسس أفاض المدامع قتلى
كدى || وقتلى بكنوة لم ترمس وقتلى بوج وباللاتين || من يثرب خير ماأنفس [صفحة ١٢٤] وبالزايين نفوس ثوت || وقتلى
بنهر أبى فطرس أولئك قومي أناخت بهم || نواب من زمن متعس إذاركبوا زينوا الموكيين || و إن جلسوا زينة المجلس و إن
عن ذكرهم لم ينم || أبوك وأوحش فى المأنس فذاك الذى غالى فاعلمى || و لاتسألنى بامرئ متعس هم أضرعونى لريب
الزمان || وهم ألصقوا الخد بالمعطس

أنفة بن مسلمة بن عبد الملك

وروى أبو الفرج الأصفهاني فى كتاب الأغاني قال نظر عبد الله بن على فى الحرب إلى فتى عليه أبهة الشرف و هو يحارب
مستقتلا فناداه يافتى لك الأمان و لو كنت مروان بن محمد قال إلا أكنه فلست بدونه فقال و لك الأمان و لو كنت من كنت
فأطرق ثم أنشد لذل الحياة و كره الممات || و كلا أراه طعاما وبيلا و إن لم يكن غير أحدهما || فسيرا إلى الموت سيرا جميلا .
ثم قاتل حتى قتل فإذا هو ابن مسلمة بن عبد الملك [صفحة ١٢٥]

مما قيل من الشعر فى التحريض على قتل بنى أمية

وروى أبو الفرج أيضا عن محمد بن خلف و كيع قال دخل سديف مولى آل أبى لهب على أبى العباس بالحيرة و أبو العباس
جالس على سريره و بنو هاشم دونه على الكراسى و بنو أمية حوله على و سائد قدثيت لهم و كانوا فى أيام دولتهم يجلسونهم
والخليفة منهم على الأسرة و يجلس بنو هاشم على الكراسى فدخل الحاجب فقال يا أمير المؤمنين بالباب رجل حجازى أسود
راكب على نجيب مثلثم يستأذن و لا يخبر باسمه و يحلف لا يحسر اللثام عن وجهه حتى يرى أمير المؤمنين فقال هذا سديف مولانا
أدخله فدخل فلما نظر إلى أبى العباس و بنو أمية حوله حسر اللثام عن وجهه ثم أنشد أصبح الملك ثابت الأساس || بالبهليل
من بنى العباس بالصدور المقدمين قديما || والبحور القماقم الرؤاس يا إمام المطهرين من الدم || و يارأس منتهى كل رأس
أنت مهدى هاشم وفتاها || كم أناس رجوك بعد أناس لاتقيلن عبد شمس عثارا || واقطعن كل رقلة و غراس [صفحة ١٢٦]
أنزلوها بحيث أنزلها الله || بدار الهوان و الإنعاس خوفها أظهر التودد منها || و بهامنكم كحز المواسى أقصهم أيها الخليفة
واحسم || عنك بالسيف شأفة الأرجاس و اذكرن مصرع الحسين و زيد || وقتيلا بجانب المهراس و القتيال الذى بحران أمسى ||
ثاويا بين غربه و تناس فلقد ساءنى و ساء سوائى || قربهم من نمارق و كراسى نعم كلب الهراش مولاك شبل || لونجا من حباثل
الإفلاس . قال فتغير لون أبى العباس و أخذه زمع و رعدة فالتفت بعض ولد سليمان بن عبد الملك إلى آخر فيهم كان إلى جانبه

فقال قتلنا و الله العبد فأقبل أبو العباس عليهم فقال يابني الزواني لأرى قتلاكم من أهلى قد سلفوا وأنتم أحياء تتلذذون فى الدنيا خذوهم فأخذتهم الخراسانية بالكافر كوبات فأهدموا إلا ما كان من عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز فإنه استجار بدادود بن على و قال إن أبى لم يكن كأبائهم [صفحة ١٢٧] و قد علمت صنيعته إليكم فأجاره واستوهبه من السفاح و قال له قد علمت صنيع أبيه إلينا فوهبه له و قال لا يرينى وجهه وليكن بحيث نأمنه و كتب إلى عماله فى الآفاق بقتل بنى أمية. فأما أبو العباس المبرد فإنه روى فى الكامل هذا الشعر على غير هذا الوجه و لم ينسبه إلى سديف بل إلى شبل مولى بنى هاشم . قال أبو العباس دخل شبل بن عبد الله مولى بنى هاشم على عبد الله بن على و قد أجلس ثمانين من بنى أمية على سمط الطعام فأنشده أصبح الملك ثابت الأساس || بالبهاليل من بنى العباس طلبوا وتر هاشم وشفوها || بعدميل من الزمان ويأس لاتقيلن عبد شمس عثارا || واقطعن كل رقلة وأواسى ذلها أظهر التودد منها || و بهامنكم كحز المواسى ولقد غاظنى و غاظ سوائى || قربها من نمارق وكراسى أنزلوها بحيث أنزلها الله || بدار الهوان والإنعاس واذكرا مصرع الحسين وزيد || وقتلا بجانب المهراس والقتيل الذى بحران أضحى || ثاويا بين غربه و تناس نعم شبل الهراش مولاك شبل || لونها من حبال الإفلاس . فأمر بهم عبد الله فشدخوا بالعمد وبسطت البسط عليهم و جلس عليها ودعا [صفحة ١٢٨] بالطعام وإنه ليسمع أنين بعضهم حتى ماتوا جميعا و قال لشبل لو لأنك خلطت شعرك بالمسألة لأغنمتك أموالهم ولعقدت لك على جميع موالى بنى هاشم . قال أبو العباس الرقلة النخلة الطويلة والأواسى جمع آسية وهى أصل البناء كالأساس وقتيل المهراس حمزة ع والمهراس ماء بأحد وقتيل حران ابراهيم الإمام . قال أبو العباس فأما سديف فإنه لم يقم هذا المقام وإنما قام مقاما آخر دخل على أبى العباس السفاح وعنده سليمان بن هشام بن عبد الملك و قد أعطاه يده فقبلها وأدناه فأقبل على السفاح و قال له لا يغرنك ماترى من رجال || إن تحت الضلوع داء دويا فضع السيف وارفع السوط حتى || لاترى فوق ظهرها أمويا . فقال سليمان ما لى و لك أيها الشيخ قتلتنى قتلك الله فقام أبو العباس فدخل و إذا المنديل قد ألقى فى عنق سليمان ثم جر فقتل . فأما سليمان بن يزيد بن عبد الملك بن مروان فقتل باللقاء وحمل رأسه إلى عبد الله بن على

أخبار متفرقة فى انتقال الملك من بنى أمية إلى بنى العباس

وذكر صاحب مروج الذهب أنه أرسل عبد الله أخاه صالح بن على ومعه عامر بن إسماعيل أحد الشيعة الخراسانية إلى مصر فلحقوا مروان ببوصير فقتلوه وقتلوا كل من كان معه من أهله وبطانته وهجموا على الكنيسة التى فيها بناته ونساؤه فوجدوا خادما بيده سيف مشهور يسابقهم على الدخول فأخذوه وسألوه عن أمره فقال إن [صفحة ١٢٩] أمير المؤمنين أمرنى إن هو قتل أن أقتل بناته ونساءه كلهن قبل أن تصلوا إليهن فأرادوا قتله فقال لاتقتلونى فإنكم إن قتلتمونى فقدتم ميراث رسول الله ص فقالوا و ما هو فأخرجهم من القرية إلى كثنان من الرمل فقال اكشفوا هاهنا فإذا البردة والقضيب وقعب مخضب قد دفنها مروان ضنا بها أن تصير إلى بنى هاشم فوجه به عامر بن إسماعيل إلى صالح بن على فوجه به صالح إلى أخيه عبد الله فوجه به عبد الله إلى أبى العباس وتداوله خلفاء بنى العباس من بعد. وأدخل بنات مروان وحرمة ونساؤه على صالح بن على فتكلمت ابنة مروان الكبرى فقالت ياعم أمير المؤمنين حفظ الله لك من أمرك ماتحب حفظه وأسعدك فى أحوالك كلها وعمك بخواص نعمه وشملك بالعافية فى الدنيا والآخرة نحن بناتك وبنات أخيك و ابن عمك فليسعنا من عدلكم ماوسعنا من جوركم قال إذا لانستبقى منكم أحدا لأنكم قد قتلتم ابراهيم الإمام وزيد بن على ويحيى بن زيد ومسلم بن عقيل وقتلتم خير أهل الأرض حسينا وإخوته وبنيه و أهل بيته وسقتم نساءه سبايا كما يساق ذرارى الروم على الأفتاب إلى الشام فقال ياعم أمير المؤمنين فليسعنا عفوكم إذا قال أما

هذا فنعم وإن أحببت زوجتك من ابني الفضل بن صالح قالت ياعم أمير المؤمنين و أي ساعة عرس ترى بل تلحقنا بحران فحملهن إلى حران . كان عبدالرحمن بن حبيب بن مسلمة الفهري عامل إفريقية لمروان فلما حدثت الحادثة هرب عبد الله والعاص ابنا الوليد بن يزيد بن عبدالملك إليه فاعتصما به فخاف [صفحة ١٣٠] على نفسه منهما ورأى ميل الناس إليهما فقتلهما وكان عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك يريد أن يقصده ويلتجئ إليه فلما علم ماجرى لابني الوليد بن يزيد خاف منه فقطع المجاز بين إفريقية والأندلس وركب البحر حتى حصل بالأندلس فالأمراء الذين ولوها كانوا من ولده . ثم زال أمرهم ودولتهم على أيدي بني هاشم أيضا وهم بنو حمود الحسنيون من ولد إدريس بن الحسن ع . لما قتل عامر بن إسماعيل مروان ببوصير واحتوى على عسكره دخل إلى الكنيسة التي كان فيها فقعد على فراشه وأكل من طعامه فقالت له ابنة مروان الكبرى وتعرف بأمر مروان ياعامر إن دهرا أنزل مروان عن فرشه حتى أقعدك عليها تأكل من طعامه ليلة قتله محتويا على أمره حاكما في ملكه وحرمة وأهله لقادر أن يغير ذلك فأنهى هذا الكلام إلى أبي العباس السفاح فاستهجن ما فعله عامر بن إسماعيل وكتب إليه أ ما كان لك في أدب الله ما يزعرك أن تقعد في مثل تلك الساعة على مهاد مروان وتأكل من طعامه أما والله لو لا أن أمير المؤمنين أنزل ما فعلته على غير اعتقاد منك لذلك ولأنهم على طعام لمسك من غضبه وأليم أدبه ما يكون لك زاجرا ولغيرك واعظا فإذا أتاك كتاب أمير المؤمنين فتقرب إلى الله بصدقة تطفئ بها غضبه وصلاة تظهر فيها الخشوع والاستكانة له وصم ثلاثة أيام وتب إلى الله من جميع ما يسخطه ويغضبه ومر جميع أصحابك أن يصوموا مثل صيامك . و لما أتى أبو العباس برأس مروان سجد فأطال ثم رفع رأسه وقال الحمد لله الذي [صفحة ١٣١] لم يبق ثأرنا قبلك وقبل رهطك الحمد لله الذي أظفرنا بك وأظهرنا عليك ما أبالي متى طرقت الموت وقد قتلت بالحسين ع ألفا من بني أمية وأحرقت شلو هشام بابن عمي زيد بن علي كما أحرقوا شلوه وتمثل لو يشربون دمي لم يرو شاربهم || ولادماؤهم جمعا ترويني . ثم حول وجهه إلى القبلة فسجد ثانية ثم جلس فتمثل أبي قومنا أن ينصفونا فأنصفت || قواطع في أيماننا تقطر الدما إذاخالطت هام الرجال تركتها || كبيض نعام في الثرى قد تحطما ثم قال أما مروان فقتلناه بأخي ابراهيم وقتلنا سائر بني أمية بحسين و من قتل معه وبعده من بني عمنا أبي طالب . وروى المسعودي في كتاب مروج الذهب عن الهيثم بن عدى قال حدثني عمرو بن هانئ الطائي قال خرجت مع عبد الله بن علي لنش قبور بني أمية في أيام أبي العباس السفاح فانتبهنا إلى قبر هشام بن عبدالملك فاستخرجناه صحيحا مافقدنا منه إلا عشرين أنفه فضربه عبد الله بن علي ثمانين سوطا ثم أحرقه واستخرجنا سليمان بن عبدالملك من أرض دابق فلم نجد منه شيئا إلا صلبه ورأسه وأضلاعه فأحرقناه وفعلنا مثل ذلك بغيرهما من بني أمية وكانت قبورهم بقنسرين ثم انتهينا إلى دمشق فاستخرجنا الوليد بن عبدالملك فما وجدنا في قبره قليلا ولا كثيرا واحتفرنا عن عبدالملك فما وجدنا إلا شئون رأسه ثم احتفرنا عن يزيد بن معاوية فلم نجد منه إلا عظما واحدا ووجدنا [صفحة ١٣٢] من موضع نحره إلى قدمه خطأ واحدا أسود كأنما خط بالرماد في طول لحدده وتبعنا قبورهم في جميع البلدان فأحرقنا ما وجدنا فيها منهم . قلت قرأت هذا الخبر على النقيب أبي جعفر يحيى بن أبي زيد العلوي بن عبد الله في سنة خمس وستمئة و قلت له أما إحراق هشام بإحراق زيد فمفهوم فما معنى جلده ثمانين سوطا فقال رحمه الله تعالى أظن عبد الله بن علي ذهب في ذلك إلى حد القذف لأنه يقال إنه قال لزيد يا ابن الزانية لماسب أخاه محمدا الباقرع فسبه زيد وقال له سماه رسول الله ص الباقر وتسميه أنت البقرة لشد ما اختلفتما ولتخالفتما في الآخرة كما خالفتما في الدنيا فيرد الجنة وترد النار . وهذا استنباط لطيف . قال مروان لكاتبه عبدالحميد بن يحيى حين أيقن بزوال ملكه قد احتجت إلى أن تصير مع عدوى وتظهر الغدر بي فإن إعجابهم ببلاغتك وحاجتهم إلى كتابتك تدعوهم إلى اصطناعك وتقريبك فإن استطعت أن تسعى لتفنعني في حياتي وإلا فلن تعجز عن حفظ حرمي بعد وفاتي فقال عبدالحميد إن الذي أشرت به هو أنفع الأمرين لي وأقبحهما بي وما عندي إلا الصبر معك حتى يفتح الله لك أو أقتل بين يديك ثم أنشد أسر وفاء ثم أظهر غدره || فمن لي بعذر

يوسع الناس ظاهره .فثبت على حاله و لم يصبر إلى بنى هاشم حتى قتل مروان ثم قتل هو بعده صبراً . [صفحه ١٣٣] و قال إسماعيل بن عبد الله القسرى دعانى مروان و قد انتهت به الهزيمة إلى حران فقال يا أباهاشم و ما كان يكنينى قبلها قدرى ماجاء من الأمر و أنت الموثوق به و لا عطر بعد عروس ما الرأى عندك فقلت يا أمير المؤمنين علام أجمعت قال ارتحل بموالى و من تبعنى حتى أتى الدرب و أميل إلى بعض مدن الروم فأنزلها و أكتب ملك الروم و أستوثق منه فقد فعل ذلك جماعة من ملوك الأعاجم و ليس هذا عارا على الملوك فلا يزال يأتينى من الأصحاب الخائف و الهارب و الطامع فيكثر من معى و لأزال على ذلك حتى يكشف الله أمرى و ينصرنى على عدوى فلما رأيت ما أجمع عليه من ذلك و كان الرأى و رأيت آثاره فى قومه من نزار و عصيبته على قومى من قحطان غششته فقلت أعيدك بالله يا أمير المؤمنين من هذا الرأى أن تحكم أهل الشرك فى بناتك و حرمك و هم الروم لا و فاء لهم و لا يدري ما تأتى به الأيام و إن حدث عليك حدث من أرض النصرانية و لا يحدثن الله عليك إلا خيرا ضاع من بعدك و لكن اقطع الفرات و استنفر الشام جندا جندا فإنك فى كنف و عدة و لك فى كل جند صنائع و أصحاب إلى أن تأتى مصر فهى أكثر أرض الله مالا و خيلا و رجالا و الشام أمامك و إفريقية خلفك فإن رأيت ماتحب انصرفت إلى الشام و إن كانت الأخرى مضيت إلى إفريقية فقال صدقت و أستخير الله فقطع الفرات و الله ما قطعه معه من قيس إلا رجلا ابن حديد السلمى و كان أخاه من الرضاة و الكوثر بن الأسود الغنوى و غدر به سائر التزارية مع تعصبه لهم فلما اجتاز ببلاد قنسرين و خناصره أوقعوا بساقتة و وثب به أهل حمص و صار إلى دمشق فوثب به الحارث بن عبدالرحمن الحرشى ثم العقيلي ثم أتى الأردن فوثب به هاشم بن عمرو التميمى ثم مر بفلسطين فوثب به أهلها و علم مروان أن إسماعيل بن عبد الله قد غشه فى الرأى و لم يمحصه النصيحة و أنه فرط فى مشورته إياه [صفحه ١٣٤] إذ شاور رجلا من قحطان موتورا شأننا له و إن الرأى كان أول الذى هم به من قطع الدرب و النزول ببعض مدن الروم و مكاتبته ملكها و لله أمر هو بالغه . لمانزل مروان بالزباب جرد من رجاله ممن اختاره من أهل الشام و الجزيرة و غيرها مائة ألف فارس على مائة ألف قارح ثم نظر إليهم و قال إنها لعدة و لا تنفع العدة إذا انقضت المدة . لما أشرف عبد الله بن على يوم الزباب فى المسودة و فى أوائلهم البنود السود تحملها الرجال على الجمال البخت و قد جعل لها بدلا من القنا خشب الصفصاف و الغرب قال مروان لمن قرب منه أ ماترون رماحهم كأنها النخل غلظا أ ماترون أعلامهم فوق هذه الإبل كأنها قطع الغمام السود فبينما هو ينظرها و يعجب إذ طارت قطعة عظيمة من الغريان السود فنزلت على أول عسكر عبد الله بن على و اتصل سوادها بسواد تلك الرايات و البنود و مروان ينظر فازداد تعجبه و قال أ ماترون إلى السواد قدا اتصل بالسواد حتى صار الكل كالسحب السود المتكاثفة ثم أقبل على رجل إلى جنبه فقال أ لاتعرفنى من صاحب جيشهم فقال عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس بن عبدالمطلب قال و يحكك أ من ولد العباس هو قال نعم قال و الله لوددت أن على بن أبى طالب ع مكانه فى هذا الصف قال يا أمير المؤمنين أتقول هذا العلى مع شجاعته التى ملأ الدنيا ذكرها قال و يحكك إن عليا مع شجاعته صاحب دين و إن الدين غير الملك و إنا نروى عن قديمتنا أنه لا شىء لعلى و لاولده فى هذا ثم قال من هو من ولد العباس [صفحه ١٣٥] فإنى لأثبت شخصه قال هو الرجل الذى كان يخاصم بين يديك عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر فقال أذكرنى صورته و حليته قال هو الرجل الأقى الحديد العضل المعروف الوجه الخفيف اللحية الفصيح اللسان الذى قلت لما سمعت كلامه يومئذ يرزق الله البيان من يشاء فقال و إنه لهو قال نعم فقال إنا لله و إنا إليه راجعون أتعلم لم صيرت الأمر بعدى لولدى عبد الله و ابنى محمد أكبر سنا منه قال لا قال إن آباءنا أخبرونا أن الأمر صائر بعدى إلى رجل اسمه عبد الله فوليته دونه . ثم بعث مروان بعد أن حدث صاحبه بهذا الحديث إلى عبد الله بن على سرا فقال يا ابن عم إن هذا الأمر صائر إليك فاتق الله و احفظنى فى حرمى فبعث إليه عبد الله أن الحق لنا فى دمك و أن الحق علينا فى حرمك . قلت إن مروان ظن أن الخلافة تكون لعبد الله بن على لأن اسمه عبد الله و لم يعلم أنها تكون لآخر اسمه عبد الله و هو أبو العباس السفاح . كان العلاء بن رافع سبط

ذى الكلاع الحميرى مؤنسا لسليمان بن هشام بن عبدالمملك لايكاد يفارقه و كان أمر المسودة بخراسان قدظهر ودنوا من العراق واشتد إرجاف الناس ونطق العدو بما أحب فى بنى أمية وأوليائهم . قال العلاء فإنى لمع سليمان و هو يشرب تجاه رصافه أبيه و ذلك فى آخر أيام يزيد الناقص وعنده الحكم الوادى و هو يغنيه بشعر العرجى إن الحبيب تروحت أجماله || أصلا فدمعك دائم إسباله فاقن الحياء فقد بكيك بعولهُ || لو كان ينفع باكيا إعواله [صفحہ ۱۳۶] يا حبيذا تلك الحمول وحبذا || شخص هناك وحبذا أمثاله . فأجاد ماشاء وشرب سليمان بن هشام بالرطل وشربنا معه حتى توسدنا أيدينا فلم أنتبه إلا بتحريك سليمان إياى فقامت مسرعا و قلت ماشأنا الأمير فقال على رسلك رأيت كأنى فى مسجد دمشق وكان رجلا على يده حجر و على رأسه تاج أرى بصيص ما فيه من الجوهر و هورافع صوته بهذا الشعر أبنى أمية قددنا تشيتكم || وذهاب ملككم و ليس براجع وينال صفوته عدو ظالم || كأسا لكم بسمام موت نافع . فقلت أعيد الأمير بالله وساوس الشيطان الرجيم هذا من أضغاث الأحلام ومما يقتضيه ويجلبه الفكر وسماع الأراجيف فقال الأمر كما قلت لك ثم وجم ساعة و قال ياحميرى بعيد ما يأتى به الزمان قريب قال العلاء فو الله مااجتمعنا على شراب بعد ذلك اليوم . سئل بعض شيوخ بنى أمية عقيب زوال الملك عنهم ما كان سبب زوال ملككم فقال جار عمالنا على رعيتنا فتمنوا الراحة منا وتحومل على أهل خراجنا فجلوا عنا وخربت ضياعنا فخلت بيوت أموالنا ووثقنا بوزرائنا فأثروا مرافقهم على منافعنا وأمضوا أمورنا دوننا أخفوا علمها عنا وتأخر عطاء جندنا فزال طاعتهم لنا واستدعاهم عدونا فظافروه على حربنا وطلبنا أعداءنا فعجزنا عنهم لقله أنصارنا و كان استتار الأخبار عنا من أوكد أسباب زوال ملكنا . كان سعيد بن عمر بن جعدة بن هبيرة المخزومى أحد وزراء مروان وسمازه فلما ظهر [صفحہ ۱۳۷] أمر أبى العباس السفاح انحاز إلى بنى هاشم وامت إليهم بأمر هانى بنت أبى طالب وكانت تحت هبيرة بن أبى وهب فأنت منه بجعدة فصار من خواص السفاح وبطانته فجلس السفاح يوما وأمر بإحضار رأس مروان و هو بالحيرة يومئذ ثم قال للحاضرين أيكم يعرف هذا فقال سعيد أنا أعرفه هذا رأس أبى عبدالمملك مروان بن محمد بن مروان خليفتنا بالأمس رحمه الله تعالى قال سعيد فحدقت إلى الشيعة ورمتنى بأبصارها فقال لى أبوالعباس فى أى سنه كان مولده قلت سنه ست وسبعين فقام و قد تغير لونه غضبا على و تفرق الناس من المجلس وتحدثوا به فقلت زله و الله لاتستقال و لا ينساها القوم أبدا فأتيت منزلى فلم أزل باقى يومى أعهد وأوصى فلما كان الليل اغتسلت وتهيأت للصلاة و كان أبوالعباس إذاهم بأمر بعث فيه ليلا فلم أزل ساهرا حتى أصبحت وركبت بغلتى وأفكرت فيمن أقصد فى أمرى فلم أجد أحدا أولى من سليمان بن مجالد مولى بنى زهرة وكانت له من أبى العباس منزلة عظيمة و كان من شيعة القوم فأتيته فقلت له أذكرنى أمير المؤمنين البارحة قال نعم جرى ذكرك فقال هو ابن أختنا وفى لصاحبه ونحن لو أوليناه خيرا لكان لنا أشكر فشكرت لسليمان بن مجالد ما أخبرنى به وجزيته خيرا وانصرفت فلم أزل من أبى العباس على ما كنت عليه لا أرى منه إلا خيرا . وإنما ذلك المجلس إلى عبد الله بن على و إلى أبى جعفر المنصور فأما عبد الله بن على فكتب إلى أبى العباس يغريه بى ويعاتبه على الإمساك عنى و يقول له إنه ليس مثل هذا مما يحتمل وكتب إليه أبو جعفر يعذر لى وضرب الدهر ضربه فأتى ذات يوم عند أبى العباس فنهض ونهضت فقال لى على رسلك يا ابن هبيرة فجلست فرفع الستر ودخل ووثب فى مجلسه قليلا ثم خرج فى ثوبى وشى ورداء وجبه فما رأيت و الله أحسن منه و لامما عليه قط فقال لى يا ابن هبيرة إنى ذاكر لك أمرا فلا [صفحہ ۱۳۸] يخرج من رأسك إلى أحد من الناس قلت نعم قال قد علمت ما جعلنا من هذا الأمر وولاية العهد لمن قتل مروان وإنما قتله عمى عبد الله بجيشه وأصحابه ونفسه وتدييره و أنا شديد الفكر فى أمر أخى أبى جعفر فى فضله وعلمه وسنه وإثاره لهذا الأمر كيف أخرجه عنه فقلت أصلح الله أمير المؤمنين إنى أحدثك حديثا تعتبر به وتستغنى بسماعه عن مشاورتى قال هاته فقلت كنا مع مسلمة بن عبدالمملك عام الخليج بالقسطنطينية إذ ورد علينا كتاب عمر بن عبد العزيز ينعى سليمان ومصير الأمر إليه فدخلت إليه فرمى الكتاب إلى فقرأته واسترجعت واندفع يبكى وأطال فقلت أصلح الله الأمير وأطال

بقاءه إن البكاء على الأمر الفاتت عجز والموت منهل لا بد من ورده فقال ويحك إني لست أبكى على أخى لكنى أبكى لخروج الأمر عن ولد أبي إلى ولد عمي فقال أبو العباس حسبيك فقد فهمت عنك ثم قال إذا شئت فانهض فلما نهضت لم أمض بعيدا حتى قال لي يا ابن هبيرة فالتفت إليه فقال أما إنك قد كافأت أحدهما وأخذت بثارك من الآخر قال سعيد فوالله ما أدري من أي الأمرين أعجب من فطنته أم من ذكره . لما سائر عبد الله بن علي في آخر أيام بنى أمية عبد الله بن حسن بن حسن ومعهما داود بن علي فقال داود لعبد الله بن الحسن لم لا تأمر ابنك بالظهور فقال عبد الله بن حسن لم يأن لهما بعد فالتفت إليه عبد الله بن علي فقال أظنك ترى أن ابنك قاتلا مروان فقال عبد الله بن حسن إنه ذلك قال هيهات ثم تمثل [صفحة ١٣٩] سيكفيك الجعالة مستميت || خفيف الحاذ من فتیان جرم أنا و الله أقتل مروان وأسلبه ملكه لا أنت ولا ولداك . و قدروى أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني رواية أخرى في سبب قتل السفاح لمن كان آمنه من بنى أمية قال حدث الزبير بن بكار عن عمه أن السفاح أنشد يوما قصيدة مدح بها وعنده قوم من بنى أمية كان آمنهم على أنفسهم فأقبل على بعضهم فقال أين هذا ما مدحتم به فقال هيهات لا يقول و الله أحد فيكم مثل قول ابن قيس الرقيات فينا ما نقموا من بنى أمية إلا || أنهم يحلمون إن غضبوا وأنهم معدن الملوك فما || تصلح لإعليهم العرب . فقال له ياماص كذا من أمه و إن الخلافة لفي نفسك بعد خذوهم فأخذوا وقتلوا . و روى أبو الفرج أيضا أن أبا العباس دعا بالغاء حين قتلوا وأمر ببساط فبسط عليهم وجلس فوقه يأكل وهم يضطربون تحته فلما فرغ قال ما أعلم أني أكلت أكلة قط كانت أطيب و لأهنا في نفسي من هذه فلما فرغ من الأكل قال جروهم بأرجلهم وألقوهم في الطريق ليلعنهم الناس أمواتا كما لعنواهم أحياء . [صفحة ١٤٠] قال فلقد رأينا الكلاب تجرهم بأرجلهم وعليهم سراويلات الوشى حتى أنتنوا ثم حفرت لهم بئر فألقوا فيها . قال أبو الفرج و روى عمر بن شبة قال حدثني محمد بن معن الغفاري عن معبد الأنباري عن أبيه قال لما أقبل داود بن علي من مكة أقبل معه بنو حسن جميعا وفيهم عبد الله بن حسن بن حسن وأخوه حسن بن الحسن ومعهم محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان و هو أخو عبد الله بن الحسن لأمه فعمل داود مجلسا ببعض الطريق جلس فيه هو والهاشميون كلهم وجلس الأمويون تحتهم فجاء ابن هرمة فأنشده قصيدة يقول فيها فلاعفا الله عن مروان مظلمة || و لا أمية بنس المجلس النادى كانوا كعاد فأمسى الله أهلهم || بمثل ما أهلك الغاوين من عاد فلن يكذبني من هاشم أحد || فيما أقول و لو أكثرت تعدادي . قال فبئذ داود نحو عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد بن العاص ضحكة كالكشرة فلما قاموا قال عبد الله بن الحسن لأخيه الحسن بن الحسن أ ما رأيت ضحك داود إلى ابن عنبسة الحمد لله الذي صرفها عن أخى يعنى العثماني قال فما هو إلا أن قدم المدينة حتى قتل ابن عنبسة . قال أبو الفرج وحدثني محمد بن معن قال حدثني محمد بن عبد الله بن عمرو [صفحة ١٤١] بن عثمان قال استحلف أخى عبد الله بن الحسن داود بن علي و قد حج معه سنة اثنتين وثلاثين ومائة بطلاق امرأته مليكة بنت داود بن الحسن ألا يقتل أخويه محمدا والقاسم ابني عبد الله بن عمرو بن عثمان قال فكنيت أختلف إليه آمنا و هو يقتل بنى أمية و كان يكره أن يراني أهل خراسان و لا يستطيع إلى سيلا ليمينه فاستدناني يوما فدنوت منه فقال ما أكثر الغفلة وأقل الحزمة فأخبرت بها أخى عبد الله بن الحسن فقال يا ابن أم تغيب عن الرجل وأقل عنه فتغيب حتى مات . قلت إلا أن ذلك الدين الذي لم يقضه داود قضاه أبو جعفر المنصور . و روى أبو الفرج في الكتاب المذكور أن سديفا أنشد أبا العباس وعنده رجال من بنى أمية فقال يا ابن عم النبي أنت ضياء || استبنا بك اليقين الجليا فلما بلغ قوله جرد السيف و ارفع العفو حتى || لا ترى فوق ظهرها أمويا قطن البغض في القديم وأضحى || ثابتا في قلوبهم مطويا وهي طويلة فقال أبو العباس ياسديف خلق الإنسان من عجل ثم أنشد أبو العباس متمثلا أحيا الضغائن آباء لنا سلفوا || فلن تبيد وللآباء أبناء [صفحة ١٤٢] ثم أمر بمن عنده فقتلوا . و روى أبو الفرج أيضا عن علي بن محمد بن سليمان النوفلي عن أبيه عن عمومته أنهم حضروا سليمان بن علي بالبصرة و قد حضر جماعة من بنى أمية عنده عليهم الثياب الموشاة المرتفعة قال أحد الرواة المذكورين فكأنني أنظر إلى أحدهم و قد أسود

شيب في عارضيه من الغاليه فأمر بهم فقتلوا وجروا بأرجلهم فألقوا على الطريق و إن عليهم لسراويلات الوشى والكلاب تجرهم بأرجلهم . وروى أبو الفرج أيضا عن طارق بن المبارك عن أبيه قال جاءني رسول عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان قال يقول لك عمرو قد جاءت هذه الدوله و أنا حديث السن كثير العيال منتشر الأموال فما أكون في قبيله إلا شهر أمرى وعرفت و قد عزمت على أن أخرج من الاستتار وأفدى حرمى بنفسى و أنا صائر إلى باب الأمير سليمان بن على فصر إلى فوافيته فإذا عليه طيلسان أبيض مطبق وسراويل وشى مسدول فقلت ياسبحان الله ماتصنع الحداثه بأهلها أبهذا اللباس تلقى هؤلاء القوم لماتريد لقاءهم فيه فقال لا والله ولكن ليس عندى ثوب إلا شهر مما ترى فأعطيته طيلسانى وأخذت طيلسانه ولويت سراويله إلى ركبتيه فدخل إلى سليمان ثم خرج مسرورا فقلت له حدثنى ماجرى بينك وبين الأمير قال دخلت عليه و لم يرنى قط فقلت أصلح الله الأمير لفظتنى البلاد إليك ودلنى فضلك [صفحة ١٤٣] عليك إما قتلتنى غانما وإما أمنتنى سالما فقال و من أنت حتى أعرفك فانتسبت له فقال مرحبا بك اقعده فتكلم سالما آمنا ثم أقبل على فقال حاجتك يا ابن أخى فقلت إن الحرم اللواتى أنت أقرب الناس إليهن معنا وأولى الناس بهن بعدنا قد خفن لخوفنا و من خاف خيف عليه فو الله ماأجانبى إلا بدموعه على خديه ثم قال يا ابن أخى يحقن الله دمك ويحفظك فى حرمك ويوفر عليك مالك فو الله لو أمكنتى ذلك فى جميع قومك لفعلت فكن متواريا كظاهر وآمنا كخائف ولتأتى رقا عك قال فو الله لقد كنت أكتب إليه كما يكتب الرجل إلى أبيه وعمه قال فلما فرغ من الحديث رددت عليه طيلسانه فقال مهلا- فإن ثيابنا إذا فارقتنا لم ترجع إلينا. وروى أبو الفرج الأصفهاني قال أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن عمر بن شبة قال قال سديف لأبى العباس يحضه على بنى أمية ويذكر من قتل مروان وبنو أمية من أهله كيف بالعمو عنهم وقديما || قتلوكم وهتكوا الحرمات أين زيد وأين يحيى بن زيد || يالها من مصيبة وترات والإمام الذى أصيب بحران || إمام الهدى ورأس الثقات قتلوا آل أحمد لاعفا الذنب || لمروان غافر السيئات . قال أبو الفرج وأخبرنى على بن سليمان الأخفش قال أنشدنى محمد بن يزيد المبرد لرجل من شيعة بنى العباس يحضهم على بنى أمية [صفحة ١٤٤] إياكم أن تلبنوا لاعتذارهم || فليس ذلك إلا الخوف والطمع لو أنهم أمنوا أبدوا عداوتهم || لكنهم قمعوا بالذل فانقمعوا أليس فى ألف شهر قدمضت لهم || سقيتم جرعا من بعدها جرع حتى إذا ما انقضت أيام مدتهم || متوا إليكم بالأرحام التى قطعوا هيهات لا بد أن يسقوا بكأسهم || ربا و أن يحصدوا الزرع الذى زرعوا إنا وإخواننا الأنصار شيعتكم || إذا تفرقت الأهواء والشيع . قال أبو الفرج وروى ابن المعتز فى قصة سديف مثل ما ذكرناه من قبل إلا أنه قال فيها فلما أنشده ذلك التفت إليه أبو الغمر سليمان بن هشام فقال يماص بظر أمه أتجبهنا بمثل هذا ونحن سروات الناس فغضب أبو العباس و كان سليمان بن هشام صديقه قديما وحديثا يقضى حوائجه فى أيامهم ويبره فلم يلتفت إلى ذلك وصاح بالخراسانية خذوهم فقتلوهم جميعا لإسليمان بن هشام فأقبل عليه أبو العباس فقال يا أبا الغمر ما أرى لك فى الحياة بعدهؤلاء خيرا قال لا والله قال فاقتلوه و كان إلى جنبه فقتل وصلبوا فى بستانه حتى تأذى جلساؤه بريحهم فكلموه فى ذلك فقال والله إن ريحهم عندى لألذ وأطيب من ريح المسك والعنبر غيظا عليهم وحنقا. قال أبو الفرج و كان أبو سعيد مولى فائد من موالىهم يعد فى موالى عثمان بن عفان واسم أبى سعيد ابراهيم و هو من شعرائهم الذين رثوهم وبكوا على دولتهم وأيامهم فمن شعره بعد زوال أمرهم [صفحة ١٤٥] بكيت و ماذا يرد البكاء || وقل البكاء لقتلى كداء أصيبوا معا فقتلوا معا || كذلك كانوا معا فى رخاء بكت لهم الأرض من بعدهم || وناحت عليهم نجوم السماء وكانوا ضياء فلما انقضى || الزمان بقومى تولى الضياء . و من شعره فيهم أثر الدهر فى رجالى فقلوا || بعد جمع فراح عظمى مهيبا ماتذكرتهم فتملك عيني || فيض دمع وحق لى أن تفيضا و من شعره فيهم أولئك قومى بعد عز و ثروة || تداعوا فإلا تذر فى العين أكمده كأنهم لأناس للموت غيرهم || و إن كان فيهم منصف غير معتد و قال أبو الفرج ركب المأمون بدمشق يتصيد حتى بلغ جبل الثلج فوقف فى بعض الطريق على بركة عظيمة فى جوانبها أربع سروات لم ير أحسن منها فنزل هناك

وجعل ينظر إلى آثار بني أمية ويعجب منها ويذكرهم ثم دعا بطبق عليه طعام فأكل وأمر علوية فغنى أولئك قومي بعد عز ومنعه

|| تفانوا فإلا تذر العين أكمد و كان علوية من موالى بني أمية فغضب المأمون و قال يا ابن الفاعلة ألم يكن لك وقت تبكى فيه على قومك إلا- هذا الوقت قال كيف لا- أبكى عليهم ومولا- كم زرياب كان فى أيام دولتهم يركب معهم فى مائة غلام و أنامولاهم معكم أموت جوعا فقام المأمون [صفحة ١٤٦] فركب وانصرف الناس و غضب على علوية عشرين يوما و كلم فيه فرضى عنه و وصله بعشرين ألف درهم . لما ضرب عبد الله بن على أعناق بني أمية قال له قائل من أصحابه هذا و الله جهد البلاء فقال عبد الله كلا ما هذا و شرطه حجام إلا سواء إنما جهد البلاء فقر مدقع بعد غنى موسع . خطب سليمان بن على لما قتل بني أمية بالبصرة فقال و لقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون قضاء فصل و قول مبرم فالحمد لله الذى صدق عبده و أنجز وعده و بعدا للقوم الظالمين الذين اتخذوا الكعبة غرضا و الدين هزوا و الفىء إرثا و القرآن عشرين لقد حاق بهم ما كانوا به يستهزئون و كأين ترى لهم من بئر معطلة و قصر مشيد ذلك بما قدمت أيديهم و ماربك بظلام للعبيد أمهلهم حتى اضطهدوا العترة و نبذوا السنة و استفتحو و خاب كل جبار عنيد ثم أخذهم فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا . ضرب الوليد بن عبد الملك على بن عبد الله بن العباس بالسياط و شهره بين الناس يدار به على بعير و وجهه مما يلى ذنب البعير و صائح يصيح أمامه هذا على بن عبد الله الكذاب فقال له قائل و هو على تلك الحال ما الذى نسبوك إليه من الكذب يا أبا محمد قال بلغهم قولى إن هذا الأمر سيكون فى ولدى و الله ليكون فىهم -قرآن- ٣٢٨-٤٢٠ [صفحة ١٤٧] حتى يملكه عبيدهم الصغار العيون العراض الوجوه الذين كان وجوههم المجان المطرقة . و روى أن على بن عبد الله دخل على هشام و معه ابنا ابنة الخليفةان أبو العباس و أبو جعفر فكلمه فيما أراد ثم ولى فقال هشام إن هذا الشيخ قد خرف و أهرت يقول إن هذا الأمر سينتقل إلى ولده فسمع على بن عبد الله كلامه فالتفت إليه و قال إى و الله ليكون ذلك و ليملكن هذان . و قدروى أبو العباس المبرد فى كتاب الكامل هذا الحديث فقال دخل على بن عبد الله بن العباس على سليمان بن عبد الملك فيما رواه محمد بن شجاع البلخى و معه ابنا ابنة الخليفةان بعد أبو العباس و أبو جعفر فأوسع له على سريره و بره و سأله عن حاجته فقال ثلاثون ألف درهم على دين فأمر بقضائها قال و استوص بابنى هذين خيرا ففعل فشكره على بن عبد الله و قال و صلتك رحم فلما ولى قال سليمان لأصحابه إن هذا الشيخ قد اختل و أسن و خلط و صار يقول إن هذا الأمر سينتقل إلى ولده فسمع ذلك على بن عبد الله فالتفت إليه و قال إى و الله ليكون ذلك و ليملكن هذان . قال أبو العباس المبرد و فى هذه الرواية غلط لأن الخليفة فى ذلك الوقت لم يكن سليمان وإنما ينبغى أن يكون دخل على هشام لأن محمد بن على بن عبد الله بن العباس كان يحاول الترويج فى بنى الحارث بن كعب و لم يكن سليمان بن عبد الملك يأذن له فلما قام عمر بن عبد العزيز جاء فقال إنى أردت أن أتزوج ابنة خالى من بنى الحارث [صفحة ١٤٨] بن كعب فتأذن لى فقال عمر بن عبد العزيز تزوج يرحمك الله من أحببت فتزوجها فأولدها أبو العباس السفاح و عمر بن عبد العزيز بعد سليمان و أبو العباس ينبغى ألا- يكون تهيأ لمثله أن يدخل على خليفة حتى يترعرع و لا يتم مثل هذا إلا فى أيام هشام بن عبد الملك . قال أبو العباس المبرد و قد جاءت الرواية أن أمير المؤمنين عليا ع لما ولد لعبد الله بن العباس مولود فقده وقت صلاة الظهر فقال ما بال ابن العباس لم يحضر قالوا ولد له ولد ذكر يا أمير المؤمنين قال فامضوا بنا إليه فأتاه فقال له شكرت الواهب و بورك لك فى الموهوب ما سميته فقال يا أمير المؤمنين أ و يجوز لى أن أسميه حتى تسميه فقال أخرجه إلى فأخرجه فأخذه فحنكه و دعا له ثم رده إليه و قال خذ إليك أبا الأملك قد سميته عليا و كنيته أبا الحسن -رواية- ١-٢-رواية- ٢٦-٤٦١ قال فلما قدم معاوية خليفة قال لعبد الله بن العباس لا أجمع لك بين الاسم و الكنية قد كنيته أبا محمد فجرت عليه . قلت سألت النقيب أبا جعفر يحيى بن محمد بن أبى زيد رحمه الله تعالى فقلت له من أى طريق عرف بنو أمية أن الأمر سينتقل عنهم و أنه سليله بنو هاشم و أول من يلى منهم يكون اسمه عبد الله و لم منعوهم عن مناكحة بنى الحارث بن كعب لعلمهم أن أول من يلى

الأمر من بنى هاشم تكون أمه حارثية وبأى طريق عرف بنو هاشم أن الأمر سيصير إليهم ويملكه عبيد أولادهم حتى عرفوا صاحب الأمر بعينه كما قد جاء فى هذا الخبر [صفحة ١٤٩] فقال أصل هذا كله محمد بن الحنفية ثم ابنه عبد الله المكنى أباهاشم . قلت له أفكان محمد بن الحنفية مخصوصا من أمير المؤمنين ع يعلم يستأثر به على أخويه حسن وحسين ع قال لا ولكنهما كتما وأذاع ثم قال قد صحت الرواية عندنا عن أسلافنا و عن غيرهم من أرباب الحديث أن عليا ع لما قبض أتى محمد ابنه أخويه حسنا وحسينا ع فقال لهما أعطيانى ميراثى من أبى فقالا له قد علمت أن أباك لم يترك صفراء ولا بيضاء فقال قد علمت ذلك وليس ميراث المال أطلب إنما أطلب ميراث العلم . قال أبو جعفر رحمه الله تعالى فروى أبان بن عثمان عن يروى له ذلك عن جعفر بن محمد ع قال فدفعنا إليه صحيفة لو أطلعاه على أكثر منها لهلك فيها ذكر دولة بنى العباس -رواية ١-٢-رواية ١٠٢-١٧٥ . قال أبو جعفر و قد روى أبو الحسن على بن محمد النوفلى قال حدثنى عيسى بن على بن عبد الله بن العباس قال لما أردنا الهرب من مروان بن محمد لما قبض على إبراهيم الإمام جعلنا نسخة الصحيفة التى دفعها أبو هاشم بن محمد بن الحنفية إلى محمد بن على بن عبد الله بن العباس وهى التى كان آباؤنا يسمونها صحيفة الدولة فى صندوق من نحاس صغير ثم دفناه تحت زيتونات بالشراة لم يكن بالشراة من الزيتون غيرهن فلما أفضى السلطان إلينا وملكنا الأمر أرسلنا إلى ذلك الموضوع فبحث وحفر فلم يوجد فيه شىء فأمرنا بحفر جريب من الأرض فى ذلك الموضوع حتى بلغ الحفر الماء و لم نجد شيئا . قال أبو جعفر و قد كان محمد بن الحنفية صرح بالأمر لعبد الله بن العباس وعرفه تفصيله و لم يكن أمير المؤمنين ع قد فصل لعبد الله بن العباس الأمر وإنما أخبره به [صفحة ١٥٠] مجملا كقوله فى هذا الخبر خذ إليك أبا الأملاك ونحو ذلك مما كان يعرض له به ولكن الذى كشف القناع وأبرز المستور عليه هو محمد بن الحنفية . وكذلك أيضا ما وصل إلى بنى أمية من علم هذا الأمر فإنه وصل من جهة محمد بن الحنفية وأطلعهم على السر الذى علمه ولكن لم يكشف لهم كشفه لبنى العباس فإن كشفه الأمر لبنى العباس كان أكمل . قال أبو جعفر فأما أبو هاشم فإنه قد كان أفضى بالأمر إلى محمد بن على بن عبد الله بن العباس وأطلععه عليه وأوضحه له فلما حضرته الوفاة عقيب انصرافه من عند الوليد بن عبد الملك مر بالشراة وهو مريض و محمد بن على بهافدفع إليه كتبه وجعله وصيه وأمر الشيعة بالاختلاف إليه . قال أبو جعفر وحضر وفاة أبى هاشم ثلاثة نفر من بنى هاشم محمد بن على هذا ومعاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب و عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب فلما مات خرج محمد بن معاوية بن عبد الله بن جعفر من عنده و كل واحد منهما يدعى وصايته فأما عبد الله بن الحارث فلم يقل شيئا . قال أبو جعفر رحمه الله تعالى وصدق محمد بن على أنه إليه أوصى أبو هاشم و إليه دفع كتاب الدولة وكذب معاوية بن عبد الله بن جعفر لكنه قرأ الكتاب فوجد لهم فيه ذكرا يسيرا فادعى الوصية بذلك فمات وخرج ابنه عبد الله بن معاوية يدعى وصاية أبيه ويدعى لأبيه وصاية أبى هاشم ويظهر الإنكار على بنى أمية و كان له فى ذلك شيعة يقولون بإمامته سرا حتى قتل . دخلت إحدى نساء بنى أمية على سليمان بن على و هو يقتل بنى أمية بالبصرة [صفحة ١٥١] فقالت أيها الأمير إن العدل ليمل من الإكثار منه والإسراف فيه فكيف لاتمل أنت من الجور وقطيعة الرحم فأطرق ثم قال لها سننتم علينا القتل لاتنكرونه || فذوقوا كما ذقنا على سالف الدهر ثم قال يأمة الله وأول راض سنه من يسيرها . أ لم تحاربوا عليا وتدفعوا حقه أ لم تسموا حسنا وتنقضوا شرطه أ لم تقتلوا حسينا وتسيروا رأسه أ لم تقتلوا زيدا وتصلبوا جسده أ لم تقتلوا يحيى وتمثلوا به أ لم تلعنوا عليا على منابركم أ لم تضربوا أبانا على بن عبد الله بسياطكم أ لم تخنقوا الإمام بجراب النورة فى حبسكم ثم قال أ لك حاجة قالت قبض عمالك أموالى فأمر برد أموالها عليها . لماسار مروان إلى الزاب حفر خندقا فسار إليه أبو عون عبد الله بن يزيد الأزدي و كان قحطبة بن شبيب قد وجهه وأمد أبو سلمة الخلال بأمداد كثيرة فكان بإزاء مروان ثم إن أبا العباس السفاح قال لأهله و هو بالكوفة حينئذ من يسير إلى مروان من أهل بيتى و له ولاية العهد إن قتله فقال عبد الله عمه أنا قال سر على بركة الله فسار فقدم على أبى عون فتحول له أبو عون عن سرادقه وخلاه

له بما فيه ثم سأل عبد الله عن مخاضه في الزاب فدل عليها فأمر قائدا من قواده فعبرها في خمسة آلاف فأنتهى إلى عسكر مروان فقاتلهم حتى أمسوا وتحاجزوا ورجع القائد بأصحابه فعبير المخاضه إلى عسكر عبد الله بن علي وأصبح مروان فعقد جسرا وعبر بالجيش كله إلى [صفحة ١٥٢] عبد الله بن علي فكان ابنه عبد الله بن مروان في مقدمته و علي الميمنه الوليد بن معاوية بن عبد الملك بن مروان و علي الميسره عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز بن مروان وعبأ عبد الله بن علي جيشه وتراءى الجمعان فقال مروان لعبد العزيز بن عمر انظر فإن زالت الشمس اليوم و لم يقاتلونا كنا نحن الذين ندفعها إلى عيسى ابن مريم و إن قاتلونا قبل الزوال فإننا لله و إنما إليه راجعون ثم أرسل إلى عبد الله بن علي يسأله الكف عن القتال نهار ذلك اليوم فقال عبد الله كذب ابن زربي إنما يريد المدافعة إلى الزوال لا والله لا تزول الشمس حتى أوطئه الخيل إن شاء الله ثم حرك أصحابه للقتال فنأدى مروان في أهل الشام لا تبدء وهم بالحرب فلم يسمع الوليد بن معاوية منه وحمل على ميسره عبد الله بن علي فغضب مروان و شتمه فلم يسمع له واضطرت الحرب فأمر عبد الله الرماة أن ينزلوا ونأدى الأرض الأرض فنزل الناس و رمت الرماة وأشرفت الرماح وجثوا على الركب فاشتد القتال فقال مروان لقضاعه انزلوا قالوا حتى تنزل كنده فقال لكنده انزلوا فقالوا حتى تنزل السكاسك فقال لبنى سليم انزلوا فقالوا حتى تنزل عامر فقال لتميم احملا فقالوا حتى تحمل بنو أسد فقال لهوازن احملا فقالوا حتى تحمل غطفان فقال لصاحب شرطته احملا ويلك قال ما كنت لأجعل نفسي غرضا قال أما والله لأسوأئك قال وددت أن أمير المؤمنين يقدر على ذلك فانهمز عسكر مروان وانهمز مروان معهم وقطع الجسر فكان من هلك غرقا أكثر ممن هلك تحت السيف واحتوى عبد الله بن علي على عسكر مروان بما فيه وكتب إلى أبي العباس يخبره الواقعة. كان مروان سديد الرأي ميمون النقيبه حازما فلما ظهرت المسودة ولقيهم كان [صفحة ١٥٣] ما يدبر أمرا إلا- كان فيه خلل ولقد وقف يوم الزاب وأمر بالأموال فأخرجت و قال للناس اصبروا وقاتلوا و هذه الأموال لكم فجعل ناس يصيبون من ذلك المال ويشغلون به عن الحرب فقال لابنه عبد الله سر في أصحابك فامنع من يتعرض لأخذ المال فمال عبد الله برايته ومعه أصحابه فتنأدى الناس الهزيمة الهزيمة فانهمزوا وركب أصحاب عبد الله بن علي أكتافهم . لما قتل مروان ببوصير قال الحسن بن قحطبه أخرجوا إلى إحدى بنات مروان فأخرجوها إليه وهي ترعد قال لا بأس عليك قالت و أي بأس أعظم من إخراجك إياي حاسره و لم أر رجلا قبلك قط فأجلسها ووضع رأس مروان في حجرها فصرخت واضطربت فقيل له ما أردت بهذا قال فعلت بهم فعلهم يزيد بن علي لما قتلوه جعلوا رأسه في حجر زينب بنت علي بن الحسين ع . دخلت زوجة مروان بن محمد وهي عجوز كبيرة على الخيزران في خلافة المهدي وعندها زينب بنت سليمان بن علي فقالت لها زينب الحمد لله الذي أزال نعمتك وصيرك عبرة أتذكرين يا عدوة الله حين أتاك نساؤنا يسألنك أن تكلمى صاحبك في أمر ابراهيم بن محمد فلقيتهن ذلك اللقاء وأخرجتهن ذلك الإخراج فضحكت وقالت أي بنت عمى و أي شيء أعجبك من حسن صنيع الله بي عقيب ذلك حتى أردت أن تتأسى بي فيه ثم ولت خارجه. بويج أبو العباس السفاح بالخلافة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلون من شهر ربيع [صفحة ١٥٤] الأول سنة اثنتين وثلاثين ومائة فصعد المنبر بالكوفة فخطب فقال الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه وكرمه وشرفه وعظمه واختاره لنا وأيده بنا وجعلنا أهله وكهفه وحصنه والقوام به والذابين عنه والناصرين له وخصنا برحم رسول الله ص وأنبتنا من شجرته واشتقنا من نبعته وأنزل بذلك كتابا يتلى فقال سبحانه قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة في القربى فلما قبض رسول الله ص قام بالأمر أصحابه و أمرهم شورى بينهم فعدلوا وخرجوا خماصا ثم وثب بنو حرب وبنو مروان فابتزوها وتداولوها واستأثروا بها وظلموا أهلها فأملى الله لهم حيناً فلما آسفوه انتقم منهم بأيدينا ورد علينا حقنا فأنا السفاح المبيح والناثر المبير. و كان موعوكا فاشتدت عليه الوعكة فجلس على المنبر و لم يستطع الكلام فقام عمه داود بن علي و كان بين يديه فقال يا أهل العراق إنا والله ما خرجنا لنحفر نهرا و لالكنتر لجينا و لاعقيانا وإنما أخرجتنا الأنفة من ابتزاز الظالمين حقنا ولقد كانت أموركم تتصل بنا فترمضنا ونحن على فرشنا لكم ذمة الله وذمة رسوله وذمة العباس أن

نحكم فيكم بما أنزل الله ونعمل فيكم بكتاب الله ونسير فيكم بسنة رسول الله ص واعلموا أن هذا الأمر ليس بخارج عنا حتى نسلمه إلى عيسى ابن مريم . قرآن- ٣٢١-٣٨١-قرآن-٤٢٦-٤٥١ [صفحہ ١٥٥] يا أهل الكوفة إنه لم يخطب على منبركم هذا خليفة حق إلا على بن أبي طالب و أمير المؤمنين هذا فأحمد الله الذي رد إليكم أموركم ثم نزل . و قد روى حديث خطبة داود بن علي برواية أخرى وهي الأشهر قالوا لما سعد أبو العباس منبر الكوفة حصر فلم يتكلم فقام داود بن علي و كان تحت منبره حتى قام بين يديه تحته بمرقاء فاستقبل الناس و قال أيها الناس إن أمير المؤمنين يكره أن يتقدم قوله فعله ولأثر الفعال أجدى عليكم من تشقيق المقال وحسبكم كتاب الله تمثالا فيكم و ابن عم رسول الله ص خليفة عليكم أقسم بالله قسما برا مقام هذا المقام أحد بعد رسول الله ص أحق به من علي بن أبي طالب و أمير المؤمنين هذا فليهمس هامسكم و لينطق ناطقكم ثم نزل . و من خطب داود التي خطب بها بعد قتل مروان شكرا شكرا أظن عدو الله أن لن يظفر به أرخي له في زمامه حتى عشر في فضل خطابه فالآن عاد الحق إلى نصابه و طلعت الشمس من مطلعها وأخذ القوس باريها و صار الأمر إلى النزعة و رجع الحق إلى مستقره أهل بيت نبيكم أهل الرأفة والرحمة . و خطب عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس لما قتل مروان فقال الحمد لله الذي لا يفوته من طلب و لا يعجزه من هرب خدعت و الله الأشقر نفسه إذ ظن أن الله ممهله و يأبى الله إلا أن يتم نوره و لو كره الكافرون فحتى متى و إلى متى [صفحہ ١٥٦] أما و الله لقد كرهتهم العيدان التي افترعوها و أمسكت السماء درها و الأرض ريعها و قحل الضرع و جفز الفنيق و أسمل جلاب الدين و أبطلت الحدود و أهدرت الدماء و كان ربك بالمرصاد فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها و لا يخاف عقباها و ملكنا الله أمركم عباد الله لينظر كيف تعملون فالشكر الشكر فإنه من دواعي المزيد أعاذنا الله و إياكم من مضلات الأهواء و بغيات الفتن فإنما نحن به و له . لما أمعن داود بن علي في قتل بنى أمية بالحجاز قال له عبد الله بن الحسن ع يا ابن عمي إذا فرطت في قتل أكفائك فمن تباهى بسطانك و ما يكفيك منهم أن يروك غاديا و رائحا فيما يسرك و يسوءهم كان داود بن علي يمثل بنى أمية يسمل العيون و يبقر البطون و يجدع الأنوف و يعضطم الأذان كان عبد الله بن علي بنهر أبي فطرس يصلبهم منكسين و يسقيهم النورة و الصبر و الرماد و الخل و يقطع الأيدي و الأرجل و كان سليمان بن علي بالبصرة يضرب الأعناق . خطب السفاح في الجمعة الثانية بالكوفة فقال [صفحہ ١٥٧] يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود و الله لا أعدكم شيئا و لا أتوعدكم إلا الوفاء بالوعد و الوعيد و لا عملن اللين حتى لا تنفع إلا الشدة و لأغمدن السيف إلا في إقامة حد أو بلوغ حق و لأعطينكم حتى أرى العطيء ضياعا إن أهل بيت اللعنة و الشجرة الملعونة في القرآن كانوا لكم أعداء لا يرجعون معكم من حالة إلا- إلى ما هو أشد منها و لا يلي عليكم منهم و ال إنتميتم من كان قبله و إن كان لاخير في جميعهم منعوكم الصلاة في أوقاتها و طالبوكم بأدائها في غير وقتها و أخذوا المدبر بالمقبل و الجار بالجار و سلطوا شراركم على خياركم فقد محق الله جورهم و أزرق باطلهم بأهل بيت نبيكم فما تؤخر لكم عطاء و لا نضيع لأحد منكم حقا و لا نجهزكم في بعث و لا نخطر بكم في قتال و لا نبذلكم دون أنفسنا و الله على ما نقول وكيل بالوفاء و الاجتهاد و عليكم بالسمع و الطاعة . ثم نزل . كان يقال لو ذهبت دولة بنى أمية على يد غير مروان بن محمد لقليل لو كان لها مروان لما ذهبت . كان يقال إن دولة بنى أمية آخرها خليفة أمه أمه فلذلك كانوا لا يعهدون إلى بنى الإمام منهم و لو عهدوا إلى ابن أمه لكان مسلمة بن عبد الملك أولاهم بها و كان انقراض أمرهم على يد مروان و أمه أمه كانت لمصعب بن الزبير و هبها من ابراهيم بن الأشتر فأصابها محمد بن مروان يوم قتل ابن الأشتر فأخذها من ثقله فقيل إنها كانت حاملا بمروان فولدته على فراش محمد بن مروان ولذلك كان أهل خراسان ينادونه في الحرب يا ابن الأشتر. قيل أيضا إنها كانت حاملا به من مصعب بن الزبير و إنه لم تطل مدتها عند [صفحہ ١٥٨] ابراهيم بن الأشتر حتى قتل فوضعت حملها على فراش محمد بن مروان ولذلك كانت المسودة تصيح به في الحرب يا ابن مصعب ثم يقولون يا ابن الأشتر فيقول ما أبالي أى الفحلين غلب على لما بويع أبو العباس جاءه ابن عياش المنتوف فقبل يده و بايعه و قال الحمد لله الذي أبدلنا بحمار الجزيرة و ابن

أمة النخع ابن عم رسول الله ص و ابن عبدالمطلب . لماصعد السفاح منبر الكوفة يوم بيعته وخطب الناس قام إليه السيد الحميرى فأنشده دونكموها يا بنى هاشم || فجددوا من آيها الطامسا دونكموها لاعلا كعب من || أمسى عليكم ملكها نافسا دونكموها فالبسوا تاجها || لاتعدموا منكم له لابساً خلافة الله وسلطانه || وعنصر كان لكم دارسا قدساسها من قبلكم ساسه || لم يتركوا رطبا ولا يابساً لوخير المنبر فرسانه || مااختار إلا منكم فارسا والملك لوشور في سائس || لماارتضى غيركم سائسا لم يبق عبد الله بالشام من || آل أبى العاص امرأ عاطسا فلسنت من أن تملكوها إلى || هبوط عيسى منكم آيسا . قال داود بن علي لإسماعيل بن عمرو بن سعيد بن العاص بعدقتله من قتل من بنى [صفحه ١٥٩] أمية هل علمت ما فعلت بأصحابك قال نعم كانوا يدا فقطعتها وعضدا ففتت فيها ومرة فنقضتها وجناحا فحصصتها قال إنى لخليق أن ألحقك فيهم قال إنى إذالسعيد . لمااستوثق الأمر لأبى العباس السفاح وفد إليه عشرة من أمراء الشام فحلفوا له بالله وبطلاق نسائهم وبأيمان البيعة بأنهم لايعلمون إلى أن قتل مروان أن لرسول الله ص أهلا ولاقراة إلا بنى أمية . وروى أبو الحسن المدائنى قال حدثنى رجل قال كنت بالشام فجعلت لأسمع أحدا يسمى أحدا أويناديه يا على أو يا حسن أو يا حسين وإنما أسمع معاوية والوليد ويزيد حتى مررت برجل فاستسقيته ماء فجعل ينادى يا على يا حسن يا حسين فقلت يا هذا إن أهل الشام لايسمون بهذه الأسماء قال صدقت إنهم يسمون أبناءهم بأسماء الخلفاء فإذا لعن أحدهم ولده أو شتمه فقد لعن اسم بعدالخلفاء و أناسميت أولادى بأسماء أعداء الله فإذا شتمت أحدهم أولعنته فإنما ألعن أعداء الله . كانت أم ابراهيم بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس أموية من ولد عثمان بن عفان . قال ابراهيم فدخلت على جدى عيسى بن موسى مع أبى موسى فقال لى جدى أتحب بنى أمية فقال له موسى أبى نعم إنهم أخواله فقال والله لورأيت جدك [صفحه ١٦٠] على بن عبد الله بن العباس يضرب بالسياط ماأحبيتهم و لورأيت ابراهيم بن محمد يكره على إدخال رأسه فى جراب النورة لماأحبيتهم وسأحدثك حديثا إن شاء الله أن ينفعك به نفعك لماوجه سليمان بن عبدالمملك ابنه أيوب بن سليمان إلى الطائف وجه معه جماعة فكنت أنا و محمد بن على بن عبد الله جدى معهم و أناحينئذ حديث السن و كان مع أيوب مؤدب له يؤدبه فدخلنا عليه يوما أنا وجدى و ذلك المؤدب يضربه فلما رأنا الغلام أقبل على مؤدبه فضربه فنظر بعضنا إلى بعض وقلنا ما له قاتله الله حين رأنا كره أن نشمت به ثم التفت أيوب إلينا فقال أ لاأخبركم يا بنى هاشم بأعقلكم وأعقلنا من نشأ منا ييغضكم وأعقلكم من نشأ منكم ييغضنا وعلامة ذلك أنكم لم تسموا بمروان ولا الوليد ولا عبدالمملك و لم نسّم نحن بعلى ولا بحسن ولا بحسين . لما انتهى عامر بن إسماعيل و كان صالح بن على قدأنفذه لطلب مروان إلى بوصير مصر هرب مروان بين يديه فى نفر يسير من أهله وأصحابه و لم يكن قدتخلف معه كثير عدد فانتهاوا فى غبش الصبح إلى قنطرة هناك على نهر عميق ليس للخييل عبور إلا على تلك القنطرة و عامر بن إسماعيل من ورائهم فصادف مروان على تلك القنطرة بغالا قداستقبلته تعبر القنطرة وعليها زقاق عسل فحبسته عن العبور حتى أدركه عامر بن إسماعيل ورهقه فلوى مروان دابته إليهم و حارب فقتل فلما بلغ صالح بن على ذلك قال إن لله جنودا من عسل . لما نقف رأس مروان ونفض مخه قطع لسانه وألقى مع لحم عنقه فجاء كلب فأخذ اللسان فقال قائل [صفحه ١٦١] إن من عبر الدنيا أن رأينا لسان مروان فى فم كلب . خطب أبو مسلم بالمدينة فى السنة التى حج فيها فى خلافة السفاح فقال الحمد لله الذى حمد نفسه واختار الإسلام دينا لعباده ثم أوحى إلى محمد رسول الله ص من ذلك ما أوحى واختاره من خلقه نفسه من أنفسهم وبيته من بيوتهم ثم أنزل عليه فى كتابه الناطق الذى حفظه بعلمه وأشهد ملائكته على حقه قوله إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ثم جعل الحق بعد محمد ع فى أهل بيته فصبر من صبر منهم بعد وفاة رسول الله ص على اللأواء والشدة وأغضى على الاستبداد والأثرة ثم إن قوما من أهل بيت الرسول ص جاهدوا على مله نبيه وسنته بعد عصر من الزمان من عمل بطاعة الشيطان وعداوة الرحمن بين ظهرا نى قوم آثروا العاجل على الآجل والفانى على الباقي إن رتق جور فتقوه أوفتق حق

رتقوه أهل خمور وماخور وطناير ومزامير إن ذكروا لم يذكروا أوقدموا إلى الحق أدبروا وجعلوا الصدقات فى الشبهات والمغانم فى المحارم والفيء فى الغى هكذا كان زمانهم و به كان يعمل سلطانهم وزعموا أن غير آل محمد أولى بالأمر منهم فلم وبم أيها الناس ألكم الفضل بالصحابه دون ذوى القرابه الشركاء فى النسب والورثه فى السلب مع ضربهم على الدين جاهلكم وإطعامهم فى الجذب جائعكم و الله ما اخترتم من حيث اختار الله لنفسه ساعه قط و ما زلت بعدنيه تختارون تيميا مره وعدويا مره وأمويا مره وأسديا مره وسفانيا مره ومروانيا مره -قرآن- ٣٦٢-٤٤٧ [صفحه ١٦٢] حتى جاءكم من لا تعرفون اسمه ولايته يضربكم بسيفه فأعطيتموها عنوه وأنتم صاغرون ألا- إن آل محمد أئمة الهدى ومنار سبيل التقى القاده الذاده الساده بنو عم رسول الله ومنزل جبريل بالتنزيل كم قسم الله بهم من جبار طاغ وفاسق باغ شيد الله بهم الهدى وجلا بهم العمى لم يسمع بمثل العباس وكيف لا تخضع له الأمم لواجب حق الحرمة أبو رسول الله بعد أبيه وإحدى يديه وجلده بين عينيه أمينه يوم العقبه وناصره بمكه ورسوله إلى أهلها وحاميه يوم حنين عند ملتقى الفتيين لا يخالف له رسما ولا يعصى له حكما الشافع يوم نيق العقاب إلى رسول الله فى الأحزاب ها إن فى هذا أيها الناس عبره لأولى الأبصار. قلت الأسدى عبد الله بن الزبير و من لا يعرفون اسمه ولايته يعنى نفسه لأنه لم يكن معلوم النسب وقد اختلف فيه هل هو مولى أم عربى. و يوم العقبه يوم مبايعه الأنصار السبعين لرسول الله ص بمكه و يوم نيق العقاب يوم فتح مكه شفع العباس ذلك اليوم فى أبى سفيان و فى أهل مكه فعفا النبى ص عنهم. اجتمع عند المنصور أيام خلافته جماعه من ولد أبيه منهم عيسى بن موسى والعباس بن محمد وغيرهما فتذاكروا خلفاء بنى أميه والسبب الذى به سلبوا عزهم فقال المنصور كان عبد الملك جبارا لا يبالى ماصنع و كان الوليد لحانا مجنونا و كان سليمان همته بطنه وفرجه و كان عمر أعور بين عميان و كان هشام رجل القوم و لم يزل بنو أميه ضابطين لمامهد لهم من السلطان يحوطونه ويصونونه ويحفظونه ويحرسون ما وهب الله لهم منه مع تسنمهم معالى الأمور ورفضهم أذانيها حتى أفضى أمرهم إلى أحداث مترفين من أبنائهم فغمطوا النعمه و لم يشكروا العافيه وأساءوا الرعايه فابتدأت النقمه منهم [صفحه ١٦٣] باستدراج الله إياهم آمنين مكره مطرحين صيانه الخلافة مستخفين بحق الرئاسه ضعيفين عن رسوم السياسه فسلبهم الله العزه وألبسهم الذله وأزال عنهم النعمه. سأل المنصور ليله عن عبد الله بن مروان بن محمد فقال له الربيع إنه فى سجن أمير المؤمنين حيا فقال المنصور قد كان بلغنى كلامه خاطبه به ملك النوبه لما قدم دياره و أنا أحب أن أسمع من فيه فليؤمر بإحضاره فأحضر فلما دخل خاطب المنصور بالخلافة فأمره المنصور بالجلوس فجلس وللقيد فى رجله خشخشه قال أحب أن تسمعنى كلاما قاله لك ملك النوبه حيث غشيت بلاده قال نعم قدمت إلى بلد النوبه فأقمت أياما فاتصل خبرنا بالملك فأرسل إلينا فرشا وبسطا وطعاما كثيرا وأفرد لنا منازل واسعة ثم جاءنى ومعه خمسون من أصحابه بأيديهم الحراب فقامت إليه فاستقبلته وتنحيت له عن صدر المجلس فلم يجلس فيه وقعد على الأرض فقلت له ما منعك من القعود على الفرش قال إنى ملك وحق الملك أن يتواضع لله ولعظمته إذ أراى نعمه متجدده عنده و لما رأيت تجدد نعمه الله عندى بقصدكم بلادى واستجارتكم بى بعد عزكم وملككم قابلت هذه النعمه بما ترى من الخضوع والتواضع ثم سكت وسكت فلبثنا ماشاء الله لا يتكلم و لا أتكلم وأصحابه قيام بالحراب على رأسه ثم قال لى لماذا شربتم الخمر وهى محرمة عليكم فى كتابكم فقلت اجترأ على ذلك عبيدنا بجهلهم قال فلم وطئتم الزروع بدوابكم والفساد محرم عليكم فى كتابكم ودينكم قلت فعل ذلك أتباعنا وعمالنا جهلا منهم قال فلم لبستم الحرير والديباج والذهب و هو محرم عليكم فى كتابكم ودينكم قلت استعنا فى أعمالنا بقوم من [صفحه ١٦٤] أبناء العجم كتاب دخلوا فى ديننا فلبسوا ذلك أتباعا لسنة سلفهم على كره منا فأطرق مليا إلى الأرض يقلب يده وينكت الأرض ثم قال عبيدنا وأتباعنا وعمالنا وكتابنا ما الأمر كما ذكرت ولكنكم قوم استحلتم ما حرم الله عليكم وركبتم ما عنه نهيتهم وظلمتم فيما ملكتم فسلبكم الله العز وألبسكم الذل و إن له سبحانه فيكم لنقمه لم تبلغ غايتها بعد و أنا خائف أن يحل بكم العذاب وأنتم بأرضى فينا لى معكم والضيافه ثلاث فاطلبوا ما احتجتم إليه وارتحلوا عن

أرضى. فأخذنا منه ماترودنا به وارتحلنا عن بلده فعجب المنصور لذلك وأمر بإعادته إلى الحبس . وقد جاءنا في بعض الروايات أن السفاح لما أراد أن يقتل القوم الذين انضموا إليه من بنى أمية جلس يوما على سرير بهاشمية الكوفة وجاء بنو أمية وغيرهم من بنى هاشم والقواد والكتاب فأجلسهم في دار تتصل بداره وبينه وبينهم ستر مسدول ثم أخرج إليهم أبا الجهم بن عطية ويده كتاب ملصق فنأدى بحيث يسمعون أين رسول الحسين بن علي بن أبي طالب ع فلم يتكلم أحد فدخل ثم خرج ثانيه فنأدى أين رسول زيد بن علي بن الحسين فلم يجبه أحد فدخل ثم خرج ثالثه فنأدى أين رسول يحيى بن زيد بن علي فلم يرد أحد عليه فدخل ثم خرج رابعه فنأدى أين رسول إبراهيم بن محمد الإمام والقوم ينظر بعضهم إلى بعض وقد أيقنوا بالشر ثم دخل وخرج فقال لهم إن أمير المؤمنين يقول لكم هؤلاء أهلى ولحمى لكم هؤلاء أهلى ولحمى فماذا صنعتم بهم ردوهم إلى أوقايدونى من أنفسكم فلم ينطقوا بحرف وخرجت الخراسانية بالأعمدة فشدخوهم عن آخرهم . [صفحہ ۱۶۵] قلت و هذا المعنى مأخوذ من قول الفضل بن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب لما قتل زيد بن علي ع في سنة اثنتين وعشرين ومائة في خلافة هشام بن عبد الملك و ذلك أن هشام كتب إلى عامله بالبصرة وهو القاسم بن محمد الثقفى أن يشخص كل من بالعراق من بنى هاشم إلى المدينة خوفا من خروجهم و كتب إلى عامل المدينة أن يجس قوما منهم و أن يعرضهم فى كل أسبوع مرة و يقيم لهم الكفلاء على ألا يخرجوا منها فقال الفضل بن عبد الرحمن له طويله كلما حدثوا بأرض نقيقا || ضمنونا السجن أوسيرونا أشخصونا إلى المدينة أسرى || لا كفاهم ربى الذى يحذروننا خلفوا أحمد المطهر فينا || بالذى لا يحب واستضعفونا قتلونا بغير ذنب إليهم || قاتل الله أمة قتلونا مارعوا حقنا و لاحفظوا فينا || وصاة الإله بالأقربينا جعلونا أدنى عدو إليهم || فهم فى دمائنا يسبحونا أنكروا حقنا و جاروا علينا || و على غير إحنة أبغضونا غير أن النبى منا و أنا || لم نزل فى صلاتهم راغبينا إن دعونا إلى الهدى لم يجيونا || وكانوا عن الهدى ناكبين أو أمرنا بالعرف لم يسمعوا منا || وردوا نصيحة الناصحينا و لقد ما رد نصح ذوى الرأى || فلم يتبعهم الجاهلونا فعسى الله أن يدل أناسا || من أناس فيصبحوا ظاهرينا فتقر العيون من قوم سوء || قد أخافوا و قتلوا المؤمنيننا [صفحہ ۱۶۶] ليت شعرى هل توجفن بى الخيل || عليها الكمأة مستلثميننا من بنى هاشم و من كل حى || ينصرون الإسلام مستنصرينا فى أناس آباؤهم نصروا الدين || وكانوا لربهم ناصرينا تحكم المرهفات فى الهام منهم || بأكف المعاشر الثائرنا أين قتلى منا بغيتم عليهم || ثم قتلتموهم ظالمينا ارجعوا هاشما وردوا أبا اليقظان || و ابن البديل فى آخرنا و ارجعوا ذا الشهادتين و قتلى || أنتم فى قتالهم فاجرونا ثم ردوا حجرا و أصحاب حجر || يوم أنتم فى قتلهم معتدوننا ثم ردوا أبا عمير وردوا || لى رشيدا و ميثما و الذيننا قتلوا بالطفوف يوم حسين || من بنى هاشم وردوا حسينا أين عمرو و أين بشر و قتلى || معهم بالعراء ما يدفوننا ارجعوا عامرا وردوا زهيرا || ثم عثمان فارجعوا عازمينا و ارجعوا الحر و ابن قين و قوما || قتلوا حين جاوزوا صفينا و ارجعوا هانئا وردوا إلينا || مسلما و الرواع فى آخرنا ثم ردوا زيدا إلينا وردوا || كل من قد قتلتم أجمعينا لن تردوهم إلينا ولسنا || منكم غير ذلكم قابلينا [صفحہ ۱۶۷] أَلَا إِنَّ أَبْصَرَ الْأَبْصَارِ مَا نَفَدَ فِي الْخَيْرِ طَرْفُهُ أَلَا إِنَّ أَسْمَعَ الْأَسْمَاعِ مَا وَعَى التَّذْكَيرَ وَ قَبْلَهُ أَيُّهَا النَّاسُ اسْتَصْبَحُوا مِنْ شُعْلَةٍ مِصْبَاحٍ وَاعْظُمِ مُتَعَطِّ وَ امْتَاخُوا مِنْ صَفَى عَيْنٍ قَدْ رُوِّقَتْ مِنَ الْكَدْرِ عِبَادَ اللَّهِ لَا تَرَكُونَا إِلَى جَهَالَتِكُمْ وَ لَا تَنفَادُوا إِلَى أَهْوَائِكُمْ فَإِنَّ النَّازِلَ بِهَذَا الْمَنْزِلِ نَازِلٌ بِشَفَا جُرْفٍ هَارٍ يَنْقُلُ الرَّدَى عَلَى ظَهْرِهِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ لِرَأْيٍ يُحْدِثُهُ بَعْدَ رَأْيٍ يُرِيدُ أَنْ يُلْصِقَ مَا لَا يُلْصِقُ وَ يَقْرَبَ مَا لَا يَنْقَارُبُ فَاللَّهُ اللَّهُ أَنْ تَشْكُوا إِلَى مَنْ لَا يَشْكِي شَجْوَكُمْ وَ لَا يَنْقُضُ بَرَّيْهِ مَا قَدْ أَبْرَمَ لَكُمْ إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْإِمَامِ إِلَّا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ الْإِبْلَاحُ فِي الْمَوْعِظَةِ وَ الْاجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ وَ الْإِحْيَاءُ لِلسَّنَةِ وَ إِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَى مُسْتَحَقِّيهَا وَ إِصْدَارُ السِّهْمَانِ عَلَى أَهْلِهَا فَيَادِرُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ تَصْوِيحِ نَبِيِّهِ وَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُشْغَلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ مُسْتَشَارِ الْعِلْمِ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ وَ انْهَوَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَ تَنَاهَاوْا عَنْهُ فَإِنَّمَا أَمْرُكُمْ بِالنَّهْيِ بَعْدَ التَّنَاهِي هَارِ الْجَرْفِ يَهْوُرُ هَوْرًا وَ هَوْرًا فَهُوَ هَائِرٌ وَقَالُوا هَارَ خَفْضُوهُ فِي مَوْضِعِ الرَّفْعِ كَقَاضٍ وَأَرَادُوا هَائِرًا وَ هُوَ مَقْلُوبٌ مِنَ الثَّلَاثِي إِلَى الرَّبَاعِي كَمَا قَلْبُوا شَائِكًا

السلاح إلى شاكي السلاح وهورته فتهور وانهار أى انهدم . [صفحہ ۱۶۸] وأشكىت زيدا أزلت شكايته والشجو الهم والحزن .
وصوح النبت أى جف أعلاه قال ولكن البلاد إذا قشعرت || وصوح نبتها رعى الهشيم . يقول ع أشد العيون إدراكا مانفذ طرفها
فى الخير وأشد الأسماع إدراكا ما حفظ الموعظة وقبلها . ثم أمر الناس أن يستصبحوا أى يسرجوا مصابيحهم من شعله سراج متعظ
فى نفسه واعظ لغيره وروى بالإضافة من شعله مصباح واعظ بإضافة مصباح إلى واعظ وإنما جعله متعظا واعظا لأن من لم يتعظ
فى نفسه فبعيد أن يتعظ به غيره و ذلك لأن القبول لا يحصل منه والأنفس تكون نافرة عنه و يكون داخلا فى حيز قوله تعالى أ
تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ و فى قول الشاعر -قرآن- ۴۰۱-۴۵۳ لانه عن خلق وتأتى مثله . وعنى بهذا المصباح نفسه ع
. ثم أمرهم أن يمتاحوا من عين صافية قد انتفى عنها الكدر كما يروق الشراب بالراووق فيزول عنه كدره والامتيح نزول البثر ومل
ء الدلاء منها ويكنى بهذا أيضا عن نفسه ع . [صفحہ ۱۶۹] ثم نهاهم عن الانقياد لأهوائهم والميل إلى جهالتهم وقال إن من
يكون كذلك فإنه على جانب جرف متهدم ولفظة هار من الألفاظ القرآنية . ثم قال و من يكون كذلك فهو أيضا ينقل الهلاك
على ظهره من موضع إلى موضع ليحدث رأيا فاسدا بعد رأى فاسد أى هوساع فى ضلال يروم أن يحتج لما لاسيل إلى إثباته
وينصر مذهبا لانتصار له . ثم نهاهم وحذرهم أن يشكوا إلى من لا يزيل شكايتهم و من لا رأى له فى الدين و لا بصيرة لينقض ما
قد أبرمه الشيطان فى صدورهم لإغوائهم ويروى إلى من لا يشكى شجوكم و من ينقض برأيه ما قد أبرم لكم و هذه الرواية أليق
أى لا تشكوا إلى من لا يدفع عنكم ماتشكون منه وإنما ينقض برأيه الفاسد ما قد أبرمه الحق والشرع لكم . ثم ذكر أنه ليس على
الإمام إلا ما قد أوضحه من الأمور الخمسة . ثم أمرهم بمبادرة أخذ العلم من أهله يعنى نفسه ع قبل أن يموت فيذهب العلم
وتصويح النبت كناية عن ذلك . ثم قال وقبل أن تشغلوا بالفتن و ما يحدث عليكم من خطوب الدنيا عن استتارة العلم من معدنه
واستتباطه من قرارته . ثم أمرهم بالنهى عن المنكر و أن يتناهاوا عنه قبل أن ينهوا عنه و قال إنما النهى بعد التناهى . [صفحہ ۱۷۰]
و فى هذا الموضع إشكال و ذلك أن لقائل أن يقول النهى عن المنكر واجب على العدل والفاسق فكيف قال إنما أمرتم بالنهى
بعد التناهى و قدروى أن الحسن البصرى قال للشعبى هلا نهيت عن كذا فقال يا أباسعيد إنى أكره أن أقول ما لأفعل قال الحسن
غفر الله لك و أينا يقول ما يفعل ود الشيطان لو ظفر منكم بهذه فلم يأمر أحد بمعروف و لم ينه عن منكر . والجواب أنه ع لم يرد
أن وجود النهى عن المنكر مشروط بانتهاء ذلك الناهى عن المنكر وإنما أراد أنى لم آمركم بالنهى عن المنكر إلا بعد أن
أمرتكم بالانتهاء عن المنكر فالترتيب إنما هو فى أمره ع لهم بالحالتين المذكورتين لا فى نهيهم وتناهيهم . فإن قلت فلما ذا قدم
أمرهم بالانتهاء على أمرهم بالنهى قلت لأن إصلاح المرء نفسه أهم من الاعتناء بإصلاحه لغيره [صفحہ ۱۷۱]

۱۰۵- و من خطبة له ع

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَعَ الْإِسْلَامَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ وَ أَعَزَّ أَرْكَانَهُ عَلَى مَنْ غَابَهُ فَجَعَلَهُ أَمْنًا لِمَنْ عَلِقَهُ وَ سِلْمًا لِمَنْ دَخَلَهُ وَ بُرْهَانًا
لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ وَ شَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ عَنْهُ وَ نُورًا لِمَنْ اسْتَضَاءَ بِهِ وَ فَهْمًا لِمَنْ عَقَلَ وَ لُبًّا لِمَنْ تَدَبَّرَ وَ آيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ وَ تَبْصِرَةً لِمَنْ عَزَمَ
وَ عِبْرَةً لِمَنْ اتَّعَظَ وَ نَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ وَ ثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ وَ رَاحَةً لِمَنْ فَوَّضَ وَ جَنَّةً لِمَنْ صَبَرَ فَهُوَ أَبْلَجُ الْمَنَاهِجِ وَ أَوْضَحُ الْوَلَائِحِ
مُشْرِفُ الْمَنَارِ مُشْرِقُ الْجَوَادِ مَضِيءُ الْمَصَابِيحِ كَرِيمُ الْمِصْمَارِ رَفِيعُ الْغَايَةِ جَامِعُ الْحَلْبَةِ مُتَنَافِسُ السَّبْقَةِ شَرِيفُ الْفُرْسَانِ التَّصَدِيقُ
مِنْهَاجُهُ وَ الصَّالِحَاتُ مَنَارُهُ وَ الْمَوْتُ غَايَتُهُ وَ الدُّنْيَا مِصْمَارُهُ وَ الْقِيَامَةُ حَلْبَتُهُ وَ الْجَنَّةُ سَبْقَتُهُ هَذَا بَابٌ مِنَ الْخُطَابَةِ شَرِيفٌ وَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ
ناط بكل واحدة من اللفظات لفظه تناسبها وتلائمها لونيطة بغيرها لما انطبقت عليها ولا استقرت فى قرارها ألا تراها قال أمنا لمن
علقه فالأمن مرتب على الاعتلاق وكذلك فى سائر الفقر كالسلم المرتب على المدخول والبرهان المرتب على الكلام والشاهد

المرتب على الخصام والنور المرتب [صفحة ١٧٢] على الاستضاءة إلى آخرها ألا ترى أنه لو قال وبرهانا لمن دخله ونورا لمن خاصم عنه وشاهدا لمن استضاء به لكان قدقرن باللفظة ما لا يناسبها فكان قدخرج عن قانون الخطابة ودخل في عيب ظاهر وتوسم تفرس والولائج جمع وليجة وهو المدخل إلى الوادى وغيره . والجنة الترس وأبلج المناهج معروف الطريق . والحلبة الخيل المجموعة للمسابقة . والمضمار موضع تضمير الخيل وزمان تضميرها والغاية الرأية المنصوبة وهوها هنا خرقة تجعل على قصبة وتنصب في آخر المدى الذى تنتهى إليه المسابقة كأنه جعل الإسلام كخيل السباق التى مضمارها كريم وغايتها ربيعة عالية وحلبتها جامعة حاوية وسبقها متنافس فيها وفرسانها أشرف . ثم وصفه بصفات أخرى فقال التصديق طريقه والصالحات أعلامه والموت غايته أى إن الدنيا سجن المؤمن وبالموت يخلص من ذلك السجن ويحظى بالسعادة الأبدية . قال والدنيا مضماره كأن الإنسان يجرى إلى غاية هى الموت وإنما جعلها مضمار الإسلام لأن المسلم يقطع دنياه لالدنياه بل لآخرته فالدنيا له كالمضمار للفرس إلى الغاية المعينة . قال والقيامة حلبته أى ذات حلبته فحذف المضاف كقوله تعالى هُم دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ أَى ذُوو دَرَجَاتٍ . ثم قال والجنة سبقته أى جزاء سبقته فحذف أيضا -قرآن- ١٠٢٤-١٠٤٨ [صفحة ١٧٣] مِنْهَا فِى ذِكْرِ النَّبِيِّ ص حَتَّى أَوْرَى قَبْسًا لِقَابِسٍ وَ أُنَارَ عِلْمًا لِحَابِسٍ فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ وَ شَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ وَ بَعِيثُكَ نِعْمِيَّةٌ وَ رَسُولُكَ بِالْحَقِّ رَحْمِيَّةٌ اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَهُ مَقْسِمًا مِنْ عَدْلِكَ وَ اجْزِهِ مَضْمَعَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ اللَّهُمَّ وَ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءً وَ أَكْرِمْ لَمَدِيكَ نُزْلَهُ وَ شَرَفْ عِنْدَكَ مَنَزَلَهُ وَ آتِهِ الْوَسِيلَةَ وَ أَعْطِهِ السِّنَاءَ وَ الْفَضِيلَةَ وَ احْشُرْنَا فِى زُمْرَتِهِ غَيْرِ خَزَايَا وَ لَا نَادِمِينَ وَ لَا نَاكِبِينَ وَ لَا نَاكِثِينَ وَ لَا ضَالِّينَ وَ لَمَّا مُضْتَلِّينَ وَ لَا مُفْتُونِينَ قَالَ الرضى رحمه الله تعالى و قد مضى هذا الكلام فيما تقدم إلا أننا كررناه هاهنا لما فى الروايتين من الاختلاف -روايت- ١-١١٦ قيساً منصوب بالمفعولية أى أورى رسول الله ص قيساً والقبس شعلة من النار والقابس طالب الاستصباح منها والكلام مجاز والمراد الهداية فى الدين . وعلمنا منصوب أيضا بالمفعولية أى و أنا رسول الله ص علماً لحابس أى نصب لمن قدحس ناقته ضلالاً فهو يخطب لا يدرى كيف يهتدى إلى المنهج علماً يهتدى به . [صفحة ١٧٤] فَإِنْ قَلتْ فَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يَنْصَبَ قَيْسًا وَعِلْمًا عَلَى أَنْ يَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَالًا- أى حتى أورى رسول الله فى حال كونه قيساً وأنار فى حال كونه علماً قلت لم أسمع أورى الزند وإنما المسموع ورى وورى و لم يجئ أورى إلا متعدياً أورى زيد زنده فإن حمل هاهنا على المتعدى احتيج إلى حذف المفعول وبصير تقديره حتى أورى رسول الله الزند حال كونه قيساً فيكون فيه نوع تكلف واستهجان . والبعيث المبعوث ومقسماً نصيباً و إن جعلته مصدرًا جاز . والنزول طعام الضيف والوسيلة ما يتقرب به و قدفسر قولهم فى دعاء الأذنان اللهم آتِه الوسيلة بأنها درجة ربيعة فى الجنة والسناء بالمد الشرف وزمرته جماعته . وخزايا جمع خزيان وهو الخجل المستحي مثل سكران وسكارى وحيران وحيارى وغيران وغيارى . وناكبين أى عادلين عن الطريق وناكثين أى ناقضين للعهد . قلت سألت النقيب أبا جعفر رحمه الله و كان منصفاً بعيداً عن الهوى والعصبيَّة عن هذا الموضع فقلت له قدوقفت على كلام الصحابة وخطبهم فلم أر فيها من يعظم رسول الله ص تعظيم هذا الرجل و لا يدعو كدعائه فإننا قدوقفنا من نهج البلاغة و من غيره على فصول كثيرة مناسبة لهذا الفصل تدل على إجلال عظيم وتبجيل شديد منه لرسول الله ص فقال و من أين لغيره من الصحابة كلام مدون يتعلم منه كيفية ذكرهم للنبي ص وهل وجد لهم إلا كلمات مبتدرة لا طائل تحتها ثم قال إن علياً كان قوى الإيمان برسول الله ص والتصديق له ثابت اليقين قاطعاً بالأمر متحققاً له و كان [صفحة ١٧٥] مع ذلك يحب رسول الله ص لنسبته منه وتربيته له واختصاصه به من دون أصحابه و بعد فشرفه له لأنهما نفس واحدة فى جسمين الأب واحد والدار واحدة والأخلاق متناسبة فإذاعظمه فقد عظم نفسه و إذادعا إليه فقد دعا إلى نفسه ولقد كان يود أن تطبق دعوة الإسلام مشارق الأرض ومغاربها لأن جمال ذلك لا يحق به وعائد عليه فكيف لا يعظمه ويبجله ويجتهد فى إعلاء كلمته . فقلت له قد كنت اليوم أنا و جعفر بن مكى الشاعر نتجاذب هذا الحديث فقال جعفر لم ينصر رسول الله ص أحد نصره أبى طالب وبنيه له أما أبوطالب فكفله ورباه ثم

حماء من قريش عند إظهار الدعوة بعد إصفاقهم وإطباقهم على قتله و أمابنه جعفر فهاجر بجماعة من المسلمين إلى أرض الحبشة فنشر دعوته بها و أما على فإنه أقام عماد الملة بالمدينة ثم لم يمن أحد من القتل والهوان والتشريد بما منى به بنو أبي طالب أما جعفر فقتل يوم مؤتة و أما على فقتل بالكوفة بعد أن شرب نقيع الحنظل وتمنى الموت و لو تأخر قتل ابن ملجم لمات أسفا وكما ثم قتل ابنه بالسيف وقتل بنوه الباقون مع أخيهم بالطرف وحملت نساؤهم على الأقتاب سبايا إلى الشام ولقيت ذريتهم وأخلافهم بعد ذلك من القتل والصلب والتشريد في البلاد والهوان والحبس والضرب ما لا يحيط الوصف بكنهه فأى خير أصاب هذا البيت من نصرته ومحبته وتعظيمه بالقول والفعل فقال رحمه الله وأصاب فيما قال فهلا قلت يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسَلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامُكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. ثم قال وهلا قلت له فقد نصرته الأنصار وبذلت مهجها دونه وقتلت بين يديه فى -قرآن- ١٢٤٩-١٣٨٥ [صفحة ١٧٦] مواطن كثيرة وخصوصا يوم أحد ثم اهتضموا بعده واستؤثر عليهم ولقوا من المشاق والشدائد ما يطول شرحه و لو لم يكن إلا يوم الحرة فإنه اليوم الذى لم يكن فى العرب مثله و لأصيب قوم قط بمثل ما أصيب به الأنصار ذلك اليوم ثم قال إن الله تعالى زوى الدنيا عن صالحى عباده و أهل الإخلاص له لأنه لم يرها ثمنا لعبادتهم و لا -كفؤا لإخلاصهم و أرجأ جزاءهم إلى دار أخرى غير هذه الدار فى مثلها يتنافس المتنافسون منها فى خطاب أصحابه و قد بلغتم من كرامته الله تعالى لكم منزلة تكرم بها إمامكم و توصل بها جيرانكم و يعظّمكم من لا فضل لكم عليه و لا يد لكم عنده و يهابكم من لا يخاف لكم سيطرة و لا لكم عليه إمرة و قد ترون عهدود الله منقوضة فلا تغضبون و أنتم لنقض ذمم آياتكم تأنفون و كانت أمور الله عليكم ترد و عنكم تصدر و إليكم ترجع فمكنتم الظلمة من منزلتكم و أقيمت إليهم أزممتكم و أسلمتم أمور الله فى أيديهم يعملون بالشبهات و يسيرون فى الشهوات و أيم الله لو فرقوكم تحت كل كوكب لجمعكم الله لشتر يوم لهم هذا خطاب لأصحابه الذين أسلموا مدنهم ونواحيهم إلى جيوش معاوية التى كان [صفحة ١٧٧] يغير بها على أطراف أعمال على ع كالأنبار وغيرها مما تقدم ذكرنا له قال لهم إن الله أكرمكم بالإسلام بعد أن كنتم مجوسا أو عباد أصنام وبلغتم من كرامته إياكم بالإسلام منزلة عظيمة أكرم بها إمامكم و عبيدكم و من كان مظنة المهنة والمذلة. ووصل بها جيرانكم أى من التجأ إليكم من معاهد أودى فإن الله تعالى حفظ لهم ذمام المجاورة لكم حتى عصم دماءهم وأموالهم وصرتم إلى حال يعظّمكم بها من لا فضل لكم عليه و لانعمة لكم عنده كالروم والحبشة فإنهم عظموا مسلمى العرب لتقمصهم لباس الإسلام والدين ولزومهم ناموسه وإظهارهم شعاره . ويهابكم من لا يخاف لكم سيطرة و لالكم عليه إمرة كالملوك الذين فى أقصى البلاد نحو الهند والصين وأمثالها و ذلك لأنهم هابوا دولة الإسلام و إن لم يخافوا سيطرة سيفها لأنه شاع وذاع أنهم قوم صالحون إذادعوا الله استجاب لهم وأنهم يقهرون الأمم بالنصر السماوى وبالملائكة لابسوفهم و لا بأيديهم قيل إن العرب لماعبرت دجلة إلى القصر الأبيض الشرقى بالمداين عبرتها فى أيام مدها وهى كالبحر الزاخر على خيولها وبأيديها رماحها و لادروع عليها و لابيض فهربت الفرس بعد رمى شديد منها للعرب بالسهم وهم يقدمون ويحملون و لاتهلهم السهام فقال فلاح نبطى بيده مسحاته و هو يفتح الماء إلى زرعه لأسوار من الأساورة معروف بالبأس وجودة الرماية و بلكم أمثلكم فى سلاحكم يهرب من هؤلاء القوم الحاسرين ولذعه باللوم والتعنيف فقال له أقم مسحاتك فأقامها فرماها فخرق الحديد حتى عبر النصل إلى جانبها الآخر ثم قال انظر الآن ثم رمى بعض العرب المارين عليه عشرين سهما لم يصبه و لافرسه منها بسهم واحد وإنه لقريب منه غير بعيد ولقد كان بعض السهام يسقط بين يدى الأسوار فقال له بالفارسية أعلمت أن القوم مصنوع لهم قال نعم . [صفحة ١٧٨] ثم قال ع مالكم لاتغضبون وأنتم ترون عهدود الله منقوضة و إن من العجب أن يغضب الإنسان ويأنف من نقض عهد أبيه و لا يغضب و لا يأنف لنقض عهدود إلهه وخالقه . ثم قال لهم كانت الأحكام الشرعية إليكم ترد منى و من تعليمى إياكم وتثقيفى لكم ثم تصدر عنكم إلى من تعلمونه إياها من أتباعكم وتلامذتكم ثم يرجع إليكم بأن يتعلمها بنوكم وإخوتكم من هؤلاء الأتباع والتلامذة ففررتهم من الزحف

لما أغارت جيوش الشام عليكم وأسلمتم منازلكم وبيوتكم وبلادكم إلى أعدائكم ومكنتم الظلمة من منزلتكم حتى حكموا في دين الله بأهوائهم وعملوا بالشبهة لبالحجة واتسعوا في شهواتهم ومآرب أنفسهم . ثم أقسم بالله إن أهل الشام لوفروكم تحت كل كوكب ليجمعنكم الله ليوم و هوشر يوم لهم وكنى بذلك عن ظهور المسودة وانتقامها من أهل الشام وبنى أمية وكانت المسودة المنتقمة منهم عراقية وخراسانية [صفحہ ۱۷۹]

۱۰۶- و من كلام له ع في بعض أيام صفين

وَ قَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُمْ وَ انْحِيَا زُكْمَ عَنْ صُفُوفِكُمْ تَحُوزُكُمْ الْجُفَاءُ الطَّعَامُ وَ أَعْرَابُ أَهْلِ الشَّامِ وَ أَنْتُمْ لَهَا مَيْمُ الْعَرَبِ وَ يَأْفِيخُ الشَّرْفِ وَ الْأَنْفِ الْمُتَقَدِّمُ وَ السِّنَامُ الْأَعْظَمُ وَ لَقَدْ شَفَى وَ حَاوَحَ صَدْرِي أَنْ رَأَيْتُكُمْ بِأَحْرَهُ تَحُوزُونَهُمْ كَمَا حَاوَزُكُمْ وَ تُزِيلُونَهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ كَمَا أَزَالُكُمْ حَسًّا بِالنِّصَالِ وَ شَجْرًا بِالرَّمَا حِ تَرَكَبُ أَوْلَاهُمْ أَخْرَاهُمْ كَالِإِبِلِ الْهَيْمِ الْمَطْرُودَةِ تُرْمَى عَنْ حِيَاضِهَا وَ تُدَادُ عَنْ مَوَارِدِهَا جَوْلَتَكُمْ هَزِيمَتَكُمْ فَأَجْمَلُ فِي اللَّفْظِ وَ كُنَى عَنِ اللَّفْظِ الْمَنْفِرِ عَادِلًا عَنْهُ إِلَى لَفْظِ لَاتَنْفِيرِ فِيهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى كَانَا يَا كُلَانِ الطَّعَامِ قَالُوا هُوَ كِنَايَةٌ عَنِ إِيْتَانِ الْغَائِطِ وَ إِجْمَالِ فِي اللَّفْظِ . وَ كَذَلِكَ قَوْلُهُ وَ انْحِيَا زُكْمَ عَنْ صُفُوفِكُمْ كِنَايَةٌ عَنِ الْهَرَبِ أَيْضًا وَ هُوَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى إِيْمَا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ . - قرآن- ۱۰۳- ۱۲۵- قرآن- ۲۵۲- ۳۰۵ [صفحہ ۱۸۰] وَ هَذَا بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْبَيَانِ لَطِيفٌ وَ هُوَ حَسَنُ التَّوَصُّلِ بِإِيرَادِ كَلَامٍ غَيْرِ مَزْعُجٍ عَوْضًا عَنِ لَفْظِ يَتَضَمَّنُ جِبْهَاً وَ تَقْرِيعًا . وَ تَحُوزُكُمْ تَعْدِلُ بِكُمْ عَنْ مَرَاكِزِكُمْ وَ الْجُفَاءُ جَمْعُ جَافٍ وَ هُوَ الْفَدْمُ الْغَلِيظُ وَ الطَّعَامُ الْأَوْغَادُ وَ اللَّهَامِيمُ جَمْعُ لَهْمُومٍ وَ هُوَ الْجَوَادُ مِنَ النَّاسِ وَ الْخَيْلُ قَالَ الشَّاعِرُ لَاتَحْسَبْنِ بِيَاضًا فِي مَنَقِصُهُ || إِنْ اللَّهَامِيمُ فِي أَقْرَابِهَا بَلَقُ وَ الْيَاْفِيخُ جَمْعُ يَافُوخٍ وَ هُوَ مَعْظَمُ الشَّيْءِ تَقُولُ قَدْ ذَهَبَ يَافُوخُ اللَّيْلِ أَيْ أَكْثَرُهُ وَ يَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِهِ الْيَافُوخُ وَ هُوَ أَعْلَى الرَّأْسِ وَ جَمْعُهُ يَافِيخُ أَيْضًا وَ أَفْخَتِ الرَّجْلُ ضَرَبَتْ يَافُوخَهُ وَ هَذَا أَلِيْقٌ لِأَنَّهُ ذَكَرَ بَعْدَهُ الْأَنْفَ وَ السِّنَامَ فَحَمَلَ الْيَافُوخَ عَلَى الْعَضْوِ إِذَا شَبِهَ . وَ الْوَحَاوِحُ الْحَرَقُ وَ الْحَزَاوَاتُ وَ لَقِيْتَهُ بِأَحْرَهُ عَلَى فَعْلَةٍ أَيْ أَخِيرًا . وَ الْحَسُّ الْقَتْلُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى إِذْ تَحَسَّوْنَهُمْ بِأَذْنِهِ . وَ شَجَرَتْ زَيْدًا بِالرَّمْحِ طَعَنَتْهُ وَ التَّأْنِيثُ فِي أَوْلَاهُمْ وَأَخْرَاهُمْ لِلْكَتَابِ . وَ الْهَيْمُ الْعَطَاشُ وَ تَدَادُ تَصَدُّ وَ تَمْنَعُ وَ قَدْرُوى الطَّغَاةُ عَوْضُ الطَّغَامِ . وَ رُوى حَسًّا بِالْهَمْزِ مِنْ حَشَّاتِ الرَّجْلِ أَيْ أَصَبَتْ حَشَاةً . وَ رُوى بِالنِّصَالِ بِالضَّادِ الْمَعْجَمَةُ وَ هُوَ الْمَنَاضِلَةُ وَ الْمَرَامَاةُ . وَ قَدْ ذَكَرْنَا نَحْنُ هَذَا الْكَلَامَ فِيْمَا اقْتَصَصْنَاهُ مِنْ أَخْبَارِ صَفِينِ فِيْمَا تَقَدَّمَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ - قرآن- ۳۳۷- ۳۶۲ [صفحہ ۱۸۱]

۱۰۷- و من خطبة له ع وهى من خطب الملاحم

إشارة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُتَجَلَّى لِخَلْقِهِ بِخَلْقِهِ وَ الظَّاهِرِ لِقُلُوبِهِمْ بِحُجَّتِهِ خَلَقَ الْخَلْقَ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ إِذْ كَانَتْ الرُّؤْيَاتُ لَا تَلِيْقُ إِلَّا بِذُوى الضَّمَائِرِ وَ لَيْسَ بِذِي ضَمِيرٍ فِي نَفْسِهِ خَرَقَ عِلْمُهُ بَاطِنَ غَيْبِ السُّتْرَاتِ وَ أَحَاطَ بِغُمُوضِ عَقَائِدِ السِّرِّيَّاتِ الْمَلَا حِمِ جَمْعُ مَلْحَمَةٍ وَ هِيَ الْوَقْعَةُ الْعَظِيمَةُ فِي الْحَرْبِ وَ لَمَّا كَانَتْ دَلَائِلُ إِثْبَاتِ الصَّانِعِ ظَاهِرَةً ظَهَرَ الشَّمْسُ وَ صَفَهُ عَ بِكَوْنِهِ ظَهَرَ وَ تَجَلَّى لِخَلْقِهِ وَ دَلَّهُمْ عَلَيْهِ بِخَلْقِهِ إِيَاهُمْ وَ إِيجَادِهِ لَهُمْ . ثُمَّ أَكَّدَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ وَ الظَّاهِرِ لِقُلُوبِهِمْ بِحُجَّتِهِ وَ لَمْ يَقُلْ لِعْيُونِهِمْ لِأَنَّهُ غَيْرُ مَرْتِيٍّ وَ لَكِنَّهُ ظَاهِرٌ لِلْقُلُوبِ بِمَا أَوْدَعَهَا مِنَ الْحُجَجِ الدَّالَّةِ عَلَيْهِ . ثُمَّ نَفَى عَنْهُ الرُّوْيَةَ وَ الْفِكْرَ وَ التَّمْثِيلَ بَيْنَ خَاطِرَيْنِ لِيَعْمَلَ عَلَى أَحَدِهِمَا لِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ لِأَرْبَابِ الضَّمَائِرِ وَ الْقُلُوبِ أُولَى النِّوَازِعِ الْمُخْتَلَفَةِ وَ الْبُوعَاثِ الْمُتَضَادَّةِ . ثُمَّ وَصَفَهُ بِأَنَّ عِلْمَهُ مُحِيطٌ بِالظَّاهِرِ وَ الْبَاطِنِ وَ الْمَاضِيِ وَ الْمُسْتَقْبَلِ فَقَالَ إِنْ عِلْمَهُ خَرَقَ بَاطِنَ الْغُيُوبِ الْمُسْتَوْرَةِ وَ أَحَاطَ بِالْغَامِضِ مِنْ عَقَائِدِ السَّرَائِرِ [صفحہ ۱۸۲] مِنْهَا فِي ذِكْرِ النَّبِيِّ صَ اخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةٍ

الأنبياءَ وَ مَشْكَاهُ الضَّيَاءِ وَ ذُوَابُهُ الْعَلْيَاءِ وَ سِرَّةُ الْبَطْحَاءِ وَ مَصَابِيحِ الظُّلْمَةِ وَ يَنَابِيعِ الْحِكْمَةِ شَجَرَةُ الْأَنْبِيَاءِ أَوْلَادِ إِبْرَاهِيمَ عَ لِأَنَّ أَكْثَرَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَشْكَاهُ كَوْهٌ غَيْرِنَا فِذِهِ يَجْعَلُ فِيهَا الْمَصْبَاحَ وَالذُّوَابُ طَائِفَةٌ مِنْ شَعْرِ الرَّأْسِ وَسِرَّةُ الْبَطْحَاءِ وَسَطُهَا وَبَنُو كَعْبِ بْنِ لُؤَى يَفْخَرُونَ عَلَى بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَى بِأَنَّهُمْ سَكَنُوا الْبَطْحَاءَ وَسَكَنَتْ عَامِرٌ بِالْجِبَالِ الْمُحِيطَةِ بِمَكَّةَ وَسَكَنَ مَعَهَا بَنُو فَهْرِ بْنِ مَالِكِ رَهْطِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجِرَاحِ وَغَيْرِهِ قَالَ الشَّاعِرُ فَحَلَّتْ مِنْهَا بِالْبَطْحَاءِ || وَحَلَّ غَيْرُكَ بِالظَّوَاهِرِ . وَ قَالَ طَرِيحُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ أَنْتَ ابْنُ مَسْلَنْطَحِ الْبَطْحَاءِ وَ لَمْ || تَطْرُقْ عَلَيْكَ الْحَنَى وَالْوَلَجُ . وَ قَالَ بَعْضُ الطَّالِبِينَ وَ أَنَا ابْنُ مَعْتَلِجِ الْبَطْحَاءِ إِذَا عَدَا || غَيْرِي وَرَاحَ عَلَى مَتُونِ ظَوَاهِرِ [صَفْحَةُ ١٨٣] يَفْتَرُ عَنِي رَكْنَهَا وَحَطِيمَهَا || كَالجَفْنِ يَفْتَحُ عَن سَوَادِ النَّاضِرِ كَجِبَالِهَا شَرَفِي وَمِثْلُ سَهْوِلِهَا || خَلَقِي وَمِثْلُ ظَبَائِنِهَا مَجَاوِرِي وَ مِنْهَا طَيْبٌ دَوَّارٌ بِطَيْبِهِ قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ وَ أَحْمَى مَوَاسِمَهُ يَضَعُ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ مِنْ قُلُوبِ عَمِّي وَ آذَانِ صُمِّ وَ أَلْسِنَةِ بُكْمٍ مُتَّبِعٍ بَعْدَ وَائِهِ مَوَاصِعَ الْغَفْلَةِ وَ مَوَاطِنَ الْحَيْرَةِ إِنَّمَا قَالَ دَوَّارٌ بِطَبِّهِ لِأَنَّ الطَّيِّبَ الدَّوَّارَ أَكْثَرَ تَجْرِبَةً أَوْ يَكُونُ عَنِّي بِهِ أَنَّهُ يَدُورُ عَلَى مَنْ يَعْالِجُهُ لِأَنَّ الصَّالِحِينَ يَدُورُونَ عَلَى مَرْضَى الْقُلُوبِ فَيَعَالِجُونَهُمْ وَيُقَالُ إِنَّ الْمَسِيحَ رَأَى خَارِجًا مِنْ بَيْتِ مَوْمَسَةَ فَقِيلَ لَهُ يَا سَيِّدَنَا أَمْثَلُكَ يَكُونُ هَاهُنَا فَقَالَ إِنَّمَا يَأْتِي الطَّيِّبَ الْمَرْضَى . وَالْمَرَاهِمُ الْأَدْوِيَةُ الْمَرْكَبَةُ لِلْجِرَاحَاتِ وَالْقُرُوحِ وَالْمَوَاسِمُ حَدَائِدُ يَوْمِ سَمِ بِهَا الْخَيْلُ وَغَيْرُهَا . ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْالِجُ بِذَلِكَ مَنْ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَهُمْ أَوْلُو الْقُلُوبِ الْعَمَى وَالْآذَانَ الصَّمَّ وَالْأَلْسِنَةَ الْبُكْمَ أَى الْخَرَسَ وَ هَذَا تَقْسِيمٌ صَحِيحٌ حَاصِرٌ لِأَنَّ الضَّلَالَ وَمُخَالَفَةُ [صَفْحَةُ ١٨٤] الْحَقِّ يَكُونُ بِثَلَاثَةِ أُمُورٍ إِمَّا بِجَهْلِ الْقَلْبِ أَوْ بَعْدَمِ سَمَاعِ الْمَوَاعِظِ وَالْحَجْجِ أَوْ بِالْإِمْسَاكِ عَن شَهَادَةِ التَّوْحِيدِ وَتَلَاوُهِ الذِّكْرِ فَهَذِهِ أَصُولُ الضَّلَالِ وَ أَمَّا أَعْمَالُ الْمَعَاصِي فَفُرُوعٌ عَلَيْهَا

فصل فى التقسيم و ماورد فيه من الكلام

وصحة التقسيم باب من أبواب علم البيان و منه قوله سبحانه ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه و منهم مقتصد و منهم سابق بالخيرات . و هذه قسمة صحيحة لأن المكلفين إما كافر أو مؤمن أو ذو منزلة بين المنزلتين هكذا قسم أصحابنا الآية على مذهبهم فى الوعيد . و غيرهم يقول العباد إما عاص ظالم لنفسه أو مطيع مبادر إلى الخير أو مقتصد بينهما . و من التقسيم أيضا قوله و كنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة و أصحاب المشمة ما أصحاب المشمة و السابقون السابقون و مثل ذلك . و قوله تعالى هو الذى يريكم البرق خوفا و طمعا لأن الناس عند رؤية البرق بين خائف و طامع . و وقف سائل على مجلس الحسن البصرى فقال رحم الله عبدا أعطى من سعة أو واسى من كفاف أو آثر من قلة فقال الحسن لم تترك لأحد عذرا . قرآن - ٦٣ - ١٩٢ - قرآن - ٤٢٥ - ٥٧١ - قرآن - ٥٩٩ - ٦٤٥ [صَفْحَةُ ١٨٥] و من التقسيمات الفاسدة فى الشعر قول البحرى ذاك وادى الأراك فاحبس قليلا || مقصرا فى ملامة أو مطيلا قف مشوقا أو مسعدا أو حزينا || أو معينا أو عاذرا أو عذولا فالتقسيم فى البيت الأول صحيح و فى الثانى غير صحيح لأن المشوق يكون حزينا و المسعد يكون معينا فكذلك يكون عاذرا و يكون مشوقا و يكون حزينا . و قد وقع المتنبى فى مثل ذلك فقال فافخر فإن الناس فيك ثلاثة || مستعظم أو حاسد أو جاهل فإن المستعظم يكون حاسدا و الحاسد يكون مستعظما . و من الأبيات التى ليس تقسيمها بصحيح ماورد فى شعر الحماسة و أنت امرؤ إما ائتمنتك خاليا || فخت و إما قلت قولاً بلا علم فأنت من الأمر الذى قد أتيت به || بمنزلة بين الخيانة و الإثم و ذلك لأن الخيانة أخص من الإثم و الإثم شامل لها لأنه أعم منها فقد دخل أحد القسمين فى الآخر و يمكن أن يعتذر له فيقال عنى بالإثم الكذب نفسه و كذلك هو المعنى أيضا بقوله قولاً بلا علم كأنه قال له إما أن أكون أفشيت سرى إليك فختنتى أو لم أفش فكذبت على فأنت فيما أتيت بين أن تكون خائنا أو كاذبا . و مما جاء من ذلك فى الشر قول بعضهم من جريح مضرج بدمائه أو هارب لا يلتفت

إلى ورائه و ذلك أن الجريح قد يكون هاربا والهارب قد يكون جريحا. وقد أجاد البحرى لما قسم هذا المعنى و قال [صفحه ١٨٦] غادرتهم أيدي المنية صباحا || للقلنا بين رقع وسجود فهم فرقتان بين قتيل || قبضت نفسه بحد الحديد أو أسير غدا له السجن لحدا || فهو حي في حالة الملحود فرقه للسيوف ينفذ فيها الحكم || قسرا وفرقه للقيود . و من ذلك قول بعض الأعراب النعم ثلاث نعمة في حال كونها ونعمة ترجى مستقبلة ونعمة تأتي غير محتسبة فأبقى الله عليك ما أنت فيه وحقق ظنك فيما ترتجيه وتفضل عليك بما لم تحتسبه و ذلك أنه أغفل النعمة الماضية وأيضا فإن النعمة التي تأتي غير محتسبة داخله في قسم النعمة المستقبلية. و قد صحح القسم أبو تمام فقال جمعت لنا فرق الأمانى منكم || بأبر من روح الحياة وأوصل كالمزن من ماضى الرباب ومقبل || منتظر ومخيم متهلل فصينة في يومها وصنيعة || قد أحولت وصنيعة لم تحول . فإن قلت فإن ما عنيت به فساد التقسيم على البحرى والمنتبى يلزمك مثله فيما شرحته لأن الأعمى القلب قد يكون أبكم اللسان أصم السمع . قلت إن الشعارين ذكرا التقسيم بأو وأمير المؤمنين ع قسم بالواو والواو للجمع فغير منكر أن تجتمع الأقسام الواحد أو أن تعطى معنى الانفراد فقط فافترق الموضعان [صفحه ١٨٧] لم يستضئوا بأضواء الحكمة و لم يقدحوا بزناد العلوم الثاقبة فهم في ذلك كالأنعام السائمة و الصيخور القاسية قد انجابت السرائر لأهل البصائر و وضحت محجة الحق لخابطها و أسفرت الساعة عن وجهها و ظهرت العلامة لمتوسمها ما لى أراكم أشباحا بلا أرواح و أرواحا بلا أشباح و نساكا بلا صلاح و تجارا بلا أرباح و أيقاظا نوما و شهودا غيبا و ناظرة عمياء و سامعة صماء و ناطقة بكماء انجابت انكشفت والمحجة الطريق والخابط السائر على غير سبيل واضحة وأسفرت الساعة أضواء وأشرفت و عن متعلقه بمحذوف وتقديره كاشفة عن وجهها. والمتوسم المتفرس أشباها بلا أرواح أى أشخاصا لأرواح لها و لاعقول وأرواحا بلا أشباح يمكن أن يريد به الخفة والطيش تشبيها بروح بلا جسد ويمكن أن يعنى به نقصهم لأن الروح غير ذات الجسد ناقصة عن الاعتمال والتحرىك اللذين كانا من فعلها حيث كانت تدير الجسد. ونساكا بلا صلاح نسبهم إلى النفاق وتجارا بلا أرباح نسبهم إلى الرياء وإيقاع الأعمال على غير وجهها. ثم وصفهم بالأمر المتضادة ظاهرا وهى مجتمعة فى الحقيقة فقال أيقاظا نوما [صفحه ١٨٨] لأنهم أولو يقظة وهم غفول عن الحق كالنيام وكذلك باقياها قال تعالى فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَ لَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ - قرآن - ٧٣-١٤٧ رَايَهُ ضَلَالًا قَدْ قَامَتْ عَلَى قُطْبِهَا وَ تَفَرَّقَتْ بِشُجْبِهَا تَكِيلُكُمْ بِبَاعِهَا وَ تَخْبِطُكُمْ بِبَاعِهَا قَاتِدُهَا خَارِجٌ مِنَ الْمَلَمَةِ قَائِمٌ عَلَى الضَّلَالَةِ فَلَا يَبْقَى يَوْمَئِذٍ مِنْكُمْ إِلَّا نَفَالَةٌ كُنْفَالُهُ الْقَدْرِ أَوْ نَفَاضَةٌ كُنْفَاضَةُ الْعِجْمِ تَعْرُكُكُمْ عَرَكَ الْأَدِيمِ وَ تَدُوسِيكُمْ دُوسَ الْحَصِيدِ وَ تَسْتَخْلِصُ الْمُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِكُمْ اسْتِخْلَاصَ الطَّيْرِ الْحَبَّةِ الْبَطِينَةَ مِنْ بَيْنِ هَزِيلِ الْحَبِّ هَذَا كَلَامٌ مَنْقُوعٌ عَمَّا قَبْلَهُ لِأَنَّ الشَّرِيفَ الرُّضَى رَحِمَهُ اللَّهُ كَانَ يَلْتَقِطُ الْفُصُولَ الَّتِي فِي الطَّبَقَةِ الْعُلْيَا مِنَ الْفِصَاحَةِ مِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع فَيَذْكُرُهَا وَيَتَخَطَّى مَاقِلَهَا وَ مَابَعْدَهَا وَ هُوَ ع يَذْكُرُهَا هَاهُنَا مَا يَحْدُثُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ مِنَ الْفِتَنِ كَظُهُورِ السَّفِيَانِيِّ وَغَيْرِهِ . وَالْقُطْبُ فِي قَوْلِهِ ع قَامَتْ عَلَى قُطْبِهَا الرَّئِيسَ الَّذِي عَلَيْهِ يَدُورُ أَمْرُ الْجَيْشِ وَالشَّعْبُ الْقَبِيلَةُ الْعَظِيمَةُ وَ لَيْسَ التَّفَرُّقُ لِلرَّايَةِ نَفْسَهَا بَلْ لِنَصَارِهَا وَأَصْحَابِهَا فَحَذَفَ الْمُضَافَ وَمَعْنَى تَفَرَّقَهُمْ أَنَّهُمْ يَدْعُونَ إِلَى تِلْكَ الدَّعْوَةِ الْمَخْصُوصَةِ فِي بِلَادٍ مَتَفَرِّقَةٍ أَى تَفَرَّقَ ذَلِكَ الْجَمْعُ الْعَظِيمُ فِي الْأَقْطَارِ دَاعِينَ إِلَى أَمْرٍ وَاحِدٍ وَيُرَوِّى بِشُعْبِهَا جَمْعُ شُعْبَةٍ [صفحه ١٨٩] وَتَقْدِيرُ تَكِيلُكُمْ بِبَاعِهَا تَكِيلُكُمْ لَكُمْ فَحَذَفَ اللَّامَ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى وَ إِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ أَى كَالُوا لَهُمْ أَوْ وَزَنُوا لَهُمْ وَ الْمَعْنَى تَحْمِلُكُمْ عَلَى دِينِهَا وَدَعْوَتِهَا وَتَعَامَلُكُمْ بِمَا يَعَامَلُ بِهِ مِنْ اسْتِجَابِهَا وَ يَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِقَوْلِهِ تَكِيلُكُمْ بِبَاعِهَا يَقْهَرُكُمْ أَرْبَابُهَا عَلَى الدُّخُولِ فِي أَمْرِهِمْ وَيَتَلَاعَبُونَ بِكُمْ وَيُرْفَعُونَكُمْ وَيَضَعُونَكُمْ كَمَا يَفْعَلُ كِيَالُ الْبَرِّ بِهِ إِذَا كَالَهُ بِبَاعِهِ . وَتَخْبِطُكُمْ بِبَاعِهَا تَظْلِمُكُمْ وَتَعَسْفُكُمْ قَائِدُهَا لَيْسَ عَلَى مَلَأِ الْإِسْلَامِ بَلْ مَقِيمٌ عَلَى الضَّلَالَةِ يُقَالُ ضَلُّهُ لَكَ وَ إِنَّهُ لِيَلْمُونِي ضَلُّهُ إِذَا لَمْ يُوْفَقِ لِلرَّشَادِ فِي عَدْلِهِ . وَالثَّفَالَةُ مَا تَنْفَلُ فِي الْقَدْرِ مِنَ الطَّيِّخِ وَ النِّفَاضَةُ مَا سَقَطَ مِنَ الشَّيْءِ الْمَنْفُوضِ . وَ الْعِجْمُ الْعَدْلُ وَ الْعِجْمُ أَيْضًا نَمَطٌ تَجْعَلُ فِيهِ الْمَرْأَةَ ذَخِيرَتِهَا . وَ عَرَكْتُ الشَّيْءَ دَلَّكَتُهُ بِقُوَّةٍ وَ الْحَصِيدُ الزَّرْعُ الْمَحْصُودُ . وَ مَعْنَى اسْتِخْلَاصِ الْفِتْنَةِ الْمُؤْمِنَ أَنَّهَا تَخْصُهُ بِنَكَائِهَا وَأَذَاهَا كَمَا قِيلَ الْمُؤْمِنُ مَلْقَى وَ الْكَافِرُ

موقى - قرآن - ٦٨-٩٨ و في الخبر المرفوع آفات الدنيا أسرع إلى المؤمن من النار في يبيس العرفج - رواية ١-٢- رواية ٢٣- ٨٠ أَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمْ الْمِذَاهِبُ وَ تَبِيهُ بِكُمْ الْغِيَاهِبُ وَ تَخْدَعُكُمْ الْكَوَاذِبُ وَ مِنْ أَيْنَ تُؤْتُونَ وَ أَنَّى تُؤْفَكُونَ فَلِكُلِّ أَحِيلٍ كِتَابٌ وَ لِكُلِّ غَيْبَةٍ إِيَابٌ فَاسْتَمِعُوا مِنْ رَبَّائِكُمْ وَ أَحْضِرُوا قُلُوبَكُمْ وَ اسْتَيْقِظُوا إِنْ هَتَفَ بِكُمْ [صفحہ ١٩٠] وَ لِيَصْدُقَ رَأْدُ أَهْلِهِ وَ لِيَجْمَعَ شَمْلَهُ وَ لِيُحْضِرَ ذَهَبَهُ فَلَقَدْ فَلَقَ لَكُمْ الْأَمْرَ فَلَقَ الْخَرْزَةَ وَ قَرَفَهُ قَرَفَ الصِّمغَةِ الْغِيَاهِبِ الظلمات الواحد غيب و تبيته بكم تجعلكم تائهي عدى الفعل اللازم بحرف الجر كما تقول في ذهب ذهب به و التائه المتحير. و الكواذب هاهنا الأمانى فحذف الموصوف و أبقى الصفة كقوله إلا بكفى كان من أرمى البشر أى بكفى غلام هذه صفته . و قوله و لكل أجل كتاب أظنه منقطعا أيضا عن الأول مثل الفصل الذى تقدم و قد كان قبله ما ينطبق عليه و يلتئم معه لا محالة و يمكن على بعد أن يكون متصلا بما هو مذكور هاهنا. و قوله و لكل غيبة إياب قد قاله عبيد بن الأبرص و استثنى من العموم الموت فقال و كل ذى غيبة يثوب || و غائب الموت لا يثوب و هورأى زنادقة العرب فأما أمير المؤمنين و هو ثانى صاحب الشريعة التى جاءت بعود الموتى فإنه لا يستثنى و يحق عبيدا فى استثنائه . و الربانى الذى أمرهم بالاستماع منه إنما يعنى به نفسه ع و يقال رجل [صفحہ ١٩١] ربانى أى مثاله عارف بالرب سبحانه و فى وصف الحسن لأمير المؤمنين ع كان و الله ربانى هذه الأمة و ذا فضلها و ذا قرابتها و ذا سابقتها. ثم قال و أحضره قلوبكم أى اجعلوا قلوبكم حاضرة عنده أى لا تقنعوا لأنفسكم بحضور الأجساد و غيبة القلوب فإنكم لا تنتفعون بذلك و هتف بكم صاح و الرائد الذى يتقدم المنتجعين لينظر لهم الماء و الكلاء و فى المثل الرائد لا يكذب أهله . و قوله و ليجمع شمله أى و ليجمع عزائمه و أفكاره لينظر فقد فلق هذا الربانى لكم الأمر أى شق ما كان مبهما و فتح ما كان مغلقا كما تفلق الخرزة فيعرف باطنها. و قرفه أى قشره كما تشر الصمغ عن عود الشجرة و تفلق فعند ذلك أخذ الباطل ما أخذته و ركب الجهل مراكبه و عظمت الطاغية و قلت الداعية و صال الدهر صيال السبع العقور و هيدر فيق الباطل بعد كظوم و تواخى الناس على الفجور و تهاجروا على الدين و تحابوا على الكذب و تباغضوا على الصديق فإذا كان ذلك كان الولد غيظا و المطر قيظا و تفيض اللثام فيضا و تغيض الكرام غيضا و كان أهل ذلك الزمان ذئابا و سلماتين سباعا و أوساطه أكالا و فقراؤه أمواتا و غار الصدق و فاض الكذب و استعملت المودة باللسان و تشاجر الناس بالقلوب و صار الفسوق نسبا و العفاف عجبا و لبس الإسلام لبس الفرو مقلوبا [صفحہ ١٩٢] تقول أخذ الباطل مأخذه كما تقول عمل عمله أى قوى سلطانه و قهر و مثله ركب الجهل مراكبه . و عظمت الطاغية أى الطغيان فاعله بمعنى المصدر كقوله تعالى ليس لوقعتها كاذية أى تكذيب و يجوز أن تكون الطاغية هاهنا صفة فاعل محذوف أى عظمت الفئة الطاغية و قلت الداعية مثله أى الفرقة الداعية. و صال حمل و وثب صولا و وصوله يقال رب قول أشد من صول و الصيال و المصاولة هى المواثبة صايلا و صيالة و الفحلان يتصاولان أى يتواثبان . و الفنيق فحل الإبل و هدر ردد صوته فى حنجرته و إبل هوادر و كذلك هدر بالتشديد تهديرا و فى المثل هو كالمهدر فى العنة يضرب للرجل يصيح و يجلب و ليس وراء ذلك شىء كالبعير الذى يحبس فى العنة و هى الحظيرة و يمنع من الضراب و هو يهدر و قال الوليد بن عقبة لمعاوية - قرآن - ١٥٥- ١٨٠ قطعت الدهر كالسدم المعنى || تهدر فى دمشق و لا تريم . و الكظوم الإمساك و السكوت كظم البعير يكظم كظوما إذا أمسك الجرة و هو كاطم و إبل كظوم لا تجتر و قوم كظم ساكتون . و تواخى الناس صاروا إخوة و الأصل تأخى الناس فأبدلت الهمزة و اوا كآزرتة أى أعنته و وازرتة . يقول اصطلاحوا على الفجور و تهاجروا على الدين أى تعادوا و تقاطعوا. فإن قلت فإن من شعار الصالحين أن يهجروا فى الدين و يعادوا فيه [صفحہ ١٩٣] قلت لم يذهب أمير المؤمنين حيث ظننت و إنما أراد أن صاحب الدين مهجور عندهم لأن صاحب الدين مهجور و صاحب الفجور جار عندهم مجرى الأخ فى الحنو عليه و الحب له لأنه صاحب فجور. ثم قال كان الولد غيظا أى لكثرة عقوق الأبناء للآباء و صار المطر قيظا يقال إنه من علامات الساعة و أشراطها. و أوساطه أكالا أى طعاما يقال ما ذقت أكالا و فى هذا الموضع إشكال لأنه لم ينقل هذا الحرف إلا فى الجحد خاصة كقولهم ما بها صافر

فالأ-جود الرواية الأخرى وهى آكالا- بمد الهمزة على أفعال جمع أكل و هو ماأكل كقفل وأقفال و قدروى أكالا بضم الهمزة على فعال وقالوا إنه جمع أكل للمأكل كعرق وعراق وظئر وظؤار إلا أنه شاذ عن القياس ووزن واحدهما مخالف لوزن واحد أكال لو كان جمعا يقول صار أوساط الناس طعمة للولاء وأصحاب السلاطين وكالفريسة للأسد. وغار الماء سفلى لنقصه وفاض سال . وتشاجر الناس تنازعوا وهى المشاجرة وشجر بين القوم إذااختلف الأمر بينهم واشتجروا مثل تشاجروا. وصار الفسوق نسبة يصير الفاسق صديق الفاسق حتى يكون ذلك كالنسب بينهم و حتى يعجب الناس من العفاف لقلته وعدمه . ولبس الإسلام لبس الفرو وللعرب عادة بذلك وهى أن تجعل الخمل إلى الجسد وتظهر الجلد والمراد انعكاس الأحكام الإسلامية فى ذلك الزمان [صفحة ١٩٤]

١٠٨- و من خطبة له ع

إشارة

كُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ وَ كُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ غِنَى كُلِّ فَقِيرٍ وَ عِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ وَ قُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ وَ مَفْزَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ وَ مَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ وَ مَنْ عَاشَ فَعَلِيهِ رِزْقُهُ وَ مَنْ مَاتَ فَإِلَيْهِ مُنْقَلَبُهُ لَمْ تَرَكَ الْعُيُونَ فَتُخْبِرُ عَنْكَ بَلْ كُنْتَ قَبْلَ الْوَاصِفِينَ مِنْ خَلْقِكَ لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ لَوْحَشَهُ وَ لَأَسْتَعْمَلْتَهُمْ لِمَنْفَعِهِ وَ لَأَسْبِقُكَ مَنْ طَلَبْتَ وَ لَأُفْلِتُكَ مَنْ أَخَذْتَ وَ لَأَيَنْقُصُ سُلْطَانُكَ مَنْ عَصَاكَ وَ لَأَيَزِيدُ فِى مُلْكِكَ مَنْ أَطَاعَكَ وَ لَأَيُرِدُّ أَمْرَكَ مَنْ سَخِطَ قَضَاءَكَ وَ لَأَيَسْتَعْنِي عَنْكَ مَنْ تَوَلَّى عَنْ أَمْرِكَ كُلُّ سِرٍّ عِنْدَكَ عَلَانِيَةٌ وَ كُلُّ غَيْبٍ عِنْدَكَ شَهَادَةٌ أَنْتَ الْأَيْدُ فَلَمَّا أَمِيدَ لِمَكَ وَ أَنْتَ الْمُنتَهَى فَلَمَّا مَحِيصَ عَنْكَ وَ أَنْتَ الْمَوْعِدُ فَلَمَّا مُنْجِي مَنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ يَبِيدُكَ نَاصِيَةٌ كُلُّ دَابِيَةٍ وَ إِلَيْكَ مَصِيرٌ كُلُّ نَسِيمَةٍ سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ شَأْنُكَ سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ مَا نَرَى مِنْ خَلْقِكَ وَ مَا أَصْغَرَ عَظِيمِيَّةً فِى جَنْبِ قُدْرَتِكَ وَ مَا أَهْوَلَ مَا نَرَى مِنْ مَلَكُوتِكَ وَ مَا أَحْقَرَ ذَلِكَ فِيمَا غَابَ عَنَّا مِنْ سُلْطَانِكَ وَ مَا أَسْبَغَ نِعْمَكَ فِى الدُّنْيَا وَ مَا أَصْغَرَهَا فِى نِعَمِ الْآخِرَةِ [صفحة ١٩٥] قال كل شىء خاضع لعظمة الله سبحانه و كل شىء قائم به و هذه هى صفته الخاصة أعنى كونه غنيا عن كل شىء و لا- شىء من الأشياء يعنى عنه أصلا. ثم قال غنى كل فقير و عز كل ذليل وقوة كل ضعيف ومفزع كل ملهوف . جاء فى الأثر من اعتر بغير الله ذل و من تكثر بغير الله قل -روايت-١-٢-روايت-١٥-٦٢ و كان يقال ليس فقيرا من استغنى بالله و قال الحسن وا عجباً للوط نبى الله قال لو أن لى بكم قوة أو أوى إلى ركن شديد أترأه أراد ركنا أشد وأقوى من الله . واستدل العلماء على ثبوت الصانع سبحانه بما دل عليه فحوى قوله ع ومفزع كل ملهوف و ذلك أن النفوس ببدائها تفزع عند الشدائد والخطوب الطارقة إلى الالتجاء إلى خالقها وبارئها ألا ترى راكبى السفينة عند تلاطم الأمواج كيف يجأرون إليه سبحانه اضطرارا لا اختيارا فدل ذلك على أن العلم به مركز فى النفس قال سبحانه وَ إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فِى الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلِيَّاهُ. ثم قال ع من تكلم سمع نطقه و من سكت علم سره يعنى أنه يعلم ماظهر و ما بطن . ثم قال و من عاش فعليه رزقه و من مات فإليه منقلبه أى هو مدبر الدنيا والآخرة والحاكم فيهما. ثم انتقل عن الغيبة إلى الخطاب فقال لم ترك العيون - قرآن-٨٣-١٣٦-قرآن-٤٩٨-٥٦٤ [صفحة ١٩٦]

فصل فى الكلام على الالتفات

واعلم أن باب الانتقال من الغيبة إلى الخطاب و من الخطاب إلى الغيبة باب كبير من أبواب علم البيان وأكثر ما يقع ذلك إذا اشتدت عناية المتكلم بذلك المعنى المنتقل إليه كقوله سبحانه الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين فأخبر عن غائب ثم انتقل إلى خطاب الحاضر فقال إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ قَالُوا لَأَن مِّنْزَلَهُ الْحَمْدُ دُونَ مِّنْزَلَةِ الْعِبَادَةِ فَإِنَّكَ تَحْمَدُ نَظِيرَكَ وَ لَا تَعْبُدُهُ فَجَعَلَ الْحَمْدَ لِلْغَائِبِ وَ جَعَلَ الْعِبَادَةَ لِلْحَاضِرِ يَخَاطَبُ بِالْكَافِ لِأَنَّ كَافَ الْخِطَابِ أَشَدَّ تَصْرِيحًا بِهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الْأَخْبَارِ بَلْفِظِ الْغَيْبَةِ قَالُوا وَ لِمَا نْتَهَى إِلَى آخِرِ السُّورَةِ قَالَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ فَأَسْنِدِ النِّعْمَةَ إِلَى مَخَاطَبِ حَاضِرٍ وَ قَالَ فِي الْغَضَبِ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ فَاسْنِدُهُ إِلَى فَاعِلٍ غَيْرِ مَسْمُومٍ وَ لَا مَعِينٍ وَ هُوَ أَحْسَنُ مِنْ أَنْ يَكُونَ قَالَ لَمْ تَغْضَبْ عَلَيْهِمْ وَ فِي النِّعْمَةِ الَّذِينَ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ . وَ مِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُ تَعَالَى وَ قَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا فَأَخْبِرْ بِقَالُوا عَنْ غَائِبِينَ ثُمَّ قَالَ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا فَاتَى بَلْفِظِ الْخِطَابِ اسْتِعْظَامًا لِلأَمْرِ كَالْمَنْكَرِ عَلَى قَوْمِ حَاضِرِينَ عِنْدَهُ . وَ مِنْ الْإِنْتِقَالِ عَنِ الْخِطَابِ إِلَى الْغَيْبَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَ جَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَ فَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ... الْآيَةُ . -قرآن- ١٩٠-٢٦٠-قرآن- ٣٠٨-٣٤٤-قرآن- ٥٧١-٦٠٣-قرآن- ٦٤٩-٦٧٣-قرآن- ٨١٧-٨٥٠-قرآن- ٨٨٣-٩٠٧-قرآن- ١٠٢٣-١١٧٣] صفحہ ١٩٧ [وفائدة ذلك أنه صرف الكلام من خطاب الحاضرين إلى أخبار قوم آخرين بحالهم كأنه يعدد على أولئك ذنوبهم ويشرح لهؤلاء بغيهم وعنادهم الحق ويقبح عندهم مافعلوه ويقول أ لا تعجبون من حالهم كيف دعونا فلما رحمناهم واستجبنا دعاءهم عادوا إلى بغيهم وهذه الفائدة لو كانت الآية كلها على صيغة خطاب الحاضر مفقودة . قال ع مارأتك العيون فتخبر عنك كما يخبر الإنسان عما شاهده بل أنت أزلى قديم موجود قبل الواصفين لك . فإن قلت فأى منافاة بين هذين الأمرين أليس من الممكن أن يكون سبحانه قبل الواصفين له و مع ذلك يدرك بالأبصار إذا خلق خلقه ثم يصفونه رأى عين قلت بل هاهنا منافاة ظاهرة و ذلك لأنه إذا كان قديما لم يكن جسما و لا عرضا و ما ليس بجسم و لا عرض تستحيل رؤيته فيستحيل أن يخبر عنه على سبيل المشاهدة . ثم ذكر ع أنه لم يخلق الخلق لاستيحاشه وتفرد و لاستعمالهم بالعبادة لنفعه و قد تقدم شرح هذا . ثم قال لا تطلب أحدا فيسبقك أى يفوتك و لا يفلتك من أخذته . فإن قلت أى فائدة فى قوله و لا يفلتك من أخذته لأن عدم الإفلات هو الأخذ فكأنه قال لا يفلتك من لم يفلتك قلت المراد أن من أخذت لا يستطيع أن يفلت كما يستطيع المأخوذون مع ملوك الدنيا أن يفلتوا بحيلة من الحيل . فإن قلت أفلت فعل لازم فما باله عداه . قلت تقدير الكلام لا يفلت منك فحذف حرف الجر كما قالوا استجبتك أى استجبت لك قال [صفحہ ١٩٨] فلم يستجبه عند ذاك مجيب . وقالوا استغفرت الله الذنوب أى من الذنوب و قال الشاعر أستغفر الله ذنبا لست محصيه || رب العباد إليه الوجه والعمل قوله ع و لا يرد أمرك من سخط قضاء ك و لا يستغنى عنك من تولى عن أمرك تحته سر عظيم و هو قول أصحابنا فى جواب قول المجبرة لوقع منا ما لا يريد لاقضى ذلك نقصه إنه لا ينقص فى ذلك لأنه لا يريد الطاعات منا إرادة قهر وإلجاء و لو أرادها إرادة قهر لوقعت وغلبت إرادته إرادتنا ولكنه تعالى أراد منا أن نفعل نحن الطاعة اختيارا فلا يدل عدم وقوعها منا على نقصه وضعفه كما لا يدل بالاتفاق بيننا وبينكم عدم وقوع ما أمر به على ضعفه ونقصه . ثم قال ع كل سر عندك أى لا يختلف الحال عليه فى الإحاطة بالجهر والسر لأنه عالم لذاته ونسبة ذاته إلى كل الأمور واحده . ثم قال أنت الأبد فلا أمد لك هذا كلام علوى شريف لا يفهمه إلا الراسخون فى العلم و فيه سمه من قول النبى ص لا تسبوا الدهر فإن الدهر هو الله -روایت- ١-٢-روایت- ١٧-٥١ و فى مناجاة الحكماء لمحمة منه أيضا و هو قولهم أنت الأزل السرمد و أنت الأبد الذى لا ينفد بل قولهم أنت الأبد الذى لا ينفد هو قوله أنت الأبد فلا أمد لك بعينه ونحن نشرحه هاهنا على موضوع هذا الكتاب فإنه كتاب أدب لا كتاب نظر فنقول إن له فى العريضة محملين أحدهما أن المراد به أنت ذو الأبد كما قالوا رجل خال أى ذو خال والخال الخيلاء و رجل داء أى به داء و رجل [صفحہ ١٩٩] مال أى ذو مال والمحمل الثانى أنه لما كان الأزل والأبد لا ينفكان عن وجوده سبحانه جعله ع كأنه أحدهما بعينه كقولهم أنت الطلاق

لما أراد المبالغة في البيئته جعلها كأنها الطلاق نفسه ومثله قول الشاعر فإن المندى رحله فركوب و قال أبو الفتح في الدمشقيات استدل أبو علي على صرف منى للموضع المخصوص بأنه مصدر منى يمينى قال فقلت له أتستدل بهذا على أنه مذكر لأن المصدر إلى التذكير فقال نعم فقلت فما تنكر إلا- يكون فيه دلالة عليه لأنه لا ينكر أن يكون مذكر سمي به البقعة المؤنثة فلا ينصرف كأمراه سميتها بحجر وجبل وشيع ومعنى فقال إنما ذهبت إلى ذلك لأنه جعل كأنه المصدر بعينه لكثرة ما يعانى فيه ذلك فقلت الآن نعم . و من هذا الباب قوله فإنما هي إقبال وإدبار . و قوله وهن من الإخلاف قبلك والمطل . و قوله فلامنحى منك إلا إليك قد أخذ الفرزديق فقال لمعاوية إليك فررت منك و من زياد || و لم أحسب دمي لكما حالاً ثم استعظم واستهول خلقه الذى يراه وملكوته الذى يشاهده واستصغر واستحقر [صفحہ ۲۰۰] ذلك بالإضافة إلى قدرته تعالى و إلى ما غاب عنا من سلطانه ثم تعجب من سبوغ نعمه تعالى فى الدنيا واستصغر ذلك بالنسبة إلى نعم الآخرة و هذا حق لأنه لانسبه للمتناهى إلى غير المتناهى منها من ملائكة أسكتهم سماواتك و رفعتهم عن أرضك هم أعلم خلقك بك و أخوفهم لك و أقربهم منك لم يسكنوا الأصلاب و لم يضمنا الأرحام و لم يخلقوا من ماء مهين و لم يتشعبهم ريب المنون و إنهم على مكانهم منك و منزلتهم عندك و استجماع أهوائهم فيك و كثرة طاعتهم لك و قلة غفلتهم عن أمرك لو عاينوا كنه ما خفى عليهم منك لحرروا أعمالهم و لزروا على أنفسهم و لعرفوا أنهم لم يعبدوك حق عبادتك و لم يطيعوك حق طاعتك سبحانه خالقاً و معبوداً بحسن بلائك عند خلقك خلقت داراً و جعلت فيها مأدبة مشرباً و مطعماً و أزواجاً و خدماً و قسوراً و أنهاراً و زروعاً و ثماراً ثم أرسلت داعياً يدعو إليها فلا الداعي أجابوا و لا فيما رغب رغبوا و لا إلى ما شوق إليه اشتاقوا أقبلوا على جيفه قد افتضحوا بأكلها و اصطلحوا على حبه و من عشق شيئاً أعشى بصره و أمرض قلبه فهو ينظر بعين غير صحيحة و يسمع بأذن غير سمعية قد حرق الشهوات عقله و أمات الدنيا قلبه و ولهت عليها نفسه فهو عبد لها و لمن فى يديه شىء منها حيثما زالت زال إليها و حيثما أقبلت أقبل عليها لا ينزجر من الله بزاجر و لا يتعظ منه بواعظ و هو يرى المأخوذين [صفحہ ۲۰۱] على الغرّة حيث لا إقالة لهم و لا رجعة كيف نزل بهم ما كانوا يجهلون و جاءهم من فراق الدنيا ما كانوا يأمنون و قدموا من الآخرة على ما كانوا يؤعدون فغير موصوف ما نزل بهم اجتمعت عليهم سكرة الموت و حسرة الفوت ففسترت لها أطرافهم و تغيرت لها ألوانهم ثم ازداد الموت فيهم و لوجاً فحيل بين أحدهم و بين منطقيه و إنه لبين أهله ينظر بصيرة و يسمع بأذنه على صحه من عقله و بقاء من ليه يفكر فيم أفنى عمره و فيم أذهب دهره و يتذكر أموالاً جمعتها أغمض فى مطالبها و أخذها من مصير حاتها و مشتبهاتها قد لزمته تبعات جمعها و أشرف على فراقها تبقى لمن وراءه ينعمون فيها و يتمتعون بها فيكون المهناً لغيره و العبء على ظهره و المرء قد غلقت رهونه بها فهو يعرض يده ندامة على ما أصحز له عند الموت من أمره و يزهيد فيما كان يرغب فيه أيام عمره و يتمنى أن الذى كان يغبطه بها و يحسده عليها قد حازها دونه فلم يزل الموت يبالغ فى جسده حتى خالط سمعه فصار بين أهله لا ينطق بلسانه و لما يسمع بسمع يردد طرفه بالنظر فى وجوههم يرى حرکات ألسنتهم و لا يسمع رجع كلامهم ثم ازداد الموت التباطؤ به فقبض بصيره كما قبض سمعه و خرجت الروح من جسده فصار جيفة بين أهله قد أوحشوا من جانبه و تباعدوا من قربه لما يسعد باكياً و لا يجيب داعياً ثم حملوه إلى محط فى الأرض فأسلموه فيه إلى عمله و انقطعوا عن زورته حتى إذا بلغ الكتاب أجله و الأمر مقاديره و الحق آخر الخلق بأوله و جاء من أمر الله ما يريد من تجديد خلقه أماد السماء و فطرها و أرج الأرض و أرجفها و قلع جبالها و نسفها و ذك بعضها بعضاً من هيبة جلالته و مخوف سيطوته و أخرج من فيها فجدددهم بعد إخلاقهم و جمعهم بعد تفرقهم ثم ميزهم لما يريد من [صفحہ ۲۰۲] مسألته عن خفايا الأعمال و خبايا الأفعال و جعلهم فريقين أنعم على هؤلاء و انتقم من هؤلاء فأما أهل الطاعة فأتابهم بجوارهم و خلدهم فى داره حيث لا يظعن النزال و لا تتغير بهم الحال و لا تنوبهم الأفرع و لا تنالهم الأسقام و لا تعرض لهم الأخطار و لا تشخصهم الأسفار و أما أهل المعصية فأنزلهم شر دار و غل الأيدي إلى

الأعناقِ وَ قَرْنَ النِّوَاصِي بِالْأَفْدَامِ وَ أَلْبَسِيَهُمْ سَرَابِيلَ الْقَطِرَانِ وَ مَقْطَعَاتِ النَّيْرَانِ فِي عَذَابٍ قَدِ اشْتَدَّ حَرُّهُ وَ بَابٍ قَدِ أَطِيقَ عَلَى أَهْلِهِ فِي نَارٍ لَهَا كَلْبٌ وَ لَجَبٌ وَ لَهَبٌ سَاطِعٌ وَ قَصِيفٌ هَائِلٌ لَا يَظَعْنَ مُقِيمُهَا وَ لَا يُفَادِي أُسِيرُهَا وَ لَا تُفَصِّمُ كُبُولُهَا لَا مَدَّةَ لِلدَّارِ فَتَفَنِي وَ لَا أَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيَقْضَى هَذَا مَوْضِعَ الْمَثَلِ فِي كُلِّ شَجَرَةٍ نَارٍ وَ اسْتَمَجَدَ الْمَرْخُ وَ الْعَفَارُ الْخَطْبُ الْوَعْظِيَّةُ الْحَسَانُ كَثِيرَةٌ وَ لَكِنْ هَذَا حَدِيثٌ يَأْكُلُ الْأَحَادِيثَ مَحَاسِنَ أَصْنَافِ الْمَغْنِينِ جَمْعٌ || وَ مَاقِصَاتِ السِّبْقِ إِلَّا لِمَعْبُدٍ . مِنْ أَرَادَ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْفَصَاحَةَ وَ الْبَلَاغَةَ وَ يَعْرِفَ فَضْلَ الْكَلَامِ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَلْيَتَأَمَّلْ هَذِهِ الْخُطْبَةَ فَإِنَّ نَسَبَتَهَا إِلَى كُلِّ فَصِيحٍ مِنَ الْكَلَامِ عَدَا كَلَامِ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ نَسَبَةٌ الْكَوَاكِبِ الْمَنِيرَةِ الْفَلَكِيَّةِ إِلَى الْحِجَارَةِ الْمَظْلَمَةِ الْأَرْضِيَّةِ ثُمَّ لِيَنْظُرِ النَّازِرُ إِلَى مَا عَلَيْهَا مِنَ الْبَهَاءِ وَ الْجَلَالَةِ وَ الرِّوَاءِ وَ الدِّيَابِجَةِ وَ مَا تَحَدَّثَهُ مِنَ الرُّوعَةِ وَ الرَّهْبَةِ وَ الْمَخَافَةِ وَ الْخَشْيَةِ حَتَّى لَوْ تَلَيْتَ عَلَى زَنْدِيقٍ مَلْحَدٍ مَصْمُومٍ عَلَى اعْتِقَادِ نَفْيِ الْبَعْثِ وَ النَّشُورِ لَهَدَيْتَ قَوَاهِ وَ أَرَعَيْتَ قَلْبَهُ وَ أَضَعَفْتَ عَلَى نَفْسِهِ وَ زَلَزَلْتَ اعْتِقَادَهُ فَجَزَى اللَّهُ قَائِلَهَا عَنِ الْإِسْلَامِ أَفْضَلَ [صَفْحَةٌ ٢٠٣] مَا جَزَى بِهِ وَلِيًا مِنْ أَوْلِيَائِهِ فَمَا أَبْلَغَ نَصْرَتَهُ لَهُ تَارَةً بِيَدِهِ وَ سَيْفَهُ وَ تَارَةً بِلِسَانِهِ وَ نَطْقَهُ وَ تَارَةً بِقَلْبِهِ وَ فِكْرِهِ إِنْ قِيلَ جِهَادٌ وَ حَرْبٌ فَهُوَ سَيِّدُ الْمَجَاهِدِينَ وَ الْمُحَارِبِينَ وَ إِنْ قِيلَ وَعْظٌ وَ تَذْكَيرٌ فَهُوَ أَبْلَغُ الْوَاعِظِينَ وَ الْمَذْكُرِينَ وَ إِنْ قِيلَ فَهْوَ وَ تَفْسِيرٌ فَهُوَ رَئِيسُ الْفُقَهَاءِ وَ الْمَفْسِرِينَ وَ إِنْ قِيلَ عَدْلٌ وَ تَوْحِيدٌ فَهُوَ إِمَامُ أَهْلِ الْعَدْلِ وَ الْمَوْحِدِينَ لَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ || أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ . ثُمَّ نَعُودُ إِلَى الشَّرْحِ فَنَقُولُ قَوْلَهُ عَ اسْكَنْتَهُمْ سَمَاوَاتِكُ لَا يَقْتَضِي أَنْ جَمِيعَ الْمَلَائِكَةِ فِي السَّمَاوَاتِ فَإِنَّهُ قَدْ ثَبَتَ أَنَّ الْكِرَامَ الْكَاتِبِينَ فِي الْأَرْضِ وَ إِنَّمَا لَمْ يَقْتَضِ ذَلِكَ لِأَنَّ قَوْلَهُ مِنْ مَلَائِكَةِ لَيْسَ مِنْ صِيغِ الْعُمُومِ فَإِنَّهُ نَكَرَةٌ فِي سِيَاقِ الْإِثْبَاتِ وَ قَدْ قِيلَ أَيْضًا إِنْ مَلَائِكَةُ الْأَرْضِ تَعْرَجُ إِلَى السَّمَاءِ وَ مَسْكَنُهَا بِهَا وَ يَتَنَابَوْنَ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ . قَوْلُهُ هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ لَيْسَ يَعْنِي بِهِ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ مِنْ مَاهِيَّتِهِ تَعَالَى مَا لَا يَعْلَمُهُ الْبَشَرُ أَمَا عَلَى قَوْلِ الْمُتَكَلِّمِينَ فَلَأَنْ ذَاتَهُ تَعَالَى مَعْلُومَةٌ لِلْبَشَرِ وَ الْعِلْمُ لَا يَقْبَلُ الْأَشَدَّ وَ الْأَضْعَفُ وَ أَمَا عَلَى قَوْلِ الْحُكَمَاءِ فَلَأَنَّ ذَاتَهُ تَعَالَى غَيْرُ مَعْلُومَةٌ لِلْبَشَرِ وَ لِلْمَلَائِكَةِ وَ يَسْتَحِيلُ أَنْ تَكُونَ مَعْلُومَةٌ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ فَلَمْ يَبْقَ وَجْهٌ يَحْمِلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ عَ هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ إِلَّا أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ مِنْ تَفَاصِيلِ مَخْلُوقَاتِهِ وَ تَدْبِيرَاتِهِ مَا لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُهُمْ كَمَا يُقَالُ وَ زَيْرُ الْمَلِكِ أَعْلَمُ بِالْمَلِكِ مِنَ الرَّعِيَّةِ لَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ أَعْلَمُ بِذَاتِهِ وَ مَاهِيَّتِهِ بَلْ بِأَفْعَالِهِ وَ تَدْبِيرِهِ وَ مَرَادُهُ وَ غَرَضُهُ . قَوْلُهُ وَ أَخَوْفُهُمْ لَكَ لِأَنَّ قُوَّتِي الشَّهْوَةِ وَ الْغَضَبِ مَرْفُوعَتَانِ عَنْهُمْ وَ هُمَا مَنبَعٌ [صَفْحَةٌ ٢٠٤] الشَّرِّ وَ بَهُمَا يَقَعُ الطَّمَعُ وَ الْإِقْدَامُ عَلَى الْمَعَاصِي وَ أَيْضًا فَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَشَاهِدُ الْجَنَّةَ وَ النَّارَ عَيْنَانِ فَيَكُونُ أَخَوْفٌ لِأَنَّهُ لَيْسَ الْخَبْرُ كَالْعِيَانِ . قَوْلُهُ وَ أَقْرَبُهُمْ مِنْكَ لَا يَرِيدُ الْقُرْبَ الْمَكَانِي لِأَنَّهُ تَعَالَى مَنزَهُ عَنِ الْمَكَانِ وَ الْجَهَّةِ بَلْ الْمُرَادُ كَثْرَةُ الثَّوَابِ وَ زِيَادَةُ التَّعْظِيمِ وَ التَّبَجِيلِ وَ هَذَا يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ مَذْهَبِ أَصْحَابِنَا فِي أَنَّ الْمَلَائِكَةَ أَفْضَلُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ . ثُمَّ نَبِّهَ عَلَى مَزِيَّةٍ لَهُمْ تَقْتَضِي أَوْفَاقِيَّةَ جَنْسِهِمْ عَلَى جَنْسِ الْبَشَرِ بِمَعْنَى الْأَشْرَفِيَّةِ لِأَنَّ زِيَادَةَ الثَّوَابِ وَ هُوَ قَوْلُهُ لَمْ يَسْكُنُوا الْأَصْلَابَ وَ لَمْ يَضْمُنُوا الْأَرْحَامَ وَ لَمْ يَخْلُقُوا مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ وَ لَمْ يَتَشَعَّبَهُمْ رَيْبُ الْمَنُونِ وَ هَذِهِ خِصَائِصُ أَرْبَعٍ فَالْأُولَى أَنَّهُمْ لَمْ يَسْكُنُوا الْأَصْلَابَ وَ الْبَشَرُ سَكَنُوا الْأَصْلَابَ وَ لَاشْبَهَةُ أَنْ مَا رَتَفَعَ عَنِ مَخَالِطَةِ الصُّورَةِ اللَّحْمِيَّةِ وَ الدَّمَوِيَّةِ أَشْرَفَ مِمَّا خَالَطَهَا وَ مَا زَجَّهَا . وَ الثَّانِيَةُ أَنَّهُمْ لَمْ يَضْمُنُوا الْأَرْحَامَ وَ لَاشْبَهَةُ أَنْ مَنْ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ الْمُسْتَقْدَرِ أَشْرَفَ مِمَّنْ خَرَجَ مِنْهُ وَ كَانَ أَحْمَدُ بْنُ سَهْلٍ بْنُ هَاشِمِ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ كَامَكَو بْنِ يَزِيدِ بْنِ شَهْرِيَّارٍ يَفْخَرُ عَلَى أَبْنَاءِ الْمَلُوكِ بِأَنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ بَضْعِ امْرَأَةٍ لِأَنَّ أُمَّهُ مَاتَتْ وَ هِيَ حَامِلٌ بِهِ فَشَقَّ بَطْنَهَا عَنْهُ وَ أَخْرَجَ قَالَ أَبُو الرِّيحَانِ الْبَيْرُونِيُّ فِي كِتَابِ الْآثَارِ الْبَاقِيَّةِ عَنِ الْقُرُونِ الْخَالِيَّةِ عَنِ هَذَا الرَّجُلِ أَنَّهُ كَانَ يَتِيهِ عَلَى النَّاسِ وَ إِذَا شَتَمَ أَحَدًا قَالَ ابْنُ الْبُضْعِ قَالَ أَبُو الرِّيحَانِ وَ أَوَّلُ مَنْ اتَّفَقَ لَهُ ذَلِكَ الْمَلِكُ الْمَعْرُوفُ بِأَغُسْطُسَ مَلِكِ الرُّومِ وَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ سَمِيَ فِيهِمْ قَيْصَرٌ لِأَنَّ تَفْسِيرَ قَيْصَرٍ بَلْغَتُهُمْ شَقَّ عَنْهُ وَ أَيَّامُهُ تَارِيخٌ كَمَا أَنَّ أَيَّامَ الْإِسْكَانْدَرِ تَارِيخٌ لِعَظْمَتِهِ وَ جَلَالَتِهِ عِنْدَهُمْ . وَ الثَّلَاثَةُ أَنَّهُمْ لَمْ يَخْلُقُوا مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ وَ قَدْنَصَ الْقُرْآنُ الْعَزِيزُ عَلَى أَنَّهُ مَهِينٌ وَ كَفَى ذَلِكَ فِي تَحْقِيرِهِ وَ ضَعْفِهِ فَهَمْ لَامِحَالَةٌ أَشْرَفَ مِمَّنْ خَلَقَ مِنْهُ لِأَسِيمَا وَ قَدْ ذَهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ إِلَى نَجَاسَتِهِ . [صَفْحَةٌ ٢٠٥] وَ الرَّابِعَةُ أَنَّهُمْ لَا يَتَشَعَّبُهُمُ الْمَنِيَّةُ وَ لَا رَيْبُ أَنْ مَنْ لَا تَنْتَرِقُ إِلَيْهِ الْأَسْقَامُ وَ الْأَمْرَاضُ وَ لَا يَمُوتُ أَشْرَفَ مِمَّنْ هُوَ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَ لِحِظَةٍ بَعْرُضِ سَقَامٍ وَ بَصَدَدِ مَوْتٍ وَ حَمَامٍ . وَ اعْلَمْ أَنَّ مَسْأَلَةَ تَفْضِيلِ الْمَلَائِكَةِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ لَهَا صَوْرَتَانِ إِحْدَاهُمَا

أن أفضل بمعنى كونهم أكثر ثوابا والأخرى كونهم أفضل بمعنى أشرف كَمَا تَقُولُ إِنَّ الْفَلَكَ أَفْضَلُ مِنَ الْأَرْضِ أَيْ إِنَّ الْجَوْهَرَ الَّذِي مِنْهُ جَسْمِيَّةُ الْفَلَكَ أَشْرَفُ مِنَ الْجَوْهَرِ الَّذِي مِنْهُ جَسْمِيَّةُ الْأَرْضِ . وَهَذِهِ الْمَزَايَا الْأَرْبَعُ دَالَّةٌ عَلَى تَفْضِيلِ الْمَلَائِكَةِ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ الثَّانِي . قَوْلُهُ عَ يَتَشَعَّبُهُمْ رِيبَ الْمُنُونِ أَيْ يَتَقَسَّمُهُمْ وَالشَّعْبُ التَّفْرِيقُ وَ مِنْهُ قِيلَ لِلْمَنِيَّةِ شُعُوبٌ لِأَنَّهَا تَفْرُقُ الْجَمَاعَاتِ وَرِيبَ الْمُنُونِ حَوَادِثُ الدَّهْرِ وَأَصْلُ الرِّيبِ مَارَابُ الْإِنْسَانِ أَيْ جَاءَهُ بِمَا يَكْرَهُ وَالْمُنُونُ الدَّهْرُ نَفْسُهُ وَالْمُنُونُ أَيْضًا الْمَنِيَّةُ لِأَنَّهَا تَمُنُّ الْمَدَّةَ أَيْ تَقْطَعُهَا وَالْمَنُ الْقَطْعُ وَ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرٌ مَمْنُونٍ . وَقَالَ لَبِيدٌ -قُرْآن- ٧٥٧-٧٨٢ غَبَسَ كَوَاسِبَ لَا يَمُنُّ طَعَامَهَا . ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُمْ كَثْرَةُ عِبَادَتِهِمْ وَإِخْلَاصُهُمْ لَوْعَايِنَا كُنْهُ مَا خَفَى عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَارِئِ تَعَالَى لِحَقْرُوا أَعْمَالَهُمْ وَزَرَوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَيْ عَابَوْهَا تَقُولُ زَرَيْتَ عَلَى فَلَاحٍ أَيْ عَبْتَهُ وَأَزْرَيْتَ بِفَلَاحٍ أَيْ قَصَرْتَهُ بِهِ . [صَفْحَةُ ٢٠٦] فَإِنَّ قَوْلَهُ مَا هَذَا الْكُنْهُ الَّذِي خَفَى عَنِ الْمَلَائِكَةِ حَتَّى قَالَ لَوْعَايِنُوهُ لِحَقْرُوا عِبَادَتَهُمْ وَلَعَلَّمُوا أَنَّهُمْ قَدِ قَصَرُوا فِيهَا قَوْلُ إِنَّ عِلْمَ الْمَلَائِكَةِ بِالْبَارِئِ تَعَالَى نَظْرِيَّةٌ كَعِلْمِ الْبَشَرِ وَالْعِلْمُ النَّظْرِيَّةُ دُونَ الْعِلْمِ الضَّرُورِيَّةِ فِي الْجَلَاءِ وَالْوُضُوحِ فَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَ يَقُولُ لَوْ كَانَتْ عِلْمُهُمْ بِكَ وَبِصِفَاتِكَ إِثْبَاتِيَّةً وَالسَّلْبِيَّةَ وَالْإِضَافِيَّةَ ضَرُورِيَّةً عَوَضَ عِلْمُهُمْ هَذِهِ الْمَتَحَقَّقَةَ الْآنَ الَّتِي هِيَ نَظْرِيَّةٌ وَ لَا تَكْشِفُ لَهُمْ مَا لَيْسَ الْآنَ عَلَى حَدِّ ذَلِكَ الْكَشْفِ وَالْوُضُوحِ وَ لَا شَبِيهَةَ أَنْ الْعِبَادَةَ وَالْخِدْمَةَ عَلَى قَدْرِ الْمَعْرِفَةِ بِالْمَعْبُودِ فَكَلَّمَا كَانَ الْعَابِدُ بِهِ أَعْرَفَ كَانَتْ عِبَادَتُهُ لَهُ أَعْظَمَ وَ لَا شَبِيهَةَ أَنْ الْعَظِيمِ عِنْدَ الْأَعْظَمِ حَقِيرٌ . فَإِنَّ قَوْلَهُ فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ وَاسْتِجْمَاعُ أَهْوَائِهِمْ فِيكَ وَهَلْ لِلْمَلَائِكَةِ هَوَى وَهَلْ تَسْتَعْمَلُ الْأَهْوَاءَ إِلَّا فِي الْبَاطِلِ قَلَّتِ الْهَوَى الْحُبِّ وَ مِثْلُ النَّفْسِ وَ قَدْ يَكُونُ فِي بَاطِلٍ وَحَقٍّ وَ إِنَّمَا يَحْمَلُ عَلَى أَحَدِهِمَا بِالْقَرِينَةِ وَالْأَهْوَاءَ تَسْتَعْمَلُ فِيهِمَا وَ مَعْنَى اسْتِجْمَاعِ أَهْوَائِهِمْ فِيهِ أَنْ دَوَاعِيَهُمْ إِلَى طَاعَتِهِ وَخِدْمَتِهِ لِاتِّزَاعِهَا الصَّوَارِفَ وَكَانَتْ مَجْتَمِعَةً مَائِلَةً إِلَى شِقِّ وَاحِدٍ . فَإِنَّ قَوْلَهُ الْبَاءُ فِي قَوْلِهِ بِحَسَنِ بَلَائِكَ بِمَا ذَا تَتَعَلَّقُ قَلَّتِ الْبَاءُ هَاهُنَا لِلتَّعْلِيلِ بِمَعْنَى اللَّامِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ أَيْ لِأَنَّهُمْ فَتَكُونُ مُتَعَلِّقَةً بِمَا فِي سَبْحَانِكَ مِنْ مَعْنَى الْفِعْلِ أَيْ أَسْبَحَكَ لِحَسَنِ بَلَائِكَ وَ يَجُوزُ أَنْ تَتَعَلَّقَ بِمَعْبُودٍ أَيْ يَعْبُدُ لِدَلِّكَ . ثُمَّ قَالَ خَلَقْتَ دَارًا يَعْنِي الْجَنَّةَ وَالْمَادِبَةَ وَالْمَادِبَةَ بِفَتْحِ الدَّالِ وَضَمِّهَا الطَّعَامُ الَّذِي يَدْعَى الْإِنْسَانُ إِلَيْهِ أَدَبٌ زَيْدٌ الْقَوْمُ يَأْدِبُهُمْ بِالْكَسْرِ أَيْ دَعَاهُمْ إِلَى طَعَامِهِ وَالْأَدَبُ الدَّاعِي إِلَى طَعَامِهِ قَالَ طَرَفَةُ -قُرْآن- ٩٨٦-١٠٢٦ [صَفْحَةُ ٢٠٧] نَحْنُ فِي الْمَشْتَاءِ نَدْعُو الْجَفْلَى || لِأَنَّهُ يَتَرَى الْآدَبَ فَيُنْتَقِرُ وَ فِي هَذَا الْكَلَامِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْجَنَّةَ الْآنَ مَخْلُوقَةٌ وَ هُوَ مَذْهَبُ أَكْثَرِ أَصْحَابِنَا . وَ مَعْنَى قَوْلِهِ وَزَرَعًا أَيْ وَغُرُوسًا مِنَ الشَّجَرِ يَقَالُ زَرَعْتَ الشَّجَرَ كَمَا يَقَالُ زَرَعْتَ الْبَرَّ وَالشَّعِيرَ وَ يَجُوزُ أَنْ يَقَالُ الزَّرْعُ جَمْعُ زَرَعٍ وَ هُوَ الْإِنْبَاتُ يَقَالُ زَرَعَهُ اللَّهُ أَيْ أَنْبَتَهُ وَ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ وَ لَوْ قَالَ قَائِلٌ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ زَرْعًا مِنَ الْبَرِّ وَالْقَطْنِيَّةِ لَمْ يَبْعُدْ . قَوْلُهُ ثُمَّ أَرْسَلْتَ دَاعِيَا يَعْنِي الْأَنْبِيَاءَ وَأَقْبَلُوا عَلَى جِيفَةٍ يَعْنِي الدُّنْيَا وَ مِنْ كَلَامِ الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّمَا يَتَهَارَشُونَ عَلَى جِيفَةٍ . وَ إِلَى قَوْلِهِ وَ مِنْ عَشَقٍ شَيْئًا أَعْشَى بَصْرَهُ نَظَرَ الشَّاعِرُ فَقَالَ -قُرْآن- ٢٥٥-٣٢٧ وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ || كَمَا أَنَّ عَيْنَ السَّخَطِ تَبْدِي الْمَسَاوِيَا وَقِيلَ لِحَكِيمٍ مَا بَالَ النَّاسُ لَا يَرُونَ عَيْبَ أَنْفُسِهِمْ كَمَا يَرُونَ عَيْبَ غَيْرِهِمْ قَالَ إِنَّ الْإِنْسَانَ عَاشِقٌ لِنَفْسِهِ وَالْعَاشِقُ لَا يَرَى عَيْبَ الْمَعْشُوقِ . قَدْ خَرَقَتْ الشَّهْوَاتُ عَقْلَهُ أَيْ أَفْسَدَتْهُ كَمَا تَخْرُقُ الثُّوبَ فِيْفَسُدُ . وَ إِلَى قَوْلِهِ فَهُوَ عَدْلُهَا وَلَمَنْ فِي يَدَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا نَظَرَ ابْنَ دَرِيدٍ فَقَالَ عَيْدُ ذِي الْمَالِ وَ إِنْ لَمْ يَطْمَعُوا || مِنْ مَالِهِ فِي نَغْبَةٍ تَشْفِي الصَّدَى وَهُمْ لَمَنْ أَمْلَقَ أَعْدَاءُ وَ إِنْ || شَارَكَهُمْ فِيمَا أَفَادَ وَحَوَى . [صَفْحَةُ ٢٠٨] وَ إِلَى قَوْلِهِ حَيْثَمَا زَالَتْ زَالَتْ إِلَيْهَا وَحَيْثَمَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَتْ عَلَيْهَا نَظَرَ الشَّاعِرُ فَقَالَ مَا النَّاسُ إِلَّا -مَعَ الدُّنْيَا وَصَاحِبِهَا || فَكَيْفَمَا انْقَلَبْتَ يَوْمًا بِهِ انْقَلَبُوا يَعْظُمُونَ أَخَا الدُّنْيَا فَإِنَّ وَثَبْتَ || يَوْمًا عَلَيْهِ بِمَا لَا يَشْتَهَى وَثَبُوا . وَ الْغُرَّةُ الْإِغْتِرَارُ وَالْغَفْلَةُ وَالْغَارُ الْغَافِلُ وَ قَدْ اغْتَرَّرْتَ بِالرَّجْلِ وَ اغْتَرَّهُ زَيْدٌ أَيْ أَتَاهُ عَلَى غُرَّةٍ مِنْهُ وَ يَجُوزُ أَنْ يَعْنِيَ بِقَوْلِهِ الْمَأْخُودِينَ عَلَى الْغُرَّةِ الْحَدَاثَةَ وَالشَّيْبِيَّةَ يَقُولُ كَانَ ذَلِكَ فِي غُرَاتِي وَغُرَاتِي أَيْ فِي حَدَاثَتِي وَصَبَايَ . قَوْلُهُ سَكْرَةُ الْمَوْتِ وَحَسْرَةُ الْفُوتِ أَيْ الْحَسْرَةُ عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا وَلَذَتِهَا وَ الْحَسْرَةُ عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنَ التَّوْبَةِ وَالنَّدَمِ وَاسْتِدْرَاكِ فَارَطِ الْمَعَاصِي . وَالْوُلُوجُ الدَّخُولُ وَ لَجَّ يَلْجُ . قَوْلُهُ وَبَقَاءُ مِنْ لَبِّهِ أَيْ لَبِّهِ بَاقٍ لَمْ يَعْدَمْ وَيُرْوَى وَنَقَاءُ بِالنُّونِ وَنَقَاءُ النَّظَافَةِ أَيْ لَبِّهِ غَيْرُ مَغْمُورٍ . أَغْمَضَ فِي مَطَالِبِهَا أَيْ تَسَاهَلَ فِي دِينِهِ فِي

اكتسابه إياها أى كان يفنى نفسه بتأويلات ضعيفه فى استحلال تلك المطالب والمكاسب فذاك هو الإغماض قال تعالى وَ لَسْتُمْ بِأَخِيذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ ويمكن أن يحمل على وجه آخر و هو أنه قد كان يحتال بحيل غامضة دقيقة فى تلك المطالب حتى حصلها واكتسبها. قوله ع وأخذها من مصرحاتها ومشتبهاتها أى من وجوه مباحة وذوات شبهة وهذا يؤكد المحمل الأول فى أغمض . والتبعات الآثام الواحدة تبعه ومثلها التباعه قال -قرآن- ٦٢٧-٦٧٢ [صفحہ ٢٠٩] لم يحذروا من ربهم || سوء العواقب والتباعه . والمهنأ المصدر من هنئ الطعام وهنؤ بالكسر والضم مثل فقه وفقه فإن كسرت قلت يهنأ وإن ضمنت قلت يهنؤ والمصدر هناءه ومهنأ أى صار هنيئا وهنأنى الطعام يهنؤنى ويهنئنى و لانظير له فى المهموز هنا وهناء وهنئت الطعام أى تهنأت به ومنه قوله تعالى فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا. والعبء الحمل والجمع أعباء. وعلق الرهن أى استحقه المرتهن وذلك إذا لم يفتكك فى الوقت المشروط قال زهير -قرآن- ٢٥٦-٢٨٢ وفارقتك برهن لافكاك له || يوم الوداع فأمسى الرهن قدغلقا . فإن قلت فما معنى قوله ع قدغلقت رهونه بها فى هذاالموضع قلت لما كان قدشارف الرحيل وأشفى على الفراق وصارت تلك الأموال التى جمعها مستحقة لغيره و لم يبق له فيها تصرف أشبهت الرهن الذى غلق على صاحبه فخرج عن كونه مستحقا له وصار مستحقا لغيره وهو المرتهن . وأصحر انكشف وأصله الخروج إلى الصحراء والبروز من الممكن . رجع كلامهم مايتراجعونه بينهم من الكلام ازداد الموت التياطا به أى التصاقا قدأوحشوا أى جعلوا مستوحشين والمستوحش المهموم الفرع ويروى أوحشوا من جانبه أى خلوا منه وأفقروا تقول قدأوحش المنزل من أهله أى أقفر. وخلا إلى مخط فى الأرض أى إلى خط سماه مخطا أوخطا لدقته يعنى اللحد [صفحہ ٢١٠] ويروى إلى محط بالحاء المهملة و هو المنزل وحط القوم أى نزلوا. وألحق آخر الخلق بأوله أى تساوى الكل فى شمول الموت والفناء لهم فالتحق الآخر بالأول . أماد السماء حركها ويروى أمار والموران الحركة وفطرها شقها وأرج الأرض زلزلها تقول رجت الأرض وأرجها الله ويجوز رجها وقدروى رج الأرض بغير همزة و هو الأصح و عليه ورد القرآن إذا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا. أرجفها جعلها راجفة أى مرتعدة متزلزلة رجفت الأرض ترجف والرجفان الاضطراب الشديد وسمى البحر رجافا لاضطرابه قال الشاعر -قرآن- ٣٣٥-٣٥٩ حتى تغيب الشمس فى الرجاف . ونسفها قلعها من أصولها ودك بعضها بعضا صدمه ودقه حتى يكسره ويسويه بالأرض و منه قوله سبحانه وَ حَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً. ميزهم أى فصل بينهم فجعلهم فريقين سعداء وأشقياء و منه قوله تعالى وَ امْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ أى انفصلوا من أهل الطاعة. يظعن يرحل تنوبهم الأفرع تعاودهم وتعرض لهم الأخطار جمع خطر و هو مايشرف به على الهلكة. -قرآن- ١٠٠-١٥٥ -قرآن- ٢٢٨-٢٦٧ [صفحہ ٢١١] وتشخصهم الأسفار تخرجهم من منزل إلى منزل شخص الرجل وأشخصه غيره وغل الأيدي جعلها فى الأغلال جمع غل بالضم و هو القيد والقطران الهناء قطرت البعير أى طليته بالقطران قال كماقتر المهنوءة الرجل الطالى وبعير مقطور و هذا من الألفاظ القرآنية قال تعالى سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَ تَغَشَّىٰ وُجُوهُهُمْ النَّارُ والمعنى أن النار إلى القطران سريعة جدا. ومقطعات النيران أى ثياب من النيران قدقطعت وفصلت لهم وقيل المقطعات قصار الثياب والكلب الشدة والجلب واللجب الصوت والقصيف الصوت الشديد. لا يقصم كبولها لا يكسر قيودها الواحد كبل . ثم ذكر أن عذابهم سرمدى و أنه لانهائية له نعوذ بالله من عذاب ساعة واحدة فكيف من العذاب الأبدى -قرآن- ٥١-١٠٤

موازنة بين كلام الإمام على وخطب ابن نباتة

ونحن نذكر فى هذاالموضع فصولا- من خطب الخطيب الفاضل عبدالرحيم بن نباتة رحمه الله و هوالفائز بقصبات السبق من الخطباء وللناس غرام عظيم بخطبه وكلامه ليتأمل الناظر كلام أمير المؤمنين ع فى خطبه ومواعظه وكلام هذاالخطيب المتأخر [

صفحة ٢١٢] الذى قد وقع الإجماع على خطابه وحسنها و أن مواظبه هي الغايه التي ليس بعدها غايه فمن ذلك قوله أيها الناس تجهزوا فقد ضرب فيكم بوق الرحيل وبرزوا فقد قربت لكم نوق التحويل ودعوا التمسك بخدع الأباطيل والركون إلى التسوية والتعليل فقد سمعتم ماكرر الله عليكم من قصص أبناء القرى و ماوعظكم به من مصارع من سلف من الورى مما لايعترض لذوى البصائر فيه شك و لاامرا وأنتم معرضون عنه إعراضكم عما يختلق ويفترى حتى كان ماتعلمون منه أضغاث أحلام الكرى وأيدى المنايا قدفصمت من أعماركم أوثق العرى وهجمت بكم على هول مطلع كربه القرى فالقهقرى رحمكم الله عن حبال العطب القهقرى واقطعوا مفاوز الهلكات بمواصله السرى وقفوا على أحداث المنزلين من شناخب الذرى المنجلين بوازع أم حبوكرى المشغولين بما عليهم من الموت جرى واكشفوا عن الوجوه المنعمه أطباق الثرى تجدوا مابقى منها عبره لمن يرى فرحم الله امرأ رحم نفسه فبكاها وجعل منها إليها مشتكاها قبل أن تعلق به خطاطيف المنون وتصدق فيه أراجيف الظنون وتشرق عليه بمائها مقل العيون ويلحق بمن دثر من القرون قبل أن يبدوا على المناكب محمولا ويغدو إلى محل المصائب منقولا ويكون عن الواجب مسئولا وبالقدوم على الطالب الغالب مشغولا هناك يرفع الحجاب ويوضع الكتاب وتقطع الأسباب وتذهب الأحساب ويمنع الإعتاب ويجمع من حق عليه العقاب و من وجب له الثواب فيضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمه وظاهره من قبله العذاب .فلينظر المنصف هذاالكلام و ما عليه من أثر التوليد أولا بالنسبه إلى ذلك الكلام العربى المحض ثم لينظر فيما عليه من الكسل والرخاوه والفتور والبلاده حتى كأن ذلك [صفحه ٢١٣] الكلام لعامر بن الطفيل مستلثما شكته راكبا جواده و هذاالكلام للدلال المدينى المخنث آخذا زمارته متأبطا دفه . والمخ ما فى بوق الرحيل من السفسفه واللفظ العامى الغث واعلم أنهم كلهم عابوا على أبى الطيب قوله فإن كان بعض الناس سيفا لدوله || ففى الناس بوقات لها وطبول وقالوا لاتدخل لفظه بوق فى كلام يفلح أبدا. والمخ ما على قوله القهقرى القهقرى متكرره من الهجنه وأهجن منها أم حبوكرى وأين هذااللفظ الحوشى الذى تفوح منه روائح الشيخ والقيصوم وكأنه من أعرابى قح قدقدم من نجد لايفهم محاوره أهل الحضرة ولا أهل الحضرة يفهمون حواره من هذه الخطبه اللينه الألفاظ التى تكاد أن تتثنى من لينها وتتساقط من ضعفها ثم المح هذه الفقر والسجعات التى أولها القرى ثم المر ثم يفترى ثم الكرى إلى قوله عبره لمن يرى هل ترى تحت هذاالكلام معنى لطيفا أو مقصدا رشيقا أو هل تجد اللفظ نفسه لفظا جزلا فصيحاً أو عذبا معسولا وإنما هي ألفاظ قدضم بعضها إلى بعض والطائل تحتها قليل جدا وتأمل لفظه مرا فإنها ممدوده فى اللغه فإن كان قصرها فقد ركب ضروره مستهجنه و إن أراد جمع مريه فقد خرج [صفحه ٢١٤] عن الصناعه لأنه يكون قد عطف الجمع المفرد فيصير مثل قول القائل ماأخذت منه دينارا و لادراهم فى أنه ليس بالمستحسن فى فن البيان . و من ذلك قوله أيها الناس حصحص الحق فما من الحق مناص وأشخص الخلق فما لأحد من الخلق خلاص وأنتم على مايباعدكم من الله حراس ولكم على موارد الهلكه اغتصاص وفيكم عن مقاصد البركه انتكاص كأن ليس أمامكم جزاء و لاقتصاص ولجوارح الموت فى وحش نفوسكم اقتناص ليس بهاعليها تأب و لااعتياص .فليتأمل أهل المعرفة بعلم الفصاحه والبيان هذاالكلام بعين الإنصاف يعلموا أن سطرا واحدا من كلام نهج البلاغه يساوى ألف سطر منه بل يزيد ويربى على ذلك فإن هذاالكلام ملزق عليه آثار كلفه وهجنه ظاهره يعرفها العامى فضلا عن العالم . و من هذه الخطبه فاهجروا رحمكم الله وثير المراقده وادخروا طيب المكتسب تخلصوا من انتقاد الناقد واغتمنوا فسحه المهل قبل انسداد المقاصد واقتحموا سبل الآخرة على قلة المرافق والمساعد.فهل يجد متصفح الكلام لهذا الفصل عذوبه أو معنى يمدح الكلام لأجله وهل هو إلاألفاظ مضموم بعضها إلى بعض ليس لها حاصل كما قيل فى شعر ذى الرمه بعز ظباء ونقط عروس و من ذلك قوله فى له من واقع فى كرب الحشارج مصارع لسكرات الموت معالج حتى درج على تلك المدارج وقدم بصحيفته على ذى المعارج . [صفحه ٢١٥] و غيرخاف ما فى هذاالكلام من التكلف . و من ذلك قوله فكأنكم بمنادى الرحيل قدنادى فى أهل الإقامه فاقتحموا بالصغار محجه القيامة يتلو

الأوائل منهم الأواخر ويتبع الأكبر منهم الأصغر ويلتحق الغوامر من ديارهم بالغوامر حتى تتلغ جميعهم الحفر والمقابر. فإن هذا الكلام ركيك جدا لوقاله خطيب من خطباء قرى السواد لم يستحسن منه بل ترك واسترذل . ولعل عائبا يعيب علينا فيقول شرعتم في المقايسة والموازنة بين كلام أمير المؤمنين ع و بين كلام ابن نباتة وهل هذا إلا بمنزلة قول من يقول السيف أمضى من العصا وفي هذه غضاضة على السيف فنقول إنه قد اشتملت كتب المتكلمين على المقايسة بين كلام الله تعالى و بين كلام البشر لبيّنوا فضل القرآن وزيادة فصاحته على فصاحة كلام العرب نحو مقايستهم بين قوله تعالى وَ لَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاءٌ وَ بين قول القائل القتل أنفى للقتل ونحو مقايستهم بين قوله تعالى خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُر بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ وَ بين قول الشاعر - قرآن- ٧٣٣-٧٦٠- قرآن- ٨٣٣-٨٨٩ فإن عرضوا بالشرف فاصفح تكرما || و إن كتموا عنك الحديث فلا تسل . ونحو إيرادهم كلام مسيلمه و أحمد بن سليمان المعري و عبد الله بن المقفع فضلا فضلا والموازنة والمقايسة بين ذلك و بين القرآن المجيد وإيضاح أنه لا يبلغ ذلك إلى درجة [صفحة ٢١٦] القرآن العزيز و لا يقاربهها فليس بمستنكر منا أن نذكر كلام ابن نباتة في معرض إيرادنا كلام أمير المؤمنين ع لتظهر فضيلة كلامه ع بالنسبة إلى هذا الخطيب الفاضل الذي قد اتفق الناس على أنه أوحده عصره في فنه . واعلم أنا لا ننكر فضل ابن نباتة وحسن أكثر خطبه ولكن قوما من أهل العصبية والعتاد يزعمون أن كلامه يساوي كلام أمير المؤمنين ع ويمائله و قد ناظر بعضهم في ذلك فأحبيت أن أبين للناس في هذا الكتاب أنه لانسبة لكلامه إلى كلام أمير المؤمنين ع و أنه بمنزلة شعر الأبله و ابن المعلم بالإضافة إلى زهير والنابعة . واعلم أن معرفة الفصيح والأفصح والرشيح والأرشق والحلو والأحلى والعالي والأعلى من الكلام أمر لا يدرك إلا بالذوق و لا يمكن إقامة الدلالة المنطقية عليه و هو بمنزلة جاريتين إحداهما بيضاء مشربة حمرة دقيقة الشفتين نقيه الثغر كحلاء العينين أسيلة الخد دقيقة الأنف معتدلة القامة والأخرى دونها في هذه الصفات والمحاسن لكنها أحلى في العيون والقلوب منها وأليق وأصلح و لا يدري لأي سبب كان ذلك ولكنه بالذوق والمشاهدة يعرف و لا يمكن تعليقه وهكذا الكلام نعم يبقى الفرق بين الموضوعين أن حسن الوجوه وملاحظتها وتفضيل بعضها على بعض يدركه كل من له عين صحيحة و أما الكلام فلا يعرفه إلا أهل الذوق و ليس كل من اشتغل بالنحو واللغة أو بالفقه كان من أهل الذوق وممن يصلح لانتقاد الكلام وإنما أهل الذوق هم الذين اشتغلوا بعلم البيان وراضوا أنفسهم بالرسائل والخطب والكتابة والشعر وصارت لهم [صفحة ٢١٧] بذلك دربة وملكة تامة فإلى أولئك ينبغي أن ترجع في معرفة الكلام وفضل بعضه على بعض إن كنت عادما لذلك من نفسك منها في ذكر النبي ص قد حقر الدنيا و صرغرها و أهون بها و هونها و علم أن الله زواها عنه اختياراً و بسطها لغيره احتصاراً فأعرض عن الدنيا بقلبه و أمات ذكرها من نفسه و أحب أن تغيب زينتها عن عينه لكيلا يتخذ منها رياشاً أو يرجو فيها مقاماً بلغ عن ربه مُعذراً و نصيح لأمته مُنذراً و دعا إلى الجنة مُبشراً و خوفاً من النار مُحذراً فعل مشدد للتكثير قتلت أكثر من قتلت فيقتضى قوله ع قد حقر الدنيا زيادة تحقير النبي ص لها و ذلك أبلغ في الثناء عليه وتقريظه . قوله و صغرها أي و صغرها عند غيره ليكون قوله وأهون بها وهونها مطابقاً له أي أهون هو بها وهونها عند غيره . وزواها قبضها قال ع زويت لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها -رواية ١-٢-رواية ١١-٥١ . و قوله اختياراً أي قبض الدنيا عنه باختيار ورضا من النبي ص بذلك وعلم بما فيه من رفعة قدره ومنزلته في الآخرة. [صفحة ٢١٨] والرياش والریش بمعنى و هو اللباس الفاخر كالحرم والحرام واللبس واللباس وقرئ ورياشا ولباس التقوى ذلك خير ويقال الریش والرياش المال والخصب والمعاش وارتاش فلان حسنت حاله ومعدراً أي مبالغاً أعذر فلان في الأمر أي بالغ فيه نحن شجرة النبوة و محط الرسالة و مختلف الملائكة و معيادن العلم و ينابيع الحكم ناصية لنا و محبنا ينتظر الرحمة و عِدُونَا وَ مُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السَّيْطُورَةَ هَذَا الْكَلَامُ غَيْرُ مِلْتَصِقٍ بِالْأَوَّلِ كُلِّ الْإِتِّصَاقِ وَ هُوَ مِنَ النَّمْطِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ مَرَارًا لِأَنَّ الرُّضَى رَحِمَهُ اللَّهُ يَقْتَضِبُ فَصُولًا مِنْ خُطْبَةٍ طَوِيلَةٍ فَيُورِدُهَا إِيرَادًا وَاحِدًا وَبَعْضُهَا مَنْقُوعٌ عَنِ الْبَعْضِ . قَوْلُهُ ع نَحْنُ شَجَرَةُ النَّبُوَّةِ كَأَنَّهُ جَعَلَ النَّبُوَّةَ كَأَنَّهُ جَعَلَ النَّبُوَّةَ كَثْمَرَةً أَخْرَجَتْهَا شَجَرَةُ بَنِي هَاشِمٍ وَ مَحَطَّ الرَّسَالَةَ مَنْزِلَهَا وَمُخْتَلَفٌ

الملائكة موضع اختلافها في صعودها ونزولها و إلى هذا المعنى نظر بعض الطالبين فقال يفتخر على بنى عم له ليسوا بفاطميين هل كان يقتعد البراق أبوكم || أم كان جبريل عليه ينزل أم هل يقول له الإله مشافها || بالوحي قم يأيتها المزملة . [صفحہ ۲۱۹] وقال آخر يمدح قوما فاطميين ويطرقه الوحي وهنا وأنتم || ضجيعان بين يدي جبرئيل يعني حسنا وحسينا ع . واعلم أنه إن أراد بقوله نحن مختلف الملائكة جماعة من جملتها رسول الله ص فلا ريب في صحة القضية وصدقها وإن أراد بهانفسه وابنيه فهي أيضا صحيحة ولكن مدلوله مستنبت فقد جاء في الأخبار الصحيحة أنه قال يا جبريل إنه منى وأنا منه فقال جبريل و أنا منكم -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۹-۹۳ روى أبوأيوب الأنصاري مرفوعا لقد صلت الملائكة على وعلى سبيح سنين لم تصل على ثالث لنا -روایت- ۱-۲-روایت- ۳۳-۱۰۰ و ذلك قبل أن يظهر أمر الإسلام ويتسامع الناس به . و في خطبة الحسن بن على ع لما قبض أبوه لقد فارقتكم في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون ولا يدركه الآخرون كان يبعثه رسول الله ص للحرب وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره -روایت- ۱-۲-روایت- ۴۴-۱۸۵ جاء في الحديث أنه سمع يوم أحد صوت من الهواء من جهة السماء يقول لاسيف إلا ذو الفقار ولافتى إلا على و أن رسول الله ص قال هذا صوت جبريل -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۷-۱۴۹ . فأما قوله ومعادن العلم وينابيع الحكم يعني الحكمة أو الحكم الشرعي فإنه وإن عني بهانفسه وذريته فإن الأمر فيها ظاهر جدا قال رسول الله ص أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۳-۸۴ قال أقضاكم على -روایت- ۱-۲-روایت- ۸-۲۱ والقضاء أمر يستلزم علوما كثيرة . و جاء في الخبر أنه بعثه إلى اليمن قاضيا فقال يا رسول الله إنهم كهول وذوو أسنان -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۵-ادامه دارد [صفحہ ۲۲۰] و أنفتى وربما لم أصب فيما أحكم به بينهم فقال له اذهب فإن الله سيثبت قلبك ويهدي لسانك -روایت- از قبل- ۱۰۰ . وجاء في تفسير قوله تعالى وَ تَعِيَهَا أُنْذُنٌ وَاَعْيَتْ سَأَلَتْ اللَّهُ أَنْ يجعلها أذنك ففعل وجاء في تفسير قوله تعالى أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ أَنْزَلَتْ فِي عَلَى ع و ماخص به من العلم وجاء في تفسير قوله تعالى أَمْ مَنْ كَانَ عَلَى بَيْنِهِ مِنْ رَبِّهِ وَ يُتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ أَنْ الشاهد على ع . و -قرآن- ۲۹-۵۵-قرآن- ۱۱۶-۱۷۲-قرآن- ۲۴۵-۳۰۷ روى المحدثون أنه قال لفاطمة زوجتك أقدمهم سلما وأعظمهم حلما وأعلمهم علما -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۷-۸۲ روى المحدثون أيضا عنه ع أنه قال من أراد أن ينظر إلى نوح في عزمه و موسى في علمه و عيسى في ورعه فلينظر إلى على بن أبى طالب -روایت- ۱-۲-روایت- ۴۰-۱۳۹ . وبالجملة فحاله في العلم حال رفيعة جدا لم يلحقه أحد فيها ولاقاربه وحق له أن يصف نفسه بأنه معادن العلم وينابيع الحكم فلا أحد أحق بها منه بعد رسول الله ص . فإن قلت كيف قال عدونا ومبغضنا ينتظر السطوة ونحن نشاهد أعداءه ومبغضيه لا ينتظرونها قلت لما كانت منتظرة لهم ومعلوما بيقين حولها بهم صاروا كالمنتظرين لها وأيضا فإنهم ينتظرون الموت لامحالة الذي كل إنسان ينتظره و لما كان الموت مقدمة العقاب وطريقا إليه جعل انتظاره انتظار ما يكون بعده [صفحہ ۲۲۱]

۱۰۸- و من خطبة له ع

إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى الْإِيمَانُ بِهِ وَ بَرَسُولُهُ وَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ الْإِسْلَامِ وَ كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ وَ إِقَامُ الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا الْمَأْمَةُ وَ إِيْتَاءُ الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ وَ صَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ الْعِقَابِ وَ حَجُّ الْبَيْتِ وَ اعْتِمَارُهُ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَ يَرْخِصَانِ الدَّنْبَ وَ صِلَةُ الرَّحِمِ فَإِنَّهَا مَثْرَاءٌ فِي الْمَالِ وَ مَنْسَأَةٌ فِي الْأَجْلِ وَ صَدَقَةُ السَّيْرِ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ وَ صَدَقَةُ الْعَلَانِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ وَ صَيَانَةُ الْمَعْرُوفِ فَإِنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ الْهَوَانِ أَيْضُوا فِي ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الذِّكْرِ وَ ارْغَبُوا فِيهَا وَ عِيدَ الْمُتَّقِينَ فَإِنَّ وَعْدَهُ أَصْدَقُ الْوَعْدِ وَ اقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الْهَدْيِ وَ اسْتَتُوا بِسِتِّهِ فَإِنَّهَا أَهْدَى

السِّنِّ وَ تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ وَ تَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ وَ اسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ وَ أَحْسِنُوا تِلَاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ الْقَصَصِ وَ إِنَّ الْعَالِمَ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ كَالْجَاهِلِ الْحَايِرِ أَلْهَى لَأَ يَسْتَفِيقَ مِنْ جَهْلِهِ بَلِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ وَ الْحَسْرَةُ لَهُ أَلْزَمُ وَ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ أَلْوَمُ ذَكَرَ عِ ثَمَانِيَةَ أَشْيَاءَ كُلِّ مِنْهَا وَاجِبٌ . [صفحہ ۲۲۲] أولها الإيمان بالله وبرسوله ويعنى بالإيمان هاهنا مجرد التصديق بالقلب مع قطع النظر عما عدا ذلك من التلفظ بالشهادة و من الأعمال الواجبة و ترك القبائح و قد ذهب إلى أن ماهية الإيمان هو مجرد التصديق القلبي جماعة من المتكلمين و هو و إن لم يكن مذهب أصحابنا فإن لهم أن يقولوا إن أمير المؤمنين ع جاء بهذا اللفظ على أصل الوضع اللغوي لأن الإيمان فى أصل اللغة هو التصديق قال سبحانه و تعالى وَ مَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَ لَوْ كُنَّا صَادِقِينَ أَى لست بمصدق لنا لا إن كنا صادقين و لا إن كنا كاذبين و مجيئه ع به على أصل الوضع اللغوي لا يبطل مذهبنا فى مسمى الإيمان لأننا نذهب إلى أن الشرع استجد لهذه اللفظة مسمى ثانيا كما نذهب إليه فى الصلاة و الزكاة و غيرهما فلا منافاة إذا بين مذهبنا و بين ما أطلقه ع . وثانيها الجهاد فى سبيل الله و إنما قدمه على التلفظ بكلمتى الشهادة لأنه من باب دفع الضرر عن النفس و دفع الضرر عن النفس مقدم على سائر الأعمال المتعلقة بالجوارح و التلفظ بكلمتى الشهادة من أعمال الجوارح و إنما أخره عن الإيمان لأن الإيمان من أفعال القلوب فهو خارج عما يتقدم عليه و دفع الضرر من الأفعال المختصة بالجوارح و أيضا فإن الإيمان أصل الجهاد لأنه ما لم يعلم الإنسان على ماذا يجاهد لا يجاهد و إنما جعله ذروة الإسلام أى أعلاه لأنه ما لم تتحصن دار الإسلام بالجهاد لا يتمكن المسلمون من القيام بوظائف الإسلام فكان إذا من الإسلام بمنزلة الرأس من البدن . وثالثها كلمة الإخلاص يعنى شهادة أن لا إله إلا الله و شهادة أن محمدا رسول الله قال فإنها الفطرة يعنى هى التى فطر الناس عليها و الأصل الكلمة الأولى لأنها التوحيد و عليها فطر البشر كلهم و الكلمة الثانية تبع لها فأجريت مجراها و إنما أخرت - قرآن - ۴۰۷ - ۴۵۵] صفحہ ۲۲۳] هذه الخصلة عن الجهاد لأن الجهاد كان هو السبب فى إظهار الناس لها و نطقهم بها فصار كالأصل بالنسبة إليها . و رابعها إقام الصلاة أى إدامتها و الأصل أقام إقامتها و تارة يعوضون عن العين المفتوحة هاء فيقولون إقامة قال فإنها الملة و هذا مثل قول النبى ص الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين - روايت - ۱ - ۲ - روايت - ۱۷ - ۶۳ . و خامسها إيتاء الزكاة و إنما أخرها عن الصلاة لأن الصلاة آكد افتراضا منها و إنما قال فى الزكاة فإنها فريضة واجبة لأن الفريضة لفظ يطلق على الجزء المعين المقدر فى السائمه باعتبار غير الاعتبار الذى يطلق به على صلاة الظهر لفظ الفريضة و الاعتبار الأول من القطع و الثانى من الوجوب و قال فإنها فريضة واجبة مثل أن يقول فإنها شىء مقتطع من المال موصوف بالوجوب . و سادسها صوم شهر رمضان و هو أضعف و جوبا من الزكاة و جعله جنه من العقاب أى ستره . و سابعها الحج و العمرة و هما دون فريضة الصوم و قال إنهما ينفيان الفقر و يرحضان الذنب أى يغسلانه رحضت الثوب و ثوب رحيض و هذا الكلام يدل على وجوب العمرة و قد ذهب إليه كثير من الفقهاء العلماء . و ثامنها صلة الرحم و هى واجبة و قطيعة الرحم محرمة قال فإنها مثره فى المال أى تثريه و تكثره . و منسأه فى الأجل أى تنسؤه و تؤخره و يقال نسأ الله فى أجلك و يجوز أنسأه بالهمزة . فإن قلت فما الحجة على تقديم وجوب الصلاة ثم الزكاة ثم الصوم ثم الحج [صفحہ ۲۲۴] قلت أما الصلاة فلأن تاركها يقتل و إن لم يجحد و جوبها و غيرها ليس كذلك و إنما قدمت الزكاة على الصوم لأن الله تعالى قرنهما بالصلاة فى كثير من الكتاب العزيز و لم يذكر صوم شهر رمضان إلا فى موضع واحد و كثرة تأكيد الشىء و ذكره دليل على أنه أهم و إنما قدم الصوم على الحج لأنه يتكرر و جوبه و الحج لا يجب فى العمر إلا مرة واحدة فدل على أنه أهم عند الشارع من الحج . ثم قال ع و صدقة السر فخرج من الواجبات إلى النوافل قال فإنها تكفر الخطيئة و التكفير هو إسقاط عقاب مستحق بثواب أزيد منه أو توبه و أصله فى اللغة الستر و التغطية و منه الكافر لأنه يغطى الحق وسمى البحر كافرا لتغطيته ماتحته وسمى الفلاح كافرا لأنه يغطى الحب فى الأرض المحروثة . ثم قال و صدقة العلانية فإنها تدفع ميتة السوء كالغرق و الهدم و غيرها . قال و صنائع المعروف فإنها تقى مصارع الهوان كأسر الروم للمسلم أو كأخذ الظلمة لغير

المستحق للأخذ. ثم شرع في وصايا آخر عددها والهدى السيرة و في الحديث واهدوا هدى عمار -رواية 1-2-رواية 14-32 يقال هدى فلان هدى فلان أى سار سيرته . وسمى القرآن حديثا اتباعا لقول الله تعالى نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا وَاسْتَدَلَ أَصْحَابُنَا بِالآيَةِ عَلَى أَنَّهُ مُحَدَّثٌ لِأَنَّهُ لافرق بين حديث ومحدث في اللغة فإن قالوا إنما أراد أحسن الكلام قلنا لعمري إنه كذلك ولكنه لا يطلق على الكلام القديم لفظه حديث لأنه إنما سمي الكلام والمحاورة والمخاطبة حديثا لأنه أمر يتجدد حالا فحالا والقديم ليس كذلك . -قرآن- 89-132 [صفحه 225] ثم قال تفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب من هذا أخذ ابن عباس قوله إذ قرأت ألم حم وقعت في روضات دمثات . ثم قال فإنه شفاء الصدور وهذا من الألفاظ القرآنية. ثم سماه قصصا اتباعا لما ورد في القرآن من قوله نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ . ثم ذكر أن العالم الذى لا يعمل بعلمه كالجاهل الحائر الذى لا يستفيق من جهله . ثم قال بل الحجة عليه أعظم لأنه يعلم الحق ولا يعمل به فالحجة عليه أعظم من الحجة على الجاهل وإن كانا جميعا محجوجين أما أحدهما فبعلمه و أما الآخر فبتمكنه من أن يعلم . ثم قال والحسرة له ألزم لأنه عند الموت يتأسف ألا يكون عمل بما علم والجاهل لا يأسف ذلك الأسف . ثم قال وهو عند الله ألوم أى أحق أن يلام لأن المتمكن عالم بالقوة وهذا عالم بالفعل فاستحقاقه اللوم والعقاب أشد -قرآن- 211-247 [صفحه 226]

١١٠- ومن خطبة له ع

أَمَّا بَعْدُ فَيَأْتِي أَحَدُكُمْ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا حُلُوهُ حَضْرَةٌ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ وَ تَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلِهِ وَ رَاقَتْ بِالْقَلِيلِ وَ تَحَلَّتْ بِالْأَمَالِ وَ تَزَيَّنَتْ بِالْعُرُورِ لَأَ تَدُومَ حَبْرَتُهَا وَ لَأَ تُوْمُنُ فَجَعَلَتْهَا غَرَارَةٌ ضَرَارَةٌ حَائِلَةٌ زَائِلَةٌ نَافِذَةٌ بَائِدَةٌ أَكَالَةٌ غَوَالَةٌ لَأَ تَعْدُو إِذَا تَنَاهَتْ إِلَى أُمَّتِيهِ أَهْلِ الرِّغْبَةِ فِيهَا وَ الرِّضَاءِ بِهَا أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى كَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا لَمْ يَكُنْ امْرُؤٌ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ إِلَّا أَعَقَبْتُهُ بَعْدَهَا عَبْرَةٌ وَ لَمْ يَلَقْ مِنْ سَرَائِهَا بَطْنًا إِلَّا مَنَحْتُهُ مِنْ ضَرَائِهَا ظَهْرًا وَ لَمْ تَطْلُعْ فِيهَا دِيمَةٌ رِخَاءٍ إِلَّا هَتَّتْ عَلَيْهِ مِرْنَةً بَلَاءٍ وَ حَرِيٌّ إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُتَصِرَةٌ أَنْ تَمْسِيَ لَهُ مُتَنَكِّرَةٌ وَ إِنْ جَانِبَ مِنْهَا اِعْدُوذَبَ وَ اِحْلَوْلَى أَمْرٌ مِنْهَا جِرَانِبٌ فَمَا وَبَى لَأَ يَنَالُ امْرُؤٌ مِنْ غَضَارَتِهَا رَغْبًا إِلَّا أَرَهَقْتُهُ مِنْ نَوَائِبِهَا تَعَبًا وَ لَأَ يُمْسِي مِنْهَا فِي جَنَاحٍ أَمِنْ إِلَّا أَصْبَحَ عَلَى قَوَادِمِ خَوْفِ غَرَارَةٍ عُرُورٍ مَا فِيهَا فَايْتِيهِ فَإِنْ مَنَ عَلَيْهَا لَأَ خَيْرٌ فِي شَيْءٍ مِنْ أَرْوَادِهَا إِلَّا التَّقْوَى -قرآن- 439-579 [صفحه 227] مَن أَقَلَّ مِنْهَا اسْتَكْتَرَّ مِمَّا يُؤْمِنُهُ وَ مَنِ اسْتَكْتَرَّ مِنْهَا اسْتَكْتَرَّ مِمَّا يُؤْبِقُهُ وَ زَالَ عَمَّا قَلِيلٍ عَنْهُ كَمَ مِنْ وَائِقٍ بِهَا قَدْ فَجَعْتَهُ وَ ذِي طُمَأْنِينَةٍ قَدْ صَرَعْتَهُ وَ ذِي أُبْهَةٍ قَدْ جَعَلْتَهُ حَقِيرًا وَ ذِي نَخْوَةٍ قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِيلًا سُلْطَانُهَا دُولٌ وَ عَيْشُهَا رَتَقٌ وَ عَذْبُهَا أَجَاحٌ وَ حُلُوهَا صَبْرٌ وَ غَدَاؤُهَا سِمَامٌ وَ أَسْبَابُهَا رِمَامٌ حَيْثُهَا بَعْضُ مَوْتٍ وَ صِيحِحِهَا بَعْضُ سِقَمٍ مُلْكُهَا مَسْلُوبٌ وَ عَزِيْزُهَا مَغْلُوبٌ وَ مَوْفُورُهَا مَنَكُوبٌ وَ جَارُهَا مَحْرُوبٌ أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِنَ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطُولَ أَعْمَارًا وَ أَبْقَى آثَارًا وَ أَبْعَدَ آمَالًا وَ أَعَدَّ عَدِيدًا وَ أَكثَفَ جُنُودًا تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيَا أَى تَعَبَّدُوا وَ آثَرُوهَا أَى إِثَارٌ ثُمَّ ظَعْنُوا عَنْهَا بَغَيْرِ زَادٍ مُبْلَغٍ وَ لَأَ ظَهَرَ قَاطِعٌ فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا سِيَّخَتْ لَهُمْ نَفْسًا بِفِدْيَةٍ أَوْ أَعَانَتْهُمْ بِمَعُونَةٍ أَوْ أَحْسَنَتْ لَهُمْ صِيحْبَةً بَلْ أَرَهَقْتَهُمْ بِالْفَوَادِحِ وَ أَوَهَقْتَهُمْ بِالْقَوَارِعِ وَ ضَعَضَ عَنَتَهُمُ بِالنَّوَابِ وَ عَفَرَتْهُمْ لِلْمَنَاخِرِ وَ وَطَّئَتْهُمْ بِالْمَنَاسِمِ وَ أَعْيَانَتْ عَلَيْهِمُ رَيْبَ الْمُتُونِ فَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنَكَّرَهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا وَ آثَرَهَا وَ أَخْلَمَدَ إِلَيْهَا حِينَ ظَعْنُوا عَنْهَا لِغِرَاقِ الْأَيْدِ وَ هَلْ زَوَّدْتَهُمْ إِلَّا السِّيَّغَبَ أَوْ أَحَلَّتْهُمْ إِلَّا الضَّنْكَ أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلَّا الظُّلْمَةَ أَوْ أَعَقَبْتَهُمْ إِلَّا التَّدَامَةَ أَ فَهَذِهِ تُؤَثِّرُونَ أَمْ إِلَيْهَا تَطْمَئِنُونَ أَمْ عَلَيْهَا تَحْرِصُونَ فَبِئْسَتِ الدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَتَّهَمْهَا وَ لَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجِيلٍ مِنْهَا فَاعْلَمُوا وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ بِأَنْكُمْ تَارِكُوهَا وَ ظَاعِنُونَ عَنْهَا وَ اتَّعَطُوا فِيهَا بِالذِّينِ قَالُوا مَنْ أَشَدَّ مِنَّا قُوَّةً حَمَلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعُونَ رُكْبَانًا وَ أَنْزَلُوا -قرآن- 1604-1626 [صفحه 228] الْأَجْدَاثُ فَلَا يُدْعُونَ ضَيْفَانًا وَ جُعِلَ لَهُمْ مِنَ الصِّيْفِيحِ أَجْنَانٌ وَ مِنَ التُّرَابِ أَكْفَانٌ وَ مِنَ الرِّفَاتِ جِرَانٌ فَهَمْ جِرَةٌ لَأَ يُجِيبُونَ دَاعِيًا وَ لَأَ يَمْنَعُونَ ضَيْمًا وَ لَأَ

بهذا الشعر. وتوبقه تهلكه والأبهه الكبر والرنق بفتح النون مصدر رنق الماء أى تكدر وبالكسر الكدر و قدروى هاهنا بالفتح والكسر فالكسر ظاهر والفتح على تقدير حذف المضاف أى ذو رنق . وماء أجاج قد جمع المرارة والملوحة أج الماء يؤج أجاجا والصبر بكسر الباء هذا النبات المر نفسه ثم سمي كل مر صبوا والسمام جمع سم لهذا القاتل يقال سم وسم بالفتح والضم والجمع سمام وسموم . ورمام باليه وأسبابها حبالها ومفورها وذو الوفر والثروه منها والمحروب المسلوب أى لاتحمى جارا و لاتمنعه . ثم أخذ قوله تعالى وَ سَيَكُنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الْمَدِينِ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَ تَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَ ضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ فقال أستم فى مساكن من كان قبلكم أطول أعمارا نصب أطول بأنه خبر كان و قد دلنا الكتاب الصادق على أنهم كانوا أطول -قرآن- ٥٤٩- ٦٦٧ [صفحة ٢٣٢] أعمارا بقوله فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سِنِينَ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا وَ ثَبِتَ بِالْعِيَانِ أَنَّهُمْ أَبْقَى آثَارًا فَإِنْ مِنْ آثَارِهِمُ الْأَهْرَامُ وَالْإِيوَانُ وَمَنَارَةُ الْإِسْكَانِيَّةِ وَ غَيْرَ ذَلِكَ وَ أَمَّا بَعْدَ الْأَمَالِ فَمَرَّتْ عَلَى طُولِ الْأَعْمَارِ فَكَلِمًا كَانَتْ أَطُولُ كَانَتْ الْأَمَالُ أَبْعَدُ وَ إِنْ عَنِى بِهِ عُلُوُّ الْهَمِّ فَلَا يُرِيبُ أَنَّهُمْ كَانُوا أَعْلَى هَمًّا مِنْ أَهْلِ هَذَا الزَّمَانِ وَ قَدْ كَانَ فِيهِمْ مِنْ مَلِكٍ مَعْمُورَةَ الْأَرْضِ كُلِّهَا وَ كَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي أَعْدِ عَدِيدًا وَ أَكْثَفَ جُنُودًا وَ الْعَدِيدُ الْعَدُوُّ الْكَثِيرُ وَ أَعْدَ مِنْهُمْ أَى أَكْثَرَ. قوله و لا يظهر قاطع أى قاطع لمسافة الطريق . والفوادح المثقلات فدحه الدين أثقله ويروى بالقوادح بالقاف وهى آفة تظهر فى الشجر وصدوع تظهر فى الأسنان . وأوهقتهم جعلتهم فى الوهق بفتح الهاء و هو جبل كالطول ويجوز التسكين مثل نهر ونهر. والقوارع المحن والدواهى وسميت القيامة قارعة فى الكتاب العزيز من هذا المعنى ووضعتهم أذلتهم قال أبو ذؤيب -قرآن- ١٥-٦٣ أنى لريب الدهر لا أتضعض ووضعت البناء أهدمته . وعفرتهم للمناخر ألصقت أنوفهم بالعفر و هو التراب والمناسم جمع منسم بكسر السين و هو خوف البعير. [صفحة ٢٣٣] ودان لها أطاعها ودان لها أيضا ذل وأخلد إليها مال قال تعالى وَ لَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ. والسغب الجوع يقول إنما زودتهم الجوع وهذا مثل كما قال -قرآن- ٦٦-٩٧ ومدحته فأجازنى الحرمانا ومعنى قوله أونورت لهم إلا الظلمة أى بالظلمة وهذا كقوله هل زودتهم إلا السغب و هو من باب إقامة الضد مقام الضد أى لم تسمح لهم بالنور بل بالظلمة والضحك الضيق . ثم قال فبئس الدار وحذف الضمير العائد إليها وتقديره هى كما قال تعالى نِعَمَ الْعَبْدُ وَتَقْدِيرُهُ هُوَ. و من لم يتهمها من لم يسؤ ظنا بها والصفيح الحجارة والأجنان القبور الواحد جنن والمجنون المقبور و منه قول الأعرابية لله درك من مجنون فى جنن والأكنان جمع كن و هو الستر قال تعالى وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا. والرفات العظام البالية والمندبة الندب على الميت لايبالون بذلك لا يكثرثون به وجيدوا مطروا وقحطوا انقطع المطر عنهم فأصابهم القحط و هو الجذب و إلى معنى قوله ع فهم جيرة لايجيون داعيا و لايمنعون ضيما جميع وهم آحاد وجيرة وهم أبعاد متدانون لايتزاورون و قرييون لايتقاربون نظر البحرى فقال -قرآن- ٢٤٦-٢٥٨-قرآن- ٤٦١-٤٩٨ [صفحة ٢٣٤] بنا أنت من مجفوة لم تؤنب || ومهجورة فى هجرها لم تعتب ونازحة والدار منها قريية || و ما قرب ثاو فى التراب مغيب و قد قال الشعراء والخطباء فى هذا المعنى كثيرا فمن ذلك قول الرضى أبى الحسن رحمه الله فى مرثية لأبى إسحاق الصابى أعزز على بأن نزلت بمنزل || متشابه الأمجاد بالأوغاد فى عصبه جنبوا إلى آجالهم || والدهر يعجلهم عن الإبرود ضربوا بمدرجة الفناء قبا بهم || من غير أطناب و لا أوتاد ركب أناخوا لايرجى منهم || قصد لإتهام و لا إنجاز كرهوا النزول فأنزلتهم وقعة || للدهر نازلة بكل مقاد فتهافتوا عن رحل كل مدلل || وتطاوحوا عن سرج كل جواد بادون فى صور الجميع وإنهم || متفردون تفرد الآحاد فقوله بادون فى صور الجمع ... البيت هو قوله ع جمع وهم آحاد بعينه و قال الرضى رحمه الله تعالى أيضا متوسدين على الخدود كأنما || كرعوا على ظميا من الصهباء صور ضننت على العيون بحسنها || أمسيت أوقرها من البوغاء ونواظر كحل التراب جفونها || قد كنت أحرسها من الأقداء قربت ضرائحهم على زوارها || ونأوا عن الطلاب أى تناء . [صفحة ٢٣٥] قوله قربت ضرائحهم ... البيت هو معنى قوله ع وجيرة وهم أبعاد بعينه . و من هذا المعنى قول بعض الأعراب لكل أناس مقبر فى ديارهم || فهم ينقصون والقبور تزيد فكائن ترى من دار حى قد أخرجت || وقبر بأكناف التراب

جديد هم جيرة الأحياء أما مزارهم || فدان و أما الملقى فبعيد . و من كلام ابن نباتة وحيدا على كثرة الجيران بعيدا على قرب المكان . و منه قوله أسير وحشة الانفراد فقير إلى اليسير من الزاد جار من لا يجير و ضيف من لا يميز حملوا و لا يرون ركباناً وانزلوا و لا يدعون ضيفانا واجتمعوا و لا يسمون جيرانا واحتشدوا و لا يعدون أعوانا و هذا كلام أمير المؤمنين ع بعينه المذكور في هذه الخطبة و قد أخذها مصالته . و منه قوله طحتهم طحن الحصيد و غيبتهم تحت الصعيد فبطون الأرض لهم أوطان وهم في خرابها قطان عمروا فأخربوا واقتربوا فاغتربوا واصطحبوا و ما اصطحبوا . و منه قوله غيبا كأشهاد عصباً كآحاد همودا في ظلم الإلحاد إلى يوم التناد . [صفحہ ۲۳۶] و اعلم أن هذه الخطبة ذكرها شيخنا أبو عثمان الجاحظ في كتاب البيان والتبيين و رواها لقطري بن الفجاءة و الناس يروونها لأمر المؤمنين ع و قدر أيتها في كتاب المونق لأبي عبيد الله المرزباني مروية لأمر المؤمنين ع و هي بكلام أمير المؤمنين أشبه و ليس يبعد عندي أن يكون قطري قد خطب بها بعد أن أخذها عن بعض أصحاب أمير المؤمنين ع فإن الخوارج كانوا أصحابه و أنصاره و قد لقي قطري أكثرهم [صفحہ ۲۳۷]

۱۱۱- و من خطبة له ع يذكر فيها ملك الموت وتوفيه الأنفس

إشارة

هَيْلٌ يُحَسُّ بِهِ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلًا أَمْ هَيْلٌ تَرَاهُ إِذَا تَوَفَّى أَحَدًا بَيْلٌ كَيْفَ يَتَوَفَّى الْجَنِينَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَيْلَاجٌ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا أَمْ الرُّوحُ أَجَابَتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا أَمْ هِيَ وَسَيَاكُنُّ مَعَهُ فِي أَحْسَانِهَا كَيْفَ يَصِفُ إِلَهَهُ مَنْ يَعْبُرُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ أَمَّا مَذْهَبُ جُمْهُورِ أَصْحَابِنَا وَهُمْ النَّافُونَ لِلنَّفْسِ النَّاطِقَةِ فَعِنْدَهُمْ أَنَّ الرُّوحَ جِسْمٌ لَطِيفٌ بَخَارِيٌّ يَتَكُونُ مِنَ أَلْفِ أَجْزَاءِ الْأَعْدِيَةِ يَنْفِذُ فِي الْعُرُوقِ الضُّوَارِبِ وَالْحَيَاءِ عَرْضَ قَائِمٍ بِالرُّوحِ وَحَالٍ فِيهَا فَلِلدَّمَاعِ رُوحٌ دِمَاعِيٌّ وَحَيَاءٌ حَالٌ فِيهَا وَكَذَلِكَ لِلْقَلْبِ وَكَذَلِكَ لِلْكَبِدِ وَعِنْدَهُمْ أَنَّ لِمَلِكِ الْمَوْتِ أَعْوَانَ تَقْبِضُ الْأَرْوَاحَ بِحُكْمِ النِّيَابَةِ عَنْهُ لَوْلَا ذَلِكَ لَتَعَذَّرَ عَلَيْهِ وَهُوَ جِسْمٌ أَنْ يَقْبِضَ رُوحِينَ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لِأَنَّ الْجِسْمَ الْوَاحِدَ لَا يَكُونُ فِي مَكَانَيْنِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ قَالَ أَصْحَابُنَا وَلَا يَبْعَدُ أَنْ يَكُونَ الْحَفِظَةُ الْكَاتِبُونَ هُمُ الْقَابِضِينَ لِلأَرْوَاحِ عِنْدَ انْقِضَاءِ الْأَجْلِ قَالُوا وَكَيْفِيَّةُ الْقَبْضِ وَلَوْجُ الْمَلِكِ مِنَ الْفَمِ إِلَى الْقَلْبِ لِأَنَّهُ جِسْمٌ لَطِيفٌ هَوَائِيٌّ لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ النَّفُوذُ فِي الْمَخَارِقِ الضِّيْقَةِ فَيَخَالِطُ الرُّوحَ [صفحہ ۲۳۸] الَّتِي هِيَ كَالشَّبِيهَةِ بِهَا لِأَنَّهَا جِسْمٌ لَطِيفٌ بَخَارِيٌّ ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْ حَيْثُ دَخَلَ وَهِيَ مَعَهُ وَإِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَأْذَنُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ فِيهِ وَهُوَ حُضُورُ الْأَجْلِ فَأَلْزَمُوا عَلَى ذَلِكَ أَنْ يَغُوصَ الْمَلِكُ فِي الْمَاءِ مَعَ الْغَرِيقِ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ تَحْتَ الْمَاءِ فَالْتَزَمُوا ذَلِكَ وَقَالُوا لَيْسَ بِمُسْتَحِيلٍ أَنْ يَتَخَلَّلَ الْمَلِكُ الْمَاءَ فِي مَسَامِ الْمَاءِ فَإِنَّ فِيهِ مَسَامَ وَمَنَافِذَ وَفِي كُلِّ جِسْمٍ عَلَى قَاعِدَتِهِمْ فِي إِثْبَاتِ الْمَاءِ فِي الْأَجْسَامِ . قَالُوا وَلَوْ فَرضْنَا أَنَّهُ لَا مَسَامَ فِيهِ لَمْ يَبْعَدُ أَنْ يَلْجِئَ الْمَلِكُ فَيُوسِعُ لِنَفْسِهِ مَكَانًا كَمَا يَلْجِئُ الْحَجْرَ وَالسَّمَكُ وَغَيْرَهُمَا وَكَالرِّيحِ الشَّدِيدَةِ الَّتِي تَقْرَعُ ظَاهِرَ الْبَحْرِ فَتَقْرَعُهُ وَتَحْفَرُهُ وَقُوَّةُ الْمَلِكِ أَشَدُّ مِنْ قُوَّةِ الرِّيحِ . ثُمَّ نَعُودُ إِلَى الشَّرْحِ فَنَقُولُ الْمَلِكُ أَصْلُهُ مَأْلَكٌ بِالْهَمْزِ وَوَزْنُهُ مَفْعَلٌ وَالْمِيمُ زَائِدَةٌ لِأَنَّهُ مِنَ الْأَلْوَكِ وَالْأَلْوَكُ وَهِيَ الرِّسَالَةُ ثُمَّ قَلْبُ الْكَلِمَةِ وَقَدِمَتِ اللَّامُ فَقِيلَ مَلَكَ فَلَمَّا جُمِعَ رَدَّتِ الْهَمْزَةُ إِلَيْهِ فَقَالُوا مَلَائِكَةٌ وَمَلَائِكَةٌ قَالَ أَمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ وَكَأَنَّ بَرَقَعَ وَالْمَلَائِكَةُ حَوْلَهَا || سَدَرَ تَوَاكَلَهُ الْقَوَائِمُ أَجْرَدٌ . وَالتَّوْفَى الْإِمَاتَةَ وَقَبْضَ الْأَرْوَاحِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا . وَالتَّقْسِيمُ الَّذِي قَسَمَهُ فِي وَفَاةِ الْجَنِينَ حَاصِرٌ لِأَنَّهُ مَعَ فَرضْنَا إِيَّاهُ جِسْمًا يَقْبِضُ الْأَرْوَاحَ الَّتِي فِي الْأَجْسَامِ إِمَّا أَنْ يَكُونَ مَعَ الْجَنِينَ فِي جَوْفِ أُمِّهِ فَيَقْبِضُ رُوحَهُ عِنْدَ حُضُورِ أَجَلِهِ - قرآن - ۵۲- ۹۱ [صفحہ ۲۳۹] أَوْ خَارِجًا عَنْهَا وَالْقِسْمُ الثَّانِي يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ أَحَدُهُمَا

أن يلج جوف أمه لقبض روحه فيقبضها والثاني أن يقبضها من غير حاجة إلى الولوج إلى جوفها و ذلك بأن تطيعه الروح وتكون مسخرة إذا أراد قبضها امتدت إليه فقبضها و هذه القسمة لا يمكن الزيادة عليها و لوقسمها واضع المنطق لمازاد. ثم خرج إلى أمر آخر أعظم وأشرف مما ابتدأ به فقال كيف يصف إلهه من يعجز عن وصف مخلوق مثله و إلى هذا الغرض كان يترامى وإياه كان يقصد وإنما مهد حديث الملك والجنين توطئة لهذا المعنى الشريف والسر الدقيق

فصل فى التلخص وسياق كلام للشعراء فيه

و هذا الفن يسميه أرباب علم البيان التلخص وأكثر ما يقع فى الشعر كقول أبى نواس تقول التى من بيتها خف مركبى || عزيز علينا أن نراك تسير أ مادون مصر للغنى متطلب || بلى إن أسباب الغنى لكثير فقلت لها واستعجلتها بواذر || جرت فجرى فى جريهن عبير ذرينى أكثر حاسديك برحلة || إلى بلد فيه الخصيب أمير . و من ذلك قول أبى تمام يقول فى قومس صحبى و قدأخذت || منا السرى وخطا المهريه القود أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا || فقلت كلا ولكن مطلع الجود . [صفحة ٢٤٠] و منه قول البحرى هل الشباب ملم بى فراجعه || أيامه لى فى أعقاب أيامى لو أنه نائل غمر يجاد به || إذن تطلبته عند ابن بسطام . و منه قول المتنبى و هو يتغزل بأعرايبه و يصف بخلها وجبنها وقله مطعمها و هذه كلها من الصفات الممدوحه فى النساء خاصة فى مقلتى رشأ تديرهما || بدويه فتنت بها الحلل تشكو المطاعم طول هجرتها || وصدودها و من الذى تصل ما أسارت فى القعب من لبن || تركته و هو المسك والعسل قالت إلتصحو فقلت لها || أعلمتنى أن الهوى ثمل لو أن فناخسر صبحكم || وبرزت وحدك عاقه الغزل وتفرقت عنكم كتابه || إن الملاح خوادع قتل ما كنت فاعله و ضيفكم || ملك الملوك وشأنك البخل أتمنعين قرى فتفتضحى || أم تبدلين له الذى يسل بل لا يحل بحيث حل به || بخل و لاجور و لاوجل . و هذا من لطيف التلخص ورشيقة والتلخص مذهب الشعراء والمتأخرون يستعملونه كثيرا ويتفاخرون فيه ويتناضلون فأما التلخص فى الكلام المنشور فلايكاد يظهر لمتصفح الرسالة أو الخطبة إلا بعد تأمل شديد و قدوردت منه مواضع فى القرآن العزيز فمن [صفحة ٢٤١] أبينها وأظهرها أنه تعالى ذكر فى سورة الأعراف الأمم الخالية والأنبياء الماضين من لدن آدم ع إلى أن انتهى إلى قصة موسى فقال فى آخرها بعد أن شرحها وأوضحها واختار موسى قومهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السَّيْفُهُآ مِنَّا إِن هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَ تَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَآغْفِر لَنَا وَ آرْحَمْنَا وَ أَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ وَ آكْتُب لَنَا فِى هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ فِى الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَن أَشَاءُ وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَ يُوْتُونَ الزَّكَاةَ وَ الْعَلِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ الْعَلِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِى التَّوْرَةِ وَ الْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَ يُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَ يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَ عَزَّوْهُ وَ نَصَرُوهُ وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. و هذا من التلخيص اللطيفة المستحسنة - قرآن - ١٦٣-١١٢٧

فصل فى الاستطراد وإيراد شواهد للشعراء فيه

واعلم أن من أنواع علم البيان نوعا يسمى الاستطراد و قد يسمى الالتفات و هو من جنس التلخص وشبيه به إلا أن الاستطراد هو أن تخرج بعد أن تمهد ماتريد أن تمهده إلى الأمر الذى تروم ذكره فتذكره وكأنك غير قاصد لذكره بالذات بل قدحصل ووقع

ذكره بالعرض عن غير قصد ثم تدعه وتتركه وتعود إلى الأمر الذي كنت في تمهيده كالمقبل عليه وكالملقى عما استطرقت بذكره فمن ذلك قول البحترى وهويصف فرسا [صفحة ٢٤٢] وأغر في الزمن البهيم محجل || قدرحت منه على أغر محجل كالهيكل المبني إلا أنه || في الحسن جاء كصورة في هيكل وافى الضلوع يشد عقد حزامه || يوم اللقاء على معم مخول أخواله للرسامين بفارس || وجدوده للتبعين بموكل يهوى كماهوت العقاب و قدرأت || صيدا وينتصب انتصاب الأجدل متوجس برقيقتين كأنما || تريان من ورق عليه مكلل ما إن يعاف قذى ولو أوردته || يوما خلائق حمدويه الأحوال ذنب كماشح الرشاء يذب عن || عرف وعرف كالقناع المسبل جذلان ينفض عذرة في غرة || يقق تسيل حجولها في جندل كالرائح النشوان أكثر مشيه || عرضا على السنن البعيد الأطول ذهب الأعالي حيث تذهب مقله || فيه بناظرها حديد الأسفل هزج الصهيل كأن في نغماته || نبرات معبد في الثقل الأول ملك القلوب فإن بدا أعطينه || نظر المحب إلى الحبيب المقبل ألا تراه كيف استطرده بذكر حمدويه الأحوال الكاتب وكأنه لم يقصد ذلك ولا أراده وإنما جرت القافية ثم ترك ذكره وعاد إلى وصف الفرس و لو أقسم إنسان أنه مابني القصيدة منذ افتتحها إلا على ذكره ولذلك أتى بها على روى اللام لكان صادقا فهذا هو الاستطراد. و من الفرق بينه و بين التخلص أنك في التخلص متى شرعت في ذكر الممدوح [صفحة ٢٤٣] أو المهجو تركت ما كنت فيه من قبل بالكلية وأقبلت على ما تخلصت إليه من المديح والهجاء بيتا بعد بيت حتى تنقضى القصيدة و في الاستطراد تمر على ذكر الأمر الذي استطرقت به مرورا كالبرق الخاطف ثم تتركه وتنساه وتعود إلى ما كنت فيه كأنك لم تقصد قصد ذاك وإنما عرض عروضا و إذافهمت الفرق فاعلم أن الآيات التي تلونها إذاحقت وأمعنت النظر من باب الاستطراد لا من باب التخلص و ذلك لأنه تعالى قال بعد قوله وَ اتَّبِعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَ يُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ النَّبِيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ كَلِمَاتِهِ وَ اتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَ مِنْ قَوْمٍ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَعْدِلُونَ وَ قَطَعْنَا لَهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَابًا أُمَمًا وَ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَمَا تَبَجَّسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَ ظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَ السَّلْوَى كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَ مَا ظَلَمُونَا وَ لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ فإلى ما كان فيه أولا ثم مر في هذه القصة و في أحوال موسى و بنى إسرائيل حتى قارب الفراغ من السورة. و من لطيف التخلص الذي يكاد يكون استطرادا لو لا- أنه أفسده بالخروج إلى المدح قول أبي تمام في قصيدته التي يمدح بها محمد بن الهيثم التي أولها -قرآن- ٤١٩-٤٨٧-قرآن- ٤٨٨-١١٧٠ أسقى طولهم أجش هزيم || وغدت عليهم نضرة و نعيم ظلمتك ظالمة البريء ظلوم || والظلم من ذي قدرة مذموم زعمت هواك عفا الغداة كما عفت || منها طول باللوى ورسوم [صفحة ٢٤٤] لا و الذي هو عالم إن النوى || صبر و إن أبا الحسين كريم ما حلت عما تعهدين و لا غدت || نفسى على إلف سواك تحوم فلو أتم متغزلا- لكان مستطرادا لا محالة ولكنه نقض الاستطراد و غمس يده في المدح فقال بعد هذا البيت لمحمد بن الهيثم بن شبانه || مجد إلى جنب السماك مقيم ملك إذ انبى الندى من ملتقى || طرفيه فهو أخ له و حميم و مضى على ذلك إلى آخرها. و من الاستطراد أن يحتال الشاعر لذكر ما يروم ذكره بوصف أمر ليس من غرضه و يدمج الغرض الأصلي في ضمن ذلك و في غرضه و أحسن ما يكون ذلك إذ اصرح بأنه قد استطرده و نص في شعره على ذلك كما قال أبو إسحاق الصابى في أبيات كتبها إلى أبي القاسم عبدالعزيز بن يوسف كاتب عضد الدولة كتبها إليه إلى شيراز و أبو إسحاق في بغداد و كانت أخبار فتوح عضد الدولة بفارس و كرمان و ماوالها متواصلة مترادفة إلى العراق و كتب عبدالعزيز واصلها بها إلى عزالدولة بختيار و الصابى يجيب عنها يراكب الجسرة العيرانه الأجد || يطوى المهامه من سهل إلى جلد أبلغ أبا القاسم نفسى الفداء له || مقالة من أخ للحق معتمد فى كل يوم لكم فتح يشاد به || بين الأنام بذكر السيد العضد و مالنا مثله لكننا أبدا || نجيبكم بجواب الحاسد الكمد فأنت أكتب منى فى الفتوح و ما || تجرى مجيبا إلى شاولى و

لأمدى [صفحہ ۲۴۵] و ماذمت ابتدائی فی مکاتبہ || و لا جوابکم فی القرب والبعد لکننی رمت أن أثنی علی ملک || مستطرد بمدیح فیہ مطرد ولقد ظرف وملح أبو إسحاق فی هذه الأبيات ومتى خلا أوعرى عن الظرف والملاحه ولقد كان ظرفا ولباقه كله . و ليس من الاستطراد مازعم ابن الأثير الموصلى فى كتابه المسمى بالمثل السائر أنه استطراد و هو قول بعض شعراء الموصل يمدح قرواش بن المقلد و قد أمره أن يعث بهجاء وزيره سليمان بن فهد وحاجبه أبى جابر ومغنيه المعروف بالبرقيدى فى ليلة من ليالى الشتاء وأراد بذلك الدعابة والولع بهم وهم فى مجلس فى شراب وأنس فقال وأحسن فيما قال و ليل كوجه البرقيدى ظلمة || وبرد أغانيه وطول قرونه سرية ونومى فيه نوم مشرد || كعقل سليمان بن فهد ودينه على أولق فى التفات كأنه || أبو جابر فى خطبة وجنونه إلى أن بدا ضوء الصباح كأنه || سنا وجه قرواش وضوء جبينه و ذلك لأن الشاعر قصد إلى هجاء كل واحد منهم ووضع الأبيات لذلك وأمره قرواش رئيسهم وأميرهم بذلك فهجاهم ومدحه و لم يستطرد و هذه الأبيات تشبيهات كلها مقصود بها الهجاء لم يأت بالعرض فى الشعر كما يأتى الاستطراد. و هذا غلط من مصنف الكتاب [صفحہ ۲۴۶]

۱۱۲- و من خطبة له ع

وَأَحْدَرْتُكُمْ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا مَنْزِلُ قَلْعَةٍ وَ لَيْسَتْ بِدَارٍ نُجِعَهُ قَدْ تَزَيَّتْ بِعُزُورِهَا وَ غَرَّتْ بِزِينَتِهَا دَارٌ هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا فَخَلَطَ حَلَالُهَا بِحَرَامِهَا وَ خَيْرَهَا بِشَرِّهَا وَ حَيَاتَهَا بِمَوْتِهَا وَ حُلُوهَا بِمُرِّهَا لَمْ يُصِفْهَا اللَّهُ تَعَالَى لِأَوْلِيَائِهِ وَ لَمْ يَضَنْ بِهَا عَنْ أَعْدَائِهِ خَيْرُهَا زَهِيدٌ وَ شَرُّهَا عَنِيدٌ وَ جَمْعُهَا يَنْفَدُ وَ مَلِكُهَا يُسَلَّبُ وَ عَامِرُهَا يَخْرَبُ فَمَا خَيْرُ دَارٍ تُنْقَضُ نَقْضُ الْبِنَاءِ وَ عُمُرُ يَفْنَى فِيهَا فَنَاءُ الزَّادِ وَ مَدَّةٌ تَنْقَطِعُ انْقِطَاعَ السَّيْرِ اجْعَلُوا مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلِبَتِكُمْ وَ اسْأَلُوهُ مِنْ آدَاءِ حَقِّهِ كَمَا سَأَلْتُمْ وَ أَسْمِعُوا دَعْوَةَ الْمَوْتِ آذَانَكُمْ قَبْلَ أَنْ يُدْعَى بِكُمْ إِنَّ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وَ إِنْ ضَحِكُوا وَ يَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَ إِنْ فَرِحُوا وَ يَكْتُرُ مَقْتُهُمْ أَنْفُسُهُمْ وَ إِنْ اغْتَبَطُوا بِمَا رَزَقُوا قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ الْآجَالِ وَ حَضَرَتْكُمْ كَوَاذِبُ الْأَمَالِ فَصَارَتِ الدُّنْيَا أَمْلَكَكُمْ بِكُمْ مِنَ الْآخِرَةِ وَ الْعَاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ الْآجِلَةِ وَ إِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ مِمَّا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا مَا حُبُّ السَّيْرَائِرِ وَ سُوءُ الصَّمَائِرِ فَلَا تَوَارَزُونَ وَ لَا تَنَاصِحُونَ وَ لَا تَبَادُلُونَ وَ لَا تَوَادُونَ مَا بَالَكُمْ تَفْرَحُونَ بِالسَّيْرِ مِنَ الدُّنْيَا تُدْرِكُونَهُ وَ لَا يَحْزَنُكُمْ الْكَثِيرُ مِنَ الْآخِرَةِ تُحْرَمُونَهُ وَ يُقْلِقُكُمْ السَّيْرُ مِنَ الدُّنْيَا يَفُوتُكُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي [صفحہ ۲۴۷] وَ جُوهِكُمْ وَ قَلْبُهُ صَبْرُكُمْ عَمَّا زُوِيَ مِنْهَا عَنْكُمْ كَأَنَّهَا دَارٌ مُقَامِكُمْ وَ كَأَنَّ مَتَاعَهَا بَاقٍ عَلَيْكُمْ وَ مَا يَمْنَعُ أَحَدِكُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلَ أَحَاهُ بِمَا يَخَافُ مِنْ عَيْبِهِ إِلَّا مَخَافَهُ أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ بِمِثْلِهِ قَدْ تَصَافَيْتُمْ عَلَى رَفْضِ الْآجِلِ وَ حُبِّ الْعَاجِلِ وَ صَارَ دِينُ أَحَدِكُمْ لُعْقَةً عَلَى لِسَانِهِ صَيْنِيعٌ مَنْ فَرَّغَ مِنْ عَمَلِهِ وَ أَحْرَزَ رِضَا سَيِّدِهِ قَوْلُهُ ع فَإِنَّهَا مَنْزِلُ قَلْعَةٍ بَضْمِ الْقَافِ وَ سَكُونِ اللَّامِ أَى لَيْسَتْ بِمَسْتَوْتِنَةٍ وَيُقَالُ هَذَا مَجْلِسُ قَلْعَةٍ إِذَا كَانَ صَاحِبُهُ يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَقُومَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ وَيُقَالُ هُمْ عَلَى قَلْعَةٍ أَى عَلَى رِحْلَةٍ وَ مِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُمْ فَلَانَ قَلْعَهُ إِذَا كَانَ يَنْقَلِعُ عَنْ سَرَجِهِ وَ لَا يَثْبِتُ فِي الْبَطْشِ وَالصَّرَاحِ وَالْقَلْعَةُ أَيْضًا الْمَالُ الْعَارِيَةُ وَ فِي الْحَدِيثِ بَثْسُ الْمَالِ الْقَلْعَةُ - رَوَايَاتُ ۱- ۲- رَوَايَاتُ ۱۴- ۳۳ . وَ النَّجْعَةُ طَلَبُ الْكَلَاءِ - فِي مَوْضِعِهِ وَ فَلَانَ يَنْتَجِعُ الْكَلَاءُ - وَ مِنْهُ انْتَجَعَتْ فَلَانَا إِذَا أَتَيْتَهُ تَطَلَبَ مَعْرُوفَهُ . ثُمَّ وَصَفَ هَوَانَ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ مِنْ هَوَانِهَا أَنَّهُ خَلَطَ حَلَالُهَا بِحَرَامِهَا ... الْكَلَامُ مَرَادُهُ تَفْضِيلُ الدَّارِ الْآتِيَةِ عَلَى هَذِهِ الْحَاضِرَةِ فَإِنَّ تِلْكَ صَفْوَةٌ كُلُّهَا وَ خَيْرٌ كُلُّهَا وَ هَذِهِ مَشْبُوهَةٌ وَ الْكُدْرُ وَ الشَّرُّ فِيهَا أَغْلَبُ مِنَ الصَّفْوِ وَ الْخَيْرِ وَ مِنْ كَلَامِ بَعْضِ الصَّالِحِينَ مِنْ هَوَانَ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ أَنَّهُ لَا يَعْصِي إِلَّا - فِيهَا وَ لَا يَنْالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِتَرْكِهَا وَ يَرُوى وَ لَمْ يَضَنْ بِهَا عَلَى أَعْدَائِهِ وَ الرِّوَايَةُ الْمَشْهُورَةُ عَنْ أَعْدَائِهِ وَ كِلَاهُمَا مُسْتَعْمَلٌ . [صفحہ ۲۴۸] وَ الزَّهِيدُ الْقَلِيلُ وَ الْعَتِيدُ الْحَاضِرُ وَ السَّيْرُ سِيرُ الْمَسَافِرِ . ثُمَّ أَمْرُهُمْ بِأَنْ يَجْعَلُوا الْفَرَائِضَ الْوَاجِبَةَ عَلَيْهِمْ مِنْ جَمَلَةٍ مَطْلُوبَاتِهِمْ وَ أَنْ يَسْأَلُوا اللَّهَ مِنَ الْإِعَانَةِ وَ التَّوْفِيقِ عَلَى الْقِيَامِ بِحَقُوقِهِ الْوَاجِبَةِ كَمَا سَأَلَهُمْ أَى كَمَا أَلْزَمَهُمْ وَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ فَسَمِيَ ذَلِكَ سُؤَالَ الْأَجْلِ الْمَقَابِلَةَ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا وَ كَمَا - قُرْآنَ -

٢٨٤-٣١٨ قال النبي ص فإن الله لا يمل حتى تملوا -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-٤٧ و كما قال الشاعر ألا لا يجهلن أحد علينا || فجهل فوق جهل الجاهلينا . ثم أمرهم أن يسمعوا أنفسهم دعوة الموت قبل أن يحضر الموت فيحل بهم ومثل قوله تبكى قلوبهم وإن ضحكوا قول الشاعر وإن لم يكن هذا المقصد بعينه قصد كم فاقه مستوره بمروءة || وضرورة قد غطيت بتجمل و من ابتسام تحته قلب شج || قد خامرته لوعه ما تنجلي . والمقت البغض واغتبطوا فرحوا . وقوله أملك بكم مثل أولى بكم وقوله والعاجلة أذهب بكم من الآجلة أى ذهبت العاجلة بكم واستولت عليكم أكثر مما ذهبت بكم الآخرة واستولت عليكم . ثم ذكر أن الناس كلهم مخلوقون على فطرة واحدة وهى دين الله وتوحيده وإنما اختلفوا وتفرقوا باعتبار أمر خارجى عن ذلك وهو خبث سرائرهم وسوء ضمائرهم فصاروا إلى حال لا يتوازرون أى لا يتعاونون والأصل الهمز آزرته ثم تقلب الهمزة واوا وأصل قوله فلا توازرون فلا تتوازرون فحذفت إحدى التاءين كقوله تعالى ما لكم لا تناصرون أى لا تتناصرون والتبادل أن وجود بعضهم على بعض بماله ويبدله له . قرآن- ٥٠٠-٥٢٢ [صفحة ٢٤٩] ومثل قوله ع ما بالكم تفرحون بكذا ولا تحزنون لكذا ويفلقكم السير من الدنيا يفوتكم من هذا قول الرضى رحمه الله نقص الجديدين من عمرى يزيد على || ما ينقصان على الأيام من مالى دهر تؤثر فى جسمى نوابه || فما اهتمامى أن أودى بسر بالى . والضمير فى يخاف راجع إلى الأخ لا إلى المستقبل له أى ما يخافه الأخ من مواجهته بعينه . قوله وصار دين أحدكم لعقة على لسانه أخذه الفرزدق فقال للحسين بن على ع و قد لقيه قادما إلى العراق وسأله عن الناس أما قلوبهم فمعك و أما سيوفهم فعليك والدين لعقة على ألسنتهم فإذا امتحسوا قل الديانون واللفظة مجاز وأصل اللعقة شىء قليل يؤخذ بالمعلقة من الإناء يصف دينهم بالترارة والقله كتلك اللعقة و لم يقنع بأن جعله لعقة حتى جعله على ألسنتهم فقط أى ليس فى قلوبهم [صفحة ٢٥٠]

١١٣- و من خطبة له ع

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاصِلِ الْحَمْدَ بِالنِّعَمِ وَ النَّعْمَ بِالشُّكْرِ نَحْمِدُهُ عَلَى آلائِهِ كَمَا نَحْمَدُهُ عَلَى بَلَائِهِ وَ نَسْتَعِينُهُ عَلَى هَذِهِ النُّفُوسِ الْبِطَاءِ عَمَّا أَمَرَتْ بِهِ السَّرَاعِ إِلَى مَا نَهَيْتَ عَنْهُ وَ نَسْتَغْفِرُهُ مِمَّا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ وَ أَحْصَاهُ كِتَابُهُ عِلْمٌ غَيْرُ قَاصِرٍ وَ كِتَابٌ غَيْرُ مُعَادِرٍ وَ نُؤْمِنُ بِهِ إِيْمَانٌ مِّنْ عَيْنِ الْغُيُوبِ وَ وَقَفَ عَلَى الْمَوْعُودِ إِيْمَانًا نَفَى إِخْلَاصُهُ الشُّرَكَ وَ يَقِينُهُ الشُّكَّ وَ نَشْهَدُ أَنَّ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَّا شَرِيكَ لَهُ وَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأْسُ عَبْدِهِ وَ رَسُولُهُ شَهَادَتَيْنِ تُصْعِدَانِ الْقَوْلَ وَ تَرْفَعَانِ الْعَمَلَ لَّا يَخْفَ مِيزَانٌ تَوْضَعَانِ فِيهِ وَ لَّا يَثْقُلُ مِيزَانٌ تَرْفَعَانِ مِنْهُ أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي هِيَ الزَّادُ وَ بِهَا الْمَعَادُ زَادٌ مُّبْلَغٌ وَ مَعَادٌ مُنْجِحٌ دَعَا إِلَيْهَا أَسْمَعُ دَاعٍ وَ وَعَاها خَيْرٌ وَاعٍ فَاسْمَعْ دَاعِيَهَا وَ فَارَ وَاعِيَهَا عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ حَمَتِ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ مَحَارِمَهُ وَ أَلَزَمَتْ قُلُوبَهُمْ مَخَافَتَهُ حَتَّى أَسْهَرَتْ لَيَالِيَهُمْ وَ أَظْمَأَتْ هَوَاجِرَهُمْ فَأَخَذُوا الرَّاحَةَ بِالنَّصَبِ وَ الرَّيَّ بِالظُّمِ وَ اسْتَقَرُّوا الْأَجَلَ فَبَادَرُوا الْعَمَلَ وَ كَذَّبُوا الْأَمَلَ فَلَا حَظُّوا الْأَجَلَ ثُمَّ إِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ فَنَاءٍ وَ عَنَاءٍ وَ غَيْرِ وَ عِبْرٍ فَمِنَ الْفَنَاءِ أَنَّ الدَّهْرَ مُوتِرٌ قَوْسَهُ لَّا تُخْطِئُ سَهْمَاهُ وَ لَّا تُؤْسِي جِرَاحُهُ يَرْمِي الْحَيَّ بِالْمَوْتِ وَ الصِّحِيحَ بِالسَّقَمِ وَ النَّاجِيَ بِالْعَطْبِ آكِلٌ لَّا يَشْبَعُ وَ شَارِبٌ لَّا يَنْفَعُ وَ مِنَ الْعَنَاءِ أَنَّ الْمَرْءَ يَجْمَعُ [صفحة ٢٥١] مَا لَّا يَأْكُلُ وَ يَبْنِي مَا لَّا يَسْكُنُ ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَّا مَالًا حَمَلَ وَ لَّا بَنَاءً نَقَلَ وَ مِنْ غَيْرِهَا أَنَّكَ تَرَى الْمَرْحُومَ مَغْبُوطًا وَ الْمَغْبُوطَ مَرْحُومًا لَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا نَعِيمًا زَلَّ وَ بُؤْسًا نَزَلَ وَ مِنْ عِبْرِهَا أَنَّ الْمَرْءَ يُشْرِفُ عَلَى أَمَلِهِ فَيَقْتَطِعُهُ حُضُورُ أَجَلِهِ فَلَا أَمَلَ يُدْرِكُ وَ لَّا مُؤْمَلٌ يُتْرَكُ فَسَيَبْحَانِ اللَّهُ مَا أَعَزَّ سِرُّوَرَهَا وَ أَظْمَأَ رِيَّهَا وَ أَضْحَى فِيئَهَا لَّا جَاءَ يُرَدُّ وَ لَّا مَاضٍ يَرْتَدُّ فَسَيَبْحَانِ اللَّهُ مَا أَقْرَبَ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ لِلْحَاقِهِ بِهِ وَ أَبْعَدَ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ لِانْقِطَاعِهِ عَنْهُ إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِشَرٍّ مِنَ الشَّرِّ إِلَّا عِقَابُهُ وَ لَيْسَ شَيْءٌ بِخَيْرٍ مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا ثَوَابُهُ وَ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا سَمَاعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِيَانِهِ وَ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْآخِرَةِ عِيَانُهُ أَعْظَمُ مِنْ سَمَاعِهِ فَلْيَكْفِكُمْ مِنَ الْعِيَانِ السَّمَاعُ وَ مِنَ الْغَيْبِ الْخَبْرُ وَ اعْلَمُوا أَنَّ مَا نَقَصَ مِنَ الدُّنْيَا وَ زَادَ فِي

الْآخِرَةَ خَيْرٌ مِّمَّا نَقَصَ مِنَ الْآخِرَةِ وَ زَادَ فِي الدُّنْيَا فَكُمْ مِنْ مَنْقُوصٍ رَابِحٍ وَ مَزِيدٍ خَاسِرٍ إِنْ أَلْمَذَى أَمَرْتُمْ بِهِ أَوْ سَعُ مِنَ الَّذِي نُهَيْتُمْ عَنْهُ وَ مَيَّا أَجَلٌ لَكُمْ أَكْثَرُ مَيَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ فَذَرُّوا مَيَّا قَلَّ لِمَيَّا كَثُرَ وَ مَيَّا ضَاقَ لِمَيَّا اتَّسَعَ قَدْ تَكْفَلَ لَكُمْ بِالرِّزْقِ وَ أَمَرْتُمْ بِالْعَمَلِ فَلَا يَكُونَنَّ الْمَضْمُونُ لَكُمْ طَلَبُهُ أَوْلَى بِكُمْ مِنَ الْمَفْرُوضِ عَلَيْكُمْ عَمَلُهُ مَعَ أَنَّهُ وَ اللَّهُ لَقَدْ اعْتَرَضَ الشُّكَّ وَ دَخَلَ الْبَيِّنُ حَتَّى كَانَ الَّذِي ضَمِنَ لَكُمْ قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ وَ كَانَ أَلْمَذَى فُرِضَ عَلَيْكُمْ قَدْ وَضَعَ عَنْكُمْ فَبَادِرُوا الْعَمَلَ وَ خَافُوا بَغْتَةَ الْأَجَلِ فَإِنَّهُ لَا يُرْجَى مِنْ رَجْعِهِ الْعُمَرُ مَيَّا يُرْجَى مِنْ رَجْعِهِ الرِّزْقُ مَا فَاتَ الْيَوْمَ مِنَ الرِّزْقِ رُجْبِي غَدًا زِيَادَتُهُ وَ مَا فَاتَ أَمْسٍ مِنَ الْعُمَرِ لَمْ يُرْجَ الْيَوْمَ [صفحة ٢٥٢]

رَجْعَتُهُ الرِّجَاءُ مَعَ الْجَائِي وَ الْيَأْسُ مَعَ الْمَاضِي فَاتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَ لَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ لِقَائِهِ أَنْ يَقُولَ أَمَا كُونَهُ وَ اصْلِحُوا الْحَمْدَ لَهُ مِنْ عِبَادِهِ بِالنَّعْمِ مِنْهُ عَلَيْهِمْ فَمَعْلُومٌ فَكَيْفَ قَالَ إِنَّهُ يَصِلُ النِّعْمَ الْمَذْكُورَةَ بِالشُّكْرِ وَ الشُّكْرَ مِنْ أَفْعَالِ الْعِبَادِ وَ لَيْسَ مِنْ أَفْعَالِهِ لِيَكُونَ وَ اصْلِحُوا لِلنَّعْمِ بِهِ وَ جَوَابُ هَذَا الْقَائِلِ هُوَ أَنَّهُ لِمَا وَفَّقَ الْعِبَادَ لِلشُّكْرِ بَعْدَ أَنْ جَعَلَ وَجُوبَهُ فِي عَقُولِهِمْ مَقْرَرًا وَ بَعْدَ أَنْ أَقْدَرَهُمْ عَلَيْهِ صَارَ كَأَنَّهُ الْفَاعِلُ لَهُ فَأَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ تَوْسَعًا كَمَا يُقَالُ أَقَامَ الْأَمِيرُ الْحَدَّ وَ قَتَلَ الْوَالِيَّ اللَّصَّ فَأَمَّا حَمْدُهُ سُبْحَانَهُ عَلَى الْبَلَاءِ كَحَمْدِهِ عَلَى الْآلَاءِ فَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِيهِ وَ مِنَ الْكَلَامِ الْمَشْهُورِ سُبْحَانَ مَنْ لَا يَحْمَدُ عَلَى الْمَكْرُوهِ سِوَاهُ وَ السَّرْفِ فِيهِ أَنَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا يَفْعَلُ الْمَكْرُوهَ بِنَا لِمَصَالِحِنَا فَإِذَا حَمَدْنَاهُ عَلَيْهِ فَإِنَّمَا حَمَدْنَاهُ عَلَى نِعْمِهِ أَنْعَمَ بِهَا وَ إِنْ كَانَتْ فِي الظَّاهِرِ بَلِيَّةً وَ أَلْمًا. فَإِنْ قُلْتَ فَقَدْ كَانَ الْأَحْسَنُ فِي الْبَيَانِ أَنْ يَقُولَ نَحْمَدُهُ عَلَى بَلَائِهِ كَمَا نَحْمَدُهُ عَلَى آلَائِهِ قُلْتَ إِنَّمَا عَكْسٌ لِأَنَّهُ جَاءَ بِاللَّفْظَيْنِ فِي مَعْرُضِ ذِكْرِ النِّعْمِ وَ الشُّكْرِ عَلَيْهَا فَاسْتَهْجَنَ أَنْ يَلْقِبَهَا بِلَفْظَةِ الْحَمْدِ عَلَى الْبَلَاءِ لِلْمَنَافَرَةِ الَّتِي تَكُونُ بَيْنَهُمَا فَقَالَ نَحْمَدُهُ عَلَى هَذِهِ الْآلَاءِ الَّتِي أَشْرْنَا إِلَيْهَا الَّتِي هِيَ الْآلَاءُ فِي الْحَقِيقَةِ وَ هَذَا تَرْتِيبٌ صَحِيحٌ مُنْتَظَمٌ . ثُمَّ سَأَلَ اللَّهَ أَنْ يَعِينَهُ عَلَى النَّفْسِ الْبَطِيئَةِ عَنِ الْمَأْمُورِ بِهِ السَّرِيعَةَ إِلَى الْمُنْهَى عَنْهُ وَ مِنَ دَعَاءِ بَعْضِ الصَّالِحِينَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ عَدُوًّا بَيْنَ جَنْبِي قَدْ غَلَبَ عَلَيَّ . وَ فِسرُ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الطَّرِيقَةِ وَ الْحَقِيقَةُ قَوْلُهُ تَعَالَى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا - قُرْآن - ١١٧٦ - ١٢١١ لِقَائِهِ أَنْ يَقُولَ أَمَا كُونَهُ وَ اصْلِحُوا الْحَمْدَ لَهُ مِنْ عِبَادِهِ بِالنَّعْمِ مِنْهُ عَلَيْهِمْ فَمَعْلُومٌ فَكَيْفَ قَالَ إِنَّهُ يَصِلُ النِّعْمَ الْمَذْكُورَةَ بِالشُّكْرِ وَ الشُّكْرَ مِنْ أَفْعَالِ الْعِبَادِ وَ لَيْسَ مِنْ أَفْعَالِهِ لِيَكُونَ وَ اصْلِحُوا لِلنَّعْمِ بِهِ وَ جَوَابُ هَذَا الْقَائِلِ هُوَ أَنَّهُ لِمَا وَفَّقَ الْعِبَادَ لِلشُّكْرِ بَعْدَ أَنْ جَعَلَ وَجُوبَهُ فِي عَقُولِهِمْ مَقْرَرًا وَ بَعْدَ أَنْ أَقْدَرَهُمْ عَلَيْهِ صَارَ كَأَنَّهُ الْفَاعِلُ لَهُ فَأَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ تَوْسَعًا كَمَا يُقَالُ أَقَامَ الْأَمِيرُ الْحَدَّ وَ قَتَلَ الْوَالِيَّ اللَّصَّ فَأَمَّا حَمْدُهُ سُبْحَانَهُ عَلَى الْبَلَاءِ كَحَمْدِهِ عَلَى الْآلَاءِ فَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِيهِ وَ مِنَ الْكَلَامِ الْمَشْهُورِ سُبْحَانَ مَنْ لَا يَحْمَدُ عَلَى الْمَكْرُوهِ سِوَاهُ وَ السَّرْفِ فِيهِ أَنَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا يَفْعَلُ الْمَكْرُوهَ بِنَا لِمَصَالِحِنَا فَإِذَا حَمَدْنَاهُ عَلَيْهِ فَإِنَّمَا حَمَدْنَاهُ عَلَى نِعْمِهِ أَنْعَمَ بِهَا وَ إِنْ كَانَتْ فِي الظَّاهِرِ بَلِيَّةً وَ أَلْمًا. فَإِنْ قُلْتَ فَقَدْ كَانَ الْأَحْسَنُ فِي الْبَيَانِ أَنْ يَقُولَ نَحْمَدُهُ عَلَى بَلَائِهِ كَمَا نَحْمَدُهُ عَلَى آلَائِهِ قُلْتَ إِنَّمَا عَكْسٌ لِأَنَّهُ جَاءَ بِاللَّفْظَيْنِ فِي مَعْرُضِ ذِكْرِ النِّعْمِ وَ الشُّكْرِ عَلَيْهَا فَاسْتَهْجَنَ أَنْ يَلْقِبَهَا بِلَفْظَةِ الْحَمْدِ عَلَى الْبَلَاءِ لِلْمَنَافَرَةِ الَّتِي تَكُونُ بَيْنَهُمَا فَقَالَ نَحْمَدُهُ عَلَى هَذِهِ الْآلَاءِ الَّتِي أَشْرْنَا إِلَيْهَا الَّتِي هِيَ الْآلَاءُ فِي الْحَقِيقَةِ وَ هَذَا تَرْتِيبٌ صَحِيحٌ مُنْتَظَمٌ . ثُمَّ سَأَلَ اللَّهَ أَنْ يَعِينَهُ عَلَى النَّفْسِ الْبَطِيئَةِ عَنِ الْمَأْمُورِ بِهِ السَّرِيعَةَ إِلَى الْمُنْهَى عَنْهُ وَ مِنَ دَعَاءِ بَعْضِ الصَّالِحِينَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ عَدُوًّا بَيْنَ جَنْبِي قَدْ غَلَبَ عَلَيَّ . وَ فِسرُ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الطَّرِيقَةِ وَ الْحَقِيقَةُ قَوْلُهُ تَعَالَى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَ لِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً قَالُوا أَرَادَ مُجَاهِدَةَ النَّفُوسِ وَ - قُرْآن - ١ - ٦٣ مِنْ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ إِذَا حَبَسَ الْمَالُ وَ الشَّرْفُ وَ إِنْ حَبَسَا لِأَذْهَبَ بَدِينِ أَحَدِكُمْ مِنْ ذُنُوبِنِ ضَارِبِينَ بَاتَا فِي زُرْبِيَّةٍ غَنَمٍ إِلَى الصَّبَاحِ فَمَاذَا يَبْقِيَانِ مِنْهَا - رَوَايَتُ - ١ - ٢ - رَوَايَتُ - ٢٧ - ١٦٢ . ثُمَّ شَرَعَ فِي اسْتِغْفَارِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَ عَبَّرَ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ مِمَّا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ وَ أَحْصَاهُ كِتَابَهُ لِأَنَّهُ تَعَالَى عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَ قَدْ أَوْضَحَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ عِلْمٌ غَيْرُ قَاصِرٍ وَ كِتَابٌ غَيْرُ مَغَادِرٍ أَيْ غَيْرُ مَبْقِيٍّ شَيْئًا لَا يَحْصِيهِ قَالَ تَعَالَى مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَيِّغَةً وَ لَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا. ثُمَّ قَالَ وَ تَوَمَّنْ بِهِ إِيمَانٌ مِنْ عَايِنٍ وَ شَاهِدٌ لِأَنَّ إِيمَانَ الْعِيَانِ أَخْلَصَ وَ أَوْثَقَ مِنْ إِيمَانِ الْخَبَرِ فَإِنَّهُ لَيْسَ الْخَبِيرُ كَالْعِيَانِ وَ هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى إِيمَانِ الْعَارِفِينَ الَّذِينَ هُوَ عِندَهُمْ وَرِيسَتُهُمْ وَ لِذَلِكَ - قُرْآن - ٢٣٠ - ٢٩٩ قَالَ لَوْ كَشَفَ الْغَطَاءَ مَا زِدْتُمْ يَقِينًا - رَوَايَتُ - ١ - ٢ - رَوَايَتُ - ٨ - ٣٨ . وَ قَوْلُهُ تَصْعَدَانِ الْقَوْلُ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى

إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وروى تسعدان القول بالسین أى هما شهادتان بالقلب يعاضدان الشهادة باللسان ويسعدانها. ثم ذكر أنهما شهادتان لا يخف ميزان هما فيه ولا يثقل ميزان رفعا عنه . أما أنه لا يثقل ميزان رفعا عنه فهذا لا كلام فيه وإنما الشأن فى القضية الأولى لأن ظاهر هذا القول يشعر بمذهب المرجئة الخالص وهم أصحاب مقاتل بن سليمان القائلون إنه لا يضر مع الشهادتين معصية أصلا وإنه لا يدخل النار من فى قلبه ذرة من الإيمان - قرآن- ٤٨-١١٢ [صفحہ ٢٥٤] ولهم على ذلك احتجاج قد ذكرناه فى كتبنا الكلامية فنقول فى تأويل ذلك إنه لم يحكم بهذا على مجرد الشهادتين وإنما حكم بهذا على شهادتين مقيدتين قد وصفهما بأنهما يصعدان القول ويرفعان العمل وتانك الشهادتان المقيدتان بذلك القيد إنما هو الشهادتان اللتان يقارنهما فعل الواجب وتجنب القبيح لأنه إن لم يقارنهما ذلك لم يرفعا العمل وإذا كان حكمه ع بعدخفه ميزان هما فيه إنما هو على شهادتين مقيدتين لا مطلقتين فقد بطل قول من يجعل هذا الكلام حجة للمرجئة. ثم أخذ فى الوصاة بالتقوى وقال إنما الزاد فى الدنيا الذى يزود منه لسفر الآخرة وبها المعاذ مصدر من عذت بكذا أى لجأت إليه واعتصمت به . ثم وصفهما أعنى الزاد والمعاذ فقال زاد مبلغ أى يبلغك المقصد والغاية التى تسافر إليها ومعاذ منجح أى يصادف عنده النجاح . دعا إليها أسمع داع يعنى البارئ سبحانه لأنه أشد الأحياء أسماعا لما يدعوهم إليه وبناء أفعالها هنا من الرباعى كما جاء ما أعطاه للمال و ما أولاه للمعروف و أنت أكرم لى من زيد أى أشد إكراما وهذا المكان أقفر من غيره أى أشد إقفارا و فى المثل أفلس من ابن المذلق وروى دعا إليها أحسن داع أى أحسن داع دعا و لا بد من تقرير هذا المميز لأنه تعالى لا توصف ذاته بالحسن وإنما يوصف بالحسن أفعاله . ووعاها خير واع أى من وعاهها عنه تعالى وعقلها وأجاب تلك الدعوة فهو خير واع . وقيل عنى بقوله أسمع داع رسول الله ص وعنى بقوله خير واع نفسه لأنه أنزل فيه وَ تَعَيَّنَا أُذُنٌ وَاَعْيَنَةٌ و الأول أظهر. - قرآن- ١٣١٠-١٣٣٦ [صفحہ ٢٥٥] ثم قال فأسمع داعيها أى لم يبق أحدا من المكلفين إلا وقد أسمع تلك الدعوة وفازوا عليها أفلح من فهمها وأجاب إليها لا بد من تقدير هذا وإلا فأى فوز يحصل لمن فهم ولم يجب والتقوى خشية الله سبحانه ومراقبته فى السر والعلن والخشية أصل الطاعات وإليها وقعت الإشارة بقوله تعالى إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ وقوله سبحانه وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ. قوله حتى أسهرت ليااليهم وأظمأت هواجرهم من قول العرب نهاره صائم وليله قائم نقلوا الفعل إلى الظرف و هو من باب الاتساع الذى يجرون فيه الظروف مجرى المفعول به فيقولون الذى سرته يوم الجمعة أى سرت فيه وقال - قرآن- ٢٨٩-٣٢٥- قرآن- ٣٤١-٤١٦ و يوم شهدناه سليما وعامرا أى شهدنا فيه سليما وقد اتسعوا فأضافوا إلى الظروف فقالوا ياسارق الليلة أهل الدار وقال تعالى بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ فَخُرْجُوهُمَا بِالْإِضَافَةِ عَنِ الظَّرْفِيَّةِ. قوله فأخذوا الراحة النصب يروى فاستبدلوا الراحة والنصب التعب واستقربوا الأجل رأوه قريبا. فإن قلت لماذا كرر لفظة الأجل و فى تكرارها مخالفة لفن البيان قلت إنه استعملها فى الموضوعين بمعنيين مختلفين فقوله استقربوا الأجل يعنى المدة وقوله فلاحظوا الأجل يعنى الموت نفسه . - قرآن- ١٥-٤٣ [صفحہ ٢٥٦] ويروى موتر وموتر بالتشديد و لا تؤسى جراحه لا تطب و لا تصلح أسوت الجرح أى أصلحته و لا ينقع لا يروى شرب حتى نفع أى شف عليه وماء نافع و هو كالناجع و مارأيت شربه انقع منها. و إلى قوله ع يجمع ما لا يأكل ويبنى ما لا يسكن نظر الشاعر فقال أموالنا لذوى الميراث نجمعها || ودورنا لخراب الدهر نبنينا . وقال آخر ألم تر حوشبا أمسى يبنى || بناء نفعه لبنى بقبيلة يؤمل أن يعمر عمر نوح || وأمر الله يطرق كل ليلة قوله و من غيرها أنك ترى المرحوم مغبوطا والمغبوط مرحوما أى يصير الفقير غنيا والغنى فقيرا و قدفسره قوم فقالوا أراد أنك ترى من هو فى باطن الأمر مرحوم مغبوطا وترى من هو فى باطن الأمر مغبوط مرحوما أى تحسب ذاك وتتخيله و هذا التأويل غير صحيح لأن قوله بعده ليس ذلك إلا نعما زل وبؤسا نزل ويكذبه ويصدق التفسير الأول . وأضحى فيئها من أضحى الرجل إذا برز للشمس ثم قال لاجء يرد و لا ماض يترد أى يسترد ويسترجع أخذه أبو العتاهية فقال فلا أناراجع ما قدمضى لى || و لا أنادافع ما سوف يأتى . و إلى قوله ما أقرب الحى من الميت

للحاقه به و ما أبعد الميت من الحي لانقطاعه عنه نظر الشاعر فقال يابعدا عنى و ليس بعيدا || من لحاقى به سميع قريب [صفحه ٢٥٧] صرت بين الورى غريبا كما أنك تحت الثرى وحيد غريب فإن قلت ماوجه تقسيمه ع الأمور التى عددها إلى الفناء والعناء والغير والعبر قلت لقد أصاب الثغرة وطبق المفصل ألاتراه ذكر فى الفناء رمى الدهر الإنسان عن قوس الردى و فى العناء جمع ما لا يأكل وبناء ما لا يسكن و فى الغير الفقر بعد الغنى والغنى بعد الفقر و فى العبر اقتطاع الأجل الأمل فقد ناط بكل لفظه ما يناسبها. و قد نظر بعض الشعراء إلى قوله ع ليس شىء بشر من الشر إلا عقابه و ليس شىء بخير من الخير إلا ثوابه فقال خير البضائع للإنسان مكرمة || تنمى و تزكو إذ بارت بضائعه فالخير خير و خير منه فاعله || والشر شر و شر منه صانعه . إلا أن أمير المؤمنين ع استثنى العقاب والثواب والشاعر جعل مكانهما فاعل الخير والشر. ثم ذكر أن كل شىء من أمور الدنيا المرغبة والمرهبة سماعه أعظم من عيانه والآخرة بالعكس و هذا حق أما القضية الأولى فظاهرة و قد قال القائل اهتر عند تمنى وصلها طربا || ورب أمنية أحلى من الظفر . ولهذا يحرص الواحد منا على الأمر فإذا بلغه برد و فتر و لم يجده كما كان يظن فى اللذة ويوصف لنا البلد البعيد عنا بالخصب والأمن والعدل و سماح أهله و حسن نسائه و ظرف رجاله فإذا سافرنا إليه لم نجده كما و وصف بل ربما وجدنا القليل من ذلك و يوصف لنا الإنسان الفاضل بالعلم بفنون من الآداب والحكم و يباليغ الواصفون فى ذلك فإذا اخترناه وجدناه دون ما و صف وكذلك قد يخاف الإنسان حسبا أو ضربا أو نحوهما فإذا [صفحه ٢٥٨] وقع فيهما هان ما كان يتخوفه و وجد الأمر دون ذلك وكذلك القتل والموت فإن ما يستعظمه الناس منهما دون أمرهما فى الحقيقة و قد قال أبو الطيب و هو حكيم الشعراء كل ما لم يكن من الصعب فى الأنفس || سهل فيها إذا هو كانا . ويقال فى المثل لج الخوف تأمن و أما أحوال الآخرة فلأريب أن الأمر فيها بالضد من ذلك لأن الذى يتصوره الناس من الجنة أنها أشجار وأنهار ومأكول ومشروب وجماع وأمرها فى الحقيقة أعظم من هذا وأشرف لأن ملاذها الروحانية المقارنة لهذه الملاذ المضادة لها أعظم من هذه الملاذ بطبقات عظيمة وكذلك أكثر الناس يتوهمون أن عذاب النار يكون أياما وينقضى كما يذهب إليه المرجئة أو أنه لا عذاب بالنار لمسلم أصلا كما هو قول الخلف من المرجئة و أن أهل النار يألفون عذابها فلا يستتصرون به إذ اتطاول الأمد عليهم وأمر العذاب أصعب مما يظنون خصوصا على مذهبنا فى الوعيد و لو لم يكن إلا آلام النفوس باستشعارها سخط الله تعالى عليها فإن ذلك أعظم من ملاقات جرم النار لبدن الحى. و فى هذا الموضوع أبحاث شريفة دقيقة ليس هذا الكتاب موضوعا لها. ثم أمرهم بأن يكتفوا من عيان الآخرة و غيبها بالسمع والخبر لأنه لا سبيل ونحن فى هذه الدار إلى أكثر من ذلك . و إلى قوله مانقص من الدنيا وزاد فى الآخرة خير مما نقص من الآخرة وزاد فى الدنيا نظر أبو الطيب فقال إلا أنه أخرجه فى مخرج آخر بلاد ما اشتهدت رأيت فيها || فليس يفوتها إلا كرام [صفحه ٢٥٩] فهلا- كان نقص الأهل فيها || و كان لأهلها منها التمام ثم قال فكم من منقوص فى دنياه و هورابح فى آخرته و كم من مزيد فى دنياه و هو خاسر فى آخرته ثم قال إن الذى أمرتم به أوسع من الذى نهيتم عنه و ما أحل لكم أكثر مما حرم عليكم الجملة الأولى هى الجملة الثانية بعينها وإنما أتى بالثانية تأكيدا للأولى وإيضاحا لها ولأن فن الخطابة والكتابة هكذا هو وينتظم كلتا الجملتين معنى واحد و هو أن فيما أحل الله غنى عما حرم بل الحلال أوسع ألا ترى أن المباح من المآكل والمشرب أكثر عددا وأجناسا من المحرمات فإن المحرم ليس إلا الكلب والخنزير وأشياء قليلة غيرهما والمحرم من المشروب الخمر ونحوها من المسكر و ماعدا ذلك حلال أكله وشربه وكذلك القول فى النكاح والتسرى فإنهما طريقان مهيعان إلى قضاء الوطر والسفاح طريق واحد والطريقان أكثر من الطريق الواحد. فإن قلت فكيف قال إن الذى أمرتم به فسمى المباح مأمورا به قلت سمي كثير من الأصوليين المباح مأمورا به و ذلك لاشتراكه مع المأمور به فى أنه لا حرج فى فعله فأطلق عليه اسمه وأيضا فإنه لما كان كثير من الأمور التى عددناها مندوبا أطلق عليه لفظ الأمر لأن المندوب مأمور به و ذلك كالنكاح والتسرى وأكل اللحوم التى هى سبب قوة البدن وشرب ما يصلح المزاج من الأشربة التى لا حرج فى استعمالها و قال بعض العقلاء لبنىه يابنى إنه

ليس كل شيء من اللذة ناله أهل الخسارة بخسارتهم إلا ناله أهل المروءة والصيانة بمروءتهم وصيانتهم فاستتروا بستر الله ودخل إنسان على علي بن موسى الرضا ع و عليه ثياب مرتفعة القيمة فقال يا ابن رسول الله أتلبس مثل هذا فقال له مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ -رواية- ١-٢٠١ [صفحہ ٢٦٠] ثم أمر بالعمل والعبادة ونهى عن الحرص على طلب الرزق فقال إنكم أمرتم بالأول وضمن لكم الثاني فلا تجعلوا المضمون حصوله لكم هو المخصوص بالحرص والاجتهاد بل ينبغي أن يكون الحرص والاجتهاد فيما أمرتم بعمله وهو العبادة وقديتوهم قوم أنه ارتفع طلبه بالمضمون كقولك المضروب أخوه وهذا غلط لأنه لم يضمن طلبه وإنما ضمن حصوله ولكنه ارتفع لأنه مبتدأ وخبره أولى وهذا المبتدأ والخبر في موضع نصب لأنه خبر يكونن أو ارتفع لأنه بدل من المضمون وهذا أحسن وأولى من الوجه الأول وهو بدل الاشتمال . ثم ذكر أن رجعة العمر غير مرجوة ورجعة الرزق مرجوة أوضح ذلك بأن الإنسان قديذهب منه اليوم درهم فيستعيضه أى يكتسب عوضه فى الغد ديناراً و أما أمس نفسه فمستحيل أن يعود و لا مثله لأن الغد و بعد الغد محسوب من عمره و ليس عوضاً من الأمس الذاهب و هذا الكلام يقتضى أن العمر مقدور و أن المكاسب والأرزاق إنما هى بالاجتهاد وليست محصورة مقدرة و هذا يناقض فى الظاهر ما تقدم من قوله إن الرزق مضمون فلا تحرصوا عليه فاحتاج الكلام إلى تأويل و هو أن العمر هو الظرف الذى يوقع المكلف فيه الأعمال الموجبة له السعادة العظمى المخلصة له من الشقاوة العظمى و ليس له ظرف يوقعها فيه إلا هو خاصة فكل جزء منه إذافات من غير عمل لما بعد الموت فقد فات على الإنسان بفواته ما لا سبيل له إلى استدراكه بعينه و لا اغترام مثله لأن المثل الذى له إنما هو زمان آخر و ليس ذلك فى مقدور الإنسان والزمان المستقبل الذى يعيش فيه الإنسان لم يكتسبه هو لينسب إليه فيقال إنه حصله عوضاً مما انقضى و ذهب من عمره وإنما هو فعل غيره و مع ذلك فهو معد ومهيأ لأفعال من العبادة توقع فيه كما كان الجزء الماضى معداً لأفعال [صفحہ ٢٦١] توقع فيه فليس أحدهما عوضاً عن الآخر و لا قائماً مقامه و أما المنافع الدنيوية كالمآكل والمشارب والأموال فإن الإنسان إذافات شىء منها قدر على ارتجاعه بعينه إن كانت عينه باقية و ما لا تبقى عينه يقدر على اكتساب مثله والرزق و إن كان مضموناً من الله إلا أن للحركة فيه نصيباً إما أن يكون شرطاً أو أن يكون هويذاته من أثر قدرة الإنسان كحركته واعتماده وسائر أفعاله و يكون الأمر بالتوكل والنهى عن الاجتهاد فى طلب الرزق على هذا القول إنما هونى عن الحرص والجشع والتهاكك فى الطلب فإن ذلك قبيح يدل على دناءة الهمة وسقوطها. ثم هذه الأغراض الدنيوية إذ حصلت أمثالها بعد ذهابها قامت مقام الذاهب لأن الأمر الذى يراد الذاهب له يمكن حصوله بهذا المكتسب و ليس كذلك الزمان الذاهب من العمر لأن العبادات والأعمال التى كان أمس متعينا لها لا يمكن حصولها اليوم على حد حصولها أمس فافتقر البابان باب الأعمال و باب الأرزاق . و قوله الرجاء مع الجائى واليأس مع الماضى كلام يجرى مجرى المثل و هو تأكيد للمعنى الأول وجعل الجائى مرجواً لأنه لا يعلم غيبه قال الشاعر ماضى فات والمقدر غيب || و لك الساعة التى أنت فيها و قوله حق تقاته أى حق تقيته أى خوفه اتقى يتقى تقياً و تقاه و وزنها فعلة وأصلها الياء ومثلها اتخم تخم و اتهم تهمه [صفحہ ٢٦٢]

١١٤- و من خطبة له ع فى الاستسقاء

إشارة

اللَّهُمَّ قَدْ انصاحت جبالنا و اغبرت أرضنا و هامت دوابنا و تحيرت فى مزابيها و عجت عجيج الثكالى على أولادها و ملت التردد فى مراتعها و الحنين إلى مواردها اللهم فأرحم آيين الآنة و حنين الحائنة اللهم فأرحم حيرتها فى مياذها و آيينها فى موالجها

اللَّهُمَّ خَرَجْنَا إِلَيْكَ حِينَ اعْتَكَرْتَ عَلَيْنَا حِدَابِيرَ السَّيْنِ وَأَخْلَفْتَنَا مَخَائِلَ الْجُودِ فَكَنتَ الرَّجَاءَ لِلْمُبْتَسِسِ وَ الْبَلَاغَ لِلْمُلْتَمِسِ نَدْعُوكَ حِينَ قَنَطَ الْأَنَامُ وَ مُعِيَ الْعَمَامُ وَ هَلَكَ السَّوَامُ أَلَّا تُؤَاخِذَنَا بِأَعْمَالِنَا وَ لَا تَأْخُذَنَا بِذُنُوبِنَا وَ انْشُرْ عَلَيْنَا رَحْمَتَكَ بِالسَّحَابِ الْمُبْتَعِقِ وَ الرِّبْعِ الْمُغْدِقِ وَ التَّبَاتِ الْمُوْتِقِ سَيْحًا وَابِلًا تُحْيِي بِهِ مَا قَدَّمَ مَاتَ وَ تَرُدُّ بِهِ مَا قَدَّمَ فَاتِ اللَّهُمَّ سَقِيَا مِنْكَ مُحْيِيَهُ مُرْوِيَهُ تَامَهُ عَامَهُ طَيِّبَهُ مُبَارَكَهُ هَيِّنَهُ مَرِيئَهُ زَاكِيًا نَبْتَهَا ثَامِرًا فَرَعَهَا نَاضِرًا وَرَقُّهَا تُنْعَشُ بِهَا الضَّعِيفَ مِنْ عِبَادِكَ وَ تُحْيِي بِهَا الْمَيِّتَ مِنْ بِلَادِكَ اللَّهُمَّ سَقِيَا مِنْكَ تُعْشِبُ بِهَا نِجَادَنَا وَ تَجْرِي بِهَا وَهَادَنَا وَ يُخْصِبُ بِهَا جَنَابَنَا وَ تُقْبِلُ بِهَا ثِمَارَنَا وَ تَعِيشُ بِهَا مَوَاشِينَا وَ تَنْدِي بِهَا أَقَاصِينَا وَ تَسْتَعِينُ بِهَا ضَوَاحِينَا مِنْ بَرَكَاتِكَ الْوَاسِعَةِ وَ عَطَايَاكَ الْجَزِيلَةِ عَلَى بَرِيَّتِكَ الْمُرْمَلَةِ وَ وَحْشِكَ الْمُهْمَلَةِ وَ أَنْزِلْ عَلَيْنَا سَمَاءً مُخْضَلَّةً مِدْرَارًا هَاطِلَةً يُدَافِعُ الْوَدُقُ مِنْهَا الْوَدُقَ وَ يَحْفِزُ الْقَطْرُ مِنْهَا [صفحة ٢٦٣] الْقَطْرَ غَيْرَ خَلْبٍ بَرُقُّهَا وَ لَا جَهَامٍ عَارِضُهَا وَ لَا قَرَعَ رَبَابُهَا وَ لَا شَفَانَ ذَهَابُهَا حَتَّى يُخْصِبَ لِامْرَأَتِهَا الْمُجْدِيُونَ وَ يَحْيَا بِبَرَكَتِهَا الْمُسْتُونَ فَإِنَّكَ تُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَ تَنْشُرُ رَحْمَتَكَ وَ أَنْتَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ قَالَ الشَّرِيفُ الرُّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلُهُ انْصَاحَتْ جِبَالُنَا أَيْ تَشَقَّقَتْ مِنَ الْمَحْوَلِ يُقَالُ انْصَاحَ الثَّوْبُ إِذَا انْشَقَّ وَيُقَالُ أَيْضًا انْصَاحَ النَّبْتِ وَصَاحَ وَصُوحَ إِذَا جَفَّ وَيَسَّ كَلَهُ بِمَعْنَى . وَ قَوْلُهُ وَهَامَتْ دَوَابُنَا أَيْ عَطَشَتْ وَ الْهَيْامُ الْعَطَشُ . وَ قَوْلُهُ حَدَابِيرَ السَّيْنِ جَمْعُ حَدَابِيرٍ وَهِيَ النَّاقَةُ الَّتِي أَنْصَاهَا السَّيْرُ فَشَبَّهَ بِهَا السَّنَةَ الَّتِي فَشَا فِيهَا الْجَدْبُ قَالَ ذُو الرَّمَةِ -رَوَايَتُ ١- ٣٣٨ حَدَابِيرٌ مَا تَنْفُكُ إِلَّا مَنَاحَهُ || عَلَى الْخَسْفِ أَوْ نَرْمِي بِهَا بِلْدَانًا قَفْرًا وَ قَوْلُهُ وَ لَاقِرْعَ رَبَابِهَا الْقِرْعُ الْقَطْعُ الصَّغَارُ الْمَتَفَرِّقَةُ مِنَ السَّحَابِ . وَ قَوْلُهُ وَ لَاشْفَانَ ذَهَابُهَا فَإِنَّ تَقْدِيرَهُ وَ لِذَاتِ شَفَانَ ذَهَابُهَا وَ الشَّفَانُ الرِّيحُ الْبَارِدَةُ وَ الذَّهَابُ الْأَمْطَارُ اللَّيْنَةُ فَحَذَفَ ذَاتَ لَعْمِ السَّمَاعِ بِهِ -رَوَايَتُ ١- ٢٠٤ [صفحة ٢٦٤] يَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِقَوْلِهِ وَهَامَتْ دَوَابُنَا مَعْنَى غَيْرِ مَا فَسَّرَهُ الشَّرِيفُ الرُّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بِهِ وَ هُوَ نَدْوُدُهَا وَ ذَهَابُهَا عَلَى وَجْهِهَا لِشِدَّةِ الْمَحَلِّ يَقُولُ هَامَ عَلَى وَجْهِهِ يَهِيمُ هَيْمًا وَ هَيْمَانًا . وَ الْمَرَابِضُ مَبَارِكُ الْغَنَمِ وَ هِيَ لَهَا كَالْمَوَاطِنِ لِلْإِبِلِ وَاحِدُهَا مَرْبِضٌ بِكَسْرِ الْبَاءِ مِثْلُ مَجْلِسٍ وَ عَجَتْ صَرَخَتْ وَ يَحْتَمِلُ الضَّمِيرُ فِي أَوْلَادِهَا أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الثَّكَالِيِّ أَيْ كَعَجِجِ الثَّكَالِيِّ عَلَى أَوْلَادِهِمْ وَ يَحْتَمِلُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدَّوَابِّ أَيْ وَ عَجَتْ عَلَى أَوْلَادِهَا كَعَجِجِ الثَّكَالِيِّ وَ إِنَّمَا وَصَفَهَا بِالتَّحْيِيرِ فِي مَرَابِضِهَا لِأَنَّهَا لِشِدَّةِ الْمَحَلِّ تَتَحْيَرُ فِي مَبَارِكِهَا وَ لَا تَدْرِي مَاذَا تَصْنَعُ إِنْ نَهَضَتْ لِتَرْعَى لَمْ تَجِدْ رَعِيًا وَ إِنْ أَقَامَتْ كَانَتْ إِلَى انْقِطَاعِ الْمَادَّةِ أَقْرَبَ قَوْلُهُ وَ مَلَّتِ التَّرْدُدُ فِي مَرَاتِعِهَا وَ الْحَيْنِ إِلَى مَوَارِدِهَا وَ ذَلِكَ لِأَنَّهَا أَكْثَرَتْ مِنَ التَّرْدُدِ فِي الْأَمَاكِنِ الَّتِي كَانَتْ تَعْتَدُ مَرَاتِعِهَا فِيهَا فَلَمْ تَجِدْ مَرْتَعًا فَمَلَّتِ التَّرْدَادَ إِلَيْهَا وَ كَذَلِكَ مَلَّتِ الْحَيْنِ إِلَى الْغَدْرَانِ وَ الْمَوَارِدِ الَّتِي كَانَتْ تَعْتَادُهَا لِلشَّرْبِ فَإِنَّهَا حَنَّتْ إِلَيْهَا لِمَا فَقدَتْهَا حَتَّى ضَجَرَتْ وَ يَثُتُ فَمَلَّتْ مِمَّا لَافَائِدُهُ لَهَا فِيهِ . وَ الْآنَةُ وَ الْحَانَةُ الشَّاءُ وَ النَّاقَةُ وَ يُقَالُ مَا لَهُ حَانَةٌ وَ لِآنَةٌ وَ أَصْلُ الْآنِ صَوْتُ الْمَرِيضِ وَ شَكْوَاهُ مِنَ الْوَصْبِ يُقَالُ أَنْ يَثُنَ أَنْيْنَا وَ أَنَانَا وَ تَأَنَانًا . وَ الْمَوَالِجُ الْمَدَاخِلُ وَ إِنَّمَا ابْتَدَأَ بِذِكْرِ الْأَنْعَامِ وَ مَا أَصَابَهَا مِنَ الْجَدْبِ اقْتِفَاءً بِسَنَةِ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ لِعَادَةِ الْعَرَبِ أَمَا سَنَةُ رَسُولِ اللَّهِ ص فَإِنَّهُ قَالَ لَوْلَا الْبَهَائِمُ الرَّعُ وَ الصَّيْيَانُ الرُّضْعُ وَ الشَّيْخُ الرُّكْعُ لَصَبَّ - رَوَايَتُ ١- ٢- رَوَايَتُ ١٣- أَدَامَهُ دَارِدُ [صفحة ٢٦٥] عَلَيْكُمْ الْعَذَابُ صَبَا - رَوَايَتُ ١- ٢- رَوَايَتُ ١٤- ٩٥ . وَ الْبَيْتُ الَّذِي ذَكَرَهُ الرُّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ لِذِي الرَّمَةِ لِأَعْرَفَهُ الْإِحْرَاجِيَّ وَ هَكَذَا رَأَيْتُهُ بِخَطِّ ابْنِ الْخَشَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَ الْحَرْجُوجُ النَّاقَةُ الضَّامِرَةُ فِي طَوْلٍ . وَ فِيهِ مَسْأَلَةٌ نَحْوِيَّةٌ وَ هِيَ أَنَّهُ كَيْفَ نَقَضَ النَّفْيُ مِنَ مَا تَنْفُكُ وَ هُوَ غَيْرُ جَائِزٍ كَمَا لَا يَجُوزُ مَا زَالَ زَيْدٌ إِلَّا قَائِمًا وَ جَوَابُهَا أَنْ تَنْفُكُ هَاهُنَا تَامَةً أَيْ مَا تَنْفُصَلُ وَ مَنَاحُهُ مَنْصُوبٌ عَلَى الْحَالِ . قَوْلُهُ وَ أَخْلَفْتَنَا مَخَائِلَ الْجُودِ أَيْ كَلِمًا شَمْنَا بَرَقًا وَ اخْتَلْنَا سَحَابًا أَخْلَفْنَا

و لم يمطر. والجدود المطر الغزير ويروى مخايل الجود بالضم . [صفحہ ۲۶۶] والمبتس ذو البؤس والبلاغ للمتمس أى الكفاية للطالب . وتقول قنط فلان بالفتح يقنط ويقنط بالكسر والضم فهو قانط و فيه لغة أخرى قنط بالكسر يقنط قنطا مثل تعب يتعب تعباً وقنطه أيضا فهو قنط وقرئ فلا تكن من القانطين . وإنما قال ومنع الغمام فبنى الفعل للمفعول به لأنه كره أن يضيف المنع إلى الله تعالى و هو منبع النعم فاقضى حسن الأدب أنه لم يسم الفاعل وروى منع الغمام أى ومنع الغمام القطر فحذف المفعول والسوام المال الراعى . فإن قلت ما الفرق بين تؤاخذنا وبين تأخذنا . قلت المؤاخذة دون الأخذ لأن الأخذ الاستئصال والمؤاخذة عقوبة و إن قلت . والسحاب المنبثق المتبعج بالمطر ومثله المتبعق ومثله البعاق والريبع المغدق الكثير والنبات الموثق المعجب . وانتصب سحا على المصدر والوايل المطر الشديد . ثم قال تحيى به ما قدمات أى يكاد يتلف بها من الزرع وترد به ما قذفات أى يستدرك به الناس مافاتهم من الزرع والحرث . والسقيا مؤنثة وهى الاسم من سقى والمريعة الخصبية . وثامرا فرعها ذو ثمر كما قالوا لابن وتامر ذو لبن وتمر . وتنعش ترفع والنجاد جمع نجد و هو ما ارتفع من الأرض والوهاد جمع وهد و هو المطمئن منها وروى نجادنا بالنصب على أنه مفعول . -قرآن- ۲۰۲-۲۲۸ [صفحہ ۲۶۷] قوله وتندى بها أقاصينا أى الأبعاد منا ويندى بها ينتفع نديت بكذا أى انتفعت . والضواحي النواحي القريبة من المدينة العظمى والمرملة الفقيرة أرمل افتقر ونفذ زاده ووحشك المهملة التى لاراعى لها ولا صاحب ولا مشفق . وسماء مخضلة تخضل النبات أى تبله وروى مخضلة أى ذات نبات وزروع مخضلة يقال اخضل النبات اخضلالا أى ابتل وإنما أنث السماء و هوالمطر و هو مذكر لأنه أراد الأمطار والودق المطر ويحفز يدفع بشدة و إذادفع القطر القطر كان أعظم وأغرر له . وبرق خلب لامطر معه وسحاب جهام لاماء فيه والمجدبون أهل الجذب والمستنون الذين أصابتهم السنة وهى المحل والقحط الشديد

صلاة الاستسقاء وآدابها

واعلم أن صلاة الاستسقاء عند أكثر الفقهاء سنة . و قال أبو حنيفة لاصلاة للاستسقاء قال أصحابه يعنى ليست سنة فى جماعة وإنما يجوز أن يصلى الناس وحدانا قالوا وإنما الاستسقاء هو الدعاء والاستغفار . و قال باقى الفقهاء كالشافعى وأبى يوسف ومحمد وغيرهم بخلاف ذلك قالوا و قدروى أن رسول الله ص صلى بالناس جماعة فى الاستسقاء فصلى ركعتين جهرا بالقراءة فيهما وحول رداءه ورفع يديه واستسقى -رواية- ۱-۲-رواية- ۱۰-۱۲۸ قالوا والسنة أن يكون فى المصلى و إذا أراد الإمام الخروج لذلك وعظ الناس وأمرهم بالخروج من المظالم والتوبة من المعاصى لأن ذلك يمنع القطر . [صفحہ ۲۶۸] قالوا و قدروى عن عبد الله بن مسعود أنه قال إذ ابخس المكيال حبس القطر -رواية- ۱-۲-رواية- ۱-۲-رواية- ۴۳-۷۲ . و قال مجاهد فى قوله تعالى وَ يَلْعَنُهُمُ اللَّعَّانُونَ قال دواب الأرض تلعنهم يقولون منعنا القطر بخطاياهم . قالوا ويأمر الإمام الناس بصوم ثلاثة أيام قبل الخروج ثم يخرج فى اليوم الرابع وهم صيام ويأمرهم بالصدقة ويستسقى بالصالحين من أهل بيت رسول الله ص كما فعل عمر ويحضر معه أهل الصلاح والخير ويستسقى بالشيوخ والصبيان . واختلفوا فى إخراج البهائم فمنهم من استحب ذلك ومنهم من كرهه ويكره إخراج أهل الذمة فإن حضروا من عند أنفسهم لم يمنعوا والغسل والسواك فى صلاة الاستسقاء عندهم مسنونان ولا استحب فيهما التطيب لأن الحال لا يقتضيه . وينبغى أن يكون الخروج بتواضع وخشوع وإخبات كما خرج رسول الله ص للاستسقاء . قالوا ولا يؤذن لهذه الصلاة ولا يقام وإنما ينادى لها الصلاة جماعة وهى ركعتان كصلاة العيد يكبر فى الأولى سبع تكبيرات و فى الثانية خمس تكبيرات . قالوا ويخطب بعد الصلاة خطبتين و يكون دعاء الاستسقاء فى الخطبة الأولى . قالوا فيقول اللهم اسقنا غيثا مغيثا هنيئا مريئا مريعا غدقا مجللا -طبقا سحا دائما اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين اللهم إن بالعباد والبلاد من اللأواء

والضنك والجهد ما لانشكوه إلا إليك اللهم أنبت لنا الزرع وأدر لنا الضرع واسقنا من بركات السماء اللهم اكشف عنا الجهد والجوع والعري واكشف عنا ما لا يكشفه غيرك اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفاراً فأرسل السماء علينا مدراراً. -قرآن- ٣١- ٥٧ [صفحہ ٢٦٩] قالوا ويستحب أن يستقبل القبلة في أثناء الخطبة الثانية ويحول رداءه فيجعل ما على الأيمن على الأيسر وما على الأيسر على الأيمن تفاعلاً بتحول الحال وكذا روى أن رسول الله ص فعل ويستحب للناس أن يحولوا أرديتهم مثله ويتركوها كماهى ولا يعيدوها إلى حالها الأولى إلا إدارجوا إلى منازلهم . ويستحب أن يدعو في الخطبة الثانية سرا فيجمع بين الجهر والسر كما قال سبحانه وتعالى إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا وكقوله تعالى وَ اذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَ خِيفَةً وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ قالوا ويستحب رفع اليد في هذا الدعاء وأن يكثروا من الاستغفار لقوله تعالى اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا فَإِنِ صَلَوًا وَاسْتَسْقُوا فَلَمْ يَسْقُوا عَادُوا مِنَ الْغَدِ وَصَلُوا وَاسْتَسْقُوا وَ إِنِ سَقُوا قَبْلَ الصَّلَاةِ صَلَوًا شُكْرًا وَطَلْبًا لِلزِّيَادَةِ. قالوا ويستحب أن يقفوا تحت المطر حتى يصيبهم وأن يحسروا له عن رؤوسهم و -قرآن- ٣٨٤- ٤٣١- قرآن- ٤٤٧- ٥٢٤- قرآن- ٦٠١- ٦٧٥ قدروى أن رسول الله ص حسر عن رأسه حتى أصابه مطر الاستسقاء -رواية- ١- ٢- رواية- ١٠- ٦٧ . ويستحب إذاسال الوادى أن يغتسلوا فيه ويتوضئوا منه . وقد استحب قوم من الفقهاء أن يخرج الناس للاستسقاء حفاة حاسرين والأكثر على خلاف ذلك . فأما مذهب الشيعة في هذه المسألة فإن يستقبل الإمام القبلة بعد صلاة الركعتين فيكبر الله مائة تكبيرة ويرفع بها صوته ويكبر من حضر معه ثم يلتفت عن يمينه فيسبح الله مائة تسبيحة يرفع بها صوته ويسبح معه من حضر ثم يلتفت عن يساره فيهلل الله [صفحہ ٢٧٠] مائة مرة يرفع بها صوته ويقول من حضر مثل ذلك ثم يستقبل الناس بوجهه فيحمد الله مائة مرة يرفع بها صوته ويقول معه من حضر مثل ذلك ثم يخطب بهذه الخطبة المروية عن أمير المؤمنين ع في الاستسقاء فإن لم يتمكن منها اقتصر على الدعاء

أخبار وأحاديث في الاستسقاء

وجاء في الأخبار الصحيحة رؤيا رقيقة في الجاهلية وهي رقيقة بنت أبي صيفى بن هاشم بن عبدمناف قالت رقيقة تتابعت على قريش سنون أقحلت الضرع وأرقت العظم فيينا أناراقدة اللهم أومهومى ومعى صنوى إذا أنابهاتف صيت يصرخ بصوت صحل يامعشر قريش إن هذا النبى المبعوث فيكم قد أظلتكم أيامه وهذا إبان نجومه فحيهلا- بالخصب والحيأ ألا فانظروا رجلا منكم عظاما جساما أبيض بضاً أوظف الأهداب [صفحہ ٢٧١] سهل الخدين أشم العرنين له سنة تهدى إليه ألا فليخلص هو وولده وليدلف إليه من كل بطن رجل ألا فليشئوا عليهم من الماء وليمسوا من الطيب وليطوفوا بالبيت سبعا وليكن فيهم الطيب الطاهر لداته فليستق الرجل وليؤمن القوم ألا فغثتم إذا ماشتم . قالت فأصبحت علم الله مذعورة قدقف جلدى ووله عقى فاقصصت رؤياى على الناس فذهبت فى شعاب مكة فو الحرمه والحرم إن بقى أبطحى إلا- وقال هذا شبيهة الحمد. فتتامت رجال قريش وانقض إليه من كل بطن رجل فشئوا عليهم ماء ومسوا طيبا واستلموا واطوفوا ثم ارتقوا بأباقيس وطفق القوم يدفون حول عبدالمطلب ما إن يدرك سعيهم مهلة حتى استقروا بذروة الجبل واستكفوا جانيه . فقام فاعتضد ابن ابنه محمداص فرفعه على عاتقه وهو يومئذ غلام [صفحہ ٢٧٢] قد أيفع أو كرب ثم قال اللهم ساد الخلة وكاشف الكربة أنت عالم غير معلم ومسئول غير مبخل وهذه عبداؤك وإماؤك بعدارات حرمك يشكون إليك سنتهم التى أذهبت الخف والظلف فاسمعن اللهم وأمطرن علينا غيثا مغدقا مريعا سحا طبقا دراكا. قالت فو رب الكعبة ماراموا حتى انفجرت السماء بمائها واكتظ الوادى بشجيجه وانصرف الناس يقولون لعبد المطلب هنيئا لك سيد البطحاء و فى روايه أبى عبيده معمر بن المشنى قال فسمعنا شيخان قريش وجلتها عبد

الله بن جدعان وحرب بن أمية وهشام بن المغيرة يقولون لعبد المطلب هنيئا لك أبا البطحاء و في ذلك قال شاعر من قريش و قدروى هذا الشعر لرقيقه بشيئه الحمد أسقى الله بلدتنا || و قد فقدنا الحيا واجلود المطر فجاد بالماء وسمى له سبل || سحا فعاشت به الأنعام والشجر في الحديث من رواية أنس بن مالك أصاب أهل المدينة فحط على عهد رسول الله ص فقام إليه رجل و هو يخطب يوم جمعه فقال يا رسول الله هللك الشاء هللك الزرع ادع الله لنا أن يسقينا فمدع يده ودعا واستسقى -رواية- ١- ٢-رواية- ٣٧-ادامه دارد [صفحه ٢٧٣] و إن السماء كمثل الزجاجه فهاجت ريح ثم أنشأت سحبا ثم اجتمع ثم أرسلت عزاليها فخرجنا نخوض الماء حتى أتينا منازلنا ودام القطر فقام إليه الرجل في اليوم الثالث فقال يا رسول الله تهدمت البيوت ادع الله أن يجسه عنا فتبسم رسول الله ص ثم رفع يده و قال اللهم حوالينا و لا علينا قال أنس فو الذي بعث محمدا بالحق لقد نظرت إلى السحاب و إنه لقد انجاب حول المدينة كالإكليل -رواية- از قبل -٣٩٤ في حديث عائشه أنه ع استسقى حين بدا قرن الشمس فقعد على المنبر و حمد الله و كبره ثم قال إنكم شكوتم جدب دياركم و قد أمركم الله أن تدعوه و وعدكم أن يستجيب لكم فادعوه ثم رفع صوته فقال اللهم إنك أنت الغنى ونحن الفقراء فأنزل علينا الغيث و لاتجعلنا من القانطين اللهم اجعل ماتزله علينا قوة لنا و بلاغا إلى حين برحمتك يا أرحم الراحمين فأنشأ الله سحبا فرعدت و برقت ثم أمطرت فلم يأت ع منزله حتى سألت السيول فلما رأى سرعتهم إلى الكن ضحك حتى بدت نواجذه و قال أشهد أنى عبد الله و رسوله و أن الله على كل شىء قدير -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-٥٥٠ من دعائه ع فى الاستسقاء و قدرواه الفقهاء وغيرهم اللهم اسقنا و أعثنا اللهم اسقنا غيثا مغيثا و حيا ربيعا و جدا طبقا غدقا مغدقا مونقا عاما -رواية- ١-٢-رواية- ٥٥-ادامه دارد [صفحه ٢٧٤] هنيئا مريئا مريعا مريعا مرتعا و ابلا سابلا- مسيلا مجللا- درا نافعا غيرضار عاجلا غيررائث غيثا اللهم تحيى به العباد و تغيث به البلاد و تجعله بلاغا للحاضر منا و الباد اللهم أنزل علينا فى أرضنا زيتها و أنزل علينا فى أرضنا سكنها اللهم أنزل علينا ماء طهورا فأحى به بلدة ميتا و اسقه مما خلقت لنا أنعاما و أناسى كثيرا -رواية- از قبل -٣١٦ . و روى عبد الله بن مسعود أن عمر بن الخطاب خرج يستسقى بالعباس فقال اللهم إنا نتقرب إليك بعم نبيك و قفيه آبائه و كبر رجاله فإنك قلت و قولك الحق و أما الجدارُ فكان لِعُلامين يَتَمَيَّنِ فِي المَدِينَةِ الآية فحفظتهما لصلاح أبيهما فاحفظ اللهم نبيك فى عمه فقد دلونا به إليك مستشفعين و مستغفرين ثم أقبل على الناس فقال استغفروا ربكم إنه كان غفارا. قال ابن مسعود رأيت العباس يومئذ و قد طال عمر و عيناه تنضحان و سبائبه تجول على صدره و هو يقول اللهم أنت الراعى فلا تهمل الضالّة و لاتدع الكسير بدار مضيعة فقد ضرع الصغير ورق الكبير و ارتفعت الشكوى و أنت تعلم السر و أخفى اللهم أعثهم بغياثك من قبل أن يقنطوا فيهلكوا إنه لا ييأس من رحمة الله إلا القوم الكافرون . -قرآن- ١٥٦- ٢١٨ [صفحه ٢٧٥] قال فنشأت طريرة من سحاب و قال الناس ترون ترون ثم تلاءمت و استتمت و مشت فيهاريح ثم هدت و درت فو الله ما برحوا حتى اعتلقوا الأحذية و قلسوا المآزر و طفق الناس يلوذون بالعباس يمسحون أركانها و يقولون هنيئا لك ساقى الحرمين [صفحه ٢٧٦]

١١٥- و من خطبة له ع

أرسله داعيا إلى الحق و شاهدا على الخلق فبلغ رسالات ربه غير وان و لا مقصير و جاهد فى الله أعداءه غير واهن و لا معدر إمام من اتقى و بصير من اهتدى قوله و شاهدا على الخلق أى يشهد على القوم الذين بعث إليهم و شهد لهم فيشهد على العاصى بالعصيان و الخلاف و يشهد للمطيع بالإطاعة و الإسلام و هذا من قوله سبحانه و تعالى فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد و جئنا بك على هؤلاء شهيدا و من قوله تعالى و كنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم. فإن قلت إذا كان الله تعالى عالما بكل شىء و مالكا

لكل أحد فأى حاجة إلى الشهادة قلت ليس بمنكر أن يكون في ذلك مصلحة للمكلفين في أديانهم من حيث إنه قد تقرر في عقول الناس أن من يقوم عليه شاهد بأمر منكر قد فعله فإنه يخزي -قرآن- ١٧٥-٢٥٤-قرآن- ٢٧٤-٣١٥ [صفحہ ٢٧٧] ويخجل وتنقطع حجته فإذا طرقت أسماعهم أن الأنبياء تشهد عليهم والملائكة الحافظين تكتب أعمالهم كانوا عن موافقة القبيح أبعده. والوانى الفاتر الكال والواهن الضعيف . والمعذر الذى يعتذر عن تقصيره بغير عذر قال تعالى وَ جَاءَ الْمُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ - قرآن- ٢٢١-٢٥٦ منها وَ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ مِمَّا طُويَ عَنْكُمْ غَيْبُهُ إِذَا لَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعَدَاتِ تَبْكُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ وَ تَلْتَدِمُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَ لَتَرَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ لِمَا حَارَسَ لَهَا وَ لَأَخَالِفَ عَلَيْهَا وَ لَهَمَّتْ كُلُّ أَمْرِي مِنْكُمْ نَفْسُهُ لَأَيْلَتِفْتُ إِلَى غَيْرِهَا وَ لَكِنَّا نَسِيْتُمْ مَا ذُكِّرْتُمْ وَ أَمِنْتُمْ مِمَّا حُدِّدْتُمْ فَتَاءَ عَنْكُمْ رَأْيِكُمْ وَ تَشَدَّدْتُمْ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ وَ لَوَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ فَرَّقَ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ أَلْحَقَنِي بِمَنْ هُوَ أَحَقُّ بِي مِنْكُمْ قَوْمٌ وَ اللَّهُ مَيَّامِينُ الرَّأْيِ مَرَّاجِيحُ الْحِلْمِ مَقَاوِيلُ بِالْحَقِّ مَتَارِيكُ لِلْبَغْيِ مَضُوقُ قُدُمًا عَلَى الطَّرِيقَةِ وَ أَوْجَفُوا عَلَى الْمَحْجَةِ فَظَفَرُوا بِالْعُقْبَى الدَّائِمَةِ وَ الْكِرَامَةِ الْبَارِدَةِ أَمَا وَ اللَّهُ لَيْسَ لَطَنٌ عَلَيْكُمْ غُلَامٌ ثَقِيفٌ الذِّيَالُ الْمِيَالُ يَأْكُلُ خَضِرَتَكُمْ وَ يُذِيبُ شَحْمَتَكُمْ إِيَّهٖ أَبَا وَذِحَةَ [صفحہ ٢٧٨] قال الرضى رحمه الله تعالى الودحة الخنفساء وهذا القول يومئى به إلى الحجاج و له مع الودحة حديث ليس هذا موضع ذكره -روایت- ١-١٢٣ الصعيد التراب ويقال وجه الأرض والجمع سعد وسعدات كطريق وطرق وطرقات والالتدادم ضرب النساء صدورهن فى النياحة و لاخالف عليها لامستخلف . قوله ولهمت كل امرئ منكم نفسه أى أذابته وأنحلته هممت الشحم أى أذبته ويروى ولأهمت كل امرئ وهو أصح من الرواية الأولى أهمنى الأمر أى أحرزنى. وتاه عن فلان رآيه أى عزب وضل . ثم ذكر أنه يود ويتمنى أن يفرق الله بينه وبينهم ويلحقه بالنبي ص وبالصالحين من أصحابه كحمزة و جعفر ع وأمثالهما ممن كان أمير المؤمنين يثنى عليه ويحمد طريقته من الصحابة فمضوا قدما أى متقدمين غير معرجين و لا معردين . وأوجفوا أسرعوا ويقال غنيمه بارده وكرامه بارده أى لم تؤخذ بحرب و لا عسف و ذلك لأن المكتسب بالحرب جار فى المعنى لما يلقى ويعانى فى حصوله من المشقة. وغلام ثقيف المشار إليه هو الحجاج بن يوسف والذيال التائه وأصله من ذال أى تبخر وجر ذيله على الأرض والميال الظالم . ويأكل خضرتكم يستأصل أموالكم ويذيب شحمتكم مثله وكلتا اللفظتين استعاره. [صفحہ ٢٧٩] ثم قال له كالمخاطب لإنسان حاضر بين يديه إيه أبو ذحمة إيه كلمه يستزاد بها من الفعل تقديره زد وهات أيضا ما عندك وضدها إيه أى كف وأمسك . قال الرضى رحمه الله والودحة الخنفساء و لم أسمع هذا من شيخ من أهل الأدب و لا وجدته فى كتاب من كتب اللغة و لا أدرى من أين نقل الرضى رحمه الله ذلك ثم إن المفسرين بعد الرضى رحمه الله قالوا فى قصة هذه الخنفساء وجوها منها أن الحجاج رأى خنفساء تدب إلى مصلاه فطردها فعادت ثم طردها فعادت فأخذها بيده وحذف بها فقرصته قرصا ورمت يده منها ورما كان فيه حتفه قالوا و ذلك لأن الله تعالى قتله بأهون مخلوقاته كما قتل نمرود بن كنعان بالبقه التى دخلت فى أنفه فكان فيها هلاكه . ومنها أن الحجاج كان إذ رأى خنفساء تدب قريبه منه يأمر غلمانا بإبعادها و يقول هذه وذحمة من وذح الشيطان تشبيها لها بالبعرة قالوا و كان مغرى بهذا القول والوذح ما يتعلق بأذنان الشاة من أبعادها فيجف . ومنها أن الحجاج قال و قدرأى خنفساوات مجتمعات وا عجا لمن يقول إن الله خلق هذه قيل فمن خلقها أيها الأمير قال الشيطان إن ربكم لأعظم شأنأ أن يخلق هذه الودح قالوا فجمعها على فعل كبندنه وبدن فنقل قوله هذا إلى الفقهاء فى عصره فأكفروه . ومنها أن الحجاج كان مثفارا و كان يمسك الخنفساء حيه ليشفى بحركتها فى الموضع حكاكه قالوا و لا يكون صاحب هذا الداء إلا شائنا مبغضا لأهل البيت قالوا ولسنا نقول كل مبغض فيه هذا الداء وإنما قلنا كل من فيه هذا الداء فهو مبغض . قالوا و قدروى أبو عمر الزاهد و لم يكن من رجال الشيعة فى أماليه وأحاديثه عن السيارى [صفحہ ٢٨٠] عن أبى خزيمه الكاتب قال ما فتشنا أحدا فى هذا الداء إلا وجدناه ناصبيا. قال أبو عمر وأخبرنى العطافى عن رجاله قالوا سئل جعفر بن محمد ع عن هذا الصنف من الناس فقال رحم منكوسه يؤتى و لا يأتى و ما كانت هذه الخصلة فى ولى الله تعالى قط و لا تكون أبدا وإنما تكون فى الكفار

والفساق والناصب للظاهرين . و كان أبو جهل عمرو بن هشام المخزومي من القوم و كان أشد الناس عداوة لرسول الله ص قالوا ولذلك قال له عتبة بن ربيعة يوم بدر يامصفر استه . فهذا مجموع ما ذكره المفسرون و ماسمعه من أفواه الناس في هذا الموضوع ويغلب على ظني أنه أراد معنى آخر و ذلك أن عادة العرب أن تكني الإنسان إذا أرادت تعظيمه بما هو مظنة التعظيم كقولهم أبو الهول و أبو المقدم و أبو المغوار فإذا أرادت تحقيره والغض منه كتته بما يستحق ويستهان به كقولهم في كنية يزيد بن معاوية أبو زنة يعنون القرد و كقولهم في كنية سعيد بن حفص البخاري المحدث أبو الفأر و كقولهم للطفيلي أبو لقمه و كقولهم لعبد الملك أبو الذبان لبخره و كقول ابن بسام لبعض الرؤساء فأنت لعمري أبو جعفر || ولكننا نحذف الفاء منه . و قال أيضا لثيم درن الثوب || نظيف القعب والقدر أبوالتن أبوالدفر || أبو البعر أبو الجعر . فلما كان أمير المؤمنين ع يعلم من حال الحجاج نجاسته بالمعاصي والذنوب [صفحہ ۲۸۱] التي لوشهدت بالبصر لكانت بمنزلة البعر الملتصق بشعر الشاء كناه أبو و ذحة ويمكن أيضا أن يكنيه بذلك لدمايته في نفسه وحقارة منظره و تشويه خلقته فإنه كان قصيرا دميما نحيفا أخفش العينين معوج الساقين قصير الساعدين مجدور الوجه أصلع الرأس فكناه بأحقر الأشياء و هو البعرة . و قدروى قوم هذه اللفظة بصيغته أخرى فقالوا إيه أبو و ذجة قالوا واحدة الأوداج كناه بذلك لأنه كان قتالا يقطع الأوداج بالسيف ورواه قوم أبو و حرة وهي دويبة تشبه الحرباء قصيرة الظهر شبهه بها . و هذا و ما قبله ضعيف و ما ذكرناه نحن أقرب الصواب [صفحہ ۲۸۲]

۱۱۶- و من كلام له ع

فَلَا أَمْوَالَ يَدْلُثُمُوهَا لِلدِّيِّ رَزَقَهَا وَ لَا أَنْفُسَ خَاطَرْتُمْ بِهَا لِلدِّيِّ خَلَقَهَا تَكْرُمُونَ بِاللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَ لَا تُكْرِمُونَ اللَّهَ فِي عِبَادِهِ فَاعْتَبِرُوا بِنُزُولِكُمْ مَنَازِلَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَ انْقِطَاعِكُمْ عَنْ أَوْصِلِ إِخْوَانِكُمْ انْتِصَابَ الْأَمْوَالِ بِفِعْلِ مَقْدَرٍ دَلَّ عَلَيْهِ بِدَلْتُمُوهَا وَ كَذَلِكَ أَنْفُسُ يَقُولُ لَمْ تَبْذُلُوا أَمْوَالَكُمْ فِي رِضَا مِنْ رِزْقِكُمْ إِيَّاهَا وَ لَمْ تَخَاطَرُوا بِأَنْفُسِكُمْ فِي رِضَا الْخَالِقِ لَهَا وَالْأُولَى بِكُمْ أَنْ تَبْذُلُوا الْمَالَ فِي رِضَا رِزْقِهِ وَالنَّفْسُ فِي رِضَا خَالِقِهَا لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَحَقُّ مِنْهُ بِالْمَالِ وَالنَّفْسِ وَ بَدْلَهُمَا فِي رِضَاهُ . ثُمَّ قَالَ مِنَ الْعَجَبِ أَنْكُمْ تَطْلُبُونَ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ أَنْ يَكْرُمَكُمْ وَيَطِيعُواكُمْ لِأَجْلِ اللَّهِ وَ انْتِمَائِكُمْ إِلَى طَاعَتِهِ ثُمَّ إِنَّكُمْ لَا تَكْرُمُونَ اللَّهَ وَ لَا تَطِيعُونَهُ فِي نَفْعِ عِبَادِهِ وَالْإِحْسَانَ إِلَيْهِمْ . وَ مَحْصُولُ هَذَا الْقَوْلِ كَيْفَ تَسِيمُونَ النَّاسَ أَنْ يَطِيعُواكُمْ لِأَجْلِ اللَّهِ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنْتُمْ لَا تَطِيعُونَ اللَّهَ الَّذِي تَكْلِفُونَ النَّاسَ أَنْ يَطِيعُواكُمْ لِأَجْلِهِ ثُمَّ أَمْرُهُمْ بِاعْتِبَارِهِمْ بِنُزُولِهِمْ مَنَازِلَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ وَ هَذَا مَا خُذَ مِنْ قَوْلِهِ [صفحہ ۲۸۳] تَعَالَى وَ سَيَكُنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الْمَدِينِ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَ تَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَ ضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ . وَ رَوَى عَنْ أَصْلِ إِخْوَانِكُمْ وَ ذَلِكَ بِمَوْتِ الْأَبِ فَإِنَّهُ يَنْقُطِعُ أَصْلَ الْأَخِ الْوَاشِحِ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ أَخِيهِ وَ الرِّوَايَةُ الْأُولَى أَظْهَرَ قُرْآنًا ۸-۱۲۶ [صفحہ ۲۸۴]

۱۱۷- و من كلام له ع

أَنْتُمْ الْأَنْصَارُ عَلَى الْحَقِّ وَ الْإِخْوَانُ فِي الدِّينِ وَ الْجَنُّنُ يَوْمَ الْبَاسِ وَ الْبَطَانَةُ دُونَ النَّاسِ بِكُمْ أَضْرِبُ الْمَدِيرَ وَ أَرْجُو طَاعِيَةَ الْمُقْبِلِ فَأَعِينُونِي بِمُنَاصِيحَةٍ حَلِيئَةٍ مِنَ الْغَيْشِ سَلِيمَةٍ مِنَ الرِّيبِ قَوْلَ اللَّهِ إِنِّي لَأَوْلَى النَّاسِ بِالنَّاسِ الْجَنُّنُ جَمْعُ جَنَّةٍ وَ هِيَ مَا يَسْتَرُّ بِهِ وَ بَطَانَةُ الرَّجُلِ خَوَاصُهُ وَ خَالِصَتُهُ الَّذِينَ لَا يَطُوقُونَ عَنْهُمْ سِرَّهُ . فَإِنْ قُلْتَ أَمَا ضَرَبْتَهُ بِمِ الْمَدِيرِ فَمَعْلُومٌ يَعْنِي الْحَرْبَ فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ ع وَ أَرْجُو طَاعِيَةَ الْمُقْبِلِ قُلْتَ لِأَنَّ مَنْ يَنْصَوِي إِلَيْهِ مِنَ الْمُخَالِفِينَ إِذَا رَأَى مَا عَلَيْهِ شِيعَتُهُ وَ بَطَانَتُهُ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ وَ السِّيَرَةِ الْحَسَنَةِ أَطَاعَهُ بِقَلْبِهِ بَاطِنًا بَعْدَ أَنْ كَانَ انْصَوَى إِلَيْهِ ظَاهِرًا . وَ اعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ قَالَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع لِلْأَنْصَارِ بَعْدَ فِرَاقِهِ مِنْ حَرْبِ الْجَمَلِ وَ قَدْ ذَكَرَهُ الْمَدَائِنِيُّ وَ الْوَاقِدِيُّ فِي كِتَابَيْهِمَا [صفحہ ۲۸۵]

فقال ع يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَمْ خَرَسُوا أَنْتُمْ فَقَالَ قَوْمٌ مِنْهُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ سَرَتْ سِرَّتَنَا مَعَكَ فَقَالَ ع مَا بِالْكُمْ لَأَسِيدْتُمْ لِرُشْدٍ وَلَا هُدَيْتُمْ لِقَصْدٍ أَوْ فِي مِثْلِ هَذَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَخْرُجَ وَإِنَّمَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هَذَا رَجُلٌ مِمَّنْ أَرْضَاهُ مِنْ شُجْعَانِكُمْ وَ ذَوِي بَأْسِكُمْ وَلَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَدَعَ الْجُنْدَ وَ الْمَصْرَ وَ بَيْتَ الْمَالِ وَ جِبَايَةَ الْأَرْضِ وَ الْقَضَاءَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَ النَّظَرَ فِي حُقُوقِ الْمُطَالِبِينَ ثُمَّ أَخْرُجَ فِي كَيْبِيهِ أَتْبَعُ أُخْرَى أَتَقَلُّلُ تَقَلُّلَ الْقَدْحِ فِي الْجَفِيرِ الْفَارِغِ وَ إِنَّمَا أَنَا قَطْبُ الرَّحَى تَدَوَّرُ عَلَيَّ وَ أَنَا بِمَكَانِي فَإِذَا فَارَقْتُهُ اسْتَحَارَ مَدَارُهَا وَ اضْطَرَبَ نِفَالُهَا هَذَا لَعَمْرُ اللَّهِ الرَّأْيُ السُّوءُ وَ اللَّهُ لَوْ لَا رَجَائِي الشَّهَادَةَ عِنْدَ لِقَائِي الْعَدُوِّ وَ لَوْ قَدْ حُمَّ لِي لِقَاؤُهُ لَقَرَبْتُ رِكَابِي ثُمَّ شَخَّصْتُ عَنْكُمْ فَلَا أَطْلُبُكُمْ مَا اخْتَلَفَ جُنُوبٌ وَ شَمَالَ طِعَانِينَ عَيَّابِينَ حَيَّابِينَ رَوَّاعِينَ إِنَّهُ لَا غَنَاءَ فِي كَثْرَةِ عِدَدِكُمْ مَعَ قَلَمِهِ اجْتِمَاعِ قُلُوبِكُمْ لَقَدْ حَمَلْتُمْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ الَّتِي لَا يَهْلِكُ عَلَيْهَا إِلَّا هَالِكٌ مِنْ اسْتِقَامَ فَإِلَى الْجَنَّةِ وَ مَنْ زَلَّ فَإِلَى النَّارِ [صفحة ٢٨٦]

سكتوا مليا أى ساعه طويله ومضى ملي من النار كذلك قال الله تعالى وَ اهْجُرْنِي مَلِيًا وَأَقِمْتَ عِنْدَ فُلَانٍ مَلَاوَةً وَمَلَاوَةً وَمَلَاوَةً مِنَ الدَّهْرِ بِالْحَرَكَاتِ الثَّلَاثِ أَيْ حِينَا وَ بَرَهَهُ وَ كَذَلِكَ أَقِمْتَ مَلَوَةً وَمَلَوَةً وَمَلَوَةً بِالْحَرَكَاتِ الثَّلَاثِ . وَ قَوْلُهُ أَمْ خَرَسُوا أَنْتُمْ اسْمُ الْمَفْعُولِ مِنْ أَخْرَسَهُ اللَّهُ وَ خَرَسَ الرَّجُلُ وَ الْخَرَسُ الْمَصْدَرُ . وَ الْكَيْبِيُّ قِطْعَةٌ مِنَ الْجَيْشِ وَ التَّقَلُّلُ الْحَرَكَةُ فِي اضْطِرَابِ الْقَدْحِ وَ الْجَفِيرِ الْكِنَانَةُ وَقِيلَ وَ عَاءٌ لِلسَّهَامِ أَوْ سَعٌ مِنَ الْكِنَانَةِ . وَ اسْتَحَارَ مَدَارُهَا اضْطَرَبَ وَ الْمَدَارُ هَاهُنَا مَصْدَرٌ وَ الثَّقَالُ بِكسْرِ التَّاءِ جِلْدٌ يَبْسُطُ وَ تَوْضِعُ الرَّحَى فَوْقَهُ فَتَطْحَنُ بِالْيَدِ لِيَسْقُطَ عَلَيْهِ الدَّقِيقُ . وَ حَمَّ أَيْ قَدَرَ وَ الرِّكَابُ الْإِبِلُ وَ شَخَّصْتُ عَنْكُمْ خَرَجْتُ ثُمَّ وَصَفْتُمْ بِعَيْبِ النَّاسِ وَ الطَّعْنِ فِيهِمْ وَ أَنْهَمُ يَحِيدُونَ عَنِ الْحَقِّ وَ عَنِ الْحَرْبِ أَيْ يَنْحَرِفُونَ وَ يَرَوِّغُونَ كَمَا يَرَوِّغُ الثَّعْلَبُ . ثُمَّ قَالَ إِنَّهُ لَا غَنَاءَ عِنْدَكُمْ وَ إِنْ اجْتَمَعْتُمْ بِالْأَبْدَانِ مَعَ تَفَرُّقِ الْقُلُوبِ وَ الْغِنَاءُ بِالْفَتْحِ وَ الْمَدُّ النِّفْعُ . وَ انْتَصَبَ طِعَانِينَ عَلَى الْحَالِ مِنَ الضَّمِيرِ الْمَنْصُوبِ فِي أَطْلُبُكُمْ . - قرآن- ٦٩-٨٨ [صفحة ٢٨٧] وَ هَذَا كَلَامُ قَالِهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع فِي بَعْضِ غَارَاتِ أَهْلِ الشَّامِ عَلَى أَطْرَافِ أَعْمَالِهِ بِالْعِرَاقِ بَعْدَ انْقِضَاءِ أَمْرِ صَفِيْنِ وَ النَّهْرَوَانِ وَ قَدْ ذَكَرْنَا سَبَبَهُ وَ وَقَعْتَهُ فِيمَا تَقَدَّمَ . فَإِنْ قُلْتَ كَيْفَ قَالَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ فَذَكَرَهُ ثُمَّ قَالَ لَا يَهْلِكُ فِيهَا فَانْتَهَى قَوْلُهُ لِأَنَّ الطَّرِيقَ يَذْكَرُ وَ يُؤنثُ تَقُولُ الطَّرِيقُ الْأَعْظَمُ وَ الطَّرِيقُ الْعَظِيمُ فَاسْتَعْمَلَ اللَّغَتَيْنِ مَعًا [صفحة ٢٨٨]

تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ تَبْلِيغَ الرِّسَالَاتِ وَ إِتْمَامَ الْعِدَاتِ وَ تَمَامَ الْكَلِمَاتِ وَ عِنْدَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ أَبْوَابُ الْحُكْمِ وَ ضِيَاءُ الْأَمْرِ أَلَا وَ إِنَّ شَرَائِعَ الدِّينِ وَاحِدَةٌ وَ سُئِلَهُ قَاصِدَةٌ مِنْ أَحَدٍ بِهَا لِحَقٌّ وَ غَنَمٌ وَ مَنْ وَقَفَ عَنْهَا ضَلَّ وَ نَدِمَ أَعْمَلُوا لِيَوْمَ تُدْخِرُ لَهُ الدَّخَائِرُ وَ تَبْلَى فِيهِ السَّرَائِرُ وَ مَنْ لَا يَنْفَعُهُ حَاضِرٌ لُبِّهِ فَعَازِبُهُ عَنْهُ أَعْجَزُ وَ غَائِبُهُ أَعْوَزُ وَ اتَّقُوا نَارًا حَرَّهَا شَدِيدٌ وَ قَعْرُهَا بَعِيدٌ وَ حَلِيَّتُهَا حَدِيدٌ وَ شَرَابُهَا صَدِيدٌ. أَلَا وَ إِنَّ اللَّسِيَانَ الصَّالِحَ يَجْعَلُهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ حَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَالِ يُورِثُهُ مَنْ لَا يَحْمَدُهُ رَوَاهَا قَوْمٌ لَقَدْ عَلِمْتَ بِالتَّخْفِيفِ وَ فُتِحَ الْعَيْنُ وَ الرِّوَايَةُ الْأُولَى أَحْسَنُ فَتَبْلِيغِ الرِّسَالَاتِ تَبْلِيغِ الشَّرَائِعِ بَعْدَ وَاوَاةِ الرَّسُولِ ص إِلَى الْمَكْلُفِينَ وَ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَ يَخْشَوْنَهُ وَ لَا- يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَ إِلَى - قرآن- ١٦٤-٢٤٠ قول النبي ص فِي قِصَّةِ بَرَاءَةَ لَا يَأْذِي عَنِّي إِلَّا- أَنَا وَ رَجُلٌ مَنِي - رَوَايَاتُ- ١-٢- رَوَايَاتُ- ٣٠-٦٣ . [صفحة ٢٨٩] وَ إِتْمَامُ الْعِدَاتِ إِنْجَازُهَا وَ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ وَ إِلَى - قرآن- ٥٥-١١٤ قول النبي ص فِي حَقِّهِ قَاضِي دِينِي وَ مَنجَزُ مَوْعِدِي - رَوَايَاتُ- ١-٢- رَوَايَاتُ- ٢٨-٥٣ . وَ تَمَامُ الْكَلِمَاتِ تَأْوِيلُ الْقُرْآنِ وَ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَ عَدْلًا وَ إِلَى - قرآن- ٦٣-١٠٣ قول النبي فِي حَقِّهِ أَلْهِمُ أَهْدِ قَلْبَهُ وَ ثَبِّتْ لِسَانَهُ - رَوَايَاتُ- ١-٢- رَوَايَاتُ- ٢٥-٥٥ . وَ خِلَاصَةُ هَذَا أَنَّهُ أَقْسَمَ بِاللَّهِ أَنَّهُ قَدْ عَلِمَ أَوْ عَلَّمَ عَلَى اخْتِلَافِ الرِّوَايَتَيْنِ أَدَاءَ الشَّرَائِعِ إِلَى الْمَكْلُفِينَ وَ الْحُكْمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ وَ عَلَّمَ مَوَاعِيدَ رَسُولِ اللَّهِ الَّتِي وَعَدَ بِهَا مِنْهَا مَا

هو وعد لواحد من الناس بأمر نحو أن يقول له سأعطيك كذا ومنها ما هو وعد بأمر يحدث كأخبار الملاحم والأمور المتجددة وعلم تمام كلمات الله تعالى أى تأويلها وبيانها الذى يتم به لأن فى كلامه تعالى المجمل الذى لا يستغنى عن متمم ومبين يوضحه . ثم كشف الغطاء وأوضح المراد فقال وعندنا أهل البيت أبواب الحكم يعنى الشرعيات والفتاوى وضيء الأمر يعنى العقليات والعقائد وهذا مقام عظيم لا يجسر أحد من المخلوقين أن يدعيه سواه ع و لو أقدم أحد على ادعائه غيره لكذب وكذبه الناس . و أهل البيت منصوب على الاختصاص . وسبله قاصده أى قريبه سهله ويقال بيننا وبين الماء ليلة قاصده ورافه أى هينه المسير لا تعب ولا بطء . وتبلى فيه السرائر أى تختبر . ثم قال من لا ينفعه لبه الحاضر وعقله الموجود فهو بعدم الانتفاع بما هو غير حاضر [صفحہ ۲۹۰] ولا موجود من العقل عنده أولى وأحرى أى من لم يكن له من نفسه و من ذاته وازع و زاجر عن القبيح فبعيد أن ينزجر و أن يرتدع بعقل غيره وموعظة غيره له كما قيل وزاجر من النفس خير من عتاب العواذل . ثم ذكر النار فحذر منها . وقوله حليتها حديد يعنى القيود والأغلال . ثم ذكر أن الذكر الطيب يخلفه الإنسان بين الناس خير له من مال يجمعه ويورثه من لا يحمده و جاء فى الأثر أن أمير المؤمنين جاءه مخبر فأخبره أن مالا له قد انفجرت فيه عين خراة يشره بذلك فقال بشر الوارث بشر الوارث يكررها ثم وقف ذلك المال على الفقراء وكتب به كتابا فى تلك الساعة -روایت ۱- ۲-روایت ۱۵-

[صفحہ ۲۹۱]

۱۲۰- ومن كلام له ع

وَ قَدْ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ نَهَيْتَنَا عَنِ الْحُكُومَةِ ثُمَّ أَمَرْتَنَا بِهَا فَمَا نَدَرِي أَى الْأَمْرَيْنِ أَرَشَدُ فَيَضَعُ عِوَجَ إِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى ثُمَّ قَالَ هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْعُقْدَةَ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَنِّي حِينَ أَمَرْتُكُمْ بِمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الْمَكْرُوهِ الَّذِي يَجْعَلُ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا فَإِنِ اسْتَقَمْتُمْ هَيْدَيْتُكُمْ وَإِنِ اعْوَجَجْتُمْ قَوَّمْتُكُمْ وَإِنِ ابْتَيْتُمْ تَدَارَكْتُكُمْ لَكَانَتِ الْوُثْقَى وَ لَكِن بَمَنْ وَ إِلَى مَنْ أُرِيدُ أَنْ أَدَاوِيَ بِكُمْ وَ أَنْتُمْ دَائِي كَنَاقِشِ الشُّوْكَاهِ بِالشُّوْكَاهِ وَ هُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ضَلَمَهَا مَعَهَا أَللَّهُمْ قَدْ مَلَّتْ أَطْبَاءُ هَذَا الدَّاءِ الدَّوِيِّ وَ كَلَّتِ التَّرْعَةُ بِأَشْطَانِ الرِّكِيِّ أَيْنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ فَقَبِلُوهُ وَ قَرَأُوا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ وَ هَيَّجُوا إِلَى الْجِهَادِ فَوَلَّهُوا وَلَهُ اللَّقَاحُ إِلَى أَوْلَادِهَا وَ سَلَبُوا السُّيُوفَ أَعْمَادَهَا وَ أَخَذُوا بِأَطْرَافِ الْأَرْضِ زَحْفًا زَحْفًا وَ صَفًّا صَفًّا بَعْضُ هَلَكٍ وَ بَعْضُ نَجَا لَا يُشِيرُونَ بِالْأَحْيَاءِ وَ لَا يُعْرُونَ عَنِ الْمَوْتِ مَرَّةَ الْعُيُونِ مِنَ الْبُكَاءِ خُمَصُ الْبُطُونِ مِنَ الصِّيَامِ ذُبُلُ الشَّفَاهِ مِنَ الدَّعَاءِ صُفْرُ الْأَلْوَانِ مِنَ السَّهْرِ عَلَى وَجُوهِهِمْ غَبْرَةُ الْخَاشِعِينَ أَوْلَيْتُكَ إِخْوَانِي الدَّاهِبُونَ فَحَقَّ لَنَا أَنْ نَنْظَمَ إِلَيْهِمْ وَ نَعَضَّ الْأَيْدِي عَلَى فِرَاقِهِمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسْتَى لَكُمْ طُرْقَةً وَ يُرِيدُ أَنْ يَحِلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً وَ يُعْطِيكُمْ [صفحہ ۲۹۲] بِالْجَمَاعَةِ الْفُرْقَةَ وَ بِالْفُرْقَةِ الْفِتْنَةَ فَاصْدِفُوا عَنِ نَزْعَاتِهِ وَ نَفَثَاتِهِ وَ اقْبَلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاها إِلَيْكُمْ وَ اعْقِلُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ هَذِهِ شَبْهَةٌ مِنْ شَبَهَاتِ الْخَوَارِجِ وَمَعْنَاهَا أَنْكَ نَهَيْتَ عَنِ الْحُكُومَةِ أَوْلَا ثُمَّ أَمَرْتَ بِهَا ثَانِيًا فَإِنِ كَانَتْ قَبِيحَةً كُنْتَ بِنَهْيِكَ عَنْهَا مَصْيبًا وَ بِأَمْرِكَ بِهَا مَخْطَأًا وَ إِنِ كَانَتْ حَسَنَةً كُنْتَ بِنَهْيِكَ عَنْهَا مَخْطَأًا وَ بِأَمْرِكَ بِهَا مَصْيبًا فَلَا يَبْدُ مِنْ خَطئِكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ . وجوابها أن للإمام أن يعمل بموجب ما يغلب على ظنه من المصلحة فهو ع لمانهاهم عنها كان نهيه عنها مصلحة حينئذ و لما أمرهم بها كانت المصلحة فى ظنه قد تغيرت فأمرهم على حسب ما تبدل وتغير فى ظنه كالطبيب الذى ينهى المريض اليوم عن أمر ويأمره بمثله غدا . وقوله هذا جزء من ترك العقدة يعنى الرأى الوثيق و فى هذا الكلام اعتراف بأنه بان له وظهر فيما بعد أن الرأى الأصلى كان الإصرار والثبات على الحرب و أن ذلك و إن كان مكروها فإن الله تعالى كان يجعل الخيرة فيه كما قال سبحانه فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَ يَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ثُمَّ قَالَ كُنْتُ أَحْمَلُكُمْ عَلَى الْحَرْبِ وَ تَرَكَ الْاِلْتِفَاتَ إِلَى مَكِيدَةِ مَعَاوِيَةَ وَعَمَرُو مِنْ رَفَعَ الْمَصَاحِفَ فَإِنِ اسْتَقَمْتُمْ لِي اهْتَدَيْتُمْ بِي وَ إِنِ لَمْ تَسْتَقِيمُوا فَذَلِكَ

ينقسم إلى قسمين أحدهما أن تعوجوا أى يقع منكم بعض الالتواء ويسير من العصيان كفتور الهمم وقلة الجد في الحرب والثانى التانى والامتناع المطلق من الحرب فإن كان الأول قومتمكم -قرآن- ٧٢٢-٧٨٨ [صفحہ ٢٩٣] بالتأديب والإرشاد وإرهاق الهمم والعزائم بالتبصير والوعظ والتحريض والتشجيع و إن كان الثانى تداركت الأمر معكم إما بالاستنجد بغيركم من قبائل العرب و أهل خراسان والحجاز فكلهم كانوا شيعته وقائلين بإمامته أوبما أراه فى ذلك الوقت من المصلحة التى تحكم بها الحال الحاضرة. قال لوفعلت ذلك لكنت هى العقدة الوثقى أى الرأى الأصوب الأحرز . فإن قلت أفقولون إنه أخطأ فى العدول عن هذا الرأى قلت لا نقول إنه أخطأ بمعنى الإثم لأنه إنما فعل ما تغلب على ظنه أنه المصلحة و ليس الواجب عليه إلا ذلك ولكنه ترك الرأى الأصوب كما قال الحسن هلا مضيت قدما لا أبا لك و لا يلحق الإثم من غلب على ظنه فى حكم السياسة أمر فاعتمده ثم بان له أن الأصوب كان خلافه و قد قيل إن قوله لقد عثرت عثرة لا تنجبر || سوف أكيس بعدها وأستمر وأجمع الرأى الشيت المنتشر إشارة إلى هذا المعنى وقيل فيه غير ذلك مما قدمنا ذكره قبل . و قال شيخنا أبو عثمان الجاحظ رضى الله عنه من عرفه عرف أنه غير ملوم فى الانقياد معهم إلى التحكيم فإنه مل من القتل وتجريد السيف ليلا ونهارا حتى ملت الدماء من إراقته لها وملت الخيل من تقحمه الأهوال بها وضجر من دوام تلك الخطوب الجليئة والأرزاء العظيمة واستلاب الأنفس وتطايير الأيدي والأرجل بين يديه وأكلت الحرب أصحابه وأعداءه وعطلت السواعد وخدرت الأيدي التى سلمت من وقائع السيوف بها و لو أن أهل الشام لم يستعفوا من الحرب ويستقبلوا من [صفحہ ٢٩٤] المقارعة والمصادمة لأدت الحال إلى قعود الفيلقين معا ولزومهم الأرض وإلقائهم السلاح فإن الحال أفضت بعظمها و هولها إلى ما يعجز اللسان عن وصفه . واعلم أنه ع قال هذا القول واستدرك بكلام آخر حذرا أن يثبت على نفسه الخطأ فى الرأى فقال لقد كان هذا رأيا لو كان لى من يطعن فيه ويعمل بموجبه وأستعين به على فعله ولكن بمن كنت أعمل ذلك و إلى من أخلد فى فعله أما الحاضرون لنصرى فأنتم وحالكم معلومة فى الخلاف والشقاق والعصيان و أما الغائبون من شيعتى كأهل البلاد النائية فإلى أن يصلوا يكون قد بلغ العدو غرضه منى و لم يبق من أخلد إليه فى إصلاح الأمر وإبرام هذا الرأى الذى كان صوابا لو اعتمد إلا أن أستعين ببعضكم على بعض فأكون كناقش الشوكة بالشوكة و هذا مثل مشهور لا تنقش الشوكة بالشوكة فإن ضلعها لها والضلع الميل يقول لا تستخرج الشوكة الناشبة فى رجلك بشوكة مثلها فإن إحداهما فى القوة والضعف كالأخرى فكما أن الأولى انكسرت لما وطئتها فدخلت فى لحمك فالثانية إذا حاولت استخراج الأولى بها تنكسر وتلج فى لحمك . ثم قال اللهم إن هذا الداء الدوى قد ملت أطباؤه والدوى الشديد كما تقول ليل أليل . و كلت النزعة جمع نازع و هو الذى يستقى الماء والأشطان جمع شطن و هو الحبل والركى الآبار جمع ركية وتجمع أيضا على ركايا . ثم قال أين القوم هذا كلام متأسف على أولئك متحسر على فقدهم . والوله شدة الحب حتى يذهب العقل وله الرجل . واللحاق بكسر اللام الإبل والواحدة لقوح وهى الحلوب مثل قلاص وقلوص . [صفحہ ٢٩٥] قوله وأخذوا بأطراف الأرض أى أخذوا على الناس بأطراف الأرض أى حصروهم يقال لمن استولى على غيره وضيق عليه قد أخذ عليه بأطراف الأرض قال الفرزدق أخذنا بأطراف السماء عليكم || لنا قمرها والنجوم الطوالع . وزحفا زحفا منصوب على المصدر المحذوف الفعل أى يزحفون زحفا والكلمة الثانية تأكيد للأولى وكذلك قوله وصفا صفا. ثم ذكر أن بعض هؤلاء المتأسف عليهم هلك وبعض نجا وهذا ينجى قوله تعالى فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ. ثم ذكر أن هؤلاء قوم وقدتهم العبادة وانقطعوا عن الناس وتجردوا عن العلائق الدنيوية فإذا ولد لأحدهم مولود لم يبشر به و إذامات له ميت لم يعز عنه . ومرهت عين فلان بكسر الراء إذا فسدت لترك الكحل لكن أمير المؤمنين ع جعل مره عيون هؤلاء من البكاء من خوف خالقهم سبحانه وذكر أن بطونهم من خماص الصوم وشفاهم ذابله من الدعاء ووجوههم مصفرة من السهر لأنهم يقومون الليل و على وجوههم غيرة الخشوع . ثم قال أولئك إخوانى الذاهبون فإن قلت من هؤلاء الذين يشير ع إليهم قلت هم قوم كانوا فى نأناة الإسلام و فى زمان ضعفه وخموله أرباب زهد وعبادة وجهاد

شديد في سبيل الله كمصعب بن عمير من بنى عبدالدار وكسعد بن معاذ من الأوس وكجعفر بن أبي طالب و عبد الله بن رواحة وغيرهم ممن استشهد من الصالحين -قرآن- ١٩٢-٢٤٠ [صفحہ ٢٩٦] أرباب الدين والعبادة والشجاعة في يوم أحد وفي غيره من الأيام في حياة رسول الله ص وكعمار و أبي ذر والمقداد وسلمان وخباب وجماعة من أصحاب الصفه وقرء المسلمين أرباب العبادة الذين قد جمعوا بين الزهد والشجاعة و قد جاء في الأخبار الصحيحة أن رسول الله ص قال إن الجنة لتشتاق إلى أربعه على وعمار و أبي ذر والمقداد -روایت- ١-٢-روایت- ٥٢-١٠٩ جاء في الأخبار الصحيحة أيضا أن جماعة من أصحاب الصفه مر بهم أبوسفيان بن حرب بعد إسلامه فعضوا أيديهم عليه وقالوا وأسفاه كيف لم تأخذ السيوف مأخذها من عنق عدو الله و كان معه أبو بكر فقال لهم أتقولون هذا السيد البطحاء فرفع قوله إلى رسول الله ص فأنكره و قال لأبي بكر انظر لا تكون أغضبتهم فتكون قد أغضبت ربك فجاء أبو بكر إليهم وترضاهم وسألهم أن يستغفروا له فقالوا غفر الله لك -روایت- ١-٢-روایت- ٣٠-٣٩٩. قوله فحق لنا يقال حق له أن يفعل كذا و هو حقيق به و هو محقوق به أى خليق له والجمع أحقاء ومحقوقون . ويسنى يسهل وصدف عن الأمر يصدف أى انصرف عنه ونزغات الشيطان ماينزغ به بالفتح أى يفسد ويغرى ونفثاته ماينفث به وينفث بالضم والكسر أى يخيل ويسحر. واعقلوها على أنفسكم أى اربطوها والزموها [صفحہ ٢٩٧]

١٢١- و من كلام له ع قاله للخوارج

وَ قَدْ خَرَجَ إِلَى مَعْسَكِهِمْ وَ هُمْ مُقِيمُونَ عَلَىٰ إِنْكَارِ الْحُكُومَةِ فَقَالَ عَ أَكُلُّكُمْ شَهِدَ مَعَنَا صَفَيْنَ فَقَالُوا مَنَا مِنْ شَهِدَ وَ مَنَا مَنْ لَمْ يَشْهَدْ قَالِ فَا مَتَّازُوا فِرْقَتَيْنِ فَلْيَكُنْ مِنْ شَهِدَ صَفَيْنِ فِرْقَةً وَ مَنْ لَمْ يَشْهَدْهَا فِرْقَةً حَتَّىٰ أَكَلَمَ كُلًّا مِنْكُمْ بِكَلَامِهِ وَ نَادَى النَّاسَ فَقَالَ أَمْسِكُوا عَنِ الْكَلَامِ وَ أَنْصِتُوا لِقَوْلِي وَ أَقْبِلُوا بِأَفْئِدَتِكُمْ إِلَىٰ فَمَنْ نَشَدْنَاهُ شَهَادَةً فَلْيَقْبَلْ بِعِلْمِهِ فِيهَا ثُمَّ كَلَّمَهُمْ عَ بِكَلَامٍ طَوِيلٍ مِنْ جُمْلَتِهِ أَنْ قَالَ عَ أَلَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ الْمَصَاحِفَ حِيلَهُ وَ غِيْلَهُ وَ مَكْرًا وَ خَدِيعَةً إِخْوَانًا وَ أَهْلَ دَعْوَتِنَا اسْتَقَالُونَا وَ اسْتَرَاخُوا إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فَالرَّأْيُ الْقَبُولُ مِنْهُمْ وَ التَّنْفِيسُ عَنْهُمْ فَقُلْتُ لَكُمْ هَذَا أَمْرٌ ظَاهِرُهُ إِيمَانٌ وَ بَاطِنُهُ عُيُودَانٌ وَ أَوَّلُهُ رَحْمَةٌ وَ آخِرُهُ نَدَامَةٌ فَاقِيمُوا عَلَىٰ شَأْنِكُمْ وَ الزُّمُوا طَرِيقَتَكُمْ وَ عَضُوا عَلَىٰ الْجِهَادِ بِنَوَاجِذِكُمْ وَ لَا تَلْتَفِتُوا إِلَىٰ نَاعِقِ نَعَقٍ إِنْ أُجِيبَ أَضَلَّ وَ إِنْ تَرَكَ ذَلَّ فَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَ وَ إِنْ الْقَتْلَ لَيُدُورُ عَلَىٰ الْآبَاءِ وَ الْأَبْنَاءِ [صفحہ ٢٩٨] وَ الْإِخْوَانِ وَ الْقَرَابَاتِ فَمَا نَزَادَ عَلَىٰ كُلِّ مُصِيبَةٍ وَ شِدَّةٍ إِلَّا إِيمَانًا وَ مُضِيًّا عَلَىٰ الْحَقِّ وَ تَسْلِيمًا لِلْأَمْرِ وَ صَبْرًا عَلَىٰ مَضْضِ الْجِرَاحِ وَ لَكِنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا نُقَاتِلُ إِخْوَانَنَا فِي الْإِسْلَامِ عَلَىٰ مَا دَخَلَ فِيهِ مِنَ الزَّيْغِ وَ الْإِعْوَجَاجِ وَ الشَّبْهِهِ وَ التَّأْوِيلِ فَإِذَا طَمَعْنَا فِي خَصَلَةٍ يَلُمُّ اللَّهُ بِهَا شَعَثَنَا وَ نَتَيْدَانِي بِهَا إِلَىٰ الْبَقِيَّةِ فِيمَا بَيْنَنَا وَ رَغْبَانَا فِيهَا وَ أَمْسَيْنَا عَمَّا سِوَاهَا هَذَا الْكَلَامِ يَتْلُو بَعْضُهُ بَعْضًا وَ لَكِنَّهُ ثَلَاثَةٌ فَصُولٌ لَا يَلْتَصِقُ أَحَدُهَا بِالْآخِرِ وَ هَذِهِ عَادَةُ الرِّضِيِّ تَرَاهُ يَنْتَخِبُ مِنْ جُمْلَةِ الْخُطْبَةِ الطَّوِيلَةِ كَلِمَاتٍ فَصِيحَةً يوردها على سبيل التتالي وليست متتالية حين تكلم بها صاحبها وسنقطع كل فصل منها عن صاحبه إذا مرنا على متنها. قوله إلى معسكرهم الكاف مفتوحة و لا يجوز كسرهما و هو موضع العسكر ومحطه . وشهد صفين حضرها قال تعالى فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ . قوله فامتازوا أى انفردوا قال تعالى وَ امْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ . قوله حتى أكلم كل منكم بكلامه أى بالكلام الذى يليق به والغيلة الخداع والناعق المصوت . قوله إن أجيب ضل و إن ترك ذل ... هو آخر الفصل الأول و قوله ضل أى ازداد ضلالا لأنه قد ضل قبل أن يجاب . قرآن- ٣٥١-٣٧٨-قرآن- ٤١٧-٤٥٦ [صفحہ ٢٩٩] فأما قوله فلقد كنا مع رسول الله ص فهو من كلام آخر و هو قائم بنفسه إلى قوله وصبرا على مضض الجراح فهذا آخر الفصل الثانى. فأما قوله لكننا إنما أصبحنا فهو كلام ثالث غير منوط بالأولين و لاملتصق بهما و هو فى الظاهر مخالف و مناقض للفصل الأول لأن الفصل الأول فيه إنكار الإجابة إلى التحكيم و هذا يتضمن تصويبها و ظاهر الحال أنه بعد كلام طويل و قد قال الرضى رحمه الله فى أول

الفصل أنه من جملة كلام طويل و أنه لما ذكر التحكيم قال ما كان يقوله دائما و هو أنى إنما حكمت على أن نعمل فى هذه الواقعة بحكم الكتاب و إن كنت أحارب قوما ما أدخلوا فى الإسلام زيغا و أحدثوا به اعوجاجا فلما دعونى إلى تحكيم الكتاب أمسكت عن قتلهم و أبقيت عليهم لأنى طمعت فى أمر يلم الله به شعث المسلمين و يتقاربون بطريقه إلى البقية و هى الإبقاء و الكف . فإن قلت إنه قد قال نقاتل إخواننا من المسلمين و أنتم لا تطلقون على أهل الشام المحاربين له لفظة المسلمين قلت إنا و إن كنا نذهب إلى أن صاحب الكبيرة لا يسمى مؤمنا و لا مسلما فإننا نجيز أن يطلق عليه هذا اللفظ إذ ا قصد به تمييزه عن أهل الذمة و عابدى الأصنام فيطلق مع قرينه حال أولفظ يخرج عن أن يكون مقصودا به التعظيم و الثناء و المدح فإن لفظة مسلم و مؤمن تستعمل فى أكثر الأحوال كذلك و أمير المؤمنين ع لم يقصد بذلك إلا تمييزهم من كفار العرب و غيرهم من أهل الشرك و لم يقصد مدحهم بذلك فلم ينكر مع هذا القصد إطلاق لفظ المسلمين عليهم [صفحہ ۳۰۰]

۱۲۲- و من كلام له ع قاله لأصحابه فى ساعة الحرب

وَ أَيْ امْرِئٍ مِنْكُمْ أَحْسَنَ مِنْ نَفْسِهِ رِبَاطَةً جَاشَ عِنْدَ اللَّقَاءِ وَ رَأَى مِنْ أَحَدٍ مِنْ إِخْوَانِهِ فَشَمًّا فَلْيَذُبْ عَنْ أَخِيهِ بِفَضْلِ نَجْدَتِهِ الَّتِي فَضَّلَ بِهَا عَلَيْهِ كَمَا يَذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ فَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُ مِثْلَهُ إِنَّ الْمَوْتَ طَالِبٌ حَيْثُ لَا يَفُوتُهُ الْمُقِيمُ وَ لَا يُعْجِزُهُ الْهَارِبُ إِنَّ أَكْرَمَ الْمَوْتِ الْقَتْلُ وَ الَّذِي نَفْسُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مِيتَةٍ عَلَيَّ الْفِرَاشِ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ أَحْسَنَ عِلْمٍ وَ وَجِدَ وَ رِبَاطَةً جَاشَ أَى شِدَّةَ قَلْبٍ وَ الْمَاضَى رِبَطٌ كَأَنَّهُ يَرِبُطُ نَفْسَهُ عَنِ الْفِرَارِ وَ الْمَرُورِ رِبَاطَةً بِالْكَسْرِ وَ لِأَعْرَفِهِ نَقْلًا وَ إِنَّمَا الْقِيَاسُ لِأَيَابَاهُ مِثْلَ عَمْرٍاءَ وَ خَلْبِ خَلَابَةٍ . وَ الْفِشَلُ الْجَبْنُ وَ ذُبُّ الرَّجُلِ عَنِ صَاحِبِهِ أَى أَكْثَرَ الذَّبِّ وَ هُوَ الدَّفْعُ وَ الْمَنْعُ . وَ النَّجْدَةُ الشَّجَاعَةُ وَ الْحَيْثُ السَّرِيعُ وَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ فَلْيَذُبْ عَنِ صَاحِبِهِ بِالْإِدْغَامِ وَ فِي بَعْضِهَا فَلْيَذُبْ بِفِكَ الْإِدْغَامِ وَ الْمِيتَةُ بِالْكَسْرِ هَيْئَةُ الْمِيتِ كَالْجَلْسَةِ وَ الرِّكْبَةُ هَيْئَةُ الْجَالِسِ وَ الرَّكَّابُ يُقَالُ مَاتَ فُلَانٌ مِيتَةً حَسَنَةً وَ الْمَرُورُ فِي نَهْجٍ [صفحہ ۳۰۱] الْبَلَاغَةُ بِالْكَسْرِ فِي أَكْثَرِ الرِّوَايَاتِ وَ قَدَرُورٍ مِنْ مَوْتِهِ وَ هُوَ الْأَلِيقُ يَعْنِي الْمَرَّةَ الْوَاحِدَةَ لِيَقَعَ فِي مَقَابِلَةِ الْأَلْفِ . وَ اعْلَمْ أَنَّهُ عَاقَسَمُ أَنَّ الْقَتْلَ أَهْوَنُ مِنَ الْمَوْتِ حَتَّى الْإِنْفِ وَ ذَلِكَ عَلَى مَقْتَضَى مَا مَنَحَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الشَّجَاعَةِ الْخَارِقَةِ لِعَادَةِ الْبَشَرِ وَ هُوَ عَاقَسَمُ أَنْ يَحَاوِلَ أَنْ يَحْضُرَ أَصْحَابَهُ وَ يَحْرِضَهُمْ لِيَجْعَلَ طَبَاعَهُمْ مَنَاسِبَةً لَطَبَاعِهِ وَ إِقْدَامَهُمْ عَلَى الْحَرْبِ مِمَّا ثَلَا لِإِقْدَامِهِ عَلَى عَادَةِ الْأَمْرَاءِ فِي تَحْرِيزِ جُنْدِهِمْ وَ عَسْكَرِهِمْ وَ هَيْهَاتَ إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ يَكْلِفُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْجَيْشَ هَمَهُ || وَ قَدْ عَجَزَتْ عَنْهُ الْجِيُوشُ الْخَضْرَاءُ وَ يُطَلَّبُ عِنْدَ النَّاسِ مَا عِنْدَ نَفْسِهِ || وَ ذَلِكَ مَا لَا تَدْعِيهِ الضَّرَاعِمُ . لَيْسَتْ النَّفُوسُ كُلُّهَا مِنْ جَوْهَرٍ وَاحِدٍ وَ لَا الطَّبَاعُ وَ الْأَمْزِجَةُ كُلُّهَا مِنْ نَوْعٍ وَاحِدٍ وَ هَذِهِ خَاصِيَةٌ تَوْجِدُ لِمَنْ يَصْطَفِيهِ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ عِبَادِهِ فِي الْأَوْقَاتِ الْمَتَطَاوِلَةِ وَ الدَّهُورِ الْمَتَبَاعِدَةِ وَ مَا اتَّصَلَ بِنَا نَحْنُ مِنْ بَعْدِ الطُّوفَانِ فَإِنَّ التَّوَارِيخَ مِنْ قَبْلِ الطُّوفَانِ مَجْهُولَةٌ عِنْدَنَا أَنَّ أَحَدًا أَعْطَى مِنَ الشَّجَاعَةِ وَ الْإِقْدَامِ مَا أَعْطَاهُ هَذَا الرَّجُلُ مِنْ جَمِيعِ فِرْقِ الْعَالَمِ عَلَى اخْتِلَافِهَا مِنَ التَّرْكِ وَ الْفَرَسِ وَ الْعَرَبِ وَ الرُّومِ وَ غَيْرِهِمْ وَ الْمَعْلُومُ مِنْ حَالِهِ أَنَّهُ كَانَ يُوَثِّرُ الْحَرْبَ عَلَى السَّلْمِ وَ الْمَوْتَ عَلَى الْحَيَاةِ وَ الْمَوْتَ الَّذِي كَانَ يَطْلُبُهُ وَ يُوَثِّرُهُ إِنَّمَا هُوَ الْقَتْلُ بِالسَّيْفِ لِأَلْمَوْتِ عَلَى الْفِرَاشِ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ لَوْ لَمْ يَمْتِ بَيْنَ أَطْرَافِ الرِّمَاحِ إِذَا || لَمَاتَ إِذْ لَمْ يَمْتِ مِنْ شِدَّةِ الْحَزَنِ . [صفحہ ۳۰۲] وَ كَمَا قَالَ الْآخِرُ يَسْتَعْذِبُونَ مَنِيَاهِمُ كَأَنَّهُمْ || لَا يَأْسُونَ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا قَتَلُوا . فَإِنَّ قِلْتَ فَمَا قَوْلَكَ فِيمَا أَقْسَمَ عَلَيْهِ هَلْ أَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ أَلْمَا عَلَى الْمَقْتُولِ مِنْ مَوْتِهِ وَاحِدَةً عَلَى الْفِرَاشِ بِالْحَقِيقَةِ أَمْ هَذَا قَوْلُ قَالَ عَلَى سَبِيلِ الْمَبَالِغَةِ وَ التَّجَوُّزِ تَرْغِيْبًا لِأَصْحَابِهِ فِي الْجِهَادِ قِلْتَ الْحَالِفِ يَحْلِفُ عَلَى أَحَدٍ أَمْرَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنْ يَحْلِفَ عَلَى ظَنِّهِ وَ اعْتِقَادِهِ نَحْوُ أَنْ يَحْلِفَ أَنْ زَيْدًا فِي الدَّارِ أَى أَنَا حَالِفٌ وَ مَقْسَمٌ عَلَى أَنِّي أَظُنُّ أَنَّ زَيْدًا فِي الدَّارِ أَوْ أَنِّي أَعْتَقِدُ كُونَ زَيْدًا فِي الدَّارِ وَ الثَّانِي أَنْ يَحْلِفَ لَا- عَلَى ظَنِّهِ بَلْ يَحْلِفُ عَلَى نَفْسِ الْأَمْرِ فِي الْخَارِجِ فَإِنَّ حَمَلْنَا قَسَمَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَ عَلَى الْمَحْمَلِ الْأَوَّلِ

فقد اندفع السؤال لأنه ع قد كان يعتقد ذلك فحلف أنه يعتقد و أنه يظن ذلك و هذا لا كلام فيه و إن حملناه على الثاني فالأمر في الحقيقة يختلف لأن المقتول بسيف صارم معجل للزهوق لا يجد من الألم وقت الضربة ما يجده الميت دون النزح من المد والكف نعم قد يجد المقتول قبل الضربة ألم التوقع لها و ليس كلامنا في ذلك بل في ألم الضربة نفسها وألف سيف صارم مثل سيف واحد إذا فرضنا سرعة الزهوق و أما في غير هذه الصورة نحو أن يكون السيف كالا و تتكرر الضربات به والحياة باقية بعد وقايسنا بينه و بين ميت يموت حتف أنفه موتا سريعا إما بوقوف القوة الغذائية كما يموت الشيوخ أو بإسهال ذريع تسقط معه القوة ويبقى العقل والذهن إلى وقت الموت فإن الموت هاهنا أهون وأقل ألما فالواجب أن يحمل كلام أمير المؤمنين ع إما على جهة التحريض فيكون قد بالغ كعادة العرب والخطباء في المبالغات المجازية وإما أن يكون أقسم على أنه يعتقد ذلك و هو صادق فيما أقسم لأنه هكذا كان يعتقد بناء على [صفحة ٣٠٣] ما هو مركز في طبعه من محبة القتال و كراهية الموت على الفراش و قد روى أنه قيل لأبي مسلم الخراساني إن في بعض الكتب المنزلة من قتل بالسيف فبالسيف يقتل فقال القتل أحب إلى من اختلاف الأطباء والنظر في الماء ومقاساة الدواء والداء فذكر ذلك للمنصور بعد قتل أبي مسلم فقال قد أبلغناه محبته [صفحة ٣٠٤]

١٢٣- و من كلام له ع

وَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكُمْ تَكْشُونَ كَشَيْشَ الصَّبَابِ لَمَّا تَأْخُذُونَ حَقًّا وَ لَا تَمْنَعُونَ ضَمِيمًا قَدْ خُلِيتُمْ وَ الطَّرِيقَ فَالْنَّجَاءُ لِلْمُقْتَحِمِ وَ الْهَلَاكُ لِلْمُتَلَوِّمِ الكَشَيْشِ الصوت يشوبه خور مثل الخشخششة و كَشَيْشِ الأَفْعَى صوتها من جلدها لا من فمها و قد كشت تكش قال الراجز كَشَيْشِ أَعْفَى أَجْمَعْتَ لَعُضٍ || وهى تحك بعضها ببعض . يقرع أصحابه بالجبن والفشل و يقول لهم لكأنى أنظر إليكم وأصواتكم غمغمه بينكم من الهلع الذى قد اعتراكم فهى أشبه شىء بأصوات الضباب المجتمعه . ثم أكد وصف جنبهم حقا وخوفهم فقال لا تأخذون حقا و لا تمنعون ضيما و هذه غاية ما يكون من الذل . ثم ترك هذا الكلام وابتدأ فقال قد خليتكم وطريق النجاء عند الحرب ودلتهم عليها [صفحة ٣٠٥] وهى أن تقتحموا وتلججوا و لا تهنوا فإنكم متى فعلتم ذلك نجوتم ومتى تلومتم وتثبتم وأحجمتم هلكتم و من هذا المعنى قول الشاعر تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد || لنفسى حياة مثل أن أتقدما . و قال قطرى بن الفجاءة لا يركن أحد إلى الإحجام || يوم الوغى متخوفا لحمام فلقد أرانى للرماح دريئة || من عن يمينى تارة وأمامى حتى خضبت بما تحدر من دمي || أكناف سرجى أو عنان لجامى ثم انصرفت و قد أصبت و لم أصب || جذع البصيرة قارح الإقدام . و كتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد واعلم أن عليك عيوننا من الله ترعاك وتراك فإذا لقيت العدو فاحرص على الموت توهب لك الحياة و لا تغسل الشهداء من دمائهم فإن دم الشهيد نور له يوم القيامة و قال أبو الطيب يقتل العاجز الجبان و قد يعجز || عن قطع بخنق المولود ويوقى الفتى المخش و قد خوض فى || ماء لبه الصنديد . [صفحة ٣٠٦] ولهذا المعنى الذى أشار إليه ع سبب معقول و هو أن المقدم على خصمه يرتاع له خصمه و تنخذل عنه نفسه فتكون النجاء والظفر للمقدم و أما المتلوم عن خصمه المحجم المتهيب له فإن نفس خصمه تقوى عليه و يزداد طمعه فيه فيكون الظفر له و يكون العطب والهلاك للمتلوم الهائب تم الجزء السابع من شرح نهج البلاغة و يليه الجزء الثامن

المجلد ٨

الجزء الثامن

تنمة الخطب والأوامر

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الواحد العدل

١٢٤- ومن كلام له ع في حث أصحابه على القتال

فَقَدَّمُوا الدَّارِعَ وَ أَخْرَوْا الحَاسِرَ وَ عَضُّوا عَلَى الأَصْرَاسِ فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الهَامِ وَ التَّوُوا فِي أطْرَافِ الرِّمَاحِ فَإِنَّهُ أَمُورٌ لِلأَسِنَّةِ وَ غَضُّوا الأَبْصِيَارَ فَإِنَّهُ أَرْبِطُ لِلجِرَاشِ وَ أَسْكُنُ لِلقُلُوبِ وَ أَمِيتُوا الأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلفَشْلِ وَ رَأَيْتُكُمْ فَلَمَّا تُمِيلُوهَا وَ لَا تُخْلُوهَا وَ لَا تَجْعَلُوهَا إِلَّا بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ وَ المَانِعِينَ الدَّمَارَ مِنْكُمْ فَإِنَّ الصَّابِرِينَ عَلَى نُزُولِ الحَقَائِقِ هُمُ العَدِيدِينَ يُحْفُونَ بِرَأْيَاتِهِمْ وَ يَكْتَنِفُونَهَا حِفَافِيهَا وَ وَرَاءَهَا وَ أَمَامَهَا لَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهَا فَيَسْلِمُوهَا وَ لَا يَتَقَدَّمُونَ عَلَيْهَا فَيَفْرِدُوهَا الدَّارِعَ لابس الدرع والحاسر الذى لادرع عليه و لامغفر أمرهم ع بتقديم المستلثم على غيرالمستلثم لأن سورة الحرب وشدتها تلقى وتصادف الأول فالأول فواجب أن يكون أول القوم مستلثما و أن يعضوا على الأضراس و قد تقدم شرح هذا وقلنا إنه يجوز أن يبدأ وهم بالحق والجد ويجوز أن يريد أن العض على الأضراس يشد شئون الدماغ ورباطاته فلا يبلغ السيف منه مبلغه لو صادفه رخوا وأمرهم بأن يلتوا إذ اطعنوا [صفحہ ٤] لأنهم إذا فعلوا ذلك فبالحرى أن يمور السنان أى يتحرك عن موضع الطعنة فيخرج زالفا و إذا لم يلتوا لم يمر السنان و لم يتحرك عن موضعه فيخرق وينفذ فيقتل . وأمرهم بغض الأبصار فى الحرب فإنه أربط للجأش أى أثبت للقلب لأن الغاض بصره فى الحرب أحرى ألا- يدهش ولا يرتاع لهول ما ينظر. وأمرهم بإماتة الأصوات وإخفائها فإنه أطرده للفشل و هو الجبن والخوف و ذلك لأن الجبان يرعد و يبرق والشجاع صامت . وأمرهم بحفظ رأيتهم ألا- يميلوها فإنها إذا مالت انكسر العسكر لأنهم إنما ينظرون إليها و إلا يخلوها من محام عنها و إلا يجعلوها بأيدي الجبناء وذوى الهلع منهم كى لا- يخيما و يجنبوا عن إمساكها. والذمار ما وراء الرجل مما يحق عليه أن يحميه وسمى ذمارا لأنه يجب على أهله التذمر له أى الغضب . والحقائق جمع حاقه وهى الأمر الصعب الشديد و منه قول الله تعالى الحَاقَّةُ مَا الحَاقَّةُ يعنى الساعة. ويكتنفونها يحيطون بها وحفاها جانباها و منه قول طرفة -قرآن- ٧٧٣-٧٩٥ كان جناحى مضرحى تكنفا || حفافيه شكافى العسيب بمسرد أجزأ امرؤ قرنه و آسى أخاه بنفسه و لم يكمل قرنه إلى أخيه فيجتمع [صفحہ ٥] عَلَيْهِ قَرْنُهُ وَ قَرْنُ أَخِيهِ وَ أَيْمُ اللَّهِ لَئِن فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ العَاجِلِ لَأَ تَسْلَمُونَ مِنْ سَيْفِ الآخِرَةِ وَ أَنْتُمْ لَهَامِيمُ العَرَبِ وَ السِّنَامُ الأَعْظَمُ إِنَّ فِي الفِرَارِ مَوجِدَةَ اللَّهِ وَ الدَّلَّ اللَازِمَ وَ العَارَ البَاقِي وَ إِنَّ الفَارَّ لَعَبِيرٌ مَزِيدٌ فِي عُمُرِهِ وَ لَا مَحْجُوزٌ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ يَوْمِهِ مَنْ رَأَيْتُ حِجَابَ اللَّهِ كَالظَّمَانِ يَرِدُ المِيَاءَ الجَنَّةِ تَحْتَ أطْرَافِ العَوَالِي اليَوْمِ تُبَلَى الأَخْبَارُ وَ اللَّهُ لَأَنَا أَشَوْقٌ إِلَى لِقَائِهِمْ مِنْهُمْ إِلَى دِيَارِهِمْ أَللَّهُمَّ فَإِن رَدَّو الحَقَّ فَافْضُضْ جَمَاعَتَهُمْ وَ شَتَّتْ كَلِمَتَهُمْ وَ أَسْلَهُمْ بِخَطَايَاهُمْ مِنَ النَّاسِ مَنْ يجعل هذه الصيغة وهى صيغة الإخبار بالفعل الماضى فى قوله أجزأ امرؤ قرنه فى معنى الأمر كأنه قال ليجزئ كل امرئ قرنه لأنه إذا جاز الأمر بصيغة الإخبار فى المستقبل جاز الأمر بصيغة الماضى و قد جاز الأول نحو قوله تعالى وَ الوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أولَادَهُنَّ فَوَجِبَ أَنْ يَجُوزَ الثَّانِي وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ قَالَ مَعْنَى ذَلِكَ هَلَا أَجْزَأَ امْرُؤُ قَرْنَهُ فَيَكُونُ تَحْضِيضًا مَحْذُوفٌ الصِّيغَةُ لِلْعَلْمِ بِهَا وَأَجْزَأُ بِالْهَمْزَةِ أَيْ كَفَى وَقَرْنَكَ مَقَارِنَكَ فِي الْقِتَالِ أَوْ نَحْوَهُ . وَ آسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ مَوْاسَاةً بِالْهَمْزِ أَيْ جَعَلَهُ أَسْوَأَ نَفْسِهِ وَيَجُوزُ وَاسِيَتْ زَيْدًا بِالْوَاوِ وَ هِيَ لَعْنَةٌ ضَعِيفَةٌ . وَ لَمْ يَكُلْ قَرْنَهُ إِلَى أَخِيهِ أَيْ لَمْ يَدَعْ قَرْنَهُ يَنْضُمُ إِلَى قَرْنِ أَخِيهِ فَيَصِيرَا مَعًا فِي -قرآن- ٢٤٠-٢٧٣ [صفحہ ٦] مَقَاوِمَةُ الأَخ

المذكور و ذلك قبيح محرم مثاله زيد وعمرو مسلمان ولهما قرنان كافران فى الحرب لا يجوز لزيد أن ينكل عن قرنه فيجتمع قرنه وقرن عمرو على عمرو. ثم أقسم ع أنهم إن سلموا من الألم النازل بهم لوقتلوا بالسيف فى الدنيا فإنهم لم يسلموا من عقاب الله تعالى فى الآخرة على فرارهم وتخاذلهم وسمى ذلك سيفا على وجه الاستعارة وصناعة الكلام لأنه قد ذكر سيف الدنيا فجعل ذلك فى مقابله . واللهم السادات الأجواد من الناس والجياد من الخيل الواحد لهموم والسنام الأعظم يريد شرفهم وعلو أنسابهم لأن السنام أعلى أعضاء البعير. وموجدة الله غضبه وسخطه . ويروى والذل اللازم بالذال المعجمة و هو بمعنى اللازم أيضا لذمت المكان بالكسر أى لزمته . ثم ذكر أن الفرار لا يزيد فى العمر وقال الراجز قد علمت حسناء دعجاء المقل || أن الفرار لا يزيد فى الأجل . ثم قال لهم أيكم يروح إلى الله فيكون كالظمان يرد الماء. ثم قال الجنة تحت أطراف العوالى و هذا من قول رسول الله ص الجنة تحت ظلال السيوف -رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-٤٧ سمع بعض الأنصار رسول الله ص يقول يوم أحد الجنة تحت ظلال السيوف -رواية- ١-٢-رواية- ٤٩-٧٤ و فى يده تميرات يلوكها فقال يخ بخ ليس بينى و بين الجنة إلا- هذه التميرات ثم قذفها من يده وكسر جفن سيفه وحمل على قريش فقاتل حتى قتل . ثم قال اليوم تبلى الأخبار هذا من قول الله تعالى وَ نَبَأُوا أَخْبَارَكُمْ أى نختبر أفعالكم . -قرآن- ١٩٩-٢٢٠ [صفحه ٧] ثم دعا على أهل الشام إن ردوا الحق بأن يفض الله جماعتهم أى يهزمهم ويشتت أى يفرق كلمتهم و أن يسلمهم بخطاياهم أى يسلمهم لأجل خطاياهم التى اقترفوها و لا ينصرهم أسبلت فلانا إذا سلمته إلى الهلكة فهو مبسل قال تعالى أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ أى تسلم و قال أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا أى أسلموا للهلاك لأجل ما اكتسبوه من الإثم و هذه الألفاظ كلها لا يتلو بعضها بعضا وإنما هى منتزعة من كلام طويل انتزعا الرضى رحمه الله واطرح ماعداها -قرآن- ٢٣٠-٢٤٦-قرآن- ٢٦٣-٣٠٣ إِنَّهُمْ لَنْ يَزُولُوا عَنْ مَوَاقِفِهِمْ دُونَ طَعْنِ دِرَاكٍ يَخْرُجُ مِنْهُ النَّسِيمُ وَ ضَرْبٌ يَفْلِقُ الْهَامَ وَ يُطِيحُ الْعِظَامَ وَ يَنْدِرُ السَّوَاعِدَ وَ الْأَقْدَامَ وَ حَتَّى يُرْمَوْا بِالْمَنَاسِيرِ تَتَّبِعُهَا الْمَنَاسِيرُ وَ يُرْجَمُوا بِالْكَتَائِبِ تَقْفُوهَا الْحَلَائِبُ وَ حَتَّى يُجَزَّ بِبِلَادِهِمُ الْخَمِيسُ يَتْلُوهُ الْخَمِيسُ وَ حَتَّى تَدْعَقَ الْخَيُْولُ فِي نَوَاحِرِ أَرْضِهِمْ وَ بِأَعْنَانِ مَسَارِيهِمْ وَ مَسَارِحِهِمْ قال الشريف الرضى رحمه الله تعالى الدعق الدق أى تدق الخيول بحوافرها أرضهم ونواحر أرضهم متقابلاتها ويقال منازل بنى فلان تتناحر أى تتقابل -رواية- ١-١٥٢ طعن دراك أى متتابع يتلو بعضه بعضا ويخرج منه النسيم أى لسعته و من هذا النحو قول الشاعر [صفحه ٨] طعنت ابن عبدالقيس طعنة نائر || لها نفذ لو لالشعاع أضءها ملكت بها كفى فأنهت فتقها || يرى قائم من دونها ما وراءها فهذا وصف الطعنة بأنها لاتساعها يرى الإنسان المقابل لها ببصره ما وراءها و أنه لو لاشعاع الدم و هو ماتفرق منه لبان منها الضوء و أمير المؤمنين ع أراد من أصحابه طعنات يخرج النسيم و هو الريح اللينة منهن . و فلقت الشىء ألقه بكسر اللام فلقا أى شققته و يطيح العظام يسقطها طاح الشىء أى سقط أوهلك أوتاه فى الأرض وأطاحه غيره و طوحه . ويندر السواعد يسقطها أيضا ندر الشىء يندر ندرا أى سقط و منه النوادر وأندره غيره والساعد من الكوع إلى المرفق و هو الذراع . والمناسر جمع منسر و هو قطعة من الجيش تكون أمام الجيش الأعظم بكسر السين وفتح الميم ويجوز منسر بكسر الميم وفتح السين وقيل إنها اللغة الفصحى . ويرجموا أى يغزوا بالكتائب جمع كتيبة وهى طائفة من الجيش . تقفوها الحلائب أى تتبعها طوائف لنصرها والمحاماة عنها يقال قد أحلبوا إذا جاءوا من كل أوب للنصرة و رجل محلب أى ناصر وحالبت الرجل إذا نصرته وأعنته و قال الشاعر ألهفا بقرى سحبل حين أحلبت || علينا الولايا والعدو المباسل [صفحه ٩] أى أعانت ونصرت والخميس الجيش والدعق قدفسره الرضى رحمه الله ويجوز أن يفسر بأمر آخر و هو الهيج والتنفير دعق القوم يدعقهم دعقا أى هاج منهم ونفرهم . ونواحر أرضهم قدفسره رحمه الله أيضا ويمكن أن يفسر بأمر آخر و هو أن يراد به أقصى أرضهم وآخرها من قولهم لآخر ليلة فى الشهر ناحرة. وأعنان مساريهم ومسارحهم جوانبها والمسارب ما يسرب فيه المال الراعى والمسارح ما يسرح فيه والفرق بين سرح وسرب أن السروح إنما يكون فى أول النهار و ليس ذلك بشرط فى السروب

واعلم أن هذا الكلام قاله أمير المؤمنين ع لأصحابه في صفين يحرضهم به وقد ذكرنا من حديث صفين فيما تقدم أكثره ونحن نذكر هاهنا تتمه القصة ليكون من وقف على ماتقدم و على هذا المذكور آنفا هنا قدوقف على قصة صفين بأسرها. اتفق الناس كلهم أن عمارا رضى الله عنه أصيب مع على ع بصفين و قال كثير منهم بل الأ-كثر أن أويسا القرني أصيب أيضا مع على ع بصفين . وذكر ذلك نصر بن مزاحم في كتاب صفين رواه عن حفص بن عمران البرجمي عن عطاء بن السائب عن أبي البختری وقد قال رسول الله ص في أوييس ما قال و قال الناس كلهم إن رسول الله ص قال إن الجنة لتشتاق إلى -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۷-ادامه دارد [صفحه ۱۰] عمار -روایت- از قبل ۷-رووا عنه ص أن عمارا جاء يستأذن عليه فقال ائذنوا له مرحبا بالطيب المطيب -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۵-۸۰ روى سلمة بن كهيل عن مجاهد أن النبي ص رأى عمارا و هو يحمل أحجار المسجد فقال مالهم ولعمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار -روایت- ۱-۲-روایت- ۳۰-۱۳۵ روى الناس كافة أن رسول الله ص قال له تقتلك الفئة الباغية -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۸-۶۷ . وروى نصر بن مزاحم في كتاب صفين عن عمرو بن شمر عن مالك بن أعين عن زيد بن وهب الجهني أن عمار بن ياسر نادى في صفين يوما قبل مقتله بيوم أو يومين أين من يبغى رضوان الله عز و جل و لا يثوب إلى مال و لا ولد فأنته عصابة من الناس فقال أيها الناس اقصدوا بنا قصد هؤلاء القوم الذين يتبعون دم عثمان ويزعمون أنه قتل مظلوما و الله إن كان إلا ظالما لنفسه الحاكم بغير ما أنزل الله و دفع على ع الراية إلى هاشم بن عتبة بن أبى وقاص و كان عليه ذلك اليوم درعان فقال له على ع كهيفة المازح أيا هاشم أ ماتخشى على نفسك أن تكون أعور جبانا قال ستعلم يا أمير المؤمنين و الله لألفن بين جماجم العرب لف رجل ينوى الآخرة فأخذ رمحا فهزه فانكسر ثم أخذ آخر فوجده جاسيا فألقاه ثم دعا برمح لين فشده به اللواء. قال نصر و حدثنا عمرو قال لمادفع على ع الراية إلى هاشم بن عتبة قال [صفحه ۱۱] له رجل من أصحابه من بكر بن وائل أقدم هاشم يكررها ثم قال ما لك يا هاشم قد انتفخ سحرك أعورا و جبنا قال من هذا قالوا فلان قال أهلها وخير منها إذارأيتنى قد صرعت فخذها ثم قال لأصحابه شدوا شسوع نعالكم وشدوا أزركم فإذا رآيتمنى قد هزرت الراية ثلاثا فاعلموا أن أحدا منكم لا يسبقنى إلى الحملة ثم نظر إلى عسكر معاوية فرأى جمعا عظيما فقال من أولئك قيل أصحاب ذى الكلاع ثم نظر فرأى جندا فقال من أولئك قيل قريش وقوم من أهل المدينة فقال قومى لاجاجة لى فى قتالهم من عند هذه القبة البيضاء قيل معاوية وجنده قال فإنى أرى دونهم أسودة قيل ذاك عمرو بن العاص وابناه ومواليه فأخذ الراية فهزها فقال رجل من أصحابه البث قليلا و لاتعجل فقال هاشم قد أكثرا لومى و ما أقلا || إنى شريت النفس لن أعتلا أعور يبغى أهله محلا || قدعالج الحياة حتى ملا لا بد أن يفلا أوييلا || أشلهم بذى الكعوب شلا [صفحه ۱۲] مع ابن عم أحمد المعلى || أول من صدقه وصلى . قال نصر و حدثنا عبدالعزيز بن سياه عن حبيب بن أبى ثابت قال لماتناول هاشم الراية جعل عمار بن ياسر يحرضه على الحرب ويقرعه بالرمح و يقول أقدم يا أعور لاخير فى أعور لا يأتى الفزع . فيستحى من عمار ويتقدم ويركز الراية فإذا ركزها عاوده عمار بالقول فيتقدم أيضا فقال عمرو بن العاص إنى لأرى لصاحب الراية السوداء عملا لئن دام على هذالتنين العرب اليوم فاقتلوا قتالا شديدا وعمار ينادى صبورا و الله إن الجنة تحت ظلال البيض فكان بإزاء هاشم وعمار أبوالأعور السلمى و لم يزل عمار بهاشم ينخسه و هو يزحف بالراية حتى اشتد القتال وعظم والتقى الزحفان واقتتلا-قتالا- لم يسمع السامعون بمثله وكثرت القتلى فى الفريقين جميعا. وروى نصر عن عمرو بن شمر قال حدثنى من أثق به من أهل العراق [صفحه ۱۳] قال لماالتقينا بالقوم فى ذلك اليوم وجدناهم خمسة صفوف قد قيدوا أنفسهم بالعمائم فقتلنا صفا ثم صفا ثم خلصنا إلى الرابع ما على الأرض شامى و لاعراقى يولى دبره و أبوالأعور يقول إذا مافررنا كان أسوأ فرارنا || صدود الخدود وازورار المناكب صدود الخدود والقنا متشاجر || و

لا تبرح الأقدام عند التضارب . قال نصر والتقت في هذا اليوم همدان العراق بعك الشام فقال قائلهم همدان همدان وعك عك ||
ستعلم اليوم من الأبرك وكانت على عك الدروع و ليس عليهم رايات فقالت همدان خدموا القوم أى اضربوا سوقهم فقالت
عك ابركوا برك الكمل فبركوا كما يبرك الجمل ثم رموا الحجر وقالوا لانفر حتى يفر الحكر. قال نصر واقتتل الناس من لادن
اعتدال النهار إلى صلاة المغرب ما كان صلاة القوم إلا التكبير عند مواقيت الصلاة. ثم إن أهل العراق كشفوا ميمنة أهل الشام
فطاروا في سواد الليل وكشف أهل الشام ميسرة أهل العراق فاختلفوا في سواد الليل وتبدلت الرايات بعضها ببعض فلما أصبح
الناس وجد أهل الشام لواءهم و ليس حوله إلا ألف رجل فاقتلعوه وركزوه من [صفحہ ۱۴] وراء موضعه الأول وأحاطوا به ووجد
أهل العراق لواءهم مركزوا و ليس حوله إلا ربيعة و على ع بينها وهم محيطون به و هو لا يعلم من هم ويظنهم غيرهم فلما أذن
مؤذن على ع الفجر قال على ع يامرحبا بالقائلين عدلا || وبالصلاة مرحبا وأهلا . ثم وقف وصلى الفجر فلما انفتل أبصر وجوها
ليست بوجوه أصحابه بالأمس و إذا مكانه الذى هو فيه ما بين الميسرة إلى القلب فقال من القوم قالوا ربيعة وإنك يا أمير
المؤمنين لعندنا منذ الليلة فقال فخر طويل لك ياربيعة . ثم قال لهاشم بن عتبة خذ اللواء فوالله ما رأيت مثل هذه الليلة فخرج
هاشم باللواء حتى ركزه في القلب . قال نصر حدثنا عمرو بن شمر عن الشعبي قال عبي معاوية تلك الليلة أربعة آلاف وثلاثمائة
من فارس وراجل معلمين بالخضرة وأمرهم أن يأتوا عليا ع من ورائه ففطنت لهم همدان فواجهوهم وصدوا إليهم فباتوا تلك
الليلة يتحارسون و على ع قد أفضى به ذهابه ومجيئه إلى رايات ربيعة فوقف بينها و هو لا يعلم ويظن أنه في العسكر الأشعث فلما
أصبح لم ير الأشعث و لأصحابه ورأى سعيد بن قيس الهمداني على مركزه فجاء إلى سعيد رجل من ربيعة يقال له زفر فقال له
ألست القائل بالأمس لئن لم تنته ربيعة لتكون ربيعة و همدان همدان فما أغتت همدان [صفحہ ۱۵] البارحة فنظر إليه على
ع نظر منكر ونادى منادى على ع أن اتعدوا للقتال واغدوا عليه وانهدوا إلى عدوكم فكلهم تحرك إلا ربيعة لم تتحرك فبعث
إليهم على ع أن انهدوا إلى عدوكم فبعث إليهم أبانثروان فقال إن أمير المؤمنين ع يقرئكم السلام و يقول لكم يامعشر ربيعة
مالكم لا تنهدون إلى عدوكم و قد نهت الناس قالوا كيف نهت و هذه الخيل من وراء ظهرنا قل لأمر المؤمنين فليأمر همدان
أوغيرها بمنجزتهم لنهد فرجع أبو ثروان إلى على ع فأخبره فبعث إليهم الأشتر فقال يامعشر ربيعة مامنعكم أن تنهدوا و قد نهت
الناس و كان جهير الصوت وأنتم أصحاب كذا وأصحاب كذا فجعل يعدد أيامهم فقالوا لسنا نفعل حتى ننظر ماتصنع هذه الخيل
التي خلف ظهورنا وهي أربعة آلاف قل لأمر المؤمنين فليبعث إليهم من يكفيه أمرهم . وراية ربيعة يومئذ مع الحضين بن المنذر
فقال لهم الأشتر فإن أمير المؤمنين يقول لكم اكفونيها إنكم لو بعثتم إليهم طائفة منكم لتركوكم في هذه الفلاة وفروا كاليغافير
فوجهت حينئذ ربيعة إليهم تيم الله والنمر بن قاسط وعزرة قالوا فمشينا إليهم مستلثمين مقنعين في الحديد و كان عامة قتال صفيين
مشيا قال فلما أتيناهم هربوا وانتشروا انتشار الجراد فذكرت قوله وفروا كاليغافير ثم رجعنا إلى أصحابنا و قد نشب القتال بينهم و
بين أهل الشام و قد اقتطع أهل الشام طائفة من أهل العراق بعضها من ربيعة فأحاطوا بها فلم نصل إليها حتى حملنا على أهل الشام
فعلوناهم بالأسياف حتى انفرجوا لنا فأفضينا إلى أصحابنا فاستنقذناهم وعرفناهم تحت النقع بسيماهم وعلامتهم وكانت علامة
أهل العراق بصفيين الصوف الأبيض قد جعلوه في رءوسهم و على [صفحہ ۱۶] أكتافهم وشعارهم يا الله يا الله يا أحد يا صمد
يارب محمد يارحمان يارحيم وكانت علامة أهل الشام خرقا صفرا قد جعلوها على رءوسهم وأكتافهم وشعارهم نحن عباد الله
حقا حقا يالثرات عثمان قال نصر فاجتلدوا بالسيوف وعمد الحديد فلم يتحاجزوا حتى حجز بينهم الليل و ما يرى رجل من هؤلاء
و من هؤلاء موليا. قال نصر حدثنا عمر بن سعد قال كانوا عربا يعرف بعضهم بعضا في الجاهلية وإنهم لحديثو عهد بها فالتقوا في
الإسلام وفيهم بقايا تلك الحمية و عند بعضهم بصيرة الدين والإسلام فتضاربوا واستحيوا من الفرار حتى كادت الحرب تبيدهم
وكانوا إذا تحاجزوا دخل هؤلاء عسكر هؤلاء فيستخرجون قتلاهم فيدفنونهم . قال نصر فحدثنا عمر بن سعد قال فبينما على ع واقفا

بين جماعة من همدان وحمير وغيرهم من أفساء قحطان إذ نادى رجل من أهل الشام من دل على أبي نوح الحميرى فقيل له قد وجدته فما ذا تريد قال فحسر عن لثامه فإذا هو ذو الكلاع الحميرى ومعه جماعة من أهله ورهطه فقال لأبى نوح سر معى قال إلى أين قال إلى أن نخرج عن الصف قال و ماشأنك قال إن لى إليك لحاجة فقال أبونوح معاذ الله أن أسير إليك إلا فى كتيبه قال ذو الكلاع بلى فسر فلنك ذمه الله وذمه رسوله [صفحة ١٧] وذمه ذى الكلاع حتى ترجع إلى خيلك فإنما أريد أن أسألك عن أمر فيكم تمارينا فيه فسار أبونوح وسار ذو الكلاع فقال له إنما دعوتك أحدثك حديثا حدثناه عمرو بن العاص قديما فى خلافة عمر بن الخطاب ثم أذكرناه الآن به فأعاده أنه يزعم أنه سمع رسول الله ص قال يلتقى أهل الشام و أهل العراق و فى إحدى الكتيبتين الحق وإمام الهدى ومعه عمار بن ياسر فقال أبونوح نعم و الله إنه لفينا قال نشدتك الله أجاد هو على قتالنا قال أبونوح نعم ورب الكعبة لهو أشد على قتالكم منى ولوددت أنكم خلق واحد فذبحته وبدأت بك قبلهم و أنت ابن عمى قال ذو الكلاع ويلك علام تمنى ذلك منا فو الله ما قطعتك فيما بينى وبينك قط و إن رحمك لقريبة و مايسرنى أن أقتلك قال أبونوح إن الله قطع بالإسلام أرحاما قريبه ووصل به أرحاما متباعدة وبنى قاتلك وأصحابك لأنا على الحق وأنتم على الباطل قال ذو الكلاع فهل تستطيع أن تأتى معى صف أهل الشام فأنا لك جار منهم حتى تلقى عمرو بن العاص فتخبره بحال عمار وجدته فى قتالنا لعله أن يكون صلح بين هذين الجندين . قلت وا عجابه من قوم يعترهم الشك فى أمرهم لمكان عمار و لايعترهم الشك لمكان على ع ويستدلون على أن الحق مع أهل العراق بكون عمار بين أظهرهم و لايعبئون بمكان على ع ويحذرون من قول النبى ص تقتلك الفئة الباغية -رواية-١-٢-رواية-١٧-٣٨ ويرتاعون لذلك و لايرتاعون لقوله ص فى على ع اللهم وال من الاله وعاد من عاداه -رواية-١-٢-رواية-٢٤-٦١ لقوله لايجبك إلا مؤمن -رواية-١-٢-رواية-٩-١٠-ادامه دارد [صفحة ١٨] و لايبغضك إلا منافق -رواية-٢-٢٤-٢٤ و هذايدلك على أن عليا ع اجتهدت قريش كلها من مبدأ الأمر فى إخمال ذكره وستر فضائله و تغطية خصائصه حتى محى فضله و مرتبته من صدور الناس كافة إلا قليلا منهم . قال نصر فقال له أبونوح إنك رجل غادر و أنت فى قوم غدر و إن لم يرد الغدر أغدروك وبنى أن أموت أحب إلى من أن أدخل مع معاوية فقال ذو الكلاع أنا جار لك من ذلك ألا تقتل و لا تسلب و لا تكره على بيعه و لا تحبس عن جندك و إنما هى كلمة تبلغها عمرو بن العاص لعل الله أن يصلح بذلك بين هذين الجندين و يضع عنهم الحرب فقال أبونوح إنى أخاف غدراتك و غدرات أصحابك قال ذو الكلاع أنا لك بما قلت زعيم قال أبونوح اللهم إنك ترى ما أعطانى ذو الكلاع و أنت تعلم ما فى نفسى فاعصمنى واختر لى وانصرنى وادفع عنى ثم سار مع ذى الكلاع حتى أتى عمرو بن العاص و هو عند معاوية و حوله الناس و عبد الله بن عمر يحرض الناس على الحرب فلما و فقا على القوم قال ذو الكلاع لعمرو يا أبا عبد الله هل لك فى رجل ناصح لبيب مشفق يخبرك عن عمار بن ياسر فلايكذبك قال و من هو قال هو ابن عمى هذا و هو من أهل الكوفة فقال عمرو أرى عليك سيما أبى تراب فقال أبونوح على سيما محمد و أصحابه و عليك سيما أبى جهل و سيما فرعون فقام أبو الأعور فسل سيفه و قال لا أرى هذا الكذاب اللئيم يسبنا بين أظهرنا و عليه سيما أبى تراب فقال ذو الكلاع أقسم بالله لئن بسطت يدك إليه لأحطمن أنفك بالسيف ابن عمى و جارى عقدت له ذمتى و جئت به إليكم ليخبركم عما تماريتم فيه فقال له عمرو بن العاص يا أبانوح أذكرك بالله إلا ما صدقتنا و لم تكذبنا أفيكم عمار بن ياسر قال أبونوح ما أنا بمخبرك حتى تخبر لم تسأل عنه و معنا من أصحاب محمد ص عدة غيره و كلهم جاد على قتالكم فقال عمرو سمعت رسول الله ص يقول إن -رواية-١-٢-رواية-٤٠-٤٠-ادامه دارد [صفحة ١٩] عمارا تقتله الفئة الباغية و إنه ليس لعمار أن يفارق الحق ولن تأكل النار من عمار شيئا -رواية-١-٢-٩١ فقال أبونوح لا إله إلا الله و الله أكبر و الله إنه لفينا جاد على قتالكم فقال عمرو الله الذى لا إله إلا هو إنه لجاد على قتالنا قال نعم و الله الذى لا إله إلا هو ولقد حدثنى يوم الجمل أناسنظروا على أهل البصرة و لقد قال لى أمس إنكم لو ضربتمونا حتى تبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق

وأنكم على باطل ولكانت قتالنا فى الجنة وقتلاكم فى النار قال عمرو فهل تستطيع أن تجمع بينى وبينه قال نعم فركب عمرو بن العاص وابناه وعتبه بن أبى سفيان وذو الكلاع وأبو الأعور السلمى وحوشب والوليد بن عقبه وانطلقوا وسار أبو نوح ومعه شرحبيل بن ذى الكلاع يحميه حتى انتهى إلى أصحابه فذهب أبو نوح إلى عمار فوجده قاعدا مع أصحاب له منهم الأشتر وهاشم وابنا بديل وخالد بن معمر وعبد الله بن حجل وعبد الله بن العباس . فقال لهم أبو نوح إنه دعانى ذو الكلاع وهو ذو رحم فقال أخبرنى عن عمار بن ياسر أفيكم هوفقلت لم تسأل فقال أخبرنى عمرو بن العاص فى إمرة عمر بن الخطاب أنه سمع رسول الله ص يقول يلتقى أهل الشام وأهل العراق وعمار مع أهل الحق وتقتله الفئة الباغية -رواية ١-٢-رواية ٨٤-١٥٨ فقلت نعم إن عمارا فينا فسألنى أجاد هو على قتالنا فقلت نعم والله إنه لأجد منى فى ذلك ولوددت أنكم خلق واحد فذبحته وبدأت بك ياذا الكلاع فضحك عمار وقال أيسرك ذلك قال نعم ثم قال أبو نوح أخبرنى الساعة عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ص يقول تقتل عمارا الفئة الباغية -رواية ١-٢-رواية ٨٠-١٠٦ قال عمار أقررتك بذلك قال نعم لقد قررتك بذلك فأقر [صفحة ٢٠] فقال عمار صدق وليضرنه ماسمع ولا ينفعه قال أبو نوح فإنه يريد أن يلقاك فقال عمار لأصحابه اركبوا فركبوا وساروا قال فبعثنا إليهم فارسا من عبد القيس يسمى عوف بن بشر فذهب حتى إذا كان قريبا منهم نادى أين عمرو بن العاص قالوا هاهنا فأخبره بمكان عمار وخيله قال عمرو قل له فليسر إلينا قال عوف إنه يخاف غدارتك وفجراتك قال عمرو ما أجراك على وأنت على هذه الحال قال عوف جرأنى عليك بصرى فيك وفى أصحابك وإن شئت نابذتك الآن على سواء وإن شئت التقيت أنت وخصماؤك وأنت كنت غادرا فقال عمرو إنك لسفيه وإنى باعث إليك رجلا من أصحابى يوافقك قال ابعث من شئت فليست بالمستوحش وإنك لا تبعث إلا شقيا فرجع عمرو وأنفذ إليه أبا الأعور فلما توافقا تعارفا فقال عوف إنى لأعرف الجسد وأنكر القلب وإنى لأأراك مؤمنا ولا أراك إلا من أهل النار قال أبو الأعور يا هذا لقد أعطيت لسانا يكبك الله به على وجهك فى النار قال عوف كلا والله إنى لأتكلم بالحق وتتكلم بالباطل وإنى أدعوك إلى الهدى وأقاتلك على الضلال وأفر من النار وأنت بنعمة الله ضال تنطق بالكذب وتقاتل على ضلالة وتشتري العقاب بالمغفرة والضلالة بالهدى انظر إلى وجوهنا ووجوهكم وسيماننا وسيمانكم واسمع دعوتنا ودعوتكم فليس أحد منا إلا وهو أولى بالحق وبمحمد وأقرب إليه منكم فقال أبو الأعور لقد أكثرت الكلام وذهب النهار ويحك ادع أصحابك وأدع أصحابى وليأت أصحابك فى قلة إن شاءوا أو كثرة فإنى أجيء من أصحابى بعدتهم فإن شاء أصحابك فليقلوا [صفحة ٢١] وإن شاءوا فليكثروا فسار عمار فى اثنى عشر فارسا حتى إذا كانوا بالمنصف سار عمرو بن العاص فى اثنى عشر فارسا حتى اختلفت أعناق الخيل خيل عمار وخيل عمرو ونزل القوم واحتبوا بحمائل سيوفهم فتشهد عمرو بن العاص فقال له عمار اسكت فلقد تركتها وأنا حق بهامتك فإن شئت كانت خصومة فيدفع حقنا باطلك وإن شئت كانت خطبة فنحن أعلم بفصل الخطاب منك وإن شئت أخبرتك بكلمة تفصل بيننا وبينك وتكفرك قبل القيام وتشهد بها على نفسك ولا تستطيع أن تكذبنى فيها فقال عمرو يا أبا اليقظان ليس لهذا جئت إنما جئت لأنى رأيتك أطوع أهل هذا العسكر فيهم أذكرك الله إلا كففت سلاحهم وحقنت دماءهم وحرصت على ذلك فعلام تقاتلوننا أولسنا نعبد إليها واحدا ونصلى إلى قبلكم وندعو دعوتكم ونقرأ كتابكم ونؤمن بنبينا فقال عمار الحمد لله الذى أخرجها من فيك أنها لى ولأصحابى القبلة والدين وعبادة الرحمن والنبي والكتاب من دونك ودون أصحابك الحمد لله الذى قررك لنا بذلك وجعلك ضالا مضلا أعمى وسأخبرك على ما أقاتلك عليه وأصحابك إن رسول الله ص أمرنى أن أقاتل الناكثين فقد فعلت وأمرنى أن أقاتل القاسطين وأنتم هم وأما المارقون فلا أدري أدرتهم أو لا أيها الأبرأ ألسنت تعلم أن رسول الله ص قال من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه -رواية ١-٢-رواية ٢٧-٩٢ فأنا مولى الله ورسوله وعلى مولاى بعدهما قال عمرو لم تشتمنى يا أبا اليقظان ولست أشتمك قال عمار وبم تشتمنى أتستطيع أن تقول أنى عصيت الله ورسوله يوما قط قال

عمرو إن فيك لمساب سوى ذلك قال عمار إن الكريم من أكرمه [صفحة ٢٢] الله كنت وضيعا فرغني الله ومملوكا فأعتقني الله وضعيفا فقوانى الله وفقيرا فأغانانى الله قال عمرو فما ترى فى قتل عثمان قال فتح لكم باب كل سوء قال عمرو فعلى قتله قال عمار بل الله رب على قتله و على معه قال عمرو فكنت فيمن قتله قال كنت مع من قتله و أنا اليوم أقاتل معهم قال عمرو فلم قتلتموه قال عمار إنه أراد أن يغير ديننا فقتلناه فقال عمرو ألا تسمعون قداعترف بقتل إمامكم فقال عمار قدقالها فرعون قبلك لقومه ألا تستمعونفقام أهل الشام ولهم زجل فركبوا خيولهم ورجعوا وقام عمار وأصحابه فركبوا خيولهم ورجعوا وبلغ معاوية ما كان بينهم فقال هلكت العرب أن حركتهم خفة العبد الأسود يعنى عمارا. قال نصر فحدثنا عمرو بن شمر قال فخرجت الخيول إلى القتال واصطفت بعضها لبعض وتزاحف الناس و على عمار درع بيضاء و هو يقول أيها الناس الرواح إلى الجنة.فقاتل القوم قتالا شديدا لم يسمع السامعون بمثله وكثرت القتلى حتى أن كان الرجل ليشد طنب فسطاطه بيد الرجل أو برجله وحكى الأشعث بعد ذلك قال لقد رأيت أخبية صفين وأروقتها و ما فيها خباء و لارواق و لافسطاط إلا مربوطا بيد إنسان أو برجله . قال نصر وجعل أبو السماك الأسدى يأخذ إداوة من ماء وشفرة حديدة فيطوف فى القتلى فإذا رأى رجلا جريحا و به رمق أقعده فيقول له من أمير المؤمنين فإذا قال -قرآن- ٤٤٢-٤٥٩ [صفحة ٢٣] على غسل الدم عنه وسقاه من الماء و إن سكت وجأه بالسكين حتى يموت و لا يسقيه . قال نصر و حدثنا عمرو بن شمر عن جابر قال سمعت الشعبي يقول قال الأحنف بن قيس و الله إنى إلى جانب عمار بن ياسر بينى وبينه رجل من بنى الشعيراء.فتقدمنا حتى دنونا من هاشم بن عتبة فقال له عمار احمل فداك أبى وأمى فقال له هاشم يرحمك الله يا أبا اليقظان إنك رجل تأخذك خفة فى الحرب وإنى إنما أزحف باللواء زحفا أرجو أن أنال بذلك حاجتى و إن خفت لم آمن الهلكة و قد كان قال معاوية لعمرو ويحك إن اللواء اليوم مع هاشم بن عتبة و قد كان من قبل يرقل به إرقالا و إن زحف به اليوم زحفا إنه لليوم الأطول على أهل الشام فإن زحف فى عنق من أصحابه إنى لأطمع أن تقطع فلم يزل به عمار حتى حمل فبصر به معاوية فوجه إليه حماة أصحابه و من يزن بالبأس والنجدة منهم فى ناحية و كان فى ذلك الجمع عبد الله بن عمرو بن العاص ومعه يومئذ سيفان قد تقلد بأحدهما و هو يضرب بالآخر فأطافت به خيول على ع وجعل عمرو يقول يا الله يارحمان ابنى ابنى فيقول معاوية اصبر فلا بأس عليه فقال عمرو لو كان يزيد بن معاوية أصبرت فلم يزل حماة أهل الشام تذب عن عبد الله حتى نجا هاربا على فرسه و من معه وأصيب هاشم فى المعركة. [صفحة ٢٤] قال نصر و حدثنا عمر بن سعد قال و فى هذا اليوم قتل عمار بن ياسر رضى الله عنه أصيب فى المعركة و قد كان قال حين نظر إلى رايه عمرو بن العاص و الله إنها لراية قدقاتلتها ثلاث عركات و ما هذه بأرشدهن ثم قال نحن ضربناكم على تأويله || كماضربناكم على تنزيله ضربا يزيل الهام عن مقيله || ويذهل الخليل عن خليله أو يرجع الحق إلى سبيله ثم استسقى و قد اشتد عطشه فأتته امرأة طويلة اليدى ما أدرى أعس معها أم إداوة فيها ضياح من لبن فقال حين شرب الجنة تحت الأسنه اليوم ألقى الأحبة محمدا وحزبه و الله لو ضربونا حتى يبلغونا سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق وأنهم على الباطل ثم حمل وحمل عليه ابن حوى السكسكى و أبو العادية فأما أبو العادية فطعنه و أما ابن حوى فاحتز رأسه و قد كان ذو الكلاع يسمع عمرو بن العاص يقول إن النبى ص يقول لعمار تقتلك الفئة الباغية و آخر شربك ضياح من لبن -رواية- ١-٢-رواية- ٧٥-١٢١ فقال ذو الكلاع لعمرو ويحك ما هذا قال عمرو إنه سيرجع إلينا ويفارق أباتراب و ذلك قبل أن يصاب عمار فلما أصيب عمار فى هذا اليوم أصيب ذو الكلاع فقال عمرو لمعاوية و الله ما أدرى بقتل أيهما أنا أشد فرحا و الله لو بقى ذو الكلاع حتى يقتل عمار لمال بعامة قومه إلى على ولأفسد علينا أمرنا. قال نصر و حدثنا عمر بن سعد قال كان لا يزال رجل يجيء فيقول لمعاوية وعمرو أناقتلت عمارا فيقول له عمرو فما سمعته يقول فيخلط حتى أقبل ابن حوى [صفحة ٢٥] فقال أناقتلته فقال عمرو فما كان آخر منطقه قال سمعته يقول اليوم ألقى الأحبة محمدا وحزبه فقال صدقت أنت صاحبه أما و الله ماظفرت يداك ولقد أسخطت ربك . قال نصر حدثنا عمرو بن شمر قال حدثنى إسماعيل السدى

عن عبدخير الهمداني قال نظرت إلى عمار بن ياسر يوما من أيام صفين قدرمى رميه فأغمى عليه فلم يصل الظهر ولا العصر ولا المغرب ولا العشاء ولا الفجر ثم أفاق فقضاهن جميعا يبدأ بأول شىء فاتته ثم بالتي تليها. قال نصر وحدثنا عمرو بن شمر عن السدي عن أبي حريث قال أقبل غلام لعمار بن ياسر اسمه راشد يحمل إليه يوم قتل بشرية من لبن فقال عمار أما إنى سمعت خليلي رسول الله ص يقول إن آخر زادك من الدنيا شربة لبن -رواية- ١-٢-رواية- ٥٥-٨٩. قال نصر وروى عمرو بن شمر عن السدي أن رجلين بصفين اختصما في سلب عمار و في قتله فأتيا عبد الله بن عمرو بن العاص فقال ويحكما اخرجنا عنى فإن رسول الله ص قال مالقریش ولعمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار قاتله وسالبه في النار -رواية- ١-٢-رواية- ٢٨-١٠٦. [صفحة ٢٦] قال السدي فبلغنى أن معاوية قال لماسمع ذلك إنما قتله من أخرجه يخدم بذلك طعام أهل الشام. قال نصر وحدثنا عمرو بن جابر عن أبي الزبير قال أتى حذيفة بن اليمان رهط من جهينة فقالوا له يا أبا عبد الله إن رسول الله ص استجار من أن تصطلم أمته فأجير من ذلك واستجار من أن يذيق أمته بعضها بأس بعض فممنع من ذلك فقال حذيفة إنى سمعت رسول الله ص يقول إن ابن سمية لم يخير بين أمرين قط إلا اختار أشدهما يعنى عمارا فالزموا سمته -رواية- ١-٢-رواية- ٤٦-١٢٤. قال نصر وحدثنا عمرو بن شمر قال حمل عمار ذلك اليوم على صف أهل الشام وهو يرتجز كلا ورب البيت لأبرح أجى || حتى أموت أو أرى ما أشتهى لأفتأ الدهر أحامى عن على || صهر الرسول ذى الأمانات الوفى ينصرنا رب السماوات العلى || ويقطع الهام بحد المشرفى يمنحنا النصر على من يبتغى || ظلما علينا جاهدا ما يأتلى. قال فضرِب أهل الشام حتى اضطهرهم إلى الفرار. [صفحة ٢٧] قال نصر وقد كان عبد الله بن سويد الحميرى من آل ذى الكلاع قال لذى الكلاع ما حديث سمعته من ابن العاص فى عمار فأخبره فلما قتل عمار خرج عبد الله ليلا يمشى فأصبح فى عسكر على ع و كان عبد الله من عباد الله زمانه وكاد أهل الشام أن يضطربوا لو لا أن معاوية قال لهم إن عليا قتل عمارا لأنه أخرجه إلى الفتنة ثم أرسل معاوية إلى عمرو لقد أفسدت على أهل الشام أكل ماسمعت من رسول الله ص تقوله فقال عمرو قتلها ولست أعلم الغيب ولا أدرى أن صفين تكون قتلها وعمار يومئذ لك ولى و قدرويت أنت فيه مثل مارويت فغضب معاوية وتنمر لعمرو وعزم على منعه خيره فقال عمرو لابنه وأصحابه لا خير فى جوار معاوية إن تجلت هذه الحرب عنه لأفارقنه و كان عمرو حمى الأنف قال تعاتبنى أن قلت شيئا سمعته || وقد قلت لو أنصفتنى مثله قبلى أنعلك فيما قلت نعل ثيبته || وتزلق بى فى مثل ماقلته نعلى و ما كان لى علم بصفين أنها || تكون وعمار يحث على قتلى و لو كان لى بالغيب علم كتمتها || وكأيدت أقواما مراجلهم تغلى أبى الله إلا أن صدرك واغر || على بلا ذنب جنيت و لا ذحل سوى أننى والراقصات عشية || بنصرك مدخول الهوى ذاهل العقل فلا وضعت عنى حصان قناعها || و لا حملت و جناء ذعلبة رحلى و لازلت أدعى فى لوى بن غالب || قليلا غنائى لا أمر و لأحلى إن الله أرخى من خناقك مرة || ونلت أذى رجيت إن لم أزر أهلى [صفحة ٢٨] وأترك لك الشام التى ضاق رحبها || عليك و لم يهنك بها العيش من أجلى فأجابه معاوية أالآن لما ألت الحرب بركها || وقام بنا الأمر الجليل على رجل غمزت قناتى بعدستين حجة || تباعا كأنى لا أمر و لأحلى أتيت بأمر فيه للشام فتنة || و فى دون ما أظهرته زلة النعل فقلت لك القول أذى ليس ضائرا || و لو ضر لم يضررك حملك لى ثقلى تعاتبنى فى كل يوم و ليلة || كأن أذى أبليك ليس كما أبلى فى قبح الله العتاب وأهله || أ لم تر ما أصبحت فيه من الشغل فدع ذا ولكن هل لك اليوم حيلة || ترد بها قوما مراجلهم تغلى دعاهم على فاستجابوا لدعوة || أحب إليهم من ترى المال والأهل إذا قلت هابوا حومة الموت أرقلوا || إلى الموت إرقال الهلوك إلى الفحل. قال فلما أتى عمرا شعر معاوية أتاه فأعته وصار أمرهما واحدا. قال نصر ثم إن عليا دعا فى هذا اليوم هاشم بن عتبة ومعه لواءه و كان أعور فقال له يا هاشم حتى متى فقال هاشم لأجهدن ألا أرجع إليك أبدا فقال على ع إن يازائك ذا الكلاع وعنده الموت الأحمر فتقدم هاشم [صفحة ٢٩] فلما أقبل قال معاوية من هذا المقبل فقيل هاشم المرقال فقال أعور بنى زهرة قاتله الله فأقبل هاشم و هو يقول أعور يبغى نفسه

خلاصا || مثل الفنيق لابسا دلاصا لادية يخشى و لاقصا || كل امرئ و إن كبا و حاصا ليس يرى من يومه مناصا فحمل صاحب لواء ذى الكلاع و هو رجل من عذرة فقال يا أعور العين و مابى من عور || اثبت فيانى لست من فرعى مضر نحن اليمانون و مافينا خور || كيف ترى وقع غلام من عذر ينعى ابن عفان ويلحى من عذر || سيان عندى من سعى و من أمر فاختلفا طعتين قطعنه هاشم فقتله و كثرت القتلى حول هاشم و حمل ذو الكلاع و اختلط الناس و اجتلدوا فقتل هاشم و ذو الكلاع جميعا و أخذ عبد الله بن هاشم اللواء و ارتجز فقال يا هاشم بن عتبة بن مالك || أعزز بشيخ من قريش هالك تحيطه الخيلان بالسنايك || فى أسود من نفعهن حالك أبشر بحور العين فى الأرائك || و الروح و الريحان عند ذلك . قال نصر و حدثنا عمر بن سعد عن الشعبي قال أخذ عبد الله بن هاشم بن عتبة راية أبيه ثم قال أيها الناس إن هاشما كان عبدا من عباد الله الذى قدر أرزاقهم [صفحہ ۳۰] و كتب آثارهم و أحصى أعمالهم و قضى آجالهم فدعا الله ربه فاستجاب لأمره و سلم لأمره و جاهد فى طاعة ابن عم رسوله أول من آمن به و أفقههم فى دين الله الشديد على أعداء الله المستحلين حرم الله الذين عملوا فى البلاد بالجور و الفساد و استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله و زين لهم الإثم و العدوان فحق عليكم جهاد من خالف الله و عطل حدوده و نابذ أولياءه جودوا بمهجمكم فى طاعة الله فى هذه الدنيا تصيبوا الآخرة و المنزل الأعلى و الأبد الذى لا يفنى فو الله لو لم يكن ثواب و لعقاب و لاجنة و لانار لكان القتال مع على أفضل من القتال مع معاوية فكيف و أنتم ترجون ما ترجون قال نصر و حدثنا عمرو بن شمر قال لما انقضى أمر صفين و سلم الحسن ع الأمر إلى معاوية و وفدت عليه الوفود أشخص عبد الله بن هاشم إليه أسيرا فلما مثل بين يديه و عنده عمرو بن العاص قال يا أمير المؤمنين هذا المختال ابن المرقال فدونك الضب المضب المعر المفتون فاقته فإن العصا من العصية و إنما تلد الحية حية و جزاء السيئة سيئة مثلها. فقال عبد الله إن تقتلنى فما أنا بأول رجل خذله قومه و أسلمه يومه فقال عمرو يا أمير المؤمنين أمكنى منه أشخب أوداجه على أثباجه فقال عبد الله فهلا كانت هذه الشجاعة منك يا ابن العاص فى أيام صفين و نحن ندعوك إلى النزال و قدا بتلت أقدام الرجال من نقيع الجريال و قد تضايقت بك المسالك و أشرفت منها على المهالك و ايم الله لو لامكانك منه لرميتك بأحد من وقع الأشافى فإنك لاتزال تكثر فى [صفحہ ۳۱] هوسك و تخبط فى دهسك و تنشب فى مرسك تخبط العشاء فى الليلة الحنسد الظلماء فأمر معاوية به إلى الحبس فكتب عمرو إلى معاوية أمرتك أمرا حازما فعصيتنى || و كان من التوفيق قتل ابن هاشم و كان أبوه يامعاوية الذى || رماك على حرب بجز الغلاصم فقتلنا حتى جرت من دمائنا || بصفين أمثال البحور الخضارم و هذا ابنه و المرء يشبه أصله || ستقرع إن أبقيته سن نادم فبعث معاوية بالشعر إلى عبد الله بن هاشم فكتب فى جوابه من السجن معاوية إن المرء عمرا أبت له || ضغينة صدر ودها غير سالم يرى لك قتلى يا ابن حرب و إنما || يرى ما يرى عمرو ملوك الأعاجم على أنهم لا يقتلون أسيرهم || إذا كان فيه منعة للمسالمة و قد كان منا يوم صفين نفره || عليك جناها هاشم و ابن هاشم قضى الله فيها ما قضى ثم اتانقضى || و ما ماضى إلا كأضغاث حالم فإن تعف عنى تعف عن ذى قرابة || و إن ترقتلى تستحل محارمى هذه رواية نصر بن مزاحم . [صفحہ ۳۲] و روى أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى بن عبيد الله المرزبانى أن معاوية لما تم له الأمر بعد وفاة على ع بعث زيادا على البصرة و نادى معاوية أمن الأسود و الأحمر بأمان الله إلا عبد الله بن هاشم بن عتبة فمكث معاوية يطلبه أشد الطلب و لا يعرف له خبرا حتى قدم عليه رجل من أهل البصرة فقال له أنا أدلك على عبد الله بن هاشم بن عتبة اكتب إلى زياد فإنه عند فلانة المخزومية فدعا كاتبه فكتب من معاوية بن أبى سفيان أمير المؤمنين إلى زياد بن أبى سفيان أما بعد فإذا أتاك كتابى هذا فاعمد إلى حى بنى مخزوم ففتشه دارا دارا حتى تأتى إلى دار فلانة المخزومية فاستخرج عبد الله بن هاشم المرقال منها فاحلق رأسه و ألبسه جبة شعر و قيده و غل يده إلى عنقه و احمله على قتب بعير بغير وطاء و لاغذاء و أنفذ به إلى . قال المرزبانى فأما الزبير بن بكار فإنه قال إن معاوية قال لزياد لما بعثه إلى البصرة إن عبد الله بن المرقال فى بنى ناجية بالبصرة عند امرأة منهم يقال لها

فلانه و أنا أعزم عليك إلا حطت رحلك ببابها ثم اقتحمت الدار واستخرجته منها وحملته إلى. فلما دخل زياد إلى البصرة سأل عن بني ناجية و عن منزل المرأة فافتحم الدار واستخرج عبد الله منها فأنفذه إلى معاوية فوصل إليه يوم الجمعة و قد لاقى نصبا كثيرا و من الهجير ما غير جسمه و كان معاوية يأمر بطعام فيتخذ في كل جمعة لأشراف قريش ولأشراف الشام ووفود العراق فلم يشعر معاوية إلا و عبد الله بين يديه و قد ذبل وسهم وجهه فعرفه و لم يعرفه عمرو بن العاص فقال معاوية يا أبا عبد الله أتعرف هذا الفتى قال لا قال هذا ابن الذي كان يقول في صفين أعور يبغي أهله محلا || قد عالج الحياة حتى ملا لا بد أن يفلا أو يفلا . قال عمرو وإنه لهو دونك الضب المضب فاشخب أوداجه و لا ترجعه إلى أهل [صفحه ٣٣] العراق فإنهم أهل فتنة و نفاق و له مع ذلك هوى يريده و بطانته تغويه فو الذي نفسى بيده لئن أفلت من حبالك ليجهن إليك جيشا تكثر صواوله لشري يوم لك . فقال عبد الله و هو في القيد يا ابن الأبره هلا كانت هذه الحماسة عندك يوم صفين ونحن ندعوك إلى البراز و تلوذ بشمائل الخيل كالأمه السوداء و النعجة القوداء أما إنه إن قتلتني قتل رجلا كريم المخبره حميد المقدرة ليس بالجيس المنكوس و لا الثلب المركوس فقال عمرو دع كيت و كيت فقد وقعت بين لحيى لهزم فروس للأعداء يسعطك إسعاط الكودن الملجم قال عبد الله أكثر إكثارك فإني أعلمك بطرا في الرخاء جبانا في اللقاء هيابه عند كفاح الأعداء ترى أن تقى مهجتك بأن تبدي سوءتك أنسيت يوم صفين و أنت تدعى إلى النزال فتعيد عن القتال خوفا أن يغمرك رجال لهم أبدان شداد و أسنه حداد ينهبون السرح و يذلون العزيز. قال عمر لقد علم معاوية أني شهدت تلك المواطن فكنت فيها كمدرة الشوك و لقد رأيت أباك في بعض تلك المواطن تخفق أحشاؤه و تنق أعاؤه قال أما و الله لولقيك أبي في ذلك المقام لارتعدت منه فرائصك و لم تسلم منه مهجتك ولكنه قاتل غيرك فقتل دونك . فقال معاوية ألاتسكت لأم لك فقال يا ابن هند أتقول لي هذا و الله لئن شئت لأعرقن جبينك ولأقيمك و بين عينيك و سم يلين له أخدعاك أبأكثر من الموت تخوفني فقال معاوية أوتكف يا ابن أخي و أمر به إلى السجن . فقال عمرو و ذكر الأبيات فقال عبد الله و ذكر الأبيات أيضا و زاد فأطرق معاوية طويلا حتى ظن أنه لن يتكلم ثم قال [صفحه ٣٤] أرى العفو عن عليا قريش و سيلة || إلى الله في اليوم العبوس القماطر و لست أرى قتلى فتى ذا قرابة || له نسب في حى كعب و عامر بل العفو عنه بعد ما خاب قدحه || وزلت به إحدى الجدود العواثر و كان أبوه يوم صفين محنقا || علينا فأردته رماح يحابر ثم قال له أتراك فاعلا ما قال عمرو من الخروج علينا قال لا تسلم عن عقيدات الضمائر لاسيما إذا أرادت جهادا في طاعة الله قال إذن يقتلك الله كما قتل أباك قال و من لي بالشهادة قال فأحسن معاوية جائزته و أخذ عليه موثقا ألا يساكنه بالشام فيفسد عليه أهله . قال نصر و حدثنا عمرو بن شمر عن السدي عن عبد خير الهمداني قال قال هاشم بن عتبة يوم مقتله أيها الناس إني رجل ضخم فلا يهولنكم مسقطي إذا سقطت فإنه لا يفرغ مني أقل من نحر جزور حتى يفرغ الجزار من جزرها ثم حمل فصرع فمر عليه رجل و هو صريع بين القتلى فناده اقرأ على أمير المؤمنين السلام و قل له بركات الله و رحمته عليك يا أمير المؤمنين أنشدك الله إلا أصبحت و قدر ببط مقاود خيلك بأرجل القتلى فإن الدبرة تصبح غدا لمن غلب على القتلى فأخبر الرجل عليا بما قاله فسار في الليل بكتائبه حتى جعل القتلى خلف ظهره فأصبح والدبرة له على أهل الشام . قال نصر و حدثنا عمرو بن شمر عن السدي عن عبد خير قال قاتل هاشم الحارث بن المنذر التنوخي حمل عليه بعد أن أعيأ و كل وقتل بيده فطعنه بالرمح فشق بطنه فسقط و بعث إليه على ع و هو لا يعلم أقدم بلوائك فقال للرسول انظر [صفحه ٣٥] إلى بطني فإذا هو قد انشق فجاء على ع حتى وقف عليه و حوله عصابة من أسلم قد صرعوا معه و قوم من القراء فجزع عليه و قال جزى الله خيرا عصابة أسلمية || صباح الوجوه صرعوا حول هاشم يزيد و سعدان و بشر و معبد || و سفيان و ابنا معبد ذى المكارم و عروة لا يبعد نثاه و ذكره || إذا اخترت يوما خفاف الصوارم قال نصر و حدثنا عمرو بن سعد عن الشعبي عن أبي سلمة أن هاشم بن عتبة استصرخ الناس عند المساء ألا من كان له إلى الله حاجة و من كان يريد الآخرة فليقبل فأقبل إليه ناس كثير شدد بهم على أهل الشام مرارا ليس من وجه يحمل

عليه إلا صبروا له فقاتل قتالا شديدا ثم قال لأصحابه لا يهولنكم ماترون من صبرهم فوالله ماترون منهم إلا حمية العرب وصبرها تحت راياتها وعند مراكزها وإنهم لعلى الضلال وإنكم لعلى الحق يا قوم اصبروا وصابروا واجتمعوا وامشوا بنا إلى عدونا على تؤدة رويدا واذكروا الله ولا يسلمن رجل أخاه ولا تكثروا الالتفات واصمدوا صمدهم وجالدوهم محتسبين حتى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين . قال أبو سلمة فينا هو وعصابة من القراء يجالدون أهل الشام إذ طلع عليهم فتى شاب وهو يقول أنا ابن أرباب ملوك غسان || والدائن اليوم بدين عثمان [صفحته ٣٦] أنبأنا قراؤنا بما كان || أن عليا قتل ابن عفان . ثم شد لايشنى حتى يضرب بسيفه ثم جعل يلعن عليا ويشتمه ويسهب فى ذمه فقال له هاشم بن عتبة يا هذا إن الكلام بعده الخصام وإن لعنك سيد الأبرار بعده عقاب النار فاتق الله فإنك راجع إلى ربك فيسألك عن هذا الموقف وعن هذا المقال . قال الفتى إذ سألتى ربي قلت قاتلت أهل العراق لأن أصحابهم لا يصلون كما ذكر لي وإنهم لا يصلون وصاحبهم قتل خليفتنا وهم آزره على قتله فقال له هاشم يابنى وما أنت و عثمان إنما قتله أصحاب محمد الذين هم أولى بالنظر فى أمور المسلمين وإن صاحبنا كان أبعد القوم عن دمه وأما قولك إنه لا يصلى فهو أول من صلى مع رسول الله وأول من آمن به وأما قولك إن أصحابه لا يصلون فكل من ترى معه قراء الكتاب لا ينامون الليل تهجدا فاتق الله واخش عقابه ولا يغرك من نفسك الأتقياء الضالون . فقال الفتى يا عبد الله لقد دخل قلبى وجل من كلامك وإنى لأظنك صادقا صالحا وأظننى مخطئا آثما فهل لى من توبه قال نعم ارجع إلى ربك وتب إليه فإنه يقبل التوبه ويعفو عن السيئات ويحب التوابين ويحب المتطهرين فرجع الفتى إلى صفة منكسرا نادما فقال له قوم من أهل الشام خدعك العراقى قال لا ولكن نصحنى العراقى . قال نصر و فى قتل هاشم وعمار تقول امرأة من أهل الشام لاتعدمو قوما أذاقوا ابن ياسر || شعوبا و لم يعطوكم بالخزائم [صفحته ٣٧] فنحن قتلنا اليربى ابن محصن || خطيبكم وابنى بديل و هاشم قال نصر أما اليربى فهو عمرو بن محصن الأنصارى و قدرثاه النجاشى شاعر أهل العراق فقال لنعم فتى الحيين عمرو بن محصن || إذ صارخ الحى المصبح ثوبا إذا الخيل جالت بينها قصد القنا || يثرن عجاجا ساطعا متنصبا لقد فجع الأنصار طرا بسيد || أحمى ثقة فى الصالحات مجربا فى ربا ربح خيرا قد أفدت و جفنة || ملأت و قرن قد تركت مسلبا و يارب خصم قد رددت بغظه || قآب ذليلا بعد أن كان مغضبا و راية مجد قد حملت و غزوه || شهدت إذ النكس الجبان تهيبا حويطا على جل العشيرة ماجدا || و ما كنت فى الأنصار نكسا مؤنبا طويل عماد المجد رحبا فناؤه || خصيبا إذا مارائد الحى أجدبا عظيم رماد النار لم يك فاحشا || و لافشلا يوم النزال مغلبا و كنت ربيعا ينفع الناس سيبه || و سيفا جازا باتك الحد مقضبا فمن يك مسرورا بقتل ابن محصن || فعاش شقيا ثم مات معذبا و غودر منكبا لفيه و وجهه || يعالج رمحا ذا سنان و ثعلبا فإن يقتلوا الحر الكريم ابن محصن || فنحن قتلنا ذا الكلاع و حوشبا [صفحته ٣٨] و إن يقتلوا ابنى بديل و هاشما || فنحن تركنا منكم القرن أعضبا و نحن تركنا حميرا فى صفوفكم || لى الحرب صرعى كالنخيل مشذبا و أفلتنا تحت الأسنه مرثدا || و كان قديما فى الفرار مدربا و نحن تركنا عند مختلف القنا || أحاكم عبيد الله لحما ملحبا بصفين لمارفض عنه رجالكم || و وجه ابن عتاب تركناه ملغبا و طلحة من بعد الزبير و لم ندع || لضبه فى الهيجا عريفا و منكبا و نحن أحطنا بالبعير و أهله || و نحن سقيناكم سماما مقشبا . قال نصر و كان ابن محصن من أعلام أصحاب على ع قتل فى المعركة و جزع على ع لقتله . قال و فى قتل هاشم بن عتبة يقول أبو الطفيل عامر بن وائله الكنانى و هو من الصحابة و قيل إنه آخر من بقى من صحب رسول الله ص و شهد مع على صفين و كان من مخلصى الشيعة يا هاشم الخير جزيت الجنة || قاتلت فى الله عدو السنه و التاركى الحق و أهل الظنه || أعظم بما فزت به من منه صيرنى الدهر كأنى شنه || و سوف تعلق حول قبرى رنه من زوجة و حوبة و كنه . [صفحته ٣٩] قال نصر و الحوبة القرابة يقال لى فى بنى فلان حوبة أى قربى . قال نصر و قال رجل من عذرة من أهل الشام لقد رأيت أمورا كلها عجب || و مارأيت كأيام بصفينا لما غدوا و غدونا كلنا حنق || كما رأيت الجمال الجلة الجونا خيل تجول و أخرى فى أعتها || و آخرون على غيظ يرامونا ثم

ابتذلنا سيوفا في جماجمهم || و مانساقهم من ذاك يجزونا كأنها في أكف القوم لامعة || سلاسل البرق يجدعن العرائنا ثم انصرفنا كأشلاء مقطعة || وكلهم عندقتلاهم يصلونا قال نصر و قال رجل لعدى بن حاتم الطائي و كان من جملة أصحاب على ع يا أباطريف أ لم أسمعك تقول يوم الدار و الله لا تحبقي فيها عناق حولية و قدرأيت ما كان فيها و قد كان فقئت عين عدى و قتل بنوه فقال أما و الله لقد حبقت في قتله العناق والتيس الأعظم . قال نصر و حدثنا عمرو بن شمر قال بعث على ع خيلا ليحبسوا عن معاوية مادته فبعث معاوية الضحاك بن قيس الفهري في خيل إلى تلك الخيل فأزالوها [صفحة ٤٠] وجاءت عيون على ع فأخبروه بما كان فقال لأصحابه ماترون فيما هاهنا فقال بعضهم نرى كذا و قال بعضهم نرى كذا فلما زاد الاختلاف قال على ع اغدوا إلى القتال فغاداهم إلى القتال فانهمزمت صفوف الشام من بين يديه ذلك اليوم حتى فر عتبة بن أبي سفيان عشرين فرسخا عن موضع المعركة فقال النجاشي فيه من قصيدة أولها لقد أمعنت يا عتب الفرار || وأورثك الوغى خزيا و عارا فلايحمد خصاك سوى طمر || إذا أجرته انهمر انهما را و قال كعب بن جعيل و هو شاعر أهل الشام بعدرفع المصاحف يذكر أيام صفين و يحرض معاوية معاوى لا تنهض بغير وثيقة || فإنك بعداليوم بالذل عارف تركتم عبيد الله بالقاع مسندا || يمج نجيعا والعروق نوازف ألا إنما تبكى العيون لفارس || بصفين أجلت خيله و هو واقف ينوء و تعلوه شآبيب من دم || كملاح في جيب القميص اللفائف تبدل من أسماء أسياف وائل || و أى فتى لوأخطأته المتالف ألا إن شر الناس فى الناس كلهم || بنو أسد إنى بما قلت عارف و فرت تميم سعدها وربابها || وخالفت الجعراء فيمن يخالف و قدصبرت حول ابن عم محمد || على الموت شهباء المناكب شارف فما يرحوا حتى رأى الله صبرهم || و حتى أتيت بالأكف المصاحف [صفحة ٤١] و قد تقدم ذكر هذه الآيات بزيادة على ما ذكرناه الآن . قال نصر و هجا كعب بن جعيل عتبة بن أبي سفيان و غيره بالفرار و كان كعب من شيعة معاوية لكنه هجا عتبة تحريضا له فهجاه عتبة جوابا فقال له و سميت كعبا بشر العظام || و كان أبوك يسمى الجعل و إن مكانك من وائل || مكان القراد من است الجمل قال نصر ثم كانت بين الفريقين الوقعة المعروفة بوقعة الخميس حدثنا بهاعمر بن سعد عن سليمان الأعمش عن ابراهيم النخعي قال حدثنا القعقاع بن الأبرد الطهوى قال و الله إنى لواقف قريبا من على ع بصفين يوم وقعة الخميس و قدالتقت مذحج و كانوا فى ميمنة على ع و عك لخم و جذام و الأشعريون و كانوا مستبصرين فى قتال على ع فلقد و الله رأيت ذلك اليوم من قتالهم و سمعت من وقع السيوف على الرءوس و خبط الخيول بحوافرها فى الأرض و فى القتلى ما الجبال تهد و لا الصواعق تصعق بأعظم من هؤلاء فى الصدور من تلك الأصوات و نظرت إلى على ع و هو قائم فدنوت منه فأسمعه يقول لاحول و لا قوة إلا بالله اللهم إليك الشكوى و أنت المستعان ثم نهض حين قام قائم الظهيرة و هو يقول ربنا افتح بيننا و بين قومنا بالحق و أنت خير الفاتحين و حمل على الناس بنفسه و سيفه مجرد بيده فلا- و الله ما حجز بين الناس ذلك اليوم إلا الله رب العالمين فى قريب من ثلث الليل [صفحة ٤٢] الأول و قتلت يومئذ أعلام العرب و كان فى رأس على ع ثلاث ضربات و فى وجهه ضربتان . قال نصر و قد قيل إن عليا ع لم يخرج قط و قتل فى هذا اليوم خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين و قتل من أهل الشام عبد الله بن ذى الكلاع الحميرى فقال معقل بن نهيك بن يساف الأنصارى يالهف نفسى و من يشفى حزازتها || إذ أفلت الفاسق الضليل منطلقا و أفلت الخيل عمرو و هى شاحبة || تحت العجاج تحت الركض والعنقا وافت منية عبد الله إذ لحقت || قب الخيول به أعجز بمن لحقا و أنساب مروان فى الظلماء مستترا || تحت الدجى كلما خاف الردى أرقا . و قال مالك الأشتر نحن قتلنا حوشبا || لما غدا قد أعلمنا و ذا الكلاع قبله || و معبدا إذ أقدمنا أن تقتلونا منا أبا || اليقظان شيخا مسلما فقد قتلنا منكم || سبعين كهلا مجرما أضحوا بصفين و قد || لاقوا نكالا مؤثما و قالت ضبيعة بنت خزيمة بن ثابت ذى الشهادتين ترثى أباهما رحمه الله عين جودى على خزيمة بالدمع || قتيل الأحزاب يوم الفرات قتلوا ذا الشهادتين عتوا || أدرك الله منهم بالترات قتلوه فى فتية غير عزل || يسرعون الركوب فى الدعوات نصرروا السيد الموفق ذا العدل || ودانوا بذاك حتى الممات [صفحة ٤٣] لعن الله معشرا قتلوه ||

ورماهم بالخزى والآفات قال نصر وحدثنا عمر بن سعد عن الأعمش قال كتب معاوية إلى أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري صاحب منزل رسول الله ص و كان سيدا معظما من سادات الأنصار و كان من شيعه على ع كتابا وكتب إلى زياد ابن سميه و كان عاملا لعلي ع على بعض فارس كتابا ثانيا فأما كتابه إلى أبي أيوب فكان سطرًا واحدًا حاجيتك لاتنسى الشياء أباعدرها و لاقاتل بكرها فلم يدر أبوأيوب ما هو قال فأتى به عليا ع فقال يا أمير المؤمنين إن معاوية كهف المنافقين كتب إلى بكتاب لأدرى ما هو قال علي ع فأين الكتاب فدفعه إليه فقرأه و قال نعم هذا مثل ضربه لك يقول لاتنسى الشياء أباعدرها والشياء المرأه البكر ليله افتضاضها لاتنسى بعلمها الذى افترعها أبدا و لاتنسى قاتل بكرها و هو أول ولدها كذلك لأنسى أناقتل عثمان . و أما الكتاب الذى كتبه إلى زياد فإنه كان وعيدا وتهديدا فقال زياد ويلى على معاوية كهف المنافقين وبقية الأحزاب يتهددنى ويتوعدنى وبينى وبينه ابن عم محمد معه سبعون ألفا سيوفهم على عواتقهم يطيعونه فى جميع ما يأمرهم به لايلتفت رجل منهم وراءه حتى يموت أما و الله لوظفر ثم خلص إلى ليجدنى أحمر ضرابا بالسيف . قال نصر أحمر أى مولى فلما ادعاه معاوية عاد عربيا منافيا. [صفحه ٤٤] قال نصر وروى عمرو بن شمر أن معاوية كتب فى أسفل كتابه إلى أبي أيوب أبلغ لديك أباأيوب مألکه || أنا وقومك مثل الذئب والنقد إما قتلتم أمير المؤمنين فلا || ترجوا الهوادة منا آخر الأبد إن الذى نلتموه ظالمين له || أبقت حرازته صدعا على كبدى إنى حلفت يمينا غير كاذبه || لقد قتلتم إماما غير ذى أود لاتحسبوا إننى أنسى مصيبتى || و فى البلاد من الأنصار من أحد قدأبدل الله منكم خير ذى كلع || واليحصيين أهل الخوف والجند إن العراق لنا فقع بقرقره || أوشحمة بزها شاو و لم يكد والشام ينزلها الأبرار بلدتها || أمن وبيضتها عريسة الأسد فلما قرئ الكتاب على على ع قال لشد ماشحذكم معاوية يامعشر الأنصار أجيوا الرجل فقال أبوأيوب يا أمير المؤمنين إنى ماأشاء أن أقول شيئا من الشعر يعيا به الرجال إلاقلته فقال فأنت إذا أنت . فكتب أبوأيوب إلى معاوية أما بعد فإنك كتبت لاتنسى الشياء أباعدرها و لاقاتل بكرها فضربتها مثلا بقتل عثمان و مانحن وقتل عثمان إن الذى تربص بعثمان [صفحه ٤٥] وثبط يزيد بن أسد و أهل الشام عن نصرته لأنت و إن الذين قتلوه لغير الأنصار و كتب فى آخر كتابه لاتوعدنا ابن حرب إننا نفر || لانتبغى ود ذى البغضاء من أحد واسعوا جميعا بنى الأحزاب كلکم || لسنا نريد رضاكم آخر الأبد نحن الذين ضربنا الناس كلهم || حتى استقاموا وكانوا عرضة الأود والعام قصرک منا أن ثبت لنا || ضرب يزيل بين الروح والجسد أما على فأنا لانفارقه || مارفر فى الآل فى الدوية الجرد إما تبدلت منا بعد نصرتنا || دين الرسول أناسا ساكنى الجند لايعرفون أضل الله سعيهم || إلاتباعکم ياراعى النقد فقد بغى الحق هضما شر ذى كلع || واليحصيون طرا بيضة البلد . قال فلما أتى معاوية كتاب أبي أيوب كسره . قال نصر و حدثنا عمرو بن شمر قال حدثنى مجالد عن الشعبي عن زياد بن النصر الحارثى قال شهدت مع على ع صفين فاقتلنا مرة ثلاثة أيام و ثلاث ليال حتى تكسرت الرماح ونفدت السهام ثم صرنا إلى المسايقة فاجتلدنا بها إلى نصف الليل حتى صرنا نحن و أهل الشام فى اليوم الثالث يعانق بعضنا بعضا ولقد قاتلت ليلتئذ بجميع السلاح فلم يبق شىء من السلاح إلاقاتلت به حتى تحاثنا [صفحه ٤٦] بالتراب وتكادنا بالأفواه حتى صرنا قياما ينظر بعضنا إلى بعض مايستطيع أحد من الفريقين أن ينهض إلى صاحبه و لا يقاتل فلما كان نصف الليل من الليلة الثالثة انحاز معاوية وخيله من الصف وغلب على ع على القتلى فلما أصبح أقبل على أصحابه يدفهم و قدقتل كثير منهم وقتل من أصحاب معاوية أكثر وقتل فيهم تلك الليلة شمر بن أبرهه . قال نصر و حدثنا عمرو عن جابن عن تميم قال و الله إنى لمع على ع إذ أتاه علقمة بن زهير الأنصارى فقال يا أمير المؤمنين إن عمرو بن العاص يرتجز فى الصف بشعر أفأسمعك قال نعم قال إنه يقول إذاتخازرت و ماى من خزر || ثم كسرت العين من غير عور ألفتنى ألوى بعيد المستمر || ذا صولة فى المصمئلات الكبر أحمل ما حملت من خير و شر || كالحية الصماء فى أصل الحجر فقال على اللهم العنه فإن رسولك لعنه قال علقمة وإنه يا أمير المؤمنين يرتجز برجز آخر فأشددك قال قل فقال أنا الغلام القرشى المؤتمن || الماجد الأبلج ليث

كالشطن ترضى بي الشام إلى أرض عدن || ياقادة الكوفة يا أهل الفتن [صفحة ٤٧] أضربكم ولا أرى أبا حسن || كفى بهذا حزنا من الحزن فضحك على ع و قال إنه لكاذب وإنه بمكاني لعالم كما قال العربي غير الوهي ترقعين و أنت مبصرة ويحكم أروني مكانه لله أبوكم وخلاكم ذم و قال محمد بن عمرو بن العاص لوشهدت جمل مقامي ومشهدى || بصفين يوما شاب منها الذوائب غداة غدا أهلى العراق كأنهم || من البحر موج لجه متراكب وجئناهم نمشى صفوفا كأننا || سحاب خريف صففته الجنائب فطارت إلينا بالرماح كقاتهم || وطرنا إليهم والسيوف ٠١-قواضب فدارت رحانا واستدارت رحاهم || سراة نهار ماتولى المناكب إذا قلت يوما قدونوا برزت لنا || كتائب منهم واحجت كتائب وقالوا نرى من رأينا أن تبايعوا || عليا فقلنا بل نرى أن نضاربا فأبنا وقد أردوا سراة رجالنا || وليس لمالاقوا سوى الله حاسب فلم أر يوما كان أكثر باكيا || ولا عارضا منهم كمي يكال كآن تلالؤ البيض فينا وفيهم || تلالؤ برق فى تهامة ثاقب . [صفحة ٤٨] و قال النجاشى يذكر عليا و جده فى الأمر إنى إخال عليا غير مرتدع || حتى تقام حقوق الله والحرم أ ماترى النقع معصوبا بلمته || كأنه الصقر فى عرينه شمم غضبان يحرق ناييه على حق || كما يغط الفنيق المصعب القطم حتى يزيل ابن حرب عن إمارته || كما تنكب تيس الحبله الحلم قال نصر و حدثنا عمر بن سعد عن الشعبي قال بلغ النجاشى أن معاوية تهدده فقال يا أيها الرجل المبدى عداوته || روى لنفسك أى الأمر تأتمر لا تحسبني كأقوام ملكتهم || طوع الأعنه لماترشح الغدر و ما علمت بما أضمرت من حق || حتى أتتني به الركبان والنذر إذ انفتت على الأنجاد مجدهم || فابسط يديك فإن الخير مبتدر واعلم بأن على الخير من نفر || شم العرائن لا يعلوهم بشر لا يجحد الحاسد الغضبان فضلهم || مادام بالحزن من صمائها حجر نعم الفتى أنت إلا- أن بينكما || كما تفاضل ضوء الشمس والقمر [صفحة ٤٩] و لا إخالك إلا لست منتها || حتى يمسك من أظفاره ظفر لا تحمدن امرأ حتى تجربه || و لا تدمن من لم يبله الخبر إنى امرؤ قلما أثنى على أحد || حتى أرى بعض ما يأتى و ما يذر و إن طوى معشر عنى عداوتهم || فى الصدر أو كان فى أبصارهم خزر أجمعت عزما جراميزى بقافية || لا يبرح الدهر منها فيهم أثر . قال فلما بلغ معاوية هذا الشعر قال ما أراه إلا قدقارب . قال نصر و حدثنا عمر بن سعد عن محمد بن إسحاق أن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب كان يحمل على الخيل يوما فجاءه رجل فقال هل من فرس يا ابن ذى الجناحين قال تلك الخيل فخذ أيتها شئت فلما ولى قال ابن جعفر إن تصب أفضل الخيل تقتل فما عتم أن أخذ أفضل الخيل فركبه ثم حمل على فارس قد كان دعاه إلى البراز فقتله الشامى وحمل غلامان آخران من أهل العراق حتى انتهيا إلى سرادق معاوية فقتلا عنده وأقبلت الكتائب بعضها نحو بعض فاقتلت قياما فى الركب لا يسمع السامع إلا وقع السيوف على البيض والدرق . و قال عمرو بن العاص أجتتم إلينا تسفكون دماءنا || و مارتم وعر من الأمر أعسر لعمرى لما فيه يكون حجاجنا || إلى الله أدهى لو عقلتكم وأنكر تعاورتم ضربا بكل مهند || إذ اشد وردان تقدم قنبر كتائبكم طورا تشد وتارة || كتائبنا فيها القنا والسنور [صفحة ٥٠] إذا ما التقوا يوما تدارك بينهم || طعان وموت فى المعارك أحمر و قال رجل من كلب مع معاوية يهجو أهل العراق ويوبخهم لقد ضلت معاشر من نزار || إذا انقادوا لمثل أبى تراب وإنهم وبيعتهم عليا || كواشمة التغضن بالخضاب تزين من سفاهتها يديها || وتحسر باليدين عن النقاب فإياكم وداهية نثودا || تسير إليكم تحت العقاب إذا ساروا سمعت لحافيتهم || دويا مثل تصفيق السحاب يجيبون الصريخ إذا دعاهم || و قد طعن الفوارس بالحراب عليهم كل سابعة دلاص || وأبيض صارم مثل الشهاب و قال أبو حية بن غزية الأنصارى و هو الذى عقر الجمل يوم البصرة واسمه عمرو سائل حليمة معبد عن بعلها || وحليمة اللخمى و ابن كلامع و أسأل عبيد الله عن فرساننا || لما ثوى متجدلا بالقاع و أسأل معاوية المولى هاربا || والخليل تمعج وهى جد سراع ماذا يخبرك المخبر منهم || عنهم و عنا عند كل وقاع إن يصدقوك يخبروك بأننا || أهل الندى قدما مجيبو الداعى [صفحة ٥١] إن يصدقوك يخبروك بأننا || نحى الحقيقة كل يوم مصاع ندعو إلى التقوى ونرعى أهلها || برعاية المأمون لا المضيع ونسن للأعداء كل مثقف || لدن و كل مشطب قطاع . و قال عدى

بن حاتم الطائي أقول لما أن رأيت المعمعه || واجتمع الجندان وسط البلقع هذا على والهدى حقا معه || يارب فاحفظه و
لاتضيعة فإنه يخشاك رب فارفعه || و من أراد عيبه فضعضه أو كاده بالبغى منك فاقمعه و قال النعمان بن جعلان الأنصاري
سائل بصفين عنا عندغدوتنا || أم كيف كنا إلى العلياء نبتدر وسل غداة لفينا الأزد قاطبه || يوم البصرة لما استجمعت مضر لو
لاالإله وعفو من أبي حسن || عنهم و مازال منه العفو ينتظر لماتداعت لهم بالمصر داعية || إلا الكلاب و إلا الشاء والحرمر كم
مقعص قد تركناه بمقفرة || تعوى السباع عليه و هو منعفر ما إن يثوب و لا ترجوه أسرته || إلى القيامة حتى ينفخ الصور قال
عمرو بن الحمق الخزاعي [صفحہ ۵۲] تقول عرسي لما أن رأته أرقى || ماذا يهيجك من أصحاب صفينا ألت في عصبه
يهدى الإله بهم || لا يظلمون و لا بغيا يريدونا فقلت إنى على ما كان من رشد || أخشى عواقب أمر سوف يأتينا إداله القوم فى
أمر يراد بنا || فأقنى حياء وكفى ماتقولينا . و قال حجر بن عدى الكندى ياربنا سلم لنا عليا || سلم لنا المهذب التقي المؤمن
المسترشد الرضيا || واجعله هادى أمه مهديا واحفظه رب حفظك النبيا || لاخطل الرأى و لاغبيا فإنه كان لنا وليا || ثم ارتضيه
بعده وصيا . قال نصر و حدثنا عمر بن سعد عن الشعبي قال قال الأحنف بن قيس فى صفين لأصحابه هلكت العرب قالوا له و إن
غلبنا يا أبابحر قال نعم قالوا و إن غلبنا قال نعم قالوا و الله ماجعلت لنا مخرجا فقال الأحنف إنا إن غلبناهم لم نترك بالشام رئيسا
إلاضربنا عنقه و إن غلبونا لم يعرج بعدها رئيس عن معصية الله أبدا. قال نصر و حدثنا عمر بن سعد عن الشعبي قال ذكر معاوية
يوما صفين بعدعام الجماعة و تسليم الحسن ع الأمر إليه فقال للوليد بن عقبه أى بنى عمك [صفحہ ۵۳] كان أفضل يوم صفين
ياوليد عندوقدان الحرب واستشاة لظاها حين قاتلت الرجال على الأحساب قال كلهم قدوصل كنفيا عندانتشار وقعته حتى
ابتلت أثباج الرجال من الجريال بكل لدن عسال وبكل غضب قصال فقال عبدالرحمن بن خالد بن الوليد أما و الله لقد رأيتنا يوما
من الأيام و قدغشينا ثعبان فى مثل الطود الأرعن قدأثار قسطلا حال بيننا و بين الأفق و هو على أدهم سائل الغرة يعنى عليا ع
يضر بهم بسيفه ضرب غرائب الإبل كاشرا عن نابه كشر المخدر الحرب فقال معاوية نعم إنه كان يقاتل عن تره له و عليه . قال
نصر و حدثنا عمر بن سعد عن الشعبي قال أرسل على ع إلى معاوية أن ابرز إلى واعف الفريقين من القتال فأينا قتل صاحبه كان
الأمر له فقال عمرو لقد أنصفك الرجل فقال معاوية أناأبرز الشجاع الأخرق أظنك ياعمر و طمعت فيها فلما لم يجب قال على ع
وا نفساه أيطاع معاوية و أعصى ماقاتلت أمه قط أهل بيت نبيا و هى مقره بنبيها غير هذه الأمة ثم إن عليا ع أمر الناس أن يحملوا
على أهل الشام فحملوا فنقضوا صفوف الشام فقال عمرو على من هذاالرهج الساطع قالوا على ابنيك عبد الله و محمد فقال عمرو
ياوردان قدم لوائى فأرسل إليه معاوية أنه ليس على ابنيك بأس فلا تنقض الصف والزم موقفك فقال عمرو هيهات هيهات .
الليث يحمى شبليه || ماخيره بعدابنيه ثم تقدم باللواء فأدركه رسول معاوية فقال إنه ليس على ابنيك بأس فلا تحملن [صفحہ
۵۴] فقال قل له إنك لم تلدهما وإنى أناولدتهم وبلغ مقدم الصفوف فقال له الناس مكانك إنه لا بأس على ابنيك إنهما فى
مكان حريز فقال أسمعونى أصواتهما حتى أعلم أحيان هما أم قتيلان ونادى ياوردان قدم لواءك قيد قوس فقدم لواءه فأرسل
على ع إلى أهل الكوفة أن احملا و إلى أهل البصرة أن احملا فحمل الناس من كل جانب فاقتلوا قتالا شديدا وخرج رجل من
أهل الشام فقال من يبارز فبرز إليه رجل من أهل العراق فاقتلا ساعة و ضرب العراقى الشامى على رجله فاسقط قدمه فقاتل و لم
يسقط إلى الأرض فضربه العراقى أخرى فاسقط يده فرمى الشامى سيفه إلى أهل الشام و قال دونكم سيفى هذا فاستعينوا به على
قتال عدوكم فاشتره معاوية من أوليائه بعشرة آلاف درهم . قال نصر و حدثنا مالك الجهنى عن زيد بن وهب أن عليا ع مر على
جماعة من أهل الشام بصفين منهم الوليد بن عقبه و هم يشتمونه و يقصبونه فأخبر بذلك فوقف على ناس من أصحابه و قال
انههدوا إليهم و عليكم السكينة والوقار و سيما الصالحين أقرب بقوم من الجهل قائدهم ومؤدبهم معاوية و ابن النابغة و أبو الأعور
السلمى و ابن أبى معيط شارب الحرام والمحدود فى الإسلام و هم أولاء يقصبونى ويشتمونى و قبل اليوم ماقاتلونى و شتمونى و

أنا إذ ذاك ادعوهم إلى الإسلام وهم يدعونني إلى عبادة الأصنام فالحمد لله ولا إله إلا الله لقد بما عاداني الفاسقون إن هذال هو الخطب الجلل إن فاسقا كانوا عندنا غير مرضيين و على الإسلام [صفحہ ۵۵] وأهله متخوفين أصبحوا وقد خدعوا شطر هذه الأمة وأشربوا في قلوبهم حب الفتنة واستمالوا أهواءهم بالإفك والبهتان ونصبوا لنا الحرب وجدوا في إطفاء نور الله و الله متم نوره و لو كره الكافرون اللهم فإنهم قدردوا الحق فافضض جمعهم وشتت كلمتهم وأبلسهم بخطاياهم فإنه لا يذل من البيت و لا يعز من عاديت . قال نصر و كان على ع إذا أراد الحملة هلل و كبر ثم قال من أي يومى من الموت أفر || أ يوم لم يقدر أو يوم قدر فجعل معاوية لواءه الأعظم مع عبدالرحمن بن خالد بن الوليد فأمر على ع جاريه بن قدامة السعدى أن يلقاه بأصحابه وأقبل عمرو بن العاص بعده فى خيل ومعه لواء ثان فتقدم حتى خالط صفوف العراق فقال على ع لابنه محمدا مش نحو هذا اللواء رويدا حتى إذا شرعت الرماح فى صدورهم فأمسك يدك حتى يأتيك أمرى ففعل و قد كان أعد على ع مثلهم مع الأشر فلما أشرع محمدا الرماح فى صدور القوم أمر على ع الأشر أن يحمل فحمل فأزالهم عن مواقفهم وأصاب منهم رجالا واقتل الناس قتالا شديدا فما صلى من أراد الصلاة لإيماء فقال النجاشى فى ذلك اليوم يذكر الأشر و لمارأينا اللواء العقاب || يقحمه الشانى الأخرز كليث العرين خلال العجاج || وأقبل فى خيله الأبر دعونا لها الكبش كبش العراق || و قد أضم الفشل العسكر فرد اللواء على عقبه || وفاز بحظوتها الأشر [صفحہ ۵۶] كما كان يفعل فى مثلها || إذ اناب معصوب منكر فإن يدفع الله عن نفسه || فحظ العراق به الأوفر إذا الأشر الخير خلى العراق || فقد ذهب العرف والمنكر وتلك العراق و من عرفت || كفف عن تضمنه القرقر . قال نصر و حدثنا محمد بن عتبة الكندى قال حدثنى شيخ من حضرموت شهد مع على ع صفين قال كان منا رجل يعرف بهانى بن فهد و كان شجاعا فخرج رجل من أهل الشام يدعو إلى البراز فلم يخرج إليه أحد فقال هانى سبحان الله ما يمنعكم أن يخرج منكم رجل إلى هذافو الله لو لأنى موعوك و أنى أجد ضعفا شديدا لخرجت إليه فما رد أحد عليه فقام وشد عليه سلاحه ليخرج فقال له أصحابه ياسبحان الله أنت موعوك وعكة شديدة فكيف تخرج قال و الله لأخرجن و لو قتلتنى فخرج فلما رآه عرفه و إذا الرجل من قومه من حضرموت يقال له يعمر بن أسد الحضرمى فقال ياهانى ارجع فإنه إن يخرج إلى رجل غيرك أحب إلى فىنى لا أحب قتلك قال هانى سبحان الله ارجع و قد خرجت لا و الله لأقاتلن اليوم حتى أقتل و لأبالي قتلتنى أنت أو غيرك ثم مشى نحوه و قال اللهم فى سبيلك ونصرا لابن عم رسولك واختلفا ضربتين فقتله هانى وشد أصحاب يعمر بن أسد على هانى فشد أصحاب هانى عليهم فاقتلوا وانفروا عن اثنين وثلاثين قتيلًا- ثم إن عليا ع أرسل إلى جميع العسكر أن احملا فحمل الناس كلهم على راياتهم كل منهم [صفحہ ۵۷] يحمل على من يازائه فتجالدوا بالسيوف وعمد الحديد لا يسمع إلا صوت ضرب الهامات كوقع المطارق على السنادين ومرت الصلوات كلها فلم يصل أحد إلا تكبيرا عند مواقيت الصلاة حتى تفانوا ورق الناس وخرج رجل من بين الصفين لا يعلم من هو فقال أيها الناس أخرج فيكم المحلقون فقيل لا فقال إنهم سيخرجون ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر لهم حمه كحمة الحيات ثم غاب الرجل فلم يعلم من هو قال نصر و حدثنا عمرو بن شمر عن السدى قال اختلط أمر الناس تلك الليلة و زال أهل الرايات عن مراكزهم وتفرق أصحاب على ع عنه فأتى ربيعة ليلا فكان فيهم وتعاضم الأمر جدا وأقبل عدى بن حاتم يطلب عليا ع فى موضعه الذى تركه فيه فلم يجده فطاف يطلبه فأصابه بين رماح ربيعة فقال يا أمير المؤمنين أما إذ كنت حيا فالأمر أمم مامشيت إليك إلا على قتيل و ما أبت هذه الوقعة لهم عميدا فقاتل حتى يفتح الله عليك فإن فى الناس بقية بعد وأقبل الأشعث يلهث جزعا فلما رأى عليا ع هلل فكبر و قال يا أمير المؤمنين خيل كخيل ورجال كرجال ولنا الفضل عليهم إلى ساعتنا هذه فعد إلى مكانك الذى كنت فيه فإن الناس إنما يظنونك حيث تركوك وأرسل سعيد بن قيس الهمدانى إلى على ع إنا مشغلون بأمرنا مع القوم وفينا فضل فإن أردت أن نمد أحدا أمددناه فأقبل على ع على ربيعة فقال أنتم درعى ورمحى قال فربيعة تفخر بهذا الكلام إلى اليوم فقال عدى بن حاتم يا أمير

المؤمنين إن قوما أنست بهم وكنت في هذه الجولة [صفحة ٥٨] فيهم لعظيم حقهم و الله إنهم لصبر عندالموت أشداء عندالقتال فدعا على ع بفرس رسول الله ص الذي كان يقال له المرتجز فركبه ثم تقدم أمام الصفوف ثم قال بل البغلة بل البغلة فقدمت له بغلة رسول الله ص وكانت الشهباء فركبها ثم تعصب بعمامة رسول الله ص وكانت سوداء ثم نادى أيها الناس من يشرب نفسه الله يربح إن هذا اليوم له مابعده إن عدوكم قدمسه القرع كما مسكم فانتدبوا لنصرة دين الله فانتدب له ما بين عشرة آلاف إلى اثني عشر ألفا قد وضعوا سيوفهم على عواتقهم فشد بهم على أهل الشام و هو يقول دبوا ديب النمل لاتفوتوا || وأصبحوا في حربكم وبيتوا حتى تنالوا الثأر أو تموتوا || أو لافاني طالما عصيت قد قتلتموا لوجئتنا فجيت || ليس لكم ماشئتم وشيت بل ما يريد المحيبي المميت . وتبعه عدى بن حاتم بلوائه و هو يقول أبعدهمار وبعدهاشم || و ابن بديل فارس الملاحم نرجو البقاء ضل حلم الحالم || لقد عضضنا أمس بالأباهم فالיום لانقرع سن نادم || ليس امرؤ من حتفه بسالم . وحمل وحمل الأشر بعدهما في أهل العراق كافة فلم يبق لأهل الشام صف إلا انتقض وأحمد أهل العراق ما أتوا عليه حتى أفضى الأمر إلى مضرب معاوية و على ع يضرب الناس بسيفه قدما قدما و يقول [صفحة ٥٩] أضربهم و لا أرى معاوية || الأخرز العين العظيم الحاوية هوت به النار أم هاوية فدعا معاوية بفرسه لينجو عليه فلما وضع رجله في الركاب توقف وتلوم قليلا ثم أنشد قول عمرو بن الأظنابة أبت لي عفتي وأبي بلائي || وأخذ الحمد بالثمن الريح وإقدامي على المكروه نفسي || وضربى هامة البطل المشيح وقولى كلما جشأت وجاشت || مكانك تحمدى أو تستريحى لأدفع عن مآثر صالحات || وأحمى بعد عن عرض صحيح بذى شطب كلون الملح صاف || ونفس ماتقر على القبيح ثم قال ياعمر بن العاص اليوم صبر وغدا فخر قال صدقت إنك و ما أنت فيه كقول القائل ماعلتى و أنا جلد نابل || والقوس فيها وتر عنابل تزل عن صفحتها المعابل || الموت حق والحياة باطل فثنى معاوية رجله من الركاب ونزل واستصرخ بعك والأشعريين فوقفوا دونه و جالدوا عنه حتى كره كل من الفريقين صاحبه وتحاجز الناس . [صفحة ٦٠] قال نصر جاء رجل إلى معاوية بعد انقضاء صفتين و خلوص الأمر له فقال يا أمير المؤمنين إن لي عليك حقا قال و ما هو قال حق عظيم قال ويحك ما هو قال أتذكر يوما قدمت فرسك لتفر و قد غشيك أبو تراب والأشتر فلما أردت أن تستوثبه و أنت على ظهره أمسكت بعنانك و قلت لك أين تذهب أنه للؤم بك أن تسمح العرب بنفوسها لك شهرين و لا تسمح لها بنفسك ساعة و أنت ابن ستين و كم عسى أن تعيش في الدنيا بعد هذه السن إذ انجوت فتلومت في نفسك ساعة ثم أنشدت شعرا لا أحفظه ثم نزلت فقال ويحك فإنك لأنت هو و الله ما أكلنى هذا المحل إلا أنت وأمر له بثلاثين ألف درهم . قال نصر و حدثنا عمرو بن شمر عن النخعي عن ابن عباس قال تعرض عمرو بن العاص لعلى ع يوما من أيام صفتين وظن أنه يطمع منه في غرة فيصيبه فحمل عليه على ع فلما كاد أن يخالطه أذرى نفسه عن فرسه ورفع ثوبه وشجر برجله فبدت عورته فصرف ع وجهه عنه وارتث وقام معفرا بالتراب هاربا على رجله معتصما بصفوفه فقال أهل العراق يا أمير المؤمنين أفلت الرجل فقال أتدرون من هو قالوا لا قال فإنه عمرو بن العاص تلقانى بسوءته فصرفت وجهى عنه ورجع عمرو إلى معاوية فقال ما صنعت يا أبا عبد الله فقال لقينى على فصرعى قال احمد الله وعورتك و الله إنى لأظنك لو عرفته لما أقحمت عليه و قال معاوية في ذلك ألا الله من هفوات عمرو || يعاتبني على تركى برازى [صفحة ٦١] فقد لاقى أباحسن عليا || فآب الوائلى مآب خازى فلو لم بيد عورته لطارت || بمهجته قوادم أى بازى فإن تكن المنية أخطأته || فقد غنى بها أهل الحجاز . فغضب عمرو و قال ما أشد تعظيمك عليا أبا تراب فى أمرى هل أنا إلا رجل لقيه ابن عمه فصرعه أفترى السماء لذلك دما قال لا ولكنها معقبة لك خزيا . قال نصر و حدثنا عمر بن سعد قال لما اشتد الأمر وعظم على أهل الشام قال معاوية لأخيه عتبة بن أبى سفيان الق الأشعث فإنه إن رضى رضيت العامة و كان عتبه فصيحاً فخرج فنادى الأشعث فقال الأشعث سلوا من هو المنادى قالوا عتبه بن أبى سفيان قال غلام مترف و لا بد من لقائه فخرج إليه فقال ما عندك يا عتبه فقال أيها الرجل إن معاوية لو كان لاقيا رجلا غير على للقيك إنك رأس أهل العراق وسيد أهل اليمن

وقد سلف من عثمان إليك ماسلف من الصهر والعمل ولست كأصحابك أما الأشر فقتل عثمان و أما عدى فحرض عليه و أما سعيد بن قيس فقلد عليا ديتة و أما شريح و زحر بن قيس فلا يعرفان غير الهوى وإنك حاميت عن أهل العراق تكروما و حاربت أهل الشام حمية و قد بلغنا منك و بلغت منا ما أردت و إنا لاندعوك إلى ترك علي و نصره معاوية و لكننا ندعوك إلى البقية التي فيها صلاحك و صلاحنا فتكلم الأشعث فقال يا عتبة أما قولك إن معاوية لا يلقي إلا عليا [صفحة ٦٢] فلو لقيني و الله لم أعظم عنى و لا صغرت عنه و إن أحب أن أجمع بينه و بين علي فعلت و أما قولك إنى رأس أهل العراق و سيد أهل اليمن فإن الرأس المتبع و السيد المطاع هو علي بن أبي طالب و أما ماسلف من عثمان إلى فو الله ما زادنى صهره شرفا و لاعمله عزا و أما عبيك أصحابي فإنه لا يقربك منى و لا يباعدى عنهم و أما محاماتى عن أهل العراق فمن نزل بيتا حماه و أما البقية فلستم بأحوج إليها منا و سترى رأينا فيها. فلما عاد عتبة إلى معاوية و أبلغه قوله قال له لا تلقه بعدها فإن الرجل عظيم عند نفسه و إن كان قد جنح للسلم و شاع فى أهل العراق ما قاله عتبة للأشعث و مارده الأشعث عليه فقال النجاشى يمدح يا ابن قيس و حارث و يزيد || أنت و الله رأس أهل العراق أنت و الله حية تنفث السم || قليل منها غناء الراقى أنت كالشمس و الرجال نجوم || لا يرى ضوءها مع الإشراق قد حميت العراق بالأسل السمر || و بالبيض كالبروق الرقاق و سمرت القتال فى الشام بالبيض || المواضى و بالرماح الدقاق لا ترى غير أذرع و أكف || و رءوس بهامها أفلاق كلما قلت قد تصرمت الهييجا || سقيتهم بكأس دهاق قد قضيت الذى عليك من الحق || و سارت به القلاص المناقى أنت حلو لمن تقرب بالود || وللشائين مر المذاق بسما ظنه ابن هند و من مثلك || فى الناس عند ضيق الخناق [صفحة ٦٣] قال نصر فقال معاوية لما يئس من جهة الأشعث لعمر بن العاص إن رأس الناس بعد علي هو عبد الله بن العباس فلو كتبت إليه كتابا لعلك ترققه و لعله لو قال شيئا لم يخرج على منه و قد أكلتنا الحرب و لأرانا نصل إلى العراق إلا بهلاك أهل الشام فقال عمرو إن ابن عباس لا يخذع و لو طمعت فيه لطمعت فى علي قال معاوية على ذلك فاكتب فكتب عمرو إليه أما بعد فإن الذى نحن فيه و أنتم ليس بأول أمر قاده البلاء و أنت رأس هذا الجمع بعد علي فانظر فيما بقى و دع مامضى فو الله ما أبقت هذه الحرب لنا و لالكم حياة و لا صبرا فاعلم أن الشام لا تهلك إلا بهلاك العراق و أن العراق لا تهلك إلا بهلاك الشام فما خيرنا بعد هلاك أعدادنا منكم و ما خيركم بعد هلاك أعدادكم منا و لسنا نقول ليت الحرب عادت و لكننا نقول ليتها لم تكن و إن فينا من يكره اللقاء كما أن فيكم من يكرهه و إنما هو أمير مطاع و مأمور مطيع أو مؤتمن مشاور و هو أنت فأما الأشر الغليظ الطبع القاسى القلب فليس بأهل أن يدعى فى الشورى و لا فى خواص أهل النجوى و كتب فى أسفل الكتاب طال البلاء و ما يرجى له آسى || بعد الإله سوى رفق ابن عباس قولاً له قول من يرجو مودته || لا تنس حظك إن الخاسر الناسى انظر فدى لك نفسى قبل قاصمته || للظهر ليس لها راق و لا آس إن العراق و أهل الشام لن يجدوا || طعم الحياة مع المستغلق القاسى يا ابن الذى زمزم سقيا الحجيج له || أعظم بذلك من فخر على الناس إنى أرى الخير فى سلم الشام لكم || و الله يعلم ما بالسلم من بأس فيها التقى و أمور ليس يجهلها || إلا الجهول و مانوكى كأكياس . [صفحة ٦٤] فلما وصل الكتاب إلى ابن عباس عرضه على أمير المؤمنين ع فضحك و قال قاتل الله ابن العاص ما أغراه بك يا عبد الله أجه و ليرد إليه شعره الفضل بن العباس فإنه شاعر فكتب ابن عباس إلى عمرو أما بعد فإنى لا أعلم أحدا من العرب أقل حياء منك إنه مال بك معاوية إلى الهوى فبعته دينك بالثمن اليسير ثم خبطت الناس فى عشوة طمعا فى الدنيا فأعظمتها إعظام أهل الدنيا ثم تزعم أنك تتزهر عنها تنزه أهل الورع فإن كنت صادقا فارجع إلى بيتك و دع الطمع فى مصر و الركون إلى الدنيا الفانية و اعلم أن هذه الحرب مامعاوية فيها كعلى بدأها على بالحق و انتهى فيها إلى العذر و بدأها معاوية بالبغي و انتهى فيها إلى السرف و ليس أهل العراق فيها كأهل الشام بايع أهل العراق عليا و هو خير منهم و بايع أهل الشام معاوية و هم خير منه و لست أنا و أنت فيها سواء أردت الله و أردت مصر و قد عرفت الشىء الذى باعدك منى و لا أعرف الشىء الذى قربك من معاوية فإن ترد شرا لانسبقك به و إن ترد خيرا لاتسبقنا إليه و

السلام . ثم دعا أخاه الفضل فقال يا ابن أم أجب عمرا فقال الفضل ياعمر و حسبك من مكر ووسواس || فاذهب فليس لداء الجهل من آس إلا-تواتر طعن في نحوركم || يشجى النفوس ويشفى نخوة الرأس أما على فإن الله فضله || بفضل ذى شرف عال على الناس إن تعقلوا الحرب نعقلها مخيسه || أوتبعثوها فإننا غير إنكاس [صفحة ٦٥] قتلى العراق بقتلى الشام ذاهبه || هذابهذا و مابالحق من بأس . ثم عرض الشعر والكتاب على علي ع فقال لأراه يجيبك بعدها أبدا بشيء إن كان يعقل و إن عاد عدت عليه فلما انتهى الكتاب إلى عمرو بن العاص عرضه على معاوية فقال إن قلب ابن عباس وقلب على قلب واحد وكلاهما ولد عبدالمطلب و إن كان قدخشن فلقد لان و إن كان قدتعظم أوعظم صاحبه فلقد قارب و جنح إلى السلم . قال نصر و قال معاوية لأكتبن إلى ابن عباس كتابا أستعرض فيه عقله وأنظر ما فى نفسه فكتب إليه أما بعد فإنكم معشر بنى هاشم لستم إلى أحد أسرع بالمساءة منكم إلى أنصار ابن عفان حتى أنكم قتلتم طلحة والزبير لطلبهما دمه واستعظامهما مانيل منه فإن كان ذلك منافسة لبنى أمية فى السلطان فقد وليها عدى و تيم فلم تنافسوهم وأظهرتم لهم الطاعة و قدوقع من الأمر ماترى وأكلت هذه الحروب بعضها بعضا حتى استوتينا فيها فما يطمعكم فينا يطمعنا فيكم و ما يؤيسنا منكم يؤيسكم منا ولقد رجونا غير ما كان وخشينا دون ما وقع ولست ملاقينا اليوم بأحد من حد أمس و لاغدا بأحد من حد اليوم و قدقنعنا بما فى أيدينا من ملك الشام فاقنعوا بما فى أيديكم من ملك العراق وأبقوا على قريش فإنما بقى من رجالها ستة رجالان بالشام ورجالان بالعراق ورجالان بالحجاز فأما اللذان بالشام فأنا وعمرو و أما اللذان بالحجاز فسعد و ابن عمر فاثان من الستة ناصبان لك واثان واقفان فيك و أنت رأس هذاالجمع و لوبايح لك الناس بعدعثمان كنا إليك أسرع منا إلى على . فلما وصل الكتاب إلى ابن عباس أسخظه و قال حتى متى يخطب ابن هند إلى عقلى و حتى متى أجمع على ما فى نفسى و كتب إليه أما بعد فقد أتانى كتابك و قرأته فأما ما ذكرت من سرعتنا إليك بالمساءة إلى أنصار ابن عفان و كراهتنا لسلطان بنى أمية فلعمرى لقد أدركت فى عثمان حاجتك حين استنصرك فلم تنصره حتى صرت إلى ماصرت إليه و بينى وبينك فى ذلك ابن عمك وأخو عثمان و هو الوليد بن عقبه و أما طلحة والزبير فإنهما أجلبا عليه و ضيقا خناقه ثم خرجا ينقضان البيعة و يطلبان الملك فقاتلناهما على النكث كما قاتلناك على البغى و أمقولك إنه لم يبق من قريش غير ستة فما أكثر رجالها وأحسن بقيتها و قد قاتلك من خيارها من قاتلك و لم يخذلنا إلا من خذلك و أما إغراؤك إيانا بعدى و تيم فإن أبابكر و عمر خير من عثمان كما أن عثمان خير منك و قدبقى لك منا ما ينسيك ماقبله و تخاف مابعده و أمقولك لوبايح الناس لى لاستقاموا فقد بايع الناس عليا و هو خير منى فلم يستقيموا له و ما أنت والخلافة يامعاوية وإنما أنت طليق و ابن طليق والخلافة للمهاجرين الأولين و ليس الطلقاء منها فى شيء و السلام . فلما وصل الكتاب إلى معاوية قال هذا عملى بنفسى لا أكتب و الله إليه كتابا سنة كاملة و قال [صفحة ٦٧] دعوت ابن عباس إلى جل حظه || و كان امرأ أهدي إليه رسائل فأخلف ظنى والحوادث جمه || و ما زاد أن أغلى عليه مراجلى فقل لابن عباس أراك مخوفا || بجهلك حلمى إننى غير غافل فأبرق وأرعد ما استطعت فإننى || إليك بما يشجيك سبط الأنامل . قال نصر و حدثنا عمر بن سعد قال عقد معاوية يوما من أيام صفين الرئاسة على اليمن من قريش قصد بذلك إكرامهم ورفع منازلهم منهم عبيد الله بن عمر بن الخطاب و محمد و عتبة ابنا أبى سفيان و بسر بن أبى أرطاة و عبدالرحمن بن خالد بن الوليد و ذلك فى الوقعات الأولى من صفين فغم ذلك أهل اليمن وأرادوا ألا يتأمر عليهم أحد إلا منهم فقام إليه رجل من كندة يقال له عبد الله بن الحارث السكونى فقال أيها الأمير إنى قد قلت شيئا فاسمعه وضعه منى على النصيحة قال هات فأنشده معاوى أحييت فينا الإحن || وأحدثت بالشام ما لم يكن عقدت لبسر وأصحابه || و ما الناس حولك إلا اليمن فلا تخلصن بنا غيرنا || كما شيب بالماء صفو اللبن و إلا فدعنا على حالنا || فإننا وإننا إذا لم نهن ستعلم أن جاش بحر العراق || وأبدى نواجذه فى الفتن وشد على بأصحابه || ونفسك إذ ذاك عند الذقن [صفحة ٦٨] بأنا شعارك دون الدثار || و أنا الرماح و

أناالجنن و أناالسيوف و أناالحتوف || و أناالدروع و أناالمجن قال فبكى لها معاويةً ونظر إلى وجوه أهل اليمن فقال أ عن رضاكم يقول ما قال قالوا لامرجبا بما قال إنما الأمر إليك فاصنع ما أحببت فقال معاويةً إنما خلطت بكم أهل ثقتي و من كان لى فهو لكم و من كان لكم فهو لى فرضى القوم وسكتوا فلما بلغ أهل الكوفة مقال عبد الله بن الحارث لمعاويةً فيمن عقد له من رءوس أهل الشام قام الأعور الشنى إلى على ع فقال يا أمير المؤمنين إنا لانقول لك كما قال صاحب أهل الشام لمعاويةً ولكن نقول زاد الله فى سرورك وهداك نظرت بنور الله فقدمت رجالا وأخرت رجالا عليك أن تقول وعلينا أن نفعل أنت الإمام فإن هلكت فهذان من بعدك يعنى حسنا وحسينا ع وقد قلت شيئاً فاسمعه قال هات فأنشده أباحسن أنت شمس النهار || وهذان فى الحادثات القمر و أنت وهذان حتى الممات || بمنزلة السمع بعدالبصر وأنتم أناس لكم سورة || تقصر عنها أكف البشر يخبرنا الناس عن فضلكم || وفضلكم اليوم فوق الخبر عقدت لقوم أولى نجده || من أهل الحياء و أهل الخطر مساميح بالموت عنداللقاء || منا وإخواننا من مضر و من حى ذى يمن جله || يقيمون فى النائبات الصعر فكل يسرك فى قومه || و من قال لافبيه الحجر [صفحه ٦٩] ونحن الفوارس يوم الزبير || وطلحة إذ قيل أودى غدر ضربناهم قبل نصف النهار || إلى الليل حتى قضينا الوطر و لم يأخذ الضرب إلاالرءوس || و لم يأخذ الطعن إلاالثغر فحن أولئك فى أمسنا || ونحن كذلك فيما غير . قال فلم يبق أحد من الرؤساء إلا وأهدى إلى الشنى أوأتحفه . قال نصر و حدثنا عمر بن سعد قال لماتعاضت الأمور على معاويةً قبل قتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب دعا عمرو بن العاص و بسر بن أبى أرطاة و عبيد الله بن عمر بن الخطاب و عبدالرحمن بن خالد بن الوليد فقال لهم إنه قدغمنى مقام رجال من أصحاب على منهم سعيد بن قيس الهمدانى فى قومه والأشتر فى قومه والمرقال وعدى بن حاتم وقيس بن سعد فى الأنصار و قدعلمتم أن يمانيتكم وقتكم بأنفسها أياما كثيرة حتى لقد استحيت لكم وأنتم عدتكم من قريش و أناأحب أن يعلم الناس أنكم أهل غناء و قدعبأت لكل رجل منهم رجلا منكم فاجعلوا ذلك إلى قالوا ذاك إليك قال فأنا أكفيكم غدا سعيد بن قيس و قومه و أنت ياعمر و للمرقال أعور بنى زهرة و أنت يابسر لقيس بن سعيد و أنت ياعبيد الله للأشتر و أنت يا عبدالرحمن لأعور طيء يعنى عدى بن حاتم و قدجعلتها نوبا فى خمسة أيام لكل رجل منكم يوم فكونوا على أعنة الخيل قالوا نعم فأصبح معاويةً فى غده فلم يدع فارسا إلاحشده ثم قصد لهمدان بنفسه وارتجز فقال لن تمنع الحرمة بعدالعام || بين قتيل وجريح دام سأمملك العراق بالشآم || أنعى ابن عفان مدى الأيام . [صفحه ٧٠] فطعن فى أعرض الخيل مليا ثم إن همدان تنادت بشعارها وأقحم سعيد بن قيس فرسه على معاويةً واشتد القتال حتى حجز بينهم الليل فهمدان تذكر أن سعيدا كاد يقتنصه إلا أنه فاته ركضا و قال سعيد فى ذلك يالهف نفسى فاتنى معاويةً || فوق طمر كالعقاب هاويةً والراقصات لايعود ثانيةً قال نصر وانصرف معاويةً ذلك اليوم و لم يصنع شيئاً وغدا عمرو بن العاص فى اليوم الثانى فى حماة الخيل فقصد المرقال و مع المرقال لواء على ع الأعظم فى حماة الناس و كان عمرو من فرسان قريش فارتجز عمرو فقال لاعيش إن لم ألق يوما هاشما || ذاك الذى جشمى المجاشما ذاك الذى يشتم عرضى ظالما || ذاك الذى إن ينج منى سالما يكن شجى حتى الممات لازما فطعن فى أعراض الخيل مزيدا وحمل المرقال عليه وارتجز فقال لاعيش إن لم ألق يوما عمرا || ذاك الذى أحدث فينا الغدرا أوبيدل الله بأمر أمرا || لاتجزعى يانفس صبيرا صبيرا ضربا هذاذيك وطعنا شزرا || ياليت ماتجنى يكون القبرا . [صفحه ٧١] فطاعن عمرا حتى رجع وانصرف الفريقان بعدشدة القتال و لم يسر معاويةً ذلك وغدا بسر بن أبى أرطاة فى اليوم الثالث فى حماة الخيل فلقى قيس بن سعد بن عبادة فى كماء الأنصار فاشتدت الحرب بينهما وبرز قيس كأنه فنيق مكرم و هو يقول أنا ابن سعد زانه عباده || والخزرجيون كماء ساده ليس فرارى فى الوغى بعباده || إن الفرار للفتى قلاده يارب أنت لقنى الشهاده || فالقتل خير من عناق غاده حتى متى تثنى لى الوساده . وطاعن خيل بسر وبرز بسر فارتجز و قال أنا ابن أرطاة العظيم القدر || مردد فى غالب وفهر ليس الفرار من طباع بسر || إن أرجع اليوم بغير وتر و قدقضيت فى العدو نذرى || ياليت

شعري كم بقي من عمري ويطعن بسر قيسا ويضربه قيس بالسيف فرده على عقبيه ورجع القوم جميعا ولقيس الفضل وتقدم عبيد الله بن عمر بن الخطاب في اليوم الرابع لم يترك فارسا مذكورا إلا جمعه واستكثر ما استطاع فقال له معاوية إنك اليوم تلقى أفعى أهل العراق فارق واتئد فلقيه الأشر أمام الخيل مزبدا و كان الأشر إذا أراد القتال أزيد و هو يقول يارب قيض لي سيوف الكفرة || واجعل وفاتي بأكف الفجره فالقتل خير من ثياب الحبره || لاتعدل الدنيا جميعا وبره و لابعوضا في ثواب البره . [صفحہ ٧٢] وشد على الخيل خيل الشام فردها فاستحيا عبيد الله وبرز أمام الخيل و كان فارسا شجاعا و قال أنعى ابن عفان وأرجو ربي || ذاك الذي يخرجني من ذنبي ذاك الذي يكشف عني كربى || أن ابن عفان عظيم الخطب يأبى له حبي بكل قلبى || الإطعاني دونه وضربى حسبي الذي أنويه حسبي فحمل عليه الأشر وطعنه واشتد الأمر وانصرف القوم وللأشر الفضل فغم ذلك معاوية وغدا عبدالرحمن بن خالد في اليوم الخامس و كان رجاء معاوية أن ينال حاجته فقواه بالخيل والسلاح و كان معاوية يعده ولدا فلقبه عدى بن حاتم في كماءه مذحج وقضاعة فبرز عبدالرحمن أمام الخيل و قال قل لعدى ذهب الوعيد || أنا ابن سيف الله لامزيد وخالد يزينه الوليد || ذاك الذي قيل له الوحيد ثم حمل فطعن الناس فقصدته عدى بن حاتم وسدد إليه الرمح و قال أرجو إلهي وأخاف ذنبي || ولست أرجو غير عفو ربي يا ابن الوليد بغضكم في قلبى || كالهضب بل فوق قنان الهضب . فلما كاد أن يخالطه بالرمح تواری عبدالرحمن في العجاج واستتر بأسنة أصحابه واختلط القوم ثم تحاجزوا ورجع عبدالرحمن مقهورا وانكسر معاوية وبلغ أيمن بن خزيم ملقى معاوية وأصحابه فشمت بهم و كان ناسكا من أنسك أهل الشام و كان معتزلا للحرب في ناحية عنها فقال [صفحہ ٧٣] معاوية إن الأمر لله وحده || وإنك لاتستطيع ضرا و لانفعا عبأت رجلا من قريش لعصبه || يمانية لاتستطيع لها دفعا فكيف رأيت الأمر إذ جد جده || لقد زادك الأمر الذي جئته جدعا تعبى لقيس أوعدى بن حاتم || والأشر ياللناس أعمارك الجدعا وتجعل للمرقال عمرا وإنه || لليت لقي من دون غايته ضبعا و إن سعيدا إذ برزت لرمحه || لفارس همدان الذي يشعب الصدعا ملئ بضرب الدارعين بسيفه || إذا الخيل أبدت من سناكبها نقعا رجعت فلم تظفر بشيء تريده || سوى فرس أعيت وأبت بهاظلعا فدعهم فلا و الله لاتستطيعهم || مجاهرة فاعمل لقهرهم خدعا . قال و إن معاوية أظهر لعمرو شماته وجعل يقرعه ويوبخه و قال لقد أنصفتكم إذ لقيت سعيد بن قيس في همدان وفررتم وإنك لجبان ياعمرو فغضب عمرو و قال فهلا- برزت إلى على إذ دعاك إن كنت شجاعا كما تزعم و قال تسير إلى ابن ذى يزن سعيد || وتترك في العجاجة من دعاكا فهل لك في أبي حسن على || لعل الله يمكن من قفاكا دعاك إلى البراز فلم تجبه || و لونازلته تربت يداكا و كنت أصم إذ ناداك عنها || و كان سكوته عنها مناكا فآب الكبش قدطحت رحاه || بنجدته و ما طحت رحاكا فما أنصفت صحكك يا ابن هند || أتفرقه وتغضب من كفاكا فلا و الله ما أضمرت خيرا || و لا أظهرت لي إلهواكا . [صفحہ ٧٤] قال و إن القرشيين استحيوا ما صنعوا و شمت بهم اليمانية من أهل الشام فقال معاوية يامعشر قريش و الله لقد قربكم لقاء القوم إلى الفتح ولكن لامرد لأمر الله و مم تستحيون إنما لقيتم كباش العراق فقتلتم منهم وقتلوا منكم و مالكم على من حجة لقد عبأت نفسي لسيدهم وشجاعهم سعيد بن قيس فانقطعوا عن معاوية أياما فقال معاوية في ذلك لعمري لقد أنصفت والنصف عادتى || وعائين طعنا في العجاج المعائين و لو لارجائى أن تتوبوا بنهزة || و أن تغسلوا عارا وعته الكنائن لناديت للهيجا رجلا سواكم || ولكنما تحمى الملوكة البطائن أتدرون من لاقيتهم فل جيشكم || لقيتم ليوثا أصحرتها العرائن لقيتم صنديد العراق و من بهم || إذا جاشت الهيجا تحمى الطعائن و ما كان منكم فارس دون فارس || ولكنه ما قدر الله كائن . فلما سمع القوم ما قاله معاوية أتوه فاعتذروا إليه واستقاموا إليه على ما يحب . قال نصر و حدثنا عمرو بن شمر قال لما اشتد القتال وعظم الخطب أرسل معاوية إلى عمرو بن العاص إن قدم عكا والأشعريين إلى من يازائهم فبعث عمرو إليه أن يازاء عك همدان فبعث إليه معاوية أن قدم عكا فأتاهم عمرو فقال يامعشر عك إن عليا قد عرف أنكم حى أهل الشام فعبأ لكم حى أهل العراق همدان [صفحہ ٧٥] فاصبروا

وهبوا إلى جماجمكم ساعة من النهار فقد بلغ الحق مقطعه فقال ابن مسروق العكي أمهلني حتى آتى معاوية فأتاه فقال يا معاوية اجعل لنا فريضة ألقى رجل في ألفين ألفين و من هلك فابن عمه مكانه لنقر اليوم عينك فقال لك ذلك فرجع ابن مسروق إلى أصحابه فأخبرهم الخبر فقالت عك نحن لهمدان ثم تقدمت عك ونادى سعيد بن قيس يا همدان إن تقدموا فشدت همدان على عك رجالة فأخذت السيوف أرجل عك فنادى ابن مسروق يالعك بركا كبرك الكمل فبركوا تحت الحجف فشجرتهم همدان بالرمح وتقدم شيخ من همدان وهو يقول يالبيكيل لخمها وحاشد || نفسى فداكم طاعنوا و جالدوا حتى تخر منكم القماحد || وأرجل يتبعها سواعد بذاك أوصى جدكم والوالد . وقام رجل من عك فارتجز فقال تدعون همدان وندعو عكا || بكوا الرجال يالعك بكا إن خدم القوم فبركا بركا || لا تدخلوا اليوم عليكم شكاً قدمحك القوم فزيدوا محكا . [صفحہ ۷۶] قال فالتقى القوم جميعا بالرمح و صاروا إلى السيوف و تجالدوا حتى أدر كههم الليل فقالت همدان يا معشر عك نحن نقسم بالله أننا لا ننصرف حتى تنصرفوا وقالت عك مثل ذلك فأرسل معاوية إلى عك أن أبروا قسم إخوتكم و هلموا فانصرفت عك فلما انصرفت انصرفت همدان فقال عمرو يا معاوية و الله لقد لقيت أسد أسدا لم أر و الله كهذا اليوم قط لو أن معك حيا كعك أو مع على حى كهمدان لكان الفناء و قال عمرو فى ذلك إن عكا وحاشدا وبكيلا || كأسود الضراء لاقت أسودا وجتا القوم بالقنا و تساقوا || بظباء السيوف موتا عتيدا ازورار المناكب الغلب بالشم || وضرب المسمومين الخدودا ليس يدرون ما للفرار و لو كان || فرارا لكان ذاك سديدا يعلم الله مارأيت من القوم || ازورارا و لارأيت صدودا غير ضرب فوق الطلى و على الهام || و قرع الحديد يعلو الحديد و لقد قال قائل خدموا السوق || فخرت هناك عك قعودا كبروك الجمال أثقلها الحمل || فما تستقل إلا وئيدا قال و لما اشترطت علك و الأشعريون على معاوية ما اشترطوا من الفريضة و العطاء فأعطاهم لم يبق من أهل العراق أحد فى قلبه مرض إلا طمع فى معاوية و شخص ببصره إليه حتى فشا ذلك فى الناس و بلغ عليا ع فساءه . [صفحہ ۷۷] قال نصر و جاء عدى بن حاتم يلتمس عليا ما يبطأ إلا على قتيل أو قدم أو ساعد فوجده تحت رايات بكر بن وائل فقال يا أمير المؤمنين أ لا تقوم حتى نقاتل إلى أن نموت فقال له على ع ادن فدنا حتى وضع أذنه عند أنفه فقال ويحك إن عامه من معى اليوم يعصينى و إن معاوية فيمن يطيعه و لا يعصيه قال نصر و جاء المنذر بن أبى حميصه الوادعى و كان شاعر همدان و فارسها عليا فقال يا أمير المؤمنين إن عكا و الأشعريين طلبوا إلى معاوية الفرائض و العطاء فأعطاهم فباعوا الدين بالدنيا و إنا قدر ضينا بالآخرة من الدنيا و بالعراق من الشام و بك من معاوية و الله لآخرتنا خير من دنياهم و لعراقنا خير من شامهم و لإمامنا أهدى من إمامهم فاستفتحنا بالحرب و ثق منا بالنصر و احملنا على الموت و أنشده إن عكا سألوا الفرائض و الأشعر || سألوا جوائز بشية تركوا الدين للعطاء و للفرض || فكانوا بذاك شر البريه و سألنا حسن الثواب من الله || و صبوا على الجهاد و نيه فلكل ماسأله و نواه || كلنا يحسب الخلاف خطيه و لأهل العراق أحسن فى الحرب || إذا ماتدانت السمهريه و لأهل العراق أحمل للثقل || إذ اعتمت البلاد بليه ليس منا من لم يكن فى الله || و ليا إذا الولاء و الوصيه فقال على ع حسبك الله يرحمك الله و أثنى عليه و على قومه خيرا و انتهى شعره إلى معاوية فقال و الله لأستميلن بالدنيا ثقات على و لأقسمن فيهم الأموال حتى تغلب دنياى آخرته . قال نصر فلما أصبح الناس غدوا على مصافهم و أصبح معاوية يدور فى أحياء اليمن و قال عبوا إلى كل فارس مذكور فيكم أتقوى به على هذا الحى من همدان [صفحہ ۷۸] فخرجت خيل عظيمة فلما رآها على ع و عرف أنها عيون الرجال فنادى يا لهمدان فأجابه سعيد بن قيس فقال له على ع احمل فحمل حتى خالط الخيل بالخيل و اشتد القتال و حطمتهم همدان حتى ألحقتهم بمعاوية فقال معاوية مالقيت من همدان و جزع جزعا شديدا و أسرع القتل فى فرسان الشام و جمع على ع همدان فقال لهم يا معشر همدان أنتم درعى و رمحى و مجنى يا همدان مانصرتم إلا الله و لا أجبتهم غيره فقال سعيد بن قيس أجبنا الله و أجبناك و نصرنا رسول الله فى قبره و قاتلنا معك من ليس مثلك فارمنا حيث شئت . قال نصر و فى هذا اليوم قال على ع -رواية ۱- ۲-رواية ۳- ۴- ۴۱- و لو كنت بوابا على باب

جنه || لقلت لهمدان ادخلى بسلام فقال على ع لصاحب لواء همدان اكفنى أهل حمص فإنى لم ألق من أحد مالقيت منهم -
روايت- ١-٨٥ فتقدم وتقدمت همدان وشدوا شدة واحدة على أهل حمص فضربوهم ضربا شديدا متداركا بالسيوف وعمد
الحديد حتى ألجئوهم إلى قبة معاوية وارتجز من همدان رجل عداة في أرحب فقال قد قتل الله رجال حمص || غروا بقول
كذب وخرص حرصا على المال و أى حرص || قد نكص القوم و أى نكص عن طاعة الله وفحوى النص قال نصر فحدثنا عمر
بن سعد قال لماردت خيول معاوية أسف فجرد سيفه وحمل في كماء أصحابه فحملت عليه فوارس همدان ففاز منها ركضا
وانكسرت كمامته ورجعت همدان إلى مراكزها فقال حجر بن قحطان الهمداني يخاطب سعيد بن قيس [صفحه ٧٩] ألا ابن قيس
قرت العين إذارات || فوارس همدان بن زيد بن مالك على عارفات للقاء عوابس || طوال الهوادي مشرفات الحوارك معودة
للطعن فى ثغراتها || يجلن فيحطمن الحصى بالسنايك عباها على لابن هند وخيله || فلو لم يفتها كان أول هالك و كانت له فى
يومه عندظنه || و فى كل يوم كاسف الشمس حالك و كانت بحمد الله فى كل كربة || حصونا وعزا للرجال الصعالك فقل
لأمير المؤمنين أن ادعنا || متى شئت إنا عرضة للمهالك ونحن حطنا السمر فى حى حمير || و كنده والحي الخفاف
السكاسك وعك ولخم شائلين سياطهم || حذار العوالى كالإماء العوارك . قال نصر و حدثنا عمر بن سعد عن رجاله أن معاوية
دعا يوما بصفين مروان بن الحكم فقال له إن الأشتر قد غمى وأقلنى فاخرج بهذه الخيل فى يحصب والكلاعين فالقه فقال
مروان ادعنا لهما عمرا فإنه شعارك دون دثارك قال فأنت نفسى دون وريدى قال لو كنت كذلك ألحقتنى به فى العطاء وألحقته
بى فى الحرمان ولكنك أعطيت ما فى يدك ومنيته ما فى يد غيرك فإن غلبت طاب له المقام و إن غلبت خف عليه الهرب فقال
معاوية سيغنى الله عنك قال أما إلى اليوم فلم يغن فدعا معاوية عمرا فأمره بالخروج إلى الأشتر فقال أما إنى لأقول لك ما قال
مروان قال وكيف نقوله و قد قدمتك وأخرته وأدخلتكم وأخرجته قال أما والله إن كنت فعلت لقد قدمتنى كافيا وأدخلتنى
ناصحا و قد أكثر القوم عليك فى أمر مصر و إن كان لا يرضيهم [صفحه ٨٠] إلا رجوعك فيما وثقت لى به منها فارجع فيه ثم
قام فخرج فى تلك الخيل فلقه الأشتر أمام القوم و قد علم أنه سيلقاه و هو يرتجز و يقول ياليت شعرى كيف لى بعمرو || ذاك
الذى أوجبت فيه نذرى ذاك الذى أطلبه بوترى || ذاك الذى فيه شفاء صدرى من بائعى يوما بكل عمرى || يعلى به
عند اللقاء قدرى أجعله فيه طعام النسر || أو لافربى عاذرى بعذرى فلما سمع عمرو هذا الرجز فشل وجبن واستحيا أن يرجع وأقبل
نحو الصوت و قال ياليت شعرى كيف لى بمالك || كم كاهل جبته و حارك و فارس قتلته وفاتك || و مقدم أب بوجه حالك
مازلت دهري عرضة المهالك . فغشيه الأشتر بالرمح فراغ عمرو عنه فلم يصنع الرمح شيئا ولوى عمرو عنان فرسه وجعل يده على
وجهه وجعل يرجع راکضا نحو عسكريه فنادى غلام من يحصب ياعمر و عليك العفاء ماهبت الصبا يا آل حمير إنا لكم ما كان
معكم هاتوا اللواء فأخذه وتقدم و كان غلاما حدثا فقال [صفحه ٨١] إن يك عمرو قد علاه الأشتر || بأسمر فيه سنان أزهر
فذاك و الله لعمري مفخر || ياعمر و تكفيك الطعان حمير واليحصى بالطعان أمهر || دون اللواء اليوم موت أحمر فنادى الأشتر
ابنه ابراهيم خذ اللواء فغلام لغلام وتقدم فأخذ ابراهيم اللواء و قال يا أيها السائل عنى لا ترع || أقدم فإنى من عرانيين النخع كيف
ترى طعن العراقى الجذع || أطير فى يوم الوغى و لأفغ ماساء كم سر و ماضر نفع || أعددت ذا اليوم لهول المطلع و يحمل على
الحميرى فالتقاء الحميرى بلوائه و رمحه فلم يبرحا يطعن كل واحد منهما صاحبه حتى سقط الحميرى قتيلا و شمت مروان بعمرو
و غضب القحطانيون على معاوية وقالوا تولى علينا من لا يقاتل معنا ول رجلا منا و إلا فلا حاجة لنا فيك و قال شاعرهم معاوى إما
تدعنا لعظيمه || يلبس من نكرائها الغرض بالحقب فول علينا من يحوط ذمارنا || من الحميريين الملوك على العرب و لا تأمرنا
بالتى لا نريدها || و لا تجعلنا بالهوى موضع الذنب و لا تغضبنا والحوادث جمه || عليك فيفشو اليوم فى يحصب الغضب فإن لنا
حقا عظيما وطاعة || و حبا دخيلا فى المشاش و فى العصب . فقال لهم معاوية و الله لأولى عليكم بعد هذا اليوم إلا رجلا منكم]

صفحة ٨٢] قال نصر و حدثنا عمر بن سعد قال لما أسرع أهل العراق في أهل الشام قال لهم معاوية هذا يوم تمحيص و إن لهذا اليوم مابعده و قد أسرعتم في القوم كما أسرعوا فيكم فاصبروا وموتوا كراما وحرص على أصحابه فقام إليه الأصمغ بن نباتة و قال يا أمير المؤمنين قدمنى في البقية من الناس فإنك لا تفقد لى اليوم صبرا و لانصرا أما أهل الشام فقد أصبنا و أمانحن ففينا بعض البقية ائذن لى فأتقدم فقال له تقدم على اسم الله والبركة فتقدم وأخذ الراية ومضى بها و هو يقول إن الرجاء بالقنوط يدمع || حتى متى يرجو البقاء الأصمغ أ ماترى أحداث دهر تنبع || فادبغ هواك والأديم يدبغ والرفق فيما قدر يد أبلغ || اليوم شغل وغدا لا تفرغ .فما رجع إلى على ع حتى خضب سيفه دما ورمحه و كان شيئا ناسكا عابدا و كان إذلقى القوم بعضهم بعضا يغمد سيفه و كان من ذخائر على ع ممن قدبايعه على الموت و كان على ع يضمن به عن الحرب والقتال . قال نصر و حدثنا عمرو بن شمر عن جابر قال نادى الأشرى يوما أصحابه فقال أ ما من رجل يشرى نفسه لله فخرج أثال بن حجل بن عامر المذحجى فنادى بين العسكرين هل من مبارز فدعا معاوية و هو لا يعرفه أباه حجل بن عامر المذحجى فقال دونك الرجل قال و كان مستبصرين فى رأيهما فبرز كل واحد منهما إلى صاحبه فبدره بطعنه وطعنه الغلام وانتسبا فإذا هواينه فنزلا فاعتق كل [صفحة ٨٣] واحد منهما صاحبه وبكى فقال له الأب يابنى هلم إلى الدنيا فقال له الغلام يا أبى هلم إلى الآخرة ثم قال ياأبت والله لو كان من رأى الانصراف إلى أهل الشام لوجب عليك أن يكون من رأىك لى أن تنهانى وا سواتاه فما ذا أقول لعلى وللمؤمنين الصالحين كن على ما أنت عليه و أنا على ما أنا عليه فانصرف حجل إلى صف الشام وانصرف ابنه أثال إلى أهل العراق فخبى كل واحد منهما أصحابه و قال فى ذلك حجل إن حجل بن عامر وأثالا || أصبحا يضربان فى الأمثال أقبل الفارس المدجج فى النقع || أثال يدعو يريد نزالى دون أهل العراق يخطر كالفحل || على ظهر هيكل ذيال فدعانى له ابن هند و مازال || قليلا فى صحبة أمثالى فتناولته ببادرة الرمح || وأهوى بأسمر عسال فأطعنا وذاك من حدث الدهر || عظيم فتى لشيخ بجال شاجرا بالقناة صدر أبيه || وعزىز على طعن أثال لأبالى حين اعترضت أثالا- || وأثال كذاك ليس يبالى فافترقنا على السلامة والنفس || يقيها مؤخر الآجال لايرانى على الهدى وأراه || من هداى على سبيل ضلال فلما انتهى شعره إلى أهل العراق قال أثال ابنه مجيبا له إن طعنى وسط العجاجة حجلا- || لم يكن فى الذى نويت عقوقا كنت أرجو به الثواب من الله || وكونى مع النبى رفيقا [صفحة ٨٤] لم أزل أنصر العراق على الشام || أرانى بفعل ذاك حقيقا قال أهل العراق إذ عظم الخطب || ونق المبارزون نقيقا من فتى يسلك الطريق إلى الله || فكنت الذى سلكت الطريق حاسر الرأس لأريد سوى الموت || أرى الأعظم الجليل دقيقا فإذا فارس تقحم فى الروع || خدبا مثل السحوق عتيقا فبدانى حجل ببادرة الطعن || و ماكنت قبلها مسبوفا فتلقته بعالية الرمح || كلانا يطاول العيوقا أحمد الله ذا الجلالة والقدرة || حمدا يزيدنى توفيقا إذ كففت السنان عنه و لم أدن || قتيلا منه و لاثغروقا قلت للشيخ لست أكفر نعماك || لطيف الغذاء والتفنيقا غيرأنى أخاف أن تدخل النار || فلا تعصنى وكن لى رفيقا وكذا قال لى فغرب تغريبا || وشرقت راجعا تشريقا . قال نصر و حدثنا عمرو بن شمر بالإسناد المذكور أن معاوية دعا النعمان بن بشير بن سعد الأنصارى ومسلمة بن مخلد الأنصارى و لم يكن معه من الأنصار غيرهما فقال ياهذان لقد غمنى مالقيت من الأوس والخزرج واضعى سيوفهم على عواتقهم يدعون إلى النزال حتى لقد جنبوا أصحابى الشجاع منهم والجبان و حتى و الله ماأسأل عن [صفحة ٨٥] فارس من أهل الشام لإقيل قتله الأنصار أما و الله لألقينهم بحدى و حديدى ولأعيبن لكل فارس منهم فارسا ينشب فى حلقة ولأرمينهم بأعدادهم من قريش رجال لم يغذهم التمر والطفيشل يقولون نحن الأنصار قد و الله آووا ونصروا ولكن أفسدوا حقهم بباطلهم فغضب النعمان و قال يامعاوية لا تلون من الأنصار فى حب الحرب والسرعة نحوها فإنهم كذلك كانوا فى الجاهلية و أمادعاؤهم إلى النزال فقد رأيتهم مع رسول الله ص يفعلون ذلك كثيرا و أمالقاؤك إياهم فى أعدادهم من قريش فقد علمت مالقيت قريش منهم قديما فإن أحببت أن ترى فيهم مثل ذلك آنفا فافعل و أمالتمر والطفيشل

فإن التمر كان لنا فلما ذقتموه شاركتمونا فيه و أما الطفيل فكان لليهود فلما أكلناه غلبناهم عليه كما غلبت قريش على السخينة. ثم تكلم مسلمة بن مخلد فقال يا معاوية إن الأنصار لا تعاب أحسابها ولا نجداتها و أما غمونا و لورضينا مافارقونا و لافارقنا جماعتهم و إن في ذلك ما فيه من مباينة العشيرو و لكننا حملنا ذلك لك و رجونا منك عوضه و أما التمر و الطفيل فإنهما يجران عليك السخينة و الخرنوب . قال و انتهى هذا الكلام إلى الأنصار فجمع قيس بن سعد الأنصار ثم قام فيهم خطيبا فقال إن معاوية قال ما بلغكم و أجابه عنكم صاحبكم و لعمرى إن غظتم [صفحہ ۸۶] معاوية اليوم لقد غظتموه أمس و إن وترتموه في الإسلام فلقد وترتموه في الشرك و مالكم إليه من ذنب أعظم من نصر هذا الدين فجدوا اليوم جدا تنسونه به ما كان أمس و جدوا غدا جدا تنسونه به ما كان اليوم فأنتم مع هذا اللواء الذي كان يقاتل عن يمينه جبريل و عن يساره ميكائيل و القوم مع لواء أبي جهل و الأحزاب فأما التمر فإننا لم نغرسه و لكن غلبنا عليه من غرسه و أما الطفيل فلو كان طعامنا لسمينا به كما سميت قريش بسخينة ثم قال سعد في ذلك يا ابن هند دع التوثب في الحرب || إذ نحن بالجياد سرينا نحن من قد علمت فادن إذ اشتت || بمن شئت في العجاج إلينا إن تشأ فارس له فارس منا || و إن شئت بالليف التقينا أي هذين ما أردت فخذ || ليس منا و ليس منك الهويني ثم لانسلك العجاجة حتى || تنجلي حربنا لنا أو علينا ليت ماتطلب الغداة أتانا || أنعم الله بالشهادة عينا . فلما أتى شعره و كلامه معاوية دعا عمرو بن العاص فقال ماترى في شتم الأنصار قال أرى أن توعدهم و لا تشتمهم ما عسى أن تقول لهم إذ أردت ذمهم فذم أبدانهم و لا تذم أحسابهم فقال إن قيس بن سعد يقوم كل يوم خطيبا و أظنه و الله يفينا غدا إن لم يجسه عنا حابس الفيل فما رأى قال الصبر و التوكل و أرسل [صفحہ ۸۷] إلى رءوس الأنصار مع على فعاتبهم و أمرهم أن يعاتبوه فأرسل معاوية إلى أبي مسعود و البراء بن عازب و خزيمه بن ثابت و الحجاج بن غزيرة و أبي أيوب فعاتبهم فمشوا إلى قيس بن سعد و قالوا له إن معاوية لا يحب الشتم فكف عن شتمه فقال إن مثلي لا يشتم و لكني لا أكف عن حربته حتى ألقى الله قال و تحركت الخيل غدوة فظن قيس أن فيها معاوية فحمل على رجل يشبهه فضربه بالسيف فإذا هو ليس به ثم حمل على آخر يشبهه أيضا فقتعه بالسيف . فلما تحاجز الفريقان شتمه معاوية شتما قبيحا و شتم الأنصار فغضب النعمان و مسلمة فأرضاهما بعد أن هما أن ينصرفا إلى قومهما . ثم إن معاوية سأل النعمان أن يخرج إلى قيس فيعاتبه و يسأله السلم فخرج النعمان فوقف بين الصفيين و نادى يا قيس بن سعد أنا النعمان بن بشير فخرج إليه و قال هيه يا نعمان ما حاجتك قال يا قيس إنه قد أنصفكم من دعاكم إلى مارضى لنفسه يا معشر الأنصار إنكم أخطأتم في خذل عثمان يوم الدار و قتلتم أنصاره يوم الجمل و أقحمتم خيولكم على أهل الشام بصفين فلو كنتم إذ خذلت عثمان خذلت عليا لكانت واحدة بواحدة و لكنكم لم ترضوا أن تكونوا كالناس حتى أعلمتم في الحرب و دعوتهم [صفحہ ۸۸] إلى البراز ثم لم ينزل بعلي حطب قط إلا هونتم عليه المصيبة و وعدتموه الظفر و قد أخذت الحرب منا و منكم ما قدر أيتم فاتقوا الله في البقية. فضحك قيس و قال ما كنت أظنك يا نعمان محتويا على هذه المقالة إنه لا ينصح أخاه من غش نفسه و أنت الغاش الضال المضل أما ذكرك عثمان فإن كانت الأخبار تكفيك فخذ منى واحدة قتل عثمان من لست خيرا منه و خذله من هو خير منك و أما أصحاب الجمل فقاتلناهم على النكت و أما معاوية فو الله لو اجتمعت عليه العرب قاطبة لقاتلته الأنصار و أما قولك إننا لسنا كالناس فنحن في هذه الحرب كما كنا مع رسول الله نتقى السيوف بوجوهنا و الرماح بنحورنا حتى جاء الحق و ظهر أمر الله و هم كارهون و لكن انظر يا نعمان هل ترى مع معاوية إلا طليقا أو أعرابيا أو يمانيا مستدرجا بغرور انظر أين المهاجرون و الأنصار و التابعون لهم بإحسان الذين رضى الله عنهم و رضوا عنه ثم انظر هل ترى مع معاوية أنصاريا غيرك و غير صويحبك و لستما و الله ببدرين و لاعقبين و لأحدين و لالكما سابقه في الإسلام و لا آية في القرآن و لعمرى لئن شغبت علينا لقد شغب علينا أبوك . قال نصر و حدثنا عمر بن سعد عن مالك بن أعين عن زيد بن وهب قال كان فارس أهل الشام الذي لا ينازع عوف بن مجزأة المرادي المكنى بأبأحمر و كان فارس أهل الكوفة العكبر بن جدير الأسدي فقام العكبر إلى على

ع و كان [صفحہ ۸۹] منطيقا فقال يا أمير المؤمنين إن في أيدينا عهدا من الله لانحتاج فيه إلى الناس قدظننا بأهل الشام الصبر وظنوا بنا فصبرنا وصبروا وقد عجبت من صبر أهل الدنيا لأهل الآخرة وصبر أهل الحق على أهل الباطل ورغبة أهل الدنيا ثم قرأت آية من كتاب الله فعلمت أنهم مفتونون ألم أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ فقال له ع خيرا وخرج الناس إلى مصافهم وخرج عوف بن مجزأة المرادى نادرا من الناس وكذا كان يصنع وقد كان قتل نفرا من أهل العراق مبارزة فنادى يا أهل العراق هل من رجل عصاه سيفه يبارزني ولا أعركم من نفسي أنا عوف بن مجزأة فنادى الناس بالعكبر فخرج إليه منقطعا عن أصحابه ليارزوه فقال عوف -قرآن- ۲۷۶- ۴۵۸ بالشام أمن ليس فيه خوف || بالشام عدل ليس فيه حيف بالشام جود ليس فيه سوف || أنا ابن مجزأة واسمى عوف هل من عراقى عصاه سيف || يبرز لى وكيف لى وكيف . فقال له العكبر الشام محل والعراق ممطر || بها إمام طاهر مطهر والشام فيها أعور ومعور || أنا العراقى واسمى عكبر [صفحہ ۹۰] ابن جدير وأبوه المنذر || ادن فيانى فى البراز قسور فاطعنا فصرعه العكبر وقتله ومعاوية على التل فى وجوه قريش ونفر قليل من الناس فوجه العكبر فرسه يملأ فروجه ركضا ويضربه بالسوط مسرعا نحو التل فنظر معاوية إليه فقال هذا الرجل مغلوب على عقله أومستأمن فأسألوه فأتاه رجل و هو فى حمو فرسه فناداه فلم يجبه ومضى مبادرا حتى انتهى إلى معاوية فجعل يطعن فى أعراض الخيل ورجا أن ينفرد بمعاوية فيقتله فاستقبله رجال قتل منهم قوما وحال الباقون بينه وبين معاوية بسيو فهم ورماعهم فلما لم يصل إليه قال أولى لك يا ابن هند أنا الغلام الأسدى ورجع إلى صف العراق ولم يكلم فقال له على ع مادعاك إلى ماصنعت لا تلق نفسك إلى التهلكة قال يا أمير المؤمنين أردت غرة ابن هند فحيل بينى وبينه و كان العكبر شاعرا فقال قتلت المرادى الذى كان باغيا || ينادى وقد ثار العجاج نزال يقول أنا عوف بن مجزأة والمنى || لقاء ابن مجزأة بيوم قتال فقلت له لماعلا القوم صوته || منيت بمشبوخ اليدين طوال فأوجرتة فى ملتقى الحرب صعده || ملأت بهارعبا صدور رجال [صفحہ ۹۱] فغادرته يكبو صريعا لوجهه || ينوء مرارا فى مكر مجال وقدمت مهري راكضا نحو صفهم || أصرفه فى جريه بشمالى أريد به التل الذى فوق رأسه || معاوية الجانى لكل خبال فقام رجال دونه بسيو فهم || وقام رجال دونه بعوالى فلو نلت التى ليس بعدها || وفزت بذكر صالح وفعال و لومت فى نيل المنى ألف موته || لقلت إذا مامت لست أبالى . قال فانكسر أهل الشام لقتل عوف المرادى وهدر معاوية دم العكبر فقال العكبر يد الله فوق يده فأين الله جل جلاله ودفاعه عن المؤمنين . قال نصر وروى عمر بن سعد عن الحارث بن حصين عن أبى الكنود قال جزع أهل الشام على قتلاهم جزعا شديدا وقال معاوية بن خديج قبح الله ملكا يملكه المرء بعد حوشب وذى الكلاع و الله لو ظفرنا بأهل الدنيا بعد قتلها بغير مئونه ما كان ظفرا وقال يزيد بن أسد لمعاوية لا خير فى أمر لا يشبه آخره أوله لا يدمى جريح ولا يبكى قتيل حتى تنجلي هذه الفتنة فإن يكن الأمر لك أدميت [صفحہ ۹۲] وبكيت على قرار وإن يكن لغيرك فما أصبت به أعظم فقال معاوية يا أهل الشام ماجعلكم أحق بالجزع على قتلاكم من أهل العراق على قتلاهم و الله ما ذو الكلاع فيكم بأعظم من عمار بن ياسر فيهم ولا حوشب فيكم بأعظم من هاشم فيهم و ماعبيد الله بن عمر فيكم بأعظم من ابن بديل فيهم و مالرجال إلاشباه و مالتحميحص إلا من عند الله فأبشروا فإن الله قد قتل من القوم ثلاثة قتل عمارا و كان فتاهم وقتل هاشما و كان حمزتهم وقتل ابن بديل و هو الذى فعل الأفاعيل وبقي الأشر والأشعث وعدى بن حاتم فأما الأشعث فإنما حمى عنه مصره و أما الأشر وعدى فغضبا و الله للفتنة أقاتلها غدا إن شاء الله تعالى فقال معاوية بن خديج إن يكن الرجال عندك أشباها فليست عندنا كذلك وغضب وقال شاعر اليمن يرثى ذا الكلاع وحوشبا معاوى قدنلنا ونيلت سراتنا || وجدع أحياء الكلاع ويحصب فذو كلع لا يبعد الله داره || و كل يمان قد أصيب بحوشب هما ما هما كانا معاوى عصمه || متى قلت كانا عصمه لا أكذب و لو قبلت فى هالكك بذل فديء || فديتهما بالنفس والأم والأب . وروى نصر عن عمر بن سعد عن عبيد الرحمن بن كعب قال لما قتل عبد الله بن بديل

يوم صفين مر به الأسود بن طهمان الخزاعي و هو بآخر رمق فقال له عز على و الله مصرعك أما و الله لو شهدتك لآسيبك ولدافعت عنك و لورأيت أذى أشعرك [صفحه ٩٣] لأحبيت ألا أزياله و لا يزيالني حتى أقتله أولحقني بك ثم نزل إليه فقال رحمك الله يا عبد الله و الله إن كان جارك ليأمن بوائكك و إن كنت لمن الذاكرين الله كثيرا أوصني رحمك الله قال أوصيك بتقوى الله و أن تناصح أمير المؤمنين و تقاتل معه حتى يظهر الحق أو تلحق بالله و أبلغ أمير المؤمنين عنى السلام و قل له قاتل على المعركة حتى تجعلها خلف ظهرك فإنه من أصبح و المعركة خلف ظهره كان الغالب . ثم لم يلبث أن مات فأقبل أبو الأسود إلى على ع فأخبره فقال رحمه الله جاهد معنا عدونا فى الحياة و نصح لنا فى الوفاء. قال نصر و قدروى نحو هذا عن عبدالرحمن بن كilde حدثنى محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبى بحر عن عبدالرحمن بن حاطب قال خرجت التمس أخى سويدا فى قتلى صفين فإذا رجل صريع فى القتلى قد أخذ بثوبى فالتفت فإذا هو عبدالرحمن بن كilde فقلت إنا لله و إنا إليه راجعون هل لك فى الماء و معى إداوة فقال لا حاجة لى فيه قد أنفذ فى السلاح و خرقتى فلست أقدر على الشراب هل أنت مبلغ عنى أمير المؤمنين رسالة أرسلتك بها قلت نعم قال إذا رأيت فقرأ عليه السلام و قل له يا أمير المؤمنين احمل جرحاك إلى عسكرك حتى تجعلهم من وراء ظهرك فإن الغلبة لمن فعل ذلك ثم لم أبرح حتى مات فخرجت حتى أتيت أمير المؤمنين ع فقلت له إن عبدالرحمن بن كilde يقرأ عليك السلام قال و أين هو قلت وجدته و قد أنفذه السلاح و خرقة فلم يستطع شرب الماء و لم أبرح حتى مات فاسترجع ع فقلت قد أرسلنى إليك برسالة قال و ما هى قلت إنه يقول احمل جرحاك [صفحه ٩٤] إلى عسكرك و اجعلهم وراء ظهرك فإن الغلبة لمن فعل ذلك فقال صدق فنادى مناديه فى العسكر أن احملوا جرحاكم من بين القتلى إلى معسكركم ففعلوا. قال نصر و حدثنى عمرو بن شمر عن جابر عن عامر عن صعصعة بن صوحان أن أبرهه بن الصباح الحميرى قام بصفين فقال و يحكم يامعشر أهل اليمن إنى لأظن الله قد أذن بفنائكم و يحكم خلوا بين الرجلين فليقتلا فأيهما قتل صاحبه ملنا معه جميعا و كان أبرهه من رؤساء أصحاب معاوية فبلغ قوله عليا ع فقال صدق أبرهه و الله ما سمعت بخطبه منذ وردت الشام أنا بها أشد سرورا منى بهذه الخطبة قال و بلغ معاوية كلام أبرهه فتأخر آخر الصفوف و قال لمن حوله إنى لأظن أبرهه مصابا فى عقله فأقبل أهل الشام يقولون و الله إن أبرهه لأكملنا دينا و عقلا و رأيا و بأسا و لكن الأمير كره مبارزة على و سمع مادار من الكلام أبوداود عروة بن داود العامرى و كان من فرسان معاوية فقال إن كان معاوية كره مبارزة أبى حسن فأنا أبارزه ثم خرج بين الصفين فنادى أنا أبوداود فابرز إلى يا أبا حسن فتقدم على ع نحوه فناده الناس ارجع يا أمير المؤمنين عن هذا الكلب فليس لك بخطر فقال و الله مامعاوية اليوم بأغيظ لى منه دعونى و إياه ثم حمل عليه فضربه فقطعه قطعتين سقطت إحداهما يمينه و الأخرى شامية فارتج العسكران لهول الضربة و صرخ ابن عم لأبى داود و سوء صباحاه و قبح الله البقاء بعد أبى داود و حمل على على ع فطعنه فضرب الرمح فبرأه ثم قنعه ضربه فألحقه بأبى داود و معاوية [صفحه ٩٥] واقف على التل يبصر و يشاهد فقال تبا لهذه الرجال و قبحا أ مافيه من يقتل هذا مبارزة أو غيلة أو فى اختلاط الفيلق و ثوران النقع فقال الوليد بن عقبه ابرز إليه أنت فإنك أولى الناس بمبارزته فقال و الله لقد دعانى إلى البراز حتى لقد استحييت من قريش و إنى و الله لأبرز إليه ما جعل العسكر بين يدى الرئيس إلا و قايه له فقال عقبه بن أبى سفيان الهوا عن هذا كأنكم لم تسمعوا نداءه فقد علمتم أنه قتل حريثا و فضح عمرا و لا أرى أحدا يتحكك به إلا قتله فقال معاوية لبسر بن أرطاة أتقوم لمبارزته فقال ما أحد أحق بهامنك أما إذ بيتموه فأنا له قال معاوية إنك ستلقاه غدا فى أول الخيل و كان عند بسر ابن عم له قدم من الحجاز يخطب ابنته فأتى بسرا فقال له إنى سمعت أنك وعدت من نفسك أن تبارز عليا أ ماتعلم أن الوالى من بعد معاوية عقبه ثم بعده محمد أخوه و كل من هؤلاء قرن على فما يدعوك إلى ما أرى قال الحياء خرج منى كلام فأنا أستحى أن أرجع عنه فضحك الغلام و قال تنازله يابس إن كنت مثله || و إلا فإن الليث للشاء آكل كأنك يابس بن أرطاة جاهل || بآثاره فى الحرب أو متجاهل معاوية الوالى و صنواه بعده || و ليس سواء مستعار

وثاكل أولئك هم أولى به منك إنه || على فلا تقربه أمك هابل متى تلقه فالموت فى رأس رمحه || وفى سيفه شغل لنفسك شاغل و مابعد فى آخر الخيل عاطف || و لاقبله فى أول الخيل حامل . فقال بسر هل هو إلاموت لابد من لقاء الله فغدا على ع منقطعا من خيله ويده فى يد الأشر وهما يتسايران رويدا يطلبان التل ليقتفا عليه إذ برز له بسر مقنعا فى الحديد لايعرف فناداه أبرز إلى أباحسن فانحدر إليه على تؤدة غيرمكترت به [صفحة ٩٦] حتى إذاقاربه طعنه و هودارع فألقاه إلى الأرض ومنع الدرع السنان أن يصل إليه فاتقاه بسر بعورته وقصد أن يكشفها يستدفع بأسه فانصرف عنه ع مستدبرا له فعرفه الأشر حين سقط فقال يا أمير المؤمنين هذا بسر بن أرتاة هذاعدو الله وعدوك فقال دعه عليه لعنة الله أ بعد أن فعلها فحمل ابن عم بسر من أهل الشام شاب على على ع و قال أرديت بسرا والغلام ثائرة || أرديت شيئا غاب عنه ناصره و كلنا حام لبسر واتره . فلم يلتفت إليه على ع وتلقاه الأشر فقال له فى كل يوم رجل شيخ شاغره || وعورة وسط العجاج ظاهره تبرزها طعنة كف واتره || عمرو وبسر منيا بالفاقره . فطعنه الأشر فكسر صلبه وقام بسر من طعنة على ع موليا وفرت خيله و ناداه على ع يابسر معاوية كان أحق بهامنك فرجع بسر إلى معاوية فقال له معاوية ارفع طرفك فقد أدال الله عمرا منك قال الشاعر فى ذلك أ فى كل يوم فارس تندبونه || له عورة تحت العجاجة باديه يكف بها عنه على سنانه || ويضحك منها فى الخلاء معاوية بدت أمس من عمرو فقنع رأسه || وعورة بسر مثلها حذو حاذيه فقولا لعمرو و ابن أرتاة أبصرا || سييليكما لاتلقيا الليث ثانيه و لاتحمدا إلالحيا وخصاكما || هما كانتا للنفس و الله واقيه فلولاهما لم تنجوا من سنانه || وتلك بما فيها عن العود ناهيه [صفحة ٩٧] متى تلقيا الخيل المغيرة صبحه || و فيها على فاتر كا الخيل ناحيه وكونا بعيدا حيث لاتبلغ القنا || ونار الوغى إن التجارب كافيته و إن كان منه بعد للنفس حاجة || فعودا إلى ماشئما هى ماهيه . قال فكان بسر بعد ذلك اليوم إذلقى الخيل التى فيها على ينتحى ناحية وتحامى فرسان الشام بعدها على ع . قال نصر و حدثنا عمر بن سعد عن الأجلح بن عبد الله الكندى عن أبى جحيفة قال جمع معاوية كل قرشى بالشام و قال لهم العجب يامعشر قريش أنه ليس لأحد منكم فى هذه الحرب فعال يطول بهالسانه غدا ماعدا عمرا فما بالكم أين حمية قريش فغضب الوليد بن عقبه و قال أى فعال تريد و الله مانعرف فى أكفائنا من قريش العراق من يغنى غناءنا باللسان و لا باليد فقال معاوية بلى إن أولئك وقوا عليا بأنفسهم قال الوليد كلا بل وقاهم على بنفسه قال ويحكم أ ما فيكم من يقوم لقرنه منهم مبارزة ومفاخرة فقال مروان أما البراز فإن عليا لا يأذن لحسن و لالحسين و لالمحمد بنيه فيه و لالابن عباس وإخوته ويصلى بالحرب دونهم فلايهم نبارز و أما المفاخرة فبما ذا نفاخرهم بالإسلام أم بالجاهلية فإن كان بالإسلام فالفخر لهم بالنبوة و إن كان بالجاهلية فالملك فيه لليمن فإن قلنا قريش قالوا لنا عبدالمطلب . [صفحة ٩٨] فقال عتبة بن أبى سفيان الهوا عن هذا فإنى لاق بالغداه جعده بن هبيرة فقال معاوية بخ بخ قومه بنو مخزوم وأمه أم هانئ بنت أبى طالب كفى كرىم و كثر العتاب والخصام بين القوم حتى أغلظوا لمروان وأغلظ لهم فقال مروان أما و الله لولا ما كان منى إلى على ع فى أيام عثمان ومشهدى بالبصرة لكان لى فى على رأى يكفى امرأ ذا حسب ودين ولكن ولعل ونابد معاوية الوليد بن عقبه دون القوم فأغلظ له الوليد فقال معاوية إنك إنما تجترى على بنسبك من عثمان ولقد ضربك الحد وعزلك عن الكوفة . ثم إنهم ماأمسوا حتى اصطلحوا وأرضاهم معاوية من نفسه ووصلهم بأموال جليلة وبعث معاوية إلى عتبة فقال ما أنت صانع فى جعده قال ألقاه اليوم وأقاتله غدا و كان لجعده فى قريش شرف عظيم و كان له لسان و كان من أحب الناس إلى على ع فغدا عليه عتبة فنادى أباجعده أباجعده فاستأذن عليا فى الخروج إليه فأذن له واجتمع الناس فقال عتبة ياجعده و الله ما أخرجك علينا إلاحب خالك وعمك عامل البحرين وإنما و الله مانزعم أن معاوية أحق بالخلافة من على لولا أمره فى عثمان ولكن معاوية أحق بالشام لرضا أهلها به فاعفوا لنا عنها فو الله ما بالشام رجل به طرق إلا و هوأجد من معاوية فى القتال و ليس بالعراق رجل له مثل جد على فى الحرب ونحن أطوع لصاحبنا منكم لصاحبكم و ما أقبح بعلى أن يكون فى قلوب المسلمين أولى الناس بالناس حتى إذا أصاب سلطانا أفنى العرب فقال جعده

أماحبي لخالي فلو كان لك خال مثله لنسيت أباك و أما ابن أبي سلمة فلم يصب أعظم من قدره والجهاد أحب إلى من العمل و أمافضل على على معاوية [صفحة ٩٩] فهذا ما لا يختلف فيه اثنان و أمارضاكم اليوم بالشام فقد رضيتم بهاأمس فلم تقبل و أماقولك ليس بالشام أحد إلا و هوأجد من معاوية و ليس بالعراق رجل مثل جد على فهكذا ينبغي أن يكون مضى بعلى يقينه وقصر بمعاوية شكه وقصد أهل الحق خير من جهد أهل الباطل و أماقولك نحن أطوع لمعاوية منكم لعلى فو الله مانسأله إن سكت و لانرد عليه إن قال و أماقتل العرب فإن الله كتب القتل والقتال فمن قتله الحق فإلى الله .فغضب عتبه و فحش على جعده فلم يجبه و أعرض عنه فلما انصرف عنه جمع خيله فلم يستبق منها شيئا و جل أصحابه السكون والأزد والصدف و تهيأ جعده بما استطاع والتقوا فصبر القوم جميعا و باشر جعده يومئذ القتال بنفسه و جزع عتبه فأسلم خيله وأسرع هاربا إلى معاوية فقال له فضحك جعده وهزمتك لا تغسل رأسك منها أبدا فقال و الله لقد أعذرت ولكن أبى الله أن يدلنا منهم فما أصنع وحطى جعده بعدها عند على ع و قال النجاشي فيما كان من فحش عتبه على جعده إن شتم الكريم ياعتب خطب || فاعلمنه من الخطوب عظيم أمه أم هانئ وأبوه || من معد و من لؤى صميم ذاك منها هيبرة بن أبى وهب || أقرت بفضا مخزوم كان فى حربكم يعد بألف || حين يلقي بهاالقروم القروم وابنه جعده الخليفة منه || هكذا تنبت الفروع الأروم [صفحة ١٠٠] كل شىء تريده فهو فيه || حسب ثاقب ودين قويم وخطيب إذا تمعرت الأوجه || يشجى به الألد الخصيم وحليم إذا الحبى حلها الجهل || وخفت من الرجال الحلوم وشكيم الحروب قد علم الناس || إذا حل فى الحروب الشكيم وصحيح الأديم من نغل العيب || إذا كان لا يصح الأديم حامل للعظيم فى طلب الحمد || إذا عظم الصغير اللثيم ما عسى أن تقول للذهب الأحمر || عيا هيهات منك النجوم كل هذا بحمد ربك فيه || وسوى ذاك كان و هو فطيم و قال الأعور الشنى فى ذلك يخاطب عتبه بن أبى سفيان ما زلت تظهر فى عطفك أبهة || لا يرفع الطرف منك التيه والصلف لا تحسب القوم إلا فقع قرقره || أو شحمة بزها شاو لها نطف حتى لقيت ابن مخزوم و أى فتى || أحيا مآثر آباء له سلفوا إن كان رهط أبى وهب ججاجحه || فى الأولين فهذا منهم خلف أشجاك جعده إذ نادى فوارسه || حاموا عن الدين والدنيا فما وقفوا هلا عطفت على قوم بمصرعه || فيها السكون و فيها الأزد والصدف . قال نصر و حدثنا عمر بن سعد عن الشعبي قال كان رجل من أهل الشام [صفحة ١٠١] يقال له الأصبغ بن ضرار الأزدى من مسالح معاوية و طلائعه فندب له على ع الأشر فأخذه أسيرا من غير قتال فجاء به ليلا فشدته وثاقا وألقاه عند أصحابه ينتظر به الصباح و كان الأصبغ شاعرا مفوها فأيقن بالقتل و نام أصحابه فرفع صوته فأسمع الأشر و قال ألا ليت هذا الليل أصبح سرمدا || على الناس لا يأتهم بنهار يكون كذا حتى القيامة إننى || أحاذر فى الإصباح يوم بوارى فى ليل أطبق إن فى الليل راحة || و فى الصبح قتلى أوفكاك إسارى و لو كنت تحت الأرض ستين واديا || لمارد عنى ما أخاف حذارى فى نفس مهلا إن للموت غاية || فصبرا على ماناب يا ابن ضرار أخشى و لى فى القوم رحم قريبه || أبى الله أن أخشى ومالك جارى و لو أنه كان الأسير ببلده || أطاع بها شمرت ذيل إزارى و لو كنت جار الأشعث الخير فكنى || و قل من الأمر المخوف فرارى و جار سعيد أوعدى بن حاتم || و جار شريح الخير قرقرارى و جار المرادى الكريم وهانئ || وزحر بن قيس ما كرهت نهارى و لو أننى كنت الأسير لبعضهم || دعوت فتى منهم ففكك إسارى أولئك قومى لا عدمت حياتهم || و عفوهم عنى و ستر عوارى . [صفحة ١٠٢] قال فغدا به الأشر إلى على ع فقال يا أمير المؤمنين إن هذا رجل من مسالح معاوية أصبته أمس و بات عندنا الليل فحركنا بشعره و له رحم فإن كان فيه القتل فاقتله و إن ساغ لك العفو عنه فهبه لنا فقال هو لك يامالك و إذا أصبت منهم أسيرا فلا تقتله فإن أسير أهل القبلة لا يقتل . فرجع به الأشر إلى منزله و خلى سبيله [صفحة ١٠٣]

إِنَّمَا لَمْ نُحْكَمْ الرِّجَالَ وَ إِنَّمَا حَكَمْنَا الْقُرْآنَ هَذَا الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْطُورٌ بَيْنَ الدَّفْتَيْنِ لَا يَنْطِقُ بِلِسَانٍ وَلَا يُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ وَ
 إِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرِّجَالُ وَ لَمَّا دَعَا الْقَوْمَ إِلَى أَنْ نُحْكَمْ بَيْنَنَا الْقُرْآنَ لَمْ نَكُنِ الْفَرِيقَ الْمُتَوَلَّى عَنِ كِتَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى وَ قَدْ قَالَ
 اللَّهُ تَعَالَى عَزَّ مِنْ قَائِلِيْنَا تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرُّسُولِ وَ لَفَرَّدَهُ إِلَى اللَّهِ أَنْ نُحْكَمْ بِكِتَابِهِ وَ رَدَّهُ إِلَى الرُّسُولِ أَنْ نَأْخُذَ
 بِسُنَّتِهِ فَإِذَا حُكِمَ بِالصِّدْقِ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ بِهِ وَ إِنِ حُكِمَ بِسُنَّتِهِ رُسُولِ اللَّهِ صَ فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ وَأَوْلَاهُمْ بِهَا وَ أَمَّا
 قَوْلُكُمْ لَمْ جَعَلَتْ بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُمْ أَجَلًا فِي التَّحْكِيمِ فَإِنَّمَا فَعَلَتْ ذَلِكَ لِتَبَيِّنِ الْجَاهِلِ وَ يَتَّبِعَتِ الْعَالِمُ وَ لَعَلَّ اللَّهُ أَنْ يُصَلِّحَ فِي هَذِهِ
 الْهُدْيَةِ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَ لَا تَوْخَذَ بِأَكْظَامِهَا فَتَعْجَلَ عَنِ تَبَيِّنِ الْحَقِّ وَ تَفَادَى لِأَوَّلِ الْغَيِّ إِنْ أَفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ كَانَ الْعَمَلُ بِالْحَقِّ
 أَحَبَّ إِلَيْهِ وَ إِنْ نَقَصَهُ وَ كَثَرْتَهُ مِنَ الْبَاطِلِ وَ إِنْ جَزَّ إِلَيْهِ وَ زَادَهُ فَأَيَّنَ يَتِيَاهُ بِكُمْ وَ مِنْ أَيْنَ أُتِيْتُمْ - قرآن- ٣٩٢-٤٥٣ [صفحہ ١٠٤]
 اسْتَعْدُوا لِلْمَسِيرِ إِلَى قَوْمِ حَيْرَى عَنِ الْحَقِّ لَا يُبْصِرُونَهُ وَ مُوزَعِينَ بِالْجُورِ لَا يَعْدِلُونَ عَنْهُ جُفَاءً عَنِ الْكِتَابِ نُكِبَ عَنِ الطَّرِيقِ مَا أَنْتُمْ
 بِوَثِيقَةٍ يُعَلَّقُ بِهَا وَ لَمَّا زَوَّافِرَ عَزَّ يُعْتَصِمُ إِلَيْهَا لِبَيْسِ حُشَّاشِ نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ أَفَّ لَكُمْ لَقَدْ لَقِيتُ مِنْكُمْ بَرَحًا يَوْمًا أَنْادِيكُمْ وَ يَوْمًا
 أَنْاجِيكُمْ فَلَا أَحْرَازُ صِدْقٍ عِنْدَ التَّنَادِءِ وَ لَا إِخْوَانُ ثِقَمَةٍ عِنْدَ النَّجَاءِ دَفْنَا الْمَصْحَفَ جَانِبَهُ اللَّذَانِ يَكْنِفَانَهُ وَ كَانَ النَّاسُ يَعْمَلُونَهُمَا
 قَدِيمًا مِنْ خَشَبٍ وَيَعْمَلُونَهُمَا الْآنَ مِنْ جِلْدٍ يَقُولُ عَ لَا عِتْرَاضَ عَلَيَّ فِي التَّحْكِيمِ وَقَوْلُ الْخَوَارِجِ حَكَمَتِ الرِّجَالُ دَعْوَى غَيْرِ صَحِيحَةٍ
 وَإِنَّمَا حَكَمَتِ الْقُرْآنَ وَلَكِنَّ الْقُرْآنَ لَا يَنْطِقُ بِنَفْسِهِ وَ لَا بَدَّ لَهُ مِمَّنْ يَتْرَجَمُ عَنْهُ وَ التَّرْجِمَانُ بِفَتْحِ التَّاءِ وَ ضَمِّ الْجِيمِ هُوَ مَفْسَرُ اللَّغَةِ بِلِسَانِ
 آخَرَ وَ يَجُوزُ ضَمُّ التَّاءِ لَضَمِّ الْجِيمِ قَالَ الرَّاجِزُ كَالْتَّرْجِمَانِ لَقِيَ الْأَنْبَاطَ . ثُمَّ قَالَ لِمَادَعِينَا إِلَى تَحْكِيمِ الْكِتَابِ لَمْ نَكُنِ الْقَوْمَ الَّذِينَ
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَقِّهِمْ وَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَ رُسُولِهِ لِيُحْكَمْ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ بَلْ أَجَبْنَا إِلَى ذَلِكَ وَعَمَلْنَا بِقَوْلِ اللَّهِ
 تَعَالَى فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرُّسُولِ وَ قَالَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنْ نُحْكَمْ بِالْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ فَإِذَا عَمِلَ النَّاسُ بِالْحَقِّ فِي هَذِهِ
 الْوَاقِعَةِ وَ اطْرَحُوا الْهَوَى وَ الْعَصِييَةَ كُنَّا أَحَقُّ بِتَبْيِيرِ الْأُمَّةِ وَ بَوَالِيَةِ الْخِلَافَةِ مِنَ الْمَنَازِعِ لَنَا عَلَيْهَا - قرآن- ٨٨-١٧٧ - قرآن- ٢٢٣-٢٨٤]
 صفحہ ١٠٥ [فَإِنْ قُلْتَ إِنَّهُ عَ لَمْ يَقُلْ هَكَذَا وَإِنَّمَا قَالَ إِذَا حُكِمَ بِالصِّدْقِ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَنَحْنُ أَوْلَى بِهِ وَ إِذَا حُكِمَ بِالسُّنَّةِ فَنَحْنُ أَحَقُّ
 بِهَا. قُلْتَ إِنَّهُ رَفَعَ نَفْسَهُ عَ أَنْ يَصْرَحَ بِذِكْرِ الْخِلَافَةِ فَكُنِيَ عَنْهَا وَ قَالَ نَحْنُ إِذَا حُكِمَ بِالْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ أَوْلَى بِالْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ وَ يَلْزَمُ مِنْ
 كَوْنِهِ أَوْلَى بِالْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ أَنْ يَكُونَ أَوْلَى بِالْخِلَافَةِ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ فَدَلَّ عَلَى مَا كُنِيَ عَنْهُ بِالْأَمْرِ الْمَسْتَلْزَمِ لَهُ .
 فَإِنْ قُلْتَ إِذَا كَانَ الرِّجَالُ الَّذِينَ يَتْرَجِمُونَ الْقُرْآنَ وَيُفْسِرُونَهُ وَ قَدْ كَلَّفُوا أَنْ يَحْكُمُوا فِي وَاقِعِهِ أَهْلَ الْعِرَاقِ وَ أَهْلَ الشَّامِ بِمَا يَدْلُهُمُ
 الْقُرْآنَ عَلَيْهِ يَجُوزُ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَ تَأْوِيلِهِ فَيَدْعَى صَاحِبُ أَهْلِ الْعِرَاقِ مِنْ تَفْسِيرِهِ مَا يَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى مَرَادِهِ وَ يَدْعَى
 وَ كَيْلُ أَهْلِ الشَّامِ مَا يِقَابِلُ ذَلِكَ وَ يِنَاقِضُهُ بِطَرِيقِ الشَّبْهِةِ الَّتِي تَمَسُّكُوا بِهَا مِنْ دَمِ عَثْمَانَ وَ مِنْ كَوْنِ الْإِجْمَاعِ لَمْ يَحْصُلْ عَلَى بَيْعِهِ
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَ اِحْتِاجَ الْحَكَمَانِ حِينَئِذٍ إِلَى أَنْ يَحْكَمَ بَيْنَهُمَا حَكَمَانِ آخِرَانِ وَ الْقَوْلُ فِيهِمَا كَالْقَوْلِ فِي الْأَوَّلِ إِلَى مَا لَانْهَائِيَّةَ لَهُ
 وَإِنَّمَا كَانَ يَكُونُ التَّحْكِيمُ قَاطِعًا لِلشَّغْبِ لَوْ كَانَ الْقُرْآنُ يَنْصُ بِالصَّرِيحِ الَّذِي لَا تَأْوِيلَ فِيهِ إِذَا عَلِيَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَ وَإِنَّمَا عَلَى
 مَعَاوِيَةَ وَ لَانْصُ صَّرِيحٌ فِيهِ بَلَّ الَّذِي فِيهِ يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ وَ التَّجَاذِبَ فَمَا الَّذِي يَفِيدُ التَّحْكِيمَ وَ الْحَالُ تَعُودُ لِمَحَالَةِ جَدْعَةٍ قُلْتَ
 لَوْ تَأَمَّلَ الْحَكَمَانِ الْكِتَابَ حَقَّ التَّأَمُّلِ لَوْ جَدَا فِيهِ النَّصَّ الصَّرِيحَ عَلَى صِحَّةِ خِلَافَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَ لِأَنَّ فِيهِ النَّصَّ الصَّرِيحَ عَلَى أَنْ
 الْإِجْمَاعُ حُجَّةٌ وَمَعَاوِيَةُ لَمْ يَكُنْ مُخَالَفًا فِي هَذِهِ الْمَقْدَمَةِ وَ لَا أَهْلُ الشَّامِ وَ إِذَا كَانَ الْإِجْمَاعُ حُجَّةً فَقَدْ وَقَعَ الْإِجْمَاعُ لِمَاتُوفِي رَسُولِ
 اللَّهِ صَ عَلَى أَنْ اخْتِيَارَ خَمْسَةٌ مِنْ صُلَحَاءِ الْمُسْلِمِينَ لِوَاحِدٍ مِنْهُمْ وَ بَيْعَتُهُ تَوْجِبُ لَزُومَ طَاعَتِهِ وَ صِحَّةَ خِلَافَتِهِ وَ قَدْ بَاعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
 عَ [صفحہ ١٠٦] خَمْسَةٌ مِنْ صُلَحَاءِ الصَّحَابَةِ بَلَّ خَمْسُونَ فَوْجِبُ أَنْ تَصَحَّ خِلَافَتُهُ وَ إِذَا صَحَّتْ خِلَافَتُهُ نَفَذَتْ أَحْكَامَهُ وَ لَمْ يَجِبْ
 عَلَيْهِ أَنْ يَقِيدَ بِعَثْمَانَ إِلَّا- أَنْ حَضَرَ أَوْلِيَاؤُهُ عِنْدَهُ طَائِعِينَ لَهُ مَبَايِعِينَ مَلْتَمِزِينَ لِأَحْكَامِهِ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَطْلُبُونَ الْقِصَاصَ مِنْ أَقْوَامِ
 بِأَعْيَانِهِمْ يَدْعُونَ عَلَيْهِمْ دَمَ الْمَقْتُولِ فَقَدْ ثَبِتَ أَنَّ الْكِتَابَ لَوْ تَوَمَّلَ حَقَّ التَّأَمُّلِ لَكَانَ الْحَقُّ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَ لَمْ يَكُنْ لِأَهْلِ الشَّامِ مِنْ
 الشَّبْهِةِ مَا يَقْدَحُ فِي اسْتِنْبَاطِهِمُ الْمَذْكَورِ. ثُمَّ قَالَ عَ فَأَمَّا ضَرْبِي لِلْأَجْلِ فِي التَّحْكِيمِ فَإِنَّمَا فَعَلْتَهُ لِأَنَّ الْأَنْهَاءَ وَ التَّثَبُّتَ مِنَ الْأُمُورِ

المحمودة أما الجاهل فيعلم فيه ما جهله و أما العالم فيثبت فيه على ما علمه فرجوت أن يصلح الله في ذلك الأجل أمر هذه الأمة المفتونة. و لا تؤخذ بأظامها جمع كظم و هو مخرج النفس يقول كرهت أن أعجل القوم عن التبين والاهتداء فيكون إرهابي لهم وتركى للتفيس عن خناقمهم وعدولى عن ضرب الأجل بينى وبينهم أدعى إلى استفسادهم وأحرى أن يركبوا غيهم وضلالهم و لا يقلعوا عن القبيح الصادر عنهم . ثم قال أفضل الناس من آثر الحق و إن كرهه أى اشتد عليه وبلغ منه المشقة. ويجوز أكرته بالألف على الباطل و إن انتفع به وأورثه زيادة. ثم قال فأين يتاه بكم أى أين تذهبون فى التيه يعنى فى الحيرة وروى فأنى يتاه بكم . و من أين أتيتم أى كيف دخل عليكم الشيطان أو الشبهة و من أى المداخل دخل اللبس عليكم . ثم أمرهم بالاستعداد للمسير إلى حرب أهل الشام وذكر أنهم موزعون بالجور [صفحة ١٠٧] أى ملهمون قال تعالى رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ أَي ألهمنى أوزعته بكذا و هو موزع به والاسم والمصدر جميعا الوزع بالفتح واستوزعت إليه تعالى شكره فأوزعنى أى استلهمته فألهمنى. و لا يعدلون عنه لا يتركونه إلى غيره وروى لا يعدلون به أى لا يعدلون بالجور شيئا آخر أى لا يرضون إلا بالظلم والجور و لا يختارون عليهما غيرهما. قوله جفأه عن الكتاب جمع جاف و هو النابى عن الشيء أى قد نبوا عن الكتاب لا يلائمهم و لا يناسبونه تقول جفا السرج عن ظهر الفرس إذ انبا وارتفع وأجفيته أنا ويجوز أن يريد أنهم أعراب جفأه أى أجلاف لأفهام لهم . قوله نكب عن الطريق أى عادلون جمع ناكب نكب ينكب عن السبيل بضم الكاف نكوبا. قوله و ما أنتم بوثقته أى بذى وثيقته فحذف المضاف والوثيقة الثقة يقال قد أخذت فى أمر فلان بالوثيقة أى بالثقة والثقة مصدر. والزوافر العشيبة والأنصار ويقال هم زافرتهم عند السلطان للذين يقومون بأمره عنده . وقوله يعتصم إليها أى بها فأنا ب إلى مناب الباء كقول طرفه -قرآن- ٢٤-٦٠ و إن يلتق الحى الجميع تلاقى || إلى ذروة البيت الرفيع المصمد . وحشاش النار ماتحش به أى توقد قال الشاعر فى أن أحش الحرب فيمن يحشها || الأم و فى ألا أقر المخازيا . [صفحة ١٠٨] وروى حشاش بالفتح كالشيع و هو الحطب الذى يلقى فى النار قبل الجزل وروى حشاش بضم الحاء وتشديد الشين جمع حاش و هو الموقد للنار. قوله أف لكم من الألفاظ القرآنية و فيها لغات أف بالكسر وبالضم وبالفتح وأف منونا بالثلاث أيضا ويقال أفا وتفا و هو اتباع له وأفة وتفة والمعنى استقدار المعنى بالتأليف . قوله لقد لقيت منكم برحا أى شدة يقال لقيت منهم برحا بارحا أى شدة وأذى قال الشاعر أجدك هذا عمرك الله كلما || دعاك الهوى برح لعينك بارح . ويروى ترحا أى حزنا. ثم ذكر أنه يناديهم جهارا طورا ويناغيهم سرا طورا فلا يجدهم أحرارا عند ندائه أى لا ينصرون و لا يحييون و لا يجدهم ثقاتا وذوى أمانة عند المناجاة أى لا يكتمون السر. والنجاء المناجاة مصدر ناجيته نجاء مثل ضاربه ضرابا وصارعه صراعا [صفحة ١٠٩]

١٢٦- و من كلام له ع لما عوقب على التسوية فى العطاء وتصويره الناس أسوء فى العطاء من غير تفضيل أولى السابقات والشرف

أ تَأْمُرُونِي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيَتْ عَلَيْهِ وَ اللَّهُ لَا أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ وَ مَا أَمْ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْمًا وَ لَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَيْتُ بَيْنَهُمْ فَكَيْفَ وَ إِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللَّهِ ثُمَّ قَالَ عَ أَلَا وَ إِنَّ إِعْطَاءَ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْدِيرٌ وَ إِسْرَافٌ وَ هُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي الدُّنْيَا وَ يَضَعُهُ فِي الْآخِرَةِ وَ يُكْرِمُهُ فِي النَّاسِ وَ يَهِينُهُ عِنْدَ اللَّهِ وَ لَمْ يَضَعْ أَمْرًا مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلَّا حَرَمَهُ اللَّهُ شُكْرَهُمْ وَ كَانَ لِغَيْرِهِ وَ دُهُمَ فَإِنْ زَلَّتْ بِهِ النَّعْلُ يَوْمًا فَاحْتَاجَ إِلَى مَعُونَتِهِمْ فَشَرَّ خَلِيلٍ وَ الْأُمُّ خَدِيدٍ أَصْلُ تَأْمُرُونِي تَأْمُرُونِي بِنُونٍ فَأَسْكُنُ الْأَوْلَى وَ أَدْعِمُ قَالَ تَعَالَى أَفَغَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيَّهَا الْجَاهِلُونَ. -قرآن- ٦٦-١٢٣ [صفحة ١١٠] و لا-أطور به لأقربه و لا تظر حولنا أى لا تقرب ماحولنا وأصله من طوار الدار و هو ما كان ممتدا معها من الفناء. وقوله ماسمر سميير يعنى الدهر أى ما أقام الدهر و ما بقى والأشهر فى المثل ماسمر ابنا سميير قالوا السميير الدهر و ابنا الليل والنهار وقيل ابنا سميير الليل والنهار لأنه يسمر

فيهما ويقولون لأفعله السمر والقمر أى مادام الناس يسمرون فى ليله قمراء ولا أفعله سمير الليالى أى أبدا قال الشنفرى هنالك لأرجو حياة تسرنى || سمير الليالى ميسلا بالجرائر . قوله و ماأم نجم فى السماء نجما أى قصد وتقدم لأن النجوم تتبع بعضها بعضا فلا بد من تقدم وتأخر فلا يزال النجم يقصد نجما غيره ولا يزال النجم يتقدم نجما غيره . والخدين الصديق يقول ع كيف تأمرونى أن أطلب النصر من الله بأن أجور على قوم وليت عليهم يعنى الذين لا سابق لهم ولا شرف و كان عمر ينقصهم فى العطاء عن غيرهم . ثم قال ع لو كان المال لى و أنا أفرقه بينهم لسويت فكيف وإنما هومال الله وفيئه ثم ذكر أن إعطاء المال فى غير حقه تبذير وإسراف و قد نهى الله عنه و أنه يرفع صاحبه عند الناس ويضعه عند الله و أنه لم يسلك أحد هذه المسلك إلا حرمه الله و الذين يتحب إليهم بالمال و لو احتاج إليهم يوما عند عثرة يعثرها لم يجدهم . [صفحه ١١١] واعلم أن هذه مسألة فقهية ورأى على ع و أبى بكر فيها واحد و هو التسوية بين المسلمين فى قسمة الفىء والصدقات و إلى هذا ذهب الشافعى رحمه الله و أماعمر فإنه لماولى الخلافة فضل بعض الناس على بعض فضل السابقين على غيرهم و فضل المهاجرين من قريش على غيرهم من المهاجرين و فضل المهاجرين كافة على الأنصار كافة و فضل العرب على العجم و فضل الصريح على المولى و قد كان أشار على أبى بكر أيام خلافته بذلك فلم يقبل و قال إن لم يفضل أحدا على أحد ولكنه قال إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَ الْمَسَاكِينِ و لم يخص قوما دون قوم فلما أفضت إليه الخلافة عمل بما كان أشار به أولا و قد ذهب كثير من فقهاء المسلمين إلى قوله والمسألة محل اجتهاد وللإمام أن يعمل بما يؤديه إليه اجتهاده و إن كان اتباع على ع عندنا أولى لاسيما إذا عضده موافقة أبى بكر على المسألة و إن صح الخبر أن رسول الله ص سوى فقد صارت المسألة منصوصا عليها لأن فعله ع كقوله -قرآن- ٤٧٥-

٥١٩ [صفحه ١١٢]

١٢٧- و من كلام له ع قاله للخوارج أيضا

إشاره

فَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا أَنْ تَزْعُمُوا أَنِّي أَخْطَأْتُ وَ ضَلَلْتُ فَلَمْ تُضَلُّوْنَ عَامَّةً أُمَّةً مُحَمَّدٍ صِ بَضِّ مَالِي وَ تَأْخُذُونَهُمْ بِخَطِيئِي وَ تُكْفَرُونَهُمْ بِذُنُوبِي سَيِّئُ فُكْمٍ عَلَى عَوَاتِقِكُمْ تَضَعُونَهَا مَوَاضِعَ الْبُرِّ وَ السَّقَمِ وَ تَخْلُطُونَ مِنْ أَدْنَبٍ بَيْنَ لَمْ يُذْنِبَ وَ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص رَجَمَ الزَّانِيَ الْمُحْصَنَ ثُمَّ صَيَّمَى عَلَيْهِ ثُمَّ وَرَّثَهُ أَهْلَهُ وَ قَتَلَ الْقَاتِلَ وَ وَرَّثَ مِيرَاثَهُ أَهْلَهُ وَ قَطَعَ يَدَ السَّارِقِ وَ جَلَدَ الزَّانِيَ غَيْرَ الْمُحْصَنِ ثُمَّ قَسَمَ عَلَيْهِمَا مِنَ الْفِئَةِ وَ نَكَحَا الْمُسْلِمَاتِ فَأَخَذَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ص بِذُنُوبِهِمْ وَ أَقَامَ حَقَّ اللَّهِ فِيهِمْ وَ لَمْ يَمْنَعْهُمْ سَهْمَهُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ وَ لَمْ يُخْرِجْ أَسْمَاءَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ ثُمَّ أَنْتُمْ شَرَرَارُ النَّاسِ وَ مَنْ رَمَى بِهِ الشَّيْطَانُ مَرَامِيَهُ وَ ضَرَبَ بِهِ تَيْهَهُ وَ سَيَّهَلَكُ فِى صِنْفَانٍ مُجِيبٍ مُفْرِطٍ يَذْهَبُ بِهِ الْحُبُّ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ وَ مُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ وَ خَيْرُ النَّاسِ فِى حَالِ التَّمَطِّ الْأَوْسَطِ فَالزُّمُوهُ وَ الزُّمُوهَا السَّوَادُ الْأَعْظَمُ فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ وَ إِيَّاكُمْ وَ الْفِرْقَةَ فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ لِلذِّئْبِ أَلَا مَنْ دَعَا إِلَى هَذَا الشُّعَارِ فَاقْتُلُوهُ وَ لَوْ كَانَ تَحْتَ عِمَامَتِي هَذِهِ فَإِنَّمَا حُكِّمَ [صفحه ١١٣] الْحَكَمَانِ لِئَحْيَا مَا أَحْيَا الْقُرْآنُ وَ يَمِينًا مَا أَمَاتَ الْقُرْآنُ وَ إِحْيَاؤُهُ الْاجْتِمَاعُ عَلَيْهِ وَ إِمَاتَتُهُ الْإِفْتِرَاقُ عَنْهُ فَإِنْ جَرْنَا الْقُرْآنَ إِلَيْهِمْ اتَّبَعْنَاهُمْ وَ إِنْ جَرَّهُمْ إِلَيْنَا اتَّبَعُونَا فَلَمْ آتِ لَّا أَبَا لَكُمْ بُجْرًا وَ لَمَا خَتَلْتُمْ عَنْ أَمْرِكُمْ وَ لَمَا لَبَسْتُمْ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا اجْتَمَعَ رَأْيُ مَلِكِكُمْ عَلَى اخْتِيَارِ رَجُلَيْنِ أَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَلَّا يَتَعَدَّيَا الْقُرْآنَ فَتَاهَا عَنْهُ وَ تَرَكََا الْحَقَّ وَ هُمَا يُبَصِّرَانِهِ وَ كَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا فَمَضَى عَلَيْهِ وَ قَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِى الْحُكُومَةِ بِالْعَدْلِ وَ الصَّمَدِ لِلْحَقِّ سُوءَ رَأْيِهِمَا وَ جَوْرَ حُكْمِهِمَا لَيْسَ لِقَائِلِ أَنْ يَقُولَ لَهُ ع معذرا عن الخوارج إنهم إنما ضللوا عامة أمة محمد ص وحكموا

بخطئهم وكفرهم وقتلهم بالسيف خطبا لأنهم وافقوك في تصويب التحكيم و هو عندهم كفر فلم يؤاخذوهم بذنبك كما قلت لهم و ذلك لأن أمير المؤمنين ع ما قال هذه المقالة إلا لمن رأى منهم استعراض العامة وقتل الأطفال حتى البهائم فقد كان منهم قوم فعلوا ذلك و قد سبق منا شرح أفعالهم ووقائعهم بالناس وقالوا إن الدار دار كفر لا يجوز الكفر عن أحد من أهلها فهؤلاء هم الذين وجه أمير المؤمنين ع إليهم خطابه وإنكاره دون غيرهم من فرق الخوارج

مذهب الخوارج في تكفير أهل الكبائر

واعلم أن الخوارج كلها تذهب إلى تكفير أهل الكبائر ولذلك كفروا عليا ع و من اتبعه على تصويب التحكيم و هذا الاحتجاج الذي احتج به عليهم [صفحة ١١٤] لازم وصحيح لأنه لو كان صاحب الكبيرة كافرا لما صلى عليه رسول الله ص و لا ورثه من المسلم و لا مكنه من نكاح المسلمات و لا قسم عليه من الفء و لأخرجه عن لفظ الإسلام . و قد احتجت الخوارج لمذهبها بوجوه منها قوله تعالى وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجَابُ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ قالوا فجعل تارك الحج كافرا. والجواب أن هذه الآية مجمله لأنه تعالى لم يبين وَ مَنْ كَفَرَ بِمَا ذَا فِيحْتَمَلُ أَنْ يَرِيدَ تَارِكَ الْحِجَابِ وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَرِيدَ تَارِكَ اعْتِقَادِ وَ جُوبِهِ عَلَى مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا. فلا بد من الرجوع إلى دلالة والظاهر أنه أراد لزوم الكفر لمن كفر باعتقاد كون الحج غير واجب ألاتراه في أول الآية قال وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجَابُ الْبَيْتِ عَنْ الزُّرُومِ ثُمَّ قَالَ وَ مَنْ كَفَرَ بِالزُّرُومِ ذَلِكَ وَ نَحْنُ نَقُولُ إِنَّ مَنْ لَمْ يَقُلْ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجَابُ الْبَيْتِ فَهُوَ كَافِرٌ. ومنها قوله تعالى إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ وقالوا والفساق لفسقه وإصراره عليه آيس من روح الله فكان كافرا. والجواب أنا لانسلم أن الفاسق آيس من روح الله مع تجويزه تلافى أمره بالتوبة والإقلاع وإنما يكون اليأس مع القطع و ليس هذه صفة الفاسق فأما الكافر الذي يجحد الثواب والعقاب فإنه آيس من روح الله لأنه لا تخطر له التوبة والإقلاع ويقطع على حسن معتقده . ومنها قوله تعالى وَ مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ وَ كُلُّ مَرْتَكِبٍ لِلذُّنُوبِ فَقَدْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ . -قرآن- ٢٣٠-٣٤٩-قرآن- ٤٣١-٤٤٣-قرآن- ٦٦٣-٦٩٨-قرآن- ٧٢٤-٧٣٦-قرآن- ٨٣٢-٨٩١-قرآن- ١٢٤٢-١٣٠٦ [صفحة ١١٥] والجواب أن هذا مقصور على اليهود لأن ذكرهم هو المقدم في الآية قال سبحانه و تعالى سَمِعُوا لِكَلِمَةٍ أَلْكَالُونَ لِلَّهِ حَتَّى ثُمَّ قَالَ عَقِيبَ قَوْلِهِ هُمُ الْكَافِرُونَ وَقَفِينَا عَلَى آثَارِهِمْ بَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فدل على أنها مقصورة على اليهود. ومنها قوله تعالى فَأَنْذَرْتُمْكُمْ نَارًا تَلْطَى لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَبَ وَ تَوَلَّى قَالُوا وَ قَدَاتَفَقْنَا مَعَ الْمُعْتَرِئَةِ عَلَى أَنَّ الْفَاسِقَ يَصَلِي النَّارَ فَوَجِبَ أَنْ يُسَمَّى كَافِرًا. والجواب أن قوله تعالى ناراً نكرة في سياق الإثبات فلا تعم وإنما تعم النكرة في سياق النفي نحو قولك ما في الدار من رجل و غير ممتنع أن يكون في الآخرة نار مخصوصة لا يصلها إلا الذين كذبوا وتولوا و يكون للفساق نار أخرى غيرها. ومنها قوله تعالى وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ قَالُوا وَالْفَاسِقُ تَحِيطُ بِهِ جَهَنَّمَ فَوَجِبَ أَنْ يَكُونَ كَافِرًا. والجواب أنه لم يقل سبحانه و إن جهنم لا تحيط إلا بالكافرين و ليس يلزم من كونها محيطاً بقوم ألا تحيط بقوم سواهم . ومنها قوله سبحانه يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ قَالُوا -قرآن- ٨٦-١٢٥-قرآن- ١٤٦-١٦١-قرآن- ١٦٢-٢٠٧-قرآن- ٢٥٩-٣٣٦-قرآن- ٤٤١-٤٤٥-قرآن- ٦٦٧-٧٠٨-قرآن- ٨٩٦-١٠٤٢ [صفحة ١١٦] والفساق لا يجوز أن يكون ممن ابيضت وجوههم فوجب أن يكون ممن اسودت ووجب أن يسمى كافرا لقوله بما كنتم تكفرون. والجواب أن هذه القسمة ليست متقابلة فيجوز أن يكون المكلفون ثلاثة أقسام بيض الوجوه وسود الوجوه وصنف آخر ثالث بين اللونين وهم الفساق . ومنها قوله تعالى وَ جُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفَرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ وَ جُوهٌ يَوْمَئِذٍ غَيبٌ تَرَهَقَهَا فَتْرَةٌ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجْرَةُ قَالُوا وَالْفَاسِقُ عَلَى وَجْهِهِ غِبْرَةٌ فَوَجِبَ أَنْ

يكون من الكفرة والفجرة. والجواب أنه يجوز أن يكون الفساق قسما ثالثا لاغبرة على وجوههم ولا هي مسفرة ضاحكة بل على ما كانت عليه في دار الدنيا. ومنها قوله تعالى ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَ هَلْ نَجْازِي إِلَّا الْكُفُورَ قَالُوا وَالْفَاسِقُ لَا بَدَ أَنْ يَجْازِي فوجب أن يكون كفورا. والجواب أن المراد بذلك وهل نجازي بعقاب الاستئصال إلا الكفور لأن الآية وردت في قصة أهل سبأ لكونهم استؤصلوا بالعقوبة. ومنها أنه تعالى قَالَ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ فَجَعَلَ الْغَاوِي الَّذِي يَتَّبِعُهُ مُشْرِكًا. والجواب أنا لانسلم أن لفظة إنما تفيد الحصر وأيضا فإنه عطف قوله -قرآن- ١٠١-١٢٢-قرآن- ٢٨٨-٤٢٩-قرآن- ٦٣٦-٦٩٧-قرآن- ٨٩٦-٩٧٢-قرآن- ٩٩٣-١٠٦٩ [صفحة ١١٧] وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ عَلَى قَوْلِهِ الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ فوجب أن يثبت التغاير بين الفريقين وهذا مذهبنا لأن الذين يتولونه هم الفساق والذين هم به مشركون هم الكفار. ومنها قوله تعالى وَ أَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَا وَأَهُمُ النَّارُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ فَجَعَلَ الْفَاسِقَ مُكذِّبًا. والجواب أن المراد به الذين فسقوا عن الدين أي خرجوا عنه بكفرهم ولا شبهة أن من كان فسقه من هذا الوجه فهو كافر مكذب ولا يلزم منه أن كل فاسق على الإطلاق فهو مكذب وكافر. ومنها قوله تَعَالَى وَ لَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ وَقَالُوا فَأُثِّبُوا فَالظالم جاحدا وهذه صفة الكفار. والجواب أن المكلف قد يكون ظلما بالسرقة والزنا وإن كان عارفا بالله تعالى وإذجاز إثبات ظالم ليس بكافر ولا جاحدا بآيات الله تعالى جاز إثبات فاسق ليس بكافر. ومنها قوله تعالى وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ. والجواب أن هذه الآية تدل على أن الكافر فاسق ولا تدل على أن الفاسق كافر. ومنها قوله تعالى فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدِينَ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَ هُمْ فِيهَا كَالِحُونَ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتلى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ. -قرآن- ١-٣١-قرآن- ٤٣-٦٤-قرآن- ٢٠٠-٢٤٥-قرآن- ٢٦٤-٣٣١-قرآن- ٥٥١-٥٩٧-قرآن- ٨٢٨-٨٨٠-قرآن- ٩٨١-١٢٣٥ [صفحة ١١٨] فنص سبحانه على أن من تخف موازينه يكون مكذبا والفسق تخف موازينه فكان مكذبا و كل مكذب كافر. الجواب أن ذلك لا يمنع من قسم ثالث وهم الذين لا تخف موازينهم ولا تثقل وهم الفساق ولا يلزم من كون كل من خفت موازينه يدخل النار إلا يدخل النار إلا من خفت موازينه. ومنها قوله تعالى هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرًا وَمِنْكُمْ مُؤْمِنًا وَ هَذَا يَقْتَضِي أَنْ مَنْ لَا يَكُونُ مُؤْمِنًا فَهُوَ كَافِرٌ وَالْفَاسِقُ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ فَجَبَّ أَنْ يَكُونَ كَافِرًا. والجواب أن من هاهنا للتبعيض وليس في ذكر التبعض نفى الثالث كما أن قوله وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ لَا يَنْفِي وَجُودَ دَابَّةٍ تَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ كَبَعْضِ الْحَشْرَاتِ -قرآن- ٣٠٠-٣٥٤-قرآن- ٥٢١-٥٩٠. ثم نعود إلى الشرح قوله ع و من رمى به الشيطان مراميه أي أضله كأنه رمى به مرمى بعيدا فضل عن الطريق و لم يهتد إليها. قوله وضرب به تيهه أي حيره وجعله تائها. ثم قال ع يهلك في رجلان فأحدهما من أفرط حبه له واعتقاده فيه حتى ادعى له الحلول كما دعت النصارى ذلك في المسيح ع والثاني من أفرط بغضه له حتى حاربه أولعنه أو برئ منه أو أبغضه هذه المراتب الأربعة والبغض أدناها وهو [صفحة ١١٩] موبق مهلك و في الخبر الصحيح المتفق عليه أنه لا يجبه إلا المؤمن ولا يبغضه إلا منافق وحسبك بهذا الخبر ففيه وحده كفاية

فصل في ذكر الغلاة من الشيعة والنصيرية وغيرهم

فأما الغلاة فيه فهالكون كما هلك الغلاة في عيسى ع و قدروى المحدثون أن رسول الله ص قال له ع فيك مثل من عيسى ابن مريم أبغضته اليهود فبهتت أمه وأحبته النصارى فرفعته فوق قدره -رواية- ١-٢-رواية- ٥١-١٤٣ و قد كان أمير المؤمنين عشر على قوم من أصحابه خرجوا من حد محبته باستحواذ الشيطان عليهم أن كفروا بربهم وجحدوا ماجاء به نبيهم فاتخذوه ربا

وادعوه إليها وقالوا له أنت خالقنا ورازقنا فاستتابهم واستأنى وتوعدهم فأقاموا على قولهم فحفر لهم حفرا دخن عليهم فيها طمعا في رجوعهم فأبوا فحرقهم وقال ألاتروني قد حفرت حفرا || أنى إذ أريت أمرا منكرا أوقدت نارى ودعوت قنبرا روى أبو العباس أحمد بن عبيد الله بن عمار الثقفى عن محمد بن سليمان بن حبيب المصيصى المعروف بنوين وروى أيضا عن على بن محمد النوفلى عن مشيخته أن عليا ع مر بقوم وهم يأكلون فى شهر رمضان نهارا فقال أسفر أم مرضى قالوا لا ولا واحدة منهما قال فمن أهل الكتاب أنتم فتعصمكم الذمة والجزية قالوا لا قال فما بال الأكل فى نهار رمضان فقاموا إليه فقالوا أنت أنت يؤمون إلى ربوبيته فنزل ع عن فرسه فألصق خده بالأرض وقال ويلكم إنما أنا عبد من عبيد الله فاتقوا الله وارجعوا إلى الإسلام فأبوا فدعاهم مرارا فأقاموا على كفرهم فنهض إليهم وقال شدوهم وثاقا وعلى بالفعل والنار والحطب ثم أمر -رواية ١- ٢-رواية ١٥٥-ادامه دارد [صفحه ١٢٠] بحفر بئرين فحفرتا إحداهما سربا والأخرى مكشوفة وألقى الحطب فى المكشوفة وفتح بينهما فتحا وألقى النار فى الحطب فدخن عليهم وجعل يهتف بهم ويناشدهم ليرجعوا إلى الإسلام فأبوا فأمر بالحطب والنار فألقى عليهم فأحرقوا -رواية- از قبل ٢٢٧- فقال الشاعر لترم بى المنية حيث شاءت || إذا لم ترمنى فى الحفرتين إذا ما حشتا حطبا بنار || فذاك الموت نقدا غير دين . قال فلم يبرح ع حتى صاروا حمما . ثم استترت هذه المقالة سنة أو نحوها ثم ظهر عبد الله بن سبأ وكان يهوديا يتستر بالإسلام بعد وفاة أمير المؤمنين ع فأظهرها واتبعه قوم فسماوا السبئية وقالوا إن عليا ع لم يمت وإنه فى السماء والرعد صوته والبرق صوته وإذ اسمعوا صوت الرعد قالوا السلام عليك يا أمير المؤمنين وقالوا فى رسول الله ص أغلظ قول وافترؤا عليه أعظم فريه فقالوا كتم تسعة أعشار الوحي فنعى عليهم قولهم الحسن بن على بن محمد بن الحنفية رضى الله عنه فى رسالته التى يذكر فيها الإرجاء رواها عنه سليمان بن أبى شيخ عن الهيثم بن معاوية عن عبدالعزيز بن أبان عن عبد الواحد بن أيمن المكى قال شهدت الحسن بن على بن محمد بن الحنفية يملئ هذه الرسالة فذكرها وقال فيها و من قول هذه السبئية هدينا لوى ضل عنه الناس وعلم خفى عنهم وزعموا أن رسول الله ص كتم تسعة أعشار الوحي ولو كتم ص شيئا مما أنزل الله عليه لكم شأن امرأة زيد وقوله تعالى تبتغي مرضات أزواجك . -قرآن- ٨٨٣- ٩٠٩ [صفحه ١٢١] ثم ظهر المغيرة بن سعيد مولى بجيلة فأراد أن يحدث لنفسه مقالة يستهوى بها قوما وينال بها ما يريد الظفر به من الدنيا فعلا فى على ع وقال لوشاء على لأحيا عادا و ثمود وقرونا بين ذلك كثيرا . وروى على بن محمد النوفلى قال جاء المغيرة بن سعيد فاستأذن على أبى جعفر محمد بن على بن الحسين وقال له أخبر الناس أنى أعلم الغيب وأنا أطمعك العراق فزجره أبو جعفر زجرا شديدا وأسمعه ماكره فانصرف عنه فأتى أباهاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية رحمه الله فقال له مثل ذلك وكان أبوهاشم أيدا فوثب عليه فضربه ضربا شديدا أشفى به على الموت فتعالج حتى برئ ثم أتى محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن رحمه الله وكان محمد سكيئا فقال له كما قال للرجلين فسكت محمد فلم يجبه فخرج وقد طمع فيه بسكوته وقال أشهد أن هذا هو المهدي الذى بشر به رسول الله ص وأنه قائم أهل البيت وادعى أن على بن الحسين ع أوصى إلى محمد بن عبد الله بن الحسن ثم قدم المغيرة الكوفة وكان مشعبدا فدعا الناس إلى قوله واستهواهم واستغواهم فاتبعه خلق كثير وادعى على محمد بن عبد الله أنه أذن له فى خنق الناس وإسقاءهم السموم وبث أصحابه فى الأسفار يفعلون ذلك بالناس فقال له بعض أصحابه إنا نخنق من لانعرف فقال لعلكم إن كان من أصحابكم عجلتموه إلى الجنة وإن كان من عدوكم عجلتموه إلى النار ولهذا السبب كان المنصور يسمى محمد بن عبد الله الخناق وينحله مادعا عليه المغيرة . ثم تفاقم أمر الغلاة بعد المغيرة وأمعنوا فى الغلو فادعوا حلول الذات الإلهية [صفحه ١٢٢] المقدسة فى قوم من سلالة أمير المؤمنين ع وقالوا بالتناسخ ووجدوا البعث والنشور وأسقطوا الثواب والعقاب وقال قوم منهم إن الثواب والعقاب إنما هو ملاذ هذه الدنيا ومشاقها وتولدت من هذه المذاهب القديمة التى قال بها سلفهم مذاهب أفحش منها قال بها خلفهم حتى صاروا إلى المقالة المعروفة بالنصيرية وهى التى أحدثها محمد بن نصير النميرى وكان من أصحاب الحسن

بالزخرف و هوالذهب . وأجنحة الدور التي شبهها بأجنحة النسور رواشيتها والخراطيم ميازيبها. [صفحة ١٢٦] وقوله لايندب قتلهم ليس يريد به من يقتلونه بل القتل منهم و ذلك لأن أكثر الزنج الذين أشار إليهم كانوا عبيدا لدهاقين البصرة وبناتها و لم يكونوا ذوى زوجات وأولاد بل كانوا على هيئة الشطار عزابا فلانادبه لهم . وقوله و لايفقد غائبهم يريد به كثرتهم وأنهم كلما قتل منهم قتل سد مسده غيره فلايظهر أثر فقده . وقوله أناكأب الدنيا لوجهها مثل الكلمات المحكيه عن عيسى ع أنا ألدى كبيت الدنيا على وجهها ليس لى زوجة تموت و لايبث يخرب و سادى الحجر و فراشى المدر و سراجى القمر -روايت- ١-٢- روايت-١٥-١٢٣

أخبار صاحب الزنج وفتنته و ما انتحله من عقائد

فأما صاحب الزنج هذا فإنه ظهر فى فرات البصرة فى سنة خمس وخمسين ومائتين رجل زعم أنه على بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ع فتبعه الزنج الذين كانوا يكسحون السباخ فى البصرة. وأكثر الناس يقدرحون فى نسبه وخصوصا الطالبين وجمهور النساين اتفقوا على [صفحة ١٢٧] أنه من عبدالقيس و أنه على بن محمد بن عبدالرحيم و أمه أسديه من أسد بن خزيمه جدها محمد بن حكيم الأسدى من أهل الكوفه أحد الخارجين مع زيد بن على بن الحسين ع على هشام بن عبدالملك فلما قتل زيد هرب فلحق بالرى وجاء إلى القرية التى يقال لها ورزني ف أقام بهامده و بهذه القرية ولد على بن محمد صاحب الزنج و بهامنشؤه و كان أبو آبيه المسمى عبدالرحيم رجلا من عبدالقيس كان مولده بالطالقان فقدم العراق واشترى جارية سنديه فأولدها محمدا أباه . و كان على هذا متصلا بجماعه من حاشية السلطان و خول بنى العباس منهم غانم الشطرنجى وسعيد الصغير وبشير خادم المنتصر و كان منهم معاشه و من قوم من كتاب الدولة يمدحهم ويستمنحهم بشعره و يعلم الصبيان الخط والنحو والنجوم و كان حسن الشعر مطبوعا عليه فصيح اللهجة بعيد الهمه تسمو نفسه إلى معالى الأمور و لايجد إليها سيلا و من شعره القصيدة المشهورة التى أولها [صفحة ١٢٨] رأيت المقام على الاقتصاد || قنوعا به ذلة فى العباد . و من جملتها إذا النار ضاق بها زندها || ففسحتها فى فراق الزناد إذا صارم قر فى غمده || حوى غيره السبق يوم الجلال . و من الشعر المنسوب إليه و أنالتصيح أسيفنا || إذا ما انتضين ليوم سفوك منا برهن بطون الأ-كف || وأغمادهن رءوس الملوك . و من شعره فى الغزل و لماتينت المنازل بالحى || و لم أقض منها حاجة المتورد زفرت إليها زفرة لوحشوتها || سراييل أبدان الحديد المسرد لرقت حواشيتها وظلت متونها || تلين كمالانت لداود فى اليد . و من شعره أيضا و إذا تنازعنى أقول لها قرى || موت يريحك أو صعود المنبر ما قد قضى سيكون فاصطبرى له || و لك الأمان من ألدى لم يقدر . و قد ذكر المسعودى فى كتابه المسمى مروج الذهب أن أفعال على بن محمد صاحب الزنج تدل على أنه لم يكن طالبا و تصدق مارمى به من دعوته فى النسب لأن ظاهر حاله كان ذهابه إلى مذهب الأزارقة فى قتل النساء والأطفال والشيخ الفانى والمريض [صفحة ١٢٩] و قد روى أنه خطب مرة فقال فى أول خطبته لا إله إلا الله و الله أكبر الله أكبر لا حكم إلا لله و كان يرى الذنوب كلها شركا . و من الناس من يطعن فى دينه ويرميه بالزندقة والإلحاد و هذا هو الظاهر من أمره لأنه كان متشاغلا فى بدايته بالتنجيم والسحر والأصطرلابات . و ذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى أن على بن محمد شخص من سامراء و كان يعلم الصبيان بها ويمدح الكتاب ويستميح الناس فى سنة تسع وأربعين ومائتين إلى البحرين فادعى بها أنه على بن محمد بن الفضل بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن على بن أبى طالب ع ودعا الناس بهجر إلى طاعته فاتبعه جماعة كثيرة من أهلها واتبعه جماعة أخرى فكانت بسببه بين الذين اتبعوه والذين أبوه عصبية قتل فيها بينهم جماعة فانتقل عنهم لما حدث ذلك إلى الأحساء وضوى إلى حى من

بنى تميم ثم من بنى سعد يقال لهم بنو الشماس فكان بينهم مقامه و قد كان أهل البحرين أحلوه من أنفسهم محل النبي ص فيما ذكر حتى جبي له الخراج هنالك ونفذ حكمه فيهم وقاتلوا أسباب السلطان لأجله ووتر منهم جماعة كثيرة فتنكروا له فتحول عنهم إلى البادية و لم ينتقل إلى البادية صحبه جماعة من أهل البحرين منهم رجل كيال من أهل الأحساء يقال له يحيى بن محمد الأزرق مولى بنى دارم ويحيى بن أبى [صفحة ١٣٠] ثعلب و كان تاجرا من أهل هجر وبعض موالى بنى حنظلة أسود يقال له سليمان بن جامع و كان قائد جيشه حيث كان بالبحرين . ثم تنقل فى البادية من حى إلى حى فذكر عنه أنه كان يقول أوتيت فى تلك الأيام آيات من آيات إمامتى منها أنى لقيت سورا من القرآن لم أكن أحفظها فجرى بهالسانى فى ساعة واحدة منها سبحان والكهف وصاد ومنها أنى ألقىت نفسى على فراشى وجعلت أفكر فى الموضع الذى أقصد له وأجعل مقامى به إذانبت البادية بى وضقت ذرعا بسوء طاعة أهلها فأظلمت سحابه فبرقت ورعدت واتصل صوت الرعد منها بسمعى فخطبت فقيل لى اقصد البصرة فقلت لأصحابى وهم يكتفوننى إنى أمرت بصوت من هذا الرعد بالمصير إلى البصرة. و ذكر عنه أنه عند مصيره إلى البادية أوهم أهلها أنه يحيى بن عمر أبو الحسين المقتول بناحية الكوفة فى أيام المستعين فاخندع بذلك قوما منهم حتى اجتمع عليه منهم جماعة فزحف بهم إلى موضع من البحرين يقال له الردم فكانت بينه وبين أهله وقعة عظيمة كانت الدبرة فيها عليه و على أصحابه قتلوا فيها قتلا ذريعا فتفرقت عنه العرب وكرهته وتجنبت صحبته . فلما تفرقت العرب عنه ونبت به البادية شخص عنها إلى البصرة فنزل بها فى بنى ضبيعة فاتبعه بها جماعة منهم على بن أبان المعروف بالمهلبى من ولد المهلب بن أبى صفرة وأخواه محمد والخليل وغيرهم و كان قدومه البصرة فى سنة أربع وخمسين ومائتين [صفحة ١٣١] وعامل السلطان بها يومئذ محمد بن رجاء ووافق ذلك فتنة أهل البصرة بالبلالية والسعدية فطمع فى أحد الفريقين أن يميل إليه فأرسل أربعة من أصحابه يدعون إليه وهم محمد بن سلم القصاب الهجرى وبريش القريعى و على الضراب و الحسين الصيدنانى وهم الذين كانوا صحبه بالبحرين فلم يستجب لهم أحد من أهل البلد وثار عليهم الجند فتفرقوا وخرج على بن محمد من البصرة هاربا وطلبه ابن رجاء فلم يقدر عليه وأخبر ابن رجاء بميل جماعة من أهل البصرة إليه فأخذهم فحبسهم وحبس معهم زوجة على بن محمد وابنه الأكبر وجارية له كانت حاملا ومضى على بن محمد لوجهه يريد بغداد ومعه قوم من خاصته منهم محمد بن سلم ويحيى بن محمد وسليمان بن جامع وبريش القريعى فلما صاروا بالبطحاء نذر بهم بعض موالى الباهليين كان يلى أمر البطحاء فأخذهم وحملهم إلى محمد بن أبى عون و هو عامل السلطان بواسط فاحتال لابن أبى عون حتى تخلص هو وأصحابه من يده ثم صار إلى بغداد فأقام بهاسنة وانتسب فى هذه السنة إلى محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد و كان يزعم أنه ظهر له أيام مقامه ببغداد فى هذه السنة آيات وعرف ما فى ضمائر أصحابه و ما يفعله كل واحد منهم و أنه سأل ربه أن يعلمه حقيقة أمور كانت فى نفسه فرأى كتابا يكتب له على حائط ولا يرى شخص كاتبه . قال أبو جعفر واستمال ببغداد جماعة منهم جعفر بن محمد الصوحانى من ولد زيد بن صوحان العبدى و محمد بن القاسم و غلامان لبنى خاقان وهما مشرق ورفيق فسمى مشرقا حمزة وكناه أبا أحمد وسمى رفيقا جعفرا وكناه أبا الفضل فلما انقضى عامه ذلك ببغداد عزل محمد بن رجاء عن البصرة فوثبت رؤساء الفتنة بها من البلالية والسعدية [صفحة ١٣٢] ففتحوا المحابس وأطلقوا من كان فيها فتخلص أهله وولده فيمن تخلص فلما بلغه ذلك شخص عن بغداد فكان رجوعه إلى البصرة فى شهر رمضان من سنة خمس وخمسين ومائتين ومعه على بن أبان المهلبى و قد كان لحق به و هو بمدينة السلام مشرق ورفيق وأربعة آخر من خواصه وهم يحيى بن محمد و محمد بن سلم وسليمان بن جامع و أبو يعقوب المعروف بجربان فساروا جميعا حتى نزلوا بالموضع المعروف ببرنخل من أرض البصرة فى قصر هناك يعرف بقصر القرشى على نهر يعرف بعمود بن المنجم كان بنو موسى بن المنجم احتفروه وأظهر أنه وكيل لولد الواثق فى بيع ما يملكونه هناك من السباخ . قال أبو جعفر فذكر عن ريحان بن صالح أحد غلمان الشورجيين الزوج و هو أول من صحبه منهم قال كنت

موكلا بغلمان مولاي أنقل الدقيق إليهم فمررت به و هو مقيم بقصر القرشى يظهر الوكالة لأولاد الواثق فأخذنى أصحابه وصاروا بى إليه وأمرونى بالتسليم عليه بالإمره ففعلت ذلك فسألنى عن الموضوع الذى جئت منه فأخبرته أنى أقبلت من البصره فقال هل سمعت لنا بالبصره خبرا قلت لا قال فخير البلاليه والسعديه قلت لم أسمع لهم خبرا فسألنى عن غلمان الشورجيين و مايجرى لكل جماعه منهم من الدقيق والسويق والتمر وعمن يعمل فى الشورج من الأحرار والعييد فأعلمته ذلك فدعانى إلى ما هو عليه فأجبتة فقال لى احتل فيمن قدرت عليه من الغلمان فأقبل بهم إلى ووعدنى أن يقودنى على من آتية به منهم و أن يحسن إلى واستحلفنى ألا- أعلم أحدا بموضعه و أن أرجع إليه فخلى سبيلى فأتيت بالدقيق الذى معى إلى غلمان مولاي وأخبرتهم خبره وأخذت له البيعه عليهم ووعدتهم عنه بالإحسان والغنى ورجعت إليه من غد ذلك اليوم و قدوافاه رفيق غلام الخاقانيه [صفحه ١٣٣] و قد كان وجهه إلى البصره يدعو إليه غلمان الشورج ووافى إليه صاحب له آخر يعرف بشبل بن سالم قد كان دعا إليه قوما منهم أيضا وأحضر معه حريره كان أمره بابتاعها ليتخذها لواء فكتب فيها بالحمرة إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأن لهم الجنة يُقاتلون فى سبيل الله لآية وكتب اسمه واسم أبيه عليها وعلقها فى رأس مردى وخرج وقت السحر من ليلة السبت لليلتين بقيتا من شهر رمضان فلما صار إلى مؤخر القصر الذى كان فيه لقيه غلمان رجل من الشورجيين يعرف بالطار متوجهين إلى أعمالهم فأمر بأخذ و كيلهم فأخذ وكتف واستضم غلمانه إلى غلمانه وكانوا خمسين غلاما ثم صار إلى الموضوع المعروف بالسنائى فاتبعه الغلمان الذين كانوا فيه وهم خمسمائة غلام فيهم الغلام المعروف بأبى حديد وأمر بأخذ و كيلهم وكتفه ثم مضى إلى الموضوع المعروف بالسيرافى فاتبعه من كان فيه من غلمان وهم مائة وخمسون غلاما منهم زريق و أبوالخنجر ثم صار إلى الموضوع المعروف بسبخه ابن عطاء فأخذ طريفا وصبيحا الأعسر وراشد المغربى وراشد القرمطى و كل هؤلاء من وجوه الزنج وأعيانهم الذين صاروا قوادا وأمراء فى جيوشهم وأخذ معهم ثمانين غلاما. ثم أتى إلى الموضوع المعروف بغلام سهل الطحان فاستضاف من كان به من الغلمان ثم لم يزل يفعل مثل ذلك فى يومه حتى اجتمع إليه بشر كثير من الزنج ثم قام فيهم - قرآن- ١٩٨-٣١٢ [صفحه ١٣٤] آخر الليل خطيبا فمناهم ووعدهم أن يقودهم ويرئسهم ويملكهم الأموال والضياع وحلف لهم بالأيمان الغليظة ألا- يغدر بهم و لا يخذلهم و لا يدع شيئا من الإحسان إلا أتى إليهم . ثم دعا وكلاءهم فقال قد أردت ضرب أعناقكم لما كنتم تأتون إلى هؤلاء الغلمان الذين استضعفتموهم وقهرتموهم و فعلتم بهم ما حرم الله عليكم أن تفعلوه بهم وكلفتموهم ما لا يطيقونه فكلمنى أصحابى فيكم فرأيت إطلاقكم فقالوا له أصلحك الله إن هؤلاء الغلمان أباق وإنهم سيهريون منك فلا ييقون عليك و لا علينا فخذ من مواليتهم مالا وأطلقهم . فأمر الغلمان فأحضروا شطوبا ثم بطح كل قوم و كيلهم فضرب كل رجل منهم خمسمائة شطبة وأحلفهم بطلاق نسائهم ألا يعلموا أحدا بموضعه ثم أطلقهم فمضوا نحو البصره ومضى رجل منهم حتى عبر دجيل الأهواز فأنذر الشورجيين ليحفظوا غلمانهم و كان هناك خمس مائة عشر ألف غلام زنجى ثم سار وعبر دجيلا وسار إلى نهر ميمون بأصحابه واجتمع إليه السودان من كل جهة. فلما كان يوم الفطر جمعهم وخطب خطبة ذكر فيها ما كانوا عليه من سوء الحال و أن الله تعالى قد استنقذهم من ذلك و أنه يريد أن يرفع أقدارهم ويملكهم العبيد والأموال والمنازل و يبلغ بهم أعلى الأمور ثم حلف لهم على ذلك فلما فرغ من خطبته [صفحه ١٣٥] أمر الذين فهموا عنه قوله أن يفهموه من لافهم له من عجمهم لتطيب بذلك أنفسهم ففعلوا ذلك . قال أبو جعفر فلما كان فى اليوم الثالث من شوال وافاه الحميرى أحد عمال السلطان بتلك النواحي فى عدد كثير فخرج إليه صاحب الزنج فى أصحابه فطرده وهزم أصحابه حتى صاروا فى بطن دجلة واستأمن إلى صاحب الزنج رجل من رؤساء السودان يعرف بأبى صالح القصير فى ثلاثمائة من الزنج فلما كثر من اجتمع إليه من الزنج قود قواده و قال لهم من أتى منكم برجل من السودان فهو مضموم إليه . قال أبو جعفر وانتهى إليه أن قوما من أعوان السلطان هناك منهم خليفة بن أبى عون على الأبله ومنهم الحميرى قد أقبلوا نحوه فأمر أصحابه بالاستعداد لهم فاجتمعوا للحرب

و ليس فى عسكره يومئذ إلا ثلاثة أسياف سيفه وسيف على بن أبان وسيف محمد بن سلم ولحقه القوم ونادى الزنج فبدر مفرج النوبى والمكنى بأبى صالح وريحان بن صالح وفتح الحجام و قد كان فتح حينئذ يأكل و بين يديه طبق فلما نهض تناول ذلك الطبق و تقدم أمام أصحابه فلقى رجل من عسكر أصحاب السلطان فلما رآه فتح حمل عليه و حذفه بالطبق الذى كان فى يده فرمى الرجل سلاحه وولى هاربا وانهزم القوم كلهم وكانوا أربعة آلاف فذهبوا على وجوههم و قتل من قتل منهم ومات بعضهم عطشا و أسر كثير منهم فأتى بهم صاحب الزنج فأمر بضرب أعناقهم فضربت و حملت الرءوس على بغال كان أخذها من الشورجيين كانت تنقل الشورج . [صفحہ ۱۳۶] قال أبو جعفر و مر فى طريقه بالقرية المعروفة بالمحمدية فخرج منها رجل من موالى الهاشميين فحمل على بعض السودان فقتله و دخل القرية فقال له أصحابه ائذن لنا فى انتهاب القرية و طلب قاتل صاحبنا فقال لاسبيل إلى ذلك دون أن نعرف ما عند أهلها و هل فعل القاتل ما فعل عن رأيهم و نساألهم أن يدفعوه إلينا فإن فعلوا و إلا حل لنا قتالهم و عجل المسير من القرية فتركها و سار . قال أبو جعفر ثم مر على القرية المعروفة بالكرخ فأتاه كبارؤها و أقاموا له الأتزال و بات ليلته تلك عندهم فلما أصبح أهدى له رجل من أهل القرية المسماة جبي فرسا كميئا فلم يجد سرجا و لالجما فركبه بحبل و سنفه بحبل ليف . قلت هذا تصديق قول أمير المؤمنين ع كأنه به قد سار فى الجيش الذى ليس له غبار و لالجب و لاقعقة لجم و لاحممة خيل يثرون الأرض بأقدامهم كأنها أقدام النعام . قال أبو جعفر و أول مال صار إليه مائتا دينار و ألف درهم لما نزل القرية المعروفة بالجعفرية أحضر بعض رؤسائها و سأله عن المال فجدد فأمر بضرب عنقه فلما خاف [صفحہ ۱۳۷] أحضر له هذا القدر و أحضر له ثلاثة برازين كميئا و أشقر و أشهب فدفع أحدها إلى محمد بن سلم و الآخر إلى يحيى بن محمد و الآخر إلى مشرق غلام الخاقانية و وجدوا فى دار لبعض الهاشميين سلاحا فانتهبوه فصار ذلك اليوم بأيدى بعض الزنج سيوف و آلات و أتراس . قال أبو جعفر ثم كانت بينه و بين من يليه من أعوان السلطان كالحميرى و رميس و عقيل و غيرهم و قعات كان الظفر فيها كلها له و كان يأمر بقتل الأسرى و يجمع الرءوس معه و ينقلها من منزل إلى منزل و ينصبها أمامه إذا نزل و أوقع الهيبة و الرهبة فى صدور الناس بكثرة القتل و قلة العفو و على الخصوص المأسورين فإنه كان يضرب أعناقهم و لا يستبقى منهم أحدا . قال أبو جعفر ثم كان له مع أهل البصرة و قعة بعد ذلك سار يريد لها فى ستة آلاف زنجى فاتبعه أهل الناحية المعروفة بالجعفرية ليحاربوه فعسكر عليهم فقتل منهم مقتلة عظيمة أكثر من خمسمائة رجل فلما فرغ منهم صمد نحو البصرة و اجتمع أهلها و من بها من الجند و حاربوه حربا شديدا فكانت الدائرة عليه و انهزم أصحابه و وقع كثير منهم فى النهرين المعروفين بنهر كثير و نهر شيطان و جعل يهتف بهم و يرددهم و لا يرجعون و غرق من أعيان جنده و قواده جماعة منهم أبو الجون و مبارك البحرانى و عطاء البربرى و سلام الشامى فلحقه قوم من جند البصرة و هو على قنطرة نهر كثير فرجع إليهم بنفسه و سيفه فى يده فرجعوا عنه حتى صاروا إلى الأرض و هو يومئذ فى دراعة و عمامة و نعل و سيف و فى يده اليسرى ترس و نزل عن القنطرة فصعدا البصريون يطلبونه فرجع إليهم فقتل منهم رجلا بيده على خمس مراق من القنطرة و جعل يهتف بأصحابه و يعرفهم مكانه و لم يكن بقى معه فى ذلك الموضوع من أصحابه [صفحہ ۱۳۸] إلا أبو الشوك و مصلح و رفيق و مشرق غلاما الخاقانية و ضل أصحابه عنه و انحلت عمامته فبقى على رأسه كور منها أو كوران فجعل يسحبها من ورائه و يعجله المشى عن رفعها و أسرع غلاما الخاقانية فى الانصراف و قصر عنهما فغابا عنه فاتبعه رجلا من أهل البصرة بسيفيهما فرجع إليهما فانصرفا عنه و خرج إلى الموضوع الذى فيه مجمع أصحابه و قد كانوا تحيروا فلما رأوه سكنوا . قال أبو جعفر ثم سأل عن رجاله و إذا قد هرب كثير منهم و نظر فإذا هو من جميع أصحابه فى مقدار خمسمائة رجل فأمر بالنفخ فى البوق الذى كانوا يجتمعون لصوته فنفخ فيه فلم يرجع إليه أحد . قال و انتهب أهل البصرة سفنا كانت معه و ظفروا بمتاع من متاعه و كتب من كتبه و أصطرلابات كان معه ثم تلاحق به جماعة ممن كان هرب فأصبح و إذامعه ألف رجل فأرسل محمد بن سلم و سليمان بن جامع و يحيى بن محمد إلى أهل البصرة يعظهم و يعلمهم أنه لم يخرج

الإغضب الله وللدين ونهيا عن المنكر فعبر محمد بن سلم حتى توسط أهل البصرة وجعل يكلمهم ويخاطبهم فأرأوا منه غرة فوثبوا عليه فقتلوه ورجع سليمان ويحيى إلى صاحب الزنج فأخبراه فأمرهما بطى ذلك عن أصحابه حتى يكون هو الذى يخبرهم . فلما صلى بهم العصر نعى إليهم محمد بن سلم وقال لهم إنكم تقتلون به فى غد عشرة آلاف من أهل البصرة. قال أبو جعفر وكان الوقعة التى كانت الدبرة عليه فيها يوم الأحد لثلاث عشرة [صفحہ ۱۳۹] ليلة خلون من ذى القعدة سنة خمس وخمسين ومائتين فلما كان يوم الإثنين جمع له أهل البصرة وحشدوا لمارأوا من ظهورهم عليه يوم الأحد وانتدب لذلك رجل من أهل البصرة يعرف بحماد الساجى وكان من غزاة البحر فى الشذا وله علم بركوبها والحرب فيها فجمع المطوعة ورماه الأهداف وأهل المسجد الجامع ومن خف معه من حزبي البلالية والسعدية ومن غير هذه الأصناف من الهاشميين والقرشيين ومن يحب النظر ومشاهدة الحرب من سائر أصناف الناس وشحن ثلاثة مراكب من الشذا بالرماء وجعل الناس يزدحمون فى الشذا حرصا على حضور ذلك المشهد ومضى جمهور الناس رجاله منهم من معه سلاح ومنهم من لاسلاح معه بل نظارة فدخلت السفن النهر المعروف بأمر حبيب بعد زوال الشمس من ذلك اليوم فى المد ومرت الرجال والنظارة على شاطئ النهر قد سدوا ما ينفذ فيه البصر كثرة وتكاثفا فوجه صاحب الزنج صاحبه زريقا وأباليث الأصبهاني فجعلهم كميناً من الجانب الشرقى من نهر شيطان وكان مقيماً بموضع منه ووجه صاحبيه شبلا وحسنا الحمامى فجعلهما كميناً فى غريبه ومع كل من الكمينين جماعة وأمر على بن أبان المهلبى أن يتلقى القوم فيمن بقى معه من جمعه وأمره أن يستتر هو وأصحابه بتراسهم ولا يثور إليهم منه نائر حتى يوافيهم القوم ويخالطوهم بأسيا ففهم فإذا فعلوا ذلك ثاروا إليهم وتقدم إلى الكمينين إذا جاوزهما الجمع وأحسا بثورة أصحابهم إليهم أن يخرجوا من جنبى النهر ويصيحا بالناس . وكان يقول لأصحابه بعد ذلك لما أقبل إلى جمع البصرة وعائنه رأيت أمرا هائلا راعنى وملاً صدرى رهبة وجزعا ففزعت إلى الدعاء وليس معى من أصحابى إلا نفر يسير منهم مصلح وليس منا أحد إلا وقد خيل إليه مصرعه فجعل مصلح يعجبني من [صفحہ ۱۴۰] كثرة ذلك الجمع وجعلت أومئى إليه أن اسكت فلما قرب القوم منى قلت اللهم إن هذه ساعة العسرة فأعنى فرأيت طيوراً بيضا أقبلت فتلقت ذلك الجمع فلم أستتم دعائى حتى بصرت بسميريه من سفنهم قد انقلبت بمن فيها فغرقوا ثم تلتها الشذا فغرقت واحدة بعد واحدة وثار أصحابى إلى القوم وخرج الكمينان من جنبى النهر وصاحوا وخبطوا الناس فغرقت طائفة وقتلت طائفة وهربت طائفة نحو الشط طمعا فأدركها السيف فمن ثبت قتل ومن رجع إلى الماء غرق حتى أبيض ذلك الجمع ولم ينج منهم إلا الشريد وكثر المفقودون بالبصرة وعلا العويل من نساتهم . قال أبو جعفر وهذا يوم الشذا الذى ذكره الناس فى أشعارهم وعظمو ما فيه من القتل فكان ممن قتل من بنى هاشم جماعة من ولد جعفر بن سليمان وانصرف صاحب الزنج وجمع الرؤوس وملاً بهاسفنا وأخرجها من النهر المعروف بأمر حبيب فى الجزر وأطلقها فوفات البصرة فوقفت فى مشرعة تعرف بمشرعة القيار فجعل الناس يأتون تلك الرؤوس فى أخذ رأس كل رجل أو لياؤه وقوى صاحب الزنج بعد هذا اليوم وسكن الرعب قلوب أهل البصرة منه وأمسكوا عن حربه وكتب إلى السلطان بخبره فوجه جعلان التركى مددا لأهل البصرة فى جيش ذوى عدة وأسلحة. [صفحہ ۱۴۱] قال أبو جعفر وقال أصحاب على بن محمد له أنا قد قتلنا مقاتلة أهل البصرة ولم يبق فيها إلا ضعفاؤهم ومن لا حراك به فأذن لنا فى تقحمها فنهاهم وهجن آراءهم وقال بل نبعث عنها فقد رعبناهم وأخفناهم ولتقحمها وقتا آخر وانصرف بأصحابه إلى سبخة فى آخر أنهار البصرة تعرف بسبخة أبى قره قريبه من النهر المعروف بالحاجر فأقام هناك وأمر أصحابه باتخاذ الأكواخ وهذه السبخة متوسطة النخل والقرى والعمارات وبث أصحابه يميناً وشمالاً يعيشون ويغيرون على القرى ويقتلون الأكره وينهبون أموالهم ويسرقون مواشيهم . وجاءه شخص من أهل الكتاب من اليهود يعرف بمارويه فقبل يده وسجد له وسأله عن مسائل كثيرة فأجابه عنها فزعم اليهودى أنه يجد صفة فى التوراة وأنه يرى القتال معه وسأله عن علامات فى يده وجسده ذكر أنها مذكورة فى الكتب فأقام معه . قال أبو جعفر ولما صار جعلان

التركي إلى البصرة بعسكره أقام ستة أشهر يحارب صاحب الزنج فإذا التقوا لم يكن بينهم إلا الرمي بالحجارة والنشاب و لم يجد جعلان إلى لقائه سيلا لضيق الموضع بما فيه من النخل والدغل عن مجال الخيل [صفحہ ۱۴۲] ولأن صاحب الزنج قد كان خندق على نفسه وأصحابه . ثم إن صاحب الزنج بيت جعلان فقتل جماعة من أصحابه وروع الباقون روعا شديدا فانصرف جعلان إلى البصرة ووجه إليه مقاتلة السعدية والبلالية في جمع كثيف فواقعهم صاحب الزنج فقهروهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وانصرفوا مفلولين ورجع جعلان بأصحابه إلى البصرة فأقام بهامعتصما بجدرانها وظهر عجزه للسلطان فصرفه عن حرب الزنج وأمر سعيد الحاجب بالشخص إلى البصرة لحربهم . قال أبو جعفر واتفق لصاحب الزنج من السعادة أن أربعا وعشرين مركبا من مراكب البحر كانت اجتمعت تريد البصرة وانتهى إلى أصحابها خبر الزنج وقطعهم السبل وفيها أموال عظيمة للتجار فاجتمعت آراؤهم على أن شدوا المراكب بعضها إلى بعض حتى صارت كالجزيرة يتصل أولها بآخرها وسارت في دجلة فكان صاحب الزنج يقول نهضت ليلة إلى الصلاة وأخذت في الدعاء والتضرع فخوطبت بأن قيل لي قد أظلك فتح عظيم فالتفت فلم ألبث أن طلعت المراكب فنهض أصحابي إليها فلم يلبثوا أن حووها وقتلوا مقاتلتها وسبوا ما فيها من الرقيق وغنموا منها أموالا لاتحصى ولا يعرف قدرها فأنهت ذلك أصحابي ثلاثة أيام وأمرت بما بقي منها فحيز لي . قال أبو جعفر ثم دخل الزنج الأبله في شهر رجب من سنة ست وخمسين ومائتين وذلك أن جعلان لماتنحى إلى البصرة ألح صاحب الزنج بالسرايا على أهل الأبله فجعل يحاربهم من ناحية شط عثمان بالرجال وبما خف له من السفن من ناحية دجلة وجعلت سراياه تضرب إلى ناحية نهر معقل . [صفحہ ۱۴۳] فذكر عن صاحب الزنج أنه قال ميلت بين عبادان والأبله فملت إلى التوجه إلى عبادان فندبت الرجال إلى ذلك فخوطبت وقيل لي إن أقرب عدو دارا وأولاه ألا يتشاغل عنه بغيره أهل الأبله فرددت بالجيش الذي كنت سيرته نحو عبادان إلى الأبله و لم يزالوا يحاربون أهلها إلى أن اقتحموها وأضرموها نارا وكانت مبنية بالساج بناء متكاثفا فأسرعت فيها النار ونشأت ريح عاصف فاطارت شرر ذلك الحريق إلى أن انتهى إلى شط عثمان وقتل بالأبله خلق كثير وحويت الأسلاب والأموال على أن الذي أحرق منها كان أكثر مما انتهب واستسلم أهل عبادان بعدها لصاحب الزنج فإن قلوبهم ضعفت وخافوه على أنفسهم وحرهم فأعطوا بأيديهم وسلموا إليه بلدهم فدخلها أصحابه فأخذوا من كان فيها من العبيد وحملوا ما كان فيها من السلاح ففرقه على أصحابه وصانعه أهلها بمال كف به عنهم . قال أبو جعفر ثم دخل الزنج بعد عبادان إلى الأهواز و لم يثبت لهم أهلها فأحرقوا ما فيها وقتلوا ونهبوا وأحربوا فكان بالأهواز ابراهيم بن محمد المدبر الكاتب و إليه خراجها وضياعها فأسروه بعد أن ضربوه ضربة على وجهه وحووا كل ما كان يملكه من مال وأثاث ورقيق وكراع واشتد خوف أهل البصرة وانتقل كثير من أهلها عنها وتفرقوا في بلاد شتى وكثرت الأراجيف من عوامها . [صفحہ ۱۴۴] قال أبو جعفر فلما دخلت سنة سبع وخمسين أنفذ السلطان بغراج التركي على حرب البصرة وسعيد بن صالح الحاجب للقاء صاحب الزنج وأمر بغراج بإمداده بالرجال فلما صار سعيد إلى نهر معقل وجد هناك جيشا لصاحب الزنج في النهر المعروف بالمرغاب فأوقع بهم سعيد فهزمهم واستنقذ ما في أيديهم من النساء والنهب وأصاب سعيديا في تلك الوقعة جراحات منها جراحة في فيه . ثم بلغه أن جيشا لصاحب الزنج في الموضع المعروف بالفرات فتوجه إليه فهزمه واستأمن إليه بعض قواد صاحب الزنج حتى لقد كان المرأة من سكان ذلك الموضع تجد الزنجي مستترا بتلك الأدغال فتقبض عليه حتى تأتي به عسكر سعيد ما به عنها امتناع ثم قصد سعيد حرب صاحب الزنج فعبر إليه إلى غربى دجلة فأوقع به وقعات متتالية كلها يكون الظفر فيها لسعيد إلى أن تهيأ لصاحب الزنج عليه أن وجه إلى يحيى بن محمد البحراني صاحبه و هو إذ ذاك مقيم بنهر معقل في جيش من الزنج فأمره بتوجيه ألف رجل من أصحابه عليهم سليمان بن جامع و أبو الليث القائدان ويأمرهما بقصد عسكر سعيد ليلا حتى يوقعا به وقت طلوع الفجر من ليلة عينها لهم ففعلا ذلك وصارا إلى عسكر سعيد في ذلك الوقت فصادفا منه غرة وغفلة فأوقعا به وبأصحابه وقت طلوع الفجر فقتل منهم مقتلة

عظيمة وأصبح سعيد و قدضعف أمره واتصل بالسلطان خبره فأمره بالانصراف إلى باب السلطان وتسليم الجيش الذى معه إلى منصور بن جعفر الخياط و كان إليه يومئذ حرب الأهواز و كوتب بحرب صاحب الزنج و أن يصمد له فكانت بينهم وقعة كان الظفر فيها للزنج فقتل من أصحاب منصور خلق كثير عظيم وحمل من الرؤوس خمسمائة رأس إلى عسكر يحيى بن محمد البحرانى القائد فنصبت على نهر معقل . [صفحہ ۱۴۵] قال أبو جعفر ثم كانت بين الزنج و بين أصحاب السلطان بالأهواز وقعات كثيرة تولاها على بن أبان المهلبى فقتل شاهين بن بسطام و كان من أكابر أصحاب السلطان وهزم ابراهيم بن سيما و كان أيضا من الأمراء المشهورين واستولى الزنج على عسكره . قال أبو جعفر ثم كانت الواقعة العظمى بالبصرة فى هذه السنة و ذلك أن صاحب الزنج قطع الميرة عنهم فأضر ذلك بهم و ألح بجيوشه و زوجه عليهم بالحرب صباحا و مساء فلما كان فى شوال من هذه السنة أزمع على جمع أصحابه للهجوم على البصرة و الجند فى خراجها و ذلك لعلمه بضعف أهلها و تفرقهم و إضرار الحصار بهم و خراب ماحولها من القرى و كان قد نظر فى حساب النجوم و وقف على انكساف القمر الليلة الرابعة عشرة من هذا الشهر فذكر محمد بن الحسن بن سهل أنه قال سمعته يقول اجتهدت فى الدعاء على أهل البصرة و ابتهلت إلى الله تعالى فى تعجيل خرابها فخطبت وقيل لى إنما البصرة خبزة لك تأكلها من جوانبها فإذا انكسر نصف الرغيف خربت البصرة فأولت انكسار نصف الرغيف بانكساف نصف القمر المتوقع فى هذه الليالى و ما أخلق أمر أهل البصرة أن يكون بعده قال فكان يحدث بهذا حتى أفاض فيه أصحابه و كثر تردده فى أسماعهم و إجالتهم إياه بينهم . ثم ندب محمد بن يزيد الدارمى و هو أحد من كان صحبه بالبحرين للخروج إلى [صفحہ ۱۴۶] الأعراب و استنفر من قدر عليه منهم فأتاه منهم بخلق كثير و وجه إلى البصرة سليمان بن موسى الشعرانى فأمره بتطرق البصرة و الإيقاع بأهلها و تقدم إلى سليمان بن موسى بتمرير الأعراب على ذلك فلما وقع الكسوف أنهض إليها على بن أبان و ضم إليه جيشا من الزنج و طائفة من الأعراب و أمره بإتيان البصرة مما يلي بنى سعد و كتب إلى يحيى بن محمد البحرانى فى إتيانها مما يلي نهر عدى و ضم باقى الأعراب إليه فكان أول من واقع أهل البصرة على بن أبان و بغراج التركى يومئذ بالبصرة فى جماعة من الجند فأقام يقاتلهم يومين و أقبل يحيى بن محمد مما يلي قصر أنس قاصدا نحو الجسر فدخل على بن أبان البلد وقت صلاة الجمعة لثلاث عشرة بقين من شوال فأقبل يقتل الناس و يحرق المنازل و الأسواق بالنار فقتلناه بغراج و ابراهيم بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن سليمان الهاشمى المعروف ببيريه و كان وجيها مقدما مطاعا فى جمع عظيم فرداه فرجع فأقام ليلته تلك ثم غاداهم و قد تفرق جند البصرة فلم يكن فى وجهه أحد يدافعه و انحاز بغراج بمن معه و هرب ابراهيم بن محمد الهاشمى المعروف ببيريه فوضع على بن أبان السيف فى الناس وجاء إليه ابراهيم بن محمد المهلبى و هو ابن عمه فاستأمنه لأهل البصرة فحضر أهل البصرة قاطبة فأمهم و نادى مناديه من أراد الأمان فليحضر دار ابراهيم بن محمد المهلبى فحضر أهل البصرة قاطبة حتى ملئوا الأزقة فلما رأى اجتماعهم انتهز الفرصة فأمر بأخذ السكك و الطرق عليهم و غدر بهم و أمر الزنوج بوضع السيف فيهم فقتل كل من شهد ذلك المشهد . [صفحہ ۱۴۷] ثم انصرف آخر نهار يومه ذلك فأقام بقصر عيسى بن جعفر بالخريبة . و روى أبو جعفر قال حدثنى محمد بن الحسن بن سهل قال حدثنى محمد بن سمعان قال كنت يومئذ بالبصرة فمضيت مبادرا إلى منزلى لأتحصن به و هو فى سكة المربرد فلقيت أهل البصرة هاربين يدعون بالويل و الثبور و فى آخرهم القاسم بن جعفر بن سليمان الهاشمى على بغل متقلدا سيفا يصيح بالناس و يحكم تسلمون بلدكم و حرملكم هذا عدوكم قد دخل البلد فلم يلوا عليه و لم يسمعوا منه فمضى هاربا و دخلت أنا منزلى و أغلقت بابى و أشرفت فمر بى الأعراب و رجاله الزنج يقدمهم رجل على حصان كميته بيده رمح و عليه عذبة صفراء فسألت بعد ذلك عنه فقيل لى إنه على بن أبان . قال و نادى منادى على بن أبان من كان من آل المهلب فليدخل دار ابراهيم بن يحيى المهلبى فدخلت جماعة قليلة و أغلق الباب دونهم ثم قيل للزنج دونكم الناس فاقتلوهم و لا تبقوا منهم أحدا و خرج إليهم أبو الليث الأصفهانى أحد قود الزنج فقال للزنج كيلوا و هى العلامة التى

كانوا يعرفونها فيمن يؤمرون بقتله فأخذ الناس السيف قال فوالله إني لأسمع تشهدهم وضجيجهم وهم يقتلون و قد ارتفعت أصواتهم بالتشهد حتى سمعت بالطفاءة وهو على بعد من الموضع الذي كانوا فيه . قال ثم انتشر الزنج في سلك البصرة وشوارعها يقتلون من وجدوا ودخل على بن أبان يومئذ المسجد فأحرقه وبلغ إلى الكلاء فأحرقه إلى الجسر وأخذت النار كل مامرت به من إنسان وبهيمة وأثاث ومتاع ثم ألحوا بالغدو والرواح على من وجدوه ويسوقونهم إلى يحيى بن محمد البحراني و هو نازل ببعض سلك البصرة فمن كان ذا مال قرره حتى يستخرج ماله ثم يقتله و من كان مختلا قتله معجلا . [صفحہ ۱۴۸] قال أبو جعفر وقد كان على بن أبان كف بعض الكف عن العيث بناحية بنى سعد وراقب قوما من المهلبين وأتباعهم فأنتهى ذلك إلى على بن محمد صاحب الزنج فصرفه عن البصرة وأقر يحيى بن محمد البحراني بهالموافقته على رأيه في الإثنان في القتل ووقوع ذلك بمحبته وكتب إلى يحيى بن محمد يأمره بإظهار الكف ليسكن الناس ويظهر المستخفي و من قد عرف باليسار والثروة فإذا ظهر فليؤخذوا بالدلالة على مادفعوه وأخفوه من أموالهم ففعل يحيى بن محمد ذلك و كان لا يخلو في اليوم من الأيام من جماعة يؤتى بهم فمن عرف منهم باليسار استنزف ماعنده ثم قتله و من ظهرت له خلته عاجله بالقتل حتى لم يدع أحدا ظهر له لإقتله . قال أبو جعفر وحدثني محمد بن الحسن قال لما انتهى إلى على بن محمد عظيم ما فعل أصحابه بالبصرة سمعته يقول دعوت على أهل البصرة في غداة اليوم الذي دخل فيه أصحابي إليها واجتهدت في الدعاء وسجدت وجعلت أدعو في سجودي فرفعت إلى البصرة فرأيتها ورأيت أصحابي يقاتلون فيها ورأيت بين السماء والأرض رجلا واقفا في صورة جعفر المعلوم المتولى كان للاستخراج في ديوان الخراج بسامراء و هو قائم قد خفض يده اليسرى ورفع يده اليمنى يريد قلب البصرة فعلمت أن الملائكة تولت إخراجها دون أصحابي و لو كان أصحابي تولوا ذلك ما بلغوا هذا الأمر العظيم الذي يحكى عنها ولكن الله تعالى نصرني بالملائكة وأيدني في حروبي وثبت بهم من ضعف قلبه من أصحابي قال أبو جعفر وانتسب صاحب الزنج في هذه الأيام إلى محمد بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين بعد انتسابه الذي كان إلى أحمد بن عيسى بن زيد و ذلك لأنه بعد [صفحہ ۱۴۹] إخراج البصرة جاء إليه جماعة من العلوية الذين كانوا بالبصرة وأتاه فيمن أتاه منهم قوم من ولد أحمد بن عيسى بن زيد في جماعة من نسائهم وحرهم فلما خافهم ترك الانتساب إلى أحمد بن عيسى وانتسب إلى محمد بن محمد بن زيد . قال أبو جعفر فحدثني محمد بن الحسن بن سهل قال كنت حاضرا عنده و قد حضر جماعة من النوفليين فقال له القاسم بن إسحاق النوفلي أنه انتهى إلينا أن الأمير من ولد أحمد بن عيسى بن زيد فقال لست من ولد عيسى أنا من ولد يحيى بن زيد . قال محمد بن الحسن فانتقل من أحمد بن عيسى بن زيد إلى محمد بن محمد بن محمد بن زيد ثم انتقل من محمد إلى يحيى بن زيد و هو كاذب لأن الإجماع واقع على أن يحيى بن زيد مات و لم يعقب و لم يولد له إلا بنت واحدة ماتت وهي ترضع . فهذا ما ذكره أبو جعفر الطبري في التاريخ الكبير . وذكر على بن الحسن المسعودي في مروج الذهب أن هذه الواقعة بالبصرة هلك فيها من أهلها ثلاثمائة ألف إنسان و أن على بن أبان المهلبى بعد فراغه من الواقعة نصب منبرا في الموضع المعروف ببني يشكر صلى فيه يوم الجمعة وخطب لعلى بن محمد صاحب الزنج وترحم بعد ذلك على أبي بكر وعمر و لم يذكر عثمان و لاعلياء في خطبته ولعن أبا موسى الأشعري وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان قال [صفحہ ۱۵۰] و هذا يؤكد ما ذكرناه وحكيانه من رأيه و أنه كان يذهب إلى قول الأزارقة . قال واستخفي من سلم من أهل البصرة في آبار الدور فكانوا يظهرن ليلا فيطلبون الكلاب فيذبونها ويأكلونها والفأر والسنانير فأفونها حتى لم يقدرروا على شىء منها فصاروا إذامات الواحد منهم أكلوه فكان يراعى بعضهم موت بعض و من قدر على صاحبه قتله وأكله وعدموا مع ذلك الماء وذكر عن امرأة منهم أنها حضرت امرأة قد احتضرت وعندها أختها و قد احتوشوها ينتظرون أن تموت فيأكلوا لحمها قالت المرأة فما ماتت حسناء حتى ابتدرناها فقطعنا لحمها فأكلناه ولقد حضرت أختها ونحن على شريعة عيسى بن حرب وهي تبكى ومعها رأس الميت فقال لها قائل ويحك ما

لك تبكين فقالت اجتمع هؤلاء على أختى فما تركوها تموت حسناء حتى قطعوها وظلموني فلم يعطوني من لحمها شيئا إلا الرأس و إذاهي تبكى شاكية من ظلمهم لها فى أختها. قال و كان مثل هذا وأكثر منه وأضعافه وبلغ من أمر عسكره أنه ينادى فيه على المرأة من ولد الحسن و الحسين والعباس وغيرهم من أشرف قريش فكانت الجارية تباع منهم بدرهمين و بثلاثة دراهم وينادى عليها بنسبها هذه ابنة فلان بن فلان وأخذ كل زنجى منهم العشرين والثلاثين يطؤون الزنج ويخدم النساء الزنجيات كما تخدم الوصائف ولقد استغاثت إلى صاحب الزنج امرأة من ولد الحسن بن على ع وكانت عند بعض الزنج وسألته أن يعتقها مما هي فيه أو ينقلها من عنده إلى غيره فقال لها هو مولاك و هو أولى بك . قال أبو جعفر وأشخص السلطان لحرب صاحب الزنج محمدا المعروف بالمولد فى جيش [صفحة ١٥١] كثيف فجاء حتى نزل الأبله وكتب صاحب الزنج إلى يحيى بن محمد البحرانى يأمره بالمصير إليه فصار إليه بزوجه وأقام على محاربتة عشرة أيام ثم فتر المولد عن الحرب وكتب على بن محمد إلى يحيى يأمره أن يببته بببته فهزمه ودخل الزنج عسكره فغنموا ما فيه وكتب يحيى إلى صاحب الزنج يخبره فأمره باتباعه فاتبعه إلى الحوانيت ثم انصرف عنه فمر بالجامدة وأوقع بأهلها وانتهب كل ما كان فى تلك القرى وسفك ما قدر على سفكه من الدماء ثم عاد إلى نهر معقل . قال أبو جعفر واتصلت الأخبار بسامراء وبغداد والقواد والموالى و أهل الحضرة بما جرى على أهل البصرة فقامت عليهم القيامة وعلم المعتمد أنه لا يرتق هذا الفتق إلا بأخيه أبى أحمد طلحة بن المتوكل و كان منصورا مؤيدا عارفا بالحرب وقيادة الجيوش و هو الذى أخذ بغداد للمعتر وكسر جيوش المستعين وخلعه من الخلافة و لم يكن لبني العباس فى هذا الباب مثله ومثل ابنه أبى العباس فعقد له المعتمد على ديار مضر وقسرين والعواصم وجلس له مستهل شهر ربيع الآخر من سنة سبع وخمسين فخلع عليه و على مفلح وشخصا نحو البصرة لحرب على بن محمد وإصلاح ما أفسده من الأعمال وركب المعتمد ركوبا ظاهرا يشيع أخاه أبا أحمد إلى القرية المعروفة ببيركوارا وعاد. قال أبو جعفر و أما صاحب الزنج فإنه بعد هزيمة محمد المولد أنفذ على بن أبان المهلبى إلى حرب منصور بن جعفر و إلى الأهواز فكانت بينهما حروب كثيرة فى أيام متفرقة حتى كان آخرها اليوم الذى انهزم فيه أصحاب منصور وتفرقوا عنه وأدركت منصورا طائفة من الزنج فلم يزل يكر عليهم حتى انقصف رمحه ونفدت سهامه و لم يبق معه سلاح [صفحة ١٥٢] وانتهى إلى نهر يعرف بنهر ابن مروان فصاح بحصان كان تحته ليعبر فوثب فقصر فانغمس فى الماء. وقيل إن الحصان لم يقصر فى الوثبة ولكن رجلا من الزنج سبقه إلى النهر فألقى نفسه فيه لعلمه أنه لا محيص لمنصور عن النهر فلما وثب الفرس تلقاه الأسود فنكس فغاص الفرس ومنصور ثم أطلع منصور رأسه فنزل إليه غلام من السودان من عرفاء مصلح يقال له أبرون فاحتز رأسه وأخذ سلبه فولى يارجوخ التركى صاحب حرب خوزستان ما كان مع منصور من العمل أصغجون التركى. و قال أبو جعفر و أما أبو أحمد فإنه شخص عن سامراء فى جيش لم يسمع السامعون بمثله كثرة وعدة قال و قد عاينت أنا ذلك الجيش و أنا يومئذ ببغداد بباب الطاق فسمعت جماعة من مشايخ أهل بغداد يقولون قدرأنا جيوشا كثيرة للخلفاء فما رأينا مثل هذا الجيش أحسن عدة وأكمل عتادا وسلاحا وأكثر عددا وجمعا واتبع ذلك الجيش من متسوفة أهل بغداد خلق كثير. قال أبو جعفر فحدثنى محمد بن الحسن بن سهل أن يحيى بن محمد البحرانى كان مقيما بنهر معقل قبل موافاة أبى أحمد فاستأذن صاحب الزنج فى المصير إلى نهر العباس فكره ذلك وخاف أن يوافيه جيش من قبل السلطان وأصحابه متفرقون فألح عليه يحيى حتى أذن له فخرج واتبعه أكثر أهل عسكر صاحب الزنج و كان على بن أبان [صفحة ١٥٣] مقيما بجبى فى جمع كثير من الزنج والبصرة قدصارت مغنما لأهل عسكر صاحب الزنج يغادونها ويراوحونها لنقل ما نالته أيديهم منها إلى منازلهم فليس بمعسكر على بن محمد يومئذ من أصحابه إلا القليل فهو على ذلك من حاله حتى وافى أبو أحمد فى الجيش ومعه مفلح فورد جيش عظيم لم يرد على الزنج مثله فلما وصل إلى نهر معقل انصرف من كان هناك من الزنج فالتحقوا بصاحبهم مرعوبين فراعه ذلك ودعا برئيسين منهما فسألتهما عن السبب الذى له تركا موضعهما فأخبراه بما عاينا

من عظم أمر الجيش الوارد وكثرة عدد أهله وأحكام عدتهم و إن الذى عايناه من ذلك لم يكن فى قوتها الوقوف له فى العدة التى كانا فيها فسألها هل علما من يقود هذا الجيش فقالا قد اجتهدنا فى علم ذلك فلم نجد من يصدقنا عنه . فوجه صاحب الزنج طلائعه فى سميريات ليعرف الخبر فرجعت طلائعه إليه بتعظيم أمر الجيش وتفخيمه و لم يقف أحد منهم على من يقوده فزاد ذلك فى جزعه وارتياحه فأمر بالإرسال إلى على بن أبان يعلمه خبر الجيش الوارد ويأمره بالمصير إليه فيمن معه ووافى جيش أبى أحمد فأناخ بإزاء صاحب الزنج فلما كان اليوم الذى كانت فيه الواقعة خرج على بن محمد يطوف فى عسكره ماشيا ويتأمل الحال فيمن هو من حزبه و من هو مقيم بإزائه على حزبه و قد كانت السماء مطرت ذلك اليوم مطرا خفيفا و الأرض ثرية تزل عنها الأقدام فطوف ساعة من أول النهار ورجع فدعا بدواة وقرطاس ليكتب كتابا إلى على بن أبان ليعلمه ما قد أظله من الجيش ويأمره بتقديم من قدر على تقديمه من الرجال فإنه لفى ذلك إذ أتاه أبو دلف القائد أحد قواد الزنج فقال له إن [صفحة ١٥٤] القوم قد غشوك ورهقوك وانهزم الزنج من بين أيديهم و ليس فى وجوههم من يردهم فانظر لنفسك فإنهم قد انتهوا إليك فصاح به وانتهره و قال اغرب عنى فإنك كاذب فيما حكيت إنما ذلك جزع داخل قلبك لكثرة من رأيت من الجمع فانخلع قلبك فلست تدري ما تقول فخرج أبو دلف من بين يديه وأقبل يكتب و قال لجعفر بن ابراهيم السجان ناد فى الزنج وحرهم للخروج إلى موضع الحرب فقال له إنهم قد خرجوا و قد ظفروا بسميريتين من سفن أصحاب السلطان فأمره بالرجوع لتحريك الرجال و كان من القضاء والقدر أن أصيب مفلح و هو القائد الجليل المرشح لقيادة الجيش بعد أبى أحمد بسهم غرب لا يدري من رماه فمات لوقته و وقعت الهزيمة على أصحاب أبى أحمد وقوى الزنج على حربهم فقتلوا منهم جمعا كثيرا ووافى على بن محمد زنجه بالرءوس قابضين عليها بأسنانهم حتى ألقوها بين يديه فكثرت الرءوس يومئذ حتى ملأت الفضاء وجعل الزنج يقتسمون لحوم القتلى ويتهادونها بينهم وأتى بأسير من الجيش فسأله عن رأس العسكر فذكر أبا أحمد ومفلحا فارتاع لذكر أبى أحمد و كان إذ اراعه أمر كذب به و قال ليس فى الجيش إلا مفلح لأنى لست أسمع الذكر إلا له و لو كان فى الجيش من ذكر هذا الأسير لكان صوته أبعد و لما كان مفلح إلا تابعا له ومضافا إليه . قال أبو جعفر و قد كان قبل أن يصيب السهم مفلحا انهزم الزنج لما خرج عليهم [صفحة ١٥٥] جيش أبى أحمد وجزعوا جزعا شديدا ولجئوا إلى النهر المعروف بنهر أبى الخصيب و لا جسر يومئذ عليه ففرق منهم خلق كثير و لم يلبث صاحب الزنج إلا يسيرا حتى وافته على بن أبان فى أصحابه فوافاه و قد استغنى عنه بهزيمة الجيش السلطاني وتحيز أبو أحمد بالجيش إلى الأبله ليجمع ما فرقت الهزيمة منه ويجدد الاستعداد للحرب ثم صار إلى نهر أبى الأسد فأقام به . قال أبو جعفر فحدثنى محمد بن الحسن قال فكان صاحب الزنج لا يدري كيف قتل مفلح فلما لم ير أحدا ينتحل رمية ادعى أنه كان الرامي له قال فسمعته يقول سقط بين يدي سهم من السماء فأتاني به واح خادمى فدفعه إلى فرميت به فأصاب مفلحا فقتله قال محمد وكذب فى ذلك لأنى كنت حاضرا معه ذلك المشهد مازال عن فرسه حتى أتاه خبر الهزيمة . قال أبو جعفر ثم إن الله تعالى أصاب صاحب الزنج بمصيبة تعادل فرحه وسروره بقتل مفلح عقيب قتل مفلح و ذلك أن قائده الجليل يحيى بن محمد البحراني أسر وقتل وصورة ذلك أن صاحب الزنج كان قد كتب إلى يحيى بن محمد ليعلمه ورود هذا الجيش عليه ويأمره بالقدوم والتحرر فى منصرفه من أن يلقاه أحد منهم و قد كان يحيى غنم سفنا فيها متاع وأموال لتجار الأهواز جليلة وحامى عنها أصحاب أصغجون التركي فلم يغن وهزمهم يحيى ومضى الزنج بالسفن المذكورة يمدونها متوجهين نحو معسكر صاحب الزنج على سمت البطيحة المعروفة ببطيحة الصحناء وهى طريقة متعسقة وعرة [صفحة ١٥٦] فيها مشاق متعبة وإنما سلكها يحيى وأصحابه وتركوا الطريق الواضح للتحاسد الذى كان بين يحيى بن محمد و على بن أبان فإن أصحاب يحيى أشاروا عليه ألا يسلك الطريق التى يمر فيها على أصحاب على بن أبان فأصغى إلى مشورتهم فشرعوا له الطريق المؤدى إلى البطيحة المذكورة فسلكها و هذه البطيحة ينتهى السائر فيها إلى نهر أبى الأسد و قد كان أبو أحمد انحاز إليه لأن أهل القرى والسواد كاتبوه يعرفونه

خبر يحيى بن محمد البحراني وشده بأسه وكثرة جمعه وأنه ربما خرج من البطيحة إلى نهر أبي الأسد فعسكر به ومنع أبا أحمد الميرة وحال بينه وبين من يأتيه من الأعراب وغيرهم فسبقه أبو أحمد إلى نهر أبي الأسد وسار يحيى حتى إذا قرب من نهر أبي الأسد وافته طلائعه فأخبرته بالجيش وعظمت أمره وخوفته منه فرجع من الطريق الذي كان سلكه بمسقة شديدة نالته ونالت أصحابه وأصابهم مرض لتردهم في تلك البطيحة وجعل يحيى على مقدمته سليمان بن جامع وسار حتى وقف على قنطرة فوج نهر العباس في موضع ضيق تشتد فيه جريه الماء وهو مشرف ينظر أصحابه الزنج كيف يجرون تلك السفن التي فيها الغنائم فمنها ما يغرق وما يسلم . قال أبو جعفر فحدثني محمد بن سمعان قال كنت في تلك الحال واقفا مع يحيى على القنطرة وقد أقبل على متعجبا من شدة جريه الماء وشده ما يلقى أصحابه من تلقيه بالسفن فقال رأيت لو هجم علينا عدو في هذه الحال من كان يكون أسوأ حالا منا فوالله ما انقضى كلامه حتى وافى كاشهم التركي في جيش قد أنفذه معه أبو أحمد عند رجوعه من الأبله إلى نهر أبي الأسد يتلقى به يحيى فوقع الصيحة واضطربت الزنج فهضت متشوقا للنظر فإذا الأعلام الحمر قد أقبلت في الجانب الغربي من نهر العباس ويحيى به فلما رآها الزنج ألقوا أنفسهم جملة في الماء فعبروا إلى الجانب الشرقي [صفحة ١٥٧] وخلا الموضع الذي فيه يحيى فلم يبق معه إلا بضعة عشر رجلا منهم فهض عند ذلك فأخذ درقته وسيفه واحترم بمنديل ثم تلقى القوم في النفر الذين تخلفوا معه فرشقهم أصحاب كاشهم التركي بالسهم حتى كثر فيهم الجراح وجرح يحيى بأسهم ثلاثة في عضده اليمنى وساقه اليسرى فلما رآه أصحابه جريحا تفرقوا عنه ولم يعرف فيقصد له فرجع حتى دخل بعض تلك السفن وعبر به إلى الجانب الشرقي من النهر وذلك وقت الضحى وأثقلته الجراحات التي أصابته فلما رأت الزنج شدة ما نزل به اشتد جزعهم وضعفت قلوبهم فتركوا القتال وكانت همتهم النجاة بأنفسهم وحاز أصحاب السلطان تلك الغنائم التي كانت في السفن في الجانب الغربي من النهر وانفض الزنج بالجانب الشرقي عن يحيى فجعلوا يتسللون بقيه نهارهم بعد قتل ذريع فيهم وأسر كثير فلما أمسوا وأسدف الليل طاروا على وجوههم فلما رأى يحيى تفرق أصحابه ركب سميريه كانت هناك وأقعد معه فيها متطبيا يقال له عباد وطمع في الخلاص إلى عسكر صاحب الزنج فسار حتى قرب من فوهه النهر فأبصر سميريات وشذايات لأصحاب السلطان في فوهه النهر فخاف أن تعترض سميريته وجزع من المرور بها فعبّر به الملاح إلى الجانب الغربي من النهر فألقاه وطيبه على الأرض في زرع هناك فخرج يمشى وهو متقل حتى ألقى نفسه في بعض تلك المواضع فأقام هناك ليلته تلك فلما أصبح نزفه الدم ونهض عباد الطيب فجعل يمشى متشوقا أن يرى إنسانا فرأى بعض أصحاب السلطان فأشار لهم إلى موضع يحيى فجاءوا حتى وقفوا عليه فأخذوه وانتهى خبره إلى الخبيث صاحب الزنج فجزع عليه جزعا شديدا وعظم عليه توجعه . [صفحة ١٥٨] ثم حمل يحيى إلى أبي أحمد فحملة أبو أحمد إلى المعتمد فأدخل إلى سامراء ركب جمل والناس مجتمعون ينظرونه ثم أمر المعتمد ببناء دكة عالية بحضرة مجرى الحلية فبنيت ورفع للناس عليها حتى أبصره الخلائق كافة ثم ضرب بين يدي المعتمد وقد جلس له مائتي سوط بثمارها ثم قطعت يده ورجلاه من خلاف ثم خبط بالسيف ثم ذبح وأحرق . قال أبو جعفر فحدثني محمد بن الحسن قال لما قتل يحيى البحراني فانتهى خبره إلى صاحب الزنج قال لأصحابه لم أعظم على قتله واشتد اهتمامي به خو طبت فقيل لي قتله خير لك إنه كان شرها ثم أقبل على جماعة أنافيهم فقال من شرهه أنا غنما غنيمه من بعض ما كنا نغنمه و كان فيها عقدان فوقعا في يد يحيى فأخفى عنى أعظمهما خطرا وعرض على أحسهما ثم استوهبه فوهبته له فرفع إلى العقد الذي أخفاه حتى رأته فدعوته فقلت أحضر لي العقد الذي أخفيته فأتاني بالعقد الذي وهبته له ووجد أن يكون أخذه غيره فرفع إلى العقد ثانية فجعلت أصفه له وأنا أراه وهو لا يراه فبهت وذهب فأتاني ثم استوهبني فوهبته له وأمرته بالاستغفار . قال أبو جعفر وذكر محمد بن الحسن أن محمد بن سمعان حدثه أن صاحب الزنج قال في بعض أيامه لقد عرضت على النبوة فأبيتها فقيل له و لم ذاك قال إن لها أعباء خفت ألا أطيق حملها . [صفحة ١٥٩] قال أبو جعفر أما الأمير أبو أحمد فإنه لما صار إلى نهر أبي الأسد

وأقام به كثرت العلل فى من معه من جنده وغيرهم وفشا فيهم الموت فلم يزل مقيما هنالك حتى أبل من نجا منهم من علته ثم انصرف راجعا إلى باذاورد فعسكر به وأمر بتجديد الآلات وإصلاح الشدوات والسميريات وإعطاء الجند أرزاقهم وشحن السفن بقواده ومواليه وعلمانه ونهض نحو عسكر الناجم وأمر جماعة من قواده بقصد مواضع سماها لهم من نهر أبى الخصيب وغيره وأمر الباقين بملازمته والمحاربة معه فى الموضوع الذى يكون فيه وهم الأفلون وعرف الزنج تفرق أصحاب أبى أحمد عنه فكثروا فى جهته واستعرت الحرب بينه وبينهم وكثرت القتلى والجراح بين الفريقين وأحرق أصحاب أبى أحمد قصورا ومنازل كان الزنج ابنتوها واستنقذوا من نساء أهل البصرة جمعا كثيرا ثم صرف الزنج سورتهم وشدة حملتهم إلى الموضوع الذى به أبو أحمد فجاءه منهم جمع لا يقاوم بمثل العدة اليسيرة التى كان فيها فرأى أن الحزم فى محاجرتهم فأمر أصحابه بالرجوع إلى سفنهم على تؤدة وتمهل ففعلوا وبقيت طائفة من جنده ولجوا تلك الأدغال والمضايق فخرج عليهم كمين للزنج فأوقعوا بهم فحاموا عن أنفسهم وقتلوا عددا كثيرا من الزنج إلى أن قتلوا بأجمعهم وحملت رءوسهم إلى الناجم فزاد ذلك فى قوته وعتوه وعجبه بنفسه وانصرف أبو أحمد بالجيش إلى باذاورد وأقام يعبى أصحابه للرجوع إلى الزنج ف وقعت نار فى طرف من أطراف عسكره وذلك فى أيام عصف الرياح فاحترق العسكر ورحل أبو أحمد منصرفا وذلك فى شعبان من هذه السنة إلى واسط. فأقام بها إلى ربيع الأول ثم انصرف عنها إلى سامراء وذلك أن المعتمد كاتبه واستقدمه [صفحة ١٦٠] لحرب يعقوب بن الليث الصفار أمير خراسان فاستخلف على حرب الناجم محمدا المولد وأما الناجم فإنه لم يعلم خبر الحريق الذى وقع فى عسكر أبى أحمد حتى ورد عليه رجلا من أهل عبادان فأخبره فأظهر أن ذلك من صنع الله تعالى له ونصره على أعدائه وأنه دعا الله على أبى أحمد وجيشه فنزلت نار من السماء فأحرقتهم . وعاد إلى العبث واشتد طغيانه وعتوه وأنهض على بن أبان المهلبى وضم إليه أكثر الجيش وجعل على مقدمته سليمان بن جامع وأضاف إليه الجيش الذى كان مع يحيى بن محمد البحرانى وسليمان بن موسى الشعرانى وأمرهم بأن يقصدوا الأهواز وبها حينئذ أصغجون التركى ومعه نيزك القائد فالتقى العسكران بصحراء تعرف بدشت ميسان واقتتلوا فظهرت الزنج وقتل نيزك فى كثير من أصحابه وغرق أصغجون التركى وأسر كثير من قواد السلطان منهم الحسن بن هرثمة المعروف بالشارى والحسن بن جعفر وكتب على بن أبان بالخبر إلى الناجم وحمل إليه أعلاما ورءوسا كثيرة وأسرى ودخل على بن أبان الأهواز وأقام بهابزونوجه يعيث وينهب القرى والسواد إلى أن ندب المعتمد على الله موسى بن بغا لحربه فشخص عن سامراء فى ذى القعدة من هذه السنة وشيعة المعتمد بنفسه إلى خلف الحائطين وخلع عليه هنالك فقدم أمامه عبدالرحمن بن مفلح إلى الأهواز وإسحاق بن كنداخ إلى البصرة وإبراهيم بن سيمى إلى الباذاورد. قال أبو جعفر فلما ورد عبدالرحمن بن مفلح على الأهواز أناخ بقنطرة أريق عشرة أيام ثم مضى إلى على بن أبان المهلبى فواقعه فهزمه على بن أبان فانصرف فاستعد [صفحة ١٦١] ثم عاد لمحاربتة فأوقع به وقعة عظيمة وقتل من الزنج قتلا ذريعا وأسر أسرى كثيرة وانهزم على بن أبان ومن معه من الزنج حتى أتوا الموضوع المعروف ببيان فأراد الناجم ردهم فلم يرجعوا للذعر الذى خالط قلوبهم فلما رأى ذلك أذن لهم فى دخول عسكره فدخلوا جميعا فأقاموا معه بالمدينة التى كان بناها ووافى عبدالرحمن بن مفلح حصن مهدى ليعسكر به فوجه إليه الناجم على بن أبان فواقعه فلم يقدر عليه ومضى على بن أبان إلى قريب من الباذاورد وهناك إبراهيم بن سيمى فواقعه إبراهيم فهزم على بن أبان فعاوده فهزمه إبراهيم فمضى فى الليل وسلكت الأدغال والآجام حتى وافى نهر يحيى فانتهى خبره إلى عبدالرحمن بن مفلح فوجه إليه طاشتمر التركى فى جمع من الموالى فلم يصل إلى على بن أبان ومن معه لوعورة الموضوع الذى كانوا فيه وامتناعه بالقصب والحلافى فأضرمه عليهم نارا فخرجوا منه هاربين وأسر منهم أسرى وانصرف إلى عبدالرحمن بن مفلح بالأسرى والظفر ومضى على بن أبان فأقام بأصحابه فى الموضوع المسمى بنسوخا وانتهى الخبر بذلك إلى عبدالرحمن بن مفلح فصار إلى العمود فأقام به وصار على بن أبان إلى نهر السدرة وكتب إلى الناجم يستمده ويسأله التوجيه إليه

بالشذا فوجه إليه ثلاث عشرة شذاة فيها جمع كثير من أصحابه فسار على بن أبان و من معه فى الشذا و وافى عبدالرحمن بمن معه فلم يكن بينهما قتال و توافق الجيشان يومهما ذلك . فلما كان الليل انتخب على بن أبان من أصحابه جماعة يثق بجلدهم و صبرهم و مضى معه سليمان بن موسى المعروف بالشعرانى و ترك سائر عسكره مكانه ليخفى أمره فصار من وراء عبدالرحمن ثم بيته و عسكره فنال منه و من أصحابه نيلا ما وانحاز [صفحہ ۱۶۲] عبدالرحمن عنه و ترك أربع شذوات من شذواته فغنمها على بن أبان و انصرف و مضى عبدالرحمن لوجه حتى وافى دولا ب فأقام بها و أعد رجلا من رجاله و ولى عليهم طاشتمر التركي و أنفذهم إلى على بن أبان فوافوه و هو فى الموضع المعروف بباب آزر فأوقعوا به و قعة انهزم منها إلى نهر السدره و كتب طاشتمر إلى عبدالرحمن بانهزاه عنه فأقبل عبدالرحمن بجيشه حتى وافى العمود فأقام به و استعد أصحابه للحرب و هيا شذواته و ولى عليها طاشتمر و سار إلى فوهة نهر السدره فواقع على بن أبان و قعة عظيمة انهزم منها على بن أبان و أخذ منه عشر شذوات و رجع على بن أبان إلى الناجم مفلولا مهزوما و سار عبدالرحمن من فوره فعسكر ببيان فكان عبدالرحمن بن مفلح و ابراهيم بن سيما يتناوبان المصير إلى عسكر الناجم فيوقعان به و يخيفان من فيه و إسحاق بن كنداجيق يومئذ بالبصرة و قد قطع الميرة عن عسكر الناجم فكان الناجم يجمع أصحابه فى اليوم الذى يخاف فيه موافاة عبدالرحمن بن مفلح و ابراهيم بن سيما حتى ينقضى الحرب ثم يصرف فريقا منهم إلى ناحية البصرة فيواقع بهم إسحاق بن كنداجيق فأقاموا على هذه الحال بضعة عشر شهرا إلى أن صرف موسى بن بغا عن حرب الزنج . قال أبو جعفر و سبب ذلك أن المعتمد رد أمر فارس و الأهواز و البصرة و غيرها من [صفحہ ۱۶۳] النواحي و الأقطار إلى أخيه أبى أحمد بعد فراغه من حرب يعقوب بن الليث الصفار و هزيمته له فاستخلف أبو أحمد على حرب صاحب الزنج مسرورا البلخى و صرف موسى بن بغا عن ذلك و اتفق أن ابن واصل حارب عبدالرحمن بن مفلح فأسره وقتله و قتل طاشتمر التركي أيضا و ذلك بناحية رامهرمز فاستخلف مسرور البلخى على الحرب أبا الساج و ولى الأهواز فكانت بينه و بين على بن أبان المهلبى و قعة بناحية دولا ب قتل فيها عبدالرحمن صهر أبى الساج و انحاز أبو الساج إلى عسكر مكرم و دخل الزنج الأهواز فقتلوا أهلها و سبوا و أحرقوا دورها . قال أبو جعفر ثم وجه صاحب الزنج جيوشه بعد هزيمة أبى الساج إلى ناحية البطيحة و الحوانيت و دستميسان قال و ذلك لأن واسطا خلت من أكثر الجند فى و قعة أبى أحمد و يعقوب بن الليث التى كانت عند دير العاقول فطمع الزنج فيها فتوجه إليها سليمان بن جامع فى عسكر من الزنج و أردفه الناجم بجيش آخر مع أحمد بن مهدى فى سميريات فيهارماة من أصحابه أنفذه إلى نهر المرأة و أنفذ عسكرا آخر فيه سليمان بن موسى فأمره أن يعسكر بالنهر المعروف باليهودى فكانت بين هؤلاء و بين من تخلف بهذه الأعمال من عساكر السلطان حروب شديدة و كانت سجلا لهم و عليهم حتى ملكوا البطيحة و الحوانيت و شارفوا واسطا و بها يومئذ محمد المولد من قبل السلطان فكانت بينه و بين سليمان بن جامع حروب كثيرة يطول شرحها و تعداده و أمده الناجم بالخليل بن أبان أخى على بن أبان المهلبى فى ألف و خمسمائة فارس و معه أبو عبد الله الزنجى المعروف بالمذوب أحد قوادهم المشهورين فقوى سليمان بهم و أوقع بمحمد المولد فهزمه و دخل واسطا فى ذى الحجة سنة أربع و ستين و مائتين بزوجه و قواده فقتل منها خلقا كثيرا و نهبها و أحرق دورها و أسواقها و أخرج كثيرا من منازل أهلها [صفحہ ۱۶۴] و ثبت للمحاماة عنها قائد كان بها من جانب محمد بن المولد يقال له كنجور البخارى فحامى يومه ذلك إلى العصر ثم قتل و كان الذى يقود الخيل يومئذ فى عسكر سليمان بن جامع الخليل بن أبان و عبد الله المعروف بالمذوب و كان أحمد بن مهدى الجبائى فى السميريات و كان مهربان الزنجى فى الشذوات و كان سليمان بن موسى الشعرانى و أخوه فى ميمنته و ميسرته و كان سليمان بن جامع و هو الأمير على الجماعة فى قواده السودان و رجالته منهم و كان الجميع يدا واحدة فلما قضوا و طرهم من نهب واسط و قتل أهلها خرجوا بأجمعهم عنها فمضوا إلى جنبلاء و أقاموا هناك يعيشون و يخربون . و فى أوائل سنة خمس و ستين دخلوا إلى النعمانية و جرجرايا و جبل فنهبوا و أخرجوا وقتلوا و أحرقوا و هرب منهم أهل السواد فدخلوا إلى بغداد . قال

أبو جعفر فأما علي بن أبان المهلبى فإنه استولى على معظم أعمال الأهواز وعات هناك وأخرب وأحرق وكانت بينه وبين عمال السلطان وقواده مثل أحمد بن ليثويه و محمد بن عبد الله الكردي وتكين البخارى ومطر بن جامع وأغرتمش التركي وغيرهم وبينه وبين عمال يعقوب بن الليث الصفار مثل خضر بن العنبر وغيره حروب عظيمة ووقعات كثيرة وكانت سجالات تارة له وتارة عليه و هو فى أكثرها المستظهر عليهم وكثرت أموال الزنج والغنائم التى حووها من البلاد والنواحى وعظم أمرهم وأهم الناس شأنهم وعظم على المعتمد وأخيه أبى أحمد خطبهم واقتسموا الدنيا فكان على بن محمد الناجم صاحب الزنج وإمامهم مقيما بنهر أبى الخصيب قدبنى مدينة عظيمة سماها المختارة وحصنها بالخذادق واجتمع إليه فيها من الناس ما لا ينتهى العد والحصر إليه رغبة ورهبة وصارت مدينة تضاهى سامراء وبغداد وتزيد عليهما وأمرؤه وقواده [صفحة ١٦٥] بالبصرة وأعمالها يجبون الخراج على عادة السلطان لما كانت البصرة فى يده وكان على بن أبان المهلبى و هو أكبر أمرائه وقواده قداستولى على الأهواز وأعمالها ودوخ بلادها كرامهرمز وتستر وغيرهما ودان له الناس وجبا الخراج وملك أموالا لا تحصى . وكان سليمان بن جامع وسليمان بن موسى الشعرانى ومعهما أحمد بن مهدي الجبائى فى الأعمال الواسطية قدملكوها وبنوا بها المدن الحصينة وفازوا بأموالها وارتفاعها وجبوا خراجها ورتبوا عمالهم وقوادهم فيها إلى أن دخلت سنة سبع وستين ومائتين وقد عظم الخطب و جل وخيف على ملك بنى العباس أن يذهب وينقرض فلم يجد أبو أحمد الموفق و هو طلحة بن المتوكل على الله بدا من التوجه بنفسه ومباشرته هذا الأمر الجليل برأيه وتدييره وحضوره معارك الحرب فندب أمامه ابنه أبا العباس وركب أبو أحمد إلى بستان الهادى ببغداد وعرض أصحاب أبى العباس و ذلك فى شهر ربيع الآخر من هذه السنة فكانوا عشرة آلاف فرسانا ورجاله فى أحسن زى وأجمل هيئة وأكمل عدة ومعهم الشذوات والسميريات والمعابر برسم الرجالة كل ذلك قد أحكمت صنعة فركب أبو العباس من بستان الهادى وركب أبو أحمد مشيعا له حتى نزل القرية المعروفة بالفرك ثم عاد وأقام أبو العباس بالفرك أياما حتى تكامل عدده وتلاحق به أصحابه . ثم رحل إلى المدائن فأقام بها أياما ثم رحل إلى دير العاقول فورد عليه كتاب نصير المعروف بأبى حمزة و هو من جلة أصحابه وكان صاحب الشذا والسميريات وقد كان قدمه على مقدمته بدجلة يعلمه فيه أن سليمان بن جامع قد وافى لماعلم بشخوص أبى العباس والجبائى يقدمه فى خيلهما ورجالهما وسفنهما حتى نزلا الجزيرة التى بحضرة [صفحة ١٦٦] بردودا فوق واسط بأربعة فراسخ وأن سليمان بن موسى الشعرانى قد وافى نهر أبان بعسكره وعسكر البر وعسكر الماء فرحل أبو العباس لما قرأ هذا الكتاب حتى وافى جرجرايا ثم منها إلى فم الصلح ثم ركب الظهر وسار حتى وافى الصلح ووجه طلائعه ليتعرف الخبر فأتاه منهم من أخبره بموافاة القوم وأن أولهم قريب من الصلح وآخرهم ببستان موسى بن بغا أسفل واسط فلما عرف ذلك عدل عن سنن الطريق ولقى أصحابه أوائل القوم فتطاردوا لهم عن وصية أوصاهم أبو العباس بها حتى طمع الزنج فيهم واغتروا وأمعنوا فى اتباعهم وجعلوا يصيحون بهم اطلبوا أميرا للحرب فإن أميركم مشغول بالصيد فلما قربوا من أبى العباس بالصلح خرج إليهم فيمن معه من الخيل والرجل وأمر فصيح بأبى حمزة يانصير إلى أين تتأخر عن هؤلاء الكلاب ارجع إليهم فرجع نصير بشذواته وسميرياته وفيها الرجال وركب أبو العباس فى سميرية ومعهم محمد بن شعيب وحف أصحابه بالزنج من جميع جهاتهم فانهزموا ومنح الله أبا العباس وأصحابه أكتافهم يقتلونهم ويطردونهم إلى أن وافوا قرية عبد الله وهى على ستة فراسخ من الموضع الذى لقوهم فيه وأخذوا منهم خمس شذوات وعشر سميريات واستأمن منهم قوم وأسر منهم أسرى وغرق من سفنهم كثير فكان هذا اليوم أول الفتح على أبى العباس . قال أبو جعفر فلما انقضى هذا اليوم أشار على أبى العباس قواده وأولياؤه أن يجعل معسكره بالموضع الذى كان انتهى إليه إشفاقا عليه من مقاربة القوم فأبى لإنزول واسط بنفسه ولما انهزم سليمان بن جامع و من معه وضرب الله وجوههم انهزم سليمان بن [صفحة ١٦٧] موسى الشعرانى عن نهر أبان حتى وافى سوق الخميس ولحق سليمان بن جامع بنهر الأمير وقد كان القوم حين لقوا أبا العباس أجالوا الرأى بينهم فقالوا هذا فتى حدث لم تطل

ممارسته الحرب وتدربه بها والرأى أن نرميه بحدنا كله ونجتهد فى أول لقيه نلقاه فى إزالته فلعل ذلك أن يروعه فيكون سببا لانصرافه عنا ففعلوا ذلك وحشدوا واجتهدوا فأوقع الله تعالى بهم بأسه ونقمته و لم يتم لهم ماقدروه وركب أبو العباس من غد يوم الوقعة حتى دخل واسطا فى أحسن زى و كان ذلك يوم جمعة فأقام حتى صلى بها صلاة الجمعة واستأمن إليه خلق كثير من أتباع الزنج وأصحابهم ثم انحدر إلى العمر و هو على فرسخ واحد من واسط فاتخذه معسكرا و قد كان أبو حمزة نصير وغيره أشاروا عليه أن يجعل معسكره فوق واسط حذرا عليه من الزنج فامتنع و قال لست نازلا إلا العمر وأمر أبا حمزة أن ينزل فوهة بردودا فوق واسط وأعرض أبو العباس عن مشاورة أصحابه واستماع شىء من آرائهم واستبد برأى نفسه فنزل العمر وأخذ فى بناء الشذوات والسميريات وجعل يراوح الزنج القتال ويغاديهم و قدرتب خاصة غلمانة ومواليه فى سميريات فجعل فى كل سميرية أميرا منهم . ثم إن سليمان استعد وحشد وفرق أصحابه فجعلهم فى ثلاثة أوجه فرقة أتت من نهر أبان وفرقة من بر تمرتا وفرقة من بردودا فلقبهم أبو العباس فلم يلبثوا أن انهزموا فلحقت طائفة منهم بسوق الخميس وطائفة بمازروان وطائفة ببر تمرتا وسلك آخرون نهر المازيان واعتصم قوم منهم ببردودا وتبعهم أصحاب أبى العباس وجعل أبو العباس قصده القوم الذين سلكوا نهر المازيان فلم يرجع عنهم حتى وافى بهم برمساور ثم انصرف فجعل يقف على القرى والمسالك ويسأل عنها ويتعرفها ومعه الأدلاء وأرباب الخبرة حتى عرف جميع تلك الأرض ومنافذها وما ينتهى إليه من [صفحة ١٦٨] البطائح والآجام وغيرها وعاد إلى معسكره بالعمر فأقام به أياما مريحا نفسه وأصحابه . ثم أتاه مخبر فأخبره أن الزنج قد اجتمعوا واستعدوا لكبس عسكره وأنهم على إتيانه من ثلاثة أوجه وأنهم قالوا إن أبا العباس غلام يغرر بنفسه وأجمع رأيهم على تكمين الكمناء والمصير إليه من الجهات الثلاث فحذر أبو العباس من ذلك واستعد له وأقبلوا إليه و قد كمنوا زهاء عشرة آلاف فى بر تمرتا ونحوا من العدة فى قس هئا وتقدم منها عشرون سميرية إلى عسكر أبى العباس على أن يخرج إليهم فيهربوا بعدمناوشة يسيرة فيجيزوا أبا العباس وأصحابه إلى أن يجاوزوا الكمناء ثم يخرج الكمين عليهم من ورائهم . فمنع أبو العباس أصحابه من اتباعهم لما واقعهم وأظهروا الكسرة والعود فعلموا أن كيدهم لم ينفذ فيه وخرج حينئذ سليمان والجبائى فى الشذا والسميريات العظيمة و قد كان أبو العباس أحسن تعبئة أصحابه فأمر أبا حمزة نصيرا أن يخرج إليهم فى الشذا والسميريات المرتبة فخرج إليهم ونزل أبو العباس فى شذاة من شذوات قد كان سماها الغزال واختار لها جدافين وأخذ معه محمد بن شعيب الاشتيام واختار من خاصة أصحابه وغلمانة جماعة دفع إليهم الرماح وأمر الخيالة بالمسير بإزائه على شاطئ النهر و قال لهم لا تدعوا المسير ما أمكنكم إلى أن تقطعكم الأنهار ونشبت الحرب بين الفريقين فكانت معركة القتال من حد قرية الرمل إلى الرصافة حتى أذن الله فى هزيمة الزنج فانهزموا وحاز أصحاب أبى العباس منهم أربع عشرة شذاة وأفلت سليمان والجبائى فى ذلك اليوم بعد أن أشفيا على الهلاك راجلين وأخذت دوابهما ومضى جيش الزنج بأجمعه لا يثنى أحد منهم حتى وافوا طهيشا وأسلموا ما كان معهم من أثاث وآلة ورجع [صفحة ١٦٩] أبو العباس فأقام بمعسكره بالعمر وأصلح ما كان أخذ منهم من الشذا والسفن ورتب الرجال فيها وأقام الزنج بعد ذلك عشرين يوما لا يظهر منهم أحد . قال أبو جعفر ثم إن الجبائى صار بعد ذلك يجىء فى الطلائع كل ثلاثة أيام وينصرف وحفر فى طريق عسكر أبى العباس آبارا وصير فيها سفايد حديد وغشاها بالبوارى وأخفى مواضعها وجعلها على سنن مسير الخيل ليتهور فيها المجتازون بها وجعل بواقى طرف العسكر متعرضا به لتخرج الخيل طالبة له فجاء يوما وطلبتة الخيل كما كانت تطلبه فقطر فرس رجل من قواد الفراعنة فى بعض تلك الآبار فوقف أصحاب أبى العباس بما ناله من ذلك على ما كان دبره الجبائى فحذروا ذلك وتنكبوا سلوك تلك الطريق . قال أبو جعفر وألح الزنج فى مغادة العسكر فى كل يوم بالحرب وعسكروا بنهر الأمير فى جمع كثير وكتب سليمان إلى الناجم يسأله إمداده بسميريات لكل واحدة منهن أربعون مجدافا فوافاه من ذلك فى مقدار عشرين يوما أربعون سميرية فيها الرجال والسيوف والتراس والرماح فكانت لأبى العباس معهم وقعات عظيمة و فى أكثرها

الظفر لأصحابه والخذلان على الزنج ولج أبو العباس في دخول الأنهار والمضايق حتى انتهى إلى مدينة سليمان بن موسى الشعراني بنهر الخميس التي بناها وسماها المنيعه وخاطر أبو العباس بنفسه مرارا وسلم بعد أن شارف العطب واستأمن إليه جماعة من قواد الزنج فأمّنهم وخلع عليهم وضمهم إلى عسكره وقتل من قواد [صفحة ١٧٠] الزنج جماعة وتمادت الأيام بينه وبينهم واتصل بأبي أحمد الموفق أن سليمان بن موسى الشعراني والجبائي و من بالأعمال الواسطية من قواد صاحب الزنج كاتبوا صاحبهم وسألوه إمدادهم بعلى بن أبان المهلبى وهو المقيم حينئذ بأعمال الأهواز والمستولى عليها وكان على بن أبان قائد القواد وأمير الأمراء فيهم فكتب الناجم إلى على بن أبان يأمره بالمصير بجميع من معه إلى ناحية سليمان بن جامع ليجتمع على حرب أبي العباس. فصح عزم أبي أحمد على الشخوص إلى واسط وحضور الحرب بنفسه فخرج عن بغداد في صفر من هذه السنة وعسكر بالفرك وأقام بها أياما حتى تلاحق به عسكره و من أراد المسير معه وقد أعد آله الماء ورحل من الفرك إلى المدائن ثم إلى دير العاقول ثم إلى جرجرايا ثم قنى ثم جبل ثم نزل الصلح ثم نزل على فرسخ من واسط. وتلقاه ابنه أبو العباس فى جريدة خيل فيها وجوه قواده فسأله أبوه عن خبرهم فوصف له بلاءهم ونصحهم فخلع أبو أحمد على أبي العباس ثم على القواد الذين كانوا معه وانصرف أبو العباس إلى معسكره بالعمر فبات به فلما كان صبيحة الغد رجل أبو أحمد منحدرًا فى الماء وتلقاه ابنه أبو العباس فى آلات الماء بجميع العسكر فى هيئة الحرب على الوضع الذى كانوا يحاربون الزنج عليه فاستحسن أبو أحمد هيئتهم وسر بذلك وسار أبو أحمد حتى نزل بإزاء القرية المعروفة بقرية عبد الله ووضع العطاء فأعطى الجيش كله أرزاقهم وقدم ابنه أبا العباس أمامه فى السفن وسار وراءه فتلقيه [صفحة ١٧١] أبو العباس برءوس وأسرى من أصحاب الشعراني وكان لقيهم فأمر أبو أحمد بالأسرى فضربت أعناقهم ورحل يريد المدينة التى بناها الشعراني بسوق الخميس وسماها المنيعه. وإنما بدأ أبو أحمد بحرب الشعراني قبل حرب سليمان بن جامع لأن الشعراني كان وراءه فخاف إن بدأ بآين جامع أن يأتيه الشعراني من ورائه فيشغله عمن هو أمامه فلما قرب من المدينة خرج إليه الزنج فحاربوه حربا ضعيفة وانهمزوا فعلا أصحاب أبي العباس السور ووضعوا السيف فيمن لقيهم وتفرق الزنج ودخل أبو العباس المدينة فقتلوا وأسروا وحووا ما كان فيها وأفلت الشعراني هاربا ومعه خواصه فأتبعهم أصحاب أبي العباس حتى وافوا بهم البطائح فغرق منهم خلق كثير ولجأ الباقون إلى الآجام وانصرف الناس و قد استنقذ من المسلمات اللواتى كن بأيدي الزنج فى هذه المدينة خاصة خمسة آلاف امرأة سوى من ظفر به من الزنجيات. فأمر أبو أحمد بحمل النساء اللواتى سباهن الزنج إلى واسط وأن يدفعن إلى أوليائهن وبات أبو أحمد بحيال المدينة ثم باكرها وأذن للناس فى نهب ما فيها من أمتعة الزنج فدخلت ونهب كل ما كان بها وأمر بهدم سورها وطم خندقها وإحراق ما كان بقى منها وظفر فى تلك القرى التى كانت فى يد الشعراني بما لا يحصى من الأرز والحنطة والشعير وقد كان الشعراني استولى على ذلك كله وقتل أصحابه فأمر أبو أحمد ببيعه وصرف ثمنه فى أعطيات مواليه وغلمانه وجنده. [صفحة ١٧٢] وأما الشعراني فإنه التحق هو وأخوه بالمدار وكتب إلى الناجم يعرفه ذلك وأنه معتصم بالمدار. قال أبو جعفر فحدثنى محمد بن الحسن بن سهل قال حدثنى محمد بن هشام الكرنبائى المعروف بأبى واثله قال كنت بين يدي الناجم ذلك اليوم وهو يتحدث إذ ورد عليه كتاب سليمان بخبر الواقعة وما نزل به وانهمزاه إلى المدار فما كان إلا أن فض الكتاب ووقعت عينه على ذكر الهزيمة حتى انحل وكاء بطنه فنهض لحاجته ثم عاد. فلما استوى به مجلسه أخذ الكتاب وتأمله فوقع عينه على الموضع الذى أنهضه أولا فنهض لحاجته حتى فعل ذلك مرارا فلم أشك فى عظم المصيبة وكرهت أن أسأله فلما طال الأمر تجاسرت فقلت أليس هذا كتاب سليمان بن موسى قال بلى ورد بقاصمة الظهر ذكر أن الذين أناخوا عليه أوقعوا به وقعة لم تبق منه ولم تذر فكتب كتابه هذا وهو بالمدار ولم يسلم بشيء غير نفسه قال فأكبرت ذلك والله يعلم ما أخفى من السرور الذى وصل إلى قلبى قال وصبر على بن محمد على مكروه ما وصل إليه وجعل يظهر الجلد وكتب إلى سليمان بن جامع يحذره مثل الذى نزل بالشعراني ويأمره بالتيقظ فى أمره

وحفظ ما قبله . قال أبو جعفر ثم لم يكن لأبي أحمد بعد ذلك هم إلا- في طلب سليمان بن جامع فأتته طلائعه فأخبرته أنه بالحوانيت فقدم أمامه ابنه أبا العباس في عشرة آلاف فأنتهى إلى الحوانيت فلم يجد سليمان بن جامع بها وألقى هناك من قواد السودان المشتهرين بالبأس والنجدة القائدين المعروف أحدهما بشبل والآخر بأبي الندى وهما من قدماء [صفحہ ۱۷۳] أصحاب الناجم الذين كان قودهم في بدء مخرجه و كان سليمان قد خلف هذين القائدين بالحوانيت لحفظ غلات كثيرة كانوا قد أخذوها فحاربهما أبو العباس فقتل من رجالهما وجرح بالسهم خلقا كثيرا وكانوا أجلد رجال سليمان بن جامع ونخبتهم الذين يعتمد عليهم ودامت الحرب بين أبي العباس وبينهم ذلك اليوم إلى أن حجز الليل بين الفريقين ورمى أبو العباس في ذلك اليوم كركيا طائرا فوق بين الزنج والسهم فيه فقالوا هذا سهم أبي العباس وأصابهم منه دعر واستأمن في هذا اليوم بعضهم إلى أبي العباس فسأله عن الموضع الذي فيه سليمان بن جامع فأخبره أنه مقيم بمدينة التي بناها بطهيتا فانصرف أبو العباس حينئذ إلى أبيه بحقيقة مقام سليمان و أن معه هنالك جميع أصحابه إلا شبلا و أبا الندى فإنهما بالحوانيت لحفظ الغلات التي حووها فأمر حينئذ أبو أحمد أصحابه بالتوجه إلى طهيتا ووضع العطاء فأعطى عسكريه وشخص مصاعدا إلى بردودا ليخرج منها إلى طهيتا إذ كان لاسبيل له إليها إلا بذلك فظن عسكريه أنه هارب وكادوا ينفضون لو لأنهم عرفوا حقيقة الحال فأنتهى إلى القرية بالحوزية وعقد جسرا على النهر المعروف بمهروذ وعبر عليه الخيل وسار إلى أن صار بينه وبين مدينة سليمان التي سماها المنصورة بطهيتا ميلان فأقام هناك بعسكريه ومطرت السماء مطرا جودا واشتد البرد أيام مقامه هنالك فشغل بالمطر والبرد عن الحرب فلم يحارب فلما فتر ركب في نفر من قواده ومواليه لارتياح موضع لمجال الخيل فأنتهى إلى قريب من سور تلك المدينة فتلقيه منهم خلق كثير وخرج عليه كمناء من مواضع شتى ونشبت الحرب واشتدت فترجل جماعة من الفرسان ودافعوا حتى خرجوا عن المضايق التي كانوا أوغلوها وأسر من غلمان أبي أحمد غلام يقال له وصيف العلمدار وعدة من قواد زيرك وقتل في هذا اليوم أحمد بن مهدي الجبائي أحد القواد العظماء من الزنج رماه أبو العباس بسهم فأصاب أحد منخره حتى خالط دماغه فخر صريعا وحمل من المعركة و هو حي فسأل أن يحمل [صفحہ ۱۷۴] إلى الناجم فحمل من هناك إلى نهر أبي الخصيب إلى مدينة الناجم التي سماها المختارة فوضع بين يديه و هو على ما به فعظمت المصيبة عليه به إذ كان من أعظم أصحابه غناء وأشدهم تصبرا لإطاعته فمكث الجبائي يعالج هنالك أياما ثم هلك فاشتد جزع الناجم عليه وصار إليه فولى غسله وتكفينه والصلاة عليه والوقوف على قبره إلى أن دفن ثم أقبل على أصحابه فوعظهم وذكر موت الجبائي وكانت وفاته في ليلة ذات رعود وبروق . فقال فيما ذكر عنه لقد سمعت وقت قبض روحه زجل الملائكة بالدعاء له والترحم عليه وانصرف من دفنه منكسرا عليه الكآبة. قال أبو جعفر فلما انصرف أبو أحمد ذلك اليوم من الوقعة غاداهم بكرة الغد وعبأ أصحابه كتائب فرسانا ورجاله وأمر بالشذا والسميريات أن يسار بهامعه في النهر الذي يشق مدينة طهيتا و هو النهر المعروف بنهر المنذر وسار نحو الزنج حتى انتهى إلى سور المدينة قريب قواد غلمانة في المواضع التي يخاف خروج الزنج عليه منها وقدم الرجال أمام الفرسان ونزل فصلى أربع ركعات وابتهل إلى الله تعالى في النصر والدعاء للمسلمين ثم دعا بسلاحه فلبسه وأمر ابنه أبا العباس أن يتقدم إلى السور ويحض الغلمان على الحرب ففعل و قد كان سليمان بن جامع أعد أمام سور المدينة التي سماها المنصورة خندقا فلما انتهى الغلمان إليه تهيؤوا عبوره وأحجموا عنه فحرضهم قوادهم وترجلوا معهم فاقتحموه متجاسرين عليه فعبروه وانتهوا إلى الزنج وهم مشرفون من سور مدينتهم فوضعوا السلاح فيهم وعبرت شردمة من الفرسان الخندق خوضا فلما رأى الزنج خبر هؤلاء الذين لقوهم وجراًتهم عليهم ولوا منهزمين واتبعهم أصحاب أبي أحمد ودخلوا [صفحہ ۱۷۵] المدينة من جوانبها و كان الزنج قد حصنها بخمسة خنادق وجعلوا أمام كل خندق منها سورا يمتنعون به فجعلوا يقفون عند كل سور وخندق انتهوا إليه وأصحاب أبي أحمد يكشفونهم في كل موقف وقفوه ودخلت الشذا والسميريات مدينتهم مشحونة بالغلمان المقاتلة من النهر الذي يشقها بعدانهم فأغرقت كل مامرت به

لهم من شذاة أوسميرية واتبعوا من تجافى النهر منهم يقتلون ويأشرون حتى أجلوهم عن المدينة و عما يتصل بها و كان ذلك زهاء فرسخ فحوى أبو أحمد ذلك كله وأفلت سليمان بن جامع فى نفر من أصحابه واستحر القتل فيهم والأسر واستنقذ من نساء أهل واسط وصبيانهم و ما اتصل بذلك من القرى ونواحي الكوفة زهاء عشرة آلاف فأمر أبو أحمد بحياطتهم والإنفاق عليهم وحملوا إلى واسط فدفنوا إلى أهلهم واحتوى أبو أحمد على كل ما كان فى تلك المدينة من الذخائر والأموال والأطعمة والمواشى فكان شيئا جليل القدر فأمر ببيع الغلات وغيرها من العروض و صرفه فى أعطيات عسكره ومواليه وأسر من نساء سليمان وأولاده عدة واستنقذ يومئذ وصيف العلمدار و من كان أسره الزنج معه فأخرجوا من الحبس قد كان الزنج أعجلهم الأمر عن قتله وقتلهم وأقام أبو أحمد بطهيتا سبعة عشر يوما وأمر بهدم سور المدينة وطم خنادقها ففعل ذلك وأمر بتتبع من لجأ منهم إلى الآجام وجعل لكل من أتاه برجل منهم جعلاً فسارع الناس إلى طلبهم فكان إذا أتى بالواحد منهم خلع عليه وأحسن إليه وضمه إلى قواد غلمانه لمادير من استمالتهم و صرفهم عن طاعة أصحابهم وندب نصيرا صاحب الماء فى شذا وسميريات لطلب سليمان بن جامع والهاريين معه من الزنج وغيرهم وأمره بالجد فى اتباعهم حتى يجاوز البطائح و حتى يلح دجلة المعروفة بالعوراء وتقدم إليه فى فتح السكور التى كان سليمان أحدثها ليقطع بها الشذا عن دجلة فيما بينه و بين النهر المعروف بأبى الخصب وتقدم إلى [صفحة ١٧٦] زيرك فى المقام بطهيتا فى جمع كثير من العسكر ليتراجع إليها الذين كان سليمان أجلاهم عنها من أهلها فلما أحكم ما أراد إحكامه تراجع بعسكره مزما على التوجه إلى الأهواز ليصلحها و قد كان قدم أمامه ابنه أبا العباس و قد تقدم ذكر على بن أبان المهلبى وكونه استولى على معظم كور الأهواز ودوخ جيوش السلطان هناك وأوقع بهم وغلب على معظم تلك النواحي والأعمال . فلما تراجع أبو أحمد وافى بردودا فأقام بها أياما وأمر بإعداد ما يحتاج إليه للمسير على الظهر إلى الأهواز وقدم أمامه من يصلح الطرق والمنازل وبعدها فيها الميرة للجيش التى معه ووافاه قبل أن يرحل عن واسط زيرك منصرفا عن طهيتا بعد أن تراجع إلى النواحي التى كان بها الزنج أهلها وخلفهم آمنين فأمره أبو أحمد بالاستعداد والانحدار فى الشذا والسميريات فى نخبة عسكره وأنجادهم فيصير بهم إلى دجلة العوراء فتجتمع يده ويد نصير صاحب الماء على نقض دجلة واتباع المنهزمين من الزنج والإيقاع بكل من لقوا من أصحاب سليمان إلى أن ينتهى بهم المسير إلى مدينة الناجم بنهر أبى الخصب فإن رأوا موضع حرب حاربوه فى مدينه وكتبوا بما يكون منهم إلى أبى أحمد ليرد عليهم من أمره ما يعملون بحسبه . واستخلف أبو أحمد على من خلفه من عسكره بواسطة ابنه هارون وأزمع على الشيوخ فى خف من رجاله وأصحابه ففعل ذلك بعد أن تقدم إلى ابنه هارون فى أن يحذر الجيش الذى خلفه معه فى السفن إلى مستقره بدجلة إذا وافاه كتابه بذلك وارتحل شاخصا من واسط الأهواز وكورها فنزل باذيين إلى الطيب إلى قرقوب إلى وادى السوس و قد كان عقد له عليه جسر فأقام به من أول النهار إلى وقت الظهر حتى عبر عسكره أجمع ثم سار حتى وافى السوس فنزلها و قد كان أمر مسرورا البلخى و هو عامله على الأهواز بالقدوم عليه فوافاهم فى جيشه وقواده من غد اليوم الذى نزل فيه السوس [صفحة ١٧٧] فخلع عليه وعليهم وأقام بالسوس ثلاثا و كان ممن أسر من الزنج بطهيتا أحمد بن موسى بن سعيد البصرى المعروف بالقلوص و كان قائدا جليلا عندهم وأحد عدد الناجم و من قدماء أصحابه أسر بعد أن أثنى جراحات كانت فيهمانيته فأمر أبو أحمد باحتزاز رأسه ونصبه على جسر واسط. قال أبو جعفر واتصل بالناجم خبر هذه الواقعة بطهيتا وعلم مانيل من أصحابه فانقض عليه تدييره وضلت حيلته فحملة الهلع إلى أن كتب إلى على بن أبان المهلبى و هو يومئذ مقيم بالأهواز فى زهاء ثلاثين ألفا يأمره بترك كل ما كان قبله من الميرة والأثاث والإقبال إليه بجميع جيوشه فوصل الكتاب إلى المهلبى و قد أتاه الخبر بإقدام أبى أحمد إلى الأهواز وكورها فهو لذلك طائر العقل فقرأ الكتاب و هو يحفره فيه حفزا بالمصير إليه فترك جميع ما كان قبله واستخلف عليه محمد بن يحيى بن سعيد الكرنبائى فلما شخص المهلبى عنه لم يثبت و لم يقم لما عنده من الوجل وترادف الأخبار بوصول أبى أحمد إليه فأخلى ما استخلف عليه

وتبع المهلبى وبالأهواز يومئذ ونواحيها من أصناف الحبوب والتمر والمواشى شىء عظيم فخرجوا عن ذلك كله وكتب الناجم أيضا إلى بهبوذ بن عبدالوهاب القائد و إليه يومئذ الأعمال التى بين الأهواز وفارس يأمره بالقدوم عليه بعسكره فترك بهبوذ ما كان قبله من الطعام والتمر والمواشى فكان ذلك شيئا عظيما فحوى جمع ذلك أبو أحمد فكان قوة له على الناجم وضعفا للناجم . و لمارحل المهلبى عن الأهواز بث أصحابه فى القرى التى بينه و بين مدينة الناجم فانتهبوها وأجلوا عنها أهلها و كانوا فى سلمهم وتخلف خلق كثير ممن كان مع المهلبى من الفرسان والرجالء عن اللحاق به وأقاموا بنواحي الأهواز وكتبوا يسألون أبا أحمد [صفحة ١٧٨] الأمان لما انتهى عنه إليهم من عفوه عن ظفر به من أصحاب الناجم و كان الذى دعا الناجم إلى أمر المهلبى وبهبوذ بسرعة المصير إليه خوفه موافاة أبى أحمد بجيوشه إليه على الحالة التى كان الزنج عليها من الوجل وشدة الرعب مع انقطاع المهلبى وبهبوذ فيمن كان معهما عنه و لم يكن الأمر كما قدر فإن أبا أحمد إنما كان قاصدا إلى الأهواز فلو أقام المهلبى بالأهواز وبهبوذ بمكانه فى جيوشهما لكان أقرب إلى دفاع جيش أبى أحمد عن الأهواز وأحفظ للأموال والغلات التى تركت بعد أن كانت اليد قابضة عليها. قال أبو جعفر وأقام أبو أحمد حتى أحرز الأموال التى كان المهلبى وبهبوذ وخلفاؤهما تركوها وفتحت السكور التى كان الناجم أحدثها فى دجلة وأصلحت له طرقه ومسالكه ورحل أبو أحمد عن السوس إلى جنديسابور فأقام بها ثلاثا و قد كانت الأعلاف ضاقت على أهل العسكر فوجه فى طلبها وحملها ورحل عن جنديسابور إلى تستر فأقام بهالجباية الأموال من كور الأهواز وأنفذ إلى كل كورة قائدا ليروج بذلك حمل المال ووجه أحمد بن أبى الأصبح إلى محمد بن عبد الله الكردى صاحب رامهرمز و مايلها من القلاع والأعمال و قد كان مالا المهلبى وحمل إلى الناجم أموالا كثيرة وأمره بإيناسه وإعلامه ما عليه ما رآه فى العفو عنه والتغمد لزلته و أن يتقدم إليه فى حمل الأموال والمسير إلى سوق الأهواز بجميع من معه من الموالى والغلمان والجنود ليعرضهم ويأمر بإعطائهم الأرزاق وينهضهم معه لحرب الناجم ففعل وأحضرهم وعرضوا رجلا رجلا وأعطوا ثم رحل إلى عسكر مكرم فجعله منزله أياما ثم رحل منه فوافى الأهواز و هو يرى أنه قد تقدمه إليها من الميرة ما يحمل عساكره فلم يكن كذلك وغلظ الأمر فى ذلك اليوم واضطرب الناس اضطرابا شديدا فأقام ثلاثة أيام ينتظر ورود الميرة فلم ترد فسألت أحوال الناس وكاد ذلك يفرق جماعتهم فبحث عن السبب المؤخر لورودها [صفحة ١٧٩] فوجد الزنج قد كانوا قطعوا قنطرة قديمة أعجمية كانت بين سوق الأهواز ورامهرمز يقال لها قنطرة أربق فامتنع التجار و من كان يحمل الميرة من الورود لقطع تلك القنطرة فركب أبو أحمد إليها وهى على فرسخين من سوق الأهواز فجمع من كان فى العسكر من السودان وأخذهم بنقل الصخر والحجارة لإصلاح هذه القنطرة وبذل لهم من أموال الرعية فلم يرم حتى أصلحت فى يومه ذلك وردت إلى ما كانت عليه فسلكها الناس ووافت القوافل بالميرة فحى أهل العسكر وحسنت أحوالهم وأمر بجمع السفن لعقد الجسر على دجيل الأهواز فجمعت من جميع الكور وأقام بالأهواز أياما حتى أصلح أصحابه أمورهم و ما احتاجوا إليه من آلاتهم وحسنت أحوال دوابهم وذهب عنها ما كان بها من الضر بتأخر الأعلاف ووافت كتب القوم الذين تخلفوا عن المهلبى وأقاموا بعده بسوق الأهواز يسألون أبا أحمد الأمان فأمنهم فأتاه منهم نحو ألف رجل فأحسن إليهم وضمهم إلى قواد غلمانهم وأجرى لهم الأرزاق وعقد الجسر على دجيل الأهواز ورحل بعد أن قدم جيوشه أمامه وعبر دجيلا فأقام بالموضع المعروف بقصر المأمون ثلاثا و قد كان قدم ابنه أبا العباس إلى نهر المبارك من فرات البصرة وكتب إلى ابنه هارون بالانحدار إليه ليجتمع العساكر هناك ورحل أبو أحمد عن قصر المأمون إلى قورج العباس ووافاه أحمد بن أبى الأصبح هنالك بهدايا محمد بن عبد الله الكردى صاحب رامهرمز من دواب ومال ثم رحل عن القورج فنزل الجعفرية و لم يكن بهاماء و قد كان أنفذ إليها و هو بعد فى القورج من حفر آبارها فأقام بها يوما و ليلة وألقى بهاميرا مجموعة فأتسع الجند بها وتزودوا منها ثم رحل إلى المنزل المعروف بالبشير فألقى فيه غديرا من ماء المطر فأقام به يوما و ليلة ورحل إلى المبارك و كان منزلا بعيد المسافة [صفحة ١٨٠] فتلقيه ابنه أبا العباس

وهارون في طريقه وسلم عليه وسارا بسيره حتى ورد بهم المبارك و ذلك يوم السبت للنصف من رجب سنة سبع وستين . قال أبو جعفر فأما نصير ولزيرك فقد كانا اجتماعا بدجلة العوراء وانحدرا حتى وافيا الأبله بسفنهما وشذاهما فاستأمن إليهما رجل من أصحاب الناجم فأعلمهما أنه قد أنفذ عددا كثيرا من السميريات والزواريق مشحونه بالزنج يرأسهم قائد من قواده يقال له محمد بن ابراهيم ويكنى أبا عيسى . قال أبو جعفر و محمد بن ابراهيم هذا رجل من أهل البصرة جاء به إلى الناجم صاحب شرطته المعروف بيسار واستصلحه لكتابته فكان يكتب له حتى مات و قد كانت ارتفعت حال أحمد بن مهدي الجبائي عند الناجم وولاه أكثر أعماله فضم محمد بن ابراهيم هذا إليه فكان كاتبه فلما قتل الجبائي في وقعة سليمان الشعرائي طمع محمد بن ابراهيم هذا في مرتبته و أن يحلله الناجم محله فنبذ القلم والدواة ولبس آلة الحرب وتجرد للقتال فأنهضه الناجم في هذا الجيش وأمره بالاعتراض في دجلة لمداغمة من يردها من الجيوش فكان يدخله أحيانا وأحيانا يأتي بالجمع الذي معه إلى النهر المعروف بنهر يزيد و كان معه في ذلك الجيش من قواد الزنج شبل بن سالم وعمرو المعروف بسلام بوذي وأخلاء من السودان وغيرهم فاستأمن رجل منهم كان في ذلك الجيش إلى لزيرك ونصير وأخبرهما خبره وأعلمهما أنه على القصد لسواد عسكر نصير و كان نصير يومئذ معسكرا بنهر المرأة وإنهم على أن يسلكوا الأنهار المعترضة على نهر معقل وبتق [صفحة ١٨١] شيرين حتى يوافوا الشرطة ويخرجوا من وراء العسكر فيكبوا على من فيه فرجع نصير عند وصول هذا الخبر إليه من الأبله مبارزا إلى عسكره وسار لزيرك قاصدا بتق شيرين معارضا لمحمد بن ابراهيم فلقه في الطريق فوهب الله له العلو عليه بعد صبر من الزنج له ومجاهدة شديدة فانهمزوا ولجئوا إلى النهر الذي فيه كمينهم و هونهر يزيد فدل لزيرك عليهم فتوغلت إليهم سميرياته فقتل منهم طائفة وأسر طائفة فكان محمد بن ابراهيم فيمن أسر وعمرو غلام بوذي وأخذ ما كان معهم من السميريات وهي نحو ثلاثين سميرية وأفلت شبل بن سالم في الذين نجوا معه فلحق بعسكر الناجم وخرج لزيرك في بتق شيرين سالما ظافرا ومعه الأسارى وءوس القتلى مع ماحوى من السميريات والسفن وانصرف من دجلة العوراء إلى واسط وكتب إلى أبي أحمد بالفتح وعظم الجزع على كل من كان بدجلة وكورها من اتباع الناجم فاستأمن إلى نصير صاحب الماء و هو مقيم حينئذ بنهر المرأة زهاء ألفى رجل من الزنج و أتباعهم . فكتب إلى أبي أحمد بخبرهم فأمره بقبولهم وإقرارهم على الأمان وإجراء الأرزاق عليهم و خلطهم بأصحابه ومناهضة العدو بهم ثم كتب إلى نصير يأمره بالإقبال إليه إلى نهر المبارك فوافاه هنالك . و قد كان أبو العباس عند منصرفه إلى نهر المبارك انحدر إلى عسكر الناجم في الشذا فأوقع بهم في مدينته بنهر أبي الخصيب فكانت الحرب بينهما من أول النهار إلى آخر وقت الظهر . واستأمن إليه قائد جليل من قواد الناجم من المضمومين كانوا إلى سليمان بن جامع يقال له منتاب ومعه جماعة من أصحابه فكان ذلك مما كسر من الناجم وانصرف أبو العباس بالظفر وخلع على منتاب الزنجى ووصله وحمله فلما لقي أباه أخبره خبره وذكر [صفحة ١٨٢] إليه خروجه إليه في الأمان فأمر أبو أحمد له بخلع وصله وحملان و كان منتاب أول من استأمن من جملة قواد الناجم . قال أبو جعفر و لمانزل أبو أحمد نهر المبارك كان أول ما عمل به في أمر الناجم أن كتب إليه كتابا يدعو فيه إلى التوبة والإنابة إلى الله تعالى مما ارتكب من سفك الدماء وانتهاك المحارم وإخراب البلدان والأمصار واستحلال الفروج والأموال وانتحال ما لم يجعله الله له أهلا من النبوة والإمامة ويعلمه أن التوبة له مبسوطه والأمان له موجود فإن نزع عما هو عليه من الأمور التي يسخطها الله تعالى ودخل في جماعة المسلمين محا ذلك ما سلف من عظيم جرائمه و كان له به الحظ الجزيل في دنياه وآخرته وأنفذ ذلك إليه مع رسول فالتمس الرسول إيصاله إليه فامتنع الزنج من قبول الكتاب و من إيصاله إلى صاحبهم فألقى الرسول الكتاب إليهم إلقاء فأخذوه وأتوا به صاحبهم فقراه و لم يجب عنه بشيء ورجع الرسول إلى أبي أحمد فأخبره فأقام خمسة أيام متشاغلا بعرض السفن وترتيب القواد والموالي والغلمان فيها وتخير الرماة وانتخابهم للمسير بها . ثم سار في اليوم السادس في أصحابه ومعه ابنه أبو العباس إلى مدينة الناجم التي سماها المختارة من نهر أبي الخصيب فأشرف عليها

وتأملها فرأى منعتها وحصانتها بالسور والخنادق المحيطة بها وغور الطريق المؤدى إليها و ما قد أعد من المجانيق [صفحہ ۱۸۳] والعرادات والقسى الناوكية وسائر الآلات على سورها فرأى ما لم ير مثله ممن تقدم من منازعي السلطان ورأى من كثرة عدد مقاتلتهم واجتماعهم ما استغلظ أمره . ولما عين الزنج أبا أحمد وأصحابه ارتفعت أصواتهم بما ارتجت له الأرض فأمر أبو أحمد عند ذلك ابنه أبا العباس بالتقدم إلى سور المدينة ورشق من عليه بالسهم ففعل ودنا حتى ألصق شذواته بمسناة قصر الناجم وانحاز الزنج بأسرهم إلى المواضع الذي دنت منه الشذا وتحاشدوا وتتابعت سهامهم وحجارة منجنيقاتهم وعراداتهم ومقاليعهم ورمى عوامهم بالحجارة عن أيديهم حتى ما يقع طرف ناظر على موضع الإلراى فيه سهما أو حجرا . وثبت أبو العباس فرأى الناجم وأشياعه من جهدهم واجتهادهم وصبرهم ما لاعهد لهم بمثله من أحد ممن حاربهم وحينئذ أمر أبو أحمد ابنه أبا العباس بالرجوع بمن معه إلى مواقفهم ليروحوا عن أنفسهم ويداؤوا جروحهم ففعلوا ذلك واستأمن في هذه الحال إلى أبي أحمد مقاتلان من مقاتلة السمريرات من الزنج فأتياه بسميرياتهما و ما فيها من الملاحين والآلات فأمر لها بخلع ديباج ومناطق محلاة بالذهب ووصلهما بمال وأمر للملاحين بخلع من الحرير الأحمر والأخضر الذي حسن موقعه منهم وعمهم جميعا بصلاته وأمر بإدنائهم من الموضع الذي يراهم فيه نظراؤهم فكان ذلك من أنجح المكاييد التي كيد بها صاحب الزنج فلما رأى الباقون ما صار إليه أصحابهم من العفو عنهم والإحسان إليهم رغبوا في الأمان وتنافسوا فيه فابتدر منهم جمع كثير مسرعين نحوه راغبين فيما شرع لهم منه فأمر أبو أحمد لهم بمثل ما أمر به لأصحابه فلما رأى الناجم ركون أصحاب السمريرات إلى الأمان ورغبتهم فيه أمر برد من كان منهم في دجلة إلى نهر أبى [صفحہ ۱۸۴] الخصب و وكل بفوهة النهر من يمنعهم الخروج وأمر بإظهار شذواته الخاصة وندب لهم بهبوذ بن عبدالوهاب و هو من أشد كوماته بأسا وأكثرهم عددا وعدة فانتدب بهبود لذلك وخرج في جمع كثيف من الزنج فكانت بينه وبين أبى حمزة نصير صاحب الماء وبين أبى العباس بن أبى أحمد وقعات شديدة في كلها يظهر عليه أصحاب السلطان ثم يعود فيرتاش ويحتشد فيخرج فيواقعهم حتى صدقوه الحرب وهزموه وألجئوه إلى فناء قصر الناجم وأصابته طعنتان وجرح بالسهم وأوهنت أعضائه الحجارة وأولجوه نهر أبى الخصب وقد أشفى على الموت وقتل قائد جليل معه من قواد الزنج ذو بأس ونجدة وتقدم في الحرب يقال له عميرة . واستأمن إلى أبى أحمد جماعة أخرى فوصلهم وحباهم وخلع عليهم وركب أبو أحمد في جميع جيشه و هو يومئذ في خمسين ألف رجل والناجم في ثلاثمائة ألف رجل كلهم يقاتل ويدافع فمن ضارب بسيف وطاعن برمح ورام بقوس وقاذف بمقلع ورام بعراة ومنجنيق وأضعفهم أمر الرماة بالحجارة عن أيديهم وهم النظارة المكثرون للسواد والمعينون بالنعير والصياح والنساء يشركنهم في ذلك أيضا فأقام أبو أحمد بإزاء عسكر الناجم إلى أن أضحى وأمر فودى الأمان مبسوط للناس أسودهم وأحمرهم لإلعدو الله الداعى على بن محمد وأمر بسهام فعلقت فيهارقاع مكتوب فيها من الأمان مثل الذي نودى به ووعد الناس فيها الإحسان ورمى بها إلى عسكر الناجم فمالت إليه قلوب خلق كثير من أولئك ممن لم يكن له بصيرة في اتباع الناجم فأتاه في ذلك اليوم جمع كثير يحملهم الشذا والسمريرات فوصلهم وحباهم وقدم عليه قائدان من قواده وكلاهما من مواليه ببغداد أحدهما بكتمر والآخر بغرا في جمع [صفحہ ۱۸۵] من أصحابهما فكان ورودهما زيادة في قوته ثم رحل في غد هذا اليوم بجميع جيشه فنزل متاخما لمدينة الناجم في موضع كان تخيره للنزول فأوطن هذا الموضع وجعله معسكرا له وأقام به ورتب قواده ورؤساء أصحابه مراتبهم فجعل نصيرا صاحب الماء في أول العسكر وجعل زيرك التركي في موضع آخر و على بن جهشار حاجبه في موضع آخر وراشدا مولاه في مواليه وغلما نه الأتراك والخزر والروم والديالمة والطبرية والمغاربة والزنج والفراعنة والعجم والأكراد محيطا هو وأصحابه بمضارب أبى أحمد وفساطيطه وسرادقاته وجعل صاعد بن مخلد وزيره و كاتبه في جيش آخر من الموالى والغلمان فوق عسكر راشد وأنزل مسرورا البلخى القائد صاحب الأهواز في جيش آخر على جانب من جوانب عسكره وأنزل الفضل ومحمدا ابني موسى بن بغا في جانب آخر بجيش آخر وتلاههما القائد

المعروف بموسى ولجوا في جيشه وأصحابه وجعل بغراج التركي على ساقته في جيش كثيف بعدة عظيمة وعدد جم ورأى أبو أحمد من حال الناجم وحصانه موضعه وكثرة جمعه ما علم معه أنه لا بد له من الصبر عليه وطول الأيام في محاصرته وتفريق جموعه وبذل الأمان لهم والإحسان إلى من أناب منهم والغلظة على من أقام على غيه منهم واحتاج إلى الاستكثار من الشذا و ما يحارب به في الماء وشرع في بناء مدينة مماثلة لمدينة الناجم وأمر بإنفاذ الرسل في حمل الآلات والصناع من البر والبحر وإنفاذ المير والأزواد والأقوات وإيرادها إلى عسكره بالمدينة التي شرع فيها وسماها الموقية وكتب إلى عماله بالنواحي في حمل الأموال إلى بيت ماله في هذه المدينة وألا يحمل إلى بيت المال بالحضرة درهم واحد وأنفذ رسلا إلى سيراف وجنابة في بناء الشذا [صفحة ١٨٦] والاستكثار منها لحاجته إلى أن يبثها ويفرقها في المواضع التي يقطع بها الميرة عن الناجم وأصحابه وأمر بالكتاب إلى عماله في إنفاذ كل من يصلح للإثبات والعرض في الدواوين من الجند والمقاتلة وأقام ينتظر ذلك شهرا أونحوه فوردت المير متتابعة يتلو بعضها بعضا ووردت الآلات والصناع وبنيت المدينة وجهاز التجار صنوف التجارات في الأمتعة وحملوها إليها واتخذت بها الأسواق وكثر بها التجار والمجهزون من كل بلد ووردت إليها مراكب من البحر وقد كانت انقطعت لقطع الناجم وأصحابه سبلها قبل ذلك بأكثر من عشر سنين وبنى أبو أحمد في هذه المدينة المسجد الجامع وصلى بالناس فيه واتخذ دور الضرب فضرب بهالدنانير والدرهم فجمعت هذه المدينة جميع المرافق وسبق إليها صنوف المنافع حتى كان ساكنوها لا يفقدون فيها شيئا مما يوجد في الأمصار العظيمة القديمة وحملت الأموال وأدر العطاء على الناس في أوقاته فأتسعوا وحسنت أحوالهم ورجب الناس جميعا في المصير إلى هذه والمقام بها. قال أبو جعفر وأمر الناجم بهبوذ بن عبد الوهاب فعبه و الناس غارون في سميريات إلى طرف عسكر أبي حمزة صاحب الماء فأوقع به وقتل جماعة من أصحابه وأسر جماعة وأحرق أكواخا كانت لهم وأرسل ابراهيم بن جعفر الهمداني و هو من جملة قواد الناجم في أربعة آلاف زنجي و محمد بن أبان المكنى أبا الحسين أخوا على بن أبان المهلبى في ثلاثة آلاف والقائد المعروف بالدور في ألف وخمسمائة ليغيروا على أطراف عسكر أبي أحمد ويوقعوا بهم فنذر بهم أبو العباس فنهد إليهم في جمع كثيف من أصحابه وكانت بينه وبينهم حروب كان الاستظهار فيها كلها له واستأمن إليه جماعة منهم فخلع عليهم وأمر أن يوقفوا بإزاء مدينة الناجم ليعاينهم أصحابه وأقام أبو أحمد يكايد الناجم ويبدل [صفحة ١٨٧] الأموال لأصحابه تارة ويوقعهم ويحاربهم تارة ويقطع الميرة عنهم فسرى بهبوذ الزنجي في الأجلاذ المنتخبين من رجاله ليلة من الليالي وقد تآدى إليه خبر قيروان ورد للتجار فيه صنوف التجارات والأمتعة والمير فكمن في النخل فلما ورد القيروان خرج إلى أهله وهم غارون فقتل منهم وأسر وأخذ ماشاء أن يأخذ من الأموال . وقد كان أبو أحمد علم بورود ذلك القيروان وأنفذ قائدا من قواده لبذرقتة في جمع خفيف فلم يكن لذلك القائد بهبوذ طاقة فانصرف عنه منهزما. فلما انتهى إلى أبي أحمد ذلك غلظ عليه مانال الناس في أموالهم وتجاراتهم فأمر بتعويضهم وأخلف عليهم مثل الذي ذهب منهم ورتب على فوهة النهر المعروف بنهر بيان و هو الذي دخل القيروان فيه جيشا قويا لحراسته . قال أبو جعفر ثم أنفذ الناجم جيشا عليه القائد المعروف بصندل الزنجي و كان صندل هذافيا ذكر يكشف وجوه الحرائر المسلمات وراء وسهن ويقلبهن تقليب الإماء فإن امتنعت منهن امرأة لطم وجهها ودفعها إلى بعض علوج الزنج يوقعها ثم يخرجها بعد ذلك إلى سوق الرقيق فيبيعها بأوكس الثمن فيسر الله تعالى قتله في وقعة جرت بينه وبين أبي العباس أسر وأحضر بين يدي أبي أحمد فشدته كتافا ورماه بالسهم حتى هلك . قال أبو جعفر ثم ندب الناجم جيشا آخر وأمره أن يغير على طرف من أطراف عسكر أبي أحمد وهم غارون فاستأمن من ذلك الجيش زنجي المذكور يقال له مهذب [صفحة ١٨٨] كان من فرسان الزنج وشجعانهم فأتى به إلى أبي أحمد وقت إفطاره فأعلمه أنه جاء راغبا في الطاعة والأمان و أن الزنج على العبور في ساعتهم تلك إلى عسكره للبيات و أن المندوبين لذلك أنجادهم وأبطالهم فأمر أبو أحمد أبا العباس ابنه أن ينهض إليهم في قواد عينهم له فنهضوا فلما أحس ذلك الجيش بأنهم

قد نذروا بهم وعرفوا استئمان صاحبهم رجعوا إلى مدينتهم . قال أبو جعفر ثم إن الناجم ندب أجل قواده وأكبرهم قدرا عنده و هو على بن أبان المهلبى وانتخب له أهل البأس والجلد وأمره أن يبيت عسكر أبى أحمد فعبير فى زهاء خمسة آلاف رجل أكثرهم الزنج وفيهم نحو مائتى قائد من مذكورهم وعظمائهم فعبير ليلا إلى شرقى دجله وعزموا على أن يفتروا قسمين أحدهما خلف عسكر أبى أحمد والثانى أمامه ويغير الذين أمامه على أصحاب أبى أحمد فإذا ثاروا إليهم واستعرت الحرب أكب أولئك الذين من وراء العسكر على من يليهم وهم مشاغيل بحرب من يازائهم وقدر الناجم و على بن أبان أن يتهاى لهما من ذلك ما أحبا فاستأمن منهم إلى أبى أحمد غلام كان معهم من الملاحين ليلا فأخبره خبرهم و ما اجتمعت عليه آراؤهم فأمر ابنه أبابالعباس والغلمان والقواد بالحذر والاحتياط والجد وفرقهم فى الجهتين المذكورتين فلما رأى الزنج أن تديرهم قد انتقض وأنه قد فطن لهم ونذر بهم كروا راجعين فى الطريق الذى أقبلوا فيه طالبين التخلص فسبقهم أبو العباس ولزيرك إلى فوهة النهر ليمنعوهم من عبوره وأرسل أبو أحمد غلامه الأسود الزنجى الذى يقال له ثابت و كان له قيادة على السودان الذين بعسكر الموفق فأمره أن يعترضهم ويقف لهم فى طريقهم [صفحہ 189] بأصحابه فأدر كهم و هو فى خمسمائة رجل فواقعهم وشد عضده أبو العباس ولزيرك بمن معهم فقتل من الزنج أصحاب الناجم خلق كثير وأسروا منهم كثير وأفلت الباقون فلحقوا بمدينتهم وانصرف أبو العباس بالفتح وقد علق رءوس الزنج فى الشذا وصلب الأسارى أحياء فيها فاعترضوا بهم مدينتهم ليرهبوا أصحابهم فلما رأوهم رعبوا وانكسروا واتصل بأبى أحمد أن الناجم موه على أصحابه وأوهم أن الرءوس المرفوعة مثل مثلها لهم أبو أحمد ليراعوا و أن الأسارى من المستأمنه فأمر أبو أحمد عند ذلك بجميع الرءوس والمسير بها إلى إزاء قصر الناجم والقذف بها فى منجنيق منصوب فى سفينة إلى عسكره ففعل ذلك فلما سقطت الرءوس فى مدينتهم عرف أولياء القتلى رءوس أصحابهم فظهر بكاؤهم وصراخهم . قال أبو جعفر وكانت لهم وقعات كثيرة بعد هذه فى أكثرها ينهزم الزنج ويظفر بهم وطلب وجوههم الأمان فكان ممن استأمن محمد بن الحارث القائد و إليه كان حفظ النهر المعروف بمنكى والسور الذى يلي عسكر أبى أحمد كان خروجه ليلا مع عدة من أصحابه فوصله أبو أحمد بصلات كثيرة وخلق عليه وحمله على عدة دواب بحليتها وآلاتها وأسنى له الرزق . و كان محمد هذا حاول إخراج زوجته معه وهى إحدى بنات عمه فعجزت المرأة عن اللحاق به فأخذها الزنج فردوها إلى الناجم فحبسها مدة ثم أمر بإخراجها والنداء عليها فى السوق فبيعت . و ممن استأمن القائد المعروف بأحمد البرذعى كان من أشجع رجالهم و كان يكون أبدا مع المهلبى . [صفحہ 190] و كان ممن استأمن مريدا القائد وبرنكوبه ويبلويه فخلعت عليهم الخلع ووصلوا بالصلات الكثيرة وحملوا على الخيول المحلاة وأحسن إلى كل من جاء معهم من أصحابهم . قال أبو جعفر فضاقت المير على الناجم وأصحابه فندب شبلا القائد و أبالندى وهما من رؤساء قواده وقدماء أصحابه الذين يعتمد عليهم ويثق بمناصحتهم وأمرهما بالخروج فى عشرة آلاف من الزنج وغيرهم والقصد إلى نهر الدير ونهر المرأة ونهر أبى الأسد والخروج من هذه الأنهار إلى البطيحة والغارة على المسلمين و أهل القرى وقطع الطرقات وأخذ جميع ما يقدرون عليه من الطعام والميرة وحمله إلى مدينته وقطعه عن الوصول إلى عسكر أبى أحمد فندب أبو أحمد لقصدهم مولاه لزيرك فى جيش كثيف بعضه فى الماء وبعضه على الظهر فواقعهم فى الموضع المعروف بنهر عمر فكانت بينه وبينهم حرب شديدة أسفرت عن انكسارهم وخذلان الله لهم فأخذ منهم أربعمائة سفينة وأسرى كثيرين وأقبل بها وبهم وبالرءوس إلى عسكر أبى أحمد . قال أبو جعفر وندب أبو أحمد ابنه أبابالعباس لقصد مدينة الناجم والعلو عليها فقصدها من النهر المعروف بالغربى وقد أعد الناجم به على بن أبان المهلبى فاستعرت الحرب بين الفريقين فأمد الناجم عليا بسليمان بن جامع فى جمع كثير من قواد الزنج واتصلت الحرب واستأمن كثير من قواد الزنج إلى أبى العباس وامتدت الحرب إلى بعد العصر ثم انصرف أبو العباس فاجتاز فى منصرفه بمدينة الناجم وقد انتهت إلى الموضع المعروف [صفحہ 191] بنهر الأتراك فرأى فى ذلك النهر قلة من الزنج الذين يحرسونه فطمع فيهم فقصد نحوهم

وصعد جماعة من أصحابه سور المدينة و عليه فريق من الزنج فقتلوا من أصابوا هناك ونذر الناجم بهم فأنجدهم بقواد من قواده فأرسل أبو العباس إلى أبيه يستمده فوافى من عسكر أبي أحمد من خف من الغلمان فقوى بهم عسكر أبي العباس . وقد كان سليمان بن جامع لمارأى أن أبا العباس قد أوغل في نهر الأتراك صعد في جمع كثير من الزنج ثم استدبر أصحاب أبي العباس وهم متشاغلون بحرب من بإزائهم على سور المدينة فخرج عليهم من ورائهم وخفت طبولهم فانكشف أصحاب أبي العباس وحملت الزنج عليهم من أمامهم فأصيب في هذه الوقعة جماعة من غلمان أبي أحمد وقواده وصار في أيدي الزنج عدة أعلام ومطارد وحامى أبو العباس عن نفسه حتى انصرف سالما فأطمعت هذه الوقعة الزنج وأتباعهم وشدت قلوبهم فأجمع أبو أحمد على العبور بجيشه أجمع وأمر بالاستعداد والتأهب فلما تهيأ له ذلك عبر في آخر ذى الحجة من سنة سبع وستين في أكثف جمع وأكمل عدة وفرق قواده على أقطار مدينة الناجم وقصد هوبنفسه ركنا من أركانها وقد كان الناجم حصنه بابنه ألقى له أنكلاني وكفه بعلى بن أبان وسليمان بن جامع و ابراهيم بن جعفر الهمداني وحفه بالمجانيق والعرادات والقسي الناوكية وأعد فيه الناشبة جمع فيه أكثر جيشه فلما التقى الجمعان أمر أبو أحمد غلمان الناشبة والرامحة والسودان بالدنو من هذا [صفحة ١٩٢] الركن وبينه وبينهم النهر المعروف بنهر الأتراك و هونهر عريض غزير الماء فلما انتهوا إليه أحجموا عنه فصيح بهم وحرصوا على العبور فعبروه سباحة والزنج ترميهم بالمجانيق والعرادات والمقاليع والحجارة عن الأيدي والسهم عن قسي اليد وقسي الرجل وصنوف الآلات التي يرمى عنها فصبروا على جميع ذلك حتى جاوزوا النهر وانتهوا إلى السور ولم يكن لحقهم من الفعلة من كان أعده لهدمه فتولى الغلمان تشعيث السور بما كان معهم من السلاح ويسر الله تعالى ذلك وسهلوا لأنفسهم السيل إلى علوه وحضرهم بعض السلايم التي كانت اتخذت لذلك فعلوا الركن ونصبوا عليه علما عليه مكتوب الموفق بالله وأكبت عليهم الزنج فحاربوا أشد حرب وقتل من قواد أبي أحمد القائد المعروف بثابت الأسود رمى بسهم في بطنه فمات و كان من جلة القواد وأحرق أصحاب الموفق ما على ذلك الركن من المنجنيقات والعرادات . وقصد أبو العباس بأصحابه جهة أخرى من جهات المدينة ليدخلها من النهر المعروف بمنكى فعارضه على بن أبان في جمع من الزنج فظهر أبو العباس عليه وهزمه وقتل قوما من أصحابه وأفلت على بن أبان المهلبى راجعا وانتهى أبو العباس إلى نهر منكى و هو يرى أن المدخل من ذلك الموضع سهل فوصل إلى الخندق فوجده عريضا منيعا فحمل أصحابه أن يعبروه فعبروه وعبرته الرجالة سباحة ووافوا السور فثلموا منه ثلثة واتسع لهم دخولها فدخلوا فلقى أولهم سليمان بن جامع وقد أقبل للمدافعة عن تلك الناحية فحاربوه وكشفوه وانتهوا إلى النهر المعروف بابن سمعان و هونهر سيق بالمدينة وصارت الدار المعروفة بدار ابن سمعان في أيديهم فأحرقوا ما كان فيها وهدموها. فوقفت الزنج على نهر ابن سمعان وقوا طويلا ودافعوا مدافعة شديدة وشد بعض موالى الموفق على بن أبان فأدبر عنه هاربا فقبض على مئزره فحل على المئزر ونبذه إلى الغلام ونجا بعد أن أشرف على الهلكة وحمل أصحاب أبي أحمد على الزنج فكشفوهم [صفحة ١٩٣] عن نهر ابن سمعان حتى وافوا بهم طرف المدينة وركب الناجم بنفسه في جمع من خواصه فتلقيه أصحاب الموفق فعرفوه وحملوا عليه وكشفوا من كان معه حتى أفرد وقرب منه بعض الرجالة حتى ضرب وجه فرسه بترسه و كان ذلك وقت غروب الشمس وحجز الليل بينهم وبينه وأظلم وهبت ريح شمال عاصف وقوى الجزر فلصق أكثر سفن الموفق بالطين وحرص الناجم أصحابه فثاب منهم جمع كثير فشدوا على سفن الموفق فنالوا منها نيلا وقتلوا نفرا وصمد بهبود الزنجى لمسرور البلخي بنهر الغربي فأوقع به وقتل جماعة من أصحابه وأسر أسرى وصار في يده دواب من دوابهم فكسر ذلك من نشاط أصحاب الموفق وقد كان هرب في هذا اليوم كثير من قواد صاحب الزنج وتفرقوا على وجوههم نحو نهر الأمير وعبادان وغيرهما و كان ممن هرب ذلك اليوم منهم أخو سليمان بن موسى الشعرائى و محمد وعيسى فمضيا يؤمان البادية حتى انتهى إليهما رجوع أصحاب الموفق و ما نيل منهم فرجعا وهرب جماعة من العرب الذين كانوا في عسكر الناجم وصاروا إلى البصرة وبعثوا

يطلبون الأمان من أبي أحمد فأمنهم ووجه إليهم السفن وحملهم إلى الموقية وخلع عليهم وأجرى لهم الأرزاق والأنزال . و كان ممن رغب في الأمان من قواد الناجم القائد المعروف بريحان بن صالح المغربي وكانت له رئاسة وقيادة و كان يتولى حجة أنكلاني بن الناجم فكتب ريحان يطلب الأمان لنفسه ولجماعته من أصحابه فأجيب إلى ذلك وأنفذ إليه عدد كثير من الشذا والسميريات والمعابر مع لزيك القائد صاحب مقدمه أبي العباس فسلك نهر اليهودى إلى آخره فألقى به ريحان القائد و من كان معه من أصحابه و قد كان الموعد تقدم منه فى موافاة ذلك الموضع فسار لزيك به وبهم إلى دار الموفق فأمر لريحان بخلع جليلة [صفحة ١٩٤] وحمل على عدة أفراس بآلتها وحليتها وأجيز بجائزة سنية وخلع على أصحابه وأجيزوا على أقدارهم ومراتبهم وضم ريحان إلى أبي العباس وأمر بحمله وحمل أصحابه والمصير بهم إلى إزاء دار الناجم فوقوا هنالك فى الشذا عليهم الخلع الملونة بصنوف الألوان والذهب حتى عاينوهم مشاهدة فاستأمن فى هذا اليوم من أصحاب ريحان الذين كانوا تخلفوا عنه و من غيرهم جماعة فألحقوا فى البر والإحسان بأصحابهم . ثم استأمن جعفر بن ابراهيم المعروف بالسجان فى أول يوم من سنة ثمان وستين ومائتين و كان أحد ثقات الناجم ففعل به من الخلع والإحسان ما فعل بريحان وحمل فى سميرية حتى وقف بإزاء قصر الناجم حتى يراه أصحابه وكلمهم وأخبرهم أنهم فى غرور من صاحبهم وأعلمهم ماوقف عليه من كذبه وفجوره فاستأمن فى هذا اليوم خلق كثير من قواد الزنج وغيرهم وتتابع الناس فى طلب الأمان وأقام أبو أحمد يجمع أصحابه ويداوى جراهم ولايحارب ولايعبر إلى الزنج إلى شهر ربيع الآخر. ثم عبر جيشه فى هذا الشهر المذكور مرتبا على مااستصلحه من تفريقه فى جهات مختلفة وأمرهم بهدم سور المدينة وتقدم إليهم أن يقتصروا على الهدم ولايدخلوا المدينة و وكل بكل ناحية من النواحي التى وجه إليها قواده سفنا فيها الرماة وأمرهم أن يحموا بالسهم من يهدم السور من الفعلة فثلمت فى هذا اليوم من السور ثلم كثيرة واقتحم أصحاب أبي أحمد المدينة من جميع تلك الثلم وهزموا من كان عليها من الزنج وأوغلوا فى طلبهم واختلف بهم طرق المدينة وتفرقت بهم السكك والفجاج [صفحة ١٩٥] وانتهوا إلى أبعد من المواضع التى كانوا وصلوا إليها فى المرة التى قبلها فتراجعت إليهم الزنج وخرج عليهم كمنائهم من نواح يهتدون إليها ولايعرفها جيش أبي أحمد فتحير جيش أبي أحمد فقتل منهم خلق كثير وأصاب الزنج منهم أسلحة وأسلابا وأقام ثلاثون ديلما من أصحاب أبي أحمد يدافعون عن الناس ويحمونهم حتى خلص إلى السفن من خلص وقتلت الديالمة عن آخرها وعظم على الناس ماأصابهم فى هذا اليوم وانصرف أبو أحمد إلى مدينته الموقية فجمع قواده وعذلهم على ما كان منهم من مخالفة أمره والإفساد عليه فى رأيه وتدييره وتوعدهم بأغلظ العقوبة إن عادوا لمثل ذلك وأمر بإحصاء المقتولين من أصحابه فأتى بأسمائهم فأقر ما كان جاريا لهم على أولادهم وأهاليهم فحسن موقع ذلك وزاد فى صحة نيات أصحابه لمارأوا من خياطته خلف من أصيب فى طاعته . قال أبو جعفر وشرع أبو أحمد فى قطع الميرة عن مدينة الناجم من جميع الجهات و قد كان يجلب إليهم من السمك الشىء العظيم من مواضع كثيرة فمنع ذلك عنهم وقتل القوم الذين كانوا يجلبونه وأخذت عليهم الطرق وانسد عليهم كل مسلك كان لهم وأضر بهم الحصار وأضعف أبدانهم وطالت المدة فكان الأسير منهم يؤسر والمستأمن يستأمن فيسأل عن عهده بالخبز فيقول مذ سنة أوستتين واحتاج من كان منهم مقيما فى مدينة الناجم إلى الحيلة لقوته فتفرقوا فى الأنهار النائية عن عسكرهم طلبا للقوت وكثرت الأسارى منهم فى عسكر أبي أحمد لأنه كان يلتقطهم بأصحابه يوما فيوما فأمر باعتراضهم لمارأى كثرتهم فمن كان منهم ذا قوة وجلد ونهوض بالسلاح من عليه وأحسن إليه وخلطه بغلمانه السودان وعرفهم مالهم عنده من البر والإحسان و من كان منهم ضعيفا لاحتراك به أو شيخا فانيا لا يطيق حمل السلاح أو مجروحا جراحة قد أزمته أمر بأن يكسى ثوبين ويوصل بدارهم ويزود ويحمل إلى عسكر [صفحة ١٩٦] الناجم فيلقى هناك بعد أن يوصى بوصف ماعين من إحسان أبي أحمد إلى كل من يصير إليه و أن ذلك رأيه فى جميع من يأتيه مستأمنا أو يأسره فتهيا له بذلك ماأراد من استمالة الزنج حتى استشعروا الميل إلى

ناحيته والدخول في سلمه وطاعته . قال أبو جعفر ثم كانت الوقعة التي قتل فيها بهبود الزنجي القائد وجرح أبو العباس و ذلك أن بهبود كان أكثر أصحاب الناجم غارات وأشدهم تعرضاً لقطع السبل وأخذ الأموال و كان قد جمع من ذلك لنفسه مالا جليلا و كان كثير الخروج في السميريات الخفاف فيخترق بها الأنهار المؤدية إلى دجلة فإذا صادف سفينة لأصحاب أبي أحمد أخذها واستولى على أهلها وأدخلها النهر الذي خرج منه فإن تبعه تابع حتى توغل في طلبه خرج عليه من ذلك النهر قوم من أصحابه قد أعدهم لذلك فأقطعوه وأوقعوا به فوق التحرز حينئذ منه والاستعداد لغاراته فركب شذاه وشبهها بشذوات أبي أحمد ونصب عليها علما مثل أعلامه وسار بها ومعه كثير من الزنج فأوقع بكثير من أصحاب أبي أحمد وقتل وأسر فندب له أبو أحمد ابنه أبا العباس في جمع كثيف فكانت بينهما وقعة شديدة ورمى فيها أبو العباس بسهم فأصابه وأصاب بهبود طعنة في بطنه من يد غلام من بعض سميريات أبي العباس فهوى إلى الماء فابتدره أصحابه فحملوه ورجعوا به إلى عسكر الناجم فلم يصلوا به إلا و هوميت فعظمت الفجيعة به على الناجم وأوليائه واشتد عليه جزعهم وخفى موته على أبي أحمد حتى استأمن إليه رجل من الملاحين فأخبره بذلك فسر وأمر بإحضار الغلام الذي طعنه فوصله وكساه وطوقه وزاد في رزقه وأمر لجميع من كان في تلك السميرية بصلات وخلع وعولج أبو العباس من جرحه مدة حتى برأ وأقام أبو أحمد في مدينته الموقية ممسكا عن حرب الزنج محاصرا لهم [صفحة ١٩٧] بسد الأنهار وسكرها واعترض من يخرج منهم لجلب الميرة ومنتظرا براء ولده حتى كمل بعد شهرين كثيرة وانقضت سنة ثمان وستين . ونقل إسحاق بن كنداجيق عن البصرة وأعمالها فولى الموصل والجزيرة وديار ربيعة وديار مضر . ودخلت سنة تسع وستين و أبو أحمد مقيم على الحصار فلما أمن على أبي العباس وركب على عادته عاود النهوض إلى حرب الناجم . قال أبو جعفر وقد كان بهبود لماهلك طمع الناجم في أمواله لكثرتها ووفورها وصح عنده أنه ترك مائتي ألف دينار عينا و من الجواهر وغيرها بمثل ذلك فطلب المال المذكور بكل حيلة وحبس أولياء بهبود وقرابته وأصحابه وضربهم بالسياط وأثار دورا من دوره وهدم أبنية من أبنية طمعا في أن يجد في شىء منها دينا فلم يجد من ذلك شيئا فكان فعله هذا أحد ما أفسد قلوب أصحابه عليه ودعاهم إلى الهرب منه والزهد في صحبته فاستأمن منهم إلى أبي أحمد خلق كثير فوصلهم وخلع عليهم ورأى أن يعبر دجلة من الجانب الشرقي إلى الجانب الغربي فيجعل لنفسه هناك معسكرا ويبنى به مدينة أخرى ويضيق خناق الناجم ويتمكن من مغاداته ومراوحته بالحرب فقد كانت الريح العاصف تحول بينه وبين عبور دجلة في كثير من الأيام بالجيش فأمر بقطع النخل المقارب لمدينة الناجم لذلك وإصلاح موضع يتخذه معسكرا و أن يحف بالخنادق ويحصر بالسور ليأمن بيات الزنج وجعل على قواده نواب لذلك ومعهم الفعلة والرجال فقابل الناجم ذلك بأن جعل على بن أبان المهلبى وسليمان بن جامع و ابراهيم بن جعفر الهمداني نوبا للحرب والمدافعة عن ذلك و كان أنكلاني بن الناجم ربما حضر في نوبة أيضا وضم [صفحة ١٩٨] إليه سليمان بن موسى بن الشعراني وقد كان صار إليه من المذار بعد الوقعة التي انهزم فيها وعلم الناجم أن أبا أحمد إذا جاوره صعب أمره وقرب على من يريد اللحاق به من الزنج المسافة مع ما يدخل قلوب أصحابه بمجاورته من الرعب والرهبه و في ذلك انتقاض تدبيره وفساد جميع أموره فكانت الحرب بين قواد أبي أحمد وقواد الناجم متصله على إصلاح هذا الموضع ومدافعة الزنج عنه . واتفق أن عصفت الرياح يوما وجماعة من قواد أبي أحمد بالجانب الغربي للعمل الذي يريدونه فانتهاز الناجم الفرصة في امتناع العبور بدجلة لعصف الريح فرماهم بجميع جيشه وكاثرهم برجله فلم تجد الشذوات التي مع قواد أبي أحمد سيلا إلى الوقوف بحيث كانت واقفة به لحمل الرياح إياها على الحجارة وخوف أصحابها عليها من التكرس و لم يجدوا سيلا إلى العبور في دجلة لشدة الريح واضطراب الأمواج فأوقعت الزنج بهم فقتلواهم عن آخرهم وأفلت منهم نفر فعبروا إلى الموقية فاشتد جزع أبي أحمد وأصحابه لمانالهم . و لمات هيا للزنج عليهم وعظم بذلك اهتمامهم وتعقب أبو أحمد الرأي فرأى أن نزوله ومقامه بالجانب الغربي مجاور مدينة الناجم خطأ و أنه لا يؤمن منه حيلة وانتهاز فرصة فيوقع بالعسكر

بياتا أوجد مساعا إلى ما يكون له قوة لكثرة الأدغال في ذلك الموضوع وصعوبة المسالك و أن الزنج على التوغل في تلك
المواضع الوعرة الموحشة أقدر و هو عليهم أسهل من أصحابه فانصرف عن رأيه في نزول الجانب الغربي و صرف همه وقصده [
صفحة ١٩٩] إلى هدم سور مدينة الناجم و توسعة الطريق و المسالك لأصحابه في دخولها فندب القواد لذلك و ندب الناجم
قواده للمدافعة عنها و طال الأمد و تمادت الأيام . فلما رأى أبو أحمد تحاشد الزنج و تعاونهم على المنع من هدم السور أزمع على
مباشرة ذلك بنفسه و حضوره إياه ليستدعى بذلك جد أصحابه و اجتهدهم و يزيد في عنايتهم و هممهم فحضر بنفسه و اتصلت
الحرب و غلظت على الفريقين و كثر القتل و الجراح في الحزين و أقام أبو أحمد أياما كثيرة يغاديهم الحرب و يراوهم فكانوا
لا يفترون يوما من الأيام و صعب على أصحاب أبي أحمد ما كانوا يروونه و اشتدت حماية الزنج عن مدينتهم و باشر الناجم
الحرب بنفسه و معه نخبة أصحابه و أبطالهم و المؤمنون أنفسهم على الصبر معه فحاموا جهدهم حتى لقد كانوا يقفون الموقف
فيصيب أحدا منهم السهم أو الطعنة أو الضربة فيسقط فيجذبه الذي إلى جانبه فينحيه و يقف موقفه إشفاقا من أن يخلو موقف رجل
منهم فيدخل الخلل عليهم . و اتفق في بعض الأيام شدة ضباب ستر بعض الناس عن بعض فما يكاد الرجل يبصر صاحبه و ظهر
أصحاب أبي أحمد و لاحت تبشير الفتح و دخل الجند إلى المدينة و ولجوها و ملكوا مواضع منها و إنهم لعل ذلك حتى وصل
سهم من سهام الزنج إلى أبي أحمد رماه به رومي كان مع الناجم يقال له قرطاس فأصابه في صدره و ذلك لخمس بقين من
جمادى الأولى سنة تسع و ستين و مائتين فستر أبو أحمد و خواصه ماناله من ذلك عن الناس و انصرف إلى الموقية آخر نهار
يومه هذا فلولج في ليلته تلك و شدت الجراحة و غدا على الحرب على ماناله من ألمها ليشد بذلك قلوب أصحابه من أن يدخلها
و هن أضعف فزاد في قوة عنته بما حمل على نفسه من الحركة فغلظت و عظم أمرها حتى خيف عليه العطب و احتاج إلى علاج
نفسه بأعظم ما يعالج به الجراح و اضطرب لذلك [صفحة ٢٠٠] العسكر و الجند و الرعية و خافوا قوة الزنج عليهم حتى خرج عن
الموقية جماعة من التجار كانوا مقيمين بها لما وصل إلى قلوبهم من الرهبة . قال أبو جعفر و حدثت على أبي أحمد في حال
صعوبة عنته حادثه في سلطانه و أمور متعلقة بما بينه و بين أخيه المعتمد فأشار عليه مشيرون من أصحابه و ثقاته بالرحلة عن
معسكره إلى بغداد و أن يخلف من يقوم مقامه فأتى ذلك و حاذر أن يكون فيه تلافى ما قد فرق من شمل صاحب الزنج فأقام
على صعوبه عنته و غلظ الأمر الحادث في سلطانه و صبر إلى أن عوفى فظهر لقواده و خاصته و قد كان أطال الاحتجاب عنهم
فقويت برؤيته منتهم و أقام متمثلا مودعا نفسه إلى شعبان من هذه السنة فلما أبل و قوى على الركوب و النهوض نهض و عاود ما
كان مواظبا عليه من الحرب و جعل الناجم لما صح عنده الخبر بما أصاب أبا أحمد يعد أصحابه العدا و يمينهم الأمانى و اشتدت
شوكتهم و قويت آمالهم فلما اتصل به ظهور أبي أحمد جعل يحلف للزنج على منبره أن ذلك باطل لا أصل له و أن الذي رأوه
في الشذا مثال موه و شبه عليهم . قلت الحادث الذي حدث على أبي أحمد من جهة سلطانه أن أخاه المعتمد و هو الخليفة يومئذ
فارق دار ملكه و مستقر خلافته مغاضبا له متجنيا عليه زاعما أنه مستبد بأموال المملكة و جبايتها مضطهدا له مستأثرا عليه فكاتب
ابن طولون صاحب مصر و سأله أن يأذن له في اللحاق به فأجابته ابن طولون إلى ذلك فخرج من سامراء في جماعة من قواده
و مواليه قاصدا مصر و كان أبو أحمد هو الخليفة في المعنى و إنما المعتمد صورة [صفحة ٢٠١] خالية من معانى الخلافة لأمر له
و لانهى و لاحت و لاعتقد و أبو أحمد هو الذي يرتب الوزراء و الكتاب و يقود القواد و يقطع الأقطاع و لا يراجع المعتمد في شىء
من الأمور أصلا فاتصل به خير المعتمد في شخوصه عن سامراء و قصده ابن طولون فكاتب إسحاق بن كنداحيق و هو يومئذ على
الموصل و الجزيرة فأمره أن يعترض المعتمد و يقبض عليه و على القواد و الموالى الذين معه و يعيدهم إلى سامراء و كتب لإسحاق
بإقطاعه ضياع أولئك القواد و الموالى بأجمعهم فاعترضهم إسحاق و قد قربوا من الرقة فأخذهم و قبض عليهم و قيدهم بالقيود
الثقيلة و دخل على المعتمد فعنفه و هجنه و عذله في شخوصه عن دار ملكه و ملك آباءه و مفارقة أخيه على الحال التي هو بها

و حرب من يحاول قتله وقتل أهل بيته وزوال ملكهم . ثم حملهم فى قيودهم حتى وافى بهم سامراء فأقر المعتمد على خلافته ومنعه عن الخروج وأرسل أبو أحمدابنه هارون وكاتبه صاعد بن مخلد من الموفقيه إلى سامراء فخلعا على ابن كنداحيق خلعا جليله وقلد بسيفين من ذهب ولقب ذا السيفين و هو أول من قلد بسيفين ثم خلع عليه بعد ذلك بيوم قباء ديباج أسود ووشاحين مرصعين بالجواهر الثمين وتوج بتاج من ذهب مرصع بنفيس الجوهر وقلد سيفا من ذهب مرصع بالجواهر العظيمة وشيعه إلى منزله هارون وصاعد وقعدا على طعامه كل ذلك مكافأة له عن صنيعه فى أمر المعتمد فليعجب المتعجب من همه الموفق أبى أحمد وقوة نفسه وشده شكيمة أن يكون يازاء ذلك العدو ويقتل من أصحابه كل وقت من يقتل ثم يصاب ولده بسهم ويصاب هوبسهم آخر فى صدره يشارف منه على الموت ويحدث من أخيه و هو الخليفة ما يحدث و لا تنكسر نفسه و لا يهوى عزمه و لا تضعف قوته وبحق [صفحہ ۲۰۲] ماسمى المنصور الثانى و لو لقيامه فى حرب الزنج لانقرض ملك أهل بيته ولكن الله تعالى ثبته لما يريد من بقاء هذه الدوله . قال أبو جعفر ثم جد الموفق فى تخريب السور وإحراق المدينة وجد الناجم فى إعداد المقاتلة والمحاطة عن سوره ومدينته فكانت بين الفريقين حروب عظيمة تجل عن الوصف ورمى الناجم سفن الموفق المقاربة لسور مدينته بالرصاص المذاب والمجانيق والعرادات وأمر أبو أحمد بإعداد ظلل من خشب للشذا وإلباسها جلود الجواميس وتغطية ذلك بالخيوش المطليه بصنوف العقاقير والأدوية التى تمنع النار من الإحراق ففعل ذلك و حورب صاحب الزنج من تحتها فلم تعمل ناره و رصاصه المذاب فيها شيئا واستأمن إلى أبى أحمد محمد بن سمعان كاتب الناجم ووزيره فى شعبان من هذه السنة فهد باستثمانه أركان الناجم وأضعف قوته وانتدب أبو العباس لقصد دار محمد بن يحيى الكرنبايى وكانت يازاء دار الناجم وشرع فى الحيلة فى إحراقها وأحرق الموفق كثيرا من الرواشين المظلة على سور المدينة وشعثها وعلا غلمان أبى أحمد على دار الناجم وولجوها وانتهبوها وأضرموا النار فيها وفعل أبو العباس بدار الكرنبايى مثل ذلك وجرح أنكلانى بن الناجم فى بطنه جراحة شديدة أشفى منها على التلف واتفق مع هذا الظفر العظيم أن غرق أبو حمزة نصير صاحب جيش الماء عند ازدحام الشذوات وإكباب الزنج على الحرب فصعب ذلك على أبى أحمد وقوى بغرقه أمر الزنج وانصرف أبو أحمد [صفحہ ۲۰۳] آخر نهار هذا اليوم وعرضت له علة أقام فيها بقيه شعبان وشهر رمضان وأياما من شوال ممسكا عن حرب الزنج إلى أن استبل من علته . قال أبو جعفر فلما أحرقت دار الناجم ودور أصحابه وشارف أن يؤخذ وعرضت لأبى أحمد هذه العلة فأمسك فيها عن الحرب انتقل الناجم من مدينته التى بناها بغربى نهر أبى الخصيب إلى شرقيه إلى منزل وعرا لا يخلص إليه أحد لاشتباك القصب والأدغال والأحطاب فيه و عليه خنادق من أنهار قاطعة معترضة فقطن هناك فى خواصه و من تخلف معه من جلته أصحابه وثقاته و من بقى فى نصرته من الزنج وهم حدود عشرين ألف مقاتل وانقطعت الميرة عنهم وبان للناس ضعف أمرهم فتأخر الجلب الذى كان يصل إليهم فبلغ الرطل من خبز البر عندهم عشرة دراهم فأكلوا الشعير ثم أكلوا أصناف الحبوب ثم لم يزل الأمر كذلك إلى أن كانوا يتبعون الناس فإذا خلا أحد منهم بصبى أو امرأة أو رجل ذبحوه وأكلوه ثم صار قوى الزنج يعدو على ضعيفهم فإذا خلا به ذبحه وأكل لحمه ثم ذبحوا أولادهم فأكلوا لحومهم و كان الناجم لا يعاقب أحدا ممن فعل شيئا من ذلك إلا بالحبس و إذا تناول حسبه أطلقه . و لما أبل الموفق من علته وعلم انتقال الناجم إلى شرقى نهر أبى الخصيب واعتصامه به أعمل فكره فى تخريب الجانب الشرقى عليه كما فعل بالجانب الغربى ليتمكن من قتله أو أسره فكانت له آثار عظيمة من قطع الأدغال والدحال وسد الأنهار وطم الخنادق وتوسيع المسالك وإحراق الأسوار المبنية وإدخال الشذا و فيها المقاتلة إلى حريم الناجم و فى كل ذلك يدافع الزنج عن أنفسهم بحرب شديدة و قتال عظيم تذهب فيها النفوس وتراق فيها الدماء و كان الظفر فى ذلك كله لأبى أحمد وأمر الزنج يزداد ضعفا [صفحہ ۲۰۴] وطالت الأيام على ذلك إلى أن استأمن سليمان بن موسى الشعرانى و هو من عظمائهم و قد تقدم ذكره فوجه يطلب الأمان من أبى أحمد فمنعه ذلك لما كان سلف منه من العيث وسفك الدماء

بنواحي واسط. ثم اتصل بأبي أحمد أن جماعة من رؤساء الزنج قد استوحشوا لمنعه الشعراني من الأمان فأجاب إلى إعطائه الأمان استصلاحاً بذلك غيره من رؤساء الزنج وأمر بتوجيه الشذا إلى موضع وقع الميعاد عليه فخرج سليمان الشعراني وأخوه وجماعة من قواده فنزلوا الشذا فصاروا إلى أبي العباس فحملهم إلى أبي أحمد فخلع على سليمان و من معه وحمله على عدة أفراس بسروجها وآلتها وأنزل له ولأصحابه إنزالاً سنيةً ووصله بمال جليل ووصل أصحابه وضمه وضمهم إلى أبي العباس وأمر بإظهاره وإظهارهم في الشذا لأصحاب الناجم ليزدادوا ثقةً بأمانته فلم تبرح الشذا ذلك اليوم من موضعها حتى استأمن جمع كثير من قواد الزنج فوصلوا وألحقوا بإخوانهم في الحباء والبر والخلع والجوائز فلما استأمن الشعراني اختل ما كان الناجم قد ضبطه به من مؤخر عسكره وقد كان جعله على مؤخر نهر أبي الخصيب فوهى أمره وضعف وقلد ما كان سليمان يتولاه القائد المعروف بشبل بن سالم وهو من قواده المشهورين فلم يمس أبو أحمد حتى وافاه رسول شبل بن سالم يطلب الأمان ويسأل أن يوقف له شذوات عنددار ابن سمعان ليكون قصده في الليل إليها ومعه من يثق به من أصحابه فأجيب إلى سؤاله ووافى آخر الليل ومعه عياله وولده وجماعة من قواده فصاروا إلى أبي أحمد فوصله بصلةً جليلاً وخلع عليه خلعا كثيرةً وحمله على عدة أفراس بسروجها وآلتها ووصل أصحابه وخلع عليهم وأحسن إليهم وأرسله في الشذوات فوقفوا بحيث يراهم الناجم وأصحابه نهارة فعظم ذلك عليه وعلى أوليائه وأخلص شبل في مناصحة أبي أحمد فسأل أن يضم إليه عسكر بيت به عسكر الناجم ويسلك إليه من مسالك يعرفها هو ولا يعرفها أصحاب أبي أحمد ففعل [صفحة ٢٠٥] وكبس عسكر الناجم سحرا فأوقع بهم وهم غارون فقتل منهم مقتلة عظيمة وأسر جمعا من قواد الزنج وانصرف بهم إلى الموفق وذعر الزنج من شبل و ما فعله فامتنعوا من النوم وخافوا خوفا شديدا فكانوا يتحارسون بعد ذلك في كل ليلة ولا تزال النفرة تقع في عسكرهم لما استشعروا من الخوف ووصل إلى قلوبهم من الوحشة حتى لقد كان ضجيجهم وتحارسهم يسمع بالموفقية. وضح عزم الموفق على العبور لمحاربة الناجم في الجانب الشرقي من نهر أبي الخصيب فجلس مجلسا عاما وأمر بإحضار قواد المستأمنة ووجوه فرسانهم ورجلتهم من الزنج والبيضان فأدخلوا إليه فخطبهم وعرفهم ما كانوا عليه من الضلالة والجهل وانتهاك المحارم وما كان صاحبهم زينه لهم من معاصي الله سبحانه وأن ذلك قد كان أحل له دماءهم وأنه قد غفر الزلة وعفا عن العقوبة وبذل الأمان وعاد على من لجأ إليه بالفضل والإحسان فأجزل الصلات وأسنى الأرزاق وألحقهم بالأولياء وأهل الطاعة وأن ما كان منه من ذلك يوجب عليهم حقه وطاعته وأنهم لن يأتوا بشيء يتعرضون به لطاعة ربهم والاستدعاء لرضا سلطانهم أولى بهم من الجحد في مجاهدة الناجم وأصحابه وأنهم من الخبرة بمسالك عسكر الناجم ومضايق طرق مدينته والمعائل التي أعدها للحرب على ما ليس عليه من غيرهم فهم أخرى أن يحضوه نصحهم ويجهدوا على الولوج إلى الناجم والتوغل إليه في حصونه حتى يمكنهم الله منه ومن أشياعه فإذ فعلوا ذلك فلهم الإحسان والمزيد ومن قصر منهم استدعى من سلطانه إسقاط حاله وتصغير منزلته ووضع مرتبته. فارتفعت أصواتهم جميعا بالدعاء للموفق والإقرار بإحسانه وبما هم عليه من صحة الضمائر من السمع والطاعة والجحد في مجاهدة عدوه وبذل دمائهم ومهجمهم في كل ما يقربهم منه وأن مادعاهم إليه قد قوى منهم ودلهم على ثقته بهم وإحلاله إياهم [صفحة ٢٠٦] محل أوليائه وسألوه أن يفردهم ناحية ولا يخلطهم بعسكره ليظهر من حسن جهادهم بين يديه وخلوص نياتهم في الحرب ونكايتهم في العدو وما يعرف به طاعتهم وإقلاعهم عما كانوا عليه من جهلهم. فأجابهم إلى ذلك وعرفهم حسن مآزير له من طاعتهم فخرجوا من عنده مبتهجين بما أجيبوا به من حسن القول وجميل الوعد. قال أبو جعفر ثم استعد أبو أحمد ورتب جيشه ودخل إلى عسكر الناجم بشرقي نهر أبي الخصيب في خمسين ألف مقاتل من البر والبحر فرسانا ورجالة يكبرون ويهللون ويقرءون القرآن ولهم ضجيج وأصوات هائلة فرأى الناجم منهم ما هاله وتلقاهم بنفسه وجيشه وذلك في ذي القعدة سنة تسع وستين ومائتين. واشتبكت الحرب وكثر القتل والجراح وحامى الزنج عن صاحبهم وأنفسهم أشد محاماة واستماتوا وصبر أصحاب أبي أحمد

وصدقوا القتال فمن الله عليهم بالنصر وانهم الزنج وقتل منهم خلق عظيم وأسرى منهم كثيرة فضرِب أبو أحمد أعناق الأسارى فى المعركة وقصد بنفسه دار الناجم فوافاها و قدلجأ الناجم إليها ومعه أنجاد أصحابه للمدافعة عنه . فلما لم يغنوا شيئا أسلموها وتفرقوا عنها ودخلها غلمان الموفق و بهابقيا ما كان سلم له من مال وأثاث فأخذوه وانتهبوه وأخذوا حرمه وولده الذكور والإناث وتخلص الناجم بنفسه ومضى هاربا نحو دار على بن أبان المهلبى لايلوى على أهل و لاولد و لامال وأحرق داره وحمل أولاده ونساؤه إلى الموفقيه فى التوكيل وقصد أصاب أبى أحمد دار المهلبى و قدلجأ إليها الناجم وأكثر الزنج وتشاغل أصحاب أبى أحمد بنهب [صفحہ ٢٠٧] الأموال من دور الزنج فاغتم الناجم تشاغلهم بالنهب فأمر قواده بانتهاز الفرصة والإكباب عليهم فخرجوا عليهم من عدة مواضع وخرج عليهم كمناء أيضا قد كانوا كمنوهم لهم فكشفوهم واتبعوهم حتى وافوا بهم نهر أبى الخصب فقتلوا من فرسانهم ورجالتهم جماعة وارتجعوا بعض ما كانوا أخذوه من المال والمتاع . ثم تراجع الناس ودامت الحرب إلى وقت العصر فرأى أبو أحمد عند ذلك أن يصرف أصحابه فأمرهم بالرجوع فرجعوا على هدوء وسكون كى لا تكون هزيمة حتى دخلوا سفنهم وأحجم الزنج عن أتباعهم وعاد أبو أحمد بالجيش إلى مراكزهم . قال أبو جعفر ووافى إلى أبى أحمد فى هذا الشهر كاتبه صاعد بن مخلد من سامراء فى عشرة آلاف ووافى إليه لؤلؤ صاحب ابن طولون و كان إليه أمر الرقة وديار مضر فى عشرة آلاف من نخبة الفرسان وأنجادهم فأمر أبو أحمد لؤلؤا أن يخرج فى عسكره فيحارب الزنج فخرج بهم ومعه من أصحاب أبى أحمد من يدل على الطرق والمضايق فكانت بين لؤلؤ و بين الزنج حرب شديدة فى ذى الحجة من هذه السنة استظهر فيها لؤلؤ عليهم وبان من نجدته وشجاعته وإقدام أصحابه وصبرهم على ألم الجراح وثبات قلوبهم ماسرأ بأحمد وملا قلبه . قال أبو جعفر فلما دخلت سنة سبعين ومائتين تتابعت الأمداد إلى أبى أحمد من سائر الجهات فوصل إليه أحمد بن دينار فى جمع عظيم من المطوعة من كور الأهواز ونواحيها وقدم بعده من أهل البحرين جمع كثير من المطوعة زهاء ألفى رجل يقودهم رجل من عبدالقيس وورد بعد ذلك زهاء ألف رجل من فارس ورئيسهم شيخ من المطوعة يكنى أباسلمة و كان أبو أحمد يجلس لكل من يرد ويخلع عليه ويقيم لأصحابه الأنزال الكثيرة ويصلهم بالصلوات فعظم جيشه جدا وامتلاأت بهم الأرض وصح [صفحہ ٢٠٨] عزمه على لقاء الناجم بجميع عسكره فرتب جيوشه وقسمهم على القواد وأمر كل واحد من القواد أن يقصد جهة من جهات معسكر الناجم عينها له وركب بنفسه وركب جيشه وتوغلوا فى مسالك شرقى نهر أبى الخصب ولقيهم الزنج و قد حشدوا واستقبلوا فكانت بينهم وقعة شديدة منحهم الله تعالى فيها أكتاف الزنج فولوا منهزمين فاتبعهم أصحاب أبى أحمد يقتلون ويأسرون فقتل منهم كثير وغرق كثير وحوى أصحاب أبى أحمد معسكر الناجم ومدينته وظفروا بعيال على بن أبان المهلبى وداره وأمواله فاحتوا عليها وعبر أهله وأولاده إلى الموفقيه مع كلابهم ومضى الناجم ومعه المهلبى وابنه أنكلانى وسليمان بن جامع والهمدانى وجماعة من أكابر القواد عامدين إلى موضع كان الناجم قد أعده لنفسه ملجأ إذا غلب على مدينته وداره فى النهر المعروف بالسفيانى فتقدم أبو أحمد ومعه لؤلؤ قاصدين هذا النهر لأن أبا أحمد دل عليه فأوغل فى الدخول وفقده أصحابه فظنوا أنه رجع فرجعوا كلهم وعبروا دجلة فى الشذا ظانين أنه عبر راجعا وانتهى أبو أحمد ومعه لؤلؤ قاصدين هذا النهر فاقتحمه لؤلؤ بفرسه وعبر أصحاب لؤلؤ خلفه . ووقف أبو أحمد فى جماعة من أصحابه عند النهر ومضى الناجم هاربا ولؤلؤ يتبعه فى أصحابه حتى انتهى إلى النهر المعروف بالقربرى فوصل إليه لؤلؤ وأصحابه فأوقعوا به وبمن معه فكشفوهم فولوا هاربين حتى عبروا النهر المذكور ولؤلؤ وأصحابه يطردونهم من ورائهم حتى ألجئوهم إلى نهر آخر فعبروه واعتصموا بدحال وراءه فولجوها وأشرف لؤلؤ وأصحابه عليها فأرسل إليه الموفق ينهائ عن اقتحامها ويشكر سعيه ويأمره بالانصراف فانفرد لؤلؤ هذا اليوم وأصحابه بهذا الفعل دون أصحاب الموفق فانصرف لؤلؤ محمود الفعل فحملة الموفق معه فى شذاته وجدد له من البر والكرامة ورفع المنزلة لما كان منه فى أمر الناجم حسبما كان مستحقا له ولهذا نادى [صفحہ ٢٠٩] أهل بغداد لما أدخل إليهم رأس الناجم بين

يدى أبى العباس ما شئتم قولوا كان الفتح للؤلؤ. قال أبو جعفر فجمع الموفق فى غد هذا اليوم قواده و هو حنق عليهم لانصرافهم عنه وإفرادهم إياه و كان لؤلؤ وأصحابه تولوا طلب الناجم دونهم فعنقهم وعدلهم ووبخهم على ما كان منهم وعجزهم وأغلظ لهم فاعتذروا إليه بما توهموه من انصرافه وأنهم لم يعلموا أنه قد لجج وأوغل فى طلب الناجم وأنهم لو علموا ذلك لأسرعوا نحوه . ثم تحالفوا بين يديه وتعاقدوا ألا- يبرحوا فى غد موضعهم إذا توجهوا نحو الزنج حتى يظفرهم الله تعالى به فإن أعيانهم ذلك أقاموا حيث انتهى بهم النهار فى أى موضع كان حتى يحكم الله بينهم وبينه وسألوا الموفق أن يرد السفن إلى الموفقيه بحيث لا يطعم طامع من العسكر فى الالتجاء إليها والعبور فيها. فقبل أبو أحمد عذرهم وجزاهم الخير عن تنصلهم ووعدهم بالإحسان وأمرهم بالتأهب للعبور ثم عبر بهم على ترتيب ونظام قد أحكمه وقرره و ذلك فى يوم السبت لليلتين خلتا من صفر من سنه سبعين ومائتين وقد كان الناجم عاد من تلك الأنهار إلى معسكره بعد انصراف الجيش عنه فأقام به وأمل أن تتناول به وبهم الأيام وتندفع عنه المناجزة فلقية فى هذا اليوم سرعان العسكر وهم مغيطون محنقون من التقرع والتويخ اللاحقين بهم بالأمس فأوقعوا به وبأصحابه وقعة شديدة أزالوهم عن مواقفهم ففرقوا ليلوى بعضهم على بعض واتبعهم الجيش يقتلون ويأسرون من لحقوا منهم وانقطع [صفحہ ۲۱۰] الناجم فى جماعة من كماته من قواد الزنج منهم المهلبى وفارقه ابنه أنكلانى وسليمان بن جامع فكانا فى أول الأمر مجتمعين ثم افترقا فى الهزيمة فصادف سليمان بن جامع قوم من قواد الموفق فحاربوه و هو فى جمع كثيف من الزنج فقتل جماعة من كماته وظفر به فأسر وحمل إلى الموفق بغير عهد و لا عقد فاستبشر الناس بأسر سليمان وكثر التكبير والضجيج وأيقنوا بالفتح إذ كان أكثر أصحابه غناء وأسر بعده ابراهيم بن جعفر الهمدانى و كان من عظماء قواده وأكابر أمراء جيوشه وأسر نادر الأسود المعروف بالحفار و هو من قدماء قواد الناجم فأمر الموفق بتقييدهم بالحديد وتصييرهم فى شدة لأبى العباس ومعهم الرجال بالسلاح وجد الموفق فى طلب الناجم وأمعن فى نهر أبى الخصيب حتى انتهى إلى آخره . فبينما هو كذلك أتاه البشير بقتل الناجم فلم يصدق فوافاه بشير آخر ومعه كف زعم أنها كفه فقوى الخبر عنده بعض القوة فلم يلبث أن أتاه غلام من غلمان لؤلؤ يركض ومعه رأس الناجم فوضعه بين يديه فعرضه الموفق على من كان حاضرا تلك الحال معه من قواد المستأمنه فعرفوه وشهدوا أنه رأس صاحبه فخر ساجدا وسجد ابنه أبو العباس وسجد القواد كلهم شكرا لله تعالى ورفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير وأمر برفع الرأس على قناه ونصبه بين يديه فرآه الناس وارتفعت الأصوات والضجيج . قال أبو جعفر و قد قيل إنه لما أحيط بالناجم لم يبق معه من رؤساء أصحابه إلا المهلبى فلما علما أنهما مقتولان افترقا فوقف الناجم حتى وصل إليه هذا الغلام ومعه جماعة من غلمان لؤلؤ فمانع عن نفسه بسيفه حتى عجز عن الممانعة فأحاطوا به وضربوه بسيوفهم حتى سقط ونزل هذا الغلام فاحتز رأسه و أما المهلبى فإنه قصد النهر المعروف [صفحہ ۲۱۱] بنهر الأمير فقذف بنفسه يروم النجاة وقبل ذلك كان ابن الناجم و هو المعروف بأنكلانى فارق أباه ومضى يؤم النهر المعروف بالدينارى متحصنا فيه بالأدغال والآجام فلم يظفر بهما ذلك اليوم ودل الموفق عليهما بعد ذلك . وقيل له إن معهما جمعا من الزنج وجماعة من جلة قوادهم فأرسل غلمانه فى طلبهما وأمرهم بالتضييق عليهما فلما أحاطت الغلمان بهم أيقنوا أن لاملجأ لهم وأعطوا بأيديهم فظفر بهم الغلمان وحملوهم إلى الموفق فقتل منهم جماعة وأمر بالاستيثاق من المهلبى وأنكلانى بالحديد والرجال الموكلين بهما. قال أبو جعفر وانصرف فى هذا اليوم و هو يوم السبت لليلتين خلتا من صفر أبو أحمد من نهر أبى الخصيب ورأس الناجم منصوب بين يديه على قناه فى شدة يخترق به فى النهر و الناس من جانبى النهر ينظرون إليه حتى وافى دجلة فخرج إليها والرأس بين يديه وسليمان بن جامع والهمدانى مصلوبان أحياء فى شداتين عن جانبيه حتى وافى قصره بالموفقيه هذه رواية أبى جعفر وأكثر الناس عليهما. وذكر المسعودى فى كتاب مروج الذهب أن الناجم ارتث وحمل إلى أبى أحمد و هو حى فسلمه إلى ابنه أبى العباس وأمر بتعذيبه فجعله كردناجا على النار وجلده ينتفخ ويتفرقع حتى هلك . والرواية الأولى هى الصحيحة و الذى جعل كردناجا هو قرتاس

الذى روى أبو أحمد [صفحة ٢١٢] بالسهم ذكر ذلك التنوخى فى نشوار المحاضرة قال كان الزنج يصيحون لمارمى أبو أحمد بالسهم وتأخر لعلاج جراحته عن الحرب ملحوه ملحوه أى قدمات وأنتم تكتمون موته فاجعلوه كاللحم المكسود. قال و كان قرطاس الرامى لأبى أحمد يصيح بأبى العباس فى الحرب إذا أخذتني فاجعلني كردناجا يهزأ به . قال فلما ظفر به أدخل فى دبره سيخا من حديد فأخرجه من فيه وجعله على النار كردناجا. قال أبو جعفر ثم تتابع مجيء الزنج إلى أبى أحمد فى الأمان فحضر منهم فى ثلاثة أيام نحو سبعة آلاف زنجى لماعرفوا قتل صاحبهم ورأى أبو أحمد بذل الأمان لهم كى لا يبقى منهم بقية يخاف معرفتها فى الإسلام وأهله وانقطعت منهم قطعة نحو ألف زنجى مالت نحو البر فمات أكثرها عطشا وظفر الأعراب بمن سلم منهم فاسترقوهم وأقام الموفق بالموقية بعد قتل الناجم مدة ليزداد الناس بمقامه أنسا وأمانا ويتراجع أهل البلاد إليها فقد كان الناجم أجلاهم عنها وقدم ابنه أبو العباس إلى بغداد ومعه رأس الناجم فدخلها يوم السبت لاثنتى عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى من هذه السنة ورأس الناجم بين يديه على قناة و الناس مجتمعون يشاهدونه . و قد روى غير أبى جعفر وذكره الأبى فى مجموعة المسمى نثر الدرر عن العلاء بن صاعد بن مخلد قال لما حمل رأس صاحب الزنج ودخل به المعتضد إلى بغداد دخل فى جيش [صفحة ٢١٣] لم ير مثله واشتق أسواق بغداد والرأس بين يديه فلما صرنا بباب الطاق صاح قوم من درب من تلك الدروب رحم الله معاوية وزاد حتى علت أصوات العامة بذلك فتغير وجه المعتضد و قال ألا تسمع يا أبا عيسى ما أعجب هذا و ما الذى اقتضى ذكر معاوية فى هذا الوقت و الله لقد بلغ أبى إلى الموت و ما أفلت أنا إلا بعدمشارفته ولقينا كل جهد وبلاء حتى أنجينا هؤلاء الكلاب من عدوهم وحصنا حرمهم وأولادهم فتركوا أن يترحموا على العباس و عبد الله ابنه و من ولد من الخلفاء وتركوا الترحم على على بن أبى طالب وحمزة و جعفر و الحسن و الحسين و الله لا برحت أو أؤثر فى تأديب هؤلاء أثرا لا يعاودون بعد هذا الفعل مثله ثم أمر بجمع النفاطين ليحرق الناحية فقلت له أيها الأمير أطال الله بقاءك إن هذا اليوم من أشرف أيام الإسلام فلا تفسده بجهل عامة لأخلاق لهم و لم أزل أداريه وأرقق به حتى سار. فأما الذى يرويه الناس من أن صاحب الزنج ملك سواد بغداد ونزل بالمدائن و أن الموفق أرسل إليه من بغداد عسكريا وأصحابهم دنان النيذ وأمرهم أن ينهزموا من بين يدي الزنج عند اللقاء ويتركوا خيامهم وأنقلهم لينتهبها الزنج وأنهم فعلوا ذلك فظفر الزنج فيما ظفروا به من أمتعتهم بتلك الدنان وكانت كثيرة جدا فشربوا تلك الليلة وسكروا وباتوا على غرة فكبسهم الموفق وبيتهم ليلا. وهم سكارى فأصاب منهم ما أراد فباطل موضوع لأصل له و الذى بيتهم وهم سكارى فنال منهم نيلا تكين البخارى و كان على الأهواز بيت أصحاب على بن أبان فى سنة خمس وستين ومائتين و قد أتاه الخبر بأنهم تلك الليلة قد عمل النيذ فيهم والصحيح أنه لم يتجاوز نهبهم ودخولهم البلاد النعمانية هكذا رواه الناس كلهم . قال أبو جعفر فأما على بن أبان وأنكلانى بن الناجم و من أسر معهما فإنهم [صفحة ٢١٤] حملوا إلى بغداد فى الحديد والقند فجعلوا بيد محمد بن عبد الله بن طاهر ومعهم غلام للموفق يقال له فتح السعيدى فكانوا كذلك إلى شوال من سنة اثنتين وسبعين ومائتين فكانت للزنج حركة بواسطة وصاحوا أنكلانى يامنصور و كان الموفق يومئذ بواسطة فكتب إلى محمد بن عبد الله و إلى فتح السعيدى يأمرهما بتوجيه رءوس الزنج الذين فى الأسر إليه فدخل فتح السعيدى إليهم فجعل يخرج الأول فالأول فيذبحة على البالوعة كما تذبح الشاة وكانوا خمسة أنكلانى بن الناجم و على بن أبان المهلبى وسليمان بن جامع و ابراهيم بن جعفر الهمدانى و نادر الأسود و قلع رأس البالوعة و طرحت فيها أبدانهم وسد رأسها ووجهه برءوسهم إلى الموفق فنصبها بواسطة وانقطعت حركة الزنج ويئس منهم . ثم كتب الموفق إلى محمد بن عبد الله بن طاهر فى جث هؤلاء الخمسة فأمر بصلبهم بحضرة الجسر فأخرجوا من البالوعة و قد انتفخوا وتغيرت روائحهم وتقرشت جلودهم فصلب اثنان منهم على جانب الجسر الشرقى وثلاثة على الجانب الغربى وذاك لسبع بقين من شوال من هذه السنة وركب محمد بن عبد الله بن طاهر و هو أمير بغداد يومئذ بنفسه حتى صلبوا بحضرتة و قد قال الشعراء فى وقائع الزنج فأكثروا كالبحترى و ابن الرومى وغيرهما

فمن أراد ذلك فليأخذه من مظاهره [صفحة ٢١٥] منها في وصف الأتراك كأنني أراهم قوماً كأن وجوههم المجان المطرقة يلبسون السرق والديباج ويعتقبون الخيل العتيق ويكفون هناك استحراراً قتل حتى يمسي المجرؤح على المقتول ويكون المفلت أقل من المأسور فقال له بعض أصحابه لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب فضحك ع وقال للرجل وكان كلبياً يا أخوا كلب ليس هو يعلم غيب وإنما هو تعلم من ذي علم وإنما علم الغيب علم الساعية وما عدده الله سبحانه بقوله إن الله عنده علم الساعية وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ما ذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت الآية فيعلم الله سبحانه ما في الأرحام من ذكر أو أنثى وقبيح أو جميل وسخي أو بخيل وشقي أو سعيد ومن يكون للنار حطباً أو في الجنان للنبين مرافقاً فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه أحد إلا الله وما سوى ذلك فليعلم علمه الله نبيه ص فعلمه و دعأ لي بأن يعينه صدرى وتضطم عليه جواحي -قرآن- ٥٨٥-٧٤٩ [صفحة ٢١٦] المجان جمع مجن بكسر الميم وهو الترس وإنما سمي مجنا لأنه يستتر به والجنه السترة والجمع جنن يقال استجن بجنه أى استتر بستره. والمطرقة بسكون الطاء التى قدأطرق بعضها إلى بعض أى ضمت طبقاتها فجعل بعضها يتلو بعضها يقال جاءت الإبل مطاريق أى يتلو بعضها بعضها والنعل المطرقة المخصوصة وأطرقت بالجلد والعصب أى ألبت وترس مطرق وطراق النعل ماأطرقت وخرزت به وريش طراق إذا كان بعضه فوق بعض وطارق الرجل بين الثوبين إذالبس أحدهما على الآخر وكل هذا يرجع إلى مفهوم واحد وهو مظاهره الشىء بعضه بعضا ويروى المجان المطرقة بتشديد الراء أى كالترسه المتخذة من حديد مطرق بالمطرقة. والسرق شقق الحرير وقيل لاتسمى سرقا إلا إذا كانت بيضا الواحدة سرقة. ويعتقبون الخيل أى يجنبونها لينتقلوا من غيرها إليها واستحار القتل شدته استحر وحر بمعنى قال ابن الزبيرى حيث ألت بقاء بركها || واستحر القتل فى عبدالأشل والمفلت الهارب . يقول ع إن الأمور المستقبله على قسمين أحدهما ماتفرد الله تعالى بعلمه ولم يطلع عليه أحدا من خلقه وهى الأمور الخمسه المعدوده فى الآية المذكوره إن الله عنده علم الساعية وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدري نفس ما ذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت -قرآن- ١٦٨- ٣٣٢ [صفحة ٢١٧] والقسم الثانى مايعلمه بعض البشر بإعلام الله تعالى إياه وهو ماعدا هذه الخمسه والإخبار بملحمه الأتراك من جمله ذلك . وتضطم عليه جوانحي فتفعل من الضم وهوالجمع أى يجتمع عليه جوانح صدرى ويروى جوارحى وقدروى أن إنسانا قال لموسى بن جعفر ع إنى رأيت الليله فى منامى أنى سألتك كم بقى من عمرى فرفعت يدك اليمنى وفتحت أصابعها فى وجهى مشيرا إلى فلم أعلم خمس سنين أم خمسئه أشهر أم خمسئه أيام فقال و لاواحدة منهن بل ذاك إشارة إلى الغيوب الخمسه التى استأثر الله تعالى بها فى قوله إن الله عنده علم الساعية الآية -روايت- ١-٢-روايت- ١٠-٣٤٣ . فإن قلت لم ضحك ع لما قال له الرجل لقد أوتيت علم الغيب وهل هذا لإزهو فى النفس وعجب بالحال قلت قدروى أن رسول الله ص ضحك فى مناسب هذه الحال لمااستسقى فسقى وأشرف درور المطر فقام إليه الناس فسألوه أن يسأل الله تعالى أن يحبسه عنهم فدعا وأشار بيده إلى السحاب فانجاب حول المدينة كالإكليل وهو ع يخطب على المنبر فضحك حتى بدت نواجده وقال أشهد أنى رسول الله وسر هذا الأمر أن النبى أوالولى إذاحدث عنده نعمه الله سبحانه أوعرف الناس وجاهته عند الله فلابد أن يسر بذلك وقد يحدث الضحك من السرور وليس ذلك بمذموم إذاخلا من التيه والعجب و كان محض السرور والابتهاج وقد قال تعالى فى صفه أوليائه فرحين بما آتاهم الله من فضله. فإن قلت فإن من جمله الخمسه وما تدري نفس ما ذا تكسب غداً وقد أعلم -قرآن- ٦٤٤-٦٨٤-قرآن- ٧١٧-٧٥٥ [صفحة ٢١٨] الله تعالى نبيه بأموه يكسبها فى غده نحو قوله ستفتح مكة وأعلم نبيه وصيه ع بما يكسبه فى غده نحو قوله له ستقاتل بعدى الناكثين الخبر. قلت المراد بالآيه أنه لاتدرى نفس جميع ما تكسبه فى مستقبل زمانها وذلك لاينفى جواز أن يعلم الإنسان بعض ما يكسبه فى مستقبل زمانه

فصل فى ذكر جنكزخان وفتنة التتر

واعلم أن هذا الغيب الذى أخبر عنه قدر أينا نحن عيانا ووقع فى زماننا و كان الناس ينتظرونه من أول الإسلام حتى ساقه القضاء والقدر إلى عصرنا وهم التتار الذين خرجوا من أقاصى المشرق حتى وردت خيلهم العراق والشام و فعلوا بملوك الخطا و قفجاق و ببلاد ماوراء النهر و بخراسان و ماوالاها من بلاد العجم ما لم تحتو التواريخ منذ خلق الله آدم إلى عصرنا هذا على مثله فإن بابك الخرمى لم تكن نكايته و إن طالت مدته نحو عشرين سنة إلا فى إقليم واحد و هو أذربيجان و هؤلاء دوخوا المشرق كله و تعدت نكايتهم إلى بلاد أرمينية و إلى الشام و وردت خيلهم إلى العراق و بخت نصر الذى قتل اليهود إنما أخرج بيت المقدس و قتل من كان بالشام من بنى إسرائيل و أى نسبة بين من كان بالبيت المقدس من بنى إسرائيل إلى البلاد و الأمصار التى أخرجها هؤلاء و إلى الناس الذين قتلوهم من المسلمين و غيرهم [صفحة ٢١٩] و نحن نذكر طرفا من أخبارهم و ابتداء ظهورهم على سبيل الاختصار فنقول إننا على كثرة اشتغالنا بالتواريخ و بالكتب المتضمنة أصناف الأمم لم نجد ذكر هذه الأمة أصلا و لكننا وجدنا ذكر أصناف الترك من القفجاق و اليمك و البرلو و التفريه و اليتبه و الروس و الخطا و القرغز و التركمان و لم يمر بنا فى كتاب ذكر هذه الأمة سوى كتاب واحد و هو كتاب مروج الذهب للمسعودى فإنه ذكرهم هكذا بهذا اللفظ التتر و الناس اليوم يقولون التتار بألف و هذه الأمة كانت فى أقاصى بلاد المشرق فى جبال طمغاج من حدود الصين و بينهم و بين بلاد الإسلام التى ماوراء النهر ما يزيد على مسير ستة أشهر و قد كان خوارزمشاه و هو محمد بن تكش استولى على بلاد ماوراء النهر و قتل ملوكها من الخطا الذين كانوا ببخارى و سمرقند و بلاد تركستان نحو كاشغر و بلاساغون و أفناهم و كانوا حجابا بينه و بين هذه الأمة و شحن هذه البلاد بقواده و جنوده و كان فى ذلك غالطا لأن ملوك الخطا كانوا وقاية له و مجنا من هؤلاء فلما أفناهم صار هو المتولى لحرب هؤلاء أو سلمهم فأساء قواده و أمراؤه الذين بتركستان السيرة معهم و سدوا طرق التجارة عنهم فانتدبت منهم طائفة نحو عشرين ألفا مجتمعين كل بيت منها له رئيس مفرد فهم متساندون و خرجوا إلى بلاد تركستان فأوقعوا بقواد خوارزمشاه و عماله هناك و ملكوا البلاد و تراجع من بقى من عسكر خوارزمشاه و سلم من سيف التتار إلى خوارزمشاه فأغضى على ذلك و رأى أن سعة ملكه تمنعه عن مباشرة حربهم بنفسه و أن غيره من قواده لا يقوم مقامه فى ذلك و ترك بلاد تركستان لهم و استقر الأمر على أن تركستان لهم و ماعداها من بلاد ماوراء النهر كسمرقند و بخارى و غيرهما لخوارزمشاه فمكثوا كذلك نحو أربع سنين . [صفحة ٢٢٠] ثم إن المعروف بجنكزخان و الناس يلفظونه بالراء و ذكر لى جماعة من أهل المعرفة بأحوال التتر أنه جنكز بالزاي المعجمة عن له رأى فى النهوض إلى بلاد تركستان و ذلك أن جنكزخان هذا هو رئيس التتار الأقصى فى المشرق و ابن رئيسهم و مازال سلفه رؤساء تلك الجهة و كان شجاعا عاقلا موفقا منصورا فى الحرب و إنما عن له هذا رأى لأنه رأى أن طائفة من التتار لا ملك لهم و إنما يقوم بكل فرقة منهم مدبر لها من أنفسها قد نهضت فملك بلاد تركستان على جلالتها غار من ذلك و أراد الرئاسة العامة لنفسه و أحب الملك و طمع فى البلاد فنهض بمن معه من أقاصى الصين حتى صار إلى حدود أعمال تركستان فحاربه التتار الذين هناك و منعه عن تطرق البلاد فلم يكن لهم به طاقة و هزمهم و قتل كثيرا منهم و ملك بلاد تركستان بأجمعها و صار كالمجاور لبلاد خوارزمشاه و إن كان بينهما مسافة بعيدة و صار بينه و بين خوارزمشاه سلم و مهادنة إلا أنها هدنة على دخن . فمكثت الحال على ذلك يسيرا ثم فسدت بما كان يصل إلى خوارزمشاه على ألسنة التجار من الأخبار و أن جنكزخان على عزم النهوض إلى سمرقند و مايلها و أنه فى التأهب و الاستعداد فلو داراه لكان أولى له لكنه شرع فسد طرق التجار القاصدين إليهم فتعذرت عليهم الكسوات و منع عنهم الميرة و الأقوات التى تجلب و تحمل من أعمال ماوراء النهر إلى تركستان فلو اقتنع بذلك لكان قريبا لكنه أنهى إليه نائبة بالمدينة المعروفة بأوتران و هى آخر ولايته بما وراء النهر أن جنكزخان

قد سير جماعة من تجار التتار ومعهم شىء عظيم من الفضة إلى سمرقند ليشتروا له ولأهله وبنى عمه كسوة وثيابا وغير ذلك . [صفحہ ۲۲۱] فبعث إليه خوارزمشاه يأمره بقتل أولئك التجار وأخذ مامعهم من الفضة وإنفاذاها إليه فقتلهم وسير إليه الفضة و كان ذلك شيئا كثيرا جدا ففرقه خوارزمشاه على تجار سمرقند وبخارى وأخذ ثمنه منهم لنفسه ثم علم أنه قد أخطأ فأرسل إلى نائبه بأوتران يأمره أن ينفذ جواسيس من عنده إليهم ليخبروه بعدتهم فمضت الجواسيس وسلكت مفاوز وجبالا كثيرة وعادوا إليه بعد مدة فأخبروه بكثرة عددهم وأنهم لا يبلغهم الإحصاء ولا يدركهم وأنهم من أصبر الناس على القتال لا يعرفون الفرار ويعملون ما يحتاجون إليه من السلاح بأيديهم وأن خيلهم لا تحتاج إلى الشعير بل تأكل نبات الأرض وعروق المراعى وأن عندهم من الخيل والبقر ما لا يحصى وأنهم يأكلون الميتة والكلاب والخنازير وهم أصبر خلق الله على الجوع والعطش والشقاء وثيابهم من أخشن الثياب مسا ومنهم من يلبس جلود الكلاب والدواب الميتة وأنهم أشبه شىء بالوحش والسباع . فأنهى ذلك كله إلى خوارزمشاه فندم على قتل أصحابهم وعلى خرق الحجاب بينه وبينهم وأخذ أموالهم وغلب عليه الفكر والوجل فأحضر الشهاب الخيوى وهو فقيه فاضل كبير المحل عنده لا يخالف ما يشير به فقال له قد حدث أمر عظيم لا بد من الفكر فيه وإجاله الرأى فيما نفعل وذلك أنه قد تحرك إلينا خصم من الترك فى عدد لا يحصى فقال له عساكرك كثيرة وتكاتب الأطراف وتجمع الجنود و يكون من ذلك نفي عام فإنه يجب على المسلمين كافة مساعدتك بالأموال والرجال ثم تذهب بجميع العساكر إلى جانب سيحون و هونهر كبير يفصل بين بلاد الترك و بين بلاد خوارزمشاه فتكون هناك فإذا جاء العدو و قد سار مسافة بعيدة لقيناه ونحن جامون مستريحون و قدمسه وعساكره النصب واللغوب . [صفحہ ۲۲۲] فجمع خوارزمشاه أمراءه و من عنده من أرباب المشورة فاستشارهم فقالوا لابل الرأى أن نتركهم ليعبروا سيحون إلينا ويسلكوا هذه الجبال والمضايق فإنهم جاهلون بطرقها ونحن عارفون بها فنظهر عليهم ونهلكهم عن آخرهم . فكانوا على ذلك حتى وصل رسول من جنكزخان ومعه جماعة يتهدد خوارزمشاه ويقول تقتل أصحابى وتجارى وتأخذ مالى منهم استعداد للحرب فإنى واصل إليك بجمع لا قبل لك به . فلما أدى هذه الرسالة إلى خوارزمشاه أمر بقتل الرسول فقتل وحلق لحي الجماعة الذين كانوا معه وأعادهم إلى صاحبهم جنكزخان ليخبروه بما فعل بالرسول ويقولوا له إن خوارزمشاه يقول لك إنى سائر إليك فلاحاجة لك أن تسير إلى فلو كنت فى آخر الدنيا لطلبتك حتى أقتلك وأفعل بك وبأصحابك ما فعلت برسلك . وتجهز خوارزمشاه وسار بعد نفوذ الرسول مبادرا لسبق خبره ويكبس التتار على غرة فقطع مسيرة أربعة أشهر فى شهر واحد ووصل إلى بيوتهم وخركاواتهم فلم ير فيها إلا النساء والصبيان والأثقال فأوقع بهم وغنم الجميع وسبى النساء والذرية . و كان سبب غيوبة التتار عن بيوتهم أنهم ساروا إلى محاربة ملك من ملوك الترك يقال له كشلوخان فقاتلوه فهزموه وغنموا أمواله وعادوا فلقبهم الخبر فى طريقهم بما فعل خوارزمشاه بمخلفيهم فأغذوا السير فأدركوه و هو على الخروج من بيوتهم [صفحہ ۲۲۳] بعد فراغه من الغنيمه فواقعوه وتصافوا للحرب ثلاثة أيام بلياليها لا يفترون نهارا ولا ليلا فقتل من الفريقين ما لا يعد و لم ينهزم منهم أحد . أما المسلمون فصبروا حمية للدين وعلموا أنهم إن انهزموا لم يبق للإسلام باقية ثم إنهم لا ينجون بل يؤخذون ويؤسرون لبعدهم عن بلاد يمتنعون بها و أما التتار فصبروا لاستنقاذ أموالهم وأهلهم واشتد الخطب بين الطائفتين حتى أن أحدهم كان ينزل عن فرسه ويقا تل قرنه راجلا مضاربة بالسكاكين وجرى الدم على الأرض حتى كانت الخيل تزلق فيه لكثرتة و لم يحضر جنكزخان بنفسه هذه الوقعة وإنما كان فيها قآن ولده فأحصى من قتل من المسلمين فكانوا عشرين ألفا و لم يحص عدده من قتل من التتار . فلما جاءت الليلة الرابعة افترقوا فنزل بعضهم مقابل بعض فلما أظلم الليل أوقد التتار نيرانهم وتركوها بحالها وساروا راجعين إلى جنكزخان ملكهم و أما المسلمون فرجعوا ومعهم محمد خوارزمشاه فلم يزالوا سائرين حتى وافوا بخارى وعلم خوارزمشاه أنه لا طاقة له بجنكزخان لأن طائفه من عسكره لم يلقوا خوارزمشاه بجميع عساكره بهم فكيف إذا حشدوا وجاءوا على بكره أبيهم وملكهم جنكزخان بينهم

فاستعد للحصار وأرسل إلى سمرقند يأمر قواده المقيمين بها بالاستعداد للحصار وجمع الذخائر للامتناع والمقام من وراء الأسوار وجعل في بخارى عشرين ألف فارس يحمونها و في سمرقند خمسين ألفا وتقدم إليهم بحفظ البلاد حتى يعبر هو إلى خوارزم وخراسان فيجمع العساكر ويستنجد بالمسلمين والغزاة المطوعة ويعود إليهم . [صفحہ ۲۲۴] ثم رحل إلى خراسان فعبّر جيحون وكانت هذه الوقعة في سنة ست عشرة وستمائه فنزل بالقرب من بلخ فعسكر هناك واستنفر الناس . و أما التتار فإنهم رحلوا بعد أن استعدوا يطلبون بلاد ماوراء النهر فوصلوا إلى بخارى بعد خمسة أشهر من رحيل خوارزمشاه عنها وحصروها فقاتلوا العسكر المرابط بها ثلاثة أيام قتالا متتابعاً فلم يكن للعسكر الخوارزمي بهم قوة ففتحوا أبواب المدينة ليلاً وخرجوا بأجمعهم عائدين إلى خراسان فأصبح أهل بخارى وليس عندهم من العسكر أحد أصلاً فضعت نفوسهم فأرسلوا قاضي بخارى ليطلب الأمان للرعية فأعطاه التتار الأمان وقد كان بقي في قلعة بخارى خاصة طائفة من عسكر خوارزمشاه معتصمون بها. فلما رأى أهل بخارى بذلهم للأمان فتحوا أبواب المدينة وذلك في رابع ذي الحجة من سنة ست عشرة وستمائه فدخل التتار بخارى ولم يتعرضوا لأحد من الرعية بل قالوا لهم كل ما لخورزمشاه عندكم من وديعة أو ذخيرة أخرجه إلينا وساعدونا على قتال من بالقلعة ولا بأس عليكم وأظهروا فيهم العدل وحسن السيرة ودخل جنكزخان بنفسه إلى البلد وأحاط بالقلعة ونادى مناديه في البلدان لا يتخلف أحد و من تخلف قتل فحضر الناس بأسرهم فأمرهم بطم الخندق فطموه بالأخشاب والأحطاب والتراب ثم زحفوا نحو القلعة وكان عدة من بها من الجند الخوارزمية أربعمائه إنسان فبدلوا جهدهم ومنعوا القلعة عشرة أيام إلى أن وصل النقبان إلى سور القلعة فنبهوه ودخلوا القلعة فقتلوا كل من بها من الجند وغيرهم . [صفحہ ۲۲۵] فلما فرغوا منها أمر جنكزخان أن يكتب له وجوه البلد ورؤساؤهم ففعل ذلك فلما عرضوا عليه أمر بإحضارهم فأحضروا فقال لهم أريد منكم الفضة النقرة التي باعها إياكم خوارزمشاه فإنها لي و من أصحابي أخذت فكان كل من عنده شيء منها يحضره فلما فرغ من ذلك أمرهم بالخروج عن البلد بأنفسهم خاصة فخرجوا مجردين عن أموالهم ليس مع كل واحد منهم إلا ثيابه التي على جسده فأمر بقتلهم فقتلوا عن آخرهم وأمر حينئذ بنهب البلد فنهب كل ما فيه وسبيت النساء والأطفال وعذبوا الناس بأنواع العذاب في طلب المال ثم رحلوا عنه نحو سمرقند وقد تحققوا عجز خوارزمشاه عنهم واستصحبوا معهم من سلم من أهل بخارى أسارى مشاة على أقبح صورة و كل من أعياء وعجز عن المشى قتلوه . فلما قاربوا سمرقند قدموا الخيالة وتركوا الرجال والأسارى والأثقال وراءهم حتى يلتحقوا بهم شيئاً فشيئاً ليرعبوا قلوب أهل البلد فلما رأى أهل سمرقند سوادهم استعظموهم فلما كان اليوم الثاني وصل الأسارى والرجال والأثقال ومع كل عشرة من الأسارى علم فظن أهل البلد أن الجميع عسكر مقاتلة فأحاطوا بسمرقند وفيها خمسون ألفاً من الخوارزمية و ما لا يحصى كثرة من عوام البلد فأحجم العسكر الخوارزمي عن الخروج إليهم وخرجت العامة بالسلاح فأطمعهم التتار في أنفسهم وقهقروا عنهم وقد كمنوا لهم كمناء فلما جاوزهوا الكمين خرج عليهم من ورائهم وشد عليهم من ورائهم جمهور التتار فقتلوه عن آخرهم . فلما رأى من تخلف بالبلد ذلك ضعفت قلوبهم وخيلت للجند الخوارزمي أنفسهم [صفحہ ۲۲۶] أنهم إن استأمنوا إلى التتار أبقوا عليهم للمشاركة في جنسية التركيّة فخرجوا بأموالهم وأهلهم إليهم مستأمنين فأخذوا سلاحهم وخيلهم ثم وضعوا السيف فيهم فقتلوهم كلهم ثم نادوا في البلد برئت الذمة ممن لم يخرج و من خرج فهو آمن فخرج الناس إليهم بأجمعهم فاقتتلوا عليهم ووضعوا فيهم السيف وعذبوا الأغنياء منهم واستصفوا أموالهم ودخلوا سمرقند فأخربوها ونقضوا دورها وكانت هذه الوقعة في المحرم سنة سبع عشرة وستمائه. و كان خوارزمشاه مقيماً بمنزله الأول كلما اجتمع له جيش سيره إلى سمرقند فيرجع ولا يقدم على الوصول إليها فلما قضوا وطرا من سمرقند سير جنكزخان عشرين ألف فارس وقال لهم اطلبوا خوارزمشاه أين كان و لو تعلق بالسما حتى تدركوه وتأخذوه وهذه الطائفة تسميها التتار المغربية لأنها سارت نحو غرب خراسان وهم الذين أوغلوا في البلاد ومقدمهم جرماغون نسيب جنكزخان . وحكى أن جنكزخان كان قد أمر على هذا الجيش ابن عم له شديد

الاختصاص به يقال له متكلى نويره وأمره بالجد وسرعة المسير فلما ودعه عطف متكلى نويره هذا فدخل إلى خركاه فيها امرأة له كان يهواها ليوذعها فاتصل ذلك بجنكرخان فصرفه في تلك الساعة عن إمارة الجيش و قال من يثنى عزمه امرأة لا يصلح لقيادة الجيوش ورتب مكانه جرماغون فساروا وقصدوا من جيحون موضعا يسمى بنج آب أى خمسة مياه و هو يمنع العبور فلم يجدوا به سفنا فعملوا من الخشب مثل الأحواض الكبار ولبسوه جلود البقر ووضعوا فيه أسلحتهم وأقحموا خيولهم الماء وأمسكوا بأذنانها [صفحة ٢٢٧] وتلك الأحواض مشدودة إليها فكان الفرس يجذب الرجل و الرجل يجذب الحوض فعبروا كلهم ذلك الماء دفعة واحدة فلم يشعر خوارزمشاه بهم إلا وهم معه على أرض واحدة و كان جيشه قد ملئ رعبا منهم فلم يقدروا على الثبات فتفرقوا أيدي سبأ وطلب كل فريق منهم جهة ورحل خوارزمشاه في نفر من خواصه لا يلوى على شىء وقصد نيسابور فلما دخلها اجتمع عليه بعض عسكره فلم يستقر حتى وصل جرماغون إليه و كان لا يتعرض فى مسيره بنهب و لا قتل بل يطوى المنازل طيا يطلب خوارزمشاه و لا يمهله ليجمع عسكرا فلما عرف قرب التتار منه هرب من نيسابور إلى مازندران فدخلها ورحل جرماغون خلفه و لم يعرج على نيسابور بل قصد مازندران فخرج خوارزمشاه عنها فكان كلما رحل عن منزل نزله التتار حتى وصل إلى بحر طبرستان فنزل هو وأصحابه فى سفن ووصل التتار فلما عرفوا نزوله البحر رجعوا وأيسوا منه . وهؤلاء الذين ملكوا عراق العجم وأذربيجان فأقاموا بناحية تبريز إلى يومنا هذا. ثم اختلف فى أمر خوارزمشاه فقوم يحكون أنه أقام بقلعة له فى بحر طبرستان منيعة فتوفى بها و قوم يحكون أنه غرق فى البحر و قوم يحكون أنه غرق ونجا عريانا فصعد إلى قرية من قرى طبرستان فعرفه أهلها فجاءوا وقبلوا الأرض بين يديه وأعلموا عاملهم به فجاء إليه وخدمه فقال له خوارزمشاه احملنى فى مركب إلى الهند فحملة إلى شمس الدين أنليمش ملك الهند و هونسيه من جهة زوجته والدة منكبوني بن خوارزمشاه الملك جلال الدين فإنها هندية من أهل بيت الملك فيقال إنه وصل إلى أنليمش و قد تغير [صفحة ٢٢٨] عقله مما اعتراه من خوف التتار وألأمر سلطه الله تعالى عليه فكان يهذى بالتتار بكرة وعشية و كل وقت و كل ساعة و يقول هوذا هم قد خرجوا من هذا الباب قدهجموا من هذه الدرجة ويرعد ويحول لونه ويختل كلامه و حركاته . و حكى لى فقيه خراسانى وصل إلى بغداد يعرف بالبرهان قال كان أخى معه و كان ممن يثق خوارزمشاه به ويختصه قال لهج خوارزمشاه لما تغير عقله بكلمة كان يقولها قرا تتر كلدى يكررها وتفسيرها التتر السود قد جاءوا و فى التتر صنف سود يشبهون الزنج لهم سيوف عريضة جدا على غير صورة هذه السيوف يأكلون لحوم الناس فكان خوارزمشاه قد أهرت وأغرى بذكرهم . وحدثنى البرهان قال رقى به شمس الدين أنليمش إلى قلعة من قلاع الهند حصينة عالية شاهقة لا يعلوها الغيم أبدا وإنما تمطر السحب من تحتها و قال له هذه القلعة لك وذخايرها أموالك فكن فيها وادعا آمننا إلى أن يستقيم طالعك فالملوك مازالوا هكذا يدبر طالعهم ثم يقبل فقال له لا أقدر على الثبات فيها والمقام به لأن التتر سوف يطلبونى ويقدمون إلى هاهنا و لوشاءوا لوضعوا سروج خيلهم واحدا على واحد تحت القلعة فبلغت إلى ذروتها وصعدوا عليها فأخذونى قبضا باليد فعلم أنليمش أن عقله قد تغير و أن الله تعالى قد بدل ما به من نعمة فقال فما الذى تريد قال أريد أن تحملنى فى البحر المعروف ببحر المعبر إلى كرمان فحملة فى نفر يسير من مماليكه إلى كرمان ثم خرج منها إلى أطراف بلاد فارس فمات هناك فى قرية من قرى فارس وأخفى موته لثلا- يقصده التتر وتطلب جثته . [صفحة ٢٢٩] وجملة الأمر أن حاله مشتبهة ملتبسة لم يتحقق على يقين وبقى الناس بعدها لكة نحو سبع سنين ينتظرونه . ويذهب كثير منهم إلى أنه حتى مستتر إلى أن ثبت عند الناس كافة أنه هلك . فأما جرماغون فإنه لما يئس من الظفر بخوارزمشاه عاد من ساحل البحر إلى مازندران فملكها فى أسرع وقت مع حصانتها وصعوبة الدخول إليها وامتناع قلاعها فإنها لم تزل ممتنعة على قديم الوقت حتى أن المسلمين لما ملكوا بلاد الأكاسرة من العراق إلى أقصى خراسان بقيت أعمال مازندران بحالها تؤدى الخراج و لا يقدر المسلمون على دخولها إلى أيام سليمان بن عبد الملك . و لما ملك التتار مازندران قتلوا فيها ونهبوا وسلبوا ثم سلخوا نحو الرى فصادفوا فى الطريق والدة خوارزمشاه ونساءه

ومعهن أموال بيت خوارزمشاه وذخائرهم التي ما لا يسمع بمثلها من الأغلاق النفيسة وهن قاصدات نحو الرى ليعتصمن ببعض القلاع المنيعة فاستولى التتار عليهن و على مامعهن بأسره وسيروه كله إلى جنكزخان بسمرقند وصمدوا صمد الرى و قد كان اتصل بهم أن محمدا خوارزمشاه قصدها كما يتسامع الناس بالأراجيف الصحيحة والباطلة فوصلوها على حين غفلة من أهلها فلم يشعر بهم عسكر الرى إلا و قد ملكوها ونهبوها وسبوا الحرم واسترقوا الغلمان و فعلوا كل قبيح منكر فيها و لم يقيموا بها ومضوا مسرعين فى طلب خوارزمشاه فنهبوا فى طريقهم مامروا به من المدن والقرى وأحرقوا وخربوا وقتلوا الذكران والإناث و لم يبقوا على شىء و قد صدوا نحو همذان فخرج إليهم رئيسها ومعها أموال جليله قد جمعها من أهل همذان عينا وعروضا وخيلا و طلب منهم الأمان لأهل البلد فأمنوهم و لم يعرضوا لهم [صفحہ ۲۳۰] وساروا إلى زنجان واستباحوها و إلى قزوین فاعتصم أهلها منهم بقصبة مدينتهم فدخلوها بالسيف عنوة وقاتلهم أهلها قتالا شديدا بالسكاكين وهم معتادون بقتال السكين من حروبهم مع الإسماعيلية فقتل من الفريقين ما لا يحصى ويقال إن القتلى بلغت أربعين ألفا من أهل قزوین خاصة. ثم هجم على التتار البرد الشديد والثلج المتراكم فساروا إلى أذربيجان فنهبوا القرى وقتلوا من وقف بين أيديهم وأحرقوا حتى وصلوا إلى تبريز و بهاصحاب أذربيجان أذربك بن البهلوان بن أيلدكر فلم يخرج إليهم و لحدث نفسه بقتالهم لاشتغاله بما كان عليه من اللهو وإدمان الشرب ليلا ونهارا فأرسل إليهم وصالح لهم على مال و ثياب ودواب وحمل الجميع إليهم فساروا من عنده يطلبون ساحل البحر لأنه مشتى صالح لهم والمراعى به كثيرة فوصلوا إلى موقان وهى المنزل الذى نزلته الخرمية فى أيام المعتصم و قد ذكره الطائيان فى أشعارهما فى غير موضع و الناس اليوم يقولون بالغين المعجمة عوض القاف و قد كانوا تطرقوا فى طريقهم بعض أعمال الكرج فخرج إليهم منهم عشرة آلاف مقاتل فحاربوهم وهزموهم وقتلوا أكثرهم . فلما استقروا بموقان راسلت الكرج أذربك بن البهلوان فى الاتفاق على حربهم وراسلوا موسى بن أيوب المعروف بالأشرف و كان صاحب خلاط وإرمينية بمثل ذلك وظنوا أنهم يصبرون إلى أيام الربيع وانحسار الثلوج فلم يصبروا وصاروا من موقان فى صميم الشتاء نحو بلاد الكرج فخرجت إليهم الكرج واقتتلوا قتالا شديدا فلم يثبتوا للتتار وانهمزوا أقبح هزيمة و قتل منهم من لا يحصى فكانت هذه الوقعة فى ذى الحجة من سنة سبع عشرة وستمئة. [صفحہ ۲۳۱] ثم توجهوا إلى المراغة فى أول سنة ثمانى عشرة فملكوها فى صفر وكانت لامرأة من بقايا ملوك المراغة تدبرها هى ووزراؤها فنصبوا عليها المجانيق و قدموا أسارى المسلمين بين أيديهم و هذه عادتهم يتتسون بهم فى الحروب فيصيبهم حدها ويسلمون هم من مضرتها فملكوها عنوة ووضعوا السيف فى أهلها ونهبوا ما يصلح لهم وأحرقوا ما لا يصلح لهم وخذل الناس عنهم حتى كان الواحد منهم يقتل بيده مائة إنسان والسيوف فى أيديهم لا يقدر أحد منهم أن يحرك يده بسيفه نحو ذلك التترى خذلان صب على الناس وأمر سمائى اقتضاه . ثم عادوا إلى همذان فطالبوا أهلها بمثل المال الذى بذلوه لهم فى الدفعة الأولى فلم يكن فى الناس فضل لذلك لأنه كان عظيما جدا فقام إلى رئيس همذان جماعة من أهلها وأسمعوه كلاما غليظا فقالوا أفقرتنا أولا وتريد أن تستصفينا دفعة ثانية ثم لا بد للتتار أن يقتلونا فدعنا نجاهدهم بالسيف ونموت كراما ثم وثبوا على شحنة كان للتتار بهمذان فقتلوه واعتصموا بالبلد فحصرهم التتار فيه فقلت عليهم الميرة وعدمت الأقوات وأضر ذلك بأهل همذان و لم ينل التتار مضرة من عدم القوت لأنهم لا يأكلون إلا اللحم والخيل معهم كثيرة ومعهم غنم عظيمة يسوقونها حيث شاءوا وخيلهم لا تأكل الشعير و لا تأكل إلبات الأرض تحفر بحوافرها الأرض عن العروق فتأكلها. فاضطر رئيس همذان وأهلها إلى الخروج إليهم فخرجوا والتحمت الحرب بينهم أياما و فقد رئيس همذان هرب فى سرب قد كان أعده إلى موضع اعتصم به ظاهر البلد و لم يعلم حقيقة حاله فتحير أهل همذان بعد فقدده ودخلوا المدينة واجتمعت كلمتهم على القتال فى قصبة البلد إلى أن يموتوا و كان التتار قد عزموا على الرحيل عنهم لكثرة من قتل منهم فلما لم يروا أحدا يخرج إليهم من البلد طمعوا واستدلوا على ضعف أهله فقصدوهم وقاتلوهم [صفحہ ۲۳۲] و ذلك فى شهر رجب من

سنة ثمانى عشرة وستمائة ودخلوا المدينة بالسيف وقتلهم الناس فى الدروب وبطل السلاح للازدحام واقتتلوا بالسكاكين فقتل من الفريقين ما لا يحصى وظهر التتار على المسلمين فأفنؤهم قتلا و لم يسلم منهم إلا من كان له نفق فى الأرض يستخفى فيه ثم ألقوا النار فى البلد فأحرقوها ورحلوا إلى مدينة أذربيل وأعمال أذربيجان فملكوا أذربيل وقتلوا فيها فأكثروا. ثم ساروا إلى تبريز و كان بهاشمس الدين عثمان الطغرائى قد جمع كلمه أهلها بعدمفارقة صاحب أذربيجان أزيك بن البهلوان للبلاد خوفا من التتار ومقامه بنقجوان فقوى الطغرائى نفوس الناس على الامتناع وحذرهم عاقبه التخاذل وحصن البلد فلما وصل التتار ورأوا اجتماع كلمه المسلمين وحصانه البلد طلبوا منهم مالا و ثيابا فاستقر الأمر بينهم على شىء معلوم فسروه إليهم فلما أخذوه رحلوا إلى بيلقان فقاتلهم أهلها فملكها التتار فى شهر رمضان من هذه السنه ووضعوا فيهم السيف حتى أفنؤهم أجمعين ثم ساروا إلى مدينة كنجه وهى أم بلاد أران وأهلها ذوو شجاعه وبأس و جلد لمقاومتهم الكرج وتدريبهم بالحرب فلم يقدر التتار عليهم وأرسلوا إليهم يطلبون مالا- و ثيابا فأرسلوه إليهم فساروا عنهم فقصدوا الكرج وقد أعدوا لهم فلما صافوهم هرب الكرج وأخذهم السيف فلم يسلم إلا الشريد ونهبت بلادهم وأخرت و لم يوغل التتار فى بلاد الكرج لكثرة مضايقتها ودربنداتها فقصدوا دربند شروان فحصروا مدينة شماخى وصعدوا سورها فى السلايم وملكوا البلد بعد حرب شديده وقتلوا فيه فأكثروا. [صفحه ٢٣٣] فلما فرغوا أرادوا عبور الدربند فلم يقدموا عليه فأرسلوا إلى شروانشاه ملك الدربند فطالبوه بإنفاذ رسول يسعى بينه وبينهم فى الصلح فأرسل إليهم عشرة من ثقاته فلما وصلوا إليهم جمعوهم ثم قتلوا واحدا منهم بحضور الباقين وقالوا للتسعه إن أنتم عرفتمونا طريقا نعبّر فيه فلکم الأمان و إلاقتلناكم كماقتلنا صاحبكم فقالوا لهم لا طريق فى هذا الدربند ولكن نعرفكم موضعا هو أسهل المواضع لعبور الخيل . وساروا بين أيديهم إليه فعبروا الدربند وتركوه وراء ظهورهم وساروا فى تلك البلاد وهى مملوءة من طرائق مختلفه منهم اللان واللكر وأصناف من الترك فنهبوا وقتلوا الكثير من ساكنيها ورحلوا إلى اللان وهم أمم كثيره وقد وصلهم خبرهم وجمعوا وحذروا وانضاف إليهم جموع من قفجاق فقاتلوهم فلم يظفر أحد العسكرين بالآخر فأرسل التتار إلى قفجاق أنتم إخواننا و جنسنا واحد واللان ليسوا من جنسكم لتنصروهم و لا دينهم دينكم ونحن نعاهدكم ألا نعرض لكم ونحمل إليكم من المال والثياب ما يستقر بيننا وبينكم على أن تنصرفوا إلى بلادكم . فاستقر الأمر بينهم على مال و ثياب حملها التتار إليهم وفارقت قفجاق اللان فأوقع التتار باللان فقتلوهم ونهبوا أموالهم وسبوا نساءهم فلما فرغوا منهم ساروا إلى بلاد قفجاق وهم آمنون متفرقون لما استقر بينهم و بين التتار من الصلح فلم يشعروا بهم إلا وقد طرقوهم ودخلوا بلادهم فأوقعوا بهم الأول فالأول وأخذوا منهم أضعاف ما حملوا إليهم وسمع ما كان بعيد الدار من قفجاق بما جرى . ففروا عن غير قتال فأبعدوا فبعضهم بالغياض وبعضهم بالجبال وبعضهم لحقوا ببلاد الروس وأقام التتار فى بلاد قفجاق وهى أرض كثيره المراعى فى الشتاء وفيها أيضا أماكن بارده فى الصيف كثيره المراعى وهى غياض على ساحل البحر. [صفحه ٢٣٤] ثم سارت طائفه منهم إلى بلاد الروس وهى بلاد كثيره عظيمه وأهلها نصارى و ذلك فى سنه عشرين وستمائة فاجتمع الروس و قفجاق عن منعهم عن البلاد فلما قاربهم التتار وعرفوا اجتماعهم رجعوا القهقرى إليها للروس أن ذلك عن خوف وحذر فجدوا فى اتباعهم و لم يزل التتار راجعين وأولئك يقفون آثارهم اثنى عشر يوما. ثم رجعت التتار على الروس و قفجاق فأثخنوا فيهم قتلا وأسرا و لم يسلم منهم إلا القليل و من سلم نزل فى المراكب و خرج فى البحر إلى الساحل الشامى وغرق بعض المراكب . و هذه الوقائع كلها تولاهما التتر المغربه الذين قادهم جرماغون فأما ملكهم الأكبر جنكرخان فإنه كان فى هذه المدهه بسمرقند ماوراء النهر فقسم أصحابه أقساما فبعث قسما منهم إلى فرغانه وأعمالها فملكوها وبعث قسما آخر إلى ترمذ و مايلها فملكوها وبعث قسما آخر إلى بلخ و مايلها من أعمال خراسان فأما بلخ فإنهم أمنوا أهلها و لم يتعرضوا لها بنهب و لاقتل وجعلوا فيها شحنه وكذلك فارياب وكثير من المدن إلا أنهم أخذوا أهلها يقاتلون بهم من يمتنع عليهم حتى وصلوا إلى الطالقان وهى عدة بلاد و فيها قلعه حصينه و بهارجال أنجاد فأقاموا

على حصارها شهورا فلم يفتحوها فأرسلوا إلى جنكزخان يعرفونه عجزهم عنها فسار بنفسه وعبر جيحون ومعه من الخلائق ما لا يحصى فنزل على هذه القلعة وبنى حولها شبه قلعة أخرى من طين وتراب وخشب وحطب ونصب عليها المنجنيقات ورمى القلعة بها فلما رأى أهلها ذلك فتحوها وخرجوا وحملوا حملة واحدة فقتل منهم من قتل وسلم من سلم وخرج السالمون فسلخوا تلك الجبال والشعاب ناجين بأنفسهم ودخل التتار القلعة فنهبوا الأموال والأمتعة وسبوا النساء والأطفال . [صفحہ ۲۳۵] ثم سير جنكزخان جيشا عظيما مع أحد أولاده إلى مدينة مرو و بهامائتا ألف من المسلمين فكانت بين التتار وبينهم حروب عظيمة شديدة صبر فيها المسلمون ثم انهزموا ودخلوا البلد وأغلقوا أبوابه فحاصره التتار حصارا طويلا ثم أمنوا متقدم البلد فلما خرج إليهم في الأمان خلع عليه ابن جنكزخان وأكرمه وعاهده ألا يتعرض لأحد من أهل مرو ففتح الناس الأبواب فلما تمكنوا منهم استعرضوهم بالسيف عن آخرهم فلم يبقوا منهم باقية بعد أن استصفوا أرباب الأموال عقيب عذاب شديد عذبوهم به . ثم ساروا إلى نيسابور ففعلوا به ما فعلوا بمرو من القتل والاستتصال ثم عمدوا إلى طوس فنهبوا وقتلوا أهلها وأخرجوا المشهد الذي به على بن موسى الرضاع والرشيدي هارون بن المهدي وساروا إلى هراء فحاصروها ثم أمنوا أهلها فلما فتحوها قتلوا بعضهم وجعلوا على الباقين شحنة فلما بعدوا وثب أهل هراء على الشحنة فقتلوه فعاد عليهم عسكر من التتار فاستعرضوهم بالسيف فقتلواهم عن آخرهم . ثم عادوا إلى طالقان و بهاملكهم الأكبر جنكزخان فسير طائفة منهم إلى خوارزم وجعل فيها مقدم أصحابه وكبراءهم لأن خوارزم حينئذ كانت مدينة الملك و بهاعسكر كثير من الخوارزمية وعوام البلد معروفون بالبأس والشجاعة فساروا ووصلوا إليها فالتقى الفتان واقتتلوا أشد قتال سمع به ودخل المسلمون البلد وحصرتهم التتار خمسة أشهر وأرسل التتار إلى جنكزخان يطلبون المدد فأمدهم بجيش من جيوشه فلما وصل قويت منتهم به وزحفوا إلى البلد زحفا متتابعا فملكوا طرفا منه وولجوا المدينة فقاتلهم المسلمون داخل البلد فلم يكن لهم به طاقة فملكوه وقتلوا كل من فيه فلما فرغوا منه وقضوا وطهرهم من القتل والنهب فتحوا السكر الذي يمنع [صفحہ ۲۳۶] ماء جيحون عن خوارزم فدخل الماء البلد فغرق كله وانهدمت الأبنية فبقى بحرا و لم يسلم من أهل خوارزم أحد البتة فإن غيره من البلاد كان يسلم نفر يسير من أهلها و أما خوارزم فمن وقف للسيف قتل و من استخفى غرقه الماء أو أهلكه الهدم فأصبحت خوارزم يبابا . فلما فرغ التتار من هذه البلاد سيروا جيشا إلى غزنة و بهاحينئذ جلال الدين منكبرى بن محمد خوارزمشاه مالکها و قداجتمع إليه من سلم من عسكر أبيه وغيرهم فكانوا نحو ستين ألفا و كان الجيش الذي سار إليهم التتار اثني عشر ألفا فالتقوا في حدود غزنة واقتتلوا قتالا شديدا ثلاثة أيام ثم أنزل الله النصر على المسلمين فانهمز التتار وقتلهم المسلمون كيف شاءوا وتحيز الناجون منهم إلى الطالقان و بهاجنكزخان وأرسل جلال الدين إليه رسولا يطلب منه أن يعين موضعا للحرب فاتفقوا على أن يكون الحرب بكابل فأرسل جنكزخان إليها جيشا و سار جلال الدين إليها بنفسه وتصافوا هناك فكان الظفر للمسلمين وهرب التتار فالتجئوا إلى الطالقان و جنكزخان مقيم بها أيضا وغنم المسلمون منهم غنائم عظيمة فجرت بينهم فتنة عظيمة في الغنائم و ذلك لأن أميرا من أمرائهم اسمه بغراق كان قد أبلى في حرب التتار هذه جرت بينه و بين أمير يعرف بملك خان نسيب خوارزمشاه مقاوله أفضت إلى أن قتل أخ لبغراق فغضب و فارق جلال الدين في ثلاثين ألفا فتبعه جلال الدين واسترضاه واستعطفه فلم يرجع فضعف جانب جلال الدين بذلك فبينما هو كذلك وصله الخبر أن جنكزخان قد سار إليه من الطالقان بنفسه و جيوشه فعجز عن مقاومته و علم أنه لا طاقة له به فسار نحو بلاد الهند وعبر نهر السند وترك غزنة شاغرة كالفريسة للأسد فوصل إليها [صفحہ ۲۳۷] جنكزخان فملكها وقتل أهلها وسبى نساءها وأخرب القصور وتركها كأمس الغابر . ثم كانت لهم بعد ملك غزنة واستباحتها وقائع كثيرة مع ملوك الروم بنى قلج أرسلان لم يوغلوا فيها في البلاد وإنما كانوا يتطرقونها وينهبون ماتاخمهم منها وأذعن لهم ملوك فارس و كرمان والتيز و مكران بالطاعة وحملوا إليهم الإتاوة و لم يبق في البلاد الناطقة باللسان الأعجمي بلد إلا حكم فيه سيفهم أو كتابهم فأكثر البلاد قتلوا أهلها وسبق السيف فيهم العذل والباقي أدى

الإتاوة إليهم رغما وأعطى الطاعة صاغرا ورجع جنكزخان إلى ماوراء النهر وتوفى هناك . وقام بعده ابنه قآن مقامه وثبت جرماغون في مكانه بأذربيجان و لم يبق لهم إلا أصبهان فإنهم نزلوا عليها مرارا في سنة سبع وعشرين وستمائه وحاربهم أهلها وقتل من الفريقين مقتله عظيمة و لم يبلغوا منها غرضا حتى اختلف أهل أصبهان في سنة ثلاث وثلاثين وستمائه وهم طائفتان حنفية وشافعية وبينهم حروب متصله وعصيبة ظاهرة فخرج قوم من أصحاب الشافعي إلى من يجاورهم ويتاخمهم من ممالك التتار فقالوا لهم اقصدوا البلد حتى نسلمه إليكم فنقل ذلك إلى قآن بن جنكزخان بعد وفاة أبيه والملك يومئذ منوط بتدييره فأرسل جيوشا من المدينة المستجدة التي بنوها وسموها قرا حرم فعبرت جيحون مغربة وانضم إليها قوم ممن أرسله جرماغون على هيئة المدد لهم فنزلوا على أصفهان في سنة ثلاث وثلاثين المذكورة وحصروها فاختلف سيفا الشافعية والحنفية في المدينة حتى قتل كثير منهم وفتحت أبواب المدينة وفتحها الشافعية على عهد بينهم و بين التتار أن يقتلوا الحنفية ويعفوا عن الشافعية فلما دخلوا البلد بدءوا بالشافعية فقتلوهم قتلا ذريعا و لم يقفوا مع العهد الذي عهدوه لهم ثم قتلوا الحنفية ثم قتلوا سائر الناس [صفحة ٢٣٨] وسبوا النساء وشقوا بطون الحبالى ونهبوا الأموال وصادروا الأغنياء ثم أضرموا النار فأحرقوا أصبهان حتى صارت تولا من الرماد. فلما لم يبق لهم بلد من بلاد العجم إلا و قد دودخوه صمدوا نحو إربل في سنة أربع وثلاثين وستمائه و قد كانوا طرقوها مرارا وتحيفوا بعض نواحيها فلم يوغلوا فيها والأمير المرتب بها يومئذ باتكين الرومي فنزل عليها في ذى القعدة من هذه السنة منهم نحو ثلاثين ألف فارس أرسلهم جرماغون وعليهم مقدم كبير من رؤسائهم يعرف بجكتاي فغادها القتال ورواحها و بها عسكر جم من عساكر الإسلام فقتل من الفريقين خلق كثير واستظهر التتار ودخلوا المدينة وهرب الناس إلى القلعة فاعتصموا بها وحصرهم التتار وطال الحصار حتى هلك الناس في القلعة عطشا وطلب باتكين منهم أن يصلحوه عن المسلمين بمال يؤديه إليهم فأظهروا الإجابة فلما أرسل إليهم ماتقرر بينهم وبينه أخذوا المال وغدروا به وحملوا على القلعة بعد ذلك حملات عظيمة وزحفوا إليها زحفا متتابعا وعلقوا عليها المنجنيقات الكثيرة وسير المستنصر بالله الخليفة جيوشه مع مملوكه وخادم حضرته وأخص ممالিকে به شرف الدين إقبال الشرامى فساروا إلى تكريت فلما عرف التتار شخوصهم رحلوا عن إربل بعد أن قتلوا منها ما لا يحصى وأخربوها وتركوها كجوف حمار وعادوا إلى تبريز و بهامقام جرماغون و قد جعلها دار ملكه . فلما رحلوا عن إربل عاد العسكر البغدادي إلى بغداد وكانت للتتار بعد ذلك نهضات وسرايا كثيرة إلى بلاد الشام قتلوا ونهبوا وسبوا فيها حتى انتهت خيولهم إلى حلب فأوقعوا بها وصانعهم عنها أهلها وسلطانها ثم عمدوا إلى بلاد كيخسرو صاحب الروم و ذلك بعد أن هلك جرماغون وقام عوضه المعروف ببابايسيجو و كان [صفحة ٢٣٩] قد جمع لهم ملك الروم قضاة وقضيضه وجيشه ولفيفه واستكثر من الأكراد العتمرية و من عساكر الشام وجند حلب فيقال إنه جمع مائة ألف فارس وراجل فلقية التتار في عشرين ألفا فجرت بينه وبينهم حروب شديدة قتلوا فيها مقدمته وكانت المقدمة كلها أو أكثرها من رجال حلب وهم أنجاد أبطال قتلوا عن آخرهم وانكسر العسكر الرومي وهرب صاحب الروم حتى انتهى إلى قلعة له على البحر تعرف بأنطاكية فاعتصم بها وتمزقت جموعه وقتل منهم عدد لا يحصى ودخلت التتار إلى المدينة المعروفة بقيسارية ففعلوا فيها أفاعيل منكرا من القتل والنهب والتحريق وكذلك بالمدينة المعروفة بسيواس وغيرها من كبار المدن الرومية وبخع لهم صاحب الروم بالطاعة وأرسل إليهم يسألهم قبول المال والمصانعة فضربوا عليه ضريبة يؤديها إليهم كل سنة ورجعوا عن بلاده . وأقاموا على جملة السكون والموادعة للبلاد الإسلامية كلها إلى أن دخلت سنة ثلاث وأربعين وستمائه فاتفق أن بعض أمراء بغداد وهو سليمان بن برجم وهو مقدم الطائفة المعروفة بالإيواء وهي من التركمان قتل شحنة من شحنتهم في بعض قلاع الجبل يعرف بخليل بن بدر فأثار قتله أن سار من تبريز عشرة آلاف غلام منهم يطوون المنازل ويسبقون خبرهم ومقدمهم المعروف بجكتاي الصغير فلم يشعر الناس ببغداد إلا وهم على البلد و ذلك في شهر ربيع الآخر من هذه السنة في فصل الخريف و قد كان الخليفة المستعصم بالله أخرج عسكره إلى ظاهر

سور بغداد على سبيل الاحتياط و كان التتر قد بلغهم ذلك إلا أن جواسيسهم غرتهم وأوقعت في أذهانهم أنه ليس خارج السور إلاخيام مضروبة وفساطيط مضروبة لارجال تحتها وأنكم متى أشرفتم عليهم ملكتم سوادهم وثقلهم و يكون قصارى أمر قوم قليلين تحتها أن ينهزموا إلى البلد ويعتصموا بجدرانها فأقبلت [صفحة ٢٤٠] التتر على هذا الظن وسارت على هذا الوهم فلما قربوا من بغداد وشارفوا الوصول إلى المعسكر أخرج المستعصم بالله الخليفة مملوكه وقائد جيوشه شرف الدين إقبال الشرابي إلى ظاهر السور و كان خروجه في ذلك اليوم من لطف الله تعالى بالمسلمين فإن التتار لو وصلوا و هو بعد لم يخرج لاضطرب العسكر لأنهم كانوا يكونون بغير قائد و لازعيم بل كل واحد منهم أمير نفسه وآراؤهم مختلفة لا يجمعهم رأى واحد و لا يحكم عليها حاكم واحد فكانوا في مظنة الاختلاف والتفرق والاضطراب والتشتت فكان خروج شرف الدين إقبال الشرابي في اليوم السادس عشر من هذا الشهر المذكور ووصلت التتر إلى سور البلد في اليوم السابع عشر فوقفوا بإزاء عساكر بغداد صفا واحدا وترتب العسكر البغدادي ترتيبا منتظما ورأى التتر من كثرتهم وجوده سلاحهم وعددهم وخيولهم ما لم يكونوا يظنونهم و لا يحسبونهم وانكشف ذلك الوهم الذي أوهمهم جواسيسهم عن الفساد والبطلان . و كان مدير أمر الدولة والوزارة في هذا الوقت هو الوزير مؤيد الدين محمد بن أحمد بن العلقمي و لم يحضر الحرب بل كان ملازما ديوان الخلافة بالحضرة لكنه كان يمد العسكر الإسلامي من آرائه وتدابيراته بما ينتهون إليه ويقفون عنده فحملت التتار على عسكر بغداد حملات متتابعة ظنوا أن واحدة منها تهزمهم لأنهم قدامتادوا أنه لا يقف عسكر من العساكر بين أيديهم و أن الرعب والخوف منهم يكفي ويغنى عن مباشرتهم الحرب بأنفسهم فثبت لهم عسكر بغداد أحسن ثبوت ورشوقهم بالسهم ورشقت التتار أيضا بسهامها وأنزل الله سكينته على عسكر بغداد وأنزل بعد السكينة نصره فما زال العسكر البغدادي تظهر عليه أمارات القوة وتظهر على التتار أمارات الضعف والخذلان إلى أن حجز الليل بين الفريقين و لم يصطدم الفيلقان وإنما [صفحة ٢٤١] كانت مناوشات وحملات خفيفة لا تقتضى الاتصال والممازجة ورشق بالنشاب شديد. فلما أظلم الليل أوقد التتار نيرانا عظيمة وأوهموا أنهم مقيمون عندها وارتحلوا في الليل راجعين إلى جهة بلادهم فأصبح العسكر البغدادي فلم ير منهم عينا و لا أثرا و مازالوا يطوون المنازل ويقطعون القرى عائدين حتى دخلوا الدربند ولحقوا ببلادهم . و كان ماجرى من دلائل النبوة لأن الرسول ص وعد هذه الملة بالظهور والبقاء إلى يوم القيامة و لو حدث على بغداد منهم حادثة كما جرى على غيرها من البلاد لانقرضت ملة الإسلام و لم يبق لها باقية. و إلى أن بلغنا من هذا الشرح إلى هذا الموضع لم يذعر العراق منهم ذاعر بعد تلك النبوة التي قدمنا ذكرها. قلت و قد لاح لى من فحوى كلام أمير المؤمنين ع أنه لا بأس على بغداد والعراق منهم و أن الله تعالى يكفي هذه المملكة شرهم ويرد عنها كيدهم و ذلك من قوله ع و يكون هناك استحرار قتل فأتى بالكاف وهى إذا وقعت عقيب الإشارة أفادت البعد تقول للقريب هنا وللبعيد هناك و هذا منصوص عليه فى العريية و لو كان لهم استحرار قتل فى العراق لما قال هناك بل كان يقول هنا لأنه ع خطب بهذه الخطبة فى البصرة ومعلوم أن البصرة وبغداد شىء واحد وبلد واحد لأنهما جميعا من إقليم العراق وملكهما ملك واحد فيلمح هذا الموضع فإنه لطيف . [صفحة ٢٤٢] وكتبت إلى مؤيد الدين الوزير عقيب هذه الوقعة التى نصر فيها الإسلام ورجع التتر مخذولين ناكسين على أعقابهم أبياتا أنسب إليه الفتح وأشير إلى أنه هو الذى قام بذلك و إن لم يكن حاضرا له بنفسه وأعتذر إليه عن الإغباب بمديحه فقد كانت الشواغل والقواطع تصد عن الانتصاب لذلك أبقي لنا الله الوزير وحاطه || بكتائب من نصره ومقانب وامتد وارف ظله لنزيله || وصفت متون غديره للشارب ياكالى الإسلام إذ نزلت به || فرغاء تشهق بالنجيع السالب فى خطبة بهماء ديمومية || لا يهدى فيها السليك لللاحب لا يمتطى سلساتها مرهوبة || الإساس جلس لا تدر لعاصب فرجت غمرتها بقلب ثابت || فى حملة ذعري ورأى ثاقب ماغبت ذاك اليوم عن تدبيرها || كم حاضر يعصى بسيف الغائب عمر الذى فتح العراق وإنما || سعد حسام فى يمين الضارب أثنى عليك ثناء غير موارد || وأجيد فيك المدح غير مراقب و أنا

الذى يهواك حبا صادقا || متقادما ولرب حب كاذب حبا ملأت به شعاب جوانحي || يفعا وها أناذو عذار شائب [صفحہ ۲۴۳] إن القريض و إن أغب متيم || بكم ورب مجانب كماوظ ولقد يخالصك القصى وربما || يمنى بود مماذق متقارب سدت مسالكة هموم جعجت || بالفكر حتى لايبض لحالب و من العناء مغلب فى حظه || يبغي مغالبه القضاء الغالب وهى طوبله وإنما ذكرنا منها ماقتضته الحال [صفحہ ۲۴۴]

۱۲۹- و من خطبة له ع فى ذكر المكاييل والموازين

اشاره

عَبَادَ اللَّهِ إِنَّكُمْ وَمَا تَأْمُلُونَ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا أَثَوِيَاءُ مُؤْجِلُونَ وَ مِيدِيُونَ مُقْتَصُونَ أَجَلَ مَنْقُوصٍ وَ عَمَلٌ مَحْفُوظٌ فَرَبُّ دَائِبٍ مُضَيِّعٌ وَ رَبُّ كَادِحٍ خَاسِرٌ وَ قَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي زَمَنِ لَّا يَزِدَادُ الْخَيْرُ فِيهِ إِلَّا إِدْبَارًا وَ الشَّرُّ إِلَّا إِقْبَالًا وَ الشَّيْطَانُ فِي هَلَاكِ النَّاسِ إِلَّا طَمَعًا فَهَذَا أَوَانٌ قَوِيَّتْ عُدَّتُهُ وَ عَمَّتْ مَكِيدَتُهُ وَ أَمَكَّتْ فَرِيْسَتُهُ اضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتُمْ مِنَ النَّاسِ فَهَلْ تُبْصِرُ إِلَّا فَقِيرًا يُكَابِدُ فَقْرًا أَوْ غَنِيًّا يَبْدُلُ نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا أَوْ بَخِيلًا اتَّخَذَ الْبُخْلَ بَحَقَّ اللَّهِ وَفَرًّا أَوْ مُتَمَرِّدًا كَأَنَّ بَأْذَنَهُ عَنِ سَمْعِ الْمَوَاعِظِ وَقُرًّا أَيْنَ أَخْيَارِكُمْ وَ صَيْلِحَاؤِكُمْ وَ أَيْنَ أَحْرَارِكُمْ وَ سَمَحَاؤِكُمْ وَ أَيْنَ الْمُتَوَرَّعُونَ فِي مَكَاسِبِهِمْ وَ الْمُتَمَرِّهُونَ فِي مَذَاهِبِهِمْ أَلَيْسَ قَدْ ظَعَنُوا جَمِيعًا عَنِ هَذِهِ الدُّنْيَا الدَّيْنِيَّةِ وَ الْعَاجِلِيَّةِ الْمُتَغَصِّبَةِ وَ هَيْلِ خُلْفَتُمْ إِلَّا فِي حُنَّالِهِ لَّا تَلْتَقِي بِذِمَّتِهِمُ الشَّفِئَتَانِ اسْتِصْعَارًا لِقَدْرِهِمْ وَ ذَهَابًا عَنِ ذِكْرِهِمْ فَإِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ظَهَرَ الْفَسَادُ فَلَمَّا مُنْكَرٌ مُعْتَبَرٌ وَ لَمَّا رَاجِعٌ مُرْدَجِرٌ أَفِيهِذَا تَرِيدُونَ أَنْ تُجَاوِرُوا اللَّهَ فِي دَارِ قُدْسِهِ وَ تَكُونُوا أَعَزَّ أَوْلِيَانِهِ عِنْدَهُ هَيْهَاتَ لَّا يُخْدَعُ اللَّهُ عَنِ جَنَّتِهِ وَ لَّا تُنَالُ مَرْضَاتُهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ [صفحہ ۲۴۵] لَعَنَ اللَّهُ الْأَمِيرِينَ بِالمَعْرُوفِ التَّارِكِينَ لَهُ وَ النَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ الْعَامِلِينَ بِهِ أَثَوِيَاءَ جَمْعُ ثَوِيٍّ وَ هُوَ الضَّيْفُ كَقَوِيٍّ وَ أَقْوِيَاءَ وَ مُؤْجِلُونَ مُؤْخِرُونَ إِلَى أَجَلٍ أَى وَقْتٍ مَعْلُومٍ . وَ مَدِينُونَ مَقْرُضُونَ دَنْتَ الرَّجُلِ أَفْرَضْتَهُ فَهُوَ مَدِينٌ وَ مَدِيُونَ وَ دَنْتُ أَيْضًا إِذَا اسْتَقْرَضْتَ وَ صَارَتْ عَلَى دَيْنٍ فَأَنَا دَائِنٌ وَ أَنْشُدُ نَدِيْنَ وَ يَقْضَى اللَّهُ عَنَّا وَ قَدْنَرِيْ || مَصَارِعُ قَوْمٍ لَا يَدِينُونَ ضَيْعًا . وَ مَقْتَصُونَ جَمْعُ مَقْتَضَى أَى مُطَالِبٌ بِأَدَاءِ الدَّيْنِ كَمَرْتَضُونَ جَمْعُ مَرْتَضَى وَ مَصْطَفُونَ جَمْعُ مَصْطَفَى . وَ قَوْلُهُ أَجَلَ مَنْقُوصٍ أَى عَمْرٍ وَ قَدْ جَاءَ عَنْهُمْ أَطَالَ اللَّهُ أَجْلَكَ أَى عَمْرَكَ وَ بَقَاءُكَ وَ الدَّائِبُ الْمُجْتَهِدُ ذُو الْجَدِّ وَ التَّعَبُ وَ الكَادِحُ السَّاعِي . وَ مِثْلُ قَوْلِهِ فَرَبُّ دَائِبٍ مُضَيِّعٌ وَ رَبُّ كَادِحٍ خَاسِرٌ قَوْلُ الشَّاعِرِ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَوْنٌ مِنَ اللَّهِ لِلْفَتَى || فَأَكْثَرَ مَا يَجْنِي عَلَيْهِ اجْتِهَادُهُ . وَ مِثْلُهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَوْنٌ مِنَ اللَّهِ لِلْفَتَى || أَتَتْهُ الرِّزَايَا مِنْ وَجْهِ الْفَوَائِدِ . وَ هُوَ كَثِيرٌ وَ الْأَصْلُ فِيهِ قَوْلُهُ تَعَالَى وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً وَيُرْوَى فَرَبُّ دَائِبٍ مُضَيِّعٌ بِغَيْرِ تَشْدِيدٍ . - قرآن - ۳۷- ۱۰۱ [صفحہ ۲۴۶] وَ قَوْلُهُ وَ أَمَكَّتْ فَرِيْسَتُهُ أَى وَ أَمَكَّتْهُ فَحَذَفَ الْمَفْعُولُ . وَ قَوْلُهُ فَاضْرِبْ بِطَرْفِكَ لَفْظَةٌ فَصِيحَةٌ وَ قَدْ أَخَذَهَا الشَّاعِرُ فَقَالَ فَاضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتُمْ فَلَنْ تَرَى || إِلَّا بَخِيلًا ... وَ الْوَفْرُ الْمَالُ الْكَثِيرُ أَى بَخْلٌ وَ لَمْ يُوَدِّ حَقَّ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فَكَثُرَ مَالُهُ . وَ الْوَقْرُ بَفَتْحِ الْوَاوِ الثَّقَلِ فِي الْأُذُنِ وَ رَوَى الْمَنْغَصَةُ بِفَتْحِ الْغَيْنِ . الْحُنَّالَةُ السَّاقِطُ الرَّدِيءُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . وَ قَوْلُهُ لَاتَلْتَقِي بِذِمَّتِهِمُ الشَّفِئَتَانِ أَى يَأْنِفُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَذْمَهُمْ لِأَنَّهُ لَا يَدْفَعُ فِي الدَّمِ مِنْ إِطْبَاقِ أَحَدِ الشَّفِئَتَيْنِ عَلَى الْأُخْرَى وَ كَذَلِكَ فِي كُلِّ الْكَلَامِ . وَ ذَهَابًا عَنِ ذِكْرِهِمْ أَى تَرْفَعًا يُقَالُ فَلَانَ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ عَنِ كَذَا أَى يَرْفَعُهَا . وَ لَا زَاجِرٌ مُزْدَجِرٌ أَى لَيْسَ فِي النَّاسِ مِنْ يَزْجُرُ عَنِ الْقَبِيحِ وَ يَنْزَجِرُ هُوَ عَنْهُ . وَ دَارُ الْقُدْسِ هِيَ الْجَنَّةُ وَ لَا يُخْدَعُ اللَّهُ عَنْهَا لِأَنَّهُ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ وَ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ النِّفَاقُ وَ التَّمْوِيهُ ثُمَّ لَعَنَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَ لَا يَفْعَلُهُ وَ النَّاهِيَّ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يَرْتَكِبُهُ وَ هَذَا مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى أَ تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ . وَ لَسْتُ أَرَى فِي هَذِهِ الْخُطْبَةِ ذِكْرًا لِلْمَوَازِينِ وَ الْمَكَايِيلِ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا الرَّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَللَّهُمَّ إِلَّا- أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ عَ وَ أَيْنَ الْمُتَوَرَّعُونَ فِي مَكَاسِبِهِمْ أَوْ قَوْلُهُ ظَهَرَ الْفَسَادُ

نبد من أقوال الحكماء والصالحين

واعلم أن هذه الخطبة قد اشتملت على كلام فصيح وموعظة بالغة من ذكر الدنيا [صفحة ٢٤٧] وذكر أهلها ونحن نذكر كلمات وردت عن الحكماء والصالحين تناسبها على عادتنا في إيراد الأشباه والنظائر. قال بعض الصالحين ما أدرى كيف أعجب من الدنيا أم من حسن منظرها وقبح مخبرها أم من ذم الناس لها وتناحرهم عليها قيل لبعضهم كيف أصبحت قال آسفا على أمسى كارها ليومي متهما لغدى. قيل لأعرابي كيف ترى الدهر قال خدوعا خلوبا وثوبا غلوبا. قيل لصوفى لم تركت الدنيا قال لأنى منعت صفوها وامتنعت من كدرها. وقيل لآخر لم تركت الدنيا قال لأنى عدت الوسيلة إليها إلا بعشقتها وأعشق ما أكون لها أغدر ماتكون بي وأنشد لبشر الحافى قرير العين لا ولد يموت || ولا حذر يبادر ما يفوت رخي البال ليس له عيال || خلى من حرب و من دهيت قضى وطر الصبا وأفاد علما || فعاتبه التفرد والسكوت وأكبر همه مما عليه || تذايح من ترى خلق وقوت . قال أبوحيان سمعت ابن القصاب الصوفى يقول اسمع واسكت وانظر وأعجب قال ابن المعتز مل سقامى عوده || وخان دمعى مسعده وضاع من ليلى غده || طوبى لعين تجده قلت من الدهر يده || يفنى ويبقى أبده والموت ضار أسده || وقاتل من يلداه . [صفحة ٢٤٨] و من الشعر القديم المختلف فى قائله قصر الجديد إلى بلى || والوصل فى الدنيا انقطاعه أى اجتماع لم يعد || بتفرق منها اجتماعه أم أى شعب ذى التثام || لم يبدده انصداعه أم أى منتفع بشىء || ثم تم له انتفاعه يابؤس للدهر الذى || مازال مختلفا طباعه قد قيل فى مثل خلا || يكفيك من شر سماعه . قيل لصوفى كيف ترى الدنيا قال و ما الدنيا لأعرف لها وجودا قيل له فأين قلبك قال عند ربى قيل فأين ربك قال وأين ليس هو قال ابن عائشة كان يقال مجالسة أهل الديانة تجلو عن القلوب صدا الذنوب ومجالسة ذوى المروءات تدل على مكارم الأخلاق ومجالسة العلماء تزكى النفوس . و من كلام بعض الحكماء الفصحاء كن لنفسك نصيحا واستقبل توبة نصوحا وازهد فى دار سمها نافع وطائرها واقع وارغب فى دار طالبها منجج وصاحبها مفلح ومتى حققت وآثرت الصدق بان لك أنهما لا يجتمعان وأنهما كالضدين لا يصطلحان فجرد همك فى تحصيل الباقية فإن الأخرى أنت فان عنها وهى فانية عنك و قد عرفت آثارها فى أصحابها ورفقائها وصنعها بطلابها وعشائنها معرفة عيان فأى حجة تبقى لك و أى حجة لا تثبت عليك و من كلام هذا الحكيم فإننا قد أصبحنا فى دار رابحها خاسر و نائلها قاصر وعزيزها ذليل وصحيحها عليل والداخل إليها مخرج والمطمئن فيها مزعج والذائق من شرابها سكران والواثق بسرابها ظمآن ظاهرها غرور وباطنها شرور وطالبها [صفحة ٢٤٩] مكدود وعاشقها مجهود وتاركها محمود العاقل من قلاها وسلا عنها والظريف من عافها وأنف منها والسعيد من غمض بصره عن زهرتها و صرفه عن نضرتها و ليس لها فضيلة إلا دلالتها على نفسها وإشارتها إلى نقصها ولعمري إنها لفضيلة لو صادفت قلبا عقولا لالسانا قتولا وعملا مقبولا لالفظا منقولا فإلى الله الشكوى من هوى مطاع وعمر مضاع فيبده الداء والدواء والمرض والشفاء. قال أبو حرة أتينا بكر بن عبد الله المرى نعوذ فدخلنا عليه و قد قام لحاجته فجلسنا ننتظره فأقبل إلينا يتهدى بين رجلين فلما نظر إلينا سلم علينا ثم قال رحم الله عبدا أعطى قوة فعمل بها فى طاعة الله أو قصر به ضعف فكف عن محارم الله . و قال بكر بن عبد الله مثل الرجل فى الدنيا مثل رجل له ثلاثة خلان قال له أحدهم أنا خازنك خذ منى ماشئت فاعمل به ماشئت و قال الآخر أنا معك أحملك وأضعك فإذا مت تركتك و قال الآخر أنا أصحابك أبدا حياتك وموتك فأما الأول فماله و أما الثانى فعشيرته و أما الثالث فعمله . قيل للزهري من الزاهد فى الدنيا قال من لم يمنع الحلال شكره و من لم يمنع الحرام صبره . و قال سفيان الثورى ما عبد الله بمثل العقل و لا يكون الرجل عاقلا حتى تكون فيه عشر خصال يكون الكبر

منه مأمونا والخير منه مأمولا- يقتدى بمن قبله و يكون إماما لمن بعده و حتى يكون الذل في طاعة الله أحب إليه من العز في معصية الله و حتى يكون الفقر في الحلال أحب إليه من الغنى في الحرام و حتى يكون عيشة القوت و حتى يستقل الكثير من عمله و يستكثر القليل من عمل غيره و حتى لا يتبرم بطلب الحوائج [صفحة ٢٥٠] قبله و العاشرة و مالعاشرة بها شاد مجده و علا ذكره أن يخرج من بيته فلا يستقبله أحد من الناس إلا رأى أنه دونه . قال يونس بن حبيب كان عندنا بالبصرة جندي عابد فأحب الغزو فلما خرج شيعته فقلت أوصني فقال أوصيك بتقوى الله وأوصيك بالقرآن فإنه نور الليل المظلم وهدى النهار المشرق فاعمل به على ما كان من جهد وفاقه فإن عرض بلاء فقدم مالك دون نفسك فإن تجاوز البلاء فقدم مالك ونفسك دون دينك واعلم أن المحروب من حرب دينه والمسلوب من سلب يقينه إنه لا يغنى مع النار ولا يفقر مع الجنة وإن جهنم لا يفك أسيرها ولا يستغنى فقيرها. ابن المبارك كان فيما مضى جبار يقتل الناس على أكل لحوم الخنازير فلم يزل الأمر يترقى حتى بلغ إلى عابد مشهور فأراده على أكلها وهدده بالقتل فشق ذلك على الناس فقال له صاحب شرطته إنني ذابح لك غدا جديا فإذا دعاك هذا الجبار لتأكل فكل فإنما هو جدي فلما دعاه ليأكل أبي أن يأكل فقال أخرجوه واضربوا عنقه فقال له الشرطي مامنعك أن تأكل من لحم جدي قال إنني رجل منظور إلى وإنني كرهت أن يتأسى بي الناس في معاصي الله فقدمه فقتله. سفيان الثوري كان رجل يبكي كثيرا فقال له أهله لو قتلت قتيلا ثم أتيت وليه فراك تبكي هذا البكاء لعفا عنك فقال قد قتلت نفسي فلعل وليها يعفو عني. و كان أيوب السخيتاني كثير البكاء و كان يغالط الناس عن بكائه يبكي مرة فيأخذ أنفه و يقول الزكمة ربما عرضت لي ويبكي مرة فإذا استبان من حوله بكاءه قال إن الشيخ إذا كبر مج . [صفحة ٢٥١] و من كلام أبي حيان التوحيدي في البصائر ما أقول في عالم الساكن فيه وجل والصاحي بين أهله ثمل والمقيم على ذنوبه خجل والراحل عنه مع تماديه عجل و إن دارا هذه من آفاتنا و صروفها لمحقوفة بهجرانها وتركها والصدوف منها خاصة و لاسبيل لساكنها إلى دار القرار إلا بالزهد فيها والرضا بالطفيف منها كبلغة الثاوي وزاد المنطلق [صفحة ٢٥٢]

١٣٠- و من كلام له ع لأبي ذر رحمه الله لما أخرج إلى الربذة

إشارة

يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ غَضِبْتَ لِلَّهِ فَارْجُ مِنْ غَضَبَتِّ لَهُ إِنَّ الْقَوْمَ خَافُوكَ عَلَى دُنْيَاهُمْ وَ خِفْتَهُمْ عَلَى دِينِكَ فَاتْرُكْ فِي أَيْدِيهِمْ مَا خَافُوكَ عَلَيْهِ وَ اهْرُبْ مِنْهُمْ بِمَا خِفْتَهُمْ عَلَيْهِ فَمَا أَحْوَجَهُمْ إِلَيَّ مَا مَنَعْتَهُمْ وَ أَغْنَاكَ عَمَّا مَنَعُوكَ وَ سَتَعَلَّمَ مِنَ الرَّابِحِ غَدًا وَ الْأَكْثَرُ حَسَدًا وَ لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ بَيْنَ كَاتِنَا عَلَى عَبْدٍ رَتَقَا ثُمَّ اتَّقَى اللَّهَ لَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْهُمَا مَخْرَجًا لَا يُؤْنِسُ نِكَ إِلَّا الْحَقَّ وَ لَا يُوحِشُ نِكَ إِلَّا الْبَاطِلَ فَلَوْ قَبِلْتَ دُنْيَاهُمْ لَأَحْبَبُوكَ وَ لَوْ قَرَضْتَ مِنْهَا لَأَمْنُوكَ

أخبار أبي ذر الغفاري حين خروجه إلى الربذة

واقعة أبي ذر رحمه الله وإخراجه إلى الربذة أحد الأحداث التي نقتت على عثمان و قدروى هذا الكلام أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة عن عبدالرزاق عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس قال لما أخرج أبو ذر إلى الربذة أمر عثمان فنودي في الناس ألا- يكلم أحد أباذر ولا يشيعه وأمر مروان بن الحكم أن يخرج به فخرج به وتحاماه الناس إلا على [

صفحة ٢٥٣] بن أبي طالب ع وعقيلاً أخاه وحسناً وحسيناً ع وعماراً فإنهم خرجوا معه يشيعونه فجعل الحسن ع يكلم أباذر فقال له مروان إيها يا حسن ألا تعلم أن أمير المؤمنين قد نهى عن كلام هذا الرجل فإن كنت لا تعلم فاعلم ذلك فحمل على ع على مروان ففرض بالوسط بين أذني راحلته وقال تنح لحاك الله إلى النار. فرجع مروان مغضباً إلى عثمان فأخبره الخبر فتلطى على ع ووقف أبوذر فودعه القوم ومعه ذكوان مولى أم هانئ بنت أبي طالب . قال ذكوان فحفظت كلام القوم و كان حافظاً فقال على ع يا أباذر إنك غضبت لله إن القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك فامتحنوك بالقلبي ونفوك إلى الفلا والله لو كانت السماوات والأرض على عبد رتقا ثم اتقى الله لجعل له منها مخرجاً يا أباذر لا يؤنسك إلا الحق ولا يوحشك إلا الباطل ثم قال لأصحابه ودعوا عمكم وقال لعقيل ودع أخاك . فتكلم عقيل فقال ماعسى أن نقول يا أباذر و أنت تعلم أنانحبك و أنت تحبنا فاتق الله فإن التقوى نجاه واصبر فإن الصبر كرم واعلم أن استتقالك الصبر من الجزع واستبطاءك العافية من اليأس فدع اليأس والجزع . ثم تكلم الحسن فقال ياعماء لو لا أنه لا ينبغي للمودع أن يسكت وللمشيح أن ينصرف لقصر الكلام وإن طال الأسف وقد أتى القوم إليك ماترى فضع عنك الدنيا بتذكر فراغها وشدة ما اشتد منها برجا ما بعدها واصبر حتى تلقى نبيك ص وهو عنك راض . ثم تكلم الحسين ع فقال ياعماء إن الله تعالى قادر أن يغير ما قدر ترى [صفحہ ٢٥٤] والله كل يوم هو في شأن وقد منعك القوم دنياهم ومنعتهم دينك فما أغناك عما منعوك وأحوجهم إلى ما منعتهم فاسأل الله الصبر والنصر واستعذ به من الجشع والجزع فإن الصبر من الدين والكرم وإن الجشع لا يقدم رزقا والجزع لا يؤخر أجلا . ثم تكلم عمار رحمه الله مغضباً فقال لا آنس الله من أوحشك ولا آمن من أخافك أما والله لو أردت دنياهم لأمنوك ولورضيت أعمالهم لأحبوك و مامنع الناس أن يقولوا بقولك إلا الرضا بالدنيا والجزع من الموت مالوا إلى ماسلطان جماعتهم عليه والملك لمن غلب فوهبوا لهم دينهم ومنحهم القوم دنياهم فحسروا الدنيا والآخرة إلا ذلك هو الخسران المبين . فبكى أبوذر رحمه الله و كان شيخاً كبيراً وقال رحمكم الله يا أهل بيت الرحمة إذ رأيتكم ذكرت بكم رسول الله ص ما لى بالمدينة سكن ولا شجن غيركم إنى ثقلت على عثمان بالحجاز كما ثقلت على معاوية بالشام وكره أن أجاور أخاه وابن خاله بالمصريين فأفسد الناس عليهما فسيرنى إلى بلد ليس لى به ناصر ولا دافع إلا الله والله ما أريد إلا الله صاحباً وما أخشى مع الله وحشة . ورجع القوم إلى المدينة فجاء على ع إلى عثمان فقال له ما حملك على رد رسولى وتصغير أمرى فقال على ع أمارسولك فأراد أن يرد وجهى فرددته و أما أمرك فلم أصغره . قال أ ما بلغك نهى عن كلام أبى ذر قال أ وكلما أمرت بأمر معصية أظعنك فيه قال عثمان أقدم مروان من نفسك قال مم ذا قال من شتمه وجذب راحلته قال أماراحلته فراحلتى بها و أما شتمه إياى فوالله لا يشتمنى شتمه إلا شتمتك مثلها لا أكذب عليك . [صفحہ ٢٥٥] فغضب عثمان وقال لم لا يشتمك كأنك خير منه قال على ع إى والله ومنك ثم قام فخرج . فأرسل عثمان إلى وجوه المهاجرين والأنصار و إلى بنى أمية يشكو إليهم علياً فقال القوم أنت الوالى عليه وإصلاحه أجمل قال وددت ذاك فأتوا علياً فقالوا لواعتذرت إلى مروان وأتيته فقال كلا أما مروان فلا آتية ولا أعتذر منه ولكن إن أحب عثمان أتيته . فرجعوا إلى عثمان فأخبروه فأرسل عثمان إليه فأتاه ومعه بنو هاشم فتكلم على ع فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما ما وجدت على فيه من كلام أبى ذر ووداعه فوالله ما أردت مساءتك ولا الخلاف عليك ولكن أردت به قضاء حقه و أما مروان فإنه اعترض يريد ردى عن قضاء حق الله عز وجل فرددته رد مثلى مثله و أما ما كان منى إليك فإنك أغضبتنى فأخرج الغضب منى ما لم أرده -رواية- ١-٣١٦ . فتكلم عثمان فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما ما كان منك إلى فقد وهبته لك و أما ما كان منك إلى مروان فقد عفا الله عنك و أما ما حلفت عليه فأنت البر الصادق فأدن يدك فأخذ يده فضمها إلى صدره . فلما نهض قالت قريش وبنو أمية لمروان أنت رجل جبهك على وضرب راحلتك وقد تفانت وائل فى صرع ناقه وذبيان وعبس فى لطمه فرس والأوس والخزرج فى نسعة أفتحمل لعلى ع ما أتاه إليك فقال مروان والله لو أردت ذلك لما قدرت عليه . واعلم أن الذى عليه أكثر

أرباب السيرة وعلماء الأخبار والنقل أن عثمان نفى [صفحہ ۲۵۶] أباذر أولاً إلى الشام ثم استقدمه إلى المدينة لماشكا منه معاوية ثم نفاه من المدينة إلى الربذة لماعمل بالمدينة نظير ما كان يعمل بالشام. أصل هذه الواقعة أن عثمان لما أعطى مروان بن الحكم وغيره بيوت الأموال واختص زيد بن ثابت بشيء منها جعل أبوذر يقول بين الناس و في الطرقات والشوارع بشر الكافرين بعذاب أليم ويرفع بذلك صوته ويتلو قوله تعالى وَ الْعَذِيبِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ وَ لَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ فرفع ذلك إلى عثمان مرارا و هوساكت . ثم إنه أرسل إليه مولى من مواليه أن اتته عما بلغني عنك فقال أبوذر أ وينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله تعالى وعيب من ترك أمر الله تعالى فو الله لأن أَرْضَى الله بسخط عثمان أحب إلى وخير لى من أن أسخط الله برضا عثمان . فأغضب عثمان ذلك وأحفظه فتصابر وتماسك إلى أن قال عثمان يوما و الناس حوله أيجوز للإمام أن يأخذ من المال شيئا قرضا فإذا أيسر قضى فقال كعب الأحبار لا بأس بذلك فقال أبوذر يا ابن اليهوديين أتعلمننا ديننا فقال عثمان قد كثر أذاك لى وتولعك بأصحابى الحق بالشام فأخرجه إليها. فكان أبوذر ينكر على معاوية أشياء يفعلها فبعث إليه معاوية يوما ثلاثمائة دينار فقال أبوذر لرسوله إن كانت من عطائى الذى حرمتمونه عامى هذا أقبلها و إن كانت صلة فلاحاجة لى فيها وردها عليه . ثم بنى معاوية الخضراء بدمشق فقال أبوذر يا معاوية إن كانت هذه من مال الله فهى الخيانة و إن كانت من مالك فهى الإسراف و كان أبوذر يقول بالشام و الله لقد حدثت أعمال ما أعرفها و الله ما هى فى كتاب الله و لاسنة نبيه ص -قرآن- ۳۶۳- ۴۷۱ [صفحہ ۲۵۷] و الله إنى لأرى حقا يظفأ و باطلا يحيا و صادقاً مكذبا و أثره بغير تقى و صالحا مستأثرا عليه . قال حبيب بن مسلمة الفهرى لمعاوية إن أباذر لمفسد عليكم الشام فتدارك أهله إن كان لك فيه حاجة. و روى شيخنا أبو عثمان الجاحظ فى كتاب السفينانية عن جلام بن جندل الغفارى قال كنت غلاما لمعاوية على قنسرين و العواصم فى خلافة عثمان فجئت إليه يوما أسأله عن حال عملى إذ سمعت صارخا على باب داره يقول أتتكم القطار تحمل النار اللهم العن الآمرين بالمعروف التاركين له اللهم العن الناهين عن المنكر المرتكبين له فازبأر معاوية و تغير لونه و قال يا جلام أتعرف الصارخ فقلت اللهم لا قال من عذيرى من جندب بن جنادة يأتينا كل يوم فيصرخ على باب قصرنا بما سمعت ثم قال أدخلوه على فجىء بأبى ذر بين قوم يقودونه حتى وقف بين يديه فقال له معاوية يا عدو الله وعدو رسوله تأتينا فى كل يوم فتصنع ماتصنع أما أنى لو كنت قاتل رجل من أصحاب محمد من غير إذن أمير المؤمنين عثمان لقتلتك ولكنى أستأذن فيك قال جلام و كنت أحب أن أرى أباذر لأنه رجل من قومى فالتفت إليه فإذا رجل أسمر ضرب من الرجال خفيف العارضين فى ظهره جنأ فأقبل على معاوية و قال ما أنا بعدو الله و لالرسوله بل أنت و أبوك عدوان الله و لرسوله أظهرتما الإسلام و أبطنتما الكفر و لقد لعنك رسول الله ص و دعا عليك مرات ألا تشيع سمعت رسول الله ص يقول إذاولى الأمة الأعين الواسع البلعوم الذى يأكل و لا يشبع فلنأخذ الأمة حذرهما منه -رواية- ۱-۲- رواية- ۲۹-۱۱۴ فقال معاوية ما أنا ذاك [صفحہ ۲۵۸] الرجل قال أبوذر بل أنت ذلك الرجل أخبرنى بذلك رسول الله ص و سمعته يقول و قدمرت به اللهم العنه و لا تشبعه إلا بالتراب -رواية- ۱-۲- رواية- ۲۹-۶۶ سمعته ص يقول است معاوية فى النار -رواية- ۱-۲- رواية- ۱۸-۳۹ فضحك معاوية و أمر بحبسه و كتب إلى عثمان فيه . فكتب عثمان إلى معاوية أن احمل جندبا إلى على أغلظ مركب و أوعره فوجه به مع من سار به الليل و النهار و حمله على شارف لى عليها إلاقتب حتى قدم به المدينة و قد سقط لحم فخذه من الجهد. فلما قدم بعث إليه عثمان الحق بأى أرض شئت قال بمكة قال لا قال بيت المقدس قال لا قال بأحد المصرين قال لا ولكنى مسيرك إلى ربذة فسيره إليها فلم يزل بها حتى مات . و فى رواية الواقدى أن أباذر لمادخل على عثمان قال له لا أنعم الله بقين عينا || نعم و لالقاءه يوما زينا تحية السخط إذا التقينا فقال أبوذر ما عرفت اسمى قينا قط و فى رواية أخرى لا- أنعم الله بك عينا يا جنيدب فقال أبوذر أنا جنيدب و سمانى رسول الله ص عبد الله فاخترت اسم رسول الله ص الذى سمانى به على اسمى فقال له عثمان أنت الذى تزعم أنا نقول يد الله مغلوله و إن الله فقير و نحن أغنياء فقال أبوذر لو كنتم

لا تقولون هذا لأنفقتم مال الله على عباده ولكني أشهد أني سمعت رسول الله ص يقول إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلا جعلوا مال الله دولا وعباده خولا ودينه دخلا -رواية- ١-٢-رواية- ٢٩-١١٢ . فقال عثمان لمن حضر أسمعتوها من رسول الله قالوا لا قال عثمان ويلك يا أباذر أتكذب على رسول الله فقال أبوذر لمن حضر أ ماتدرون أني صدقت قالوا لا والله [صفحة ٢٥٩] ماندرى فقال عثمان ادعوا لي عليا فلما جاء قال عثمان لأبي ذر اقصص عليه حديثك في بني أبي العاص فأعاده فقال عثمان لعلني سمعت هذا من رسول الله ص قال لا وقد صدق أبوذر فقال كيف عرفت صدقه قال لأنني سمعت رسول الله ص يقول ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر -رواية- ١-٢-رواية- ٢٩-٩٣ فقال من حضر أما هذا فسمعناه كلنا من رسول الله فقال أبوذر أحدثكم أني سمعت هذا من رسول الله ص ففتهموني ما كنت أظن أني أعيش حتى أسمع هذا من أصحاب محمد ص . وروى الواقدي في خبر آخر بإسناده عن صهبان مولى الأسلميين قال رأيت أباذر يوم دخل به على عثمان فقال له أنت الذي فعلت وفعلت فقال أبوذر نصحتك فاستغششتني ونصحت صاحبك فاستغشني قال عثمان كذبت ولكنك تريد الفتنة وتحبها قدانغلت الشام علينا فقال له أبوذر اتبع سنة صاحبيك لا يكن لأحد عليك كلام فقال عثمان ما لك و ذلك لا-أم لك قال أبوذر والله ما وجدت لي عذرا إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فغضب عثمان وقال أشيروا علي في هذا الشيخ الكذاب إما أن أضربه أو أحبسه أو أقتله فإنه قد فرق جماعة المسلمين أو أنفيه من أرض الإسلام فتكلم علي ع و كان حاضرا فقال أشير عليك بما قال مؤمن آل فرعون وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ أَجَابَهُ عثمان بجواب غليظ وأجابه علي ع بمثله و لم نذكر الجوابين تدمما منهما. قال الواقدي ثم إن عثمان حظر على الناس أن يقاعدوا أباذر أو يكلموه فمكث -قرآن- ٨٠٠-٩٣٧ [صفحة ٢٦٠] كذلك أياما ثم أتى به فوقف بين يديه فقال أبوذر ويحك يا عثمان أ ما رأيت رسول الله ص ورأيت أبا بكر وعمر هل هديك كهديهم أما إنك لتبتطش بي بطش جبار فقال عثمان اخرج عنا من بلادنا فقال أبوذر ما أبغض إلي جوارك فإلى أين أخرج قال حيث شئت قال أخرج إلى الشام أرض الجهاد قال إنما جلبتكم من الشام لما قد أفسدتها فأردك إليها قال فأخرج إلى العراق قال لا إنك إن تخرج إليها تقدم على قوم أولى شبه وطعن على الأئمة والولاء قال فأخرج إلى مصر قال لا قال فإلى أين أخرج قال إلى البادية قال أبوذر أصير بعد الهجرة أعرابيا قال نعم قال أبوذر فأخرج إلى بادية نجد قال عثمان بل إلى الشرق الأبعد أقصى فأقصى امض على وجهك هذا فلا تعدون الربذة فخرج إليها. و روى الواقدي أيضا عن مالك بن أبي الرجال عن موسى بن ميسرة أن أبا الأسود الدؤلي قال كنت أحب لقاء أبي ذر لأسأله عن سبب خروجه إلى الربذة فجنته فقلت له ألا تخبرني أخرجت من المدينة طائعا أم أخرجت كرها فقال كنت في ثغر من ثغور المسلمين أغنى عنهم فأخرجت إلى المدينة فقلت دار هجرتي وأصحابي فأخرجت من المدينة إلى ماترى ثم قال بينا أنا ذات ليلة نائم في المسجد على عهد رسول الله ص إذ مر بي ع فضربنى برجله و قال لا أراك نائما في المسجد فقلت بأبي أنت وأمي غلبتني عيني فنمت فيه قال فكيف تصنع إذا أخرجوك منه قلت إذا ألحق بالشام فإنها أرض مقدسة وأرض الجهاد قال فكيف تصنع إذا أخرجت منها قلت أرجع إلى المسجد قال فكيف تصنع -رواية- ١-٢-رواية- ٦٥-٦٥-ادامه دارد [صفحة ٢٦١] إذا أخرجوك منه قلت آخذ سيفي فأضربهم به فقال ألا أدلك على خير من ذلك انسق معهم حيث ساقوك وتسمع وتطيع فسمعت وأطعت و أنا أسمع وأطيع و الله ليلقين الله عثمان و هو آثم في جنبي -رواية- از قبل- ١٩٣ . واعلم أن أصحابنا رحمهم الله قدروا أخبارا كثيرة معناها أنه أخرج إلى الربذة باختياره . وحكى قاضى القضاة رحمه الله فى المغنى عن شيخنا أبى على رحمه الله أن الناس اختلفوا فى أمر أبى ذر و أن الرواية وردت بأنه قيل له أعثمان أنزلك الربذة فقال لا بل أنا اخترت لنفسى ذلك . وروى أبو على أيضا أن معاوية كتب يشكوه و هو بالشام فكتب إليه عثمان أن صر إلى المدينة فلما صار إليها قال له ما أخرجك إلى الشام قال إنى سمعت رسول الله ص يقول إذا بلغت عمارة المدينة موضع كذا

فاخرج منها فلذلك خرجت فقال أى البلاد أحب إليك بعد الشام قال الربذة فقال صر إليها -رواية- ١-٢-رواية- ٣٤-١٥٥ .
وروى الشيخ أبو على أيضا عن زيد بن وهب قال قلت لأبى ذر وهو بالربذة ما أنزلك هذا المنزل قال أخبرك أنى كنت بالشام
فذكرت قوله تعالى وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَ الفِضَّةَ وَ لَا يُنْفِقُونَهَا فقال لى معاوية هذه نزلت فى أهل الكتاب فقلت فيهم وفيما
فكتب معاوية إلى عثمان فى ذلك فكتب إلى أن أقدم فقدمت عليه فانثال الناس إلى كأنهم لم يعرفونى فشكوت ذلك إلى
عثمان فخيرنى وقال انزل حيث شئت فنزلت الربذة. ونحن نقول هذه الأخبار وإن كانت قد رويت لكنها ليست فى الاشتهار -
قرآن- ١٤٢-٢٠٣ [صفحہ ٢٤٢] والكثرة كتلك الأخبار والوجه أن يقال فى الاعتذار عن عثمان وحسن الظن بفعله أنه خاف
الفتنة واختلاف كلمة المسلمين فغلب على ظنه أن إخراج أبى ذر إلى الربذة أحسن للشغب وأقطع لأطماع من يشرب إلى شق
العصا فأخرجه مراعاة للمصلحة ومثل ذلك يجوز للإمام هكذا يقول أصحابنا المعتزلة وهو الأليق بمكارم الأخلاق فقد قال
الشاعر إذا ما أتت من صاحب لك زلة || فكن أنت محتالا لزلته عذرا وإنما يتأول أصحابنا لمن يحتمل حاله التأويل كعثمان فأما
من لم يحتمل حاله التأويل وإن كانت له صفة سالفة كمعاوية وأضرابه فإنهم لا يتأولون لهم إذا كانت أفعالهم وأحوالهم لاوجه
لتأويلها ولا تقبل العلاج والإصلاح [صفحہ ٢٤٣]

١٣١- ومن كلام له ع

أَيْهِيَ النَّفُوسَ الْمُخْتَلِفَةَ وَ الْقُلُوبَ الْمُتَشَتِّتَةَ الشَّاهِدَةَ أَبْدَانَهُمْ وَ الْعَائِيَةَ عَنْهُمْ عُقُولَهُمْ أَظَارُكُمْ عَلَى الْحَقِّ وَ أَنْتُمْ تَنْفِرُونَ عَنْهُ نُفُورَ
الْمِعْزَى مِنْ وَعْوَعِيهِ الْأَسِيدِ هِيَهَاتَ أَنْ أُطْلِعَ بِكُمْ سِرَارَ الْعِيدِلِ أَوْ أُقِيمَ اعْوِجَاجَ الْحَقِّ اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الْمَذِي كَانَ مِنَّا
مُنَافِسَةً فِي سُلْطَانٍ وَ لِمَا التَّمَّاسِ شَيْءٍ مِنْ فَضُولِ الْحُطَامِ وَ لَكِنْ لِنَرْدِ الْمَعَالِمِ مِنْ دِيَّتِكَ وَ نُظْهِرِ الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ فَيَأْمَنَ
الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِيَادِكَ وَ تَقَامَ الْمُعْظَمَةُ مِنْ حُدُودِكَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَنَابَ وَ سَمِعَ وَ أَحْيَابَ لَمْ يَسْبِقْنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ص
بِالصِّلْمَاءِ وَ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَى الْفُرُوجِ وَ الدَّمَاءِ وَ الْمَعَانِمِ وَ الْأَحْكَامِ وَ إِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ الْبَخِيلُ فَتَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ
نَهْمَتُهُ وَ لَا الْجَاهِلُ فَيَضْمَلُهُمْ بِجَهْلِهِ وَ لَا الْجَافِي فَيَقْطَعُهُمْ بِجَفَائِهِ وَ لَا الْحَائِفُ لِلدُّوَلِ فَيَتَّخِذُ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ وَ لَا الْمُرْتَشِي فِي الْحُكْمِ
فَيَذْهَبَ بِالْحَقُوقِ وَ يَقِفَ بِهَا دُونَ الْمَقَاطِعِ وَ لَا الْمُعْطَلُ لِلْسَيْتَةِ فَيَهْلِكُ الْأُمِيَّةُ أَظَارُكُمْ أَعْطَفَكُمْ ظَأَرَتِ النَّاقَةُ ظَأَرًا وَ هِيَ نَاقَةُ مَظْهُورَةٍ
إِذَا عَطَفْتَهَا عَلَى وَ لَدِ غَيْرِهَا [صفحہ ٢٤٤] و فى المثل الطعن يظأر أى يعطف على الصلح و ظأرت الناقة أيضا إذا عطف على البو
يتعدى و لا يتعدى فهى ظنور. والوعوعه الصوت والوعواع مثله. و قوله هيهات أن أطلع بكم سرار العدل يفسره الناس بمعنى
هيهات أن أطلعكم مضيئين ومنورين لسرار العدل والسرار آخر ليلة فى الشهر وتكون مظلمة ويمكن عندى أن يفسر على وجه
آخر و هو أن يكون السرار هاهنا بمعنى السرور وهى خطوط مضيئة فى الجبهة و قد نص أهل اللغة على أنه يجوز سرر وسرار
وقالوا ويجمع سرار على أسره مثل حمار وأحمره قال عنتره بزجاجة صفراء ذات أسره || قرنت بأزهر فى الشمال مفدم يصف
الكأس و يقول إن فيها خطوطا بيضا وهى زجاج أصفر ويقولون برقت أسره وجهه وأسارير وجهه فيكون معنى كلامه ع هيهات
أن تلمع بكم لوامع العدل وتنجلي أوضاحه ويبرق وجهه ويمكن فيه أيضا وجه آخر و هو أن ينصب سرار هاهنا على الظرفية و
يكون التقدير هيهات أن أطلع بكم الحق زمان استسرار العدل واستخفائه فيكون قد حذف المفعول وحذفه كثير. ثم ذكر أن
الحروب التى كانت منه لم تكن طلبا للملك و لا منافسة على الدنيا ولكن لتقام حدود الله على وجهها ويجرى أمر الشريعة
والرعية على ما كان يجرى عليه أيام النبوة. ثم ذكر أنه سبق المسلمين كلهم إلى التوحيد والمعرفة و لم يسبقه بالصلاة أحد إلا
رسول الله ص وهكذا روى جمهور المحدثين و قد تقدم ذكر ذلك. [صفحہ ٢٤٥] فإن قلت أى وجه لإدخال هذا الكلام فى

غضون مقصده في هذه الخطبة فإنها مبنية على ذم أصحابه وتقرير قاعدة الإمامة و أنه لا يجوز أن يليها الفاسق و أنه لا بد للإمام من صفات مخصوصة عددها ع و كل هذا لا تعلق لسبقه إلى الإسلام قلت بل الكلام متعلق ببعضه ببعض من وجهين أحدهما أنه لما قال اللهم إنك تعلم أني ماسلت السيف طلبا للملك أراد أن يؤكد هذا القول في نفوس السامعين فقال أنا أول من أسلم و لم يكن الإسلام حينئذ معروفا أصلا و من يكون إسلامه هكذا لا يكون قد قصد بإسلامه إلا وجه الله تعالى والقربة إليه فمن تكون هذه حاله في مبدأ أمره كيف يخطر ببال عاقل أنه يطلب الدنيا وحطامها ويجرد عليها السيف في آخر عمره ووقت انقضاء مدة عمره . والوجه الثاني أنه إذا كان أول السابقين وجب أن يكون أقرب المقربين لأنه تعالى قال وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ألا ترى أنه إذا قال الملك العالمون العاملون هم المختصون بنا وجب أن يكون أعلمهم أشدهم به اختصاصا وإذا كان ع أقرب المقربين وجب أن تنتفى عنه الموانع الستة التي جعل كل واحد منها صادرا عن الإمامة وقاطعا عن استحقاقها وهي البخل والجهل والجفاء أى الغلظة العصبية في دولته أى تقديم قوم على قوم والارتشاء في الحكم والتعطيل للسنة و إذا انتفت عنه هذه الموانع الستة تعين أن يكون هو الإمام لأن شروط الإمامة موجودة فيه بالاتفاق فإذا كانت موانعها عنه منتفية و لم يحصل لغيره اجتماع الشروط وارتفاع الموانع وجب أن يكون هو الإمام لأنه لا يجوز خلو العصر من إمام سواء كانت هذه القضية عقلية أو سمعية. -قرآن- ٧٦١-٨١١ [صفحة ٢٦٦] فإن قلت أفتراه عنى بهذا قوما بأعيانهم قلت الإمامية تزعم أنه رمز في الجفاء والعصبية لقوم دون قوم إلى عمر ورمز بالجهل إلى من كان قبله ورمز بتعطيل السنة إلى عثمان ومعاوية و أمانحن فنقول إنه ع لم يعن ذلك وإنما قال قولا كليا غير مخصوص وهذا هو اللائق بشرفه ع وقول الإمامية دعوى لادليل عليها ولا يعدم كل أحد أن يستنبط من كل كلام ما يوافق غرضه و إن غمض ولا يجوز أن تبنى العقائد على مثل هذه الاستنباطات الدقيقة. والنهمة الهمة الشديدة بالأمر قد نهم بكذا بالضم فهو منهوم أى مولع به حريص عليه يقول إذا كان الإمام بخيلا كان حرصه وجشعه على أموال رعيته و من رواها نهمته بالتحريك فهي إفراط الشهوة في الطعام والماضى نهم بالكسر. قوله ع فيقطعهم بجفائه أى يقطعهم عن حاجاتهم لغلظته عليهم لأن الوالى إذا كان غليظا جافيا أتعب الرعية و قطعهم عن مراجعته فى حاجاتهم خوفا من بادرته ومعرته . قوله و لا الحائف للدول أى الظالم لها والجائر عليها والدول جمع دولة بالضم وهى اسم المال المتداول به ويقال هذا الفىء دولة بينهم أى يتداولونه والمعنى أنه يجب أن يكون الإمام يقسم بالسوية ولا يخص قوما دون قوم على وجه العصبية لقبيلة دون قبيلة أو لإنسان من المسلمين دون غيره فيتخذ بذلك بطانة. قوله فيقف بهادون المقاطع المقاطع جمع مقطع وهو ما ينتهى الحق إليه أى لاتصل الحقوق إلى أربابها لأجل ما أخذ من الرشوة عليها. [صفحة ٢٦٧] فإن قلت فما باله قال فى المانع السادس فيهلك الأمة و كل واحد من الموانع قبله يفضى إلى هلاك الأمة. قلت كل واحد من الموانع الخمسة يفضى إلى هلاك الأمة و أما من يعطل السنة أصلا فإنه لا محالة مهلك للأمة كلها لأنه إذا عطل السنة مطلقا عادت الجاهلية الجهلاء كما كانت . و قدروى و لا الخائف الدول بالخاء المعجمة ونصب الدول أى من يخاف دول الأيام وتقلبات الدهر فيتخذ قوما دون قوم ظهريا و هذا معنى لا بأس به [صفحة ٢٦٨]

١٣٢- و من خطبة له ع

نَحَيْدُهُ عَلَى مَا أَخَذَ وَ أَعْطَى وَ عَلَى مَا أَبْلَى وَ ابْتَلَى الْبَاطِنَ لِكُلِّ خَفِيَّةٍ وَ الْحَاضِرُ لِكُلِّ سِرِّيَّةٍ الْعَالِمُ بِمَا تُكِنُّ الصُّدُورُ وَ مَا تَخُونُ الْعُيُونُ وَ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَ نَجِيُّهُ وَ بَعِيْثُهُ شَهَادَةٌ يُؤَافِقُ فِيهَا السَّرَّ الْإِعْلَانَ وَ الْقَلْبُ اللَّسَانَ عَلَى مَا أَبْلَى أَى مَا أَعْطَى يقال قد أبلاه الله بلاء حسنا أى أعطاه قال زهير جزى الله بالإحسان ما فعلا بكم || وأبلاهما خير البلاء الذى يبلو و أما قوله و ابتلى

فالابتلاء إنزال مضره بالإنسان على سبيل الاختبار كالمرض والفقر والمصيبة وقد يكون الابتلاء بمعنى الاختبار في الخير إلا أنه أكثر ما يستعمل في الشر. والباطن العالم يقال بطنت الأمر أى خبرته وتكن الصدور تستر و ماتخون العيون ماتسرق من اللحظات والرمزات على غير الوجه الشرعى. والنجيب المنجب والبعيث المبعوث [صفحہ ۲۶۹] مِنْهَا فَإِنَّهُ وَاللَّهِ الْجِدُّ لَا اللَّعْبُ وَالْحَقُّ لَا الْكَذِبُ وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ أَسْمَعَ دَاعِيَهُ وَأَعْجَلَ حَادِيَهُ فَلَا يُغَرِّنُكَ سَوَادُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ وَقَدْ رَأَيْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِمَّنْ جَمَعَ الْمِيَالَ وَحَدَرَ الْإِقْلَامَ وَأَمِنَ الْعَوَاقِبَ طُولَ أَمَلٍ وَاسْتَبْعَادَ أَجَلٍ كَيْفَ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ فَأَزَعَجَهُ عَن وَطْنِهِ وَأَخَذَهُ مِنْ مَأْمَنِهِ مَحْمُولًا عَلَى أَعْوَادِ الْمَنَايَا يَتَعَاطَى بِهِ الرَّجَالُ الرَّجَالَ حَمَلًا عَلَى الْمَنَاكِبِ وَإِمْسَاكًا بِالْأَنَامِلِ أَمَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَأْمُلُونَ بَعِيدًا وَيَبْنُونَ مَشِيدًا وَيَجْمَعُونَ كَثِيرًا أَصْبَحَتْ بَيُوتُهُمْ قُبُورًا وَمَا جَمَعُوا بُورًا وَصَارَتْ أَمْوَالُهُمْ لِلْوَارِثِينَ وَأَزْوَاجُهُمْ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَا فِي حَسَبِنَهُ يَزِيدُونَ وَلَا مِنْ سَيِّئَتِهِ يُسْتَعْتَبُونَ فَمَنْ أَشَعَرَ التَّقْوَى قَلْبُهُ بَرَزَ مَهْلَهُ وَفَازَ عَمَلُهُ فَاهْتَلَبُوا هَبْلَهَا وَاعْمَلُوا لِلْجَنَّةِ عَمَلَهَا فَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ لَكُمْ دَارَ مَقَامٍ بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ مَحَازًا لِتَرْوُدُوا مِنْهَا الْأَعْمَالَ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ فَكُونُوا مِنْهَا عَلَى أَوْفَازٍ وَقَرَّبُوا الظُّهُورَ لِلزِّيَالِ قَوْلُهُ عَ فَإِنَّهُ وَاللَّهِ الْجِدُّ الضَّمِيرُ لِلأَمْرِ وَالشَّانِ الَّذِي خَاضَ مَعَهُمْ فِي ذِكْرِهِ وَوَعظَهُمْ بِنَزْوَلِهِ ثُمَّ أَوْضَحَهُ بَعْدَ إِجْمَالِهِ فَقَالَ إِنَّهُ الْمَوْتُ الَّذِي دَعَا فَاسْمَعْ وَحَدَا فَأَعْجَلَ . [صفحہ ۲۷۰] وسواد الناس عامتهم . و من هاهنا إما بمعنى الباء أى لا يغرنك الناس بنفسك وصحتك وشبابك فتستبعد الموت اغترارا بذلك فتكون متعلقة بالظاهر وإما أن تكون متعلقة بمحذوف تقديره متمكنا من نفسك وراكنا إليها. والإقلال الفقر وطول أمل منصوب على أنه مفعول . فإن قلت المفعول له ينبغى أن يكون الفعل علة فى المصدر وهاهنا ليس الأمل علة طول الأمل بل طول الأمل علة الأمن قلت كما يجوز أن يكون طول الأمل علة الأمن يجوز أن يكون الأمن علة طول الأمل ألا ترى أن الإنسان قديماً المصائب فيطول أمله فى البقاء ووجه المكاسب لأجل ما عنده من الأمن ويجوز أن ينصب طول أمل على البدل من المفعول المنصوب برأيت وهو من ويكون التقدير قدرأيت طول أمل من كان وهذا بدل الاشتمال وقد حذف منه الضمير العائد كما حذف من قوله تعالى قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ وأعواد المنايا النعش ويتعاطى به الرجال الرجال يتداولونه تارة على أكتاف هؤلاء وتارة على أكتاف هؤلاء وقد فسر ذلك بقوله حملا على المناكب وإمساكا بالأنامل . والمشيد المبنى بالشيد وهو الجص . البور الفاسد الهالك وقوم بور أى هلكى قال سبحانه وَ كُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا وهو جمع واحدة بائر كحائل وحول . -قرآن- ۷۴۹-۷۸۵-قرآن- ۱۰۳۴-۱۰۵۶] [صفحہ ۲۷۱] ويستعتبون هاهنا يفسر بتفسيرين على اختلاف الروايتين فمن رواه بالضم على فعل ما لم يسم فاعله فمعناه لا يعاتبون على فعل سيئه صدرت منهم كما كانوا فى أيام حياتهم أى لا يعاتبهم الناس أو لا يستطيعون وهم موتى أن يسيئوا إلى أحد إساءة عليها و من رواه يستعتبون بفتح حرف المضارعة فهو من استعتب فلان أى طلب أن يعتب أى يرضى تقول استعتبت فاعتبنى أى استرضيته فأرضانى. وأشعر فلان التقوى قلبه جعله كالشعار له أى يلازمه ملازمة شعار الجسد. وبرز مهله ويروى بالرفع والنصب فمن رواه بالرفع جعله فاعل برز أى من فاق شوطه برز الرجل على أقرانه أى فاقهم والمهل شوط الفرس و من رواه بالنصب جعل برز بمعنى أبرز أى أظهر وأبان فنصب حينئذ على المفعولية. واهتبلت غرة زيد أى اغتنتمتها والهبال الصياد الذى يهتبل الصيد أن يغره وذئب هبل أى محتال هبلها منصوب على المصدر كأنه من هبل مثل غضب غضبا أى اغتتموا وانتهزوا الفرصة الانتهاز الذى يصلح لهذه الحال أى ليكن هذا الاهتبال بجد وهمة عظيمة فإن هذه الحال حال عظيمة لا يليق بها إلا الاجتهاد العظيم . وكذا قوله واعملوا للجنة عملها أى العمل الذى يصلح أن يكون ثمرته الجنة. ودار مقام أى دار إقامة والمجاز الطريق يجاز عليه إلى المقصد. والأوفاز جمع وفر بسكون الفاء وهو العجلة والظهور الركاب جمع ظهر وبنو فلان مظهرون أى لهم ظهور ينقلون عليها الأثقال كما يقال منجبون إذا كانوا أصحاب نجائب والزيال المفارقة زايله مزايلا أى فارقه [صفحہ ۲۷۲]

وَ انْقَادَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ بِأَزْمَتِهَا وَقَدَفَتْ إِلَيْهِ السَّمَاءَاتُ وَالْأَرْضُونَ مَقَالِيدَهَا وَ سَجَدَتْ لَهُ بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ الْأَشْجَارُ النَّاضِرَةُ وَ قَدَحَتْ لَهُ مِنْ قُضْبَانِهَا النَّبَاتُ الْمُضَيَّبَةُ وَ آتَتْ أَكْلَهَا بِكَلِمَاتِهِ الثَّمَارُ الْيَانِعَةُ الضَّمِيرُ فِي لَهُ يَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَ قَدْ كَانَ تَقَدَّمَ ذِكْرُ سَبْحَانِهِ فِي أَوَّلِ الْخُطْبَةِ وَ إِنْ لَمْ يَذْكُرْهُ الرَّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَمَعْنَى انْقِيَادِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَهُ نَفُوضُ حُكْمِهِ فِيهِمَا وَ شِيَاعُ قُدْرَتِهِ وَعُمُومِهَا. وَأَزْمَتُهَا لَفْظَةٌ مُسْتَعَارَةٌ مِنْ انْقِيَادِ الْإِبِلِ بِأَزْمَتِهَا مَعَ قَائِدِهَا وَالْمَقَالِيدُ الْمَفَاتِيحُ . وَمَعْنَى سَجُودِ الْأَشْجَارِ النَّاضِرَةِ لَهُ تَصَرُّفُهَا حَسَبَ إِرَادَتِهِ وَ كَوْنِهَا مُسَخَّرَةٌ لَهُ مَحْكُومًا عَلَيْهَا بِنَفُوضِ قُدْرَتِهِ فِيهَا فَجَعَلَ ذَلِكَ خُضُوعًا مِنْهَا لِمَشِيئَتِهِ وَاسْتِعَارَ لَهَا مَا هُوَ أَدْلَى عَلَى خُضُوعِ الْإِنْسَانِ مِنْ جَمْعِ أَفْعَالِهِ وَ هُوَ السُّجُودُ وَ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ وَ النَّجُومُ وَ الْجِبَالُ وَ الشَّجَرُ وَ الدَّوَابُّ وَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ . -قرآن- ٤٨٢-٦٥٢ [صفحة ٢٧٣] قَوْلُهُ وَقَدَحَتْ لَهُ مِنْ قُضْبَانِهَا بِالضَّمِّ جَمْعُ قُضْبٍ وَ هُوَ الْغَضَنُ وَالْمَعْنَى أَنَّهُ بِقُدْرَتِهِ أَخْرَجَ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا وَالنَّارُ ضِدُّ هَذَا الْجِسْمِ الْمَخْصُوصِ وَ هَذَا هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَكَ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ بَعِينَهُ . وَ آتَتْ أَكْلَهَا أَعْطَتْ مَا يُؤْكَلُ مِنْهَا وَ هُوَ أَيْضًا مِنَ الْأَلْفَاظِ الْقُرْآنِيَّةِ . وَ الْيَانِعَةُ النَّاضِجَةُ وَ بَكَلِمَاتِهِ أَيْ بِقُدْرَتِهِ وَ مَشِيئَتِهِ وَ هَذِهِ اللَّفْظَةُ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمُنْقُولَةِ عَلَى أَحَدِ الْأَقْسَامِ الْأَرْبَعَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي كِتَابِنَا فِي أَصُولِ الْفِقْهِ وَ هُوَ اسْتِعْمَالُ لَفْظَةٍ مُتَعَارَفَةٍ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي مَعْنَى لَمْ يَسْتَعْمَلْهَا أَهْلُ اللُّغَةِ فِيهِ كَنْقَلُ لَفْظَةٍ الصَّلَاةِ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَكَ مِنْ أَصْلِ اللُّغَةِ لِلدَّعَاءِ إِلَى هَيْئَاتٍ وَأَوْضَاعٍ مَخْصُوصَةٍ وَ لَمْ تَسْتَعْمَلِ الْعَرَبُ تِلْكَ اللَّفْظَةَ فِيهَا وَ لَا يَصِحُّ قَوْلُ مَنْ قَالَ الْمُرَادُ بِذَلِكَ قَوْلُهُ كُنْ لِأَنَّهُ تَعَالَى لَا يَجُوزُ أَنْ يَخَاطَبَ الْمَعْدُومَ وَ قَوْلُهُ تَعَالَى إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ مِنْ بَابِ التَّوَسُّعِ وَ الْاسْتِعَارَةِ الْمَمْلُوءِ مِنْهُمَا الْقُرْآنُ وَالْمُرَادُ سُرْعَةُ الْمُؤَاتَاةِ وَ عَجَلَةُ الْإِيْجَادِ وَ أَنَّهُ إِذَا أَرَادَ مِنْ أَفْعَالِهِ أَمْرًا كَانَ -قرآن- ١٥٧-٢٣٦ -قرآن- ٧٣١-٧٩٩ مِنْهَا وَ كِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ نَاطِقٌ لَا يَعْيا لِسَانَهُ وَ بَيْتٌ لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ وَ عِزٌّ لَا تُهْزَمُ أَعْوَانُهُ [صفحة ٢٧٤] يُقَالُ هُوَ نَازِلٌ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ وَ بَيْنَ ظَهْرِيهِمْ وَ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ بِفَتْحِ النَّوْنِ أَيْ نَازِلٌ بَيْنَهُمْ فَإِنْ قُلْتَ لِمَاذَا قَالَتِ الْعَرَبُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ وَ لَمْ تَقُلْ بَيْنَ صُدُورِهِمْ قُلْتَ أَرَادَتْ بِذَلِكَ الْإِشْعَارُ بِشِدَّةِ الْمَحَامَاةِ عَنْهُ وَ الْمَرَامَاةِ مِنْ دُونِهِ لِأَنَّ النَّزِيلَ إِذَا حَامَى الْقَوْمَ عَنْهُ اسْتَقْبَلُوا شِبَا الْأَسْنَةِ وَأَطْرَافَ السِّيُوفِ عَنْهُ بِصُدُورِهِمْ وَ كَانَ هُوَ مَحْرُوسًا مَصُونًا عَنْ مَبَاشَرَةِ ذَلِكَ وَرَاءَ ظَهْرِهِمْ . وَ لَا يَعْيا لِسَانَهُ لِأَيْكَلِ عَيْتٍ بِالْمَنْطِقِ فَأَنَا عَيْبِي عَلَى فَعِيلٍ وَ يَجُوزُ عَلَى الرَّجُلِ فِي مَنْطِقِهِ بِالْتَشْدِيدِ فَهُوَ عَيْبِي عَلَى فَعَلٍ مِنْهَا أَرْسَلَهُ عَلَيَّ حِينَ فَتَرْتَهُ مِنَ الرُّسُلِ وَ تَنَازَعٌ مِنَ الْأَلْسِنِ فَفَقِيَ بِهِ الرُّسُلَ وَ خَتَمَ بِهِ الْوَحْيَ فَجَاهِدَ فِي اللَّهِ الْمِدْبِرِينَ عَنْهُ وَ الْعَادِلِينَ بِهِ الضَّمِيرُ فِي أَرْسَلَهُ رَاجِعٌ إِلَى النَّبِيِّ ص وَ هُوَ مَذْكُورٌ فِي كَلَامِ لَمْ يَحْكِهِ جَامِعُ الْكِتَابِ . وَ الْفَتْرَةُ زَمَانُ انْقِطَاعِ الْوَحْيِ وَ التَّنَازَعُ مِنَ الْأَلْسِنِ أَنْ قَوْمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا يَعْبُدُونَ [صفحة ٢٧٥] الصَّنَمَ وَ قَوْمًا يَعْبُدُونَ الشَّمْسَ وَ قَوْمًا يَعْبُدُونَ الشَّيْطَانَ وَ قَوْمًا يَعْبُدُونَ الْمَسِيحَ فَكُلُّ طَائِفَةٍ تَجَادَلُ مَخَالَفِيهَا بِالْأَسْنَةِ لِتَقُودَهَا إِلَى مَعْتَقِدِهَا . وَ قَفِيَ بِهِ الرُّسُلَ أَتْبَعَهَا بِهِ قَالَ سَبْحَانَهُ ثُمَّ قَفَيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَ مِنْهُ الْكَلَامُ الْمَقْفِيُّ وَ سَمِيَتْ قَوَافِي الشَّعْرِ لِأَنَّ بَعْضَهَا يَتَّبِعُ بَعْضًا . وَ الْعَادِلِينَ بِهِ الْجَاعِلِينَ لَهُ عَدِيلًا أَيْ مِثْلًا وَ هُوَ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْقُرْآنِيَّةِ أَيْضًا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى بَرِّهِمْ يَعْدِلُونَ -قرآن- ١٧٠-٢٠٦ -قرآن- ٣٦١-٣٨٠ مِنْهَا وَ إِنَّمَا الدُّنْيَا مُنْتَهَى بَصَرِ الْأَعْمَى لَا يُبْصِرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَيْئًا وَ الْبَصِيرُ يَنْفُذُهَا بَصَرُهُ وَ يَعْلَمُ أَنَّ الدَّارَ وَرَاءَهَا فَالْبَصِيرُ مِنْهَا شَاطِئٌ وَ الْأَعْمَى إِلَيْهَا شَاطِئٌ وَ الْبَصِيرُ مِنْهَا مُتَرَوِّدٌ وَ الْأَعْمَى لَهَا مُتَرَوِّدٌ شَبَّ الدُّنْيَا وَ مَا بَعْدَهَا بِمَا يَتَصَوَّرُهُ الْأَعْمَى مِنَ الظُّلْمَةِ الَّتِي يَتَخِيلُهَا وَ كَأَنَّهَا مَحْسُوسَةٌ لَهُ وَ لَيْسَتْ بِمَحْسُوسَةٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَ إِنَّمَا هِيَ عَدَمُ الضَّوِّ كَمَنْ يَطَّلِعُ فِي جَبِّ ضَيْقٍ فَيَتَخِيلُ ظُلَامًا فَإِنَّهُ لَمْ يَرِ شَيْئًا وَ لَكِنْ لِمَا عَدَمَ الضَّوِّ فَلَمْ يَنْفِذِ الْبَصَرَ تَخِيلَ أَنَّهُ يَرِي الظُّلْمَةَ فَأَمَّا مَنْ يَرِي الْمَبْصِرَاتِ فِي

الضياء فإن بصره ينفذ فيشاهد المحسوسات يقينا وهذه حال [صفحة ٢٧٦] الدنيا والآخرة أهل الدنيا منتهى بصرهم دنياهم ويظنون أنهم يبصرون شيئا وليسوا بمبصرين على الحقيقة ولا حواسهم نافذة في شيء و أهل الآخرة قد نفذت أبصارهم فرأوا الآخرة و لم يقف إحساسهم على الدنيا خاصة فأولئك هم أصحاب الأبصار على الحقيقة و هذامعنى شريف من معانى أصحاب الطريقة والحقيقة و إليه الإشارة بقوله سبحانه أم لهم أعينٌ يُبصرونَ بها فأمأ قوله فالبصير منها شاخص والأعمى إليها شاخص فمن مستحسن التجنيس و هذا هو الذى يسميه أرباب الصناعة الجنس التام فالشاخص الأول الراحل والشاخص الثانى من شخص بصره بالفتح إذ افتح عينه نحو الشيء مقابلا له وجعل لا يطرف -قرآن- ٣٢٨-٣٦٠

فصل فى الجنس وأنواعه

واعلم أن الجنس على سبعة أضرب أولها الجنس التام كهذا اللفظ وحده أن تتساوى حروف ألفاظ الكلمتين فى تركيبها و فى وزنها قالوا و لم يرد فى القرآن العزيز منه إلا موضع واحد و هو قوله وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ. وعندى أن هذا ليس بتجنيس أصلا و قد ذكرته فى كتابى المسمى بالفلك الدائر على المثل السائر و قلت إن الساعة فى الموضوعين بمعنى واحد والتجنيس أن يتفق اللفظ ويختلف المعنى و لا يكون أحدهما حقيقة والآخر مجازا بل يكونان حقيقتين و إن -قرآن- ١٩٠-٢٦١ [صفحة ٢٧٧] زمان القيامة و إن طال لكنه عند الله فى حكم الساعة الواحدة لأن قدرته لا يعجزها أمر و لا يطول عندها زمان فيكون إطلاق لفظ الساعة على أحد الموضوعين حقيقة و على الآخر مجازا و ذلك يخرج الكلام عن حد التجنيس كما لو قلت ركبت حمارا ولقيت حمارا وأردت بالثانى البليد. وأيضا فلم لا يجوز أن يكون أراد بقوله وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ الأولى خاصة من زمان البعث فيكون لفظ الساعة مستعملا فى الموضوعين حقيقة بمعنى واحد فيخرج عن التجنيس و عن مشابهة التجنيس بالكلية. قالوا وورد فى السنة من التجنيس التام خبر واحد و -قرآن- ٣١١-٣٣٦ هو قوله ص لقوم من الصحابة كانوا يتنازعون جرير بن عبد الله البجلي فى زمام ناقته خلوا بين جرير والجريز -رواية- ١-٢-رواية- ١٥-١١٢ فالجريز الثانى الجبل . وجاء من ذلك فى الشعر لأبى تمام قوله فأصبحت غرر الإسلام مشرقة || بالنصر تضحك عن أيامك الغرر فالغرر الأولى مستعارة من غرة الوجه والغرر الثانية من غرة الشيء وهى أكرمه وكذلك قوله من القوم جعد أبيض الوجه والندى || و ليس بنان يجتدى منه بالجعد فالجعد الأول السيد والثانى ضد السب و هو من صفات البخيل . وكذلك قوله بكل فتى ضرب يعرض للقنا || محيا محلى حلية الطعن والضرب [صفحة ٢٧٨] فالضرب الأول الرجل الخفيف والثانى مصدر ضرب . وكذلك قوله عداك حر الثغور المستضامة عن || برد الثغور و عن سلسالها الحصب فأحدهما جمع ثغر و هو ما يتأخم العدو من بلاد الحرب والثانى للأسنان . و من هذه القصيدة كم أحرزت قضب الهندى مصلته || تهتر من قضب تهتر فى كذب بيض إذا انتضيت من حجبها رجعت || أحق بالبيض أبدانا من الحجب . و قد أكثر الناس فى استحسان هذا التجنيس وأطنبوا وعندى أنه ليس بتجنيس أصلا لأن تسمية السيوف قضا وتسمية الأغصان قضا كله بمعنى واحد و هو القطع فلا تجنيس إذا وكذلك البيض للسيوف والبيض للنساء كله بمعنى البياض فبطل معنى التجنيس وأظنتى ذكرت هذا أيضا فى كتاب الفلك الدائر. قالوا و من هذا القسم قوله أيضا إذا الخيل جابت قسطل الخيل صدعوا || صدور العوالى فى صدور الكنائب و هذا عندى أيضا ليس بتجنيس لأن الصدور فى الموضوعين بمعنى واحد و هو جزء الشيء المتقدم البارز عن سائره فأما قوله أيضا عامى و عام العيس بين و ديقة || مسجورة و تنوفه صيخود [صفحة ٢٧٩] حتى أغادر كل يوم بالفلا || للطير عيدا من بنات العيد فإنه من التجنيس التام لاشبهه فى ذلك لاختلاف المعنى فالعيد الأول هو اليوم المعروف من الأعياد والعيد الثانى فحل من فحول الإبل . ونحو هذا قول أبى

نواس عباس عباس إذا احتدم الوغى || والفضل فضل والربيع ربيع وقول البحترى إذا العين راحت وهى عين على الهوى || فليس بسر ماتسر الأضالع فالعين الثانية الجاسوس والأولى العين المبصرة وللغزى المتأخر قصيدة أكثر من التجنيس التام فيها وأولها لوزارنا طيف ذات الخال أحيانا || ونحن فى حفر الأجداد أحيانا وقال فى أثنائها تقول أنت امرؤ جاف مغالطة || فقلت لاهومت أجفان أجفانا وقال فى مديحها لم يبق غيرك إنسان يلاذ به || فلا برحت لعين الدهر إنسانا وقد ذكر الغامى فى كتابه من صناعة الشعر بابا سماه رد الأعجاز على الصدور ذكر أنه خارج عن باب التجنيس قال مثل قول الشاعر ونشروا بجميل الصنع || ذكرنا طيب النشر ونفري بسيوف الهند || من أسرف فى النفر [صفحة ٢٨٠] وبحرى فى شرى الحمد || على شاكلة البحر وهذا من التجنيس وليس بخارج عنه ولكنه تجنيس مخصوص وهو الإتيان به فى طرفى البيت . وعد ابن الأثير الموصلى فى كتابه من التجنيس قول الشاعر فى الشيب يياضا أذرى دموعى حتى || عاد منها سواد عيني بياضا وكذلك قول البحترى وأغر فى الزمن البهيم محجل || قدرحت منه على أغر محجل . وهذا عندى ليس بتجنيس لاتفاق المعنى والعجب منه أنه بعد إيراد هذا أنكر على من قال إن قول أبى تمام أظن الدمع فى خدى سيقى || رسوما من بكائى فى الرسوم من التجنيس وقال أى تجنيس هاهنا والمعنى متفق ولو أمعن النظر لرأى هذا مثل البيتين السابقين . قالوا فأما الأجناس الستة الباقية فإنها خارجة عن التجنيس التام ومشبهة به . فمنها أن تكون الحروف متساوية فى تركيبها مختلفة فى وزنها فمن ذلك قول النبى ص اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى -رواية ١-٢-رواية ١٧-٥٢ وقول بعضهم لن تنالوا غر المعالى إلا بركوب الغر واهتبال الغر وقول البحترى وفر الحائن المغرور يرجو || أمانا أى ساعة ما أمان [صفحة ٢٨١] يهاب الالتفات وقد تصدى || للحظة طرفه طرف السنان وقال آخر قد ذبت بين حشاشه وذماء || ما بين حر هوى وحر هواء ومنها أن تكون الألفاظ متساوية فى الوزن مختلفة فى التركيب بحرف واحد لا - غير فإن زاد على ذلك خرج من باب التجنيس وذلك نحو قوله تعالى وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ وكذلك قوله سبحانه وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأُونَ عَنْهُ وقوله تعالى ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ونحو هذا - قرآن - ١٤١-١٨٧- قرآن - ٢٠٨-٢٤٦- قرآن - ٢٦٢-٣٤٣ ماورد عن النبى ص من قوله الخير معقود بنواصى الخيل إلى يوم القيامة -رواية ١-٢-رواية ٣٣-٧٧ وقال بعضهم لاتنال المكارم إلا بالمكاره . وقال أبو تمام يمدون من أيد عواص عواصم || تصول بأسياف قواض قواضب . وقال البحترى من كل ساجى الطرف أغيد أجيد || ومهفهف الكشحين أحوى أحوار . وقال أيضا شواجر أرماع تقطع بينهم || شواجن أرحام ملوم قطوعها . [صفحة ٢٨٢] وهذا البيت حسن الصنعة لأنه قد جمع بين التجنيس الناقص وبين المقلوب وهو أرماع وأرحام . ومنها أن تكون الألفاظ مختلفة فى الوزن والتركيب بحرف واحد كقوله تعالى وَ التَّفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ وكقوله تعالى وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا وَ - قرآن - ١٦٩-٢٢٨- قرآن - ٢٤٤-٢٨٦ كقول النبى ص المسلم من سلم الناس من لسانه ويده -رواية ١-٢-رواية ١٨-٥٧ وقول بعضهم الصديق لا يحاسب والعدو لا يحتسب له هكذا ذكر ابن الأثير هذه الأمثلة . قال و من هذا القسم قول أبى تمام أيام تدمى عينه تلك الدمى || حسنا وتقمرب له الأعمار بيض فهن إذارمقن سوافرا || صور وهن إذارمقن صوار وكذلك قوله أيضا بدر أطاعت فيك بادرة النوى || ولعا وشمس أولعت بشماس . وقوله أيضا جهلوا فلم يستكثروا من طاعة || معروفة بعمارة الأعمار . وقوله أيضا إن الرماح إذا غرسن بمشهد || فجنى العوالى فى ذراه معال . [صفحة ٢٨٣] وقوله أيضا إذا أحسن الأرقام أن يتناولوا || بلا نعمة أحسنت أن تتطولا . وقوله أيضا شد ما استنزلتك عن دمعك الأظعان || حتى استهل صوب العزالى أى ربع يكذب الدهر عنه || وهو ملقى على طريق الليالى بين حال جنت عليه وحول || فهو نضو الأوحال والأحوال أى حسن فى الداهيين تولى || وجمال على ظهور الجمال ودلال مخيم فى ذرى الخيم || وحجل مقصر فى الحجال . فالبيت الثالث والخامس هما المقصودان بالتمثيل . و من ذلك قول على بن جبلة وكم لك من يوم رفعت عماده || بذات جفون أوبذات جفان . وكقول

البحترى نسيم الروض فى ربح شمال || و صوب المزن فى راح شمول . و كقوله أيضا جدير بأن تنشق عن ضوء وجهه || ضبابه نفع تحتها الموت نافع . [صفحه ٢٨٤] واعلم أن هذه الأمثلة لهذا القسم ذكرها ابن الأثير فى كتابه و هو عندى مستدرك لأنه حد هذا القسم بما يختلف تركيبه يعنى حروفه الأصلية و يختلف أيضا وزنه و يكون اختلاف تركيبه بحرف واحد هكذا قال فى تحديده لهذا القسم و ليس بقمر و الأقمار تختلف بحرف واحد وكذلك عمارة و الأعمار وكذلك العوالى و المعالى و أما قوله تعالى وَ هُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا فَأُخْرِجُوا عَنْ هَذَا بِالْكَلْبِ لِأَنَّ جَمِيعَ أَمْثَلِهِ هَذَا الْقِسْمَ يَخْتَلِفُ فِيهِ الْكَلِمَاتُ بِالْحُرُوفِ الزَّائِدَةِ وَ هَذِهِ الْآيَةُ اخْتِلَافَ كَلِمَتَيْهَا بِحُرُوفٍ أَسْلِيَّةٍ فَلَيْسَتْ مِنَ التَّجْنِيسِ الَّذِي نَحْنُ بِصَدَدِهِ بَلْ هِيَ مِنْ بَابِ تَجْنِيسِ التَّصْحِيفِ كَقَوْلِ الْبَحْتَرِيِّ - قُرْآن - ٣٣١-٣٧٣ و لم يكن المعتر بالله إذ سرى || ليعجز والمعتر بالله طالبه . ثم قال ابن الأثير فى هذا القسم أيضا و من ذلك قول محمد بن وهيب الحميرى قسمت صروف الدهر بأسا و نائلا || فمالك موتور و سيفك و اتر . و هذا أيضا عندى مستدرك لأن اللفظتين كلاهما من الوتر و يرجعان إلى أصل واحد إلا أن أحد اللفظين مفعول و الآخر فاعل و ليس أحد يقول إن شاعرا لو قال فى شعره ضارب و مضروب لكان قدجانس . و منها القسم المكنى بالمعكوس و هو على ضربين عكس لفظ و عكس حرف فالأول كقولهم عادات السادات العادات و كقولهم شيم الأحرار أحرار الشيم . و من ذلك قول الأضبط بن قريع قديجمع المال غير آكله || و يأكل المال غير من جمعه [صفحه ٢٨٥] و يقطع الثوب غير لايبسه || و يلبس الثوب غير من قطعه . و مثله قول المتنبي فلامجد فى الدنيا لمن قل ماله || و لامال فى الدنيا لمن قل مجده و مثله قول الرضى رحمه الله من أبيات يذم فيها الزمان أسف بمن يطير إلى المعالى || و طار بمن يسف إلى الدنيا و مثله قول آخر إن الليالى للأنام مناهل || تطوى و تنشر بينها الأعمار فقصارهن مع الهموم طويلة || و طولهن مع السرور قصار و لبعض شعراء الأندلس يذكر غلامه غيرتنا يد الزمان || فقد شبت و التحى فاستحال الضحى دجى || و استحال الدجى ضحى و يسمى هذا الضرب التبديل و قدمته قدامة بن جعفر الكاتب بقولهم اشكر لمن أنعم عليك و أنعم على من شكرك . و مثله قول النبى ص جار الدار أحق بدار الجار - رواية - ١-٢-رواية - ١٧-٤٣ قالوا و منه قوله تعالى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَ لا أراه منه بل هو من باب الموازنة و مثله أيضا - قرآن - ٢٦-٨٧ بقول أمير المؤمنين ع أما بعد فإن الإنسان يسره درك ما لم يكن ليفوته و يسوءه فوت ما لم يكن ليدركه - رواية - ١-٢-رواية - ٢٦-١١٠ و بقول أبى تمام لأبى العميثل [صفحه ٢٨٦] و أبى سعيد الضرير فإنهما قالا لمامتدح عبد الله بن طاهر بقصيده و فى افتتاحها تكلف و تعجرف لم لا تقول ما يفهم فقال لهما لم لا تفهما ما يقال . و الضرب الثانى من هذا القسم عكس الحروف و هو كقول بعضهم و قد أهدى لصديق له كرسيأ أهديت شيئا يقل لو لا || أهدوته الفأل و التبرك كرسي تفاءلت فيه لما || رأيت مقلوبه يسرك و كقول الآخر كيف السرور بإقبال و آخره || إذ تأملته مقلوب إقبال أى لابقاء و كقول الآخر جاذبتها و الريح تجذب عقربا || من فوق خد مثل قلب العقرب و طفقت الثم ثغرها فتمنعت || و تحجبت عنى بقلب العقرب . يريد برقا و منها النوع المسمى المجنب و هو أن يجمع بين كلمتين إحداهما كالجنبيه التابعه للأخرى مثل قول بعضهم أبا الفياض لا تحسب بأنى || لفقرى من حلى الأشعار عار فلى طبع كسلسال معين || زلال من ذرا الأحجار جار و هذا فى التحقيق هو الباب المسمى لزوم ما لايلزم و ليس من باب التجنيس و منها المقلوب و هو ما يتساوى وزنه و تركيبه إلا أن حروفه تتقدم و تتأخر مثل قول أبى تمام [صفحه ٢٨٧] بيض الصفائح لاسود الصفائح فى || متونها جلاء الشك و الريب و قدورد مثل ذلك فى المنثور نحو ماروى عن النبى ص أنه يقال يوم القيامة لصاحب القرآن اقرأ و ارق - رواية - ١-٢-رواية - ٢٤-٧٣ . و قد تكلمت فى كتابى المسمى بالعبقرى الحسان على أقسام الصناعة البديعة نثرا و نظما و بينت أن كثيرا منها يتداخل و يقوم البعض من ذلك مقام بعض فليلمح من هناك منها و اعلموا أنه ليس من شىء إلا و يكاد صاحبه يشبع منه و يملأه إلا الحياة فإنه لا يجد فى الموت راحة و إنما ذلك بمنزلة الحكمة التى هى حياة للقلب الميت و بصير للعين العمياء و سمع للأذن الصماء و رى

لِلظَّمَانِ وَفِيهَا الْغِنَى كُلُّهُ وَالسَّيْلَامَةُ كِتَابُ اللَّهِ تُبَصِّرُونَ بِهِ وَتَنْطِقُونَ بِهِ وَتَسْمَعُونَ بِهِ وَيَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ وَ يَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ وَ لَا يَخْتَلِفُ فِي اللَّهِ وَ لَا يُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ اللَّهِ قَدِ اصْطَلَحْتُمْ عَلَى الْغُلِّ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَ نَبَتِ الْمَرْعَى عَلَى دِمْنِكُمْ وَ تَصَافَيْتُمْ عَلَى حُبِّ الْأَمْالِ وَ تَعَادَيْتُمْ فِي كَسْبِ الْأَمْوَالِ لَقَدْ اسْتَهَامَ بِكُمْ الْخَبِيثُ وَ تَاهَ بِكُمْ الْغُرُورُ وَ اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وَ أَنْفُسِكُمْ [صفحة ٢٨٨]

هذا الفصل ليس بمنتظم من أوله إلى آخره بل هو فصول متفرقة التقطها الرضى من خطبة طويلة على عادته فى التقاط ما يستفصحه من كلامه ع و إن كان كل كلامه فصيحاً ولكن كل واحد له هوى ومجبة لشيء مخصوص وضروب الناس عشاق ضروبا. أما قوله كل شيء مملول إلا الحياة فهو معنى قد طرقه الناس قديما وحديثا قال أبو الطيب ولذيذ الحياة أنفس فى النفس || وأشهى من أن يمل وأحلى و إذا الشيخ قال أف فما مل || حياة ولكن الضعف ملا وقال أيضا أرى كلنا يبغى الحياة لنفسه || حريصا عليها مستهما بها صبا فحب الجبان النفس أوردته البقا || وحب الشجاع النفس أوردته الحربا وقال أبو العلاء فما رغبت فى الموت كدر مسيرها || إلى الورد خمسا ثم تشربن من أجن يصادفن صقرا كل يوم وليلة || ويلقين شرا من مخالبه الحجن ولاقلقات الليل باتت كأنها || من الأين والإدلاج بعض القنا اللدن [صفحة ٢٨٩] ضربن مليعا بالسنا بك أربعا || إلى الماء لا يقدرن منه على معن وخوف الردى آوى إلى الكهف أهله || وكلف نوحا وابنه عمل السفن و ما استعذبتة روح موسى وآدم || وقد وعدا من بعده جنتى عدن . ولى من قصيدة أخطب رجلين فرا فى حرب عذرتكما إن الحمام لمبغض || و إن بقاء النفس للنفس محبوب ويكره طعم الموت والموت طالب || فكيف يلذ الموت والموت مطلوب . وقال أبو الطيب أيضا طيب هذا النسيم أوقر فى الأنفس || أن الحمام مر المذاق والأسى قبل فرقة الروح عجز || والأسى لا يكون بعد الفراق . البحرى ما طيب الأيام إلا أنها || يا صاحبي إذ ادمت لم ترجع . وقال آخر أوفى يصفق بالجنح مغلسا || ويصيح من طرب إلى الندمان يا طيب لذة هذه الدنيا لنا || لو أنها بقيت على الإنسان . وقال آخر أرى الناس يهوون البقاء سفاهة || وذلك شيء ما إليه سبيل و من يأمن الأيام أما بلاؤها || فجم و أما خيرها فقليل . [صفحة ٢٩٠] وقال محمد بن وهيب الحميرى ونحن بنو الدنيا خلقنا لغيرها || و ما كنت منه فهو شيء محبب قول أمير المؤمنين ع وقد قيل له ما أكثر حب الناس للدنيا فقال هم أبناؤها أيلام الإنسان على حب أمه -رواية- ١-٢-رواية- ٢٥-١٠٩ . وقال آخر ياموت ما أفجاك من نازل || تنزل بالمرء على رغبته تستلب العذراء من خدرها || وتأخذ الواحد من أمه أبو الطيب وهى معشوقه على الغدر لا تحفظ || عهدا ولا تتمم وصلا كل دمع يسيل منها عليها || وبفك اليدى عنها نخلى شيم الغايات فيها فلا أدرى || لذا أنث اسمها الناس أم لا . فإن قلت كيف يقول إنه لا يجد فى الموت راحة وأين هذا من قول رسول الله ص الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر -رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-٥٤ قوله ع والله ما أرجو الراحة إلا بعد الموت -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-٤٩ و ماذا يعمل بالصالحين الذين آثروا فراق هذه العاجلة واختاروا الآخرة و هو ع سيدهم وأميرهم قلت لا منافاة فإن الصالحين إنما طلبوا أيضا الحياة المستمرة بعد الموت و رسول الله ص إنما قال إن الدنيا سجن المؤمن لأن الموت غير مطلوب للمؤمن لذاته إنما يطلبه للحياة المتعقبه له -رواية- ١-٢-رواية- ٢٧-١٢٠ قوله ع والله ما أرجو الراحة إلا بعد الموت -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-٤٩ تصريح بأن الراحة فى الحياة التى تتعقب الموت وهى حياة الأبد فلا منافاة إذا بين هذه الوجوه و بين ما قاله ع لأنه مانفى إلا الراحة فى الموت نفسه لا فى الحياة الحاصلة بعده . [صفحة ٢٩١]

فإن قلت فقد تطرأ على الإنسان حالة يستصعبها قيود الموت لنفسه ولا يفكر فيما يتعقبه من الحياة التى تشير إليها ولا يخطر بباله قلت ذاك شاذ نادر فلا يلتفت إليه وإنما الحكم للأعم الأغلب وأيضا فإن ذاك لا يلتذ بالموت وإنما يتخلص به من الألم وأمير المؤمنين قال ما من شيء من المملذات إلا وهو مملول إلا الحياة -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-٧٢ و بين المملذ والمخلص من الألم فرق واضح فلا يكون نقضا على كلامه . فإن قلت قد ذكرت ما قيل فى حب الحياة وكراهية الموت فهل قيل فى عكس ذلك ونقيضه شيء قلت نعم فمن ذلك قول أبى الطيب كفى بك داء أن ترى الموت شافيا || وحسب المنايا إن يكن أمانيا تمنيتها

لماتمنت أن ترى || صديقا فأعيا أوعدوا مداجيا و قال آخر قد قلت إذ مدحوا الحياة فأسرفوا || فى الموت ألف فضيلة لاتعرف منها أمان لقائه بلقائه || وفراق كل معاشر لاينصف وقيل لأعرابى و قداحتضر إنك ميت قال إلى أين يذهب بى قيل إلى الله قال ماأكره أن أذهب إلى من لم أر الخير إلا منه . ابراهيم بن مهدي وإنى و إن قدمت قبلى لعالم || بأنى و إن أبطأت عنك قريب و إن صباحا نلتقى فى مساءه || صباح إلى قلبى الغداة حبيب و قال بعض السلف ما من مؤمن إلا والموت خير له من الحياة لأنه إن كان محسنا [صفحه ٢٩٢] فالله تعالى يقول وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَ أَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَ إِنْ كَانَ مَسِيئًا فَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ وَ لَا يَحْسِبَنَّ الْعَالَمِينَ أَنَّكَ مُتٌ لَّيُخَيِّرُوا أَنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ لِيُزِدُوا إِثْمًا. و قال ميمون بن مهران بت ليله عند عمر بن عبدالعزيز فرأيته يبكى ويكثر من تمنى الموت فقلت له إنك أحيت سننا وأمت بدعا و فى بقائك خير للمسلمين فما بالك تمنى الموت فقال ألا أكون كالعبد الصالح حين أقر الله له عينه و جمع له أمره قال رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَ عَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِى الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَ الْأَحْقِنِي بِالصَّالِحِينَ وَ قَالَتِ الْفَلَّاسَةُ لَا يَسْتَكْمِلُ الْإِنْسَانُ حِدَ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَّا بِالْمَوْتِ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ هُوَ الْحَيُّ النَّاطِقُ الْمَيِّتُ . و قال بعضهم الصالح إذا مات استراح والطالح إذا مات استريح منه . و قال الشاعر -قرآن- ٢١-٧١-قرآن- ١٠٨-٢٢٠-قرآن- ٤٧٣-٦٦٢ جزى الله عنا الموت خيرا فإنه || أبر بنا من كل بر وأرأف يعجل تخليص النفوس من الأذى || ويدنى من الدار التى هى أشرف . و قال آخر من كان يرجو أن يعيش فإننى || أصبحت أرجو أن أموت لأعتقا فى الموت ألف فضيلة لوأنها || عرفت لكان سبيله أن يعيش . و قال أبو العلاء جسمى ونفسى لما استجمعا صنعا || شرا إلى فجل الواحد الصمد [صفحه ٢٩٣] فالجسم يعذل فيه النفس مجتهدا || وتلك تزعم أن الظالم الجسد إذاهما بعد طول الصحبة افترقا || فإن ذاك لأحداث الزمان يد و قال أبو العتاهية المرء يأمل أن يعيش || وطول عمر قد يضره تفنى بشاشته ويبقى || بعد حلو العيش مره وتخونه الأيام حتى || لا يرى شيئا يسره كم شامت بى أن هلكت || وقائل لله دره . و قال ابن المعتز ألت ترى يا صاح ما أعجب الدهرا || فذما له لكن للخالق الشكرا لقد حجب الموت البقاء الذى أرى || فيا حسدا منى لمن يسكن القبرا . فأما قوله ع وإنما ذلك بمنزلة الحكمة إلى قوله و فيها الغنى كله والسلامة ففصل آخر غير ملتئم بما قبله و هو إشارة إلى كلام من كلام رسول الله ص رواه لهم ثم حضهم على التمسك به والانتفاع بمواعظه و قال إنه بمنزلة الحكمة التى هى حياة القلوب ونور الأبصار وسمع الآذان الصم ورى الأكباد الحرى و فيها الغنى كله والسلامة والحكمة المشبه كلام الرسول ص بهاهى المذكورة فى قوله تعالى وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَ فِى قَوْلِهِ وَ لَقَدْ آتَيْنَا -قرآن- ٤٠٠-٤٥٢-قرآن- ٤٦٥-٤٧٩ . فأما قوله ع وإنما ذلك بمنزلة الحكمة إلى قوله و فيها الغنى كله والسلامة ففصل آخر غير ملتئم بما قبله و هو إشارة إلى كلام من كلام رسول الله ص رواه لهم ثم حضهم على التمسك به والانتفاع بمواعظه و قال إنه بمنزلة الحكمة التى هى حياة القلوب ونور الأبصار وسمع الآذان الصم ورى الأكباد الحرى و فيها الغنى كله والسلامة والحكمة المشبه كلام الرسول ص بهاهى المذكورة فى قوله تعالى وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَ فِى قَوْلِهِ وَ لَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ وَ فِى قَوْلِهِ وَ آتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًا وهى عبارة عن المعرفة بالله تعالى وبما فى مبدعاته من الأحكام الدالة على علمه كتركيب الأفلاك ووضع العناصر مواضعها ولطائف صنعة الإنسان وغيره من الحيوان وكيفية إنشاء النبات والمعادن و ما فى العالم من القوى المختلفة والتأثيرات المتنوعة الرجوع ذلك كله إلى حكمة الصانع وقدرته وعلمه تبارك اسمه . فأما قوله و كتاب الله إلى قوله و لا يخالف بصاحبه عن الله ففصل آخر مقطوع عما قبله ومتصل بما لم يذكره جامع نهج البلاغة فإن قلت مامعنى قوله و لا يختلف فى الله و لا يخالف بصاحبه عن الله وهل بين هاتين الجملتين فرق قلت نعم أما قوله و لا يختلف فى الله فهو أنه لا يختلف فى الدلالة على الله وصفاته أى لا يتناقض أى ليس فى القرآن آيات مختلفة يدل بعضها على أنه يعلم كل المعلومات مثلا وتدل الأخرى على أنه لا يعلم كل المعلومات أو يدل بعضها على أنه لا يرى وبعضها على أنه يرى و ليس وجودنا للآيات المشتبهة بقادح فى هذا القول لأن آيات

الجبر والتشبيه لاندل وإنما توهم ونحن إنما نفينا أن يكون فيه ما يدل على الشيء ونقيضه . و أما قوله و لا يخالف بصاحبه عن الله فهو أنه لا يأخذ بالإنسان المعتمد عليه إلى غير الله أى لا يهديه إلا إلى جناب الحق سبحانه و لا يعرج به إلى جناب الشيطان يقال خالفت بفلان عن فلان إذا أخذت به غير نحوه وسلكت به غير جهته . -قرآن- ١-١٨-قرآن- ٣١-٥٧ [صفحہ ٢٩٥] فأما قوله قد اصطلمت على الغل إلى آخر الفصل فكلام مقطوع أيضا عما قبله والغل الحقد. والدمن جمع دمنه وهى الحقد أيضا و قد دمنت قلوبهم بالكسر أى ضغنت و نبت المرعى عليها أى دامت و طال الزمان عليها حتى صارت بمنزلة الأرض الجامدة الثابتة التى تنبت النبات و يجوز أن يريد بالدمن هاهنا جمع دمن و هو البعر المجتمع كالمزبله أو جمع دمنه وهى آثار الناس و ماسودوا من الأرض يقال قد دمن الشاء الماء و قد دمن القوم الأرض فشبّه ما فى قلوبهم من الغل والحقد والضغائن بالمزبله المجتمعه من البعر وغيره من سقاطه الديار التى قد طال مكنتها حتى نبت عليها المرعى قال الشاعر و قد نبت المرعى على دمن الثرى || و تبقى حزازات النفوس كما هيا . قوله ع لقد استهام بكم الخبيث يعنى الشيطان و استهام بكم جعلكم هائمين أى استهامكم فعدها بحرف الجر كما تقول فى استنفرت القوم إلى الحرب استنفرت بهم أى جعلتهم نافرين و يمكن أن يكون بمعنى الطلب و الاستدعاء كقولك استعلمت منه حال كذا أى استدعيت أن يعلمنى و استمنحت فلانا أى طلبت و استدعيت أن يعطينى فيكون قوله و استهام بكم الخبيث أى استدعى منكم أن تهيموا و تقعوا فى التيه و الضلال و الحيره . قوله و تاه بكم الغرور هو الشيطان أيضا قال سبحانه وَ غَزَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ و تاه بكم جعلكم تائهيين حائرين ثم سأل الله أن يعينه على نفسه و عليهم و من كلام بعض الصالحين اللهم انصرنى على أقرب الأعداء إلى دارا و أدناهم منى جوارا وهى نفسى -قرآن- ٤٧٠-٤٩٨ [صفحہ ٢٩٦]

١٣٤- و من كلام له ع و قد شاوره عمر بن الخطاب فى الخروج إلى غزو الروم

إشارة

وَ قَدْ تَوَكَّلَ اللَّهُ لِأَهْلِ هَذَا الدِّينِ بِإِعْزَازِ الْحَوْزَةِ وَ سِتْرِ الْعَوْرَةِ وَ الَّذِي نَصَرَهُمْ وَ هُمْ قَلِيلٌ لَا يَنْتَصِرُونَ وَ مَنَعَهُمْ وَ هُمْ قَلِيلٌ لَا يَمْتَنِعُونَ حَتَّىٰ لَمَّا يَمُوتُ إِنَّكَ مَتَىٰ تَسِرْ إِلَىٰ هَذَا الْعِيدِ وَ بِنَفْسِكَ فَتَلْقَهُمْ فَتُنَكِّبَ لَا يَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ كَهْفٌ دُونَ أَقْصَىٰ بِلَادِهِمْ لَيْسَ بَعْدَكَ مَرْجِعٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فَبَايَعْتَ إِلَيْهِمْ رَجُلًا مِحْرَبًا وَ أَحْفَزَ مَعَهُ أَهْلَ الْبَلَاءِ وَ النَّصِيحَةِ فَإِنْ أَظْهَرَ اللَّهُ فَذَاكَ مَا تُحِبُّ وَ إِنْ تَكُنِ الْآخِرَىٰ كُنْتَ رِءَاءَ النَّاسِ وَ مَثَابَةَ لِلْمُسْلِمِينَ تَوَكَّلْ لَهُمْ صَارَ وَ كَيْلًا وَيُرْوَى وَ قَدْ تَكْفَلُ أَى صَارَ كَفِيلاً . و الحوزة الناحية و حوزة الملك بيضته و يقول إنما الذى نصرهم فى الابتداء على ضعفهم هو الله تعالى و هو حى لا يموت فأجدر به أن ينصرهم ثانيا كما نصرهم أولا و قوله فتنكب مجزوم لأنه عطف على تسر . و كهف أى و كهف يلجأ إليه و يروى كانفه أى جهه عاصمه من قولك كنت الإبل جعلت لها كنيفا من الشجر تستتر به و تعتصم . [صفحہ ٢٩٧] و رجل محرب أى صاحب حروب . و حفزت الرجل أحفزه دفعته من خلفه و سقته سوقا شديدا . و كنت رداء أى عوننا قال سبحانه فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِءَاءَ يُصَيْدُنِّي . و مثابه أى مرجعا و منه قوله تعالى مَثَابَةَ لِلنَّاسِ وَ أَمَّا أَسَارِعُ أَلَا يَشْخَصُ بِنَفْسِهِ حَذْرًا أَنْ يَصَابَ فَيَذْهَبُ الْمُسْلِمُونَ كُلَّهُمْ لَذَهَابِ الرَّأْسِ بَلْ يَبْعَثُ أَمِيرًا مِنْ جَانِبِهِ عَلَى النَّاسِ وَيُقِيمُ هُوَ بِالْمَدِينَةِ فَإِنْ هَزَمُوا كَانَ مَرْجِعُهُمْ إِلَيْهِ . فَإِنْ قَلْتَ فَمَا بِال رَسُولِ اللَّهِ ص كَانَ يَشَاهِدُ الْحُرُوبَ بِنَفْسِهِ وَيُبَاشِرُهَا بِشَخْصِهِ قَلْتَ إِنْ رَسُولَ اللَّهِ ص كَانَ مَوْعُودًا بِالنَّصْرِ وَ آمَنَّا عَلَى نَفْسِهِ بِالْوَعْدِ الْإِلَهِيِّ فِى قَوْلِهِ سُبْحَانَكَ وَ اللَّهُ يَعِصُوكَ مِنْ النَّاسِ وَ لَيْسَ عَمْرٌ كَذَلِكَ . فَإِنْ قَلْتَ فَمَا بِال أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع شَهِدَ حَرْبَ الْجَمَلِ وَ صَفِينَ وَ النَّهْرَوَانَ بِنَفْسِهِ فَهَلَا بَعَثَ أَمِيرًا مُحْرَبًا وَ أَقَامَ بِالْمَدِينَةِ رِءَاءَ وَ مَثَابَةَ . قَلْتَ عَنْ هَذَا جَوَابَانِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ كَانَ عَالِمًا مِنْ جِهَةِ النَّبِيِّ ص أَنَّهُ لَا يَقْتُلُ فِى هَذِهِ الْحُرُوبِ وَيَشْهَدُ

لذلك الخبر المتفق عليه بين الناس كافة يقاتل بعدى الناكثين والقاسطين والمارقين وثانيهما يجوز أن يكون غلب على ظنه أن غيره لا يقوم مقامه في حرب هذه الفرق الخارجة عليه و لم يجد أميرا محربا من أهل البلاء والنصيحة لأنه ع هكذا قال لعمر واعتبر هذه القيود والشروط فمن كان من قرآن-١١٥-١٥١-قرآن-١٨٩-٢١٥-قرآن-٥٣٩-٥٧٠ [صفحة ٢٩٨] أصحابه ع محربا لم يكن من أهل النصيحة له و من كان من أهل النصيحة له لم يكن محربا فدعته الضرورة إلى مباشرة الحرب بنفسه

غزوة فلسطين وفتح بيت المقدس

واعلم أن هذه الغزاة هي غزاة فلسطين التي فتح فيها بيت المقدس و قد ذكرها أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في التاريخ و قال إن عليا ع هو كان المستخلف على المدينة لما شخص عمر إلى الشام و إن عليا ع قال له لا تخرج بنفسك إنك تريد عدوا كلبا فقال عمر إنى أبادر بجهاد العدو و موت العباس بن عبدالمطلب إنكم لو فقدتم العباس لانقض بكم الشر كما ينتقض الحبل فمات العباس لست سنين خلت من إمارة عثمان و انتقض بالناس الشر. قال أبو جعفر و قد كان الروم عرفوا من كتبهم أن صاحب فتح مدينة إيلياء وهي بيت المقدس رجل اسمه على ثلاثة أحرف فكان من حضر من أمراء المسلمين يسألون عن اسمه فيعلمون أنه ليس بصاحبهم فلما طال عليهم الأمر في حرب الروم استمدوا عمر و قالوا إن لم تحضر بنفسك لم يفتح علينا فكتب إليهم أن يلقوه برأس الجابية ليوم سماه لهم فلقوه و هوراكب حمارا و كان أول من لقيه يزيد بن أبي سفيان ثم أبو عبيدة بن الجراح ثم خالد بن الوليد على الخيول و عليهم الدياج و الحرير فتزل عمر عن حمارة و أخذ الحجارة و رماهم بها و قال سرعان ما لفتم عن رأيكم إياي [صفحة ٢٩٩] تستقبلون في هذا الزى و إنما شبعتم منذ سنتين سرع ماترت بكم البطنة و تالله لو فعلتموها على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم فقالوا يا أمير المؤمنين إنما هي يلامقه و تحتها السلاح فقال فنعم إذا قال أبو جعفر فلما علم الروم مقدم عمر نفسه سأله الصلح فصالحهم و كتب لهم كتابا على أن يؤدوا الجزية ثم سار إلى بيت المقدس فقصر فرسه عن المشى فأتى بيرزون فركبه فهزه و هملج تحته فتزل عنه و ضرب وجهه بردائه و قال قبح الله من علمك هذاردوا على فرسي فركبه و سار حتى انتهى إلى بيت المقدس . قال و لم يركب بردونا قبله و لا بعده و قال أعوذ بالله من الخيلاء. قال أبو جعفر و لقيه معاوية و عليه ثياب دياج و حوله جماعة من الغلمان و الخول فدنا منه فقبل يده فقال ما هذا يا ابن هند و إنك لعلي هذه الحال مترف صاحب لبوس و تنعم و قد بلغني أن ذوى الحاجات يقفون ببابك فقال يا أمير المؤمنين أما اللباس فأنا ببلاد عدو و نحب أن يرى أثر نعمة الله علينا و أما الحجاب فأنا نخاف من البذلة جرأة الرعية فقال ما سألتك عن شيء إلا تركتني منه في أضيق من الرواجب إن كنت صادقا فإنه رأى لبيب و إن كنت كاذبا فإنها خدعة أريب . و قد روى الناس كلام معاوية لعمر على وجه آخر قيل لما قدم عمر الشام قدمها و هوراكب حمارا قريبا من الأرض و معه عبدالرحمن بن عوف راكب حمارا قريب أيضا فتلقاهما معاوية في كوكبة خشناء فثنى وركه و نزل و سلم بالخلافة فلم يرد عليه . [صفحة ٣٠٠] فقال له عبدالرحمن أحصرت الفتى يا أمير المؤمنين فلو كلمته قال إنك لصاحب الجيش الذي أرى قال نعم قال مع شدة احتجاجك ووقوف ذوى الحاجات ببابك قال أجل قال لم ويحك قال لأننا ببلاد عدو كثير فيها جواسيسهم فإن لم نتخذ العدة و العدد استخف بنا و هجم على عوراتنا و أنا بعدا ملك فإن استنقصتني نقصت و إن استزدتني زدت و إن استوقفتني و قفت فقال إن كنت كاذبا إنه لرأى أريب و إن كنت صادقا إنه لتدبير لبيب ما سألتك عن شيء قط إلا تركتني منه في أضيق من رواجب الضرس لا أمرك و لأنهاك فلما انصرف قال عبدالرحمن لقد أحسن الفتى في إصدار ما أردت عليه فقال لحسن إيراده و إصداره جشمناه ما جشمناه . قال أبو جعفر شخص عمر من المدينة إلى الشام أربع مرات و دخلها مرة راكب فرس و مرة راكب بعير و مرة راكب بغل و مرة راكب حمار و كان لا يعرف

وربما استخبره الواحد أين أمير المؤمنين فيسكت أو يقول سل الناس و كان يدخل الشام و عليه سحق فرو مقلوب و إذا حضر الناس طعامه رأوا أخشن الطعام . قال أبو جعفر و قدم الشام في إحدى هذه المرات الأربع فصادف الطاعون بها فاشيا فاستشار الناس فكل أشار عليه بالرجوع و ألا يدخلها إلا بأبيبيده بن الجراح فإنه قال أتفر من قدر الله قال نعم أفر من قدر الله بقدر الله إلى قدر الله لو غيرك قالها يا أبابيده فما لبث أن جاء عبدالرحمن بن عوف فروى لهم عن النبي ص أنه قال إذا كنتم ببلاد الطاعون فلا تخرجوا منها و إذا قدمتم إلى بلاد الطاعون فلا تدخلوها -رواية- ١-٢-رواية- ٢٧-١٠٨ فحمد الله على موافقة الخبر لما كان في نفسه و ما أشار به الناس وانصرف راجعا إلى المدينة و مات أبوبيده في ذلك الطاعون و هو الطاعون المعروف بطاعون عمواس و كان في سنة سبع عشرة من الهجرة [صفحة ٣٠١]

١٣٥- و من كلام له ع و قد وقعت بينه و بين عثمان مشاجرة

إشارة

فقال المغيرة بن الأحنس لعثمان أنا أكفيك فقال أمير المؤمنين ع للمغيرة يا ابن اللعين الأبتري و الشجره التي لا أصل لها و لا فرع أنت تكفيني فوالله ما أعز الله من أنت ناصره و لما قام من أنت منهضة أخرج عنا أبعيد الله نواك ثم ابلغ جهدك فلا أبقي الله عليك إن أبقيت هو المغيرة بن الأحنس بن شريق بن عمرو بن وهب بن علاج بن أبي سلمة الثقفي حليف بنى زهرة وإنما قال له أمير المؤمنين ع يا ابن اللعين لأن الأحنس بن شريق كان من أكابر المنافقين ذكره أصحاب الحديث كلهم في المؤلفه قلوبهم الذين أسلموا يوم الفتح بألسنتهم دون قلوبهم وأعطاه رسول الله ص مائه من الإبل من غنائم حنين يتألف بها قلبه وابنه أبو الحكم بن الأحنس قتله أمير المؤمنين ع يوم أحد كافرا في الحرب و هو أخو المغيرة هذا والحقد الذي في قلب المغيرة عليه من هذه الجهة وإنما قال له يا ابن الأبتري لأن من كان عقبه ضالا خبيثا فهو كمن لا عقب له بل من لا عقب له خير منه ويروى و لأقام من أنت منهضة بالهمزة. ويروى أبعيد الله نوءك من أنواء النجوم التي كانت العرب تنسب المطر إليها وكانوا إذا دعوا على إنسان قالوا أبعيد الله نوءك أي خيرك . [صفحة ٣٠٢] والجهد بالفتح الغاية ويقال قد جهد فلان جهده بالفتح لا يجوز غير ذلك أي انتهى إلى غايته و قدروى أن رسول الله ص لعن ثقيفا. و روى أنه ع قال لو لاعروه بن مسعود لعنت ثقيفا -رواية- ١-٢-رواية- ٢٠-٥٣. و روى الحسن البصري أن رسول الله ص لعن ثلاث بيوت بيتان من مكه وهما بنو أمية و بنو المغيرة و بيت من الطوائف وهم ثقيف . و في الخبر المشهور المرفوع و قد ذكر ثقيفا بثت القبيلة يخرج منها كذاب ومبير -رواية- ١-٢-رواية- ٢٩-٨١ فكان كما قال ص الكذاب المختار والمبير الحجاج . و اعلم أن هذا الكلام لم يكن بحضرة عثمان ولكن عوانه روى عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي أن عثمان لما كثرت شكايته من على ع أقبل لا يدخل إليه من أصحاب رسول الله ص أحد إلا شكا إليه عليا فقال له زيد بن ثابت الأنصاري و كان من شيعة و خاصته أ فلا أمشى إليه فأخبره بموجدتك فيما يأتي إليك قال بلى فأتاه زيد ومعه المغيرة بن الأحنس بن شريق الثقفي وعداده في بنى زهرة وأمه عمه عثمان بن عفان في جماعة فدخلوا عليه فحمد زيد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإن الله قدم لك سلفا صالحا في الإسلام وجعلك من الرسول بالمكان الذي أنت به فأنت للخير كل الخير أهل و أمير المؤمنين عثمان ابن عمك و والى هذه الأمة فله عليك حقان حق الولاية و حق القرابة و قدشكا إلينا أن عليا يعرض لى ويرد أمرى على و قدمشينا إليك نصيحة لك و كراهية أن يقع بينك و بين ابن عمك أمر نكرهه لكما. قال فحمد على ع الله وأثنى عليه و صلى على رسوله ثم قال أما بعد فوالله ما أحب الاعتراض و لا الرد عليه إلا أن يأبى حقا لله لا يسعنى أن

أقول فيه إلابالحق و و الله لأكفن عنه ماوسعنى الكف . [صفحہ ۳۰۳] فقال المغيرة بن الأخنس و كان رجلا وقاحا و كان من شيعة عثمان وخلصائه إنك و الله لتكفن عنه أولتكفن فإنه أقدر عليك منك عليه وإنما أرسل هؤلاء القوم من المسلمين إعزازا لتكون له الحجة عندهم عليك فقال له على ع يا ابن اللعين الأبتى والشجرة التي لأصل لها و لافرع أنت تكفنى فو الله ماأعز الله امرأ أنت ناصره اخرج أبعد الله نواك ثم اجهد جهدك فلاأبقى الله عليك و لا على أصحابك إن أبقيتم . فقال له زيد إنا و الله ماجئناك لتكون عليك شهودا و لالكون ممشاننا إليك حجة ولكن مشينا فيما بينكما التماس الأجر أن يصلح الله ذات بينكما و يجمع كلمتكما ثم دعا له ولعثمان وقام فقاموا معه . و هذا الخبر يدل على أن اللفظة أنت تكفنى وليست كما ذكره الرضى رحمه الله أنت تكفنى لكن الرضا طبق هذه اللفظة على ما قبلها و هو قوله أنا أكفيك و لاشبهه أنها رواية أخرى

فصل فى نسب ثقيف وطرف من أخبارهم

وإنما قال له والشجرة التي لأصل لها و لافرع لأن ثقيفا فى نسبها طعن فقال قوم من النسايين إنهم من هوازن و هو القول الذى تزعمه الثقيفون قالوا هو ثقيف واسمه قسى بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفه بن قيس بن عيلان بن مضر و على هذا القول جمهور الناس . و يزعم آخرون أن ثقيفا من إياد بن نزار بن معد بن عدنان و أن النخع أخوه لأبيه [صفحہ ۳۰۴] وأمه ثم افترقا فصار أحدهما فى عداد هوازن والآخر فى عداد مذحج بن مالك بن زيد بن عريب بن زيد بن كهلان بن سيب بن يشجب بن يعرب بن قحطان . و قدروى أبو العباس المبرد فى الكامل لأخت الأشر مالك بن الحارث النخعي تبكيه أ بعد الأشر النخعي نرجو || مكائثره ونقطع بطن واد ونصحب مذحجا يا خاء صدق || و أن ننسب فنحن ذرا إياد ثقيف عمننا و أبوأيينا || وإخوتنا نزار أولو السداد . قال أبو العباس وهجا يحيى بن نوفل و كان هجاء خبيث اللسان العريان بن الهيثم بن الأسود النخعي و قد كان العريان تزوج امرأه اسمها زباد مبنى على الكسر والزاي مفتوحة بعدها باء منقوطة بواحدة وهى من ولد هاني بن قبيصة الشيباني وكانت قبله تحت الوليد بن عبد الملك بن مروان فطلقها فأنكحها إياه أخ لها يقال له زياد فقال يحيى بن نوفل أعريان ما يدري امرؤ سيل عنكم || أ من مذحج تدعون أم من إياد فإن قلت من مذحج إن مذحجا || لبيض الوجوه غير جد جعاد وأنتم صغار الهام حدل كأنما || وجوهكم مطلية بمداد و إن قلت من الحي اليمانون أصلنا || و ناصرنا فى كل يوم جلاد فأطول بأير من معد ونزوة || نزلت بإياد خلف دار مراد ضلتم كما ضلتم ثقيف فما لكم || و لالهم بين القبائل هاد لعمر بنى شيان إذ ينكحونه || زباد لقد ما قصروا بزباد [صفحہ ۳۰۵] أ بعد وليد أنكحوا عبد مذحج || كمنزىة عيرا خلافا جواد وأنكحها لا فى كفاء و لا غنى || زياد أضل الله سعى زياد قال أبو العباس و كان المغيرة بن شعبه و هو والى الكوفة صار إلى دير هند بنت النعمان بن المنذر وهى فيه عمياء مترهبة فاستأذن عليها فقيل لها أمير هذه المدرة بالباب قالت قولوا له من ولد جيلة بن الأيهم أنت قال لا قالت أفمن ولد المنذر بن ماء السماء أنت قال لا قالت فمن أنت قال أنا المغيرة بن شعبه الثقفى قالت فما حاجتك قال جئت خاطبا قالت لو كنت جئتنى لجمال أوحال لأطلبنك ولكن أردت أن تتشرف بى فى محافل العرب فتقول نكحت ابنة النعمان بن المنذر و إلفأى خير فى اجتماع أعور وعمياء فبعث إليها كيف كان أمركم قالت سأختصر لك الجواب أمسينا و ليس فى الأرض عربى إلا- و هو يرهنا أو يرغب إلينا وأصبحنا و ليس فى الأرض عربى إلا ونحن نرهبه ونرغب إليه قال فما كان أبوك يقول فى ثقيف قالت أذكر و قد اختصم إليه رجلان منهم أحدهما ينتهى إلى إياد والآخر إلى هوازن فقضى للإيادى و قال إن ثقيفا لم تكن هوازنا || و لم تناسب عامرا أو ما زنا فقال المغيرة أمانحن فمن بكر بن هوازن فليقل أبوك ماشاء ثم انصرف . و قال قوم آخرون إن ثقيفا من بقايا ثمود من العرب القديمة التى بادت وانقرضت . [صفحہ ۳۰۶] قال أبو العباس و قد قال

الحجاج على المنبر يزعمون أنا من بقايا ثمود فقد كذبهم الله بقوله وَ ثَمُودَ فَمَا أَبْقَى. و قال مرة أخرى ولئن كنا من بقايا ثمود لمانجا مع صالح إلا خيارهم . و قال الحجاج يوما لأبي العسوس الطائي أى أقدم أنزول ثقيف الطائف أم نزول طيى الجبلين فقال له أبو العسوس إن كانت ثقيف من بكر بن هوازن فنزول طيى الجبلين قبلها و إن كانت من بقايا ثمود فهى أقدم فقال الحجاج اتقنى فإنى سريع الخطفه للأحمق المتهور فقال أبو العسوس قال أبو العباس و كان أعرابيا قحا إلا أنه لطيف الطبع و كان الحجاج يمازحه -قرآن- ٩٤-١١٤ يؤدبنى الحجاج تأديب أهله || فلو كنت من أولاد يوسف ماعدا وإنى لأخشى ضربهُ ثقفيهُ || يقده بهاممن عصاه المقلدا على أننى مما أحاذر آمن || إذ قيل يوما قد عصى المرء واعتدى وقتل المغيرة بن الأخنس مع عثمان يوم الدار و قد ذكرنا مقتله فيما تقدم . تم الجزء الثامن من شرح نهج البلاغه و يليه الجزء التاسع

المجلد ٩

الجزء التاسع

تممة الخطب والأوامر

تممة خطبة ١٣٥

ذكر أطراف مما شجر بين على وعثمان فى أثناء خلافته

واعلم أن هذا الكتاب يستدعى منا أن نذكر أطرافا مما شجر بين أمير المؤمنين ع وعثمان أيام خلافته إذ كان هذا الكلام الذى شرحناه من ذلك النمط والشىء يذكر بنظيره وعادتنا فى هذا الشرح أن نذكر الشىء مع ما يناسبه ويقتضى ذكره . قال أحمد بن عبدالعزيز الجوهري فى كتاب أخبار السقيفة حدثنى محمد بن منصور الرمادى عن عبدالرزاق عن معمر بن زياد بن جبل عن أبى كعب الحارثى و هو ذو الإداوة قال أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز وإنما سمي ذا الإداوة لأنه قال إنى خرجت فى طلب إبل ضوال فترودت لبنا فى إداوة ثم قلت فى نفسى ما أنصفت ربي فأين الوضوء فأرقت اللبن وملأتها ماء فقلت هذا وضوء و شراب و طفقت أبغى إبلى فلما أردت الوضوء اصطببت من الإداوة ماء فتوضأت ثم أردت الشرب فلما اصطببتها إذالبن فشربت فمكثت بذلك ثلاثا فقالت [صفحہ ٤] له أسماء النحرانية يا أبا كعب أحقينا كان أم حليبا قال إنك لبطالهُ كان يعصم من الجوع ويروى من الظمأ أما إنى حدثت بهذا نفرا من قومي منهم على بن الحارث سيد بنى قنان فلم يصدقنى و قال ما أظن الذى تقول كما قلت فقلت الله أعلم بذلك و رجعت إلى منزلى فبت ليلتى تلك فإذا به صلاة الصبح على بابى فخرجت إليه فقلت رحمك الله لم تعنيت ألا أرسلت إلى فآتيك فإنى لأحق بذلك منك قال ما نمت الليلة إلا أتانى آت فقال أنت الذى تكذب من يحدث بما أنعم الله عليه قال أبو كعب ثم خرجت حتى أتيت المدينة فأتيت عثمان بن عفان و هو الخليفة يومئذ فسألته عن شىء من أمر دينى و قلت يا أمير المؤمنين إنى رجل من أهل اليمن من بنى الحارث بن كعب وإنى أريد أن أسألك فأمر حاجبك ألا يحجبني فقال يا واثاب إذا جاءك هذا الحارثى فأذن له قال فكنت إذا جئت فقرعت الباب قال من ذا فقلت الحارثى فيقول ادخل فدخلت يوما فإذا عثمان جالس و حوله نفر سكوت لا يتكلمون كأن على رءوسهم الطير فسلمت ثم جلست فلم أسأله عن شىء لمارأيت من حالهم و حاله فينا أنا كذلك إذ جاء نفر فقالوا إنه أبى أن يجىء قال فغضب و قال أبى أن يجىء اذهبوا فيجئوا به فإن أبى فجروه جرا . قال فمكثت قليلا فجاءوا و معهم رجل آدم طوال أصلع فى مقدم رأسه شعرات و فى قفاه شعرات فقلت من هذا قالوا عمار بن

ياسر فقال له عثمان أنت الذى تأتيك رسلنا فتأبى أن تجيء قال فكلمه بشيء لم أدر ما هو ثم خرج فما زالوا [صفحة ٥] ينفضون من عنده حتى مابقى غيرى فقام فقلت و الله لأسأل عن هذا الأمر أحدا أقول حدثنى فلان حتى أدرى ما يصنع فتبعته حتى دخل المسجد فإذا عمار جالس إلى سارية وحوله نفر من أصحاب رسول الله ص يكون فقال عثمان يا واثب على بالشرط فجاءوا فقال فرقوا بين هؤلاء ففرقوا بينهم . ثم أقيمت الصلاة فتقدم عثمان فصلى بهم فلما كبر قالت امرأة من حجرتها يا أيها الناس ثم تكلمت وذكرت رسول الله ص و مابعثه الله به ثم قالت تركتم أمر الله وخالفتم عهده ... ونحو هذا ثم صمتت وتكلمت امرأة أخرى بمثل ذلك فإذا هما عائشة وحفصة . قال فسلم عثمان ثم أقبل على الناس و قال إن هاتين لفتاتان يحل لى سبهما و أنا بأصلهما عالم . فقال له سعد بن أبى وقاص أتقول هذا الحباب رسول الله ص فقال وفيه أنت و ماها هنا ثم أقبل نحو سعد عامدا ليضربه فانسل سعد فخرج من المسجد فاتبعه عثمان فلقي عليا ع يباب المسجد فقال له ع أين تريد قال أريد هذا الذى كذا وكذا يعنى سعدا يشتمه فقال له على ع أيها الرجل دع عنك هذا قال فلم يزل بينهما كلام حتى غضبا فقال عثمان أأست الذى خلفك رسول الله ص له يوم تبوك فقال على أأست الفار عن رسول الله ص يوم أحد . قال ثم حجز الناس بينهما قال ثم خرجت من المدينة حتى انتهيت إلى الكوفة فوجدت أهلها أيضا وقع بينهم شر ونشبووا فى الفتنة وردوا سعيد بن العاص فلم يدعوه يدخل إليهم فلما رأيت ذلك رجعت حتى أتيت بلاد قومي . [صفحة ٦] وروى الزبير بن بكار فى كتاب الموفقيات عن عمه عن عيسى بن داود عن رجاله قال قال ابن عباس رحمه الله لما بنى عثمان داره بالمدينة أكثر الناس عليه فى ذلك فبلغه فخطبنا فى يوم الجمعة ثم صلى بنا ثم عاد إلى المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال أما بعد فإن النعمة إذ أحدثت حدث لها حساد حسبها وأعداء قدرها و إن الله لم يحدث لنا نعمًا ليحدث لها حساد عليها ومنافسون فيها ولكنه قد كان من بناء منزلنا هذا ما كان إرادة جمع المال فيه وضم القاصية إليه فأتانا عن أناس منكم أنهم يقولون أخذ فيتنا وأنفق شيئا واستأثر بأموالنا يمشون خمرا وينطقون سرا كأننا غيب عنهم وكأنهم يهابون مواجهتنا معرفة منهم بدحوض حجتهم فإذا غابوا عنا يروح بعضهم إلى بعض يذكرونا وقد وجدوا على ذلك أعوانا من نظرائهم ومؤازرين من شبابهم فبعدا بعدا ورغما رغما ثم أنشد بيتين كأنه يومئ فيهما إلى على ع . توقد بنار أينما كنت واشتعل || فلست ترى مما تعالج شافيا تشط فيقضى الأمر دونك أهله || وشيكا ولا تدعى إذا كنت نائيا . ما لى ولفيئكم وأخذ مالكم أأست من أكثر قریش مالا وأظهرهم من الله نعمة ألم أكن على ذلك قبل الإسلام وبعده وهبوني بيت منزلا من بيت المال أليس هو لى ولكم ألم أقم أموركم وإنى من وراء حاجاتكم فما تفقدون من حقوقكم شيئا فلم لا أصنع فى الفضل ما أحببت فلم كنت إماما إذا.ألا- و إن من أعجب العجب أنه بلغنى عنكم أنكم تقولون لنفعلن به ولنفعلن فبمن تفعلون لله آباؤكم أبغق البقاع أم بفقع القاع أأست أحراركم إن دعا أن يجاب وأقمنكم إن أمر أن يطاع [صفحة ٧] لهفى على بقائى فيكم بعد أصحابى وحياتى فيكم بعد أتربى ياليتنى تقدمت قبل هذا الكنى لأحب خلاف ما أحبه الله لى عز و جل إذا شئتم فإن الصادق المصدق محمد اص قد حدثنى بما هو كائن من أمرى وأمركم و هذا بدء ذلك وأوله فكيف الهرب مما حتم وقدر أما إنه ع قد بشرنى فى آخر حديثه بالجنة دونكم إذا شئتم فلا أفلح من ندم . قال ثم هم بالنزول فبصر بعلى بن أبى طالب ع ومعه عمار بن ياسر رضى الله عنه وناس من أهل هواه يتناجون فقال إيها أسرارا لاجهارا أما و الذى نفسى بيده ما أحق على جرة و لا أوتى من ضعف مرة و لو لا النظر لى ولكم والرفق بى وبكم لعاجلتكم فقد اغتررتم وأفلتم من أنفسكم . ثم رفع يديه يدعو و يقول اللهم قد تعلم حبى للعافية فألبسنيها وإيثارى للسلامة فأتنيها . قال ففرق القوم عن على ع وقام عدى بن الخيار فقال أتم الله عليك يا أمير المؤمنين النعمة وزادك فى الكرامة و الله لأن تحسد أفضل من أن تحسد ولأن تنافس أجل من أن تنافس أنت و الله فى حسبنا الصميم ومنصبنا الكريم إن دعوت أجبت و إن أمرت أطعت فقل نفعل وادع تجب جعلت الخيرة والشورى إلى أصحاب رسول الله ص ليختاروا لهم ولغيرهم وإنهم ليرون مكانك ويعرفون مكان غيرك فاختاروك منييين

طائعين غير مكرهين ولا مجبرين ما غيرت ولا فارقت ولا بدلت ولا خالفت فعلام يقدمون عليك و هذارأيهم فيك أنت و الله كما قال الأول اذهب إليك فما للحسود || إطلاّبك تحت العثار [صفحة ٨] حكمت فما جرت في خلّة || فحكّمك بالحق بادی المنار فيان يسبعوك فسرا و قد || جهرت بسيفك كل الجهار . قال ونزل عثمان فأتى منزله وأتاه الناس وفيهم ابن عباس فلما أخذوا مجالسهم أقبل على ابن عباس فقال ما لي ولكم يا ابن عباس ما أغراكم بي وأولعكم بتعقب أمرى أنتقمون على أمر العامة أتيت من وراء حقوقهم أم أمركم فقد جعلتهم يتمنون منزلتكم لا- و الله لكن الحسد والبغى و تثوير الشر وإحياء الفتن و الله لقد ألقى النبي ص إلى ذلك وأخبرني به عن أهله واحدا واحدا و الله ما كذبت و لا أنا بمكذوب . فقال ابن عباس على رسلك يا أمير المؤمنين فو الله ما عهدتك جهرا بسررك و لا مظهرها ما في نفسك فما ألدى هيجك و ثورك إننا لم يولعنا بك أمر و لم نتعقب أمرك بشيء أتيت بالكذب و تسوف عليك بالباطل و الله ما نقمنا عليك لنا و لا للعامة قد أوتيت من وراء حقوقنا و حقوقهم و قضيت ما يلزمك لنا ولهم فأما الحسد والبغى و تثوير الفتن وإحياء الشر فمتى رضيت به عتره النبي و أهل بيته و كيف وهم منه و إليه على دين الله يثورون الشر أم على الله يحيون الفتن كلا- ليس البغى و لا الحسد من طباعهم فأتد يا أمير المؤمنين و أبصر أمرك و أمسك عليك فإن حالتك الأولى خير من حالتك الأخرى لعمرى إن كنت لأثيرا عند رسول الله و إن كان يفضى إليك بسره ما يطويه عن غيرك و لا كذبت و لا أنت بمكذوب احسأ الشيطان عنك و لا يركبك و اغلب غضبك و لا يغلبك فما دعاك إلى هذا الأمر الذى كان منك . [صفحة ٩] قال دعانى إليه ابن عمك على بن أبى طالب فقال ابن عباس وعسى أن يكذب مبلغك قال عثمان إنه ثقّه قال ابن عباس إنه ليس بثقّه من بلغ وأغرى قال عثمان يا ابن عباس الله إنك ما تعلم من على ماشكوت منه قال اللهم لا- إلا أن يقول كما يقول الناس وينقم كما ينقمون فمن أغراك به وأولعك بذكره دونهم فقال عثمان إنما آفتى من أعظم الداء الذى ينصب نفسه لرأس الأمر و هو على ابن عمك و هذا و الله كله من نكده وشؤمه قال ابن عباس مهلا- استثن يا أمير المؤمنين قل إن شاء الله فقال إن شاء الله ثم قال إنى أنشدك يا ابن عباس الإسلام والرحم فقد و الله غلبت و ابتليت بكم و الله لوددت أن هذا الأمر كان صار إليكم دونى فحملتموه عنى و كنت أحد أعوانكم عليه إذا و الله لو جدتمونى لكم خيرا مما وجدتمكم لى و لقد علمت أن الأمر لكم ولكن قومكم دفعوكم عنه و اخترلوه دونكم فو الله ما أدرى أذفعوه عنكم أم دفعوكم عنه . قال ابن عباس مهلا- يا أمير المؤمنين فإننا ننشدك الله و الإسلام والرحم مثل ما نشدتنا أن تطمع فينا وفيك عدوا و تشمت بنا وبك حسودا إن أمرك إليك ما كان قولنا فإذا صار فعلا فليس إليك و لا فى يديك و إنا و الله لنخالفن إن خولفنا ولننازعن إن نوزعنا و ماتمنيك أن يكون الأمر صار إلينا دونك إلا أن يقول قائل منا ما يقوله الناس و يعيب كما عابوا فأما صرف قومنا عنا الأمر فعن حسد قد و الله عرفته و بغى قد و الله علمته فالله بيننا و بين قومنا و أما قولك إنك لا تدري أذفعوه عنا أم دفعونا عنه فلعمري إنك لتعرف أنه لو صار إلينا هذا الأمر مازدنا به فضلا إلى فضلنا و لا قدرا إلى قدرنا و إنا لأهل الفضل و أهل القدر و ما فضلنا فإفضلنا و لا سبق سابق إلا سبقنا و لو لا هدينا ما هتدى أحد و لا أبصروا من عمى و لا قصدوا من جور . فقال عثمان حتى متى يا ابن عباس يأتينى عنكم ما يأتينى هبونى كنت بعيدا أ ما كان لى من الحق عليكم أن أراقب و أن أناظر بلى و رب الكعبة و لكن الفرقة [صفحة ١٠] سهلت لكم القول فى و تقدمت بكم إلى الإسراع إلى و الله المستعان . قال ابن عباس مهلا حتى ألقى عليا ثم أحمل إليك على قدر ما رأى قال عثمان افعل فقد فعلت و طالما طلبت فلا أطلب و لا أجاب و لا أعتب . قال ابن عباس فخرجت فلقيت عليا و إذا به من الغضب و التلظى أضعاف ما بعثمان فأردت تسكينه فامتنع فأتيت منزلى و أغلقت بابى و اعترلتها فبلغ ذلك عثمان فأرسل إلى فأتيته و قد هدأ غضبه فنظر إلى ثم ضحك و قال يا ابن عباس ما أبطأ بك عنا إن تركك العود إلينا لدليل على ما رأيت عند صاحبك و عرفت من حاله فالله بيننا و بينه خذ بنا فى غير ذلك . قال ابن عباس فكان عثمان بعد ذلك إذا أتاه عن على شىء فأردت التكذيب عنه يقول و لا يوم الجمعة حين أبطأت عنا و تركت العود إلينا فلا أدري كيف

أرد عليه . وروى الزبير بن بكار أيضا في الموفقيات عن ابن عباس رحمه الله قال خرجت من منزلي سحرا أسابق إلى المسجد وأطلب الفضيلة فسمعت خلفي حسا وكلاما فتسمعتة فإذا حس عثمان و هو يدعو و لا يرى أن أحدا يسمعه و يقول اللهم قد تعلم نيتي فأعنى عليهم وتعلم الذين ابتليت بهم من ذوى رحمتي وقرابتي فأصلحني لهم وأصلحهم لى . قال فقصرت من خطوتي وأسرع فى مشيته فالتقينا فسلم فرددت عليه فقال إني خرجت ليلتنا هذه أطلب الفضل والمسايق إلى المسجد فقلت إنه أخرجني ما أخرجك فقال و الله لئن سأبتت إلى الخير إنك لمن سابقين مباركين وإنى لأحبكم وأتقرب إلى الله بحبكم فقلت يرحمك الله يا أمير المؤمنين إنا لنحبك ونعرف سابقتك وسنك وقرابتك وصهرك قال يا ابن عباس فما لى ولابن عمك و ابن خالى قلت أى بنى عمومى وبنى أخوالك قال اللهم اغفر أتسأل مسألة الجاهل . [صفحہ ۱۱] قلت إن بنى عمومى من بنى خثولتك كثير فأيهم تعنى قال أعنى عليا لاغيره فقلت لا و الله يا أمير المؤمنين ما أعلم منه إلا خيرا و لأعرف له إلا حسنا قال و الله بالحرى أن يستر دونك ما يظهره لغيرك و يقبض عنك ما ينسط به إلى سواك . قال ورمينا بعمار بن ياسر فسلم فرددت عليه سلامه ثم قال من معك قلت أمير المؤمنين عثمان قال نعم وسلم بكنيته و لم يسلم عليه بالخلافه فرد عليه ثم قال عمار ما الذى كنتم فقد سمعت ذروا منه قلت هو ما سمعت فقال عمار رب مظلوم غافل وظالم متجاهل قال عثمان أما إنك من شائنا وأتباعهم و ايم الله إن اليد عليك لمنبسطه و إن السبيل إليك لسهله و لو لا إيثار العافية و لم الشعث لزجرتك زجره تكفى ماضى وتمنع مابقى . فقال عمار و الله ما أعتذر من حبى عليا و ما اليد بمنبسطه و لا السبيل بسهله إني لازم حجة و مقيم على سنه و أما إيثارك العافية و لم الشعث فلازم ذلك و أما زجرى فأمسك عنه فقد كفاك معلمى تعليمى فقال عثمان أما و الله إنك ما علمت من أعوان الشر الحاضين عليه الخذلان عند الخير والمثبتين عنه فقال عمار مهلا يا عثمان فقد سمعت رسول الله ص يصفنى بغير ذلك قال عثمان ومتى قال يوم دخلت عليه منصرفه عن الجمعة و ليس عنده غيرك و قد ألقى ثيابه وقعد فى فضله فقبلت صدره ونحره وجبهته فقال يا عمار إنك لتحبنا و إنا لنحبك وإنك لمن الأعوان على الخير المثبتين عن الشر فقال عثمان أجل ولكنك غيرت وبدلت قال فرفع عمار يده يدعو و قال أمن يا ابن عباس اللهم من غير فغير به ثلاث مرات . قال ودخلنا المسجد فأهوى عمار إلى مصلاه ومضيت مع عثمان إلى القبلة [صفحہ ۱۲] فدخل المحراب و قال تلبث على إذا انصرفنا فلما رآنى عمار وحدى أتانى فقال أ ما رأيت ما بلغ بى آنفا قلت أما و الله لقد أصعبت به وأصعب بك و إن له لسنه وفضله وقرابته قال إن له لذلك ولكن لاحق لمن لاحق عليه وانصرف . وصلى عثمان وانصرفت معه يتوكأ على فقال هل سمعت ما قال عمار قلت نعم فسرني ذلك وساءنى أما مساءته إياى فما بلغ بك و أما مسرته لى فحلمك واحتمالك فقال إن عليا فارقتى منذ أيام على المقاربة و إن عمارا آتية فقاتل له وقاتل فابدره إليه فإنك أوثق عنده منه وأصدق قولاً فألق الأمر إليه على وجهه فقلت نعم . وانصرفت أريد عليا فى المسجد فإذا هو خارج منه فلما رآنى تفجع لى من فوت الصلاة و قال ما أدركتها قلت بلى ولكنى خرجت مع أمير المؤمنين ثم اقتصصت عليه القصه فقال أما و الله يا ابن عباس إنه ليقرف قرحة ليحورن عليه ألمها فقلت إن له سنه وسابقته وقرابته وصهره قال إن ذلك له ولكن لاحق لمن لاحق عليه . قال ثم رهقنا عمار فبش به على وتبسم فى وجهه وسأله فقال عمار يا ابن عباس هل ألقيت إليه ما كنا فيه قلت نعم قال أما و الله إذالقد قلت بلسان عثمان ونطقت بهواه قلت ما عدوت الحق جهدى و لا ذلك من فعلى وإنك لتعلم أى الحظيين أحب إلى و أى الحقيين أوجب على . قال فظن على أن عند عمار غير ما ألقيت إليه فأخذ بيده وترك يدي فعلمت أنه يكره مكاني فتخلفت عنهما وانشعب بنا الطريق فسلكاه و لم يدعنى فانطلقت إلى منزلى فإذا رسول عثمان يدعونى فأتيته فأجد باباه مروان وسعيد بن العاص . [صفحہ ۱۳] فى رجال من بنى أمية فأذن لى وأطفنى وقربنى وأدنى مجلسى ثم قال ما صنعت فأخبرته بالخبر على وجهه و ما قال الرجل و قلت له و كتمته قوله إنه ليقرف قرحة ليحورن عليه ألمها إبقاء عليه وإجلالا له و ذكرت مجيء عمار وبش على له و ظن على أن قبله غير ما ألقيت عليه وسلوكهما حيث سلكا قال وفعلا

قلت نعم فاستقبل القبلة ثم قال اللهم رب السموات والأرض عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم أصلح لى عليا وأصلحنى له
أمن يا ابن عباس فأمنت ثم تحدثنا طويلا وفارقتة وأتيت منزلى. وروى الزبير بن بكار أيضا فى الكتاب المذكور عن عبد الله بن
عباس قال ماسمعت من أبى شيئا قط فى أمر عثمان يلومه فيه ولا يعذره ولا سألته عن شىء من ذلك مخافة أن أهجم منه على ما
لا يوافقها فإنا عنده ليلة ونحن نتعشى إذ قيل هذا أمير المؤمنين عثمان بالباب فقال ائذنوا له فدخل فأوسع له على فراشه وأصاب
من العشاء معه فلما رفع قام من كان هناك وثبت أنا فحمد عثمان الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد ياخال فإنى قد جئتكم أستعذركم
من ابن أخيك على سبى وشهر أمرى وقطع رحمى وطعن فى دينى وإنى أعوذ بالله منكم يا بنى عبدالمطلب إن كان لكم حق
تزعمون أنكم غلبتم عليه فقد تركتموه فى يدي من فعل ذلك بكم وأنا أقرب إليكم رحما منه و مالمت منكم أحدا إلا عليا ولقد
دعيت أن أبسط عليه فتركته لله والرحم وأنا أخاف ألا يتركنى فلا أتركه . قال ابن عباس فحمد أبى الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد
يا ابن أختى فإن كنت لا تحمد عليا لنفسك فإنى لأحمدك لعلى و ما على وحده قال فيك بل غيره فلو أنك [صفحہ ۱۴]
اتهمت نفسك للناس اتهم الناس أنفسهم لك و لو أنك نزلت مما رقيت وارتقوا مما نزلوا فأخذت منهم وأخذوا منك ما كان
بذلك بأس قال عثمان فذلك إليك ياخال و أنت بينى وبينهم قال أفأذكر لهم ذلك عنك قال نعم وانصرف فما لبثنا أن قيل
هذا أمير المؤمنين قد رجع بالباب قال أبى ائذنوا له فدخل فقام قائما و لم يجلس و قال لا تعجل ياخال حتى أودنك فنظرنا
فإذ امرؤان بن الحكم كان جالسا بالباب ينتظره حتى خرج فهو الذى ثناه عن رأيه الأول فأقبل على أبى و قال يا بنى ما إلى هذا
من أمره شىء ثم قال يا بنى أملك عليك لسانك حتى ترى ما لا بد منه ثم رفع يديه فقال اللهم اسبق بى ما لا خير لى فى إدراكه
فما مرت جمعة حتى مات رحمه الله . و روى أبو العباس المبرد فى الكامل عن قنبر مولى على ع قال دخلت مع على بن عثمان
فأجبا الخلوة فأومأ إلى على ع بالتنحى فتنحيت غير بعيد فجعل عثمان يعاتبه و على مطرق فأقبل عليه عثمان و قال ما لك لا تقول
قال إن قلت لم أقل إلا ماتكره و ليس لك عندي إلا ماتحب -روایت- ۱-۲-روایت- ۳-۶۳-۲۸۰ . قال أبو العباس تأويل ذلك إن
قلت اعتددت عليك بمثل ما اعتددت به على فلذعك عتابى وعقدى ألا أفعل و إن كنت عاتبا إلا ماتحب . وعندى فيه تأويل
آخر و هو أنى إن قلت واعتذرت فأى شىء حسنته من الأعذار لم يكن ذلك عندك مصدقا و لم يكن إلا مكروها غير مقبول و الله
تعالى يعلم أنه ليس لك عندي فى باطنى و ما أطوى عليه جوانحى إلا -ماتحب و إن كنت لا تقبل المعاذير التى أذكرها بل
تكرها وتنبو نفسك عنها. [صفحہ ۱۵] و روى الواقدي فى كتاب الشورى عن ابن عباس رحمه الله قال شهدت عتاب عثمان
لعلى ع يوما فقال له فى بعض ما قاله نشدتك الله أن تفتح للفرقة بابا فلعهدى بك و أنت تطيع عتيقا و ابن الخطاب طاعتك
لرسول الله ص و لست بدون واحد منهما و أنا أمس بك رحما وأقرب إليك صهرا فإن كنت تزعم أن هذا الأمر جعله رسول الله
ص لك فقد رأيناك حين توفى نازعت ثم أقررت فإن كانا لم يركبا من الأمر جددا فكيف أذعنت لهما بالبيعة وبخعت بالطاعة
و إن كانا أحسنا فيما وليا و لم أقصر عنهما فى دينى وحسبى و قرابتى فكن لى كما كنت لهما. فقال على ع أما الفرقة فمعاذ الله أن
أفتح لها بابا وأسهل إليها سبيلا ولكنى أنهاك عما ينهك الله ورسوله عنه وأهديك إلى رشدك و أماعتيق و ابن الخطاب فإن
كانا أخذنا ما جعله رسول الله ص لى فأنت أعلم بذلك والمسلمون و ما لى ولهذا الأمر و قد تركته منذ حين فإما ألا يكون حقى
بل المسلمون فيه شرع فقد أصاب السهم الثغرة وإما أن يكون حقى دونهم فقد تركته لهم طبت به نفسا ونفضت يدي عنه
استصلاحا و أمالتسوية بينك وبينهما فلست كأحدهما إنهما وليا هذا الأمر فظلفا أنفسهما وأهلها عنه وعمت فيه وقومك عوم
السابح فى اللجة فارجع إلى الله أباعمر و وانظر هل بقى من عمرك إلا كظم ع الحمار فحتى متى و إلى متى ألا تنتهى سفهاء بنى
أمية عن أعراض المسلمين وأبشارهم وأموالهم و الله لو ظلم عامل من عمالك حيث تغرب الشمس لكان إثمه مشتركا بينه
وبينك -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۷-۷۸۳ . قال ابن عباس فقال عثمان لك العتبي وافعل واعزل من عمالى كل من تكرهه]

صفحة ١٦] ويكرهه المسلمون ثم افترقا فصدّه مروان بن الحكم عن ذلك و قال يجترئ عليك الناس فلا تعزل أحدا منهم . و روى الزبير بن بكار أيضا في كتابه عن رجال أسند بعضهم عن بعض عن علي بن أبي طالب ع قال أرسل إلى عثمان في الهاجرة فتفتحت بثوبى وأتيته فدخلت عليه و هو على سريره و فى يده قضيب و بين يديه مال دثر صبرتان من ورق وذهب فقال دونك خذ من هذا حتى تملأ بطنك فقد أحرقتنى فقلت وصلتك رحم إن كان هذا المال ورثته أو أعطاكه معط أو اكتسبته من تجارة كنت أحد رجلين إما آخذ وأشكر أو أوفر وأجهد و إن كان من مال الله و فيه حق المسلمين واليتيم و ابن السبيل فوالله ما لك أن تعطينه و لا لى أن آخذه فقال أبيت و الله إلا ما أبيت ثم قام إلى بالقضيب فضربنى و الله ما أورد يده حتى قضى حاجته فتفتحت بثوبى ورجعت إلى منزلى و قلت الله بينى وبينك إن كنت أمرتك بمعروف أو نهيت عن منكر -رواية- ١-٢-رواية- ٩٧-٧١٥ وروى الزبير بن بكار عن الزهري قال لما أتى عمر بجوهر كسرى وضع فى المسجد فطلعت عليه الشمس فصار كالجمر فقال لخازن بيت المال ويحك أرحنى من هذا واقسمه بين المسلمين فإن نفسى تحدثنى أنه سيكون فى هذا بلاء وفتنه بين الناس فقال يا أمير المؤمنين إن قسمته بين المسلمين لم يسعهم و ليس أحد يشتريه لأن ثمنه عظيم ولكن ندعه إلى قابل فعسى الله أن يفتح على المسلمين بمال فيشتريه منهم من يشتريه قال ارفعه فأدخله بيت المال . و قتل عمر و هو بحاله فأخذه عثمان لماولى الخلافة فحلى به بناته . [صفحة ١٧] قال الزبير فقال الزهري كل قد أحسن عمر حين حرم نفسه وأقاربه و عثمان حين وصل أقاربه . قال الزبير و حدثنا محمد بن حرب قال حدثنا سفيان بن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالد قال جاء رجل إلى على ع يستشفع به إلى عثمان فقال حمال الخطايا لا و الله لأعود إليه أبدا فأيسه منه -رواية- ١-٢-رواية- ٩١-١٩٤ وروى الزبير أيضا عن شداد بن عثمان قال سمعت عوف بن مالك فى أيام عمر يقول ياطعون خذنى فقلنا له لم تقول هذا و قد سمعت رسول الله ص يقول إن المؤمن لا يزيد طول العمر إلا خيرا -رواية- ١-٢-رواية- ٣٢-٧٢ قال إنى أخاف ستا خلافة بنى أمية و إمارة السفهاء من أحداثهم و الرشوة فى الحكم و سفك الدم الحرام و كثرة الشرط و نشأ ينشأ يتخذون القرآن مزامير . وروى الزبير عن أبى غسان عن عمر بن زياد عن الأسود بن قيس عن عبيد بن حارثة قال سمعت عثمان و هو يخطب فأكب الناس حوله فقال اجلسوا يا أعداء الله فصاح به طلحة إنهم ليسوا بأعداء الله لكنهم عباده و قد قرءوا كتابه . وروى الزبير عن سفيان بن عيينة عن إسرائيل عن الحسن قال شهدت المسجد يوم جمعة فخرج عثمان فقام رجل فقال أنشد كتاب الله فقال عثمان اجلس أ مالكتاب الله ناشد غيرك فجلس ثم قام آخر فقال مثل مقالته فقال اجلس فأبى [صفحة ١٨] أن يجلس فبعث إلى الشرط ليجلسوه فقام الناس فجالوا بينهم وبينه قال ثم تراموا بالبطحاء حتى يقول القائل ما أكاد أرى أديم السماء من البطحاء فنزل عثمان فدخل داره و لم يصل الجمعة

فصل فيما شجر بين عثمان و ابن عباس من الكلام بحضرة على

وروى الزبير أيضا فى الموفقيات عن ابن عباس رحمه الله قال صليت العصر يوما ثم خرجت فإذا أنا بعثمان بن عفان فى أيام خلافته فى بعض أزقة المدينة وحده فأتيته إجلالا و توقيرا لمكانه فقال لى هل رأيت عليا قلت خلفته فى المسجد فإن لم يكن الآن فيه فهو فى منزله قال أما منزله فليس فيه فابغى لنا فى المسجد فتوجهنا إلى المسجد و إذا على ع يخرج منه قال ابن عباس و قد كنت أمس ذلك اليوم عند على فذكر عثمان و تجرمه عليه و قال أما و الله يا ابن عباس إن من دوائه لقطع كلامه و ترك لقائه فقلت له يرحمك الله كيف لك بهذا فإن تركته ثم أرسل إليك فما أنت صانع قال أعتل و أعتل فمن يقسرنى قال لأحد . قال ابن عباس فلما تراءىنا له و هو خارج من المسجد ظهر منه من التفلت و الطلب للانصراف ما استبان لعثمان فنظر إلى عثمان و قال يا ابن عباس أ ماترى ابن خالنا يكره لقاءنا فقلت و لم وحقك ألزم و هو بالفضل أعلم فلما تقاربا رماه عثمان بالسلام فرد عليه فقال

عثمان إن تدخل فيأياك أردنا و إن تمض فيأياك طلبنا فقال على أي ذلك أحببت قال تدخل فدخلوا وأخذ عثمان بيده فأهوى به إلى القبلة فقصر عنها وجلس قبالتها فجلس عثمان إلى جانبه فنكصت عنهما فدعوانى جميعا فأتيتهما فحمد عثمان الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال أما بعد يا بنى خالى وابنى [صفحة ١٩] عمى فياذ جمعتمكما فى النداء فسأجمعكما فى الشكايه عن رضاي على أحدكما ووجدى على الآخر إنى أستعذركما من أنفسكما وأسألكما فيئتكما وأستوهبكما رجعتكما فوالله لو غالبنى الناس ما انتصرت إلا بكمما و لو تهضمونى ما تعززت إلا بعزكمما ولقد طال هذا الأمر بيننا حتى تخوفت أن يجوز قدره ويعظم الخطر فيه ولقد هاجنى العدو عليكمما وأغرانى بكمما فمنعنى الله والرحم مما أراد و قدخلونا فى مسجد رسول الله ص و إلى جانب قبره و قدأحببت أن تظهرالى رأيكمما فى و ما تنطويان لى عليه و تصدقا فإن الصدق أنجى وأسلم وأستغفر الله لى ولكما. قال ابن عباس فأطرق على ع وأطرق معه طويلا- أما أنا فأجللته أن أتكلم قبله و أما هو فأراد أن أجيب عنى و عنه ثم قلت له أتتكلم أم أتكلم عنك قال بل تكلم عنى وعنك فحمدت الله وأثيت عليه و صليت على رسوله ثم قلت أما بعد يا ابن عمنا وعمتنا فقد سمعنا كلامك لنا و خلطك فى الشكايه بيننا على رضاك زعمت عن أحدنا و وجدك على الآخر و سنفعل فى ذلك فنذمك ونحمدك اقتداء منك بفعلك فينا فإننا نذم مثل تهمتك إيانا على ما تهمتنا عليه بلا ثقة إلاظنا ونحمد منك غير ذلك من مخالفتك عشيرتك ثم نستعذررك من نفسك استعذارك إيانا من أنفسنا ونستوهبك فيئتك استيهابك إيانا فيئتنا ونسألك رجعتك مسألتك إيانا رجعتنا فإننا معا أيما حمدت و ذممت منا كمثلك فى أمر نفسك ليس بيننا فرق ولا اختلاف بل كلانا شريك صاحبه فى رأيه و قوله فوالله ما تعلمنا غير معذرين فيما بيننا وبينك و لا تعرفنا غير قانتين عليك و لا تجدنا غير راجعين إليك فنحن نسألك من نفسك مثل ما سألتنا من أنفسنا و أما قولك لو غالبتنى الناس ما انتصرت إلا بكمما أو تهضمونى ما تعززت إلا بعزكمما فأين بنا وبك عن ذلك ونحن و أنت كما قال أخو كنانة [صفحة ٢٠] بدا بحتر مارام نال و إن يرم || يخض دونه غمرا من الغر رائمه لنا ولهم منا ومنهم على العدا || مراتب عزمصعدات سلالمه . و أما قولك فى هيج العدو إياك علينا وإغرائه لك بنا فوالله ما أتاك العدو من ذلك شيئا إلا و قدأتانا بأعظم منه فمنعنا مما أراد ما منعك من مراقبة الله والرحم و ما أبقيت أنت ونحن إلا على أدياننا وأعراضنا ومرءاتنا ولقد لعمرى طال بنا وبك هذا الأمر حتى تخوفنا منه على أنفسنا وراقبنا منه ماراقت . و أما مساءلتك إيانا عن رأينا فيك و ما تنطوى عليه لك فإننا نخبرك أن ذلك إلى ما تحب لا يعلم واحد منا من صاحبه إلا ذلك و لا يقبل منه غيره و كلانا ضامن على صاحبه ذلك وكفيل به و قد برأت أحدنا وزكيتة وأنطق الآخر وأسكته و ليس السقيم منا مما كرهت بأنطق من البرىء فيما ذكرت و لا البرىء منا مما سخطت بأظهر من السقيم فيما وصفت فإما جمعتنا فى الرضا وإما جمعتنا فى السخط لنجازيك بمثل ما تفعل بنا فى ذلك مكايله الصاع بالصاع فقد أعلمناك رأينا وأظهرنا لك ذات أنفسنا و صدقناك والصدق كما ذكرت أنجى وأسلم فأجب إلى مادعوت إليه وأجلل عن النقض والغدر مسجد رسول الله ص وموضع قبره و اصدق تنج وتسلم ونستغفر الله لنا و لك قال ابن عباس فنظر إلى على ع نظر هيبه و قال دعه حتى يبلغ رضاه فيما هو فيه فوالله لو ظهرت له قلوبنا وبدت له سرائرنا حتى رآها بعينه كما يسمع الخبر عنها بأذنه ما زال متجرما منتقما و الله ما أناملقى على و ضمه وإنى لمانع ما وراء ظهري و إن هذا الكلام لمخالفة منه وسوء عشره فقال عثمان مهلا أباحسن فوالله إنك لتعلم أن رسول الله ص وصفنى -روايت-١-٢-روايت-١٨-ادامه دارد [صفحة ٢١] بغير ذلك يوم يقول و أنت عنده إن من أصحابى لقوما سالمين لهم و إن عثمان لمنهم إنه لأحسنهم بهم ظنا وأنصحهم لهم حبا فقال على ع فتصدق قوله ص بفعلك وخالف ما أنت الآن عليه فقد قيل لك ما سمعت و هو كاف إن قبلت قال عثمان فتثق يا أبا الحسن قال نعم أثق و لا أظنك إلا فعلا قال عثمان قد وثقت و أنت ممن لا يخفر صاحبه و لا يكذب لقيه -روايت-از قبل-٣٥٤. قال ابن عباس فأخذت بأيديهما حتى تصافحا وتصالحا وتمازحا ونهضت عنهما فتشاورا وتآمرا وتذاكرا ثم افترقا فوالله ما مررت ثالثة حتى لقينى كل واحد منهما يذكر من

صاحبه ما لا- تبرك عليه الإبل فعلمت أن لاسيبل إلى صلحهما بعدها. وروى أحمد بن عبدالعزيز الجوهري في كتاب أخبار السقيفة عن محمد بن قيس الأسدي عن المعروف بن سويد قال كنت بالمدينة أيام بويح عثمان فرأيت رجلا في المسجد جالسا وهو يصفق بإحدى يديه على الأخرى و الناس حوله و يقول وا عجبا من قريش واستثارهم بهذا الأمر على أهل هذا البيت معدن الفضل و نجوم الأرض و نور البلاد و الله إن فيهم لرجلا- مارأيت رجلا بعد رسول الله ص أولى منه بالحق و لأقضى بالعدل و لا أمر بالمعروف و لأنهى عن المنكر فسألت عنه فقيل هذا المقداد فتقدمت إليه و قلت أصلحك الله من الرجل الذى تذكر فقال ابن عم نبيك رسول الله ص على بن أبى طالب . قال فلبثت ماشاء الله ثم إنى لقيت أبأذر رحمه الله فحدثته ما قال المقداد فقال صدق قلت فما يمنعكم أن تجعلوا هذا الأمر فيهم قال أبى ذلك قومهم قلت فما يمنعكم أن تعينوهم قال مه لا تقل هذا إياكم والفرقة والاختلاف . [صفحہ ۲۲] قال فسكت عنه ثم كان من الأمر بعد ما كان . وذكر شيخنا أبو عثمان الجاحظ في الكتاب الذى أورد فيه المعاذير عن أحداث عثمان أن عليا اشتكى فعاده عثمان من شكايته فقال على ع وعائده تعود لغير ود || تود لو أن ذا دنف يموت . فقال عثمان و الله ما أدري أحياتك أحب إلى أم موتك إن مت ها ضنى فقدك و إن حيتت فتنتنى حياتك لأعدم ما بقيت طاعنا يتخذك رديئة يلجأ إليها. فقال على ع ما الذى جعلنى رديئة للطاعنين العائنين إنما سوء ظنك بى أخلنى من قبلك هذا المحل فإن كنت تخاف جانبى فلك على عهد الله وميثاقه أن لا بأس عليك منى ما بل بحر صوفه وإنى لك لراع وإنى عنك لمحام ولكن لا- ينفعنى ذلك عندك و أما قولك إن فقدى يهضك فكلا- أن تهاض لفقدى ما بقى لك الوليد ومروان . فقام عثمان فخرج . و قدروى أن عثمان هو الذى أنشد هذا البيت و قد كان اشتكى فعاده على ع فقال عثمان وعائده تعود بغير نصح || تود لو أن ذا دنف يموت . وروى أبوسعده الآبى فى كتابه عن ابن عباس قال وقع بين عثمان و على [صفحہ ۲۳] ع كلام فقال عثمان ما أصنع إن كانت قريش لا تحبكم و قد قتلتم منهم يوم بدر سبعين كأن وجوههم شنوف الذهب تصرع أنفهم قبل شفاهم . وروى المذكور أيضا أن عثمان لما نقم الناس عليه ما نقموا قام متوكئا على مروان فخطب الناس فقال إن لكل أمة آفة ولكل نعمة عاهة و إن آفة هذه الأمة وعاهة هذه النعمة قوم عيابون طعانون يظهرون لكم ماتحبون ويسرون ماتكروهون طعام مثل النعام يتبعون أول ناعق ولقد نقموا على ما نقموا على عمر مثله فقمعهم ووقمهم وإنى لأقرب ناصرا وأعز نفرا فما لى لأفعل فى فضول الأموال ما أشاء. وروى المذكور أيضا أن عليا ع اشتكى فعاده عثمان فقال ما أراك أصبحت إلا ثقيلًا قال أجل قال و الله ما أدري أموتك أحب إلى أم حياتك إنى لأحب موتك وأكره أن أعيش بعدك فلو شئت جعلت لنا من نفسك مخرجا إما صديقا مسالما وإما عدوا مغالبا وإنك لكما قال أخو إباد جرت لما بيننا حبل الشوموس فلا || يأسا مبينا نرى منها و لاطمعا فقال على ع ليس لك عندى ماتخافه و إن أجبتك لم أجبك إلا بما تكرهه . وكتب عثمان إلى على ع حين أحيط به أما بعد فقد جاوز الماء الزبى وبلغ الحزام الطيبين وتجاوز الأمر فى قدره فطمع فى من لا يدفع عن نفسه [صفحہ ۲۴] فإن كنت مأكولا فكن خير آكل || و لإفأدركنى و لما أمزق . وروى الزبير خبر العيادة على وجه آخر قال مرض على ع فعاده عثمان ومعه مروان بن الحكم فجعل عثمان يسأل عليا عن حاله و على ساكت لا يجيبه فقال عثمان لقد أصبحت يا أبا الحسن منى بمنزلة الولد العاق لأبيه إن عاش عقه و إن مات فجعته فلو جعلت لنا من أمرك فرجا إما عدوا أو صديقا و لم تجعلنا بين السماء والماء أما و الله لأننا خير لك من فلان وفلان و إن قتلت لا تجد مثلى فقال مروان أما و الله لا يرام ما وراءنا حتى تتواصل سيوفنا وتقطع أرحامنا. فالتفت إليه عثمان و قال اسكت لاسكت و ما يدخلك فيما بيننا. و روى شيخنا أبو عثمان الجاحظ عن زيد بن أرقم قال سمعت عثمان و هو يقول لعلى ع أنكرت على استعمال معاوية و أنت تعلم أن عمر استعمله قال على ع نشدتك الله ألا تعلم أن معاوية كان أطوع لعمر من يرفأ غلامه إن عمر كان إذا استعمل عاملا- وطى على صماخه و إن القوم ركبوك وغلبوك واستبدوا بالأمر دونك فسكت عثمان -رواية- ۱-۲-رواية- ۵۱-۳۱۹

قلت حدثني جعفر بن مكي الحاجب رحمه الله قال سألت محمد بن سليمان حاجب الحجاب و قد رأيت أنا محمدا هذا وكانت لي به معرفة غير مستحكمة و كان ظريفا [صفحة ٢٥] أدبيا و قد اشتغل بالرياضيات من الفلسفة و لم يكن يتعصب لمذهب بعينه قال جعفر سألت عما عنده في أمر علي وعثمان فقال هذه عداوة قديمة النسب بين عبد شمس و بين بنى هاشم و قد كان حرب بن أمية نافر عبدالمطلب بن هاشم و كان أبوسفیان يحسد محمداص و حاربه و لم تزل الثنتان متباغضتين و إن جمعتهما المنافية ثم إن رسول الله ص زوج عليا بابنته و زوج عثمان بابنته الأخرى و كان اختصاص رسول الله ص لفاطمة أكثر من اختصاصه للبنت الأخرى وللتانية التي تزوجها عثمان بعد وفاة الأولى و اختصاصه أيضا لعلي و زيادة قربه منه و امتزاجه به و استخلاصه إياه لنفسه أكثر و أعظم من اختصاصه لعثمان بنفس عثمان ذلك عليه فتباعد ما بين قلييهما و زاد في التباعد ما عساه يكون بين الأختين من مباغضة أو مشاجرة أو كلام ينقل من إحداهما إلى الأخرى فيتكدر قلبها علي أختها و يكون ذلك التكدير سببا لتكدير ما بين البعيلين أيضا كما نشاهده في عصرنا و في غيره من الأعصار و قد قيل ما قطع من الأخوين كالزوجتين ثم اتفق أن عليا قتل جماعة كثيرة من بنى عبد شمس في حروب رسول الله ص فتأكد الشنتان و إذا استوحش الإنسان من صاحبه استوحش صاحبه منه ثم مات رسول الله ص فصبا إلى علي جماعة يسيرة لم يكن عثمان منهم و لاحضر في دار فاطمة مع من حضر من المخلفين عن البيعة و كانت في نفس علي ع أمور من الخلافة لم يمكنه إظهارها في أيام أبي بكر و عمر لقوة عمر و شدته و انبساط يده و لسانه فلما قتل عمر و جعل الأمر شورى بين الستة و عدل عبدالرحمن بها عن علي إلى عثمان لم يملك علي نفسه فأظهر ما كان كامنا و أبدى ما كان مستورا و لم يزل الأمر يتزايد بينهما حتى شرف و تفاقم و مع ذلك فلم يكن علي ع لينكر من أمره إلا منكرا و لا ينهيه إلا كما تقتضى الشريعة نهييه عنه و كان عثمان مستضعفا في نفسه رخوا قليل الحزم واهى العقدة و سلم عنانه إلى [صفحة ٢٦] مروان يصرفه كيف شاء الخلافة له في المعنى و لعثمان في الاسم فلما انتقض علي عثمان أمره استصرخ عليا و لاذ به و ألقى زمام أمره إليه فدافع عنه حيث لا ينفع الدفاع و ذب عنه حين لا يبغي الذب فقد كان الأمر فسد فسادا لا يرجى صلاحه . قال جعفر فقلت له أتقول إن عليا وجد من خلافة عثمان أعظم مما وجد من خلافة أبي بكر و عمر فقال كيف يكون ذلك و هو فرع لهما و لولاهما لم يصل إلى الخلافة و لا كان عثمان ممن يطمع فيها من قبل و لا يخطر له ببال ولكن ها هنا أمر يقتضى في عثمان زيادة المنافسة و هو اجتماعهما في النسب و كونهما من بنى عبد مناف و الإنسان ينافس ابن عمه الأدنى أكثر من منافسه الأبعد و يهون عليه من الأبعد ما لا يهون عليه من الأقرب . قال جعفر فقلت له أف تقول لو أن عثمان خلع و لم يقتل أ كان الأمر يستقيم لعلي ع إذا بويع بعد خلعه فقال لا . و كيف يتوهم ذلك بل يكون انتقاض الأمور عليه و عثمان حى مخلوع أكثر من انتقاضها عليه بعد قتله لأنه موجود يرجى و يتوقع عوده فإن كان محبوبا عظم البلاء و الخطب و هتف الناس باسمه في كل يوم بل في كل ساعة و إن كان مخلى سربه و ممكنا من نفسه و غير محول بينه و بين اختياره لجأ إلى بعض الأطراف و ذكر أنه مظلوم غصبت خلافته و قهر علي خلع نفسه فكان اجتماع الناس عليه أعظم و الفتنة به أشد و أغلظ . قال جعفر فقلت له فما تقول في هذا الاختلاف الواقع في أمر الإمامة من مبدأ الحال و ما ألدى تظنه أصله و منبعه فقال لأعلم لهذا أصلا إلا أمرين أحدهما أن رسول الله ص أهمل أمر الإمامة فلم يصرح فيه بأحد بعينه وإنما كان هناك رمز و إيماء و كناية و تعريض لو أراد صاحبه أن يحتج به وقت الاختلاف و حال المنازعة [صفحة ٢٧] لم يقيم منه صورة حجة تغنى و لا دلالة تحسب و تكفى ولذلك لم يحتج علي ع يوم السقيفة بما ورد فيه لأنه لم يكن نصا جليا يقطع العذر و يوجب الحججة و عادة الملوك إذا تمهد ملكهم و أرادوا العقد لولد من أولادهم أو وثقه من ثقاتهم أن يصرحوا بذكره و يخطبوا باسمه على أعناق المنابر و بين فواصل الخطب و يكتبوا بذلك إلى الآفاق البعيدة عنهم

والأقطار النائبة منهم و من كان منهم ذا سرير وحصن ومدن كثيرة ضرب اسمه على صفحات الدنانير والدرهم مع اسم ذلك الملك بحيث تزول الشبهة في أمره ويسقط الارتباب بحاله فليس أمر الخلافة بهين ولاصغير ليترك حتى يصير في مظنة الاشتباه واللبس ولعله كان لرسول الله ص في ذلك عذر لانعلمه نحن إما خشية من فساد الأمر أو إرجاف المنافقين وقولهم إنها ليس بنبوؤ وإنما هي ملك به أوصى لذريته وسلالته و لما لم يكن أحد من تلك الذرية في تلك الحال صالحا للقيام بالأمر لصغر السن جعله لأبيهم ليكون في الحقيقة لزوجته التي هي ابنته ولأولاده منها من بعده . و أما ما تقوله المعتزلة وغيرهم من أهل العدل أن الله تعالى علم أن المكلفين يكونون على ترك الأمر مهملا غير معين أقرب إلى فعل الواجب وتجنب القبيح قال ولعل رسول الله ص لم يكن يعلم في مرضه أنه يموت في ذلك المرض و كان يرجو البقاء فيمهد للإمامة قاعده واضحه ومما يدل على ذلك أنه لما نوزع في إحضار الدواة والكتف ليكتب لهم ما لا يضلون بعده غضب و قال اخرجوا عني لم يجمعهم بعد الغضب ثانية ويعرفهم رشدهم ويهديهم إلى مصالحهم بل ارجأ الأمر إرجاء من يرتقب الإفاقة وينتظر العافية. قال فتلك الأقوال المحجمة والكنائيات المحتملة والرموز المشتبهة مثل حديث [صفحہ ۲۸] خصف النعل و منزلة هارون من موسى و من كنت مولاه و هذا يعسوب الدين و لا فتى إلا - على و أحب خلقك إليك ... و ماجرى هذا المجرى مما لا يفصل الأمر ويقطع العذر ويسكت الخصم ويفحم المنازع و ثبت الأنصار فادعتها و وثب بنو هاشم فادعوها و قال أبو بكر بايعوا عمر أو أبا عبيدة و قال العباس لعلي امدد يدك لأبيعك و قال قوم ممن رعف به الدهر فيما بعد و لم يكن موجودا حينئذ إن الأمر كان للعباس لأنه العم الوارث و إن أبا بكر و عمر غضباه حقه فهذا أحدهما . و أما السبب الثاني للاختلاف فهو جعل عمر الأمر شوري في الستة و لم ينص على واحد بعينه إما منهم أو من غيرهم فبقى في نفس كل واحد منهم أنه قدرشح للخلافة و أهل للملك والسلطنة فلم يزل ذلك في نفوسهم و أذهانهم مصورا بين أعينهم مرتسما في خيالاتهم منازعة إليه نفوسهم طامحة نحوه عيونهم حتى كان من الشقاق بين علي و عثمان ما كان و حتى أفضى الأمر إلى قتل عثمان و كان أعظم الأسباب في قتله طلحة و كان لا يشك أن الأمر له من بعده لوجوه منها سابقته و منها أنه ابن عم لأبي بكر و كان لأبي بكر في نفوس أهل ذلك العصر منزلة عظيمة أعظم منها الآن و منها أنه كان سمحا جوادا و قد كان نازع عمر في حياة أبي بكر و أحب أن يفوض أبو بكر الأمر إليه من بعده فما زال يقتل في الذروة والغارب في أمر عثمان وينكر له القلوب و يكدر عليه النفوس و يغرى أهل المدينة والأعراب و أهل الأمصار به و ساعده الزبير و كان أيضا يرجو الأمر لنفسه و لم يكن رجاؤهما الأمر بدون رجاء علي بل رجاؤهما كان أقوى لأن عليا دحضة الأولان و أسقطاه و كسرا ناموسه بين الناس فصار نسيا منسيا و مات الأكثر ممن يعرف خصائصه التي كانت في أيام النبوة و فضله و نشأ قوم لا يعرفونه و لا يرونه إلا رجلا من عرض المسلمين و لم يبق له مما يمت به إلا أنه ابن عم الرسول و زوج ابنته و أبوسبطيه و نسي ما وراء ذلك كله و اتفق له من بغض [صفحہ ۲۹] قريش و انحرافها ما لم يتفق لأحد و كانت قريش بمقدار ذلك البغض تحب طلحة و الزبير لأن الأسباب الموجبة لبغضهم لم تكن موجودة فيهما و كانا يتألفان قريشا في أواخر أيام عثمان و بعدانهم بالعطاء والإفضال و هما عند أنفسهما و عند الناس خليفان بالقوة لا بالفعل لأن عمر نص عليهما و ارتضاهما للخلافة و عمر متبع القول و مرضى الفعال موفق مؤيد مطاع نافذ الحكم في حياته و بعد وفاته فلما قتل عثمان أرادها طلحة و حرص عليها فلو لا الأشر و قوم معه من شجعان العرب جعلوها في علي لم تصل إليه أبدا فلما فاتت طلحة و الزبير فتقا ذلك الفتق العظيم على علي و أخرجوا أم المؤمنين معها و قصدا العراق و أثارا الفتنة و كان من حرب الجمل ما قد علم و عرف ثم كانت حرب الجمل مقدمة و تمهيدا لحرب صفين فإن معاوية لم يكن ليفعل ما فعل لو لا طمعه بما جرى في البصرة ثم أوهم أهل الشام أن عليا قد فسق بمحاربة أم المؤمنين و محاربة المسلمين و أنه قتل طلحة و الزبير و هما من أهل الجنة و من يقتل مؤمنا من أهل الجنة فهو من أهل النار فهل كان الفساد المتولد في صفين إلا فرعا للفساد الكائن يوم الجمل ثم نشأ من فساد صفين و ضلال معاوية كل ماجرى من الفساد و القبيح في أيام بنى أمية و نشأت

فتنة ابن الزبير فرعا من فروع يوم الدار لأن عبد الله كان يقول إن عثمان لما أيقن بالقتل نص على بالخلافة ولى بذلك شهود ومنهم مروان بن الحكم أفلاترى كيف تسلسلت هذه الأمور فرعا على أصل وغصنا من شجرة وجذوة من ضرام هكذا يدور بعضه على بعض وكله من الشورى فى الستة. قال وأعجب من ذلك قول عمر وقديل له إنك استعملت يزيد بن أبى سفيان وسعيد بن العاص ومعاوية وفلانا وفلانا من المؤلفة قلوبهم من الطلقاء وأبناء الطلقاء وتركت أن تستعمل عليا والعباس والزبير وطلحة فقال أما على فأنبه من ذلك و أما هؤلاء النفر [صفحة ٣٠] من قريش فإنى أخاف أن ينتشروا فى البلاد فيكثروا فيها الفساد فمن يخاف من تأميرهم لثلا- يطمعوا فى الملك ويدعيه كل واحد منهم لنفسه كيف لم يخف من جعلهم ستة متساوين فى الشورى مرشحين للخلافة وهل شىء أقرب إلى الفساد من هذا وقد روى أن الرشيد رأى يوما محمدا و عبد الله ابنيه يلعبان ويضحكان فسر بذلك فلما غابا عن عينه بكى فقال له الفضل بن الربيع ما يبكيك يا أمير المؤمنين وهذا مقام جدل لا مقام حزن فقال أ ما رأيت لعبهما ومودة بينهما أما والله ليتبدلن ذلك بغضا وشنفا وليحتلسن كل واحد منهما نفس صاحبه عن قريب فإن الملك عقيم و كان الرشيد قد عقد الأمر لهما على ترتيب هذا بعد هذا فكيف من لم يرتبوا فى الخلافة بل جعلوا فيها كأسنان المشط. فقلت أنا لجعفر هذا كله تحكيه عن محمد بن سليمان فما تقول أنت فقال إذا قلت حذام فصدقوها || فإن القول ما قالت حذام [صفحة ٣١]

١٣٦- و من كلام له ع

لَمْ تَكُنْ بَيْعَتُكُمْ إِيَّائِي فَالْتِيَّةَ وَ لَيْسَ أَمْرِي وَ أَمْرُكُمْ وَاحِدًا إِنِّي أُرِيدُكُمْ لِلَّهِ وَ أَنْتُمْ تَرِيدُونَنِي لِأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَعَيْنُونِي عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَ أَيُّمُ اللَّهُ لَأُنْصِفَنَّ الْمَظْلُومَ وَ لَأَقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخَزَامَتِهِ حَتَّى أُرِدَّهُ مِنْهَلِ الْحَقِّ وَ إِنْ كَانَ كَارِهًا الْفَلْتَةُ الْأَمْرُ يَقَعُ عَنْ غَيْرِ تَدْبِيرٍ وَ لَارُويَةٌ وَ فى الكلام تعريض ببيعة أبى بكر و قد تقدم لنا فى معنى قول عمر كانت بيعة أبى بكر فلتة و قى الله شرها كلام . والخزامة حلقة من شعر تجعل فى أنف البعير و يجعل الزمام فيها. وأعينونى على أنفسكم خذوها بالعدل وأفنعوها عن اتباع الهوى و اردعوها بعقولكم عن المسالك التى ترديها و توبقها فإنكم إذا فعلتم ذلك أعتمونى عليها لأنى أعظكم و آمركم بالمعروف و أنهاكم عن المنكر فإذا كبحتم أنفسكم بلجام العقل الداعى إلى ما أدعو إليه فقد أعتمونى عليها. فإن قلت ما معنى قوله أريدكم لله و تريدونى لأنفسكم . [صفحة ٣٢] قلت لأنه لا يريد من طاعتهم له إلا نصره دين الله والقيام بحدوده و حقوقه و لا يريد منهم لحظ نفسه و أماهم فإنهم يريدونه لحظوظ أنفسهم من العطاء والتقريب والأسباب الموصلة إلى منافع الدنيا. و هذا الخطاب منه ع لجمهور أصحابه فأما الخواص منهم فإنهم كانوا يريدونه للأمر الذى يريدون له من إقامة شرائع الدين وإحياء معالمه [صفحة ٣٣]

١٣٧- و من كلام له ع فى شأن طلحة والزبير

وَ اللَّهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَرًا وَ لَأَجْعَلُوا بَيْنِي وَ بَيْنَهُمْ نَصْفًا وَ إِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا هُمْ تَرَكُوهُ وَ دَمًا هُمْ سَفَكُوهُ فَإِنْ كُنْتُ شَرِيكُهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ نَصَبَ بَيْنِهِمْ مِنْهُ وَ إِنْ كَانُوا وَلَوْهُ دُونِي فَمَا الظَّلِيَّةُ إِلَّا قَبْلَهُمْ وَ إِنْ أَوْلَّ عِدْلِهِمْ لِلْحُكْمِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَ إِنْ مَعِيَ لَبَصِيْرَتِي مَا لَبَسْتُ وَ لَأُبَسَّ عَلَيَّ وَ إِنَّهَا لِلْفِتْنَةِ الْبَاغِيَّةِ فِيهَا الْحَمَأُ وَ الْحَمِيَّةُ وَ الشَّبَهَةُ الْمُغْدَفَةُ وَ إِنْ الْأَمْرُ لَوَاضِحٌ وَ قَدْ زَاخَ الْبَاطِلُ عَنْ نِصَابِهِ وَ انْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ شَغِيْبِهِ وَ أَيُّمُ اللَّهِ لَأُفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضًا أَنَا مَا تَحْتَهُ لَأَيْصُدُّرُونَ عَنْهُ بَرِيًّا وَ لَأَيُعْبُونَ بَعْدَهُ فى حِسْبِي النِّصْفُ الْإِنْصَافُ قَالَ الْفَرَزْدَقُ وَلَكِنْ نِصْفًا لَوْ سَبِيتُ وَسَبَيْتُ || بنو عبد شمس من قريش وهاشم و هو على حذف المضاف أى ذا نصف أى حكما

منصفا عادلا يحكم بيني وبينهم والطلبه بكسر اللام ما طلبته من شيء ولبست على فلان الأمر ولبس عليه الأمر كلاهما بالتخفيف . [صفحة ٣٤] والحما الطين الأسود قال سبحانه من صلصالٍ من حَمِيمٍ مَسْنُونٍ وحمة العقرب سمتها أى فى هذه الفئة الباغية الضلال والفساد والضرر و إذا أرادت العرب أن تعبر عن الضلال والفساد قالت الحم ء مثله الحمأة بالتاء و من أمثالهم تأطه مدت بماء يضرب للرجل يشتد موقه وجهله والتأطه الحمأة و إذا أصابها الماء ازدادت فسادا ورطوبة. ويروى فيها الحما بألف مقصورة و هو كناية عن الزبير لأن كل ما كان بسبب الرجل فهم الأحماء واحدهم حما مثل قفا وأقفاء و ما كان بسبب المرأة فهم الأخاتن فأما الأصهار فيجمع الجهتين جمعا و كان الزبير ابن عمه رسول الله ص و قد كان النبي ص أعلم عليا بأن فئه من المسلمين تبغى عليه أيام خلافته فيها بعض زوجاته وبعض أحمائه فكنى على ع عن الزوجة بالحمة وهى سم العقرب ويروى والحم ء يضرب مثلا لغير الطيب ولغير الصافى وظهر أن الحم ء الذى أخبر النبي ص بخروجه مع هؤلاء البغاة هو الزبير ابن عمته و فى الحمأ أربع لغات حما مثل قفا وحم ء مثل كم ء وحمو مثل أبو وحم مثل أب . قوله ع والشبهة المغدفة أى الخفية وأصله المرأة تغدف وجهها بقناعها أى تستره وروى المغدفة بكسر الدال من أغدف الليل أى أظلم . وزاح الباطل أى بعد وذهب وأزاحه غيره . و عن نصابه عن مركزه ومقره و منه قول بعض المحدثين . -قرآن- ٣٤-٦٤ قدرجع الحق إلى نصابه || و أنت من دون الورى أولى به والشغب بالتسكين تهيج الشر شغب الحقد بالفتح شغبا و قد جاء بالتحريك فى لغة ضعيفة وماضيها شغب بالكسر . [صفحة ٣٥] ولأفرطن لهم حوضا أى لأملأن يقال أفرطت المزادة أى ملأتها وغدير مفرط أى ملآن . والماتح بنقطتين من فوق المستقى من فوق وبالياء مالىء الدلاء من تحت والعب الشرب بلا- مص كما تشرب الدابة و فى الحديث الكباد من العب -روايت- ١-٢- روايت- ١٤-٣٠ والحسى ماء كامن فى رمل يحفر عنه فيستخرج وجمعه أحساء . يقول ع و الله ما أنكروا على أمرا هو منكر فى الحقيقة وإنما أنكروا ما الحجة عليهم فيه لا لهم وحملهم على ذلك الحسد وحب الاستثار بالدنيا والتفضيل فى العطاء و غير ذلك مما لم يكن أمير المؤمنين ع يراه و لا يستجيزه فى الدين قال و لاجعلوا بيني وبينهم نصفا يعنى وسيطا يحكم وينصف بل خرجوا عن الطاعة بغته وإنهم ليطلبون حقا تركوه أى يظهرون أنهم يطلبون حقا بخروجهم إلى البصرة و قد تركوا الحق بالمدينة. قال ودما هم سفكوه يعنى دم عثمان و كان طلحة من أشد الناس تحريضا عليه و كان الزبير دونه فى ذلك . روى أن عثمان قال ولى على ابن الحضرمية يعنى طلحة أعطيته كذا وكذا بهارا ذهباً و هو يروم دمي يحرض على نفسى اللهم لا تمتعه به ولقه عواقب بغيه . وروى الناس الذين صنعوا فى واقعة الدار أن طلحة كان يوم قتل عثمان مقنعا بثوب قد استتر به عن أعين الناس يرمى الدار بالسهم ورووا أيضا أنه لما امتنع على الذين [صفحة ٣٦] حصروه الدخول من باب الدار حملهم طلحة إلى دار لبعض الأنصار فأصعدهم إلى سطحها وتسوروا منها على عثمان داره فقتلوه . ورووا أيضا أن الزبير كان يقول اقتلوه فقد بدل دينكم فقالوا إن ابنك يحامى عنه بالبواب فقال ما أكره أن يقتل عثمان و لو بدئى بابنى إن عثمان لجيفة على الصراط غدا. و قال مروان بن الحكم يوم الجمل و الله لا أترك ثارى و أنا أراه ولأقتلن طلحة بعثمان فإنه قتله ثم رماه بسهم فأصاب مابضه فنزف الدم حتى مات . ثم قال ع إن كنت شريكهم فى دم عثمان فإن لهم نصيبهم منه فلا يجوز لهم أن يطلبوا بدمه وهم شركاء فيه و إن كانوا ولوه دونى فهم المطلوبون إذن به لا غيرهم . وإنما لم يذكر القسم الثالث و هو أن يكون هوع وليه دونهم لأنه لم يقل به قائل فإن الناس كانوا على قولين فى ذلك أحدهما أن عليا وطلحة والزبير مسهم لطخ من عثمان لابعنى أنهم باشروا قتله بل بمعنى الإغراء والتحريض وثانيهما أن عليا ع برىء من ذلك و أن طلحة والزبير غير بريئين منه . ثم قال و إن أول عدلهم للحكم على أنفسهم يقول إن هؤلاء خرجوا ونقضوا البيعة وقالوا إنما خرجنا للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإظهار العدل وإحياء الحق وإماتة الباطل وأول العدل أن يحكموا على أنفسهم فإنه يجب على الإنسان أن يقضى على نفسه ثم على غيره و إذا كان دم عثمان قبلهم فالواجب أن ينكروا على أنفسهم قبل إنكارهم على غيرهم . [صفحة ٣٧] قال و إن معى لبصيرتى أى عقلى مالبت

على الناس أمرهم و لا لبس الأمر على أى لم يلبسه رسول الله ص على بل أوضحه لى وعرفنيه . ثم قال وإنما للفئة الباغية لام التعريف فى الفئة تشعر بأن نصابا كان عنده أنه ستخرج عليه فئة باغية و لم يعين له وقتها و لا كل صفاتها بل بعض علاماتها فلما خرج أصحاب الجمل ورأى تلك العلامات موجودة فيهم قال وإنما للفئة الباغية أى و إن هذه الفئة أى الفئة التى وعدت بخروجها على و لو لا- هذا القول وإنما لفئة باغية على التنكير. ثم ذكر بعض العلامات فقال إن الأمر لو اوضح كل هذا يؤكده به عند نفسه و عند غيره أن هذه الجماعة هى تلك الفئة الموعود بخروجها و قد ذهب الباطل وزاح و خرس لسانه بعد شغبه . ثم أقسم ليملأن لهم حوضا هوماتحه و هذه كناية عن الحرب والهيجه و ما يتعقبهما من القتل والهلاك لا يصدر عن برى أى ليس كهذه الحياض الحقيقية التى إذا ورد لها الظمان صدر عن رى و نقع غليله بل لا يصدر عن إلا وهم جزر السيوف و لا يعبون بعده فى حسى لأنهم هلكوا فلا يشربون بعده البارد العذب . و كان عمرو بن الليث الصفار أمير خراسان أنفذ جيشا لمحاربة إسماعيل بن أحمد السامانى فانكسر ذلك الجيش و عادوا إلى عمرو بن الليث فغضب و لقي القواد بكلام غليظ فقال له بعضهم أيها الأمير إنه قد طيخ لك رجل عظيم و إنما نلنا منه لهمة يسيرة و الباقى مذخور لك فعلام تتركه اذهب إليهم فكله فسكت عمرو بن الليث عنه و لم يجب . [صفحة ٣٨] و مرادنا من هذه المشابهة و المناسبة بين الكنايتين منه فأقبلتم إلى إقبال العوذ المطافيل على أولادها تقولون البيعة البيعة قبضت كفى قبس طمموها و نازعتكم يدي فجاذبتموها اللهم إنهما قطعاني و ظلماني و نكنا بيعتي و ألبا الناس على فاحل ميا عقمدا و لما تحكم لهما ما أبرما و أرها المساءة فيما أملا و عملا و لقد استتبتهما قبل القتال و استأنيت بهما أمام الوقاع فغمطنا النعمة و ردنا العافية العوذ النوق الحديثات النتاج الواحدة عائذ مثل حائل و حول و قديقال ذلك للخيل و الأطباء و يجمع أيضا على عوذان مثل راع و رعيان و هذه عائذة بينة العوذ و ذلك إذا ولدت عن قريب و هى فى عيادها أى بحدثان نتاجها. و المطافيل جمع مطفل و هى التى زال عنها اسم العياد و معها طفلها و قد تسمى المطافيل عودا إلى أن يبعد العهد بالنتاج مجازا و على هذا الوجه قال أمير المؤمنين إقبال العوذ المطافيل و إلا فلاسمان معا لا يجتمعان حقيقة و إذا زال الأول ثبت الثانى. قوله و ألبا الناس على أى حرضا يقال حسود مؤلب . [صفحة ٣٩] و استتبتهما بالشاء المعجمة بثلاث طلبت منهما أن يتوبا أى يرجعا وسمى المنزل مثابة لأن أهله ينصرفون فى أمورهم ثم يتوبون إليه و يروى و لقد استتبتهما أى طلبت منهما أن يتوبا إلى الله من ذنبهما فى نقض البيعة. و استأنيت بهما من الإناء و الانتظار. و الوقاع بكسر الواو مصدر و اقعتهم فى الحرب وقاعا مثل نازلتهم نزالا- و قاتلتهم قتالا. و غمط فلان النعمة إذا حقرها و أزرى بها غمطا و يجوز غمط النعمة بالكسر و المصدر غير محرك و يقال إن الكسر أفصح من الفتح . يقول ع إنكم أقبلتم مزدحمين كما تقبل النوق إلى أولادها تسألوننى البيعة فامتنت عليكم حتى علمت اجتماعكم فبايعتكم ثم دعا على على طلحة و الزبير بعد أن وصفهما بالقطيعة و النكث و التأليب عليه بأن يحل الله تعالى ما عقدا و ألا- يحكم لهما ما أبرما و أن يريهما المساءة فيما أملا و عملا. فأما الوصف لهما بما وصفهما به فقد صدق ع فيه و أمادعاؤه فاستجيب له و المساءة التى دعا بها هى مساءة الدنيا لا مساءة الآخرة فإن الله تعالى قد وعدهما على لسان رسوله بالجنة و إنما استوجباها بالتوبة التى ينقلها أصحابنا رحمهم الله فى كتبهم عنهما ولولاها لكانا من الهالكين [صفحة ٤٠]

١٣٨- و من خطبة له ع يومئذ فيها إلى ذكر الملاحم

إشارة

يَعِطُ الْهَوَى عَلَى الْهُدَى إِذَا عَطَفُوا الْهُدَى عَلَى الْهَوَى وَ يَعِطُ الرَّأى عَلَى الْقُرْآنِ إِذَا عَطَفُوا الْقُرْآنَ عَلَى الرَّأى هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى

إمام يخلقه الله تعالى في آخر الزمان و هو الموعود به في الأخبار والآثار ومعنى يعطف الهوى يقهره ويشبهه عن جانب الإيثار والإرادة عاملا عمل الهدى فيجعل الهدى قاهرا له وظاهرا عليه . وكذلك قوله ويعطف الرأى على القرآن أى يقهر حكم الرأى والقياس والعمل بغلبة الظن عاملا- عمل القرآن . وقوله إذاعطفوا الهدى و إذاعطفوا القرآن إشارة إلى الفرق المخالفين لهذا الإمام المشاقين له الذين لا يعملون بالهدى بل بالهوى و لا يحكمون بالقرآن بل بالرأى [صفحة ٤١] مِنْهَا حَتَّى تَقُومَ الْحَرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاقٍ بَادِيًا نَوَاجِدُهَا مَمْلُوءَةٌ أَخْلَافُهَا حُلُومًا رَضَاعُهَا عُلُقَمًا عَاقِبَتُهَا أَلَا وَفِي غَدٍ وَ سَيَأْتِي غَدٌ بِمَا لَا تَعْرِفُونَ يَأْخُذُ الْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَالَهَا عَلَى مَسَاوِي أَعْمَالِهَا وَ تَخْرُجُ لَهُ الْأَرْضُ أَفَالِيدَ كَبِدِهَا وَ تَلْقَى إِلَيْهِ سِلْمًا مَقَالِيدَهَا فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَدْلُ السَّيْرَةِ وَ يُحْيِي مَيِّتَ الْكِتَابِ وَ السَّيْنَةَ السَّاقِ الشَّدَةَ وَ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ . وَ النَوَاجِدُ أَقْصَى الْأَضْرَاسِ وَ الْكَلَامُ كِنَايَةٌ عَنْ بُلُوغِ الْحَرْبِ غَايَتِهَا كَمَا أَنَّ غَايَةَ الضَّحْكَ أَنَّ تَبْدُو النَوَاجِدُ . قَوْلُهُ مَمْلُوءَةٌ أَخْلَافُهَا وَ الْأَخْلَافُ لِلنَّاقَةِ حِلْمَاتُ الضَّرْعِ وَ أَحَدُهَا خَلْفٌ وَ كَذَلِكَ قَوْلُهُ حَلُومًا رَضَاعُهَا عُلُقَمًا عَاقِبَتُهَا قَدْ أَخَذَهُ الشَّاعِرُ فَقَالَ - قُرْآن - ٣٣-٥٤ الْحَرْبُ أَوَّلُ مَا تَكُونُ فِتْنَةٌ || تَسْعَى بَزِينَتِهَا لِكُلِّ جَهْلٍ حَتَّى إِذَا اشْتَعَلَتْ وَ شَبَّ ضَرَامُهَا || عَادَتْ عَجُوزًا غَيْرِذَاتِ حَلِيلٍ شَمَطَاءَ جَزَتْ رَأْسَهَا وَ تَنَكَّرَتْ || مَكْرُوهَةٌ لِلشَّمِّ وَ التَّقْبِيلِ [صفحة ٤٢] وَ هُوَ الرِّضَاعُ بِالْفَتْحِ وَ الْمَاضِي رَضِعَ بِالْكَسْرِ مِثْلَ سَمِعَ سَمَاعًا وَ أَهْلُ نَجْدٍ يَقُولُونَ رَضِعَ بِالْفَتْحِ يَرْضِعُ بِالْكَسْرِ رَضَعًا مِثْلَ ضَرْبٍ يَضْرِبُ ضَرْبًا وَ أَنْشَدُوا وَ ذَمُّوا لَنَا الدُّنْيَا وَ هُمْ يَرْضَعُونَهَا || أَفَؤَيْقٍ حَتَّى مَا يَدْرُ لَهَا ثَعْلٌ بِكَسْرِ الضَّادِ

فصل فى الاعتراض وإيراد مثل منه

و قوله ألا و فى غد تمامه يأخذ الوالى و بين الكلام جملة اعتراضية وهى قوله وسيأتى غد بما لاتعرفون والمراد تعظيم شأن الغد الموعود بمجيئه ومثل ذلك فى القرآن كثير نحو قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم و إنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريممفقوله تعالى إنه لقرآن كريم هو الجواب المتلقى به قوله فلا أقسم و قد اعترض بينهما قوله و إنه لقسم لو تعلمون عظيم و اعترض بين هذا الاعتراض قوله لو تعلمون لأنك لو حذفته لبقى الكلام على إفادته و هو قوله و إنه لقسم عظيم والمراد تعظيم شأن ما أقسم به من مواقع النجوم وتأكيده إجلاله فى النفوس و لاسيما بقوله لو تعلمون عظيم . و من ذلك قوله تعالى و يجعلون لله البنات سبحانه و لهم ما يشتهونفقوله سبحانهاعتراض والمراد التنزيه وكذلك قوله تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الأرضفلقد علمتاعتراض والمراد به تقرير إثبات البراءة من تهمة السرقة . وكذلك قوله و إذا بدلنا آية مكان آية و الله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت قرا ن - قرا ن - ١٨٩ - ٢٨٧ - قرا ن - ٣٠١ - ٣٢٣ - قرا ن - ٣٥٣ - ٣٦٤ - قرا ن - ٣٨٩ - ٤٢٩ - قرا ن - ٤٦٢ - ٤٧٥ - قرا ن - ٤٣٧ - ٤٥٨ - قرا ن - ٤٨٤ - ٦٨٤ - ٧٤٥ - قرا ن - ٧٥٢ - ٧٦٠ - قرا ن - ٧٩٨ - ٨٥١ - قرا ن - ٨٥٣ - ٨٦٦ - قرا ن - ٩٣٥ - ١٠٢٠ . و فى غد تمامه يأخذ الوالى و بين الكلام جملة اعتراضية وهى قوله وسيأتى غد بما لاتعرفون والمراد تعظيم شأن الغد الموعود بمجيئه ومثل ذلك فى القرآن كثير نحو قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم و إنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم هو الجواب المتلقى به قوله فلا أقسم و قد اعترض بينهما قوله و إنه لقسم لو تعلمون عظيم و اعترض بين هذا الاعتراض قوله لو تعلمون لأنك لو حذفته لبقى الكلام على إفادته و هو قوله و إنه لقسم عظيم والمراد تعظيم شأن ما أقسم به من مواقع النجوم وتأكيده إجلاله فى النفوس و لاسيما بقوله لو تعلمون عظيم . و من ذلك قوله تعالى و يجعلون لله البنات سبحانه و لهم ما يشتهونفقوله سبحانهاعتراض والمراد التنزيه وكذلك قوله تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الأرضفلقد علمتاعتراض والمراد به تقرير إثبات البراءة من تهمة السرقة . وكذلك قوله و إذا بدلنا آية مكان آية و الله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر فاعتراض بين إذا وجوابها بقوله و الله أعلم بما ينزلفكأنه أراد أن يجيبهم عن دعواهم فجعل الجواب اعتراضا . و من ذلك قوله و وصينا الإنسان بالآديه

حَمَلْتُهُ أُمَّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرَ لِي وَ لَوَالِدَيْكَ فَاعْتَرَضَ بِقَوْلِهِ حَمَلْتُهُ أُمَّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ بَيْنَ وَصَيِّنَا وَ بَيْنَ الْمُوصَى بِهِ وَفَائِدَةُ ذَلِكَ إِذْكَارُ الْوَالِدِ بِمَا كَابَدَتْهُ أُمُّهُ مِنَ الْمَشَقَّةِ فِي حَمَلِهِ وَفِصَالِهِ . وَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ وَ إِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَ اللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ فَقَلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِ مَا قَوْلُهُ وَ اللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ نَاعْتَرَضَ بَيْنَ الْمَعْطُوفِ وَالْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ وَ الْمُرَادُ أَنْ يَقْرَرُ فِي أَنْفُسِ السَّامِعِينَ أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ الْبَشَرَ كِتْمَانُهُمْ وَ إِخْفَاؤُهُمْ لِمَا يَرِيدُ اللَّهُ إِظْهَارَهُ . وَ مِنْ الْاِعْتِرَاضِ فِي الشَّعْرِ قَوْلُ جَرِيرٍ -قُرْآن- ١-٨-قُرْآن- ٤٠-٧٠-قُرْآن- ١٤٤-٢٦٥-قُرْآن- ٢٨٠-٣٣٧-قُرْآن- ٣٤٣-٣٥٠-قُرْآن- ٤٥٤-٥٦١-قُرْآن- ٥٦٨-٦٠٥ وَ لَقَدْ أَرَانِي وَالْجَدِيدَ إِلَى بَلِي || فِي مَوْكِبِ بِيضِ الْوَجْهِ كِرَامِ فَقَوْلُهُ وَالْجَدِيدَ إِلَى بَلِي اِعْتِرَاضٌ وَ الْمُرَادُ تَعْزِيَتُهُ نَفْسَهُ عَمَّا مَضَى مِنْ تِلْكَ اللَّذَاتِ . وَ كَذَلِكَ قَوْلُ كَثِيرٍ لَوْ أَنَّ الْبَاخِلِينَ وَ أَنْتَ مِنْهُمْ || رَأَوْكَ تَعَلَّمُوا مِنْكَ الْمَطَالَا فَقَوْلُهُ وَ أَنْتَ مِنْهُمْ اِعْتِرَاضٌ وَفَائِدَتُهُ أَلَّا تَظُنَّ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِاِخْلَةٍ . [صَفْحَةُ ٤٤] وَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ فَلَوْ سَأَلْتَ سِرَاهُ الْحَى سَلِمَى || عَلَى أَنْ قَد تَلَوْنَا بِي زَمَانِي لَخَبَرَهَا ذُووِ أَحْسَابِ قَوْمِي || وَ أَعْدَائِي فَكَلَّ قَدْبَلَانِي بِذِي الذِّمِّ عَنِ حَسْبِي وَ مَالِي || وَ زَبُونَاتِ أَشْوَسِ تَيْحَانَ وَ إِنِّي لَا أَزَالُ أَخَا حُرُوبٍ || إِذَا لَمْ أَجْنِ كُنْتَ مَجْنِ جَانِي . فَقَوْلُهُ عَلَى أَنْ قَد تَلَوْنَا بِي زَمَانِي . اِعْتِرَاضٌ وَفَائِدَتُهُ الْإِخْبَارُ عَنِ أَنَّ السَّنَّ قَدْ أَخَذَتْ مِنْهُ وَ تَغَيَّرَتْ بِطُولِ الْعُمُرِ أَوْ صَافِهِ . وَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ رَدَدَتْ رَوْنَقٌ وَجْهِي فِي صَحِيفَتِهِ || رَدَّ الصَّقَالَ بِهَاءِ الصَّارِمِ الْخِذْمِ وَ مَا أَبَالِي وَ خَيْرِ الْقَوْلِ أَصْدَقَهُ || حَقَنْتَ لِي مَاءَ وَجْهِي أَمْ حَقَنْتَ دَمِي فَقَوْلُهُ وَ خَيْرِ الْقَوْلِ أَصْدَقَهُ اِعْتِرَاضٌ وَفَائِدَتُهُ إِثْبَاتُ صَدَقَةِ فِي دَعْوَاهُ أَنَّهُ لَا يَبَالِي أَيُّهُمَا حَقَنَ . فَأَمَّا قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ أَيْضًا وَ إِنَّ الْغَنَى لِي إِنْ لَحِظْتَ مَطَالِبِي || مِنْ الشَّعْرِ إِلَّا فِي مَدِيحِكَ أَطْوَعُ . فَإِنَّ اِلْعِرَاضَ فِيهِ هُوَ قَوْلُهُ إِلَّا فِي مَدِيحِكَ وَ لَيْسَ قَوْلُهُ إِنْ لَحِظْتَ مَطَالِبِي اِعْتِرَاضًا كَمَا زَعَمَ ابْنُ الْأَثِيرِ الْمُوَصَلِي لِأَنَّ فَائِدَةَ الْبَيْتِ مَعْلُوقَةٌ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ لَا يَرِيدُ أَنْ الْغَنَى [صَفْحَةُ ٤٥] لِي عَلَى كُلِّ حَالٍ أَطْوَعُ مِنَ الشَّعْرِ وَ كَيْفَ يَرِيدُ هَذَا وَ هُوَ كَلَامٌ فَاسِدٌ مُخْتَلٌ بَلْ مُرَادُهُ أَنَّ الْغَنَى لِي بِشَرَطِ أَنْ تَلْحِظَ مَطَالِبِي مِنَ الشَّعْرِ أَطْوَعُ لِي إِلَّا فِي مَدِيحِكَ فَإِنَّ الشَّعْرَ فِي مَدِيحِكَ أَطْوَعُ لِي مِنْهُ وَ إِذَا كَانَتِ الْفَائِدَةُ مَعْلُوقَةً بِالشَّرْطِ الْمَذْكُورِ لَمْ يَكُنْ اِعْتِرَاضًا وَ كَذَلِكَ وَ هُمُ ابْنُ الْأَثِيرِ أَيْضًا فِي قَوْلِ إِمْرِي الْقَيْسِ فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَدْنَى مَعِيشَةٍ || كَفَانِي وَ لَمْ أَطْلُبْ قَلِيلًا مِنَ الْمَالِ وَ لَكِنَّمَا أَسْعَى لِمَجْدٍ مَوْثَلٍ || وَ قَدِيدِرَكَ الْمَجْدُ الْمَوْثَلُ أَمْثَالِي . فَقَالَ إِنْ قَوْلُهُ وَ لَمْ أَطْلُبْ اِعْتِرَاضٌ وَ لَيْسَ بِصَحِيحٍ لِأَنَّ فَائِدَةَ الْبَيْتِ مَرْتَبِطَةٌ بِهِ وَ تَقْدِيرُهُ لَوْ سَعَيْتَ لِأَنَّ أَكَلَ وَأَشْرَبَ لِكَفَانِي الْقَلِيلِ وَ لَمْ أَطْلُبْ الْمَلِكُ فَكَيْفَ يَكُونُ قَوْلُهُ وَ لَمْ أَطْلُبْ الْمَلِكُ اِعْتِرَاضًا وَ مِنْ شَأْنِ اِلْعِرَاضِ أَنْ يَكُونَ فَضْلُهُ تَرَدُّدًا لِتَحْسِينِ وَ تَكْمَلَةٍ وَ لَيْسَتْ فَائِدَتُهُ أَصْلِيَّةً . وَ قَدِيَأَتِي اِلْعِرَاضُ وَ لَافَائِدَةُ فِيهِ وَ هُوَ غَيْرُ مُسْتَحْسَنٍ نَحْوُ قَوْلِ النَّابِغَةِ يَقُولُ رِجَالٌ يَجْهَلُونَ خَلِيقَتِي || لَعَلَّ زِيَادًا لَا أَبَا لَكَ غَافِلٌ . فَقَوْلُهُ لَا أَبَا لَكَ اِعْتِرَاضٌ لِامْعْنَى تَحْتَهُ هَاهُنَا وَ مِثْلُهُ قَوْلُ زَهِيرِ سَمْتِ تَكَالِيفِ الْحَيَاءِ وَ مِنْ يَعْشُ || ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَا لَكَ يَسَامُ . فَإِنْ جَاءَتْ لَا أَبَا لَكَ تَعْطَى مَعْنَى يَلِيقُ بِالْمَوْضِعِ فَهِيَ اِعْتِرَاضٌ جَيِّدٌ نَحْوُ قَوْلِ أَبِي تَمَامٍ عَتَابِكَ عَنِي لَا أَبَا لَكَ وَاقْصِدِي . فَإِنَّهُ أَرَادَ زَجْرَهَا وَ ذَمَّهَا لِمَا أَسْرَفَتْ فِي عَتَابِهِ . [صَفْحَةُ ٤٦] وَ قَدِيَأَتِي اِلْعِرَاضُ عَلَى غَايَةِ مِنَ الْقَبْحِ وَ اِلْعِرَاضُ هِجَانٌ وَ هُوَ عَلَى سَبِيلِ التَّقْدِيمِ وَ التَّأخِيرِ نَحْوُ قَوْلِ الشَّاعِرِ فَقَدْ وَ الشُّكَّ بَيْنَ لِي عَنَاءٍ || بُوْشَكُ فِرَاقِهِمْ صَرْدٌ فَصِيحٌ تَقْدِيرُهُ فَقَدْ بَيْنَ لِي صَرْدٌ يَصِيحُ بُوْشَكُ فِرَاقِهِمْ وَ الشُّكَّ عَنَاءٌ فَلَأَجَلَ قَوْلُهُ وَ الشُّكَّ عَنَاءٌ بَيْنَ قَدِّ وَ الْفِعْلِ الْمَاضِي وَ هُوَ بَيْنَ عَدِّ اِعْتِرَاضًا مُسْتَهْجَنًا وَ أَمْثَالُ هَذَا لِلْعَرَبِ كَثِيرٌ . قَوْلُهُ عَ يَأْخُذُ الْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عَمَالِهَا عَلَى مَسَاوِي أَعْمَالِهَا كَلَامٌ مُنْقَطِعٌ عَمَّا قَبْلَهُ وَ قَدْ كَانَ تَقَدَّمَ ذِكْرُ طَائِفَةٍ مِنَ النَّاسِ ذَاتِ مَلِكٍ وَ أَمْرِهِ فَذَكَرَ أَنَّ الْوَالِيَّ يَعْنِي الْإِمَامَ الَّذِي يَخْلُقُهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَأْخُذُ عَمَالَ هَذِهِ الطَّائِفَةَ عَلَى سُوءِ أَعْمَالِهِمْ وَ عَلَى هَاهُنَا مَتَعْلُوقَةٌ يَأْخُذُ الَّتِي هِيَ بِمَعْنَى يَأْخُذُ مِنْ قَوْلِكَ أَخَذْتَهُ بِذَنْبِهِ وَ أَخَذْتَهُ وَ الْهَمْزُ أَفْصَحُ . وَ الْأَفَالِيدُ جَمْعُ أَفْلَازٍ وَ أَفْلَازُ جَمْعُ فَلْدٍ وَ هِيَ الْقِطْعَةُ مِنَ الْكَبِدِ وَ هَذَا كِنَايَةٌ عَنِ الْكِنُوزِ الَّتِي تَظْهَرُ لِلْقَائِمِ بِالْأَمْرِ وَ قَدْ جَاءَ ذِكْرُ ذَلِكَ فِي خَبَرِ مَرْفُوعٍ فِي لَفْظَةٍ وَ قَاءَتْ لَهُ الْأَرْضُ أَفْلَازَ كَبِدِهَا وَ قَدْ فَسَّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَ أَخْرَجَتْ الْأَرْضُ أَنْقَالَهَا بِذَلِكَ فِي بَعْضِ التَّفَاسِيرِ . وَ الْمَقَالِيدُ الْمَفَاتِيحُ -قُرْآن- ٥٣٣- ٥٦٢ مِنْهَا كَأَنِّي بِهِ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ وَ فَحَصَّ بِرِايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ فَعَطَفَ عَلَيْهَا عَطْفَ الضُّرُوسِ وَ فَرَشَ الْأَرْضَ بِالرُّؤُوسِ قَدْ

فَعَرَّتْ فَاعْرَتْهُ وَ ثَقَلَتْ فِي الْأَرْضِ وَ طَأَتْهُ بِعَيْدِ الْجَوْلَةِ عَظِيمِ الصَّوْلَةِ [صفحہ ۴۷] وَ اللَّهُ لِيُشْرِدَنَّكُمْ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا قَلِيلٌ كَالْكُحْلِ فِي الْعَيْنِ فَلَا تَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى تَتُوبَ إِلَى الْعَرَبِ عَوَازِبُ أَحْلَامِهَا فَالزَّمُوا السِّنَّ الْقَائِمَةَ وَ الْآثَارَ الْبَيِّنَةَ وَ الْعَهْدَ الْقَرِيبَ الَّذِي عَلَيْهِ بَاقِي النَّبُوَّةِ وَ اعْلَمُوا أَنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يَسِيءُ بِكُمْ طُرُقَهُ لِيَتَّبِعُوا عَقِبَهُ هَذَا الْخَبَارُ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَظُهُورَهُ بِالشَّامِ وَ مَلِكُهُ بَعْدَ ذَلِكَ الْعِرَاقِ وَ مَاقَتَلَ مِنَ الْعَرَبِ فِيهَا أَيَّامَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَشْعَثِ وَ قَتَلَهُ أَيَّامَ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ. وَ نَعَى الرَّاعِي بَغْنَمَهُ بِالْعَيْنِ الْمَهْمَلَةَ وَ نَعَى الْغَرَابَ بِالْغَيْنِ الْمَعْجَمَةَ وَ فَحَصَّ بِرَايَاتِهِ هَاهُنَا مَفْعُولٌ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ وَ فَحَصَّ النَّاسَ بِرَايَاتِهِ أَيْ نَحَاهُمْ وَ قَلْبَهُمْ يَمِينًا وَ شِمَالًا. وَ كُوفَانَ اسْمَ الْكُوفَةِ وَ ضَوَاحِيهَا مَاقَرَبٌ مِنْهَا مِنَ الْقُرَى وَ الضَّرُوسِ النَّاقَةُ السَّيْئَةُ الْخَلْقِ تَعْضُ حَالِبُهَا قَالَ بَشْرُ بْنُ أَبِي خَازِمٍ عَطَفْنَا لَهُمْ عَطْفَ الضَّرُوسِ مِنَ الْمَلَا || بِشَهَاءٍ لَا يَمْشِي الضَّرَاءُ رَقِيْبَهَا . وَ قَوْلُهُ وَ فَرَشَ الْأَرْضَ بِالرَّءُوسِ غَطَاهَا بِهَا كَمَا يَغْطِي الْمَكَانَ بِالْفَرَّاشِ . وَ فَعَرَّتْ فَاعْرَتْهُ كَأَنَّهُ يَقُولُ فَتَحَ فَاهُ وَ الْكَلَامُ اسْتِعَارَةٌ وَ فَعَرَ فَعَلَ يَتَعَدَى وَ لَا يَتَعَدَى وَ ثَقَلَتْ فِي الْأَرْضِ وَ طَأَتْهُ كَنَائِيَةٌ عَنِ الْجُورِ وَ الظُّلْمِ . بِعَيْدِ الْجَوْلَةِ اسْتِعَارَةٌ أَيْضًا وَ الْمَعْنَى أَنَّ تَطَوَّافَ خَيْوَلِهِ وَ جِيوشَهُ فِي الْبِلَادِ أَوْ جَوْلَانَ رَجَالَهُ فِي الْحَرْبِ عَلَى الْأَقْرَانِ طَوِيلٌ جَدًّا لَا يَتَعَقَبُهُ السُّكُونُ إِلَّا نَادِرًا . وَ بَعِيدٌ مَنْصُوبٌ عَلَى الْحَالِ وَ إِضَافَتُهُ غَيْرُ مَحْضَةٍ . [صفحہ ۴۸]

وَ عَوَازِبُ أَحْلَامِهَا مَا ذَهَبَ مِنْ عَقُولِهَا عَزَبَ عَنْهُ الرَّأْيُ أَيْ بَعْدَ . وَ يَسْنَى لَكُمْ طُرُقَهُ أَيْ يَسْهَلُ وَ الْعَقَبُ بِكَسْرِ الْقَافِ مُؤَخَّرُ الْقَدَمِ وَ هِيَ مُؤَنَّثَةٌ . فَإِنْ قُلْتَ فَإِنَّ قَوْلَهُ حَتَّى تَتُوبَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ غَايَةَ مَلِكِهِ أَنَّ تَتُوبَ إِلَى الْعَرَبِ عَوَازِبُ أَحْلَامِهَا وَ عَبْدِ الْمَلِكِ مَاتَ فِي مَلِكِهِ وَ لَمْ يَزَلِ الْمَلِكُ عَنْهُ بِأُوبَةِ أَحْلَامِ الْعَرَبِ إِلَيْهَا فَإِنَّ فَائِدَةَ حَتَّى إِلَى وَ هِيَ مَوْضُوعَةٌ لِلْغَايَةِ . قُلْتَ إِنْ مَلِكٌ أَوْ أَوْلَادُهُ مَلِكُهُ أَيْضًا وَ مَا زَالَ الْمَلِكُ عَنْ بَنِي مَرْوَانَ حَتَّى آبَتْ إِلَى الْعَرَبِ عَوَازِبُ أَحْلَامِهَا وَ الْعَرَبُ هَاهُنَا بَنُو الْعَبَّاسِ وَ مِنْ اتَّبَعَهُمْ مِنَ الْعَرَبِ أَيَّامَ ظُهُورِ الدَّوْلَةِ كَقَحْطَبَةَ بْنِ شَيْبَةَ الطَّائِيَّ وَ ابْنَهُ حَمِيدَ وَ الْحَسَنَ وَ كَبْنَى رَزْتَنى بِتَقْدِيمِ الرَّاءِ الْمَهْمَلَةِ الَّذِينَ مِنْهُمْ طَاهِرُ بْنُ الْحَسَنِ وَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَصْعَبِيُّ وَ عِدَادُهُمْ فِي خِزَاعَةٍ وَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ مِنْ شَيْعَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَ قَدْ قِيلَ إِنْ أَبَا مَسْلَمٍ أَيْضًا عَرَبِيٌّ أَصْلُهُ وَ كُلُّ هَؤُلَاءِ وَ آبَائِهِمْ كَانُوا مُسْتَضْعَفِينَ مَقْهُورِينَ مَغْمُورِينَ فِي دَوْلَةِ بَنِي أُمَيَّةٍ لَمْ يَنْهَضْ مِنْهُمْ نَاهِضٌ وَ لَا وَثَبَ إِلَى الْمَلِكِ وَ اثْبَ إِلَى أَنْ أَفَاءَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى هَؤُلَاءِ مَا كَانَ عَزَبَ عَنْهُمْ مِنْ إِبَائِهِمْ وَ حَمِيَّتِهِمْ فَغَارُوا لِلدِّينِ وَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ جُورِ بَنِي مَرْوَانَ وَ ظَلَمِهِمْ وَ قَامُوا بِالْأَمْرِ وَ أزالوا تلكَ الدَّوْلَةَ الَّتِي كَرِهَهَا اللَّهُ تَعَالَى وَ أذْنُ فِي انْتِقَالِهَا . ثُمَّ أَمْرُهُمْ عَ بَأَنَّ يَلْزَمُوا بَعْدَ زَوَالِ تِلْكَ الدَّوْلَةِ الْكِتَابَ وَ السَّنَةَ وَ الْعَهْدَ الْقَرِيبَ الَّذِي عَلَيْهِ بَاقِي النَّبُوَّةِ يَعْنِي عَهْدَهُ وَ أَيَّامَهُ عَ وَ كَأَنَّهُ خَافَ مِنْ أَنَّ يَكُونَ يَأْخُبَارُهُ لَهُمْ بَأَنَّ دَوْلَةَ هَذَا الْجَبَّارِ سَتَنْقُضِي إِذَا آبَتْ إِلَى الْعَرَبِ عَوَازِبُ أَحْلَامِهَا كَالْأَمْرِ لَهُمْ بِاتِّبَاعِ وَاوَلَةِ الدَّوْلَةِ الْجَدِيدَةِ فِي كُلِّ مَا تَفَعَّلَهُ فَاسْتَظْهَرُوا عَلَيْهِمْ بِهَذِهِ الْوَصِيَّةِ وَ قَالَ لَهُمْ إِذَا بَدَلْتَ الدَّوْلَةَ فَالزَّمُوا الْكِتَابَ وَ السَّنَةَ وَ الْعَهْدَ الَّذِي فَارَقْتُمْ عَلَيْهِ [صفحہ ۴۹]

۱۳۹- و من كلام له ع في وقت الشورى

اشاره

لَنْ يُسْرِعَ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَى دَعْوَةٍ حَقٍّ وَ صِلَةٍ رَحِمَ وَ عَائِدَةٍ كَرَمَ فَاسْمَعُوا قَوْلِي وَ عُوا مَطْقِي عَسِي أَنْ تَرَوْا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِ هَذَا الْيَوْمِ تُنْتَضَى فِيهِ السِّيُوفُ وَ تُخَانُ فِيهِ الْعُهُودُ حَتَّى يَكُونَ بَعْضُكُمْ أُمَّةً لِأَهْلِ الضَّلَالَةِ وَ شَيْعَةً لِأَهْلِ الْجَهَالَةِ هَذَا مِنْ جَمَلَةِ كَلَامِ قَالِهِ عَ لِأَهْلِ الشُّورَى بَعْدَ وَفَاةِ عَمْرٍ

من أخبار يوم الشورى وتولية عثمان

وقد ذكرنا من حديث الشورى فيما تقدم ما فيه كفاية ونحن نذكر هاهنا ما لم نذكره هناك و هو من روايه عوانه عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي فى كتاب الشورى ومقتل عثمان و قد رواه أيضا أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري فى زيادات كتاب السقيفة قال لماطعن عمر جعل الأمر شورى بين ستة نفر على بن أبى طالب و عثمان بن عفان و عبدالرحمن بن عوف و الزبير بن العوام و طلحة بن عبيد الله و سعد بن مالك و كان [صفحه ٥٠] طلحة يومئذ بالشام و قال عمر إن رسول الله ص قبض و هو عن هؤلاء راض فهم أحق بهذا الأمر من غيرهم وأوصى صهيب بن سنان مولى عبد الله بن جدعان ويقال إن أصله من حى من ربيعة بن نزار يقال لهم عنزة فأمره أن يصلى بالناس حتى يرضى هؤلاء القوم رجلا منهم و كان عمر لا يشك أن هذا الأمر صائر إلى أحد الرجلين على و عثمان و قال إن قدم طلحة فهو معهم و إلا فلتختر الخمسة واحدا منها و روى أن عمر قبل موته أخرج سعد بن مالك من أهل الشورى و قال الأمر فى هؤلاء الأربعة و دعوا سعدا على حاله أميرا بين يدي الإمام ثم قال و لو كان أبو عبيدة بن الجراح حيا لما تخالجتني فيه الشكوك فإن اجتمع ثلاثة على واحد فكونوا مع الثلاثة و إن اختلفوا فكونوا مع الجانب الذى فيه عبدالرحمن . و قال لأبى طلحة الأنصارى يا أباطلحة فو الله لطالما أعز الله بكم الدين و نصر بكم الإسلام اختر من المسلمين خمسين رجلا فانت بهم هؤلاء القوم فى كل يوم مرة فاستحثوهم حتى يختاروا لأنفسهم وللأمة رجلا منهم . ثم جمع قوما من المهاجرين والأنصار فأعلمهم ما أوصى به و كتب فى وصيته أن يولى الإمام سعد بن مالك الكوفة و أبا موسى الأشعري لأنه كان عزل سعدا عن سخطه فأحب أن يطلب ذلك إلى من يقوم بالأمر من بعده استرضاء لسعد . قال الشعبي فحدثني من لا أتهمه من الأنصار و قال أحمد بن عبدالعزيز الجوهري هو سهل بن سعد الأنصارى قال مشيت وراء على بن أبى طالب حيث انصرف من عند عمر و العباس بن عبدالمطلب يمشى فى جانبه فسمعتة يقول للعباس ذهبت منا و الله فقال كيف علمت قال ألاتسمعه يقول كونوا فى الجانب الذى فيه عبدالرحمن لأنه ابن عمه و عبدالرحمن نظير عثمان و هو صهره فإذا اجتمع هؤلاء فلو أن الرجلين [صفحه ٥١] الباقين كانا معى لم يغنيا عنى شيئا مع أنى لست أرجو إلا أحدهما و مع ذلك فقد أحب عمر أن يعلمنا أن لعبد الرحمن عنده فضلا علينا لعمر الله ما جعل الله ذلك لهم علينا كما لم يجعله لأولادهم على أولادنا أما و الله لئن عمر لم يمت لأذكرته ما أتى إلينا قديما و لأعلمته سوء رأيه فينا و ما أتى إلينا حديثا و لئن مات و ليموتن ليجمعن هؤلاء القوم على أن يصرفوا هذا الأمر عنا و لئن فعلوها و ليفعلن ليرونى حيث يكرهون و الله ما بى رغبة فى السلطان و لاحب الدنيا ولكن لإظهار العدل و القيام بالكتاب و السنة . قال ثم التفت فرآنى وراءه فعرفت أنه قد ساءه ذلك فقلت لا ترع أباحسن لا و الله لا يستمع أحد الذى سمعت منك فى الدنيا ما اصطحبنا فيها فو الله ما سمعه منى مخلوق حتى قبض الله عليا إلى رحمته . قال عوانه فحدثنا إسماعيل قال حدثني الشعبي قال فلما مات عمر و أدرج فى أكفانه ثم وضع ليصلى عليه تقدم على بن أبى طالب فقام عند رأسه و تقدم عثمان فقام عند رجليه فقال على ع هكذا ينبغي أن تكون الصلاة فقال عثمان بل هكذا فقال عبدالرحمن ما أسرع ما اختلفتم يا صهيب صل على عمر كما رضى أن تصلى بهم المكتوبة فتقدم صهيب فصلى على عمر . قال الشعبي و أدخل أهل الشورى دارا فأقبلوا يتجادلون عليها و كلهم بها ضنين و عليها حريص إما لدنيا و إما لآخرة فلما طال ذلك قال عبدالرحمن من رجل منكم يخرج نفسه عن هذا الأمر و يختار لهذه الأمة رجلا منكم فإنى طيبة نفسى أن أخرج منها و أختار لكم قالوا قدر ضينا إلا على بن أبى طالب فإنه اتهمه و قال أنظر و أرى فأقبل أبو طلحة عليه و قال يا أبا الحسن ارض برأى عبدالرحمن كان الأمر لك أو لغيرك فقال على أعطنى يا عبدالرحمن موثقا من الله لتؤثرن الحق و لاتتبع الهوى [صفحه ٥٢] و لاتمل إلى صهر و لاذى قرابة و لاتعمل إلا لله و لاتألو هذه الأمة أن تختار لها خيرا قال فحلف له عبدالرحمن بالله الذى لا إله إلا هو لأجتهدن لنفسى ولكم وللأمة و لأميل إلى هوى و لا- إلى صهر و لا- إلى قرابة قال فخرج عبدالرحمن فمكث ثلاثة أيام يشاور الناس ثم رجع واجتمع الناس و كثروا على الباب لا يشكون أنه يبائع على بن أبى طالب و كان هوى قریش كافة ماعدا بنى هاشم فى عثمان و هوى طائفة من الأنصار مع

على وهوى طائفة أخرى مع عثمان وهى أقل الطائفتين وطائفة لايبالون أيهما بويج . قال فأقبل المقداد بن عمرو والناس مجتمعون فقال أيها الناس اسمعوا ما أقول أنا المقداد بن عمرو إنكم إن بايعتم عليا سمعنا وأطعنا وإن بايعتم عثمان سمعنا وعصينا فقام عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي فنادى أيها الناس إنكم إن بايعتم عثمان سمعنا وأطعنا وإن بايعتم عليا سمعنا وعصينا فقال له المقداد يا عدو الله وعدو رسوله وعدو كتابه ومتى كان مثلك يسمع له الصالحون فقال له عبد الله يا ابن الحليف العسيف ومتى كان مثلك يجترئ على الدخول فى أمر قريش . فقال عبد الله بن سعد بن أبي سرح أيها الملاء إن أردتم ألا تختلف قريش فيما بينها فبايعوا عثمان فقال عمار بن ياسر إن أردتم ألا يختلف المسلمون فيما بينهم فبايعوا عليا ثم أقبل على عبد الله بن سعد بن أبي سرح فقال يا فاسق يا ابن الفاسق أنت ممن يستنصحه المسلمون أو يستشيرونه فى أمورهم وارتفعت الأصوات ونادى مناد لا يدرى من هو فقريش تزعم أنه رجل من بنى مخزوم والأنصار تزعم أنه رجل طوال آدم مشرف على الناس لا يعرفه أحد منهم يا عبدالرحمن افرغ من أمرك وامض على ما فى نفسك فإنه الصواب . [صفحہ ۵۳] قال الشعبي فأقبل عبدالرحمن على بن أبي طالب فقال عليك عهد الله وميثاقه وأشد ما أخذ الله على النبيين من عهد وميثاق إن بايعتكم لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة أبي بكر وعمر فقال على ع طائفتي ومبلغ علمي وجهد رأيي والناس يسمعون . فأقبل على عثمان فقال له مثل ذلك فقال نعم لأزول عنه ولا أدع شيئا منه ثم أقبل على على فقال له ذلك ثلاث مرات ولعثمان ثلاث مرات فى كل ذلك يجيب على مثل ما كان أجاب به ويجيب عثمان بمثل ما كان أجاب به . فقال ابسط يدك يا عثمان فبسط يده فبايعه وقام القوم فخرجوا وقد بايعوا إلا- على بن أبي طالب فإنه لم يبايع . قال فخرج عثمان على الناس ووجهه متهلل وخرج على و هو كاسف البال مظلم و هو يقول يا ابن عوف ليس هذا بأول يوم تظاهرتم علينا من دفعنا عن حقنا والاستئثار علينا وإنها لسنة علينا وطريقة تركتموها . فقال المغيرة بن شعبة لعثمان أ ما والله لو بويج غيرك لمابايعناه فقال عبدالرحمن بن عوف كذبت والله لو بويج غيره لبايعته و ما أنت وذاك يا ابن الدباغة والله لو وليها غيره لقلت له مثل ما قلت الآن تقربا إليه وطمعا فى الدنيا فاذهب لا أبا لك . فقال المغيرة لو لا مكان أمير المؤمنين لأسمعتك ماتكره ومضيا . قال الشعبي فلما دخل عثمان رحله دخل إليه بنو أمية حتى امتلأت بهم الدار ثم أغلقوها عليهم فقال أبوسفيان بن حرب أعندكم أحد من غيركم قالوا لا قال يابنى أمية تلقفوها تلقف الكرة فوالذى يحلف به أبوسفيان ما من عذاب ولا حساب ولاجنة ولا نار ولابعث ولاقيامة . [صفحہ ۵۴] قال فانتهره عثمان وساءه بما قال وأمر بإخراجه . قال الشعبي فدخّل عبدالرحمن بن عوف على عثمان فقال له ما صنعت فوالله ماوفقت حيث تدخل رحلك قبل أن تصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وتأمّر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتعد الناس خيرا . قال فخرج عثمان فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال هذا مقام لم نكن نقومه و لم نعد له من الكلام الذى يقام به فى مثله وسأهينى ذلك إن شاء الله ولن آلو أمه محمد خيرا والله المستعان . ثم نزل . قال عوانة فحدثني يزيد بن جرير عن الشعبي عن شقيق بن مسلمة أن على بن أبي طالب لما انصرف إلى رحله قال لبنى أبيه يابنى عبدالمطلب إن قومكم عادوكم بعد وفاة النبي كعداوتهم النبي فى حياته وإن يطع قومكم لا- تؤمروا أبدا و والله لا ينيب هؤلاء إلى الحق إلا بالسيف قال و عبد الله بن عمر بن الخطاب داخل إليهم قد سمع الكلام كله فدخّل وقال يا أبا الحسن أتريد أن تضرب بعضهم ببعض فقال اسكت ويحك فوالله لو لأبوك و ماركب منى قديما وحديثا مانازعنى ابن عفان ولا ابن عوف -رواية- ۱- ۲-رواية- ۳- ۶۳- ۴۹۷ فقام عبد الله فخرج . قال وأكثر الناس فى أمر الهرمزان وعبيد الله بن عمر وقتله إياه وبلغ ما قال فيه على بن أبي طالب فقام عثمان فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إنه كان من قضاء الله أن عبيد الله بن عمر بن الخطاب أصاب الهرمزان و هو رجل من [صفحہ ۵۵] المسلمين و ليس له وارث إلا- الله والمسلمون و أنا إمامكم و قد عفوت أفتعفون عن عبيد الله ابن خليفتمكم بالأمس قالوا نعم فعفا عنه فلما بلغ ذلك عليا تضاحك و قال سبحان الله لقد بدأ بهاعثمان أيعفو عن حق امرئ ليس بواليه تالله إن هذالهو العجب قالوا فكان ذلك أول

مابدا من عثمان مما نقم عليه . قال الشعبي وخرج المقداد من الغد فلقى عبدالرحمن بن عوف فأخذ بيده وقال إن كنت أردت بما صنعت وجه الله فأثابك الله ثواب الدنيا والآخرة و إن كنت إنما أردت الدنيا فأكثر الله مالك فقال عبدالرحمن اسمع رحمك الله اسمع قال لا أسمع والله وجذب يده من يده ومضى حتى دخل على علي ع فقال قم فقاتل حتى نقاتل معك قال علي فبمن أقاتل رحمك الله وأقبل عمار بن ياسر ينادي ياناعى الإسلام قم فانه || قدمات عرف وبدا نكر . أما والله لو أن لى أعوانا لقاتلتهم والله لئن قاتلهم واحد لأ-كونن له ثانيا فقال على يا أبااليقظان والله لأجد عليهم أعوانا ولا أحب أن أعرضكم لما لاتطبقون -روايت- ١-٢-روايت- ١٤-٩٢ وبقي ع فى داره وعنده نفر من أهل بيته وليس يدخل إليه أحد مخافه عثمان . قال الشعبي واجتمع أهل الشورى على أن تكون كلمتهم واحده على من لم يبايع فقاموا إلى على فقالوا قم فبايع عثمان قال فإن لم أفعل قالوا نجاهدك قال فمشى إلى عثمان حتى بايعه وهو يقول صدق الله ورسوله فلما بايع أتاه عبدالرحمن بن عوف فاعتذر إليه وقال إن عثمان أعطانا يده ويمينه و لم تفعل أنت فأحبيت أن أتوثق للمسلمين فجعلتها فيه فقال إيها عنك إنما أثرته بهالتالها بعده دق الله بينكما عطر منشم . [صفحة ٥٦] قال الشعبي وقدم طلحة من الشام بعد ما بويع عثمان فقبل له رد هذا الأمر حتى ترى فيه رأيك فقال والله لوبايعتم شركم لرصيت فكيف وقد بايعتم خيركم قال ثم عدا عليه بعد ذلك وصاحبه حتى قتلاه ثم زعما أنهما يطلبان بدمه . قال الشعبي فأما ما يذكره الناس من المناشدة وقول على ع لأهل الشورى أفيكم أحد قال له رسول الله ص كذا فإنه لم يكن يوم البيعة وإنما كان بعد ذلك بقليل دخل على ع على عثمان وعنده جماعة من الناس منهم أهل الشورى وقد كان بلغه عنهم هنات وقوارص فقال لهم أفيكم أفيكم كل ذلك يقولون لا قال لكنى أخبركم عن أنفسكم أما أنت يا عثمان ففررت يوم حنين وتوليت يوم التقى الجمعان و أما أنت يا طلحة فقلت إن مات محمد لتركضن بين خلاخيل نساءه كماركض بين خلاخيل نساءنا و أما أنت يا عبدالرحمن فصاحب قراريط و أما أنت ياسعد فتدق عن أن تذكر -روايت- ١-٢-روايت- ٢٨-٥١٧ قال ثم خرج فقال عثمان أ ما كان فيكم أحد يرد عليه قالوا ومامنعك من ذلك و أنت أمير المؤمنين وتفرقوا قال عوانة قال إسماعيل قال الشعبي فحدثنى عبدالرحمن بن جندب عن أبيه جندب بن عبد الله الأزدي قال كنت جالسا بالمدينة حيث بويع عثمان فجئت فجلست إلى المقداد بن عمرو فسمعتة يقول والله مارأيت مثل ما أتى إلى أهل هذا البيت و كان عبدالرحمن بن عوف جالسا فقال و ما أنت وذاك يا مقداد قال المقداد إني والله أحبهم لحب رسول الله ص وإني لأعجب من قريش وتطاولهم على الناس بفضل رسول الله ثم انتزاعهم سلطانه من أهله قال عبدالرحمن أما والله لقد أجهدت نفسى [صفحة ٥٧] لكم قال المقداد أما والله لقد تركت رجلا من الذين يأمرون بالحق و به يعدلون أما والله لو أن لى على قريش أعوانا لقاتلتهم قتالى إياهم بيدرو وأحد فقال عبدالرحمن ثكلتك أمك لا يسمعن هذا الكلام الناس فإنى أخاف أن تكون صاحب فتنه وفرقة . قال المقداد إن من دعا إلى الحق وأهله وولاه الأمر لا يكون صاحب فتنه ولكن من أقحم الناس فى الباطل وآثر الهوى على الحق فذلك صاحب الفتنه والفرقة . قال فتربد وجه عبدالرحمن ثم قال لو أعلم أنك إياى تعنى لكان لى و لك شأن . قال المقداد إياى تهدد يا ابن أم عبدالرحمن ثم قام عن عبدالرحمن فانصرف . قال جندب بن عبد الله فاتبعته و قلت له يا عبد الله أنا من أعوانك فقال رحمك الله إن هذا الأمر لا يغنى فيه الرجلان ولا الثلاثة قال فدخلت من فورى ذلك على على ع فلما جلست إليه قلت يا أبا الحسن والله ما أصاب قومك بصرف هذا الأمر عنك فقال صبر جميل والله المستعان . فقلت والله إنك لصبور قال فإن لم أصبر فما ذا أصنع قلت إني جلست إلى المقداد بن عمرو وأنا و عبدالرحمن بن عوف فقالا كذا وكذا ثم قام المقداد فاتبعته فقلت له كذا فقال لى كذا فقال على ع لقد صدق المقداد فما أصنع فقلت تقوم فى الناس فتدعوهم إلى نفسك وتخبرهم أنك أولى بالنبي ص وتسالهم النصر على هؤلاء المظاهرين عليك فإن أجابك عشرة من مائة شددت بهم على الباقين فإن دانوا لك فذاك و لإقاتلتهم و كنت أولى بالعدر قتلت أوبقيت و كنت أعلى عند الله حجة . فقال أترجو يا جندب أن يبايعنى من كل

عشرة واحد قلت أرجو ذلك قال لكنى لأرجو ذلك لا والله ولا من المائة واحد وسأخبرك أن الناس إنما ينظرون [صفحة ٥٨] إلى قريش فيقولون هم قوم محمد وقبيله و أمقريش بينها فتقول إن آل محمديرون لهم على الناس بنبوته فضلا ويرون أنهم أولياء هذا الأمر دون قريش ودون غيرهم من الناس وهم إن ولوه لم يخرج السلطان منهم إلى أحد أبدا ومتى كان في غيرهم تداولته قريش بينها لا والله لا يدفع الناس إلينا هذا الأمر طائعين أبدا. فقلت جعلت فداك يا ابن عم رسول الله لقد صدعت قلبي بهذا القول أفلا أرجع إلى المصر فأوذن الناس بمقاتلتك وأدعو الناس إليك فقال يا جنذب ليس هذا زمان ذاك . قال فانصرفت إلى العراق فكنت أذكر فضل على على الناس فلا أعدم رجلا- يقول لى ما أكره وأحسن ما أسمعته قول من يقول دع عنك هذا وخذ فيما ينفعك فأقول إن هذا ما ينفعنى وينفعك فيقوم عنى ويدعنى. وزاد أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري حتى رفع ذلك من قولى إلى الوليد بن عقبه أيام ولينا فبعث إلى فحسنى حتى كلم فى فخلى سبيلى. وروى الجوهري قال نادى عمار بن ياسر ذلك اليوم يامعشر المسلمين إنا قد كنا و ما كنا نستطيع الكلام قلّة وذلّة فأعزنا الله بدينه وأكرمنا برسوله فالحمد لله رب العالمين يامعشر قريش إلى متى تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم تحولونه هاهنا مرة وهاهنا مرة ما أنا آمن أن ينزعه الله منكم ويضعه فى غيركم كما نزعتموه من أهله ووضعتموه فى غير أهله . فقال له هاشم بن الوليد بن المغيرة يا ابن سمية لقد عدوت طورك و ما عرفت قدرك ما أنت و مارأت قريش لأنفسها إنك لست فى شىء من أمرها وإماراتها فتتح عنها. وتكلمت قريش بأجمعها فصاحوا بعمار وانتهروه فقال الحمد لله رب العالمين ما زال أعوان الحق أذلاء ثم قام فانصرف [صفحة ٥٩]

١٤٠- و من كلام له ع فى النهى عن غيبة الناس

إشارة

وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِصْمَةِ وَالْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِي السَّلَامَةِ أَنْ يَرْحُمُوا أَهْلَ الذُّنُوبِ وَالْمَعْصِيَةِ وَيَكُونَ الشُّكْرُ هُوَ الْغَالِبَ عَلَيْهِمْ وَالْحَاجِزَ لَهُمْ عَنْهُمْ فَكَيْفَ بِالْعَائِبِ الَّذِي عَابَ أَحَاهُ وَغَيَّرَهُ بِلَوَاهُ أَمَا ذَكَرَ مَوْضِعَ سِتْرِ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي عَابَهُ بِهِ وَكَيْفَ يَذُمَّ بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِبَ ذَلِكَ الذَّنْبَ بِعَيْنِهِ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ فِيمَا سِوَاهُ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ وَ إِيْمُ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ عَصَاهُ فِي الْكَبِيرِ وَ عَصَاهُ فِي الصَّغِيرِ لَجُرَّأْتُهُ عَلَى عَيْبِ النَّاسِ أَكْبُرُ يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَعْجَلْ فِي عَيْبِ أَحَدٍ بِذَنْبِهِ فَلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ وَ لَا تَأْمَنَ عَلَى نَفْسِكَ صَغِيرٍ مَعْصِيَةٍ فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ فَلْيَكْفُفْ مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ وَ لِيَكُنِ الشُّكْرُ شَاغِلًا لَهُ عَلَى مُعَافَاتِهِ مِمَّا ابْتَلَى غَيْرُهُ بِهِ لَيْسَ فِي هَذَا الْفَصْلِ مِنْ غَرِيبِ اللُّغَةِ مَا نَشْرَحُ [صفحة ٦٠]

أقوال مأثورة فى ذم الغيبة والاستماع إلى المغتابين

ونحن نذكر مما ورد فى الغيبة لمعا نافع على عادتنا فى ذكر الشىء عند مرورنا على ما يقتضيه ويستدعيه . و قدورد فى الكتاب العزيز ذم الغيبة قال سبحانه وَ لَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَ قُرْآن-١٥١-١٧٨ قال رسول الله ص لاتحاسدوا ولا تباغضوا ولا يفتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله إخوانا -رواية-١-٢-رواية-٢٣-٩٢ روى جابر و أبوسعيد عنه ص إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا إن الرجل يزنى فيتوب الله عليه و إن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه -رواية-١-٢-رواية-٣٠-١٥٢ روى أنس عنه ص مررت ليلة أسرى بى فرأيت قوما يخمشون وجوههم بأظافيرهم فسألت جبريل عنهم فقال هؤلاء الذين يفتابون

الناس -رواية- ١-٢-رواية- ٢٠-١٣٤ فى حديث سلمان قلت يا رسول الله علمنى خيرا ينفعى الله به قال لا تحقرن من المعروف شيئا و لو أرفضت من دلوك فى إناء المستقى والى أخاك يبشر حسن و لا تغتابنه إذا أدير -رواية- ١-٢-رواية- ١٩-١٨٠ فى حديث البراء بن عازب خطبنا رسول الله ص حتى أسمع العواتق فى بيوتهن فقال ألا لا تغتابوا المسلمين و لا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه تتبع الله عورته و من يتبع الله عورته يفضحه فى جوف بيته -رواية- ١-٢-رواية- ٢٨-٢١٨ [صفحة ٤١] فى حديث أنس أن رسول الله ص قال فى يوم صوم إن فلانة و فلانة كانتا تأكلان اليوم شحم امرأة مسلمة يعنى الغيبة فمرهما فلتقيتا فقاءت كل واحدة منهما علقه دم -رواية- ١-٢-رواية- ١٧-١٦٩ فى الصحاح المجمع عليها أنه ع مر بقبرين جديدين فقال إنهما ليعذبان و ما يعذبان بكبير أما أحدهما فكان يغتاب الناس و أما الآخر فكان لا يتنزه من البول و دعا بجريدة رطبة فكسرها اثنتين أو قال دعا بجريدتين ثم غرسهما فى القبرين و قال أما إنه سيهون من عذابهما مادامتا رطبتين -رواية- ١-٢-رواية- ٢٨-٢٨٣ فى حديث ابن عباس أن رجلين من أصحابه اغتابا بحضرته رجلا و هو يمشى ع و هما يمشيان معه فمر على جيفة فقال انهشا منها فقالا يا رسول الله أ و نهنش الجيفة فقال ما أصبتما من أخيكما أنتن من هذه -رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-٢٠١ فى حديث أبى هريرة من أكل لحم أخيه حيا قرب إليه لحمه فى الآخرة فقيل له كله ميتا كما أكلته حيا فأكله و يضح و يكلم -رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-١٢٦ و روى أن رجلين كانا عند باب المسجد فمر بهما رجل كان مخنثا فترك ذلك فقالا لقد بقى عنده منه شىء فأقيمت الصلاة فصليا مع الناس و ذلك يجول فى أنفسهما فأتيا عطاء بن أبى رباح فسألاه فأمرهما أن يعيدا الوضوء و الصلاة و إن كانا صائمين أن يقضيا صيام ذلك اليوم . و عن مجاهد و يلى لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٌ الهمزة الطعان فى الناس و اللزمة النمام . و عن الحسن و الله للغيبة أسرع فى دين المؤمن من الأكلة فى الجسد . -قرآن- ٢٧٦-٣٠٥ [صفحة ٤٢] بعضهم أدركنا السلف و هم لا يرون العبادة فى الصوم و لا فى الصلاة و لكن فى الكف عن أعراض الناس . ابن عباس إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك و هذا مشتق من كلام أمير المؤمنين ع . أبو هريرة يبصر أحدهما القذى فى عين أخيه و لا يبصر الجذع فى عين نفسه و هذا كالأول . الحسن يا ابن آدم إنك إن قضيت حقيقة الإيمان فلا تعب الناس بعيب هوفيك حتى تبدأ بإصلاح ذلك العيب من نفسك فإذا فعلت ذلك كان شغلك فى خاصة نفسك و أحب العباد إلى الله من كان هكذا . و يروى أن المسيح ع مر على جيفة كلب فقال بعض التلامذة ما أشد ننته فقال المسيح ما أشد بياض أسنانه -رواية- ١-٢-رواية- ٨-١٠٣ كأنه نهاهم عن غيبة الكلب و نبههم إلى أنه لا ينبغى أن يذكر من كل شىء إلا أحسنه . و سمع على بن الحسين ع رجلا يغتاب آخر فقال إن لكل شىء إداما و إدام كلاب الناس الغيبة -رواية- ١-٩٠ فى خطبة حجة الوداع أيها الناس إن دماءكم و أموالكم و أعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا إن الله حرم الغيبة كما حرم المال و الدم -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-١٦٧ عمر ما يمنعكم إذا رأيتم من يخرق أعراض الناس أن تعربوا عليه أى تقبحوا قالوا نخاف سفته و شره قال ذلك أدنى ألا تكونوا شهداء أنس يرفعه من مات على الغيبة حشر يوم القيامة مزرقة عيناه ينادى بالويل و الندامة يعرف أهله و لا يعرفونه -رواية- ١-٢-رواية- ١٤-١١٢ [صفحة ٤٣] و قال هشام بن عبد الملك فى بعض ولد الوليد بن عقبه أبلغ أباه و هو إذا مالقته || بأنك شر الناس غيبا لصاحب فتبدي له بشرا إذا مالقته || و تلسعه بالغيب لسع العقارب مر الشعبي يقوم يغتابونه فى المسجد و فيهم بعض أصدقائه فأخذ بعضادتي الباب و قال هنيئا مريئا غيردء مخامر || لعزة من أعراضنا ما استحلقت . و من كلام بعض الحكماء أبصر الناس بالعوام المعوار هذا مثل قول الشاعر و أجرأ من رأيت بظهر غيب || على عيب الرجال ذوو العيوب . قيل لشبيب بن شبة بن عقيل ما بال عبد الله بن الأهمم يغتابك و ينتقصك قال لأنه شقيقى فى النسب و جارى فى البلد و شريكى فى الصنعة . دخل أبو العيلاء على المتوكل و عنده جلساؤه فقال له يا محمد كلهم كانوا فى غيبتك منذ اليوم و لم يبق أحد لم يذممك غيرى فقال إذا رضيت عنى كرام عشيرتى || فلا زال غضبان على لثامها قال بعضهم بت بالبصرة ليلة مع المسجديين فلما كان وقت السحر

حركهم واحد فقال إلى كم هذا النوم عن أعراض الناس وقيل لشاعر وصله بعض الرؤساء وأنعم عليه ما صنع بك فلان قال ما وقت نعمته بإساءته منغى لذة الثلب وحلاوة الشكوى . أعرابي من عاب سفلة فقد رفعه و من عاب شريفا فقد وضع نفسه . [صفحہ ۶۴] نظر بعض السلف إلى رجل يغتاب رجلا و قال يا هذا إنك تملى على حافظيك كتابا فانظر ماذا تقول . ابن عباس ما للأسد الضارى على فريسة بأسرع من الدنىء فى عرض السرى بعضهم ومطروفة عيناه عن عيب نفسه || فإن لاح عيب من أخيه تبصرا . وقالت رابعة العدوية إذ انصح الإنسان لله أطلع الله تعالى على مساوئ عمله فتشاغل بها عن ذكر مساوئ خلقه . قال عبد الله بن عروة بن الزبير لابنه يابنى عليك بالدين فإن الدنيا مابنت شيئا إلا هدمه الدين و إذابنى الدين شيئا لم تستطع الدنيا هدمه ألا ترى على بن أبى طالب و ما يقول فيه خطباء بنى أمية من ذمه وعيبه وغيبته و الله لكأنما يأخذون بناصيته إلى السماء ألا تراهم كيف يندبون موتاهم ويرثيهم شعراؤهم و الله لكأنما يندبون جيف الحمر . و من كلام بعض الصالحين الورع فى المنطق أشد منه فى الذهب والفضة لأنك إذا استودعك أخوك مالا لم تجد بك نفسك لخيانة فيه و قد استودعك عرضه و أنت تغتابه و لا تبالي . كان محمد بن سيرين قد جعل على نفسه كلما اغتاب أحدا أن يتصدق بدينار و كان إذامدح أحدا قال هو كما يشاء الله و إذا ذمه قال هو كما يعلم الله . الأحنف فى خلتان لا اغتاب جليسى إذ أقام عنى و لا أدخل بين القوم فيما لم يدخلونى فيه . قيل لرجل من العرب من السيد فيكم قال الذى إذ أقبل هبناه و إذ أدبر اغتبناه . [صفحہ ۶۵] قيل للربيع بن خيثم مانراك تعيب أحدا فقال لست راضيا على نفسى فأتفرغ لذكر عيوب الناس ثم قال لنفسى أبكى لست أبكى لغيرها || لنفسى فى نفسى عن الناس شاغل . عبد الله بن المبارك قلت لسفيان ما أبعد أباحنيفة من الغيبة ماسمعته يغتاب عدوا قال هو و الله أعقل من أن يسلط على حسناته ما يذهب بها . سئل فضيل عن غيبة الفاسق فقال لا تشتغل بذكره و لا تعود لسانك الغيبة أشغل لسانك بذكر الله وإياك ذكر الناس فإن ذكر الناس داء و ذكر الله دواء . بعض الشعراء ولست بذى نيرب فى الصديق || خئون العشيرة سبابها و لا من إذا كان فى مجلس || أضاع القبيلة و اغتابها ولكن أبجل ساداتها || و لا تعلم ألقابها . و كان يقال الغيبة فاكهة القراء وقيل لإسماعيل بن حماد بن أبى حنيفة أى اللحمان أطيب قال لحوم الناس هى و الله أطيب من لحوم الدجاج والدراج يعنى الغيبة . ابن المغيرة لا تذكر الميت بسوء فتكون الأرض أكرم عليه منك . و كان عبد الملك بن صالح الهاشمى إذا ذكر عنده الميت بسوء يقول كفوا عن أسارى الثرى . و فى الأثر سامع الغيبة أحد المغتابين -رواية ۱- ۲-رواية ۱۲- ۴۰ . [صفحہ ۶۶] أبو نواس ما حطك الواشون من رتبة || عندى و ماضرك مغتاب كأنهم أثنوا و لم يعلموا || عليك عندى بالذى عابوا . الحسن ذم الرجل فى السر مدح له فى العلانية . على ع الغيبة جهد العاجز -رواية ۱- ۲-رواية ۱۱- ۲۹ أخذه المتنبي فقال وأكبر نفسى عن جزاء بغيه || و كل اغتيا ب جهد من ما له جهد . بلغ الحسن أن رجلا اغتابه فأهدى إليه طبقا من رطب فجاءه الرجل معذرا و قال أصلحك الله اغتبتك فأهديت لى قال إنك أهديت إلى حسناتك فأردت أن أكافئك . أتى رجل عمرو بن عبيد الله فقال له إن الأسوارى لم يزل أمس يذكرك و يقول عمرو الضال فقال له يا هذا و الله مارعيت حق مجالسة الرجل حين نقلت إلينا حديثه و لارعيت حقى حين بلغت عن أخى ما أكرهه أعلمه أن الموت يعمنا والبعث يحشرنا والقيامة تجمعنا و الله يحكم بيننا

حكم الغيبة فى الدين

واعلم أن العلماء ذكروا فى حد الغيبة أن تذكر أخاك بما يكرهه لولبغه سواء ذكرت نقصانا فى بدنه مثل أن تقول الأقرع أو الأعمور أو فى نسبه نحو أن تقول ابن النبطى و ابن الإسكاف أو الزبال أو الحائك أو خلقه نحو سبيء الخلق أو بخيل [صفحہ ۶۷] أو متكبر أو فى أفعاله الدنيئة نحو قولك كذاب وظالم ومتهاون بالصلاة أو الدنيوية نحو قولك قليل الأدب متهاون بالناس كثير

الكلام كثير الأكل أو في ثوبه كقولك وسخ الثياب كبير العمامة طويل الأذيال . وقد قال قوم لاغيبة في أمور الدين لأن المغتاب إنما ذم مادمه الله تعالى واحتجوا بما روى أنه ذكر لرسول الله ص امرأة وكثرة صومها وصلاتها ولكنها تؤذى جارتها فقال هي في النار و لم ينكر عليهم غيبتهم إياها. وروى أن امرأة ذكرت عنده ع بأنها بخيلة فقال فما خيرها إذن -رواية- ١-٢- رواية- ٩-٦٥ . وأكثر العلماء على أن الغيبة في أمور الدين محرمة أيضا وادعوا الإجماع على أن من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب سواء أ كان في الدين أو في غيره قالوا والمخالف مسبوق بهذا الإجماع وقالوا و قدروى عن النبي ص أنه قال هل تدرؤن ماالغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكرهه ففائل قال أرأيت يا رسول الله إن كان ذلك في أخى قال إن كان فيه فقد اغتبهته و إن لم يكن فقد بهته -رواية- ١-٢-رواية- ٢٤-٢١٧ روى معاذ بن جبل أن رجلا ذكر عند رسول الله ص فقال قوم ماأعجزه فقال ع اغتبتكم صاحبكم فقالوا قلنا ما فيه فقال إن قلت ما ليس فيه فقد بهتموه -رواية- ١-٢-رواية- ٢٠-١٥٤. قالوا و مااحتج به الزاعمون أن لاغيبة في الدين ليس بحجة لأن الصحابة إنما ذكرت ذلك في مجلس رسول الله ص لحاجتها إلى تعرف الأحكام بالسؤال و لم يكن غرضها التنقص . واعلم أن الغيبة ليست مقصورة على اللسان فقط بل كل ماعرفت به صاحبك [صفحة ٦٨] نقص أخيك فهو غيبة فقد يكون ذلك باللسان و قد يكون بالإشارة والإيماء وبالمحاكاة نحو أن تمشى خلف الأعرج متعارجا وبالكتاب فإن القلم أحد اللسانين . و إذا ذكر المصنف شخصا في تصنيفه وهجن كلامه فهو غيبة فأما قوله قال قوم كذا فليس بغيبة لأنه لم يعين شخصا بعينه . و كان رسول الله ص يقول ما بال أقوام يقولون كذا فكان لايعين و يكون مقصوده واحدا بعينه -رواية- ١-٢-رواية- ٢٩-٩٨ وأخبث أنواع الغيبة غيبة القراء المرءين و ذلك نحو أن يذكر عندهم إنسان فيقول قائلهم الحمد لله الذى لم يبلنا بدخول أبواب السلطان والتبذل فى طلب الحطام وقصده أن يفهم الغير عيب ذلك الشخص فتخرج الغيبة فى مخرج الحمد والشكر لله تعالى فيحصل من ذلك غيبة المسلم ويحصل منه الرياء وإظهار التعفف عن الغيبة و هو واقع فيها وكذلك يقول لقد ساءنى ما يذكر به فلان نسأل الله أن يعصمه و يكون كاذبا فى دعوى أنه ساءه و فى إظهار الدعاء له بل لو قصد الدعاء له لأخفاه فى خلوة عقب صلواته و لو كان قد ساءه لساءه أيضا إظهار ما يكرهه ذلك الإنسان . واعلم أن الإصغاء إلى الغيبة على سبيل التعجب كالغيبة بل أشد لأنه إنما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب فى الغيبة فيندفع فيها حكاية يستخرج الغيبة منه بذلك و إذا كان السامع الساكت شريك المغتاب فما ظنك بالمجتهد فى حصول الغيبة والباعث على الاستزادة منها و قدروى أن أبابكر وعمر ذكرا إنسانا عند رسول الله فقال أحدهما إنه لثوم ثم أخرج رسول الله ص خبزاً قفارا فطلبنا منه أدما فقال قد اتدتما قالا مانعلمه قال بلى بما أكلتما من لحم صاحبكما فجمعهما فى الإثم و قد [صفحة ٦٩] كان أحدهما قائلا-والآخر مستمعا فالمستمع لا يخرج من إثم الغيبة إلا بأن ينكر بلسانه فإن خاف فبقلمه و إن قدر على القيام أو قطع الكلام بكلام آخر لزمه ذلك فإن قال بلسانه اسكت و هو يريد للغيبة بقلبه فذلك نفاق و لا يخرج عن الإثم إلا أن يكرهه بقلبه و لا يكفى أن يشير باليد أى اكفف أو بالحاجب والعين فإن ذلك استحقاق للمذكور بل ينبغى أن يذب عنه صريحا فقد قال رسول الله ص من أذل عنده مؤمن و هو يقدر على أن ينصره فلم ينصره أذله الله يوم القيامة على رءوس الخلائق -رواية- ١-٢-رواية- ٢٦-١٢٦

فصل فى الأسباب الباعثة على الغيبة

واعلم أن الأسباب الباعثة على الغيبة على أمور منها شفاء الغيظ و ذلك أن يجرى من الإنسان سبب يغضب به عليه آخر فإذا هاج غضبه تشفى بذكر مساوئه وسبق إليها لسانه بالطبع إن لم يكن هناك دين وازع و قديمع تشفى الغيظ عند الغضب فيحتقن

الغضب في الباطن فيصير حقدا ثابتا فيكون سببا دائما لذكر المساوي. ومنها موافقة الأقران ومساعدتهم على الكلام فإنهم إذا اجتمعوا ربما أخذوا يتفكّهون بذكر الأعراض فيرى أنه لو أنكر أو قطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه فيساعدتهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة ويظن أنه مجاملته في الصحبة و قد يغضب رفقاؤه من أمر فيحتاج إلى أن يغضب لغضبهم إظهارا للمساهمة في السراء والضراء فيخوض معهم في ذكر العيوب والمساوي. [صفحہ ۷۰] ومنها أن يستشعر من إنسان أنه سيذمه ويطول لسانه فيه ويقبح حاله عند بعض الرؤساء أو يشهد عليه بشهادة فيبادره قبل أن يقبح حاله فيطعن فيه ليسقط أثر شهادته عليه . و قد يتدبّر بذكر بعض ما فيه صادقا ليكذب عليه بعد ذلك فيروج كذبه بالصدق الأول . ومنها أن ينسب إلى أمر فيريد التبرؤ منه فيذكر الذي فعله و كان من حقه أن يبرئ نفسه و لا يذكر الذي فعله لكنه إنما يذكر غيره تأكيدا لبراءة نفسه و كيلا يكون تبرؤا مبتورا وربما يعتذر بأن يقول فلان فعله و كنت شريكا في بعض الأمر ليبرئ نفسه بعض البراءة. ومنها المباهاة وحب الرئاسة مثل أن يقول كلام فلان ركيك و معرفته بالفن الفلاني ناقصة و غرضه إظهار فضله عليه . ومنها الحسد و إرادة إسقاط قدر من يمدحه الناس بذكر مساوئه لأنه يشق عليه ثناء الناس عليه و لا يجد سبيلا إلى سد باب الثناء عليه إلا بذكر عيوبه . ومنها اللعب والهزل و المطايب و تزجية الوقت بالضحك و السخرية فيذكر غيره بما يضحك الحاضرين على سبيل الهزء و المحاكاة. و اعلم أن الذي يقوى في نفسى أن الغيبة لا تكون محرمة إلا - إذا كانت على سبيل القصد إلى تنقص الإنسان فقط و غض قدره فأما إذا خرجت مخرجا آخر فليست بحرام كمن يظلمه القاضى و يأخذ الرشوة على إسقاط حقوقه فإن له أن يذكر حاله للسلطان متظلما من حيف الحاكم عليه إذ لا يمكنه استيفاء حقوقه إلا بذلك فقد قال ص مطل الغنى ظلم -رواية ۱- ۲-رواية ۱۴- ۳۱- قال لى الواجد يحل عقوبته و عرضه -رواية ۱- ۲-رواية ۸- ۳۹ [صفحہ ۷۱] وكذلك النهى عن المنكر واجب و قد يحتاج الإنسان إلى الاستعانة بالغير على تغييره ورد القاضى إلى منهج الصلاح فلا بد له أن يشرح للغير حال ذلك الإنسان المرتكب المنكر و من ذكر الإنسان بلقب مشهور فعرف عن عيبه كالأعرج و الأعمش المحدثين لم يكن مغتابا إذا لم يقصد الغض و النقص . و الصحيح أن المجاهر بالفسق لا غيبة له كصاحب الماخور و المخنث و من يدعو الناس إلى نفسه أبنه و كالعشار و المستخرج بالضرب فإن هؤلاء غير كارهين لما يذكرون به و ربما تفاخروا بذلك و قد قال النبى ص من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له -رواية ۱- ۲-رواية ۲۱- ۶۶ و قال عمر ليس لفاجر حرمة و أراد المجاهر بالفسق دون المستتر. و قال الصلت بن طريف قلت للحسن رحمه الله الرجل الفاجر المعلن بالفجور غير مراقب هل ذكرى له بما فيه غيبة فقال لا و لا كرامة له

طريق التوبة من الغيبة

و اعلم أن التوبة من الغيبة تكفر عقابها و التوبة منها هى الندم عليها و العزم على ألا يعود فإن لم يكن الشخص المذكور قد بلغته الغيبة فلا حاجة إلى الاستحلال منه بل لا يجوز إعلامه بذلك هكذا قال شيخنا أبو الحسين رحمه الله لأنه لم يؤلمه فيحتاج إلى أن يستوب منه إثم ذلك الإيلام و فى إعلامه تضيق صدره و إدخال مشقة عليه و إن كان الشخص المذكور قد بلغته الغيبة و جب عليه أن يستحلها و يستوبه فإن كان قد مات سقط بالتوبة عقاب ما يختص بالبارئ سبحانه من ذلك الوقت وبقى ما يختص بذلك الميت لا يسقط حتى يؤخذ العوض له من المذنب يوم القصاص [صفحہ ۷۲]

أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ عَرَفَ مِنْ أُخِيهِ وَثِقَهُ دِينَ وَ سَدَادَ طَرِيقٍ فَلَا يَسْمَعَنَّ فِيهِ أَقْوِيلَ الرَّجَالِ أَمَا إِنَّهُ قَدْ يَرْمِي الرَّامِي وَ تَخْطِئُ السِّهَامُ وَ يُحِيلُ الْكَلَامُ وَ بَاطِلُ ذَلِكَ يُؤُورُ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ وَ شَهِيدٌ أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ إِلَّا أَرْبَعُ أَصَابِعَ فَسَيُثَلَّ عَ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ هَذَا فَجَمَعَ أَصَابِعَهُ وَ وَضَعَهَا بَيْنَ أُذُنِهِ وَ عَيْنِهِ ثُمَّ قَالَ الْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ سَمِعْتَ وَ الْحَقُّ أَنْ تَقُولَ رَأَيْتَ هَذَا الْكَلَامَ هُوَ نَهَى عَنِ التَّسْرِعِ إِلَى التَّصْدِيقِ بِمَا يَقَالُ مِنَ الْعَيْبِ وَ الْقَدْحِ فِي حَقِّ الْإِنْسَانِ الْمُسْتَوْرِ الظَّاهِرِ الْمَشْتَهَرِ بِالصَّلَاحِ وَ الْخَيْرِ وَ هُوَ خَلَاصَةُ قَوْلِهِ سُبْحَانَ إِنْ جَاءَ كُمْ فَاسِقٌ بَنِيًّا فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصَيَّبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصَيَّبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ثُمَّ ضَرَبَ عَ لَذَلِكَ مَثَلًا فَقَالَ قَدِيرُ مِي الرَّامِي فَلَا يَصِيبُ الْغُرُضَ وَ كَذَلِكَ قَدِيطَعْنَ الطَّاعِنَ فَلَا يَكُونُ طَعْنُهُ صَاحِحًا وَرَبْمَا كَانَ لَغُرُضٍ فَاسِدٍ أَوْ سَمِعَهُ مِمَّنْ لَهُ غُرُضٌ -قُرْآن- ١٤٩-٢٥٩ [صَفْحَةُ ٧٣] فَاسِدًا كَالْعَدُوِّ وَ الْحُسُودِ وَ قَدِيشْتَبَهُ الْأَمْرُ فَيُظَنُّ الْمَعْرُوفَ مُنْكَرًا فَيَعْجَلُ الْإِنْسَانُ بِقَوْلِهِ لَا يَتَحَقَّقُهُ كَمَنْ يَرَى غَلَامًا زَيْدًا يَحْمَلُ فِي إِنَاءٍ مُسْتَوْرٍ مَغْطَى خَلَا- فَيُظَنُّهُ خَمْرًا. قَالَ عَ وَ يَحِيلُ الْكَلَامُ أَيُّ يَكُونُ بِاطِلًا أَحَالَ الرَّجُلُ فِي مَنْطِقِهِ إِذْ تَكَلَّمَ الَّذِي لِاحْتِقَاقِهِ لَهُ وَ مِنْ النَّاسِ مَنْ يَرُوبِهِ وَ يَحِيكُ الْكَلَامَ بِالْكَافِ مِنْ قَوْلِكَ مَا حَاكَ فِيهِ السِّيفُ وَ يَجُوزُ أَحَاكَ بِالْهَمْزَةِ أَيُّ مَا أَثَرَ يَعْنِي أَنَّ الْقَوْلَ يُؤْثِرُ فِي الْعُرُضِ وَ إِنْ كَانَ بِاطِلًا وَ الرَّوَايَةُ الْأُولَى أَشْهَرُ وَ أَظْهَرُ. وَ يَبُورُ يَفْسُدُ وَ قَوْلُهُ وَ بَاطِلُ ذَلِكَ يَبُورُ مِثْلَ قَوْلِهِمْ لِلْبَاطِلِ جَوْلَةٌ وَ لِلْحَقِّ دَوْلَةٌ وَ هَذَا مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى وَ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا. وَ الْإِصْبَعُ مِثْلُهُ وَ لَذَلِكَ قَالَ أَرْبَعُ أَصَابِعَ فَحَذَفَ الْهَاءَ. فَإِنْ قُلْتَ كَيْفَ يَقُولُ عَ الْبَاطِلُ مَا يَسْمَعُ وَ الْحَقُّ مَا يَرَى وَ أَكْثَرَ الْمَعْلُومَاتِ إِنْ مَا هِيَ مِنْ طَرِيقِ السَّمَاعِ كَعَلْمِنَا الْآدِنَ بِنُبُوءَةِ مُحَمَّدٍ صَ بِمَا بَلَّغْنَا مِنْ مَعْجَزَاتِهِ الَّتِي لَمْ نَرَهَا وَ إِنْ مَا سَمِعْنَاهَا. قُلْتَ لَيْسَ كَلَامُهُ فِي الْمَتَوَاتِرِ مِنَ الْأَخْبَارِ وَ إِنْ مَا كَلَامُهُ فِي الْأَقْوَالِ الشَّاذَّةِ الْوَارِدَةِ مِنْ طَرِيقِ الْآحَادِ الَّتِي تَتَضَمَّنُ الْقَدْحَ فَيَمْنُ قَدْ غَلَبَتْ نَزَاهَتُهُ فَلَا- يَجُوزُ الْعَدُولُ عَنِ الْمَعْلُومِ بِالْمَشْكُوكِ -قُرْآن- ٥١٧-٥٨١ [صَفْحَةُ ٧٤]

١٤٢- وَ مِنْ كَلَامِ لَهُ ع

وَ لَيْسَ لَوَاضِعِ الْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ مِنَ الْحِظِّ فِيمَا آتَى إِلَّا مَحْمَدَةَ اللَّثَامِ وَ ثَنَاءَ الْأَشْرَارِ وَ مَقَالَةَ الْجُهَالِ مَا دَامَ مُنْعِمًا عَلَيْهِمْ مَا أَجُودَ يَدُهُ وَ هُوَ عَنِ ذَاتِ اللَّهِ بِخَيْلٍ فَمَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلْيَصِلْ بِهِ الْقَرَابَةَ وَ لِيُحْسِنْ مِنْهُ الضِّيَافَةَ وَ لِيُفَكِّكَ بِهِ الْأَسِيرَ وَ الْعَانِيَّ وَ لِيُعْطِ مِنْهُ الْفَقِيرَ وَ الْغَارِمَ وَ لِيَصْبِرَ نَفْسُهُ عَلَى الْحُقُوقِ وَ التَّوَابِ ابْتِغَاءَ التَّوَابِ فَإِنَّ فَوْزًا بِهَذِهِ الْخِصَالِ شَرَفٌ مَكَارِمِ الدُّنْيَا وَ دَرَكٌ فَضَائِلِ الْآخِرَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ هَذَا الْكَلَامُ يَتَضَمَّنُ ذِمَّ مِنْ يَخْرُجُ مَالُهُ إِلَى الْفَتِيَانِ وَ الْأَقْرَانَ وَ الشُّعْرَاءَ وَ نَحْوَهُمْ وَ يَبْتَغِي بِهِ الْمَدْحَ وَ السَّمْعَةَ وَ يَعْدِلُ عَنِ إِخْرَاجِهِ فِي وَجْهِ الْبَرِّ وَ ابْتِغَاءَ التَّوَابِ قَالَ عَ لَيْسَ لَهُ مِنْ الْحِظِّ إِلَّا مَحْمَدَةَ اللَّثَامِ وَ ثَنَاءَ الْأَشْرَارِ وَ قَوْلُهُمْ مَا أَجُودَ يَدُهُ أَيُّ مَا أَسْمَحَهُ وَ هُوَ بِخَيْلٍ بِمَا يَرْجِعُ إِلَى ذَاتِ اللَّهِ يَعْنِي الصَّدَقَاتِ وَ مَا يَجْرِي مَجْرَاهَا مِنْ صَلَّةِ الرَّحْمِ وَ الضِّيَافَةَ وَ فَكَّ الْأَسِيرِ وَ الْعَانِيَّ وَ هُوَ الْأَسِيرُ بَعِينُهُ وَ إِنْ مَا اخْتَلَفَ اللَّفْظُ. [صَفْحَةُ ٧٥] وَ الْغَارِمُ مَنْ عَلَيْهِ الدُّيُونُ وَ يَقَالُ صَبَرَ فَلَانَ نَفْسُهُ عَلَى كَذَا مُخَفَّفًا أَيُّ حَبَسَهَا قَالَ تَعَالَى وَ اصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ. وَ قَالَ عَنَّتْرُهُ يَذْكَرُ حَرْبًا -قُرْآن- ٨٥-١٣١ فَصَبْرَتْ عَارِفُهُ لَذَلِكَ حَرَّةٌ || تَرْسُو إِذْ نَفَسَ الْجَبَانَ تَطَّلَعُ فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ فِي رَجُلٍ أَمْسَكَ رَجُلًا وَ قَتَلَهُ آخِرُ فَقَالَ عَ اقْتُلُوا الْقَاتِلَ وَ اصْبِرُوا الصَّابِرَ -رَوَايَةٌ- ٢-١-٢٢-٩١ أَيُّ احْبَسُوا الَّذِي حَبَسَهُ لِلْقَتْلِ إِلَى أَنْ يَمُوتَ. وَ قَوْلُهُ فَإِنَّ فَوْزًا أَفْصَحُ مِنْ أَنْ يَقُولَ فَإِنَّ الْفَوْزَ أَوْ فَإِنَّ فِي الْفَوْزِ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ إِنْ شِوَاءَ وَ نَشِوَةٌ || وَ خَبَّ الْبَازِلُ الْأُمُونَ مِنْ لَذَةِ الْعَيْشِ وَ الْفَتَى || لِلدَّهْرِ وَ الدَّهْرُ ذُو شَتُونٍ وَ لَمْ يَقُلْ إِنْ الشِّوَاءَ وَ النَّشِوَةَ وَ السَّرَّ فِي هَذَا أَنَّهُ كَأَنَّهُ يَجْعَلُ هَذَا الشِّوَاءَ شَخْصًا مِنْ جَمَلَةِ أَشْخَاصٍ دَاخِلَةٌ تَحْتَ نَوْعٍ وَاحِدٍ وَ يَقُولُ إِنْ وَاحِدًا مِنْهَا أَيُّهَا كَانَ فَهُوَ مِنْ لَذَةِ الْعَيْشِ وَ إِنْ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ كَلَّ أَشْخَاصٍ ذَلِكِ النَّوْعِ وَ مَرَادُهُ تَقْرِيرُ فَضِيلَةِ هَذِهِ الْخِصَالِ فِي النَّفْسِ أَيُّ مَتَى حَصَلَ لِلْإِنْسَانِ فَوْزٌ مَا بِهَا فَقَدْ حَصَلَ لَهُ الشَّرْفُ وَ هَذَا الْمَعْنَى وَ إِنْ أَعْطَاهُ لَفْظَةُ الْفَوْزِ بِالْأَلْفِ وَ اللَّامِ إِذَا قَصِدَ بِهَا الْجِنْسِيَّةُ إِلَّا أَنَّهُ

قد يسبق إلى الذهن منها الاستغراق لالجنسية فأتى بلفظه لاتوهم الاستغراق وهى اللفظة المنكرة و هذا دقيق و هو من لباب علم البيان [صفحہ ۷۶]

۱۴۳- و من خطبة له ع في الاستسقاء

اشاره

إِلْمَا وَ إِنْ الْأَرْضَ الَّتِي تَحْمِلُكُمْ وَ السَّمَاءَ الَّتِي تُظَلِّكُمْ مُطِيعَتَيْنِ لِرَبِّكُمْ وَ مَا أَصْبَحْنَا تَجُودَانِ لَكُمْ بِبِرِّكْتِهِمَا تَوْجَعًا لَكُمْ وَ لَا زُلْفَةً إِلَيْكُمْ وَ لَمَّا لَخِيرِ تَرْجُوَانِهِ مِنْكُمْ وَ لَكِنْ أُمْرَتَا بِمَنَافِعِكُمْ فَأَطَاعَتَا وَ أُقِيمَتَا عَلَى حُدُودِ مَصْرِ الْحُكْمِ فَقَامَتَا إِنْ اللَّهُ يَبْتَلِي عِبَادَهُ عِنْدَ الْأَعْيَالِ السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ وَ حَسْبِ الْبَرَكَاتِ وَ إِغْلَاقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ لِيَتُوبَ تَائِبٌ وَ يُقْلَعَ مُقْلَعٌ وَ يَتَذَكَّرَ مُتَذَكَّرٌ وَ يَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ وَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْإِسْتِغْفَارَ سَبَبًا لِدُرُورِ الرِّزْقِ وَ رَحْمَةً الْخَلْقِ فَقَالَ سُبْحَانَهَا اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَ يُمِدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَ بَيْنَ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ جَنَاتٍ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا فَرِحِمَ اللَّهُ أَمْرًا اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ وَ اسْتَقَالَ حَطِيبَتَهُ وَ بَادَرَ مَيْتَتَهُ اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ الْأَسْتَارِ وَ الْأَكْنَانِ وَ بَعْدَ عَجِيجِ الْبَهَائِمِ وَ الْوِلْدَانِ رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ وَ رَاجِينَ فَضْلَ نِعْمَتِكَ وَ خَائِفِينَ مِنْ عَذَابِكَ وَ نِقْمَتِكَ - قرآن - ۶۴۹-۸۰۶ [صفحہ ۷۷] اللَّهُمَّ فَاسْقِنَا غَيْثَكَ وَ لَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْفَانِينَ وَ لَا تُهْلِكْنَا بِالسَّيْنِ وَ لَمَّا تَوَاجَدْنَا بِمَا فَعَلَ السَّيْفُ فَهَاءُ مِنَّا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ نَشْكُو إِلَيْكَ مَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ أَلْجَأْنَا الْمَضَائِقُ الْوَعْرَةَ وَ أَجَاءْنَا الْمَقَاحِطُ الْمُجْدِيَّةَ وَ أَعْيَيْنَا الْمَطَالِبُ الْمُتَعَسِّرَةَ وَ تَلَاَحَمَتِ عَلَيْنَا الْفِتْنُ الْمَسْتَصْعَبَةُ اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَلَّا تَرُدَّنَا خَائِبِينَ وَ لَا تَقْلِبْنَا وَاجِمِينَ وَ لَا تُخَاطِبْنَا بِذُنُوبِنَا وَ لَا تُقَاسِمَنَا بِأَعْمَالِنَا اللَّهُمَّ انشُرْ عَلَيْنَا غَيْثَكَ وَ بَرَكَتَكَ وَ رِزْقَكَ وَ رَحْمَتَكَ وَ اسْقِنَا سِقْمًا نَاقِيَةً مُرَوِيَّةً مُعَشِّبَةً تُنْبِتُ بِهَا مَا قَدَفَاتِ وَ تُحْيِي بِهَا مَا قَدَمَاتِ نَافِعَةً الْحَيَا كَثِيرَةً الْمُجْتَنَى تَرُوي بِهَا الْقِيْعَانَ وَ تُسِيلُ الْبُطْنَانَ وَ تَسْتَوْرِقُ الْأَشْجَارَ وَ تُرْخِصُ الْأَسْعَارَ إِنَّكَ عَلَيَّ مَا تَشَاءُ قَدِيرٌ تَظْلِكُمْ تَعْلُو عَلَيْكُمْ وَ قَدْ أَظْلَنِي الشَّجْرَةَ وَ اسْتَظَلَّتْ بِهَا وَ الزَّلْفَةَ الْقُرْبَةَ يَقُولُ إِنْ السَّمَاءَ وَ الْأَرْضَ إِذَا جَاءَتَا بِمَنَافِعِكُمْ أَمَا السَّمَاءُ فَبِالْمَطَرِ وَ أَمَا الْأَرْضُ فَبِالنَّبَاتِ فَإِنَّهُمَا لَمْ تَأْتِيَا بِذَلِكَ تَقْرَبَا إِلَيْكُمْ وَ لَارْحَمَهُ لَكُمْ وَلَكِنَّهُمَا أَمْرَتَا بِنَفْعِكُمْ فَامْتَثَلْنَا الْأَمْرَ لِأَنَّهُ أَمْرٌ مِنْ تَجِبِ طَاعَتِهِ وَ لَوْ أَمْرَتَا بِغَيْرِ ذَلِكَ لَفَعَلْتَاهُ وَ الْكَلَامُ مَجَازٌ وَ اسْتِعَارَةٌ لِأَنَّ الْجَمَادَ لَا يُؤْمَرُ وَ الْمَعْنَى أَنَّ الْكُلَّ مَسْخَرٌ تَحْتِ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَ مَرَادُهُ تَمْهِيدُ قَاعِدَةَ الْإِسْتِسْقَاءِ كَأَنَّهُ يَقُولُ إِذَا كَانَتِ السَّمَاءُ وَ الْأَرْضُ أَيَّامَ الْخُصْبِ وَ الْمَطَرِ وَ النَّبَاتِ لَمْ يَكُنْ مَا كَانَ مِنْهُمَا مُجِبَةً لَكُمْ وَ لَارْجَاءُ مَنْفَعَةٍ مِنْكُمْ بَلِ طَاعَةُ الصَّانِعِ الْحَكِيمِ سَبْحَانَهُ فِيمَا سَخَرَهُمَا لَهُ [صفحہ ۷۸] فَكَذَلِكَ السَّمَاءُ وَ الْأَرْضُ أَيَّامَ الْجَدْبِ وَ انْقِطَاعِ الْمَطَرِ وَ عَدَمِ الْكَلَالِ لَيْسَ مَا كَانَ مِنْهُمَا بِغَضَا لَكُمْ وَ لَا اسْتِدْفَاعِ ضَرَرٍ يَخَافُ مِنْكُمْ بَلِ طَاعَةُ الصَّانِعِ الْحَكِيمِ سَبْحَانَهُ فِيمَا سَخَرَهُمَا لَهُ وَ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَبِالْحَرَى أَلَّا نَأْمَلَ السَّمَاءَ وَ لَا الْأَرْضَ وَ أَنْ نَجْعَلَ آمَالَنَا مَعْلُوقَةً بِالْمَلِكِ الْحَقِّ الْمُدَبِّرِ لَهُمَا وَ أَنْ نَسْتَرْحِمَهُ وَ نَدْعُوهُ وَ نَسْتَغْفِرَهُ لَا كَمَا كَانَتِ الْعَرَبُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ مَطَرْنَا بِنُوءِ كَذَا وَ قَدْ سَخَطَ الْنُوءُ الْفُلَانِي عَلَى بَنِي فُلَانٍ فَأَمَحَلُوا. ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَبْتَلِي عِبَادَهُ عِنْدَ الذُّنُوبِ بِتَضْيِيقِ الْأَرْزَاقِ عَلَيْهِمْ وَ حَسْبِ مَطَرِ السَّمَاءِ عَنْهُمْ وَ هَذَا الْكَلَامُ مُطَابِقٌ لِلْقَوَاعِدِ الْكَلَامِيَّةِ لِأَنَّ أَصْحَابَنَا يَذْهَبُونَ إِلَى أَنَّ الْغَلَاءَ قَدْ يَكُونُ عَقُوبَةً عَلَى ذَنْبٍ وَ قَدْ يَكُونُ لَطْفًا لِلْمَكْلُوفِينَ فِي الْوَاجِبَاتِ الْعَقْلِيَّةِ وَ هُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ لِيَتُوبَ تَائِبٌ إِلَى آخِرِ الْكَلِمَاتِ وَ يَقْلَعَ يَكْفُ وَ يَمْسُكُ. ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ جَعَلَ الْإِسْتِغْفَارَ سَبَبًا فِي دُرُورِ الرِّزْقِ وَ اسْتَدَلَّ عَلَيْهِ بِالْآيَةِ الَّتِي أَمَرَ نُوحَ ع فِيهَا قَوْمَهُ بِالْإِسْتِغْفَارِ يَعْنِي التَّوْبَةَ عَنِ الذُّنُوبِ وَ قَدَّمَ إِلَيْهِمُ الْمَوْعِدَ بِمَا هُوَ وَاقِعٌ فِي نَفْسِهِمْ وَ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ الْأُمُورِ الْآجِلَةِ فَمَنَاهُمْ الْفَوَائِدَ الْعَاجِلَةَ تَرْغِيبًا فِي الْإِيمَانِ وَ بَرَكَاتِهِ وَ الطَّاعَةِ وَ نَتَائِجِهَا كَمَا قَالَ سَبْحَانَهُ لِلْمُسْلِمِينَ وَ أُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرًا مِنَ اللَّهِ وَ فَتَحَ قَرِيبُفُوعَهُمْ بِمُحِبِّبِ

الأنفس ألدى يرونه فى العاجل عيانا ونقدا لاجزاء ونسيئته وقال تعالى فى موضع آخر وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ وَ قَالَ سُبْحَانَهُ وَ لَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَ الْإِنجِيلَ وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِّن فَوْقِهِمْ وَ مِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ - قرآن- ١٠٢٠-١٠٧٤- قرآن- ١١٧٤-١٢٦٩- قرآن- ١٢٨٤-١٤١٣ [صفحة ٧٩] و قال تعالى وَ أَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا - قرآن- ١٥-٨١

الثواب والعقاب

عند المسلمين و أهل الكتاب و كل ما فى التوراة من الوعد والوعيد فهو لمنافع الدنيا ومضارها أما منافعها فمثل أن يقول إن أطعتم باركت فيكم وكثرت من أولادكم وأطلت أعماركم وأوسعت أرزاقكم واستبقيت اتصال نسلكم ونصرتكم على أعدائكم و إن عصيتم وخالفتم اخترمتكم ونقصت من آجالكم وشتت شملكم ورميتكم بالجوع والمحل وأذلت أولادكم وأشمت بكم أعداءكم ونصرت عليكم خصومكم وشردتكم فى البلاد وابتليتكم بالمرض والذل ونحو ذلك . و لم يأت فى التوراة وعد ووعد بأمر يتعلق بما بعد الموت و أما المسيح ع فإنه صرح بالقيامة وبعث الأبدان ولكن جعل العقاب روحانيا وكذلك الثواب أما العقاب فالوحشة والفزع وتخيل الظلمة وخبث النفس وكدرها وخوف شديد و أما الثواب فما زاد على أن قال إنهم يكونون كالملائكة وربما قال يصعدون إلى ملكوت السماء وربما قال أصحابه وعلماء ملته الضوء واللذة والسرور والأمن من زوال اللذة الحاصلة لهم هذا هو قول المحققين منهم وقد أثبت بعضهم نارا حقيقية لأن لفظه النار وردت فى الإنجيل فقال محققوهم نار قلبية أى نفسية روحانية و قال الأفلون نار كهذه النار ومنهم من أثبت عقابا غير النار و هو بدنى فقال الرعدة وصرير الأسنان فأما الجنة بمعنى الأكل والشرب والجماع فإنه لم يقل منهم قائل به أصلا والإنجيل صرح بانتفاء ذلك فى القيامة تصريحاً لا يبقى بعده ريب لمرتاب وجاء خاتم الأنبياء محمد [صفحة ٨٠] ص فأثبت المعاد على وجه محقق كامل أكمل مما ذكره الأولان فقال إن البدن والنفس معا مبعوثان ولكل منهما حظ فى الثواب والعقاب . وقد شرح الرئيس أبو على الحسين بن عبد الله بن سينا هذا الموضوع فى رسالة له فى المعاد تعرف بالرسالة الأصحوبة شرحا جيدا فقال إن الشريعة المحمدية أثبتت فى القيامة رد النفس إلى البدن وجعلت للمثاب والمعاقب ثوابا وعقابا بحسب البدن والنفس جميعا فكان للمثاب لذات بدنية من حور عين وولدان مخلدين وفاكهة يشتهون وكأس لا يصدعون عنها ولا يئزفون وجنات تجرى من تحتها الأنهار من لبن وعسل وخمر وماء زلال وسرر وأرائك وخيام وقباب فرشها من سندس وإستبرق و ماجرى مجرى ذلك ولذات نفسانية من السرور ومشاهدة الملكوت والأمن من العذاب والعلم اليقيني بدوام ما هم فيه و أنه لا يتعبه عدم ولا زوال والخلو عن الأحزان والمخاوف وللمعاقب عقاب بدنى و هو المقامع من الحديد والسلاسل والحريق والحميم والغسلين والصراخ والجلود التى كلما نضجت بدلوا جلودا غيرها وعقاب نفسانى من اللعن والخزى والخجل والندم والخوف الدائم واليأس من الفرج والعلم اليقيني بدوام الأحوال السيئة التى هم عليها. قال فوفت الشريعة الحكمة حقها من الوعد الكامل والوعيد الكامل وبهما ينتظم الأمر وتقوم الملة فأما النصرانى وما ذهبوا إليه من أمر بعث الأبدان ثم خلوها فى الدار الآخرة من المطعم والملبس والمشرب والمنكح فهو أرك مذهب إليه أرباب الشرائع وأسخفه وذلك أنه إن كان السبب فى البعث هو أن الإنسان هو البدن أو أن البدن شريك النفس فى الأعمال الحسنة والسيئة فوجب أن يبعث فهذا القول بعينه إن أوجب ذلك فإنه يوجب أن يثاب البدن ويعاقب بالثواب والعقاب البدنى المفهوم عند العالم و إن كان الثواب والعقاب روحانيا فما الغرض فى بعث الجسد ثم ما ذلك [صفحة ٨١] الثواب والعقاب الروحانيان وكيف تصور العامة ذلك حتى يرغبوا ويرهبوا كلا- بل لم تصور لهم الشريعة النصرانية من ذلك شيئا غير أنهم يكونون فى الآخرة

كالملائكة و هذا لا يفي بالترغيب التام و لا ما ذكره من العقاب الروحاني و هو الظلمة و خبث النفس كاف في الترهيب و الذي جاءت به شريعة الإسلام حسن لزيادة عليه انقضى كلام هذا الحكيم . فأما كون الاستغفار سبباً لنزول القطر و درور الرزق فإن الآية بصريحها ناطقةً به لأنها أمر و جوابه قال استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يُرسل السماء عليكم مدراراً كما تقول قم أكرمك أي إن قمت أكرمتك و عن عمر أنه خرج يستسقى فما زاد على الاستغفار فليل له ما رأيناك استسقت فقال لقد استسقت بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر . و عن الحسن أن رجلاً شكى إليه الجذب فقال استغفر الله فشكا آخر إليه الفقر و آخر قلة النسل و آخر قلة ريع أرضه فأمرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح رجال أتوك يشكون أبواباً ويشكون أنواعاً فأمرتهم كلهم بالاستغفار فتلا له الآية - قرآن - ٤٤٠-٥١٤ . قوله استقبل توبته أي استأنفها و جددتها و استقال خطيئته طلب الإقالة منها و الرحمة و بادر منيته سابق الموت قبل أن يدهمه . [صفحة ٨٢] قوله ع لا تهلكنا بالسنين جمع سنة و هي الجذب و المحل قال تعالى و لقد أخذنا آل فرعون بالسنين و - قرآن - ٦٩-١٠٩ قال النبي ص يدعو على المشركين اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف - روایت ١-٢- روایت ١٨-٧٥ و السنة لفظ محذوف منه حرف قيل إنه الهاء و قيل الواو فمن قال المحذوف هاء قال أصله سنهه مثل جبهه لأنهم قالوا نخلة سنهه أي تحمل سنه و لا تحمل أخرى و قال بعض الأنصار فليست بسنهه و لارجيهه || ولكن عرايا في السنين الجوائح . و من قال أصلها الواو احتج بقولهم أسنى القوم يسنون إسناء إذالبوا في المواضع سنهه فأما التصغير فلا يدل على أحد المذهبين بعينه لأنه يجوز سنهه و سنيهه و الأ- كثر في جمعها بالواو و النون سنون بكسر السين كما في هذه الخطبه و بعضهم يقول سنون بالضم . و المضايق الوعرة بالتسكين و لا يجوز التحريك و قد وعر هذا الشيء بالضم و عوره و كذلك توعر أي صار و عرا و استوعرت الشيء استصعبته . و أجاهاً أجاهاً قال تعالى فأجاها المخاص إلى جذع النخلة . و المقاطع المجذبه السنون الممحلّه جمع مقحطه . و تلاحت اتصلت . و الواجم الذي قد اشتد حزنه حتى أمسك عن الكلام و الماضي و جم بالفتح يجم و جوما . قوله و لا تخاطبنا بذنوبنا و لا تقايسنا بأعمالنا أي لا تجعل جواب دعائنا لك ما تقتضيه ذنوبنا كأنه يجعله كالمخاطب لهم و المجيب عما سأله إياه كما يفاوض الواحد - قرآن - ٤١١-٤٥١ [صفحة ٨٣] منا صاحبه و يستعطفه فقد يجيبه و يخاطبه بما يقتضيه ذنبه إذا اشتدت موجدته عليه و نحوه . و لا تقايسنا بأعمالنا قست الشيء بالشيء إذا حدوته و مثله به أي لا تجعل ما تجيبنا به مقاييساً و مماثلاً لأعمالنا السيئه . قوله سقيا ناقةً هي فعلى مؤنثه غير مصروفه . و الحيا المطر و ناقةً مروية مسكنه للعطش نقع الماء العطش نقعاً و نقوعاً سكنه و في المثل الرشف أنقع أي أن الشراب الذي يرشف قليلاً قليلاً أنجع و أقطع للعطش و إن كان فيه بطة . و كثيرة المجتنى أي كثيرة الكلاؤ و الكلاؤ الذي يجتنى و يرمى و القيعان جمع قاع و هو الفلاة . و البطنان جمع بطن و هو الغامض من الأرض مثل ظهر و ظهران و عبد و عبدان [صفحة ٨٤]

١٤٤- و من خطبة له ع

إشارة

بَعَثَ رُسُلَهُ بِمَا خَصَّصَهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ وَ جَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَى خَلْقِهِ لِنَلَّا تَجِبَ الْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ الْإِعْدَارِ إِلَيْهِمْ فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ الصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ أَلَا إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ كَشَفَ الْخَلْقَ كَشْفَهُ لَأَنَّ جَهْلَ مَا أَخْفَوْهُ مِنْ مَصُونِ أَسْرَارِهِمْ وَ مَكْتُونِ ضَمَائِرِهِمْ وَ لَكِنْ لِيَلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا فَيَكُونَ الثَّوَابُ جَزَاءً وَ الْعِقَابُ بَوَاءً أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا كَذِبًا وَ بَغْيًا عَلَيْنَا أَنْ رَفَعْنَا اللَّهُ وَ وَضَعَهُمْ وَ أَعْطَانَا وَ حَرَمَهُمْ وَ أَدْخَلْنَا وَ أَخْرَجَهُمْ بِنَا يُسْتَعطَى الْهُدَى وَ يُسْتَجلى الْعَمَى إِنَّ الْأَيْمَةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي

هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ وَ لَا تَصْلُحُ الْوَلَاءُ مِنْ غَيْرِهِمْ أَوَّلُ الْكَلَامِ مَاخُذٌ مِنْ قَوْلِهِ سَبْحَانَهُ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَ قَوْلِهِ تَعَالَى وَ مَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا. -قرآن- ٣٦-١٢٨-قرآن- ١٤٤-١٨٩] [صفحة ٨٥] فَإِنْ قُلْتَ فَهَذَا يَنَاقِضُ مَذْهَبَ الْمُعْتَزِلَةِ فِي قَوْلِهِمْ بِالْوَأْجِبَاتِ عَقْلًا وَ لَوْ لَمْ تَبْعَثِ الرَّسُلَ . قُلْتَ صَحَّةُ مَذْهَبِهِمْ تَقْتَضِي أَنْ تَحْمَلَ عُمُومَ الْأَلْفَاظِ عَلَى أَنْ الْمُرَادُ بِهَا الْخُصُوصَ فَيَكُونُ التَّأْوِيلُ لثَلَا- يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ فِيمَا لَمْ يَدُلَّ الْعَقْلُ عَلَى وَجُوبِهِ وَ لَا يَجِبُ كَالشَّرْعِيَّاتِ وَ كَذَلِكَ وَ مَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ الْعَقْلُ دَلِيلًا- عَلَيْهِ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا. الإِعْذَارُ تَقْدِيمُ الْعِذْرِ ثُمَّ قَالَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَشَفَ الْخَلْقَ بِمَا تَعْبُدُهُمْ بِهِ مِنَ الشَّرْعِيَّاتِ عَلَى أَلْسِنَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَ لَمْ يَكُنْ أَمْرُهُمْ خَافِيَا عَنْهُ فَيَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَكْشِفَهُمْ بِذَلِكَ وَلَكِنَّهُ أَرَادَ ابْتِلَاءَهُمْ وَ اخْتِبَارَهُمْ لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا- فَيَعَاقِبُ الْمَسِيءَ وَ وَيُثِيبُ الْمُحْسِنَ . فَإِنْ قُلْتَ الْإِشْكَالُ قَائِمٌ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ يَعْلَمُ أَيُّهُمْ يَحْسَنُ وَ أَيُّهُمْ يَسِيءُ فَمَا فَائِدَةُ الْإِبْتِلَاءِ وَ هَلْ هُوَ إِلَّا مَحْضُ الْعِبْثِ قُلْتَ فَائِدَةُ الْإِبْتِلَاءِ إِبْصَالُ نَفْعٍ إِلَى زَيْدٍ لَمْ يَكُنْ لِيَصِحَّ إِبْصَالُهُ إِلَيْهِ إِلَّا بِوَسْطَةِ هَذَا الْإِبْتِلَاءِ وَ هُوَ مَا يَقُولُهُ أَصْحَابُنَا إِنْ الْإِبْتِلَاءَ بِالثَّوَابِ قَبِيحٌ وَ اللَّهُ تَعَالَى يَسْتَحِيلُ أَنْ يَفْعَلَ الْقَبِيحَ . قَوْلُهُ وَ لِلْعَقَابِ بَوَاءٌ أَى مَكَافَأَةٌ قَالَتْ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةُ -قرآن- ٢٦٣-٣٠٨ فَإِنْ تَكُنْ الْقَتْلَى بَوَاءً فَإِنَّكُمْ || فِتَى مَا قَتَلْتُمْ آلَ عَوْفِ بْنِ عَامِرٍ . وَأَبَاتُ الْقَاتِلِ بِالْقَتِيلِ وَ اسْتِبَاتُهُ أَيْضًا إِذَا قَتَلْتَهُ بِهِ وَ قَدْبَاءُ الرَّجُلِ بِصَاحِبِهِ أَى قَتَلَ بِهِ [صفحة ٨٦] وَ فِي الْمَثَلِ بَاءُتْ عِرَارٌ بِكِحْلٍ وَ هُمَا بِقَرْتَانٍ قَتَلَتْ إِحْدَاهُمَا بِالْأُخْرَى وَ قَالَ مَهْلَهْلٌ لِبَجِيرٍ لِمَا قَتَلَ بُوَ بِشَسْعٍ نَعْلَ كَلِيبٍ . قَوْلُهُ عَ أَيُّنَ الَّذِينَ زَعَمُوا هَذَا الْكَلَامَ كِنَايَةً وَ إِشَارَةً إِلَى قَوْمٍ مِنَ الصَّحَابَةِ كَانُوا يَنَازِعُونَهُ الْفَضْلَ فَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَدْعِي لَهُ أَنَّهُ أَفْرَضُ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَدْعِي لَهُ أَنَّهُ أَقْرَأُ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَدْعِي لَهُ أَنَّهُ أَعْلَمُ بِالْحَلَالِ وَ الْحَرَامِ هَذَا مَعَ تَسْلِيمِ هُوَلَاءَ لَهُ أَنَّهُ عَ أَقْضَى الْأُمَّةِ وَ أَنَّ الْقَضَاءَ يَحْتَاجُ إِلَى كُلِّ هَذِهِ الْفَضَائِلِ وَ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا لَا تَحْتَاجُ إِلَى غَيْرِهَا فَهُوَ إِذَنْ أَجْمَعٌ لِلْفَقْهِ وَ أَكْثَرُهُمْ احْتِوَاءٌ عَلَيْهِ إِلَّا أَنَّهُ عَ لَمْ يَرْضَ بِذَلِكَ وَ لَمْ يَصْدُقِ الْخَبْرُ الَّذِي قِيلَ أَفْرَضَكُمْ فَلَانَ إِلَى آخِرِهِ فَقَالَ إِنَّهُ كَذِبٌ وَ افْتِرَاءٌ حَمَلَ قَوْمًا عَلَى وَضْعِهِ الْحَسَدَ وَ الْبَغْيَ وَ الْمَنَافَسَةَ لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ أَنْ رَفَعَهُمُ اللَّهُ عَلَى غَيْرِهِمْ وَ اخْتَصَمَهُمْ دُونَ مَنْ سِوَاهُمْ . وَ أَنَّ هَاهُنَا لِلتَّعْلِيلِ أَى لِأَنَّ فَحْذَ اللَّامِ الَّتِي هِيَ أَدَاءُ التَّعْلِيلِ عَلَى الْحَقِيقَةِ قَالَ سَبْحَانَهُ لَيْسَ مَا قَدَّمْتَ لَهُمْ أَنْفُسَهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ قَالَ بَعْضُ النَّحَاةِ لِبَعْضِ الْفُقَهَاءِ الزَّاعِمِينَ أَنَّ لِحَاجَةَ الْفَقْهِ إِلَى النَّحْوِ مَا تَقُولُ لِرَجُلٍ قَالَ لَزَوْجَتِهِ أَنْتَ طَالِقٌ إِنْ دَخَلْتَ الدَّارَ فَقَالَ لَا يَقَعُ إِلَّا بِالْدُخُولِ فَقَالَ فَإِنْ فَتَحَ الْهَمْزَةَ قَالَ كَذَلِكَ فَعَرَفَهُ أَنَّ الْعَرَبِيَّةَ نَافِعَةٌ فِي الْفَقْهِ وَ أَنَّ الطَّلَاقَ مَنْجَزٌ لِمَعْلُوقٍ إِنْ كَانَ مُرَادُهُ تَعْلِيلَ الطَّلَاقِ بِوُقُوعِ الدُّخُولِ لِاشْتِرَاطِهِ بِهِ . ثُمَّ قَالَ بِنَا يَسْتَعْطَى الْهَدْيَ أَى يَطْلُبُ أَنْ يُعْطَى وَ كَذَلِكَ يَسْتَجْلَى أَى يَطْلُبُ جَلَاؤَهُ . ثُمَّ قَالَ إِنْ الْأَثْمَةَ مِنْ قَرِيشٍ إِلَى آخِرِ الْفَصْلِ -قرآن- ٨٠٢-٨٦٣] [صفحة ٨٧]

اختلاف الفرق الإسلامية في كون الأئمة من قريش

وقد اختلفت الناس في اشتراط النسب في الإمامة فقال قوم من قدام أصحابنا إن النسب ليس بشرط فيها أصلاً وإنما تصلح في القرشي وغير القرشي إذا كان فاضلاً مستجمعاً للشرائط المعبّرة واجتمعت الكلمة عليه وهو قول الخوارج . وقال أكثر أصحابنا وأكثر الناس إن النسب شرط فيها وإنما لا تصلح إلا في العرب خاصة ومن العرب في قريش خاصة وقال أكثر أصحابنا معنى قول النبي ص الأئمة من قريش -رواية ١-٢-رواية ١٧-٣٣ أن القرشية شرط إذا وجد في قريش من يصلح للإمامة فإن لم يكن فيها من يصلح فليست القرشية شرطاً فيها . وقال بعض أصحابنا معنى الخبر أنه لا تخلو قريش أبداً ممن يصلح للإمامة فأوجبوا بهذا الخبر وجود من يصلح من قريش لها في كل عصر وزمان . وقال معظم الزيدية إنها في الفاطميين خاصة من الطالبين لا تصلح في غير البطين ولا تصح إلا بشرط أن يقوم بها ويدعو إليها فاضل زاهد عالم عادل شجاع سائس وبعض الزيدية

يجوز الإمامة في غير الفاطميين من ولد علي ع و هو من أقوالهم الشاذة. و أما الراوندي فإنيهم خصصوها بالعباس رحمه الله وولده من بين بطون قريش كلها و هذا القول هو الذي ظهر في أيام المنصور والمهدي و أما الإمامية فإنيهم جعلوها سارية في ولد الحسين ع في أشخاص مخصوصين و لا تصلح عندهم لغيرهم . وجعلها الكيسانية في محمد بن الحنفية وولده ومنهم من نقلها منه إلى ولد غيره . فإن قلت إنك شرحت هذا الكتاب على قواعد المعتزلة وأصولهم فما قولك في هذا [صفحة ٨٨] الكلام و هو تصريح بأن الإمامة لا تصلح من قريش إلا في بني هاشم خاصة و ليس ذلك بمذهب للمعتزلة لا متقدميهم و لا متأخريهم . قلت هذا الموضوع مشكل و لي فيه نظر و إن صح أن عليا ع قاله قلت كما قال لأنه ثبت عندى أن النبي ص قال إنه مع الحق و أن الحق يدور معه حيثما دار -رواية ١-٢-رواية ٢٢-٦٧-ويمكن أن يتأول و يطبق على مذهب المعتزلة لا متقدميهم و لا متأخريهم . كمال الإمامة كما حمل قوله ص لاصلاة لجار المسجد إلا في المسجد -رواية ١-٢-رواية ١٢-٤٦ على نفى الكمال لا على نفى الصحة منها آثروا عاجلا و آخروا آجلا و تركوا صافيا و شربوا آجنا كأنى أنظر إلى فاسقهم و قد صحب المنكر فألفه و بسى به و وافقه حتى شابت عليه مفارقة و صبغت به خلانقه ثم أقبل مزيدا كالتيار لا يبالي ما غرق أو كوقع النار في الهشيم لا يحفل ما حرق أين العقول المستصحة بمصايح الهدى و الأبصار اللامحة إلى منازل التقوى أين القلوب التي وهبت لله و عوقدت على طاعة الله ازدحموا على الحطام و تشاحوا على الحرام و رقع لهم علم الجنة و النار فصبروا عن الجنة و جوههم و أقبلوا إلى النار بأعمالهم و دعاهم ربهم فنفروا و ولوا و دعاهم الشيطان فاستجابوا و أقبلوا [صفحة ٨٩] آثروا اختاروا و آخروا تركوا الآجن الماء المتغير آجن الماء يأجن و يأجن . و بسى به ألفه و ناقة بسوء ألفت الحالب و لا تمنعه و شابت عليه مفارقة طال عهده به مذ زمن الصبا حتى صار شيئا و صبغت به خلانقه ما صارت طبعاً لأن العادة طبيعة ثانية. مزيدا أى ذو زيد و هو ما يخرج من الفم كالرغوة يضرب مثلاً للرجل الصائل المقتحم . و التيار معظم اللجة والمراد به هاهنا السيل والهشيم دقاق الحطب . و لا يحفل بفتح حرف المضارعة لأن الماضى ثلاثى أى لا يبالي . و الأبصار اللامحة الناظرة و تشاحوا تضايقوا كل منهم يريد ألا يفوته ذلك وأصله الشح و هو البخل . فإن قلت هذا الكلام يرجع إلى الصحابة الذين تقدم ذكرهم فى أول الخطبة. قلت لا و إن زعم قوم أنه عناهم بل هو إشارة إلى قوم ممن يأتى من الخلف بعد السلف ألاتراه قال كأنى أنظر إلى فاسقهم قد صحب المنكر فألفه و هذا اللفظ إنما يقال فى حق من لم يوجد بعد كما قال فى حق الأتراك كأنى أنظر إليهم قوما كأن وجوههم المجان و كما قال فى حق صاحب الزنج كأنى به يا أحنف قد سار فى الجيش و كما قال فى الخطبة التى ذكرناها آنفا كأنى به قد نعق بالشام يعنى به عبد الملك و حوشى ع أن يعنى بهذا الكلام الصحابة لأنهم ما آثروا العاجل و لا آخروا الآجل و لا صحبوا المنكر و لا أقبلوا كالتيار لا يبالي ما غرق و لا كالنار لا تبالي ما أحرقت و لا ازدحموا على الحطام و لا تشاحوا على الحرام و لا صبروا عن الجنة و جوههم و لا أقبلوا [صفحة ٩٠] إلى النار بأعمالهم و لا دعاهم الرحمن فولوا و لا دعاهم الشيطان فاستجابوا و قد علم كل أحد حسن سيرتهم و سداد طريقتهم و إعراضهم عن الدنيا و قدملوكها و زهدهم فيها و قد تمكنوا منها و لو لا قوله كأنى أنظر إلى فاسقهم لم أبعد أن يعنى بذلك قوما ممن عليه اسم الصحابة و هورديء الطريقة كالمغيرة بن شعبة و عمرو بن العاص و مروان بن الحكم و معاوية و جماعة معدودة أحبوا الدنيا و استغواهم الشيطان و هم معدودون فى كتب أصحابنا و من اشتغل بعلوم السيرة و التواريخ عرفهم بأعيانهم [صفحة ٩١]

١٤٥- و من خطبة له ع

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُّ فِيهِ الْمَنَائِمَا مَعَ كُلِّ جَرَعَةٍ شَرِقَتْ وَ فِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَضِيصٌ لَا تَتَأَلَوْنَ مِنْهَا نِعْمَةً إِلَّا

بِفِرَاقِ أُخْرَى وَ لَا يُعَمَّرُ مُعَمَّرٌ مِنْكُمْ يَوْمًا مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا يَهْدِمَ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ وَ لَا تُجَدِّدُ لَهُ زِيَادَةٌ فِي أَكْلِهِ إِلَّا بِنَفَادِ مَا قَبَلَهَا مِنْ رِزْقِهِ وَ لَمَّا يَحْيَا لَهُ أَثَرٌ إِلَّا مَاتَ لَهُ أَثَرٌ وَ لَا يَتَجَدَّدُ لَهُ جَدِيدٌ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَخْلُقَ لَهُ جَدِيدٌ وَ لَا تَقُومُ لَهُ نَابِتَةٌ إِلَّا وَ تَسْقُطُ مِنْهُ مَحْصُودَةٌ وَ قَدْ مَضَتْ أَصُولٌ نَحْنُ فُرُوعُهَا فَمَا بَقَاءُ فَرَعٍ بَعْدَ ذَهَابِ أَصْلِهِ الْغُرُضُ مَا يَنْصَبُ لِيَرْمَى وَ هُوَ الْهَدَفُ وَ تَنْتَضِلُ فِيهِ الْمَنَائِي تَتْرَامِي فِيهِ لِلْسَبْقِ وَ مِنْهُ الْإِنْتِضَالُ بِالْكَلَامِ وَ بِالشَّعْرِ كَأَنَّهُ يَجْعَلُ الْمَنَائِي أَشْخَاصًا تَنْتَاضِلُ بِالسَّهَامِ مِنَ النَّاسِ مِنْ يَمُوتُ قِتْلًا وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُوتُ غَرْقًا أَوْ يَتْرَدِي فِي بَثْرٍ أَوْ تَسْقُطُ عَلَيْهِ حَائِطٌ أَوْ يَمُوتُ عَلَى فِرَاشِهِ . ثُمَّ قَالَ مَعَ كُلِّ جِرْعَةٍ شَرَقٌ وَ فِي كُلِّ أَكْلَةٍ غِصَصٌ بَفَتْحِ الْغَيْنِ مَصْدَرٌ قَوْلِكَ غِصَصَتْ يَافِلَانُ بِالطَّعَامِ وَ رَوَى غِصَصٌ جَمْعُ غِصَّةٍ وَ هِيَ الشَّجَا وَ هَذَا مِثْلُ قَوْلِ بَعْضِهِمُ الْمُنْحَةُ فِيهَا مَقْرُونَةٌ بِالْمُنْحَةِ وَ النِّعْمَةُ مَشْفُوعَةٌ بِالنِّقْمَةِ [صَفْحَةٌ ٩٢] وَ قَدْ بَالِغُ بَعْضِ الشُّعْرَاءِ فِي الشُّكْوَى فَآتَى بِهَذِهِ الْأَلْفَاظِ لَكِنَّهُ أَسْرَفَ فَقَالَ . حَظِي مِنَ الْعَيْشِ أَكْلُ كُلِّهِ غِصَصٌ || مَرَّ الْمَذَاقُ وَ شَرِبَ كُلَّهُ شَرَقٌ وَ مَرَادُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَ بِكَلَامِهِ أَنَّ نَعِيمَ الدُّنْيَا لَا يَدُومُ فَإِذَا أَحْسَنْتَ أَسَاءْتَ وَ إِذَا أَنْعَمْتَ أَنْقَمْتَ . ثُمَّ قَالَ لَا يَنَالُونَ مِنْهَا نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقِ أُخْرَى هَذَا مَعْنَى لَطِيفٍ وَ ذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَتَهَيَّأُ لَهُ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ الْمَلَاذِ الْجِسْمَانِيَّةِ كُلِّهَا فِي وَقْتٍ فَحَالٌ مَا يَكُونُ آكِلًا لَا يَكُونُ مَجَامِعًا وَ حَالٌ مَا يَشْرَبُ لَا يَأْكُلُ وَ حَالٌ مَا يَرْكَبُ لِلْقَنْصِ وَ الرِّيَاضَةِ لَا يَكُونُ جَالِسًا عَلَى فِرَاشٍ وَ ثَبِيرٍ مَمْهَدٍ وَ عَلَى هَذَا الْقِيَاسِ لَا يَأْخُذُ فِي ضَرْبٍ مِنْ ضُرُوبِ الْمَلَاذِ إِلَّا وَ هُوَ تَارِكٌ لِغَيْرِهِ مِنْهَا . ثُمَّ قَالَ وَ لَا يَعْمُرُ مَعْمَرٌ مِنْكُمْ يَوْمًا مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا يَهْدِمُ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ وَ هَذَا أَيْضًا لَطِيفٌ لِأَنَّ الْمَسْرُورَ بِيَقَائِهِ إِلَى يَوْمِ الْأَحَدِ لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ قَضَى يَوْمَ السَّبْتِ وَ قَطَعَهُ وَ يَوْمَ السَّبْتِ مِنْ أَيَّامِ عُمُرِهِ فَإِذَا قَدْ هَدَمَ مِنْ عُمُرِهِ يَوْمًا فَيَكُونُ قَدْ قَرَّبَ إِلَى الْمَوْتِ لِأَنَّهُ قَدْ قَطَعَ مِنَ الْمَسَافَةِ جِزَاءً . ثُمَّ قَالَ وَ لَا تَجَدُّدُ لَهُ زِيَادَةٌ فِي أَكْلِهِ إِلَّا بِنَفَادِ مَا قَبَلَهَا مِنْ رِزْقِهِ وَ هَذَا صَحِيحٌ فَإِنَّ فِرْنَانَ الرِّزْقِ بِمَا وَصَلَ إِلَى الْبَطْنِ عَلَى أَحَدِ تَفْسِيرَاتِ الْمُتَكَلِّمِينَ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَأْكُلُ لِقْمَةً إِلَّا وَ قَدْ فَرَّغَ مِنَ اللَّقْمَةِ الَّتِي قَبْلَهَا فَهُوَ إِذَا لَا يَتَجَدَّدُ لَهُ زِيَادَةٌ فِي أَكْلِهِ إِلَّا بِنَفَادِ مَا قَبَلَهَا مِنْ رِزْقِهِ . ثُمَّ قَالَ وَ لَا يَحْيَا لَهُ أَثَرٌ إِلَّا مَاتَ لَهُ أَثَرٌ وَ ذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ فِي الْأَعْمِ الْأَغْلَبِ لَا يَنْتَشِرُ صَيْتُهُ وَ يَشِيعُ فَضْلُهُ إِلَّا عِنْدَ الشَّيْخُوخَةِ وَ كَذَلِكَ لَا تَعْرِفُ أَوْلَادُهُ وَ يَصِيرُ لَهُمْ اسْمٌ فِي الدُّنْيَا إِلَّا - بَعْدَ كِبَرِهِ وَ عُلُوِّ سِنِّهِ فَإِذَا مَاحِيٌّ لَهُ أَثَرٌ إِلَّا بَعْدَ أَنْ مَاتَ لَهُ أَثَرٌ وَ هُوَ قُوَّتُهُ وَ نَشَاطَتُهُ وَ شَبِيهَتُهُ وَ مِثْلُهُ قَوْلُهُ وَ لَا يَتَجَدَّدُ لَهُ جَدِيدٌ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَخْلُقَ لَهُ جَدِيدٌ . [صَفْحَةٌ ٩٣] ثُمَّ قَالَ وَ لَا تَقُومُ لَهُ نَابِتَةٌ إِلَّا وَ تَسْقُطُ مِنْهُ مَحْصُودَةٌ هَذِهِ إِشَارَةٌ إِلَى ذَهَابِ الْآبَاءِ عِنْدَ حُدُوثِ أَبْنَائِهِمْ فِي الْأَعْمِ الْأَغْلَبِ وَ لِهَذَا قَالَ وَ قَدْ مَضَتْ أَصُولٌ نَحْنُ فُرُوعُهَا فَمَا بَقَاءُ فَرَعٍ بَعْدَ ذَهَابِ أَصْلِهِ وَ قَدْ نَظَرَ الشُّعْرَاءُ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى فَقَالُوا فِيهِ وَ أَكْثَرُوا نَحْوَ قَوْلِ الشَّاعِرِ فَإِنَّ أَنْتَ لَمْ تَصْدَقْكَ نَفْسُكَ فَاتَنْسَبْ || لَعَلَّكَ تَهْدِيكَ الْقُرُونُ الْأَوَائِلُ فَإِنَّ لَمْ تَجِدْ مِنْ دُونَ عَدْنَانَ وَ الدَّاءِ || وَ دُونَ مَعْدٍ فَلْتَرَعَكَ الْعَوَاذِلُ وَ قَالَ الشَّاعِرُ فَعَدَدْتَ آبَائِي إِلَى عِرْقِ الثَّرَى || فَدَعْوَتُهُمْ فَعَلِمْتَ أَنَّ لَمْ يَسْمَعُوا لِأَبَدٍ مِنْ تَلْفٍ مُصِيبٍ فَانْتَظِرْ || أَبَارِضِ قَوْمِكَ أَمْ بِأُخْرَى تَصْرَعُ وَ قَدْ صَرَحَ أَبُو الْعَتَاهِيَّةُ بِالْمَعْنَى فَقَالَ كُلُّ حَيَاةٍ إِلَى مَمَاتٍ || وَ كُلُّ ذِي جَدَّةٍ يَحُولُ كَيْفَ بَقَاءُ الْفُرُوعِ يَوْمًا || وَ قَدْ ذَوَّتْ قَبْلَهَا الْأَصُولُ مِنْهَا وَ مِمَّا أُحْدِثَتْ بِدَعْوَةٍ إِلَّا تُرِكَ بِهَا سُنَّةٌ فَاتَّقُوا الْبِدْعَ وَ الزَّمُوا الْمَهْيَجَ إِنَّ عَوَازِمَ الْأُمُورِ أَفْضَلُهَا وَ إِنَّ مُحَدَّثَاتِهَا شَرَّارُهَا [صَفْحَةٌ ٩٤] الْبِدْعَةُ كُلُّ مَا أُحْدِثَ مِمَّا لَمْ يَكُنْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَ فَمِنْهَا الْحَسَنُ كَصَلَاةِ التَّرَاوِيحِ وَ مِنْهَا الْقَبِيحُ كَالْمُنْكَرَاتِ الَّتِي ظَهَرَتْ فِي أَوَاخِرِ الْخِلَافَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ وَ إِنْ كَانَتْ قَدْ تَكَلَّفَتْ الْأَعْذَارَ عَنْهَا . وَ مَعْنَى قَوْلِهِ عَ مَا أُحْدِثَتْ بِدَعْوَةٍ إِلَّا تَرِكَ بِهَا سُنَّةً أَنْ مِنَ السَّنَةِ الْأُحْمَلِ تَحْدِثُ الْبِدْعَةَ فَوْجُودَ الْبِدْعَةِ عَدَمٌ لِلْسَّنَةِ لِأَمْحَالَةٍ . وَ الْمَهْيَجُ الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ مِنْ قَوْلِهِمْ أَرْضٌ هَيْعَةٌ أَيْ مَبْسُوطَةٌ وَاسِعَةٌ وَ الْمِيمُ مَفْتُوحَةٌ وَ هِيَ زَائِدَةٌ . وَ عَوَازِمُ الْأُمُورِ مَا تَقَادِمُ مِنْهَا مِنْ قَوْلِهِمْ عَجُوزٌ عَوْزَمُ أَيْ مَسْنَةٌ قَالَ الرَّاجِزُ لَقَدْ غَدَوْتُ خَلْقَ الثِّيَابِ || أَحْمَلُ عَدْلِينَ مِنَ التَّرَابِ لِعَوْزَمٍ وَ صَبِيئَةَ سَغَابٍ || فَآكُلُ وَ لَاحِسُ وَ آبِي . وَ يَجْمَعُ فَوْعَلٌ عَلَى فَوَاعِلٍ كَدُورِقٍ وَ هُوَ جَلٌّ وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَوَازِمُ جَمْعُ عَازِمَةٍ وَ يَكُونُ فَاعِلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ أَيْ مَعزُومٌ عَلَيْهَا أَيْ مَقْطُوعٌ مَعْلُومٌ بِبِقِينِ صَحْتِهَا وَ مَجِيءٌ فَاعِلُهُ بِمَعْنَى مَفْعُولُهُ كَثِيرٌ كَقَوْلِهِمْ عَيْشُهُ رَاضِيَةٌ بِمَعْنَى مَرَضِيَّةٍ وَ الْأَوَّلُ أَظْهَرَ عِنْدِي لِأَنَّ فِي مَقَابَلَتِهِ قَوْلَهُ وَ إِنْ مُحَدَّثَاتِهَا شَرَّارُهَا وَ الْمَحْدَثُ فِي مَقَابَلَةِ الْقَدِيمِ [

إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ وَ لَا خِذْلَانُهُ بِكَثْرَتِهِ وَ لَا بِقَلْبِهِ وَ هُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي أَظْهَرَهُ وَ جُنْدُهُ الَّذِي أَعَدَّهُ وَ أَمَدُهُ حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ وَ طَلَعَ حَيْثُمَا طَلَعَ وَ نَحْنُ عَلَى مَوْعُودٍ مِنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ مُنْجِزٌ وَعْدُهُ وَ نَاصِرٌ جُنْدَهُ وَ مَكَانُ الْقَيْمِ بِالْأَمْرِ مَكَانُ النَّظَامِ مِنَ الْخَرْزِ يَجْمَعُهُ وَ يَضُمُّهُ فَإِنِ انْقَطَعَ النَّظَامُ تَفَرَّقَ وَ ذَهَبَ ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِخِذْفِيرِهِ أَبِيدًا وَ الْعَرَبُ الْيَوْمَ وَ إِنِ كَانُوا قَلِيلًا فَهُمْ كَثِيرُونَ بِالْإِسْلَامِ عَزِيزُونَ بِالْاجْتِمَاعِ فَكُنْ قُطْبًا وَ اسْتَدِرِ الرَّحَى بِالْعَرَبِ وَ أَصْلِهِمْ دُونَكَ نَارَ الْحَرْبِ فَإِنَّكَ إِذَا شَخَصْتَ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ انْتَقَضَتْ عَلَيْكَ الْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَ أَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ مَا تَدْعُ وَرَاءَكَ مِنَ الْعَوْرَاتِ أَهَمَّ إِلَيْكَ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ إِنَّ الْأَعَاجِمَ إِنِ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَدًا يَقُولُوا هَذَا أَصْلُ الْعَرَبِ فَإِذَا اقْتَطَعْتُمُوهُ اسْتَرَحْتُمْ فَيَكُونُ ذَلِكَ أَشَدَّ لِكَلْبِهِمْ عَلَيْكَ وَ طَمَعِهِمْ فِيكَ فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ مَسِيرِ الْقَوْمِ إِلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ هُوَ أَكْرَهُ لِمَسِيرِهِمْ مِنْكَ وَ هُوَ أَقْدَرُ عَلَى تَغْيِيرِ مَا يَكْرَهُ وَ أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ عَدَدِهِمْ فَإِنَّا لَمْ نَكُنْ نُقَاتِلُ فِيمَا مَضَى بِالْكَثْرَةِ وَ إِنَّمَا كُنَّا نُقَاتِلُ بِالنَّصْرِ وَ الْمَعُونَةِ [صفحة ٩٦] نظام العقيد الخيط الجامع له و تقول أخذته كله بحدافيره أى بأصله وأصل الحدافير أعالي الشىء ونواحيه الواحد حدفار. وأصلهم نار الحرب اجعلهم صالحين لها يقال صليت اللحم وغيره أصلية صليا مثل رميته أرميه رميا إذا شويته و فى الحديث أنه ص أتى بشاء مصليه أى مشوية ويقال أيضا صليت الرجل نارا إذا دخلته النار وجعلته يصلها فإن ألقىته فيها إلقاء كأنك تريد الإحراق قلت أصليته بالألف وصليته تصليه وقرئوا يصلى سعيراً و من خفف فهو من قولهم صلى فلان بالنار بالكسر يصلى صليا احترق قال الله تعالى هم أولى بها صلياً ويقال أيضا صلى فلان بالأمر إذا قاسى حره وشدته قال الطهوى -قرآن- ٤١٩-٤٣٥-قرآن- ٥٢١-٥٤٢ و لا تبلى بسالتيهم و إن هم || صلوا بالحرب حيناً بعد حين . و على هذا الوجه يحمل كلام أمير المؤمنين ع و هو مجاز من الإحراق والشىء الموضوع لها هذا اللفظ حقيقة. والعورات الأحوال التى يخاف انتقاضها فى ثغر أو حرب قال تعالى يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَ مَا هِيَ بِعَوْرَةٍ وَالْكَلْبُ الشَّرُّ وَالْأَذَى -قرآن- ١٧٣-٢٢٧

يوم القادسية

واعلم أن هذا الكلام قد اختلف فى الحال التى قاله فيها عمر فقيل قاله له فى [صفحة ٩٧] غزاة القادسية وقيل فى غزاة نهاوند و إلى هذا القول الأخير ذهب محمد بن جرير الطبرى فى التاريخ الكبير و إلى القول الأول ذهب المدائنى فى كتاب الفتوح ونحن نشير إلى ماجرى فى هاتين الواقعتين إشارة خفيفة على مذهبننا فى ذكر السير والأيام. فأما وقعة القادسية فكانت فى سنة أربع عشرة للهجرة استشار عمر المسلمين فى أمر القادسية فأشار عليه على بن أبى طالب فى رواية أبى الحسن على بن محمد بن سيف المدائنى ألا- يخرج بنفسه و قال إنك إن تخرج لا- يكن للعجم همة إلا استتصالك لعلمهم أنك قطب رحى العرب فلا يكون للإسلام بعدها دولة -رواية- ١-٢-رواية- ٨-١١٢ وأشار عليه غيره من الناس أن يخرج بنفسه فأخذ برأى على ع . وروى غير المدائنى أن هذا رأى أشار به عبدالرحمن بن عوف قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى لما بدا لعمر فى المقام بعد أن كان عزم على الشخوص بنفسه أمر سعد بن أبى وقاص على المسلمين وبعث يزيد جرد رستم الأرمنى أميراً على الفرس فأرسل سعد النعمان بن مقرن رسولا- إلى يزيد جرد فدخل عليه وكلمه بكلام غليظ فقال يزيد جرد لو لا أن الرسل لا تقتل لقتلتك ثم حمله وقرا

من تراب على رأسه وساقه حتى أخرجه من باب من أبواب المدائن وقال ارجع إلى صاحبك فقد كتبت إلى رستم أن يدفنه وجنده من العرب في خندق القادسية ثم لأشغلن العرب بعدها بأنفسهم ولأصينهم بأشد مما أصابهم به سابور ذو الأكتاف فرجع النعمان إلى سعد فأخبره فقال لا تخف فإن الله قدم لنا أرضهم تفاؤلا بالتراب . قال أبو جعفر وتثبط رستم عن القتال وكرهه وآثر المسالمة واستعجله يزدجرد مرارا واستحثه على الحرب و هو يدافع بها ويرى المطاوله و كان عسكره مائه وعشرين ألفا [صفحہ ٩٨] و كان عسكر سعد بضعا وثلاثين ألفا وأقام رستم بريدا من الرجال الواحد منهم إلى جانب الآخر من القادسية إلى المدائن كلما تكلم رستم كلمة أداها بعضهم إلى بعض حتى تصل إلى سمع يزدجرد في وقتها وشهد وقعة القادسية مع المسلمين طليحة بن خويلد وعمرو بن معديكرب والشماخ بن ضرار وعبد بن الطيب الشاعر وأوس بن معن الشاعر وقاموا في الناس ينشدونهم الشعر ويحرضونهم وقرن أهل فارس أنفسهم بالسلاسل لثلا يهربوا فكان المقرونون منهم نحو ثلاثين ألفا والتحم الفريقان في اليوم الأول فحملت الفيلة التي مع رستم على الخيل فطحنتها وثبت لها جمع من الرجال وكانت ثلاثة وثلاثين فيلا منها فيل الملك و كان أبيض عظيمًا فضربت الرجال خراطيم الفيلة بالسيوف فقطعتهارتفع عواؤها وأصيب في هذا اليوم و هو اليوم الأول خمسمائة من المسلمين وألفان من الفرس ووصل في الثاني أبو عبيدة بن الجراح من الشام في عساكر من المسلمين فكان مددا لسعد و كان هذا اليوم على الفرس أشد من اليوم الأول قتل من المسلمين ألفان و من المشركين عشرة آلاف وأصبحوا في اليوم الثالث على القتال و كان عظيمًا على العرب والعجم معا وصبر الفريقان وقامت الحرب ذلك اليوم وتلك الليلة جمعا لا ينطقون كلامهم الهيرير فسميت ليلة الهيرير. وانقطعت الأخبار والأصوات عن سعد ورستم وانقطع سعد إلى الصلاة والدعاء والبكاء وأصبح الناس حسرى لم يغمضوا ليلتهم كلها والحرب قائمة بعد إلى وقت الظهر فأرسل الله تعالى ريحا عاصفا في اليوم الرابع أمالت الغبار والنقع على العجم فانكسروا ووصلت العرب إلى سرير رستم و قد قام عنه ليركب جملا و على رأسه العلم فضرب هلال بن علقمة الحمل الذي رستم فوقه فقطع جباله ووقع على هلال أحد العدلين فأزال فقار ظهره ومضى رستم نحو العتيق فرمى نفسه فيه واقتحم هلال عليه فأخذ [صفحہ ٩٩] برجله وخرج به يجره حتى ألقاه تحت أرجل الخيل و قد قتله وصعد السرير فنادى أنا هلال أنا قاتل رستم فانهزمت الفرس وتهافتوا في العتيق فقتل منهم نحو ثلاثين ألفا ونهبت أموالهم وأسلابهم وكانت عزيمة جدا وأخذت العرب منهم كافورا كثيرا فلم يعبئوا به لأنهم لم يعرفوه وباعوه من قوم بملح كيلا بكيلا وسروا بذلك وقالوا أخذنا منهم ملحًا طيبًا ودفعنا إليهم ملحًا غير طيب وأصابوا من الجامات من الذهب والفضة ما لا يقع عليه العد لكثرتة فكان الرجل منهم يعرض جامين من ذهب على صاحبه ليأخذ منه جاما واحدا من فضة يعجبه بياضها و يقول من يأخذ صفراوين ببيضاء. وبعث سعد بالأنفال والغنائم إلى عمر فكتب إلى سعد لا تتبع الفرس وقف مكانك واتخذة منزلا- فنزل موضع الكوفة اليوم واختط مسجدها وبني فيها الخطط للعرب

يوم نهاوند

فأما وقعة نهاوند فإن أبا جعفر محمد بن جرير الطبري ذكر في كتاب التاريخ أن عمر لما أراد أن يغزو العجم وجيوش كسرى وهي مجتمعة ب نهاوند استشار الصحابة فقام عثمان فتشهد فقال أرى يا أمير المؤمنين أن تكتب إلى أهل الشام فيسيروا من شامهم وتكتب إلى أهل اليمن فيسيروا من يمنهم ثم تسير أنت بأهل هذين الحرمين إلى المصريين البصرة والكوفة فتلقى جمع المشركين بجمع المسلمين فإنك إذ اسرت [صفحہ ١٠٠] بمن معك و من عندك قل في نفسك ماتكاثر من عدد القوم و كنت أعز عزا وأكثر إنك لا تستبقي من نفسك بعد اليوم باقية و لا تمتع من الدنيا بعزير و لا تكون منها في حرز حريز إن هذا اليوم له مابعد

فاشهد بنفسك ورأيك وأعاونك ولا تغب عنه . قال أبو جعفر وقام طلحة فقال أما بعد يا أمير المؤمنين فقد أحكمتك الأمور وعجمتك البلايا وحنكتك التجارب وأنت وشأنك وأنت ورأيك لاننبو في يدك ولا نكل أمرنا إلا إليك فأمرنا نجب وادعنا نطع واحملنا نركب وقدنا ننقد فإنك ولي هذا الأمر وقد بلوت وجربت واختبرت فلم ينكشف شيء من عواقب الأمور لك إلا عن خيار. فقال على بن أبي طالب ع أما بعد فإن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلته إنما هودين الله الذي أظهره وجنده الذي أعزه وأمدّه بالملائكة حتى بلغ ما بلغ فحن على موعود من الله والله منجز وعده وناصر جنده وإن مكانك منهم مكان النظام من الخرز يجمعه ويمسكه فإن انحل تفرق ما فيه وذهب ثم لم يجتمع بحذافيره أبدا والعرب اليوم وإن كانوا قليلا فإنهم كثير عزيز بالإسلام أقم مكانك واكتب إلى أهل الكوفة فإنهم أعلام العرب ورؤساؤهم وليشخص منهم الثلثان وليقم الثلث واكتب إلى أهل البصرة أن يمدوهم ببعض من عندهم ولا تشخص الشام ولا اليمن إنك إن أشخصت أهل الشام من شامهم سارت الروم إلى ذراريهم وإن أشخصت أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة إلى ذراريهم ومتى شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أقطارها وأطرافها حتى يكون ماتدع وراءك أهم إليك مما بين يديك من العورات والعيالات إن الأعاجم إن ينظروا -رواية 1- 2-رواية 31-أداهم دارد [صفحة 101] إليك غدا قالوا هذا أمير العرب وأصلهم فكان ذلك أشد لكلبهم عليك وأما ما ذكرت من مسير القوم فإن الله هو أكره لسيرهم منك وهو أقدر على تغيير ما يكره وأما ما ذكرت من عددهم فإننا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة وإنما كنا نقاتل بالصبر والنصر -رواية 1- 2- 3- 4- 5- 6- 7- 8- 9- 10- 11- 12- 13- 14- 15- 16- 17- 18- 19- 20- 21- 22- 23- 24- 25- 26- 27- 28- 29- 30- 31- 32- 33- 34- 35- 36- 37- 38- 39- 40- 41- 42- 43- 44- 45- 46- 47- 48- 49- 50- 51- 52- 53- 54- 55- 56- 57- 58- 59- 60- 61- 62- 63- 64- 65- 66- 67- 68- 69- 70- 71- 72- 73- 74- 75- 76- 77- 78- 79- 80- 81- 82- 83- 84- 85- 86- 87- 88- 89- 90- 91- 92- 93- 94- 95- 96- 97- 98- 99- 100- 101- 102- 103- 104- 105- 106- 107- 108- 109- 110- 111- 112- 113- 114- 115- 116- 117- 118- 119- 120- 121- 122- 123- 124- 125- 126- 127- 128- 129- 130- 131- 132- 133- 134- 135- 136- 137- 138- 139- 140- 141- 142- 143- 144- 145- 146- 147- 148- 149- 150- 151- 152- 153- 154- 155- 156- 157- 158- 159- 160- 161- 162- 163- 164- 165- 166- 167- 168- 169- 170- 171- 172- 173- 174- 175- 176- 177- 178- 179- 180- 181- 182- 183- 184- 185- 186- 187- 188- 189- 190- 191- 192- 193- 194- 195- 196- 197- 198- 199- 200- 201- 202- 203- 204- 205- 206- 207- 208- 209- 210- 211- 212- 213- 214- 215- 216- 217- 218- 219- 220- 221- 222- 223- 224- 225- 226- 227- 228- 229- 230- 231- 232- 233- 234- 235- 236- 237- 238- 239- 240- 241- 242- 243- 244- 245- 246- 247- 248- 249- 250- 251- 252- 253- 254- 255- 256- 257- 258- 259- 260- 261- 262- 263- 264- 265- 266- 267- 268- 269- 270- 271- 272- 273- 274- 275- 276- 277- 278- 279- 280- 281- 282- 283- 284- 285- 286- 287- 288- 289- 290- 291- 292- 293- 294- 295- 296- 297- 298- 299- 300- 301- 302- 303- 304- 305- 306- 307- 308- 309- 310- 311- 312- 313- 314- 315- 316- 317- 318- 319- 320- 321- 322- 323- 324- 325- 326- 327- 328- 329- 330- 331- 332- 333- 334- 335- 336- 337- 338- 339- 340- 341- 342- 343- 344- 345- 346- 347- 348- 349- 350- 351- 352- 353- 354- 355- 356- 357- 358- 359- 360- 361- 362- 363- 364- 365- 366- 367- 368- 369- 370- 371- 372- 373- 374- 375- 376- 377- 378- 379- 380- 381- 382- 383- 384- 385- 386- 387- 388- 389- 390- 391- 392- 393- 394- 395- 396- 397- 398- 399- 400- 401- 402- 403- 404- 405- 406- 407- 408- 409- 410- 411- 412- 413- 414- 415- 416- 417- 418- 419- 420- 421- 422- 423- 424- 425- 426- 427- 428- 429- 430- 431- 432- 433- 434- 435- 436- 437- 438- 439- 440- 441- 442- 443- 444- 445- 446- 447- 448- 449- 450- 451- 452- 453- 454- 455- 456- 457- 458- 459- 460- 461- 462- 463- 464- 465- 466- 467- 468- 469- 470- 471- 472- 473- 474- 475- 476- 477- 478- 479- 480- 481- 482- 483- 484- 485- 486- 487- 488- 489- 490- 491- 492- 493- 494- 495- 496- 497- 498- 499- 500- 501- 502- 503- 504- 505- 506- 507- 508- 509- 510- 511- 512- 513- 514- 515- 516- 517- 518- 519- 520- 521- 522- 523- 524- 525- 526- 527- 528- 529- 530- 531- 532- 533- 534- 535- 536- 537- 538- 539- 540- 541- 542- 543- 544- 545- 546- 547- 548- 549- 550- 551- 552- 553- 554- 555- 556- 557- 558- 559- 560- 561- 562- 563- 564- 565- 566- 567- 568- 569- 570- 571- 572- 573- 574- 575- 576- 577- 578- 579- 580- 581- 582- 583- 584- 585- 586- 587- 588- 589- 590- 591- 592- 593- 594- 595- 596- 597- 598- 599- 600- 601- 602- 603- 604- 605- 606- 607- 608- 609- 610- 611- 612- 613- 614- 615- 616- 617- 618- 619- 620- 621- 622- 623- 624- 625- 626- 627- 628- 629- 630- 631- 632- 633- 634- 635- 636- 637- 638- 639- 640- 641- 642- 643- 644- 645- 646- 647- 648- 649- 650- 651- 652- 653- 654- 655- 656- 657- 658- 659- 660- 661- 662- 663- 664- 665- 666- 667- 668- 669- 670- 671- 672- 673- 674- 675- 676- 677- 678- 679- 680- 681- 682- 683- 684- 685- 686- 687- 688- 689- 690- 691- 692- 693- 694- 695- 696- 697- 698- 699- 700- 701- 702- 703- 704- 705- 706- 707- 708- 709- 710- 711- 712- 713- 714- 715- 716- 717- 718- 719- 720- 721- 722- 723- 724- 725- 726- 727- 728- 729- 730- 731- 732- 733- 734- 735- 736- 737- 738- 739- 740- 741- 742- 743- 744- 745- 746- 747- 748- 749- 750- 751- 752- 753- 754- 755- 756- 757- 758- 759- 760- 761- 762- 763- 764- 765- 766- 767- 768- 769- 770- 771- 772- 773- 774- 775- 776- 777- 778- 779- 780- 781- 782- 783- 784- 785- 786- 787- 788- 789- 790- 791- 792- 793- 794- 795- 796- 797- 798- 799- 800- 801- 802- 803- 804- 805- 806- 807- 808- 809- 810- 811- 812- 813- 814- 815- 816- 817- 818- 819- 820- 821- 822- 823- 824- 825- 826- 827- 828- 829- 830- 831- 832- 833- 834- 835- 836- 837- 838- 839- 840- 841- 842- 843- 844- 845- 846- 847- 848- 849- 850- 851- 852- 853- 854- 855- 856- 857- 858- 859- 860- 861- 862- 863- 864- 865- 866- 867- 868- 869- 870- 871- 872- 873- 874- 875- 876- 877- 878- 879- 880- 881- 882- 883- 884- 885- 886- 887- 888- 889- 890- 891- 892- 893- 894- 895- 896- 897- 898- 899- 900- 901- 902- 903- 904- 905- 906- 907- 908- 909- 910- 911- 912- 913- 914- 915- 916- 917- 918- 919- 920- 921- 922- 923- 924- 925- 926- 927- 928- 929- 930- 931- 932- 933- 934- 935- 936- 937- 938- 939- 940- 941- 942- 943- 944- 945- 946- 947- 948- 949- 950- 951- 952- 953- 954- 955- 956- 957- 958- 959- 960- 961- 962- 963- 964- 965- 966- 967- 968- 969- 970- 971- 972- 973- 974- 975- 976- 977- 978- 979- 980- 981- 982- 983- 984- 985- 986- 987- 988- 989- 990- 991- 992- 993- 994- 995- 996- 997- 998- 999- 1000- 1001- 1002- 1003- 1004- 1005- 1006- 1007- 1008- 1009- 1010- 1011- 1012- 1013- 1014- 1015- 1016- 1017- 1018- 1019- 1020- 1021- 1022- 1023- 1024- 1025- 1026- 1027- 1028- 1029- 1030- 1031- 1032- 1033- 1034- 1035- 1036- 1037- 1038- 1039- 1040- 1041- 1042- 1043- 1044- 1045- 1046- 1047- 1048- 1049- 1050- 1051- 1052- 1053- 1054- 1055- 1056- 1057- 1058- 1059- 1060- 1061- 1062- 1063- 1064- 1065- 1066- 1067- 1068- 1069- 1070- 1071- 1072- 1073- 1074- 1075- 1076- 1077- 1078- 1079- 1080- 1081- 1082- 1083- 1084- 1085- 1086- 1087- 1088- 1089- 1090- 1091- 1092- 1093- 1094- 1095- 1096- 1097- 1098- 1099- 1100- 1101- 1102- 1103- 1104- 1105- 1106- 1107- 1108- 1109- 1110- 1111- 1112- 1113- 1114- 1115- 1116- 1117- 1118- 1119- 1120- 1121- 1122- 1123- 1124- 1125- 1126- 1127- 1128- 1129- 1130- 1131- 1132- 1133- 1134- 1135- 1136- 1137- 1138- 1139- 1140- 1141- 1142- 1143- 1144- 1145- 1146- 1147- 1148- 1149- 1150- 1151- 1152- 1153- 1154- 1155- 1156- 1157- 1158- 1159- 1160- 1161- 1162- 1163- 1164- 1165- 1166- 1167- 1168- 1169- 1170- 1171- 1172- 1173- 1174- 1175- 1176- 1177- 1178- 1179- 1180- 1181- 1182- 1183- 1184- 1185- 1186- 1187- 1188- 1189- 1190- 1191- 1192- 1193- 1194- 1195- 1196- 1197- 1198- 1199- 1200- 1201- 1202- 1203- 1204- 1205- 1206- 1207- 1208- 1209- 1210- 1211- 1212- 1213- 1214- 1215- 1216- 1217- 1218- 1219- 1220- 1221- 1222- 1223- 1224- 1225- 1226- 1227- 1228- 1229- 1230- 1231- 1232- 1233- 1234- 1235- 1236- 1237- 1238- 1239- 1240- 1241- 1242- 1243- 1244- 1245- 1246- 1247- 1248- 1249- 1250- 1251- 1252- 1253- 1254- 1255- 1256- 1257- 1258- 1259- 1260- 1261- 1262- 1263- 1264- 1265- 1266- 1267- 1268- 1269- 1270- 1271- 1272- 1273- 1274- 1275- 1276- 1277- 1278- 1279- 1280- 1281- 1282- 1283- 1284- 1285- 1286- 1287- 1288- 1289- 1290- 1291- 1292- 1293- 1294- 1295- 1296- 1297- 1298- 1299- 1300- 1301- 1302- 1303- 1304- 1305- 1306- 1307- 1308- 1309- 1310- 1311- 1312- 1313- 1314- 1315- 1316- 1317- 1318- 1319- 1320- 1321- 1322- 1323- 1324- 1325- 1326- 1327- 1328- 1329- 1330- 1331- 1332- 1333- 1334- 1335- 1336- 1337- 1338- 1339- 1340- 1341- 1342- 1343- 1344- 1345- 1346- 1347- 1348- 1349- 1350- 1351- 1352- 1353- 1354- 1355- 1356- 1357- 1358- 1359- 1360- 1361- 1362- 1363- 1364- 1365- 1366- 1367- 1368- 1369- 1370- 1371- 1372- 1373- 1374- 1375- 1376- 1377- 1378- 1379- 1380- 1381- 1382- 1383- 1384- 1385- 1386- 1387- 1388- 1389- 1390- 1391- 1392- 1393- 1394- 1395- 1396- 1397- 1398- 1399- 1400- 1401- 1402- 1403- 1404- 1405- 1406- 1407- 1408- 1409- 1410- 1411- 1412- 1413- 1414- 1415- 1416- 1417- 1418- 1419- 1420- 1421- 1422- 1423- 1424- 1425- 1426- 1427- 1428- 1429- 1430- 1431- 1432- 1433- 1434- 1435- 1436- 1437- 1438- 1439- 1440- 1441- 1442- 1443- 1444- 1445- 1446- 1447- 1448- 1449- 1450- 1451- 1452- 1453- 1454- 1455- 1456- 1457- 1458- 1459- 1460- 1461- 1462- 1463- 1464- 1465- 1466- 1467- 1468- 1469- 1470- 1471- 1472- 1473- 1474- 1475- 1476- 1477- 1478- 1479- 1480- 1481- 1482- 1483- 1484- 1485- 1486- 1487- 1488- 1489- 1490- 1491- 1492- 1493- 1494- 1495- 1496- 1497- 1498- 1499- 1500- 1501- 1502- 1503- 1504- 1505- 1506- 1507- 1508- 1509- 1510- 1511- 1512- 1513- 1514- 1515- 1516- 1517- 1518- 1519- 1520- 1521- 1522- 1523- 1524- 1525- 1526- 1527- 1528- 1529- 1530- 1531- 1532- 1533- 1534- 1535- 1536- 1537- 1538- 1539- 1540- 1541- 1542- 1543- 1544- 1545- 1546- 1547- 1548- 1549- 1550- 1551- 1552- 1553- 1554- 1555- 1556- 1557- 1558- 1559- 1560- 1561- 1562- 1563- 1564- 1565- 1566- 1567- 1568- 1569- 1570- 1571- 1572- 1573- 1574- 1575- 1576- 1577- 1578- 1579- 1580- 1581- 1582- 1583- 1584- 1585- 1586- 1587- 1588- 1589- 1590- 1591- 1592- 1593- 1594- 1595- 1596- 1597- 1598- 1599- 1600- 1601- 1602- 1603- 1604- 1605- 1606- 1607- 1608- 1609- 1610- 1611- 1612- 1613- 1614- 1615- 1616- 1617- 1618- 1619- 1620- 1621- 1622- 1623- 1624- 1625- 1626- 1627- 1628- 1629- 1630- 1631- 1632- 1633- 1634- 1635- 1636- 1637- 1638- 1639- 1640- 1641- 1642- 1643- 1644- 1645- 1646- 1647- 1648- 1649- 1650- 1651- 1652- 1653- 1654- 1655- 1656- 1657- 1658- 1659- 1660- 1661- 1662- 1663- 1664- 1665- 1666- 1667- 1668- 1669- 1670- 1671- 1672- 1673- 1674- 1675- 1676- 1677- 1678- 1679- 1680- 1681- 1682- 1683- 1684- 1685- 1686- 1687- 1688- 1689- 1690- 1691- 1692- 1693- 1694- 1695- 1696- 1697- 1698- 1699- 1700- 1701- 1702- 1703- 1704- 1705- 1706- 1707- 1708- 1709- 1710- 1711- 1712- 1713- 1714- 1715- 1716- 1717- 1718- 1719- 1720- 1721- 1722- 1723- 1724- 1725- 1726- 1727- 1728- 1729- 1730- 1731- 1732- 1733- 1734- 1735- 1736- 1737- 1738- 1739- 1740- 1741- 1742- 1743- 1744- 1745- 1746- 1747- 1748- 1749- 1750- 1751- 1752- 1753- 1754- 1755- 1756- 1757- 1758- 1759- 1760- 1761- 1762- 1763- 1764- 1765- 1766- 1767- 1768- 1769- 1770- 1771- 1772- 1773- 1774- 1775- 1776- 1777- 1778- 1779- 1780- 1781- 1782- 1783- 1784- 1785- 1786- 1787- 1788- 1789- 1790- 1791- 1792- 1793- 1794- 1795- 1796- 1797- 1798- 1799- 1800- 1801- 1802- 1803- 1804- 1805- 1806- 1807- 1808- 1809- 1810- 1811- 1812- 1813- 1814- 1815- 1816- 1817- 1818- 1819- 1820- 1821- 1822- 1823- 1824- 1825- 1826- 1827- 1828- 1829- 1830- 1831- 1832- 1833- 1834- 1835- 1836- 1837- 1838- 1839- 1840- 1841- 1842- 1843- 1844- 1845- 1846- 1847- 1848- 1849- 1850- 1851- 1852- 1853- 1854- 1855- 1856- 1857- 1858- 1859- 1860- 1861- 1862- 1863- 1864- 1865- 1866- 1867- 1868- 1869- 1870- 1871- 1872- 1873- 1874- 1875- 1876- 1877- 1878- 1879- 1880- 1881- 1882- 1883- 1884- 1885- 1886- 1887- 1888- 1889- 1890- 1891- 1892- 1893- 1894- 1895- 1896- 1897- 1898- 1899- 1900- 1901- 1902- 1903- 1904- 1905- 1906- 1907- 1908- 1909- 1910- 1911- 1912- 1913- 1914- 1915- 1916- 1917- 1918- 1919- 1920- 1921- 1922- 1923- 1924- 1925- 1926- 1927- 1928- 1929- 1930- 1931- 1932- 1933- 1934- 1935- 1936- 1937- 1938- 1939- 1940- 1941- 1942- 1943- 1944- 1945- 1946- 1947- 1948- 1949- 1950- 1951- 1952- 1953- 1954- 1955- 1956- 1957- 1958- 1959- 1960- 1961- 1962- 1963- 1964- 1965- 1966- 1967- 1968- 1969- 1970- 1971- 1972- 1973- 1974- 1975- 1976- 1977- 1978- 1979- 1980- 1981- 1982- 1983- 1984- 1985- 1986- 1987- 1988- 1989- 1990- 1991- 1992- 1993- 1994- 1995- 1996- 1997- 1998- 1999- 2000- 2001- 2002- 2003- 2004- 2005- 2006- 2007- 2008- 2009- 2010- 2011- 2012- 2013- 2014- 2015- 2016- 2017- 2018- 2019- 2020- 2021- 2022- 2023- 2024- 2025- 2026- 2027- 2028- 2029- 2030- 2031- 2032- 2033- 2034- 2035- 2036- 2037- 2038- 2039- 2040- 2041- 2042- 2043- 2044- 2045- 2046- 2047- 2048- 2049- 2050- 2051- 2052- 2053- 2054- 2055- 2056- 2057- 2058- 2059- 2060- 2061- 2062- 2063- 2064- 2065- 2066- 2067- 2068- 2069- 2070- 2071- 2072- 2073- 2074- 2075- 2076- 2077- 2078- 2079- 2080- 2081- 2082- 2083- 2084- 2085- 2086- 2087- 2088- 2089- 2090- 2091- 2092- 2093- 2094- 2095- 2096- 2097- 2098- 2099- 2100- 2101- 2102- 2103- 2104- 2105- 2106- 2107- 2108- 2109- 2110- 2111- 2112- 2113- 2114- 2115- 2116- 2117- 2118- 2119- 2120- 2121- 2122- 2123- 2124- 2125- 2126- 2127- 2128- 2129- 2130- 2131- 2132- 2133- 2134- 2135- 2136- 2137- 2138- 2139- 2140- 2141- 2142- 2143- 2144- 2145- 2146- 2147- 2148- 2149- 2150- 2151- 2152- 2153- 2154- 2155- 2156- 2157- 2158- 2159- 2160- 2161- 2162- 2163- 21

فَبَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ وَ مِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ بِقُرْآنٍ قَدِ بَيَّنَّهُ وَ أَحْكَمَهُ لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ وَ لِيَقْرُوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحَدُوهُ وَ لِيُشَبِّهُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ فَتَجَلَّى لَهُمْ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ وَ خَوْفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِهِ وَ كَيْفَ مَحَقَّ مَنْ مَحَقَّ بِالْمَثَلَاتِ وَ احْتَصَدَ مِنَ احْتِصَادِ النَّقِمَاتِ الْأَوْثَانِ جَمْعٌ وَ ثَنٌ وَ هُوَ الصَّنَمُ وَ يَجْمَعُ أَيْضًا عَلَى وَ ثَنٍ مِثْلَ أُسَدٍ وَ آسَادٍ وَ أُسْدٍ وَ سُمِّيَ وَ ثَنًا لِانْتِصَابِهِ وَ بَقَائِهِ عَلَى حَالٍ وَاحِدَةً مِنْ قَوْلِكَ وَ ثَنٌ فَلَانٍ بِالْمَكَانِ فَهُوَ وَ ثَنٌ وَ هُوَ الثَّابِتُ الدَّائِمُ . قَوْلُهُ فَتَجَلَّى سُبْحَانَهُ لَهُمْ أَيْ ظَهَرَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرَى بِالْبَصْرِ بَلْ بِمَا نَبَهُهُمْ عَلَيْهِ فِي الْقُرْآنِ مِنْ قِصَصِ الْأَوَّلِينَ وَ مَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ النَّقْمَةِ عِنْدَ مَخَالَفَةِ الرُّسُلِ . وَ الْمَثَلَاتُ بِضَمِّ الثَّاءِ الْعُقُوبَاتُ . فَإِنْ قُلْتَ ظَاهِرَ هَذَا الْكَلَامِ أَنَّ الرَّسُولَ عَ بَعَثَ إِلَى النَّاسِ لِيَقْرُوا بِالصَّانِعِ وَ يَشَبِّهُوهُ وَ هَذَا خِلَافُ قَوْلِ الْمُعْتَزَلَةِ لِأَنَّ فَائِدَةَ الرَّسَالَةِ عِنْدَهُمْ هِيَ الْإِطَافُ [صَفْحَةٌ ١٠٤] الْمَكْلُفِينَ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الْمُقْرَبَةِ إِلَى الْوَاجِبَاتِ الْعَقْلِيَّةِ وَ الْمُبْعَدَةِ مِنَ الْمَقْبُحَاتِ الْعَقْلِيَّةِ وَ لِأَمْدُخْلِ الرَّسُولِ فِي مَعْرِفَةِ الْبَارِئِ سُبْحَانَهُ لِأَنَّ الْعَقْلَ يُوْجِبُهَا وَ إِنْ لَمْ يَبْعَثِ الرَّسُولَ . قُلْتَ إِنْ كَثِيرًا مِنْ شَيْوَحْنَا أَوْ جُوبَا بَعَثَهُ الرَّسُولَ إِذَا كَانَ فِي حُتْهِمِ الْمَكْلُفِينَ عَلَى مَا فِي الْعُقُولِ فَائِدَةٌ وَ هُوَ مَذْهَبُ شَيْخِنَا أَبِي عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ فَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ إِرسَالُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْعَرَبِ وَ غَيْرِهِمْ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلَّمَ أَنَّهُمْ مَعَ تَنْبِيهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا هُوَ وَاجِبٌ فِي عُقُولِهِمْ مِنَ الْمَعْرِفَةِ أَقْرَبَ إِلَى حُصُولِ الْمَعْرِفَةِ فَحِينَئِذٍ يَكُونُ بَعَثُهُ لَطْفًا وَ يَسْتَقِيمُ كَلَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَ إِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَحْفَى مِنَ الْحَقِّ وَ لَا أَظْهَرَ مِنَ الْبَاطِلِ وَ لَا أَكْثَرَ مِنَ الْكُذْبِ عَلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ لَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ سَلْمَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تَلَى حَقَّ تِلَاوَتِهِ وَ لَا أَنْفَقَ مِنْهُ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَ لَا فِي الْبِلَادِ شَيْءٌ أَنْكَرَ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَ لَا أَعْرَفَ مِنَ الْمُنْكَرِ فَتَقَدَّرَ نَبِيُّ الْكِتَابِ حَمَلْتَهُ وَ تَنَاسَاهُ فَحَفِظْتُهُ فَالْكِتَابُ يَوْمَئِذٍ وَ أَهْلُهُ طَرِيدَانِ مَنْفِيَانِ وَ صَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ لَا يُؤْوِيهِمَا مَوْءٍ فَالْكِتَابُ وَ أَهْلُهُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّاسِ وَ لَيْسَ فِيهِمْ وَ مَعَهُمْ وَ لَيْسَ مَعَهُمْ لِأَنَّ الضَّمَّ لِلْمَالَةِ لَمَّا تَوَافَقَ الْهُدَى وَ إِنْ اجْتَمَعَا فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْفِرْقَةِ وَ افْتَرَقُوا عَنِ الْجَمَاعَةِ كَأَنَّهُمْ أَيْمَةُ الْكِتَابِ وَ لَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلَّا اسْمُهُ وَ لَا يَعْرِفُونَ إِلَّا خَطَّهُ وَ زَبْرَهُ وَ مِنْ قَبْلُ مَا مَثَلُوا بِالصَّالِحِينَ كُلِّ مِثْلَةٍ وَ سَمَوْا صِدْقَهُمْ عَلَى اللَّهِ فَرِيَةً وَ جَعَلُوا [صَفْحَةٌ ١٠٥] فِي الْحَسَنِ عَقُوبِيَّةَ السَّيِّئَةِ وَ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ وَ تَعْيِبِ آجَالِهِمْ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ الْمَوْعُودُ الْأَلَدِيُّ تَرَدَّدَ عَنْهُ الْمَعْدِرَةُ وَ تَرَفَّعَ عَنْهُ التَّوْبَةُ وَ تَحَلَّى مَعَهُ الْقَارِعَةُ وَ النَّقْمَةُ أَخْبَرَ عَ أَنَّهُ سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ مِنْ صِفَتِهِ كَذَا وَ كَذَا وَ قَدَرُ أَيَّانِهِ وَ رَأَى مِنْ كَانَ قَبْلَنَا أَيْضًا قَالَ شِعْبَةُ إِمَامِ الْمُحَدِّثِينَ تِسْعَةَ أَعْشَارِ الْحَدِيثِ كَذَبَ . وَ قَالَ الدَّارِقُطْنِيُّ مَا الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ فِي الْحَدِيثِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الثُّورِ الْأَسْوَدِ وَ أَمَا غَلْبَةُ الْبَاطِلِ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى يَخْفَى الْحَقُّ عِنْدَهُ فَظَاهِرَةٌ . وَ أَبْوَرُ أَفْسَدَ مِنْ بَارِ الشَّيْءِ أَيْ هَلَكَ وَ السَّلْمَةُ الْمَتَاعُ وَ نَبَذَ الْكِتَابَ أَلْقَاهُ وَ لَا يُؤْوِيهِمَا لِأَيُّمِهِمَا إِلَيْهِ وَ يَنْزِلُهُمَا عِنْدَهُ . وَ الزَّبْرُ مَصْدَرُ زَبْرَتْ أَزْبَرَ بِالضَّمِّ أَيْ كَتَبَتْ وَ جَاءَ يَزْبُرُ بِالْكَسْرِ وَ الزَّبْرُ بِالْكَسْرِ الْكِتَابُ وَ جَمَعَهُ زَبُورٌ مِثْلُ قَدَرٍ وَ قَدُورٍ وَ قَرَأَ بَعْضُهُمْ وَ آتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا أَيْ كِتَابًا وَ الزَّبُورُ بِفَتْحِ الزَّيِّ الْكِتَابُ الْمَزْبُورُ فَعُولٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ وَ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ أَنَا أَعْرَفُ بِزَبْرَتِي أَيْ خَطِي وَ كِتَابَتِي . وَ مَثَلُوا بِالصَّالِحِينَ بِالتَّخْفِيفِ نَكَلُوا بِهِمْ مِثْلُ بَفْلَانٍ أَمْثَلُ بِالضَّمِّ مِثْلًا بِالْفَتْحِ وَ سَكُونِ الثَّاءِ وَ الْاسْمُ الْمِثْلَةُ بِالضَّمِّ وَ مِنْ رَوَى مَثَلُوا بِالتَّشْدِيدِ أَرَادَ جَدْعَهُمْ بَعْدَ قَتْلِهِمْ . وَ عَلَى فِي قَوْلِهِ وَ سَمَوْا صِدْقَهُمْ عَلَى اللَّهِ فَرِيَةً لَيْسَتْ مَتَعَلِّقَةٌ بِصِدْقِهِمْ بَلْ بِفَرِيَّةٍ - قُرْآن - ٥٠٩ -

٥٣٣ [صَفْحَةٌ ١٠٦] أَيْ وَ سَمَوْا صِدْقَهُمْ فَرِيَةً عَلَى اللَّهِ فَإِنْ امْتَنَعَ أَنْ يَتَعَلَّقَ حَرْفُ الْجَرِّ بِهِ لِتَقَدُّمِهِ عَلَيْهِ وَ هُوَ مَصْدَرٌ فَلْيَكُنْ مَتَعَلِّقًا بِفِعْلِ مَقْدَرٍ دَلَّ عَلَيْهِ هَذَا الْمَصْدَرُ الظَّاهِرُ وَ رَوَى وَ جَعَلُوا فِي الْحَسَنِ الْعُقُوبَةَ السَّيِّئَةَ وَ الرِّوَايَةَ الْأُولَى بِالْإِضَافَةِ أَكْثَرَ وَ أَحْسَنَ . وَ الْمَوْعُودُ هَاهُنَا الْمَوْتُ وَ الْقَارِعَةُ الْمَصِيبَةُ تَقْرَعُ أَيْ تَلْقَى بِشِدَّةٍ وَ قُوَّةٍ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ مِنْ اسْتَنْصَحَ اللَّهَ وَ وُفِّقَ وَ مَنْ اتَّخَذَ قَوْلَهُ دَلِيلًا هُدًى لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ فَإِنَّ جَارَ اللَّهِ آمِنٌ وَ عِدُّوهُ خَائِفٌ وَ إِنَّهُ لَمَّا يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللَّهِ أَنْ يَتَعَظَّمَ فَإِنَّ رَفِيعَةَ الْمَدِينِ يَعْلَمُونَ مَا عَظَمَتُهُ أَنْ

يَتَوَاضَعُوا لَهُ وَ سَلَامَةً الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا قُدِّرَتْهُ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا لَهُ فَلَا تَنْفِرُوا مِنَ الْحَقِّ نِفَارَ الصَّحِيحِ مِنَ الْأَجْرِبِ وَ الْبَارِي مِنَ ذِي السَّقَمِ وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرِّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الْأَذَى تَرَكْتُمْ وَ لَنْ تَأْخُذُوا بِمِثَاقِ الْكِتَابِ حَتَّى تَعْرِفُوا الْأَذَى نَقَضَهُ وَ لَنْ تَمْسِكَ كُفَا بِهِ حَتَّى تَعْرِفُوا الْأَذَى نَبِيذَهُ فَالْتَمِسُوا ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ وَ مَوْتُ الْجَهْلِ هُمُ الَّذِينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ وَ صَمْتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ وَ ظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ لَا يُخَالِفُونَ الدِّينَ وَ لَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ وَ صَامِتٌ نَاطِقٌ مِنْ اسْتِصْحَ اللَّهُ مِنْ أَطَاعِ أَوْامِرِهِ وَعَلِمَ أَنَّهُ يَهْدِيهِ إِلَى مَصَالِحِهِ وَيُرَدِّهِ عَنِ مَفَاسِدِهِ وَيُرْشِدُهُ إِلَى مَا فِيهِ نَجَاتُهُ وَيَصْرِفُهُ عَمَّا فِيهِ عَطْبُهُ . [صفحہ ۱۰۷]
والتى هى أقوم يعنى الحالة والخلة التى اتباعها أقوم و هذا من الألفاظ القرآنية قال سبحانه إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ والمراد بتلك الحالة المعرفة بالله وتوحيده ووعد له . ثم نهى ع عن التكبر والتعظم و قال إن رفعة القوم الذين يعرفون عظمة الله أن يتواضعوا له و ماها هنا بمعنى أى شىء و من روى بالنصب جعلها زائدة و قدورد فى ذم التعظم والتكبر ما يطول استقصاؤه و هو مذموم على العباد فكيف بمن يتعظم على الخالق سبحانه وإنه لمن الهالكين و -قرآن- ۹۶-۱۴۴ قال رسول الله ص لما افتخر أناسيد ولد آدم ثم قال و لافخر -رواية- ۱-۲-رواية- ۳۲-۶۶ فجهر بلفظة الافتخار ثم أسقط استطالة الكبر وإنما جهر بما جهر به لأنه أقامه مقام شكر النعمة والتحدث بها و فى الحديث المرفوع عنه ص أن الله قد أذهب عنكم حمية الجاهلية وفخرها بالآباء الناس بنو آدم و آدم من تراب مؤمن تقى وفاجر شقى لينتهي أقوام يفخرون برجال إنما هم فحم من فحم جهنم أوليكونن أهون على الله من جعلان تدفع التنن بأنفها -رواية- ۱-۲-رواية- ۳۱-۲۵۳ . قوله واعلموا أنكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذى تركه فيه تنبيه على أنه يجب البراءة من أهل الضلال و هو قول أصحابنا جميعهم فإنهم بين مكفر لمن خالف أصول التوحيد والعدل وهم الأ-كثرون أو مفسق وهم الأقلون و ليس أحد منهم معذورا عند أصحابنا و إن ضل بعد النظر كما لانعذر اليهود والنصارى إذا ضلوا بعد النظر. ثم قال ع فالتمسوا ذلك عند أهله هذا كناية عنه ع وكثيرا ما يسلك هذا المسلك ويعرض هذا التعريض و هو الصادق الأمين العارف بأسرار الإلهية. [صفحہ ۱۰۸] ثم ذكر أن هؤلاء الذين أمر باتباعهم ينبي حكيمهم عن علمهم و ذلك لأن الامتحان يظهر خبيثة الإنسان . ثم قال وصمتهم عن نطقهم صمت العارف أبلغ من نطق غيره و لا يخفى فضل الفاضل و إن كان صامتا. ثم ذكر أنهم لا يخالفون الدين لأنهم قوامه وأربابه و لا يخالفون فيه لأن الحق فى التوحيد والعدل واحد فالدين بينهم شاهد صادق يأخذون بحكمه كما يؤخذ بحكم الشاهد الصادق . وصامت ناطق لأنه لا ينطق بنفسه بل لا بد له من مترجم فهو صامت فى الصورة و هو فى المعنى أنطق الناطقين لأن الأوامر والنواهي والآداب كلها مبنية عليه و متفرعة عليه [صفحہ ۱۰۹]

۱۴۸- و من كلام له ع فى ذكر أهل البصرة

أشاره

كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُو الْأَمْرَ لَهُ وَ يَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صَاحِبِهِ لَا يَمْتَنَانِ إِلَى اللَّهِ بِحَبْلِ وَ لَا يَمِيدَانِ إِلَيْهِ بِسَبَبِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلٌ صَبَّ لِصَاحِبِهِ وَ عَمَّا قَلِيلٍ يَكْشِفُ قِنَاعَهُ بِهِ وَ اللَّهُ لَئِنْ أَصَابُوا الْأَذَى يُرِيدُونَ لَيَنْتَزِعَنَّ هَذَا نَفْسَ هَذَا وَ لَيَأْتِيَنَّ هَذَا عَلَى هَذَا قَدَ قَامَتِ الْفِتْنَةُ الْبَاطِنِيَّةُ فَالَّذِينَ الْمُحْسِنِينَ قَدْ سَيِّئَتْ لَهُمُ السَّيِّئَاتُ وَ قَدَّمَ لَهُمُ الْخَبْرُ وَ لِكُلِّ ضَلَمَةٍ عَلَةٌ وَ لِكُلِّ نَاكِثٍ شَبَهَةٌ وَ اللَّهُ لَا أَكُونُ كَمَا سَمِعَ اللَّدْمُ يَسْمَعُ النَّاعِي وَ يَحْضُرُ الْبَاكِي ثُمَّ لَا يَعْتَبِرُ ضَمِيرُ الشَّيْءِ رَاجِعٌ إِلَى طَلْحَةٍ وَ الزَّبِيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَيَمْتَنَانِ يَتَوَسَّلَانِ الْمَاضِي ثَلَاثِي مَت يَمْت بِالضَّمِّ وَ الضَّبِّ الْحَقْدُ وَ الْمُحْتَسِبُونَ طَالِبُو الْحِسْبَةِ وَ هِيَ الْأَجْرُ وَ مَسْتَمَعُ اللَّدْمِ كَنَايَةٌ عَنِ الضَّبِّ تَسْمَعُ وَقَعَ الْحَجَرِ

باب جحرها من يد الصائد فتتخذل وتكف [صفحة ١١٠] جوارحها إليها حتى يدخل عليها فيربطها يقول لا أكون مقرا بالضيم راغنا أسمع الناعي المخبر عن قتل عسكر الجمل لحكيم بن جبلة وأتباعه فلا يكون عندي من التغيير والإنكار لذلك إلا أن أسمع وأحضر الباكين على قتلاهم . وقوله لكل ضلة علة ولكل ناكث شبهة هو جواب سؤال مقدر كأنه يقول إن قيل لأي سبب خرج هؤلاء فإنه لابد أن يكون لهم تأويل في خروجهم وقديلا إنهم يطالبون بدم عثمان فهو ع قال كل ضلالة فلا بد لها من علة اقتضتها و كل ناكث فلا بد له من شبهة يستند إليها. وقوله لينتزعن هذانفس هذا قول صحيح لا ريب فيه لأن الرئاسة لا يمكن أن يدبرها اثنان معا فلو صح لهما ما أراداه لو ثبت أحدهما على الآخر فقتله فإن الملك عقيم وقد ذكر أرباب السيرة أن الرجلين اختلفا من قبل وقوع الحرب فإنهما اختلفا في الصلاة فأقامت عائشة محمد بن طلحة و عبد الله بن الزبير يصلي هذا يوما وهذا يوما إلى أن تنقضى الحرب . ثم إن عبد الله بن الزبير ادعى أن عثمان نص عليه بالخلافة يوم الدار واحتج في ذلك بأنه استخلفه على الصلاة واحتج تارة أخرى بنص صريح زعمه وادعاه وطلب طلحة من عائشة أن يسلم الناس عليه بالإمرة وأدلى إليها بالتيمية وأدلى الزبير إليها بأسماء أختها فأمرت الناس أن يسلموا عليهما معا بالإمرة. واختلفا في تولى القتال فطلبه كل منهما أولا ثم نكل كل منهما عنه وتفادى منه وقد ذكرنا في الأجزاء المتقدمة قطعة صالحة من أخبار الجمل [صفحة ١١١]

من أخبار يوم الجمل

روى أبو مخنف قال لما تراخى الناس يوم الجمل والتقوا قال على ع لأصحابه لا يرمين رجل منكم بسهم ولا يطعن أحدكم فيهم برمح حتى أحدث إليكم وحتى يبدؤكم بالقتال وبالقتل -رواية ١-٢-رواية ٢١-١٨٣ فرمى أصحاب الجمل عسكر على ع بالنبل رميا شديدا متتابعا فضج إليه أصحابه وقالوا عقرتنا سهامهم يا أمير المؤمنين وجيء برجل إليه وإنه لفي فسطاط له صغير فقيل له هذا فلان قد قتل فقال اللهم اشهد ثم قال أعذروا إلى القوم فأتى برجل آخر فقيل وهذا قد قتل فقال اللهم اشهد أعذروا إلى القوم ثم أقبل عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي وهو من أصحاب رسول الله ص يحمل أخاه عبد الرحمن بن بديل قد أصابه سهم فقتله فوضعه بين يدي على ع وقال يا أمير المؤمنين هذا أخى قد قتل فعند ذلك استرجع على ع ودعا بدرع رسول الله ص ذات الفضول فلبسها فتدلت بطنه فرفعها بيده وقال لبعض أهله فحزم وسطه بعمامة وتقلد ذا الفقار ودفع إلى ابنه محمدا راية رسول الله ص السوداء وتعرف بالعقاب وقال لحسن وحسين ع إنما دفعت الراية إلى أخيكما وتركتكما لمكانكما من رسول الله ص . قال أبو مخنف وطاف على ع على أصحابه وهو يقرأ أم حسيبتم أن تدخلوا الجنة و لَمَا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّيْتُهُمُ الْبُاسَاءَ وَالضَّرَاءَ وَ زُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ -رواية ١-٢-رواية ١٧-١١٢] ثم قال أفرغ الله علينا وعليكم الصبر وأعز لنا ولكم النصر و كان لنا ولكم ظهيرا في كل أمر ثم رفع مصحفا بيده فقال من يأخذ هذا المصحف فيدعوهم إلى ما فيه و له الجنة فقام غلام شاب اسمه مسلم عليه قباء أبيض فقال أنا آخذه فنظر إليه على وقال يافتى إن أخذته فإن يدك اليمنى تقطع فتأخذه بيدك اليسرى فتقطع ثم تضرب بالسيف حتى تقتل فقال لاصبر لى على ذلك فنادى على ثانية فقام الغلام وأعاد عليه القول وأعاد الغلام القول مرارا حتى قال الغلام أنا آخذه وهذا الذى ذكرت فى الله قليل فأخذه وانطلق فلما خالطهم ناداهم هذا كتاب الله بيننا وبينكم فضربه رجل فقطع يده اليمنى فتناوله باليسرى فضربه أخرى فقطع اليسرى فاحتضنه فضربوه بأسيا فمهم حتى قتل -رواية ١-٢-٦٨٨ فقالت أم ذريح العبدية فى ذلك يارب إن مسلما أتاهم || بمصحف أرسله مولاهم للعدل والإيمان قد دعاهم || يتلو كتاب الله لا يخشاهم فخصبوا من دمه ظباهم || وأمهم واقفة تراهم تأمرهم بالغي لاتنهاهم . قال أبو مخنف فعند ذلك أمر على ع ولده محمدا أن يحمل الراية فحمل

مقتل طلحة والزبير

قال فأما طلحة فإن أهل الجمل لماتضعضوا قال مروان لأطلب ثار عثمان من طلحة بعد اليوم فانتحى له بسهم فأصاب ساقه فقطع أكحله فجعل الدم يبض فاستدعى من مولى له بعلته فركبها وأدبر وقال لمولاه ويحك أما من مكان أقدر فيه على النزول فقد قتلني الدم فيقول له مولاه انج وإلحقك القوم فقال بالله مارأيت مصرع شيخ أضيع من مصرعي هذا حتى انتهى إلى دار من دور البصرة فنزلها ومات بها. وقدرى أنه رمى قبل أن يرميه مروان وجرح في غير موضع من جسده . وروى أبو الحسن المدائني أن عليا ع مر بطلحة وهو يكيده بنفسه فوقف عليه وقال أما والله إن كنت لأبغض أن أراكم مصرعين في البلاد ولكن ما حتم واقع ثم تمثل -رواية ١-٢-رواية ٢٧-١٦٥ و ماتدرى إذا أزمعت أمرا || بأى الأرض يدركك المقييل و مايدرى الفقير متى غناه || و لايدرى الغنى متى يعيل [صفحة ١١٤] و ماتدرى إذا ألقت شولا || أتنتج بعد ذلك أم تحيل . و أما الزبير فقتله ابن جرmoz غيلة بوادى السباع و هو منصرف عن الحرب نادى على ما فرط منه و تقدم ذكر كيفية قتله فيما سبق . وروى الكلبي قال كان العرق الذى أصابه السهم إذا أمسكه طلحة بيده استمسك و إذا رفع يده عنه سال فقال طلحة هذا سهم أرسله الله تعالى و كان أمر الله قدرا مقدورا مارأيت كاليوم دم قرشى أضيع . قال و كان الحسن البصرى إذا سمع هذا وحكى له يقول ذق عقق . وروى أبو مخنف عن عبد الله بن عون عن نافع قال سمعت مروان بن الحكم يقول أنا قتلت طلحة . و قال أبو مخنف و قد قال عبد الملك بن مروان لو لا أن أبى أخبرنى أنه رمى طلحة فقتله ما تركت تيميا لإقלתه بعثمان قال يعنى أن محمد بن أبى بكر و طلحة قتلاه و كانا تميمين . قال أبو مخنف و حدثنا عبد الرحمن بن جندب عن أبيه جندب بن عبد الله قال مررت بطلحة و إن معه عصابة يقاتل بهم و قد فشت فيهم الجراح و كثرهم الناس فرأيتهم جريحا و السيف فى يده و أصحابه يتصدعون عنه رجلا فرجلا و اثنين فاثنين و أنا سمعته و هو يقول عباد الله الصبر الصبر فإن بعد الصبر النصر والأجر [صفحة ١١٥] فقلت له النجاء النجاء ثكلتك أمك فو الله ما أجزت و لانصرت ولكنك وزرت و خسرت ثم صحت بأصحابه فاندعروا عنه و لوشئت أن أطعنه لطعنته فقلت له أما و الله لوشئت لجذلتك فى هذا الصعيد فقال و الله لهلكت هلاك الدنيا والآخرة إذن فقلت له و الله لقد أمسيت و إن دمك لحلال وإنك لمن النادمين فانصرف ومعه ثلاثة نفر و ما أدرى كيف كان أمره إلا أنى أعلم أنه قد هلك . وروى أن طلحة قال ذلك اليوم ما كنت أظن أن هذه الآية نزلت فينا و اتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة . وروى المدائني قال لما أدبر طلحة و هو جريح يرتاد مكانا ينزله جعل يقول لمن يمر به من أصحاب على ع أناطلحة من يجيرنى يكررها قال فكان الحسن البصرى إذا ذكر ذلك يقول لقد كان فى جوار عريض -قرآن- ٤٤٧-٥١٠ [صفحة ١١٦]

١٤٩- و من كلام له ع قبل موته

أَيُّهَا النَّاسُ كُلُّ امْرِئٍ لَاقٍ مَا يَفِرُّ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ الْأَجَلُ مَسَاقُ النَّفْسِ وَ الْهَرْبُ مِنْهُ مَوْافَاتُهُ كَمَا أَطْرَدْتُ الْأَيَّامَ أَبْحَثُهَا عَنْ مَكُونِ هَيْدَا الْأَمْرِ فَابْتِئِ اللَّهُ إِلْمًا إِخْفَاءَهُ هَيْهَاتَ عِلْمٍ مَخْزُونٌ أَمَا وَصِيَّتِي فَاللَّهُ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَ مَحَمَّدًا صَ فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ أَقِيمُوا هُدَى الَّذِينَ الْعَمُودِينَ وَ أَوْقِدُوا هُدَى الْمِصْبَاحِينَ وَ خَلَاكُمْ ذَمَّ مَا لَمْ تَشْرُدُوا حُمَلْ كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ مَجْهُودَةٌ وَ خَفَّفَ عَنِ الْجَهْلَةِ رَبَّ رَحِيمٌ وَ دِينَ قَوِيمٌ وَ إِمَامٌ عَلِيمٌ أَنَا بِالْأَمْسِ صِيَّاجِبُكُمْ وَ أَنَا الْيَوْمَ عَبْرَةٌ لَكُمْ وَ غَدًا مُفَارِقُكُمْ غَفَرَ اللَّهُ لِي وَ لَكُمْ إِنْ ثَبَّتِ الْوَطْأَةُ فِي هَيْدِهِ

الْمَزْلَمَةُ فَذَاكَ وَإِنْ تَدَحَّضِ الْقَدَمَ فَإِنَّا كُنَّا فِي أَفْيَاءِ أَعْصَانٍ وَ مَهَبَ رِيَّاحٍ وَ تَحْتَ ظِلِّ غَمَامٍ اِضْمَحَلَّ فِي الْجَوِّ مُتَلَفِّقُهَا وَ عَفَا فِي
 الْأَرْضِ مَخْطُهَا وَ إِنَّمَا كُنْتُ جَارًا جَاوَزَكُمْ بَدَنِي أَيَّامًا وَ سَيَتَعَقَّبُونَ مِنِّي جُشَّةً خَلَاءَ سَاكِنَتِهِ بَعْدَ حَرَكَ وَ صَامِتِيَّةً بَعْدَ نُطْقٍ لِيُعِظَكُمْ
 هُدُوءِي وَ خُفُوتِ إِطْرَاقِي وَ سِيَكُونُ أَطْرَاقِي فَإِنَّهُ أَوْعَظُ لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنَ الْمَنْطِقِ الْبَلِيغِ وَ الْقَوْلِ الْمَسْمُوعِ [صفحة ١١٧] وَ دَاعَى لَكُمْ
 وَ دَاعَى امْرِئٍ مُرْصِدٍ لِلتَّلَاقِي غَدًا تَرُونَ أَيَّامِي وَ يَكْشِفُ لَكُمْ عَنْ سَرَائِرِي وَ تَعْرِفُونَنِي بَعْدَ خُلُوقِ مَكَانِي وَ قِيَامِ غَيْرِي مَقَامِي أَطْرَدت
 الرَّجُلَ إِذَا مَرَّتْ بِإِخْرَاجِهِ وَ طَرَدَهُ وَ طَرَدتْهُ إِذْ أَنْفَيْتَهُ وَ أَخْرَجتْهُ فَالْإِطْرَادُ أَدْلُ عَلَى الْعِزِّ وَالْقَهْرِ مِنَ الطَّرْدِ وَ كَأَنَّهُ عَجَّلَ الْأَيَّامَ أَشْخَاصًا
 بِأَمْرِ بِإِخْرَاجِهِمْ وَ إِبْعَادِهِمْ عَنْهُ أَيَّ مَازَلتْ أَبْحَثُ عَنْ كَيْفِيَّةِ قَتْلِي وَ أَيَّ وَ قَتِ يَكُونُ بَعِينَهُ وَ فِي أَيَّ أَرْضٍ يَكُونُ يَوْمًا فَإِذَا لَمْ
 أَجِدْهُ فِي الْيَوْمِ أَطْرَدتْهُ وَ اسْتَقْبَلتْ غَدَهُ فَأَبْحَثُ فِيهِ أَيضًا فَلَا أَعْلَمُ فَأَبْعُدُهُ وَ أَطْرَدُهُ وَ اسْتَأْنَفُ يَوْمًا آخَرَ هَكَذَا حَتَّى وَقَعَ الْمَقْدُورُ وَ
 هَذَا الْكَلَامُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ حَالَ قَتْلِهِ مَعْرِفَةً مَفْصَلَةً مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ وَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَ عَلَّمَهُ بِذَلِكَ عِلْمًا مَجْمَلًا
 لِأَنَّهُ قَدْ ثَبِتَ أَنَّهُ صَ قَالَ لَهُ سَتَضْرِبُ عَلَى هَذِهِ وَأَشَارَ إِلَى هَامَتِهِ فَتَخْضِبُ مِنْهَا هَذِهِ وَأَشَارَ إِلَى لِحِيَّتِهِ -رواية- ١-٢-رواية- ٢٠-
 ٨٨ أَنَّهُ صَ قَالَ لَهُ أَتَعْلَمُ مِنْ أَشَقَى الْأَوْلِيَيْنِ قَالَ نَعَمْ عَاقِرُ النَّاقَةِ فَقَالَ لَهُ أَتَعْلَمُ مِنْ أَشَقَى الْآخِرِينَ قَالَ لَا قَالَ مَنْ يَضْرِبُكَ هَاهُنَا
 فَيَخْضِبُ هَذِهِ -رواية- ١-١٤١. وَ كَلَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ بَعْدَ ضَرْبِ ابْنِ مَلْجَمَ لَهُ لَا يَقْطَعُ عَلَى أَنَّهُ يَمُوتُ مِنْ ضَرْبَتِهِ أَوْ
 لِأَنَّهُ يَقُولُ إِنْ ثَبِتَ الْوِطْءُ فِي هَذِهِ الْمَزْلَمَةِ فَذَاكَ وَإِنْ تَدَحَّضِ فَإِنَّمَا كُنَّا فِي أَفْيَاءِ أَعْصَانٍ وَ مَهَابِ رِيَّاحٍ أَيَّ إِنْ سَلِمْتَ فَذَاكَ
 الَّذِي تَطْلُبُونَهُ يَخَاطَبُ أَهْلَهُ وَ أَوْلَادَهُ وَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَقَالَ فَذَاكَ مَا أَطْلَبُهُ لِأَنَّهُ عَ كَانَ يَطْلُبُ الْآخِرَةَ [صفحة ١١٨] أَكْثَرَ مِنَ الدُّنْيَا وَ
 فِي كَلَامِهِ الْمَنْقُولِ عَنْهُ مَا يُؤَكِّدُ مَاقِلَانَهُ وَ هُوَ قَوْلُهُ إِنْ عَشْتِ فَأَنَا وَلِي دَمِي وَ إِنْ مَتَ فُضِرْبُهُ بِضَرْبَةٍ. وَ لَيْسَ قَوْلُهُ عَ وَ أَنَا الْيَوْمَ عِبْرَةٌ
 لَكُمْ وَ غَدًا مَفَارِقُكُمْ وَ مَا يَجْرِي مَجْرَاهُ مِنَ الْأَفَاطِ الْفَصْلِ بِنَاقِضٍ لِمَاقِلَانَهُ وَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا يَعْنِي غَدًا بَعِينَهُ بَلْ مَا يَسْتَقْبَلُ مِنَ الزَّمَانِ كَمَا
 يَقُولُ الْإِنْسَانُ الصَّحِيحُ أَنَا غَدًا مَيِّتٌ فَمَا لِي أَحْرَصُ عَلَى الدُّنْيَا وَلِأَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الشَّدِيدِ لِأَهْلِهِ وَ وُلْدِهِ وَ دَعْتَكُمْ وَ
 أَنَا مَفَارِقُكُمْ وَ سَوْفَ يَخْلُو مَنْزِلِي مِنِّي وَ تَتَأَسَّفُونَ عَلَى فِرَاقِي وَ تَعْرِفُونَ مَوْضِعِي بَعْدِي كُلَّهُ عَلَى غَلْبَةِ الظَّنِّ وَ قَدِيقُ الصَّالِحِينَ بِهِ
 الْعِظَةُ وَ الْإِعْتِبَارُ وَ جَذْبُ السَّامِعِينَ إِلَى جَانِبِ التَّقْوَى وَ رَدْعُهُمْ عَنِ الْهَوَى وَ حُبِّ الدُّنْيَا. فَإِنْ قَلتْ فَمَا تَصْنَعُ بِقَوْلِهِ عَ لِابْنِ مَلْجَمَ أَرِيدُ
 حَبَاءَهُ وَ يَرِيدُ قَتْلِي || عَذِيرُكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مَرَادٍ. وَ قَوْلُ الْخَلِصِ مِنْ شَيْعَتِهِ فَهَلَا تَقْتَلُهُ فَقَالَ فَكَيْفَ أَقْتُلُ قَاتِلِي وَ تَارَةً قَالَ إِنَّهُ لَمْ
 يَقْتُلْنِي فَكَيْفَ أَقْتُلُ مَنْ لَمْ يَقْتُلْ وَ كَيْفَ قَالَ فِي الْبَطِّ الصَّائِحِ خَلْفَهُ فِي الْمَسْجِدِ لَيْلَةَ ضَرْبِهِ ابْنَ مَلْجَمَ دَعَوْهُنَ فَإِنَّهُنَّ نَوَاحٍ -
 رَوَايَةُ- ١-٢٢ وَ كَيْفَ قَالَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ إِنْ رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَ فَشَكُوتٌ إِلَيْهِ وَ قَلتْ مَا لَقَيْتُ مِنْ أَمْتِكَ مِنَ الْأُودِ وَاللَّدَدِ فَقَالَ ادْعُ
 اللَّهَ عَلَيْهِمْ فَقَلتُ اللَّهُمَّ أَبْدَلْنِي بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَ أَبْدَلْهُمْ بِي شَرًّا مِنِّي -رواية- ١-١٥٩ وَ كَيْفَ قَالَ إِنْ لَمْ أَقْتُلْ مُحَارِبًا وَإِنَّمَا أَقْتُلُ
 فَتَكَ وَ غَيْلَةً يَقْتُلْنِي رَجُلٌ خَاطِلٌ الذِّكْرُ. وَ قَدْ جَاءَ عَنْهُ عَ مِنْ هَذَا الْبَابِ آثَارٌ كَثِيرَةٌ. قَلتْ كُلُّ هَذَا لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ الْأَمْرَ
 مَفْصَلًا مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ أَوْ لَا تَرَى أَنَّهُ [صفحة ١١٩] لَيْسَ فِي الْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ مَا يَدُلُّ عَلَى الْوَقْتِ الَّذِي يَقْتُلُ فِيهِ بَعِينَهُ وَ لَا عَلَى
 الْمَكَانِ الَّذِي يَقْتُلُ فِيهِ بَعِينَهُ وَ أَمَا ابْنُ مَلْجَمَ فَمَنْ الْجَائِزُ أَنْ يَكُونَ عِلْمُهُ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَقْتُلُهُ وَ لَمْ يَعْلَمْ عِلْمًا مُحَقَّقًا أَنَّ هَذِهِ الضَّرْبَةُ
 تَزْهُقُ نَفْسَهُ الشَّرِيفَةَ مِنْهَا بَلْ قَدْ كَانَ يَجُوزُ أَنْ يَبْلُغَ وَيَفِيقَ مِنْهَا ثُمَّ يَكُونُ قَتْلُهُ فِيهَا بَعْدَ عَلَى يَدِ ابْنِ مَلْجَمَ وَ إِنْ طَالَ الْأَمَدُ وَ لَيْسَ
 هَذَا بِمُسْتَحِيلٍ وَ قَدْ وَقَعَ مِثْلُهُ فَإِنَّ عَبْدِ الْمَلِكِ جَرَحَ عَمْرُو بْنَ سَعِيدِ الْأَشْدُقِ فِي أَيَّامِ مَعَاوِيَةَ عَلَى مَنَافِرَةٍ كَانَتْ بَيْنَهُمَا فَعَفَا عَمْرُو عَنْهُ
 ثُمَّ كَانَ مِنَ الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ أَنَّ عَبْدِ الْمَلِكِ قَتَلَ عَمْرًا أَيضًا بِيَدِهِ ذَبْحًا كَمَا تَذْبَحُ الشَّاةُ. وَ أَمَا قَوْلُهُ فِي الْبَطِّ دَعَوْهُنَ فَإِنَّهُنَّ نَوَاحٍ فَلَعَلَّهُ
 عَلِمَ أَنَّهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ يَصَابُ وَيَجْرَحُ وَ إِنْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ يَمُوتُ مِنْهُ وَ النَوَاحِ قَدِ يَنْحَنُّ عَلَى الْمَقْتُولِ وَ قَدِ يَنْحَنُّ عَلَى الْمَجْرُوحِ وَ الْمَنَامِ
 وَ الدُّعَاءِ لَا يَدُلُّ عَلَى الْعِلْمِ بِالْوَقْتِ بَعِينَهُ وَ لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ إِجَابَةَ دَعَائِهِ تَكُونُ عَلَى الْفُورِ لِأَمْحَالَةٍ. ثُمَّ نَعُودُ إِلَى الشَّرْحِ أَمَا قَوْلُهُ كُلُّ
 امْرِئٍ لَاقٍ مَا يَفِرُّ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ أَيَّ إِذَا كَانَ مَقْدُورًا وَ إِذَا لَاقَ رَأَيْنَا مِنْ يَفِرُّ مِنَ الشَّيْءِ وَ يَسْلَمُ لِأَنَّهُ لَمْ يَقْدِرْ وَ هَذَا مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى وَ لَوْ
 كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ وَ قَوْلُهُ لَبَّرَزَ الْعَدِيدِينَ كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى قُلْ إِنْ الْمَوْتَ أَلْمَدِي تَفَرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ

مُلايِقِيكُمْ و في القرآن العزيز مثل هذا كثير. قوله والأجل مساق النفس أى الأمر الذى تساق إليه وتنتهى عنده وتقف إذابلغته فلا يبقى له حينئذ أكله فى الدنيا. -قرآن- ٩٦٣-٩٩٨-قرآن- ١٠٠٧-١٠٦٥-قرآن- ١٠٨٥-١١٤٣ [صفحة ١٢٠] قوله والهرب منه موافاته هذا كلام خارج مخرج المبالغة فى عدم النجاة وكون الفرار غير مغن و لا عاصم من الموت يقول الهرب بعينه من الموت موافاة للموت أى إتيان إليه كأنه لم يرتض بأن يقول الهارب لا بد أن ينتهى إلى الموت بل جعل نفس الهرب هو ملاقاته الموت . قوله أبحثها أى أكشفها وأكثر ما يستعمل بحث معدى بحرف الجر و قدعدها هاهنا إلى الأيام بنفسه و إلى مكون الأمر بحرف الجر و قد جاء بحث الدجاجة التراب أى نبشته . قوله فأبى الله إلا إخفاءه هيهات علم مخزون تقديره هيهات ذلك مبتدأ وخبره هيهات اسم للفعل معناها بعد أى علم هذا العيب علم مخزون مصون لم أطلع عليه . فإن قلت مامعنى قوله كم أطردت الأيام أبحثها وهل علم الإنسان بموته كيف يكون و فى أى وقت يكون و فى أى أرض يكون مما يمكن استدراكه بالنظر والفكر والبحث . قلت مراده ع أنى كنت فى أيام رسول الله ص أسأله كثيرا عن هذا الغيب فما أنبأنى منه إلا بأمور إجمالية غير مفصلة و لم يأذن الله تعالى فى اطلاعى على تفاصيل ذلك . قوله فإله لا تشركوا به شيئا الرواية المشهورة فإله بالنصب وكذلك محمدا بتقدير فعل لأن الوصية تستدعى الفعل بعدها أى وحدوا الله و قدروى بالرفع و هو جائر على المبتدأ والخبر. قوله أقيموا هذين العمودين وأوقدوا هذين المصباحين و خلاكم ذم ما لم تشرودوا كلام داخل فى باب الاستعارة شبه الكتاب والسنة بعمودى الخيمة وبمصباحين [صفحة ١٢١] يستضاء بهما و خلاكم ذم كلمة جارية مجرى المثل معناها و لا ذم عليكم فقد أعذرتكم و ذم مرفوع بالفاعلية معناه عداكم و سقط عنكم . فإن قلت إذا لم يشركوا بالله و لم يضيعوا سنة محمد ص فقد قاموا بكل ما يجب وانتهوا عن كل ما يقيح فأى حاجة له إلى أن يستثنى و يقول ما لم تشرودوا وإنما كان يحتاج إلى هذه اللفظة لو قال وصيتى إليكم أن توحداوا الله و تؤمنوا بنبوه محمد ص كان حينئذ يحتاج إلى قوله ما لم تشرودوا و يكون مراده بهافعل الواجبات و تجنب المقبحات لأنه ليس فى الإقرار بالوحدانية والرسالة العمل بل العمل خارج عن ذلك فوجب إذا أوصى أن يوصى بالاعتقاد والعمل كما قال عمر لأبى بكر فى واقعة أهل الردة كيف تقاتلهم وهم مقرون بالشهادتين و قد قال رسول الله ص أمرت بأن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله فقال أبو بكر إنه قال تمتة هذا فإذاهم قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها -رواية- ١-٢-رواية- ٢٦-١٨٠ و أداء الزكاة من حقها. قلت مراده بقوله ما لم تشرودوا ما لم ترجعوا عن ذلك فكأنه قال خلاكم ذم إن وحدتم الله و اتبعتم سنة رسوله و دتم على ذلك و لا شبهة أن هذا الكلام منتظم و أن اللفظتين الأولىين ليستا بمغنيتين عن اللفظة الثالثة و بتقدير أن يغنيا عنه فإن فى ذكره مزيد تأكيد وإيضاح غير موجودين لو لم يذكر و هذا كقوله تعالى وَ مَنْ يُطِغِ اللَّهُ وَ رَسُولَهُ وَ يَخْشَ اللَّهَ وَ يَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ و ليس لقائل أن يقول من لا يخشى الله لا يكون مطيعا لله والرسول و أى حاجة به إلى ذكر ما قد أغنى اللفظ الأول عنه قوله حمل كل امرئ مجهوده و خفف عن الجهلة هذا كلام متصل بما قبله -قرآن- ٣٣٧-٤٢٤ [صفحة ١٢٢] لأنه لما قال ما لم تشرودوا أنبأ عن تكليفهم كل ماوردت به السنة النبوية و أن يدوموا عليه و هذا فى الظاهر تكليف أمور شاقة فاستدرك بكلام يدل على التخفيف فقال إن التكاليف على قدر المكلفين فالعلماء تكليفهم غير تكليف العامة و أرباب الجهل والمبادئ كالنساء و أهل البادية وطوائف من الناس الغالب عليهم البلادة و قلة الفهم كأقاصى الحبشة والترك ونحوهم وهؤلاء عند المكلفين غير مكلفين إلا بحمل التوحيد والعدل بخلاف العلماء الذين تكليفهم الأمور المفصلة وحل المشكلات الغامضة و قدروى حمل على صيغة الماضى ومجهوده بالنصب و خفف على صيغة الماضى أيضا و يكون الفاعل هو الله تعالى المقدم ذكره والرواية الأولى أكثر وأليق . ثم قال رب رحيم أى ربكم رب رحيم ودين قويم أى مستقيم وإمام عليم يعنى رسول الله ص و من الناس من يجعل رب رحيم فاعل خفف على رواية من رواها فعلا ماضيا و ليس بمستحسن لأن عطف الدين عليه يقتضى أن يكون الدين أيضا مخففا وهذا لا يصح . ثم دعا لنفسه ولهم بالغفران . ثم قسم الأيام الماضية والحاضرة والمستقبلة

قسمه حسنه فقال أنا بالأمس صاحبكم و أنا اليوم عبره لكم وغدا مفارقكم إنما كان عبره لهم لأنهم يرونه بين أيديهم ملقى صريعا بعد أن صرع الأبطال وقتل الأقران فهو كما قال الشاعر أكال أشلاء الفوارس بالقنا || أضحي بهن وشلوه مأكول . ويقال دحضت قدم فلان أى زلت وزلقت . ثم شبه وجوده فى الدنيا بأفياء الأغصان ومهاب الرياح وظلال الغمام لأن ذلك كله سريع الانقضاء لا ثبات له . [صفحہ ۱۲۳] قوله اضمحل فى الجو متلفقها وعفا فى الأرض مخطها اضمحل ذهب والميم زائده و منه الضحل و هو الماء القليل و اضمحل السحاب تقشع و ذهب و فى لغه الكلابيين امضحل الشىء بتقديم الميم و متلفقها مجتمعها أى ما اجتمع من الغيوم فى الجو و التلفيق الجمع و عفا درس و مخطها أثرها كالخطه . قوله و إنما كنت جارا جاوركم بدنى أياما فى هذا الكلام إشعار بما يذهب إليه أكثر العقلاء من أمر النفس و أن هوية الإنسان شىء غير هذا البدن . و قوله ستعقبون منى أى إنما تجدون عقيب فقدى جثه يعنى بدنا خلاء أى لا روح فيه بل قد أقفر من تلك المعانى التى كنتم تعرفونها و هى العقل و النطق و القوه و غير ذلك ثم وصف تلك الجثه فقال ساكنه بعد حراك بالفتح أى بعد حركه و صامتة بعد نطق و هذا الكلام أيضا يشعر بما قلناه من أمر النفس بل يصرح بذلك ألا تراه قال ستعقبون منى جثه أى تستبدلون بى جثه صفتها كذا و تلك الجثه جثته ع و محال أن يكون العوض و المعوض عنه واحدا فدل على أن هويته ع التى أعقبنا منها الجثه غير الجثه . قوله ليعظكم هدى أى سكونى و خفت إطراقى مثله خفت خفتا سكن و خفت خفتا مات فجاءه و إطراقه إرخاؤه عينيه ينظر إلى الأرض لضعفه عن رفع جفنه و سكون أطرافه يده و رجلاه و رأسه ع . قال فإنه أوعظ للمعتبرين من المنطق البليغ و القول المسموع و صدق ع فإن خطبا أحرص ذلك اللسان و هد تلك القوى لخطب جليل و يجب أن يتعظ العقلاء به و ماعسى يبلغ قول الواعظين بالإضافة إلى من شاهد تلك الحال بل بالإضافة إلى من سمعها و أفكر فيها فضلا عن مشاهدتها عيانا و فى هذا الكلام شبه من كلام الحكماء الذين تكلموا عند تابوت الإسكندر فقال أحدهم حركنا بسكونه [صفحہ ۱۲۴] و قال الآخر قد كان سيفك لا يجف و كانت مراقبك لا ترام و كانت نعماتك لا تؤمن و كانت عطايك يفرح بها و كان ضياؤك لا ينكشف فأصبح ضوءك قد خمد و أصبحت نعماتك لا تخشى و عطايك لا ترجى و مراقبك لا تمنع و سيفك لا يقطع . و قال الآخر انظروا إلى حلم المنام كيف انجلى و إلى ظل الغمام كيف انسلى و قال آخر ما كان أحوجه إلى هذا الحلم و إلى هذا الصبر و السكون أيام حياته و قال آخر القدره العظيمة التى ملأت الدنيا العريضة الطويلة طويت فى ذراعين . و قال الآخر أصبح أسر الأسراء أسيرا و قاهر الملوك مقهورا كان بالأمس مالكا فصار اليوم هالكا . ثم قال ع و دعتمكم و داع امرئ مرصد للتلقى أرسدته لكذا أى أعددته له و فى الحديث إلا أن أرسده لدين على و التلقى هاهنا لقاء الله و يروى و داعيكم أى و داعى إياكم و الوداع مفتوح الواو . ثم قال غدا ترون أيامى و يكشف لكم عن سرائرى و تعرفوننى بعدخلو مكاني و قيام غيرى مقامى هدامعنى قد تداوله الناس قديما و حديثا قال أبو تمام راحت و فود الأرض عن قبره || فارغه الأيدى ملأه القلوب قد علمت مارزئت إنما || يعرف قدر الشمس بعد الغروب . و قال أبو الطيب و ندمهم و بهم عرفنا فضله || و بضدها تتبين الأشياء . [صفحہ ۱۲۵] و من أمثالهم الضد يظهر حسنه الضد . و منها أيضا لو لا مرارة المرض لم تعرف حلاوة العافية . و إنما قال ع و يكشف لكم عن سرائرى لأنهم بعد فقدته و موته يظهر لهم و يثبت عندهم إذا رأوا و شاهدوا إمرة من بعده أنه إنما كان يريد بتلك الحروب العظيمة وجه الله تعالى و ألا يظهر المنكر فى الأرض و إن ظن قوم فى حياته أنه كان يريد الملك و الدنيا [صفحہ ۱۲۶]

١٥٠- و من خطبة له ع و يومئ فيها إلى الملاحم

وَ أَخَذُوا يَمِينًا وَ شِمَالًا ظَعْنًا فِي مَسَالِكِ الْغَىِّ وَ تَرَكَاءَ لِمَ ذَاهِبِ الرُّشْدِ فَلَا تَسْتَعِجِلُوا مَا هُوَ كَائِنٌ مُرْصَدٌ وَ لَا تَسْتَبِطُوا مَا يَجِيءُ بِهِ

الغَدُ فَكَمْ مِنْ مُسْتَعَجِلٍ بِمَا إِنْ أَدْرَكَهُ وَدَّ أَنْهُ لَمْ يُدْرِكْهُ وَ مَا أَقْرَبَ الْيَوْمِ مِنْ تَبَاشِيرِ غَدٍ يَا قَوْمِ هَذَا إِبَانٌ وَرُودٌ كُلُّ مَوْعُودٍ وَ دُنُوٌّ مِنْ طَلْعِهِ مَا لَا تَعْرِفُونَ أَلَا وَ إِنْ مَنْ أَدْرَكَهَا مِنَّا يَسِيرِي فِيهَا بِسِرَاجٍ مُنِيرٍ وَ يَحْذُو فِيهَا عَلَيَّ مِثَالِ الصَّالِحِينَ لِيُحِلَّ فِيهَا رِبْقًا وَ يُعْتَقَ فِيهَا رِقًا وَ يَصْدَعُ شَعْبًا وَ يَشَعَبُ صَدْعًا فِي سِتْرِهِ عَنِ النَّاسِ لَا يُبْصِرُ الْقَائِفُ أَثْرَهُ وَ لَوْ تَابَعَ نَظْرَهُ ثُمَّ لَيْشَحَذَنَّ فِيهَا قَوْمٌ شَحَذَ الْقَيْنِ النَّصْلَ تُجَلَى بِالتَّنْزِيلِ أَبْصَارُهُمْ وَ يُرْمَى بِالتَّنْفِيسِ فِي مَسَامِعِهِمْ وَ يُعْبَقُونَ كَأَسِّ الْحِكْمَةِ بَعْدَ الصُّبُوحِ يَذْكَرُ عَ قَوْمًا مِنْ فِرْقِ الضَّلَالِ أَخَذُوا يَمِينًا وَ شِمَالًا أَى ضَلُّوا عَنِ الطَّرِيقِ الْوَسْطَى الَّتِي هِيَ مِنْهَا جَانِبَا الْإِفْرَاطِ وَ التَّفْرِيطِ كَالْفَطَانَةِ الَّتِي هِيَ مَحْبُوسَةٌ [صَفْحَةٌ ١٢٧] بِالْجَرَبِزَةِ وَ الْغَبَاوَةِ وَ الشَّجَاعَةِ الَّتِي هِيَ مَحْبُوسَةٌ بِالتَّهْوَرِ وَ الْعَجَبِ وَ الْجُبْنِ وَ الْجُودِ الْمَحْبُوسِ بِالتَّبْذِيرِ وَ الشَّحِّ فَمَنْ لَمْ يَقْعِ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَسْطَى وَ أَخَذَ يَمِينًا وَ شِمَالًا فَقَدْ ضَلَّ . ثُمَّ فَسَّرَ قَوْلَهُ أَخَذَ يَمِينًا وَ شِمَالًا فَقَالَ طَعَنُوا طَعَنًا فِي مَسَالِكِ الْغَى وَ تَرَكُوا مَذَاهِبَ الرُّشْدِ تَرَكَا وَ طَعَنُوا عَلَى الْمَصْدَرِيَّةِ وَ الْعَامِلِ فِيهِمَا مِنْ غَيْرِ لَفْظِهِمَا وَ هُوَ قَوْلُهُ أَخَذُوا . ثُمَّ نَهَاهُمْ عَنِ اسْتِعْجَالِ مَا هُوَ مَعْدُ وَ لَا بَدَّ مِنْ كَوْنِهِ وَ وُجُودِهِ وَ إِنَّمَا سَمَاهُ كَانْنَا لِقَرَبِ كَوْنِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ وَ نَهَاهُمْ أَنْ يَسْتَبْطِنُوا مَا يَجِيءُ فِي الْغَدِ لِقَرَبِ وَقُوعِهِ كَمَا قَالَ - قُرْآن - ٤١٦ - ٤٢٩ وَ إِنْ غَدَا لِلنَّاطِرِينَ قَرِيبٌ . وَ قَالَ الْآخِرُ غَدًا مَا غَدَا مَا أَقْرَبَ الْيَوْمِ مِنْ غَدٍ . وَ قَالَ تَعَالَى إِنْ مَوْعِدُهُمُ الصَّبْحُ أَلَيْسَ الصَّبْحُ بِقَرِيبٍ . ثُمَّ قَالَ كَمْ مِنْ مُسْتَعَجِلٍ أَمْرًا وَ يَحْرَصُ عَلَيْهِ فَإِذَا حَصَلَ وَ دَّ أَنْهُ لَمْ يَحْصُلْ قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ - قُرْآن - ١٦ - ٦٦ مِنْ عَاشٍ لَاقَى مَا يَسُوءُ || مِنْ الْأُمُورِ وَ مَا يَسِرُّ وَ لَرَبِّ حَتْفٍ فَوْقَهُ || ذَهَبٌ وَ يَاقُوتٌ وَ دُرٌّ . وَ قَالَ آخِرُ فَلَاتَتَمَنِينَ الدَّهْرَ شَيْئًا || فَكَمْ أَمْنِيَّةٌ جَلَبَتْ مَنِيَّةً . [صَفْحَةٌ ١٢٨] وَ قَالَ تَعَالَى وَ عَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَ هُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ وَ تَبَاشِيرِ الصَّبْحِ أَوَائِلُهُ . ثُمَّ قَالَ يَاقُومُ قَدَدْنَا وَقْتُ الْقِيَامَةِ وَ ظَهَرَ الْفِتْنِ الَّتِي تَظْهَرُ أَمَامَهَا . وَ إِبَانُ الشَّيْءِ بِالْكَسْرِ وَ التَّشْدِيدِ وَقْتَهُ وَ زَمَانَهُ وَ كُنِيَ عَنِ تِلْكَ الْأَهْوَالِ بِقَوْلِهِ وَ دُنُوٌّ مِنْ طَلْعِهِ مَا لَا تَعْرِفُونَ لِأَنَّ تِلْكَ الْمَلَا حِمَّ وَ الْأَشْرَاطَ الْهَائِلَةَ غَيْرَ مَعْهُودٍ مِثْلَهَا نَحْوَ دَابَّةِ الْأَرْضِ وَ الدَّجَالِ وَ فِتْنَتِهِ وَ مَا يَظْهَرُ عَلَى يَدِهِ مِنَ الْمَخَارِقِ وَ الْأُمُورِ الْمَوْهَمَةِ وَ وَاقِعَةِ السَّفِيَانِي وَ مَا يَقْتُلُ فِيهَا مِنَ الْخَلَائِقِ الَّذِينَ لَا يَحْصِي عَدَدَهُمْ . ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ مَهْدَى آلِ مُحَمَّدٍ وَ هُوَ الَّذِي عَنَى بِقَوْلِهِ وَ إِنْ مَنْ أَدْرَكَهَا مِنَّا يَسِيرِي فِي ظِلْمَاتِ هَذِهِ الْفِتْنِ بِسِرَاجٍ مُنِيرٍ وَ هُوَ الْمَهْدَى وَ أَتْبَاعُ الْكِتَابِ وَ السَّنَةِ . وَ يَحْذُو فِيهَا يَقْتَفِي وَ يَتَّبِعُ مِثَالِ الصَّالِحِينَ لِيُحِلَّ فِي هَذِهِ الْفِتْنِ وَ رِبْقًا أَى حَبْلًا مَعْقُودًا . وَ يَعْتَقُ رِقًا أَى يَسْتَفْكَ أَسْرَى وَ يَنْقُذُ مَظْلُومِينَ مِنْ أَيْدِي ظَالِمِينَ وَ يَصْدَعُ شَعْبًا أَى يَفْرُقُ جَمَاعَةً مِنْ جَمَاعَاتِ الضَّلَالِ وَ يَشَعِبُ صَدْعًا يَجْمَعُ مَا تَفْرُقُ مِنْ كَلِمَةِ أَهْلِ الْهَدَى وَ الْإِيمَانِ . قَوْلُهُ عَ فِي سِتْرِهِ عَنِ النَّاسِ هَذَا الْكَلَامُ يَدُلُّ عَلَى اسْتِتَارِ هَذَا الْإِنْسَانَ الْمَشَارِإِلِيهِ وَ لَيْسَ ذَلِكَ بِنَافِعٍ لِلْإِمَامِيَّةِ فِي مَذْهَبِهِمْ وَ إِنْ ظَنُّوا أَنَّهُ تَصْرِيحٌ بِقَوْلِهِمْ وَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ مِنَ الْجَائِزِ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْإِمَامُ يَخْلُقُهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي آخِرِ الزَّمَانِ وَ يَكُونُ مَسْتَرًا مَدَّةً وَ لَهُ دَعَاةٌ يَدْعُونَ إِلَيْهِ وَ يَقْرَرُونَ أَمْرَهُ ثُمَّ يَظْهَرُ بَعْدَ ذَلِكَ الْاسْتِتَارِ وَ يَمْلِكُ الْمَمَالِكَ - قُرْآن - ١٥ - ١٠٢ [صَفْحَةٌ ١٢٩] وَ يَقْهَرُ الدُّوْلَ وَ يَمْهَدُ الْأَرْضَ كَمَا وَرَدَ فِي قَوْلِهِ لَا يَبْصُرُ الْقَائِفُ أَى هُوَ فِي اسْتِتَارٍ شَدِيدٍ لَا يَدْرِكُهُ الْقَائِفُ وَ هُوَ الَّذِي يَعْرِفُ الْآثَارَ وَ الْجَمْعَ قَافَةً وَ لَا يَعْرِفُ أَثْرَهُ وَ لَوْ اسْتَقْصَى فِي الطَّلَبِ وَ تَابَعَ النَّظْرَ وَ التَّأَمَّلَ . وَ يَقَالُ شَحَذْتَ السَّكِينِ أَشَحَذَهُ شَحَذًا أَى حَدَدْتَهُ يَرِيدُ لِيَحْرُضَنَّ فِي هَذِهِ الْمَلَا حِمِّ قَوْمٍ عَلَى الْحَرْبِ وَ قَتَلَ أَهْلَ الضَّلَالِ وَ لَتَشَحَذَنَّ عَزَائِمَهُمْ كَمَا يَشَحَذُ الصَّيْقِلَ السَّيْفَ وَ يَرِيقُ حَدَّهُ . ثُمَّ وَصَفَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ الْمَشْحُودِي الْعَزَائِمِ فَقَالَ تَجَلَى بِصَائِرِهِمْ بِالتَّنْزِيلِ أَى يَكْشِفُ الرِّينَ وَ الْغَطَاءَ عَنِ قُلُوبِهِمْ بِتَلَاوُهِ الْقُرْآنِ وَ إِلْهَامِهِمْ تَأْوِيلَهُ وَ مَعْرِفَةَ أَسْرَارِهِ . ثُمَّ صَرَحَ بِذَلِكَ فَقَالَ وَ يَرْمَى بِالتَّنْفِيسِ فِي مَسَامِعِهِمْ أَى يَكْشِفُ لَهُمُ الْغَطَاءَ وَ تَخْلُقُ الْمَعَارِفَ فِي قُلُوبِهِمْ وَ يَلْهَمُونَ فِهْمَ الْغَوَامِضِ وَ الْأَسْرَارِ الْبَاطِنَةَ وَ يَغْبِقُونَ كَأَسِّ الْحِكْمِ بَعْدَ الصُّبُوحِ أَى لَا تَزَالُ الْمَعَارِفُ الرَّبَانِيَّةُ وَ الْأَسْرَارُ الْإِلَهِيَّةُ تَفِيضُ عَلَيْهِمْ صَبَاحًا وَ مَسَاءً فَالْغُبُوقُ كُنَايَةٌ عَنِ الْفِيضِ الْحَاصِلِ لَهُمْ فِي الْأَصَالِ وَ الصُّبُوحِ كُنَايَةٌ عَمَّا يَحْصُلُ لَهُمْ مِنْهُ فِي الْغَدَوَاتِ وَ هَؤُلَاءِ هُمُ الْعَارِفُونَ الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ الزُّهْدِ وَ الْحِكْمَةِ وَ الشَّجَاعَةِ وَ حَقِيقَ بَمَثَلِهِمْ أَنْ يَكُونُوا أَنْصَارًا لَوْلَى اللَّهِ الَّذِي يَجْتَبِيهِ وَ يَخْلُقُهُ فِي آخِرِ أَوْقَاتِ الدُّنْيَا فَيَكُونُ خَاتِمَةَ أَوْلِيَائِهِ وَ الَّذِي يَلْقَى عَصَا التَّكْلِيفِ عِنْدَهُ مِنْهَا وَ طَالَ الْأَمْدُ بِهِمْ لَيْسْتَ كَمَلُوا الْخَزْرَى وَ يَسْتَوْجِبُوا الْغَيْرَ حَتَّى إِذَا اخْلُوقَ

[صفحه ١٣٠] الأجل واستراح قوم إلى الفتن واشتالوا عن لقاح حربهم لم يمتنوا على الله بالصبر ولم يستعظموا بذل أنفسهم في الحق حتى إذا وافق وأرد القضاء انقطاع مئدة البلاء حملوا بصائرهم على أسيافهم ودانوا لربهم بأمر وأعظم هذا الكلام يتصل بكلام قبله لم يذكره الرضى رحمه الله وهو وصف فئة ضالة قد استولت وملكت وأملى لها الله سبحانه قال ع وطال الأمد بهم ليستكملوا الخزي ويستوجبوا الغير أى النعم التى يغيرها بهم من نعم الله سبحانه كما قال وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسد قوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً وكما قال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون. حتى إذا خلقت الأجل أى قارب أمرهم الانقضاء من قولك اخلوق السحاب أى استوى وصار خليقا بأن يطرر واخلوق الرسم استوى مع الأرض . واستراح قوم إلى الفتن أى صبا قوم من شيعةنا وأوليائنا إلى هذه الفئة واستراحوا إلى ضلالها وفتنتها واتبعوها. واشتالوا عن لقاح حربهم أى رفعوا أيديهم وسيوفهم عن أن يشبوا الحرب بينهم وبين هذه الفئة مهادئة لها وسلما وكرهية للقتال يقال شال فلان كذا أى رفعه واشتال افتعل هو فى نفسه كقولك حجم زيد عمرا واحتجم هونفسه ولقاح حربهم هو بفتح اللام مصدر من لقحت الناقة. قوله لم يمتنوا هذا جواب قوله حتى إذا والضمير فى يمتنوا راجع إلى قرآن-٢٣٥-٣٥١-قرآن-٣٧٠-٤٠٨ [صفحه ١٣١] العارفين الذين تقدم ذكرهم فى الفصل السابق ذكره يقول حتى إذا ألقى هؤلاء السلام إلى هذه الفئة عجزا عن القتال واستراحوا من منابذتهم بدخولهم فى ضلالتهم وفتنتهم إما تقيية منهم أولشبهه دخلت عليهم أنهض الله تعالى هؤلاء العارفين الشجعان الذين خصهم بحكمته وأطلعهم على أسرار ملكوته فنهضوا ولم يمتنوا على الله تعالى بصبرهم ولم يستعظموا أن يبذلوا فى الحق نفوسهم قال حتى إذا وافق قضاء الله تعالى وقدره كى ينهض هؤلاء بقضاء الله وقدره فى انقضاء مدة تلك الفئة وارتفاع ما كان شمل الخلق من البلاء بملكها وإمرتها حمل هؤلاء العارفين بصائرهم على أسيافهم وهذا معنى لطيف يعنى أنهم أظهروا بصائرهم وعقائدهم وقلوبهم للناس وكشفوها وجردوها من أجفانها مع تجريد السيوف من أجفانها فكانها شىء محمول على السيوف يبصره من يبصر السيوف ولا يرب أن السيوف المجردة من أجلى الأجسام للأبصار فكذلك ما يكون محمولا- عليها و من الناس من فسر هذا الكلام فقال أراد بالبصائر جمع بصيرة وهو الدم فكانه أراد طلبوا ثأرهم والدماء التى سفكتها هذه الفئة وكان تلك الدماء المطلوب ثأرها محمولة على أسيافهم التى جردوها للحرب وهذا اللفظ قد قاله بعض الشعراء المتقدمين بعينه راحوا بصائرهم على أكتافهم || وبصيرتى يعدو بهاعتد وأى . وفسره أبو عمرو بن العلاء فقال يريد أنهم تركوا دم أبيهم وجعلوه خلفهم أى لم يثأروا به وأنابلت ثأرى و كان أبو عبيدة معمر بن المثنى يقول فى هذا البيت البصيرة الترس أو الدرع ويرويه حملوا بصائرهم [صفحه ١٣٢] حتى إذا قبض الله رسوله رجع قوم على الأعقاب وغالتهم السبل و اتكلوا على الولائج و وصلوا غير الرجم و هجروا السبب العدى أمروا بمودته و نقلوا البناء عن رص أساسه فبنوه فى غير موضه معاده كل خطيئه و أبواب كل ضارب فى عمره قد ماروا فى الحيرة و ذهلوا فى السكرة على شينه من آل فرعون من منقطع إلى الدنيا راكين أو مفارق للدين مبين رجعوا على الأعقاب تركوا ما كانوا عليه قال سبحانه و من ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا. وغالتهم السبل أهلكتهم اختلاف الآراء والأهواء غاله كذا أى أهلكتهم والسبل الطرق . والولائج جمع وليجه وهى البطانة يتخذها الإنسان لنفسه قال سبحانه و لم يتخذوا من دون الله ولا- رسوله و لما المؤمنين وليجه. ووصلوا غير الرحم أى غير رحم رسول الله ص فذكرها ع -قرآن-٥١-١٠٧-قرآن-٢٦٢-٣٤١]

[صفحه ١٣٣] ذكرا مطلقا غير مضاف للعلم بها كما يقول القائل أهل البيت فيعلم السامع أنه أراد أهل بيت الرسول . وهجروا السبب يعنى أهل البيت أيضا وهذه إشارة إلى قول النبى ص خلفت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى حبلان ممدودان من السماء إلى الأرض لايفترقان حتى يردا على الحوض -روايت-١-٢-روايت-١٧-١٣٧ فعبر أمير المؤمنين عن أهل البيت بلفظ السبب لما كان النبى ص قال حبلان والسبب فى اللغة الحبل .عنى بقوله أمروا بمودته قول الله تعالى قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى. قوله ونقلوا البناء عن رص أساسه الرص مصدر رصصت الشىء أرصه أى ألصقت بعضه ببعض و منه

قوله تعالى كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ وتراص القوم في الصف أى تلاصقوا فبنوه في غير موضعه ونقلوا الأمر عن أهله إلى غير أهله . ثم ذمهم ع وقال إنهم معادن كل خطيئة وأبواب كل ضارب في غمرة الغمرة الضلال والجهل والضارب فيها الداخل المعتقد لها. قدماروا في الحيرة مار يمور إذا ذهب وجاء فكأنهم يسبحون في الحيرة كما يسبح الإنسان في الماء. وذهل فلان بالفتح يذهل على سنة من آل فرعون أى على طريقته وآل فرعون أتباعه قال تعالى أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ -قرآن- ١٤٥-٢٠٥-قرآن- ٣١٣-٣٣٨-قرآن- ٧٧٨-٧٤١ [صفحہ ١٣٤] من منقطع إلى الدنيا لاهم له غيرها راكن مخلد إليها قال الله تعالى وَ لَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا أَوْ مَفَارِقَ لِلدِّينِ مَبَايِنَ مَزَائِلَ . فإن قلت أى فرق بين الرجلين وهل يكون المنقطع إلى الدنيا إلامفارقا للدين قلت قد يكون في أهل الضلال من هو مفارق للدين مباين وليس براكن إلى الدنيا ولا منقطع إليها كما نرى كثيرا من أحبار النصارى و رهبانهم . فإن قلت أليس هذا الفصل صريحا في تحقيق مذهب الإمامية قلت لا بل نحمله على أنه عنى ع أعداءه الذين حاربوه من قريش وغيرهم من أفناء العرب في أيام صفين وهم الذين نقلوا البناء وهجروا السبب ووصلوا غير الرحم واكلوا على الولائج وغالتهم السبل ورجعوا على الأعقاب كعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ومروان بن الحكم والوليد بن عقبة وحبيب بن مسلمة وبسر بن أرطاة و عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وحوشب وذى الكلاع وشرحبيل بن السمط و أبى الأعرور السلمى وغيرهم ممن تقدم ذكرنا له فى الفصول المتعلقة بصفين وأخبارها فإن هؤلاء نقلوا الإمامة عنه ع إلى معاوية فنقلوا البناء عن رص أصله إلى غير موضعه . فإن قلت لفظ الفصل يشهد بخلاف ماتأولته لأنه قال ع حتى إذا قبض الله رسوله رجع قوم على الأعقاب فجعل رجوعهم على الأعقاب عقيب قبض الرسول ص و ما ذكرته أنت كان بعد قبض الرسول بنيف وعشرين سنة. قلت ليس يمتنع أن يكون هؤلاء المذكورون رجعوا على الأعقاب لمآمات رسول الله ص وأضمرؤا فى أنفسهم مشاققة أمير المؤمنين وأذاه وقد كان فيهم من -قرآن- ٧٢-١١٠ [صفحہ ١٣٥] يتحككك به فى أيام أبى بكر وعمر وعثمان ويتعرض له و لم يكن أحد منهم و لا من غيرهم يقدم على ذلك فى حياة رسول الله و لا يمتنع أيضا أن يريد برجوعهم على الأعقاب ارتدادهم عن الإسلام بالكلية فإن كثيرا من أصحابنا يطعنون فى إيمان بعض من ذكرناه ويعدونهم من المنافقين و قد كان سيف رسول الله ص يجمعهم ويردعهم عن إظهار ما فى أنفسهم من النفاق فأظهر قوم منهم بعده ما كانوا يضمرونه من ذلك خصوصا فيما يتعلق بأمر المؤمنين الذى ورد فى حقه ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله إلا يبغض على بن أبى طالب و هو خبر محقق مذكور فى الصحاح . فإن قلت يمنعك من هذا التأويل قوله ونقلوا البناء عن رص أساسه فجعلوه فى غير موضعه و ذلك لأن إذا ظرف والعامل فيها قوله رجع قوم على الأعقاب و قد عطف عليه قوله ونقلوا البناء فإذا كان الرجوع على الأعقاب واقعا فى الظرف المذكور و هو وقت قبض الرسول وجب أن يكون نقل البناء إلى غير موضعه واقعا فى ذلك الوقت أيضا لأن أحد الفعلين معطوف على الآخر و لم ينقل أحد وقت قبض الرسول ص البناء إلى معاوية عن أمير المؤمنين ع وإنما نقل عنه إلى شخص آخر و فى إعطاء العطف حقه إثبات مذهب الإمامية صريحا. قلت إذا كان الرجوع على الأعقاب واقعا وقت قبض النبى ص فقد قمنا بما يجب من وجود عامل فى الظرف و لا يجب أن يكون نقل البناء إلى غير موضعه واقعا فى تلك الحال أيضا بل يجوز أن يكون واقعا فى زمان آخر إما بأن تكون الواو للاستئناف لا للعطف أو بأن تكون للعطف فى مطلق الحدث لا- فى وقوع الحدث فى عين ذلك الزمان المخصوص كقوله تعالى حَتَّى إِذَا أَتَى أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعْنَا أَهْلَهَا فَاتَّوَأْنَا أَنْ -قرآن- ١٤٢٦-١٤٨٧ يتحككك به فى أيام أبى بكر وعمر وعثمان ويتعرض له و لم يكن أحد منهم و لا من غيرهم يقدم على ذلك فى حياة رسول الله و لا يمتنع أيضا أن يريد برجوعهم على الأعقاب ارتدادهم عن الإسلام بالكلية فإن كثيرا من أصحابنا يطعنون فى إيمان بعض من ذكرناه ويعدونهم من المنافقين و قد كان سيف رسول الله ص يجمعهم ويردعهم عن إظهار ما فى أنفسهم من النفاق فأظهر قوم منهم بعده ما كانوا يضمرونه من ذلك خصوصا فيما يتعلق بأمر المؤمنين الذى ورد فى حقه ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله إلا يبغض على بن أبى

طالب و هوخبر محقق مذكور في الصحاح . فإن قلت يمنعك من هذا التأويل قوله ونقلوا البناء عن رص أساسه فجعلوه في غير موضعه و ذلك لأن إذا ظرف والعامل فيها قوله رجع قوم على الأعقاب و قد عطف عليه قوله ونقلوا البناء فإذا كان الرجوع على الأعقاب واقعا في الظرف المذكور و هو وقت قبض الرسول و جب أن يكون نقل البناء إلى غير موضعه واقعا في ذلك الوقت أيضا لأن أحد الفعلين معطوف على الآخر و لم ينقل أحد وقت قبض الرسول ص البناء إلى معاوية عن أمير المؤمنين ع وإنما نقل عنه إلى شخص آخر و في إعطاء العطف حقه إثبات مذهب الإمامية صريحا. قلت إذا كان الرجوع على الأعقاب واقعا وقت قبض النبي ص فقد قمنا بما يجب من وجود عامل في الظرف و لا يجب أن يكون نقل البناء إلى غير موضعه واقعا في تلك الحال أيضا بل يجوز أن يكون واقعا في زمان آخر إما بأن تكون الواو للاستئناف لا للعطف أو بأن تكون للعطف في مطلق الحدث لا في وقوع الحدث في عين ذلك الزمان المخصوص كقوله تعالى حَتَّى إِذَا أَتَى أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعْنَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ الْعَامِلُ فِي الظرف استطعنا و يجب أن يكون استطاعهما وقت إتيانهما أهلها لا محالة و لا يجب أن تكون جميع الأفعال المذكورة المعطوفة واقعة حال الإتيان أيضا أ لا ترى أن من جملتها فأقامه و لم يكن إقامة الجدار حال إتيانها القرية بل متراخيا عنه بزمان ما ألهم إلا أن يقول قائل أشار بيده إلى الجدار فقام أو قال له قم فقام لأنه لا يمكن أن يجعل إقامة الجدار مقارنا للإتيان إلا على هذا الوجه و هذا لم يكن و لا قاله مفسر و لو كان قد وقع على هذا الوجه لما قال له لَوِ شِئْتَ لَأَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا لَأَنْ أَلْجُرَ إِنَّمَا يَكُونُ عَلَى اعْتِمَالِ عَمَلٍ فِيهِ مَشَقَّةٌ وَإِنَّمَا يَكُونُ فِيهِ مَشَقَّةٌ إِذَا بَنَاهُ بِيَدِهِ وَبِأَشْرِهِ بِجَوَارِحِهِ وَأَعْضَائِهِ . و اعلم أنانحمل كلام أمير المؤمنين ع على ما يقتضيه سؤده الجليل ومنصبه العظيم ودينه القويم من الإغضاء عما سلف ممن سلف فقد كان صاحبهم بالمعروف برهه من الدهر فإما أن يكون ما كانوا فيه حقهم أو حقه فتركه لهم رفعا لنفسه عن المنازعة أو لمارآه من المصلحة و على كلا التقديرين فالواجب علينا أن نطبق بين آخر أفعاله وأقواله بالنسبة إليهم و بين أولها فإن بعد تأويل ما يتأوله من كلامه ليس بأبعد من تأويل أهل التوحيد والعدل الآيات المتشابهة في القرآن و لم يمنع بعدها من الخوض في تأويلها محافظة على الأصول المقررة فكذلك هاهنا -قرآن- ١-٦٨-قرآن-٥٤٦-٥٨٠ [صفحة ١٣٧]

١٥١- و من خطبة له ع

وَ اسْتَعِينَهُ عَلَى مَدَاحِرِ الشَّيْطَانِ وَ مَزَاجِرِهِ وَ الْإِعْتِصَامِ مِنْ حَبَائِلِهِ وَ مَخَاتِلِهِ وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ وَ نَجِيَّهُ وَ صِيْفُوْتُهُ لَا يُؤَاوِي فَضْلُهُ وَ لَا يُجْبِرُ فَقْدُهُ أَصْدَاءَ بِهِ الْبِلَادُ بَعْدَ الضَّمَالَةِ الْمُظْلَمَةِ وَ الْجَهَالَةِ الْعَالِيَةِ وَ الْجَفْوَةِ الْجَافِيَةِ وَ النَّاسُ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيمَ وَ يَسْتَدْلُونَ الْحَكِيمَ يَحْيُونَ عَلَى فِتْرَةٍ وَ يَمُوتُونَ عَلَى كَفْرَةٍ ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعَشَرَ الْعَرَبِ أَغْرَاضُ بِلَايَا قَدِ اقْتَرَبَتْ فَاتَّقُوا سَكْرَاتِ التَّعْمِيَةِ وَ احذَرُوا بَوَاقِ النَّقْمَةِ وَ تَبَتُّوا فِي قَتَامِ الْعِشْوَةِ وَ اعْوَجَّاجِ الْفِتْنَةِ عِنْدَ طُلُوعِ جَنِينِهَا وَ ظُهُورِ كَمِينِهَا وَ انْتِصَابِ قُطْبِهَا وَ مَدَارِ رَحَاهَا تَبَدُّا فِي مَدَارِجِ خَفِيَّتِهِ وَ تَنَوَّلُوا إِلَى فِظَاعَةِ جَلِيَّتِهَا شَبَابِهَا كَشِبَابِ الْغُلَامِ وَ آثَارِهَا كَأَثَارِ السَّلَامِ يَتَوَارَثُهَا الظُّلْمَةُ بِالْعَهْودِ أَوْلَهُمْ قَائِدٌ لِأَخْرِهِمْ وَ آخِرُهُمْ مُقْتَدٍ بِأَوْلِهِمْ يَتَنَافَسُونَ فِي دُنْيَا دُنْيِيَّةٍ وَ يَتَكَابَرُونَ عَلَى حِيْفَةِ مَرِيحِيَّةٍ وَ عَنِ قَلِيلٍ يَتَبَرُّوا التَّابِعِ مِنَ الْمَتَّبِعِ وَ الْقَائِدُ مِنَ الْمَقُودِ فَيَتَزِيلُونَ بِالْبَغْضَاءِ وَ يَتَلَاعَنُونَ عِنْدَ اللَّقَاءِ ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ طَالِعُ الْفِتْنَةِ الرَّجُوفِ وَ الْقَاصِمَةُ الرَّحُوفِ فَتَزِيغُ قُلُوبَ بَعْدَ اسْتِقَامَتِهَا وَ تَضِلُّ رِجَالَ بَعْدَ سَلَامَتِهَا وَ تَخْتَلِفُ الْأَهْوَاءُ عِنْدَ هُجُومِهَا وَ تَلْتَبِسُ الْأَرَاءُ عِنْدَ نُجُومِهَا [صفحة ١٣٨] مَنْ أَشْرَفَ لَهَا قَصَمَتْهُ وَ مَنْ سَعَى فِيهَا حَطَمَتْهُ يَتَكَادِمُونَ فِيهَا تَكَادِمَ الْحُمْرِ فِي الْعَانَةِ قَدِ اضْطَرَبَ مَعْقُودُ الْحَبْلِ وَ عَمِيَ وَجْهُ الْأَمْرِ تَغِيضُ فِيهَا الْحِكْمَةَ وَ تَنْطِقُ فِيهَا الظُّلْمَةَ وَ تَدُقُّ أَهْلَ الْبَدَنِ بِمَسْحَلِهَا وَ تَرْضِيهِمْ بِكَلْكَلِهَا يَضِيغُ فِي غُبَارِهَا الْوُحْدَانُ وَ يَهْلِكُ فِي طَرِيقِهَا الرُّكْبَانُ تَرْدُ بِمَرِّ الْقَضَاءِ وَ تَحْلُبُ عَيْطَ الدَّمَاءِ وَ تَتَلَمَّ مَتَارَ الدِّينِ وَ تَنْقُضُ عَقْدَ الْيَقِينِ يَهْرُبُ مِنْهَا الْأَكْيَاسُ وَ يُدْبِرُهَا الْأَرْجَاسُ مِرْعَادُ مِبْرَاقِ كَاشِفَتِهِ عَنْ

ساقٍ تُقَطَّعُ فِيهَا الْأَرْحَامُ وَ يُفَارِقُ عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ بَرِيئُهَا سَيَقِيمُ وَ ظَاعِنُهَا مُقِيمٌ مَدَاحِرُ الشَّيْطَانِ الْأُمُورِ الَّتِي يَدْحَرُ بِهَا أَى يَطْرُدُ وَيُبْعَدُ دَحْرَتَهُ أَدْحَرَهُ دَحُورًا قَالَ تَعَالَى دُحُورًا وَ لَهِمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ وَ قَالَ سَبْحَانَهُ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا أَى مَقْصِي . وَمَزَاجِرُهُ الْأُمُورُ يَزْجُرُ بِهَا جَمْعُ مَزْجَرٍ وَمَزْجَرَةٌ وَ كَثِيرًا مَا يَبْنِي عَ مِنْ الْأَفْعَالِ مَفْعَلًا وَمَفْعَلَةٌ وَيَجْمَعُهُ وَ إِذَا تَأَمَّلْتَ كَلَامَهُ عَرَفْتَ ذَلِكَ . وَ حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ مَكَايِدُهُ وَأَشْرَاكُهُ الَّتِي يَضِلُّ بِهَا الْبَشَرُ وَمَخَاتِلُهُ الْأُمُورِ الَّتِي يَخْتَلُ بِهَا بِالْكَسْرِ أَى يَخْدَعُ . لَا يُؤَاوِي فَضْلَهُ لَا يَسَاوِي وَالْفَلْظَةُ مَهْمُوزَةٌ آزَيْتُ فَلَانَا حَاذِيْتَهُ وَ لَا يَجُوزُ وَازِيْتَهُ . -قرآن- ٨٣-١١٣-قرآن-١٢٨-١٥٧ [صفحہ ١٣٩] وَ لَا يَجْبِرُ فَقْدَهُ لَا يَسُدُّ أَحَدٌ مَسْدَهُ بَعْدَهُ وَ الْجَفْوَةُ الْجَفِيَّةُ غَلْظُ الطَّيْعِ وَ بِلَادَةُ الْفَهْمِ . وَ يَسْتَذَلُّونَ الْحَكِيمَ يَسْتَضِيْمُونَ الْعَقْلَاءَ وَ اللَّامُ هَاهُنَا لِلْجِنْسِ كَقَوْلِهِ وَ جَاءَ رَبِّكَ وَ الْمَلِكُ صَيِّفًا صَفًّا . يَحْيُونَ عَلَى فِتْرَةٍ عَلَى انْقِطَاعِ الْوَحْيِ مَا بَيْنَ نَبْوَتَيْنِ . وَ يَمُوتُونَ عَلَى كَفْرَةٍ بِالْفَتْحِ وَاحِدَ الْكُفْرَاتِ كَالضَّرْبَةِ وَاحِدَةُ الضَّرْبَاتِ . وَ يَرُوى ثَمَّ إِنَّكُمْ مَعَشَرَ النَّاسِ وَ الْأَغْرَاضِ الْأَهْدَافِ وَ سَكْرَاتِ النِّعْمَةِ مَا تَحْدُثُهُ النَّعْمُ عِنْدَ أَرْبَابِهَا مِنَ الْغَفْلَةِ الْمَشَابِهُةِ لِلسَّكْرِ قَالَ الشَّاعِرُ -قرآن- ١٤٤-١٨١ خَمْسَ سَكْرَاتٍ إِذَا مَنَى الْمَرْءُ || بِهَا صَارَ عَرْضُهُ لِلزَّمَانِ سَكْرَةً الْمَالِ وَ الْحَدَاثَةِ وَ الْعَشْقِ || وَ سَكْرُ الشَّرَابِ وَ السَّلْطَانِ . وَ مِنْ كَلَامِ الْحَكَمَاءِ لِلْوَالِي سَكْرَةٌ لَا يَفِيْقُ مِنْهَا إِلَّا بِالْعَزْلِ وَ الْبَوَائِقِ الدَّوَاهِي جَمْعُ بَائِقَةٍ يُقَالُ بَاقْتَهُمُ الدَّاهِيَةُ بَوْقًا أَى أَصَابَتْهُمْ وَ كَذَلِكَ بَاقْتَهُمُ بَثُوقٌ عَلَى فِعُولٍ وَ ابْتِاقَتْ عَلَيْهِمْ بَائِقَةٌ شَرٌّ مِثْلُ انْبَاحَتْ أَى انْفَتَحَتْ وَ انْبَاقَ عَلَيْهِمُ الدَّهْرُ هَجَمٌ بِالْدَّاهِيَةِ كَمَا يَخْرُجُ الصَّوْتُ مِنَ الْبُوقِ وَ فِي الْحَدِيثِ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارَهُ بَوَائِقُهُ -روایت- ١-٢-روایت- ١٤-٥٥ أَى غَوَائِلُهُ وَ شَرُّهُ . وَ الْقِتَامُ بَفَتْحِ الْقَافِ الْغَبَارِ وَ الْأَقْتَمُ الَّذِي يَلْعُوهُ قَتْمَةٌ وَ هُوَ لَوْنٌ فِيهِ غَبْرَةٌ وَ حَمْرَةٌ . وَ الْعَشْوَةُ بِكَسْرِ الْعَيْنِ رُكُوبُ الْأَمْرِ عَلَى غَيْرِ بَيَانٍ وَ وُضُوحٍ وَ يَرُوى وَ تَبَيَّنَا فِي قِتَامِ الْعَشْوَةِ كَمَا قَرَأْنَا جَاءَ كُمْ فَاسِقٌ بِنَبَاٍ فَتَبَيَّنَا وَ فَتَبَيَّنَا . -قرآن- ١٩١-٢٣٠ [صفحہ ١٤٠] وَ اعْوَجَاجُ الْفِتْنَةِ أَخْذُهَا فِي غَيْرِ الْقَصْدِ وَ عَدْوُلُهَا عَنِ الْمَنْهَجِ . ثَمَّ كُنِيَ عَنِ ظَهْوَرِ الْمَسْتَوْرِ الْمَخْفِيِّ مِنْهَا بِقَوْلِهِ عِنْدَ طُلُوعِ جَنِينِهَا وَ ظَهْوَرُ كَمِينِهَا . وَ الْجَنِينُ الْوَلَدُ مَا دَامَ فِي الْبَطْنِ وَ الْجَمْعُ أَجْنَةٌ وَ يَجُوزُ أَلَّا يَكُونَ الْكَلَامُ كِنَايَةً بَلْ صَرِيحًا أَى عِنْدَ طُلُوعِ مَا اسْتَحْنَتْ مِنْهَا أَى اسْتَتَرَ وَ ظَهْوَرُ مَا كَمَنَ أَى مَا بَطَّنَ . وَ كُنِيَ عَنِ اسْتِحْكَامِ أَمْرِ الْفِتْنَةِ بِقَوْلِهِ وَ انْتِصَابِ قِطْعِهَا وَ مَدَارِ رِحَاهَا . ثَمَّ قَالَ إِنَّهَا تَبْدُو يَسِيرَةً ثَمَّ تَصِيرُ كَثِيرَةً . وَ الْفِطَاعَةُ مَصْدَرُ فِطْعٍ بِالضَّمِّ فَهُوَ فِطْعٌ أَى شَدِيدٌ شَنِيعٌ تَجَاوَزَ الْمَقْدَارَ وَ كَذَلِكَ أَفْطَعَ الرَّجُلُ فَهُوَ مَفْطَعٌ وَ أَفْطَعَ الرَّجُلُ عَلَى مَا لَمْ يَسْمَعْ فَاعِلُهُ نَزَلَ بِهِ أَمْرٌ عَظِيمٌ وَ أَفْطَعْتُ الشَّيْءَ وَ جَدَدْتُهُ فِطْعًا وَ مِثْلُهُ اسْتَفْطَعْتُهُ وَ هَذَا الْمَعْنَى كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ وَلرَبِّمَا هَاجَ الْكَبِيرُ || وَ مِنْ الْأُمُورِ لَكَ الصَّغِيرُ . وَ فِي الْمَثَلِ وَالشَّرُّ تَبْدُوهُ صَغَارُهُ وَ قَالَ الشَّاعِرُ فَإِنَّ النَّارَ بِالْعَوْدِينَ تَذَكَّى || وَ إِنَّ الْحَرْبَ أَوْلَهَا كَلَامٌ . وَ قَالَ أَبُو تَمَامٍ رَبُّ قَلِيلٍ جَدًّا كَثِيرًا || كَمْ مَطَرٌ بَدُوهُ مَطِيرٌ . وَ قَالَ أَيْضًا لَا تَذَلِّبَنَّ صَغِيرَ هَمِّكَ وَ انظُرْ || كَمْ بَدَى الْأَسْلُ دَوْحَةً مِنْ قَضِيْبٍ . قَوْلُهُ شَبَابُهَا كَشَابُ الْغَلَامِ بِالْكَسْرِ مَصْدَرُ شَبِّ الْفَرَسِ وَ الْغَلَامُ يَشْبُ وَ يَشِبُّ شَبَابًا وَ شَبِيبًا إِذَا قَمَصَ وَ لَعِبَ وَ أَشْبَبْتُهُ أَنَا أَى هَيَّجْتُهُ . [صفحہ ١٤١] وَ السَّلَامُ الْحِجَارَةُ جَمْعُ وَاحِدَةٍ سَلْمَةٌ بِكَسْرِ اللَّامِ يَذَكُرُ الْفِتْنَةَ وَ يَقُولُ إِنَّهَا تَبْدُو فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ وَ أَرْبَابُهَا يَمْرَحُونَ وَ يَشْبُونَ كَمَا يَشِبُّ الْغَلَامُ وَ يَمْرَحُ ثَمَّ تَتَوَلَّى إِلَى أَنْ تَعْقِبَ فِيهِمْ آثَارًا كَأَثَارِ الْحِجَارَةِ فِي الْأَبْدَانِ قَالَ الشَّاعِرُ وَ الْحَبُّ مِثْلُ الْحَرْبِ أَوْلَهَا || التَّخِيلُ وَ النَّشَاطُ وَ خَتَامُهَا أُمُّ الرَّبِيْقِ || النُّكْرُ وَ الضَّرْبُ الْقَطَاطُ . ثَمَّ ذَكَرَ أَنَّ هَذِهِ الْفِتْنَةَ يَتَوَارَثُهَا قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ وَ كُلُّهُمْ ظَالِمٌ أَوْلَهُمْ يَقُودُ آخِرُهُمْ كَمَا يَقُودُ الْإِنْسَانُ الْقَطَارَ مِنَ الْإِبِلِ وَ هُوَ أَمَامُهَا وَ هِيَ تَتَّبِعُهُ وَ آخِرُهُمْ يَقْتَدِي بِأَوْلِهِمْ أَى يَفْعَلُ فِعْلَهُ وَ يَحْدُو حِدْوَهُ . وَ جِيْفَةٌ مَرِيحَةٌ مُنْتَنَةٌ أَرَا حَتْ ظَهَرَ رِيحُهَا وَ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مِنْ أَرَا حِ الْبَعِيرِ أَى مَاتَ وَ قَدْ جَاءَ فِي أَرَا حٍ بِمَعْنَى أَنْتَنَ رَا حٍ بِلَا هَمْزٍ . ثَمَّ ذَكَرَ تَبْرُؤَ النَّاسِ مِنَ الْمَتْبُوعِ يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ . فَإِنَّ قَلْتُ إِذَا الْكُتَابُ الْعَزِيْزِ إِنَّمَا ذَكَرَ تَبْرُؤَ الْمَتْبُوعِ مِنَ النَّاسِ فِي قَوْلِهِ إِذْ تَبْرَأَ الْعَلِيْنَ اتَّبَعُوا مِنَ الْعَلِيْنَ اتَّبَعُوا وَ رَأُوا الْعِيْذَابَ وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ وَ هَاهُنَا قَدْ عَكَسَ ذَلِكَ فَقَالَ إِنَّ النَّاسَ يَتَبْرَأُ مِنَ الْمَتْبُوعِ قَلْتُ إِنَّهُ قَدْ وَرَدَ فِي الْكُتَابِ الْعَزِيْزِ مِثْلُ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ أَيْنَ شَرَّ كَاؤُكُمْ الْعَلِيْنَ كُنْتُمْ تَرْعُمُونَ قَالَوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا فَقَوْلُهُمْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا هُوَ التَّبْرُؤُ وَ هُوَ قَوْلُهُ حِكَايَةُ عَنْهُمْ وَ اللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ وَ هَذَا هُوَ التَّبْرُؤُ . -قرآن- ٤٢٧-٥٣١-قرآن- ٦٣٩-٦٨٣-قرآن- ٦٨٤-٧٤١-قرآن- ٧٤٩-٧٨٢-قرآن- ٨١٤-٨٤٩ [صفحہ ١٤٢] ثَمَّ ذَكَرَ

أن القائد يتبرأ من المقود أى يتبرأ المتبوع من التابع فيكون كل من الفريقين تبرأ من صاحبه كما قال سبحانه ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَ يَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا. ويتزايلون يتفرون . قوله ثم يأتى بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف طالعها مقدماتها وأوائلها وسمائها رجوفاً لشدة الاضطراب فيها. فإن قلت أ لم تكن قلت إن قوله عن قليل يتبرأ التابع من المتبوع يعنى به يوم القيامة فكيف يقول ثم يأتى بعد ذلك طالع الفتنة وهذا إنما يكون قبل القيامة قلت إنه لما ذكر تنافس الناس على الجيفة المنتنة وهى الدنيا أراد أن يقول بعده بلا فصل ثم يأتى بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف لكنه لما تعجب من تراحم الناس وتكالبهم على تلك الجيفة أراد أن يؤكد ذلك التعجب فأتى بجملته معترضه بين الكلامين تؤكد معنى تعجبه منهم فقال إنهم على ما قد ذكرنا من تكالبهم عليها عن قليل يتبرأ بعضهم من بعض ويلعن بعضهم بعضاً وذلك أدعى لهم لو كانوا يعقلون إلى أن يتركوا التكالب والتهارش على هذه الجيفة الخسيسة ثم عاد إلى نظام الكلام فقال ثم يأتى بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف ومثل هذا الاعتراض فى الكلام كثير وخصوصاً فى القرآن وقد ذكرنا منه فيما تقدم طرفاً. قوله والقاصمة الزحوف القاصمة الكاسرة وسمائها زحوفاً تشبهاً لمشيهاً قدما بمشى الدبى الذى يهلك الزروع ويبيدها والزحف السير على تؤدة كسير الجيوش بعضها إلى بعض . -قرآن- ١٢١-١٩٣ [صفحہ ١٤٣] قوله وتزيغ قلوب أى تميل وهذه اللفظة والتي بعدها دالتان على خلاف ماتذهب إليه الإمامية من أن المؤمن لا يكفر وناصرتان لمذهب أصحابنا. ونجومها مصدر نجم الشرى إذا ظهر. من أشرف لها من صادمها وقابلها و من سعى فيها أى فى تسكينها وإطفائها وهذا كله إشارة إلى الملحمة الكائنة فى آخر الزمان . والتكادم التعاض بأدنى الفم كما يكدم الحمار ويقال كدم يكدم والمكدم المعض . والعانة القطيع من حمر الوحش والجمع عون . تغيض فيها الحكمة تنقض . فإن قلت ليس قوله وتنطق فيها الظلمة واقعا فى نقيض قوله تغيض فيها الحكمة فأين هذا من الخطابة التى هو فيها نسيج وحده قلت بل المناقضة ظاهرة لأن الحكمة إذا غاضت فيها لم ينطق بها أحد ولا بد من نطق ما فإذا لم تنطق الحكماء وجب أن يكون النطق لمن ليس من الحكماء فهو من الظلمة فقد ثبت التناقض . والمسحل المبرد يقول تحت أهل البدو وتسحتهم كما يسحت الحديد أو الخشب بالمبرد وأهل البدو أهل البادية ويجوز أن يريد بالمسحل الحلقة التى فى طرف شكيم اللجام المعترضة بإزاء حلقة أخرى فى الطرف الآخر وتدخل إحدهما فى الأخرى بمعنى أن هذه الفتنة تصدم أهل البدو بمقدمة جيشها كما يصدم الفارس الراجل أمامه بمسحل لجام فرسه . والكلكل الصدر وترضهم تدقهم دقا جريشا . [صفحہ ١٤٤] قوله تضع فى غبارها الوجدان جمع واحد مثل شاب وشبان وراع ورعيان ويجوز الأحدان بالهمز أى من كان يسير وحده فإنه يهلك بالكلية فى غبارها وأما إذا كانوا جماعة ركباناً فإنهم يضلون وهو أقرب من الهلاك ويجوز أن يكون الوجدان جمع أوحد يقال فلان أوحد الدهر وهؤلاء الوجدان أو الأحدان مثل أسود وسودان أى يضل فى هذه الفتنة وضلالها الذى كنى عنه بالغبار فضلاء عصرها وعلماء عهدها لغموض الشبهة واستيلاء الباطل على أهل وقتها ويكون معنى الفقرة الثانية على هذا التفسير أن الراكب الذى هو بمظنة النجاة لا ينجو والركبان جمع راكب ولا يكون إلا إذا بعير قوله ترد بمر القضاء أى بالبوار والهلاك والاستئصال . فإن قلت أيجوز أن يقال للفتنة القبيحة إنها من القضاء. قلت نعم لا بمعنى الخلق بل بمعنى الإعلام كما قال سبحانه وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ أَى أَعْلَمْنَاهُمْ أَى تَرُدُّ هَذِهِ الْفِتْنَةَ بِإِعْلَامِ اللَّهِ تَعَالَى لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ الْمُكَلَّفِينَ أَنَّهَا أُمُّ الْلَّهِيمِ الَّتِي لَا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ فَذَلِكَ الْإِعْلَامُ هُوَ الْمَرُّ الَّذِي لَا يَبْلُغُ الْوَصْفَ مَرَّارَتِهِ لِأَنَّ الْأَخْبَارَ عَنْ حُلُولِ الْمَكْرُوهِ الَّذِي لَا مَدْفَعَ عَنْهُ وَلَا مَحِيصَ مِنْهُ مَرُّ جَدًّا. قوله وتحلب عبيط الدماء أى هذه الفتنة يحلبها الحالب دماً عبيطاً وهذه كناية عن الحرب وقد قال ع فى موضع آخر أما والله ليحلبنها دماً وليتبعنها ندماً والعبيط الدم الطرى الخالص . وثلمت الإناء أثلمه بالكسر . والأكياس العقلاء . -قرآن- ٧٣٢-٧٨٩ [صفحہ ١٤٥] والأرجاس جمع رجس وهو القدر والنجس والمراد هاهنا الفاسقون فيما أن يكون على حذف المضاف أى ويدبرها ذوو الأرجاس أو أن يكون جعلهم الأرجاس أنفسهم لما كانوا قد أسرفوا فى الفسق فصاروا كأنهم الفسق والنجاسة نفسها

كما يقال رجل عدل و رجل رضا. قوله مرعاد مبراق أى ذات وعيد وتهدد ويجوز أن يعنى بالرعد صوت السلاح وقعقعه وبالبرق لونه وضوءه . وكاشفه عن ساق عن شده ومشقه. قوله بريتها سقيم يمكن أن يعنى بها أنها لشدتها لا يكاد الذى يبرأ منها وينفض يده عنها يبرأ بالحقيقه بل لا بد أن يستثنى شيئا من الفسق والضلال أى لشدته التباس الأمر واشتباه الحال على المكلفين حينئذ. ويمكن أن يعنى به أن الهارب منها غير ناج بل لا بد أن يصيبه بعض معرفتها ومضرتها. وطاقنها مقيم أى ما يفارق الإنسان من أذاها وشرها فكأنه غير مفارق له لأنه قد أبقي عنده ندوبا وعقاييل من شرورها وغوائلها منها بين قتييل مطلول و خائف مستجير يختلون بعقد الإيمان و بغرور الإيمان فلا تكونوا أنصاب الفتن و أعلام البدع [صفحه ١٤٦] وَ الزُّمُومَا مَا عَقَّتْ عَلَيْهِ حَبْلَ الْجَمَاعَةِ وَ بُيِّتَ عَلَيْهِ أَرْكَانُ الطَّاعِيَةِ وَ أَقْدَمُوا عَلَى اللَّهِ مَظْلُومِينَ وَ لَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ظَالِمِينَ وَ اتَّقُوا مِدَارِجَ الشَّيْطَانِ وَ مَهَابِطَ الْعِدْوَانِ وَ لَا تُدْخِلُوا بُطُونَكُمْ لُغَى الْحَرَامِ فَإِنَّكُمْ بَعِينٍ مَن حَزَمَ عَلَيْكُمُ الْمَعْصِيَةَ وَ سَهَّلَ لَكُمْ سُبُلَ الطَّاعِيَةِ يُقَالُ طَلَّ دَمُ فُلَانٍ فَهُوَ مَطْلُولٌ أَيْ مَهْدَرٌ لَا يُطَلَّبُ بِهِ وَ يَجُوزُ أَطْلَ دَمُهُ وَ طَلَّهُ اللَّهُ وَأَطْلَهُ أَهْدَرَهُ وَ لَا يُقَالُ طَلَّ دَمُ فُلَانٍ بِالْفَتْحِ وَ أَبُو عَيْدَةَ وَ الْكَسَائِيُّ يَقُولَانَهُ . وَ يَخْتَلُونَ بِخَدْعُونَ بِالْإِيمَانِ الَّتِي يَعْقِدُونَهَا وَيَقْسَمُونَ بِهَا وَ بِالْإِيمَانِ الَّذِي يظهرونه ويقرون به . ثم قال فلا تكونوا أنصار الفتن وأعلام البدع أى لا تكونوا ممن يشار إليكم فى البدع كما يشار إلى الأعلام المبنية القائمة و جاء فى الخبر المرفوع كن فى الفتنة كابن اللبون لا ظهر فيركب و لا ضرع فيحلب -رواية- ١-٢-رواية- ٢٤-٨١ و هذه اللفظة يرويها كثير من الناس لأمير المؤمنين ع . قوله واقدموا على الله مظلومين جاء فى الخبر كن عبد الله المقتول -رواية- ١-٢-رواية- ١٥-٣٧ . ومدارج الشيطان جمع مدرجة وهى السبيل التى يدرج فيها ومهابط العدو محاله التى يهبط فيها. ولغى الحرام جمع لعقة بالضم وهى اسم لما تأخذه الملعقة واللعة بالفتح المرة الواحدة. قوله فإنكم بعين من حرم يقال أنت بعين فلان أى أنت بمرأى منه و قد قال ع فى موضع آخر بصفين فإنكم بعين الله و مع ابن عم رسول الله -رواية- ١-٢-رواية- ٣١-٧٦ و هذا من باب الاستعارة قال سبحانه وَ لَتَصْنَعَنَّ عَلَى عَيْنِي وَ قَالَ تَجْرِي بَاعَيْنَا -قرآن- ٣٧-٦١-قرآن- ٦٩-٨٧ [صفحه ١٤٧]

١٥٢- و من خطبة له ع

إشاره

الْحَمْدُ لِلَّهِ الدَّالِّ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ وَ بِمُحَدِّثِ خَلْقِهِ عَلَى أَرْزَلِيَّتِهِ وَ بِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَمَّا شَبَّهَهُ لَهُ لَمَّا تَسَلَّمَهُ الْمَشَاعِرُ وَ لَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ لِافْتِرَاقِ الصَّانِعِ وَ الْمَصْنُوعِ وَ الْحَادِّ وَ الْمَحْدُودِ وَ الرَّبِّ وَ الْمَرْبُوبِ الْأَحَدِ بِلَا تَأْوِيلٍ عَدَدٍ وَ الْخَالِقِ لَا بِمَعْنَى حَرَكَهٍ وَ نَصِيبِ وَ السَّيِّعِ لَا بِأَدَائِهِ وَ الْبَصِيرِ لَا بِتَفْرِيقِ آلِهِ وَ الشَّاهِدِ لَا بِمَمَاسِيهِ وَ الْبَائِنِ لَا بِتَرَاحِي مَسَافِهِ وَ الظَّاهِرِ لَا بِرُؤْيِيهِ وَ الْبَاطِنِ لَا بِلَطَافِهِ بَانَ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالْقَهْرِ لَهَا وَ الْقَدْرَةِ عَلَيْهَا وَ بَانَ الْأَشْيَاءُ مِنْهُ بِالْخُضُوعِ لَهُ وَ الرَّجُوعِ إِلَيْهِ مِنْ وَصِيْفِهِ فَقَدْ حَيَّدَهُ وَ مَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ وَ مَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَرْزَلَهُ وَ مَنْ قَالَ كَيْفَ فَقَدْ اسْتَوْصِيْفَهُ وَ مَنْ قَالَ أَيْنَ فَقَدْ حَيَّزَهُ عَالِمِهِ إِذْ لَا مَعْلُومٌ وَ رَبِّ إِذْ لَا مَرْبُوبٌ وَ قَادِرٌ إِذْ لَا مَقْدُورٌ

أبحاث كلامية

فى هذا الفصل أبحاث أولها فى وجوده تعالى وإثبات أن للعالم صناعا وهاتان طريقتان فى الدلالة على وجوده الأول سبحانه .]

صفحة ١٤٨] إحداهما الطريقة المذكورة في هذا الفصل وهي طريقة المتكلمين وهي إثبات أن الأجسام محدثة و لا بد للمحدث من محدث . والثانية إثبات وجوده تعالى من النظر في نفس الوجود. و ذلك لأن الوجود ينقسم بالاعتبار الأول إلى قسمين واجب وممكن و كل ممكن لا بد أن ينتهي إلى الواجب لأن طبيعة الممكن يمتنع من أن يستقل بنفسه في قوامه فلا بد من واجب يستند إليه و ذلك الواجب الوجود الضروري الذي لا بد منه هو الله تعالى . وثانيها إثبات أزليته وبيانه ما ذكره في هذا الفصل و هو أن العالم مخلوق له سبحانه حادث من جهته والمحدث لا بد له من محدث فإن كان ذلك المحدث محدثا عاد القول فيه كالقول في الأول و يتسلسل فلا بد من محدث قديم و ذلك هو الله تعالى . وثالثها أنه لا شبيه له أى ليس بجسم كهذه الأجسام وبيانه ما ذكر أيضا أن مخلوقاته متشابهة يعنى بذلك ما يريده المتكلمون من قولهم الأجسام متماثلة فى الجسمية و أن نوع الجسمية واحد أى لا يخالف جسم جسما بذاته و إذا كانت متماثلة صح على كل واحد منها ما صح على الآخر فلو كان له سبحانه شبيه منها أى لو كان جسما مثلها لوجب أن يكون محدثا كمثليها أو تكون قديمة مثله وكلا الأمرين محال . ورابعها أن المشاعر لا تستلمه و روى لا تلمسه والمشاعر الحواس وبيانه أنه تعالى ليس بجسم لما سبق و ما ليس بجسم استحال أن تكون المشاعر لامسة له لأن إدراك المشاعر مدركاته مقصور على الأجسام وهيئاتها والاستلام فى اللغة لمس الحجر باليد وتقيله و لا يهزم لأن أصله من السلام و هى الحجارة كما يقال استنوق الجمل وبعضهم يهزمه [صفحة ١٤٩] وخامسها أن السواتر لا تحجب وبيانه أن السواتر والحجب إنما تحجب ما كان فى جهة و ذلك لأنها ذوات أين و وضع فلان نسبة لها إلى ما ليس من ذوات الأين والوضع . ثم قال ع لافتراق الصانع والمصنوع إشارة إلى أن المصنوع من ذوات الجهة والصانع منزه عن ذلك برىء عن المواد فلا يلزم فيه ما يلزم فى ذوات المادة والجهة. وسادسها معنى قولنا إنه أحد أنه ليس بمعنى العدد كما يقوله الناس أول العدد أحد و واحد بل المراد بأحدثه كونه لا يقبل التجزؤ و باعتبار آخر كونه لا ثانى له فى الربوبية. وسابعها أنه خالق لا بمعنى الحركة والنصب و هو التعب و ذلك لأن الخالقين منا يحتاجون إلى الحركة من حيث كانوا أجساما تفعل بالآلات والبارئ سبحانه ليس بجسم و لا يفعل بالآلة بل كونه قادرا إنما هو لذاته المقدسة للأمر زائد عليها فلم يكن فاعلا بالحركة. و ثامنها أنه سميع لا بأداة و ذلك لأن حاجتنا إلى الحواس إنما كانت لأمر يخصنا و هو كوننا أحياء ب حياة حالة فى أعضائنا والبارئ تعالى حى لذاته فلم يحتج فى كونه مدركا إلى الأداة والجارحة. وتاسعها أنه بصير لا بتفريق آله والمراد بتفريق الآله هاهنا الشعاع الذى باعتباره يكون الواحد منا مبصرا فإن القائلين بالشعاع يقولون إنه يخرج من العين أجسام لطيفة هى الأشعة و تكون آله للحى فى إبصار المبصرات فيتفرق عليها فكل جسم يقع عليه ذلك الشعاع يكون مبصرا والبارئ تعالى بصير لا بشعاع يجعله آله فى الإدراك و يتفرق على المرئيات [صفحة ١٥٠] فيدركها به و ذلك لما قدمناه من أنه حى لذاته لا بمعنى فلا يحتاج إلى آله وأداة ووصلة تكون كالواسطة بينه و بين المدركات . وعاشرها أنه الشاهد لا بمماسة و ذلك لأن الشاهد منا هو الحاضر بجسمه عند المشهود ألاترى أن من فى الصين لا يكون شاهدا من فى المغرب لأن الحضور الجسمانى يفتقر إلى القرب والقرب من لوازم الجسمية فما ليس بجسم و هو عالم بكل شىء يكون شاهدا من غير قرب و لامماسة و لأين مطلوب . وحادى عشرها أنه البائن لا بتراخى مسافة بينونه المفارق عن المادة بينونه ليست أينية لأنه لانسبة لأحدهما إلى الآخر بالجهة فلا جرم كان البارئ تعالى مبينا عن العالم لا بمسافة بين الذاتين . وثانى عشرها أنه الظاهر لا برؤية والباطن لا بلطافة و ذلك لأن الظاهر من الأجسام ما كان مرئيا بالبصر والباطن منها ما كان لطيفا جدا إما لصغره أولشفافيته والبارئ تعالى ظاهر للبصائر لا للأبصار باطن أى غير مدرك بالحواس لأن ذاته لا تقبل المدركة إلا من حيث كان لطيف الحجم أو شفاف الجرم . وثالث عشرها أنه قال بان من الأشياء بالقهر لها والقدرة عليها وبانت الأشياء منه بالخضوع له والرجوع إليه هذا هو معنى قول المتكلمين والحكماء والفرق بينه و بين الموجودات كلها أنه واجب الوجود لذاته والأشياء كلها ممكنة الوجود بذواتها فكلها محتاجة إليه لأنها لا وجود لها إلا به و هذا هو معنى خضوعها له و رجوعها إليه و هو سبحانه غنى عن

كل شيء ومؤثر في كل شيء إما بنفسه أو بأن يكون مؤثرا فيما هو مؤثر في ذلك الشيء كأفعالنا فإنه يؤثر فينا ونحن نؤثر فيها فإذا هو قاهر لكل شيء وقادر على كل شيء فهذه هي البيئونة بينه وبين الأشياء كلها. [صفحة ١٥١] ورابع عشرها أنه لاصفة له زائدة على ذاته ونعني بالصفة ذاتا موجودة قائمة بذاته وذلك لأن من أثبت هذه الصفة له فقد حده و من حده فقد عده و من عده فقد أبطل أزله و هذا كلام غامض وتفسيره أن من أثبت له علما قديما أو قدرة قديمة فقد أوجب أن يعلم بذلك العلم معلومات محدودة أى محصورة وكذلك قد أوجب أن يقدر بتلك القدرة على مقدرات محدودة و هذه المقدمة فى كتب أصحابنا المتكلمين مما يذكرونه فى تقرير أن العلم الواحد لا يتعلق بمعلومات و أن القدرة الواحدة لا يمكن أن تتعلق فى الوقت الواحد من الجنس الواحد فى المحل الواحد إلا بجزء واحد وسواء فرض هذان المعنيان قديمين أو محدثين فإن هذا الحكم لازم لهما فقد ثبت أن من أثبت المعانى القديمة فقد أثبت البارئ تعالى محدود العالمية والقادية و من قال بذلك فقد عده أى جعله من جملة الجثة المعدودة فيما بيننا كسائر البشر والحيوانات و من قال بذلك فقد أبطل أزله لأن كل ذات مماثلة لهذه الذوات المحدثة فإنها محدثة مثلها والمحدث لا يكون أزليا. وخامس عشرها أن من قال كيف فقد استوصفه أى من قال لزيد كيف الله فقد استدعى أن يوصف الله بكيفية من الكيفيات والبارئ تعالى لا تجوز الكيفيات عليه والكيفيات هى الألوان والطعوم ونحوها والأشكال والمعانى وما يجرى مجرى ذلك و كل هذا لا يجوز إلا على الأجسام . فإن قلت ينبغى أن يقول فقد وصفه و لا يقال فقد استوصفه لأن السائل لم يستوصف الله وإنما استوصف صاحبه الذى سأله عن كيفية الله . قلت استوصف ها هنا بمعنى وصف كقولك استغنى زيد عن عمرو أى غنى عنه واستعلى عليه أى علا ومثله كثير. وسادس عشرها أن من قال أين فقد حيزه لأن أين سؤال عن المكان و ليس الله تعالى فى مكان ويأتى أنه فى كل مكان بمعنى العلم والإحاطة. [صفحة ١٥٢] وسابع عشرها أنه عالم إذ لا معلوم ورب إذ لا مرئوب وقادر إذ لا مقدور و كل هذا صحيح ومدلول عليه لأنه عالم فيما لم يزل و ليس شيء من الأشياء بموجود و هو رب كل شيء قبل أن يخلقه كما تقول أنه سميع بصير قبل أن يدرك المسموعات والمبصرات أى قبل أن يخلقها وقادر على الأشياء قبل كونها لأنه يستحيل حال كونها أن تكون مقدوره لاستحالة إيجاد الموجود. وقد شرحنا كل هذه المسائل التوحيدية فى كتبنا المصنفة فى علم الكلام منها قد طلع طالع و لمع لامع و لاح لائح و اعتدل مائل و استبدل الله بقوم قوماً و بيوم يوماً و انتظرنا الغير انتظار المجدب المطر و إنما الأئمة قوام الله على خلقه و عرفاؤه على عباده و لا يدخل الجنة إلا من عرفهم و عرفوه و لا يدخل النار إلا من أنكرهم و أنكروه إن الله تعالى خصكم بالإسلام و استخلصكم له و ذلك لأنه اسم سلامية و جماع كرامية اصطفى الله تعالى منهجه و بين حججه من ظاهر علم و باطن حكم لا تفنى غرائبه و لا تنقضى عجائبه فيه مرابيح النعم و مصايح الظلم لا تفتح الخيرات إلا بمفاتيحه و لا تكشف الظلمات إلا بمصابيحه قد أحصى جماعه و أرى مرعاه فيه شفاء المشتقى و كفاية المكتفى [صفحة ١٥٣] هذه خطبة خطب بها بعد قتل عثمان حين أفضت الخلافة إليه . قدطلع طالع يعنى عود الخلافة إليه وكذلك قوله ولمع لامع و لاح لائح كل هذا يراد به معنى واحد. واعتدل مائل إشارة إلى ما كانت الأمور عليه من الاعوجاج فى أواخر أيام عثمان واستبدل الله بعثمان وشيعته عليا وشيعته وبأيام ذاك أيام هذا. ثم قال وانتظرنا الغير انتظار المجدب المطر و هذا الكلام يدل على أنه قد كان يتربص بعثمان الدوائر ويرتقب حلول الخطوب بساحته ليلى الخلافة. فإن قلت أليس هو الذى طلق الدنيا فأين هذا القول من طلاقها قلت إنه طلق الدنيا أن يقبل منها حظا دنويا و لم يطلقها أن ينهى فيها عن المنكرات التى أمره الله تعالى بالنهى عنها ويقوم فيها الدين الذى أمره الله بإقامته و لاسبيل له إلى النهى عن المنكر والأمر بالمعروف إلا بولاية الخلافة

فإن قلت أيجوز على مذهب المعتزلة أن يقال إنه ع كان ينتظر قتل عثمان انتظار المجذب المطر وهل هذا إلا محض مذهب الشيعة. قلت إنه ع لم يقل وانتظرنا قتله وإنما انتظر الغير فيجوز أن يكون أراد انتظار خلعه وعزله عن الخلافة فإن عليا ع عند أصحابنا كان يذهب إلى أن عثمان استحق الخلع بإحداثه و لم يستحق القتل وهذا الكلام إذا حمل على انتظار الخلع كان موافقا لمذهب أصحابنا. [صفحة ١٥٤] فإن قلت أتقول المعتزلة إن عليا كان يذهب إلى فسق عثمان المستوجب لأجله الخلع قلت كلا حاش لله أن تقول المعتزلة ذلك وإنما تقول إن عليا كان يرى أن عثمان يضعف عن تدبير الخلافة و أن أهله غلبوا عليه واستبدوا بالأمر دونه واستعجزه المسلمون واستسقطوا رأيه فصار حكمه حكم الإمام إذا عمى أو أسره العدو فإنه ينخلع من الإمامة. ثم قال ع الأئمة قوام الله على خلقه أى يقومون بمصالحهم وقيم المنزل هو المدبر له . قال وعرفاؤه على عباده جمع عريف وهو النقيب والرئيس يقال عرف فلان بالضم عرافة بالفتح مثل خطب خطابة أى صار عريفا و إذا أردت أنه عمل ذلك قلت عرف فلان علينا سنين يعرف عرافة بالكسر مثل كتب يكتب كتابه. قال ولا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه هذا إشارة إلى قوله تعالى يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ قال المفسرون ينادى فى الموقف يا أتباع فلان و يا أصحاب فلان فينادى كل قوم باسم إمامهم يقول أمير المؤمنين ع لا يدخل الجنة يومئذ إلا من كان فى الدنيا عارفا بإمامه و من يعرفه إمامه فى الآخرة فإن الأئمة تعرف أتباعها يوم القيامة و إن لم يكونوا رأوهم فى الدنيا كما أن النبى ص يشهد للمسلمين وعليهم و إن لم يكن رأى أكثرهم قال سبحانه فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً و -قرآن- ٤١٨- ٤٥٤-قرآن- ٨٠٨-٨٨٧ جاء فى الخبر -رواية- ١-٢ [صفحة ١٥٥] المرفوع من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية -رواية- ١٢-٤٩ وأصحابنا كافة قائلون بصحة هذه القضية وهى أنه لا يدخل الجنة إلا من عرف الأئمة أ لا ترى أنهم يقولون الأئمة بعد رسول الله ص فلان وفلان ويعدونهم واحدا واحدا فلو أن إنسانا لا يقول بذلك لكان عندهم فاسقا و الفاسق لا يدخل الجنة عندهم أبدا أعنى من مات على فسقه فقد ثبت أن هذه القضية وهى قوله ع لا يدخل الجنة إلا من عرفهم قضية صحيحة على مذهب المعتزلة و ليس قوله وعرفوه بمنكر عند أصحابنا إذا فسرنا قوله تعالى يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ على ما هو الأظهر والأشهر من التفسيرات و هو ما ذكرناه . و بقيت القضية الثانية فيها الإشكال وهى قوله ع و لا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه و ذلك أن لقاتل أن يقول قد يدخل النار من لم ينكرهم مثل أن يكون إنسان يعتقد صحة إمامة القوم الذين يذهب أنهم أئمة عند المعتزلة ثم يزنى أو يشرب الخمر من غير توبة فإنه يدخل النار و ليس بمنكر للأئمة فكيف يمكن الجمع بين هذه القضية و بين الاعتزال فالجواب أن الواو فى قوله وأنكروه بمعنى أو كما فى قوله تعالى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَ ثَلَاثَ وَ رُبَاعًا لِلْإِنْسَانِ المفروض فى السؤال و إن كان لا ينكر الأئمة إلا أنهم ينكرونه أى يسخطون يوم القيامة أفعاله يقال أنكرت فعل فلان أى كرهته فهذا هو تأويل الكلام على مذهبنا فأما الإمامية فإنهم يحملون ذلك على تأويل آخر ويفسرون قوله و لا يدخل النار فيقولون أراد و لا يدخل النار دخولا مؤبدا إلا من ينكرهم وينكرونه . -قرآن- ٢٢٧-٤٢٣-قرآن- ٩٣٧-١٠٠٠ [صفحة ١٥٦] ثم ذكر ع شرف الإسلام و قال إنه مشتق من السلامة و إنه جامع للكرامة و إن الله قد بين حججه أى الأدلة على صحته . ثم بين ما هذه الأدلة فقال من ظاهر علم و باطن حكم أى حكمه من هاهنا للتبيين والتفسير كما تقول دفعت إليه سلاحا من سيف و رمح و سهم و يعنى بظاهر علم و باطن حكم و القرآن ألاتراه كيف أتى بعده بصفات و نعوت لا تكون إلا للقرآن من قوله لا تنفى عزائم أى آياته المحكمة و براهينه العازمة أى القاطعة و لا تنقضى عجائبه لأنه مهما تأمله الإنسان استخرج منه بفكر غرائب عجائب لم تكن عنده من قبل . فيه مرايب النعم المرايب الأمطار التى تجىء فى أول الربيع فتكون سببا لظهور الكلاء و كذلك تدبر القرآن سبب للنعم الدينية و حصولها. قوله قد أحمى حماه و أرمى مرعاه الضمير فى أحمى يرجع إلى الله تعالى أى قد أحمى الله حماه أى عرضه لأن يحمى كما تقول أقتلت الرجل أى عرضته لأن يقتل و أضرته أى عرضته لأن يضرب أى قد عرض الله تعالى حمى القرآن و محارمه لأن

يجتنب ويمكن منها وعرض مرعاه لأن يرعى أى مكن من الانتفاع بما فيه من الزواجر والمواعظ لأنه خاطبنا بلسان عربى مبين و لم يقنع بيان ما لانعلم إلا بالشرع حتى نبه فى أكثره على أدلة العقل [صفحة ١٥٧]

١٥٣- ومن خطبة له ع

وَ هُوَ فِي مُهَلَّةٍ مِنَ اللَّهِ يَهْوَى مَعَ الْغَافِلِينَ وَ يَغْدُو مَعَ الْمُذْنِبِينَ بِلَا سَبِيلٍ قَاصِدٍ وَ لَا إِمَامٍ قَائِدٍ يَصِفُ إِنْسَانًا مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ غَيْرِ مَعِينٍ
بل كَمَا تَقُولُ رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا اتَّقَى رَبَّهُ وَ خَافَ ذَنْبَهُ وَ بَشَسَ الرَّجُلَ الرَّجُلَ قَلَّ حَيَاؤُهُ وَ عَدِمَ وَفَاؤُهُ وَ لَسْتُ تَعْنَى رَجُلًا بَعِينَهُ . وَ يَهْوَى
يَسْقُطُ وَ السَّبِيلُ الْقَاصِدُ الطَّرِيقُ الْمُؤَدِيَةُ إِلَى الْمَطْلُوبِ . وَ الْإِمَامُ إِمَا الْخَلِيفَةُ وَ إِمَا الْأَسْتَاذُ أَوْ الْوَالِدِينَ أَوْ الْكِتَابَ عَلَى كُلِّ مَنْ هُوَ لَا
تَطْلُقُ هَذِهِ اللَّفْظَةُ مِنْهَا حَتَّى إِذَا كَشَفَ لَهُمْ عَنْ جَزَاءِ مَعْصِيَتِهِمْ وَ اسْتَخْرَجَهُمْ مِنْ جَلَابِيبِ غَفْلَتِهِمْ اسْتَقْبَلُوا مُدْبِرًا وَ اسْتَدْبَرُوا مُقْبِلًا
فَلَمْ يَتَنَفَّعُوا بِمَا أَدْرَكُوا مِنْ طَلَبَتِهِمْ وَ لَمَّا بَيَّنَّا قَضَاؤَ مِنْ وَطَرِهِمْ [صفحة ١٥٨] وَ إِنِّي أُحْذِرُكُمْ وَ نَفْسِي هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ فَلْيَتَنَفَّعْ أَمْرٌ
بِنَفْسِهِ فَإِنَّمَا الْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَكَّرَ وَ نَظَرَ فَأَبْصَرَ وَ انْتَفَعَ بِالْعَبْرِ ثُمَّ سَلَكَ جَدًّا وَ اضْطَحَّ يَتَجَبَّبُ فِيهِ الصَّرْعَةُ فِي الْمَهَاوِي وَ الضَّلَالِ
فِي الْمَغَاوِي وَ لَا يُعِينُ عَلَى نَفْسِهِ الْعَوَاةُ بِنَعْسِ فِي حَقِّ أَوْ تَحْرِيفِ فِي نُطْقِ أَوْ تَخَوُّفِ مِنْ صِدْقِ فَاقِقِ أَيُّهَا السَّمِيعُ مِنْ سَكْرَتِكَ وَ
اسْتِيقَظْ مِنْ غَفْلَتِكَ وَ اخْتَصِرْ مِنْ عَجَلَتِكَ وَ أَنْعِمِ الْفِكْرَ فِيمَا جَاءَكَ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ صَ مِمَّا لَا يُدَّ مِنْهُ وَ لَا مَحِيصَ عَنْهُ وَ
خَالَفَ مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِهِ وَ دَعَاهُ وَ مَا رَضِيَ لِنَفْسِهِ وَ ضَعَّ فَخْرَكَ وَ احْطَطَّ كِبْرَكَ وَ اذْكُرْ قَبْرَكَ فَإِنَّ عَلَيْهِ مَمْرَكَ وَ كَمَا
تَدِينُ تُدَانُ وَ كَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ وَ مَا قَدِمْتَ الْيَوْمَ تَقْدِمُ عَلَيْهِ غَدًا فَامْهَدْ لِقَدَمِكَ وَ قَدِّمْ لِيَوْمِكَ فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ وَ الْجِدِّ
الْجِدِّ أَيُّهَا الْغَافِلُ لَا يُتَبَّنَكَ مِثْلُ خَبِيرٍ - قُرْآن - ٩٣٤-٩٦٣ فاعل كشف هو الله تعالى و قد كان سبق ذكره فى الكلام وإنما كشف
لهم عن جزاء معصيتهم بما أراهم حال الموت من دلائل الشقوة والعذاب فقد ورد فى الخبر الصحيح أنه لا يموت ميت حتى يرى
مقره من جنه أونا - روايت - ١-٢- روايت - ٢٧-٧٤ . و لما انفتحت أعين أبصارهم عند مفارقة الدنيا سمي ذلك ع استخراجا لهم
من جلابيب غفلتهم كأنهم كانوا من الغفلة والذهول فى لباس نزع عنهم . قال استقبلوا مدبرا أى استقبلوا أمرا كان فى ظنهم
واعتقادهم مدبرا عنهم و هو الشقاء والعذاب واستدبروا مقبلا تركوا وراء ظهورهم ما كانوا حولوه من الأولاد والأموال والنعم و فى
قوة هذا الكلام أن يقول عرفوا ما أنكروه وأنكروا ما عرفوه [صفحة ١٥٩] وروى أحذركم ونفسى هذه المزلة مفعلة من الزلل و فى
قوله ونفسى لطافة رشيقة و ذلك لأنه طيب قلوبهم بأن جعل نفسه شريكه لهم فى هذا التحذير ليكونوا إلى الانقياد أقرب و عن
الإباء والنفرة أبعد بطريق جدد لا حب . والمهاوى جمع مهواة وهى الهوة يتردى فيها . والمغاوى جمع مغواة وهى الشبهة التى
يغوى بها الناس أى يضلون . يصف الأمور التى يعين بها الإنسان أرباب الضلال على نفسه وهى أن يتعسف فى حق يقوله أو يأمر
به فإن الرفق أنجح و أن يحرف المنطق فإن الكذب لا يثمر خيرا و أن يتخوف من الصدق فى ذات الله قال سبحانه إذا فريقتهم
يخشون الناس كخشية الله فممن لا يصدق ويجاهد فى الحق . قوله واختصر من عجلتك أى لا تكن عجلتك كثيرة بل إذا كانت
لك عجلة فلتنك شيئا يسيرا . وتقول أنعمت النظر فى كذا أى دققته من قولك أنعمت سحق الحجر وقيل إنه مقلوب أمعن . و
النبي الأمي إما الذى لا يحسن الكتابة أو المنسوب إلى أم القرى وهى مكة . و لا محيص عنه لا مفر و لا مهرب حاص أى تخلص
من أمر كان شب فيه . قوله فإن عليه ممر ك أى ليس القبر بدار مقام وإنما هو ممر وطريق إلى الآخرة . - قرآن - ٥٣٦-٥٨٨]
صفحة ١٦٠] و كَمَا تَدِينُ تَدَانُ أَي كَمَا تَجَازَى غَيْرَكَ تَجَازَى بِفَعْلِكَ وَ بِحَسَبِ مَا عَمَلْتَ وَ مِنْهُ قَوْلُهُ سَبَّحَانَهُ إِنَّا لَمَدِيدُونَ أَي
مَجْزِيُونَ وَ مِنْهُ الدِّيَانُ فِي صِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى . قَوْلُهُ وَ كَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ مَعْنَى قَدْ قَالَهُ النَّاسُ بَعْدَهُ كَثِيرًا قَالَ الشَّاعِرُ - قُرْآن - ٨٧-١٠٤ إِذَا
أَنْتَ لَمْ تَزْرَعْ وَأَدْرَكَتَ حَاصِدًا || نَدِمْتَ عَلَى التَّقْصِيرِ فِي زَمَنِ الْبَذْرِ . وَ مِنْ أَمْثَالِهِمْ مَنْ زَرَعَ شَرًّا حَصَدَ نَدَمًا . فَامْهَدْ لِنَفْسِكَ أَي

سو ووطى . وَ لَا يُتَّبِعُكَ مِثْلُ خَيْرٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ أَى وَ لَا يُخْبِرُكَ بِالْأُمُورِ أَحَدٌ عَلَى حَقَائِقِهَا كَالْعَارِفِ بِهَا الْعَالِمِ بِكُنْهَاتِهَا - قُرْآن - ٩٢-٩٣ إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ اللَّهِ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ الَّتِي عَلَيْهَا يُثِيبُ وَيُعَاقِبُ وَ لَهَا يَرْضَى وَ يَسَخَطُ أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ عَبْدًا وَ إِنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ وَ أَخْلَصَ فِعْلَهُ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا لَأَقِيًّا رَبُّهُ بِخِصْلَةٍ مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ لَمْ يُتَبَّ مِنْهَا أَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ فِيمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ أَوْ يَشْفِي غِيظَهُ بِهَامَاكَ نَفْسٍ أَوْ يَعْرِ بِأَمْرِ فَعَلَهُ غَيْرُهُ أَوْ يَسْتَنْجِحَ حَاجَةً إِلَى النَّاسِ بِإِظْهَارِ بَدْعِيَّةٍ فِي دِينِهِ أَوْ يَلْقَى النَّاسَ بِوَجْهَيْنِ أَوْ يَمْشِي فِيهِمْ بِلِسَانَيْنِ اعْقِلْ ذَلِكَ فَإِنَّ الْمِثْلَ دَلِيلٌ عَلَى شَبَهِهِ إِنَّ الْبَهَائِمَ هَمَّهَا بَطُونُهَا وَ إِنَّ السَّبَاعَ هَمَّهَا الْعُدْوَانُ عَلَى غَيْرِهَا وَ إِنَّ النِّسَاءَ هَمَّهُنَّ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ الْفَسَادَ فِيهَا إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُسْتَكِينُونَ إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُشْفِقُونَ إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ خَائِفُونَ [صفحہ ١٦١]

عزائم الله هي موجباته والأمر المقطوع عليه الذي لا ريب فيه ولا شبهة قال ع إن من الأمور التي نص الله تعالى عليها نصا لا يحتمل التأويل وهي من العزائم التي يقطع بها ولا مرجوع فيها ولا نسخ لها أن من مات وهو على ذنب من هذه الذنوب المذكورة ولو اكتفى بذلك ع لأغناه عن قوله لم يتب إلا أنه ذكر ذلك تأكيدا وزيادة في الإيضاح فإنه لا ينفعه فعل شيء من الأفعال الحسنة ولا الواجبة ولا تنفيده العبادة ولو أجهد نفسه فيها بل يكون من أهل النار والذنوب المذكورة هي أن يتخذ مع الله إلها آخر فيشركه في العبادة أو يقتل إنسانا بغير حق بل ليشفي غيظه أو يقذف غيره بأمر قد فعله هو. عره بكذا يعره عرا أى عابه ولطخه أو يروم بلوغ حاجة من أحد بإظهار بدعة في الدين كما يفعل أكثر الناس في زماننا أو يكون ذا وجهين وهو أيضا قوله أو يمشي فيهم بلسانين وإنما أعاده تأكيدا. لما نصب معاوية ابنه يزيد لولاية العهد أقعده في قبة حمراء وأدخل الناس يسلمون على معاوية ثم يميلون إلى قبة يزيد فيسلمون عليه بولاية العهد حتى جاء رجل ففعل ذلك ثم رجع إلى معاوية فقال يا أمير المؤمنين أما إنك لو لم تول هذا أمر المسلمين لأضعتها وكان الأحنف جالسا فلما خف الناس قال معاوية ما بالك لا تقول يا أبا بحر قال أخاف الله إن كذبتك وأخافك إن صدقتك فما ذا أقول فقال جزاك الله عن الطاعة خيرا وأمر له بصلة جزيلة فلما خرج لقيه ذلك الرجل بالبواب فقال يا أبا بحر إنى لأعلم أن شر من خلق الله هذا الرجل ولكن هؤلاء [صفحہ ١٦٢] قد استوثقوا من هذه الأموال بالأبواب والأقفال فلسنا نطمع في استخراجها إلا بما سمعت فقال يا هذا أمسك عليك فإن ذا الوجهين خليق ألا يكون وجيها عند الله غدا.

ثم أمر ع بأن يعقل ما قاله ويعلم باطن خطابه وإنما رمز بباطن هذا الكلام إلى الرؤساء يوم الجمل لأنهم حاولوا أن يشفوا غيظهم بإهلاكه وإهلاكه غيره من المسلمين وعروه ع بأمرهم فعلوه وهو التآليب على عثمان وحصره واستنجدوا حاجتهم إلى أهل البصرة بإظهار البدعة والفتنة ولقوا الناس بوجهين ولسانين لأنهم بايعوه وأظهروا الرضا به ثم دبوا له الخمر فجعل ذنوبهم هذه مماثلة للشرك بالله سبحانه في أنها لا تغفر إلا بالتوبة وهذا هو معنى قوله اعقل ذلك فإن المثل دليل على شبهه وروى فإن المثل واحد الأمثال أى هذا الحكم بعدم المغفرة لمن أتى شيئا من هذه الأشياء عام والواحد منها دليل على ما يماثله ويشابهه . فإن قلت فهذا تصريح بمذهب الإمامية في طلحة والزبير وعائشة. قلت كلا فإن هذه الخطبة خطب بها وهوسائر إلى البصرة ولم تقع الحرب إلا بعد تعدد الكبائر ورمز فيها إلى المذكورين وقال إن لم يتوبوا وقد ثبت أنهم تابوا والأخبار عنهم بالتوبة كثيرة مستفيضة. ثم أراد ع أن يرمي إلى ذكر النساء للحال التي كان وقع إليها من استنجد أعدائه بامرأة فذكر قبل ذكر النساء أنواعا من الحيوان تمهيدا لقاعدة ذكر النساء فقال إن البهائم همها بطونها كالحمر والبقر والإبل والغنم وإن السباع همها العدوان [صفحہ ١٦٣] على غيرها كالأسود الضارية والنمور والفهود والبيزاة والصقور ثم قال وإن النساء همهن زينة الدنيا والفساد فيها. نظر حكيم إلى امرأة مصلوبة على شجرة فقال ليت كل شجرة تحمل مثل هذه الثمرة. ومرت امرأة بسقراط وهويتشرق في الشمس فقالت ما أقبحك أيها الشيخ فقال لو أنكن من المرائي الصدئة لغمنى ما بان من قبح صورتى فيكن . ورأى حكيم امرأة تعلم الكتابة فقال سهم يسقى سما ليرمى به يوما ما. ورأى بعضهم جارية تحمل نارا فقال نار على نار والحامل شر من المحمول . وقيل لسقراط أى السباع أحسن قال المرأة. وتزوج بعضهم امرأة نحيفة فقيل له فى ذلك فقال اخترت من الشر أقله . ورأى بعض

الحكماء امرأه غريقه قد احتلمها السيل فقال زادت الكدر كدرا والشر بالشر يهلك . ثم ذكر ع خصائص المؤمن فقال إن المؤمنين مستكينون استكان الرجل أى خضع وذل . إن المؤمنين مشفقون التقوى رأس الإيمان كما ورد فى الخبر. ثم قال إن المؤمنين خائفون هو الأول وإنما أكده والتأكيد مطلوب فى باب الخطاب [صفحه ١٦٤]

١٥٤- ومن خطبه له ع

اشاره

وَ نَاطِرُ قَلْبِ اللَّيْبِ بِهِ يُبَصِّرُ أَمِيدَهُ وَيَعْرِفُ غَوْرَهُ وَ نَجْدَهُ دَاعٍ دَعِيًّا وَ رَاعٍ رَعِيًّا فَاسْتَجِيبُوا لِلدَّاعِي وَ اتَّبِعُوا الرَّاعِي يَقُولُ إِنْ قَلْبُ اللَّيْبِ لَهُ عَيْنٌ يَبْصُرُ بِهَا غَايَتَهُ الَّتِي يَجْرَى إِلَيْهَا وَيَعْرِفُ مِنْ أَحْوَالِهِ الْمَسْتَقْبَلَةَ مَا كَانَ مَرْتَفِعًا أَوْ مُنْخَفِضًا سَاقِطًا وَ النَّجْدُ الْمَرْتَفِعُ مِنَ الْأَرْضِ وَ مِنْهُ قَوْلُهُمْ لِلْعَالَمِ بِالْأُمُورِ طَلَاعٌ أَنْجِدُ . ثُمَّ قَالَ دَاعٍ دَعَا مَوْضِعَ دَاعٍ رَفَعَ لِأَنَّهُ مُبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ الْخَبْرُ تَقْدِيرُهُ فِي الْوَجُودِ دَاعٍ دَعَا وَ رَاعٍ رَعِيٌّ وَيَعْنِي بِالِدَّاعِي رَسُولَ اللَّهِ ص وَ بِالرَّاعِي نَفْسَهُ قَدْ خَاضُوا بِحَارَ الْفِتَنِ وَ أَخَذُوا بِالْبِدَعِ دُونَ السَّيِّئِ وَ أَرَزَ الْمُؤْمِنُونَ وَ نَطَقَ الضَّالُّونَ الْمُكْذِبُونَ نَحْنُ الشُّعَارُ وَ الْأَصْحَابُ وَ الْخَزَنَةُ وَ الْأَبْوَابُ وَ لَا تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقًا [صفحه ١٦٥] هَذَا كَلَامٌ مُتَّصِلٌ بِكَلَامٍ لَمْ يَحْكِهِ الرِّضَى رَحِمَهُ اللَّهُ وَ هُوَ ذَكَرَ قَوْمَ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ قَدْ كَانَ أَخَذَ فِي ذَمِّهِمْ وَ نَعَى عَلَيْهِمْ عِيُوبَهُمْ . وَ أَرَزَ الْمُؤْمِنُونَ أَيْ انْقَبَضُوا وَ الْمَضَارِعُ يَأْرُزُ بِالْكَسْرِ أَرْزَا وَ أَرْزَا وَ رَجُلٌ أَرْزَى أَيْ مَنَقَبَضَ وَ فِي الْحَدِيثِ إِنْ الْإِسْلَامَ لِيَأْرُزَ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأْرُزُ الْحَيَّةُ إِلَى جِحْرِهَا - رَوَيْتُ - ١ - ٢ - رَوَيْتُ - ١٤ - ٦٩ أَيْ يَنْضَمُّ إِلَيْهَا وَيَجْتَمِعُ . ثُمَّ قَالَ نَحْنُ الشُّعَارُ وَ الْأَصْحَابُ يَشِيرُ إِلَى نَفْسِهِ وَ هُوَ أَبَدًا يَأْتِي بِلَفْظِ الْجَمْعِ وَ مَرَادُهُ الْوَاحِدُ . وَ الشُّعَارُ مَا يَلْبَسُ الْجَسَدُ مِنَ الثِّيَابِ فَهُوَ أَقْرَبُ مِنْ سَائِرِهَا إِلَيْهِ وَ مَرَادُهُ الْإِخْتِصَاصُ بِرَسُولِ اللَّهِ ص . وَ الْخَزَنَةُ وَ الْأَبْوَابُ يُمْكِنُ أَنْ يَعْنِيَ بِهِ خَزَنَةُ الْعِلْمِ وَ أَبْوَابُ الْعِلْمِ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ص أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَ عَلَى بَابِهَا فَمَنْ أَرَادَ الْحِكْمَةَ فَلْيَأْتِ الْبَابَ - رَوَيْتُ - ١ - ٢ - رَوَيْتُ - ٢٣ - ٨٣ . وَ قَوْلُهُ فِيهِ خَازِنٌ عِلْمِيٌّ وَ قَالَ تَارَةً أُخْرَى عَيْبَةُ عِلْمِيٍّ وَ يُمْكِنُ أَنْ يَرِيدَ خَزَنَةَ الْجَنَّةِ وَ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ أَيْ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ وَافَى بَوْلَايَتِنَا فَقَدْ جَاءَ فِي حَقِّهِ الْخَبْرُ الشَّائِعُ الْمُسْتَفِيزُ أَنَّهُ قَسِيمُ النَّارِ وَ الْجَنَّةِ وَ ذَكَرَ أَبُو عُبَيْدٍ الْهَرَوِيُّ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ الْغَرِيبِينَ أَنْ قَوْمًا مِنْ أُمَّةٍ الْعَرَبِيَّةِ فَسَرَوْهُ فَقَالُوا لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ مَحَبَّةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَ مَبْغُضَةً مِنْ أَهْلِ النَّارِ كَأَنَّهُ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ قَسِيمُ النَّارِ وَ الْجَنَّةِ قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ وَ قَالَ غَيْرُهُؤَلَاءِ بَلْ هُوَ قَسِيمُهُمَا بِنَفْسِهِ فِي الْحَقِيقَةِ يَدْخُلُ قَوْمًا إِلَى الْجَنَّةِ وَ قَوْمًا إِلَى النَّارِ وَ هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ آخِرًا هُوَ مَا يَطَابِقُ الْأَخْبَارَ الْوَارِدَةَ فِيهِ يَقُولُ لِلنَّارِ هَذَا لِي فَدَعِيهِ وَ هَذَا لَكَ فَخْذِيهِ . ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ الْبُيُوتَ لَا تُؤْتَى إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَ لَيْسَ الْبَيْتُ بِأَنْ تَأْتُوا - قُرْآن - ٦٣٧ - ٦٦٥ . وَ قَوْلُهُ فِيهِ خَازِنٌ عِلْمِيٌّ وَ قَالَ تَارَةً أُخْرَى عَيْبَةُ عِلْمِيٍّ وَ يُمْكِنُ أَنْ يَرِيدَ خَزَنَةَ الْجَنَّةِ وَ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ أَيْ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ وَافَى بَوْلَايَتِنَا فَقَدْ جَاءَ فِي حَقِّهِ الْخَبْرُ الشَّائِعُ الْمُسْتَفِيزُ أَنَّهُ قَسِيمُ النَّارِ وَ الْجَنَّةِ وَ ذَكَرَ أَبُو عُبَيْدٍ الْهَرَوِيُّ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ الْغَرِيبِينَ أَنْ قَوْمًا مِنْ أُمَّةٍ الْعَرَبِيَّةِ فَسَرَوْهُ فَقَالُوا لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ مَحَبَّةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَ مَبْغُضَةً مِنْ أَهْلِ النَّارِ كَأَنَّهُ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ قَسِيمُ النَّارِ وَ الْجَنَّةِ قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ وَ قَالَ غَيْرُهُؤَلَاءِ بَلْ هُوَ قَسِيمُهُمَا بِنَفْسِهِ فِي الْحَقِيقَةِ يَدْخُلُ قَوْمًا إِلَى الْجَنَّةِ وَ قَوْمًا إِلَى النَّارِ وَ هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ آخِرًا هُوَ مَا يَطَابِقُ الْأَخْبَارَ الْوَارِدَةَ فِيهِ يَقُولُ لِلنَّارِ هَذَا لِي فَدَعِيهِ وَ هَذَا لَكَ فَخْذِيهِ . ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ الْبُيُوتَ لَا تُؤْتَى إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَ لَيْسَ الْبَيْتُ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَ لَكِنَّ الْبَيْتَ مِنَ اتَّقَى وَ أَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا . ثُمَّ قَالَ مِنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقًا وَ هَذَا حَقٌّ ظَاهِرًا وَ بَاطِنًا أَمَا الظَّاهِرُ فَلَأَنَّ مِنْ يَتَسَوَّرُ الْبُيُوتَ مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا هُوَ السَّارِقُ وَ أَمَا الْبَاطِنُ فَلَأَنَّ مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ مِنْ غَيْرِ أَسْتَاذٍ

ذكر الأحاديث والأخبار الواردة في فضائل علي

واعلم أن أمير المؤمنين ع لوفخر بنفسه وبالغ في تعديد مناقبه وفضائله بفصاحته التي آتاه الله تعالى إياها واختصه بها وساعده على ذلك فصحاء العرب كافة لم يبلغوا إلى معشار مانطق به الرسول الصادق ص في أمره ولست أعنى بذلك الأخبار العامة الشائعة التي يحتج بها الإمامية على إمامته كخبر الغدير والمنزلة وقصة براءة وخبر المناجاة وقصة خيبر وخبر الدار بمكة في ابتداء الدعوة ونحو ذلك بل الأخبار الخاصة التي رواها فيه أئمة الحديث التي لم يحصل أقل القليل منها لغيره وأنا ذكر من ذلك شيئا يسيرا مما رواه علماء الحديث الذين لا يتهمون فيه وجلهم قائلون بتفضيل غيره عليه فروايتهم فضائله توجب من سكون النفس ما لا يوجبه رواية غيرهم . الخبر الأول يا علي إن الله قد زينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحب إليه منها هي زينة الأبرار عند الله تعالى الزهد في الدنيا جعلك لاترزأ من الدنيا شيئا و لاترزأ الدنيا منك شيئا ووهب لك حب المساكين فجعلك ترضى بهم أتباعا ويرضون بك إماما -رواية- ١-٢-رواية- ١٥-٢٥٤ [صفحہ ١٦٧] رواه أبو نعيم الحافظ في كتابه المعروف ب حلية الأولياء وزاد فيه أبو عبد الله أحمد بن حنبل في المسند فطوبى لمن أحبك وصدق فيك وويل لمن أبغضك وكذب فيك -رواية- ١-٢-رواية- ١٠٧-١٦٥ الخبر الثاني قال لوفد ثقيف لتسلمن أولأبعثن إليكم رجلا- منى أو قال عديل نفسى فليضربن أعناقكم وليسبين ذراريكم وليأخذن أموالكم قال عمر فما تمنيت الإمارة إلا يومئذ وجعلت أنصب له صدرى رجاء أن يقول هو هذا فالتفت فأخذ بيد علي وقال هو هذا مرتين -رواية- ١-٢-رواية- ١٦-٢٦١ . رواه أحمد في المسند و رواه في كتاب فضائل علي ع أنه قال لتنتهن يابنى وليعة أولأبعثن إليكم رجلا كنفسى يمضى فيكم أمرى يقتل المقاتلة ويسبى الذرية -رواية- ١-٢-رواية- ٤٢-١٣٩ قال أبوذر فما راعنى إلا برد كف عمر فى حجزتى من خلفى يقول من تراه يعنى فقلت إنه لا يعينيك وإنما يعنى خاصف النعل وإنه قال هو هذا -رواية- ١-٢-رواية- ١٤-١٤٣ الخبر الثالث إن الله عهد إلى فى على عهدا فقلت يارب بينه لى قال اسمع إن عليا راية الهدى وإمام أوليائى ونور من أطاعنى و هو الكلمة التى ألزمتها المتقين من أحبه فقد أحبنى و من أطاعه فقد أطاعنى فبشره بذلك فقلت قد بشرته يارب فقال أنا عبد الله و فى قبضته فإن يعذبنى فبذنوبى لم يظلم شيئا وإن يتم لى ما وعدنى فهو أولى و قد دعوت له فقلت اللهم اجل قلبه واجعل ربيعه الإيمان بك قال قد فعلت ذلك غير أنى مختصه بشىء من البلاء لم أختص به أحدا من أوليائى فقلت رب أخى وصاحبى قال إنه سبق فى علمى أنه لمبتل ومبتلى -رواية- ١-٢-رواية- ١٦-٥٥٠ [صفحہ ١٦٨] ذكره أبو نعيم الحافظ فى حلية الأولياء عن أبى برزة الأسلمى ثم رواه بإسناد آخر بلفظ آخر عن أنس بن مالك أن رب العالمين عهد فى على إلى عهدا أنه راية الهدى ومنار الإيمان وإمام أوليائى ونور جميع من أطاعنى إن عليا أمينى غدا فى القيامة وصاحب رايتى بيد على مفاتيح خزائن رحمة ربى -رواية- ١-٢-رواية- ١٠٩-٢٩٥ الخبر الرابع من أراد أن ينظر إلى نوح فى عزمه و إلى آدم فى علمه و إلى ابراهيم فى حلمه و إلى موسى فى فطنته و إلى عيسى فى زهده فلينظر إلى على بن أبى طالب -رواية- ١-٢-رواية- ١٦-١٧١ رواه أحمد بن حنبل فى المسند ورواه أحمد البيهقى فى صحيحه الخبر الخامس من سره أن يحيا حياتى ويموت ميتتى ويتمسك بالقضيب من الياقوتة التى خلقها الله تعالى بيده ثم قال لها كونى فكانت فليتمسك بولاء على بن أبى طالب -رواية- ١-٢-رواية- ١٦-١٧٢ ذكره أبو نعيم الحافظ فى كتاب حلية الأولياء ورواه أبو عبد الله بن حنبل فى المسند فى كتاب فضائل على بن أبى طالب وحكاية لفظ أحمد رضى الله عنه من أحب أن يتمسك بالقضيب الأحمر الذى غرسه الله فى جنه عدن بيمينه فليتمسك بحب على بن أبى طالب -رواية- ١-٢-رواية- ١٥٣-٢٥٨ الخبر السادس و الذى نفسى بيده لو لا- أن تقول طوائف من أمتى فيك ما قالت النصارى فى ابن مريم لقلت اليوم فيك مقالا- لانمر بملا- من المسلمين إلا أخذوا التراب من تحت قدميك للبركة -رواية- ١-٢-رواية- ١٦-١٩٠ ذكره أبو عبد الله أحمد بن حنبل فى المسند الخبر

السابع خرج ص على الحجيج عشية عرفه فقال لهم إن الله قد -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۶-ادامه دارد [صفحه ۱۶۹] باهى بكم الملائكة عامه وغفر لكم عامه وباهى بعلى خاصة وغفر له خاصة إني قائل لكم قولا غير محاب فيه لقرابتي إن السعيد كل السعيد حق السعيد من أحب عليا في حياته و بعد موته -روایت- از قبل- ۱۸۱- رواه أبو عبد الله أحمد بن حنبل في كتاب فضائل علي ع و في المسند أيضا الخبر الثامن رواه أبو عبد الله أحمد بن حنبل في الكتابين المذكورين أنا أول من يدعى به يوم القيامة فأقوم عن يمين العرش في ظله ثم أكسى حله ثم يدعى بالنبين بعضهم على أثر بعض فيقومون عن يمين العرش ويكسون حلالا ثم يدعى بعلى بن أبي طالب لقرابته منى ومنزلته عندي ويدفع إليه لوائى لواء الحمد آدم و من دونه تحت ذلك اللواء ثم قال لعلى فتسير به حتى تقف بينى وبين إبراهيم الخليل ثم تكسى حله وينادى مناد من العرش نعم العبد أبوك إبراهيم ونعم الأخ أخوك على أبشر فإنك تدعى إزادعت وتكسى إزادعت وتحيا إزادعت -روایت- ۱-۲-روایت- ۷۴-۵۵۲ الخبر التاسع يأنس اسكب لى وضوءا ثم قام فصلى ركعتين ثم قال أول من يدخل عليك من هذا الباب إمام المتقين وسيد المسلمين ويعسوب الدين وخاتم الوصيين وقائد الغر المحجلين قال أنس فقلت اللهم اجعله رجلا من الأنصار وكتبت دعوتى فجاء على فقال ص من جاء يأنس فقلت على فقام إليه مستبشرا فاعتنقه ثم جعل يمسح عرق وجهه فقال على يا رسول الله صلى الله عليك وآلك لقد رأيت منك اليوم تصنع بى شيئا ما صنعت به بى قبل قال و ما يمنعنى و أنت تؤدى عنى وتسمعهم صوتى وتبين لهم ما اختلفوا فيه بعدى رواه أبو نعيم الحافظ فى حلية الأولياء -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۶-۵۶۱ [صفحه ۱۷۰] الخبر العاشر ادعوا لى سيد العرب عليا فقالت عائشة ألت سيد العرب فقال أناسيد ولد آدم و على سيد العرب فلما جاء أرسل إلى الأنصار فأتوه فقال لهم يامعشر الأنصار أ لأدلكم على ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبدا قالوا بلى يا رسول الله قال هذا على فأحبه بحبى وأكرموه بكرامتى فإن جبرائيل أمرنى بالذى قلت لكم عن الله عز و جل -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۵-۳۴۲ رواه الحافظ أبو نعيم فى حلية الأولياء الخبر الحادى عشر مرحبا بسيد المؤمنين وإمام المتقين فقيل لعلى ع كيف شكرك فقال أحمد الله على ما آتانى وأسأله الشكر على ما أولانى و أن يزيدنى مما أعطانى -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۰-۱۶۷ الخبر الثانى عشر من سره أن يحيا حياتى ويموت مماتى ويسكن جنه عدن التى غرسها ربى فليوال عليا من بعدى وليوال وليه وليقتد بالأئمة من بعدى فإنهم عترتى خلقوا من طينتى ورزقوا فهما وعلما فويل للمكذبين من أمتى القاطعين فيهم صلتى لأنالهم الله شفاعتى -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۰-۲۶۹ الخبر الثالث عشر بعث رسول الله ص خالد بن الوليد فى سرية وبعث عليا ع فى سرية أخرى وكلاهما إلى اليمن و قال إن اجتمعتما فعلى على الناس و إن افرقتما فكل واحد منكما على جنده فاجتمعا وأغارا وسببا نساء وأخذوا أموالا وقتلا ناسا وأخذ على جارية فاخصها لنفسه فقال خالد لأربعة من المسلمين منهم بريدة الأسلمى اسبقوا إلى رسول الله ص فاذكروا له كذا واذكروا -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۰-ادامه دارد [صفحه ۱۷۱] له كذا لأمر عددها على على فسبقوا إليه فجاء واحد من جانبه فقال إن عليا فعل كذا فأعرض عنه فجاء الآخر من الجانب الآخر فقال إن عليا فعل كذا فأعرض عنه فجاء بريدة الأسلمى فقال يا رسول الله إن عليا فعل ذلك فأخذ جارية لنفسه فغضب ص حتى احمر وجهه و قال دعوا لى عليا يكررها إن عليا منى و أنا من على و إن حظه فى الخمس أكثر مما أخذ و هوولى كل مؤمن من بعدى -روایت- از قبل- ۳۷۳ رواه أبو عبد الله أحمد فى المسند غير مرة ورواه فى كتاب فضائل على ورواه أكثر المحديثين الخبر الرابع عشر كنت أنا و على نورا بين يدى الله عز و جل قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام فلما خلق آدم قسم ذلك فيه وجعله جزئين فجاء أنا و جزء على -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۰-۱۶۶ رواه أحمد فى المسند و فى كتاب فضائل على ع و ذكره صاحب كتاب الفردوس وزاد فيه ثم انتقلنا حتى صرنا فى عبدالمطلب فكان لى النبوة ولعلى الوصية -روایت- ۱-۲-روایت- ۳۸-۱۰۴ الخبر الخامس عشر النظر إلى وجهك يا على عبادة أنت سيد فى الدنيا وسيد فى الآخرة من أحبك أحببى وحببى حبيب الله وعدوك عدوى وعدوى عدو الله الويل لمن أبغضك -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۰-۱۶۶ رواه

أحمد في المسند قال و كان ابن عباس يفسره و يقول إن من ينظر إليه يقول سبحان الله ما أعلم هذا الفتى سبحان الله ما أشجع هذا الفتى سبحان الله ما أفصح هذا الفتى [صفحة ١٧٢] الحديث السادس عشر لما كانت ليلة بدر قال رسول الله ص من يستقى لنا ماء فأحجم الناس فقام على فاحتضن قربة ثم أتى بئرا بعيدة القعر مظلمة فانحدر فيها فأوحى الله إلى جبريل وميكائيل وإسرافيل أن تأهبوا لنصر محمد وأخيه وحزبه فهبطوا من السماء لهم لغط يذعر من يسمعه فلما حاذوا البئر سلموا عليه من عند آخرهم إكراما له وإجلالا -رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-٣٣٨ رواه أحمد في كتاب فضائل علي ع وزاد فيه في طريق أخرى عن أنس بن مالك لتوتين يا علي يوم القيامة بناقة من نوق الجنة فتركبها وركبتك مع ركبتي وفخذك مع فخذى حتى تدخل الجنة -رواية- ١-٢-رواية- ٧٩-١٨٥ الحديث السابع عشر خطب ص يوم جمعة فقال أيها الناس قدموا قريشا ولا تقدموها وتعلموها ولا تعلموها قوة رجل من قريش تعدل قوة رجلين من غيرهم وأمانة رجل من قريش تعدل أمانة رجلين من غيرهم أيها الناس أوصيكم بحب ذى قرباها أخى و ابن عمى على بن أبى طالب لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق من أحبه فقد أحبنى و من أبغضه فقد أبغضنى و من أبغضنى عذبه الله بالنار -رواية- ١-٢-رواية- ١٥٨-٢٢ رواه أحمد في كتاب فضائل علي ع الحديث الثامن عشر الصديقون ثلاثة حبيب النجار الذى جاء من أقصى المدينة يسعى ومؤمن آل فرعون الذى كان يكتنم إيمانه و على بن أبى طالب و هو أفضلهم -رواية- ١-٢-رواية- ١٥٨-٢٢ رواه أحمد في كتاب فضائل علي ع الحديث التاسع عشر أعطيت فى علي خمسا من أحب إلى من الدنيا و ما فيها أما واحدة فهو كاب بين يدي الله عز و جل حتى يفرغ من حساب الخلائق و أما الثانية -رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-١٧٣ [صفحة ١٧٣] فلواء الحمد بيده آدم و من ولد تحته و أما الثالثة فواقف على عقر حوضى يسقى من عرف من أمتى و أما الرابعة فسائر عورتى و مسلمى إلى ربي و أما الخامسة فإنى لست أخشى عليه أن يعود كافرا بعد إيمان و لازانيا بعد إحصان -رواية- ١-٢-رواية- ٢٢١ رواه أحمد في كتاب الفضائل الحديث العشرون كانت لجماعة من الصحابة أبواب شارع فى مسجد الرسول ص فقال ع يوما سدوا كل باب فى المسجد إلا باب على فسدت فقال فى ذلك قوم حتى بلغ رسول الله ص فقام فيهم فقال إن قوما قالوا فى سد الأبواب وتركى باب على إني ماسدوت و لافتح و لكنى أمرت بأمر فاتبعته -رواية- ١-٢-رواية- ١٩-٢٨٦ رواه أحمد فى المسند مرارا و فى كتاب الفضائل الحديث الحادى والعشرون دعاص عليا فى غزاة الطائف فانتجاه وأطال نجواه حتى كره قوم من الصحابة ذلك فقال قائل منهم لقد أطال اليوم نجوى ابن عمه فبلغه ع ذلك فجمع منهم قوما ثم قال إن قائلا قال لقد أطال اليوم نجوى ابن عمه أما إني ما انتجيتة ولكن الله انتجاه -رواية- ١-٢-رواية- ٢٨-٢٨٠ رواه أحمد رحمه الله فى المسند الحديث الثانى والعشرون أخصمك يا علي بالنبوة فلانبوة بعدى وتخصم الناس بسبع لا يجاهد فيها أحد من قريش أنت أولهم إيماننا بالله وأوفاهم بعهد الله وأقومهم بأمر الله وأقسمهم بالسوية وأعدلهم فى الرعية وأبصرهم بالقضية وأعظمهم عند الله مزية -رواية- ١-٢-رواية- ٢٨-٢٤٩ [صفحة ١٧٤] رواه أبو نعيم الحافظ فى حلية الأولياء الخبر الثالث والعشرون قالت فاطمة إنك زوجتنى فقيرا لا مال له فقال زوجتك أقدمهم سلما وأعظمهم حلما وأكثرهم علما لا تعلمين أن الله اطلع إلى الأرض اطلاعة فاختر منها أباك ثم اطلع إليها ثانية فاختر منها بعلك -رواية- ١-٢-رواية- ٢٦-٢٢٣ الحديث الرابع والعشرون لما أنزل إذا جاء نصر الله و الفتح بعد انصرافه ع من غزاة حنين جعل يكثر من سبحان الله أستغفر الله ثم قال يا علي إنه قد جاء ما وعدت به جاء الفتح ودخل الناس فى دين الله أفواجا وإنه ليس أحد أحق منك بمقامى لقدمك فى الإسلام وقربك منى وصهرك وعندك سيده نساء العالمين وقبل ذلك ما كان من بلاء أبى طالب عندى حين نزل القرآن فأنا حريص على أن أراعى ذلك لولده -رواية- ١-٢-رواية- ٢٨-٤١٥ رواه أبو إسحاق الثعلبى فى تفسير القرآن . واعلم أنا إنما ذكرنا هذه الأخبار هاهنا لأن كثيرا من المنحرفين عنه ع إذا مروا على كلامه فى نهج البلاغة وغيره المتضمن التحدث بنعمة الله عليه من اختصاص الرسول له ص وتميزه إياه عن غيره ينسبونهم إلى التيه والزهو والفخر ولقد سبقهم بذلك قوم من الصحابة قيل

لعمرو ولعلنا أمر الجيش والحرب فقال هو أتية من ذلك وقال زيد بن ثابت ما رأينا أزهى من على وأسامة. فأردنا بإيراد هذه الأخبار هاهنا عند تفسير قوله نحن الشعار والأصحاب ونحن الخزنة والأبواب أن ننبه على عظم منزلته عند الرسول ص وأن من قيل [صفحة ١٧٥] في حقه ما قيل لورقي إلى السماء وعرج في الهواء وفخر على الملائكة والأنبياء تعظما وتبجحا لم يكن ملوما بل كان بذلك جديرا فكيف وهو لم يسلك قط مسلك التعظم والتكبر في شيء من أقواله ولا من أفعاله وكان أطف البشرا خلقا وأكرمهم طبعا وأشدهم تواضعا وأكثرهم احتمالا وأحسنهم بشرا وأطلقهم وجها حتى نسبه من نسبه إلى الدعابة والمزاح وهما خلقان ينافيان التكبر والاستطالة وإنما كان يذكر أحيانا ما يذكره من هذا النوع نفثة مصدور وشكوى مكروب وتنفس مهموم ولا يقصد به إذا ذكره إلا شكر النعمة وتنبه الغافل على ما خصه الله به من الفضيلة فإن ذلك من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو تقديم غيره عليه في الفضل فقد نهى الله سبحانه عن ذلك فقال أَمَّنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ - قرآن - ٧٢١-٨٣١ مِنْهَا فِيهِمْ كَرَامَاتُ الْإِيمَانِ وَهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمَنِ إِنْ نَطَقُوا صِدْقُوا وَإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسَبِّحُوا فَلْيَصِدُّوا رَائِدَ أَهْلِهِ وَ لِيُحْضِرَ عَقْلَهُ وَ لِيَكُنْ مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ فَإِنَّهُ مِنْهَا قَدِيمٌ وَ إِلَيْهَا يَنْقَلِبُ فَالْناظِرُ بِالْقَلْبِ الْعَامِلُ بِالْبَصْرِ يَكُونُ مُبْتَدَأً عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ أَعْمَلُهُ عَلَيْهِ أَمْ لَهُ فَإِنْ كَانَ لَهُ مَضَى فِيهِ وَ إِنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عَنْهُ فَإِنَّ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ عَلَىٰ غَيْرِ طَرِيقٍ فَلَا يَزِيدُهُ بُعْدُهُ عَنِ الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ [صفحة ١٧٦] إِلَّا بُعْدًا مِنْ حَاجَتِهِ وَ الْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَىٰ الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ فَلْيَنْظُرْ نَاطِرًا أَسَائِرًا هُوَ أَمْ رَاجِعٌ قَوْلُهُ فِيهِمْ يَرْجِعُ إِلَى آلِ مُحَمَّدٍ الَّذِينَ عَنَاهُمْ بِقَوْلِهِ نَحْنُ الشُّعَارُ وَالْأَصْحَابُ وَ هُوَ يَطْلُقُ دَائِمًا هَذِهِ الصِّيغَةَ الْجَمْعِيَّةَ وَيَعْنِي نَفْسَهُ وَ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ مِنْ ذَلِكَ نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى الْعَذِيبِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ. وَ كَرَامَاتُ الْإِيمَانِ جَمْعُ كَرِيمَةٍ وَ هِيَ الْمُنْفَسَاتُ مِنْهُ قَالَ الشَّاعِرُ - قرآن - ١٦٧-٣٠١ ماضٍ مِنَ الْعَيْشِ لَوْ يَفْدَىٰ بِذَلِكَ لَهُ || كَرَامَاتُ الْمَالِ مِنْ خَيْلٍ وَ مِنْ نَعْمٍ . فَإِنْ قُلْتَ أَيْ يَكُونُ فِي الْإِيمَانِ كَرَامَاتٌ وَ غَيْرُ كَرَامَاتٍ قُلْتَ نَعْمَ لِأَنَّ الْإِيمَانَ عِنْدَ أَكْثَرِ أَصْحَابِنَا اسْمٌ لِلطَّاعَاتِ كُلِّهَا وَاجِبُهَا وَنَفْلُهَا فَمِنْ كَانَتْ نَوَافِلُهُ أَكْثَرَ كَرَامَاتِ الْإِيمَانِ عِنْدَهُ أَكْثَرَ وَ مِنْ قَامَ بِالْوَجِيبَاتِ فَقَطُّ مِنْ غَيْرِ نَوَافِلٍ كَانَتْ عِنْدَهُ الْإِيمَانُ وَ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ كَرَامَاتُ الْإِيمَانِ . فَإِنْ قُلْتَ فَعَلَىٰ هَذَاتُكَوْنِ النِّوَافِلِ أَكْرَمُ مِنَ الْوَجِيبَاتِ . قُلْتَ هِيَ أَكْرَمُ مِنْهَا بِاعْتِبَارِ الْوَجِيبَاتِ أَكْرَمُ مِنْهَا بِاعْتِبَارِ آخِرِ أَمَّا الْأَوَّلُ فَلَأَنَّ صَاحِبَهَا إِذَا كَانَ قَدْ قَامَ بِالْوَجِيبَاتِ كَانَ أَعْلَىٰ مَرْتَبَةً فِي الْجَنَّةِ مِمَّنْ اقْتَصَرَ عَلَى الْوَجِيبَاتِ فَقَطُّ وَ أَمَّا الثَّانِي فَلَأَنَّ الْمَخْلُوقَ بِهَا لَا يَعَاقِبُ وَالْمَخْلُوقَ بِالْوَجِيبَاتِ يَعَاقِبُ . قَوْلُهُ وَ هُمْ كُنُوزُ الرَّحْمَنِ لِأَنَّ الْكُنْزَ مَالٌ يَدْخُرُ لِشَدِيدَتِهِ أَوْ مِلْمَةٌ تَلْمُ بِالْإِنْسَانِ وَ كَذَلِكَ هُوَ لَاقْدُخَرُوا لِإِيضَاحِ الْمَشْكَالَاتِ الدِّينِيَّةِ عَلَى الْمَكْلُفِينَ . [صفحة ١٧٧] ثُمَّ قَالَ إِنْ نَطَقُوا صِدْقُوا وَ إِنْ صَمَتُوا لَمْ يَكُنْ سَكُوتُهُمْ عَنْ عَيْ يَوْجِبُ كَوْنَهُمْ مَسْبُوقِينَ لَكُنْهُمْ يَنْطِقُونَ حَكْمًا وَ يَصْمَتُونَ حِلْمًا. ثُمَّ أَمْرٌ عَنِ التَّقْوَى وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَ قَالَ لِيَصِدُقَ رَائِدَ أَهْلِهِ الرَّائِدُ الذَّاهِبُ مِنَ الْحَيِّ يَرْتَادُ لَهُمُ الْمَرْعَى وَ فِي أَمْثَالِهِمُ الرَّائِدُ لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ وَالْمَعْنَى أَنَّهُ عِزُّ الْإِنْسَانِ بَأَن يَصِدُقَ نَفْسَهُ وَ لَا يَكْذِبُهَا بِالتَّسْوِيفِ وَالتَّعْلِيلِ قَالَ الشَّاعِرُ أَخِي إِذَا خَصِمْتَ نَفْسَكَ فَاحْتَشِدْ || لَهَا وَ إِذَا حَدَّثَتْ نَفْسَكَ فَاصْدُقْ . وَ فِي الْمَثَلِ الْمَتَشَبِعِ بِمَا لَا يَمْلِكُ كَلَابِسُ ثَوْبِي زُورٍ. فَإِنَّهُ مِنْهَا قَدِيمٌ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ أَرْوَاحَ الْبَشَرِ قَبْلَ أَجْسَادِهِمُ وَالْخَبِيرُ فِي ذَلِكَ مَشْهُورٌ وَ الْآيَةُ أَيْضًا وَ هِيَ قَوْلُهُ وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ يُمْكِنُ أَنْ يَفْسَرَ عَلَى وَجْهِ آخِرٍ وَ ذَلِكَ أَنَّ الْآخِرَةَ الْيَوْمَ عَدَمٌ مَحْضٌ وَ الْإِنْسَانُ قَدِمٌ مِنَ الْعَدَمِ وَ إِلَى الْعَدَمِ يَنْقَلِبُ فَقَدْ صَحَّ أَنَّهُ قَدِمٌ مِنَ الْآخِرَةِ وَ يَرْجِعُ إِلَى الْآخِرَةِ. وَ رَوَى أَنَّ الْعَالَمَ بِالْبَصْرِ أَيْ بِالْبَصِيرَةِ فَيَكُونُ هُوَ وَ قَوْلُهُ فَالْناظِرُ بِالْقَلْبِ سِوَاءٍ وَ إِنَّمَا قَالَهُ تَأْكِيدًا وَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَفْسِيرٍ وَ تَأْوِيلٍ فَأَمَّا الرَّوَايَةُ الْمَشْهُورَةُ فَالْوَجْهُ فِي تَفْسِيرِهَا أَنَّ يَكُونُ قَوْلُهُ فَالْناظِرُ مُبْتَدَأً وَ الْعَامِلُ صِفَةً لَهُ وَ قَوْلُهُ بِالْبَصْرِ يَكُونُ مُبْتَدَأً عَمَلُهُ جَمْلَةٌ مَرْكَبَةٌ مِنْ مُبْتَدَأٍ وَ خَبَرٍ مَوْضِعُهَا رَفَعٌ لِأَنَّهَا خَبَرُ الْمُبْتَدَأِ الَّذِي هُوَ فَالْناظِرُ وَ هَذِهِ الْجَمْلَةُ الْمَذْكُورَةُ قَدْ دَخَلَتْ عَلَيْهَا كَانُ فَالْجَارِ وَ الْمَجْرُورِ وَ هِيَ الْكَلِمَةُ الْأُولَى مِنْهَا مَنْصُوبَةٌ الْمَوْضِعُ لِأَنَّهَا خَبَرٌ كَانُ وَ يَكُونُ قَوْلُهُ فِيمَا بَعْدَ أَنْ يَعْلَمُ مَنْصُوبٌ - قرآن - ١٦٧-٢٣٠]

صفحة ١٧٨] الموضوع لأنه بدل من البصر الذى هو خير يكون والمراد بالبصر هاهنا البصيرة فيصير تقدير الكلام فالناظر بقلبه العامل بجوارحه يكون مبتدأ عمله بالفكر والبصيرة بأن يعلم أعمله له أم عليه . ويروى كالسابل على غير طريق والسابل طالب السبيل و قد جاء فى الخبر المرفوع من عمل بغير هدى لم يزد من الله إلا بعدا -رواية ١-٢-رواية ٢٧-٧٢ و فى كلام الحكماء العامل بغير علم كالرامى من غير وتر و اعلم أن لكل ظاهر باطنا على مثاله فما طاب ظاهره طاب باطنه و ما خبث ظاهره خبث باطنه و قد قال الرسول الصادق ص إن الله يحب العبد و يبغض عمله و يحب العمل و يبغض بدنه هذا الكلام مشتق من قوله تعالى و البلمد الطيب يخرج نباته بإذن ربه و الذى خبث لا يخرج إلا نكداً و هو تمثيل ضربه الله تعالى لمن ينجع فيه الوعظ والتذكير من البشر ولمن لا يؤثر ذلك فيه مثله بالأرض العذبة الطيبة تخرج النبت و الأرض السبخة الخبيثة لانبت وكلام أمير المؤمنين ع إلى هذا المعنى يومئ يقول إن لكلنا حالتى الإنسان الظاهرة أمرا باطنا يناسبها من أحواله والحالتان الظاهرتان ميله إلى العقل وميله إلى الهوى فالمتع لمقتضى عقله يرزق السعادة والفوز فهذا هو الذى طاب -قرآن ٣٥-١٢٨ [صفحة ١٧٩] ظاهره وطاب باطنه والمتع لمقتضى هواه وعادته ودين أسلافه يرزق الشقاوة والعطب و هذا هو الذى خبث ظاهره وخبث باطنه . فإن قلت فلم قال فما طاب وهلا قال فمن طاب وكذلك فى خبث قلت كلامه فى الأخلاق والعقائد و ماتنطوى عليه الضمائر يقول ما طاب من هذه الأخلاق والملكات وهى خلق النفس الربانية المريدة للحق من حيث هو حق سواء كان ذلك مذهب الآباء والأجداد أو لم يكن وسواء كان ذلك مستقبحا مستهجنا عند العامة أو لم يكن وسواء نال به من الدنيا حظا أو لم ينل يستطيب باطنه يعنى ثمرته وهى السعادة و هذا المعنى من مواضع ما لا من مواضع من . فأما الخبر المروى فإنه مذكور فى كتب المحدثين و قد فسره أصحابنا المتكلمون فقالوا إن الله تعالى قديح المؤمن ومحبه له إرادة إثابته ويبغض عملا من أعماله و هو ارتكاب صغيرة من الصغائر فإنها مكروهة عند الله وليست قاذحة فى إيمان المؤمن لأنها تقع مكفرة وكذلك قديح العبد بأن يريد عقابه نحو أن يكون فاسقا لم يتب ويحب عملا من أعماله نحو أن يطيع ببعض الطاعات وحبه لتلك الطاعة هى إرادته تعالى أن يسقط عنه بها بعض ما يستحقه من العقاب المتقدم و اعلم أن لكل عمل نباتا و كل نبات لا غنى به عن الماء و المياه مختلفه فما طاب سقيه طاب غرسه و حلت ثمرته و ما خبث سقيه خبث غرسه و أمرت ثمرته [صفحة ١٨٠] السقى مصدر سقى والسقى بالكسر النصيب من الماء . وأمر الشىء أى صار مرا . و هذا الكلام مثل فى الإخلاص وضده و هو الرياء وحب السمعة فكل عمل يكون مدده الإخلاص لوجهه تعالى لا غير فإنه زاك حلو الجنى و كل عمل يكون الرياء وحب الشهرة مدده فليس بزك وتكون ثمرته مرة المذاق [صفحة ١٨١]

١٥٥- و من خطبة له ع يذكر فيها بديع خلقه الخفاف

إشارة

الحمْدُ لله الذى انحصرت الأوصاف عن كنه معرفته و ردعت عظمته العقول فلم تجد مساعداً إلى بلوغ غايته ملكوته هو الله الحق المبين الحق و أبين مما ترى العيون لم تبلغه العقول بتحديد فيكون مشبهاً و لم تقع عليه الأوهام بتقدير فيكون ممثلاً خلق الخلق على غير تمثيل و لما مشورة مشير و لما معونه معين فتم خلقه بأمره و أذعن لطاعته فأجاب و لم يدافع و انقاد و لم يتنازع و من لطائف صنيعته و عجائب خلقته ما أرانا من غوامض الحكمة فى هذه الخفافيش التى يقبضها الضياء الباسط لكل شىء و يبسطها الظلام القابض لكل حى و كيف عشييت أعينها عن أن تستمد من الشمس المضية نورا تهتدي به فى مدهابها و تتصل بعلايتها

بُرْهَانِ الشَّمْسِ إِلَى مَعَارِفِهَا وَ رَدَّعَهَا بِتَلَاؤِ ضِيَائِهَا عَنِ الْمَضَى فِي سُبُحَاتِ إِشْرَاقِهَا وَ أَكْنَهَا فِي مَكَامِنِهَا عَنِ الذَّهَابِ فِي بُلْجِ اثْتِلَاقِهَا وَ هِيَ مُسَدَّلَةٌ الْجُفُونِ بِالنَّهَارِ عَلَى حِدَاقِهَا وَ جَاعِلَةٌ اللَّيْلِ سِرَاجًا تَسْتَدِلُّ بِهِ فِي التِّمَاسِ أَرْزَاقِهَا فَلَا يَزِدُّ أَبْصَارَهَا إِسْدَافَ ظُلْمَتِهِ وَ لَمَّا تَمَتَّعَ مِنَ الْمَضَى فِيهِ لِعَسَقِ دُجْنَتِهِ فَإِذَا أَلْقَتِ الشَّمْسُ قَنَاعَهَا وَ بَيَدَتْ أَوْضَاحَ نَهَارِهَا وَ دَخَلَ مِنْ إِشْرَاقِ نُورِهَا عَلَى الضُّبَابِ فِي وَجَارِهَا أَطْبَقَتِ الْأَجْفَانَ عَلَى مَا قَبِهَا وَ تَبَلَّغَتْ بِمَا اِكْتَسَبَتْهُ مِنَ الْمَعَاشِ فِي ظُلْمِ لَيَالِيهَا [صفحة ١٨٢] فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ اللَّيْلَ لَهَا نَهَارًا وَ مَعَاشًا وَ النَّهَارَ سَكَنًا وَ قَرَارًا وَ جَعَلَ لَهَا أَجْنَحَهُ مِنْ لَحْمِهَا تَعْرُجُ بِهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى الطَّيْرَانِ كَأَنَّهَا شَطَايَا الْأَذَانِ غَيْرَ ذَوَاتِ رِيشٍ وَ لَمَّا قَصَبَ إِلْمَا أَنَّكَ تَرَى مَوَاضِعَ الْعُرُوقِ بَيْنَهُ أَعْلَامًا لَهَا جَنَاحَانِ لَمَّا يَرِقَا فَيَنْشَقُّمَا وَ لَمْ يَغْلُظَا فَيَثْقُلَا تَطِيرُ وَ وَلَدَهَا لَمَاصِقٌ بِهَا لِأَجْلِ إِلَيْهَا يَنْعُ إِذَا وَقَعَتْ وَ يَرْتَفِعُ إِذَا ارْتَفَعَتْ لِأَيُّفَارِقُهَا حَتَّى تَشْتَدَّ أَرْكَانُهُ وَ يَحْمِلُهُ لِلنَّهْوِضِ جَنَاحُهُ وَ يَعْرِفُ مِذَاهِبَ عَيْشِهِ وَ مَصَالِحَ نَفْسِهِ فَسُبْحَانَ الْبَارِئِ لِكُلِّ شَيْءٍ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ الْخَفَاشِ وَاحِدٌ جَمَعَهُ خَفَافِشٌ وَ هُوَ هَذَا الطَّائِرُ الَّذِي يَطِيرُ لَيْلًا وَ لَا يَطِيرُ نَهَارًا وَ هُوَ مَا خُوذُ مِنَ الْخَفَشِ وَ هُوَ ضَعْفٌ فِي الْبَصَرِ خَلَقَهُ وَ الرَّجُلُ أَخْفَشُ وَ قَدْ يَكُونُ عُلَّةً وَ هُوَ الَّذِي يَبْصُرُ بِاللَّيْلِ لِابْنِ النَّهَارِ أَوْ فِي يَوْمٍ غَيْمٍ لَا فِي يَوْمٍ صَحْوٍ. وَ انْحَسَرَتِ الْأَوْصَافُ كَلَّتْ وَأَعْيَتْ وَرَدَعَتْ كَفَتْ وَ الْمَسَاغُ الْمَسْلُوكُ . قَالَ أَحَقُّ وَ أَيْبِنُ مِمَّا تَرَى الْعَيُونَ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْعُلُومَ الْعَقْلِيَّةَ إِذَا كَانَتْ ضَرُورِيَّةً أَوْ قَرِيبِيَّةً مِنَ الضَّرُورِيَّةِ كَانَتْ أَوْثَقَ مِنَ الْمَحْسُوسَاتِ لِأَنَّ الْحَسَّ يَغْلُظُ دَائِمًا فَيَرَى الْكَبِيرَ صَغِيرًا كَالْبَعِيدِ وَ الصَّغِيرَ كَبِيرًا كَالْعَبْنَةِ فِي الْمَاءِ تَرَى كَالْإِجَاصَةِ وَيَرَى السَّاكِنَ مُتَحَرِّكًا كَجُرْفِ الشَّطِّ إِذَا رَآهُ رَاكِبَ السَّفِينَةِ مُتَصَاعِدًا وَيَرَى الْمُتَحَرِّكَ سَاكِنًا كَالظَّلِّ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَغَالِيطِ وَ الْقَضَايَا الْعَقْلِيَّةِ الْمَوْثُوقِ بِهَآلِئِهَا بِدِيَهِيَّةٍ أَوْ تَكَادِ فَالْغُلُظُ غَيْرُ دَاخِلٍ عَلَيْهَا قَوْلُهُ يَقْبِضُهَا الضِّيَاءُ أَيْ يَقْبِضُ أَعْيُنَهَا. قَوْلُهُ وَتَتَّصِلُ بِعِلَاقِيَّةٍ بَرَهَانَ الشَّمْسِ كَلَامٌ جَيِّدٌ فِي مِذَاهِبِ الْاِسْتِعَارَةِ. [صفحة ١٨٣] وَ سُبُحَاتِ إِشْرَاقِهَا جَلَالُهُ وَ بَهَاؤُهُ وَ أَكْنَهَا سَتْرُهَا وَ بُلْجُ اثْتِلَاقِهَا جَمْعُ بُلْجَةٍ وَ هِيَ أَوَّلُ الصَّبْحِ وَ جَاءَ بُلْجَةٌ أَيْضًا بِالْفَتْحِ . وَ الْحِدَاقُ جَمْعُ حِدَاقَةٍ الْعَيْنِ وَ الْإِسْدَافُ مَصْدَرُ أَسْدَفَ اللَّيْلِ أَظْلَمُ . وَ عَسَقَ الدَّجْنَةُ ظِلَامُ اللَّيْلِ فَإِذَا أَلْقَتِ الشَّمْسُ قَنَاعَهَا أَيْ سَفَرَتْ عَنْ وَجْهِهَا وَ أَشْرَقَتْ . وَ الْأَوْضَاحُ جَمْعُ وَضَحٍ وَ قَدِيرَادٌ بِهِ حَلِيٌّ يَعْمَلُ مِنَ الدِّرَاهِمِ الصَّحَاحِ وَ قَدِيرَادٌ بِهِ الدِّرَاهِمُ الصَّحَاحِ وَ قَدِيرَادٌ بِهِ الدِّرَاهِمُ الصَّحَاحِ وَ إِنْ لَمْ يَكُنْ حَلِيًّا وَ الضُّبَابُ جَمْعُ ضَبٍّ وَ وَجَارِهَا بَيْتُهَا وَ شَطَايَا الْأَذَانِ أَقْطَاعٌ مِنْهَا وَ الْقَصَبُ هَاهُنَا الْغَضْرُوفُ . وَ خِلَاصَةُ الْخُطْبَةِ التَّعْجِبُ مِنَ أَعْيُنِ الْخَفَافِشِ الَّتِي تَبْصُرُ لَيْلًا وَ لَا تَبْصُرُ نَهَارًا وَ كُلِّ الْحَيَوَانَاتِ بِخِلَافِ ذَلِكَ فَقَدْ صَارَ اللَّيْلُ لَهَا مَعَاشًا وَ النَّهَارُ لَهَا سَكَنًا بِعَكْسِ الْحَالِ فِيمَا عَدَاهَا ثُمَّ مِنْ أَجْنَحَتِهَا الَّتِي تَطِيرُ بِهَا وَ هِيَ لَحْمٌ لِارِيشٍ عَلَيْهِ وَ لَا غَضْرُوفَ وَ لَيْسَتْ رَقِيقَةً فَتَنْشَقُ وَ لَا كَثِيفَةً فَتَقْتَلِحُهَا عَنِ الطَّيْرَانِ ثُمَّ مِنْ وَلَدِهَا إِذَا طَارَتْ اِحْتَمَلْتَهُ وَ هُوَ لَمَاصِقٌ بِهَا فَإِذَا وَقَعَتْ وَقَعَ مُلْتَصِقًا بِهَا هَكَذَا إِلَى أَنْ يَشْتَدَّ وَ يَقْوَى عَلَى النَّهْوِضِ فَيَفَارِقُهَا

فصل في ذكر بعض غرائب الطيور و ما فيها من عجائب

وَ اعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ أَتَى بِالْعِلَّةِ الطَّبِيعِيَّةِ فِي عَدَمِ إِبْصَارِهَا نَهَارًا وَ هُوَ انْفِعَالٌ حَاسَةٌ بَصَرُهَا عَنِ الضُّوءِ الشَّدِيدِ وَ قَدْ يَعْضُرُ مِثْلَ ذَلِكَ لِبَعْضِ النَّاسِ وَ هُوَ الْمَرَضُ الْمَسْمُومُ رُوزِ كُورِ أَيْ أَعْمَى النَّهَارِ وَ يَكُونُ ذَلِكَ عَنِ إِفْرَاطِ التَّحَلُّلِ فِي الرُّوحِ النُّورِيِّ فَإِذَا لَقِيَ حَرَّ النَّهَارِ أَصَابَهُ قَمَرٌ ثُمَّ يَسْتَدْرِكُ ذَلِكَ بَرْدُ اللَّيْلِ فَيَزُولُ فَيَعُودُ الْإِبْصَارُ. [صفحة ١٨٤] وَ أَمَا طَيْرَانِهَا مِنْ غَيْرِ رِيشٍ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِذَلِكَ الطَّيْرَانِ الشَّدِيدِ وَ إِنَّمَا هُوَ نَهْوِضٌ وَ خَفَةٌ أَفَادَهَا اللَّهُ تَعَالَى إِيَّاهُ بِوَسْطَةِ الطَّبِيعَةِ وَ التَّصَاقِ الْوَلَدِ بِهَآلِئِهَا تَضَمُّهُ إِلَيْهَا بِالطَّبَعِ وَ يَنْضَمُّ إِلَيْهَا كَذَلِكَ وَ تَسْتَعِينُ عَلَى ضَمِّهِ بِرَجْلَيْهَا وَ بِقَصْرِ الْمَسَافَةِ وَ جَمَلَةُ الْأَمْرِ أَنَّهُ تَعْجِبُ مِنْ عَجِيبٍ وَ فِي الْأَحَادِيثِ الْعَامِيَّةِ قِيلَ لِلْخَفَاشِ لِمَاذَا لَا جَنَاحَ لَكَ قَالَ لِأَنِّي تَصَوِيرُ مَخْلُوقٌ قِيلَ فَلَمَّا ذَا لَا تَخْرُجُ نَهَارًا قَالَ حَيَاءٌ مِنَ الطَّيُورِ يَعْنُونَ أَنَّ الْمَسِيحَ عَ صُورِهِ وَ أَنَّ إِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى وَ إِذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي. وَ فِي الطَّيْرِ عَجَائِبٌ وَ غَرَائِبٌ لَا تَهْتَدِي الْعُقُولُ

إليها ويقال إن ضربين من الحيوان أصمان لا يسمعان وهما النعام والأفاعى. وتقول العرب إن الظليم يسمع بعينه وأنفه لا يحتاج معهما إلى حاسة أخرى والكراكي يجمعها أمير لها كيعسوب النحل ولا يجمعها إلا أزواجا والعصافير آلفه للناس آنسه بهم لا تسكن دارا حتى يسكنها إنسان ومتى سكنتها لم تقم فيها إذا خرج الإنسان منها بفراقه تفارق وبسكنه تسكن ويذكر أهل البصرة أنه إذا كان زمن الخروج إلى البساتين لم يبق في البصرة عصفور إلا ما أقام على بيضه وفراخه و قديدرب العصفور فيستجيب من المكان البعيد ويرجع . وقال شيخنا أبو عثمان بلغنى أنه درب فيرجع من ميل و ليس فى الأرض رأس أشبه برأس الحية من رأس العصفور و ليس فى الحيوان الذى يعايش الناس أقصر عمرا منه قيل لأجل السفاد الذى يستكثر منه ويتميز الذكر من الأنثى فى العصافير تميز الديك -قرآن- ٤٣٣-٥٣٠ [صفحة ١٨٥] من الدجاجة لأن له لحيه و لا شىء أحنى على ولده منه و إذا عرض له شىء صاح فأقبلت إليه العصافير يساعده و ليس لشىء فى مثل جسم العصفور من شدة وطئه إذامشى أو على السطح مالعصفور فإنك إذا كنت تحت السطح ووقع حسبت ووقعه حجر وذكور العصافير لا تعيش إلا سنه وكثيرا ماتجلب الحيات إلى المنازل لأن الحيات تتبعها حرصا على ابتلاع بيضها وفراخها. ويقال إن الدجاجة إذا باضت بيضتين فى يوم واحد وتكرر ذلك ماتت و إذاهرمت الدجاجة لم يكن لأواخر ما بيضه صفرة و إذا لم يكن للبيضة مح لم يخلق فيها فروج لأن غذاء المح مادام فى البيضة و قد يكون للبيضة محان فتنفق عن فروجين يخلقان من البياض ويغذيان بالمحين لأن الفراريج تخلق من البياض وتغذى بالصفرة و كل ديك فإنه يلتقط الحبة فيحذف بها إلى الدجاجة سماحا وإيثارا ولهذا قالوا أسمح من لاقطة يعنون الديكة لإلا ديكه مرو بخراسان فإنها تطرد دجاجة عن الحب وتنزع من أفواها فتبتلعه . والحمامه بلهاء و فى أمثالهم أحق من حمامه وهى مع حمقها مهتديه إلى مصالح نفسها وفراخها. قال ابن الأعرابى قلت لشيخ من العرب من علمك هذا قال علمنى الذى علم الحمامه على بلهها تقلب بيضها كى تعطى الوجهين جميعا نصيبهما من الحزن . والهداية فى الحمام لا تكون إلا- فى الخضر والسمر فأما الأسود الشديد السواد فهو كالزنجى القليل المعرفة والأبيض ضعيف القوة و إذا خرج الجوزل عن بيضته علم أبواه أن حلقة لا يتسع للغذاء فلا يكون لهما هم إلا أن ينفخا فى حلقة الريح لتتسع حوصلته بعدالتحامها ثم يعلمن أنه لا ياحتمل فى أول اغتذائه أن يزق بالطعم فيزقانه باللعب المختلط [صفحة ١٨٦] بقواهما وقوى الطعم ثم يعلمان أن حوصلته تحتاج إلى دباغ فياكلان من شورج أصول الحيطان و هو شىء من الملح الخالص والتراب فيزقانه به فإذا علما أنه قد اندبغ زقاه بالحب الذى قدغب فى حواصلهما ثم بالذى هو أطرى فأطرى حتى يعود فإذا علما أنه قد أطاق اللقط منعه بعض المنع ليحتاج ويتشوف فتطلبه نفسه ويحرص عليه فإذا فطماه وبلغا منتهى حاجته إليهما نزع الله تلك الرحمة منهما وأقبل بهما على طلب نسل آخر. ويقال إن حيه أكلت بيض مكاء فجعل المكاء يشرشر على رأسها ويدنو منها حتى دلعت الحيه لسانها وفتحت فاهها تريده وتهم به فألقى فيها حسكة فأخذت بحلقها حتى ماتت . و من دعاء الصالحين يارزاق النعاب فى عشه و ذلك أن الغراب إذا فقص عن فراخه فقص عنها بيض الألوان فينفر عنها و لا يزقها فتفتتح أفواها فإيتها ذباب يتساقط فى أفواها فيكون غذاءها إلى أن تسود فينقطع الذباب عنها ويعود الغراب إليها فيأنس بها ويغذيها. والحبارى تدبى جناح الصقر بذرقها ثم يجتمع عليه الحباريات فينتفن ريشه طاقة طاقة حتى يموت ولذلك يحاول الحبارى العلو عليه ويحاول هو العلو عليها و لا يتجاسر أن يدنو منها متسفلا عنها ويقال إن الحبارى تموت كمدا إذا انحسر عنها ريشها ورأت صويحاتها تطير. [صفحة ١٨٧] و كل الطير يتسافد بالأستاه إلا الحجل فإن الحجلة تكون فى سفالة الريح واليعقوب فى علاوتها فتلقح منه كما تلقح النخلة من الفحال بالريح . والحبارى شديد الحمق يقال إنها أحق الطير وهى أشد حياطة لبيضها وفراخها. والعقق مع كونه أخبث الطير وأصدقها خبثا وأشدّها حذرا ليس فى الأرض طائر أشد تضييعا لبيضه وفراخه منه . و من الطير ما يؤثر التفرد كالعقاب و منه ما يتعايش زوجا كالقطا. والظليم يبتلع الحديد المحمى ثم يميعة فى قانصته حتى يحيله كالماء الجارى و فى ذلك أعجوبتان التغذى بما لا يغذى به واستمراؤه

وهضمه شيئاً لوطيخ بالنار أبداً لمانحل . و كما سخر الحديد لجوف الظليم فأحاله سخر الصخر الأصم لأذنان الجراد إذا أراد أن يلقي بيضه غرس ذنبه في أشد الأرض صلابه فانصدع له و ذلك من فعل الطبيعة بتسخير الصانع القديم سبحانه كما أن عود الحلفاء الرخو الدقيق المنبت يلقي في نباته الآجر والخزف الغليظ فيثقبه . و قد رأيت في مسنة سور بغداد في حجر صلد نبعه نبات قد شقت و خرجت من موضع لو حاول جماعة أن يضربوه بالبيارم الشديدة مدة طويلة لم يؤثر فيه أثراً . و قد قيل إن إبرة العقرب أنفذ في الطنجير والبط . و في الظليم شبه من البعير من جهه المنسم والوظيف والعنق والخزامة التي في أنفه [صفحہ ۱۸۸] وشبه من الطائر من جهه الريش والجناحين والذنب والمنقار ثم إن ما فيه من شبه الطير جذبته إلى البيض و ما فيه من شبه البعير لم يجذبته إلى الولادة . ويقال إن النعامه مع عظم عظامها وشده عدوها لأمخ فيها وأشد ما يكون عدوها أن تستقبل الريح فكلما كان أشد لعصوفها كان أشد لحضرها تضع عنقها على ظهرها ثم تخرق الريح و من أعاجيبها أن الصيف إذا دخل وابتدأ البسر في الحمرة ابتدأ لون وظيفها في الحمرة فلا يزالان يزدادان حمرة إلى أن تنتهي حمرة البسر ولذلك قيل للظليم خاضب و من العجب أنها لا تأنس بالطير و لا بالإنسان مع مشاكلتها للنوعين و لا يكاد يرى بيضها مبدداً البتة بل تصفه طولاً صفاً مستويًا على غاية الاستواء حتى لو مددت عليه خيط المسطر لما وجدت لبعضه خروجاً عن البعض ثم تعطى لكل واحدة نصيبها من الحضن . والذئب لا يعرض لبيض النعام مادام الأبوان حاضرين فإنهما متى نقفاه ركب الذكراً فطرحه وأدركته الأنثى فركضته ثم أسلمته إلى الذكر وركبته عوضه فلا يزالان يفعلان به ذلك حتى يقتلاه أو يعجزهما هرباً والنعام قد يتخذ في الدور وضرره شديد لأن النعامه ربما رأت في أذن الجارية قرطاً فيه حجر أوجه لؤلؤ فخطفته وأكلته وخرمت الأذن أورأت ذلك في لبتها فضربت بمنقارها اللبنة فخرقتها [صفحہ ۱۸۹]

۱۵۶- و من كلام له ع خاطبه به أهل البصره على جهه اقتصاص الملاحم

اشاره

فَمَنْ اسْتَطَاعَ عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ يَعْتَقِلَ نَفْسَهُ عَلَى اللَّهِ فَلْيَفْعَلْ وَ إِنْ أَطَعْتُمُونِي فَإِنِّي حَامِلُكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَلَى سَبِيلِ الْجَنَّةِ وَ إِنْ كَانَ ذَا مَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ وَ مَذَاقَةٍ مَرِيرَةٍ وَ أَمَّا فَلَانُهُ فَأَدْرَكَهَا رَأَى النِّسَاءَ وَ ضَغْنٌ غَلَا فِي صَدْرِهَا كَمِرْجَلِ الْقَيْنِ وَ لَوْ دُعِيَتْ لِنَتَالٍ مِنْ غَيْرِي مَا أَتَتْ إِلَيَّ لَمْ تَفْعَلْ وَ لَهَا بَعْدُ حُرْمَتُهَا الْأُولَى وَ الْحِسَابُ عَلَى اللَّهِ يَعْتَقِلُ نَفْسَهُ عَلَى اللَّهِ يَحْبِسُهَا عَلَى طَاعَتِهِ ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ السَّبِيلَ الَّتِي حَمَلَهُمْ عَلَيْهَا وَهِيَ سَبِيلُ الرَّشَادِ ذَاتُ مَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ وَ مَذَاقَةٍ مَرِيرَةٍ لِأَنَّ الْبَاطِلَ مَحْبُوبُ النُّفُوسِ فَإِنَّهُ اللَّهْوُ وَاللَّذَّةُ وَسُقُوطُ التَّكْلِيفِ وَ أَمَّا الْحَقُّ فَمَكْرُوهُ النَّفْسِ لِأَنَّ التَّكْلِيفَ صَعْبٌ وَ تَرَكَ الْمَلَاذَ الْعَاجِلَةَ شَاقٌ شَدِيدٌ الْمَشَقَّةُ . وَالضَّغْنُ الْحَقْدُ وَالْمِرْجَلُ قَدْرٌ كَبِيرٌ وَالْقَيْنُ الْحَدَادُ أَيْ كَغَلِيَانٍ قَدْرٌ مِنْ حَدِيدٍ [صفحہ ۱۹۰]

فصل في ترجمه عائشه و ذكر طرف من أخبارها

وفلانته كناية عن أم المؤمنين عائشه أبوها أبو بكر و قد تقدم ذكر نسبه وأما أم رومان ابنة عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة بن سبيع بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة تزوجها رسول الله ص قبل الهجرة بسنتين بعد وفاة خديجة وهى بنت سبع سنين وبنى عليها بالمدينة وهى بنت تسع سنين وعشرة أشهر وكانت قبله تذكر لجبير بن مطعم وتسمى له و كان

رسول الله ص رأى فى المنام عائشة فى سرقة من حرير عندموتى خديجة فقال إن يكن هذا من عند الله يمضه روى هذا الخبر فى المسانيد الصحيحة و كان نكاحه إياها فى شوال و بناؤه عليها فى شوال أيضا فكانت تحب أن تدخل النساء من أهلها وأحبها على أزواجهن فى شوال و تقول هل كان فى نسائه أحظى منى و قدنكحنى و بنى على فى شوال ردا بذلك على من يزعم من النساء أن دخول الرجل بالمرأة بين العيدين مكروه . و توفى رسول الله ص عنها وهى بنت عشرين سنة و استأذنت رسول الله ص فى الكنية فقال لها اكنى بابنك عبد الله بن الزبير يعنى ابن أختها فكانت تكنى أم عبد الله و كانت فقيهة راوية للشعر ذات حظ من رسول الله ص و ميل ظاهر إليها و كانت لها عليه جرأة و إدلال لم يزل ينمى ويستشرى حتى كان منها فى أمره فى قصة مارية ما كان من الحديث [صفحہ ۱۹۱] الذى أسره إلى الزوجة الأخرى و أدى إلى تظاهرهما عليه و أنزل فيهما قرآنا يتلى فى المحاريب يتضمن وعيدا غليظا عقيب تصريح بوقوع الذنب و صغو القلب و أعقبها تلك الجرأة و ذلك الانبساط و حدث منها فى أيام الخلافة العلوية ما حدث و لقد عفا الله تعالى عنها وهى من أهل الجنة عندنا بسابق الوعد و ماصح من أمر التوبة . و روى أبو عمر بن عبد البر فى كتاب الاستيعاب فى باب عائشة عن سعيد بن نصر عن قاسم بن أصبغ عن محمد بن وضاح عن أبى بكر بن أبى شيبه عن وكيع عن عصام بن قدامة عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله ص لنسائه أيتكن صاحبة الجمل الأدب يقتل حولها قتلى كثير و تنجو بعد ما كادت -رواية ۱- ۲-رواية ۱۹۱- ۲۸۸ . قال أبو عمر بن عبد البر و هذا الحديث من أعلام نبوته ص قال و عصام بن قدامة ثقة و سائر الإسناد ثقة رجاله أشهر من أن تذكر . و لم تحمل عائشة من رسول الله ص و لا ولد له ولد من مهيرة إلا من خديجة و من السراى من مارية . و قدفت عائشة فى أيام رسول الله ص بصفوان بن المعطل السلمى و القصة مشهورة فأنزل الله تعالى براءتها فى قرآن يتلى و ينقل و جلد قاذفوها الحد و توفيت فى سنة سبع و خمسين للهجرة و عمرها أربع وستون سنة و دفنت بالبقيع [صفحہ ۱۹۲] فى ملك معاوية و صلى عليها المسلمون ليلا و أمهم أبو هريرة و نزل فى قبرها خمسة من أهلها عبد الله و عروة ابنا الزبير و القاسم و عبد الله ابنا محمد بن أبى بكر و عبد الرحمن بن أبى بكر و ذلك لسبع عشرة خلت من شهر رمضان من السنة المذكورة . فاما قوله فأدركها رأى النساء أى ضعف آرائهن و قد جاء فى الخبر لا يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة -رواية ۱- ۲-رواية ۱۸- ۵۶ جاء إنهن قليلات عقل و دين -رواية ۱- ۲-رواية ۶- ۳۱ أو قال ضعيفات و لذلك جعل شهادة المرأتين بشهادة الرجل الواحد والمرأة فى أصل الخلقة سريعة الانخداع سريعة الغضب سيئة الظن فاسدة التدبير والشجاعة فيهن مفقودة أو قليلة و كذلك السخاء و أما الضغن فاعلم أن هذا الكلام يحتاج إلى شرح و قد كنت قرأته على الشيخ أبى يعقوب يوسف بن إسماعيل اللمعانى رحمه الله أيام اشتغالى عليه بعلم الكلام و سألته عما عنده فيه فأجابنى بجواب طويل أنا أذكر محصولة بعضه بلفظه رحمه الله و بعضه بلفظى فقد شد عنى الآن لفظه كله بعينه قال أول بدء الضغن كان بينها و بين فاطمة ع و ذلك لأن رسول الله ص تزوجها عقيب موت خديجة فأقامها مقامها و فاطمة هى ابنة خديجة و من المعلوم أن ابنة الرجل إدامات أمها و تزوج أبوها أخرى كان بين الابنة و بين المرأة كدر و شنتان و هذا لا بد منه لأن الزوجة تنفس عليها ميل الأب و البنت تكره ميل أبيها إلى امرأة غريبة كالضرة لأمها بل هى ضرة على الحقيقة و إن كانت الأم ميتة و لأننا لو قدرنا الأم حية لكانت العداوة مضطربة متسعة فإذا كانت قدمات و رثت ابنتها تلك العداوة و فى المثل عداوة الحماة و الكنة و قال الراجز [صفحہ ۱۹۳] إن الحماة أولعت بالكنة || وأولعت كنتها بالظنة . ثم اتفق أن رسول الله ص مال إليها و أحبها فازداد ما عند فاطمة بحسب زيادة ميله و أكرم رسول الله ص فاطمة إكراما عظيما أكثر مما كان الناس يظنونها و أكثر من إكرام الرجال لبناتهم حتى خرج بها عن حد حب الآباء للأولاد فقال بمحضر الخاص و العام مرارا لامرأة واحدة و فى مقامات مختلفة لا فى مقام واحد إنها سيده نساء العالمين و إنها عديلة مريم بنت عمران و إنها إذامرت فى الموقف نادى مناد من جهة العرش يا أهل الموقف غضوا أبصاركم لتعبر فاطمة بنت محمد و هذا من الأحاديث الصحيحة و ليس من الأخبار المستضعفة و إن إنكاحه عليا إياها ما كان

إلا بعد أن أنكحه الله تعالى إياها في السماء بشهادة الملائكة وكم قال لامرأة يؤذيني ما يؤذيها ويغضبني ما يغضبها وإنها بضعة مني يريني ما رابها -رواية- ١-٢-رواية- ١٧-٨٤ فكان هذا وأمثاله يوجب زيادة الضغن عند الزوجة حسب زيادة هذا التعظيم والتبجيل والنفوس البشرية تغيظ على ما هودون هذا فكيف هذا. ثم حصل عند بلعها ما هو حاصل عندها أعنى عليا فإن النساء كثيرا ما يجعلن الأحقاد في قلوب الرجال لاسيما وهن محدثات الليل كما قيل في المثل وكانت تكثر الشكوى من عائشة ويغشاها نساء المدينة وجيران بيتها فينقلن إليها كلمات عن عائشة ثم يذهبن إلى بيت عائشة فينقلن إليها كلمات عن فاطمة و كما كانت فاطمة تشكو إلى بلعها كانت عائشة تشكو إلى أبيها لعلها أن بلعها لا يشكيها على ابنته فحصل في نفس أبي بكر من ذلك أثر ما ثم تزايد تقرير رسول الله ص [صفحہ ١٩٤] لعلي ع وتقريبه واختصاصه فأحدث ذلك حسدا له وغبطه في نفس أبي بكر عنه وهو أبوها وفي نفس طلحة وهو ابن عمها وهي تجلس إليهما وتسمع كلامهما وهما يجلسان إليها ويحدثانها فأعدى إليها منهما كما أعدتهما. قال ولست أبرئ عليا ع من مثل ذلك فإنه كان ينفس على أبي بكر سكون النبي ص إليه وثناءه عليه ويحب أن ينفرد هوبهذه المزايا والخصائص دونه ودون الناس أجمعين و من انحرف عن إنسان انحرف عن أهله وأولاده فتأكدت البغضة بين هذين الفريقين ثم كان من أمر القذف ما كان ولم يكن على ع من القاذفين ولكنه كان من المشيرين على رسول الله ص بطلاقها تنزيها لعرضه عن أقوال الشنأة والمنافقين . قال له لما استشاره إن هي إلا شسع نعلك وقل له سل الخادم وخوفها وإن أقامت على الجحود فاضربها وبلغ عائشة هذا الكلام كله وسمعت أضعافه مما جرت عادة الناس أن يتداولوه في مثل هذه الواقعة ونقل النساء إليها كلما كثيرا عن علي وفاطمة وأنهما قد أظهرتا الشماتة جهارا وسرا بوقوع هذه الحادثة لها فتفانق الأمر وغلظ. ثم إن رسول الله ص صالحها ورجع إليها ونزل القرآن ببراءتها فكان منها ما يكون من الإنسان ينتصر بعد أن قهر ويستظهر بعد أن غلب ويبرأ بعد أن اتهم من بسط اللسان وفتلات القول وبلغ ذلك كله عليا ع وفاطمة ع فاشتدت الحل وغلظت وطوى كل من الفريقين قلبه على الشنآن لصاحبه ثم كان بينها وبين علي ع في حياة رسول الله ص أحوال وأقوال كلها تقتضى تهيج ما في النفوس نحو قولها له وقد استدان رسول الله فجاء حتى قعد بينه [صفحہ ١٩٥] وبينها وهما متلاصقان أما وجدت مقعدا لكذا لا تكني عنه إلا فخذي ونحو ما روى أنه سايره يوما وأطال مناجاته فجاءت وهي سائرة خلفهما حتى دخلت بينهما وقالت فيم أنتما فقد أطلتما فيقال إن رسول الله ص غضب ذلك اليوم وماروى من حديث الجفنة من الثريد التي أمرت الخادم فوفقت لها فأكفأتها ونحو ذلك مما يكون بين الأهل وبين المرأة وأحمائها. ثم اتفق أن فاطمة ولدت أولادا كثيرة بنين وبنات ولم تلد هي ولدا وأن رسول الله ص كان يقيم بنى فاطمة مقام بنيه ويسمى الواحد منهما ابني ويقول دعوا لى ابني ولا تترموا على ابني و ما فعل ابني فما ظنك بالزوجة إذا حرمت الولد من البعل ثم رأت البعل يتمنى بنى ابنته من غيرها ويحنو عليهم حنو الوالد المشفق هل تكون محبة لأولئك البنين ولأمهم ولأبيهم أم مبغضة وهل تود دوام ذلك واستمراره أم زواله وانقضاءه . ثم اتفق أن رسول الله ص سد باب أبيها إلى المسجد وفتح باب صهره ثم بعث أباها ببراءة إلى مكة ثم عزله عنها بصهره فقدح ذلك أيضا في نفسها وولد لرسول الله ص ابراهيم من مارية فأظهر علي ع بذلك سرورا كثيرا وكان يتعصب لمارية ويقوم بأمرها عند رسول الله ص ميلا على غيرها وجرت لمارية نكبة مناسبة لنكبة عائشة فبرأها علي ع منها وكشف بطلانها أو كشفه الله تعالى على يده وكان ذلك كشفا محسا بالبصر لا يتهدى للمنافقين أن يقولوا فيه ما قالوه في القرآن المنزل ببراءة عائشة و كل ذلك مما كان يوغر صدر عائشة عليه ويؤكد ما في نفسها منه ثم مات ابراهيم فأبظنت شماتة و إن أظهرت كآبة [صفحہ ١٩٦] ووجم علي ع من ذلك وكذلك فاطمة وكانا يؤثران ويريدان أن تتميز مارية عليها بالولد فلم يقدر لهما ولا لمارية ذلك وبقية الأمور على ما هي عليه وفي النفوس ما فيها حتى مرض رسول الله ص المرض الذي توفي فيه وكانت فاطمة ع وعلي ع يريدان أن يمرضاه في بيتها وكذلك كان أزواجه كلهن فمال إلى بيت عائشة بمقتضى المحبة القلبية التي كانت لها دون نساءه وكره أن يزاحم فاطمة

وبعلها في بيتهما فلا- يكون عنده من الانبساط لوجودهما ما يكون إذا خلا بنفسه في بيت من يميل إليه بطبعه وعلم أن المريض يحتاج إلى فضل مداراة ونوم وبقظة وانكشاف وخروج حدث فكانت نفسه إلى بيته أسكن منها إلى بيت صهره وبنته فإنه إذا تصور حياءهما منه استحيا هو أيضا منهما و كل أحد يحب أن يخلو بنفسه ويحتشم الصهر والبنت و لم يكن له إلى غيرها من الزوجات مثل ذلك الميل إليها فتمرض في بيتهما فغبطت على ذلك و لم يمرض رسول الله ص منذ قدم المدينة مثل هذا المرض وإنما كان مرضه الشقيقة يوما أو بعض يوم ثم يبرأ فتناول هذا المرض و كان على ع لايشك أن الأمر له و أنه لا ينازعه فيه أحد من الناس ولهذا قال له عمه و قدمات رسول الله ص امدد يدك أبيعك فيقول الناس عم رسول الله ص بايع ابن عم رسول الله ص فلا-يختلف عليك اثنان قال ياعم وهل يطمع فيها طامع غيري قال ستعلم قال فإنني لأحب هذا الأمر من وراء رتاج وأحب أن أصحر به فسكت عنه فلما ثقل رسول الله ص في مرضه أنفذ جيش أسامة وجعل فيه أبابكر وغيره من أعلام [صفحة 197] المهاجرين والأنصار فكان على ع حينئذ بوصوله إلى الأمر إن حدث برسول الله ص حدث أوثق وتغلب على ظنه أن المدينة لومات لخلت من منازع ينازعه الأمر بالكلية فأخذه صفوا عفوا وتم له البيعة فلايتها فسرخها لورام ضد منازعته عليها فكان من عود أبي بكر من جيش أسامة بإرسالها إليه وإعلامه بأن رسول الله ص يموت ما كان و من حديث الصلاة بالناس ما عرف فنسب على ع عائشة أنها أمرت بلالا- مولى أبيها أن يأمره فليصل بالناس لأن رسول الله ص كما روى قال ليصل بهم أحدهم و لم يعين وكانت صلاة الصبح فخرج رسول الله ص و هو في آخر رمق يتهدى بين على والفضل بن العباس حتى قام في المحراب كما ورد في الخبر ثم دخل فمات ارتفاع الضحى فجعل يوم صلاته حجة في صرف الأمر إليه و قال أيكم يطيب نفسا أن يتقدم قدمين قدمهما رسول الله ص في الصلاة و لم يحملوا خروج رسول الله ص إلى الصلاة لصرفه عنها بل لمحافظة على الصلاة مهما أمكن فبويج على هذه النكته التي اتهمها على ع على أنها ابتدأت منها. و كان على ع يذكر هذا أصحابه في خلواته كثيرا و يقول إنه لم يقل ص إنكن لصويحبات يوسف إلا إنكارا لهذه الحال وغضبا منها لأنها وحفصة تبادرتا إلى تعيين أبيهما و أنه استدركها بخروجه وصرفه عن المحراب فلم يجد ذلك و لا أثر مع قوة الداعي الذي كان يدعو إلى أبي بكر ويمهد له قاعدة الأمر وتقرر حاله في نفوس الناس و من اتبعه على ذلك من أعيان المهاجرين والأنصار و لمساعد على ذلك من الحظ الفلكي والأمر السمائي الذي جمع عليه القلوب والأهواء فكانت هذه الحال عند على ع أعظم من كل عظيم وهي الطامة الكبرى [صفحة 198] والمصيبة العظمى و لم ينسبها إلا إلى عائشة وحدها و لعلق الأمر الواقع إلا بهافدعا عليها في خلواته و بين خواصه وتظلم إلى الله منها و جرى له في تخلفه عن البيعة ما هو مشهور حتى بايع و كان يبلغه وفاطمة عنها كل ما يكرهانه منذ مات رسول الله ص إلى أن توفيت فاطمة وهما صابران على مضض ورمض واستظهرت بولاية أبيها واستطالت وعظم شأنها وانخذل على وفاطمة وقهرا وأخذت فدك وخرجت فاطمة تجادل في ذلك مرارا فلم تظفر بشيء و في ذلك تبلغها النساء والداخلات والخارجات عن عائشة كل كلام يسوؤها ويبلغن عائشة عنها و عن بعلمها مثل ذلك إلا أنه شتان ما بين الحاليين و بعد ما بين الفريقين هذه غالبه و هذه مغلوبه و هذه آمرة و هذه مأمورة و ظهر التشفى والشماتة و لا شيء أعظم مرارة ومشقة من شماتة العدو. فقلت له رحمه الله أفتقول أنت إن عائشة عينت أباهما للصلاة و رسول الله ص لم يعينه فقال أما أنا فلا أقول ذلك ولكن عليا كان يقوله وتكليفى غير تكليفه كان حاضرا ولكم أكن حاضرا فأنا محجوج بالأخبار التي اتصلت بى وهي تتضمن تعيين النبي ص لأبى بكر في الصلاة و هو محجوج بما كان قد علمه أو يغلب على ظنه من الحال التي كان حضرها. قال ثم ماتت فاطمة فجاء نساء رسول الله ص كلهن إلى بنى هاشم فى العزاء إلا عائشة فإنها لم تأت وأظهرت مرضا ونقل إلى على ع عنها كلام يدل على السرور. ثم بايع على أباه فسرت بذلك وأظهرت من الاستبشار بتمام البيعة واستقرار [صفحة 199] الخلافة و بطلان منازعة الخصم ما قد نقله الناقلون فأكثروا واستمرت الأمور على هدامدة خلافة أبيها وخلافة عمر وعثمان والقلوب تغلى والأحقاد تذيب الحجارة وكلما

طال الزمان على على تضاعفت همومه وباح بما فى نفسه إلى أن قتل عثمان و قد كانت عائشة فيها أشد الناس عليه تأليبا وتحريضا فقالت أبعده الله لما سمعت قتله وأملت أن تكون الخلافة فى طلحة فتعود الإمرة تيمية كما كانت أولا فعدل الناس عنه إلى على بن أبى طالب فلما سمعت ذلك صرخت وا عثماناه قتل عثمان مظلوما وثار ما فى الأنفس حتى تولد من ذلك يوم الجمل و مابعده . هذه خلاصة كلام الشيخ أبى يعقوب رحمه الله و لم يكن يتشيع و كان شديدا فى الاعتزال إلا أنه فى التفضيل كان بغداديا . فأما قوله ع و لودعيت لتنال من غيرى مثل ما أتت إلى لم تفعل فإنما يعنى به عمر يقول لو أن عمر ولى الخلافة بعد قتل عثمان على الوجه الذى قتل عليه والوجه الذى أناوليت الخلافة عليه و نسب إلى عمر أنه كان يؤثر قتله أو يحرض عليه ودعيت عائشة إلى أن تخرج عليه فى عصابة من المسلمين إلى بعض بلاد الإسلام تثير فتنة و تنقض البيعة لم تفعل و هذا حق لأنها لم تكن تجد على عمر ما تجده على على ع و لا الحال الحال . فأما قوله ولها بعد حرمتها الأولى والحساب على الله فإنه يعنى بذلك حرمتها بنكاح رسول الله ص لها و حبه إياها وحسابها على الله لأنه غفور رحيم لا يتعاضم عفوهُ زلة و لا يضيق عن رحمة ذنب . [صفحہ ۲۰۰] فإن قلت هذا الكلام يدل على توفقه ع فى أمرها وأنتم تقولون إنها من أهل الجنة فكيف تجمعون بين مذهبكم و هذا الكلام . قلت يجوز أن يكون قال هذا الكلام قبل أن يتواتر الخبر عنده بتوبتها فإن أصحابنا يقولون إنها تابت بعد قتل أمير المؤمنين و ندمت وقالت لوددت أن لى من رسول الله ص عشرة بنين كلهم ماتوا و لم يكن يوم الجمل و إنها كانت بعد قتله تثنى عليه و تنشر مناقبه مع أنهم رووا أيضا أنها عقيب الجمل كانت تبكى حتى تبل خمارها و أنها استغفرت الله و ندمت ولكن لم يبلغ أمير المؤمنين ع حديث توبتها عقيب الجمل بلاغا يقطع العذر ويثبت الحجة و الذى شاع عنها من أمر الندم والتوبة شياعا مستفيضا إنما كان بعد قتله ع إلى أن ماتت وهى على ذلك والتائب مغفور له و يجب قبول التوبة عندنا فى العدل و قد أكدوا وقوع التوبة منها ما روى فى الأخبار المشهورة أنها زوجه رسول الله ص فى الآخرة كما كانت زوجته فى الدنيا -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۷-۸۸ و مثل هذا الخبر إذ اشاع أوجب علينا أن نتكلف إثبات توبتها و لو لم ينقل فكيف والنقل لها يكاد أن يبلغ حد التواتر منه سبيل أبلغ المنهاج أنور السيراج فبالإيمان يُستدل على الصالحات و بالصالحات يُستدل على الإيمان و بالإيمان يُعمّر العلم و بالعلم يُرهب الموت و بالموت تُختم الدنيا و بالدنيا تُحرز الآخرة و بالقيامة تُرلّف الجنة و تُبرز الجحيم [صفحہ ۲۰۱] للغاوين و إن الخلق لا مقصّر لهم عن القيامة مرقلين فى مضمارها إلى الغاية القصوى هو الآن فى ذكر الإيمان و عنه قال سبيل أبلغ المنهاج أى واضح الطريق . ثم قال فبالإيمان يستدل على الصالحات يريد بالإيمان هاهنا مسماه اللغوى لا الشرعى لأن الإيمان فى اللغة هو التصديق قال سبحانه و ما أنت بمؤمن لنا أى بمصدق والمعنى أن من حصل عنده التصديق بالوحدانية والرسالة وهما كلمتا الشهادة استدل بهما على وجوب الأعمال الصالحة عليه أو ندبه إليها لأن المسلم يعلم من دين نبيه ص أنه أوجب عليه أعمالا صالحة و ندبه إلى أعمال صالحة فقد ثبت أن بالإيمان يستدل على الصالحات . ثم قال وبالصالحات يستدل على الإيمان فالإيمان هاهنا مستعمل فى مسماه الشرعى لا فى مسماه اللغوى و مسماه الشرعى هو العقد بالقلب والقول باللسان والعمل بالجوارح فلا يكون المؤمن مؤمنا حتى يستكمل فعل كل واجب و يجتنب كل قبيح و لاشبهة أنامتى علمنا أو ظننا من مكلف أنه يفعل الأفعال الصالحة و يجتنب الأفعال القبيحة استدللنا بذلك على حسن إطلاق لفظ المؤمن عليه وبهذا التفسير الذى فسرناه نسلم من إشكال الدور لأن لقايل أن يقول من شرط الدليل أن يعلم قبل العلم بالمدلول فلو كان كل واحد من الإيمان والصالحات يستدل به على الآخر لزم تقدم العلم بكل واحد منهما على العلم بكل واحد منهما فيؤدى إلى الدور و لاشبهة أن هذا الدور غير لازم على التفسير الذى فسرناه نحن . -قرآن- ۲۰۷-۲۳۲ [صفحہ ۲۰۲] ثم قال ع و بالإيمان يعمر العلم و ذلك لأن العالم و هو غير عامل بعلمه غير منتفع بما علم بل مستضر به غاية الضرر فكأن علمه خراب غير معمور وإنما يعمر بالإيمان و هو فعل الواجب و تجنب القبيح على مذهبنا أو الاعتقاد والمعرفة على مذهب غيرنا أو القول اللسانى على قول آخرين ومذهبنا أرجح لأن عمارة العلم إنما تكون بالعمل من

الأعضاء والجوارح وبدون ذلك يبقى العلم على خرابه كما كان . ثم قال وبالعلم يهرب الموت هذا من قول الله تعالى إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ . ثم قال وبالموت تختم الدنيا وهذا حق لأنه انقطاع التكليف . ثم قال وبالدنيا تحرز الآخرة هذا كقول بعض الحكماء الدنيا متجر والآخرة ربح ونفسك رأس المال . ثم قال وبالقيامه تزلف الجنة للمتقين وتبرز الجحيم للغاوين هذا من القرآن العزيز وتزلف لهم تقدم لهم وتقرب إليهم . ولا مقصر لى عن كذا لامحس ولا غاية لى دونه وأرقل أسرع والمضمار حيث تستبق الخيل - قرآن - ٤٥٣-٤٩٦ منها قد شَخَّصُوا مِنْ مُسْتَقَرِّ الْأَجْدَاثِ وَ صَارُوا إِلَى مَصَائِرِ الْغَايَاتِ لِكُلِّ دَارٍ أَهْلِهَا [صفحہ ٢٠٣] لَا يَسْتَبْدِلُونَ بِهَا وَلَا يُنْقَلُونَ عَنْهَا وَإِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَخُلُقَانٍ مِنْ خُلُقِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَإِنَّهُمَا لَا يَقْرَبَانِ مِنْ أَجْلِ وَلَا يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ فَإِنَّهُ الْحَبْلُ الْمَتِينُ وَالنُّورُ الْمُبِينُ وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ وَالرِّىُّ النَّافِعُ وَالْعِصْمَةُ لِلْمُتَمَسِّكِ وَالنَّجْرَاءُ لِلْمُتَعَلِّقِ لَمَا يَعُوجُّ فَيُقَامَ وَلَا يَزِيغُ فَيَسْتَعْتَبُ وَلَا مَا يُخْلِقُهُ كَثْرَةُ الرِّدِّ وَوُلُوجِ السِّمِّعِ مَنْ قَالَهُ بِهِ صِدْقٌ وَمَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ شَخَّصُوا مِنْ بَلَدٍ كَذَا خَرَجُوا وَمُسْتَقَرِّ الْأَجْدَاثِ مَكَانَ اسْتِقْرَارِهِمْ بِالْقُبُورِ وَهِيَ جَمْعُ جَدَثٍ . ومصاير الغايات جمع مصير والغايات جمع غاية وهى ما ينتهى إليه قال الكميت فالآن صرت إلى أمة والأمور إلى مصاير . ثم ذكر أن أهل الثواب والعقاب كل من الفريقين يقيم بدار لا يتحول منها وهذا كما ورد فى الخبر أنه ينادى مناد يا أهل الجنة سعادة لافناء لها و يا أهل النار شقاوة لافناء لها -روایت- ١-٢-روایت- ١٥-٩٤ . ثم ذكر أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر خلقان من خلق الله سبحانه و ذلك لأنه تعالى ما أمر إلا بالمعروف و ما نهى إلا - عن منكر و يبقى الفرق بيننا وبينه أنايجب علينا النهى عن المنكر بالمنع منه و هو سبحانه لا يجب عليه ذلك لأنه لو منع من إتيان المنكر لبطل التكليف . ثم قال إنهما لا يقربان من أجل و لا ينقصان من رزق وإنما قال ع [صفحہ ٢٠٤] ذلك لأن كثيرا من الناس يكف عن نهى الظلمة عن المناكير توهمها منه أنهم أما إن يبطشوا به فيقتلوه أو يقطعوا رزقه ويحرموه فقال ع إن ذلك ليس مما يقرب من الأجل و لا يقطع الرزق . وينبغى أن يحمل كلامه ع على حال السلامة و غلبه الظن بعدم تطرق الضرر الموفى على مصلحة النهى عن المنكر . ثم أمر باتباع الكتاب العزيز و وصفه بما وصفه به . و ماء نافع ينقع الغلة أى يقطعها ويروى منها و لا يزيغ يميل فيستعتب يطلب منه العتبي هى الرضا كما يطلب من الظالم يميل فيسترضى . قال و لا يخلقه كثرة الرد و ولوج السمع هذا من خصائص القرآن المجيد شرفه الله تعالى و ذلك أن كل كلام منشور أو منظوم إذا تكررت تلاوته و تردد و لوجه الأسماع مل و سمج و استهجن إلا القرآن فإنه لا يزال غضا طريا محبوبا غير مملول [صفحہ ٢٠٥]

١٥٧

وقام إليه ع رجل فقال أخبرنا عن الفتنة وهل سألت عنها رسول الله ص فقال ع إِنَّهُ لَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ قَوْلَهَا لَمْ أَسْأَلِ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَةَ لَا تَنْزِلُ بِنَا وَ رَسُولِ اللَّهِ ص بَيْنَ أَظْهَرِنَا فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي أَخْبَرَكَ اللَّهُ بِهَا فَقَالَ يَا عَلِيُّ إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ بَعْدِي فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ لَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ اسْتُشْهِدَ مَنْ اسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَ حِيزَتْ عَنِّي الشَّهَادَةُ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيَّ فَقُلْتُ لِي أَبَشِّرْ فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ فَقَالَ لِي إِنَّ ذَلِكَ لَكَذَلِكَ فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذَا قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ وَ لَكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ الْبُشْرَى وَ الشُّكْرِ وَقَالَ يَا عَلِيُّ إِنَّ الْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بِأَمْوَالِهِمْ وَ يَمْنُونَ بِدِينِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ وَ يَتَمَنُونَ رَحْمَتَهُ وَ يَأْمَنُونَ سَيِّطَوْتَهُ وَ يَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ الْكَاذِبَةِ وَ الْأَهْوَاءِ السَّاهِيَةِ فَيَسْتَحِلُّونَ الْخَمْرَ بِالتَّبِيدِ وَ السِّحْتِ بِالْهَدْيَةِ وَ الرِّبَا بِالْبَيْعِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَيَأْتِي الْمَنَازِلَ أَنْزَلَهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ أَمْ بِمَنْزِلَةٍ فِتْنَةٍ فَقَالَ بِمَنْزِلَةٍ فِتْنَةٍ - قرآن - ٤٧-١٢٤ [صفحہ ٢٠٦] قد كان ع يتكلم فى الفتنة ولذلك ذكر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولذلك قال فعليكم بكتاب الله أى إذا وقع الأمر واختلط الناس فعليكم بكتاب الله فلذلك قام إليه من سأله عن الفتنة وهذا الخبر

مروى عن رسول الله ص قدرواه كثير من المحدثين عن على ع أن رسول الله ص قال له إن الله قد كتب عليك جهاد المفتونين كما كتب على جهاد المشركين قال فقلت يا رسول الله ما هذه الفتنة التي كتب على فيها الجهاد قال قوم يشهدون أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله وهم مخالفون للسنة فقلت يا رسول الله فعلام أقاتلهم وهم يشهدون كما أشهد قال على الأحداث فى الدين ومخالفة الأمر فقلت يا رسول الله إنك كنت وعدتني الشهادة فأسأل الله أن يعجلها لى بين يديك قال فمن يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين أما إنى وعدتكم الشهادة وستشهد تضرب على هذه فتخضب هذه فكيف صبرك إذا قلت يا رسول الله ليس ذا بموطن صبر هذا موطن شكر قال أجل أصبت فأعد للخصومة فإنك مخاصم فقلت يا رسول الله لو بينت لى قليلا فقال إن أمتى ستفتن من بعدى فتأول القرآن وتعمل بالرأى وتستحل الخمر بالنيذ والسحت بالهدية والربا بالبيع وتحرف الكتاب عن مواضعه وتغلب كلمة الضلال فكن جليس بيتك حتى تقلدها فإذا قلدها جاشت عليك الصدور وقلبت لك الأمور تقاتل حينئذ على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيهه فليست حالهم الثانية بدون حالهم الأولى فقلت يا رسول الله فبأى المنازل أنزل هؤلاء المفتونين من بعدك أم بمنزلة فتنة أم بمنزلة ردة فقال بمنزلة فتنة يعمهون فيها إلى أن يدركهم العدل فقلت يا رسول الله أيدركهم العدل منا أم من غيرنا قال بل منا بنا فتح وبنا يختم وبنا ألف الله بين القلوب -رواية- ١-٢-رواية- ٤١-٤١-رواية- ٢٠٧ [صفحة ٢٠٧] بعد الشرك وبنا يؤلف بين القلوب بعد الفتنة فقلت الحمد لله على ما وهب لنا من فضله -رواية- از قبل- ٨٨ . واعلم أن لفظه ع المروى فى نهج البلاغة يدل على أن الآية المذكورة وهى قوله ع الم أ حسب الناس أنزلت بعد أحد و هذا خلاف قول أرباب التفسير لأن هذه الآية هى أول سورة العنكبوت وهى عندهم بالاتفاق مكية و يوم أحد كان بالمدينة وينبغى أن يقال فى هذا إن هذه الآية خاصة أنزلت بالمدينة وأضيفت إلى السورة المكية فصارتا واحدة وغلب عليها نسب المكى لأن الأكثر كان بمكة و فى القرآن مثل هذا كثير كسورة النحل فإنها مكية بالإجماع وآخرها ثلاث آيات أنزلت بالمدينة بعد يوم أحد وهى قوله تعالى وَ إِن عَاقِبَتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَ لَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ وَ اصْبِرْ وَ مَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَ لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَ لَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الْعَٰدِينَ وَ الْعَٰدِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ . فإن قلت فلم قال علمت أن الفتنة لا تنزل بنا و رسول الله بين أظهرنا قلت لقوله تعالى وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ . وقوله حيزت عنى الشهادة أى منعت . قوله ليس هذا من مواطن الصبر كلام عال جدا يدل على يقين عظيم وعرفان تام ونحوه -قرآن- ٨٦-١٠٧-قرآن- ٥١٠-٧٦٥-قرآن- ٨٥٦-٩٠٢ قوله و قدضربه ابن ملجم فرت ورب الكعبة -رواية- ١-٢-رواية- ٩-٤٧ . [صفحة ٢٠٨] قوله سيفتون بعدى بأموالهم من قوله تعالى إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ . قوله ويمنون بدينهم على ربهم من قوله تعالى يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هِدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ . قوله ويتمنون رحمته من قوله أحقق الحمقى من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله . قوله ويأمنون سطوته من قوله تعالى أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَٰسِرُونَ . والأهواء الساهية الغافلة والسحت الحرام ويجوز ضم الحاء و قد أسحت الرجل فى تجارتها إذا اكتسب السحت . و فى قوله بل بمنزلة فتنة تصديق لمذهبنا فى أهل البغى وأنهم لم يدخلوا فى الكفر بالكيفية بل هم فساق والفساق عندنا فى منزلة بين المنزلتين خرج من الإيمان و لم يدخل فى الكفر - قرآن- ٤٨-٨٦-قرآن- ١٣٧-٢٥٢-قرآن- ٣٧٨-٤٥٥ [صفحة ٢٠٩]

١٥٨- و من خطبة له ع

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتَاحًا لِذِكْرِهِ وَ سَبَبًا لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ وَ دَلِيلًا عَلَى آلَائِهِ وَ عَظَمَتِهِ عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الدَّهْرَ يَجْرِي بِالبَاقِينَ كَجَرِيهِ بِالمَاضِيَيْنِ لَا يَعُودُ مَا قَدْ وَلَّى مِنْهُ وَ لَا يَبْقَى سِرْمَدًا مَا فِيهِ آخِرُ فَعَالِهِ كَأَوْلِهِ مُتَشَابِهَةٌ أُمُورُهُ مُتَّظَاهِرَةٌ أَعْلَامُهُ فَكَأَنَّكُمْ بِالسَّاعَةِ

تَحْدُوكُمْ حَدَوَ الزَّاجِرِ بِشَوْلِهِ فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحَيَّرَ فِي الظُّلُمَاتِ وَ ارْتَبَكَ فِي الهَلَكَاتِ وَ مَدَّتْ بِهِ شَيَاطِينُهُ فِي طُغْيَانِهِ وَ زَيَّنَتْ لَهُ سَيِّئِي أَعْمَالِهِ فَالْجَنَّةُ غَايَةُ السَّابِقِينَ وَ النَّارُ غَايَةُ الْمُفْرَطِينَ اَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ التَّقْوَى ذَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ وَ الفُجُورَ ذَارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ لِمَا يَمْنَعُ أَهْلَهُ وَ لَا يُحْرِزُ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ أَلَا وَ بِالتَّقْوَى تُقَطَّعُ حُمَةُ الخَطَايَا وَ بِالْيَقِينِ تُدْرَكُ الغَايَةُ القُصْوَى عِبَادَ اللَّهِ اللَّهُ فِي أعْزِ الأَنْفُسِ عَلَيْكُمْ وَ أَحَبَّهَا إِلَيْكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْصَحَ لَكُمْ سَبِيلَ الحَقِّ وَ أَنَارَ طُرُقَهُ فَشِقْوَةٌ لَازِمَةٌ أَوْ سَعَادَةٌ دَائِمَةٌ فَتَرَوُذُوا فِي أَيَّامِ الفَنَاءِ لِأَيَّامِ البَقَاءِ قَدْ دَلَّلْتُمْ عَلَى الزَّادِ وَ أَمَرْتُمْ بِالظُّعْنِ وَ حَشِشْتُمْ عَلَى المَسِيرِ فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَرَكِبٍ وَ قُوفٍ لَا يَدْرُونَ مَتَى يُومَرُونَ بِالسَّيْرِ أَلَا فَمَا يَصْنَعُ بالدُّنْيَا مِنْ [صفحہ ۲۱۰] خُلِقَ لِلْآخِرَةِ وَ مَا يَصْنَعُ بِالمَالِ مَنْ عَمَّا قَلِيلٍ يُسَلِّبُهُ وَ تَبْقَى عَلَيْهِ تَبِعَتُهُ وَ حِسَابُهُ عِبَادَ اللَّهِ إِنَّهُ لَيْسَ لِمَا وَعَدَ اللَّهُ مِنَ الخَيْرِ مَتْرُكٌ وَ لَا فِيمَا نَهَى عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ مَرْعَبٌ عِبَادَ اللَّهِ احْذَرُوا يَوْمًا تُفَحَّصُ فِيهِ الأَعْمَالُ وَ يَكْتَثُرُ فِيهِ الزَّلْزَالُ وَ تَشْتَبِهُ فِيهِ الأَطْفَالُ اَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ عَلَيْكُمْ رَصِيدًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ وَ عُيُونًا مِنْ جَوَارِحِكُمْ وَ حِفَاطًا صِدْقٍ يَحْفَظُونَ أَعْمَالَكُمْ وَ عَيْدَدَ أَنْفَاسِكُمْ لِمَا تَسْتُرُّكُمْ مِنْهُمْ ظُلْمَةٌ لَيْلٍ دَاجٍ وَ لَا يُكْنِكُمْ مِنْهُمْ بَابٌ ذُو رِتَاجٍ وَ إِنْ غَدَاً مِنَ اليَوْمِ قَرِيبٌ يَذْهَبُ اليَوْمُ بِمَا فِيهِ وَ يَجِيءُ الغَدُ لَاحِقًا بِهِ فَكَأَنَّ كُلَّ امْرِئٍ مِنْكُمْ قَدْ بَلَغَ مِنَ الأَرْضِ مَنَزِلَ وَ حُدَّتِهِ وَ مَخَطَ حُفْرَتِهِ فَيَأْتِيهِ مِنَ بَيْتِ وَ حُدَّةٍ وَ مَنَزِلِ وَ حَشَّةٍ وَ مَفْرَدٍ غَرِيبَةٍ وَ كَأَنَّ الصَّيْحَةَ قَدْ أَتَتْكُمْ وَ السَّاعِيَةَ قَدْ غَشِيَتْكُمْ وَ بَرَزْتُمْ لِفَصْلِ القَضَاءِ قَدْ زَاحَتْ عَنْكُمْ الأَبَاطِيلُ وَ اضمَحَلَتْ عَنْكُمْ العِلَلُ وَ اسْتَحَقَّتْ بِكُمْ الحَقَائِقُ وَ صَدَرَتْ بِكُمْ الأُمُورُ مَصَادِرَهَا فَاتَعَطُّوا بِالعَبْرِ وَ اعْتَبَرُوا بِالعَبْرِ وَ انْتَفِعُوا بِالنَّذْرِ جَعَلَ الحمد مفتاحا لذكره لأن أول الكتاب العزيز الحمد لله رب العالمين والقرآن هو الذكر قال سبحانه إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون -قرآن- ۵۰-۸۰-قرآن- ۱۱۰-۱۶۳ [صفحہ ۲۱۱] وسببا للمزيد لأنه تعالى قال لئن شكرتم لأزيدنكم والحمد ها هنا هو الشكر ومعنى جعله الحمد دليلا على عظمته وآلآئه أنه إذا كان سببا للمزيد فقد دل ذلك على عظمة الصانع وآلآئه أمادلالته على عظمته فلأنه دال على أن قدرته لاتتناهى أبدا بل كلما ازداد الشكر ازدادت النعمة و أمادلالته على آلآئه فلأنه لاجود أعظم من جود من يعطى من يحمده لاحمدا متطوعا بل حمدا واجبا عليه . قوله يجرى بالباقيين كجرية بالماضين من هذاأخذ الشعراء وغيرهم مانظموه فى هذاالمعنى قال بعضهم -قرآن- ۳۲-۶۰ مات من مات والثريا الثريا || والسماك السماك والنسر نسر ونجوم السماء تضحك منا || كيف تبقى من بعدنا ونمر . وقال آخر فما الدهر إلاكالزمان الذى مضى || ولانحن إلاكالقرون الأوائل . قوله لايعود ما قدولى منه كقول الشاعر ماأحسن الأيام إلاأنها || ياصاحبى إذامضت لم ترجع . قوله ولايبقى سرمدما فيه كلام مطروق المعنى قال عدى ليس شىء على المنون بياق || غيروجه المهيمن الخلاق . قوله آخر أفعاله كأوله يروى كأولها و من رواه كأوله أعاد الضمير إلى الدهر أى آخر أفعال الدهر كأول الدهر فحذف المضاف .متشابهة أموره لأنه كما كان من قبل يرفع ويضع ويغنى ويفقر ويوجد [صفحہ ۲۱۲] ويعدم فكذلك هو الآن أفعاله متشابهة وروى متسابقة أى شىءمنها قبل شىء كأنها خيل تتسابق فى مضمار.متظاهرة أعلامه أى دلالاته على سجيته التى عامل الناس بهاقدىما وحديثا متظاهرة يقوى بعضها بعضا و هذاالكلام جار منه ع على عادة العرب فى ذكر الدهر وإنما الفاعل على الحقيقة رب الدهر. والشول النوق التى خف لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر أوثمانية الواحدة شائلة وهى جمع على غيرالقياس وشولت الناقة أى صارت شائلة فأما الشائل بغير هاء فهى الناقة تشول بذنبها للقاح و لالبن لها أصلا والجمع شول مثل راعع وررعع قال أبوالنجم كأن فى أذناهن الشول . والزاجر الذى يزجر الإبل يسوقها ويقال حدوت إبلى وحدوت يابلى والحدو سوقها والغناء لها وكذلك الحداء ويقال للشمال حدواء لأنها تحدو السحاب أى تسوقه قال العجاج حدواء جاءت من بلاد الطور . ولايقال للمذكر أحدى وربما قيل للحمار إذاقدم أنه حداد قال ذو الرمة حادى ثلاث من الحقب السماحيح . والمعنى أن سائق الشول يعسف بها ولايتقى سوقها ولايدارك كمايسوق العشار. [صفحہ ۲۱۳] ثم قال ع من شغل نفسه بغير نفسه هلكك وذلك أن من لايوفى النظر حقه ويميل إلى الأهواء ونصرة الأسلاف والحجاج عما ربي عليه بين الأهل والأساذين الذين زرعو فى قلبه العقائد يكون قدشغل نفسه بغير

نفسه لأنه لم ينظر لها ولا قصد الحق من حيث هو حق وإنما قصد نصره مذهب معين يشق عليه فراقه ويصعب عنده الانتقال منه ويسوؤه أن يرد عليه حجة تبطله فيسهر عينه ويتعب قلبه في تهويس تلك الحجج والقدرح فيها بالعث والسمين لأنه يقصد الحق بل يقصد نصره المذهب المعين وتشيد دليله لاجرم أنه متحير في ظلمات لانهاية لها. والارتباك الاختلاط ربكت الشيء أربكه ربكا خلطته فارتبك أى اختلط وارتبك الرجل فى الأمر أى نشب فيه و لم يكذب يتخلص منه . قوله ومدت به شياطينه فى طغيانه مأخوذ من قوله تعالى وَ إِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ. وروى ومدت له شياطينه باللام ومعناه الإمهال مد له فى الغي أى طول له وقال تعالى قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا. قوله وزينت له سبى أعماله مأخوذ من قوله تعالى أَمْ مَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا. قوله التقوى دار حصن عزيز معناه دار حصانه عزيزة فأقام الاسم مقام المصدر وكذلك فى الفجور. ويحرز من لجأ إليه يحفظ من اعتصم به . -قرآن- ٧٣٠-٧٨٦-قرآن- ٨٧٩-٩٣٥-قرآن- ٩٨٩-١٠٣٩ [صفحہ ٢١٤] وحمة الخطايا سمها وتقطع الحمة كما تقول قطعت سريان السم فى بدن الملسوع بالبادزهرات والترياقات فكأنه جعل سم الخطايا ساريا فى الأبدان والتقوى تقطع سريانه . قوله وباليقين تدرك الغاية القصوى وذلك لأن أقصى درجات العرفان الكشف وهو المراد هاهنا بلفظ اليقين . وانتصب الله الله على الإغراء وفى متعلقه بالفعل المقدر وتقديره راقبوا وأعز الأنفس عليهم أنفسهم . قوله فشقوة لازمة مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره فغايتمكم أوفجراؤكم أوفشأنكم وهذا يدل على مذهبنا فى الوعيد لأنه قسم الجزاء إلى قسمين إما العذاب أبدا أو النعيم أبدا وفى هذا بطلان قول المرجئة إن ناسا يخرجون من النار فيدخلون الجنة لأن هذا لو صح لكان قسما ثالثا. قوله فقد دللتم على الزاد أى الطاعة. وأمرتم بالظعن أى أمرتم بهجر الدنيا وأن تظعنوا عنها بقلوبكم ويجوز الظعن بالتسكين . وحثتم على المسير لأن الليل والنهار سائقان عنيفان . قوله وإنما أنتم كركب وقوف لا يدرون متى يؤمرون بالسير السير هاهنا هو الخروج من الدنيا إلى الآخرة بالموت جعل الناس ومقامهم فى الدنيا كركب وقوف لا يدرون متى يقال لهم سيروا فيسيرون لأن الناس لا يعلمون الوقت الذى يموتون فيه فإن قلت كيف سمي الموت والمفارقة سيرا. قلت لأن الأرواح يعرج بها إما إلى عالمها وهم السعداء أو تهوى إلى أسفل [صفحہ ٢١٥] السافلين وهم الأشقياء وهذا هو السير الحقيقى لاحركة الرجل بالمشى و من أثبت الأنفس المجردة قال سيرها خلوصها من عالم الحس واتصالها المعنوى لا الأبدى ببارئها فهو سير فى المعنى لا فى الصورة و من لم يقل بهذا ولا بهذا قال إن الأبدان بعد الموت تأخذ فى التحلل والترايل فيعود كل شىء منها إلى عنصره فذاك هو السير. وما فى عما قليل زائدة وتبعته إثمه وعقوبته . قوله إنه ليس لما وعد الله من الخير مترك أى ليس الثواب فيما ينبغى للمرء أن يتركه ولا الشر فيما ينبغى أن يرغب المرء فيه . وتفحص فيه الأعمال تكشف والزلازل بالفتح اسم للحركة الشديدة والاضطراب والزلازل بالكسر المصدر قال تعالى وَ زُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا. قوله ويشيب فيه الأطفال كلام جار مجرى المثل يقال فى اليوم الشديد إنه ليشيب نواصى الأطفال وقال تعالى فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا و ليس ذلك على حقيقته لأن الأمة مجمعة على أن الأطفال لا تتغير حالهم فى الآخرة إلى الشيب والأصل فى هذا أن الهموم والأحزان إذاتالت على الإنسان شاب سريعا قال أبو الطيب -قرآن- ٦٠٩-٦٣٨-قرآن- ٧٥٤-٨١٥ والهم يخترم الجسم نحافه || ويشيب ناصية الصبى ويهرم . قوله إن عليكم رصدا من أنفسكم و عيوننا من جوارحكم لأن الأعضاء تنطق فى القيامة بأعمال المكلفين وتشهد عليهم . [صفحہ ٢١٦] والرصد جمع راصد كالحرس جمع حارس . قوله وحفاظ صدق يعنى الملائكة الكاتبين لا يعتصم منهم بستره ولا ظلام ليل و من هذا المعنى قول الشاعر إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل || خلوت ولكن قل على رقيب قوله و إن غدا من اليوم قريب و منه قول القائل فإن غدا لناظره قريب . منه قوله غدا ما غدا ما أقرب اليوم من غدا . و منه قول الله تعالى إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ والصيحة نفخة الصور. وزاحت الأباطيل بعدت واضمحلت تلاشت وذهبت . قوله واستحقت أى حقت ووقعت استفعل بمعنى فعل كقولك استمر على باطله أى مر عليه . وصدرت بكم الأمور مصادرها كل وارد

١٥٩- ومن خطبة له ع

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ وَ طُولِ هَجْعِهِ مِنَ الْأُمَّمِ وَ انْتِقَاضِ مِنَ الْمُبْرَمِ فَجَاءَهُمْ بِتَصْدِيقِ الْأَذَى بَيْنَ يَدَيْهِ وَ التَّوَرِ الْمُقْتَدَى بِهِ ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطَقُوهُ وَ لَنْ يَنْطِقَ وَ لَكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ أَلَمْأَ إِنَّ فِيهِ عِلْمٌ مَا يَأْتِي وَ الْحَيْدِيثُ عَنِ الْمَاضِي وَ دَوَاءٌ دَائِكُمْ وَ نَظْمٌ مَا بَيْنَكُمْ الْهَجْعَةُ النُّومَةُ الْخَفِيفَةُ وَ قَدْتَسْتَعْمَلُ فِي النُّومِ الْمَسْتَعْرِقِ أَيْضًا وَ الْمُبْرَمِ الْحَبْلِ الْمَفْتُولِ وَ الْأَذَى بَيْنَ يَدَيْهِ التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ .

فإن قلت التوراة والإنجيل قبله فكيف جعلهما بين يديه قلت أحد جزأى الصلوة محذوف وهو المبتدأ والتقدير بتصديق أذى هو بين يديه وهو ضمير القرآن أى بتصديق أذى القرآن بين يديه وحذف أحد جزأى الصلوة هاهنا ثم حذفه فى قوله تعالى تماماً عَلَى الْأَذَى أَحْسَنَ وَ فَصِيلاً فى قراءة من جعله اسماً - قرآن - ٣٥٧-٣٩٧ [صفحة ٢١٨] مرفوعاً وأيضاً فإن العرب تستعمل بين يديه بمعنى قبل قال تعالى بَيْنَ يَدَى عَذَابٍ شَدِيدٍ أى قبله - قرآن - ٦٧-٩٣ مِنْهَا فَعِنْدَ ذَلِكَ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مَدْرٍ وَ لَا وَبْرٌ إِلَّا وَ أَدَخَلَهُ الظُّلْمَةَ تَرْحَةً وَ أَوْلَجُوا فِيهِ نَقْمَهُ فَيَوْمِنِذٍ لَا يَبْقَى لَهُمْ فى السَّمَاءِ عَازِرٌ وَ لَا فى الْأَرْضِ نَاصِرٌ أَصْفَيْتُمْ بِالْأَمْرِ غَيْرَ أَهْلِهِ وَ أَوْرَدْتُمُوهُ غَيْرَ مَوْرِدِهِ وَ سَيَبْتَغِيكُمْ اللَّهُ مِمَّنْ ظَلَمَ مَا كَلَّمَا بِمَا كَلَّمَ وَ مَشْرَبًا بِمَشْرَبٍ مِنْ مَطَاعِمِ الْعَلَقَمِ وَ مَشَارِبِ الصَّبْرِ وَ الْمَقْرِ وَ لِبَاسٍ شِعَارِ الْخَوْفِ وَ دِثَارِ السَّيْفِ وَ إِنَّمَا هُمْ مَطَايَا الْخَطِيئَاتِ وَ زَوَامِلُ الْآثَامِ فَأُقْسِمُ ثُمَّ أُفْسِمُ لَنَنْخَمَنَّهَا أُمِّيَّةً مِنْ بَعْدِي كَمَا تَلْفَظُ النَّخَامِيَّةُ ثُمَّ لَا تَذُوقُهَا وَ لَا تَتَطَعَّمُ بِطَعْمِهَا أَبَدًا مَا كَرَّ الْجَدِيدَانِ التَّرْحَةَ الْحَزْنَ قَالَ فحينئذ لا يبقى لهم أى يحيق بهم العذاب ويبعث الله عليهم من ينتقم وهذا إخبار عن ملك بنى أمية بعده وزوال أمرهم عند تفاقم فسادهم فى الأرض . ثم خاطب أولياء هؤلاء الظلمة و من كان يؤثر ملكهم فقال أصفيتهم بالأمر [صفحة ٢١٩] غير أهله أصفيت فلانا بكذا خصصته به وصفية المغنم شىء كان يصطفيه الرئيس لنفسه من الغنيمة . وأوردتموه غير ورده أنزلتموه عند غير مستحقه ثم قال سيبدل الله ما أكلهم اللذيذة الشهية بما أكل مريرة علقمية والمقر المر وما كلالا - منصوب بفعل مقدر أى يأكلون ما كلالا - والباء هاهنا للمجازاة الدالة على الصلوة كقوله تعالى فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ وَ كَقَوْلِ أَبِي تَمَامٍ - قرآن - ٣١١-٣٣٦ فَبِمَا قَدَّارَاهُ رِيَانٌ مَكْسُوٌّ || المعانى من كل حسن وطيب و قال سبحانه قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهيراً لِلْمُجْرِمِينَ وَ جعل شعارهم الخوف لأنه باطن فى القلوب ودثارهم السيف لأنه ظاهر فى البدن كما أن الشعار ما كان إلى الجسد والدثار ما كان فوقه . ومطايا الخطيات حوامل الذنوب وزوامل الآثام جمع زاملة وهى يعبر يستظهر به الإنسان يحمل متاعه عليه قال الشاعر - قرآن - ١٥-٨١ زوامل أشعار و لاعلم عندهم || بجيدها إلا كعلم الأباغر وتنخمت النخامة إذ اتنخعتها والنخامة النخاعة . والجديدان الليل والنهار و قد جاء فى الأخبار الشائعة المستفيضة فى كتب المحدثين أن رسول الله ص أخبر أن بنى أمية تملك الخلافة بعده مع ذم منه ع [صفحة ٢٢٠] لهم نحو ما روى عنه فى تفسير قوله تعالى وَ مَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَ الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فى الْقُرْآنِ فَإِنَّ الْمَفْسِرِينَ قَالُوا إِنَّهُ رَأَى بَنِي أُمِيَّةٍ يَنْزُونَ عَلَى مَنْبَرِهِ نَزْوِ الْقَرْدَةِ هَذَا لَفْظُ رَسُولِ اللَّهِ ص الَّذِي فَسَّرَ لَهُمُ الْآيَةَ بِهَ فَسَاءَ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ الشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ بَنُو أُمِيَّةٍ وَ بَنُو الْمَغِيرَةِ وَ نَحْوِ - قرآن - ٤٣-١٤٦ قَوْلِهِ ص إِذْ بَلَغَ بَنُو أَبِي الْعَاصِ ثَلَاثِينَ رَجُلًا اتَّخَذُوا مَالَ اللَّهِ دَوْلًا وَ عِبَادَهُ خَوْلًا - روایت - ١-٢- روایت - ١٢-٨٤ قَوْلِهِ ص فى تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى لِيَأْمُرَهُ الْقَدَرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ قَالَ أَلْفُ شَهْرٍ يَمْلِكُ فِيهَا بَنُو أُمِيَّةٍ - روایت - ١-٢- روایت - ١٢-١٠٤ وَ وُورِدَ عَنْهُ ص مِنْ ذَمِّهِمُ الْكَثِيرِ الْمَشْهُورِ نَحْوُ قَوْلِهِ أَبْغَضُ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ الْحَكْمُ وَ هِشَامُ وَ الْوَلِيدُ - روایت - ١-٢- روایت - ٩-٥٥ فى خَبَرِ آخِرِ اسْمَانِ بِيغْضُهُمَا اللَّهُ مَرْوَانَ وَ الْمَغِيرَةَ - روایت - ١-٢- روایت - ١٤-٥٠ قَوْلِهِ إِنَّ رَبَّكُمْ يَحِبُّ وَيَبْغِضُ كَمَا يَحِبُّ أَحَدَكُمْ وَيَبْغِضُ وَإِنَّهُ يَبْغِضُ بَنِي أُمِيَّةٍ وَ يَحِبُّ بَنِي عَبْدِ الْمَطْلَبِ - روایت - ١-٢- روایت - ٩-٩٧ فَإِنَّ قَلْتُ كَيْفَ قَالَ ثُمَّ لَا تَذُوقُهَا أَبَدًا وَ قَدْ مَلَكُوا بِعَدْقِ الْدَوْلَةِ

١٦٠- ومن خطبة له ع

وَلَقَدْ أَحْسَنَتْ جِوَارِكُمْ وَ أَحَطَّتْ بِجَهْدِي مِنْ وَرَائِكُمْ وَ أَعْتَقْتُكُمْ مِنْ رَبِّي الذَّلَّ وَ حَلَقِ الضَّيْمِ شُكْرًا مِنِّْي لِلْبَرِّ القَلِيلِ وَ إِطْرَاقًا عَمَّا أَدْرَكَهُ البَصِيرُ وَ شَهَدَهُ البَدَنُ مِنَ المُنْكَرِ الكَثِيرِ أَحَطَّتْ بِجَهْدِي مِنْ وَرَائِكُمْ حَمِيَّتِكُمْ وَ حَضْنَتِكُمْ وَ الجَهْدَ بِالضَّمِّ الطَّاقَةَ الرَبِقَ جَمْعَ رِبْقَةٍ وَ هِيَ الجَبَلُ يَرِبِقُ بِهِ البَهْمُ . وَ حَلَقِ الضَّيْمِ جَمْعَ حَلْقَةٍ بِالتَّسْكِينِ وَ يَجُوزُ حَلْقَ بَكْسَرِ الحَاءِ وَ حَلَّاقٍ فَإِنْ قُلْتَ كَيْفَ يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَطْرُقَ وَ يَغْضَى عَنِ المُنْكَرِ . قُلْتَ يَجُوزُ لَهُ ذَلِكَ إِذَاعِلَمُ أَوْ غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ أَنَّهُ إِنْ نَهَاكُم عَنْهُ لَمْ يَرْتَدِعُوا وَ أَضَافُوا إِلَيْهِ مَنُكَرًا آخَرَ فَحِينَئِذٍ يَخْرُجُ الإِطْرَاقُ وَ الإِغْضَاءُ عَنِ حُدِّ الجِوَارِ إِلَى حُدِّ الوَجُوبِ لِأَنَّ النِّهْيَ عَنِ المُنْكَرِ يَكُونُ وَ الحَالَةَ هَذِهِ مَفْسُدَةً [صفحة ٢٢٢]

١٦١- و من خطبة له ع

إشارة

أَمْرُهُ قَضَاءٌ وَ حِكْمِيَّةٌ وَ رِضَاءٌ أَمَانٌ وَ رَحْمِيَّةٌ يَقْضِي بِعِلْمٍ وَ يَعْفُو بِحِلْمٍ أَللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ عَلَى مَا تَأْخُذُ وَ تَعْطِي وَ عَلَى مَا تَعَافِي وَ تَبْتَلِي حَمْدًا يَكُونُ أَرْضَى الحَمْدِ لَكَ وَ أَحَبُّ الحَمْدِ إِلَيْكَ وَ أَفْضَلُ الحَمْدِ عِنْدَكَ حَمْدًا يَمَلَأُ مَا خَلَقْتَ وَ يَبْلُغُ مَا أَرَدْتَ حَمْدًا لَا يَحْبُبُ عَنكَ وَ لَمَّا يُقْصَرُ دُونَكَ حَمْدًا لَمَّا يَنْقَطِعُ عَيْدُهُ وَ لَا يَفْنَى مِيدُهُ فَلَسْنَا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ إِلَّا أَنَا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قَيُّومٌ لَا تَأْخُذُكَ سِنَةٌ وَ لَا نَوْمٌ لَمْ يَنْتَهَ إِلَيْكَ نَظْرٌ وَ لَمْ يُدْرِكْكَ بَصِيرٌ أَدْرَكَتِ الأَبْصَارُ وَ أَحْصَيْتِ الأَعْمَالَ وَ أَخَذْتَ بِالنَّوَاصِي وَ الأَقْدَامِ وَ مَا أَلَدِي نَرَى مِنَ خَلْقِكَ وَ نَعَجِبُ لَهُ مِنْ قُدْرَتِكَ وَ نَصِفُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ وَ مَا تَغَيَّبَ عَنَّا مِنْهُ وَ قَصُرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ وَ انْتَهَتْ عُقُولُنَا دُونَهُ وَ حَيَّالَتْ سِيَوَاتِ الغُيُوبِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُ أَعْظَمُ فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ وَ أَعْمَلَ فِكْرَهُ لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ وَ كَيْفَ ذَرَأْتَ خَلْقَكَ وَ كَيْفَ عَلَّقْتَ فِي الهَوَاءِ سَيِّمَاتِكَ وَ كَيْفَ مِيدَدْتَ عَلَى مَوْرِ المِيَاءِ أَرْضَكَ رَجَعَ طَرْفُهُ حَسِيرًا وَ عَقَلَهُ مَبْهُورًا وَ سَمِعَهُ وَ الهَا وَ فِكْرُهُ حَائِرًا [صفحة ٢٢٣] يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَمْرُهُ هَاهُنَا هُوَ الأَمْرُ الفَعْلِيُّ لِأَنَّ الأَمْرَ القَوْلِيَّ كَمَا يُقَالُ أَمْرُ فُلَانٍ مُسْتَقِيمٌ وَ مَا أَمْرٌ كَذَا وَ قَالَ تَعَالَى وَ مَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَّمَحٍ بِالبَصِيرِ وَ مَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَّمَحٍ البَصِيرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ لِيَكُونَ المَعْنَى أَنْ شَأْنَهُ تَعَالَى لَيْسَ إِلَّا أَحَدٌ شَيْئَيْنِ وَ هُمَا أَنْ يَقُولَ وَ أَنْ يَفْعَلَ فَعَبَّرَ عَنِ أَنْ يَقُولَ بِقَوْلِهِ قَضَاءُ الحَكْمِ وَ عَبَّرَ عَنِ أَنْ يَفْعَلَ بِقَوْلِهِ وَ حِكْمَةٌ لِأَنَّ أفعالها كُلِّهَا تَتَّبَعُ دَوَاعِيَ الحِكْمَةِ وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَمْرُهُ هُوَ الأَمْرُ القَوْلِيُّ وَ هُوَ المَصْدَرُ مِنْ أَمْرٍ لَهُ بِكَذَا أَمْرًا فَيَكُونُ المَعْنَى أَنْ أَوَامِرُهُ إِجَابٌ وَ إِلْزَامٌ بِمَا فِيهِ حِكْمَةٌ وَ مَصْلَحَةٌ وَ قَدْ جَاءَ القَضَاءُ بِمَعْنَى الإِلْزَامِ وَ الإِجَابِ فِي القُرْآنِ العَزِيزِ فِي قَوْلِهِ وَ قَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ أَى أَوْجِبَ وَ أَلْزَمَ . قَوْلُهُ وَ رِضَاءُ أَمَانٍ وَ رَحْمَةٌ لِأَنَّ مِنْ فَازَ بِدَرَجَةِ الرِّضَا فَقَدْ أَمِنَ وَ حَصَلَتْ لَهُ الرِّحْمَةُ لِأَنَّ الرِّضَا رَحْمَةٌ وَ زِيَادَةٌ . قَوْلُهُ يَقْضِي بِعِلْمٍ أَى يَحْكُمُ بِمَا يَحْكُمُ بِهِ لِأَنَّهُ عَالِمٌ بِحَسَنِ ذَلِكَ القَضَاءِ أَوْ وَجُوبِهِ فِي العَدْلِ . قَوْلُهُ وَ يَعْفُو بِحِلْمٍ أَى لَا يَعْفُو عَنِ عِزْزٍ وَ ذَلٍّ كَمَا يَعْفُو الضَّعِيفُ عَنِ القَوِيِّ بَلْ هُوَ قَادِرٌ عَلَى الأَنْتِقَامِ وَ لَكِنَّهُ يَحِلْمُ . ثُمَّ حَمْدُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الإِعْطَاءِ وَ الأَخْذِ وَ العَافِيَةِ وَ البَلَاءِ لِأَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِمَصَالِحِ المَكْلُفِ يَعْلَمُهَا وَ مَا يَعْلَمُهَا المَكْلُفُ وَ الحَمْدُ عَلَى المَصَالِحِ وَاجِبٌ . -قُرْآن- ١١١- ١٥٧-قُرْآن- ١٥٨- ٢١٨-قُرْآن- ٦١٠- ٦٥٣ [صفحة ٢٢٤] ثُمَّ أَخَذَ فِي تَفْخِيمِ شَأْنِ ذَلِكَ الحَمْدِ وَ تَعْظِيمِهِ وَ المَبَالِغَةَ فِي وَصْفِهِ اِحْتِذَاءً بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ص الحَمْدُ لِلَّهِ زُنْهُ عَرْشِهِ الحَمْدُ لِلَّهِ عَدَدُ خَلْقِهِ الحَمْدُ لِلَّهِ مَلَأَ سَمَائِهِ وَأَرْضَهُ -رواية- ١- ٢-رواية- ٢٣- ٩٥ فُقَالَ عَ حَمْدًا يَكُونُ أَرْضَى الحَمْدِ لَكَ أَى يَكُونُ رِضَاكَ لَهُ أَوْفَى وَ أَعْظَمُ مِنْ رِضَاكَ بغيره وَ كَذَلِكَ القَوْلُ فِي أَحَبِّ

وأفضل . قوله ويبلغ ماأردت أى هو غاية ماتنتهى إليه الإرادة و هذاكقول الأعرابيه فى صفه المطر غشينا ماشئنا و هو من فصيح الكلام . قوله لايجب عنك لأن الإخلاص يقارنه والرياء منتف عنه . قوله و لايقصر دونك أى لايجب أى لامانع عن وصوله إليك و هذا من باب التوسع ومعناه أنه برىء من الموانع عن إثمارة الثواب واقتضائه إياه وروى و لايقصر من القصور وروى و لايقصر من التقصير. ثم أخذ فى بيان أن العقول قاصرة عن إدراك البارى سبحانه والعلم به و أناإنما نعلم منه صفات إضافية أو سلبية كالعالم بأنه حى ومعنى ذلك أنه لايستحيل على ذاته أن يعلم ويقدر و أنه قيوم بمعنى أن ذاته لايجوز عليها العدم أى يقيم الأشياء ويمسكها و كل شىء يقيم الأشياء كلها ويمسكها فليس بمحتاج إلى من يقيمه ويمسكه و إلا لم يكن مقيما وممسكا لكل شىء و كل من ليس بمحتاج إلى من يقيمه ويمسكه فذاته لايجوز عليها العدم و أنه تعالى لاتأخذه سنه و لانوم لأن هذا من صفات الأجسام و ما لايجوز عليها العدم لا يكون جسما و لا يوصف بخواص الأجسام ولوازما فإنه لاينتهى إليه نظر لأن انتهاء النظر إليه يستلزم مقابله و هو تعالى منزه عن الجهة و إلا لم يكن ذاته مستحيلا عليها العدم و أنه لايدرکه بصر لأن إبصار الأشياء بانطباع أمثلتها فى الرطوبة الجليديه كانطباع أشباح المرئيات فى المرآة والبارى تعالى لايمثل و لايتشبح و إلا لم يكن [صفحه ٢٢٥] قيوما و أنه يدرك الأبصار لأنه إما عالم لذاته أو لأنه حى لاآفه به و أنه يحصى الأعمال لأنه عالم لذاته فيعلم كل شىء حاضرا وماضيا ومستقبلا و أنه يأخذ بالنواصى والأقدام لأنه قادر لذاته فهو متمكن من كل مقدور. ثم خرج إلى فن آخر فقال و ما الذى نعجب لأجله من قدرتك وعظيم ملكك والغائب عنا من عظمتك أعظم من الحاضر مثال ذلك أن جرم الشمس أعظم من جرم الأرض مائة وستين مرة و لانسبه لجرم الشمس إلى فلکها المائل و لانسبه لفلکها المائل إلى فلکها المميل و فلک تدوير المريخ الذى فوقها أعظم من مميل الشمس و لانسبه لفلک تدوير المريخ إلى فلک المميل و فلک تدوير المشتري أعظم من مميل المريخ و لانسبه لفلک تدوير المشتري إلى فلک المميل و فلک تدوير زحل أعظم من مميل المشتري و لانسبه لفلک تدوير زحل إلى مميل زحل و لانسبه لمميل زحل إلى كره الثوابت و لانسبه لكزه الثوابت إلى الفلك الأطلس الأقصى فانظر أى نسبة تكون الأرض بكليتها على هذاالترتيب إلى الفلك الأطلس و هذا ما تقصر العقول عن فهمه وتنتهى دونه وتحول سواتر الغيوب بينها وبينه كما قال ع . ثم ذكر أن من أعمل فكره ليعلم كيف أقام سبحانه العرش وكيف ذرأ الخلق وكيف علق السماوات بغير علاقة و لاعمد وكيف مد الأرض على الماء رجع طرفه حسيرا وعقله مبهورا و هذا كله حق و من تأمل كتبنا العقلية واعتراضنا على الفلاسفة الذين عللوا هذه الأمور وزعموا أنهم استنبطوا لها أسبابا عقلية وادعوا وقوفهم على كتبها وحقائقها علم صحه ما ذكره ع من أن من حاول تقدير ملك الله تعالى وعظيم مخلوقاته بمكيال عقله فقد ضل ضلالا مبينا.]

صفحه ٢٢٦] وروى وفكره جائرا بالجيم أى عادلا- عن الصواب والحسير المتعب والمبهور المغلوب والواله المتحير منها يدعى بزعمه أنه يرجو الله كذب و العظيم ما باله لا يتبين رجائه فى عمله فكل من رجا عرف رجائه فى عمله إلا رجاء الله فإنه مدخول و كل خوف محقق إلا خوف الله فإنه معلول يرجو الله فى الكبير و يرجو العباد فى الصغير فيعطى العبد ما لا يعطى الرب فما بال الله جل ثناؤه يقصير به عما يصنع به لعباده أتخاف أن تكون فى رجائك له كاذبا أو تكون لا تراه للرجاء موضعا و كذلك إن هو خاف عبدا من عبيده أعطاه من خوفه ما لا يعطى ربه فجعل خوفه من العباد نقدا و خوفه من خالقه ضمه مارا و وعدا و كذلك من عظمت الدنيا فى عينه و كبر موقعها من قلبه آثرها على الله فانقطع إليها و صار عبدا لها يجوز بزعمه بالضم وبزعمه بالفتح وبزعمه بالكسر ثلاث لغات أى بقوله فأما من زعمت أى كفلت فالمصدر الزعم بالفتح والزعامه [صفحه ٢٢٧] ثم أقسم على كذب هذا الزاعم فقال والعظيم و لم يقل و الله العظيم تأكيداً لعظمة البارى سبحانه لأن الموصوف إذالقى وترك واعتمد على الصفة حتى صارت كالاسم كان أدل على تحقق مفهوم الصفة كالحارث والعباس . ثم بين مستند هذاالتكذيب فقال ما بال هذا الزاعم أنه يرجو ربه و لا يظهر رجائه فى عمله فإننا نرى من يرجو واحدا من البشر يلزم بابه ويواظب على خدمته ويتحجب إليه

فكرتها واخترت الدار الآخرة -رواية- ١-٢-رواية- ٣٦-١١٥ وجاء في الأخبار الصحيحة أنه كان يجوع ويشد حجرا على بطنه و أنه ماشيع آل محمد من لحم قط و أن فاطمة وبعلاها وبنها كانوا يأكلون خبز الشعير وأنهم آثروا سائلا بأربعة أقراص منه كانوا أعدوها لفظورهم وباتوا جياعا و قد كان رسول الله ص ملك قطعة واسعة من الدنيا فلم يتدنس منها بقليل و لا كثير ولقد كانت الإبل التي غنمها يوم حنين أكثر من عشرة آلاف بعير فلم يأخذ منها وبرة لنفسه و فرقا كلها على الناس وهكذا كانت شيمته وسيرته في جميع أحواله إلى أن توفى. والصفاف الجلد الباطن الذي فوقه الجلد الظاهر من البطن وشفيفه رقيقه الذي يستشف ماوراءه وبالتفسير الذي فسرع الآية فسرهما المفسرون وقالوا إن [صفحة ٢٣١] خضرة البقل كانت ترى في بطنه من الهزال وإنه ماسأل الله إلا أكله من الخبز و ما في لما أنزلت بمعنى أى إنى لأى شىء أنزلت إلى قليل أو كثير غث أو سمين فقير. فإن قلت لم عدى فقيرا باللام وإنما يقال فقير إلى كذا قلت لأنه ضمن معنى سائل ومطالب و من فسر الآية بغير ما ذكره ع لم يحتج إلى الجواب عن هذا السؤال فإن قوما قالوا أراد إنى فقير من الدنيا لأجل ما أنزلت إلى من خير أى من خير الدين و هو النجاء من الظالمين فإن ذلك رضا بالبدل السنى وفرحا به وشكرا له . وتشذب اللحم تفرقه والمزامير جمع مزار و هو الآلة التي يزمر فيها ويقال زمر يزمر بالضم والكسر فهو زمار ولا يكاد يقال زامر ويقال للمرأة زامرة ولا يقال زماره فأما الحديث أنه نهى عن كسب الزماره فقالوا إنها الزانية هاهنا ويقال إن داود أعطى من طيب النغم ولذة ترجيع القراءة ما كانت الطيور لأجله تقع عليه و هو فى محرابه والوحش تسمعه فتدخل بين الناس و لا تنفر منهم لما قد استغرقتها من طيب صوته و -قرآن- ٨٨-١٠٠ قال النبى ص لأبى موسى و قد سمعه يقرأ لقد أوتيت مزارا من مزامير داود -رواية- ١-٧٦ و كان أبو موسى شجى الصوت إذ قرأ و ورد فى الخبر داود قارئ أهل الجنة -رواية- ١-٢-رواية- ١٥-٣٦ . وسفائف الخوص جمع سفيفة وهى النسيجة منه سففت الخوص وأسففته بمعنى و هذا الذى ذكره ع عن داود يجب أن يحمل على أنه شرح حاله قبل أن يملك فإنه كان فقيرا فأما حيث ملك فإن المعلوم من سيرته غير ذلك . فأما عيسى فحاله كما ذكرها ع لاريب فى ذلك على أنه أكل اللحم وشرب [صفحة ٢٣٢] الخمر وركب الحمار وخدمه التلامذة ولكن الأغلب من حاله هى الأمور التي عددها أمير المؤمنين ع . ويقال حزنى الشىء يحزنى بالحزم ويجوز أحزنى بالهمز يحزنى وقرئ بهما و هو فى كلامه ع فى هذا الفصل بهما ويقال لفته عن كذا يلفته بالكسر أى صرفه ولواه فتأس بنبيك الأطيب الأطهرص فإن فيه أسوة لمن تأسى و عزاء لمن تعزى و أحب العباد إلى الله المتأسى بنبيه و المقتص لأثره قضم الدنيا قضمًا و لم يعرها طرفًا أهضم أهل الدنيا كسحا و أخصمهم من الدنيا بطنًا عرضت عليه الدنيا فأبى أن يقبلها و علم أن الله تعالى أبغض شيئا فأبغضه و حقر شيئا فحقره و صغر شيئا فصغره و لو لم يكن فينا إلا حننا ما أبغض الله و رسوله و تعظيمنا ما صغر الله و رسوله لكفى به شقاقا لله تعالى و محادة عن أمر الله تعالى و لقد كان ص يأكل على الأرض و يجلس جلسية العبد و يخصف بيده نعله و يرفع بيده ثوبه و يركب الحمار العارى و يردف خلفه و يكون السائر على ياب بيته فتكون فيه التصاوير فيقول يا فلانة لإحدى أزواجه غيبه عنى فإنى إذا نظرت إليه ذكرت الدنيا و زحارفها فأعرض عن الدنيا بقلبه و أمات ذكرها من نفسه و أحب أن تغيب زينتها عن عينه لكيلا يتجد منها رياشا و لا يعتقدها قرارا و لا يرجو فيها مقاما فأخرجها من النفس و أشخصها عن القلب و غيبها عن البصر [صفحة ٢٣٣] و كذلك من أبغض شيئا أبغض أن ينظر إليه و أن يذكر عنده و لقد كان فى رسول الله ص ما يدللك على مساوى الدنيا و غيوبها إذ جاع فيها مع خاصيته و زويت عنه زحارفها مع عظيم زلفته فلينظر ناظر بعقله أكرم الله محمدًا ص بذلك أم أهانه فإن قال أهانه فقد كذب و الله العظيم بالإفك العظيم و إن قال أكرمه فليعلم أن الله قد أهان غيره حيث بسط الدنيا له و زواها عن أقرب الناس منه فتأسى متأس بنبيه و اقتص أثره و ولج مولجه و إلا فلا يأمن الهلكة فإن الله جعل محمدًا ص علمًا للساعة و مبشرًا بالجنة و منذرًا بالعقوبة خرج من الدنيا حميمًا و ورد الآخرة سليمًا لم يضع حجرًا على حجر حتى مضى لسبيله و أجاب داعي ربه فما أعظم منه الله عندنا حين أنعم علينا به سلفًا نتبعه و قائدًا نطأ

عَقِبَهُ وَ اللَّهُ لَقَدْ رَقَعْتُ مِدْرَعَتِي هَذِهِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا وَ لَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ أ لَّا تَنْبِذُهَا عَنْكَ فَقُلْتُ اعزُبْ عَنِّي فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمِدُ الْقَوْمُ السَّرِيَّ الْمُقْتَصِرَ لِأَثَرِهِ الْمَتَّبِعِ لَهُ وَ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَ قَالَتْ لِأَخْتِهِ قُصَيْيَهْ وَ قُضِمَ الدُّنْيَا تَنَاوُلَ مِنْهَا قَدْرَ الْكِفَافِ وَ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ الضَّرُورَةَ مِنْ خَشَنِ الْعَيْشَةِ وَ قَالَ أَبُو ذَرٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ يَخْضُمُونَ وَ نَقُضُمُ وَ الْمَوْعِدُ اللَّهُ وَ أَسْلَ الْقُضْمُ أَكْلَ الشَّيْءِ الْيَابِسِ بِأَطْرَافِ الْأَسْنَانِ وَ الْخُضْمُ أَكْلُ بَكْلِ الْفَمِ لِلْأَشْيَاءِ الرُّطْبَةِ وَ رَوَى قُضْمٌ بِالضَّادِ أَيْ كَسَرَ - قُرْآن - ٤٧-٧٢ [صَفْحَةُ ٢٣٤] قَوْلُهُ أَهْضَمُ أَهْلُ الدُّنْيَا كَشَحَا الْكَشْحُ الْخَاصِرَةُ وَ رَجُلٌ أَهْضَمٌ بَيْنَ الْهَضْمِ إِذَا كَانَ خَمِيصًا لِقَلَّةِ الْأَكْلِ . وَ رَوَى وَ حَقَرَ شَيْئًا فَحَقَرَهُ بِالتَّخْفِيفِ وَ الشَّقَاقِ الْخِلَافِ وَ الْمَحَادَّةُ الْمَعَادَةُ وَ خَصَفَ النَّعْلَ خَرَزَهَا وَ الرِّيشَ الزَيْنَةَ وَ الْمَدْرَعَةُ الدَّرَاعَةُ . وَ قَوْلُهُ عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمَ السَّرِيَّ مِثْلَ يَضْرِبُ لِمُحْتَمَلِ الْمَشَقَّةِ الْعَاجِلَةَ رَجَاءَ الرَّاحَةِ الْآجِلَةَ

نَبذ من الأخبار والآثار الواردة في البعد عن زينة الدنيا

جاء في الأخبار الصحيحة أنه ع قال إنما أنا عبد آكل أكل العبيد وأجلس جلسة العبيد -رواية- ١-٢-رواية- ٣٨-٨٦ و كان يأكل على الأرض ويجلس جلوس العبيد يضع قصبتي ساقيه على الأرض ويعتمد عليهما بباطني فخذيه وركوبه الحمار العارى آية التواضع وهضم النفس وأردف غيره خلفه أكد في الدلالة على ذلك . وجاء في الأخبار الصحيحة النهى عن التصاوير و عن نصب الستور التي فيها التصاوير و كان رسول الله ص إذارأى سترأ فيه التصاوير أمر أن تقطع رأس تلك الصورة . وجاء في الخبر من صور صورة كلف في القيامة أن ينفخ فيها الروح فإذا قال لأستطيع عذب -رواية- ١-٢-رواية- ١٥-٨٩ [صَفْحَةُ ٢٣٥] قَوْلُهُ لَمْ يَضْعُ حَجْرًا عَلَى حَجْرٍ هُوَعَيْنَ مَا جَاءَ فِي الْأَخْبَارِ الصَّحِيحَةِ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ص مِنَ الدُّنْيَا وَ لَمْ يَضْعُ حَجْرًا عَلَى حَجْرٍ . وَ جَاءَ فِي أَخْبَارِ عَلِيِّ ع الَّتِي ذَكَرَهَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي كِتَابِ فُضَائِلِهِ وَ هُوَ رِوَايَتِي عَنْ قُرَيْشِ بْنِ السَّبِيحِ بْنِ الْمُهَنَّا الْعَلَوِيِّ عَنْ نَقِيبِ الطَّالِبِيِّنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْمَعْمَرِ عَنِ الْمُبَارَكِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ أَحْمَدُ بْنُ الْقَاسِمِ الصَّيْرَفِيِّ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الطَّيُورِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يَوْسُفَ الْعَلَّافِ الْمَزْنِيِّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ حَمْدَانَ بْنِ مَالِكِ الْقَطِيعِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ عَنْ أَبِيهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ قِيلَ لِعَلِيِّ ع يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ تَرَفِعْ قَمِيصَكَ قَالَ لِيخْشَعُ الْقَلْبُ وَيَقْتَدِيَ بِي الْمُؤْمِنُونَ -رواية- ١-٢-رواية- ٣٦٦-٤٥٤ روى أحمد رحمه الله أن عليا كان يطوف الأسواق مؤتترا بإزار مرتديا برداء ومعه الدرّة كأنه أعرابي بدوى فطاف مرّة حتى بلغ سوق الكرايس فقال لواحد يا شيخ بعني قميصا تكون قيمته ثلاثة دراهم فلما عرفه الشيخ لم يشتر منه شيئا ثم أتى آخر فلما عرفه لم يشتر منه شيئا فأتى غلاما حدثا فاشترى منه قميصا بثلاثة دراهم فلما جاء أبو الغلام أخبره فأخذ درهما ثم جاء إلى علي ع ليدفعه إليه فقال له ما هذا أو قال ماشابه هذا فقال يا مولاي إن القميص الذي باعك ابني كان يساوي درهما فلم يأخذ الدرهم وقال باعني رضاي وأخذ رضاه -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-٥٤١ روى أحمد رحمه الله عن أبي النوار بائع الخام بالكوفة قال جاءني علي بن أبي طالب إلى السوق ومعه غلام له وهو خليفة فاشترى مني قميصين وقال للغلام اختر أيهما شئت فأخذ أحدهما وأخذ علي الآخر ثم لبسه ومد يده فوجد كفه فاضله فقال اقطع الفاضل فقطعت ثم كفه وذهب -رواية- ١-٢-رواية- ٦٤-٢٨٠ . [صَفْحَةُ ٢٣٦] وَ رَوَى أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنِ الصَّمَالِ بْنِ عَمِيرٍ قَالَ رَأَيْتُ قَمِيصَ عَلِيِّ ع الَّذِي أُصِيبَ فِيهِ وَ هُوَ كَرَايِسُ سَبِيلَانِي وَ رَأَيْتُ دَمَهُ قَدْ سَالَ عَلَيْهِ كَالدَّرْدِيِّ . وَ رَوَى أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ لَمَّا أُرْسِلَ عَثْمَانُ إِلَى عَلِيِّ ع وَجَدَهُ مُؤْتَرًّا بِعِبَاءَةٍ مُحْتَجِزًا بِعَقَالٍ وَ هُوَ يَهْنَأُ بِعَيْرِهَا لَهُ وَ الْأَخْبَارُ فِي هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ وَ فِيهَا ذِكْرُنَاهُ كَفَايَةً [صَفْحَةُ

ابْتَعَتْهُ بِالنُّورِ الْمَضِيءِ وَ الْبُرْهَانِ الْجَلِيِّ وَ الْمِنْهَاجِ الْبَادِي وَ الْكِتَابِ الْهَادِي أُسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرَةٍ وَ شَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ أَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ وَ ثَمَارُهَا مُتَهَدَلَةٌ مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ وَ هِجْرَتُهُ بِطَبِيبَةَ عَلَا بِهَا ذِكْرُهُ وَ امْتَدَّ مِنْهَا صَوْتُهُ أَرْسِلْهُ بِحُجَّتِهِ كَافِيَهُ وَ مَوْعِظَتِهِ شَافِيَهُ وَ دَعْوَهُ مُتَلَفِيَهُ أَظْهَرَ بِهِ الشَّرَائِعَ الْمَجْهُولَةَ وَ قَمَعَ بِهِ الْبِدَعَ الْمَدْخُولَةَ وَ بَيَّنَّ بِهِ الْأَحْكَامَ الْمَفْصُولَةَ فَمَنْ يَبْتَغِ الْإِسْلَامَ دِينًا تَتَحَقَّقُ شِدْقَتُهُ وَ تَنْفَصِمَ عُرْوَتُهُ وَ تَعْظُمَ كِبَوْتُهُ وَ يَكُنْ مِيَابَهُ إِلَى الْحُزْنِ الطَّوِيلِ وَ الْعِذَابِ الْوَيْبِلِ وَ اتَّوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلِ الْإِنْيَابِيَهُ إِلَيْهِ وَ أَسْتَرْشِدُهُ السَّبِيلَ الْمُؤَدِّيَةَ إِلَى جَنَّتِهِ الْقَاصِدَةَ إِلَى مَحَلِّ رَغْبَتِهِ بِالنُّورِ الْمَضِيءِ أَى بِالَّذِينَ أُوْبَلِقِرَآنَ وَأُسْرَتِهِ أَهْلَهُ أَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ كِنْيَاةً عَن عَدَمِ الْاِخْتِلَافِ بَيْنَهُمْ فِي الْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ وَ ثَمَارُهَا مُتَهَدَلَةٌ أَى مُتَدَلِيَةٌ كِنْيَاةً عَن سَهُولَةِ اجْتِنَاءِ الْعِلْمِ مِنْهَا. وَ طِيبَةُ اسْمِ الْمَدِينَةِ كَانَ اسْمُهَا يَثْرِبَ فَسَمَّاها رَسُولُ اللَّهِ ص طِيبَةَ [صَفْحَةُ ٢٣٨] وَ مِمَّا أَكْفَرَ النَّاسَ بِهِ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ أَنَّهُ سَمَّاها حَيْثُ مَرَّعُمُ لِرَسُولِ اللَّهِ ص. عَلَا بِهَذَا ذِكْرُهُ لِأَنَّهُ ص إِنَّمَا انْتَصَرَ وَقَهَرَ الْأَعْدَاءَ بَعْدَ الْهَجْرَةِ وَ دَعْوَةُ مُتَلَفِيَةٍ أَى تَتَلَفِي مَافَسَدَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ أَدْيَانِ الْبَشَرِ. قَوْلُهُ وَ بَيْنَ بِهِ الْأَحْكَامَ الْمَفْصُولَةَ لَيْسَ يَعْنِي أَنَّهَا كَانَتْ مَفْصُولَةً قَبْلَ أَنْ يَبِينَهَا بَلِ الْمُرَادُ بَيْنَ بِهِ الْأَحْكَامَ الَّتِي هِيَ الْآنَ مَفْصُولَةٌ عِنْدَنَا وَ وَاضِحَةٌ لَنَا لِأَجْلِ بَيَانِهِ لَهَا. وَ الْكِبَوَةُ مُصَدَّرٌ كِبَا الْجَوَادِ إِذَا عَثَرَ فَوْقَ إِلَى الْأَرْضِ وَ الْمَآبِ الْمَرْجِعِ وَ الْعِذَابِ الْوَيْبِلِ ذُو الْوَيْبَالِ وَ هُوَ الْهَلَاكُ وَ الْإِنَابَةُ الرَّجُوعُ وَ السَّبِيلُ الطَّرِيقُ يَذْكَرُ وَيُؤنْثُ وَ الْقَاصِدَةُ ضِدُّ الْجَائِرَةِ فَإِنِ قُلْتَ لَمْ عَدَى الْقَاصِدَةُ بَ إِلَى قُلْتَ لِأَنَّهَا لَمَّا كَانَتْ قَاصِدَةً تَضَمَّنَتْ مَعْنَى الْإِفْضَاءِ إِلَى الْمَقْصِدِ فَعَدَاها بَ إِلَى بَاعْتِبَارِ الْمَعْنَى أَوْ صِيْغَتِ عِبَادِ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَ طَاعَتِهِ فَإِنَّهَا النَّجَاةُ غَدَاً وَ الْمَنْجَاةُ أَيْدَاً رَهَبٌ فَابْلَغٌ وَ رَغَبٌ فَاسْبَغٌ وَ وَصَفَ لَكُمْ الدُّنْيَا وَ انْقِطَاعَهَا وَ زَوَالَهَا وَ انْتِقَالَهَا فَأَعْرَضُوا عَمَّا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقَلْبِهِ مَا يَصْجِبُكُمْ مِنْهَا أَقْرَبُ دَارٍ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ وَ أَبْعَدُهَا مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ [صَفْحَةُ ٢٣٩] فَعَضُوا عَنْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ غُمُومَهَا وَ أَشْغَالَهَا لِمَا أَيْقَنْتُمْ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا وَ تَصَيَّرَفِ حَالَاتِهَا فَاحْذَرُوهَا حَذَرَ الشَّفِيقِ النَّاصِحِ وَ الْمُجِدِّ الْكَادِحِ وَ اعْتَبِرُوا بِمَا قَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ مَصَارِعِ الْقُرُونِ قَبْلَكُمْ قَدْ تَزَايَلَتْ أَوْصَالُهُمْ وَ زَالَتْ أَبْصَارُهُمْ وَ أَسْمَاعُهُمْ وَ ذَهَبَ شَرَفُهُمْ وَ عِزُّهُمْ وَ انْقَطَعَ سُورُهُمْ وَ نَعِيمُهُمْ فَبَدَلُوا بِقُرْبِ الْأَوْلَادِ فَقَدَهَا وَ بَصِيْحَتِهِ الْأَرْوَاجِ مُفَارَقَتِهَا لَا يَنْفَاحِرُونَ وَ لَا يَنْتَاسِلُونَ وَ لَا يَنْزَازُونَ وَ لَا يَنْتَحَاوِرُونَ فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ حَذَرَ الْغَالِبِ لِنَفْسِهِ الْمَيَانِعِ لِشَهْوَتِهِ التَّمَاظِرِ بِعَقْلِهِ فَإِنِ الْأَمْرَ وَاضِحٌ وَ الْعِلْمَ قَائِمٌ وَ الطَّرِيقَ حَيِّدٌ وَ السَّبِيلَ قَصْدٌ الْمَنْجَاةُ مُصَدَّرٌ نَجَا يَنْجُو نَجَاءً وَ مَنْجَاةُ وَ النِّجَاةُ النَّاقَةُ يَنْجِي عَلَيْهَا فَاسْتَعَارَهَا هَاهُنَا لِلطَّاعَةِ وَ التَّقْوَى كَأَنَّهَا كَالْمَطِيَّةِ الْمَرْكُوبَةِ يَخْلُصُ بِهَا الْإِنْسَانُ مِنَ الْهَلَاكَةِ. قَوْلُهُ رَهَبٌ فَابْلَغُ الضَّمِيرُ يَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ أَى خَوْفِ الْمَكْلُفِينَ فَابْلَغُ فِي التَّخْوِيفِ وَ رَغْبَتِهِمْ فَاتَمَّ التَّرْغِيبُ وَ أُسْبِغَهُ ثُمَّ أَمَرَ بِالْإِعْرَاضِ عَمَّا يَسِرُ وَ يَرُوقُ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا لِقَلْبِهِ مَا يَصْحَبُ النَّاسَ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ إِنَّهَا أَقْرَبُ دَارٍ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ وَ هَذَا نَحْوُ قَوْلِ النَّبِيِّ ص حُبِّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ - رَوَايَاتُ ١- ٢- رَوَايَاتُ ١٧- ٤٢. [صَفْحَةُ ٢٤٠] قَوْلُهُ فَعَضُوا عَنْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ غُمُومَهَا أَى كَفُّوا عَنِ أَنْفُسِكُمُ الْغَمِّ لِأَجْلِهَا وَ الْاِشْتِغَالِ بِهَا يَقَالُ غَضَضْتُ فَلَانًا عَن كَذَا أَى كَفَفْتُهُ قَالَ تَعَالَى وَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ قَوْلُهُ فَاحْذَرُوهَا حَذَرَ الشَّفِيقِ النَّاصِحِ أَى فَاحْذَرُوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ لِأَنْفُسِكُمْ كَمَا يَحْذَرُ الشَّفِيقُ النَّاصِحُ عَلَى صَاحِبِهِ وَ كَمَا يَحْذَرُ الْمَجِدُّ الْكَادِحُ أَى السَّاعِي مِنَ خِيْبَتِهِ وَ الْأَوْصَالِ الْأَعْضَاءِ وَ الْمَحَاوِرَةِ الْمَخَاطِبَةَ وَ الْمَنْجَاةُ رَوَى وَ لَا يَتَجَاوِرُونَ بِالْجِيمِ وَ الْعِلْمُ مَا يَتَسَدَّلُ بِهِ فِي الْمَفَازَةِ وَ طَرِيقُ جَدِّ أَى سَهْلٌ وَاضِحٌ وَ السَّبِيلُ قَصْدٌ أَى مُسْتَقِيمٌ - قُرْآنُ ١٢٨- ١٤٧ [صَفْحَةُ ٢٤١]

وقد سأله كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به فقال ع يا أبا بني أسد إنك لقلق الوضين ترسل في غير سدٍ ولك بعد ذمامة الصهر وحق المسألة وقد استعلمت فأعلم أما الاستبداد علينا بهذا المقام ونحن الأعلون نسباً والأشدون بالرؤوس نوطاً فإنها كانت أثره شحت عليها نفوس قوم و سخت عنها نفوس آخرين والحكم الله والمعود إليه يوم القيامة ودع عنك نهياً صيح في حجراته || ولكن حديثاً ما حديث الزواجل وهلم الخطب في ابن أبي سيفان فلقد أضحكني الدهر بعد إبكائه ولا غرو والله فيا له خطباً يستفرغ العجب ويكثر الأود حاول القوم إطفاء نور الله من مصباحه وسد فواره من يتبعه وجدحوا بيني وبينهم شرباً وبيئاً فإن ترتفع عنا وعنهم معن البلوى أحملهم من الحق على محضه وإن تكن الأخرى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليهم بما يصنعون - قرآن - ٤٠٨-٤٨٠ [صفحة ٢٤٢] الوضين بطان القتب وحزام السرج ويقال للرجل المضطرب في أموره إنه لقلق الوضين وذلك أن الوضين إذا قلق اضطرب القتب أو الهودج أو السرج ومن عليه . ويرسل في غير سد أي يتكلم في غير قصد وفي غير صواب والسدد والاستداد الاستقامة والصواب والسديد الذي يصيب السدد وكذلك المسد واستد الشيء أي استقام . وذمامة الصهر بالكسر أي حرمة هو الذمام قال ذو الرمة تكن عوجه يجزيكها الله عنده || بها الأجر أو تقضى ذمامة صاحب . ويروى مائة الصهر أي حرمة ووسيلته مت إليه بكذا وإنما قال ع له و لك بعد ذمامة الصهر لأن زينب بنت جحش زوج رسول الله ص كانت أسدية وهى زينب بنت جحش بن رباب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمه وأما أمية بنت عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف فهى بنت عمه رسول الله ص والمصاهرة المشار إليها هى هذه . ولم يفهم القطب الراوندى ذلك فقال فى الشرح كان أمير المؤمنين ع قد تزوج فى بنى أسد ولم يصب فإن عليا ع لم يتزوج فى بنى أسد البتة ونحن نذكر أولاده أما الحسن والحسين وزينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى فأمهم فاطمة بنت سيدنا رسول الله ص وأما محمد فأمه خولة بنت إياس بن جعفر من بنى حنيفه وأما أبوبكر وعبد الله فأمهما ليلي بنت مسعود النهشلية [صفحة ٢٤٣] من تميم وأما عمر ورقية فأمهما سيبه من بنى تغلب يقال لها الصهباء سيبت فى خلافة أبى بكر وإمارة خالد بن الوليد بعين التمر وأما يحيى وعون فأمهما أسماء بنت عميس الخثعمية وأما جعفر والعباس وعبد الله وعبد الرحمن فأمهم أم البنين بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد من بنى كلاب وأما رمله وأم الحسن فأمهما أم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفى وأما أم كلثوم الصغرى وزينب الصغرى وجمانة وميمونة وخديجة وفاطمة وأم الكرام ونفيسة وأم سلمة وأم أبيها وأمامة بنت على ع فهن لأمهات أولاد شتى فهؤلاء أولاده وليس فيهم أحد من أسدية ولا بلغنا أنه تزوج فى بنى أسد ولم يولد له ولكن الراوندى يقول ما يخطر له ولا يحقق . وأما حق المسألة فلأن للسائل على المسئول حقا حيث أهله لأن يستفيد منه . والاستبداد بالشيء التفرد به والنوط الالتصاق وكانت أثره أى استثارا بالأمر واستبدادا به قال النبى ص للأنصار ستلقون بعدى أثره . وشحت بخلت وسخت جادت ويعنى بالنفوس التى سخت نفسه وبالنفوس التى شحت أما على قولنا فإنه يعنى نفوس أهل الشورى بعدمقتل عمر وأما على قول الإمامية فنفس أهل السقيفة وليس فى الخبر ما يقتضى صرف ذلك إليهم فالأولى أن يحمل على ما ظهر عنه من تألمه من عبد الرحمن بن عوف وميله إلى عثمان . ثم قال إن الحكم هو الله وإن الوقت الذى يعود الناس كلهم إليه هو يوم القيامة وروى يوم بالنصب على أنه ظرف والعامل فيه المعود على أن يكون مصدرا . وأما البيت فهو لإمرئ القيس بن حجر الكندى وروى أن أمير المؤمنين ع لم يستشهد إلا بصدره فقط وأتمه الرواة [صفحة ٢٤٤]

حديث عن إمرئ القيس

و كان من قصة هذا الشعر أن إمرأ القيس لما تنقل فى أحياء العرب بعد قتل أبيه نزل على رجل من جديلة طيبى يقال له طريف بن

ملء فأجاره وأكرمه وأحسن إليه فمدحه وأقام عنده ثم إنه لم يوله نصيباً في الجبلين أجاً وسلمى فخاف ألا يكون له منعه فتحول ونزل على خالد بن سدوس بن أصمغ النبھانی فأغارت بنو جدیلہ علی إمرئ القیس و هو فی جوار خالد بن سدوس فذهبوا بإبله و كان ألدی أغار علیہ منهم باعث بن حویص فلما أتى إمرأ القیس الخبر ذكر ذلك لجاره فقال له أعطنی رواحلک ألق علیہا القوم فأرد علیک إبلک ففعل فركب خالد فی إثر القوم حتی أدرکهم فقال یابنی جدیلہ أغرتم علی إبل جاری فقالوا ما هو لك بجار قال بلی و الله و هذه رواحلہ قالوا كذلك قال نعم فرجعوا إلیہ فأنزلوه عنهن وذهبوا بهن وبالإبل وقیل بل انطوی خالد علی الإبل فذهب بها فقال إمرؤ القیس دع عنك نهبا صیح فی حجراته || ولكن حدیثا ما حدیث الرواحل كان دثارا حلقت بلبونه || عقاب تنوفی لاعقاب القواعل تلعب باعث بدمه خالد || وأودی دثار فی الخطوب الأوائل وأعجبنى مشی الحزقة خالد || كمشی أتان حلثت بالمناهل أبت أجاً أن تسلم العام جارها || فمن شاء فلینهض لها من مقاتل تبت لبونی بالقریه أمتنا || وأسرحها غبا بأکناف حائل [صفحہ ۲۴۵] بنو ثعل جيرانها وحماتها || وتمنع من رماء سعد ونائل تلاعب أولاد الوعول رباعها || دوین السماء فی رءوس المجادل مكللة حمراء ذات أسره || لها حبك كأنها من وصائل . دثار اسم راع كان لإمرئ القیس وتنوفی والقواعل جبال والحزقة القصیر الضخم البطن واللبن الإبل ذوات الألبان والقریه موضع معروف بین الجبلین وحائل اسم موضع أيضا وسعد ونائل حیان من طیبی والرباع جمع ربع و هو مانع فی الربیع والمجادل القصور ومكللة یرجع إلی المجادل مكللة بالصخر والأسره الطریق وكذلك الحبک والوصائل جمع وصیله و هو ثوب أمغر الغزل فیه خطوط والنهب الغنیمه والجمع النهاب والانتهاج مصدر انتهت المال إذا أبحتہ يأخذه من شاء والنهیب اسم ما نهب وحجراته نواحیه الواحدة حجره مثل جمرات وجمرة وصیح فی حجراته صیاح الغاره والرواحل جمع راحله وهی الناقه التي تصلح أن ترحل أی یشد الرحل علی ظهرها ویقال للبعیر راحله وانتصب حدیثا یاضمار فعل أی هات حدیثا أو حدثنی حدیثا ویروی ولكن حدیث أی ولكن مرادی أو غرضی حدیث فحذف المبتدأ و ماها هنا یحتمل أن تكون إبهامیه وهی التي إذا اقترنت باسم نكرة زادتہ إبهاما وشیاعا كقولك أعطنی كتابا ما تريد أی كتاب كان ویحتمل أن تكون صلة مؤكده كالتی فی قوله تعالی فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ وَ كَفَرْتُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَمَّا حَدِيثُ الثَّانِي فَقَدْ يَنْصَبُ وَقَدِيرْفَعُ فَمَنْ نَصَبَ أَبْدَلَهُ مِنْ حَدِيثِ الْأَوَّلِ وَمِنْ رَفَعُ جَازَ أَنْ يَجْعَلَ ماموصوله بمعنى ألدی وصلتها الجملة أی ألدی هو حدیث الرواحل ثم حذف صدر الجملة كما حذف فی تماماً علی ألدی أحسنَ ویجوز أن تجعل ما استفهامیه بمعنى أی -قرآن- ۹۶۵-۱۰۱۷-قرآن- ۱۲۰۶-۱۲۳۳ . [صفحہ ۲۴۶] ثم قال وهلم الخطب هذا بقوی روایه من روى عنه أنه ع لم یستشهد إلا بصدر البيت كأنه قال دع عنك ما مضى وهلم مانحن الآن فیه من أمر معاویة فجعل هلم مانحن فیه من أمر معاویة قائما مقام قول إمرئ القیس ولكن حدیثا ما حدیث الرواحل . وهلم لفظ یستعمل لازما ومتعدیا فاللازم بمعنى تعال قال الخلیل أصله لم من قولهم لم الله شعثه أی جمعه كأنه أراد لم نفسك إلینا أی اجمعها واقرب منا وجاءت ها للتنبیه قبلها وحذفت الألف لكثرة الاستعمال وجعلت الكلمتان كلمه واحده یتسوی فیها الواحد والاثان والجمع والمؤنث والمذكر فی لغه أهل الحجاز قال سبحانه وَ الْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَ أَهْل نَجْدٍ یَصْرَفُونَهَا فِیَقُولُونَ لِلْأَثْنَيْنِ هَلْمَا وَلِلْجَمْعِ هَلْمُوا وَ علی ذلك و قد یوصل إذا كان لازما باللام فیقال هلم لك وهلم لكما كما قالوا هیت لك و إذا قیل لك هلم إلی كذا أی تعال إلیه قلت لأهلم مفتوحة الألف والهاء مضمومه المیم فأما المتعدیه فهی بمعنى هات تقول هلم كذا وكذا قال الله تعالی هَلُمَّ شُهَدَاءَ كُمْ وَ تَقُولُ لِمَنْ قَالَ لَكَ ذَلِكَ لِأَهْلِهِمْ أی لِأَعْطِيكَه يَأْتِي بِالْهَاءِ ضَمِيرِ الْمَفْعُولِ لِتَمْيِيزِ مِنَ الْأُولَى . یقول ع ولكن هات ذكر الخطب فحذف المضاف والخطب الحادث الجلیل یعنی الأحوال التي أدت إلی أن صار معاویة منازعا فی الرئاسة قائما عند كثير من الناس مقامه صالحا لأن يقع فی مقابلته و أن يكون ندا له . ثم قال فلقد أضحكنی الدهر بعد إبطائه یشیر إلی ما كان عنده من الكآبه لتقدم من سلف علیه فلم یقع الدهر له بذلك حتی جعل معاویة نظیرا له فضحك ع -قرآن- ۳۲۶-

٣٦٧-قرآن-٦٧١-٦٨٩ [صفحہ ٢٤٧] مما تحکم به الأوقات ویقتضیه تصرف الدهر وتقلبه و ذلك ضحك تعجب واعتبار. ثم قال ولاغرو و الله أى و لاعجب و الله . ثم فسر ذلك فقال یا له خطبا یستفرغ العجب أى یستنفده ویفنيه یقول قد صار العجب لاعجب لأن هذا الخطب استغرق التعجب فلم یبق منه ما یطلق علیه لفظ التعجب و هذا من باب الإغراق والمبالغة فی المبالغة كما قال أبو الطیب أسفى على أسفى الذى دلتهنى || عن علمه فبه على خفاء وشکیتى فقد السقام لأنه || قد كان لما كان لى أعضاء . و قال ابن هانى المغربى قدسرت فى الميدان یوم طرادهم || فعجبت حتى کدت ألا- أعجبا . والأود العوج . ثم ذکر تماثل قریش علیه فقال حاول القوم إطفاء نور الله من مصباحه یعنی ماتقدم من منابذة طلحة والزبیر وأصحابهما له و ماشفع ذلك من معاویة وعمرو وشيعتهما وفوار الینوع ثقب البئر. قوله وجدحوا بینى و بینهم شربا أى خلطوه ومزجوه وأفسدوه . والوبىء ذو الوباء والمرض و هذا استعارة كأنه جعل الحال التى كانت بینه و بینهم قد أفسدها القوم وجعلوها مظنة الوباء والسقم كالشرب الذى یخلط بالسم أو بالصبر فیفسد ویوبىء . [صفحہ ٢٤٨] ثم قال فإن کشف الله تعالى هذه المحن التى یحصل منها ابتلاء الصابرين والمجاهدين وحصل لى التمكن من الأمر حملتهم على الحق المحض الذى لا یمازجه باطل كاللبن المحض الذى لا یخالطه شىء من الماء و إن تكن الأخرى أى و إن لم یکشف الله تعالى هذه الغمة و مت أوقلت والأمور على ما هی علیه من الفتنة ودولة الضلال فلا تذهب نفسك علیهم حسیراتٍ والآیه من القرآن العزیز. وسألت أبا جعفر یحیی بن محمد العلوی نقیب البصرة وقت قراءتی علیه عن هذا الکلام و كان رحمه الله على ما یدهب إلیه من مذهب العلویة منصفاً وافر العقل فقلت له من یعنی ع بقوله كانت أثره شحت علیها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرین و من القوم الذین عناهم الأسدى بقوله کیف دفعکم قومکم عن هذا المقام وأتم أحق به هل المراد یوم السقیفة أو یوم الشورى فقال یوم السقیفة فقلت إن نفسى لاتسامحنى أن أنسب إلی الصحابة عصیان رسول الله ص ودفع النص فقال و أنا فلا تسامحنى أيضا نفسى أن أنسب الرسول ص إلی إهمال أمر الإمامة و أن یترک الناس فوضى سدى مهملین و قد كان لا یغیب عن المدينة إلا ویؤمر علیها أمیرا و هو حى لیس بالبعید عنها فكیف لا یؤمر و هو میت لا یقدر على استدراک ما یحدث . ثم قال لیس یشک أحد من الناس أن رسول الله ص كان عاقلا- کامل العقل أما المسلمون فاعتقادهم فیه معلوم و أما اليهود والنصارى والفلاسفة فیزعمون أنه حکیم تام الحکمة سدید الرأى أقام مله و شرع شریعة فاستجد ملکا عظیما بعقله وتدیبره و هذا الرجل العاقل الکامل یعرف طباع العرب وغرائزهم و طلبها بالثارات والذحول و لو بعد الأزمان المتطاولة و یقتل الرجل من القبيلة رجلا من بیت آخر -قرآن-٣٢٨-٣٦٤ [صفحہ ٢٤٩] فلا یزال أهل ذلك المقتول وأقاربه یتطلبون القاتل لیقتلوه حتى یدرکوا ثارهم منه فإن لم یظفروا به قتلوا بعض أقاربه وأهله فإن لم یظفروا بأحدهم قتلوا واحدا أو جماعة من تلك القبيلة به و إن لم یكونوا رهطه الأذین و الإسلام لم یحل طبائعهم و لا غیر هذه السجیة المركوزة فی أخلاقهم والغرائز بحالها فكیف یتوهم لیبب أن هذا العاقل الکامل وتر العرب و على الخصوص قریشا وساعده على سفک الدماء وإزهاق الأنفس وتقلد الضغائن ابن عمه الأذنى وصهره و هو یعلم أنه سیموت كما یموت الناس و یترکه بعده وعنده ابنته و له منها ابنان یجریان عنده مجرى ابنین من ظهره حنوا علیهما ومحبة لهما و یعدل عنه فى الأمر بعده و لا ینص علیه و لا یتخلفه فیحقن دمه و دم بنیه وأهله باستخلافه أ لا یعلم هذا العاقل الکامل أنه إذا ترکه وترک بنیه وأهله سوقه ورعیة فقد عرض دماءهم للإراقة بعده بل ىكون هوع هو الذى قتله وأشاط بدمائهم لأنهم لا یعتصمون بعده بأمر یحمیهم وإنما ىكونون مضغة للأكل وفریسة للمفترس یتخطفهم الناس وتبلغ فیهم الأغراض فأما إذا جعل السلطان فیهم والأمر إلیهم فإنه ىكون قد عصمهم وحقن دماءهم بالرئاسة التى ىصلون بها و یرتدع الناس عنهم لأجلها ومثل هذا معلوم بالتجربة ألا ترى أن ملک بغداد أو غیرها من البلاد لو قتل الناس ووترهم وأبقى فى نفوسهم الأحقاد العظیمة علیه ثم أهمل أمر ولده وذریته من بعده وفسح للناس أن ىقیموا ملکا من عرضهم وواحدا منهم وجعل بنیه سوقه كبعض العامة لكان بنوه بعده قلیلا- بقاؤهم سریعا هلاکهم ولوثب علیهم الناس ذوو

الأحقاد والترات من كل جهة يقتلونهم ويشردونهم كل مشرد و لو أنه عين ولدا من أولاده للملك وقام خواصه وخدمه وخوله بأمره بعده لحقنت دماء أهل [صفحه ٢٥٠] بيته و لم تطل يد أحد من الناس إليهم لنا موس الملك وأبهاء السلطنة وقوة الرئاسة وحرمة الإمارة. أفترى ذهب عن رسول الله ص هذا المعنى أم أحب أن يستأصل أهله وذريته من بعده وأين موضع الشفقة على فاطمة العزيرة عنده الحبيبة إلى قلبه . أتقول إنه أحب أن يجعلها كواحدة من فقراء المدينة تتكفف الناس و أن يجعل عليا المكرم المعظم عنده الذي كانت حاله معه معلومة كأبي هريرة الدوسي وأنس بن مالك الأنصاري يحكم الأمراء في دمه وعرضه ونفسه وولده فلا يستطيع الامتناع و على رأسه مائة ألف سيف مسلول تتلظى أكباد أصحابها عليه ويودون أن يشربوا دمه بأفواههم ويأكلوا لحمه بأسنانهم قد قتل أبناءهم وإخوانهم وآباءهم وأعمامهم والعهد لم يطل والقروح لم تتقرف والجروح لم تندمل . فقلت له لقد أحسنت فيما قلت إلا أن لفظه ع يدل على أنه لم يكن نص عليه ألاتراه يقول ونحن الأعلون نسبا والأشدون بالرسول نوطا فجعل الاحتجاج بالنسب وشدة القرب فلو كان عليه نص لقال عوض ذلك و أنا المنصوص على المخطوب باسمي . فقال رحمه الله إنما أتاه من حيث يعلم لا من حيث يجهل ألاترى أنه سأله فقال كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به فهو إنما سأل عن دفعهم عنه وهم أحق به من جهة اللحم والعتره و لم يكن الأسدى يتصور النص و لا يعتقده و لا يخطر بباله لأنه لو كان هذا في نفسه لقال له لم دفعك الناس عن هذا المقام و قد نص عليك رسول الله ص و لم يقل له هذا وإنما قال كلاما عاما لبنى هاشم كافة [صفحه ٢٥١] كيف دفعكم قومكم عن هذا وأنتم أحق به أى باعتبار الهاشمية والقربى فأجابه بجواب أعاد قبله المعنى الذى تعلق به الأسدى بعينه تمهيدا للجواب فقال إنما فعلوا ذلك مع أنا أقرب إلى رسول الله ص من غيرنا لأنهم استأثروا علينا و لو قال له أنا المنصوص على والمخطوب باسمي فى حياة رسول الله ص لما كان قد أجابه لأنه ماسأله هل أنت منصوص عليك أم لا و لاهل نص رسول الله ص بالخلافه على أحد أم لا وإنما قال لم دفعكم قومكم عن الأمر وأنتم أقرب إلى ينبوعه ومعدنه منهم فأجابه جوابا ينطبق على السؤال ويلائمه أيضا فلو أخذ يصرح له بالنص ويعرفه تفاصيل باطن الأمر لنفر عنه واتهمه و لم يقبل قوله و لم ينجذب إلى تصديقه فكان أولى الأمور فى حكم السياسة وتدبير الناس أن يجيب بما لانفرة منه و لامطعن عليه فيه [صفحه ٢٥٢]

١٦٤- و من خطبة له ع

إشارة

الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْعِبَادِ وَ سَاطِحِ الْمِهَادِ وَ مُسِيلِ الْوَهَادِ وَ مُخَصِّبِ النَّجَادِ لَيْسَ لِأَوْلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ وَ لَا لِأَزَلِّيَّتِهِ انْقِضَاءٌ هُوَ الْأَوَّلُ وَ لَمْ يَزَلْ وَ الْبَاقِي بِلَا أَجَلٍ خَرَّتْ لَهُ الْجِبَاهُ وَ وَحَدَّتْهُ الشَّفَاهُ حَدَّ الْأَشْيَاءِ عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا إِبَانَةٌ لَهُ مِنْ شَبَهَاتِهَا لَا تُقَدَّرُ الْأَوْهَامُ بِالْحُدُودِ وَ الْحَرَكَاتِ وَ لَا بِالْجَوَارِحِ وَ الْأَدْوَاتِ لَا يُقَالُ لَهُ مَتَى وَ لَا يُضْرَبُ لَهُ أَمْدٌ حَتَّى الظَّاهِرُ لَا يُقَالُ مِمَّ وَ الْبَاطِنُ لَا يُقَالُ فِيهِمْ لَا شَبْحٌ فَيَتَقَصَّى وَ لَا مَحْجُوبٌ فَيُحَوَّى لَمْ يَقْرُبْ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالتَّصَاقِ وَ لَمْ يَبْعُدْ عَنْهَا بِالْفِتْرَاقِ وَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ شُخُوصٌ لِحُظَّةٍ وَ لَا كُرُورٌ لَفْظَةٍ وَ لَمَّا اذْدَلَمَ رَبُّوهُ وَ لَمَّا انْبَسِاطُ خُطْوَةٍ فِي لَيْلٍ دَاجٍ وَ لَمَّا غَسَقَ سِيَاحٌ يَتَفَيَّأُ عَلَيْهِ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ وَ تَعَقَّبُهُ الشَّمْسُ ذَاتُ التَّوْرِ فِي الْأَفْوَالِ وَ الْكُرُورِ وَ تَقْلِبِ الْأَزْمِنَةِ وَ الدَّهْورِ مِنْ إِقْبَالِ لَيْلٍ مُقْبِلٍ وَ إِدْبَارِ نَهَارٍ مُدْبِرٍ قَبْلَ كُلِّ غَايَةٍ وَ مُدَّةٍ وَ كُلِّ إِحْصَاءٍ وَ عِدَّةٍ تَعَالَى عَمَّا يَنْحَلُّهُ الْمُحَدِّدُونَ مِنْ صِفَاتِ الْأَقْدَارِ وَ نِهَايَاتِ الْأَقْطَارِ وَ تَأْتِلِ الْمَسَاكِينُ وَ تَمَكِّنِ الْأَمَاكِينَ فَالْحَدِّ لِخَلْقِهِ مَضْرُوبٌ وَ إِلَى غَيْرِهِ مَنَسُوبٌ لَمْ يَخْلُقِ الْأَشْيَاءَ مِنْ أَصُولِ أَرْزَلِيَّتِهِ وَ لَا مِنْ أَوَائِلِ أَبْدِيَّتِهِ بَلْ خَلَقَ مَا خَلَقَ فَأَقَامَ [صفحه ٢٥٣] حُدَّهُ وَ صَوَّرَ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ لَيْسَ لِشَيْءٍ

مِنْهُ امْتِنَاعٌ وَ لَأَلَّهُ بِطَاعَتِهِ شَيْءٌ انتَفَاعٌ عِلْمُهُ بِالْأَمْوَاتِ الْمَاضِينَ كَعِلْمِهِ بِالْأَحْيَاءِ الْبَاقِينَ وَ عِلْمُهُ بِمَا فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلَى كَعِلْمِهِ بِمَا فِي الْأَرْضِ يَنْ السَّيْفَلَى الْمَهَادِ هُنَا هُوَ الْأَرْضُ وَأَصْلُهُ الْفِرَاشُ وَسَاطِحُهُ بِسَاطِحِهِ وَ مِنْهُ تَسْطِيحُ الْقُبُورِ خِلَافَ تَسْنِيمِهَا وَ مِنْهُ أَيْضًا الْمَسْطَحُ لِلْمَوْضِعِ الَّذِي يَبْسُطُ فِيهِ التَّمْرُ لِيَجْفَفَ . وَ الْوَهَادُ جَمْعٌ وَ هِدَةٌ وَ هِيَ الْمَكَانُ الْمَطْمَئِنُّ وَ مَسِيلُهَا مَجْرَى السَّيْلِ فِيهَا وَ النِّجَادُ جَمْعٌ نَجْدٌ وَ هُوَ مَا رَتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ وَ مَخْصِبُهَا مَرُوضُهَا وَ جَاعِلُهَا ذَوَاتُ خَصْبٍ

مباحث كلامية

وَ اعْلَمُ أَنَّهُ عَ أُورِدَ فِي هَذِهِ الْخُطْبَةِ ضَرْبًا مِنْ عِلْمِ التَّوْحِيدِ وَ كُلِّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصُولٍ . الْأَصْلُ الْأَوَّلُ أَنَّهُ تَعَالَى وَاجِبُ الْوُجُودِ لِذَاتِهِ وَ يَتَفَرَّعُ عَلَى هَذَا الْأَصْلِ فِرْعُؤُهَا أَنَّهُ لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ لَكَانَ مُحَدَّثًا وَ لَا شَيْءٌ مِنَ الْمُحَدَّثِ يُوَاجِبُ الْوُجُودَ لِأَنَّ مَعْنَى وَاجِبِ الْوُجُودِ أَنَّ ذَاتَهُ لَا تَقْبَلُ الْعَدَمَ وَ يَسْتَحِيلُ الْجَمْعُ بَيْنَ قَوْلِنَا هَذِهِ الذَّاتِ مُحَدَّثَةٌ أَيْ كَانَتْ مَعْدُومَةً مِنْ قَبْلِ وَ هِيَ فِي حَقِيقَتِهَا لَا تَقْبَلُ الْعَدَمَ . [صَفْحَةُ ٢٥٤] وَ ثَانِيهَا أَنَّهُ لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ انْقِضَاءٌ لِأَنَّهُ لَوْ صَحَّ عَلَيْهِ الْعَدَمُ لَكَانَ لِعَدَمِهِ سَبَبٌ فَكَانَ وَجُودُهُ مَوْقُوفًا عَلَى انْتِفَاءِ سَبَبِ عَدَمِهِ وَ الْمَتَّوَقَّفُ عَلَى غَيْرِهِ يَكُونُ مُمْكِنًا لِذَاتِهِ فَلَا يَكُونُ وَاجِبُ الْوُجُودِ . وَ قَوْلُهُ هُوَ الْأَوَّلُ لَمْ يَزَلْ وَ الْبَاقِي بَلَا أَجَلَ تَكَرَّرَ لِهَذَيْنِ الْمَعْنِيَيْنِ السَّابِقَيْنِ عَلَى سَبِيلِ التَّأَكِيدِ وَ يَدْخُلُ فِيهِ أَيْضًا قَوْلُهُ لَا يَقَالُ لَهُ مَتَى وَ لَا يَضْرِبُ لَهُ أَمَدٌ بَحْتَى لِأَنَّ مَتَى لِلزَّمَانِ وَ وَاجِبُ الْوُجُودِ يَرْتَفِعُ عَنِ الزَّمَانِ وَ حَتَّى لِلغَايَةِ وَ وَاجِبُ الْوُجُودِ لَا غَايَةَ لَهُ . وَ يَدْخُلُ أَيْضًا فِيهِ قَوْلُهُ قَبْلَ كُلِّ غَايَةٍ وَ مَدَّةٌ وَ كُلُّ إِحْصَاءٍ وَ عَدَّةٍ . وَ ثَالِثُهَا أَنَّهُ لَا يَشْبَهُ الْأَشْيَاءَ الْبَتَّةَ لِأَنَّ مَا عَدَاهُ إِمَّا جِسْمٌ أَوْ عَرَضٌ أَوْ مَجْرَدٌ فَلَوْ أَشْبَهَ الْجِسْمَ أَوْ الْعَرَضَ لَكَانَ إِمَّا جِسْمًا أَوْ عَرَضًا ضَرْبًا مِنْ تَسَاوِيِ الْمَتَشَابِهِينَ الْمَتَمَثِّلِينَ فِي حَقَائِقِهِمَا . وَ لَوْ شَابَهَ غَيْرَهُ مِنَ الْمَجْرَدَاتِ مَعَ أَنَّ كُلَّ مَجْرَدٍ غَيْرِ مُمْكِنٍ لَكَانَ مُمْكِنًا وَ لَيْسَ وَاجِبُ الْوُجُودِ بِمُمْكِنٍ فَيَدْخُلُ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ عَ حَدِّ الْأَشْيَاءِ عِنْدَ خَلْقِهَا لِإِبَانَتِهِ لَهُ مِنْ شَبْهِهَا أَيْ جَعَلَ الْمَخْلُوقَاتِ ذَوَاتَ حُدُودٍ لِيَتَمَيَّزَ هُوَ بِسَبْحَانِهِ عَنْهَا إِذْ لَأَحَدٌ لَهُ فَبَطَلَ أَنَّ يَشْبَهُهُ شَيْءٌ مِنْهَا وَ دَخَلَ فِيهِ قَوْلُهُ عَ لَا تَقْدِرُهُ الْأَوْهَامُ بِالْحُدُودِ وَ الْحَرَكَاتِ وَ لَا بِالْجَوَارِحِ . وَ الْأَدْوَاتُ جَمْعٌ أَدَاءٌ وَ هِيَ مَا يَعْتَمَدُ بِهِ وَ دَخَلَ فِيهِ قَوْلُهُ الظَّاهِرُ فَلَا يَقَالُ مِمَّ أَيْ لَا يَقَالُ مِنْ أَيْ شَيْءٍ ظَهَرَ وَ الْبَاطِنُ فَلَا يَقَالُ فِيمَ أَيْ لَا يَقَالُ فِيمَا ذَا بَطْنٍ وَ يَدْخُلُ فِيهِ قَوْلُهُ لِشَيْخٍ فَيَتَقَصَّى وَ الشَّيْخُ الشَّخْصُ وَ يَتَقَصَّى يَطْلُبُ أَقْصَاهُ . وَ يَدْخُلُ فِيهِ قَوْلُهُ وَ لَا مَحْجُوبٍ فَيَحُوى وَ قَوْلُهُ لَمْ يَقْرَبْ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالتَّصَاقِ وَ لَمْ يَبْعُدْ عَنْهَا بِالْفِرَاقِ لِأَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ كُلَّهَا مِنْ خِصَائِصِ الْأَجْسَامِ وَ وَاجِبُ الْوُجُودِ لَا يَشْبَهُ الْأَجْسَامَ وَ لَا يَمِثُلُهَا . وَ يَدْخُلُ فِيهِ قَوْلُهُ عَ تَعَالَى عَمَّا يَنْحَلُهُ الْمَحْدُودُونَ مِنْ صِفَاتِ الْأَقْدَارِ أَيْ مِمَّا يَنْسَبُ إِلَيْهِ الْمَشْبَهَةُ وَ الْمَجْسَمَةُ مِنْ صِفَاتِ الْمَقَادِيرِ وَ ذَوَاتِ الْمَقَادِيرِ . [صَفْحَةُ ٢٥٥] وَ نِهَايَاتِ الْأَقْطَارِ أَيْ الْجَوَانِبِ . وَ تَأْتِلُ الْمَسَاكِنُ مَجْدٌ مَوْثَلٌ أَيْ أَصِيلٌ وَ بَيْتٌ مَوْثَلٌ أَيْ مَعْمُورٌ وَ كَانَ أَصْلُ الْكَلِمَةِ أَنَّ تَبْنَى الدَّارَ بِالْأَثْلِ وَ هُوَ شَجَرٌ مَعْرُوفٌ وَ تَمَكَّنَ الْأَمَاكِنَ ثَبُوتَهَا وَ اسْتِقْرَارَهَا . وَ قَوْلُهُ فَالْحَدِّ لَخَلْقِهِ مَضْرُوبٌ وَ إِلَى غَيْرِهِ مَنْسُوبٌ وَ قَوْلُهُ وَ لَا - لَهُ بِطَاعَةِ شَيْءٍ انْتِفَاعٌ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَنْتَفِعُ الْجِسْمُ الَّذِي يَصْحُ عَلَيْهِ الشَّهْوَةُ وَ النِّفْرَةُ كُلُّ هَذَا دَاخِلٌ تَحْتَ هَذَا الْوَجْهِ . الْأَصْلُ الثَّانِي أَنَّهُ تَعَالَى عَالَمٌ لِذَاتِهِ فَيَعْلَمُ كُلَّ مَعْلُومٍ وَ يَدْخُلُ تَحْتَ هَذَا الْأَصْلِ قَوْلُهُ عَ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ شَخُوصٌ لِحِظَّةٍ أَنَّ تَسْكُنُ الْعَيْنُ فَلَا تَتَحَرَّكُ وَ لَا كَرُورٌ لَفْظَةٌ أَيْ رَجُوعُهَا . وَ لَا زِدْلَافٌ رِبُوءٌ صَعُودٌ إِنْسَانٌ أَوْ حَيْوَانٌ رِبُوءٌ مِنَ الْأَرْضِ وَ هِيَ الْمَوْضِعُ الْمَرْتَفِعُ وَ لَا يَنْبَسِطُ خَطْوَةٌ فِي لَيْلٍ دَاجٍ أَيْ مَظْلَمٍ . وَ لَا غَسْقٌ سَاجٍ أَيْ سَاكِنٍ . ثُمَّ قَالَ يَتَفَيَّأُ عَلَيْهِ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ هَذَا مِنْ صِفَاتِ الْغَسْقِ وَ مِنْ تَمَنُّةٍ نَعْتَهُ وَ مَعْنَى يَتَفَيَّأُ عَلَيْهِ يَتَقَلَّبُ ذَاهِبًا وَ جَائِيًا فِي حَالَتِي أَخَذَهُ فِي الضَّوِّءِ إِلَى التَّبَدُّرِ وَأَخَذَهُ فِي النِّقْصِ إِلَى الْمُحَاقِ . وَ قَوْلُهُ وَ تَعَقَّبَهُ أَيْ وَ تَتَعَقَّبُهُ فَحَذَفَ إِحْدَى التَّاءَيْنِ كَمَا قَالَ سَبْحَانَهُ الْعَلِيِّينَ تَوَفَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ أَيْ تَتَوَفَّاهُمْ وَ الْهَاءُ فِي وَ تَعَقَّبَهُ تَرْجِعُ إِلَى الْقَمَرِ أَيْ وَ تَسِيرُ الشَّمْسُ عَقْبَهُ فِي كَرُورِهِ وَأَقُولُهُ أَيْ غَيْبُوتِهِ وَ فِي تَقْلِيْبِ الْأَزْمَنَةِ وَ الدَّهْرِ مِنْ إِقْبَالِ لَيْلٍ وَ إِدْبَارِ نَهَارٍ . - قُرْآن - ٨٩٠ - ٩٢٢ [صَفْحَةُ ٢٥٦] فَإِنْ قُلْتَ إِذَا كَانَ قَوْلُهُ يَتَفَيَّأُ عَلَيْهِ

القمر المنير في موضع جر لأنه صفة غسق فكيف تتعقب الشمس والقمر مع وجود الغسق وهل يمكن اجتماع الشمس والغسق قلت لا يلزم من تعقب الشمس للقمر ثبوت الغسق . بل قد يصدق تعقبها له و يكون الغسق معدوما كأنه ع قال لا يخفى على الله حركة في نهار و لليل يتفياً عليه القمر وتعقبه الشمس أى تظهر عقبيه فيزول الغسق بظهورها . و هذا التفسير الذى فسرناه يقتضى أن يكون حرف الجر و هو فى التى فى قوله فى الكروور متعلقا بمحذوف و يكون موضعه نصبا على الحال أى وتعقبه كارا و أفلا ويدخل تحته أيضا قوله ع علمه بالأموات الماضين كعلمه بالأحياء الباقين وعلمه بما فى السماوات العلا كعلمه بما فى الأرضين السفلى . الأصل الثالث أنه تعالى قادر لذاته فكان قادرا على كل الممكنات ويدخل تحته قوله لم يخلق الأشياء من أصول أزلية و لا- من أوائل أبدية بل خلق ما خلق فأقام حده وصور ماصور فأحسن صورته و الرد فى هذا على أصحاب الهيولى والطينة التى يزعمون قدمها . ويدخل تحته قوله ليس لشيء امتناع لأنه متى أراد إيجاد شيء أوجده ويدخل تحته قوله خرت له الجباه أى سجدت و وحدته الشفاه يعنى الأفواه فعبير بالجزء عن الكل مجازا و ذلك لأن القادر لذاته هو المستحق للعبادة لخلقه أصول النعم كالحياء والقدرة والشهوة . واعلم أن هذا الفن هو الذى بان به أمير المؤمنين ع عن العرب فى زمانه قاطبة [صفحہ ۲۵۷] واستحق به التقدم والفضل عليهم أجمعين و ذلك لأن الخاصة التى يتميز بها الإنسان عن البهائم هى العقل والعلم أ لا ترى أنه يشاركه غيره من الحيوانات فى اللحمية والدموية والقوة والقدرة والحركة الكائنة على سبيل الإرادة والاختيار فليس الامتياز إلا بالقوة الناطقة أى العاقلة العالمة فكلما كان الإنسان أكثر حظا منها كانت إنسانيته أتم ومعلوم أن هذا الرجل انفرد بهذا الفن و هو أشرف العلوم لأن معلومه أشرف المعلومات و لم ينقل عن أحد من العرب غيره فى هذا الفن حرف واحد و لا كانت أذهانهم تصل إلى هذا و لا يفهمونه بهذا الفن فهو منفرد فيه وبغيره من الفنون وهى العلوم الشرعية مشارك لهم و راجح عليهم فكان أكمل منهم لأننا قد بينا أن الأعم أدخل فى صورة الإنسانية و هذا هو معنى الأفضلية منها أيها المخلوق السوي و المنشأ المرعى فى ظلمات الأرحام و مضاعفات الأستار . بُدئت من سلالة من طين و وضعت فى قرار مكين إلى قدر معلوم و أجل مقسوم تمور فى بطن أمك جنينا لا تحير دُعاء و لا تسمع نداء ثم أخرجت من مفرجك إلى دار لم تشهدا و لم تعرف سبيل منافعها فمن هداك لا يجترار الغذاء من ثدى أمك و عرفك عند الحاجة مواضع طلبك و إرادتك هيئات إن من يعجز عن صفات ذى الهيئة و الأدوات فهو عن صفات خالقه أعجز و من تناوله بحدود المخلوقين أبعد [صفحہ ۲۵۸] السوى المستوى الخلق غير ناقص قال سبحانه فتمثل لها بشرا سويا والمنشأ مفعول من أنشأ أى خلق وأوجد والمرعى المحوط المحفوظ . وظلمات الأرحام ومضاعفات الأستار مستقر النطف والرحم موضوعه فيما بين المثانة والمعى المستقيم وهى مربوطة برباطات على هيئة السلسلة وجسمها عصبى ليمن امتدادها واتساعها وقت الحاجة إلى ذلك عند الولادة وتنضم وتنقص إذا استغنى عن ذلك ولها بطنان ينتهيان إلى فم واحد وزائدتان يسميان قرينى الرحم وخلف هاتين الزائدتين بيضتا المرأة وهما أصغر من بيضتى الرجل وأشد تفرطحا ومنهما ينصب منى المرأة إلى تجويف الرحم وللرحم رقبة منتهية إلى فرج المرأة وتلك الرقبة من المرأة بمنزلة الذكر من الرجل فإذا امتزج منى الرجل بمنى المرأة فى تجويف الرحم كان العلوق ثم ينمى ويزيد من دم الطمث ويتصل بالجنين عروق تأتى إلى الرحم فتغذوه حتى يتم ويكمل فإذا تم لم يكتف بما تحته من تلك العروق فيتحرك حركات قوية طلبا للغذاء فتهتك أربطة الرحم التى قلنا إنها على هيئة السلسلة وتكون منها الولادة . قوله بدئت من سلالة من طين أى كان ابتداء خلقك من سلالة وهى خلاصة الطين لأنها سلت من بين الكدر وفعالة بناء للقلة كالقلامه والقمامة . وقال الحسن هى ما بين ظهراى الطين . ثم قال ووضعت فى قرار مكين الكلام الأول لآدم الذى هو أصل البشر والثانى لذريته والقرار المكين الرحم متمكنة فى موضعها برباطاتها لأنها لو كانت متحركة لتعذر العلوق . -قرآن- ۴۴-۷۴ [صفحہ ۲۵۹] ثم قال إلى قدر معلوم وأجل مقسوم إلى متعلقة بمحذوف كأنه قال منتها إلى قدر معلوم أى مقدر طولها وشكله إلى أجل مقسوم مدة حياته . ثم قال تمور فى بطن أمك أى تتحرك لا تحير أى لا ترجع جوابا

أحار يحير. إلى دار لم تشهدها يعنى الدنيا ويقال أشبه شىء بحال الانتقال من الدنيا إلى الأحوال التى بعد الموت انتقال الجنين من ظلمة الرحم إلى فضاء الدنيا فلو كان الجنين يعقل ويتصور كان يظن أنه لا دار له إلا الدار التى هو فيها ولا يشعر بما وراءها ولا يحس بنفسه إلا - وقد حصل فى دار لم يعرفها ولا تخطر بباله فبقى هو كالحائر المبهوت وهكذا حالنا فى الدنيا إذا شاهدنا ما بعد الموت . ولقد أحسن ابن الرومى فى صفة خطوب الدنيا وصرورها بقوله لما تؤذن الدنيا به من صروفها || يكون بكاء الطفل ساعة يولد و إلا فما يبكيه منها وإنما || لأوسع مما كان فيه وأرغد إذا أبصر الدنيا استهل كأنه || بما سوف يلقي من أذاها يهدد . قال فمن هداك إلى اجترار الغذاء من ثدى أمك اجترار امتصاص اللبن من الثدي و ذلك بالإلهام الإلهى . قال وعرفك عند الحاجة أى أعلمك بموضع الحلمة عند طلبك الرضاع فالتقمته بضمك . [صفحہ ۲۶۰] ثم قال هيهات أى بعد أن يحيط علما بالخالق من عجز عن معرفه المخلوق قال الشاعر رأيت الورى يدعون الهدى || وكم يدعى الحق خلق كثير و ما فى البرايا امرؤ عنده || من العلم بالحق إلا اليسير خفى فما ناله ناظر || و ما إن أشار إليه مشير و لا شىء أظهر من ذاته || وكيف يرى الشمس أعمى ضرير [صفحہ ۲۶۱]

۱۶۵- و من كلام له ع لعثمان بن عفان

قالوا لما اجتمع الناس إلى أمير المؤمنين ع وشكوا إليه ما نقموه على عثمان وسألوه مخاطبته واستعبابه لهم فدخل ع على عثمان فقال إن الناس ورأى وقد استسرفوني بينك وبينهم و والله ما أدري ما أقول لك ما أعرف شيئاً تجهله و لا أدلك على أمر لا تعرفه إنك لتعلم ما نعلم ما سبقناك إلى شىء فنخبرك عنه و لا خلونا بشىء فتلغكه و قد رأيت كما رأينا و سمعت كما سمعنا و صحبت رسول الله ص كما صحبتنا و ما ابن أبى قحافة و لا ابن الخطاب بأولى بعمل الخير منك و أنت أقرب إلى رسول الله ص و شيجه رجم منهنما و قد نلت من صهره ما لم ينال فالله الله فى نفسك فإنك و الله ما تبصير من عمى و لا تعلم من جهل و إن الطوق لو اضحى و إن أعلام الدين لقائمة فاعلم أن أفضل عباد الله عند الله إمام عادل هدى و هدى فأقام سبته معلومه و أمات بدعه مجهوله و إن السنن كثيرة لها أعلام و إن البدع لظاهرة لها أعلام و إن شر الناس عند الله إمام جائز ضل و ضل به فأمات سبته مأخوذة و أحيا بدعه متروكة و إنى سمعت رسول الله ص يقول يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر و ليس معه نصير و لا عاذر فيلقى فى نار جهنم فيدور فيها كما تدور الرحى ثم يرتبط فى قعرها [صفحہ ۲۶۲] و إنى أنشدك الله أن تكون إمام هذه الأمة المقتول فإنه كان يقال يقتل فى هذه الأئمة إمام يفتح عليها القتل و القتال إلى يوم القيامة و يلبس أموراً عليها و يبث الفتن فيها فلا يبصرون الحق من الباطل يمجون فيها موجاً و يمجون فيها مرجاً فلا تكونن لمرؤان سيقه يسوقك حيث شاء بعد جلال السنن و تقضى العمر فقال له عثمان رضى الله عنه كلم الناس فى أن يؤجلوني حتى أخرج إليهم من مظالمهم فقال ع ما كان بالمدينة فلا أجل فيه و ما غاب فأجله و صول أمرك إليه نقت على زيد بالفتح أنقم فأنا ناقم إذا عتبت عليه و قال الكسائى نقت بالكسر أيضا أنقم لغه و هذه اللفظة تجيء لازمة و متعدية قالوا نقت الأمر أى كرهته . واستعبت فلانا طلبت منه العتبى وهى الرضا واستعباهم عثمان طلبهم منه ما يرضيهم عنه . واستسرفوني جعلوني سفيرا و وسيطا بينك وبينهم . ثم قال له وأقسم على ذلك أنه لا يعلم ماذا يقول له لأنه لا يعرف أمرا يجهله أى من هذه الأحداث خاصة و هذا حق لأن عليا ع لم يكن يعلم منها ما يجهله [صفحہ ۲۶۳] عثمان بل كان أحداث الصبيان فضلا عن العقلاء المميزين يعلمون وجهى الصواب والخطأ فيها . ثم شرع معه فى مسلك الملاطفة والقول اللين فقال ماسبقنا إلى الصبحة و لانفردنا بالرسول دونك و أنت مثلنا ونحن مثلك . ثم خرج إلى ذكر الشيخين فقال قولا معناه أنهما ليسا خيرا منك فإنك مخصوص دونهما بقرب النسب يعنى المنافية وبالصهر و هذا كلام هو موضع

المثل يسر حسوا في ارتغاء ومراده تفضيل نفسه ع لأن العلة التي باعتبارها فضل عثمان عليهما محققة فيه وزيادة لأن له مع المنافية الهاشمية فهو أقرب . والشيجة عروق الشجرة ثم حذره جانب الله تعالى ونبيه على أن الطرق واضحة وأعلام الهدى قائمة و أن الإمام العادل أفضل الناس عند الله و أن الإمام الجائر شر الناس عند الله . ثم روى له الخبر المذكور وروى ثم يرتبك في قعرها أى ينشب . وخوفه أن يكون الإمام المقتول الذى يفتح الفتن بقتله و قد كان رسول الله ص قال كلاما هو هذا أو يشبه هذا . ومرج الدين أى فسد والسيقة ما استاقه العدو من الدواب مثل الوسيقة قال الشاعر فما أنا إلا مثل سيقه العدا || إن استقدمت بحر و إن جبات عقر . والجلال بالضم الجليل كالطوال والطويل أى بعد السن الجليل أى العمر الطويل . [صفحة ٢٦٤] وقوله ما كان بالمدينة فلا أجل فيه و ما غاب فأجله وصول أمرك إليه كلام شريف فصيح لأن الحاضر أى معنى لتأجيله والغائب فلا عذر بعد وصول الأمر فى تأخيره لأن السلطان لا يؤخر أمره . و قد ذكرنا من الأحداث التى نقتت على عثمان فيما تقدم ما فيه كفاية و قد ذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى رحمه الله فى التاريخ الكبير هذا الكلام فقال إن نفرا من أصحاب رسول الله ص تكاتبوا فكتب بعضهم إلى بعض أن اقدموا فى إن الجهاد بالمدينة لا بالروم واستطال الناس على عثمان ونالوا منه و ذلك فى سنة أربع وثلاثين و لم يكن أحد من الصحابة يذب عنه و لا ينهى إلا نفر منهم زيد بن ثابت و أبوسيد الساعدى و كعب بن مالك و حسان بن ثابت فاجتمع الناس فكلموا على بن أبى طالب ع وسألوه أن يكلم عثمان فدخل عليه و قال له إن الناس ... و روى الكلام إلى آخره بألفاظه فقال عثمان و قد علمت أنك لتقولن ما قلت أما و الله لو كنت مكانى ما عنفتك و لا اعتبت عليك و لم آت منكرا إنما وصلت رحما و سددت خلة و آويت ضائعا و وليت شبيها بمن كان عمر يوليه أنشدك الله يا على أ لا تعلم أن المغيرة بن شعبة ليس هناك قال بلى قال أ لا تعلم أن عمر و لاه قال بلى قال فلم تلومنى أن ولت ابن عامر فى رحمة و قرابته فقال على ع إن عمر كان يطأ على صماخ من يوليه ثم يبلغ منه إن أنكر منه أمرا أقصى العقوبة و أنت فلاتفعل ضعفت و رقت على أقربائك . [صفحة ٢٦٥] قال عثمان هم أقرباؤك أيضا فقال على لعمرى إن رحمهم منى لقريبة ولكن الفضل فى غيرهم . فقال عثمان أ لا تعلم أن عمر و لى معاوية فقد وليته قال على أنشدك الله أ لا تعلم أن معاوية كان أخوف لعمر من يرفأ غلامه له قال بلى قال فإن معاوية يقطع الأمور دونك و يقول للناس هذا بأمر عثمان و أنت تعلم ذلك فلاتغير عليه . ثم قام على فخرج عثمان على أثره فجلس على المنبر فخطب الناس و قال أما بعد فإن لكل شىء آفة و لكل أمر عاهة و إن آفة هذه الأمة و عاهة هذه النعمة عيابون طعانون يرونكم ماتحبون ويسرون عنكم ماتكروهون يقولون لكم و تقولون أمثال النعام يتبع أول ناعق أحب مواردها إليها البعيد لا يشربون إلا نغصا و لا يردون إلا عكرا أما و الله لقد عبتم على ما أقررتم لابن الخطاب بمثله ولكنه و طئكم برجله و ضربكم بيده و قمعكم بلسانه فدنتم له على ما أحببتكم و كرهتم و لنت لكم و أوطأتكم كتنفى و كفتت يدى و لسانى عنكم فاجترأتم على أما و الله لأنا أقرب ناصرا و أعز نفرا و أكثر عددا و أحرى إن قلت هلم أن يجاب صوتى و لقد أعددت لكم أقرانا و كشرت لكم عن نابى و أخرجتم منى خلقا لم أكن أحسنه و منطقا لم أكن أنطق به فكفوا عنى ألسنتكم و طعنكم و عيبكم على و لا تكلم بما ألقى تفقدون من حقكم و الله ما قصرت عن بلوغ من كان قبلى يبلغ و ما وجدتكم تختلفون عليه فما بالكم . فقام مروان بن الحكم فقال و إن شئتم حكمتنا بيننا و بينكم السيف . فقال عثمان اسكت لاسكت دعنى و أصحابى ما منطقتك فى هذا ألم أتقدم إليك ألا تنطق . فسكت مروان و نزل عثمان [صفحة ٢٦٦]

١٦٦- و من خطبة له ع يذكر فيها عجب خلقه الطاوس

ابْتَدَعَهُمْ خَلْقًا عَجِيبًا مِنْ حَيَوَانٍ وَ مَوَاتٍ وَ سَاكِنٍ وَ ذِي حَرَكَاتٍ وَ أَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ الْبَيِّنَاتِ عَلَى لَطِيفِ صَيْنَعَتِهِ وَ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ مَا

انقادت له العقول مُعترفَةً به وَ مَسَلَمَةً لَهُ وَ نَعَتَتْ فِي أَسْمَاعِنَا دَلَالَتُهُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَ مَا ذَرَأَ مِنْ مُخْتَلِفِ صُورِ الْأَطْيَارِ الَّتِي أَسْكَنَهَا أَخَادِيدَ الْأَرْضِ وَ خُرُوقَ فِجَاجِهَا وَ رَوَاسِي أَعْلَامِهَا مِنْ ذَاتِ أَجْنِحَتَيْهِ مُخْتَلَفَةً وَ هَيَّاتٍ مُتَبَايِنَةً مُصَيَّرَةً فِي زَمَامِ التَّسْخِيرِ وَ مُرْفَرَفَةٍ بِأَجْنِحَتَيْهَا فِي مَخَارِقِ الْجَوِّ الْمُنْفَسِحِ وَ الْفَضَاءِ الْمُنْفَرِجِ كَوْنَهَا بَعْدَ إِذْ لَمْ تَكُنْ فِي عَجَائِبِ صُورِ ظَاهِرَةٍ وَ رَكِبَهَا فِي حِقَاقِ مَفَاصِلَ مُحتَجِبَةٍ وَ مَنَعَ بَعْضُهَا بَعْآلَهُ خَلْقَهُ أَنْ يَسْمُوَ فِي الْهَوَاءِ خُفُوفًا وَ جَعَلَهُ يَدْفُ دَفِيغًا وَ نَسَقَهَا عَلَى اخْتِلَافِهَا فِي الْأَصَابِغِ بِلَطِيفِ قُدْرَتِهِ وَ دَقِيقِ صَنْعَتِهِ فَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي قَالِبِ لَوْنٍ لَا يَشُوبُهُ غَيْرُ لَوْنٍ مَا غُمِسَ فِيهِ وَ مِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي لَوْنٍ صَبِغٍ قَدْ طُوقَ بِخِلَافِ مَا صَبِغَ بِهِ الْمَوَاتِ بِالْفَتْحِ مَا لَحْيَا فِيهِ وَ أَرْضِ مَوَاتٍ أَى قَفْرِ وَ السَّاكِنِ هَاهُنَا كَالْأَرْضِ وَ الْجِبَالِ وَ ذُو الْحَرَكَاتِ كَالنَّارِ وَ الْمَاءِ الْجَارِي وَ الْحَيَوَانِ . [صَفْحَه ٢٦٧] وَ نَعَتَتْ فِي أَسْمَاعِنَا دَلَالَتُهُ أَى صَاحَتِ دَلَالَتُهُ لظُهُورِهَا كَالْأَصْوَاتِ الْمَسْمُوعَةَ الَّتِي تَعْلَمُ يَقِينًا . وَأَخَادِيدَ الْأَرْضِ شَقُوقَهَا جَمْعَ أَخْدُودٍ وَ فِجَاجِهَا جَمْعَ فِجٍ وَ هُوَ الطَّرِيقُ بَيْنَ الْجِبَلِينَ وَ رَوَاسِي أَعْلَامِهَا أَثْقَالُ جِبَالِهَا . مَصْرُفَةٌ فِي زَمَامِ التَّسْخِيرِ أَى هِيَ مَسْخَرَةٌ تَحْتَ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ . وَ حِقَاقِ الْمَفَاصِلِ جَمْعُ حَقٍّ وَ هُوَ مَجْمَعُ الْمَفْصَلِينَ مِنْ الْأَعْضَاءِ كَالرَّكْبَةِ وَ جَعَلَهَا مُحتَجِبَةً لِأَنَّهَا مَسْتُورَةٌ بِالْجِلْدِ وَ اللَّحْمِ . وَ عِبَالَةُ الْحَيَوَانِ كَثَافَةُ جَسَدِهِ وَ الْخُفُوفُ سُرْعَةُ الْحَرَكَةِ وَ الدَّفِيفُ لِلطَّائِرِ طَيْرَانَهُ فَوْقَ الْأَرْضِ يُقَالُ عَقَابٌ دَفُوفٌ قَالَ إِمْرُؤُ الْقَيْسِ يَصِفُ فَرَسَهُ وَ يَشْبِهُهَا بِالْعَقَابِ كَأَنِّي بَفَتْخَاءِ الْجَنَاحِينَ لِقُوَّةِ || دَفُوفٍ مِنَ الْعَقْبَانِ طَاطَأَتِ شِمَالِي . وَ نَسَقَهَا رَتْبَهَا وَ الْأَصَابِغُ جَمْعُ أَصْبَاغٍ وَ أَصْبَاغُ جَمْعُ صَبِغٍ . وَ الْمَغْمُوسُ الْأَوَّلُ هُوَ ذُو اللَّوْنِ الْوَاحِدِ كَالْأَسْوَدِ وَ الْأَحْمَرِ وَ الْمَغْمُوسُ الثَّانِي ذُو اللَّوْنَيْنِ نَحْوُ أَنْ يَكُونَ أَحْمَرَ وَ عُنُقَهُ خَضْرَاءَ . وَ رَوَى قَدْ طُورِقَ لَوْنُ أَى لَوْنٌ عَلَى لَوْنٍ كَمَا تَقُولُ طَارِقَتُ بَيْنَ الثَّوْبَيْنِ . فَإِنْ قَلتِ مَا هَذِهِ الطَّيُورُ الَّتِي يَسْكُنُ بَعْضُهَا الْأَخَادِيدَ وَ بَعْضُهَا الْفِجَاجَ وَ بَعْضُهَا رِءُوسَ الْجِبَالِ . قَلتِ أَمَّا الْأَوَّلُ فَكَالْقَطَا وَ الصَّدَى وَ الثَّانِي كَالْقَبْجِ وَ الطَّيْهُوجِ وَ الثَّالِثُ كَالصَّقْرِ وَ الْعَقَابِ [صَفْحَه ٢٦٨] وَ مِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقًا الطَّائِوسُ الْأَعْدَى أَقَامَهُ فِي أَحْسَنِ تَعْدِيلٍ وَ نَضَّدَ أَلْوَانَهُ فِي أَحْسَنِ تَنْضِيدٍ بِجَنَاحِ أَشْرَجِ قَصْبِهِ وَ ذَنْبِ أَطَالَ مَسْحَبُهُ إِذَا دَرَجَ إِلَى الْأُنثَى نَشَرَهُ مِنْ طِيهِ وَ سَمَّا بِهِ مُطَّلًا عَلَى رَأْسِهِ كَأَنَّهُ قَلْعٌ دَارِيٌّ عَنَجَهُ نُوتِيَهُ يَخْتَالُ بِالْوَانِهِ وَ يَمِيسُ بِزَيْفَانِهِ يَقْضِي كَإِفْضَاءِ الدَّيْكَةِ وَ يُورُّ بِمَلَاقِحِهِ أَرَّ الْفُحُولِ الْمُغْتَلِبَةِ لِلضَّرَابِ أُحِيلَكَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى مُعَايِنَتِهِ لَا كَمَنْ يُحِيلُ عَلَى ضَعِيفٍ إِسْنَادُهُ وَ لَوْ كَانَ كَرَعَمٌ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُلْقِحُ بِدَمْعِهِ تَسْفَحُهَا مِدَامَعُهُ فَتَقْفُ فِي ضَفْتِي جُفُونِهِ وَ أَنْ أَنثَاهُ تَطَعَمَ ذَلِكَ ثُمَّ تَبَيَّضَ لَأَمِنْ لِقَاحِ فَحْلِ سِوَى الدَّمْعِ الْمُتَبَجِّسِ لَمَّا كَانَ ذَلِكَ بِأَعْجَبٍ مِنْ مُطَاعَمَةِ الْغُرَابِ الطَّائِوسِ فَاعُولٌ كَالهَاضُومِ وَ الْكَابُوسِ وَ تَرْخِيمِهِ طَويِسٌ وَ نَضْدُ رَتْبِ قَوْلِهِ أَشْرَجَ قَصْبَهُ الْقَصْبُ هَاهُنَا عُرُوقُ الْجَنَاحِ وَ غَضَارِيْفُهُ عِظَامُهُ الصَّغَارُ وَ أَشْرَجُهَا رَكِبَ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ كَمَا تَشْرَحُ الْعِيْبَةُ أَى يَدَاخُلُ بَيْنَ أَشْرَاجِهَا وَ هِيَ عَرَاها وَ أَحَدُهَا شَرْجٌ بِالتَّحْرِيكِ . ثُمَّ ذَكَرَ ذَنْبَ الطَّائِوسِ وَ أَنَّهُ طَوِيلٌ الْمَسْحَبِ وَ أَنَّ الطَّائِوسَ إِذَا دَرَجَ إِلَى الْأُنثَى لِلسَّفَادِ نَشَرَ ذَنْبَهُ مِنْ طِيهِ وَ عَلَا بِهِ مَرْتَفَعًا عَلَى رَأْسِهِ وَ الْقَلْعُ شَرَاةُ السَّفِينَةِ وَ جَمْعُهُ قَلَاعٌ وَ الدَّارِيُّ جَالِبُ الْعَطْرِ فِي الْبَحْرِ مِنْ دَارِينِ وَ هِيَ فِرْضَةُ بِالْبَحْرَيْنِ فِيهَا سَوْقٌ يَحْمَلُ إِلَيْهَا الْمَسْكُ مِنَ الْهِنْدِ وَ فِي الْحَدِيثِ الْجَلِيسُ الصَّالِحُ كَالدَّارِيِّ إِنْ لَمْ يَحْذَكَ مِنْ عَطْرِه عَلَقَكَ مِنْ رِيحِهِ - رَوَايَتُ ١-٢- رَوَايَتُ ١٤-٧٦ قَالَ الشَّاعِرُ [صَفْحَه ٢٦٩] إِذَا التَّاجِرُ الدَّارِيُّ جَاءَ بِفَأْرَةٍ || مِنَ الْمَسْكِ رَاحَتِ فِي مَفَارِقِهِمْ تَجْرِي . وَ النَّوْتِيُّ الْمَلَاةُ وَ جَمْعُهُ نَوَاتِي . وَ عُنْجُهُ عَطْفُهُ وَ عُنْجَتُ خَطَامِ الْبَعِيرِ رَدَدَتُهُ عَلَى رِجْلِيهِ أَعْنَجَهُ بِالضَّمِّ وَ الْأَسْمُ الْعُنْجُ بِالتَّحْرِيكِ وَ فِي الْمَثَلِ عُوْدٌ يَعْلَمُ الْعُنْجُ يَضْرِبُ مِثْلًا لِتَعْلِيمِ الْحَاذِقِ . وَ يَخْتَالُ مِنَ الْخِيَلَاءِ وَ هِيَ الْعُجْبُ وَ يَمِيسُ يَتَبَخَّرُ . وَ زَيْفَانُهُ تَبَخَّرَهُ زَافٌ يَزِيفُ وَ مِنْهُ نَاقَةٌ زَيْفَانَةٌ أَى مَخْتَالَةٌ قَالَ عَنْتَرَةُ زَيْفَانَةٌ مِثْلُ الْفَنِيْقِ الْمَكْدَمِ . وَ كَذَلِكَ ذَكَرَ الْحَمَامَ عِنْدَ الْحَمَامَةِ إِذَا جَرَّ الذَّنَابِيَّ وَ دَفَعَ مَقْدَمَهُ بِمُؤَخَّرِهِ وَ اسْتَدَارَ عَلَيْهَا . وَ يَفْضِي يَسْفُدُ وَ الدَّيْكَةُ جَمْعُ دَيْكٍ كَالْقَرْطَةِ وَ الْجَحْرَةُ جَمْعُ قَرَطٍ وَ جَحْرٌ . وَ يُورُّ يَسْفُدُ وَ الْأَمْرُ الْجَمَاعُ وَ رَجُلٌ آرٌ كَثِيرُ الْجَمَاعِ وَ مَلَاقِحُهُ أَدْوَاتُ اللَّقَاحِ وَ أَعْضَاؤُهُ وَ هِيَ آلاَتُ التَّنَاسُلِ . قَوْلُهُ أَرَّ الْفُحُولِ أَى أَرَا مِثْلَ أَرَّ الْفُحُولِ ذَاتِ الْغَلْمَةِ وَ الشَّبِقِ . ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ عَنِ إِسْنَادِ قَدِ يَضْعَفُ وَ يَتَدَاخَلُهُ الطَّعْنُ بَلْ قَالَ ذَلِكَ عَنِ عِيَانٍ وَ مَشَاهِدَةٍ . [صَفْحَه ٢٧٠] فَإِنْ قَلتِ مِنْ أَيْنَ لِلْمَدِينَةِ طَواوِيسُ وَ أَيْنَ الْعَرَبُ وَ هَذَا الطَّائِرُ حَتَّى يَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَ أُحِيلَكَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى مَعَايِنَتِهِ لِأَسِيْمَا وَ هُوَ يَعْنِي السَّفَادَ وَ رُؤْيِيَهُ ذَلِكَ لِمَنْ

تكثر الطواويس في داره ويطول مكثها عنده نادرة. قلت لم يشاهد أمير المؤمنين ع الطواويس بالمدينة بل بالكوفة وكانت يومئذ تجبى إليها ثمرات كل شيء وتأتي إليها هدايا الملوك من الآفاق ورؤيته المسافدة مع وجود الذكر والأنثى غير مستبعدة. واعلم أن قوما زعموا أن الذكر تدمع عينه فتقف الدمعة بين أجنانه فتأتي الأنثى فتطعمها فتلقح من تلك الدمعة و أمير المؤمنين ع لم يحل ذلك ولكنه قال ليس بأعجب من مطاعمة الغراب والعرب تزعم أن الغراب لا يسفد و من أمثالهم أخفى من سفاد الغراب فيزعمون أن اللقاح من مطاعمة الذكر والأنثى منهما وانتقال جزء من الماء الذي في قانصته إليها من منقاره و أما الحكماء فقل أن يصدقوا بذلك على أنهم قد قالوا في كتبهم ما يقرب من هذا قالوا في السمك البياض إن سفاده خفى جدا وإنه لم يظهر ظهورا يعتد به ويحكم بسببه . هذا اللفظ ابن سينا في كتاب الشفاء ثم قال و الناس يقولون إن الإناث تأخذ زرع الذكور في أفواهاها إلى بطونها ثم قال و قد شوهدت الإناث منها تتبع الذكور مبتلعة للزرع و أما عند الولادة فإن الذكور تتبع الإناث مبتلعة بيضها. قال ابن سينا والقبجة تجلبها ريح تهب من ناحية الحجل الذكر و من سماع صوته . قال والنوع المسمى مالا قيا تتلاصق بأفواهاها ثم تتشابك فذاك سفادها وسمعت [صفحہ ۲۷۱] أن الغراب يسفد و أنه قد شوهد سفاده و يقول الناس إن من شاهد سفاد الغراب يثرى و لا يموت إلا و هو كثير المال موسر. والصفتان بفتح الضاد الجنابان وهما صفتا النهر و قد جاء ذلك بالكسر أيضا والفتح أفصح . والمنبجس المنفجر ويسفحها يصبها وروى تنشجها مدامعه من النشيج و هو صوت الماء و غليانه من زق أو حب أو قدر تَخَالَ قَصَبُهُ مَدَارِي مِنْ فِضَّةٍ وَ مَا أُنْبِتَ عَلَيْهَا مِنْ عَجِيبٍ دَارَاتِهِ وَ شُمُوسِهِ خَالِصَ الْعَقِيَانِ وَ فَلَمَذَ الزَّبْرَجِدِ فَإِنْ شَبِهَتْهُ بِمَا أُنْبِتَتِ الْأَرْضُ قُلْتَ جَنِيَّ جَنِيٍّ مِنْ زَهْرَةٍ كُلِّ رَبِيعٍ وَ إِنْ ضَاهَيْتَهُ بِالْمَلَابِسِ فَهُوَ كَمَوْشَى الْحَلَمِلِ أَوْ كَمُونِقِ عَصَبِ الْيَمَنِ وَ إِنْ شَاكَلَتْهُ بِالْحَلِيِّ فَهُوَ كَفُصُوصِ ذَاتِ أَلْوَانٍ قَدْ نُطِقَتْ بِاللَّجِينِ الْمُكَلَّلِ يَمْشِي مَشَى الْمَرْحِ الْمُخْتَالِ وَ يَنْصَفِّحُ ذَنْبَهُ وَ جَنَاحَهُ فَيَقْهَقُهُ ضَاحِكًا لِجَمَالِ سِرْبَالِهِ وَ أَصَابِغِ وَ شَاحِهِ فَإِذَا رَمَى بَبَصِيرِهِ إِلَى قَوَائِمِهِ زَقًا مُعَوَّلًا بِصَوْتِ يَكَادُ يُبَيِّنُ عَنِ اسْتِغَاثَتِهِ وَ يَشْهَدُ بِصَادِقِ تَوَجُّعِهِ لِأَنَّ قَوَائِمَهُ حُمَشٌ كَقَوَائِمِ الدِّيَكَةِ الْخَلَاسِيَّةِ قَصَبُهُ عِظَامُ أَجْنَحَتِهِ وَ الْمَدَارِيُّ جَمْعُ مَدْرَى وَ هُوَ فِي الْأَصْلِ الْقَرْنُ قَالَ النَّابِغَةُ يَصِفُ الثَّوْرَ وَ الْكَلَابَ شَكَ الْفَرِيصَةَ بِالْمَدْرَى فَأَنْفَذَهَا || شَكَ الْمَيْطَرَ إِذْ يَشْفَى مِنَ الْعُضْدِ . [صفحہ ۲۷۲] وكذلك المدراة و يقال المدرى لشيء كالمسلة تصلح بها المشاطة شعور النساء قال الشاعر تهلك المدراة في أكنافه || و إذا ما أرسلته يعتفر . وتمدرت المرأة أى سرحت شعرها شبه عظام أجنحة الطاوس بمدارى من فضة لبياضها وشبه ما أنبت الله عليها من تلك الدارات والشموس التى فى الریش بخالص العقیان و هو الذهب . و فلذ الزبرجد جمع فلذة وهى القطعة والزبرجد هذا الجواهر الذى تسميه الناس البلخس . ثم قال إن شبهته نبات الأرض قلت إنه قد جنى من زهرة كل ربيع فى الأرض لاختلاف ألوانه وأصباغه . و إن ضاهيته بالملابس المضاهاة المشاكلة يهزم و لا يهزم و قرئ يضاهون قول الذين كفروا ويضاهون و هذا صهي هذا على فعل أى شبيهه . و موسى الحلل مادبج بالوشى و هو الأرقم الملون والعصب برود اليمن . والحلى جمع حلى و هو ما تلبسه المرأة من الذهب والفضة مثل ثدى و ثدى و وزنه فعول و قد تكسر الحاء لمكان الياء مثل عصى و قرئمن حليهما بالضم والكسر . ونطقت باللجين جعلت الفضة كالنطاق لها والمكمل ذو الإكليل . - قرآن - ۴۴۸-۴۵۷- قرآن - ۶۹۲-۷۰۴ [صفحہ ۲۷۳] وزقا صوت يزقو زقوا وزقيا وزقاء و كل صائح زاق والزقية الصيحة و هو أثقل من الزواقي أى الديكة لأنهم كانوا يسمرون فإذا صاحت الديكة تفرقوا. ومعولا صارخا أعولت الفرس صوتت و منه العويل والعولة. وقوائمه حمش دقاق و هو أحمش الساقين وحمش الساقين بالتسكين و قد حمشت قوائمه أى دقت وتقول العرب للغلام إذا كانت أمه بيضاء وأبوه عربيا آدم فجاء لونه بين لونهما. خلاسى بالكسر والأنثى خلاسية و قال الليث الديكة الخلاسية هى المتولدة من الدجاج الهندى والفارسى. يقول ع إن الطاوس يزهى بنفسه ويتيه إذا نظر فى أعطافه ورأى ألوانه المختلفة فإذا نظر إلى ساقيه وجم لذلك وانكسر نشاطه وزهوه فصاح صياح العويل لحزنه و ذلك لدقة ساقيه و نتوء عرقوبيه و قد نجمت من طُثُوبِ سَاقِهِ صِيصِيَّةٌ حَفِيَّةٌ وَ لَهُ فِي مَوْضِعِ الْعُرْفِ قُنْزَعَةٌ حَضْرَاءُ مُوَشَّاءُ وَ مَخْرَجٌ عَنَّقِهِ كَالْإِبْرِيْقِ وَ

مَغْرُزَهَا إِلَى حَيْثُ بَطْنُهُ كَصَبِغِ الْوَسْمَةِ الْيَمَانِيَّةِ أَوْ كَحَرِيرَةٍ مُلْبَسَةٍ مِرَاءَهُ ذَاتَ صَقَالٍ وَكَأَنَّهُ مُتَلَفِّعٌ بِمِعْجَرٍ أُسْحَمٍ إِلَّا أَنَّهُ يُخَيَّلُ لِكَثْرَةِ مَائِهِ وَشِدَّةِ بَرِيْقِهِ أَنَّ الْخُضْرَةَ النَّاصِرَةَ مُمْتَرِجَةٌ بِهِ وَمَعَ فَتْقِ سَمْعِهِ خَطَّ كَمُسْتَدَقِّ الْقَلَمِ فِي لَوْنِ الْأَقْحَوَانِ أَبْيَضُ يَقُقُ فَهُوَ بَيَاضُهُ فِي سَوَادٍ [صفحة 274] مَا هُنَالِكَ يَأْتِلِقُ وَقَلَّ صَبِغٌ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ وَعَلَاهُ بِكَثْرَةِ صَقَالِهِ وَبَرِيْقِهِ وَبَصَّةِ يَصِ دِيْبَاجِهِ وَرَوْنِقِهِ فَهُوَ كَالْأَزْهَائِرِ الْمَبْثُوثَةِ لَمْ تَرْبَهَا أَمْطَارُ رَيْبِيعٍ وَكَمَا شُمُوسٌ قَيْظٍ نَجْمَتْ ظَهَرَتْ وَالظُّنُوبُ حَرْفِ السَّاقِ وَهُوَ هَذَا الْعَظْمُ الْيَابِسُ . وَالصَّيْبِيَّةُ فِي الْأَصْلِ شَوْكَةُ الْحَائِكِ الَّتِي يَسُورُ بِهَا السِّدَاءُ وَاللَّحْمَةُ وَمِنْهُ قَوْلُهُ كَوَقَعَ الصَّيَاصِيُّ فِي النَّسِيْجِ الْمَمْدُدِ . وَنَقَلَ إِلَى صَيْبِيَّةِ الدِّيَكِ لِتِلْكَ الْهَيْئَةِ الَّتِي فِي رِجْلِهِ . وَالْعَرْفُ الشَّعْرُ الْمَرْتَفِعُ مِنْ عُنُقِهِ عَلَى رَأْسِهِ وَالْقَنْزَعَةُ وَاحِدَةُ الْقَنْزَاعِ وَهِيَ الشَّعْرُ حَوَالِي الرَّأْسِ وَفِي الْحَدِيثِ غَطَى عُنَا قَنْزَاعَكَ يَا أَمِيْنَ - رَوَايَاتُ 1- 2- رَوَايَاتُ 14- 43 . وَمَوْشَاءُ ذَاتُ وَشَى . وَالْوَسْمَةُ بِكَسْرِ السِّينِ الْعَظْمُ الَّذِي يَخْضُبُ بِهِ وَيَجُوزُ تَسْكِينُ السِّينِ . وَالْأَسْحَمُ الْأَسْوَدُ وَالْمُتَلَفِّعُ الْمُلْتَحِفُ وَيُرْوَى مُتَقَنَّعٌ بِمِعْجَرٍ وَهُوَ مَا تَشْدَهُ الْمِرَاءُ عَلَى رَأْسِهَا كَالرِّدَاءِ . وَالْأَقْحَوَانُ الْبَابُونُجُ الْأَبْيَضُ وَجَمْعُهُ أَقَاحٌ . [صفحة 275] وَأَبْيَضُ يَقُقُ خَالِصُ الْبَيَاضِ وَجَاءَ يَقُقُ بِالْكَسْرِ وَيَأْتِلِقُ يَلْمَعُ . وَالْبَصِيصُ الْبَرِيْقُ وَبِصِ الشَّيْءِ لَمَعٌ . وَتَرْبَهَا الْأَمْطَارُ تَرْبِيهَا وَتَجْمَعُهَا . يَقُولُ عَ كَأَنَّ هَذَا الطَّائِرَ مُلْتَحِفٌ بِمِلْحَفَةِ سُودَاءِ إِلَّا أَنَّهَا لِكَثْرَةِ رَوْنِقِهَا يَتَوَهَّمُ أَنَّهُ قَدَامَتْ رَجَّ بِهَا خُضْرَةٌ نَاصِرَةٌ وَقَلَّ أَنْ يَكُونَ لَوْنُ إِلَّا- وَقَدْ أَخَذَ هَذَا الطَّائِرُ مِنْهُ بِنَصِيْبٍ فَهُوَ كَأَزْهَائِرِ الرَّبِيْعِ إِلَّا أَنَّ الْأَزْهَارَ تَرْبِيهَا الْأَمْطَارُ وَالشَّمُوسُ وَهَذَا مَسْتَعْنٌ عَنْ ذَلِكَ وَقَدْ يَنْحَسِرُ مِنْ رِيْشِهِ وَيَعْرِى مِنْ لِيَاسِهِ فَيَسْقُطُ تَتْرَى وَ يَنْبُتُ تَبَاعًا فَيَنْحَتُّ مِنْ قَصْبِهِ انْحِتَاتٌ أَوْ رَاقِ الْأَغْصَانِ ثُمَّ يَتَلَاخَقُ نَامِيًا حَتَّى يَعُودَ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ سُقُوطِهِ لَا يُخَالِفُ سَالِفَ أَلْوَانِهِ وَلَا يَقَعُ لَوْنٌ فِي غَيْرِ مَكَانِهِ وَإِذَا تَصَيَّفَتْ شَعْرَةٌ مِنْ شَعْرَاتِ قَصْبِهِ بِرُتْكَ حُمْرَةٍ وَرْدِيَّةٍ وَتَارَةً خُضْرَةَ زَبْرَجْدِيَّةٍ وَأَحْيَانًا صُفْرَةً عَسْجَدِيَّةً فَكَيْفَ تَصِلُ إِلَى صَفْوِهِ هَذَا عَمَائِقُ الْفِطَنِ أَوْ تَبْلُغُهُ قَرَائِحُ الْعُقُولِ أَوْ تَسْتَنْظِمُ وَصْفَهُ أَقْوَالُ الْوَاصِفِينَ وَ أَقَلُّ أَجْزَائِهِ قَدْ أَعْجَزَ الْأَوْهَامَ أَنْ تُدْرِكَهُ وَالْأَلْسِنَةَ أَنْ تَصِفَهُ فَسِيْبِحَانَ الْمَذَى بَهَرَ الْعُقُولَ عَنْ وَصْفِ خَلْقِ جَلَاءِ لِلْعِيُونِ فَادْرَكَتُهُ مَحْدُودًا مُكُونًا وَ مُؤَلَّفًا مُلُونًا وَأَعْجَزَ الْأَلْسُنَ عَنْ تَلْخِيصِ صِفَتِهِ وَقَعَدَ بِهَا عَنْ تَأْدِيَةِ نَعْتِهِ وَ سُبْحَانَ مَنْ أَدْمَجَ قَوَائِمَ الذَّرَّةِ وَالْهَمْجَةَ إِلَى مَا فَوْقَهُمَا مِنْ خَلْقِ الْحَيْتَانِ وَالْفَيْلَةِ [صفحة 276] وَوَأَى عَلَى نَفْسِهِ أَلَّا يَضْطَرِبَ شَبِيْحٌ مِمَّا أَوْلَمَّجَ فِيهِ الرُّوحَ إِلَّا وَجَعَلَ الْجَمَامَ مَوْعِدَهُ وَالْفَنَاءَ غَايَتَهُ يَنْحَسِرُ مِنْ رِيْشِهِ يَنْكَشِفُ فَيَسْقُطُ وَيُرْوَى يَتَحَسِرُ . تَتْرَى أَى شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ وَبَيْنَهُمَا فَتْرَةٌ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا لِأَنَّهُ لَمْ يَرْسَلْهُمْ عَلَى تَرَاوَعٍ بَلْ بَعْدَ فِتْرَاتٍ وَ هَذَا مَا يَغْلُطُ فِيهِ قَوْمٌ فَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ تَتْرَى لِلْمَوَاصِلَةِ وَاللِّتْصَاقِ وَأَصْلُهَا الْوَاوُ مِنَ الْوَتْرِ وَ هُوَ الْفَرْدُ وَفِيهَا الْغَتَانُ تَتُونَ وَ لَا- تَتُونَ فَمَنْ تَرَكَ صَرْفَهَا لِلْمَعْرِفَةِ جَعَلَ أَلْفَهَا أَلْفَ تَأْنِيْثٍ وَ مِنْ نَوْنِهَا جَعَلَ أَلْفَهَا لِلْإِلْحَاقِ . قَالَ ع وَنَبَتُ تَبَاعًا أَى لَافِتْرَاتٍ بَيْنَهُمَا وَكَذَلِكَ حَالُ الرِّيْشِ السَّاقِطِ يَسْقُطُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ وَنَبَتُ جَمِيْعًا . وَنَبَتُ يَتَسَاقَطُ وَانْحِتَاتُ الْوَرَقِ تَنَاثَرُهَا وَنَامِيًا زَائِدًا يَقُولُ عَ إِذَا عَادَ رِيْشُهُ عَادَ مَكَانَ كُلِّ رِيْشَةٍ رِيْشَةٌ مَلُونَةٌ بِلَوْنِ الرِّيْشَةِ الْأُولَى فَلَا يَتَخَالَفُ الْأَوَائِلُ وَالْأَوَاخِرُ . وَالْخُضْرَةُ الزَّبْرَجْدِيَّةُ مَنْسُوبَةٌ إِلَى الزَّمْرَدِ وَلَفْظَةُ الزَّبْرَجْدِ تَارَةٌ تَسْتَعْمَلُ لَهُ وَتَارَةٌ لِهَذَا الْحَجَرِ الْأَحْمَرِ الْمَسْمُومِ بِلَخْشِ وَالْعَسْجَدِ الذَّهَبِ وَعَمَائِقُ الْفِطَنِ - قُرْآن - 94- 121 [صفحة 277] الْبَعِيدَةُ الْقَعْرُ وَالْقَرِيْحَةُ الْخَاطِرُ وَالذَّهْنُ وَبِهْرِ غَلْبِ وَجَلَاهُ أَظْهَرَهُ وَيُرْوَى بِالْتَخْفِيْفِ وَأَدْمَجَ الْقَوَائِمَ أَحْكَمَهَا كَالْحَبْلِ الْمَدْمَجِ الشَّدِيدِ الْفِتْلِ . وَالذَّرَّةُ النَّمْلَةُ الصَّغِيْرَةُ وَالْهَمْجَةُ وَاحِدَةُ الْهَمْجِ وَ هُوَ ذَبَابٌ صَغِيْرٌ كَالْبَعُوضِ يَسْقُطُ عَلَى وَجْهِ الْغَنَمِ وَالْحَمْرِ وَأَعْيُنِهَا . وَوَأَى وَعَدَ وَالْوَأَى الْوَعْدُ . وَاعْلَمْ أَنَّ الْحَكَمَاءَ ذَكَرُوا فِي الطَّوَاوِسِ أَمْوَرًا قَالُوا إِنَّهُ يَعِيْشُ خَمْسًا وَعَشْرِينَ سَنَةً وَهِيَ أَقْصَى عَمْرِهِ وَبَيِّضُ فِي السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ مِنْ عَمْرِهِ عِنْدَ مَا يَنْتَقِشُ لَوْنَهُ وَيَتِمُّ رِيْشُهُ وَبَيِّضُ فِي السَّنَةِ مَرَّةً وَاحِدَةً اثْنَتَيْ عَشْرَةَ بَيِّضَةً فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَيَحْضُنُهَا ثَلَاثِينَ يَوْمًا فَيَفْرُخُ وَيَلْقَى رِيْشَهُ مَعَ سَقُوطِ وَرَقِ الشَّجَرِ وَنَبْتِهِ مَعَ ابْتِدَاءِ نَبَاتِ الْوَرَقِ . وَالذَّجَاجُ قَدْ يَحْضُنُ بَيِّضَ الطَّوَاوِسِ وَإِنَّمَا يَخْتَارُ الذَّجَاجُ لِحَضَانَتِهِ وَ إِنْ وَجَدَتْ الطَّوَاوِسُ لِأَنَّ الطَّوَاوِسَ الذَّكَرَ يَعْثُ بِالْأُنْثَى وَيَشْغَلُهَا عَنِ الْحَضَانَةِ وَرَبَّمَا انْفَقَصَ الْبَيِّضُ مِنْ تَحْتِهَا وَلِهَذَا الْعِلَّةُ يَخْبَأُ كَثِيْرٌ مِنَ الْإِنَاثِ مُحَاضِنُهَا عَنْ ذَكَرَانِهَا وَ لَا تَقْوَى الذَّجَاجَةُ عَلَى أَكْثَرِ مَنْ بَيِّضَتِي طَاوِسٌ وَيَنْبَغِي أَنْ يَتَعَهَّدَ الذَّجَاجَةُ حَيْثُذُ بِتَقْرِيْبِ الْعَلْفِ مِنْهَا . وَقَالَ شَيْخُنَا أَبُو عَثْمَانَ الْجَاحِظُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي

كتاب الحيوان إن الطاوسه قد تبيض من الريح بأن يكون في سفاله الريح و فوقها طاوس ذكر فيحمل ريحه فتبيض منه وكذلك القبيجه. قال وبيض الريح قل أن يفرخ [صفحه ٢٧٨] منها في صفه الجنه فلو رميت ببصر قلبك نحو ما يوصف لك منها لعزفت نفسك عن يدائع ما أخرج إلى الدنيا من شهواتها و لذاتها و زخارف مناظرها و لذتهل بالفكر في اصطفاف أشجار غيبت عزوقها في كتيان المسك على سواحل أنهارها و في تعليق كبايس اللؤلؤ الرطب في عساليجها و أفنانها و طلوع تلك الثمار مختلفه في غلف أكمامها تجنى من غير تكلف فتأتي على منيه مجتنيها و يطاف على نزالها في أفتيه قصورها بالأعسال المصه فقه و الخمور المروقسه قوم لم تزل الكراميه تتم ادى بهم حتى حلوا دار القرار و أمنوا نعلمه الأسفار فلو شغلت قلبك أيها المستمع بالوصول إلى ما يهجم عليك من تلك المناظر المونقه لزهقت نفسك شوقاً إليها و لتحملت من مجلسي هداً إلى مجاوره أهل القبور استعجالاً بها جعلنا الله و إياكم ممن يسعى بقلبه إلى منازل الأبرار برحمته قال الرضى رحمه الله تعالى تفسير بعض ما في هذه الخطبه من الغريب قوله ع يؤر بملاقحه الأبر كناية عن النكاح يقال أر الرجل المرأه يؤرها إذانكحها. و قوله ع كأنه قلع دارى عنجه نوتيه القلع شرع السفينه ودارى منسوب إلى دارين وهى بلدة على البحر يجلب منها الطيب و عنجه أى عطفه يقال عنجت الناقه أعنجه عنجا إذاعطفتها والنوتى الملاح . -روايت- ١-١-ادامه دارد [صفحه ٢٧٩] و قوله ع ضفتى جفونه أراد جانبى جفونه والصفتان الجانبان . و قوله و فلذ الزبرجد الفلذ جمع فلذه وهى القطعه. و قوله ع كبايس اللؤلؤ الرطب الكباسه العذق والعساليج الغصون واحدها عسلوج -روايت- از قبل -١٩٥- رميت ببصر قلبك أى أفكرت و تأملت و عزفت نفسك كرهت و زهدت و الزخارف جمع زخرف و هو الذهب و كل مموه . واصطفاف الأشجار انتظامها صفا و يروى فى اصطفاق أغصان أى اضطرابها. و يأتى على منيه مجتنيها لا يترك له منيه أصلاً لأنه يكون قد بلغ نهايه الأمانى. والعسل المصفق المصفى تحويلاً من إناء إلى إناء و المونقه المعجبه و زهقت نفسه مات . و اعلم أنه لا مزيد فى التشويق إلى الجنه على ما ذكره الله تعالى فى كتابه فكل الصيد فى جانب الفرا. [صفحه ٢٨٠] و قد جاء عن رسول الله ص فى ذلك أخبار صحيحه فروى أسامه بن زيد قال سمعت رسول الله ص يذكر الجنه فقال ألامشتر لها هى ورب الكعبه ريحانه تهتر و نور يتلألاً و نهر يطرد و زوجته لاتموت مع حبور و نعيم و مقام الأبد -روايت- ١-٢-روايت- ٢٦-١٦٨ روى أبو سعيد الخدرى عنه ص أن الله سبحانه لما حوط حائط الجنه لبنه من ذهب و لبنه من فضه و غرس غرسها قال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون فقال طوبى لك منزل الملوك -روايت- ١-٢-روايت- ٣١- ١٧٣ روى جابر بن عبد الله عنه ع إذ ادخل أهل الجنه قال لهم ربهم تعالى أتحبون أن أزيدكم فيقولون وهل خير مما أعطيتنا فيقول نعم رضوانى أكبر -روايت- ١-٢-روايت- ٣٤-١٥٥ عنه ع إن أحدهم ليعطى قوة مائه رجل فى الأكل والشرب فقيل له فهل يكون منهم حدث أو قال خبث قال عرق يفيض من أعراضهم كريح المسك يضم منه البطن -روايت- ١-٢- روايت- ١١-١٥٩ وروى الزمخشري فى ربيع الأبرار ومذهبه فى الاعتزال ونصره أصحابنا معلوم وكذلك فى انحرافه عن الشيعة وتسخيفه لمقاتلهم أن رسول الله محمد ص قال لما أسرى بى أخذنى جبرئيل فأقعدنى على درنوك من درانيك الجنه ثم ناولنى سفرجله فبينما أنا ألقبها انفلقت فخرجت منها جاريه لم أر أحسن منها فسلمت فقلت من أنت قالت أنا الراضيه المرضيه خلقنى الجبار من ثلاثة أصناف أعلاى من عنبر -روايت- ١-٢-روايت- ٣٢-١٣٢-ادامه دارد [صفحه ٢٨١] وأوسطى من كافور وأسفلى من مسك ثم عجنى بماء الحيوان و قال لى كونى كذا فكنى لآخيك و ابن عمك على بن أبى طالب -روايت- از قبل -١٣٠. قلت الدرنوك ضرب من البسط ذو خمل ويشبه به فروه البعير قال الراجز جعد الدرانيك رفل الأجلاد [صفحه ٢٨٢]

لِيَتَأَسَّ صِغِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ وَ لِيَرَأَفَ كَبِيرُكُمْ بِصِغِيرِكُمْ وَ لَمَا تَكُونُوا كَجُفَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ لَمَا فِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ وَ لَمَا عَنِ اللَّهِ يَعْقِلُونَ كَقَيْضِ بَيْضٍ فِي أَدَاحٍ يَكُونُ كَسْرُهَا وَ زُرّاً وَ يُخْرِجُ حِضَانَهَا شَرّاً أَمْرَهُمْ عَ أَنْ يَتَأَسَّى الصَّغِيرُ مِنْهُمْ بِالْكَبِيرِ فِي أَخْلَاقِهِ وَ آدَابِهِ فَإِنَّ الْكَبِيرَ لِكثْرَةِ التَّجْرِبَةِ أَحْزَمُ وَ أَكْبَسُ وَ أَنْ يَرَأَفَ الْكَبِيرُ بِالصَّغِيرِ وَ الرَّأْفَةُ الرَّحْمَةُ لِأَنَّ الصَّغِيرَ مِظَنَّةُ الضَّعْفِ وَ الرِّقَّةِ . ثُمَّ نَهَاهُمْ عَنِ خَلْقِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي الْجَفَاءِ وَ الْقِسْوَةِ وَ قَالَ إِنَّهُمْ لَا يَتَفَقَّهُونَ فِي دِينٍ وَ لَا يَعْقِلُونَ عَنِ اللَّهِ مَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ وَ هَذَا مِنْ قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ صَمَّ بِكُمْ عَمِيٌّ فَهُمْ لَا- يَعْقِلُونَ وَ رَوَى تَتَفَقَّهُونَ بِنَاءِ الْخَطَابِ . ثُمَّ شَبَّهَهُمْ بِبَيْضِ الْأَفَاعِي فِي الْأَعْشَاشِ يَظُنُّ بَيْضَ الْقَطَا فَيَلْحِلُّ لِمَنْ رَأَاهُ أَنْ يَكْسِرَهُ لِأَنَّهُ يَظُنُّهُ بَيْضَ الْقَطَا وَ حِضَانَهُ يَخْرُجُ شَرّاً لِأَنَّهُ يَفْقِصُ عَنِ أَفْعَى . -قرآن- ٣١٠-٣٤٦ [صفحة ٢٨٣] وَ اسْتَعَارَ لَفْظَةَ الْأَدَاحِي لِلْأَعْشَاشِ مِجَازاً لِأَنَّ الْأَدَاحِي لَا تَكُونُ إِلَّا لِلنَّعَامِ تَدَحُّوهُمَا بِأَرْجُلِهَا وَ تَبْيِضُ فِيهَا وَ دَحُّوهُمَا تَوْسِيعُهَا مِنْ دَحْوَاتِ الْأَرْضِ . وَ الْقَيْضُ الْكَسْرُ وَ الْفَلَقُ قَضَتْ الْقَارُورَةَ وَ الْبَيْضَةُ وَ انْقَاضَتْ هِيَ وَ انْقَاضَ الْجِدَارُ انْقِيَاضاً أَيْ تَصَدَعُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْقُطَ فَإِنَّ سَقَطَ قِيلَ تَقْيِضُ تَقْيِضاً وَ تَقْوُضُ تَقْوِضاً وَ قَوْضَتُهُ أَنَا وَ تَقُولُ لِلْبَيْضَةِ إِذَا تَكَسَّرَتْ فَلَقَا تَقْيِضَتْ تَقْيِضاً فَإِنَّ تَصَدَعَتْ وَ لَمْ تَنْفَلِقْ قُلْتَ انْقَاضَتْ فَهِيَ مَنقَاضَةٌ وَ الْقَارُورَةُ مِثْلُهُ مِنْهَا افْتَرَقُوا بَعْدَ الْفَتْهِمِ وَ تَشَتَّتُوا عَنِ أَصْلِهِمْ فَ مِنْهُمْ آخِذٌ بَغْضِنٍ أَيْنَمَا مَالَ مَالٌ مَعَهُ عَلَيَّ أَنْ اللَّهَ تَعَالَى سَيَجْمَعُهُمْ لِشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي أُمِّيَّةٍ كَمَا يَجْتَمِعُ فَرْعُ الْخَرِيفِ يُؤَلَّفُ اللَّهُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَجْمَعُهُمْ رُكَّاماً كَرَّامِ السَّحَابِ ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُمْ أَبْوَاباً يَسِيلُونَ مِنْ مُسْتَثَارِهِمْ كَسِيلِ الْجَنَّتَيْنِ حَيْثُ لَمْ تَسَلِّمْ عَلَيْهِ قَارَةٌ وَ لَمْ تَثْبِتْ عَلَيْهِ أَكْمَةٌ وَ لَمْ يَزِدْ سِنَّهُ رِصٌّ طُودٍ وَ لَا حِدَابٌ أَرْضٌ يُذْعَدُهُمْ اللَّهُ فِي بَطُونِ أَوْدِيَّتِهِ ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ يَأْخُذُ بِهِمْ مِنْ قَوْمِ حُقُوقٍ قَوْمٌ وَ يُمَكِّنُ لِقَوْمٍ فِي دِيَارِ قَوْمٍ وَ أَيْمُ اللَّهِ لَيَذُوبَنَّ مَا فِي أَيْدِيهِمْ بَعْدَ الْعُلُوِّ وَ التَّمَكِينِ كَمَا تَذُوبُ الْأَلْيَةُ عَلَى النَّارِ أَيُّهَا النَّاسُ لَوْ لَمْ تَتَّخِذُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ وَ لَمْ تَهْتِنُوا عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ لَمْ [صفحة ٢٨٤] يَطْمَعِ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ وَ لَمْ يَقْوِ مِنْ قَوِيَّ عَلَيْكُمْ لَكِنُّكُمْ تَهْتِمُ مَتِيَّةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ لَعَمْرِي لَيَضَعَفَنَّ لَكُمْ التِّيُّ مِنْ بَعْدِي أَضْعَافاً بِمَا خَلَفْتُمُ الْحَقَّ وَ رَاءَ ظُهُورِكُمْ وَ قَطَعْتُمُ الْأَدْنَى وَ وَصَلْتُمُ الْأَبْعَدَ وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنْ اتَّبَعْتُمُ الدَّاعِيَ لَكُمْ سَلِمَكُمُ بِكُمْ مِنْهَاجِ الرُّسُولِ وَ كُفَيْتُمُ مَثُونَةَ الْإِعْتِسَافِ وَ نَيِّدْتُمُ الثَّقَلَ الْفَادِحَ عَنِ الْأَعْنَاقِ هُوَ عَ يَذْكَرُ حَالَ أَصْحَابِهِ وَ شِيعَتِهِ بَعْدَهُ فَيَقُولُ افْتَرَقُوا بَعْدَ الْفَتْهِمِ أَيَّ بَعْدَاجْتِمَاعِهِمْ . وَ تَشَتَّتُوا عَنِ أَصْلِهِمْ أَيَّ عَنِ بَعْدِ مَفَارِقَتِي فَ مِنْهُمْ آخِذٌ بَغْضِنٍ أَيَّ يَكُونُ مِنْهُمْ مَنْ يَتَمَسَّكُ بِمَنْ أَخْلَفَهُ بَعْدِي مِنْ ذُرِّيَةِ الرُّسُولِ أَيْنَمَا سَلَكُوا سَلَكُوا مَعَهُمْ وَ تَقْدِيرُ الْكَلَامِ مِنْهُمْ مَنْ لَا يَكُونُ هَذِهِ حَالُهُ لَكِنُّهُ لَمْ يَذْكَرْهُ عَ اِكْتِفَاءً بِذِكْرِ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ لِأَنَّهُ دَالٌ عَلَى الْقِسْمِ الثَّانِي . ثُمَّ قَالَ عَلَيَّ أَنْ هُوَ لَاءُ الْقَوْمِ مَنْ ثَبِتَ مِنْهُمْ عَلَى عَقِيدَتِهِ فَيُنَاوِئُ مَنْ لَمْ يَثْبِتْ لِأَبَدٍ أَنْ يَجْمَعَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى لِشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي أُمِّيَّةٍ وَ كَذَا كَانَ فَإِنَّ الشَّيْعَةَ الْهَاشِمِيَّةَ اجْتَمَعَتْ عَلَى إِزَالَةِ مَلِكِ بَنِي مَرْوَانَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ ثَابِتاً عَلَى وِلايَةِ عَلِيٍّ بِنِ ابْنِ طَالِبٍ عَ وَ مِنْ حَادٍ مِنْهُمْ عَنِ ذَلِكَ وَ ذَلِكَ فِي أَوَاخِرِ أَيَّامِ مَرْوَانَ الْحِمَارِ عِنْدَ ظُهُورِ الدَّعْوَةِ الْهَاشِمِيَّةِ . وَ قَرَعَ الْخَرِيفُ جَمْعَ قَرَعَةٍ وَ هِيَ سَحْبٌ صَغِيرٌ تَجْتَمِعُ فَتَصِيرُ رُكَّاماً وَ هُوَ مَا كَثَفَ [صفحة ٢٨٥] مِنَ السَّحَابِ وَ رَكِمَتْ الشَّيْءَ أَرْكَمَهُ إِذَا جَمَعْتَهُ وَ أَلْقَيْتَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ . وَ مُسْتَثَارُهُمْ مَوْضِعُ ثَوْرَتِهِمْ . وَ الْجَنَّتَانِ هُمَا اللَّتَانِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمَا لَقَدْ كَانَ لِسَيِّبٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنِ يَمِينٍ وَ شِمَالٍ وَ سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا السَّيْلَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرْمِيشِ عَ سَيْلَانَ الْجِيُوشِ إِلَى بَنِي أُمِّيَّةٍ بِالسَّيْلِ الْمَسْلُطِ عَلَى تِينِكَ الْجَنَّتَيْنِ . فَإِنَّهُ لَمْ تَسَلِّمْ عَلَيْهِ قَارَةٌ وَ هِيَ الْجَبِيلُ الصَّغِيرُ وَ لَمْ تَثْبِتْ لَهُ أَكْمَةٌ وَ هِيَ التَّلْعَةُ مِنَ الْأَرْضِ . وَ لَمْ يَرِدْ سِنُّهُ أَيَّ طَرِيقَهُ طُودٌ مَرِصُوصٌ أَيَّ جَبَلٌ شَدِيدُ التَّصَاقِ الْأَجْزَاءِ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَ لِاحْدَابِ أَرْضِ جَمْعِ حَدْبَةٍ وَ هِيَ الرُّوَابِي وَ النَّجَادِ . ثُمَّ قَالَ يَذْعَدُهُمُ اللَّهُ الذَّعْدَةَ بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةُ مَرَّتَيْنِ التَّفْرِيقُ وَ ذَعْدَةُ الشَّرِّ إِذَاعَتُهُ . ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْأَفَاطِ الْقُرْآنِ وَ الْمَرَادُ أَنَّهُ كَمَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَسْتَكْنُ فِي أَعْمَاقِ الْأَرْضِ ثُمَّ يَظْهَرُ مِنْهَا يَنْبِيعٌ إِلَى ظَاهِرِهَا كَذَلِكَ هُوَ لَاءُ الْقَوْمِ يَفْرَقُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي بَطُونِ الْأَوْدِيَّةِ وَ غَوَامِضِ الْأَغْوَارِ ثُمَّ -قرآن- ١٣٨-٢٠٨-قرآن- ٢٥١-٢٩٦ [صفحة ٢٨٦] يَظْهَرُهُمْ بَعْدَ الْإِخْتِفَاءِ فَيَأْخُذُ بِهِمْ مِنْ قَوْمِ حُقُوقٍ آخَرِينَ وَ يَمَكِّنُ مِنْهُمْ قَوْمًا مِنْ مَلِكِ قَوْمِ وَ دِيَارِهِمْ . ثُمَّ أَقْسَمَ لِيَذُوبَنَّ مَا فِي أَيْدِي بَنِي أُمِّيَّةٍ بَعْدَ عَدْلِهِمْ وَ تَمَكِينِهِمْ كَمَا تَذُوبُ الْأَلْيَةُ عَلَى النَّارِ وَ هَمَزَةُ الْأَلْيَةِ مَفْتُوحَةٌ

وجمعها أليات بالتحريك والتنشئة أليان بغير تاء قال الراجز ترتج ألياه ارتجاج الوطب . وجمع الألية ألاء على فعال وكبش آلى على أفعل ونعجة ألياء والجمع ألى على فعل ويقال أيضا كبش أليان بالتحريك وكباش أليانات ورجل ألياً أى عظيم الألية وامرأة عجزاء و لا تنقل ألياء وقد قاله بعضهم وقد ألى الرجل بالكسر ألى عظمة أليته . ثم قال لو لاتخاذكم لم يطمع فيكم من هودونكم . وتهنوا مضارع وهن أى ضعف و هو من أفاظ القرآن أيضا. وتهتم متاه بنى إسرائيل حرتم وضلتم الطريق وقد جاء فى المسانيد الصحيحة أن رسول الله ص قال لتركبن سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه فقيل يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن إذا -روايت- ١-٢-روايت- ٥٣-١٩٥ من الأخبار الصحيحة أيضا أمتهوكون أنتم كمتهوكت اليهود والنصارى -روايت- ١-٢-روايت- ٢٧-٧١ فى صحيحى البخارى ومسلم رحمهما الله أنه سيجاء يوم القيامة بأناس من أمتى -روايت- ١-٢-روايت- ٤٢-ادامه دارد [صفحه ٢٨٧] فيؤخذ بهم ذات الشمال فإذا رأيتهم اختلجوا دونى قلت أى رب أصحابى فيقال لى إنك لاتدرى ما عملوا بعدك فأقول ما قال العبد الصالح وَ كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ -روايت- از قبل -٢٦٦ الإسناد فى هذا الحديث عن ابن عباس رضى الله عنه و فى الصحيحين أيضا عن زينب بنت جحش قالت استيقظ رسول الله ص يوما من نومه محمرا وجهه و هو يقول لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فقلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون فقال نعم إذا كثرت الخبث -روايت- ١-٢-روايت- ٤٦-٢١٥ فى الصحيحين أيضا يهلك أمتى هذا الحى من قريش قالوا يا رسول الله فما تأمرنا قال لو أن الناس اعتزلوهم -روايت- ١-٢-روايت- ٢١-١١٠ رواه أبوهريرة عنه ص . ثم قال ع ليضعفن لكم التيه من بعدى -روايت- ١-٢-روايت- ١٥-٤٤ يعنى الضلال يضعفه لكم الشيطان وأنفسكم بما خلفتم الحق وراء ظهوركم أى لأجل ترككم الحق وقطعكم الأذننى يعنى نفسه ووصلكم الأبعد يعنى معاوية ويروى إن اتبعتم الراعى لكم بالراء. والاعتساف سلوك غير الطريق والفادح الثقل فدحه الدين أثقله [صفحه ٢٨٨]

١٦٨- و من خطبة له ع فى أول خلافته

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سُبْحَانَهُ أَنْزَلَ كِتَابًا هَادِيًا بَيْنَ فِيهِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَخُذُوا نَهْجَ الْخَيْرِ تَهْتَدُوا وَاصْدِفُوا عَنِ سَيِّئِ الشَّرِّ تَقْصِدُوا الْفَرَائِضَ الْفَرَائِضَ أَدْوِيًا إِلَى اللَّهِ تُؤَدِّكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ حَرَامًا غَيْرَ مَجْهُولٍ وَ أَحَلَّ حَلَالًا غَيْرَ مَدْخُولٍ وَ فَضَّلَ حُرْمَةَ الْمُسْلِمِ عَلَى الْحُرْمِ كُلِّهَا وَ شَدَّ بِالْإِخْلَاصِ وَ التَّوْحِيدِ حُقُوقَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَعَاقِدِهَا فَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَ يَدِهِ إِلَّا بِالْحَقِّ وَ لَا يَجِلُّ أذى الْمُسْلِمِ إِلَّا بِمَا يَجِبُ بِأَدْرُوا أَمْرَ الْعَامِيَّةِ وَ خَاصِيَّةِ أَحَدِكُمْ وَ هُوَ الْمَوْتُ فَإِنَّ النَّاسَ أَمَامَكُمْ وَ إِنَّ السَّاعِيَةَ تَحْدُوكُمْ مِنْ خَلْفِكُمْ تَخَفُّوْا تَلَحُّوْا فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوْلِكُمْ آخِرُكُمْ اتَّقُوا اللَّهَ فِي عِبَادِهِ وَ بِلَادِهِ فَإِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ حَتَّى عَنِ الْبِقَاعِ وَ الْبَهَائِمِ وَ أَطْيَعُوا اللَّهَ وَ لَا تَعْصُوهُ وَ إِذَا رَأَيْتُمْ الْخَيْرَ فَخُذُوا بِهِ وَ إِذَا رَأَيْتُمْ الشَّرَّ فَأَعْرِضُوا عَنْهُ [صفحه ٢٨٩] واصدفوا عن سمت الشر أى أعرضوا عن طريقه تقصدوا أى تعدلوا والقصد العدل . ثم أمر بلزوم الفرائض من العبادات والمحافظة عليها كالصلاة والزكاة وانتصب ذلك على الإغراء. ثم ذكر أن الحرام غير مجهول للمكلف بل معلوم والحلال غير مدخول أى لا عيب و لانقص فيه و أن حرمة المسلم أفضل من جميع الحرمات و هذا لفظ الخبر النبوى حرمة المسلم فوق كل حرمة دمه وعرضه وماله -روايت- ١-٢-روايت- ١٦-٦١ . قال ع وشد بالإخلاص والتوحيد حقوق المسلمين فى معاقدها لأن الإخلاص والتوحيد داعيان إلى المحافظة على حقوق المسلمين صارفان عن انتهاك محارمهم . قال فالمسلم من سلم الناس هذا لفظ الخبر النبوى بعينه . قوله و لا يجل أذى المسلم إلا بما يجب أى إلا بحق و هو الكلام الأول وإنما أعاده تأكيداً. ثم أمر بمبادرة الموت وسماه الواقعة العامة لأنه يعم الحيوان كله

ثم سماه خاصة أحدكم لأنه و إن كان عاما إلا أن له مع كل إنسان بعينه خصوصية زائده على ذلك العموم . قوله فإن الناس أمامكم أى قد سبقوكم والساعة تسوقكم من خلفكم . ثم أمر بالتخفف وهو القناعة من الدنيا باليسير وترك الحرص عليها فإن المسافر الخفيف أحرى بالنجاة ولحاق أصحابه وبلوغ المنزل من الثقل . [صفحہ ۲۹۰] وقوله فإنما ينتظر بأولكم آخركم أى إنما ينتظر بيعث الموتى المتقدمين أن يموت الأواخر أيضا فيبعث الكل جميعا فى وقت واحد. ثم ذكر أنهم مسئولون عن كل شىء حتى عن البقاع لم استوتنتم هذه وزهدتم فى هذه و لم أخربتم هذه الدار وعمرتم هذه الدار و حتى عن البهائم لم ضربتموها لم أجمعتموها. وروى فإن البأس أمامكم يعنى الفتنة والرواية الأولى أظهر و قدورد فى الأخبار النبوية لينتصفن للجماء من القرآن -رواية- ۱-۲-رواية- ۲۸-۵۵ جاء فى الخبر الصحيح إن الله تعالى عذب إنسانا بهر حبسه فى بيت وأجاعه حتى هلك -رواية- ۱-۲-رواية- ۲۳-۸۷ [صفحہ ۲۹۱]

۱۶۹- و من كلام له ع بعد ما بويح له بالخلافة

إشاره

و قد قال له قوم من الصحابه لوعاقبت قوما ممن أجلب على عثمان فقال ع يَا إِخْوَتَاهِ إِنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُونَ وَ لَكِنْ كَيْفَ لِي بِقُوَّةِ وَ الْقَوْمِ الْمُجْلِبُونَ عَلَى حَدِّ شَوْكَتِهِمْ يَمْلِكُونَنَا وَ لَا نَمْلِكُهُمْ وَ هَا هُمْ هَؤُلَاءِ قَدْ ثَارَتْ مَعَهُمْ عِبْدَانُكُمْ وَ التَّفْتُ إِلَيْهِمْ أَعْرَابُكُمْ وَ هُمْ خِلَالَكُمْ يَسُومُونَكُمْ مَا شَاءُوا وَ هَلْ تَرُونَ مَوْضِعًا لِقُدْرَةٍ عَلَى شَيْءٍ تُرِيدُونَهُ إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ أَمْرٌ جَاهِلِيٌّ وَ إِنَّ لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ مَادَّةً إِنَّ النَّاسَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ إِذَا حَرَّكَ عَلَى أُمُورٍ فِرْقَةٌ تَرَى مَا تَرُونَ وَ فِرْقَةٌ تَرَى مَا لَا تَرُونَ وَ فِرْقَةٌ لَا تَرَى هَذَا وَ لَا هَذَا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَهْدَأَ النَّاسُ وَ تَقَعَ الْقُلُوبُ مَوَاقِعَهَا وَ تُوْخِذَ الْحُقُوقُ مُسْمَحَةً فَاهْدِءُوا عَنِّي وَ انظُرُوا مَا ذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي وَ لَا تَفْعَلُوا فَعَلَةً تُضْعِعُ قُوَّةَ وَ تُسْقِطُ مَنَّةً وَ تُورِثُ وَهْنًا وَ ذِلَّةً وَ سَأْمِسُكُ الْأَمْرَ مَا اسْتَمْسَكَ وَ إِذَا لَمْ أَجِدْ بُدْأً فَآخِرُ الدَّوَاءِ الْكَيِّ أَجْلِبَ عَلَيْهِ أَعَانَ عَلَيْهِ وَأَجْلِبَهُ أَعَانَهُ وَالْأَلْفُ فِي يَأِ إِخْوَتَاهِ بَدَلُ مِنْ يَاءِ الْإِضَافَةِ وَالْهَاءُ لِلسَّكْتِ . [صفحہ ۲۹۲] و على حد شوكتهم شدتهم أى لم تنكسر سورتهم . والعبدان جمع عبد بالكسر مثل جحش وجحشان وجاء عبدان بالضم مثل تمر وتمران وجاء عبيد مثل كلب و كليب و هو جمع عزيز وجاء أعبد وعباد وعبدان مشددة الدال وعبداء بالمد وعبدى بالقصر ومعبوداء بالمد و عبد بالضم مثل سقف وسقف وأنشدوا أنسب العبد إلى آبائه || أسود الجلد من قوم عبد . و منه قرأ بعضهم وَ عِبْدَ الطَّاغُوتِ وَأَضَافَهُ . قوله والتفت إليهم أعرابكم انضمت واختلطت بهم . وهم خلالكم أى بينكم يسومونكم ماشاءوا يكلفونكم قال تعالى يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ . وتؤخذ الحقوق مسمحة من أسمح أى ذل وانقاد. فاهدءوا عنى أى فاسكنوا هداً الرجل هداً وهدوءاً أى سكن وأهدأه غيره وتضعع قوة تضعف وتهذ تضععت البناء هددته والمنه القوة والوهن الضعف وآخر الدواء الكى مثل مشهور ويقال آخر الطب ويغلط فيه العامة فتقول آخر الدواء والكى ليس من الداء ليكون آخره قرآن- ۱۹- ۳۸- قرآن- ۱۶۳- ۱۹۰ [صفحہ ۲۹۳]

موقف على من قتله عثمان

واعلم أن هذا الكلام يدل على أنه ع كان فى نفسه عقاب الذين حصروا عثمان والاقتصاص ممن قتله إن كان بقى ممن باشر قتله أحد ولهذا قال إنى لست أجهل ماتعلمون فاعترف بأنه عالم بوجوب ذلك واعتذر بعدم التمكن كما ينبغي وصدق ع فإن أكثر

أهل المدينة أجلبوا عليه و كان من أهل مصر و من الكوفة عالم عظيم حضروا من بلادهم و طووا المسالك البعيدة لذلك وانضم إليهم أعراب أجلاف من البادية و كان الأمر أمر جاهلية كما قال ع و لوحرك ساكنا لاختلف الناس واضطربوا فقوم يقولون أصاب و قوم يقولون أخطأ و قوم لا يحكمون بصواب و لا خطأ بل يتوقفون و لا يأمن لو شرع فى عقوبة الناس و القبض عليهم من تجدد فتنة أخرى كالأولى و أعظم فكان الأصبوب فى التدبير و الذى يوجب الشرع و العقل الإمساك إلى حين سكون الفتنة و تفرق تلك الشعوب و عود كل قوم إلى بلادهم و كان ع يؤمل أن يطيعه معاوية و غيره و أن يحضر بنو عثمان عنده يطالبون بدم أبيهم و يعينون قوما بأعيانهم بعضهم للقتل و بعضهم للحصار و بعضهم للتسور كما جرت عادة المتظلمين إلى الإمام و القاضى فحينئذ يتمكن من العمل بحكم الله تعالى فلم يقع الأمر بموجب ذلك و عصى معاوية و أهل الشام و التجأ ورثة عثمان إليه و فارقوا حوزة أمير المؤمنين ع و لم يطلبوا القصاص طلبا شرعيا وإنما طلبوه مغالبة و جعلها معاوية عصية الجاهلية و لم يأت أحد منهم الأمر من بابة و قبل ذلك ما كان من أمر طلحة و الزبير و نقضهما البيعة و نهبهما أموال المسلمين بالبصرة و قتلها الصالحين من أهلها و جرت أمور كلها تمنع الإمام عن التصدى للقصاص و اعتماد ما يجب اعتماده لو كان الأمر وقع على القاعدة [صفحة ٢٩٤] الصحيحة من المطالبة بذلك على وجه السكون و الحكومة و قد قال هو ع لمعاوية فأما طلبك قتل عثمان فادخل فى الطاعة و حاكم القوم إلى أحملك و إياهم على كتاب الله و سنة رسوله . قال أصحابنا المعتزلة رحمهم الله و هذاعين الحق و محض الصواب لأنه يجب دخول الناس فى طاعة الإمام ثم تقع المحاكمة إليه فإن حكم بالحق استديمت إمامته و إن حكم بال جور انتقض أمره و تعين خلعه . فإن قلت فما معنى قوله و سأمسك الأمر ما استمسك فإذا لم أجد بدا فآخر الدواء الكى . قلت ليس معناه و سأصبر عن معاقبة هؤلاء ما أمكن الصبر فإذا لم أجد بدا عاقبتهم ولكنه كلام قاله أول مسير طلحة و الزبير إلى البصرة فإنه حينئذ أشار عليه قوم بمعاقبة المجلبين فاعتذر بما قد ذكر ثم قال و سأمسك الأمر ما استمسك أى أمسك نفسى عن محاربة هؤلاء الناكثين للبيعة ما أمكننى و أدفع الأيام بمراسلتهم و تخويفهم و إنذارهم و أجتهد فى ردهم إلى الطاعة بالترغيب و التهيب فإذا لم أجد بدا من الحرب فآخر الدواء الكى أى الحرب لأنها الغاية التى ينتهى أمر العصاة إليها [صفحة ٢٩٥]

١٧٠- و من خطبة له ع

عند مسير أصحاب الجمل إلى البصرة إن الله بعث رسولا هاديا بكتاب ناطق و أمر قائم لا يهلك عنه إلا هالك و إن المبتدعات المشبهات هن المهلكات إلا ما حفظ الله منها و إن فى سلطان الله عصمة لأمركم فأعطوه طاعتكم غير ملومة و لا مستكره بها و الله لتفعلن أو لتنقلن الله عنكم سلطان الإسلام ثم لا ينقله إليكم أبدا حتى يارز الأمر إلى غيركم إن هؤلاء قد تمالتوا على سخطه إمارتى و سأصبر ما لم أخف على جماعتكم فإنهم إن تمموا على فيالته هذا الرأى انقطع نظام المسلمين و إنما طلبوا هذه الدنيا حسدا لمن أفاءها الله عليه فأرادوا رد الأمور على أدبارها و لكم علينا العمل بكتاب الله تعالى و سيئته رسوله ص و القيام بحقه و التعش لسيئته و أمر قائم أى مستقيم ليس بذى عوج لا يهلك عنه إلا هالك تقديره لا يهلك عادلا عنه إلا هالك و هذا كما تقول لا يعلم هذا الفن إلا من هو أعظم الهالكين و من يشار إليه بالهلاك و قد بلغ الغاية فى الهلاك . ثم قال إن المبتدعات المشبهات هن المهلكات المبتدعات ما أحدث و لم يكن على عهد الرسول و المشبهات التى تشبه السنن وليست منها أى المشبهات بالسنن و روى المشبهات بالكسر أى المشبهات على الناس يقال قد شبهه عليه الأمر أى ألبس عليه و يروى المشبهات أى المتبسات لا يعرف حقها من باطلها . قال إلا من حفظ الله أى من عصمه الله بأطاف يمتنع لأجلها عن الخطأ ثم أمرهم بلزوم الطاعة و اتباع

السلطان و قال إن فيه عصمه لأمركم فأعطوه طاعتكم غير ملومه أى مخلصين ذوى طاعه محضه لا يلام باذنها أى لا ينسب إلى النفاق و لامستكره بها أى ليست عن استكراه بل يبذلونها اختيارا ومحبه ويروى غير ملويه أى معوجه من لويت العود. ثم أقسم أنهم إن لم يفعلوا و إنقل الله عنهم سلطان الإسلام يعنى الخلافة ثم لا يعيده إليهم أبدا حتى يأرز الأمر إلى غيرهم أى حتى ينقبض وينضم ويجمع و فى الحديث إن الإسلام ليأرز إلى المدينة كما تآرز الحيه إلى جحرها -رواية ١-٢-رواية ١٤-٦٩ . فإن قلت كيف قال إنه لا يعيده إليهم أبدا و قد عاد إليهم بالخلافة العباسيه. قلت لأن الشرط لم يقع و هو عدم الطاعه فإن أكثرهم أطاعوه طاعه غير ملومه و لامستكره بها و إذا لم يتحقق الشرط لم يتحقق المشروط. [صفحه ٢٩٧] و قد أجاب قوم عن هذا فقالوا خاطب الشيعة الطالبيه فقال إن لم تعطوني الطاعه المحضه نقل الله الخلافة عن هذا البيت حتى يأرز وينضم إلى بيت آخر وهكذا وقع فإنها انضمت إلى بيت آخر من بنى هاشم . و أجاب قوم آخرون فقالوا أراد بقوله أبدا المبالغه كما تقول احبس هذا الغريم أبدا والمراد بالقوم الذين يأرز الأمر إليهم بنو أميه كأنه قال إن لم تفعلوا نقل الله الخلافة عنكم حتى يجعلها فى قوم آخرين وهم أعداؤكم من أهل الشام و بنى أميه و لا يعيده إليكم إلى مده طويله وهكذا وقع . و قد تمالثوا قد اجتمعوا و تساعدوا على سخطه إمارتى على كراهيتها و بغضها. ثم وعد بالصبر عليهم ما لم يخف من فرقه الجماعة و انتشار جبل الإسلام . و فياله رأى ضعفه وكذلك فيولته و رجل فيل رأى أى ضعيفه قال بنى رب الجواد فلا تفلوا || فما أنتم فنعذركم لفيل . أى لستم على رجل ضعيف رأى والجمع أفيال ويقال أيضا رجل فال قال رأيتك يا أخيطل إذ جرينا || و جربت الفراسه كنت فال . قال إن تموا على هذا رأى الضعيف قطعوا نظام المسلمين و فرقوا جماعتهم . ثم ذكر أن الحسد دعاهم إلى ذلك و أفاءها عليه ردها عليه فاء يفيء رجع و فلان سريع الفىء من غضبه أى سريع الرجوع و إنه لحسن الفيه بالكسر مثال الفيه أى حسن الرجوع و هذا الكلام لا يشعر بأنه ع كان يعتقد أن الأمر له و أنه غلب عليه ثم رجع إليه ولكنه محمول على أنه من رسول الله ص بمنزله الجزء من الكل و أنهما من جوهر واحد فلما كان الوالى قديما و هو رسول الله ص [صفحه ٢٩٨] ثم تخلل بين ولايته ص و ولاية أمير المؤمنين ع ولايات غريبه سمى ولايته فيئا و رجوعا لأنها رجعت إلى الدوحه الهاشميه و بهذا يجب أن يتأول قوله فأرادوا رد الأمور على أدبارها أى أرادوا انتزاع الخلافة من بنى هاشم كما انتزعت أولا و إقرارها فى بيوت بعيده عن هذا البيت أسوه بما وقع من قبل . والنعش مصدر نعش أى رفع و لا يجوز أنعش [صفحه ٢٩٩]

١٧١- و من كلام له ع كلم به بعض العرب

وَ قَدْ أَرْسَلَهُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ لَمَّا قَرَّبَ عَ مِنْهَا لِيَعْلَمَ لَهُمْ مِنْهُ حَقِيقَةَ حَالِهِ مَعَ أَصْحَابِ الْجَمَلِ لَتُرْوَلَ الشَّبَهُةُ مِنْ نُفُوسِهِمْ فَبَيَّنَ لَهُ عَ مِنْ أَمْرِهِ مَعَهُمْ مَا عَلِمَ بِهِ أَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ ثُمَّ قَالَ لَهُ بَايَعْ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ قَوْمٍ وَ لَأُحْدِثُ حَدِيثًا حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ عَ أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ الْمَدِينَةَ وَرَاءَكَ بَعَثُوكَ رَائِدًا تَبْتَغِي لَهُمْ مَسَاقِطَ الْغَيْثِ فَرَجَعْتَ إِلَيْهِمْ وَ أَخْبَرْتَهُمْ عَنِ الْكَلْبِ وَ الْمَاءِ فَخَالَفُوا إِلَى الْمَعَاطِشِ وَ الْمَخْرَابِ مَا كُنْتَ صَانِعًا قَالَ كُنْتُ تَارِكُهُمْ وَ مُخَالَفُهُمْ إِلَى الْكَلْبِ وَ الْمَاءِ فَقَالَ عَ فَاْمُدُّ إِذَا يَدُكَ فَقَالَ الرَّجُلُ فَوَاللَّهِ مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَمْتَتِعَ عِنْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيَّ فَيَأْبَعُهُ عَ وَ الرَّجُلُ يُعْرِفُ بِكَلْبِ الْجَرْمِيِّ الْجَرْمِيَّ مَنْسُوبٌ إِلَى بَنِي جَرْمِ بْنِ رَبَانَ بْنِ حُلَوَانَ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ الْحَافِ بْنِ قِضَاعَةَ مِنْ حَمِيرٍ وَ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ بَعَثَهُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ إِلَيْهِ عَ [صفحه ٣٠٠] يَسْتَعْلَمُ حَالَهُ أَوْ هُوَ عَلَى حُجَّةٍ أَمْ عَلَى شِبْهَةٍ فَلَمَّا رَأَاهُ عَ وَسَمِعَ لَفْظَهُ عَلِمَ صَدَقَهُ وَ بَرَهَانَهُ فَكَانَ بَيْنَهُمَا مَا قَدْ شَرَحَهُ عَ . وَ لَأُشِيءُ أَلْطَفُ وَ لَأَوْقَعُ وَ لَأَوْضَحُ مِنَ الْمَثَالِ الَّذِي ضَرَبَهُ عَ وَ هُوَ حُجَّةٌ لَازِمَةٌ لَامْدَفَعُ لَهَا . قَوْلُهُ وَ لَأُحْدِثُ حَدِيثًا أَيْ لَأَفْعَلُ مَا لَمْ يَأْمُرُونِي بِهِ إِنَّمَا أَمَرْتُ بِاسْتِعْلَامِ حَالِكَ فَقَطْ فَأَمَّا الْمَبَايَعَةُ لَكَ فَإِنَّ أَحْدَثَهَا كُنْتُ فَاعْلَمَا لَمْ أُنْدَبْ لَهُ . وَ مَسَاقِطُ الْغَيْثِ الْمَوَاضِعُ الَّتِي يَسْقُطُ الْغَيْثُ فِيهَا وَ الْكَلْبُ

النبت إذاطال وأمكن أن يرعى وأول ما يظهر يسمى الرطب إذاطال قليلا فهو الخلى إذاطال شيئا آخر فهو الكلاً إذاييس فهو الحشيش . والمعاش والمجادب مواضع العطش والجذب و هوالمحل [صفحہ ۳۰۱]

۱۷۲- ومن كلام له ع لماعزم على لقاء القوم بصفين

اللَّهُمَّ رَبَّ السَّقْفِ المَرْفُوعِ وَ الجَوِّ المَكْفُوفِ الَّذِي جَعَلْتَهُ مَغِيضاً لَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ مَجْرَى لِّلشَّمْسِ وَ القَمَرِ وَ مُخْتَلِفاً لِلنُّجُومِ السَّيَّارَةِ وَ جَعَلْتَ سِكَانَهُ سَبْطاً مِنْ مَلَائِكَتِكَ لَا يَسْأَمُونَ مِنْ عِبَادَتِكَ وَ رَبِّ هَذِهِ الأَرْضِ الَّتِي جَعَلْتَهَا قَرَاراً لِلْأَنَامِ وَ مَدْرَجاً لِلهَوَامِّ وَ الأَنْعَامِ وَ مَا لَمَّا يُحْصَى مِمَّا يَرَى وَ مَا لَا يَرَى وَ رَبِّ الجِبَالِ الرُّوَاسِيِ الَّتِي جَعَلْتَهَا لِلأَرْضِ أوتاداً وَ لِلخَلْقِ اعْتِماداً إِنْ أَظْهَرْتَنَا عَلَيَّ عَيْدُونَا فَجَبَّنَا البَغَى وَ سَدَّدْنَا لِلحَقِّ وَ إِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنَا فَارزُقْنَا الشَّهَادَةَ وَ اعصمنا مِنَ الفِتْنَةِ أَيْنَ المَانِعِ لِلذَّمَارِ وَ العَائِزِّ عِنْدَ نَزُولِ الحَقَائِقِ مِنْ أَهْلِ الحِفاظِ العَارِ وَرَاءَ كُمْ وَ الجَنَّةِ أَمامكُمْ السَّقْفِ المَرْفُوعِ السَّمَاءِ وَ الجَوِّ المَكْفُوفِ السَّمَاءِ أَيْ جَمَعَهُ وَ ضَمَّ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ وَ يَمُرُ فِي كَلَامِهِ نَحْوَ هَذَا وَ إِنْ السَّمَاءُ هَوَاءٌ جَامِدٌ أَوْ مَاءٌ جَامِدٌ. وَ جَعَلْتَهُ مَغِيضاً لَّيْلِ وَ النَّهَارِ أَيْ غِيضَهُ لهُمَا وَ هِيَ فِي الأَصْلِ الأَجْمَةُ يَجْتَمِعُ إِلَيْهَا المَاءُ [صفحہ ۳۰۲] فَتَسْمَى غِيضُهُ وَ مَغِيضُهُ وَ يَنْبِتُ فِيهَا الشَّجَرُ كَأَنَّهُ جَعَلَ الفَلَكُ كَالغِيضِ وَ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ كَالشَّجَرِ النَّابِتِ فِيهَا. وَ وَجْهُ المِشَارِكَةِ أَنَّ المَغِيضَ أَوْ الغِيضَةَ يَتَوْلَدُ مِنْهُمَا الشَّجَرُ وَ كَذَلِكَ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ يَتَوْلَدَانِ مِنْ جَرِيانِ الفَلَكِ . ثُمَّ عادَ فَقَالَ وَ مَجْرَى لِّلشَّمْسِ وَ القَمَرِ أَيْ مَوْضِعاً لَجَرِيانِهِمَا. وَ مُخْتَلِفاً لِلنُّجُومِ السَّيَّارَةِ أَيْ مَوْضِعاً لِاخْتِلافِهَا وَ اللامِ مَفْتُوحَةً. ثُمَّ قالَ جَعَلْتَ سِكَانَهُ سَبْطاً مِنْ مَلَائِكَتِكَ أَيْ قَبِيلَهُ قالَ تَعَالَى ائْتَى عَشْرَةَ أَسْباطاً أُمَّماً. لايسأمون لايملون وقرارا للأنام أى موضع استقرارهم وسكونهم ومدرجا للهوام أى موضع دروجهم وسيرهم وحركاتهم والهوام الحشرات والمخوف من الأحناش . و ما لا يحصى أى لا يضبط بالإحصاء والعد مما نراه ونعرفه و ما لانراه ولا نعرفه . و قال بعض العلماء إن أردت أن تعرف حقيقة قوله مما يرى و ما لا يرى فأوقد نارا صغيرة فى فلاة فى ليلة صيفيه وانظر مايجتمع عليها من الأنواع الغريبه العجيبه الخلق التى لم تشاهدها أنت ولا غيرك قط. قوله وللخلق اعتمادا لأنهم يجعلونها كالمساكن لهم فينتفعون بها وينون منازل إلى جانبها فيقوم مقام جدار قد استغنوا عن بنيانه ولأنها أمهات العيون ومنابع المياه باعتماد الخلق على مرافقهم ومنافعهم ومصالحهم عليها. - قرآن- ۳۷۴-۴۰۶ [صفحہ ۳۰۳] قوله وسددنا للحق أى صوبنا إليه من قولك منهم سديد أى مصيب وسدد السنان إلى القرن أى صوبه نحوه . والذمار ما يحامى عنه والغائر ذو الغيرة ونزول الحقائق نزول الأمور الشديده كالحرب ونحوها. ثم قال العار وراءكم أى إن رجعتم القهقرى هاربين . والجنة أمامكم أى إن أقدمتم على العدو مجاهدين و هذاالكلام شريف جدا [صفحہ ۳۰۴]

۱۷۳- ومن خطبة له ع

إشاره

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمَّا تَوَارَى عَنْهُ سَمَاءٌ سَمَاءً وَ لَمَّا أَرْضٌ أَرْضاً هَذَا الكَلَامُ يَدُلُّ عَلَى إِثْبَاتِ أَرْضَيْنِ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ كَمَا أَنَّ السَّمَاوَاتِ كَذَلِكَ وَ لَمْ يَأْتِ فِي الكِتَابِ العَزِيزِ ما يَدُلُّ عَلَى هَذَا إِلا قَوْلُهُ تَعَالَى اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَ مِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ وَ هُوَ قَوْلُ كَثِيرٍ مِنَ المُسْلِمِينَ . وَ قَدْ تَأَوَّلَ ذَلِكَ أرباب المذهب الآخر القائلون بأنها أرض واحدة فقالوا إنها سبعة أقاليم فالمثلية هي من هذا الوجه لا- من تعدد الأرضين فى ذاتها. ويمكن أن يتأول مثل ذلك كلام أمير المؤمنين ع فيقال إنها و إن كانت أرضا واحدة لكنها أقاليم وأقطار مختلفة وهى كرية الشكل فمن على حدة الكرة لا يرى من تحته و من تحته لا يراه و من على أحد

جانبيها لا يرى من على الجانب الآخر و الله تعالى يدرك ذلك كله أجمع و لا يحجب عنه شىء منها بشىء منها. فأما قوله ع لا توارى عنه سماء سماء فلقال أن يقول و لا يتوارى شىء من السماوات عن المدركين منا لأنها شفافة فأى خصيصه للبارى تعالى فى ذلك فينبغى أن يقال هذا الكلام على قاعدة غير القاعدة الفلسفية بل هو على قاعدة -قرآن- ١٣٥-١٩٥ [صفحة ٣٠٥] الشريعة الإسلامية التى تقتضى أن السماوات تحجب ما وراءها عن المدركين بالحاسه و أنها ليست طباقا متراصه بل بينها خلق من خلق الله تعالى لا يعلمهم غيره و اتباع هذا القول و اعتقاده أولى منها -روايت- ١-٦-٦ و قد قال قائل إنك على هيدا الأمر يا ابن أبى طالب لحريص فقلت بيل أنتم و الله لمأحرص و أبعيد و أنا أخص و أقرب و إنما طلبت حقا لى و أنتم تحولون بينى و بينه و تضربون وجهى دونه فلما قرعته بالحجبه فى الملاء الحاضرين هب كأنه بهت لا يدري ما يجيبني به اللهم إنى أستعديك على قريش و من أعوانهم فإنتهم قطعوا رحيمي و صرغوا عظيم منزلتى و أجمعوا على منازعتي أمرا هو لى ثم قالوا ألا إن فى الحق أن تأخذة و فى الحق أن تتركه هذا من خطبه يذكر فيها ع ماجرى يوم الشورى بعدمقتل عمر و الذى قال له إنك على هذا الأمر لحريص سعد بن أبى وقاص مع روايته فيه أنت منى بمنزله هارون من موسى و هذا عجب فقال لهم بل أنتم و الله أحرص و أبعد ... الكلام المذكور و قدرواه الناس كافة. و قالت الإمامية هذا الكلام يوم السقيفة و الذى قال له إنك على هذا الأمر لحريص أبو عبيدة بن الجراح و الرواية الأولى أظهر و أشهر. [صفحة ٣٠٦] و روى فلما قرعته بالتخفيف أى صدمته بها. و روى هب لا يدري ما يجيبني كما تقول استيقظ و انتبه كأنه كان غافلا ذاهلا عن الحجبه فهب لماذا ذكرتها. أستعديك أطلب أن تعديني عليهم و أن تنتصف لى منهم. قطعوا رحمى لم يرعوا قربه من رسول الله ص. و صغروا عظيم منزلتى لم يقفوا مع النصوص الواردة فيه. و أجمعوا على منازعتى أمرا هو لى أى بالأفضلية أنا أحق به منهم هكذا ينبغى أن يتأول كلامه. و كذلك قوله إنما أطلب حقا لى و أنتم تحولون بينى و بينه و تضربون وجهى دونه. قال ثم قالوا ألا إن فى الحق أن تأخذة و فى الحق أن تتركه قال لم يقتصروا على أخذ حقى ساكتين عن الدعوى ولكنهم أخذوه و ادعوا أن الحق لهم و أنه يجب على أن أترك المنازعة فيه فليتهم أخذوه معترفين بأنه حقى فكانت المصيبة به أخف و أهون. و اعلم أنه قد تواترت الأخبار عنه ع بنحو من هذا القول نحو قوله مازلت مظلوما منذ قبض الله رسوله حتى يوم الناس هذا -روايت- ١-٢-١-٢-١-٩-٩ قوله اللهم أجز قريشا فإنها منعتنى حقى و غصبتنى أمرى -روايت- ١-٢-١-٢-١-٩-٩ قوله فجزى قريشا عنى الجوازي فإنهم ظلمونى حقى و اغتصبونى سلطان ابن أمى -روايت- ١-٢-١-٢-١-٩-٩ [صفحة ٣٠٧] قوله و قد سمع صارخا ينادى أنا مظلوم فقال هلم فلنصرخ معا فإنى مازلت مظلوما -روايت- ١-٢-١-٢-١-٩-٩-٨٤ قوله و إنه ليعلم أن محلى منها محل القطب من الرحى -روايت- ١-٢-١-٢-١-٩-٩ قوله أرى تراثى نهبا -روايت- ١-٢-١-٢-١-٩-٩ قوله أصغيا يانائنا و حملا الناس على رقابنا -روايت- ١-٢-١-٢-١-٩-٩ قوله إن لنا حقا إن نعطه نأخذة و إن نمعه نركب أعجاز الإبل و إن طال السرى -روايت- ١-٢-١-٢-١-٩-٨٥ قوله مازلت مستأثرا على مدفوعا عما أستحقه و أستوجه -روايت- ١-٢-١-٢-١-٩-٥٨ قوله أصحابنا يحملون ذلك كله على ادعائه الأمر بالأفضلية و الأحقية و هو الحق و الصواب فإن حملة على الاستحقاق بالنص تكفير أو تفسيق لوجه المهاجرين و الأنصار ولكن الإمامية و الزيدية حملوا هذه الأقوال على ظواهرها و ارتكبوا بهامر كبا صعبا و لعمري إن هذه الألفاظ موهمة مغلبة على الظن ما يقوله القوم ولكن تصفح الأحوال يبطل ذلك الظن و يدرا ذلك الوهم فوجب أن يجرى مجرى الآيات المتشابهات الموهمة ما لا يجوز على البارئ فإنه لانعمل بها و لانعمل على ظواهرها لأننا لماتصفحنا أدله العقول اقتضت العدول عن ظاهر اللفظ و أن تحمل على التأويلات المذكورة فى الكتب. و حدثنى يحيى بن سعيد بن على الحنبلى المعروف بابن عالية من ساكنى قطفنا بالجانب الغربى من بغداد و أجد الشهود المعدلين بها قال كنت حاضرا مجلس الفخر إسماعيل بن على الحنبلى الفقيه المعروف بغلام بن المنى و كان الفخر إسماعيل بن على هذا مقدم [صفحة ٣٠٨] الحنابلة ببغداد فى الفقه و الخلاف و يشتغل بشىء فى علم المنطق و كان حلو العبارة و قدرأيته أنا و حضرت عنده

وسمعت كلامه وتوفى سنة عشر وستمائه. قال ابن عالية ونحن عنده نتحدث إذ دخل شخص من الحنابلة قد كان له دين على بعض أهل الكوفة فانحدر إليه يطالبه به واتفق أن حضرت زيارة يوم الغدير والحنبلي المذكور بالكوفة وهذه الزيارة هي اليوم الثامن عشر من ذي الحجة ويجتمع بمشهد أمير المؤمنين ع من الخلائق جموع عظيمة تتجاوز حد الإحصاء. قال ابن عالية فجعل الشيخ الفخر يسأل ذلك الشخص ما فعلت مارأيت هل وصل مالك إليك هل بقي لك منه بقيه عند غريمك وذلك يجاوبه حتى قال له ياسيدي لو شاهدت يوم الزيارة يوم الغدير وما جرى عند قبر علي بن أبي طالب من الفضائح والأقوال الشنيعة وسب الصحابة جهارا بأصوات مرتفعة من غير مراقبة ولا خيفة فقال إسماعيل أى ذنب لهم والله ماجراهم على ذلك ولافتح لهم هذا الباب إلا صاحب ذلك القبر فقال ذلك الشخص ومن صاحب القبر قال علي بن أبي طالب قال ياسيدي هو الذى سن لهم ذلك وعلمهم إياه وطرقهم إليه قال نعم والله قال ياسيدي فإن كان محقا فما لنا أن نتولى فلانا وفلانا وإن كان مبطلا فما لنا نتولاه ينبغي أن نبرأ إما منه أو منهما. قال ابن عالية فقام إسماعيل مسرعا فلبس نعليه وقال لعن الله إسماعيل الفاعل إن كان يعرف جواب هذه المسألة ودخل دار حرمة وقمنا نحن وانصرفنا منها فى ذكر أصحاب الجمل فخرجوا يجرّون حرمة رسول الله ص كما تجرّ الأمة عند شرايتها [صفحة ٣٠٩] متوجهين بها إلى البصرة فحبسا نساءهما فى بيوتهما وأبرزوا حبيس رسول الله ص لهما وغيرهما فى جيش ما منهم رجل إلا وقد أعطاني الطاعة وسمح لى بالبيعة طائعا غير مكره فقدّموا على عاملي بها وخزان بيت مال المسلمين وغيرهم من أهلها فقتلوا طائفة صبرا وطائفة غدرا فوالله إن لو لم يصيبوا من المسلمين إلا رجلا واحدا معتمدين لقتله بلا جرم جرّه لحل لى قتل ذلك الجيش كله إذ حضروه فلم ينكروا ولم يدفعوا عنه بلسان ولا يديد دع ما إنهم قد قتلوا من المسلمين مثل العدة التي دخلوا بها عليهم حرمة رسول الله ص كناية عن الزوجة وأصله الأهل والحرم وكذلك حبيس رسول الله ص كناية عنها. وقتلوهم صبرا أى بعد الأسر وقوله فوالله إن لو لم يصيبوا إن هاهنا زائدة ويجوز أن تكون مخففة من الثقيلة. ويسأل عن قوله ع لو لم يصيبوا لإرجلا واحدا لى قتل ذلك الجيش بأسره لأنهم حضروه فلم ينكروا فيقال يجوز قتل من لم ينكر المنكر مع تمكنه من إنكاره. والجواب أنه يجوز قتلهم لأنهم اعتقدوا ذلك القتل مباحا فإنهم إذا اعتقدوا بإباحته فقد اعتقدوا بإباحة ما حرم الله فيكون حالهم حال من اعتقد أن الزنا مباح أو أن شرب الخمر مباح. [صفحة ٣١٠] وقال القطب الراوندى يريد أنهم داخلون فى عموم قوله تعالى إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصيبوا. ولقائل أن يقول الإشكال إنما وقع فى قوله لو لم يصيبوا من المسلمين لإرجلا واحدا لى قتل ذلك الجيش بأسره لأنهم حضروا المنكر ولم يدفعوه بلسان ولا يد فهو علل استحلاله قتلهم بأنهم لم ينكروا المنكر ولم يعلل ذلك بعموم الآية. و أما معنى قوله دع ما إنهم قد قتلوا من المسلمين مثل العدة التي دخلوا بها عليهم فهو أنه لو كان المقتول واحدا لى قتلهم كلهم فكيف وقد قتلوا من المسلمين عدة مثل عدتهم التي دخلوا بها بالبصرة وما هاهنا زائدة. وصدق ع فإنهم قتلوا من أوليائه وخزان بيت المال بالبصرة خلقا كثيرا بعضهم غدرا وبعضهم صبرا كما خطب به ع - قرآن - ٦٥-١٨٠

ذكر يوم الجمل ومسير عائشة إلى القتال

وروى أبو مخنف قال حدثنا إسماعيل بن خالد عن قيس بن أبي حازم وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وروى جرير بن يزيد عن عامر الشعبي وروى محمد بن إسحاق عن حبيب بن عمير قالوا جميعا لما خرجت عائشة وطلحة والزبير من مكة إلى البصرة طرقت ماء الحوآب و هو ماء لبنى عامر بن صعصعة فنبحتهم الكلاب فنفرت صعاب إبلهم فقال قائل منهم لعن الله الحوآب فما أكثر كلابها فلما سمعت عائشة ذكر الحوآب قالت أ هذاماء الحوآب قالوا نعم فقالت ردونى ردونى فسألوها ما شأنها ما بدا لها

فقلت إني سمعت رسول الله ص يقول كأنى بكلاب -رواية- ١-٢-رواية- ٤١-إداهه دارد [صفحة ٣١١] ماء يدعى الحوآب قدنبحت بعض نسائي ثم قال لى إياك يا حميراء أن تكونيها -رواية- از قبل- ٧٩ فقال لها الزبير مهلا يرحمك الله فإننا قدجزنا ماء الحوآب بفراسخ كثيرة فقالت أعندك من يشهد بأن هذه الكلاب النابحة ليست على ماء الحوآب فلفق لها الزبير وطلحة خمسين أعرابيا جعلوا لهم جعلاً فحلفوا لها وشهدوا أن هذا الماء ليس بماء الحوآب فكانت هذه أول شهادة زور فى الإسلام فسارت عائشة لوجهها. قال أبو مخنف و حدثنا عصام بن قدامة عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ص قال يوماً لنسائه وهن عنده جميعاً ليت شعرى أيتكن صاحبة الجمل الأدب تنبجها كلاب الحوآب يقتل عن يمينها وشمالها قتلى كثيرة كلهم فى النار وتنجو بعد ما كادت -رواية- ١-٢-رواية- ٦٢-٢٤٥. قلت وأصحابنا المعتزلة رحمهم الله يحملون قوله ع وتنجو على نجاتها من النار والإمامية يحملون ذلك على نجاتها من القتل ومحملنا أرجح لأن لفظه فى النار أقرب إليه من لفظه القتلى والقرب معتبر فى هذا الباب ألا ترى أن نحاء البصريين أعملوا أقرب العاملين نظراً إلى القرب. قال أبو مخنف وحدثنى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس أن الزبير وطلحة أظنا السير بعائشة حتى انتهوا إلى حفر أبى موسى الأشعرى و هو قريب من البصرة وكتبنا إلى عثمان بن حنيف الأنصارى و هو عامل على ع على البصرة أن أخل لنا دار الإمارة فلما وصل كتابهما إليه بعث الأحنف بن قيس فقال له إن هؤلاء القوم قدموا علينا ومعهم زوجة رسول الله و الناس إليها سراع كما ترى فقال الأحنف [صفحة ٣١٢] إنهم جاءوك بها للطلب بدم عثمان وهم الذين أبوا على عثمان الناس وسفكوا دمه وأراهم و الله لا يزالون حتى يلقوا العداوة بيننا ويسفكوا دمائنا وأظنهم و الله سيركون منك خاصة ما لا قبل لك به إن لم تتأهب لهم بالنهوض إليهم فيمن معك من أهل البصرة فإنك اليوم الوالى عليهم و أنت فيهم مطاع فسر إليهم بالناس وبادرهم قبل أن يكونوا معك فى دار واحدة فيكون الناس لهم أطوع منهم لك. فقال عثمان بن حنيف الرأى مارأيت لكننى أكره الشر و أن أبدأهم به وأرجو العافية والسلامة إلى أن يأتينى كتاب أمير المؤمنين ورأيه فأعمل به ثم أتاه بعد الأحنف حكيم بن جبلة العبدى من بنى عمرو بن وديعه فأقرأه كتاب طلحة والزبير فقال له مثل قول الأحنف وأجابه عثمان بمثل جوابه للأحنف فقال له حكيم فأذن لى حتى أسير إليهم بالناس فإن دخلوا فى طاعة أمير المؤمنين و إلا نابذتهم على سواء. فقال عثمان لو كان ذلك رأى لسرت إليهم نفسى قال حكيم أما و الله إن دخلوا عليك هذا المصر لينتقلن قلوب كثير من الناس إليهم وليزيلنك عن مجلسك هذا و أنت أعلم فأبى عليه عثمان. قال وكتب على إلى عثمان لما بلغه مشارفة القوم البصرة من عبد الله على أمير المؤمنين إلى عثمان بن حنيف أما بعد فإن البغاة عاهدوا الله ثم نكثوا وتوجهوا إلى مصرك وساقهم الشيطان لطلب ما لا يرضى الله به و الله أشد بأساً وأشد تنكيلاً فإذا قدموا عليك فادعهم إلى الطاعة والرجوع إلى الوفاء بالعهد والميثاق الذى فارقونا عليه فإن أجابوا فأحسن جوارهم ماداموا -رواية- ١-٢-رواية- ٦٠-إداهه دارد [صفحة ٣١٣] عندك و إن أبو إلا التمسك بحبل النكت والخلاف فناجزهم القتال حتى يحكم الله بينك وبينهم و هو خير الحاكمين و كتبت كتابى هذا إليك من الربذة و أنا معجل المسير إليك إن شاء الله. و كتبه عبيد الله بن أبى رافع فى سنة ست وثلاثين -رواية- از قبل- ٢٣٩. قال فلما وصل كتاب على ع إلى عثمان أرسل إلى أبى الأسود الدؤلى وعمران بن الحصين الخزاعى فأمرهما أن يسيرا حتى يأتياه بعلم القوم و ما الذى أقدمهم فانطلقا حتى إذا أتيا حفر أبى موسى و به معسكر القوم فدخلا على عائشة فنالها و وعظاها و أذكراها و ناشداها الله فقالت لهما القيا طلحة و الزبير فقاما من عندها و لقا الزبير فكلماه فقال لهما إنا جننا للطلب بدم عثمان و ندعو الناس إلى أن يردوا أمر الخلافة شورى ليختار الناس لأنفسهم فقالا له إن عثمان لم يقتل بالبصرة ليطلب دمه فيها و أنت تعلم قتله عثمان من هم و أين هم وإنك و صاحبك و عائشة كنتم أشد الناس عليه و أعظمهم إغراء بدمه فأقيدوا من أنفسكم و أما إعادة أمر الخلافة شورى فكيف و قد بايعتم علياً طائعين غير مكرهين و أنت يا أبا عبد الله لم يبعد العهد بقيامك دون هذا الرجل يوم مات رسول الله ص و أنت آخذ قائم سيفك تقول ما أحد أحق بالخلافة منه و لا أولى بها منه

وامتنعت من بيعه أبى بكر فأين ذلك الفعل من هذا القول . فقال لهما اذهبا فالحيا طلحة فقاما إلى طلحة فوجداه أخشن الملمس شديد العريكة قوى العزم فى إثارة الفتنة وإضرار نار الحرب فانصرفا إلى عثمان بن حنيف فأخبراه وقال له أبو الأسود يا ابن حنيف قد أتيت فانفر || وطاعن القوم وجالد واصبر [صفحہ ۳۱۴] وبرز لها مستلثما وشمى . فقال ابن حنيف إى والحرمين لأفعلن وأمر مناديه فنادى فى الناس السلاح السلاح فاجتمعوا إليه وقال أبو الأسود أتينا الزبير فدانى الكلام || وطلحة كالنجم أوأبعد وأحسن قوليهما فادح || يضيق به الخطب مستنكد وقدأعدونا بجهد الوعيد || فأهون علينا بما أوعدوا فقلنا ركضتم و لم ترملوا || وأصدرتم قبل أن توردوا فإن تلقحوا الحرب بين الرجال || فملقحها حده الأنكد و إن عليا لكم مصحر || ألا إنه الأسد الأسود أما إنه ثالث العابدين || بمكة و الله لا يعبد فرخوا الخناق و لاتعجلوا || فإن غدا لكم موعد . قال وأقبل القوم فلما انتهوا إلى المربرد قام رجل من بنى جشم فقال أيها الناس أنافلان الجشمى وقد أتاكم هؤلاء القوم فإن كانوا أتوكم خائفين لقد أتوكم من المكان الذى يأمن فيه الطير والوحش والسباع و إن كانوا إنما أتوكم بطلب دم عثمان فغيرنا ولى قتله فأطيعونى أيها الناس وردوهم من حيث أقبلوا فإنكم إن لم تفعلوا لم تسلموا من الحرب الضروس والفتنة الصماء التى لا تبقى و لاتذر . قال فحصبه ناس من أهل البصرة فأمسك . قال واجتمع أهل البصرة إلى المربرد حتى ملثوه مشاء وركبانا فقام طلحة فأشار إلى الناس بالسكون ليخطب فسكتوا بعدجهد فقال أما بعد فإن عثمان بن عفان كان من أهل السابقة والفضيلة و من المهاجرين الأولين الذى رضى الله عنهم ورضوا عنه [صفحہ ۳۱۵] ونزل القرآن ناطقا بفضلهم وأحد أئمة المسلمين الوالين عليكم بعد أبى بكر وعمر صاحبي رسول الله ص و قد كان أحدث أحداثا نعمنا عليه فأتيناه فاستعبتناه فأعتبنا فعدا عليه امرؤ ابتز هذه الأمة أمرها غصبا بغير رضا منها و لا مشورة فقتله وساعده على ذلك قوم غير أتقياء و لا أبرار فقتل محرما بريئا تائبا و قد جئناكم أيها الناس نطلب بدم عثمان و ندعوكم إلى الطلب بدمه فإن نحن أمكننا الله من قتلته قتلناهم به وجعلنا هذا الأمر شورى بين المسلمين وكانت خلافة رحمة للأمة جميعا فإن كل من أخذ الأمر من غير رضا من العامة و لا مشورة منها ابتزازا كان ملكه ملكا عضوضا و حدثا كثيرا . ثم قام الزبير فتكلم بمثل كلام طلحة . فقام إليهما ناس من أهل البصرة فقالوا لهما أ لم تبايعا عليا فيمن بايعه فقيم بايعتما ثم نكثتما فقالا ما بايعنا و ما لأحد فى أعناقنا بيعه وإنما استكرهنا على بيعه فقال ناس قد صدقا وأحسننا القول و قطعنا بالشواب و قال ناس ما صدقا و لا أصابا فى القول حتى ارتفعت الأصوات . قال ثم أقبلت عائشة على جملها فنادت بصوت مرتفع أيها الناس أقلوا الكلام واسكتوا فأسكت الناس لها فقالت إن أمير المؤمنين عثمان قد كان غير وبدل ثم لم يزل يغسل ذلك بالتوبة حتى قتل مظلوما تائبا وإنما نقموا عليه ضربه بالسوط وتأميره الشبان و حمايته موضع الغمامة فقتلوه محرما فى حرمة الشهر و حرمة البلد ذبحا كما يذبح الجمل ألا و إن قريشا رمت غرضها بنبالها وأدمت أفواهها بأيديها و مانالت بقتلها إياه شيئا و لاسلكت به سيلا [صفحہ ۳۱۶] قاصدا أما و الله ليرونها بلايا عقيمة تنتبه النائم و تقيم الجالس و ليسلطن عليهم قوم لا يرحمونهم و يسومونهم سوء العذاب . أيها الناس إنه ما بلغ من ذنب عثمان ما يستحل به دمه مصتموه كما يماص الثوب الرحيض ثم عدوتم عليه فقتلتموه بعد توبته و خروجه من ذنبه و بايعتم ابن أبى طالب بغير مشورة من الجماعة ابتزازا و غصبا ترانى أغضب لكم من سوط عثمان ولسانه و لا أغضب لعثمان من سيوفكم ألا إن عثمان قتل مظلوما فاطلبوا قتلته فإذا ظفرتم بهم فاقتلوه ثم اجعلوا الأمر شورى بين الرهط الذين اختارهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب و لا يدخل فيهم من شرك فى دم عثمان . قال فماج الناس و اختلطوا فمن قائل القول ما قالت و من قائل يقول و ما هى و هذا الأمر إنما هى امرأة مأمورة بلزوم بيتها و ارتفعت الأصوات و كثر اللغط حتى تضاربوا بالنعال و تراموا بالحصى ؛ ثم إن الناس تمايزوا فصاروا فريقين فريق مع عثمان بن حنيف و فريق مع عائشة و أصحابها . قال و حدثنا الأشعث بن سوار عن محمد بن سيرين عن أبى الخليل قال لما نزل طلحة و الزبير المربرد أتيتهما فوجدتهما مجتمعين فقلت لهما ناشدتكما الله و صحبة رسول الله ص ما الذى أقدمكما أرضنا هذه فلم يتكلما فأعدت عليهما فقالا بلغنا أن بأرضكم هذه دنيا

فجئنا نطلبها. [صفحة ٣١٧] قال و قدروى محمد بن سيرين عن الأحنف بن قيس أنه لقيهما فقالا له مثل مقالتهما الأولى إنما جئنا لطلب الدنيا. و قدروى المدائنى أيضا نحو مما روى أبو مخنف قال بعث على ع ابن عباس يوم الجمل إلى الزبير قبل الحرب فقال له إن أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام و يقول لكم أ لم تبايعنى طائعا غير مكره فما ألقى رابك منى فاستحللت به قتالى قال فلم يكن له جواب إلا- أنه قال لى إنا مع الخوف الشديد لنطمع لم يقل غير ذلك -روایت- ١-٢-روایت- ٥٣-٣٢٣ قال أبو إسحاق فسألت محمد بن على بن الحسين ع ماتراه يعنى بقوله هذا فقال أما و الله ما تركت ابن عباس حتى سألته عن هذا فقال يقول إنا مع الخوف الشديد مما نحن عليه نطمع أن نلى مثل الذى وليتم -روایت- ١-٢-روایت- ١٨-٢١١ قال محمد بن إسحاق حدثنى جعفر بن محمد ع عن أبيه عن ابن عباس قال بعثنى على ع يوم الجمل إلى طلحة و الزبير و بعث معى بمصحف منشور و إن الريح لتصفق ورقه فقال لى قل لهما هذا كتاب الله بيننا و بينكم فما تريدان فلم يكن لهما جواب إلا أن قالوا نريد ما أراد كأنهما يقولان الملك فرجعت إلى على فأخبرته -روایت- ١-٢-روایت- ٧٦-٣١٩. و قدروى قاضى القضاة رحمه الله فى كتاب المغنى عن وهب بن جرير قال قال رجل من أهل البصرة لطلحة و الزبير إن لكما فضلا و صحبة فأخبرانى عن مسيركما [صفحة ٣١٨] هذا و قتالكما أ شىء أمركما به رسول الله ص أم رأى رأيتماه فأما طلحة فسكت و جعل ينكت فى الأرض و أما الزبير فقال و يحك حدثنا أن هاهنا دراهم كثيرة فجئنا لنأخذ منها. و جعل قاضى القضاة هذا الخبر حجة فى أن طلحة تاب و أن الزبير لم يكن مصرا على الحرب و الاحتجاج بهذا الخبر على هذا المعنى ضعيف و إن صح هو و ما قبله إنه لدليل على حمق شديد و ضعف عظيم و نقص ظاهر و ليت شعرى ما الذى أوجهما إلى هذا القول و إذا كان هذا فى أنفسهما فهلا كتماه. ثم نعود إلى خبرهما قال أبو مخنف فلما أقبل طلحة و الزبير من المريد يريدان عثمان بن حنيف فوجداه و أصحابه قد أخذوا بأفواه السكك فمضوا حتى انتهوا إلى موضع الدباغين فاستقبلهم أصحاب ابن حنيف فشجرهم طلحة و الزبير و أصحابهما بالرماح فحمل عليهم حكيم بن جبلة فلم يزل هو و أصحابه يقاتلونهم حتى أخرجوهم من جميع السكك و رماهم النساء من فوق البيوت بالحجارة فأخذوا إلى مقبرة بنى مازن فوقفوا بهامليا حتى ثابت إليهم خيلهم ثم أخذوا على مسنة البصرة حتى انتهوا إلى الربوقة ثم أتوا سبخة دار الرزق فنزلوها. قال و أتاهما عبد الله بن حكيم التميمى لمانزلا السبخة بكتب كانا كتبها إليه فقال لطلحة يا أبا محمد أ ما هذا كتبك إلينا قال بلى قال فكتبت أمس تدعونا إلى خلع عثمان و قتله حتى إذا قتلته أتيتنا نائرا بدمه فلعمرى ما هذا رأيك لا تريد إلا هذه الدنيا مهلا- إذا كان هذا رأيك فلم قبلت من على ما عرض عليك من البيعة [صفحة ٣١٩] فبايعته طائعا راضيا ثم نكثت بيعتك ثم جئت لتدخلنا فى فنتكك فقال إن عليا دعانى إلى بيعته بعد ما بايع الناس فعلمت لو لم أقبل ما عرضه على لم يتم لى ثم يغرى بى من معه. قال ثم أصبحنا من غد فصفا للحرب و خرج عثمان بن حنيف إليهما فى أصحابه فناشدهما الله و الإسلام و أذكرهما بيعتهما عليا ع فقالا نطلب بدم عثمان فقال لهما و ما أنتما و ذاك أين بنو أين بنو عمه الذين هم أحق به منكم كلا و الله ولكنكما حسدتما حيث اجتمع الناس عليه و كنتما ترجوان هذا الأمر و تعملان له و هل كان أحد أشد على عثمان قولا منكما فشتماه شتما قبيحا و ذكرا أمه فقال للزبير أما و الله لو لاصفية و مكانها من رسول الله فإنها أدنتك إلى الظل و أن الأمر بينى و بينك يا ابن الصعبة يعنى طلحة أعظم من القول لأعلمتكما من أمركما ما يسوء كما ألهم إنى قد أعذرت إلى هذين الرجلين. ثم حمل عليهم و اقتتل الناس قتالا شديدا ثم تحاجزوا و اصطلحوا على أن يكتب بينهم كتاب صلح فكتب. هذا ما اصطلح عليه عثمان بن حنيف الأنصارى و من معه من المؤمنين من شيعه أمير المؤمنين على بن أبى طالب و طلحة و الزبير و من معهما من المؤمنين و المسلمين من شيعتهما أن لعثمان بن حنيف دار الإمارة و الرحبة و المسجد و بيت المال و المنبر و أن لطلحة و الزبير و من معهما أن ينزلوا حيث شاءوا من البصرة و لا يضار بعضهم بعضا فى طريق و لا فرضه و لا سوق و لا شرعه و لا مرفق حتى يقدم أمير المؤمنين على بن أبى طالب فإن أحبوا دخلوا فيما دخلت فيه الأمة و إن أحبوا لحق كل قوم بهوهم و ما أحبوا من [صفحة ٣٢٠] قتال أو سلم

أو خروج أو إقامة و على الفريقين بما كتبوا عهد الله وميثاقه وأشد ما أخذه على نبي من أنبيائه من عهد وذمة. وختم الكتاب ورجع عثمان بن حنيف حتى دخل دار الإمارة و قال لأصحابه ألحقوا رحمكم الله بأهلكم وضعوا سلاحكم وداووا جرحاكم فمكثوا كذلك أياما. ثم إن طلحة والزبير قالوا إن قدم على ونحن على هذه الحال من القلة والضعف ليأخذن بأعناقنا فأجمعا على مراسلة القبائل واستمالة العرب فأرسلوا إلى وجوه الناس و أهل الرئاسة والشرف يدعونهم إلى الطلب بدم عثمان و خلع على وإخراج ابن حنيف من البصرة فبايعهم على ذلك الأزدي وضبة وقيس بن عيلان كلها إلا الرجل والرجلين من القبيلة كرهوا أمرهم فتواروا عنهم وأرسلوا إلى هلال بن وكيع التميمي فلم يأتهم فجاءه طلحة والزبير إلى داره فتوارى عنهما فقالت له أمه ما رأيت مثلك أتاك شيئا فريش فتواريت عنهما فلم تزل به حتى ظهر لهما وبايعهما ومعه بنو عمرو بن تميم كلهم وبنو حنظلة إلا بنى يربوع فإن عامتهم كانوا شيعه على ع وبايعهم بنو دارم كلهم إلا أنفرا من بنى مجاشع ذوى دين وفضل . فلما استوسق لطلحة والزبير أمرهما خرجا فى ليلة مظلمة ذات ريح ومطر ومعهما أصحابهما قد ألبسوهم الدروع وظهروا فوقها بالثياب فانتهوا إلى المسجد وقت الصلاة الفجر و قد سبقهم عثمان بن حنيف إليه وأقيمت الصلاة فتقدم عثمان ليصلى بهم فأخره أصحاب طلحة والزبير وقدموا الزبير فجاءت السبابة وهم الشرط حرس بيت المال فأخرجوا الزبير وقدموا عثمان فغلبهم أصحاب الزبير فقدموا الزبير وأخروا عثمان فلم يزالوا كذلك حتى كادت الشمس تطلع وصاح بهم أهل المسجد ألا تتقون أصحاب محمد و قد طلعت الشمس فغلب الزبير فصلى بالناس فلما انصرف من [صفحة ٣٢١] صلاته صاح بأصحابه المستسلحين أن خذوا عثمان بن حنيف فأخذه بعد أن تضارب هو ومروان بن الحكم بسيفيهما فلما أسر ضرب ضرب الموت و ننتف حاجباه وأشفار عينيه و كل شعرة فى رأسه ووجهه وأخذوا السبابة وهم سبعون رجلا- فانطلقوا بهم وبعثوا عثمان بن حنيف إلى عائشة فقالت لأبان بن عثمان اخرج إليه فاضرب عنقه فإن الأنصار قتلت أباك وأعانت على قتله فنأدى عثمان يا عائشة و ياطلحة و يازبير إن أخى سهل بن حنيف خليفة على بن أبى طالب على المدينة وأقسم بالله إن قتلتمونى ليضعن السيف فى بنى أيبكم وأهلكم ورهطكم فلا يبقى أحد منكم فكفوا عنه وخافوا أن يقع سهل بن حنيف بعيالاتهم وأهلهم بالمدينة فتركوه . وأرسلت عائشة إلى الزبير أن اقتل السبابة فإنه قد بلغنى الذى صنعوا بك قال فذبهم و الله الزبير كما يذبح الغنم ولى ذلك منهم عبد الله ابنه وهم سبعون رجلا و بقيت منهم طائفة مستمسكين ببيت المال قالوا لاندفعه إليكم حتى يقدم أمير المؤمنين فسار إليهم الزبير فى جيش ليلا فأوقع بهم وأخذ منهم خمسين أسيرا فقتلهم صبيرا. قال أبو مخنف فحدثنا الصقعب بن زهير قال كانت السبابة القتلى يومئذ أربعمائة رجل قال فكان غدر طلحة والزبير بعثمان بن حنيف أول غدر كان فى الإسلام و كان السبابة أول قوم ضربت أعناقهم من المسلمين صبيرا قال وخيروا عثمان بن حنيف بين أن يقيم أو يلحق بعلى فاختار الرحيل فخلوا سبيله فلحق بعلى ع فلما رآه بكى و قال له فارقتك شيئا وجئتك أمرد فقال على إنا لله وإنا إليه راجعون قالها ثلاثا. [صفحة ٣٢٢] قلت السبابة لفظه معربة قد ذكرها الجوهري فى كتاب الصحاح قال هم قوم من السند كانوا بالبصرة جلاوزة وحراس السجن والهاء للعجمة والنسب قال يزيد بن مفرغ الحميرى وطماطيم من سبابع خزر || يلبسونى مع الصباح القيودا . قال فلما بلغ حكيم بن جبلة ما صنع القوم بعثمان بن حنيف خرج فى ثلاثمائة من عبد القيس مخالفا لهم ومنايذا فخرجوا إليه وحملوا عائشة على جمل فسمى ذلك اليوم يوم الجمل الأصغر و يوم على يوم الجمل الأكبر. وتجالد الفريقان بالسيوف فشد رجل من الأزدي من عسكر عائشة على حكيم بن جبلة فضرب رجله فقطعها ووقع الأزدي عن فرسه فجثا حكيم فأخذ رجله فرمى بها الأزدي فصرعه ثم دب إليه فقتله متكئا عليه خانقا له حتى زهقت نفسه فمر بحكيم إنسان و هو وجود بنفسه فقال من فعل بك قال وسادى فنظر فإذا الأزدي تحته و كان حكيم شجاعا مذكورا. قال وقتل مع حكيم إخوة له ثلاثة وقتل أصحابه كلهم وهم ثلاثمائة من عبد القيس والقليل منهم من بكر بن وائل فلما صفت البصرة لطلحة والزبير بعد قتل حكيم وأصحابه وطرده ابن حنيف عنهما اختلفا فى الصلاة وأراد كل منهما أن يؤم بالناس وخاف أن تكون

صلاته خلف صاحبه تسليماً له ورضاً بتقدمه فأصلحت بينهما عائشة بأن جعلت عبد الله بن الزبير و محمد بن طلحة يصليان بالناس هذا يوماً وهذا يوماً. قال أبو مخنف ثم دخلا- بيت المال بالبصرة فلما رأوا ما فيه من الأموال قال الزبير وعبدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذيفن نحن أحق -قرآن- ١٠٢٥-١٠٩٤ [صفحة ٣٢٣] بها من أهل البصرة فأخذوا ذلك المال كله فلما غلب على ع رد تلك الأموال إلى بيت المال وقسمها في المسلمين . و قد ذكرنا فيما تقدم كيفية الوقعة ومقتل الزبير فإرا عن الحرب خوفاً أو توبةً ونحن نقول إنها توبةً وذكرنا مقتل طلحة والاستيلاء على أم المؤمنين وإحسان على ع إليها و إلى من أسر في الحرب أو ظفر به بعدها

منافرة بين ولدي علي وطلحة

كان القاسم بن محمد بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله التيمي يلقب بأبوعرة ولى شرطه الكوفة لعيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس كلم إسماعيل بن جعفر بن محمد الصادق ع بكلام خرجا فيه إلى المنافرة فقال القاسم بن محمد لم يزل فضلنا وإحساننا سابغا عليكم يا بني هاشم و علي بن عبدمناف كافة فقال إسماعيل أى فضل وإحسان أسديتموه إلى بني عبدمناف أغضب أبوك جدى بقوله ليموتن محمد ولنجدولن بين خلاخيل نسائه كماجال بين خلاخيل نساتنا فأنزل الله تعالى مراغمة لأبيك و ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله و لا أن تنكحوا أزواجه من بعده أيداً و منع ابن عمك أمى حقها من فدك وغيرها من ميراث أبيها وأجلب أبوك علي عثمان وحصره حتى قتل ونكث بيعه علي وشام السيف -قرآن- ٥٠١-٥٩٣ [صفحة ٣٢٤] فى وجهه وأفسد قلوب المسلمين عليه فإن كان لبني عبدمناف قوم غير هؤلاء أسديتم إليهم إحسانا فعرفنى من هم جعلت فداك

منافرة عبد الله بن الزبير و عبد الله بن العباس

وتزوج عبد الله بن الزبير أم عمرو ابنه منظور بن زبان الفزارية فلما دخل بها قال لها تلك الليلة أتدريين من معك فى حجلتك قالت نعم عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى . قال ليس غير هذا قالت فما أذى تريد قال معك من أصبح فى قريش بمنزلة الرأس من الجسد لابل بمنزلة العينين من الرأس قالت أما و الله لو أن بعض بنى عبدمناف حضرك لقال لك خلاف قولك فغضب و قال الطعام والشراب على حرام حتى أحضرك الهاشميين وغيرهم من بنى عبدمناف فلا يستطيعون لذلك إنكارا قالت إن أطعنى لم تفعل و أنت أعلم وشأنك . فخرج إلى المسجد فرأى حلقه فيها قوم من قريش منهم عبد الله بن العباس و عبد الله بن الحصين بن الحارث بن عبدالمطلب بن عبدمناف فقال لهم ابن الزبير أحب أن تنطلقوا معى إلى منزلى فقام القوم بأجمعهم حتى وقفوا على باب بيته فقال ابن الزبير يا هذه اطرحى عليك سترك فلما أخذوا مجالسهم دعا بالمائدة فتغذى القوم فلما فرغوا قال لهم إنما جمعتمكم لحديث رده على صاحبة الستر وزعمت أنه لو كان بعض بنى عبدمناف حضرنى لما أقر لى بما قلت و قد حضرتم جميعا و أنت يا ابن عباس ماتقول إنى أخبرتها أن معها فى خدرها من أصبح فى قريش بمنزلة [صفحة ٣٢٥] الرأس من الجسد بل بمنزلة العينين من الرأس فردت على مقالتي فقال ابن عباس أراك قصدت قصدى فإن شئت أن أقول قلت و إن شئت أن أكف كفت قال بل قل و ماعسى أن تقول ألت تعلم أنى ابن الزبير حوارى رسول الله ص و أن أمى أسماء بنت أبى بكر الصديق ذات النطاقين و أن عمتى خديجة سيدة نساء العالمين و أن صفيه عمه رسول الله ص جدتى و أن عائشة أم

المؤمنين خالتي فهل تستطيع لهذا إنكارا. قال ابن عباس لقد ذكرت شرفا شريفا وفخرا فاخرا غير أنك تفاخر من بفخره فخرت ويفضله سموت قال وكيف ذلك قال لأنك لم تذكر فخرا إلا برسول الله ص و أنا أولى بالفخر به منك قال ابن الزبير لو شئت لفخرت عليك بما كان قبل النبوة قال ابن عباس قد أنصف القارة من رامها. نشدتكم الله أيها الحاضرون عبدالمطلب أشرف أم خويلد في قريش قالوا عبدالمطلب قال أفهاشم كان أشرف فيها أم أسد قالوا بل هاشم قال أفعبد مناف أشرف أم عبدالعزى قالوا عبدمناف فقال ابن عباس تنافرنى يا ابن الزبير و قد قضى || عليك رسول الله لا قول هازل و لو غيرنا يا ابن الزبير فخرته || ولكنما ساميت شمس الأصائل . [صفحہ ۳۲۶] قضى لنا رسول الله ص بالفضل فى قوله ما افترت فرقتان إلا كنت فى خيرهما فقد فارقناك من بعد قضى بن كلاب أفنحن فى فرقة الخير أم لا إن قلت نعم خصمت و إن قلت لا كفرت . فضحك بعض القوم فقال ابن الزبير أما و الله لو لا تحرمك بطعامنا يا ابن عباس لأعرت جبينك قبل أن تقوم من مجلسك قال ابن عباس و لم أباطل فالباطل لا يغلب الحق أم بحق فالحق لا يخشى من الباطل . فقالت المرأة من وراء الستر إنى و الله لقد نهيتة عن هذا المجلس فأبى إلا ماترون . فقال ابن عباس مه أيتها المرأة اقنعى ببعلك فما أعظم الخطر و ما أكرم الخبر فأخذ القوم بيد ابن عباس و كان قد عمى فقالوا انهض أيها الرجل فقد أفحمته غير مرة فنهض و قال ألا يا قومنا ارتحلوا و سيروا || فلو ترك القطا لغفا و ناما . فقال ابن الزبير يا صاحب القطاء أقبل على فما كنت لتدعنى حتى أقول و أيم الله لقد عرف الأقوام أنى سابق غير مسبوق و ابن حواري و صديق متبجح فى الشرف الأنيق خير من طليق . فقال ابن عباس دسعت بجزتك فلم تبق شيئا هذا الكلام مردود من امرئ حسود فإن كنت سابقا فإلى من سبقت و إن كنت فاخرا فبمن فخرت فإن كنت أدركت هذا الفخر بأسرتك دون أسرتنا فالفخر لك علينا و إن كنت إنما أدركته بأسرتنا فالفخر لنا عليك و الكثكث فى فمك و يديك و أما ما ذكرت [صفحہ ۳۲۷] من الطليق فو الله لقد ابتلى فصبر و أنعم عليه فشكر و إن كان و الله لوفيا كريما غير ناقض بيعه بعد توكيدها و لا مسلم كتيبه بعد التأمير عليها . فقال ابن الزبير أتعير الزبير بالجبن و الله إنك لتعلم منه خلاف ذلك . قال ابن عباس و الله إنى لا أعلم إلا أنه فر و ماكر و حارب فما صبر و بايع فما تمم و قطع الرحم و أنكر الفضل و رام ما ليس له بأهل . و أدرك منها بعض ما كان يرتجى || و قصر عن جرى الكرام و بلدا و ما كان إلا كالهجين أمامه || عناق فجاراه العناق فأجهدا . فقال ابن الزبير لم يبق يابنى هاشم غير المشاتمة و المضاربة . فقال عبد الله بن الحصين بن الحارث أقمناه عنك يا ابن الزبير و تأبى لإمنازعته و الله لو نازعته من ساعتك إلى انقضاء عمرك ما كنت إلا كالسغب الظمان يفتح فاه يستريد من الريح فلا يشبع من سغب و لا يروى من عطش فقل إن شئت أوفدع و انصرف القوم [صفحہ ۳۲۸]

۱۷۴- و من خطبة له ع

أَمِينٌ وَ حِيَه وَ خَاتَمٌ رُسُلِهِ وَ بَشِيرٌ رَحْمَتِهِ وَ نَذِيرٌ نَقَمَتِهِ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ وَ أَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ فِيهِ فَإِنَّ شَعْبَ شَاغِبٍ اسْتُعْتَبَ فَإِنَّ أَبِي قُوتِلَ وَ لَعْمَرِي لَئِنْ كَانَتِ الْإِمَامِيَّةُ لَا تَنْعَقِدُ حَتَّى تَحْضُرَهَا عَامِيَّةُ النَّاسِ مَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ وَ لَكِنْ أَهْلُهَا يَحْكُمُونَ عَلَى مَنْ غَابَ عَنْهَا ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَرْجِعَ وَ لَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَخْتَارَ أَلَا وَ إِنِّي أَقَاتِلُ رَجُلَيْنِ رَجُلًا ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ وَ آخَرَ مَنَعَ أَلْمَذَى عَلَيْهِ صَدَرَ الْكَلَامِ فِي ذِكْرِ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ يَتْلُوهُ فَصُولُ . أولها أن أحق الناس بالإمامة أقواهم عليها و أعلمهم بحكم الله فيها و هذا لا ينافى مذهب أصحابنا البغداديين فى صحة إمامة المفضول لأنه ما قال إن إمامة غير الأقوى فاسدة ولكنه قال إن الأقوى أحق و أصحابنا لا ينكرون أنه ع أحق ممن تقدمه بالإمامة مع قولهم بصحة إمامة المتقدمين لأنه لا منافاة بين كونه أحق و بين صحة إمامة غيره . [صفحہ ۳۲۹] فإن قلت أى فرق بين أقواهم عليه و أعلمهم بأمر الله فيه قلت أقواهم أحسنهم سياسة

وأعلمهم بأمر الله أكثرهم علما وإجراء للتدبير بمقتضى العلم و بين الأمرين فرق واضح فقد يكون سائسا حاذقا و لا يكون عالما بالفقه و قد يكون سائسا فقيها و لا يجرى التدبير على مقتضى علمه وفقهه . وثانيها أن الإمامة لا يشترط في صحه انعقادها أن يحضرها الناس كافة لأنه لو كان ذلك مشترطا لأدى إلى ألا تتعقد إمامة أبدا لتعذر اجتماع المسلمين من أطراف الأرض ولكنها تتعقد بعقد العلماء و أهل الحل والعقد الحاضرين ثم لا يجوز بعد عقدها لحاضريها أن يرجعوا من غير سبب يقتضى رجوعهم و لا يجوز لمن غاب عنها أن يختار غير من عقد له بل يكون محجوجا بعقد الحاضرين مكلفا طاعة الإمامة المعقود له و على هذا جرت الحال في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان و انعقد إجماع المسلمين عليه و هذا الكلام تصريح بصحة مذهب أصحابنا في أن الاختيار طريق إلى الإمامة و مبطل لماتقوله الإمامية من دعوى النص عليه و من قولهم لا طريق إلى الإمامة سوى النص أو المعجز. وثالثها أن الخارج على الإمام يستعيب أولا بالكلام والمراسلة فإن أبي قوتل و هذا هونص الكتاب العزيز و إن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله. ورابعها أنه يقاتل أحد رجلين إما رجلا ادعى ما ليس له نحو أن يخرج على الإمام من يدعى الخلافة لنفسه وإما رجلا منع ما عليه نحو أن يخرج على الإمام رجل لا يدعى الخلافة ولكنه يمتنع من الطاعة فقط. فإن قلت الخارج على الإمام مدع الخلافة لنفسه مانع ما عليه أيضا لأنه قدامتت من الطاعة فقد دخل أحد القسمين في الآخر. -قرآن- ١٠٣٧-١٢٠٠ [صفحہ ٣٣٠] قلت لما كان مدعى الخلافة قد اجتمع له أمران إيجابى وسلبى فالإيجابى دعواه الخلافة والسلبى امتناعه من الطاعة كان متميزا ممن لم يحصل له إلا القسم السلبى فقط و هو مانع الطاعة لا غير فكان الأحسن فى فن علم البيان أن يشتمل اللفظ على التقسيم الحاضر للإيجاب والسلب فلذلك قال إما مدعى ما ليس له أو مانعا ما هو عليه أو وصية لكم عبادة الله يتقوى الله فإنها خير ما تواصى العباد به و خير عواقب الأمور عند الله و قد فتح باب الحرب بينكم و بين أهل القبلة و لا يحمل هذا العلم إلا أهل البصير و الصبر و العلم بمواقع الحق فأمضوا لما تؤمرون به و قفوا عند ما تنهون عنه و لا تعجلوا فى أمر حتى تتبينوا فإن لنا مع كل أمر تنكرونه غيرا ألا و إن هذه الدنيا التي أصبحتتم تتمنونها و ترغبون فيها و أصبحت تغضبكم و ترضيكم ليست بداركم و لا منزل لكم الذي خلقتم له و لا الذي دعيتم إليه ألا و إنها ليست بباقيت لكم و لا تقون عليها و هي و إن غرتكم منها فقد حذرتكم شرها فدعوا غرورها لتحذيرها و أطماعها لتخويفها و سابقوا فيها إلى الدار التي دعيتم إليها و انصروا بقلوبكم عنها و لا يخنن أحدكم حينئذ الأمة على ما زوى عنه منها و استتموا نعمة الله عليكم بالصبر على طاعة الله و المحافظة على ما استحفظكم من كتابه ألا و إنه لا يضركم تضييع شىء من دنياكم بعد حفظكم قائمة دينكم [صفحہ ٣٣١] ألا و إنه لا ينفعكم بعد تضييع دينكم شىء حافظتم عليه من أمر دنياكم أخذ الله بقلوبنا و قلوبكم إلى الحق و ألهمنا و إياكم الصبر لم يكن المسلمون قبل حرب الجمل يعرفون كيفية قتال أهل القبلة وإنما تعلموا فقه ذلك من أمير المؤمنين ع . و قال الشافعى لو لا على لما عرف شىء من أحكام أهل البغى. قوله ع و لا يحمل هذا العلم إلا أهل البصر والصبر و ذلك لأن المسلمين عظم عندهم حرب أهل القبلة و أكبروه و من أقدم عندهم عليه أقدم على خوف و حذر فقال ع إن هذا العلم ليس يدركه كل أحد وإنما له قوم مخصوصون . ثم أمرهم بالمضى عند ما يأمرهم به وبالانتهاء عما ينهاهم عنه و نهاهم عن أن يعجلوا بالحكم على أمر ملتبس حتى يتبين و يتضح . ثم قال إن عندنا تغييرا لكل ما تنكرونه من الأمور حتى يثبت أنه يجب إنكارها و تغييرها أى لست كعثمان أصر على ارتكاب ما أنهى عنه بل أغير كل ما ينكره المسلمون و يقتضى الحال والشرع تغييره . ثم ذكر أن الدنيا التي تغضب الناس و ترضيهم و هى منتهى أمنيتهم و رغبتهم ليست دارهم وإنما هى طريق إلى الدار الآخرة و مدة اللبث فى ذلك الطريق يسيرة جدا. و قال إنها و إن كانت غرارة فإنها منذرة و محذرة لأبنائها بما رأوه من آثارها فى [صفحہ ٣٣٢] سلفهم و إخوتهم و أحبائهم و مناداتها على نفسها بأنها فاعلة بهم ما فعلت بأولئك من الفناء و فراق المؤلف . قال فدعوا غرورها لتحذيرها و ذلك لأن جانب تحذيرها أولى بأن يعمل عليه من جانب غرورها لأن غرورها إنما

هو بأمر سريع مع التصرم والانقضاء وتحذيرها إنما هو لأمر جليل عظيم فإن الفناء المعجل محسوس وقد دل العقل والشرائع كافة على أن بعد ذلك الفناء سعادة وشقاوة فينبغي للعاقل أن يحذر من تلك الشقاوة ويرغب في تلك السعادة ولا سبيل إلى ذلك إلا برفض غرور الدنيا على أنه لو لم يكن ذلك لكان الواجب على أهل اللب والبصيرة رفضها لأن الموجود منها خيال فإنه أشبه شئ بأحلام المنام فالتمسك به والإخلاق إليه حمق . والخنين صوت يخرج من الأنف عند البكاء وأضافه إلى الأمة لأن الإماء كثيرا ما يضربن فيبكين ويسمع الخنين منهن ولأن الحرّة تأنف من البكاء والخنين وزوى قبض . ثم ذكر أنه لا يضر المكلف فوات قسط من الدنيا إذا حفظ قائمته دينه يعنى القيام بالواجبات والانتهاة عن المحظورات ولا ينفعه حصول الدنيا كلها بعد تضييعه دينه لأن ابتياع لذة متناهية بلذة غير متناهية يخرج اللذة المتناهية من باب كونها نفعاً ويدخلها في باب المضار فكيف إذا انضاف إلى عدم اللذة غير المتناهية حصول مضار وعقوبات غير متناهية أعادنا الله منها

المجلد ١٠

الجزء العاشر

تتمة باب الخطب والأوامر

إشاره

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الواحد العدل

١٧٥- و من كلام له ع فى معنى طلحة بن عبيد الله

إشاره

قَدْ كُنْتُ وَ مَا أُهْدِدُ بِالْحَرْبِ وَ لَا أَرْهَبُ بِالضَّرْبِ وَ أَنَا عَلَى مَا وَعَدَنِي رَبِّي مِنَ النَّصْرِ وَ اللَّهُ مَا اسْتَعَجَلَ مُتَّجِرًا لِلطَّلَبِ بِدَمِ عَثْمَانَ إِلَّا خَوْفًا مِنْ أَنْ يُطَالِبَ بِدَمِهِ لِأَنَّهُ مَظْنُوتُهُ وَ لَمْ يَكُنْ فِي الْقَوْمِ أَحْرَصَ عَلَيْهِ مِنْهُ فَأَرَادَ أَنْ يُعَالِطَ بِمَا أَجْلَبَ فِيهِ لِيَلْتَبَسَ الْأَمْرُ وَ يَقَعَ الشُّكُّ . وَ وَ اللَّهِ مَا صَنَعَ فِي أَمْرِ عَثْمَانَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ لَيْنَ كَانَ ابْنُ عَفَّانٍ ظَالِمًا كَمَا كَانَ يَزْعُمُ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُؤَاوَرَ قَاتِلِيهِ وَ أَنْ يُنَابِذَ نَاصِرِيهِ . وَ لَيْنَ كَانَ مَظْلُومًا لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُنْهَنِينَ عَنْهُ وَ الْمُعِيدِينَ فِيهِ وَ لَيْنَ كَانَ فِي شُكِّ مِنَ الْخَصَلَتَيْنِ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْتَرِلَهُ وَ يَرُكِّدَ جَانِبًا وَ يَدْعَ النَّاسَ مَعَهُ فَمَا فَعَلَ وَاحِدَةً مِنَ الثَّلَاثِ وَ جَاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يُعْرِفْ بَابُهُ وَ لَمْ تَسَلَمْ مَعَاذِيْرُهُ [صفحہ ٤] كان هاهنا تامه والواو واو الحال أى خلقت ووجدت و أنا بهذه الصفة كما تقول خلقنى الله و أناشجاع . ويجوز أن تكون الواو زائدة وتكون كان ناقصة وخبرها ما أهدد كما فى المثل لقد كنت و ما أخشى بالذئب . فإن قلت إذا كانت ناقصة لزم أن تكون الآن بخلاف ماضى فيكون الآن يهدد ويرهب . قلت لا يلزم ذلك لأن كان الناقصة للماضى من حيث هو ماض و ليس يشترط فى ذلك أن يكون منقطعاً بل قد يكون دائماً كقوله تعالى وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا . ثم ذكر ع أنه على ما وعده ربه من النصر و أنه واثق بالظفر والغلبة الآن كما كانت عادته فيما سبق . ثم شرح حال طلحة و قال إنه تجرد للطلب بدم عثمان مغالطة للناس وإيهاماً لهم أنه برىء من دمه فيلتبس الأمر ويقع الشك . و قد كان طلحة أجهد نفسه فى أمر عثمان

والإجلاب عليه والحصر له والإغراء به ومنتته نفسه الخلافة بل تلبس بها وتسلم بيوت الأموال وأخذ مفاتيحها وقاتل الناس وأحدقوا به و لم يبق إلا أن يصفق بالخلافة على يده -قرآن- ٤١٢-٤٤٣ [صفحة ٥]

ذكر ما كان من أمر طلحة مع عثمان

ذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في كتاب التاريخ قال حدثني عمر بن شبة عن علي بن محمد عن عبدربه عن نافع عن إسماعيل بن أبي خالد عن حكيم بن جابر قال قال علي ع لطلحة وعثمان محصور أنشدك الله إلأرددت الناس عن عثمان قال لا والله حتى تعطي بنو أمية الحق من أنفسها -رواية- ١-٢-رواية- ١٦٢-٢٨٥. وروى الطبري أن عثمان كان له على طلحة خمسون ألفا فخرج عثمان يوما إلى المسجد فقال له طلحة قد تهيأ مالك فاقبضه فقال هو لك يا أبا محمد معونة لك على مروءتك. قال فكان عثمان يقول وهو محصور جزاء سنمار. وروى الطبري أيضا أن طلحة باع أرضا له من عثمان بسبعمئة ألف فحملها إليه فقال طلحة إن رجلا بيت و هذه عنده و في بيته لا يدري ما يطرقة من أمر الله لغرير بالله فبات ورسله تختلف بها في سلك المدينة يقسمها حتى أصبح و ما عنده منها درهم واحد. قال الطبري روى ذلك الحسن البصري و كان إذ روى ذلك يقول ثم جاء إلينا يطلب الدينار والدرهم أو قال والصفراء والبيضاء. [صفحة ٦] وروى الطبري أيضا قال قال ابن عباس رحمه الله لما حججت بالناس نيابة عن عثمان و هو محصور مرت بعائشة بالصلصل فقالت يا ابن عباس أنشدك الله فإنك قد أعطيت لسانا وعقلا أن تخذل الناس عن طلحة فقد بانت لهم بصائرهم في عثمان وأنهجت ورفعت لهم المنار وتحلبوا من البلدان لأمر قدحم و إن طلحة فيما بلغني قد اتخذ رجلا على بيوت الأموال وأخذ مفاتيح الخزائن وأظنه يسير إن شاء الله بسيرة ابن عمه أبي بكر فقال يأمره لو حدث بالرجل حدث ما فرغ الناس إلا إلى صاحبنا فقالت إياها عنك يا ابن عباس إنى لست أريد مكابرتك و لا مجادلتك. وروى المدائني في كتاب مقتل عثمان أن طلحة منع من دفنه ثلاثة أيام و أن عليا ع لم يبايع الناس إلا بعد قتل عثمان بخمسة أيام و أن حكيم بن حزام أحد بني أسد بن العزى وجبير بن مطعم بن الحارث بن نوفل استنجدوا بعلي ع على دفنه فأقعد طلحة لهم في الطريق ناسا بالحجارة فخرج به نفر يسير من أهله وهم يريدون به حائطا بالمدينة يعرف بحش كوكب كانت اليهود تدفن فيه موتاهم فلما صار هناك رجم سريره وهموا بطرحه فأرسل علي ع إلى الناس يعزم عليهم ليكفوا عنه فكفوا فانطلقوا به حتى دفنوه في حش كوكب. [صفحة ٧] وروى الطبري نحو ذلك إلا أنه لم يذكر طلحة بعينه وزاد فيه أن معاوية لما ظهر على الناس أمر بذلك الحائط فهدم حتى أفضى به إلى البقيع وأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حول قبره حتى اتصل ذلك بمقابر المسلمين. وروى المدائني في هذا الكتاب قال دفن عثمان بين المغرب والعمرة و لم يشهد جنازته إلا مروان بن الحكم وابنة عثمان وثلاثة من مواله فرفعت ابنته صوتها تندبه و قد جعل طلحة ناسا هناك أكرمهم كميننا فأخذتهم الحجارة وصاحوا نعثل نعثل فقالوا الحائط الحائط فدفن في حائط هناك. وروى الواقدي قال لما قتل عثمان تكلموا في دفنه فقال طلحة يدفن بدير سلع يعنى مقابر اليهود. وذكر الطبري في تاريخه هذا إلا أنه روى عن طلحة فقال قال رجل يدفن بدير سلع فقال حكيم بن حزام و الله لا يكون هذا أبدا وأحد من ولد قصي حى حتى كاد الشر يلتحم فقال ابن عديس البلوى أيها الشيخ و ما يضررك أين دفن قال لا يدفن إلا ببقيع الغرقد حيث دفن سلفه ورهطه فخرج به حكيم بن حزام في اثني عشر رجلا منهم الزبير بن العوام فمنعهم الناس عن البقيع فدفنوه بحش كوكب. [صفحة ٨] وروى الطبري في التاريخ أن عثمان لما حصر كان علي ع بخيبر في أمواله فلما قدم أرسل إليه يدعو فلما دخل عليه قال له إن لى عليك حقوقا حق الإسلام وحق النسب وحق ما لى عليك من العهد والميثاق و والله أن لو لم يكن من هذا كله شيء و كنا في جاهلية لكان عارا على بنى عبدمناف أن يبتزهم أخوتهم ملكهم يعنى طلحة فقال له

ع سيأتيك الخبر ثم قام فدخل المسجد فرأى أسامة بن زيد جالسا فدعاه فاعتمد على يده وخرج يمشى إلى طلحة فدخل داره وهي دحاس من الناس فقام ع فقال ياطلحة ما هذا الأمر الذي وقعت فيه فقال يا أبأحسن أ بعد مامس الحزام الطيبين فانصرف على ع و لم يحر إليه شيئا حتى أتى بيت المال فنأدى افتحوا هذا الباب فلم يقدروا على فتحه فقال اكسروه فكسر فقال أخرجوا هذا المال فجعلوا يخرجونه و هو يعطى الناس وبلغ الذين فى دار طلحة ماصنع على ع فجعلوا يتسللون إليه حتى بقى طلحة وحده وبلغ الخبر عثمان فسر بذلك ثم أقبل طلحة يمشى عامدا إلى دار عثمان فاستأذن عليه فلما دخل قال يا أمير المؤمنين أستغفر الله وأتوب إليه لقد رمت أمرا حال الله بينى وبينه فقال عثمان إنك و الله ماجئت تائبا ولكن جئت مغلوبا و الله حسيبك ياطلحة. ثم قسم ع حال طلحة فقال لا يخلو إما أن يكون معتقدا حل دم عثمان أو حرمة أو يكون شاكا فى الأمرين فإن كان يعتقد حله لم يجز له أن ينقض البيعة لنصرة إنسان حلال الدم و إن كان يعتقد حرمة فقد كان يجب عليه أن ينهه عنه الناس أى يكفهم . [صفحہ ۹] و أن يعذر فيه بالتشديد أى يقصر و لم يفعل ذلك و إن كان شاكا فقد كان يجب عليه أن يعتزل الأمر ويركد جانبا و لم يعتزل وإنما صلى بنار الفتنة وأصلاها غيره . فإن قلت يمكن أن يكون طلحة اعتقد إباحة دم عثمان أولا ثم تبدل ذلك الاعتقاد بعد قتله فاعتقد أن قتله حرام و أنه يجب أن يقتص من قاتليه . قلت لو اعترف بذلك لم يقسم على ع هذا التقسيم وإنما قسمه لبقائه على اعتقاد واحد و هذا التقسيم مع فرض بقاءه على اعتقاد واحد صحيح لامطعن فيه وكذا كان حال طلحة فإنه لم ينقل عنه أنه قال ندمت على ما فعلت بعثمان فإن قلت كيف قال أمير المؤمنين ع فما فعل واحد من الثلاث و قد فعل واحدة منها لأنه وازر قاتليه حيث كان محصورا. قلت مراده ع أنه إن كان عثمان ظالما وجب أن يؤازر قاتليه بعد قتله يحامى عنهم ويمنعهم ممن يروم دماءهم ومعلوم أنه لم يفعل ذلك وإنما وازرهم وعثمان حى و ذلك غير داخل فى التقسيم [صفحہ ۱۰]

۱۷۶- من خطبة له ع

إشارة

أَيُّهَا النَّاسُ غَيْرِ الْمَغْفُولِ عَنْهُمْ وَ التَّيَّارِكُونَ وَ الْمَأْخُودُ مِنْهُمْ مَا لِي أَرَأَيْكُمْ عَنِ اللَّهِ ذَاهِبِينَ وَ إِلَى غَيْرِهِ رَاجِعِينَ كَأَنَّكُمْ نَعَمَ أَرَأَيْتُمْ إِلَى مَرَعَى وَ بَيْ وَ مَشْرَبِ دَوَى وَ إِنَّمَا هِيَ كَالْمَعْلُوفَةِ لِلْمَيْدَى لَا تَعْرِفُ مَا ذَا يُرَادُ بِهَا إِذَا أَحْسِنَ إِلَيْهَا تَحَسَّبُ يَوْمَهَا دَهْرَهَا وَ شَبَعَهَا أَمْرَهَا وَ اللَّهُ لَوْ شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَ مَوْلِجِهِ وَ جَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ وَ لَكِنْ أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِى بَرَسُولِ اللَّهِ صَ أَلَا وَ إِنِّى مُنْفِضِيهِ إِلَى الْخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمَنُ ذَلِكَ مِنْهُ وَ الَّذِى بَعَثَهُ بِالْحَقِّ وَ اصْطَفَاهُ عَلَى الْخَلْقِ مَا أَنْطَقُ إِلَّا صَادِقًا وَ لَقَدْ عَاهَدَ إِلِىَّ بِذَلِكَ كُلِّهِ وَ بِمَهْلِكِكَ مَنْ يَهْلِكُكَ وَ مَنْجَى مَنْ يَنْجُو وَ مَيَّالٍ هَذَا الْأَمْرَ وَ مَا أَبْقَى شَيْئًا يُمَرُّ عَلَى رَأْسِي إِلَّا أَفْرَعَهُ فِى أذُنِي وَ أَفْضَى بِهِ إِلِىَّ أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى وَ اللَّهُ مَا أَحْكُمُ عَلَى طَاعِيهِ إِلَّا وَ أَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا وَ لَا أَنْهَأُكُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ إِلَّا وَ أَتْنَاهِى قَبْلَكُمْ عَنْهَا خَاطَبَ الْمَكْلِفِينَ كَافَةً وَ قَالَ إِنَّهُمْ غَافِلُونَ عَمَّا يَرَادُ بِهِمْ وَ مِنْهُمْ وَ لَيْسُوا بِمَغْفُولٍ عَنْهُمْ بَلْ أَعْمَالُهُمْ مَحْفُوظَةٌ مَكْتُوبَةٌ. [صفحہ ۱۱]

ثم قال والتاركون أى يتركون الواجبات . ثم قابل ذلك بقوله والمأخوذ منهم لأن الأخذ فى مقابلة الترك ومعنى الأخذ منهم انتقاص أعمارهم وانتقاص قواهم واستلاب أحبابهم وأموالهم . ثم شبههم بالنعم التى تتبع نعمأ أخرى . سائمه أى راعيه وإنما قال ذلك لأنها إذا اتبعت أمثالها كان أبلغ فى ضرب المثل بجهلها من الإبل التى يسيماها راعيتها والمرعى الوبى ذو الوباء والمرض والمشرب الدوى ذو الداء وأصل الوبى اللين الوبىء المهورز ولكنه لينة يقال أرض وبيئته على فعيلة ووبئته على فعلة ويجوز أوبأت فهى موبئته. والأصل فى الدوى دو بالتخفيف ولكنه شدة للازدواج . ثم ذكر أن هذه النعم الجاهلة التى أوقعت أنفسها

فى هذا المرتع والمشرىب المذمومين كالغنم وغيرها من النعم المعلوفة. للمدى جمع مديّة وهى السكين لاتعرف ماذا يراد بها وتظن أن ذلك العلف إحسان إليها على الحقيقة. ومعنى قوله تحسب يومها دهرها أى تظن أن ذلك العلف والإطعام كما هو حاصل لها ذلك اليوم يكون حاصلًا لها أبداً. وشبعها أمرها مثل ذلك أى تظن أنه ليس أمرها وشأنها إلا أن يطعمها أربابها لتشيع وتحسن وتسمن ليس يريدون بها غير ذلك . ثم خرج ع من هذا الفن إلى فن آخر فأقسم أنه لو شاء أن يخبر كل واحد منهم من أين خرج وكيفية خروجه من منزله وأين يلج وكيفية ولوجه وجميع شأنه من مطعمه ومشربه و ما عزم عليه من أفعاله و ما أكله و ما ادخره فى بيته و غير ذلك من شئونه وأحواله لفعل . [صفحہ ۱۲] و هذا كقول المسيح ع وَ أُتْبِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَ مَا تَدْخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ. قال إلا-أنى أخاف أن تكفروا فى برسول الله ص أى أخاف عليكم الغلو فى أمرى و أن تفضلونى على رسول الله ص بل أخاف عليكم أن تدعوا فى الإلهية كما دعت النصارى ذلك فى المسيح لما أخبرهم بالأمر الغائبة. ثم قال ألا وإنى مفضيه إلى الخاصة أى مفض به ومودع إياه خواص أصحابى وثقاتى الذين آمن منهم الغلو وأعلم أنهم لا يكفرون فى بالرسول ص لعلمهم أن ذلك من إعلام نبوته إذ يكون تابع من أتباعه وصاحب من أصحابه بلغ إلى هذه المنزلة الجليلية. ثم أقسم قسماً ثانياً أنه ما ينطق إلا صادقاً و أن رسول الله ص عهد بذلك كله إليه وأخبره بمهلك من يهلك من الصحابة وغيرهم من الناس وبنجاة من ينجو وبمآل هذا الأمر يعنى ما يفضى إليه أمر الإسلام وأمر الدولة والخلافة و أنه ماترك شيئاً يمر على رأسه ع إلا وأخبره به وأسرّه إليه -قرآن- ۲۳-۸۵

فصل فى ذكر بعض أقوال الغلاة فى على

واعلم أنه غير مستحيل أن تكون بعض الأنفس مختصةً بخاصية تدرك بها المغيبات و قد تقدم من الكلام فى ذلك ما فيه كفاية ولكن لا يمكن أن تكون نفس تدرك كل المغيبات لأن القوة المتناهية لاتحيط بأمر غير متناهية و كل قوة فى نفس حادثه فهى متناهية فوجب أن يحمل كلام أمير المؤمنين ع لا-على أن يريد به عموم العالمية [صفحہ ۱۳] بل بعلم أموراً محدودة من المغيبات مما اقتضت حكمه البارئ سبحانه أن يؤهله لعلمه وكذلك القول فى رسول الله ص إنه إنما كان يعلم أموراً معدودة لأموراً غير متناهية و مع أنه ع قد كنتم ما علمه حذراً من أن يكفروا فيه برسول الله ص فقد كفر كثير منهم وادعوا فيه النبوة وادعوا فيه أنه شريك الرسول فى الرسالة وادعوا فيه أنه هو كان الرسول ولكن الملك غلط فيه وادعوا أنه هو الذى بعث محمداً ص إلى الناس وادعوا فيه الحلول وادعوا فيه الاتحاد و لم يتركوا نوعاً من أنواع الضلالة فيه إلا-وقالوه واعتقدوه و قال شاعرهم فيه من أبيات و من أهلك عاداً و || ثموداً بدواهيه و من كلم موسى فوق || طور إذ يناديه و من قال على المنبر || يوما و هوراقيه سلونى أيها الناس || فحاروا فى معانيه . و قال بعض شعرائهم إنما خالق الخلائق من زرع || أركان حصن خير جذبا قدرضينا به إماما ومولى || وسجدنا له إلهها وربا

جملة من إخبار على بالأمور الغيبية

وقد ذكرنا فيما تقدم من إخباره ع عن الغيوب طرفاً صالحاً و من عجيب ما وقفت عليه من ذلك قوله فى الخطبة التى يذكر فيها الملاحم و هو يشير إلى القرامطة [صفحہ ۱۴] ينتحلون لنا الحب والهوى ويضمرون لنا البغض والقلبى وآية ذلك قتلهم وراثنا وهجرهم أحداثنا. و صرح ما أخبر به لأن القرامطة قتلت من آل أبى طالب ع خلقاً كثيراً وأسماءهم مذكورة فى كتاب مقاتل

يستعمل فيما يرام دخوله وولوجه لمكان النفع فيه ويقال حجب زيد عن مآذبه الأمير و لا يقال حجب زيد عن الحبس . ثم ذكر ع أنه لاطاعة إلا- فى أمر تكرهه النفس و لامعصية إلا بمواقعة أمر تحبه النفس و هذا حق لأن الإنسان ما لم يكن متردد الدواعى لا يصح التكليف وإنما تتردد الدواعى إذا أمر بما فيه مشقة أو نهى عما فيه لذة ومنفعة. فإن قلت أليس قد أمر الإنسان بالنكاح و هولذة قلت ما فيه من ضرر الإنفاق ومعالجة أخلاق النساء يربى على اللذة الحاصلة فيه مرارا. ثم قال ع رحم الله امرأ نزع عن شهوته أى أقلع . وقمع هوى نفسه أى قهره . ثم قال فإن هذه النفس أبعد شىء منزعا أى مذهبا قال أبو ذؤيب والنفس راغبة إذا رغبتها || و إذا ترد إلى قليل تقنع . [صفحہ ۱۸] المروى عنه ع ويروى أيضا عن غيره أيها الناس إن هذه النفوس طلعة فلا تقدعوها تنزع بكم إلى شر غاية -روایت- ۱-۲-روایت- ۳۹-۱۰۸ . وقال الشاعر و ما النفس إلا حيث يجعلها الفتى || فإن أطمعت تافت و إلتسلت . ثم قال ع نفس المؤمن ظنون عنده الظنون البئر التى لا يدرى أ فيها ماء أم لا فال مؤمن لا يصيح و لا يمسى إلا و هو على حذر من نفسه معتقدا فيها التقصير والتضجيع فى الطاعة غير قاطع على صلاحها وسلامة عاقبتها. وزاريا عليها عائبا زريت عليه عبت . ثم أمرهم بالتأسى بمن كان قبلهم وهم الذين قوضوا من الدنيا خيامهم أى نقضوها وطووا أيام العمر كما يطوى المسافر منازل طريقه و اعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذى لا يغش و الهادى الذى لا يضل و المحدث الذى لا يكذب و ما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان زيادة فى هدى أو نقصان من عمى و اعلموا أنه ليس على أحد بعد القرآن من فاقه و لا لأحد قبل القرآن من [صفحہ ۱۹] غنى فاستشفوه من أدوائكم و استعينوا به على لأوائكم فإن فيه شفاء من أكبر الداء و هو الكفر و التفاق و الغى و الضلال فاسألوا الله به و توجهوا إليه بحبه و لا تسألوا به خلقه إنه ما توجه العباد إلى الله تعالى بمثله و اعلموا أنه شافع مشفع و قائل مصدق و أنه من شفح له القرآن يوم القيامة شفح فيه و من محل به القرآن يوم القيامة صدق عليه فإنه ينادى مناد يوم القيامة ألا إن كل حارث مبتلى فى حرثه و عاقبه عمله غير حرثه القرآن فكونوا من حرثته و أتباعه و استدلوه على ربكم و استنصحوه على أنفسكم و اتهموا عليه آراءكم و استغشوا فيه أهواءكم غشه يغشه بالضم غشا خلاف نصحه والأواء الشدة. و شفح له القرآن شفاعته بالفتح و هو ما يغلط فيه العامة فيكسرونه وكذلك تبعت كذا بكذا أتبعته مفتوح أيضا. و محل به إلى السلطان قال عنه ما يضره كأنه جعل القرآن يمحله يوم القيامة عند الله بقوم أى يقول عنهم شرا ويشفع عند الله لقوم أى يشنى عليهم خيرا. والحارث المكتسب والحارث الكسب وحرثه القرآن المتاجرون به الله . واستنصحوه على أنفسكم أى إذا أشار عليكم بأمر وأشار عليكم أنفسكم بأمر يخالفه . [صفحہ ۲۰] فاقبلوا مشورة القرآن دون مشورة أنفسكم وكذلك معنى قوله واتهموا عليه آراءكم واستغشوا فيه أهواءكم

فصل فى القرآن وذكر الآثار التى وردت بفضلہ

واعلم أن هذا الفصل من أحسن ماورد فى تعظيم القرآن وإجلاله و قد قال الناس فى هذا الباب فأكثرُوا. و من الكلام المروى عن أمير المؤمنين ع فى ذكر القرآن أيضا ما رواه ابن قتيبة فى كتاب عيون الأخبار عنه ع أيضا و هو مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب و لاريح لها ومثل الفاجر الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل الفاجر الذى لا يقرأ القرآن مثل الحنظل طعمها مر وريحها منتنة -روایت- ۱-۲-روایت- ۵۸-۳۳۴ و قال الحسن رحمه الله قراء القرآن ثلاثة رجل اتخذه بضاعة فنقله من مصر إلى مصر يطلب به ما عند الناس و رجل حفظ حروفه وضيع حدوده واستدر به الولاة واستطال به على أهل بلاده و قد كثر الله هذا الضرب من حملة القرآن لا-كثرهم الله و رجل قرأ القرآن فبدأ بما يعلم من دواء القرآن فوضعه على داء قلبه فسهر ليله وانهملت عيناه وتسربل

بالخشوع وارتدى بالحزن فبذاك وأمثاله يسقى الناس الغيث وينزل النصر ويدفع البلاء و الله لهذا الضرب من حملة القرآن أعز وأقل من الكبريت الأحمر [صفحة ٢١] و في الحديث المرفوع إن من تعظيم جلال الله إكرام ذى الشيبة فى الإسلام وإكرام الإمام العادل وإكرام حملة القرآن -رواية-١-٢-رواية-٢٣-١٢٤ فى الخبر المرفوع أيضا لاتسافروا بالقرآن إلى أرض العدو فإنى أخاف أن يناله العدو -رواية-١-٢-رواية-٢٦-٨٩. وكانت الصحابة تكره بيع المصاحف وتراه عظيما وكانوا يكرهون أن يأخذ المعلم على تعليم القرآن أجرا. و كان ابن عباس يقول إذا وقعت فى آل حم وقعت فى روضات دلمات أتأنتق فيهن -رواية-١-٢-رواية-٢٤-٨١ و قال ابن مسعود لكل شىء ديباجة وديباجة القرآن آل حم -رواية-١-٥٨-١ قيل لابن عباس أيجوز أن يحلى المصحف بالذهب والفضة فقال حليته فى جوفه -رواية-١-٧٧-١ قال النبى ص أصفر البيوت جوف صفر من كتاب الله -رواية-١-٢-رواية-١٨-٥٦ و قال الشعبى إياكم وتفسير القرآن فإن الذى يفسره إنما يحدث عن الله . الحسن رحمه الله رحم الله امرأ عرض نفسه وعمله على كتاب الله فإن وافق حمد الله وسأله الزيادة و إن خالف أعتب وراجع من قريب . حفظ عمر بن الخطاب سورة البقرة فحرق وأطعم . وفد غالب بن صعصعة على على ع ومعه ابنه الفرزدق فقال له من أنت فقال غالب بن صعصعة المجاشعى قال ذو الإبل الكثيرة قال نعم قال ما فعلت إبلك قال أذهبتها النوائب وذعدعتها الحقوق قال ذاك خير سبلها -رواية-١-ادامه دارد [صفحة ٢٢] ثم قال يا أباالأخطل من هذاالغلام معك قال ابني و هو شاعر قال علمه القرآن فهو خير له من الشعر -رواية-از قبل-١٠٤ فكان ذلك فى نفس الفرزدق حتى قيد نفسه وآلى ألا يحل قيده حتى يحفظ القرآن فما حله حتى حفظه و ذلك قوله و ماصب رجلى فى حديد مجاشع || مع القد لإحاجة لى أريدها . قلت تحت قوله ع يا أباالأخطل قبل أن يعلم أن ذلك الغلام ولده و أنه شاعر سر غامض ويكاد يكون إخبارا عن غيب فيلمح .الفضيل بن عياض بلغنى أن صاحب القرآن إذاوقف على معصية خرج القرآن من جوفه فاعتزل ناحية و قال ألهذا حملتنى . قلت و هذاالقول على سبيل المثل والتخويف من مواقع المعاصى لمن يحفظ القرآن . أنس قال قال لى رسول الله ص يا ابن أم سليم لاتغفل عن قراءة القرآن صباحا ومساء فإن القرآن يحيى القلب الميت وينهى عن الفحشاء والمنكر -رواية-١-٢-رواية-٣٦-١٤٩ . كان سفيان الثورى إذادخل شهر رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن من المصحف . كعب الأحبار قال الله تعالى لموسى ع مثل كتاب محمد فى الكتب مثل سقاء فيه لبن كلما مخضته استخرجت منه زبدا -رواية-١-٢-رواية-١٥-١١٧ .أسلم الخواص كنت أقرأ القرآن فلاأجد له حلاوة فقلت لنفسى ياأسلم اقرأ القرآن كأنك تسمعه من رسول الله ص فجاءت حلاوة قليلة فقلت اقرأه كأنك تسمعه من جبرئيل ع فازدادت الحلاوة فقلت اقرأه كأنك تسمعه من الله عز و جل حين تكلم به فجاءت الحلاوة كلها. [صفحة ٢٣] بعض أرباب القلوب إن الناس يجمزون فى قراءة القرآن ماخلا-المحبين فإن لهم خان إشارات إذامروا به نزلوا يريد آيات من القرآن يقفون عندها فيفكرون فيها. فى الحديث المرفوع ما من شفيع من ملك و لانبى و لاغيرهما أفضل من القرآن -رواية-١-٢-رواية-٢٣-٨١ فى الحديث المرفوع أيضا من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتى أفضل مما أوتى فقد استصغر عظمة الله -رواية-١-٢-رواية-٢٨-١٠٤ جاء فى بعض الآثار إن الله تعالى خلق بعض القرآن قبل أن يخلق آدم وقرأه على الملائكة فقالوا طوبى لأمة ينزل عليها هذا وطوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لألسنة تنطق بهذا -رواية-١-٢-رواية-٢١-١٧٩ قال النبى ص إن القلوب تصدأ كمايصدأ الحديد قيل يا رسول الله و ماجلاؤها قال قراءة القرآن وذكر الموت -رواية-١-٢-رواية-١٨-١١١ عنه ع ماأذن الله لشىء أذنه لنبى حسن الترنم بالقرآن -رواية-١-٢-رواية-١١-٦٤ عنه ع إن ربكم لأشد أذنا إلى قارئ القرآن من صاحب القينة إلى قينته -رواية-١-٢-رواية-١١-٧٦ عنه ع أنت تقرأ القرآن مانهاك فإذا لم ينهك فلست تقرأه -رواية-١-٢-رواية-١١-٦٤ ابن مسعود رحمه الله ينبغى لحامل القرآن أن يعرف بليله إذ الناس نائمون وبنهاره إذ الناس مفطرون و يحزنه إذ الناس يفرحون و يبكائه إذ الناس يضحكون و يخشوعه إذ الناس يختالون وينبغى لحامل القرآن أن

يكون سكتنا زميتا لنا ولا ينبغي أن يكون جافيا ولا ماماريا ولا صياحا ولا حديدا ولا صخابا -رواية- ١-٢-رواية- ٢٥-٣٠٠.]
صفحة ٢٤] بعض السلف إن العبد ليفتح سورة فتصلى عليه حتى يفرغ منها وإن العبد ليفتح سورة فتلعه حتى يفرغ منها قيل
كيف ذاك قال إذا حل حلالها وحرم حرامها صلت عليه وإلغته . ابن مسعود أنزل الله عليهم القرآن ليعملوا به فاتخذوا دراسته
عملا إن أحدهم ليقرأ القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يسقط منه حرفا وقد أسقط العمل به -رواية- ١-٢-رواية- ١٣-١٥٤ ابن
عباس لأن أقرأ البقرة وآل عمران أرتلها وأتدبرهما أحب إلى من أن أقرأ القرآن كله هذرمة -رواية- ١-٢-رواية- ١٣-١٠١
. ثابت البناني كابدت في القرآن عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة العَمَلُ العَمَلُ ثُمَّ النَّهْيَةُ النَّهْيَةُ وَ الِاسْتِقَامَةُ الِاسْتِقَامَةُ ثُمَّ
الصَّبْرُ الصَّبْرُ وَ الِوَرَعُ الِوَرَعُ إِنَّ لَكُمْ نَهْيَةً فَانْتَهُوا إِلَى نَهْيَتِكُمْ وَ إِنَّ لَكُمْ عِلْمًا فَاهْتَدُوا بِعِلْمِكُمْ وَ إِنَّ لِلْإِسْلَامِ غَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى غَايَتِهِ
وَ اخْرُجُوا إِلَى اللَّهِ مِمَّا افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّهِ وَ بَيْنَ لَكُمْ مِنْ وَظَائِفِهِ أَنَا شَاهِدٌ لَكُمْ وَ حَجِيجٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْكُمْ أَلَا وَ إِنَّ الْقَدَرَ
السَّابِقَ قَدْ وَقَعَ وَ الْقَضَاءَ الْمَاضِيَ قَدْ تَوَرَّدَ وَ إِنِّي مُتَكَلِّمٌ بَعْدَهُ اللَّهُ وَ حُجَّتِهِ قَالَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا
تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَ لَا- تَحْزَنُوا وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ -قرآن- ٥٧٧-٧١٦ العَمَلُ العَمَلُ ثُمَّ النَّهْيَةُ النَّهْيَةُ وَ الِاسْتِقَامَةُ
الِاسْتِقَامَةُ ثُمَّ الصَّبْرُ الصَّبْرُ وَ الِوَرَعُ الِوَرَعُ إِنَّ لَكُمْ نَهْيَةً فَانْتَهُوا إِلَى نَهْيَتِكُمْ وَ إِنَّ لَكُمْ عِلْمًا فَاهْتَدُوا بِعِلْمِكُمْ وَ إِنَّ لِلْإِسْلَامِ غَايَةً
فَانْتَهُوا إِلَى غَايَتِهِ وَ اخْرُجُوا إِلَى اللَّهِ مِمَّا افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّهِ وَ بَيْنَ لَكُمْ مِنْ وَظَائِفِهِ أَنَا شَاهِدٌ لَكُمْ وَ حَجِيجٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْكُمْ
أَلَا وَ إِنَّ الْقَدَرَ السَّابِقَ قَدْ وَقَعَ وَ الْقَضَاءَ الْمَاضِيَ قَدْ تَوَرَّدَ وَ إِنِّي مُتَكَلِّمٌ بَعْدَهُ اللَّهُ وَ حُجَّتِهِ قَالَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ
ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَ لَا تَحْزَنُوا وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ وَ قَدْ قُلْتُمْ رَبَّنَا اللَّهُ فَاسْتَقِيمُوا عَلَى
كِتَابِهِ وَ عَلَى مِنْهَاجِ أَمْرِهِ وَ عَلَى الطَّرِيقَةِ الصَّالِحَةِ مِنْ عِبَادَتِهِ ثُمَّ لَا تَمْرُقُوا مِنْهَا وَ لَا تَبْتَدِعُوا فِيهَا وَ لَا تَخْلِفُوا عَنْهَا فَإِنَّ أَهْلَ الْمُرُوقِ
مُنْقَطِعٌ بِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ -قرآن- ١-٢٦ النصب على الإغراء وحقيقته فعل مقدر أى الزموا العمل وكرر الاسم لينوب أحد
اللفظين عن الفعل المقدر والأشبه أن يكون اللفظ الأول هو القائم مقام الفعل لأنه فى رتبته أمرهم بزموم العمل ثم أمرهم بمراعاة
العاقبة والخاتمة وعبر عنها بالنهاية وهى آخر أحوال المكلف التى يفارق الدنيا عليها إما مؤمنا أو كافرا أو فاسقا والفعل المقدر
ها هنا راعوا وأحسنوا وأصلحوا ونحو ذلك . ثم أمرهم بالاستقامة وأن يلزموها وهى أداء الفرائض . ثم أمرهم بالصبر عليها
وملازمته وبملازمة الورع . ثم شرع بعد هذا الكلام المجمل فى تفصيله فقال إن لكم نهاية فانتهاوا إلى نهايتكم وهذا لفظ رسول
الله ص أيها الناس إن لكم معالم فانتهاوا إلى معالمكم وإن لكم غاية فانتهاوا إلى غايتكم -رواية- ١-٢-رواية- ٢١-١٠٤
والمراد بالنهاية والغاية أن يموت الإنسان على توبه من فعل القبيح والإخلال بالواجب . ثم أمرهم بالاهتداء بالعلم المنصوب لهم
وإنما يعنى نفسه ع . ثم ذكر أن للإسلام غاية وأمرهم بالانتهاى إليها وهى أداء الواجبات واجتناب المقبحات . ثم أوضح ذلك
بقوله واخرجوا إلى الله مما افترض عليكم من حقه و بين لكم [صفحه ٢٦] من وظائفه فكشف بهذا الكلام معنى الغاية التى
أجملها أولا ثم ذكر أنه شاهد لهم ومحاج يوم القيامة عنهم وهذا إشارة إلى قوله تعالى يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ . وحجيج
فعل بمعنى فاعل وإنما سمي نفسه حجيجا عنهم وإن لم يكن ذلك الموقف موقف مخاصمة لأنه إذا شهد لهم فكأنه أثبت لهم
الحجة فصار محاجا عنهم . قوله ع ألا وإن القدر السابق قد وقع يشير به إلى خلافته . وهذه الخطبة من أوائل الخطب التى خطب
بها أيام بويج بعد قتل عثمان وفى هذا إشارة إلى أن رسول الله ص قد أخبره أن الأمر سيفضى إليه منتهى عمره و عند انقضاء أجله .
ثم أخبرهم أنه سيتكلم بوعده الله تعالى ومحجته على عباده فى قوله إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا... الآية ومعنى الآية أن الله
تعالى وعد الذين أقرؤا بالربوبية و لم يقتصروا على الإقرار باللسان لأن الشأن كله فى الاستقامة ونحوها قوله تعالى إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ
آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا أى ثم ثبتوا على الإقرار ومقتضياته والاستقامة ها هنا هى الاستقامة الفعلية شافعة للاستقامة

القولية وقد اختلف فيه قول أمير المؤمنين ع وأبي بكر فقال أمير المؤمنين ع أدوا الفرائض وقال أبو بكر استمروا على التوحيد. - قرآن- ١٣٧-١٧٣-قرآن-٦٣١-٦٨٥-قرآن-٩٤٧-١٠٢٤ [صفحہ ٢٧] وروى أن أبا بكر تلاها وقال ماتقولون فيها فقالوا لم يذنبوا فقال حملتم الأمر على أشده فقالوا قل قال لم يرجعوا إلى عبادة الأوثان ورأى أبي بكر في هذا الموضوع إن ثبت عنه يؤكد مذهب الإرجاء وقول أمير المؤمنين ع يؤكد مذهب أصحابنا. وروى سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول الله أخبرني بأمر أعتصم به فقال قل لا إله إلا الله ثم استقم فقلت ما أخوف ما أخوف ما أخوف على فقال هذا وأخذ بلسان نفسه ص -رواية-١-٢-رواية-٤٠-١٧٩ وتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ الْمَوْتِ أَوْ فِي الْقَبْرِ أَوْ عِنْدَ النَّشُورِ. وَأَلْمَا تَخَافُوا أَنْ بَمَعْنَى أَى أَوْ تَكُونُ خَفِيفَةً مِنَ الثَّقِيلَةِ وَأَصْلُهُ أَنَّهُ لَا تَخَافُوا وَالْهَاءُ ضَمِيرُ الشَّانِ . وَ قَدْ فَسَّرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْإِسْتِقَامَةَ الْمَشْرُطَةَ فِي الْآيَةِ فَقَالَ قَدْ أَقْرَرْتُمْ بِأَنَّ اللَّهَ رَبَّكُمْ فَاسْتَقِيمُوا عَلَى كِتَابِهِ وَعَلَى مَنْهَاجِ أَمْرِهِ وَعَلَى الطَّرِيقَةِ الصَّالِحَةِ مِنْ عِبَادَتِهِ . لَا تَمْرُقُوا مِنْهَا مَرَقَ السَّهْمِ إِذَا خَرَجَ مِنَ الرَّمِيَةِ مَرُوقًا . وَلَا تَبْتَدِعُوا لِاتِحَادِثُوا مَا لَمْ يَأْتِ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ . وَلَا تَخَالَفُوا عَنْهَا تَقُولُ خَالَفْتُ عَنِ الطَّرِيقِ أَى عَدَلْتُ عَنْهَا . قَالَ فَإِنَّ أَهْلَ الْمَرُوقِ مُنْقَطِعٌ بِهِمْ بِفَتْحِ الطَّاءِ انْقَطَعَ بَزِيدٌ بِضَمِّ الْهَمْزَةِ فَهُوَ مُنْقَطِعٌ بِهِ إِذَا لَمْ يَجِدْ بِلَاغًا وَوَصُولًا - إِلَى الْمَقْصِدِ - قرآن-٣-٣٥-قرآن-٧٤-٨٧ [صفحہ ٢٨] ثُمَّ إِيَّاكُمْ وَ تَهْزِجَ الْأَخْلَاقِ وَ تَصْرِيفَهَا وَ اجْعَلُوا اللِّسَانَ وَاحِدًا وَ لِيُخْزِنَ الرَّجُلُ لِسَانَهُ فَإِنَّ هَذَا اللِّسَانَ جَمُوحٌ بِصَاحِبِهِ وَ اللَّهُ مَيَّا أَرَى عَبْدًا يَتَّقِي تَقْوَى تَنْفَعُهُ حَتَّى يَخْتَرِنَ لِسَانَهُ وَ إِنَّ لِسَانَ الْمُؤْمِنِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ وَ إِنَّ قَلْبَ الْمُنَافِقِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ تَدَبَّرَهُ فِي نَفْسِهِ فَإِنْ كَانَ خَيْرًا أَبَدَاهُ وَ إِنْ كَانَ شَرًّا وَارَاهُ وَ إِنْ الْمُنَافِقُ يَتَكَلَّمَ بِمَا أَتَى عَلَى لِسَانِهِ لَا يَدْرِي مَا ذَا لَهُ وَ مَا ذَا عَلَيْهِ وَ لَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ وَ لَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانَهُ فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَ هُوَ نَقِيٌّ الرَّاحَةَ مِنْ دِمَائِ الْمُسْلِمِينَ وَ أَمْوَالِهِمْ سَلِيمٌ اللِّسَانِ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ فَلْيَفْعَلْ تَهْزِجَ الْأَخْلَاقِ تَغْيِيرَهَا وَأَصْلُ الْهَزْعِ الْكَسْرُ أَسَدٌ مَهْزَعٌ يَكْسِرُ الْأَعْنَاقَ وَيَرْضُ الْعِظَامَ وَ لَمَّا كَانَ الْمُتَصَرِّفُ بِخَلْقِهِ النَّاقِلَ لَهُ مِنْ حَالٍ قَدْ أَعْدَمَ سَمْتَهُ الْأُولَى كَمَا يَعْدَمُ الْكَاسِرُ صُورَةَ الْمَكْسُورِ اشْتَرَكَا فِي مَسْمَى شَامِلٍ لِهَمَا فَاسْتَعْمَلَ التَّهْزِجَ فِي الْخَلْقِ لِلتَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ مَجَازًا . قَوْلُهُ وَاجْعَلُوا اللِّسَانَ وَاحِدًا نَهَى عَنِ النِّفَاقِ وَاسْتَعْمَالَ الْوَجْهَيْنِ . قَالَ وَ لِيُخْزِنَ الرَّجُلُ لِسَانَهُ أَى لِيُحْبِسَهُ فَإِنَّ اللِّسَانَ يَجْمَعُ بِصَاحِبِهِ فَيَلْقِيهِ فِي الْهَلَكَةِ . [صفحہ ٢٩] ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ لَا يَرَى التَّقْوَى نَافِعَةً إِلَّا مَعَ حَبْسِ اللِّسَانِ قَالَ فَإِنَّ لِسَانَ الْمُؤْمِنِ وَرَاءَ قَلْبِهِ وَقَلْبُ الْمُؤْمِنِ وَرَاءَ لِسَانِهِ وَ بَيَّنَّهُ . فَإِنَّ قَلْبَ الْمَسْمُوعِ الْمَعْرُوفِ لِسَانَ الْعَاقِلِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ وَقَلْبُ الْأَحْمَقِ وَرَاءَ لِسَانِهِ كَيْفَ نَقَلَهُ إِلَى الْمُؤْمِنِ وَالْمُنَافِقِ . قُلْتُ لِأَنَّهُ قُلُّ أَنْ يَكُونَ الْمُنَافِقُ إِلَّا أَحْمَقُ وَقُلُّ أَنْ يَكُونَ الْعَاقِلُ إِلَّا مُؤْمِنًا فَلَا كَثْرِيَّةَ ذَلِكَ اسْتَعْمَلَ لَفْظَ الْمُؤْمِنِ وَأَرَادَ الْعَاقِلَ وَلَفْظَ الْمُنَافِقِ وَأَرَادَ الْأَحْمَقَ . ثُمَّ رَوَى الْخَبَرَ الْمَذْكُورَ عَنِ النَّبِيِّ ص وَ هُوَ مَشْهُورٌ . ثُمَّ أَمْرَهُمْ بِالْإِجْتِهَادِ فِي أَنْ يَلْقُوا اللَّهَ تَعَالَى وَ كُلِّ مِنْهُمْ نَقِيٌّ الرَّاحَةَ مِنْ دِمَائِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ سَلِيمٌ اللِّسَانِ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ وَ قَدْ قَالَ النَّبِيُّ ص إِنَّمَا الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدُهُ سَلَامَةٌ -رواية-١-٢-رواية-٢١-٦٨-فَسَلَامَتُهُمْ مِنْ لِسَانِهِ سَلَامَةٌ أَعْرَاضُهُمْ وَسَلَامَتُهُمْ مِنْ يَدِهِ سَلَامَةٌ دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَانْتِصَابُ تَهْزِجَ عَلَى التَّحْذِيرِ وَحَقِيقَتِهِ تَقْدِيرُ فِعْلٍ وَصُورَتُهُ جَنْبُوا أَنْفُسَكُمْ تَهْزِجَ الْأَخْلَاقِ فَيَاكُمْ قَائِمٌ مَقَامَ أَنْفُسِكُمْ وَالْوَاوُ عَوْضٌ عَنِ الْفِعْلِ الْمَقْدَرِ وَأَكْثَرُ مَا يَجِيءُ بِالْوَاوِ وَ قَدْ جَاءَ بِغَيْرِ وَاوٍ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ إِيَّاكَ إِيَّاكَ الْمَرَاءُ فَإِنَّهُ || إِلَى الشَّرِّ دَعَاءٌ وَلِلشَّرِّ جَالِبٌ . وَ كَانَ يُقَالُ يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَتَمَسَّكَ بِسِتِّ خِصَالٍ فَإِنَّهَا مِنَ الْمَرْوَةِ أَنْ يَحْفَظَ دِينَهُ وَيَصُونَ عَرْضَهُ وَيَصِلَ رَحِمَهُ وَيَحْمَى جَارَهُ وَيُرْعَى حَقُوقَ إِخْوَانِهِ وَيُخْزِنَ عَنِ الْبِدَاءِ لِسَانَهُ وَ فِي الْخَبْرِ الْمَرْفُوعِ مِنْ كَفَى شَرِّ قَبْقَبِهِ وَذَبَذَبَهُ وَلَقَلْقَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ -رواية-١-٢-رواية-٢١-٦٧ . [صفحہ ٣٠] فَالْقَبْقَبُ الْبَطْنُ وَالدَّبْذَبُ الْفَرْجُ وَاللَّقْلُقُ اللِّسَانُ . وَ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ مِنْ عِلْمِ أَنَّ لِسَانَهُ جَارِحُهُ مِنْ جَوَارِحِهِ أَقْلٌ مِنْ اعْتِمَالِهَا وَاسْتَقْبَحَ تَحْرِيكُهَا كَمَا يَسْتَقْبَحُ تَحْرِيكُ رَأْسِهِ أَوْ مَنكِبِهِ دَائِمًا وَ اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَجِلُّ الْعَامَ مَا اسْتَحَلَّ عَامًا أَوَّلَ وَ يَحْرَمُ الْعَامَ مَا حَرَّمَ عَامًا أَوَّلَ وَ أَنَّ مَا أَحَدَّثَ النَّاسُ لَا يُجِلُّ لَكُمْ شَيْئًا مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَ لَكِنَّ الْحَلَالَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ وَ الْحَرَامَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَكَيْفَ جَزَيْتُمُ الْأُمُورَ وَ صَرَسْتُمُوهَا وَ وُعِظْتُمْ بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَ ضُرِبَتْ الْأَمْثَالُ

لَكُمْ وَ دُعَيْتُمْ إِلَى الْأَمْرِ الْوَاضِحِ فَلَا يَصْمُ عَنْ ذَلِكَ إِلَّا أَصَمَّ وَ لَا يَعْمَى عَنْهُ إِلَّا أَعْمَى وَ مَنْ لَمْ يَنْفَعَهُ اللَّهُ بِالْبَلَاءِ وَ التَّجَارِبِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنَ الْعِظَةِ وَ أَنَاهُ التَّقْصِيرُ مِنْ أَمَامِهِ حَتَّى يَعْرِفَ مَا أَنْكَرَ وَ يُنْكِرَ مَا عَرَفَ فَإِنَّ النَّاسَ رَجُلَانِ مُتَّبِعٌ شَرِّعَهُ وَ مُبْتَدِعٌ بِدَعَاهُ لَيْسَ مَعَهُ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بُرْهَانٌ سُنَّةٌ وَ لَا ضِيَاءٌ حُجَّةٌ يَقُولُ إِنَّ الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ لَا يَجُوزُ بَعْدَثُوتِ الْأَدْلَةِ عَلَيْهَا مِنْ طَرِيقِ النَّصِّ أَنْ تَنْقُضَ بِاجْتِهَادِ وَقِيَّاسِ بَلْ كُلِّ مَاوَرَدَ بِهِ النَّصِّ تَتَّبِعُ مَوْرَدَ النَّصِّ فِيهِ مَا اسْتَحْلَلْتَهُ عَامَا أَوَّلُ فَهُوَ فِي هَذَا الْعَامِ حَلَالٌ لَكَ وَ كَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي التَّحْرِيمِ وَ هَذَا هُوَ مَذْهَبُ أَكْثَرِ أَصْحَابِنَا أَنَّ النَّصَّ مَقْدَمٌ عَلَى الْقِيَّاسِ وَ قَدْ ذَكَرْنَا فِي كِتَابِنَا فِي أَصُولِ الْفِقْهِ . وَأَوَّلُ هَاهُنَا لَا يَنْصَرَفُ لِأَنَّهُ صِفَةٌ عَلَى وَزْنِ أَفْعَلٍ . [صَفْحَةٌ ٣١] وَ قَالَ إِنْ مَا أَحْدَثَ النَّاسُ لَا يَحِلُّ لَكُمْ شَيْئًا مِمَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ أَى مَا أَحْدَثُوهُ مِنَ الْقِيَّاسِ وَ الْاجْتِهَادِ وَ لَيْسَ هَذَا بِقَادِحٍ فِي الْقِيَّاسِ وَ لَكِنَّهُ مَانِعٌ مِنْ تَقْدِيمِهِ عَلَى النَّصِّ وَ هَكَذَا يَقُولُ أَصْحَابِنَا . قَوْلُهُ وَ ضَرَسْتُمُوهَا بِالتَّشْدِيدِ أَى أَحْكَمْتُمُوهَا تَجْرِبَةً وَ مِمَارَسَةً يَقَالُ قَدْ ضَرَسْتَهُ الْحَرْبُ وَ رَجُلٌ مُضْرَسٌ . قَوْلُهُ فَلَا يَصْمُ عَنْ ذَلِكَ إِلَّا أَصَمَّ أَى لَا يَصْمُ عَنْهُ إِلَّا مَنْ هُوَ حَقِيقٌ أَنْ يَقَالَ عَنْهُ إِنَّهُ أَصَمٌّ كَمَا تَقُولُ مَا يَجْهَلُ هَذَا الْأَمْرَ إِلَّا جَاهِلٌ أَى بِالْغَى فِي الْجَهْلِ . ثُمَّ قَالَ مَنْ لَمْ يَنْفَعَهُ اللَّهُ بِالْبَلَاءِ أَى بِالْامْتِحَانِ وَ التَّجْرِبَةِ لَمْ تَنْفَعَهُ الْمَوَاعِظُ وَ جَاءَ النَّقْصُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ حَتَّى يَتَخِيلَ فِيْمَا أَنْكَرَهُ أَنَّهُ قَدْ عَرَفَهُ وَ يَنْكُرُ مَا قَدْ كَانَ عَارِفًا بِهِ وَ سُمِّيَ اعْتِقَادُ الْعُرْفَانِ وَ تَخِيلُهُ عُرْفَانًا عَلَى الْمَجَازِ . ثُمَّ قَسَمَ النَّاسَ إِلَى رَجُلَيْنِ إِمَّا مُتَّبِعٌ طَرِيقَهُ وَ مِنْهَا جَا أَوْ مُبْتَدِعٌ مَا لَا يَعْرِفُ وَ لَيْسَ بِيَدِهِ حُجَّةٌ فَلِأَوَّلِ الْمُحَقِّقِ وَ الثَّانِي الْمُبْطَلِ . وَ الشَّرْعُ الْمُنْهَاجُ وَ الْبُرْهَانُ الْحُجَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحَدًا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينِ وَ سَيِّئُهُ الْأَمِينُ وَ فِيهِ رِبِيْعُ الْقَلْبِ وَ يَنْبِيْعُ الْعِلْمِ وَ مَا لِلْقَلْبِ جَلَاءٌ غَيْرُهُ مَعَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ الْمُتَذَكَّرُونَ وَ بَقِيَ النَّاسُونَ أَوْ الْمُتَنَاسُونَ فَإِذَا رَأَيْتُمْ خَيْرًا فَأَعِينُوا عَلَيْهِ وَ إِذَا رَأَيْتُمْ شَرًّا فَادْهَبُوا عَنْهُ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص كَانَ يَقُولُ يَا ابْنَ آدَمَ اْعْمَلِ الْخَيْرَ وَ دَعِ الشَّرَّ فَإِذَا أَنْتَ جَوَادٌ قَاصِدٌ [صَفْحَةٌ ٣٢] إِنَّمَا جَعَلَهُ حَبْلُ اللَّهِ لِأَنَّ الْحَبْلَ يَنْجُو مِنْ تَعَلُّقٍ بِهِ مِنْ هَوَى وَ الْقُرْآنَ يَنْجُو مِنَ الضَّلَالِ مِنْ يَتَعَلَّقُ بِهِ . وَ جَعَلَهُ مَتِينًا أَى قَوِيًّا لِأَنَّهُ لَا يَنْقَطِعُ لَهُ أَبَدًا وَ هَذِهِ غَايَةُ الْمَتَانَةِ وَ الْقُوَّةِ . وَ مَتْنُ الشَّيْءِ بِالضَّمِّ أَى صَلْبٌ وَ قَوِيٌّ وَ سَبَبُهُ الْأَمِينُ مِثْلُ حَبْلِهِ الْمَتِينِ وَ إِنَّمَا خَالَفَ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ عَلَى قَاعِدَةِ الْخُطَابَةِ . وَ فِيهِ رِبِيْعُ الْقَلْبِ لِأَنَّ الْقَلْبَ يَحْيَا بِهِ كَمَا تَحْيَا الْأَنْعَامُ بِرَعْيِ الرَّبِيعِ . وَ يَنْبِيْعُ الْعِلْمِ لِأَنَّ الْعِلْمَ مِنْهُ يَتَفَرَّعُ كَمَا يَتَفَرَّعُ الْمَاءُ مِنَ الْيَنْبُوعِ وَ يَتَفَرَّعُ إِلَى الْجَدَاوِلِ وَ الْجَلَاءِ بِالْكَسْرِ مَصْدَرُ جَلُوتِ السَّيْفِ يَقُولُ لِاجْلَاءِ لَصْدَأِ الْقُلُوبِ مِنَ الشَّبَهَاتِ وَ الْغَفْلَاتِ إِلَّا الْقُرْآنَ . ثُمَّ قَالَ إِنْ الْمَتَذَكِّرِينَ قَدْ ذَهَبُوا وَ مَاتُوا وَ بَقِيَ النَّاسُونَ الَّذِينَ لَا أَعْلُومَ لَهُمْ أَوْ الْمَتَنَاسُونَ الَّذِينَ عِنْدَهُمُ الْعِلْمُ وَ يَتَكَلَّفُونَ إِظْهَارَ الْجَهْلِ لِأَغْرَاضِ دُنْيَوِيَّةٍ تَعْرُضُ لَهُمْ وَ رَوَى وَ الْمَتَنَاسُونَ بِالْوَاوِ . ثُمَّ قَالَ أَعِينُوا عَلَى الْخَيْرِ إِذَا رَأَيْتُمُوهُ بِتَحْسِينِهِ عِنْدَ فَعْلِهِ وَ بَدْفَعِ الْأُمُورَ الْمَانِعَةَ عَنْهُ وَ بَتَسْهِيلِ أَسْبَابِهِ وَ تَسْنِيَةِ سَبَلِهِ وَ إِذَا رَأَيْتُمُ الشَّرَّ فَادْهَبُوا عَنْهُ وَ لَا تَقَارِبُوهُ وَ لَا تَقِيمُوا أَنْفُسَكُمْ فِي مَقَامِ الرِّاضِي بِهِ الْمَوَافِقِ عَلَى فَعْلِهِ ثُمَّ رَوَى لَهُمُ الْخَيْرِ . وَ الْجَوَادُ الْقَاصِدُ السَّهْلُ السَّيْرُ لِاسْرِيْعِ يَتَعَبُ بِسُرْعَتِهِ وَ لَا يَبْطِئُ يَفُوتُ الْغُرْضَ بِطَنُهُ [صَفْحَةٌ ٣٣] أَلْمَا وَ إِنْ الظَّلْمُ ثَلَاثَةٌ فَظُلْمٌ لَا يُغْفَرُ وَ ظُلْمٌ لَا يُتْرَكُ وَ ظُلْمٌ مَغْفُورٌ لَا يُطْلَبُ فَأَمَّا الظَّلْمُ الَّذِي لَا يُغْفَرُ فَالشَّرْكُ بِاللَّهِ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ أَمَّا الظَّلْمُ الَّذِي يُغْفَرُ فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ الْهَنَاتِ وَ أَمَّا الظَّلْمُ الَّذِي لَا يُتْرَكُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا الْقِصَاصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ لَيْسَ هُوَ جَرَحًا بِالْمُدَى وَ لَا ضَرْبًا بِالسَّيْطِ وَ لَكِنَّهُ مَا يُسْتَصْعَرُ ذَلِكَ مَعَهُ فَإِنَّا كُمْ وَ التَّلَوْنُ فِي دِينِ اللَّهِ فَإِنَّ جَمَاعَةً فِيْمَا تَكْرَهُونَ مِنَ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ فِيْمَا تُحِبُّونَ مِنَ الْبَاطِلِ وَ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعِطْ أَحَدًا بِفُرْقَةٍ خَيْرًا مِمَّنْ مَضَى وَ لَا مِمَّنْ بَقِيَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ وَ طُوبَى لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ وَ أَكَلَّ قُوَّتَهُ وَ اشْتَغَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ وَ بَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ فَكَانَ مِنْ نَفْسِهِ فِي شُغْلٍ وَ النَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ - قُرْآن - ١٨١ -

٢١٩ قَسَمَ عِظْمُ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ أَحَدَهَا ظَلَمٌ لَا يُغْفَرُ وَ هُوَ الشَّرْكُ بِاللَّهِ أَى أَنْ يَمُوتَ الْإِنْسَانُ مُصْرًا عَلَى الشَّرْكِ وَ يَجِبُ عِنْدَ أَصْحَابِنَا أَنْ يَكُونَ أَرَادَ الْكِبَائِرَ وَ إِنْ لَمْ يَذْكُرْهَا لِأَنَّ حُكْمَهَا حُكْمُ الشَّرْكِ عِنْدَهُمْ . [صَفْحَةٌ ٣٤] وَ ثَانِيهَا الْهَنَاتُ الْمَغْفُورَةُ وَ هِيَ صَغَائِرُ الذُّنُوبِ هَكَذَا يَفْسِرُ أَصْحَابِنَا كَلَامَهُ ع . وَ ثَالِثُهَا مَا يَتَعَلَّقُ بِحُقُوقِ الْبَشَرِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَتْرِكُهُ اللَّهُ هَمَلًا بَلْ لَا بَدَّ مِنْ عِقَابِ فَاعِلِهِ وَ إِنَّمَا أَفْرَدَ هَذَا الْقِسْمَ مَعَ دَخُولِهِ فِي الْقِسْمِ الْأَوَّلِ لِتَمْيِيزِهِ بِكَوْنِهِ مُتَعَلِّقًا بِحُقُوقِ بَنِي آدَمَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَ لَيْسَ الْأَوَّلُ

كذلك . فإن قلت لفظه ع مطابق للآية وهي قوله تعالى إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَالْآيَةُ وَلَفْظُهُ ع صريحان في مذهب المرجئة لأنكم إذا فسرت قوله لمن يشاء بأن المراد به أرباب التوبة قيل لكم فالمشركون هكذا حالهم يقبل الله توبتهم ويسقط عقاب شركهم بهافلاي معنى خصص المشيئة بالقسم الثاني وهو مادون الشرك وهل هذا إلا تصريح بأن الشرك لا يغفر لمن مات عليه ومادونه من المعاصي إذامات الإنسان عليه لايقطع له بالعقاب والغيره بل أمره إلى الله . قلت الأصبوب في هذاالموضع ألا- يجعل قوله لمن يشاء معنيا به التائبون بل نقول المراد أن الله لا يستر في موقف القيامة من مات مشركا بل يفضحه على رءوس الأشهاد كما قال تعالى وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ . وأما من مات على كبيرة من أهل الإسلام فإن الله تعالى يستره في الموقف ولايفضحه بين الخلائق وإن كان من أهل النار ويكون معنى المغفرة في هذه الآية الستر وتغطية حال العاصي في موقف الحشر وقد يكون من أهل الكبائر ممن يقر بالإسلام -قرآن- ٣٤٥-٤٢٢-قرآن- ٩٩٢- ١٠٥٠ [صفحہ ٣٥] لعظيم كبائره جدا فيفضحه الله تعالى في الموقف كمايفضح المشرك فهذا معنى قوله وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ.فأما الكلام المطول في تأويلات هذه الآية فمذكور في كتبنا الكلامية. واعلم أنه لاتعلق للمرجئة ولاجدوى عليهم من عموم لفظ الآية لأنهم قدوافقونا على أن الفلسفي غيرمغفور له وليس بمشرك فإذاأراد بقوله تعالى إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ومن جرى مجرى المشركين قيل لهم ونحن نقول إن الزاني والقاتل يجريان مجرى المشركين كماأجريتيم الفلاسفة مجرى المشركين فلا تنكروا علينا ما لم تنكروه على أنفسكم . ثم ذكرع أن القصاص في الآخرة شديد ليس كمايعهده الناس من عقاب الدنيا الذي هو ضرب السوط وغايته أن يذوق الإنسان طعم الحديد وهو معنى قوله جرحا بالمدى جمع مديء وهي السكين بل هو شيء آخر عظيم لايعبر النطق عن كنهه وشدة نكاله وألمه -قرآن- ٨٦-١٢٣-قرآن- ٣٤٠-٣٧٨

فصل في الآثار الواردة في شديد عذاب جهنم

قال الأوزاعي في مواعظه للمنصور روى لى عن رسول الله ص لو أن ثوبا من ثياب أهل النار علق بين السماء والأرض لأحرق أهل الأرض قاطبة فكيف بمن يتقمصه و لو أن ذنوبا من حميم جهنم صب على ماء الأرض كله لأجته حتى لا يستطيع مخلوق شربه فكيف بمن يتجرعه و لو أن حلقة من سلاسل النار وضعت على جبل لذاب كما يذوب الرصاص فكيف بمن يسلك فيها ويرد فضلها على عاتقه -رواية- ١-٢-رواية- ٣٠-٣٤٥ روى أبوهريرة عن النبي ص لو كان في هذا المسجد مائة ألف أوزيدون وأخرج إليهم رجل من النار فتنفس وأصابهم نفسه لأحرق المسجد و من فيه -رواية- ١-٢-رواية- ٣٠-١٤٨ [صفحہ ٣٦] روى أن رسول الله ص قال لجبريل ما لى لأرى ميكائيل ضاحكا قال إن ميكائيل لم يضحك منذ خلقت النار ورآها -رواية- ١-٢-رواية- ٧-١١٦ عنه ص لما أسرى بى سمعت هده فسألت جبريل عنها فقال حجر أرسله الله من شفير جهنم فهو يهوى منذ سبعين خريفا حتى بلغ الآن فيه -رواية- ١-٢-رواية- ١١-١٣٧ روى عن النبي ص فى قوله تَلْفَحُ وُجُوهُهُمْ النَّارُ وَ هُمْ فِيهَا كَالْحُوتِ قَالَ تَتَقَلَّصُ شَفْتَهُ الْعُلْيَا حَتَّى تَبْلُغَ وَسْطَ رَأْسِهِ وَتَسْتَرْخِي شَفْتَهُ السُّفْلَى حَتَّى تُضْرِبَ سِرْتَهُ -رواية- ١-٢-رواية- ٢١-١٦٥ روى عبيد بن عمير الليثى عنه ع لتزفرن جهنم زفرة لا يبقى ملك ولا نبي إلاخر مرتعدة فرائضه حتى إن ابراهيم الخليل ليحشو على ركبته فيقول يارب إنى لأسألك إلا نفسى -رواية- ١-٢-رواية- ٣٦-١٧٧ أبوسعيد الخدرى مرفوعا لو ضربت جبال الدنيا بمقمع من تلك المقامع الحديد لصارت غبارا -رواية- ١-٢-رواية- ٢٦-٩٢ . الحسن البصرى قال الأغلال لم تجعل فى أعناق أهل النار لأنهم أعجزوا الرب ولكن إذا أصابهم اللهب أرسبتهم فى النار ثم خر الحسن صعقا وقال ودموعه تتحادر يا ابن آدم نفسك نفسك فإنما هى نفس واحدة إن نجت نجوت وإن هلكت لم ينفعك من نجا. طاوس أيها الناس إن النار لما خلقت

طارت أفئدة الملائكة فلما خلقتم سكنتم . [صفحہ ۳۷] مطرف بن الشخير إنكم لتذكرون الجنة وإن ذكر النار قد حال بيني وبين أن أسأل الله الجنة. منصور بن عمار يا من البعوضة تقلقه والبقة تسهره أمثلك يقوى على وهج السعير أو تطيق صفحة خده لفتح سمومها ورقة أحشائه خشونة ضريرها ورطوبة كبده تجرع غساقها. قيل لعطاء السلمي أيسرك أن يقال لك قع في جهنم فتحرق فتذهب فلا تبعث أبدا لا إليها ولا إلى غيرها فقال والله الذي لا إله إلا هو لو سمعت أن يقال لي لظننت أني أموت فرحا قبل أن يقال لي ذلك . الحسن والله ما يقدر العباد قدر حرها رويانا لو أن رجلا كان بالمشرق وجهنم بالمغرب ثم كشف عن غطاء واحد منها لغلت جمجمته ولو أن دلوا من صديدها صب في الأرض ما بقي على وجهها شيء فيه روح إلا مات . كان الأحنف يصلي صلاة الليل ويضع المصباح قريبا منه فيضع إصبعه عليه ويقول يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا حتى يصبح

فصل في العزلة والاجتماع و ما قيل فيهما

ثم نهاهم عن التفرق في دين الله وهو الاختلاف والفرقة ثم أمرهم باجتماع الكلمة وقال إن الجماعة في الحق المكروه إليكم خير لكم من الفرقة في الباطل المحبوب عندكم فإن الله لم يعط أحدا خيرا بالفرقة لا ممن مضى ولا ممن بقى. [صفحہ ۳۸] وقد تقدم ذكر ماورد عن النبي ص في الأمر بلزوم الجماعة والنهي عن الاختلاف والفرقة. ثم أمرع بالعزلة ولزوم البيت والاشتغال بالعبادة ومجانبة الناس ومتركتهم واشتغال الإنسان بعبادته عن عيوبهم . وقد ورد في العزلة أخبار وآثار كثيرة واختلف الناس قديما وحديثا فيها ففضلها قوم على المخالطة وفضل قوم المخالطة عليها. فمن فضل العزلة سفيان الثوري و ابراهيم بن أدهم وداود الطائي والفضيل بن عياض وسليمان الخواص ويوسف بن أسباط وبشر الحافي وحذيفة المرعشي وجمع كثير من الصوفية وهو مذهب أكثر العارفين وقول المتألهين من الفلاسفة. ومن فضل المخالطة على العزلة ابن المسيب والشعبي وابن أبي ليلى وهشام بن عروة وابن شبرمة والقاضي شريح وشريك بن عبد الله وابن عيينة وابن المبارك . فأما كلام أمير المؤمنين ع فيقتضى عند إمعان النظر فيه أن العزلة خير لقوم وأن المخالطة خير لقوم آخرين على حسب أحوال الناس واختلافهم . وقد احتج أرباب المخالطة يقول الله تعالى فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَبِقَوْلِهِ وَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَ اختلفوا وهذا ضعيف لأن المراد بالآية تفرق الآراء واختلاف المذاهب في أصول الدين والمراد -قرآن- ۸۹۷-۹۵۴-قرآن- ۹۶۳-۱۰۱۳ [صفحہ ۳۹] بتأليف القلوب وبالأخوة عدم الإحن والأحقاد بينهم بعد استعار نارها في الجاهلية وهذا أمر خارج عن حديث العزلة. واحتجوا بقول النبي ص المؤمن إلف مألوف ولا خير فيمن لا يألوف ولا يؤلف -رواية- ۱-۲-رواية- ۱۸-۷۰ وهذا أيضا ضعيف لأن المراد منه ذم سوء الخلق والأمر بالرفق والبشر فلا يدخل تحته الإنسان الحسن الخلق الذي لو خولط لألف وألف وإنما يمنعه من المخالطة طلب السلامة من الناس . واحتجوا بقوله من شق عصا المسلمين فقد خلع ريقه الإسلام عن عنقه وهذا ضعيف أيضا لأنه مختص بالبغيه والمارقين عن طاعة الإمام فلا يتناول أهل العزلة الذين هم أهل طاعة للأئمة إلا أنهم لا يخالطون الناس . واحتجوا بنهي ص عن هجر الإنسان أخاه فوق ثلاث وهذا ضعيف لأن المراد منه النهي عن الغضب واللجاج وقطع الكلام والسلام لثوران الغيظ فهذا أمر خارج عن الباب الذي نحن فيه . واحتجوا بأن رجلا أتى جبلا يعبد فيه فجاء أهله إلى رسول الله ص فنهاه وقال له إن صبر المسلم في بعض مواطن الجهاد يوما واحدا خير له من عبادة أربعين سنة -رواية- ۱-۱۵۵ . وهذا ضعيف لأنه إنما كان ذلك في ابتداء الإسلام والحث على جهاد المشركين . واحتجوا بما روى عنه ص أنه قال الشيطان ذئب والناس كالغنم يأخذ القاصية والشاذة إياكم والشعاب وعليكم بالعامه والجماعة والمساجد -رواية- ۱-۲-رواية- ۲۵-۱۲۶ وهذا ضعيف لأن المراد به من

اعتزل الجماعة وخالفها. [صفحة ٤٠] واحتج من رجح العزلة وآثرها على المخالطة بالآثار الكثيرة الواردة في ذلك نحو قول عمر خذوا بحظكم من العزلة. وقول ابن سيرين العزلة عبادة. وقول الفضيل كفى بالله محبوبا وبالقرآن مؤنسا وبالموت واعظا اتخذ الله صاحباً ودع الناس جانبا. وقال ابن الربيع الزاهد لداود الطائي عظمى فقال صم عن الدنيا واجعل فطرك للآخرة وفر من الناس فرارك من الأسد. وقال الحسن كلمات أحفظهن من التوراة قنع ابن آدم فاستغنى واعتزل الناس فسلم ترك الشهوات فصار حرا ترك الحسد فظهرت مروءته صبرا قليلا. فتمتع طويلا. وقال وهب بن الورد بلغنا أن الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها الصمت والعاشر في العزلة عن الناس. وقال يوسف بن مسلم لعلى بن بكار ما أصبرك على الوحدة وكان قد لزم البيت فقال كنت وأنا شاب أصبر على أشد من هذا كنت أجالس الناس ولا أكلمهم. وقال الثوري هذا وقت السكوت وملازمة البيوت. وقال بعضهم كنت في سفينة ومعنا شاب علوى فمكث معنا سبعا لانسمع له كلاما فقلنا له قد جمعنا الله وإياك منذ سبع ولا تراك تخالطنا ولا تكلمنا فأنشد قليل الهم لا ولد يموت || وليس بخائف أمرا يفوت قضى وطر الصبا وأفاد علما || فغايته التفرد والسكوت [صفحة ٤١] وأكبر همه مما عليه || تناجز من ترى خلق وقوت. قال النخعي لصاحب له تفقه ثم اعتزل. وكان مالك بن أنس الفقيه يشهد الجنائز ويعود المرضى ويعطى الإخوان حقوقهم ثم ترك واحدا واحدا من ذلك إلى أن ترك الجميع وقال ليس يتهيا للإنسان أن يخبر بكل عذر له. وقيل لعمر بن عبدالعزيز لوتفرغت لنا فقال ذهب الفراغ فلا فراغ إلا عند الله تعالى. وقال الفضيل بن عياض إنى لأجد للرجل عندى يدا إذالقيني ألا يسلم على وإذ امرضت ألا يعودنى. وقال الداراني بينا ابن خثيم جالس على باب داره إذ جاء حجر فصك وجهه فسجد وجعل يمسح الدم ويقول لقد وعظت ياربيع ثم قام فدخل الدار فما جلس بعد ذلك على بابه حتى مات. وكان سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد قد لهما بيوتهما بالعقيق فلم يكونا يأتيان المدينة لالحاجة لهما ولا لغيرهما حتى ماتا بالعقيق. قال بشر أقل من معرفة الناس فإنك لا تدري ما تكون يوم القيامة فإن تكن فضيحة كان من يعرفك أقل. وأحضر بعض الأمراء حاتما الأصم فكلمه ثم قال له ألك حاجة قال نعم ألا ترانى ولا أراك. وقيل للفضيل إن ابنك يقول لوددت أنى فى مكان أرى الناس ولا يروننى فبكى الفضيل وقال يا ويح على ألا أتمها فقال ولا أراهم. [صفحة ٤٢] ومن كلام الفضيل أيضا من سخافة عقل الرجل كثرة معارفه. وقد جاء فى الأحاديث المرفوعة ذكر العزلة وفضلها نحو قوله لعبد الله بن عامر الجهنى لمأسأله عن طريق النجاة فقال له ليسعك بيتك أمسك عليك دينك وابك على خطيئتك -رواية- ١-١٢٣ وقيل له ص أى الناس أفضل فقال رجل معتزل فى شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره -رواية- ١-٩٨ قال ع إن الله يحب التقى النقى الخفى -رواية- ١-٢-رواية- ١١-٤٧

ذكر فوائد العزلة

وفى العزلة فوائد منها الفراغ للعبادة والذكر والاستئناس بمناجاة الله عن مناجاة الخلق فيتفرغ لاستكشاف أسرار الله تعالى فى أمر الدنيا والآخرة وملكوت السماوات والأرض لأن ذلك لا يمكن إلا بفراغ ولا فراغ مع المخالطة ولذلك كان رسول الله ص فى ابتداء أمره يتبتل فى جبل حراء ويعتزل فيه حتى أتته النبوة. وقيل لبعض الحكماء ما الذى أرادوا بالخلوة والعزلة فقال دوام الفكر وثبات العلوم فى قلوبهم ليحيوا حياة طيبة ويموتوا موتا طيبا. وقيل لبعضهم ما أصبرك على الوحدة فقال لست وحدى أنا جليس ربي إذاشت أن يناجيني قرأت كتابه و إذاشت أن أناجيه صليت. وقال سفيان بن عيينة لقيت ابراهيم بن أدهم فى بلاد الشام فقلت له يا ابراهيم [صفحة ٤٣] تركت خراسان فقال ماتهنأت بالعيش إلا هاهنا أفر بدينى من شاهق إلى شاهق فمن رآنى قال موسوس أو حمال. وقيل للحسن يا أباسعيد هاهنا رجل لم نره قط جالسا إلا وحده خلف سارية فقال الحسن إذا رأيتموه فأخبرونى

فنظروا إليه ذات يوم فقالوا للحسن وأشاروا إليه فمضى نحوه و قال له يا عبد الله لقد حبيت إليك العزلة فما يمنعك من مجالسة الناس قال أمر شغلني عنهم قال فما يمنعك أن تأتي هذا الرجل أأذى يقال له الحسن فتجلس إليه قال أمر شغلني عن الناس و عن الحسن قال و ما ذلك الشغل يرحمك الله قال إني أمسى وأصبح بين نعمة و ذنب فأشغل نفسي بشكر الله على نعمه و الاستغفار من الذنب فقال الحسن أنت أفقه عندي يا عبد الله من الحسن فالزم ما أنت عليه . وجاء هرم بن حيان إلى أويس فقال له ما حاجتك قال جئت لأنس بك قال ما كنت أعرف أحدا يعرف ربه فيأنس بغيره . و قال الفضيل إذ رأيت الليل مقبلا فرحت به و قلت أخلو بربي و إذ رأيت الصبح أدركني استرجعت كراهية لقاء الناس و أن يجيء إلى من يشغلني عن ربي . و قال مالك بن دينار من لم يأنس بمحادثة الله عن محادثة المخلوقين فقد قل علمه و عمى قلبه و ضاع عمره . و قال بعض الصالحين بينا أنا أسير في بعض بلاد الشام إذا أنا بعابد خارج من بعض تلك الجبال فلما نظر إلى تنحي إلى أصل شجرة و تستر بها فقلت سبحان الله أتبخل على بالنظر إليك فقال يا هذا إني أقمت في هذا الجبل دهرا طويلا أعالج قلبي في الصبر عن الدنيا و أهلها فطال في ذلك تعبى و فنى عمرى ثم سألت الله تعالى [صفحة ٤٤] ألا - يجعل حظى من أيامى في مجاهدة قلبي فقط فسكنه الله عن الاضطراب و آلفه الوحدة و الانفراد فلما نظرت إليك و تريدنى خفت أن أقع في الأمر الأول فأعود إلى ألف المخلوقين فأليك عنى فإنى أعود من شرك رب العارفين و حبيب التائبين ثم صاح و اغماه من طول المكث في الدنيا ثم حول وجهه عنى ثم نفص يده و قال إليك عنى يا دنيا لغيرى فترينى و أهلك فغرى ثم قال سبحان من أذاق العارفين من لذة الخدمة و حلاوة الانقطاع إليه ما ألهى قلوبهم عن ذكر الجنان و الحور الحسنان فى الخلوة آنس بذكر الله و أستلذ بالانقطاع إلى الله ثم أنشد و إنى لأستغشى و مابى نعسة || لعل خيالا منك يلقى خياليا و أخرج من بين البيوت لعلنى || أحدث عنك النفس فى السر خاليا . و قال بعض العلماء إنما يستوحش الإنسان من نفسه لخلو ذاته عن الفضيلة فيتكثر حينئذ بملاقاة الناس و يطرد الوحشة عن نفسه بهم فإذا كانت ذاته فاضلة طلب الوحدة ليستعين بها على الفكرة و يستخرج العلم و الحكمة و كان يقال الاستئناس بالناس من علامات الإفلاس . و منها التخلص بالعزلة عن المعاصى التى يتعرض الإنسان لها غالبا بالمخالطة و هى الغيبة و الرياء و ترك الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و سرقة الطبع بعض الأخلاق الرديئة و الأعمال الخبيثة من الغير . أما الغيبة فإن التحرز منها مع مخالطة الناس صعب شديد لا ينجو من ذلك إلا الصديقون فإن عادة أكثر الناس التزمض بأعراض من يعرفونه و التنقل بلذة [صفحة ٤٥] ذلك فهى أنسهم الذى يستريحون إليه فى الجلوة و المفاوضة فإن خالطتهم و وافقت أثمت و إن سكت كنت شريكا فالمستمع أحد المغتابين و إن أنكرت تركوا ذلك المغتاب و اغتابوك فزادوا إثما على إثمهم . فأما الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر فإن من خالط الناس لا يخلو عن مشاهدة المنكرات فإن سكت عصى الله و إن أنكرت تعرض بأنواع من الضرر و فى العزلة خلاص عن ذلك و فى الأمر بالمعروف إثارة للخصام و تحريك لكوامن ما فى الصدور و قال الشاعر و كم سقت فى آثاركم من نصيحة || و قد يستفيد الظنة المتنصح . و من تجرد للأمر بالمعروف ندم عليه فى الأكثر كجدار مائل يريد الإنسان أن يقيمه وحده فيوشك أن يقع عليه فإذا سقط قال ياليتنى تركته مائلا نعم لو وجد الأعوان حتى يحكم ذلك الحائط و يدعمه استقام و لكنك لاتجد القوم أعوانا على الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر فدع الناس و انج بنفسك . و أما الرياء فلا شبهة أن من خالط الناس داراهم و من داراهم راءاهم و من راءاهم كان منافقا و أنت تعلم أنك إذا خالطت متعادين و لم تلق كل واحد منهما بوجه يوافقك صرت بغیضا إليهما جميعا و إن جاملتهما كنت من شرار الناس و صرت ذا وجهين و أقل ما يجب فى مخالطة الناس إظهار الشوق و المبالغة فيه و ليس يخلو ذلك عن كذب إما فى الأصل و إما فى الزيادة بإظهار الشفقة بالسؤال عن الأحوال فقولك كيف أنت و كيف أهلك و أنت فى الباطن فارغ القلب عن همومه نفاق محض . قال السرى السقطى لودخل على أخ فسويت لحيتى بيدى لدخوله خشيت أن أكتب فى جريدة المنافقين . [صفحة ٤٦] كان الفضيل جالسا وحده فى المسجد فجاء إليه أخ له

فقال ماجاء بك قال المؤانسة قال هي والله بالمواحشة أشبه هل تريد إلا أن تترين لى وأترين لك وتكذب لى وأكذب لك إما أن تقوم عنى وإما أن أقوم عنك . وقال بعض العلماء ما أحب الله عبدا إلا أحب ألا يشعر به خلقه . ودخل طاوس على هشام بن عبد الملك فقال كيف أنت ياهشام فغضب وقال لم لم تخاطبني بإمرة المؤمنين قال لأن جميع الناس ماتفقوا على خلافتك فخشيت أن أكون كاذبا. فمن أمكنه أن يحترز هذا الاحتراز فليخاطب الناس و إلا فليرض بإثبات اسمه فى جريدة المنافقين إن خالطهم ولا نجاه من ذلك إلا بالعزلة. و أما سرقة الطبع من الغير فالتجربة تشهد بذلك لأن من خالط الأشرار اكتسب من شرهم وكلما طالت صحبة الإنسان لأصحاب الكبائر هانت الكبائر عنده و فى المثل فإن القرين بالمقارن يقتدى. ومنها الخلاص من الفتن والحروب بين الملوك والأمراء على الدنيا. روى أبو سعيد الخدرى عن النبى ص أنه قال يوشك أن يكون خير مال المسلم غنيمات يتبع بها شعاف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن -رواية- ١-٢-رواية- ١٤٥-٤٧- روى عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ص ذكر الفتن فقال إذارأيت الناس قدمرجت عهودهم وخفت أمانتهم وكانوا هكذا وشبك -رواية- ١-٢-رواية- ٣٥-ادامه دارد [صفحہ ٤٧] بأصابه فقلت ماتأمرنى فقال الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ماتعرف ودع ماتنكر وعليك بأمر الخاصة ودع عنك أمر العامة -رواية- از قبل ١٢٩- روى ابن مسعود عنه ص أنه قال سيأتى على الناس زمان لا يسلم لذى دين دينه إلا من فر من قرية إلى قرية و من شاهق إلى شاهق كالتعلب الرواغ قيل ومتى ذلك يا رسول الله قال إذا لم تنل المعيشة إلا بمعاصى الله سبحانه فإذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يد أبويه فإن لم يكن له أبوان فعلى يد زوجته وولده و إن لم يكن فعلى يد قرابته قالوا كيف ذلك يا رسول الله قال يعيرونه بالفقر وضيق اليد فيكلفونه ما لا يطيقه حتى يورده ذلك موارد الهلكة -رواية- ١-٢-رواية- ٣٥-٤٧- روى ابن مسعود أيضا أنه ص ذكر الفتنة فقال الهرج فقلت و ماالهرج يا رسول الله قال حين لا يأمن المرء جليسه قلت فبم تأمرنى يا رسول الله إن أدركت ذلك الزمان قال كف نفسك ويدك وادخل دارك قلت أرأيت إن دخل على دارى قال ادخل بيتك قلت إن دخل على البيت قال ادخل مسجدك واصنع هكذا وقبض على الكوع وقل ربى الله حتى تموت -رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-٣٤٤ . ومنها الخلاص من شر الناس فإنهم يؤذونك تارة بالغبية وتارة بسوء الظن والتهمه وتارة بالافتراحت والأطماع الكاذبة التى يعسر الوفاء بها وتارة بالنميمة والكذب مما يروونه منك من الأعمال والأقوال مما لا تبلغ عقولهم كنهه فيدخرون ذلك فى نفوسهم عدة لوقت ينتهزون فيه فرصة الشر و من يعتزلهم يستغن عن التحفظ لذلك . و قال بعض الحكماء لصاحبه أعلمك شعرا هو خير لك من عشرة آلاف درهم و هو [صفحہ ٤٨] اخفض الصوت إن نطقت بليل || والتفت بالنار قبل المقال ليس للقول رجعة حين يبدو || بقبیح يكون أوبجمال . و من خالط الناس لا ينفك من حاسد وطاعن و من جرب ذلك عرف . و من الكلام المأثور عن على ع اخبر نقله -رواية- ١-٢-رواية- ٣٤-٤٥ قال الشاعر من حمد الناس و لم ييلهم || ثم بلاهم ذم من يحمد وصار بالوحدة مستأنسا || يوحشه الأقرب والأبعد . وقيل لسعد بن أبى وقاص ألاتأتى المدينة قال مابقى فيها إلا حاسد نعمة أوفرح بنقمة. و قال ابن السماك كتب إلينا صاحب لنا أما بعد فإن الناس كانوا دواء يتداوى به فصاروا داء لادواء لهم ففر منهم فرارك من الأسد. و كان بعض الأعراب يلزم شجرة و يقول هذه نديمى و هونديم فيه ثلاث خصال إن سمع لم ينم على و إن تفلت فى وجهه احتمل و إن عربدت عليه لم يغضب فسمع الرشيد هذا الخبر فقال قد زهدنى سماعه فى الندماء. و كان بعضهم يلزم الدفاتر والمقابر فقيل له فى ذلك قال لم أر أسلم من الوحدة و لأوعظ من قبر و لأمتع من دفتر. و قال الحسن مرة إنى أريد الحج فجاى إلى ثابت البنانى و قال بلغنى أنك تريد الحج فأحببت أن نصطحب فقال الحسن دعنا نتعاشر بستر الله إنى أخاف أن نصطحب فىرى بعضنا من بعض ماتنماقت عليه . و قال بعض الصالحين كان الناس ورقا لاشوك فيه فالناس اليوم شوك لا وورق فيه . و قال سفيان بن عيينة قال لى سفيان الثورى فى اليقظة فى حياته و فى المنام بعد [صفحہ ٤٩] وفاته أقلل معرفه الناس فإن التخلص منهم شديد و لأحسبني رأيت ما أكره إلا ممن عرفت . و

قال بعضهم جئت إلى مالك بن دينار و هو قاعد وحده وعنده كلب رابض قريبا منه فذهبت أطرده فقال دعه فإنه لا يضر و لا يؤذى و هو خير من المجلس السوء. و قال أبو الدرداء اتقوا الله واحذروا الناس فإنهم ماركبوا ظهر بعير إلا أدبروه و لا ظهر جواد إلا عقروه و لا قلب مؤمن إلا أخربوه. و قال بعضهم أقلل المعارف فإنه أسلم لدينك و قلبك و أخف لظهرك و أدعى إلى سقوط الحقوق عنك لأنه كلما كثرت المعارف كثرت الحقوق و عسر القيام بالجميع. و قال بعضهم إذا أردت النجاة فأنكر من تعرف و لا تتعرف إلى من لا تعرف. و منها أن فى العزلة بقاء الستر على المروءة و الخلق و الفقر و سائر العورات و قدمدح الله تعالى المستترين فقال **يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ**. و قال الشاعر -قرآن- ٧١٤-٧٥٩ و لا عار أن زالت عن الحر نعمة || ولكن عارا أن يزول التجميل. و ليس يخلو الإنسان فى دينه و دنياه و أفعاله عن عورات يتقين و يجب سترها و لا تبقى السلامة مع انكشافها و لا سبيل إلى ذلك إلا بترك المخالطة. و منها أن ينقطع طمع الناس عنك و ينقطع طمعك عن الناس أما انقطاع طمع الناس عنك ففيه نفع عظيم فإن رضا الخلق غاية لا تدرك لأن أهون حقوق الناس [صفحة ٥٠] و أيسرها حضور الجنازة و عيادة المريض و حضور الولائم و الإملاكات و فى ذلك تضييع الأوقات و التعرض للآفات ثم يعوق عن بعضها العوائق و تستثقل فيها المعاذير و لا يمكن إظهار كل الأعذار فيقول لك قائل إنك قمت بحق فلان و قصرت فى حقى و يصير ذلك سبب عداوة فقد قيل إن من لم يعد مريضا فى وقت العيادة يشتهى موته خيفة من تخجيله إياه إذا برأ من تقصيره فأما من يعم الناس كلهم بالحرمان فإنهم يرضون كلهم عنه و متى خصص وقع الاستيحاش و العتاب و تعميمهم بالقيام بجميع الحقوق مما لا قدرة عليه للمتجرد ليله و نهاره فكيف من له مهم يشغله دينى أو دنيوى. و من كلام بعضهم كثرة الأصدقاء زيادة الغرماء. و قال الشاعر عدوك من صديقك مستفاد || فلا تستكثرن من الصحاب فإن الداء أكثر ماتراه || يكون من الطعام أو الشراب. و أما انقطاع طمعك عنهم ففيه أيضا فائدة جزيلة فإن من نظر إلى زهرة الدنيا وزخرفها تحرك حرصه و انبعث بقوة الحرص طمعه و أكثر الأطماع يتعقبها الخيبة فيتأذى الإنسان بذلك و إذا اعتزل لم يشاهد و إذا لم يشاهد لم يشته و لم يطمع ولذلك قال الله تعالى لنبية ص و لا تَمِيدَنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا و -قرآن- ٢٦٧-٣٥١ قال ع انظروا إلى من دونكم و لا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم -رواية ١-٢-رواية ١١-١٠١. [صفحة ٥١] و قال عون بن عبد الله كنت أجالس الأغنياء فلا أزال مغموما أرى ثوبا أحسن من ثوبى و دابة أفره من دابتي فجالست الفقراء فاسترحت. و خرج المزنى صاحب الشافعى من باب جامع الفسطاط بمصر و كان فقيرا مقلا فصادف ابن عبد الحكم قد أقبل فى موكب فبهره ما رأى من حاله و حسن هيأته فتلا قوله تعالى **وَ جَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَ تَصْبِرُونَ** ثم قال نعم أصبر و أراضى. فالمعتزل عن الناس فى بيته لا يتلى بمثل هذه الفتن فإن من شاهد زينة الدنيا إما أن يقوى دينه و يقينه فيصبر فيحتاج إلى أن يتجرع مرارة الصبر و هو أمر من الصبر أو تنبعث رغبته فيحتاج فى طلب الدنيا فيهلك دنيا و آخرة أما فى الدنيا فبالطمع الذى فى أكثر الأوقات يتضمن الذل المعجل و أما فى الآخرة فلا يثاره متاع الدنيا على ذكر الله و التقرب إليه ولذلك قال الشاعر -قرآن- ٣٠٢-٣٥٠ إذا كان باب الذل من جانب الغنى || سموت إلى العلياء من جانب الفقر. أشار إلى أن الطمع يوجب فى الحال ذلا. و منها الخلاص من مشاهدة الثقل و الحمقى و معاناة أخلاقهم فإن رؤية الثقل هى العمى الأصغر قيل للأعمش بم عمشت عيناك قال بالنظر إلى الثقل. و دخل على أبى حنيفة رحمه الله فقال له رويانا فى الخبر أن من سلب كريمته عوضه الله ما هو خير منهما فما الذى عوضك قال كفانى رؤية ثقل مثلك يمازحه. و قال الشافعى رحمه الله ما جالست ثقيلًا إلا وجدت الجانب الذى يليه من بدنى كأنه أثقل على من الجانب الآخر. و هذه المقاصد و إن كان بعضها دنيويا إلا أنها تضرب فى الدين بنصيب و ذلك لأن [صفحة ٥٢] من تأذى برؤية ثقل لم يلبث أن يغتابه و يثلبه و ذلك فساد فى الدين و فى العزلة السلامة عن جميع ذلك. و اعلم أن كلام أمير المؤمنين ع تختلف مناهجه فقد رجح العزلة فى هذا الفصل على المخالطة و نهى عن العزلة فى موضع آخر سيأتى ذكره فى

الفصل الذى أوله أنه دخل على العلاء بن زياد الحارثى عائداً ويجب أن يحمل ذلك على أن من الناس من العزلة خير له من المخالطة ومنهم من هو بالضد من ذلك و قد قال الشافعى قريبا من ذلك قال ليونس بن عبد الأعلى صاحبه يابونس الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط إليهم مجلبة لقراءة سوء فكن بين المنقبض والمنبسط. فإذا أردت العزلة فينبغى للمعتزل أن ينوى بعزله كف شره عن الناس أولاً ثم طلب السلامة من شر الأشرار ثانياً ثم الخلاص من آفة القصور عن القيام بحقوق المسلمين ثالثاً ثم التجرد بكنه الهمة بعبادة الله تعالى رابعاً فهذه آداب نيته ثم ليكن في خلوته مواظباً على العلم والعمل والذكر والفكر ليجتنى ثمرة العزلة ويجب أن يمنع الناس عن أن يكثروا غشيانه وزيارته فيتشوش وقته و أن يكف نفسه عن السؤال عن أخبارهم وأحوالهم و عن الإصغاء إلى أراجيف الناس و ما الناس مشغولون به فإن كل ذلك ينغرس فى القلب حتى ينبعث على خاطر والبال وقت الصلاة ووقت الحاجة إلى إحضار القلب فإن وقوع الأخبار فى السمع كوقوع البذر فى الأرض لا بد أن ينبت وتتفرع عروقه وأغصانه وإحدى مهمات المعتزل قطع الوسواس الصارفة عن ذكر الله ولا يرب أن الأخبار ينابيع الوسواس وأصولها. ويجب أن يقنع باليسير من المعيشة وإلا اضطره التوسع إلى الناس واحتاج إلى مخالطتهم. [صفحة ٥٣] وليكن صبوراً على ما يلقاه من أذى الجيران إذ يسد سمعه عن الإصغاء إلى ما يقول فيه من أثنى عليه بالعزلة وقدح فيه بترك المخالطة فإن ذلك لا بد أن يؤثر فى القلب و لومدة يسيرة وحال اشتغال القلب به لا بد أن يكون واقفاً عن سيره فى طريق الآخرة فإن السير فيها إما يكون بالمواظبة على ورد أو ذكر مع حضور قلب وإما بالفكر فى جلال الله وصفاته وأفعاله وملكوت سماواته وإما بالتأمل فى دقائق الأعمال ومفاسدات القلب وطلب طرق التخلص منها و كل ذلك يستدعى الفراغ ولا يرب أن الإصغاء إلى ما ذكرناه يشوش القلب. ويجب أن يكون للمعتزل أهل صالح أو جليس صالح لتستريح نفسه إليه ساعة عن كد المواظبة ففى ذلك عون له على بقية الساعات و ليس يتم للإنسان الصبر على العزلة إلا بقطع الطمع عن الدنيا و ما الناس منهمكون فيه و لا ينقطع طمعه إلا بقصر الأمل وألا يقدر لنفسه عمراً طويلاً بل يصبح على أنه لا يمسى ويمسى على أنه لا يصبح فيسهل عليه صبر يوم و لا يسهل عليه العزم على صبر عشرين سنة لو قدر تراخى أجله وليكن كثير الذكر للموت ووحدة القبر مهما ضاق قلبه من الوحدة وليتحقق أن من لم يحصل فى قلبه من ذكر الله ومعرفته ما يأنس به فإنه لا يطيق وحشة الوحدة بعد الموت و أن من أنس بذكر الله ومعرفته فإن الموت لا يزيل أنسه لأن الموت ليس يهدم محل الأُنس والمعرفة بل يبقى حياً بمعرفته وأنسه فرحاً بفضل الله عليه قال سبحانه وَ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ. و كل من يجرد نفسه فى ذات الله فهو شهيد مهما أدركه الموت فالمجاهد من -قرآن- ١٢٦١-١٤٠٠ [صفحة ٥٤] جاهد نفسه وهواه كما صرح به ع و قال لأصحابه رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر -رواية ١- ٢- روايت- ١٦- ٥٧ فالجهاد الأصغر محاربة المشركين والجهاد الأكبر جهاد النفس. وهذا الفصل فى العزلة نقلناه على طوله من كلام أبى حامد الغزالي فى إحياء علوم الدين وهذبنا منه ما اقتضت الحال تهذيبه [صفحة ٥٥]

١٧٨- و من كلام له ع فى معنى الحكيمين

إشارة

فَأَجْمَعُ رَأْيَ مَلِكِكُمْ عَلَى أَنْ اخْتَارُوا رَجُلَيْنِ فَأَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ يُجْعِعَا عِنْدَ الْقُرْآنِ وَ لَا يُجَاوِزَاهُ وَ تَكُونُ أَلْسِنَتُهُمَا مَعَهُ وَ قُلُوبُهُمَا تَبَعُهُ فَتَأْهَا عَنْهُ وَ تَرَكَ الْحَقَّ وَ هُمَا يُبْصِرَانِهِ وَ كَانَ الْجَوْزُ هَوَاهُمَا وَ الْاِعْوِجَاجُ دَابُّهُمَا وَ قَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْحُكْمِ بِالْعَدْلِ وَ

الْعَمَلِ بِالْحَقِّ سُوءَ رَأْيِهِمَا وَ جَوَرَ حُكْمِهِمَا وَ الثَّقَةَ فِي أَيْدِينَا لِأَنْفُسِنَا حِينَ خَالَفَا سَبِيلَ الْحَقِّ وَ أَتَيَا بِمَا لَا يُعْرَفُ مِنْ مَعَكُوسِ الْحُكْمِ الْمَلَأَ الْجَمَاعَةَ وَيَجْعَعُجَا يَحْبِسَا نَفُوسَهُمَا وَ آرَاءَهُمَا عِنْدَ الْقُرْآنِ جَعَجَعَتْ أَى حَبَسَتْ أَخَذَتْ عَلَيْهِمَا الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ أَنْ يَعْمَلَا بِمَا فِي الْقُرْآنِ وَ لَا يَتَجَاوَزَاهُ . فَتَاهَا عَنْهُ أَى عَدَلَا وَ تَرَكَمَا الْحَقَّ عَلَى عِلْمٍ مِنْهُمَا بِهِ . وَالدَّأْبُ الْعَادَةُ وَسُوءُ رَأْيِهِمَا مَنْصُوبٌ لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ سَبَقَ وَالْفَاعِلُ اسْتِثْنَاؤُنَا . ثُمَّ قَالَ وَالثَّقَةُ فِي أَيْدِينَا أَى نَحْنُ عَلَى بَرَهَانٍ وَثَقَةٌ مِنْ أَمْرِنَا وَ لَيْسَ بِضَائِرٍ لَنَا مَا فَعَلَاهُ لِأَنَّهُمَا خَالَفَا الْحَقَّ وَ عَدَلَا عَنْ الشَّرْطِ وَعَكَسَا الْحُكْمَ . [صَفْحَهُ ٥٦] وَرَوَى الثَّوْرِيُّ عَنْ أَبِي عَيْبَةَ قَالَ أَمْرُ بِلَالِ بْنِ أَبِي بَرْدَةَ وَ كَانَ قَاضِيًا بِتَفْرِيقِ بَيْنِ رَجُلٍ وَامْرَأَتِهِ فَقَالَ الرَّجُلُ يَا آلَ أَبِي مُوسَى إِنَّمَا خَلَقْتُمْ اللَّهَ لِلتَّفْرِيقِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ

كتاب معاوية إلى عمرو بن العاص و هو على مصر

كتب معاوية إلى عمرو بن العاص و هو على مصر قد قبضها بالشرط الذي اشترط على معاوية أما بعد فإن سؤال أهل الحجاز وزوار أهل العراق كثروا على و ليس عندي فضل عن أعطيات الحجاز فأعني بخراج مصر هذه السنة فكتب عمرو إليه معاوية إن تدر كك نفس شحيحة || فما مصر إلا كالهباءة في التراب و مانلتها عفوا ولكن شرطتها || و قد دارت الحرب العوان على قطب و لو لدفاعي الأشعري ورهطه || لألفيتها ترغو كراغية السقب . ثم كتب في ظاهر الكتاب ورأيت أنا هذه الأبيات بخط أبي زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي رحمه الله معاوية حظي لا تغفل || و عن سنن الحق لا تعدل أنتسى مخادعتي الأشعري || و ما كان في دومة الجندل ألين فيطمع في غرتي || وسهمي قد خاض في المقتل فألمظه عسلا باردا || وأخبأ من تحته حنظلي وأعليته المنبر المشمخر || كرجع الحسام إلى المفصل [صَفْحَهُ ٥٧] فأضحى لصاحبه خالعا || كخلع النعال من الأرجل وأثبتها فيك موروثه || ثبوت الخواتم في الأنمل وهبت لغيري وزن الجبال || وأعطيتني زنة الخردل و إن عليا غدا خصمنا || سيحتج بالله والمرسل و مادم عثمان منج لنا || فليس عن الحق من مزحل فلما بلغ الجواب إلى معاوية لم يعاوده في شيء من أمر مصر بعدها. بعث عبد الملك روح بن زبناح وبلال بن أبي بردة بن أبي موسى إلى زفر بن الحارث الكلابي بكلام و حذرهما من كيد و خص بالتحذير روحا فقال يا أمير المؤمنين إن أباه كان المخدوع يوم دومة الجندل لا أباي فعلام تخوفني الخداع والكيد فغضب بلال وضحك عبد الملك [صَفْحَهُ ٥٨]

١٧٩- و من خطبة له ع

لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ وَ لَا يُغَيِّرُهُ زَمَانٌ وَ لَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ وَ لَا يَصِفُهُ لِسَانٌ لَا يَعْرُبُ عَنْهُ عَدَدُ قَطْرِ الْمَاءِ وَ لَا نُجُومِ السَّمَاءِ وَ لَا سَوَافِي الرِّيحِ فِي الْهَوَاءِ وَ لَا دَيْبِ النَّمْلِ عَلَى الصِّيفِ وَ لَا مَقِيلِ الذَّرِّ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ يَعْلَمُ مَسَاقِطَ الْأَوْرَاقِ وَ خَفِيَّ طَرْفِ الْأَحْدَاقِ وَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ غَيْرَ مَعْدُولٍ بِهِ وَ لَا مَشْكُوكٍ فِيهِ وَ لَا مَكْفُورٍ دِينُهُ وَ لَا مَجْجُودٍ تَكْوِينُهُ شَهَادَةٌ مِنْ صَدَقَتْ نَيْتُهُ وَ صَفَتْ دِخْلَتَهُ وَ خَلَصَ يَقِينُهُ وَ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ الْمَجْتَبِيُّ مِنْ خَلَائِقِهِ وَ الْمُعْتَمَى لِشَرْحِ حَقَائِقِهِ وَ الْمُخْتَصَّ بِعَقَائِلِ كَرَامَاتِهِ وَ الْمُصْطَفَى لِكَرَامِ رِسَالَاتِهِ وَ الْمَوْضُوحَةَ بِهِ أَشْرَاطُ الْهُدَى وَ الْمَجْلُوبُ بِهِ غَرِيبُ الْعَمَى لَا يَشْغَلُهُ أَمْرٌ لِأَنَّ الْحَى الَّذِي تَشْغَلُهُ الْأَشْيَاءُ هُوَ الْحَى الْعَالِمُ بِالْبَعْضِ دُونَ الْبَعْضِ وَ الْقَادِرُ عَلَى الْبَعْضِ دُونَ الْبَعْضِ فَأَمَّا مَنْ لَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ أَصْلًا وَ لَا يَعْجِزُ عَنْ شَيْءٍ أَصْلًا وَ لَا يَمْنَعُهُ مِنْ إِيجَادِ مَقْدُورِهِ إِذَا أَرَادَ مَانِعٌ أَصْلًا فَكَيْفَ يَشْغَلُهُ شَأْنٌ . وَ كَذَلِكَ لَا يَغْيِرُهُ زَمَانٌ لِأَنَّهُ وَاجِبُ الْوُجُودِ وَ لَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِجَسْمٍ [صَفْحَهُ ٥٩] وَ لَا يَصِفُهُ لِسَانٌ لِأَنَّ كُنْهَ ذَاتِهِ غَيْرُ مَعْلُومٍ وَ إِنَّمَا الْمَعْلُومُ مِنْهُ إِضَافَاتٌ أَوْ سُلُوبٌ . وَ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ أَمْرٌ مِنْ

الأمر أى لا يفوته علم شىء أصلا. والسوافى التى تسفى التراب أى تذروه . والصفاء مقصور الصخر الأملس و لاوقف عليها هاهنا لأن المقصور لا يكون فى مقابلة الممدود وإنما الفقرة المقابلة للهواء هى الظلماء و يكون الصفا فى أدراج الكلام أسوء بكلمة من الكلمات والذر صغار النمل . ويعلم مساقط الأوراق من قوله تعالى وَ مَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا. وطرف الأحداق مصدر طرف البصر يطرف طرفا إذا انطبق أحد الجفنين على الآخر ولكونه مصدرا وقع على الجماعة كما وقع على الواحد فقال ع طرف الأحداق كما قال سبحانه لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ. و غير معدول به غير مسوى بينه و بين أحد. والدخلة بكسر الدال باطن الأمر ويجوز الدخلة بالضم . والمعتمام المختار والعيمة بالكسر خيار المال اعتمام الرجل إذا أخذ العيمة. فإن قلت لفظة معتمام ومختار تصلح للفاعل والمفعول فما ذا يفصل بينهما. قلت بما يقترن باللفظ من الكلام قبله وبعده . فإن قلت فهل يختلفان فى التقدير فى صناعة النحو و إن اتفقا فى اللفظ. قلت نعم فإن عين الكلمة ياء مفتوح ماقبلها فإن أردت الفاعل فهى مكسورة و تقديره مختير مثل مخترع و إن كان مفعولا فهى مفتوحة -قرآن- ٤١٦-٤٥٧-قرآن- ٦٢٢-٦٤٩ [صفحة ٦٠] و تقديره مختير مثل مخترع و على كلا التقديرين لا بد من انقلاب الياء ألفا واللفظ واحد ولكن يقدر على الألف كسرة للفاعل وفتح للمفعول وكذلك القول فى معتمام ومضطر ونحوهما. وحكى أن بعض المتكلمين من المجبرة قال أسمى العبد مضطرا إلى الفعل إذا فعله و لأسمى الله تعالى مضطرا إليه . قيل فكيف تقول قال مضطر بكسر الطاء فضحك أهل المجلس منه . والعقائل جمع عقيلة وهى كريمة كل شىء من الناس والإبل و غير ذلك ويقال للذرة عقيلة البحر. وأشرط الهدى علاماته و منه أشرط الساعة قال تعالى فَكَدَّ جَاءَ أَشْرَاطُهَا. والغريب الأسود الشديد السواد ويجلى به غريب العمى تكشف به ظلم الضلال وتستتير بهدايته و قوله تعالى وَ غَرَابِيبُ سُودٌ ليس على أن الصفة قد تقدمت على الموصوف بل يجعل السود بدلا من الغرابيب . فإن قلت الهاء فى حقائقه إلى ماذا ترجع . قلت إلى البارئ سبحانه وحقائقه حقائق توحيدة وعدله فالمضاف محذوف ومعنى حقائق توحيدة الأمور المحققة اليقينية التى لا تعترىها الشكوك و لا تتخالجها الشبه وهى أدلة أصحابنا المعتزلة التى استنبطوها بعقولهم بعد أن دلهم إليها ونبههم على طرق استنباطها رسول الله ص بواسطة أمير المؤمنين ع لأنه إمام المتكلمين الذى لم يعرف علم الكلام من أحد قبله -قرآن- ٥٠٠-٥١٩-قرآن- ٦٣٠-٦٤٧ [صفحة ٦١] أَيَّهَا النَّاسُ إِنَّ الدُّنْيَا تَغُرُّ الْمُؤْمِلَ لَهَا وَ الْمُخْلِدَ إِلَيْهَا وَ لَا تَنْفَسُ بِمَنْ نَافَسَ فِيهَا وَ تَغْلِبُ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهَا وَ أَيُّمَ اللَّهُ مَا كَانَ قَوْمٌ قَطُّ فِي غَضٍّ نِعْمَةٍ مِنْ عَيْشٍ فَزَالَ عَنْهُمْ إِلَّا بِذُنُوبٍ اجْتَرَحُوهَا لِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ وَ لَوْ أَنَّ النَّاسَ حِينَ تَنْزَلُ بِهِمُ النَّعْمُ وَ تَزُولُ عَنْهُمْ النَّعْمُ فَرِعُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِهِمْ وَ وَلَهُ مِنْ قُلُوبِهِمْ لَرَدٌّ عَلَيْهِمْ كُلِّ شَارِدٍ وَ أَصْلَحَ لَهُمْ كُلِّ فَاسِدٍ وَ إِنِّي لَأَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي فِتْرَةٍ وَ قَدْ كَانَتْ أُمُورٌ مَضَتْ مِلْتَمٌ فِيهَا مِيلَةٌ كُنْتُمْ فِيهَا عِنْدِي غَيْرَ مَحْمُودِينَ وَ لَئِنْ رَدَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ إِنَّكُمْ لَسُعْدَاءُ وَ مَا عَلَيَّ إِلَّا الْجُهْدُ وَ لَوْ أَشَاءَ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ الْمُخْلِدِ الْمَائِلِ إِلَيْهَا قَالَ تَعَالَى وَ لَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ. و لا تنفس بمن نافس فيها لا تضن به أى من نافس فى الدنيا فإن الدنيا تهينه و لا تضن به كما يضن بالعلق النفيس . ثم قال وتغلب من غلب عليها أى من غلب على الدنيا مقاهرة فسوف تغلبه الدنيا وتهلكه . ثم أقسم أنه ما كان قوم فى غض نعمة أى فى نعمة غضة أى طرية ناضرة فزال عنهم -قرآن- ٣٣-٦٤ [صفحة ٦٢] إلا بذنوب اجتروحها أى اكتسبوها و هذا يكاد يشعر بمذهب أهل التناسخ و من قال إن الألم لا يحسن أن يفعله الحكيم سبحانه و تعالى بالحيوانات إلا مستحقا فأما مذهب أصحابنا فلا يخرج هذا الكلام عليه لأنه يجوز عندهم أن تزول النعم عن الناس لضرب من اللطف مضاف إلى عوض يعوضهم الله تعالى به فى الآخرة فيجب أن يحمل هذا الكلام لا على عمومه بل على الأكثر والأغلب . ثم قال ع لو أن الناس عند حلول النقم بهم وزوال النعم عنهم يلتجئون إلى الله تعالى تائبين من ذنوبهم لرفع عنهم النعمة وأعاد إليهم النعمة. والوله كالتحير يحدث عند الخوف أو الوجد والشارد الذاهب . قوله وإنى لأخشى عليكم أن تكونوا فى فترة أى فى أمر جاهلية لغلبة الضلال والجهل على الأكثرين منهم . و هذه خطبة خطب بها ع بعد قتل عثمان فى أول خلافته ع و قد تقدم ذكر بعضها

والأمور التي مالوا فيها عليه اختيارهم عثمان وعدولهم عنه يوم الشورى . وقال لئن رد عليكم أمركم أي أحوالكم التي كانت أيام رسول الله ص من صلاح القلوب والنيات إنكم سعداء . والجهد بالضم الطاقه . ثم قال لو شاء أن أقول لقلت أي لو شئت لذكرت سبب التحامل على وتأخرى عن غيرى ولكنى لأشاء ذلك ولا أستصلح ذكره . [صفحہ ۶۳] ثم قال عفا الله عما سلف لفظ مأخوذ من الكتاب العزيز عفا الله عما سلف و من عادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامِ . وهذا الكلام يدل على مذهب أصحابنا فى أن ماجرى من عبدالرحمن وغيره فى يوم الشورى و إن كان لم يقع على الوجه الأفضل فإنه معفو عنه مغفور لفاعله لأنه لو كان فسقا غير مغفور لم يقل أمير المؤمنين ع عفا الله عما سلف - قرآن - ۵۵-۱۴۷ [صفحہ ۶۴]

۱۸۰- ومن كلام له ع

وَ قَدْ سَأَلَهُ ذِعْلَبُ الِیْمَانِیِّ فَقَالَ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ عَ أَفَاعْبُدُ مَا لَأَ أَرَى فَقَالَ وَ كَيْفَ تَرَاهُ قَالَ لَأَ تُدْرِكُهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهِدَةِ الْعِيَانِ وَ لَكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ قَرِيبٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ غَيْرِ مُلَامِسٍ بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرِ مُبَايِنٍ مُتَكَلِّمٌ بِلَا رَوِيَّةٍ مَرِيدٌ لَأَ بِهِمَّةٍ صَائِعٌ لَمَّا بَجَارِحَةٍ لَطِيفٌ لَمَّا يُوصَفُ بِالْخَفَاءِ كَبِيرٌ لَأَ يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ بَصِيرٌ لَأَ يُوصَفُ بِالْحَاسِيَةِ رَحِيمٌ لَأَ يُوصَفُ بِالرَّقْمَةِ تَعْنُو الْوُجُوهُ لِعِظَمَتِهِ وَ تَجِبُ الْقُلُوبُ مِنَ مَخَافَتِهِ الذِعْلَبُ فى الأصل الناقه السريعة وكذلك الذعبله ثم نقل فسمى به إنسان وصار علما كما نقلوا بكرى عن فتى الإبل إلى بكر بن وائل . واليماني مخفف الياء ولا يجوز تشديدها جعلوا الألف عوضا عن الياء الثانية وكذلك فعلوا فى الشامى والأصل يمنى وشامى . وقوله ع أفأعبد ما لأرى مقام رفيع جدا لا يصلح أن يقوله غيره ع . [صفحہ ۶۵] ثم ذكر ماهية هذه الرؤية قال إنها رؤية البصيرة لأرؤية البصر . ثم شرح ذلك فقال إنه تعالى قريب من الأشياء غير ملامس لها لأنه ليس بجسم وإنما قربه منها علمه بها كما قال تعالى ما يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ . قوله بعيد منها غير مباين لأنه أيضا ليس بجسم فلا يطلق عليه البينونة وبعده منها هو عبارة عن انتفاء اجتماعه معها و ذلك كما يصدق على البعيد بالوضع يصدق أفضل الصدق على البعيد بالذات الذى لا يصح الوضع والأين أصلا عليه . قوله متكلم بلا روية الروية الفكرة يرتئى الإنسان بهاليصدر عنه ألفاظ سديدة داله على مقصده والبارئ تعالى متكلم لابهذا الاعتبار بل لأنه إذا أراد تعريف خلقه من جهة الحروف والأصوات و كان فى ذلك مصلحه ولطف لهم خلق الأصوات والحروف فى جسم جمادى فيسمعها من يسمعها و يكون ذلك كلامه لأن المتكلم فى اللغة العربية فاعل الكلام لا من حله الكلام و قد شرحنا هذا فى كتبنا الكلامية . قوله مرید بلا همه أى بلا- عزم فالعزم عبارة عن إرادة متقدمة للفعل تفعل توطينا للنفس على الفعل وتمهيدا للإرادة المقارنه له وإنما يصح ذلك على الجسم الذى يتردد فيها تدعوه إليه الدواعى فأما العالم لذاته فلا يصح ذلك فيه . قوله صانع لاجارحة أى لابعضو لأنه ليس بجسم . قوله لطيف لا-يوصف بالخفاء لأن العرب إذا قالوا لشيء إنه لطيف أرادوا أنه صغير الحجم والبارئ تعالى لطيف لابهذا الاعتبار بل يطلق باعتبارين - قرآن - ۱۸۰-۲۲۹ [صفحہ ۶۶] أحدهما أنه لا يرى لعدم صحه رؤيه ذاته فلما شابه اللطيف من الأجسام فى استحاله رؤيته أطلق عليه لفظ اللطيف إطلاقا للفظ السبب على المسبب . وثانيهما أنه لطيف بعباده كما قال فى الكتاب العزيز أى يفعل الألف المقربة لهم من الطاعة المبعده لهم من القبيح أولطيف بهم بمعنى أنه يرحمهم ويرفق بهم . قوله كبير لا-يوصف بالخفاء لما كان لفظ كبير إذا استعمل فى الجسم أفاد تباعد أقطاره ثم لما وصف البارئ بأنه كبير أراد أن ينزهه عما يدل لفظ كبير عليه إذا استعمل فى الأجسام والمراد من وصفه تعالى بأنه كبير عظمه شأنه وجلاله سلطانه . قوله بصير لا يوصف بالحاسه لأنه تعالى يدرك إما لأنه حى لذاته أو أن يكون إدراكه هو علمه و لاجارحة له و لاحاسه على كل واحد من القولين . قوله رحيم لا-يوصف بالرقه لأن لفظه الرحمة فى صفاته تعالى تطلق مجازا على إنعامه على عباده لأن الملك إذا رقى

على رعيته وعطف أصابهم بإنعامه ومعروفه . قوله تعنو الوجوه أى تخضع قال تعالى وَ عَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ . قوله وتجب القلوب أى تخفق وأصله من وجب الحائط سقط ويروى توجل القلوب أى تخاف وجل خاف . وروى صانع لاجحاسة وروى لاتراه العيون بمشاهدة العيان عوضا عن لاتدرکه -قرآن- ٨٨٣-٩٢٠ [صفحه ٦٧]

١٨١- و من كلام له ع في ذم أصحابه

أَحْمَدُ اللَّهُ عَلَى مَا قَضَى مِنْ أَمْرٍ وَقَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ وَعَلَى ابْتِلَائِي بِكُمْ أَيُّهَا الْفِرْقَةُ الَّتِي إِذَا أَمَرْتُ لَمْ تُطِعْ وَإِذَا دَعَوْتُ لَمْ تُجِبْ إِنْ أَهْمَلْتُمْ خُضَّتُمْ وَإِنْ حُورِبْتُمْ خُرْتُمْ وَإِنْ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى إِمَامٍ طَعَنْتُمْ وَإِنْ أُجِئْتُمْ إِلَى مُسَاقَمَةٍ نَكَصْتُمْ . لَأَبَا لَعِيرٍ كُمْ مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ وَالْجِهَادِ عَلَى حَقِّكُمْ الْمَوْتِ أَوْ الذَّلِّ لَكُمْ فَوَاللَّهِ لَئِنْ جَاءَ يَوْمِي وَلِيَأْتِيَنِي لَيُفَرِّقَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَنَا لَصُحْبَتِكُمْ قَالِ وَبِكُمْ غَيْرُ كَثِيرٍ لِلَّهِ أَنْتُمْ أَمَا دِينَ يَجْمَعُكُمْ وَ لَا حِمِيَّةُ تَسْحَدُكُمْ أَوْ لَيْسَ عَجَبًا أَنْ مُعَاوِيَةَ يَدْعُو الْجَفَاءَ الطَّغَامَ فَيَتَّبِعُونَهُ عَلَى غَيْرِ مَعُونَةٍ وَ لَا عَطَاءٍ وَ أَنَا أَدْعُوكُمْ وَ أَنْتُمْ تَرِيكُهُ الْإِسْلَامَ وَ بَقِيَّةُ النَّاسِ إِلَى الْمَعُونَةِ أَوْ طَائِفَةٌ مِنَ الْعَطَاءِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنِّي وَ تَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ إِنَّهُ لَا يَخْرُجُ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِي رِضًا فَتَرْضُونَهُ وَ لَمَّا سِيَخَطُ فَتَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ وَ إِنْ أَحَبَّ مَيَّا أَنَا لَمَاقِ إِلَى الْمَوْتِ قَدْ دَارَسْتُمْ الْكِتَابَ وَ فَاتَحْتُمْ الْحِجَابَ وَ عَرَفْتُمْ مَا أَنْكَرْتُمْ وَ سَوَّعْتُمْ مَا مَجَجْتُمْ لَوْ كَانَ الْأَعْمَى يَلْحَظُ أَوْ النَّائِمُ يَسْتَيْقِظُ [صفحه ٦٨] وَ أَقْرَبُ بِقَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ بِاللَّهِ قَائِدُهُمْ مُعَاوِيَةَ وَ مُؤَدِّبُهُمْ ابْنُ النَّابِغَةِ قَضَى وَقَدَّرَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَاحِدًا . وَيُرْوَى عَلَى مَا ابْتَلَانِي . وَأَهْمَلْتُمْ خَلِيَّتُمْ وَ تَرَكْتُمْ وَيُرْوَى أَهْمَلْتُمْ أَيْ أَخْرَجْتُمْ . وَخَرَجْتُمْ ضَعْفَتُمْ وَالْخَوْرُ الضَّعْفُ رَجُلٌ خَوَارٌ وَرَمَحٌ خَوَارٌ وَأَرْضٌ خَوَارَةٌ وَالْجَمْعُ خَوْرٌ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ خَرْتُمْ أَيْ صَحْتُمْ كَمَا يَخُورُ الثَّوْرُ وَ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خَوَارٌ وَيُرْوَى جَرْتُمْ أَيْ عَدَلْتُمْ عَنِ الْحَرْبِ فِرَارًا . وَأَجِئْتُمْ أَلْجِئْتُمْ قَالِ تَعَالَى فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ . وَالْمَشَاقَّةُ الْمَقَاطَعَةُ وَالْمِصَارِمَةُ . وَنَكَصْتُمْ أَجَجْتُمْ قَالِ تَعَالَى فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقَبِيهِ أَيْ رَجَعَ مَحْجَمًا أَيْ دَعِيمًا إِلَى كَشْفِ الْقِنَاعِ مَعَ الْعَدُوِّ وَجِبْتُمْ وَهَبْتُمُوهُ . قَوْلُهُ لَا- أَبَا لَعِيرٍ كُمْ الْأَفْصَحُ لِأَبِ بَحْدَفِ الْأَلْفِ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ -قرآن- ٢٤١-٢٦٦-قرآن- ٣٣٥-٣٧٥-قرآن- ٤٣٤-٤٨٢-أَبِي الْإِسْلَامِ لَا-أَبِ لِي سِوَاهُ || إِذَا فَتَخَرُوا بِقَيْسٍ أَوْ تَمِيمٍ . وَ أَمَا قَوْلُهُمْ لَا أَبَا لَكِ بِإِثْبَاتِهِ فَدُونَ الْأَوَّلِ فِي الْفِصَاحَةِ كَأَنَّهُمْ قَصَدُوا الْإِضَافَةَ وَأَفْحَمُوا اللَّامَ مَزِيدَةً مُؤَكَّدَةً كَمَا قَالُوا يَا تَيْمِ تَيْمٌ عَدِيٌّ وَ هُوَ غَرِيبٌ لِأَنَّ حَكْمَ [صفحه ٦٩] لَا- أَنْ تَعْمَلَ فِي النُّكْرَةِ فَقَطْ وَحَكْمَ الْأَلْفِ أَنْ تَتَّبَعَ مَعَ الْإِضَافَةِ وَالْإِضَافَةُ تَعْرِفُ فَاجْتَمَعَ فِيهَا حَكْمَانِ مُتَفَايِنَانِ فَصَارَ مِنَ الشَّوَادِ كَالْمَلَامِحِ وَالْمَذَاكِرِ وَ لَدُنْ غَدْوَةٍ . وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو الْبَقَاءِ رَحِمَهُ اللَّهُ يَجُوزُ فِيهَا وَجْهَانِ آخِرَانِ . أَحَدُهُمَا أَنَّهُ أَشْبَعُ فَتَحَهُ الْبَاءُ فَنَشَأَتِ الْأَلْفُ وَالْأَسْمُ بَاقٍ عَلَى تَنْكِيرِهِ وَالثَّانِي أَنْ يَكُونَ اسْتَعْمَلَ أَبَا عَلَى لَغَةً مِنْ قَالِهَا أَبَا فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهَا مِثْلَ عَصَا وَ مِنْهُ إِنْ أَبَاهَا وَ أَبَا أَبَاهَا . قَوْلُهُ الْمَوْتِ أَوْ الذَّلِّ لَكُمْ دَعَاءٌ عَلَيْهِمْ بِأَنْ يَصِيْبَهُمْ أَحَدُ الْأَمْرَيْنِ كَأَنَّهُ شَرَعَ دَعَايَا عَلَيْهِمْ بِالْفَنَاءِ الْكُلِّيِّ وَ هُوَ الْمَوْتُ ثُمَّ اسْتَدْرَكَ فَقَالَ أَوْ الذَّلِّ لِأَنَّهُ نَظِيرُ الْمَوْتِ فِي الْمَعْنَى وَلَكِنَّهُ فِي الصُّورَةِ دُونَهُ وَ لَقَدْ أُجِيبَ دَعَاؤُهُ عَ بِالْغَدْوَةِ الثَّانِيَةِ فَإِنْ شِيعْتَهُ ذَلُّوا بَعْدَ فِي الْأَيَّامِ الْأَمْوِيَّةِ حَتَّى كَانُوا كَفَقَعَ قَرَقَرًا . ثُمَّ أَقْسَمَ أَنَّهُ إِذَا جَاءَ يَوْمُهُ لَتَكُونُ مَفَارِقَتُهُ لَهُمْ عَنِ الْقَلْبِ وَ هُوَ الْبَغْضُ وَ أَدْخَلَ حَشْوَةً بَيْنَ أَثْنَاءِ الْكَلَامِ وَ هِيَ لِيَأْتِيَنِي وَ هِيَ حَشْوَةٌ لَطِيفَةٌ لِأَنَّ لَفْظَهُ إِنْ أَكْثَرَ مَا اسْتَعْمَلَ لَمَّا لَا يَعْلَمُ حُصُولَهُ وَ لَفْظَهُ إِذَا لَمَّا يَعْلَمُ أَوْ يَغْلِبُ عَلَى الظَّنِّ حُصُولَهُ تَقُولُ إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ جِئْتُ إِلَيْكَ وَ لَا- تَقُولُ إِنْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ جِئْتُ إِلَيْكَ وَ تَقُولُ إِذَا احْمَرَّتِ الْبَسْرُ جِئْتُكَ وَ لَا- تَقُولُ إِنْ احْمَرَّتِ الْبَسْرُ جِئْتُكَ فَلَمَّا قَالَ لَئِنْ جَاءَ يَوْمِي أَتَى بِلَفْظِهِ دَالَّةً عَلَى أَنَّ الْمَوْضِعَ مَوْضِعٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْمَوْضِعِ إِنْ فَقَالَ وَلِيَأْتِيَنِي . [صفحه ٧٠] وَالْوَاوُ فِي قَوْلِهِ وَ أَنَا لَصُحْبَتِكُمْ وَ أَوِ الْحَالِ وَ كَذَلِكَ الْوَاوُ فِي قَوْلِهِ وَ بِكُمْ غَيْرُ كَثِيرٍ وَ قَوْلِهِ غَيْرُ كَثِيرٍ لَفْظٌ فَصِيحٌ وَقَالَ الشَّاعِرُ لِي خَمْسُونَ صَدِيقًا || بَيْنَ قَاضٍ وَ أَمِيرٍ لَبَسُوا الْوَفْرَ فَلَمْ || أَخْلَعَ بِهِمْ ثَوْبَ الْنَفِيرِ لِكَثِيرِهِمْ وَلَكِنِّي || بِهِمْ غَيْرُ كَثِيرٍ . قَوْلُهُ لِلَّهِ أَنْتُمْ لِلَّهِ فِي الْمَوْضِعِ رَفَعَ لِأَنَّهُ خَبَرَ عَنِ الْمَبْتَدِ الَّذِي هُوَ أَنْتُمْ وَمِثْلُهُ لِلَّهِ دَرُ فُلَانٍ وَ لِلَّهِ بِلَادُ فُلَانٍ وَ لِلَّهِ

المقدرين بعد الأعراب و قد حال بين ذلك و بين مردوا قوله و من أهل المدينه. ونحوه قوله أنزل على عبده الكتاب و لم يجعل له عوجاً قيماً. فإن قيما حال من الكتاب و قد توسط بين الحال و ذى الحال و لم يجعل له عوجاً والحال كالصفة ولأنهم قد أجازوا مررت برجل أيها الناس طويل والنداء أجنبي على أنا لانسلم أن قوله من الجهل أجنبي لأنه متعلق بأقرب والأجنبي ما لا تعلق له بالكلام - قرآن- ١٦٤-١٨٥- قرآن- ٤٤٩-٥٤١- قرآن- ٦٩٤-٧١٧- قرآن- ٧٣٢-٧٩٥- قرآن- ٨٥٤-٨٧٩ [صفحه ٧٤]

١٨٢- و من كلام له ع

و قد أرسل رجلاً من أصحابه يعلم له علم أحوال قوم من جند الكوفة قد هموا باللحاق بالخوارج و كانوا على خوف منه ع فلما عاد إليه الرجل قال له أ أمنوا فقطنوا أم جبنوا فقطنوا فقال الرجل بل ظعنوا يا أمير المؤمنين فقال ع بعداً لهم كما بعثت ثمود أما لو أشرعت الأسنه إليهم و صببت السيوف على هاماتهم لقد ندموا على ما كان منهم إن الشيطان اليوم قد استفلهم و هو غداً متبرئ منهم و متحل عنهم فحسبهم من الهدى و ارتكاسهم في الضلال و العمى و صدهم عن الحق و جماعهم في التيه قد ذكرنا قصه هؤلاء القوم فيما تقدم عند شرحنا قصه مصقله بن هبيرة الشيباني و قطن الرجل بالمكان يقطن بالضم أقام به و توطنه فهو قاطن و الجمع قطان و قاطنه و قطين أيضاً مثل غاز و غزى و عازب للكلاء البعيد و عزيز . و ظعن صار الرجل ظعنا و ظعنا و قرئ بهما يوم ظعنكم و أظعنه سيره و انتصب بعدا على المصدر. - قرآن- ٢٥١-٢٦٤ [صفحه ٧٥] و ثمود إذا أردت القبيلة غير مصروف و إذا أردت الحي أو اسم الأب مصروف و يقال إنه ثمود بن عابر بن آدم بن سام بن نوح قيل سميت ثمود لقله مائها من التمد و هو الماء القليل و كانت مساكنهم الحجر بين الحجاز و الشام إلى وادي القرى . و أشرعت الرمح إلى زيد أي سدده نحوه و شرع الرمح نفسه و صببت السيوف على هاماتهم استعاره من صببت الماء شبه وقع السيوف و سرعه اعتوارها الرءوس بصب الماء . و استفلهم الشيطان و جدتهم مفلولين فاستزلهم هكذا فسروه . و يمكن عندي أن يريد أنه و جدتهم فلا لاخير فيهم و الفل في الأصل الأرض لانبات بها لأنها لم تمطر قال حسان يصف العزى و إن التي بالجذع من بطن نخلة || و من دانها فل من الخير معزل . أي خال من الخير . و يروى استفزهم أي استخفهم . و الارتكاس في الضلال الرجوع كأنه جعلهم في ترددهم في طبقات الضلال كالمرتكس الراجع إلى أمر قد كان تخلص منه . و الجماع في التيه الغلو و الإفراط مستعار من جماع الفرس و هو أن يعتر صاحبه و يغلبه جمع فهو جموح [صفحه ٧٦]

١٨٣- و من خطبه له ع

إشاره

رؤي عن نوف البكالي قال خطبنا بهذه الخطبه أمير المؤمنين علي ع بالكوفه و هو قائم على حجاره نصيها له جعله بن هبيرة المخزومي و عليه مدرعة من صوف و حمائل سيفه ليف و في رجليه نعلان من ليف و كأن جبينه ثفته بغير فقال ع الحمد لله المدي إليه مصائر الخلق و عواقب الأمر نحمده على عظيم إحسانه و نير برهانه و نوامي فضله و امتنانه حمداً يكون لحقه قضاء و لشكره أداء و إلى ثوابه مقرباً و لحسن مزيده موجباً و نستعين به استعانه راج لفضله مؤمل لنفعه و ائق بدفعه معترف له بالطول مدعين له بالعمل و القول و تؤمن به إيمان من رجاه موقناً و أناب إليه مؤمناً و خنع له مدعناً و أخلص له موحداً و عظمه ممجداً و لاذ به راغباً مجتهداً

قال الجوهري في الصحاح نوف البكالي بفتح الباء كان حاجب علي ع ثم قال وقال ثعلب هو منسوب إلى بكالة قبيلة. [صفحة ٧٧] وقال القطب الراوندي في شرح نهج البلاغة بكال وبكيل شىء واحد و هو اسم حى من همدان وبكيل أكثر قال الكميت فقد شرت فيه بكيل وأرحب . والصواب غير ما قاله وإنما بنو بكال بكسر الباء حى من حمير منهم هذا الشخص هونوف بن فضالة صاحب علي ع والرواية الصحيحة الكسر لأن نوف بن فضالة بكالي بالكسر من حمير وقد ذكر ابن الكلبي نسب بنى بكال الحميريين فقال هو بكال بن دعوى بن غوث بن سعد بن عوف بن عدى بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبدشمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير

نسب جعدة بن هبيرة

و أما جعدة بن هبيرة فهو ابن أخت أمير المؤمنين ع أمه أم هانئ بنت أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم وأبوه هبيرة بن أبى وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب و كان جعدة فارسا شجاعا فقيها وولى خراسان لأمير المؤمنين ع و هو من الصحابة الذين أدركوا رسول الله ص يوم الفتح مع أمه أم هانئ بنت أبى طالب وهرب أبو هبيرة بن أبى وهب ذلك اليوم هو و عبد الله بن الزبيرى إلى نجران . [صفحة ٧٨] وروى أهل الحديث أن أم هانئ كانت يوم الفتح فى بيتها فدخل عليها هبيرة بن أبى وهب بعلمها و رجل من بنى عمه هاربيين من علي ع و هو يتبعهما ويده السيف فقامت أم هانئ فى وجهه دونهما وقالت ماتريده منهما و لم تكن رآته من ثمانى سنين فدفع فى صدرها فلم تزل عن موضعها وقالت أتدخل يا علي بيتى وتهتك حرمتى وتقتل بعلى و لاتستحيى منى بعد ثمانى سنين فقال إن رسول الله ص أهدر دمهما فلا بد أن أقتلها فقبضت على يده التى فيها السيف فدخلا بيتا ثم خرجا منه إلى غيره ففاتاه وجاءت أم هانئ إلى رسول الله ص فوجدته يغتسل من جفنة فيها أثر العجين وفاطمة ابنته تستره بثوبها فوقف حتى أخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثمانى ركعات من الضحى ثم انصرف فقال مرحبا وأهلا بأم هانئ ماجاء بك فأخبرته خبر بعلمها و ابن عمه ودخول علي ع بيتها بالسيف فجاء علي ع و رسول الله ص يضحك فقال له ما صنعت بأم هانئ فقال سلها يا رسول الله ما صنعت بى و الذى بعثك بالحق لقد قبضت على يدي و فيها السيف فما استطعت أن أخلصها إلا بعدلأى وفاتنى الرجلان فقال ص لو ولد أبوطالب الناس كلهم لكانوا شجعانا قد أجرنا من أجارت أم هانئ وأمنا من أمنت فلا سبيل لك عليهما -رواية- ١-٥٩١. فأما هبيرة فلم يرجع و أما الرجل الآخر فرجع فلم يعرض له . قالوا وأقام هبيرة بن أبى وهب بنجران حتى مات بها كافرا وروى له محمد بن إسحاق فى كتاب المغازى شعرا أوله أشاقتك هند أم أتاك سؤالها || كذاك النوى أسبابها وانفتالها . يذكر فيه أم هانئ وإسلامها و أنه مهاجر لها إذ صببت إلى الإسلام و من جملته [صفحة ٧٩] فإن كنت قد تابعت دين محمد || وقطعت الأرحام منك حبالها فكونى على أعلى سحوق بهضبة || ململمة غبراء ييس قلالها . و قال ابن عبد البر فى كتاب الاستيعاب ولدت أم هانئ لهبيرة بن أبى وهب بنين أربعة جعدة وعمرا وهانئا ويوسف و قال وجعدة الذى يقول أبى من بنى مخزوم إن كنت سائلا || و من هاشم أمى لخير قبيل فمن ذا الذى ينأى على بخاله || كخالى على ذى الندى وعقيل . المدرعة الجبة وتدرع لبسها وربما قالوا تمدرع . وثفنة البعير واحدة ثفناته و هو ما يقع على الأرض من أعضائه إذا استناخ فيغلظ ويكتف كالركبتين وغيرهما ويقال ذو الثفناث الثلاثة لعلى بن الحسين و على بن عبد الله بن العباس ع ولعبد الله بن وهب الراسبى رئيس الخوارج لأن طول السجود كان قد أثر فى ثفناتهم قال دعبل [صفحة

٨٠] ديار على و الحسين و جعفر || و حمزة و السجاد ذى الثنات و مصائر الأمور جمع مصير و هو مصدر صار إلى كذا و معناه المرجع قال تعالى وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ فَمَا الْمَصِيرُ من صار الشيء كذا فمصير و صيرورة و القياس فى مصدر صار إليه أى رجع مصارا كمعاش و إنما جمع المصدر هاهنا لأن الخلاق يرجعون إلى الله تعالى فى أحوال مختلفة فى الدنيا و فى الدار الآخرة فجمع المصدر و إن كان يقع بلفظه على القليل و الكثير لاختلاف وجوه كقوله تعالى وَ تَتُنُونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَ. و عواقب الأمر جمع عاقبة و هى آخر الشيء. ثم قسم الحمد فجعله على ثلاثة أقسام أحدها الحمد على عظيم إحسانه و هو أصول نعمه تعالى كالحياة و القدرة و الشهوة و غيرها مما لا يدخل جنسه تحت مقدور القادر. و ثانيها الحمد على نير برهانه و هو مناصبه فى العقول من العلوم البديهية المفضية إلى العلوم النظرية بتوحيده و عدله. و ثالثها الحمد على أرزاقه النامية أى الزائدة و ما يجرى مجراها من إطالة الأعمار و كثرة الأرزاق و سائر ضروب الإحسان الداخلة فى هذا القسم. ثم بالغ فى الحمد حمدا يكون لحقه قضاء و لشكره أداء و ذلك لأن الحمد و الشكر و لوبلغ - قرآن - ٧٤ - ٩٨ - قرآن - ٣٨٤ - ٤١٥ [صفحة ٨١] أقصى غاياته لم يصل إلى أن يكون قاضيا لحق الله تعالى و لا مؤديا لشكره ولكنه قال ذلك على سبيل المبالغة. ثم قال و إلى ثوابه مقربا و لحسن مزیده موجبا و ذلك لأن الشكر يوجب الثواب و المزيد قال الله تعالى فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ أى أثبكم و قال لئن شكرتم لأزيدنكم. ثم شرع فى الاستعانة بالله ففصلها أحسن تفصيل فذكر أنه يستعين به استعانة راج لفضله فى الآخرة مؤمل لنفعه فى الدنيا واثق بدفعه المضار عنه و ذلك لأنه أراد أن يحتوى على وجوه ما يستعان به تعالى لأجله فذكر الأمور الإيجابية و أعقبها بالأمور السلبية فالأولى جلب المنافع و الثانية دفع المضار. و الطول الإفضال و الإذعان الانقياد و الطاعة. و أناب إليه أقبل و تاب و خنع خضع و المصير الخنوع و لاذ به لجأ إليه - قرآن - ٢٢٠ - ٢٤٢ - قرآن - ٢٦٠ - ٢٨٨ لم يولد سبحانه فيكون فى العز مشاركا و لم يلد فيكون موروثا هالكا و لم يتقدمه وقت و لما زمان و لم يتعاوره زيادة و لا نقصان بل ظهر للعقول بما أرانا من علامات التدبير المثمن و القضاء المبرم فمن شواهد خلقه خلق السماوات موطدات بلا عميد قائمات بلا سيند دعاهن فأجبن طائعات مبدعات غير متلكئات و لا مبطئات و لو لا إقرارهن له بالربوبية و إذعانهن له بالطواعية لما جعلهن موضعا لعرشه [صفحة ٨٢] و لا مسكنا لملائكته و لا مصعدا للكليم الطيب و العمل الصالح من خلقه نفى ع أن يكون البارئ سبحانه مولودا فيكون له شريك فى العز و الإلهية و هو أبوه الذى ولده و إنما قال ذلك جريا على عادة ملوك البشر فإن الأكثر أن الملك يكون ابن ملك قبله و نفى أن يكون له ولد جريا أيضا على عادة البشر فى أن كل والد فى الأكثر فإنه يهلك قبل هلاك الولد و يرثه الولد و هذا النمط من الاحتجاج يسمى خطابة و هو نافع فى مواجهة العرب به و أراد من الاحتجاج إثبات العقيدة فتارة تثبت فى نفوس العلماء بالبرهان و تارة تثبت فى نفوس العوام بالخطابة و الجدل. ثم نفى أن يتقدمه وقت أو زمان و الوقت هو الزمان و إنما خالف بين اللفظين و أتى بحرف العطف كقوله تعالى لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهَاجًا. و نفى أن يتعاوره أى تختلف عليه زيادة أو نقصان يقال عاورت زيدا الضرب أى فعلت به من الضرب مثل ما فعل بى و عاوروا الشيء أى تداولوه فيما بينهم و كذلك تعوروه و تعاوروه و إنما ظهرت الواو فى اعتوروا لأنه فى معنى تعاوروا فبنى عليه و لو لم يكن فى معناه لاعتلت كما قالوا اجتوروا لما كان فى معنى تجاوزوا التى لا بد من صحة الواو فيها السكون الألف قبلها و اعتورت الرياح رسم الدار اختلفت عليه. فإن قلت هذا يقتضى أن يقول و لم يتعاوره زيادة و نقصان لأن التعاور يستدعى الضدين معا و لا ينبغى أن يقول و لا نقصان كما لا يجوز أن تقول لم يختلف زيد و لا عمرو - قرآن - ٥٨٨ - ٦٢٨ [صفحة ٨٣] قلت لما كانت مراتب الزيادة مختلفة جاز أن يقال لا يعتوره الزيادة فكذلك القول فى جانب النقصان و جرى كل واحد من النوعين مجرى أشياء متنافية تختلف على الموضع الموصوف بها. قوله ع موطدات أى ممهدات مثبتات. و العمد جمع عمد نحو إهاب و أهب و إدام و آدم و هو على خلاف القياس و منه قوله تعالى فى عميد ممددة و قوله تعالى خلق السماوات بغير عميد ترونها و السند ما يستند إليه. ثم قال دعاهن فأجبن طائعات هذا من باب المجاز و التوسع لأن الجماد لا يدعى و أما من قال إن السماوات

أحياء ناطقة فإنه لم يجعلهن مكلفات ليقال و لو لا إقرارهن له بالربوبية لمافعل كذا بل يقول ذلك على وجه آخر ولكن لغة العرب تنطق بمثل هذا المجاز نحو قول الراجز -قرآن- ٣٠٤-٣٢٤-قرآن- ٣٤٠-٣٨١ امتلاء الحوض و قال قطنى || مهلا رويدا قدملات بطنى . و منه قوله تعالى اثيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين. و منه قول مكاتب لبنى منقر التميمين كان قد طلع بمكاتبته فأتى قبر غالب بن صعصعة فاستجار به وأخذ منه حصيات فشدهن فى عمامته ثم أتى الفرزدق فأخبره خبره و قال إنى قد قلت شعرا قال هاته فأنشده -قرآن- ٢٢-٧٠ [صفحة ٨٤] بقبر ابن ليلى غالب عدت بعد ما || خشيت الردى أو أن أرد على قسر بقبر امرئ يقرى المثين عظامه || و لم يك إلا غالباً ميت يقرى فقال لى استقدم أمامك إنما || فكاكك أن تلقى الفرزدق بالمصر . فقال ما اسمك فقال لهزم قال يالهزم حكمتك مسمطاً قال ناقة كوماً سوداء الحدقة قال يا جارية اطحى لنا حبلاً ثم قال يالهزم اخرج بنا إلى المربرد فألقه فى عنق ماشئت من إبل الناس فتخير لهزم على عينه ناقة ورمى بالحبل فى عنقها وجاء صاحبها فقال له الفرزدق اغد على أوفك ثمنها فجعل لهزم يقودها والفرزدق يسوقها حتى أخرجها من البيوت إلى الصحراء فصاح به الفرزدق يالهزم قبح الله أخسرنا فخير الشاعر عن القبر بقوله فقال لى استقدم أمامك والقبر والميت الذى فيه لا يخبران ولكن العرب و أهل الحكمة من العجم يجعلون كل دليل قولاً وجواباً لا ترى إلى قول زهير أ من أم أوفى دمنه لم تكلم . وإنما كلامها عنده أن تبين ما يرى من الآثار فيها عن قدم العهد بأهلها. و من كلام بعض الحكماء هلا وفتت على تلك الجنان والحيطان فقلت أيتها الجنان أين من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك فإن لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً. و قال النعمان بن المنذر ومعه عدى بن زيد فى ظل شجرات مونقات يشرب [صفحة ٨٥] فقال عدى أبيت اللعن وأراد أن يعظه أتدرى ماتقول هذه الشجرات قال ماتقول قال رب ركب قد أناخوا حولنا || يشربون الخمر بالماء الزلال ثم أضحوا عصف الدهر بهم || وكذاك الدهر يودى بالرجال فتغص النعمان يومه ذلك . والمدعن المنقاد المطيع والمتملكى المتوقف والكلم الطيب شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله والعمل الصالح أداء الواجبات والنوافل واللفظات من القرآن العزيز. والمصعد موضع الصعود ولاشبهه أن السماء أشرف من الأرض على رأى الملبين و على رأى الحكماء أما أهل الملة فلا أن السماء مصعد الأعمال الصالحة ومحل الأنوار ومكان الملائكة و فيها العرش والكرسى والكواكب المدبرات أمرا و أما الحكماء فلا أمور أخرى تقتضيها أصولهم جعل نجومها أعلاماً يستدل بها الحيران فى مختلف فجاج الأقطار لم يمنع ضوء نورها ادلهمام سيجف الليل المظلم و لا استطاعت جلابيب سواد الحنادس أن تزد ما شاع فى السماوات من تلالو نور القمر فسبحان من لا يخفى عليه سواد [صفحة ٨٦] غسق داج و لا ليل ساج فى بقاع الأرض بين المتطأطات و لا فى يفاع السيف المتجاورات و ما يتجلجل به الرعد فى أفق السماء و ما تلاشت عنه بزوق الغمام و ما تسقط من ورقه تربلها عن مسقطها عواصف الأنواء و انهطال السماء و يعلم مسقط القطرة و مقرها و مسحب الذرة و مجرها و ما يكفى البعوضة من قوتها و ما تحمل من الأنتى فى بطنها أعلاماً أى يستدل بها والفجاج جمع فج و هو الطريق فى الجبل . ثم قال إن ادلهمام سواد الليل أى شدة ظلمته لم يمنع الكواكب من الإضاءة وكذلك أيضا لم يمنع ظلام الليل القمر من تلالو نوره وإنما خص القمر بالذكر و إن كان من جملة الكواكب لشرفه بما يظهر للأبصار من عظم حجمه وشدة إضاءته فصار كقوله تعالى فيهما فاكهته و نخل و رمان و قدروى بعض الرواة ادلهمام بالنصب وجعله مفعولاً وضوء نورها بالرفع وجعله فاعلاً و هذه الرواية أحسن فى صناعة الكتابة لمكان الانزدواج أى لا القمر و لا الكواكب تمنع الليل من الظلمة و لا الليل يمنع الكواكب والقمر من الإضاءة. والسجف جمع سجف و هو الستر ويجوز فتح السين . وشاع تفرق والتلالو للمعان والجلابيب الثياب والغسق الظلمة والساجى الساكن والداجى المظلم والمتطأطى المنخفض والسفع المتجاورات هاهنا الجبال وسماها سفعا لأن السفعة سواد مشرب بحمرة وكذلك لونها فى الأكثر. -قرآن- ٣١٤-٣٤٩ [صفحة ٨٧] واليفاع الأرض المرتفعة والتجلجل صوت الرعد و ماتلاشت عنه بروق الغمام هذه الكلمة أهمل بناءها كثير من أئمة اللغة وهى صحيحة و قد جاءت ووردت قال ابن

الأعرابي لسا الرجل إذا توضع وخس بعد رفعة و إذا صح أصلها صح استعمال الناس تلاشى الشيء بمعنى اضمحل . و قال القطب الراوندى تلاشى مركب من لا شىء و لم يقف على أصل الكلمة و قد ظهر الآن أن معنى كلامه ع أنه سبحانه يعلم ما يصوت به الرعد و يعلم ما يضمحل عنه البرق . فإن قلت وهل يقصد الرعد بجلجلته معنى معقولا ليقال إن البارئ يعلمه ثم ما المراد بكونه عالما بما يضمحل البرق عنه . قلت قد يكون تعالى يحدث فى الرعد جلجله أى صوتا ليهلك به قوما أولينفع به قوما فعلمه بما تتضمنه تلك الجلجله هو معنى قولنا يعلم ما يصوت به الرعد و لا ريب أن البرق يلمع فيضىء أقطارا مخصوصه ثم يتلاشى عنها فالبارئ سبحانه عالم بتلك الأقطار التى يتلاشى البرق عنها . فإن قلت هو سبحانه عالم بما يضيئه البرق وبما لا يضيئه فلما ذا خص بالعالمية ما يتلاشى عنه البرق . قلت لأن علمه بما ليس بمضىء بالبرق أعجب وأغرب لأن ما يضيئه البرق يمكن أن يعلمه أولو الأبصار الصحيحة فأراد ع أن يشرح من صفاته سبحانه ما هو بخلاف المعتاد بين البشر ليكون إعظام السامعين له سبحانه أتم وأكمل . والعواصف الرياح الشديدة وأضافها إلى الأنواء لأن أكثر ما يكون عصفانها فى الأنواء وهى جمع نوء و هو سقوط النجم من منازل القمر الثمانية والعشرين فى المغرب [صفحہ ۸۸] مع الفجر وطلوع رقيقه من المشرق مقابلا له من ساعته ومدء النوء ثلاثة عشر يوما إلا الجبهه فإن لها أربعة عشر يوما . قال أبو عبيد و لم يسمع فى النوء أنه المسقوط إلا فى هذا الموضع وكانت العرب تضيف الرياح والأمطار والحر والبرد إلى الساقط منها . و قال الأصمعى بل إلى الطالع فى سلطانه فتقول مطرنا بنوء كذا وكذا ونهى النبى ص عن ذلك والجمع أنواء ونوءان أيضا مثل بطن وبطنان و عبد وعبدان قال حسان بن ثابت و يثر ب تعلم أنا بها || إذا قحط القطر نوءانها . والانهطال الانصباب ومسقط القطره من المطر موضع سقوطها ومقرها موضع قرارها ومسحب الذره الصغيره من النمل ومجرها موضع سحبها وجرها . و هذا الفصل من فصيح الكلام و نادره و يتضمن من توحيد الله تعالى وتمجيده والثناء عليه ما يشهد لنفسه و الحمد لله الكائن قبل أن يكون كرسى أو عرش أو سماء أو أرض أو جان أو إنس لا يدرك بؤهم و لما يقدر بفهم و لا يشغله سائل و لا ينقصه نائل و لا ينظر بعين و لا يحيد بأين و لا يوصف بالأزواج و لا يخلق بعلاج و لا يدرك بالحواس و لما يقاس بالناس الذى كلف موسى تكليما و أراه من آياته عظيما بلا جوارح و لا أدوات و لا نطق و لا لهوات بل إن كنت صادقاً أيها المتكلم لوصف ربك فصيف [صفحہ ۸۹] جبريل و ميكائيل و جنود الملائكة المقربين فى حجابات القدس مرجحين متوليه عقولهم أن يحيدوا أحسن الخالقين و إنما يدرك بالصهقات ذوو الهيئات و الأدوات و من ينقصى إذا بلغ أمد حيد بالفاء فلما إله إلا هو أضاء بنوره كل ظلام و أظلم بظلمته كل نور ليس يعنى بالكائن هاهنا ما يعنيه الحكماء والمتكلمون بل مراده الموجود أى هو الموجود قبل أن يكون الكرسي والعرش وغيرهما والأوائل يزعمون أن فوق السماوات السبع سماء ثامنة وسماء تاسعة ويقولون إن الثامنة هى الكرسي و إن التاسعة هى العرش . قوله ع لا يدرك بؤهم الوهم هاهنا الفكرة والتوهم . و لا يقدر بفهم أى لا تستطيع الأفهام أن تقدره وتحده . و لا يشغله سائل كما يشغل السؤال منا من يسألونه . و لا ينقصه العطاء كما ينقص العطاء خزائن الملوك . و لا يبصر بجارحه و لا يحد بأين و لفظه أين فى الأصل مبنية على الفتح فإذا نكرتها صارت اسما متمكنا كما قال الشاعر ليت شعرى وأين منى ليت || إن ليتا و إن لوا عناء . و إن شئت قلت إنه تكلم بالاصطلاح الحكيمى والأين عندهم حصول الجسم فى المكان و هو أحد المقولات العشر . [صفحہ ۹۰] قوله ع و لا يوصف بالأزواج أى صفات الأزواج وهى الأصناف قال سبحانه و أنبتنا فيها من كل زوج بهيج . قوله و لا يخلق بعلاج أى لا يحتاج فى إيجاد المخلوقات إلى معالجة ومزاولة . قوله و كلم موسى تكليما من الألفاظ القرآنية والمراد هاهنا من ذكر المصدر تأكيد الأمر وإزالة لبس عساه يصلح للسامع فيعتقد أنه أراد المجاز و أنه لم يكن كلام على الحقيقة . قوله و أراه من آياته عظيما ليس يريد به الآيات الخارجة عن التكليم كانشقاق البحر وقلب العصا لأنه يكون يادخال ذلك بين قوله تكليما و قوله بلا جوارح و لا أدوات و لا نطق و لالهوات مستهجننا وإنما يريد أنه أراد بتكليمه إياه عظيما من آياته و ذلك أنه كان يسمع الصوت من جهاته الست ليس على حد

سماع كلام البشر من جهه مخصوصه و له دوى وصلصله كوقع السلاسل العظيمة على الحصى الأصم . فإن قلت أتقول إن الكلام حل أجساما مختلفه من الجهات الست . قلت لا وإنما حل الشجرة فقط و كان يسمع من كل جهه والدليل على حلوله فى الشجرة قوله تعالى فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى فَلَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَكُونَ النداء حل الشجرة أو المنادى حلها والثانى باطل فثبت الأول . ثم قال ع لمن يتكلف أن يصف ربه إن كنت صادقاً أنك قد وصلت إلى -قرآن- ٧٤-١١٣-قرآن- ٩١٦-١٠٢٢ [صفحہ ٩١] معرفه صفته فصف لنا الملائكه فإن معرفه ذات الملك أهون من معرفه ذات الأول سبحانه . وحجرات القدس جمع حجره ومرجحين مائلين إلى جهه تحت خضوعاً لجلال البارئ سبحانه أرجح الحجر إذ مال هاويا متولها عقولهم أى حائرة ثم قال إنما يدرك بالصفات ويعرف كنه ما كان ذا هيئه وأداة وجارحه و ما ينقضى ويفنى ويتطرق إليه العدم و واجب الوجود سبحانه بخلاف ذلك . وتحت قوله أضاء بنوره كل ظلام إلى آخر الفصل معنى دقيق وسر خفى و هو أن كل رذيله فى الخلق البشرى مع معرفته بالأدلة البرهانية غير مؤثره و لا قاده فى جلاله المقام الذى قد بلغ إليه و ذلك نحو أن يكون العارف بخيلا أوجباناً أو حريصاً أونحو ذلك و كل فضيله فى الخلق البشرى مع الجهل به سبحانه فليست بفضيله فى الحقيقه و لا معتد بها لأن نقيصه الجهل به تكشف تلك الأنوار وتمحق فضلها و ذلك نحو أن يكون الجاهل به سبحانه جواداً أو شجاعاً أو عفيفاً أونحو ذلك و هذا يطابق ما يقوله الأوائل من أن العارف المذنب يشقى بعد الموت قليلاً ثم يعود إلى النعيم السرمدى و أن الجاهل ذا العباده والإحسان يشقى بعد الموت شقاء مؤبداً ومذهب الخالص من مرجئه الإسلام يناقض هذه اللفظات ويقال إنه مذهب أبى حنيفه رحمه الله ويمكن تأويلها على مذهب أصحابنا بأن يقال كل ظلام من المعاصى الصغائر فإنه ينجلي بضياء معرفته وطاعته و كل طاعه يفعلها المكلف مع الكفر به سبحانه فإنها غير نافعه و لا موجه ثواباً و يكون هذا التاويل من باب صرف اللفظ عن عمومه إلى خصوصه [صفحہ ٩٢] أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي أَلْبَسَكُمْ الرِّيشَ وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ الْمَعَاشَ فَلَوْ أَنَّ أَحَدًا يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ سِلْمًا أَوْ لَدَفَعَ الْمَوْتَ سَبِيلًا لَكَانَ ذَلِكَ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ ع الَّذِي سُخِّرَ لَهُ مُلْكُ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ مَعَ النَّبُوَّةِ وَ عَظِيمِ الزَّلْفَةِ فَلَمَّا اسْتَوْفَى طُعْمَتَهُ وَ اسْتَكْمَلَ مِدَّتَهُ رَمَتْهُ قِسِيَّ الْفَنَاءِ بِبِتَالِ الْمَوْتِ وَ أَصْبَحَتِ الدِّيَارُ مِنْهُ خَالِيَةً وَ الْمَسَاكِنُ مَعْظَمَةٌ وَ وَرَثَتُهَا قَوْمٌ آخَرُونَ وَ إِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً أَيْنَ الْعَمَالِقَةُ أَيْنَ الْفَرَاعِنَةُ وَ أبنَاءُ الْفَرَاعِنَةِ أَيْنَ أَصْحَابِ مَدَائِنِ الرُّسِّ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيَّ وَ أَطْفَأُوا سِنِينَ الْمُرْسَلِينَ وَ أَحْيَا سِنِينَ الْجَبَّارِينَ أَيْنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجُبُوشِ وَ هَزَمُوا الْأُلُوفَ وَ عَسَكَرُوا الْعَسَاكِرَ وَ مَدَّنُوا الْمَدَائِنَ الرِّيشَ اللَّبَاسَ وَ أَسْبَغَ أَوْسَعُ وَإِنَّمَا ضَرَبَ الْمَثَلَ بِسُلَيْمَانَ ع لَأَنَّهُ كَانَ مَلِكَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَ لَمْ يَحْصُلْ لغيره ذلك و من الناس من أنكر هذا لأن اليهود والنصارى يقولون إنه لم يتعد ملكه حدود الشام بل بعض الشام وينكرون حديث الجن والطيور والريح ويحملون ماورد من ذلك على وجوه وتأويلات عقليه معنويه ليس هذا موضع ذكرها . والزلفه القرب والطعمه بضم الطاء المأكله يقال قد جعلت هذه الضيعه طعمه لزيد . والقسى جمع قوس وأصلها قووس على فاعول كضرب وضروب إلا أنهم قدموا [صفحہ ٩٣] اللام فقالوا قسو على فاعول ثم قلبت الواو ياء وكسروا القاف كما كسروا عين عصى فصارت قسى

نسب العمالقة

والعمالقة أولاد لاوذ إرم بن سام بن نوح كان الملك باليمن والحجاز و ماتاخم ذلك من الأقاليم فمنهم عملاق بن لاوذ بن سام ومنهم طسم بن لاوذ أخوه . ومنهم جديس بن لاوذ أخوهما و كان العز والملك بعد عملاق بن لاوذ فى طسم فلما ملكهم عملاق بن طسم بغى وأكثر الفساد فى الأرض حتى كان يطأ العروس ليله إهدائها إلى بعلمها و إن كانت بكرًا افتضها قبل وصولها

إلى البعل ففعل ذلك بامرأة من جدیس يقال لها غفيرة بنت غفار فخرجت إلى قومها وهي تقول لأحد أذل من جدیس ||
أهكذا يفعل بالعروس .فغضب لها أخوها الأسود بن غفار وتابعه قومه على الفتك بعملاق بن طسم و أهل بيته فصنع الأسود
طعاما ودعا عملاق الملك إليه ثم وثب به وبطسم فأتى على رؤسائهم ونجا منهم رياح بن مر فصار إلى ذى جيشان بن تبع
الحميرى ملك اليمن فاستغاث به واستنجده على جدیس فسار ذو جيشان فى حمير فأتى بلاد جو وهي قصبه اليمامة فاستأصل
جدیسا كلها وأخرب اليمامة فلم يبق لجدیس باقية ولا لبطسم إلا اليسير منهم . ثم ملك بعدطسم وجدیس وبار بن أميم بن لاوذ
بن إرم فسار بولده وأهله فنزل بأرض وبار وهي المعروفة الآن برمل عالج فبغوا فى الأرض حينما حتى أفناهم الله [صفحہ ۹۴] ثم
ملك الأرض بعد وبار عبدضخم بن أثيف بن لاوذ فنزلوا بالطائف حينما ثم بادوا

نسب عاد وثمود

وممن يعد مع العمالقہ عاد وثمود فأما عاد فهو عاد بن عويص بن إرم بن سام بن نوح كان يعبد القمر ويقال إنه رأى من صلبه
أولاد أولاد أولاده أربعة آلاف وإنه نكح ألف جارية وكانت بلاده الأحقاف المذكورة فى القرآن وهي من شحر عمان إلى
حصرموت و من أولاده شداد بن عاد صاحب المدينة المذكورة. و أمثمود فهو ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح وكانت
دياره بين الشام والحجاز إلى ساحل نهر الحبشة

نسب الفراعنة

قوله ع أين الفراعنة وأبناء الفراعنة جمع فرعون وهم ملوك مصر فمنهم الوليد بن الريان فرعون يوسف ومنهم الوليد بن مصعب
فرعون موسى ومنهم فرعون بن الأعرج الذى غزا بنى إسرائيل وأخرب بيت المقدس

نسب أصحاب الرس

قوله ع أين أصحاب مدائن الرس قيل إنهم أصحاب شعيب [صفحہ ۹۵] النبى ص وكانوا عبدة أصنام ولهم مواش وآبار يسقون
منها. والرس بئر عظيمة جدا انخسفت بهم وهم حولها فهلكوا وخسفت بأرضهم كلها وديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان
بها قوم من بقايا ثمود بغوا فأهلكوا. وقيل قوم من العرب القديمة بين الشام والحجاز وكانت العنقاء تختطف صبيانهم فتقتلهم
فدعوا الله أن ينقذهم منها فبعث إليهم حنظلة بن صفوان فدعاهم إلى الدين على أن يقتل العنقاء فشارطوه على ذلك فدعا عليها
فأصابتها الصاعقة فلم يفوا له وقتلوه فأهلكوا. وقيل هم أصحاب الأخدود والرس هو الأخدود وقيل الرس أرض بأنطاكية قتل
فيها حبيب النجار. وقيل بل كذب أهلها نبيهم ورسوه فى بئر أى رموه فيها. وقيل إن الرس نهر فى إقليم الباب والأبواب مبدؤه من
مدينة طراز وينتهى إلى نهر الكر فيختلط به حتى يصب فى بحر الخزر كان هناك ملوك أولو بأس وقدره فأهلكهم الله بغيرهم
منها قد لیس للحكمة جنتها وأخذها بجميع أدبها من الإقبال عليها والمعرفة بها والتفرغ لها فهي عند نفسه ضالته التي يطلبها و
حاجته التي يسأل عنها فهو مغترب إذا اغترب الإسلام و ضرب بعسيب ذنبه وألصق الأرض بجرائه بقیته من بقايا حجته خليفه من
خلائف أنبيائه [صفحہ ۹۶] هذا الكلام فسرہ كل طائفة على حسب اعتقادها فالشيعة الإمامية تزعم أن المراد به المهدي المنتظر

عندهم والصوفية يزعمون أنه يعنى به ولى الله فى الأرض وعندهم أن الدنيا لا تخلو عن الأبدال وهم الأربعون و عن الأوتاد وهم سبعة و عن القطب و هو واحد فإذا مات القطب صار أحد السبعة قطبا عوضه و صار أحد الأربعين وتدا عوض الوتد و صار بعض الأولياء الذين يصطفاهم الله تعالى أبدا عوض ذلك البدل . وأصحابنا يزعمون أن الله تعالى لا يخلى الأمة من جماعة من المؤمنين العلماء بالعدل والتوحيد و أن الإجماع إنما يكون حجة باعتبار أقوال أولئك العلماء لكنه لماتعدرت معرفتهم بأعيانهم اعتبر إجماع سائر العلماء وإنما الأصل قول أولئك . قالوا وكلام أمير المؤمنين ع ليس يشير فيه إلى جماعة أولئك العلماء من حيث هم جماعة ولكنه يصف حال كل واحد منهم فيقول من صفته كذا و من صفته كذا . والفلاسفة يزعمون أن مراده ع بهذا الكلام العارف ولهم فى العرفان وصفات أربابه كلام يعرفه من له أنس بأقوالهم و ليس يبعد عندى أن يريد به القائم من آل محمدص فى آخر الوقت إذ خلقه الله تعالى و إن لم يكن الآن موجودا فليس فى الكلام ما يدل على وجوده الآن و قد وقع اتفاق الفرق من المسلمين أجمعين على أن الدنيا والتكليف لا ينقضى إلا- عليه . قوله ع قد لبس للحكمة جنتها الجنة ما يستتر به من السلاح كالدرع ونحوها ولبس جنة الحكمة قمع النفس عن المشتبهات وقطع علائق النفس عن [صفحة ٩٧] المحسوسات فإن ذلك مانع للنفس عن أن يصيها سهام الهوى كما تمنع الدرع الدارع عن أن يصيبه سهام الرماية . ثم عاد إلى صفة هذا الشخص فقال وأخذ بجميع أدبها من الإقبال عليها أى شدة الحرص والهمة . ثم قال والمعرفة بها أى والمعرفة بشرفها ونفاستها . ثم قال والتفرغ لها لأن الذهن متى وجهته نحو معلومين تخبط وفسد وإنما يدرك الحكمة بتخليئة السر من كل مامر سواها . قال فهى عند نفسه ضالته التى يطلبها هدامثل قوله ع الحكمة ضالة المؤمن -رواية ١-٢-رواية ١٢-٣٢ و من كلام الحكماء لا يمنعك من الانتفاع بالحكمة حقارة من وجدتها عنده كما لا يمنعك خبث تراب المعدن من التقاط الذهب . ووجدت بخط أبى محمد عبد الله بن أحمد الخشاب رحمه الله فى تعليقات مسودة أبياتا للعطوى وهى قدرأينا الغزال والغصن والنجمين || شمس الضحى و بدر التمام فو حق البيان يعضده البرهان || فى مآقط شديد الخصام مارأينا سوى المليحة شيئا || جمع الحسن كله فى نظام هى تجرى مجرى الأصالة فى الرأى || ومجرى الأرواح فى الأجسام . و قد كتب ابن الخشاب بخطه تحت المليحة ما صدقه إن أراد بالمليحة الحكمة قوله ع وحاجته التى يسأل عنها هومثل قوله ضالته التى يطلبها . ثم قال هومغرب إذا غرتب الإسلام يقول هذا الشخص يخفى نفسه ويحملها [صفحة ٩٨] إذا غرتب الإسلام واغرتاب الإسلام أن يظهر الفسق والجور على الصلاح والعدل قال ع بدأ الإسلام غربيا وسيعود كما بدأ -رواية ١-٢-رواية ١١-٤٤ . قال وضرب بعسيب ذنبه وألصق الأرض بجرائه هذا من تمام قوله إذا غرتب الإسلام أى إذا صار الإسلام غربيا مقهورا و صار الإسلام كالبعير البارك يضرب الأرض بعسيبه و هو أصل الذنب ويلصق جرائه و هو صدره فى الأرض فلا يكون له تصرف و لانهوض . ثم عاد إلى صفة الشخص المذكور . و قال بقيه من بقايا حججه خليفه من خلائف أنبيائه الضمير هاهنا يرجع إلى الله سبحانه و إن لم يجر ذكره للعلم به كما قال حيتى توارت بالحجاب ويمكن أن يقال إن الضمير راجع إلى المذكور و هو الإسلام أى من بقايا حجج الإسلام وخليفه من خلائف أنبياء الإسلام . فإن قلت ليس للإسلام إله واحد . قلت بل له أنبياء كثير قال تعالى مَلَأَ أَيْكُمُ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَ قَالَ سُبْحَانَهُ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَ كُلِّ الْأَنْبِيَاءِ دَعَا إِلَى مَادَعَا إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْعَدْلِ فَكَلَّمَهُمْ أَنْبِيَاءَ لِلْإِسْلَامِ . فإن قلت أ ليس لفظ الحجة و لفظ الخليفة مشعرا بما تقوله الإمامية . قلت لا فإن أهل التصوف يسمون صاحبهم حجة وخليفه وكذلك الفلاسفة -قرآن- ٤٠٧-٤٣٠-قرآن- ٦١٩-٦٨٢-قرآن- ٦٩٧-٧٥٦ [صفحة ٩٩] وأصحابنا لا يمتنعون من إطلاق هذه الألفاظ على العلماء المؤمنين فى كل عصر لأنهم حجج الله أى إجماعهم حجة و قد استخلفهم الله فى أرضه ليحكموا بحكمه . و على ما اخترناه نحن فالجواب ظاهر أيها الناس إِنِّي قَدْ بَشَّتُ لَكُمْ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ أُمَّمَهُمْ وَ أَدَيْتُ إِلَيْكُمْ مِآ أَدَّتِ الْأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ وَ أَدَّبْتُكُمْ بِسُوطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا وَ خَدَّوْتُمْ بِالزَّوْجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا لِلَّهِ أَنْتُمْ أَ تَتَوَقَّعُونَ إِمَامًا

غَيْرِي يَطَأُ بِكُمْ الطَّرِيقَ وَ يُرْشِدُكُمْ السَّبِيلَ أَلَا إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلًا وَ أَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِرًا وَ أَرْمَعَ التَّرْحَالَ عِبَادَ اللَّهِ الْأَخْيَارَ وَ بَاعُوا قَلِيلًا مِنَ الدُّنْيَا لَأَ يَبْقَى بِكَثِيرٍ مِنَ الْآخِرَةِ لَأَ يَفْنَى مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ سُفِكَتَ دِمَاؤُهُمْ بِصَفِينٍ أَلَا يَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْيَاءَ يُسَبِّغُونَ الْغُصَّيْصَ وَ يَشْرَبُونَ الرَّنْقَ قَدْ وَ اللَّهُ لَقُوا اللَّهَ فَوَفَّاهُمْ أَجُورَهُمْ وَ أَحَلَّهُمْ دَارَ الْأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ أَيْنَ إِخْوَانِي الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ وَ مَضُوا عَلَى الْحَقِّ أَيْنَ عَمَّارٌ وَ أَيْنَ ابْنُ التَّيْهَانِ وَ أَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ وَ أَيْنَ نَظْرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى الْمَيْتَةِ وَ أُبْرِدَ بِرُءُوسِهِمْ إِلَى الْفَجْرَةِ قَالَ ثُمَّ ضَرَبَ عَ بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَتِهِ الشَّرِيفَةِ الْكَرِيمَةِ فَأَطَالَ الْبُكَاءَ ثُمَّ قَالَ عَ أَوْهَ عَلَى إِخْوَانِي الَّذِينَ قَرَأُوا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ وَ تَدَبَّرُوا الْفَرَضَ فَأَقَامُوهُ [صفحة ١٠٠] أَحْيَاؤُا السَّيْنَةَ وَ أَمَاتُوا الْبِدْعَةَ دُعَاؤًا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا وَ وَثِقُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ ثُمَّ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ الْجِهَادَ الْجِهَادَ عِبَادَ اللَّهِ أَلَا وَ إِنِّي مُعَسِّكِرٌ فِي يَوْمِي هَذَا فَمَنْ أَرَادَ الزَّوَّاحَ إِلَى اللَّهِ فَلْيَخْرُجْ قَالَ نَوْفٌ وَ عَقَدَ لِلْحَسَيْنِ عَ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ وَ لَقِيْسِ بْنِ سَعْدِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ وَ لِأَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ وَ لِعَبِيدِهِمْ عَلَى أَعْدَادٍ أُخْرٍ وَ هُوَ يُرِيدُ الرَّجْعَةَ إِلَى صَفِينٍ فَمَا دَارَتِ الْجُمُعَةُ حَتَّى ضَرَبَهُ الْمَلْعُونُ ابْنُ الْمُلْجَمِ لَعْنَهُ اللَّهُ فَتَرَا جَعَتِ الْعَسَاكِرُ فَكُنَّا كَأَغْنِيَامٍ فَفَقَدَتِ رَاعِيَهَا تَخْتَطِفُهَا الذَّنَابُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ بَشَّتْ لَكُمْ الْمَوَاعِظَ فَرَقَّتْهَا وَ نَشَرْتَهَا وَ الْأَوْصِيَاءَ الَّذِينَ يَأْتَمِنُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ عَلَى الْأَسْرَارِ الْإِلَهِيَّةِ وَ قَدِيمِكُنْ أَلَا- يَكُونُوا خَلْفَاءَ بِمَعْنَى الْإِمْرَةِ وَ الْوَلَايَةِ فَإِنْ مَرَّتْ بِتِهْمٍ أَعْلَى مِنْ مَرَاتِبِ الْخُلَفَاءِ. وَ حُدُوتِكُمْ سَقَّتْكُمْ كَمَا تَحْدَى الْإِبِلُ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا أَى لَمْ تَجْتَمِعُوا قَالَ مَسْتَوْسِقَاتٌ لَمْ يَجِدْنَ سَائِقًا. قَوْلُهُ يَطَأُ بِكُمْ الطَّرِيقَ أَى يَحْمِلُكُمْ عَلَى الْمَنْهَاجِ الشَّرْعِيِّ وَ يَسْلُكُ بِكُمْ مَسْلُكَ الْحَقِّ كَأَنَّهُ جَعَلَهُمْ ضَالِّينَ عَنِ الطَّرِيقِ الَّتِي يَطْلُبُونَهَا. [صفحة ١٠١] وَ قَالَ أَتْرِيدُونَ إِمَامًا غَيْرِي يَوْقِفُكُمْ عَلَى الطَّرِيقِ الَّتِي تَطْلُبُونَهَا حَتَّى تَطْهَوْهَا وَ تَسْلُكُوهَا. ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلًا وَ هُوَ الْهُدَى وَ الرَّشَادُ فَإِنَّهُ كَانَ فِي أَيَّامِ رَسُولِ اللَّهِ صَ وَ خُلَفَائِهِ مُقْبِلًا- ثُمَّ أَدْبَرَ عِنْدَ اسْتِيْلَاءِ مَعَاوِيَةَ وَ اتِّبَاعِهِ وَ أَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِرًا وَ هُوَ الضَّلَالُ وَ الْفَسَادُ وَ مَعَاوِيَةَ عِنْدَ أَصْحَابِنَا مَطْعُونٌ فِي دِينِهِ مَنْسُوبٌ إِلَى الْإِلْحَادِ قَدْ طَعَنَ فِيهِ صَ وَ رَوَى فِيهِ شَيْخُنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَصْرِيُّ فِي كِتَابِ نَقْضِ السَّفِيَانِيَّةِ عَلَى الْجَا حِظِّ وَ رَوَى عَنْهُ أَخْبَارًا كَثِيرَةً تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ وَ قَدْ ذَكَرْنَا فِي كِتَابِنَا فِي مَنَاقِضِ السَّفِيَانِيَّةِ. وَ رَوَى أَحْمَدُ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ فِي كِتَابِ أَخْبَارِ الْمُلُوكِ أَنَّ مَعَاوِيَةَ سَمِعَ الْمُؤَذِّنَ يَقُولُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَالَهَا ثَلَاثًا فَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَقَالَ اللَّهُ أَبُوكَ يَا ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ عَالِي الْهَمَّةِ مَارَضِيْتُ لِنَفْسِكَ إِلَّا أَنْ يَقْرَنَ اسْمُكَ بِاسْمِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. قَوْلُهُ عَ وَ أَرْمَعَ التَّرْحَالَ أَى ثَبَّتَ عَزْمَهُمْ عَلَيْهِ يَقَالُ أَرْمَعْتُ الْأَمْرَ وَ لَا يَقَالُ أَرْمَعْتُ عَلَى الْأَمْرِ هَكَذَا يَقُولُ الْكَسَائِيُّ وَ أَجَازَهُ الْخَلِيلُ وَ الْفَرَاءُ. ثُمَّ قَالَ عَ إِنَّهُ لَمْ يَضُرَّ إِخْوَانَنَا الْقَتْلَى بِصَفِينِ كَوْنِهِمُ الْيَوْمَ لَيْسُوا بِأَحْيَاءَ حَيَاتِنَا الْمَشُوبَةُ بِالنَّغْصِ وَ الْغُصْصِ. وَ يَقَالُ مَاءُ رَنْقٍ بِالتَّسْكِينِ أَى كَدْرٍ رَنْقُ الْمَاءِ بِالْكَسْرِ يَرْنُقُ رَنْقًا فَهُوَ رَنْقٌ وَ أَرْنَقْتَهُ أَى كَدَرْتَهُ وَ عَيْشَ رَنْقٍ بِالْكَسْرِ أَى كَدْرٍ. ثُمَّ أَقْسَمَ أَنَّهُمْ لَقُوا اللَّهَ فَوَفَّاهُمْ أَجُورَهُمْ وَ هَذَا يَدُلُّ عَلَى مَا يَذْهَبُ إِلَيْهِ جَمْهُورُ أَصْحَابِنَا مِنْ نَعِيمِ الْقَبْرِ وَ عَذَابِهِ. ثُمَّ قَالَ عَ أَيْنَ إِخْوَانِي ثُمَّ عَدَدَهُمْ فَقَالَ أَيْنَ عَمَارٍ [صفحة ١٠٢]

عمار بن ياسر ونسبه ونبذ من أخباره

و هو عمار بن ياسر بن عامر بن كنانة بن قيس العنسي بالنون المذحجي يكنى أبا اليقظان حليف بني مخزوم . ونحن نذكر طرفا من أمره من كتاب الاستيعاب لأبي عمر بن عبد البر المحدث قال أبو عمر كان ياسر والد عمار عربيا قحطانيا من عنس في مذحج إلا أن ابنه عمارا كان مولى لبني مخزوم لأن أباه ياسرا قدم مكة مع أخوين له يقال لهما مالك والحارث في طلب أخ لهم رابع فرجع الحارث ومالك إلى اليمن وأقام ياسر بمكة فحالف أباحذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم فزوجه أبوحذيفة أمة يقال لها سمية فأولدها عمارا فأعتقه أبوحذيفة فمن هاهنا كان عمار مولى بني مخزوم وأبوه عربي لا يختلفون في ذلك

وللحلف والولاء الذى بين بنى مخزوم وعمار و أبيه ياسر كان احتمال بنى مخزوم على عثمان حين نال من عمار غلمان عثمان مانالوا من الضرب حتى انفتق له فتق فى بطنه زعموا وكسروا ضلعا من أضلاعه فاجتمعت بنو مخزوم فقالوا و الله لئن مات لاقتلنا به أحدا غير عثمان . قال أبو عمر كان عمار بن ياسر ممن عذب فى الله ثم أعطاهم عمار ما أرادوا بلسانه واطمأن الإيمان بقلبه فنزل فيه إلاً من أكره و قلبه مطمئن بالإيمان و هدامما أجمع عليه أهل التفسير . -قرآن- ١٠٠٢-١٠٥١ [صفحہ ١٠٣] وهاجر إلى أرض الحبشه و صلى إلى القبلتين و هو من المهاجرين الأولين ثم شهد بدر و المشاهد كلها و أبلى بلاء حسنا ثم شهد اليمامة فأبلى فيها أيضا يومئذ و قطعت أذنه . قال أبو عمر و قدروى الواقدى عن عبد الله بن نافع عن أبيه عن عبد الله بن عمر قال رأيت عمارا يوم اليمامة على صخره و قد أشرف عليها يصيح يامعشر المسلمين أ من الجنة تفرون أناعمار بن ياسر هلموا إلى و أنا أنظر إلى أذنه قد قطعت فهى تذبذب و هويقاتل أشد القتال . قال أبو عمر و كان عمار آدم طوالا مضطربا أشهل العينين بعيد ما بين المنكبين لا يغير شبيهه . قال و بلغنا أن عمارا قال كنت تريا لرسول الله ص فى سنة لم يكن أحد أقرب إليه منى سنا . و قال ابن عباس فى قوله تعالى أ و من كان ميتا فأحييناه و جعلنا له نورا يمشى به فى الناسينه عمار بن ياسر كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها إنه أبو جهل بن هشام -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-٢٠٦ قال و قال رسول الله ص إن عمارا ملئ إيمانا إلى مشاشه و يروى إلى أخص قدميه -رواية- ١-٢-رواية- ٣٠-٨٧ روى أبو عمر عن عائشه أنها قالت ما من أحد من أصحاب رسول الله ص -رواية- ١-٢-رواية- ٣٤-ادامه دارد [صفحہ ١٠٤] أشاء أن أقول فيه إلا قلت لإعمار بن ياسر فإنى سمعت رسول الله ص يقول إنه ملئ إيمانا إلى أخص قدميه -رواية- از قبل- ١١٢ . قال أبو عمر و قال عبدالرحمن بن أبزى شهدنا مع على ع صفين ثمانمائة ممن بايع بيعه الرضوان قتل منا ثلاثة وستون منهم عمار بن ياسر . قال أبو عمر و من حديث خالد بن الوليد أن رسول الله ص قال من أبغض عمارا أبغضه الله -رواية- ١-٢-رواية- ٦٥-٩٤ فما زلت أحبه من يومئذ . قال أبو عمر و من حديث على بن أبى طالب ع أن عمارا جاء يستأذن على رسول الله ص يوما فعرف صوته فقال مرحبا بالطيب المطيب يعنى عمارا ائذنوا له -رواية- ١-٢-رواية- ٤٨-١٥٦ قال أبو عمر و من حديث أنس عن النبى ص اشتاقت الجنة إلى أربعة على و عمار و سلمان و بلال -رواية- ١-٢-رواية- ٤٥-٩٥ . قال أبو عمر و فضائل عمار كثيرة جدا يطول ذكرها . قال و روى الأعمش عن أبى عبدالرحمن السلمى قال شهدنا مع على ع صفين فرأيت عمار بن ياسر لا يأخذ فى ناحية و لا واد من أودية صفين إلا رأيت أصحاب محمد ص يتبعونه كأنه علم لهم و سمعته يقول يومئذ لهاشم بن عتبة يهاشم تقدم الجنة تحت البارقة اليوم ألقى الأحبة || محمدا و حزه . و الله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق و أنهم على الباطل ثم قال نحن ضربناكم على تنزيله || فاليوم نضربكم على تأويله [صفحہ ١٠٥] ضربا يزيل الهام عن مقيله || ويذهل الخليل عن خليله أو يرجع الحق على سبيله . فلم أر أصحاب محمد ص قتلوا فى موطن ما قتلوا يومئذ . قال و قد قال أبو مسعود البدرى و طائفة لحذيفة حين احتضر و قد ذكر الفتنة إذا اختلف الناس فبمن تأمرنا قال عليكم بابن سمية فإنه لن يفارق الحق حتى يموت أو قال فإنه يزول مع الحق حيث زال . قال أبو عمر و بعضهم يجعل هذا الحديث عن حذيفة مرفوعا . قال أبو عمر و روى الشعبى عن الأحنف أن عمارا حمل يوم صفين فحمل عليه ابن جزء السكسكى و أبو الغادية الفزارى فأما أبو الغادية فطعنه و أما ابن جزء فاحتز رأسه . قلت هذا الموضع مما اختلف فيه قول أبى عمر رحمه الله فإنه ذكر فى كتاب الكنى من الاستيعاب أبا الغادية بالغين المعجمة و قال إنه جهنى من جهينة و جهينة من قضاعة و قد نسبها هاهنا فزاريا . و قال فى كتاب الكنى إن اسم أبى الغادية يسار و قيل مسلم . و قد ذكر ابن قتيبة فى كتاب المعارف عن أبى الغادية أنه كان يحدث عن نفسه بقتل عمار و يقول إن رجلا طعنه فانكشف المغفر عن رأسه فضربت رأسه فإذا رأس عمار قد ندر . و كيفية هذا القتل تخالف الكيفية التى رواها ابن عبدالبر . قال أبو عمر و قدروى و كيع عن شعبة عن عبد بن مرة عن عبد الله بن سلمة [صفحہ ١٠٦] قال لكأنى أنظر إلى عمار يوم صفين و هو صريع فاستسقى فأتى بشربة من لبن فشرب فقال اليوم

ألقى الأعبء . إن رسول الله ص عهد إلى أن آخر شربة أشربها فى الدنيا شربة من لبن ثم استسقى ثانية فأتته امرأة طويلة اليدىن بإناء فىه ضىاح من لبن فقال حىن شربه الحمد لله الجنة تحت الأسنء و الله لوضربونا حتى يبلغونا سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق وأنهم على الباطل ثم قاتل حتى قتل . قال أبو عمر و قدروى حارثء بن المضراب قرأت كتاب عمر إلى أهل الكوفة أما بعد فإنى بعثت إليكم عمارا أميرا و عبد الله بن مسعود معلما ووزيرا وهما من النجباء من أصحاب محمد فاسمعوا لهما واقعدوا بهما فإنى قد آثرتكم بعبد الله على نفسى أثرء . قال أبو عمر وإنما قال عمر هما من النجباء لقول رسول الله ص إنه لم يكن نبى إلا أعطى سبعة من أصحابه نجباء وزراء فقهاء وإنى قد أعطيت أربعة عشر حمزة و جعفر و عليا و حسنا و حسينا و أبابكر و عمر و عبد الله بن مسعود و سلمان و عمارا و أباذر و حذيفة و المقداد و بلالا -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-٢٢١ قال أبو عمر و تواترت الأخبار عن رسول الله ص أنه قال تقتل عمارا الفئة الباغية -رواية- ١-٢-رواية- ٦١-٨٧ و هذا من إخباره بالغيب و أعلام نبوته ص و هو من أصح الأحاديث . و كانت صفين فى ربيع الآخر سنة سبع و ثلاثين و دفنه على ع فى ثيابه و لم يغسله . [صفحء ١٠٧] و روى أهل الكوفة أنه صلى عليه و هو مذهبهم فى الشهداء أنهم لا يغسلون ولكن يصلى عليهم . قال أبو عمر و كانت سن عمار يوم قتل نيفا و تسعين سنة و قيل إحدى و تسعين و قيل اثنتين و تسعين و قيل ثلاثا و تسعين

ذكر أبى الهيثم بن التيهان و طرف من أخباره

ثم قال ع و أين ابن التيهان هو أبو الهيثم بن التيهان بالياء المنقوطة باثنتين تحتها المشددة المكسورة و قبلها تاء منقوطة باثنتين فوقها و اسمه مالك و اسم أبىه مالك أيضا ابن عبيد بن عمرو بن عبد الأعلم بن عامر الأنصارى أحد النقباء ليلة العقبة و قيل إنه لم يكن من أنفسهم و إنه من بلى بن أبى الحارث بن قضاعء و إنه حليف لبني عبد الأشهل كان أحد النقباء ليلة العقبة و شهد بدرًا . قال أبو عمر بن عبد البر فى كتاب الإستيعاب اختلف فى وقت وفاته فذكر خليفة عن الأصمعى قال سألت قومه فقالوا مات فى حياة رسول الله ص . قال أبو عمر و هذا لم يتابع عليه قائله . و قيل إنه توفى سنة عشرين أو إحدى و عشرين . و قيل إنه أدرك صفين و شهدها مع على ع و هو الأكثر . و قيل إنه قتل بها . ثم قال أبو عمر حدثنا خلف بن قاسم قال حدثنا الحسن بن رشيق قال [صفحء ١٠٨] حدثنا الدولابى قال حدثنا أبو بكر الوجيهى عن أبىه عن صالح بن الوجيه قال و ممن قتل بصفين عمار و أبو الهيثم بن التيهان و عبد الله بن بديل و جماعة من البدرىين رحمهم الله . ثم روى أبو عمر رواية أخرى فقال حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن قال حدثنا عثمان بن أحمد بن السماك قال حدثنا حنبل بن إسحاق بن على قال قال أبو نعيم أبو الهيثم بن التيهان اسمه مالك و اسم التيهان عمرو بن الحارث أصيب أبو الهيثم مع على يوم صفين . قال أبو عمر هذا قول أبى نعيم وغيره . قلت و هذه الرواية أصح من قول ابن قتيبة فى كتاب المعارف و ذكر قوم أن أبى الهيثم شهد صفين مع على ع و لا يعرف ذلك أهل العلم و لا يشتونه فإن تعصب ابن قتيبة معلوم و كيف يقول لا يعرفه أهل العلم و قد قاله أبو نعيم و قاله صالح بن الوجيه و رواه ابن عبد البر و هؤلاء شيوخ المحدثين

ذكر ذى الشهداءىن خزيمء بن ثابت و طرف من أخباره

ثم قال ع و أين ذى الشهداءىن هو خزيمء بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة الخطمى الأنصارى من بنى خطمة من الأوس جعل رسول الله ص [صفحء ١٠٩] شهادته كشهادة رجلين لقصة مشهورة يكنى أبا عمارء شهد بدرًا و مابعدا من المشاهد و كانت رايء بنى

خطمه بيده يوم الفتح . قال أبو عمر بن عبد البر في كتاب الإستيعاب وشهد صفين مع علي بن أبي طالب ع فلما قتل عمار قاتل حتى قتل . قال أبو عمر و قد روى حديث مقتله بصفين من وجوه كثيرة ذكرناها في كتاب الإستيعاب عن ولد ولده و هو محمد بن عماره بن خزيمه ذى الشهاده و أنه كان يقول فى صفين سمعت رسول الله ص يقول تقتل عمارا الفئة الباغية -روايت- ١-٢- روايت- ٢٩-٥٥ ثم قاتل حتى قتل . قلت و من غريب ما وقعت عليه من العصبية القبيحة أن أباحيان التوحيدى قال فى كتاب البصائر إن خزيمه بن ثابت المقتول مع علي ع بصفين ليس هو خزيمه بن ثابت ذا الشهداءتين بل آخر من الأنصار صحابى اسمه خزيمه بن ثابت و هذا خطأ لأن كتب الحديث والنسب تنطق بأنه لم يكن فى الصحابة من الأنصار و لا من غير الأنصار خزيمه بن ثابت إلا ذو الشهداءتين وإنما الهوى لادواء له علي أن الطبرى صاحب التاريخ قد سبق أباحيان بهذا القول و من كتابه نقل أبو حيان والكتب الموضوعه لأسماء الصحابة تشهد بخلاف ما ذكره ثم أى حاجه لناصرى أمير المؤمنين أن يتكثروا بخزيمه و أبى الهيثم و عمار وغيرهم لو أنصف [صفحه ١١٠] الناس هذا الرجل ورأوه بالعين الصحيحة لعلموا أنه لو كان وحده و حاربه الناس كلهم أجمعون لكان على الحق و كانوا على الباطل . ثم قال ع و أين نظراؤهم من إخوانهم يعنى الذين قتلوا بصفين معه من الصحابة كابن بديل و هاشم بن عتبة وغيرهما ممن ذكرناه فى أخبار صفين . و تعاقدوا على المنية جعلوا بينهم عقدا و روى تعاقدوا . و أبرد برء و وسهم إلى الفجرة حملت رء و وسهم مع البريد إلى الفسقة للبشارة بها و الفجرة هاهنا أمراء عسكر الشام تقول قد أبردت إلى الأمير فأنا مبرد و الرسول بريد و يقال للفرائق البريد لأنه ينذر قدام الأسد . قوله أوه على إخوانى ساكنة الواو مكسورة الهاء كلمة شكوى و توجع و قال الشاعر فأوه لذكرها إذا ما ذكرتها || و من بعد أرض دونها و سماء . و ربما قلبوا الواو ألفا فقالوا آه من كذا آه على كذا و ربما شددوا الواو و كسروها و سكنوا الهاء فقالوا أوه من كذا و ربما حذفوا الهاء مع التشديد و كسروا الواو فقالوا أو من كذا بلا مد و قديقولون أوه بالمد و التشديد و فتح الألف و سكنوا الهاء لتطويل الصوت بالشكايه و ربما أدخلوا فيه الياء تارة يمدونه و تارة لا يمدونه فيقولون أويه و آويه و قد أوه الرجل تأويها و تأوه إذا قال أوه و الاسم منه الآهه بالمد قال المثقب العبدى إذا ماقت أرحلها لليل || تأوه آهه الرجل الحزين . [صفحه ١١١] قوله ع و وثقوا بالقائد فاتبعوه يعنى نفسه أى و ثقوا بأنى على الحق و تيقنوا ذلك فاتبعونى فى حرب من حاربت و سلم من سالم . قوله الجهاد الجهاد منصوب بفعل مقدر . و إنى معسكر فى يومى أى خارج بالعسكر إلى منزل يكون لهم معسكرا

ذكر سعد بن عباد و نسبه

وقيس بن سعد بن عباد بن دليم الخزرجى صحابى يكنى أبا عبد الملك روى عن رسول الله ص أحاديث و كان طوالا جدا سبطا شجاعا جوادا و أبوه سعد رئيس الخزرج و هو الذى حاولت الأنصار إقامته فى الخلافة بعد رسول الله ص و لم يبايع أبابكر حين بويح و خرج إلى حوران فمات بها قيل قتلته الجن لأنه بال قائما فى الصحراء ليلا و روى بيتين من شعر قيل إنهما سمعا ليلة قتله و لم ير قائلهما نحن قتلنا سيد الخزرج || سعد بن عباد و رميناه بسهمين || فلم نخطئ فؤاده . و يقول قوم إن أمير الشام يومئذ كمن له من رماه ليلا و هو خارج إلى الصحراء بسهمين فقتله لخروجه عن طاعة الإمام و قد قال بعض المتأخرين فى ذلك يقولون سعد شكت الجن قلبه || ألا ربما صححت دينك بالغدو و ما ذنب سعد أنه بال قائما || ولكن سعدا لم يبايع أبابكر و قد صبرت من لذة العيش أنفس || و ما صبرت عن لذة النهى و الأمر . [صفحه ١١٢] و كان قيس بن سعد من كبار شيعة أمير المؤمنين ع و قاتل بمحبته و ولائه و شهد معه حروبه كلها و كان مع الحسن ع و نقم عليه صلحه معاوية و كان طالبى الرأى مخلصا فى اعتقاده و وده وأكد ذلك عنده فوات الأمر أباه و مانيل يوم السقيفة و بعده منه فوجد من ذلك فى نفسه و أضمره حتى تمكن

من إظهاره في خلافة أمير المؤمنين و كما قيل عدو عدوك صديق لك

ذكر أبي أيوب الأنصاري ونسبه

و أما أبو أيوب الأنصاري فهو خالد بن يزيد بن كعب بن ثعلبة الخزرجي من بني النجار شهد العقبة وبدرا وسائر المشاهد و عليه نزل رسول الله ص لما خرج عن بني عمرو بن عوف حين قدم المدينة مهاجرا من مكة فلم يزل عنده حتى بنى مسجده ومساكنه ثم انتقل إليها و يوم المؤاخاة آخى رسول الله ص بينه و بين مصعب بن عمير. و قال أبو عمر في كتاب الاستيعاب إن أبا أيوب شهد مع علي ع مشاهده كلها و روى ذلك عن الكلبي و ابن إسحاق قال- شهد معه يوم الجمل و صفين و كان مقدمته يوم النهروان . قوله تختطفها الذئاب الاختطاف أخذك الشيء بسرعة و يروى تختطفها قال تعالى تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ. و يقال إن هذه الخطبة آخر خطبة أمير المؤمنين ع قائما -قرآن- ٧٩-١١٤ [صفحة ١١٣]

١٨٤- من خطبة له ع

إشارة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَيْهِ الْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ مَنْصِيئِهِ خَلَقَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ وَ اسْتَعْبَدَ الْأَرْبَابَ بِعِزَّتِهِ وَ سَادَ الْعُظَمَاءَ بِجُودِهِ وَ هُوَ الَّذِي أَسَكَنَ الدُّنْيَا خَلْقَهُ وَ بَعَثَ إِلَى الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ رُسُلَهُ لِيَكْشِفُوا لَهُمْ عَنْ غَطَائِهَا وَ لِيَحْذَرُواهُمْ مِنْ ضَرَائِهَا وَ لِيَضْرِبُوا لَهُمْ أَمْثَالَهَا وَ لِيُبَيِّنُوا لَهُمْ عُيُوبَهَا وَ لِيَهْجُمُوا عَلَيْهِمْ بِمُعْتَبَرٍ مِنْ تَصَيَّرَفِ مَصَاحِبِهَا وَ أَسْقَامِهَا وَ حَلَالِهَا وَ حَرَامِهَا وَ مَا أَعَدَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِلْمُطِيعِينَ مِنْهُمْ وَ الْعَصَاةِ مِنْ جَنَّةٍ وَ نَارٍ وَ كَرَامَةٍ وَ هَوَانٍ أَحْمَدُهُ إِلَى نَفْسِهِ كَمَا اسْتَحَمَدَ إِلَى خَلْقِهِ جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا وَ لِكُلِّ قَدْرٍ أَجَلًا وَ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابًا الْمُنْصَبِ بِالْفَتْحِ وَ النَّصْبِ التَّعْبِ وَ الْمَاضِي نَصَبٌ بِالْكَسْرِ وَ هُمْ نَاصِبٌ فِي قَوْلِ النَّابِغَةِ كَلِينِي لَهُمْ يَا أَمِيمَةَ نَاصِبٌ ذُو نَصَبٍ مِثْلَ رَجُلٍ تَامِرٍ وَ لَابِنٍ وَ يُقَالُ هُوَ فَاعِلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ فِيهِ لِأَنَّهُ يَنْصَبُ [صفحة ١١٤] فِيهِ وَ يَتَعَبُ كَقَوْلِهِمْ لَيْلِ نَائِمٍ أَيْ يَنَامُ فِيهِ وَ يَوْمٌ عَاصِفٌ أَيْ تَعْصِفُ فِيهِ الرِّيحُ وَ اسْتَعْبَدْتُ فَلَانَا اتَّخَذْتَهُ عِبْدًا وَ الضَّرَاءُ الشَّدَّةُ. وَ مَعْتَبَرٌ مُصَدَّرٌ بِمَعْنَى الْإِعْتِبَارِ وَ مَصَاحِبُهَا جَمْعُ مَصْحُوحَةٍ مَفْعَلَةٌ مِنَ الصَّحْحَةِ كَمَضَارٍ جَمْعُ مَضْرُوعٍ وَ صَفْهُ سَبْحَانَهُ بِأَنَّهُ مَعْرُوفٌ بِالْأَدْلَةِ لَا مِنْ طَرِيقِ الرُّؤْيَةِ كَمَا تَعْرِفُ الْمَرْتِيَاتِ وَ بِأَنَّهُ يَخْلُقُ الْأَشْيَاءَ وَ لَا يَتَعَبُ كَمَا يَتَعَبُ الْوَاحِدُ مِمَّا يَزَاوِلُهُ وَ يَبَاشِرُ مِنْ أَعْمَالِهِ خَلَقَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ عَلَى خَلْقِهِمْ لِابْتِحَاجِهِمْ لِعِزَّتِهِ وَ اسْتَعْبَادَهُمْ أَوْسَعَهَا وَ اسْتَعْبَدَ الَّذِينَ يَدْعُونَ فِي الدُّنْيَا أَرْبَابًا بَعْزُهُمْ وَ قَهْرُهُ . وَ سَادَ كُلَّ عَظِيمٍ بِسَعَةِ جُودِهِ وَ اسْكَنَ الدُّنْيَا خَلْقَهُ كَمَا وَرَدَ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِيِّ جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً. وَ بَعَثَ رُسُلَهُ إِلَى الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ كَمَا وَرَدَ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِيِّ مَعَشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَ يُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا. قَالَ لِيَكْشِفُوا لَهُمْ عَنْ غَطَاءِ الدُّنْيَا أَيْ عَنْ عَوْرَاتِهَا وَ عُيُوبِهَا الْمَسْتُورَةِ وَ لِيَخُوفُوهُمْ مِنْ مَضْرُوتِهَا وَ غُرُورِهَا الْمَفْضِي إِلَى عَذَابِ الْأَبَدِ. وَ لِيَضْرِبُوا لَهُمْ أَمْثَالَهَا كَالْأَمْثَالِ الْوَارِدَةِ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِيِّ نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى إِنَّمَا مِثْلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ... الْآيَةُ. قَوْلُهُ وَ لِيَهْجُمُوا عَلَيْهِمْ هَجَمَتْ عَلَى الرَّجُلِ دَخَلَتْ عَلَيْهِ بَغْتَةً يَقُولُ لِيَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ بِمَا فِي تَصَارِيفِ الدُّنْيَا مِنَ الصَّحَّةِ وَ السَّقَمِ وَ مَا أَحْلَى وَ مَا حَرَّمَ عَلَى طَرِيقِ الْإِبْتِلَاءِ. -قرآن- ٥٥٤-٥٨٨-قرآن- ٦٤٥-٧٦٦-قرآن- ٩٦١-١٠٥٧ [صفحة ١١٥] ثُمَّ قَالَ وَ مَا أَعَدَّ اللَّهُ سَبْحَانَهُ لِلْمُطِيعِينَ مِنْهُمْ وَ الْعَصَاةِ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَاعُطُوفَةً عَلَى عُيُوبِهَا فَيَكُونُ مَوْضِعَهَا نَصْبًا وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَوْضِعَهَا جَرًّا وَ يَكُونُ مِنْ تَتَمُّةِ أَقْسَامِ

ما يعتبر به والأول أحسن . ثم قال ع إنى أحمد الله كما استحمد إلى خلقه استحمد إليهم فعل ما يوجب عليهم حمده . ثم قال إنه سبحانه جعل لكل شىء من أفعاله قدرا أى فعله مقدرًا محدود الغرض اقتضى ذلك القدر وتلك الكيفية كما قال سبحانه وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ . وجعل لكل شىء مقدر وقتا ينتهى إليه وينقطع عنده وهو الأجل . ولكل أجل كتابا أى رقوما تعرفها الملائكة فتعلم انقضاء عمر من ينقضى عمره وعدم ما أظافهم فى معرفة عدمه - قرآن - ٣٩٨-٤٢٨ منها فى ذكر القرآن فالقرآن أمرٌ زاجرٌ وَ صَامِتٌ نَاطِقٌ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ أَخَذَ عَلَيْهِ مِيثَاقَهُمْ وَ ارْتَهَنَ عَلَيْهِمْ أَنْفُسَهُمْ أَتَمَّ نُورَهُ وَ أَكْرَمَ بِهِ دِينَهُ وَ قَبَضَ نَبِيَّهُ صَ وَ قَدَ فَرَّغَ إِلَى الْخَلْقِ مِنْ أَحْكَامِ الْهُدَى بِهِ فَعَظَّمُوا مِنْهُ سُبْحَانَهُ مَا عَظَّمَ مِنْ نَفْسِهِ فَإِنَّهُ لَمْ يُخْفِ عَنْكُمْ شَيْئًا مِنْ دِينِهِ وَ لَمْ يَتْرِكْ شَيْئًا رِضِيًّا أَوْ كَرِهًا إِلَّا وَ جَعَلَ لَهُ عِلْمًا بَادِيًا وَ آيَةً مُحْكَمَةً تَزْجُرُ عَنْهُ أَوْ تَدْعُو إِلَيْهِ فَرِيضَةً فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ وَ سَخَطُهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ [صفحة ١١٦] وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرْضَى عَنْكُمْ بِشَيْءٍ سَخَطَهُ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَ لَنْ يَسْخَطَ عَلَيْكُمْ بِشَيْءٍ رَضِيَهُ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَ إِنَّمَا تَسِيرُونَ فِي أَثَرِ بَيْنٍ وَ تَتَكَلَّمُونَ بِرَجْعِ قَوْلٍ قَدَّ قَالَهُ الرِّجَالُ مِنْ قَبْلِكُمْ قَدَّ كَفَأَكُمْ مَثُونَةً ذُنُوبِكُمْ وَ حَثَّكُمْ عَلَى الشُّكْرِ وَ افْتَرَضَ مِنَ أَلْسِنَتِكُمْ الذِّكْرَ وَ أَوْصَاكُمْ بِالْتَقْوَى وَ جَعَلَهَا مُنْتَهَى رِضَاةٍ وَ حَاجَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَلْمَذَى أَنْتُمْ بَعِيْنِهِ وَ نَوَاصِيَكُمْ بِيَدِهِ وَ تَقَلُّبَكُمْ فِي قَبْضَتِهِ إِنْ أَسْرَرْتُمْ عِلْمَهُ وَ إِنْ أَعْلَنْتُمْ كِتْبَهُ قَدْ وَكَّلَ بِذَلِكَ حَفْظَهُ كِرَامًا لَّا يُسْقِطُونَ حَقًّا وَ لَّا يُثْبِتُونَ بَاطِلًا وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا مِنَ الْفِتَنِ وَ نُورًا مِنَ الظُّلْمِ وَ يُخَلِّدْهُ فِيهَا شِئْتَهُ نَفْسُهُ وَ يُنَزِّلْهُ مَنَزِلَ الْكِرَامِيَّةِ عِنْدَهُ فِي دَارٍ اصْطَنَعَهَا لِنَفْسِهِ ظِلًّا عَرَشُهُ وَ نُورَهَا بَهْجَتُهُ وَ زُورَهَا مَلَائِكَتُهُ وَ رُفَقَاؤُهَا رُسُلُهُ فَبَادِرُوا الْمَعَادَ وَ سَابِقُوا الْأَجَالَ فَإِنَّ النَّاسَ يُوشِكُ أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ الْأَمَلُ وَ يَرَهَقَهُمُ الْأَجَلُ وَ يَسُدُّ عَنْهُمْ بَابَ التَّوْبَةِ فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي مِثْلِ مَا سَأَلَ إِلَيْهِ الرَّجْعَةُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَ أَنْتُمْ بُنُو سَبِيلٍ عَلَى سَفَرٍ مِنْ دَارٍ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ وَ قَدْ أُودِنْتُمْ مِنْهَا بِالْإِرْتِحَالِ وَ أَمَرْتُمْ فِيهَا بِالزَّادِ جَعَلَ الْقُرْآنَ آمْرًا وَ زَاجِرًا لَمَا كَانَ خَالِقَهُ وَ هُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ آمْرًا وَ زَاجِرًا بِهِ فَاسْنَدَ الْأَمْرَ وَ الزَّجْرَ إِلَيْهِ كَمَا تَقُولُ سَيْفٌ قَاتِلٌ وَ إِنَّمَا الْقَاتِلُ الضَّارِبُ بِهِ وَ جَعَلَهُ صَامِتًا نَاطِقًا لِأَنَّهُ مِنْ حَيْثُ هُوَ حُرُوفٌ وَأَصْوَاتٌ صَامِتٌ إِذْ كَانَ الْعَرَضُ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ نَاطِقًا [صفحة ١١٧] لِأَنَّ النُّطْقَ حَرَكَةُ الْأَدَاةِ بِالْكَلامِ وَ الْكَلَامُ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ ذَا أَدَاةٍ يَنْطِقُ بِالْكَلامِ بِهَا وَ هُوَ مِنْ حَيْثُ يَتَضَمَّنُ الْإِخْبَارَ وَ الْأَمْرَ وَ النَّهْيَ وَ النَّدَاءَ وَ غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَقْسَامِ الْكَلَامِ كَالنَّاطِقِ لِأَنَّ الْفَهْمَ يَقَعُ عِنْدَهُ وَ هَذَا مِنْ بَابِ الْمَجَازِ كَمَا تَقُولُ هَذِهِ الرُّبُوعُ النَّاطِقَةُ وَأَخْبِرْتَنِي الدِّيَارُ بَعْدَ رَحِيلِهِمْ بِكَذَا . ثم وصفه بأنه حجة الله على خلقه لأنه المعجزة الأصلية . أخذ سبحانه على الخلائق ميثاقه وارتهن عليه أنفسهم لما كان سبحانه قد قرر فى عقول المكلفين أدلة التوحيد والعدل و من جملة مسائل العدل النبوة وثبت نبوة محمدص عقلا كان سبحانه كذلك كالأخذ ميثاق المكلفين بتصديق دعوته وقبول القرآن الذى جاء وجعل به أنفسهم رهنا على الوفاء بذلك فمن خالف خسر نفسه وهلك هلاك الأبد . هذا تفسير المحققين و من الناس من يقول المراد بذلك قصة الذرية قبل خلق آدم ع كما ورد فى الأخبار و كما فسر قوم عليه الآية . ثم ذكر ع أن الله تعالى قبض رسوله ص و قد فرغ إلى الخلق بالقرآن من الإكمال والإتمام كقوله تعالى الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ إِذَا كَانَ قَدْ أَكْمَلَهُ لَمْ يَبْقَ فِيهِ نَقْصٌ يَنْتَظَرُ إِتْمَامَهُ . قال فعظموا من الله ما عظم من نفسه لأنه سبحانه وصف نفسه بالعظمة والجلال فى أكثر القرآن فالواجب علينا أن نعظمه على حسب ما عظم نفسه سبحانه . ثم علل وجوب تعظيمه وحسن أمره لنا بتعظيمه سبحانه بكونه لم يخف عنا شيئا من أمر ديننا و ذلك لأن الشرعيات مصالح المكلفين و إذا فعل الحكيم سبحانه بنا - قرآن - ٩٠٣-٩٦٤ [صفحة ١١٨] ما فيه صلاحنا فقد أحسن إلينا و من جملة صلاحنا تعريفنا من الشرعيات ما فعله لطف ومفض بنا إلى الثواب و هذا أبلغ ما يكون من الإحسان والمحسن يجب تعظيمه وشكره . قال لم يترك شيئا إلا وجعل له نصا ظاهرا يدل عليه أو علما يستدل به عليه أى إما منصوص عليه صريحا أو يمكن أن يستنبط حكمه من القرآن إما بذكره أو بتركه فيبقى على البراءة الأصلية وحكم العقل . قوله فرضاه فيما بقى واحد معناه أن ما لم ينص عليه صريحا بل هو فى محل النظر ليس يجوز للعلماء أن يجتهدوا فيه فيحله بعضهم ويحرمه بعضهم بل رضا الله سبحانه أمر واحد وكذلك سخطه فليس

يجوز أن يكون شيء من الأشياء يفتى فيه قوم بالحل وقوم بالحرمة وهذا قول منه ع بتحريم الاجتهاد وقد سبق منه ع مثل هذا الكلام مرارا. قوله واعلموا أنه ليس يرضى عنكم الكلام إلى منتهاه معناه أنه ليس يرضى عنكم بالاختلاف في الفتاوى والأحكام كما اختلف الأمم من قبلكم فسخط اختلافهم قال سبحانه إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ. وكذلك ليس يسخط عليكم بالاتفاق والاجتماع الذي رضيه ممن كان قبلكم من القرون. ويجوز أن يفسر هذا الكلام بأنه لا يرضى عنكم بما سخطه على الذين من قبلكم من الاعتقادات الفاسدة في التوحيد والعدل ولا يسخط عليكم بما تعتقدونه من الاعتقادات الصحيحة التي رضيها ممن كان قبلكم في التوحيد والعدل فيكون الكلام مصروفا إلى الأصول لا إلى الفروع. - قرآن- ٨٦٤-٩٣٥ [صفحة ١١٩] قال وإنما تسيرون في أثر بين أي إن الأدلة واضحة وليس مراده الأمر بالتقليد وكذلك قوله وتكلمون برجح قول قد قاله الرجال من قبلكم يعنى كلمة التوحيد لا إله إلا الله قد قالها الموحدون من قبل هذه الملة لا تقليدا بل بالنظر والدليل فقولوها أنتم كذلك. ثم ذكر أنه سبحانه قد كفى الخلق مئونة دنياهم قال الحسن البصرى إن الله تعالى كفانا مئونة دنيانا وحثنا على القيام بوظائف ديننا فليته كفانا مئونة ديننا وحثنا على القيام بوظائف دنيانا. قوله وافترض من ألسنتكم الذكر افترض عليكم أن تذكروه وتشكروه بألسنتكم و من متعلقه بمحذوف دل عليه المصدر المتأخر تقديره وافترض عليكم الذكر من ألسنتكم الذكر. ثم ذكر أن التقوى المفترضة هي رضا الله وحاجته من خلقه لفظه حاجته مجاز لأن الله تعالى غنى غير محتاج ولكنه لما بالغ في الحث والحض عليها وتوعد على تركها جعله كالمحتاج إلى الشيء ووجه المشاركة أن المحتاج يحث ويحض على حاجته وكذلك الأمر المكلف إذا أكد الأمر. قوله أنتم بعينه أى يعلم أحوالكم ونواصيكم بيده الناصية مقدم شعر الرأس أى هو قادر عليكم قاهر لكم متمكن من التصرف فيكم كالإنسان القابض على ناصية غيره. وتقبلكم فى قبضته أى تصرفكم تحت حكمه لو شاء أن يمنعكم منعكم فهو كالشئ فى قبضة الإنسان إن شاء استدام القبض عليه وإن شاء تركه. ثم قال إن أسررتم أمرا علمه وإن أظهرتموه كتبه ليس على أن الكتابة غير العلم بل هما شئ واحد ولكن اللفظ مختلف. [صفحة ١٢٠] ثم ذكر أن الملائكة موكلة بالمكلف وهذا هونص الكتاب العزيز وقد تقدم القول فى ذلك. ثم انتقل إلى ذكر الجنة والكلام يدل على أنها فى السماء وأن العرش فوقها. ومعنى قوله اصطنعها لنفسه إعظامها وإجلالها كما قال لموسى وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ولأنه لما تعارف الناس فى تعظيم ما يصنعونه أن يقول الواحد منهم لصاحبه قد وهبتك هذه الدار التى اصطنعتها لنفسى أى أحكمتها ولم أكن فى بنائها متكلفا بأن أبنيتها لغيرى صح وحسن من البليغ الفصيح أن يستعير مثل ذلك فيما لم يصطنعه فى الحقيقة لنفسه وإنما هو عظيم جليل عنده. قوله ونورها بهجته هذا أيضا مستعار كأنه لما كان إشراق نورها عظيما جدا نسبه إلى بهجة البارئ وليس هناك بهجة على الحقيقة لأن البهجة حسن الخلقة قال تعالى وَ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ أى من كل صنف حسن. قوله وزوارها ملائكته قد ورد فى هذا من الأخبار كثير جدا ورفقاؤها رسله من قوله تعالى وَ حَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا. ويوشك بكسر الشين فعل مستقبل ماضيه أوشك أى أسرع. ورهقه الأمر بالكسر فاجأه. ويسد عنهم باب التوبة لأنه لا تقبل عند نزول الموت بالإنسان من حيث كان يفعلها خوفا فقط لالقبح القبيح قال تعالى وَ لَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ. - قرآن- ٢٢٤-٢٤٧- قرآن- ٦٩٠-٧٢٩- قرآن- ٨٤١-٨٦٧- قرآن- ١٠٧٠-١١٨٢ [صفحة ١٢١] وإنما قال فى مثل ما سأل إليه الرجعة من كان قبلكم كقوله سبحانه حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَ مِنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ. وبنو سبيل أرباب طريق مسافرون. وأوذن فلان بكذا أعلم وآذنته أعلمته. وقد تقدم لنا كلام بالغ فى التقوى وماهيتها وتأكيد وصاة الخالق سبحانه والرسول ع بها - قرآن-

روى المبرد في الكامل أن رجلا- قال لعمر بن الخطاب اتق الله يا أمير المؤمنين فقال له رجل أتألت على أمير المؤمنين أى أنتقصه فقال عمر دعه فلاخير فيهم إذا لم يقولوها ولاخير فينا إذا لم تقل لنا. وكتب أبو العتاهية إلى سهل بن صالح و كان مقيما بمكة أما بعد فأنا أوصيك بتقوى الله الذى لاغناء بك عن تقاته وأتقدم إليك عن الله ونذكرك مكر الله فيما دبت به إليك ساعات الليل والنهار فلاتخذعن عن دينك فإن ساعاتك أوقاتك إن ظفرت بذلك منك وجدت الله فيك أسرع مكرًا وأنفذ فيك أمرًا ووجدت مامكرت به فى غير ذات الله غيرراد عنك يد الله ولامانع لك من أمر الله ولعمري لقد ملأت عينك الفكر واضطربت فى سمعك أصوات العبر ورأيت آثار نعم الله نسختها آثار نقمه حين استهزئ بأمره وجوهر بمعاندته ألا إن فى حكم الله [صفحہ ۱۲۲] أنه من أكرمه الله فاستهان بأمره أهانه الله السعيد من وعظ بغيره لاوعظك الله فى نفسك وجعل عظتك فى غيرك ولاجعل الدنيا عليك حسرة وندامة برحمته . و من كلام رسول الله ص لا-كرم كالتقوى ولامال أعود من العقل و لاوحدة أوحش من العجب ولاعقل كالتدبير ولاقرين كحسن الخلق ولاميراث كالأدب ولافائدة كالتوفيق ولاتجارة كالعمل الصالح ولاربح كثواب الله ولاورع كالوقوف عندالشبهة ولازهد كالزهد فى الحرام ولاعلم كالتفكر ولاعبادة كأداء الفرائض ولاإيمان كالحياء والصبر ولاحسب كالتواضع ولاشرف كالعلم ولامظاهرة أوفق من المشورة فاحفظ الرأس و ماحوى والبطن و ماوعى واذاكر الموت وطول البلى -روایت-۱-۲-روایت-۲۷-۴۷۲ و اعلموا أنه ليس لهذا الجلد الرقيق صبر على النار فأرحموا نفوسكم فإنكم قد جربتموها فى مصائب الدنيا فرأيتم جزع أحدكم من الشوكه تضيئه و العثره تدميه و الرمضاء تحرقه فكيف إذا كان بين طابقيين من نار ضجيج حجر و قرين شيطان أ علمتم أن مالكا إذا غضب على النار حطم بعضها بعضا لغضبه و إذا زجرها توثبت بين أبوابها جزعا من زجرته أيها اليفن الكبير الذى قد لهزه القتيير كيف أنت إذا التحمت أطواق النار بعظام الأعناق و نشبت الجوامع حتى أكلت لحوم السواعد فالله الله معشر العباد و أنتم سالمون فى الصيحة قبل السقم و فى الفسحة قبل الصيق فاسعوا فى فكايك رقابكم من قبل أن تعلق رهاثها [صفحہ ۱۲۳] أسهروا عيونكم و أضمروا بطونكم و استعملوا أقدامكم و أنفقوا أموالكم و أخذوا من أجسادكم فجودوا بها على أنفسكم و لا تبخلوا بها عنها فقد قال الله سبحانه إن تنصروا الله ينصركم و يؤتت أقدامكم و قال تعالىمن ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له و له أجر كريم فلم يستنصركم من ذل و لم يستقرضكم من قل استنصركم و له جنود السماوات و الأرض و هو العزيز الحكيم و استقرضكم و له خزائن السماوات و الأرض و هو الغنى الحميد و إنما أراد أن يبلوكم أيكم أحسن عملا فإدروا بأعمالكم تكونوا مع جيران الله فى داره رافق بهم رسله و أزارهم ملائكته و أكرم أسماعهم أن تسمع حسيس نار أبدا و صان أجسادهم أن تلقى لغوبا و نصبا ذلك فضل الله يؤتیه من يشاء و الله ذو الفضل العظيم أقول ما تسمعون و الله المستعان على نفسي و أنفسكم و هو حسبنا و نعم الوكيل -قرآن-۲۱۶-۲۶۷-قرآن-۲۸۶-۳۶۹-قرآن-۸۸۰-۹۴۹ الرضاء الأرض الشديدة الحرارة و المرض بالتحريك شدة وقع الشمس على الرمل وغيره و قدرمض يومنا بالكسر يرمض رمضا اشتد حره و أرض رمضة الحجارة ورمضت قدمه من الرضاء احترقت . [صفحہ ۱۲۴] والطابق بالفتح الآجره الكبيرة و هو فارسي معرب . وضجج حجر يومئ فيه إلى قوله تعالى وقودها الناس و الحجارة قيل إنها حجارة الكبريت . وقرين شيطان يومئ فيه إلى قوله تعالى قال قرينه ربنا ما أطعته . وحطم بعضها بعضا كسره أوأكله والحطمة من أسماء النار لأنها تحطم ماتلقى و منه سمي الرجل الكثير الأكل حطمة . واليفن الشيخ الكبير ولهزه خالطه ويقال له حينئذ ملهوز ثم أشمط ثم أشيب ولهزت القوم خالطتهم ودخلت بينهم . والقثير الشيب وأصله رءوس المسامير فى الدروع تسمى قتيرا . والتحمت أطواق النار بالعظام التفت عليها وانضمت إليها والتصقت بها . والجوامع جمع جامعة وهى الغل لأنها تجمع اليدين إلى

العنق . ونشبت علقته والسواعد جمع ساعد وهو الذراع . وفي من قوله في الصحة قبل السقم متعلقه بالمحذوف الناصب لله و هو اتقوا أى اتقوه سبحانه فى زمان صحتكم قبل أن ينزل بكم السقم وفى فسحة أعماركم قبل أن تبدل بالضيق . وفكاك الرقاب بفتح الفاء عتقها قبل أن تغلق رهائنها يقال غلق الرهن بالكسر إذا استحقه المرتهن بألا يفكه الراهن فى الوقت المشروط و كان ذلك من شرع الجاهلية فهى عنه النبى ص و قال لا يغلق الرهن . -قرآن- ٩١-١٢٢-قرآن- ١٩١-٢٢٥ [صفحہ ١٢٥] وخذوا من أجسادكم أى أتعبوها بالعبادة حتى تنحل . والقل القلة والذل الذلة . وحسيس النار صوتها واللغوب النصب

طرف وأخبار

ونظير قوله ع استقرضكم وله خزائن السماوات والأرض مارواه المبرد فى الكامل عن أبى عثمان المازنى عن أبى زيد الأنصارى قال وقف علينا أعرابى فى حلقة يونس النحوى فقال الحمد لله كما هو أهله وأعوذ بالله أن أذكر به وأنساه خرجنا من المدينة مدينة الرسول ص ثلاثين رجلا- ممن أخرجته الحاجة وحمل على المكروه ولا يمرضون مرضاهم ولا يدفنون ميتهم ولا ينتقلون من منزل إلى منزل وإن كرهوه والله ياقوم لقد جعت حتى أكلت النوى المحرق ولقد مشيت حتى انتعلت الدم وحتى خرج من قدمى بخص ولحم كثير أ فلا رجل يرحم ابن سبيل وفل طريق ونضو سفر فإنه لا قليل من الأجر ولا غنى عن ثواب الله ولا عمل بعد الموت وهو سبحانه يقول من ذا الذى -قرآن- ٦٤٦-٦٥٩ ونظير قوله ع استقرضكم وله خزائن السماوات والأرض مارواه المبرد فى الكامل عن أبى عثمان المازنى عن أبى زيد الأنصارى قال وقف علينا أعرابى فى حلقة يونس النحوى فقال الحمد لله كما هو أهله وأعوذ بالله أن أذكر به وأنساه خرجنا من المدينة مدينة الرسول ص ثلاثين رجلا ممن أخرجته الحاجة وحمل على المكروه ولا يمرضون مرضاهم ولا يدفنون ميتهم ولا ينتقلون من منزل إلى منزل وإن كرهوه والله ياقوم لقد جعت حتى أكلت النوى المحرق ولقد مشيت حتى انتعلت الدم وحتى خرج من قدمى بخص ولحم كثير أ فلا رجل يرحم ابن سبيل وفل طريق ونضو سفر فإنه لا قليل من الأجر ولا غنى عن ثواب الله ولا عمل بعد الموت وهو سبحانه يقول من ذا الذى يُقرضُ الله قرضاً حسناً ملى وفى ماجد واجد جواد لا يستقرض من عوز ولكنه يبلو الأخيار. قال المازنى فبلغنى أنه لم يبرح حتى أخذ ستين دينارا. و من كلام على بن عبيدة الريحانى الأيام مستودعات الأعمال ونعم الأرضون هى لمن بذر فيها الخير والعمل الصالح . وخطب الحجاج فقال أيها الناس إنكم أغراض حمام وفرص هلكة قد أنذركم القرآن ونادى برحيلكم الجديدان ها إن لكم موعدا لا تؤخر ساعته ولا تدفع هجمته و كان قد دلفت إليكم نازلته فتعلق بكم ريب المنون وعلقت بكم أم اللهم الحيزبون فما ذا هيأتم للرحيل و ماذا أعددتم للتزليل من لم يأخذ أهبة الحذر نزل به مرهوب القدر -قرآن- ١-٣٠

خطبة لأبى الشخاء العسقلانى

قلت و قد شغف الناس فى المواعظ بكلام كاتب محدث يعرف بابن أبى الشخاء [صفحہ ١٢٧] العسقلانى و أنا أورد هاهنا خطبة من مواعظه هى أحسن ما وجدته له ليعلم الفرق بين الكلام الأصيل والمولد. أيها الناس فكوا أنفسكم من حلقات الآمال المتعبة وخففوا ظهوركم من الآصار المستحقة ولا تسيما أطماعكم فى رياض الأمانى المتشعبة ولا تميلوا صغواكم إلى زبارج الدنيا المحببة فتظل أجسامكم فى هشائمهام عامله نسيه أ ما علمتم أن طباعها على الغدر مركبة وأنها لأعمار أهلها منتبهة و لماساهم منتظرة مرتقبة فى هبتها راجعة متعقبه فانضوا رحمكم الله ركائب الاعتبار مشرقة ومغربه وأجروا خيول التفكير مصعدة ومصوبة هل

تجدون إلاقصورا على عروشها خربة وديارا معطشة من أهلها مجدبة أين الأمم السالفة المتشعبة والجابرة الماضية المتغلبة والملوك المعظمة المرجبة أولو الحفدة والحجبة والزخارف المعجبة والجيوش الحرارة اللجة والخيام الفضفاضة المطنبة والجياد الأعوجية المجنبة والمصاعب الشدقمية المصحبة واللدان المثقفة المدربة والمادية الحصينة المنتخبة طرقت والله خيامهم غيرمنتبهة وأزارتهم من الأسقام سيوفا معطبة وسيرت إليهم الأيام من نوبها كتائب مكتبة فأصبحت أظفار المنية من مهجهم قانية مختضبة وغدت أصوات النادبات عليهم مجلبة وأكلت لحومهم هوام الأرض السغبة ثم إنهم مجموعون ليوم لايقبل فيه عذر ولا معتبة وتجازى كل نفس بما كانت مكتسبة فسعيدة مقربة تجرى من تحتها الأنهار مثوبة وشقية معذبة في النار مككبة. هذه أحسن خطبة خطبها هذاالكاتب وهي كما تراها ظاهرة التكلف بينة التوليد تخطب على نفسها وإنما ذكرت هذا لأن كثيرا من أرباب الهوى يقولون إن كثيرا من نهج البلاغة كلام محدث صنعه قوم من فصحاء الشيعة وربما عزوا بعضه إلى الرضى أبى الحسن وغيره وهؤلاء قوم أعمت العصبية أعينهم فضلوا عن النهج الواضح [صفحة ١٢٨] وركبوا بنيات الطريق ضلالا وقله معرفة بأساليب الكلام وأنا أوضح لك بكلام مختصر ما فى هذاالخاطر من الغلط فأقول

رأى للمؤلف فى كتاب نهج البلاغة

لايخلو إما أن يكون كل نهج البلاغة مصنوعا منحولا أو بعضه والأول باطل بالضرورة لأننا نعلم بالتواتر صحة إسناده بعضه إلى أمير المؤمنين ع وقدنقل المحدثون كلهم أو جلهم والمؤرخون كثيرا منه وليسوا من الشيعة لينسبوا إلى غرض فى ذلك والثانى يدل على ماقلناه لأن من قدأنس بالكلام والخطابة وشدا طرفا من علم البيان وصار له ذوق فى هذاالباب لابد أن يفرق بين الكلام الركيك والفصيح وبين الفصيح والأفصح وبين الأصيل والمولد وإذوقف على كراس واحد يتضمن كلاما لجماعة من الخطباء أولائين منهم فقط فلايبد أن يفرق بين الكلامين ويميز بين الطريقتين ألا ترى أنا مع معرفتنا بالشعر ونقده لوتصفحنا ديوان أبى تمام فوجدناه قدكتب فى أثناة قصائد أوقصيدة واحدة لغيره لعرفنا بالذوق مباينتها لشعر أبى تمام ونفسه وطريقته ومذهبه فى القريض ألا ترى أن العلماء بهذا الشأن حذفوا من شعره قصائد كثيرة منحولة إليه لمباينتها لمذهبه فى الشعر وكذلك حذفوا من شعر أبى نواس شيئا كثيرا لماظهر لهم أنه ليس من ألفاظه ولا من شعره وكذلك غيرهما من الشعراء ولم يعتمدوا فى ذلك إلا على الذوق خاصة. و أنت إذاتأملت نهج البلاغة وجدته كله ماء واحدا ونفسا واحدا وأسلوبا واحدا كالجسم البسيط الذى ليس بعض من أبعاضه مخالفا لباقي الأبعاض فى الماهية والقرآن العزيز أوله كأوسطه وأوسطه كآخره وكل سورة منه وكل آية مماثلة فى [صفحة ١٢٩] المأخذ والمذهب والفن والطريق والنظم لباقي الآيات والصور ولو كان بعض نهج البلاغة منحولا وبعضه صحيحا لم يكن ذلك كذلك فقد ظهر لك بهذا البرهان الواضح ضلال من زعم أن هذاالكتاب أو بعضه منحول إلى أمير المؤمنين ع . واعلم أن قائل هذاالقول يطرق على نفسه ما لا قبل له به لأننا متى فتحنا هذاالباب وسلطنا الشكوك على أنفسنا فى هذاالنحو لم نثق بصحة كلام منقول عن رسول الله ص أبدا وساغ لطاعن أن يطعن ويقول هذاالخبر منحول وهذاالكلام مصنوع وكذلك ما نقل عن أبى بكر وعمر من الكلام والخطب والمواعظ والأدب وغير ذلك وكل أمر جعله هذاالطاعن مستندا له فيما يرويه عن النبى ص والأئمة الراشدين والصحابة والتابعين والشعراء والمترسلين والخطباء فلناصرى أمير المؤمنين ع أن يستندوا إلى مثله فيما يروونه عنه من نهج البلاغة وغيره وهذاواضح [صفحة ١٣٠]

وقد قال له بحيث يسمعه لاحكم إلا الله و كان من الخوارج اسكت قبحك الله يا أثرم فوالله لقد ظهر الحق فكنت فيه ضئيلاً شخصك خفياً صوتك حتى إذا نعر الباطل نجمت نجوم قرن الماعز البرج بن مسهر بضم الميم وكسر الهاء بن الجلاس بن وهب بن قيس بن عبيد بن طريف بن مالك بن جدعاء بن ذهل بن رومان بن جندب بن خارجه بن سعد بن قطره بن طي بن داود بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان شاعر مشهور من شعراء الخوارج نادى بشعارهم بحيث يسمعه أمير المؤمنين ع فرجه . وقبحك الله لفظه معناها كسر ك يقال قبحت الجوزة أى كسرتها وقيل قبحه نحاها عن الخير و كان البرج ساقط الثنية فأهانته بأن دعاه به كمايهان الأعور بأن يقال له يا أعور. والضئيل الدقيق الخفى ضؤل الرجل بالضم ضالته نحف وضؤل رأيه صغر و رجل متضائل أى شخت وكذلك ضؤلة. [صفحة ١٣١] ونعر الباطل صاح والمراد أهل الباطل ونعر فلان فى الفتنة نهض فيها. ونجم طلع أى طلع بلا شرف و لاشجاعه و لا قدم بل على غفلة كماينبت قرن الماعز و هذا من باب البديع و هو أن يشبه الأمر يراد إهانته بالمهين ويشبه الأمر يراد إعظامه بالعظيم و لو كان قد تكلم فى شأن ناجم يريد تعظيمه لقال نجم نجوم الكوكب من تحت الغمام نجوم نور الربيع من الأكمام ونحو ذلك [صفحة ١٣٢]

١٨٦- و من خطبة له ع

إشاره

رؤي أن صاحباً لأمير المؤمنين ع يقال له همأم كان رجلاً عابداً فقال له يا أمير المؤمنين صف لى المتقين حتى كأتى أنظر إليهم فتناقل ع عن جوابه ثم قال يا همأم اتق الله و أحسن فإن الله مع العذرين اتقوا و العذرين هم محسنون فلم يقنع همأم بهذا القول حتى عزم عليه فحمد الله و أتى عليه و صلى على النبي ص ثم قال ع أما بعد فإن الله سبحانه و تعالى خلق الخلق حيث خلقهم غيباً عن طاعتهم آمناً من معصيتهم لأنه لا تضره معصيته من عصاه و لا تنفعه طاعته من أطاعه فقسّم بينهم معايشهم و وضعهم من الدنيا مواضعهم فالمتقون فيها هم أهل الفضائل منقطعهم الصواب و ملبسهم الاقتصاد و مشيهم التواضع غصوا أبصارهم عما حرم الله عليهم و وقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم نزلت أنفسهم منهم فى البلاء كالذئب نزلت فى الرخاء لو لا الأجل الذى كتب الله لهم لم تستقر أرواحهم فى أجسادهم طرفه عين شوقاً إلى الثواب و خوفاً من العقاب - قرآن - ٢٦٠-٣١٩ [صفحة ١٣٣] عظم الخالق فى أنفسهم فصغر ما دونه فى أعينهم فهم و الجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون و هم و النار كمن قد رآها فهم فيها معذبون قلوبهم محزونة و شرورهم مأثونة و أجسادهم نحيفة و حاجاتهم خفيفة و أنفسهم عفيفة صبروا أياماً قصيرة أعقبتهم راحته طويله تجارة مربحة يسرها لهم ربهم أرادتهم الدنيا فلم يريدوها و أسرتهم ففدوا أنفسهم منها أما الليل فصافون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن يرتلونّها ترتيلاً يحزنون به أنفسهم و يستشرون به دواء دأبهم فإذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً و تطلعت نفوسهم إليها شوقاً و ظنوا أنها نصب أعينهم و إذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسماع قلوبهم و ظنوا أن زفير جهنم و شهيقها فى أصول آذانهم فهم حانون على أوساطهم مفترشون لجباههم و أكفهم و ركبهم و أطراف أقدامهم يطلبون إلى الله تعالى فى فكاك رقابهم و أما النهار فحلماة علماء أبرار أتقياء قد برأهم الخوف برى القداح ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى و ما بالقوم من مرض و يقول لقد حولطوا و لقد خالطهم أمر عظيم لما يرضون من أعماليهم القليل و لما يستكثرون الكثير فهم لأنفسهم متهمون و من أعمالهم مشفقون إذا زكى أحد منهم خاف مما يقال له فيقول أنا أعلم بنفسى من غيرى و ربى أعلم بى منى بنفسى اللهم لا تؤاخذنى بما يقولون و اجعلنى أفضل مما يظنون و اغفر لى ما لا يعلمون [صفحة ١٣٤] همام المذكور فى

هذه الخطبة هوهمام بن شريح بن يزيد بن مرة بن عمرو بن جابر بن يحيى بن الأصهب بن كعب بن الحارث بن سعد بن عمرو بن ذهل بن مران بن صيفى بن سعد العشيرة. و كان همام هذا من شيعة أمير المؤمنين ع وأوليائه و كان ناسكا عابدا قال له يا أمير المؤمنين صف لى المتقين حتى أصير بوصفك إياهم كالناظر إليهم. فتناقل عن جوابه أى أبطأ. فعزم عليه أى أقسم عليه وتقول لمن يكرر عليك الطلب والسؤال قدعزم على أى أصر وقطع وكذلك تقول فى الأمر تريد فعله وتقطع عليه عزم عزمنا وعزمنا وعزيمة وعزيمة. فإن قلت كيف جاز له ع أن يتناقل عن جواب المسترشد. قلت يجوز أن يكون تناقل عن جوابه لأنه علم أن المصلحة فى تأخير الجواب ولعله كان حضر المجلس من لا يجب أن يجيب و هو حاضر فلما انصرف أجاب ولعله رأى أن تناقله عن الجواب يشد تشوق همام إلى سماعه فيكون أنجح فى موعظته ولعله كان من باب تأخير البيان إلى وقت الحاجة لا من باب تأخير البيان عن وقت الحاجة ولعله تناقل عن الجواب ليرتب المعانى التى خطرت له فى ألفاظ مناسبة لها ثم ينطق بها كما يفعله المتروى فى الخطبة والقريض . فإن قلت فما معنى إجابته له أولا بقوله يا همام اتق الله وأحسن فإن الله مع الذين اتقوا و الذين هم محسنون و أى جواب فى هذا عن سؤال همام . -قرآن- ١٠٩٢-١١٥١ [صفحہ ١٣٥] قلت كأنه لم ير فى بادئ الحال شرح صفات المتقين على التفصيل فقال لهمام ماهية التقوى معلومة فى الجملة فاتق الله وأحسن فإن الله قد وعد فى كتابه أن يكون وليا وناصر لأهل التقوى والإحسان و هذا كما يقول لك قائل ما صفات الله الذى أعده أنا و الناس فتقول له لا عليك ألا تعرف صفاته مفصلة بعد أن تعلم أنه خالق العالم و أنه واحد لا شريك له فلما أبى همام إلا الخوض فيما سأله على وجه التفصيل قال له إن الله تعالى خلق الخلق حين خلقهم ويروى حيث خلقهم و هو غنى عن طاعتهم لأنه ليس بجسم فيستضر بأمر أو ينتفع به . وقسم بين الخلق معاشهم كما قال سبحانه نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا. و فى قوله وضعهم مواضعهم معنى قوله و رفعا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا فإنه ع أخذ الألفاظ فألغاها وأتى بمعناها. فلما فرغ من هذه المقدمة شرع فى ذكر صفات المتقين فقال إنهم أهل الفضائل ثم بين ما هذه الفضائل فقال منطلقهم الصواب . فإن قلت أى فائدة فى تقديم تلك المقدمة وهى كون البارئ سبحانه غنيا لا تضره المعصية و لا تنفعه الطاعة. قلت لأنه لما تضمنت الخطبة مدح الله تعالى للمتقين و ما أعده لهم من الثواب وذمه للعاصين و ما أعده لهم من العقاب العظيم فربما يتوهم متوهم أن الله تعالى مارغب فى الطاعة -قرآن- ٥٨٦-٦٤١-قرآن- ٦٨٢-٧٥٧ [صفحہ ١٣٦] هذا الترغيب البالغ وخوف من المعصية هذا التخويف البالغ إلا و هو منتفع بالأولى مستضر بالثانية فقدم ع تلك المقدمة نفيًا لهذا الوهم

فصل فى فضل الصمت والاقتصاد فى المنطق

واعلم أن القول فى خطر الكلام وفضل الصمت وفضل الاقتصاد فى المنطق وسيع جدا و قد ذكرنا منه طرفا فيما تقدم ونذكر الآن منه طرفا آخر. قال النبى ص من صمت نجا -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-٣١ قال أيضا الصمت حكم و قليل فاعله -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-٣٨ قال له ص بعض أصحابه أخبرنى عن الإسلام بأمر لا أسأل عنه أحدا بعدك فقال قل آمنت بالله ثم استقم قال فما أتقى فأوما بيده إلى لسانه -رواية- ١-١٤٣ قال له ع عقبه بن عامر يا رسول الله ما النجاة قال املك عليك لسانك وابك على خطيئتك و ليسعك بيتك -رواية- ١-١٠٥ روى سهل بن سعد الساعدى عنه ص من يتوكل لى بما بين لحييه ورجليه أتوكل له بالجنة -رواية- ١-٢-رواية- ٣٦-٩٠ قال من وفى شر قببه وذبذبه ولقلقه فقد وفى -رواية- ١-٢-رواية- ٨-٥٢ روى سعيد بن جبيرة مرفوعا إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تشكو -رواية- ١-٢-رواية- ٢٧-ادامه دارد [صفحہ ١٣٧] اللسان تقول أى بنى آدم اتق الله فىنا فإنك إن استقمت استقمنا و إن اعوججت اعوججنا -رواية- از قبل- ٩١ . و قدروى أن عمر رأى

أبأبكر و هويمد لسانه فقال ماتصنع قال هذا ألدی أوردنی الموارد إن رسول الله ص قال ليس شیء فی الجسد إلا يشكو إلى الله تعالی اللسان علی حدته -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۷-۸۹ وسمع ابن مسعود یلبي علی الصفا و یقول یا لسان قل خیرا تغنم أو اصمت تسلّم من قبل أن تندم فقیل له یا أبا عبد الرحمن أ هذا شیء سمعته أم تقوله من تلقاء نفسك قال بل سمعت رسول الله ص یقول أكثر خطایا ابن آدم من لسانه -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۹-۵۹ روى الحسن مرفوعا رحم الله عبدا تکلم فغنم أو سکت فسلم -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۰-۶۰ قالت التلامذة لعيسى ع دلنا علی عمل ندخل به الجنة قال لا تنطقوا أبدا قالوا لا نستطيع ذلك قال فلا تنطقوا إلا بخیر -روایت- ۱-۱۱۷ قال النبی ص إن الله عند لسان کل قائل فاتقی الله امرؤ علم ما یقول -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۸-۷۸ کان یقول لا شیء أحق بطول سجن من لسان -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۴-۴۶ کان یقال لسانک سبع إن أطلقته أکلک -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۳-۴۲ . فی حکمة آل داود حقیق علی العاقل أن یكون عارفا بزمانه حافظا لسانه مقبلا علی شأنه . و کان یقال من علم أن کلامه من عمله أقل کلامه فیما لا ینفعه . و قال محمد بن واسع حفظ اللسان أشد علی الناس من حفظ الدینار والدرهم . [صفحہ ۱۳۸] اجتمع أربعة حکماء من الروم والفرس والهند والصین فقال أحدهم أنا أندم علی ما قلت و لأندم علی ما لم أقل و قال الآخر إذا تکلمت بالکلمة ملکتنی و لم أملكها و إذا لم أتکلم ملکتها و لم تملکنی و قال الآخر عجبت للمتکلم إن رجعت علیه کلمته ضرته و إن لم ترجع لم تنفعه و قال الرابع أنا علی رد ما لم أقل أقدر منی علی رد ما قلت .

ذکر الآثار الواردة فی آفات اللسان

واعلم أن آفات اللسان كثيرة فمنها الکلام فیما لا یعنیک و هو أهون آفات اللسان و مع ذلك فهو عیب قال النبی ص من حسن إسلام المرء ترکه ما لا یعنیه -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۸-۵۸ روى أنه ع مر بشهید يوم أحد فقال أصحابه هنیئا له الجنة قال و ما یدریکم لعله کان یتکلم فیما لا یعنیه -روایت- ۱-۲-روایت- ۷-۱۰۸ قال ابن عباس خمس هی أحسن و أنفع من حمر النعم لا تتکلم فیما لا یعنیک فإنه فضل لآمن علیه الوزر و لا تتکلم فیما یعنیک حتی تجده له موضعا فرب متکلم فی أمر یعنیه قد وضعه فی غیر موضعه فأساء و لا تمار حلیمًا و لا سفیهًا فإن الحلیم یقلیک و السفیه یؤذیک و اذکر أخاک إذا تغیب عنک بما تحب أن یدکرک به و أعفه عما تحب أن یعفیک عنه و اعمل عمل رجل یرى أنه مجازى بالإحسان مأخوذ بالجرائم -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۸-۳۹۸ . ومنها فضول الکلام و کثرته و ترک الاقتصار و کان یقال فضول المنطق و زیادته نقص فی العقل و هما ضدان متنافیان كلما زاد أحدهما نقص الآخر . [صفحہ ۱۳۹] و قال عبد الله بن مسعود إیاکم و فضول الکلام حسب امرئ ما بلغ به حاجته -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۷-۷۷ و کان یقال من کثر کلامه کثر سقطه . و قال الحسن فضول الکلام کفضول المال کلاهما مهلک . و منها الخوض فی الباطل و الحدیث فیما لا یحل کحدیث النساء و مجالس الخمر و مقامات الفساق و إلیه الإشارة بقوله تعالی وَ کُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِینَ . و منها المرء و الجدال -قرآن- ۲۱۲-۲۴۴ قال ع دع المرء و إن کنت محقا -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۱-۳۷ قال مالک بن أنس المرء یقسی القلب و یورث الضغائن -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۱-۵۷ . و قال سفیان الثوری لو خالفت أخی فی رمانه فقال حلوه و قلت حامضة لسعی بی إلی السلطان . و کان یقال صاف من شئت ثم أغضبه بالجدال و المرء فلیرمینک بداهیه تمنعک العیش . و قیل لمیمون بن مهران ما لک لا تفارق أخوا لک عن قلبی قال لأننی لأشاریه و لأماریه . و منها التقعر فی الکلام بالتشدد و التکلف فی الألفاظ قال النبی ص -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۸-۱۸-ادامه دارد [صفحہ ۱۴۰] أبغضکم إلی و أبعدکم منی مجالس يوم القیامة الثرثارون المتفیهقون المتشدقون -روایت- از قبل- ۸۲-قال ع هلک

المنتظعون ... ثلاث مرات -رواية- ١-٢-رواية- ١١-٤٣ والتنطع هو التعمق والاستقصاء وقال عمر إن شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان . ومنها الفحش والسب والبذاء قال النبي ص إياكم والفحش فإن الله لا يحب الفحش ولا يرضى الفحش -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-٧٥ قال ع ليس المؤمن بالطعان ولا باللعان ولا بالسياب ولا بالبذء -رواية- ١-٢-رواية- ١١-٧١ قال ع لو كان الفحش رجلا لكان رجل سوء -رواية- ١-٢-رواية- ١١-٤٥ ومنها المزاح الخارج عن قانون الشريعة وكان يقال من مزح استخف به وكان يقال المزاح فحل لا ينتج إلا الشر. ومنها الوعد الكاذب وقد قال النبي ص العدة دين وقد أنثى الله سبحانه على إسماعيل فقال إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَقَالَ سَبْحَانَهُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ -رواية- ١-٢-رواية- ٢١-١٦١ . [صفحہ ١٤١] ومنها الكذب فى القول واليمين والأمر فيهما مشهور. ومنها الغيبة وقد تقدم القول فيها. قوله ع وملبسهم الاقتصاد أى ليس بالثمين جدا ولا بالحقير جدا كالخرق التى تؤخذ من على المزابل ولكنه أمر بين أمرين وكان ع يلبس الكرايس وهو الخام الغليظ وكذلك كان عمر رضى الله عنه وكان رسول الله ص يلبس اللين تارة والخشن أخرى . قوله ع ومشيهم التواضع تقديره وصفه مشيهم التواضع فحذف المضاف وهذا مأخوذ من قوله تعالى وَ اقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ. رأى محمد بن واسع ابنا له يمشى وهو يتبختر ويميس فى مشيته فصاح به فأقبل فقال له ويلك لو عرفت نفسك لقصدت فى مشيك أما أمك فامة ابتعتها بمائة درهم و أما أبوك فلا- أكثر الله فى الناس من أمثاله . والأصل فى هذا الباب قوله تعالى وَ لَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَ لَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا. وقوله غصوا أبصارهم أى خفضوها وغمضوها وغضضت طرفى عن كذا احتملت مكروهه . وقوله وقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم أى لم يشغلوا سمعهم بشيء غير العلوم النافعة أى لم يشتغلوا بسماع شعر ولا غناء ولا أحاديث أهل الدنيا. -قرآن- ٣٤٨-٣٨٨-قرآن- ٦٢٧-٧١٥ [صفحہ ١٤٢] قوله نزلت أنفسهم منهم فى البلاء كالذى نزلت فى الرخاء يعنى أنهم قد طابوا نفسا فى البلاء والشدة كطيب أنفسهم بأحوالهم فى الرخاء والنعمة وذلك لقله مبالاتهم بشدائد الدنيا ومصائبها وتقدير الكلام من جهة الإعراب نزلت أنفسهم منهم فى حال البلاء نزولا كالنزول الذى نزلته منهم فى حال الرخاء فموضع كالذى نصب لأنه صفة مصدر محذوف والموصول قد حذف العائد إليه وهو الهاء فى نزلته كقولك ضربت الذى ضربت أى ضربت الذى ضربته . ثم قال ع إنهم من شدة شوقهم إلى الجنة ومن شدة خوفهم من النار تكاد أرواحهم أن تفارق أجسادهم لو لا- أن الله تعالى ضرب لهم آجالا- ينتهون إليها. ثم ذكر أن الخالق لماعظم فى أعينهم استصغروا كل شيء دونه وصاروا لشدة يقينهم ومكاشفتهم كمن رأى الجنة فهو يتنعم فيها وكمن رأى النار وهو يعذب فيها ولا ريب أن من يشاهد هاتين الحالتين يكون على قدم عظيمة من العبادة والخوف والرجاء وهذا مقام جليل ومثله قوله ع فى حق نفسه لو كشف الغطاء ما زددت يقينا -رواية- ١-٢-رواية- ٢٥-٥٥ والواو فى والجنة واو مع وقد روى بالعطف بالرفع على أنه معطوف على هم والأول أحسن . ثم وصفهم بحزن القلوب ونحافة الأجسام وعفة الأنفس وخفة الحوائج وأن شرورهم مأمونة على الناس وأنهم صبروا صبيرا يسيرا أعقبهم نعيما طويلا. ثم ابتدأهم فقال تجارة مريحة أى تجارتهم تجارة مريحة فحذف المبتدأ وروى تجارة مريحة بالنصب على أنه مصدر محذوف الفعل . قوله أما الليل بالنصب على الظرفية وروى أما الليل على الابتداء. قوله تالين منصوب على أنه حال إما من الضمير المرفوع بالفاعلية فى صافون أو من الضمير المجرور بالإضافة فى أقدامهم . [صفحہ ١٤٣] والترتيل التبيين والإيضاح وهو ضد الإسراع والعجل ويروى يرتلونه على أن الضمير يعود إلى القرآن والرواية الأولى يعود الضمير فيها إلى أجزاء القرآن . قوله يحزنون به أنفسهم أى يستجلبون لها الحزن به ويستشيرون به دواء دائهم إشارة إلى البكاء فإنه دواء دائ الحزين قال الشاعر فقلت لها إن البكاء لراحة || به يشتفى من ظن أن لاتلاقيا وقال آخر شجاك من ليلتك الطول || فالدمع من عينيك مسدول وهو إذا أنت تأملت || حزن على الخدين محلول ثم ذكر أنهم إذامروا بأية فيها ذكر الثواب مالوا إليها واطمأنوا بها طمعا فى نيله وتطلعت أنفسهم إليها شوقا أى اشربت . ونصب أعينهم منصوب على الظرفية وروى

بالرفع على أنه خبر أن والظن هاهنا يمكن أن يكون على حقيقته ويمكن أن يكون بمعنى العلم كقوله تعالى أَلَا- يَظُنُّ أَوْلِيكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ وَأَصْغَى إِلَى الْكَلَامِ مَا لِي بِهِ بِسْمَعِهِ وَزَفِيرِ النَّارِ صَوْتِهَا. وقد جاء في فضل قراءة القرآن شىء كثير -قرآن- ٢٦٩- ٣٠٩ روى عن النبي ص أنه قال من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتى أفضل مما أوتى فقد استصغر ما عظمه الله -رواية- ١-٢- ١١٠-٣١ قال ص لو كان القرآن في إهاب مامسته النار -رواية- ١-٢- ١١-٥٠ قال أفضل عبادة أمتى قراءة القرآن -رواية- ١-٢- ١-٢- ٤٠-٨ [صفحة ١٤٤] قال أهل القرآن أهل الله وخاصته -رواية- ١-٢- ٤٠-٨ قال إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قيل فما جلاؤها قال تلاوة القرآن وذكر الموت -رواية- ١-٢- ٨-٩١ قال ع إن الله سبحانه لأشد أذنا إلى قارئ القرآن من صاحب القينة إلى قينته -رواية- ١-٢- ١١-٨٤ قال الحسن رحمه الله مادون القرآن من غنى ولا بعد القرآن من فاقة -رواية- ١-٢- ٧٤-٢٦. ثم ذكر ع صورة صلاتهم وركوعهم فقال حانون على أوساطهم حنيت العود عطفته يصف هيئته ركوعهم وانحنائهم فى الصلاة. مفترشون لجباههم باسطون لها على الأرض. ثم ذكر الأعضاء السبعة التى مباشرتها بالأرض فروض فى الصلاة وهى الجبهة والكفان والركبتان والقدمان. قوله ع يطلبون إلى الله أى يسألونه يقال طلبت إليك فى كذا أى سألتك والكلام على الحقيقة مقدر فيه حال محذوفة يتعلق بها حرف الجر أى يطلبون سائلين إلى الله فى فكأك رقابهم لأن طلب لا يتعدى بحرف الجر. ثم لما فرغ من ذكر الليل قال وأما النهار فحلما علماء أبرار أتقيا هذه الصفات هى التى يطلع عليها الناظرون لهم نهارا وتلك الصفات المتقدمة من وظائف الليل. ثم ذكر ما هم عليه من الخوف فقال ع إن خوفهم قدبراهم برى [صفحة ١٤٥] القداح وهى السهام واحدها قدح فينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى و ما بهم من مرض نظير هذا قول الشاعر ومخرق عنه القميص تخاله || بين البيوت من الحياء سقيما حتى إذ ارفع اللواء رأيتته || تحت اللواء على الخميس زعيما. ويقال للمتقين لشدة خوفهم كأنهم مرضى ولا مرض بهم وتقول العرب للكرام من الناس القليل المأكول والمشرب رافضى اللباس الرفيع ذوى الأجسام النحيفة مراض من غير مرض ويقولون أيضا للمرأة ذات الطرف الغضيض الفاتر ذات الكسل مريضه من غير مرض قال الشاعر ضعيفه كر الطرف تحسب أنها || حديثه عهد بالإفاقة من سقم [صفحة ١٤٦]

ذكر الخوف و ماورد فيه من الآثار

واعلم أن الخوف مقام جليل من مقامات العارفين وهو أحد الأركان التى هى أصول هذا الفن وهو التقوى التى حث الله تعالى عليها وقال إن أكرم الناس عنده أشدهم خوفا له وفى هذه الآية وحدها كفاية وإذ انظرت القرآن العزيز وجدت أكثره ذكر المتقين وهم الخائفون وقال النبي ص من خاف الله خافه كل شىء ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شىء -رواية- ١-٢- ١٨-٨٩ قال ع أتمكم عقلا أشدكم لله خوفا وأحسنكم فيما أمر به ونهى عنه نظرا -رواية- ١-٢- ١١-٧٧. وقال يحيى بن معاذ مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة. وقال ذو النون المصرى ينبغى أن يكون الخوف أغلب من الرجاء فإن الرجاء إذا غلب تشوش القلب. وقيل لبعض الصالحين من آمن الخلق غدا قال أشدهم خوفا اليوم. وقيل للحسن يا أباسعيد كيف نضع بمجالسة أقوام من أصحابك يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير فقال إنك والله لأن تصحب قوما يخوفونك حتى تدرك الأمن خير لك من أن تصحب قوما يؤمنونك حتى يدركك الخوف. وقيل للنبي ص فى قوله تعالى وَالْمُذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ لَهُم الَّذِينَ يَعْمُونَ وَيَخَافُونَ الْمَعْصِيَةَ قَالَ لَابِلُ الرَّجُلِ يَصُومُ وَيَتَصَدَّقُ وَيَخَافُ أَلَا- يَقْبَلُ مِنْهُ -رواية- ١-١٧٤ [صفحة ١٤٧] قال ص ما من قطرة أحب إلى الله تعالى من قطرة دمع من خشية الله أوقطرة دم أريقت فى سبيل

الله -رواية- ١-٢-رواية- ١١-١٠٦ قال ع سبعة يظلمهم الله بظلمه يوم لا ظل إلا ظله وذكر منهم رجلا ذكر الله في خلوه ففاضت عيناه -رواية- ١-٢-رواية- ١١-١٠١ . قوله ع و يقول قدخولطوا أى أصابتهم جنة. ثم قال ولقد خالطهم أمر عظيم أى مازجهم خوف عظيم تولهوا لأجله فصاروا كالمجانين . ثم ذكر أنهم لا يستكثرون فى كثير من أعمالهم ولا يرضيهم اجتهادهم وأنهم يتهمون أنفسهم وينسبونها إلى التقصير فى العبادة و إلى هذا نظر المتنبى فقال يستصغر الخطر الكبير لنفسه || ويظن دجلة ليس تكفى شاربا . قال و من أعمالهم مشفقون أى مشفقون من عباداتهم ألا تقبل و إلى هذا نظر أبو تمام فقال يتجنب الآثام ثم يخافها || فكأنما حسناته آثام . ومثل قوله أنا أعلم بنفسى من غيرى قوله ع لمن زكاه نفاقا أنادون ماتقول وفوق ما فى نفسك . وقوله اللهم لا تؤاخذنى بما يقولون إلى آخر الكلام مفرد مستقل بنفسه منقول عنه ع أنه قال لقوم مر عليهم وهم مختلفون فى أمره فمنهم الحامد له ومنهم الذام فقال اللهم لا تؤاخذنى الكلمات إلى آخرها ومعناه اللهم [صفحة ١٤٨] إن كان ما ينسبه الذامون إلى من الأفعال الموجبة الذم حقا فلا تؤاخذنى بذلك واغفر لى ما لا يعلمونه من أفعالى و إن كان ما يقوله الحامدون حقا فاجعلنى أفضل مما يظنونه فى فمن علمائهم أحيدهم أنك ترى له قوة فى دين و حزما فى لين و إيمانا فى يقين و حرصا فى علم و علما فى حلم و قصدا فى غنى و خشوعا فى عبادة و تجملا فى فاقه و صبرا فى شدة و طلبا فى حلال و نشاطا فى هدى و تحرجا عن طمع يعمل الأعمال الصالحة و هو على وجل يمسي و همه الشكر و يصبح و همه الذكر يبيت حذرا و يصبح فرحا حذرا لما حذر من الغفلة و فرحا بما أصاب من الفضل و الرحمة إن استصعبت عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤلها فيما تحب قوة عينه فيما لا يزول و زهادته فيما لا يبقى يمزج العلم بالعلم و القول بالعمل تراه قريبا أملا قليلا زلله خاشعا قلبه قانعا نفسه متورا أكله سهلا أمره حريزا دينه متيته شهوته مكظوما غيظه الخير منه مأمول و الشر منه مأمون إن كان فى الغافلين كتب فى الذاكرين و إن كان فى الذاكرين لم يكتب من الغافلين [صفحة ١٤٩] يعفو عن ظلمه و يعطى من حرمه و يصل من قطعته بعيدا فحشه لينا قوله غائبا منكزه حاضرا معروفا مقلما خيره مديرا شره فى الزلازل وقور و فى المكاره صبور و فى الرخاء شكور لا يحيف على من يبغض و لا يأثم فىمن يحب يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه لا يضيع ما استحفظ و لا ينسى ما ذكر و لا يتأخر بالألقاب و لا يضار بالجار و لا يشمت بالمصائب و لا يدخل فى الباطل و لا يخرج من الحق إن صمت لم يغمه صمته و إن ضحك لم يعل صوته و إن بغي عليه صبر حتى يكون الله هو الذى ينتقم له نفسه منه فى عناء و الناس منه فى راحة أتعب نفسه لأخزته و أراح الناس من نفسه بعدة عن تباعد عنه زهد و نزاهة و دنوه ممن دنا منه لين و رحمة ليس تباعده بكبر و عظمة و لا دنوه بمكر و خديعة قال فصيح هميام صفة كانت نفسه فيها فقال أمير المؤمنين ع أما و الله لقد كنت أخافها عليه ثم قال هكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها فقال له قائل فما بالك يا أمير المؤمنين فقال ع ويحك إن لكل أجل وقتا لا يعدوه و سيبا لا يتجاوزة فمهما لا تعد لمثلها فإنما نفت الشيطان على لسانك [صفحة ١٥٠] هذه الألفاظ التى أولها قوة فى دين بعضها يتعلق حرف الجبر فيه بالظاهر فيكون موضعه نصبا بالمفعولية وبعضها يتعلق بمحذوف فيكون موضعه نصبا أيضا على الصفة ونحن نفضلها. فقوله قوة فى دين حرف الجبر هاهنا متعلق بالظاهر و هو قوة تقول فلان قوى فى كذا و على كذا كما تقول مررت بكذا وبلغت إلى كذا. و وحزما فى لين هاهنا لا يتعلق حرف الجبر بالظاهر لأنه لا معنى له ألا ترى أنك لا تقول فلان حازم فى اللين لأن اللين ليس أمرا يحزم الإنسان فيه و ليس كما تقول فلان حازم فى رأيه أو فى تدبيره فوجب أن يكون حرف الجبر متعلقا بمحذوف تقديره وحزما كائنا فى لين . وكذلك قوله وإيماننا فى يقين حرف الجبر متعلق بمحذوف أى كائنا فى يقين أى مع يقين . فإن قلت الإيمان هو اليقين فكيف قال وإيماننا فى يقين قلت الإيمان هو الاعتقاد مضافا إلى العمل واليقين هو سكون القلب فقط فأحدهما غير الآخر. قوله وحرصا فى علم حرف الجبر هاهنا يتعلق بالظاهر و فى بمعنى على كقوله تعالى لأصعب لئبكم فى جردوع النخل. قوله وقصدا فى غنى حرف الجبر متعلق بمحذوف أى هو مقتصد مع كونه غنيا و ليس يجوز أن يكون متعلقا بالظاهر لأنه لا معنى لقولك اقتصد فى الغنى إنما يقال

اقتصد في النفقة و ذلك الاقتصاد موصوف بأنه مقارن للغنى ومجامع له . -قرآن- ٨٨٢-٩١٦ [صفحه ١٥١] قوله وخشوعا في عبادة حرف الجر هاهنا يحتمل الأمرين معا. قوله وتجملا في فاقه حرف الجر هاهنا متعلق بمحذوف ولا يصح تعلقه بالظاهر لأنه إنما يقال فلان يتجمل في لباسه ومروءته مع كونه ذا فاقه ولا يقال يتجمل في الفاقه على أن يكون التجمل متعديا إلى الفاقه. قوله وصبرا في شدة حرف الجر هاهنا يحتمل الأمرين . قوله وطلبا في حلال حرف الجر هاهنا يتعلق بالظاهر وفي بمعنى اللام . قوله ونشاطا في هدى حرف الجر هاهنا يحتمل الأمرين . قوله وتحرجا عن طمع حرف الجر هاهنا يتعلق بالظاهر لا غير. قوله يعمل الأعمال الصالحة و هو على وجل قد تقدم مثله . قوله يمسى وهمه الشكر هذه درجة عظيمة من درجات العارفين وقد أثنى الله تعالى على الشكر والساكرين في كتابه في مواضع كثيرة نحو قوله فأذكروني أذكركم و أشكروا لي و لا تكفروا فنقرن الشكر بالذكر. و قال تعالى ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم و آمنتم. و قال تعالى و سيجزى الله الشاكرين. ولعلو مرتبة الشكر طعن إبليس في بني آدم فقال و لا تجد أكثرهم شاكرين و قد صدقه الله تعالى في هذا القول فقال و قليل من عبادي الشكور. -قرآن- ٧٠٣-٧٥٨-قرآن-٧٩٢-٨٤٤-قرآن-٨٦٠-٨٩١-قرآن-٩٤٢-٩٧٤-قرآن-١٠١٨-١٠٥١ [صفحه ١٥٢] و قال بعض أصحاب المعاني قد قطع الله تعالى بالمزيد مع الشكر و لم يستثن فقال لئن شكرتم لأزيدنكم. واستثنى في خمسة أمور وهي الإغناء والإجابة والرزق والمغفرة والتوبة. فقال فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء. و قال بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء. و قال يرزق من يشاء. و قال و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء. و قال و يتوب الله على من يشاء. و قال بعضهم كيف لا يكون الشكر مقاما جليلا و هو خلق من أخلاق الربوبية قال تعالى في صفه نفسه و الله شكور حليم. و قد جعل الله تعالى مفتاح كلام أهل الجنة فقال و قالوا الحمد لله الذي صدقنا و وعده و جعله خاتمة كلامهم أيضا فقال و آخر دعوانهم أن الحمد لله رب العالمين. -قرآن- ٨٢-١١٠-قرآن-١٨٨-٢٣٣-قرآن-٢٤٢-٣٠٠-قرآن-٣٠٩-٣٢٦-قرآن-٣٣٥-٣٧٢-قرآن-٣٨١-٤١٣-قرآن-٥١٢-٥٣٦-قرآن-٥٨٨-٦٣٥-قرآن-٦٦٨-٧٢١ وقيل للنبي ص قد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك و ماتأخر فلم تقوم الليل وتتعب نفسك قال أفلا أكون عبدا شكورا -رواية- ١-١١٨ . [صفحه ١٥٣] قوله ع ويصبح وهمه الذكر هذه أيضا درجة كبيرة عظيمة من درجات العارفين قال تعالى فأذكروني أذكركم قال بعض العارفين لأصحابه أنا أعلم متى يذكرني ربي ففزعوا منه فقال إذا ذكرته ذكرني وتلا الآية فسكتوا. و قال يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا. و قال فأذكروا الله عند المشعر الحرام. و قال فأذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا. و قال فإذا قضيتُم الصلاة فأذكروا الله قياما و قعودا و على جنوبكم. و قال الذين يذكرون الله قياما و قعودا و على جنوبهم. و قال في ذم المنافقين و لا يذكرون الله إلما قليلا. و قال و اذكر ربك في نفسك تضرعا و خيفة. و قال و لذكر الله أكبر. و -قرآن- ٨٧-١٠٩-قرآن-٢٢٦-٢٨٤-قرآن-٢٩٣-٣٣٤-قرآن-٣٤٣-٣٩٧-قرآن-٤٠٦-٤٨٧-قرآن-٤٩٦-٥٦٠-قرآن-٥٨٧-٦٢٤-قرآن-٦٣٣-٦٨٠-قرآن-٦٨٩-٧١٣ قال النبي ص ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الهشيم -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-٧٣ قال ص من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر من ذكر الله -رواية- ١-٢-رواية- ١١-٦٤ [صفحه ١٥٤] سئل ع أي الأعمال أفضل قال أن تموت ولسانك رطب بذكر الله -رواية- ١-٦٥ قال ص حكاية عن الله تعالى إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي و إذا ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير من ملئه و إذا تقرب مني شبرا تقرب مني ذراعا و إذا تقرب مني ذراعا تقرب مني باعا و إذا مشى إلى هرولت إليه -رواية- ١-٢-رواية- ٣٣-٢٢٥ قال ص ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله تعالى إلا حفت بهم الملائكة و غشيتهم الرحمة و ذكروا الله فيمن عنده -رواية- ١-٢-رواية- ١١-١١٤ . قوله ع يبيت حذرا ويصبح فرحا حذرا لما حذر من الغفلة وفرحا بما أصاب من الفضل والرحمة. و قد تقدم ذكر الخوف . و قد عرض ع هاهنا بالرجاء المقابل للخوف فإن فرح العارف بما أصاب من الفضل والرحمة يمكن أن يحمل على أنه فرح بمجرد ما أصاب من فضل الله ورحمته . ويمكن أن يحمل على أنه فرح بما يرجوه من ثواب الله ونعيمه لذا

استدل على وصوله إليه وقوى ظنه بظفره به بما عجل الله تعالى له من الفضل والرحمة في الدنيا ومقام الرجاء للعارفين مقام شريف و هو في مقابلة مقام الخوف و هوالمقام ألذى يوجد العارف فيه فرحا قال الله تعالى إِنَّ الْعَالَمِينَ لَنِيْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ -قرآن- ٥٥٢-٦٨٨ [صفحة ١٥٥]. وقال النبي ص حكاية عن الله تعالى أنا عندظن عبدى بى فيلظن بى ماشاء -رواية- ١-٢-رواية- ٤٠-٧٩ دخل ص على رجل من أصحابه و هو يوجد بنفسه فقال كيف تجدك قال أجدنى أخف ذنوبى وأرجو رحمة ربي فقال ص مااجتمعا فى قلب عبد فى هذاالموطن إلا أعطاه الله مارجاه وأمنه مما خافه -رواية- ١-١٨٨. قوله ع إن استصعبت عليه نفسه أى صارت صعبة غير منقادة يقول إذا لم تطاوعه نفسه إلى ماهى كارهه له لم يعطها مرادها فيما تحبه . قوله ع قره عينه فيما لايزول وزهادته فيما لايبقى يقال للفرح المسرور إنه لقرير العين وقرت عينه تفر والمراد بردها لأن دمهة السرور بارده ودمعه الحزن حاره. و هذاالكلام يحتمل أمرين أحدهما أن يعنى بما لايزول البارئ سبحانه و هذا مقام شريف جدا أعظم من سائر المقامات و هو حب العارف لله سبحانه و قد أنكره قوم فقالوا لامعنى لمحبة البارئ إلاالمواظبة على طاعته ونحوه قول أصحابنا المتكلمين إن محبة الله تعالى للعبد هى إرادته لثوابه ومحبة العبد للبارئ هى إرادته لطاعته فليست المحبة عندهم شيئا زائدا على الإرادة و لا يجوز أن تتعلق بذات الله سبحانه لأن الإرادة لا تتعلق إلا بالحدوث وخالفهم شيخنا أبو الحسن فقال إن الإرادة يمكن أن تتعلق بالباقي ذكر ذلك فى الكلام فى الأكوان فى أول التصفح فأما إثبات الحب فى الجملة فقد نطق به القرآن قال سبحانه يُحِبُّهُمْ -قرآن- ٩٢٠-٩٢٨. قوله ع إن استصعبت عليه نفسه أى صارت صعبة غير منقادة يقول إذا لم تطاوعه نفسه إلى ماهى كارهه له لم يعطها مرادها فيما تحبه . قوله ع قره عينه فيما لايزول وزهادته فيما لايبقى يقال للفرح المسرور إنه لقرير العين وقرت عينه تفر والمراد بردها لأن دمهة السرور بارده ودمعه الحزن حاره. و هذاالكلام يحتمل أمرين أحدهما أن يعنى بما لايزول البارئ سبحانه و هذا مقام شريف جدا أعظم من سائر المقامات و هو حب العارف لله سبحانه و قد أنكره قوم فقالوا لامعنى لمحبة البارئ إلاالمواظبة على طاعته ونحوه قول أصحابنا المتكلمين إن محبة الله تعالى للعبد هى إرادته لثوابه ومحبة العبد للبارئ هى إرادته لطاعته فليست المحبة عندهم شيئا زائدا على الإرادة و لا يجوز أن تتعلق بذات الله سبحانه لأن الإرادة لا تتعلق إلا بالحدوث وخالفهم شيخنا أبو الحسن فقال إن الإرادة يمكن أن تتعلق بالباقي ذكر ذلك فى الكلام فى الأكوان فى أول التصفح فأما إثبات الحب فى الجملة فقد نطق به القرآن قال سبحانه يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ وَقَالَ أَيضًا وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَقَالَ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَ -قرآن- ١-١٥-قرآن- ٢٧-٦٥-قرآن- ٧٣-١٣٢ فى الحديث أن النبي ص نظر إلى مصعب بن عمير مقبلا- و عليه إهاب كبش قدتمنطق به فقال انظروا إلى الرجل ألذى قدنور الله قلبه لقد رأيته بين أبوين يغذوانه بأطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله ورسوله إلى ماترون -رواية- ١-٢-رواية- ١٤-٢٢٧ يقال إن عيسى ع مر بثلاثة نفر قدنحلت أبدانهم وتغيرت ألوانهم فقال ما ألذى بلغ بكم ماأرى قالوا الخوف من النار قال حق على الله أن يؤمن من يخافه ثم جاوزهم إلى ثلاثة آخرين فإذاهم أشد نحولا وتغيرا فقال ما ألذى بلغ بكم ماأرى قالوا الشوق إلى الجنة فقال حق على الله أن يعطى من رجاه ثم مر إلى ثلاثة آخرين فإذاهم أشد نحولا و على وجوههم مثل المرائى من النور فقال ما ألذى بلغ بكم ماأرى قالوا حب الله عز و جل فقال أنتم المقربون ثلاثا -رواية- ١-٢-رواية- ٨-٤٦٥. و قال بعض العارفين أحبك حبين حب الهوى || وحباً لأنك أهل لذاك فأما ألذى هو حب الهوى || فشغلى بذكرك عمن سواك و أما ألذى أنت أهل له || فكشفك لى الحجب حتى أراكا فلا الحمد من ذا و لاذاك لى || ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا . [صفحة ١٥٧] ليس يريد بكشف الحجب والرؤية ما يظنه الظاهريون من أنها الإبصار بالعين بل المعرفة التامة و ذلك لأن المعارف النظرية يصح أن تصير ضرورية عندجمهور أصحابنا فهذا أحد محملى الكلام . وثانيهما أن يريد بما لايزول نعيم الجنة و هذا أدون المقامين لأن الخالص من العارفين يحبونه ويعشقونه سبحانه لذاته لاخوفا من النار و لاشوقا إلى

الجنة وقد قال بعضهم لست أَرْضَى لِنَفْسِي أَنْ أَكُونَ كَأَجِيرِ السُّوءِ إِنْ دَفَعْتَ إِلَيْهِ الْأَجْرَةَ رَضِيَ وَفَرِحَ وَإِنْ مَنَعَهَا سَخَطَ وَحَزَنَ إِنَّمَا أَحْبَبَهُ لِذَاتِهِ . وَقَالَ بَعْضُ شِعْرَائِهِمْ شِعْرًا مِنْ جَمَلَتِهِ فَهَجَّرَهُ أَعْظَمَ مِنْ نَارِهِ || وَوَصَلَهُ أَطِيبٌ مِنْ جَنَّتِهِ . وَقَدْ جَاءَ فِي كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَ مِنْ هَذَا الْكَثِيرِ نَحْوَ قَوْلِهِ لَمْ أَعْبُدْهُ خَوْفًا وَلَا طَمَعًا لَكِنِّي وَجَدْتُهُ أَهْلًا لِلْعِبَادَةِ فَعَبَدْتُهُ -رواية- ١-٢-رواية- ٩-٦٨ .

قَوْلُهُ عَ يَمْزِجُ الْحَلْمَ بِالْعِلْمِ أَيْ لَا يَحِلُّ إِلَّا عَنِ عِلْمٍ بِفَضْلِ الْحَلْمِ لَيْسَ كَمَا يَحِلُّمُ الْجَاهِلُونَ . قَوْلُهُ وَالْقَوْلُ بِالْعَمَلِ أَيْ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى الْقَوْلِ وَمِثْلُ هَذَا الْقَوْلِ الْأَحْوَصُ وَأَرَاكَ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ وَبَعْضُهُمْ || مَذِقِ اللِّسَانَ يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ . قَوْلُهُ عَ تَرَاهُ قَرِيبًا أَمَلَهُ أَيْ لَيْسَتْ نَفْسُهُ مُتَعَلِّقَةً بِمَا عَظُمَ مِنْ آمَالِ الدُّنْيَا وَإِنَّمَا قِصَارَى أَمْرِهِ أَنْ يُؤْمَلَ الْقَوَاتِ وَالْمَلْبَسُ قَلِيلًا زَلَّهَ أَيْ خَطَّوَهُ . قَوْلُهُ مَنَزُورًا أَكَلَهُ أَيْ قَلِيلًا وَيَحْمَدُ مِنَ الْإِنْسَانِ الْأَكْلَ النَّزْرَ قَالَ أَعْشَى بَاهِلَةً [صَفْحَةُ ١٥٨] تَكْفِيهِ حِزَّةٌ فَلِذَا إِنْ أَلِمَ بِهَا || مِنَ الشَّوَاءِ وَيَكْفِي شَرْبَهُ الْغَمْرِ . وَ قَالَ مَتَمُّ بْنُ نُوَيْرَةَ لَقَدْ كَفَنَ الْمَنَهَالَ تَحْتَ رِدَائِهِ || فَتَى غَيْرِ مَبْطُانِ الْعَشِيَّاتِ أَرْوَعًا . قَوْلُهُ عَ مَكْظُومًا غِيْظُهُ كَظْمُ الْغِيْظِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الشَّرِيفَةِ قَالَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ عَ مَاسَرْنِي بِجِرْعَةٍ غِيْظٌ أَتَجَرَعُهَا وَأَصْبِرُ عَلَيْهَا حَمْرُ النِّعَمِ -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-٧٣ . وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى الرَّبِيعِ بْنِ زِيَادِ الْحَارِثِيِّ فَقَالَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنْ فَلَانَا يَغْتَابُكَ وَيُنَالُ مِنْكَ فَقَالَ وَاللَّهِ لِأَغِيْظُنَّ مِنْ أَمْرِهِ بِذَلِكَ قَالَ الرَّجُلُ وَ مِنْ أَمْرِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ عَدُوَّ اللَّهِ اسْتَغْوَاهُ لِيُؤْتِمَّهُ وَأَرَادَ أَنْ يَغِيْظَنِي عَلَيْهِ فَأَكْفَيْتُهُ وَاللَّهِ لَا أُعْطِيهِ مَا أَحْبَبَ مِنْ ذَلِكَ غَفَرَ اللَّهُ لَنَا وَ لَهُ . وَجَهْلُ إِنْسَانٍ عَلَى عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالَ أَظُنُّكَ أَرَدْتَ أَنْ يَسْتَفْزِنِي الشَّيْطَانُ بِعِزِّ السُّلْطَانِ فَأُنَالُ مِنْكَ الْيَوْمَ مَا تَنَالَهُ مِنِّي غَدًا انصَرَفَ عَافَاكَ اللَّهُ . وَقَالَ النَّبِيُّ صَ الْغَضَبُ يَفْسُدُ الْإِيمَانَ كَمَا يَفْسُدُ الصَّبْرُ الْعَسَلُ -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-٦٠ قَالَ إِنْسَانٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَ أَوْصِنِي فَقَالَ لَا تَغْضَبْ فَأَعَادَ عَلَيْهِ السُّؤَالَ فَقَالَ لَا تَغْضَبْ فَقَالَ زِدْنِي فَقَالَ لَا أَجِدُ مَزِيدًا -رواية- ١-١١١ . وَ مِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ لَا يَفِي عِزَّ الْغَضَبِ بِذَلَّةِ الْإِعْتَادَارِ . [صَفْحَةُ ١٥٩] قَوْلُهُ إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ لَا يَزَالُ ذَاكِرَ اللَّهِ تَعَالَى سِوَاءَ كَانَ جَالِسًا مَعَ الْغَافِلِينَ أَوْ مَعَ الذَّاكِرِينَ أَمَا إِذَا كَانَ مَعَ الذَّاكِرِينَ فَإِنَّهُ يَذْكُرُ اللَّهُ بِقَلْبِهِ وَ أَمَا إِذَا كَانَ مَعَ الْغَافِلِينَ فَإِنَّهُ يَذْكُرُ اللَّهُ بِقَلْبِهِ وَ أَمَا إِذَا كَانَ مَعَ الذَّاكِرِينَ فَإِنَّهُ يَذْكُرُ اللَّهُ بِقَلْبِهِ وَ لِسَانِهِ . قَوْلُهُ عَ يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ وَيُعْطِي مِنْ حَرَمِهِ وَيَصِلُ مِنْ قَطْعِهِ مِنْ كَلَامِ الْمَسِيحِ عَ فِي الْإِنْجِيلِ أَحْبَبُوا أَعْدَاءَكُمْ وَصَلُوا قَاطِعِيكُمْ وَاعْفُوا عَنِ ظَالِمِيكُمْ وَبَارَكُوا عَلَى لَاعِنِيكُمْ لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاءِ الَّذِي تَشْرُقُ شَمْسُهُ عَلَى الصَّالِحِينَ وَالفَجْرَةُ وَتَنْزِلُ مَطَرُهُ عَلَى الْمُطِيعِينَ وَالأَثْمَةُ -رواية- ١-٢-رواية- ٣١-٢١٦ . قَوْلُهُ عَ بَعِيدًا فَحِشَهُ لَيْسَ يَعْنِي بِهِ أَنَّهُ قَدِيفَحَشَ تَارَةً وَيَتْرَكَ الْفَحْشَ تَارَاتٍ بَلْ لَا فَحْشَ لَهُ أَصْلًا فَكُنِيَ عَنِ الْعَدَمِ بِالْبَعْدِ لِأَنَّهُ قَرِيبٌ مِنْهُ . قَوْلُهُ لَيْنَا قَوْلُهُ الْعَارِفُ بِسَامٍ طَلَقَ الْوَجْهَ لَيْنَ الْقَوْلِ وَ فِي صِفَاتِ النَّبِيِّ صَ لَيْسَ بِفِظٍ وَ لَاصْخَابٍ . قَوْلُهُ فِي الزَّلَازِلِ وَقَوْلُهُ أَيْ لَا تَحْرِكُهُ الْخُطُوبُ الطَّارِقَةُ وَيُقَالُ إِنْ عَلَى بَنِ الْحُسَيْنِ عَ كَانَ يَصَلِي فَوْقَ عَلَيْهِ حِيَةً فَلَمْ يَتَحَرَّكَ لَهَا ثُمَّ انصَابَتْ بَيْنَ قَدَمَيْهِ فَمَا حَرَّكَ إِحْدَاهُمَا عَنْ مَكَانِهِ وَ لَا تَغْيِيرَ لَوْنِهِ . قَوْلُهُ لَا يَحْيِفُ عَلَى مَنْ يَبْغِضُ هَذَا مِنَ الْأَخْلَاقِ الشَّرِيفَةِ النَّبَوِيَّةِ وَ فِي كَلَامِ أَبِي بَكْرٍ فِي صِفَاتِ مَنْ يَصْلِحُ لِلْإِمَامَةِ إِنْ رَضِيَ لَمْ يَدْخُلْهُ رِضَا فِي بَاطِلٍ وَ إِنْ غَضِبَ لَمْ يَخْرُجْهُ غَضَبُهُ عَنِ الْحَقِّ . قَوْلُهُ يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ إِنْ أَنْكَرَ ثُمَّ شَهِدَ عَلَيْهِ فَقَدْ ثَبَتَ كَذِبُهُ وَ إِنْ سَكَتَ ثُمَّ شَهِدَ عَلَيْهِ فَقَدْ أَقَامَ نَفْسَهُ فِي مَقَامِ الرَّيْبِ . [صَفْحَةُ ١٦٠] قَوْلُهُ وَ لَا يَنْبِزُ بِالْأَلْقَابِ هَذَا مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى وَ لَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ . قَوْلُهُ وَ لَا يَضَارُّ بِالْجَارِ -قرآن- ٤٨-٧٥ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ أَوْصَانِي رَبِّي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنْ يُوْرَثَهُ -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-٦٣ قَوْلُهُ وَ لَا يَشْتَمُ بِالْمَصَائِبِ نَظِيرُ قَوْلِ الشَّاعِرِ فَلَسْتُ تَرَاهُ شَامِتًا بِمَصِيبِهِ || وَ لَا جِزَاعًا مِنْ طَارِقِ الْحَدَثَانِ . قَوْلُهُ إِنْ صَمَّتْ لَمْ يَغْمِهِ صَمْتُهُ أَيْ لَا يَحْزَنُ لِفَوَاتِ الْكَلَامِ لِأَنَّهُ يَرَى الصَّمْتَ مَغْنَمًا لَا مَغْرَمًا . قَوْلُهُ وَ إِنْ ضَحَكَ لَمْ يَعْصَمُهُ صَوْتُهُ هَكَذَا كَانَ ضَحْكُ رَسُولِ اللَّهِ صَ أَكْثَرَ التَّبَسُّمِ وَ قَدِيفِرُ أَحْيَانًا وَ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْقَهْقَهَةِ وَ الْكِرْكِرَةِ . قَوْلُهُ وَ إِنْ بَغَى عَلَيْهِ صَبْرٌ هَذَا مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ثُمَّ بَغَى عَلَيْهِ لِيَنْصِرَنَّهُ اللَّهُ . قَوْلُهُ نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عِنَاءٍ لِأَنَّهُ يَتَعَبَّهَا بِالْعِبَادَةِ وَ النَّاسُ لَا يَلْقَوْنَ مِنْهُ عِنَاءًا وَ لَا أَدَى فَحَالِهِمْ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ خِلَافَ حَالِ نَفْسِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ . قَوْلُهُ فَصَعِقَ هَمَامٌ أَعْمَى عَلَيْهِ وَمَاتَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ -

واعلم أن الوجد أمر شريف قد اختلف الناس فيه فقالت الحكماء فيه أقوالا وقالت الصوفية فيه أقوالا أما الحكماء فقالوا الوجد هو حالة تحدث للنفس عند انقطاع علائقها عن المحسوسات بغته إذا كان قد ورد عليها وارد مشوق و قال بعضهم الوجد هو اتصال النفس بمبادئها المجردة عند سماع ما يقتضى ذلك الاتصال . و أما الصوفية فقد قال بعضهم الوجد رفع الحجاب ومشاهدة المحبوب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ومحادثة السر و هو فناؤك من حيث أنت أنت و قال بعضهم الوجد سر الله عند العارفين ومكاشفة من الحق توجب الفناء عن الحق . والأقوال فيه متقاربة فى المعنى و إن اختلفت العبارة و قدمات كثير من الناس بالوجد عند سماع وعظ أو صفة مطرب والأخبار فى هذا الباب كثيرة جدا و قد رأينا نحن فى زماننا من مات بذلك فجاءه . قوله كانت نفسه فيها أى مات ونفت الشيطان على لسانك أى تكلم بلسانك وأصله النفخ بالفم و هو أقل من التفل وإنما نهى أمير المؤمنين القائل فهلا أنت يا أمير المؤمنين لأنه اعترض فى غير موضع الاعتراض و ذلك أنه لا يلزم من موت العامى عند وعظ العارف أن يموت العارف عند وعظ نفسه لأن انفعال العامى ذى الاستعداد التام للموت عند سماع المواعظ البالغة أتم من استعداد العارف عند سماع كلام [صفحة ١٦٢] نفسه أو الفكر فى كلام نفسه لأن نفس العارف قوية جدا والآلة التى يحفر بها الطين قد لا يحفر بها الحجر . فإن قلت فإن جواب أمير المؤمنين ع للسائل غير هذا الجواب قلت صدقت إنما أجابه من حيث يعلم هو والسامعون وتصل أفهامهم إليه فخرج معه إلى حديث الآجال وأنها أوقات مقدره لاتعداها و ما كان يمكنه ع أن يذكر الفرق بين نفسه ونفوسهم و لا كانت الحال تقتضيه فأجابه بجواب مسكت و هو مع إسكاته الخضم حق و عدل عن جواب يحصل منه اضطراب ويقع فيه تشويش و هذانهاية السداد و صحة القول [صفحة ١٦٣]

١٨٧- و من خطبة له ع يصف فيها المنافقين

نَحْمِدُهُ عَلَى مَا وَفَّقَ لَهُ مِنَ الطَّاعِيَةِ وَ ذَادَ عَنْهُ مِنَ المَعَصِيَةِ وَ نَسَأَلُهُ لِمَتِّبِهِ تَمَامًا وَ لِحِيلِهِ اعْتِصَامًا وَ نَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ خَاصٌّ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ كُلِّ غَمْرَةٍ وَ تَجَرَّعَ فِيهِ كُلِّ غَضِيَّةٍ وَ قَدْ تَلَوْنَ لَهُ الأَدْنُونَ وَ تَأَلَّبَ عَلَيْهِ الأَقْصُونَ وَ خَلَعَتْ عَلَيْهِ العَرَبُ أَعْنَتَهَا وَ ضَرَبَتْ إِلَى مَحَارِبَتِهِ بُطُونَ رَوَاجِلِهَا حَتَّى أَنْزَلَتْ بِسَاحَتِهِ عِدَاوَتَهَا مِنْ أبعِيدِ الدَّارِ وَ أَسْحَقِ المَزَارِ أَوْصِيَهُكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَ أَحِذْرُكُمْ أَهْلَ التَّفَاقِ فَإِنَّهُمْ الضَّالُّونَ المُضْطَلُّونَ وَ الزَّالِمُونَ المَزْلُومُونَ يَتَلَوْنُونَ أَلْوَانًا وَ يَفْتَنُونَ افْتِنَانًا وَ يَعْمَدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ وَ يَرِضُونَكُمْ بِكُلِّ مِرْصَادٍ قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ وَ صِهْفَاخُهُمْ نَقِيَّةٌ يَمْشُونَ الخَفَاءَ وَ يَدْبُونَ الضَّرَاءَ وَ صَفُهُمْ دَوَاءٌ وَ قَوْلُهُمْ شِفَاءٌ وَ فِعْلُهُمْ الدَّاءُ العِيَاءُ حَسِيدَةُ الرِّخَاءِ وَ مُؤَكَّدُ البَلَاءِ وَ مَقْنَطُ الرِّجَاءِ لَهُمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ صَرِيحٌ وَ إِلَى كُلِّ قَلْبٍ شَفِيعٌ وَ لِكُلِّ شَجْوٍ دُمُوعٌ يَتَفَارِضُونَ الشَّنَاءَ وَ يَتَرَقَّبُونَ الجَزَاءَ إِنْ سَأَلُوا أَلْحَفُوا وَ إِنْ عَدَلُوا كَشَفُوا وَ إِنْ حَكَمُوا أَسْرَفُوا [صفحة ١٦٤] قَدْ أَعَدُّوا لِكُلِّ حَقِّ بَاطِلًا وَ لِكُلِّ قَائِمٍ مَائِلًا وَ لِكُلِّ حَقٍّ قَاتِلًا وَ لِكُلِّ بَابٍ مِفْتَاحًا وَ لِكُلِّ لَيْلٍ مِصْبَاحًا يَتَوَصَّي لِمَنْ إِلَى الطَّمَعِ بِالْيَأْسِ لِيُقِيمُوا بِهِ أَسْوَأَهُمْ وَ يُنْفِقُوا بِهِ أَعْلَاهُمْ يَقُولُونَ فَيْشَبَّهُونَ وَ يَصِّفُونَ فَيَمُوهُونَ قَدْ هَوَّنُوا الطَّرِيقَ وَ أَضَلَعُوا المَضْيَقَ فَهُمْ لِمِةُ الشَّيْطَانِ وَ حُمَةُ النَّيْرِ أَوَّلُكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الخَاسِرُونَ - قرآن - ٣٧٩-٤٤٥ الضمير فى له و هو الهاء راجع إلى مالتى بمعنى الذى وقيل بل هو راجع إلى الله سبحانه كأنه قال نحمده على ما وفق من طاعته والصحيح هو الأول لأن له فى الفقرة الأولى بإزاء عنه فى الفقرة الثانية والهاء فى عنه ليست عائدة إلى الله وذاد طرد والمصدر الزيادة. وخاض كل غمرة مثل قولك ارتكب كل مهلكة وتقحم كل هول والغمرة ما زدحم وكثر من الماء وكذلك من الناس والجمع غمار. والغصة الشجا والجمع غصص . وتلون له الأدنون

تغير عليه أقرابه ألوانا. وتألّب عليه الأقصون تجمع عليه الأبعدون عنه نسبا. وخلعت إليه العرب أعتتها مثل معناه أوجفوا إليه مسرعين لمحاربتة لأن الخيل إذاخلعت أعتتها كان أسرع لجريها. وضربت إلى محاربتة بطون رواحلها كناية عن إسراع العرب نحوه للحرب [صفحة ١٦٥] لأن الرواحل إذاضربت بطونها لتساق كان أوحى لها ومراده أنهم كانوا فرسانا وركبانا. قوله حتى أنزلت بساحته عداوتها أى حربها فعبّر عنها بالعداوة لأن العداوة سبب الحرب فعبّر بالسبب عن المسبب مازلنا نظاً السماء حتى أتيناك يعنون الماء لما كان اعتقادهم أن السماء سبب الماء. وأسحق المزار أبعد مكان سحيق أى بعيد والسحق بضم السين البعد يقال سحقا له ويجوز ضم الحاء كماقالوا عسر وعسر وسحق الشىء بالضم أى بعد وأسحقه الله أبعد المزار المكان الذى يزار منه أوالمكان الذى يزار فيه والمراد هاهنا هوالأول و من قرأ كتب السيرة علم مالاقى رسول الله ص فى ذات الله سبحانه من المشقة واستهزاء قريش به فى أول الدعوة ورميهم إياه بالحجارة حتى أدموا عقبيه وصياح الصبيان به وفرث الكرش على رأسه وقتل الثوب فى عنقه وحصره وأهلته فى شعب بنى هاشم سنين عدة محرمة معاملتهم ومبايعتهم ومناكحتهم وكلامهم حتى كادوا يموتون جوعا لو لا أن بعض من كان يحنو لرحم أولسبب غيره فهو يسرق الشىء القليل من الدقيق أوالتمر فيلقيه إليهم ليلا ثم ضربهم أصحابه وتعذيبهم بالجوع والوثاق فى الشمس وطردهم إياهم عن شعاب مكة حتى خرج من خرج منهم إلى الحبشة وخرج ع مستجيرا منهم تارة بثقيف وتارة بنى عامر وتارة بربيعة الفرس وبغيرهم ثم أجمعوا على قتله والفتك به ليلا حتى هرب منهم لائذا بالأوس والخزرج تاركا أهله وأولاده و ماحوته يده ناجيا بحشاشه نفسه حتى وصل إلى المدينة فناصره الحرب ورموه بالمناسر والكتائب وضربوا إليه آباط الإبل [صفحة ١٦٦] و لم يزل منهم فى عناء شديد وحروب متصلة حتى أكرمه الله تعالى ونصره وأيد دينه وأظهره و من له أنس بالتواريخ يعلم من تفاصيل هذه الأحوال مايطول شرحه .سمى النفاق نفاقا من النافقاء وهى بيت اليربوع له بابان يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر وكذلك الذى يظهر دينا ويبطن غيره . والضالون المضلون الذين يضلون أنفسهم ويضلون غيرهم وكذلك الزالون المزلون زل فلان عن الأمر أى أخطأ وأزله غيره . قوله يفتنون يتشعبون فنونا أى ضروبا. ويعمدونكم أى يهدونكم ويفدحونكم يقال عمده المرض يعمده أى هذه و منه قولهم للعاشق عميد القلب . قوله بعماد أى بأمر فادح وخطب مؤلم وأصل العمد انشداخ سنام البعير وماضيه عمد السنام بالكسر عمدا فهو عمد. ويرصدونكم يعدون المكاييد لكم أرصدت أعددت و منه فى الحديث إلا أن أرصد له دين على -رواية ١-٢-رواية ١٤-٤٠ . وقلب دو بالتخفيف أى فاسد من داء أصابه وامرأة دوية فإذا قلت رجل دوى بالفتح استوى فيه المذكر والمؤنث والجماعة لأنه مصدر فى الأصل و من روى دوية بالتشديد على بعده فإنما شدده ليقابل نقيه. والصفاح جمع صفحة الوجه وهى ظاهره يقول باطنهم عليل وظاهرهم صحيح يمشون الخفاء أى فى الخفاء ثم حذف الجار فنصب وكذلك يدبون الضراء [صفحة ١٦٧] والضراء شجر الوادى الملتف و هذامثل يضرب لمن يختل صاحبه يقال هويدب له الضراء ويمشى له الخمر و هو جرف الوادى ثم قال وصفهم داء وقولهم شفاء وفعلهم الداء العياء أى أقوالهم أقوال الزاهدين العابدين وأفعالهم أفعال الفاسقين الفاجرين والداء العياء الذى يعيب الأساءة. ثم قال حسدة الرخاء يحسدون على النعم ومؤكدو البلاء إذاوقع واحد من الناس فى بلاء أكدوه عليه بالسعايات والنمائى وإغراء السلطان به ولقد أحسن أبوالطيب فى قوله يذم البشر وكأنا لم يرض فينا بريب الدهر || حتى أعانه من أعانا كلما أنبت الزمان قنائة || ركب المرء فى القنائة سنانا . ومقنطو الرجاء أى أهل الرجاء أى يبدلون بشروهم وأذاهم رجاء الراجى قنوطا. قوله و إلى كل قلب شفيح يصف خلافة ألسنتهم وشدة ملقهم فقد استحوذوا على قلوب الناس بالرياء والتصنع . قوله ولكل شجو دموع الشجو الحزن أى يبكون تباكيا وتعملا لاحقا عند أهل كل حزن ومصاب . يتقارضون الثناء أى يثنى زيد على عمرو ليثنى عمرو عليه فى ذلك المجلس أويلغنه فيثنى عليه فى مجلس آخر مأخوذ من القرض . ويتراقبون الجزاء يرتقب كل واحد منهم على ثنائه ومدحه لصاحبه جزاء منه [صفحة ١٦٨] إما بالمال أوأمر آخر نحو ثناء يثنى عليه أوشفاعة

يشفع له أو نحو ذلك . والإلحاف في السؤال الاستقصاء فيه و هو مذموم قال الله تعالى لا يسألون الناس إلحافاً . قوله و إن عدلوا كشفوا أى إذا عدلك أحدهم كشف عيوبك في ذلك اللوم والعدل وجهك بها وربما لا يستحي أن يذكرها لك بمحضر ممن لا تحب ذكرها بحضرته وليسوا كالناصحين على الحقيقة الذين يعرضون عند العتاب بالذنب تعريضا لطيفا ليقنع الإنسان عنه . و إن حكموا أسرفوا إذا سألك أحدهم ففوضته في مالك أسرف و لم يقنع بشيء و أحب الاستئصال . قد أعدوا لكل حق باطلا يقيمون الباطل في معارضة الحق والشبهة في مصادمة الحجة ولكل دليل قائم وقول صحيح ثابت احتجاجا مائلا مضادا لذلك الدليل وكلاما مضطربا لذلك القول . ولكل باب مفتاحا أى ألسنتهم ذلقة قادرة على فتح المغلقات للطف توصلهم وظرف منطقتهم . ولكل ليل مصباحا أى كل أمر مظلم فقد أعدوا له كلاما ينيره ويضيئه ويجعله كالمصباح الطارد لليل . ويتوصلون إلى مطامعهم بإظهار اليأس عما في أيدي الناس وبالزهد في الدنيا و في الأثر شركم من أخذ الدنيا بالدين . ثم قال إنما فعلوا ذلك ليقيموا به أسواقهم أى لتتنق سلعتهم . -قرآن- ١٣٩-١٦٨ [صفحة ١٦٩] والأعلاق جمع علق و هو السلعة الثمينة . يقولون فيشبهون يوقعون الشبه في القلوب . ويصفون فيموهون التزيين وأصله أن تطفى الحديد بذهب يحسنها . قدهيئوا الطريق أى الطريق الباطل قدهيئوها لتسلك بتمويهاتهم . وأضلعوا المضيق أمالوه وجعلوه ضلعا أى معوجا أى جعلوا المسلك الضيق معوجا بكلامهم وتلييسهم فإذا أسلكوه إنسانا اعوج لاعوجاجه . واللمة بالتخفيف الجماعة والحمه بالتخفيف أيضا السم وكنى عن إحراق النار بالحمه للمشابهة في المضرة [صفحة ١٧٠]

١٨٨- و من خطبة له ع

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَظْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِهِ وَ جَلَالَ كِبْرِيَائِهِ مَا خَيْرَ مُقَلِّ الْعُقُولِ مِنْ عَجَائِبِ قُدْرَتِهِ وَ رَدَعَ خَطَرَاتِ هَمَاهِمِ النَّفُوسِ عَنْ عِرْفَانِ كُنْهِ صِفَتِهِ وَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً إِيْمَانٍ وَ إِيْقَانٍ وَ إِخْلَاصٍ وَ إِذْعَانٍ وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ أَرْسَلَهُ وَ أَعْلَامُ الْهُدَى دَارِ سِيَّتِهِ وَ مَنَاهِجُ الدِّينِ طَامِسَةٌ فَصَدَعَ بِالْحَقِّ وَ نَصَحَ لِلخَلْقِ وَ هَدَى إِلَى الرُّشْدِ وَ أَمَرَ بِالْقَصْدِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ وَ أَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا وَ لَمْ يُرْسِلْكُمْ هَمَلًا عَلِمَ مَبَاعِ نِعْمِهِ عَلَيْكُمْ وَ أَحْصَى إِحْسَانَهُ إِلَيْكُمْ فَاسْتَفْتَحُوهُ وَ اسْتَنْجَحُوهُ وَ اطْلُبُوا إِلَيْهِ وَ اسْتَمْنَحُوهُ فَمَا قَطَعَكُمْ عَنْهُ حِجَابٌ وَ لَا أَعْلَقَ عَنْكُمْ دُونَهُ بَابٌ وَ إِنَّهُ لِكُلِّ مَكَانٍ وَ فِي كُلِّ حِينٍ وَ أَوَانٍ وَ مَعَ كُلِّ إِنْسٍ وَ حِرَانٍ لَمَّا يَتْلُمُهُ الْعَطَاءُ وَ لَا يَنْقُصُهُ الْجَبَاءُ وَ لَا يَسْتَنْفِذُهُ سَائِلٌ وَ لَا يَسْتَقْصِيهِ نَائِلٌ وَ لَا يَلْوِيهِ شَخْصٌ عَنْ شَخْصٍ وَ لَا يُلْهِبِهِ صَوْتٌ عَنْ صَوْتٍ وَ لَا تَحْجُزُهُ هَيْبَةٌ عَنْ سَيْلٍ وَ لَا يَشْعَلُهُ غَضَبٌ عَنْ رَحْمَةٍ وَ لَا تُولِيهِ رَحْمَةٌ عَنْ عِقَابٍ وَ لَا يُجِنُّهُ الْبُطُونُ عَنِ الظُّهُورِ وَ لَا يَقْطَعُهُ الظُّهُورُ عَنِ الْبُطُونِ قَرَبٌ فَنَأَى وَ عَلَا فَدَنَا وَ ظَهَرَ فَبَطَنَ وَ بَطَنَ فَعَلَنَ وَ دَانَ وَ لَمْ يِدَنَّ لَمْ يَذَرِ الخَلْقَ بِاحْتِيَالٍ وَ لَا اسْتِعَانَ بِهِمْ لِكَلَالٍ [صفحة ١٧١] أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا الزَّمَامُ وَ الْقَوَامُ فَتَمَسَّكُوا بِوَتَائِقِهَا وَ اعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا تَوَلُّ بِكُمْ إِلَى أَكْتَانِ الدَّعِيَّةِ وَ أَوْطَانِ السَّيِّئَةِ وَ مَعَاقِلِ الْحَرِزِ وَ مَنَازِلِ الْعِزِّ فِي يَوْمِ تَشَخُّصٍ فِيهِ الْأَبْصَارُ وَ تُظَلَّمُ لَهُ الْأَقْطَارُ وَ تُعْطَلُ فِيهِ صُرُومُ الْعِشَارِ وَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَرْهَقُ كُلُّ مُهْجَةٍ وَ تَبْكُمُ كُلُّ لَهْجَةٍ وَ تَذَلُّ الشَّمُّ الشُّوَامِخُ وَ الصَّمُّ الزُّوَايِخُ فَيَصِيرُ صِلْدُهَا سِرَابًا رَقْرَاقًا وَ مَعَهْدُهَا قَاعًا سَيْمَلَقًا فَلَا شَفِيعَ يَشْفَعُ وَ لَا حَمِيمٍ يَنْفَعُ وَ لَا مَعْدِرَةَ تَدْفَعُ أَظْهَرَ سُبْحَانَهُ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِهِ نَحْوَ خَلْقِ الْأَفْلَاكِ وَ دَخُولِ بَعْضِهَا فِي بَعْضٍ كَالْمَمِيلِ الَّذِي يَشْتَمِلُ عَلَى الْمَائِلِ وَ فَلَكَ التَّدْوِيرُ وَ غَيْرُهُمَا وَ نَحْوَ خَلْقِ الْإِنْسَانِ وَ مَا تَدَلُّ كِتَابُ التَّشْرِيحِ مِنْ عَجِيبِ الْحِكْمَةِ فِيهِ وَ نَحْوَ خَلْقِ النَّبَاتِ وَ الْمَعَادِنِ وَ تَرْتِيبِ الْعُنَاصِرِ وَ عِلْمَاتِهَا وَ الْآثَارِ الْعُلُويَّةِ الْمُتَجَدِّدَةِ حَسْبَ تَجَدُّدِ أَسْبَابِهَا مَا حِيرَ عَقُولَ هَوْلَاءُ وَ أَشْعَرَ بِأَنْهَا إِذَا لَمْ يَحِطْ بِتَفَاصِيلِ تِلْكَ الْحَكْمِ مَعَ أَنَّهَا مَصْنُوعَةٌ فَالْأَوْلَى أَلَّا تَحِيطَ بِالصَّانِعِ الَّذِي هُوَ بَرِيءٌ عَنِ الْمَادَّةِ وَ عِلَاقَتِ الْحَسِّ . وَ الْمَقْلُ جَمْعُ مَقْلَةٍ وَ هِيَ شَحْمَةُ الْعَيْنِ الَّتِي تَجْمَعُ السُّوَادَ وَ الْبَيَاضَ وَ مَقَلَّتِ الشَّيْءَ نَظَرَتْ إِلَيْهِ بِمَقْلَتِي

وأضاف المقل إلى العقول مجازا ومراده البصائر. وردع زجر ودفع وهماهم النفوس أفكارها و مايههمم به عند التمثيل والروية فى الأمر وأصل الهمهمة صوت يسمع لا يفهم محموله . [صفحہ ۱۷۲] والعرفان المعرفة وكنه الشىء نهايته وأقصاه والإيقان العلم القطعى والإذعان الانقياد والأعلام المنار والجبال يستدل بها فى الطرقات . والمناهج السبل الواضحة والطامسة كالدارسه وصدع بالحق بين وأصله الشق يظهر ماتحته ويقال نصحت لزيد و هو أفصح من قولك نصحت زيدا. والقصد العدل . والعبث ما لا غرض فيه أو ما ليس فيه غرض مثله والهمل الإبل بلا راع وقد أهملت الإبل أرسلتها سدى . قوله علم مبلغ نعمه عليكم وأحصى إحسانه إليكم أى هو عالم بكمية إنعامه عليكم علما مفصلا و كل من علم قدر نعمته على غيره كان أحرى أن تشتد نعمته عليه عند عصيانه له وجرأته عليه بخلاف من يجهل قدر نعمته على الغير فإنه لا يشد غضبه لأنه لا يعلم قدر نعمته المكفورة. قوله فاستفتحوه أى اطلبوا منه الفتح عليكم والنصر لكم . واستنجحوه اطلبوا منه النجاح والظفر. واطلبوا إليه أى اسألوه يقال طلبت إلى زيد كذا و فى كذا. واستمنحوه بكسر النون اطلبوا منه المنحة وهى العطية ويروى واستمبحوه بالياء استمحت الرجل طلبت عطاء ومحت بالرجل أعطيته . ثم ذكر ع أنه لا حجاب يمنع عنه و لا دونه باب يغلق و أنه بكل مكان موجود و فى كل حين وأوان والمراد بوجوده فى كل مكان إحاطة علمه و هو معنى قوله [صفحہ ۱۷۳] تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابِعُهُم و قوله سبحانه وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ. قوله لا يثلمه العطاء بالكسر لا ينقص قدرته . والحباء النوال و لا يستنفده أى لا يفنيه . و لا يستقصيه لا يبلغ الجود أقصى مقدوره و إن عظم الجود لأنه قادر على ما لا نهاية له . و لا يلويه شخص عن شخص لا يوجب ما يفعله لشخص أو مع شخص إعراضا و ذهولا عن شخص آخر بل هو عالم بالجميع لا يشغله شأن عن شأن لوى الرجل وجهه أى أعرض وانحرف ومثل هذا أراد بقوله و لا يلبهيه صوت عن صوت ألهاه كذا أى شغله . و لا تحجزه بالضم هبة عن سلب أى لا تمنعه أى ليس كالقادرين بالقدرة مثلنا فإن الواحد منا يصرفه اهتمامه بعطية زيد عن سلب مال عمرو حالما يكون مهتما بتلك العطية لأن اشتغال القلب بأحد الأمرين يشغله عن الآخر. ومثل هذا قوله و لا يشغله غضب عن رحمة و لا تولهه رحمة عن عقاب أى لا تحدث الرحمة لمستحقها عنده ولها و هو التحير والتردد وتصرفه عن عقاب المستحق و ذلك لأن الواحد منا إذا رحم إنسانا حدث عنده رقة خصوصا إذا توالى منه الرحمة لقوم متعددين فإنه تصير الرحمة كالملكة عنده فلا يطيق مع تلك الحال أن ينتقم والبارئ تعالى بخلاف ذلك لأنه ليس بذى مزاج سبحانه . و لا يجنه البطون عن الظهور و لا يقطع الظهور عن البطون هذه كلها مصادر بطن - قرآن - ۸-۵۷-قرآن - ۷۳-۱۰۳ [صفحہ ۱۷۴] بطونا أى خفى وظهر ظهورا أى تجلى يقول لا يمنعه خفاؤه عن العقول أن تدركه عند ظهوره بأفعاله و إن لم يكن ظاهرا بذاته و كذلك لا يقطع ظهوره بأفعاله عن أن يخفى كنهه عن إبطار العقول وإدراكها له ويقال اجتننت كذا أى سترته و منه الجنين والجنة للترس وسمى الجن جنا لاستتارهم . ثم زاد المعنى تأكيدا فقال قرب فئأى أى قرب فعلا فئأى ذاتا أى أفعاله قد تعلم ولكن ذاته لا تعلم . ثم قال وعلا فدنا أى لماعلا عن أن تحيط به العقول عرفته العقول لأنها عرفت ذاته لكن عرفت أنه شىء لا يصح أن يعرف و ذلك خاصته سبحانه فإن ماهيته يستحيل أن تتصور للعقل لا فى الدنيا و لا فى الآخرة بخلاف غيره من الممكنات . ثم أكد المعنى بعبارة أخرى قال وظهر فبطن و بطن فعلم و هذا مثل الأول ودان غلب وقهر و لم يبدن لم يقهر و لم يغلب . ثم قال لم يذرا الخلق باحتيال أى لم يخلقهم بحيلة توصل بها إلى إيجادهم بل أوجدهم على حسب علمه بالمصلحة خلقا مخترعا من غير سبب و لا واسطة. قال و لا استعان بهم لكلال أى لإعياء أى لم يأمر المكلفين بالجهاد لحاجته فى قهر أعدائه و جاحدى نعمته إليهم و ليس بكال و لا عاجز عن إهلاكهم ولكن الحكمة اقتضت ذلك قال سبحانه وَ لَوْ لَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ أَيْ لَبُطِلَ التَّكْلِيفُ . ثم ذكر أن التقوى قوام الطاعات التى تقوم بها وزمام العبادات لأنها تمسك و تحصن كزمام الناقة المانع لها من الخبط. - قرآن - ۱۰۷۷-۱۱۴۲ [صفحہ ۱۷۵] والوثائق جمع وثيقة وهى ما يوثق به وحقائقها جمع حقيقة وهى الراية يقال فلان حامى الحقيقة. قوله تؤل بالجزم لأنه جواب الأمر أى ترجع .

والأكنان جمع كن و هو الستر والدعة الراحة السعة الجدة والمعازل جمع معقل و هو الملجأ والحرز الحفظ وتشخص الأبصار تبقى مفتوحة لا تطرف . والأقطار الجوانب والصروم جمع صرم وصرمه وهى القطعة من الإبل نحو الثلاثين . والعشار النوق أتى عليها من يوم أرسل الفحل فيها عشرة أشهر فزال عنها اسم المخاض و لا يزال ذلك اسمها حتى تضع والواحدة عشرة و هذا من قوله تعالى وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ أَى تَرَكْتَ مَسِيئَهُ مَهْمَلَةً لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا أَرَبَابَهَا وَلَا يَحْلُبُونَهَا لِاسْتِغَالَمِهِمْ بِأَنْفُسِهِمْ . وتزهق كل مهجة تهلك وتبكم كل لهجة أى تخرس رجل أبكم وبكيم والماضى بكم بالكسر . والشم الشوامخ الجبال العالية وذلكها تدكدكها وهى أيضا الصم الرواسخ . فيصير صلدها و هو الصلب الشديد انصلا به سرايا و هو ما يترأى فى النهار فيظن ماء . والرقراق الخفيف ومعهدا ما جعل منها منزلا للناس قاعا أرضا خالية والسملق الصفصف المستوى ليس بعضه أرفع وبعضه أخفض -قرآن- ٥١٣- ٥٣٧ [صفحہ ١٧٦]

١٨٩- و من خطبة له ع

بَعَثَهُ حِينَ لَا عِلْمَ قَائِمٍ وَلَا مَنَارًا سَاطِعٍ وَلَا مَنَهْجًا وَاضِحًا أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَ أَحْذَرُكُمْ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا دَارُ سُخُوصٍ وَ مَحَلَّةٌ تَنْغِيصُ سَاكِنِيهَا طَاعِنٌ وَ قَاطِنُهَا بَيَّازٌ تَمِيدُ بِأَهْلِهَا مَيِّدَانَ السِّفِينَةِ نَقِصَةٌ فُهَا الْعَوَاصِفُ فِي لُجَجِ الْبِحَارِ فَمِنْهُمْ الْعَرِيقُ الْوَبِقُ وَ مِنْهُمْ النَّاجِي عَلَى بُطُونِ الْأَمْوَاجِ تَحْفِزُهُ الرِّيحُ بِأَذْيَالِهَا وَ تَحْمِلُهُ عَلَى أَهْوَالِهَا فَمَا غَرِقَ مِنْهَا فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرِكٍ وَ مَا نَجَا مِنْهَا فَإِلَى مَهْلِكِكِ عِبَادَ اللَّهِ الْآنَ فَاعْلَمُوا وَ الْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ وَ الْأَبْدَانُ صَيَّحِيحَةٌ وَ الْأَعْضَاءُ لَدَنَةٌ وَ الْمُتَقَلِّبُ فَسَيَّحٌ وَ الْمَجَالُ عَرِيضٌ قَبْلَ إِرْهَاقِ الْفُوتِ وَ حُلُولِ الْمَوْتِ فَحَقَّقُوا عَلَيْكُمْ نُزُولَهُ وَ لَا تَنْتَظِرُوا قُدُومَهُ يَقُولُ بَعَثَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ مُحَمَّدًا صَ لَمَّا لَمْ يَبْقَ عِلْمٌ يَهْتَدَى بِهِ الْمَكْلِفُونَ لِأَنَّهُ كَانَ زَمَانُ الْفِتْرِ وَ تَبَدَّلَ الْمَصْلِحَةُ وَ اقْتَضَاءُ وَ جُوبُ اللَّطْفِ عَلَيْهِ سَبْحَانَهُ تَجْدِيدًا لِبَعْتِهِ لِيَعْرِفَ الْمَبْعُوثُ الْمَكْلِفِينَ الْأَفْعَالَ الَّتِي تَقْرِبُهُمْ مِنْ فِعْلِ الْوَأَجِبَاتِ الْعَقْلِيَّةِ وَ تَبْعُدُهُمْ عَنِ الْمَقْبَحَاتِ الْفِعْلِيَّةِ . [صفحہ ١٧٧] وَ الْمَنَارُ السَّاطِعُ الْمُرْتَفِعُ سَطَعَ الصَّبْحُ سَطُوعًا ارْتَفَعَ . وَ دَارُ سُخُوصٍ دَارُ رَحْلَةٍ شَخْصٍ عَنِ الْبَلَدِ رَحَلَ عَنْهُ . وَ الطَّاعِنُ الْمَسَافِرُ وَ الْقَاطِنُ الْمَقِيمُ وَ الْبَائِنُ الْبَعِيدُ يَقُولُ سَاكِنُ الدُّنْيَا لَيْسَ بِسَاكِنٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ بَلْ هُوَ طَاعِنٌ فِي الْمَعْنَى وَ إِنْ كَانَ فِي الصُّورَةِ سَاكِنًا وَ الْمَقِيمُ بِهَا مَفَارِقٌ وَ إِنْ ظَنَّ أَنَّهُ مَقِيمٌ . وَ تَمِيدُ بِأَهْلِهَا تَتَحَرَّكُ وَ تَمِيلُ وَ الْمِيدَانُ حَرَكَةٌ وَ اضْطِرَابٌ . وَ تَصَفَّقُهَا الْعَوَاصِفُ تَضْرِبُهَا بِشِدَّةٍ ضَرْبًا بَعْدَ ضَرْبٍ وَ الْعَوَاصِفُ الرِّيحُ الْقَوِيَّةُ اللَّجْجُ جَمْعُ لَجَّةٍ وَ هِيَ مَعْظَمُ الْبَحْرِ . الْوَبِقُ الْهَالِكُ وَ بَقِ الرَّجُلُ بِالْفَتْحِ يَبْقُ وَ بَوْقًا هَلَكٌ وَ الْمَوْبِقُ مِنْهُ كَالْمَوْعِدِ مَفْعَلٌ مِنْ وَعَدَ يَعِدُ وَ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَ جَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا وَ فِيهِ لُغَةٌ أُخْرَى وَ بَقِ الرَّجُلُ يَوْبِقُ وَ بَقَا وَ فِيهِ لُغَةٌ ثَالِثَةٌ وَ بَقِ الرَّجُلُ بِالْكَسْرِ يَبْقُ بِالْكَسْرِ أَيْضًا وَ أَوْبَقَهُ اللَّهُ أَى أَهْلَكَهُ . وَ تَحْفِزُهُ الرِّيحُ تَدْفَعُهُ ضَرْبٌ عَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا مِثْلًا بِرَاكِبِي السِّفِينَةِ فِي الْبَحْرِ وَ قَدَمَادَتُ بِهِمْ فَمِنْهُمْ الْهَالِكُ عَلَى الْفُوتِ وَ مِنْهُمْ مَنْ لَا يَتَعَجَّلُ هَلَاكُهُ وَ تَحْمِلُهُ الرِّيحُ سَاعَةً أَوْ سَاعَاتٍ ثُمَّ مَالَهُ إِلَى الْهَلَاكِ أَيْضًا . ثُمَّ أَمْرٌ عَ بِالْعَمَلِ وَ قَدْ الْإِمْكَانُ قَبْلَ أَلَّا يُمْكِنُ الْعَمَلُ فَكُنَى عَنِ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ وَ الْأَلْسُنُ مُنْطَلِقَةٌ لِأَنَّ الْمُحْتَضِرَ يَعْتَقِلُ لِسَانَهُ وَ الْأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ لِأَنَّ الْمُحْتَضِرَ سَقِيمَ الْبَدَنِ وَ الْأَعْضَاءُ لَدَنَةٌ أَى لِينَةٌ أَى قَبْلَ الشَّيْخُوخَةِ وَ الْهَرَمِ وَ يَبْسُ -قرآن- ٥٣٧- ٥٦٤ [صفحہ ١٧٨] الْأَعْضَاءُ وَ الْأَعْصَابُ وَ الْمُنْقَلَبُ فَسَيَّحٌ وَ الْمَجَالُ عَرِيضٌ أَى أَيَّامُ الشَّيْبَةِ وَ فِي الْوَقْتِ وَ الْأَجَلُ مَهْلَةٌ قَبْلَ أَنْ يَضِيقَ الْوَقْتُ عَلَيْكُمْ . قَبْلَ إِرْهَاقِ الْفُوتِ أَى قَبْلَ أَنْ يَجْعَلَ الْفُوتَ وَ هُوَ فُوتٌ الْأَمْرُ وَ تَعَذَّرَ اسْتِدْرَاكُهُ عَلَيْكُمْ مَرَهْقِينَ وَ الْمَرَهْقُ الَّذِي أَدْرَكَ لِيَقْتُلَ قَالَ الْكَمِيتُ تَنْدَى أَكْفَهُمْ وَ فِي آيَاتِهِمْ || ثِقَّةُ الْمَجَاوِرِ وَ الْمَضَافِ الْمَرَهْقُ . قَوْلُهُ فَحَقَّقُوا عَلَيْكُمْ نُزُولَهُ وَ لَا تَنْتَظِرُوا قُدُومَهُ أَى اَعْمَلُوا عَمَلًا مِنْ يَشَاهِدُ الْمَوْتَ حَقِيقَةً لِاعْمَلُ مِنْ يَنْتَظِرُهُ انْتِظَارًا وَ يَطَاوِلُ الْأَوْقَاتَ مَطَاوِلَةً فَإِنَّ التَّسْوِيفَ دَاعِيَةُ التَّقْصِيرِ [صفحہ ١٧٩]

١٩٠- و من خطبة له ع

وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفِظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ص أَنَّي لَمْ أَرِدْ عَلَى اللَّهِ وَ لَا عَلَى رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ وَ لَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَنكُصُ فِيهَا الْأَبْطَالُ وَ تَتَأَخَّرُ الْأَقْدَامُ نَجْدَةً أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِهَا وَ لَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَ إِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِي وَ لَقَدْ سَأَلْتُ نَفْسَهُ فِي كَفِّي فَأَمَرْتُهَا عَلَى وَجْهِي وَ لَقَدْ وُلِّيتُ غُسْلَهُ ص وَ الْمَلَائِكَةُ أَعْوَانِي فَضَجَّتِ الدَّارُ وَ الْأَفْتِيَةُ مَلَأَ يَهْبِطُ وَ مَلَأَ يَعْرُجُ وَ مَا فَارَقْتُ سَمْعِي هَيْبَةً مِنْهُمْ يَصِيلُونَ عَلَيْهِ حَتَّى وَارِيَانَهُ فِي ضَمْرِ رِيحِهِ فَمَنْ ذَا أَحَقَّ بِهِ مِنِّي حَيًّا وَ مَيِّتًا فَانْفُدُوا عَلَيَّ بِصَائِرِكُمْ وَ لَتَصْدُقَ نِيَاتُكُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي لَعَلَى جَادَةِ الْحَقِّ وَ إِنَّهُمْ لَعَلَى مَرَلَةِ الْبَاطِلِ أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَ لَكُمْ يُمْكِنُ أَنْ يَعْنَى بِالْمُسْتَحْفِظِينَ الْخُلَفَاءَ الَّذِينَ تَقَدَّمُوا لِأَنَّهُمْ الَّذِينَ اسْتَحْفِظُوا الْإِسْلَامَ أَيَّ جَعَلُوا حَافِظِينَ لَهُ وَ حَارِسِينَ لِشَرِيعَتِهِ وَ لِحُوزَتِهِ وَ يَجُوزُ أَنْ يَعْنَى بِهِ الْعُلَمَاءُ وَ الْفُضَلَاءُ مِنَ الصَّحَابَةِ لِأَنَّهُمْ اسْتَحْفِظُوا الْكِتَابَ أَيَّ كَلَفُوا حِفْظَهُ وَ حِرَاسَتَهُ . [صفحہ ۱۸۰]

والظاهر أنه يرمز في قوله ع لم أرد على الله و لا على رسوله ساعة قط إلى أمور وقعت من غيره كما جرى يوم الحديبية عند سطر كتاب الصلح فإن بعض الصحابة أنكر ذلك و قال يا رسول الله ألسنا المسلمين قال بلى قال أ وليسوا الكافرين قال بلى قال فكيف نعطي الدنية في ديننا فقال ص إنما أعمل بما أومر به -روایت- ۱-۲۱۳ فقال قوم من الصحابة أ لم يكن قد وعدنا بدخول مكة وها نحن قد صدقنا عنها ثم نصرف بعد أن أعطينا الدنية في ديننا و الله لو أجد أعوانا لم أعط الدنية أبدا فقال أبو بكر لهذا القائل ويحك الزم غرزه فو الله إنه لرسول الله ص و إن الله لا يضيعه . ثم قال له أ قال لك إنه سيدخلها هذا العام قال لا قال فسيدخلها فلما فتح النبي ص مكة و أخذ مفاتيح الكعبة دعاه فقال هذا الذي وعدتم به . و اعلم أن هذا الخبر صحيح لا ريب فيه و الناس كلهم رووه و ليس عندي بقبیح و لامستهجن أن يكون سؤال هذا الشخص لرسول الله ص عما سأله عنه على سبيل الاسترشاد و التماسا لطمأنينة النفس فقد قال الله تعالى لخليله إبراهيم أ و لم تؤمن قال بلى و لکن ليطمئن قلبی و قد كانت الصحابة تراجع رسول الله ص في الأمور و تسأله عما يستبهم عليها و تقول له أ هذا منك أم من الله و قال له السعدان رحمهما الله يوم الخندق و قد عزم على مصالحة الأحزاب ببعض تمر المدينة أ هذا من الله أم رأى رأيته من نفسك قال بل من نفسي قال لا و الله لا نعطيهم منها ثمرة واحدة و أيدينا في مقابض سيوفنا . -قرآن- ۶۱۸-۶۷۱ [صفحہ ۱۸۱] و قالت الأنصار له يوم بدر و قد نزل بمنزل لم يستصلحوه أنزلت هذا المنزل عن رأى رأيته أم بوحي أوحى إليك قال بل عن رأى رأيته قالوا إنه ليس لنا بمنزل أرحل عنه فانزل بموضع كذا . و أ ما قول أبي بكر له الزم غرزه فو الله إنه لرسول الله ص فإنما هو تأكيد و تثبيت على عقيدته التي في قلبه و لا يدل ذلك على الشك فقد قال الله تعالى لنبيه و لو لا- أَنْ تَبْتَئَاكَ لَقَدْ كَدَتِ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا وَ كُلُّ أَحَدٍ لَا يَسْتَعْنِي عَنْ زِيَادَةِ الْيَقِينِ وَ الطَّمَأْنِينَةَ وَ قَدْ كَانَتْ وَقَعَتْ مِنْ هَذَا الْقَائِلِ أُمُورٌ دُونَ هَذِهِ الْقِصَّةِ كَقَوْلِهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ أَبِي سَفِيَانَ وَ قَوْلِهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي وَ قَوْلِهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ وَ نَهَى النَّبِيَّ ص لَهُ عَنِ التَّسْرِعِ إِلَى ذَلِكَ وَ جَذَبَهُ ثَوْبَ رَسُولِ اللَّهِ ص حِينَ قَامَ عَلَى جَنَازَةِ ابْنِ سَلُولٍ يَصَلِي وَ قَوْلِهِ كَيْفَ تَسْتَغْفِرُ لِرَأْسِ الْمُنَافِقِينَ وَ لَيْسَ فِي ذَلِكَ جَمِيعَهُ مَا يَدُلُّ عَلَى وَقُوعِ الْقَبِيحِ مِنْهُ وَ إِنَّمَا الرَّجُلُ كَانَ مَطْبُوعًا عَلَى الشَّدَةِ وَ الشَّرَاسَةِ وَ الْخَشُونَةِ وَ كَانَ يَقُولُ مَا يَقُولُ عَلَى مَقْتَضَى السَّجِيَّةِ الَّتِي طَبِعَ عَلَيْهَا وَ عَلَى أَيِّ حَالٍ كَانَ فَلَقَدْ نَالَ الْإِسْلَامَ بَوْلَايَتَهُ وَ خِلَافَتَهُ خَيْرًا كَثِيرًا . قَوْلُهُ ع وَ لَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِي يَقَالُ وَاسَيْتُهُ وَاسَيْتُهُ وَ بِالْهَمْزَةِ أَفْصَحُ وَ هَذَا مَا اخْتَصَّ عَ بِفَضِيلَتِهِ غَيْرِ مَدَافِعٍ ثَبَتَ مَعَهُ يَوْمَ أَحَدٍ وَ فَرَّ النَّاسُ وَ ثَبَتَ مَعَهُ يَوْمَ حُنَيْنٍ وَ فَرَّ النَّاسُ وَ ثَبَتَ تَحْتَ رَأْيَتِهِ يَوْمَ خَيْبَرَ حَتَّى فَتَحَهَا وَ فَرَّ مِنْهَا كَمَا بَعَثَ بِهَا مِنْ قَبْلِهِ . -قرآن- ۳۵۱-۴۱۸ [صفحہ ۱۸۲] وَ رَوَى الْمُحَدِّثُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص لَمَّا رَثَّ يَوْمَ أَحَدٍ قَالِ النَّاسُ قَتَلَ مُحَمَّدٌ رَأْتَهُ كَتِيبَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَ هُوَ صَرِيحٌ بَيْنَ الْقَتْلَى إِلَّا أَنَّهُ حَى فَصَمَدَتْ لَهُ فَقَالَ لَعَلِي ع أَكْفَنِي هَذِهِ فَحَمَلَهَا عَلَيْهَا وَ قَتَلَ رَأْسَهَا ثُمَّ صَمَدَتْ لَهُ كَتِيبَةٌ أُخْرَى فَقَالَ يَا عَلِيُّ أَكْفَنِي هَذِهِ فَحَمَلَهَا عَلَيْهَا فَهَزَمَهَا وَ قَتَلَ رَأْسَهَا ثُمَّ

صمدت له كتيبة ثالثة فكذلك فكان رسول الله ص بعد ذلك يقول قال لى جبريل يا محمد إن هذه للمواساة فقلت و مايمنعه و هومنى و أنا منه فقال جبريل و أنا منكما -روایت- ۱-۱۳۷ روى المحدثون أيضا أن المسلمين سمعوا ذلك اليوم صائحا من جهة السماء ينادى لاسيف إلاذو الفقار و لافتى إلا على فقال رسول الله ص لمن حضره ألا تسمعون هذاصوت جبريل -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۲-۱۷۶ . و أما يوم حنين فثبت معه فى نفر يسير من بنى هاشم بعد أن ولى المسلمون الأدبار و حامى عنه و قتل قوما من هوازن بين يديه حتى ثابت إليه الأنصار و انهزمت هوازن و غنمت أموالها . و أما يوم خيبر فقصته مشهورة . قوله ع نجدة أكرمنى الله سبحانه بها النجدة الشجاعة و انتصابها هاهنا على أنها مصدر و العامل فيه محذوف . ثم ذكر ع وفاة رسول الله ص فقال لقد قبض و إن رأسه لعلى صدرى و لقد سألت نفسه فى كفى فأمرتها على و جهى يقال إن رسول الله [صفحة ۱۸۳] ص قاء دما يسيرا وقت موته و إن عليا ع مسح بذلك الدم و وجهه . و قد روى أن أباطيبة الحجام شرب دمه ع و هو حى فقال له إذن لا يرجع بطنك . قوله ع فضجت الدار و الأبنية أى النازلون فى الدار من الملائكة أى ارتفع ضجيجهم و لجبهم يعنى أنى سمعت ذلك و لم يسمعه غيرى من أهل الدار . و الملائكة الجماعة يهبط قوم من الملائكة و يصعد قوم و العروج الصعود و الهينمة الصوت الخفى و الضريح الشق فى القبر

ذكر خبر موت الرسول ع

روى من قصة وفاة رسول الله ص أنه عرضت له الشكاة التى عرضت فى أواخر صفر من سنة إحدى عشرة للهجرة فجهز جيش أسامة بن زيد فأمرهم بالمسير إلى البلقاء حيث أصيب زيد و جعفر ع من الروم و خرج فى تلك الليلة إلى البقيع و قال إني قد أمرت بالاستغفار عليهم فقال ع السلام عليكم يا أهل القبور ليهنكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع أولها آخرها ثم استغفر لأهل البقيع طويلا ثم قال لأصحابه إن جبريل كان يعارضنى القرآن فى كل عام مرة و قد عارضنى به العام مرتين فلا أراه إلا لحضور أجلى ثم انصرف إلى بيته فخطب الناس فى غده فقال معاشر الناس قد حان منى خفوق من بين أظهركم فمن كان له عندى عده فليأتنى أعطه إياها و من كان على دين فليأتنى أقضه أيها الناس إنه ليس بين الله و بين أحد نسب و لا- أمر يؤتبه به خيرا -روایت- ۱-۲-روایت- ۳۴-ادامه دارد [صفحة ۱۸۴] أو يصرف عنه شرا إلا العمل ألا لا يدعين مدع و لا يتمنين متمن و الذى بعثنى بالحق لا ينجى إلا عمل مع رحمة و لوعصيت لهويت اللهم قد بلغت -روایت- از قبل- ۱۴۲ . ثم نزل فصلى بالناس صلاة خفيفة ثم دخل بيت أم سلمة ثم انتقل إلى بيت عائشة يعلله النساء و الرجال أما النساء فأزواجه و بنته ع و أما الرجال فعلى ع و العباس و الحسن و الحسين ع و كانا غلامين يومئذ و كان الفضل بن العباس يدخل أحيانا إليهم ثم حدث الاختلاف بين المسلمين أيام مرضه فأول ذلك التنازع الواقع يوم قال ص اتونى بدواة و قرطاس و تلا ذلك حديث التخلف عن جيش أسامة و قول عياش بن أبى ربيعة أىولى هذا الغلام على جلة المهاجرين و الأنصار . ثم اشتد به المرض و كان عند خفة مرضه يصلى بالناس بنفسه فلما اشتد به المرض أمر أبابكر أن يصلى بالناس . و قد اختلف فى صلاته بهم فالشيعة تزعم أنه لم يصل بهم إلا صلاة واحدة و هى الصلاة التى خرج رسول الله ص فيها يتهدى بين على ع و الفضل فقام فى المحراب مقامه و تأخر أبوبكر . و الصحيح عندى و هو الأكثر الأشهر أنها لم تكن آخر صلاة فى حياته ص بالناس جماعة و أن أبابكر صلى بالناس بعد ذلك يومين ثم مات ص فمن قائل يقول إنه توفى لليلتين بقيتا من صفر و هو القول الذى تقوله الشيعة و الأكثرون أنه توفى فى شهر ربيع الأول بعد مضى أيام منه . و قد اختلفت الرواية فى موته فأنكر عمر ذلك و قال إنه لم يموت و إنه غاب و سيعود فثناه أبوبكر عن هذا القول و تلا- عليه الآيات المتضمنة أنه سيموت فرجع إلى قوله . [صفحة ۱۸۵] ثم اختلفوا فى موضع دفنه

فرأى قوم أن يدفنوه بمكة لأنها مسقط رأسه و قال من قال بل بالمدينة ندفنه بالبقيع عندشهداء أحد ثم اتفقوا على دفنه في البيت الذي قبض فيه وصلوا عليه إرسالا- لا يؤمهم أحد. وقيل إن عليا أشار بذلك فقبلوه . و أنا أعجب من ذلك لأن الصلاة عليه كانت بعدبيعة أبي بكر فما الذي منع من أن يتقدم أبو بكر فيصلى عليه إماما. وتنازعوا في تلجيدته وتضريحه فأرسل العباس عمه إلى أبي عبيدة بن الجراح و كان يحضر لأهل مكة ويضرح على عاداتهم رجلا وأرسل على رجلا إلى أبي طلحة الأنصاري و كان يلحد لأهل المدينة على عاداتهم و قال اللهم اختر لنبيك فجاء أبو طلحة فلحد له وأدخل في اللحد. وتنازعوا فيمن ينزل معه القبر فمنع على ع الناس أن ينزلوا معه و قال لا ينزل قبره غيري و غير العباس ثم أذن في نزول الفضل وأسامة بن زيد مولاهم ثم ضجت الأنصار وسألت أن ينزل منها رجل في قبره فأنزلوا أوس بن خولى و كان بدريا. فأما الغسل فإن عليا تولاه بيده و كان الفضل بن العباس يصب عليه الماء. و روى المحدثون عن علي ع أنه قال ما قلبت منه عضوا إلا- وانقلب لأجد له ثقلا- كان معي من يساعدنى عليه و ما ذلك إلا الملائكة -رواية 1- 2-رواية 39- 132. و أما حديث الهينمة و سماع الصوت فقد رواه خلق كثير من المحدثين عن علي [صفحة 186] ع و تروى الشيعة أن عليا عصب عيني الفضل بن العباس حين صب عليه الماء و أن رسول الله ص أوصاه بذلك و قال إنه لا يبصر عورتى أحد غيرك إلا عمى. قوله ع فمن ذا أحق به منى حيا وميتا انتصابهما على الحال من الضمير المجرور فى به أى أى شخص أحق برسول الله ص حال حياته وحال وفاته منى ومراده من هذا الكلام أنه أحق بالخلافة بعده وأحق الناس بالمنزلة منه حيث كان بتلك المنزلة منه فى الدنيا و ليس يجوز أن يكونا حالين من الضمير المجرور فى منى لأنه لا يحسن أن يقول أنا أحق به إذا كنت حيا من كل أحد وأحق به إذا كنت ميتا من كل أحد لأن الميت لا يوصف بمثل ذلك ولأنه لا حال ثبتت له من الأحقية إذا كان حيا إلا وهى ثابتة له إذا كان ميتا و إن كان الميت يوصف بالأحقية فلأفائدة فى قوله وميتا على هذا الفرض و لا يبقى فى تقسيم الكلام إلى قسمين فائدة و أما إذا كان حالا من الضمير فى به فإنه لا يلزم من كونه أحق بالمنزلة الرفيعة من رسول الله ص و هو حى أن يكون أحق بالخلافة بعد وفاته أى ليس أحدهما يلزم الآخر فاحتاج إلى أن يبين أنه أحق برسول الله ص من كل أحد إن كان الرسول حيا و إن كان ميتا و لم يستهجن أن يقسم الكلام إلى القسمين المذكورين . قوله ع فأنفذوا إلى بصائرهم أى أسرعوا إلى الجهاد على عقائدكم التى أنتم عليها و لا يدخلن الشك والريب فى قلوبكم . قوله ع إنى لعلى جادة الحق وإنهم لعلى منزلة الباطل كلام عجيب [صفحة 187] على قاعدة الصناعة المعنوية لأنه لا يحسن أن يقول وإنهم لعلى جادة الباطل لأن الباطل لا يوصف بالجادة ولهذا يقال لمن ضل وقع فى بنيات الطريق فتعوض عنها بلفظ المنزلة وهى الموضع الذى يزل فيه الإنسان كالمزلة موضع الزلق والمغرقة موضع الغرق والمهلكة موضع الهلاك [صفحة 188]

١٩١- و من خطبة له ع

إشاره

يَعْلَمُ عَجِيجَ الْوُجُوشِ فِي الْفَلَوَاتِ وَ مَعَاصِيَ الْعِيَادِ فِي الْخَلَوَاتِ وَ اخْتِلَافِ التَّيْبَانِ فِي الْبَحَارِ الْعَامِرَاتِ وَ تَلَاطَمِ الْمِيَاءِ بِالزَّرِيحِ الْعَاصِفَاتِ وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا نَجِيبُ اللَّهِ وَ سَفِيرُ وَحْيِهِ وَ رَسُولُ رَحْمَتِهِ أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي ابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ وَ إِلَيْهِ يَكُونُ مَعِيَادُكُمْ وَ بِهِ نَجَاحُ طَلِبَتِكُمْ وَ إِلَيْهِ مُنْتَهَى رَغْبَتِكُمْ وَ نَحْوَهُ قَصْدُ سَبِيلِكُمْ وَ إِلَيْهِ مَرَامِي مَفْرَعِكُمْ فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ دَوَاءُ دَاءِ قُلُوبِكُمْ وَ بَصِيرَةٌ عَمَى أَفْنَدَتِكُمْ وَ شِفَاءُ مَرَضِ أَجْسَادِكُمْ وَ صَلَاحُ فَسَادِ صُدُورِكُمْ وَ طُهُورٌ دَنَسِ أَنْفُسِكُمْ وَ جِلَاءُ غَشَاءِ أَبْصَارِكُمْ وَ

أَمِنْ فَرَعِ جَأَشِكُمْ وَ ضِيَاءِ سَوَادِ ظَلَمَتِكُمْ الْعَجِيجِ رَفَعِ الصَّوْتِ وَ كَذَلِكَ الْعَجِ وَ فِي الْحَدِيثِ أَفْضَلُ الْحَجِّ الْعَجِ وَ الثَّجِ - رَوَايَاتُ - ١ -

٢- رَوَايَاتُ - ١٤- ٣٩ أَيْ التَّلْبِيَةُ وَ إِرَاقَةُ الدَّمِ وَ عَجِيجُ أَيْ صَوْتٌ وَ مَضَاعِفُهُ اللَّفْظُ دَلِيلٌ عَلَى تَكَرُّرِ التَّصْوِيتِ . وَ النَّيْنَانُ جَمْعُ نُونٍ وَ هُوَ الْحَوْتُ وَ اخْتِلَافُهَا هَاهُنَا هُوَ إِصْعَادُهَا وَ انْحِدَارُهَا . وَ نَجِيبُ اللَّهِ مُنْتَجِبُهُ وَ مَخْتَارُهُ . وَ سَفِيرٌ وَ حِيَهُ رَسُولٌ وَ حِيَهُ وَ الْجَمْعُ سَفَرَاءٌ مِثْلُ فُقَيْهِ وَ فُقَيْهَاءُ . [صَفْحَةُ ١٨٩] وَ إِلَيْهِ مَرَامِي مَفْرَعُكُمْ إِلَيْهِ تَفْرَعُونَ وَ تَلْجُونَ وَ يُقَالُ فَلَانَ مَرَمَى قَصْدِي أَيْ هُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي أَنْحَوهُ وَ أَقْصَدُهُ . وَ يَرَوَى وَ جَلَاءُ عَشَى أَبْصَارِكُمْ بِالْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ وَ الْأَلْفِ الْمَقْصُورَةِ وَ الْجَأَشُ الْقَلْبُ وَ تَقْدِيرُ الْكَلَامِ وَ ضِيَاءُ سَوَادِ ظَلَمَتِكُمْ عَقَائِدِكُمْ وَ لَكِنَّهُ حَذَفَ الْمَضَافَ لِلْعِلْمِ بِهِ فَاجْعَلُوا طَاعَةَ اللَّهِ شِعَارًا دُونَ دِنَارِكُمْ وَ دَخِيلًا دُونَ شِعَارِكُمْ وَ لَطِيفًا بَيْنَ أَضْلَاعِكُمْ وَ أَمِيرًا فَوْقَ أُمُورِكُمْ وَ مِنْهَا لِحِينٌ وَ رُودُكُمْ وَ شَفِيعًا لِتَدْرِكَ طَلَبَتِكُمْ وَ جُنَّةً لِيَوْمِ فَرَعِكُمْ وَ مَصَابِيحَ لِطُيُونِ قُبُورِكُمْ وَ سَيِّئًا لَطُولِ وَحْشَتِكُمْ وَ نَفْسًا لِكَرْبِ مَوَاطِنِكُمْ فَإِنَّ طَاعَةَ اللَّهِ حِرْزٌ مِنْ مَتَالِفٍ مُكْتَنَفَةٍ وَ مَخَافٍ مُتَوَقَّعَةٍ وَ أَوَارٍ نِيرَانٍ مُوقَدَةٍ فَمَنْ أَخَذَ بِالتَّقْوَى عَزَبَتْ عَنْهُ الشَّدَائِدُ بَعْدَ ذُنُوبِهَا وَ أَحْلَوْلَتْ لَهُ الْأُمُورُ بَعْدَ مَرَارَتِهَا وَ انْفَرَجَتْ عَنْهُ الْأَمْوَاجُ بَعْدَ تَرَكَمِهَا وَ أَسْهَلَتْ لَهُ الصِّعَابُ بَعْدَ إِنْصَابِهَا وَ هَطَلَتْ عَلَيْهِ الْكِرَامِيَّةُ بَعْدَ قُحُوطِهَا . وَ تَحَدَّبَتْ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ بَعْدَ نُفُورِهَا وَ تَفَجَّرَتْ عَلَيْهِ النُّعْمُ بَعْدَ نُضُوبِهَا وَ وَبَلَّتْ عَلَيْهِ الْبَرَكَاتُ بَعْدَ إِرْدَاذِهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي نَفَعَكُمْ بِمَوْعِظَتِهِ وَ وَعَظَّكُمْ بِرِسَالَتِهِ وَ أَمَنَّ عَلَيْكُمْ بِنِعْمَتِهِ فَعَبَّدُوا أَنْفُسَكُمْ لِعِبَادَتِهِ وَ اخْرُجُوا إِلَيْهِ مِنْ حَقِّ طَاعَتِهِ [صَفْحَةُ ١٩٠] الشُّعَارُ أَقْرَبُ إِلَى الْجَسَدِ مِنَ الدَّنَائِرِ وَ الدَّخِيلُ مَا خَالَطَ بَاطِنَ الْجَسَدِ وَ هُوَ أَقْرَبُ مِنَ الشُّعَارِ . ثُمَّ لَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى أَمَرَ بِأَنْ يُجْعَلَ التَّقْوَى لَطِيفًا بَيْنَ الْأَضْلَاعِ أَيْ فِي الْقَلْبِ وَ ذَلِكَ أَمَسَ بِالْإِنْسَانِ مِنَ الدَّخِيلِ فَقَدْ يَكُونُ الدَّخِيلُ فِي الْجَسَدِ وَ إِنْ لَمْ يَخَامِرِ الْقَلْبَ . ثُمَّ قَالَ وَ أَمِيرًا فَوْقَ أُمُورِكُمْ أَيْ يَحْكُمُ عَلَى أُمُورِكُمْ كَمَا يَحْكُمُ الْأَمِيرُ فِي رَعِيَّتِهِ . وَ الْمَنْهَلُ الْمَاءُ يَرُدُّهُ الْوَارِدُ مِنَ النَّاسِ وَ غَيْرِهِمْ . وَ قَوْلُهُ لِحِينٌ وَ رُودُكُمْ أَيْ لَوْقٌ وَ رُودُكُمْ . وَ الطَّلِبَةُ بِكَسْرِ اللَّامِ مَا طَلَبْتَهُ مِنْ شَيْءٍ . قَوْلُهُ وَ مَصَابِيحَ لِبُطُونِ قُبُورِكُمْ جَاءَ فِي الْخَبَرِ أَنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ يَضِيءُ قَبْرَ صَاحِبِهِ كَمَا يَضِيءُ الْمَصْبَاحُ الظُّلْمَةَ - رَوَايَاتُ - ١ - ٢ -

رَوَايَاتُ - ١٥- ٧٦ . وَ السُّكْنُ مَا يَسْكُنُ إِلَيْهِ . قَوْلُهُ وَ نَفْسًا لِكَرْبِ مَوَاطِنِكُمْ أَيْ سَعَةٌ وَ رُوحًا . وَ مَكْتَنَفَةٌ مَحِيطَةٌ وَ الْأَوَارُ حَرُّ النَّارِ وَ الشَّمْسُ . وَ عَزَبَتْ بَعْدَتْ وَ أَحْلَوْلَتْ صَارَتْ حَلُوهُ وَ تَرَكَمَهَا اجْتِمَاعُهَا وَ تَكَاثُفُهَا . وَ أَسْهَلَتْ صَارَتْ سَهْلَةً بَعْدَ إِنْصَابِهَا أَيْ بَعْدَ إِتْعَابِهَا لَكُمْ أَنْصَبْتَهُ أَتَعَبْتَهُ . وَ هَطَلَتْ سَالَتْ وَ قُحُوطُهَا قَلَّتْهَا وَ وَتَاحَتْهَا . وَ تَحَدَّبَتْ عَلَيْهِ عَطَفَتْ وَ حَنَتْ . نَضُوبُهَا انْقِطَاعُهَا كِنُضُوبِ الْمَاءِ ذَهَابُهُ . [صَفْحَةُ ١٩١] وَ وَبِلَ الْمَطَرُ صَارَ وَابِلًا وَ هُوَ أَشَدُّ الْمَطَرِ وَ أَكْثَرُهُ وَ إِرْدَاذُهَا إِتْيَانُهَا بِالرِّذَازِ وَ هُوَ ضَعِيفُ الْمَطَرِ . قَوْلُهُ فَعَبَّدُوا أَنْفُسَكُمْ أَيْ ذَلُّوْهَا وَ مِنْهُ طَرِيقٌ مَعْبُدٌ . وَ اخْرُجُوا إِلَيْهِ مِنْ حَقِّ طَاعَتِهِ أَيْ أَدَّوْا الْمَفْتَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْعِبَادَةِ يُقَالُ خَرَجْتُ إِلَى فُلَانٍ مِنْ دِينِهِ أَيْ قَضَيْتُهُ إِيَّاهُ ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْإِسْلَامَ دِينَ اللَّهِ الَّذِي اصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ وَ اصْطَنَعَهُ عَلَى عَيْنِهِ وَ أَصْفَاهُ خَيْرَةَ خَلْقِهِ وَ أَقَامَ دَعَائِمَهُ عَلَى مَحَبَّتِهِ أَدَلَّ الْأَدْيَانَ بِعَزَّتِهِ وَ وَضَعَ الْمِلَلَ بِرَفِيعِهِ وَ أَهَانَ أَعْدَاءَهُ بِكِرَامَتِهِ وَ خَذَلَ مُخَادِيهِ بِنُصْرِهِ وَ هَدَمَ أَرْكَانَ الضَّلَالَةِ بِرُكْنِهِ وَ سَقَى مِنَ عَطَشِ مَنْ حَيَاضِهِ وَ أَتَقَّى الْحَيَاضَ بِمَوَاتِحِهِ ثُمَّ جَعَلَهُ لَا انْفِصَامَ لِعُرْوَتِهِ وَ لَا فَكَّ لِحَلْقَتِهِ وَ لَا انْهِيَادًا لِأَسَاسِهِ وَ لَا زَوَالَ لِإِدْعَائِمِهِ وَ لَا انْقِلَاعَ لِشَجَرَتِهِ وَ لَا انْقِطَاعَ لِمُدَّتِهِ وَ لَا عَفَاءَ لِشَرَائِعِهِ وَ لَا جَدَّ لِفُرُوعِهِ وَ لَا ضَنْكَ لَطُرْقِهِ وَ لَا وُغُونََةَ لِسُهُوْلَتِهِ وَ لَا سَوَادَ لَوْضَائِهِ وَ لَا عِوَجَ لِانْتِصَائِهِ وَ لَمَّا عَصَلَ فِي عُودِهِ وَ لَا وَعَثَ لَفَجْهِهِ وَ لَا انْقِطَاعَ لِمَصَابِيحِهِ وَ لَا مَرَارَةَ لِحَلَاوَتِهِ فَهُوَ دَعَائِمٌ أَسَاحَ فِي الْحَقِّ أَسْنَاخَهَا وَ ثَبَّتَ لَهَا آسَاسَهَا وَ بَنَى عِزَّتَهَا وَ عَزَزَتْ عُيُونَهَا وَ مَصَابِيحُ شَبَّتْ نِيرَانُهَا وَ مَنَارٌ اقْتَدَى بِهَا سِفَارُهَا وَ أَعْلَامٌ قُصِدَ بِهَا فِجَاجُهَا وَ مَنَاهِلٌ رَوِيَ بِهَا وَرَادَهَا . [صَفْحَةُ ١٩٢] جَعَلَ اللَّهُ فِيهِ مُنْتَهَى رِضْوَانِهِ وَ ذِرْوَةَ دَعَائِمِهِ وَ سَيْنَامَ طَاعَتِهِ فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ وَثِيقُ الْأَرْكَانِ رَفِيعُ الْبَيْتَانِ مُبِيرُ الْبُرْهَانِ مَضِيءُ النَّيْرَانِ عَزِيزُ السَّلْطَانِ مُشْرِفُ الْمَنَارِ مُعَوِّذُ الْمَثَارِ فَشَرَفُوهُ وَ اتَّبِعُوهُ وَ أَدَّوْا إِلَيْهِ حَقَّهُ وَ ضَعُّوهُ مَوَاضِعَهُ اصْطَنَعَهُ عَلَى عَيْنِهِ كَلِمَةٌ تَقَالُ لِمَا يَشْتَدُّ الْاهْتِمَامُ بِهِ تَقُولُ لِلصَّانِعِ اصْنَعْ لِي كَذَا عَلَى عَيْنِي أَيْ اصْنَعْهُ صَنْعَهُ كَامِلَةً كَالصَّنْعَةِ الَّتِي تَصْنَعُهَا وَ أَنَا حَاضِرٌ أَشَاهِدُهَا بِعَيْنِي قَالَ تَعَالَى وَ لِيُصْنَعْ عَلَى عَيْنِي . وَ أَصْفَاهُ خَيْرُهُ خَلَقَهُ أَيْ آثَرَ بِهِ خَيْرُهُ خَلَقَهُ وَ هُمُ الْمُسْلِمُونَ وَ يَاءُ خَيْرُهُ مَفْتُوحَةٌ . قَالَ وَ أَقَامَ اللَّهُ دَعَائِمَ الْإِسْلَامِ عَلَى حُبِّ اللَّهِ وَ طَاعَتِهِ . وَ الْمَحَادُ الْمُخَالَفُ قَالَ تَعَالَى مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ أَيْ مَنْ يَعَادُ اللَّهَ كَأَنَّهُ

يكون في حد وجهه و ذلك الإنسان في حد آخر وجهه أخرى وكذلك المشاق يكون في شق والآخر في شق آخر. وأتاق الحياض ملأها وتثق السقاء نفسه يتأق تأقا وكذلك الرجل إذامتلأ غضبا. قوله بمواتحه وهي الدلاء يمتح بها أى يسقى بها. والانفصام الانكسار والعفاء الدروس . والجذ القطع ويروى بالبدال المهملة و هوالقطع أيضا. والظنك الضيق . -قرآن-١٦٦-١٩٠-قرآن-٣٥٠-٣٦٨ [صفحه ١٩٣] والوعوثة كثرة فى السهولة توجب صعوبة المشى لأن الأقدام تعيث فى الأرض . والوضح البياض . والعوج بفتح العين فيما ينتصب كالنخلة والرمح والعوج بكسرهما فيما لاينتصب كالأرض والرأى والدين . والعصل الالتواء والاعوجاج ناب أعصل وشجرة عصلة وسهام عصل . والفج الطريق الواسع بين الجبلين يقول لاوعث فيه أى ليس طريق الإسلام بوعث وقد ذكرنا أن الوعوثة ماهى. قوله فهو دعائم أساخ فى الحق أسناخها الأسناخ جمع سنخ و هوالأصل وأساخها فى الأرض أدخلها فيها وساخت قوائم فرسه فى الأرض تسوخ وتسيخ دخلت وغابت . والآساس بالمد جمع أسس مثل سبب وأسباب والأسس والأس والآساس واحد و هوأصل البناء. وغزرت عيونها بضم الزاى كثرت وشبت نيرانها بضم الشين أوقدت والمنار الأعلام فى الفلاة. قوله قصد بها فجاجها أى قصد بنصب تلك الأعلام اهتداء المسافرين فى تلك الفجاج فأضاف القصد إلى الفجاج . وروى روادها جمع رائد و هو الذى يسبق القوم فيرتاد لهم الكلاً والماء. والذروة أعلى السنام والرأس وغيرهما. قوله معوذ المثار أى يعجز الناس إثارته وإزعاجه لقوته ومثانته [صفحه ١٩٤] ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا ص بِالْحَقِّ حِينَ دَنَا مِنَ الدُّنْيَا الْإِنْقِطَاعُ وَ أَقْبَلَ مِنَ الآخِرَةِ الْإِطْلَاعُ وَ أَظْلَمْتَ بِهَجَّتْهَا بَعْدَ إِشْرَاقٍ وَ قَامَتْ بِأَهْلِهَا عَلَى سَاقٍ وَ خَشِنَ مِنْهَا مَهَادٌ وَ أَزَفَ مِنْهَا قِيَادٌ فِى انْقِطَاعٍ مِنْ مُدَّتِّهَا وَ اقْتِرَابٍ مِنْ أَشْرَاطِهَا وَ تَصَيَّرَمَ مِنْ أَهْلِهَا وَ انْفِصَامٍ مِنْ حَلَقَتِهَا وَ انْتِشَارٍ مِنْ سَبَبِهَا وَ عَفَاءٍ مِنْ أَعْلَامِهَا وَ تَكْشِيفٍ مِنْ عَوْرَاتِهَا وَ قَصِيرٍ مِنْ طُولِهَا جَعَلَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بَلَاغًا لِرِسَالَتِهِ وَ كَرَامِيَةً لِأُمَّتِهِ وَ رَيْبِيعًا لِأَهْلِ زَمَانِهِ وَ رِفْعِيَةً لِأَعْوَانِهِ وَ شَرَفًا لِأَنْصَارِهِ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ نُورًا لَّا تُطْفَأُ مَصَابِيحُهُ وَ سِرَاجًا لَّا يَخْبُو تَوَقُّدُهُ وَ بَحْرًا لَّا يَدْرُكُ قَعْرُهُ وَ مِنْهَاجًا لَّا يُضِلُّ نَهْجُهُ وَ شُعَاعًا لَّا يُظْلِمُ ضَوْؤُهُ وَ فُرْقَانًا لَّا يُخْمدُ بُرْهَانُهُ وَ تَبَيَانًا لَّا تَهْدِمُ أَرْكَانُهُ وَ شِفَاءً لَّا تُخْشى أَسْقَامُهُ وَ عِزًّا لَّا تَهْزِمُ أَنْصَارُهُ وَ حَقًّا لَّا تُخْذَلُ أَعْوَانُهُ فَهَوَ مَعِدِنُ الْإِيمَانِ وَ بُحْبُوحَتُهُ وَ تَبَايِيعُ الْعِلْمِ وَ بُحُورُهُ وَ رِيَاضُ الْعَدْلِ وَ عُدرَانُهُ وَ أَنَافِي الْإِسْلَامِ وَ بَيْتَانُهُ وَ أودِيَةُ الْحَقِّ وَ غِيْطَانُهُ وَ بَحْرٌ لَّمَّا يَنْزِفُهُ الْمُسْتَنْزِفُونَ وَ عُيُونٌ لَّمَّا يُنْضِ بِهَا الْمَيَاتِحُونَ وَ مَنَاهِلٌ لَّا يَغِيْضُهَا الْوَارِدُونَ وَ مَنَازِلٌ لَّا يُضِلُّ نَهْجَهَا الْمُسَافِرُونَ وَ أَعْلَامٌ لَّا يَعْمَى عَنْهَا السَّائِرُونَ وَ إِكَامٌ لَّا يُجُوزُ عَنْهَا الْقَاصِدُونَ [صفحه ١٩٥]

اختلاف الأقوال فى عمر الدنيا

قوله ع حين دنا من الدنيا الانقطاع أى أزفت الآخرة وقرب وقتها وقد اختلف الناس فى ذلك اختلافا شديدا فذهب قوم إلى أن عمر الدنيا خمسون ألف سنة قدهب بعضها وبقي بعضها. واختلفوا فى مقدار الذاهب والباقي واحتجوا لقولهم بقوله تعالى تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَ الرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سِنِينَ قالوا اليوم هو إشارة إلى الدنيا و فيها يكون عروج الملائكة والروح إليه واختلفهم بالأمر من عنده إلى خلقه و إلى رسله قالوا و ليس قول بعض المفسرين أنه عنى يوم القيامة بمستحسن لأن يوم القيامة لا- يكون للملائكة والروح عروج إليه سبحانه لانقطاع التكليف ولأين المؤمنين إما أن يطول عليهم ذلك اليوم بمقدار خمسين ألف سنة أو يكون هدامختصا بالكافرين فقط و يكون قصيرا على المؤمنين والأول باطل لأنه أشد من عذاب جهنم و لايجوز أن يلقي المؤمن هذه المشقة والثانى باطل لأنه لايجوز أن يكون الزمان الواحد طويلا قصيرا بالنسبة إلى شخصين اللهم إلا- أن يكون أحدهما نائما أو ممنوا بعله تجرى مجرى النوم فلايحس بالحركة ومعلوم أن حال المؤمنين بعدبعثهم ليست هذه الحال. قالوا وليست هذه الآية مناقضة للآية الأخرى وهى قوله تعالى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ

مقداره ألف سنة مما تعدون وذلك لأن سياق الكلام يدل على أنه أراد به الدنيا وذلك لأنه قدورد في الخبر أن -قرآن- ٢٤٣-

٣٢٨-قرآن- ١٠٧٦-١١٩٤ [صفحہ ١٩٦] بين الأرض والسماء مسيرة خمسمائة عام فإذا نزل الملك إلى الأرض ثم عاد إلى السماء فقد قطع في ذلك اليوم مسيرة ألف عام ألا ترى إلى قوله يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ أَى ينزل الملك بالوحي والأمر والحكم من السماء إلى الأرض ثم يعود راجعا إليه وعارجا صاعدا إلى السماء فيجتمع من نزوله وصعوده مقدار مسيرة ألف سنة. وذكر حمزة بن الحسن الأصفهاني في كتابه المسمى تواريخ الأمم أن اليهود تذهب إلى أن عدد السنين من ابتداء التناسل إلى سنة الهجرة لمحمدص أربعة آلاف واثنان وأربعون سنة وثلاثة أشهر. والنصارى تذهب إلى أن عدد ذلك خمسة آلاف وتسعمائة وتسعون سنة وثلاثة أشهر. و أن الفرس تذهب إلى أن من عهد كيومرث والد البشر عندهم إلى هلاك يزدجرد بن شهريار الملك أربعة آلاف ومائة واثنين وثمانين سنة وعشرة أشهر وتسعة عشر يوما ويسندون ذلك إلى كتابهم الذي جاء به زردشت وهو الكتاب المعروف بأبستا. فأما اليهود والنصارى فيسندون ذلك إلى التوراة ويختلفون في كيفية استنباط المدة. وتزعم النصارى واليهود أن مدة الدنيا كلها سبعة آلاف سنة قد ذهب منها مذاهب وبقى ما بقى. وقيل إن اليهود إنما قصرت المدة لأنهم يزعمون أن شيخهم الذي هو منتظرهم يخرج في أول الألف السابع فلو لا تنقيصهم المدة وتقصيرهم أيامها لتعجل افتضاحهم ولكن سيفتضحون فيما بعد عند من يأتي بعدنا من البشر. -قرآن- ١٤٦-١٨٩ [صفحہ ١٩٧] قال حمزة و أما المنجمون فقد أتوا بما يغمز هذا كله فزعموا أنه قدمضى من الدنيا منذ أول يوم سارت فيه الكواكب من رأس الحمل إلى اليوم الذي خرج فيه المتوكل بن معتصم بن الرشيد من سامراء إلى دمشق ليجعلها دار الملك وهو أول يوم من المحرم سنة أربع وأربعين ومائتين للهجرة المحمدية أربعة آلاف ألف ثلاث لفظات وثلاثمائة ألف وعشرون ألف سنة بسنى الشمس. قالوا والذي مضى من الطوفان إلى صبيحة اليوم الذي خرج فيه المتوكل إلى دمشق ثلاث آلاف وسبعمائة وخمس وثلاثون سنة وعشرة أشهر واثنان وعشرون يوما. وذكر أبو الريحان البيروني في كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية أن الفرس والمجوس يزعمون أن عمر الدنيا اثنا عشر ألف سنة على عدد البروج وعدد الشهور و أن الماضي منها إلى وقت ظهور زردشت صاحب شريعتهم ثلاثة آلاف سنة و بين ابتداء ظهور زردشت و بين أول تاريخ الإسكندر مائتان وثمان وخمسون سنة و بين تاريخ الإسكندر و بين سنته التي كتبنا فيها شرح هذا الفصل وهى سنة سبع وأربعين وستمائة للهجرة النبوية ألف وخمسمائة وسبعون سنة فعلى هذا يكون الماضي إلى يومنا هذا من أصل اثني عشر ألف سنة أربعة آلاف وثمانمائة وثمانى عشرة سنة فيكون الباقي من الدنيا على قولهم أكثر من الماضي. وحكى أبو الريحان عن الهند فى بعض كتبه أن مدة عمر الدنيا مقدار تضعيف الواحد من أول بيت فى رقعة الشطرنج إلى آخر البيوت. فأما الأخباريون من المسلمين فأكثرهم يقولون إن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة [صفحہ ١٩٨] ويقولون إننا فى السابع والحق أنه لا يعلم أحد هذا إلا الله تعالى وحده كما قال سبحانه يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا وَقَالَ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ. ونقول مع ذلك كماورد به الكتاب العزيز اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَاقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَأَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ. ولا نعلم كمية الماضي ولا كمية الباقي ولكننا نقول كما أمرنا ونسمع ونطيع كما أدبنا و من الممكن أن يكون ما بقى قريبا عند الله وغير قريب عندنا كما قال سبحانه إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا. وبالجملة هذا موضع غامض يجب السكوت عنه . - قرآن- ٩٢-١٨٠-قرآن- ١٨٨-٣٤٩-قرآن- ٣٩٢-٤١١-قرآن- ٤١٤-٤٤٠-قرآن- ٤٤٣-٤٧٨-قرآن- ٤٤٣-٦٨٧-قرآن- ٦٨٧-٦٨٧ قوله ع وقامت بأهلها على ساق الضمير للدنيا والساق الشدة أى انكشفت عن شدة عظيمة. وقوله تعالى وَ التَّفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ أَى التفت آخر شدة الدنيا بأول شدة الآخرة. والمهاد الفراش وأزف منها قياد أى قرب انقيادها إلى التقضى والزوال. وأشراط الساعة علاماتها وإضافتها إلى الدنيا لأنها فى الدنيا تحدث و إن كانت علامات للآخرى والعفاء الدروس . -قرآن- ١٠١-١٢٩ [صفحہ ١٩٩]

وروى من طولها والطول الجبل . ثم عاد إلى ذكر النبي ص فقال جعله الله سبحانه بلاغا لرسالته أى ذا بلاغ والبلاغ التبليغ فحذف المضاف . ولا تخبو لاتنطفئ والفرقان مايفرق به بين الحق والباطل . وأثافى الإسلام جمع أثنىة وهى الأحجار توضع عليها القدر شكل مثلث . والغيطان جمع غائط وهوالمطمئن من الأرض . ولايغيضها بفتح حرف المضارعة غاض الماء وغضته أنايتعدى ولايتعدى وروى لا يغيضها بالضم على قول من قال أغضت الماء وهى لغه ليست بالمشهورة. والآكام جمع أكم مثل جبال جمع جبل والأكم جمع أكمه مثل عنب جمع عنبه والأكمه ماعلا من الأرض وهى دون الكثيب جعله الله رِيًّا لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ وَرَبِيْعًا لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ وَمَحَاجِّ لِطُرُقِ الصَّيْلِحَاءِ وَدَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ وَنُورًا لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ وَحَبْلًا وَثِيْقًا عُرُوْتُهُ وَ مَعْقِلًا مَنِيْعًا ذِرْوَتُهُ وَ عِزًّا لِمَنْ تَوَلَّاهُ وَ سَلَمًا لِمَنْ دَخَلَهُ وَ هُدًى لِمَنْ اتَمَّ بِهِ وَ عِزْدْرًا لِمَنْ انْتَحَلَهُ وَ بُرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ وَ شَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ وَ فَلَجًا لِمَنْ حَاجَّ بِهِ وَ حَامِلًا لِمَنْ حَمَلَهُ وَ مَطِيَّةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ وَ آيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَّ وَ جُنَّةً لِمَنْ اسْتَلَّامَ وَ عِلْمًا لِمَنْ وَعَى وَ حَدِيثًا لِمَنْ رَوَى وَ حُكْمًا لِمَنْ قَضَى [صفحه ٢٠٠] الضمير يرجع إلى القرآن جعله الله ريا لعطش العلماء إذاضل العلماء فى أمر والتبس عليهم رجعوا إليه فسقاهم كمايسقى الماء العطش وكذا القول فى ربيعا لقلوب الفقهاء والربيع ها هنا الجدول ويجوز أن يريد المطر فى الربيع يقال ربت الأرض فهى مربوعة. والمحاج جمع محجة وهى جادة الطريق والمعقل الملجأ. وسلما لمن دخله أى مأنا وانتحله دان به وجعله نحلته . والبرهان الحجة والفلج الظفر والفوز وحاج به خاصم . قوله ع وحاملا لمن حمله أى أن القرآن ينجى يوم القيامة من كان حافظا له فى الدنيا بشرط أن يعمل به . قوله ع ومطية لمن أعمله استعارة يقول كما أن المطية تنجى صاحبها إذاعملها وبعثها على النجاء فكذلك القرآن إذاأعمله صاحبه أنجاه ومعنى إعماله اتباع قوانينه والوقوف عندحدوده . قوله وآية لمن توسم أى لمن تفرس قال تعالى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ . والجنه مايستتر به واستلام لبس لأمة الحرب وهى الدرع . ووعى حفظ. قوله وحديثا لمن روى قدسماه الله تعالى حديثا فقال الله نَزَّلَ أَحْسَنَ -قرآن- ٧٦٠-٧٩٨-قرآن- ٩٢٤-٩٤٤ الضمير يرجع إلى القرآن جعله الله ريا لعطش العلماء إذاضل العلماء فى أمر والتبس عليهم رجعوا إليه فسقاهم كمايسقى الماء العطش وكذا القول فى ربيعا لقلوب الفقهاء والربيع ها هنا الجدول ويجوز أن يريد المطر فى الربيع يقال ربت الأرض فهى مربوعة. والمحاج جمع محجة وهى جادة الطريق والمعقل الملجأ. وسلما لمن دخله أى مأنا وانتحله دان به وجعله نحلته . والبرهان الحجة والفلج الظفر والفوز وحاج به خاصم . قوله ع وحاملا لمن حمله أى أن القرآن ينجى يوم القيامة من كان حافظا له فى الدنيا بشرط أن يعمل به . قوله ع ومطية لمن أعمله استعارة يقول كما أن المطية تنجى صاحبها إذاأعملها وبعثها على النجاء فكذلك القرآن إذاأعمله صاحبه أنجاه ومعنى إعماله اتباع قوانينه والوقوف عندحدوده . قوله وآية لمن توسم أى لمن تفرس قال تعالى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ . والجنه مايستتر به واستلام لبس لأمة الحرب وهى الدرع . ووعى حفظ. قوله وحديثا لمن روى قدسماه الله تعالى حديثا فقال الله نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا وَأَصْحَابِنَا يَحْتَجُونَ بِهَذِهِ اللَّفْظَةِ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ بِقَدِيمٍ لِأَنَّ الْحَدِيثَ ضَدَّ الْقَدِيمِ . و ليس للمخالف أن يقول ليس المراد بقوله أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ماذكرتم بل المراد أحسن القول وأحسن الكلام لأن العرب تسمى الكلام والقول حديثا لأننا نقول لعمرى إنه هكذا ولكن العرب ماسمت القول والكلام حديثا إلا أنه مستحدث متجدد حالا فحالا ألا ترى إلى قول عمرو لمعاوية قدملت كل شىء إلاالحديث فقال إنما يمل العتيق فدل ذلك على أنه فهم معنى تسميتهم الكلام والقول حديثا وفظن لمغزاهم ومقصدهم فى هذه التسمية و إذا كنا قدكلفنا أن نجري على ذاته وصفاته وأفعاله ماأجراه سبحانه فى كتابه ونطق ماأطلقه على سبيل الوضع والكيفية التى أطلقها و كان قدوصف كلامه بأنه حديث و كان القرآن فى عرف اللغة إنما سمي حديثا لحدوثه وتجده فقد ساغ لنا أن نطلق على كلامه أنه محدث ومتجدد و

تَعَاهِدُوا أَمْرَ الصَّيِّمَةِ وَ حَافِظُوا عَلَيْهَا وَ اسْتَكْثِرُوا مِنْهَا وَ تَقَرَّبُوا بِهَا فَإِنَّهَا كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا أَلَّا تَسْمَعُونَ إِلَى جَوَابِ أَهْلِ النَّارِ حِينَ سِئَلُوا مَا سَيَلِكُكُمْ فِي سِقَرٍ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَ إِنَّهَا لَتَحْتِ الدُّنُوبِ حَتَّى الْوَرَقِ وَ تَطْلُقُهَا إِطْلَاقَ الرَّبْقِ وَ شَبَّهَهَا رَسُولُ اللَّهِ ص بِالْحَمِيَّةِ تَكُونُ عَلَى بَابِ الرَّجُلِ فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي الْيَوْمِ وَ اللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ وَ قَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَا تَشْغَلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ وَ لَا قُرَّةُ عَيْنٍ مِنَ وَلَدٍ وَ لَا مَالٍ يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَ لَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ إِقَامِ الصَّلَاةِ وَ إِتْيَانِ الزَّكَاةِ وَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص نَصَبًا بِالصَّيِّمَةِ بَعْدَ التَّبَشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّةِ لِقَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُو أَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّيِّمَةِ وَ اصْطَبِرْ عَلَيْهَا فَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ وَ يُصَبِّرُ نَفْسَهُ -قرآن- ٢٠٨-٢٦٣-قرآن- ٦٨٣-٧٧٨-قرآن- ٨٨٤-٩٢٨ [صفحہ ٢٠٣] ثُمَّ إِنَّ الزَّكَاةَ جَعَلَتْ مَعَ الصَّيِّمَةِ قَرْبَانًا لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ فَمَنْ أَعْطَاهَا طَيَّبَتِ النَّفْسَ بِهَا فَإِنَّهَا تُجْعَلُ لَهُ كَفَّارَةً وَ مِنَ النَّارِ حِرَازًا وَ وَقَايَةً فَلَا يُتَبَعَنَّ أَحَدٌ نَفْسَهُ وَ لَا يُكْتَبَرَنَّ عَلَيْهَا لَهْفَةٌ فَإِنَّ مَنْ أَعْطَاهَا غَيْرَ طَيَّبَتِ النَّفْسَ بِهَا يَرْجُو بِهَا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا فَهُوَ جَاهِلٌ بِالسَّيِّئَةِ مَغْبُوتٌ الْأَجْرِ ضَالٌّ الْعَمَلِ طَوِيلُ التَّدَمُّ ثُمَّ آدَاءُ الْأَمَانَةِ فَقَدْ خَابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا إِنَّهَا عُرِضَتْ عَلَى السَّمَاءَاتِ الْمُبِينَةِ وَ الْأَرْضِ بَيْنَ الْمَدْحُورَةِ وَ الْجِبَالِ ذَاتِ الطُّوْلِ الْمَنْصُوبَةِ فَلَا أَطُولُ وَ لَا أَعْرَضُ وَ لَا أَعْلَى وَ لَا أَعْظَمُ مِنْهَا وَ لَوْ امْتَنَعَ شَيْءٌ بِطُولٍ أَوْ عَرْضٍ أَوْ قُوَّةٍ أَوْ عِزٍّ لَمَتَّعَنَ وَ لَكِنْ أَشْفَقَنَ مِنَ الْعُقُوبَةِ وَ عَقَلَنَ مَا جَهَلَ مَنْ هُوَ أضعفُ مِنْهُنَّ وَ هُوَ الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظُلُومًا جَهُولًا إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى لَمَّا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا الْعِيَادُ مُقْتَرِفُونَ فِي لَيْلِهِمْ وَ نَهَارِهِمْ لَطْفٌ بِهِ خُبْرًا وَ أَحَاطَ بِهِ عِلْمًا أَعْضَاؤُكُمْ شُهُودُهُ وَ جَوَارِحُكُمْ جُودُهُ وَ ضَمَائِرُكُمْ عُيُونُهُ وَ خَلَوَاتُكُمْ عَيْنَانَهُ -قرآن- ٨٢٢-٨٥٠ هذه الآية يستدل بها الأصوليون من أصحابنا على أن الكفار يعاقبون في الآخرة على ترك الواجبات الشرعية و على فعل القبائح لأنها في الكفار وردت ألاترى إلى قوله في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سئلكم في سقر فليس يجوز أن يعاقبوا المجرمين ها هنا الفاسقين من أهل القبلة لأنه قالوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ -قرآن- ١٦٦-٢٣٢-قرآن- ٣٠٥-٣٣٦ هذه الآية يستدل بها الأصوليون من أصحابنا على أن الكفار يعاقبون في الآخرة على ترك الواجبات الشرعية و على فعل القبائح لأنها في الكفار وردت ألاترى إلى قوله في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سئلكم في سقر فليس يجوز أن يعاقبوا المجرمين ها هنا الفاسقين من أهل القبلة لأنه قالوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَ لَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ وَ كُنَّا نَحُوسُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَ كُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ. قالوا و ليس لقائل أن يقول معنى قوله لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ لَمْ نَكُنْ مِنَ الْقَائِلِينَ بِوَجوب الصلاة لأنه قد أغنى عن هذا التعليل قوله وَ كُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ لأن أحد الأمرين هو الآخر وحمل الكلام على ما يفيد فائدة جديدة أولى من حمله على التكرار والإعادة فقد ثبت بهذا التقرير صحة احتجاج أمير المؤمنين ع على تأكيد أمر الصلاة و أنها من العبادات المهمة في نظر الشارع . قوله ع و إنما لتحت الذنوب الحت نثر الورق من الغصن وانحات أى تناثر و قد جاء هذا اللفظ في الخبر النبوى بعينه . والربق جمع ربقه وهى الحبل أى تطلق الصلاة الذنوب كما تطلق الحبال المعقدة أى تحل ما انعقد على المكلف من ذنوبه و هذا من باب الاستعارة. و يروى تعهدوا أمر الصلاة بالتضعيف و هولغته يقال تعاهدت ضيعتى و تعهدتها و هو القيام عليها وأصله من تجديد العهد بالشىء والمراد المحافظة عليه و قوله تعالى إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا أى واجبا وقيل موقوتا أى منجما كل وقت لصلاة معينة و تؤدى هذه الصلاة فى نجومها. و قوله كتابا أى فرضا واجبا كقوله تعالى كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أى أوجب . والحممة الحفيرة فيها الحميم و هو الماء الحار و هذا الخبر من الأحاديث الصحاح -قرآن- ١-٩٩-قرآن- ١٤٠-١٦٤-قرآن- ٢٣٦-٢٦٨-قرآن- ٨٩٩-٩٥٤-قرآن- ١٠٧٦-١١١٢ قال ص أيسر

أحدكم أن تكون على بابه حمه يغتسل منها كل يوم خمس -رواية- ١-٢-رواية- ١١-ادامه دارد [صفحه ٢٠٥] مرات فلا يبقى عليه من درنه شىء قالوا نعم قال فإنها الصلوات الخمس -رواية- از قبل- ٧٣ والدرن الوسخ . والتجارة فى الآيه إما أن يراد بها لايشغلهم نوع من هذه الصناعة عن ذكر الله ثم أفرد البيع بالذكر وخصه وعطفه على التجارة العامه لأنه أدخل فى الإلهاء لأن الربح فى البيع بالكسب معلوم والربح فى الشراء مظنون وإما أن يريد بالتجارة الشراء خاصة إطلاقاً لاسم الجنس الأعم على النوع الأخص كما تقول رزق فلان تجاره رابحه إذا اتجه له شراء صالح فأما إقام الصلاة فإن التاء فى إقامة عوض من العين الساقطة للإعلال فإن أصله إقوام مصدر أقام كقولك أعرض إعراضاً فلما أضيفت أقيمت الإضافة مقام حرف التعويض فأسقطت التاء. قوله ع و كان رسول الله ص نصبا بالصلاة أى تعبا قال تعالى ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى . و -قرآن- ٦١٠-٦٤٥ روى أنه ع قام حتى تورمت قدماه مع التبشير له بالجنة -رواية- ١-٢-رواية- ٧-٥٩ روى أنه قيل له فى ذلك فقال أ فلاأكون عبدا شكورا -رواية- ١-٢-رواية- ٧-٥٨ . ويصبر نفسه من الصبر ويروى ويصبر عليها نفسه أى يحبس قال سبحانه و اصبر نفسك مع المذنبين يدعون ربهم و قال عنترة يذكر حربا كان فيها -قرآن- ٦٩-١١٥ فصبرت عارفة لذلك حرة || ترسو إذانفس الجبان تطلع

فصل فى ذكر الآثار الواردة فى الصلاة وفضلها

واعلم أن الصلاة قد جاء فى فضلها الكثير الذى يعجزنا حصره و لو لم يكن [صفحه ٢٠٦] إلا ماورد فى الكتاب العزيز من تكرار ذكرها وتأكيده الوصاء بها والمحافظة عليها لكان بعضه كافيا. و قال النبى ص الصلاة عمود الدين فمن تركها فقد هدم الدين -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-٦٤ قال أيضا ع علم الإيمان الصلاة فمن فرغ لها قلبه وقام بحدودها فهو المؤمن -رواية- ١-٢-رواية- ١٥-٨٢ قالت أم سلمة كان رسول الله ص يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا و لم نعرفه -رواية- ١-٢-رواية- ١٧-٩٨ قيل للحسن رحمه الله ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوها قال لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره -رواية- ١-١١٢ قال عمر إن الرجل ليشيب عارضاه فى الإسلام ما أكمل الله له صلاة قيل له وكيف ذلك قال لا يتم خشوعها وتواضعها وإقباله على ربه فيها -رواية- ١-٢-رواية- ١١-١٤٢ . و قال بعض الصالحين إن العبد ليسجد السجدة عنده أنه متقرب بها إلى الله و لو قسم ذنبه فى تلك السجدة على أهل مدينه لهلكوا قيل وكيف ذلك قال يكون ساجدا و قلبه عند غير الله إنما هو مصغ إلى هوى أودنيا. صلى أعرابى فى المسجد صلاة خفيفة وعمر بن الخطاب يراه فلما قضاها قال اللهم زوجنى الحور العين فقال عمر يا هذا لقد أسأت النقد وأعظمت الخطبة. و قال على ع لا يزال الشيطان ذعرا من المؤمن ما حافظ على الخمس فإذا ضيعهن تجرأ عليه وأوقعه فى العظائم -رواية- ١-٢-رواية- ١٦-١١٠ روى عن النبى ص أنه قال الصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر -رواية- ١-٢-رواية- ٣١-٨٣ [صفحه ٢٠٧] جاء فى الخبر أن رسول الله ص كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة -رواية- ١-٢-رواية- ١٥-٦٩ . و قال هشام بن عروة كان أبى يطيل المكتوبة و يقول هى رأس المال . قال يونس بن عبيد ما استخف أحد بالنوافل إلا استخف بالفرائض . يقال إن محمد بن المنكدر جزأ الليل عليه و على أمه وأخته أثلاثا فماتت أخته فجزأه عليه و على أمه نصفين فماتت أمه فقام الليل كله . كان مسلم بن يسار لا يسمع الحديث إذا قام يصلى و لا يفهمه و كان إذا دخل بيته سكت أهله فلا يسمع لهم كلام حتى يقوم إلى الصلاة فيتحدثون ويلغظون فهو لا يشعر بهم . و وقع حريق إلى جنبه و هو فى الصلاة فلم يشعر به حتى حرق . كان خلف بن أيوب لا يطرد الذباب إذا وقع على وجهه و هو فى الصلاة فى بلاد كثيرة الذباب فليل له كيف تصبر فقال بلغنى أن الشطار يصبرون تحت السياط ليقال فلان صبور أ فلاأصبر و أنا بين يدي ربى على أذى ذباب يقع على . قال ابن مسعود الصلاة مكيال فمن وفى وفى له و من طفف فويل للمطففين -رواية- ١-٢-رواية-

١٨-٨٣ قال رجل لرسول الله ص يا رسول الله ادع لى أن يرزقنى الله مرافقتك فى الجنة فقال أعنى على إجابة الدعوة بكثرة السجود -روايت-١-١٢٥. قوله ع قربانا لأهل الإسلام القربان اسم لما يتقرب به من نسيكته أو صدقته. وروى و من النار حجازا بالزاي أى مانعا واللهف الحسرة ينهى ع [صفحہ ٢٠٨] عن إخراج الزكاة مع التسخط لإخراجها والتلهف والتحسر على دفعها إلى أربابها و يقول إن من يفعل ذلك يرجو بهانيل الثواب ضال مضيع لماله غير ظافر بما رجاه من المثوبة

ذكر الآثار الواردة فى فضل الزكاة والتصدق

و قد جاء فى فضل الزكاة الواجبة وفضل صدقة التطوع الكثير جدا و لو لم يكن إلا أن الله تعالى قرنها بالصلاة فى أكثر المواضع التى ذكر فيها الصلاة لكفى . و روى بريدة الأسلمى أن رسول الله ص قال ما حبس قوم الزكاة إلا حبس الله عنهم القطر -روايت- ١-٢-روايت-٤٦-٩١. وجاء فى الذين يكتزون الذهب والفضة و لا ينفقونها فى سبيل الله ما جاء فى الذكر الحكيم و هو قوله تعالى يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِى نَارٍ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ أَلْيَهُ قَالَ المفسرون إنفاقها فى سبيل الله إخراج الزكاة منها. وروى الأحنف قال قدمت المدينة فبينما أنا فى حلقة فىهما ملاماً من قريش إذ جاء رجل خشن الجسد خشن الثياب فقام عليهم فقال بشر الكانزين برضف يحمى عليها فى نار جهنم فتوضع على حلمة ثدى الرجل حتى تخرج من نغض كتفه ثم توضع على نغض كتفه حتى تخرج من حلمة ثديه فسألت عنه فقيل هذا أبوذر الغفارى و كان يذكره ويرفعه . -قرآن-١٠٩-١٦٨ ابن عباس يرفعه من كان عنده ما يزكى فلم يزك و كان عنده ما يحج فلم يحج سأل الرجعة -روايت-١-٢-روايت-٢٠-٩٤ يعنى قوله رَبِّ ارْجِعُونِ. -قرآن-١٢-٢٥ [صفحہ ٢٠٩] أبوهريرة سئل رسول الله ص أى الصدقة أفضل فقال أن تعطى و أنت صحيح شحيح تأمل البقاء وتخشى الفقر و لا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا -روايت-١-٢-روايت-١٢-١٦٧. وقيل للشبلى ما يجب فى مائتى درهم قال أما من جهة الشرع فخمسه و أما من جهة الإخلاص فالكل . أمر رسول الله ص بعض نسائه أن تقسم شاء على الفقراء فقالت يا رسول الله لم يبق منها غير عنقها فقال ع كلها بقى غير عنقها -روايت-١-١٢٧-أخذ شاعر هذا المعنى فقال يبكى على الذاهب من ماله || وإنما يبقى الذى يذهب .السائب كان الرجل من السلف يضع الصدقة ويمثل قائما بين يدى السائل الفقير ويسأله قبولها حتى يصير هو فى صورة السائل . و كان بعضهم يبسط كفه ويجعلها تحت يد الفقير لتكون يد الفقير العليا. و عن النبى ص ما أحسن عبدالصدقة إلا -أحسن الله إليه فى مخلفيه -روايت-١-٢-روايت-١٧-٦٨ عنه ص الصدقة تسد سبعين بابا من الشر -روايت-١-٢-روايت-١١-٤٢ عنه ص أذهبوا مذمة السائل و لوبمثل رأس الطائر من الطعام -روايت-١-٢-روايت-١١-٦٤. كان النبى ص لا يكل خصلتين إلى غيره لا يوضئه أحد و لا يعطى السائل إلا بيده . بعض الصالحين الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه بغير إذن .الشعبى من لم ير نفسه أحوج إلى ثواب الصدقة من الفقير إلى صدقته فقد أبطل صدقته وضرب بها وجهه . [صفحہ ٢١٠] كان الحسن بن صالح إذا جاءه سائل فإن كان عنده ذهب أو فضة أو طعام أعطاه فإن لم يكن أعطاه زيتا أو سمنا أو نحوهما مما ينتفع به فإن لم يكن أعطاه كحلا أو خرج بإبرة وخط بها ثوب السائل أو بخرقة يرقع بها ماتخرق من ثوبه . ووقف مرة على باب سائل ليلا و لم يكن عنده ما يدفعه إليه فخرج إليه بقصبة فى رأسها شعلة و قال خذ هذه وتبلغ بها إلى أبواب ناس لعلهم يعطونك . قوله ع ثم أداء الأمانة هى العقد الذى يلزم الوفاء به وأصح ما قيل فى تفسير الآية أن الأمانة ثقيلة المحمل لأن حاملها معرض لخطر عظيم فهى بالغة من الثقل وصعوبة المحمل ما لو أنها عرضت على السماوات و الأرض والجبال لا تمتنع من حملها .فأما الإنسان فإنه حملها وألزم القيام بها و ليس المراد بقولنا إنها عرضت على السماوات و الأرض أى لو عرضت عليها وهى جمادات بل المراد تعظيم شأن الأمانة كما تقول

هذا الكلام لا يحمله الجبال وقوله امتلاء الحوض وقال قطنى . وقوله تعالى قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ومذهب العرب فى هذا الباب وتوسعها ومجازاتها مشهور شائع -قرآن- ١٧-٤٠ [صفحة ٢١١]

١٩٣- ومن كلام له ع

إشارة

وَ اللَّهُ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدَهَى مِنِّي وَ لَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَ يَفْجُرُ وَ لَوْ لَأَ كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدَهَى النَّاسِ وَ لَكِنْ كُلُّ غُدْرَةٍ فُجْرَةٌ وَ كُلُّ فُجْرَةٍ كُفْرَةٌ وَ لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ اللَّهُ مَا أُسْتَعْفَلُ بِالْمَكِيدَةِ وَ لَأُسْتَعْمَزُ بِالشَّدِيدَةِ الْغَدْرَةِ عَلَى فَعْلَةِ الْكَثِيرِ الْغَدْرِ وَ الْفَجْرَةِ وَ الْكُفْرَةِ الْكَثِيرِ الْفُجُورِ وَ الْكُفْرِ وَ كُلُّ مَا كَانَ عَلَى هَذَا الْبِنَاءِ فَهُوَ لِلْفَاعِلِ فَإِنْ سَكَتَ الْعَيْنُ فَهُوَ لِلْمَفْعُولِ تَقُولُ رَجُلٌ ضَحِكُهُ أَى ضَحِكُهُ وَ ضَحِكُهُ يَضْحَكُ مِنْهُ وَ سُخْرُهُ يَسْخَرُ مِنْهُ وَ سُخْرُهُ يَسْخَرُ بِهِ يَقُولُ عَ كُلِّ غَادِرٍ فَاجِرٍ وَ كُلِّ فَاجِرٍ كَافِرٍ وَ يَرُوى وَ لَكِنْ كُلُّ غُدْرَةٍ فَجْرَةٌ وَ كُلُّ فَجْرَةٍ كُفْرَةٌ عَلَى فَعْلَةِ لِلْمَرَّةِ الْوَاحِدَةِ . وَ قَوْلُهُ لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ -رواية- ١-٢-٢-رواية- ٩-٤٦ حديث صحيح مروى عن النبى ص . ثم أقسم ع أنه لا يستغفل بالمكيدة أى لا تجوز المكيدة على كَمَا تَجُوزُ عَلَى ذَوَى الْغَفْلَةِ وَ أَنَّهُ لَا يَسْتَعْمَزُ بِالشَّدِيدَةِ أَى لِأَهْمِينَ وَ أَلَيْنَ لِلْخُطْبِ الشَّدِيدِ [صفحة ٢١٢]

سياسة على وجريها على سياسة الرسول ع

واعلم أن قوما ممن لم يعرف حقيقته فضل أمير المؤمنين ع زعموا أن عمر كان أسوس منه و إن كان هو أعلم من عمر و صرح الرئيس أبو على بن سينا بذلك فى الشفاء فى الحكمة و كان شيخنا أبو الحسين يميل إلى هذا و قد عرض به فى كتاب الغرر ثم زعم أعداؤه و مباحضوه أن معاوية كان أسوس منه و أصبح تدبيراً و قد سبق لنا بحث قديم فى هذا الكتاب فى بيان حسن سياسة أمير المؤمنين ع و صحة تدبيره و نحن نذكر هاهنا ما لم نذكره هناك مما يليق بهذا الفصل الذى نحن فى شرحه . اعلم أن السائس لا يتمكن من السياسة البالغة إلا إذا كان يعمل برأيه و بما يرى فيه صلاح ملكه و تمهيد أمره و توطيد قاعدته سواء وافق الشريعة أو لم يوافقها و متى لم يعمل فى السياسة و التدبير بموجب ما قلناه فبعيد أن ينتظم أمره أو يستوثق حاله و أمير المؤمنين كان مقيداً بقيود الشريعة مدفوعاً إلى اتباعها و رفض ما يصلح اعتماده من آراء الحرب و الكيد و التدبير إذا لم يكن للشرع موافقاً فلم تكن قاعدته فى خلافته قاعدة غيره ممن لم يلتزم بذلك و لسنا بهذا القول زارين على عمر بن الخطاب و لانا سبين إليه ما هو متره عنه ولكنه كان مجتهداً يعمل بالقياس و الاستحسان و المصالح المرسله و يرى تخصيص عمومات النص بالآراء و بالاستنباط من أصول تقتضى خلاف ما يقتضيه عموم النصوص و يكيد خصمه و يأمر أمراءه بالكيد و الحيلة و يؤدب بالدره و السوط من [صفحة ٢١٣] يتغلب على ظنه أنه يستوجب ذلك و يصفح عن آخرين قد اجترموا ما يستحقون به التأديب كل ذلك بقوة اجتهاده و ما يؤديه إليه نظره و لم يكن أمير المؤمنين ع يرى ذلك و كان يقف مع النصوص و الظواهر و لا يتعداها إلى الاجتهاد و الأقيسه و يطبق أمور الدنيا على أمور الدين و يسوق الكل مساقاً واحداً و لا يضيع و لا يرفع إلا بالكتاب و النص فاختلفت طريقتاهما فى الخلافه و السياسة و كان عمر مع ذلك شديد الغلظه و السياسة و كان على ع كثير الحلم و الصفح و التجاوز فازدادت خلافه ذاك قوة و خلافه هذالينا و لم يمن عمر بما منى به على ع من فتنه عثمان التى أحوجته إلى مداراه أصحابه و جنده و مقاربتهم

الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَى لَهُمْ طَاعِيَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ. وقوله تعالى أم حسب العذيين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ولو نشاء لأريناكمهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم. وقوله تعالى سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً أو أراد بكم نفعاً بل كان الله بما تعملون خبيراً بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أيداً وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوماً بوراً. وقوله تعالى سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا تتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل -قرآن- ١٨٢-٣٦٧-قرآن- ٣٨٤-٥٨٢-قرآن- ٥٩٩-٧٩٣-قرآن- ٨١٠-١٢٤١-قرآن- ١٢٥٨-١٤٣٤ لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون السورة بجمعها. وقوله تعالى ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ما ذا قال آتينا أولئك العذيين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم. وقوله تعالى رأيت العذيين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم طاعة وقول معروف فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم. وقوله تعالى أم حسب العذيين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ولو نشاء لأريناكمهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم. وقوله تعالى سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً أو أراد بكم نفعاً بل كان الله بما تعملون خبيراً بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أيداً وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوماً بوراً. وقوله تعالى سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا تتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلاً. وقوله إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم. قال وأصحابه هم الذين نازعوا في الأنفال وطلبوها لأنفسهم حتى أنزل الله تعالى قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين. وهم الذين التوا عليه في الحرب يوم بدر وكرهوا لقاء العدو حتى خيف خذلانهم وذلك قبل أن تراءى الفتان وأنزل فيهم يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون. وهم الذين كانوا يتمنون لقاء العير دون لقاء العدو حتى إنهم ظفروا برجلين في الطريق فسألوهما عن العير فقالا لا علم لنا بها وإنما رأينا جيش قريش من وراء ذلك الكتيب فضربوهما ورسول الله ص قائم يصلى فلما ذاقا مس الضرب قال بل العير أمامكم فاطلبوها فلما رفعوا الضرب عنهما قالوا والله ما رأينا العير ولا رأينا إلا الخيل والسلاح والجيش فأعادوا الضرب عليهما مرة ثانية فقالا وهما يضربان العير أمامكم فخلوا عنا فانصرف رسول الله ص من الصلاة وقال إذا صدقكم ضربتموهما وإذا كذباكم خليتم عنهما دعوهما فما رأيا إلا جيش أهل مكة وأنزل قوله تعالى وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع -قرآن- ١-٧٢-قرآن- ٨٢-٢٤٦-قرآن- ٣٣٢-٤٦٤-قرآن- ٥٨٩-٦٨١-قرآن- ١٢٤٥-١٤١٦ فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلاً. وقوله إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم. قال وأصحابه هم الذين نازعوا في الأنفال وطلبوها لأنفسهم حتى أنزل الله تعالى قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين. وهم الذين التوا عليه في الحرب يوم بدر وكرهوا لقاء العدو حتى خيف خذلانهم وذلك قبل أن تراءى الفتان وأنزل فيهم يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون. وهم الذين كانوا يتمنون لقاء العير دون لقاء العدو حتى إنهم ظفروا برجلين في الطريق فسألوهما عن العير فقالا لا علم لنا بها وإنما رأينا جيش قريش من وراء ذلك الكتيب فضربوهما ورسول الله ص قائم

يصلى فلما ذاقا مس الضرب قالوا- بل العير أمامكم فاطلبوها فلما رفعوا الضرب عنهما قالوا والله مارأينا العير ولا رأينا إلا الخيل والسلاح والجيش فأعادوا الضرب عليهما مرة ثانية فقالا وهما يضربان العير أمامكم فخلوا عنا فانصرف رسول الله ص من الصلاة وقال إذا صدقاكم ضربتموهما وإذا كذباكم خليت منكما فإياهما فدعوهما فما رأيا إلا جيش أهل مكة وأنزل قوله تعالى وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقَطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ - قرآن- ١-١٩ قال المفسرون الطائفتان العير ذات اللطيمة الواصلة إلى مكة من الشام صحبة أبي سفيان بن حرب وإليها كان خروج المسلمين والأخرى الجيش ذو الشوكة وكان ع قد وعدهم بإحدى الطائفتين فكرهوا الحرب وأحبوا الغنيمه. قال وهم الذين فروا عنه ص يوم أحد وأسلموه وأصعدوا في الجبل وتركوه حتى شج الأعداء وجهه وكسروا ثنيته وضربوه على بيضته حتى دخل جماجمه ووقع من فرسه إلى الأرض بين القتلى وهو يستصرخ بهم ويدعوهم فلا يجيبه أحد منهم إلا من كان جاريا مجرى نفسه وشديد الاختصاص به وذلك قوله تعالى إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَعْيُنِكُمْ وَرَسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ أَيْ ينادى فيسمع نداءه آخر الهاريين لا- أولهم لأن أولهم أوغلو في الفرار وبعدوا عن أن يسمعوا صوته وكان قصارى الأمر أن يبلغ صوته واستصراخه من كان على ساقه الهاريين منهم . قال ومنهم الذين عصوا أمره في ذلك اليوم حيث أقامهم على الشعب في الجبل وهو الموضع الذي خاف أن تكرر عليه منه خيل العدو من ورائه وهم أصحاب عبد الله بن جبير فإنهم خالفوا أمره وعصوه فيما تقدم به إليهم ورغبوا في الغنيمه ففارقوا مركزهم حتى دخل الوهن على الإسلام بطريقهم لأن خالد بن الوليد كر في عصابة من الخيل فدخل من الشعب الذي كانوا يحرسونه فما أحس المسلمون بهم إلا وقد غشوهم بالسيوف من خلفهم فكانت الهزيمة وذلك قوله تعالى حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ -قرآن- ٥١٥-٥٩١-قرآن- ١٢٣٥-١٢٥٣ قال المفسرون الطائفتان العير ذات اللطيمة الواصلة إلى مكة من الشام صحبة أبي سفيان بن حرب وإليها كان خروج المسلمين والأخرى الجيش ذو الشوكة وكان ع قد وعدهم بإحدى الطائفتين فكرهوا الحرب وأحبوا الغنيمه. قال وهم الذين فروا عنه ص يوم أحد وأسلموه وأصعدوا في الجبل وتركوه حتى شج الأعداء وجهه وكسروا ثنيته وضربوه على بيضته حتى دخل جماجمه ووقع من فرسه إلى الأرض بين القتلى وهو يستصرخ بهم ويدعوهم فلا يجيبه أحد منهم إلا من كان جاريا مجرى نفسه وشديد الاختصاص به وذلك قوله تعالى إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَعْيُنِكُمْ وَرَسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ أَيْ ينادى فيسمع نداءه آخر الهاريين لا أولهم لأن أولهم أوغلو في الفرار وبعدوا عن أن يسمعوا صوته وكان قصارى الأمر أن يبلغ صوته واستصراخه من كان على ساقه الهاريين منهم . قال ومنهم الذين عصوا أمره في ذلك اليوم حيث أقامهم على الشعب في الجبل وهو الموضع الذي خاف أن تكرر عليه منه خيل العدو من ورائه وهم أصحاب عبد الله بن جبير فإنهم خالفوا أمره وعصوه فيما تقدم به إليهم ورغبوا في الغنيمه ففارقوا مركزهم حتى دخل الوهن على الإسلام بطريقهم لأن خالد بن الوليد كر في عصابة من الخيل فدخل من الشعب الذي كانوا يحرسونه فما أحس المسلمون بهم إلا وقد غشوهم بالسيوف من خلفهم فكانت الهزيمة وذلك قوله تعالى حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَ تَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ. قال وهم الذين عصوا أمره في غزاه تبوك بعد أن أكد عليهم الأوامر وخذلوه وتركوه ولم يشخصوا معه فأنزل فيهم يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتِلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَ رَضْتُمْ بِهَا الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وهذه الآية خطاب مع المؤمنين لا مع المنافقين وفيها أوضح دليل على أن أصحابه وأولياءه المصدقين لدعوته كانوا يعصونه ويخالفون أمره وأكد عتابهم وتقريعهم وتوبيخهم بقوله تعالى لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَمَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعِدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. ثم عاتب رسول الله ص على كونه أذن لهم في التخلف وإنما أذن لهم لعلمه أنهم لا يجيبونه في الخروج فرأى أن

يجعل المنه له عليهم فى الإذن لهم و لإقعدوا عنه و لم تصل له المنه فقال له عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا و تعلم الكاذبين أى هلا أمسكت عن الإذن لهم حتى يتبين لك قعود من يقعد و خروج من يخرج صادقهم من كاذبهم لأنهم كانوا قد وعدوه بالخروج معه كلهم و كان بعضهم بنوى الغدر و بعضهم يعزم على أن يخيس بذلك الوعد فلو لم يأذن لهم لعلم من يتخلف و من لا يتخلف فعرف الصادق منهم و الكاذب . -قرآن- ١-١٣١-قرآن- ٢٤٧-٥٨٦-قرآن- ٧٧٥-٩٨٤-قرآن- ١١٨٣-١٢٨٢ [صفحه ٢١٩] ثم بين سبحانه و تعالى أن الذين يستأذنونهم فى التخلف خارجون من الإيمان فقال له لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله و اليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم و أنفسهم و الله عليهم بالمتقين إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله و اليوم الآخر و ارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون . و لاحاجة إلى التويل بذكر الآيات المفصلة فيما يناسب هذا المعنى فمن تأمل الكتاب العزيز علم حاله ص مع أصحابه كيف كانت و لم ينقله الله تعالى إلى جواره إلا و هو مع المنافقين له و المظهرين خلاف ما يضمرون من تصديقه فى جهاد شديد حتى لقد كاشفوه مرارا فقال لهم يوم الحديبية اهلقوا وانحروا مرارا فلم يهلقوا و لم ينحروا و لم يتحرك أحد منهم عند قوله و قال له بعضهم و هو يقسم الغنائم اعدل يا محمد فإنك لم تعدل . و قالت الأنصار له مواجهة يوم حنين أتأخذ ما أفاء الله علينا بسيوفنا فتدفعه إلى أقاربك من أهل مكة حتى أفضى الأمر إلى أن -قرآن- ٨٨-٣٥٠ قال لهم فى مرض موته اتنوني بدواة و كتف أكتب لكم ما لاتصلون بعده -رواية- ١-٧٤ فعصوه و لم يأتوه بذلك وليتهم اقتصروا على عصيانه و لم يقولوا له ما قالوا و هو يسمع . و كان أبو جعفر رحمه الله يقول من هذا ما يطول شرحه و القليل منه ينبئ عن الكثير و كان يقول إن الإسلام ماحلا- عندهم و لا- ثبت فى قلوبهم إلا- بعدموته حين فتحت عليهم الفتوح وجاءتهم الغنائم و الأموال و كثرت عليهم المكاسب و ذاقوا طعم الحياة و عرفوا لذة الدنيا و لبسوا الناعم و أكلوا الطيب و تمتعوا بنساء الروم و ملكوا خزائن كسرى و تبدلوا بذلك القشف و الشظف و العيش الخشن و أكل [صفحه ٢٢٠] الضباب و القنافذ و اليرابيع و لبس الصوف و الكرايس و أكل اللوزينجات و الفالوذجات و لبس الحرير و الديداج فاستدلوا بما فتحه الله عليهم و أتاحه لهم على صحة الدعوة و صدق الرسالة و قد كان ص و عدهم بأنه سيفتح عليهم كنوز كسرى و يقصر فلما وجدوا الأمر قد وقع بموجب ما قاله عظموه و بجلوه و انقلبت تلك الشكوك و ذاك النفاق و ذلك الاستهزاء إيماننا و يقينا و إخلاصا و طاب لهم العيش و تمسكوا بالدين لأنه زادهم طريقا إلى نيل الدنيا فعظموا ناموسه و بالغوا فى إجلاله و إجلال الرسول الذى جاء به ثم انقرض الأسلاف وجاء الأخلاف على عقيدة ممهدة و أمر أخذوه تقليدا من أسلافهم الذين ربوا فى حجورهم ثم انقرض ذلك القرن وجاء من بعدهم كذلك و هلم جرا . قال و لولا الفتوح و النصر و الظفر الذى منحهم الله تعالى إياه و الدولة التى ساقها إليهم لانقرض دين الإسلام بعد وفاة رسول الله ص و كان يذكر فى التواريخ كماتذكر الآن نبوة خالد بن سنان العيسى حيث ظهر ودعا إلى الدين و كان الناس يعجبون من ذلك و يتذاكرونه كما يعجبون و يتذاكرون أخبار من نبغ من الرؤساء و الملوك و الدعاة الذين انقرض أمرهم و بقيت أخبارهم . و كان يقول من تأمل حال الرجلين و جدهما متشابهتين فى جميع أمورهما أو فى أكثرها و ذلك لأن حرب رسول الله ص مع المشركين كانت سجالا انتصر يوم بدر و انتصر المشركون عليه يوم أحد و كان يوم الخندق كفا فخرج هو وهم سواء لا عليه و لا- له لأنهم قتلوا رئيس الأوس و هوسعد بن معاذ و قتل منهم فارس قريش و هو عمرو بن عبدود و انصرفوا عنه بغير حرب بعد تلك الساعة التى كانت ثم حارب بعدها قريشا يوم الفتح فكان الظفر له . و هكذا كانت حروب على ع انتصر يوم الجمل و خرج الأمر بينه و بين [صفحه ٢٢١] معاوية على سواء قتل من أصحابه رؤساء و من أصحاب معاوية رؤساء و انصرف كل واحد من الفريقين عن صاحبه بعد الحرب على مكانه ثم حارب بعد صفيين أهل النهروان فكان الظفر له . قال و من العجب أن أول حروب رسول الله ص كانت بدرا و كان هو المنصور فيها و أول حروب على ع الجمل و كان هو المنصور فيها ثم كان من صحيفه الصلح و الحكومة يوم صفيين نظير ما كان من صحيفه الصلح و الهدنة يوم الحديبية ثم دعا معاوية فى آخر أيام على ع إلى نفسه

وتسمى بالخلافة كما أن مسيلمته والأسود العنسى دعوا إلى أنفسهما في آخر أيام رسول الله ص وتسميا بالنبوة واشتد على علي ع ذلك كما اشتد على رسول الله ص أمر الأسود ومسلمته وأبطل الله أمرهما بعد وفاة النبي ص وكذلك أبطل أمر معاوية وبنى أمية بعد وفاة علي ع ولم يحارب رسول الله ص أحد من العرب إلا قريش ماعدا يوم حنين و لم يحارب عليا ع من العرب أحد إلا قريش ماعدا يوم النهروان ومات علي ع شهيدا بالسيف ومات رسول الله ص شهيدا بالسم وهذا لم يتزوج علي خديجة أم أولاده حتى ماتت وهذا لم يتزوج علي فاطمة أم أشرف أولاده حتى ماتت ومات رسول الله ص عن ثلاث وستين سنة ومات علي ع عن مثلها. و كان يقول انظروا إلى أخلاقهما وخصائصهما هذا شجاع وهذا شجاع وهذا فصيح وهذا فصيح وهذا سخي جواد وهذا سخي جواد وهذا عالم بالشرائع والأمور الإلهية وهذا عالم بالفقه والشريعة والأمور الإلهية الدقيقة الغامضة وهذا زاهد في الدنيا غير أنهم ولا مستكثر منها وهذا زاهد في الدنيا تارك لها غير متمتع بلذاتها وهذا مذهب نفسه في الصلاة والعبادة وهذا مثله وهذا غير محب إليه شيء من الأمور العاجلة [صفحة ٢٢٢] إلا النساء وهذا مثله وهذا ابن عبدالمطلب بن هاشم وهذا في قعدده وأبواهما أخوان لأب وأم دون غيرهما من بنى عبدالمطلب وربى محمد ص في حجر والد هذا وهذا أبو طالب فكان جاريا عنده مجرى أحد أولاده ثم لما شب ص وكبر استخلصه من بنى أبي طالب وهو غلام فرباه في حجره مكافأة لصنيع أبي طالب به فامتزج الخلقان وتمثلت السجيتان وإذا كان القرين مقتديا بالقرين فما ظنك بالتربية والثقيف الدهر الطويل فواجب أن تكون أخلاق محمد ص كأخلاق أبي طالب وتكون أخلاق علي ع كأخلاق أبي طالب أيه و محمد ص مربيه وأن يكون الكل شيمته واحدة وسوسا واحدا وطينته مشتركة ونفسا غير منقسمة ولا متجزئة وألا يكون بين بعض هؤلاء وبعض فرق ولا فضل لولا. أن الله تعالى اختص محمد ص برسالته واصطفاه لوحيه لما يعلمه من مصالح البرية في ذلك ومن أن اللطف به أكمل والنفع بمكانه أتم وأعم فامتاز رسول الله ص بذلك عن سواه وبقي ماعدا الرسالة على أمر الاتحاد وإلى هذا المعنى أشار ص بقوله أخصمك بالنبوة فلان نبوة بعدى وتخضم الناس بسبع -رواية ١-٢-رواية ١٦-٦٤ قال له أيضا أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا- أنه لا نبى بعدى -رواية ١-٢-رواية ١٦-٧٢ فأبان نفسه منه بالنبوة وأثبت له ماعداها من جميع الفضائل والخصائص مشتركا بينهما. و كان النقيب أبو جعفر رحمه الله غزير العلم صحيح العقل منصف في الجدل غير متعصب للمذهب وإن كان علويا و كان يعترف بفضائل الصحابة ويشنى على الشيخين . و يقول إنهما مهذا دين الإسلام وأرسيا قواعده ولقد كان شديد الاضطراب في حياة رسول الله ص وإنما مهدها بما تيسر للعرب من الفتوح والغنائم في دولتهما. و كان يقول في عثمان إن الدولة في أيامه كانت على إقبالها وعلو جدها بل كانت الفتوح في أيامه أكثر والغنائم أعظم لو لا أنه لم يراع ناموس الشيخين و لم يستطع أن يسلك [صفحة ٢٢٣] مسلكهما و كان مضعفا في أصل القاعدة مغلوبا عليه وكثير الحب لأهله وأتيح له من مروان وزير سوء أفسد القلوب عليه وحمل الناس على خلعه وقتله

كلام أبي جعفر الحسنى في الأسباب التي أوجبت محبة الناس لعلى

و كان أبو جعفر رحمه الله لا يجحد الفاضل فضله والحديث شجون . قلت له مرة ما سبب حب الناس لعلى بن أبي طالب ع وعشقتهم له وتهالكهم في هواه ودعنى في الجواب من حديث الشجاعة والعلم والفصاحة وغير ذلك من الخصائص التي رزقه الله سبحانه الكثير الطيب منها. فضحك وقال لي كم تجمع جراميزك على . ثم قال ها هنا مقدمة ينبغي أن تعلم وهي أن أكثر الناس موتورون من الدنيا أما المستحقون فلأقرب في أن أكثرهم محرومون نحو عالم يرى أنه لاحظ له في الدنيا ويرى جاهلا غيره مرزوقا وموسعا عليه وشجاع قدأبلى في الحرب وانتفع بموضعه ليس له عطاء يكفيه ويقوم بضروراته ويرى غيره وهو جبان

فشل يفرق من ظله مالكا لقطر عظيم من الدنيا وقطعة وافرة من المال والرزق وعقل سديد التدبير صحيح العقل قد قدر عليه رزقه وهويرى غيره أحق مائقا تدر عليه الخيرات وتتحلب عليه أخلاف الرزق وذى دين قويم وعبادة حسنة وإخلاص وتوحيد و هو محروم ضيق الرزق ويرى غيره يهوديا أونصرانيا أوزنديقا كثير المال حسن الحال حتى إن هذه الطبقات المستحقة يحتاجون فى أكثر الوقت إلى الطبقات التى لاستحقاق [صفحة ٢٢٤] لها وتدعوهم الضرورة إلى الذل لهم والخضوع بين أيديهم إما لدفع ضرر أو لاستجلاب نفع ودون هذه الطبقات من ذوى الاستحقاق أيضا مانشاهده عيانا من نجار حاذق أو بناء عالم أونقاش بارع أو مصور لطيف على غاية ما يكون من ضيق رزقهم وعود الوقت بهم وقله الحيلة لهم ويرى غيرهم ممن ليس يجرى مجراهم ولا يلحق طبقتهم مرزوقا مرغوبا فيه كثير المكسب طيب العيش واسع الرزق فهذا حال ذوى الاستحقاق والاستعداد وأما الذين ليسوا من أهل الفضائل كحشو العامة فإنهم أيضا لا يخلون من الحقد على الدنيا والذم لها والحق والغيط منها لما يلحقهم من حسد أمثالهم وجيرانهم ولا يرى أحد منهم قانعا بعيشه ولا راضيا بحاله بل يستزيد ويطلب حالا فوق حاله . قال فإذا عرفت هذه المقدمة فمعلوم أن عليا كان مستحقا محروما بل هو أمير المستحقين المحرومين وسيدهم وكبيرهم ومعلوم أن الذين ينالهم الضيم وتلحقهم المذلة والهزيمة يتعصب بعضهم لبعض ويكونون إلبا ويبدأ واحدة على المرزوقين الذين ظفروا بالدنيا ونالوا ما ربههم منها لا اشتراكهم فى الأمر الذى آلمهم وساءهم وعرضهم ومضهم واشتراكهم فى الأنفة والحمية والغضب والمنافسة لمن علا- عليهم وقهرهم وبلغ من الدنيا ما لم يبلغوه فإذا كان هؤلاء أعنى المحرومين متساوين فى المنزلة والمرتبة وتعصب بعضهم لبعض فما ظنك بما إذا كان منهم رجل عظيم القدر جليل الخطر كامل الشرف جامع للفضائل محتو على الخصائص والمناقب وهو مع ذلك محروم محدود وقد جرعتة الدنيا علاقمتها وعلته علا- بعدنهل من صابها وصبرها ولقى منها بارحا وجهدا جهيدا وعلا- عليه من هودونه وحكم فيه وفى بنيه وأهله ورهطه من لم يكن ماناله من الإمرة والسلطان فى حسابه ولا دائرا فى خلده ولا خاطرا بباله ولا كان أحد من الناس يرتقب ذلك له ولا يراه له ثم كان فى آخر الأمر أن قتل هذا الرجل الجليل فى [صفحة ٢٢٥] محرابه وقتل بنوه بعده وسبى حريمه ونساؤه وتبع أهله وبنو عمه بالقتل والطرده والتشريد والسجون مع فضلهم وزهدهم وعبادتهم وسخائهم وانتفاع الخلق بهم فهل يمكن ألا يتعصب البشر كلهم مع هذا الشخص وهل تستطيع القلوب ألا تحبه وتهواه وتذوب فيه وتفنى فى عشقه انتصارا له وحمية من أجله وأنفة مما ناله وامتعاضا مما جرى عليه وهذا أمر مركوز فى الطبائع ومخلوق فى الغرائز كما يشاهد الناس على الجرف إنسانا قد وقع فى الماء العميق وهو لا يحسن السباحة فإنهم بالطبع البشرى يرقون عليه رقة شديدة وقد يلقى قوم منهم أنفسهم فى الماء نحوه يطلبون تخليصه لا يتوقعون على ذلك مجازاة منه بمال أو شكر ولا ثوبا فى الآخرة فقد يكون منهم من لا يعتقد أمر الآخرة ولكنها رقة بشرية و كان الواحد منهم يتخيل فى نفسه أنه ذلك الغريق فكما يطلب خلاص نفسه لو كان هذا الغريق كذلك يطلب تخليص من هو فى تلك الحال الصعبة للمشاركة الجنسية وكذلك لو أن ملكا ظلم أهل بلد من بلاده ظلما عنيفا لكان أهل ذلك البلد يتعصب بعضهم لبعض فى الانتصار من ذلك الملك والاستعداد عليه فلو كان من جملتهم رجل عظيم القدر جليل الشأن قد ظلمه الملك أكثر من ظلمه إياهم وأخذ أمواله وضياعه وقتل أولاده وأهله كان لياذهم به وانضواؤهم إليه واجتماعهم والتفافهم به أعظم وأعظم لأن الطبيعة البشرية تدعو إلى ذلك على سبيل الإيجاب الاضطرارى ولا يستطيع الإنسان منه امتناعا. وهذا محصول قول النقيب أبى جعفر رحمه الله قد حكيته والألفاظ لى والمعنى له لأننى لا أحفظ الآن ألفاظه بعينها إلا أن هذا هو كان معنى قوله وفجواه رحمه الله و كان لا يعتقد فى الصحابة ما يعتقد أكثر الإمامية فيهم ويسفه رأى من يذهب فيهم إلى النفاق والتكفير و كان يقول حكمهم حكم مسلم مؤمن عصى فى بعض الأفعال وخالف الأمر فحكمه إلى الله إن شاء آخذه وإن شاء غفر له . [صفحة ٢٢٦] قلت له مرة أفتقول أنهما من أهل الجنة فقال إى والله أعتقد ذلك لأنهما إما أن يعفو الله تعالى عنهما ابتداء أو بشفاعة الرسول ص أو بشفاعة على ع

أويؤاخذهما بعقاب أو عتاب ثم ينقلهما إلى الجنة لا أستريب في ذلك أصلا ولا أشك في إيمانهما برسول الله ص وصحة عقيدتهما. فقلت له فعثمان قال وكذلك عثمان ثم قال رحم الله عثمان وهل كان إلا واحدا منا وغصنا من شجرة عبد مناف ولكن أهله كدروه علينا وأوقعوا العداوة والبغضاء بينه وبيننا. قلت له فيلزمك على ماتراه في أمر هؤلاء أن تجوز دخول معاوية الجنة لأنه لم تكن منه إلا المخالفة وترك امتثال أمر النبوى. فقال كلا إن معاوية من أهل النار لا لمخالفته عليا ولا بمحاربتة إياه ولكن عقيدته لم تكن صحيحة ولا إيمانه حقا و كان من رءوس المنافقين هو وأبوه و لم يسلم قلبه قط وإنما أسلم لسانه و كان يذكر من حديث معاوية و من فلتات قوله و ما حفظ عنه من كلام يقتضى فساد العقيدة شيئا كثيرا ليس هذا موضعه فأذكره . و قال لى مرة حاش لله أن يثبت معاوية فى جريدة الشيخين الفاضلين أبى بكر وعمر و الله ما هما إلا كالذهب الإبريز و لامعاوية إلا كالدرهم الزائف أو قال كالدرهم القسى ثم قال لى فما يقول أصحابكم فيهما قلت أما الذى استقر عليه رأى المعتزلة بعد اختلاف كثير بين قدمائهم فى التفضيل وغيره أن عليا ع أفضل الجماعة وأنهم تركوا الأفضل لمصلحة رأوها و أنه لم يكن هناك نص يقطع العذر وإنما كانت إشارة وإيماء لا يتضمن شىء منها صريح النص و إن عليا ع نازع ثم بايع [صفحة ٢٢٧] وجمع ثم استجاب و لو أقام على الامتناع لم نقل بصحة البيعة و لا بلزومها و لو جرد السيف كما جرده فى آخر الأمر لقلنا بفسق كل من خالفه على الإطلاق كائنا من كان ولكنه رضى بالبيعة أخيرا ودخل فى الطاعة. وبالجملة أصحابنا يقولون إن الأمر كان له و كان هو المستحق والمتعين فإن شاء أخذه لنفسه و إن شاء و لاه غيره فلما رأيناه قد وافق على ولاية غيره اتبعناه ورضينا بما رضى فقال قدبقى بينى وبينكم قليل أنا أذهب إلى النص وأنتم لا تذهبون إليه . فقلت له إنه لم يثبت النص عندنا بطريق يوجب العلم و ماتذكرونه أنتم صريحا فأنتم تنفردون بنقله و ماعدا ذلك من الأخبار التى نشارككم فيها فلها تأويلات معلومة. فقال لى و هو ضجر يافلان لو فتحنا باب التأويلات لجاز أن يتناول قولنا لا إله إلا الله محمد رسول الله دعنى من التأويلات الباردة التى تعلم القلوب والنفوس أنها غير مرادة و أن المتكلمين تكلفوها وتعسفوها فإنما أنا و أنت فى الدار و لا ثالث لنا فيستحى أحدنا من صاحبه أو يخافه . فلما بلغنا إلى هذا الموضوع دخل قوم ممن كان يخشاه فتركنا ذلك الأسلوب من الحديث وخضنا فى غيره

سياسة على ومعاوية وإيراد كلام للجاحظ فى ذلك

فأما القول فى سياسة معاوية و أن شناه على ع ومبغضيه زعموا أنها خير من سياسة أمير المؤمنين فيكفينا فى الكلام على ذلك مقاله شيخنا أبو عثمان ونحن نحكيه بألفاظه . [صفحة ٢٢٨] قال أبو عثمان وربما رأيت بعض من يظن بنفسه العقل والتحصيل والفهم والتمييز و هو من العامة ويظن أنه من الخاصة يزعم أن معاوية كان أبعد غورا وأصح فكرا وأجود روية وأبعد غاية وأدق مسلكا و ليس الأمر كذلك وسأرمى إليك بجملة تعرف بها موضع غلظه والمكان الذى دخل عليه الخطأ من قبله . كان على ع لا يستعمل فى حربه إلا ما وافق الكتاب والسنة و كان معاوية يستعمل خلاف الكتاب والسنة كما يستعمل الكتاب والسنة ويستعمل جميع المكاييد حلالها وحرامها ويسير فى الحرب بسيرة ملك الهند إذا لاقى كسرى وخاقان إذا لاقى رتبيل و على ع يقول لا تبدءوهم بالقتال حتى يبدءوكم و لا تتبعوا مدبرا و لا تجهزوا على جريح و لا تفتحوا بابا مغلقا هذه سيرته فى ذى الكلاع و فى أبى الأعور السلمى و فى عمرو بن العاص و حبيب بن مسلمة و فى جميع الرؤساء كسيرته فى الحاشية والحشو والأتباع والسفلة وأصحاب الحروب إن قدروا على البيات بيتوا و إن قدروا على رضخ الجميع بالجنادل وهم نيام فعلوا و إن أمكن ذلك فى طرفة عين لم يؤخروه إلى ساعة و إن كان الحرق أعجل من الغرق لم يقتصروا على الغرق و لم يؤخروا الحرق إلى وقت الغرق و إن أمكن الهدم لم يتكلفوا الحصار و لم يدعوا أن ينصبوا المجانيق والعرادات والنقب والتسريب والدبابات والكمين و لم يدعوا

دس السموم ولاالتضريب بين الناس بالكذب وطرح [صفحہ ۲۲۹] الكتب في عساكرهم بالسعايات وتوهيم الأمور وإيحاش بعض من بعض وقتلهم بكل آله وحيله كيف وقع القتل وكيف دارت بهم الحال فمن اقتصر حفظك الله من التدبير على ما في الكتاب والسنة كان قد منع نفسه الطويل العريض من التدبير و ما لايتناهى من المكاييد والكذب حفظك الله أكثر من الصدق والحرام أكثر عددا من الحلال و لوسمى إنسانا إنسانا باسمه لكان قد صدق و ليس له اسم غيره و لو قال هو شيطان أو كلب أو حمار أو شاة أو بغير أو كل ماخطر على البال لكان كاذبا في ذلك وكذلك الإيمان والكفر وكذلك الطاعة والمعصية وكذلك الحق والباطل وكذلك السقم والصحة وكذلك الخطأ والصواب فعلى ع كان ملجما بالورع عن جميع القول إلا ما هو لله عز و جل رضا وممنوع اليدين من كل بطش إلا ما هو لله رضا و لا يرى الرضا إلا فيما يرضاه الله ويحبه و لا يرى الرضا إلا فيما دل عليه الكتاب والسنة دون مايعول عليه أصحاب الدهاء والنكراء والمكاييد والآراء فلما أبصرت العوام كثرة نوادر معاوية في المكاييد وكثرة غرائب في الخداع و ماتفق له وتهيا على يده و لم يرو ذلك من على ع ظنوا بقصر عقولهم وقله علومهم أن ذاك من رجحان عند معاوية ونقصان عند على ع فانظر بعد هذا كله هل يعد له من الخدع إلارفع المصاحف ثم انظر هل خدع بها إلا من عصى رأى على ع وخالف أمره . فإن زعمت أنه قال ماأراد من الاختلاف فقد صدقت و ليس في هذااختلفنا و لا عن غرارة أصحاب على ع وعجلتهم وتسرعهم وتنازعهم دفعنا وإنما كان قولنا في التميز بينهما في الدهاء والنكراء وصحة العقل والرأى والبزلاء على أنا لانصف الصالحين [صفحہ ۲۳۰] بالدهاء والنكراء لانقول ما كان أنكر أبابكر بن أبى قحافة و ما كان أنكر عمر بن الخطاب و لا يقول أحد عنده شىء من الخير كان رسول الله ص أدهى العرب والعجم وأنكر قريش وأمكر كنانة لأن هذه الكلمة إنما وضعت فى مديح أصحاب الأرب و من يتعمق فى الرأى فى توكيد الدنيا وزبرجها وتشديد أركانها فأما أصحاب الآخرة الذين يرون الناس لا يصلحون على تدبير البشر وإنما يصلحون على تدبير خالق البشر فإن هؤلاء لا يمدحون بالدهاء والنكراء و لم يمنعوا هذا إلا ليعطوا أفضل منه ألا ترى أن المغيرة بن شعبة و كان أحد الدهاء حين رد على عمرو بن العاص قوله فى عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص أحد الدهاء أيضا أنت كنت تفعل أو توهم عمر شيئا فيلقنه عنك مارأيت عمر مستخليا بأحد إلا رحمته كائنا من كان ذلك الرجل كان عمر و الله أعقل من أن يخدع وأفضل من أن يخدع و لم يذكره بالدهاء والنكراء هذا مع عجه بإضافة الناس ذلك إليه ولكنه قد علم أنه إذا أطلق على الأئمة الألفاظ التى لاتصلح فى أهل الطهارة كان ذلك غير مقبول منه فهذا هذا. وكذلك كان حكم قول معاوية للجميع أخرجوا إلينا قتلة عثمان ونحن لكم سلم فاجهد كل جهدك واستعن بمن شايحك إلى أن تتخلص إلى صواب رأى فى ذلك الوقت أضله على حتى تعلم أن معاوية خادع و أن عليا ع كان المخدوع . فإن قلت فقد بلغ ماأراد ونال ماأحب فهل رأيت كتابنا وضع إلا على أن عليا كان قدامتحن فى أصحابه و فى دهره بما لم يمتحن إمام قبله من الاختلاف والمنازعة والتشاح من الرئاسة والتسرع والعجلة وهل أتى ع إلا من هذا المكان أو لسننا قد فرغنا من هذا الأمر و قد علمنا أن ثلاثة نفر تواطوا على قتل ثلاثة نفر فانفرد ابن ملجم [صفحہ ۲۳۱] بالتماس ذلك من على ع وانفرد البرك الصريمى بالتماس ذلك من عمرو بن العاص وانفرد الآخر و هو عمرو بن بكر التميمى بالتماس ذلك من معاوية فكان من الاتفاق أو من الامتحان أن كان على من بينهم هوالمقتول . و فى قياس مذهبكم أن تزعموا أن سلامة عمرو ومعاوية إنما كانت بحزم منهما و أن قتل على ع إنما هو من تضييع منه فاذا قد تبين لكم أنه من الابتلاء والامتحان فى نفسه بخلاف الذى قد شاهدتموه فى عدوه فكل شىء سوى ذلك فإنما هو تبع للنفس . هذا آخر كلام أبى عثمان فى هذاالموضع و من تأمله بعين الإنصاف و لم يتبع الهوى علم صحة جميع ما ذكره و أن أمير المؤمنين دفع من اختلاف أصحابه وسوء طاعتهم له ولزومه سنن الشريعة ومنهج العدل وخروج معاوية وعمرو بن العاص عن قاعدة الشرع فى استماله الناس إليهم بالرغبة والرهبه إلى ما لم يدفع إليه غيره فلو لا أنه ع كان عارفا بوجوه السياسة وتدبير أمر السلطان والخلافة حاذقا فى ذلك لم يجتمع عليه إلا القليل من الناس

وهم أهل الآخرة خاصة الذين لاميل لهم إلى الدنيا فلما وجدناه دبر الأمر حين وليه واجتمع عليه من العساكر والأتباع ما يتجاوز العد والحصر وقاتل بهم أعداءه الذين حالهم حالهم فظفر في أكثر حروبه ووقف الأمر بينه وبين معاوية على سواء و كان هو الأظهر والأقرب إلى الانتصار علمنا أنه من معرفة تدبير الدول والسلطان بمكان مكين [صفحة ٢٣٢]

ذكر أقوال من طعن في سياسة علي والرد عليها

وقد تعلق من طعن في سياسته بأمر منها قولهم لو كان حين بويج له بالخلافه في المدينة أقر معاوية على الشام إلى أن يستقر الأمر له ويتوطد ويبيعه معاوية و أهل الشام ثم يعزله بعد ذلك لكان قد كفى ماجرى بينهما من الحرب . والجواب أن قرائن الأحوال حينئذ قد كان علم أمير المؤمنين ع منها أن معاوية لا يبايع له و إن أقره على ولاية الشام بل كان إقراره له على إمرة الشام أقوى لحال معاوية وأكد في الامتناع من البيعة لأنه لا يخلو صاحب السؤال إما أن يقول كان ينبغي أن يطالبه بالبيعة ويقرن إلى ذلك تقليده بالشام فيكون الأمران معا أو يتقدم منه ع المطالبة بالبيعة أو يتقدم منه إقراره على الشام وتتأخر المطالبة بالبيعة إلى وقت ثان فإن كان الأول فمن الممكن أن يقرأ معاوية على أهل الشام تقليده بالإمرة فيؤكد حاله عندهم ويقرر في أنفسهم لو لا أنه أهل لذلك لما اعتمده على ع معه ثم يماطله بالبيعة ويحاجزه عنها و إن كان الثاني فهو الذي فعله أمير المؤمنين ع و إن كان الثالث فهو كالقسم الأول بل هو أكد فيما يريده معاوية من الخلاف والعصيان وكيف يتوهم من يعرف السير أن معاوية كان يبايع له لو أقره على الشام وبينه وبينه ما لا تبرك الإبل عليه من الترات القديمة والأحقاد و هو الذي قتل حنظلة أخاه والوليد خاله وعتبه جده في مقام واحد ثم ماجرى بينهما في أيام عثمان حتى أغلظ كل واحد منهما لصاحبه و حتى تهدده معاوية و قال له إني شاخص إلى الشام وتارك عندك هذا الشيخ يعني عثمان و الله لئن [صفحة ٢٣٣] انحصت منه شعرة واحدة لأضربنك بمائة ألف سيف و قد ذكرنا شيئا مما جرى بينهما فيما تقدم . و أما قول ابن عباس له ع وله شهرا واعزله دهرًا و ما أشار به المغيرة بن شعبه فإنهما ماتوهما و ما غلب على ظنونهما و خطر بقلوبهما و على ع كان أعلم بحاله مع معاوية و أنها لا تقبل العلاج والتدبير وكيف يخطر ببال عارف بحال معاوية ونكره ودهائه و ما كان في نفسه من على ع من قتل عثمان و من قبل قتل عثمان أنه يقبل إقرار على ع له على الشام وينخدع بذلك ويبيع ويعطى صفقة يمينه إن معاوية لأدهى من أن يكاد بذلك و إن عليا ع لأعرف بمعاوية ممن ظن أنه لو استماله بإقراره لبايع له و لم يكن عند على ع دواء لهذا المرض إلا السيف لأن الحال إليه كانت تتول لامحالة فجعل الآخر أولا . و أنا أذكر في هذا الموضع خبرا رواه الزبير بن بكار في الموفقيات ليعلم من يقف عليه أن معاوية لم يكن لينجذب إلى طاعة على ع أبدا و لا يعطيه البيعة و أن مضادته له ومباينته إياه كمضادة السواد للبياض لا يجتمعان أبدا وكمباينة السلب للإيجاب فإنها مباينة لا يمكن زوالها أصلا قال الزبير حدثني محمد بن زكريا بن بسطام قال حدثني محمد بن يعقوب بن أبي الليث قال حدثني أحمد بن محمد بن الفضل بن يحيى المكي عن أبيه عن جده الفضل بن يحيى عن الحسن بن عبد الصمد عن قيس بن عرفة قال لما حصر عثمان أبرد مروان بن الحكم بخبره بريد بن أحدهما إلى الشام والآخر إلى اليمن و بهايومئذ يعلى بن منية و مع كل واحد منهما كتاب فيه أن بنى أمية في الناس كالشامة [صفحة ٢٣٤] الحمراء و أن الناس قد قعدوا لهم برأس كل محجة و على كل طريق فجعلوهم مرمى العر والعضيه و مقذف القشب والأفيكة و قد علمتم أنها لم تأت عثمان إلا كرها تجبذ من ورائها و إني خائف إن قتل أن تكون من بنى أمية بمناط الثريا إن لم نصر كرصيف الأساس المحكم و لئن وهى عمود البيت لتتداعين جدرانها و الذي عيب عليه إطعامكما الشام واليمن و لاشك أنكما تابعا إن لم تحذرا و أما أنافمساعف كل مستشير ومعين كل مستصرخ و مجيب كل داع أتوقع الفرصة فأثب و ثبه الفهد أبصر غفلة مقتنصة و لو لامخافة

عطب البريد وضياع الكتب لشرحت لكما من الأمر ما لاتفرعان معه إلى أن يحدث الأمر فجدا في طلب ما أنتما ولياه و على ذلك فليكن العمل إن شاء الله وكتب في آخره و ما بلغت عثمان حتى تخطمت || رجال ودانت للصغار رجال لقد رجعت عودا على بدء كونها || و إن لم تجدا فالمصير زوال سيدي مكنون الضمائر قولهم || ويظهر منهم بعدذاك فعال فإن تقعدا لاتطلبيا ماورثتما || فليس لنا طول الحياة مقال نعيش بدار الذل في كل بلدة || وتظهر منا كأبء وهزال . فلما ورد الكتاب على معاوية أذن في الناس الصلاة جامعة ثم خطبهم خطبة المستنصر المستصرخ . و في أثناء ذلك ورد عليه قبل أن يكتب الجواب كتاب مروان بقتل عثمان وكانت نسخته وهب الله لك أبا عبدالرحمن قوة العزم وصلاح النية و من عليك بمعرفة الحق واتباعه فإني كتبت إليك هذا الكتاب بعد قتل عثمان أمير المؤمنين [صفحة ٢٣٥] و أى قتله قتل نحر كما ينحر البعير الكبير عند اليأس من أن ينوء بالحمل بعد أن نقتب صفحته بطى المراحل وسير الهجير وإني معلمك من خبره غير مقصر ولامطيل إن القوم استطالوا مدته واستقلوا ناصره واستضعفوه فى بدنه وأملوا بقتله بسط أيديهم فيما كان قبضه عنهم واعصوبوا عليه فظل محاصرا قدم من صلاة الجماعة ورد المظالم والنظر فى أمور الرعية حتى كأنه هوفاعل لمافعلوه فلما دام ذلك أشرف عليهم فخوفهم الله وناشدهم وذكرهم مواعيد رسول الله ص له و قوله فيه فلم يجحدوا فضله و لم ينكروه ثم رموه بأباطيل اختلقوها ليجعلوا ذلك ذريعة إلى قتله فوعدهم التوبة مما كرهوا ووعدهم الرجعة إلى ما أحبوا فلم يقبلوا ذلك ونهبوا داره وانتهكوا حرمة ووثبوا عليه فسفكوا دمه وانقشعوا عنه انقشاع سحابة قد أفرغت ماءها منكفئين قبل ابن أبى طالب انكفاء الجراد إذا أبصر المرعى فأخلق بينى أمية أن يكونوا من هذا الأمر بمجرى العيوق إن لم يثأره ناثر فإن شئت أبا عبدالرحمن أن تكونه فكنه و السلام . فلما ورد الكتاب على معاوية أمر بجمع الناس ثم خطبهم خطبة أبكى منها العيون وقلقل القلوب حتى علت الرنة وارتفع الضجيج وهم النساء أن يتسلحن ثم كتب إلى طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعيد بن العاص و عبد الله بن عامر بن كريز والوليد بن عقبة ويعلى بن منية و هواسم أمه وإنما اسم أبيه أمية. فكان كتاب طلحة أما بعد فإنك أقل قريش فى قريش وترا مع صباحة وجهك وسماحة كفك وفصاحة لسانك فأنت يازاء من تقدمك فى السابقة وخامس المبشرين بالجنة و لك يوم أحد وشرفه وفضله فسارع رحمك الله إلى ماتقلدك الرعية من أمرها مما لا يسعك التخلف عنه ولا يرضى الله منك إلا بالقيام به فقد أحكمت لك الأمر [صفحة ٢٣٦] قبلى والزبير فغير متقدم عليك بفضل وأيكما قدم صاحبه فالمقدم الإمام والأمر من بعده للمقدم له سلك الله بك قصد المهتدين ووهب لك رشد الموقين و السلام . وكتب إلى الزبير أما بعد فإنك الزبير بن العوام بن أبى خديجة و ابن عمه رسول الله ص وحواريه وسلفه وصهر أبى بكر وفارس المسلمين و أنت البازل فى الله مهجته بمكة عند صيحة الشيطان بعثك المنبعث فخرجت كالثعبان المنسلخ بالسيف المنصلت تخبط خبط الجمل الرديع كل ذلك قوة إيمان وصدق يقين وسبقت لك من رسول الله ص البشارة بالجنة وجعلك عمر أحد المستخلفين على الأمة واعلم يا أبا عبد الله أن الرعية أصبحت كالغنم المتفرقة لغيبة الراعى فسارع رحمك الله إلى حقن الدماء و لم الشعث وجمع الكلمة وصلاح ذات البين قبل تفاقم الأمر وانتشار الأمة فقد أصبح الناس على شفا جرف هار عما قليل ينهار إن لم يرأب فشمم لتأليف الأمة وابتغ إلى ربك سبيلا فقد أحكمت الأمر على من قبلى لك ولصاحبك على أن الأمر للمقدم ثم لصاحبه من بعده وجعلك الله من أئمة الهدى و بغاء الخير والتقوى و السلام . وكتب إلى مروان بن الحكم أما بعد فقد وصل إلى كتابك بشرح خبر أمير المؤمنين و ما ركبوه به ونالوه منه جهلا بالله وجراءة عليه واستخفافا بحقه ولأمانى لوح الشيطان بها فى شرك الباطل ليدهدهم فى أهويات الفتن ووهادات الضلال ولعمري لقد صدق عليهم ظنه ولقد اقتنصهم بأنشوطه فحه فعلى رسلك أبا عبد الله يمشى الهوينى و يكون أولا فإذا قرأت كتابى هذا فكن كالفهد لا يصطاد إلا غيلة و لا يتشازر إلا عن حيلة [صفحة ٢٣٧] وكالثعلب لا يفلت إلا روغانا وأخف نفسك منهم إخفاء القنفذ رأسه عند لمس الألف وامتحن نفسك امتهان من ييأس القوم من نصره وانتصاره وبحث عن أمورهم بحث الدجاجة عن حب

الدخن عندفقاها وأنغل الحجاز فإني منغل الشام و السلام . وكتب إلى سعيد بن العاص أما بعد فإن كتاب مروان ورد على من ساعه وقعت النازلة تقبل به البرد بسير المطى الوجيف تتوجس توجس الحية الذكر خوف ضربه الفأس وقبضة الحاوى ومروان الرائد لا يكذب أهله فعلايم الإفكاك يا ابن العاص ولات حين مناص ذلك أنكم يابني أمية عما قليل تسألون أدنى العيش من أبعد المسافة فينكركم من كان منكم عارفا ويصد عنكم من كان لكم واصلا متفرقين فى الشعبا تتمنون لمظة المعاش إن أمير المؤمنين عتب عليه فيكم وقتل فى سبيلكم فقيم القعود عن نصرته والطلب بدمه وأنتم بنو أبيه ذوو رحمة وأقربوه وطلاب ثاره أصبحتم متمسكين بشطف معاش زهيد عما قليل ينزع منكم عندالتخاذل وضعف القوى فإذاقرأت كتابي هذا فادب ديب البرء فى الجسد النحيف وسر سير النجوم تحت الغمام واحشد حشد الذرة فى الصيف لانجحارها فى الصرد فقد أيدتكم بأسد وتيم وكتب فى الكتاب تالله لا يذهب شيخى باطلا || حتى أبير مالكا وكاهلا [صفحہ ۲۳۸] القاتلين الملك الحلالا || خير معد حسبا وناثلا . وكتب إلى عبد الله بن عامر أما بعد فإن المنبر مركب ذلول سهل الرياضة لا ينازعك اللجام وهيئات ذلك إلا بعدركوب أثباج المهالك واقتحام أمواج المعاطب وكأنى بكم يابني أمية شعارير كالأوارك تقودها الحداء أو كرخم الخندمة تذرق خوف العقاب فثب الآن رحمك الله قبل أن يستشرى الفساد وندب السوط جديد والجرح لمايندمل و من قبل استضراء الأسد والتقاء لحييه على فريسته وساور الأمر مساورة الذئب الأطلس كسيرة القطيع ونازل الرأى وانصب الشرك وارم عن تمكن وضع الهناء مواضع النقب واجعل أكبر عدتك الحذر وأحد سلاحك التحريض واغض عن العوراء وسامح اللجوج واستعطف الشارد ولاين الأشوس وقو عزم المرید وبادر العقبة وازحف زحف الحية واسبق قبل أن تسبق وقم قبل أن يقام لك واعلم أنك غير متروك ولا مهمل فإني لكم ناصح أمين و السلام . وكتب فى أسفل الكتاب [صفحہ ۲۳۹] عليك سلام الله قيس بن عاصم || ورحمته ماشاء أن يترحما تحية من أهدى السلام لأهله || إذاشط دارا عن مزارك سلما فما كان قيس هللكه هلك واحد || ولكنه بنیان قوم تهدما . وكتب إلى الوليد بن عقبه يا ابن عقبه كن الجيش وطيب العيش أطيب من سفح سموم الجوزاء عنداعتدال الشمس فى أفقها إن عثمان أخاك أصبح بعيدا منك فاطلب لنفسك ظلا تستكن به إنى أراك على التراب رقودا وكيف بالرقاد بك لارقاد لك فلو قداستتب هذا الأمر لمريده ألفت كشرید النعام يفزع من ظل الطائر و عن قليل تشرب الرنق وتستشعر الخوف أراك فسيح الصدر مسترخى اللب رخو الحزام قليل الاكتراث و عن قليل يجث أصلك و السلام . وكتب فى آخر الكتاب اخترت نومك أن هبت شامية || عندالهجير وشربا بالعشيات على طلابك ثارا من بنى حكم || هيهات من راقد طلاب ثارات . وكتب إلى يعلى بن أمية حاطك الله بكلاءته وأيدك بتوفيقه كتبت إليك صبيحة ورد على كتاب مروان بخبر قتل أمير المؤمنين وشرح الحال فيه و إن أمير المؤمنين طال به العمر حتى نقصت قواه وثقلت نهضته وظهرت الرعشة فى أعضائه فلما رأى ذلك أقوام لم يكونوا عنده موضعا للإمامة والأمانة وتقليد الولاية وثبوا به وألبوا عليه فكان أعظم مانقموا عليه وعابوه به ولايتك اليمن وطول مدتك عليها ثم ترامى بهم الأمر حالا بعدحال [صفحہ ۲۴۰] حتى ذبحوه ذبح النطيحة مبادرا بهاالفوت وهو مع ذلك صائم معانق المصحف يتلو كتاب الله فيه عظمت مصيبة الإسلام بصهر الرسول والإمام المقتول على غير جرم سفكوا دمه وانتهكوا حرمة و أنت تعلم أن بيعته فى أعناقنا وطلب ثاره لازم لنا فلاخير فى دنيا تعدل بنا عن الحق ولا فى إمرة توردنا النار و إن الله جل ثناؤه لا يرضى بالتعذير فى دينه فشمرد لدخول العراق . فأما الشام فقد كفيتك أهلها وأحكمت أمرها و قد كتبت إلى طلحة بن عبيد الله أن يلقاك بمكة حتى يجتمع رأيكما على إظهار الدعوة والطلب بدم عثمان أمير المؤمنين المظلوم وكتبت إلى عبد الله بن عامر يمهد لكم العراق ويسهل لكم حزونة عقابها . واعلم يا ابن أمية أن القوم قاصدوك بادئ بدء لاستنطاف ماحوته يداك من المال فاعلم ذلك واعمل على حسبه إن شاء الله . وكتب فى أسفل الكتاب ظل الخليفة محصورا يناشدهم || بالله طورا وبالقرآن أحيانا وقد تألف أقوام على حنق || عن غير جرم وقالوا فيه بهتانا فقام يذكرهم وعد

الرسول له || وقوله فيه إسرارا وإعلانا فقال كفوا فإنى معتب لكم || وصارف عنكم يعلى ومروانا فكذبوا ذاك منه ثم ساوره || من حاض لبته ظلما وعدوانا . قال فكتب إليه مروان جوابا عن كتابه أما بعد فقد وصل كتابك فنعم كتاب زعيم العشيـرة وحمى الذمار وأخبرك [صفحـه ٢٤١] أن القوم على سنن استقامة إلا شظايا شعب شتت بينهم مقولى على غير مجابـهه حسب ماتقدم من أمرك وإنما كان ذلك رسيس العصاة ورمى أخدر من أغصان الدوحه ولقد طويت أديمهم على نغل يحلم منه الجلد كذبت نفس الظان بنا ترك المظلمه وحب الهجوع إلا تهويمه الراكب العجل حتى تجذ جماجم وجماجم جذ العراجين المهـدله حين إيناعها وأنا على صحه نيتى وقوه عزيـمتى وتحريك الرحم لى وغليان الدم منى غير سابقك بقول ولا متقدمك بفعل وأنت ابن حرب طلاب الترات وأبى الضيم . وكتابى إليك وأنا كحرباء السبب فى الهجير ترقب عين الغزاة وكالسبع المفـلت من الشرك يفرق من صوت نفسه منتظرا لما تصح به عزيـمتك ويرد به أمرك فيكون العمل به والمحتذى عليه . وكتب فى أسفل الكتاب أيقـتل عثمان وترقا دموعنا || ونرقد هذا الليل لا نتفزع ونشرب برد الماء ربا و قدمضى || على ظمأ يتلو القرآن ويركع فإنى و من حج الملبون بيته || وطافوا به سعيـا وذو العرش يسمع سأمع نفسى كل ما فيه لذه || من العيش حتى لا يرى فيه مطمع وأقتل بالمظلوم من كان ظالما || وذلك حكم الله ما عنه مدفع . وكتب إليه عبد الله بن عامر [صفحـه ٢٤٢] أما بعد فإن أمير المؤمنين كان لنا الجناح الحاضنه تأوى إليها فراخها تحتها فلما أفضده السهم صرنا كالنعام الشارد ولقد كنت مشترك الفكر ضال الفهم ألتمس دريئه أستجن بها من خطأ الحوادث حتى وقع إلى كتابك فانتبـهت من غفله طال فيهارقـادى فأنا كواجـد المحجـه كان إلى جانبها حائرا وكأنى أعاين ما وصفت من تصرف الأحوال . و الذى أخبرك به أن الناس فى هذا الأمر تسعه لك وواحد عليك و والله للموت فى طلب العز أحسن من الحياه فى الذله وأنت ابن حرب فتى الحروب ونضار بنى عبد شمس والهـمم بك منوطه وأنت منهضها فإذا نهضت فليس حين قعود وأنا اليوم على خلاف ما كانت عليه عزيـمتى من طلب العافيه وحب السلامه قبل قرعك سويداء القلب بسوط الملام ولنعم مؤدب العشيـرة أنت وإنا لـنرجوك بعد عثمان وها أنا متوقع ما يكون منك لأمثله وأعمل عليه إن شاء الله . وكتب فى أسفل الكتاب لـاخير فى العيش فى ذل ومنقصه || والموت أحسن من ضيم و من عار إنا بنو عبد شمس معشر أنف || غر جـاحجه طلاب أوتار و الله لو كان ذميا مجاورنا || ليطلب العز لم نـقعد عن الجار فكيف عثمان لم يـدفن بمزبله || على القمامه مطروحا بهاعار فازحف إلى فإنى زاحف لهم || بكل أبيض ماضى الحد بتار . وكتب إليه الوليد بن عقبه أما بعد فإنك أسد قريش عقلا وأحسنهم فهما وأصوبهم رأيا معك حسن [صفحـه ٢٤٣] السياسه و أنت موضع الرئاسه تورـد بمعرفه وتصدر عن منهل روى مناوئك كالمنقلب من العيوق يهوى به عاصف الشمال إلى لجه البحر. كتبت إلى تذكـر طيب الخيش ولين العيش فملء بطنى على حرام إلامسكه الرمق حتى أفرى أوداج قتله عثمان فرى الأهب بشبـاه السفار و أما اللين فهيهات إلا خيفه المرتقب يرتقب غفله الطالب إنا على مداجاة و لماتبد صفحاتنا بعد و ليس دون الدم بالدم مزحل إن العار منقصه والضعف ذل أـيـخبط قتله عثمان زهره الحياه الدنيا ويسقون برد المعين و لما يمتطوا الخوف ويستحلـسوا الحذر بعد مسافه الطرد وامتطاء العقبه الكنود فى الرحله لادعيت لعقبه إن كان ذلك حتى أنصب لهم حربا تضع الحوامل لها أطفالها قد ألوت بنا المسافه ووردنا حياض المنايا و قد عقلت نفسى على الموت عقل البعير واحتسبت أنى ثانى عثمان أو أقتل قاتله فعجل على ما يكون من رأيك إنا منوطون بك متبعون عقبك و لم أحسب الحال تتراخى بك إلى هذه الغايه لما أخافه من إحكام القوم أمرهم وكتب فى أسفل الكتاب نومي على محرم إن لم أقم || بدم ابن أمى من بنى العلات قامت على إذا قعدت و لم أقم || بطلايب ذاك مناحه الأموات عذبت حياض الموت عندى بعد ما || كانت كريحه مورد النهلات . وكتب إليه يعلى بن أميه [صفحـه ٢٤٤] إنا وأنتم يابنى أميه كالحجر لا يبنى بغير مدر و كالسيف لا يقطع إلا بضاربه . وصل كتابك بخبر القوم وحالهم فلئن كانوا ذبحوه ذبح النطيحه بودر بها الموت لينحرن ذابحه نحر البدنه وافى بها الهدى الأجل

ثكلتني من أنا بنها إن نمت عن طلب وتر عثمان أويقال لم يبق فيه رمق إني أرى العيش بعد قتل عثمان مرا إن أدلج القوم فإني مدلج و أما قصدهم ماحوته يدي من المال فالمال أيسر مفقود إن دفعوا إلينا قتله عثمان و إن أبوا ذلك أنفقنا المال على قتالهم و إن لنا ولهم لمعركة نتناحر فيها نحر القدار النقائق عن قليل تصل لحومها. وكتب في أسفل الكتاب لمثل هذا اليوم أوصى الناس || لاتعط ضيما أويخر الراس . قال فكل هؤلاء كتبوا إلى معاوية يحرضونه ويغرونه ويحركونه ويهيجونه لإسعيد بن العاص فإنه كتب بخلاف ما كتب به هؤلاء كان كتابه أما بعد فإن الحزم في الثبوت والخطأ في العجلة والشؤم في البدار والسهم سهمك ما لم ينبض به الوتر ولن يرد الحالب في الضرع اللين ذكرت حق أمير المؤمنين علينا وقرابتنا منه و أنه قتل فينا فخصلتان ذكرهما نقص والثالثة تكذب وأمرتنا بطلب دم عثمان فأى جهة تسلك فيها أبا عبدالرحمن ردمت الفجاج وأحكم الأمر عليك وولى زمامه غيرك فدع مناوأة من لو كان افترش فراشه صدر الأمر لم يعدل به غيره و قلت كأننا عن قليل لانتعارف فهل نحن إلاحي من قريش إن لم تنلنا الولاية لم يضق عنا الحق إنها خلافة منافية وباللله أقسم قسما مبرورا لئن صحت عزيمتك على [صفحة ٢٤٥] ماورد به كتابك لألفينك بين الحالين طليحا وهبني إخالك بعد خوض الدماء تنال الظفر هل في ذلك عوض من ركوب المأثم ونقص الدين . أما أنا فلا على بنى أمية و لالههم أجعل الحزم دارى والبيت سجنى وأتوسد الإسلام وأستشعر العافية فاعدل أبا عبدالرحمن زمام راحلتك إلى محجة الحق واستوهب العافية لأهلك واستعطف الناس على قومك وهيهات من قبولك ما أقول حتى يفجر مروان يبايع الفتن تأجج في البلاد وكأنى بكما عند ملاقاء الأبطال تعتذران بالقدر ولبس العاقبة الندامة وعماقيل يضح لك الأمر و السلام . هذا آخر ماتكاتب القوم به و من وقف عليه علم أن الحال لم يكن حالا يقبل العلاج والتدبير و أنه لم يكن بد من السيف و أن عليا ع كان أعرف بما عمل . وقد أجاب ابن سنان في كتابه الذى سماه العادل عن هذا السؤال فقال قد علم الناس كافة أنه ع فى قصة الشورى عرض عليه عبدالرحمن بن عوف أن يعقد له الخلافة على أن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة أبى بكر وعمر فلم يستجب إلى ذلك و قال بل على أن أعمل بكتاب الله وسنة رسوله وأجته رأيى . وقد اختلف الناس فى ذلك فقالت الشيعة إنما لم يدخل تحت الشرط لأنه لم يستصوب سيرتهما و قال غيرهم إنما امتنع لأنه مجتهد والمجتهد لا يقلد المجتهد فأيهما أقرب على القولين جميعا إثما وأيسر وزرا أن يقر معاوية على ولاية الشام مدة إلى أن تتوطد خلافته مع مظاهر من جور معاوية وعداوته ومد يده إلى الأموال والدماء أيام سلطانه أو أن يعاهد عبدالرحمن على العمل بسيرة أبى بكر وعمر ثم يخالف بعض أحكامها إذا استقر الأمر له ووقع العقد و لا ريب أن أحدا لا يخفى عليه فضل ما بين [صفحة ٢٤٦] الموضوعين وفضل ما بين الإثمين فمن لا يجيب إلى الخلافة والاستيلاء على جميع بلاد الإسلام إذا تسمح بلفظة يتلفظ بها يجوز أن يتأولها أويورى فيها كيف يستجيب إلى إقرار الجائر وتقوية يده مع تمكينه فى سلطانه لتحصل له طاعة أهل الشام واستضافة طرف من الأطراف وكان معنى قول القائل هلا أقر معاوية على الشام هو هلا كان ع متهاونا بأمر الدين راغبا فى تشديد أمر الدنيا . والجواب عن هذا ظاهر وجهل السائل عنه واضح . واعلم أن حقيقة الجواب هو أن عليا ع كان لا يرى مخالفة الشرع لأجل السياسة سواء أكانت تلك السياسة دينية أودنيوية أما الدنيوية فنحو أن يتوهم الإمام فى إنسان أنه يروم فساد خلافته من غير أن يثبت ذلك عليه يقينا فإن عليا ع لم يكن يستحل قتله و لاجسه و لا يعمل بالتوهم وبالقول غير المحقق و أما الدنيوية فنحو ضرب المتهم بالسرقة فإنه أيضا لم يكن يعمل به بل يقول إن يثبت عليه بإقرار أويينة أقتت عليه الحد و إلا لم أعترضه و غير على ع قد كان منهم من يرى خلاف هذا الرأى ومذهب مالك بن أنس العمل على المصالح المرسله و أنه يجوز للإمام أن يقتل ثلث الأمة لإصلاح الثلثين ومذهب أكثر الناس أنه يجوز العمل بالرأى وبغالب الظن و إذا كان مذهبه ع ماقلناه و كان معاوية عنده فاسقا و قد سبق عنده مقدمة أخرى يقينية هى أن استعمال الفاسق لا يجوز و لم يكن ممن يرى تمهيد قاعدة الخلافة بمخالفة الشريعة فقد تعين مجاهرته بالعزل و إن أفضى ذلك إلى الحرب . فهذا هو الجواب الحقيقى و لو لم يكن هذا هو الجواب الحقيقى لكان لقائل

أن [صفحہ ۲۴۷] يقول لابن سنان القول في عدوله عن الدخول تحت شرط عبدالرحمن كالقول في عدوله عن إقرار معاوية على الشام فإن من ذهب إلى تغليطه في أحد الموضوعين له أن يذهب إلى تغليطه في الموضوع الآخر. قال ابن سنان وجواب آخر وهو أنا قد علمنا أن أحد الأحداث التي نقتت على عثمان وأفضت بالمسلمين إلى حصاره وقتله تولية معاوية الشام مع مظهر من جوره وعدوانه ومخالفة أحكام الدين في سلطانه وقد خوطب عثمان في ذلك فاعتذر بأن عمر ولاه قبله فلم يقبل المسلمون عذره ولا قنعوا منه إلا بعزله حتى أفضى الأمر إلى ما أفضى و كان على ع من أكثر المسلمين لذلك كراهية وأعرفهم بما فيه من الفساد في الدين. فلو أنه ع افتتح عقد الخلافة له بتوليته معاوية الشام وإقراره فيه أليس كان يتدئ في أول أمره بما انتهى إليه عثمان في آخره فأفضى إلى خلعه وقتله و لو كان ذلك في حكم الشريعة سائغا والوزر فيه مأمونا لكان غلطا قبيحا في السياسة وسببا قويا للعصيان والمخالفة و لم يكن يمكنه ع أن يقول للمسلمين إن حقيقة رأيي عزل معاوية عند استقرار الأمر وطاعة الجمهور لي و إن قصدي بإقراره على الولاية مخادعته وتعجيل طاعته ومبايعة الأجناد الذين قبله ثم أستأنف بعد ذلك فيه ما يستحقه من العزل وأعمل فيه بموجب العدل لأن إظهاره ع لهذا العزم كان يتصل خبره بمعاوية فيفسد التدبير الذي شرع فيه وينتقض الرأي الذي عول عليه . ومنها قولهم إنه ترك طلحة والزبير حتى خرجا إلى مكة وأذن لهما في العمرة وذهب عنه الرأي في ارتباطهما قبله ومنعهما من البعد عنه . [صفحہ ۲۴۸] والجواب عنه أنه قد اختلف الرواة في خروج طلحة والزبير من المدينة هل كان ياذن على ع أم لا فمن قال إنهما خرجا عن غير إذنه ولا علمه فسؤاله ساقط و من قال إنهما استأذناه في العمرة وأذن لهما فقد روى أنه قال و الله ماتريدان العمرة وإنما تريدان الغدرة وخوفهما بالله من التسرع إلى الفتنة و ما كان يجوز له في الشرع أن يجسهما ولا في السياسة أما في الشرع فلأنه محظور أن يعاقب الإنسان بما لم يفعل و على ما يظن منه ويجوز ألا يقع و أما في السياسة فلأنه لو أظهر التهمة لهما وهما من أفضل السابقين و جلة المهاجرين لكان في ذلك من التنفير عنه ما لا يخفى و من الطعن عليه ما هو معلوم بأن يقال إنه ليس من إمامته على ثقة فلذلك يتهم الرؤساء و لا يأمن الفضلاء لاسيما وطلحة كان أول من بايعه والزبير لم يزل مشتهرا بنصرته فلو حبسهما وأظهر الشك فيهما لم يسكن أحد إلى جهته ولنفر الناس كلهم عن طاعته . فإن قالوا فهلا استصلحهما وولاهما وارتبطهما بالإجابة إلى أغراضهما قيل لهم فحوى هذا أنكم تطلبون من أمير المؤمنين ع أن يكون في الإمامة مغلوبا على رأيه مفتاتا عليه في تدبيره فيقر معاوية على ولاية الشام غصبا ويولى طلحة والزبير مصر والعراق كرها و هذا شيء مادخل تحته أحد ممن قبله و لارضوا أن يكون لهم من الإمامة الاسم و من الخلافة اللفظ ولقد حورب عثمان وحصر على أن يعزل بعض ولاته فلم يجب إلى ذلك فكيف تسومون عليا ع أن يفتتح أمره بهذه الدنية ويرضى بالدخول تحت هذه الخطئة و هذا ظاهر. ومنها تعلقهم بتولية أمير المؤمنين ع محمد بن أبي بكر مصر وعزله قيس بن سعد عنها حتى قتل محمد بها واستولى معاوية عليها. [صفحہ ۲۴۹] والجواب أنه ليس يمكن أن يقال إن محمدا رحمه الله لم يكن بأهل لولاية مصر لأنه كان شجاعا زاهدا فاضلا صحيح العقل والرأى و كان مع ذلك من المخلصين في محبة أمير المؤمنين ع والمجتهدين في طاعته وممن لا يتهم عليه ولا يرتاب بنصحه و هوربيبه وخريجه ويجرى مجرى أحد أولاده ع لتربيته له وإشفاقه عليه . ثم كان المصريون على غاية المحبة له والإيثار لولايته و لما حاصروا عثمان وطالبوه بعزل عبد الله بن سعد بن أبي سرح عنهم اقترحوا تأمير محمد بن أبي بكر عليهم فكتب له عثمان بالعهد على مصر وصار مع المصريين حتى تعقبه كتاب عثمان إلى عبد الله بن سعد في أمره وأمر المصريين بما هو معروف فعادوا جميعا و كان من قتل عثمان ما كان فلم يكن ظاهر الرأي ووجه التدبير لإتولية محمد بن أبي بكر على مصر لم يظهر من ميل المصريين إليه وإيثارهم له واستحقاقه لذلك بتكامل خصال الفضل فيه فكان الظن قويا باتفاق الرعية على طاعته وانقيادهم إلى نصرته واجتماعهم على محبته فكان من فساد الأمر واضطرابه عليه حتى كان ما كان و ليس ذلك يعيب على أمير المؤمنين ع فإن الأمور إنما يعتمدها الإمام على حسب ما يظن فيها من المصلحة و لا يعلم الغيب إلا الله

تعالى . و قدولى رسول الله ص فى مؤتة جعفرًا فقتل وولى زيدا فقتل وولى عبد الله بن رواحة فقتل وهزم الجيش وعاد من عاد منهم إلى المدينة بأسوا حال فهل لأحد أن يعيب رسول الله ص بهذا ويطعن فى تدبيره . ومنها قولهم إن جماعة من أصحابه ع فارقوه وصاروا إلى معاوية كعقيل بن أبى طالب أخيه والنجاشى شاعره ورقبة بن مصقلة أحد الوجوه من أصحابه و لو لا أنه [صفحہ ۲۵۰] كان يوحشهم و لا يستميلهم لم يفارقوه ويصيروا إلى عدوه و هذا يخالف حكم السياسة و ما يجب من تألف قلوب الأصحاب والرعية . والجواب أناولا لانكر أن يكون كل من رغب فى حطام الدنيا وزخرفها وأحب العاجل من ملاذها وزينتها يميل إلى معاوية الذى يبذل منها كل مطلوب ويسمح بكل مأمول ويطعم خراج مصر عمرو بن العاص ويضمن لذى الكلاع وحيب بن مسلمة ما يوفى على الرجاء والاقتراح و على ع لا يعدل فيما هو أمين عليه من مال المسلمين عن قضية الشريعة وحكم الملة حتى يقول خالد بن معمر السدوسى لعلاء بن الهيثم و هو يحمله على مفارقة على ع واللحاق بمعاوية اتق الله يا علماء فى عشيرتك وانظر لنفسك ولرحمك ماذا تؤمل عند رجل أردته على أن يزيد فى عطاء الحسن و الحسين دريهمات يسيرة ريثما يرأبان بهاذلف عيشهما فأبى و غضب فلم يفعل . فأما عقيل فالصحيح الذى اجتمع ثقات الرواة عليه أنه لم يجتمع مع معاوية إلا بعد وفاة أمير المؤمنين ع ولكنه لازم المدينة و لم يحضر حرب الجمل وصفين و كان ذلك بإذن أمير المؤمنين ع و قد كتب عقيل إليه بعد الحكمين يستأذنه فى القدوم عليه الكوفة بولده و بقيه أهله فأمره ع بالمقام و قدروى فى خبر مشهور أن معاوية وبخ سعيد بن العاص على تأخيره عنه فى صفين فقال سعيد لودعوتنى لوجدتني قريبا ولكنى جلست مجلس عقيل وغيره من بنى هاشم و لو أوعبنا لأوعبوا . و أما النجاشى فإنه شرب الخمر فى شهر رمضان فأقام على ع الحد عليه [صفحہ ۲۵۱] وزاده عشرين جلدة فقال النجاشى ما هذه العلاوة قال لجرأتك على الله فى شهر رمضان فهرب النجاشى إلى معاوية . و أمارقة بن مصقلة فإنه ابتاع سبى بنى ناجية و أعتقهم وألط بالمال وهرب إلى معاوية فقال ع فعل فعل السادة وأبق إباق العبيد و ليس تعطيل الحدود وإباحة حكم الدين وإضاعه مال المسلمين من التألف والسياسة لمن يريد وجه الله تعالى والتلزم بالدين و لا يظن بعلى ع التساهل والتسامح فى صغير من ذلك و لا كبير . ومنها شبهة الخوارج وهى التحكيم و قديحتج به على أنه اعتمد ما لا يجوز فى الشرع و قديحتج به على أنه اعتمد ما ليس بصواب فى تدبير الأمر أماالأول فقولهم إنه حكم الرجال فى دين الله و الله سبحانه يقول إن الحكم إلا لله و أماالثانى فقولهم إنه كان قدلاح له النصر وظهرت أمارات الظفر بمعاوية و لم يبق إلا أن يأخذ برقبته فترك التصميم على ذلك وأخلد إلى التحكيم وربما قالوا إن تحكيمه يدل على شك منه فى أمره وربما قالوا كيف رضى بحكومة أبى موسى و هو فاسق عنده بتشيطه أهل الكوفة عنه فى حرب البصرة وكيف رضى بتحكيم عمرو بن العاص و هو أفسق الفاسقين . والجواب أماتحكيم الرجال فى الدين فليس بمحظور فقد أمر الله تعالى بالتحكيم بين المرأة وزوجها فقال و إن خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَ حَكَمًا - قرآن - ۶۴۵-۶۶۹- قرآن - ۱۱۲۵-۱۱۹۶ وزاده عشرين جلدة فقال النجاشى ما هذه العلاوة قال لجرأتك على الله فى شهر رمضان فهرب النجاشى إلى معاوية . و أمارقة بن مصقلة فإنه ابتاع سبى بنى ناجية و أعتقهم وألط بالمال وهرب إلى معاوية فقال ع فعل فعل السادة وأبق إباق العبيد و ليس تعطيل الحدود وإباحة حكم الدين وإضاعه مال المسلمين من التألف والسياسة لمن يريد وجه الله تعالى والتلزم بالدين و لا يظن بعلى ع التساهل والتسامح فى صغير من ذلك و لا كبير . ومنها شبهة الخوارج وهى التحكيم و قديحتج به على أنه اعتمد ما لا يجوز فى الشرع و قديحتج به على أنه اعتمد ما ليس بصواب فى تدبير الأمر أماالأول فقولهم إنه حكم الرجال فى دين الله و الله سبحانه يقول إن الحكم إلا لله و أماالثانى فقولهم إنه كان قدلاح له النصر وظهرت أمارات الظفر بمعاوية و لم يبق إلا أن يأخذ برقبته فترك التصميم على ذلك وأخلد إلى التحكيم وربما قالوا إن تحكيمه يدل على شك منه فى أمره وربما قالوا كيف رضى بحكومة أبى موسى و هو فاسق عنده بتشيطه أهل الكوفة عنه فى حرب البصرة وكيف رضى بتحكيم عمرو بن العاص و هو أفسق الفاسقين . والجواب أماتحكيم الرجال فى الدين

فليس بمحظور فقد أمر الله تعالى بالتحكيم بين المرأة وزوجها فقال وَ إِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَ حَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا -قرآن- ١-١٢ وقال فى جزاء الصيّدِ يحكّمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ. و أما قولهم كيف ترك التصميم بعد ظهور أمارات النصر فقد تواتر الخبر بأن أصحابه لمارفع أهل الشام المصاحف عند ظهور أهل العراق عليهم ومشارفهُ هلاك معاوية وأصحابه انخدعوا برفع المصاحف وقالوا لا يحل لنا التصميم على حربهم ولا يجوز لنا الإلّوضع السلاح ورفع الحرب والرجوع إلى المصاحف وحكمها فقال لهم إنها خديعة وإنها كلمة حق يراد بها باطل وأمرهم بالصبر و لوساعهُ واحده فأبوا ذلك وقالوا أرسل إلى الأشر فليعد فأرسل إليه فقال كيف أعود وقد لاحت أمارات النصر والظفر فقالوا له ابعث إليه مرة أخرى فبعث إليه فأعاد الجواب بنحو قوله الأول وسأل أن يمهل ساعة من النهار فقالوا إن بينك وبينه وصية ألا يقبل فإن لم تبعث إليه من يعيده و إلاقتناك بسيوفنا كماقتلنا عثمان أوقبضنا عليك وأسلمناك إلى معاوية فعاد الرسول إلى الأشر فقال أتحب أن تظفر أنت هاهنا وتكسر جنود الشام ويقتل أمير المؤمنين ع فى مضر به قال أ و قد فعلوها لا بارك الله فيهم أ بعد أن أخذت بمخنق معاوية ورأى الموت عيانا أرجع ثم عاد فشتم أهل العراق وسبهم و قال لهم وقالوا له ما هو منقول مشهور و قد ذكرنا الكثير منه فيما تقدم . فإذا كانت الحال وقعت هكذا فأى تقصير وقع من أمير المؤمنين ع وهل ينسب المغلوب على أمره المقهور على رأيه إلى تقصير أوفساد تدبير. وبهذا نجيب عن قولهم إن التحكيم يدل على الشك فى أمره لأنه إنما يدل على ذلك لو ابتدأ هو به فأما إذ ادعاه إلى ذلك غيره واستجاب إليه أصحابه فمنعهم وأمرهم -قرآن- ٢٢-٥١ [صفحة ٢٥٣] أن يمروا على وتيرتهم وشأنهم فلم يفعلوا و بين لهم أنها مكيدة فلم يتبينوا وخاف أن يقتل أو يسلم إلى عدوه فإنه لا يدل تحكيمه على شك بل يدل على أنه قد دفع بذلك ضررا عظيما عن نفسه ورجا أن يحكم الحكمان بالكتاب فتزول الشبهة عن طلب التحكيم من أصحابه . و أما تحكيمه عمرا مع ظهور فسقه فإنه لم يرض به وإنما رضى به مخالفه وكرهه هو فلم يقبل منه و قد قيل إنه أجاب ابن عباس رحمه الله عن هذا فقال للخوارج أ ليس قد قال الله تعالى فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَ حَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا أ رأيتم لو كانت المرأة يهودية فبعثت حكما من أهلها أ كنا نسخط ذلك . و أما أبو موسى فقد كرهه أمير المؤمنين ع وأراد أن يجعل بدله عبد الله بن عباس فقال أصحابه لا يكون الحكمان من مضر فقال فالأشر فقالوا وهل أضرم النار إلا الأشر وهل جر ماترى إلا الحكومة الأشر ولكن أبا موسى فأباه فلم يقبلوا منه وأثنوا عليه وقالوا لا نرضى إلا به فحكمه على مضمض . ومنها قولهم ترك الرأى لمادعاه العباس وقت وفاة الرسول ص إلى البيعة و قال له امدد يدك أبايعك فيقول الناس عم رسول الله ص بايع ابن عمه فلا يختلف عليك اثنان فلم يفعل و قال وهل يطمع فيها طامع غيرى فما راعه إلا اللوضاء واللغظ فى باب الدار يقولون قد بويح أبوبكر بن أبى قحافة. الجواب أن صواب الرأى وفساده فيما يرجع إلى مثل هذه الواقعة يستندان إلى -قرآن- ٤٥٩-٥١١ [صفحة ٢٥٤] ما قد كان غلب على الظن و لا ريب أنه ع لم يغلب على ظنه أن أحدا يستأثر عليه بالخلافة لأحوال قد كان مهدها له رسول الله ص و ماتوهم إلا أنه ينتظر ويرتقب خروجه من البيت وحضوره ولعله قد كان يخطر له أنه إما أن يكون هو الخليفة أو يشاور فى الخلافة إلى من يفوض و ما كان يتوهم أنه يجرى الأمر على ماجرى من الفتنة عند ثوران تلك الفتنة و لا يشاور هو و لا العباس و لا أحد من بنى هاشم وإنما كان يكون تدبيره فاسدا لو كان يحاذر خروج الأمر عنه وبتوهم ذلك ويغلب على ظنه إن لم يبادر تحصيله بالبيعة المعجلة فى الدار من وراء الأبواب والأغلاق و إلفاته ثم يهمل ذلك و لا يفعله و قد صرح هو بما عنده فقال وهل يطمع فيها طامع غيرى ثم قال إنى أكره البيعة هاهنا وأحب أن أصحر بهافيين أنه يستهجن أن يبايع سرا خلف الحجب والجدران ويحب أن يبايع جهرة بمحضر من الناس كما قال حيث طلبوا منه بعد قتل عثمان أن يبايعهم فى داره فقال لا بل فى المسجد و لا يعلم و لا خطر له ما فى ضمير الأيام و ما يحدث الوقت من وقوع ما لا يتوهم العقلاء وأرباب الأفكار وقوعه . ومنها قولهم إنه قصر فى طلب الخلافة عند بيعة أبى بكر و قد كان اجتمع له من بنى هاشم وبنى أمية وغيرهم من أئناء الناس من يتمكن بهم من المنازعة و طلب الخلافة فقصر عن ذلك لاجبنا لأنه

كان أشجع البشر ولكن قصور تدبير وضعف رأى ولهذا أكفرت الكاملية وأكفرت الصحابة فقالوا كفرت الصحابة لتركهم بيعته وكفر هوبترك المنازعة لهم . [صفحہ ۲۵۵] والجواب أما على مذهبنا فإنه لم يكن ع منصوصا عليه وإنما كان يدعيها بالأفضلية والقراة والسابقة والجهاد ونحو ذلك من الخصائص فلما وقعت بيعه أبى بكر رأى هو على ع أن الأصلح للإسلام ترك النزاع و أنه يخاف من النزاع حدوث فتنة تحل معاهد الملة وتزعزع أركانها فحضر وبايع طوعا ووجب علينا بعد مبايعته ورضاه أن نرضى بمن رضى هو ع ونطيع من أطاعه لأنه القدوة وأفضل من تركه ص بعده . و أما الإمامية فلهم ع ذلك جواب آخر معروف من قواعدهم . ومنها قولهم إنه قصر فى رأى حيث دخل فى الشورى لأنه جعل نفسه بدخوله فيها نظيرا لعثمان وغيره من الخمسة و قد كان الله تعالى رفعه عنهم و على من كان قبلهم فوهن بذلك قدره وطأطا من جلالته أ لا ترى أنه يستهجن ويقبح من أبى حنيفة والشافعى رحمهما الله أن يجعلا أنفسهما نظراء لبعض من بدأ طرفا من الفقه ويستهجن ويقبح من سيبويه والأخفش أن يوازيا أنفسهما بمن يعلم أبوابا سيرة من النحو. الجواب أنه ع و إن كان أفضل من أصحاب الشورى فإنه كان يظن أن ولى الأمر أحدهم بعد عمر لا يسير سيرة صالحه و أن تضطرب بعض أمور الإسلام و قد كان يثنى على سيرة عمر ويحمدها فواجب عليه بمقتضى ظنه أن يدخل معهم فيما أدخله عمر فيه توقعا لأن يفضى الأمر إليه فيعمل بالكتاب والسنة ويحيى معالم رسول الله ص و ليس اعتماد ما يقتضيه الشرع مما يوجب نقصا فى رأى فلا تدبير أصح و لأسد من تدبير الشرع . [صفحہ ۲۵۶] ومنها قولهم إنه ما أصاب حيث أقام بالمدينة وعثمان محصور و قد كان يجب فى رأى أن يخرج عنها بحيث لا تنوط بنو أمية به دم عثمان فإنه لو كان بعيدا عن المدينة لكان من قذفهم إياه بذلك أبعده و عنه أنزه . والجواب أنه لم يكن يخطر له مع براءة من دم عثمان أن أهل الفساد من بنى أمية يرمونه بأمره والغيب لا يعلمه إلا الله و كان يرى مقامه بالمدينة أ دعى إلى انتصار عثمان على المحاصرين له فقد حضر هو بنفسه مرارا و طرد الناس عنه وأنفذ إليه ولديه و ابن أخيه عبد الله و لو لاحضور على ع بالمدينة لقتل عثمان قبل أن يقتل بمدة و ماتراخى أمره وتأخر قتله لإللمراقبة الناس له حيث شاهدوه ينتصر له ويحامى عنه . ومنها قولهم كان يجب فى مقتضى رأى حيث قتل عثمان أن يغلق بابه ويمنع الناس من الدخول إليه فإن العرب كانت تضطرب اضطرابه ثم تتول إليه لأنه تعين للأمر بحكم الحال الحاضرة فلم يفعل وفتح بابه وترشح للأمر وبسط له يده فلذلك انتقضت عليه العرب من أقطارها. والجواب أنه ع كان يرى أن القيام بالأمر يومئذ فرض عليه لا يجوز له الإخلال به لعدم من يصلح فى ظنه للخلافة فما كان يجوز له أن يغلق بابه ويمتنع و ما الذى كان يومئذ أن يبايع الناس طلحة أو الزبير أو غيرهما ممن لا يراه أهلا للأمر فقد كان عبد الله بن الزبير يومئذ يزعم أن عثمان عهد إليه بالخلافة و هو محصور و كان مروان يطمع أن ينحاز إلى طرف من الأطراف فيخطب لنفسه بالخلافة و له من بنى أمية شيعة وأصحاب بشبهة أنه ابن عم عثمان و أنه كان يدبر أمر الخلافة على عهده و كان معاوية يرجو أن ينال الخلافة لأنه من بنى أمية و ابن عم عثمان و أمير الشام عشرين سنة و قد كان قوم من بنى أمية يتعصبون لأولاد عثمان المقتول ويرومون إعادة الخلافة فيهم [صفحہ ۲۵۷] و ما كان يسوغ لعلى ع فى الدين إذ اطلبه المسلمون للخلافة أن يمتنع عنها ويعلم أنها ستصير إذا امتنع إلى هؤلاء فلذلك فتح بابه و امتنع امتناع من يحاول أن يعلم ما فى قلوب الناس هل لرغبتهم إليه حقيقة أم لا فلما رأى منهم التصميم وافق لوجوب الموافقة عليه و قد قال فى خطبته لو لاحضور الحاضر ووجوب الحجة بوجود الناصر ... لألقت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أولها -رواية- ۱-۲-رواية- ۲۱-۱۲۰ و هذاتصريح بما قلناه . ومنها قولهم هلا- إذ ملك شريعة الفرات على معاوية بعد أن كان معاوية ملكها عليه ومنعه و أهل العراق منها منع معاوية و أهل الشام منها فكان يأخذهم قبضا بالأيدى فإنه لم يصبر على منعهم عن الماء بل فسح لهم فى الورود و هذايخالف ما يقتضيه تدبير الحرب. الجواب أنه ع لم يكن يستحل ما استحله معاوية من تعذيب البشر بالعطش فإن الله تعالى ما أمر فى أحد من العصاة الذين أباح دماءهم بذلك و لافسح فيه فى نحو القصاص أوحد الزانى المحصن أو قتل قاطع الطريق أو قتال البغاة والخوارج و ما كان أمير

المؤمنين ممن يترك حكم الله وشريعته ويعتمد ما هو محرم فيها لأجل الغلبة والقهر والظفر بالعدو ولذلك لم يكن يستحل البيات ولا الغدر ولا النكث وأيضا فمن الجائر أن يكون ع غلب على ظنه أن أهل الشام إن منعوا من الماء كان ذلك أدعى لهم إلى الحملات الشديدة المنكرة على عسكره و أن يضعوا فيهم السيوف فيأتوا عليهم ويكسروهم بشدة حتى قهقروا وقوة داعيهم إلى ورود الماء فإن ذلك من أشد الدواعي إلى أن يستميت القوم ويستقتلوا و من الذي يقف بين يدي جيش عظيم عرمرم قداشتد بهم العطش وهم يرون الماء كبطون الحيات لا يحول بينهم وبينه [صفحة ٢٥٨] إلا قوم مثلهم بل أقل منهم عدة وأضعف عدة ولذلك لما حال معاوية بين أهل العراق وبين الماء و قال لأمنعهم وروده فأقتلهم بشفار الظمأ قال له عمرو بن العاص خل بين القوم وبين الماء فليسوا ممن يرى الماء ويصبر عنه فقال لا- والله لا-أخلى لهم عنه فسفه رأيه و قال أتظن أن ابن أبي طالب و أهل العراق يموتون بإزائك عطشا والماء بمقعد الأزر وسيوفهم في أيديهم فلج معاوية و قال لأسقيهم قطرة كماقتلوا عثمان عطشا فلما مس أهل العراق العطش أشار على ع إلى الأشعث أن احمل و إلى الأشر أن احمل فحملا بمن معهما فضربا أهل الشام ضربا أشاب الوليد وفر معاوية و من رأى رأيه وتابعه على قوله عن الماء كمتافر الغنم خالطتها السباع و كان قصارى أمره ومنتهى همته أن يحفظ رأسه وينجو بنفسه وملك أهل العراق عليهم الماء ودفعوهم عنه فصاروا في البر القفر وصار على ع وأصحابه على شريعة الفرات مالكين لها فما الذي كان يؤمن عليا ع لو أعطش القوم أن يذوق هو وأصحابه منهم مثل ما أذاقهم وهل بعد الموت بالعطش أمر يخافه الإنسان وهل يبقى له ملجأ إلا السيف يحمل به فيضرب خصمه إلى أن يقتل أحدهما. ومنها قولهم أخطأ حيث محا اسمه بالخلافة من صحيفة الحكومة فإن ذلك مما وهنه عند أهل العراق وقوى الشبهة في نفوس أهل الشام . والجواب أنه ع احتذى في ذلك لمادعى إليه واقترحه الخصم عليه فعل رسول الله ص في صحيفة الحديدية حيث محا اسمه من النبوة لما قال له سهيل بن عمرو لو علمنا أنك رسول الله لما حاربناك و لا منعناك عن البيت و قد قال له ص و هو يومئذ كاتب تلك الصحيفة استدعى إلى مثلها فتجيب و هذا من أعلام نبوته ص و من دلائل صدقه ومثله جرى له حذو القذة بالقذة. [صفحة ٢٥٩] ومنها قولهم إنه كان غير مصيب في ترك الاحتراس فقد كان يعلم كثرة أعدائه و لم يكن يحترس منهم و كان يخرج ليلا في قميص ورداء وحده حتى كمن له ابن ملجم في المسجد فقتله و لو كان احترس وحفظ نفسه و لم يخرج إلا في جماعة و لو خرج ليلا كانت معه أضواء و شرطة لم يوصل إليه . والجواب أن هذا إن كان قادحا في السياسة والتدبير فليكن قادحا في تدبير عمر وسياسته و هو عند الناس في الطبقة العليا في السياسة وصحة التدبير وليكن قادحا في تدبير معاوية فقد ضربه الخارجي بالسيف ليلة ضرب أمير المؤمنين ع فجرحه و لم يأت على نفسه ومعاوية عندهؤلاء سديد التدبير وليكن قادحا في صحة تدبير رسول الله ص فقد كان يخرج وحده في المدينة ليلا ونهارا مع كثرة أعدائه و قد كان يأكل مادعى إليه و لا يحترس حتى أكل من يهودية شاء مشوية قد سمته فيها فمرض وخيف عليه التلف و لما برأ لم تزل تنتقض عليه حتى مات منها و قال عند موته إني ميت من تلك الأكلة -رواية ١-٢-رواية ١٧-٤٢ و لم تكن العرب في ذلك الزمان تحترس و لا تعرف الغيلة والفتك و كان ذلك عندهم قبيحا يعير به فاعله لأن الشجاعة غير ذلك والغيلة فعل العجزة من الرجال ولأن عليا ع كانت هيته قد تمكنت في صدور الناس فلم يكن يظن أن أحدا يقدم عليه غيلة أو مبارزة في حرب فقد كان بلغ من الذكر بالشجاعة مبلغا عظيما لم يبلغه أحد من الناس لا من تقدم و لا من تأخر حتى كانت أبطال العرب تفرع باسمه ألاترى إلى عمرو بن معديكرب و هو شجاع العرب الذي تضرب به الأمثال كتب إليه عمر بن الخطاب في أمر أنكره عليه وغدر تخوفه منه أما و الله لئن أقمت على ما أنت عليه لأبعثن إليك رجلا تستصغر معه نفسك يضع سيفه على هامتك فيخرجه من بين فخذيك فقال عمرو لما وقف على الكتاب هددني بعلي و الله ولهذا قال شبيب بن بجرة لابن ملجم لما رآه يشد الحرير على بطنه و صدره ويلك ماتريد [صفحة ٢٦٠] أن تصنع قال أقتل عليا قال هبلتك الهبول لقد جئت شيئا إذا كيف تقدر على ذلك فاستبعد أن يتم لابن ملجم ما عزم عليه و رآه مراما وعرا والأمر في

هذا وأمثاله مسند إلى غلبات الظنون فمن غلبت على ظنه السلامة مع الاسترسال لم يجب عليه الاحتراس وإنما يجب الاحتراس على من يغلب على ظنه العطب إن لم يحترس. فقد بان بما أوضحناه فساد قول من قال إن تدييره ع وسياسته لم تكن صالحة وبان أنه أصح الناس تدييرا وأحسنهم سياسة وإنما الهوى والعصية لاحيلة فيهما [صفحة ٢٦١]

١٩٤- ومن كلام له ع

إشارة

أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَسْتَوِحُّوْا فِي طَرِيقِ الْهُدَى لِقَلْمِهِ أَهْلِهِ فَإِنَّ النَّاسَ اجْتَمَعُوا عَلَى مَا تَدَّهَ شَبَّعَهَا قَصِيرٌ وَجُوعَهَا طَوِيلٌ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَا وَالسِّيْخُطُ وَإِنَّمَا عَقَرَ نَاقَهُ ثُمَّودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْعِيَابِ لَمَّا عَمَّوهُ بِالرِّضَا فَقَالَ سَبَّحَانَهُمْ عَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَفَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ حَارَتْ أَرْضُهُمْ بِالْخَسْفَةِ خُوَارَ السِّكَّةِ الْمُحْمَاةِ فِي الْأَرْضِ الْخُوَارَةَ أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ وَرَدَّ الْمَاءَ وَمَنْ خَالَفَ وَقَعَ فِي التِّيهِ -قرآن- ٣٣١-٣٦٣ الاستيحاش ضد الاستئناس وكثيرا ما يحدثه التوحد وعدم الرفيق فنهى ع عن الاستيحاش فى طريق الهدى لأجل قله أهله فإن المهتدى ينبغي أن يأنس بالهداية فلا وحشه مع الحق . وعنى بالمائدة الدنيا لذتها قليلة ونغصتها كثيرة والوجود فيها زمان قصير جدا والعدم عنها زمان طويل جدا. ثم قال ليست العقوبة لمن اجترم ذلك الجرم بعينه بل لمن اجترمه و من رضى به و إن لم يباشره بنفسه فإن عاقر ناقه صالح إنما كان إنسانا واحدا فعم الله ثمود بالسخط [صفحة ٢٦٢] لما كانوا راضين بذلك الفعل كلهم واسم كان مضمرا فيها أى ما كان الانتقام منهم إلا كذا. وخارت أرضهم بالخسفة صوتت كما يخور الثور وشبه ع ذلك بصوت السكة المحماة فى الأرض الخوارة وهى اللينة وإنما جعلها محماة لتكون أبلغ فى ذهابها فى الأرض و من كلامه ع يوم خيبر يقوله لرسول الله ص وقد بعته بالراية أكون فى أمر كالسكة المحماة فى الأرض أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فقال له بل يرى الشاهد ما لا يرى الغائب -رواية ١-٢-رواية ٦٦-١٨٣ . وقال له أيضا هذه اللفظة لمابعته فى شأن ماريه القبطية و ما كانت اتهمت به من أمر الأسود القبطى ولهذا علته فى العلم الطبيعى و ذلك أن السكة المحماة تخرق الأرض بشيئين أحدهما تحدد رأسها والثانى حرارته فإن الجسم المحدد الحار إذا اعتمد عليه فى الأرض اقتضت الحرارة إعانة ذلك الطرف المحدد على النفوذ بتحليلها ماتلاقى من صلابة الأرض لأن شأن الحرارة التحليل فيكون غوص ذلك الجسم المحدد فى الأرض أوحى وأسهل . والتهى المفازة يتحير سالكها

قصة صالح و ثمود

قال المفسرون إن عادا لما أهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم فى الأرض وكثروا وعمرؤا أعمارا طوالا حتى إن الرجل كان يبنى المسكن المحكم فينهدم فى حياته فنحتوا البيوت فى الجبال وكانوا فى سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله وأفسدوا فى الأرض وعبدوا الأوثان فبعث الله إليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من أوسطهم [صفحة ٢٦٣] نسبا فما آمن به إلا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وأنذرهم فسألوه آية فقال آية آية تريدون قالوا تخرج معنا إلى عيدنا فى يوم معلوم لهم من السنة فتدعو إلهك وندعو إلهنا فإن استجيب لك اتبعناك و إن استجيب لنا اتبعنا. قال نعم فخرج معهم ودعوا أوثانهم وسألوها الاستجابة فلم تجب فقال سيدهم جندع بن عمرو وأشار إلى صخرة مفردة فى ناحية الجبل يسمونها الكائبة أخرج لنا فى هذه الصخرة ناقه

مخترجه جوفاء وبراء والمخرجة التي شاكلت البخت فإن فعلت صدقناك وأجيناك . فأخذ عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض التتوج بولدها فانصدعت عن ناقه عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها إلا الله وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها فى العظم فأمن به جندع ورهط من قومه ومنع أعقابهم ناس من رءوسهم أن يؤمنوا فمكثت الناقه مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا فإذا كان يومها وضعت رأسها فى البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ماء فيها ثم تتفجح فيحتلبون ماشاءوا حتى تمتلئ أو انيهم فيشربون ويدخرون فإذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادى فتهرب منها أنعامهم فهبط إلى بطنه و إذا وقع البرد تشتت بطن الوادى فتهرب مواشيهم إلى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان عنيزة أم غنم وصدفة بنت المختار لما أضرت به من مواشيها وكانتا كثيرتى المواشى فعقروها عقروها قدار الأحمر واقتسموا لحمها وطبخوه . [صفحہ ۲۶۴] فانطلق سقبا حتى رقى جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا و كان صالح قال لهم أدرکوا الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجت الصخرة بعدرغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة و بعدغد ووجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يغشاكم العذاب . فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه فأنجاه الله سبحانه إلى أرض فلسطين فلما كان اليوم الرابع وارتفعت الضحوة تحنطوا بالصبر وتكفونوا بالأنطاع فأنتهم صيحة من السماء وخسف شديد وزلزال فتقطعت قلوبهم فهلكوا. و قد جاء فى الحديث أن رسول الله ص مر بالحجر فى غزوة تبوك فقال لأصحابه لا يدخلن أحد منكم القرية و لا تشربوا من مائها و لا تدخلوا على هؤلاء المعذيين إلا أن تمروا باكين أن يصيبكم مثل ما أصابهم -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۰-۲۰۰ روى المحدثون أن النبى ص قال لعلى ع أتدرى من أشقى الأولين قال نعم عاقر ناقه صالح قال أتدرى من أشقى الآخرين قال الله ورسوله أعلم قال من يضربك على هذه حتى تخضب هذه -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۷-۱۹۱ [صفحہ ۲۶۵]

۱۹۵- و من كلام له ع

اشاره

روى عنه أنه قاله عند دفن سيده النساء فاطمة ع كالمناجى به رسول الله ص عند قبره السلام عليك يا رسول الله عني و عن ابنتك النازلة فى جوارك و السريعة اللحاق بك قل يا رسول الله عن صفتك صبري و رق عنها تجلدي إلا أن فى الناسى لى بعظيم فرقتك و فادح مصيبتك موضع تعز فلقد وسدتك فى ملحودة قبرك و فاضت بين نحري و صدرى نفسك فإن الله و إنا إليه راجعون فلقد استرجعت الوديعه و أخذت الزهينة أما حزني فسيرمد و أما ليلي فمسهد إلى أن يختار الله لى دارك التي أنت بها مقيم و سئبتك ابنتك بتصافر أميتك على هضمها فأحرفها السؤال و استخبرها الحال هذا و لم يطل العهد و لم يخل منك الذكر و السلام عليكم ا سلام مودع لا قال و لا سيم فإن أنصيرف فلا عن ملاله و إن أقم فلا عن سوء ظن بما وعيد الله الصابرين أما قول الرضى رحمه الله عند دفن سيده النساء فلأنه قد تواتر الخبر عنه ص أنه قال فاطمة سيده نساء العالمين -روایت- ۱-۲-روایت- ۳۵-۶۱ إما هذا اللفظ بعينه أولفظ يؤدى هذا [صفحہ ۲۶۶] المعنى روى أنه قال و قدرآها تبكى عند موته ألاترضين أن تكونى سيده نساء هذه الأمة -روایت- ۱-۲-روایت- ۷-۸۳ روى أنه قال سادات نساء العالمين أربع خديجه بنت خويلد و فاطمة بنت محمد و آسيه بنت مزاحم و مريم بنت عمران -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۷-۱۱۶ . قوله ع و سريعه اللحاق بك جاء فى الحديث أنه رآها تبكى عند موته فأسر إليها أنت أسرع أهلى لحوقا بى فضحكت -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۷-۸۶ . قوله عن صفتك أجله

ص عن أن يقول عن ابنتك فقال صفيتك و هذا من لطيف عبارته ومحاسن كنيته يقول ع ضعف جلدى وصبرى عن فراقها لكنى أتأسى بفراقى لك فأقول كل عظيم بعدفراقك جلل و كل خطب بعدموتك يسير. ثم ذكر حاله معه وقت انتقاله ص إلى جوار ربه فقال لقد وسدتك فى ملحودة قبرك أى فى الجهة المشقوقة من قبرك واللحد الشق فى جانب القبر وجاء بضم اللام فى لغة غير مشهورة. قال وفاضت بين نحري وصدري نفسك يروى أنه ص قذف دما يسيرا وقت موته و من قال بهذا القول زعم أن مرضه كان ذات الجنب و أن القرحة التى كانت فى الغشاء المستبطن للأضلاع انفجرت فى تلك الحال وكانت فيها نفسه ص وذهب قوم إلى أن مرضه إنما كان الحمى والسرسام الحار و أن أهل داره ظنوا أن به ذات الجنب فلدوه و هو مغمى عليه وكانت العرب تداوى باللدود من به ذات الجنب فلما أفاق علم أنهم قد لدوه فقال لم يكن الله ليسلطها على لدوا كل من فى الدار فجعل بعضهم يلد بعضا. [صفحة ٢٦٧] واحتج الذاهبون إلى أن مرضه كان ذات الجنب بما روى من انتصابه وتعذر الاضطجاع والنوم عليه قال سلمان الفارسي دخلت عليه صبيحة يوم قبل اليوم الذى مات فيه فقال لى ياسلمان ألاتسأل عما كابدته الليلة من الألم والسهر أنا و على فقلت يا رسول الله ألاتسهر الليلة معك بدله فقال لا هوأحق بذلك منك -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-٢٢١ . وزعم آخرون أن مرضه كان أثرا لأكلة السم التى أكلها ع واحتجوا بقوله ص مازالت أكلة خبير تعاودنى فهذا أوان قطعت أبهرى -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-٦٤ . و من لم يذهب إلى ذات الجنب فأولوا قول على ع فاضت بين نحري وصدري نفسك فقالوا أراد بذلك آخر الأنفاس التى يخرجها الميت و لا يستطيع إدخال الهواء إلى الرئة عوضا عنها و لا يبد لكل ميت من نفخة تكون آخر حركاته . و يقول قوم إنها الروح و عبر على ع عنها بالنفس لما كانت العرب لا ترى بين الروح والنفس فرقا. و اعلم أن الأخبار مختلفة فى هذا المعنى فقد روى كثير من المحدثين عن عائشة أنها قالت توفى رسول الله ص بين سحرى ونحري -رواية- ١-٢-رواية- ٤٥-٨٣ . وروى كثير منهم هذا اللفظ عن على ع أنه قال عن نفسه و قال فى رواية أخرى ففاضت نفسه فى يدي فأمررتها على وجهى -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-٦٣ . [صفحة ٢٦٨] و الله أعلم بحقيقته هذه الحال و لا يبعد عندي أن يصدق الخبران معا بأن يكون رسول الله ص وقت الوفاة مستندا إلى على ع وعائشة جميعا فقد وقع الاتفاق على أنه مات و هو حاضر لموته و هو الذى كان يقلبه بعد موته و هو الذى كان يعلله ليالى مرضه فيجوز أن يكون مستندا إلى زوجته و ابن عمه و مثل هذا لا يبعد وقوعه فى زماننا هذا فكيف فى ذلك الزمان الذى كان النساء فيه والرجال مختلطين لا يستتر البعض عن البعض . فإن قلت فكيف تعمل بآية الحجاب و ماصح من استتار أزواج رسول الله ص عن الناس بعد نزولها. قلت قد وقع اتفاق المحدثين كلهم على أن العباس كان ملازما للرسول ص أيام مرضه فى بيت عائشة و هذا لا ينكره أحد فعلى القاعدة التى كان العباس ملازمه ص كان على ع ملازمه و ذلك يكون بأحد الأمرين إما بأن نساءه لا يستترن من العباس و على لكونهما أهل الرجل و جزءا منه أولعل النساء كن يخرمن بأخمرتهن و يخالطن الرجال فلا يرون وجوههن و ما كانت عائشة وحدها فى البيت عند موته بل كان نساؤه كلهن فى البيت وكانت ابنته فاطمة عند رأسه ص . فأما حديث مرضه ص ووفاته فقد ذكرناه فيما تقدم . قوله إنا لله إلى آخره أى عبيده كما تقول هذا الشيء لزيد أى يملكه . ثم عقب الاعتراف بالملكية بالإقرار بالرجعة والبعث و هذه الكلمة تقال عند المصيبة كما أدب الله تعالى خلقه وعباده . والوديعه والرهيئة عبارة عن فاطمة و من هذا الموضع أخذ ابن ثوبه الكاتب قوله عن قطر الندى بنت خمارويه بن أحمد بن طولون لما حملت من مصر إلى المعتضد أحمد بن [صفحة ٢٦٩] طلحة بن المتوكل و قد وصلت الوديعه سالمه و الله المحمود وكيف يوصى الناظر بنوره أم كيف يحض القلب على حفظ سروره . وأخذ الصابى هذه اللفظة أيضا فكتب عن عزالدولة بختيار بن بويه إلى عدة الدولة أبى تغلب بن حمدان و قد نقل إليه ابنته قد وجهت الوديعه ياسيدى وإنما تقلب من وطن إلى سكن و من مغرس إلى مغرس و من مأوى بر وانعطاف إلى مثوى كرامه وألطف . فأما الرهيئة فهى المرتنهة يقال للمذكر هذا رهين عندي على كذا وللأنثى هذه رهينه عندي على كذا كأنها ع كانت عنده عوضا من

رؤية رسول الله ص كما تكون الرهينة عوضا عن الأمر الذى أخذت رهينة عليه . ثم ذكر ع أن حزنه دائم و أنه يسهر ليله و لا ينام إلى أن يلتحق برسول الله ص و يجاوره فى الدار الآخرة و هذا من باب المبالغة كما يبالغ الخطباء و الكتاب و الشعراء فى المعانى لأنه ع ماسهر منذ ماتت فاطمة و دام سهره إلى أن قتل ع و إنما سهر ليله أو شهرا أو سنة ثم استمر مريه و ارعوى رسنه فأما الحزن فإنه لم يزل حزينا إذا ذكرت فاطمة هكذا وردت الرواية عنه . قوله ع و ستنبئك ابنتك أى ستعلمك . فأحفظها السؤال أى استقص فى مسألته و استخبرها الحال أحفيت إحصاء فى السؤال استقصيت و كذلك فى الحجاج و المنازعة قال الحارث بن حنظلة إن إخواننا الأرقام يغلون || علينا فى قتلهم إحصاء . و رجل حفى أى مستقص فى السؤال . [صفحہ ۲۷۰] و استخبرها الحال أى عن الحال فحذف الجار كقولك اخترت الرجال زيدا أى من الرجال أى سلها عما جرى بعدك من الاستبداد بعقد الأمر دون مشاورتنا و لا يدل هذا على وجود النص لأنه يجوز أن تكون الشكوى و التألم من إطراحهم و ترك إدخالهم فى المشاورة فإن ذلك مما تكرهه النفوس و تتألم منه و هجا الشاعر قوما فقال و يقضى الأمر حين تغيب تيم || و لا يستأذنون وهم شهود . قوله هذا و لم يطل العهد و لم يخلق الذكر أى لم ينس . فإن قلت فما هذا الأمر الذى لم ينس و لم يخلق إن لم يكن هناك نص . قلت قوله ص إنى مخلف فيكم الثقلين -رواية- ۱-۲-رواية- ۱۲-۳۸ قوله اللهم أدر الحق معه حيث دار -رواية- ۱-۲-رواية- ۹-۴۰ و أمثال ذلك من النصوص الدالة على تعظيمه و تبجيله و منزلته فى الإسلام فهو ع كان يريد أن يؤخر عقد البيعة إلى أن يحضر و يستشار و يقع الوفاق بينه و بينهم على أن يكون العقد لواحد من المسلمين بموجبه إما له أو لأبى بكر أو لغيرهما و لم يكن ليليق أن يبرم الأمر و هو غير حاضر له مع جلالة فى الإسلام و عظيم أثره و ماورد فى حقه من وجوب موالاته و الرجوع إلى قوله و فعله فهذا هو الذى كان ينقم ع و منه كان يتألم و يطيل الشكوى و كان ذلك فى موضعه و ما أنكر إلا منكرأ فأما النص فإنه لم يذكره ع و لا احتج به و لماطال الزمان صفح عن ذلك الاستبداد الذى وقع منهم و حضر عندهم فبايعهم و زال ما كان فى نفسه . [صفحہ ۲۷۱] فإن قلت فهل كان يسوغ لأبى بكر و قدرأى و ثوب الأنصار على الأمر أن يؤخره إلى أن يخرج ع و يحضر المشورة . قلت إنه لم يلم أبابكر بعينه و إنما تألم من استبداد الصحابة بالأمر دون حضوره و مشاورته و يجوز أن يكون أكثر تألمه و عتابه مصروفا إلى الأنصار الذين فتحوا باب الاستبداد و التغلب

مارواه أبو حيان فى حديث السقيفة

وروى القاضى أبو حامد أحمد بن بشير المروروذى العامرى فيما حكاه عنه أبو حيان التوحيدى قال أبو حيان سمرونا عند القاضى أبى حامد ليله ببغداد بدار ابن جیشان فى شارع الماذيان فتصرف الحديث بنا كل متصرف و كان و الله معنا مزيلا مخلطا عزيز الرواية لطيف الدراية له فى كل جو متنفس و فى كل نار مقتبس فجرى حديث السقيفة و تنازع القوم الخلافة فركب كل منا فنا و قال قولاً و عرض بشيء و نزع إلى مذهب فقال أبو حامد هل فيكم من يحفظ رسالة أبى بكر إلى على و جواب على له و مبايعته إياه عقيب تلك الرسالة فقالت الجماعة لا . و الله فقال هى و الله من درر الحقائق المصونة و مخبئات الصناديق فى الخزائن المحوطة و منذ حفظتها مارويتها إلا للمهلبى فى وزارته فكتبها عنى فى خلوة بيده و قال لا أعرف فى الأرض رسالة [صفحہ ۲۷۲] أعقل منها و لا أبين و إنها لتدل على علم و حكم و فصاحة و فقاهاة فى دين و دهاء و بعدغور و شدة غوص . فقال له واحد من القوم أيها القاضى فلو أتممت المنة علينا بروايتها سمعناها و رويناها عنك فنحن أوعى لها من المهلبى و أوجب ذماما عليك . فقال هذه الرسالة رواها عيسى بن دأب عن صالح بن كيسان عن هشام بن عروة عن أبيه عروة بن الزبير عن أبى عبيدة بن الجراح . قال أبو عبيدة لما استقامت الخلافة لأبى بكر بين المهاجرين و الأنصار و لحظ بعين الوقار و الهيبة بعدهن كاد الشيطان بهاسر فدفع الله

شرها وأدحض عسرها فركد كيدها وتيسر خيرها وقصم ظهر النفاق والفسق بين أهلها بلغ أبابكر عن علي ع تلكؤ وشماس وتهمهم ونفاس فكره أن يتمادى الحال وتبدو له العورة وتفرج ذات البين ويصير ذلك دريئة لجاهل مغرور أو عاقل ذى دهاء أو صاحب سلامة ضعيف القلب خوار العنان دعاني فى خلوة فحضرتة وعنده عمر وحده و كان عمر قبسا له وظهيرا معه يستضىء بناره ويستملى من لسانه فقال لى يا أباعبيدة ماأيمن ناصيتك وأبين الخير بين عارضيك لقد كنت مع رسول الله ص بالمكان المحوط والمحل المغبوط و لقد قال فيك فى يوم مشهود أبوعبيدة أمين هذه الأمة -رواية- ١-٢-رواية- ٢٩-٥٥ وطالما أعز الله الإسلام بك وأصلح ثلمة على يديك و لم تزل للدين ناصرا وللمؤمنين روحا ولأهلك ركنا ولاخوانك مردا قد أردتكم [صفحة ٢٧٣] لأمر له مابعد خطره مخوف وصلاحه معروف ولئن لم يندمل جرحه بمسبارك ورفقك و لم تجب حيته برقيتك لقد وقع اليأس وأعضل البأس واحتيج بعدك إلى ما هوأمر من ذلك وأعلق وأعسر منه وأغلق و الله أسأل تمامه بك ونظامه على يدك فتأت له يا أباعبيدة وتلطف فيه وانصح لله ولرسوله ولهذه العصا غير آل جهدا ولا قال حمدا و الله كالكك وناصرك وهاديك ومبصرك .امض إلى على واخفض جناحك له واغضض من صوتك عنده واعلم أنه سلاله أبى طالب ومكانه ممن فقدناه بالأمس مكانه وقل له البحر مغرقة والبر مفرقة والجو أكلف والليل أغلف والسماء جلواء والأرض صلعاء والصعود متعذر والهبوط متعسر والحق عطوف رءوف والباطل نسوف عصوف والعجب مقدحة الشر والضغن رائد البوار والتعريض شجار الفتنة والقحة مفتاح العداوة والشيطان متكئ على شماله باسط ليمينه نافج حضنيه لأهله ينتظر الشتات والفرقة ويدب بين الأمة بالشحناء والعداوة عنادا لله ولرسوله ولدينه يوسوس بالفجور ويدلى بالغرور ويمنى أهل الشرور ويوحى إلى أوليائه بالباطل دأبا له منذ كان على عهد أبينا [صفحة ٢٧٤] آدم وعادة منه منذ أهانه الله فى سالف الدهر لاينجى منه إلا بعض الناجذ على الحق وغض الطرف عن الباطل ووطء هامة عدو الله والدين بالأشد فالأشد والأجد فالأجد وإسلام النفس لله فيما حاز رضاه وجنب سخطه . و لا بد من قول ينفع إذ قد أضر السكوت وخيف غبه ولقد أرشدك من أفاء ضالتك وصافاك من أحيا مودته لك بعتابك وأراد الخير بك من آثر البقيا معك . ما هذا أذى تسول لك نفسك ويدوى به قلبك ويلتوى عليه رأيك ويتخاوص دونه طرفك ويستشرى به ضغنك ويتراد معه نفسك وتكثر لأجله صعداؤك ولايفيض به لسانك أعجمة بعد إفصاح ألبسا بعد إفصاح أدينا غير دين الله أخلقا غير خلق القرآن أهديا غير هدى محمد أمثلى يمشى له الضراء ويدب له الخمر أم مثلك يغص عليه القضاء ويكسف فى عينه القمر ما هذه القعقة بالشنان والوعوة باللسان إنك لجد عارف باستجابتنا لله ولرسوله وخروجنا من أوطاننا وأولادنا وأحبتنا هجرة إلى الله ونصرة لدينه فى زمان أنت منه فى كن الصبا وخدر الغرارة غافل تشبب وترب لاتعى مايشاد ويراد ولا تحصل مايساق ويقاد سوى ما أنت جار عليه من أخلاق الصبيان أمثالك وسجايا الفتيان أشكالك حتى بلغت إلى غايتك هذه التى إليها أجريت وعندها حط رحلك غير مجهول القدر [صفحة ٢٧٥] ولا مجهود الفضل ونحن فى أثناء ذلك نعانى أحوالا تزيل الرواسى ونقاسى أهوالا تشيب النواصى خائضين غمارها راكبين تيارها نتجرع صلبها ونشرح عياها ونحكم أساسها ونبرم أمراسها والعيون تحدج بالحسد والأنوف تعطس بالكبر والصدور تستعر بالغيظ والأعناق تتناول بالفخر والأسنة تشخذ بالمكر والأرض تميم بالخوف لانتظر عند المساء صباحا ولا عند الصباح مساء ولا ندفع فى نحر أمر إلا بعد أن نحسو الموت دونه ولا نبليغ إلى شىء إلا بعد تجرع العذاب قبله ولا نقوم منأدا إلا بعد اليأس من الحياة عنده فأدين فى كل ذلك رسول الله ص بالأب والأم والخال والعمة والمال والنشب والسبد واللبد والهلهة والبله بطيب أنفوس وقره أعين ورحب أعطان وثبات عزائم وصحة عقول وطلاقة أوجه وذلاقة ألسن هذا إلى خبيئات أسرار ومكنونات أخبار كنت عنها غافلا ولو لاسنك لم تك عن شىء منها ناكلا . كيف وفؤادك مشهوم وعودك معجوم وغيبك مخبور والخير منك كثير فالآن قدبلغ الله بك وأرخص الخير لك وجعل مرادك بين يديك فاسمع ما أقول لك واقبل ما يعود قبوله عليك ودع التحبس والتعبس [صفحة ٢٧٦] لمن لا يضلغ

لك إذ اخطا و لا يترحز عنك إذ اعطا فالأمر غض و فى النفوس مض و أنت أديم هذه الأمة فلا تحلم لجاجا و سيفها العضب فلا تنب اعوجاجا و ماؤها العذب فلا تحل أجاجا و الله لقد سألت رسول الله ص عن هذا لمن هو فقال هولمن يرغب عنه لالمن يجاحش عليه و لمن يتضاءل له لالمن يشمخ إليه و هولمن يقال له هو لك لالمن يقول هو لى . و لقد شاورنى رسول الله ص فى الصهر فذكر فتيانا من قريش فقلت له أين أنت من على فقال إنى لأكره لفاطمة ميعه شبابيه و حده سنه فقلت متى كفته يدك و رعته عينك حفت بهما البركه و أسبغت عليهما النعمه مع كلام كثير خطبت به رغبته فيك و ما كنت عرفت منك فى ذلك حوجاء و لالوجاء و لكنى قلت ما قلت و أنا أرى مكان غيرك و أجد رائحه سواك و كنت لك إذ ذاك خيرا منك الآن لى و لئن كان عرض بك رسول الله ص فى هذا الأمر فقد كنى عن غيرك و إن قال فيك فما سكت عن سواك و إن اختلج فى نفسك شىء فهلم فالحكم مرضى و الصواب مسموع و الحق مطاع . و لقد نقل رسول الله ص إلى ما عند الله و هو عن هذه العصابة راض و عليها حذب يسره ماسرها و يكيده ما كادها و يرضيه ما أرضاها و يسخطه [صفحه ٢٧٧] ما أسخطها أ لم تعلم أنه لم يدع أحدا من أصحابه و خلطائه و أقاربه و سجرائه إلا أبانه بفضيله و خصه بمزيه و أفرد به حالة لو أصفقت الأمة عليه لأجلها لكان عنده إيالتها و كفالتها. أتظن أنه ع ترك الأمة سدى بددا عدا مباهل عباهل طلاحي مفتونه بالباطل ملويه عن الحق لا ذائد و لارائد و لا ضابط و لا خابط و لا رابط و لا سافى و لا واقى و لا حادى و لا هادى كلا و الله ما اشتاق إلى ربه و لا سأله المصير إلى رضوانه إلا بعد أن أقام الصوى و أوضح الهدى و أمن المهالك و حمى المطارح و المبارك و إلا بعد أن شدخ يافوخ الشرك بإذن الله و شرم وجه النفاق لوجه الله و جدع أنف الفتنة فى دين الله و تغل فى عين الشيطان بعون الله و صدع بملء فيه و يده بأمر الله . و بعد فهؤلاء المهاجرون و الأنصار عندك و معك فى بقعه جامعه و دار واحده إن استقادوا لك و أشاروا بك فأنا واضع يدي فى يدك و صائر إلى رأيهم فيك و إن تكن الأخرى فادخل فى صالح ما دخل فيه المسلمون و كن العون على مصالحهم و الفاتح لمغالقهم و المرشد لضالهم و الرادع لغاويهم فقد أمر الله بالتعاون على البر و أهاب إلى التناصر على الحق و دعنا نقض هذه الحياه الدنيا بصدور بريئه من الغل و نلقى الله بقلوب سليمه من الضغن . [صفحه ٢٧٨] و إنما الناس ثمامه فارقق بهم و احن عليهم و لن لهم و لا تسول لك نفسك فرقتهم و اختلاف كلمتهم و اترك ناجم الشر حصيدا و طائر الحقد واقعا و باب الفتنة مغلقا لا قال و لا قيل و لا لوم و لا تعنيف و لا عتاب و لا تثير و الله على ما أقول و كيل و بما نحن عليه بصير. قال أبو عبيده فلما تهيأت للنهوض قال لى عمر كن على الباب هنيهة فلى معك ذرو من الكلام فوقفت و ما أدرى ما كان بعدى إلا أنه لحقنى بوجه يندى تهللا و قال لى قل لعلى الرقاد محلمه و اللجاج ملحمه و الهوى مقحمه و ما من أحد إلا له مقام معلوم و حق مشاع أو مقسوم و بناء ظاهر أو مكتوم و إن أكيس الكيسى من منح الشارد تألفا و قارب البعيد تلطفا و وزن كل أمر بميزانه و لم يجعل خبره كعيانه و لا قاس فتره بشيره دينا كان أو دنيا و ضلالا كان أو هدى و لا خير فى علم معتمل فى جهل و لا فى معرفه مشوبه بنكر و لسنا كجلده رفع البعير || بين العجان و بين الذنب . و كل صال فبناره يصلى و كل سيل فإلى قراره يجرى و ما كان سكوت هذه العصابة إلى هذه الغايه لعى و حصر و لا كلامها اليوم لفرق أو حذر فقد جدع الله بمحمد ع أنف كل متكبر و قصم به ظهر كل جبار و سل لسان كل كذوب فما ذا بعد الحق إلا الضلال . ما هذه الخنزوانه التى فى فراش رأسك و ما هذا الشجا المعترض فى مدارج أنفاسك و ما هذه الوحرة التى أكلت شراسيفك و القذاة التى أعشت ناظرك و ما هذا الدحس [صفحه ٢٧٩] و الدس اللذان يدلان على ضيق الباع و خور الطباع و ما هذا الذى لبست بسببه جلد النمر و اشتملت عليه بالشحناء و النكر لشد ما استسعيت لها و سرى سرى ابن أنقذ إليها إن العوان لا تعلم الخمره ما أحوج الفرعاء إلى فاليه و ما أفر الصلعاء إلى حاله و لقد قبض رسول الله ص و الأمر معبد مخيس ليس لأحد فيه ملمس لم يسير فيك قولاً و لم يستنزل لك قرآنا و لم يجزم فى شأنك حكما لسنا فى كسرويه كسرى و لا قيصرية قيصر تأمل إخوان فارس و أبناء الأصفر قد جعلهم الله جزرا لسيوفنا و دريئه لرماحنا و مرمى لطحاننا بل نحن فى نور نبوه

وضياء رسالته وثمره حكمة وأثر رحمه وعنوان نعمه وظل عصمه بين أمة مهديه بالحق والصدق مأمونه على الرق والفتق لها من الله تعالى قلب أبى وساعد قوى ويد ناصره وعين ناظره. أظن ظنا أن أبابكر وثب على هذا الأمر مفتاتا على الأمة خادعا لها ومتسلطا عليها أتره امتلخ أحلامها وأزاع أبصارها وحل عقودها وأحال عقولها واستل من صدورهم حميتها وانتكث رشاها وانتضب ماءها وأضلها عن هداها وساقها إلى رداها وجعل نهارها ليلا ووزنها كيلا ويقظتها رقادا وصلاحتها فسادا إن كان هكذا إن سحره لمبين وإن كیده لمتمين كلا والله بأى خيل ورجل وبأى سنان ونصل وبأى منه وقوه وبأى مال وعده وبأى أيد وشده وبأى عشيره وأسره وبأى قدره ومكنه وبأى تدرع وبسطه لقد أصبح بما وسمته منيع الرقبه رفيع العتبه لا والله لكن سلا عنها فولهت نحوه وتطامن لها فالتفت به ومال عنها فمالت إليه واشمأز دونها فاشتملت عليه حبه الله بها وغايه بلغه الله إليها ونعمه سربله جمالها ويد الله أوجب عليه شكرها وأمه نظر الله به [صفحه ٢٨٠] لها وطالما حلقت فوقه فى أيام النبى ص وهو لا يلتفت لفتها ولا يرتصد وقتها والله أعلم بخلقه وأرأف بعباده يختار ما كان لهم الخيره وإنك بحيث لا يجهل موضعك من بيت النبوه ومعدن الرساله وكهف الحكمة ولا يجحد حقك فيما آتاك ربك من العلم ومنحك من الفقه فى الدين هذا إلى مزايا خصصت بها وفضائل اشتملت عليها ولكن لك من يزاحك بمنك أضخم من منكبك وقربى أمس من قرباك وسن أعلى من سنك وشيئه أروع من شيتك وسياده معروفه فى الإسلام والجاهليه ومواقف ليس لك فيها جمل ولا ناقة ولا تذكر فيها فى مقدمه ولا ساقه ولا تضرب فيها بذراع ولا إصبع ولا تعد منها بيازل ولا هبع . إن أبابكر كان حبه قلب رسول الله ص وعلاقه همه وعيئه سره ومثوى حزنه وراحه باله ومرمى طرفه شهرته مغنيه عن الدلاله عليه . ولعمري إنك لأقرب منه إلى رسول الله ص قرابه ولكنه أقرب منك قربه والقرباه لحم ودم والقربه روح ونفس وهذا فرق يعرفه المؤمنون ولذلك صاروا إليه أجمعون . ومهما شككت فلا تشك فى أن يد الله مع الجماعه ورضوانه لأهل الطاعه فادخل فيما هو خير لك اليوم وأنفع غدا والفظ من فيك ما هو متعلق بلهاتك وانفت [صفحه ٢٨١] سخيمه صدرك فإن يكن فى الأمد طول وفى الأجل فسحه فستأكله مريئا أو غير مريء وستشربه هنيئا أو غير هنيء حين لا يراد لقولك إلا من كان آيسا منك ولا تابع لك إلا من كان طامعا فيك حين يمض إهابك ويفرى أديمك ويزرى على هديك هناك تفرع السن من ندم وتشرب الماء ممزوجا بدم حين تأسى على ماضى من عمرك وانقضى وانقرض من دارج قومك وتود أن لوسقيت بالكأس التى سقيتها غيرك ورددت إلى الحال التى كنت تكرهها فى أمسك والله فينا وفيك أمر هو بالغه وعاقبه هو المرجو لسرائها وضرائها وهو الولي الحميد الغفور الودود. قال أبو عبيده فمشيت إلى على مبطا متباطئا كأنما أخطو على أم رأسى فرقا من الفتنة وإشفاقا على الأمة وحذرا من الفرقة حتى وصلت إليه فى خلاء فأبشته بشى كله وبرئت إليه منه ودفعت له فلما سمعها ووعاها وسرت فى أوصاله حمياها قال حلت معلوطه وولت مخروطه ثم قال . إحدى لياليك فهيسى هيسى || لاتعمى الليله بالتعريس . يا أباعبيده أهاكلك فى أنفاس القوم يستنبطونه ويضطغنون عليه فقلت لاجواب عندي إنما جئتكم قاضيا حق الدين وراتقا فتق الإسلام وسادا ثلثه الأمة يعلم الله ذلك من جلجلان قلبى وقرارة نفسى. [صفحه ٢٨٢] فقال ما كان قعودى فى كسر هذا البيت قصدا لخلاف ولا إنكارا لمعروف ولا زرايه على مسلم بل لما وقذنى به رسول الله ص من فراقه وأودعنى من الحزن لفقدته فإنى لم أشهد بعده مشهدا إلا جدد على حزنا وذكرنى شجنا وإن الشوق إلى اللحاق به كاف عن الطمع فى غيره وقد عكفت على عهد الله أنظر فيه وأجمع ماتفرق منه رجاء ثواب معد لمن أخلص لله عمله وسلم لعلمه ومشيتته أمره على أنى أعلم أن التظاهر على واقع ولى عن الحق الذى سيق إلى دافع وإذ قد أفعم الوادى لى وحشد النادى على فلما رجبا بما ساء أحدا من المسلمين وفى النفس كلام لو لاسابق قول وسالف عهد لشفيت غيظى بخنصرى وبنصرى وخضت لجهته بأخصى ومفرقى ولكنى ملجم إلى أن ألقى الله تعالى عنده أحسب ما نزل بى وأناغاد إن شاء الله إلى جماعتكم ومبايع لصاحبكم وصابر على ماساءنى وسركم ليقضى الله أمرا كان مفعولا وكان الله على كل شىء شهيدا. قال أبو عبيده فعدت

إلى أبي بكر وعمر فقصصت القول على غره و لم أترك شيئا من حلوه ومره ذكرت غدوة إلى المسجد فلما كان صباح يومئذ وافى على فخرق الجماعة إلى أبي بكر وبايعه وقال خيرا ووصف جميلا وجلس زمينا واستأذن للقيام ونهض فتبعه عمر إكراما له وإجلالا لموضعه واستنباطا لما فى نفسه وقام أبو بكر إليه فأخذ بيده وقال إن عصابة أنت منها يا أبا الحسن لمعصومة وإن أمة أنت فيها المرحومة ولقد أصبحت عزيزا علينا كريما لدينا نخاف الله إن سخطت ونرجوه إذارضيت و لو لأنى شذت لماأجبت إلى مادعيت إليه ولكنى خفت [صفحة ٢٨٣] الفرقة واستثثار الأنصار بالأمر على قريش وأعجلت عن حضورك ومشاورتك و لو كنت حاضرا لبايعتك و لم أعدل بك ولقد حط الله عن ظهرك ما أثقل كاهلى به و ماأسعد من ينظر الله إليه بالكفاية وإننا إليك لمحتاجون وبفضلك عالمون و إلى رأيك وهديك فى جميع الأحوال راغبون و على حمايتك وحفيظتك معولون ثم انصرف وتركه مع عمر. فالتفت على إلى عمر فقال يا أباحفص و الله ما قعدت عن صاحبك جزعا على ما صار إليه و لأتيت خائفا منه و لأقول ما أقول بعلة و إنى لأعرف مسمى طرفى ومخطى قدمى ومنزع قوسى وموقع سهمى ولكنى تخلفت إعدارا إلى الله و إلى من يعلم الأمر الذى جعله لى رسول الله وأتيت فبايعت حفظا للدين وخوفا من انتشار أمر الله -روايت- ١-٣٣٠. فقال له عمر يا أبا الحسن كفكف من غربك ونهته من شركك ودع العصا بلحائها والدلو برشائها فإننا من خلفها وورائها إن قدحنا أورينا و إن متحنا أروينا و إن قرحنا أدمينا و قدسمعت أمثالك التى ألغزت بهاصادرة عن صدر دو وقلب جو زعمت أنك قعدت فى كسر بيتك لماوقدك به فراق رسول الله أفراق رسول الله ص وقدك وحدك و لم يقذ سواك إن مصابه لأعز وأعظم من ذاك و إن من حق مصابه ألا تصدع شمل الجماعة بكلمة لاعصام لها فإنك لترى الأعراب حول المدينة لوتداعت علينا فى صبح يوم لم نلتقى فى ممساه وزعمت أن الشوق إلى اللحاق به كاف عن الطمع فى غيره فمن الشوق إليه نصره دينه وموازرة المسلمين عليه ومعاونتهم فيه . [صفحة ٢٨٤] وزعمت أنك مكب على عهد الله تجمع ماتفرق منه فمن العكوف على عهده النصيحة لعباده والرافة على خلقه و أن تبذل من نفسك ما يصلحون به ويجمعون عليه وزعمت أن التظاهر عليك واقع أى تظاهر وقع عليك و أى حق استؤثر به دونك لقد علمت ما قالت الأنصار أمس سرا وجهرا و ماتقلبت عليه ظهرا وبطنا فهل ذكرتك أو أشارت بك أو طلبت رضاها من عندك وهؤلاء المهاجرون من الذى قال منهم إنك صاحب هذا الأمر أو أوما إليك أو همهم بك فى نفسه أتظن أن الناس ضنوا من أجلك أو عادوا كفارا زهدا فيك أو باعوا الله تعالى بهواهم بغضا لك ولقد جاءنى قوم من الأنصار فقالوا إن عليا ينتظر الإمامة ويزعم أنه أولى بها من أبى بكر فأنكرت عليهم ورددت القول فى نحورهم حتى قالوا إنه ينتظر الوحى ويتوكف منا جاءه الملك فقلت ذاك أمر طواه الله بعد محمد ع . و من أعجب شأنك قولك لو لاسبق قول لشفيت غيظى بخنصرى وبنصرى وهل ترك الدين لأحد أن يشفى غيظه بيده أو لسانه تلك جاهلية استأصل الله شأفتها واقتلع جرثومتها ونور ليلها وغور سيلها وأبدل منها الروح والريحان والهدى والبرهان . وزعمت أنك ملجم فلعمرى إن من اتقى الله وآثر رضاه وطلب ما عنده أمسك لسانه وأطبق فاه وغلب عقله ودينه على هواه . و أما قولك إنى لأعرف منزع قوسى فإذا عرفت منزع قوسك عرفك غيرك مضرب سيفه ومطعن رمحه و أما ماتزعمه من الأمر الذى جعله رسول الله ص لك فتخلفت إعدارا إلى الله و إلى العارفة به من المسلمين فلو عرفه المسلمون [صفحة ٢٨٥] لجنحوا إليه وأصفقوا عليه و ما كان الله ليجمعهم على العمى و لا ليضربهم بالصبا بعد الهدى و لو كان لرسول الله ص فيك رأى و عليك عزم ثم بعثه الله فرأى اجتماع أمته على أبى بكر لما سفه آراءهم و لا ضلل أحلامهم و لا أترك عليهم و لا أرضاك بسخطهم ولأمرك باتباعهم والدخول معهم فيما ارتضوه لدينهم . فقال على مهلا أباحفص أرشدك الله خفض عليك ما بذلت ما بذلت و أنا أريد عنه حولا و إن أخسر الناس صفقة عند الله من استبطن النفاق واحتضن الشقاق و فى الله خلف عن كل فائت و عوض من كل ذاهب وسلوة عن كل حادث و عليه التوكل فى جميع الحوادث ارجع أباحفص إلى مجلسك نافع القلب مبرود الغليل فصيح اللسان رحب الصدر متهلل الوجه فليس وراء ما سمعته منى

إلا- مايشد الأزر ويحبط الوزر ويضع الإصر ويجمع الألفه ويرفع الكلفه إن شاء الله فانصرف عمر إلى مجلسه -روايت- ١-٢-
 روايت- ١٤-٤٧٠. قال أبو عبيده فلم أسمع و لم أر كلاما و لا مجلسا كان أصعب من ذلك الكلام والمجلس . قلت أذى يغلب
 على ظنى أن هذه المراسلات والمحاورات والكلام كله مصنوع موضوع و أنه من كلام أبى حيان التوحيدى لأنه بكلامه ومذهبه
 فى الخطاب والبلاغه أشبه و قد حفظنا كلام عمر و رسائله و كلام أبى بكر و خطبه فلم نجدهما يذهبان هذا المذهب و لا يسلكان
 هذا السبيل فى كلامهما و هذا الكلام عليه أثر التوليد ليس يخفى وأين أبوبكر وعمر من البدع وصناعة المحدثين و من تأمل كلام
 أبى حيان عرف أن [صفحہ ٢٨٦] هذا الكلام من ذلك المعدن خرج ويدل عليه أنه أسنده إلى القاضى أبى حامد المروروذى و
 هذه عادته فى كتاب البصائر يسند إلى القاضى أبى حامد كل ما يريد أن يقوله هو من تلقاء نفسه إذا كان كارها لأن ينسب إليه
 وإنما ذكرناه نحن فى هذا الكتاب لأنه و إن كان عندنا موضوعا منحولا فإنه صورة ماجرت عليه حال القوم فهم و إن لم ينطقوا به
 بلسان المقال فقد نطقوا به بلسان الحال . و مما يوضح لك أنه مصنوع أن المتكلمين على اختلاف مقالاتهم من المعتزلة والشيعة
 والأشعرية وأصحاب الحديث و كل من صنف فى علم الكلام والإمامة لم يذكر أحد منهم كلمة واحدة من هذه الحكاية ولقد
 كان المرتضى رحمه الله يلتقط من كلام أمير المؤمنين ع اللفظة الشاذة والكلمة المفردة الصادرة عنه ع فى معرض التألم والتظلم
 فيحتج بها ويعتمد عليها نحو قوله ما زلت مظلوما مذ قبض رسول الله حتى يوم الناس هذا -روايت- ١-٢-روايت- ٩-٦٥ قوله لقد
 ظلمت عدد الحجر والمدر -روايت- ١-٢-روايت- ٩-٣٦ قوله إن لنا حقا إن نعطه نأخذه و إن نمعه نركب أعجاز الإبل و إن
 طال السرى -روايت- ١-٢-روايت- ٩-٨٥ قوله فصبرت و فى الحلق شجا و فى العين قذى -روايت- ١-٢-روايت- ٩-٤٩ قوله
 اللهم إنى أستعديك على قريش فإنهم ظلمونى حقى و غصبونى إرثى -روايت- ١-٢-روايت- ٩-٧٥ . و كان المرتضى إذا ظفر
 بكلمة من هذه فكانما ظفر بملك الدنيا ويودعها كتبه وتصانيفه فأين كان المرتضى عن هذا الحديث وهلا ذكر فى كتاب الشافى
 فى الإمامة [صفحہ ٢٨٧] كلام أمير المؤمنين ع هذا وكذلك من قبله من الإمامية كابن النعمان وبنى نوبخت وبنى بابويه
 وغيرهم وكذلك من جاء بعده من متأخري متكلمي الشيعة وأصحاب الأخبار والحديث منهم إلى وقتنا هذا وأين كان أصحابنا
 عن كلام أبى بكر وعمر له ع وهلا- ذكره قاضى القضاة فى المغنى مع احتوائه على كل ماجرى بينهم حتى أنه يمكن أن يجمع
 منه تاريخ كبير مفرد فى أخبار السقيفة وهلا ذكره من كان قبل قاضى القضاة من مشايخنا وأصحابنا و من جاء بعده من متكلمي
 ورجالنا وكذلك القول فى متكلمي الأشعرية وأصحاب الحديث كابن الباقلانى وغيره و كان ابن الباقلانى شديدا على الشيعة
 عظيم العصية على أمير المؤمنين ع فلو ظفر بكلمة من كلام أبى بكر وعمر فى هذا الحديث لمأ الكتب والتصانيف بها وجعلها
 هجيرا و دأبه . والأمر فيما ذكرناه من وضع هذه القصة ظاهر لمن عنده أدنى ذوق من علم البيان ومعرفة كلام الرجال ولمن عنده
 أدنى معرفة بعلم السير وأقل أنس بالتواريخ . قوله ع مودع لا قال و لا مبعوض و لا سئم أى لا ملول سئمت من الشىء أسام سآما
 وسآما وسآمة سئمته إذا ملته و رجل سئوم . ثم أكد ع هذا المعنى فقال إن انصرفت فلا عن ملالة و إن أقمت فلا عن سوء ظن بما
 وعد الله الصابرين أى ليست إقامتى على قبرك و جزعى عليك إنكارا منى لفضيلة الصبر والتجلد والتعزى والتأسى و ما وعد الله
 به الصابرين من الثواب بل أنا عالم بذلك ولكن يغلبنى بالطبع البشرى . و روى أن فاطمة بنت الحسين ع ضربت فسطاطا على قبر
 بعلمها الحسن [صفحہ ٢٨٨] بن الحسن ع سنة فلما انقضت السنة قوضت الفسطاط راجعة إلى بيتها فسمعت هاتفا يقول هل بلغوا
 ما طلبوا فأجابه هاتف آخر بل يسوا فانصرفوا . و ذكر أبو العباس محمد بن يزيد المبرد فى كتابه الكامل أنه ع تمثل عند قبر فاطمة
 -روايت- ١-٢-روايت- ٥٥-٨٢ ذكرت أبا روى فبت كأننى || برد الهموم الماضيات و كيل لكل اجتماع من خليلين فرقة || و
 كل أذى دون الفراق قليل و إن افتقادی واحدا بعد واحد || دليل على ألا يدوم خليل و الناس يرونه -روايت- ١-١٧ و إن
 افتقادی فاطما بعد أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الواحد العدل

١٩٦- ومن كلام له ع

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارٌ مَجَازٍ وَ الآخِرَةُ دَارٌ قَرَارٍ فَخُذُوا مِنْ مَمَرِكُمْ لِمَقَرِّكُمْ وَ لَا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ وَ أَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ فِيهَا اخْتَبِرْتُمْ وَ لِعِيرِهَا خُلِقْتُمْ إِنَّ المَرَّةَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ مَا تَرَكَ وَ قَالَتِ المَلَائِكَةُ مَا قَدَّمَ لِلَّهِ آيَاؤُكُمْ فَقَدَّمُوا بَعْضًا يَكُنْ لَكُمْ وَ لَا تُخْلِفُوا كُلًّا فَيَكُونَ فَرَضًا عَلَيْكُمْ ذَكَرَ أَبُو العَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ المَبْرَدُ فِي الكَامِلِ عَنِ الأَصْمَعِيِّ قَالَ خَطَبْنَا أَعْرَابِيَّ بِالبَادِيَةِ فَحَمَدَ اللهَ وَ اسْتَغْفَرَهُ وَ وَحَدَّهُ وَ صَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ ص فَابْلَغَ فِي إِيجَازٍ ثُمَّ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ بَلَاحٍ وَ الآخِرَةُ دَارٌ قَرَارٍ فَخُذُوا لِمَقَرِّكُمْ مِنْ مَمَرِكُمْ وَ لَا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ أَسْرَارَكُمْ فِي الدُّنْيَا أَنْتُمْ [صَفْحَةُ ٤] وَ لِعِيرِهَا خَلَقْتُمْ أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَ اسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَ لِكُمْ وَ المَصْلَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهَ وَ المَدْعُو لَهُ الخَلِيفَةُ وَ الأَمِيرُ جَعْفَرُ بْنُ سَلِيمَانَ . وَ ذَكَرَ غَيْرُهُ الزِّيَادَةُ الَّتِي فِي كَلَامِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ ع وَ هِيَ أَنَّ المَرَّةَ إِذَا هَلَكَ إِلَى آخِرِ الكَلَامِ . وَ أَكْثَرَ النَّاسِ عَلَى أَنَّ هَذَا الكَلَامَ لِأَمِيرِ المُؤْمِنِينَ ع . وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الأَعْرَابِيُّ حَفِظَهُ فَأُورِدَهُ كَمَا يُورِدُ النَّاسُ كَلَامَ غَيْرِهِمْ . قَوْلُهُ ع دَارٌ مَجَازٍ أَيْ يَجَازُ فِيهَا إِلَى الآخِرَةِ وَ مِنْهُ سُمِّيَ المَجَازُ فِي الكَلَامِ مَجَازًا لِأَنَّ المَتَكَلِمَ قَدِ عَبَّرَ الحَقِيقَةَ إِلَى غَيْرِهَا كَمَا يَعْبرُ الإِنْسَانُ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ . وَ دَارُ القَرَارِ دَارُ الاسْتِقْرَارِ الَّذِي لِآخِرِهِ . فَخُذُوا مِنْ مَمَرِكُمْ أَيْ مِنَ الدُّنْيَا لِمَقَرِّكُمْ وَ هُوَ الآخِرَةُ . قَوْلُهُ ع قَالَ النَّاسُ مَا تَرَكَ يُرِيدُ أَنَّ بَنِي آدَمَ مَشْغُولُونَ بِالعَاجِلَةِ لِأَيُفَكِّرُونَ فِي غَيْرِهَا وَ لَا يَتَسَاءَلُونَ إِعْنَهَا إِذَا هَلَكَ أَحَدُكُمْ فَإِنَّمَا قَوْلُهُمْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مَا الَّذِي تَرَكَ فَلَانَ مِنَ المَالِ مَا الَّذِي خَلْفَ مِنَ الوَلَدِ وَ أَمَا المَلَائِكَةُ فَإِنَّهُمْ يَعْرِفُونَ الآخِرَةَ وَ لَا تَسْتَهْوِيهِمْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا وَ إِنَّمَا هُمْ مَشْغُولُونَ بِالذِّكْرِ وَ التَّسْبِيحِ إِذَا هَلَكَ الإِنْسَانُ قَالُوا مَا قَدَّمَ أَيْ شَيْءَ قَدَّمَ مِنَ الأَعْمَالِ . ثُمَّ أَمْرُهُمْ ع بِأَنَّ يَقْدُمُوا مِنَ أَمْوَالِهِمْ بَعْضَهَا صَدَقَةً فَإِنَّهَا تَبْقَى لَهُمْ وَ نَهَايَهُمْ أَنْ يَخْلِفُوا أَمْوَالَهُمْ كُلَّهَا بَعْدَ مَوْتِهِمْ فَتَكُونَ وَ بَالًا عَلَيْهِمْ فِي الآخِرَةِ [صَفْحَةُ ٥]

١٩٧- ومن كلام له ع كان كثيرا ما ينادى به أصحابه

تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ اللهُ فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ وَ أَقْلُوا العَرَجَةَ عَلَى الدُّنْيَا وَ انْقَلَبُوا بِصَالِحِ مَا بَحَضَرَتْكُمْ مِنَ الزَّادِ فَإِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كَثُودًا وَ مَنَازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَةً لَا بُدَّ مِنَ الوُرُودِ عَلَيْهَا وَ الوُقُوفِ عِنْدَهَا . وَ اعْلَمُوا أَنَّ مَلَا حِظَ المَتِيَّةِ نَحْوَكُمْ دَائِبَةٌ وَ كَأَنَّكُمْ بِمَخَالِبِهَا وَ قَدْ نَشِبَتْ فِيكُمْ وَ قَدْ دَهَمَتْكُمْ مِنْهَا مُفْطِعَاتُ الأُمُورِ وَ مُضْلِعَاتُ المَحْذُورِ . فَقَطَّعُوا عِلَاقَةَ الدُّنْيَا وَ اسْتَظْهَرُوا بِرِزَادِ التَّقْوَى وَ قَدِمُوا شَيْءَ مِنَ هَذَا الكَلَامِ فِيمَا تَقَدَّمَ يَخَالِفُ هَذِهِ الرِّوَايَةَ - رَوَايَتُ - ١ - ٦٠ تَجَهَّزُوا لِكَذَا أَيْ تَهَيَّئُوا لَهُ . وَ العَرَجَةُ التَّعْرِيجُ وَ هُوَ الإِقَامَةُ تَقُولُ مَا لِي عَلَى رِبْعِكَ عَرَجَةٌ أَيْ إِقَامَةٌ وَ عَرَجَ فَلَانٌ عَلَى المَنْزَلِ إِذَا حَبَسَ عَلَيْهِ مَطِيئَتَهُ . [صَفْحَةُ ٦] وَ العَقَبَةُ الكَثُودُ الشَّاقَةُ المَصْعَدُ وَ دَائِبَةٌ جَادَةٌ وَ المَخْلَبُ لِلسَّبْعِ بِمَنْزِلَةِ الظَّفَرِ لِلإِنْسَانِ . وَ أَفْطَعَ الأَمْرُ فَهُوَ مَفْطَعٌ إِذَا جَاوَزَ المَقْدَارَ شَدَّةً . وَ مَضْلِعَاتُ المَحْذُورِ الخَطُوبُ الَّتِي

تضلع أى تجعل الإنسان ضليعا أى معوجا والماضى ضلع بالكسر يضلع ضلعا. و من رواها بالطاء أراد الخطوب التى تجعل الإنسان ظالعا أى يغمز فى مشيه لثقلها عليه والماضى ضلع بالفتح يضلع ظلعا فهو ظالع [صفحہ ۷]

۱۹۸- و من كلام له ع كلم به طلحة والزبير بعديعته بالخلافة

اشاره

و قد عتبا عليه من ترك مشورتها والاستعانه فى الأمور بهما لقد نَقَمْتُمَا يَسِيرًا وَ أَرَجَأْتُمَا كَثِيرًا أَلَا تُخْبِرَانِي أَي شَيْءٍ كَانَ لَكُمَا فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُمَا عَنْهُ أَمْ أَي قَسَمَ اسْتَأْثَرْتُ عَلَيْكُمَا بِهِ أَوْ أَي حَقٌّ رَفَعَهُ إِلَيَّ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ضَعُفْتُ عَنْهُ أَمْ جَهَلْتُهُ أَمْ أَخْطَأْتُ بَابَهُ. وَ اللَّهُ مَا كَانَتْ لِي فِي الْخِلَافَةِ رَغْبَةٌ وَ لَا فِي الْوَلَايَةِ إِرْبَةٌ وَ لَكِنَّكُمْ دَعَوْتُمُونِي إِلَيْهَا وَ حَمَلْتُمُونِي عَلَيْهَا فَلَمَّا أَفْضَتْ إِلَيَّ نَظَرْتُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَ مَا وَضَعَ لَنَا وَ أَمَرْنَا بِالْحُكْمِ بِهِ فَاتَّبَعْتُهُ وَ مَا اسْتَنْتَ النَّبِيَّ ص فَاقْتَدَيْتَهُ فَلَمْ أَحْتَجِجْ إِلَيَّ رَأْيِكُمَا وَ لَا رَأْيَ غَيْرِكُمَا وَ لَا وَقَعَ حُكْمٌ جَهَلْتُهُ فَاسْتَشِيرَكُمَا وَ إِخْوَانِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَ لَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ أَرْغَبْ عَنْكُمَا وَ لَا عَنْ غَيْرِكُمَا. وَ أَمَا مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الْأَسْوَةِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكَمْ أَنَا فِيهِ بِرَأْيِي وَ لَا وَلِيَّتُهُ هَوَى مِنِّي بَلْ وَحَدِثْتُ أَنَا وَ أَنْتُمَا مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ص قَدْ فَرَّغَ مِنْهُ فَلَمْ أَحْتَجِجْ إِلَيْكُمَا فِيمَا قَدْ فَرَّغَ اللَّهُ مِنْ قَسَمِهِ وَ أَمْضَى فِيهِ حُكْمَهُ فَلَيْسَ لَكُمَا وَ اللَّهُ عِنْدِي وَ لَا لِغَيْرِكُمَا فِي هَذَا عُتْبَى. أَخَذَ اللَّهُ بِقُلُوبِنَا وَ قُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ وَ أَلْهَمَنَا وَ إِيَّاكُمْ الصَّبْرَ. [صفحہ ۸] ثُمَّ قَالَ ع رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا رَأَى حَقًّا فَأَعَانَ عَلَيْهِ أَوْ رَأَى جَوْرًا فَرَدَّهُ وَ كَانَ عَوْنًا بِالْحَقِّ عَلَى صَاحِبِهِ نَقَمْتُ عَلَيْهِ بِالْفَتْحِ أَنْقَمَ هَذِهِ اللَّغَةُ الْفَصِيحَةُ وَجَاءَ نَقَمْتُ بِالْكَسْرِ أَنْقَمَ. وَ أَرَجَأْتُمَا آخِرْتُمَا أَي نَقَمْتُمَا مِنْ أحوالى اليسير و تركتُمَا الكثير الذى ليس لكما و لا لغيركما فيه مطعن فلم تذكراه فهلا اغتفرتما اليسير للكثير. و ليس هذا اعترافا بأن مانقماه موضع الطعن والعيب ولكنه على جهة الجدل والاحتجاج كما تقول لمن يطعن فى بيت من شعر شاعر مشهور لقد ظلمته إذ تتعلق عليه بهذا البيت وتنسى ما له من المحاسن الكثيرة فى غيره. ثم ذكر وجوه العتاب والاستراة وهى أقسام إما أن يكون لهما حق يدفعهما عنه أو استأثر عليهما فى قسم أو ضعف عن السياسة أو جهل حكما من أحكام الشريعة أو أخطأ بابه. فإن قلت أى فرق بين الأول والثانى قلت أمدفعهما عن حقهما فمنعهما عنه سواء صار إليه ع أو إلى غيره أو لم يصر إلى أحد بل بقى بحاله فى بيت المال. [صفحہ ۹] و أما القسم الثانى فهو أن يأخذ حقهما لنفسه و بين القسمين فرق ظاهر والثانى أفحش من الأول. فإن قلت فأى فرق بين قوله أم جهلته أو أخطأت بابه. قلت جهل الحكم أن يكون الله تعالى قد حكم بحرمه شىء فأحلله الإمام أو المفتى وكونه يخطئ بابه هو أن يصيب فى الحكم ويخطئ فى الاستدلال عليه. ثم أقسم أنه لم يكن له فى الخلافة رغبة و لا إربة بكسر الهمزة وهى الحاجة وصدق ع فهكذا نقل أصحاب التواريخ وأرباب علم السير كلهم و روى الطبرى فى التاريخ ورواه غيره أيضا إن الناس غشوه وتكاثروا عليه يطلبون مبايعته و هو يابى ذلك و يقول دعونى والتمسوا غيرى فإننا مستقبلون أمرا له وجوه وألوان لا تثبت عليه العقول و لا تقوم له القلوب قالوا نشدك الله ألا ترى الفتنة ألا ترى إلى ما حدث فى الإسلام أ لا تخاف الله فقال قد أجبتمكم لما أرى منكم واعلموا أنى إن أجبتمكم ركبتمكم ما أعلم و إن تركتمونى فإنما أنا كأحدكم بل أنا أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم إليه فقالوا مانحن بمفارقيك حتى نبايعك قال إن كان لا بد من ذلك ففى المسجد فإن بيعتى لا تكون خفيا و لا تكون إلا عن رضا المسلمين و فى ملا و جماعة فقام و الناس حوله فدخل المسجد وانتال عليه المسلمون فبايعوه وفيهم طلحة والزبير -روایت ۱- ۲-روایت ۳- ۴۵- ۶۸۶. قلت قوله إن بيعتى لا تكون خفيا و لا تكون إلا فى المسجد بمحضر من جمهور الناس يشابه قوله بعد وفاة رسول الله ص للعباس لما سامه مد يده للبيعة إني أحب أن أصحربها

وأكره أن أبايع من وراء رتاج . [صفحہ ۱۰] ثم ذكر ع أنه لما بويغ عمل بكتاب الله وسنه رسولہ و لم يحتج إلى رأيهما ولا رأى غيرهما و لم يقع حكم يجهلہ فيستشيرهما و لوقع ذلك لاستشارهما وغيرهما و لم يأنف من ذلك . ثم تكلم في معنى التنفيل في العطاء فقال إني عملت بسنه رسول الله ص في ذلك وصدق ع فإن رسول الله ص سوى في العطاء بين الناس و هو مذهب أبي بكر . والعبي الرضا أي لست أرضيكما بارتكاب ما لا يحل لي في الشرع ارتكابه والضمير في صاحبه و هو الهاء المجرورة يرجع إلى الجور أي و كان عوننا بالعمل على صاحب الجور

من أخبار طلحة والزبير

قد تقدم منا ذكر ما عتب به طلحة والزبير على أمير المؤمنين ع وأنهما قالوا ما نراه يستشيرنا في أمر و لا يفاوضنا في رأي و يقطع الأمر دوننا و يستبد بالحكم عنا و كانا يرجوان غير ذلك و أراد طلحة أن يوليه البصرة و أراد الزبير أن يوليه الكوفة فلما شاهدا صلابته في الدين وقوته في العزم وهجره الأدهان والمراقبة ورفضه المدالسة والمواربة وسلوكه في جميع مسالكة منهج الكتاب والسنة و قد كانا يعلمان ذلك قديما من طبعه وسجيته و كان عمر قال لهما ولغيرهما إن الأجلح إن وليها ليحملنكم على المحجة البيضاء والصراط المستقيم و كان رسول الله ص -روایت- ۱-۲ [صفحہ ۱۱] من قبل قال و إن تولوها عليا تجدوه هاديا مهديا -روایت- ۱۶-۵۳ إلا- أنه ليس الخبر كالعيان و لا القول كالفعل و لا الوعد كالإنجاز وحالا عنه وتنكرا له ووقعا فيه و عاباه و غمصاه و تطلبا له العلل والتأويلات و تنقما عليه الاستبداد و ترك المشاورة وانتقلا من ذلك إلى الوقعة فيه بمساواة الناس في قسمة المال وأثنا على عمر و حمدا سيرته و صوبا رأيه وقال- إنه كان يفضل أهل السوابق و ضللا عليا فيما رآه وقال إنه أخطأ و إنه خالف سيرة عمر و هي السيرة المحمودة التي لم تفضحها النبوة مع قرب عهدنا منها واتصالها بها واستنجدا عليه بالرؤساء من المسلمين كان عمر يفضلهم و ينفلهم في القسم على غيرهم و الناس أبناء الدنيا و يحبون المال حبا جما فتكرت على أمير المؤمنين ع بتكرهما قلوب كثيرة و نغلت عليه نيات كانت من قبل سليمة و لقد كان عمر موفقا حيث منع قريشا والمهاجرين وذوى السوابق من الخروج من المدينة و نهاهم عن مخالطة الناس و نهى الناس عن مخالطتهم و رأى أن ذلك أس الفساد في الأرض و أن الفتوح والغنائم قد أبطرت المسلمين و متى بعد الرءوس والكبراء منهم عن دار الهجرة وانفردوا بأنفسهم وخالطهم الناس في البلاد البعيدة لم يأمن أن يحسنوا لهم الوثوب و طلب الإمرة و مفارقة الجماعة و حل نظام الألفة ولكنه رضى الله عنه نقض هذا الرأي السديد بما فعله بعد طعن أبي لؤلؤة له من أمر الشورى فإن ذلك كان سبب كل فتنه وقعت و تقع إلى أن تنقضى الدنيا و قد قدمنا ذكر ذلك و شرحنا ما أدى إليه أمر الشورى من الفساد بما حصل في نفس كل من الستة من ترشيحه للخلافة. [صفحہ ۱۲] و روى أبو جعفر الطبري في تاريخه قال كان عمر قد حجر على أعلام قريش من المهاجرين الخروج في البلدان إلا بإذن و أجل فشكوه فبلغه فقام فخطب فقال ألا إني قد سننت الإسلام سن البعير يبدأ فيكون جذعا ثم ثنيا ثم يكون رباعيا ثم سديسا ثم بازلا ألا فهل ينتظر بالبازل إلا النقصان ألا و إن الإسلام قد صار بازلا و إن قريشا يريدون أن يتخذوا مال الله معونات على ما في أنفسهم ألا إن في قريش من يضم الفرقة و يروم خلع الربة أما و ابن الخطاب حى فلا إني قائم دون شعب الحرة آخذ بحلقيم قريش و حجزها أن يتهافتوا في النار . و قال أبو جعفر الطبري في التاريخ أيضا فلما ولي عثمان لم يأخذهم بالذى كان عمر يأخذهم به فخرجوا إلى البلاد فلما نزلوها ورأوا الدنيا ورأهم الناس خمل من لم يكن له طول و لا قدم في الإسلام و نبه أصحاب السوابق والفضل فانقطع إليهم الناس و صاروا أوزاعا معهم وأملوهم و تقربوا إليهم وقالوا يملكون فيكون لنا في ملكهم حظوة فكان ذلك أول وهن على الإسلام وأول فتنه كانت في العامة. و روى أبو جعفر الطبري عن الشعبي قال لم يمت عمر حتى ملته قريش و قد كان حصرهم

بالمدينة وسألوه أن يأذن لهم في الخروج إلى البلاد فامتنع عليهم وقال إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة انتشاركم في البلاد حتى أن الرجل كان يستأذنه في غزو الروم أو الفرس و هو ممن حبسه بالمدينة من قريش و لاسيما من المهاجرين فيقول له إن لك في غزوك مع رسول الله ص ما يكفيك و يبلغك و يحسبك و هو خير لك من الغزو اليوم و إن خيرا لك ألا ترى الدنيا و لا تراك . [صفحہ ۱۳] فلما مات عمر و ولى عثمان خلى عنهم فانتشروا في البلاد واضطربوا و انقطع إليهم الناس و خالطوهم فلذلك كان عثمان أحب إلى قريش من عمر. فقد بان لك حسن رأى عمر في منع المهاجرين و أهل السابقة من قريش من مخالطة الناس و الخروج من المدينة و بان لك أن عثمان أرخى لهم في الطول فخالطهم الناس و أفسدوهم و حببوا إليهم الملكة و الإمرة و الرئاسة لاسيما مع الثروة العظيمة التي حصلت لهم و الثراء مفسدة و أى مفسدة و حصل لطلحة و الزبير من ذلك ما لم يحصل لغيرهما ثروة و يسارا و قدما في الإسلام و صار لهما لفيظ عظيم من المسلمين يمنونهما بالخلافة و يحسنون لهما طلب الإمرة لاسيما و قدر شحهما عمر لها و أقامهما مقام نفسه في تحملها و أى امرئ منى بهاقط نفسه ففارقها حتى يغيب في اللحد و لاسيما طلحة قد كان يحدث بهانفسه و أبو بكر حى و يروم أن يجعلها فيه بشبهة أنه ابن عمه و سخط خلافة عمر و قال لأبى بكر ماتقول لربك و قدوليت علينا فظا غليظا و كان له في أيام عمر قوم يجلسون إليه و يحدثونه سرا في معنى الخلافة و يقولون له لومات عمر لبايعناك بغته جلب الدهر علينا ما جلب و بلغ ذلك عمر فخطب الناس بالكلام المشهور أن قوما يقولون إن بيعه أبى بكر كانت فلتة و إنه لومات عمر لفعلنا و فعلنا أما إن بيعه أبى بكر كانت فلتة إلا أن الله و قى شرها و ليس فيكم من تقطع إليه الرقاب كأبى بكر فأى امرئ بايع امرأ من غير مشورة من المسلمين فإنهما بغرة أن يقتلا فلما صارت إلى عثمان سخطها طلحة بعد أن كان رضىها و أظهر ما فى نفسه و ألب عليه حتى قتل و لم يشك أن الأمر له فلما صارت إلى على ع حدث منه ما حدث و آخر الدواء الكى . و أما الزبير فلم يكن إلا علوى الرأى شديد الولاء جاريا من الرجل مجرى نفسه . [صفحہ ۱۴] و يقال إنه ع لما استنجد بالمسلمين عقيب يوم السقيفة و ماجرى فيه و كان يحمل فاطمة ع ليلا على حمار و ابناها بين يدى الحمار و هو ع يسوقه فيطرق بيوت الأنصار و غيرهم و يسألهم النصرة و المعونة أجابه أربعون رجلا فبايعهم على الموت و أمرهم أن يصبحوا بكرة محلقي رء و سهم و معهم سلاحهم فأصبح لم يوافه منهم إلا أربعة الزبير و المقداد و أبوذر و سلمان ثم أتاهم من الليل فناداهم فقالوا نصبحك غدوة فما جاءه منهم إلا أربعة و كذلك الثلاثة و كان الزبير أشدهم له نصرة و أنفذهم فى طاعته بصيرة حلق رأسه و جاء مرارا و فى عنقه سيفه و كذلك الثلاثة الباقون إلا أن الزبير هو كان الرأس فيهم و قدنقل الناس خبر الزبير لما هجم عليه بيت فاطمة ع و كسر سيفه فى صخرة ضربت به و نقلوا اختصاصه بعلى ع و خلواته به و لم يزل مواليا له متمسكا بحبه و مودته حتى نشأ ابنه عبد الله و شب فترع به عرق من الأم و مال إلى تلك الجهة و انحرف عن هذه و محبة الوالد للولد معروفة ف انحرف الزبير لانحرافه على أنه قد كانت جرت بين على ع و الزبير هنات فى أيام عمر كدرت القلوب بعض التكدير و كان سببها قصة موالى صافية و منازعة على للزبير فى الميراث فقضى عمر للزبير فأذعن على ع لقضائه بحكم سلطانه لارجوعا عما كان يذهب إليه من حكم الشرع فى هذه المسألة و بقيت فى نفس الزبير على أن شيخنا أبا جعفر الإسكافى رحمه الله ذكر فى كتاب نقض العثمانية عن الزبير كلاما إن صح فإنه يدل على انحراف شديد و رجوع عن موالاته أمير المؤمنين ع . قال تفاخر على ع و الزبير فقال الزبير أسلمت بالغا و أسلمت طفلا و كنت أول من سل سيفا فى سبيل الله بمكة و أنت مستخف فى الشعب يكفلك الرجال [صفحہ ۱۵] و يمونك الأقارب من بنى هاشم و كنت فارسا و كنت راجلا و فى هياتى نزلت الملائكة و أنا حوارى رسول الله ص . قال شيخنا أبو جعفر و هذا الخبر مفتعل مكذوب و لم يجر بين على و الزبير شىء من هذا الكلام ولكنه من وضع العثمانية و لم يسمع به فى أحاديث الحشوية و لا فى كتب أصحاب السيرة . و لعل على أن يقول طفل مسلم خير من بالغ كافر و أما سل سيف بمكة فلم يكن فى موضعه و فى ذلك قال الله تعالى أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ آلَايَةَ و أنا على منهاج الرسول فى الكف

والإقدام و ليس كفاله الرجال والأقارب بالشعب عارا على فقد كان رسول الله ص فى الشعب يكفله الرجال والأقارب و أما حربك فارسا و حربى راجلا فهلا أغنت فروسيك يوم عمرو بن عبدود فى الخندق وهلا أغنت فروسيك يوم طلحة بن أبى طلحة فى أحد وهلا أغنت فروسيك يوم مرحب بخير ما كانت فرسك التى تحارب عليها فى هذه الأيام إلا أذل من العنز الجرباء و من سلمت عليه الملائكة أفضل ممن نزلت فى هياته و قد نزلت الملائكة فى صورة دحية الكلبي أفيجب من ذلك أن يكون دحية أفضل منى و أما كونك حواري رسول الله ص فلو عددت خصائصى فى مقابلة هذه اللفظة الواحدة لك لاستغرقت الوقت وأفنت الزمان ورب صمت أبلغ من نطق . ثم نرجع إلى الحديث الأول فتقول إن طلحة والزبير لما أيسا من جهة على ع -قرآن- ٤٠٦-٤٦١ [صفحة ١٦] و من حصول الدنيا من قبله قلبا له ظهر المجن فكاشفاه و عاتباه قبل المفارقة عتابا لادعا روى شيخنا أبو عثمان قال أرسل طلحة والزبير إلى على ع قبل خروجهما إلى مكة مع محمد بن طلحة وقال لا تقل له يا أمير المؤمنين ولكن قل له يا أبا الحسن لقد فال فيك رأينا وخاب ظننا أصلحنا لك الأمر ووطننا لك الإمرة و أجلبنا على عثمان حتى قتل فلما طلبك الناس لأمرهم أسرعنا إليك وبايعناك و قدنا إليك أعناق العرب ووطى المهاجرون والأنصار أعقابنا فى بيعتك حتى إذ املكك عنانك استبددت برأيك عنا ورفضتنا رفض التريكة و أذلتنا إذالة الإمام وملكك أمرك الأشر و حكيم بن جبلة وغيرهما من الأعراب و نزاع الأمصار فكنا فيما رجونا منك و أملناه من ناحيتك كما قال الأول فكنت كمهريق الذى فى سقائه || لرقاق آل فوق رابية صلد فلما جاء محمد بن طلحة أبلغه ذاك فقال اذهب إليهما فقل لهما فما الذى يرضيكما فذهب وجاءه فقال إنهما يقولان ول أحدنا البصرة و الآخر الكوفة فقال لاها الله إذن يحلم الأديم ويستشرى الفساد و تنتقض على البلاد من أقطارها و الله إنى لا آمنهما و هما عندى بالمدينة فكيف آمنهما و قد وليتهما العراقيين اذهب إليهما فقل أيها الشيخان احذرا من سطوة الله و نقمته و لا تبغيا للمسلمين غائلة و كيدا و قد سمعنا قول الله تعالى تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فى الأَرْضِ وَ لَا فَسادًا وَ العاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ فقام محمد بن طلحة فأتاها و لم يعد إليه و تأخرا عنه أياما ثم جاءه فاستأذناه فى الخروج إلى مكة للعمرة فأذن لهما بعد أن أحلفهما -قرآن- ٤٢٠-٥٣٧ [صفحة ١٧] ألا ينقضا بيعته و لا يغدرا به و لا يشقا عصا المسلمين و لا يوقعا الفرقة بينهم و أن يعودا بعد العمرة إلى بيوتهما بالمدينة فحلفا على ذلك كله ثم خرجا ففعلا مافعلا. و روى شيخنا أبو عثمان قال لما خرج طلحة والزبير إلى مكة وأوهما الناس أنهما خرجا للعمرة قال على ع لأصحابه و الله ما يريدان العمرة وإنما يريدان الغدرة فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَ مَنْ أوفى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا. و روى الطبرى فى التاريخ قال لمابايع طلحة والزبير عليا ع سألاه أن يؤمرهما على الكوفة والبصرة فقال بل تكونان عندى أنجمل بكما فإننى أستوحش لفراقكما. قال الطبرى و قد كان قال لهما قبل بيعتهما له إن أحببنا أن تبايعانى و إن أحببنا بايعتكما فقالا لا بل نبايعك ثم قال بعد ذلك إنما بايعناه خشية على أنفسنا و قد عرفنا أنه لم يكن لبايعنا ثم ظهرا إلى مكة و ذلك بعد قتل عثمان بأربعة أشهر. و روى الطبرى أيضا فى التاريخ قال لمابايع الناس عليا و تم له الأمر قال طلحة للزبير ما أرى أن لنا من هذا الأمر إلا كحسة أنف الكلب . و روى الطبرى أيضا فى التاريخ قال لمابايع الناس عليا ع بعد قتل عثمان جاء على إلى الزبير فاستأذن عليه قال أبو حبيبه مولى الزبير فأعلمته به فسل السيف ووضعه تحت فراشه و قال ائذن له فأذنت له فدخل فسلم على الزبير و هو واقف ثم خرج فقال الزبير لقد دخل لأمر ما قضاه قم مقامه وانظر هل ترى من -قرآن- ٣١٧-٤٢٧ [صفحة ١٨] السيف شيئا فقامت فى مقامه فرأيت ذباب السيف فأخبرته و قلت إن ذباب السيف ليظهر لمن قام فى هذا الموضع فقال ذاك أعجل الرجل و روى شيخنا أبو عثمان قال كتب مصعب بن الزبير إلى عبد الملك من مصعب بن الزبير إلى عبد الملك بن مروان سلام عليك فإننى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو أما بعد ستعلم يافتى الزرقاء أنى || سأهتك عن حلائلك الحجابا و أترك بلدة أصبحت فيها || تهور من جوانبها خرابا أما إن الله على الوفاء بذلك إلا أن تتراجع أو تتوب و لعمرى ما أنت كعبد الله بن الزبير و لامروان كالزبير بن العوام حواري رسول الله ص و ابن

عمته فسلم الأمر إلى أهله فإن نجاتك بنفسك أعظم الغنيمتين والسلام. فكتب إليه عبدالملك من عبد الله عبدالملك أمير المؤمنين إلى الذلول أذى أخطأ من سماه المصعب سلام عليك فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو أما بعد أتوعدنى و لم أر مثل يومى || خشاش الطير يوعدن العقابا متى تلق العقاب خشاش طير || يهتك عن مقاتلها الحجابا أتوعد بالذئاب أسود غاب || وأسد الغاب تلتهم الذئابا . أما ما ذكرت من وفائك فلعمري لقد وفى أبوك لتيمة وعدى بعداء قريش وزعانفها حتى إذا صارت الأمور إلى صاحبها عثمان الشريف النسب الكريم الحسب بغاه الغوائل وأعد له المخاتل حتى نال منه حاجته ثم دعا الناس إلى على وبايعه فلما [صفحہ ۱۹] دانت له أمور الأمه وأجمعت له الكلمه وأدرکه الحسد القديم لبنى عبدمناف فنقض عهده ونكث بيعته بعد توكيدها ففكر وقدر فقتل كيف قدر وتمزقت لحمه الضباع بوادى السباع ولعمري إنك تعلم يا أخا بنى عبدالعزى بن قصى أنابنو عبدمناف لم نزل سادتكم وقادتكم فى الجاهليه والإسلام ولكن الحسد دعاك إلى ما ذكرت و لم ترث ذلك عن كلاله بل عن أبيك و لأظن حسدك وحسد أخيك يؤول بكما إلا إلى ما آل إليه حسد أبيكما من قبل و لا يحق المكر السيئ إلا بأهلِهِو سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون. وروى أبو عثمان أيضا قال دخل الحسن بن على ع على معاوية وعنده عبد الله بن الزبير و كان معاوية يحب أن يغرى بين قريش فقال يا أبا محمد أيهما كان أكبر سنا على أم الزبير فقال الحسن ما أقرب ما بينهما و على أسن من الزبير رحم الله عليا فقال ابن الزبير رحم الله الزبير وهناك أبو سعيد بن عقيل بن أبى طالب فقال يا عبد الله و ما يهيجك من أن يترحم الرجل على أبيه قال و أنا أيضا ترحمت على أبى قال أتظنه ندا له و كفؤا قال و ما يعدل به عن ذلك كلاهما من قريش و كلاهما دعا إلى نفسه و لم يتم له قال دع ذاك عنك يا عبد الله إن عليا من قريش و من الرسول ص حيث تعلم و لمادعا إلى نفسه أتبع فيه و كان رأسا ودعا الزبير إلى أمر و كان الرأس فيه امرأه و لماترت الفتان نكص على عقبيه وولى مدبرا قبل أن يظهر الحق فأخذه أويدحض الباطل فيتركه فأدرکه رجل لوقيس ببعض أعضائه لكان أصغر ف ضرب عنقه وأخذ سلبه وجاء برأسه ومضى على قدما كعادته مع ابن عمه رحم الله عليا -قرآن- ۱۱۳- ۱۵۰-قرآن- ۴۴۳- ۴۸۸-قرآن- ۴۸۹- ۵۴۶ [صفحہ ۲۰] فقال ابن الزبير أما لو أن غيرك تكلم بهذا يا أباسعيد لعلم فقال إن الذى تعرض به يرغب عنك وكفه معاوية فسكتوا. وأخبرت عائشه بمقاتلتهم ومر أبو سعيد بفنائها فنادته يا أباسعيد أنت القائل لابن أختى كذا فالتفت أبو سعيد فلم ير شيئا فقال إن الشيطان يرانا و لانراه فضحكت عائشه وقالت لله أبوك ما أذلق لسانك [صفحہ ۲۱]

۱۹۹- و من كلام له ع و قدسمع قوما من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين

إني أكره لكم أن تكونوا سبائين و لكنكم لو وصيتم أعمى اللهم و ذكرتكم حيا اللهم كأن أصوب فى القول و أبلغ فى العذر و قلت م كان سبكم إياهم اللهم احقن دماءنا و دماءهم و أصلح ذات بيننا و بينهم و اهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله و يرعوي عن الغي و العداوان من لهج به السب الشتم سبه يسبه بالضم والتساب التشاتم و رجل مسب بكسر الميم كثير السباب و رجل سبه أى يسبه الناس و رجل سبه أى يسب الناس و رجل سب كثير السباب وسبك الذى يسابك قال لاتسبني فلست بسبى || إن سبى من الرجال الكريم و الذى كرهه ع منهم أنهم كانوا يشتمون أهل الشام و لم يكن يكره منهم لعنهم إياهم والبذاءة منهم لا كما يتوهمه قوم من الحشوية فيقولون لا يجوز [صفحہ ۲۲] لعن أحد ممن عليه اسم الإسلام وينكرون على من يلعن ومنهم من يغالى فى ذلك فيقول لاألعن الكافر وألعن إبليس و إن الله تعالى لا يقول لأحد يوم القيامة لم لم تلعن وإنما يقول لم لعنت . واعلم أن هذا خلاف نص الكتاب لأنه تعالى قال إن الله لعن الكافرين و أعيد لهم سبيرا . و قال أولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللعاعون . و قال فى إبليس و إن عليك لعنتي إلى يوم الدين . و قال ملعونين أينما ثقفوا . و فى الكتاب العزيز من

ذلك الكثير الواسع . وكيف يجوز للمسلم أن ينكر التبرؤ ممن يجب التبرؤ منه أ لم يسمع هؤلاء قول الله تعالى قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برأؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم ويدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدأ وإنما يجب النظر فيمن قد اشتبهت حاله فإن كان قد قارف كبيرة من الذنوب يستحق بهاللعن والبراءة فلاضير على من يلعنه ويبرأ منه و إن لم يكن قد قارف كبيرة لم يجر لعنه ولا البراءة منه . ومما يدل على أن من عليه اسم الإسلام إذا ارتكب الكبيرة يجوز لعنه بل يجب في وقت قول الله تعالى في قصة اللعان فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه -قرآن- ٢٤٧-٣٠١-قرآن-٣١٠-٣٦٤-قرآن-٣٨٣-٤٢٦-قرآن-٤٣٥-٤٦٢-قرآن-٥٩٩-٨٢٠-قرآن-١١٣٤-١١٨٦ لعن أحد ممن عليه اسم الإسلام وينكرون على من يلعن ومنهم من يغالى في ذلك فيقول لألعن الكافر وألعن إبليس و إن الله تعالى لا يقول لأحد يوم القيامة لم لم تلعن وإنما يقول لم لعنت . واعلم أن هذاخلاف نص الكتاب لأنه تعالى قال إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً . وقال أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون . وقال في إبليس وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين . وقال ملعونين أيما ثقفوا . وفي الكتاب العزيز من ذلك الكثير الواسع . وكيف يجوز للمسلم أن ينكر التبرؤ ممن يجب التبرؤ منه أ لم يسمع هؤلاء قول الله تعالى قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برأؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم ويدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدأ وإنما يجب النظر فيمن قد اشتبهت حاله فإن كان قد قارف كبيرة من الذنوب يستحق بهاللعن والبراءة فلاضير على من يلعنه ويبرأ منه و إن لم يكن قد قارف كبيرة لم يجر لعنه ولا البراءة منه . ومما يدل على أن من عليه اسم الإسلام إذا ارتكب الكبيرة يجوز لعنه بل يجب في وقت قول الله تعالى في قصة اللعان فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنت الله عليه إن كان من الكاذبين . وقال تعالى في القاذف إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم . فهاتان الآيتان في المكلفين من أهل القبلة والآيات قبلهما في الكافرين والمنافقين ولهذا قت أمير المؤمنين ع على معاوية وجماعه من أصحابه ولعنهم في أدبار الصلوات . فإن قلت فما صوره السب الذى نهى أمير المؤمنين ع عنه . قلت كانوا يشتمونهم بالآباء والأمهات ومنهم من يطعن في نسب قوم منهم ومنهم من يذكرهم باللؤم ومنهم من يعيرهم بالجبن والبخل وبأنواع الأهاجى التى يتهاجى بها الشعراء وأساليبها معلومة فنهاهم ع عن ذلك و قال إنى أكره لكن أن تكونوا سبائين ولكن الأصوب أن تصفوا لهم أعمالهم وتذكروا حالهم أى أن تقولوا إنهم فساق وإنهم أهل ضلال وباطل . ثم قال اجعلوا عوض سبهم أن تقولوا أللهم احقن دماءنا ودماءهم . حققت الدم أحقنه بالضم منعت أن يسفك أى ألهمهم الإنابة إلى الحق والعدول عن الباطل فإن ذلك إذا تم حققت دماء الفريقين . فإن قلت كيف يجوز أن يدعو الله تعالى بما لا يفعله أ ليس من أصولكم أن الله تعالى لا يضطر المكلف إلى اعتقاد الحق وإنما يكله إلى نظره . قلت الأمر و إن كان كذلك إلا أن المكلفين قد تعبدوا بأن يدعو الله تعالى -قرآن- ١-٨٨-قرآن-١١٥-٢٢٩ [صفحه ٢٤] بذلك لأن فى دعائهم إياه بذلك لطفاً لهم ومصالح فى أديانهم كالدعاء بزيادة الرزق وتأخير الأجل . قوله وأصلح ذات بيننا وبينهم يعنى أحوالنا وأحوالهم و لما كانت الأحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين كما أنه لما كانت الضمائر ملابسة للصدور قيل ذات الصدور وكذلك قولهم اسقنى ذا إنائك لما كان ما فيه من الشراب ملابسا له ويقولون للمتبرز قد وضع ذا بطنه وللحبلى تضع ألت ذاً بطنها . وارعوى عن الغى رجع وكف . لهج به بالكسر يلهج أغرى به وثابر عليه [صفحه ٢٥]

٠٢٠٠- و من كلام له ع فى بعض أيام صفين و قدرأى الحسن ابنه ع يتسرع إلى الحرب

املكوا عنى هذا الغلام لا يهدنى فإنتى أنفس بهذين يعنى الحسن و الحسين ع على الموت لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله ص قال

الرضى أبو الحسن رحمه الله قوله ع املكوا عنى هذا الغلام من أعلى الكلام وأفضحه -روايت- ١-٩١ الألف فى املكوا ألف وصل لأن الماضى ثلاثى من ملكت الفرس والعبد والدار أملك بالكسر أى احجروا عليه كما يحجر المالك على مملوكه . و عن متعلقه بمحذوف تقديره استولوا عليه وأبعده عنى و لما كان الملك سبب الحجر على المملوك عبر بالسبب عن المسبب كما عبر بالنكاح عن العقد و هو فى الحقيقة اسم الوطاء لما كان العقد طريقا إلى الوطاء وسببا له . ووجه علو هذا الكلام وفصاحته أنه لما كان فى املكوا معنى البعد أعقبه [صفحہ ٢٦] بعن و ذلك أنهم لا يملكونه دون أمير المؤمنين ع إلا و قد أبعده عنه أ لا ترى أنك إذا حجرت على زيد دون عمرو فقد باعدت زيدا عن عمرو فلذلك قال املكوا عنى هذا الغلام واستفصح الشارحون قول أبى الطيب إذا كان شم الروح أدنى إليكم || فلا يبرحتنى روضة وقبول قالوا و لما كان فى فلا يبرحتنى معنى فارقتنى عدى اللفظة و إن كانت لازمة نظرا إلى المعنى . قوله لا يهدنى أى لئلا يهدنى فحذف كما حذف طرفه فى قوله ألا أى هذا الزاجرى أحضر الوغى أى لأن أحضر . وأنفس أبخل نفست عليه بكذا بالكسر . فإن قلت أيجوز أن يقال للحسن والحسين وولدهما أبناء رسول الله وولد رسول الله وذرية رسول الله ونسل رسول الله . قلت نعم لأن الله تعالى سماهم أبناءه فى قوله تعالى نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَإِنَّمَا عَنِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَلَوْ أَوْصَى لَوْلَدِ فُلَانٍ بِمَالٍ دَخَلَ فِيهِ أَوْلَادُ الْبَنَاتِ وَ سَمَى اللَّهُ تَعَالَى عِيسَى ذَرِيَةَ إِبْرَاهِيمَ فِي قَوْلِهِ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ إِلَى أَنْ قَالَ وَ يَحْيَى وَ عِيسَى وَ لَمْ يَخْتَلَفْ أَهْلُ اللَّغَةِ فِي أَنْ وَلَدَ الْبَنَاتِ مِنْ نَسْلِ الرَّجُلِ . -قرآن- ٢٣٢-٢٦٠-قرآن-٣٨٧-٤٢٣-قرآن-٤٣٨-٤٥٤ [صفحہ ٢٧] فَإِنْ قُلْتَ فَمَا تَصْنَعُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ قُلْتَ أَسْأَلُكَ عَنْ أَبِيهِ لِبِرَاهِيمِ بْنِ مَارِيَةَ فَكَمَا تَجِيبُ بِهِ عَنْ ذَلِكَ فَهُوَ جَوَابِي عَنِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ ع . والجواب الشامل للجميع أنه عنى زيد بن حارثة لأن العرب كانت تقول زيد بن محمد على عادتهم فى تبنى العبيد فأبطل الله تعالى ذلك ونهى عن سنه الجاهلية و قال إن محمدا ع ليس أبالواحد من الرجال البالغين المعروفين بينكم ليعترى إليه بالنبوة و ذلك لا ينفى كونه أبالأطفال لم تطلق عليهم لفظه الرجال كإبراهيم وحسن وحسين ع . فإن قلت أتقول إن ابن البنت ابن على الحقيقة الأصلية أم على سبيل المجاز . قلت لذاك أن يذهب إلى أنه حقيقة أصلية لأن أصل الإطلاق الحقيقة و قد يكون اللفظ مشتركا بين مفهومين و هو فى أحدهما أشهر و لا يلزم من كونه أشهر فى أحدهما ألا يكون حقيقة فى الآخر . ولذا يذهب أن يذهب إلى أنه حقيقة عرفية و هى التى كثر استعمالها و هى فى الأكثر مجاز حتى صارت حقيقة فى العرف كالراوية للمزادة والسماء للمطر . ولذا يذهب أن يذهب إلى كونه مجازا قد استعمله الشارع فجاز إطلاقه فى كل حال واستعماله كسائر المجازات المستعملة . ومما يدل على اختصاص ولد فاطمة دون بنى هاشم كافة بالنبي ع أنه ما كان يحل له ع أن ينكح بنات الحسن والحسين ع و لابنات ذريتهما و إن بعدن و طال الزمان ويحل له نكاح بنات غيرهم من بنى هاشم من الطالبيين وغيرهم و هذا يدل على مزيد الأقرية و هى كونهم أولاده لأنه ليس هناك من القربى غير -قرآن- ٣٤-٧٥ [صفحہ ٢٨] هَذَا لِوَجْهِ لَأَنَّهُمْ لَيْسُوا أَوْلَادَ أَخِيهِ وَ لَأَوْلَادِ أُخْتِهِ وَ لِأَنَّهَا كَوَجْهِ يَقْتَضِي حَرَمَتَهُمْ عَلَيْهِ إِلا كَوْنَهُ وَالِدًا لَهُمْ وَ كَوْنَهُمْ أَوْلَادًا لَهُ فَإِنْ قُلْتَ قَدْ قَالَ الشَّاعِرُ بَنُوْنَا بَنُوْنَا أَبْنَاتُنَا وَ بَنَاتُنَا || بنوهن أبناء الرجال الأبعد . و قال حكيم العرب أكرم بن صيفى فى البنات يذمهن إنهن يلدن الأعداء ويورثن البعداء . قلت إنما قال الشاعر ماقاله على المفهوم الأشهر و ليس فى قول أكرم ما يدل على نفي بنوتهم وإنما ذكر أنهم يلدن الأعداء و قد يكون ولد الرجل لصلبه عدوا قال الله تعالى إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ وَ لا ينفى كونه عدوا كونه ابنا . قيل لمحمد بن الحنفية ع لم يغرب بك أبوك فى الحرب و لم لا يغرب بالحسن والحسين فقال لأنهما عيناه و أنا يمينه فهو يذب عن عينيه يمينه -قرآن- ٢٦٤-٣١٠ [صفحہ ٢٩]

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ أَمْرِي مَعَكُمْ عَلَى مَا أَحَبَّ حَتَّى نَهَيْتُكُمْ الْحَرْبَ وَقَدْ وَاللَّهِ أَخَذْتُ مِنْكُمْ وَتَرَكْتُ وَهِيَ لَعِيدُكُمْ أَنَهَكُ. لَقَدْ كُنْتُ أَمْسِ أَمِيرًا فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَيَّامُورًا وَكُنْتُ أَمْسِ نَاهِيًا فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَنَهِيًا وَقَدْ أَحْبَبْتُمُ الْبَقَاءَ وَلَيْسَ لِي أَنْ أَحْمِلُكُمْ عَلَى مَا تَكْرَهُيُونَ نَهَيْتُكُمْ بِكسر الهاء أَدْنَفْتُكُمْ وَأَذَابْتُكُمْ وَيَجُوزُ فَتَحُ الْهَاءِ وَقَدْ نَهَيْتُ الرَّجُلَ أَي دَنْفَ وَضَنِي فَهُوَ مَنهُوكٌ وَعَلَيْهِ نَهَيْتُهُ الْمَرَضَ أَي أَثْرَةَ الْحَرْبِ مُؤْنَتُهُ. وَقَدْ أَخَذْتُ مِنْكُمْ وَتَرَكْتُ أَي لَمْ تَسْتَأْصِلْكُمْ بَلْ فِيكُمْ بَعْدِ بَقِيَّةٍ وَهِيَ لَعْدُوكُمْ أَنَهَكُ لِأَنَّ الْقَتْلَ فِي أَهْلِ الشَّامِ كَانَ أَشَدَّ اسْتِحْرَارًا وَالْوَهْنَ فِيهِمْ أَظْهَرَ وَ لَوْ لَأَفْسَادُ أَهْلِ الْعِرَاقِ بَرَفَعَ الْمُصَاحِفَ لِاسْتَوْصَلَ الشَّامَ وَخَلَصَ الْأَشْتَرُ إِلَى مَعَاوِيَةَ فَأَخَذَهُ بَعْنَقَهُ وَ لَمْ يَكُنْ قَدْ بَقِيَ مِنْ قُوَّةِ الشَّامِ إِلَّا كَحَرَكَةِ ذَنْبِ الْوَزْغَةِ عِنْدَ قَتْلِهَا يَضْطَرِبُ يَمِينًا وَشِمَالًا وَلَكِنْ الْأُمُورَ السَّمَاوِيَّةَ لِاتِّغَالِبِ. فَأَمَّا قَوْلُهُ كُنْتُ أَمْسِ أَمِيرًا فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَيَّامُورًا فَقَدْ قَدَّمْنَا شَرْحَ حَالِهِمْ مِنْ قَبْلِ وَأَنَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ لِمَارْفَعِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ وَ مِنْ مَعَهُ الْمُصَاحِفَ عَلَى وَجْهِ الْمَكِيدَةِ [صَفْحَةٌ ٣٠] حِينَ أَحْسَسَ بِالْعَطْبِ وَعَلُو كَلِمَةِ أَهْلِ الْحَقِّ أَلْزَمُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِوَضْعِ أَوْزَارِ الْحَرْبِ وَكَفِّ الْأَيْدِي عَنِ الْقِتَالِ وَكَانُوا فِي ذَلِكَ عَلَى أَقْسَامٍ فَمِنْهُمْ مَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ الشَّبْهَةَ بِرَفْعِ الْمُصَاحِفِ وَغَلَبَ عَلَيْهِ ظَنُّهُ أَنَّ أَهْلَ الشَّامِ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ خُدْعَةً وَحِيلَةً بَلْ حَقًّا وَدَعَاءً إِلَى الدِّينِ وَمَوْجِبَ الْكِتَابِ فَرَأَى أَنَّ الْاسْتِسْلَامَ لِلْحِجَّةِ أَوْلَى مِنَ الْإِصْرَارِ عَلَى الْحَرْبِ . وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ قَدَّمَلَ الْحَرْبَ وَآثَرَ السَّلْمَ فَلَمَّا رَأَى شَبْهَةَ مَا يَسُوعُ التَّلَقُّقَ بِهَا فِي رَفْضِ الْمُحَارَبَةِ وَحُبِّ الْعَافِيَةِ أَخْلَدَ إِلَيْهِمْ . وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَبْغِضُ عَلِيًّا بِبَاطِنِهِ وَيَطِيعُهُ بِظَاهِرِهِ كَمَا يَطِيعُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ السُّلْطَانَ فِي الظَّاهِرِ وَيَبْغِضُهُ بِقَلْبِهِ فَلَمَّا وَجَدُوا طَرِيقًا إِلَى خِذْلَانِهِ وَتَرَكَ نَصْرَتَهُ أَسْرَعُوا نَحْوَهَا فَاجْتَمَعَ جَمْعٌ مِنْهُمُ عَسْكَرُهُ عَلَيْهِ وَطَالَبُوهُ بِالْكَفِّ وَتَرَكَ الْقِتَالَ فَامْتَنَعَ امْتِنَاعَ عَالِمٍ بِالْمَكِيدَةِ وَقَالَ لَهُمْ إِنَّهَا حِيلَةٌ وَخُدَيْعَةٌ وَإِنِّي أَعْرِفُ بِالْقَوْمِ مِنْكُمْ إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِأَصْحَابِ قُرْآنٍ وَ لَادِينٍ قَدْ صَحَبْتُهُمْ وَعَرَفْتُهُمْ صَغِيرًا وَكَبِيرًا فَعَرَفْتُ مِنْهُمْ الْإِعْرَاضَ عَنِ الدِّينِ وَالرُّكُونَ إِلَى الدُّنْيَا فَلَا تَرَاوَعُوا بِرَفْعِ الْمُصَاحِفِ وَصَمَّمُوا عَلَى الْحَرْبِ وَ قَدَّمَلِكْتُمُوهُمْ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا حَشَاشَةٌ ضَعِيفَةٌ وَذَمَاءٌ قَلِيلٌ فَأَبَوْا عَلَيْهِ وَأَلْحُوا وَأَصْرُوا عَلَى الْقَعُودِ وَالْخِذْلَانِ وَأَمْرُوهُ بِالْإِنْفَازِ إِلَى الْمُحَارِبِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَعَلَيْهِمُ الْأَشْتَرُ أَنْ يَأْمُرَهُمُ بِالرُّجُوعِ وَتَهْدِدُوهُ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ بِإِسْلَامِهِ إِلَى مَعَاوِيَةَ فَأَرْسَلَ إِلَى الْأَشْتَرِ بِأَمْرِهِ بِالرُّجُوعِ وَتَرَكَ الْحَرْبَ فَأَبَى عَلَيْهِ فَقَالَ كَيْفَ أَرْجِعُ وَقَدْ لَاحَتْ أَمَارَاتُ الظُّفْرِ فَقَوْلُوا لَهُ لِيْمَهْنِي سَاعَةً وَاحِدَةً وَ لَمْ يَكُنْ عِلْمُ صُورَةِ الْحَالِ كَيْفَ قَدِ وَقَعَتْ فَلَمَّا عَادَ إِلَيْهِ الرَّسُولُ بِذَلِكَ غَضِبُوا وَنَفَرُوا وَشَغِبُوا وَقَالُوا أَنْفَذْتَ إِلَى الْأَشْتَرِ سِرًّا وَبَاطِنًا تَأْمُرُهُ بِالتَّصْمِيمِ وَتَنْهَاهُ عَنِ الْكَفِّ وَ إِنْ لَمْ تَعُدَّهُ السَّاعَةَ وَ الْإِقْتِلَانَاكَ كَمَا قَتَلْنَا عِثْمَانَ فَرَجَعْتَ الرَّسُلَ إِلَى الْأَشْتَرِ فَقَالُوا لَهُ أَتُحِبُّ أَنْ تَظْفَرَ بِمَكَانِكَ وَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ سَلَّ عَلَيْهِ [صَفْحَةٌ ٣١] خَمْسُونَ أَلْفَ سَيْفٍ فَقَالَ مَا الْخَبِيرُ قَالَ إِنْ الْجَيْشُ بِأَسْرِهِ قَدْ أَحْدَقَ بِهِ وَ هُوَ قَاعِدٌ بَيْنَهُمْ عَلَى الْأَرْضِ تَحْتَهُ نَطْعٌ وَ هُوَ مَطْرُقٌ وَ الْبَارِقَةُ تَلْمَعُ عَلَى رَأْسِهِ يَقُولُونَ لَنْ لَمْ تَعُدَّ الْأَشْتَرَ قَتَلْنَاكَ قَالَ وَيُحْكَمُ فَمَا سَبَبَ ذَلِكَ قَالُوا رَفَعَ الْمُصَاحِفَ قَالَ وَ اللَّهُ لَقَدْ ظَنَنْتُ حِينَ رَأَيْتُهَا رَفَعْتَ أَنَّهَا سَتُوقِعُ فِرْقَةً وَفِتْنَةً. ثُمَّ كَرَّرَ رَاجِعًا عَلَى عَقْبِيهِ فَوَجَدَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِثْمَانَ تَحْتَ الْخَطَرِ قَدِ رَدَّدَهُ أَصْحَابُهُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِمَّا أَنْ يَسْلُمُوهُ إِلَى مَعَاوِيَةَ أَوْ يَقْتُلُوهُ وَ لَانَاصِرَ لَهُ مِنْهُمْ إِلَّا وَالدَّاهِ وَ ابْنِ عَمِّهِ وَنَفَرًا قَلِيلًا لَا يَبْلُغُونَ عَشْرَةَ فَلَمَّا رَأَاهُمُ الْأَشْتَرُ سَبَّهُمْ وَشَتَمَهُمْ وَقَالَ وَيُحْكَمُ أَعْدَاءُ الظُّفْرِ وَالنَّصْرُ صَبَّ عَلَيْكُمْ الْخِذْلَانَ وَالْفِرْقَةَ يَاضَعُافُ الْأَحْلَامَ يَا أَشْبَاهَ النِّسَاءِ يَا سَفَهَاءَ الْعُقُولِ فَشَتَمُوهُ وَسَبُّوهُ وَقَهَرُوهُ وَقَالُوا الْمُصَاحِفَ الْمُصَاحِفَ وَ الرَّجُوعَ إِلَيْهَا لَنْ نَرَى غَيْرَ ذَلِكَ فَأَجَابَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِثْمَانَ إِلَى التَّحْكِيمِ دَفْعًا لِلْمَحْذُورِ الْأَعْظَمِ بِارْتِكَابِ الْمَحْظُورِ الْأَضْعَفِ فَلِذَلِكَ قَالَ كُنْتُ أَمِيرًا فَأَصْبَحْتُ مَيَّامُورًا وَ كُنْتُ نَاهِيًا فَصُرْتُ مَنَهِيًا وَ قَدْ سَبَقَ مِنْ شَرْحِ حَالِ التَّحْكِيمِ وَ مَا جَرَى فِيهِ مَا يَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ [صَفْحَةٌ ٣٢]

٢٠٢- و من كلام له ع بالبصرة و قد دخل على العلاء بن زياد الحارثي

و هو من أصحابه يعود فلما رأى سعة داره قال ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا أما أنت إليها في الآخرة كنت أحوج و بلى إن شئت بلغت بها الآخرة تقرى فيها الضيف و تصل فيها الرحم و تطلع منها الحقوق مطالعها فإذا أنت قد بلغت بها الآخرة فقال له العلماء يا أمير المؤمنين أشكو إليك أخى عاصم بن زياد قال و ما له قال ليس العباء و تخلى من الدنيا قال على به فلما جاء قال يا عدى نفسه لقد استهام بك الخبيث أما رحمت أهلك و ولدك أ ترى الله أحل لك الطيبات و هو يكره أن تأخذها أنت أهون على الله من ذلك قال يا أمير المؤمنين هذا أنت فى خشونة ملبسك و جشوبة ماكلك قال ويحك إنى لست كأنت إن الله تعالى فرض على أئمة الحق أن يقدرُوا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يتبغى بالفقير فقره [صفحة ٣٣] كنت هاهنا زائدة مثل قوله تعالى كيف نكلم من كان فى المهد صبيا. و قوله و بلى إن شئت بلغت بها الآخرة لفظ فصيح كأنه استدرك و قال و بلى على أنك قد تحتاج إليها فى الدنيا لتجعلها وصلة إلى نبل الآخرة بأن تقرى فيها الضيف والضيف لفظ يقع على الواحد والجمع و قد يجمع فيقال ضيوف وأضياف والرحم القرابة. و تطلع منها الحقوق مطالعها توقعها فى مظان استحقاقها. والعباء جمع عباءة وهى الكساء و قد تلين كما قالوا عطاءة وعظاية وصلاية. و تقول على بفلان أى أحضره والأصل أعجل به على فحذف فعل الأمر ودل الباقي عليه. و ياعدى نفسه تصغير عدو و قد يمكن أن يراد به التحقير المحض هاهنا. ويمكن أن يراد به الاستعظام لعداوته لها ويمكن أن يخرج مخرج التحنن والشفقة كقولك يا بنى. واستهام بك الخبيث يعنى الشيطان أى جعلك هائما ضالا والباء زائدة. فإن قيل مامعنى قوله ع أنت أهون على الله من ذلك. قلت لأن فى المشاهد قد يحل الواحد منا لصاحبه فعلا مخصوصا محاباة ومراقبة له -قرآن- ٣٥-٧٧ [صفحة ٣٤] و هو يكره أن يفعله والبشر أهون على الله تعالى من أن يحل لهم أمرا مجاملة واستصلاحا للحال معهم و هو يكره منهم فعله. و قوله هذا أنت أى فما بالناراك خشن الملبس والتقدير فها أنت تفعل كذا فكيف تنهى عنه. و طعام جشب أى غليظ وكذلك مجشوب وقيل إنه الذى لا أدم معه. قوله ع أن يقدرُوا أنفسهم بضعفة الناس أى يشبهوا ويمثلوا. و تبغى الدم بصاحبه و تبوغ به أى هاج به و فى الحديث عليكم بالحجامة لا يتبغى بأحدكم الدم فيقتله -رواية- ١-٢-رواية- ١٤-٦١ وقيل أصل يتبغى يتبغى فقلب جذب وجذب أى يجب على الإمام العادل أن يشبه نفسه فى لباسه وطعامه بضعفة الناس جمع ضعيف لكيلا يهلك الفقراء من الناس فإنهم إذا رأوا إمامهم بتلك الهيئة وبذلك المطعم كان أدعى لهم إلى سلوان لذات الدنيا والصبر عن شهوات النفوس

ذكر بعض مقامات العارفين والزهاد

وروى أن قوما من المتصوفة دخلوا خراسان على على بن موسى الرضا فقالوا له إن أمير المؤمنين فكر فيما ولاه الله من الأمور فراكم أهل البيت أولى الناس أن تؤموا الناس ونظر فيك من أهل البيت فراكم أولى الناس بالناس فأرى أن يرد هذا الأمر إليك والإمامة تحتاج إلى من يأكل الجشب ويلبس الخشن ويركب الحمار ويعود المريض فقال لهم إن يوسف كان نبيا يلبس أقبية الديباج المزررة بالذهب ويجلس على متكآت آل فرعون ويحكم إنما يراد من الإمام قسطه وعدله إذا قال صدق [صفحة ٣٥] و إذا حكم عدل و إذا وعد أنجز إن الله لم يحرم لبوسا و لا مطعما ثم قرأ قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده و الطيبات من الرزق لآية. و هذا القول مخالف للقانون الذى أشار أمير المؤمنين إليه وللغلاسفة فى هذا الباب كلام لا بأس به و قد أشار إليه أبو على بن سينا فى كتاب الإشارات و عليه يتخرج قولاً أمير المؤمنين و على بن موسى الرضا ع قال أبو على فى مقامات العارفين العارفون قد يختلفون فى الهمم بحسب ما يختلف فيهم من الخواطر على حسب ما يختلف عندهم من دواعى العبر فربما استوى عند العارف القشف والترف بل ربما آثر القشف وكذلك ربما سوى عنده التفل والعطر بل ربما آثر التفل و ذلك عند ما يكون

الهاجس بباله استحقاق ماعدا الحق وربما صغا إلى الزينه وأحب من كل شىء عقيلته وكره الخداج والسقط و ذلك عند مايعتبر عاداته من صحبته الأحوال الظاهرة فهو يرتاد إليها فى كل شىء لأنه مزيه خطوه من العناية الأولى وأقرب أن يكون من قبيل ماعكف عليه بهواه و قد يختلف هذا فى عارفين و قد يختلف فى عارف بحسب وقتين . واعلم أن الذى رويته عن الشيوخ ورأيته بخط عبد الله بن أحمد بن الخشاب رحمه الله أن الربيع بن زياد الحارثي أصابته نشابه فى جبينه فكانت تنتقص عليه فى كل عام فأتاه على ع عائدا فقال كيف تجدك أبا عبدالرحمن قال أجدنى يا أمير المؤمنين لو كان لا يذهب مابى إلا بذهاب بصرى لتمنيت ذهابه قال و ماقيمه بصرى عندك قال لو كانت لى الدنيا لفديته بها قال لاجرم ليعطينك الله على قدر ذلك إن الله تعالى يعطى على قدر الألم والمصيبة وعنده تضعيف كثير قال الربيع -قرآن- ٧٢-١٥٤ [صفحہ ٣٦] يا أمير المؤمنين أ لا أشكو إليك عاصم بن زياد أخى قال ما له قال لبس العباء وترك الملاء وغم أهله وحزن ولده فقال على ادعوا لى عاصما فلما أتاه عبس فى وجهه وقال ويحك يا عاصم أ ترى الله أباح لك اللذات و هو يكره ما أخذت منها لأنت أهون على الله من ذلك أ و ماسمعته يقول مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ثم يقول يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْجُ وَالْمَرْجَانُ وقال وَ مِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَ تَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا أما و الله إن ابتذال نعم الله بالفعال أحب إليه من ابتذالها بالمقال و قد سمعت الله يقول وَ أَمَّا نِعْمَةَ رَبِّكَ فَحَدِّثْ و قوله مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ إن الله خاطب المؤمنين بما خاطب به المرسلين فقال يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ و قال يا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَ اعْمَلُوا صَالِحًا و -قرآن- ٢٨٩-٣١٧-قرآن- ٣٢٨-٣٦٦-قرآن- ٣٧٤-٤٤٨-قرآن- ٥٤٦-٥٧٨-قرآن- ٥٨٧-٦٦٥-قرآن- ٧١٩-٧٧٩-قرآن- ٧٨٧-٨٤٨ قال رسول الله ص لبعض نسائه ما لى أراك شعثاء مرهءا سلتاء -روایت- ١-٢-روایت- ٣٥-٦٦ . قال عاصم فلم اقتصرت يا أمير المؤمنين على لبس الخشن وأكل الجشب قال إن الله تعالى افترض على أئمة العدل أن يقدروا لأنفسهم بالقوام كيلا- يتبغ بالفقير فقره فما قام على ع حتى نزع عاصم العباء ولبس ملاءة. و الربيع بن زياد هو الذى افتتح بعض خراسان و فيه قال عمر دلونى على رجل إذا كان [صفحہ ٣٧] فى القوم أميرا فكأنه ليس بأمير و إذا كان فى القوم ليس بأمير فكأنه الأمير بعينه و كان خيرا متواضعا و هو صاحب الوقعة مع عمر لما حضر العمال فتوحش له الربيع وتكشف وأكل معه الجشب من الطعام فأقره على عمله و صرف الباقيين و قد ذكرنا هذه الحكاية فيما تقدم . و كتب زياد ابن أبيه إلى الربيع بن زياد و هو على قطعه من خراسان أن أمير المؤمنين معاوية كتب إلى يأمر أن تحرز الصفراء والبيضاء و تقسم الخثرى و ما أشبهه على أهل الحرب فقال له الربيع إنى وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين ثم نادى فى الناس أن اغدوا على غنائمكم فأخذ الخمس و قسم الباقي على المسلمين ثم دعا الله أن يميتة فما جمع حتى مات . و هو الربيع بن زياد بن أنس بن ديان بن قطر بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن مالك بن كعب بن الحارث بن عمرو بن وعله بن خالد بن مالك بن أدد. و أما العلاء بن زياد الذى ذكره الرضى رحمه الله فلا أعرفه لعل غيرى يعرفه [صفحہ ٣٨]

٢٠٣- و من كلام له ع و قد سأله سائل عن أحاديث البدع و عما فى أيدي الناس من اختلاف الخبر

إشارة

فقال ع إن فى أيدي الناس حقا و باطلا و صدقا و كذبا و ناسحا و منسوخا و عاما و خاصا و محكما و متشابها و حفظا و وهما و قد كذب على رسول الله ص على عهدى حتى قام خطيبا فقال من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار و إنما أتاك بالحديث

أَرْبَعُهُ رِجَالٍ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلإِيمَانِ مُتَّصِعٌ بِالإِسْلَامِ لَا يَتَأْتِمُ وَلَا يَتَحَرَّجُ يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص مُتَعَمِّدًا فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَمَا ذُكِرَ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ وَلَا يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ رَأَاهُ وَسَمِعَ مِنْهُ وَلَقِفَ عَنْهُ فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ وَقَدْ أَخْبَرَكَ اللَّهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكَ وَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ فَتَقَرَّبُوا إِلَى أَيْمَةِ الضَّلَالَةِ وَالِدَعَاةِ إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ وَالبُهْتَانِ فَوَلَّوهُمْ الأَعْمَالَ وَجَعَلُوهُمْ حُكَّامًا عَلَى رِقَابِ النَّاسِ فَأَكَلُوا بِهِمُ الدُّنْيَا وَإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ المُلُوكِ وَالدُّنْيَا إِلاَّ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ فَهَذَا أَحَدُ الأَرْبَعَةِ وَرَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ شَيْئًا لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَى وَجْهِهِ فَوَهَمَ فِيهِ وَ لَمْ يَتَّعَمِدْ [صفحة ٣٩] كَذِبًا فَهُوَ فِي يَدَيْهِ وَيُرْوِيهِ وَيَعْمَلُ بِهِ وَيَقُولُ أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ فَلَوْ عَلِمَ المُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهَمَ فِيهِ لَمْ يَقْبَلُوهُ مِنْهُ وَلَا لَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ كَذَلِكَ لَرَفَضَهُ وَرَجُلٌ ثَالِثٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ شَيْئًا يَأْمُرُ بِهِ ثُمَّ إِنَّهُ نَهَى عَنْهُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ أَوْ سَمِعَهُ يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ فَحَفِظَ الْمُنْسِيخَ وَ لَمْ يَحْفَظِ النَّاسِيخَ فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ وَلَا لَوْ عَلِمَ المُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوهُ وَ آخِرُ رَابِعٍ لَمْ يَكْذِبْ عَلَى اللَّهِ وَ لَمَا عَلَى رَسُولِهِ مُبْغِضٌ لِلْكَذِبِ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ وَ تَعْظِيمًا لِرَسُولِ اللَّهِ وَ لَمْ يَهْمُ بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى وَجْهِهِ فَجَاءَ بِهِ عَلَى سَمْعِهِ لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَ لَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ فَهُوَ حَفِظَ النَّاسِيخَ فَعَمِلَ بِهِ وَ حَفِظَ الْمُنْسُوخَ فَجَنَّبَ عَنْهُ وَ عَرَفَ الخَاصَّ وَ العَامَّ وَ المُحْكَمَ وَ المُتَشَابِهَ فَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ وَ قَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ الكَلَامُ لَهُ وَ جِهَانِ فَكَلَامِ خَاصٍّ وَ كَلَامِ عَامٍّ فَيَسْمَعُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ مَا عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِهِ وَ لَا مَا عَنِ رَسُولِ اللَّهِ فَيَحْمِلُهُ السَّامِعُ وَ يُوجِّهُهُ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاهُ وَ مَا قَصَدَ بِهِ وَ مَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ وَ لَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ مَنْ كَانَ يَسْأَلُهُ وَ يَسْتَفْهِمُهُ حَتَّى إِنْ كَانُوا لَيَجِبُونَ أَنْ يَجِيءَ الأَعْرَابِيُّ وَ الطَّارِئُ فَيَسْأَلُهُ حَتَّى يَسْمَعُوا وَ كَانَ لَا يَمُرُّ بِى مِنْ ذَلِكَ شَيْءٍ إِلاَّ سَأَلْتُهُ عَنْهُ وَ حَفِظْتُهُ فَهَذِهِ وَجُوهٌ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي اخْتِلَافِهِمْ وَ عِلَلِهِمْ فِي رِوَايَاتِهِمْ [صفحة ٤٠] الكلام فى تفسير الألفاظ الأصولية وهى العام والخاص والناسخ والمنسوخ والصدق والكذب والمحكم والمتشابه موكول إلى فن أصول الفقه وقد ذكرناه فيما أملينا من الكتب الأصولية والإطالة بشرح ذلك فى هذاالموضع مستهجنة. قوله ع وحفظا وهما الهاء مفتوحة وهى مصدر وهمت بالكسر أوهم أى غلظت وسهوت و قدروى وهما بالتسكين و هو مصدر وهمت بالفتح أوهم إذاذهب وهمك إلى شىء و أنت تريد غيره والمعنى متقارب . و قول النبى ص فليتوبأ مقعده من النار -روايت-١-٢-روايت-١٧-٤١ كلام صيغته الأمر ومعناه الخبر كقوله تعالى قل من كان فى الضلالة فليردد له الرحمن مدا وتبأت المنزل نزلته وبواته منزلا أنزلته فيه . والتائم الكف عن موجب الإثم والتخرج مثله وأصله الضيق كأنه يضيق على نفسه . ولقف عنه تناول عنه . وجنب عنه أخذ عنه جانبا. و إن فى قوله حتى إن كانوا ليجبون مخففة من الثقيلة ولذلك جاءت اللام فى الخبر. والطارئ بالهمز الطالع عليهم طرأ أى طلع و قدروى عليهم بالرفع عطفًا على وجوه وروى بالجر عطفًا على اختلافهم -قرآن-٤٧-١٠٣ [صفحة ٤١]

ذكر بعض أحوال المنافقين بعد وفاة محمد ع

واعلم أن هذاالتقسيم صحيح و قد كان فى أيام الرسول ص منافقون وبقوا بعده و ليس يمكن أن يقال إن النفاق مات بموته والسبب فى استتار حالهم بعده أنه ص كان لايزال بذكرهم بما ينزل عليه من القرآن فإنه مشحون بذكرهم ألاترى أن أكثر منازل بالمدينة من القرآن مملوء بذكر المنافقين فكان السبب فى انتشار ذكرهم وأحوالهم وحركاتهم هوالقرآن فلما انقطع الوحى بموته ص لم يبق من ينعى عليهم سقطاتهم ويوبخهم على أعمالهم ويأمر بالحدز منهم ويجاهرهم تارة ويجاملهم تارة وصار المتولى للأمر بعده يحمل الناس كلهم على كاهل المجاملة ويعاملهم بالظاهر و هوالواجب فى حكم الشرع والسياسة الدنيوية بخلاف حال الرسول ص فإنه كان تكليفه معهم غير هذاالتكليف ألاترى أنه قيل له وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ

أبدأ فهذا يدل على أنه كان يعرفهم بأعيانهم و إلا- كان النهى له عن الصلاة عليهم تكليف ما لا يطاق والوالى بعده لا يعرفهم بأعيانهم فليس مخاطبا بما خوطب به ص فى أمرهم ولسكوت الخلفاء عنهم بعده خمل ذكرهم فكان قصارى أمر المنافق أن يسر ما فى قلبه ويعامل المسلمين بظاهره ويعاملونه بحسب ذلك ثم فتحت عليهم البلاد وكثرت الغنائم فاشتغلوا بها عن الحركات التى كانوا يعتمدونها أيام رسول الله وبعثهم الخلفاء مع الأمراء إلى بلاد فارس والروم فألهتهم الدنيا عن الأمور التى كانت تنقم منهم فى حياة رسول الله ص ومنهم من استقام اعتقاده وخلصت نيته لمارأوا الفتوح وإلقاء الدنيا أفلاذ كبدها من الأموال العظيمة والكنوز الجليله إليهم فقالوا لو لم يكن هذا الدين -قرآن- ٧٠١-٧٤٤ [صفحه ٤٢] حقا لما وصلنا إلى ما وصلنا إليه وبالجملة لما تركوا تركوا وحيث سكت عنهم سكتوا عن الإسلام وأهله إلا فى دسيسه خفيه يعملونها نحو الكذب الذى أشار إليه أمير المؤمنين ع فإنه خالط الحديث كذب كثير صدر عن قوم غير صحيحى العقيدة قصدوا به الإضلال وتخييط القلوب والعقائد وقصد به بعضهم التنويه بذكر قوم كان لهم فى التنويه بذكرهم غرض دنيوى وقديل إنه افتعل فى أيام معاوية خاصة حديث كثير على هذا الوجه و لم يسكت المحدثون الراسخون فى علم الحديث عن هذا بل ذكروا كثيرا من هذه الأحاديث الموضوعه وبينوا وضعها و أن روايتها غير موثوق بهم إلا أن المحدثين إنما يطعنون فيما دون طبقه الصحابه ولا يتجاسرون فى الطعن على أحد من الصحابه لأن عليه لفظ الصحبه على أنهم قد طعنوا فى قوم لهم صحبه كبسر بن أرطاه وغيره . فإن قلت من هم أئمة الضلاله الذين يتقرب إليهم المنافقون الذين رأوا رسول الله ص وصحبوه للزور والبهتان وهل هذا إلتصريح بما تذكره الإماميه وتعتقده . قلت ليس الأمر كما ظننت وظنوا وإنما يعنى معاوية وعمرو بن العاص و من شايعهما على الضلال كالخير الذى رواه من فى حق معاوية اللهم قه العذاب والحساب وعلمه الكتاب وكروايه عمرو بن العاص تقربا إلى قلب معاوية إن آل أبى طالب ليسوا لى بأولياء إنما وليى الله وصالح المؤمنين وكروايه قوم فى أيام معاوية أخبارا كثيره من فضائل عثمان تقربا إلى معاوية بها ولسنا نجحد فضل عثمان وسابقته ولكننا نعلم أن بعض الأخبار الواردة فيه موضوع كخبر عمرو بن مرة فيه وهو مشهور وعمرو بن مرة ممن له صحبه و هو شامى [صفحه ٤٣]

ذكر بعض مامنى به آل البيت من الأذى والاضطهاد

و ليس يجب من قولنا إن بعض الأخبار الواردة فى حق شخص فاضل مفتعله أن تكون قاده فى فضل ذلك الفاضل فإننا مع اعتقادنا أن عليا أفضل الناس نعتقد أن بعض الأخبار الواردة فى فضائله مفتعل ومختلق . وقد روى أن أبا جعفر محمد بن على الباقرع قال لبعض أصحابه يافلان مالقينا من ظلم قريش إيانا وتظاهرهم علينا و مالقى شيعتنا ومحبونا من الناس إن رسول الله ص قبض وقد أخبر أنا أولى الناس بالناس فتمالأت علينا قريش حتى أخرجت الأمر عن معدنه واحتجت على الأنصار بحقنا وحجتنا ثم تداولتها قريش واحد بعد واحد حتى رجعت إلينا فنكثت بيعتنا ونصبت الحرب لنا و لم يزل صاحب الأمر فى صعود كئود حتى قتل فبويح الحسن ابنه وعوهده ثم غدر به وأسلم ووثب عليه أهل العراق حتى طعن بخنجر فى جنبه ونهبت عسكره وعولجت خلالها أمهات أولاده فوادع معاوية وحقن دمه ودماء أهل بيته وهم قليل حق قليل ثم بايع الحسين ع من أهل العراق عشرون ألفا ثم غدروا به وخرجوا عليه وبيعته فى أعناقهم وقتلوه ثم لم نزل أهل البيت نستذل ونستضام ونقصى ونمتهن ونحرم ونقتل ونخاف ولا نأمن على دماننا ودماء أوليائنا ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعا يتقربون به إلى أوليائهم وقضاء السوء وعمال السوء فى كل بلدة فحدوثهم بالأحاديث الموضوعه المكذوبه ورووا عنا ما لم نقله و ما لم نفعله ليغضونا إلى الناس و كان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعدموت الحسن ع فقتلت شيعتنا بكل بلدة وقطعت الأيدى والأرجل على الظنه و كان من

يذكر بحبنا والانقطاع إلينا سجن أونهب ماله أوهدمت داره ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد -رواية- ١-٢-رواية- ٥٧-ادامه دارد [صفحة ٤٤] إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين ع ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتلته وأخذهم بكل ظنة وتهمته حتى أن الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحب إليه من أن يقال شيعة على و حتى صار الرجل الذي يذكر بالخير ولعله يكون ورعا صدوقا يحدث بأحاديث عظيمة عجيبة من تفضيل بعض من قدسلف من الولاة و لم يخلق الله تعالى شيئا منها ولا كانت ولا وقعت و هويحسب أنها حق لكثرة من قدرواها ممن لم يعرف بكذب و لا بقلته ورع -رواية- از قبل -٢٠٤٢٠. وروى أبو الحسن على بن محمد بن أبي سيف المدائني في كتاب الأحداث قال كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعدعام الجماعة أن برئت الذمة ممن روى شيئا من فضل أبي تراب و أهل بيته فقامت الخطباء في كل كورة و على كل منبر يلعنون عليا و يبرءون منه و يقعون فيه و في أهل بيته و كان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة على ع فاستعمل عليهم زياد ابن سمية و ضم إليه البصرة فكان يتتبع الشيعة و هوبهم عارف لأنه كان منهم أيام على ع فقتلهم تحت كل حجر و مدر و أخافهم و قطع الأيدي والأرجل و سمل العيون و صلبهم على جذوع النخل و طرفهم و شردهم عن العراق فلم يبق بهامعروف منهم و كتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق ألا يجيزوا لأحد من شيعة على و أهل بيته شهادة و كتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان و محبيه و أهل ولايته و الذين يروون فضائله و مناقبه فادنوا مجالسهم و قريوهم و أكرمهم و اكتبوا لي بكل ما يروى كل رجل منهم و اسمه و اسم أبيه و عشيرته . ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان و مناقبه لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلوات و الكساء و الحباء و القطن و يفيضه في العرب منهم و الموالى فكثر ذلك في كل مصر و تنافسوا في المنازل و الدنيا فليس يجيء أحد مردود من الناس عاملا من [صفحة ٤٥] عمال معاوية فيروى في عثمان فضيلة أو منقبته إلا كتب اسمه و قرينه و شفعه فلبثوا بذلك حينئذ . ثم كتب إلى عماله أن الحديث في عثمان قد كثر و فشا في كل مصر و في كل وجه و ناحية فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة و الخلفاء الأولين و لا تتركوا خيرا يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا و تأتوني بمناقض له في الصحابة فإن هذا أحب إلي و أقر لعيني و أدحض لحجة أبي تراب و شيعته و أشد عليهم من مناقب عثمان و فضله . فقرئت كتبه على الناس فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها و جد الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر و ألقى إلى معلمي الكتابات فعملوا صبيانهم و غلمانهم من ذلك الكثير الواسع حتى رووه و تعلموه كما يتعلمون القرآن و حتى علموه بناتهم و نساءهم و خدمهم و حشمهم فلبثوا بذلك ما شاء الله . ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان انظروا من قامت عليه البيعة أنه يحب عليا و أهل بيته فامحوه من الديوان و أسقطوا عطاءه و رزقه و شفيع ذلك بنسخة أخرى من اتهمتموه بمولاه هؤلاء القوم فنكلوا به و أهدموا داره فلم يكن البلاء أشد و لا أكثر منه بالعراق و لا سيما بالكوفة حتى أن الرجل من شيعة على ع ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقى إليه سره و يخاف من خادمه و مملوكه و لا يحدثه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكتمن عليه فظهر حديث كثير موضوع و بهتان منتشر و مضى على ذلك الفقهاء و القضاة و الولاة و كان أعظم الناس في ذلك بليته القراء المرءون و المستضعفون الذين يظهرون الخشوع و النسك فيفتعلون الأحاديث ليحفظوا بذلك عندولاتهم و يقربوا مجالسهم و يصيبوا به الأموال و الضياع [صفحة ٤٦] و المنازل حتى انتقلت تلك الأخبار و الأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب و البهتان فقبلوها و رووها و هم يظنون أنها حق و لو علموا أنها باطلة لمارروها و لا تدينوا بها . فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن على ع فازداد البلاء و الفتنة فلم يبق أحد من هذا القبيل إلا و هو خائف على دمه أو طريد في الأرض . ثم تفاقم الأمر بعد قتل الحسين ع و ولى عبد الملك بن مروان فاشتد على الشيعة و ولى عليهم الحجاج بن يوسف فتقرب إليه أهل النسك و الصلاح و الدين ببغض على و موالاة أعدائه و موالاة من يدعى من الناس أنهم أيضا أعداؤه فأكثروا في الرواية في فضلهم و سوابقهم و مناقبهم و أكثروا من الغضب من على ع و عيبه و الطعن فيه و الشنثان له حتى أن إنسانا وقف للحجاج

ويقال إنه جد الأصمعي عبدالملك بن قريب فصاح به أيها الأمير إن أهلي عقونى فسمونى عليا وإنى فقير بئس و أنا إلى صلة الأمير محتاج فتضحك له الحجاج و قال للطف ماتوسلت به قدوليتك موضع كذا. و قدروى ابن عرفه المعروف بنفطويه و هو من أكابر المحدثين وأعلامهم فى تاريخه مايناسب هذاالخبر و قال إن أكثر الأحاديث الموضوعه فى فضائل الصحابه افتعلت فى أيام بنى أميه تقربا إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنوف بنى هاشم . قلت و لايلزم من هذا أن يكون على ع يسوءه أن يذكر الصحابه والمتقدمون عليه بالخير والفضل إلا أن معاويه وبنى أميه كانوا بينون الأمر من هذا على ما يظنونه فى على ع من أنه عدو من تقدم عليه و لم يكن الأمر فى الحقيقة كما [صفحه ٤٧] يظنونه ولكنه كان يرى أنه أفضل منهم وأنهم استأثروا عليه بالخلافه من غير تفسيق منه لهم و لابراءه منهم . فأما قوله ع و رجل سمع من رسول الله شيئا و لم يحفظه على وجهه فوهم فيه فقد وقع ذلك و قال أصحابنا فى الخبر الذى رواه عبد الله بن عمر أن الميت ليعذب بيبكاء أهله عليه إن ابن عباس لما روى له هذا الخبر قال ذهل ابن عمر إنما مر رسول الله ص على قبر يهودى فقال إن أهله ليبكون عليه وإنه ليعذب . وقالوا أيضا إن عائشه أنكرت ذلك وقالت ذهل أبو عبدالرحمن كما ذهل فى خبر قليب بدر إنما قال ع إنهم ليبكون عليه وإنه ليعذب بجرمه -روايت-١-٢- روايت-١٥-٥٥. قالوا وموضع غلظه فى خبر القليب أنه روى أن النبى ص وقف على قليب بدر فقال هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا ثم قال إنهم يسمعون ما أقول لهم -روايت-١-٢-روايت-٧-١١٠ فأنكرت عائشه ذلك وقالت إنما قال إنهم يعلمون أن الذى كنت أقوله لهم هو الحق -روايت-١-٢-روايت-٨-٥٦ واستشهد بقوله تعالى إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى. فأما الرجل الثالث و هو الذى يسمع المنسوخ و لم يسمع الناسخ فقد وقع كثيرا وكتب الحديث والفقهاء مشحونه بذلك كالذين أباحوا لحوم الحمر الأهليه لخبر روه فى ذلك و لم يرووا الخبر الناسخ . و أما الرجل الرابع فهم العلماء الراسخون فى العلم . و أما قوله ع و قد كان يكون من رسول الله ص الكلام له -قرآن-٢٣-٤٧ [صفحه ٤٨] وجهان فهذا داخل فى القسم الثانى و غير خارج عنه ولكنه كالنوع من الجنس لأن الوهم والغلط جنس تحته أنواع . واعلم أن أمير المؤمنين ع كان مخصوصا من دون الصحابه رضوان الله عليهم بخلوات كان يخلو بها مع رسول الله ص لا يطلع أحد من الناس على ما يدور بينهما و كان كثير السؤال للنبى ص عن معانى القرآن و عن معانى كلامه ص و إذا لم يسأل ابتدأه النبى ص بالتعليم والتثقيف و لم يكن أحد من أصحاب النبى ص كذلك بل كانوا أقساما فمنهم من يهابه أن يسأله وهم الذين يحبون أن يجيء الأعرابى أو الطارئ فيسأله وهم يسمعون ومنهم من كان بليدا بعيد الفهم قليل الهمة فى النظر والبحث ومنهم من كان مشغولا عن طلب العلم وفهم المعانى إما بعباده أودنيا ومنهم المقلد يرى أن فرضه السكوت وترك السؤال ومنهم المبغض الشائى الذى ليس للدين عنده من الموقع ما يضيع وقته وزمانه بالسؤال عن دقائقه وغوامضه وانضاف إلى الأمر الخاص بعلى ع ذكاؤه وفطنته وطهاره طيبته وإشراق نفسه وضوءها و إذا كان المحل قابلا متهيئا كان الفاعل المؤثر موجودا والموانع مرتفعه حصل الأثر على أتم ما يمكن فلذلك كان على ع كما قال الحسن البصرى ربانى هذه الأمة وذا فضلها ولذا تسميه الفلاسفة إمام الأئمة وحكيم العرب

فصل فيما وضع الشيعة والبكرية من الأحاديث

واعلم أن أصل الأكاذيب فى أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة فإنهم وضعوا [صفحه ٤٩] فى مبدأ الأمر أحاديث مختلفه فى صاحبهم حملهم على وضعها عداوه خصومهم نحو حديث السطل وحديث الرمانه وحديث غزوة البئر التى كان فيها الشياطين وتعرف كما زعموا بذات العلم وحديث غسل سلمان الفارسى وطى الأرض وحديث الجمجمة ونحو ذلك فلما رأت البكرية ما صنعت الشيعة وضعت لصاحبها أحاديث فى مقابله هذه الأحاديث نحو لو كنت متخذنا خليلا فإنهم وضعوه فى مقابله حديث

الإخاء ونحو سد الأبواب فإنه كان لعلى ع فقلبته البكريه إلى أبى بكر ونحو ايتونى بدواه وبياض أكتب فيه لأبى بكر كتابا لا يختلف عليه اثنان ثم قال أبى الله تعالى والمسلمون إلا أبابكر فإنهم وضعوه فى مقابله الحديث المروى عنه فى مرضه ايتونى بدواه وبياض أكتب لكم ما لاتصلون بعده أبدا -روايت- ١-٢-روايت- ٣٢-٨٧ فاختلفوا عنده وقال قوم منهم لقد غلبه الوجد حسبنا كتاب الله ونحو حديث أناراض عنك فهل أنت عنى راض ونحو ذلك فلما رأَت الشيعة ما قد وضعت البكريه أوسعوا فى وضع الأحاديث فوضعوا حديث الطوق الحديد الذى زعموا أنه قتله فى عنق خالد وحديث اللوح الذى زعموا أنه كان فى غدائر الحنفية أم محمد وحديث لايفعلن خالد ما أمر به وحديث الصحيفة التى علقَت عام الفتح بالكعبة وحديث الشيخ الذى سعد المنبر يوم بويح أبوبكر فسبق الناس إلى بيعته وأحاديث مكذوبة كثيرة تقتضى نفاق قوم من أكابر الصحابة والتابعين الأولين وكفرهم و على أدون الطبقات فيهم فقابلتهم البكريه بمطاعن كثيرة فى على و فى ولديه ونسبوه تارة إلى ضعف العقل وتارة إلى ضعف السياسة وتارة إلى حب الدنيا والحرص عليها ولقد كان الفريقان فى غنية عما اكتسباه واجترحاه ولقد كان فى فضائل على ع الثابتة الصحيحة وفضائل أبى بكر المحققة [صفحه ٥٠] المعلومة ما يغنى عن تكلف العصبية لهما فإن العصبية لهما أخرجت الفريقين من ذكر الفضائل إلى ذكر الرذائل و من تعديد المحاسن إلى تعديد المساوى والمقايح ونسأل الله تعالى أن يعصمنا من الميل إلى الهوى وحب العصبية و أن يجرينا على ماعودنا من حب الحق أين وجد وحيث كان سخط ذلك من سخط ورضى به من رضى بمنه ولطفه [صفحه ٥١]

٢٠٤- و من خطبة له ع

وَ كَانَ مِنْ اقْتِدَارِ جَبْرُوتِهِ وَ يَدِيعِ لَطَائِفِ صَنِيعِهِ أَنْ جَعَلَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ الزَّائِرِ الْمُتْرَاكِمِ الْمُتَقَاصِفِ يَبَسًا جَامِدًا ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ أَطْبَاقًا فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمَوَاتٍ بَعْدَ ارْتِقَاقِهَا فَاسْتَمَسَمَكَتْ بِأَمْرِهِ وَ قَامَتْ عَلَى حَدِّهِ يَحْمِلُهَا الْأَخْضَرُ الْمُثَعْنَجِرُ وَ الْقَمَقَامُ الْمُسَخَّرُ قَدْ ذَلَّ لِأَمْرِهِ وَ أذَعْنَ لِهَيْبَتِهِ وَ وَقَفَ الْجَارِي مِنْهُ لِخَشْيَتِهِ وَ جَبَلَ جَلَامِيدَهَا وَ نُشُوزَ مُتُونِهَا وَ أَطْوَادَهَا فَأَرَسَاهَا فِي مَرَاسِيهَا وَ أَلَزَمَهَا قَرَارَتَهَا فَمَضَتْ رُءُوسُهَا فِي الْهَوَاءِ وَ رَسَتْ أُصُولُهَا فِي الْمَاءِ فَأَنهَدَ جِبَالَهَا عَنْ سُهُولِهَا وَ أَسَاحَ قَوَاعِدَهَا فِي مُتُونِ أَقْطَارِهَا وَ مَوَاضِعِ أَنْصَابِهَا فَأَشْهَقَ قَلَالِهَا وَ أَطَالَ أَنْشَارَهَا وَ جَعَلَهَا لِلْأَرْضِ عِمَادًا وَ أَرَزَهَا فِيهَا أَوْتَادًا فَسَيَّكَتْ عَلَى حَرَكَتِهَا مِنْ أَنْ تَمِيدَ بِأَهْلِهَا أَوْ تَسِيخَ بِحَمْلِهَا أَوْ تَزُولَ عَنْ مَوَاضِعِهَا فَسَيَّبَحَانَ مَنْ أَمْسَكَهَا بَعْدَ مَوْجَانِ مِيَاهِهَا وَ أَجَمَدَهَا بَعْدَ رُطُوبَةِ أَكْنَافِهَا فَجَعَلَهَا لِخَلْقِهِ مَهَادًا وَ بَسَطَهَا لَهُمْ فِرَاشًا فَوْقَ بَحْرِ لُجِّيٍّ رَاكِدٍ لَمَّا يَجْرِي وَ قَمَائِمٍ لَمَّا يَسِيرِي تُكْرِكُزُهُ الرِّيَاحُ الْعَوَاصِفُ وَ تَمَخُّضُهُ الْعِمَامُ الدَّوَارِفُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى [صفحه ٥٢] أراد أن يقول و كان من اقتداره فقال و كان من اقتدار جبروته تعظيما وتفخيما كما يقال للملك أمرت الحضرة الشريفة بكذا والبحر الزاخر الذى قدامت جدا وارتفع والمتراكم المجتمع بعضه على بعض والمتقاصف الشديد الصوت قصف الرعد وغيره قصيفا. واليبس بالتحريك المكان يكون رطبا ثم ييبس و منه قوله تعالى فاضرب لهم طريقا فى البحر ييبسا واليبس بالسكون اليابس خلقه حطب ييبس هكذا يقوله أهل اللغة و فيه كلام لأن الحطب ليس يابس خلقه بل كان رطبا من قبل فالأصوب أن يقال لا تكون هذه اللفظة محركة إلا فى المكان خاصة وفطر خلق والمضارع يفطر بالضم فطرا. والأطباق جمع طبق و هو أجزاء مجتمعة من جراد أو غيم أو ناس أو غير ذلك من حيوان أو جماد يقول خلق منه أجساما مجتمعة مرتتقة ثم فتقها سبع سموات وروى ثم فطر منه طباقا أى أجساما منفصلة فى الحقيقة متصلة فى الصورة بعضها فوق بعض وهى من ألفاظ القرآن المجيد والضمير فى منه يرجع إلى ماء البحر فى أظهر النظر وقديمكن أن يرجع إلى اليبس . واعلم أنه قد تكرر فى كلام أمير المؤمنين ما يماثل هذا القول ويناسبه و هو مذهب قرآن- ٣١١-٣٥٢ [صفحه ٥٣] كثير من الحكماء الذين قالوا بحدوث السماء

منهم ثاليس الملطى قالوا أصل الأجسام الماء وخلقت الأرض من زبده والسماء من بخاره و قد جاء القرآن العزيز بنحو هذا قال سبحانه أَلَمْ يَدْرِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ. قال شيخنا أبو على و أبو القاسم رحمهما الله فى تفسيريهما هذه الآية دالة على أن الماء والعرش كانا قبل خلق السموات والأرض قالا و كان الماء على الهواء قالا و هذا يدل أيضا على أن الملائكة كانوا موجودين قبل خلق السموات والأرض لأن الحكيم سبحانه لا يجوز أن يقدم خلق الجماد على خلق المكلفين لأنه يكون عبثا. و قال على بن عيسى الرمانى من مشايخنا أنه غير ممتنع أن يخلق الجماد قبل الحيوان إذا علم أن فى إخبار المكلفين بذلك لطف لهم و لا يصح أن يخبرهم إلا و هو صادق فيما أخبر به وإنما يكون صادقا إذا كان المخبر خبره على ما أخبر عنه و فى ذلك حسن تقديم خلق الجماد على خلق الحيوان و كلام أمير المؤمنين ع يدل على أنه كان يذهب إلى أن الأرض موضوعة على ماء البحر و أن البحر حامل لها بقدره الله تعالى و هو معنى قوله يحملها الأخضر المتعرج والقمام المسخر و أن البحر الحامل لها قد كان جاريا فوق تحتها و أنه تعالى خلق الجبال فى الأرض فجعل أصولها راسخة فى ماء البحر الحامل للأرض وأعاليها شامخة فى الهواء و أنه سبحانه جعل هذه الجبال عمادا للأرض وأوتادا تمنعها من الحركة والاضطراب ولولاها لماجت واضطربت و أن هذا البحر الحامل للأرض تصعد فيه الرياح الشديدة فتحركه حركة عنيفة و تموج السحب التى تغترف الماء منه لتمطر الأرض به و هذا كله مطابق لما فى الكتاب العزيز والسنة النبوية والنظر الحكيمى ألا ترى إلى قوله تعالى أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ - قرآن- ١٧٦- ٢٥٨- قرآن- ١٥٣١- ١٥٨٩ كثير من الحكماء الذين قالوا بحدوث السماء منهم ثاليس الملطى قالوا أصل الأجسام الماء وخلقت الأرض من زبده والسماء من بخاره و قد جاء القرآن العزيز بنحو هذا قال سبحانه أَلَمْ يَدْرِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ. قال شيخنا أبو على و أبو القاسم رحمهما الله فى تفسيريهما هذه الآية دالة على أن الماء والعرش كانا قبل خلق السموات والأرض قالا و كان الماء على الهواء قالا و هذا يدل أيضا على أن الملائكة كانوا موجودين قبل خلق السموات والأرض لأن الحكيم سبحانه لا يجوز أن يقدم خلق الجماد على خلق المكلفين لأنه يكون عبثا. و قال على بن عيسى الرمانى من مشايخنا أنه غير ممتنع أن يخلق الجماد قبل الحيوان إذا علم أن فى إخبار المكلفين بذلك لطف لهم و لا يصح أن يخبرهم إلا و هو صادق فيما أخبر به وإنما يكون صادقا إذا كان المخبر خبره على ما أخبر عنه و فى ذلك حسن تقديم خلق الجماد على خلق الحيوان و كلام أمير المؤمنين ع يدل على أنه كان يذهب إلى أن الأرض موضوعة على ماء البحر و أن البحر حامل لها بقدره الله تعالى و هو معنى قوله يحملها الأخضر المتعرج والقمام المسخر و أن البحر الحامل لها قد كان جاريا فوق تحتها و أنه تعالى خلق الجبال فى الأرض فجعل أصولها راسخة فى ماء البحر الحامل للأرض وأعاليها شامخة فى الهواء و أنه سبحانه جعل هذه الجبال عمادا للأرض وأوتادا تمنعها من الحركة والاضطراب ولولاها لماجت واضطربت و أن هذا البحر الحامل للأرض تصعد فيه الرياح الشديدة فتحركه حركة عنيفة و تموج السحب التى تغترف الماء منه لتمطر الأرض به و هذا كله مطابق لما فى الكتاب العزيز والسنة النبوية والنظر الحكيمى ألا ترى إلى قوله تعالى أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا - قرآن- ١- ٢٨ و هذا هو صريح قوله ع ففتقها سبع سموات بعد ارتقاها و إلى قوله تعالى وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ و إلى ما ورد فى الخبر من أن الأرض مدحوة على الماء و أن الرياح تسوق السحب إلى الماء نازلة ثم تسوقها عنه صاعدة بعد امتلائها ثم تمطر. و أما النظر الحكيمى فمطابق لكلامه إذا تأمله المتأمل وحمله على المحمل العقلى و ذلك لأن الأرض هى آخر طبقات العناصر وقبلها عنصر الماء و هو محيط بالأرض كلها إلا ما برز منها و هو مقدار الربع من كرة الأرض على ما ذكره علماء هذا الفن وبرهنوا عليه فهذا تفسير قوله ع يحملها الأخضر المتعرج. و أما قوله ووقف الجارى منه لخشيته فلا يدل دلالة قاطعة على أنه كان جاريا ووقف ولكن ذلك كلام خرج مخرج التعظيم والتبجيل ومعناه أن الماء طبعه الجريان والسيلان فهو جار بالقوة و إن لم يكن جاريا بالفعل وإنما وقف و لم يجر بالفعل بقدره الله تعالى

المانعة له من السيلاان و ليس قوله ورست أصولها فى الماء مما ينافى النظر العقلى لأنه لم يقل ورست أصولها فى ماء البحر ولكنه قال فى الماء و لاشبهه فى أن أصول الجبال راسيه فى الماء المتخلخل بين أجزاء الأرض فإن الأرض كلها يتخلخل الماء بين أجزاءها على طريق استحالة البخار من الصورة الهوائية إلى الصورة المائية. و ليس ذكره للجبال و كونها مانعة للأرض من الحركة بمناف أيضا للنظر الحكمى لأن الجبال فى الحقيقة قد تمنع من الزلزلة إذا وجدت أسبابها الفاعلة فيكون ثقلها مانعا من الهدء و الرفع. -قرآن- ٧٤-١٢٣ [صفحہ ٥٥] ليس قوله تكرر كره الرياح منافيا للنظر الحكمى أيضا لأن كره الهواء محيطه بكره و قد تعصف الرياح فى كره الهواء للأسباب المذكورة فى موضعها من هذا العلم فيتموج كثير من الكره المائية لعصف الرياح . و ليس قوله ع و تمخضه الغمام الذوارف صريحا فى أن السحب تنزل فى البحر فتغترف منه كما قديعتقد فى المشهور العامى نحو قول الشاعر كالبحر تمطره السحاب و مالها || فضل عليه لأنها من مائه . بل يجوز أن تكون الغمام الذراف تمخضه و تحركه بما ترسل عليه من الأمطار السائلة منها فقد ثبت أن كلام أمير المؤمنين ع موجه إن شئت فسرتة بما يقوله أهل الظاهر و إن شئت فسرتة بما يعتقده الحكماء . فإن قلت فكيف قال الله تعالى أَوْ لَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَ هَلْ كَانَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَاءِينَ لَذَلِكَ حَتَّى يَقُولَ لَهُمْ أَوْ لَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا . قلت هذا فى قوله اعلموا أن السموات و الأرض كانتا رتقا ففتقناهما كما يقول الإنسان لصاحبه ألم تعلم أن الأمير صرف حاجبه الليلة عن بابه أى اعلم ذلك إن كنت غير عالم والرؤية هنا بمعنى العلم . و اعلم أنه قد ذهب قوم من قدماء الحكماء و يقال أنه مذهب سقراط إلى تفسير القيامة و جهنم بما بيتنى على وضع الأرض على الماء فقالوا الأرض موضوعة على الماء و الماء على الهواء و النار و النار فى حشو الأفلاك و لما كان العنصران الخفيفان و هما الهواء و النار يقتضيان صعود ما يحيطان به و العنصران الثقيلان اللذان فى وسطهما و هما -قرآن- ٢٣٩-٣٢٥-قرآن- ٣٧٦-٤٠٧ [صفحہ ٥٦] الماء و الأرض يقتضيان النزول و الهبوط وقعت الممانعة و المدافعة فلزم من ذلك وقوف الماء و الأرض فى الوسط . قالوا ثم إن النار لا تزال يتزايد تأثيرها فى إسخان الماء و يضاف إلى ذلك حر الشمس و الكواكب إلى أن تبلغ البحار و العنصر المائى غايتها فى الغليان و الفوران فيتصاعد بخار عظيم إلى الأفلاك شديد السخونة و يضاف إلى ذلك حر فللك الأثير الملاصق للأفلاك فتذوب الأفلاك كما يذوب الرصاص و تنهافت و تتساقط و تصير كالمهل الشديد الحرارة و نفوس البشر على قسمين أحدهما ماتجوهر و صار مجردا بطريق العلوم و المعارف و قطع العلائق الجسمانية حيث كان مدبرا للبدن و الآخر مابقى على جسمانيته بطريق خلوه من العلوم و المعارف و انغماسه فى اللذات و الشهوات الجسمانية فأما الأول فإنه يلتحق بالنفس الكلية المجردة و يخلص من دائرة هذا العالم بالكلية و أما الثانى فإنه تنصب عليه تلك الأجسام الفلكية الذائبة فيحترق بالكلية و يتعذب و يلقى آلاما شديدة . قالوا هذا هو باطن ماوردت به الرواية من العذاب عليها و خراب العالم و الأفلاك و انهدامها . ثم نعود إلى شرح الألفاظ قوله ع فاستمسكت أى وقفت و ثبتت . و الهاء فى حده تعود إلى أمره أى قامت على حد ما أمرت به أى لم تتجاوز و لا تعدته . و الأخضر البحر و يسمى أيضا خضارة معرفة غير مصروف و العرب تسميه بذلك إما لأنه يصف لون السماء فيرى أخضر أولأنه يرى أسود لصفائه فيطلقون عليه لفظ [صفحہ ٥٧] الأخضر كما سمو الأخضر أسود نحو قوله مُدَاهِمَاتَانِ وَ نَحْوُ تَسْمِيَتِهِمْ قَرَى الْعِرَاقِ سَوَادًا لَخَضَرَتِهَا وَ كَثْرَةُ شَجَرِهَا وَ نَحْوُ قَوْلِهِمْ لِلدِّيَزِجِ مِنَ الدَّوَابِّ أَخْضَرُ . المثنى السائل ثعجرت الدم و غيره فاثعجرت أى صببته فانصب و تصغير المثنى ميعج و ميعيج . و المقام بالفتح من أسماء البحر و يقال لمن وقع فى أمر عظيم وقع فى مقام من الأمر تشبيها بالبحر . قوله ع و جبل جلاميدها أى وخلق صخورها جمع جلمود . و النشوز جمع نشز و هو المرتفع من الأرض و يجوز فتح الشين . و متونها جوانبها و أطواها جبالها و يروى و أطواها بالجر عطفًا على متونها . فأرساها فى مراسيها أثبتها فى مواضعها رسا الشىء يرسو ثبت و رست أقدامهم فى الحرب ثبتت و رست السفينة ترسو رسوا و رسوا أى وقفت فى البحر و قوله تعالى بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَ مُرْسَاهَا بِالضَّمِّ مِنْ أَجْرِيَّتِ وَأَرْسِيَّتِ وَ مِنْ قَرَأَ بِالْفَتْحِ فَهُوَ مِنْ رَسَتْ هِيَ

وجرت هي . وألزمها قرارتها أمسكها حيث استقرت . قوله فأنهد جبالها أى أعلاها نهى ثدى الجارية ينهد بالضم إذا أشرف وكعب فهي ناهد وناهدة . وسهولها ماتطامن منها عن الجبال . وأساخ قواعدها أى غيب قواعد الجبال فى جوانب أقطار الأرض ساخت قوائم -قرآن- ٣٨-٤٨-قرآن- ٦٧٠-٧٠٠ [صفحة ٥٨] الفرس فى الأرض تسوخ وتسيخ أى دخلت فيها وغابت مثل ثاخذ وأسختها أنامثل أثنختها والأنصاب الأجسام المنصوبة الواحد نصب بضم النون والصاد و منه سميت الأصنام نصبا فى قوله تعالى وَ مَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ لِأَنَّهَا نَصِبَتْ فَعَبَدَتْ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ الْأَعشى -قرآن- ١٨٧-٢١٣ وذا المنصوب لاتنسكنه || لعاقبة و الله ربك فاعبدا . أى وأساخ قواعد الجبال فى متون أقطار الأرض و فى المواضع الصالحة لأن تكون فيها الأنصاب المماثلة وهى الجبال أنفسها . قوله فأشهى قلالها جمع قلة وهى ماعلا من رأس الجبل أشهقها جعلها شاهقة أى عالية . وأرزها أثبتها فيهارزت الجراة ترز رزا و هو أن تدخل ذنبها فى الأرض فتلقى بيضها وأرزها الله أثبت ذلك منها فى الأرض ويجوز أرزت لازما غير متعد مثل رزت وارتز السهم فى القرطاس ثبت فيه وروى وأرزها بالمد من قولهم شجرة آرزة أى ثابتة فى الأرض أرزت بالفتح تآرز بالكسر أى ثبتت وأرزها بالمد غيرها أى أثبتها . وتميد تتحرك وتسيخ تنزل وتهوى . فإن قلت ما الفرق بين الثلاثة تميد بأهلها أوتسيخ بحملها أوتزول عن مواضعها . قلت لأنها لو تحركت لكانت إما أن تتحرك على مركزها أو لا على مركزها [صفحة ٥٩] والأول هو المراد بقوله تميد بأهلها والثانى تنقسم إلى أن تنزل إلى تحت أو لاتنزل إلى تحت فالتزول إلى تحت هو المراد بقوله أوتسيخ بحملها والقسم الثانى هو المراد بقوله أوتزول عن مواضعها . فإن قلت ما المراد ب على فى قوله فسكنت على حركتها . قلت هى لهيئة الحال كما تقول عفوت عنه على سوء أدبه ودخلت إليه على شربه أى سكنت على أن من شأنها الحركة لأنها محمولة على سائل متموج . قوله موجان مياها بناء فعلان لما فيه اضطراب وحركة كالغليان والنزوان والخفقان ونحو ذلك . وأجمدها أى أ جعلها جامدة وأكنافها جوانبها والمهاد الفراش . فوق بحر لحي كثير الماء منسوب إلى اللجة وهى معظم البحر . قوله يكرره الرياح الكركرة تصريف الريح السحاب إذا جمعت بعد تفريق وأصله يكرر من التكرير فأعادوا الكاف كركرت الفارس عنى أى دفعته ورددته . والرياح العواصف الشديدة الهبوب وتمخضه يجوز فتح الخاء وضمها وكسرها والفتح أفصح لمكان حرف الحلق من مخضت اللين إذا حركته لتأخذ زبده . والغمام جمع والواحدة غمامة ولذلك قال الذوارف لأن فواعل أكثر ما يكون لجمع المؤنث ذرفت عينه أى دمعت أى السحب المواتر والمضارع من ذرفت عينه تذرف بالكسر ذرفا وذرفا والمذارف المدامع [صفحة ٦٠]

٢٠٥- و من خطبة له ع

اللَّهُمَّ أَيَّمَا عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا الْعَادِلَةَ غَيْرَ الْجَائِزَةَ وَ الْمُصْلِحَةَ فِي الدِّينِ وَ الدُّنْيَا غَيْرَ الْمُفْسِدَةَ فَأَبَى بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إِلَّا التَّكْوِصَ عَنْ نُصْرَتِكَ وَ الْإِبْطَاءَ عَنْ إِعْزَازِ دِينِكَ فَإِنَّا نَسْتَشْهَدُكَ عَلَيْهِ يَا أَكْبَرَ الشَّاهِدِينَ شَهَادَةً وَ نَسْتَشْهَدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَا أَسْكَنَتْهُ أَرْضُكَ وَ سَمَاوَاتِكَ ثُمَّ أَنْتَ بَعْدَهُ الْمَغْنَى عَنْ نُصْرِهِ وَ الْآخِذُ لَهُ بِذَنْبِهِ مَا فِي أَيَّمَا زَائِدَةٍ مُؤَكَّدَةٍ وَمَعْنَى الْفَصْلِ وَعِيدٍ مِنْ اسْتَنْصَرَهُ فَقَعَدَ عَنْ نُصْرِهِ . ووصف المقالة بأنها عادلة إما تأكيد كما قالوا شعر شاعر وإما ذات عدل كما قالوا رجل تأمر ولابن أى ذو تمر ولبن ويجوز أيضا أن يريد بالعادلة المستقيمة التى ليست كاذبة ولامحرفه عن جهتها والجائرة نقيضها وهى المنحرفة جار فلان عن الطريق أى انحرف وعدل . والنكوص التأخر . قوله ع نستشهدك عليه أى نسألك أن تشهد عليه ووصفه تعالى [صفحة ٦١] بأنه أكبر الشاهدين شهادة لقوله تعالى قُلْ أَى شَىءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَشْهَدُكَ عَلَى خِذْلَانٍ مِنْ اسْتَنْصَرْنَاهُ وَاسْتَنْصَرْنَاهُ إِلَى نُصْرَتِكَ وَالْجِهَادِ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى النُّهْوَ وَنَكَثَ عَنِ الْقِيَامِ بِوَجِبِ الْجِهَادِ وَنَسْتَشْهَدُ عِبَادَكَ مِنَ الْبَشَرِ فِي

أرضك وعبادك من الملائكة في سمواتك عليه أيضا ثم أنت بعد ذلك المغنى لنا عن نصرته ونهضته بما تتيحه لنا من النصر وتؤيدنا به من الإعزاز والقوة والأخذ له بذنبه في القعود والتخلف . وهذا قريب من قوله تعالى وَ إِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ -قرآن- ٤١-٨٣-قرآن- ٤٥٩-٥٣٠ [صفحة ٦٢]

٢٠٦- ومن خطبة له ع

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ عَنِ شَبِّهِ الْمَخْلُوقِينَ الْعَالِبِ لِمَقَالِ الْوَاصِ فِيهِ الظَّاهِرِ بَعَجَائِبِ تَدْبِيرِهِ لِلنَّاطِرِينَ وَ الْبَاطِنِ بِجَلَالِ عِزَّتِهِ عَنِ فِكْرِ الْمُتَوَهِّمِينَ الْعَالِمِ بِمَا اكْتَسَبَ وَ لَمَّا ازْدِيَادِ وَ لَا عِلْمَ مُسْتَفَادٍ لِجَمِيعِ الْأُمُورِ بِلَا رَوِيَّةٍ وَ لَا ضَمِيرٍ أَلْهَدِي لَأَنْغِشَاءِ الظُّلْمِ وَ لَا يَسْتَضِيءُ بِالْأَنْوَارِ وَ لَمَّا يَرَهْقُهُ لَيْلٌ وَ لَا يَجْرِي عَلَيْهِ نَهَارٌ لَيْسَ إِدْرَاكُهُ بِالْإِبْصَارِ وَ لَا عِلْمُهُ بِالْإِخْبَارِ يَجُوزُ شَبَّهُ وَ شَبَّهُ وَالرَّوَايَةُ هَاهُنَا بِالْفَتْحِ وَ تَعَالِيهِ سَبْحَانَهُ عَنِ شَبِّهِ الْمَخْلُوقِينَ كَوْنَهُ قَدِيمًا وَاجِبَ الوجودِ وَ كُلِّ مَخْلُوقٍ مَحْدَثٍ مُمْكِنِ الوجودِ. قوله الغالب لمقال الواسفين أى إن كنه جلاله وعظمته لا يستطيع الواسفون وصفه و إن أطنبوا وأسهبوا فهو كالغالب لأقوالهم لعجزها عن إيضاحه وبلوغ منتهاه والظاهر بأفعاله والباطن بذاته لأنه إنما يعلم منه أفعاله و أماداته فغير معلومة. ثم وصف علمه تعالى فقال إنه غير مكتسب كما يكتسب الواحد منا علومه بالاستدلال والنظر و لا- هو علم يزداد إلى علومه الأولى كما تريد علوم الواحد منا ومعارفه وتكثر لكثرة الطرق التى يتطرق بها إليها. [صفحة ٦٣] ثم قال و لا علم مستفاد أى ليس يعلم الأشياء بعلم محدث مجدد كما يذهب إليه جهم وأتباعه وهشام بن الحكم و من قال بقوله . ثم ذكر أنه تعالى قدر الأمور كلها بغير روية أى بغير فكر و لا ضمير و هو ما يطويه الإنسان من الرأى والاعتقاد والعزم فى قلبه . ثم وصفه تعالى بأنه لا يغشاه ظلام لأنه ليس بجسم و لا يستضىء بالأنوار كالأجسام ذوات البصر و لا يرهقه ليل أى لا يغشاه و لا يجرى عليه نهار لأنه ليس بزمانى و لا قابل للحركة ليس إدراكه بالأبصار لأن ذلك يستدعى المقابلة و لا-علمه بالإخبار مصدر أخبر أى ليس علمه مقصورا على أن تخبره الملائكة بأحوال المكلفين بل هو يعلم كل شىء لأن ذاته ذات واجب لها أن تعلم كل شىء لمجرد ذاتها المخصوصة من غير زيادة أمر على ذاتها منها فى ذكر النبى ص أَرْسَلَهُ بِالضِّيَاءِ وَ قَدَمَهُ فِى الْإِصْطِفَاءِ فَرَتَّقَ بِهِ الْمَفَاتِقَ وَ سَاوَرَ بِهِ الْمُعَالِبَ وَ ذَلَّلَ بِهِ الصَّعُوبَةَ وَ سَهَّلَ بِهِ الْحَزُونََةَ حَتَّى سَيَّرَحَ الضَّمَالُ عَنِ يَمِينٍ وَ شَدَّمَ الْمَالُ أَرْسَلَهُ بِالضِّيَاءِ أَى بِالْحَقِّ وَ سَمَى الْحَقَّ ضِيَاءً لِأَنَّهُ يَهْتَدَى بِهِ أَوْ أَرْسَلَهُ بِالضِّيَاءِ أَى بِالْقُرْآنِ . [صفحة ٦٤] وقدمه فى الاصطفاء أى قدمه فى العرب والعجم قالت قريش لو لا- نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْشِيِّينَ أَى عَلَى رَجُلٍ مِّنَ رَجُلِينَ مِّنَ الْقُرَيْشِيِّينَ عَظِيمِ أَى إِمَامِ عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ مِّنْ مَكَّةَ أَوْ عَلَى عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودِ الثَّقَفِيِّ مِّنَ الطَّائِفِ . ثم قال تعالى أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّيكَ أَى هُوَ سَبْحَانَهُ الْعَالِمِ بِالْمَصْلِحَةِ فِى إِرسَالِ الرِّسْلِ وَ تَقْدِيمِ مَنْ يَرَى فِى الْإِصْطِفَاءِ عَلَى غَيْرِهِ . فرتق به المفاتيح أى أصلح به المفاسد والرتق ضد الفتق والمفاتيح جمع مفتق و هو مصدر كالمضرب والمقتل . وساور به المغالب ساورت زيدا أى واثبته و رجل سوار أى وثاب وسورة الخمر وثوبها فى الرأس . والحزونة ضد السهولة والحزن ما غلظ من الأرض والسهل ما لان منها واستعير لغير الأرض كالأخلاق ونحوها. قوله حتى سرح الضلال أى طرده وأسرع به ذهابا. عن يمين وشمال من قولهم ناقه سرح ومنسرحه أى سريعه و منه تسريح المرأة أى تطلقها - قرآن- ٨١-١٣٧-قرآن- ١٧٥-١٨١-قرآن- ٢٧٥-٣٠٦ [صفحة ٦٥]

٢٠٧- ومن خطبة له ع

وَ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَدْلٌ عَدَلٌ وَ حَكَمٌ فَصَلَ وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ وَ سَيِّدُ عِبَادِهِ كُلَّمَا نَسَخَ اللَّهُ الْخَلْقَ فَرَقَّتَيْنِ جَعَلَهُ فِي خَيْرِهِمَا لَمْ يُسْهِمَ فِيهِ عَاهِرٌ وَ لَا ضَرْبٌ فِيهِ فَاجِرٌ أَلَا وَ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَعَلَ لِلْخَيْرِ أَهْلًا وَ لِلْحَقِّ دَعَائِمَ وَ لِلطَّاعَةِ عِصْمًا وَ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ كُلِّ طَاعَةٍ عَوْنًا مِّنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ يَقُولُ عَلَى الْأَلْسِنَةِ وَ يُثَبِّتُ بِهِ الْأَفْتِدَةَ فِيهِ كِفَاءٌ لِمُكْتِفٍ وَ شِفَاءٌ لِمُسْتَفٍ وَ اعْلَمُوا أَنَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُسْتَحْفَظِينَ عِلْمَهُ يَصُونُونَ مَصُونَهُ وَ يُفَجِّرُونَ عُيُونَهُ يَتَوَاصِلُونَ بِالْوِلَايَةِ وَ يَتَلَقَّوْنَ بِالْمَحَبَّةِ وَ يَتَسَاقُونَ بِكَأْسِ رَوْيِهِ وَ يَصْدُرُونَ بِرِيئِهِ لَمَّا تَشُوبُهُمُ الرِّيَاءُ وَ لَا تُسْرِعُ فِيهِمُ الْغِيْبَةُ عَلَى ذَلِكَ عَقَدَ خَلْقَهُمْ وَ أَخْلَقَهُمْ فَعَلَيْهِ يَتَحَابُونَ وَ بِهِ يَتَوَاصِلُونَ فَكَانُوا كَتَفَاضِلِ الْبَيْدِ يُنْتَقَى فَيُؤَخَذُ مِنْهُ وَ يُلْقَى قَدْ مِيزَهُ التَّخْلِيسُ وَ هَدَبَهُ التَّمْحِيسُ فَلْيَقْبَلِ امْرُؤٌ كَرَامَةً بِقَبُولِهَا وَ لِيَحْذَرْ قَارِعَةً قَبْلَ حُلُولِهَا وَ لِيَنْظُرِ امْرُؤٌ فِي قَصْرِ أَيْمَانِهِ وَ قَلِيلِ مُقَامِهِ فِي مَنَزِلٍ حَتَّى يَسْتَبْدِلَ بِهِ مَنَزِلًا فَلْيَصْنَعْ لِمُتَحَوِّلِهِ وَ مَعَارِفِ مُتَتَّقِيهِ فَطُوبَى لِمَنْ لَدَى قَلْبٍ سَلِيمٍ أَطَاعَ مَنْ يَهْدِيهِ وَ تَجَنَّبَ مَنْ يُرِيدِيهِ وَ أَصَابَ سَبِيلَ السَّلَامَةِ بَبَصَرٍ مِّنْ بَصَرِهِ وَ طَاعَةَ هَادٍ أَمْرَهُ وَ بَادَرَ الْهُدَى قَبْلَ أَنْ تُغْلَقَ أَبْوَابُهُ [صفحة ٦٦] وَ تُقَطَّعَ أَسْبَابُهُ وَ اسْتَفْتَحَ التَّوْبَةَ وَ أَمَاطَ الْحَوِيَّةَ فَقَدْ أُقِيمَ عَلَى الطَّرِيقِ وَ هُدِيَ نَهْجَ السَّبِيلِ الضَّمِيرِ فِي أَنَّهُ يَرْجِعُ إِلَى الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ الْمَذْكُورِ فِي صَدْرِ هَذِهِ الْخُطْبَةِ وَ لَمْ يَذْكُرْهُ الرُّضَى رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّ قَضَاءَهُ تَعَالَى عَدْلُ عَدْلٍ وَ حَكَمٌ بِالْحَقِّ فَإِنَّهُ حَكَمٌ فَصَلَ بَيْنَ الْعِبَادِ بِالْإِنْصَافِ وَ نَسَبَ الْعَدْلَ وَالْفَصْلَ إِلَى الْقَضَاءِ عَلَى طَرِيقِ الْمَجَازِ وَ هُوَ بِالْحَقِيقَةِ مَنْسُوبٌ إِلَى ذِي الْقَضَاءِ وَالْقَاضِي بِهِ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى . قَوْلُهُ وَسَيِّدُ عِبَادِهِ هَذَا كَالْمَجْمَعِ عَلَيْهِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَ إِنْ كَانَ قَدْ خَالَفَ فِيهِ شَذُودٌ مِنْهُمْ وَاحْتِجَّ الْجُمْهُورُ بِقَوْلِهِ أَنَا سَيِّدُ آدَمَ وَ لَا فَاخِرَ -رواية- ١-٢-رواية- ٩-٣٤ بقوله ادعوا لى سيد العرب عليا فقالت عائشة ألسنت سيد العرب فقال أناسيد البشر و على سيد العرب -رواية- ١-٢-رواية- ٩-١٠٠ بقوله آدم و من دونه تحت لوائى -رواية- ١-٢-رواية- ٩-٣٧ بقوله ع لا تفضلونى على أخى يونس بن متى -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-٤٧ . وَأَجَابَ الْأَوْلُونَ تَارَةً بِالطَّعْنِ فِي إِسْنَادِ الْخَبْرِ وَ تَارَةً بِأَنَّهُ حِكَايَةُ كَلَامِ حِكَاةٍ صَ عَنْ عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَ تَارَةً بِأَنَّ النَّهْيَ إِنَّمَا كَانَ عَنِ الْغُلُوفِ فِيهِ كَمَا غَلَّتِ الْأُمَمُ فِي أَنْبِيَائِهَا فَهُوَ كَمَا يَنْهَى الطَّبِيبُ الْمَرِيضَ فَيَقُولُ لَا تَأْكُلْ مِنَ الْخُبْزِ وَ لَا دَرَهْمًا وَ لَيْسَ مَرَادُهُ تَحْرِيمَ أَكْلِ الدَّرَهْمِ وَ الدَّرَهْمِينَ بَلْ تَحْرِيمَ مَا يَسْتَضَرُّ بِأَكْلِهِ مِنْهُ . قَوْلُهُ ع كُلَّمَا نَسَخَ اللَّهُ الْخَلْقَ فَرَقَّتَيْنِ جَعَلَهُ فِي خَيْرِهِمَا النَّسْخَ النُّقْلَ وَ مِنْهُ نَسَخَ الْكِتَابَ وَ مِنْهُ نَسَخَ الرِّيحَ آثَارَ الْقَوْمِ وَ نَسَخَتْ الشَّمْسُ الظِّلَّ يَقُولُ [صفحة ٦٧] كُلَّمَا قَسَمَ اللَّهُ تَعَالَى الْأَبَ الْوَاحِدَ إِلَى ابْنَيْنِ جَعَلَ خَيْرَهُمَا وَأَفْضَلَهُمَا لَوْلَادَةَ مُحَمَّدٍ عَ وَ سَمِيَ ذَلِكَ نَسْخًا لِأَنَّ الْبَطْنَ الْأَوَّلَ يَزُولُ وَ يَخْلُفُهُ الْبَطْنَ الثَّانِي وَ مِنْهُ مَسَائِلُ الْمُنَاسَخَاتِ فِي الْفَرَائِضِ . وَ هَذَا الْمَعْنَى قَدْ وَرَدَ مَرْفُوعًا فِي عِدَّةٍ أَحَادِيثَ نَحْوَ قَوْلِهِ صَ مَا فَتَرَقَتْ فَرَقَتَانِ مِنْذُ نَسْلِ آدَمَ وَ لَدَهُ إِلَّا كُنْتُ فِي خَيْرِهِمَا -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-٦٩ قَوْلُهُ إِنْ اللَّهُ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ مَضْرُوعًا مِنْ مَضْرُوعٍ كِنَانَةٌ وَ اصْطَفَى مِنْ كِنَانَةِ قَرِيشًا وَ اصْطَفَى مِنْ قَرِيشٍ هَاشِمًا وَ اصْطَفَى مِنْ بَنِي هَاشِمٍ -رواية- ١-٢-رواية- ٩-١٦٩ قَوْلُهُ لَمْ يَسْهِمِ فِيهِ عَاهِرٌ وَ لَا ضَرْبٌ فِيهِ فَاجِرٌ -رواية- ١-٢-رواية- ٩-٤٦ لَمْ يَسْهِمِ لَمْ يَضْرِبْ فِيهِ عَاهِرٌ بِسْهِمٍ أَيْ بِنَصِيبٍ وَ جَمَعَهُ سَهْمَانٌ وَ الْعَاهِرُ ذُو الْعَهْرِ بِالتَّحْرِيكِ وَ هُوَ الْفَجُورُ وَ الزَّنَاءُ وَ يَجُوزُ تَسْكِينُ الْهَاءِ مِثْلَ نَهْرٍ وَ نَهْرٍ وَ هَذَا هُوَ الْمَصْدَرُ وَ الْمَاضِي عَهْرٌ بِالْفَتْحِ وَ الْاسْمُ الْعَهْرُ بِكَسْرِ الْعَيْنِ وَ سَكُونِ الْهَاءِ وَ الْمَرْأَةُ عَاهِرَةٌ وَ مَعَاهِرَةٌ وَ عَيْهَرَةٌ وَ تَعْيِيرُ الرَّجُلِ إِذْ أَرَانِي وَ الْفَاجِرُ كَالْعَاهِرِ هَاهُنَا وَ أَصْلُ الْفَجُورِ الْمَيْلُ قَالَ لَيْسَ دُونَ تَقَدُّمِ تَغَشُّ مِنْهَا مَقْدَمَا || غَلِيظًا وَ إِنْ أَخْرَجْتَ فَالْكَفْلُ فَاجِرٌ يَقُولُ مَقْعَدُ الرَّدِيفِ مَائِلٌ

ذكر بعض المطاعن في النسب وكلام للجاحظ في ذلك

وَ فِي الْكَلَامِ رَمَزَ إِلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ فِي أَنْسَابِهِمْ طَعْنَ كَمَا يُقَالُ إِنْ آلَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ لَيْسُوا مِنْ بَنِي زَهْرَةَ بْنِ كِلَابٍ وَ إِنْهُمْ مِنْ بَنِي عَذْرَةَ مِنْ قِحْطَانَ [صفحة ٦٨] وَ كَمَا قَالُوا إِنْ آلَ الزَّبِيرِ بْنِ الْعَوَامِ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنَ الْقِبْطِ وَ لَيْسُوا مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ

عبدالعزى قال الهيثم بن عدى فى كتاب مثالب العرب إن خويلد بن أسد بن عبدالعزى كان أتى مصر ثم انصرف منها بالعوام فتبناه فقال حسان بن ثابت يهجو آل العوام بن خويلد بنى أسد ما بال آل خويلد || يحنون شوقا كل يوم إلى القبط متى يذكروا قهقى يحنون لذكراها || وللمث المقرون والسمك الرقط عيون كأمثال الزجاج وضيعه || تخالف كعبا فى لحى كثة ثط يرى ذاك فى الشبان والشيب منهم || مينا و فى الأطفال والجله الشمط لعمر أبى العوام إن خويلدا || غداه تبناه ليوثق فى الشرط و كما يقال فى قوم آخرين نرفع هذا الكتاب عن ذكر مايطعن به فى أنسابهم كى لا يظن بنا أنانحب المقالة فى الناس . قال شيخنا أبوعثمان فى كتاب مفاخرات قريش لاخير فى ذكر العيوب إلا من ضرورة و لانجد كتاب مثالب قط إلا لدعى أو شعوبى ولست واجده لصحيح النسب و لا لقليل الحسد وربما كانت حكاية الفحش أفحش من الفحش ونقل الكذب أقيح من الكذب و قال النبى ص اعف عن ذى قبر -روايت- ١-٢-روايت- ١٨-٣٤ قال لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات -روايت- ١-٢-روايت- ٨-٣٩ وقيل فى المثل يكفيك من شر سماعه وقالوا أسمعك من أبلغك وقالوا من طلب عيبا وجده و قال النابغة ولست بمستبق أخا لاتلمه || على شعث أى الرجال المهذب . [صفحه ٦٩] قال أبوعثمان وبلغ عمر بن الخطاب أن أناسا من رواة الأشعار وحمله الآثار يعيون الناس ويثلبونهم فى أسلافهم فقام على المنبر و قال إياكم و ذكر العيوب والبحث عن الأصول فلو قلت لا يخرج اليوم من هذا الأبواب إلا - من لاوصمه فيه لم يخرج منكم أحد فقام رجل من قريش نكره أن نذكره فقال إذا كنت أنا و أنت يا أمير المؤمنين نخرج فقال كذبت بل كان يقال لك يا قين بن قين اقعده . قلت الرجل الذى قام هو المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومى كان عمر يبغضه لبغضه أباه خالد و لأن المهاجر كان علوى الرأى جدا و كان أخوه عبدالرحمن بخلافه شهد المهاجر صفين مع على ع وشهداها عبدالرحمن مع معاوية و كان المهاجر مع على ع فى يوم الجمل وفقئت ذلك اليوم عينه و لأن الكلام الذى بلغ عمر بلغه عن المهاجر و كان الوليد بن المغيرة مع جلالة فى قريش و كونه يسمى ريحانة قريش و يسمى العدل و يسمى الوحيد حداد يصنع الدروع وغيرها بيده ذكر ذلك عنه عبد الله بن قتيبة فى كتاب المعارف . وروى أبو الحسن المدائنى هذا الخبر فى كتاب أمهات الخلفاء و قال إنه روى عند جعفر بن محمد ع بالمدينة فقال لا تلمه يا ابن أخى إنه أشفق أن يحدج بقضية نفيل بن عبدالعزى وصهاك أمة الزبير بن عبدالمطلب ثم قال رحم الله عمر فإنه لم يعد السنه و تلاميذ الذين يحبون أن تشيع الفاحشه فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم . أما قول ابن جرير الأملى الطبرستانى فى كتاب المسترشد إن عثمان و والد -قرآن- ١١٦٤-١٢٥١ [صفحه ٧٠] أبى بكر الصديق كان ناكحا أم الخير ابنة أخته فليس بصحيح ولكنها ابنة عمه لأنها ابنة صخر بن عامر و عثمان هو ابن عمرو بن عامر والعجب لمن اتبعه من فضلاء الإمامية على هذه المقالة من غير تحقيق لها من كتب الأنساب وكيف تتصور هذه الواقعة فى قريش و لم يكن أحد منهم مجوسيا و لا يهوديا و لا - كان من مذهبهم حل نكاح بنات الأخ و لابنات الأخت . ثم نعود لإتمام حكاية كلام شيخنا أبى عثمان قال ومتى يقدر الناس حفظك الله على رجل مسلم من كل ابنة و مبرأ من كل آفة فى جميع آبائه وأمهاته وأسلافه وأصهاره حتى تسلم له أخواله وأعمامه وخالاته وعماته وأخواته وبناته وأمهات نسائه وجميع من يناسبه من قبل جداته وأجداده وأصهاره وأختانه و لو كان ذلك موجودا لما كان لنسب رسول الله ص فضيلة فى النقاء والتهديب و فى التصفية والتنقيح قال رسول الله ص مامسنى عرق سفاح قط و ما زلت أنقل من الأصلاب السليمة من الوصوم والأرحام البريئة من العيوب -روايت- ١-٢-روايت- ٢٣-١٢١ فلسنا نقضى لأحد بالنقاء من جميع الوجوه إلا لنسب من صدقه القرآن واختاره الله على جميع الأنام و إلا فلا بد من شىء يكون فى نفس الرجل أو فى طرفيه أو فى بعض أسلافه أو فى بعض أصهاره ولكنه يكون مغطى بالصلاح و محجوبا بالفضائل و مغمورا بالمناقب . و لو تأملت أحوال الناس لو جدت أكثرهم عيوباً أشدهم تعيباً قال الزبيرقان من بدر ما استب رجلاً إلا غلبت الأمهما و قال خصلتان كثيرتان فى امرئ السوء [صفحه ٧١] كثرة اللطام و شدة السباب و لو كان ما يقوله أصحاب المثالب حقا لما كان على ظهرها عربى كما قال عبدالملك بن صالح

الهاشمى إن كان ما يقول بعض فى بعض حقا فما فيهم صحيح و إن كان ما يقول بعض المتكلمين فى بعض حقا فما فيهم مسلم . قوله ع ألا و إن الله قد جعل للخير أهلا وللحق دعائم وللطاعة عصما الدعائم ما يدعم بها البيت لثلا يسقط والعصم جمع عصمة و هو ما يحفظ به الشىء ويمنع فأهل الخير هم المتقون ودعائم الحق الأدلة الموصلة إليه المثبتة له فى القلوب وعصم الطاعة هى الإدمان على فعلها والتمرن على الإتيان بها لأن المرون على الفعل يكسب الفاعل ملكة تقتضى سهولته عليه والعون هاهنا هو اللطف المقرب من الطاعة المبعد من القبيح . ثم قال ع إنه يقول على الألسنة ويثبت الأفئدة و هذا من باب التوسع والمجاز لأنه لما كان مستهلا للقول أطلق عليه إنه يقول على الألسنة و لما كان الله تعالى هو الذى يثبت الأفئدة كما قال يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ إِلَى اللطيف لأنه من فعل الله تعالى كما ينسب الإنبات إلى المطر وإنما المنبت للزرع هو الله تعالى والمطر فعله . ثم قال ع فيه كفاء لمكتف وشفاء لمشتف والوجه فيه كفاية فإن الهمز لاوجه له هاهنا لأنه من باب آخر ولكنه أتى بالهمزة للزدواج بين كفاء - قرآن - ٦١٧-٦٦٨ [صفحة ٧٢] وشفاء كما قالوا الغدايا والعشايا و كما قال ع مأزورات غير مأجورات فأتى بالهمز والوجه الواو للزدواج

ذكر بعض أحوال العارفين والأولياء

ثم ذكر العارفين فقال واعلموا أن عباد الله المستحفظين علمه إلى قوله وهذبه التمحيص . واعلم أن الكلام فى العرفان لم يأخذه أهل الملّة الإسلاميه إلا- عن هذا الرجل ولعمري لقد بلغ منه إلى أقصى الغايات وأبعد النهايات والعارفون هم القوم الذين اصطفاهم الله تعالى وانتخبهم لنفسه واختصهم بأنسه أحبوه فأحبهم وقربوا منه فقرب منهم قد تكلم أرباب هذا الشأن فى المعرفة والعارفان فكل نطق بما وقع له وأشار إلى ما وجدته فى وقته . و كان أبو على الدقاق يقول من أمارات المعرفة حصول الهيبة من الله فمن ازدادت معرفته ازدادت هيئته . و كان يقول المعرفة توجب السكينة فى القلب كما أن العلم يوجب السكون فمن ازدادت معرفته ازدادت سكينته . وسئل الشبلى عن علامات العارف فقال ليس لعارف علامة و لا لمحج سكون و لا لخائف قرار . وسئل مرة أخرى عن المعرفة فقال أولها الله و آخرها ما لانهاية له . و قال أبو حفص الحداد منذ عرفت الله ما دخل قلبى حق و لا باطل و قد أشكل هذا الكلام على أرباب هذا الشأن وتأوله بعضهم فقال عند القوم إن المعرفة توجب [صفحة ٧٣] غيبة العبد عن نفسه لاستيلاء ذكر الحق عليه فلا يشهد غير الله و لا يرجع إلا إليه و كما إن العاقل يرجع إلى قلبه وتفكره وتذكره فيما يسبح له من أمر أو يستقبله من حال فالعارف رجوعه إلى ربه لا إلى قلبه وكيف يدخل المعنى قلب من لا قلب له . وسئل أبو يزيد البسطامى عن العرفان فقال إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَ جَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَ هَذَا مَعْنَى مَا أَشَارَ إِلَيْهِ أَبُو حَفْصِ الْحَدَّادِ . و قال أبو يزيد أيضا للخلق أحوال و لأحوال للعارف لأنه محيت رسومه وفنى هو وصارت هويته هوية غيره وغيب آثاره فى آثار غيره . قلت و هذا هو القول بالاتحاد الذى يبحث فيه أهل النظر . و قال الواسطى لا تصح المعرفة و فى العبد استغناء بالله أو افتقار إليه و فسر بعضهم هذا الكلام فقال إن الافتقار والاستغناء من أمارات صحو العبد وبقاء رسومه على ما كانت عليه والعارف لا يصح ذلك عليه لأنه لا استهلاكه فى وجوده أو لاستغراقه فى شهوده إن لم يبلغ درجة الاستهلاك فى الوجود مختطف عن إحساسه بالغنى والفقر وغيرهما من الصفات ولهذا قال الواسطى من عرف الله انقطع وخرس وانقمع - قرآن - ٢٩٥-٣٧٩ قال ص لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك - روايت - ١-٢- روايت - ١١-٥٦ . و قال الحسين بن منصور الحلاج علامة العارف أن يكون فارغا من الدنيا والآخرة . و قال سهل بن عبد الله التستري غاية العرفان شيان الدهش والحيرة . و قال ذو النون أعرف الناس بالله أشدهم تحيرا فيه . وقيل لأبى يزيد بما ذا وصلت إلى المعرفة قال بيدن عار و بطن جائع . [صفحة ٧٤] وقيل لأبى يعقوب

السوسى هل يتأسف العارف على شىء غير الله فقال وهل يرى شيئا غيره ليتأسف عليه . و قال أبو يزيد العارف طيار والزاهد سيار . و قال الجنيد لا يكون العارف عارفا حتى يكون كالأرض يطؤها البر والفاجر وكالسحاب يظل كل شىء وكالمطر يسقى ما ينبت وما لا ينبت . و قال يحيى بن معاذ يخرج العارف من الدنيا ولا يقضى وطره من شيتين بكائه على نفسه وحبه لربه . و كان ابن عطاء يقول أركان المعرفة ثلاثة الهيبة والحياء والأنس و قال بعضهم العارف أنس بالله فأوحشه من خلقه وافتقر إلى الله فأغناه عن خلقه وذل لله فأعزه فى خلقه . و قال بعضهم العارف فوق ما يقول والعالم دون ما يقول . و قال أبو سليمان الداراني إن الله يفتح للعارف على فراشه ما لا يفتح للعابد و هو قائم يصلى . و كان رويم يقول رياء العارفين أفضل من إخلاص العابدين . و سئل أبو تراب النخشبى عن العارف فقال هو الذى لا يكدره شىء ويصفو به كل شىء . و قال بعضهم المعرفة أمواج ترفع وتحط . و سئل يحيى بن معاذ عن العارف فقال الكائن البائن . و قيل ليس بعارف من وصف المعرفة عند أبناء الآخرة فكيف عند أبناء الدنيا . و قال محمد بن الفضل المعرفة حياة القلب مع الله . و سئل أبو سعيد الخراز هل يصير العارف إلى حال يجفو عليه البكاء قال [صفحة ٧٥] نعم إنما البكاء فى أوقات سيرهم إلى الله فإذا صاروا إلى حقائق القرب وذاقوا طعم الوصول زال عنهم ذلك . و اعلم أن إطلاق أمير المؤمنين ع عليهم لفظة الولاية فى قوله يتواصلون بالولاية ويتلاقون بالمحبة يستدعى الخوض فى مقامين جليلين من مقامات العارفين المقام الأول الولاية و هو مقام جليل قال الله تعالى **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** و - قرآن - ٣٢٢-٣٨٦ جاء فى الخبر الصحيح عن النبي ص يقول الله تعالى من آذى لى ولما فقد استحل محارمى و مات قرب إلى العبد بمثل أداء ما فرضت عليه و لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه و لا ترددت فى شىء أنافعله كترددى فى قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأكره مساءته و لا بد له منه -رواية -١-٢-رواية -٥٦-٢٩٤ . و اعلم أن الولى له معنيان أحدهما فعيل بمعنى مفعول كقتيل وجريح و هو من يتولى الله أمره كما قال الله تعالى **إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّيِّئِينَ فَلَا يَكِلُهُ إِلَى نَفْسِهِ لِحِظَةِ عَيْنٍ بَلْ يَتَوَلَّى رِعَايَتِهِ** . وثانيهما فعيل بمعنى فاعل ككثير وعليم و هو الذى يتولى طاعة الله وعبادته فلا يعصيه . و من شرط كون الولى ولما ألا يعصى مولاه وسيده كما أن من شرط كون النبي -قرآن -١١٩-١٩٣ [صفحة ٧٦] نبيا العصمة فمن ظن فيه أنه من الأولياء ويصدر عنه مال للشرع فيه اعتراض فليس بولى عند أصحاب هذا العلم بل هو مغرور مخادع . و يقال إن أبا يزيد البسطامى قصد بعض من يوصف بالولاية فلما وافى مسجده قعد ينتظر خروجه فخرج الرجل وتنخم فى المسجد فانصرف أبو يزيد و لم يسلم عليه و قال هذا رجل غير مأمون على أدب من آداب الشريعة كيف يكون أمينا على أسرار الحق . و قال ابراهيم بن أدهم لرجل أتعب أن تكون لله ولما قال نعم قال لا ترغب فى شىء من الدنيا و لا من الآخرة و فرغ نفسك لله و أقبل بوجهك عليه ليقبل عليك و يواليك . و قال يحيى بن معاذ فى صفة الأولياء هم عباد تسربلوا بالأنس بعد المكابدة و ادرعوا بالروح بعد المجاهدة بوصولهم إلى مقام الولاية . و كان أبو يزيد يقول أولياء الله عرائس الله و لا يرى العرائس إلا المحارم فهم مخدرون عنده فى حجاب الأنس لا يراهم أحد فى الدنيا و لا فى الآخرة . و قال أبو بكر الصيدلانى كنت أصلح لقبر أبى بكر الطمستانى لوحا أنقر فيه اسمه فيسرق ذلك اللوح فأنقر له لوحا آخر وأنصبه على قبره فيسرق وتكرر ذلك كثيرا دون غيره من ألواح القبور فكنت أتعجب منه فسألت أبا على الدقاق عن ذلك فقال إن ذلك الشيخ آثر الخفاء فى الدنيا و أنت تريد أن تشهره باللوح الذى تنصبه على قبره فالله سبحانه يأبى إلا إخفاء قبره كما هو ستر نفسه . و قال بعضهم إنما سمي الولى ولما لأنه توالى أفعاله على الموافقة . [صفحة ٧٧] و قال يحيى بن معاذ الولى لا يرائى و لا ينافق و ما أقل صديق من يكون هذا خلقه . المقام الثانى المحبة قال الله سبحانه **مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ وَالْمَحَبَّةُ عِنْدَ رَبِّ ابِ هَذَا الشَّانِ حَالَةٌ شَرِيفَةٌ** . قال أبو يزيد البسطامى المحبة استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك . و قال أبو عبد الله القرشى المحبة أن تهب كلك لمن أحببت فلا يبقى لك منك شىء وأكثرهم على نفى صفة العشق لأن العشق مجاوزة الحد فى

المحبة والبارئ سبحانه أجل من أن يوصف بأنه قد تجاوز أحد الحد في محبته. سئل الشبلي عن المحبة فقال هي أن تغار على المحبوب أن يحبه أحد غيرك . و قال سمنون ذهب المحبون بشرف الدنيا والآخرة -قرآن- ١٢٣-٢٠٨ لأن النبي ص قال المرء مع من أحب -رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-٤٠ فهم مع الله تعالى . و قال يحيى بن معاذ حقيقة المحبة ما لا ينقص بالجفاء ولا يزيد بالبر. و قال ليس بصادق من ادعى محبته و لم يحفظ حدوده . و قال الجنيد إذا صحت المحبة سقطت شروط الأدب . وأنشد في معناه إذا صفت المودة بين قوم || ودام وداهم سمج الثناء و كان أبو علي الدقاق يقول ألت ترى الأب الشفيق لا يبجل ولده في الخطاب و الناس يتكفون في مخاطبته و الأب يقول له يا فلان باسمه . [صفحة ٧٨] و قال أبو يعقوب السوسى حقيقة المحبة أن ينسى العبد حظه من الله وينسى حوائجه إليه . قيل للنصرآبادى يقولون إنه ليس لك من المحبة شىء قال صدقوا ولكن لى حسراتهم فهو ذو احتراق فيه . و قال النصرآبادى أيضا المحبة مجانية السلو على كل حال ثم أنشد و من كان فى طول الهوى ذاق سلوة || فإنى من ليلى لها غير ذائق وأكثر شىء نلته فى وصالها || أمانى لم تصدق كلمحة بارق . و كان يقال الحب أوله خبل و آخره قتل . و قال أبو علي الدقاق فى معنى قول النبي ص حبك الشىء يعمى ويصم -رواية- ١-٢-رواية- ١٧-٤١ قال يعمى ويصم عن الغير إعراضا و عن المحبوب هيبه ثم أنشد إذا ما بدا لى تعاضمتى || فأصدر فى حال من لم يره . و قال الجنيد سمعت الحارث المحاسبى يقول المحبة إقبالك على المحبوب بكليتك ثم إيثارك له على نفسك و مالك و ولدك ثم موافقتك له فى جميع الأمور سرا و جهرا ثم اعتقادك بعد ذلك أنك مقصر فى محبته . و قال الجنيد سمعت السرى يقول لاتصلح المحبة بين اثنين حتى يقول الواحد للآخر يا أنا . و قال الشبلى المحب إذا سكت هلك و العارف إذا لم يسكت هلك . و قيل المحبة نار فى القلب تحرق ماسوى و د المحبوب . و قيل المحبة بذل الجهد و الحبيب يفعل ما يشاء . و قال الثورى المحبة هتك الأستار و كشف الأسرار . [صفحة ٧٩] حبس الشبلى فى المارستان بين المجانين فدخل عليه جماعة فقال من أتم قالوا محبوبك أيها الشيخ فأقبل يرميهم بالحجارة ففروا فقال إذا دعيتم محبتى فاصبروا على بلائى . كتب يحيى بن معاذ إلى أبى يزيد البسطامى قد سكرت من كثرة ما شربت من كأس محبته فكتب إليه أبو يزيد غيرك شرب بحور السموات و الأرض و ماروى بعد ولسانه خارج و يقول هل من مزيد . و من شعرهم فى هذا المعنى عجت لمن يقول ذكرت ربى || وهل أنسى فأذكر مانسيت شربت الحب كأسا بعد كأس || فما نفذ الشراب و لا رويت يقال إن الله تعالى أوحى إلى بعض الأنبياء إذا طلعت على قلب عبد فلم أجد فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبي -رواية- ١-٢-رواية- ٨-١١٨ قال أبو علي الدقاق إن فى بعض الكتب المنزلة عبدى أنا وحقك لك محب فبحقى عليك كن لى محبا -رواية- ١-٢-رواية- ٥١-١٠٠ . و قال عبد الله بن المبارك من أعطى قسطا من المحبة و لم يعط مثله من الخشية فهو مخدوع . و قيل المحبة ماتمحو أثرك و تسلبك عن وجودك . و قيل المحبة سكر لا يصحوا صاحبه إلا بمشاهدة محبوه ثم إن السكر الذى يحصل عند المشاهدة لا يوصف و أنشد فأكسر القوم دور كأس || و كان سكرى من المدير و كان أبو علي الدقاق ينشد كثيرا [صفحة ٨٠] لى سكرتان و للندمان واحدة || شىء خصصت به من بينهم وحدى و كان يحيى بن معاذ يقول مثقال خردله من الحب أحب إلى من عبادة سبعين سنة بلا حب . و قال بعضهم من أراد أن يكون محبا فليكن كما حكى عن بعض الهند أنه أحب جارية فرحلت عن ذلك البلد فخرج الفتى فى وداعها فدمعت إحدى عينيه دون الأخرى فغمض التى لم تدمع أربعا وثمانين سنة و لم يفتحها عقوبة لأنها لم تبك على فراق حبيبته . و أنشدوا فى هذا المعنى بكت عيني غداة البين دمعا || و أخرى بالبكاء بخلت علينا فعاقبت التى بخلت علينا || بأن غمضتها يوم التقيت قيل إن الله تعالى أوحى إلى داود ع إنى حرمت على القلوب أن يدخلها حبي و حب غيرى -رواية- ١-٢-رواية- ٧-٩٠ . و قيل المحبة إشار المحبوب على النفس كامرأة العزيز لما فرط بها الحب قالت أنا راودته عن نفسه و إنه لمن الصادقين و فى الابتداء قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجنفورك الذنب فى الابتداء عليه و نادى فى الانتهاء على

نفسها بالخيانة و قال أبو سعيد الخراز رأيت النبي ص في المنام فقلت يا رسول الله اعذرني فإن محبة الله شغلتنى عن حبك فقال يامبارك من أحب الله فقد أحبنى. -قرآن- ٧٨-١٣٤-قرآن- ١٥٥-٢٠٩ [صفحة ٨١] ثم نعود إلى تفسير ألفاظ الفصل قوله ع يصونون مصونه أى يكتمون من العلم الذى است حفظوه ما يجب أن يكتم ويفجرون عيونهم يظهرهم منه ما ينبغى إظهاره و ذلك أنه ليس ينبغى إظهار كل ما استودع العارف من الأسرار و أهل هذا الفن يزعمون أن قوما منهم عجزوا عن أن يحملوا بما حملوه فباحوا به فهلكوا منهم الحسين بن منصور الحلاج ولأبى الفتوح الجارودى المتأخر أتباع يعتقدون فيه مثل ذلك . والولاية بفتح الواو المحبة والنصرة ومعنى يتواصلون بالولاية يتواصلون وهم أولياء ومثله ويتلاقون بالمحبة كما تقول خرجت بسلاحى أى خرجت و أنا متسلح فيكون موضع الجار والمجرور نصبا بالحال أو يكون المعنى أدق وألطف من هذا و هو أن يتواصلوا بالولاية أى بالقلوب لا بالأجسام كما تقول أنا أراك بقلبي وأزورك بخاطري وأواصلك بضميرى. قوله ويتساقون بكأس رويته أى بكأس المعرفة والأنس بالله يأخذ بعضهم عن بعض العلوم والأسرار فكأنهم شرب يتساقون بكأس من الخمر. قال ويصدرون بريئة يقال من أين ريتكم مفتوحة الرأى أى من أين ترتوون الماء. قال لا تشوبهم الريئة أى لا تخالطهم الظنة والتهمة و لا تسرع فيهم الغيبة لأن أسرارهم مشغولة بالحق عن الخلق . قال على ذلك عقد خلقهم وأخلاقهم الضمير فى عقد يرجع إلى الله تعالى أى على هذه الصفات والطبائع عقد الخالق تعالى خلقتهم وخلقهم أى هم متهيئون لما صاروا إليه كما قال ع إذا أرادك لأمر هياك له - رويت- ١-٢-روايت- ١٥-٤١ [صفحة ٨٢] قال ع كل ميسر لما خلق له -روايت- ١-٢-روايت- ١١-٣٢. قال فعليه يتحابون و به يتواصلون أى ليس حبهم بعضهم بعضا إلا فى الله وليست مواصلتهم بعضهم بعضا إلا لله لالهوى و لا لغرض من أغراض الدنيا أنشد منشد عند عمر قول طرفة فلو لا ثلاث هن من عيشة الفتى || وجدك لم أحفل متى قام عودى فمنهن سبقى العاذلات بشرية || كميت متى ماتعل بالماء تزيد و كرى إذ نادى المضاف محنبا || كسيد الغضا نبهته المتورد و تقصير يوم الدجن والدجن معجب || ببهكنة تحت الطراف المعمد فقال عمر و أنا لو لا ثلاث هن من عيشة الفتى لم أحفل متى قام عودى حبى فى الله و بغضى فى الله و جهادى فى سبيل الله . قوله ع فكانوا كتفاضل البذر أى مثلهم مثل الحب الذى ينتفى للبذر يستصلح بعضه ويسقط بعضه . قدميزه التخليص قد فرق الانتقاء بين جيدة و رديئة و هذبه التمحيص قال النبى ص إن المرض ليمحص الخطايا كما تمحص النار الذهب -روايت- ١-٢-روايت- ١٨-٦٦ أى كما تخلص النار الذهب مما يشوبه . ثم أمرع المكلفين بقبول كرامة الله و نصحه و وعظه و تذكيره و بالحدز [صفحة ٨٣] من نزول القارعة بهم وهى هاهنا الموت و سميت الداهية قارعة لأنها تفرع أى تصيب بشدة. قوله فليصنع لمتحوله أى فليعد ما يجب إعداده للموضع الذى يتحول إليه تقول اصنع لنفسك أى اعمل لها. قوله و معارف منتقلة معارف الدار ما يعرفها المتوسم بها و أحدها معرف مثل معاهد الدار و معالم الدار و منه معارف المرأة و هو ما يظهر منها كالوجه واليدين والمنتقل بالفتح موضع الانتقال . قوله فطوبى هى فعلى من الطيب قلبوا لىاء واوا للضممة قبلها و يقال طوبى لك و طوباك بالإضافة. و قول العامة طوبيك بالياء غير جائز. قوله لذى قلب سليم هو من ألفاظ الكتاب العزيز أى سليم من الغل والشك . قوله أطاع من يهديه أى قبل مشورة الناصح الأمر له بالمعروف والنهى له عن المنكر. و تجنب من يرديه أى يهلكه بإغوائه و تحسين القبيح له . والباء فى قوله ببصر من بصره متعلقة بأصاب . قوله قبل أن تغلق أبوابه أى قبل أن يحضره الموت فلا تقبل توبته . والحبوة الإثم و إمامته إزالته و يجوز أمطت الأذى عنه و مطت الأذى عنه أى نحيت و منع الأصمعى منه إلا بالهمزة]

[صفحة ٨٤]

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُصِحْ بِى مَيْتًا وَ لَمَّا سَيِّئًا وَ لَمَّا مَضْرُوبًا عَلَى عُرْوَقِي بِسُوءٍ وَ لَمَّا مَأْخُودًا بِأَسْوَى عَمَلِي وَ لَمَّا مَقْطُوعًا دَابِرِي وَ لَمَّا مُرْتَدًّا عَن دِينِي وَ لَمَّا مُنْكَرًا لِرَبِّي وَ لَمَّا مُسْتَوْحِشًا مِن إِيْمَانِي وَ لَمَّا مُتَلَبِسًا عَقْلِي وَ لَمَّا مُعَذَّبًا بِعَذَابِ الأَمَمِ مِن قَبْلِي أَصْبَحْتُ عَبْدًا مَمْلُوكًا ظَالِمًا لِنَفْسِي لَكَ الحُجَّةُ عَلَيَّ وَ لَمَّا حُجَّةٌ لِي وَ لَمَّا أَسْتَطِيعُ أَن آخِذًا إِلَّا مَا أَعْطَيْتَنِي وَ لَمَّا أَتَّقِي إِلَّا مَا وَقَيْتَنِي اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَن أَفْتَقَرَ فِي غِنَاكَ أَوْ أَضِلَّ فِي هُدَاكَ أَوْ أُضَامَ فِي سُلْطَانِكَ أَوْ أُضْطَهَدَ وَ الأَمْرُ لَكَ اللَّهُمَّ اجْعَلْ نَفْسِي أَوَّلَ كَرِيمَةٍ تَنْتَرِعُهَا مِن كَرَائِمِي وَ أَوَّلَ وَدِيعَةٍ تَرْتَجِعُهَا مِن وَدَائِعِ نَعْمِكَ عِنْدِي اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَن نَذْهَبَ عَن قَوْلِكَ أَوْ أَن نُفْتَنَ عَن دِينِكَ أَوْ تَنْتَابِعَ بِنَا أَهْوَاؤُنَا دُونَ الهُدَى الَّذِي جَاءَ مِن عِنْدِكَ [صفحة ٨٥] قوله كثيرا منصوب بأنه صفة مصدر محذوف أى دعاء كثيرا وميتا منصوب على الحال أى لم يفلق الصباح على ميتا ولا يجوز أن تكون يصبح ناقصة و يكون ميتا خبرها كما قال الراوندى لأن خبر كان وأخواتها يجب أن يكون هو الاسم ألا ترى أنهما مبتدأ وخبر فى الأصل واسم يصبح ضمير الله تعالى وميتا ليس هو الله سبحانه . قوله ولا مضروبا على عروقي بسوء أى ولا أبرص والعرب تكنى عن البرص بالسوء و من أمثالهم ما أنكرت من سوء أى ليس إنكارى لك عن برص حدث بك فغير صورتك . وأراد بعروقه أعضاءه ويجوز أن يريد ولا مطعونا فى نسبي والتفسير الأول أظهر. ولا مأخوذا بأسوى عملى أى ولا معاقبا بأفحش ذنوبى. ولا مقطوعا دابرى أى عقبى ونسلى والدابر فى الأصل التابع لأنه يأتى دبرا ويقال للهالك قد قطع الله دابره كأنه يراد أنه عفا أثره ومحا اسمه قال سبحانه أن دابره هؤلاء مقطوع مصبحين. ولا مستوحشا أى ولا شاكيا فى الإيمان لأن من شك فى عقيدة استوحش منها. ولا متلبسا علقى أى ولا مختلطا علقى لبست عليهم الأمر بالفتح أى خلطته وعذاب الأمم من قبل المسخ والزلزلة والظلمة ونحو ذلك . قرآن- ٧٦٤-٨٠٢ [صفحة ٨٦] قوله لك الحجة على ولا حجة لى لأن الله سبحانه قد كلفه بعد تمكينه وإقداره وإعلامه قبح القبيح ووجوب الواجب وترديد دواعيه إلى الفعل وتركه وهذه حجة الله تعالى على عباده ولا حجة للعباد عليه لأنه ما كلفهم إلا بما يطيقونه ولا كان لهم لطف فى أمر إلا وفعله . قوله لا أستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتنى ولا أتقى إلا ما وقيتنى أى لا أستطيع أن أرزق نفسى أمرا ولكنك الرزاق ولا أدفع عن نفسى محذورا من المرض والموت إلا ما دفعته أنت عنى. وقال الشاعر لعمر ك ما يدرى الفتى كيف يتقى || نواب هذا الدهر أم كيف يحذر يرى الشىء مما يتقى فيخافه || وما لا يرى مما يقى الله أكثر وقال عبد الله بن سليمان بن وهب كفاية الله أجدى من توقينا || وعادة الله فى الأعداء تكفيننا كاد الأعداء فما أبقوا ولا تركوا || عيبا وطعنا وتقيحا وتهجينا و لم نزد نحن فى سر و فى علن || على مقاتلتنا الله يكفيننا و كان ذاك ورد الله حاسدنا || بغيظه لم ينل مأموله فينا . قوله ع أن أفتقر فى غناك موضع الجار والمجرور نصب على الحال و فى متعلقه بمحذوف والمعنى أن أفتقر و أنت الموصوف بالغنى الفائض على الخلق . وكذلك قوله أو أضل أو أضل فى هداك معناه أو أضل و أنت ذو الهداية العامة للبشر كافة وكذلك أو أضام فى سلطانك كما يقول المستغيث إلى السلطان كيف أظلم فى عدلك . [صفحة ٨٧] وكذلك قوله أو أضطهد والأمر لك أى و أنت الحاكم صاحب الأمر والطاء فى أضطهد هى تاء الافتعال وأصل الفعل ضهدت فلانا فهو مضهود أى قهرته وفلان ضهده لكل أحد أى كل من شاء أن يقهره فعل . قوله اللهم اجعل نفسى هذه الدعوة مثل دعوة رسول الله ص وهى قوله اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا واجعله الوارث منا -رواية ١-٢-رواية ٩-٦٠ أى لا تجعل موتنا متأخرا عن ذهاب حواسنا و كان على بن الحسين يقول فى دعائه اللهم احفظ على سمعى وبصرى إلى انتهاء أجلى -رواية ١-٢-رواية ٤١-٨٧ . وفسروا قوله ع واجعله الوارث منا فقالوا الضمير فى واجعله يرجع إلى الإمتاع . فإن قلت كيف يتقى الإمتاع بالسمع والبصر بعد خروج الروح . قلت هذا توسع فى الكلام والمراد لا تبلنا بالعمى ولا الصمم فنكون أحياء فى الصورة ولسنا بأحياء فى المعنى لأن من فقدهما لاخير له فى الحياة فحملته المبالغة على أن طلب بقاءهما بعد ذهاب النفس إيذانا وإشعارا بحبه ألا يبلى بفقدهما. وفتنت على ما لم يسم فاعله نصاب بفتنته تضلنا عن الدين وروى نفتنت بفتح حرف المضارعة على نفتتل افتتن الرجل أى فتن ولا يجوز أن يكون الافتتان متعديا كما ذكره

الراوندى ولكنه قرأ فى الصحاح للجوهري والفتون الافتتان يتعدى ولا يتعدى فظن أن ذلك للافتتان و ليس كماظن وإنما ذلك راجع إلى الفتون . والتتابع التهافت فى اللجاج والشر ولا يكون إلا فى مثل ذلك وروى أوتتابع بطرح إحدى التاءات [صفحہ ۱۸۸]

۲۰۹- و من خطبة له ع خطبها بصفين

اشاره

أما بعد فقد جعل الله سبحانه لى عليكم حقا بولايه أمركم و لكم على من الحق مثل الذى لى عليكم و الحق أوسع الأشياء فى التواصف و أضيقتها فى التناصف لا يجرى لأحد إلا جرى عليه و لا يجرى عليه إلا جرى له و لو كان لأحد أن يجرى له و لا يجرى عليه لكان ذلك خالصا لله سبحانه دون خلقه لقدرته على عباده و ليعدله فى كل ما جرت عليه ضرور قضايه و لكنّه سبحانه جعل حقه على العباد أن يطيعوه و جعل جزاءهم عليه مضافا للثواب تفضلا منه و توسعا بما هو من المزيد أهله الذى له عليهم من الحق هو وجوب طاعته و الذى لهم عليه من الحق هو وجوب معدلته فيهم و الحق أوسع الأشياء فى التواصف و أضيقتها فى التناصف معناه أن كل أحد يصف الحق والعدل ويذكر حسنه ووجوبه و يقول لووليت لعدلت فهو بالوصف باللسان وسيع وبالفعل ضيق لأن ذلك العالم العظيم الذين كانوا يتواصفون حسنه و يعدون أن لوولوا باعتماده وفعلة لا تجد فى الألف منهم واحدا لوولى لعدل ولكنه قول بغير عمل . [صفحہ ۱۸۹] ثم عاد إلى تقرير الكلام الأول و هو وجوب الحق له و عليه فقال إنه لا يجرى لأحد إلا وجرى عليه وكذلك لا يجرى عليه إلا وجرى له أى ليس و لا واحد من الموجودين بمرتفع عن أن يجرى الحق عليه و لو كان أحد من الموجودين كذلك لكان أحقهم بذلك الباري سبحانه لأنه غاية الشرف بل هو فوق الشرف و فوق الكمال والتمام و هو مالك الكل و سيد الكل فلو كان لجواز هذه القضية وجه و لصحتها مساع لكان الباري تعالى أولى بها وهى ألا يستحق عليه شيء و تقدير الكلام لكنه يستحق عليه أمور فهو فى هذا الباب كالواحد منا يستحق ويستحق عليه ولكنه ع حذف هذا الكلام المقدر أدبا وإجلالا لله تعالى أن يقول إنه يستحق عليه شيء . فإن قلت فما بال المتكلمين لا يتأدبون بأدبه ع وكيف يطلقون عليه تعالى الوجوب والاستحقاق . قلت ليست وظيفة المتكلمين وظيفه أمير المؤمنين ع فى عباراتهم هؤلاء أرباب صناعة و علم يحتاج إلى ألفاظ واصطلاح لا بد لهم من استعماله للإفهام والجدل بينهم و أمير المؤمنين إمام يخطب على منبره يخاطب عربا و رعية ليسوا من أهل النظر و لا مخاطبته لهم لتعليم هذا العلم بل لاستنفارهم إلى حرب عدوه فوجب عليه بمقتضى الأدب أن يتوقى كل لفظة توهم ما يستهجنه السامع فى الأمور الإلهية و فى غيرها . فإن قلت فما هذه الأمور التى زعمت أنها تستحق على الباري سبحانه و أن أمير المؤمنين ع حذفها من اللفظ واللفظ يقتضيها . قلت الثواب والعوض وقبول التوبة واللطف والوفاء بالوعد والوعيد و غير ذلك مما يذكره أهل العدل . [صفحہ ۹۰] فإن قلت فما معنى قوله لكان ذلك خالصا لله سبحانه دون خلقه لقدرته على عباده ولعدله فى كل ما جرت عليه ضرور قضايه وهب أن تعليل عدم استحقاق شيء على الله تعالى بقدرته على عباده صحيح كيف يصح تعليل ذلك بعدله فى كل ما جرت عليه ضرور قضايه ألاترى أنه ليس بمستقيم أن تقول لا يستحق على الباري شيء لأنه عادل وإنما المستقيم أن تقول لا يستحق عليه شيء لأنه مالك ولذلك عللت الأشعريه هذا الحكم بأنه مالك الكل والاستحقاق إنما يكون على من دونه . قلت التعليل صحيح و هو أيضا مما عللت به الأشعريه مذهبا و ذلك لأنه إنما يتصور الاستحقاق على الفاعل المختار إذا كان ممن يتوقع منه أو يصح منه أن يظلم فيمكن حينئذ أن يقال قدوجب عليه كذا

واستحق عليه كذا فأما من لا يمكن أن يظلم ولا يتصور وقوع الظلم منه ولا الكذب ولا خلف الوعد والوعيد فلامعنى لإطلاق الوجوب والاستحقاق عليه كما لا يقال كذا الداعي الخالص يستحق عليه أن يفعل مادعاه إليه الداعى ويجب عليه أن يفعل مادعاه إليه الداعى مثل الهارب من الأسد والشديد العطش إذا وجد الماء ونحو ذلك . فإن قلت أليس يشعر قوله ع وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضلا منه بمذهب البغداديين من أصحابكم و هو قولهم إن الثواب تفضل من الله سبحانه وليس بواجب . قلت لا- وذلك لأنه جعل المتفضل به هو مضاعفة الثواب لأصل الثواب وليس ذلك بمستنكر عندنا. فإن قلت أيجوز عندكم أن يستحق المكلف عشرة أجزاء من الثواب فيعطى عشرين جزءا منه أليس من مذهبكم أن التعظيم والتبجيل لا يجوز من البارئ سبحانه أن يفعلهما [صفحة ٩١] فى الجنة إلا على قدر الاستحقاق والثواب عندكم هو النفع المقارن للتعظيم والتبجيل فكيف قلت إن مضاعفة الثواب عندنا جائزة. قلت مراده ع بمضاعفة الثواب هنا زيادة غير مستحقة من النعيم واللذة الجسمانية خاصة فى الجنة فسمى تلك اللذة الجسمانية ثوابا لأنها جزء من الثواب فأما اللذة العقلية فلا يجوز مضاعفتها. قوله ع بما هو من الميزد أهله أى بما هو أهله من الميزد فقدم الجار والمجرور وموضعه نصب على الحال وفيه دلالة على أن حال المجرور تتقدم عليه كما قال الشاعر لئن كان برد الماء حران صاديا || إلى حبيبا إنها لحبيب ثم جعل سبحانه من حقوقه حقوقا افتراضها لبعض الناس على بعض فجعلها تكافأ فى وجوب بعضها بعضا و لما يستوجب بعضها إلا بعض . وأعظم ما افتراض سبحانه من تلك الحقوق حق الوالى على الرعية وحق الرعية على الوالى فريضة فرضها الله سبحانه لكل على كمال فجعلها نظاما لألفتهم و عزاء لدينهم فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاء و لا تصلح الولاء إلا باستقامة الرعية فإذا أدت الرعية إلى الوالى حقه و أدى الوالى إليها حقه عز الحق بينهم و قامت مناهج الدين و اعتدلت معالم العدل و جرت على أذلالها السنن فصلى لمح بذلك الزمان و طمع فى بقاء الدولة و يئست مطامع الأعداء. [صفحة ٩٢] و إذا غلبت الرعية وإيها أو أجهف الوالى برعيتيه اختلفت هنالك الكلمة و ظهرت معالم الجور و كثرت الإدغال فى الدين و تركزت مصالح السنن فعمل بالهوى و عطلت الأحكام و كثرت علل النفوس فلا يستوحش لعظيم حق عطل و لا لعظيم باطل فعمل فهناك تذلل الأبرار و تعزز الأشرار و تعظم تبعات الله سبحانه عند العباد. فعليكم بالتناضح فى ذلك و حسن التعاون عليه فليس أحد و إن اشتد على رضا الله حرصه و طال فى العمل اجتهاده يبلغ حقيقة ما الله سبحانه أهله من الطاعة له و لكن من واجب حقوق الله سبحانه على عباده النصيحة بمبلغ جهدهم و التعاون على إقامة الحق بينهم و ليس امرؤ و إن عظمت فى الحق منزلته و تقدمت فى الدين فضة يلقه بفوق أن يعان على ما حملة من حقه و لا امرؤ و إن صغرت النفوس و اقتحمته العيون بدون أن يعين على ذلك أو يعان عليه تكافأ فى وجوهها تساوى وهى حق الوالى على الرعية وحق الرعية على الوالى. وفريضة قدروى بالنصب وبالرفع فمن رفع فخير مبتدا محذوف و من نصب فباضمار فعل أو على الحال . و جرت على أذلالها السنن بفتح الهمزة أى على مجاريها وطرقها. وأجهف الوالى برعيتيه ظلمهم . والإدغال فى الدين الفساد. [صفحة ٩٣] ومحاج السنن جمع محجة وهى جادة الطريق . قوله ع وكثرت علل النفوس أى تعللها بالباطل و من كلام الحجاج إياكم وعلل النفوس فإنها أدوى لكم من علل الأجساد. واقتحمته العيون احتقرته وازدرته قال ابن دريد و منه ماتتحم العين فإن ذقت جناه ساغ عذبا فى اللها . ومثل قوله ع و ليس امرؤ و إن عظمت فى الحق منزلته قول زيد بن على ع لهشام بن عبد الملك إنه ليس أحد و إن عظمت منزلته بفوق أن يذكر بالله ويحذر من سطوته و ليس أحد و إن صغر بدون أن يذكر بالله ويخوف من نعمته . ومثل قوله ع و إذا غلبت الرعية وإيها قول الحكماء إذا علا صوت بعض الرعية على الملك فالملك مخلوع فإن قال نعم فقال أحد من الرعية لافالملك مقتول

وقد جاء في وجوب الطاعة لأولى الأمر الكثير الواسع قال الله سبحانه أطيعوا اللهَ وَأطيعوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ و-قرآن-
٧١-١٣٥ روى عبد الله بن عمر عن رسول الله ص السمع والطاعة على المرء -رواية- ١-٢-رواية- ٤٣-٤٣-ادامه دارد [صفحة ٩٤]
المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بها فلاسمع ولاطاعة -رواية- از قبل-٧٤- عنه ص إن أمر عليكم عبد أسود
مجدع فاسمعوا له وأطيعوا -رواية- ١-٢-رواية- ١١-٦٠ من كلام على ع إن الله جعل الطاعة غنيمه الأكياس عندتفريط الفجرة
-رواية- ١-٢-رواية- ٢٠-٧٣. بعث سعد بن أبي وقاص جرير بن عبد الله البجلي من العراق إلى عمر بن الخطاب بالمدينة فقال
له عمر كيف تركت الناس قال تركتهم كقداح الجعبة منها الأعصل الطائش ومنها القائم الرائش قال فكيف سعد لهم قال
هو ثقافها الذي يقيم أودها ويغمر عصلها قال فكيف طاعتهم قال يصلون الصلاة لأوقاتها ويؤدون الطاعة إلى ولائها قال الله أكبر
إذا أقيمت الصلاة أديت الزكاة وإذا كانت الطاعة كانت الجماعة. و من كلام أبرويز الملك أطع من فوقك يطعك من دونك .
و من كلام الحكماء قلوب الرعية خزائن واليها فما أودعه فيها وجدته . و كان يقال صنفان متباغضان متنافيان السلطان والرعية
وهما مع ذلك متلازمان إن أصلح أحدهما صلح الآخر وإن فسد فسد الآخر. و كان يقال محل الملك من رعيته محل الروح
من الجسد ومحل الرعية منه محل الجسد من الروح فالروح تألم بألم كل عضو من أعضاء البدن و ليس كل واحد من الأعضاء
يألم بألم غيره وفساد الروح فساد جميع البدن و قد يفسد بعض البدن وغيره من سائر البدن صحيح . [صفحة ٩٥] و كان يقال
ظلم الرعية استجلاب البلية. و كان يقال العجب ممن استفسد رعيته و هو يعلم أن عزه بطاعتهم . و كان يقال موت الملك الجائر
خصب شامل . و كان يقال لا قحط أشد من جور السلطان . و كان يقال قد تعامل الرعية المشمزة بالرفق فتزول أحقادها ويذل
قيادها و قد تعامل بالخرق فتكاشف بما غيبت و تقدم على ما عيبت حتى يعود نفاقها شقاقا و رذاذها سيلا بعاقا ثم إن غلبت وقهرت
فهو الدمار و إن غلبت وقهرت لم يكن يغلبها افتخار و لم يدرك بقهرها ثأر و كان يقال الرعية و إن كانت ثمارا مجتناه وذخائر
مقتناه و سيوفا منتزاه و أحراسا مرتزاه فإن لها نفارا كنفار الوحوش و طغيانا كطغيان السيول و متى قدرت أن تقول قدرت على أن
تصول . و كان يقال أيدي الرعية تبع ألسنتها فلن يملك الملك ألسنتها حتى يملك جسمها ولن يملك جسمها حتى يملك
قلوبها فتحبه ولن تحبه حتى يعدل عليها في أحكامه عدلا يتساوى فيه الخاصة والعامة و حتى يخفف عنها المؤن والكلف و حتى
يعفيها من رفع أوضاعها و أراذلها عليها و هذه الثالثة تحقد على الملك العلية من الرعية و تطمع السفلة في الرتب السنية. و كان
يقال الرعية ثلاثة أصناف صنف فضلاء مرتاضون بحكم الرئاسة والسياسة يعلمون فضيلة الملك و عظيم غناؤه و يرثون له من ثقل
أعبائه فهؤلاء يحصل الملك موداتهم بالبشر عند اللقاء و يلقي أحاديثهم بحسن الإصغاء و صنف فيهم خير و شر ظاهران فصلاحهم
يكتسب من معاملتهم بالترغيب والترهيب و صنف من السفلة الرعاع أتباع [صفحة ٩٦] لكل داع لا يمتحنون في أقوالهم وأعمالهم
بنقد و لا يرجعون في الموالاة إلى عقد. و كان يقال ترك المعاقبة للسفلة على صغار الجرائم تدعوهم إلى ارتكاب الكبائر
العظام ألاترى أول نشور المرأة كلمة سومحت بها وأول حران الدابة حيدة سوعدت عليها. و يقال إن عثمان قال يوما لجلسائه و
هو محصور في الفتنة و ددت أن رجلا صدوقا أخبرني عن نفسي و عن هؤلاء فقام إليه فتى فقال إنى أخبرك تطأطأت لهم
فركبوك و ماجراهم على ظلمك إلا إفراط حلمك قال صدقت فهل تعلم ما يشب نيران الفتنة قال نعم سألت عن ذلك شيخا من
تنوخ كان باقعة قد نقب في الأرض و علم علما جما فقال الفتنة يثيرها أمران أثره تضغن على الملك الخاصة و حلم يجزئ عليه
العامة قال فهل سألته عما يخمدنها قال نعم زعم أن الذي يخمدنها في ابتدائها استقالة العشرة و تعميم الخاصة بالأثرة
فإذا استحكمت الفتنة أخمدها الصبر قال عثمان صدقت و إنى لصابر حتى يحكم الله بيننا و هو خير الحاكمين و يقال إن يزيد جرد بن
بهرام سأل حكيم ما صلاح الملك قال الرفق بالرعية و أخذ الحق منها بغير عنف و التودد إليها بالعدل و أمن السبل و إنصاف
المظلوم قال فما صلاح الملك قال وزراؤه إذا صلحوا صلح قال فما الذي يثير الفتنة قال ضغائن يظهرها جراءة عامه و استخفاف

خاصةً وانبساط الألسن بضمائر القلوب وإشفاق موسر وأمن معسر وغفلة مرزوق ويقظة محروم قال و مايسكنها قال أخذ العدة لما يخاف وإيثار الجد حين يلتذ الهزل والعمل بالحزم وادراع الصبر والرضا بالقضاء. و كان يقال خير الملوك من أشرب قلوب رعيته محبته كما أشعرها هييته ولن ينال ذلك منها حتى تظفر منه بخمسه أشياء إكرام شريفها ورحمة ضعيفها وإغاثة لهيفها [صفحة ٩٧] وكف عدوان عدوها وتأمين سبل رواحها وغدوها فمتى أعدمها شيئاً من ذلك فقد أحقدتها بقدر ما أفقدتها. و كان يقال الأسباب التي تجر الهلك إلى الملك ثلاثة أحدها من جهة الملك و هو أن تتأمر شهواته على عقله فتستهويه نشوات الشهوات فلا تسنح له لذة إلاقتنصها و لاراحة إلافترصها. والثاني من جهة الوزراء و هو تحاسدهم المقتضى تعارض الآراء فلا يسبق أحدهم إلى حق إلاكويد وعورض وعوند. والثالث من جهة الجند المؤهلين لحراسة الملك والدين وتوهين المعاندين و هو نكولهم عن الجلاد وتضجيعهم في المناصب والجهاد وهم صنفان صنف وسع الملك عليهم فأبطرهم الإتراف وضنوا بنفوسهم عن التعريض للإتلاف وصنف قدر عليهم الأرزاق فاضطغنوا الأحقاد واستشعروا النفاق

الآثار الواردة في العدل والإنصاف

قوله ع أو أجحف الوالى برعيته قد جاء من نظائره الكثير جدا و قد ذكرنا فيما تقدم نكتا حسنة فى مدح العدل والإنصاف وذم الظلم والإجحاف و قال النبى ص زين الله السماء بثلاثة الشمس والقمر والكواكب وزين الأرض بثلاثة العلماء والمطر والسلطان العادل -روايت-١-٢-روايت-١٨-١١٨. و كان يقال إذا لم يعمر الملك ملكه بإنصاف الرعية خرب ملكه بعصيان الرعية. وقيل لأنوشروان أى الجنى أوقى قال الدين قيل فأى العدد أقوى قال العدل. [صفحة ٩٨] وقع جعفر بن يحيى إلى عامل من عماله كثر شاكوك وقل حامدوك فإما عدلت وإما اعتزلت. وجد فى خزانه بعض الأكاسرة سفت ففتح فوجد فيه حب الرمان كل حبة كالنواة الكبيرة من نوى المشمش و فى السفت رقعة فيها هذاحب رمان عملنا فى خراجه بالعدل. جاء رجل من مصر إلى عمر بن الخطاب متظلما فقال يا أمير المؤمنين هذا مكان العائذ بك قال له عدت بمعاذ ماشأنك قال سأبقت ولد عمرو بن العاص بمصر فسبقته فجعل يعنفنى بسوطه و يقول أنا ابن الأكرمين وبلغ أباه ذلك فحبسنى خشية أن أقدم عليك فكتب إلى عمرو إذا أتاك كتابى هذا فاشهد الموسم أنت وابنك فلما قدم عمرو وابنه دفع الدرّة إلى المصرى و قال اضربه كماضربك فجعل يضربه وعمر يقول اضرب ابن الأمير اضرب ابن الأمير يرددها حتى قال يا أمير المؤمنين قد استقدت منه فقال وأشار إلى عمرو وضعها على صلعتة فقال المصرى يا أمير المؤمنين إنما أضرب من ضربنى فقال إنما ضربك بقوة أبيه وسلطانه فاضربه إن شئت فوالله لو فعلت لمامنحك أحد منه حتى تكون أنت الذى تتبرع بالكف عنه ثم قال يا ابن العاص متى تعبدتم الناس و قد ولدتهم أمهاتهم أحرار.خطب الإسكندر جنده فقال لهم بالرومية كلاما تفسيره يا عباد الله إنما إلهكم الله الذى فى السماء الذى نصرنا بعدحين الذى يسقيكم الغيث عند الحاجة و إليه مفزعكم عند الكرب و الله لا يبلغنى إن الله أحب شيئا إلا أحببته وعملت به إلى يوم أجلي و لا يبلغنى أنه أبغض شيئا إلا أبغضته وهجرته إلى يوم أجلي و قد أنبت أن الله يحب العدل فى عباده ويبغض الجور فويل للظالم من سوطى وسيفى و من ظهر منه [صفحة ٩٩] العدل من عمالى فليتكى فى مجلسى كيف شاء وليتمنى على ماشاء فلن تخطئه أمنيته و الله المجازى كلا بعمله. قال رجل لسليمان بن عبد الملك و هو جالس للمظالم يا أمير المؤمنين أ لم تسمع قول الله تعالى فَأَذَنُ مُؤَدَّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ قال ماخطبك قال وكيلىك اغتصبنى ضيعتى وضمها إلى ضيعتك الفلانية قال فإن ضيعتى لك و ضيعتك مردودة إليك ثم كتب إلى الوكيل بذلك وبصرفه عن عمله. و رقى إلى كسرى قباذ أن فى بطانة الملك قوما قد فسدت نياتهم وخبث ضمائرهم لأن أحكام الملك جرت على بعضهم لبعضهم فوقع فى الجواب أنا أملك الأجساد لالنيات

وأحكم بالعدل لابلهوى وأفحص عن الأعمال لا- عن السرائر. وتظلم أهل الكوفة إلى المأمون من واليههم فقال ما علمت فى عمالى أعدل ولا أقوم بأمر الرعية ولا أعود بالرفق منه فقال له منهم واحد فلاحد أولى منك يا أمير المؤمنين بالعدل والإنصاف وإذا كان بهذه الصفة فمن عدل أمير المؤمنين أن يوليه بلدا بلدا حتى يلحق أهل كل بلد من عدله مثل ما لحقنا منه ويأخذوا بقسطهم منه كما أخذ منه سواهم وإذا فعل أمير المؤمنين ذلك لم يصب الكوفة منه أكثر من ثلاث سنين فضحك وعزله. كتب عدى بن أرطاة إلى عمر بن عبدالعزيز أما بعد فإن قبلنا قوما لا يؤدون الخراج إلا أن يمسه من العذاب فاكتب إلى أمير المؤمنين برأيك فكتب أما بعد فالعجب لك كل العجب تكتب إلى تستأذنى فى عذاب البشر كأن إذنى لك جنه من عذاب الله أو كان رضاي ينجيك من سخط الله فمن أعطاك ما عليه عفوا -قرآن- ٢٠٩-٢٧٢ [صفحه ١٠٠] فخذ منه و من أبى فاستحلفه وكله إلى الله فلأن يلقوا الله بجرائمهم أحب إلى من أن ألقاه بعذابهم. فضيل بن عياض ما ينبغى أن تتكلم بفيك كله أتدرى من كان يتكلم بفيه كله عمر بن الخطاب كان يعدل فى رعيته ويجور على نفسه ويطعمهم الطيب ويأكل الغليظ ويكسوهم اللين ويلبس الخشن ويعطيهم الحق ويزيدهم ويمنع ولده وأهله أعطى رجلا- عطاءه أربعة آلاف درهم ثم زاده ألفا فقيل له ألا تزيد ابنك عبد الله كما تزيد هذا فقال إن هذا ثبت أبوه يوم أحد و إن عبد الله فر أبوه و لم يثبت . و كان يقال لا يكون العمران إلا حيث يعدل السلطان . و كان يقال العدل حصن وثيق فى رأس نيق لا يحطمه سيل ولا يهدمه منجنيق . وقع المأمون إلى عامل كثر التظلم منه أنصف من وليت أمرهم و إلا أنصفهم منك من ولى أمرك . بعض السلف العدل ميزان الله والجور مكيال الشيطان [صفحه ١٠١]

٢١٠

فَأَجَابَهُ عَ رَجُلٌ مِّنْ أَصْحَابِهِ بِكَلَامٍ طَوِيلٍ يَكْتُمُ فِيهِ التَّنَائِيَّ عَلَيْهِ وَ يَذْكُرُ سَمِعَهُ وَ طَاعَتَهُ لَهُ فَقَالَ عَ إِنَّ مِّنْ حَقٍّ مِّنْ عَظْمِ جَلَالِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي نَفْسِهِ وَ جَلِّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ لِعَظْمِ ذَلِكَ كُلِّ مَا سِوَاهُ وَ إِنَّ أَحَقَّ مَن كَانَ كَذَلِكَ لَمَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَ لَطْفَ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ لَمْ تَعْظُمْ نِعْمَتُهُ اللَّهُ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا أزدَادَ حَقَّ اللَّهِ عَلَيْهِ عَظْمًا وَ إِنَّ مِّنْ أَسْخَفِ حَالَاتِ الْوَلَاءِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبَّ الْفَخْرِ وَ يُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى الْكِبَرِ وَ قَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جَالَ فِي ظَنِّكُمْ أَنْتَى أَحَبَّ الْإِطْرَاءِ وَ اسْتِمَاعِ التَّنَائِيَّ وَ لَسْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ كَذَلِكَ وَ لَوْ كُنْتُ أَحَبَّ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ لَتَرَكْتُهُ انْحِطَاطًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ عَن تَتَاوُلِ مِمَّا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعَظَمَةِ وَ الْكِبَرِيَاءِ وَ رَبَّمَا اسْتَحَلَى النَّاسُ التَّنَائِيَّ بَعْدَ الْبَلَاءِ فَلَا تُشْتَوَى عَلَى بَجْمِيلِ ثَنَاءٍ لِإِخْرَاجِي نَفْسِي إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ إِلَيْكُمْ مِنَ الْبَقِيَّةِ فِي حُقُوقٍ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَذَانِهَا وَ فَرَائِضَ لَمَّا بَيَّدَ مِنْ إِمْضَائِهَا فَلَمَّا تَكَلَّمْتُمُونِي بِمِمَّا تُكَلِّمُونِي بِهِ الْجَبَابِرَةَ وَ لَمَّا تَحَفَّظُوا بِمِمَّا يَتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ وَ لَا تَخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ وَ لَا تَظُنُّوا بِي اسْتِثْقَالَ فِي حَقِّ قَيْلِ لِي وَ لَا التَّمَّاسَ إِعْظَامَ لِنَفْسِي فَإِنَّهُ مِّنْ اسْتِثْقَالِ الْحَقِّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوِ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ [صفحه ١٠٢] فَلَا تُكْفُوا عَن مَقَالَةٍ بِحَقِّ أَوْ مَشُورَةٍ بَعْدَ فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِيَّ وَ لَا آمَنُ ذَلِكَ مِّنْ فِعْلِي إِلَّا أَنْ يَكْفِيَ اللَّهُ مِّنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي فَإِنَّمَا أَنَا وَ أَنْتُمْ عَيْدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبِّ لَّا رَبَّ غَيْرُهُ يَمْلِكُ مِنَّا مَا لَّا نَمْلِكُ مِّنْ أَنْفُسِنَا وَ أَخْرَجْنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا صَيَّرْنَا عَلَيْهِ فَأَبْدَلْنَا بَعْدَ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى وَ أَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَى هَذَا الْفَصْلُ وَ إِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ أَلْفَاظُ غَرِيبَةٌ سَبِيلُهَا أَنْ تَشْرَحَ فِيهِ مَعَانَ مَخْتَلِفَةً سَبِيلُهَا أَنْ تَذْكَرَ وَ تَوْضِحَ وَ تَذْكَرَ نَظَائِرُهَا وَ مَا يَنَاسِبُهَا. فَمِنْهَا قَوْلُهُ عَ إِنْ مِّنْ حَقٍّ مِّنْ عَظْمِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ أَنْ تَعْظُمَ عَلَيْهِ حُقُوقُ اللَّهِ تَعَالَى وَ أَنْ يَعْظُمَ جَلَالُ اللَّهِ تَعَالَى فِي نَفْسِهِ وَ مِّنْ حَقٍّ مِّنْ حَقِّ مَن كَانَ كَذَلِكَ أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ كُلُّ مَسْئُورٍ اللَّهُ . وَ هَذَا مَقَامٌ جَلِيلٌ مِّنْ مَقَامَاتِ الْعَارِفِينَ وَ هُوَ اسْتِحْقَاقُ كُلِّ مَسْئُورٍ اللَّهُ تَعَالَى وَ ذَلِكَ أَنْ مَن عَرَفَ اللَّهُ تَعَالَى فَقَدْ عَرَفَ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِّنْ كُلِّ عَظِيمٍ بَلْ لَانِسْبَةُ لَشَيْءٍ مِّنَ الْأَشْيَاءِ أَصْلًا إِلَيْهِ سَبْحَانَهُ فَلَا يَظْهَرُ

عند العارف عظمه غيره البتة كما أن من شاهد الشمس المنيرة يستحقر ضوء القمر والسراج الموضوع في ضوء الشمس حال مشاهدته جرم الشمس بل لا تظهر له في تلك الحال صنوبرة السراج ولا تنطبع صورتها في بصره . ومنها قوله ع من أسخف حالات الولاية أن يظن بهم حب الفخر ويوضع [صفحہ ۱۰۳] أمرهم على الكبر قال النبي ص لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۸-۶۹ قال ص لو لاثلاث مهلكات لصالح الناس شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۱-۸۶ . و كان يقال ليس لمعجب رأى ولا لمتكبر صديق . و كان أبو مسلم صاحب الدولة يقول ماتاه إلا وضيع و لا فاخر إلا لقيط و لا تعصب إلا دخيل . و قال عمر لبعض ولده التمس الرفعة بالتواضع والشرف بالدين والعفو من الله بالعفو عن الناس وإياك والخيلاء فتضع من نفسك و لا تحقرن أحدا لأنك لا تدري لعل من تزدره عيناك أقرب إلى الله وسيلة منك . ومنها قوله ع قد كرهت أن تظنوا بى حب الإطراء واستماع الثناء قد روى عن النبي ص أنه قال احتوا في وجوه المداحين التراب -روایت- ۱-۲-روایت- ۳۱-۶۴ و قال عمر المدح هو الذبح . و كان يقال إذا سمعت الرجل يقول فيك من الخير ما ليس فيك فلا تأمن أن يقول فيك من الشر ما ليس فيك . ويقال إن في بعض الكتب المنزلة القديمة عجا لمن قيل فيه الخير و ليس فيه كيف يفرح و لمن قيل فيه الشر و ليس فيه كيف يغضب و أعجب من ذلك من أحب نفسه على اليقين و أبغض الناس على الظن . و كان يقال لا يغلبن جهل غيرك بك علمك بنفسك . و قال رجل لعبد الملك إنى أريد أن أسر إليك يا أمير المؤمنين شيئا فقال لمن حوله [صفحہ ۱۰۴] إذا شئتم فانهضوا فتقدم الرجل يريد الكلام فقال له عبد الملك قف لا تمدحنى فإنى أعلم بنفسى منك و لا تكذبنى فإنه لا رأى لمكذوب و لا تغتب عندى أحدا فإنى أكره الغيبة قال أفيأذن أمير المؤمنين فى الانصراف قال إذا شئت . و ناظر المأمون محمد بن القاسم النوشجاني فى مسألة كلامية فجعل النوشجاني يخضع فى الكلام و يستخذى له فقال يا محمد أراك تنقاد إلى ما أقوله قبل وجوب الحجة لى عليك و قد ساءنى منك ذلك و لو شئت أن أفسر الأمور بعزة الخلافة و هيبة الرئاسة لصدقت و إن كنت كاذبا وعدلت و إن كنت جائرا و صوبت و إن كنت مخطئا ولكنى لأقنع إلا بإقامة الحجة و إزالة الشبهة و إن أنقص الملوك عقلا و أسخفهم رأيا من رضى بقولهم صدق الأمير . و قال عبد الله بن المقفع فى اليتيمه إياك إذا كنت واليا أن يكون من شأنك حب المدح والتركية و أن يعرف الناس ذلك منك فتكون ثلمة من الثلم يقتحمون عليك منها و بابا يفتتحونك منه و غيبة يغتابونك بها و يسخرون منك لها و اعلم أن قابل المدح كمدح نفسه و أن المرء جدير أن يكون حبه المدح هو الذى يحمله على رده فإن الراد له ممدوح و القابل له معيب . و قال معاوية لرجل من سيد قومك قال أنا قال لو كنت كذلك لم تقله . و قال الحسن ذم الرجل نفسه فى العلانية مدح لها فى السر . كان يقال من أظهر عيب نفسه فقد زكاه . و منها قوله ع لو كنت كذلك لتركته انحطاطا لله تعالى عن تناول ما هو أحق به من الكبرياء فى الحديث المرفوع من تواضع لله رفعه الله و من تكبر خفضه الله -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۳-۷۳ . [صفحہ ۱۰۵] و فيه أيضا العظمة إزارى و الكبرياء ردائى فمن نازعنى فيهما قصمته . و منها قوله ع فلا تكلمونى بما تكلم به الجبابرة و لا تتحفظوا منى بما يتحفظ به عند أهل البادية . أحسن ما سمعته فى سلطان لا تخاف الرعية بادرته و لا يتلجلج المتحاكمون عنده مع سطوته و قوته لإيثاره العدل قول أبى تمام فى محمد بن عبد الملك وزير حق و والى شرطة و رضى || ديوان ملك و شيعى و محتسب كالأرحبى المذكى سيره المرطى || و الوخذ و الملع و التقريب و الخبب عود تساجله أيامه فيها || من مسه و به من مسها جلب ثبت الخطاب إذا اصطكت بمظلمة || فى رحله ألسن الأقوام و الركب [صفحہ ۱۰۶] لا المنطق اللغو يزكو فى مقاومه || يوما و لاحجة الملهوف تستلب كأنما هو فى نادى قبيلته || لا القلب يهفو و لا الأحشاء تضطرب . و من هذا المعنى قول أبى الجهم العدوى فى معاوية نقله لنخبر حالته || فنخبر منهما كرما و لينا نميل على جوانبه كأننا || إذاملنا نميل على أبنينا . و منها قوله ع لا تظنوا بى استئثارى رفع الحق إلى فإنه من استئثار الحق أن يقال له كان العمل به عليه أثقل . هذا معنى لطيف و لم أسمع منه شيئا منشورا و لا منظوما . و منها قوله ع و لا تكفوا

عن قول بحق أو مشورة بعدل . قدورد في المشورة شىء كثير قال الله تعالى وَ شاورهم فى الأمر . و كان يقال إذا استشرت إنسانا صار عقله لك . و قال أعرابى ما غبت قط حتى يغبن قومى قيل وكيف ذاك قال لأفعل شيئا حتى أشاورهم . و كان يقال من أعطى الاستشارة لم يمنع الصواب و من أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة و من أعطى التوبة لم يمنع القبول و من أعطى الشكر لم يمنع المزيد . و فى آداب ابن المقفع لا يقذفن فى روعك أنك إذا استشرت الرجال ظهر منك للناس حاجتك إلى رأى غيرك فيقطعك ذلك عن المشاورة فإنك لا تريد الرأى للفخر - قرآن - ٢٦٧-٢٨٩ [صفحة ١٠٧] ولكن للانتفاع به و لو أنك أردته للذكر لكان أحسن الذكر عند العلاء أن يقال إنه لا ينفرد برأيه دون ذوى الرأى من إخوانه . ومنها أن يقال مامعنى قوله ع وربما استحل الناس الثناء بعد البلاء إلى قوله لا يبد من إمضائها فنقول إن معناه أن بعض من يكره الإطراء والثناء قديح ذلك بعد البلاء والاختبار كما قال مرداس بن أديه لزياد إنما الثناء بعد البلاء وإنما نثنى بعد أن نبلى فقال لو فرضنا أن ذلك سائغ وجائز وغير قبيح لم يجز لكم أن تثنوا على فى وجهى و لاجاز لى أن أسمع منكم لأنه قد بقيت على بقیه لم أفرغ من أدائها وفرائض لم أمضها بعد و لا بد لى من إمضائها و إذا لم يتم البلاء الذى قد فرضنا أن الثناء يحسن بعده لم يحسن الثناء . ومعنى قوله لإخراجى نفسى إلى الله وإليكم أى لا اعترافى بين يدى الله وبمحض منكم أن على حقوقا فى إياتكم وراثتى عليكم لم أقم بها بعد وأرجو من الله القيام بها . ومنها أن يقال مامعنى قوله فلاتخالطونى بالمصانعة فنقول إن معناه لاتصانعونى بالمدح والإطراء عن عمل الحق كما يصانع به كثير من الولاء الذين يستفهم المدح ويستخفهم الإطراء والثناء فيغمضون عن اعتماد كثير من الحق مكافأة لما صونعوا به من التقريظ والتركية والنفاق . ومنها قوله ع فإنى لست بفوق أن أخطئ هذا اعتراف منه ع بعدم العصمة فإما أن يكون الكلام على ظاهره أو يكون قاله على سبيل هضم [صفحة ١٠٨] النفس كما قال رسول الله ص و لا - أنا إلا - أن يتداركنى الله برحمته - روايت - ١-٢-روايت - ٢٧-٦٧ . ومنها قوله ع أخرجنا مما كنا فيه فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى وأعطانا البصيرة بعد العمى ليس هذا إشارة إلى خاص نفسه ع لأنه لم يكن كافرا فأسلم ولكنه كلام يقوله ويشير به إلى القوم الذين يخاطبهم من أفناء الناس فىأتى بصيغته الجمع الداخلة فيها نفسه توسعا ويجوز أن يكون معناه لو لألطف الله تعالى ببعثه محمدا ص لكنت أنا وغيرى على أصل مذهب الأسلاف من عبادة الأصنام كما قال تعالى لنبىه و وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى لىس معناه أنه كان كافرا بل معناه لو لا اصطفاه الله تعالى لك لكنت كواحد من قومك ومعنى وَ وَجَدَكَ ضَالًّا أى ووجدك بعرضه للضلال فكأنه ضال بالقوة لا بالفعل - قرآن - ٤٠٢-٤٢٦-قرآن - ٥٢١-٥٣٨ [صفحة ١٠٩]

٢١١- ومن كلام له ع

أشاره

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَ مَنْ أَعَانَهُمْ فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحْمِي وَ أَكْفَتُوا إِنَائِي وَ أَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي حَقًّا كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي وَ قَالُوا أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَ فِي الْحَقِّ أَنْ تَمْنَعَهُ فَاصْبِرْ مَغْمُومًا أَوْ مُتَّئِسًا فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ وَ لَا ذَابٌ وَ لَا مُسَاعِدٌ إِلَّا أَهْلَ بَيْتِي فَضَمَّنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَتِيَةِ فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَدَى وَ جَرِعْتُ رِيقِي عَلَى الشُّجَا وَ صَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْظِ عَلَى أَمْرٍ مِنَ الْعَلَقَمِ وَ آلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ وَخْرِ الشَّفَارِ قَالَ الرُّضَى رَحِمَهُ اللَّهُ وَ قَدِمْتَنِي هَذَا الْكَلَامَ فِي أَثْنَاءِ خُطْبَةٍ مُتَقَدِّمَةً إِلَّائِي ذَكَرْتَهُ هَاهُنَا لِاخْتِلَافِ الرَّوَايَتَيْنِ - روايت - ١-١٠٧ العدوى طلبك إلى وال ليعديك على من ظلمك أى ينتقم لك منه يقال استعديت الأمير على فلان فأعدانى أى استعنت به عليه فأعدانى . وقطعوا رحمتى وقطعوا قرابتي أى أجرونى مجرى الأجانب ويجوز أن يريد

أنهم عدوني كالأجنيبي من رسول الله ص ويجوز أن يريد أنهم جعلوني كالأجنيبي [صفحة ١١٠] منهم لا ينصرونه ولا يقومون بأمره . وأكفئوا إنائي قلبوه وكبوه وحذف الهمزة من أول الكلمة أفصح وأكثر و قدروى كذلك ويقال لمن قد أضيعت حقوقه قد أكفأ إناءه تشبيها بإضاعة اللبن من الإناء. وقد اختلفت الرواية في قوله إلا أن في الحق أن تأخذه فرواها قوم بالنون وقوم بالتاء وقال الراوندى إنها في خط الرضى بالتاء ومعنى ذلك أنك إن وليت أنت كانت ولايتك حقا وإن ولي غيرك كانت ولايته حقا على مذهب أهل الاجتهاد و من رواها بالنون فالمعنى ظاهر. والرافد المعين والذاب الناصر. وضنت بهم بخلت بهم وأغضيت على كذا صبرت . وجرعت بالكسر والشجا ما يعترض في الحلق . والوخز الطعن الخفيف وروى من خز الشفار والخز القطع والشفار جمع شفرة وهى حد السيف والسكين واعلم أن هذا الكلام قد نقل عن أمير المؤمنين ع ما يناسبه ويجرى مجراه و لم يؤرخ الوقت الذى قاله فيه ولا الحال التى عناها به وأصحابنا يحملون ذلك على أنه ع قاله عقيب الشورى وبيعه عثمان فإنه ليس يرتاب أحد من أصحابنا على أنه تظلم وتألّم حينئذ. ويكره أكثر أصحابنا حمل أمثال هذا الكلام على التألم من يوم السقيفة. ولقائل أن يقول لهم أتقولون إن بيعة عثمان لم تكن صحيحة فيقولون لا فيقال [صفحة ١١١] لهم فعلى ماذا تحملون كلامه ع مع تعظيمكم له وتصديقكم لأقواله فيقولون نحمل ذلك على تألمه وتظلمه منهم إذا تركوا الأولى والأفضل فيقال لهم فلا تتركوا قول من يقول من الشيعة وغيرهم إن هذا الكلام وأمثاله صدر عنه عقيب السقيفة وحملوه على أنه تألم وتظلم من كونهم تركوا الأولى والأفضل فإنكم لستم تنكرون أنه كان الأفضل والأحق بالأمر بل تعترفون بذلك وتقولون ساغت إمامة غيره وصحت لمانع كان فيه ع و هو ما غلب على ظنون العقادين للأمر من أن العرب لا تطيعه فإنه يخاف من فتنه عظيمة تحدث إن ولى الخلافة لأسباب يذكرونها ويعدونها و قدروى كثير من المحدثين أنه عقيب يوم السقيفة تألم وتظلم واستنجد واستصرخ حيث ساموه الحضور والبيعة و أنه قال و هو يشير إلى القبر يابن أمم إن القوم استنجدوا عقبوني و كادوا يقتلوني و أنه قال وا جعفره و لا جعفر لى اليوم وا حمزته و لاحمزة لى اليوم . وقد ذكرنا من هذا المعنى جملة صالحة فيما تقدم و كل ذلك محمول عندنا على أنه طلب الأمر من جهة الفضل والقربة و ليس بدال عندنا على وجود النص لأنه لو كان هناك نص لكان أقل كلفه وأسهل طريقا وأيسر لما يريد تناولا أن يقول ياهؤلاء إن العهد لم يطل و إن رسول الله ص أمركم بطاعتي واستخلفنى عليكم بعده و لم يقع منه ع بعد ما علمتموه ونص ينسخ ذلك و لا يرفعه فما الموجب لتركى والعدول عنى. فإن قالت الإمامية كان يخاف القتل لو ذكر ذلك فقليل لهم فهلا يخاف القتل و هو يعتل ويدفع لبياع و هو يمتنع ويستصرخ تارة بقبر رسول الله ص قرآن- ٧٠٥-٧٦٦ [صفحة ١١٢] وتارة بعمه حمزة وأخيه جعفر وهما ميتان وتارة بالأنصار وتارة ببني عبدمناف ويجمع الجموع فى داره وبيت الرسل والدعاة ليلا ونهارا إلى الناس يذكرهم فضله وقربته و يقول للمهاجرين خصمتم الأنصار بكونكم أقرب إلى رسول الله ص و أنا أخصمكم بما خصمتم به الأنصار لأن القربة إن كانت هى المعتبرة فأنا أقرب منكم . وهلا خاف من هذا الامتناع و من هذا الاحتجاج و من الخلوة فى داره بأصحابه و من تنفير الناس عن البيعة التى عقدت حينئذ لمن عقدت له . و كل هذا إذا تأمله المنصف علم أن الشيعة أصابت فى أمر وأخطأت فى أمر أما الأمر الذى أصابت فيه فقولها إنه امتنع وتلكأ وأراد الأمر لنفسه و أما الأمر الذى أخطأت فيه فقولها إنه كان منصوبا عليه نصا جليا بالخلافة تعلمه الصحابة كلها أو أكثرها و أن ذلك النص خولف طلبا للرئاسة الدنيوية وإيثارا للعاجلة و أن حال المخالفين للنص لا تعدو أحد أمرين إما الكفر أو الفسق فإن قرائن الأحوال وأماراتها لا تدل على ذلك وإنما تدل وتشهد بخلافه و هذا يقتضى أن أمير المؤمنين ع كان فى مبدأ الأمر يظن أن العقد لغيره كان عن غير نظر فى المصلحة و أنه لم يقصد به إلا صرف الأمر عنه والاستئثار عليه فظهر منه مظهر من الامتناع والعقود فى بيته إلى أن صح عنده وثبت فى نفسه أنهم أصابوا فيما فعلوه وأنهم لم يميلوا إلى هوى و لا أرادوا الدنيا وإنما فعلوا الأصلاح فى ظنونهم لأنه رأى من بغض الناس له وانحرفهم عنه وميلهم عليه وثوران الأحقاد التى كانت فى أنفسهم واحتدام النيران التى كانت فى قلوبهم وتذكروا

التراث التي وتراهم فيما قبل بها والدماء التي سفكها منهم وأراقها. [صفحة ١١٣] وتعلل طائفة أخرى منهم للعدول عنه بصغر سنه واستهجانهم تقديم الشباب على الكهول والشيوخ. وتعلل طائفة أخرى منهم بكرهية الجمع بين النبوة والخلافة في بيت واحد فيجفخون على الناس كماقاله من قاله واستصعاب قوم منهم شكيمته وخوفهم تعديه وشدته وعلمهم بأنه لايداجى ولايحابى ولايراقب ولايجامل فى الدين و أن الخلافة تحتاج إلى من يجتهد برأيه ويعمل بموجب استصلاحه وانحراف قوم آخرين عنه للحسد الذى كان عندهم له فى حياة رسول الله ص لشدته اختصاصه له وتعظيمه إياه و ما قال فيه فأكثر من النصوص الدالة على رفعة شأنه وعلو مكانه و مااختص به من مصاهرته وأخوته ونحو ذلك من أحواله معه وتنكر قوم آخرين له لنسبتهم إليه العجب والته كمازعموا واحتقاره العرب واستصغاره الناس كماعدده عليه و إن كانوا عندنا كاذبين ولكنه قول قيل وأمر ذكر وحال نسبت إليه وأعانهم عليها ما كان يصدر عنه من أقوال توهم مثل هذانحو قوله فإننا صنائع ربنا و الناس بعدصنائع لنا و ماصح به عنده أن الأمر لم يكن ليستقيم له يوما واحدا و لاينتظم و لايستمر و أنه لوولى الأمر لفتقت العرب عليه فتقا يكون فيه استئصال شأفة الإسلام وهدم أركانه فأذعن بالبيعة و جنح إلى الطاعة وأمسك عن طلب الإمرة و إن كان على مضض ورمض . و قدروى عنه ع أن فاطمة ع حرضته يوما على النهوض والوثوب فسمع صوت المؤذن أشهد أن محمدا رسول الله فقال لها أيسرك زوال هذاالنداء من الأرض قالت لا قال فإنه ماأقول لك . [صفحة ١١٤] وهذاالمذهب هوأقصد المذاهب وأصحها و إليه يذهب أصحابنا المتأخرون من البغداديين و به يقول . واعلم أن حال على ع فى هذاالمعنى أشهر من أن يحتاج فى الدلالة عليها إلى الإسهاب والإطناب فقد رأيت انتقاض العرب عليه من أقطارها حين بويع بالخلافة بعدوفاة رسول الله ص بخمس وعشرين سنة و فى دون هذه المدة تنسى الأحقاد وتموت التراث وتبرد الأكباد الحامية وتسلو القلوب الواجدة ويعدم قرن من الناس ويوجد قرن و لايبقى من أرباب تلك الشحنة والبغضاء إلاالأقل فكانت حاله بعد هذه المدة الطويلة مع قريش كأنها حاله لوأفضت الخلافة إليه يوم وفاة ابن عمه ص من إظهار ما فى النفوس وهيجان ما فى القلوب حتى أن الأخلاف من قريش والأحداث والفتيان الذين لم يشهدوا وقائعه وفتكاته فى أسلافهم وآبائهم فعلوا به ما لو كانت الأسلاف أحياء لقصرت عن فعله وتقاعست عن بلوغ شأوه فكيف كانت تكون حاله لوجلس على منبر الخلافة وسيفه بعديقطر دما من مهج العرب لاسيما قريش الذين بهم كان ينبغى لودهمه خطب أن يعتضد وعليهم كان يجب أن يعتمد إذن كانت تدرس أعلام الملة وتنغفى رسوم الشريعة وتعود الجاهلية الجهلاء على حالها ويفسد ماأصلحه رسول الله ص فى ثلاث وعشرين سنة فى شهر واحد فكان من عناية الله تعالى بهذا الدين أن ألهم الصحابة ما فعلوه و الله متم نوره و لوكره المشركون [صفحة ١١٥]

فصل فى أن جعفرا وحمزة لو كان حيين لبايعا عليا

وسألت النقيب أبا جعفر يحيى بن محمد بن أبى يزيد رحمه الله قلت له أتقول إن حمزة و جعفرا لو كانا حيين يوم مات رسول الله ص أكانا يبايعانه بالخلافة فقال نعم كانا أسرع إلى بيعة من النار فى يبس العرفج فقلت له أظن أن جعفرا كان يبايعه ويتابعه و ماأظن حمزة كذلك وأراه جبارا قوى النفس شديد الشكيمة ذاهبا بنفسه شجاعا بهمه و هوالعزم والأعلى سنا وآثاره فى الجهاد معروفة وأظنه كان يطلب الخلافة لنفسه . فقال الأمر فى أخلاقه وسجاياه كما ذكرت ولكنه كان صاحب دين متين وتصديق خالص لرسول الله ص و لو عاش لرأى من أحوال على ع مع رسول الله ص ما يوجب أن يكسر له نخوته و أن يقيم له صعره و أن يقدمه على نفسه و أن يتوخى رضا الله ورضا رسوله فيه و إن كان بخلاف إيثاره . ثم قال أين خلق حمزة السبعى من خلق على الروحاني اللطيف الذى جمع بينه و بين خلق حمزة فاتصفت بهما نفس واحدة وأين هيولانية نفس حمزة وخلوها من العلوم من

نفس على القدسيه التي أدركت بالفطرة لبالقوة التعليميه ما لم تدركه نفوس مدققي الفلاسفة الإلهيين لو أن حمزة حبي حتى رأى من على مارآه غيره لكان أتبع له من ظله وأطوع له من أبي ذر والمقداد أماقولك هو والعم والأعلى سنا فقد كان العباس العم والأعلى سنا وقد عرفت ما بذله له وندبه إليه و كان أبو سفيان كالعوم و كان أعلى سنا وقد عرفت ما عرضه عليه ثم قال مازالت الأعمام تخدم أبناء الإخوة وتكون أتباعا لهم ألت ترى داود بن [صفحه ١١٦] على و عبد الله بن علي وصالح بن علي وسليمان بن علي وعيسى بن علي وإسماعيل ابن علي و عبد الصمد بن علي خدموا ابن أخيهم و هو عبد الله السفاح بن محمد بن علي و بايعوه و تابعوه و كانوا أمراء جيوشه وأنصاره وأعوانه ألت ترى حمزة و العباس اتبعا ابن أخيهم صلوات الله عليه وأطاعاه ورضيا برياسته وصدقا دعوته ألت تعلم أن أباطالب كان رئيس بني هاشم وشيخهم والمطاع فيهم و كان محمد رسول الله ص يتيمه ومكفوله وجاريا مجرى أحد أولاده عنده ثم خضع له واعترف بصدقه ودان لأمره حتى مدحه بالشعر كما يمدح الأدنى الأعلى فقال فيه وأبيض يستسقى الغمام بوجهه || شمال اليتامى عصمه للأرامل يطيف به الهلاك من آل هاشم || فهم عنده فى نعمة وفواضل و إن سرا اختص به محمد ص حتى أقام أباطالب وحاله معه حاله مقام المادح له لسر عظيم وخاصية شريفة و إن فى هذا المعبره أن يكون هذا الإنسان الفقير الذى لأنصار له و لأعوان معه و لا يستطيع الدفاع عن نفسه فضلا عن أن يقهر غيره تعمل دعوته وأقواله فى الأنفس ماتعمله الخمر فى الأبدان المعتدلة المزاج حتى تطيعه أعمامه ويعظمه مريبه وكافله و من هو إلى آخر عمره القيم بنفقتة وغذاء بدنه وكسوة جسده حتى يمدحه بالشعر كما يمدح الشعراء الملوك والرؤساء وهذا فى باب المعجزات عند المنصف أعظم من انشقاق القمر وانقلاب العصا و من أبناء القوم بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم . ثم قال رحمه الله كيف قلت أظن أن جعفرا كان يبايعه ويتابعه و لأظن فى حمزة ذلك إن كنت قلت ذلك لأنه أخوه فإنه أعلى منه سنا هو أكبر من على بعشر [صفحه ١١٧] سنين وقد كانت له خصائص ومناقب كثيرة و قال فيه النبى ص قولا - شريفا اتفق عليه المحدثون قال له لما افتخر هو و على وزيد بن حارثة و تحاكموا إلى رسول الله ص أشبهت خلقى وخلقى فنجل فرحا ثم قال لزيد أنت مولانا وصاحبنا فنجل أيضا ثم قال لعلى أنت أختى وخالصتى قالوا فلم ينجل قالوا كان ترادف التعظيم له وتكرره عليه لم يجعل عنده للقول ذلك الموضوع و كان غيره إذ أعظم عظم نادرا فيحسن موقعه عنده واختلف الناس فى أى المدحتين أعظم . فقلت له قد وقفت لأبى حيان التوحيدى فى كتاب البصائر على فصل عجيب يمازج مانحن فيه قال فى الجزء الخامس من هذا الكتاب سمعت قاضى القضاة أباسعد بشر بن الحسين و مارأيت رجلا أقوى منه فى الجدل فى مناظرة جرت بينه و بين أبى عبد الله الطبرى و قد جرى حديث جعفر بن أبى طالب وحديث إسلامه والتفاضل بينه و بين أخيه على فقال القاضى أبوسعد إذا نعلم النظر علم أن إسلام جعفر كان بعد بلوغ و إسلام البالغ لا يكون إلا بعد استبصار وتبين ومعرفة بقبح ما يخرج منه وحسن ما يدخل فيه و أن إسلام على مختلف فى حاله و ذلك أنه قد ظن أنه كان عن تلقين لاتبين إلى حين بلوغه وأوان تعقبه ونظره و قد علم أيضا أنهما قتلا و أن قتله جعفر شهادة بالإجمال وقتله على فيها أشد الاختلاف ثم خص الله جعفرا بأن قبضه إلى الجنة قبل ظهور التباين واضطراب الحبل وكثرة الهرج و على أنه لو انعقد الإجماع وتظاهر جميع الناس على أن القتلين شهادة لكانت الحال فى الذى رفع إليها جعفرا غلظ وأعظم و ذلك أنه قتل مقبلا غير مدبر و أما على فإنه اغتيل اغتيلًا وقصد من حيث لا يعلم و شتان ما بين من فوجئ بالموت و بين من عاين مخايل الموت [صفحه ١١٨] وتلقاه بالنحر والصدر وعجل إلى الله بالإيمان والصدق أ لا تعلم أن جعفرا قطعت يميناه فأمسك اللواء بيسراه وقطعت بيسراه فضم اللواء إلى حشاه ثم قتله ظاهر الشرك بالله وقاتل على ممن صلى إلى القبلة وشهد الشهادة وأقدم عليه بتأويل وقاتل جعفر كافر بالنص الذى لا خلاف فيه أ ماتعلم أن جعفرا ذو الجناحين وذو الهجرتين إلى الحبشة والمدينة. قال النقيب رحمه الله اعلم فداك شيخك أن أباحيان رجل ملحد زنديق يحب التلاعب بالدين ويخرج ما فى نفسه فيعزوه إلى قوم لم يقولوه وأقسم بالله إن القاضى أباسعد لم يقل من هذا الكلام لفظة واحدة

ولكنها من موضوعات أبي حيان وأكاذيبه وترهاته كما يسند إلى القاضي أبي حامد المروروذى كل منكر ويروى عنه كل فاقرة. ثم قال يا أبا حيان مقصودك أن تجعلها مسألة خلاف تثير بهافتنه بين الطالبين لتجعل بأسهم بينهم وكيف تقلبت الأحوال فالفخر لهم لم يخرج عنهم . ثم ضحك رحمه الله حتى استلقى ومد رجليه وقال هذا كلام يستغنى عن الإطالة في إبطاله بإجماع المسلمين فإنه لا خلاف بين المسلمين في أن علياً أفضل من جعفر وإنما سرق أبو حيان هذا المعنى الذي أشار إليه من رسالة المنصور أبي جعفر إلى محمد بن عبد الله النفس الزكية قال له وكانت بنو أمية يلعنون أباك في أدبار الصلوات المكتوبات كما تلعن الكفرة فعنفناهم وكفرناهم وبيننا فضله وأشدنا بذكره فاتخذت ذلك علينا حجةً وظننت أنه لما ذكرناه من فضله أن أقدمناه على حمزة والعباس وجعفر أولئك مضوا سالمين مسلمين منهم وابتلى أبوك بالدماء. فقلت له رحمه الله وإذا لا إجماع في المسألة لأن المنصور لم يقل بتفضيله عليهم [صفحة ١١٩] وأنت ادعيت الإجماع فقال إن الإجماع قد سبق هذا القائل وكل قول قد سبقه الإجماع لا يعتد به . فلما خرجت من عند النقيب أبي جعفر بحثت في ذلك اليوم في هذا الموضوع مع أحمد بن جعفر الواسطي رحمه الله وكان ذا فضل وعقل وكان إمامي المذهب فقال لي صدق النقيب فيما قال ألت تعلم أن أصحابكم المعتزلة على قولين أحدهما أن أكثر المسلمين ثواباً أبوبكر والآخر أن أكثرهم ثواباً علي وأصحابنا يقولون إن أكثر المسلمين ثواباً علي وكذلك الزيدية وأما الأشعرية والكرامية وأهل الحديث فيقولون أكثر المسلمين ثواباً أبوبكر فقد خلص من مجموع هذه الأقوال أن ثواب حمزة وجعفر دون ثواب علي ع أما على قول الإمامية والزيدية والبغداديين كافة وكثير من البصريين من المعتزلة فالأمر ظاهر وأما الباقيون فعندهم أن أكثر المسلمين ثواباً أبوبكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ولم يذهب ذاهب إلى أن ثواب حمزة وجعفر أكثر من ثواب علي من جميع الفرق فقد ثبت الإجماع الذي ذكره النقيب إذ أفسرنا الأفضلية بالأكثرية ثواباً وهو التفسير الذي يقع الحجاج والجدال في إثباته لأحد الرجلين وأما إذ أفسرنا الأفضلية بزيادة المناقب والخصائص وكثرة النصوص الدالة على التعظيم فمعلوم أن أحداً من الناس لا يقارب علياً في ذلك لا جعفر ولا حمزة ولا غيرهما. ثم وقع بيدي بعد ذلك كتاب لشيخنا أبي جعفر الإسكافي ذكر فيه أن مذهب بشر بن المعتمر وأبي موسى وجعفر بن مبشر وسائر قدماء البغداديين أن أفضل المسلمين علي بن أبي طالب ثم ابنه الحسن ثم ابنه الحسين ثم حمزة بن عبدالمطلب ثم جعفر بن أبي طالب ثم أبوبكر بن أبي قحافة ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان [صفحة ١٢٠] قال والمراد بالأفضل أكرمهم عند الله أكثرهم ثواباً وأرفعهم في دار الجزاء منزلة. ثم وقفت بعد ذلك على كتاب لشيخنا أبي عبد الله البصري يذكر فيه هذه المقالة وينسبها إلى البغداديين وقال إن الشيخ أبا القاسم البلخي كان يقول بها وقبله الشيخ أبو الحسين الخياط وهو شيخ المتأخرين من البغداديين قالوا كلهم بها فأجبنى هذا المذهب وسررت بأن ذهب الكثير من شيوخنا إليه ونظمته في الأرجوزة التي شرحت فيها عقيدة المعتزلة فقلت وخير خلق الله بعد المصطفى || أعظمهم يوم الفخار شرفاً السيد المعظم الوصي || بعل البتول المرتضى علي وابناه ثم حمزة وجعفر || ثم عتيق بعدهم لا ينكر المخلص الصديق ثم عمر || فاروق دين الله ذاك القصور وبعده عثمان ذو النورين || هذا هو الحق بغير ميين [صفحة ١٢١]

٢١٢- ومن كلام له ع في ذكر السائرين إلى البصرة لحربه ع

فَقَدِمُوا عَلَيَّ عُمَالِي وَخُرَّانَ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي فِي يَدِي وَعَلَى أَهْلِ مِصْرٍ كُلِّهِمْ فِي طَاعَتِي وَعَلَى بَيْعَتِي فَشَتُّوا كَلِمَتَهُمْ وَأَفْسَدُوا عَلَيَّ جَمَاعَتَهُمْ وَوَثَّبُوا عَلَيَّ شِيعَتِي فَفَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ غَدْرًا وَطَائِفَةً عَضُوا عَلَيَّ أَسْيَافَهُمْ فَضَارَبُوا بِهَا حَتَّى لَقُوا اللَّهَ صَادِقِينَ عَضُوا عَلَيَّ أَسْيَافَهُمْ كَنَايَةً عَنِ الصَّبْرِ فِي الْحَرْبِ وَتَرَكَ الْإِسْتِسْلَامَ وَهِيَ كَنَايَةٌ فَصِيحَةٌ شَبَّهَ قَبْضَهُمْ عَلَيَّ السِّيُوفَ بِالْعَضِّ وَقَدَّمْنَا

ذكر ماجرى و أن عسكر الجمل قتلوا طائفة من شيعة أمير المؤمنين ع بالبصرة بعد أن أمنوهم غدرا و أن بعض الشيعة صبر في الحرب و لم يستسلم وقاتل حتى قتل مثل حكيم بن جبلة العبدى وغيره وروى وطائفة عضوا على أسيافهم بالرفع تقديره ومنهم طائفة قرأت في كتاب غريب الحديث لأبى محمد عبد الله بن قتيبة في حديث حذيفة بن اليمان أنه ذكر خروج عائشة فقال تقاتل معها مضر مضرها الله في النار [صفحة ١٢٢] وأزد عمان سلت الله أقدامها و أن قيسا لن تنفك تبغى دين الله شرا حتى يركبها الله بالملائكة فلا يمنعونها ذنب تلعه. قلت هذا الحديث من أعلام نبوة سيدنا محمد ص لأنه إخبار عن غيب تلقاه حذيفة عن النبي ص وحذيفة أجمع أهل السيرة على أنه مات في الأيام التي قتل عثمان فيها أتاه نعيه و هو مريض فمات و على ع لم يتكامل بيعه الناس و لم يدرك الجمل . و هذا الحديث يؤكد مذهب أصحابنا في فسق أصحاب الجمل إلا من ثبتت توبته منهم وهم الثلاثة [صفحة ١٢٣]

٢١٣- و من كلام له ع لمامر بطلحة بن عبيد الله و عبدالرحمن بن عتاب بن أسيد وهما قتيلان يوم الجمل

إشاره

لَقَدْ أَصْبَحَ أَبُو مُحَمَّدٍ بِهَذَا الْمَكَانِ غَرِيبًا أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ قُرَيْشٌ قَتَلِي تَحْتَ بُطُونِ الْكَوَاكِبِ أَدْرَكْتُ وَتَرَى مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَ أَفْلَتَنِي أَعْيَارُ بَنِي جُمَحٍ لَقَدْ أَتَلَعُوا أَعْنَاقَهُمْ إِلَيَّ أَمْرٍ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَهُ فَوَقَّصُوا دُونَهُ

عبدالرحمن بن عتاب بن أسيد

هو عبدالرحمن بن عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبدشمس ليس بصحابى ولكنه من التابعين وأبوه عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبدشمس من مسلمة الفتح و لماخرج رسول الله ص من مكة إلى حنين استعمله عليها فلم يزل أميرها حتى قبض رسول الله ص وبقي على حاله خلافة أبى بكر الصديق ومات هو و أبوبكر في يوم واحد لم يعلم أحدهما بموت الآخر و عبدالرحمن هذا هو الذى قال أمير المؤمنين فيه و قدم به قتيلا يوم الجمل لهفى عليك يعسوب قريش هذا فتى الفتان هذا اللباب المحض من بنى عبدمناف شفيت نفسى وقتلت معشرى إلى الله أشكو عجرى و بجرى فقال له قائل لشد ما أطريت [صفحة ١٢٤] الفتى يا أمير المؤمنين منذ اليوم قال إنه قام عنى و عنه نسوة لم يقمن عنك و عبدالرحمن هذا هو الذى احتملت العقاب كفه يوم الجمل و فيها خاتمه فألقته بالمامة فعرفت بخاتمه و علم أهل اليمامة بالوقعة. و رأيت فى شرح نهج البلاغة للقطب الراوندى فى هذا الفصل عجائب و طرائف فأحببت أن أوردتها ها هنا منها أنه قال فى تفسير قوله ع أدركت و ترى من بنى عبدمناف قال يعنى طلحة و الزبير كانا من بنى عبدمناف و هذا غلط قبيح لأن طلحة من تيم بن مرة و الزبير من أسد بن عبدالعزى بن قصى و ليس أحد منهما من بنى عبدمناف و ولد عبدمناف أربعة هاشم و عبدشمس و نوفل و عبدالمطلب فكل من لم يكن من ولد هؤلاء الأربعة فليس من ولد عبدمناف . ومنها أنه قال إن مروان بن الحكم من بنى جمح و لقد كان هذا الفقيه رحمه الله بعيدا عن معرفة الأنساب مروان من بنى أمية بن عبدشمس و بنو جمح من بنى هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب و اسم جمح تيم بن عمرو بن هصيص و أخوه سهم بن عمرو بن هصيص رهط عمرو بن العاص فأين هؤلاء و أين مروان بن الحكم . ومنها أنه قال و أفلتنتى أغيار بنى جمح بالغين المعجمة قال هو جمع غير الذى بمعنى سوى و هذا لم يرو و لا مثله مما يتكلم به أمير

المؤمنين لركته وبعده عن طريقته فإنه يكون قد عدل عن أن يقول و لم يفلتنى إلا بنو جمح إلى مثل هذه العبارة الركيكة المتعسفة [صفحة ١٢٥]

بنو جمح

واعلم أنه ع أخرج هذا الكلام مخرج الدم لمن حضر الجمل مع عائشة زوجة النبي ص من بنى جمح فقال وأفلتتني أعيار بنى جمح جمع عير و هو الحمار و قد كان معها منهم يوم الجمل جماعة هربوا و لم يقتل منهم إلا اثنان فمن هرب ونجا بنفسه عبد الله الطويل بن صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح و كان شريفا و ابن شريف وعاش حتى قتل مع ابن الزبير بمكة. ومنهم يحيى بن حكيم بن صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح و كان شريفا و ابن شريف وعاش حتى قتل مع ابن الزبير بمكة. والمدينة فأقام عمرو بالمدينة و يحيى بمكة. ومنهم عامر بن مسعود بن أمية بن خلف كان يسمى دحرجة الجمل لقصره وسواده وعاش حتى ولاه زياد صدقات بكر بن وائل وولاه عبد الله بن الزبير بن العوام الكوفية. ومنهم أيوب بن حبيب بن علقمة بن ربيعة بن الأعرور بن أهيب بن حذافة بن جمح عاش حتى قتل بقديد قتلت الخوارج. فهؤلاء الذين أعراف حضورهم الجمل مع عائشة من بنى جمح وقتل من بنى جمح مع عائشة عبد الرحمن بن وهب بن أسيد بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح و عبد الله بن ربيعة بن دراج العنيس بن وهبان بن وهب بن حذافة بن جمح لا أعرف أنه قتل من بنى جمح ذلك اليوم غيرهما فإن صحت الرواية وأفلتتني أعيان بنى جمح بالنون فالمراد رؤساؤهم وساداتهم . وأتلعوا أعناقهم رفعوها و رجل أتلع بين التلع أى طويل العنق وجيد تلح أى طويل قال الأعشى [صفحة ١٢٦] يوم تبدى لنا قتيله عن جيد || تلح تزيه الأطواق ووقص الرجل إذا نذقت عنقه فهو موقوص ووقصت عنق الرجل أقصها وقصا أى كسرتها و لا يجوز وقصت العنق نفسها. والضمير فى قوله ع لقد أتلعوا يرجع إلى قريش أى راموا الخلافة فقتلوا دونها. فإن قلت أتقول إن طلحة والزبير لم يكونا من أهل الخلافة إن قلت ذلك تركت مذهب أصحابك و إن لم تقله خالفت قول أمير المؤمنين لم يكونوا أهله . قلت هما أهل للخلافة ما لم يطلبها أمير المؤمنين فإذا طلبها لم يكونا أهلا لها لهما و لا غيرهما و لو لاطاعته لمن تقدم و ما ظهر من رضاه به لم نحكم بصحة خلافته [صفحة ١٢٧]

٢١٤- و من كلام له ع

إشاره

قَدْ أَحْيَا عَقْلَهُ وَ أَمَاتَ نَفْسَهُ حَتَّى دَقَّ جَلِيلُهُ وَ لَطَفَ غَلِيظُهُ وَ بَرَقَ لَهُ لَامِعٌ كَثِيرُ الْبَرَقِ فَأَبَانَ لَهُ الطَّرِيقَ وَ سَيَّلَكَ بِهِ السَّبِيلَ وَ تَدَا فَعَتَهُ الْأَبْوَابُ إِلَى بَابِ السَّلَامَةِ وَ دَارِ الْإِقَامَةِ وَ تَبَّتْ رِجْلَاهُ بِطُمَأْنِينِهِ بَدَنِهِ فِي قَرَارِ الْأَمْنِ وَ الرَّاحَةِ بِمَا اسْتَعْمَلَ قَلْبُهُ وَ أَرْضَى رَبُّهُ يَصِفُ الْعَارِفُ يَقُولُ قَدْ أَحْيَا قَلْبَهُ بِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَأَمَاتَ نَفْسَهُ بِالْمَجَاهِدَةِ وَ رِيَاضَةِ الْقُوَّةِ الْبَدَنِيَّةِ بِالْجُوعِ وَالْعَطَشِ وَالسَّهْرِ وَالصَّبْرِ عَلَى مَشَاقِ السَّفَرِ وَالسِّيَاحَةِ. حَتَّى دَقَّ جَلِيلَهُ أَى حَتَّى نَحَلَ بَدَنَهُ الْكَثِيفَ . وَلَطَفَ غَلِيظَهُ تَلَطَّفَتْ أَخْلَاقَهُ وَصَفَتْ نَفْسَهُ فَإِنْ كَدَرَ النَّفْسَ فِي الْأَكْثَرِ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ كَدْرِ الْجَسَدِ وَالبَطْنَةُ كَمَا قِيلَ تَذْهَبُ الْفِطْنَةُ

وتقول أرباب هذه الطريقة من لم يكن فى بدايته صاحب مجاهدة لم يجد من هذه الطريقة شمة. [صفحة ١٢٨] و قال عثمان المغربي الصوفى من ظن أنه يفتح عليه شىء من هذه الطريقة أو يكشف له عن سر من أسرارها من غير لزوم المجاهدة فهو غلط. و قال أبو على الدقاق من لم يكن فى بدايته قومه لم يكن فى نهايته جلسة. و من كلامهم الحركة بركة حركات الظواهر توجب بركات السرائر. و من كلامهم من زين ظاهره بالمجاهدة حسن الله سرائره بالمجاهدة. و قال الحسن الفرازينى هذا الأمر على ثلاثة أشياء ألا تأكل إلا عند الفاقة و لا تنام إلا عند الغلبة و لا تتكلم إلا عند الضرورة. و قال ابراهيم بن أدهم لن ينال الرجل درجة الصالحين حتى يغلق عن نفسه باب النعمة ويفتح عليها باب الشدة. و من كلامهم من كرمت عليه نفسه هان عليه دينه. و قال أبو على الروذبارى إذا قال الصوفى بعد خمسة أيام أنا جائع فألزموه السوق ومروه بالكسب. و قال حبيب بن أوس أبو تمام و هو يقصد غير مانحن فيه ولكنه يصلح أن يستعمل فيما نحن فيه خذى عبرات عينك عن زماعى || وصونى ماأزلت من القناع ألقى قدأضاق بكأك ذرعى || و ماضاقت بنازله ذراعى أآلفه النحيب كم افتراق || أظلم فكان داعية اجتماع [صفحة ١٢٩] فليست فرحة الأبواب إلا || لموقوف على ترح الوداع تعجب أن رأيت جسمى نحىلا || كان المجد يدرك بالصرع أخو النكبات من يأوى إذا ما || أظفن به إلى خلق وساع يثير عجاجة فى كل فج || يهيم به عدى بن الرقاع أبى مع السباع الماء حتى || لخالته السباع من السباع و قال أيضا فاطلب هدوءا بالتقلقل واستثر || بالعيس من تحت السهاد هجودا ما أن ترى الأحساب بيضا وضحا || الإبيح ترى المنيا سودا جاء فى الحديث أن فاطمة جاءت إلى رسول الله ص بكسرة خبز فقال ما هذه قالت قرص خبزته فلم تطب نفسى حتى أتيتك منه بهذه الكسرة فأكلها و قال أما إنها لأول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاث -رواية ١- ٢-رواية- ١٧-١٩٦. و كان يقال ينباع الحكمة من الجوع وكسر عادية النفس بالمجاهدة. [صفحة ١٣٠] و قال يحيى بن معاذ لو أن الجوع يباع فى السوق لما كان ينبغى لطلاب الآخرة إذادخلوا السوق أن يشتروا غيره. و قال سهل بن عبد الله لما خلق الله الدنيا جعل فى الشبع المعصية والجهل وجعل فى الجوع الطاعة والحكمة. و قال يحيى بن معاذ الجوع للمريدين رياضة وللتائبين تجربة وللزهاد سياسة وللعارفين تكرمه. و قال أبو سلمان الدارانى مفتاح الدنيا الشبع ومفتاح الآخرة الجوع. و قال بعضهم أدب الجوع ألا ينقص من عادتك إلا مثل أذن السنور هكذا على التدرج حتى تصل إلى ماتريد. ويقال إن أباتراب النخشبى خرج من البصرة إلى مكة فوصل إليها على أكلتين أكلة بالنباج وأكله بذات عرق. قالوا و كان سهل بن عبد الله التستري إذاجاع قوى و إذاأكل ضعف. و كان منهم من يأكل كل أربعين يوما أكلة واحدة ومنهم من يأكل كل ثمانين يوما أكلة واحدة. قالوا واشتهى أبو الخير العسقلانى السمك سنين كثيرة ثم تهيأ له أكله من وجه حلال فلما مد يده ليأكل أصابت إصبعه شوكة من شوكة السمك فقام وترك الأكل و قال يارب هذا لمن مد يده بشهوة إلى الحلال فكيف بمن مد يده بشهوة إلى الحرام. و فى الكتاب العزيز و أمّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوِيَّةُ الْجَمْلَةُ الْأُولَى هِيَ التَّقْوَى وَالثَّانِيَةُ هِيَ الْمَجَاهِدَةُ. -قرآن- ١٠١٦-١١٠٥ [صفحة ١٣١] و قال النبى ص أخوف ما أخاف على أمتى اتباع الهوى وطول الأمل أما اتباع الهوى فيصد عن الحق و أما طول الأمل فينسى الآخرة -رواية ١- ٢-رواية ١٨-١٣١. و سئل بعض الصوفية عن المجاهدة فقال ذبح النفس بسيف المخالفة. و قال من نجمت طوارق نفسه أفلت شوارق أنسه. و قال ابراهيم بن شيبان مابت تحت سقف و لا فى موضع عليه غلق أربعين سنة و كنت أشتهى فى أوقات أن أتناول شبعة عدس فلم يتفق ثم جملت إلى و أنا بالشام غضارة فيها عدسية فتناولت منها و خرجت فرأيت قوارير معلقة فيها شبهة أنموذجات فظننتها خلا فقال بعض الناس أنتظر إلى هذه وتظنها خلا وإنما هى خمر وهى أنموذجات هذه الدنان لدنان هناك فقلت قدلزمنى فرض الإنكار فدخلت حانوت ذلك الخمار لأكسر الدنان والجوار فحملت إلى ابن طولون

فأمر بضربى مائتى خشبه وطرحى فى السجن فبقيت مدء حتى دخل أبو عبد الله الوبانى المغربى أستاذ ذلك البلد فعلم أنى محبوس فشفع فى فأخرجت إليه فلما وقع بصره على قال أى شىء فعلت فقلت شبعه عدس ومائتى خشبه فقال لقد نجوت مجانا. و قال ابراهيم الخواص كنت فى جبل فرأيت رمانا فاشتته فدنوت فأخذت منه واحده فشقتها فوجدتها حامضه فمضيت وتركت الرمان فرأيت رجلا مطروحا قد اجتمع عليه الزناير فسلمت عليه فرد على باسمى فقلت كيف عرفتنى قال من عرف الله لم يخف عليه شىء فقلت له أرى لك حالا- مع الله فلو سألته أن يحميك ويقيك من أذى هذه الزناير فقال وأرى لك حالا مع الله فلو سألته أن يقيك من شهوة الرمان فإن لذع الرمان يجد الإنسان ألمه فى الآخرة ولذع الزناير [صفحة ١٣٢] يجد الإنسان ألمه فى الدنيا فتركته ومضيت على وجهى. و قال يوسف بن أسباط لا يمحو الشهوات من القلب إلا خوف مزعج أو شوق مقلق. و قال الخواص من ترك شهوة فلم يجد عوضها فى قلبه فهو كاذب فى تركها. و قال أبو على الرباطى صحت عبد الله المروزى و كان يدخل البادية قبل أن أصحابه بلا- زاد فلما صحبته قال لى أيا أحب إليك تكون أنت الأمير أم أنا قلت بل أنت فقال وعليك الطاعة قلت نعم فأخذ مخللة ووضع فيها زادا وحملها على ظهره فكنت إذا قلت له أعطني حتى أحملها قال الأمير أنا وعليك الطاعة قال فأخذنا المطر ليلة فوقف إلى الصباح على رأسى و عليه كساء يمنع عنى المطر فكنت أقول فى نفسى ياليتنى مت و لم أقل له أنت الأمير ثم قال لى إذا صحبت إنسانا فاصحبه كما رأيتنى صحبتك. أبو الطيب المتنبى ذربنى أنل ما لا ينال من العلا || فصعب العلا فى الصعب والسهل فى السهل تريدان إدراك المعالى رخيصة || و لا بد دون الشهد من إبر النحل و له أيضا و إذا كانت النفوس كبارا || تعبت فى مرادها الأجسام. و من أمثال العامة من لم يغل دماغه فى الصيف لم تغل قدره فى الشتاء. من لم يركب الأخطار لم ينل الأوطار. [صفحة ١٣٣] إدراك السؤل وبلوغ المأمول بالصبر على الجوع وفقد الهجوع وسيلان الدموع واعلم أن تقليل المأكول لاريب فى أنه نافع للنفس والأخلاق والتجربة قد دلت عليه لأننا نرى المكثرون الأكل يغلبه النوم والكسل وبلادة الحواس وتبخر المأكولات الكثيرة أبخرة كثيرة فتتصاعد إلى الدماغ فتفسد القوى النفسانية وأيضا فإن كثرة المأكول تزيد الرقة وتورث القساوة والسبعية والقياس أيضا يقتضى ذلك ولأن كثرة المزاولات سبب لحصول الملكات فالنفس إذا توفرت على تدبير الغذاء وتصريفه كان ذلك شغلا شاغلا لها وعائقا عظيما عن انصبابها إلى الجهة الروحانية العالية ولكن ينبغى أن يكون تقليل الغذاء إلى حد يوجب جوعا قليلا فإن الجوع المفرط يورث ضعف الأعضاء الرئيسة واضطرابها واختلال قواها و ذلك يقتضى تشويش النفس واضطراب الفكر واختلال العقل ولذلك تعرض الأخلاط السوداوية لمن أفرط عليه الجوع فإذا ن لا بد من إصلاح أمر الغذاء بأن يكون قليل الكمية كثير الكيفية فتؤثر قلة كميته فى أنه لا يشغل النفس بتدبير الهضم عن التوجه إلى الجهة العالية الروحانية وتؤثر كثرة كميته فى تدارك الخلل الحاصل له من قلة الكمية ويجب أن يكون الغذاء شديد الإمداد للأعضاء الرئيسة لأنها هى المهمة من أعضاء البدن و مادامت باقية على كمال حالها لا يظهر كثير خلل من ضعف غيرها من الأعضاء [صفحة ١٣٤]

فصل فى الرياضة النفسية وأقسامها

واعلم أن الرياضة والجوع هى أمر يحتاج إليه المرید الذى هو بعد فى طريق السلوك إلى الله. وينقسم طالبوا هذا الأمر الجليل الشاق إلى أقسام أربعة أحدها الذين مارسوا العلوم الإلهية وأجهدوا أنفسهم فى طلبها والوصول إلى كنهها بالنظر الدقيق فى الزمان الطويل فهو لا يحصل لهم شوق شديد وميل عظيم إلى الجهة العالية الشريفة فيحملهم حب الكمال على الرياضة. وثانيها الأنفس التى هى بأصل الفطرة والجوهر مائلة إلى الروحانية من غير ممارسة علم و لادربة بنظر وبحث و قدرأنا مثلهم كثيرا

وشاهدنا قوما من العامة متى سنع لهم سانح مشوق مثل صوت مطرب أو إنشاد بيت يقع فى النفس أو سماع كلمة توافق أمرا فى بواطنهم فإنه يستولى عليهم الوجد ويشند الحنين وتغشاهم غواش لطيفة روحانية يغيبون بها عن المحسوسات والجسمانيات . وثالثها نفوس حصل لها الأمان معا الاستعداد الأصلي والاشتغال بالعلوم النظرية الإلهية . ورابعها النفوس التى لا استعداد لها فى الأصل ولا ارتاضت بالعلوم الإلهية ولكنهم قوم سمعوا كمال هذه الطريقة و أن السعادة الإنسانية ليست إلا بالوصول إليها فمالت نحوها وحصل لها اعتقاد فيها. فهذه أقسام المرادين والرياضة التى تليق بكل واحد من هذه الأقسام غير الرياضة اللائقة بالقسم الآخر. [صفحہ ۱۳۵] ونحتاج قبل الخوض فى ذلك إلى تقديم أمرين أحدهما أن النفحات الإلهية دائمة مستمرة و أنه كل من توصل إليها وصل قال سبحانه و تعالى وَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَ قرآن- ۱۴۰-۱۸۹ قال النبى ص إن لربكم فى أيام عصركم نفحات ألا فتعرضوا لنفحاته -روایت ۱-۲-روایت ۱۸-۷۳ . وثانيهما أن النفوس البشرية فى الأكثر مختلفة بالنوع فقد تكون بعض النفوس مستعدة غاية الاستعداد لهذا المطلب وربما لم تكن البتة مستعدة له و بين هذين الطرفين أوساط مختلفة بالضعف والقوة. و إذ اتقرر ذلك فاعلم أن القسمين الأولين لما اختلفا فيما ذكرناه لا يجرم اختلفا فى الكسب والمكتسب . أما الكسب فإن صاحب العلم الأولى به فى الأكثر العزلة والانقطاع عن الخلق لأنه قد حصلت له الهداية والرشاد فلا حاجة له إلى مخالطة أحد يستعين به على حصول ما هو حاصل و أما صاحب الفطرة الأصلية من غير علم فإنه لا يليق به العزلة لأنه يحتاج إلى المعلم والمرشد فإنه ليس يكفى الفطرة الأصلية فى الوصول إلى المعالم الإلهية والحقائق الربانية و لا بد من موقف ومرشد فى مبدأ الحال هذا هو القول فى الكسب بالنظر إليها. و أما المكتسب فإن صاحب العلم إذا اشتغل بالرياضة كانت مشاهداته ومكاشفاته أكثر كمية وأقل كيفية مما لصاحب الفطرة المجردة أما كثرة الكمية فلأن قوته النظرية تعينه على ذلك و أما أقله الكيفية فلأن القوة النفسانية تتوزع على تلك الكثرة وكلما كانت الكثرة أكثر كان توزع القوة إلى أقسام أكثر و كان كل واحد منها [صفحہ ۱۳۶] أضعف مما لو كانت الأقسام أقل عددا و إذ اعرفت ذلك عرفت أن الأمر فى جانب صاحب الفطرة الأصلية بالعكس من ذلك و هو أن مشاهداته ومكاشفاته تكون أقل كمية وأكثر كيفية. و أما الاستعداد الثالث و هو النفس التى قد جمعت الفطرة الأصلية والعلوم الإلهية النظرية بالنظر فهى النفس الشريفة الجليلة الكاملة. و هذه الأقسام الثلاثة مشتركة فى أن رياضتها القلبية يجب أن تكون زائدة فى الكم والكيف على رياضتها البدنية لأن الغرض الأصلي هو رياضة القلب وطهارة النفس وإنما شرعت الرياضات البدنية والعبادات الجسمانية لتكون طريقا إلى تلك الرياضة الباطنة فإذا حصلت كان الاشتغال بالرياضة البدنية عبثا لأن الوسيلة بعد حصول المتوصل إليه فضله مستغنى عنها بل ربما كانت عائقه عن المقصود نعم لا بد من المحافظة على الفرائض خاصة لئلا تعتاد النفس الكسل وربما أفضى ذلك إلى خلل فى الرياضة النفسانية ولهذا حكى عن كثير من كبراء القوم قلة الاشتغال بنوافل العبادات . و أما القسم الرابع و هو النفس التى خلت عن الوصفين معا فهذه النفس يجب ألا تكون رياضتها فى مبدأ الحال إلا تهذيب الأخلاق بما هو مذكور فى كتب الحكمة الخلقية فإذا لانت ومرنت واستعدت للنفحات الإلهية حصل لها ذوق مافأوجب ذلك الذوق شوقا فأقبلت بكليتها على مطلوبها [صفحہ ۱۳۷]

فصل فى أن الجوع يؤثر فى صفاء النفس

واعلم أن السبب الطبيعى فى كون الجوع مؤثرا فى صفاء النفس أن البلغم الغالب على مزاج البدن يوجب بطبعه البلادة وإبطاء الفهم لكثرة الأرضية فيه وثقل جوهره وكثرة ما يتولد عنه من البخارات التى تسد المجارى وتمنع نفوذ الأرواح و لا يرب أن الجوع يقتضى تقليل البلغم لأن القوة الهاضمة إذا لم تجد غذاء تهضمه عملت فى الرطوبة الغريبة الكائنة فى الجسد فكلما انقطع

الغذاء استمر عملها في البلغم الموجود في البدن فلا تزال تعمل فيه وتذيبه الحرارة الكائنة في البدن حتى يفنى كل ما في البدن من الرطوبات الغريبة ولا يبقى إلا الرطوبات الأصلية فإن استمر انقطاع الغذاء أخذت الحرارة والقوة الهاضمة في تنقيص الرطوبات الأصلية من جوهر البدن فإن كان ذلك يسيرا وإلى حد ليس بمفرط لم يضر ذلك بالبدن كل الإضرار وكان ذلك هو غاية الرياضة التي أشار أمير المؤمنين ع إليها بقوله حتى دق جليله ولطف غليظه وإن أفرط وقع الحيف والإجفاف على الرطوبة الأصلية وعطب البدن ووقع صاحبه في الدق والذبول وذلك منهى عنه لأنه قتل للنفس فهو كمن يقتل نفسه بالسيف أو بالسكين

كلام للفلاسفة والحكماء في المكاشفات الناشئة عن الرياضة

واعلم أن قوله ع وبرق له لامع كثير البرق هو حقيقته مذهب الحكماء وحقيقته قول الصوفية أصحاب الطريقة والحقيقة وقد صرح به الرئيس أبو علي بن سينا في كتاب الإشارات فقال في ذكر السالك إلى مرتبة العرفان ثم إنه [صفحة ١٣٨] إذ بلغت به الإرادة والرياضة حدا ما عنت له خلسات من اطلاع نور الحق إليه لذيدة كأنها بروق تومض إليه ثم تخمد عنه وهي التي تسمى عندهم أوقاتا وكل وقت يكتنفه وجد إليه ووجد عليه ثم إنه لتكثر عليه هذه الغواشى إذا معلن في الارتياض ثم إنه ليتوغل في ذلك حتى يغشاه في غير الارتياض فكلما لمح شيئا عاج منه إلى جانب القدس فتذكر من أمره أمرا فغشيه غاش فيكاد يرى الحق في كل شيء ولعله إلى هذا الحد تستولى عليه غواشيه ويزول هو عن سكينته ويتنبه جليسه لاستنفاه عن قراره فإذا طالت عليه الرياضة لم تستنفره غاشية وهدى للتأنس بما هو فيه ثم إنه لتبلغ به الرياضة مبلغا ينقلب له وقته سكينته فيصير المخطوب مألوفًا والوميض شهابا بينا ويحصل له معارف مستقرة كأنها صحبة مستمرة ويستمتع فيها بهجته فإذا انقلب عنها انقلب حيران آسفا. فهذه ألفاظ الحكيم أبي علي بن سينا في الإشارات وهي كما نراها مصرح فيها بذكر البروق اللامعة للعارف. وقال القشيري في الرسالة لما ذكر الحال والأمور الواردة على العارفين قال هي بروق تلمع ثم تخمد وأنوار تبدو ثم تخفى ما أحلاها لوبيقت مع صاحبها ثم تمثل بقول البحتری خطرت في النوم منها خطرة || خطرة البرق بدا ثم اضمحل أى زور لك لو قصدا سرى || ولمم بك لو حقا فعل. فهو كما تراه يذكر البروق اللامعة حسبما ذكره الحكيم وكلاهما يتبع ألفاظ أمير المؤمنين ع لأنه حكيم الحكماء وعارف العارفين ومعلم الصوفية ولو لأخلاقه [صفحة ١٣٩] وكلامه وتعليمه للناس هذا الفن تارة بقوله وتارة بفعله لما هتدى أحد من هذه الطائفة ولا يعلم كيف يورد ولا كيف يصدر. وقال القشيري أيضا في الرسالة المحاضرة قبل المكاشفة فإذا حصلت المكاشفة فبعدها المشاهدة. وقال وهي أرفع الدرجات قال فالمحاضرة حضور القلب وقد تكون بتواتر البرهان والإنسان بعد وراء الستر وإن كان حاضرا باستيلاء سلطان الذكر. وأما المكاشفة فهي حضور البين غير مفتقر إلى تأمل الدليل وتطلب السبيل ثم المشاهدة وهي وجود الحق من غير بقاء تهمة. وأحسن ما ذكر في المشاهد قول الجنيد هي وجود الحق مع فقدانك. وقال عمرو بن عثمان المكي المشاهدة أن تتوالى أنوار التجلى على القلب من غير أن يتخللها ستر ولا انقطاع كما لو قدر اتصال البروق في الليلة المظلمة فكما أنها تصير من ذلك بضوء النهار فكذلك القلب إذا دام له التجلى مع النهار فلليل. وأنشدوا شعرا ليلي بوجهك مشرق || وظلامه في الناس سار فالناس في سدف الظلام || ونحن في ضوء النهار. وقال الثوري لا تصح للعبد المشاهدة وقد بقي له عرق قائم. وقالوا إذا طلع الصباح استغنى عن المصباح. وأنشدوا أيضا فلما استنار الصباح طوح ضوءه || بأنواره أنوار ضوء الكواكب [صفحة ١٤٠] فجرعهم كأسا لو ابتليت لظى || بتجرعه طارت كأسه ذاهب. كأس وأى كأس تصطلمهم عنهم وتفنيهم وتخطفهم منهم ولا تبقينهم كأس لا تبقى ولا تذر تمحو بالكلية ولا تبقى شظية من آثار البشرية كما قال قائلهم ساروا فلم يبق لا عين ولا أثر. وقال القشيري أيضا هي ثلاث مراتب اللوائح ثم اللوامع ثم الطوالع فاللوائح كالبروق

ما ظهرت حتى استترت كما قال القائل فافترقنا حولاً فلما التقينا || كان تسليمه على وداعاً . وأنشدوا إذا أذى زار و مازارا || كأنه مقتبس نارا مر بباب الدار مستعجلاً || ماضره لودخل الدار . ثم اللوامع وهى أظهر من اللوائح و ليس زوالها بتلك السرعة فقد تبقى وقتين وثلاثة ولكن كما قيل العين باكية لم تشع النظرا أو كما قالوا وبلأئى من مشهد ومغيب || وحبيب منى بعيد قريب لم ترد ماء وجهه العين حتى || شرقت قبل ريهها بربيب . فأصحاب هذاالمقام بين روح وفوح لأنهم بين كشف وستر يلمع ثم يقطع لا يستقر لهم نور النهار حتى تكرر عليه عساكر الليل فهم كما قيل والليل يشملنا بفاضل برده || والصبح يلحفنا رداء مذهبا . ثم الطوالع وهى أبقي وقتاً وأقوى سلطاناً وأدوم مكاناً وأذهب للظلمة وأنفى للمهممة . [صفحہ ۱۴۱] أفلا ترى كلام القوم كله مشحون بالبروق واللمعان . و كان مما نغم حامد بن العباس وزير المقتدر و على بن عيسى الجراح وزيره أيضا على الحلاج أنهما وجدا فى كتبه لفظ النور الشعشعاني و ذلك لجهالتهم مراد القوم واصطلاحهم و من جهل أمرا عاده . ثم قال ع وتدافعته الأبواب إلى باب السلامة ودار الإقامة أى لم يزل ينتقل من مقام من مقامات القوم إلى مقام فوqe حتى وصل وتلك المقامات معروفة عند أهلها و من له أنس بها وسندكرها فيما بعد . ثم قال وثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه فى قرار الأمن والراحة بما استعمل قلبه وأرضى ربه أى كانت الراحة الكلية والسعادة الأبدية مستثمرة من ذلك التعب الذى تحمله لما استعمل قلبه وراض جوارحه ونفسه حتى وصل كما قيل عندالصباح يحمد القوم السرى || وتنجلي عنا غيابات الكرى . و قال الشاعر تقول سليمانى لوأقمت بأرضنا || و لم تدر أنى للمقام أطوف . و قال آخر مايبض وجه المرء فى طلب العلا- || حتى يسود وجهه فى البيد . و قال فاطلب هدوءاً بالتقلقل واستثر || بالعيس من تحت السهاد هجوداً ما إن ترى الأحساب بيضا وضحا || إلا بحيث ترى المنيا سودا [صفحہ ۱۴۲]

٢١٥- و من كلام له ع بحث فيه أصحابه على الجهاد

وَ اللَّهُ مُسْتَأْدِيكُمْ شُكْرَهُ وَ مُورِّثُكُمْ أَمْرَهُ وَ مُمْهِلُكُمْ فِي مِضْمَارٍ مَمْدُودٍ لِيَتَنَازَعُوا سَبْقَهُ فَشُدُّوا عُقَدَ الْمَآزِرِ وَ اطَّوُّوا فَضُولَ الْخَوَاصِرِ لَأَ تَجْتَمِعَ عَزِيمَةٌ وَ وَلِيْمَةٌ مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ وَ أَمْحَى الظَّلْمَ لِيَتَذَكَّرَ الْهَمَمِ مُسْتَأْدِيكُمْ شُكْرَهُ أَى طالب منكم أداء ذلك والقيام به استأديت دينى عندفلان أى طلبته . و قوله ومورثكم أمره أى سيرجع أمر الدولة إليكم ويزول أمر بنى أمية . ثم شبه الآجال التى ضربت للمكلفين ليقوموا فيها بالواجبات ويتسابقوا فيها إلى الخيرات بالمضمار الممدود لخيال تتنازع فيه السبق . ثم قال فشددوا عقد المآزر أى شمروا عن ساق الاجتهاد ويقال لمن يوصى بالجد والتشمير اشدد عقده إزارك لأنه إذاشدها كان أبعد عن العثار وأسرع للمشى . قوله واطووا فضول الخواصر نهى عن كثرة الأكل لأن الكثير الأكل لايطوى فضول خواصره لامتلانها والقليل الأكل يأكل فى بعضها ويطوى بعضها قال الشاعر [صفحہ ۱۴۳] كلوا فى بعض بطنكم وعفوا || فإن زمانكم زمن خميص . و قال أعشى باهله طاوى المصير على العزاء منصلت || بالقوم ليلة لاماء و لاشجر . و قال الشنفرى وأطوى على الخمص الحوايا كما انطوت || خيوطه ماري تغار وتفتل ثم أتى ع بثلاثة أمثال مخترعه له لم يسبق بها و إن كان قدسبق بمعناها وهى قوله لاتجتمع عزيمة ووليمة و قوله ماأنقض النوم لعزائم اليوم و قوله وأمحق الظلم لتذاكير الهمم . فمما جاء للمحدثين من ذلك ماكتبه بعض الكتاب إلى ولده خدمة السلطان والكا || سات فى أيدي الملاح ليس يلتامان فاطلب || رفعة أو شرب راح . ومثله قول آخر لولده ماللمطيع هواه || من الملام ملاذ فاختر لنفسك هذا || مجد و هذاالتذاذ . و قال آخر و ليس فتى الفتیان من راح واغتدى || لشرب صبوح أو لشرب غبوق ولكن فتى الفتیان من راح واغتدى || لضر عدو أو لونغ صديق . [صفحہ ۱۴۴] وهذا كثير جدا يناسب قوله لاتجتمع عزيمة ووليمة ومثل قوله ماأنقض النوم لعزائم اليوم قول الشاعر فتى لاينام على عزمه

|| و من صمم العزم لم يرقد و قوله وأمحي الظلم لتذاكير الهمم أى الظلم التى ينام فيها لا كل الظلم ألاترى أنه إذا لم ينم فى الظلمة بل كان عنده من شدة العزم وقوة التصميم ما لاينام معه فإن الظلمة لاتمحو تذاكير هممه والتذاكير جمع تذكارة. والمثلان الأولان أحسن من الثالث و كان الثالث من تنمة الثاني و قدقالت العرب فى الجاهلية هذاالمعنى وجاء فى القرآن العزيز أم حبيبتهم أن تدخلوا الجنة و لَمَا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسِيئَتُهُمْ الْبِأَسَاءِ وَ الضَّرَاءِ وَ زَلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ. و هذامثل قوله لاتجتمع عزيمة ووليمة أى لايجتمع لكم دخول الجنة والدعة والقعود عن مشقة الحرب -قرآن- ٣٥٤-٥٨٨ [صفحة ١٤٥]

٢١٦- و من كلام له ع قاله بعد تلاوته

إشارة

أَلِهَاتِكُمْ التَّكَاتُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ يَا لَهُ مَرَامًا مَا أَبْعِدُهُ وَ زُورًا مَا أَغْفَلُهُ وَ خَطَرًا مَا أَفْظَعُهُ لَقَدْ اسْتَخَلَّوْا مِنْهُمْ أَى مُدَكِّرٍ وَ تَنَاوَشُوهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ أَيْ فَبِمَصَارِعِ آيَاتِهِمْ يَفْخَرُونَ أَمْ بِعَدِيدِ الْهَلَكَى يَتَكَاثِرُونَ -قرآن- ١-٤٥ قد اختلف المفسرون فى تأويل هاتين الآيتين فقال قوم المعنى أنكم قطعتم أيام عمركم فى التكاثر بالأموال والأولاد حتى أتاكم الموت فكفى عن حلول الموت بهم بزيارة المقابر. و قال قوم بل كانوا يتفاخرون بأنفسهم وتعدى ذلك إلى أن تفاخروا بأسلافهم الأموات فقالوا منا فلان وفلان لقوم كانوا وانقرضوا. و هذا هوالتفسير الذى يدل عليه كلام أمير المؤمنين ع قال يا له مراما منصوب على التمييز. ماأبعده أى لافخر فى ذلك وطلب الفخر من هذاالباب بعيد وإنما الفخر بتقوى الله وطاعته. [صفحة ١٤٦] وزورا ماأغفله إشارة إلى القوم الذين افتخروا جعلهم بتذكر الأموات السالفين كالزائرين لقبورهم والزور اسم للواحد والجمع كالخصم والضيف قال ماأغفلهم عما يراد منهم لأنهم تركوا العبادة والطاعة وصرموا الأوقات بالمفاخرة بالموتى. ثم قال وخطرا ماأفطعه إشارة إلى الموت أى ماأشده فضع الشىء بالضم فهو فظيع أى شديد شنيع مجاوز للمقدار. قوله لقد استخلوا منهم أى مذكر قال الراوندى أى وجدوا موضع التذكر خاليا من الفائدة و هذا غير صحيح وكيف يقول ذلك و قد قال وخطرا ماأفطعه وهل يكون أمر أعظم تذكيرا من الاعتبار بالموتى والصحيح أنه أراد باستخلوا ذكر من خلا من آبائهم أى من مضى يقال هذاالأمر من الأمور الخالية و هذاالقرن من القرون الخالية أى الماضية. واستخلى فلان فى حديثه أى حدث عن أمور خالية والمعنى أنه استعظم ما يوجه حديثهم عما خلا وعمن خلا من أسلافهم وآثار أسلافهم من التذكير فقال أى مذكر وواعظ فى ذلك وروى أى مذكر بمعنى المصدر كالمعتقد بمعنى الاعتقاد والمعتبر بمعنى الاعتبار. وتناوشوهم من مكان بعيد أى تناولوهم والمراد ذكروهم وتحديثوا عنهم فكأنهم تناولوهم و هذه اللفظة من ألفاظ القرآن العزيز و قالوا آمنا به و أتى لهم التناوش من مكان بعيد وأنى لهم تناول الإيمان حينئذ بعد فوات الأمر -قرآن- ١٠٤٧-١١١٣ [صفحة ١٤٧] يَرْتَجِعُونَ مِنْهُمْ أَجْسَادًا خَوَتْ وَ حَرَكَاتٍ سَكَنْتَ وَ لَأَنْ يَكُونُوا عِبْرًا أَحَقَّ مِنْ أَنْ يَكُونُوا مُفْتَخَرًا وَ لَأَنْ يَهْبُطُوا بِهِمْ جَنَابٌ ذَلِيلٌ أَحَبُّ مِنْ أَنْ يَقُومُوا بِهِمْ مَقَامَ عِزِّهِ لَقَدْ نَظَرُوا إِلَيْهِمْ بِأَبْصَارِ الْعَشَوَةِ وَ ضَرَبُوا مِنْهُمْ فِي غَمْرَةِ جَهَالَةٍ وَ لَوْ اسْتَنْطَقُوا عَنْهُمْ عَرَصَاتِ تِلْكَ الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ وَ الزُّبُوعِ الْخَالِيَةِ لَقَالَتْ ذَهَبُوا فِي الْأَرْضِ ضَلَالًا وَ ذَهَبْتُمْ فِي أَعْقَابِهِمْ جُهَالًا تَطْتُونَ فِي هِيَامِهِمْ وَ تَسْتَنْبِتُونَ فِي أَجْسَادِهِمْ وَ تَرْتَعُونَ فِيْمَا لَفُظُوا وَ تَسْكُونُونَ فِيْمَا خَرَبُوا وَ إِنَّمَا الْأَيَّامُ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ بَوَاكٍ وَ نَوَاحٍ عَلَيْكُمْ أَوْلِيكُمْ سِيْلَفٌ غَدَائِيكُمْ وَ فَرَاطٌ مَنَاهِلِكُمُ الَّذِينَ كَانَتْ لَهُمْ مَقَامُ الْعِزِّ وَ حَلِيَّاتُ الْفَخْرِ مُلُوكًا وَ سَوْقًا يَرْتَجِعُونَ مِنْهُمْ أَجْسَادًا أَى يذكرون آباءهم فكأنهم ردوهم إلى الدنيا وارتجعوهم من القبور وخوت خلت. قال وهؤلاء الموتى أحق بأن يكونوا عبرة وعظة

من أن يكونوا فخرا وشرفا والمفتخرون بهم أولى بالهبوط إلى جانب الذلة منهم بالقيام مقام العز. وتقول هذا أحجى من فلان أى أولى وأجدر والجناب الفناء. [صفحة ١٤٨] ثم قال لقد نظروا إليهم بأبصار العشوة أى لم ينظروا النظر المفضى إلى الرؤية لأن أبصارهم ذات عشوة و هو مرض فى العين ينقص به الأبصار و فى عين فلان عشاء وعشوة بمعنى و منه قيل لكل أمر ملتبس يركبه الراكب على غير بيان أمر عشوة و منه أوطأتنى عشوة ويجوز بالضم والفتح . قال وضربوا بهم فى غمرة جهالة أى وضربوا من ذكر هؤلاء الموتى فى بحر جهل والضرب ها هنا استعارة أو يكون من الضرب بمعنى السير كقوله تعالى وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ أُيُّ خَاضُوا وَسَبَّحُوا مِنْ ذِكْرِهِمْ فِي غَمْرَةٍ جَهَالَةٍ وَ كَل هَذَا يَرْجِعُ إِلَى مَعْنَى وَاحِدٍ وَ هُوَ تَسْفِيهِ رَأَى الْمَفْتَخِرِينَ بِالْمَوْتَى وَالْقَاطِعِينَ الْوَقْتَ بِالتَّكَاثُرِ بِهِمْ إِعْرَاضًا عَمَّا يَجِبُ إِتْفَاقُهُ مِنَ الْعَمْرِ فِي الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ. ثم قال لو سألوهم ديارهم التى خلت منهم ويمكن أن يريد بالديار والربوع القبور لقالت ذهبوا فى الأرض ضلالا أى هالكين و منه قوله تعالى وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ. وذهبتهم فى أعقابهم أى بعدهم جهالا لغفلتكم وغروركم . قوله ع تظنون فى هامهم أخذ هذا المعنى أبو العلاء المعرى فقال قرآن-٤٢٤-٤٥١-قرآن-٧٩٠-٨٥٦ خفف الوطاء ماأطن أديم || الأرض إلا من هذه الأجساد رب لحد قد صار لحدًا مرارًا || ضاحك من تراحم الأضداد [صفحة ١٤٩] ودفين على بقايا دفين || من عهود الآباء والأجداد صاح هذى قبورنا تملأ- الأرض || فأين القبور من عهد عاد سر إن اسطعت فى الهواء رويدا || لا اختيارا على رفات العباد . قوله وتستنبتون فى أجسادهم أى تزرعون النبات فى أجسادهم و ذلك لأن أديم الأرض الظاهر إذا كان من أبدان الموتى فالزرع لا محالة يكون نابتا فى الأجزاء الترابية التى هى أبدان الحيوانات وروى وتستنبتون بالثاء أى وتنصبون الأشياء الثابتة كالعمد والأساطين للأوطان فى أجساد الموتى . ثم قال وترتعون فيما لفظوا لفظت الشىء بالفتح رميته من فمى ألفظه بالكسر ويجوز أن يريد بذلك أنكم تأكلون ما خلفوه وتركوه ويجوز أن يريد أنكم تأكلون الفواكه التى تنبت فى أجزاء ترابية خالطها الصديد الجارى من أفواههم ثم قال وتسكنون فيما خربوا أى تسكنون فى المساكن التى لم يعمروها بالذكر والعبادة فكأنهم أخربوها فى المعنى ثم سكتتم أنتم فيها بعدهم ويجوز أن يريد أن كل دار عامرة قد كانت من قبل خربة وإنما أخربها قوم بادوا وماتوا فإذن لاساكن منا فى عمارة إلا- ويصدق عليه أنه ساكن فيما قد كان خرابا من قبل والذين أخربوه الآن موتى ويجوز أن يريد بقوله وتسكنون فيما خربوا وتسكنون فى دور فارقوها وأخلوها فأطلق على الخلو والفراغ لفظ الخراب مجازا. قوله وإنما الأيام بينكم وبينهم بواك ونوائح عليكم يريد أن الأيام والليالى تشيع رائحا إلى المقابر وتبكى وتنوح على الباقين الذين سيلتحقون به عن قريب . [صفحة ١٥٠] قوله أولئكم سلف غايتكم السلف المتقدمون والغاية الحد الذى ينتهى إليه إما حسيا أو معنويا والمراد هاهنا الموت . والفرط القوم يسبقون الحى إلى المنهل . ومقاوم العز دعائمه جمع مقوم وأصلها الخشبة التى يمسكها الحراث وحلبات الفخر جمع حلبة وهى الخيل تجمع للسباق . والسوق بفتح الواو جمع سوقة و هو من دون الملك سلكوا فى بطن البرزخ سبيلا سلطت الأرض عليهم فيه فأكلت من لحومهم و شربت من دمائهم فأصبحوا فى فجوات قبورهم جمادا لا ينمون و ضة مارا لا يؤخرون لا ينفز عنهم وروود الأهوال و لما يحزنهم تنكر الأحوال و لما يحفلون بالزواجف و لما يذنون للقواصف غيبا لما ينتظرون و شهودا لا يحضرون و إنما كانوا جميعا فقتلوا و ألقا فافترقوا و ما عن طول عهدهم و لا بعد محلهم عميت أخبارهم و صامت ديارهم و لكنهم شفقوا كاسا بدلتهم بالنطق خرسا و بالسيمع صمما و بالحركات شيكونا فكأنهم فى ارتجال الصفة صرعى سبات جيران لا يتأنسون و أجنباء لا يتزاورون يليت بينهم عرا التعارف و انقطعت منهم أسباب الإخاء فكلمهم و حيد و هم جميع و بجانب الهجر و هم أخلاء لا يتعارفون لليل صباحا و لا لنهار مساء أى الجديدين طعنوا فيه كان [صفحة ١٥١] عليهم سمرمدا شاهدوا من أخطار دارهم أظع مما خافوا و رأوا من آياتها أعظم مما قدروا فكلا الغائين مدت لهم إلى مباءة فانت مبالغ الخوف و الرجاء فلو كانوا ينطقون بهذا لعتوا بصفه ما شاهدوا و ما عاينوا و لئن عميت آثارهم و انقطعت أخبارهم لقد رجعت فيهم أبصار العبر و سجمت

عَنْهُمْ آذَانَ الْعُقُولِ وَ تَكَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ جِهَاتِ النَّطْقِ فَقَالُوا كَلَحَتِ الْوُجُوهُ النَّوَاضِرُ وَ خَوَتِ الْأَجْسَامُ النَّوَاعِمُ وَ لَيْسَنَا أَهْدَامَ الْبِلَى وَ تَكَاءَ دَنَا ضَيْقُ الْمَضْجِعِ وَ تَوَارَثْنَا الْوَحْشَةَ وَ تَهَدَّمَتِ عَلَيْنَا الرُّبُوعُ الصَّيْمُوتُ فَانْمَحَتْ مَحَاسِنُ أَجْسَادِنَا وَ تَنَكَّرَتْ مَعَارِفُ صُورِنَا وَ طَالَتْ فِي مَسَاكِينِ الْوَحْشَةِ إِقَامَتُنَا وَ لَمْ نَجِدْ مِنْ كَرْبٍ فَرْجًا وَ لَمَّا مِنْ ضَيْقٍ مُتَسِّعًا فَلَوْ مَثَلْتُهُمْ بِعَقْلِكَ أَوْ كُشِفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبُ الْغَطَاءِ لَكَ وَ قَدِ ارْتَسَيْخَتْ أَسْمَاعُهُمْ بِالْهَوَامِ فَاسْتَكَّتْ وَ اِكْتَحَلَتْ أَبْصَارُهُمْ بِالتُّرَابِ فَخَسِفَتْ وَ تَقَطَّعَتِ الْأَلْسِنَةُ فِي أَفْوَاهِهِمْ بَعْدَ ذَلَّاقَتَيْهَا وَ هَمَيْدَتِ الْقُلُوبُ فِي صُدُورِهِمْ بَعْدَ يَقْظَتَيْهَا وَ عَاثَ فِي كُلِّ جَارِحِيهِ مِنْهُمْ جَدِيدٌ بَلَى سَمَّجَهَا وَ سَهَّلَ طُرُقَ الْآفَةِ إِلَيْهَا مُسْتَسْلِمَاتٍ فَلَا أَيْدٍ تَدْفَعُ وَ لَا قُلُوبَ تَجْزَعُ لَرَأَيْتِ أَشْجَانَ قُلُوبٍ وَ أَقْدَاءَ عُيُونٍ لَهُمْ فِي كُلِّ فَظَاعِيَةٍ صَفْءٌ حَالٍ لَا تَنْتَقِلُ وَ عَمْرَةٌ لَا تَنْجَلِي فَكَمْ أَكَلَتِ الْأَرْضُ مِنْ عَزِيزِ جَسِيدٍ وَ أُنِيقِ لُونٍ كَانَتْ فِي الدُّنْيَا غَدَى تَرْفٍ وَ رَيْبٍ شَرْفٍ يَتَعَلَّلُ بِالسَّيْرُورِ فِي سَاعَةِ حُزْنِهِ وَ يَفْزَعُ إِلَى السَّيْلُوهِ إِنْ مُصِّبَتْهُ نَزَلَتْ بِهِ ضَنْأً بَغْضَارَةً عَيْشِهِ وَ شَحَاحَةً بِلَهْوِهِ وَ لَعِبِهِ فَبَيْنَا هُوَ يَضْحَكُ إِلَى الدُّنْيَا وَ تَضْحَكُ إِلَيْهِ فِي ظِلِّ عَيْشٍ غُفُولٍ إِذْ وَطِئَ الدَّهْرُ بِهِ حَسِيكَهُ وَ نَفَضَتْ الْأَيَّامُ قُؤَاهُ وَ نَظَرَتْ إِلَيْهِ الْحُتُوفُ مِنْ كَثَبٍ فَخَالَطَهُ بَثٌّ لَمَّا يَعْرِفُهُ وَ نَجِي هَمَّ [صفحة ١٥٢] مَا كَانَ يَجِدُهُ وَ تَوَلَّدَتْ فِيهِ فِتْرَاتٌ عَمَلٍ أَنْسَ مَا كَانَ بِصَحْتِهِ فَفَزَعَ إِلَى مَا كَانَ عَوْدَةَ الْأَطْبَاءِ مِنْ تَسْكِينِ الْحَارِّ بِالْقَارِ وَ تَحْرِيكِ الْبَارِدِ بِالْحَارِّ فَلَمْ يُطْفِئِ بِبَارِدٍ إِلَّا تَوَرَّ حَرَارَةً وَ لَا حَرَكَ بِحَارٍّ إِلَّا هَيَّجَ بُرُودَةً وَ لَا اعْتَدَلَ بِمَمَارِجٍ لِنَلْكَ الطَّبَائِعِ إِلَّا أَمَدَ مِنْهَا كُلَّ ذَاتٍ دَاءٍ حَتَّى فَتَرَ مُعَلَّلَهُ وَ ذَهَلَ مُمَرَّضُهُ وَ تَعَايَا أَهْلُهُ بِصَفْءِ دَائِهِ وَ خَرِسُوا عَنْ جَوَابِ السَّائِلِينَ عَنْهُ وَ تَنَازَعُوا دُونَهُ شَجِيَّ خَبْرٍ يَكْتُمُونَهُ فَفَاءِئِلٌ هُوَ لَمَّا بِهِ وَ مَمَّنْ لَهُمْ إِيَابُ عَافِيَتِهِ وَ مُصَبِّرٌ لَهُمْ عَلَى فَقْدِهِ يُدَكِّرُهُمْ أَسَى الْمَاضِيَةِ مِنْ قَبْلِهِ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ عَلَى جَنَاحٍ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا وَ تَرَكِ الْأَحْبِيَّةِ إِذْ عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ مِنْ غُصْبِهِ فَتَحَيَّرَتْ نَوَافِذُ فِطْنَتِهِ وَ بَيَّسَتْ رُطُوبُهُ لِسَانَهُ فَكَمْ مِنْ مُهَمِّمْ مِنْ جَوَابِهِ عَرَفَهُ فَعَى عَنْ رَدِّهِ وَ دُعَاءِ مُؤَلِّمٍ بِقَلْبِهِ سَمِعَهُ فَصَامَ عَنْهُ مِنْ كَبِيرٍ كَانَ يُعْظِمُهُ أَوْ صَغِيرٍ كَانَ يَرْحُمُهُ وَ إِنْ لِلْمَوْتِ لَعَمْرَاتٍ هِيَ أَفْطَحَ مِنْ أَنْ تُسْتَعْرِقَ بِصَفْءِ أَوْ تَعْتَدِلَ عَلَى عُقُولِ أَهْلِ الدُّنْيَا هَذَا مَوْضِعُ الْمَثَلِ مَلْعَا يَاطْلِمُ وَ إِفَالْتَخِيوِيَّةُ مِنْ أَرَادَ أَنْ يَعِظَ وَيَخُوفَ وَيَقْرَعَ صَفَاءَ الْقَلْبِ وَيَعْرِفَ النَّاسَ قَدْرَ الدُّنْيَا وَتَصْرِفَهَا بِأَهْلِهَا فَلِيَّاتٍ بِمَثَلِ هَذِهِ الْمَوْعِظَةِ فِي مَثَلِ هَذَا الْكَلَامِ الْفَصِيحِ وَ إِفَالِيمِسْكَ فَإِنَّ السُّكُوتَ أَسْتَرُ وَالْعِيَّ خَيْرٌ مِنْ مَنْطِقٍ يَفْضَحُ صَاحِبُهُ وَ مِنْ تَأْمَلِ هَذَا الْفَصْلَ عِلْمَ صَدَقَ مَعَاوِيَةُ فِي قَوْلِهِ فِيهِ وَ اللَّهُ مَا سَنَ [صفحة ١٥٣] الْفَصَاحَةَ لِقَرِيشٍ غَيْرِهِ وَ يَنْبَغِي لَوَاجِئِمْ فَصَحَاءَ الْعَرَبِ قَاطِبَةً فِي مَجْلِسٍ وَتَلَى عَلَيْهِمْ أَنْ يَسْجُدُوا لَهُ كَمَا سَجَدَ الشُّعْرَاءُ لِقَوْلِ عَدِيِّ بْنِ الرَّقَاعِ قَلَمُ أَصَابٍ مِنَ الدَّوَاءِ مَدَادُهَا . فَلَمَّا قِيلَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ قَالُوا إِنَّا نَعْرِفُ مَوَاضِعَ السُّجُودِ فِي الشُّعْرِ كَمَا نَعْرِفُونَ مَوَاضِعَ السُّجُودِ فِي الْقُرْآنِ . وَإِنِّي لِأَطِيلُ التَّعْجِبَ مِنْ رَجُلٍ يَخْطُبُ فِي الْحَرْبِ بِكَلَامٍ يَدُلُّ عَلَى أَنْ طَبَعَهُ مَنَاسِبٌ لَطْبَاعِ الْأَسْوَدِ وَالنَّمُورِ وَأَمْثَالَهُمَا مِنَ السَّبَاعِ الضَّارِيَّةِ ثُمَّ يَخْطُبُ فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ بَعِينَهُ إِذَا أَرَادَ الْمَوْعِظَةَ بِكَلَامٍ يَدُلُّ عَلَى أَنْ طَبَعَهُ مَشَاكِلُ لَطْبَاعِ الرَّهْبَانِ لِأَسَى الْمَسُوحِ الَّذِينَ لَمْ يَأْكُلُوا لَحْمًا وَ لَمْ يَرِيْقُوا دَمَا فَتَارَةً يَكُونُ فِي صُورَةِ بَسْطَامِ بْنِ قَيْسِ الشَّيْبَانِيِّ وَعَتِيْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ الْيَرْبُوعِيُّ وَعَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ الْعَامِرِيُّ وَتَارَةً يَكُونُ فِي صُورَةِ سَقْرَاطِ الْحَبْرِ الْيُونَانِيِّ وَ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانِ الْإِسْرَائِيلِيِّ وَالْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ الْإِلَهِيِّ . وَأَقْسَمَ بِمَنْ تَقْسَمُ الْأُمَمُ كُلُّهَا بِهِ لَقَدْ قَرَأْتُ هَذِهِ الْخُطْبَةَ مِنْذُ خَمْسِينَ سَنَةً وَ إِلَى الْآنَ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ مَرَّةٍ مَاقَرَأْتُهَا قَطْ إِلَّا وَأَحْدَثَتْ عِنْدِي رُوعَةً وَخُوفًا وَعِظَةً وَآثَرَتْ فِي قَلْبِي وَجِيْبًا وَ فِي أَعْضَائِي رَعْدَةً وَ لَا تَأْمَلْتُهَا إِلَّا وَذَكَرْتُ الْمَوْتِي مِنْ أَهْلِي وَأَقَارِبِي وَأَرْبَابِ وَدِي وَخِيْلَتُ فِي نَفْسِي أَنِّي أَنَا ذَلِكَ الشَّخْصُ الَّذِي وَصَفَ عِ حَالَهُ وَكَمْ قَدْ قَالَ الْوَاعِظُونَ وَالْخُطْبَاءُ وَالْفَصَحَاءُ فِي هَذَا الْمَعْنَى وَكَمْ وَقَفْتُ عَلَى مَاقَالُوهِ وَتَكَرَّرَ وَقُوفِي عَلَيْهِ فَلَمْ أَجِدْ لَشَيْءٍ مِنْهُ مِثْلَ تَأْثِيرِ هَذَا الْكَلَامِ فِي نَفْسِي فِيمَا أَنْ يَكُونُ ذَلِكَ لِعَقِيدَتِي فِي قَائِلِهِ أَوْ كَانَتْ نِيَّةُ الْقَائِلِ صَالِحَةً وَيَقِينَهُ كَانَتْ ثَابِتًا وَإِخْلَاصَهُ كَانَتْ مُحْضًا [صفحة ١٥٤] خَالِصًا فَكَانَ تَأْثِيرُ قَوْلِهِ فِي النُّفُوسِ أَعْظَمَ وَسَرِيَانًا مَوْعِظَتُهُ فِي الْقُلُوبِ أَبْلَغُ ثُمَّ نَعُودُ إِلَى تَفْسِيرِ الْفَصْلِ فَالْبُرْخُ الْحَاجِزُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ وَالْبُرْخُ مَا بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ وَقْتِ الْمَوْتِ إِلَى الْبَعْثِ فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْبُرْخُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْقَبْرِ لِأَنَّهُ حَاجِزٌ بَيْنَ الْمَيِّتِ وَ بَيْنَ أَهْلِ الدُّنْيَا كَالْحَائِطِ الْمَبْنِيِّ بَيْنَ اثْنَيْنِ فَإِنَّهُ بَرْخٌ بَيْنَهُمَا وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِهِ الْوَقْتُ الَّذِي بَيْنَ حَالِ الْمَوْتِ إِلَى حَالِ النُّشُورِ وَالْأَوَّلُ أَقْرَبُ إِلَى

مراده ع لأنه قال فى بطون البرزخ ولفظة البطون تدل على التفسير الأول ولفظنا أكلت الأرض من لحومهم وشربت من دمائهم مستعارتان . والفجوات جمع فجوة وهى الفرجة المتسعة بين الشئين قال سبحانه وَ هُمْ فى فَجْوَةٍ مِنْهُ و قد تفاجى الشئ إذ اصارت له فجوة. وجمادا لاينمون أى خرجوا عن صورة الحيوانية إلى صورة الجماد الذى لاينمى ولايزيد ويروى لاينمون بتشديد الميم من النيممة وهى الهمس والحركة و منه قولهم أسكت الله نامته فى قول من شدد و لم يهزم. وضمارا يقال لكل ما لايرجى من الدين والوعد و كل ما لا تكون منه على ثقة ضمرا. ثم ذكر أن الأهوال الحادثة فى الدنيا لانفزعهم و أن تنكر الأحوال بهم وبأهل الدنيا لا يحزنهم ويروى تحزنهم على أن الماضى رباعى. ومثله قوله لا يحفلون بالرواجف أى لا يكثرثون بالزلازل . -قرآن- ٥٩٧-٦٢٠ [صفحہ ١٥٥] قوله و لا يأذنون للقواصف أى لا يسمعون الأصوات الشديدة أذنت لكذا أى سمعته . وجمع الغائب غيب و غيب وكلاهما مروى هاهنا وأراد أنهم شهود فى الصورة و غير حاضرين فى المعنى . وألف على فعال جمع ألف كالطراق جمع طارق والسمار جمع سامر والكفار جمع كافر. ثم ذكر أنه لم تعم أخبارهم أى لم تستبهم أخبارهم وتنقطع عن بعدعهد بهم و لا عن بعدمنزل لهم وإنما سقوا كأس المنون التى أخرستهم بعدالنطق وأصمتهم بعدالسمع وأسكتتهم بعدالحركة. وقوله وبالسمع صمما أى لم يسمعوا فيهانداء المنادى و لا نوح النائح أو لم يسمع فى قبورهم صوت منهم . قوله فكأنهم فى ارتجال الصفة أى إذا وصفهم الواصف مرتجلا غير مترو فى الصفة و لامتهى للقول . قال كأنهم صرعى سبات و هونوم لأنه لافرق فى الصورة بين الميت حال موته والنائم المسبوت . ثم وصفهم بأنهم جيران إلا أنهم لا مؤانسة بينهم كجيران الدنيا وأنهم أحياء إلا أنهم لا يتزاورون كالأحباب من أهل الدنيا. وقوله أحياء جمع حبيب كخليل وأخلاء و صديق وأصدقاء. ثم ذكر أن عرا التعارف قد بليت منهم وانقطعت بينهم أسباب الإخاء و هذه كلها استعارات لطيفة مستحسنه. [صفحہ ١٥٦] ثم وصفهم بصفة أخرى فقال كل واحد منهم موصوف بالوحدة وهم مع ذلك مجتمعون بخلاف الأحياء الذين إذا انضم بعضهم إلى بعض انتفى عنه وصف الوحدة. ثم قال وبجانب الهجر وهم أخلاء أى و كل منهم فى جانب الهجر وهم مع ذلك أهل خلة ومودة أى كانوا كذلك و هذا كله من باب الصناعة المعنوية والمجاز الرقيق . ثم قال إنهم لا يعرفون للنهار ليلا و لالليل نهارا و ذلك لأن الواحد من البشر إذ مات نهارا لم يعرف لذلك النهار ليلا أبدا و إن مات ليلا لم يعرف لذلك الليل صباحا أبدا و قال الشاعر لا بد من يوم بلا ليلة || أوليلة تأتى بلا يوم . و ليس المراد بقوله أى الجديدين ظعنوا فيه كان عليهم سرمدا أنهم وهم موتى يشعرون بالوقت الذى ماتوا فيه و لا يشعرون بما يتعقبه من الأوقات بل المراد أن صورة ذلك الوقت لوبقيت عندهم لبقيت أبدا من غير أن يزيلها وقت آخر يطرأ عليها ويجوز أن يفسر على مذهب من قال ببقاء الأنفس فيقال إن النفس التى تفارق ليلا تبقى الصورة الليلية والظلمة حاصله عندها أبدا لا تزول بطرآن نهار عليها لأنها قد فارقت الحواس فلا سبيل لها إلى أن يرسم فيها شئ من المحسوسات بعدالمفارقة وإنما حصل ما حصل من غير زيادة عليه وكذلك الأنفس التى تفارق نهارا

بعض الأشعار والحكايات فى وصف القبور والموتى

واعلم أن الناس قد قالوا فى حال الموتى فأكثرها فمن ذلك قول الرضى أبى الحسن رحمه الله تعالى [صفحہ ١٥٧] أعزز على بأن نزلت بمنزل || متشابه الأجداد بالأوغاد فى عصبه جنبوا إلى آجالهم || والدهر يعجلهم عن الإرواد ضربوا بمدرجة الفناء قبابهم || من غير أطناب و لأعماد ركب أناخوا لايرجى منهم || قصد لإتهام و لإنجاد كرهوا النزول فأنزلتهم وقعة || للدهر باركة بكل مفاد فتهافتوا عن رحل كل مذلل || وتطواخوا عن سرج كل جواد بادون فى صور الجميع وإنهم || متفردون تفرد الآحاد . قوله بادون فى صور الجميع مأخوذ من قول أمير المؤمنين ع فكلهم وحيد وهم جميع . و قال أيضا ولقد حفظت له فأين حفاظه

|| ولقد وفيت له فأين وفاؤه أوعى الدعاء فلم يجبه قطيعه || أم ضل عنه من البعاد دعاؤه هيهات أصبح سمعه وعيانه || فى التراب قد حجبها أقداؤه يمسى ولين مهاده حصباؤه || فيه ومؤنس ليله ظلماؤه قد قلبت أعيانه وتنكرت || أعلامه وتكسفت أضواؤه [صفحة ١٥٨] مغف و ليس للذة إغفاؤه || مغض و ليس لفكرة إغضاؤه وجه كلمع البرق غاض وميضه || قلب كصدر العصب فل مضائه حكم البلى فيه فلو تلقى به || أعداءه لرتى له أعداؤه . وقال أبو العلاء أستغفر الله ما عندى لكم خير || و ما خطابى إلا معشرا قبروا أصبحتم فى البلى غيرا ملابسكم || من الهباء فأين البرد والقطر كنتم على كل خطب فادح صبرا || فهل شعرتم وقد جادتكم الصبر و مادرى يوم أحد بالذين ثوا || فيه و لا- يوم بدر أنهم نصروا . وقال أبو عارم الكلابى أجازعة ردينه أن أتاهما || نعى أم يكون لها اضطبار إذا ما أهل قبرى ودعونى || وراحو والأكف بها غبار وغودر أعظمى فى لحد قبر || تراوحه الجنائب والقطار تهب الريح فوق محط قبرى || ويرعى حوله اللهق النوار مقيم لا- يكلمه صديق || بقبر لا- أزور و لا أزار فذاك النأى لا الهجران حولا || وحولا ثم تجتمع الديار . مر الإسكندر بمدينة قدملكها سبعة أملاك من بيت واحد وبادوا فسأل هل بقى من نسلهم أحد قالوا بقى واحد و هو يلزم المقابر فدعا به فسأله لم تلزم المقابر قال أردت أن أميز عظام الملوك من عظام عبيدهم فوجدتها سواء قال هل لك أن تلزمنى حتى أنيلك بغيتك قال لو علمت أنك تقدر على ذلك للزمتك قال و ما بغيتك [صفحة ١٥٩] قال حياة لاموت معها قال لن أقدر على ذلك قال فدعنى أطلبه ممن يقدر عليه . قال النبى ص ما رأيت منظرا إلا والقبر أفضح منه -رواية ١-٢-رواية ١٨-٥٥ قال ص القبر أول منزل من منازل الآخرة فمن نجا منه فما بعده أيسر و من لم ينج فما بعده شر له -رواية ١-٢-رواية ١١-١٠٤ . مر عبد الله بن عمر رضى الله عنه بمقبرة فصلى فيها ركعتين و قال ذكرت أهل القبور و أنه حيل بينهم و بين هذا فأحببت أن أتقرب بهما إلى الله فإن قلت ما معنى قوله ع و بجانب الهجر و أى فائدة فى لفظه جانب فى هذا الموضع . قلت لأنهم يقولون فلان فى جانب الهجر و فى جانب القطيعة و لا يقولون فى جانب الوصل و فى جانب المصافاة و ذلك أن لفظه جنب فى الأصل موضوعه للمباعدة و منه قولهم الجار الجنب و هو جارك من قوم غرباء يقال جنب الرجل و جنبته و جنبته و جنبته كنه بمعنى و رجل أجنبى و أجنب و جنب و جنب كله بمعنى . قوله ع شاهدوا من أخطار دارهم المعنى أنه شاهد المتقون من آثار الرحمة و أماراتها و شاهد المجرمون من آثار النعمة و أماراتها عند الموت والحصول فى القبر أعظم مما كانوا يسمعون و يظنون أيام كونهم فى الدنيا . ثم قال فكلا الغائتين مدت لهم المعنى مدت الغائتان غاية الشقى منهم و غاية السعيد . [صفحة ١٦٠] إلى مباءة أى إلى منزل يعظم حاله عن أن يبلغه خوف خائف أو رجاء راج و تلك المباءة هى النار أو الجنة و تقول قد استبأ الرجل أى اتخذ مباءة و أبأت الإبل رددتها إلى مباءتها وهى معانها . ثم قال فلو كانوا ينطقون بها لعيوا بتشديد الياء قال الشاعر عيوا بأمرهم كما || عيت ببيضتها الحمامة جعلت لها عودين من || نشم و آخر من ثمامة . و روى لعيوا بالتخفيف كما تقول حيوا قالوا ذهب الياء الثانية لالتقاء الساكنين لأن الواو ساكنة و ضمت الياء الأولى لأجل الواو قال الشاعر و كنا حسبناهم فوارس كهمس || حيوا بعد ماماتوا من الدهر أعصرا . قوله لقد رجعت فيهم يقال رجع البصر نفسه و رجع زيد بصره يتعدى و لا يتعدى يقول تكلموا معنى لاصورة فأدركت حالهم بالأبصار و الأسماع العقلية لا الحسية و كلحت الوجوه كلوحا و كلاحا و هو تكشر فى عبوس . و النواضر النواغم و النضره الحسن و الرونق . و خوت الأجساد النواغم خلت من دمها و رطوبتها و حشوتها و يجوز أن يكون خوت أى سقطت قال تعالى فهى خاوية على عروشها و الأهدام جمع هدم و هو الثوب البالى قال أوس -قرآن- ٣٤٠-٣٧٠ و ذات هدم عار نواشرها || تصمت بالماء تولبا جذعا . [صفحة ١٦١] و تكاءدنا شق علينا و منه عقبه كئود و يجوز تكأدنا جاءت هذه الكلمة فى أخوات لها تفعل و تفاعل بمعنى و مثله تعهد الضيعة و تعاهدها . و يقال قوله و توارثنا الوحشة كأنه لمامات الأب فاستوحش أهله منه ثم مات الابن فاستوحش منه أهله أيضا صار كان الابن و رث تلك الوحشة من أبيه كما تورث الأموال و هذا من باب الاستعارة . قوله و تهدمت علينا الربوع يقال تهدم فلان على فلان غضبا إذا اشتد

غضبه ويجوز أن يكون تهدمت أى تساقطت وروى وتهكمت بالكاف و هو كقولك تهدمت بالتهسيرين جميعا ويعنى بالربوع الصموت القبور وجعلها صموتا لأنه لانطق فيها كقاتقول ليل قائم ونهار صائم أى يقام ويصام فيهما و هذاكله على طريق الهز والتحريك وإخراج الكلام فى معرض غيرالمعرض المعهود جعلهم لو كانوا ناطقين مخبرين عن أنفسهم لأتوا بما وصفه من أحوالهم وورد فى الحديث أن عمر حضر جنازة رجل فلما دفن قال لأصحابه قفوا ثم ضرب فأمعن فى القبور واستبطأه الناس جدا ثم رجع وقداحمرت عيناه وانتفخت أوداجه فقيل أبطأت يا أمير المؤمنين فما الذى حبسك قال أتيت قبور الأجابة فسلمت فلم يردوا على السلام فلما ذهبت ألقى نادانى التراب فقال ألاتسألنى يا عمر مافعلت باليدين قلت مافعلت بهما قال قطعت الكفين من الرسغين وقطعت الرسغين من الذراعين وقطعت الذراعين من المرفقين وقطعت المرفقين من العضدين وقطعت العضدين من المنكبين وقطعت المنكبين من الكتفين فلما ذهبت ألقى نادانى التراب فقال ألاتسألنى يا عمر مافعلت بالأبدان والرجلين قلت مافعلت قال قطعت الكتفين من الجنبين وقطعت الجنبين من الصلب وقطعت الصلب من الوركين وقطعت الوركين من الفخذين وقطعت الفخذين من الركبتين [صفحہ ۱۶۲] وقطعت الركبتين من الساقين وقطعت الساقين من القدمين فلما ذهبت ألقى نادانى التراب فقال يا عمر عليك بأكفان لاتبلى فقلت و ما أكفان لاتبلى قال تقوى الله والعمل بطاعته و هذا من الباب الذى نحن بصدده نسب الأقوال المذكورة إلى التراب و هو جماد و لم يكن ذلك ولكنه اعتبر فانقدحت فى نفسه هذه المواعظ الحكيمية فأفرغها فى قالب الحكاية ورتبها على قانون المسألة والإجابة وأضافها إلى جماد موات لأنه أهز لسامعها إلى تدبرها و لو قال نظرت فاعتبرت فى حال الموتى فوجدت التراب قدقطع كذا من كذا لم تبلغ عظته المبلغ الذى بلغته حيث أودعها فى الصورة التى اخترعها. قوله ع فلو مثلتهم بعقلك أوكشف عنهم محجوب الغطاء لك إلى آخر جواب لو هذاالكلام أخذه ابن نباته بعينه فقال فلو كشفتم عنهم أغطية الأجداث بعدللتين أوثلاث لووجدتم الأحداق على الخدود سائلة والألوان من ضيق اللحد حائلة وهوام الأرض فى نواعم الأبدان جائلة والرءوس الموسدة على الأيمان زائلة ينكرها من كان لها عارفا ويفر عنها من لم يزل لها أنفا. قوله ع ارتسخت أسماعهم ليس معناه ثبتت كمازعمه الراوندى لأنها لم تثبت وإنما ثبتت الهوام فيها بل الصحيح أنه من رسخ الغدير إذانش ماؤه ونضب ويقال قدارتسخت الأرض بالمطر إذاابتلعت حتى يلتقى الثريان . واستكت أى ضاقت وانسدت قال النابغة ونبت خير الناس أنك لمتنى || وتلك التى تستك منها المسامع . [صفحہ ۱۶۳] قوله واكتحلت أبصارهم بالتراب فحسفت أى غارت وذهبت فى الرأس وأخذ المتنبي قوله واكتحلت أبصارهم بالتراب فقال يدفن بعضنا بعضا ويمشى || وأخرنا على هام الأوالى وكم عين مقبله النواحي || كحيل بالجنادل والرمال ومغض كان لا يغضى لخطب || وبال كان يفكر فى الهزال . وذلاقة الألسن حدثها ذلق اللسان والسنان يذلق ذلقا أى ذرب فهو ذلق وأذلق . وهمدت بالفتح سكنت وخمدت وعاث أفسد و قوله جديد بلى من فن البديع لأن الجدة ضد البلى و قدأخذ الشاعر هذه اللفظة فقال يادار غادرنى جديد بلاك || رث الجديد فهل رثيث لذاك وسمحها قبح صورتها و قدسمح الشىء بالضم فهو سمح بالسكون ثم ضخم فهو ضخم ويجوز فهو سمح بالكسر مثل خشن فهو خشن . قوله وسهل طرق الآفة إليها و ذلك أنه إذااستولى العنصر الترابى على الأعضاء قوى استعدادها للاستحالة من صورتها الأولى إلى غيرها. ومستسلمات أى منقادة طائعه غيرعاصية فليس لها أيد تدفع عنها و لالها قلوب تجزع وتحزن لمانزل بها. والأشجان جمع شجن و هو الحزن . والأقداء جمع قذى و هو مايسقط فى العين فيؤذيها. [صفحہ ۱۶۴] قوله صفه حال لاتنتقل أى لاتنتقل إلى حسن وصلاح و ليس يريد لاتنتقل مطلقا لأنها تنتقل إلى فساد واضمحلال . و رجل عزيز أى حدث و عزيز الجسد أى طرى وأنيق اللون معجب اللون وغذى ترف قد غذى بالترف و هوالتنعم المطغى. وريب شرف أى قدرى فى الشرف والعز ويقال رب فلان ولده يربه ربا ورباه يربيه تربيته. ويتعلل بالسرور يتلهى به عن غيره ويفزع إلى السلوة يلتجئ إليها وضنا أى بخلا و غضارة العيش نعيمه ولينه . وشحاحة أى بخلا شححت بالكسر أشح وشححت أيضا بالفتح أشح

وأشح بالضم والكسر شحا وشحاحه ورجل شحيح وشحاح بالفتح وقوم شحاح وأشحه. ويضحك إلى الدنيا وتضحك إليه كناية عن الفرح بالعمر والعيشة وكذا كل واحد منهما يضحك إلى صاحبه لشدة الصفاء كأن الدنيا تحبه وهو يحبها. وعيش غفول قدغفل عن صاحبه فهو مستغرق في العيش لم ينتبه له الدهر فيكدر عليه وقته قال الشاعر و كان المرء في غفلات عيش || كأن الدهر عنها في وثاق و قال الآخر ألا إن أحلى العيش ماسمحت به || صروف الليالي والحوادث نوم . قوله إذ وطئ الدهر به حسكة أي إذ أوطأه الدهر حسكة والهاء في حسكة ترجع إلى الدهر عدى الفعل بحرف الجر كما تقول قام زيد بعمر و أي أقامه . [صفحہ ۱۶۵] وقواه جمع قوة وهي المرة من مرائر الحبل وهذا الكلام استعارة. و من كتب من قرب والبث الحزن والبث أيضا الأمر الباطن الدخيل . ونجى الهم مايناجيك ويسارك والفترات أوائل المرض . وآنس ما كان بصحته منصوب على الحال و قال الراوندى فى الشرح هذا من باب أخطب ما يكون الأمير قائما ثم ذكر أن العامل فى الحال فترات قال تقديره فترات آنس ما كان وما ذكره الراوندى فاسد فإنه ليس هذا من باب أخطب ما يكون الأمير قائما لأن ذلك حال سد مسد خبر المبتدئ و ليس هاهنا مبتدأ وأيضا فليس العامل فى الحال فترات و لافتر بل العامل تولدت والقار البارد. فإن قلت لم قال تسكين الحار بالقار وتحريك البارد بالحار ولأى معنى جعل الأول التسكين والثانى التحريك قلت لأن من شأن الحرارة التهيج والتشوير فاستعمل فى قهرها بالبارد لفظه التسكين و من شأن البرودة التخدير والتجميد فاستعمل فى قهرها بالحار لفظه التحريك . قوله و لا اعتدل بممازج لتلك الطبائع إلا أمد منها كل ذات داء أى و لا استعمل دواء مفردا معتدل المزاج أو مركبا كذلك إلا وأمد كل طبيعة منها ذات مرض بمرض زائد على الأول . وينبغى أن يكون قوله و لا اعتدل بممازج أى و لا رام الاعتدال لممتزج لأنه لو حصل له الاعتدال لكان قدبرئى من مرضه فسمى محاولة الاعتدال اعتدالا لأنه بالاستدلال المعتدلات قدها للاعتدال فكان قداعتدل بالقوة. وينبغى أيضا أن يكون قدحذف مفعول أمد وتقديره بمرض كما قدرناه نحن وحذف المفعولات كثير واسع . [صفحہ ۱۶۶] قوله حتى فتر معلله لأن معللى المرض فى أوائل المرض يكون عندهم نشاط لأنهم يرجون البرء فإذا رأوا أمارات الهلاك فترت همتهم . قوله وذهل ممرضه ذهل بالفتح وهذا كالأول لأن الممرض إذا أعيا عليه المرض وانسدت عليه أبواب التدبير يذهل . قوله وتعايا أهله بصفة دائه أى تعاطوا العى وتساکتوا إذا سئلوا عنه و هذه عادة أهل المريض المثقل يجمعون إذا سئلوا عن حاله . قوله وتنازعوا دونه شجى خبر يكتمونه أى تخاصموا فى خبر ذى شجى أى خبر ذى غصة يتنازعونه وهم حول المريض ستر دونه و هو لا يعلم بنجواهم وبما يفيضون فيه من أمره . فقائل منهم هولمآ به أى قد أشفى على الموت وآخر يمينهم إياب عافيته أى عودها آب فلا ين إلى أهله أى عاد. وآخر يقول قدرأينا مثل هذا و من بلغ إلى أعظم من هذا ثم عوفى فيمنى أهله عود عافيته . وآخر يصبر أهله على فقده ويذكر فضيلة الصبر وينهاهم عن الجزع ويروى لهم أخبار الماضين . وأسى أهليهم والأسى جمع أسوة و هو مايتأسى به الإنسان قالت الخنساء و ما يكون مثل أخى ولكن || أسلى النفس عنه بالتأسى . قوله على جناح من فراق الدنيا أى سرعان ما يفارقها لأن من كان على جناح طائر فأوشك به أن يسقط. [صفحہ ۱۶۷] قوله إذ عرض له عارض يعنى الموت و من غصصه جمع غصة و هو ما يعترض مجرى الأنفاس ويقال إن كل ميت من الحيوان لا يموت إلا خنقا و ذلك لأنه من النفس يدخل فلا يخرج عوضه أو يخرج فلا يدخل عوضه ويلزم من ذلك الاختناق لأن الرئة لا تبقى حينئذ مروحة للقلب و إذا لم تروحه اختنق . قوله فتحيرت نوافذ فطنته أى تلك الفطنة النافذة الثاقبة تحيرت عند الموت وتبلدت . قوله ويبست رطوبة لسانه لأن الرطوبة اللعابية التى بها يكون الذوق تنشف حينئذ ويبطل الإحساس باللسان تبعا لسقوط القوة. قوله فكم من مهم من جوابه عرفه فعى عن رده نحو أن يكون له مال مدفون يسأل عنه حال ما يكون محتضرا فيحاول أن يعرف أهله به فلا يستطيع ويعجز عن رد جوابهم و قدرأينا من عجز عن الكلام فأشار إشارة فهموا معناها وهى الدواة والكاغذ فلما حضر ذلك أخذ القلم وكتب فى الكاغذ ما لم يفهم ويده ترعد ثم مات قوله ودعاء مؤلم لقلبه سمعه فتصام عنه أظهر الصمم لأنه لاحيلة له . ثم وصف ذلك

الدعاء فقال من كبير كان يعظمه نحو صراخ الوالد على الولد والولد يسمع ولا يستطيع الكلام وصغير كان يرحمه نحو صراخ الولد على الوالد وهو يسمع ولا قدرة له على جوابه . ثم ذكر غمرات الدنيا فقال إنها أفضع من أن تحيط الصفات بها وتستغرقها أى تأتي على كنهها وتعبر عن حقائقها. قوله أو تعتدل على عقول أهل الدنيا هذا كلام لطيف فصيح غامض ومعناه [صفحہ ۱۶۸] أن غمرات الموت وأهواله عظيمه جدا لا تستقيم على العقول ولا تقبلها إذا شرحت لها ووصفت كما هي على الحقيقة بل تنبو عنها ولا تصدق بما يقال فيها فعبّر عن عدم استقامتها على العقول بقوله أو يعتدل كأنه جعلها كالشيء المعوج عند العقل فهو غير مصدق به

إيراد أشعار وحكايات في وصف الموت وأحوال الموتى

ومما يناسب ما ذكر من حال الإنسان قول الشاعر بينا الفتى مرح الخطا فرحا بما || يسعى له إذ قيل قدم مرض الفتى إذ قيل بات بلبلة مانامها || إذ قيل أصبح مثقلا ما يرتجى إذ قيل أمسى شاخصا وموجها || إذ قيل فارقهم وحل به الردى . وقال أبو النجم العجلي والمرء كالحالم في المنام || يقول إني مدرك أمامي في قابل ما فاتني في العام || والمرء يدينه إلى الحمام مر الليالي السود والأيام || إن الفتى يصبح للأسقام كالغرض المنصوب للسهام || أخطأ رام وأصاب رام . وقال عمران بن حطان أفي كل عام مرضه ثم نقهه || وينعى ولا ينعى متى ذا إلى متى [صفحہ ۱۶۹] ولا يبد من يوم يجيء وليله || يسوقان حتفا راح نحوك أو غدا جاء في الحديث أن رسول الله ص مر بمقبرة فنادى يا أهل القبور الموحشه والربوع المعطلة ألا أخبركم بما حدث بعدكم تزوج نساؤكم وتبوتت مساكنكم وقسمت أموالكم هل أنتم مخبرون بما عاينتم ثم قال ألا إنهم لو أذن لهم في الجواب لقالوا وجدنا خير الزاد التقوى -رواية ۱- ۲-رواية ۱۷- ۲۶۹ . ونظر الحسن إلى رجل يجود بنفسه فقال إن أمرا هذا آخره لجدير أن يزهد في أوله وإن أمرا هذا أوله لجدير أن يخاف آخره . وقال عبده بن الطيب ويعجبني قوله على الحال التي كان عليها فإنه كان أسود لصا من لصوص بنى سعد بن زيد مناه بن تميم . ولقد علمت بأن قصرى حفرة || غرباء يحملني إليها شرح فبكي بناتي شجوهن وزوجتي || والأقربون إلى ثم تصدعوا وتركت في غرباء يكره وردها || تسفى على الريح ثم أودع أن الحوادث يخترمن وإنما || عمر الفتى في أهله مستودع ونظير هذه الأبيات في رويها وعروضها قول متمم بن نويرة اليربوعي ولقد علمت ولا محالة أننى || للحادثات فهل ترينى أجزع أهلكن عادا ثم آل محرق || فتركهم بلدا وما قد جمعوا [صفحہ ۱۷۰] ولهن كان الحارثان كلاهما || ولهن كان أخو المصانع تبع فعددت آبائي إلى عرق الثرى || فدعوتهم فعلمت أن لم يسمعوا ذهبوا فلم أدر كههم ودعتهم || غول أتوها والطريق المهيع لا بد من تلف مصيب فانتظر || بأرض قومك أم بأخرى تصرع وليأتين عليك يوم مرة || يبكي عليك مقنعا لا تسمع . لمافتح خالد بن الوليد عين التمر سال عن الحرقه بنت النعمان بن المنذر فدل عليها فأتاها وكانت عمياء فسألها عن حالها فقالت لقد طلعت علينا الشمس ما شىء يدب تحت الخورنق إلا تحت أيدينا ثم غربت وقدرحنا كل من يدور به وما بيت دخلته حيرة إلا دخلته عبرة ثم قالت وبيننا نسوس الناس والأمر أمرنا || إذ نحن فيه سوقه نتنصف فأف لدنيا لا يدوم نعيمها || تقلب تارات بنا وتصرف فقال قائل ممن كان حول خالد قاتل الله عدى بن زيد لكأنه ينظر إليها حين يقول إن للدهر صرعه فأحذرنها || لا تبيتن قدأمنت الدهورا قديبيت الفتى معافى فيردى || ولقد كان آمنا مسرورا . دخل عبد الله بن العباس على عبد الملك بن مروان يوم قر و هو على فرش [صفحہ ۱۷۱] يكاد يغيب فيها فقال يا ابن عباس إني لأحسب اليوم باردا قال أجل وإن ابن هند عاش في مثل ماترى عشرين أميرا وعشرين خليفة ثم هوذاك على قبره ثمامة تهتر. فيقال إن عبد الملك أرسل إلى قبر معاوية فوجد عليه ثمامة نابتة. كان محمد بن عبد الله بن طاهر في قصره ببغداد

على دجلة فإذا بحشيش على وجه الماء في وسطه قصبه على رأسها رقعة فأمر بها فوجد هذا تاه الأعيرج واستولى به البطر || فقل له خير ما استعملته الحذر أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت || و لم تخف سوء ما أتى به القدر وسالمتك الليالي فاغتررت بها || وعند صفو الليالي يحدث الكدر فلم ينتفع بنفسه أياما. عدى بن زيد أيها الشامت المعير بالدهر || أنت المبرأ الموفور أم لديك العهد الوثيق من الأيام || بل أنت جاهل مغرور من رأيت المنون خلدن أم من || ذا عليه من أن يضام خفير أين كسرى كسرى الملوك أنو شروان || أم أين قبله سابور وبنو الأصفر الكرام ملوك الروم || و لم يبق منهم مذكور [صفحة ١٧٢] وأخو الحضرة إذ بناه و إذ دجلة || تجبى إليه والخابور لم يهبه ريب المنون فباد || الملك عنه فبابه مهجور شاده مرمرًا وجلله كلسا || فلطير في ذراه و كور وتبين رب الخورنق إذ أشرف || يوما وللهدى تفكير سره حاله وكثرة ما يملك || والبحر معرضا والسدير فارعوى قلبه و قال فما غبطة || حتى إلى الممات يصير ثم بعد الفلاح والملك والأمة || وارتهم هناك القبور ثم أضحوا كأنهم ورق جف || فألوت به الصبا والديبور قد اتفق الناس على أن هذه الآيات أحسن ما قيل من القريض في هذا المعنى و أن الشعراء كلهم أخذوا منها واحتذوا في هذا المعنى حذوها. و قال الرضى أبو الحسن رضى الله عنه انظر إلى هذا الأنام بعبرة || لا يعجنك خلقه ورواؤه فتراه كالورق النضير تقصفت || أغصانه وتسلبت شجراؤه أنى تحاماه المنون وإنما || خلقت مراعى للردى خضراؤه أم كيف تأمل فلتة أجساده || من ذا الزمان وحشوها أدواؤه [صفحة ١٧٣] لا تعجبين فما العجيب فناؤه || بيد المنون بل العجيب بقاؤه إنا لنعجب كيف حم حمامه || عن صحه ويغيب عنا داؤه من طاح في سبل الردى آباؤه || فليسلكن طريقهم أبناؤه ومؤمر نزلوا به في سوقه || لاشكله فيهم و لا ينظراؤه قد كان يفرق ظله أقرانه || ويغض دون جلاله أكفاؤه ومحجب ضربت عليه مهابة || يعيش العيون بهاؤه و ضياؤه نادته من خلف الحجاب منية || أمم فكان جوابها حوباؤه شقت إليه سيوفه ورماحه || وأميط عنه عبيده وإماؤه لم يغنه من كان ود لو أنه || قبل المنون من المنون فداؤه حرم عليه الذل إلا أنه || أبدا ليشهد بالجلال بناؤه متخشع بعد الأنيس جنابه || متضائل بعد القطين فناؤه عريان تطرد كل ريح تربه || ويطيع أول أمرها حصباؤه ولقد مررت ببرزخ فسألته || أين الألى ضمتم أرجاؤه مثل المطى بواركا أجدائه || تسفى على جنباتها بوغاؤه ناديته فخفى على جوابه || بالقول إلا- مازقت أصداؤه [صفحة ١٧٤] من ناظر مطروفه الحاظه || أو خاطر مظلولة سوداؤه أو واجد مكظومة زفراته || أو حاقد منسية شحناؤه ومسندين على الجنوب كأنهم || شرب تخاذل بالطلا أعضاءه تحت الصعيد لغير إشفاق إلى || يوم المعاد يضمهم أحشاؤه أكلتهم الأرض التى ولدتهم || أكل الضروس حلت له أكلاؤه و قال أيضا وتفرق البعداء بعد تجمع || صعب فكيف تفرق القرباء وخلائق الدنيا خلائق مومس || للمنع آونة وللإعطاء طورا تبادلك الصفاء وتارة || تلقاك تنكرها من البغضاء وتداول الأيام ييلينا كما || ييلى الرشاء تطاوح الأرجاء و كان طول العمر روحة راكب || قضى اللغوب وجد فى الإسراء لهفى على القوم الأولى غادرتهم || وعليهم طبق من البيداء [صفحة ١٧٥] متوسدين على الخدود كأنما || كرعوا على ظميا من الصهباء صور ضننت على العيون بلحظها || أمسيت أوقرها من البوغاء ونواظر كحل التراب جفونها || قد كنت أحرصها من الأقداء قربت ضرائحهم على زوارها || ونأوا عن الطلاب أى تناء ولبس ما يلقى بعقر ديارهم || أذن المصيخ بها وعين الرائي [صفحة ١٧٦]

٢١٧- و من كلام له ع قاله

يَسْبِيحُ لَهُ فِيهَا بِالْعُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ الذِّكْرَ جَلَاءً لِلْقُلُوبِ تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ وَتُبَصِّرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ وَتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمُعَانَدَةِ وَمَا بَرِحَ لِلَّهِ عَزَّتْ آلاؤُهُ فِي الْبُرْهِيَّةِ بَعْدَ الْبُرْهِيَّةِ وَفِي أَرْزَامِ الْفَتْرَاتِ عِبَادًا نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ وَكَلِمَتِهِمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ فَاسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَقْظَةٍ فِي الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ وَالْأَفْئِدَةِ يُذَكَّرُونَ بِأَيَّامِ اللَّهِ وَيُخَوِّفُونَ مَقَامَهُ بِمَنْزِلَةِ الْأَدْلَةِ فِي الْفَلَوَاتِ مَنْ أَخَذَ الْقَصْدَ حَمْدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ وَبَشَّرُوهُ بِالنَّجَاةِ وَمَنْ أَخَذَ يَمِينًا وَشَمَالًا ذَمُّوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ وَحَذَّرُوهُ مِنَ الْهَلَكَةِ وَكَانُوا كَذَلِكَ مَصَابِيحَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ وَأَدْلَةً تِلْكَ الشُّبُهَاتِ وَإِنَّ لِلذِّكْرِ لَأَهْلًا أَخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلًا فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تِجَارَتُهُ وَلَا بَيْعٌ عَنْهُ يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ وَيَهْتَفُونَ بِالزَّوْجِرِ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فِي أَسْمَاعِ الْغَافِلِينَ وَيَأْمُرُونَ بِالْقَسْطِ وَيَأْتِمُرُونَ بِهِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ فَكَأَنَّهُمْ قَطَعُوا الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ وَهُمْ فِيهَا فَشَاهِدُوا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ فَكَأَنَّمَا -قرآن- ٩٩-١ [صفحة ١٧٧] اطلَّعُوا غُيُوبَ أَهْلِ الْبَرْزَخِ فِي طُولِ الْإِقَامَةِ فِيهِ وَحَقَّقَتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذَلِكَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا حَتَّى كَانَتْهُمْ يَرُونَ مَا لَا يَرَى النَّاسُ وَيَسْمَعُونَ مَا لَا يَسْمَعُونَ فَلَوْ مَثَلْتَهُمْ لِعَقْلِكَ فِي مَقَاوِمِهِمُ الْمُحْمُودَةَ وَمَجَالِسِهِمُ الْمَشْهُودَةَ وَقَدْ نَشَرُوا دَوَائِبَ أَعْمَالِهِمْ وَفَرَعُوا لِمَحَاسِنِهِ أَنْفُسِهِمْ عَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ أَمَرُوا بِهَا فَفَضَّرُوا عَنْهَا أَوْ نَهَوْا عَنْهَا فَفَرَّطُوا فِيهَا وَحَمَلُوا ثِقَلَ أَوْزَارِهِمْ ظُهُورَهُمْ فَضَعُفُوا عَنِ الْإِسْتِقْلَالِ بِهَا فَنَشَجُوا نَشِيجًا وَتَجَاوَبُوا نَحِيبًا يَعْبُجُونَ إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ مَقَامِ نَدَمٍ وَاعْتِرَافٍ لَرَأَيْتَ أَعْلَامَ هُدًى وَمَصَابِيحَ دُجَى قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّيِّكِينَةُ وَفُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَأَعِدَّتْ لَهُمْ مَقَاعِدَ الْكَرَامِيَّاتِ فِي مَقْعِدِ اطَّلَعُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ فَرَضِي سَيِّعِيهِمْ وَحَمَدَ مَقَامَهُمْ يَتَسَنَّمُونَ بِإِدْعَائِهِ رُوحَ التَّجَاوُزِ رَهَائِنُ فَاقَهُ إِلَى فَضْلِهِ وَ أَسَارَى ذِلَّةٍ لِعَظَمَتِهِ جَرَّحَ طُولُ الْأَسَى قُلُوبَهُمْ وَطُولُ الْبُكَاءِ عَيُونَهُمْ لِكُلِّ بَابٍ رَغْبَةٌ إِلَى اللَّهِ مِنْهُمْ يَدُ قَارِعَةٍ يَسْأَلُونَ مَنْ لَا تَضَيِّقُ لَعْدِيهِ الْمَنَادِحُ وَلَمَّا يَخِيبُ عَلَيْهِ الرَّاغِبُونَ فَحِاسِبِ نَفْسِكَ لِنَفْسِكَ فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ الْأَنْفُسِ لَهَا حَسِيْبٌ غَيْرُكَ مَنْ قَرَأَ يَسْبِحُ لَهُ فِيهَا بَفَتْحِ الْبَاءِ ارْتَفَعَ رِجَالٌ عِنْدَهُ بُوْجِهِيْنَ [صفحة ١٧٨] أَحَدُهُمَا أَنْ يَضْمَرَ لَهُ فَعَلٌ يَكُونُ هُوَ فاعله تَقْدِيرُهُ يَسْبِحه رِجَالٌ وَدَلٌ عَلَى يَسْبِحه يَسْبِحُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ لِيَبْكُ يَزِيدُ ضَارِعٌ لَخُصُومَةٍ || وَمَخْتَبِطٌ مِمَّا تَطِيحُ الطَّوَائِحُ أَى يَبْكِيهِ ضَارِعٌ وَدَلٌ عَلَى يَبْكِيهِ لِيَبْكُ .

وَالثَّانِي أَنْ يَكُونَ خَبْرٌ مُبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ الْمَسْبُوحُونَ رِجَالٌ وَمِنْ قَرَأَيْتُ يَسْبِحُ لَهُ فِيهَا بِكُسْرِ الْبَاءِ فَرِجَالٌ فَاعِلٌ وَأَوْقَعُ لَفْظَ التَّجَارَةِ فِي مَقَابِلَةِ لَفْظِ الْبَيْعِ إِمَّا لِأَنَّهُ أَرَادَ بِالتَّجَارَةِ هَاهُنَا الشِّرَاءَ خَاصَّةً أَوْ لِأَنَّهُ عَمِمَ بِالتَّجَارَةِ الْمُشْتَمَلَةَ عَلَى الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ ثُمَّ خَصَّ الْبَيْعَ لِأَنَّهُ أَدْخَلَ فِي بَابِ الْإِلْهَاءِ لِأَنَّ الْبَيْعَ يَحْصُلُ رِبْحُهُ بَيِّقِينَ وَلَيْسَ كَذَلِكَ الشِّرَاءُ وَالذِّكْرُ يَكُونُ تَارَةً بِاللِّسَانِ وَتَارَةً بِالْقَلْبِ فَالذِّكْرُ بِاللِّسَانِ نَحْوُ التَّسْبِيحِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّحْمِيدِ وَالدُّعَاءِ وَالأَذَى بِالْقَلْبِ فَهُوَ التَّعْظِيمُ وَالتَّجْبِيلُ وَالاِعْتِرَافُ وَالتَّطَاعَةُ. وَجَلُوتُ السَّيْفِ وَالْقَلْبُ جَلَاءٌ بِالْكَسْرِ وَجَلُوتُ الْيَهُودِ عَنِ الْمَدِينَةِ جَلَاءٌ بِالْفَتْحِ . وَالْوَقْرَةُ الثَّقَلُ فِي الأُذُنِ وَالْعَشْوَةُ بِالْفَتْحِ فَعَلُهُ مِنَ الْعِشَا فِي الْعَيْنِ وَآلَاؤُهُ نِعْمَةٌ . فَإِنَّ قَلْتَ أَى مَعْنَى تَحْتَ قَوْلِهِ عَزَّتْ آلاؤُهُ وَعَزَّتْ بِمَعْنَى قَلْتَ وَهَلْ يَجُوزُ مِثْلُ ذَلِكَ فِي تَعْظِيمِ اللَّهِ . قَلْتَ عَزَّتْ هَاهُنَا لَيْسَ بِمَعْنَى قَلْتَ وَلَكِنْ بِمَعْنَى كَرَمَتْ وَعَظُمَتْ تَقُولُ مِنْهُ عَزَزْتُ عَلَى فُلَانٍ بِالْفَتْحِ أَى كَرَمْتُ عَلَيْهِ وَعَظُمْتُ عِنْدَهُ وَفُلَانٌ عَزِيزٌ عَلَيْنَا أَى كَرِيمٌ مَعْظَمٌ . -قرآن- ١٠٨-١٢٦ [صفحة ١٧٩] وَالْبُرْهَةُ مِنَ الدَّهْرِ الْمُدَّةُ الطَّوِيلَةُ وَيَجُوزُ فَتْحُ الْبَاءِ . وَأَرْزَامُ الْفَتْرَاتِ مَا يَكُونُ مِنْهَا بَيْنَ النَّوْبَتَيْنِ . وَنَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ أَلْهَمَهُمْ بِخِلَافِ مَنَاجَاةِ الرِّسْلِ بَيْعَتِ الْمَلَائِكَةِ إِلَيْهِمْ وَكَذَلِكَ وَكَلِمَتِهِمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ فَاسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَقْظَةٍ صَارَ ذَلِكَ النُّورُ مَصْبَاحًا لَهُمْ يَسْتَضِيئُونَ بِهِ . قَوْلُهُ مَنْ أَخَذَ الْقَصْدَ حَمْدُوا إِلَيْهِمْ طَرِيقَهُ إِلَى هَاهُنَا هِيَ الَّتِي فِي قَوْلِهِمْ أَحْمَدُ اللَّهُ إِلَيْكَ أَى مِنْهِيَ ذَلِكَ إِلَيْكَ أَوْ مُفْضِيًا بِهِ إِلَيْكَ وَنَحْوُ ذَلِكَ وَطَرِيقُهُ الْعَرَبُ فِي الْحَذْفِ فِي مِثْلِ هَذَا مَعْلُومَةٌ قَالَ سُبْحَانَهُ وَ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً أَى لَجَعَلْنَا بَدَلًا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً وَقَالَ الشَّاعِرُ -قرآن- ٤٤٢-٤٨٢ فَلَيْسَ لَنَا مِنْ مَاءِ زَمْزِمٍ شَرْبَةٌ || مَبْرَدَةٌ بَانَتْ عَلَى طَهْيَانِ أَى عَوْضًا مِنْ مَاءِ زَمْزِمٍ . قَوْلُهُ وَمَنْ أَخَذَ يَمِينًا وَشَمَالًا أَى ضَلَّ عَنِ الْجَادَةِ . وَإِلَى فِي قَوْلِهِ ذَمُّوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ مِثْلَ إِلَى الأَوَّلَى . وَيَهْتَفُونَ بِالزَّوْجِرِ يَصُوتُونَ بِهَا هَتَفَتْ الْحَمَامَةُ تَهْتَفُ هَتَفًا وَهَتَفَ زَيْدٌ بِالْغَنَمِ هَتَفًا بِالْكَسْرِ وَقَوْسٌ هَتَفَةٌ وَهَتَفَى أَى ذَاتُ صَوْتٍ . وَالْقَسْطُ الْعَدْلُ وَيَأْتِمُرُونَ بِهِ يَمْتَثِلُونَ الأَمْرَ . وَقَوْلُهُ فَكَأَنَّمَا قَطَعُوا الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ إِلَى قَوْلِهِ

ويسمعون ما لا يسمعون هو شرح قوله عن نفسه ع لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا -رواية- ١-٢-رواية- ٢١-٥١ . والأوزار الذنوب والنشيج صوت البكاء والمقعد موضع القعود. [صفحة ١٨٠] ويد قارعة تطرق باب الرحمة و هذا الكلام مجاز. والمناذح المواضع الواسعة. و على في قوله و لا يخيب عليه الراغبون متعلقه بمحذوف مثل إلى المتقدم ذكرها والتقدير نادمين عليه . والحسيب المحاسب . واعلم أن هذا الكلام في الظاهر صفة حال القصاص والمتصددين لإنكار المنكرات ألاتراه يقول يذكرون بأيام الله أى بالأيام التي كانت فيها النعمة بالعصاة ويخوفون مقامه من قوله تعالى وَ لِمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ثَمَّ قَالُ فَمَن سَلَكَ الْقَصْدَ حَمْدُوه وَ مَن عَدَلَ عَنِ الطَّرِيقِ ذَمُّوا طَرِيقَهُ وَخُوفُوه الْهَلَاكَ ثُمَّ قَالَ يَهْتَفُونَ بِالزَّوْجِرِ عَنِ الْمَحَارِمِ فِي أَسْمَاعِ الْغَافِلِينَ وَيَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ . وَ هَذَا كَلِمَةٌ إِضْحَاحٌ لِمَا قَلْنَا أَوْلَا إِن ظَاهِرَ الْكَلَامِ شَرَحَ حَالِ الْقَصَاصِ وَأَرْبَابِ الْمَوَاعِظِ فِي الْمَجَامِعِ وَالطَّرِيقَاتِ وَالْمُتَّصِدِينَ لِإِنْكَارِ الْقَبَائِحِ وَبَاطِنِ الْكَلَامِ شَرَحَ حَالِ الْعَارِفِينَ الَّذِينَ هُمْ صَفْوَةُ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ خَلْقِهِ وَهُوَ عَ دَائِمًا يَكْنَى عَنْهُمْ وَيُرْمِزُ إِلَيْهِمْ عَلَى أَنَّهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ قَدْ صَرَحَ بِهِمْ فِي قَوْلِهِ حَتَّى كَانَهُمْ يَرُونَ مَا لَا يَرَى النَّاسُ وَيَسْمَعُونَ مَا لَا يَسْمَعُونَ . وَ قَدْ ذَكَرَ مِنْ مَقَامَاتِ الْعَارِفِينَ فِي هَذَا الْفَصْلِ الذِّكْرَ وَمِحَاسِبَةَ النَّفْسِ وَالبَّكَاءَ وَالنَّحِيبَ وَالنَّدَمَ وَالتَّوْبَةَ وَالدَّعَاءَ وَالفَاقَةَ وَالدَّلَّةَ وَالحِزْنَ وَهُوَ الْأَسَى الَّذِي ذَكَرَ أَنَّهُ جَرَحَ قُلُوبَهُمْ بِطَوْلِهِ -قرآن- ٣٨٨-٤٢٣ [صفحة ١٨١]

بيان أحوال العارفين

وقد كنا وعدنا بذكر مقامات العارفين فيما تقدم و هذا موضعه فنقول إن أول مقام من مقامات العارفين وأول منزل من منازل السالكين التوبة قال الله تعالى وَ تَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَ -قرآن- ١٦٠-٢٣٣ قال النبي ص التائب من الذنب كمن لا ذنب له -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-٥٢ قال على ع ما من شيء أحب إلى الله من شاب تائب -رواية- ١-٢-رواية- ١٦-٥٧ . والتوبة في عرف أرباب هذه الطريقة الندم على ما عمل من المخالفة وترك الزلة في الحال والعزم على ألا يعود إلى ارتكاب معصية و ليس الندم وحده عند هؤلاء توبة و إن جاء في الخبر الندم توبة -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-٢٤ لأنه على وزان قوله ع الحج عرفه ليس على معنى أن غيرها ليس من الأركان بل المراد أنه أكبر الأركان وأهمها ومنهم من قال يكفي الندم وحده لأنه يستتبع الركنين الآخرين لاستحالة كونه نادما على ما هو مصر على مثله أو ما هو عازم على الإتيان بمثله . قالوا وللتوبة شروط وترتيبات فأول ذلك انتباه القلب من رقد الغفلة ورؤية العبد ما هو عليه من سوء الحالة وإنما يصل إلى هذه الجملة بالتوفيق للإصغاء إلى ما يخطر بباله من زواجر الحق سبحانه يسمع قلبه فإن في الخبر النبوي عنه ص واعظ كل حال الله في قلب كل امرئ مسلم -رواية- ١-٢-رواية- ٢٨-٧٠ في الخبر أن في بدن المرء لمضغة إذا صلحت صلح جميع البدن ألا وهي القلب و إذا فسدت فسدت جميع البدن ألا وهي القلب -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-١٢٤ . [صفحة ١٨٢] و إذا فكر العبد بقلبه في سوء صنيعه وأبصر ما هو عليه من ذميم الأفعال سحت في قلبه إرادة التوبة والإقلاع عن قبيح المعاملة فيمده الحق سبحانه بتصحيح العزيمة والأخذ في طرق الرجوع والتأهب لأسباب التوبة . وأول ذلك هجران إخوان السوء فإنهم الذين يحملونه على رد هذا القصد وعكس هذا العزم ويشوشون عليه صحة هذه الإرادة ولا يتم ذلك له إلا بالمواظبة على المشاهد والمجالس التي تزيد رغبة في التوبة وتوفر دواعيه إلى إتمام ما عزم عليه مما يقوى خوفه ورجاءه فعند ذلك تنحل عن قلبه عقدة الإصرار على ما هو عليه من قبيح الفعال فيقف عن تعاطي المحظورات ويكبح نفسه بلجام الخوف عن متابعة الشهوات فيفارق الزلة في الحال ويلزم العزيمة على ألا يعود إلى مثلها في الاستقبال فإن مضى على موجب قصده ونفذ على مقتضى عزمه فهو الموفق حقا و إن نقض التوبة مرة أو مرات ثم حملته إرادته على تجديدها فقد يكون مثل هذا كثيرا فلا ينبغي قطع الرجاء عن توبة أمثال هؤلاء فإن لكل

أجل كتابا و قدحكى عن أبي سليمان الداراني أنه قال اختلفت إلى مجلس قاص فأثر كلامه في قلبي فلما قمت لم يبق في قلبي شيء فعدت ثانيا فسمعت كلامه فبقي من كلامه في قلبي أثر في الطريق ثم زال ثم عدت ثالثا فوقر كلامه في قلبي وثبت حتى رجعت إلى منزلي وكسرت آلات المخالفة ولزمت الطريق . وحكى هذه الحكاية ليحيى بن معاذ فقال عصفور اصطاد كركيا يعنى بالعصفور القاص وبالكركى أباسليمان . ويحكى أن أباحفص الحداد ذكر بدايته فقال تركت ذلك العمل يعنى المعصية كذا وكذا مرة ثم عدت إليها ثم تركنى العمل فلم أعد إليه . [صفحہ ۱۸۳] وقيل إن بعض المريدين تاب ثم وقعت له فترة و كان يفكر ويقول أترى لو عدت إلى التوبة كيف كان يكون حكى فهتف به هاتف يافلان أتعنتا فشكرناك ثم تركتنا فأملناك و إن عدت إلينا قبلناك فعاد الفتى إلى الإرادة. و قال أبو على الدقاق التوبة على ثلاثة أقسام فأولها التوبة وأوسطها الإنابة و آخرها الأوبة فجعل التوبة بداية والأوبة نهاية والإنابة واسطة بينهما والمعنى أن من تاب خوفا من العقاب فهو صاحب التوبة و من تاب طمعا في الثواب فهو صاحب الإنابة و من تاب مراعاة للأمر فقط فهو صاحب الأوبة. و قال بو على أيضا التوبة صفة المؤمنين قال سبحانه وَ تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ وَالْإِنَابَةُ صِفَةُ الْأَوْلِيَاءِ قَالَ سُبْحَانَهُ وَ جَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ وَالْأُوبَةُ صِفَةُ الْأَنْبِيَاءِ قَالَ سُبْحَانَهُ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ. و قال الجنيد دخلت على السرى يوما فوجدته متغيرا فسألته فقال دخل على شاب فسألني عن التوبة فقلت ألا تنسى ذنبك فقال بل التوبة ألا تذكر ذنبك قال الجنيد فقلت له إن الأمر عندي ماقاله الشاب قال كيف قلت لأنى إذا كنت فى حال الجفاء فنقلنى إلى حال الصفاء فذكر الجفاء فى حال الصفاء جفاء فسكت السرى. و قال ذو النون المصرى الاستغفار من غير إقلاع توبة الكذابين . وسئل البوشنجى عن التوبة فقال إذا ذكرت الذنب ثم لا تجد حلاوته عند ذكره فذاك حقيقة التوبة. -قرآن- ۵۵۹-۶۱۱-قرآن- ۶۴۶-۶۶۸-قرآن- ۷۰۲-۷۲۹ [صفحہ ۱۸۴] و قال ذو النون حقيقة التوبة أن تضيق عليك الأرض بما رحبت حتى لا يكون لك قرار ثم تضيق عليك نفسك كما أخبر الله تعالى فى كتابه بقوله حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَ ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَ ظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ. وقيل لأبى حفص الحداد لم تبغض الدنيا فقال لأنى باشرت فيها الذنوب قيل فهلا أحببتها لأنك وفقت فيها للتوبة فقال أنا من الذنب على يقين و من هذه التوبة على ظن . و قال رجل لرابعة العدوية إنى قد أكثرت من الذنوب والمعاصى فهل يتوب على أن تبت قالت لا بل لوتاب عليك لتبت قالوا و لما كان الله تعالى يقول فى كتابه العزيز إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ دَلَّنَا ذَلِكَ عَلَى مَحَبَّتِهِ لَمَنْ صَحَّتْ لَهُ حَقِيقَةُ التَّوْبَةِ وَ لَا شَبْهَةَ أَنْ مِنْ قَارِفِ الزَّلَّةِ فَهُوَ مِنْ خَطْئِهِ عَلَى يَقِينٍ فَإِذَا تَابَ فَإِنَّهُ مِنَ الْقَبُولِ عَلَى شَكِّ لَاسِيَمَا إِذَا كَانَ مِنْ شَرَطِ الْقَبُولِ مَحَبَّةَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ لَهُ وَ إِلَى أَنْ يَبْلُغَ الْعَاصِيَ مَحَلًّا يَجِدُ فِي أَوْصَافِهِ أَمَارَةَ مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى إِيَّاهُ مَسَافَةً بَعِيدَةً فَالْوَاجِبُ إِذَا عَلَى الْعَبْدِ إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ ارْتَكَبَ مَا يَجِبُ عَنْهُ التَّوْبَةَ دَوَامَ الْانْكَسَارِ وَمَلَازِمَةَ التَّنْصِلِ وَالِاسْتِغْفَارِ كَمَا قِيلَ اسْتَشْعَارُ الْوَجْلِ إِلَى الْأَجْلِ . -قرآن- ۱۴۲-۲۸۷-قرآن- ۶۲۵-۶۵۵ و كان من سنته ع دوام الاستغفار و قال إنه ليغان على قلبي فاستغفر الله فى اليوم سبعين مرة -روایت- ۱-۹۹ . [صفحہ ۱۸۵] و قال يحيى بن معاذ زلة واحدة بعد التوبة أقبح من سبعين قبلها. ويحكى أن على بن عيسى الوزير ركب فى موكب عظيم فجعل الغرباء يقولون من هذا من هذا فقال امرأة قائمة على السطح إلى متى تقولون من هذا من هذا هذا عبد سقط من عين الله فابتلاه بما ترون فسمع على بن عيسى كلامها فرجع إلى منزله و لم يزل يتوصل فى الاستعفاء من الوزارة حتى أعفى وذهب إلى مكة فجاور بها. ومنها المجاهد و قد قلنا فيها ما يكفى فيما تقدم . ومنها العزلة والخلو و قد ذكرنا فى جزء قبل هذا الجزء مما جاء فى ذلك طرفا صالحا ومنها التقوى وهى الخوف من معصية الله و من مظالم العباد قال سبحانه إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ و -قرآن- ۵۷۸-۶۱۴ قيل إن رجلا جاء إلى رسول الله ص فقال يا رسول الله أوصنى فقال عليك بتقوى الله فإنه جماع كل خير و عليك بالجهد فإنه رهبانية المسلم و عليك بذكر الله فإنه نور لك -روایت- ۱-۲-روایت- ۷-۱۷۷ . وقيل فى تفسير قوله تعالى اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ أَنْ يَطَاعَ فَلَا يَعْصَى وَيَذْكَرُ فَلَا يَنْسَى وَيُشْكِرُ فَلَا يَكْفُرُ. -قرآن- ۳۰-۵۷ [صفحہ ۱۸۶] و قال

هو زهد الخواص وترك كل ما يشغلك عن الله و هو زهد العارفين . و قال يحيى بن معاذ الدنيا كالعروس فطالبها كماشطتها تحسن وجهها وتعطر ثوبها والزاهد فيها كضرتها تسخم وجهها وتنتف شعرها وتحرق ثوبها والعارف مشتغل بالله لا يلتفت إليها ولا يشعر بها. و كان النصر آبادى يقول فى مناجاته يا من حقن دماء الزاهدين وسفك دماء العارفين . و كان يقال إن الله تعالى جعل الخير كله فى بيت وجعل مفتاحه الزهد وجعل الشر كله فى بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا. ومنها الصمت وقدمنا فيما سبق من الأجزاء نكتا نافعاً فى هذا المعنى ونذكر الآن شيئاً آخر قال رسول الله ص من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِن جاره و من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه و من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو يلقى صمت -رواية 1-2-رواية 23-185. [صفحہ 190] و قال أصحاب هذا العلم الصمت من آداب الحضرة قال الله تعالى وَ إِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَ أَنْصِتُوا. و قال مخبراً عن الجن فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا. و قال الله تعالى مخبراً عن يوم القيامة وَ خَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا. وقالوا كم بين عبدسكت تصونا عن الكذب والغيبه و عبدسكت لاستيلاء سلطان الهيئه. وأنشدوا -قرآن- 65-119-قرآن-142-175-قرآن-218-274 أرتب ما أقول إذا فرقتنا || وأحكم دائماً حجج المقال فأنساها إذ نحن التقينا || وأنطق حين أنطق بالمحال . وأنشدوا فيما ليل كم من حاجه لى مهمه || إذا جئتكم لم أدر بالليل ما هيا . قالوا وربما كان سبب الصمت والسكوت حيره البديهيه فإنه إذا ورد كشف بغته خرس العبارات عند ذلك فلا يبان و لانطق وطمست الشواهد فلا علم و لاحس قال الله تعالى يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ فَمَا إِثَارَ أَرْبابِ الْمَجَاهِدَةِ الصَّمْتِ فلما علموا فى الكلام من الآفات ثم ما فيه من حط النفس وإظهار صفات المدح والميل إلى أن يتميز من بين أشكاله بحسن النطق وغير ذلك من ضروب آفات الكلام و هذانت أرباب -قرآن- 166-271 [صفحہ 191] الرياضه و هو أحد أركانهم فى حكم مجاهده النفس ومنازلتها وتهذيب الأخلاق . ويقال إن داود الطائي لما أراد أن يقعد فى بيته اعتقد أن يحضر مجلس أبى حنيفه لأنه كان تلميذا له ويقعد بين أضرابه من العلماء ولا يتكلم فى مسأله على سبيل رياضته نفسه فلما قويت نفسه على ممارسه هذه الخصله سنه كامله قعد فى بيته عند ذلك وآثر العزله. ويقال إن عمر بن عبدالعزيز كان إذا كتب كتابا فاستحسن لفظه مزق الكتاب وغيره . و قال بشر بن الحارث إذا أعجبك الكلام فاصمت فإذا أعجبك الصمت فتكلم و قال سهل بن عبد الله لا يصح لأحد الصمت حتى يلزم نفسه الخلوه و لا يصح لأحد التوبه حتى يلزم نفسه الصمت . ومنها الخوف قال الله تعالى يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَ طَمَعًا. و قال تعالى وَ إِيَّايَ فَارْهَبُونِ. و قال يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ. أبو على الدقاق الخوف على مراتب خوف وخشيه وهيبه. فالخوف من شروط الإيمان وقضاياه قال الله تعالى فَلَا تَخَافُوهُمْ وَ خَافُونَ إِيَّانَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. والخشيه من شروط العلم قال الله تعالى إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ. -قرآن- 629-662-قرآن-678-700-قرآن-709-738-قرآن-843-890-قرآن-933-976 [صفحہ 192] والهيئه من شروط المعرفه قال سبحانه وَ يُحَدِّثُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ. و قال أبو عمر الدمشقى الخائف من يخاف من نفسه أكثر مما يخاف من الشيطان . و قال بعضهم من خاف من شىء هرب منه و من خاف الله هرب إليه . و قال أبو سليمان الدارانى ما فارق الخوف قلبا إلا خرب ومنها الرجاء و قد قدمنا فيما قبل من ذكر الخوف والرجاء طرفا صالحا قال سبحانه مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ. والفرق بين الرجاء والتمنى وكون أحدهما محمودا والآخر مذموما أن التمنى ألا يسلك طريق الاجتهاد والجد والرجاء بخلاف ذلك فلهذا كان التمنى يورث صاحبه الكسل . و قال أبو على الروذبارى الرجاء والخوف كجناحى الطائر إذا استويا استوى الطائر وتم طيرانه و إذا نقص أحدهما وقع فيه النقص و إذا ذهب صار الطائر فى حد الموت . و قال أبو عثمان المغربى من حمل نفسه على الرجاء تعطل و من حمل نفسه على الخوف قنط ولكن من هذامره و من هذامره. و -قرآن- 37-66-قرآن-344-400 من كلام يحيى بن معاذ ويروى عن على بن الحسين ع يكاد رجائى لك مع الذنوب يغلب رجائى لك مع الأعمال لأنى أجدنى أعتمد فى الأعمال على -رواية 1-2-رواية 57-ادامه دارد [صفحہ 193] الإخلاص

وكيف أحرزها و أنابالآفة معروف وأجدني في الذنوب أعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها و أنت بالوجود موصوف -روایت-از قبل-۱۱۳. ومنها الحزن و هو من أوصاف أهل السلوك . و قال أبو على الدقاق صاحب الحزن يقطع من طريق الله في شهر ما لا يقطعه من فقد الحزن في سنتين . في الخبر النبوی ص إن الله يحب كل قلب حزين -روایت-۱-۲-روایت-۲۳-۵۲. و في بعض كتب النبوات القديمة إذا أحب الله عبدا نصب في قلبه نائحه و إذا أبغض عبدا جعل في قلبه زممارا. و روى أن رسول الله ص كان متواصل الأ-حزان دائم الفكر. و قيل إن القلب إذا لم يكن فيه حزن خرب كما أن الدار إذا لم يكن فيها ساكن خربت . و سمعت رابعة رجلا- يقول وا حزناه فقالت قل و اقله حزناه لو كنت محزوناً ماتها لك أن تتنفس . و قال سفيان بن عيينة لو أن محزوناً بكى في أمة لرحم الله تلك الأمة ببيكائه . و كان بعض هؤلاء القوم إذا سافر واحد من أصحابه يقول إذا رأيت محزوناً فأقرئه عنى السلام . و كان الحسن البصرى لا يراه أحد إلا ظن أنه حديث عهد بمصيبة. و قال وكيع يوم مات الفضيل ذهب الحزن اليوم من الأرض . و قال بعض السلف أكثر ما يجده المؤمن في صحيفته من الحسنات الحزن والهم . [صفحہ ۱۹۴] و قال الفضيل أدركت السلف يقولون إن لله في كل شىء زكاه و زكاه العقل طول الحزن . ومنها الجوع و ترك الشهوات و قد تقدم ذكر ذلك . ومنها الخشوع و التواضع قال سبحانه الَّذِينَ هُمْ فِي صِيْلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ و قرآن-۱۷۱-۲۰۶ في الخبر النبوی عنه ص لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر و لا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان فقال رجل يا رسول الله إن المرء ليحب أن يكون ثوبه حسنا فقال إن الله جميل يحب الجمال إنما المتكبر من بطر الحق و غمص الناس -روایت-۱-۲-روایت-۲۸-۲۵۸ روى أنس بن مالك أن رسول الله ص كان يعود المريض و يشيع الجنائز و يركب الحمار و يجيب دعوة العبد -روایت-۱-۲-روایت-۲۱-۱۰۵ . و كان يوم قريظة و النضير على حمار مخطوم بجبل من ليف عليه إكاف من ليف . و دخل مكة يوم فتحها راكب بعير برحل خلق و إن ذقنه لتمس وسط الرحل خضوعا لله تعالى و خشوعا و جيشه يومئذ عشرة آلاف . قالوا في حد الخشوع هو الانقياد للحق و في التواضع هو الاستسلام و ترك الاعتراض على الحكم . و قال بعضهم الخشوع قيام القلب بين يدي الحق بهم مجموع . و قال حذيفة بن اليمان أول ما تفقدون من دينكم الخشوع . [صفحہ ۱۹۵] و كان يقال من علامات الخشوع أن العبد إذا غضب أو خولف أو رد عليه استقبل ذلك بالقبول . و قال محمد بن على الترمذى الخاشع من خمدت نيران شهوته و سكن دخان صدره و أشرق نور التعظيم في قلبه فماتت حواسه و حياى قلبه و نظامت جوارحه . و قال الحسن الخشوع هو الخوف الدائم اللازم للقلب . و قال الجنيد الخشوع تذلل القلوب لعلام الغيوب قال الله تعالى وَ عِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا أَى خاشعون متواضعون . و رأى بعضهم رجلا- منقبض الظاهر منكسر الشاهد قد زوى منكبيه فقال يافلان الخشوع هاهنا وأشار إلى صدره لا هاهنا وأشار إلى منكبيه . و قرآن-۳۶۳-۴۱۹ روى أن رسول الله ص رأى رجلا- يعبث بلحيته في صلاته فقال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه -روایت-۱-۲-روایت-۷-۹۶ . و قيل شرط الخشوع في الصلاة ألا يعرف من على يمينه و لا من على شماله . و قال بعض الصوفية الخشوع قشعريرة ترد على القلب بغته عند مفاجأة كشف الحقيقة. و كان يقال من لم يتضع عند نفسه لم يرتفع عند غيره . و قيل إن عمر بن عبد العزيز لم يكن يسجد إلا على التراب . و كان عمر بن الخطاب يسرع في المشى و يقول هو أنجح للحاجة و أبعد من الزهو. كان رجاء بن حيوة ليلة عند عمر بن عبد العزيز و هو خليفه فصعب المصباح فقام رجل ليصلحه فقال اجلس فليس من الكرم أن يستخدم المرء ضيفه فقال [صفحہ ۱۹۶] أنه الغلام قال إنها أول نومه نامها ثم قام بنفسه فأصلح السراج فقال رجاء أتقوم إلى السراج و أنت أمير المؤمنين قال قمت و أنا عمر بن عبد العزيز و رجعت و أنا عمر بن عبد العزيز . و فى حديث أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ص كان يعلف البعير و يقيم البيت و يخصف النعل و يرقع الثوب و يحلب الشاة و يأكل مع الخادم و يطحن معها إذا أعيت و كان لا يمينه الحياء أن يحمل بضاعته من السوق إلى منزل أهله و كان يصافح الغنى و الفقير و يسلم مبتدئا و لا يحقر مادعى إليه و لو إلى حشف التمر و كان هين المثنوة لين الخلق كريم السجية جميل المعاشرة طلق الوجه

بساما من غير ضحك محزوننا من غير عبوس متواضعا من غير ذلة جوادا من غير سرف رقيق القلب رحيمًا لكل مسلم ماتجشأ قط من شع ولامد يده إلى طبع -رواية- ١-٢-رواية- ٢٩-٥٢٤. وقال الفضيل أوحى الله إلى الجبال أنى مكلم على واحد منكم نيبا فتناولت الجبال وتواضع طور سيناء فكلم الله عليه موسى لتواضعه. سئل الجنيد عن التواضع فقال خفض الجناح ولين الجانب. ابن المبارك التكبر على الأغنياء والتواضع للفقراء من التواضع. وقيل لأبي يزيد متى يكون الرجل متواضعا قال إذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا ولا يرى أن في الخلق من هو شر منه. و كان يقال التواضع نعمه لا يحسد عليها والتكبر محنة لا يرحم منها والعز في التواضع فمن طلبه في الكبر لم يجده. و كان يقال الشرف في التواضع والعز في التقوى والحريه في القناعه. يحيى بن معاذ التواضع حسن في كل أحد لكنه في الأغنياء أحسن والتكبر سمج في كل أحد ولكنه في الفقراء أسمح. [صفحة ١٩٧] وركب زيد بن ثابت فدنا ابن عباس ليأخذ بركابه فقال مه يا ابن عم رسول الله فقال إنا كذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا فقال زيد أرني يدك فأخرجها فقبلها فقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا. وقال عروه بن الزبير رأيت عمر بن الخطاب عليه رضوان الله تعالى و على عاتقه قربه ماء فقلت يا أمير المؤمنين إنه لا ينبغي لمثلك هذا فقال إنه لما أتتني الوفود سامعه مهادهة دخلت نفسى نخوة فأحببت أن أكسرها ومضى بالقربه إلى حجرة امرأة من الأنصار فأفرغها فى إنائها. أبو سليمان الداراني من رأى لنفسه قيمة لم يذق حلاوة الخدمة. يحيى بن معاذ التكبر على من تكبر عليك تواضع. بشر الحافي سلموا على أبناء الدنيا بترك السلام عليهم بلغ عمر بن عبدالعزيز أن ابنا له اشترى خاتما بألف درهم فكتب إليه بلغنى أنك اشتريت خاتما وفصه بألف درهم فإذا أتاك كتابى فبع الخاتم وأشبع به ألف بطن واتخذ خاتما من درهمين واجعل فصه حديدا صينيا واكتب عليه رحم الله امرأ عرف قدره. قومت ثياب عمر بن عبدالعزيز و هو يخطب أيام خلافته باثنى عشر درهما وهى قباء وعمامة وقميص وسراويل ورداء وخفان وقلنسوة. و قال ابراهيم بن أدهم ماسررت قط سرورى فى أيام ثلاثة كنت فى سفينة و فيها رجل مضحك كان يلعب لأهل السفينة فيقول كنا نأخذ العليج من بلاد الترك هكذا يأخذ بشعر رأسى فيهنى فسرني ذلك لأنه لم يكن فى تلك السفينة أحقر منى فى عينه وكنت عليلا فى مسجد فدخل المؤذن و قال اخرج فلم أطق فأخذ [صفحة ١٩٨] برجلى وجرنى إلى خارج المسجد وكنت بالشام و على فرو فنظرت إليه فلم أميز بين الشعر و بين القمل لكثرت. عرض على بعض الأمراء مملوك بألوف من الدراهم فاستكثر الثمن فقال العبد اشترنى يا مولاي ففى خصلة تساوى أكثر من هذا الثمن قال ماهى قال لو قدمتنى على جميع مماليك وخولتنى بكل مالك لم أغلظ فى نفسى بل أعلم أنى عبدك فاشتره. تشاجر أبوذر وبلال فغير أبوذر بلالا بالسواد فشكاه إلى رسول الله ص فقال يا أباذر ما علمت أنه قد بقى فى قلبك شىء من كبر الجاهلية فألقى أبوذر نفسه وحلف ألا يحمل رأسه حتى يطأ بلال خده بقدمه فما رفع رأسه حتى فعل بلال ذلك -رواية- ١-٢٣٨ مر الحسن بن على ع بصبيان يلعبون و بين أيديهم كسر خبز يأكلونها فدعوه فنزل وأكل معهم ثم حملهم إلى منزله فأطعمهم وكساهم و قال الفضل لهم لأنهم لم يجدوا غير ما أطعمونى ونحن نجد أكثر مما أطعمناهم -رواية- ١-٢١٠. ومنها مخالفة النفس وذكر عيوبها و قد تقدم ذكر ذلك. ومنها القناعه قال الله تعالى مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً قَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَفْسِرِينَ هِى الْقِنَاعَةُ. و - قرآن- ٨٦-١٧٢ فى الحديث النبوى ويقال إنه من كلام أمير المؤمنين ع القناعه كنز لا ينفد -رواية- ١-٢-رواية- ٦١-٨٠ [صفحة ١٩٩] فى الحديث النبوى أيضا كن ورعا تكن أعبد الناس وكن قنوعا تكن أشكر الناس وأحب للناس ماتحب لنفسك تكن مؤمنا وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وأقل الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب -رواية- ١-٢-رواية- ٢٧-١٩٦. و كان يقال الفقراء أموات إلا من أحياه الله تعالى بعز القناعه. و قال أبو سليمان الداراني القناعه من الرضا بمنزلة الورع من الزهد هذا أول الرضا وهذا أول الزهد. وقيل القناعه سكون النفس وعدم انزعاجها عند عدم المألوفات. وقيل فى تفسير قوله تعالى لَيَرُزُقْنَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا أَنَّهُ الْقِنَاعَةُ. و قال أبو بكر المراعى العاقل من دبر أمر الدنيا بالقناعه والتسويق وأنكر أبو عبد الله بن

خفيف فقال القناعة ترك التسوييف بالمفقود والاستغناء بالموجود. و كان يقال خرج العز والغنى يجولان فلقيا القناعة فاستقرا. و كان يقال من كانت قناعته سمينه طابت له كل مرقة. مر أبو حازم الأعرج بقصاب فقال له خذ يا أباحازم فقال ليس معي درهم قال أنا أنظرك قال نفسى أحسن نظره لى منك . وقيل وضع الله تعالى خمسة أشياء فى خمسة مواضع العز فى الطاعة والذل فى المعصية والهيبة فى قيام الليل والحكمة فى البطن الخالى والغنى فى القناعة. و كان يقال انتقم من فلان بالقناعة كما تنتقم من قاتلك بالقصاص. ذو النون المصرى من قنع استراح من أهل زمانه واستطال على أقرانه . وأنشدوا -قرآن- ٢٥٧-٢٩٣ وأحسن بالفتى من يوم عار || ينال به الغنى كرم وجوع [صفحہ ٢٠٠] ورأى رجل حكيما يأكل ماتساقط من البقل على رأس الماء فقال له لو خدمت السلطان لم تحتج إلى أكل هذا فقال و أنت لو قنعت بهذا لم تحتج إلى خدمة السلطان . وقيل العقاب عزيز فى مطاره لاتسمو إليه مطاعم الصيادين فإذا طمع فى جيفة علق على حباله نزل من مطاره فنشب فى الأجبولة. وقيل لمانطق موسى بذكر الطمع فقال لَوْ شِئْتَ لَأَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا قَالَ لَهُ الْخَضْرَاءُ فِرَاقُ بَيْنِي وَ بَيْنِكَ وَ فسر بعضهم قوله هَب لى مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي فقال مقاما فى القناعة لا يبلغه أحد. ومنها التوكل قال الله تعالى وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ وَ قال سهل بن عبد الله أول مقام فى التوكل أن يكون العبد بين يدى الله تعالى كالميت بين يدى الغاسل يقبله كيف يشاء لا يكون له حركة ولا تدبير. و قال رجل لحاتم الأصم من أين تأكل فقال وَ لِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ. و قال أصحاب هذا الشأن التوكل بالقلب و ليس ينافيه الحركة بالجسد بعد أن يتحقق العبد أن التقدير من الله فإن تعسر شىء فبتقديره و أن تسهل فتيسيره . -قرآن- ٣٢٢-٣٥٦ -قرآن- ٣٧١-٣٩٩ -قرآن- ٤١٨-٤٦٥ -قرآن- ٥٣٤-٥٧٧ -قرآن- ٧٧٥-٨٥١ [صفحہ ٢٠١] و فى الخبر النبوى أنه ع قال للأعرابى الذى ترك ناقته مهملة فندت فلما قيل له قال توكلت فتركتها فقال ع اعقل و توكل -روایت- ١-٢-روایت- ٢٠-١٢٦ . و قال ذو النون التوكل الانخلاع من الحول والقوة وترك تدبير الأسباب و قال بعضهم التوكل رد العيش إلى يوم واحد بإسقاط هم غد. و قال أبو على الدقاق التوكل ثلاث درجات التوكل و هو أدناها ثم التسليم ثم التفويض فالأولى للعوام والثانية للخواص والثالثة لخواص الخواص . جاء رجل إلى الشبلى يشكو إليه كثرة العيال فقال ارجع إلى بيتك فمن وجدت منهم ليس رزقه على الله فأخرجه من البيت . و قال سهل بن عبد الله من طعن فى التوكل فقط طعن فى الإيمان و من طعن فى الحركة فقد طعن فى السنة. و كان يقال المتوكل كالطفل لا يعرف شيئا يأوى إليه إلا ثدى أمه كذلك المتوكل لا يهتدى إلا إلى ربه . ورأى أبو سليمان الداراني رجلا بمكة لا يتناول شيئا إلا شربة من ماء زمزم فمضت عليه أيام فقال له يوما أرأيت لو غارت أى زمزم أى شىء كنت تشرب فقام وقبل رأسه و قال جزاك الله خيرا حيث أرشدتني فإني كنت أعبد زمزم منذ أيام ثم تركه ومضى . وقيل التوكل نفى الشكوك والتفويض إلى مالك الملوك . ودخل جماعة على الجنيد فقالوا نطلب الرزق قال إن علمتم فى أى موضع هو فاطلبوه قالوا فسنأل الله ذلك قال إن علمتم أنه ينساكم فذكروه قالوا لندخل البيت فنتوكل قال التجربة شك قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة. [صفحہ ٢٠٢] وقيل التوكل الثقة بالله واليأس عما فى أيدي الناس . ومنها الشكر و قد تقدم منا ذكر كثير مما قيل فيه . ومنها اليقين و هو مقام جليل قال الله تعالى وَ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ وَ -قرآن- ١٥٥-١٨٣ قال على بن أبى طالب ع لو كشف الغطاء ما زددت يقينا -روایت- ١-٢-روایت- ٣٠-٦٠ . و قال سهل بن عبد الله حرام على قلب أن يشم رائحة اليقين و فيه شكوى إلى غير الله . و ذكر للنبي ص ما يقال عن عيسى ابن مريم ع أنه مشى على الماء فقال لو ازداد يقينا لمشى على الهواء -روایت- ١-١٠١ فى الخبر المرفوع عنه ص أنه قال لعبد الله بن مسعود لا ترضين أحدا بسخط الله و لا تحمدن أحدا على فضل الله و لا تدمن أحدا على ما لم يؤتك الله واعلم أن الرزق لا يسوقه حرص حريص و لا يرده كراهة كاره و أن الله جعل الروح والفرج فى الرضا واليقين وجعل الهم والحزن فى الشك والسخط -روایت- ١-٢-روایت- ٢٩-٢٩٧ . ومنها الصبر قال الله تعالى وَ اصْبِرْ وَ مَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَ -قرآن- ٣٢-٦٨ قال على ع الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد -روایت- ١-٢-روایت- ١٦-٥٧ . وسئل

الفضيل عن الصبر قال تجرع المرارة من غير تعيس . و قال رويم الصبر ترك الشكوى . [صفحه ٢٠٣] و قال على ع الصبر مطية لا تكبو -روايت- ١-٢-روايت- ١٦-٣٤ . وقف رجل على الشبلى فقال أى صبر أشد على الصابرين قال الشبلى الصبر فى الله تعالى فقال لا قال فالصبر لله فقال لا قال فالصبر مع الله تعالى فقال لا قال فأى شىء قال الصبر عن الله فصرخ الشبلى صرخة عظيمة ووقع . ويقال إن الشبلى حبس فى المارستان فدخل عليه قوم فقال من أنتم قالوا محبوبك جئناك زائرين فرماهم بالحجارة فهربوا فقال لو كنتم أحبائى لصبرتم على بلائى و جاء فى بعض الأخبار عن الله تعالى بعينى مايتحمل المتحملون من أجلى -روايت- ١-٢-روايت- ٣٩-٧٥ قال عمر بن الخطاب لو كان الصبر والشكر بعيرين لم أبال أيهما ركبت -روايت- ١-٢-روايت- ٢٢-٧٢ فى الحديث المرفوع الإيمان الصبر والسخاء -روايت- ١-٢-روايت- ٢٣-٤٦ فى الخبر العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قائده والرفق والده والبر أخوه والصبر أمير جنوده قالوا فناهيكك بشرف خصلة تتأمر على هذه الخصال والمعنى أن الثبات على هذه الخصال واستدامة التخلق بها إنما يكون بالصبر فلذلك كان أمير الجنود -روايت- ١-٢-روايت- ١٢-٢٦٨ جاء فى الخبر عن النبى ص أن سائلا سألته عن الإحسان فقال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك -روايت- ١-٢-روايت- ٢٩-١١٩ . وهذه إشارة إلى حال المراقبة لأن المراقبة علم العبد باطلاع الرب عليه فاستدامة العبد لهذا العلم مراقبة للحق و هو أصل كل خير ولا يكاد يصل إلى هذه الرتبة إلا بعد فراغه عن المحاسبة فإذا حاسب نفسه على ماسلف وأصلح حاله فى الوقت [صفحه ٢٠٤] ولازم طريق الحق وأحسن بينه وبين الله تعالى بمراعاة القلب وحفظ مع الله سبحانه الأنفاس راقبه تعالى فى عموم أحواله فيعلم أنه تعالى رقيب عليه يعلم أحواله ويرى أفعاله ويسمع أقواله و من تغافل عن هذه الجملة فهو بمعزل عن بداية الوصلة فكيف عن حقائق القربة . ويحكى أن ملكا كان يتحظى جارية له و كان لوزيره ميل باطن إليها فكان يسعى فى مصالحتها ويرجع جانبها على جانب غيرها من حظايا الملك ونسائه فاتفق أن عرض عليها الملك حجرين من الياقوت الأحمر أحدهما أنفوس من الآخر بمحضر من وزيره فتحيرت أيهما تأخذ فأوما الوزير بعينه إلى الحجر الأنفوس وحانت من الملك التفاته فشاهد عين الوزير وهى مائلة إلى ذلك الجانب فبقى الوزير بعدها أربعين سنة لا يراه الملك قط إلا كاسرا عينه نحو الجانب الذى كان طرفه مائلا إليه ذلك اليوم أى كأن ذلك خلقة و هذا عزم قوى فى المراقبة ومثله فليكن حال من يريد الوصول . ويحكى أيضا أن أميرا كان له غلام يقبل عليه أكثر من إقباله على غيره من مماليكه و لم يكن أكثرهم قيمة و لا أحسنهم صورة فقبل له فى ذلك فأحب أن يبين لهم فضل الغلام فى الخدمة على غيره فكان يوما راكبا ومعه حشمة وبالبعد منهم جبل عليه ثلج فنظر الأمير إلى الثلج وأطرق فركض الغلام فرسه و لم يعلم الغلمان لماذا ركض فلم يلبث إلا قليلا حتى جاء ومعه شىء من الثلج فقال الأمير ما أدراك أنى أردت الثلج فقال إنك نظرت إليه ونظر السلطان إلى شىء لا يكون إلا عن قصد فقال الأمير لغلمانة إنما أختصه بإكرامى وإقبالى لأن لكل واحد منكم شغلا وشغله مراعاة لحظاتي ومراقبة أحوالى . [صفحه ٢٠٥] و قال بعضهم من راقب الله فى خواتمه عصمه الله فى جوارحه . ومنها الرضا و هو أن يرضى العبد بالشدائد والمصائب التى يقضىها الله تعالى عليه و ليس المراد بالرضا رضا العبد بالمعاصى والفواحش أو نسبتها إلى الرب تعالى عنها فإنه سبحانه لا يرضها كما قال جل جلاله وَ لا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ . و قال كُلِّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا . قال رويم الرضا أن لو أدخلك جهنم لماسخطت عليه . وقيل لبعضهم متى يكون العبد راضيا قال إذا سرتة المصيبة كما سرتة النعمة . قال الشبلى مرة والجنيد حاضر لاحول و لا قوة إلا بالله فقال الجنيد أرى أن قولك هذا ضيق صدر وضيق الصدر يجىء من ترك الرضا بالقضاء . و قال أبو سليمان الدارنى الرضا ألا تسأل الله الجنة و لا تستعيد به من النار . و قال تعالى فيمن سخط قسمته و منهم من يلمزك فى الصدقات فإن أعطوا منها رضوا و إن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون . ثم نبه على ما حرموه من فضيلة الرضا فقال وَ لَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ قَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ رَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ و جواب لوها هنا محذوف لفهم المخاطب وعلمه به . -قرآن- ٢٦٩-٢٩٨-قرآن- ٣٠٧-

٣٥٣-قرآن-٧٢٣-٨٣٢-قرآن-٨٧٧-١٠٢٧ [صفحة ٢٠٦] و في حذفه فائده لطيفة و هو أن تقديره لرضى الله عنهم و لما كان رضاه عن عباده مقاما جليلا جدا حذف ذكره لان الذكر له لا ينبى عن كنهه و حقيقته فضله فكان الإضراب عن ذكره أبلغ في تعظيم مقامه . و من الأخبار المرفوعة أنه ص قال اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء -روايت-١-٢-روايت-٣٦-٧١ قالوا إنما قال بعد القضاء لأن الرضا قبل القضاء لا يتصور وإنما يتصور توطين النفس عليه وإنما يتحقق الرضا بالشيء بعد وقوع ذلك الشيء . و في الحديث أنه قال لابن عباس يوصيه اعمل لله باليقين والرضا فإن لم يكن فاصبر فإن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا -روايت-١-٢-روايت-٤٢-١٢٦ في الحديث أنه ص رأى رجلا من أصحابه و قد أجهده المرض والحاجة فقال ما الذى بلغ بك ما أرى قال المرض والحاجة قال أ و لا أعلمك كلاما إن أنت قلت أذهب الله عنك ما بك قال و الذى نفسى بيده ما يسرنى بحظى منهما أن شهدت معك بدرا والحديبية فقال ص وهل لأهل بدر والحديبية مالم للراضى والقانع -روايت-١-٢-روايت-١٤-٣٠٥ . و قال أبو الدرداء ذروة الإيمان الصبر والرضا. قدم سعد بن أبى وقاص مكة بعد ما كف بصره فانثال الناس عليه يسألونه الدعاء لهم فقال له عبد الله بن السائب ياعم إنك تدعو للناس فيستجاب لك هلا دعوت أن يرد عليك بصرك فقال يا ابن أخى قضاء الله تعالى أحب إلى من بصرى. عمر بن عبدالعزيز أصبحت و ما لى سرور إلا فى مواقع القدر. و كان يقال الرضا إطراح الاقتراح على العالم بالصلاح و كان يقال إذا كان القدر حقا كان سخطه حقا. [صفحة ٢٠٧] و كان يقال من رضى حظى و من اطرح الاقتراح أفلح واستراح . و كان يقال كن بالرضا عاملا قبل أن تكون له معمولا و سر إليه عادلا و إلسرت نحوه معدولا. و قيل للحسن من أين أتى الخلق قال من قلته الرضا عن الله فقيل و من أين دخلت عليهم قلته الرضا عن الله قال من قلته المعرفة بالله . و قال صاحب سلوان المطاع فى الرضا يامفرعى فيما يجىء || وراحمى فيما مضى عندى لمتفضيه ما || يرضيك من حسن الرضا و من القطيعة أستعيد مصرحا ومعرضا و قال أيضا كن من مدبرك الحكيم || علا و جل على و جل وارض القضاء فإنه || حتم أجل و له أجل و قال أيضا يا من يرى حالى و أن ليس لى || فى غير قبرى منه أوطار و ليس لى ملتحد دونه || و لا عليه لى أنصار حاشا لذاك العز والفضل أن || يهلك من أنت له جار و إن تشأ هلكى فهب لى رضا || بكل ماتقضى وتختار [صفحة ٢٠٨] عندى لأحكامك يامالكى || قلب كما أنعمت صبار كل عذاب منك مستعذب || ما لم يكن سخطك والنار ومنها العبودية وهى أمر وراء العبادة معناها التعبد والتذلل قالوا العبادة للعوام من المؤمنين والعبودية للخواص من السالكين . و قال أبو على الدقاق العبادة لمن له علم اليقين والعبودية لمن له عين اليقين . وسئل محمد بن خفيف متى تصح العبودية فقال إذا طرح كله على مولاه وصبر معه على بلواه . و قال بعضهم العبودية معانقة ما أمرت به ومفارقة ما جرت عنه . و قيل العبودية أن تسلم إليه كلك وتحمل عليه كلك . و فى الحديث المرفوع تعس عبدالدينار وتعس عبدالخبيصة -روايت-١-٢-روايت-٢٣-٥٦ . رأى أبو يزيد البسطامى رجلا فقال له ما حرفتك قال خربنده قال أمات الله حمارك لتكون عبدا لله لاعبدا للحمار . و كان ببغداد فى رباط شيخ الشيوخ صوفى كبير اللحية جدا و كان مغرى ومعنى بها أكثر زمانه يدهنها ويسرحها ويجعلها ليلا عندنومه فى كيس فقام بعض المريدين إليه فى الليل و هونائم فقصها من الإذن إلى الإذن فأصبحت كالصريم وأصبح الصوفى شاكيا إلى شيخ الرباط فجمع الصوفية وسألهم فقال المريد أنقصصتها قال وكيف فعلت ويلك ذلك قال أيها الشيخ إنها كانت صنمه و كان يعبدها من دون الله فأنكرت ذلك بقلبي وأردت أن أجعله عبدا لله لاعبدا للحية. [صفحة ٢٠٩] قالوا و ليس شىء أشرف من العبودية و لاسم أتم للمؤمن من اسمه بالعبودية ولذلك قال سبحانه فى ذكر النبى ص ليلة المعراج و كان ذلك الوقت أشرف أوقاته فى الدنيا سبحانه الذى أسرى بعبده ليلا و قال تعالى فأوحى إلى عبده ما أوحى فلو كان اسم أجل من العبودية لسماه به . وأنشدوا -قرآن-١٦٦-٢٠٢-قرآن-٢١٧-٢٤٥ لاتدعنى إلبيا عبدها || فإنه أشرف أسمائى ومنها الإرادة قال تعالى و لا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه. قالوا الإرادة هى بدء طريق السالكين وهى اسم لأول منازل القاصدين إلى الله

عليه عدة أشياء العبادة المشفوعة بالفكرة ثم الألحان المستخدمة لقوى النفس الموقعة لمالحن بها من الكلام موقع القبول من الأوهام ثم نفس الكلام الواعظ من قائل ذكي بعبارة بليغة ونغمة رخيمة وسمت رشيد والثالث يعين عليه الفكر اللطيف والعشق العفيف الذى تتأمر فيه شمائل المعشوق دون سلطان الشهوة. [صفحة ٢١٣] ومنها الاستقامة وحقيقتها الدوام والاستمرار على الحال قال تعالى إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا. وسئل بعضهم عن تارك الاستقامة فقال قد ذكر الله ذلك فى كتابه فقال وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَصَتْ غَزَلُهُمْ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا و-قرآن-٦٨-١١٨-قرآن-١٩١-٢٥٧ فى الحديث المرفوع شيبتنى هود فقيل له فى ذلك فقال قوله فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ -روایت-١-٢-روایت-٢٣-٨٨. وقال تعالى وَ أَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا فم يقل سقيناهم بل أسقيناهم أى جعلنا لهم سقيا دائمة وذلك لأن من دام على الخدمة دامت عليه النعمة. ومنها الإخلاص وهو أفراد الحق خاصة فى الطاعة بالقصد والتقرب إليه بذلك خاصة من غير رياء ومن غير أن يمازحه شىء آخر من تصنع لمخلوق أو اكتساب محمدة بين الناس أو محبة مدح أو معنى من المعانى ولذلك قال أرباب هذا الفن الإخلاص تصفية العمل عن ملاحظة المخلوقين. وقال الخواص من هؤلاء القوم نقصان كل مخلص فى إخلاصه رؤية إخلاصه فإذا أراد الله أن يخلص إخلاص عبد أسقط عن إخلاصه رؤيته لإخلاصه فيكون مخلصا لا مخلصا. و-قرآن-١٦-٨٢ جاء فى الأثر عن مكحول ما أخلص عبد الله أربعين صباحا لإظهاره ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه -روایت-١-٢-روایت-٢٥-١٠٠. [صفحة ٢١٤] ومنها الصدق ويطلق على معنيين تجنب الكذب وتجنب الرياء وقد تقدم القول فيهما. ومنها الحياء وفى الحديث الصحيح إذا لم تستحى فاصنع ماشئت -روایت-١-٢-روایت-٢٢-٥١ فى الحديث أيضا الحياء من الإيمان -روایت-١-٢-روایت-١٩-٣٨ وقال تعالى أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرِيْقَالُوا مَعْنَاهُ أَلَمْ يَسْتَحَى. و-قرآن-١٥-٤٦ فى الحديث أنه قال لأصحابه استحيوا من الله حق الحياء قالوا إنا لنستحيى ونحمد الله قال ليس كذلك من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس و ماوعى والبطن و ما حوى وليذكر الموت وطول البلى وليترك زينة الحياة الدنيا فمن يعمل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء -روایت-١-٢-روایت-١٤-٢٧٧. وقال ابن عطاء العلم الأ-كبر الهيبه والحياء فإذا ذهب لم يبق خير. وقال ذو النون الحب ينطق والحياء يسكت والخوف يقلق. وقال السرى الحياء والأنس يطرقان القلب فإن وجداه فيه الزهد والورع حطا وإلرحلا. وكان يقال تعامل القرن الأول من الناس فيما بينهم بالدين حتى رق الدين ثم تعامل القرن الثانى بالوفاء حتى ذهب الوفاء ثم تعامل القرن الثالث بالمروءة حتى فنيت المروءة ثم تعامل القرن الرابع بالحياء حتى قل الحياء ثم صار الناس يتعاملون بالرغبة والرهبه [صفحة ٢١٥] وقال الفضيل خمس من علامات الشقاء القسوة فى القلب وجمود العين وقله الحياء والرغبة فى الدنيا وطول الأمل. وفسر بعضهم قوله تعالى وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِهَا لَوْلَا- أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهَا نَهَا كَانَ لَهَا صَنَمٌ فِي زَاوِيَةِ الْبَيْتِ فَمَضَتْ فَأَلْقَتْ عَلَى وَجْهِهِ ثُوبًا فَقَالَ يَوْسُفُ مَا هَذَا قَالَتْ أَسْتَحِي مِنْهُ قَالَ فَأَنَا أَوْلَى أَنْ أَسْتَحِي مِنْ اللَّهِ. و-قرآن-١٣٧-١٩٩ فى بعض الكتب القديمة ما أنصفتى عبدى يدعونى فأستحيى أن أردده ويعصينى و أنا أراه فلا يستحيى منى -روایت-١-٢-روایت-٢٦-١٠٥ ومنها الحرية وهو ألا يكون الإنسان بقلبه رقيق شىء من المخلوقات لا من أغراض الدنيا ولا من أغراض الآخرة فيكون فردا لفرد لا يسترقه عاجل دنيا ولا آجل منى ولا حاصل هوى ولا سؤال ولا قصد ولا أرب. قال له ص بعض أصحاب الصفة قد عزفت نفسى يا رسول الله عن الدنيا فاستوى عندى ذهبها وحجرها قال صرت حرا -روایت-١-١١٠. و كان بعضهم يقول لو صحت صلاة بغير قرآن لصحت بهذا البيت أتمنى على الزمان محالا || أن ترى مقلتاى طلعة حر وسئل الجنيد عمن لم يبق له من الدنيا إلا مقدار مص نواه فقال المكاتب عبد ما بقى عليه درهم. ومنها الذكر قال الله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا -قرآن-١٢٧-١٨٥ [صفحة ٢١٦] و روى أبو الدرداء أن رسول الله ص قال أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ خَالِكِكُمْ وَأَرْفَعُهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ مِنْ إِعْطَائِكُمُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ مَنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَكُمْ فَتَضْرَبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرَبُوا أَعْنَاقَكُمْ قَالُوا مَا ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ ذَكَرَ اللَّهُ -روایت-١-٢-

رواية-٤٢-٢٥٣ في الحديث المرفوع لا تقوم الساعة على أحد يقول الله الله -رواية-١-٢-رواية-٢٣-٦٥. وقال أبو علي الدقاق الذكر منشور الولاية فمن وفق للذكر فقد أعطى المنشور و من سلب الذكر فقد عزل . وقيل ذكر الله تعالى بالقلب سيف المرادين به يقاتلون أعداءهم و به يدفعون الآفات التي تقصدهم و أن البلاء إذا أظلم العبد ففرغ بقلبه إلى الله حاد عنه كل ما يكرهه . و في الخبر المرفوع إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا فيها قيل و مارياض الجنة قال مجالس الذكر -رواية-١-٢-رواية-٢١-٩٥ في الخبر المرفوع أنا جليس من ذكرني -رواية-١-٢-رواية-٢١-٤١ . وسمع الشبلي و هوينشد ذكرتك لأني نسيته لمحة || وأيسر ما في الذكر ذكر لساني فكدت بلا وجد أموت من الهوى || وهام على القلب بالخفقان فلما أراني الوجد أنك حاضري || شهدتك موجودا بكل مكان فخاطبت موجودا بغير تكلم || ولاحظت معلوما بغير عيان . [صفحة ٢١٧] ومنها الفتوة قال سبحانه مخبرا عن أصحاب الأصنام قالوا سَمِعْنَا فَتَى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ . و قال تعالى في أصحاب الكهف إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَ زِدْنَاهُمْ هُدًى . و قد اختلفوا في التعبير عن الفتوة ماهي فقال بعضهم الفتوة ألا ترى لنفسك فضلا على غيرك . و قال بعضهم الفتوة الصفح عن عثرات الإخوان . وقالوا إنما هتف الملك يوم أحد بقوله -قرآن-٥١-١٠٤-قرآن-١٣٧-١٨٧ لاسيف إلا ذو الفقار || و لا فتى إلا -على . لأنه كسر الأصنام فسمى بما سمي به أبوه إبراهيم الخليل حين كسرها وجعلها جذاذا . قالوا وصنم كل إنسان نفسه فمن خالف هواه فقد كسر صنمه فاستحق أن يطلق عليها لفظ الفتوة . و قال الحارث المحاسبى الفتوة أن تنصف و لا تنتصف . و قال عبد الله بن أحمد بن حنبل سئل أبي عن الفتوة فقال ترك ماتهوى لماتخشى . وقيل الفتوة ألا تدخر و لا تعتذر . سأل شقيق البلخي جعفر بن محمد الصادق ع عن الفتوة فقال ماتقول أنت قال إن أعطينا شكرنا و إن منعنا صبرنا قال إن الكلاب عندنا بالمدينة هذا شأنها ولكن قل إن أعطينا آثرنا و إن منعنا شكرنا -رواية-١-١٩٤ . [صفحة ٢١٨] ومنها الفراسة قيل في تفسير قوله تعالى إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ أى للمتفرسين و -قرآن-٤٢-٨٠ قال النبي ص اتقوا فراسة المؤمن فإنها لاتخطئ -رواية-١-٢-رواية-١٨-٥٢ قيل الفراسة سواطع أنوار لمعت في القلوب حتى شهدت الأشياء من حيث أشهدا الحق إياها و كل من كان أقوى إيمانا كان أشد فراسة . و كان يقال إذا صحت الفراسة ارتقى منها صاحبها إلى المشاهدة . و منها حسن الخلق و هو من صفات العارفين فقد أثنى الله تعالى به على نبيه فقال وَ إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ و -قرآن-٢٧٦-٣٠٦ قيل له ص أى المؤمنين أفضل إيمانا فقال أحسنهم خلقا وبالخلق تظهر جواهر الرجال والإنسان مستور بخلقه مشهور بخلقه -رواية-١-١٢١ . و قال بعضهم حسن الخلق استصغار مامنك واستعظام ماإليك . و قال النبي ص إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم -رواية-١-٢-رواية-١٨-٦٨ . قيل لذى النون من أكبر الناس هما قال أسوؤهم خلقا . و كان يقال ماتخلق أحد أربعين صباحا بخلق إلا صار ذلك طبيعة فيه . قال الحسن في قوله تعالى وَ ثِيَابَكَ فَطَهَّرْ أى وخلقك فحسن . شتم رجل الأحنف بن قيس و جعل يتبعه و يشتمه فلما قرب الحى وقف و قال يافتى إن كان قدبقى فى قلبك شىء فقله كيلا يسمعك سفهاء الحى فيجيبوك . -قرآن-١٥٠-١٦٨ [صفحة ٢١٩] و يقال إن معروفا الكرخى نزل دجلة ليسبح و وضع ثيابه و مصحفه فجاءت امرأة فاحتملتها فتبعها و قال أنا معروف الكرخى فلا بأس عليك أ لك ابن يقرأ قالت لا قال أفلك بعل قالت لا قال فهاتى المصحف و خذى الثياب . قيل لبعضهم ما أدب الخلق قال ما أدب الله به نبيه فى قوله خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ -قرآن-٢٨٠-٣٣٦ يقال إن فى بعض كتب النبوات القديمة ياعبدى اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب -رواية-١-٢-رواية-٤٢-٨٨ . قالت امرأة لمالك بن دينار يامرائى فقال لقد وجدت اسمى الذى أضله أهل البصرة . قال بعضهم و قد سئل عن غلام سوء له لم يمسه قال أتعلم عليه الحلم . و كان يقال ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة الحليم عند الغضب والشجاع عند الحرب والصدىق عند الحاجة إليه . وقيل فى تفسير قوله تعالى وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَ بَاطِنَةً الظاهرة تسوية الخلق والباطنة تصفية الخلق . الفضيل لأن يصحبنى فاجر حسن الخلق أحب إلى من أن يصحبنى عابد سيئ الخلق . خرج إبراهيم بن أدهم إلى

بعض البرارى فاستقبله جندى فسأله أين العمران فأشار إلى المقبرة فضرب رأسه فشجه وأدماه فلما جاوزه قيل له إن ذلك ابراهيم بن أدهم -قرآن- ٢٨٦-٣٣٤ [صفحة ٢٢٠] زاهد خراسان فرد إليه يعتذر فقال ابراهيم إنك لما ضربتني سألت الله لك الجنة. قال لم سألت ذلك قال علمت أنى أوجر على ضربك لى فلم أرد أن يكون نصيبى منك الخير ونصيبك منى الشر. و قال بعض أصحاب الجنيد قدمت من مكة فبدأت بالشيخ كى لا يتعنى إلى فسلمت عليه ثم مضيت إلى منزلى فلما صليت الصبح فى المسجد إذا أنا به خلفى فى الصف فقلت إنما جئتكم أمس لثلاثا تتعنى فقال ذلك فضلك و هذاحقك . كان أبوذر على حوض يسقى إبله فزاحمه إنسان فكسر الحوض فجلس أبوذر ثم اضطجع فقيل له فى ذلك فقال أمرنا رسول الله ص إذاغضب الرجل و هوقائم فليجلس فإن ذهب عنه و إلافليضطجع -رواية- ١-١٨٩. دعا إنسان بعض مشاهير الصوفية إلى ضيافة فلما حضر باب داره رده واعتذر إليه ثم فعل به مثل ذلك وثانية وثالثة والصوفى لا يغضب و لا يضجر فمدحه ذلك الإنسان وأثنى عليه بحسن الخلق فقال إنما تمدحنى على خلق تجد مثله فى الكلب إن دعوته حضر و إن زجرته انزجر.مر بعضهم وقت الهاجرة بسكة فألقى عليه من سطح طست رماد فغضب من كان فى صحبتته فقال لا تغضبوا من استحق أن يصب عليه النار فصولح على الرماد لم تجز له أن يغضب . كان لبغض الخياطين جار يدفع إليه ثيابا فيخيطها ويدفع إليه أجرتها دراهم زيوفا فيأخذها فقام يوما من حانوته واستخلف ولده فجاء الجار بالدراهم الزائفة فدفعها إلى الولد فلم يقبلها فأبدلها بدراهم جيدة فلما جاء أبوه دفع إليه الدراهم فقال ويحك هل جرى بينك وبينه أمر قال نعم إنه أحضر الدراهم زيوفا فرددتها فأحضر هذه [صفحة ٢٢١] فقال بئس ما صنعت إنه منذ كذا وكذا سنة يعاملنى بالزائف وأصبر عليه وألقيها فى بئر كى لا يغر غيرى بها وقيل الخلق السيئ هو أن يضيق قلب الإنسان عن أن يتسع لغير ماتجبه النفس وتؤثره كالمكان الضيق لا يسع غير صاحبه . و كان يقال من سوء الخلق أن تقف على سوء خلق غيرك وتعيبه به . قيل لرسول الله ادع الله على المشركين فقال إنما بعثت رحمة و لم أبعث عذابا -رواية- ١-٨١ دعا على ع غلاما له مرارا و هو لا يجيبه فقام إليه فقال أ لا تسمع يا غلام قال بلى قال فما حملك على ترك الجواب قال أمنى لعقوبتك قال اذهب فأنت حر -رواية- ١-١٥٥ قال رسول الله ص استعينوا على أموركم بالكتمان -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-٥٤ . و قال السرى علامة الحب الصبر والكتمان و من باح بسرنا فليس منا. و قال الشاعر كتمت حبك حتى منك تكرمه || ثم استوى فيك إسرارى وإعلانى كأنه غاض حتى فاض عن جسدى || فصار سقى به فى جسم كتمانى و هذاضد ما يذهب إليه القوم من الكتمان و هو عذر لأصحاب السر والإعلان و كان يقال المحبة فاضحة والدمع نام . و قال الشاعر لاجزى الله دمع عينى خيرا || وجزى الله كل خير لسانى [صفحة ٢٢٢] فاض دمعى فليس يكتنم شيئا || ووجدت اللسان ذا كتمان يقال إن بعض العارفين أوصى تلميذه بكتمان ما يطلع عليه من الحال فلما شاهد الأمر غلب فكان يطلع فى بئر فى موضع خال فيحدثها بما يشاهد فنبت فى تلك البئر شجرة سمع منها صوت يحكى كلام ذلك التلميذ كما يحكى الصدا كلام المتكلم فأسقط بذلك من ديوان الأولياء. وأنشدوا أبدا تحن إليكم الأرواح || ووصالكم ريحانها والراح وقلوب أهل ودادكم تشتاقكم || و إلى لقاء جمالكم ترتاح و ارحمة للعاشقين تحملوا || ثقل المحبة والهوى فضاح بالسر إن باحوا تباح دماؤهم || وكذا دماء البائحين تباح . و قال الحسين بن منصور الحلاج إنى لأ-كتم من علمى جواهره || كى لا يرى العلم ذو جهل فيفتننا و قد تقدمنى فيه أبوحسن || إلى الحسين وأوصى قبله الحسن يارب مكنون علم لو أبوح به || لقليل لى أنت ممن يعبد الوثنا ولاستحل رجال صالحون دمي || يرون أقبح ما يأتونه حسنا . ومنها الجود والسخاء والإيثار قال الله تعالى وَ يُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَ -قرآن- ٤٩-١٠٤ قال النبى ص السخى قريب من الله قريب من الناس -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-١٨٩-ادامه دارد [صفحة ٢٢٣] والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس و أن الجاهل السخى أحب إلى الله من العابد البخيل -رواية- از قبل- ٩٦. قالوا لافرق بين الجود والسخاء فى اصطلاح أهل العربية إلا- أن البارى سبحانه لا يوصف بالسخاء لأنه يشعر بسماح النفس عقيب التردد فى ذلك و أما فى

اصطلاح أرباب هذه الطريقة فالسخاء هو الرتبة الأولى والوجود بعده ثم الإيثار فمن أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب السخاء و من أعطى الأكثر وأبقى لنفسه شيئاً فهو صاحب الجود و أذى قاسى الضراء وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب الإيثار. قال أسماء بن خارجة الفزاري ما أحب أن أرد أحداً عن حاجة طلبها إن كان كريماً صنت عرضه عن الناس و إن كان لثيماً صنت عنه عرضى. كان مؤرق العجلى يتلطف فى بر إخوانه يضع عندهم ألف درهم و يقول أمسكوها حتى أعود إليكم ثم يرسل إليهم أنتم منها فى حل . و كان يقال الجود إجابة خاطر الأول . و كان أبو الحسن البوشنجى فى الخلاء فدعا تلميذاً له فقال انزع عنى هذا القميص وادفعه إلى فلان فقيل له هلا صبرت فقال لم آمن على نفسى أن تغير على ما وقع لى من التخلق معه بالقميص . رثى على ع يوماً باكياً فقيل له لم تبكى فقال لم يأتنى ضيف منذ سبعة أيام أخاف أن يكون الله قد أهاننى -رواية- ١-١١١. أضاف عبد الله بن عامر رجلاً فأحسن قراه فلما أراد أن يرتحل لم يعنه غلمانه فسئل عن ذلك فقال إنهم إنما يعينون من نزل علينا لا من ارتحل عنا. ومنها الغيرة قال رسول الله ص لأحد أغير من الله إنما حرم الفواحش ما ظهر منها و ما بطن لغيرته -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-٩١ [صفحة ٢٢٤] فى حديث أبى هريرة أن الله ليغار و أن المؤمن ليغار -رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-٥٧ قال والغيرة هى كراهية المشاركة فيما هو حقك . وقيل الغيرة الأنفة والحمية. وحكى عن السرى أنه قرئ بين يديه و إذا قرأت القرآن جعلنا بينك و بين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً فقال لأصحابه أتدرون ما هذا الحجاب هذا حجاب الغيرة و لأحد أغير من الله قالوا ومعنى حجاب الغيرة أنه لما أصر الكافرون على الجحود عاقبهم بأن لم يجعلهم أهلاً لمعرفة أسرار القرآن . و قال أبو على الدقاق إن أصحاب الكسل عن عبادته هم الذين ربط الحق بأقدامهم مثقلة الخذلان فاختر لهم البعد وأخروهم عن محل القرب ولذلك تأخروا. و فى معناه أنشدوا فقالوا -قرآن- ١١١-٢١٢ أناصب بمن هويت ولكن || ما احتيالى فى سوء رأى الموالى . و فى معناه قالوا سقيم لا يعاد و مرید لا يراد. و كان أبو على الدقاق إذا وقع شىء فى خلال المجلس يشوش قلوب الحاضرين يقول هذا من غيرة الحق يريد به ألا- يتم ما أملناه من صفاء هذا الوقت . وأنشدوا فى معناه همت بإتياننا حتى إذ انظرت || إلى المرأة نهانا وجهها الحسن . وقيل لبعضهم أتريد أن تراه قال لا قيل لم قال أنزه ذلك الجمال عن نظر مثلى و فى معناه أنشدوا إني لأحسد ناظرى عليك || حتى أغض إذ انظرت إليك [صفحة ٢٢٥] وأراك تخطر فى شمائلك التى || هى فتنتى فأغار منك عليك و سئل الشبلى متى تستريح قال إذا لم أر له ذاكرة. و قال أبو على الدقاق فى قول النبى ص عند مبايعته فرسا من أعرابى و أنه استقاله فأقاله فقال الأعرابى عمرك الله فمن أنت قال ص أنا امرؤ من قريش فقال بعض الصحابة من الحاضرين للأعرابى كفاك جفاء ألا تعرف نبيك -رواية- ١-١٩٦ فكان أبو على يقول إنما قال امرؤ من قريش غيرة ونوعاً من الأنفة و لإفقد كان الواجب عليه أن يتعرف لكل أحد أنه من هولكن الله سبحانه أجرى على لسان ذلك الصحابى التعريف للأعرابى بقوله كفاك جفاء ألا تعرف نبيك . و قال أصحاب الطريقة مساكنة أحد من الخلق للحق فى قلبك توجب الغيرة منه تعالى .أذن الشبلى مرة فلما انتهى إلى الشهادتين قال وحقك لو لأنك أمرتنى ما ذكرت معك غيرك . وسمع رجل رجلاً يقول جل الله فقال أحب أن تجله عن هذا. و كان بعض العارفين يقول لا إله إلا الله من داخل القلب محمد رسول الله من قرط الأذن . وقيل لأبى الفتوح السهروردى و قد أخذ بحلب ليصلب على خشبة ما أذى أباحهم هذا منك قال إن هؤلاء دعونى إلى أن أجعل محمداً شريكاً لله فى الربوبية فلم أفعل فقتلوني. [صفحة ٢٢٦] ومنها التفويض قال الله تعالى وَ عَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ عَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَ هُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ فاستوقف من عقل أمره عن الاقتراح عليه وأفهمه ما يرضاه به من التفويض إليه فالعقل تارك للاقتراح على العالم بالصلاح . و قال تعالى فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَ يَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا فبعث على تأكيد الرجاء بقوله خيراً كثيراً. و لما فوض مؤمن آل فرعون أمره إلى الله فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَ حَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ كما ورد فى الكتاب العزيز. و حقيقة التفويض هى التسليم لأحكام الحق سبحانه و إلى ذلك وقعت الإشارة بقوله تعالى قُلْ لَنْ

يُصَبِّحُنَا إِلَهِمَا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ فَاسْأَلُوا نَفْسَ التَّفْوِيزِ وَالْبَاعِثَ عَلَيْهِ هُوَ اعْتِقَادُ الْعِجْزِ عَنْ مِغَالِبَةِ الْقَدْرِ وَ أَنَّهُ لَا يَكُونُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَعْنَى الرِّخْصِ وَالصَّحَّةِ وَسَعَةِ الرِّزْقِ وَالْبَلَايَا وَالْأَمْرَاضِ وَالْعَلَلِ وَضَيْقِ الرِّزْقِ إِلَّا مَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى كَوْنَهُ وَلَا يَصِحُّ التَّفْوِيزُ مِمَّنْ لَمْ يَعْتَقِدْ ذَلِكَ وَ لَمْ يَعْلَمْهُ عِلْمَ الْيَقِينِ . وَ قَدْ بَالَغَ النَّبِيُّ ص فِي التَّصْرِيحِ بِهِ وَالنَّصُّ عَلَيْهِ -قُرْآن- ٣٤- ١٧٠-قُرْآن- ٣١١-٣٧٧-قُرْآن- ٤٠٧-٤٢١-قُرْآن- ٤٦٧-٥٤٠-قُرْآن- ٦٥٧-٧٥٧ بقوله لعبد الله بن مسعود ليقل همك ما قدر أتاك و ما لم يقدر لم يأتك و لوجهد الخلق أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم يقدروا عليه و لوجهدوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا على ذلك -رواية- ١-٢-رواية- ٢٩-٢٠٩ [صفحة ٢٢٧] في صحيح مسلم بن الحجاج أنه قال لأبي هريرة في كلام له فإن أصابك شيء فلا تقل لوفعلت كذا لكان كذا فإن لو فتحت عمل الشيطان ولكن قل ما قدر الله و ماشاء فعل -رواية- ١-٢-رواية- ٦٣-١٧١ في صحيح مسلم أيضا عن البراء بن عازب إذا أخذت مضجعك فقل كذا إلى أن قال وجهت وجهي إليك و ألجأت ظهري إليك رغبة و رهبة إليك لا منجى و لا ملجأ منك إلا إليك -رواية- ١-٢-رواية- ٤٢-١٦٧ . و كان يقال معارضة المريض طبيبه توجب تعذيبه و كان يقال إنما الكيس الماهر من أمسى في قبضة القاهر. و كان يقال إذا كانت مغالبة القدر مستحيلة فما من أعوان تقوده إلى الحيلة. و كان يقال إذا التبت المصادر ففوض إلى القادر. و كان يقال من الدلالة على أن الإنسان مصرف مغلوب و مدبر مربوب أن يتبلد رأيه في بعض الخطوب و يعمى عليه الصواب المطلوب . و إذا كان كذلك فربما كان تدميره في تدبيره و اغتياله من احتياله و هلكته من حركته . و في ذلك أنشدوا أيا من يعول في المشكلات || على مارآه و مادبره إذا عضل الأمر فافزع به || إلى من يرى منه ما لم تره تكن بين عطف يقييل الخطوب || و لطف يهون ما قدره إذا كنت تجهل عقبى الأمور || و ما لك حول و لا مقدره فلم ذا العنا و علام الأسي || و مم الحذار و فيم الشره . [صفحة ٢٢٨] و أنشدوا في هذا المعنى يارب مغتبط و مغبوط || بأمر فيه هلكه و منافس في ملك ما || يشقيه في الدارين ملكه علم العواقب دونه || ستر و ليس يرام هتكه و معارض الأقدار بالأراء || سيئ الحال ضنكه فكن امرأ محض اليقين || و زيف الشبهات سبكه تفويضه توحيده || و عناده المقدار شركه . و منها الولاية و المعرفة و قد تقدم القول فيهما . و منها الدعاء و المناجاة قال الله تعالى ادعوني أستجب لكم و -قُرْآن- ٩٠-١١٣ في الحديث المرفوع الدعاء مخ العبادة -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-٤٢ . و قد اختلف أرباب هذا الشأن في الدعاء فقال قوم الدعاء مفتاح الحاجة و مستروح أصحاب الفاقات و ملجأ المضطرين و متنفس ذوى المآرب . و قد ذم الله تعالى قوما فقال وَ يَقْبِضُونَ أَيَدِيَهُمْ فَسَرَوْهُ وَقَالُوا لَا يَمْدُونَهَا إِلَيْهِ فِي السُّؤَالِ . و قال سهل بن عبد الله التستري خلق الله الخلق و قال تاجروا في فإن لم تفعلوا فاسمعوا مني فإن لم تفعلوا فكونوا بياي فإن لم تفعلوا فأنزلوا حاجاتكم بي. قالوا و قد أثنى الله على نفسه فقال أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ قَالُوا الدَّعَاءُ إِظْهَارُ فَاقَةِ الْعُبُودِيَّةِ. -قُرْآن- ١٦٥-١٨٨-قُرْآن- ٤٢٨-٤٦٢ [صفحة ٢٢٩] و قال أبو حاتم الأعرج لأن أحرم الدعاء أشد على من أن أحرم الإجابة. و قال قوم بل السكوت و الخمود تحت جريان الحكم و الرضا بما سبق من اختيار الحكيم العالم بالمصالح أولى و لهذا قال الواسطي اختيار ما جرى لك في الأزل خير لك من معارضة الوقت . و قال النبي ص إخبارا عن الله تعالى من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين -رواية- ١-٢-رواية- ٤١-١٠٠ . و قال قوم يجب أن يكون العبد صاحب دعاء بلسانه و صاحب رضا بقلبه ليأتي بالأمرين جميعا. و قال قوم إن الأوقات تختلف ففي بعض الأحوال يكون الدعاء أفضل من السكوت و في بعض الأحوال يكون بالعكس و إنما يعرف هذا في الوقت لأن علم الوقت يحصل في الوقت فإذا وجد في قلبه الإشارة إلى الدعاء فالدعاء أولى و إن وجد بقلبه الإشارة إلى السكوت فالسكوت له أتم و أولى . و جاء في الخبر أن الله يبغض العبد فيسرع إجابته بغضا لسماع صوته و أنه يحب العبد فيؤخر إجابته حبا لسماع صوته -رواية- ١-٢-رواية- ١٥-١١٨ . و من أدب الدعاء حضور القلب فقد روى عنه ص أن الله لا يستجيب دعاء قلب لاه -رواية- ١-٢-رواية- ١٩-٥٥ . و من شروط الإجابة طيب الطعمة و حل المكسب قال ص

لسعد بن أبي وقاص أظ كسبك تستجب دعوتك -رواية- ١-٢-رواية- ٢٩-٥٤. [صفحة ٢٣٠] وينبغي أن يكون الدعاء بعد المعرفة قيل لجعفر بن محمد الصادق ع ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا قال لأنكم تدعون من لا تعرفونه -رواية- ١-٩٢. كان صالح المري يقول كثيرا ادعوا فمن آدم من قرع الباب يوشك أن يفتح له فقالت له رابعة العدوية ماذا تقول أغلق هذا الباب حتى يستفتح فقال صالح شيخ جهل وامرأة علمت . وقيل فائدة الدعاء إظهار الفاقة من الخلق وإلا فالرب يفعل ما يشاء. وقيل دعاء العامة بالأقوال ودعاء العابد بالأفعال ودعاء العارف بالأحوال . وقيل خير الدعاء ما هيجه الأحران والوجد. وقيل أقرب الدعاء إلى الإجابة دعاء الاضطراب لقوله تعالى **أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَا**. قال أصحاب هذه الطريقة السنة المبتدئين أرباب الإرادة منطلقة بالدعاء والسنة المحققين الواصلين قد خرسوا عن ذلك . و كان عبد الله بن المبارك يقول مادعوتيه منذ خمسين سنة ولا أريد أن يدعو لى أحد. وقيل الدعاء سلم المذنبين . و قال من قال بنقيض هذا الدعاء مراسلة و مادامت المراسلة باقية فالأمر جميل بعد. وقالوا السنة المذنبين دموعهم . و كان أبو علي الدقاق يقول إذا بكى المذنب فقد راسل الله . و فى معناه أنشدوا -قرآن- ٤٢٠-٤٥٤ دموع الفتى عما يجن ترجم || وأنفاسه تبدين ما للقلب يكتم . [صفحة ٢٣١] و قال بعضهم لبعض العارفين ادع لى فقال كفاك من الإجابة ألا تجعل بينك وبينه واسطة. ومنها التأسى قال سبحانه **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** أى فى مصابه و مانيل منه فى نفسه و فى أهله يوم أحد فلا تجزعوا أن أصيب بعضكم . و -قرآن- ١١٧-١٦٨ جاء فى الحديث المرفوع لا تنظروا إلى من فوقكم وانظروا إلى من دونكم فإنه أجدر ألا- تزدروا نعم الله عليكم -رواية- ١-٢-رواية- ٢٦-١١٣. و قالت الخنساء ترثى أخاها و لو لا كثرة الباكين حولى || على إخوانهم لقتلت نفسى و ما يكون مثل أخى ولكن || أعزى النفس عنه بالتأسى . و حقيقة التأسى تهوين المصائب والنوائب على النفس بالنظر إلى ما أصاب أمثالك و من هو أرفع محلا منك . و قد فسر العلماء قوله تعالى **وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ** قال إنه لا يهون على أحد من أهل النار عذابه و إن تأسى بغيره من المعذبين لأن الله تعالى جعل لهم التأسى نافعا فى الدنيا و لم يجعله نافعا لأهل النار مبالغة فى تعذيبهم ونفيا لراحة تصل إليهم . -قرآن- ١٣٦-٢٠٨ [صفحة ٢٣٢] ومنها الفقر و هو شعار الصالحين قال رسول الله ص **أَلِهِمْ أَحِينِي مَسْكِينًا وَأَمْتِنِي مَسْكِينًا** واحشرنى مع المساكين -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-٨١. قال لعلى ع إن الله قد زينك بزينة لم يزين العباد بأحسن منها وهب لك حب المساكين فجعلك ترضى بهم أتباعا ويرضون بك إماما. و جاء فى الخبر المرفوع الفقراء الصبر جلساء الله يوم القيامة -رواية- ١-٢-رواية- ٢٤-٦٢. وسئل يحيى بن معاذ عن الفقر فقال ألا تستغنى إلا بالله . و قال أبو الدرداء لأن أقع من فوق قصر فأتحطم أحب إلى من مجالسة الغنى لأنى سمعت رسول الله ص يقول إياكم و مجالسة الموتى فقيل له و ما الموتى قال الأغنياء -رواية- ١-٢-رواية- ١٩-١٦٦. قيل للربيع بن خثيم قد غلا السعر قال نحن أهون على الله من أن يجيعنا إنما يجيع أولياءه . وقيل ليحيى بن معاذ ما الفقر قال خوف الفقر. و قال الشبلى أدنى علامات الفقير أن لو كانت الدنيا بأسرها لواحد فأنفقها فى يوم واحد ثم خطر بباله لو أمسكت منها قوت يوم آخر لم يصدق فى فقره. سئل ابن الجلاء عن الفقر فسكت ثم ذهب قليلا- وعاد فقال كانت عندى أربعة دوايق فضة فاستحييت من الله أن أتكلم فى الفقر وهى عندى فذهبت فأخرجتها ثم قعد فتكلم فى الفقر. و قال أبو علي الدقاق فى تفسير قوله ص من تواضع لغنى ذهب ثلثا دينه -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-٤٥ إن المرء بقلبه ولسانه وجوارحه فمن تواضع لغنى بلسانه وجوارحه ذهب ثلثا دينه فإن تواضع له مع ذلك بقلبه ذهب دينه كله . [صفحة ٢٣٣] ومنها الأدب قالوا فى تفسير قوله تعالى **مَا زَاغَ الْبَصِيرُ** و ما طغى حفظ أدب الحضرة. قيل إنه ع لم يمد نظره فوق المقام الذى أوصل إليه ليلة شاهد السدرة وهى أقصى ما يمكن أن ينتهى إليه البشريون . و -قرآن- ٤٢-٦٨ فى الحديث المرفوع أدبنى ربى فأحسن تأديبى -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-٥٠ وقيل إن الجنيد لم يمد رجله فى الخلوة عشرين سنة و كان يقول الأدب مع الله أولى من الأدب مع الخلق . و قال أبو علي الدقاق من صاحب الملوك بغير أدب أسلمه الجهل إلى القتل . و من كلامه ع ترك الأدب

يوجب الطرد فمن أساء الأدب على البساط رد إلى الباب و من أساء الأدب على الباب رد إلى ساحة الدواب -رواية- ١-٢-
رواية- ١٦-١٣٠. وقال عبد الله بن المبارك قد أكثر الناس في الأدب وعندى أن الأدب معرفة الإنسان بنفسه . وقال الثوري من
لم يتأدب للوقت فوقته مقت . وقال أبو علي الدقاق في قوله تعالى حكاية عن أيوب إذ نادى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ
الرَّاحِمِينَ قال لم يقل فارحمني لأنه حفظ آداب الخطاب وكذلك قال في قول عيسى إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ قال لم يقل لم
أقل رعاية لأدب الحضرة. -قرآن- ١٩٧-٢٦٥-قرآن- ٣٣٨-٣٧٠ [صفحة ٢٣٤] ومنها المحبة وهي مقام جليل قالوا المحبة أن
تهب كلك لمن أحببت فلا يبقى لك منك شيء. قيل لبعض العرب ما وجدت من حب فلانة قال أرى القمر على جدارها أحسن
منه على جدران الناس . وقال أبو عبد الرحمن السلمى المحبة أن تغار على محبوبك أن يحبه غيرك . وقال النصرآبادى المحبة
نوعان نوع يوجب حقن الدماء ونوع يوجب سفك الدماء. وقال يحيى بن معاذ المحبة الخالصة ألا تنقص بالجفاء ولا تزيد بالبر.
وقيل للنصرآبادى كيف حالك في المحبة قال عدمت وصال المحبين ورزقت حسراتهم فهو ذا أناأحترق فيها ثم قال المحبة
مجانبة السلو على كل حال . وأنشدوا و من كان في طول الهوى ذاق سلوة || فإني من ليلى لها غير ذائق وأكثر شىء نلت من
وصالها || أمانى لم تصدق كلمحة بارق جاء في الحديث المرفوع المرء مع من أحب -رواية- ١-٢-رواية- ٢٦-٤٤ و لما سمع
سمنون هذا الخبر قال فاز المحبون بشرف الدنيا والآخرة لأنهم مع الله تعالى . و في الحديث المرفوع لأعطين الراية غدا رجلا
يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-٨٧ و هذا يتجاوز حد الجلالة والشرف . و كان يقال الحب أوله
ختل وآخره قتل . قيل كتب يحيى بن معاذ إلى أبي يزيد سكرت من كثرة ما شربت من محبته فكتب إليه أبو يزيد غيرك شرب
بحور السموات والأرض و ماروى بعد ولسانه خارج و هو يقول هل من مزيد. [صفحة ٢٣٥] وأنشد عجبت لمن يقول ذكرت
حبي || وهل أنسى فأذكر ما نسيت شربت الحب كأسا بعد كأس || فما نفذ الشراب و لا رويت . وقيل المحبة سكر لا يصحو
صاحبه إلا بمشاهدة محبوبه ثم السكر الذى يحصل عند المشاهدة لا يوصف . وأنشدوا فأسكر القوم دور كأس || و كان سكرى
من المدير جاء في الخبر المرفوع أن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة على وسلمان وعمار -رواية- ١-٢-رواية- ٢٤-٧١. الشوق مرتبة
من مراتب القوم ومقام من مقاماتهم سئل ابن عطاء الشوق أعلى أم المحبة فقال المحبة لأن الشوق منها يتولد. و من الأدعية
النبيهة المأثورة الدعاء الذى كان يدعو به عمار بن ياسر رضى الله عنه اللهم بعلمك بالغييب وقدرتك على الخلق أحيى
ما علمت الحياة خيرا لى وتوفنى ما كانت الوفاة خيرا لى اللهم إني أسألك خشيتك فى الغيب والشهادة وأسألك كلمة الحق فى
الرضا والغضب وأسألك القصد فى الغنى والفقر وأسألك نعيما لا يبيد وقره عين لا تنقطع وأسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش
بعد الموت وأسألك النظر إلى وجهك والشوق إلى لقاءك من غير ضراء مضره اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين -
رواية- ١-٢-رواية- ٨٥-٤٩٣. قالوا الشوق احتياج القلب إلى لقاء المحبوب و على قدر المحبة يكون الشوق و علامة الشوق
حب الموت . [صفحة ٢٣٦] وهذا هو السر فى قوله تعالى فَتَمَنُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أى أن من كان صاحب محبة يتمنى
لقاء محبوبه فمن لا يتمنى ذلك لا- يكون صادق المحبة. قيل لبعض الصوفية هل تشتاق إليه فقال إنما الشوق إلى غائب و
هو حاضر لا يغيب . وقالوا فى قوله تعالى مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتِيَانَهُ تَطْيِبْ لِقُلُوبِ الْمُشْتَاكِينَ . و -قرآن- ٣١-٧٠-
قرآن- ٢٦٣-٣١٩ يقال إنه مكتوب فى بعض كتب النبوات القديمة شوقناكم فلم تشتاقوا وزمرنا لكم فلم ترقصوا وخوفناكم فلم
ترهبوا ونحن لكم فلم تحزنوا -رواية- ١-٢-رواية- ٥٠-١٤١ قيل إن شعيبا بكى حتى عمى فرد الله إليه بصره ثم بكى حتى
عمى فرد عليه بصره ثم كذلك ثلاثا فقال الله تعالى إن كان هذا البكاء شوقا إلى الجنة فقد أبحثها لك و إن كان خوفا من النار
فقد أجزتكم منها فقال وحقك لا هذا ولا هذا ولكن شوقا إليك فقال له لأجل ذلك أخدمتك نبى و كليمى عشر سنين -
رواية- ١-٢-رواية- ٧-٣٠٣. ومنها الزهد ورفض الدنيا قال سبحانه وَ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ

الدنيا و -قرآن- ٣٩-١٢٣ جاء في الخبر أن يوسف ع كان يجوع في سنى الجذب فقيل له أتجوع و أنت على خزائن مصر فقال أخاف أن أشبع فأنسى الجياع -رواية- ١-٢-رواية- ١٥-١٢٧ قال على ع و قد قيل له أ هذا الباسك و هذا ما كوكك و أنت أمير -رواية- ١-ادامه دارد [صفحه ٢٣٧] المؤمنين فقال نعم إن الله فرض على أئمة العدل أن يقدروا لأنفسهم كضعفه الناس كيلا يتبيخ بالفقير فقره -رواية- از قبل -١١٠. ومنع عمر بن الخطاب نفسه عام الرماده الدسم و قال لا آكله حتى يصيبه المسلمون جميعا. و كان عمر بن عبدالعزيز من أكثر الناس تنعما قبل أن يلي الخلافة قومت ثيابه حينئذ بألف دينار وقومت و هو يخطب الناس أيام خلافته بثلاثه دراهم . و اعلم أن بعض هذه المراتب و المقامات التى ذكرناها للقوم قد يكون متداخلا فى الظاهر و له فى الباطن عندهم فرق يعرفه من يأنس بكتبهم و قد أتينا فى تقسيم مراتبهم و تفصيل مقاماتهم فى هذا الفصل بما فيه كفايه [صفحه ٢٣٨]

٢١٨- و من كلام له ع قاله

عند تلاوته يا أيها الإنسان ما عزك بربك الكريم أدهض مسؤل حجيته و أقطع مغتر معذره لقد أبرح جهالة بنفسه يا أيها الإنسان ما جزأك على ذنبك و ما عزك بربك و ما أنسك بهلكه نفسك أ ما من دائك بلول أم ليس من نومك يقظة أ ما ترحم من نفسك ما ترحم من غيرك فلربما ترى الصاحي من حر الشمس فتظله أو ترى المبلى بألم يمض جسده فتبكي رحمة له فما صبرك على دائتك و جلدك على مصابحك و عزاك عن البكاء على نفسك و هي أعز الأنفس عليك و كيف لما يوقظك خوف بيات نعمة و قد تورط بمعاصيه مدارج سطواته فتداو من داء الفتره فى قلبك بعزيمه و من كرى الغفلة فى ناظرك بيقظة و كن لله مطيعا و بذكره آنسا و تمثل فى حال تولىك عنه إقباله عليك يدعوك إلى عفوه و يتعمدك بفضله و أنت متول عنه إلى غيره -قرآن- ١-٤٩ [صفحه ٢٣٩] فتعالى من قوي ما أكرمه و تواضعت من ضعيف ما أجزأك على معصيته و أنت فى كنف ستره مقيم و فى سعه فضله متقلب فلم يمنعك فضله و لم يهتك عنك ستره بل لم تخل من لطفه مطرف عين فى نعمة يحدثها لك أو سيئه يستورها عليك أو يئيه يصرها عنك فما ظنك به لو أظعته و أيم الله لو أن هذه الصفة كانت فى متفقين فى القوة متوازيين فى القدرة لكنت أول حاكم على نفسك بذميم الأخلاق و مساوي الأعمال و حقا أقول ما الدنيا عزتك و لكن بها اغتررت و لقد كاشفتك العظام و آذنتك على سوائه و لهي بما تعدك من نزول البلاء بجسمك و التقص فى قوتك أصدق و أوفى من أن تكذبك أو تغررك و لرب ناصح لها عندك متهم و صادق من خبرها مكذب و لئن تعرفتها فى الديار الخاويه و الربوع الخاليه لتجدتها من حسن تذكيرك و بلاغ موعظتك بمحله الشفيق عليك و الشحيح بك و لنعم دار من لم يرض بها دارا و محل من لم يوطنها محلا و إن السعداء بالدنيا غدا هم الهاربون منها اليوم إذا رجفت الراجفه و حقت بجلائلها القيامة و لحق بكل منسك أهله و بكل معبود عبده و بكل مطاع أهل طاعته فلم يجر فى عدله و قسطه يومئذ حرق بصير فى الهوائ و لا همس قدم فى الأرض إلما بحقه فكم حجيته يوم ذاك داحضة و علاميق عذير منقطع فتحر من أمرك ما يقوم به عذررك و تثبت به حجتك و خذ ما يبقى لك مما لا تبقى له و تيسر لسفرك و شم برق التجاه و ارحل مطايا التشمير [صفحه ٢٤٠] لقائل أن يقول لو قال ما عرك بربك العزيز أو المنتقم أو نحو ذلك لكان أولى لأن للإنسان المعاتب أن يقول غرنى كرمك الذى وصفت به نفسك . و جواب هذا أن يقال إن مجموع الصفات صار كشيء واحد و هو الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صوره ماشاء ركبك والمعنى ما عرك برب هذه صفته و هذا شأنه و هو قادر على أن يجعلك فى أى صوره شاء فما الذى يؤمنك من أن يمسحك فى صورة القردة و الخنازير و نحوها من الحيوانات العجم و معنى الكريم هاهنا الفياض على المواد بالصور و من هذه

صفته ينبغي أن يخاف منه تبديل الصورة. قال ع أدحض مسئول حجة المبتدأ محذوف والحجة الداخضة الباطلة. والمعذرة بكسر الذال العذر. ويقال لقد أبرح فلان جهالة وأبرح لؤما وأبرح شجاعه وأتى بالبرح من ذلك أى بالشديد العظيم ويقال هذا الأمر أبرح من هذا أى أشد وقتلوه أبرح قتل وجهاله منصوب على التمييز. وقال القطب الراوندى مفعول به قال معناه جلب جهالة إلى نفسه وليس بصحيح وأبرح لا يتعدى هاهنا وإنما يتعدى أبرح فى موضعين أحدهما أبرحه الأمر أى أعجبه والآخر أبرح زيد عمرا أى أكرمه وعظمه. قوله ماجرأك بالهمزة وفلان جرىء القوم أى مقدمهم. و ماأنسك بالتشديد وروى ماأنسك بالمد وكلاهما من أصل واحد وتأنست [صفحة ٢٤١] بفلان واستأنست بمعنى وفلان أنيسى ومؤانسى وقدأنسى كله بمعنى أى كيف لم تستوحش من الأمور التى تؤدى إلى هلكة نفسك. والبلول مصدر بل الرجل من مرضه إذابرى ويجوز أبلى قال الشاعر إذابل من داء به ظن أنه || نجا و به الداء الذى هو قاتله. والضاحى لحر الشمس البارز و هذاداء ممض أى مؤلم أمضنى الجرح إمضاضا ويجوز مضنى. وروى وجلدك على مصائبك بصيغة الجمع. وبيات نعمة بفتح الباء طروقها ليلا وهى من ألفاظ القرآن العزيز. وتورط وقع فى الورطة بتسكين الراء وهى الهلاك وأصل الورطة أرض مطمئنة لاطريق فيها وقدأورطه وورطه توريطا أى أوقعه فيها. والمدارج الطرق والمسالك ويجوز انتصاب مدارج هاهنا لأنها مفعول به صريح ويجوز أن ينتصب على تقدير حرف الخفض وحذفه أى فى مدارج سطواته. قوله وتمثل أى وتصور. ويتغمدك بفضله أى يسترى بعفوه وسمى العفو والصفح فضلا تسمية للنوع بالجنس. قوله مطرف عين بفتح الراء أى زمان طرف العين وطرفها إطباق أحد [صفحة ٢٤٢] جفنيها على الآخر وانتصاب مطرف هاهنا على الظرفية كقولك وردت مقدم الحاج أى وقت قدومهم. قوله متوازيين فى القدرة أى متساويين وروى متوازيين بالنون. والعظات جمع عظة و هو منصوب على نزع الخافض أى كاشفتك بالعظات وروى العظات بالرفع على أنه فاعل وروى كاشفتك الغطاء. وآذنتك أى أعلمتك. و على سواء أى على عدل وإنصاف وهذا من الألفاظ القرآنية. والراجفة الصيحة الأولى وحقت بجلالها القيامة أى بأمرها العظام والمنسك الموضع الذى تذبح فيه النسائك وهى ذبائح القربان ويجوز فتح السين و قدقرئ بهما فى قوله تعالى لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسِيَةً. فإن قلت إذا كان يلحق بكل معبود عبده فالنصارى إذن تلحق بعيسى والغلاة من المسلمين بعلى وكذلك الملائكة فما القول فى ذلك. قلت لا ضرر فى التحاق هؤلاء بمعبودهم ومعنى الالتحاق أن يؤمر الأتباع فى الموقف بالتحيز إلى الجهة التى فيها الرؤساء ثم يقال للرؤساء أهؤلاء أتباعكم وعبدتكم فحينئذ يتبرءون منهم فينجو الرؤساء وتهلك الأتباع كما قال سبحانه أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سيبحانك أنت ولينا من دونهم يبل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون أى إنما كانوا يطيعون الشياطين المضلة لهم فعبادتهم فى قرآن- ٥٣٨-٥٦٧-قرآن-٩٣٣-١٠٧١ [صفحة ٢٤٣] الحقيقة للشياطين لانا وإنهم ماأطاعونا و لوأطاعونا لكانوا مهتدين وإنما أطاعوا شياطينهم. و لاحاجة فى هذاالجواب إلى أن يقال ما قيل فى قوله تعالى إنكم و ما تعبدون من دون الله من تخصيص العموم بالآية الأخرى وهى قوله تعالى إن المدين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون. فإن قلت فما قولك فى اعتراض ابن الزبيرى على الآية هل هو وارد. قلت لا لأنه قال تعالى إنكم و ما تعبدون و ما لما لا يعقل فلايرد عليه الاعتراض بالمسيح والملائكة و الذى قاله المفسرون من تخصيص العموم بالآية الثانية تكلف غير محتاج إليه. فإن قلت فما الفائدة فى أن قرن القوم بأصنامهم فى النار و أى معنى لذلك فى زيادة التعذيب والسخط. قلت لأن النظر إلى وجه العدو باب من أبواب العذاب وإنما أصاب هؤلاء ما أصابهم بسبب الأصنام التى ضلوا بها فكلما رأوها معهم زاد غمهم وحسرتهم. وأيضا فإنهم قدروا أن يستشفعوا بها فى الآخرة فإذا صادفوا الأمر على عكس ذلك لم يكن شىء أبغض إليهم منها. قوله فلم يجر قد اختلف الرواة فى هذه اللفظة فرواها قوم فلم يجر و هو مضارع جرى يجرى تقول ما الذى جرى للقوم فيقول من سألته قدم الأمير من السفر فيكون المعنى على هذا فلم يكن و لم يتجدد فى ديوان حسابه ذلك اليوم صغير و لاحقير إلا بالحق والإنصاف و هذا مثل قوله تعالى لا ظلم اليوم إن

اللَّهُ سَرِيعٌ - قرآن- ١٥٤-١٩٤- قرآن- ٢٤٦-٣١٢- قرآن- ٤٠٤-٤٢٧- قرآن- ١٢٠٢-١٢٣٧ الحقيقة للشياطين لالنا وإنهم ما أطاعونا و لو أطاعونا لكانوا مهتدين وإنما أطاعوا شياطينهم . و لاحتاجة في هذا الجواب إلى أن يقال ما قيل في قوله تعالى إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ تَخْصِيسِ الْعُموم بِالْآيَةِ الْأُخْرَى وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ. فَإِنْ قُلْتَ فَمَا قَوْلُكَ فِي اعْتِرَاضِ ابْنِ الزَّبْعَرِيِّ عَلَى الْآيَةِ هَلْ هُوَ وَارِدٌ. قُلْتَ لِأَنَّهُ قَالَ تَعَالَى إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ وَمَا لِمَا لَا يَعْقِلُ فَلَا يَرُدُّ عَلَيْهِ الْإِعْتِرَاضَ بِالْمَسِيحِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالَّذِي قَالَهُ الْمَفْسُرُونَ مِنْ تَخْصِيسِ الْعُموم بِالْآيَةِ الثَّانِيَةِ تَكْلِفُ غَيْرَ مَحْتَاجٍ إِلَيْهِ . فَإِنْ قُلْتَ فَمَا الْفَائِدَةُ فِي أَنَّ قَرْنَ الْقَوْمِ بِأَصْنَامِهِمْ فِي النَّارِ وَ أَى مَعْنَى لِذَلِكَ فِي زِيَادَةِ التَّعْذِيبِ وَالسَّخَطِ. قُلْتَ لِأَنَّ النَّظَرَ إِلَى وَجْهِ الْعَدُوِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْعَذَابِ وَإِنَّمَا أَصَابَ هَؤُلَاءِ مَا أَصَابَهُمْ بِسَبَبِ الْأَصْنَامِ الَّتِي ضَلُّوا بِهَا فَكَلِمَا رَأَوْهَا مَعَهُمْ زَادَ غَمَّهُمْ وَحَسْرَتَهُمْ . وَأَيْضًا فَإِنَّهُمْ قَدَرُوا أَنْ يَسْتَشْفَعُوا بِهَا فِي الْآخِرَةِ فَإِذَا صَادَفُوا الْأَمْرَ عَلَى عَكْسِ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَيْهِمْ مِنْهَا. قَوْلُهُ فَلَمْ يَجْرِ قَدَاحْتَلَفِ الرَّوَاهُ فِي هَذِهِ اللَّفْظَةِ فَرَوَاهَا قَوْمٌ فَلَمْ يَجْرِ وَهُوَ مُضَارِعٌ جَرَى يَجْرِي تَقُولُ مَا الَّذِي جَرَى لِلْقَوْمِ فَيَقُولُ مَنْ سَأَلْتَهُ قَدَمَ الْأَمِيرِ مِنَ السَّفَرِ فَيَكُونُ الْمَعْنَى عَلَى هَذَا فَلَمْ يَكُنْ وَ لَمْ يَتَجَدَّدْ فِي دِيْوَانِ حِسَابِهِ ذَلِكَ الْيَوْمَ صَغِيرٌ وَ لَاحْتِقِرُ الْإِبَالِحُ وَالْإِنصَافُ وَ هَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ - قرآن- ١-٩ ورواه قَوْمٌ فَلَمْ يَجْزِ مُضَارِعٌ جَازٌ يَجُوزُ أَى لَمْ يَسْغُ وَ لَمْ يَرِخْ ذَلِكَ الْيَوْمَ لِأَحَدٍ مِنَ الْمَكْلُفِينَ فِي حَرَكَةٍ مِنَ الْحَرَكَاتِ الْمُحَقَّرَاتِ الْمُسْتَصْفَرَاتِ إِلَّا- إِذَا كَانَتْ قَدْ فَعَلَهَا بِحَقِّهِ وَ عَلَى هَذَا يَجُوزُ فَعْلٌ مِثْلُهَا وَ رَوَاهَا قَوْمٌ فَلَمْ يَجْرِ مِنْ جَارٍ أَى عَدَلَ عَنِ الطَّرِيقِ أَى لَمْ يَذْهَبْ عَنْهُ سَبْحَانَهُ وَ لَمْ يَضِلْ وَ لَمْ يَشْذُ عَنْ حِسَابِهِ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ مُحَقَّرَاتِ الْأُمُورِ إِلَّا بِحَقِّهِ أَى إِلَّا مَا لَافَائِدُهُ فِي إِثْبَاتِهِ وَالْمَحَاسِبُ عَلَيْهِ نَحْوَ الْحَرَكَاتِ الْمُبَاحَةِ وَالْعَبِيثَةِ الَّتِي لَا تَدْخُلُ تَحْتَ التَّكْلِيفِ . وَ قَالَ الرَّوَانْدِيُّ خَرَقَ بَصْرَ مَرْفُوعٍ لِأَنَّهُ اسْمٌ مَا لَمْ يَسْمُ فَاعِلُهُ وَ لَا أَعْرَفَ لِهَذَا الْكَلَامِ مَعْنَى . وَالْهَمْسُ الصَّوْتُ الْخَفِيُّ. قَوْلُهُ فَتَحَرَ مِنْ أَمْرِكَ تَحْرِيْتُ كَذَا أَى تَوَخَّيْتَهُ وَقَصَدْتَهُ وَاعْتَمَدْتَهُ . قَوْلُهُ وَتَيْسَرَ لِسَفْرِكَ أَى هَيَّئِ أَسْبَابَ السَّفَرِ وَ لَا تَتْرَكَ لِذَلِكَ عَائِقًا. وَالشِّيمُ النَّظَرُ إِلَى الْبَرْقِ . وَرَحَلْتُ مَطِيَّتِي إِذَا شَدَدْتُ عَلَى ظَهْرِهَا الرَّحْلَ قَالَ الْأَعْشَى رَحَلْتُ سَمِيَّةً غَدْوَةً أَجْمَالَهَا || غَضَبِي عَلَيْكَ فَمَا تَقُولُ بَدَأَ لَهَا . وَالتَّشْمِيرُ الْجِدُّ وَالْإِنْكَامُ فِي الْأَمْرِ. وَمَعَانِي الْفَصْلِ ظَاهِرَةٌ وَأَلْفَاظُهُ الْفَصِيحَةُ تَعْطِيفُهَا وَتَدَلُّ عَلَيْهَا بِمَا لُوَارَدَ الْمَفْسُرُ أَنْ يَعْبِرَ عَنْهُ بِعِبَارَةٍ غَيْرِ عِبَارَتِهِ عَ لَكَانَ لَفْظُهُ عَ أَوْلَى أَنْ يَكُونَ تَفْسِيرًا لِكَلَامِ ذَلِكَ الْمَفْسُرِ [صَفْحَهُ ٢٤٥]

٢١٩- و من كلام له ع

إشاره

وَ اللَّهُ لَمَّا نَ أَيْبَتْ عَلَى حَسَبِكَ السَّيِّدَانِ مُسَهَّدًا أَوْ أُجْرَ فِي الْأَغْلَالِ مُصَيِّدًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَ رَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِمًا لِبَعْضِ الْعِبَادِ وَ غَاصِبًا لِلشَّيْءِ مِنَ الْحُطَامِ وَ كَيْفَ أَظْلَمُ أَحَدًا لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى الْبَلَى قُفُولُهَا وَ يَطُولُ فِي الثَّرَى حُلُولُهَا وَ اللَّهُ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلًا وَ قَدْ أَمْلَقَ حَيْتِي اسْتِمَاحَتِي مِنْ بُرْكُمْ صَاعًا وَ رَأَيْتُ صَبِيَّانَهُ شُعَثَ الشَّعُورِ غُيْبَ الْأَلْوَانِ مِنْ فَقْرِهِمْ كَأَنَّمَا سُوِّدَتْ وَجُوهُهُمْ بِالْعِظْمِ وَ عَاوَدَنِي مُؤَكَّدًا وَ كَرَّرَ عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدَّدًا فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ سَمْعِي فَظَنَّ أَنَّي أَبِيعُهُ دِينِي وَ اتَّبَعَ قِيَادَهُ مُفَارِقًا طَرِيقَتِي فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَهُ ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنْفٍ مِنَ الْمَهْمَا وَ كَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مَيْسَرِهَا فَقُلْتُ لَهُ تَكَلَّتْكَ التَّوَاكُلُ يَا عَقِيلُ أَيْ تَتَنَّنُ مِنْ حَدِيدِهِ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلْعَبِيَّةِ وَ تَجَرَّتْنِي إِلَى نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ أَيْ تَتَنَّنُ مِنَ الْأَذَى وَ لَا أَنْنُ مِنْ لَظِي وَ أَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ طَارِقُ طَرَفَنَا بِمَلْفُوفَةٍ فِي وَعَائِهَا وَ مَعْجُونَةٍ شَنَّتْهَا كَأَنَّمَا عُجِنَتْ بِرَيْقِ حَيْهٍ أَوْ قَيْهٍ فَقُلْتُ أَمْ صَلُّهُ أَمْ زَكَاهُ أَمْ صَدَقَهُ فَذَلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَقَالَ لَا ذَا وَ لَا ذَاكَ وَ لَكِنَّهَا هَدِيَّةٌ فَقُلْتُ هَبْلَتَكَ الْهَبُولُ أَعَنْ دِينَ اللَّهِ أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي أَمْ

مُخْتَبِطٌ أَمْ ذُو جِنَّةٍ أَمْ تَهْجُرُ وَ اللَّهُ لَوْ أَعْطِيَتْ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلاكِهَا عَلَيَّ أَنْ أَعْصِيَ اللَّهَ فِي نَمَلَةٍ أَسْلُبَهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ]
صفحة ٢٤٦] مَا فَعَلْتُهُ وَ إِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لَأَهْوَنُ مِنْ وَرْقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضُمُهَا مَا لِعَلِيٍّ وَ لِنَعِيمٍ يَفْنَى وَ لَذَّةٍ لَا تَبْقَى نَعُودٌ بِاللَّهِ مِنْ
سُبَاتِ الْعَقْلِ وَ قُبْحِ الزَّلْلِ وَ بِهِ نَسْتَعِينُ السَّعْدَانِ نَبْتِ ذُو شَوْكٍ يُقَالُ لَهُ حَسَكُ السَّعْدَانِ وَ حَسَكَةُ السَّعْدَانِ وَ تَشْبَهُ بِهِ حَلْمَةُ الثَّدْيِ
يُقَالُ سَعْدَانُهُ الشَّدْوَةُ وَ هَذَا النَّبْتُ مِنْ أَفْضَلِ مِرَاعِي الْإِبِلِ وَ فِي الْمَثَلِ مِرْعَى وَ لَا كَالسَّعْدَانِ وَ نُونُهُ زَائِدَةٌ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْكَلَامِ فَعْلَالٌ
غَيْرُ مِضَاعِفٍ إِلَّا خِزْعَالٌ وَ هُوَ طَلْعٌ يَلْحَقُ النَّاقَةَ وَ قَهْقَارٌ وَ هُوَ الْحَجْرُ الصَّلْبُ وَ قِسْطَالٌ وَ هُوَ الْغَبَارُ. وَ الْمَسْهَدُ الْمَمْنُوعُ النَّوْمِ وَ هُوَ السَّهَادُ.
وَ الْأَغْلَالُ الْقِيُودُ وَ الْمَصْفَدُ الْمَقِيدُ وَ الْحَطَامُ عُرُوضُ الدُّنْيَا وَ مَتَاعُهَا شَبَهُ لَزْوَالِهِ وَ سُرْعَةُ فَنَائِهِ بِمَا يَتَحَطَّمُ مِنَ الْعِيدَانِ وَ يَتَكَسَّرُ. ثُمَّ قَالَ
كَيْفَ أَظْلَمَ النَّاسَ لِأَجْلِ نَفْسٍ تَمُوتُ سَرِيعًا يَعْنِي نَفْسَهُ ع. فَإِنْ قُلْتَ أَلَيْسَ قَوْلُهُ عَنِ نَفْسٍ يَسْرَعُ إِلَى الْبَلِيِّ قَوْلُهَا يَشْعُرُ بِمَذْهَبٍ
مِنْ قَالَ بِقَدَمِ الْأَنْفُسِ لِأَنَّ الْقُفُولَ الرَّجُوعَ وَ لَا يُقَالُ فِي مَذْهَبِهِ لِلْمَسَافِرَةِ قَافِلَةٌ إِلَّا إِذَا كَانَتْ رَاجِعَةً. قُلْتَ لِأَحَاجَةِ إِلَى الْقَوْلِ بِقَدَمِ
الْأَنْفُسِ مَحَافِظَةٌ عَلَى هَذِهِ اللَّفْظَةِ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ النَّفْسَ إِذَا كَانَتْ حَادِثَةً فَقَدْ كَانَ أَصْلُهَا الْعَدَمُ فَإِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ عَدَمَتْ نَفْسُهُ
فَرَجَعَتْ إِلَى الْعَدَمِ الْأَصْلِيِّ وَ هُوَ الْمَعْبَرُ عَنْهُ بِالْبَلِيِّ. [صَفْحَةُ ٢٤٧] وَ أَمَلَقُ افْتَقَرُ قَالَ تَعَالَى وَ لَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ.
وَ اسْتِمَاحَنِي طَلَبُ مَنِي أَنْ أُعْطِيَهُ صَاعًا مِنَ الْحِنْطَةِ وَ الصَّاعُ أَرْبَعَةٌ أَمْدَادٌ وَ الْمَدُّ رَطْلٌ وَ ثَلَاثُ فَمَجْمُوعٌ ذَلِكَ خَمْسَةٌ أَرْطَالٌ وَ ثَلَاثُ
رَطْلٌ وَ جَمْعُ الصَّاعِ أَصُوعٌ وَ إِنْ شِئْتَ هَمَزْتَ وَ الصَّوَاعُ لُغَةٌ فِي الصَّاعِ وَ يُقَالُ هُوَ إِئَاءُ يَشْرَبُ فِيهِ. وَ الْعَظْمُ بِالْكَسْرِ فِي الْحَرْفَيْنِ نَبْتٌ
يَصْبِغُ بِهِ مَا يَرَادُ اسْوَدَادَهُ وَ يُقَالُ هُوَ الْوَسْمَةُ وَ شَعَثُ الْأَلْوَانِ أَيْ غَيْرُ. وَ أَصْغَيْتُ إِلَيْهِ أَمَلْتُ سَمِعِي نَحْوَهُ. وَ أُتْبِعَ قِيَادَهُ أَطِيعَهُ وَ انْقَادَ لَهُ.
وَ أَحْمَيْتُ الْحَدِيدَةَ فِي النَّارِ فَهِيَ مَحْمَاةٌ وَ لَا يُقَالُ حَمَيْتُ الْحَدِيدَةَ. وَ ذِي دَنْفٍ أَيْ ذِي سَقَمٍ مَوْلَمٌ. وَ مِنْ مَيْسَمَهَا مِنْ أَثَرِهَا فِي يَدِهِ
. وَ ثَكَلْتُكَ الثَّوَاكِلَ دَعَاءٌ عَلَيْهِ وَ هُوَ جَمْعُ ثَاكَلَةٍ وَ فَوَاعِلٌ لَا يَجِيءُ إِلَّا جَمْعُ الْمُؤَنَّثِ إِلَّا فِيمَا شَذَّ نَحْوُ فَوَارِسٍ أَيْ ثَكَلْتُكَ نِسَاؤُكَ.
قَوْلُهُ أَحْمَاهَا إِسْنَانُهَا أَيْ صَاحِبِهَا وَ لَمْ يَقُلْ إِنْسَانٌ لِأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُقَابَلَ هَذِهِ اللَّفْظَةُ بِقَوْلِهِ جَبَّارُهَا. وَ سَجَّرُهَا بِالْتَّخْفِيفِ أَوْ قَدَّهَا
وَ أَحْمَاهَا وَ السَّجُورُ مَا يَسْجُرُ بِهِ التَّنُورُ. قَوْلُهُ بَمَلْفُوفَةٍ فِي وَعَائِهَا كَانَ أَهْدَى لَهُ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ نَوْعًا مِنَ الْحَلْوَاءِ تَأْتِقُ فِيهِ وَ كَانَ ع
يَبْغِضُ الْأَشْعَثَ لِأَنَّ الْأَشْعَثَ كَانَ يَبْغِضُهُ وَ ظَنَّ الْأَشْعَثُ أَنَّهُ يَسْتَمِيلُهُ بِالْمَهَادَاةِ لِعَرَضِ دَنْبِيٍّ كَانَ فِي نَفْسِ الْأَشْعَثِ وَ كَانَ أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ - قُرْآن - ٢٦ - ٦٣] [صَفْحَةُ ٢٤٨] عَ يَفْظُنْ لَذَلِكَ وَيَعْلَمُهُ وَلِذَلِكَ رَدَّ هَدِيَّةَ الْأَشْعَثِ وَ لَوْ لَا ذَلِكَ لَقَبَلَهَا لِأَنَّ النَّبِيَّ ص قَبِلَ
الْهَدِيَّةَ وَ قَدَّ قَبْلَ عَلِيٍّ عَ هَدَايَا جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَ دَعَاءُ بَعْضٍ مِنْ كَانَ يَأْنَسُ إِلَيْهِ إِلَى حَلْوَاءٍ عَمَلُهَا يَوْمَ نَوْرُوزٍ فَأَكَلَ وَ قَالَ لَمْ
عَمَلْتُ هَذَا فَقَالَ لِأَنَّهُ يَوْمَ نَوْرُوزٍ فَضَحِكَ وَ قَالَ نَوْرُوزًا لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ. وَ كَانَ عَ مِنْ لَطَافَةِ الْأَخْلَاقِ وَ سَجَاحَةِ الشِّيمِ
عَلَى قَاعِدَةٍ عَجِيبَةٍ جَمِيلَةٍ وَ لَكِنَّهُ كَانَ يَنْفِرُ عَنِ قَوْمٍ كَانَ يَعْلَمُ مِنْ حَالِهِمُ الشَّنَّانَ لَهُ وَعَمَّنْ يَحَاوُلُ أَنْ يَصَانِعَهُ بِذَلِكَ عَنِ مَالِ
الْمُسْلِمِينَ وَ هِيَهَاتَ حَتَّى يَلِينُ لَضَرْسِ الْمَاضِغِ الْحَجَرِ. وَ قَالَ بَمَلْفُوفَةٍ فِي وَعَائِهَا لِأَنَّهُ كَانَ طَبَقَ مَغْطَى. ثُمَّ قَالَ وَمَعْجُونَةٌ شَنْتَهَا أَيْ
أَبْغَضَتْهَا وَ نَفَرَتْ عَنْهَا كَأَنَّهَا عَجَنْتُ بِرَيْقِ الْحَيَّةِ أَوْ بَقِيَّتِهَا وَ ذَلِكَ أَكْثَرُ الْأَسْبَابِ لِلنَّفْرَةِ مِنَ الْمَأْكُولِ. وَ قَالَ الرَّائِدِيُّ وَ صَفَّهَا
بِاللَطَافَةِ فَقَالَ كَأَنَّهَا عَجَنْتُ بِرَيْقِ الْحَيَّةِ وَ هَذَا تَفْسِيرٌ أَبْعَدُ مِنَ الصَّحِيحِ. قَوْلُهُ أَصْلُهُ أَمْ زَكَاةٌ أَمْ صَدَقَةٌ فَذَلِكَ مُحْرَمٌ عَلَيْنَا أَهْلُ الْبَيْتِ
الصَّلَاةُ الْعَطِيَّةُ لَا يَرَادُ بِهَا الْأَجْرُ بَلْ يَرَادُ وَصْلَةُ التَّقَرُّبِ إِلَى الْمَوْصُولِ وَ أَكْثَرُ مَا تَفَعَّلَ لِلذِّكْرِ وَ الصَّيْتِ وَ الزَّكَاةُ هِيَ مَا تَجِبُ فِي النَّصَابِ
مِنْ الْمَالِ. وَ الصَّدَقَةُ هَاهُنَا هِيَ صَدَقَةُ التَّطَوُّعِ وَ قَدْ تَسْمَى الزَّكَاةُ الْوَاجِبَةُ صَدَقَةً لِأَنَّهَا هُنَا هِيَ النَّافِلَةُ. فَإِنْ قُلْتَ كَيْفَ قَالَ فَذَلِكَ
مُحْرَمٌ عَلَيْنَا أَهْلُ الْبَيْتِ وَإِنَّمَا يَحْرَمُ عَلَيْهِمُ الزَّكَاةُ الْوَاجِبَةُ خَاصَّةً وَ لَا يَحْرَمُ عَلَيْهِمُ صَدَقَةُ التَّطَوُّعِ وَ لِاقْبُولِ الصَّلَاتِ قُلْتَ أَرَادَ بِقَوْلِهِ
أَهْلُ الْبَيْتِ الْأَشْخَاصَ الْخَمْسَةَ مُحَمَّدًا وَعَلِيًّا وَ فَاطِمَةَ وَ حَسَنًا وَ حُسَيْنًا [صَفْحَةُ ٢٤٩] عَ فَهَوْلَاءُ خَاصَّةٌ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ
مُحْرَمٌ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَ قَبُولُ الصَّدَقَةِ وَ أَمَا غَيْرُهُمْ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَلَا يَحْرَمُ عَلَيْهِمُ إِلَّا الزَّكَاةُ الْوَاجِبَةُ خَاصَّةً. فَإِنْ قُلْتَ كَيْفَ قُلْتَ إِنْ
هَوْلَاءُ الْخَمْسَةُ يَحْرَمُ عَلَيْهِمُ قَبُولُ الصَّلَاتِ وَ قَدْ كَانَ حَسَنٌ وَ حُسَيْنٌ عَ يَقْبَلَانِ صَلَاةً مَعَاوِيَةَ. قُلْتَ كَلَّا لَمْ يَقْبَلَا صَلَاتَهُ وَمَعَاذَ اللَّهِ أَنْ
يَقْبَلَاهَا وَإِنَّمَا قَبَلَا مِنْهُ مَا كَانَ يَدْفَعُهُ إِلَيْهِمَا مِنْ جَمَلَةٍ حَقَّهَا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ فَإِنْ سَهَمَ ذَوِي الْقُرْبَى مِنْصُوصٌ عَلَيْهِ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ

ولهما غيرسهم ذوى القربى سهم آخر للإسلام من الغنائم . قوله هبلك الهبول أى ثكلتك أمك والهبول التى لها عادة بشكل الولد. فإن قلت ماالفرق بين مختبط وذى جنه ويهجر. قلت المختبط المصروع من غلبه الأخلاط السوداء أوغيرها عليه وذو الجنه من به مس من الشيطان و الذى يهجر هو الذى يهذى فى مرض ليس بصرع كالمحموم والمبرسم ونحوهما. وجلب الشعيرة بضم الجيم قشرها والجلب والجلبة أيضا جليدة تعلو الجرح عندالبرء يقال منه جلب الجرح يجلب ويجلب وأجلب الجرح أيضا ويقال للجليدة التى تجعل على القتب جلبة أيضا. وتقتضما بفتح الضاد والماضى قضم بالكسر [صفحه ٢٥٠]

نبد من أخبار عقيل بن أبى طالب

وعقيل هو عقيل بن أبى طالب ع بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف أخو أمير المؤمنين ع لأمه و أبية و كان بنو أبى طالب أربعة طالب و هوأسن من عقيل بعشر سنين وعقيل و هوأسن من جعفربعشر سنين و جعفر و هوأسن من على بعشر سنين و على و هوأصغرهم سنا وأعظمهم قدرا بل وأعظم الناس بعد ابن عمه قدرا. و كان أبوطالب يحب عقيلا أكثر من حبه سائر بنيه فلذلك قال للنبي ص وللعباس حين أتياه ليقترسما بنيه عام المحل فيخففا عنه ثقلهم دعوا لى عقيلا وخذوا من شئتم فأخذ العباس جعفرا وأخذ محمدص عليا ع . و كان عقيل يكنى أبازيد قال له رسول الله ص يا أبازيد إنى أحبك حين حبا لقرابتك منى و حبا لماكنت أعلم من حب عمى إياك -روايت-١-٢-روايت-٢٧-١١١. أخرج عقيل إلى بدر مكرها كماأخرج العباس فأسر وفدى وعاد إلى مكة ثم أقبل مسلما مهاجرا قبل الحديبية وشهد غزوة مؤتة مع أخيه جعفر ع وتوفى فى خلافة معاوية فى سنة خمس وعمره ست وتسعون سنة. و له دار بالمدينة معروفة وخرج إلى العراق ثم إلى الشام ثم عاد إلى المدينة و لم يشهد مع أخيه أمير المؤمنين ع شيئا من حروبه أيام خلافته وعرض نفسه وولده عليه فأعفاه و لم يكلفه حضور الحرب . و كان أنسب قريش وأعلمهم بأيامها و كان مبغضا إليهم لأنه كان يعد مساوئهم [صفحه ٢٥١] وكانت له طنفسة تطرح فى مسجد رسول الله ص فيصلى عليها ويجتمع إليه الناس فى علم النسب وأيام العرب و كان حينئذ قدذهب بصره و كان أسرع الناس جوابا وأشدهم عارضة. كان يقال إن فى قريش أربعة يتحاكم إليهم فى علم النسب وأيام قريش ويرجع إلى قولهم عقيل بن أبى طالب ومخرمة بن نوفل الزهرى و أبوالجهم بن حذيفة العدوى وحويط بن عبدالعزيز العامرى. واختلف الناس فى عقيل هل التحق بمعاوية و أمير المؤمنين حى فقال قوم نعم ورووا أن معاوية قال يوما وعقيل عنده هذا أبوزيد لو لاعلمه أنى خير له من أخيه لماأقام عندنا وتركه فقال عقيل أخى خير لى فى دينى و أنت خير لى فى دنياى و قد آثرت دنياى أسأل الله خاتمة خير. و قال قوم إنه لم يعد إلى معاوية إلا بعد وفاة أمير المؤمنين ع واستدلوا على ذلك بالكتاب الذى كتبه إليه فى آخر خلافته والجواب الذى أجابه ع و قدذكرناه فيما تقدم وسيأتى ذكره أيضا فى باب كتبه ع و هذاالقول هوالأظهر عندى وروى المدائنى قال قال معاوية يوما لعقيل بن أبى طالب هل من حاجة فأقضيها لك قال نعم جارية عرضت على وأبى أصحابها أن يبيعوها إلا بأربعين ألفا فأحب معاوية أن يمازحه فقال و ماتصنع بجارية قيمتها أربعون ألفا و أنت أعمى تجترئ بجارية قيمتها خمسون درهما قال أرجو أن أطأها فتلد لى غلاما إذاغضبته يضرب عنقك بالسيف فضحك معاوية و قال مازحناك يا أبازيد وأمر فابتعت له الجارية [صفحه ٢٥٢] التى أولد منها مسلما فلما أتت على مسلم ثمانى عشرة سنة و قد مات عقيل أبوه قال لمعاوية يا أمير المؤمنين إن لى أرضا بمكان كذا من المدينة وإنى أعطيت بهامائة ألف و قدأحببت أن أبيعك إياها فادفع إلى ثمنها فأمر معاوية بقبض الأرض و دفع الثمن إليه . فبلغ ذلك الحسين ع فكتب إلى معاوية أما بعدفإنك غررت غلاما من بنى هاشم فابتعت منه أرضا لايملكها فاقبض من الغلام مادفعته إليه و اررد إلينا أرضنا -روايت-١-٢-روايت-٤٠-١٥٧. فبعث معاوية إلى مسلم فأخبره ذلك وأقرأه كتاب الحسين ع و

قال اردد علينا مالنا وخذ أرضك فإنك بعث ما لا تملك فقال مسلم أمادون أن أضرب رأسك بالسيف فلا فاستلقى معاوية ضاحكا يضرب برجليه فقال يابني هذا والله كلامه قاله لى أبوك حين ابتعت له أمك . ثم كتب إلى الحسين إنى قدرددت عليكم الأرض وسوغت مسلما ماأخذ فقال الحسين ع أيتم يا آل أبى سفيان إلاكرما. و قال معاوية لعقيل يا أبازيد أين يكون عمك أبولهب اليوم قال إذادخلت جهنم فاطلبه تجده مضاجعا لعمتك أم جميل بنت حرب بن أمية. وقالت له زوجته ابنة عتبة بن ربيعة يابني هاشم لايجبكم قلبى أبدا أين عمى أين أخى كان أعناقهم أباريق الفضة ترى آنافهم الماء قبل شفاهم قال إذادخلت جهنم فخذى على شمالك . [صفحہ ۲۵۳] سأل معاوية عقيلاً عن قصة الحديدة المحمأة المذكورة فبكى و قال أناأحدثك يامعاوية عنه ثم أحدثك عما سألت نزل بالحسين ابنه ضيف فاستسلف درهما اشترى به خبزاً واحتاج إلى الإدام فطلب من قنبر خادمهم أن يفتح له زقا من زقاق عسل جاءتهم من اليمن فأخذ منه رطلا فلما طلبها ع ليقسما قال يا قنبر أظن أنه حدث بهذا الزق حدث فأخبره فغضب ع و قال على بحسين فرجع عليه الدرء فقال بحق عمى جعفر و كان إذاسئل بحق جعفرسكن فقال له ما حملك أن أخذت منه قبل القسمة قال إن لنا فيه حقا فإذاأعطيناه رددناه قال فداك أبوك و إن كان لك فيه حق فليس لك أن تنتفع بحقك قبل أن ينتفع المسلمون بحقوقهم أما لو لأنى رأيت رسول الله ص يقبل ثيتك لأوجعتك ضربا ثم دفع إلى قنبر درهما كان مصرورا فى رداه و قال اشتر به خير عسل تقدر عليه قال عقيل و الله لكأنى أنظر إلى يدي على وهى على فم الزق وقنبر يقبل العسل فيه ثم شده وجعل يبكى و يقول اللهم اغفر لحسين فإنه لم يعلم -رواية- ۱-۹۰۰ . فقال معاوية ذكرت من لاينكر فضله رحم الله أباحسن فلقد سبق من كان قبله وأعجز من يأتى بعده هلم حديث الحديدة. قال نعم أقويت وأصابتنى مخمصه شديدة فسألته فلم تند صفاته فجمعت صبيانى وجتته بهم والبؤس والضر ظاهران عليهم فقال ائتنى عشية لأدفع إليك شيئا فجئت يهودنى أحد ولدى فأمره بالتنحى ثم قال ألافدونك فأهويت حريصا قدغلبنى الجشع أظنها صرة فوضعت يدي على حديدة تلتهب نارا فلما قبضتها نبذتها وخرت كمايخور الثور تحت يد جازره فقال لى ثكلتك أمك هذا من حديدة -رواية- ۱-۲-رواية- ۸-ادامه دارد [صفحہ ۲۵۴] أوقدت لها نار الدنيا فكيف بك وبى غدا إن سلكتنا فى سلاسل جهنم ثم قرأ إذ الأغلال فى أعناقهم و السلاسل يسحبون. ثم قال ليس لك عندي فوق حقك الذى فرضه الله لك إلا ماترى فانصرف إلى أهلك -رواية- از قبل- ۲۱۴. فجعل معاوية يتعجب و يقول هيهات هيهات عقت النساء أن يلدن مثله [صفحہ ۲۵۵]

۲۲۰- و من دعاء له ع

اللَّهُمَّ صُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ وَ لَا تَبْدُلْ جَاهِي بِالْإِقْتَارِ فَاسْتَرْزِقْ طَالِبِي رِزْقَكَ وَ اسْتَعِطِفْ شَرَارَ خَلْقِكَ وَ أَبْتَلِي بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي وَ أَفْتِنَنَّ بِحَدْمِ مَنْ مَنَعَنِي وَ أَنْتَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ كُلِّهِ وَلِيَّ الْإِعْطَاءِ وَ الْمَنْعَانِكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ -قرآن- ۲۶۴-۲۹۳ صن وجهى باليسار أى استره بأن ترزقنى يسارا وثروه أستغنى بهما عن مسألة الناس . و لا تبذل جاهى بالإقتار أى لا تسقط مروءتى و حرمتى بين الناس بالفقر الذى أحتاج معه إلى تكفف الناس . و روى أن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب الجواد رقت حاله فى آخر عمره لأن عبد الملك جفاه فراح يوما إلى الجمعة فدعا فقال اللهم إنك عودتنى عادة جريت عليها فإن كان ذلك قدانقضى فاقبضنى إليك فلم يلحق الجمعة الأخرى . و كان الحسن بن على ع يدعو فيقول اللهم وسع على فإنه لايسعنى إلاالكثير -رواية- ۱-۲-رواية- ۳۸-۷۹ . [صفحہ ۲۵۶] قوله فاسترزق منصوب لأنه جواب الدعاء كقولهم ارزقنى بعيرا فأحج عليه بين ع كيفية تبذل جاهه بالإقتار وفسره فقال بأن أطلب الرزق ممن يطلب منك الرزق . و أستعطف الأشرار من الناس أى أطلب عاطفتهم وإفضالهم

ويلزم من ذلك أمران محذوران أحدهما أن أبتلى بحمد المعطى. والآخر أن أفتنن بدم المانع. قوله ع وأنت من وراء ذلك كله مثل يقال للمحيط بالأمر القاهر له القادر عليه كما نقول للملك العظيم هو من وراء وزرائه وكتابه أى مستعد متهيئ لتبعيةهم وتعقبهم واعتبار حركاتهم لإحاطته بها وإشرافه عليها. وولى مرفوع بأنه خبر المبتدأ و يكون خبرا بعد خبر ويجوز أن يكون ولى هو الخبر و يكون من وراء ذلك جملة مركبة من جار ومجرور منصوبة الموضع لأنه حال [صفحة ٢٥٧]

٢٢١- ومن خطبة له ع

إشارة

دَارٌ بِالْبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ وَ بِالْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ لَا تَدُومُ أَحْوَالُهَا وَ لَا يَسْلَمُ نُزَالُهَا أَحْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ وَ تَارَاتٌ مُتَّصِرَةٌ فِيهَا مَذْمُومٌ وَ الْأَمَانُ مِنْهَا مَعْدُومٌ وَ إِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا أَغْرَاضٌ مُسْتَهْدِفَةٌ تَرْمِيهِمْ بِسَهَامِهَا وَ تُفْنِيهِمْ بِحِمَامِهَا وَ اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّكُمْ وَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلٍ مَنْ قَدْ مَضَى قَبْلَكُمْ مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَارًا وَ أَعَمَّرَ دِيَارًا وَ أَبْعَدَ آثَارًا أَصْبَحَتْ أَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةً وَ رِيَاحُهُمْ رَاكِدَةً وَ أَجْسَادُهُمْ بَالِيَةً وَ دِيَارُهُمْ خَالِيَةً وَ آثَارُهُمْ عَافِيَةً فَاسْتَبَدُّوا بِالْقُصُورِ الْمَشِيدَةِ وَ النَّمَارِقِ الْمُمَهَّدَةِ الصِّخُورِ وَ الْأَحْجَارِ الْمُسْنَدَةِ وَ الْقُبُورِ الْمَلْحَدَةِ الَّتِي قَدْ بَنَى عَلَى الْخَرَابِ فَنَاوَهَا وَ شَيْدَ بِالتَّرَابِ بِنَاوَهَا فَمَحَلَّهَا مُقْتَرَبٌ وَ سَاكِنُهَا مُغْتَرَبٌ بَيْنَ أَهْلِ مَحَلِّهِ مُوحِشِينَ وَ أَهْلِ فِرَاقٍ مُتَشَاغِلِينَ لَا يَسْتَأْنِسُونَ بِالْأَوْطَانِ وَ لَا يَتَوَاصِلُونَ تَوَاصِلَ الْجِيرَانِ عَلَى مَا بَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ الْجَوَارِ وَ دُنُو الدَّارِ وَ كَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَزَاوُرٌ وَ قَدْ طَحَنَهُمْ بِكَلْكَلِهِ الْبَلْبَى وَ أَكَلْتَهُمْ الْجِنَادِلُ وَ السَّرَى وَ كَمَا أَنَّ قَدْ صِرْتُمْ إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ وَ ارْتَهَنَكُمْ ذَلِكَ الْمَضْجَعُ وَ ضَمَّكُمْ ذَلِكَ الْمُسْتَوْدَعُ فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ تَنَاهَتْ بِكُمْ الْأُمُورُ وَ بُعِثَتِ الْقُبُورُ هُنَالِكَ تَبَلَّوْا كُلَّ -قُرْآن- ١٣٦٣-١٣٨٣ دَارٌ بِالْبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ وَ بِالْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ لَا تَدُومُ أَحْوَالُهَا وَ لَا يَسْلَمُ نُزَالُهَا أَحْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ وَ تَارَاتٌ مُتَّصِرَةٌ فِيهَا مَذْمُومٌ وَ الْأَمَانُ مِنْهَا مَعْدُومٌ وَ إِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا أَغْرَاضٌ مُسْتَهْدِفَةٌ تَرْمِيهِمْ بِسَهَامِهَا وَ تُفْنِيهِمْ بِحِمَامِهَا وَ اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّكُمْ وَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلٍ مَنْ قَدْ مَضَى قَبْلَكُمْ مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَارًا وَ أَعَمَّرَ دِيَارًا وَ أَبْعَدَ آثَارًا أَصْبَحَتْ أَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةً وَ رِيَاحُهُمْ رَاكِدَةً وَ أَجْسَادُهُمْ بَالِيَةً وَ دِيَارُهُمْ خَالِيَةً وَ آثَارُهُمْ عَافِيَةً فَاسْتَبَدُّوا بِالْقُصُورِ الْمَشِيدَةِ وَ النَّمَارِقِ الْمُمَهَّدَةِ الصِّخُورِ وَ الْأَحْجَارِ الْمُسْنَدَةِ وَ الْقُبُورِ الْمَلْحَدَةِ الَّتِي قَدْ بَنَى عَلَى الْخَرَابِ فَنَاوَهَا وَ شَيْدَ بِالتَّرَابِ بِنَاوَهَا فَمَحَلَّهَا مُقْتَرَبٌ وَ سَاكِنُهَا مُغْتَرَبٌ بَيْنَ أَهْلِ مَحَلِّهِ مُوحِشِينَ وَ أَهْلِ فِرَاقٍ مُتَشَاغِلِينَ لَا يَسْتَأْنِسُونَ بِالْأَوْطَانِ وَ لَا يَتَوَاصِلُونَ تَوَاصِلَ الْجِيرَانِ عَلَى مَا بَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ الْجَوَارِ وَ دُنُو الدَّارِ وَ كَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَزَاوُرٌ وَ قَدْ طَحَنَهُمْ بِكَلْكَلِهِ الْبَلْبَى وَ أَكَلْتَهُمْ الْجِنَادِلُ وَ السَّرَى وَ كَمَا أَنَّ قَدْ صِرْتُمْ إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ وَ ارْتَهَنَكُمْ ذَلِكَ الْمَضْجَعُ وَ ضَمَّكُمْ ذَلِكَ الْمُسْتَوْدَعُ فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ تَنَاهَتْ بِكُمْ الْأُمُورُ وَ بُعِثَتِ الْقُبُورُ هُنَالِكَ تَبَلَّوْا كُلَّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ -قُرْآن- ١-٩٤ بالبلاء محفوفة قد أحاط بها من كل جانب. وتارات جمع تارة وهى المرة الواحدة ومتصرفه منتقلة متحولة. ومستهدفة بكسر الدال منتصبه مهيأة للرمى وروى مستهدفة بفتح الدال على المفعولية كأنها قد استهدفتها غيرها أى جعلها أهدافا. ورياحهم راكدة ساكنة وآثارهم عافية مندرسة. والقصور المشيدة العالية و من روى المشيدة بالتخفيف وكسر الشين فمعناه المعمولة بالشيء وهو الجص. والنمارق الوسائد والقبور الملحدة ذوات اللحود. وروى والأحجار المسندة بالتشديد. قوله ع قد بنى على الخراب فناؤها أى بنيت لالتسكن الأحياء فيها كما تبني منازل أهل الدنيا. والكلكل الصدر وهو هنا استعارة. والجنادل الحجارة وبعثت القبور أثيرت. وتبلو كل نفس ما أسلفت تخبر وتعلم جزاء أعمالها وفيه حذف مضاف و من [صفحة ٢٥٩] قرأ تتلو بالتاء بنقطتين أى تقرأ كل نفس كتابها

وضل عنهم ما كانوا يفترون بطل عنهم ما كانوا يدعونه ويكذبون فيه من القول بالشركاء وأنهم شفعاء

ذكر بعض الآثار والأشعار الواردة في ذم الدنيا

و من كلام بعض البلغاء في ذم الدنيا أما بعد فإن الدنيا قد عاتبت نفسها بما أبدت من تصرفها وإنبات عن مساوئها بما أظهرت عن مصارع أهلها ودلت على عوراتها بتغير حالاتها ونطقت ألسنة العبر فيها بزوالها وشهد اختلاف شئونها على فنائها و لم يبق لمرتاب فيهاريب و لاناظر في عواقبها شك بل عرفها جل من عرفها معرفة يقين وكشفوها أوضح تكشيف ثم اختلجتها الأهواء عن منافع العلم ودلتهم الآمال بغرور فلججت بهم في غمرات العجز فسبحوا في بحورها موقنين بالهلكة ورتعوا في عراصها عارفين بالخدعة فكان يقينهم شكا وعلمهم جهلا لبالعلم انتفعوا و لا بما عاينوا اعتبروا قلوبهم عالمه جاهله وأبدانهم شاهده غائبه حتى طرقتهم المنية فأعجلتهم عن الأمنية فبغتتهم القيامة وأورثتهم الندامة وكذلك الهوى حلت مذاقته وسمت عاقبته والأمل ينسى طويلا ويأخذ وشيكا فانتفع امرؤ بعلمه وجاهد هواه أن يضلّه وجانب أمله أن يغره وقوى يقينه على العمل ونفى عنه الشك بقطع الأمل فإن الهوى والأمل إذا استضعفا اليقين صرعا و إذا تعاونا على ذى غفلة خدعا فصريعهما لا ينهض سالما و خديعهما لا يزال نادما والقوى من قوى عليهما والحازم من احترس منهما ألبسنا الله وإياكم جنه السلامة ووقانا وإياكم سوء العذاب . [صفحه ٢٦٠] كان عمر بن عبدالعزيز إذا جلس للقضاء قرأاً فرأيت إن متعنهم سنيين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون . قال منصور بن عمار لأهل مجلسه ما أرى إساءة تكبر على عفو الله فلا تياس وربما آخذ الله على الصغير فلا تأمن و قد علمت أنك بطول عفو الله عنك عمرت مجالس الاغترار به ورضيت لنفسك المقام على سخطه و لو كنت تعاقب نفسك بقدر تجاوزه عن سيئاتك ما استمر بك لججاج فيما نهيت عنه و لا قصرت دون المبالغة فيه ولكنك رهين غفلتك وأسير حيرتك . قال إسماعيل بن زياد أبو يعقوب قدم علينا بعبادان راهب من الشام ونزل دير ابن أبي كبشه فذكروا حكمة كلامه فحملني ذلك على لقائه فأتيته و هو يقول إن لله عبادا سمت بهم همهم فهووا عظيم الذخائر فالتمسوا من فضل سيدهم توفيقا يبلغهم سمو الهمم فإن استطعتم أيها المترحلون عن قريب أن تأخذوا ببعض أمرهم فإنهم قوم قدملكم الآخرة قلوبهم فلم تجد الدنيا فيهما ملبسا فالحزن بثهم والدمع راحتهم والدعوب وسيلتهم وحسن الظن قربانهم يحزنون بطول المكث في الدنيا إذ فرح أهلها فهم فيهما مسجونون و إلى الآخرة منطلقون . فما سمعت موعظة كانت أنفع لى منها . و من جيد شعر أبي نواس في الزهد - قرآن - ٤٢ - ١٤٨ يابنى النقص والغير || وبنى الضعف والخور وبنى البعد فى الطباع || على القرب فى الصور [صفحه ٢٦١] والشكول التى تباين || فى الطول والقصر أين من كان قبلكم || من ذوى البأس والخطر سائلوا عنهم المدائن || واستبحثوا الخبر سبقونا إلى الرحيل || وإنا لبالأثر من مضى عبرة لنا || وغدا نحن معتبر أن للموت أخذه || تسبق للحمح بالبصر فكأنى بكم غدا || فى ثياب من المدر قد نقلتم من القصور || إلى ظلمة الحفر حيث لا تضرب القباب || عليكم و لا الحجر حيث لا تطربون منه || للهو و لاسمر رحم الله مسلما || ذكر الموت فازدجر رحم الله مؤمنا || خاف فاستشعر الحذر . و من جيد شعر الرضى أبى الحسن رحمه الله فى ذكر الدنيا وتقلبها بأهلها وهل نحن إلا رمى السهام || يحفرها نابل دائب نسر إذا جازنا طائش || ونجزع إن مسنا صائب ففى يومنا قدر لا بد || و عند غد قدر واثب [صفحه ٢٦٢] طرائد تطردها النائبات || و لا بد أن يدرك الطالب أرى المرء يفعل فعل الحديد || و هو غدا حمأ لازب عوارى من سلب الهالكين || يمد يدا نحوها السالب لنا بالردى موعد صادق || ونيل المنى موعد كاذب حبايل للدهر مبثوثة || يرد إلى جذبها الهارب وكيف تجاوز غاياتنا || و قد بلغ المورد القارب نصبح بالكأس مجدحة || ذعافا و لا يعلم الشارب . و قال أيضا وهى من محاسن شعره ما أقل اعتبارنا بالزمان || وأشد اغترارنا بالأمانى

وقفات على غرور وإقدام || على مزلق من الحداثان فى حروب مع الردى فكانا اليوم || فى هدنة مع الأزمان وكفانا مذكرا
بالمنايا || علمنا أننا من الحيوان كل يوم رزية بفلان || ووقوع من الردى بفلان كم ترانى أضل نفسا وأهوا || فكأنى وثقت
بالوجدان قل لهذى الهوامل استوقفى السير || أو استشدى عن الأعطان واستقيمى قدضمك اللقم النهج || وغنى وراءك
الحاديان [صفحہ ۲۶۳] كم محيدا عن الطريق وقد ضرح || خليج البرى وجذب العران نثنى جازعين من عدوة الدهر || ونرتاع
للمنايا الروانى جفلة السرب فى الظلام وقد ذعد || روعا من عدوة الذؤبان ثم نسى جرح الحمام وإن كان || رغبيا يقرب ذا
النسيان كل يوم تزايل من خليط || بالردى أو تباعد من دان وسواء مضى بنا القدر الجد || عجولا أو ماطل العصران . وأيضا من
هذه القصيدة قدمرنا على الديار خشوعا || ورأينا البنا فآين البانى وجهلنا الرسوم ثم علمنا || فذكرنا الأوطار بالأوطان التفاتا
إلى القرون الخوالى || هل ترى اليوم غير قرن فان أين رب السدير فالحيرة البيضاء || أم أين صاحب الإيوان والسيوف الحداد
من آل بدر || والقنا الصم من بنى الريان طردتهم وقائع الدهر عن لعل || طرد السفاف عن نجران والمواضى من آل جفنة
أرسى || طنبا ملكهم على الجولان يكرعون العقار فى فلق الإبريز || كرع الظماء فى الغدران من أباة اللعن الذين يحيون || بها
فى معاهد التيجان تتراهم الوفود بعيدا || ضاربين الصدور بالأذقان [صفحہ ۲۶۴] فى رياض من السماح حوال || وجبال من
الحلوم رزان وهم الماء لذ للناهل الظمان || بردا والنار للحيران كل مستيقظ الجنان إذا ظلم || ليل النوامة المبطن يغتدى فى
السباب غير شجاع || ويرى فى التزال غير جبان ماثنت عنهم المنون يدا شو كاء || أطرافها من المران عطف الدهر فرعهم فرءاه ||
بعد بعد الذرى قريب المجانى وثنتهم بعد الجماح المنايا || فى عنان التسليم والإذعان عطلت منهم المقارى وباخت || فى
حماهم مواقد النيران ليس يبقى على الزمان جرىء || فى إباء أو عاجز فى هوان لاشبوب من الصوار ولا أعنق || يرعى منابت
العلجان لا- ولا خاضب من الربد يختال || بربط أحم غير يمان يرتى وجهه الرئال إذا آنس || لون الإظلام والإدجان وعقاب
الملاع تلحم فرخيها || بإزليقة زلول القنان نائلا فى مطامح الجو هاتيك || وذا فى مهابط الغيطان و هذا شعر فصيح نادر معرق
فى العربية. [صفحہ ۲۶۵] ومن شعره الجيد أيضا فى ذكر الدنيا ومصائبها أو مارأيت وقائع الدهر || أفلاتسىء الظن بالعمربينا
الفتى كالطود تكنفه || هضباته والعضب ذى الأثر يأبى الدنية فى عشيرته || ويجاذب الأيدى على الفخر و إذا أشار إلى قبائله
|| حشدت عليه بأوجه غر يترادفون على الرماح فهم || سيل يعب وعارض يسرى إن نهنهورا زادوا مقاربه || فكأنما يدعون
بالزجر عدد النجوم إذا دعى بهم || يتراحمون تراحم الشعر عقدوا على الجلى مآزرهم || سبى الأنامل طيبى النشر زل الزمان
بوطء أخصه || ومواطئ الأقدام للعثر نزع الإباء و كان شملته || وأقر إقرارا على صغر صدع الردى أعيأ تلاحمه || من أحم
الصدفين بالقطر جر الجياد على الوجى ومضى || أمما يدق السهل بالوعر حتى التقى بالشمس مغمدة || فى قعر منقطع من
البحر ثم انثت كف المنون به || كالضغث بين الناب والظفر لم تشتجر عنه الرماح ولا || رد القضاء بماله الدثر جمع الجنود
وراءه فكأنما || لاقته و هو مضيع الظهر وبنى الحصون تمنعا فكأنما || أمسى بمضيعة و ما يدرى وبرى المعابل للعدا فكأنما ||
لحامه كان الذى يبرى [صفحہ ۲۶۶] إن التوقى فرط معجزة || فدع القضاء يقدر أو يفرى وحمى المطاعم للبقا وذى الآجال ||
ملء فروعها تجرى لو كان حفظ النفس ينفعنا || كان الطيب أحق بالعمر الموت داء لادواء له || سيان مايوبى و مايمرى . و
هذا من حر الكلام وفصيحه ونادره و لاعجب فهذه الورقة من تلك الشجرة و هذا القبس من تلك النار [صفحہ ۲۶۷]

اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْسُ الْآنِسِينَ لِأَوْلِيائِكَ وَ أَحْضَرُهُمْ بِالْكَفَايَةِ لِلْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ تَشَاهِدُهُمْ فِي سَرَائِرِهِمْ وَ تَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ فِي ضَمَائِرِهِمْ وَ تَعْلَمُ مَبْلَغَ بَصَائِرِهِمْ فَاسْرَارُهُمْ لَكَ مَكْشُوفَةٌ وَ قُلُوبُهُمْ إِلَيْكَ مَلْهُوفَةٌ إِنْ أَوْحَشْتَهُمُ الْغُرْيَةَ أَنْسَيْتَهُمْ ذِكْرَكَ وَ إِنْ صَبَّيْتَهُمْ عَلَيْهِمُ الْمَصَائِبَ لَجَأُوا إِلَى الْإِسْتِجَارَةِ بِكَ عِلْمًا بِأَنَّ أَرْمِيَةَ الْأُمُورِ بِيَدِكَ وَ مَصَادِرُهَا عَنْ قَضَائِكَ اللَّهُمَّ إِنْ فَهِتُ عَنْ مَسْأَلَتِي أَوْ عَمِيتُ عَنْ طَلِبَتِي فَدَلَّنِي عَلَى مَصَالِحِي وَ خُذْ بِقَلْبِي إِلَى مَرَأَشِدِي فَلَيْسَ ذَلِكَ بِنُكْرٍ مِنْ هِدَايَاتِكَ وَ لَا بِيَدِعٍ مِنْ كِفَايَاتِكَ اللَّهُمَّ اِحْمَلْنِي عَلَى عَفْوِكَ وَ لَا تَحْمِلْنِي عَلَى عَمْدِكَ أَنْتَ ضِدُّ وَحْشَتِ الْإِنْسَانِ ضِدُّ الْإِيحَاشِ وَ كَانَ الْقِيَاسُ أَنْ يَقُولَ إِنَّكَ أَنْسُ الْمُؤَنَسِينَ لِأَنَّ الْمَاضِيَ أَفْعَلُ وَإِنَّمَا الْآنَسُونَ جَمْعُ أَنْسٍ وَ هُوَ الْفَاعِلُ مِنْ أَنْسْتَ بِكَذَا لَا مِنْ أَنْسْتَ فَالرَّوَايَةُ الصَّحِيحَةُ إِذْنُ بِأَوْلِيائِكَ أَيْ أَنْتَ أَكْثَرُهُمْ أَنْسًا بِأَوْلِيائِكَ وَعَطْفًا وَتَحَنُّنًا عَلَيْهِمْ . وَأَحْضَرَهُمْ بِالْكَفَايَةِ أَيْ أَبْلَغَهُمْ إِحْضَارًا لِكِفَايَةِ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِمْ وَأَقْوَمَهُمْ بِذَلِكَ [صَفْحَةُ ٢٦٨] تَشَاهَدُهُمْ فِي سَرَائِرِهِمْ أَيْ تَطَّلِعُ عَلَى غَيْبِهِمْ وَبِصَائِرِ الْعَزَائِمِ نَفَذْتَ بِصِيرَتِهِ فِي كَذَا أَيْ حَقَّ عَزْمُهُ . وَقُلُوبُهُمْ إِلَيْكَ مَلْهُوفَةٌ أَيْ صَارَ خُذُّهُ مُسْتَعِيثَةً . وَفَهَيْتُ عَنْ مَسْأَلَتِي بِالْكَسْرِ عَيْتُ وَفَهَيْتُ الْفَهَاءُ الْعِي رَجُلٌ أَفَهُ وَ رَجُلٌ فَهُ أَيْضًا وَامْرَأَةٌ فَهَيْتُ قَالَ الشَّاعِرُ فَلَمْ تَلْفَنِي فِيهَا وَ لَمْ تَلْفِ حَاجَتِي || مَلْجَلْجَةً أَبْغَى لَهَا مِنْ يَقِيمِهَا . وَ قَدْ فَهَيْتُ يَا رَجُلٌ فَهَيْتُ أَيْ عَيْتُ وَيُقَالُ سَفِيهٌ فِيهِ وَفَهَيْتُ اللَّهَ وَخَرَجْتَ لِحَاجَةٍ فَأَفْهَيْتُ عَنْهَا فَلَا تَنْ أَيْ أَنْسَانِيهَا . وَيُرْوَى أَوْعَمْتُ بِالْهَاءِ وَالْمِيمِ الْمَكْسُورَةُ وَالْعَمَةُ التَّحْيِيرُ وَالتَّرَدُّدُ عَمَهُ الرَّجُلُ فَهُوَ عَمَهُ وَعَامَهُ وَالجَمْعُ عَمَهُ وَأَرْضُ عَمَاءٍ لِأَعْلَامِ بِهَا . وَالنُّكْرُ الْعَجَبُ وَالبَدْعُ الْمَبْتَدَعُ وَ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاً مِنَ الرُّسُلِ أَيْ لَمْ آتْ بِمَا لَمْ أَسْبِقْ إِلَيْهِ . وَمِثْلُ قَوْلِهِ اللَّهُمَّ اِحْمَلْنِي عَلَى عَفْوِكَ وَ لَا تَحْمِلْنِي عَلَى عَدْلِكَ قَوْلُ الْمُرَوَّانِيَّةِ لِلْهَاشِمِيَّةِ لِمَاقِلِ مِرْوَانَ فِي خَبَرِ قَدِاقْتِصْنَاهُ قَدِيمًا لَيْسَعْنَا عَدْلَكُمْ قَالَتِ الْهَاشِمِيَّةُ إِذْنُ لَانْبَقَى مِنْكُمْ أَحَدًا لِأَنَّكُمْ حَارَبْتُمْ عَلِيًّا وَ سَمَّمْتُمْ الْحَسَنَ عَ وَ قَتَلْتُمْ الْحُسَيْنَ وَ زَيْدًا وَابْنَهُ وَضَرَبْتُمْ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ وَخَنَقْتُمْ إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامَ فِي جِرَابِ النُّورَةِ . قَالَتِ قَدِيسَعْنَا عَفْوَكُمْ قَالَتِ أَمَا هَذَا نَعْمَ - قُرْآن - ٢٨٩ - ٣٢١ [صَفْحَةُ ٢٦٩]

أدعية فصيحة من كلام أبي حيان التوحيدي

و من الدعوات الفصيحة المستحسنة فصول من كلام أبي حيان التوحيدي نقلتها. فمنها اللهم إني أبرأ من الثقة إلابك و من الأمل إلابيك و من التسليم إلابك و من التفويض إلابيك و من التوكل إلابيك و من الطلب إلابك و من الرضا إلابك و من الذل إلابك في طاعتك و من الصبر إلابك على بلائك و أسألك أن تجعل الإخلاص قرين عقيدتي والشكر على نعمك شعاري و دثاري والنظر إلى ملكوتك دأبي وديدني والانقياد لك شأني وشغلي والخوف منك أمني وإيماني واللياذ بذكرك بهجتي وسروري. اللهم تتابع برك واتصل خيرك وعظم رفدك وتناهي إحسانك وصدق وعدك وبر قسمك وعمت فواضلك وتمت نوافلك و لم تبق حاجة إلا و قد قضيتها أو تكلفت بقضائها فاختم ذلك كله بالرضا والمغفرة إنك أهل ذلك والقادر عليه والملي به . ومنها اللهم إني أسألك خفايا لطفك وفواتح توفيقك ومألوف برك وعوائد إحسانك وجاه المقدسين من ملائكتك ومنزلة المصطفين من رسلك ومكاثرة الأولياء من خلقك وعاقبة المتقين من عبادك . وأسألك القناعة برزقك والرضا بحكمك والتزاهة عن محظورك والورع في شبهاتك والقيام بحجتك والاعتبار بما أبديت والتسليم لما أخفيت والإقبال على ما أمرت والوقوف عما زجرت حتى أتخذ الحق حجة عند ما خف و ثقل والصدق سنة فيما عسر وسهل و حتى أرى أن شعار الزهد أعز شعار ومنظر الباطل أشوه منظر [صَفْحَةُ ٢٧٠] فأبتخر في ملكوتك بفضفاض الرداء بالدعاء إليك وأبلغ الغاية القصوى بين خلقك بالثناء عليك . ومنها اللهم إليك أرفع عجري وبجري وبك أستعين في عسري ويسري وإياك أدعو رغبا ورهبا فإنك العالم بتسويل النفس وفتنة الشيطان وزينة الهوى وصرف الدهر وتلون الصديق وبائقة الثقة وقنوط القلب وضعف

المنه وسوء الجزع. ففنى اللهم ذلك كله واجمع من أمرى شمله وانظم من شأنى شتيته واحرسنى عندالغنى من البطر و عندالفقر من الضجر و عندالكفاية من الغفلة و عندالحاجة من الحسرة و عندالراحة من الفسولة و عندالطلب من الخيبة و عندالمنازلة من الطغيان و عندالبحث من الاعتراض عليك و عندالتسليم من التهمة لك . وأسألك أن تجعل صدرى خزانه توحيدك ولسانى مفتاح تمجيدك وجوارحى خدام طاعتك فإنه لا عز إلا فى الذل لك و لاغنى إلا فى الفقر إليك و لاأمن إلا فى الخوف منك و لاقرار إلا فى القلق نحوك و لاروح إلا فى الكرب لوجهك و لاثقة إلا فى تهمة خلقك و لاراحة إلا فى الرضا بقسمك و لا-عيش إلا- فى جوار المقربين عندك . ومنها اللهم ببرهانك الصادع وبنور وجهك الساطع صل على محمدنبيك نبي الرحمة وقائد الأمة وإمام الأئمة واحرس على إيمانى بك بالتسليم لك وخفف عنى مئونة الصبر على امتحانك وواصل لى أسباب المزيد عندالشكر على نعمتك واجعل بقية عمرى فى غنى عن خلقك ورضا بالمقدم من رزقك . [صفحہ ۲۷۱] اللهم إنك إن أخذتنا بذنوبنا خسفت الأرض بنا و إن جازيتنا على ظلمنا قطعت دوابرنا فإنك قلت فُقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الْمَذِينِ ظَلَمُوا وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ اللهم إليك نشكو قسوة قلوبنا وغل صدورنا وفتنة أنفسنا وطموح أبصارنا ورفث ألسنتنا وسخف أحلامنا وسوء أعمالنا وفحش لجاجنا وقبح دعوانا وذنن أشرارنا وخبث أختيارنا وتلذذ ظاهرنا وتمزق باطننا. اللهم فارحمنا وارأف بنا واعطف علينا وأحسن إلينا وتجاوز عنا واقبل الميسور منا فإننا أهل عقوبة و أنت أهل مغفرة و أنت بما وصفت به نفسك أحق منا بما وسمنا به أنفسنا فإن فى ذلك ماقترن بكرمك وأدى إلى عفوك و من قبل ذلك وبعده فألب عيشنا بنعمتك وأرح أرواحنا من كد الأمل فى خلقك وخذ بأزمتنا إلى بابك وأله قلوبنا عن هذه الدار الفانية وازرع فيها محبة الدار الباقية وقلبنا على بساط لطفك وحثنا بالإحسان إلى كنفك ورفهنا عن التماس ما عندغيرك واغضض عيوننا من ملاحظة ما حجب من غيرك وصل بيننا وبين الرضا عنك وارفع عنا مئونة العرض عليك وخفف علينا كل ما أوصلنا إليك وأذقنا حلاوة قربك واكشف عن سرائرنا سواتر حجبك و وكل بنا الحفظه وارزقنا اليقظة حتى لا نقترف سيئة و لا نفارق حسنة إنك قائم على كل نفس بما كسبت و أنت بما نخفى و مانعنا خير بصير. ومنها اللهم أنت الحى القيوم والأول الدائم والإله القديم والبارئ المصور والخالق المقدس والجبار الرفيع والقهار المنيع والملك الصفوح والوهاب المنوح -قرآن- ۹۴-۱۶۹ [صفحہ ۲۷۲] والرحمن الرؤوف والحنان العطوف والمنان اللطيف مالک الذوائب والنواصى وحافظ الأدانى والأقاصى ومصرف المطيع والعاصى. اللهم أنت الظاهر الذى لا يجحدك جاحد إلا نزيلته الطمأنينة وأسلمه اليأس وأوحشه القنوط ورحلت عنه العصمة وتردد بين رجاء قدناى عنه التوفيق وأمل قدحفت به الخيبة وطمع يحوم على أرجاء التكذيب وسر قدأطاف به الشقاء وعلائية قدأناف عليها البلاء موهون المنه منسوخ العقدة مسلوب العدة تشنؤه العين وتقلبه النفس عقله عقل طائر وله لب حائر وحكمه حكم جائر لا يروم قرارا إلا أزعج عنه و لا يستفتح بابا إلا أرتج دونه و لا يقتبس ضرما إلا أجاج عليه عثرته موصولة بالعثرة وحسرتة مقرونه إلى حسرة إن سمع زيف و إن قال حرف و إن قضى خرف و إن احتج زخرف و لوفاء إلى الحق لوجد ظله ظليلا وأصاب تحته مئوى ومقيلا و أنت الباطن الذى لا يرومك رائم و لا يحوم على حقيقتك حائم إلا غشيه من نور إلهيتك و عزسلطانك وعجيب قدرتك و باهر برهانك وغرائب غيوبك وخفى شأنك ومخوف سطوتك ومرجو إحسانك ما يرده خاسئا من مزحزحه عن الغاية خجلا مبهورا ويرده إلى عجزه ملتحفا بالندم مرتديا بالاستكانة راجعا إلى الصغار موقوفا مع الذلة فظاهر ك يدعو إليك بلسان الاضطرار وباطنك يحير فيك لسعة قضاء الاعتبار وفعلك يدل عليك الأسماع والأبصار وحكمتك تعجب منك الأبواب والأسرار لك السلطان والملكة ويبدك النجاة والهلكة فإليك المفر ومعك المقر ومنك صنوف الإحسان والبر أسألك بأصح سر وأكرم لفظ وأفصح لغة وأتم إخلاص وأشرف همه وأفضل نية وأظهر عقيدة وأثبت يقين أن تصد عنى [صفحہ ۲۷۳] كل ما يصد عنك وتصلنى بكل ما يصل بك وتحبب إلى كل ما يحبب إليك فإنك الأول والثانى والمشار إليه فى جميع المعانى لإله إلا أنت . ومنها اللهم

إني أسألك جدا مقرونا بالتوفيق وعلما بريئا من الجهل وعملا عريا من الرياء وقولا موشحا بالصواب وحالا دائره مع الحق وفطنه عقل مضروبه في سلامه صدور وراحه جسم راجعه إلى روح بال وسكون نفس موصولا بثبات يقين وصحة حجه بعيدة من مرض شبهه حتى تكون غايتي في هذه الدنيا موصوله بالأمثل فالأمثل وعاقبتى عندك محموده بالأفضل فالأفضل من حياة طيبة أنت الواعد بها ونعيم دائم أنت المبلغ إليه . اللهم لا تخيب رجاء هومنوط بك ولا تصفر كفا هي ممدوده إليك ولا تعذب عينا فتحتها بنعمتك ولا تذلل نفسا هي عزيزه بمعرفتكم ولا تسلب عقلا هومستضىء بنور هدايتكم ولا تخرس لسانا عودته الشاء عليكم فكما كنت أولا- بالفضل فكن آخرا بالإحسان .الناصيه بيدك والوجه عان لك والخير متوقع منك والمصير على كل حال إليك .ألبسنى في هذه الحياه البائده ثوب العصمه وحلنى في تلك الدار الباقيه بزينه الأمن وأطمم نفسى عن طلب العاجله الزائده وأجرنى على العاده الفاضله ولا تجعلنى ممن سها عن باطن ما لك عليه بظاهر ما لك عنده فالشقى من لم تأخذ بيده و لم تؤمنه من غده والسعيد من آوئته إلى كنف نعمتك ونقلته حميدا إلى منازل رحمتك غير مناقش فى الحساب ولا سائق له إلى العذاب فإنك على ذلك قدير . ومنها اللهم اجعل غدونا إليك مقرونا بالتوكل عليك ورواحنا عنك موصولا [صفحه ٢٧٤] بالنجاح منك وإجابتنا لك راجعه إلى التهالك فيك وذكرنا إياك منوطا بالسكون معك وثقتنا بك هادئه إلى التفويض إليك ولا تخلنا من يد تستوعب الشكر و من شكر يمتري خلف المزيد و من مزيد يسبق اقتراح المقترحين وصنع يفوق ذرع الطالبين حتى نلقاك مبشرين بالرضا محكمين فى المنى غير مناقشين و لامطرودين . اللهم أعذنا من جشع الفقير وريبه المناق و تجليح المعاند و طيشه العجول و فتره الكسلان و حيله المستبد و فتور العقل و حيره المخرج و حصره المحوج و فلتة الدهول و حرقه النكول و ورقه الخائف وطمأنينه المغرور و غفلة الغرور . واكفنا مئونه أخ يرصد مسكونا إليه ويمكر موثوقا به ويخيس معتمدا عليه . وصل الكفايه بالسلوه عن هذه الدنيا واجعل التهافنا عليها حنينا إلى دار السلام ومحل القرار و غلب إيماننا بالغيب على يقيننا بالعيان واحرسنا من أنفسنا فإنها يناير الشهوه ومفاتيح البلوى . وأرنا من قدرتك ما يحفظ علينا هيبتك وأوضح لنا من حكمتك ما يقبلنا فى ملكوتك وأسبغ علينا من نعمتك ما يكون لنا عوننا على طاعتك وأشع فى صدورنا من نورك ماتتجلى به حقائق توحيدك واجعل ديدنا ذكرك وعادتنا الشوق إليك وعلما النصح لخلقك واجعل غايتنا الاتصال بك واحجبنا عن قول ييرى من رضاك وعمل يعمى صاحبه عن هداك وألف بيننا و بين الحق وقربنا من معادن الصدق واعصمنا من بوائق الخلق وانقلنا من مضايق الرق واهدنا إلى فوائد العتق . اللهم إنك بدأت بالصنع و أنت أهله فعد بالتوفيق فإنك أهله . [صفحه ٢٧٥] اللهم إنا نتضاءل لك عند مشاهدة عظمتك وندل عليك عند تواتر برك ونذل لك عند ظهور آياتك ونلح عليك عند علمنا بوجودك . ونسألك من فضلك ما لا يبرزوك و لا يبنكوك و نتوسل إليك بتوحيد لا ينتمى إليه خلق و لا يفارقه حق . ومنها اللهم عليك أتوكل وبك أستعين وفيك أوالى وبك أنتسب ومنك أفرق ومعك أستأنس و لك أمجد وإياك أسأل لسانا سمحا بالصدق وصدرا قدملئى من الحق وأملا منقطعنا عن الخلق وحالا مكنونها يبوئ الجنه وظاهرها يحقق المنه وعاقبه تنسى ماسلف وتتصل بما يتمنى ويتوكل . وأسألك اللهم كبدا رجوفا خثوفا ودمعا نظوفا شوقا إليك ونفسا عزوفا إذعانا لك وسرا ناقعا ببرد الإيمان بك ونهارا مشتملا على ما كسب من مرضاتك وليلا مالثا بما أزلف لديك . أشكو إليك اللهم تلهفى على ما يفوتنى من الدنيا وإننى فى طاعة الهوى جاهلا- بحققك ساهيا عن واجبك ناسيا ماتكرره من وعظك وإرشادك وبيانك وتنبهك حتى كان حلاوه وعدك لم تلج أذنى و لم تباشر فؤادى و حتى كانى مراره عتابك ولائمتك لم تهتك حجابى و لم تعرض على أوصابى . اللهم إليك المفر من دار منهومها لا يشبع وحائمها لا ينقع وطالبها لا يربح وواجدها لا يقنع والعيش عنك رقيق وللأمل فيك تحقيق . اللهم كما ابتليت بحكمتك الخفيه التى أشكلت على العقول و حارت معها البصائر فعاف برحمتك اللطيفه التى تطاولت إليها الأعناق وتشوفت نحوها السرائر وخذ معنا بالفضل الذى إليك هومنسوب وعنك هومطلوب وأطمم نفوسنا من رضاع الدنيا]

صفحة ٢٧٦] والطف بما أنت له أهل إنك على كل شىء قدير. اللهم قدنا بأزمه التوحيد إلى محاضر طاعتك واخلطنا فى زمرة المخلصين لذكرك واجعل إجابتك من قبيل ما يتصل بكرم عفوك ولا تجعل خيبتنا من قبل جهلنا بقدرتك وإضرارنا عن أمرك فلا سائل أحوج منا ولا مسئول أجود منك . اللهم احجر بيننا وبين كل ما دل على غيرك بيانك ودعا إلى سواك ببرهانك وانقلنا عن مواطن العجز مرتقيا بنا إلى شرفات العز فقد استحوذ الشيطان وخبث النفس وساءت العادة وكثر الصادون عنك وقل الداعون إليك وذهب المراعون لأمرك وفقد الواقفون عند حدودك وخت ديار الحق من سكانها ويبيع دينك بيع الخلق واستهزئ بنا شر مجدك وأقصى المتوسل بك . اللهم فأعد نضارة دينك وأفض بين خلقك بركات إحسانك وامدد عليهم ظل توفيقك واقمع ذوى الاعتراض عليك واخسف بالمقترحين فى دقائق غيبك واهتك أستار الهاتكين لستر دينك والقارعين أبواب سررك القائسين بينك وبين خلقك اللهم إني أسألك أن تخصنى بإلهام اقتبس الحق منه وتوفيق يصحبنى وأصحبه ولطف لا يغيب عنى ولا أغيب عنه حتى أقول إذا قلت لوجهك وأسكت إذا سكت يا ذنك وأسأل إذا سألت بأمرك وأبين إذا أبنت بحجتك وأبعد إذا بعدت يا جلالك وأقرب إذا قربت برحمتك وأبعد إذا بعدت مخلصا لك وأموت إذا مت منتقلا إليك اللهم فلا تكلنى إلى غيرك ولا تؤيسنى من خيرك . ومنها اللهم إنا بك نعوذ كما إنا بغيرك نذل وإياك نرجو كما إنا من غيرك نياس وإليك نفوض كما إنا من غيرك نعرض أذنت لنا فى دعائك وأذنتنا إلى فنائك وهياتنا لعطائك وخصصتنا بحبائك ووسمتنا بولائك وعممتنا بالائك وعمستنا فى نعمائك وناغيتنا بالسن ملكوتك عن دوائك ما فى عالمك ولا طفتنا بظاهر قولك [صفحة ٢٧٧] وتوليتنا بباطن فعلك فسمت نحوك أبصارنا وشامت بروق جودك بصائرنا فلما استقر ما بيننا وبينك أرسلت علينا سماء فضلك مدرارا وفتحت لنا منا أسماعا وأبصارا فرأينا ما طاح معه تحصيلنا وسمعنا ما فارقنا عنده تفضيلنا فلما سرنا إلى خلقك من ذلك ذروا اتخذونا من أجله لعبا وهزوا فبقدرتك على بلوانا بهم أرنا بك الغنى عنهم اللهم قيض لنا فرجا من عندك وأنح لنا مخلصا إليك فإنا قد تعبنا بخلقك وعجزنا عن تقويمهم لك ونحن إلى مقاربتهم فى مخالفتك أقرب منا إلى منابذتهم فى موافقتك لأنه لا طاقة لنا بدهمائهم ولا صبر لنا على بلوائهم ولا حيلة لنا فى شفائهم فنسألك بالضراعة التامة وبالإخلاص المرفود إلا أخذت بأيدينا وأرسلت رحمتك علينا فما أقدرك على الإجابة وما أجودك بكل مصون يا ذا الجلال والإكرام . ومنها اللهم إنا قربنا بك فلاتنثنا عنك وظهرنا لك فلاتبطننا دونك ووجدناك بما ألقيت إلينا من غيب ملكوتك وعزفنا عن كل مالوانا عن بابك ووثقنا بكل ما وعدتنا فى كتابك وتوكلنا بالسر والعلن على لطيف صنعك . اللهم إليك نظرت العيون فعادت خاسئة عبرى وفيك تقسمت الظنون فانقلبت يائسة حسرى وفى قدرتك حارت الأبصار وفى حكمتك طاحت البصائر وفى آلائك غرقت الأرواح وعلى ما كان منك تقطعت الأنفاس ومن أجل إعراضك التهب الصدور ولذكر ماضى منك هملت الدموع اللهم تولنا فيما ولتتنا حتى لا نتولى عنك وأمنا مما خوفتنا حتى نقر معك وأوسعنا رحمتك حتى نطمئن إلى ما وعدتنا فى كتابك وفرق بيننا وبين الغل حتى لا نعامل به خلقك وأغنا بك حتى لا نفتقر إلى عبادك فإنك إذا يسرت أمرا تيسر ومهما بلوتنا فلاتبلنا بهجرتك ولا تجرنا مرارة سخطك لا قد اعترفنا بربوبيتك [صفحة ٢٧٨] عبودية لك فعرنا حقيقتها بالعفو عنا والإقبال علينا والرفق بنا يارحيم . ومنها اللهم إن الرغبات بك منوطة والوسائل إليك متداركة والحاجات ببابك مرفوعة والثقة بك مستحصفة أى مستحكمة والأخبار بجودك شائعة والآمال نحوك نازعة والأمانى وراءك منقطعة والثناء عليك متصل ووصفك بالكرم معروف والخلائق إلى لطفك محتاجة والرجاء فيك قوى والظنون بك جميلة والأعناق لعزك خاضعة والنفوس إلى مواصلتك مشتاقة والأرواح لعظمتك مبهوته لأنك لإله العظيم والرب الرحيم والجواد الكريم والسميع العليم تملك العالم كله وما بعده وما قبله ولك فيه تصاريف القدرة وخفيات الحكمة ونوافذ الإرادة ولك فيه ما لاندرية مما تخفيه ولا تبديه جللت عن الإجلال وعظمت عن التعظيم وقد أرف ورودنا عليك ووقفنا بين يديك وظننا ما

قد علمت ورجاؤنا ما قد عرفت فكن عند ظننا بك وحق رجاءنا فيك فما خالفناك جرأه عليك ولا عصيناك تقحما في سخطك ولا اتبعنا هوانا استهزاء بأمرك ونهيك ولكن غلبت علينا جواذب الطينة التي عجنتنا بها وبيدور الفطرة التي أنبتنا منها فاسترخت قيودنا عن ضبط أنفسنا وعزبت ألبابنا عن تحصيل حظوظنا ولسنا ندعى حجة ولكن نسألك رأفه فبسترك السابغ الذيال وفضلك الذي يستوعب كل مقال لإتممت ماسلف منك إلينا وعطفت بجودك الفياض علينا وجذبت بأضباعنا وأقررت عيوننا وحققت آمالنا إنك أهل ذلك و أنت على كل شيء قدير

المجلد ١٢

الجزء الثاني عشر

تتمة باب الخطب والأوامر

إشاره

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الواحد العدل

٢٢٣- ومن كلام له ع

إشاره

لِلَّهِ بِلْمَادٍ فُلَانٍ فَلَقَدْ قَوْمَ الْأَوْدِ وَالْعَمِيدِ وَأَقَامَ السِّنَّةَ وَخَلَفَ الْفِتْنَةَ ذَهَبَ نَقِي الثَّوْبِ قَلِيلَ الْعَيْبِ أَصِيَابَ خَيْرَهَا وَسَبَقَ شَرَّهَا. أَدَى إِلَى اللَّهِ طَاعَتَهُ وَاتَّقَاهُ بِحَقِّهِ رَحَلَ وَتَرَكَهُمْ فِي طُرُقٍ مُتَشَعِّبَةٍ لَا يَهْتَدِي بِهَا الضَّالُّ وَلَا يَسْتَيْقِنُ الْمُهْتَدِي الْعَرَبِ تَقُولُ اللَّهُ بِلَادِ فُلَانٍ وَلِلَّهِ دَرِ فُلَانٍ وَلِلَّهِ نَادِي فُلَانٍ وَلِلَّهِ نَائِحِ فُلَانٍ وَالْمَرَادُ بِالْأَوَّلِ لِلَّهِ الْبِلَادِ الَّتِي أَنْشَأْتَهُ وَأَنْبَتْتَهُ وَبِالثَّانِي لِلَّهِ الشَّدَى الَّذِي أَرْضَعَهُ وَبِالثَّلَاثِ لِلَّهِ الْمَجْلِسِ الَّذِي رَبَى فِيهِ وَبِالرَّابِعِ لِلَّهِ النَّائِحَةَ الَّتِي تَنُوحُ عَلَيْهِ وَتَنْدُبُهُ مَاذَا تَعَهَّدَ مِنْ مَحَاسِنِهِ . وَيُرْوَى لِلَّهِ بِلَاءِ فُلَانٍ أَيْ لِلَّهِ مَا صَنَعَ وَفُلَانِ الْمَكْنَى عَنْهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَقَدْ وَجَدْتَ النُّسخَةَ الَّتِي بَخَطَ الرُّضَى أَبِي الْحَسَنِ جَامِعَ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ وَتَحْتَ فُلَانِ عُمَرَ [صَفْحَةُ ٤] حَدَّثَنِي بِذَلِكَ فُخَارُ بْنُ مَعْدِ الْمَوْسَوِيِّ الْأَوْدِيِّ الشَّاعِرِ وَسَأَلْتُ عَنْهُ النَّقِيبَ أَبَا جَعْفَرِ يَحْيَى بْنَ أَبِي زَيْدِ الْعُلُوِي فَقَالَ لِي هُوَ عُمَرُ فَقُلْتُ لَهُ أَيُّنْتَنِي عَلَيْهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا الثَّنَاءُ فَقَالَ نَعَمْ أَمَا الْإِمَامِيَّةُ فَيَقُولُونَ إِنْ ذَلِكَ مِنَ التَّقِيَّةِ وَاسْتِصْلَاحِ أَصْحَابِهِ وَ أَمَا الصَّالِحِينَ مِنَ الزَّيْدِيَّةِ فَيَقُولُونَ إِنَّهُ أَتْنِي عَلَيْهِ حَقُّ الثَّنَاءِ وَلَمْ يَضَعْ الْمَدْحَ إِلَّا فِي مَوْضِعِهِ وَنِصَابِهِ وَ أَمَا الْجَارُودِيَّةُ مِنَ الزَّيْدِيَّةِ فَيَقُولُونَ إِنَّهُ كَلَامُ قَالِهِ فِي أَمْرِ عَثْمَانَ أَخْرَجَهُ مَخْرَجَ الدَّمِ لَهُ وَالتَّنْقِصَ لِأَعْمَالِهِ كَمَا يَمْدَحُ الْآنَ الْأَمِيرَ الْمَيِّتَ فِي أَيَّامِ الْأَمِيرِ الْحَيِّ بَعْدَهُ فَيَكُونُ ذَلِكَ تَعْرِيفًا بِهِ . فَقُلْتُ لَهُ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَجُوزُ التَّعْرِيفُ وَالِاسْتِزَادَةُ لِلْحَاضِرِ بِمَدْحِ الْمَاضِي إِلَّا إِذَا كَانَ ذَلِكَ الْمَدْحَ صَدَقًا لَا يَخَالِطُهُ رَيْبٌ وَ لِشَبْهَةِ فَيَاذًا اعْتَرَفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُ أَقَامَ السَّنَةَ وَذَهَبَ نَقِي الثَّوْبِ قَلِيلَ الْعَيْبِ وَ أَنَّهُ أَدَى إِلَى اللَّهِ طَاعَتَهُ وَاتَّقَاهُ بِحَقِّهِ فَهَذَا غَايَةُ مَا يَكُونُ مِنَ الْمَدْحِ وَ فِيهِ إِبْطَالُ قَوْلِ مَنْ طَعَنَ عَلَى عَثْمَانَ بْنِ عَفَانَ . فَلَمْ يَجِبْنِي بِشَيْءٍ وَقَالَ هُوَ مَا قُلْتُ لَكَ . فَأَمَّا الرَّاوْنَدِيُّ فَإِنَّهُ قَالَ فِي الشَّرْحِ إِنَّهُ عَ مَدْحِ بَعْضِ أَصْحَابِهِ بِحَسَنِ السِّيَرَةِ وَ إِنْ الْفِتْنَةُ هِيَ الَّتِي وَقَعَتْ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ص مِنْ الْاِخْتِيَارِ وَالْأَثَرِ . وَ هَذَا بَعِيدٌ لِأَنَّ لَفْظَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَشْعُرُ إِشْعَارًا ظَاهِرًا بِأَنَّهُ يَمْدَحُ وَالْيَا ذَا رَعِيَّةٍ وَسِيَرَةٍ أَلَا تَرَاهُ كَيْفَ يَقُولُ فَلَقَدْ قَوْمَ

الأود وداوى العمد وأقام السنه وخلف الفتنه وكيف يقول أصاب خيرها وسبق شرها وكيف يقول أدى إلى الله طاعته وكيف يقول رحل وتركهم فى طرق متشعبه. [صفحه ٥] وهذا الضمير و هو الهاء والميم فى قوله ع وتركهم هل يصح أن يعود إلا إلى الرعايا وهل يسوغ أن يقال هذا الكلام لسوقه من عرض الناس و كل من مات قبل وفاة النبى ص كان سوقه لاسلطان له فلا يصح أن يحمل هذا الكلام على إرادة أحد من الذين قتلوا أو ماتوا قبل وفاة النبى ص كعثمان بن مظعون أو مصعب بن عمير أو حمزه بن عبدالمطلب أو عبيده بن الحارث وغيرهم من الناس والتأويلات الباردة الغثه لاتعجبني على أن أبا جعفر محمد بن جرير الطبرى قد صرح أو كاد يصرح بأن المعنى بهذا الكلام عمر قال الطبرى لمات عمر بكتته النساء فقالت إحدى نوادبه وا حزناه على عمر حزنا انتشر حتى ملأ البشر وقالت ابنه أبى حثمه وا عمراه أقام الأود وأبرأ العمد وأمات الفتن وأحيا السنن خرج نقى الثوب بريئا من العيب . قال الطبرى فروى صالح بن كيسان عن المغيرة بن شعبه قال لمادفن عمر أتيت عليا ع و أنا أحب أن أسمع منه فى عمر شيئا فخرج ينفض رأسه ولحيته وقداغتسل و هو ملتحف بثوب لايشك أن الأمر يصير إليه فقال رحم الله ابن الخطاب لقد صدقت ابنه أبى حثمه ذهب بخيرها ونجا من شرها أما والله ماقلت ولكن قولت -رواية- ١-٢-رواية- ٦١-٣١٤ . وهذا كما ترى يقوى الظن أن المراد والمعنى بالكلام إنما هو عمر بن الخطاب . [صفحه ٦] قوله فلقد قوم الأود أى العوج أود الشىء بالكسر يأود أودا أى أعوج وتأود العود يتأود. والعمد انفضاخ سنام البعير و منه يقال للعاشق عميد القلب ومعموده . قوله أصاب خيرها أى خير الولاية وجاء بضميرها و لم يجر ذكرها لعاده العرب فى أمثال ذلك كقوله تعالى حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ . وسبق شرها أى مات أو قتل قبل الأحداث والاختلاط الذى جرى بين المسلمين . قوله واتقاه بحقه أى بأداء حقه والقيام به . فإن قلت و أى معنى فى قوله واتقاه بأداء حقه وهل يتقى الإنسان الله بأداء الحق إنما قد تكون التقوى علة فى أداء الحق فأما أن يتقى بأدائه فهو غير معقول . قلت أراد ع أنه اتقى الله ودلنا على أنه اتقى الله بأدائه حقه فأداء الحق علة فى علمنا بأنه قد اتقى الله سبحانه . ثم ذكر أنه رحل وترك الناس فى طرق متشعبه متفرقه فالضال لا يهتدى فيها والمهتدى لا يعلم أنه على المنهج القويم وهذه الصفات إذاتأملها المنصف وأماط عن نفسه الهوى علم أن أمير المؤمنين ع لم يعن بها إلا عمر لو لم يكن قدروى لنا توقيفا ونقلنا أن المعنى بهاعمر فكيف و قدرويناه عن لايتهم فى هذا الباب -قرآن- ٢٥٩-٢٨٢

نكت من كلام عمر وسيرته وأخلاقه

إشارة

ونحن نذكر فى هذاالموضع نكتا من كلام عمر وسيرته وأخلاقه . [صفحه ٧] أتى عمر بمال فقال له عبدالرحمن بن عوف يا أمير المؤمنين لو حبست من هذاالمال فى بيت المال لنائبه تكون أوأمر يحدث فقال كلمة معارض بها لإلشيطان كفانى حجتها ووقانى فتنها أعصى الله العام مخافة قابل أعد لهم تقوى الله قال الله سبحانه وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ. استكتب أبو موسى الأشعري نصرانيا فكتب إليه عمر اعزله واستعمل بدله حنيفيا فكتب له أبو موسى إن من غنائه وخيره وخبرته كيت وكيت فكتب له عمر ليس لنا أن نأتمنهم وقدخونهم الله و لا أن نرفعهم وقدوضعهم الله و لا أن نستنصحهم فى الدين وقدوترهم الإسلام و لا أن نعزهم وقدأمرنا بأن يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون . فكتب أبو موسى أن البلد لا يصلح إلا به فكتب إليه عمر مات النصرانى و السلام . وكتب إلى معاوية إياك والاحتجاب دون الناس وائذن للضعيف وأذنه حتى ينبسط لسانه ويجترئ قلبه وتعهد الغريب فإنه إذاطال حبسه ودام إذنه ضعف قلبه وترك حقه عزل عمر زيادا عن كتابه أبى موسى

الأشعري في بعض قدماته عليه فقال له عن عجز أم عن خيانه فقال لا عن واحده منهما ولكنى أكره أن أحمل على العامة فضل عقلك . -قرآن- ٢٥٢-٣٢٧ [صفحه ٨] وقال إني و الله لأدع حقا لله لشكايه تظهر و لالضب يحتمل و لامحابه لبشر وإنك و الله ماعاقبت من عصي الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه . و كتب إلى سعد بن أبي وقاص ياسعد سعد بنى أهيب إن الله إذا أحب عبدا حبه إلى خلقه فاعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس واعلم أن ما لك عند الله مثل ما لله عندك . وسأل رجلا عن شيء فقال الله أعلم فقال قدشقيننا إن كنا لانعلم أن الله أعلم إذاسئل أحدكم عما لا يعلم فليقل لأدرى . و قال عبدالمملك على المنبر أنصفونا يامعشر الرعيه تريدون منا سيره أبي بكر وعمر و لم تسيروا في أنفسكم و لافينا سيره أبي بكر وعمر نسأل الله أن يعين كلا على كل . و دخل عمر على ابنه عبد الله فوجد عنده لحما عبيطا معلقا فقال ما هذا اللحم قال اشتيت فاشترت فقال أ و كلما اشتيت شيئا أكلته كفى بالمرء سرفا أن أكل كل ماشتهاه . مر عمر على مزبله فتأذى بريحها أصحابه فقال هذه دنياكم التي تحرصون عليها . [صفحه ٩] و من كلامه للأحنف ياأحنف من كثر ضحكك قلت هيبته و من مزح استخف به و من أكثر من شيء عرف به و من كثر كلامه كثر سقطه و من كثر سقطه قل حياؤه و من قل حياؤه قل ورعه و من قل ورعه مات قلبه . و قال لابنه عبد الله يا بنى اتق الله يقك و أقرض الله يجرك و اشكره يزدك و اعلم أنه لا مال لمن لارفق له و لا جديد لمن لاخلق له و لا عمل لمن لا نيه له . و خطب يوم استخلف فقال أيها الناس إنه ليس فيكم أحد أقوى عندى من الضعيف حتى آخذ الحق له و لأضعف من القوى حتى آخذ الحق منه . و قال لابن عباس يا عبد الله أنتم أهل رسول الله و آله و بنو عمه فما تقول منع قومكم منكم قال لأدرى علتها و الله ماأضمرنا لهم إلاخيرا قال اللهم غفرا إن قومكم كرهوا أن يجتمع لكم النبوه والخلافه فتذهبوا في السماء شمخا و بذخا و لعلكم تقولون إن أبابكر أول من أخرجكم أما إنه لم يقصد ذلك ولكن حضر أمر لم يكن بحضرته أحزم مما فعل و لو لارأى أبى بكر فى لجعل لكم من الأمر نصيبا و لوفعل ما هناكم مع قومكم إنهم ينظرون إليكم نظر الثور إلى جازره . و كان يقول ليت شعري متى أشفى من غيظى أحين أقدر فيقال لى لوعفوت أم حين أعجل فيقال لوصبرت . و رأى أعرابيا يصلى صلاة خفيفه فلما قضاها قال اللهم زوجنى الحور العين فقال له لقد أسأت النقد و أعظمت الخطبه . و قيل له كان الناس فى الجاهليه يدعون على من ظلمهم فيستجاب لهم و لسنأ نرى [صفحه ١٠] ذلك الآن قال لأن ذلك كان الحاجز بينهم و بين الظلم و أما الآن فالساعه موعدهم و الساعه أدهى و أمر . و من كلامه من عرض نفسه للتمهه فلايلومن من أساء به الظن و من كتم سره كانت الخيره بيده . ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك منه ما يغلبك و لاتظن بكلمه خرجت من أخيك المسلم شرا و أنت تجد لها فى الخير محملا أو عليك ياخوان الصدق و كيس أكياسهم فإنهم زينه فى الرخاء و عده عندالبلاء و لاتتهاونن بالخلق فيهينك الله و لاتعترض بما لايعينك و اعترل عدوك و تحفظ من خليلك إلا الأمين فإن الأمين من الناس لايعادله شيء و لاتصحب الفاجر فيعلمك من فجوره و لاتفش إليه سررك و استشر فى أمرك أهل التقوى و كفى بك عيبا أن يبدو لك من أخيك ما يخفى عليك من نفسك و أن تؤذى جليسك بما تأتى مثله . و قال ثلاث يصفين لك الود فى قلب أخيك أن تبدأه بالسلام إذالقيته و أن تدعوه بأحب أسمائه إليه و أن توسع له فى المجلس . و قال أحب أن يكون الرجل فى أهله كالصبي و إذا صيخ إليه كان رجلا . بينا عمر ذات يوم إذا رأى شابا يخطر بيديه فيقول أنا ابن بطحاء مكه كديها و كداها فناداه عمر فجاء فقال إن يكن لك دين فلك كرم و إن يكن لك عقل فلك مروءه و إن يكن لك مال فلك شرف و الإفانت و الحمار سواء . [صفحه ١١] و قال يامعشر المهاجرين لاتكثروا الدخول على أهل الدنيا و أرباب الإمرة و الولايه فإنه مسخظه للرب و إياكم و البطنه فإنها مكسله عن الصلاه و مفسده للجسد مورثه للسقم و إن الله يبغض الحبر السمين ولكن عليكم بالقصد فى قوتكم فإنه أدنى من الإصلاح و أبعد من السرف و أقوى على عباده الله و لن يهلك عبد حتى يؤثر شهوته على دينه . و قال تعلموا أن الطمع فقر و أن اليأس غنى و من يئس من شيء استغنى عنه و التؤده فى كل شيء خير إلا ما كان من أمر الآخرة . و قال من اتقى الله لم يشف

الله غيظه و من خاف الله لم يفعل ما يريد و لولا- يوم القيامة لكان غير ماترون . و قال إنى لأعلم أجود الناس وأحلم الناس أجودهم من أعطى من حرمه وأحلمهم من عفا عن ظلمه . و كتب إلى ساكنى الأمصار أما بعد فاعلموا أولادكم العوم والفروسيه وروهم ماسار من المثل وحسن من الشعر. و قال لاتزال العرب أعزة مانزعت فى القوس ونزت فى ظهور الخيل و قال و هو يذكر النساء أكثروا لهن من قول لا فإن نعم مفسدة تغريهن على المسألة. و قال ما بال أحدكم يثنى الوسادة عند امرأة معزبة إن المرأة لحم على وضم إلا ماذب عنه . [صفحہ ۱۲] و كتب إلى أبى موسى أما بعد فإن للناس نفرة عن سلطانهم فأعوذ بالله أن يدركنى وإياك عمية مجهولة وضغائن محمولة وأهواء متبعة و دنيا مؤثرة أقم الحدود واجلس للمظالم و لوساعة من نهار و إذ اعرض لك أمران أحدهما لله والآخر للدينا فابدأ بعمل الآخرة فإن الدنيا تفتنى والآخرة تبقى وكن من مال الله عز و جل على حذر واجف الفساق واجعلهم يدا ويدا ورجلا ورجلا و إذا كانت بين القبائل نائرة يالفلان يالفلان وإنما تلك نجوى الشيطان فاضربهم بالسيف حتى يفيئوا إلى أمر الله وتكون دعواهم إلى الله و إلى الإسلام و قد بلغنى أن ضبة تدعو بالضبة وإنى و الله أعلم أن ضبة ماساق الله بهاخيرا قط و لا منع بها من سوء قط فإذا جاءك كتابى هذا فأنهكهم ضربا وعقوبة حتى يفرقوا إن لم يفقهوا والصق بغيلان بن خرشه من بينهم وعد مرضى المسلمين واشهد جنازتهم وافتح لهم بابك و باشر أمورهم بنفسك وإنما أنت رجل منهم غير إن الله قد جعلك أثقلهم حملا و قد بلغنى أنه فشا لك ولأهل بيتك هيئة فى لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها فإياك يا عبد الله بن قيس أن تكون بمنزلة البهيمه التى مرت بواد خصيب فلم يكن لها همه إلا السمن وإنما حظها من السمن لغيرها واعلم أن للعامل مردا إلى الله فإذا زاغ العامل زاغت رعيته و إن أشقى الناس من شقيت به نفسه ورعيته و السلام و خطب عمر فقال أما بعد فإنى أوصيكم بتقوى الله الذى يبقى ويفنى ماسواه و الذى بطاعته ينفع أوليائه وبمعصيته يضر أعداءه إنه ليس لهالك هلك عذر فى تعمد ضلالة حسبها هدى و لا ترك حق حسبه ضلالة قد ثبتت الحجة ووضحت الطرق وانقطع العذر و لاحجة لأحد على الله عز و جل ألا- إن أحق ماتعاهد به الراعى [صفحہ ۱۳] رعيته أن يتعاهدهم بالذى لله تعالى عليهم فى وظائف دينهم الذى هداهم به وإنما علينا أن نأمرهم بالذى أمرهم الله به من طاعته وننهاهم عما نهاهم الله عنه من معصيته و أن نقيم أمر الله فى قريب الناس وبعيدهم و لانبالى على من قال الحق ليتعلم الجاهل ويتعظ المفرط و يقتدى المقتدى و قد علمت أن أقواما يتمنون فى أنفسهم ويقولون نحن نصلى مع المصلين ونجاهد مع المجاهدين إلا أن الإيمان ليس بالتمنى ولكنه بالحقائق إلا- من قام على الفرائض وسدد نيته واتقى الله فذلكم الناجى و من زاد اجتهادا وجد عند الله مزيدا. وإنما المجاهدون الذين جاهدوا أهواءهم والجهد اجتناب المحارم ألا إن الأمر جد و قديقاتل أقوام لا يريدون إلا الذكر و قديقاتل أقوام لا يريدون إلا الأجر و إن الله يرضى منكم باليسير وأثابكم على اليسير الكثير. الوظائف الوظائف أدوها تؤدكم إلى الجنة والسنة السنة الزموها تنجكم من البدعة. تعلموا و لاتعجزوا فإن من عجز تكلف و إن شرار الأمور محدثاتها و إن الاقتصاد فى السنة خير من الاجتهاد فى الضلالة فافهموا ماتوعظون به فإن الحريب من حرب دينه و إن السعيد من وعظ بغيره . و قال وعليكم بالسمع والطاعة فإن الله قضى لهما بالعزة وإياكم والتفرق والمعصية فإن الله قضى لهما بالذلة. أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم . بعث سعد بن أبى وقاص أيام القادسية إلى عمر قباء كسرى وسيفه ومنطقته [صفحہ ۱۴] وسراويله وتاجه وقميصه وخفيه فنظر عمر فى وجوه القوم عنده فكان أجسمهم وأمدهم قامه سراقه بن مالك بن جعشم المدلجى فقال ياسراق قم فالبس قال سراقه طمعت فيه فقامت فلبست فقال أدبر فأدبرت و قال أقبل فأقبلت فقال بخ بخ أعرابى من بنى مدلج عليه قباء كسرى وسراويله وسيفه ومنطقته وتاجه وخفاه رب يوم ياسراق لو كان فيه دون هذا من متاع كسرى وآل كسرى لكان شرفا لك ولقومك انزع فنزعت فقال اللهم إنك منعت هذانبك ورسولك و كان أحب إليك منى وأكرم ومنعته أبابكر و كان أحب إليك منى وأكرم ثم أعطيتني فأعوذ بك أن تكون أعطيتني لتمكر بى ثم بكى حتى رحمه من كان عنده . و قال لعبد الرحمن بن عوف أقسمت عليك لمابعته ثم قسمته

قبل أن تسمى فما أدركه المساء إلا وقديع وقسم ثمنه على المسلمين .جىء بتاج كسرى إلى عمر فاستعظم الناس قيمته للجواهر التي كانت عليه فقال إن قوما أدوا هذا الأمان فقال على ع إنك عفت ففعلوا و لورتعت لرتعوا. كان عمر يعس ليلا فنزلت رفقة من التجار بالمصلى فقال لعبد الرحمن بن عوف هل لك أن تحرسهم الليلة من السرقة فباتا يحرسانهم ويصليان ما كتب الله لهما فسمع عمر بكاء صبي فأصغى نحوه فطال بكاءه فتوجه إليه فقال لأمه اتقى الله وأحسنى إلى صبيك ثم عاد إلى مكانه فسمع بكاءه فعاد إلى أمه فقال لها مثل ذلك ثم عاد إلى مكانه فسمع بكاءه فأتى أمه فقال ويحك إنى لأراك أم سوء لأرى ابنك يقر منذ الليلة فقالت يا عبد الله لقد آذيتنى منذ الليلة إنى أريغه [صفحہ ۱۵] على الفطام فيأبى قال و لم قالت لأن عمر لا يفرض لرضيع وإنما يفرض للفتيم قال وكم له قالت اثنا عشر شهرا قال ويحك لا تعجله فصلى الفجر و ما يستين الناس قراءته من غلبه البكاء عليه فلما سلم قال يا بؤسا لعمر كم قتل من أولاد المسلمين فطلب مناديا فنادى ألا لاتعجلوا صبيانكم عن الرضاع و لا تفتطموا قبل أوان الفطام فإننا نفرض لكل مولود فى الإسلام . وكتب بذلك إلى سائر الآفاق .مر عمر بشاب من الأنصار و هو ظمان فاستسقاها فخاض له عسلا فرده و لم يشرب و قال إنى سمعت الله سبحانه يقول أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا و استمتعتم بها فقال الفتى إنها و الله ليست لك فاقراً يا أمير المؤمنين ما قبلها و يوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا أفنحن منهم فشر و قال كل الناس أفتة من عمر . وأوصى عمر حين طعنه أبولؤلؤة من يستخلفه المسلمون بعده من أهل الشورى فقال أوصيك بتقوى الله لاشريك له وأوصيك بالمهاجرين الأولين خيرا أن تعرف لهم سابقتهم وأوصيك بالأنصار خيرا أقبل من محسنهم وتجاوز عن مسيئهم وأوصيك بأهل الأمصار خيرا فإنهم رده العدو وجاء الفىء لاتحمل فيهم إلى غيرهم إلا عن فضل منهم وأوصيك بأهل البادية خيرا فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام أن يؤخذ من حواشى أموالهم فيرد على فقرائهم وأوصيك بأهل الذمة خيرا أن تقاتل -قرآن- ۵۰۸-۵۷۱-قرآن- ۶۳۷-۷۲۹ [صفحہ ۱۶] من ورائهم و لاتكلفهم فوق طاقتهم إذا أدوا ما عليهم للمسلمين طوعا أو عن يد وهم صاغرون . وأوصيك بتقوى الله وشدة الحذر منه ومخافة مقته أن يطلع منك على ربيبة وأوصيك أن تخشى الله فى الناس و لاتخشى الناس فى الله وأوصيك بالعدل فى الرعية والتفرغ لحوائجهم و ثغورهم والأ- تعين غنيهم على فقيرهم فإن فى ذلك بإذن الله سلامة لقلبك و حط لذنوبك وخيرا فى عاقبة أمرك وأوصيك أن تشد فى أمر الله و فى حدوده والزجر عن معاصيه على قريب الناس وبعيدهم و لاتأخذك الرأفة والرحمة فى أحد منهم حتى تنتهك منه مثل جرمة واجعل الناس عندك سواء لاتبال على من وجب الحق لاتأخذك فى الله لومة لائم وإياك والأ-ثرة والمحابة فيما ولاك الله مما أفاء الله على المسلمين فتجور وتظلم وتحرم نفسك من ذلك ما قد وسعه الله عليك فإنك فى منزلة من منازل الدنيا و أنت إلى الآخرة جد قريب فإن صدقت فى دنياك عفة وعدلا فيما بسط لك اقترفت رضوانا وإيمانا و إن غلبك الهوى اقترفت فيه سخط الله ومقته . وأوصيك الأ- ترخص لنفسك و لا لغيرك فى ظلم أهل الذمة . واعلم أنى قد أوصيتك وخصصتك ونصحت لك أبتغى بذلك وجه الله والدار الآخرة ودللتك على ما كنت دالا عليه نفسى فإن عملت بالذى وعظمتك وانتهيت إلى الذى أمرتك أخذت منه نصيبا وافرأ و حطا وافيا و إن لم تقبل ذلك و لم تعمل و لم تترك معاصم الأمور عند الذى يرضى الله به سبحانه عنك يكن ذاك بك انتقاصا و يكن رأيك فيه مدخولا فالأهواء مشتركة ورأس الخطيئة إبليس الداعى إلى كل هلكة قد أضل القرون السالفة قبلك وأوردتهم النار ولبئس الثمن أن يكون حظ امرئ من دنياه موالة عدو الله الداعى إلى معاصيه اركب الحق وخض إليه الغمرات وكن واعظا لنفسك . [صفحہ ۱۷] وأنشدك لما ترحمت إلى جماعة المسلمين وأجلت كبيرهم ورحمت صغيرهم وقربت عالمهم لاتضربهم فيذلوا و لاتستأثر عليهم بالفىء فتغضبهم و لاتحرمهم عطاياهم عند محلها فتفقرهم و لا- تجمرهم فى البعوث فتقطع نسلهم و لاتجعل الأموال دولة بين الأغنياء منهم و لاتغلق بابك دونهم فىأكل قلوبهم ضعيفهم . هذه وصيتى إياك وأشهد الله عليك وأقرأ عليك السلام و الله على كل شىء شهيد . وخطب عمر

فقال لا يبلغني أن امرأة تجاوز صداقها صداق زوجات رسول الله ص إلا ارتجعت ذلك منها فقامت إليه امرأة فقالت و الله ماجعل الله ذلك لك إنه تعالى يقول وَ آتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا فَقَالَ عُمَرُ لَا نَعْبُدُكُمْ مِنْ إِمَامٍ أَخْطَأَ وَامْرَأَةً أَصَابَتْ نَاضَلَتْ إِمَامَكُمْ فَضَلَّتْهُ . وَ كَانَ يَعْسُ لَيْلَةً فَمَرَّ بِدَارِ سَمْعٍ فِيهَا صَوْتَا فَارْتَابَ وَ تَسَوَّرَ فَرَأَى رَجُلًا عِنْدَ امْرَأَةٍ وَ زُقَّ خَمْرًا فَقَالَ يَاعَدُوْا اللهَ أَظْنَنْتَ أَنَّ اللهَ يَسْتَرْكُ وَ أَنْتَ عَلَيَّ مَعْصِيَتُهُ فَقَالَ لَا تَعْجَلْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ كُنْتَ أَخْطَأْتَ فِي وَاحِدَةٍ فَقَدْ أَخْطَأْتَ فِي ثَلَاثٍ قَالَ اللهُ تَعَالَى وَ لَا تَجَسَّسُوا وَ قَدْ تَجَسَّسْتَ وَ قَالَ وَ أَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا - قرآن- ٥٥٠-٦٠٦-قرآن- ٩١٦-٩٣١-قرآن- ٩٥٠-٩٨١] [صفحة ١٨] وَ قَدْ تَسَوَّرْتَ وَ قَالَ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا وَ مَا سَلَّمْتُمْ فَقَالَ هَلْ عِنْدَكَ مِنْ خَيْرٍ إِنْ عَفَوْتَ عَنْكَ قَالَ نَعَمْ وَ اللهُ لَا أَعُودُ فَقَالَ أَذْهَبَ فَقَدْ عَفَوْتَ عَنْكَ . وَ خَطَبَ يَوْمًا فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ مَا الْجَزَعُ مِمَّا لَا بَدَّ مِنْهُ وَ مَا الطَّمَعُ فِي مَا لَا يَرْجَى وَ مَا الْحِيلَةُ فِي مَا سَيُزُولُ وَ إِنَّمَا الشَّيْءُ مِنْ أَصْلِهِ وَ قَدْ مَضَتْ قَبْلَكُمْ الْأَصُولُ وَ نَحْنُ فِرْعَوْنُ بَقَاءَ الْفِرْعَوْنِ بَعْدَ ذَهَابِ أَصْلِهِ . إِنَّمَا النَّاسُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أَغْرَاضٌ تَنْتَبِلُ فِيهِمُ الْمَنَائِيَا نَصَبُ الْمَصَائِبِ فِي كُلِّ جَرَعَةٍ شَرِقَ وَ فِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصَ لَا تَتَنَاوَلُونَ نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقٍ أُخْرَى وَ لَا يَسْتَقْبِلُ مَعْمَرٌ مِنْ عَمْرِهِ يَوْمًا إِلَّا بِهَدْمٍ آخَرَ مِنْ أَجْلِهِ وَ هُمُ أَعْوَانُ الْحَتُوفِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَأَيْنَ الْمَهْرَبُ مِمَّا هُوَ كَائِنٌ مَا أَصْغَرَ الْمَصِيبَةَ الْيَوْمَ مَعَ عَظْمِ الْفَائِدَةِ غَدًا وَ مَا عَظُمَ خَبِيئَةُ الْخَائِبِ وَ خَسِرَانَ الْخَاسِرِ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَ لَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ . وَ أَكْثَرَ النَّاسِ رَوَى هَذَا الْكَلَامَ لِعَلِيٍّ ع وَ قَدْ ذَكَرَهُ صَاحِبُ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ وَ شَرَحَنَاهُ فِي مَا سَبَقَ . حَمَلٌ مِنَ الْعِرَاقِ إِلَى عَمْرِ مَالٍ فَخَرَجَ هُوَ وَ مَوْلَى لَهُ فَظَنَرَ إِلَى الْإِبِلِ فَاسْتَكْتَرَهَا فَجَعَلَ يَقُولُ الْحَمْدُ لِلَّهِ يَكْرِرها وَيُرَدِّدُهَا وَ جَعَلَ مَوْلَاهُ يَقُولُ هَذَا مِنْ فَضْلِ اللهِ وَ رَحْمَتِهِ وَ يَكْرِرها وَيُرَدِّدُهَا . فَقَالَ عَمْرٌ كَذَبْتَ لَا أَمَّ لَكَ أَظْنَكَ ذَهَبْتَ إِلَى أَنْ هَذَا هُوَ مَا عَنَاهُ سَبْحَانَهُ - قرآن- ١٩-٥٣-قرآن- ٦٦٦-٧٣٩] [صفحة ١٩] بِقَوْلِهِ قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَ بِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا وَ إِنَّمَا ذَلِكَ الْهَدْيُ أَمَا تَسْمَعُهُ يَقُولُ هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ وَ هَذَا مَا يَجْمَعُونَ . وَ رَوَى الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ قَالَ قَدِمْنَا عَلَى عَمْرِ بَفَتْحِ عَظِيمٍ نَبَشَرَهُ بِهِ فَقَالَ أَيْنَ نَزَلْتُمْ قُلْنَا فِي مَكَانٍ كَذَا فَقَامَ مَعَنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى مَنَاخِ رُكَابِنَا وَ قَدْ أَضْعَفْنَا الْكَلَالِ وَ جَهْدْنَا السَّيْرَ فَقَالَ هَلَا اتَّقَيْتُمُ اللهُ فِي رُكَابِكُمْ هَذِهِ أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّ لَهَا عَلَيْكُمْ حَقًّا هَلَا احْتَرَمْتُمُوهَا هَلَا حَلَلْتُمْ بِهَا فَأَكَلْتُمْ مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ فَقُلْنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّا قَدِمْنَا بِفَتْحِ عَظِيمٍ فَأَحْبَبْنَا التَّسْرِعَ إِلَيْكَ وَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ بِمَا يَسْرَهُمْ . فَانصَرَفَ رَاجِعًا وَ نَحْنُ مَعَهُ فَأَتَى رَجُلٌ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ فَلَانَا ظَلَمْنِي فَأَعْدِنِي عَلَيْهِ فَرَفَعَهُ فِي السَّمَاءِ دَرْتَهُ وَ ضَرَبَ بِهَا رَأْسَهُ وَ قَالَ تَدْعُونَ عَمْرًا وَ هُوَ مَعْرُضٌ لَكُمْ حَتَّى إِذَا شَغِلَ فِي أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ أَتَيْتُمُوهُ أَعْدِنِي فَأَعْدِنِي فَانصَرَفَ الرَّجُلُ يَتَذَمَّرُ فَقَالَ عَمْرٌ عَلَى الرَّجُلِ فَجِيءَ بِهِ فَأَلْقَى إِلَيْهِ الْمَخْفِقَةَ فَقَالَ اقْتَصِ قَالَ بَلْ أَدْعُهُ اللهُ وَ لَكَ قَالَ لَيْسَ كَذَلِكَ بَلْ تَدْعُهُ إِمَامُ اللهِ وَ إِرَادَةُ مَا عِنْدَهُ وَ إِمَامُ تَدْعُهُ لِي قَالَ أَدْعُهُ اللهُ قَالَ انصَرَفَ ثُمَّ جَاءَ حَتَّى دَخَلَ مَنْزِلَهُ وَ نَحْنُ مَعَهُ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ يَا ابْنَ الْخَطَابِ كُنْتُ وَضِيْعًا فَرَفَعَكَ اللهُ وَ كُنْتُ ضَالًّا فَهَدَاكَ اللهُ وَ كُنْتُ ذَلِيلًا فَأَعَزَّكَ اللهُ ثُمَّ حَمَلَكَ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ فَجَاءَ رَجُلٌ يَسْتَعْدِيكَ عَلَى مَنْ ظَلَمَهُ فَضْرِبْتَهُ مَاذَا تَقُولُ لِرَبِّكَ غَدًا فَجَعَلَ يَعْأَبُ نَفْسَهُ مَعَاتِبَةً ظَنَنْتَ أَنَّهُ مِنْ خَيْرِ أَهْلِ الْأَرْضِ . - قرآن- ٨-٦٣-قرآن- ٩٨-١٢٤] [صفحة ٢٠] وَ ذَكَرَ أَبُو عَيْبَةَ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ أَنَّ رَجُلًا أَتَى عَمْرًا يَسْأَلُهُ وَيَشْكُو إِلَيْهِ الْفَقْرَ فَقَالَ هَلَكْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ أَهْلَكَتَ وَ أَنْتَ تَنْتُ نَثِيثُ الْحَمِيَّةِ أَعْطُوهُ فَأَعْطُوهُ رُبْعَهُ مِنْ مَالِ الصَّدَقَةِ تَبِعَهَا ظَرْهَا ثُمَّ أَنْشَأَ يَحْدُثُ عَنْ نَفْسِهِ فَقَالَ لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَأَخْتَا لِي نَرَعِي عَلَى أَبِي نَا ضِحَا لَنَا قَدْ أَلْبَسْتَنَا أَمْنَا نَقْبَتَهَا وَ زَوَدْتَنَا يَمْنَتِيهَا هَيْبِدَا فَ نَخْرَجُ بِنَا ضِحْنَا فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ أَلْقَيْتُ النَّقْبَةَ إِلَى أَخْتِي وَ خَرَجْتَ أَسْعَى عَرِيَانًا فَ رَجَعْتُ إِلَى أَمْنَا وَ قَدْ جَعَلْتَ لَنَا لَفِيْتَهُ مِنْ ذَلِكَ الْهَيْبِدِ فِيَا خَصْبَاهُ . وَ رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى عَمْرِ فِي أَوَّلِ خِلَافَتِهِ وَ قَدْ أَلْقَى لَهُ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ عَلَى خَصْفَةٍ فَدَعَانِي إِلَى الْأَكْلِ فَأَكَلْتُ تَمْرَةً وَاحِدَةً وَأَقْبَلُ يَأْكُلُ حَتَّى أَتَى عَلَيْهِ ثُمَّ شَرِبَ مِنْ جَرِّ كَانَتْ عِنْدَهُ وَ اسْتَلْقَى عَلَى مَرْفَقِهِ لَهُ وَ طَفِقَ يَحْمَدُ اللهُ يَكْرُرُ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ مِنْ أَيْنَ جِئْتَ يَا عَبْدَ اللهِ قُلْتَ مِنَ الْمَسْجِدِ قَالَ كَيْفَ خَلَفْتَ ابْنَ عَمِّكَ فَظَنَنْتَهُ يَعْنِي عَبْدَ اللهِ بْنَ جَعْفَرَ قُلْتَ خَلَفْتَهُ يَلْعَبُ مَعَ أَتْرَابِهِ قَالَ لَمْ أَعْنِ ذَلِكَ إِنَّمَا عَنَيْتُ عَظِيمَكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ قُلْتَ خَلَفْتَهُ يَمْتَحُ بِالْغَرْبِ عَلَى نَخِيْلَاتٍ مِنْ فَلَانٍ وَ هُوَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَالَ يَا عَبْدَ اللهِ

عليك دماء البدن إن كتمتها هل بقي في نفسه [صفحة ٢١] شىء من أمر الخلافة قلت نعم قال أيزعم أن رسول الله ص نص عليه قلت نعم وأزيدك سألت أبي عما يدعيه فقال صدق فقال عمر لقد كان من رسول الله ص في أمره ذرو من قول لا يثبت حجة ولا يقطع عذرا ولقد كان يربح في أمره وقتا ما ولقد أراد في مرضه أن يصرح باسمه فمنعت من ذلك إشفافا وحيطه على الإسلام لا ورب هذه البنية لا تجتمع عليه قريش أبدا و لو وليها لانتقضت عليه العرب من أقطارها فعلم رسول الله ص أنى علمت ما في نفسه فأمسك وأبى الله إلا إمضاء ما حتم. ذكر هذا الخبر أحمد بن أبي طاهر صاحب كتاب تاريخ بغداد في كتابه مسندا. ابنتي أبوسفيان دارا بمكة فأتى أهلها عمر فقالوا إنه قد ضيق علينا الوادى وأسأل علينا الماء فأتاه عمر فقال خذ هذا الحجر فضعه هناك وارفع هذا واخفض هذا ففعل فقال الحمد لله الذى أذل أباسفيان بأبطح مكة. وقال عمر و الله لقد لان قلبى فى الله حتى لهو ألين من الزبد ولقد اشتد قلبى فى الله حتى لهو أشد من الحجر. كان عمر إذا أتاه الخصمان برك على ركبته وقال اللهم أعنى عليهما فإن كلا منهما يريدنى عن دينى. [صفحة ٢٢] وخطب عمر فقال أيها الناس إنما كنا نعرفكم والنبي ص بين أظهرنا إذ ينزل الوحي و إذ نبينا الله من أخباركم ألا وإن النبي ص قد انطلق والوحي قد انقطع وإنما نعرفكم بما يبدو منكم من أظهر خيرا ظنا به خيرا وأحبيناه عليه و من أظهر شرا ظنا به شرا وأبغضناه عليه سرائركم بينكم و بين ربكم ألا إنه قد أتى على حين و أنا أحسب أنه لا يقرأ القرآن أحد إلا يريد به وجه الله و ما عند الله و قد خيل إلى بأخرة أن رجلا قد قرءوه يريدون به ما عند الناس فأريدوا الله بقرءتكم وأريدوا الله بأعمالكم. ألا وإنى لأرسل عمالى إليكم أيها الناس ليضربوا بأبشاركم و لا يأخذوا أموالكم ولكن أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم و سنتكم فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه إلى لأقتص له فقد رأيت رسول الله ص يقتص من نفسه. ألا لاتضربوا المسلمين فتذلوهم و لاتمنعوهم حقوقهم فتفقروهم و لاتنزلوهم الغياض فتضيعوهم. و قال مرة قد أعينى أهل الكوفة إن استعملت عليهم لينا استضعفوه و إن استعملت عليهم شديدا شكوه و لو ددت أنى وجدت رجلا قويا أمينا استعمله عليهم فقال له رجل أنا أدلك يا أمير المؤمنين على الرجل القوى الأمين قال من هو قال عبد الله بن عمر قال قاتلك الله و الله ما أردت الله بهالها الله لا أستعمله عليها و لا على غيرها و أنت فقم فاخرج فمذ الآن لأسميك إلا المناق فقام الرجل و خرج. و كتب إلى سعد بن أبى وقاص أن شاور طليحة بن خويلد و عمرو بن معديكرب فإن كل صانع أعلم بصنعتة و لاتولهما من أمر المسلمين شيئا [صفحة ٢٣] و غضب عمر على بعض عماله فكلم امرأة من نساء عمر فى أن تسترضيه له فكلمته فيه فغضب و قال و فيم أنت من هذا يا عدوة الله إنما أنت لعبة نلعب بك و تفركين. و من كلامه أشكو إلى الله جلد الخائن و عجز الثقة. قال عمرو بن ميمون لقد رأيت عمر بن الخطاب قبل أن يصاب بأيام واقفا على حذيفة بن اليمان و عثمان بن حنيف و هو يقول لهما أتخافان أن تكونا حملتما الأرض ما لا تطيقه فقالا- لا إنما حملناها أمرا هى له مطيقة فأعاد عليهما القول انظرا أن تكونا حملتما الأرض ما لا تطيقه فقالا- لا فقال عمر إن عشت لأدعن أرامل العراق لا يحتجن بعدى إلى رجل أبدا فما أتت عليه رابعة حتى أصيب. كان عمر إذا استعمل عاملا- كتب عليه كتابا و أشهد عليه رهطا من المسلمين ألا يركب بردونا و لا يأكل نقيا و لا يلبس رقيقا و لا يغلق بابه دون حاجات المسلمين ثم يقول اللهم اشهد. و استعمل عمر النعمان بن عدى بن نضلة على ميسان فبلغه عنه الشعر الذى قاله و هو و من مبلغ الحسناء أن حليلها || بميسان يسقى من زجاج و حنتم إذا شئت غنتنى دهاقين قرية || و صناجة تحدو على كل منسم [صفحة ٢٤] فإن كنت ندمانى فبالأكبر اسقنى || و لاتسقى بالأصغر المتثل لعل أمير المؤمنين يسوءه || تنادنا بالجوسق المتهدم فكتب إليه بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب و قابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير أما بعد فقد بلغنى قولك - قرآن- ١٢-١٩٧ لعل أمير المؤمنين يسوءه البيت و ايم الله إنه ليسوءنى فاقدم فقد عزلتلك. فلما قدم عليه قال يا أمير المؤمنين و الله ما شربتها قط وإنما هوشعر طفح على لسانى و إنى لشاعر. فقال عمر أظن ذاك ولكن لاتعمل لى على عمل أبدا. استعمل عمر رجلا من قريش على عمل فبلغه عنه أنه قال اسقنى شربة تروى عظامى

|| واسق بالله مثلها ابن هشام فأشخصه إليه وفضن القرشى فضم إليه بيتا آخر فلما مثل بين يديه قال له أنت القائل اسقنى شربة تروى عظامي قال نعم يا أمير المؤمنين فهلا أبلغك الواشى ما بعده قال ما ألقى بعده قال عسلا باردا بماء غمام || إننى لأحب شرب المدام قال الله الله ثم قال ارجع إلى عملك . [صفحہ ۲۵] قال عمر أيما عامل من عمالي ظلم أحدا ثم بلغتني مظلمته فلم أغيرها فأنا ألقى ظلمته . وقال للأحنف بن قيس و قد قدم عليه فاحتبسه عنده حولا يا أحنف إننى قد خبرتكم وبلوتكم فرأيت علانيتك حسنة و أنا أرجو أن تكون سريرتك مثل علانيتك و إن كنا لنحدث أنه إنما يهلك هذه الأمة كل منافق عليم . و كتب عمر إلى سعد بن أبي وقاص أن مترس بالفارسية هو الأمان فمن قلت له ذلك ممن لا يفقه لسانكم فقد أمتموه . و قال لأمير من أمراء الشام كيف سيرتك كيف تصنع فى القرآن والأحكام فأخبره فقال أحسنت اذهب فقد أقررتك على عملك فلما ولى رجع فقال يا أمير المؤمنين إننى رأيت البارحة رؤيا أقصها عليك رأيت الشمس والقمر يقتلان و مع كل واحد منهما جنود من الكواكب فقال فمع أيهما كنت قال مع القمر فقال قد عزلتك قال الله تعالى وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَ جَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً . كان عمر جالسا فى المسجد فمر به رجل فقال ويل لك يا عمر من النار فقال قربوه إلى فدنا منه فقال لم قلت لى ما قلت قال تستعمل عمالك وتشترط عليهم - قرآن - ۷۳۸-۸۳۷ [صفحہ ۲۶] ثم لا-تنظر هل وفوا لك بشروط أم لا قال و ماذا قال عاملك على مصر اشترطت عليه فترك ما أمرته به وارتكب منهيته عنه ثم شرح له كثيرا من أمره فأرسل عمر رجلين من الأنصار فقال لهما انتھيا إليه فاسألا عنه فإن كان كذب عليه فأعلماني و إن رأيتما ما يسوء كما فلاتملكاه من أمره شيئا حتى تأتيا به فذهبا فسألا عنه فوجداه قد صدق عليه فجاء إلى بابه فاستأذنا عليه فقال حاجبه إنه ليس عليه اليوم إذن قال لا ليخرجن إلينا أولنحرقن عليه بابه وجاء أحدهما بشعلة من نار فدخل الأذن فأخبره فخرج إليهما قالا إنا رسولا عمر إليك لتأتية قال إن لنا حاجة تمهلائننى لأ-تزوج قالا- إنه عزم علينا ألا- نمهلك فاحتملاه فأتيا به عمر فلما أتاه سلم عليه فلم يعرفه و قال من أنت و كان رجلا أسمر فلما أصاب من ريف مصر ابيض و سمن فقال أنا عاملك على مصر أنافلان قال ويحك ركبت منهيته عنه و تركت ما أمرت به و الله لأعاقبك عقوبة أبلغ إليك فيها اتونى بكساء من صوف وعصا وثلاثمائة شاة من غنم الصدقة فقال البس هذه الدراعة فقد رأيت أباك و هذه خير من دراعته وخذ هذه العصا فهى خير من عصا أيبك و اذهب بهذه الشياه فارعها فى مكان كذا و ذلك فى يوم صائف و لا-تمنع السابله من ألبانها شيئا إلا آل عمر فإنى لأعلم أحدا من آل عمر أصاب من ألبان غنم الصدقة ولحومها شيئا. فلما ذهب رده و قال أفهمت ما قلت فضرب بنفسه الأرض و قال يا أمير المؤمنين لا أستطيع هذا فإن شئت فاضرب عنقى قال فإن رددتك فأى رجل تكون قال و الله لا يبلغك بعدها إلا ماتحب فرده فكان نعم الرجل و قال عمر و الله [صفحہ ۲۷] لا أنزعن فلانا من القضاء حتى أستعمل عوضه رجلا إذا رآه الفاجر فرق . و روى عبد الله بن بريدة قال بينا عمر يعس ذات ليلة انتهى إلى باب متجاف وامرأة تغنى نسوة هل من سبيل إلى خمر فأشربها || أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج فقال عمر أما ما عشت فلا. فلما أصبح دعا نصر بن حجاج و هونصر بن الحجاج بن علابط البهزى السلمى فأبصره و هو من أحسن الناس وجهها وأصبحهم وأملحهم حسنا فأمر أن يطم شعره فخرجت جبهته فازداد حسنا فقال له عمر اذهب فاعتم فاعتم فبدت وفرتة فأمر بحلقها فازداد حسنا فقال له فتنت نساء المدينة يا ابن حجاج لا تجاورنى فى بلدة أنا مقيم بها ثم سيره إلى البصرة. فروى الأصمعى قال أبرد عمر بريدا إلى عتبة بن أبى سفيان بالبصرة فأقام بها أياما ثم نادى منادى عتبة من أراد أن يكتب إلى أهله بالمدينة أو إلى أمير المؤمنين شيئا فليكتب فإن بريد المسلمين خارج. فكتب الناس ودس نصر بن حجاج كتابا فيه لعبد الله عمر أمير المؤمنين من نصر بن حجاج سلام عليك أما بعد يا أمير المؤمنين لعمرى لئن سيرتنى أو حرمتنى || لمانلت من عرضى عليك حرام أن إن غنت الذلفاء يوما بمنية || وبعض أمانى النساء غرام [صفحہ ۲۸] ظننت بى الظن الذى ليس بعده || بقاء فما لى فى الندى كلام وأصبحت منفيا فى غير ريبه || و قد كان لى بالمكتين مقام سيمعنى مما تظن تكرمى || وآباء صدق سالفون كرام

ويمنعها مما تمت صلاتها || وحال لها في دينها وصيام فها تان حالانا فهل أنت راجع || فقد جب منى كاهل وسنام فقال عمر أماولى ولاية فلا وأقطعه أرضا بالبصرة ودارا. فلما قتل عمر ركب راحلته ولحق بالمدينة. وذكر المبرد محمد بن يزيد الشمالى قال كان عمر أصلع فلما حلق وفره نصر بن حجاج قال نصر و كان شاعرا ترضن ابن خطاب على بجمه || إذارجلت تهتر هز السلاسل فصلع رأسا لم يصلعه ربه || يرف رفيفا بعدأسود جائل لقد حسد الفرعان أصلع لم يكن || إذا مامشى بالفرع بالمتخايل . محمد بن سعيد قال بينا يطوف عمر فى بعض سكك المدينة إذ سمع امرأة تهتف من خدرها هل من سبيل إلى خمر فأشربها || أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج [صفحة ٢٩] إلى فتى ماجد الأعراق مقتبل || سهل المحيا كريم غيرملجاج تنميه أعراق صدق حين تنسبه || أخى قداح عن المكروب فراج سامى النواظر من بهز له قدم || تضىء صورته فى الحال كالداجى فقال عمر ألا -أدرى معى رجلا- يهتف به العواتق فى خدورهن على بنصر بن حجاج فأتى به فإذا هو أحسن الناس وجهها وعينا وشعرا فأمر بشعره فجز فخرجت له وجنتان كأنه قمر فأمره أن يعتم فاعتم ففتن النساء بعينه فقال عمر لا والله لا تساكنتى بأرض أنا بها قال و لم يا أمير المؤمنين قال هو ما أقول لك فسيره إلى البصرة. وخافت المرأة التى سمع عمر منها ماسمع أن يبدر إليها منه شىء فدمت إليه أبياتا قل للأمير الذى تخشى بواده || ما لى وللخمر أونصر بن حجاج إنى بليت أباحفص بغيرهما || شرب الحليب وطرف فاتر ساج لاتجعل الظن حقا أوتبينه || إن السبيل سبيل الخائف الراجى مامنية قلتها عرضا بضائرة || والناس من هالك قدما و من ناج إن الهوى رعية التقوى تقيده || حتى أقر بالجام وإسراج فبكى عمر و قال الحمد لله الذى قيد الهوى بالتقوى . وأتته يوما أم نصر حين اشتدت عليها غيبة ابنها فتعرضت لعمر بين الأذان والإقامة فقعدت له على الطريق فلما خرج يريد الصلاة هتفت به وقالت يا أمير المؤمنين لأجائينك غدا بين يدي الله عز و جل ولأخاصمكك إليه بيت عاصم و عبد الله إلى [صفحة ٣٠] جانيك و بينى و بين ابني الفيافى والقفار والمفاوز والجبال قال من هذه قيل أم نصر بن حجاج فقال يا أم نصر إن عاصما و عبد الله لم تهتف بهما العواتق من وراء الخدور. ويروى أن نصر بن الحجاج لما سيره عمر إلى البصرة نزل بها على مجاشع بن مسعود السلمى و كان خليفة أبى موسى عليها وكانت له امرأة شابة جميلة فهويت نصرا وهويها فينا الشيخ جالس ونصر عنده إذ كتب فى الأرض شيئا فقرأته المرأة فقالت أنا و الله فقال مجاشع ما قال لك قالت إنه قال ما أصفى لقتكم هذه فقال مجاشع إن الكلمة التى قلت ليست أختا لهذا الكلام عزمت عليك لما أخبرتنى قالت إنه قال ما أحسن سوار ابتكم هذه قال و لا هذه فإنه كتب فى الأرض فرأى الخط فدعا بإناء فوضعه عليه ثم أحضر غلاما من غلمانه فقال اقرأ فقرأه و إذا هو أنا و الله أحبك فقال هذه لهذه اعتدى أيتها المرأة وتزوجها يا ابن أخى إن أردت . ثم غدا على أبى موسى فأخبره فقال أبو موسى أقسم ما أخرج عمر عن المدينة من خير ثم طرده إلى فارس وعليها عثمان بن أبى العاص الثقفى فنزل على دهقانه فأعجبها فأرسلت إليه فبلغ خبرها عثمان فبعث إليه أن اخرج عن أرض فارس فإنك لم تخرج عن المدينة والبصرة من خير فقال و الله لئن أخرجتمونى لألحقن ببلاد الشرك فكتب بذلك إلى عمر فكتب أن جزوا شعره وشمروا قميصه وألزموه المساجد. وروى عبد الله بن بريده أن عمر خرج ليلا- يعس فإذا نسوة يتحدثن و إذهن [صفحة ٣١] يقلن أى فتیان المدينة أصبح فقالت امرأة منهن أبو ذؤيب و الله فلما أصبح عمر سأل عنه فإذا هو من بنى سليم و إذا هو ابن عم نصر بن حجاج فأرسل إليه فحضر فإذا هو أجمل الناس وأملحهم فلما نظر إليه قال أنت و الله ذئبها يكررها ويردها لا و الذى نفسى بيده لاتجامعنى بأرض أبدا. فقال يا أمير المؤمنين إن كنت لا بد مسيرى فسيرنى حيث سيرت ابن عمى نصر بن حجاج فأمر بتسييره إلى البصرة فأشخص إليها. خطب عمر فى الليلة التى دفن فيها أبوبكر فقال إن الله تعالى نهج سبيله وكفانا برسوله فلم يبق إلا الدعاء والاعتداء الحمد لله الذى ابتلانى بكم وابتلاكم بى وأبقانى فيكم بعدصاحبى وأعوذ بالله أن أزل أوأصل فأعادى له ولما أوأوالى له عدوا إلا إنى وصاحبى كنفر ثلاثة قفلوا من طيبة فأخذ أحدهم مهلة إلى داره وقراره فسلك أرضا مضيئة متشابهة الأعلام فلم يزل عن الطريق و لم يحرم

السبيل حتى أسلمه إلى أهله ثم تلاه الآخر فسلكت سبيله واتبع أثره فأفضى إليه ولقى صاحبه ثم تلاهما الثالث فإن سلكت سبيلهما واتبع أثرهما أفضى إليهما ولاقاهما وإن زل يمينا أو شمالا لم يجامعهما أبدا. ألا وإن العرب جعل أنف قد أعطيت خطامه ألا وإنى حامله على المحجج ومستعين بالله عليه. ألا- وإنى داع فأمنوا اللهم إنى شحيح فسحني اللهم إنى غليظ فلينى اللهم إنى ضعيف فقونى اللهم أوجب لى بمولاتك وموالئك وأولائك ولايتك ومعونتك وأبرئنى [صفحة ٣٢] من الآفات بمعادة أعدائك وتوفنى مع الأبرار ولا تحشرنى فى زمرة الأشقياء اللهم لا تكثر لى من الدنيا فأطغى ولا تقلل لى فأشقى فإن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى. وفد على عمر قوم من أهل العراق منهم جرير بن عبد الله فأتاهم بجفنة قد صبغت بخل وزيت وقال خذوا فأخذوا أخذًا ضفيفا فقال ما بالكم تقرمون قرم الشاة الكسيرة أظنكم تريدون حلوا وحامضا وحرارا وباردا ثم قذفا فى البطون لوشئت أن أدهمق لكم لفعلت ولكننا نستبقى من ديانا مانجده فى آخرتنا و لوشئنا أن نأمر بصغار الضأن فتسمط ولبات الخبز فيخبز ونأمر بالزبيب فينبذ لنا فى الأسعان حتى إذا صار مثل عين العيقوب أكلنا هذا وشربنا هذا لفعلت والله إنى ما أعجز عن كراكر وأسنمة وصلاتق وصناب لكن الله تعالى قال لقوم غيرهم أمرا فعلوه أذهبتُم طيباتكم فى حياتكم الدنيا وإنى نظرت فى هذا الأمر - قرآن - ٧٠٥-٧٤٨ [صفحة ٣٣] فجعلت إن أردت الدنيا أضرت بالآخرة وإن أردت الآخرة أضرت بالدنيا وإذا كان الأمر هكذا فأضروا بالفانية. خرج عمر يوما إلى المسجد و عليه قميص فى ظهره أربع رقاع فقرأ حتى انتهى إلى قوله وَ فَكَيْهَةً وَ أَبَا فَقَالَ مَا الْأَبُ ثُمَّ قَالَ إِنَّ هَذَا هُوَ التَّكْلِفُ وَ مَا عَلَيْكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ أَلَا- تَدْرِي مَا الْأَبُ . وجاء قوم من الصحابة إلى حفصة فقالوا لو كلمت أباك فى أن يلين من عيشه لعله أقوى له على النظر فى أمور المسلمين فجاءته فقالت إن ناسا من قومك كلمونى فى أن أكلمك فى أن تلين من عيشك فقال يابنية غششت أباك ونصحت لقومك . وروى سالم بن عبد الله بن عمر قال لماولى عمر قعد على رزق أبى بكر الذى كان فرضه لنفسه فاشتدت حاجته فاجتمع نفر من المهاجرين منهم على وعثمان وطلحة والزبير وقالوا لوقلنا لعمر يزيد فى رزقه فقال عثمان إنه عمر فهلما فلنستين ما عنده من وراء وراء نأتى حفصة فنكلمها ونستكتمها أسماءنا فدخلوا عليها وسألوها أن تكلمه ولا تخبره بأسماء من أتاها إلا أن يقبل فلقيت عمر فى ذلك فرأت الغضب فى وجهه وقال من أتاك قالت لاسبيل إلى ذلك فقال لو علمت من هم لسؤت أوجههم أنت بينى وبينهم نشدتك الله ما أفضل ما اقتنى رسول الله ص فى بيتك من الملابس قالت ثوبان ممشقان كان يلبسهما للوفد ويخطب - قرآن - ١٩٥-٢١٤ [صفحة ٣٤] فيهما فى الجمع قال فأى طعام ناله عندك أرفع قالت خبزنا مرة خبزة شعير فصبيت عليها وهى حارة أسفلها عكة لنا كان فيها سمن وعسل فجعلتها هشئة حلوة دسمة فأكل منها فاستطابها قال فأى مبسط كان يبسط عندك أو طأ قالت كساء ثخين كنا نرقعه فى الصيف فنجعله ثخينا فإذا كان الشتاء بسطنا نصفه وتدثرنا بنصفه قال فأبلغهم أن رسول الله ص قدر فوضع الفضول مواضعها وتبلغ ما أبر وإنى قدرت فو الله لأضعن الفضول مواضعها ولأبلغن ما أبر حبة وفد على عمر وفد فيه رجال الناس من الآفاق فوضع لهم بسطا من عباء وقدم إليهم طعاما غليظا فقالت له ابنته حفصة أم المؤمنين إنهم وجوه الناس وكرام العرب فأحسن كرامتهم فقال يا حفصة أخبرينى بألين فراش فرشته لرسول الله ص وأطيب طعام أكله عندك قالت أصبنا كساء ملبدا عام خبير فكنت أفرشه له فينام عليه وإنى رفعته ليله فلما أصبح قال ما كان فراشى الليلة قلت فراشك كل ليلة إلا أنى الليلة رفعته لك ليكون أو طأ فقال أعيديه لحالته الأولى فإن وطأته منعتنى الليلة من الصلاة. و كان لنا صاع من دقيق سلت فنخلته يوما وطبخته له و كان لنا قعب من سمن فصبته عليه فيينا هوع يأكل إذ دخل أبو الدرداء فقال أرى سمنكم قليلا وإن لنا لقعبا من سمن قال ع فأرسل فأت به فجاء به فصبه عليه فأكل فهذا أطيب طعام أكله عندى رسول الله ص . فأرسل عمر عينيه بالبكاء وقال لها والله لا أزيدهم على ذلك العباء وذلك الطعام [صفحة ٣٥] شيئا وهذا فرأش رسول الله ص وهذا طعامه . لما قدم عتبة بن مرثد أذربيجان أتى بالخبيص فلما أكله وجد شيئا حلوا طيبا فقال لو صنعت من هذا الأمير المؤمنين فجعل له خبيصا فى منقلين عظيمين وحملهما على بعيرين إلى المدينة فقال عمر ما

هذا قالوا الخبيص فذاقه فوجده حلوا فقال للرسول ويحك أكل المسلمين عندكم يشيع من هذا قال لا قال فارددهما ثم كتب إلى عتبة أما بعد فإن خبيصك أذى بعثته ليس من كد أبيك ولا من كد أمك أشيع المسلمين مما تشيع منه في رحلك ولا تستأثر فإن الأثر شر والسلم . وروى عتبة بن مرثد أيضا قال قدمت على عمر بجلواء من بلاد فارس في سلال عظام فقال ما هذه قلت طعام طيب أتيتك به قال ويحك و لم خصصتني به قلت أنت رجل تقضى حاجات الناس أول النهار فأحببت إذ رجعت إلى منزلك أن ترجع إلى طعام طيب فتصيب منه فتقوى على القيام بأمرك فكشف عن سلء منها فذاق فاستطاب فقال عزمت عليك يا عتبة إذ رجعت إلى منزلك قال فلاحاجة لي فيه إذا ثم دعا بقصعة من ثريد ولحم غليظ وخبز خشن فقال كل ثم جعل يأكل أكلا شهيا وجعلت أهوى إلى البضعة البيضاء أحسبها سناما وإذاهى عصبه وأهوى إلى البضعة من اللحم أمضغها [صفحة ٣٦] فلا أسغها وإذاهى من علباء العنق فإذا غفل عنى جعلتها بين الخوان والقصعة فدعا بعس من نبيذ كاد يكون خلا فقال اشرب فلم أستطعه ولم أسغه أن أشرب فشرب ثم نظر إلى وقال ويحك إنه ليس بدمك العراق وودك ولكن ماتأكله أنت وأصحابك . ثم قال اسمع إنا نحر كل يوم جزورا فأما أوراكها وودكها وأطائبها فلمن حضرنا من المهاجرين والأنصار و أماعنتها فلاك عمر و أماعظامها وأضلاعها فلفقراء المدينة نأكل من هذا اللحم الغث ونشرب من هذا النبيذ الخائر وندع لين الطعام ليوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها. حضر عند عمر قوم من الصحابة فأتوا عليه وقالوا والله مارأينا يا أمير المؤمنين رجلا أفضى منك بالقسط ولا أقول بالحق ولا أشد على المنافقين منك إنك لخير الناس بعد رسول الله ص . فقال عوف بن مالك كذبتم والله أبوبكر بعد رسول الله خير أمته رأينا أبابكر. فقال عمر صدق عوف والله وكذبتم لقد كان أبوبكر والله أطيب من ريح المسك وأناضل من بعير أهلى. لما أتى عمر الخبر بنزول رستم القادسية كان يخرج فيستخبر الركبان كل يوم عن أهل القادسية من حين يصبح إلى انتصاف النهار ثم يرجع إلى أهله فلما جاء البشير بالفتح [صفحة ٣٧] لقيه كما يلقى الركبان من قبل فسأله فأخبره فجعل يقول يا عبد الله إيه حدثني فيقول له هزم الله العدو وعمر يحث معه ويسأله وهو راجل والبشير يسير على ناقته ولا يعرفه فلما دخل المدينة إذا الناس يسلمون عليه باسمه بإمرة المؤمنين ويهتفون فتنزل الرجل وقال هلا- أخبرتنى يا أمير المؤمنين رحمك الله وجعل عمر يقول لا عليك يا ابن أخى لا عليك يا ابن أخى. وروى أبو العالبيه الشامي قال قدم عمر الجابية على جمل أورق تلوح صلعته ليس عليه قلنسوة تصل رجلاه بين شعبي رحله بغير ركاب وطاؤه كساء أنبجاني كثير الصوف وهو ووطاؤه إذ اركب وفراشه إذ انزل وحقبته نمره محشوة ليفا هي حقبته إذ اركب ووسادته إذ انزل و عليه قميص من كرايس قد دسم وتخرق جيبه فقال ادعوا إلى رأس القرية فدعوه له فقال اغسلوا قميصي هذا وخيطوه وأعيروني قميصا ريثما يجف قميصي فأتوه بقميص كتان فعجب منه فقال ما هذا قالوا كتان قال و مالكتان فأخبروه فلبسه ثم غسل قميصه وأتى به فترع قميصهم ولبس قميصه فقال له رأس القرية أنت ملك العرب وهذه بلاد لا يصلح بهار كوب الإبل فأتى ببرذون فطرحت عليه قطيفة بغير سرج فركبه فهملج تحته فقال للناس احبسوا فحبسوه فقال ما كنت أظن الناس يركبون الشيطان قبل هذا قدموا لي جملى فجىء به فتنزل عن البرذون وركبه . [صفحة ٣٨] قدم عمر الشام فلقية أمراء الأجناد وعظماء تلك الأرض فقال وأين أخى قالوا من هو قال أبو عبيدة قالوا سيأتيك الآن فجاء أبو عبيدة على ناقه مخطومة بحبل فسلم عليه ورد له ثم قال للناس انصرفوا عنا فسار معه حتى أتى منزله فتنزل عليه فلم ير فيه إلا سيفا وترسا فقال له لو اتخذت متاع البيت قال حسبي هذا يبلغني المقييل . وروى طارق بن شهاب أن عمر لما قدم الشام عرضت له مخاضة فتنزل عن بعيره ونزع جرموقيه فأمسكها بيده وخاض الماء وزمام بعيره فى يده الأخرى فقال له أبو عبيدة لقد صنعت اليوم صنيعا عظيما عند أهل هذه الأرض فصك فى صدره وقال لو غيرك قالها يا أبا عبيدة إنكم كنتم أذل الناس وأحقر الناس وأقل الناس فأعزكم الله بالإسلام فمهما تطلبوا العز بغيره يرجعكم إلى الذل . وروى

محمد بن سعد صاحب الواقدي أن عمر قال يوما على المنبر لقد رأيتني و ما لي من أكال يأكله الناس إلا أن لي خالات من بنى مخزوم فكنت أستعذب لهن الماء فيقبضن لي القبضات من الزبيب فلما نزل قيل له ما أردت بهذا قال وجدت في نفسي بأوا فأردت أن أطأطي منها. [صفحة ٣٩] و من كلام عمر رحم الله امرأ أهدي إلى عيوبى. قدم عمرو بن العاص على عمر و كان واليا لمصر فقال له في كم سرت قال في عشرين قال عمر لقد سرت سير عاشق فقال عمرو إني و الله ما تأبطنني الإمام و لاحتني في غبرات المآلى فقال عمر و الله ما هذا بجواب الكلام الذى سألتك عنه و أن الدجاجة لتفحص فى الرماد فتضع لغير الفحل وإنما تنسب البيضة إلى طرفها فقام عمرو مبرد الوجه . قلت المآلى خرق سود يحملها النوائح ويسرن بها بأيديهن عند اللطم و أراد خرق الحيص هاهنا وشبهها بتلك و أنكر عمر فخره بالأمهات و قال إن الفخر للأب الذى إليه النسب و سألت النقيب أبا جعفر عن هذا الحديث فى عمر فقال إن عمرا فخر على عمر لأن أم الخطاب زنجية و تعرف بباطحلى تسمى صهاك فقلت له وأم عمرو النابغة أمه من سبايا العرب فقال أمه عريية من عنزة سبيت فى بعض الغارات فليس يلحقها من النقص عندهم ما يلحق الإمام الزنجيات فقلت له أ كان عمرو يقدم على عمر بمثل ما قلت قال قد يكون بلغه عنه قول قده فى نفسه فلم يحتمله له و نفث بما فى صدره منه و إن لم يكن جوابا مطابقا للسؤال و قد كان عمر مع خشونته يحتمل نحو هذا فقد جبهه الزبير مرة و جعل يحكى كلامه يمططه وجبهه سعد بن أبى وقاص أيضا فأغضى عنه و مر يوما فى السوق على ناقة له فوثب غلام من بنى ضبة فإذا هو خلفه فالتفت إليه فقال فممن أنت قال ضبى قال جسور و الله فقال الغلام على العدو قال عمر و على الصديق أيضا ما حاجتك فقضى حاجته ثم قال دع الآن لنا ظهر راحلتنا. [صفحة ٤٠] و من كلام عمر اخشع عند القبور إذ انظرت إليها واستعص عند المعصية و ذل عند الطاعة و لا تبدلن كلامك إلا عند من يشتهي و يتخذة غنما و لا تستعن على حاجتك إلا بمن يحب نجاحها لك و آخ الإخوان على التقوى و شاور فى أمرك كله و إذا اشتري أحدكم بعيرا فليشتره جسيما فإن أخطأته النجابه لم يخطئه السوق . أوفد بشر بن مروان و هو على العراق رجلا- إلى عبدالملك فسأله عن بشر فقال يا أمير المؤمنين هو اللين فى غير ضعف الشديد فى غير عنف فقال عبدالملك ذاك الأحوذى ابن حنتمه الذى كان يأمن عنده البرىء و يخافه السقيم و يعاقب على الذنب و يعرف موضع العقوبة لابشر بن مروان . أذن عمر يوما للناس فدخل شيخ كبير يعرج و هو يقود ناقة رجيعا يجاذبها حتى وقف بين ظهراى الناس ثم قال و إنك مسترعى و إنا رعية || و إنك مدعو بسيماك يا عمر لدى يوم شره لشراره || و خير لمن كانت مؤانسه الخير . فقال عمر لا حول و لا قوة إلا بالله من أنت قال عمرو بن براقه قال ويحك فما منعك أن تقول و اعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه و للرَسُولِ ثم قرأها إلى آخرها و أمر بناقته فقبضت و حمله على غيرها و كساه و زوده . -قرآن- ٩٢-١٦٥ [صفحة ٤١] بينا عمر يسير فى طريق مكة يوما إذا بالشيخ بين يديه يرتجز و يقول ما إن رأيت كفتى الخطاب || أبر بالدين و بالأحساب بعد النبى صاحب الكتاب . فطعنه عمر بالسوط فى ظهره فقال ويلك و أين الصديق قال ما لي بأمره علم يا أمير المؤمنين قال أما إنك لو كنت عالما ثم قلت هذا لأوجعت ظهرك . قال زيد بن أسلم كنت عند عمر و قد كلمه عمرو بن العاص فى الحطيئة و كان محبوبا فأخرجه من السجن ثم أنشده ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ || زغب الحواصل لأماء و لاشجر ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة || فاغفر عليك سلام الله يا عمر أنت الإمام الذى من بعد صاحبه || ألقى إليه مقاليد النهى البشر ما آثروك بها إذ قدموك لها || لكن لأنفسهم كانت بك الأثر . فبكى عمر لما قال له ماذا تقول لأفراخ فكان عمرو بن العاص بعد ذلك يقول ما أقلت الغبراء و لا أظلت الخضراء أتقى من رجل يبكى خوفا من حبس الحطيئة ثم قال عمر لغلامه يرفأ على بالكرسى فجلس عليه ثم قال على بالطست فأتى بها ثم قال على بالمخصف لابل على بالسكين فأتى بها فقال لابل على بالموسى فإنها أوجى فأتى بموسى ثم قال أشيروا على فى الشاعر فإنه يقول الهجر و ينسب بالحرم ويمدح الناس و يذمهم بغير ما فيهم و ما أرانى إلا قاطعا لسانه فجعل الحطيئة يزيد خوفا فقال من حضر أنه لا يعود يا أمير المؤمنين وأشاروا إليه قل لا أعود يا أمير المؤمنين فقال النجاء النجاء فلما ولى

ناداه يا حطيئة فرجع مرعوبا فقال كأنى بك يا حطيئة [صفحة ٤٢] عندفتى من قريش قد بسط لك نمرقة وكسر لك أخرى ثم قال غننا يا حطيئة فطفقت تغنيه بأعراض الناس قال يا أمير المؤمنين لا أعود ولا يكون ذلك . قال زيد بن أسلم ثم رأيت الحطيئة يوما بعد ذلك عند عبيد الله بن عمر قد بسط له نمرقة وكسر له أخرى ثم قال تغنينا يا حطيئة وهو يغنيه فقلت يا حطيئة أ ما تذكر قول عمر لك ففرع و قال رحم الله ذلك المرء أما لو كان حيا مافعلنا هذا قال فقلت لعبيد الله بن عمر سمعت أباك يذكر كذا فكنت أنت ذلك الفتى . كان عمر يصادر خونه العمال فصادر أبا موسى الأشعري و كان عامله على البصرة و قال له بلغنى أن لك جاريتين وأنك تطعم الناس من جفتين وأعادته بعد المصادرة إلى عمله . وصادر أباهريرة وأغلظ عليه و كان عامله على البحرين فقال له أ لا تعلم أنى استعملتك على البحرين و أنت حاف لانعل فى رجلك و قد بلغنى أنك بعث أفراسا بألف وستمائة دينار قال أبوهريرة كانت لنا أفراس فتناتجت فقال قد حبست لك رزقك ومثوتك و هذا فضل قال أبوهريرة ليس ذلك لك قال بلى والله وأوجع ظهرك ثم قام إليه بالدره فضرب ظهره حتى أدماه ثم قال ائت بها فلما أحضرها قال أبوهريرة سوف أحسبها عند الله قال عمر ذاك لو أخذتها من حل وأديتها طائعا أما والله ما رجعت فيك أميمه أن تجبى أموال هجر واليمامة وأقصى البحرين لنفسك والله و لا للمسلمين و لم ترج فيك أكثر من رعية الحمر وعزله . وصادر الحارث بن وهب أحد بنى ليث بكر بن كنانة و قال له ما قلاص وأعبد بعثها بمائه دينار قال خرجت بنفقة لى فاتجرت فيها قال وإنا والله ما بعثناك للتجارة [صفحة ٤٣] أدها قال أما والله لأعمل لك بعدها قال إنا والله لأستعملك بعدها ثم سعد المنبر فقال يا معشر الأمراء إن هذا المال لورأينا أنه يحل لنا لأحللناه لكم فأما إذ لم نره يحل لنا وظلفنا أنفسنا عنه فاطلفوا عنه أنفسكم فإنى والله ما وجدت لكم مثلا لإعطشان ورد اللجة و لم ينظر الماتح فلما روى غرق . وكتب عمر إلى عمرو بن العاص وهو عامله فى مصر أما بعد فقد بلغنى أنه قد ظهر لك مال من إبل وغنم وخدم وغلمان و لم يكن لك قبله مال و لا ذلك من رزقك فإنى لك هذا ولقد كان لى من السابقين الأولين من هو خير منك ولكنى استعملتك لغنائك فإذا كان عملك لك وعلينا بم نؤثرك على أنفسنا فاكتب إلى من أين مالك وعجل و السلام . فكتب إليه عمرو بن العاص قرأت كتاب أمير المؤمنين ولقد صدق فأما ما ذكره من مالى فإنى قدمت بلدة الأسعار فيهارخيصة والغزو فيها كثير فجعلت فضول ما حصل لى من ذلك فيما ذكره أمير المؤمنين والله يا أمير المؤمنين لو كانت خيانتك لنا حلالا- ما خناك حيث ائتمنتنا فأقصر عنا عناك فإن لنا أحسابا إذ ارجعنا إليها أغنتنا عن العمل لك و أما من كان لك من السابقين الأولين فهلا استعملتهم فو الله ما دقت لك بابا . فكتب إليه عمر أما بعد فإنى لست من تسطيرك وتشقيقك الكلام فى شىء إنكم معشر الأمراء أكلتم الأموال وأخلدتم إلى الأعداء فإنما تأكلون النار وتورثون العار و قد وجهت إليك محمد بن مسلمة ليشاطرك على ما فى يديك و السلام . [صفحة ٤٤] فلما قدم إليه محمداتخذ له طعاما وقدمه إليه فأبى أن يأكل فقال ما لك لا تأكل طعامنا قال إنك عملت لى طعاما هو تقدمه للشر و لو كنت عملت لى طعام الضيف لأكلته فأبعد عنى طعامك وأحضر لى مالك فلما كان الغد وأحضر ماله جعل محمد يأخذ شطرا ويعطى عمرا شطرا فما رأى عمرو ما حاز محمد من المال قال يا محمد أقول قال قل ماتشاء قال لعن الله يوما كنت فيه واليا لابن الخطاب والله لقد رأيتك ورأيت أباه و إن على كل واحد منهما عباءة قطوانية مؤتزرا بها ماتبلغ مأبض ركبته و على عنق كل واحد منهما حزمة من حطب و إن العاص بن وائل لفى مزررات الديداج فقال محمد إياها ياعمر و فعمرو والله خير منك و أما أبوك وأبوه فى النار و والله لو لا ما دخلت فيه من الإسلام لألفيت معتلفا شاء يسرك غزرها ويسوءك بكؤها قال صدقت فاكتب لى قال أ فعل . جاءت سرية لعبيد الله بن عمر إلى عمر تشكوه فقالت يا أمير المؤمنين أ لا تعذرنى من أبى عيسى قال و من أبوعيسى قالت ابنك عبيد الله قال ويحك و قد تكنى بأبى عيسى ودعاه و قال إياها اكتنيت بأبى عيسى فحذر وفرع فأخذ يده فعضها حتى صاح ثم ضربه و قال ويلك هل لعيسى أب أ ماتدرى ماكنى العرب أبوسلمة أبوحنظلة أبوعرفطة أبومرءة . كان عمر إذا غضب على بعض أهله لم يشنف حتى يعرض يده و كان

عبد الله بن الزبير كذلك يقال إنه لم يل ولاية من ولد عمر وال عادل [صفحة ٤٥] وقال مالك بن أنس إن عمر بن الخطاب استفرغ كل عدل في ولده فلم يعدل بعده أحد منهم في ولاية وليها. كان عمر و من بعده من الولاة إذا أخذوا العصاة نزعوا عمائمهم وأقاموهم للناس حتى جاء زياد فضربهم بالسياط فجاء مصعب فحلق مع الضرب فجاء بشر بن مروان فكان يصلب تحت الإبطين ويضرب الأكف بالمسامير فكتب إلى بعض الجند قوم من أهله يستزيرونه ويتشوقونه وقد أخرجه بشر إلى الري فكتب إليهم لو لامخافة بشر أو عقوبته || أو أن يرى شأني كفى بمسماز إذا عطلت ثغري ثم زرتكم || إن المحب المعنى جد زوار . فلما جاء الحجاج قال كل هذا لعب فقتل العصاة بالسيف . زيد بن أسلم عن أبيه قال خلا عمر لبعض شأنه وقال أمسك على الباب فطلع الزبير فكرهته حين رأته فأراد أن يدخل فقلت هو على حاجة فلم يلتفت إلى وأهوى ليدخل فوضعت يدي في صدره فضرب أنفي فأدماه ثم رجع فدخلت على عمر فقال مابك قلت الزبير . فأرسل إلى الزبير فلما دخل جئت فقمت لأنظر ما يقول له فقال ما حملك على ما صنعت أدميتني للناس فقال الزبير يحكيه ويمطط في كلامه أدميتني أتحتجب عنا يا ابن الخطاب فوالله ما احتجب مني رسول الله ولا أبو بكر فقال عمر كالمعتذر إنني كنت في بعض شأني . قال أسلم فلما سمعته يعتذر إليه يئست من أن يأخذ لي بحقي منه . [صفحة ٤٦] فخرج الزبير فقال عمر إنه الزبير وآثاره ماتعلم فقلت حقي حقك . وروى الزبير بن بكار في كتاب الموفقيات عن عبد الله بن عباس قال إنني لأماشي عمر بن الخطاب في سكة من سكة المدينة إذ قال لي يا ابن عباس ما أرى صاحبك إلا مظلوما فقلت في نفسي والله لا يسبقني بها فقلت يا أمير المؤمنين فاردد إليه ظلامته فانتزع يده من يدي ومضى يهيمهم ساعة ثم وقف فلحقته فقال يا ابن عباس ما أظنهم منعهم عنه إلا أنه استصغره قومه فقلت في نفسي هذه شر من الأولى فقلت والله ما استصغره الله ورسوله حين أمراه أن يأخذ براءة من صاحبك . فأعرض عني وأسرع فرجعت عنه . وقال ابن عباس قلت لعمر لقد أكثرتم التمني للموت حتى خشيت أن يكون عليك غير سهل عندأوانه فما ذا سئمت من رعيتك أن تعين صالحا أو تقوم فاسدا . قال يا ابن عباس إنني قائل قولاً فخذه إليك كيف لأحب فراقهم وفيهم من هوفاتح فاه للشهوة من الدنيا إما لحق لا ينوء به وإما لباطل لا يناله والله لو لا- أن أسأل عنكم لبرئت منكم فأصبحت الأرض مني بلاقع ولم أقل ما فعل فلان وفلان . جاءت امرأة إلى عمر بن الخطاب فقالت يا أمير المؤمنين إن زوجي يصوم [صفحة ٤٧] النهار ويقوم الليل وإني أكره أن أشكوه وهو يعمل بطاعة الله فقال نعم الزوج زوجك فجعلت تكرر عليه القول وهو يكرر عليها الجواب . فقال له كعب بن سور يا أمير المؤمنين إنها تشكو زوجها في مباحده إياها عن فراشه ففطن عمر حينئذ وقال له قد وليتكم الحكم بينهما . فقال كعب على بزوجه فأتى به فقال إن زوجتك هذه تشكوك قال في طعام أو شراب قال لا قالت المرأة أيها القاضي الحكيم رشده || ألهي خليلي عن فراشي مسجده زهده في مضجعي تعبه || نهاره وليله ما يرقده فلست في أمر النساء أحمده . فقال زوجها زهدني في فرشها وفي الحجل || أني امرؤ أذهلني ما قد نزل في سورة النمل وفي السبع الطول || وفي كتاب الله تخويف جلال . قال كعب إن لها حقاً عليك يا رجل || تصيبها من أربع لمن عقل فأعطاها ذاك ودع عنك العلل . فقال لعمر يا أمير المؤمنين إن الله أحل له من النساء مثني وثلاث ورباع فله ثلاثة أيام ولياليهن يعبد فيهاربه ولها يوم و ليلة . فقال عمر والله ما أعلم من أي أمريك أعجب أ من فهمك أمرهما أم من حكمك بينهما اذهب فقد وليتكم قضاء البصرة . وروى زيد بن أسلم عن أبيه قال خرجت مع عمر بن الخطاب وهو يطوف بالليل [صفحة ٤٨] فنظر إلى نار شرقي حرة المدينة فقال إن هؤلاء الركب لم ينزلوا هاهنا إلا ليلية ثم أهوى لهم فخرجت معه حتى دنونا فسمعنا تضاعى الصبيان وبكاءهم . فقال السلام عليكم يا أصحاب الضوء هل ندنو منكم واحتبسنا قليلا- فقالت امرأة منهم ادنوا بسلام فأقبلنا حتى وقفنا عليها فقال ما يبكي هؤلاء الصبيان قالت الجوع قال فما هذا القدر على النار قالت ماء أعللهم به قال انتظريني فإني بالغك إن شاء الله ثم خرج يهرول و أنامعه حتى جئنا دار الدقيق وكانت دارا يطرح فيها ما يجيء من دقيق العراق ومصر وقد كان كتب إلى عمرو بن العاص وأبي موسى حين أمحلت السنة الغوث الغوث احمولوا إلى

أحمال الدقيق واجعلوا فيها جمائد الشحم فجاء إلى عدل منها فطأ ظهره ثم قال احمله على ظهري يا أسلم فقلت أنا أحمله عنك فنظر إلى وقال أنت تحمل عني وزرى يوم القيامة لا أبا لك قلت لا قال فاحمله على ظهري إذ افعلت وخرج به يدلج و أنامعه حتى ألقاه عند المرأة. ثم قال لي ذر على ذرور الدقيق لا يتعد و أنا أزر ثم أخذ المسواط يخرثر ثم جعل ينفخ تحت البرمة و أنا أنظر إلى الدخان يخرج من خلل لحيته و يقول لا تعجل حتى ينضج ثم قال ألق على من الشحم فإن القفار يوجع البطن . [صفحہ ۴۹] ثم أنزل القدر و قال للمرأة لا تعجلى لا تعطيهم حارا و أنا أسطح لك فجعل يسطح بالمسواط و يبرد طعامهم حتى إذا شبعوا ترك عندنا الفضل ثم قال لها ائتي أمير المؤمنين غدا فإنك عسيت أن تجدينى قريبا منه فأشفع لك بخير و هى تقول من أنت يرحمك الله و تدعو له و تقول أنت أولى بالخلافه من أمير المؤمنين فيقول قولى خيرا يرحمك الله لا يزيد على هذا. ثم انصرف حتى إذا كان قريبا جلس فألقى و جعل يسمع طويلا حتى سمع التضاحك منها و من الصبيان و أنا أقول يا أمير المؤمنين قد فرغت من هذه و لك شغل فى غيرها و يقول لا تكلمنى حتى إذا هدأ حسهم قام فتمطى و قال ويحك إنى سمعت الجوع أسهرهم فأحببت ألا أبرح حتى أسمع الشيع أنامهم . و من كلامه الرجال ثلاثة الكامل ودون الكامل و لا شىء فالكمال ذو الرأى يستشير الناس فيأخذ من آراء الرجال إلى رأيه ودون الكامل من يستبد به و لا يستشير و لا شىء من لا رأى له و لا يستشير. والنساء ثلاث تعين أهلها على الدهر و لاتعين الدهر على أهلها و قلما تجدها و امرأة و عاء للولد ليس فيها غيره و الثالثة غل قمل يجعله الله فى رقبه من يشاء و يفكه إذا شاء. لما أخرج عمر الحطيئة من حبسه قال له إياك و الشعر قال لا أقدر على تركه يا أمير المؤمنين ما أكله عيالى و نملة تدب على لسانى قال فشبب بأهلك و إياك [صفحہ ۵۰] و كل مدحة مجحفه قال و ما المجحفه قال تقول إن بنى فلان خير من بنى فلان امدح و لا تفضل أحدا قال أنت و الله يا أمير المؤمنين أشعر منى. و روى الزبير فى الموفقيات عن عبد الله بن عباس قال خرجت أريد عمر بن الخطاب فلقيته راكبا حمارا و قد ارتسنه بحبل أسود فى رجليه نعلان مخصوصتان و عليه إزار و قميص صغير و قد انكشفت منه رجلاه إلى ركبتيه فمشيت إلى جانبه و جعلت أجذب الإزار و أسويه عليه كلما سترت جانبا انكشف جانب فيضحك و يقول إنه لا يطيعك حتى جئنا العالیه فصلينا ثم قدم بعض القوم إلينا طعاما من خبز و لحم و إذا عمر صائم فجعل ينبذ إلى طيب اللحم و يقول كل لى و لك ثم دخلنا حائطا فألقى إلى رداءه و قال اكفنيه و ألقى قميصه بين يديه و جلس يغسله و أنا أغسل رداءه ثم جففناهما و صلينا العصر فركب و مشيت إلى جانبه و لاثالث لنا. فقلت يا أمير المؤمنين إنى فى خطبه فأشرف على قال و من خطبت قلت فلانة ابنة فلان قال النسب كمتاحب و كما قد علمت ولكن فى أخلاق أهلها دقة لا تعدمك أن تجدها فى ولدك قلت فلاحاجة لى إذا فيها قال فلم لا تخطب إلى ابن عمك يعنى عليا قلت أ لم تسبقنى إليه قال فالأخرى قلت هى لابن أخيه قال يا ابن عباس إن صاحبكم إن ولى هذا الأمر أخشى عجه بنفسه أن يذهب به فليتنى أراكم بعدى قلت يا أمير المؤمنين إن صاحبنا ما قد علمت أنه ما غير و لا بديل و لا أسخط رسول الله ص أيام صحبتته له . [صفحہ ۵۱] قال فقطع على الكلام فقال و لا فى ابنة أبى جهل لما أراد أن يخطبها على فاطمة. قلت قال الله تعالى و لم نجد له عزمًا و صاحبنا لم يعزم على سخط رسول الله ص ولكن الخواطر التى لا يقدر أحد على دفعها عن نفسه و ربما كان من الفقيه فى دين الله العالم العامل بأمر الله . فقال يا ابن عباس من ظن أنه يرد بحوركم فيغوص فيها معكم حتى يبلغ قعرها فقد ظن عجزا أستغفر الله لى و لك خذ فى غيرها. ثم أنشأ يسألنى عن شىء من أمور الفتيا و أجيبه فيقول أصبت أصاب الله بك أنت و الله أحق أن تتبع. أشرف عبد الملك على أصحابه و هم يتذاكرون سيرة عمر فغاظه ذلك و قال إيها عن ذكر سيرة عمر فإنها مزراة على الولاية مفسدة للرعية. قال ابن عباس كنت عند عمر فتنفس نفسا ظننت أن أضلاعه قد انفرجت فقلت ما أخرج هذا النفس منك يا أمير المؤمنين إلا هم شديد قال إى و الله يا ابن عباس إنى فكرت فلم أدر فيمن أجعل هذا الأمر بعدى ثم قال لعلك ترى صاحبك لها أهلا قلت و ما يمنعه من ذلك مع جهاده و سابقته و قرابته و علمه قال صدقت ولكنه امرؤ فيه دعا به قلت فأين أنت عن طلحة قال ذو البأو

ويأصبغه المقطوعة قلت فعبد الرحمن قال رجل ضعيف لو صار الأمر إليه لوضع خاتمه في يد امرأته قلت فالزبير قال شكس لقس يلاطم في النقيع في صاع -قرآن- ١٠٣-١٢٦ [صفحة ٥٢] من بر قلت فسعد بن أبي وقاص قال صاحب سلاح ومقنب قلت فعثمان قال أوه ثلاثا والله لئن وليها ليحملن بنى أبي معيط على رقاب الناس ثم لتنهض العرب إليه . ثم قال يا ابن عباس إنه لا يصلح لهذا الأمر إلا خصيف العقدة قليل الغرة لا تأخذه في الله لومة لائم ثم يكون شديدا من غير عنف لنا من غير ضعف سخيا من غير سرف ممسكا من غير وكف قال ابن عباس وكانت والله هي صفات عمر . قال ثم أقبل على بعد أن سكت هنيهة وقال أجرؤهم والله إن وليها أن يحملهم على كتاب ربهم وسنة نبيهم لصاحبك أما إن ولي أمرهم حملهم على المحجة البيضاء والصراط المستقيم . وروى عبد الله بن عمر قال كنت عند أبي يوما وعنده نفر من الناس فجرى ذكر الشعر فقال من أشعر العرب فقالوا فلان وفلان فطلع عبد الله بن عباس فسلم وجلس فقال عمر قد جاءكم الخبير من أشعر الناس يا عبد الله قال زهير بن أبي سلمى قال فأنشدني مما تستجده له فقال يا أمير المؤمنين إنه مدح قوما من غطفان يقال لهم بنو سنان فقال لو كان يقعد فوق الشمس من كرم || قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا قوم أبوهم سنان حين تنسبهم || طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا أنس إذا آمنوا جن إذا فرغوا || مرزءون بهاليل إذا جهدوا [صفحة ٥٣] محسدون على ما كان من نعم || لا ينزع الله منهم ماله حسدوا . فقال عمر والله لقد أحسن وما أرى هذا المدح يصلح إلا لهذا البيت من هاشم لقرباتهم من رسول الله ص فقال ابن عباس وفقك الله يا أمير المؤمنين فلم تزل موقفا فقال يا ابن عباس أتدرى ما منع الناس منكم قال لا يا أمير المؤمنين قال لكنى أدري قال ما هو يا أمير المؤمنين قال كرهت قريش أن تجتمع لكم النبوة والخلافة فيجحفوا جحفا فنظرت قريش لنفسها فاخترت ووفقت فأصابت . فقال ابن عباس أيميت أمير المؤمنين عنى غضبه فيسمع قال قل ماتشاء قال أما قول أمير المؤمنين إن قريشا كرهت فإن الله تعالى قال لقوم ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ . و أما قولك إنا كنا نجحف فلو جحفنا بالخلافة جحفنا بالقراية ولكنا قوم أخلاقنا مشتقة من خلق رسول الله ص الذي قال الله تعالى وَ إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ و قال له وَ اخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . و أما قولك فإن قريشا اختارت فإن الله تعالى يقول وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَ يَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ و قد علمت يا أمير المؤمنين أن الله اختار من خلقه لذلك من اختار فلو نظرت قريش من حيث نظر الله لها لوفقت وأصابت قريش . فقال عمر على رسلك يا ابن عباس أبت قلوبكم يا بنى هاشم إلا غشا في أمر قريش لا يزول وحقدا عليها لا يحول فقال ابن عباس مهلا يا أمير المؤمنين -قرآن- ٥٢٨-٥٩٠-قرآن- ٧٢٣-٧٥٣-قرآن- ٧٦٥-٨١٦-قرآن- ٨٧١-٩٣٤ [صفحة ٥٤] لا تنسب هاشما إلى الغش فإن قلوبهم من قلب رسول الله الذي طهره الله وزكاه وهم أهل البيت الذين قال الله تعالى لهم إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً و أما قولك حقدا فكيف لا يحقد من غضب شيئه ويراه في يد غيره . فقال عمر أما أنت يا ابن عباس فقد بلغنى عنك كلام أكره أن أخبرك به فتزول منزلتك عندي قال و ما هو يا أمير المؤمنين أخبرني به فإن يك باطلا- فمثلى أماط الباطل عن نفسه و إن يك حقا فإن منزلتي عندك لا تزول به . قال بلغنى أنك لا تزال تقول أخذ هذا الأمر منك حسدا وظلما قال أما قولك يا أمير المؤمنين حسدا فقد حسد إبليس آدم فأخرجه من الجنة فنحن بنو آدم المحسود . و أما قولك ظلما فأمير المؤمنين يعلم صاحب الحق من هو . ثم قال يا أمير المؤمنين ألم تحتج العرب على العجم بحق رسول الله واحتجت قريش على سائر العرب بحق رسول الله ص فنحن أحق برسول الله من سائر قريش . فقال له عمر قم الآن فارجع إلى منزلك فقام فلما ولي هتف به عمر أيها المنصرف إنى على ما كان منك لراع حقك . فالتفت ابن عباس فقال إن لى عليك يا أمير المؤمنين و على كل المسلمين حقا برسول الله ص فمن حفظه فحق نفسه حفظ و من أضاعه فحق نفسه أضاع ثم مضى . - قرآن- ١٢٦-٢١١ [صفحة ٥٥] فقال عمر لجلسائه واهما لابن عباس مارأيته لاحى أحدا قط إلا خصمه . لماتوفى عبد الله بن أبي رأس المنافقين فى حياة رسول الله ص جاء ابنه وأهله فسألوا رسول الله ص أن يصلى عليه فقام بين يدي الصف يريد ذلك فجاء

عمر فجدبه من خلفه وقال ألم ينهك الله أن تصلى على المنافقين فقال إني خيرت فاخترت فقبل لي استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ولو أنى أعلم أنى إذازدت على السبعين غفر له لذت ثم صلى رسول الله عليه ومشى معه وقام على قبره. فعجب الناس من جرأة عمر على رسول الله ص فلم يلبث الناس إلا أن نزل قوله تعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره فلم يصل على قبره فلم يصل على قبره بعد ما علم على أحد من المنافقين . و - قرآن - ٣٢٤ - ٤٢٣ - قرآن - ٦١٨ - ٦٨٦ روى أبوهريرة قال كنا قعودا حول رسول الله ص فى نفر فقام من بين أظهرنا فأبطأ علينا وخشينا أن يقطع دوننا فقمنا وكنت أول من فزع فخرجت أبتغيه حتى أتيت حائطا للأنصار لقوم من بنى النجار فلم أجد له بابا إلا ربيعا فدخلت فى جوف الحائط والربيع الجدول فدخلت منه بعد أن احتفرتة فإذا رسول الله ص فقال أبوهريرة قلت نعم قال ما شأنك قلت بين أظهرنا فقلت فأبطأت عنا فخشينا أن تقتطع دوننا ففزعنا وكنت أول من فزع فأتيت هذا الحائط فاحتفرتة كما يحتفر الثعلب والناس من ورائى . - روى ١ - ٢ - روى ٢١ - ٢١ - ادامه دارد [صفحه ٥٦] فقال يا أباهريرة اذهب بنعلى هاتين فممن لقيته وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بهالقلبه فبشره بالجنة فخرجت فكان أول من لقيت عمر فقال ما هذان النعلان قلت نعلا رسول الله ص بعثنى بهما وقال من لقيته يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بهالقلبه فبشره بالجنة. فضرب عمر فى صدرى فخررت لاستى وقال ارجع إلى رسول الله ص. فأجهشت بالبكاء راجعا فقال رسول الله مابالك قلت لقيت عمر فأخبرته بالذى بعثتنى به فضرب صدرى ضربة خررت لاستى وقال ارجع إلى رسول الله. فخرج رسول الله فإذا عمر فقال ما حملك يا عمر على ما فعلت فقال عمر أنت بعثت أباهريرة بكذا قال نعم قال فلا تفعل فإنى أخشى أن يتكل الناس عليها فيتركوا العمل خلوهم يعملون فقال رسول الله ص خلهم يعملون - روى ١ - ٢ - روى ٧١٠ - روى أبو سعيد الخدرى قال أصابت الناس مجاعة فى غزاة تبوك فقالوا يا رسول الله لو أذنت لنا فذبحنا نواضحنا وأكلنا شحمها ولحمها فقال افعلوا فجاء عمر فقال يا رسول الله إنهم إن فعلوا قل الظهر ولكن ادعهم بفضلات أزوادهم فاجمعها ثم ادع لهم عليها بالبركة لعل الله يجعل فى ذلك خيرا - روى ١ - ٢ - روى ٢٨ - ٢٨ - ادامه دارد [صفحه ٥٧] ففعل رسول الله ص ذلك فأكل الخلق الكثير من طعام قليل ولم تذبح النواضح - روى ١ - ٢ - روى ٨٣ - روى ابن عباس رضى الله عنه أن رجلا أتى رسول الله ص يذكر له ذنبا أذنبه فانزل الله تعالى فى أمره وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيْ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ فقال يا رسول الله لى خاصة أم للناس عامة. فضرب عمر صدره بيده وقال لا ولا نعى عين بل للناس عامة فقال رسول الله ص بل للناس عامة - روى ١ - ٢ - روى ٣٣ - ٣٧٧ . و كان عمر يقول وافقنى ربي فى ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى. و قلت يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب . وتمالاً عليه نساؤه غيره فقلت له عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن فنزلت بهذا اللفظ. وقال عبد الله بن مسعود فضل عمر الناس بأربع برأيه فى أسارى بدر فنزل القرآن بموافقته ما كان لبيبي أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض وبرأيه فى حجاب نساء النبى ص فنزل قوله تعالى وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ - قرآن - ٩٨ - ١٣٩ - قرآن - ٤٣٥ - ٥٠٠ - قرآن - ٥٥١ - ٥٧٢ . و كان عمر يقول وافقنى ربي فى ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى. و قلت يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب . وتمالاً عليه نساؤه غيره فقلت له عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن فنزلت بهذا اللفظ. وقال عبد الله بن مسعود فضل عمر الناس بأربع برأيه فى أسارى بدر فنزل القرآن بموافقته ما كان لبيبي أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض وبرأيه فى حجاب نساء النبى ص فنزل قوله تعالى وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ وَبَدْعُوهُ النَّبَى ص اللَّهُمَّ أَيْدِ الْإِسْلَامِ بِأَحَدِ الرَّجُلَيْنِ وَبِرَأْيِهِ فِي أَبِي بَكْرٍ كَانَ أَوَّلَ مَنْ بَايَعَهُ . و روت عائشة قالت كنت آكل مع رسول الله ص حيسا قبل أن تنزل آية الحجاب ومر عمر فدعا فأكل فأصابت يده إصبعى فقال حس لو أطاع فيكن مارأتكن عين فنزلت آية الحجاب

جاء عينه بن حصن والأقرع بن حابس إلى أبي بكر فقالا يا خليفه رسول الله إن عندنا أرضا سبخه ليس فيها كلاً ولا منفعة فإن رأيت أن تقطعناها لعلنا نحرثها ونزرعها ولعل الله أن ينفع بها بعد اليوم فقال أبو بكر لمن حوله من الناس المسلمين ماترون قالوا لا بأس فكتب لهما بها كتاباً وأشهد فيه شهوداً وعمر ما كان حاضراً فانطلقا إليه ليشهد في الكتاب فوجده قائماً يهناً بعيراً فقالا إن خليفه رسول الله ص كتب لنا هذا الكتاب وجئناك لتشهد على ما فيه أفتقرؤه أم نقرؤه عليك قال أ على الحال التي تريان إن شئتما فاقراه وإن شئتما فانتظرا حتى أفرغ. قالوا بل نقرؤه عليك فلما سمع ما فيه أخذه منهما ثم نفل فيه فمحا فتدامرا وقالوا مقالة سيئه. -قرآن- ١-٣٩ [صفحة ٥٩] فقال إن رسول الله ص كان يتألفكما والإسلام يومئذ دليل وإن الله تعالى قد أعز الإسلام فاذهبا فاجهدا جهدا كما لارعى الله عليكم إن رعيتما. فذهبا إلى أبي بكر وهما يتذمران فقالوا والله ماندرى أنت أمير أم عمر فقال بل هو لوشاء كان. وجاء عمر وهو مغضب حتى وقف على أبي بكر فقال أخبرني عن هذه الأرض التي أقطعتها هذين الرجلين أهى لك خاصة أم بين المسلمين عامة فقال بين المسلمين عامة قال فما حملك على أن تخص بهاذين دون جماعة المسلمين قال استشرت الذين حولي فأشاروا بذلك فقال أفكل المسلمين أوسعهم مشورة ورضا فقال أبو بكر فلقد كنت لك إنك أقوى على هذا الأمر مني لكنك غلبتني. لما كتب النبي ص كتاب الصلح في الحديبية بينه وبين سهيل بن عمرو كان في الكتاب أن من خرج من المسلمين إلى قريش لا يرد ومن خرج من المشركين إلى النبي ص يرد عليهم فغضب عمر وقال لأبي بكر ما هذا يا أبا بكر أيرد المسلمون إلى المشركين ثم جاء إلى رسول الله ص فجلس بين يديه وقال يا رسول الله أأنت رسول الله حقا قال بلى قال ونحن المسلمون حقا قال نعم قال وهم الكافرون حقا قال نعم قال فعلام نعطي الدين في ديننا فقال رسول الله أنا رسول الله أفعل ما يأمرني به ولن يضيعني. فقام عمر مغضبا وقال لو أجد أعوانا ما أعطيت الدين أبدا وجاء إلى أبي بكر [صفحة ٦٠] فقال له يا أبا بكر ألم يكن وعدنا أننا سندخل مكة فإين ما وعدنا به فقال أبو بكر أ قال لك إنه العام يدخلها قال لا قال فسيدخلها فقال فما هذه الصحيفة التي كتبت وكيف نعطي الدين من أنفسنا فقال أبو بكر يا هذا الزم غرزه فوالله إنه لرسول الله وإن الله لا يضيعه. فلما كان يوم الفتح وأخذ رسول الله ص مفتاح الكعبة قال ادعوا لي عمر فجاء فقال هذا الذي كنت وعدتكم به. لما قتل المشركون يوم بدر أسر منهم سبعون أسيرا فاستشار رسول الله ص فيهم أبا بكر وعمر فقال أبو بكر يا رسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان وأرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على المشركين وعسى أن يهديهم الله بعد اليوم فيكونوا لنا عذرا فقال رسول الله ص ماتقول أنت يا عمر قال أرى أن تمكنني من فلان قريب لعمر فأضرب عنقه وتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليس في قلوبنا هواده للمشركين اقتلهم يا رسول الله فإنهم صناديدهم وقادتهم فلم يهو رسول الله ماقاله عمر. قال عمر فجئت رسول الله ص فوجدته قاعدا وأبو بكر وهما يبكيان فقلت ما يبكيكما حدثاني فإن وجدت بكاء بكيت وإلتباكيت فقال رسول الله ص أبكى لأخذ الفداء لقد عرض على عذابكم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه. [صفحة ٦١] قال عبد الله بن عمر فكان رسول الله ص يقول كدنا أن يصيبنا شر في مخالفة عمر. وقال عمر في خلافته لئن عشت إن شاء الله لأسيرن في الرعية حولا. فإنني أعلم أن للناس حوائج تقتطع دوني أفعالهم فلا يرفعونها إلى وأماهم فلا يصلون إلى أسير إلى الشام فأقيم بهاشهرين ثم أسير إلى الجزيرة فأقيم بهاشهرين ثم أسير إلى مصر فأقيم بهاشهرين ثم أسير إلى البحرين فأقيم بهاشهرين ثم أسير إلى الكوفة فأقيم بهاشهرين ثم إلى البصرة فأقيم بهاشهرين والله لنعم الحول هذا. وقال أسلم بعثني عمر بإبل من إبل الصدقة إلى الحمى فوضعت جهازي على ناقه منها كريمة فلما أردت أن أصدرها قال أعرضها على فعرضتها عليه فرأى متاعى على ناقه حسناء فقال لأم لك عمدت إلى ناقه تغني أهل بيت من المسلمين فهلا ابن لبون بوال أوناقة شصوص. وقيل لعمر إن هاهنا رجلا من الأحبار نصرانيا له بصر بالديوان لو اتخذته كاتباً فقال لقد اتخذت إذباطانه من دون المؤمنين. قال وقد خطب الناس والذي بعث محمدا بالحق لو أن جملا هلك ضياعا

بشط الفرات خشيت أن يسأل الله عنه آل الخطاب . [صفحہ ۶۲] قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم يعني بآل الخطاب نفسه مايعنى غيرها. وكتب إلى أبي موسى أنه لم يزل للناس وجوه من الأمر فأكرم من قبلك من وجوه الناس وبحسب المسلم الضعيف من بين القوم أن ينصف في الحكم وفي القسم . أتى أعرابي عمر فقال إن ناقتي بهانقبا ودبرا فاحملني فقال له والله مايعيرك من نقب و لادبر فقال أقسم بالله أبو حفص عمر || مامسها من نقب و لادبر فاغفر له اللهم إن كان فجر فقال عمر اللهم اغفر لي ثم دعاه فحمله . جاء رجل إلى عمر وكانت بينهما قرابة يسأله فزيره وأخرجه فكلم فيه وقيل يا أمير المؤمنين زبرته وأخرجته قال إنه سألتني من مال الله فما معذرتي إذالقيته ملكا خائنا فلو سألتني من مالي ثم بعث إليه ألف درهم من ماله . [صفحہ ۶۳] و كان يقول في عماله اللهم إني لم أبعثهم ليأخذوا أموال المسلمين و لايضربوا أبشارهم من ظلمه أميره فلاإمره عليه دوني بينا عمر ذات ليلة يعس سمع صوت امرأة من سطح وهى تنشد تطاول هذاالليل وأزور جانبه || و ليس إلى جنبى خليل الأعبه فو الله لو لا الله تخشى عواقبه || لززع من هذاالسرير جوانبه مخافة ربي والحياء يصدنى || وأكرم بعلى أن تنال مراكبه ولكننى أخشى رقبيا موكلا || بأنفسنا لايفتر الدهر كاتبه فقال عمر لاحول و لا قوة إلا بالله ماذا صنعت يا عمر بنساء المدينة ثم جاء فضرب على حفصة ابنته فقالت ماجاء بك فى هذه الساعة قال أخبرينى كم تصبر المرأة المغيبة عن بعلمها قالت أقصاه أربعة أشهر . فلما أصبح كتب إلى أمراءه فى جميع النواحي ألا تجمر البعوث وألا يغيب رجل عن أهله أكثر من أربعة أشهر . وروى أسلم قال كنت مع عمر و هو يعس بالمدينة إذ سمع امرأة تقول لبنتها قومي يا بنيتي إلى ذلك اللبن بعدالمشرقين فامدقيه قالت أو ما علمت ما كان من عزمه أمير المؤمنين بالأمس قالت و ما هو قالت إنه أمر مناديا فنادى ألا يشاب اللبن بالماء قالت فإنك بموضع لا يراك أمير المؤمنين و لامنادى أمير المؤمنين قالت [صفحہ ۶۴] و الله ماكنت لأطيعه فى الملاء وأعصيه فى الخلاء و عمر يسمع ذلك فقال يا أسلم اعرف الباب ثم مضى فى عسه فلما أصبح قال يا أسلم امض إلى الموضع فانظر من القائلة و من المقول لها وهل لهما من بعل قال أسلم فأتيت الموضع فنظرت فإذا الجارية أيم و إذا المتكلمة بنت لها ليس لهما رجل . فجئت فأخبرته فجمع عمر ولده و قال هل يريد أحد أن يتزوج فأزوجه امرأة صالحه فتاة و لو كان فى أبيكم حركة إلى النساء لم يسبقه أحد إليها فقال عاصم ابنه أنابعث إلى الجارية فزوجها ابنه عاصما فولدت له بنتا هى المكناة أم عاصم وهى أم عمر بن عبدالعزيز بن مروان . حج عمر فلما كان بضجنان قال لا إله إلا الله العلى العظيم المعطى مايشاء لمن يشاء أذكر و أنا أرى إبل الخطاب بهذا الوادى فى مدرعة صوف و كان فظا يتعبنى إذا عملت و يضربنى إذا قصرت و قد أمست اليوم و ليس بينى و بين الله أحد ثم تمثل لا شىء مما يرى تبقى بشاشته || يبقى الإله و يودى المال والولد لم تغن عن هرمر يوما خزائنه || والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا و لاسليمان إذ تجرى الرياح له || والإنس والجن فيما بينها يرد أين الملوك التى كانت منازلها || من كل أوب إليها راكب يفد حوض هنالك مورود بلا كذب || لا بد من ورده يوما كماوردوا . [صفحہ ۶۵] وروى محمد بن سيرين أن عمر فى آخر أيامه اعتراه نسيان حتى كان ينسى عدد ركعات الصلاة فجعل أمامه رجلا يلقنه فإذا أومى إليه أن يقوم أو يركع فعل . وسمع عمر منشدا ينشد قول طرفه فلو لا ثلاث هن من عيشه الفتى || وجدك لم أحفل متى قام عودى فمنهن سبى العاذلات بشربه || كميت متى ماتعل بالماء تزبد و كرى إذ نادى المضاف محنبا || كسيد الغضا نبهته المتوسد و تقصير يوم الدجن والدجن معجب || بهكنة تحت الطراف الممدد . فقال و أنا لو لا ثلاث هن من عيشه الفتى لم أحفل متى قام عودى أن أجاهد فى سبيل الله و أن أضع وجهى فى التراب لله و أن أجالس قوما يلتقون طيب القول كما يلتقط طيب التمر . وروى عبد الله بن بريده قال كان عمر ربما يأخذ بيد الصبى فيقول ادع لى فإنك لم تذنّب بعد و كان عمر كثير المشاورة كان يشاور فى أمور المسلمين حتى المرأة . وروى يحيى بن سعيد قال أمر عمر الحسين بن على ع أن يأتية [صفحہ ۶۶] فى بعض الحاجة فلقى الحسين ع عبد الله بن عمر فسأله من أين جاء قال استأذنت على أبى فلم يأذن لى فرجع الحسين ولقيه عمر من الغد فقال مامنعك

ياحسين أن تأتيني قال قد أتيتك ولكن أخبرني ابنك عبد الله أنه لم يؤذن له عليك فرجعت فقال عمر و أنت عندي مثله وهل أنبت الشعر على الرأس غيركم . قال عمر يوما و الناس حوله و الله ما أدري أخليفة أنا أم ملك فإن كنت ملكا فقد ورطت في أمر عظيم فقال له قائل يا أمير المؤمنين إن بينهما فرقا وإنك إن شاء الله لعلي خير قال كيف قال إن الخليفة لا يأخذ إلا حقا و لا يضعه إلا في حق و أنت بحمد الله كذلك و الملك يعسف الناس و يأخذ مال هذا فيعطيه هذا فسكت عمر و قال أرجو أن أكونه . و روى مالك عن نافع عن ابن عمر أن عمر تعلم سورة البقرة في اثنتي عشرة سنة فلما ختمها نحر جزورا . و روى أنس قال كان يطرح لعمر كل يوم صاع من تمر فيأكله حتى حشفه . و روى يوسف بن يعقوب الماجشون قال قال لي ابن شهاب و لأخ لي و ابن عم لنا ونحن صبيان أحداث لا تحقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم فإن عمر كان إذ أنزل به الأمر المعضل دعا الصبيان فاستشارهم بيتغي حدة عقولهم . [صفحہ ۶۷] و روى الحسن قال كان رجل لا يزال يأخذ من لحيه عمر شيئا فأخذ يوما من لحيته فقبض على يده فإذا فيها بشيء فقال إن الملق من الكذب ثم علاه بالدره . انقطع شسع نعل عمر فاسترجع و قال كل ماساءك فهو مصيبة . و وقف أعرابي على عمر فقال له يا ابن خطاب جزيت الجنة || اكس بنيتي و أمهنة أقسم بالله لتفعلنه فقال عمر إن لم أفعل يكون ماذا قال إذا أباحفص لأمضينه فقال إذ أمضيت يكون ماذا قال تكون عن حالي لتسألنه || يوم تكون الأعطيات جنه و الواقف المسئول يبهتنه || إما إلى نار و إما جنه فبكي عمر ثم قال لغلامه أعطه قميصي هذا ذلك اليوم لالشعره و الله ما أملك ثوبا غيره . و روى ابن عباس قال قال لي عمر ليلة أنشدني لشاعر الشعراء قلت و من هو قال زهير الذي يقول [صفحہ ۶۸] إذا بتدرت قيس بن عيلان غايه || من المجد من يسبق إليها يسود . فأنشده حتى برق الفجر فقال إيها الآن اقرأ يا عبد الله قلت ماقرأ قال سورة الواقعة . سمع عمر صوت بكاء في بيت فدخل و بيده الدره فمال عليهم ضربا حتى بلغ النائح فضر بها حتى سقط خمارها ثم قال لغلامه اضرب النائح و يلك اضربها فإنها نائحه لاحرمه لها لأنها لا تبكي بشجركم إنها تهريق دموعها على أخذ دراهمكم إنها تؤذي أمواتكم في قبورهم و أحياءكم في دورهم إنها تنهى عن الصبر و قد أمر الله به و تأمر بالجزع و قد نهى الله عنه . و من كلامه من اتجر في شىء ثلاث مرات فلم يصب فيه فليتحول عنه إلى غيره . و من كلامه لو كنت تاجرا لما اخترت على العطر شيئا إن فاتني ربحه لم يفتني ربحه . و من كلامه تفقهوا قبل أن تسودوا . و من كلامه تعلموا المهنة فإنه يوشك أحدكم أن يحتاج إلى مهنته . و من كلامه مكسبه فيها بعض الدناءة خير من مسأله الناس . و من كلامه أعقل الناس أعذرهم لهم . رأى عمر ناسا يتبعون أبي بن كعب فرفع عليه الدره فقال يا أمير المؤمنين اتق الله قال فما هذه الجموع خلفك يا ابن كعب أ ما علمت أنها فتنة للمتبع مدله للتابع . جاء رجل إلى عمر فقال إن بنتا لي و اربتها في الجاهلية فاستخرجناها قبل أن [صفحہ ۶۹] تموت فأدرت معنا الإسلام فأسلمت ثم قارفت حدا من حدود الله فأخذت الشفرة لتذبح نفسها فأدر كناها و قد قطعت بعض أوداجها فداويناها حتى برئت و تابت توبه حسنه و قد خطبها قوم فأخبرهم بالذي كان من شأنها فقال عمر أتعمد إلى ماستره الله فتبديه و الله لئن أخبرت بشأنها أحدا لأجعلنك نكالا لأهل الأمصار أنكحها نكاح العفيه السليمه . أسلم غيلان بن سلمه الثقفي من عشر نسوة فقال له النبي ص اختر منهن أربعا و طلق ستا - روايت - ۱- ۸۸ فلما كان على عهد عمر طلق نساءه الأربع و قسم ماله بين بنيه فبلغ ذلك عمر فأحضره فقال له إنى لأظن الشيطان فيما يسترق من السمع سمع بموتك فقد فقه في نفسك و لعلك لا تمكث إلا قليلا و ايم الله لتراجعن نساءك و لترجعن في مالك أو لأورثنهن منك و لأمرن بقبرك فيرجم كما رجم قبر أبي رغال و قال عمر إن الجزف في المعيشه أخوف عندي عليكم من العيال أنه لا يبقى مع الفساد شىء و لا يقل مع الإصلاح شىء . و كان عمر يقول أدبوا الخيل و انتضلوا واقعدوا في الشمس و لا يجاورنكم الخنازير و لا تقعدوا على مائدة يشرب عليها الصليب و إياكم و أخلاق العجم و لا يحل لمؤمن أن يدخل الحمام إلا مؤتترا و لا لامرأه أن تدخل الحمام إلا من سقم فإذا وضعت المرأة خمارها في غير بيت زوجها فقد هتكت الستر بينها و بين الله تعالى . [صفحہ ۷۰] و كان يكره أن يتزيا الرجال بزى النساء و ألا يزال الرجل

يرى مكتحلا مدهنا و أن يحف لحيته وشاربه كمتحف المرأة.سمع عمر سائلا يقول من يعشى السائل فقال عشوا سائلكم ثم جاء إلى دار إبل الصدقة يعشيها فسمع صوته مرة أخرى من يعشى السائل فقال ألم آمركم أن تعشوه فقالوا قدعشينا فأرسل إليه عمر وإدامه جراب مملوء خبزا فقال إنك لست سائلا إنما أنت تاجر تجمع لأهلك فأخذ بطرف الجراب فبذره بين يدي الإبل . و قال عمر من مزح استخف به و قال أتدرون لم سمى المزاح مزاحا لأنه أزاح الناس عن الحق . و من كلامه لن يعطى أحد بعدالكفر بالله شرا من زوجة حديدة اللسان سيئة الخلق عقيم ولن يعطى أحد بعدالإيمان بالله خيرا من زوجة كريمة ودود ولود حسنة الخلق . و كان يقول إن شقاشق الكلام من شقاشق اللسان فأقلوا مااستطعتم . ونظر إلى شاب قدنكس رأسه خشوعا فقال يا هذاالرفع رأسك فإن الخشوع لايزيد على ما فى القلب فمن أظهر للخلق خشوعا فوق ما فى قلبه فإنما أظهر نفاقا. و من كلامه إن أحبكم إلينا ما لم نركم أحسنكم أسماء فإذا رأيناكم فأحبكم إلينا أحسنكم أخلاقا فإذا بلوناكم فأحبكم إلينا أعظمكم أمانة وأصدقكم حديثا. و كان يقول لا تنظروا إلى صلاة امرئ ولاصيامه ولكن انظروا إلى عقله وصدقه . [صفحة ٧١] و من كلامه إن العبد إذا تواضع لله رفع حكمته و قال له انتعش نعشك الله فهو فى نفسه صغير و فى أعين الناس عظيم و إذا تكبر و عتا وهضه الله إلى الأرض و قال اخسأ خسأك الله فهو فى نفسه عظيم و فى أعين الناس حقير حتى يكون عندهم أحقر من الخنزير. و قال الإنسان لا يتعلم العلم لثلاث و لا يتركه لثلاث لا يتعلمه ليمارى به و لا يباهى به و لا ليرائى به و لا يتركه حياء من طلبه و لا زهادة فيه و لا رضا بالجهل بدلا منه . و قال تعلموا أنسابكم تصلوا أرحامكم . و قال إنى لأخاف عليكم أحد الرجلين مؤمنا قدينا إيمانه و كافرا قدينا كفره ولكن أخاف عليكم منافقا يتعوذ بالإيمان ويعمل بغيره . و من كلامه إن الرجف من كثرة الزناء و إن قحوط المطر من قضاة السوء وأئمة الجور. و قال فى النساء استعينوا عليهن بالعرى فإن إحداهن إذا كثرت ثيابها وحسنت زينتها أعجبها الخروج . و من كلامه إن الجبت السحر و إن الطاغوت الشيطان و إن الجبن والشجاعة غرائز تكون فى الرجال يقاتل الشجاع عمن لا يعرف ويفر الجبان عن أمه و إن كرم الرجل دينه وحسب الرجل خلقه و إن كان فارسيا أو نبطيا. و قال تفهموا العريبة فإنها تشخذ العقل وتزيد فى المروءة. و قال النساء ثلاث امرأة هينة لينة عفيفة ودود ولود تعين بعلها على الدهر و لاتعين الدهر على بعلها ولما تجدها وأخرى وعاء للولد لا تزيد على ذلك شيئا والثالثة غل قمل يجعله الله فى عنق من يشاء وينزعه إذا شاء. [صفحة ٧٢] والرجال ثلاثة رجل عاقل يورد الأمور ويصدرها فيحسن إيرادا وإصدارا وآخر يشاور الرجال ويقف عند آرائهم والثالث حائر بائر لا ياتمر رشدا ولا يطبع مرشدا. و قال ما يمنعكم إذا رأيتم السفية يخرق أعراض النساء أن تعربوا عليه قالوا نخاف لسانه قال ذاك أدنى ألا- تكونوا شهداء. ورأى رجلا عظيم البطن فقال ما هذا قال بركة من الله . و قال إذا زرقت مودة من أخيك فتشبت بها ما استطعت . و قال لقوم يحصدون الزرع إن الله جعل ما أخطأت أيديكم رحمة لفقرائكم فلا تعودوا فيه . و قال ما ظهرت قط نعمه على أحد إلا وجدت له حاسدا و لو أن أمرا كان أقوم من قدح لوجدت له غامزا. و قال إياكم والمدح فإنه الذبح . و قال لقيصه بن ذؤيب أنت رجل حديث السن فصيح اللسان وإنه يكون فى الرجل تسعة أخلاق حسنة وخلق واحد سيئ فيغلب الواحد التسعة فتوق عثرات السيئات . و قال بحسب امرئ من الغى أن يؤذى جليسه أو يتكلف ما لا يعنيه أو يعيب الناس بما يأتى مثله ويظهر له منهم ما يخفى عليهم من نفسه . و قال احترسوا من الناس بسوء الظن . و قال فى خطبة له لا يعجبكم من الرجل طنطنته ولكن من أدى الأمانة وكف عن أعراض الناس فهو الرجل . و قال الراحة فى مهاجرة خلطاء السوء. [صفحة ٧٣] و قال إن لؤما بالرجل أن يرفع يديه من الطعام قبل أصحابه . وأثنى رجل على رجل عند عمر فقال له أعاملته قال لا قال أصحبتة فى السفر قال لا- قال فأنت إذا القائل ما لا يعلم . و قال لأن أموت بين شعبتى رحلى أسعى فى الأرض أبتغى من فضل الله كفاف وجهى أحب إلى من أن أموت غازيا. و كان عمر قاعدا والدره معه و الناس حوله إذ أقبل الجارود العامرى فقال رجل هذا سيد ربيعة فسمعها عمر و من حوله وسمعها الجارود فلما دنا منه خفقه بالدره فقال ما لى و لك يا أمير المؤمنين قال ويلك سمعتها

قال وسمعتها فمه قال خشيت أن تخالط القوم ويقال هذا أمير فأحببت أن أطأطئ منك . و قال من أحب أن يصل أباه في قبره فليصل إخوان أبيه من بعده . و قال إن أخوف ما أخاف أن يكون إعجاب المرء برأيه فمن قال إني عالم فهو جاهل و من قال إني في الجنة فهو في النار . وخرج للحج فسمع غناء راكب يغنى و هو محرم فقيل يا أمير المؤمنين ألا تنهأ عن الغناء و هو محرم فقال دعوه فإن الغناء زاد الراكب . و قال يثغر الغلام لسبح ويحتلم لأربع عشرة وينتهي طوله لإحدى وعشرين ويكمل عقله لثمان وعشرين ويصير رجلا كاملا لأربعين . [صفحہ ۷۴] وروى سعيد بن المسيب أن عمر لما صدر من الحج في الشهر الذي قتل فيه كوم كومه من بطحاء وألقى عليها طرف ثوبه ثم استلقى عليها ورفع يديه إلى السماء و قال اللهم كبرت سنى وضعفت قوتى وانتشرت رعيتى فاقبضنى إليك غير مضيع و لامفرط . ثم قدم المدينة فخطب الناس فقال أيها الناس قد فرضت لكم الفرائض و سنتت لكم السنن و تركتكم على الواضحة إلا أن تضلوا بالناس يمينا و شمالا إياكم أن تنتهوا عن آية الرجم و أن يقول قائل لانجد ذلك حدا في كتاب الله فقد رأيت رسول الله رجم و رجمنا بعده و لو لا أن يقول الناس إن ابن الخطاب أحدث آية في كتاب الله لكتبها و لقد كنا نقرؤها و الشيخ و الشيخة إذازنيا فارجموهما البتة فما انسلخ ذو الحجة حتى طعن دفع إلى عمر صك محله في شعبان فقال أى شعبان الذى مضى أم الذى نحن فيه ثم جمع أصحاب رسول الله ص و قال ضعوا للناس تاريخا يرجعون إليه فقال قائل منهم اكتبوا على تاريخ الروم فقيل إنه يطول و إنه مكتوب من عهد ذى القرنين و قال قائل بل اكتبوا على تاريخ الفرس فقيل إن الفرس كلما قام ملك طرحوا ما كان قبله فقال على ع اكتبوا تاريخكم منذ خرج رسول الله ص من دار الشرك إلى دار النصره و هى دار الهجرة -روايت- ۱- ۲- روايت- ۱۷- ۱۰۲ فقال عمر نعم ما أشرت به فكتب للهجرة بعدمضى سنتين و نصف من خلافه عمر . [صفحہ ۷۵] قال المؤرخون إن عمر أول من سن قيام رمضان في جماعة و كتب به إلى البلدان و أقام الحد في الخمر ثمانين و أحرق بيت رويشد الثقفى و كان نباذا و أقام في عمله بنفسه و أول من حمل الدرّة و أدب بها و قيل بعده كانت درة عمر أهيب من سيف الحجاج . و هو أول من فتح الفتوح فتح العراق كله السواد و الجبال و أذربيجان و كور البصرة و كور الكوفة و الأهواز و فارس و فتح الشام كلها ما خلا أجنادين فإنها فتحت في خلافه أبى بكر و فتح كور الجزيرة و الموصل و مصر و الإسكندرية و قتله أبو لؤلؤة و خيله على الرى . و هو أول من مسح السواد و وضع الخراج على الأرض و الجزيرة على جماجم أهل الذمة فيما فتحه من البلدان و بلغ خراج السواد في أيامه مائة ألف ألف درهم و عشرين ألف ألف درهم بالوافية و هى وزن الدينار من الذهب و هو أول من مصر الأمصار و كوف الكوفة و بصر البصرة و أنزلها العرب و أول من استقضى القضاء فى الأمصار و أول من دون الدواوين و كتب الناس على قبائلهم و فرض لهم الأعطية و هو أول من قاسم العمال و شاطرهم أموالهم و كان يستعمل قوما و يدع أفضل منهم لبصرهم بالعمل و قال أكره أن أدنس هؤلاء بالعمل و هو الذى هدم مسجد رسول الله ص و زاد فيه و أدخل دار العباس فيما زاد و هو الذى أخرج اليهود من الحجاز و أجلاهم عن جزيرة العرب إلى الشام و هو الذى فتح البيت المقدس و حضر الفتح بنفسه و هو الذى أحر المقام إلى موضعه اليوم و كان ملصقا بالبيت و حج بنفسه خلافته كلها إلا السنة الأولى فإنه استخلف على الحج عبدالرحمن بن عوف و هو [صفحہ ۷۶] الذى جاء بالحصى من العقيق فبسطه فى مسجد المدينة و كان الناس إذ ارفعوا رءوسهم من السجود نفضوا أيديهم . وروى أبوهريرة قال قدمت على عمر من عند أبى موسى بثمانمائة ألف درهم فقال لى بما ذا قدمت قلت بثمانمائة ألف درهم فقال ألم أقل لك إنك يمان أحمق و يحكك إنما قدمت بثمانين ألف درهم فقلت يا أمير المؤمنين إنما قدمت بثمانمائة ألف درهم فجعل يعجب و يكررها فقال و يحكك و كم ثمانمائة ألف درهم فعددت مائة ألف و مائة ألف حتى بلغت ثمانية فاستعظم ذلك و قال أطيب هو و يحكك قلت نعم فبات عمر ليلته تلك أرقا حتى إذ انودى لصلاة الصبح قالت له امرأته مانمت هذه الليلة قال و كيف أنام و قد جاء الناس ما لم يأتهم مثله منذ قام الإسلام فظنت المرأة أنها داهية فسألته فقال مال جم حمله أبو موسى قالت فما بالك قال ما يؤمننى لومت و هذا المال عندى لم أضعه فى

حقه فخرج يصلى الصبح واجتمع الناس إليه فقال لهم قدر أيت فى هذا المال رأيا فأشيروا على رأيت أن أكيه للناس بالمكيال قالوا لا يا أمير المؤمنين قال لابل أبدأ برسول الله ص وبأهله ثم الأقرب فالأقرب فبدأ بينى هاشم ثم بينى المطلب ثم بعبد شمس ونوفل ثم بسائر بطون قريش . قسم عمر مروطا بين نساء المدينة فبقى مرط جيد له فقال بعض من عنده أعط هذا يا أمير المؤمنين ابنه رسول الله التى عندك يعنون أم كلثوم ابنه على ع [صفحہ ۷۷] فقال أم سليط أحق به فإنها ممن بايع رسول الله ص وكانت تزفر لنا القرب يوم أحد. وروى زيد بن أسلم عن أبيه قال خرجت مع عمر إلى السوق فلحقته امرأة شابة فقالت يا أمير المؤمنين هل لك زوجى وترك صبيئ صغارا لا ينضحون كراعاً لازرع لهم ولا ضرع وقد خشيت عليهم الضيعة وأنا ابنه خفاف بن أسماء الغفارى وقد شهد أبى الحديبية فوقف عمر معها ولم يمض وقال مرحبا بنسيب قريب ثم انصرف إلى بعير ظهير كان مربوطا فى الدار فحمل عليه غرارتين ملأهما طعاما وجعل بينهما نفقة وثيابا ثم ناولها خطامه وقال اقتاديه فلن يفنى هذا حتى يأتكم الله بخير فقال له رجل لقد أكثرت لها يا أمير المؤمنين فقال ثكلتك أمك والله لكأنى أرى أبا هذه وأخاها وقد حاصرا حصنا فافتتحة فافترقنا ثم أصبحنا نستقرئ سهرانا فيه . وروى الأوزاعى أن طلحة تبع عمر ليلة فرآه دخل بيتا ثم خرج فلما أصبح ذهب طلحة إلى ذلك البيت فرأى امرأة عمياء مقعده فقال لها مابال رجل أتاك الليلة قالت إنه رجل يتعاهدنى منذ كذا وكذا يأتينى بما يصلحنى فقال طلحة ثكلتك أمك ياطلحة تريد تتبع عمر . خرج عمر إلى الشام حتى إذا كان ببعض الطريق لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام فقال لابن عباس ادع لى المهاجرين فدعاهم فسألهم فاختلّفوا عليه فقال بعضهم خرجت لأمر ولا نرى أن [صفحہ ۷۸] ترجع عنه وقال بعضهم معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ص ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء فقال ارتفعوا عنى ثم قال لابن عباس ادع لى الأنصار فدعاهم فاستشارهم فاختلّفوا عليه اختلاف المهاجرين فقال لابن عباس ادع لى من كان من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعاهم فقالوا بأجمعهم نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء فنأدى عمر فى الناس إنى مصبح على ظهر فأصبحوا عليه فقال له أبو عبيدة بن الجراح أفرار من قدر الله تعالى فقال عمر لو غيرك قالها يا أبا عبيدة نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله أريت لو كان لك إبل فهبطت واديا له عدوتان إحداهما خصبة والأخرى جديبة أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وإن رعيت الجديبة رعيتها بقدر الله فجاء عبدالرحمن بن عوف وكان متغيبا فى بعض حاجته فقال إن عندى من هذا علما سمعت رسول الله ص يقول إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه -روایت ۱-۲-روایت ۲۹-۱۱۳ فحمد عمر الله عز وجل وانصرف إلى المدينة. وروى ابن عباس قال خرجت مع عمر إلى الشام فى إحدى خرجاته فانفرد يوما يسير على بعيره فاتبعته فقال لى يا ابن عباس أشكو إليك ابن عمك سألته أن يخرج معى فلم يفعل ولم أزل أراه واجدا فيم تظن موجدته قلت يا أمير المؤمنين إنك لتعلم قال أظنه لا يزال كئيبا لفوت الخلافة قلت هو ذاك إنه يزعم أن رسول الله أراد الأمر له فقال يا ابن عباس وأراد رسول الله ص الأمر له فكان ماذا إذا لم يرد الله تعالى ذلك إن رسول الله ص أراد أمرا وأراد [صفحہ ۷۹] الله غيره فنفذ مراد الله تعالى ولم ينفذ مراد رسوله أو وكلما أراد رسول الله ص كان إنه أراد إسلام عمه ولم يرده الله فلم يسلم . وقد روى معنى هذا الخبر بغير هذا اللفظ وهو قوله إن رسول الله ص أراد أن يذكره للأمر فى مرضه فصددته عنه خوفا من الفتنة وانتشار أمر الإسلام فعلم رسول الله ما فى نفسى وأمسك وأبى الله إلا إمضاء ما حتم وحدثنى الحسين بن محمد السينى قال قرأت على ظهر كتاب أن عمر نزلت به نازلة فقام لها وقعد وترنح لها وتقطر وقال لمن عنده معشر الحاضرين ماتقولون فى هذا الأمر فقالوا يا أمير المؤمنين أنت المفزع والمنزع فغضب وقال يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا ثم قال أما والله إنى وإياكم لنعلم ابن بجدةها والخبير بها قالوا كأنك أردت ابن أبى طالب قال وأنى يعدل بى عنه وهل طفحت حره مثله قالوا فلو دعوت به يا أمير المؤمنين قال هيهات إن هناك شمخا من هاشم وأثره من علم ولحمه من رسول الله ص يؤتى ولا يأتى فامضوا بنا إليه فانقصفوا نحوه

وأفضوا إليه فألفوه فى حائط له عليه تبان و هو يتركل على مسحاته و يقرأ أ يحسب الإنسان أن يُتركَ سُدَى إلى آخر السورة ودموعه تهمى على خديه فأجهش الناس لبكائه فبكوا ثم سكت و سكتوا فسأله عمر عن تلك الواقعة فأصدر جوابها فقال عمر أما -قرآن- ٥٧٣-٦٤١-قرآن- ١٠١٣-١٠٥٠ [صفحہ ٨٠] و الله لقد أَرادك الحق ولكن أبى قومك فقال يا أباحفص خفض عليك من هنا و من هنا إنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا فوضع عمر إحدى يديه على الأخرى و أطرق إلى الأرض و خرج كأنما ينظر فى رماذ. قلت أجدر بهذا الخبر أن يكون موضوعا و فيه ما يدل على ذلك من كون عمر أتى عليا يستفتيه فى المسألة و الأخبار كثيرة بأنه مازال يدعوه إلى منزله و إلى المسجد و أيضا فإن عليا لم يخاطب عمر منذ ولى الخلافة بالكنية و إنما كان يخاطبه بامرء المؤمنين هكذا تنطق كتب الحديث و كتب السير و التواريخ كلها. و أيضا فإن هذا الخبر لم يسند إلى كتاب معين و لا إلى راو معين بل ذكر ذلك أنه قرأه على ظهر كتاب فيكون مجهولا- و الحديث المجهول غير الصحيح. فأما ثناء عمر على أمير المؤمنين فصحيح غير منكر و فى الروايات منه الكثير الواسع و لكننا أنكرنا هذا الخبر بعينه خاصة و قدروى عن ابن عباس أيضا قال دخلت على عمر يوما فقال يا ابن العباس لقد أجهد هذا الرجل نفسه فى العبادة حتى نحلته رياء قلت من هو فقال هذا ابن عمك يعنى عليا قلت و ما يقصد بالرياء أمير المؤمنين قال يرشح نفسه بين الناس للخلافة قلت و ما يصنع بالترشح قدرشحه لها رسول الله ص فصرفت عنه قال إنه كان شابا حدثا فاستصغرت العرب سنه و قد كمل الآن ألم تعلم أن الله تعالى لم يبعث نبيا إلا بعد الأربعين قلت يا أمير المؤمنين أما أهل الحجى و النهى فإنهم مازالوا يعدونه كاملا منذ رفع الله منار الإسلام و لكنهم يعدونه محروما مجدودا فقال أما إنه سيليها بعدهياط و مياط ثم نزل فيها قدمه و لا يقضى منها أربه و لتكونن شاهدا ذلك يا عبد الله ثم يتبين الصبح لذى عينين و تعلم العرب صحه رأى المهاجرين الأولين -قرآن- ٨٦-١١٧ [صفحہ ٨١] الذين صرفوها عنه بادئ بدء فليتنى أراكم بعدى يا عبد الله إن الحرص محرمة و إن دنياك كظلك كلما هممت به ازداد عنك بعدا. نقلت هذا الخبر من أمالى أبى جعفر محمد بن حبيب رحمه الله . و نقلت منه أيضا مارواه عن ابن عباس قال تبرم عمر بالخلافة فى آخر أيامه و خاف العجز و ضجر من سياسة الرعية فكان لا يزال يدعو الله بأن يتوفاه فقال لكعب الأحبار يوما و أنا عنده إنى قد أحببت أن أعهد إلى من يقوم بهذا الأمر و أظن وفاتى قد دنت فما تقول فى على أشر على فى رأيك و أذكرنى ماتجدونه عندكم فإنكم تزعمون أن أمرنا هذا مسطور فى كتبكم فقال أما من طريق الرأى فإنه لا يصلح إنه رجل متين الدين لا يغضى على عورة و لا يحلم عن زله و لا يعمل باجتهاد رأيه و ليس هذا من سياسة الرعية فى شىء و أما مانجده فى كتبنا فنجده لا يلى الأمر و لا ولده و إن وليه كان هرج شديد قال كيف ذاك قال لأنه أراق الدماء فحرمه الله الملك إن داود لما أراد أن يبنى حيطان بيت المقدس أوحى الله إليه إنك لا تبنى لأنك أرتقت الدماء و إنما بينه سليمان فقال عمر أليس بحق أراقها قال كعب و داود بحق أراقها يا أمير المؤمنين قال فإلى من يفضى الأمر تجدونه عندكم قال نجده ينتقل بعد صاحب الشريعة و الاثنين من أصحابه إلى أعدائه الذين حاربهم و حاربوه و حاربهم على الدين فاسترجع عمر مرارا و قال أستمع يا ابن عباس أما و الله لقد سمعت من رسول الله ما يشابه هذا سمعته يقول ليصعدن بنو أمية على منبرى و لقد أرتبهم فى منامى ينزون عليه نزو القردة -رواية- ١-٢-رواية- ١٥-٨٩ و فيهم أنزل و ما جعلنا الرؤيا التى أرىناك إلا فتنة للناس و الشجرة الملعونة فى القرآن -قرآن- ١٤-١١٧ [صفحہ ٨٢] و قدروى الزبير بن بكار فى الموفقيات ما يناسب هذا عن المغيرة بن شعبة قال قال لى عمر يوما يا مغيرة هل أبصرت بهذه عينك العوراء منذ أصيبت قلت لا قال أما و الله ليعورن بنو أمية الإسلام كما أعورت عينك هذه ثم ليعمينه حتى لا يدرى أين يذهب و لا أين يجىء قلت ثم ماذا يا أمير المؤمنين قال ثم يبعث الله تعالى بعد مائة و أربعين أو بعد مائة و ثلاثين و فدا كوفد الملوك طيبة ريحهم يعيدون إلى الإسلام بصره و شتاته قلت من هم يا أمير المؤمنين قال حجازى و عراقى و قليلا- ما كان و قليلا مادام . و روى أبو بكر الأنبارى فى أماليه أن عليا ع جلس إلى عمر فى المسجد و عنده ناس فلما قام عرض واحد بذكره و نسبه إلى التيه و العجب فقال عمر حق لمثله أن يتيه و الله لو لاسيفه لما قام

عمود الإسلام و هو بعدأقضى الأمة وذو سابقتها وذو شرفها فقال له ذلك القائل فما منعكم يا أمير المؤمنين عنه قال كرهناه على حداثة السن وحبه بنى عبدالمطلب . قلت سألت النقيب أبا جعفر يحيى بن محمد بن أبى زيد و قدقرأت عليه هذه الأخبار فقلت له ماأراها إلا تكاد تكون دالة على النص ولكنى أستبعد أن يجتمع الصحابة على دفع نص رسول الله ص على شخص بعينه كمااستبعدنا من الصحابة على رد نصه على الكعبة وشهر رمضان وغيرهما من معالم الدين فقال لى رحمه الله أبيت إلا ميلا إلى المعتزلة ثم قال إن القوم لم يكونوا يذهبون فى الخلافة إلى أنها من معالم الدين وأنها جارية مجرى العبادات الشرعية كالصلاة والصوم ولكنهم كانوا يجرونها مجرى الأمور الدنيوية ويذهبون لهذا مثل تأمير الأمراء وتديير الحروب وسياسة الرعية و ماكانوا يبالون فى أمثال هذا من مخالفة نصوصه ص إذارأوا المصلحة فى [صفحة ٨٣] غيرها ألاتراه كيف نص على إخراج أبى بكر وعمر فى جيش أسامة و لم يخرجوا لمارأيا أن فى مقامهما مصلحة للدولة وللملة وحفظا للبيضة ودفعا للفتنة و قد كان رسول الله ص يخالف و هو حى فى أمثال ذلك فلاينكره و لايرى به بأسا ألت تعلم أنه نزل فى غزاة بدر منزلا على أن يحارب قريشا فيه فخالفته الأنصار وقالت له ليس رأى فى نزولك هذاالمنزل فاتركه وانزل فى منزل كذا فرجع إلى آرائهم و هو الذى قال للأنصار عام قدم إلى المدينة لا تؤبروا النخل فعملوا على قوله فحالت نخلهم فى تلك السنة و لم تثمر حتى قال لهم أنتم أعرف بأمر دنياكم و أنا أعرف بأمر دينكم و هو الذى أخذ الفداء من أسارى بدر فخالفه عمر فرجع إلى تصويب رأيه بعد أن فات الأمر وخلص الأسرى ورجعوا إلى مكة و هو الذى أراد أن يصلح الأحزاب على ثلث تمر المدينة ليرجعوا عنه فأتى سعد بن معاذ وسعد بن عباد فخالفاه فرجع إلى قولهما و قد كان قال لأبى هريرة أخرج فناد فى الناس من قال لاإله إلا الله مخلصا بهاقبله دخل الجنة فأخرج أبوهريرة فأخبر عمر بذلك فدفعه فى صدره حتى وقع على الأرض فقال لا تقلها فإنك إن تقلها يتكولوا عليها ويدعوا العمل فأخبر أبوهريرة رسول الله ص بذلك فقال لا تقلها وخلصهم يعملون فرجع إلى قول عمر و قدأطبقت الصحابة إطباقا واحدا على ترك كثير من النصوص لمارأوا المصلحة فى ذلك كماسقاطهم سهم ذوى القربى وإسقاط سهم المؤلف قلوبهم وهذان الأمران أدخل فى باب الدين منهما فى باب الدنيا و قدعملوا بآرائهم أمورا لم يكن لها ذكر فى الكتاب والسنة كحد الخمر فإنهم عملوه اجتهادا و لم يحد رسول الله ص شاربى الخمر و قدشربها الجهم الغفير فى زمانه بعدنزول آية التحريم ولقد كان أوصاهم فى مرضه [صفحة ٨٤] أن أخرجوا نصارى نجران من جزيرة العرب فلم يخرجوهم حتى مضى صدر من خلافة عمر وعملوا فى أيام أبى بكر برأيهم فى ذلك باستصلاحهم وهم الذين هدموا المسجد بالمدينة وحولوا المقام بمكة وعملوا بمقتضى ما يغلب فى ظنونهم من المصلحة و لم يقفوا مع موارد النصوص حتى اقتدى بهم الفقهاء من بعدفرجح كثير منهم القياس على النص حتى استحالت الشريعة وصار أصحاب القياس أصحاب شريعة جديدة. قال النقيب وأكثر ما يعملون بآرائهم فيما يجرى مجرى الولايات والتأشير والتدبير وتقرير قواعد الدولة و ماكانوا يقفون مع نصوص الرسول ص وتدابيراته إذارأوا المصلحة فى خلافها كأنهم كانوا يقيدون نصوصه المطلقة بقيد غيرمذكور لفظا وكأنهم كانوا يفهمونه من قرائن أحواله وتقدير ذلك القيد افعلوا كذا إن رأيتموه مصلحة. قال و أما مخالفتهم له فيما هو محض الشرع والدين و ليس بمتعلق بأمور الدنيا وتدابيراتها فإنه يقل جدا نحو أن يقول الوضوء شرط فى الصلاة فيجمعوا على رد ذلك ويجيزوا الصلاة من غيروضوء أو يقول صوم شهر رمضان واجب فيطبقوا على مخالفة ذلك ويجعلوا شوالا عوضا عنه فإنه بعيد إذ لاغرض لهم فيه و لا يقدررون على إظهار مصلحة عثروا عليها خفيت عنه ص والقوم الذين كانوا قدغلب على ظنونهم أن العرب لا تطيع عليا فبعضها للحسد وبعضها للوتر والثأر وبعضها لاستحداثهم سنه وبعضها لاستطالته عليهم ورفعهم عنهم وبعضها كراهة اجتماع النبوة والخلافة فى بيت واحد وبعضها للخوف من شدة وطأته وشدته فى دين الله وبعضها خوفا لرجاء تداول قبائل العرب الخلافة إذا لم يقتصر بها على بيت مخصوص عليه فيكون رجاء كل حى لوصولهم إليها ثابتا مستمرا وبعضها ببغضه لبغضهم من قرابته [صفحة ٨٥] لرسول الله ص وهم المنافقون من

الناس و من فى قلبه زيغ من أمر النبوة فأصفق الكل إصفاقا واحدا على صرف الأمر عنه لغيره و قال رؤساؤهم إنا خفنا الفتنة و علمنا أن العرب لا تطيعه و لا تتركه و تأولوا عند أنفسهم النص و لا ينكر النص و قالوا إنه النص و لكن الحاضر يرى ما لا يرى الغائب و الغائب قديترك لأجل المصلحة الكلية و أعانهم على ذلك مسارعة الأنصار إلى ادعائهم الأمر و إخراجهم سعد بن عبادة من بيته و هو مريض لينصبوه خليفة فيما زعموا و اختلط الناس و كثر الخبط و كادت الفتنة أن تشتعل نارها فوثب رؤساء المهاجرين فبايعوا أبابكر و كانت فلتة كما قال قائلهم و زعموا أنهم أطفئوا بهانثرة الأنصار فمن سكت من المسلمين و أغضى و لم يتعرض فقد كفاهم أمر نفسه و من قال سرا أو جهرا إن فلانا قد كان رسول الله ص ذكره أو نص عليه أو أشار إليه أسكتوه فى الجواب بأنا بادرنا إلى عقد البيعة مخافة الفتنة و اعتذروا عنده ببعض ما تقدم إما أنه حديث السن أو تبغضه العرب لأنه و ترها و سفك دماءها أولأنه صاحب زهو و تيه أو كيف تجتمع النبوة و الخلافة فى مغرس واحد بل قد قالوا فى العذر ما هو أقوى من هذا و أوكد قالوا أبوبكر أقوى على هذا الأمر منه لاسيما و عمر يعضده و يساعده و العرب تحب أبابكر و يعجبها لينه و رفقته و هو شيخ مجرب للأمر لا يحسده أحد و لا يحقد عليه أحد و لا يبغضه أحد و ليس بذى شرف فى النسب فيشمخ على الناس بشرفه و لا بذى قربى من الرسول ص فيدل بقربه و دع ذا كله فإنه فضل مستغنى عنه قالوا لو نصبنا عليا ع ارتد الناس عن الإسلام و عادت الجاهلية كما كانت فأيا ما أصلح فى الدين الوقوف مع النص المفضى إلى ارتداد الخلق و رجوعهم إلى الأصنام و الجاهلية أم العمل بمقتضى الأصلح و استبقاء الإسلام و استدامة العمل بالدين و إن كان فيه مخالفة النص . [صفحة ٨٦] قال رحمه الله و سكت الناس عن الإنكار فإنهم كانوا متفرقين فمنهم من هو مبغض شائى لعلى ع فالذى تم من صرف الأمر عنه هو قرعة عينه و برد فؤاده و منهم ذو الدين و صحة اليقين إلا أنه لما رأى كبراء الصحابة قد اتفقوا على صرف الأمر عنه ظن أنهم إنما فعلوا ذلك لنص سمعوه من رسول الله ص ينسخ ما قد كان سمعه من النص على أمير المؤمنين ع لاسيما ما رواه أبوبكر من قول النبي ص الأئمة من قريش -رواية- ١-٢-رواية- ٣٣-٤٩ فإن كثيرا من الناس توهموا أنه ناسخ للنص الخاص و إن معنى الخبر أنكم مباحون فى نصب إمام من قريش من أى بطون قريش كان فإنه يكون إماما . و أكد أيضا فى نفوسهم رفض النص الخاص ما سمعوه من قول رسول الله ص مارآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن -رواية- ١-٢-رواية- ٢٦-٦٧ قوله ع سألت الله ألا يجمع أمتى على ضلال فأعطانيها فأحسنوا الظن بعاقدي البيعة -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-٨٨ . و قالوا هؤلاء أعرف بأغراض رسول الله ص من كل أحد فأمسكوا و كفوا عن الإنكار و منهم فرقة أخرى و هم الأكثر من أعراب و جفاه و طغام أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح فهؤلاء مقلدون لا يسألون و لا ينكرون و لا يبحثون و هم مع أمرائهم و ولاتهم لو أسقطوا عنهم الصلاة الواجبة لتركوها فلذلك أمحق النص و خفى و درس و قويت كلمة العقادين لبيعة أبى بكر و قواها زيادة على ذلك اشتغال على و بنى هاشم برسول الله ص و إغلاق بابهم عليهم و تخليتهم الناس يعملون ماشاءوا و أحبوا من غير مشاركة لهم فيما هم فيه لكنهم أرادوا استدراك ذلك بعد مافات و هيهات الفئات لا رجعة له . و أراد على ع بعد ذلك نقض البيعة فلم يتم له ذلك و كانت العرب لا ترى [صفحة ٨٧] الغدر و لا تنقض البيعة صوابا كانت أو خطأ و قد قالت له الأنصار و غيرها أيها الرجل لو دعوتنا إلى نفسك قبل البيعة لماعدلنا بك أحدا و لكننا قد بايعنا فكيف السبيل إلى نقض البيعة بعد وقوعها . قال النقيب و مما جرأ عمر على بيعة أبى بكر و العدول عن على مع ما كان يسمعه من الرسول ص فى أمره أنه أنكر مرارا على الرسول ص أمورا اعتمدها فلم ينكر عليه رسول الله ص إنكاره بل رجع فى كثير منها إليه و أشار عليه بأمر كثيرة نزل القرآن فيها بموافقته فأطمعه ذلك فى الإقدام على اعتماد كثير من الأمور التى كان يرى فيها المصلحة مما هى خلاف النص و ذلك نحو إنكاره عليه فى الصلاة على عبد الله بن أبى المنافق و إنكاره فداء أسارى بدر و إنكاره عليه تبرج نسائه للناس و إنكاره قضية الحديبية و إنكاره أمان العباس لأبى سفيان بن حرب و إنكاره واقعة أبى حذيفة بن عتبة و إنكاره أمره بالنساء من قال لا إله إلا الله دخل الجنة -رواية- ١-٣٨ و إنكاره أمره بذبح النواضح و إنكاره على النساء

بحضرة رسول الله ص هيبتهن له دون رسول الله ص إلى غير ذلك من أمور كثيرة تشتمل عليها كتب الحديث و لو لم يكن إلا إنكاره قول رسول الله ص فى مرضه ائتوني بدواة وكتف أكتب لكم ما لاتصلون بعدى -رواية- ١-٥٠ و قوله ما قال وسكوت رسول الله ص عنه وأعجب الأشياء أنه قال ذلك اليوم حسينا كتاب الله فافترق الحاضرون من المسلمين فى الدار فبعضهم يقول القول ما قال رسول الله ص وبعضهم يقول القول ما قال عمر فقال رسول الله و قد كثر اللغو وعلت الأصوات قوموا عنى فما ينبغي لنبى أن يكون عنده هذاالتنازع -رواية- ١-٥٦ فهل بقى للنبوة مزية أو فضل إذا كان الاختلاف قد وقع بين القولين وميل [صفحة ٨٨] المسلمون بينهما فرجح قوم هذا وقوم هذا فليس ذلك دالا على أن القوم سوا بينه و بين عمر وجعلوا القولين مسألة خلاف ذهب كل فريق إلى نصره واحد منهما كما يختلف اثنان من عرض المسلمين فى بعض الأحكام فينصر قوم هذا وينصر ذاك آخرون فمن بلغت قوته وهمته إلى هذا كيف ينكر منه أنه يبايع أبابكر لمصلحة رآها ويعدل عن النص و من الذى كان ينكر عليه ذلك و هو فى القول الذى قاله للرسول ص فى وجهه غير خائف من الأنصار و لا ينكر عليه أحد لا رسول الله ص ولا غيره و هو أشد من مخالفة النص فى الخلافة وأقطع وأشنع قال النقيب على أن الرجل ما همل أمر نفسه بل أعد أعدارا وأجوبة و ذلك لأنه قال لقوم عرضوا له بحديث النص أن رسول الله ص رجع عن ذلك بإقامته أبابكر فى الصلاة مقامه وأوهمهم أن ذلك جار مجرى النص عليه بالخلافة و قال يوم السقيفة أيكم يطيب نفسا أن يتقدم قدمين قدمهما رسول الله ص فى الصلاة ثم أكد ذلك بأن قال لأبى بكر و قد عرض عليه البيعة أنت صاحب رسول الله ص فى المواطن كلها شدتها ورخائها رضيك لدينا أ فلا ترضاك لدينا. ثم عاب عليا بخطبته بنت أبى جهل فأوهم أن رسول الله ص كرهه لذلك ووجد عليه وأرضاه عمرو بن العاص فروى حديثا افتعله واختلقه على رسول الله قال سمعته يقول إن آل أبى طالب ليسوا لى بأولياء إنما ولىي الله وصالح المؤمنين -رواية- ١-٢-رواية- ٢٠-٨٩ لقوله ص من كنت مولاه فهذا مولاه -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-٤٠ . قلت للنقيب أيصح النسخ فى مثل هذا أ ليس هذانسخا للشىء قبل تقضى وقت فعله فقال سبحان الله من أين تعرف العرب هذا وأنى لها أن تتصوره فضلا عن أن تحكم بعدم جوازه فهل يفهم حذاق الأصوليين هذه المسألة فضلا عن حمقى العرب هؤلاء قوم ينخدعون بأدنى شبهة ويستمالون بأضعف سبب وتبنى الأمور معهم على ظواهر [صفحة ٨٩] النصوص وأوائل الأدلة وهم أصحاب جهل وتقليد لأصحاب تفضيل ونظر. قال ثم أكد حسن ظن الناس بهم أنهم أطلقوا أنفسهم عن الأموال وزهدوا فى متاع الدنيا وزخرفها وسلوكوا مسلك الرفض لزيبتها والرغبة عنها والقناعة بالطفيف التزر منها وأكلوا الخشن ولبسوا الكرايس و لما ألت إليهم الدنيا أفلاذ كبدها وفرقوا الأموال على الناس وقسموها بينهم و لم يتدنسوا منها بقليل و لا كثير فمالت إليهم القلوب وأحبتهم النفوس وحسنت فيهم الظنون و قال من كان فى نفسه شبهة منهم أو وقفه فى أمرهم لو كان هؤلاء قدخالقوا النص لهوى أنفسهم لكانوا أهل الدنيا ولظهر عليهم الميل إليها والرغبة فيها والاستئثار بها وكيف يجمعون على أنفسهم مخالفة النص وترك لذات الدنيا ومآربها فيخسروا الدنيا والآخرة و هذا لايفعله عاقل والقوم عقلاء ذوو الباب وآراء صحيحة فلم يبق عند أحد شك فى أمرهم و لا ارتياب لفعلهم وثبتت العقائد على ولايتهم وتصويب أفعالهم ونسوا لذة الرئاسة و أن أصحاب الهمم العالية لايلتفتون إلى المآكل والمشرب والمنكح وإنما يريدون الرئاسة و نفوذ الأمر كما قال الشاعر و قد رغبت عن لذة المال أنفس || و مارغبت عن لذة النهى والأمر . قال رحمه الله والفرق بين الرجلين و بين الثالث ما أصيب به الثالث وقتل تلك القتل و خلعه الناس و حصره و ضيقوا عليه بعد أن توالى إنكارهم أفعاله و جبهوه فى وجهه و فسقوه و ذلك لأنه استأثر هو وأهله بالأموال وانغمسوا فيها واستبدوا بها فكانت طريقته وطريقتهم مخالفة لطريق الأولين فلم تصبر العرب على ذلك و لو كان عثمان سلك طريق عمر فى الزهد و جمع الناس وردع الأمراء والولاء عن الأموال و تجنب استعمال أهل بيته و وفر أعراض الدنيا وملاذها وشهواتها على الناس زاهدا فيها تاركا لها معرضا عنها لماضره شىء قط و لا أنكر عليه أحد قط و لو حول الصلاة من [صفحة ٩٠]

الكعبة إلى بيت المقدس بل لو أسقط عن الناس إحدى الصلوات الخمس واقتنع منهم بأربع و ذلك لأن همم الناس مصروفة إلى الدنيا والأموال فإذا وجدوها سكتوا و إذا فقدوها هاجوا واضطربوا ألتست ترى رسول الله ص كيف قسم غنائم هوازن على المنافقين و على أعدائه الذين يتمنون قتله وموته وزوال دولته فلما أعطاهم أحيوه إما كلهم أو أكثرهم و من لم يحبه منهم بقلبه جامله وداراه و كف عن إظهار عداوته والإجلاب عليه و لو أن عليا صانع أصحابه بالمال وأعطاه الوجوه والرؤساء لكان أمره إلى الانتظام والاطراد أقرب ولكنه رفض جانب التدبير الدينوى و آثر لزوم الدين وتمسك بأحكام الشريعة والملك أمر آخر غير الدين فاضطرب عليه أصحابه وهرب كثير منهم إلى عدوه . و قد ذكرت فى هذا الفصل خلاصة ما حفظته عن النقيب أبى جعفر و لم يكن إمامى المذهب و لا كان يبرأ من السلف و لا يرضى قول المسرفين من الشيعة ولكنه كلام أجراه على لسانه البحث والجدل بينى وبينه على أن العلوى لو كان كراميا لا بد أن يكون عنده نوع من تعصب وميل على الصحابة و إن قل . ولنرجع إلى ذكر كلام عمر من خطبته وسيرته . كتب عمر إلى أبى موسى لما استعمله قاضيا وبعثه إلى العراق من عبد الله أمير المؤمنين عمر إلى عبد الله بن قيس سلام عليك أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم إذا أدلى إليك فإنه لا ينفج تكلم بحق لانفاد له آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف فى [صفحة ٩١] حيفك و لا يأس ضعيف من عدلك البينة على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا لا يمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق فإن الحق قديم ومراجعة الحق خير من التماذى فى الباطل الفهم الفهم فيما تلجلج فى صدرك مما ليس فى كتاب و لاسنة ثم اعرف الأشباه والأمثال وقس الأمور عند ذلك واعمد إلى أقربها إلى الله عز و جل وأشبهها بالحق واجعل لمن ادعى حقا غائبا أو بينة أمدا ينتهى إليه فإن أحضر بينته أخذت له بحقه و إلا استحللت عليه القضية فإنه أنفى للشك وأجلى للعمى المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلودا فى حد أو مجربا عليه شهادة زور أو ظنينا فى ولاء أو نسب فإن الله عز و جل تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالبينات والأيمان الشبهات إياك والغلق والضجر والتأذى بالخصوم والتنكر عند الخصومات فإن الحق فى مواطن الحق يعظم الله به الأجر ويحسن به الذخر فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه و بين الناس و من تخلق للناس بما يعلم الله عز و جل منه إنه ليس من نفسه شانه الله فما ظنك بثواب الله فى عاجل رزقه وخزائن رحمته و السلام . ذكر هذه الرسالة أبو العباس محمد بن يزيد المبرد فى كتاب الكامل وأطراها فقال إنه جمع فيها جمل الأحكام واختصرها بأجود الكلام وجعل الناس بعده يتخذونه إماما فلا يجد محق عنها معدلا و لا ظالم عن حدودها محيصا . [صفحة ٩٢] و كتب عمر إلى عماله يوصيهم فقال فى جملة الكتاب ارتدوا و اتزروا و انتعلوا وألقوا الخفاف والسراويلات وألقوا الركب وانزوا نزوا على الخيل واخشوشنوا و عليكم بالمعديئة أو قال وتمعددوا و ارموا الأوغراض و علموا فتيا نكم العوم والرماية و ذروا التمتع وزى العجم وإياكم والحرير فإن رسول الله ص نهى عنه و قال لا تلبسوا من الحرير إلا ما كان هكذا وأشار بإصبعه . و كتب إلى بعض عماله أن أسعد الرعاة من سعدت به رعيته و أن أشقى الرعاة من شقيت به رعيته فإياك أن تزيغ فتزيغ رعيته فيكون مثلك عند الله مثل البهيمة رأت الخضرة فى الأرض فرعت فيها تبغى السمن وحتفها فى سمنها و كتب إلى أبى موسى و هو بالبصرة بلغنى أنك تأذن للناس الجماء الغفير فإذا جاءك كتابى هذا فأذن لأهل الشرف و أهل القرآن والتقوى والدين فإذا أخذوا مجالسهم فأذن للعامة و لا تؤخر عمل اليوم لغد فتتدأك عليك الأعمال فتضيع وإياك و اتباع الهوى فإن للناس أهواء متبعة و دنيا مؤثرة و ضغائن محمولة و حاسب نفسك فى الرخاء قبل حساب الشدة فإنه من حاسب نفسه فى الرخاء قبل حساب الشدة كان مرجعه إلى الرضا والغبطة و من ألهمته حياته و شغلته أهواؤه عاد أمره إلى الندامة والحسرة إنه لا يقيم أمر الله فى الناس إلا خصيف العقدة بعيد القرارة لا يحق على جرة و لا يطلع الناس منه على عورة و لا يخاف فى الحق لومة لائم ألزم أربع خصال يسلم لك دينك و تحيط بأفضل حظك إذا حضر الخصمان فعليك بالبينات العدول

والإيمان القاطعة ثم ائذن [صفحة ٩٣] للضعيف حتى ينسط لسانه ويجترئ قلبه وتعاهد الغريب فإنه إذ اطال حسبه ترك حاجته وانصرف إلى أهله واحرص على الصلح ما لم بين لك القضاء والسلام عليك . و كان رجل من الأنصار لا يزال يهدى لعمر فخذ جزور إلى أن جاء ذات يوم مع خصم له فجعل في أثناء الكلام يقول يا أمير المؤمنين افصل القضاء بيني وبينه كما يفصل فخذ الجزور. قال عمر فما زال يرددها حتى خفت على نفسى فقضيت عليه وكتبت إلى عمالي أما بعد فإياكم والهدايا فإنها من الرشا ثم لم أقبل له هدية فيما بعد و لالغيره . و كان عمر يقول اكتبوا عن الزاهدين في الدنيا ما يقولون فإن الله عز وجل وكل بهم ملائكة واضعه أيديهم على أفواههم فلا يتكلمون إلا بما هيأه الله لهم . وروى أبو جعفر الطبري في تاريخه قال كان عمر يقول جردوا القرآن و لا تفسروه وأقلوا الرواية عن رسول الله ص و أنا شريككم . و قال أبو جعفر و كان عمر إذا أراد أن ينهى الناس عن شىء جمع أهله فقال إنى عسيت أن أنهى الناس عن كذا و أن الناس ينظرون إليكم نظر الطير إلى اللحم وأقسم بالله لأجد أحدا منكم يفعل إلا أضعفت عليه العقوبة. قال أبو جعفر و كان عمر شديدا على أهل الريب و فى حق الله صليبا حتى يستخرجه ولينا سهلا- فيما يلزمه حتى يؤديه وبالضعيف رحيمًا. [صفحة ٩٤] وروى زيد بن أسلم عن أبيه أن نفرا من المسلمين كلموا عبد الرحمن بن عوف فقالوا كلم لنا عمر بن الخطاب فقد والله أخشانا حتى لا نستطيع أن نديم إليه أبصارنا فذكر عبد الرحمن له ذلك فقال أ و قد قالوا ذلك والله لقد لنت لهم حتى تخوفت الله فى أمرهم و قد تشددت عليهم حتى خفت الله فى أمرهم و أنا والله أشد فرقا لله منهم لى . وروى جابر بن عبد الله قال قال رجل لعمر يا خليفة الله قال خالف الله بك قال جعلنى الله فداك قال إذن يهينك الله . وروى أبو جعفر قال استشار عمر فى أمر المال كيف يقسمه فقال له على بن أبى طالب ع تقسم كل سنة ما اجتمع معك من المال و لا تمسك منه شيئا و قال عثمان بن عفان أرى مالا كثيرا يسع الناس و إن لم يحصوا حتى يعرف من أخذ ممن لم يأخذ خشيت أن ينتشر الأمر فقال الوليد بن هشام بن المغيرة يا أمير المؤمنين قد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانا وجندوا جنودا وفرضوا لهم أرزاقا فأخذ بقوله فدعا عقيل بن أبى طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا نساب قريش و قال اكتبوا الناس على منازلهم فكتبوا فبدءوا ببنى هاشم ثم أتبعوهم بأب بكر وقومه ثم عمر وقومه على ترتيب الخلافة فلما نظر إليه قال وددت أنه كان هكذا لكن ابدأ بقراية النبى ص الأقرب فالأقرب حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله . قال أبو جعفر جاءت بنو عدى إلى عمر فقالوا له يا عمر أنت خليفة رسول الله [صفحة ٩٥] ص قال أو خليفة أبى بكر و أبوبكر خليفة رسول الله ص قالوا وذاك فلو جعلت نفسك حيث جعلك هؤلاء القوم فقال بخ بخ يا بنى عدى أردتم الأكل على ظهري و أن أذهب حسناتى لكم لا والله و لو كتبتم آخر الناس إن لى صاحبين سلكا طريقا فإن أنا خالفتهما خولف بى والله ما أدركنا الفضل فى الدنيا إلا بمحمد و لا نرجو ما نرجو من الآخرة وثوابها إلا بمحمد ص فهو شرفنا وقومه أشرف العرب ثم الأقرب منه فالأقرب و ما بيننا وبين أن نلقاه ثم لانفارقه إلى آدم إلا آباء يسيرة والله لئن جاءت الأعاجم بالأعمال وجئنا بغير عمل فإنهم أولى بمحمد ص منا يوم القيامة لا ينظرن رجل إلى قرابته وليعمل بما عند الله فإن من قصر به عمله لم يسرع به نسبه . وروى السائب بن يزيد قال سمعت عمر بن الخطاب يقول والله ما من أحد إلا له فى هذا المال حق أعطيه أو منعه و ما أحد أحق به من أحد إلا عبد مملوك و ما أنا فيه إلا كأحدكم ولكننا على منازلنا من كتاب الله وقسمنا من رسول الله ص فالرجل وبلاؤه فى الإسلام و الرجل وغناؤه و الرجل وحاجته والله لئن بقيت لياتين الراعى بجبل صنعاء حظه من المال و هو مكانه . وروى نافع مولى آل الزبير قال سمعت أبا هريرة يقول رحم الله ابن حنتمه لقد رأيت عام الرمادة وإنه ليحمل على ظهره جرابين وعكة زيت فى يده وإنه ليعتقب هو وأسلم فلما رآنى قال من أين يا أبا هريرة قلت قريبا فأخذت [صفحة ٩٦] أعقبه فحملناه حتى انتهينا إلى ضرار فإذا صرم من نحو عشرين بيتا من محارب فقال عمر ما أقدمكم قالوا الجهد وأخرجوا لنا جلد الميتة مشويا كانوا يأكلونه ورمه العظام مسحوقه كانوا يستفونها فرأيت عمر طرح رداءه ثم برز فما زال يطبخ لهم حتى شبعوا وأرسل أسلم إلى المدينة فجاء

بأبيرة فحملهم عليها ثم أنزلهم الجبانة ثم كساهم و كان يختلف إليهم و إلى غيرهم حتى كفى الله ذلك . وروى راشد بن سعد أن عمر أتى بجمال فجعل يقسم بين الناس فازدحموا عليه فأقبل سعد بن أبي وقاص يزاحم الناس حتى خلص إليه فعلاه عمر بالدره و قال إنك أقبلت لاتهابن سلطان الله فى الأرض فأحبيت بأن أعلمك أن سلطان الله لا يهابك . وقالت الشفاء ابنة عبد الله و رأت فتيانا من النساء يقتصدون فى المشى و يتكلمون رويدا ماهؤلاء فقيل نساك فقالت كان عمر بن الخطاب هو الناسك حقا و كان إذا تكلم أسمع و إذا مشى أسرع و إذا ضرب أوجع . أعان عمر رجلا على حمل شىء فدعا له الرجل و قال نفعك بنوك يا أمير المؤمنين قال بل أغنانى الله عنهم . و من كلامه القوة فى العمل ألا- يؤخر عمل اليوم لغد والأمانة ألا تخالف سريرتك علانيتك و التقوى بالتقوى و من يتق الله يقه . [صفحہ ۹۷] و قال عمر كنا نعد المقرض بخيلا إنما كانت المواساة . أتى رهط إلى عمر فقالوا يا أمير المؤمنين كثر العيال واشتدت المئونة فزدنا فى أعطياتنا فقال فعلتموها جمعتم بين الضرائر و اتخذتم الخدم من مال الله أما لو ددت أنى و إياكم فى سفينتين فى لجة البحر تذهب بنا شرقا و غربا فلن يعجز الناس أن يولوا رجلا منهم فإن استقام اتبعوه و إن جنف قتلوه فقال طلحة و ما عليك لو قلت و إن أعوج عزلوه فقال القتل أرهب لمن بعده احذروا فتى قريش فإنه كريمها الذى لا ينام إلا على الرضا و يضحك عند الغضب و يتناول ما فوقه من تحته . و كان يقول فى آخر أيامه عند تبرمه بالأمر و ضجره من الرعية اللهم ملونى و مللتهم و أحسست من نفسى و أحسوا منى و لا أدرى بأينا يكون اللوت و قد أعلم أن لهم قتिला منهم فاقبضنى إليك . و ذكر قوم من الصحابة لعمر رجلا- فقالوا فاضل لا يعرف الشر قال ذاك أوقع له فيه و روى الطبرى فى التاريخ أن عمر استعمل عتبة بن أبى سفيان على عمل فقدم منه بجمال فقال له ما هذا يا عتبة قال مال خرجت به معى و تجرت فيه قال و ما لك تخرج المال معك إلى هذا الوجه فأخذ المال منه فصيروه فى بيت المال فلما قام عثمان قال لأبى سفيان [صفحہ ۹۸] إنك إن طلبت ما أخذ عمر من عتبة رددته عليك فقال له أبو سفيان إياك و ما هممت به إنك إن خالفت صاحبك قبلك ساء رأى الناس فيك إياك أن ترد على من كان قبلك فإرد عليك من بعدك . و روى الطبرى أيضا أن هند بنت عتبة بن ربيعة قامت إلى عمر فسألته أن يقرضها من بيت المال أربعة آلاف درهم تتجر فيها و تضمونها فخرجت بها إلى بلاد كلب فباعته و اشترت و بلغها أن أباسفيان قد أتى معاوية يستميحه و معه ابنه عمرو بن أبى سفيان فعدلت إليه من بلاد كلب و كان أبو سفيان قد طلقها فقال معاوية ما أقدمك يا أمه قالت النظر إليك يابنى إنه عمر و إنما يعمل لله و قد أتاك أبو ك فخشيت أن تخرج إليه من كل شىء و أهل ذلك هو ولكن لا يعلم عمر من أين أعطيته فيؤنوك و يؤنوك و لا تستقبلها أبدا فبعث معاوية إلى أبيه و أخيه مائة دينار و كساهما و حملهما فسخطها عمر فقال أبو سفيان لا تسخطها فإنها عطاء لم تغب عنه هند و رجع هو و ابنه إلى المدينة فسأله عمر بكم أجازك معاوية فقال بمائة دينار فسكت عمر . و روى الأحنف قال أتى عبد الله بن عمير عمر و هو يقرض الناس فقال يا أمير المؤمنين أقرض لى فلم يلتفت إليه فنخسه فقال عمر حس و أقبل عليه فقال من أنت فقال عبد الله بن عمير و كان أبوه استشهد يوم حنين فقال يا يرفأ أعطه ستمائة فأعطاه ستمائة فلم يقبلها و رجع إلى عمر فأخبره فقال يا يرفأ أعطه [صفحہ ۹۹] ستمائة حلة فأعطاه فلبس الحلة التى كساه عمر ورمى ما كان عليه فقال له خذ ثيابك هذه فلتكن فى مهنة أهلك و هذه لزينتك . و روى إياس بن سلمة عن أبيه قال مر عمر فى السوق و معه الدرّة فخفقتى خفقة فأصاب طرف ثوبى و قال أمط عن الطريق فلما كان فى العام المقبل لقينى فقال يا سلمة أتريد الحج قلت نعم فأخذ بيدي و انطلق بى إلى منزله فأعطانى ستمائة درهم و قال استعن بها على حجك و اعلم أنها بالخفقة التى خفقتك فقلت يا أمير المؤمنين ما ذكرتها قال و أنا مانسيتها . و خطب عمر فقال أيتها الرعية إن لنا عليكم حقا النصيحة بالغيب و المعاونة على الخير إنه ليس من حلم أحب إلى الله و لأعم نفعا من حلم إمام و رفق و ليس من جهل أبغض إلى الله من جهل إمام و خرفه أيها الرعية إنه من يأخذ بالعافية من بين ظهرانيه فوته الله العافية من فوقه . و روى الربيع بن زياد قال قدمت على عمر بجمال من البحرين فصليت معه العشاء ثم سلمت عليه فقال ما قدمت به قلت

خمسمائة ألف قال ويحك إنما قدمت بخمسين ألفا قلت بل خمسمائة ألف قال كم يكون ذلك قلت مائة ألف ومائة ألف ومائة ألف حتى عددت خمسا فقال إنك ناعس ارجع إلى بيتك ثم اغد على فغدوت عليه فقال ماجئت به قلت ماقلته لك قال كم هو قلت خمسمائة ألف قال أطيب هو قلت نعم لأعلم إلا ذلك فاستشار الصحابة فيه فأشير عليه بنصب الديوان فنصبه وقسم المال بين المسلمين فضلت عنده فضله [صفحة ١٠٠] فأصبح فجمع المهاجرين والأنصار وفيهم علي بن أبي طالب وقال للناس ماترون في فضل فضل عندنا من هذا المال فقال الناس يا أمير المؤمنين إنا شغلناك بولاية أمورنا عن أهلك وتجارتك وصنعتك فهو لك فالتفت إلى علي فقال ماتقول أنت قال قد أشاروا عليك قال فقل أنت فقال له لم تجعل يقينك ظنا فلم يفهم عمر قوله فقال لتخرجن مما قلت قال أجل والله لأخرجن منه أتذكر حين بعثك رسول الله ص ساعيا فأتيت العباس بن عبدالمطلب فمنعك صدقته فكان بينكما شيء فجتتما إلى وقتما انطلق معنا إلى رسول الله ص فجتنا إليه فوجدناه خائرا فرجعنا ثم غدونا عليه فوجدناه طيب النفس فأخبرته بالذي صنع العباس فقال لك يا عمر أ ماعلمت أن عم الرجل صنو أبيه فذكرنا له ما رأينا من خثوره في اليوم الأول وطيب نفسه في اليوم الثاني فقال إنكم أتيتم في اليوم الأول وقد بقى عندي من مال الصدقة ديناران فكان ما رأيت من خثوري لذلك وأتيتم في اليوم الثاني وقد وجهتهما فذاك الذي رأيت من طيب نفسى أشير عليك ألا تأخذ من هذا الفضل شيئا وأن تفضه على فقراء المسلمين فقال صدقت والله لأشكرن لك الأولى والأخيرة. وروى أبو سعيد الخدرى قال حججنا مع عمر أول حجة حجها في خلافته فلما دخل المسجد الحرام دنا من الحجر الأسود فقبله واستلمه وقال إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولو لا أنى رأيت رسول الله ص قبلك واستلمك لما قبلتك ولا استلمتك فقال له على بلى يا أمير المؤمنين إنه ليضر وينفع ولوعلمت تأويل ذلك من كتاب الله لعلمت أن الذى أقول لك كما أقول قال الله تعالى وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ قَوْلًا بَلَىٰ فَلَمَّا أَشْهَدَهُمْ وَأَقْرَأُوا لَهُ أَنَّهُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنَّهُمْ الْعَبِيدُ كَتَبَ مِيثَاقَهُمْ فِي رَقٍّ ثُمَّ أَخَذَهُمْ هَذَا الْحَجَرُ وَأَنَّ لَهُ لَعِينِينَ وَلساننا وشفنتين تشهد لمن وافاه بالموافاة فهو أمين الله عز وجل في هذا المكان فقال عمر لا أبقانى الله بأرض لست بها يا أبا الحسن . قلت قد وجدنا في الآثار والأخبار في سيرة عمر أشياء تناسب قوله في هذا الحجر الأسود كما أمر بقطع الشجرة التي بويح رسول الله ص تحتها بيعه الرضوان في عمرة الحديبية لأن المسلمين بعد وفاة رسول الله ص كانوا يأتونها فيقبلون تحتها فلما تكرر ذلك أوعدهم عمر فيها

ثم أمر بهافقطعت . وروى المغيرة بن سويد قال خرجنا مع عمر في حجة حجها فقرأ بنا في الفجر لم تر كيف فعيل ربك بأصحاب الفيل وإيلاف قريش فلما فرغ رأى الناس يبادرون إلى مسجد هناك فقال ما بالهم قالوا مسجد صلى فيه النبي ص و الناس يبادرون إليه فناداهم فقال هكذا هلك أهل الكتاب قبلكم اتخذوا آثار أنبيائهم بيعا من عرضت له صلاة في هذا المسجد فليصل و من لم تعرض له صلاة فليمض . وأتى رجل من المسلمين إلى عمر فقال أنا لمفتحن المدائن أصبنا كتابا فيه علم من علوم الفرس وكلام معجب فدعا بالدره فجعل يضربه بها ثم قرأ نحن نخص عليك أحسن القصص ويقول ويلك أقصص أحسن من كتاب الله إنما هلك - قرآن - ٦٠١ - ٦٤٩ - قرآن - ٦٥٢ - ٦٦٨ - قرآن - ١٠٦٧ - ١١٠٣ [صفحہ ١٠٢] من كان قبلكم لأنهم أقبوا على كتب علمائهم وأساقفتهم وتركوا التوراة والإنجيل حتى درسا وذهب ما فيهما من العلم . وجاء رجل إلى عمر فقال إن ضييعا التميمي لقينا يا أمير المؤمنين فجعل يسألنا عن تفسير حروف من القرآن فقال اللهم أمكني منه فيينا عمر يوما جالس يغدى الناس إذ جاءه الضييع و عليه ثياب وعمامة فتقدم فأكل حتى إذا فرغ قال يا أمير المؤمنين مامعنى قوله تعالى و الذاريات ذروا فالحاملات وقرأ قال ويحك أنت هوفقام إليه فحسر عن ذراعيه فلم يزل يجلده حتى سقطت عمامته فإذا له ضفيران فقال و الذى نفس عمر بيده لو وجدتك مخلوقا لضربت رأسك ثم أمر به فجعل فى بيت ثم كان يخرج كل يوم فيضربه مائة فإذا برأ أخرجه فضربه مائة أخرى ثم حملة على قتب وسيره إلى البصرة وكتب إلى أبى موسى يأمره أن يحرم على الناس مجالسته و أن يقوم فى الناس خطيبا ثم يقول إن ضييعا قدابتغى العلم فأخطأه فلم يزل وضييعا فى قومه و عند الناس حتى هلك و قد كان من قبل سيد قومه . و قال عمر على المنبر ألا إن أصحاب الرأى أعداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فأفتوا بأرائهم فضلوا وأضلوا ألا إنا نقتدى و لا نبتدى ونتبع و لا نبتدع إنه ماضل متمسك بالأثر وروى زيد بن أسلم عن أبيه قال سمعت عمر يقول فى الحج فيم الرملان الآن والكشف عن المناكب و قد أظهر الله الإسلام ونفى الكفر وأهله و مع ذلك لاندع شيئا كنا نفعله على عهد رسول الله ص . - قرآن - ٣٨٥ - ٤٢٥ [صفحہ ١٠٣] مر عمر برجل فسلم عليه فرد عليه فقال ما اسمك قال جمره قال أبو من قال أبوشهاب قال ممن قال من الحرقة قال وأين مسكنك قال بحرة النار قال بأيتها قال بذات لظى فقال ويحك أدرك أهلك فقد احترقوا فمضى عليهم فوجدهم قد احترقوا . وروى الليث بن سعد قال أتى عمر بفتى أمرد قد وجد قتيلا ملقى على وجه الطريق فسأل عن أمره واجتهد فلم يقف له على خبر فشق عليه فكان يدعو و يقول اللهم أظفرنى بقاتله حتى إذا كان رأس الحول أوقريبا من ذلك وجد طفل مولود ملقى فى موضع ذلك القتل فأتى به عمر فقال ظفرت بدم القتل إن شاء الله تعالى فدفع الطفل إلى امرأة و قال لها قومي بشأنه وخذى منا نفقته وانظرى من يأخذه منك فإذا وجدت امرأة تقبله وتضمه إلى صدرها فأعلمينى مكانها فلما شب الصبى جاءت جارية فقالت للمرأة إن سيدتى بعثتنى إليك لتبعنى إليها بهذا الصبى فتراه وترده إليك قالت نعم اذهبي به إليها و أنا معك فذهبت بالصبى حتى دخلت على امرأة شابة فأخذت الصبى فجعلت تقبله وتفديه وتضمه إليها و إذاهى بنت شيخ من الأنصار من أصحاب رسول الله ص فجاءت المرأة وأخبرت عمر فاشتمل على سيفه وأقبل إلى منزلها فوجد أباهما متكئا على الباب فقال له ما الذى تعلم من حال ابنتك قال أعرف الناس بحق الله وحق أبيها مع حسن صلاتها وصيامها والقيام بدينها فقال إني أحب أن أدخل إليها وأزيدها رغبة فى الخير فدخل الشيخ ثم خرج فقال ادخل يا أمير المؤمنين فدخل وأمر أن يخرج كل من فى الدار إلا أباهما ثم سألهما عن الصبى فلجلجت فقال لتصديقنى ثم انتضى السيف فقالت على رسلك يا أمير المؤمنين فو الله لأصدقنك إن عجوزا كانت تدخل على فاتخذتها أما وكانت تقوم فى أمرى بما تقوم به الوالدة و أنا لها بمنزلة البنت [صفحہ ١٠٤] فمكثت كذلك حينما ثم قالت إنه قد عرض لى سفر و لى بنت أتخوف عليها بعدى الضيعة و أنا أحب أن أضمها إليك حتى أرجع من سفرى ثم عمدت إلى ابن لها أمرد فهياتة وزينته كما تزين المرأة وأتنتى به و لأشك أنه جارية فكان يرى منى ماترى المرأة من المرأة فاغتفلنى يوما و أنا نائمة فما شعرت به حتى علانى وخالطنى فمددت يدي إلى شفرة كانت عندى فقتلته

ثم أمرت به فألقى حيث رأيت فاشتملت منه على هذا الصبي فلما وضعته ألقيته في موضع أبيه هذا والله خبرهما على ما أعلمتكم فقال عمر صدقت بارك الله فيك ثم أوصاها ووعظها وخرج و كان عمر يقول لو أدركت عروة وعفراء لجمعت بينهما. ذكر عمرو بن العاص يوماً عمر فترحم عليه وقال ما رأيت أحداً أتقى منه ولا أعمل بالحق منه لا يبالي على من وقع الحق من ولد أو والد إنى لفى منزلى بمصر ضحى إذ أتاني آت فقال قدم عبد الله و عبد الرحمن ابنا عمر غازيين فقلت أين نزلا قال في موضع كذا لأقصى مصر وقد كان عمر كتب إلى إياك و أن يقدم عليك أحد من أهل بيتي فتجيزه أو تحبوه بأمر لا تصنعه بغيره فافعل بك ما أنت أهله فضقت ذرعاً بقدميهما ولا أستطيع أن أهدي لهما ولا أن آتيهما في منزلهما خوفاً من أبيهما فوالله إنى لعلى ما أنا عليه و إذا قائل يقول هذا عبد الرحمن بن عمر بالبواب و أبوسروعة يستأذنان عليك فقلت يدخلان فدخلوا وهما منكسران فقالا أقم علينا حد الله فإننا أصبنا الليلة شراباً فسكرنا فزبرتهما و طردتهما و قلت ابن أمير المؤمنين و آخر معه من أهل بدر فقال عبد الرحمن إن لم تفعل أخبرت أبى إذ أقدمت عليه أنك لم تفعل فعلمت أنى إن لم أقم عليهما الحد غضب عمر و عزلنى فنحن على مانحن عليه [صفحة ١٠٥] إذ دخل عبد الله بن عمر فقمت إليه و رحبت به و أردت أن أجلسه فى صدر مجلسى فأبى على و قال إن أبى نهانى أن أدخل عليك إلا أأجد من الدخول بدا و إنى لم أجد من الدخول عليك بدا إن أخى لا يحلق على رءوس الناس أبداً فأما الضرب فاصنع ما بدا لك قال و كانوا يحلقون مع الحد فأخرجتهما إلى صحن الدار و ضربتهما الحد و دخل عبد الله بن عمر بأخيه عبد الرحمن إلى بيت من الدار فحلق رأسه و حلق أباسروعة و الله ما كتبت إلى عمر بحرف مما كان و إذا كتبه قد ورد من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى العاصى ابن العاصى عجت لك يا ابن العاصى و لجرأتك على و مخالفتك عهدى أما إنى خالفت فيك أصحاب بدر و من هو خير منك و اخترتك و أنت الخامل و قدمتك و أنت المؤخر و أخبرنى الناس بجرأتك و خلافك و أراك كما أخبروا و ما أرانى إلا عازلك فمسىء عزلك و يحك تضرب عبد الرحمن بن عمر فى داخل بيتك و تحلق رأسه فى داخل بيتك و قد عرفت أن فى هذا مخالفتى و إنما عبد الرحمن رجل من رعيتك تصنع به ما تصنع بغيره من المسلمين ولكن قلت هو ولد أمير المؤمنين و قد عرفت ألا هوادة لأحد من الناس عندى فى حق يجب لله عز و جل فإذا جاءك كتابى هذا فابعث به فى عباءة على قتب حتى يعرف سوء ما صنع قال فبعثت به كما قال أبوه و أقرأت أخاه عبد الله كتاب أبيهما و كتبت إلى عمر كتاباً أعتذر فيه و أخبرته أنى ضربته فى صحن الدار و حلفت بالله الذى لا يحلف بأعظم منه أنه الموضع الذى أقيم فيه الحدود على المسلم و الذى وبعثت بالكتاب مع عبد الله بن عمر فذكر أسلم مولى عمر قال قدم عبد الله بأخيه عبد الرحمن على أبيهما فدخل عليه فى عباءة و هو لا يقدر على المشى من مركبه فقال يا عبد الرحمن فعلت و فعلت السياط السياط فكلمه [صفحة ١٠٦] عبد الرحمن بن عوف و قال يا أمير المؤمنين قد أقيم عليه الحد مرة فلم يلتفت إليه و زبره فأخذته السياط و جعل يصيح أنا مريض و أنت و الله قاتلى فلم يرق له حتى استوفى الحد و حبسه ثم مرض شهراً و مات . و روى الزبير بن بكار قال خطب عمر أم كلثوم بنت على ع فقال له إنها صغيرة فقال زوجنيها يا أبا الحسن فإنى أرصد من كرامتها ما لا يرصده أحد فقال أنا أبعثها إليك فإن رضيتها زوجتكها فبعثها إليه ببرد و قال لها قولى هذا البرد الذى ذكرته لك فقالت له ذلك فقال قولى له قدر ضيئته رضى الله عنك و وضع يده على ساقها فقالت له أتفعل هذا لو لا أنك أمير المؤمنين لكسرت أنفك ثم جاءت أباهما فأخبرته الخبر وقالت بعثتنى إلى شيخ سوء قال مهلاً يا بنية إنه زوجك فجاء عمر إلى مجلس المهاجرين فى الروضة و كان يجلس فيها المهاجرون الأولون فقال رفئونى رفئونى قالوا بما ذا يا أمير المؤمنين قال تزوجت أم كلثوم بنت على بن أبى طالب سمعت رسول الله ص يقول كل سب و نسب و صهر ينقطع يوم القيامة إلا سبى و نسبى و صهرى -رواية ١- ٢-رواية ٢٩- ٩١. و كتب عثمان إلى أبى موسى إذا جاءك كتابى هذا فأعط الناس أعطياتهم و أحمل ما بقى إلى ففعل و جاء زيد بن ثابت بالمال فوضعه بين يدى عثمان فجاء ابن لعثمان فأخذ منه أستناداً من فضة فمضى بها فبكى زيد قال عثمان ما يبكيك قال أتيت عمر مثل ما أتيتك به فجاء ابن له فأخذ

درهما فأمر به فانتزع منه حتى أبكى [صفحة ١٠٧] الغلام و أن ابنك قد أخذ هذه فلم أر أحدا قال شيئا فقال عثمان إن عمر كان يمنع أهله وقرابته ابتغاء وجه الله و أنا أعطى أهلى وأقاربي ابتغاء وجه الله ولن تلقى مثل عمر وروى إسماعيل بن خالد قال قيل لعثمان ألا تكون مثل عمر قال لا أستطيع أن أكون مثل لقمان الحكيم. ذكرت عائشة عمر فقالت كان أجودنا نسيج وحده قد أعد للأموال أقرانها. جاء عبد الله بن سلام بعد أن صلى الناس على عمر فقال إن كنتم سبقتموني بالصلاة عليه فلا تسبقوني بالثناء عليه ثم قال نعم أخو الإسلام كنت يا عمر جوادا بالحق بخيلا- بالباطل ترضى حين الرضا وتسخط حين السخط لم تكن مداحا و لامعيا با طيب الطرف عفيف الطرف . وروى جويرية بن قدامة قال دخلت مع أهل العراق على عمر حين أصيب فرأيتة قد عصب بطنه بعمامة سوداء والدم يسيل فقال له الناس أوصنا فقال عليكم بكتاب الله فإنكم لن تضلوا ما تبعتموه فأعدنا القول عليه ثانية أوصنا قال أوصيكم بالمهاجرين فإن الناس سيكثرون ويقلون وأوصيكم بالأنصار فإنهم شعب الإسلام الذى لجأ إليه وأوصيكم بالأعراب فإنهم أصلكم الذى لجأتم إليه ومأواكم وأوصيكم بأهل الذمة فإنهم عهد نبيكم ورزق عيالكم قوموا عنى. [صفحة ١٠٨] فلم أحفظ من كلامه إلا هذه الكلمات . وروى عمرو بن ميمون قال سمعت عمر و هو يقول وقد أشار إلى الستة و لم يكلم أحدا منهم إلا- على بن أبى طالب وعثمان ثم أمرهم بالخروج فقال لمن كان عنده إذا اجتمعوا على رجل فمن خالف فلتضرب رقبتة ثم قال إن يولوها الأجلح يسلك بهم الطريق فقال له قائل فما يمنعك من العهد إليه قال أكره أن أتحملها حيا وميتا

خطب عمر الطوال

وقال الجاحظ فى كتاب البيان والتبيين لم يكن عمر من أهل الخطب الطوال و كان كلامه قصيرا وإنما صاحب الخطب الطوال على بن أبى طالب ع . و قد وجدت أنال عمر خطبا فيها بعض الطول ذكرها أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى التاريخ . فمنها خطبة خطب بها حين ولى الخلافة وهى بعد حمد الله والثناء عليه و على رسوله أيها الناس إني وليت عليكم و لو لارجاء أن أكون خيركم لكم وأقواكم عليكم وأشدكم استضلاعا بما ينوب من مهم أموركم ما توليت ذلك منكم ولكفى عمر فيها مجزى العطاء موافقة الحساب بأخذ حقوقكم كيف أخذها ووضعها أين أضعها [صفحة ١٠٩] وبالسير فيكم كيف أسير فربى المستعان فإن عمر لم يصبح يثق بقوة و لاحيلة إن لم يتداركه الله برحمته وعونه . أيها الناس إن الله قد ولانى أمركم و قد علمت أنفع مالكم وأسأل الله أن يعينى عليه و أن يحرسنى عنده كما حرسنى عند غيره و أن يلهمنى العدل فى قسمكم كالذى أمر به فإني امرؤ مسلم و عبد ضعيف إلا ما أعان الله ولن يغير الذى وليت من خلافتكم من خلقى شيئا إن شاء الله إنما العظمة لله و ليس للعباد منها شىء فلا يقولن أحدكم إن عمر تغير منذ ولى و إني أعقل الحق من نفسى وأتقدم وأبين لكم أمرى فأيا رجل كانت له حاجة أو ظلم مظلمة أو عتب علينا فى خلق فليؤذنى فإنما أنا رجل منكم فعليكم بتقوى الله فى سرركم وعلانيتكم وحرمانكم وأعراضكم وأعطوا الحق من أنفسكم و لا يحمل بعضكم بعضا على ألا- تتحاكموا إلى فى أنه ليس بينى و بين أحد هوادة و أنا حبيب إلى صلاحكم عزيز على عنتكم وأنتم أناس عامتكم حضر فى بلاد الله و أهل بلد لا زرع فيه و لا ضرع إلا ما جاء الله به إليه و إن الله عز و جل قد وعدكم كرامة كبيرة و أنا مسئول عن أمانتى و ما أنا فيه و مطلع على ما يحضرنى بنفسى إن شاء الله لاأكله إلى أحد و لا أستطيع ما بعد منه إلا بالأمناء و أهل النصح منكم للعامة و لست أحمل أمانتى إلى أحد سواهم إن شاء الله . وخطب عمر مرة أخرى فقال بعد حمد الله والصلاة على رسول الله ص [صفحة ١١٠] أيها الناس إن بعض الطمع فقر و إن بعض اليأس غنى وإنكم تجمعون ما لا تأكلون و تؤملون ما لا تدركون وأنتم مؤجلون فى دار غرور و قد كنتم على عهد رسول الله ص تؤخذون بالوحي و من أسر شيئا أخذ بسريرته و من أعلن شيئا أخذ بعلايته فأظهروا لنا حسن أخلاقكم و الله أعلم بالسرائر فإنه من أظهر لنا قبيحا وزعم أن سريرته حسنة لم نصدقه و من أظهر لنا علانية حسنة ظننا به حسنا و اعلموا أن بعض الشح شعبة من النفاق فأنفقوا خيرا

لأنفسكم و من يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون .أيها الناس أطيعوا ميثاكم وأصلحوا أموركم واتقوا الله ربكم ولا تلبسوا نساءكم القبايطى فإنه إن لم يشف فإنه يصف .أيها الناس إنى لوددت أن أنجو كفافا لالى ولا على إنى لأرجو أن عمرت فيكم يسيرا أو كثيرا أن أعمل فيكم بالحق إن شاء الله وألا يبقى أحد من المسلمين وإن كان فى بيته إلا آتاه حقه ونصيبه من مال الله وإن لم يعمل إليه نفسه ولم ينصب إليه بدنه فأصلحوا أموالكم التى رزقكم الله فقليل فى رفق خير من كثير فى عنف . واعلموا أن القتل حتف من الحتوف يصيب البر والفاجر والشهيد من احتسب نفسه وإذا أراد أحدكم بعيرا فليعمد إلى الطويل العظيم فليضربه بعضاه فإن وجده حديد الفؤاد فليشتره . وخطب عمر مرة أخرى فقال [صفحہ ۱۱۱] إن الله سبحانه قد استوجب عليكم الشكر واتخذ عليكم الحجج فيما آتاكم من كرامة الدنيا والآخرة من غير مسألة منكم ولا رغبة منكم فيه إليه فخلقكم تبارك وتعالى ولم تكونوا شيئا لنفسه وعبادته وكان قادرا أن يجعلكم لأهون خلقه عليه فجعلكم عامة خلقه ولم يجعلكم لشيء غيره وسخر لكم ما فى السموات والأرض وأسبح عليكم نعمه ظاهرة وباطنة وحملكم فى البر والبحر ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ثم جعل لكم سمعا وبصرا ومن نعم الله عليكم نعم عم بهابنى آدم ومنها نعم اختص بها أهل دينكم ثم صارت تلك النعم خواصها فى دولتكم وزمانكم وطبقتكم وليس من تلك النعم نعمه وصلت إلى امرئ خاصة إلا لوقستم ما وصل منها بين الناس كلهم أتعبهم شكرها وفدحهم حقها إلا بعون الله مع الإيمان بالله ورسوله فأنتم مستخلفون فى الأرض قاهرون لأهلها قد نصر الله دينكم فلم تصبح أمة مخالفة لدينكم إلا أمتين أمة مستعبدة للإسلام وأهله يتجرون لكم تستصفون معاشهم وكدائهم وشرح جباههم عليهم المئونة ولكم المنفعة وأمة تنتظر وقائع الله وسطواته فى كل يوم وليلة قد ملأ الله قلوبهم رعبا فليس لهم معقل يلجئون إليه ولا مهرب يتقون به قد دهمتهم جنود الله ونزلت بساحتهم مع رفاغة العيش واستفاضة المال وتتابع البعوث وسد الثغور بإذن الله فى العافية الجليلة العامة التى لم تكن الأمة على أحسن منها منذ كان الإسلام والله المحمود مع الفتوح العظام فى كل بلد فما عسى أن يبلغ شكر الشاكرين وذكر الذاكرين واجتهاد المجتهدين مع هذه النعم التى لا يحصى عددها ولا يقدر قدرها ولا يستطيع أداء حقها إلا بعون الله ورحمته ولطفه فنسأل الله الذى أبلانا هذا أن يرزقنا العمل بطاعته والمسارعة إلى مرضاته واذكروا عباد الله بلاء الله عندكم واستتموا نعمه الله عليكم وفى مجالسكم مشنى وفرادى فإن الله تعالى قال لموسى [صفحہ ۱۱۲] أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَالَ لِمُحَمَّدٍ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَوْ كُنْتُمْ مُسْتَضْعَفِينَ محرومين خير الدنيا على شعبة من الحق تؤمنون بها وتستريحون إليها مع المعرفة بالله وبدينه وترجون الخير فيما بعد الموت ولكنكم كنتم أشد الناس عيشة وأعظم الناس جهالة فلو كان هذا الذى ابتلاكم به لم يكن معه حظ فى دنياكم غير أنه ثقة لكم فى آخرتكم التى إليها المعاد والمنقلب وأنتم من جهد المعيشة على ما كنتم عليه كنتم أحرىء إن تشحوا على نصيبكم منه وإن تظهروه على غيره فبله أما إنه قد جمع لكم فضيلة الدنيا وكرامة الآخرة أو لمن شاء أن يجمع ذلك منكم فأذكركم الله الحائل بينكم وبين قلوبكم إلا ما عرفتم حق الله وعملت له وسيرتم أنفسكم على طاعته وجمعتم مع السرور بالنعم خوفا لزوالها وانتقالها ووجلا من تحويلها فإنه لا شىء أسلب للنعمة من كفرانها وأن الشكر أمن للغير ونماء للنعمة واستجلاب للزيادة وهذا على فى أمركم ونهيككم واجب إن شاء الله -قرآن- ۱-۷۳-قرآن- ۸۹-۱۴۴ وروى أبو عبيدة معمر بن المثنى فى كتاب مقاتل الفرسان قال كتب عمر إلى سلمان بن ربيعة الباهلى أو إلى النعمان بن مقرن أن فى جندك رجلين من العرب عمرو بن معديكرب وطليحة بن خويلد فأحضرهما الناس وأدبهما وشاورهما فى الحرب وابعثهما فى الطلائع ولا تولهما عملا من أعمال المسلمين وإذا وضعت الحرب أوزارها فضعهما حيث وضعا أنفسهما قال وكان عمرو ارتد وطليحة تنبأ . [صفحہ ۱۱۳] وروى أبو عبيدة أيضا فى هذا الكتاب قال قدم عمرو بن معديكرب والأجلح بن وقاص الفهمى على عمر فأتياه وبين يديه مال يوزن فقال متى قدمتما قال- يوم الخميس قال فما حبسكما عنى قال شغلنا المنزل يوم قدمنا ثم كانت الجمعة ثم غدونا عليك اليوم فلما فرغ من وزن

المال نحاه وأقبل عليهما فقال هيه فقال عمرو بن معديكرب يا أمير المؤمنين هذا الأجلح بن وقاص الشديد المرء البعيد الغرة الوشيك الكرة و الله مارأيت مثله حين الرجال صارح ومصروع و الله لكأنه لايموت فقال عمر للأجلح وأقبل عليه و قد عرف الغضب في وجهه هيه ياأجلح فقال الأجلح يا أمير المؤمنين تركت الناس خلفي صالحين كثيرا نسلهم داره أرزاقهم خصبة بلادهم أجرياء على عدوهم فأكلوا عدوهم عنهم فسميتع الله بك فما رأينا مثلك إلا من سبقك فقال مامنعك أن تقول في صاحبك مثل ما قال فيك قال مارأيت من وجهك قال أصبت أما إنك لو قلت فيه مثل الذي قال فيك لأوجعتكما ضربا وعقوبة فإذا تركت لنفسك فساتركه لك و الله لوددت لو سلمت لكم حالكم ودامت عليكم أموركم أما إنه سيأتي عليك يوم تعضه وينهشك وتهره وينحكك ولست له يومئذ و ليس لك فإن لا يكن بعدكم فما أقربه منكم . لمأسر الهرمزان صاحب الأهواز وتستر وحمل إلى عمر حمل ومعه رجال من المسلمين فيهم الأحنف بن قيس وأنس بن مالك فأدخلوه في المدينة في هيئته و عليه تاجه الذهب وكسوته فوجدوا عمر نائما في جانب المسجد فجلسوا عنده ينتظرون انتباهه فقال الهرمزان أين عمر فقالوا هوذا قال وأين حراسه وحجابه قالوا لا حارس له و لا حاجب قال فينبغي أن يكون هذانبا قالوا إنه يعمل عمل الأنبياء. [صفحة ١١٤] فاستيقظ عمر فقال الهرمزان قالوا نعم قال لاأكلمه حتى لا يبقى عليه من حليته شىء فرموا بالحليء وألبسوه ثوبا ضعيفا فقال عمر ياهرمزان كيف رأيت وبال الغدر و قد كان صالح المسلمين مرة ثم نكث فقال ياعمر إنا وإياكم فى الجاهلية كنا نغلبكم إذ لم يكن الله معكم و لامعنا فلما كان الله معكم غلبتمونا قال فما عذررك فى انتقاضك مرة بعد مرة قال أخاف إن قلت أن تقتلنى قال لا بأس عليك فأخبرنى فاستسقى ماء فأخذه وجعلت يده ترعد قال ما لك قال أخاف أن تقتلنى و أنا شرب قال لا بأس عليك حتى تشربه فألقاه من يده فقال ما بالك أعيديا عليه الماء و لا تجمعوا عليه بين القتل والعطش قال كيف تقتلنى و قد أمنتنى قال كذبت قال لم أكذب فقال أنس صدق يا أمير المؤمنين قال ويحك يا أنس أناؤمن قاتل مجزأة بن ثور والبراء بن مالك و الله لتأينى بالمخرج أولأعاقبك قال إنك قلت لا بأس عليك حتى تخبرنى و لا بأس عليك حتى تشرب و قال له ناس من المسلمين مثل قول أنس فأقبل على الهرمزان فقال تخدعنى و الله لا تخدعنى إلا أن تسلم فأسلم ففرض له ألفين وأنزله المدينة. بعث عمر عمير بن سعيد الأنصارى عاملا على حمص فمكث حولا لا يأتيه خبره ثم كتب إليه بعد حوال إذا أتاك كتابى هذا فأقبل واحمل ماجبيت من مال المسلمين فأخذ عمير جرابه وجعل فيه زاده وقصعته وعلق أدواته وأخذ عنزته وأقبل ماشيا من حمص حتى دخل المدينة و قد شحبه لونه واغبر وجهه وطال شعره فدخل على عمر فسلم فقال عمر ماشأنك ياعمير قال ماترى من شأنى ألتست ترانى صحيح البدن ظاهر الدم معى الدنيا أجرها بقرنيها قال و مامعك فظن عمر أنه قد جاء [صفحة ١١٥] بمال قال معى جرابى أجعل فيه زادى وقصعتى آكل فيها وأغسل منها رأسى وثيابى وأداتى أحمل فيها وضوئى و شرابى وعزتى أتوكأ عليها وأجاهد بهاعدوا إن عرض لى قال عمر أفجئت ماشيا قال نعم لم يكن لى دابة قال أفما كان فى رعيتك أحد يتبرع لك بدابة تركبها قال مافعلوا و لا سألتهم ذلك قال عمر بنس المسلمون خرجت من عندهم قال عمير اتق الله ياعمر و لا تقل إلا خيرا قد نهاك الله عن الغيبة و قدرأيتهم يصلون قال عمر فما ذا صنعت فى إمارتك قال و ماسؤالك قال سبحان الله قال أما إنى لو لا أخشى أن أعمل ما أخبرتك أتيت البلد فجمعت صلحاء أهله فوليتهم جبايته ووضعه فى موضعه و لو أصابك منه شىء لأتاك قال أفما جئت بشىء قال لا فقال جددوا لعمير عهدا قال إن ذلك لشىء لا أعمله بعد لك و لا لأحد بعدك و الله ماكدت أسلم بل لم أسلم قلت لنصرانى معاهد أخزاک الله فهذا ما عرضتلى له ياعمر إن أشقى أيامى ليوم صحبتك ثم استأذنه فى الانصراف فأذن له ومنزله بقباء بعيدا عن المدينة فأمهله عمر أياما ثم بعث رجلا يقال له الحارث فقال انطلق إلى عمير بن سعد و هذه مائة دينار فإن وجدت عليه أثرا فأقبل على بها و إن رأيت حالا شديدة فادفع إليه هذه المائة فانطلق الحارث فوجد عميرا جالسا يفلى قميصا له إلى جانب حائط فسلم عليه فقال عمير انزل رحمك الله فنزل فقال من أين جئت قال من المدينة قال كيف تركت أمير المؤمنين

قال صالحا قال كيف تركت المسلمين قال صالحين قال أليس عمر يقيم الحدود قال بلى ضرب ابنا له على فاحشاً فمات من ضربه فقال عمير ألهم أعن عمر فياني لا أعلمه إلا شديدا حبه لك قال فنزل به ثلاثه أيام و ليس لهم إلا قرص من شعير كانوا يخصونه كل يوم به ويطوون حتى نالهم الجهد فقال له عمير إنك قد أجمعنا فإن رأيت أن تتحول عنا فافعل فأخرج الحارث الدناير فدفعها إليه و قال بعث بها أمير المؤمنين فاستغن بها فصاح و قال ردها لا حاجة لي فيها فقالت المرأة خذها [صفحہ ۱۱۶] ثم وضعها في موضعها فقال ما لي شيء أ جعلها فيه فشقت أسفل درعها فأعطته خرقة فشدتها فيها ثم خرج فقسمها كلها بين أبناء الشهداء والفقراء فجاء الحارث إلى عمر فأخبره فقال رحم الله عميرا ثم لم يلبث أن هلك فعظم مهلكه على عمر و خرج مع رهط من أصحابه ماشين إلى بقيع الغرقد فقال لأصحابه ليتمنين كل واحد منا أمنيته فكل واحد تمنى شيئا وانتهت الأمانة إلى عمر فقال وددت أن لي رجلا مثل عمير بن سعد أستعين به على أمور المسلمين

نبد من كلام عمر

و من كلام عمر إياكم و هذه المجازر فإن لها ضراوة كضراوة الخمر. و قال إياكم والراحة فإنها غفلة. و قال السمن غفلة. و قال لا تسكنوا نساءكم الغرف و لا تعلموهن الكتابة و استعينوا عليهن بالعرى و عودوهن قول لا فإن نعم تجربهن على المسألة. و قال تبين عقل المرء في كل شيء حتى في علقته فإذا رأيت يتوقى على نفسه الصبر عن شهوته و يحتمى من مطعمه و مشربه عرفت ذلك في عقله و ما سألتني رجل عن شيء قط إلا تبين لي عقله في ذلك. و قال إن للناس حدودا و منازل فأنزلوا كل رجل منزلته و وضعوا كل إنسان في حده و احملوا كل امرئ بفعله على قدره. و قال اعتبروا عزيمة الرجل بحميته و عقله بمتاع بيته قال أبو عثمان الجاحظ لأنه [صفحہ ۱۱۷] ليس من العقل أن يكون فرشه لبدا و مرقعته طرية. و قال من يئس من شيء استغنى عنه و عز المؤمن استغناؤه عن الناس. و قال لا يقوم بأمر الله إلا من لا يصانع و لا يصارع و لا يتبع المطامع. و قال لا تضعفوا همتمكم فياني لم أر شيئا أقعد برجل عن مكرمة من ضعف همته و وعظ رجلا فقال لا تلهك الناس عن نفسك فإن الأمور إليك تصل دونهم و لا تقطع النهار سادرا فإنه محفوظ عليك فإذا أسأت فأحسن فياني لم أر شيئا أشد طلبا و لا أسرع إدراكا من حسنة حديثه لذنب قديم. و قال احذر من فلتات السباب و كل ما أورثك النبز و أعلقك اللقب فإنه إن يعظم بعده شأنك يشتد على ذلك ندمك. و قال كل عمل كرهت من أجله الموت فاتركه ثم لا يضرك متى مت. و قال أقلل من الدين تعش حرا و أقلل من الذنوب يهن عليك الموت و انظر في أي نصاب تضع ولدك فإن العرق دساس. و قال ترك الخطيئة أسهل من معالجة التوبة. و قال احذروا النعمة حذركم المعصية و هي أخفهما عليكم عندى. و قال احذروا عاقبة الفراغ فإنه أجمع لأبواب المكروه من السكر. و قال أجود الناس من يجود على من لا يرجو ثوابه و أحلمهم من عفا بعد القدرة و أبخلهم من بخل بالسلام و أعجزهم من عجز في دعائه. و قال رب نظرة زرعت شهوة و رب شهوة أورثت حزنا دائما. [صفحہ ۱۱۸] و قال ثلاث خصال من لم تكن فيه لم ينفعه الإيمان حلم يرد به جهل الجاهل و ورع يحجزه عن المحارم و خلق يدارى به الناس

أخبار عمر مع عمرو بن معديكرب

وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتاب مقاتل الفرسان أن سعد بن أبي وقاص أوفد عمرو بن معديكرب بعد فتح القادسية إلى عمر فسأله عمر عن سعد كيف تركته وكيف رضا الناس عنه فقال يا أمير المؤمنين هولهم كالأب يجمع لهم جمع الذرة أعرابي

في نمرته أسد في تامورته نبطي في جبايته يقسم بالسوية ويعدل في القضية وينفر في السرية. و كان سعد كتب يثنى على عمرو فقال عمر لكأنما تعاوضتما الثناء كتب يثنى عليك و قدمت تثنى عليه فقال لم أثن إلا بما رأيت قال دع عنك سعدا وأخبرني عن مدحج قومك . قال في كل فضل وخير قال ماقولك في علمه بن خالد قال أولئك فوارس أعراضنا أحننا طلبا وأقلنا هربا قال فسعد العشيرة قال أعظمتنا خميسا وأكبرنا رئيسا وأشدنا شريسا قال فالحارث بن كعب قال حكمه لاترام قال فمراد قال الأتقياء البررة والمساعير الفجرة ألزمتنا قرارا وأبعدنا آثارا. [صفحہ ۱۱۹] قال فأخبرني عن الحرب قال مرة المذاق إذقلصت عن ساق من صبر فيها عرف و من ضعف عنها تلف وإنها لكما قال الشاعر الحرب أول ماتكون فتية || تسعى بزيتها لكل جهول حتى إذا استعرت وشب ضرامها || عادت عجوزا غير ذات حليل شمطاء جزت رأسها وتنكرت || مكروهه للشم والتقييل . قال فأخبرني عن السلاح قال سل عما شئت منه قال الرمح قال أخوك وربما خانك قال النبل قال منايا تخطئ وتصيب قال الترس قال ذاك المجن و عليه تدور الدوائر قال الدرع قال مشغلة للراكب متعبة للراجل وإنها لحصن حصين قال السيف قال هناك قارعت أمك الهبل قال بل أمك قال بل أمي والحمى أضرعتني لك . عرض سليمان بن ربيعة الباهلي جنده بأرمينية فكان لايقبل من الخيل إلاعتيقا فمر عمرو بن معديكرب بفرس غليظ فرده و قال هذاهجين قال عمرو إنه ليس بهجين ولكنه غليظ قال بل هوهجين فقال عمرو إن الهجين ليعرف الهجين فكتب بكلمته إلى عمر فكتب إليه أما بعد يا ابن معديكرب فإنك القائل لأميرك ما قلت فإنه بلغني أن عندك سيفا تسميه الصمصامة و أن عندى سيفا أسميه مصمما وأقسم بالله لئن وضعت بين أذنيك لايقلع حتى يبلغ قحفك . [صفحہ ۱۲۰] وكتب إلى سليمان بن ربيعة يلومه في حلمه عنه فلما قرأ عمرو الكتاب قال من ترونه يعنى قالوا أنت أعلم قال هددني بعلي و الله و قد كان صلى بناره مرة في حياة رسول الله ص وأفلت من يده بجريعة الذقن و ذلك حين ارتدت مدحج و كان رسول الله ص أمر عليها فروة بن مسيك المرادى فأساء السيرة وناذ عمرو بن معديكرب ففارقه في كثير من قبائل مدحج فاستجاش فروة عليه وعليهم رسول الله ص فأرسل خالد بن سعيد بن العاص في سرية وخالد بن الوليد بعده في سرية ثانية و على بن أبي طالب ع في سرية ثالثة وكتب إليهم كل واحد منكم أمير من معه فإذااجتمعتم فعلى أمير على الكل فاجتمعوا بموضع من أرض اليمن يقال له كسر فاقتتلوا هناك وصد عمرو بن معديكرب لعلى ع و كان يظن أن لايشب له أحد من شجعان العرب فثبت له فعلا عليه وعابن منه ما لم يكن يحتسبه ففر من بين يديه هاربا ناجيا بحشاشة نفسه بعد أن كاد يقتله وفر معه رؤساء مدحج وفرسانهم وغنم المسلمون أموالهم وسييت ذلك اليوم ريحانة بنت معديكرب أخت عمرو فأدى خالد بن سعيد بن العاص فداءها من ماله فأصابه عمرو أخوها الصمصامة فلم يزل ينتقل في بنى أمية ويتداولونه واحدا بعدواحد حتى صار إلى بنى العباس في أيام المهدي محمد بن المنصور أبي جعفر

فصل فيما نقل عن عمر من الكلمات الغريبة

فأما ما نقل عن عمر من الألفاظ الغريبة اللغوية التي شرحها المفسرون فنحن نذكر من ذلك ما يليق بهذا الكتاب . [صفحہ ۱۲۱] قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تاريخه روى عبدالرحمن بن أبي زيد عن عمران بن سوذة الليثي قال صليت الصبح مع عمر فقرأ سبحان وسورة معها ثم انصرف فقلت معه فقال أحاجة قلت حاجة قال فالحق فلحقت فلما دخل أذن فإذا هو على رمال سرير ليس فوقه شيء فقلت نصيحة قال مرحبا بالناصح غدوا وعشيا قلت عابت أمتك أو قال رعيتك عليك أربعا قال فوضع عود الدرّة ثم ذقن عليها هكذا روى ابن قتيبة و قال أبو جعفر فوضع رأس درته في ذقنه ووضع أسفلها على فخذه و قال هات قال ذكروا أنك حرمت المتعة في أشهر الحج وزاد أبو جعفر وهي حلال و لم يحرمها رسول الله ص ولا أبو بكر فقال أجل إنكم

إذا اعتمرتم في أشهر حجكم رأيتموها مجزئة عن حجكم ففرع حجكم وكانت قابضة قوب عامها والحج بهاء من بهاء الله و قد أصبت قال وذكروا أنك حرمت متعة النساء و قد كان رخصه من الله نستمتع بقبضة ونفارق عن ثلاث قال إن رسول الله ص أحلها في زمان ضرورة ورجع الناس إلى السعة ثم لم أعلم أحدا من المسلمين عاد إليها ولا عمل بها فالآن من شاء نكح بقبضة وفارق عن ثلاث بطلاق و قد أصبت . و قال ذكروا أنك أعتقت الأمة إذا وضعت ذا بطنها بغير عتاقه سيدها قال ألحقت حرمة بحرمة و ما أردت إلا الخير وأستغفر الله . قال وشكوا منك عنف السياق ونهر الرعية قال فنزع الدرّة ثم مسحها حتى أتى على سيورها وقال و أنازمىل محمد رسول الله ص في غزاة قرقره [صفحه ١٢٢] الكدر فو الله إني لأرتع فأشبع وأسقى فأروى وإني لأضرب العروض وأزجر العجول وأؤدب قدرى وأسوق خطوتى وأرد اللفوت وأضم العنود وأكثر الضجر وأقل الضرب وأشهر بالعصا وأدفع باليد و لو لا ذلك لأعدرت . قال أبو جعفر فكان معاوية إذا حدث بهذا الحديث يقول كان و الله عالما برعيته . قال ابن قتيبة رملت السرير وأرملته إذ انسجته بشريط من خوص أوليف . و ذقن عليها أى وضع عليها ذقنه يستمع الحديث . و قوله ففرع حجكم أى خلت أيام الحج من الناس وكانوا يتعوذون من قرع الفناء و ذلك ألا يكون عليه غاشية وزوار و من قرع المراح و ذلك ألا يكون فيه إبل . والقابضة قشر البيضة إذا خرج منها الفرخ . والقوب الفرخ قال الكميت لهن وللمشيب و من علاه || من الأمثال قابضة وقوب . أراد أن النساء ينفرن من ذى الشيب ويفارقنه كما يفارق الفرخ البيضة فلا يعود إليها بعد خروجه منها أبدا وروى عن عمر أنكم إذا رأيتم العمرة فى أشهر الحج كافيّة من الحج خلت مكّة من الحجاج فكانت كبيضة فارقها فرخها قوله إني لأرتع فأشبع وأسقى فأروى مثل مستعار من رعيّة الإبل أى إذا أرتعت الإبل أى أرسلتها ترعى تركتها حتى تشبع و إذا سقيتها تركتها حتى تروى . و قوله أضرب العروض العروضة الناقّة تأخذ يميننا وشمالا ولا تلزم المحجّة يقول أضربها حتى تعود إلى الطريق ومثله قوله وأضم العنود . والعجول البعير يند عن الإبل يركب رأسه عجلا ويستقبلها . [صفحه ١٢٣] قوله وأؤدب قدرى أى قدر طاقتى . و قوله وأسوق خطوتى أى قدر خطوتى . واللفوت البعير يلتفت يميننا وشمالا ويروغ . و قوله وأكثر الزجر وأقل الضرب أى أنه يقتصر من التأديب فى السياسة على ما يكتفى به حتى يضطر إلى ما هو أشد منه وأغلظ . و قوله وأشهر بالعصا وأدفع باليد يريد أنه يرفع العصا يرهب بها ولا يستعملها ولكنه يدفع بيده . قوله و لو لا ذلك لأعدرت أى لو لا هذا التدبير و هذه السياسة لخلفت بعض ما أسوق ويقال أعذر الراعى الشاة والناقّة إذا تركها والشاة العذيرة وعذرت هى إذا تخلفت عن الغنم . قال ابن قتيبة و هذه أمثال ضربها وأصلها فى رعيّة الإبل وسوقها وإنما يريد بها حسن سياسته للناس فى الغزاة التى ذكرها يقول فإذا كنت أفعل كذا فى أيام رسول الله ص مع طاعة الناس له وتعظيمهم إياه فكيف لأفعله بعده . وعندى أن ابن قتيبة غالط فى هذا التأويل و ليس فى كلام عمر ما يدل على ذلك و ليس عمر فى غزاة قرقره الكدر يسوس الناس ولا يأمرهم ولا ينهاهم وكيف و رسول الله ص حاضر بينهم و لا - كان فى غزاة قرقره الكدر حرب و لا ما يحتاج فيه إلى السياسة وهل كان لعمر أولغير عمر و رسول الله ص حى أن يرتع فيشبع ويسقى فيروى وهل تكون هذه الصفات و ما بعدها إلا للرئيس الأعظم و الذى اراده عمر ذكر حاله فى خلافته رادا على عمران بن سواده فى قوله إن الرعيّة يشكون منك عنف السياق وشدة النهر فقال ليشكون فو الله إني لرفيق بهم ومستقص فى سياستهم [صفحه ١٢٤] و لانا هك لهم عقوبة وإني لأفنع بالهيبه والتهويل عليهم و لأعمل العصا حيث يمكننى الاكتفاء باليد وإنى أرد الشارد منهم وأعدل المائل إلى غير ذلك من الأمور التى عددها وأحسن فى تعديدها . وإنما ذكر قوله أنازمىل رسول الله ص فى غزاة قرقره الكدر على عادة العرب فى الافتخار وقت المنافرة و عند مات جيش النفس ويحمى القلب كما كان على ع يقول وقت الحاجة أنا عبد الله وأخو رسوله فيذكر أشرف أحواله والمزية التى اختص بها عن غيره و كان رسول الله ص فى غزاة قرقره الكدر أردف عمر معه على بعيره فكان عمر يفخر بها ويذكرها وقت الحاجة إليها . و فى حديث عمر أنه خرج من الخلاء فدعا بطعام فقيل له ألا تتوضأ فقال لو لا التنطس ما باليت ألا أغسل يدي . قال أبو عبيد القاسم بن سلام

قال ابن عليه التنطس التقدر و قال الأصمعي هو المبالغه في التطهر فكل من أدق النظر في الأمور فاستقصى علمها فهو متنطس و منه قيل للطبيب النطاسي والنطيس لدقه علمه بالطب . و في حديث عمر حين سأل الأسقف عن الخلفاء فحدثه حتى إذا انتهى إلى الرابع فقال صدع من حديد و قال عمر وا دفراه . قال أبو عبيده قال الأصمعي كان حماد بن سلمة يقول صدأ من حديد و هذا أشبه بالمعنى لأن الصدأ له دفر و هوالتن والصدع لادفر له وقيل للدنيا أم دفر لما فيها من الدواهي والآفات فأما الدفر بالذال المعجمه وفتح الفاء فهو الريح الذكيه من طيب أونت . [صفحہ ۱۲۵] و عندى فى هذا الحديث كلام والأظهر أن الروايه المشهوره هى الصحيحه وهى قوله صدع من حديد ولكن بفتح الدال و هو ما كان من الوعول بين العظيم والشخت فإن ثبتت الروايه بتسكين الدال فغير ممتنع أيضا يقال رجل صدع إذا كان ضربا من الرجال ليس برهل و لا غليظ . و رابع الخلفاء هو على بن أبى طالب ع وأراد بالأسقف مدحه . و قول عمر وا دفراه إشارة إلى نفسه كأنه استصغر نفسه و عابها بالنسبه إلى ما وصفه الأسقف من مدح الرابع وإطرائه . فأما تأويل أبى عبيده فإنه ظن أن الرابع عثمان وجعل رسول الله ص معدودا من الجملة ليصح كون عثمان رابعا وجعل الدفر والتن له و صرف اللفظ عن الروايه المشهوره إلى غيرها فقال صدأ حديد ليطلق لفظه التن على ما يليق بها فغير خاف ما فيه من التعسف ورفض الروايه المشهوره . وأيضا فإن رسول الله ص لا يجوز إدخاله فى لفظ الخلفاء لأنه ليس بخليفه لأن الخليفه من يخلف غيره و رسول الله ص مستخلف الناس كلهم و ليس بخليفه لأحد . و فى حديث عمر قال عندموتة لو أن لى ما فى الأرض جميعا لافتديت به من هول المطلع . قال أبو عبيد هو موضع الاطلاع من إشراف إلى انحدار أو من انحدار إلى إشراف و هو من الأضداد فشبّه ما أشرف عليه من أمر الآخرة . [صفحہ ۱۲۶] و فى حديث عمر حين بعث حذيفه و ابن حنيف إلى السواد ففلجا الجزية على أهله . قال أبو عبيد فلجا أى قسما بالفلج وأصله من الفلج و هو المكيال الذى يقال له الفلج لأن خراجهم كان طعاما . و فى حديث عمر حين قال له حذيفه إنك تستعين بالرجل الذى فيه و بعضهم يرويه بالرجل الفاجر فقال أستعمله لأستعين بقوته ثم أكون على قفانه . قال أبو عبيد عن الأصمعي قفان كل شىء جماعه و استقصاء معرفته يقول أكون على تتبع أمره حتى أستقصى عمله وأعرفه . قال أبو عبيد و لا أحسب هذه الكلمه عربيه وإنما أصلها قبان و منه قول العامه فلان قبان على فلان إذا كان بمنزله الأمين عليه والرئيس الذى يتتبع أمره و يحاسبه و به سمي هذا الميزان الذى يقال له القبان . و فى حديث عمر حين قال لابن عباس و قد شاوره فى شىء فأعجبه كلامه نشنشه أعرفها من أحسن هكذا الروايه و أما أهل العلم فيقولون نشنشه أعرفها من أخزم . و الشنشنة فى بعض الأحوال قد تكون بمعنى المضغه أو القطعه تقطع من اللحم والقول المشهور أن الشنشنة مثل الطبيعه و السجيه فأراد عمر أنى أعرف فيك مشابه من أبيك فى رأيه و يقال إنه لم يكن لقرشى مثل رأى العباس . قال و قد قال أبو عبيده معمّر بن المثنى يجوز شنشنة و نشنشه و غيره ينكر نشنشه . [صفحہ ۱۲۷] و فى حديث عمر يوم السقيفة قال و قد كنت زورت فى نفسى قاله أقوم بها بين يدي أبى بكر فلم يترك أبوبكر شيئا مما زورته إلا تكلم به . قال أبو عبيد التزوير إصلاح الكلام و تهيته كالترويق . و فى حديث عمر حين ضرب الرجل الذى أقسم على أم سلمة ثلاثين سوطا كلها تبضع و تحدر . قال أبو عبيد أى تشق و تورم حدر الجلد يحدره و أحدره غيره . و فى حديثه أنه قال لمؤذن بيت المقدس إذا أذنت فترسل و إذا أقيمت فاحزم . قال أبو عبيد الحزم بالحاء المهملة الحدر فى الإقامة و قطع التطويل وأصله فى المشى و هو الإسراع فيه و أن يكون مع هذا كأنه يهوى بيده إلى خلفه و الجزم بالجيم أيضا القطع و كذلك الخدم بالخاء المعجمه . و فى حديثه أنه قال لا يقر رجل أنه كان يظأ جاريته إلا ألحقت به ولدها فمن شاء فليمسكها و من شاء فليرسلها . قال أبو عبيد هكذا الروايه بالسین المهملة والمعروف أنه الإرسال بالشين المعجمه ولعله حول الشين إلى السین كما يقال سمت العاطش أى شمته و فى حديثه كذب عليكم الحج كذب عليكم العمرة كذب عليكم الجهاد ثلاثة أسفار كذبت عليكم . [صفحہ ۱۲۸] قال أبو عبيد معنى كذب عليكم الإغراء أى عليكم به و كان الأصل فى هذا أن يكون نصبا ولكنه جاء عنهم بالرفع شاذا على غير قياس و مما يحقق أنه مرفوع قول الشاعر

كذبت عليك لاتزال تقوفنى || كماقاف آثار الوثيقة قائف فقوله كذبت عليك إنما أغراه بنفسه أى عليك بى فجعل نفسه فى موضع رفع ألا تراه قد جاء بالباء فجعلها اسمه . وقال معمر بن حمار البارقي وذبيانية وصت بنيتها || بأن كذب القراطف والقروف فرفع والشعر مرفوع ومعناه عليكم بالقراطف والقروف والقراطف القطف واحدها قرطف والقروف الأوعية . ومما يحقق الرفع أيضا قول عمر كذبت عليكم قال أبو عبيد و لم أسمع النصب فى هذا إلا حرفا كان أبو عبيد يحكيه عن أعرابى نظر إلى ناقه نضو لرجل فقال كذب عليك البزر والنوى لم أسمع فى هذا نصبا غير هذا الحرف . قال والعرب تقول للمريض كذب عليك العسل بالرفع أى عليك به . وفى حديثه ما يمنعكم إذا رأيتم الرجل يخرق أعراض الناس ألا تعربوا عليه قالوا نخاف لسانه قال ذاك ألا تكونوا شهداء . قال أبو عبيد ألا- تعربوا أى ألا تفسدوا عليه كلامه وتقبحوه له . وفى حديثه أنه نهى عن الفرس فى الذبيحة . [صفحة ١٢٩] قال أبو عبيد قيل فى تفسيره أن ينتهى بالذبح إلى النخاع و هو عظم فى الرقبة وربما فسر النخاع بأنه المخ الذى فى فقار الصلب متصلا بالقفا فهى أن ينتهى بالذبح إلى ذلك . وقيل فى تفسيره أيضا أن يكسر رقبة الذبيحة قبل أن تبرد ويؤكد هذا التفسير قوله فى تمام الحديث و لاتعجلوا الأنفـس حتى ترهق . وفى حديثه حين أتاه رجل يسأله أيام المحل فقال له هلكت وأهلكت فقال عمر أهلكت و أنت تثت نثيث الحميت أعطوه ربعة من الصدقة فخرجت يتبعها ظئرها . قال أبو عبيد قدروى تمث بالميم والمحفوظ بالنون وتث أى ترشح وتعرق من سمنك وكثرة لحمك . والحميت النحى و فيه الرب أو السمن أو نحوها والربعة ما ولد فى أول النتاج والذكر ربع . وفى حديثه أنه خرج إلى المسجد للاستسقاء فصعد المنبر فلم يزد على الاستغفار حتى نزل فقيل إنك لم تستسق فقال لقد استسقيت بمجاديح السماء . قال أبو عبيد جعل الاستغفار استسقاء تأول فيه قوله تعالى استغفروا رَبِّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً والمجاديح جمع مجدح و هو النجم الذى كانت العرب تزعم أنها تمطر به ويقال مجدح بضم الميم وإنما قال عمر ذلك على أنها كلمة جارية على السنة العرب ليس على تحقيق الأنواء و لا التصديق بها -قرآن- ٨٤٣-٩١٧ [صفحة ١٣٠] وهذا شبيه بقول ابن عباس فى رجل جعل أمر امرأته يدها فقالت له أنت طالق ثلاثا فقال خطأ الله نوءها ألا طلقت نفسها ثلاثا ليس هذا دعاء منه ألا تمطر إنما ذلك على الكلام المقول . ومما يبين أن عمر أراد إبطال الأنواء والتكذيب بها قوله لقد استسقيت بمجاديح السماء التى يستسقى بها الغيث فجعل الاستغفار هو المجاديح لا الأنواء . وفى حديثه و هو يذكر حال صباه فى الجاهلية لقد رأيتنى مرة وأختا لى نرعى على أبوينا ناضحا لنا قد ألبستنا أمنا نعبتها وزودتنا يمينيتها من الهبيد فنخرج بناضحنا فإذا طلعت الشمس ألقىت النقبه إلى أختى وخرجت أسعى عريان فرجع إلى أمنا و قد جعلت لنا لفينة من ذلك الهبيد فى خصباه . قال أبو عبيد الناضح البعير الذى يسنى عليه فيسقى به الأرض والأنثى ناضحة وهى السانية أيضا والجمع سوان و قدسنت تسنو و لا يقال ناضح لغير المستسقى . والنقبه أن تؤخذ القطعة من الثوب قدر السراويل فيجعل لها حجرة مخيطة من غير نيفق وتشد كمامتشد حجرة السراويل فإذا كان لها نيفق وساقان فهى سراويل . وقال و الذى وردت به الرواية زودتنا يمينيتها والوجه فى الكلام أن يكون يمينيتها بالتشديد لأنه تصغير يمين بلا هاء وإنما قال يمينيتها و لم يقل يديها و لا كفيها لأنه لم يرد أنها جمعت كفيها ثم أعطتنا بهما وإنما أراد أنها أعطت كل واحد كفا كفا يمينها فهاتان يمينان . الهبيد حب الحنظل زعموا أنه يعالج حتى يمكن أكله ويطيب . [صفحة ١٣١] واللفيفة ضرب من الطبخ كالحساء . وفى حديثه إذا مر أحدكم بحائط فليأكل منه و لا يتخذ ثبانا . قال أبو عبيد هو الوعاء الذى يحمل فيه الشىء فإن حملته بين يديك فهو ثبان و أن جعلته فى حضنك فهى خبنة . وفى حديثه لو أشاء لدعوت بصلاء و صناب و صلاتق و كراكرة و أسنمة و أفلاذ . قال أبو عبيد الصلاء الشواء و الصناب الخردل بالزبيب و الصلاتق الخبز الرقيق و من رواه سلاتق بالسين أراد ما يسلق من البقول وغيرها و الكراكر الإبل و الأفلاذ جمع فلذ و هو القطعة من الكبـد . وفى حديثه لو شئت أن يدهمق لى لفعت . قال أبو عبيد دهمقت الطعام إذلنته ورقفته وطيبته . وفى حديثه لئن بقيت لأسوين بين الناس حتى يأتى الراعى حقه فى صفنه لم يعرق جبينه . الصفن خريطة للراعى فيها طعامه و

ما يحتاج إليه وروى بفتح الصاد ويقال أيضا في صفينه . [صفحہ ۱۳۲] و في حديثه لئن بقيت إلى قابل ليأتين كل مسلم حقه حتى يأتي الراعي بسرو حمير لم يعرق جبينه . السرو مثل الخيف و هو مانحدر عن الجبل وارتفع عن المسيل . و في حديثه لئن عشت إلى قابل لألحقن آخر الناس بأولهم حتى يكونوا بيانا واحدا . قال أبو عبيد قال ابن مهدي يعني شيئا واحدا و لأحسب هذه الكلمة عربية و لم أسمعها في غير هذا الحديث . و في حديثه أنه خطب فقال ألا إن الأسيفع أسيفع جهينه رضى من دينه وأمانته بأن يقال سابق الحاج أو قال سبق الحاج فادان معرضا فأصبح قدرين به فمن كان له عليه دين فليغد بالغداة فلنقسم ماله بينهم بالحصص . قوله فادان معرضا أى استدان معرضا و هو الذى يعترض الناس فيستدين ممن أمكنه و كل شىء أمكنك من عرضه فهو معرض لك كقوله والبحر معرضا والسدير . و رين بالرجل إذا وقع فيما لا يمكنه الخروج منه . [صفحہ ۱۳۳] و في حديثه أنه قال لمولاه أسلم و رآه يحمل متاعه على بعير من إبل الصدقة فقال فهلا ناقة شصوصا أو ابن لبون بوالا . الشصوص التى قد ذهب لبنها و وصف ابن اللبون بالبول و إن كانت كلها تبول إنما أراد ليس عنده سوى البول أى ليس عنده مما ينتفع به من ظهر و لا له ضرع فيحلب لا يزيد على أنه بوال فقط . و في حديثه حين قيل له إن النساء قد اجتمعن يبكين على خالد بن الوليد فقال و ما على نساء بنى المغيرة أن يسفنن من دموعهن على أبى سليمان ما لم يكن نقع و لالقلقة . قيل النقع هاهنا طعام المأتم و الأشبه أن النقع رفع الصوت و اللقلقة مثله . و في حديثه أن سلمان بن ربيعة الباهلى شكأ إليه عاملا من عماله فضربه بالدره حتى أنهج . قال أبو عبيد أى أصابه النفس و البهر من الإعياء . و في حديثه حين قدم عليه أحد بنى ثور فقال له هل من مغربة خير فقال نعم أخذنا رجلا من العرب كفر بعد إسلامه فقدمناه فضربنا عنقه فقال فهلا أدخلتموه جوف بيت فألقيتم إليه كل يوم رغيفا ثلاثة أيام لعله يتوب أو يراجع الله لم أشهد و لم أمر و لم أرض إذ بلغنى . [صفحہ ۱۳۴] يقال هل من مغربة خير بكسر الراء و يروى بفتحها و أصله البعد و منه شأ و مغرب . و في حديثه أنه قال الله ليضربن أحدكم أخاه بمثل آكلة اللحم ثم يرى أنه لا أقيده و الله لأقيده . قال أبو عبيد آكلة اللحم عصا محددة . و في حديثه أعضل بى أهل الكوفة ما يرضون بأمر و لا يرضاهم أمير هو من العضال و هو الداء و الأمر الشديد الذى لا يقوم له صاحبه . و في حديثه أنه خطب فذكر الربا فقال إن منه أبوابا لا تخفى على أحد منها السلم فى السن و أن تباع الثمرة و هى مغضفة و لماتطب و أن يباع الذهب بالورق نساء . قال أبو عبيد السلم فى السن أن يسلف الرجل فى الرقيق و الدواب و غيرها من الحيوان لأنه ليس له حد معلوم . و المغضفة المتدلية فى شجرها و كل مسترخ أعضف أى تكون غير مدركة . و فى حديثه أنه خطب فقال ألا لا تغالوا فى صداق النساء فإن الرجل يغالى بصداق المرأة حتى يكون ذلك لها فى قلبه عداوة تقول جشمت إليك عرق القربة . [صفحہ ۱۳۵] قال معناه تكلفت لك حتى عرقت عرق القربة و عرقها سيلان مائها و فى حديثه أنه رفع إليه غلام ابتهر جارية فى شعره فقال انظروا إليه فلم يوجد أنبت فدرأ عنه الحد . قال أبو عبيد ابتهرها أى قذفها بنفسه فقال فعلت بها . و فى حديثه أنه قضى فى الأرنب بحلان إذا قتلها المحرم . قال الحلان الجدى . و فى حديثه أنه قال حجة هاهنا ثم اجدج هاهنا حتى تفنى . قال يأمر بحجة الإسلام لا غير ثم بعدها الغزو فى سبيل الله . حتى تفنى أى حتى تهرم . و فى حديثه أنه سافر فى عقب رمضان و قال إن الشهر قد تسعس فلو صمنا بقيته . قال أبو عبيد السين مكررة مهملة و العين مهملة أى أدبر و فنى . و فى حديثه و قد سمع رجلا خطب فأكثر فقال إن كثيرا من الخطب من شقاشق الشيطان . الواحدة شقاشقة و هو ما يخرج من شدق الفحل عند نزوانه شبيهة بالرئة و الشيطان [صفحہ ۱۳۶] لاشقاشقة له إنما هذامثل لما يدخل فى الخطب من الكلام المكذوب و تزوير الباطل . و فى حديثه أنه قدم مكة فأذن أبو محذورة فرفع صوته فقال له أ ما خشيت يا أبا محذورة أن ينشق مريطاؤك . قال المريطاء ما بين السرة إلى العانة و يروى بالقصر . و فى حديثه أنه سئل عن المذى فقال هو الفطر و فيه الوضوء . قال سماه فطرا من قولهم فطرت الناقة فطرا إذا حلبتها بأطراف الأصابع فلا يخرج اللبن إلا قليلا و كذلك المذى و ليس المنى كذلك لأنه يخرج منه مقدار كثير . و فى حديثه أنه سئل عن حد الأمة الزانية فقال إن الأمة ألقت فروة رأسها من وراء

الدار. قال الفروة جلده الرأس و هذامثل إنما ألفت القناع وتركت الحجاب وخرجت إلى حيث لايمكنها أن تمتنع من الفجور نحو رعاية الغنم فكأنه يرى أن لاحد عليها. و في حديثه أنه أتى بشارب فقال لأبعثك إلى رجل لا تأخذه فيك هواده فبعث به إلى مطيع بن الأسود العدوى فقال إذا أصبحت غدا فاضربه الحد فجاء عمر [صفحة ١٣٧] و هو يضربه ضربا شديدا فقال قتلت الرجل كم ضربته قال ستين قال أقص عنه بعشرين . قال معناه اجعل شدة هذا الضرب قصاصا بالعشرين التي بقيت من الحد فلا تضربه إياها. و في حديثه أن رجلا أتاه فذكر له أن شهادة الزور قد كثرت في أرضهم فقال لا يؤسر أحد في الإسلام بشهادة الزور فإننا لانقبل إلا العدول . قال لا يؤسر لا يحبس و منه الأسير المسجون . و في حديثه أنه جذب السمير بعد عتمة .جذبه أى عابه ووصمه . ومثل هذا الحديث في كراهيته السمير حديثه الآخر أنه كان ينش الناس بعد العشاء بالدره و يقول انصرفوا إلى بيوتكم . قال هكذا روى بالشين المعجمة و قيل إن الصحيح ينس بالسين المهملة والأظهر أنه ينوش الناس بالواو من التناوش قال تعالى وَ أَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ. و في حديثه هاجروا ولا تهجروا واتقوا الأرنب إن يحذفها أحدكم بالعصا ولكن ليذكركم للأسل الرماح والنبل . -قرآن- ٦٤٠-٦٦٥ [صفحة ١٣٨] قال رواه زر بن حبيش قال قدمت المدينة فخرجت في يوم عيد فإذا رجل متلب أعسر أيسر يمشى مع الناس كأنه راكب و هو يقول كذا وكذا فإذا هو عمر يقول هاجروا وأخلصوا الهجره و لا تهجروا. و لا تشبهوا بالمهاجرين على غير صحة منكم كقولك تحلم الرجل و ليس بحليم وتشجع و ليس بشجاع . والذكاة الذبح والأسل أعم من الرماح وأكثر ما يستعمل في الرماح خاصة. والمتلب المتحزم بثيابه . وفلان أعسر يسر يعمل بكلتا يديه و الذى جاء في الرواية أيسر بالهمزة. و في حديثه أنه أفطر في رمضان و هو يرى أن الشمس قد غربت ثم نظر فإذا الشمس طالعة فقال لانقضيه ماتجانفنا فيه الإثم . يقول لم نتعمد فيه الإثم و لاملنا إليه والجنف الميل . و في حديثه أنه قال لمات عثمان بن مظعون على فراشه هبته الموت عندى منزله حين لم يمت شهيدا فلما مات رسول الله ص على فراشه و أبو بكر علمت أن موت الأخيار على فرشهم . هبته أى طأطأه وحط من قدره . و في حديثه أن رجلا من الجن لقيه فقال هل لك أن تصارعنى فإن صرعتنى [صفحة ١٣٩] علمتلك آية إذ قرأتها حين تدخل بيتك لم يدخله شيطان فصارعه فصرعه عمر و قال له إني أراك ضئيلا شخيتا كان ذراعيك ذراعا كلب أفهكذا أنتم كلكم أيها الجن أم أنت من بينهم فقال إني من بينهم لضليع فعاودنى فصارعه فصرعه الإنسى فقال أتقرأ آية الكرسي فإنه لا يقرؤها أحد إذا دخل بيته إلا خرج الشيطان منه و له خبج كخبج الحمار. قال رواه عبد الله بن مسعود و قال خرج رجل من الإنس فلقه رجل من الجن ثم ذكر الحديث فقيل له هو عمر فقال و من عسى أن يكون إلا عمر الشخيت النحيف الجسم ومثله الشخت . والضليع العظيم الخلق . والخبج الضراط. و في حديثه أنه كان يطوف بالبيت و هو يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة و في الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ما له هجيري غيرها. قال هجيري الرجل دأبه وديدنه وشأنه . ومثلها من قول عمر لو أطيق الأذان مع الخلقى لأذنت . ومثلها من قول عمر بن عبدالعزيز لا ريدي في الصدقة أى لا ترد. ومثلها قول العرب كانت بينهم رميا أى مراماة ثم حجزت بينهم حجيزى أى محاجزة. [صفحة ١٤٠] و في حديثه حين قال للرجل الذى وجد منبوزا فأتاه به فقال عسى الغوير أبؤسا قال عريفه يا أمير المؤمنين إنه وإنه فأتى عليه خيرا و قال فهو حر ولاؤه لك . الأبؤس جمع بأس والمثل قديم مشهور ومراد عمر لعلك أنت صاحب هذا المنبوز كأنه اتهمه وساء ظنه فيه فلما أثنى عليه عريفه أى كفيله قال له هذا المنبوز حر وولاؤه لك لأنه بإنقاذه إياه من الهلكة كأنه أعتقه . و في حديثه أن قريشا تريد أن تكون مغويات لمال الله . هكذا يروى بالتخفيف والكسر والمعروف مغويات بتشديد الياء وفتحها واحدهتها مغواة وهى حفرة كالزبية تحفر للذئب ويجعل فيها جدى فإذا نظر إليها الذئب سقط يريده فيصا و لهذا قيل لكل مهلكة مغواة. و في حديثه فرقوا عن المنية واجعلوا الرأس رأسين و لا تلتوا بدار معجزة وأصلحوا مئاويكم وأخيفوا الهوام قبل أن تخيفكم واخشوشنوا واخشوشبوا وتمعددوا. [صفحة ١٤١] قال فرقوا عن المنية واجعلوا الرأس رأسين أى إذا أراد أحدكم أن يشتري شيئا من الحيوان كمملوك أو دابة فلا يغالين به فإنه

لا يدري ما يحدث فيه ولكن ليجعل ثمنه في رأسين و إن كان كل واحد منهما دون الأول فإن مات أحدهما بقي الآخر. وقوله و لا تلثوا بدار معجزة فالإلثاء الإقامة أى لا تقيموا ببلد يعجزكم فيه الرزق ولكن اضطربوا في البلاد للكسب . و هذا شبيه بحديثه الآخر إذا تاجر أحدكم فى شىء ثلاث مرات فلم يرزق منه فليدعه . والمشاوى المنازل جمع مشوى . وأخيفوا الهوام أى اقتلوا ما يظهر فى دوركم من الحيات والعقارب لتخافكم فلا تظهر. واخشوشنوا أمر بالخشونة فى العيش ومثله اخشوشبوا بالباء أراد ابتذال النفس فى العمل والاحتفاء فى المشى ليغلظ الجلد ويجسو. وتمعددوا قيل إنه من الغلظ أيضا يقال للغلام إذا نبت وغلظ قدمعدد. وقيل أراد تشبهوا بمعد بن عدنان وكانوا أهل قشف وغلظ فى المعاش أى دعوا التمتع وزى العجم . و قد جاء عنه فى حديث آخر مثله عليكم باللبسة المعدية. و فى حديثه أنه كتب إلى خالد بن الوليد أنه بلغنى أنك دخلت حماما بالشام و أن من بها من الأعاجم أعدوا لكم دلوكا عجن بخمر و إنى أظنكم آل المغيرة ذرو النار. [صفحة ١٤٢] الدلوك ما يتدللك به كالسحور والغطور ونحوهما. وذرو النار خلق النار ويروى ذرء النار بالهمزة من ذرأ الله الناس أى صورهم وأوجدهم . و فى حديثه املكوا العجين فإنه أحد الربيعين . ملكت العجين أجدت عجنه . والريح الزيادة والريح الثانى ما يزيد عند خبزه فى التنور و فى حديثه حين طعن فدخل عليه ابن عباس فرآه مغتما بمن يستخلف بعده فذكر عثمان فقال كلف بأقاربه قال فعلى قال فيه دعابة قال فطلحة قال لو لا بأو فيه قال فالزبير قال وعقء لقس قال فعبد الرحمن قال أوه ذكرت رجلا صالحا ولكنه ضعيف و هذا الأمر لا يصلح له إلا اللين من غير ضعف والقوى من غير عنف قال فسعد قال ذاك يكون فى مقب من مقابكم . قوله كلف بأقاربه أى شديد الحب لهم . والدعابة المزاح . [صفحة ١٤٣] والبأو الكبر والعظمة. و قوله وعقء لقس ويروى ضيبس ومعناه كله الشراسة وشد الخلق وخبث النفس . والمقنب جماعة من الفرسان . و فى حديثه أنه قال عام الرمادة لقد هممت أن أجعل مع كل أهل بيت من المسلمين مثلهم فإن الإنسان لا يهلك على نصف شعبه فقال له رجل لوفعلت يا أمير المؤمنين ما كنت فيها ابن تأداء. قال يريد أن الإنسان إذا اقتصر على نصف شعبه لم يهلك جوعا و ابن تأداء بفتح الهمزة ابن الأمة. و فى حديثه أنه قرأ فى صلاة الفجر بالناس سورة يوسف فلما انتهى إلى قوله تعالى إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَ حَزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ بكي حتى سمع نسيجه . النسيج صوت البكاء يردده الصبى فى صدره و لا يخرج . و فى حديثه أنه أتى فى نساء أو إماء ساعيات فى الجاهلية فأمر بأولادهن أن يقوموا على آبائهم فلا يسترقوا. -قرآن- ٤٩٥-٥٧٩ [صفحة ١٤٤] المساعاة زنا الإماء خاصة قضى عمر فى أولادهن فى الجاهلية أن يسومن على آبائهم بدفع الآباء قيمتهم إلى سادات الإماء وبصير الأولاد أحرارا لاحقى النسب بآبائهم . و فى حديثه ليس على عربى ملك ولسنا بنازعين من يد رجل شيئا أسلم عليهم ولكننا نقومهم الملة خمسا من الإبل . قال كانت العرب تسبى بعضها بعضا فى الجاهلية فأتى الإسلام والمسبى فى يد الإنسان كالمملوك له فقضى عمر فى مثل هذا أن يرد حرا إلى نسبه وتكون قيمته على نفسه يؤديها إلى الذى سباه لأنه أسلم و هو فى يده و قيمته كائنا ما كان خمس من الإبل . قوله والملة أى تقوم ملة الإنسان وشرعها. و فى حديثه لما دعى الأشعث بن قيس رقاب أهل نجران لأنه كان سباهم فى الجاهلية واستعبدهم تغلبا فصاروا كماليكه فلما أسلموا أبوا عليه فخاصموه عند عمر فى رقابهم فقالوا يا أمير المؤمنين إنما كنا له عبيد مملوكه و لم نكن عبيد قن فتغيظ عمر عليه و قال أردت أن تتغفلنى .يعنى أردت غفلتى. [صفحة ١٤٥] و عبدقن ملك وملك أبواه و عبدمملوكه بفتح اللام وضمها من غلب عليه واستعبد و كان فى الأصل حرا فقضى عمر فىهم أن يصيرهم أحرارا بلا عوض لأنه ليس بسباء على الحقيقة. و فى حديثه أنه قضى فى ولد المغرور بغرة. قال هو الرجل يزوج رجلا آخر مملوكه لإنسان آخر على أنها حرة فقضى عمر أن يغرم الزوج لمولى الأمة غرة أى عبدا أو أمه و يكون ولده حرا ثم يرجع الرجل الزوج على من غره بما غرم . و فى حديثه أنه رأى جارية متكممة فسأل عنها فقالوا أمه آل فلان فضربها بالدرة ضربات و قال يالكعاء أتشبهين بالحرائر. قال متكممة لابسة قناع أصله من الكمة وهى كالقلسوة والأصل مكمة فأعاد الكاف كما قالوا كفكف فلان عن كذا وتصرصر

الباب . ولكعاء ولكعاع بالكسر والبناء شتم للأمة وللرجل يقال يالكع . و في حديثه ورع اللص ولا تراعه . يقول ادفعه إذا رأيت في منزلك واكففه بما استطعت ولا تنتظر فيه شيئا و كل [صفحہ ۱۴۶] شىء كففته فقد ورعته و كل ما تنتظره فأنت تراعيه والمعنى أنه رخص في الإقدام على اللص بالسلاح ونهى أن يمسك عنه نائما. و في حديثه أن رجلا أتاه فقال إن ابن عمى شج موضحة فقال أ من أهل القرى أم من أهل البادية قال من أهل البادية فقال عمر إنا لا نتعاقل المضغ بيننا. قال سماها مضغا استصغارا لها ولأمثالها كالسن والإصبع . قال ومثل ذلك لا تحمله العاقلة عند كثير من الفقهاء وكذلك كل ما كان دون الثلث . و في حديثه أنه لما حصب المسجد قال له فلان لم فعلت قال هو أغفر للنخامة وألين في الموطئ . أغفر لها أستر لها. وحصب المسجد فرشاه بالحصباء وهى رمل فيه حصى صغار. و في حديثه أن الحارث بن أوس سأله عن المرأة تطوف بالبيت ثم تنفر من غير أن تطوف طواف الصدر إذا كانت حائضا فنهاه عمر عن ذلك فقال الحارث كذلك أفتانى رسول الله ص فقال عمر أربت يداك أتسألنى و قد سمعت من رسول الله ص كى أخالفه قال دعا عليه بقطع اليدين من قولك قطعت الشاة إربا إربا. [صفحہ ۱۴۷] و في حديثه أنه سمع رجلا يتعوذ من الفتن فقال عمر اللهم إني أعوذ بك من الضفافة أتسأل ربك ألا يرزقك مالا وولدا. قال أراد قوله تعالى إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَالضَّفَافَةُ الْحَمَقُ وَضَعَفَ الْعَقْلَ رَجُلٌ ضَفِيطٌ أَى أَحْمَقُ . و في حديثه ما بال رجال لا يزال أحدهم كاسرا وسادة عند امرأة مغزبة يتحدث إليها وتتحدث إليه عليكم بالجنبه فإنها عفاف إنما النساء لجم على وضم إلا ماذب عنه . قال مغزبة قد غزا زوجها فهو غائب عنها أغزت المرأة إذا كان بعلمها غازيا وكذلك أغابت فهى مغيبه. و عليكم بالجنبه أى الناحية يقول تنحوا عنهن وكموهن من خارج المنزل والوضم الخشبة أو البارية يجعل عليها اللحم . قال و هذا مثل حديثه الآخر ألا لا يدخلن رجل على امرأة و إن قيل حموها ألا حموها الموت . قال دعا عليها فإذا كان هذا رأيه فى أبى الزوج و هو محرم لها فكيف بالغريب و فى حديثه أن بيعة أبى بكر كانت فلتة و فى الله شرها فلا بيعة إلا- عن مشورة وأيما رجل بايع رجلا- عن غير مشورة فلا يؤمر واحد منهما تغرة أن يقتلا. قال التغرة التغرير غررت بالقوم تغريرا وتغرة كقولك حلت اليمين تحليلا - قرآن- ۱۴۰-۱۷۸ [صفحہ ۱۴۸] وتحلته ومثله فى المضاعف كثير أى أن فى ذلك تغريرا بأنفسهما وتعريضا لهما أن يقتلا. و فى حديثه أن العبد إذا تواضع لله رفع الله حكمته و قال انتعش نعشك الله و إذا تكبر وعدا طوره وهسه الله إلى الأرض . قال وهسه أى كسره وعدا طوره أى قدره . و فى حديثه حجوا بالذرية لا تأكلوا أرزاقها وتذروا أرباقها فى أعناقها. قال أراد بالذرية هنا النساء و لم يرد الصبيان لأنه لاحق عليهم . والأرباق جمع ربق و هو الحبل . و فى حديثه أنه وقف بين الحرتين وهما داران لفلان فقال شوى أخوك حتى إذا نضج رمد. هذا مثل يضرب للرجل يصنع معروفا ثم يفسده . و فى حديثه السائبة والصدقة ليومهما. قال السائبة المعتقد . [صفحہ ۱۴۹] وليومهما ليوم القيامة الذى فعل ما فعله لأجله . و فى حديثه لا تشتروا رقيق أهل الذمة فإنهم أهل خراج يؤدى بعضهم عن بعض وأرضهم فلا تنازعوها و لا يقرن أحدكم بالصغار بعد إذ نجاه الله . قال كره أن يشتري أرضهم المسلمون وعليها خراج فيصير الخراج منتقلا- إلى المسلم وإنما منع من شراء رقيقهم لأن جزيتهم تكثر على حسب كثرة رقيقهم فإذا ابتاع رقيقهم قلت جزيتهم و إذا قلت جزيتهم يقل بيت المال . و فى حديثه فى قنوت الفجر وإليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك بالكفار ملحق . قال حفد العبد مولاه يحفد أى خدم ومنه قوله تعالى بَيْنَ وَحَصَدَةً أى خدما. وملحق اسم فاعل بمعنى لاحق من الحق و هو لغة فى لاحق يقال لحقت زيدا وألحقته بمعنى . و فى حديثه لا تشتروا الذهب بالفضة إلا يدا بيد هاء وهاء إني أخاف عليكم الرماء. قال الرماء الزيادة و هو بمعنى الربا يقال أرميت على الخمسين أى زدت عليها. - قرآن- ۵۵۸-۵۷۶ [صفحہ ۱۵۰] و فى حديثه من لبد أو عقص أو ضفر فعليه الحلق . قال التلييد أن تجعل فى رأسك شيئا من صمغ أو عسل يمنع من أن يقمل . والعقص والضمير فتل الشعر ونسجه و فى حديثه ما تصعدتنى خطبة كما تصعدتنى خطبة النكاح . قال معناه ماشق على وأصله من الصعود وهى العقبة المنكرة قال تعالى سَأْرَهُقُهُ صَيْعُودًا . و فى حديثه أنه قال لمالك بن أوس

يامالك أنه قد دفت علينا من قومك دافه و قد أمرنا لهم برضخ فاقسمه فيهم . قال الدافه جماعة تسير سيرا ليس بالشديد . و في حديثه أنه سأل جيشا فقال هل ثبت لكم العدو قدر حلب شاه بكيته . قال البكيته القليلة اللبن . و في حديثه أنه قال في متعه الحج قد علمت أن رسول الله ص فعلها وأصحابه ولكن كرهت أن يظلوا بهن معرسين تحت الأراك ثم يلبون بالحج تقطر رءوسهم . - قرآن- ٢٧٦-٢٩٥ [صفحه ١٥١] قال المعرس الذي يغشى امرأته قال كره أن يحل الرجل من عمرته ثم يأتي النساء ثم يهل بالحج . و في حديثه نعم المرء صهيب لو لم يخف الله لم يعصه . قال المعنى أنه لا يترك المعصية خوف العقاب بل يتركها لقبها فلو كان لا يخاف عقوبة الله لترك المعصية . و في حديثه أنه أتى بسكران في شهر رمضان فقال للمنخرين للمنخرين أصياننا صيام و أنت مفطر . قال معناه الدعاء عليه كقولك كبه الله للمنخرين و كقولهم لليدين وللهم . و في حديثه أنه قال لماتوفى رسول الله ص قام أبوبكر فتلا هذه الآية في خطبته إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ قال عمر فعقرت حتى وقعت إلى الأرض . قال يقال للرجل إذا بهت وبقى متحيرا دهشا قد عقر ومثله بعل وخرق . و في حديثه أنه كتب إلى أبي عبيده و هو بالشام حين وقع بها الطاعون أن الأردن أرض غمقة و أن الجابية أرض نزهة فأظهر بمن معك من المسلمين إلى الجابية . - قرآن- ٥١٣-٥٤٦ [صفحه ١٥٢] قال الغمقة الكثيرة الأنداء والوباء والنزهة البعيدة من ذلك . و في حديثه أنه قال لبعضهم في كلام كلمه به بل تحوسك فتنه . قال معناه تخالطك وتحثك على ركوبها قال وتحوس مثل تجوس بالجيم قال تعالى فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ . و في حديثه حين ذكر الجراد فقال وددت أن عندنا منه قفعة أو قفعتين . قال القفعة شىء شبيه بالزنبيل ليس بالكبير يعمل من خوص ليس له عرى و هو الذي يسمى القففة . و في حديثه أن أذينة العبدى أتاه يسأله فقال إني حججت من رأس هذا وخازك أو بعض هذه المزالف فمن أين أعتمر فقال ائت عليا فاسأله فسأله فقال من حيث ابتدأت . قال رأس هذا وخازك موضعان من ساحل فارس والمزالف كل قرية تكون بين البر وبلاد الريف وهي المزارع أيضا كالأنبار وعين التمر والحيرة . و في حديثه أنه نهى عن المكايلة . قال معناه مكافأة الفعل القبيح بمثله . - قرآن- ٢٠٦-٢٢٩ [صفحه ١٥٣] و في حديثه ليس الفقير الذي لا مال له إنما الفقير الأخلق الكسب . قال أراد الرجل الذي لا يرزأ في ماله و لا يصاب بالمصائب وأصله أن يقال للجبل المصمت الذي لا يؤثر فيه شىء أخلق وصخره خلقاء إذا كانت كذلك فأراد عمر أن الفقر الأكبر إنما هو فقر الآخرة لمن لم يقدم من ماله لنفسه شيئا يثاب عليه هناك و هذانحو قول النبي ص ليس الرقوب الذي لا يبقى له ولد إنما الرقوب الذي لم يقدم من ولده أحدا -رواية- ١-٢-رواية- ١٧-٩٣ . فهذا ما لخصته من غريب كلام عمر من كتاب أبي عبيد . فأما ما ذكره ابن قتيبة من غريب حديثه في كتابه فأنا أخلص منه ما أنا ذاكره . قال ابن قتيبة فمن غريب حديث عمر أنه خطب فقال إن أخوف ما أخاف عليكم أن يؤخذ الرجل المسلم البرىء عند الله فيدسر كما يدسر الجزور ويشاط لحمه كما يشاط لحم الجزور يقال عاص و ليس بعاص فقال على ع فكيف ذاك و لما تشد البلية وتظهر الحمية وتسبى الذرية وتدقهم الفتن دق الرحي بثقالها -رواية- ١-٢-رواية- ١٧-١٠٦ . قال ابن قتيبة يدسر أى يدفع و منه حديث ابن عباس ليس في العنبر زكاه إنما هو شىء يدسره البحر -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-٦٩ . ويشاط لحمه أى يقطع ويبضع والأصل في الإشاطة الإحراق فأستعير و في الحديث أن زيد بن حارثة قاتل يوم مؤتة حتى شاط في رماح القوم . والثفال جلدة تبسط تحت الرحي فيقع عليها الدقيق . [صفحه ١٥٤] و في حديث عمر القسامة توجب العقل و لاتشيط الدم -رواية- ١-٢-رواية- ١٦-٥٢ . قال ابن قتيبة العقل الدية يقول إذا حلفت فإنما تجب الدية لا القود و قدروى عن ابن الزبير وعمر بن عبدالعزيز أنهما أقادا بالقسامة . و في حديثه لا تفتروا حتى تروا الليل يغسق على الظراب -رواية- ١-٢-رواية- ١٣-٥٧ . قال يغسق أى يظلم . والظراب جمع ظرب و هو ما كان دون الجبل وإنما خص الظراب بالذكر لقصرها أراد أن ظلمة الليل تقرب من الأرض . و في حديثه أن رجلا كسر منه عظم فأتى عمر يطلب القود فأبى أن يقتص له فقال الرجل فكاسر عظمى إذن كالأرقم إن يقتل ينقم و إن يترك يلقم فقال عمر هو كالأرقم -رواية- ١-٢-رواية- ١٣-١٦٦ . قال كانت الجاهلية

تزعّم أن الجن يتصور بعضهم فى صورة الحيات و أن من قتل حية منها طلبت الحية بالثأر فرما مات أو أصابه خبل فهذا معنى قوله إن يقتل ينقم ومعنى يلقم يقول إن تركته أكلك و هذا مثل يضرب للرجل يجتمع عليه أمران من الشر لا يدرى كيف يصنع فيهما ونحوه قولهم هو كالأشقر إن تقدم عقر و إن تأخر نحر. [صفحة ١٥٥] قال وإنما لم يقده لأنه يخاف من القصاص فى العظم الموت ولكن فيه الديّة. و فى حديثه أنه أتى مسجد قباء فرأى فيه شيئا من غبار وعنكبوت فقال لرجل ائتنى بجريدة واتق العواهن قال فجنّته بها فربط كميّه بوذمة ثم أخذ الجريدة فجعل يتتبع بها الغبار. قال الجريدة السعفة وجمعها جريد. والعواهن السعفات التى يلين القلب والقلبة جمع قلب و أهل نجد يسمون العواهن الحوانى وإنما نهاه عنها إشفاقا على القلب أن يضر به قطعها. والوذمة سير من سيور الدلو يكون بين آذان الدلو والعراقى. و فى حديثه ألا لاتضربوا المسلمين فتذلوهم ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ولا تجمروهم ففتنوهم -رواية ١-٢-رواية ١٣-٩٩. قال التجمير ترك الجيش فى مغازيهم لا يقفلون . و فى حديثه أنه أتى بمروط فقسمها بين نساء المسلمين ورفع مرطا بقى إلى أم سليلت الأنصارية و قال إنها كانت تزفر القرب يوم أحد تسقى المسلمين . قال تزفرها تحملها و منه زفر اسم رجل كان يحمل الأثقال . [صفحة ١٥٦] و فى حديثه أنه قال أعطوا من الصدقة من أبقت له السنة غنما ولا تعطوا من أبقت له السنة غنمين -رواية ١-٢-رواية ٢٣-٩٧. قال السنة هاهنا الأزمنة و منه قوله تعالى وَ لَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ. قال و كان عمر لا يجيز نكاحا فى عام سنة يقول لعل الضيعة تحملهم على أن ينكحوا غير الأكفاء. و كان أيضا لا يقطع سارقا فى عام سنة. و قوله غنما أى قطعة من الغنم يقال لفلان غنمان أى قطعتان من الغنم وأراد عمر أن من له قطعتان غنى لا يعطى من الصدقة شيئا لأنها لم تكن قطعتين إلا لكثرتها. و فى حديثه أنه انكفأ لونه فى عام الرمادة حين قال لا أكل سمنا ولا سمينا و أنه اتخذ أيام كان يطعم الناس قدحا فيه فرض فكان يطوف على القصاع فيغمز القدح فإن لم تبلغ الثريدة الفرض قال فانظر ماذا يفعل بصاحب الطعام . قال انكفأ تغير عن حاله وأصله الانقلاب من كفأت الإناء. وسمى عام الرمادة من قولهم أرمد الناس إذا جهدوا والرمد الهلاك . والقدح السهم والفرض الحز جعل عمر هذا الحز علامة لعمق الثريد فى الصحفة. -قرآن ٤٦-٨٦ [صفحة ١٥٧] و فى حديثه أن عطاء بن يسار قال قلت للوليد بن عبد الملك روى لى أن عمر بن الخطاب قال وددت أنى سلمت من الخلافة كفافا لا على ولا لى فقال كذبت الخليفة يقول هذا فقلت أ وكذبت فأقلت منه بجريعة الذقن . قال يقال خلص من خصمه كفافا أى كف كل واحد منهما على صاحبه فلم ينل أحدهما من الآخر شيئا. وأقلت فلان بجريعة ذقن أى أن نفسه قد صارت فى فيه وجريعة تصغير جرة. قلت وإنما استعظم الوليد ذلك لأن بنى أمية كانوا يرون أن من ولى الخلافة فقد وجبت له الجنة ولهذا خطب هشام يوم ولى فقال الحمد لله الذى أنقذنى من النار بهذا المقام و فى حديثه أن سماك بن حرب قال رأيت عمر فرأيت رجلا -أروح كأنه راكب و الناس يمشون كأنه من رجال بنى سدوس . قال الأروح الذى تتدانى عقباه وتتباعد صدور قدميه يقال أروح بين الروح والأفحج الذى تتدانى صدور قدميه وتتباعد عقباه وتتفحج ساقاه والأوكع الذى يميل إبهام رجله على أصابعه حتى يزول فيرى شخص أصلها خارجا و هو الوكع و منه أمه وكعاء وبنو سدوس فخذ من بنى شيان والطول أغلب عليهم . [صفحة ١٥٨] و فى حديثه عن ابن عباس قال دعانى فإذا حصير بين يديه عليه الذهب منثور نثر الحشا فأمرنى بقسمه. قال الحشا التبن مقصور قال الراجز يهجو رجلا -و يأكل التمر و لا يلقى النوى || و لا يوارى فرجه إذا اصطلى كأنه غرارة ملأى حشا . و فى حديثه أنه قال النساء ثلاث فهينة لينة عفيفة مسلمة تعين أهلها على العيش و لاتعين العيش على أهلها وأخرى وعاء للولد وأخرى غل قمل يضعه الله فى عنق من يشاء ويفكه عمن يشاء والرجال ثلاثة رجل ذو رأى وعقل و رجل إذا حزبه أمر أتى ذا رأى فاستشاره و رجل حائر بائر لا يأتى مرشدا و لا يطيع مرشدا. قال البائر الهالك قال تعالى وَ كُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا والأصل فى قوله غل قمل أنهم كانوا يغلون بالقد و عليه الشعر فيقمل على الرجال . و لا يأتى مرشدا أى لا يأتى برشد من ذات نفسه يقال لمن فعل الشىء من غير مشاورة قدائمه وبئس ما اتتمرت لنفسك قال النمر بن تولى -قرآن-

٣٤١-٣٦٣ واعلمن أن كل مؤتمر || مخطئ في الرأي أحيانا . و في حديثه أنه خرج ليلة في شهر رمضان و الناس أوزاع فقال
إني لأظن لو جمعناهم على قارئ واحد كان أفضل فأمر أبي بن كعب فأهمهم ثم خرج ليلة وهم [صفحہ ١٥٩] يصلون بصلاته
فقال نعم البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون . قال الأوزاع الفرق يريد أنهم كانوا يصلون فرادى يقال وزعت
المال بينهم أي فرقته . و قوله والتي ينامون عنها أفضل يريد صلاة آخر الليل فإنها خير من صلاة أوله . و في حديثه أن أصحاب
محمد ص تذاكروا الوتر فقال أبو بكر أما أنا فأبدأ بالوتر و قال عمر لكني أوتر حين ينام الضفطي . قال هوجم ضفيط و هو الرجل
الجاهل الضعيف الرأي . و منه ماروي عن ابن عباس أنه قال لو لم يطلب الناس بدم عثمان لرموا بالحجارة من السماء فقل أتقول
هذا و أنت عامل لفلان فقال إن في ضفطات و هذه إحدى ضفطاتي . و في حديثه أنه قال في وصيته إن توفيت و في يدي صرمة
ابن الأكوخ فستتها سنة ثمغ . [صفحہ ١٦٠] قال الصرمة هاهنا قطعة من النخل ويقال للقطعة الخفيفة من الإبل صرمة ويقال
لصاحبها مصرم ولعله قيل للمقل مصرم من هذا . و ثمغ مال كان لعمر ووقفه . و في حديثه أنه لما قدم الشام تفحل له أمراء الشام
قال أي اخشوشنوا له في الزي واللباس والمطعم تشبها به وأصله من الفحل لأن التصنع في اللباس والقيام على النفس إنما
هو عندهم للإناث لللفحول . و في حديثه أنه قدم مكة فسأل من يعلم موضع المقام و كان السيل احتمله من مكانه فقال المطلب
بن أبي وداعة السهمي يا أمير المؤمنين قد كنت قدرته وذرعته بمقاط عندي . قال المقاط الجبل وجمعه مقط . و في حديثه أنه قال
للذي قتل الظبي و هو محرم خذ شاء من الغنم فتصدق بلحمها واسق إهابها . قال الإهاب الجلد . واسقه أي اجعله سقاء لغيرك
كما تقول اسقني عسلا أي اجعله لي سقاء وأقد بي خيلا أي أعطني خيلا أقودها واسقني إبلا أعطني إبلا أسوقها . [صفحہ ١٦١]
وقالت بنو تميم للحجاج أقرنا صالحا يعنون صالح بن عبدالرحمن و كان قتله وصلبه فسألوه أن يمكنهم من دفنه . و في حديثه
أنه ذكر عنده التمر والزبيب أيهما أفضل ويروى أنه قال لرجل من أهل الطائف الحبله أفضل أم النخلة فأرسل إلى أبي حثمة
الأنصاري فقال إن هؤلاء اختلفوا في التمر والزبيب أيهما أفضل . و في رواية أخرى وجاء أبو عمره عبدالرحمن بن محصن
الأنصاري فقال أبو حثمة ليس الصقر في رءوس الرقل الراسخات في الوحل المطاعم في المحل تعلقه الصبي وقرى الضيف و به
يحترش الضب في الأرض الصلعاء كزبيب إن أكلته ضرست و إن تركته غرثت . و في الرواية الأخرى فقال أبو عمره الزبيب إن
أكله أضرس و إن أتركه أغرث ليس كالصقر في رءوس الرقل الراسخات في الوحل والمطعمات في المحل خرفة الصائم وتحفة
الكبير وصمته الصغير وخرسه مريم و يحترش به الضباب من الصلعاء . قال الحبله بفتح الحاء وتسكين الباء الأصل من الكرم و في
الحديث أن نوحا لما خرج من السفينة غرس الحبله وكانت لأنس بن مالك حبله تحمل كذا و كان يسميها أم العيال فأما الحبله
بالضم فثمر العضاء . و منه الحديث كنا نغزو مع رسول الله ص و مالنا طعام إلا الحبله وورق السمر والحبله بالضم أيضا ضرب من
الحلى يجعل في القلائد شبه بورق العضاء لأنه يصاغ على صورته . وأغرث أجوع والغرث الجوع . [صفحہ ١٦٢] والصقر عسل
الرطب . والرقل جمع رقلة وهي النخلة الطويلة . و قوله خرفة الصائم اسم لما يخترق أي يجتني ونسبها إلى الصائم لأنهم كانوا
يحبون أن يفطروا على التمر . و قوله وصمته الصغير لأن الصغير كان إذا بكى عندهم سكتوه به وتعلقه الصبي نحوه من التعليل .
وخرسه مريم الخرسه ماتطعمه النفساء عند ولادتها أشار إلى قوله تعالى وَ هَزِيءٌ إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا فَأما
الخرس بغير هاء فهو الطعام الذي يصنع لأجل الولادة كالإعذار للختان والنقيعة للقادم والوكيرة للبناء . و يحترش به الضب أي
يصطاده يقال إن الضب يعجب بالتمر والحارث صائد الضباب . والصلعاء الصحراء التي لانبات بها كراس الأصلع . و في حديثه
أنه قال للسائب ورع عنى بالدرهم والدرهمين . قال أي كف الخصوم عنى في قدر الدرهم والدرهمين بأن تنظر في ذلك
وتقضى فيه بينهم وتوب عنى و كل من كفته فقد ورعته و منه الورع في الدين إنما هو الكف عن المعاصي و منه حديث عمر
لا تنظروا إلى صلاة الرجل وصيامه ولكن من إذا حدث صدق و إذا وثمن أدى و إذا أشفى ورع أي إذا أشرف على المعصية كف

عنها. -قرآن- ٣٣١-٣٩٧ [صفحة ١٦٣] و في حديثه أنه خطب الناس فقال أيها الناس لينكح الرجل منكم لمتة من النساء ولتنكح المرأة لمتها من الرجال قال لمة الرجل من النساء مثله في السن و منه ماروى أن فاطمة ع خرجت في لمة من نساءها تتوطأ ذيلها حتى دخلت على أبي بكر. وأراد عمر بن الخطاب لا تنكح الشابة الشيخ الكبير و لا ينكح الشاب العجوز و كان سبب هذه الخطبة أن شابة زوجها أهلها شيخا فقتلته . و في حديثه أن رجلا أتاه يشكو إليه النقرس فقال كذبتك الظهائر. قال الظهائر جمع ظهيرة و هي الهاجرة و وقت زوال الشمس . و كذبتك أى عليك بها و هي كلمة معناها الإغراء يقولون كذبتك كذا أى عليك به . و منه الحديث المرفوع الحجامه على الريق فيها شفاء و بركة فمن احتجم في يوم الخميس و يوم الأحد كذباك -رواية- ١-٢-رواية- ٢٤-١٠٥ . أى عليك بهما وإنما أمر عمر صاحب النقرس أن يبرز للحر في الهاجرة ويمشى حافيا و يبتذل نفسه لأن ذلك يذهب النقرس . و في حديثه أنه قال من يدلنى على نسيج وحده فقال أبو موسى مانعلمه غيرك فقال ماهى إلا إبل موقع ظهورها. قال معنى قوله نسيج وحده أى لا عيب فيه و لا نظير له أصله من الثوب النفيس لا ينسج على منواله غيره . [صفحة ١٦٤] و البعير الموقع الذى يكثر آثار الدبر بظهره لكثرة ما يركب و أراد عمر أناكلنا مثل ذلك فى العيب . و فى حديثه أن الطبيب الأنصارى سقاه لبنا حين طعن فخرج من الطعنة أبيض يصلد. قال أى يبرق و لم يتغير لونه و فى حديثه أن نادبه عمر قالت وا عمراه أقام الأود وشفى العمد فقال على ع أما و الله ماقلته ولكن قولته . و العمد ورم و دبر يكون فى ظهر البعير و أراد على ع أنه كأنما ألقى هذا الكلام على لسانها لصحته و صدقه . و فى حديثه أنه استعمل رجلا- على اليمن فوفد إليه و عليه حلة مشتهرة و هو مرجل دهن فقال أهكذا بعثناك ثم أمر بالحلة فنزعت عنه و ألبس جبه صوف ثم سأل عن ولايته فلم يذكر إلا خيرا فردده على عمله ثم وفد إليه بعد ذلك فإذا أشعث مغبر عليه أطلاس فقال و لا كل هذا إن عاملنا ليس بالشعث و لا العافى كلوا و اشربوا و ادهنوا إنكم لتعلمون الذى أكره من أمركم . قال ثياب أطلاس أى وسخة و منه قيل للذئب أطلس . [صفحة ١٦٥] و العافى الطويل الشعر يقال عفى و بر البعير إذا طال و منه الحديث المرفوع أمر أن تعفى اللحي و تحفى الشوارب -رواية- ١-٢-رواية- ٢٤-٦٠ . و فى حديثه أنه قال للرجل أ ماتراني لو شئت أمرت بشاة فتيه سمينه أوقيه فألقى عنها صوفها ثم أمرت بدقيق فنخل فى خرقة فجعل منه خبز مرقق و أمرت بصاع من زبيب فجعل فى سعن حتى يكون كدم الغزال . قال السعن قرية أو أداة ينتبذ فيها و تعلق بجذع . و فى حديثه أنه رأى رجلا- يأنح ببطنه فقال ما هذا قال بركة من الله قال بل هو عذاب من الله يعذبك به . قال يأنح يصوت و هو ما يعترى الإنسان السمين من البهر إذا مشى أنح يأنح أنوحا. و فى حديثه أنه لمادنا من الشام و لقيه الناس جعلوا يتراطنون فأشكعه ذلك و قال لأسلم مولا- إنهم لم يروا على صاحبك بزة قوم غضب الله عليهم . قال أشكعه أغضبه قال أراد أنهم لم يتحاموا عنه اللفظ و الكلام بالفارسية و النبطية بحضرته لأنهم لم يروه بعين الإمارة و السلطان كما يرون أمراءهم لأنهم لم يروا عليه بزة الأمراء و زبيهم . [صفحة ١٦٦] و فى حديثه أن عاملا- على الطائف كتب إليه أن رجلا- منهم كلمونى فى خلايا لهم أسلموا عليها و سألونى أن أحميها لهم فكتب إليه عمر أنها ذباب غيث فإن أدوا زكاته فاحمه لهم . قال الخلايا موضع النحل التى تعسل الواحدة خلية و أراد بقوله إنها ذباب غيث أنها تعيش بالمطر لأنها تأكل ما ينبت عنه فإذا لم يكن غيث فقدت ما تأكل فشبهها بالسائم من النعم لامتونه على صاحبها منها و أوجب فيها الزكاة. و فى حديثه أن سعد بن الأخرم قال كان بين الحى و بين عدى بن حاتم تشاجر فأرسلونى إلى عمر فأتيته و هو يطعم الناس من كسور إبل و هوقائم متوكئ على عصا مؤتزر إلى أنصاف ساقه خدب من الرجال كأنه راعى غنم و على حلة ابتعتها بخمس مائة درهم فسلمت عليه فنظر إلى بذنب عينه و قال لى أ ما لك معوز قلت بلى قال فألقها فألقيتها و أخذت معوزا ثم لقيته فسلمت فرد على السلام . قال كسور الإبل أعضاءها. و الخدب العظيم الجافى و كأنه راعى غنم يريد فى الجفاء و البذاذة و خشونة الهيئة و اللبسة. و المعوز الثوب الخلق و الميم مكسورة وإنما ترك رد السلام عليه أولا لأنه أشهر الحلة فأدبه بترك رد السلام فلما خلعها و لبس المعوز رده عليه . [صفحة ١٦٧] و فى حديثه أنه ذكر فتیان قریش و سرفهم فى

الإنفاق فقال لحرفه أحدهم أشد على من عيلته . قال الحرفه هاهنا أن يكون الرجل لا يتجر و لا يلتمس الرزق فيكون محدودا لا يبرزق إذا طلب و منه قيل فلان محارف والعيله الفقر. و في حديثه أنه قال لرجل ممالك قال أقرن لي و آدمه في المنيه قال قومها وزكها. قال الأقرن جمع قرن وهي جعبه من جلود تكون للصيادين يشق منها جانب ليدخلها الريح فلا يفسد الريش . و آدمه جمع أديم كجرب و أجربه. والمنيه الدباغ وإنما أمره بتزكيتها لأنها كانت للتجاره. و في حديثه أن أبوجزه السعدى قال شهدته يستقى فجعل يستغفر فأقول أ لا يأخذ فيما خرج له و لأشعر أن الاستسقاء هو الاستغفار فقلدنا السماء قلدا كل خمس عشره ليله حتى رأيت الأرنبه يأكلها صغار الإبل من وراء حقاق العرفط. قال فقلدنا مطرنا لوقت معين و منه قلد الحمى و قلد الزرع سقيه لوقت و هو وقت الحاجه. و قال رأيت الأرنب يحتملها السيل حتى تتعلق بالعرفط و هو شجر ذو شوك و زاد في الأرنب هاء كما قالوا عقرب و عقربه و حقاق العرفط صغارها و قيل الأرنب [صفحه ١٦٨] ضرب من النبت لا يكاد يطول فأراد أنه طال بهذا المطر حتى أكلته صغار الإبل من وراء شجر العرفط. و في حديثه أنه قال ماولى أحد إلاحمى على قرابته و قرى في عيبته و لن يلى الناس قرشى عض على ناجذه . قال حامى عليهم عطف عليهم و قرى في عيبته أى اختان و أصل قرى جمع . و في حديثه لن تخور قوى ما كان صاحبها ينزع و ينزوي. يخور يضعف و النزاع فى القوس و النزوع على الخيل . و روى أن عمر كان يأخذ بيده اليمنى أذنه اليسرى ثم يجمع جراميزه و يشب فكأنما خلق على ظهر فرسه . و في حديثه تعلموا السنه و الفرائض و اللحن كما تتعلمون القرآن -رواية ١- ٢-رواية ١٣- ٦٤. قال اللحن هاهنا اللغه و النحو. و في حديثه أنه مر على راع فقال ياراعى عليك بالظلف من الأرض لا ترمض فإنك راع و كل راع مسئول . قال الظلف المواضع الصلبه أمره أن يرعى غنمه فيها و نهاه أن يرمض و هو أن يرعى غنمه فى الرمضاء وهي تشدد جدا فى الدهاس و الرمل و تخف فى الأرض الصلبه. [صفحه ١٦٩] و فى حديثه أن رجلا قرأ عليه حرفا فأنكره فقال من أقرأك هذا قال أبو موسى فقال إن أبى موسى لم يكن من أهل البهش . قال البهش المقل الرطب فإذا يبس فهو الخشل و أراد أن أبى موسى ليس من أهل الحجاز لأن المقل بالحجاز نبت و القرآن نزل بلغه الحجاز. و فى حديثه أن عقبه بن أبى معيط لما قال للنبي ص أقتل من بين قريش فقال عمر حن قدح ليس منها. قال هذا مثل يضرب للرجل يدخل نفسه فى القوم و ليس منهم و القدح أحد قداح الميسر و كانوا يستعيرون القدح يدخلونه فى قداحهم يتيمنون به و يثقون بفوزه . و فى حديثه أن أهل الكوفه لما أوفدوا العلباء بن الهيثم السدوسى إليه فرأى عمر هيئته رثه و أعجبه كلامه و عمله قال لكل أناس فى حميلهم خير. قال هذا مثل والمراد أنهم سودوه على معرفه منهم بما فيه من الخلال المحموده و المعنى أن خبره فوق منظره . و فى حديثه أنه أخذ من القطنيه الزكاه. قال هى الجوب كالعقدس و الحمص و فى أخذ الزكاه منها خلاف بين الفقهاء. [صفحه ١٧٠] و فى حديثه أنه كان يقول للخارص إذا وجدت قوما قد خرفوا فى حائظهم فانظر قدر ماترى أنهم يأكلونه فلا تخرصه . قال خرفوا فيه أى نزلوا فيه أيام اختراف الثمره. و فى حديثه إذا جريت الماء على الماء جزى عنك . قال يريد صب الماء على البول فى الأرض فإنه يطهر المكان و لا حاجه إلى غسله و جزى قضى و أغنى من قوله تعالى لا تجزى نفس عن نفس شيئا فإن أدخلت الألف قلت أجزاءك و همزت و معناه كفاك . و فى حديثه أنه قال لا يعطى من المغنم شيء حتى تقسم إلا لراع و الدليل غير موليه . قال الراعى هاهنا الطليعه لأنه يرعى القوم أى يحفظهم . و قوله غير موليه أى غير معطيه شيئا لا يستحقه . و فى حديثه أن من الناس من يقاتل رياء و سمعه و منهم من يقاتل و هو بنوى الدنيا و منهم من أجمه القتال فلم يجد بدا و منهم من يقاتل صابرا محتسبا أولئك هم الشهداء قال أجمه القتال أى رهقه و غشيه فلم يجد مخلصا. -قرآن- ٣٢٤- ٣٥٦ [صفحه ١٧١] و فى حديثه أنه أرسل إلى أبى عبيده رسولا- فقال له حين رجع فكيف رأيت أباعبيده قال رأيت بللا- من عيش فقصر من رزقه ثم أرسل إليه و قال للرسول حين قدم كيف رأيت قال رأيت حفوفاً قال رحم الله أباعبيد بسطنا له فبسط و قبضنا له فقبض . قال الحفوف و الحفف واحد و هو ضيق العيس و شدته يقال ما عليهم حفف و لا ضفف أى ما عليهم أثر عوز و الشظف مثل الحفف . و فى حديثه أنه رثى

فى المنام فسئل عن حاله فقال ثل عرشى لو لآنى صادفت ربى رحىما. قال ثل عرشه أى هدم . و فى حدیته أنه قال لأبى مریم الحنفى لأنا أشد بغضا لك من الأرض للدم قالوا كان عمر علیه غلیظا كان قاتل زید بن الخطاب أخیه فقال أینقضى ذلك من حقى شیئا قال لا- قال فلاضیر. قال هذامثل لأن الأرض لا یغوص فیها الدم كما یغوص الماء فهذا بغض الأرض له ویقال إن دم البعیر تنشفه الأرض وحده و فى حدیته أن اللبن یشبه علیه . [صفحہ ۱۷۲] قال معناه أن الطفل ربما نزع به الشبه إلى الظئر من أجل لبنها فلا تسترضعوا إلا- من ترضون أخلاقها. و فى حدیته اغزوا والغزو حلو خضر قبل أن یكون ثماما ثم یكون رماما ثم یكون حطاما. قال هذامثل والثمار نبت ضعیف . والرمام بالضم والرمیم واحد مثل طوال وطویل . والحطام بیس النبت إذا تكسر ومعنى الكلام أنه أمرهم بالغزو حین عزائمهم قویة وبواعثهم إلیه شدیة فإن مع ذلك یكون الظفر قبل أن یهى ویضعف فیکون كالثمار الضعیف ثم كالرمیم ثم یكون حطاما فیذهب . و فى حدیته إذا انتاطت المغازی واشتدت العزائم ومنعت الغنائم أنفسها فخیر غزوکم الرباط. قال انتاطت بعدت والنطیء البعید. واشتدت العزائم صعبت ومنعت الغنائم أنفسها فخیر غزوکم الرباط فى سبیل الله . و فى حدیته أنه وضع یده فى كشیة صب و قال إن النبى ص لم یحرمه ولكن قدره . قال كشیة الصب شحم بطنه . [صفحہ ۱۷۳] و قوله وضع أى أكل منه . و فى حدیته لأوتى بأحد انتقص من سبیل المسلمین إلى مثاباته شیئا إلا فعلت به كذا. قال المثابات هاهنا المنازل یشوب أهلها إلیها أى یرجعون والمراد من اقتطع شیئا من طریق المسلمین وأدخله فى داره . و فى حدیته أنه کره النیر. قال هو علم الثوب وأظنه کرهه إذا كان حریرا. و فى حدیته أنه انكسرت قلوب من إبل الصدقة فجفنوا. قال اتخذ منها جفنة من طعام وأجمع علیه . و فى حدیته عجبت لتاجر هجر وراكب البحر. قال عجب کیف یختلف إلى هجر مع شدة وبائها وکیف یركب البحر مع الخطار بالنفس . و فى حدیته أنه قال لیلة لابن عباس فى مسیر له أنشدنا لشاعر الشعراء قال و من [صفحہ ۱۷۴] هو قال الذى لم یعازل بین القول و لم یتبع حوشى الكلام قال و من هو قال زهیر فجعل ینشد إلى أن برق الصبح . قال هو مأخوذ من تعازل الجراد إذا ركب بعضه بعضا. وحوشى الكلام وحشیه . و فى حدیته أن نائلا مولى عثمان قال سافرت مع مولای و عمر فى حج أو عمره فكان عمر وعثمان و ابن عمر لفا و كنت أنا و ابن الزبیر فى شیهة معنا لفا فكنا نتمازح و نترامى بالحنظل فما یزیدنا عمر على أن یقول لنا كذاك لا تذعروا علينا فقلنا لریاح بن العترف لو نصبت لنا نصب العرب فقال أقول مع عمر فقلنا افعل و إن نهاك فانته ففعل و لم یقل عمر شیئا حتى إذا كان فى وجه السحر ناداه یاریاح إنها اكفف فإنها ساعة ذکر. قال لفا أى حزبا و فرقة. و شیهة جمع شاب مثل كاتب و كتبه و كاذب و كذبة و كافر و كفره. و قوله كذاك أى حسبكم . و قوله لا تذعروا علينا أى لا تنفروا إبلنا. و نصب العرب غناء لهم یشبه الحداء إلا أنه أرق منه . و فى حدیته أنه كتب فى الصدقة إلى بعض عماله كتابا فیه و لا تحبس الناس أولهم على آخرهم فإن الرجن للماشیه علیها شدید ولها مهلك و إذا وقف الرجل علیك غنمه فلا تعتم من غنمه و لا تأخذ من أذناها وخذ الصدقة من أوسطها و إذا وجب على [صفحہ ۱۷۵] الرجل سن لم تجدها فى إبله فلا تأخذ إلا تلك السن من شروى إبله أو قیمة عدل وانظر ذوات الدر والماخض فتنبك عنها فإنها شمال حاضرهم . قال الرجن الحبس رجن بالمكان أقام به ومثله دجن بالبدال . و لا تعتم لا- تختر اعتمام اعتیاما أى اختار. من شروى إبله أى من مثلها. وذوات الدر ذوات اللبن . والماخض الحامل . و شمال حاضرهم عصمتهم و غیائهم وحاضرهم من یسكن الحضر. و فى حدیته أنه كان یلقط النوى من الطریق والنكت فإذا مر بدار قوم ألقاها فیه و قال لیاكل هذا إذا جنتكم وانتفعوا بباقیه . قال الداجنة ما یعلفه الناس فى منازلهم من الشاة والدجاج والطریر. والنكت الخیوط الخلق من صوف أو شعر أو وبر. و فى حدیته ثلاث من الفواقر جار مقامة إن رأى حسنة دفنها و إن رأى سیئة أذاعها وامرأة إن دخلت علیها لستتک و إن غبت عنها لم تأمنها وإمام إن أحسنت لم یرض عنك و إن أسأت قتلتك . [صفحہ ۱۷۶] قال الفواقر الدواهى واحدها فاقرة لأنها تكسر فقار الظهر. ولستتک أخذتک بلسانها. و فى حدیته فى خطبة له من أتى هذا البيت لا ینهره إلیه غیره رجع و قد غفر له . قال ینهره یدفعه یرید من حج لا ینوى

بالحج إلا الطاعة غفر له . و في حديثه اللبن لا يموت -رواية- ١-٢-رواية- ١٣-٢٨ . قال قيل في معناه أن اللبن إذا أخذ من ميته لم يحرم و كل شيء أخذ من الحي فلم يحرم فإنه إن أخذ من الميت لم يحرم . وقيل في معناه إن رضع الطفل من امرأة ميته حرم عليه من أولادها وقرباتها من يحرم عليها منها لو كانت حية . وقيل معناه أن اللبن إذا انفصل من الضرع فأوجر به الصبي أو آدم به أوديف له في دواء وسقيه فإنه إن لم يسم في اللغنة رضاعا إلا أنه يحرم به ما يحرم بالرضاع فقال اللبن لا يموت أى لا يبطل عمله بمفارقة الثدي . و في حديثه من حظ المرء نفاق أيمه وموضع خفه . قال الأيم التي لا بعل لها والخف الإبل كما تسمى الحمر والبغال حافرا والبقر والغنم ظلغا يريد من حظ الإنسان أن يخطب إليه ويتزوج بناته وأخواته وأشباههن فلا يبرن [صفحہ ١٧٧] و من حظه أيضا أن ينفق إبله حتى يتنابه التجار وغيرهم فيبتاعوها في مواضعها يستطرقونه لا يحتاج أن يعرضها عليهم . و في حديثه أن العباس بن عبدالمطلب سأله عن الشعراء فقال إمرؤ القيس سابقهم خسف لهم عين الشعر فافتقر عن معان عور أصح بصر . قال خسف لهم من الخسيف وهي البئر تحفر في حجارة فيخرج منها ماء كثير وجمعها خسف . و قوله افتقر أى فتح و هو من الفقير والفقير فم القناه . و قوله عن معان عور يريد أن إمرؤ القيس من اليمن واليمن ليست لهم فصاحة نزار فجعل معانيهم عورا وفتح إمرؤ القيس عنها أصح بصر

ذكر الأحاديث الواردة في فضل عمر

فأما الحديث الوارد في فضل عمر فمنه ما هو مذکور في الصحاح و منه ما هو غير مذکور فيها فمما ذكر في المسانيد الصحيحة من ذلك ماروت عائشة أن رسول الله ص قال كان في الأمم محدثون فإن يكن في أمتي فعمر -رواية- ١-٢-رواية- ٤٠-٨٧ روى سعد بن أبي وقاص قال استأذن عمر على رسول الله ص وعنده نساء من قريش يكلمنه عاليه أصواتهن فلما استأذن قمن يبتدرن الحجاب فدخل و رسول الله ص يضحك قال أضحك الله سنك يا رسول الله قال عجبت من هؤلاء اللواتي كن عندي فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب فقال عمر أنت -رواية- ١-٢-رواية- ٣٠-١٧٨ [صفحہ ١٧٨] أحق أن يهين ثم قال أى عدوات أنفسهن أتهينى ولا تهين رسول الله ص قلن نعم أنت أغلظ وأفظ فقال رسول الله ص و الذى نفسى بيده مالم يترك الشيطان قط سالكا فجاء لإسلكك فجاء غير فجك -رواية- از قبل- ١٩٠ أخرجاه في الصحيحين و قدروى في فضله من غير الصحاح أحاديث منها إن السكينة لتتطق على لسان عمر -رواية- ١-٢-رواية- ٧-٤٠ منها إن الله تعالى ضرب بالحق على لسان عمر وقلبه -رواية- ١-٢-رواية- ٧-٥٧ منها إن بين عيني عمر ملكا يسدده ويوقفه -رواية- ١-٢-رواية- ٧-٤٦ منها لو لم أبعث فيكم لبعث عمر -رواية- ١-٢-رواية- ٧-٣٦ منها لو كان بعدى نبي لكان عمر -رواية- ١-٢-رواية- ٧-٣٦ منها لو نزل إلى الأرض عذاب لمانجا منه إلا عمر -رواية- ١-٢-رواية- ٧-٥١ منها ما أبطأ عنى جبريل إلا ظننت أنه بعث إلى عمر -رواية- ١-٢-رواية- ٧-٥٣ منها سراج أهل الجنة عمر -رواية- ١-٢-رواية- ٧-٢٧ منها إن شاعرا أنشد النبي ص شعرا فدخل عمر فأشار النبي ص إلى الشاعر أن اسكت فلما خرج عمر قال له عد فعاد فدخل عمر فأشار النبي ص بالسكوت مرة ثانية فلما خرج عمر سأل الشاعر رسول الله ص عن الرجل فقال هذا عمر بن الخطاب و هو رجل لا يحب الباطل -رواية- ١-٢-رواية- ٧-٢٥٧ منها إن النبي ص قال وزنت بأمتي فرجحت ووزن أبو بكر بهافرجه ووزن عمر بهافرجه ثم رجح ثم رجح -رواية- ١-٢-رواية- ٢٦-١٠٣ . [صفحہ ١٧٩] و قدروا في فضله حديثا كثيرا غير هذا ولكننا ذكرنا الأشهر و قد طعن أعداؤه ومبغضوه في هذه الأحاديث فقالوا لو كان محدثا وملهما لما اختار معاوية الفاسق لولاية الشام ولكن الله تعالى قد ألهمه وحدثه بما يواقع من القبائح والمنكرات والبغى والتغلب على الخلافة والاستئثار بمال الفيء و غير ذلك من المعاصى الظاهرة قالوا وكيف لا يزال الشيطان

يسلك فجاً غير فججه و قد فر مراراً من الزحف فى أحد و حنين و خبير و الفرار من الزحف من عمل الشيطان و إحدى الكبائر الموبقة. قالوا و كيف يدعى له أن السكينة تنطق على لسانه أ ترى كانت السكينة تلاحى رسول الله ص يوم الحديدية حتى أغضبه. قالوا و لو كان ينطق على لسانه ملك أو بين عينيه ملك يسدده و يوقفه أو ضرب الله بالحق على لسانه و قلبه لكان نظيراً لرسول الله ص بل كان أفضل منه لأنه ص كان يؤدى الرسالة إلى الأمة عن ملك من الملائكة و عمر قد كان ينطق على لسانه ملك و زيد ملكاً آخر بين عينيه يسدده و يوقفه فهذا الملك الثانى مما قد فضل به على رسول الله ص و قد كان حكم فى أشياء فيخطئ فيها حتى يفهمه إياها على بن أبى طالب و معاذ بن جبل و غيرهما حتى قال لو لا على لهلك عمر و لو لامعاذ لهلك عمر و كان يشكل عليه الحكم فيقول لا بن عباس غص يا غواص فيفرج عنه فأين كان الملك الثانى المسدد له و أين الحق الذى ضرب به على لسان عمر و معلوم أن رسول الله ص كان ينتظر فى الوقائع نزول الوحي و عمر على مقتضى هذه الأخبار لاجابة به إلى نزول ملك عليه لأن الملكين معه فى كل وقت و كل حال ملك ينطق على لسانه و ملك آخر بين عينيه يسدده و يوقفه و قد عززا بثالث و هى السكينة فهو إذاً أفضل من رسول الله ص . [صفحة ١٨٠] و قالوا و الحديث الذى مضمونه لو لم أبعث فيكم لبعث عمر فيلزم أن يكون رسول الله ص عذاباً على عمر و أذى شديداً له لأنه لو لم يبعث لبعث عمر نبياً ورسولاً - و لم تعلم رتبة أجل من رتبة الرسالة فالمزىل لعمر عن هذه الرتبة التى ليس وراءها رتبة ينبغى ألا يكون فى الأرض أحد أبغض إليه منه . قالوا و أما كونه سراج أهل الجنة فيقتضى أنه لو لم يكن تجلى عمر لكانت الجنة مظلمة لاسراج لها. قالوا و كيف يجوز أن يقال لوزل العذاب لم ينبج منه إلا عمر و الله تعالى يقول وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ. قالوا و كيف يجوز أن يقال إن النبى ص كان يسمع الباطل و يحبه و يشهده و عمر لا يسمع الباطل و لا يشهده و لا يحبه أ ليس هذا تزيها لعمر عما لم يتره عنه رسول الله ص . قالوا و من العجب أن يكون النبى ص أرجح من الأمة يسيراً و كذلك أبوبكر و يكون عمر أرجح منهما كثيراً فإن هذا يقتضى أن يكون فضله أبين و أظهر من فضل أبى بكر و من فضل رسول الله ص . و الجواب أنه ليس يجب فيمن كان محدثاً ملهماً أن يكون محدثاً ملهماً فى كل شىء بل الاعتبار بأكثر أفعاله و ظنونه و آرائه و لقد كان عمر كثير التوفيق مصيب الرأى فى جمهور أمره و من تأمل سيرته علم صحة ذلك و لا يقدح فى ذلك أن يختلف ظنه فى القليل من الأمور . و أما الفرار من الزحف فإنه لم يفر إلا متحيزاً إلى فئة و قد استثنى الله تعالى ذلك فخرج به عن الإثم . - قرآن - ٤٧٤ - ٥٢٠ [صفحة ١٨١] و أما باقى الأخبار فالمراد بالملك فيها الأخبار عن صحة ظنه و صدق فراسته و هو كلام يجرى مجرى المثل فلا يقدح فيه ما ذكره . و أما قوله ص لوزل إلى الأرض عذاب لمانجا منه إلا عمر فهو كلام قاله عقيب أخذ الفدية من أسارى بدر فإن عمر لم يشر عليه و نهاه عنه فأنزل الله تعالى لَوْ لَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ و إذا كان القرآن قد نطق بذلك و شهد لم يلتفت إلى طعن من طعن فى الخبر . و أما قوله ع سراج أهل الجنة عمر فمعناه سراج القوم الذين يستحقون الجنة من أهل الدنيا أيام كونهم فى الدنيا مع عمر أى يستضيئون بعلمه كما يستضاء بالسراج . و أما حديث منع الشاعر فإن رسول الله ص خاف أن يذكر فى شعره ما يقتضى الإنكار فيعنف به عمر و كان شديد الغلظة فأراد النبى ص أن ينكر هو على الشاعر أن قال فى شعره ما يقتضى ذلك على وجه اللطف و الرفق و كان ع رءوفاً رحيماً كما قال الله تعالى . و أما حديث الرجحان فالمراد به الفتوح و ملك البلاد و تأويله أنه ع أرى فى منامه ما يدل على أنه يفتح الله عليه بلاداً و على أبى بكر مثله و يفتح على عمر أضعاف ذلك و هكذا وقع . و اعلم أن من تصدى للعب و جده و من قصر همته على الطعن على الناس انفتحت - قرآن - ٢٨٤ - ٣٥٥ [صفحة ١٨٢] له أبواب كثيرة و السعيد من أنصف من نفسه و رفض الهوى و تزود التقوى و بالله التوفيق

و أما إسلام عمر فإنه أسلم فكان تمام أربعين إنسانا في أظهر الروايات و ذلك في السنة السادسة من النبوة وسنه إذ ذاك ست وعشرون سنة و كان عمر ابنه عبد الله يومئذ ست سنين وأصح ما روى في إسلامه رواية أنس بن مالك عنه قال خرجت متقلدا سيفي فلقيت رجلا من بني زهرة فقال أين تعمد قلت أقتل محمدا قال وكيف تأمن في بني هاشم وبني زهرة فقلت ما أراك إلا صبوت قال أفلا أدلك على العجب أن أختك وزوجها قد صبوا فمشى عمر فدخل عليهما ذامرا وعندهما رجل من أصحاب رسول الله ص يقال له خباب بن الارت فلما سمع خباب حس عمر تواري فقال عمر ما هذه الهينمة التي سمعتها عنكم وكانوا يقرءون طه على خباب فقال ما عندنا شيء إنما هو حديث كنا نتحدثه بيننا قال فلعلكما قد صبوتما فقال له ختنه أرأيت يا عمر إن كان الحق في غير دينك فوثب عمر على ختنه فوطئه وطئا شديدا فجاءت أخته فدفعته عن زوجها فنفحها بيده فأدمى وجهها فجاهرته فقالت إن الحق في غير دينك و أنا أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله فاصنع ما بدا لك فلما يئس قال أعطوني هذا الكتاب الذي عندهم فأقرءوه و كان عمر يقرأ الخط [صفحة ١٨٣] فقالت له أخته إنك رجس و إن هذا الكتاب لا يمسه إلا المطهرون فقم فتوضأ فقام فأصاب ماء ثم أخذ الكتاب فقرأه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكر لمن يخشى إلى قوله إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي فقال عمر دلوني على محمد فلما سمع خباب قول عمر ورأى منه الرقة خرج من البيت فقال أبشر يا عمر فإني لأرجو أن تكون دعوة رسول الله ص ليلة الخميس لك سمعته يقول اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أوبعمر بن هشام قال و رسول الله ص في الدار التي في أصل الصفا فانطلق عمر حتى أتى الدار و على الباب حمزة بن عبدالمطلب وطلحة بن عبيد الله و ناس من أهل رسول الله ص فلما رأى الناس عمر قد أقبل كأنهم وجدوا وقالوا قد جاء عمر فقال حمزة قد جاء عمر فإن يرد الله به خيرا يسلم و إن يرد غير ذلك كان قتله علينا هينا قال و النبي ص من داخل البيت يوحى إليه فسمع رسول الله ص كلام القوم فخرج مسرعا حتى انتهى إلى عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل سيفه و قال ما أنت منتهيا يا عمر حتى ينزل الله بك يعني من الخزي والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة ثم قال اللهم هذا عمر اللهم أعز الإسلام بعمر فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله فكبر أهل الدار و من كان على الباب تكبيرة سمعها من كان في المسجد من المشركين . و قدروى أن عمر كان موعودا ومبشرا بما وصل إليه من قبل أن يظهر أمر الإسلام قرأت في كتاب من تصانيف أبي أحمد العسكري رحمه الله أن عمر خرج عسيفا مع الوليد بن المغيرة إلى الشام في تجارة للوليد وعمر يومئذ ابن ثمانى عشرة سنة فكان يرمى القرآن - ١١٣ - ١٨٠ - قرآن - ١٩٢ - ٢٧٤ [صفحة ١٨٤] للوليد إبله ويرفع أحماله ويحفظ متاعه فلما كان باللقاء لقيه رجل من علماء الروم فجعل ينظر إليه ويطيل النظر لعمر ثم قال أظن اسمك يا غلام عامرا أو عمران أو نحو ذلك قال اسمى عمر قال اكشف عن فخذيك فكشف فإذا على أحدهما شامة سوداء في قدر راحة الكف فسأله أن يكشف عن رأسه فكشف فإذا هو أصلع فسأله أن يعتمل بيده فاعتمل فإذا أعسر أيسر فقال له أنت ملك العرب وحق مريم البتول قال فضحك عمر مستهزئا قال أ وتضحك وحق مريم البتول أنك ملك العرب وملك الروم وملك الفرس فتركه عمر وانصرف مستهينا بكلامه و كان عمر يحدث بعد ذلك و يقول تبغى ذلك الرومى و هوراكب حمارا فلم يزل معى حتى باع الوليد متاعه وابتاع بثمانه عطرا وثيابا وقفل إلى الحجاز والرومى يتبعنى لا يسألنى حاجة ويقبل يدي كل يوم إذا أصبحت كما تقبل يد الملك حتى خرجنا من حدود الشام ودخلنا في أرض الحجاز راجعين إلى مكة فودعنى ورجع و كان الوليد يسألنى عنه فلا أخبره و لا أراه إلا هلك و لو كان حيا لشخص إلينا

فأما تاريخ موته فإن أبولؤلؤة طعنه يوم الأربعاء لأربع بقين من ذى الحجة من سنة ثلاث وعشرين ودفن يوم الأحد صباح هلال المحرم سنة أربع وعشرين وكانت ولايته عشر سنين وستة أشهر وهو ابن ثلاث وستين فى أظهر الأقوال وقد كان على المنبر يوم جمعة وقد ذكر رسول الله ص وأبابكر أنى قدرأيت رؤيا أظنها لحضور أجلى رأيت كأن ديكا نقرنى نقرتين فقصصتها على أسماء [صفحة ١٨٥] بنت عميس فقالت يقتلك رجل من العجم وإنى أفكرت فىمن أستخلف ثم رأيت أن الله لم يكن ليضيع دينه وخلافته التى بعث بهارسوله وروى ابن شهاب قال كان عمر لا يأذن لصبى قداحتلم فى دخول المدينة حتى كتب المغيرة و هو على الكوفة يذكر له غلاما صنعا عنده ويستأذنه فى دخول المدينة و يقول إن عنده أعمالا كثيرة فيها منافع للناس إنه حداد نقاش نجار فأذن له أن يرسل به إلى المدينة وضرب عليه المغيرة مائة درهم فى كل شهر فجاء إلى عمر يوما يشتكى إليه الخراج فقال له عمر ماذا تحسن من الأعمال فعد له الأعمال التى يحسن فقال له ليس خراجك بكثير فى كنه عملك هذا هو الذى رواه أكثر الناس من قوله له و من الناس من يقول إنه جهر بكلام غليظ واتفقوا كلهم على أن العبد انصرف ساخطا يتذمر فلبث أياما ثم مر بعمر فدعاه فقال قدحدثت أنك تقول لوأشاء لصنعت رضى تطحن بالريح فالتفت العبد عابسا ساخطا إلى عمر و مع عمر رهط من الناس فقال لأصنعن لك رضى يتحدث الناس بها فلما ولى أقبل عمر على الرهط فقال ألاتسمعون إلى العبد ماأظنه إلاأوعدنى أنفا فلبث لىالى ثم اشتمل أبولؤلؤة على خنجر ذى رأسين نصابه فى وسطه فكمن فى زاوية من زوايا المسجد فى غلس السحر فلم يزل هنالك حتى جاء عمر يوقظ الناس لصلاة الفجر كما كان يفعل فلما دنا منه وثب عليه فطعنه ثلاث طعنات إحداهن تحت السرة قدخرقت الصفاق وهى التى قتلته ثم انحاز إلى أهل المسجد فطعن فيهم من يليه حتى طعن أحد عشر رجلا سوى عمر ثم انتحر بخنجره فقال عمر حين أدركه النزف قولوا لعبد الرحمن بن عوف فليصل بالناس ثم غلبه النزف فأغمى عليه [صفحة ١٨٦] فأحتمل حتى أدخل بيته ثم صلى عبدالرحمن بالناس قال ابن عباس فلم أزل عند عمر و هو مغمى عليه لم يزل فى غشية واحدة حتى أسفر فلما أسفر أفاق فنظر فى وجوه من حوله و قال أصلى الناس فقيل نعم فقال لإسلام لمن ترك الصلاة ثم دعا بوضوء فتوضأ وصلى ثم قال اخرج يا ابن عباس فاسأل من قتلنى فجئت حتى فتحت باب الدار فإذا الناس مجتمعون فقلت من طعن أمير المؤمنين قالوا طعنه أبولؤلؤة غلام المغيرة قال ابن عباس فدخلت فإذا عمر ينظر إلى الباب يستأنى خبر ما بعثنى له فقلت يا أمير المؤمنين زعم الناس أنه عدو الله أبولؤلؤة غلام المغيرة بن شعبه و أنه طعن رهطا ثم قتل نفسه فقال الحمد لله الذى لم يجعل قاتلى يحاجنى عند الله بسجدة سجدها له قط ما كانت العرب لتقتلنى ثم قال أرسلوا إلى طيب ينظر جرحى فأرسلوا إلى طيب من العرب فسقاه نبيذا فخرج من الجرح فاشتبه عليهم الدم بالنبيذ ثم دعوا طيبا آخر فسقاه لبنا فخرج اللبن من الطعنة صلدا أبيض فقال الطيب اعهد يا أمير المؤمنين عهدك فقال لقد صدقنى و لو قال غير ذلك لكذب فبكى عليه القوم حتى أسمعوا من خارج الدار فقال لا تبكوا علينا ألا و من كان باكيا فليخرج فإن النبى ص قال إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه -رواية ١-٢-

رواية ٢٣-٥٩. وروى عن عبد الله بن عمر أنه قال سمعت أبى يقول لقد طعننى أبولؤلؤة طعنتين و ماأظنه إلاكلبا حتى طعننى الثالثة وروى أن عبدالرحمن بن عوف طرح على أبى لؤلؤة بعد أن طعن الناس خميصه كانت عليه فلما حصل فيها نحر نفسه فاحتز عبدالرحمن رأسه واجتمع البدريون وأعيان المهاجرين والأنصار بالباب فقال عمر لابن عباس اخرج إليهم فاسألهم أ عن ملا منكم [صفحة ١٨٧] كان هذا الذى أصابنى فخرج يسألهم فقال القوم لا- و الله ولوددنا أن الله زاد فى عمره من أعمارنا. وروى عبد الله بن عمر قال كان أبى يكتب إلى أمراء الجيوش لا-تجلبوا إلينا من العلوج أحدا جرت عليه المواسى فلما طعنه أبولؤلؤة قال من بى قالوا غلام المغيرة قال أ لم أقل لكم لا تجلبوا إلينا من العلوج أحدا فغلبتمونى. وروى محمد بن إسماعيل البخارى فى صحيحه عن عمرو بن ميمون قال إنى لقائم ماينى و بين عمر إلا عبد الله بن عباس غداة أصيب و كان إذامر بين الصفين قال استووا حتى إذا لم ير بيننا خللا- تقدم فكبر وربما قرأ سورة يوسف أو النحل فى الركعة الأولى أونحو ذلك فى

الركعة الثانية حتى يجتمع الناس فما هو إلا أن كبر فسمعتة يقول قتلنى أو أكلنى الكلب و ذلك حين طعنه العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يمينا و لاشمالا إلا طعنه حتى طعن ثلاثه عشر رجلا مات منهم ستة فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه وتناول عمر بيده عبدالرحمن بن عوف فقدمه فمضى عمر فقد رأى الذى رأى و أمانواحي المسجد فإنهم لا يدرون غير أنهم فقدوا صوت عمر فهم يقولون سبحان الله فصلى عبدالرحمن صلاة خفيفة فلما انصرفوا قال يا ابن عباس انظر من قتلنى فجال ساعة ثم جاء فقال غلام المغيرة قال الصنع قال نعم [صفحة ١٨٨] قال قاتله الله لقد أمرت به معروف الحمد لله الذى لم يجعل منيتى بيد رجل يدعى الإسلام و قد كنت أنت وأبوك تحبان أن يكثر العلوج و كان العباس أكثرهم رقيقا فقال إن شئت فعلنا أى قتلناهم قال كذبت بعد أن تكلموا بلسانكم وصلوا قبلتكم وحجوا حجكم فأحتمل إلى بيته وانطلقنا معه و كان الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ فقاتل يقول لأبأس عليه وقاتل يقول أخاف عليه فأتى بنيذ فشربه فخرج من جوفه ثم أتى بلبن فشربه فخرج من جوفه فعملوا أنه ميت فدخل الناس يشنون عليه وجاء رجل شاب فقال أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك صحبة برسول الله و قدم فى الإسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت ثم الشهادة فقال عمر وددت أن ذلك كله كان كفافا لا- على و لا- لى فلما أدبر إذ ارداه يمس الأرض فقال ردوا على الغلام فردوه فقال يا ابن أخى ارفع ثوبك فإنه أبقى لثوبك و أتقى لربك يا عبد الله بن عمر انظر ما على من دين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفا أونحوه فقال إن وفى به مال آل عمر فأده من أموالهم و إلافسل فى بنى عدى بن كعب فإن لم تف به أموالهم فسل فى قريش و لاتعدهم إلى غيرهم و أدنى عنى هذا المال انطلق إلى عائشة فقل لها يقرأ عليك السلام عمر و لاتقل أمير المؤمنين فإنى اليوم لست للمؤمنين أميرا و قل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه فمضى وسلم واستأذن ودخل عليها فوجدها قاعدة تبكى فقال يقرأ عليك السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه فقالت كنت أريده لنفسى يعنى الموضع ولأوثرنه اليوم على نفسى فلما أقبل قيل هذا عبد الله قد جاء قال ارفعونى فأسندوه إلى رجل منهم قال يا عبد الله مالديك قال الذى تحب يا أمير المؤمنين قدأذنت قال الحمد لله ما كان شىء أهم إلى من [صفحة ١٨٩] ذلك إذا أنا قبضت فاحملنى ثم سلم عليها و قل يستأذن عمر بن الخطاب فإن أذنت لى فأدخلونى و إن ردتنى فردونى إلى مقابر المسلمين و ادفنونى بين المسلمين وجاءت ابنته حفصة والنساء معها قال فلما رأيناها قمنا فولجت عليه فبكت عنده ساعة واستأذن الرجال فولجت بيتا داخلا- لهم فسمعنا بكاءها من البيت الداخلى فقال أوص يا أمير المؤمنين واستخلف فقال ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء نفر أو قال الرهط الذين توفى رسول الله ص و هو عنهم راض فسمى عليا و عثمان والزبير و طلحة و سعدا و عبدالرحمن و قال يشهدكم عبد الله بن عمر و ليس له من الأمر شىء كهية التعزية له فإن أصابت الإمارة سعدا فهو أهل لذلك و إلافليستن به أيكم أمر فإنى لم أعزله عن عجز و لا عن خيانه ثم قال أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم و يحفظ لهم حرمتهم وأوصيه بالأنصار خيرا الذين تبوءوا الدار و الإيمان من قبلهم أن يقبل من محسنهم و أن يعفو عن مسيئتهم وأوصيه بأهل الأمصار خيرا فإنهم رءى الإسلام و جباة الأموال و غيظ العدو ألا يأخذ منهم إلافضلهم عن رضاهم وأوصيه بالأعراب خيرا فإنهم أصل العرب و مادة الإسلام أن يؤخذ من حواشى أموالهم ويرد على فقرائهم وأوصيه بدمه الله و ذمة رسوله أن يوفى لهم بعهدهم و أن يقاتل من وراءهم و ألا يكلفوا إلاطاعتهم . قال فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشى فسلم عبد الله بن عمر و قال يستأذن عمر بن الخطاب فقالت أدخلوه فأدخل فوضع هنالك مع صاحبيه . [صفحة ١٩٠] و قال ابن عباس أنا أول من أتى عمر حين طعن فقال احفظ عنى ثلاثا فإنى أخاف ألا يدركنى الناس أما أنا فلم أقض فى الكلالة و لم أستخلف على الناس و كل مملوك لى عتيق فقلت له أبشر بالجنة صاحبت رسول الله ص فأطلت صحبته و وليت أمر المسلمين فقويت عليه و أدت الأمانة قال أما تبشيرك لى بالجنة فو الله الذى لا إله إلا هو لو أن لى الدنيا بما فيها لافندت به من هول ما أمامى قبل أن أعلم ما الخبر و أما ما ذكرت من أمر المسلمين فلوددت أن ذلك كان كفافا لا على و لا لى و أما ما ذكرت

من صحبة رسول الله ص فهو ذلك وروى معمر عن الزهري عن سالم عن عبد الله قال دخلت على أبي فقلت سمعت الناس يقولون مقالة وآليت أن أقولها لك زعموا أنك غير مستخلف و أنه لو كان لك راعي إبل أو غنم ثم جاءك وتركها رأيت أنه قد ضيع فرعاية الناس أشد فوضع رأسه ثم رفعه فقال إن الله تعالى يحفظ دينه إن لم أستخلف فإن رسول الله ص لم يستخلف وإن استخلفت فإن أبا بكر قد استخلف فو الله ما هو إلا أن ذكر رسول الله و أبا بكر فعلت أنه لم يكن يعدل برسول الله ص أحدا و أنه غير مستخلف . وروى أنه قال و قد أذنت له عائشة في أن يدفن في بيتها إذ مات فاستأذنها مرة ثانية فإن أذنت و إلا فتركها فإنني أخشى أن تكون أذنت لي لسلطاني فاستأذنها بعد موته فأذنت . [صفحة ١٩١] وروى عمر بن ميمون قال لماطن عمر دخل عليه كعب الأحمري فقال الحق من ربيك فلا - تكونن من الممتريين قد أنبأتك أنك شهيد فقال من أين لي بالشهادة و أنا بجزيرة العرب . وروى ابن عباس قال لماطن عمر وجئته بخبر أبي لؤلؤة أتيته والبيت ملآن فكرهت أن أتخطي رقابهم و كنت حديث السن فجلست و هو مسجى و جاء كعب الأحمري و قال لئن دعا أمير المؤمنين لبيقيه الله لهذه الأمة حتى يفعل فيها كذا وكذا حتى ذكر المنافقين فيمن ذكر فقلت أبلغه ماتقول قال ما قلت إلا - و أنا أريد أن تبلغه فتشجعت و قمت فتخطيت رقابهم حتى جلست عند رأسه و قلت إنك أرسلتني بكذا إن عبدالمغيرة قتلك وأصاب معك ثلاثة عشر إنسانا و إن كعبا هاهنا و هو يحلف بكذا فقال أدعو إلى كعب فدعى فقال ماتقول قال أقول كذا قال لا و الله لا أدعو ولكن شقى عمر إن لم يغفر الله له . وروى المسور بن مخرمة إن عمر لماطن أغمى عليه طويلا فقبل إنكم لم توقظوه بشيء مثل الصلاة إن كانت به حياة فقالوا الصلاة يا أمير المؤمنين الصلاة قد صليت فانتبه فقال الصلاة لاها الله لأتركها لاحظ في الإسلام لمن ترك الصلاة فصلى و إن جرحه لينتعب دما . وروى المسور بن مخرمة أيضا قال لماطن عمر جعل يألم ويجزع فقال ابن عباس و لا و كل ذلك يا أمير المؤمنين لقد صحبت رسول الله ص فأحسنت صحبته ثم فارقت و هو عنك راض و صحبت أبا بكر و أحسن صحبته و فارقك و هو عنك راض ثم صحبت المسلمين فأحسن إليهم و فارقتهم و هم عنك راضون - قرآن - ٦٧-١١٦ [صفحة ١٩٢] قال أما ما ذكرت من صحبة رسول الله ص و أبي بكر فذلك مما من الله به علي و أما ماترى من جزعي فو الله لو أن لي بما في الأرض ذهابا لافتديت به من عذاب الله قبل أن أراه و في رواية لافتديت به من هول المطع و في رواية المغرور من غررتموه لو أن لي ما على ظهرها من صفراء و بيضاء لافتديت به من هول المطع و في رواية في الإمارة على تشي يا ابن عباس قلت و في غيرها قال و ألقى نفسي بيده لو ددت أني خرجت منها كما دخلت فيها لا حرج و لا وزر و في رواية لو كان لي ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من كرب ساعة يعني الموت كيف و لم أرد الناس بعد و في رواية لو أن لي الدنيا و ما فيها لافتديت به من هول ما أمامي قبل أن أعلم ما الخبر . قال ابن عباس فسمعنا صوت أم كلثوم و عمر و كان معها نسوة يبكين فارتج البيت بكاء فقال عمر و يلم عمر إن الله لم يغفر له فقلت و الله إنني لأرجو إلاتراها إلا المقدار ما قال الله تعالى و إن منكم إلا و إرادها إن كنت ما علمنا لأمير المؤمنين وسيد المسلمين تقضى بالكتاب و تقسم بالسوية . فأعجبه قولي فاستوى جالسا فقال أتشهد لي بهذا يا ابن عباس فكععت أي جبت فضرب على ع بين كتفي و قال اشهد و في رواية لم تجزع يا أمير المؤمنين فو الله لقد كان إسلامك عزا و إمارتك فتحا و لقد ملأت الأرض عدلا فقال أتشهد لي بذلك يا ابن عباس قال فكأنه كره الشهادة فتوقف فقال له علي ع قل نعم و أنا معك فقال نعم . و في رواية أنه قال مسست جلده و هو ملقى فقلت لجلد لا تمسه النار أبدا فنظر إلى نظرة جعلت أرثي له منها قال و ما علمك بذلك قلت صحبت رسول الله ص فأحسنت صحبته الحديث فقال لو أن لي ما في الأرض لافتديت - قرآن - ٨٤٨-٨٧٥ [صفحة ١٩٣] به من عذاب الله قبل أن ألقاه أو أراه . و في رواية قال فأنكرنا الصوت و إذا عبد الرحمن بن عوف و قيل طعن أمير المؤمنين فانصرف الناس و هو في دمه مسجى لم يصل الفجر بعد فقبل يا أمير المؤمنين الصلاة فرفع رأسه و قال لاها الله إذن لاحظ لامرئ في الإسلام ضيع صلاته ثم وثب ليقوم فانثعب جرحه دما فقال هاتوا لي عمامة فعصب بها جرحه ثم صلى و ذكر ثم التفت إلى

ابنه عبد الله و قال ضع خدى إلى الأرض يا عبد الله قال عبد الله فلم أعج بها وظننت أنها اختلاس من عقله فقالها مرة أخرى ضع خدى إلى الأرض يا بنى فلم أفعل فقال الثالث ضع خدى إلى الأرض لأم لك فعرفت أنه مجتمع العقل و لم يمنعه أن يضعه هو إلا ما به من الغلبة فوضعت خده إلى الأرض حتى نظرت إلى أطراف شعر لحيته خارجة من أضعاف التراب وبكى حتى نظرت إلى الطين قد لصق بعينه فأصغيت أذنى لأسمع ما يقول فسمعته يقول ياويل عمر وويل أم عمر إن لم يتجاوز الله عنه و قد جاء فى رواية أن عليا ع جاء حتى وقف عليه فقال ما أحد أحب إلى أن ألقى الله بصحيفته من هذا المسجى -رواية ١- ٢-رواية ١٨- ١٠٨ وروى عن حفصة أم المؤمنين قالت سمعت أبى يقول فى دعائه اللهم قتلا فى سبيلك ووفاء فى بلد نبيك قلت و أنى يكون هذا قال يأتى به الله إذ شاء و يروى أن كعبا كان يقول له نجدك فى كتبنا تموت شهيدا فيقول كيف لى بالشهادة و أنا فى جزيرة العرب . وروى المقدم بن معديكرب قال لما أصيب عمر دخلت عليه حفصة ابنته فنادت يا صاحب رسول الله و يا صهر رسول الله و يا أمير المؤمنين فقال لابنه عبد الله أجلسنى فلاصبر لى على ما أسمع فأسنده إلى صدره فقال لها إنى أخرج عليك [صفحة ١٩٤] بما لى عليك من الحق أن تندينى بعدمجلسك هذا فما عينك فلن أملكها إنه ليس من ميت يندب عليه بما ليس فيه إلا الملائكة تمقته . وروى الأحنف قال سمعت عمر يقول إن قريشا رءوس الناس ليس أحد منهم يدخل من باب إلا دخل معه طائفة من الناس فلما أصيب عمر أمر صهيبا أن يصلى بالناس ثلاثة أيام ويطعمهم حتى يجتمعوا على رجل فلما وضعت الموائد كف الناس عن الطعام فقال العباس بن عبدالمطلب أيها الناس إن رسول الله ص مات فأكلنا بعده ومات أبو بكر فأكلنا بعده و أنه لا بد للناس من الأكل ثم مد يده فأكل من الطعام فعرفت قول عمر . و يروى كثير من الناس الشعر المذكور فى الحماسة و يزعم أن هاتفا من الجن هتف به و هو جزيت عن الإسلام خيرا وباركت || يد الله فى ذاك الأديم الممزق فمن يسع أو يركب جناحى نعامه || ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق قضيت أمورا ثم غادرت بعدها || بوائق فى أكامها لم تفتق أ بعدقتيل بالمدينة أظلمت || له الأرض تهتز العضاء بأسؤق و ما كنت أخشى أن تكون وفاته || بكفى سبنتى أزرق العين مطرق تظل الحصان البكر يلقى جنينها || نثا خبر فوق المطى معلق . والأكثر من يروونها لمزرد أخى الشماخ ومنهم من يرويها للشماخ نفسه [صفحة ١٩٥]

فصل فى ذكر ما طعن به على عمر والجواب عنه

إشارة

ونذكر فى هذا الموضوع ما طعن به على عمر فى المغنى من المطاعن و ما اعترض به الشريف المرتضى على قاضى القضاة و ما أجاب به قاضى القضاة فى كتابه المعروف بالشافى ونذكر ما عندنا فى البعض من ذلك

الطعن الأول

قال قاضى القضاة أول ما طعن به عليه قول من قال إنه بلغ من قلته علمه أنه لم يعلم أن الموت يجوز على النبى ص و أنه أسوء الأنبياء فى ذلك حتى قال و الله مامات محمد و لا يموت حتى تقطع أيدى رجال وأرجلهم فلما تلا عليه أبو بكر قوله تعالى إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ و قوله وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ لَآيَهُ قَالَ أَيْقَنْت بوفاته و كأنى لم أسمع هذه الآية فلو كان يحفظ القرآن أو يفكر فيه لما قال ذلك و هذا يدل على بعده من حفظ القرآن وتلاوته و من هذا حاله لا يجوز أن يكون إماما . قال قاضى القضاة و هذا لا يصح لأنه قد روى عنه أنه قال كيف يموت و قد قال الله تعالى

لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَقَالَ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا وَلِذَلِكَ نَفَى مَوْتَهُ عَنْ لَأَنَّهُ حَمَلَ الْآيَةَ عَلَى أَنَّهَا خَبِرَ عَنْهُ فِي حَالِ حَيَاتِهِ -قرآن- ٢٥٤-٢٨٧-قرآن- ٢٩٦-٤٠٦-قرآن- ٦٧٧-٧٠٨-قرآن- ٧١٦-٧٥٩ [صفحة ١٩٦] حتى قال له أبو بكر إن الله وعده بذلك وسيفعله وتلا- عليه ماتلا- فأيقن عند ذلك بموته وإنما ظن أن موته يتأخر عن ذلك الوقت لا أنه منع من موته . ثم سأل قاضى القضاة نفسه فقال فإن قيل فلم قال لأبى بكر عند قراءة الآية كأنى لم أسمعها ووصف نفسه بأنه أيقن بالوفاة. وأجاب بأن قال لما كان الوجه فى ظنه ما أزال أبو بكر الشبهة فيه جاز أن يتيقن ثم سأل نفسه عن سبب يقينه فيما لا يعلم إلا بالمشاهدة. وأجاب بأن قرينه الحال عند سماع الخبر أفادته اليقين و لو لم يكن فى ذلك إلا خبر أبى بكر وادعاؤه لذلك و الناس مجتمعون لحصل اليقين . و قوله كأنى لم أقرأ هذه الآية أو لم أسمعها تنبيه على ذهوله عن الاستدلال بها لا- أنه على الحقيقة لم يقرأها و لم يسمعها و لا يجب فىمن ذهب عن بعض أحكام الكتاب ألا يعرف القرآن لأن ذلك لودل لوجب ألا يحفظ القرآن إلا من يعرف جميع أحكامه ثم ذكر أن حفظ القرآن كله غير واجب و لا يقدح الإخلال به فى الفضل . و حكى عن الشيخ أبى على أن أمير المؤمنين ع لم يحط علمه بجميع الأحكام و لم يمنع ذلك من فضله و استدلل بما روى من قوله كنت إذ سمعت من رسول الله ص حديثا نفعنى الله به ماشاء أن ينفعنى و إذا حدثنى غيره أحلفته فإن حلف لى صدقته و حدثنى أبو بكر و صدق أبو بكر و ذكر أنه لم يعرف أى موضع يدفن فيه رسول الله ص حتى رجع إلى مارواه أبو بكر و ذكر قصة الزبير فى موالى صفية و أن أمير المؤمنين ع أراد أن يأخذ ميراثهم كما أن عليه أن يحمل عقلهم حتى أخبره عمر بخلاف ذلك من أن الميراث للأب و العقل على العصبه. [صفحة ١٩٧] ثم سأل نفسه فقال كيف يجوز ما ذكرتم على أمير المؤمنين ع مع قوله سلونى قبل أن تفقدونى و قوله إن هاهنا علما جما يومئ إلى قلبه و قوله لو ثبت لى الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم و بين أهل الإنجيل بإنجيلهم و بين أهل الزبور بزبورهم و بين أهل القرآن بقرآنهم و قوله كنت إذ سئلت أجبت و إذ سئلت ابتدئت . و أجاب عن ذلك بأن هذا إنما يدل على عظم المحل فى العلم من غير أن يدل على الإحاطة بالجميع . و حكى عن أبى على استبعاده ماروى من قوله لو ثبت الوسادة قال لأنه لا يجوز أن يصف نفسه بأنه يحكم بما لا يجوز و معلوم أنه ع لا يحكم بين الجميع إلا بالقرآن ثبت له الوسادة أو لم تثبت و هذا يدل على أن الخبر موضوع . فاعترض الشريف المرتضى فقال ليس يخلو خلاف عمر فى وفاة رسول الله ص من أن يكون على سبيل الإنكار لموته على كل حال و الاعتقاد بأن الموت لا يجوز عليه على كل وجه أو يكون منكرا لموته فى تلك الحال من حيث لم يظهر دينه على الدين كله و ما أشبه ذلك مما قال صاحب الكتاب أنها كانت شبهة فى تأخر موته عن تلك الحال . فإن كان الوجه الأول فهو مما لا يجوز خلاف العقلاء فى مثله و العلم بجواز الموت على سائر البشر لا يشك فيه عاقل و العلم من دينه ع بأنه سيموت كما مات من قبله ضرورى و ليس يحتاج فى مثل هذا إلى الآيات التى تلاها أبو بكر من قوله تعالى إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ و ما أشبهها و إن كان خلافه على الوجه الثانى تأول ما فيه أن هذا الخلاف لا يليق بما احتج به أبو بكر من قوله تعالى إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ لأنه لم ينكر على هذا جواز الموت و إنما خالف فى تقدمه و قد كان يجب أن يقول له و أى حجة فى هذه الآيات على -قرآن- ١٢٢١-١٢٥٤-قرآن- ١٣٧٧-١٤١٠ [صفحة ١٩٨] من جواز عليه ص الموت فى المستقبل و أنكره فى هذه الحال و بعد فكيف دخلت الشبهة البعيدة على عمر من بين سائر الخلق و من أين زعم أنه لا يموت حتى يقطع أيدى رجال و أرجلهم و كيف حمل معنى قوله تعالى لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَقَوْلُهُ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا عَلَى أَنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ بَعْدَ الْوَفَاةِ وَ كَيْفَ لَمْ يَخْطُرْ هَذَا لِلْعَمْرُ وَ حُدِّدَ وَ مَعْلُومٌ أَنَّ ضَعْفَ الشَّبْهِهَةِ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ ضَعْفِ الْفِكْرَةِ وَ قَلْبِ التَّأْمَلِ وَ الْبَصِيرَةِ وَ كَيْفَ لَمْ يَوْقِنْ بِمَوْتِهِ لِمَا رَأَى مَا عَلَيْهِ أَهْلُ الْإِسْلَامِ مِنْ اعْتِقَادِ مَوْتِهِ وَ مَارَكِبِهِمْ مِنَ الْحُزَنِ وَ الْكَأَبَةِ لِفَقْدِهِ وَ هَلَا دَفَعَ بِهَذَا الْيَقِينَ ذَلِكَ التَّأْوِيلَ الْبَعِيدَ فَلَمْ يَحْتِجْ إِلَى مَوْقِفٍ وَ مَعْرِفٍ وَ قَدْ كَانَ يَجِبُ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ شَبْهِهَةً أَنْ يَقُولَ فِي حَالِ مَرَضِ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ قَدْ رَأَى جُزْءَ أَهْلِهِ وَ أَصْحَابِهِ وَ خَوْفِهِمْ عَلَيْهِ مِنَ الْوَفَاةِ حَتَّى يَقُولَ أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ مُعْتَذِرًا مِنْ تَبَاطُئِهِ عَنِ الْخُرُوجِ فِي الْجَيْشِ

الذى كان رسول الله ص يكرر ويردد الأمر حينئذ بتنفيذه لم أكن لأسأل عنك الركب ما هذا الجزع والهلع وقد أمنكم الله من موته بكذا في وجه كذا وليس هذا من أحكام الكتاب التي يعذر من لا يعرفها على ما ظنه صاحب الكتاب . قلت الذى قرأناه ورويناه من كتب التواريخ يدل على أن عمر أنكروا موت رسول الله ص من الوجهين المذكورين أنكروا أولا- أن يموت إلى يوم القيامة واعتقد عمر أنه يعمر كما يعتقد كثير من الناس فى الخضر فلما حابه أبو بكر بقوله تعالى إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ وبقوله أ فَإِن مَاتَ أَوْ قُتِلَ رَجَعَ عَنِ ذَلِكَ الْعِتَادِ . وليس يرد على هذا ما اعترض به المرتضى لأن عمر ما كان يعتقد استحالة الموت عليه كاستحالة الموت على البارئ تعالى أعنى الاستحالة الذاتية بل اعتقد استمرار حياته إلى يوم -قرآن- ٢٠٨-٢٣٩-قرآن- ٢٤٨-٢٩١-قرآن- ١٢٤١-١٢٩٤-قرآن- ١٣٠٣-١٣٢٦ [صفحہ ١٩٩] القيامة مع كون الموت جائزا فى العقل عليه و لا تناقض فى ذلك فإن إبليس يبقى حيا إلى يوم القيامة مع كون موته جائزا فى العقل و ما أورده أبو بكر عليه لازم على أن يكون نفيه للموت على هذا الوجه . و أما الوجه الثانى فهو أنه لمادفعه أبو بكر عن ذلك الاعتقاد وقف مع شبهة أخرى اقتضت عنده أن موته يتأخر و إن لم يكن إلى يوم القيامة و ذلك أنه تأول قوله تعالى هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينَ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ فاجعل الضمير عائدا على الرسول لا على الدين و قال إن رسول الله ص لم يظهر بعد على سائر الأديان فوجب أن تستمر حياته إلى أن يظهر على الأديان بمقتضى الوعد الذى لا يجوز عليه الخلف والكذب فحاجه أبو بكر من هذا المقام فقال له إنما أراد ليظهر دينه وسيظهره فيما بعد و لم يقل ليظهره الآن فمن ثم قال له و لو أراد ليظهر الرسول ص على الدين كله لكان الجواب واحدا لأنه إذا ظهر دينه فقد أظهره هو. فأما قول المرتضى رحمه الله وكيف دخلت هذه الشبهة على عمر من بين الخلق فهكذا تكون الخواطر والشبه والاعتقادات تسبق إلى ذهن واحد دون غيره وكيف دخلت الشبهة على جماعة منعوا الزكاة واحتجوا بقوله تعالى وَ صَلَّى عَلَيْهِمَ إِنَّ صِيْلَاتِكَ سَيَكُنُّ لَهُمْ دُونَ غَيْرِهِمْ من قبائل العرب وكيف دخلت الشبهة على أصحاب الجمل وصفين دون غيرهم وكيف دخلت الشبهة على خوارج النهروان دون غيرهم و هذا باب واسع فأما قوله و من أين زعم أنه لا يموت حتى تقطع أيدى رجال وأرجلهم فإن الذى -قرآن- ٣٧٤-٤٦٠-قرآن- ١٠٨٤-١١٢٦ [صفحہ ٢٠٠] ذكره المؤرخون أنه قال مامات رسول الله ص وإنما غاب عنا كما غاب موسى عن قومه وسيعود فتقطع أيدى رجال وأرجلهم ممن أرجف بموته و هذه الرواية تخالف ما ذكره المرتضى . فأما قوله وكيف حمل معنى قوله لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وقوله وَ لِيُبَيِّنَنَّ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا على أن ذلك لا يكون فى المستقبل فقد بينا الشبهة الداخلة عليه فى ذلك وكونه ظن أن ذلك يكون معجلا على الفور وكذلك قوله وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ... وَ لِيُبَيِّنَنَّ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا فإنه ظن أن هذا العموم يدخل فيه رسول الله ص لأنه سيد المؤمنين وسيد الصالحين أو أنه لفظ عام والمراد به رسول الله وحده كما ورد فى كثير من آيات القرآن مثل ذلك فظن أن هذا الاستخلاف فى جميع الأرض وتبديل الخوف بالأمن إنما هو على الفور لا على التراخي وليست هذه الشبهة بضعيفة جدا كما ظن المرتضى بل هى موضع نظر. فأما قوله كيف لم يؤمن بموته لمارأى من كآبه الناس وحزنهم فلأن الناس يبنون الأمر على الظاهر وعمر نظر فى أمر باطن دقيق فاعتقد أن الرسول لم يموت وإنما ألقى شبهه على غيره كما ألقى شبه عيسى على غيره فصلب وعيسى قد رفع و لم يصلب واعلم أن أول من سن لأهل الغيبة من الشيعة القول بأن الإمام لم يموت و لم يقتل و إن كان فى الظاهر و فى مرأى العين قد قتل أو مات إنما هو عمر ولقد كان يجب على المرتضى وطائفته أن يشكروه على ما أسس لهم من هذا الاعتقاد. -قرآن- ٢١١-٢٤٢-قرآن- ٢٥١-٢٩٤-قرآن- ٤٢٤-٥٥٢-قرآن- ٥٩٩-٥٩٩ [صفحہ ٢٠١] فأما قوله فهلا- قال فى مرض رسول الله ص لمارأى جزعهم لموته قد أمنكم الله من موته فغير لازم لأن الشبهة لا تجب أن تخطر بالبال فى كل الأوقات فلعله قد كان فى ذلك الوقت غافلا عنها مشغول الذهن بغيرها و لو صح للمرتضى هذا الوجه أن يدفع ويبطل كل ما يتجدد ويطرأ على الناس من الشبهة فى المذاهب والآراء فنقول كيف طرأت عليهم هذه

الشبهات الآن و لم تطراً عليهم من قبل و هذا من اعتراضات المرتضى الضعيفه على أنا قد ذكرنا نحن فى الجزء الأول من هذا الكتاب ما قصده عمر بقوله إن رسول الله لم يمّت وقلنا فيه قولاً شافياً لم نسبق إليه فليعاود ثم قال المرتضى فأما ما روى عن أمير المؤمنين ع من خبر الاستحلاف فى الأخبار فلا يدل على عدم علم أمير المؤمنين بالحكم لأنه يجوز أن يكون استحلافه ليرهب المخبر ويخوفه من الكذب على النبى ص لأن العلم بصحة الحكم الذى يتضمنه الخبر لا يقتضى صدق المخبر وأيضا فلا تاريخ لهذا الحديث ويمكن أن يكون استحلافه ع للرواه إنما كان فى حياة رسول الله ص و فى تلك الحال لم يكن محيطا بجميع الأحكام. فأما حديث الدفن وإدخاله فى باب أحكام الدين التى يجب معرفتها فطريف و قد يجوز أن يكون أمير المؤمنين ع سمع من النبى ص فى باب الدفن مثل ما سمعه أبوبكر و كان عازما على العمل به حتى روى أبوبكر ما رواه فعمل بما كان يعلمه لا من طريق أبى بكر و ظن الناس أن العمل لأجله و يجوز أن يكون رسول الله ص خير وصيه ع فى موضع دفنه و لم يعين له موضعا بعينه فلما روى أبوبكر ما رواه رأى موافقته فليس فى هذا دلالة على أنه ع استفاد حكما لم يكن عنده . [صفحہ ۲۰۲] و أماما الى صفيه فحكم الله فيهم ما أفتى به أمير المؤمنين ع و ليس سكوته حيث سكت عند عمر رجوعا عما أفتى به ولكنه كسكوته عن كثير من الحق تقيه ومدارة للقوم . و أما قوله ع سلونى قبل أن تفقدونى و قوله إن هاهنا لعلماء جما إلى غير ذلك فإنه لا يدل على عظم المحل فى العلم فقط على ما ظنه صاحب الكتاب بل هو قول واثق بنفسه آمن من أن يسأل عما لا يعلمه وكيف يجوز أن يقول مثله على رءوس الأشهاد وظهور المنابر سلونى قبل أن تفقدونى و هو يعلم أن كثيرا من أحكام الدين يعزب عنه وأين كان أعداؤه والمنتهزون لفرصته وزلته عن سؤاله عن مشكل المسائل وغوامض الأحكام والأمر فى هذا ظاهر. فأما استبعاد أبى على لما روى عنه ع من قوله لو ثبتت لى الوسادة للوجه الذى ظنه فهو البعيد فإنه لم يفتن لغرضه ع وإنما أراد أنى كنت أقاضيهم إلى كتبهم الدالة على البشارة بنبيناص وصحة شرعه فأكون حاكما حينئذ عليهم بما تقتضيه كتبهم من هذه الشريعة وأحكام هذا القرآن و هذا من جليل الأغراض وعظيمها

الطعن الثانى

أنه أمر برجم حامل حتى نبهه معاذ و قال إن يكن لك عليها سبيل فلا سبيل لك على ما فى بطنها فرجع عن حكمه و قال لو لامعاذ لهلك عمر و من يجهل هذا القدر لا يجوز أن يكون إماما لأنه يجرى مجرى أصول الشرع بل العقل يدل عليه لأن الرجم عقوبة و لا يجوز أن يعاقب من لا يستحق . [صفحہ ۲۰۳] اعتذر قاضى القضاة عن هذا فقال إنه ليس فى الخبر أنه أمر برجمها مع علمه بأنها حامل لأنه ليس ممن يخفى عليه هذا القدر و هو أن الحامل لا ترجم حتى تضع وإنما ثبت عنده زناها فأمر برجمها على الظاهر وإنما قال ما قال فى معاذ لأنه نبهه على أنها حامل . ثم سأل نفسه فقال فإن قيل إذا لم تكن منه معصية فكيف يهلك لو لامعاذ وأجاب بأنه لم يرد لهلك من جهة العذاب وإنما أراد أنه كان يجرى بقوله قتل من لا يستحق القتل و يجوز أن يريد بذلك تقصيره فى تعرف حالها لأن ذلك لا يمتنع أن يكون بخطئه و إن صغرت . اعترض المرتضى على هذا الاعتذار فقال لو كان الأمر على ما ظننته لم يكن تنبيه معاذ له على هذا الوجه بل كان يجب أن ينبهه بأن يقول له هى حامل و لا يقول له إن كان لك سبيل عليها فلا سبيل لك على ما فى بطنها لأن هذا قول من عنده أنه أمر برجمها مع العلم بحملها وأقل ما يجب لو كان الأمر كما ظنه صاحب الكتاب أن يقول لمعاذ ما ذهب على أن الحامل لا ترجم وإنما أمرت برجمها لفقد علمى بحملها فكان ينفى بهذا القول عن نفسه الشبهة و فى إمساكه عنه مع شدة الحاجة إليه دليل على صحة قولنا و قد كان يجب أيضا أن يسأل عن الحمل لأنه أحد الموانع من الرجم فإذا علم انتفاءه وارتفاعه أمر بالرجم وصاحب الكتاب قد اعترف بأن ترك المسألة عن ذلك تقصير وخطئه وادعى أنها صغيرة و من أين له ذلك و لا دليل يدل عنده فى غير الأنبياء ع أن معصية بعينها صغيرة. فأما إقراره بالهلاك لو لا تنبيه

معاذ فإنه يقتضى التعظيم والتفخيم لشأن الفعل و لا يليق ذلك إلا بالتقصير الواقع إما فى الأمر برجمها مع العلم بأنها حامل أو ترك البحث عن ذلك [صفحة ٢٠٤] والمسألة عنه و أى لوم عليه فى أن يجرى بقوله قتل من لا يستحق القتل إذا لم يكن ذلك عن تفريط منه و لا تقصير. قلت أما ظاهر لفظ معاذ فيشعر بما قاله المرتضى و لم يمتنع أن يكون عمر لم يعلم أنها حامل و أن معاذ قد كان من الأدب أن يقول له حامل يا أمير المؤمنين فعدل عن هذا اللفظ بمقتضى أخلاق العرب و خشونتهم فقال له إن كان لك عليها سبيل فلا سبيل لك على ما فى بطنها فنبهه على العلة والحكم معا و كان الأدب أن ينبهه على العلة فقط. و أما عدول عمر عن أن يقول أنا أعلم أن الحامل لا ترجم وإنما أمرت برجمها لأنى لم أعلم أنها حامل فلأنه إنما يجب أن يقول مثل هذا من يخاف من اضطراب حاله أو نقصان ناموسه وقاعدته أن لم يقله وعمر كان أثبت قدما فى ولايته وأشد تمكنا من أن يحتاج إلى الاعتذار بمثل هذا. و أما قول المرتضى كان يجب أن يسأل عن الحمل لأنه أحد الموانع من الرجم فكلام صحيح لازم و لا ريب إن ترك السؤال عن ذلك نوع من الخطأ ولكن المرتضى قد ظلم قاضى القضاة لأنه زعم أنه ادعى أن ذلك صغيرة ثم أنكر عليه ذلك و من أين له ذلك و أى دليل دل على أن هذه المعصية صغيرة وقاضى القضاة مادعى أن ذلك صغيرة بل قال لا يمتنع أن يكون ذلك خطيئة و إن صغرت والعجب أنه حكى لفظ قاضى القضاة بهذه الصورة ثم قال إنه ادعى أنها صغيرة و بين قول القائل لا يمتنع أن يكون صغيرة و قوله هى صغيرة لا محالة فرق عظيم . و أما قول عمر لو لامعاذ لهلك عمر فإن ظاهر اللفظ يشعر بما يريد المرتضى وينحو إليه و لا يمتنع أن يكون المقصود به ما ذكره قاضى القضاة و إن كان مرجوحا فإن القائل خطأ [صفحة ٢٠٥] قد يقول هلكت ليس يعنى به العقاب يوم القيامة بل لوم الناس وتعنيفهم إياه على ترك الاحتراس وإهمال التثبت

الطعن الثالث

خبر المجنونة التى أمر برجمها فنبهه أمير المؤمنين ع و قال إن القلم مرفوع عن المجنون حتى يفيق -رواية ١-٢-رواية ٨-٤٨ فقال لو لا- على لهلك عمر و هذا يدل على أنه لم يكن يعرف الظاهر من الشريعة. أجاب قاضى القضاة فقال ليس فى الخبر أنه عرف جنونها فيجوز أن يكون الذى نبه عليه هو جنونها دون الحكم لأنه كان يعلم أن الحد لا يقيم فى حال الجنون وإنما قال لو لا على لهلك عمر لا من جهة المعصية والإثم لكن لأن حكمه لو نفذ لعظم غمه ويقال فى شدة الغم إنه هلاك كما يقال فى الفقر وغيره و ذلك مبالغته منه لما كان يلحقه من الغم الذى زال بهذا التنبيه على أن هذا الوجه مما لا يمتنع فى الشرع أن يكون صحيحا و أن يقال إذا كانت مستحقة للحد فإقامته عليها تصح و إن لم يكن لها عقل لأنه لا يخرج الحد من أن يكون واقعا موقعه و يكون قوله ع رفع القلم عن ثلاث يراد به زوال التكليف عنهم دون زوال إجراء الحكم عليهم و من هذه حاله لا يمتنع أن يكون مشتبهها فرجع فيه إلى غيره و لا يكون الخطأ فيه مما يعظم فيمنع من صحة الإمامة. اعترض الشريف المرتضى هذا فقال لو كان أمر برجم المجنونة من غير علم بجنونها لما قال له أمير المؤمنين أ ما علمت أن القلم مرفوع عن المجنون حتى يفيق بل كان يقول له بدلا من ذلك هى مجنونة و كان ينبغى أن يقول عمر متبرئا من الشبهة ما علمت بجنونها ولست ممن يذهب عليه أن المجنون لا يرجم فلما رأيناه استعظم ما أمر به و قال لو لا [صفحة ٢٠٦] على لهلك عمر دلنا على أنه كان تأثم وتخرج بوقوع الأمر بالرجم و أنه مما لا يجوز و لا يحل و إلا- فلا معنى لهذا الكلام و أما ذكر الغم فأى غم كان يلحقه إذ فعل ما له أن يفعله و لم يكن منه تفريط و لا تقصير لأنه إذا كان جنونها لم يعلم به فكانت المسألة عن حالها والبحث لا يجبان عليه فأى وجه لتألمه وتوجهه واستعظامه لمافعله وهل هذا إلا- كرجم المشهود عليه بالزنا فى أنه لو ظهر للإمام بعد ذلك براءة ساحتها لم يجب أن يندم على فعله ويستعظمه لأنه وقع صوابا مستحقا. و أما قوله إنه كان لا يمتنع فى الشرع أن يقيم الحد على المجنون وتأوله الخبر المروى على أنه يقتضى زوال التكليف دون الأحكام فإن أراد أنه لا يمتنع فى العقل أن يقيم على المجنون ما هو من جنس الحد بغير استخفاف و

لا إهانة فذلك صحيح كما يقام على التائب و أما الحد في الحقيقة و هو الذى تضمنه الاستخفاف والإهانة فلا يجوز إلا على المكلفين ومستحقى العقاب وبالجنون قد أزيل التكليف فزال استحقاق العقاب الذى تبعه الحد. و قوله لا يمتنع أن يرجع فيما هذه حاله من المشتبه إلى غيره فليس هذا من المشتبه الغامض بل يجب أن يعرفه العوام فضلا عن العلماء على أننا قد بينا أنه لا يجوز أن يرجع الإمام فى جلى و لامشبهه من أحكام الدين إلى غيره . و قوله إن الخطأ فى ذلك لا يعظم فيمنع من صحة الإمامة اقتراح بغير حجة لأنه إذا اعترف بالخطأ فلا سبيل للقطع على أنه صغير. قلت لو كان قد نقل أن أمير المؤمنين قال له أ ما علمت لكان قول المرتضى قويا ظاهرا إلا أنه لم ينقل هذه الصيغة بعينها والمعروف المنقول أنه قال له قال رسول الله ص رفع القلم عن ثلاث فرجع عن رجمها ويجوز أن يكون أشعره بالعلة [صفحته ٢٠٧] والحكم معا لأن هذا الموضوع أكثر اشتباها من حديث رجم الحامل فغلب على ظن أمير المؤمنين أنه لو اقتصر على قوله أنها مجنونة لم يكن ذلك دافعا لرجمها فأكدته برواية الحديث واعتذار قاضى القضاة بالغم جيد وقول المرتضى أى غم كان يلحقه إذ فعل ما له أن يفعله ليس بإنصاف و لا مثل هذا يقال فيه أنه فعل ما له أن يفعله و لا يقال فى العرف لمن قتل إنسانا خطأ أنه فعل ما له أن يفعله والمرجوم فى الزناء إذا ظهر للإمام بعد قتله براءة ساحته قد يغتم بقتله غما كثيرا بالطبع البشرى ويتألم و إن لم يكن آثما و ليس من توابع الإثم و لوازمه . وقول المرتضى لم يجب أن يندم على ما فعله كلام خارج عما هو بصده لأنه لم يجر ذكر للندم وإنما الكلام فى الغم و لا يلزم أن يكون كل مغتم نادما. و أما اعتراضه على قاضى القضاة فى قوله لا يمتنع فى الشرع أن ترجم المجنونة فلما اشتبه على عمر الأمر سأل غيره عنه بقوله إن أردت الحد الحقيقى فمعلوم و إن أردت ما هو جنس الحد فمسلم فليس بجيد لأن هذا إنما يكون طعنا على عمر بتقدير ثلاثة أمور أحدها أن يكون النبى ص قد قال أقيموا الحد على الزانى -رواية ١-٢-رواية ٢١-٤٥ بهذا اللفظ أعنى أن يكون فى لفظ النص ذكر الحد وثانيها أن يكون الحد فى اللغة العربية أو فى عرف الشرع الذى يتفاهمه الصحابة هو العقوبة المخصوصة التى يقارنها الاستخفاف والإهانة وثالثها ألا يصح إهانة المجنون والاستخفاف به و أن يعلم عمر ذلك فإذا اجتمعت هذه الأمور الثلاثة ثم أمر عمر بأن يقام الحد على المجنونة فقد توجه الطعن ومعلوم أنه لم تجتمع هذه الأمور الثلاثة فإنه ليس فى القرآن و لا فى السنة ذكر الحد بهذا اللفظ و لا الحد فى اللغة العربية هو العقوبة التى يقارنها الاستخفاف والإهانة و لا عرف الشرع ومواضع الصحابة يشتمل على ذلك وإنما هذا شىء استنبطه المتكلمون المتأخرون بأذهانهم وأفكارهم ثم بتقدير تسليم هذين المقامين لم قال إن المجنون [صفحته ٢٠٨] لا يصح عليه الاستخفاف والإهانة فمن الجائر أن يصح ذلك عليه و إن لم يتألم بالاستخفاف والإهانة كما يتألم بالعقوبة و إذ اصح عليه أن يألم بالعقوبة صح عليه أن يألم بالاستخفاف والإهانة لأن الجنون لا يبلغ و إن عظم مبلغا يبطل تصور الإنسان لإهانتته ولاستخفافه و بتقدير ألا يصح على المجنون الاستخفاف والإهانة من أين لنا أن عمر علم أن ذلك لا يصح عليه فمن الممكن أن يكون ظن أن ذلك يصح عليه لأن هذا مقام اشتباه والتباس. فأما قوله قد بينا أنه لا يجوز أن يرجع الإمام أصلا إلى غيره فهو مبنى على مذهبهم وقواعدهم و قوله معترضا على كلام قاضى القضاة أن الخطأ فى ذلك قد لا يعظم ليمنع من صحة الإمامة أن هذا اقتراح بغير حجة لأنه إذا اعترف بالخطأ فلا سبيل إلى القطع على أنه صغير غير لازم لأن قاضى القضاة لم يقطع بأنه صغير بل قال لا يمتنع و إذا جاز أن يكون صغيرا لم تكن قاطعين على فساد الإمامة به . فإن قال المرتضى كما أنكم لا تقطعون على أنه صغير فتكون الإمامة مشكوكا فيها قيل له الأصل عدم الكبير فإذا حصل الشك فى أمر هل هو صغير أم كبير تساقط التعارض ورجعنا إلى الأصل و هو عدم كون ذلك الخطأ كبيرا فلا يمتنع ذلك من صحة الإمامة

الطعن الرابع

حديث أبى العجفاء و أن عمر منع من المغالاة فى صدقات النساء اقتداء بما كان من النبى ص فى صدقات فاطمة حتى قامت

المرأة ونبهته بقوله تعالى وَ آتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا عَلَى جواز ذلك فقال كل النساء أفقه من عمر -قرآن- ١٤٥-١٧٣ [صفحہ ٢٠٩] وبما روى أنه تسور على قوم ووجدهم على منكر فقالوا له إنك أخطأت من جهات تجسست و قال الله تعالى وَ لَا تَجَسَّسُوا ودخلت بغير إذن و لم تسلم .أجاب قاضى القضاة فقال علمنا بتقدم عمر فى العلم وفضله فيه ضرورى فلا يجوز أن يقدر فيه بأخبار أحاديث غير مشهورة وإنما أراد فى المشهور أن المستحب الاقتداء برسول الله ص و أن المغالاة فيها ليس بمكرمة ثم عند التنبه علم أن ذلك مبنى على طيب النفس فقال ماقاله على جهة التواضع لأن من أظهر الاستفادة من غيره و إن قل علمه فقد تعاطى الخضوع ونبه على أن طريقته أخذ الفائدة أينما وجدها وصير نفسه قدوة فى ذلك وأسوة و ذلك حسن من الفضلاء و أما حديث التجسس فإن كان فعله فقد كان له ذلك لأن للإمام أن يجتهد فى إزالة المنكر بهذا الجنس من الفعل وإنما لحقه على ما يروى فى الخبر الخجل لأنه لم يصادف الأمر على ما ألقى إليه فى إقدامهم على المنكر اعترض المرتضى على هذا الجواب فقال له أما تعويلك على العلم الضرورى بكونه من أهل العلم والاجتهاد فذلك إذ اصح لم ينفك عنه لأنه قديده على من هو بهذه الصفة كثير من الأحكام حتى ينبه عليها ويجتهد فيها و ليس العلم الضرورى ثابتا بأنه عالم بجميع أحكام الدين فيكون قاضيا على هذه الأخبار فأما تأوله الحديث وحمله على الاستحباب فهو دفع للعيان لأن المروى أنه منع من ذلك وحظره حتى قالت المرأة ما قالت و لو كان غير حاضرا للمغالاة لما كان فى الآية حجة و لا كان لكلام المرأة موقع و لا كان يعترف لها بأنها أفقه منه بل كان الواجب أن يرد عليها ويوبخها ويعرفها أنه ما حظر لذلك وإنما تكون -قرآن- ١٠٤-١١٩ [صفحہ ٢١٠] الآية حجة عليه لو كان حاضرا مانعا فأما التواضع فلا يقتضى إظهار القبيح وتصويب الخطأ و لو كان الأمر على ما توهمه صاحب الكتاب لكان هو المصيب والمرأة مخطئة فكيف يتواضع بكلام يوهم أنه المخطئ وهى المصيبة فأما التجسس فهو محظور بالقرآن والسنة و ليس للإمام أن يجتهد فيما يؤدي إلى مخالفة الكتاب والسنة و قد كان يجب إن كان هذا عذرا صحيحا أن يعتذر به إلى من خطأه فى وجهه و قال له إنك أخطأت السنة من وجوه فإنه بمعاذير نفسه أعلم من صاحب الكتاب وتلك الحال حال تدعو إلى الاحتجاج وإقامة العذر. قلت قصارى هذا الطعن أن عمر اجتهد فى حكم أو أحكام فأخطأ فلما نبه عليها رجع و هذا عند المعتزلة وأكثر المسلمين غير منكر وإنما ينكر أمثال هذا من يبطل الاجتهاد ويوجب عصمة الإمام فإذا هذا البحث ساقط على أصول المعتزلة والجواب عنه غير لازم علينا

الطعن الخامس

أنه كان يعطى من بيت المال ما لا يجوز حتى أنه كان يعطى عائشة وحفصة عشرة آلاف درهم فى كل سنة ومنع أهل البيت خمسهم الذى يجرى مجرى الواصل إليهم من قبل رسول الله ص و أنه كان عليه ثمانون ألف درهم من بيت المال على سبيل القرض .أجاب قاضى القضاة بأن دفعه إلى الأزواج جائز من حيث إن لهن حقا فى بيت [صفحہ ٢١١] المال وللإمام أن يدفع ذلك على قدر ما يراه و هذا الفعل قد فعله من قبله و من بعده و لو كان منكرا لما استمر عليه أمير المؤمنين ع و قد ثبت استمراره عليه و لو كان ذلك طعنا لوجب إذا كان يدفع إلى الحسن والحسين و إلى عبد الله بن جعفر وغيرهم من بيت المال شيئا أن يكون فى حكم الخائن و كل ذلك يبطل ماقالوه لأن بيت المال إنما يراد لوضع الأموال فى حقوقها ثم الاجتهاد و إلى المتولى للأمر فى الكثرة والقلة. فأما أمر الخمس فمن باب الاجتهاد و قد اختلف الناس فيه فمنهم من جعله حقا لذوى القربى وسهما مفردا لهم على ما يقتضيه ظاهر الآية ومنهم من جعله حقا لهم من جهة الفقر وأجراهم مجرى غيرهم و إن كانوا قد خصوا بالذكر كما أجرى الأيتام و إن خصوا بالذكر مجرى غيرهم فى أنهم يستحقون بالفقر والكلام فى ذلك يطول فلم يخرج عمر بما حكم به عن طريقة الاجتهاد و من قدح فى ذلك فإنما يقدر فى الاجتهاد الذى هو طريقة الصحابة. فأما اقتراضه من بيت المال فإن صح

فهو غير محذور بل ربما كان أحوط إذا كان على ثقة من رده بمعرفة الوجه الذى يمكنه منه الرد و قد ذكر الفقهاء ذلك و قال أكثرهم أن الاحتياط فى مال الأيتام وغيرهم أن يجعل فى ذمة الغنى المأمون لبعده عن الخطر و لافرق بين أن يقرض الغير أو يقرضه لنفسه و من بلغ فى أمره أن يطعن على عمر بمثل هذه الأخبار مع ما يعلم من سريرته و تشدده فى ذات الله و احتياطه فيما يتصل بملك الله و تنزهه عنه حتى فعل بالصبي الذى أكل من تمر الصدقة واحدة مافعل و حتى كان يرفع نفسه عن الأمر الحقيق و يتشدد على كل أحد حتى على ولده فقد أبعد فى القول . اعترض المرتضى فقال أما تفصيل الأزواج فإنه لا يجوز لأنه لا سبب فيه [صفحہ ۲۱۲] يقتضى ذلك وإنما يفضل الإمام فى العطاء ذوى الأسباب المقتضية لذلك مثل الجهاد وغيره من الأمور العام نفعها للمسلمين . و قوله إن لهن حقا فى بيت المال صحيح إلا أنه لا يقتضى تفضيلهن على غيرهن و ما عيب بدفع حقهن إليهن وإنما عيب بالزيادة عليه و ما يعلم أن أمير المؤمنين ع استمر على ذلك و إن كان صحيحا كما ادعى فالسبب الداعى إلى الاستمرار عليه هو السبب الداعى إلى الاستمرار على جميع الأحكام فأما تعلقه بدفع أمير المؤمنين إلى الحسن و الحسين وغيرهما شيئا من بيت المال فعجب لأنه لم يفضل هؤلاء فى العطيّة فيشبه ما ذكرناه فى الأزواج وإنما أعطاهم حقوقهم و سوى بينهم و بين غيرهم . فأما الخمس فهو للرسول ولأقربائه على ما نطق به القرآن وإنما عنى تعالى بقوله وَ لِذِي الْقُرْبَى وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ من كان من آل الرسول خاصة لأدلة كثيرة لاجابة بنا إلى ذكرها ها هنا و -قرآن- ۶۹۵-۷۵۶ قد روى سليم بن قيس الهلالي قال سمعت أمير المؤمنين ع يقول نحن و الله الذين عنى الله بذى القربى قرنهم الله بنفسه و نبيه ص فقال ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله و للرسول و لذى القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل كل هؤلاء منا خاصة و لم يجعل لنا سهما فى الصدقة أكرم الله تعالى نبيه و أكرمنا أن يطعمنا أو ساخ ما فى أيدي الناس -روایت- ۱-۲-روایت- ۶۷-۳۹۴ و روى يزيد بن هرم قال كتب نجده إلى ابن عباس يسأله عن الخمس لمن هو فكتب إليه كتبت تسألنى عن الخمس لمن هو و إنا كنا نزعم أنه لنا فأبى قومنا علينا ذلك فصرنا عليه . قال و أما الاجتهاد الذى عول عليه فليس عذرا فى إخراج الخمس عن أهله فقد أبطلناه . [صفحہ ۲۱۳] و أما الاقتراض من بيت المال فهو مما يدعو إلى الريبة و من كان من التشدد و التحفظ و التقشف على الحد الذى ذكره كيف تطيب نفسه بالاقتراض من بيت المال و فيه حقوق و ربما مست الحاجة إلى الإخراج منها و أى حاجة لمن كان جنب المأكل خشن الملابس يتبلغ بالقوت إلى اقتراض الأموال . فأما حكايته عن الفقهاء أن الاحتياط أن يحفظ مال الأيتام فى ذمة الغنى المأمون فذلك إذا صح لم يكن نافعا له لأن عمر لم يكن غنيا و لو كان غنيا لما اقترض فقد خرج اقتراضه عن أن يكون من باب الاحتياط وإنما اشترط الفقهاء مع الأمانة الغنى لئلا تمس الحاجة إليه فلا يمكن ارتجاعه و لهذا قلنا إن اقتراضه لحاجته إلى المال لم يكن صوابا و حسن نظر للمسلمين . قلت أما قوله لا يجوز للإمام أن يفضل فى العطاء إلا لسبب يقتضى ذلك كالجهاد فليست أسباب التفضيل مقصورة على الجهاد وحده فقد يستحق الإنسان التفضيل فى العطاء على غيره لكثرة عبادته أو لكثرة علمه أو انتفاع الناس به فلم لا يجوز أن يكون عمر فضل الزوجات لذلك . وأيضا فإن الله تعالى فرض لذوى القربى من رسول الله ص نصيبا فى الفىء و الغنيمه ليس إلا لأنهم ذوو قرابته فقط فما المانع من أن يقيس عمر على ذلك مافعله فى العطاء فيفضل ذوى قرابة رسول فى ذلك على غيرهم ليس إلا لأنهم ذوو قرابته و الزوجات و إن لم يكن لهن قربى النسب فلهن قربى الزوجية و كيف يقول المرتضى ما جاز أن يفضل أحدا إلا بالجهاد و قد فضل الحسن و الحسين على كثير من أكابر المهاجرين و الأنصار و هما صبيان ماجاهدا و لا بلغا الحلم بعد و أبوهما أمير المؤمنين [صفحہ ۲۱۴] موافق على ذلك راض به غير منكر له و هل فعل عمر ذلك إلا لقرابتهما من رسول الله ص . ونحن نذكر مافعله عمر فى هذا الباب مختصرا نقلناه من كتاب أبى الفرج عبدالرحمن بن على بن الجوزى المحدث فى أخبار عمر و سيرته . روى أبو الفرج عن أبى سلمة بن عبدالرحمن قال استشار عمر الصحابة بمن يبدأ فى القسم و الفريضة فقالوا ابدأ بنفسك فقال بل ابدأ بآل رسول الله ص و ذوى قرابته فبدأ بالعباس قال ابن

الجوزى و قد وقع الاتفاق على أنه لم يفرض لأحد أكثر مما فرض له . وروى أنه فرض له اثني عشر ألفا و هو الأصح ثم فرض لزوجات رسول الله ص لكل واحدة عشرة آلاف وفضل عائشة عليهن بألفين فأبت فقال ذلك بفضل منزلتك عند رسول الله ص فإذا أخذت فشانك واستثنى من الزوجات جويزية و صفيه و ميمونه ففرض لكل واحدة منهن ستة آلاف فقالت عائشة إن رسول الله ص كان يعدل بيننا فعدل عمر بينهن وألحق هؤلاء الثلاث بسائرهن ثم فرض للمهاجرين الذين شهدوا بدرا لكل واحد خمسة آلاف و لمن شهدها من الأنصار لكل واحد أربعة آلاف . و قدروى أنه فرض لكل واحد ممن شهد بدرا من المهاجرين أو من الأنصار أو من غيرهم من القبائل خمسة آلاف ثم فرض لمن شهد أحدا و مابعدا إلى الحديبية أربعة آلاف ثم فرض لكل من شهد المشاهد بعد الحديبية ثلاثة آلاف ثم فرض لكل من شهد المشاهد بعد وفاة رسول الله ص ألفين و خمسمائة و ألفين و ألفا [صفحہ ۲۱۵] و خمسمائة و ألفا واحدا إلى مائتين و هم أهل هجر و مات عمر على ذلك . قال ابن الجوزى و أدخل عمر في أهل بدر ممن لم يحضر بدرا أربعة و هم الحسن و الحسين و أبوذر و سلمان ففرض لكل واحد منهم خمسة آلاف . قال ابن الجوزى و روى السدى أن عمر كسا أصحاب النبي ص فلم يرتض في الكسوة ما يستصلحه للحسن و الحسين ع فبعث إلى اليمن فأتى لهما بكسوة فاخرة فلما كساهما قال الآن طابت نفسى . قال ابن الجوزى فأما ما اعتمده في النساء فإنه جعل نساء أهل بدر على خمسمائة و نساء من بعد بدر إلى الحديبية على أربعمائة و نساء من بعد ذلك على ثلاثمائة و جعل نساء أهل القادسية على مائتين ثم سوى بين النساء بعد ذلك . و لو لم يدل على تصويب عمر فيما فعله إلا إجماع الصحابة و اتفاقهم عليه و ترك الإنكار لذلك كان كافيا . فأما الخمس و الخلاف فيه فإنها مسألة اجتهادية و الذى يظهر لنا فيه و يغلب عندنا من أمرها أن الخمس حق صحيح ثابت و أنه باق إلى الآن على ما يذهب إليه الشافعى و أنه لم يسقط بموت رسول الله ص ولكننا لانرى ما يعتقده المرتضى من أن الخمس لآل الرسول ص و أن الأيتام أيتامهم و المساكين مساكينهم و ابن السبيل منهم لأنه على خلاف ما يقتضيه ظاهر الآية و العطف و يمكن أن يحتج على ذلك بأن قوله تعالى في سورة الحشر للفقراء المهاجرين يبطل هذا القول لأن هذه اللام لا بد أن تتعلق بشيء و ليس قبلها ما يتعلق به أصلا إلا أن تجعل بدلا من اللام التى قبلها فى قوله ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فليله و للرسول - قرآن - ۱۱۴۳ - ۱۱۶۷ - قرآن - ۱۲۹۹ - ۱۳۶۹ و خمسمائة و ألفا واحدا إلى مائتين و هم أهل هجر و مات عمر على ذلك . قال ابن الجوزى و أدخل عمر فى أهل بدر ممن لم يحضر بدرا أربعة و هم الحسن و الحسين و أبوذر و سلمان ففرض لكل واحد منهم خمسة آلاف . قال ابن الجوزى و روى السدى أن عمر كسا أصحاب النبي ص فلم يرتض فى الكسوة ما يستصلحه للحسن و الحسين ع فبعث إلى اليمن فأتى لهما بكسوة فاخرة فلما كساهما قال الآن طابت نفسى . قال ابن الجوزى فأما ما اعتمده فى النساء فإنه جعل نساء أهل بدر على خمسمائة و نساء من بعد بدر إلى الحديبية على أربعمائة و نساء من بعد ذلك على ثلاثمائة و جعل نساء أهل القادسية على مائتين مائتين ثم سوى بين النساء بعد ذلك . و لو لم يدل على تصويب عمر فيما فعله إلا إجماع الصحابة و اتفاقهم عليه و ترك الإنكار لذلك كان كافيا . فأما الخمس و الخلاف فيه فإنها مسألة اجتهادية و الذى يظهر لنا فيه و يغلب عندنا من أمرها أن الخمس حق صحيح ثابت و أنه باق إلى الآن على ما يذهب إليه الشافعى و أنه لم يسقط بموت رسول الله ص ولكننا لانرى ما يعتقده المرتضى من أن الخمس لآل الرسول ص و أن الأيتام أيتامهم و المساكين مساكينهم و ابن السبيل منهم لأنه على خلاف ما يقتضيه ظاهر الآية و العطف و يمكن أن يحتج على ذلك بأن قوله تعالى فى سورة الحشر للفقراء المهاجرين يبطل هذا القول لأن هذه اللام لا بد أن تتعلق بشيء و ليس قبلها ما يتعلق به أصلا إلا أن تجعل بدلا من اللام التى قبلها فى قوله ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فليله و للرسول و لذى القربى و الأيتام و المساكين و ابن السبيل - قرآن - ۱ - ۶۳ و ليس يجوز أن تكون بدلا من اللام فى الله و لا من اللام فى قوله و للرسول فبقى أن تكون بدلا من اللام فى قوله و لذى القربى أما الأول فتعظيما له سبحانه و أما الثانى فلأنه تعالى قد أخرج رسوله من الفقراء بقوله و ينصرون الله و رسوله و لأنه يجب أن يرفع

رسول الله ص عن التسمية بالفقير و أما الثالث فإما أن يفسر هذا البديل و ماعطف عليه المبدل منه أو يفسر هذا البديل وحده دون ماعطف عليه المبدل منه والأول لا يصح لأن المعطوف على هذا البديل ليس من أهل القرى وهم الأنصار ألا ترى كيف قال سبحانه لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ آيَةً ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَ الَّذِي تَبَوَّأَ الدَّارَ وَ الْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ هُمُ الْبَنِيَّةُ إِنْ كَانَ الثَّانِي صَارَ تَقْدِيرُ الْآيَةِ أَنَّ الْخُمْسَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبَى الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ وَ نَعْتَهُمْ بِأَنَّهُمْ هَاجَرُوا وَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ لِلْأَنْصَارِ فَيَكُونُ هَذَا مَبْطَلًا لِمَا يَذْهَبُ إِلَيْهِ الْمُرْتَضَى فِي قِصْرِ الْخُمْسِ عَلَى ذَوِي الْقُرْبَى . وَ يُمْكِنُ أَنْ يَعْتَرِضَ هَذَا الْاِحْتِجَاجَ فَيَقَالُ لَمْ يَلْجُزْ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ وَ الَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَ الْإِيمَانَ لَيْسَ بِعَطْفٍ وَلَكِنَّهُ كَلَامٌ مُبْتَدَأٌ وَ مَوْضِعُ الَّذِينَ رَفَعُوا بِالْاِبْتِدَاءِ وَ خَبْرُهُ يَحْبُونُ . وَ أَيْضًا فَإِنَّ هَذِهِ الْحُجَّةَ لَا يُمْكِنُ التَّمَسُّكُ بِهَا فِي آيَةِ الْأَنْفَالِ وَ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَ اعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَمَّا رِوَايَةُ سَلِيمِ بْنِ قَيْسٍ الْهَلَالِيِّ فَلَيْسَتْ بِشَيْءٍ وَسَلِيمٌ مَعْرُوفُ الْمَذْهَبِ وَ يَكْفَى فِي رَدِّ رِوَايَتِهِ كِتَابُهُ الْمَعْرُوفُ بَيْنَهُمُ الْمَسْمُومُ كِتَابُ سَلِيمِ . -قرآن- ٤٠-٤٥-قرآن- ٧١-٨٣-قرآن- ١٢٥-١٣٨-قرآن- ٢٢٨-٢٦٠-قرآن- ٥٣٥-٥٩٢-قرآن- ٦١٤-٦٦٨-قرآن- ٩٥٩-١٠٠٠-قرآن- ١١٤٩-١١٨٥] صفحہ ٢١٧ [على أنى قد سمعت من بعضهم من يذكر أن هذا الاسم على غير مسمى و أنه لم يكن في الدنيا أحد يعرف بسليم بن قيس الهلالي و أن الكتاب المنسوب إليه منحول موضوع لأصل له و إن كان بعضهم يذكره في اسم الرجال و الرواية المذكورة عن ابن عباس في كتابه إلى نجدة الحروري صحيحة ثابتة و ليس فيها ما يدل على مذهب المرتضى من أن الخمس كله لذوي القربى لأن نجدة إنما سأله عن خمس الخمس لا عن الخمس كله . و ينبغي أن يذكر في هذا الموضوع اختلاف الفقهاء في الخمس أما أبو حنيفة فعنده أن قسمة الخمس كانت في عهد رسول الله ص على خمسة أسهم سهم لرسول الله ص و سهم لذوي قربه من بني هاشم و بني المطلب دون بني عبد شمس و نوفل استحقوقه حينئذ بالنصرة و المظاهرة لماروي عن عثمان بن عفان و جبير بن مطعم أنهما قالوا لرسول الله ص هؤلاء إخوتك من بني هاشم لانكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم أرايت إخواننا بني المطلب أعطيتهم و حرمتنا و إنما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال ص إنهم لم يفارقونا في جاهلية و لا إسلام إنما بنو هاشم و بنو المطلب شيء واحد -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-٨٧ و شبك بين أصابعه و ثلاثه أسهم ليتامى المسلمين و مساكينهم و أبناء السبيل منهم و أما بعد رسول الله ص فسهمه ساقط بموته و كذلك سهم ذوى القربى و إنما يعطون لفقرهم فهم أسوة سائر الفقراء و لا يعطى أغنيائهم فيقسم الخمس إذن على ثلاثة أسهم اليتامى و المساكين و ابن السبيل . و أما الشافعي فيقسم الخمس عنده بعد وفاة رسول الله ص على خمسة أسهم سهم لرسول الله ص يصرف إلى ما كان يصرفه إليه رسول الله ص أيام حياته من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع و السلاح] صفحہ ٢١٨ [و نحو ذلك و سهم لذوى القربى من أغنيائهم و فقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الأنثيين من بني هاشم و بني المطلب و الباقي للفرق الثلاث . و أما مالك بن أنس فعنده أن الأمر في هذه المسألة مفوض إلى اجتهاد الإمام إن رأى قسمه بين هؤلاء و إن رأى أعطاه بعضهم دون بعض و إن رأى الإمام غيرهم أولى و أهم فغيرهم . و بقى الآن البحث عن معنى قوله سبحانه و تعالى فَلِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ مَا الْمُرَادُ بِسَهْمِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ كَيْفَ يَقُولُ الْفُقَهَاءُ الْخُمْسَ مَقْسُومًا خَمْسَةَ أَقْسَامٍ وَ ظَاهِرُ الْآيَةِ يَدُلُّ عَلَى سِتَّةِ أَقْسَامٍ فَتَقُولُ يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَ لِلرَّسُولِ لِلرَّسُولِ اللَّهُ كَقَوْلِهِ وَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ أَيْ وَ رَسُولُ اللَّهِ أَحَقُّ وَ مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ وَ الشَّافِعِيِّ يَجِيءُ عَلَى هَذَا الْاِحْتِمَالِ . وَ يَحْتَمَلُ أَنْ يَرِيدَ بِذِكْرِهِ إِجْبَابَ سَهْمٍ سَادِسٍ يَصْرَفُ إِلَى وَجْهِهِ مِنْ وَجْهِ الْقُرْبِ وَ مَذْهَبُ أَبِي الْعَالِيَةِ يَجِيءُ عَلَى هَذَا الْاِحْتِمَالِ لِأَنَّهُ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ الْخُمْسَ يَقْسَمُ سِتَّةَ أَقْسَامٍ أَحَدُهَا سَهْمُهُ تَعَالَى يَصْرَفُ إِلَى رِتَاجِ الْكَعْبَةِ وَ قَدْرُورِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص كَانَ يَأْخُذُ الْخُمْسَ فَيَضْرِبُ بِيَدِهِ فِيهِ فَيَأْخُذُ مِنْهُ قَبْضَةً فَيَجْعَلُهَا لِلْكَعْبَةِ وَ يَقُولُ سَهْمُ اللَّهِ تَعَالَى ثُمَّ يَقْسَمُ مَا بَقِيَ عَلَى خَمْسَةِ أَقْسَامٍ . وَ قَالَ قَوْمٌ سَهْمُ اللَّهِ لِبَيْتِ اللَّهِ . وَ يَحْتَمَلُ اِحْتِمَالًا -ثالثا- وَ هُوَ أَنْ يَرَادَ بِقَوْلِهِ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمْسُهُ أَنْ مِنْ حَقِّ الْخُمْسِ أَنْ يَكُونَ مُتَقَرِّبًا بِهِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ -لا- غَيْرَ ثُمَّ خَصَّ مِنْ وَجْهِ الْقُرْبِ هَذِهِ الْخَمْسَةَ تَفْضِيلًا لَهَا -قرآن- ٣٧٤-٣٩٥-قرآن-

٥٤٥-٥٦٦-قرآن-٥٨٥-٦٢٦-قرآن-١١٢٦-١١٤٧ [صفحة ٢١٩] على غيرها كقوله وَ جَبْرِيلَ وَ مِيكَالَ وَ مَظْمُورَ مَالِكِ يَجِيءُ عَلَى
 هَذَا الاحتمال و -قرآن-١٨-٣٩ قدروى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه كان على ستة لله وللرسول سهمان وسهم لأقاربه وثلاثة
 أسهم للثلاثة حتى قبض ع فأسقط أبوبكر ثلاثة أسهم وقسم الخمس كله على ثلاثة أسهم وكذلك فعل عمر -رواية-١-٢-
 رواية-٢٠٢-٤٠- روى أن أبابكر منع بنى هاشم الخمس و قال إنما لكم أن نعطي فقيركم ونزوج أيمكم ونخدم من لاخادم له
 منكم و أما الغنى منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غنى لا يعطى شيئاً ولا يتيم موسر -رواية-١-٢-رواية-٧-١٨٩ و قدروى عن زيد
 بن على ع مثل ذلك قال ليس لنا أن نبني منه القصور و لا أن نركب منه البراذين فأما مذهب الإمامية فإن الخمس كله للقرابة. و
 يروون عن أمير المؤمنين ع أنه قال أيتامنا ومساكيننا فإن صح عنه ذلك فقوله عندنا أولى بالاتباع وإنما الكلام فى صحته. فأما
 اقتراض عمر من بيت المال ثمانين ألفاً فليس بمعروف والمعروف المشهور أنه كان يظلف نفسه عن الدرهم الواحد منه . و
 قدروى ابن سعد فى كتاب الطبقات أن عمر خطب فقال إن قوماً يقولون إن هذا المال حلال لعمر و ليس كما قالوا لاها الله إذن
 أنا أخبركم بما أستحل منه يحل لى منه حلتان حلة فى الشتاء وحلة فى القيظ و ما أحج عليه وأعتمر من الظهر وقوتى وقوت أهلى
 كقوت رجل من قريش ليس بأغناهم و لا أفقرهم ثم أنا بعد رجل من المسلمين يصيبنى ما أصابهم . -رواية-١-٢-رواية-٣١-
 ادامه دارد [صفحة ٢٢٠] وروى ابن سعد أيضاً أن عمر كان إذا احتاج أتى إلى صاحب بيت المال فاستقرضه فربما عسر عليه
 القضاء فيأتيه صاحب بيت المال فيتقاضاه فيحتال له وربما خرج عطاؤه فقضاه ولقد اشتكى مرة فوصف له الطبيب العسل فخرج
 حتى صعد المنبر و فى بيت المال عكة فقال إن أذنتم لى فيها أخذتها و إلا فهى على حرام فأذنوا له فيها ثم قال إن مثلى ومثلكم
 كقوم سافروا فدفعوا نفقاتهم إلى رجل منهم لينفق عليهم فهل يحل له أن يستأثر منها بشىء. وروى ابن سعد أيضاً قال مكث عمر
 زماناً لا يأكل من مال المسلمين شيئاً حتى أصابته خصاصة فأرسل إلى أصحاب رسول الله ص فاستشارهم فقال لهم قد شغلت
 نفسى بأمركم فما الذى يصلح أن أصيبه من مالكم فقال عثمان كل وأطعم وكذلك قال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل
 فتركهما وأقبل على على ع فقال ماتقول أنت قال غداء وعشاء قال أصبت وأخذ بقوله -رواية-١-٢-از قبل-٧٨٩ روى أبو الفرج بن
 الجوزى فى كتاب سيرة عمر عن نائلة عن ابن عمر قال جمع عمر الناس لما انتهى إليه فتح القادسية ودمشق فقال إنى كنت امرأ
 تاجراً يغنى الله عيالى بتجارتي و قد شغلتمونى عن التجارة بأمركم فما ترون أنه يحل لى من هذا المال فقال القوم فأكثرنا و على ع
 ساكت فقال عمر ماتقول أنت يا أبا الحسن قال ما أصلحك وأصلح عيالك بالمعروف و ليس لك من هذا المال غيره فقال القول
 مقاله أبو الحسن وأخذ به -رواية-١-٢-رواية-٧٢-٤٢٧. وروى عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده أن عبد الله وعبيد
 الله ابني عمر مرا بأبى موسى و هو على العراق وهما مقبلان من أرض فارس فقال مرحبا بابنى أخى [صفحة ٢٢١] لو كان عندى
 شىء و بلى قد اجتمع هذا المال عندى فخذه واشترى به متاعاً فإذا قدمت ما فيعاه ولكما ربحه وأديا إلى أمير المؤمنين رأس المال
 ففعلاً فلما قدما على عمر بالمدينة أخبراه فقال أكل أولاد المهاجرين يصنع بهم أبو موسى مثل ذلك فقال لا قال فإن عمر يأبى
 أن يجيز ذلك وجعل قرضاً. وروى عن قتادة قال كان معقيب على بيت المال لعمر فكسح عمر بيت المال يوماً وأخرجه إلى
 المسلمين فوجد معقيب فيه درهما فدفعه إلى ابن عمر قال معقيب ثم انصرفت إلى بيتى فإذا رسول عمر قد جاء يدعونى فجئت
 فإذا الدرهم فى يده فقال ويحك يا معقيب أوجدت على فى نفسك شيئاً قلت و ماذا قال أردت أن تخاصمنى أمه محمد فى
 هذا الدرهم يوم القيامة. وروى عمر بن شبة عن عبد الله بن الأرقم و كان خازن عمر فقال إن عندنا حلية من حلية جلولاء وآنية
 من فضة فانظر ما تأمر فيها قال إذا رأيتنى فارغاً فأذنى فجاءه يوماً فقال إنى أراك اليوم فارغاً فما تأمر بتلك الحلية قال ابسط لى
 نطعا فبسطه ثم أتى بذلك المال فصب عليه فرفع يديه و قال اللهم إنك ذكرت هذا المال فقلت زُينَ للناسِ حُبَّ الشَّهَوَاتِ مِنَ
 النَّسَاءِ وَ النَّيْنِ وَ الْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ ثُمَّ قُلْتَ لِكَيْلَا تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَ لَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ اللَّهُ إِنَّا

لأنستطيع إلا أن نفرح بما زينت لنا ألهم إني أسألك أن تضعه في حقه وأعوذ بك من شره ثم ابتداء فقسمه بين الناس فجاءه ابن بنت له فقال يا ابتاه هب لي منه خاتما فقال اذهب إلى أمك تسقك سويفا فلم يعطه شيئا. وروى الطبري في تاريخه أن عمر خطب أم كلثوم بنت أبي بكر فأرسل فيها إلى -قرآن- ٩٦٧-١٠٧٩-قرآن- ١٠٨٩-١١٤٧ [صفحة ٢٢٢] عائشة فقالت الأمر إليها فقالت أم كلثوم لاجأه لي فيه قالت لها عائشة ويلك أترغبين عن أمير المؤمنين قالت نعم إنه يغلق بابه ويمنع خيره ويدخل عابسا ويخرج عابسا فأرسلت عائشة إلى عمرو بن العاص فأخبرته فقال أنا أكفيك فأتى عمر فقال يا أمير المؤمنين بلغني خبر أعيدك بالله منه قال ما هو قال خطبت أم كلثوم بنت أبي بكر قال نعم أترغب بي عنها أم ترغب بهاعني قال لا واحدة ولكنها حدثت نشأت تحت كنف أم المؤمنين في لين ورفق وفيك غلظة ونحن نهايك ولأنستطيع أن نردك عن خلق من أخلاقك فكيف بها إن خالفتك في شيء فسطوت بها كنت قد خلفت أبا بكر في ولده بغير ما يحق عليك قال فكيف لي بعائشة وقد كلمتها فيها قال أنا لك بها وأدلك على خير منها أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب تعلق منها بسبب من رسول الله فصرفه عنها إلى أم كلثوم بنت فاطمة. وروى عاصم بن عمر قال بعث إلى عمر عند الهاجرة أو قال عند صلاة الصبح فأتيته فوجدته جالسا في المسجد فقال يا بني إني لم أكن أرى شيئا من هذا المال يحل لي قبل أن ألي إلا بحقه وما كان أحرم على منه حين وليته فعاد أمانتي وإني كنت أنفقت عليك من مال الله شهرا ولست بزائدك عليه وقد أعطيتك تمرى بالعالية فبعه وخذ ثمنه ثم ائت رجلا من تجار قومك فكن إلى جانبه فإذا ابتاع شيئا فاستشركه وأنفق ما تريحه عليك وعلى أهلك قال فذهبت ففعلت. وروى الحسن البصري أن عمر كان يمشى يوما في سكة من سكة المدينة إذ صبية تطيش على وجه الأرض تقعد مرة وتقوم أخرى من الضعف والجهد فقال عمر ما بال هذه قال عبد الله ابنه أ ما تعرف هذه قال لا قال إنها إحدى بناتك [صفحة ٢٢٣] فأنكر عمر ذلك فقال هذه ابنتي من فلانة قال ويحك وما صيرها إلى ما أرى قال منعك ما عندك قال أنا منعك ما عندى فما ألقى منعك أن تطلب لبناتك ما يكسب الأقوام لبناتهم أنه والله ما لك عندى غير سهمك في المسلمين وسعك أو عجز عنك وكتاب الله بيني وبينك. وروى سعيد بن المسيب قال كتب عمر لما قسم العطاء وفضل من فضل للمهاجرين الذين شهدوا بدرا خمسة آلاف وكتب لمن لم يشهد بدرا أربعة آلاف فكان منهم عمر بن أبي سلمة المخزومي وأسامة بن زيد بن حارثة ومحمد بن عبد الله بن جحش وعبد الله بن عمر بن الخطاب فقال عبدالرحمن بن عوف وهو الذي كان يكتب يا أمير المؤمنين أن عبد الله بن عمر ليس من هؤلاء أنه وأنه يطريه ويثنى عليه فقال له عمر ليس له عندى إلا مثل واحد منهم فتكلم عبد الله وطلب الزيادة وعمر ساكت فلما قضى كلامه قال عمر لعبد الرحمن اكتبه على خمسة آلاف واكتبني على أربعة آلاف فقال عبد الله لا أريد هذا فقال عمر والله لا أجمع أنا وأنت على خمسة آلاف قم إلى منزلك فقام عبد الله كئيبا وقال أبووائل استعملني ابن زياد على بيت المال بالكوفة فأتاني رجل بصكك يقول فيه أعط صاحب المطبخ ثمانمائة درهم فقلت له مكانك ودخلت على ابن زياد فقلت له إن عمر استعمل عبد الله بن مسعود بالكوفة على القضاء وبيت المال واستعمل عثمان بن حنيف على سقى الفرات واستعمل عمار بن ياسر على الصلاة والجند فرزقهم كل يوم شاء واحدة فجعل نصفها وسقطها وأكارعها لعمار لأنه كان على الصلاة والجند وجعل لابن مسعود ربعها ولابن حنيف ربعها ثم قال إن مالا يؤخذ منه كل يوم شاء أن ذلك فيه لسريع فقال ابن زياد ضع المفتاح فاذهب حيث شئت. [صفحة ٢٢٤] وروى أبو جعفر الطبري في التاريخ أن عمر بعث سلمة بن قيس الأشجعي إلى طائفه من الأكراد كانوا على الشرك فخرج إليهم في جيش سرحه معه من المدينة فلما انتهى إليهم دعاهم إلى الإسلام أو إلى أداء الجزية فأبوا فقاتلهم فنصره الله عليهم فقتل المقاتلة وسبى الذرية وجمع الرثة ووجد حلية وفصوصا وجواهر فقال لأصحابه أتطيب أنفسكم أن نبعث بهذا إلى أمير المؤمنين فإنه غير صالح لكم وإن علي أمير المؤمنين لمؤنة وأثقالا قالوا نعم قد طابت أنفسنا فجعل تلك الجواهر في سفظ وبعث به مع واحد من أصحابه وقال له سر فإذا أتيت البصرة فاشتر راحلتين فأوقرهما زادا لك ولغلامك وسر

إلى أمير المؤمنين قال ففعلت فأتيت عمر و هو يغدى الناس قائما متكئا على عصا كما يصنع الراعى و هو يدور على القصاع فيقول يا يرفأ زد هؤلاء لحما زد هؤلاء خبزا زد هؤلاء مرقه فجلست فى أدنى الناس فإذا طعام فيه خشونه طعامى الذى معى أطيب منه فلما فرغ أدبر فاتبعته فدخل دارا فاستأذنت و لم أعلم حاجبه من أنافأذن لى فوجدته فى صفة جالسا على مسح متكئا على وسادتين من آدم محشوتين ليفا و فى الصفة عليه ستر من صوف فنبذ إلى إحدى الوسادتين فجلست عليها فقال يا أم كلثوم أ لاتغدونا فأخرج إليه خبزه بزيت فى عرضها ملح لم يدق فقال يا أم كلثوم أ لاتخرجين إلينا تأكلين معنا فقالت إنى أسمع عندك حس رجل قال نعم و لا أراه من أهل هذا البلد قال فذاك حين عرفت أنه لم يعرفنى فقالت لو أردت أن أخرج إلى الرجال لكسوتنى كما كسا الزبير امرأته و كما كسا طلحة امرأته قال أ و ما يكفيك أنك أم كلثوم ابنة على بن أبى طالب و زوجته أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قالت إن ذاك عنى لقليل الغناء قال كل فلو كانت راضية لأطعمتك أطيب من هذا فأكلت قليلا و طعامى الذى معى أطيب منه [صفحة ٢٢٥] و أكل فما رأيت أحدا أحسن أكلا منه ما تلبس طعامه بيده و لافمه ثم قال اسقونا فجاؤا بعس من سلت فقال أعط الرجل فشربت قليلا و إن سويقى الذى معى لأطيب منه ثم أخذه فشربه حتى قرع القدح جبهته ثم قال الحمد لله الذى أطعمنا فأشبعنا و سقانا فأروانا إنك يا هذا الضعيف الأكل ضعيف الشرب فقلت يا أمير المؤمنين إن لى حاجة قال ما حاجتك قلت أنا رسول سلمة بن قيس فقال مرحبا بسلمة و رسوله فكأنما خرجت من صلبه حدثنى عن المهاجرين كيف هم قلت كما تحب يا أمير المؤمنين من السلامة و الظفر و النصر على عدوهم قال كيف أسعارهم قلت أرخص أسعار قال كيف اللحم فيهم فإنه شجرة العرب و لاتصلح العرب إلا على شجرتها قلت البقرة فيهم بكذا و الشاة فيهم بكذا ثم سرنا يا أمير المؤمنين حتى لقينا عدونا من المشركين فدعوناهم إلى الذى أمرت به من الإسلام فأبوا فدعوناهم إلى الخراج فأبوا فقاتلناهم فنصرنا الله عليهم فقتلنا المقاتلة و سبينا الذرية و جمعنا الرثة فرأى سلمة فى الرثة حلية فقال للناس إن هذا لا يبلغ فيكم شيئا أفتطيب أنفسكم أن أبعث به إلى أمير المؤمنين قالوا نعم ثم استخرجت سفتى ففتحته فلما نظر إلى تلك الفصوص من بين أحمر و أخضر و أصفر و ثوب و جعل يده فى خاصرته يصيح صياحا عاليا و يقول لا أشبع الله إذن بطن عمر يكررها فظن النساء أنى جئت لأغتاله فجئن إلى الستر فكشفنه فسمعنه يقول لف ماجئت به يا يرفأ جا عنقه قال فأنا أصلح سفتى و يرفأ جا عنقى ثم قال النجاء النجاء قلت يا أمير المؤمنين انزع بى فاحلمنى فقال يا يرفأ أعطه راحلتين من إبل الصدقة [صفحة ٢٢٦] فإذا لقيت أفقر إليهما منك فادفعهما إليه و قال أظنك ستبطنى أما و الله لئن تفرق المسلمون فى مشاتيم قبل أن يقسم هذا فيهم لأفعلن بك و بصاحبك الفاقة. قال فارتحلت حتى أتيت إلى سلمة بن قيس فقلت ما بارك الله فيما اختصصتنى به أقسم هذا فى الناس قبل أن تصيبنى و إياك فاقرة فقسمة فيهم فإن الفص ليباع بخمسة دراهم و بستة و هو خير من عشرين ألفا. و جملة الأمر أن عمر لا يجوز أن يطعن فيه بمثل هذا و لا ينسب إلى شره و حب للمال فإن طريقته فى التعفف و التقشف و خشونة العيش و الزهد أظهر من كل ظاهر و أوضح من كل واضح و حاله فى ذلك معلومة و على كل تقدير سواء كان يفعل ذلك دينا أو ورعا كما هو الظاهر من حاله أو كان يفعل ذلك ناموسا و صناعة و ربا و حيلة كما تزعم الشيعة فإنه عظيم لأنه إما أن يكون على غاية الدين و التقى أو يكون أقوى الناس نفسا و أشدهم عزما و كلا الأمرين فضيلة. و الذى ذكره المحدثون و أرباب السير أن عمر لماطعن و احتمل فى دمه إلى بيته و أوصى بما أوصى قال لابنه عبد الله انظروا ما على من دين فحسبوه فوجدوه ستمائة و ثمانين ألف درهم هكذا ورد فى الأخبار أنها كانت ديونا للمسلمين و لم تكن من بيت المال فقال عمر انظر يا عبد الله فإن وفى به مال آل عمر فأده من أموالهم و الإفسل فى بنى عدى بن كعب فإن لم تف به أموالهم فسل فى قريش و لاتعدهم إلى غيرهم فهكذا وردت الرواية فلذلك قال قاضى القضاة فإن صح فالعذر كذا و كذا لأنه لم يثبت عنده صحة اقتراضه هذا المقدار من بيت المال. و قد روى أن عمر كان له نخل بالحجاز غلته كل سنة أربعون ألفا يخرجها فى [صفحة ٢٢٧] النوايب و الحقوق و يصرفها إلى بنى عدى بن كعب إلى

فقرائهم وأراملهم وأيتامهم روى ذلك ابن جرير الطبرى فى التاريخ .فأما قول المرتضى أى حاجة بخشن العيش وجشب المأكل إلى اقتراض الأموال فجوابه أن المتزهذ المتقشف قديضيق على نفسه ويوسع على غيره إما من باب التكرم والإحسان أو من باب الصدقة وابتغاء الثواب و قد يصل رحمه و إن قتر على نفسه . و قد روى الطبرى أن عمر دفع إلى أم كلثوم بنت أمير المؤمنين ع صداقها يوم تزوجها أربعين ألف درهم فلعل هذا الاقتراض من الناس كان لهذا الوجه ولغيره من الوجوه التى قل أن يخلو أحد منها

الطعن السادس

أنه عطل حد الله فى المغيرة بن شعبة لما شهد عليه بالزنا ولقن الشاهد الرابع الامتناع عن الشهادة اتباعا لهواه فلما فعل ذلك عاد إلى الشهود فحدهم وضربهم فتجنب أن يفضح المغيرة و هو واحد وفضح الثلاثة مع تعطيله لحكم الله ووضعه فى غير موضعه .أجاب قاضى القضاة فقال إنه لم يعطل الحد إلا من حيث لم تكمل الشهادة و بإرادة الرابع لثلا يشهد لاتكمل البينة وإنما تكمل بالشهادة. و قال إن قوله أرى وجه رجل لا يفضح الله به رجلا من المسلمين يجرى فى أنه سائغ صحيح مجرى ماروى عن النبى ص من أنه أتى بسارق فقال لا تقر. [صفحة ٢٢٨] و قال ع لصفوان بن أمية لما أتاه بالسارق وأمر بقطعه فقال هو له يعنى ماسرق هلا قبل أن تأتبنى به فلا يمتنع من عمر ألا يجب أن تكمل الشهادة و ينبه الشاهد على ألا يشهد و قال إنه جلد الثلاثة من حيث صاروا قذفة و إنه ليس حالهم و قد شهدوا كحال من لم تكمل الشهادة عليه لأن الحيلة فى إزالة الحد عنه و لماتت كامل الشهادة عليه ممكنة بتلقين وتنبه غيره و لاحيلة فيما قد وقع من الشهادة فلذلك حدهم . قال و ليس فى إقامة الحد عليهم من الفضيحة ما فى تكامل الشهادة على المغيرة لأنه يتصور بأنه زان ويحكم بذلك و ليس كذلك حال الشهود لأنهم لا يتصورون بذلك و إن وجب فى الحكم أن يجعلوا فى حكم القذفة. و حكى عن أبى على أن الثلاثة كان القذف قد تقدم منهم للمغيرة بالبصرة لأنهم صاحوا به من نواحى المسجد بأنا نشهد أنك زان فلو لم يعيدوا الشهادة لكان يحدهم لامحالة فلم يمكن فى إزالة الحد عنهم ما أمكن فى المغيرة. و حكى عن أبى على فى جواب اعتراضه عن نفسه بما روى عن عمر أنه كان إذارآه يقول لقد خفت أن يرمىنى الله عز و جل بحجارة من السماء أن هذا الخبر غير صحيح و لو كان حقا لكان تأويله التخويف وإظهار قوة الظن لصدق القوم الذين شهدوا عليه ليكون ردعا له و ذكر أنه غير ممتنع أن يجب ألا يفتضح لما كان متوليا للبصرة من قبله . ثم أجاب عن سؤال من سأله عن امتناع زياد من الشهادة وهل يقتضى الفسق أم لا فإن قال لانعلم أنه كان يتمم الشهادة و لو علمنا ذلك لكان حيث ثبت فى الشرع أن له [صفحة ٢٢٩] السكوت لا يكون طعنا و لو كان ذلك طعنا و قد ظهر أمره لأمير المؤمنين ع لما و لاه فارس و لما اتئمنه على أموال الناس و دمائهم . اعترض المرتضى فقال إنما نسب إلى تعطيل الحد من حيث كان فى حكم الثابت وإنما بتلقينه لم تكمل الشهادة لأن زيادا ما حضر إلا ليشهد بما شهد به أصحابه و قد صرح بذلك كما صرحوا قبل حضورهم و لو لم يكن هذا لما شهد القوم قبله وهم لا يعلمون هل حاله فى ذلك الحكم كحالهم لكنه أحجم فى الشهادة لما رأى كراهية متولى الأمر لكمالها وتصريحه بأنه لا يريد أن يعمل بموجبها. و من العجائب أن يطلب الحيلة فى دفع الحد عن واحد و هو لا يندفع إلا بانصرافه إلى ثلاثة فإن كان درء الحد والاحتياى فى دفعه من السنن المتبعة فدرؤه عن ثلاثة أولى من درئه عن واحد. و قوله إن دفع الحد عن المغيرة ممكن و دفعه عن ثلاثة و قد شهدوا غير ممكن طريف لأنه لو لم يلقن الشاهد الرابع الامتناع عن الشهادة لاندفع الحد عن الثلاثة وكيف لاتكون الحيلة ممكنة فيما ذكره . و قوله إن المغيرة يتصور بصورة زان لو تكاملت الشهادة و فى هذا من الفضيحة ما ليس فى حد الثلاثة غير صحيح لأن الحكم فى الأمرين واحد لأن الثلاثة إذ احدثوا يظن بهم الكذب و إن جوز أن يكونوا صادقين والمغيرة لو تكاملت الشهادة عليه بالزنا لظن به ذلك مع التجويز لأن يكون الشهود كذبه و ليس فى

أحد إلا ما فى الآخر. و ماروى عنه ع من أنه أتى بسارق فقال له لا تقر إن كان صحيحا لا يشبه مانحن فيه لأنه ليس فى دفع الحد عن السارق إيقاع غيره فى المكروه . وقصة المغيرة تخالف هذا لما ذكرناه . [صفحة ٢٣٠] فأما قوله ع هلا- قبل أن تأتيني به فلا يشبه كل مانحن فيه لأنه بين أن ذلك القول يسقط الحد لو تقدم و ليس فيه تلقين يوجب إسقاط الحد. فأما ما حكاه عن أبى على من أن القذف من الثلاثة كان قد تقدم وأنهم لو لم يعيدوا الشهادة لكان يحدهم لامحالة فغير معروف والظاهر المروى خلافه و هو أنه حدهم عند نكول زياد عن الشهادة و أن ذلك كان السبب فى إيقاع الحد بهم وتأوله عليه لقد خفت أن يرمىنى الله بحجارة من السماء لا يلىق بظاهر الكلام لأنه يقتضى التندم والتأسف على تفريط وقع و لم يخاف أن يرمى بالحجارة و هو لم يدرأ الحد عن مستحق له و لو أراد الردع والتخويف للمغيرة لأتى بكلام يلىق بذلك و لا يقتضى إضافة التفريط إلى نفسه و كونه واليا من قبله لا يقتضى أن يدرأ عنه الحد ويعدل به إلى غيره . و أما قوله إنا ما كنا نعلم أن زيادا كان يتمم الشهادة فقد بينا أن ذلك كان معلوما بالظاهر و من قرأ ماروى فى هذه القصة علم بلا شك أن حال زياد كحال الثلاثة فى أنه إنما حضر للشهادة وإنما عدل عنها لكلام عمر. و قوله إن الشرع يبيح السكوت ليس بصحيح لأن الشرع قد حظر كتمان الشهادة. فأما استدلاله على أن زيادا لم يفسق بالإسماك عن الشهادة بتوليه أمير المؤمنين ع له فارس فليس بشىء يعتمد لأنه لا يمتنع أن يكون قد تاب بعد ذلك وأظهر توبته لأمر المؤمنين ع فجاز أن يولىه و قد كان بعض أصحابنا يقول فى قصة المغيرة شيئا طيبا و إن كان معتملا فى باب الحجة كان يقول إن زيادا إنما امتنع من التصريح بالشهادة المطلوبة فى الزناء و قد شهد بأنه شاهده بين شعبها الأربع وسمع نفسا عاليا فقد صح على المغيرة بشهادة الأربع جلوسه منها مجلس الفاحشة إلى غير ذلك [صفحة ٢٣١] من مقدمات الزناء وأسبابه فهلا ضم عمر إلى جلد الثلاثة تعزير هذا الذى قد صح عنده بشهادة الأربعة ما صح من الفاحشة مثل تعريك أذنه أو ما يجرى مجراه من خفيف التعزير ويسيره وهل فى العدول عن ذلك حتى عن لومه وتوبيخه والاستخفاف به إلا ما ذكره من السبب الذى يشهد الحال به قلت أما المغيرة فلا شك عندي أنه زنى بالمرأة ولكنى لست أخطئ عمر فى درء الحد عنه وإنما أذكر أولا- قصته من كتابى أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى و أبى الفرج على بن الحسن الأصفهانى ليعلم أن الرجل زنى بها لامحالة ثم أعتذر لعمر فى درء الحد عنه . قال الطبرى فى تاريخه و فى هذه السنة يعنى سنة سبع عشرة ولى عمر أبا موسى البصرة وأمره أن يشخص إليه المغيرة بن شعبة و ذلك لأمر بلغه عنه قال الطبرى حدثنى محمد بن يعقوب بن عتبة قال حدثنى أبى قال كان المغيرة يخالف إلى أم جميل امرأة من بنى هلال بن عامر و كان لها زوج من ثقيف هلك قبل ذلك يقال له الحجاج بن عبيد و كان المغيرة و كان أمير البصرة يختلف إليها سرا فبلغ ذلك أهل البصرة فأعظموه فخرج المغيرة يوما من الأيام إلى المرأة فدخل عليها و قد وضعوا عليهما الرصد فانطلق القوم الذين شهدوا عند عمر فكشفوا الستر فأراه قد واقعها فكتبوا بذلك إلى عمر وأوفدوا إليه بالكتاب أبابكرة فانتهى أبوبكرة إلى المدينة وجاء إلى باب عمر فسمع صوته وبينه وبينه حجاب فقال أبوبكرة فقال نعم قال لقد جئت لشر قال إنما جاء به المغيرة ثم قص عليه القصة وعرض عليه الكتاب فبعث أبا موسى عاملا وأمره [صفحة ٢٣٢] أن يبعث إليه المغيرة فلما دخل أبو موسى البصرة وقعد فى الإمارة أهدى إليه المغيرة عقيلة و قال إننى قدرضيتها لك فبعث أبو موسى بالمغيرة إلى عمر. و قال الطبرى وروى الواقدى قال حدثنى عبدالرحمن بن محمد بن أبى بكر بن عمرو بن حزم الأنصارى عن أبيه عن مالك بن أوس بن الحدثان قال قدم المغيرة على عمر فتزوج فى طريقه امرأة من بنى مرة فقال له عمر إنك لفارغ القلب شديد الشبق طويل الغرمول ثم سأل عن المرأة فقيل له يقال لها الرقطاء كان زوجها من ثقيف وهى من بنى هلال . قال الطبرى وكتب إلى السرى عن شعيب عن سيف أن المغيرة كان يبغض أبابكرة و كان أبوبكرة يبغضه و يناغى كل واحد منهما صاحبه و ينافره عند كل ما يكون منه و كانا متجاورين بالبصرة بينهما طريق وهما فى مشربتين متقابلتين فهما فى داريهما فى كل واحدة منهما كوة مقابلة الأخرى فاجتمع إلى أبى بكره نفر يتحدثون فى مشربته فهبت ريح ففتحت باب

الكوة فقام أبوبكرة ليصفقه فبصر بالمغيرة و قدفتحت الريح باب الكوة التي في مشربته و هو بين رجلى امرأه فقال للنفر قوموا فانظروا فقاموا فنظروا ثم قال اشهدوا قالوا و من هذه قال أم جميل إحدى نساء بنى عامر بن صعصعه فقالوا إنما رأينا أعجازا و لاندرى الوجوه فلما قامت صمموا وخرج المغيرة إلى الصلاة فحال أبوبكرة بينه و بين الصلاة و قال لاتصل بنا وكتبوا إلى عمر بذلك و كتب المغيرة إليه أيضا فأرسل عمر إلى أبي موسى فقال يا أبا موسى إنى مستعملك و إنى باعثك إلى الأرض التي قدباض بها الشيطان و فرخ فالزم ما تعرف و لاتستبدل فيستبدل الله بك فقال يا أمير المؤمنين أعنى بعدة من [صفحة ٢٣٣] أصحاب رسول الله ص من المهاجرين والأنصار فإنى وجدتهم فى هذه الأمتة و هذه الأعمال كالملح لا يصلح الطعام إلا به قال عمر فاستعن بمن أحببت فاستعان بتسعة و عشرين رجلا- منهم أنس بن مالك و عمران بن حصين و هشام بن عامر و خرج أبو موسى بهم حتى أناخ بالبصرة فى المريد وبلغ المغيرة أن أبا موسى قدأناخ بالمريد فقال و الله ماجاء أبو موسى زائرا و لاتاجرا ولكنه جاء أميرا فإنهم لفى ذلك إذ جاء أبو موسى حتى دخل عليهم فدفع إلى المغيرة كتابا من عمر إنه لأوجز كتاب كتب به أحد من الناس أربع كلم عزل فيها و عاتب و استحث و أمر أما بعد فإنه بلغنى نبأ عظيم فبعثت أبا موسى فسلم ما فى يديك إليه و العجل . كتب إلى أهل البصرة أما بعد فإنى قدبعثت أبا موسى أميرا عليكم ليأخذ لضعيفكم من قويكم و ليقاتل بكم عدوكم و ليدفع عن ذمتكم و ليحجى لكم فيكم و ليحجى لكم طرقكم . فأهدى إليه المغيرة و ليدة من مولدات الطائف تدعى عقيلة و قال إنى قدرضيتها لك و كانت فارهة و ارتحل المغيرة و أبوبكرة و نافع بن كلدة و زياد و شبل بن معبد البجلي حتى قدموا على عمر فجمع بينهم و بين المغيرة فقال المغيرة يا أمير المؤمنين سل هؤلاء الأعبد كيف رأونى مستقبلهم أم مستدبرهم و كيف رأوا المرأة و عرفوها فإن كانوا مستقبلى فكيف لم أستتر و إن كانوا مستدبرى فبأى شىء استحلوا النظر إلى فى منزلى على امرأتى و الله ما أتيت إلا امرأتى فبدأ بأبى بكرة فشهد عليه أنه رآه بين رجلى أم جميل و هو يدخله و يخرجها قال عمر كيف رأيتها قال مستدبرهما قال كيف استثبت رأسها قال تجافيت فدعا بشبل بن معبد فشهد مثل ذلك و قال استقبلتهما و استدبرتهما و شهد نافع بمثل شهادة أبى بكرة و لم يشهد زياد بمثل شهادتهم قال [صفحة ٢٣٤] رأيتة جالسا بين رجلى امرأه و رأيت قدمين مرفوعتين تخفقان و استين مكشوفتين و سمعت حفزا شديدا قال عمر فهل رأيتة فيها كالميل فى المكحلة قال لا قال فهل تعرف المرأة قال لا ولكن أشبهها فأمر عمر بالثلاثة فجلدوا الحد و قرأوا فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون فقال المغيرة الحمد لله الذى أخزاكم فصاح به عمر اسكت الله نامتك أما و الله لو تمت الشهادة لرجمتك بأحجارك فهذا ما ذكره الطبرى . و أما أبوالفرج على بن الحسين الأصفهاني فإنه ذكر فى كتاب الأغاني أن أحمد بن عبدالعزيز الجوهري حدثه عن عمر بن شبة عن على بن محمد عن قتادة قال كان المغيرة بن شعبة و هو أميرالبصرة يختلف سرا إلى امرأه من ثقيف يقال لها الرقطاء فلقيه أبوبكرة يوما فقال له أين تريد قال أزور آل فلان فأخذ بتلابيبه و قال إن الأمير يزار و لا يزور . قال أبوالفرج و حدثنى بحدِيثه جماعة ذكر أسماءهم بأسانيد مختلفة لانرى الإطالة بذكرها أن المغيرة كان يخرج من دار الإمارة وسط النهار فكان أبوبكرة يلقاه فيقول له أين يذهب الأمير فيقول له إلى حاجة فيقول حاجة ماذا إن الأمير يزار و لا يزور . قالوا و كانت المرأة التى يأتيها جارة لأبى بكرة فقال فينا أبوبكرة فى غرفة له مع أخويه نافع و زياد و رجل آخر يقال له شبل بن معبد و كانت غرفة جارته تلك محاذية غرفة أبى بكرة فضربت الريح باب غرفة المرأة ففتحته فنظر القوم فإذاهم بالمغيرة ينكحها فقال أبوبكرة هذه بلية قد ابتليت بها فانظروا حتى أثبتوا - قرآن - ٢٢٦-٢٢٩ [صفحة ٢٣٥] فنزل أبوبكرة فجلس حتى خرج عليه المغيرة من بيت المرأة فقال له أبوبكرة إنه قد كان من أمرك ما قد علمت فاعتزلنا فذهب المغيرة وجاء ليصلى بالناس الظهر فمنعه أبوبكرة و قال لا و الله لاتصلى بنا و قد فعلت ما فعلت فقال الناس دعوه فليصل إنه الأمير و اكتبوا إلى عمر فكتبوا إليه فورد كتابه أن يقدموا عليه جميعا المغيرة و الشهود . قال أبوالفرج و قال المدائنى فى حديثه فبعث عمر بأبى موسى و عزم عليه ألا يضع كتابه من يده حتى يرحل

المغيرة. قال أبو الفرج و قال علي بن هاشم في حديثه إن أبا موسى قال لعمر لما أمره أن يرحل المغيرة من وقته أو خير من ذلك يا أمير المؤمنين نتركه فيتجهز ثلاثا ثم يخرج. قالوا فخرج أبو موسى حتى صلى صلاة الغداة بظهر المربد وأقبل إنسان فدخل على المغيرة فقال إني رأيت أبا موسى قد دخل المسجد الغداة و عليه برنس وها هو في جانب المسجد فقال المغيرة إنه لم يأت زائرا ولا تاجرا قالوا وجاء أبو موسى حتى دخل على المغيرة و معه صحيفة ملء يده فلما رآه قال أمير فأعطاه أبو موسى الكتاب فلما ذهب يتحرك عن سريره قال له مكانك تجهز ثلاثا. قال أبو الفرج و قال آخرون إن أبا موسى أمره أن يرحل من وقته فقال المغيرة قد علمت ما وجهت له فألا تقدمت و صليت فقال ما أنا و أنت في هذا الأمر إلا سواء فقال المغيرة إني أحب أن أقيم ثلاثا لأتجهز فقال أبو موسى قد عزم على أمير المؤمنين ألا أضع عهدي من يدي إذ قرأته حتى أرحلك إليه قال إن شئت شفعتني وأبررت قسم أمير المؤمنين بأن تؤجلني إلى الظهر وتمسك الكتاب في يدك. قالوا فلقد رئي أبو موسى مقبلا ومدبرا و أن الكتاب في يده معلق بخيط فتجهز المغيرة وبعث إلى أبي موسى بعقيلة جارية عربية من سبي اليمامة من [صفحة 236] بنى حنيفة و يقال إنها مولدة الطائف و معها خادم و سار المغيرة حين صلى الظهر حتى قدم على عمر. قال أبو الفرج فقال محمد بن عبد الله بن حزم في حديثه إن عمر قال له لما قدم عليه لقد شهد عليك بأمر إن كان حقا لأن تكون مت قبل ذلك كان خيرا لك. قال أبو الفرج قال أبو زيد عمر بن شبة فجلس له عمر و دعا به و بالشهود فتقدم أبو بكره فقال رأيت بين فخذيهما قال نعم و الله لكأني أنظر إلى تشريم جدري بفخذيهما قال المغيرة لقد ألطفت النظر قال أبو بكره لم آل أن أثبت ما يخزيك الله به فقال عمر لا و الله حتى تشهد لقد رأيت يلج فيها كما يلج المروء في المكحلة قال نعم أشهد على ذلك فقال عمر اذهب عنك مغيرة ذهب ربعك. قال أبو الفرج و يقال إن عليا ع هوقائل هذا القول ثم دعا نافعا فقال علام تشهد قال على مثل شهادة أبي بكره فقال عمر لا حتى تشهد أنك رأيت يلج فيها ولوج المروء في المكحلة قال نعم حتى بلغ قذذه فقال اذهب عنك مغيرة ذهب نصفك ثم دعا الثالث و هو شبل بن معبد فقال علام تشهد قال على مثل شهادة صاحبي فقال اذهب عنك مغيرة ذهب ثلاثة أرباعك قال فجعل المغيرة يبكي إلى المهاجرين و بكى إلى أمهات المؤمنين حتى بكين معه قال و لم يكن زياد حضر ذلك المجلس فأمر عمر أن ينحى الشهود الثلاثة و ألا يجالسهم أحد من أهل المدينة و انتظر قدوم زياد فلما قدم جلس في المسجد واجتمع رءوس المهاجرين و الأنصار قال المغيرة و كنت قد أعددت كلمة أقولها فلما رأى عمر زيادا مقبلا قال إني لأرى رجلا لن يخزي الله على لسانه رجلا من المهاجرين. [صفحة 237] قال أبو الفرج و في حديث أبي زيد بن عمر بن شبة عن السري عن عبد الكريم بن رشيد عن أبي عثمان النهدي أنه لما شهد الشاهد الأول عند عمر تغير الثالث لذلك لون عمر ثم جاء الثاني فشهد فانكسر لذلك انكسارا شديدا ثم جاء فشهد فكان الرماد نثر على وجه عمر فلما جاء زياد جاء شاب يخطر بيديه فرفع عمر رأسه إليه و قال ما عندك أنت يا سلاح العقاب و صاح أبو عثمان النهدي صيحة تحكى صيحة عمر قال عبد الكريم بن رشيد لقد كدت أن يغشى على لصيحتة. قال أبو الفرج فكان المغيرة يحدث قال فقامت إلى زياد فقلت لا مخبأ لعطر بعد عروس يا زياد أذكرك الله و أذكرك موقف القيامة و كتابه و رسوله أن تتجاوز إلى ما لم تر ثم صحت يا أمير المؤمنين أن هؤلاء قد احتقروا دمي فالله الله في دمي قال فترنقت عينا زياد و احمر وجهه و قال يا أمير المؤمنين أما إن أحق ما حق القوم فليس عندي ولكني رأيت مجلسا قبيحا و سمعت نفسا حثيثا و انتهارا و رأيت متبطنها فقال عمر رأيت يدخل و يخرج كالميل في المكحلة قال لا. قال أبو الفرج و روى كثير من الرواة أنه قال رأيت رافعا برجليها و رأيت خصيتيه مترددتين بين فخذيهما و سمعت حفزا شديدا و سمعت نفسا عاليا فقال عمر رأيت يدخله و يخرج كالميل في المكحلة قال لا. فقال عمر الله أكبر قم يا مغيرة إليهم فاضربهم فجاء المغيرة إلى أبي بكره فضربه ثمانين و ضرب الباقيين. و روى قوم أن الضارب لهم الحد لم يكن المغيرة و أعجب عمر قول زياد و درأ الحد عن المغيرة فقال أبو بكره بعد أن ضرب أشهد أن المغيرة فعل كذا و كذا فهم عمر بضره فقال له على ع إن ضربته رجمت صاحبك و نهاه عن ذلك.]

صفحة ٢٣٨] قال أبو الفرج يعني إن ضربه تصير شهادته شهادتين فيوجب بذلك الرجم على المغيرة. قال فاستتاب عمر أبابكره فقال إنما تستينيني لتقبل شهادتي قال أجل قال فإني لأشهد بين اثنين ما بقيت في الدنيا قال فلما ضربوا الحد قال المغيرة الله أكبر الحمد لله الذي أخزاكم فقال عمر اسكت أخزى الله مكانا رأوك فيه . قال وأقام أبوبكره على قوله و كان يقول و الله ما أنسى قط فخذيتها و تاب الاثنان فقبل شهادتهما و كان أبوبكره بعد ذلك إذا طلب إلى شهادة قال اطلبوا غيري فإن زيادا أفسد على شهادتي. و قال أبو الفرج و روى ابراهيم بن سعيد عن أبيه عن جده قال لما ضرب أبوبكره أمرت أمه بشاء فذبحت و جعل جلدها على ظهره قال ابراهيم فكان أبي يقول ماذاك إلا من ضرب شديد. قال أبو الفرج فحدثنا الجوهرى عن عمر بن شبة عن علي بن محمد عن يحيى بن زكريا عن مجالد عن الشعبي قال كانت الرقطاء التي رمى بها المغيرة تختلف إليه في أيام إمارته الكوفة في خلافة معاوية في حوائجها فيقضيها لها. قال أبو الفرج و حج عمر بعد ذلك مرة فوافق الرقطاء بالموسم فرآها و كان المغيرة يومئذ هناك فقال عمر للمغيرة و يحكك أنت جاهل على و الله ما أظن أبابكره كذب عليك و مارأيتك إلا خفت أن أرمى بحجارة من السماء. قال و كان على ع بعد ذلك يقول إن ظفرت بالمغيرة لأتبعته الحجارة. قال أبو الفرج فقال حسان بن ثابت يهجو المغيرة و يذكر هذه القصة لو أن اللؤم ينسب كان عبدا || قبيح الوجه أعور من ثقيف [صفحة ٢٣٩] تركت الدين و الإسلام لما || بدت لك غدوة ذات النصف و راجعت الصبا و ذكرت لهوا || مع القينات في العمر اللطيف . قال أبو الفرج و روى المدائني أن المغيرة لما شخص إلى عمر في هذه الواقعة رأى في طريقه جارية فأعجبته فخطبها إلى أبيها فقال له و أنت على هذه الحال قال و ما عليك إن أبق فهو الذي تريد و إن أقتل ترثني فزوجه . و قال أبو الفرج قال الواقدي كانت امرأة من بنى مرة تزوجها بالرقم فلما قدم بها على عمر قال إنك لفارغ القلب طويل الشبق . فهذه الأخبار كما تراها تدل متأملها على أن الرجل زنى بالمرأة لا محالة و كل كتب التواريخ و السير تشهد بذلك و إنما اقتصرنا نحن منها على ما في هذين الكتابين . و قدروى المدائني أن المغيرة كان أزنى الناس في الجاهلية فلما دخل في الإسلام قيده الإسلام و بقيت عنده منه بقية ظهرت في أيام ولايته البصرة. و روى أبو الفرج في كتاب الأغاني عن الجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر قال كان المغيرة بن شعبة و الأشعث بن قيس و جرير بن عبد الله البجلي يوما متوافقين بالكناسة في نفر و طلع عليهم أعرابي فقال لهم المغيرة دعوني أحركه قالوا لا تفعل فإن للأعراب جوابا يؤثر قال لا بد قالوا فأنت أعلم فقال له يا أعرابي أنت تعرف المغيرة بن شعبة قال نعم أعرفه أعور زانيا فوجم ثم تجلد فقال أنت تعرف الأشعث بن قيس قال نعم ذاك رجل لا يعرى قومه قال و كيف ذاك قال لأنهم حاكه. قال فهل تعرف جرير بن عبد الله قال كيف لا أعرف رجلا لولاه ما عرفت عشيرته فقالوا قبحك الله فإنك شر جليس هل تحب أن يوقر لك بعيرك هذا مالا و تموت [صفحة ٢٤٠] أكرم العرب موته قال فمن يبلغه إذن أهلى فانصرفوا عنه فتركوه قال أبو الفرج و روى علي بن سليمان الأخفس قال خرج المغيرة بن شعبة و هو يومئذ على الكوفة و معه الهيثم بن التيهان النخعي غب مطر يسير في ظهر الكوفة و النجف فلقى ابن لسان الحمرة أحد بنى تيم الله بن ثعلبة و هو لا يعرف المغيرة و لا يعرفه المغيرة فقال له من أين أقبلت يا أعرابي قال من السماوة قال كيف تركت الأرض خلفك قال عريضة أريضة قال فكيف كان المطر قال عفى الأثر و ملأ الحفر قال فمن أنت قال من بكر بن وائل قال كيف علمك بهم قال إن جهلتهم لم أعرف غيرهم قال فما تقول في بنى شيبان قال سادتنا و سادة غيرنا قال فما تقول في بنى ذهل قال سادة نوكى قال فقيس بن ثعلبة قال إن جاورتهم سرقوك و إن ائتمنتهم خانوك قال فبنو تيم الله بن ثعلبة قال رعاء النقد و عراقيب الكلاب قال فبنى يشكر قال صريح تحسبه مولى . قال هشام بن الكلبي لأن في ألوانهم حمرة قال فعجل قال أحلاس الخيل قال فعبد القيس قال يطعمون الطعام و يضربون الهام قال فعنزة قال لا تلتقى بهم الشفتان لؤما قال فضبيعة أضجم قال جدعا و عقرا قال فأخبرني عن النساء قال النساء أربع ربيع مربع و جميع مجمع و شيطان سمعمع و غل لا يخلع قال فسر قال أما الربيع المربع فالتى إذا نظرت إليها سرتك و إذا أقسمت عليها برتك و أمالتي هي جميع مجمع فالمرأة تزوجها ولها نسب فيجتمع نسبها إلى نسبك

و أما الشيطان السمعع فالكالحه في وجهك إذا دخلت المولولهُ في أترك [صفحه ٢٤١] إذا خرجت و أما الغل الذي لا يخلع
فبت عمك السوداء القصيره الفوهاء الدميمه التي قد نثرت لك بطنها إن طلقها ضاع ولدك و إن أمسكتها فعلى جدع أنفك
قال المغيره بل أنفك قال فما تقول في أميرك المغيره بن شعبه قال أعور زان فقال الهيثم بن الأسود فض الله فاك و يلك إنه
الأمير المغيره قال إنها كلمه تقال فانطلق به المغيره إلى منزله و عنده يومئذ أربع نسوة و ستون أو سبعون أمه و قال و يحك هل
يزنى الحر و عنده مثل هؤلاء ثم قال لهن ارمين إليه بحليكن ففعلن فخرج بملء كسائه ذهباً و فضةً . و إنما أوردنا هذين الخبرين
ليعلم السامع أن الخبر بزناه كان شائعاً مشهوراً مستفيضاً بين الناس و لأنهما يتضمنان أدباً و كتابنا هذا موضوع للأدب . و إنما قلنا إن
عمر لم يخطئ في درء الحد عنه لأن الإمام يستحب له ذلك و إن غلب على ظنه أنه قد وجب الحد عليه روى المدائني أن أمير
المؤمنين علياً أتى برجل قد وجب عليه الحد فقال أها هنا شهود قالوا نعم قال فأتوني بهم إذا أمسيتم و لا تأتونني إلا معتمين فلما
أعتموا جاءوه فقال لهم نشدت الله رجلاً ما لي عنده مثل هذا الحد إلا أنصرف قال فما بقي منهم أحد فدرأ عنه الحد ذكر
هذا الخبر أبو حيان في كتاب البصائر في الجزء السادس منه -رواية ١-٢-رواية ١٧-٣٢٩ والخبر المشهور الذي كاد يكون
متواتراً أن رسول الله ص قال ادروا الحدود بالشبهات -رواية ١-٢-رواية ٢٧-٥١ و من تأمل المسائل الفقهية في باب
الحدود علم أنها بنيت على الإسقاط عند أدنى سبب و أضعفه أ لا ترى أنه لو أقر بالزنا ثم رجع عن إقراره قبل إقامة الحد أو في
وسطه قبل رجوعه و خلى سبيله . [صفحه ٢٤٢] و قال أبو حنيفة و أصحابه يستحب للإمام أن يلحق المقر الرجوع و يقول له تأمل
ما تقول لعلك مسستها أو قبلتها و يجب على الإمام أن يسأل الشهود ما الزنا و كيف هو و أين زنى و بمن زنى و متى زنى و هل رأوه
وطئها في فرجها كالميل في المكحلة فإذا ثبت كل ذلك سأل عنهم فلا يقيم الحد حتى يعدلهم القاضى فى السر و العلانية و
لا يقيم الحد بإقرار الإنسان على نفسه حتى يقر أربع مرات فى أربعة مجالس كلما أقر رده القاضى و إذا تم إقراره سأل القاضى
عن الزنا ما هو و كيف هو و أين زنى و بمن زنى و متى زنى . قال الفقهاء و يجب أن يتدئ الشهود برجمه إذا تكاملت الشهادة فإن
امتنعوا من الابتداء برجمه سقط الحد . قالوا و لاحد على من وطئ جارية ولده أو ولد ولده و إن قال علمت أنها على حرام و إن
وطئ جارية أبيه أو أمه أو أخته و قال ظننت أنها تحل لى فلا حد عليه و من أقر أربع مرات فى مجالس مختلفة بالزنا بفلانة فقالت
هى بل تزوجنى فلا حد عليه و كذلك إن أقرت المرأة بأنه زنى بها فلان فقال الرجل بل تزوجتها فلا حد عليها قالوا و إذا شهد
الشهود بحد متقادم من الزنا لم يمنعهم عن إقامته بعدهم عن الإمام لم تقبل شهادتهم إذا كان حد الزنا و إن شهدوا أنه زنى
بامرأة و لا يعرفونها لم يحد لم تقبل شهادتهم إذا كان حد الزنا و إن شهدوا أنه زنى بامرأة و لا يعرفونها لم يحد و إن شهد اثنان
أنه زنى بامرأة بالكوفة و آخران أنه زنى بالبصرة درئ الحد عنهما جميعاً و إن شهد أربعة على رجل أنه زنى بامرأة بالنخيلة
عند طلوع الشمس من يوم كذا و كذا و أربعة شهدوا بهذه المرأة عند طلوع الشمس ذلك اليوم بدير هند درئ الحد عنه و عنها
و عنهم جميعاً و إن شهد أربعة على شهادة أربعة بالزنا لم يحد المشهود عليه . [صفحه ٢٤٣] و هذه المسائل كلها مذهب أبى
حنيفة و يوافقها الشافعى فى كثير منها و من تأملها علم أن مبنى الحدود على الإسقاط بالشبهات و إن ضعفت . فإن قلت كل هذا
لا يلزم المرتضى لأن مذهبه فى فروع الفقه مخالف لمذهب الفقهاء قلت ذكر محمد بن النعمان و هو شيخ المرتضى الذى قرأ
عليه فقه الإمامية فى كتاب المقنعة أن الشهود الأربعة إن تفرقوا فى الشهادة بالزنا و لم يأتوا بهما مجتمعين فى وقت فى مكان
واحد سقط الحد عن المشهود عليه و وجب عليهم حد القذف . قال و إذا أقر الإنسان على نفسه بالزنا أربع مرات على اختيار منه
للإقرار و جب عليه الحد و إن أقر مرة أو مرتين أو ثلاثاً لم يجب عليه الحد بهذا الإقرار و للإمام أن يؤدبه بإقراره على نفسه حسب
ما يراه فإن كان أقر على امرأة بعينها جلد حد القذف . قال و إن جعل فى الحفرة ليرجم و هو مقر على نفسه بالزنا ففر منها ترك
و لم يرد لأن فراره رجوع عن الإقرار و هو أعلم بنفسه . قال و لا يجب الرجم على المحصن الذى يعده الفقهاء محصناً و هو من

وطئ امرأة في نكاح صحيح وإنما الإحصان عندنا من له زوجة أو ملك يمين يستغنى بها عن غيرها ويتمكن من وطئها فإن كانت مريضة لا يصل إليها بنكاح أو صغيرة لا يوطأ مثلها أو غائبة عنه أو مجبوسة لم يكن محصنا بها ولا يجب عليه الرجم . قال ونكاح المتعة لا يحصن عندنا وإذا كان هذا مذهب الإمامية فقد اتفق قولهم وأقوال الفقهاء في سقوط الرجم بأدنى سبب و الذي رواه أبو الفرج الأصفهاني أن زيادا لم يحضر في المجلس الأول و أنه حضر في مجلس ثان فلعن إسقاط الحد كان لهذا. ثم نعود إلى تصفح ما عترض به المرتضى كلام قاضي القضاة. [صفحہ ۲۴۴] أما قوله كان الحد في حكم الثابت فإن الله تعالى لم يوجب الحد إلا إذا كان ثابتا و لم يوجب إذا كان في حكم الثابت ويسأل عن معنى قوله في حكم الثابت هل المراد بذلك أنه قريب من الثبوت و إن لم يثبت حقيقة أم المراد أنه قد ثبت وتحقق فإن أراد الثاني قيل له لانسلم أنه ثبت لأن الشهادة لم تتم وقدا عترف المرتضى بذلك وأقر بأن الشهادة لم تكمل ولكنه نسب ذلك إلى تلقين عمر و إن أراد الأول قيل له ليس يكفي في وحب الحد أن يكون قريبا إلى الثبوت لأنه لو كفى ذلك لحد الإنسان بشهادة ثلاثة من الشهود. و أما قوله إن عمر لقنه و كره أن يشهد فلا يريب أن الأمر وقع كذلك و قد قلنا إن هذا جائز بل مندوب إليه وروينا عن أمير المؤمنين ماروبناه وذكرنا قول الفقهاء في ذلك و إنهم استحبوا أن يقول القاضي للمقر بالزنا تأمل مات قوله لعلك مسستها أو قبلتها. فأما قول المرتضى إنه درأ الحد عن واحد و كان درؤه عن ثلاثة أولى فقد أجاب قاضي القضاة عنه بأنه ما كان يمكن دفعه عنهم فأما قول المرتضى بل قد كان يمكن دفعه عنهم بالألـ يلحق الرابع الامتناع من الشهادة فقد أجاب قاضي القضاة عنه بأن الزنا و وسم الإنسان به أعظم وأشنع وأفحش من أن يوسم بالكذب والافتراء و عقوبة الزاني أعظم من عقوبة الكاذب القاذف عند الله تعالى في دار التكليف يبين ذلك أن الله تعالى أوجب جلد ثلاثة من المسلمين لتخليص واحد شهد الثلاثة عليه بالزنا فلو لم يكن هذا المعنى ملحوظا في نظر الشارع لما أوجب فكيف يقول المرتضى ليس لأحد الأمرين إلا ما في الآخر. و أما خبر السارق الذي رواه قاضي القضاة وقول المرتضى في الاعتراض عليه ليس في دفع الحد عن السارق إيقاع غيره في المكروه وقصة المغيرة تخالف هذا فليس بجيد [صفحہ ۲۴۵] لأن في دفع الحد عن السارق إضاعة مال المسلم الذي سرق السارق في زمانه و فيه أيضا إغراء أهل الفساد بالسرقة لأنهم إذا لم يقيم الحد عليهم لمكان الجحود أقدموا على سرقة الأموال فلو لم يكن عناية الشارع بالدماء أكثر من عنايته بغيره من الأموال والأبشار لما قال للمكلف لا تقرب بالسرقة و لا بالزنا و لما رجح واحدا على ثلاثة و هان في نظره أن تضرب أبشارهم بالسياط وهم ثلاثة حفظا لدم واحد. و أما حديث صفوان وقول المرتضى فلا يشبهه كل مانحن فيه لأن الرسول ص بين أن ذلك القول يسقط الحد لو تقدم و ليس فيه تلقين يوجب إسقاط الحد. فجوابه أن قاضي القضاة لم يقصد بإيراد هذا الخبر إلا تشييد قول عمر أرى وجه رجل لا يفصح الله به رجلا من المسلمين لأن عمر كره فضيحة المغيرة كما كره رسول الله ص فضيحة السارق الذي قال صفوان هو له و قال ع هلا قبل أن تأتيني به أي هلا قلت ذلك قبل أن تحضره فلم يفتضح بين الناس فإن قولك هو له و إن درأ الحد إلا أنه لا يدرأ الفضيحة. فأما ما حكاه قاضي القضاة عن أبي علي من أن القذف قد كان تقدم منهم وهم بالبصرة فقد ذكرنا في الخبر ما يدل على ذلك فبطل قول المرتضى أن ذلك غير معروف و أن الظاهر المروى خلافه . و أما قول عمر للمغيرة ما رأيتك إلا خفت أن يرميني الله بحجارة من السماء فالظاهر أن مراده ما ذكره قاضي القضاة من التخويف وإظهار قوة الظن بصدق الشهود ليكون ردعا له ولذلك ورد في الخبر ما أظن أبابكرة كذب عليك تقديره أظنه لم يكذب و لو كان كما قال المرتضى ندما وتأسفا على تفریط وقع لأقام الحد عليه و لو بعد حين و من الذي كان يمنعه من ذلك لو أراده . [صفحہ ۲۴۶] وقوله لم يخاف أن يرمى بالحجارة و هو لم يدرأ الحد عن مستحق له جوابه أن هذا القول يجري مجرى التهويل والتخويف للمغيرة كيلا يقدم على أن يعرض نفسه لشبهه فيما بعد. فأما قول قاضي القضاة أنه غير ممتنع أن يحب ألا يفتضح لما كان متوليا للبصرة من قبله وقول المرتضى معترضا عليه إن كونه واليا من قبله لا يقتضى أن يدرأ عنه الحد فغير لازم لأن قاضي

القضاء ما جعل كونه واليا من قبله مقتضيا أن يدرأ عنه الحد وإنما قاله في جواب من أنكر على عمر محبته لدرء الحد عنه فقال إنه غير قبيح ولا يحرم محبة درء الحد عنه لأنه وال من قبله فجعل الولاية للبصرة مسوغه لمحبة عمر لدفع الحد عنه لا مسوغه لدفع الحد عنه و بين الأمرين فرق واضح . و أما قول المرتضى إن الشرع حظر كتمان الشهادة فصحيح فيما عدا الحدود فأما في الحدود فلا و قدورد في الخبر الصحيح من رأى على أخيه شيئا من هذه القاذورات وستر ستره الله يوم يفتضح المجرمون -روايت- ١-٢- روايت- ٢٠-١٠١. فأما قول المرتضى هب أن الحد سقط أ ما اقتضت الحال تأديب المغيرة بنوع من أنواع التعزير و إن خف فكلام لازم لا جواب عنه و لوفعله عمر لبرئ من التهمة براءة الذئب من دم يوسف و ما أدري كيف فاته ذلك مع تشدده في الدين وصلابته في السياسة ولعله كان له مانع عن اعتماد ذلك لانعلمه

الطعن السابع

أنه كان يتلون في الأحكام حتى روى أنه قضى في الجسد بسبعين قضية وروى [صفحہ ٢٤٧] مائة قضية و أنه كان يفضل في القسمة والعطاء و قدسوى الله تعالى بين الجميع و أنه قال في الأحكام من جهة الرأى والحدس والظن . أجاب قاضى القضاء عن ذلك فقال مسائل الاجتهاد يسوغ فيها الاختلاف والرجوع عن رأى إلى رأى بحسب الأمارات وغالب الظن و قد ذكر أن ذلك طريقه أمير المؤمنين ع في أمهات الأولاد ومقاسمة الجد مع الإخوة ومسألة الحرام . قال وإنما الكلام في أصل القياس والاجتهاد فإذا ثبت ذلك خرج من أن يكون طعنا و قد ثبت أن أمير المؤمنين ع كان يولى من يرى خلافاً رأيه كابن عباس وشريح و لا يمنع زيادا و ابن مسعود من الفتيا مع الاختلاف بينه وبينهما . فأما ما روى من السبعين قضية فالمراد به في مسائل من الجد لأن مسألة واحدة لا يوجد فيها سبعون قضية مختلفة و ليس في ذلك عيب بل يدل على سعة علمه . و قال قد صح في زمان الرسول ص مثل ذلك لأنه لما شاور في أمر الأسرى أبابكر أشار ألا يقتلهم وأشار عمر بقتلهم فمدحهما جميعا فما الذى يمنع من كون القولين صوابا من المجتهدين و من الواحد في حالين . و بعد فقد ثبت أن اجتهاد الحسن ع في طلب الإمامة كان بخلاف اجتهاد الحسين ع لأنه سلم الأمر وتمكنه أكثر من تمكن الحسين ع و لم يمنع ذلك من كونهما ع مصيبين . [صفحہ ٢٤٨] اعترض المرتضى هذا الجواب فقال لا شك أن التلون في الأحكام والرجوع من قضاء إلى قضاء إنما يكون عيبا وطعنا إذا بطل الاجتهاد الذى يذهبون إليه فأما لو ثبت لم يكن ذلك عيبا فأما الدعوى على أمير المؤمنين ع أنه تنقل في الأحكام ورجع من مذهب إلى آخر فإنها غير صحيحة و لانسلمه ونحن ننازعه فيها و هو لا ينازعنا في تلون صاحبه و تنقله فلم يشتهب الأمران . وأظهر ما روى في ذلك خبر أمهات الأولاد و قد بينا فيما سلف من الكتاب ما فيه و قلنا إن مذهبه في بيعه كان واحدا غير مختلف و إن كان قد وافق عمر في بعض الأحوال لضرب من الرأى فأما توليته لمن يرى خلافاً رأيه فليس ذلك لتسويغه الاجتهاد الذى يذهبون إليه بل لما بيناه من قبل أنه ع كان غير متمكن من اختياره و أنه يجرى أكثر الأمور مجراها المتقدم للسياسة والتدبير و هذا السبب فى أنه لم يمنع من خالفه فى الفتيا . فأما قوله إن السبعين قضية لم تكن فى مسألة واحدة وإنما كانت فى مسائل من الجد فكلام الأمرين واحد فيما قصدناه لأن حكم الله تعالى لا يختلف فى المسألة الواحدة والمسائل فأما أمر الأسارى فإن صح فإنه لا يشبه أحكام الدين المبنية على العلم واليقين لأنه لا سبيل لأبى بكر وعمر إلى المشورة فى أمر الأسارى إلا من طريق الظن والحسبان وأحكام الدين معلومة و إلى العلم بهاسبيل . و مادعا من اجتهاد الحسن بخلاف اجتهاد الحسين ليس على ما ظنه لأن ذلك لم يكن عن اجتهاد وظن بل كان عن علم و يقين فمن أين له أنهما عملا على الظن فما نراه اعتمد على حجة و من أين له أن تمكن الحسن كان أكثر من تمكن الحسين [صفحہ ٢٤٩] على أن هذا لو كان على ما قاله لم يحسن من هذا التسليم و من ذاك القتال لأن المقاتل قد يكون مغررا ملقيا بيديه إلى التهلكة والمسالم مضيعا للأمر مفرطا و إذا كان عند صاحب الكتاب التسليم والقتال

إنما كانا عن ظن وأمارات فليس يجوز أن يغلب على الظن بأن الرأى فى القتال مع ارتفاع أمارات التمكّن ولا أن يغلب فى الظن المسالمة مع قوة أمارات التمكّن . قلت أما القول فى صحّة الاجتهاد وبطلانه فله مواضع غير هذا الموضع وكذلك القول فى تقيّة الإمام واستصلاحه وفعله ما لا يسوغ لضرب من السياسة والتدبير . و أمامسائل الجد فلم يعترض المرتضى قول قاضى القضاة فيها و أماقاضى القضاة فقد استبعد بل أحال أن تكون مسألة واحدة بعينها تحتمل سبعين حكما مختلفه فحمل الحديث على أن عمر أفتى فى باب ميراث الأجداد والجدات بسبعين فتيا فى سبعين مسألة مختلفه الصور و ذلك دليل على علمه وفقهه وتمكّنه من البحث فى تفاريج المسائل الشرعيه هذا هو جواب قاضى القضاة فكيف يعترض بقوله كلا الأمرين واحد فيما قصدناه لأن حكم الله لا يختلف فى المسألة الواحدة والمسائل المتعدده أليس هذا اعتراض من ظن أن قاضى القضاة قد اعترض بتناقض أحكامه ولكن لا فى مسألة بعينها بل فى مسائل من باب ميراث الجد و لم يقصد قاضى القضاة ما ظنه والوجه أن يعترض قاضى القضاة فيقال إن الرواية كلهم اتفقوا على أن عمر تلون تلونا شديدا فى الجد مع الإخوة كيف يقاسمهم وهى مسألة واحدة فقضى فيها بسبعين قضية فأخرجوا الرواية مخرج التعجب من تناقض فتاويه و لم يخرج أحد من المحدثين الرواية مخرج المدح له بسعة تفرّيعه فى الفقه والمسائل فلا يجوز صرف الرواية عن الوضع الذى وردت عليه . [صفحہ ۲۵۰] وقول قاضى القضاة كيف تحتمل مسألة واحدة سبعين وجها جوابه أنه لم يقع الأمر بموجب ما توهمه بل المراد أن قوما تحاكموا إليه فى هذه المسألة مثلا اليوم فأفتى فيها بفتيا نحو أن يقول فى جد و بنت وأخت لل بنت النصف والباقى بين الجد والأخت للذكر مثل حظ الأنثيين و هو قول زيد بن ثابت ثم يتحاكم إليه بعد أيام فى هذه المسألة بعينها قد وضعت لقوم آخرين فيقول لل بنت النصف وللجد السدس والباقى للأخت و هو المذهب المحكى عن على ع و ذلك بأن يتغلب على ظنه ترجيح هذه الفتيا على ما كان أفتى به من قبل ثم تقع هذه المسألة بعينها بعد شهر آخر فيفتى فيها بفتيا أخرى فيقول لل بنت النصف والباقى بين الجد والأخت نصفين و هو مذهب ابن مسعود ثم تقع المسألة بعينها بعد شهر آخر فيقضى فيها بالفتيا الأولى وهى مذهب زيد بأن يعود ظنه مترجحا متغلبا لمذهب زيد ثم تقع المسألة بعينها بعد وقت آخر فيفتى فيها بقول على ع وهكذا لا تزال المسألة بعينها تقع وأقواله فيها تختلف وهى ثلاثة لا مزيد عليها إلا أنه لا يزال يفتى فيها فتاوى مختلفة إلى أن توفى فأحصيت فكانت سبعين فتيا . فأما احتجاج قاضى القضاة بقصه أسرى بدر فحيد و أما ما اعترض به المرتضى فليس بجيد لأن المسألة من باب الشرع و هو قتل الأسرى أو تخليتهم بالفداء والقتل وإراقة الدم من أهم المسائل الشرعيه و قد علم من الشارع شدة العناية بأمر الدنيا فإن كانت أحكام الشرع لا يجوز أن تتلقى و أن يفتى فيها إلا بطريق معلومه و أن الظن والاجتهاد لا مدخل له فى الشرع كما يذهب إليه المرتضى فكيف جاز من رسول الله ص أن يشاور فى أحكام شرعيه من لا طريق له إلى العلم وإنما قصارى أمره الظن والاجتهاد والحسبان وكيف مدحهما جميعا و قد اختلفا و لا بد أن يكون أحدهما مخطئا . [صفحہ ۲۵۱] و أما قول المرتضى من أين لقاضى القضاة أن ما اعتمده الحسن و الحسين من الكف والإقدام كان عن الاجتهاد فحيد و جواب صحيح على أصول الإمامية لأنه ليس بمستحيل أن يعتمد ذلك بوصيه سابقه من أبيهما ع . و أما قوله لقاضى القضاة كلامك مضطرب لأنك أسندت ما اعتمده إلى الاجتهاد ثم قلت و قد كان تمكّن الحسن أكثر من تمكّن الحسين ع و هذا يؤدى إلى أن أحدهما غرر بنفسه والآخر فرط فى تسليم حقه فليس بجيد و الذى أراده قاضى القضاة الدلالة على جواز الاجتهاد و أنه طريقه المسلمين كلهم و أهل البيت ع وأوما إلى ما اعتمده الحسن من تسليم الأمر إلى معاويه و ما اعتمده الحسين من منازعه يزيد الخلفه فعملا فيها بموجب اجتهادهما و ما غلب على ظنونهما من المصلحه و قد كان تمكّن الحسن ع فى الحال الحاضرة أكثر من تمكّن الحسين ع فى حاله الحاضرة لأن جند الحسن كان حوله ومطيفا به وهم كماروى مائة ألف سيف و لم يكن مع الحسين ع ممن يحيط به ويسير بمسيره إلى العراق إلا دون مائة فارس ولكن ظنهما فى عاقبه الأمر ومستقبل الحال كان مختلفا فكان الحسن يظن خذلان أصحابه عند اللقاء والحرب و كان الحسين ع يظن نصره

أصحابه عند اللقاء والحرب فلذلك أحجم أحدهما وأقدم الآخر فقد بان أن قول قاضي القضاة غير مضطرب ولامتناقض

الطعن الثامن

ماروى عن عمر من قوله متعتان كانتا على عهد رسول الله ص أنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما وهذا اللفظ قبيح لو صح المعنى فكيف إذ فسد لأنه ليس ممن [صفحة ٢٥٢] يشرع فيقول هذا القول ولأنه يوهم مساواة الرسول ص فى الأمر والنهى و أن اتباعه أولى من اتباع رسول الله ص .أجاب قاضى القضاة فقال أنه إنما عنى بقوله و أنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما كراهته لذلك وتشدده فيه من حيث نهى رسول الله ص عنهما بعد أن كانتا فى أيامه منها بذلك على حصول النسخ فيهما وتغير الحكم لأننا نعلم أنه كان متبعا للرسول متدينا بالإسلام فلا يجوز أن نحمل قوله على خلاف ماتواتر من حاله وحكى عن أبى على أن ذلك بمنزلة أن يقول إنى أعاقب من صلى إلى بيت المقدس و إن كان صلى إلى بيت المقدس فى حياة رسول الله ص واعتمد فى تصويبه على كف الصحابة عن النكير عنه وادعى أن أمير المؤمنين ع أنكر على ابن عباس إحلال المتعة وروى عن النبى ص تحريمهما فأما متعة الحج فإنما أراد ما كانوا يفعلون من فسخ الحج لأنه كان يحصل لهم عنده التمتع و لم يرد بذلك التمتع الذى يجرى مجرى تقدم العمرة وإضافة الحج إليها بعد ذلك لأنه جائز لم يقع فيه قبح .اعترض المرتضى هذا الكلام فقال ظاهر الخبر المروى عن عمر فى المتعتين يبطل هذا التأويل لأنه قال متعتان كانتا على عهد رسول الله ص أنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما فأضاف النهى إلى نفسه و لو كان الرسول نهى عنهما لأضاف النهى إليه فكان أكد وأولى فكان يقول نهى عنهما أو نسخهما و أنا من بعده أنهى عنهما وأعاقب عليهما و ليس يشبه ما ذكره من الصلاة إلى بيت المقدس أن نسخ [صفحة ٢٥٣] الصلاة إلى بيت المقدس معلوم ضرورة من دينه ص و ليس كذلك المتعة على أنه لو قال إن الصلاة إلى بيت المقدس كانت فى أيام النبى ص جائزة و أنا الآن أنهى عنها لكان قبيحا شنيعا مثل ما استقبنا من القول الأول و ليس هذا القول منه ردا على الرسول ص لأنه لا يمتنع أن يكون استحسان حظرها فى أيامه لوجه لم يكن فيما تقدم واعتقد أن الإباحة فى أيام رسول الله ص كان لها شرط لم يوجد فى أيامه و قدروى عنه أنه صرح بهذا المعنى فقال إنما أحل الله المتعة للناس على عهد رسول الله ص والنساء يومئذ قليلة ولذلك روى عنه فى متعة الحج أنه قال قد علمت أن رسول الله ص فعلها وأصحابه ولكن كرهت أن يظلموا بهامعرسين تحت الأراك ثم يرجعوا بالحج تقطر رءوسهم . و أما اعتماده على الكف عن النكير فقد تقدم أنه ليس بحجة إلا على شرائط شرحناها على أنه قدروى أن عمر قال بعد نهيه عن المتعة لا أوتى بأحد تزوج متعة إلا عذبتة بالحجارة و لو كنت تقدمت فيها لرجمت و ما وجدنا أحدا أنكر عليه هذا القول لأن المتمتع عندهم لا يستحق الرجم و لم يدل ترك النكير على صوابه .فأما ادعاؤه على أمير المؤمنين ع أنه أنكر على ابن عباس إحلالها فالأمر بخلافه وعكسه فقد روى عنه ع من طرق كثيرة أنه كان يفتى بها وينكر على محرما والنهى عنها و روى عمر بن سعد الهمداني عن حبيش بن المعتمر قال سمعت عليا ع يقول لو لا ما سبق من ابن الخطاب فى المتعة ما زنى إلا شقى -رواية ١-٢-رواية ٧٢-١٢٧ روى أبو بصير قال سمعت أبا جعفر محمد بن على الباقرع يروى عن جده أمير المؤمنين ع لو لا ما سبقنى به ابن الخطاب ما زنى إلا شقى -رواية ١-٢-رواية ٨٨-١٣٥ و قد أفتى بالمتعة [صفحة ٢٥٤] جماعة من الصحابة والتابعين كعبد الله بن عباس و عبد الله بن مسعود وجابر بن عبد الله الأنصارى وسلمة بن الأكوع و أبى سعيد الخدرى وسعيد بن جبيرة ومجاهد وغير ما ذكرناه ممن يطول ذكره فأما سادة أهل البيت ع وعلمائهم فأمرهم واضح فى الفتيا بها كعلى بن الحسين زين العابدين و أبى جعفر الباقرع و أبى عبد الله الصادق ع و أبى الحسن موسى الكاظم و على بن موسى الرضا ع و ما ذكرناه من فتيا من أشرنا إليه من الصحابة به يدل على أوضح بطلان ما ذكره صاحب الكتاب من ارتفاع النكير لتحريمها لأن مقامهم على الفتيا بهانكير فأما متعة الحج فقد فعلها النبى ص و الناس أجمع من بعده والفقهاء فى أعصارنا هذه

لا يرونها خطأ بل صوابا. فأما قول صاحب الكتاب إن عمر إنما أنكر فسح الحج فباطل لأن ذلك أولا لا يسمى متعاً ولأن ذلك ما فعل في أيام النبي ص ولا فعله أحد من المسلمين بعده وإنما هو من سنن الجاهلية فكيف يقول عمر متعتان كانتا على عهد رسول الله ص وكيف يغلظ ويشدد فيما لم يفعل ولا فعل . قلت لاشبهه أن الظاهر من كلام عمر إضافة النهي إلى نفسه لكننا يجب علينا أن نترك ظاهر اللفظ إذ علمنا من قائله ما يوجب صرف اللفظ عن الظاهر كما يعتمد كل أحد في القرائن المقترنة بالألفاظ والمعلوم من حال عمر أنه لم يكن يدعى أنه ناسخ لشريعة [صفحة ٢٥٥] الرسول ص و أنه كان متدينا بالإسلام وتابعا للرسول الذي جاء به فوجب أن يحمل كلامه على أنه أراد أنهما كانتا ثم حرمتا ثم أنا الآن أعاقب من فعلهما لأنه قد كان بلغه عن قوم من المسلمين بعد علمهم بالتحريم وقول المرتضى لعله كان اعتقد أن الإباحة أيام رسول الله ص كانت مشروطة بشرط لم يوجد في أيامه قول يبطل طعنه في عمر ويمهد له عذرا ويصير المسألة اجتهادية. و أماغنه في الاحتجاج على تصويب عمر بترك الإنكار عليه و قوله فهلا أنكروا عليه قوله لا أرى أحدا يستمتع إلا رجسته فليس بطعن مستقيم وإنما يكون طعنا صحيحا لو كان أتى بمتمتع فأمر برجمه فأما أن ينكروا عليه وعيده وتهديده للإنسان معين بل كلاما مطلقا وقولا كليا يقصد به حسم المادة في المتعة وتخويف فاعلها فإنه ليس بمحل للإنكار عليه و مازالت الأئمة والصالحون يتوعدون بأمر ليس في نفوسهم فعله على طريق التأييد والتهذيب على أن قوما من الفقهاء قد أوجبوا إقامة الحد على المتمتع فلا يمتنع أن يكون عمر ذاهبا إلى هذا المذهب. فأما مارواه عن أمير المؤمنين ع و عن الطاهرين من أولاده من تحليل المتعة فلسنا في هذا المقام نناكره في ذلك وننازعه فيها والمسألة فقهية من فروع الشريعة و ليس كتابنا موضوعا لذكره و لا الموضوع الذي نحن فيه يقتضى الحجاج فيها والبحث في تحليلها وتحريمها وإنما الموضوع موضع الكلام في حال عمر و ما نقل عنه من الكلمة هل يقتضى ذلك الطعن في دينه أم لا. فأما متعة الحج فقد اعتذر لنفسه و قال ما قدمنا ذكره من أن الحج بهاء من بهاء الله و أن التمتع يكسفه ويذهب نوره و رونقه وأنهم يظنون معرسين تحت الأراك ثم [صفحة ٢٥٦] يهلون بالحج و رءوسهم تقطر و إذا كان قد اعتذر لنفسه فقد كفانا مئونة الاعتذار

الطعن التاسع

ماروى عنه من قصة الشورى و كونه خرج بها عن الاختيار والنص جميعا و أنه ذم كل واحد بأن ذكر فيه طعنا ثم أهله للخلافة بعد أن طعن فيه و أنه جعل الأمر إلى ستة ثم إلى أربعة ثم إلى واحد قد وصفه بالضعف والقصور و قال إن اجتمع على عثمان فالقول ما قاله و إن صاروا ثلاثة وثلاثة فالقول للذين فيهم عبدالرحمن و ذلك لعلمه بأن عليا و عثمان لا يجتمعان و أن عبدالرحمن لا يكاد يعدل بالأمر عن ختنه و ابن عمه و أنه أمر بضرب أعناقهم إن تأخروا عن البيعة فوق ثلاثة أيام و أنه أمر بقتل من يخالف الأربعة منهم أو الذين فيهم عبدالرحمن. أجاب قاضى القضاء عن ذلك فقال الأمور الظاهرة لا يجوز أن يعترض عليها بأخبار غير صحيحة والأمر في الشورى ظاهر و أن الجماعة دخلت فيها بالرضا و لا فرق بين من قال في أحدهم أنه دخل فيها لا بالرضا و بين من قال ذلك في جميعهم ولذلك جعلنا دخول أمير المؤمنين ع في الشورى أحد ما يعتمد عليه في أن لانص يدل عليه أنه المختص بالإمامة لأنه قد كان يجب عليه أن يصرح بالنص على نفسه بل يحتاج إلى ذكر فضائله ومناقبه لأن الحال حال مناظرة و لم يكن الأمر مستقرا لواحد فلا يمكن أن يتعلق بالتقية والمتعالم من حاله أنه لو امتنع من هذا الأمر في الشورى أصلا لم يلحقه الخوف فضلا عن غيره ومعلوم أن دلالة الفعل أحسن من دلالة القول من حيث كان الاحتمال فيه أقل والمروى أن عبدالرحمن أخذ الميثاق على الجماعة [صفحة ٢٥٧] بالرضا بمن يختاره و لا يجب القدح في الأفعال بالظنون بل يجب حملها على ظاهر الصحة دون الاحتمال كما يجب مثله في غيرها ويجب إذا تقدمت للفاعل حالة تقتضى حسن الظن به أن يحمل فعله

على ما يباينها وقد علمنا أن حال عمر و ما كان عليه من النصيحة للمسلمين منع من صرف أمره في الشورى إلى الأغراض التي يظنها أعداؤه فلا يصح لهم أن يقولوا كان مراده في الشورى بأن يجعل الأمر إلى الفرقة التي فيها عبدالرحمن عند الخلاف أن يتم الأمر لعثمان لأنه لو كان هذا مراده لم يكن هناك ما يمنعه من النص على عثمان كما لم يمنع ذلك أبابكر لأن أمره إن لم يكن أقوى من أمر أبي بكر لم ينقص عنه و ليس ذلك بدعة لأنه إذا جاز في غير الإمام إذا اختار أن يفعل ذلك بأن ينظر في أمثال القوم فيعلم أنهم عشرة ثم ينظر في العشرة فيعلم أن أمثالهم خمسة ثم ينظر في واحد من الخمسة فما أذى يمنع من مثله في الإمام و هو في هذا الباب أقوى اختيارا لأن له أن يختار واحدا بعينه . ثم ذكر أنه إنما حصره في الجماعة الذين انتهى إليهم الفضل وجعله شورى بينهم ثم بين أن الانتقال من الستة إلى الأربعة و من الأربعة إلى الثلاثة لا يكون متناقضا لأن الأقوال مختلفة وليست واحدة و لو كانت أيضا واحدة لكان كالرجوع وللإمام أن يرجع في مثل ذلك لأنه في حكم الوصية. قال وقولهم أنه كان يعلم أن عثمان وعلي لا يجتمعان و أن عبدالرحمن يميل إلى عثمان قلّة دين لأن الأمور المستقبلية لاتعلم وإنما يحصل فيها أماره قال والأمارات توجب أنه لم يكن فيهم حرص شديد على الإمامة بل الغالب من حالهم طلب الاتفاق والائتلاف والاسترواح إلى قيام الغير بذلك وإنما جعل عمر الأمر إلى عبدالرحمن عند الاختلاف لعلمه بزهده في الأمر و أنه لأجل ذلك أقرب أن يتثبت لأن الراغب [صفحہ ۲۵۸] عن الشيء يحصل له من التثبت ما لا يحصل للراغب فيه و من كانت هذه حاله كان القوم إلى الرضا به أقرب . وحكى عن أبي على أن المخادعة إنما تظن بمن قصده في الأمور طريق الفساد وعمر برىء من ذلك . قال والضعف الذى وصف به عبدالرحمن إنما أراد به الضعف عن القيام بالإمامة لضعف الرأى ولذلك رد الاختيار والرأى إليه وحكى عن أبي على ضعف ماروى من أمره بضرب أعناق القوم إذا تأخروا عن البيعة و أن ذلك لو صح لأنكره القوم و لم يدخلوا في الشورى بهذا الشرط ثم تأوله إذ سلم صحته على أنهم إن تأخروا عن البيعة على سبيل شق العصا وطلب الأمر من غير وجهه و قال و لا يمتنع أن يقول ذلك على طريق التهديد و إن بعد عنده أن يقدموا عليه كما قال تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك. اعترض المرتضى هذا الكلام فقال إن الذى رتبته عمر في قصة الشورى من ترتيب العدد واتفاقه واختلافه يدل أولا على بطلان مذهب أصحاب الاختيار في عدد العاقدين للإمامة و أنه يتم بعقد واحد لغيره برضا أربعة و أنه لا يتم بدون ذلك فإن قصة الشورى تصرح بخلاف هذا الاعتبار فهذا أحد وجوه المطاعن فيها. و من جملتها أنه وصف كل واحد منهم بوصف زعم أنه يمنع من الإمامة ثم جعل الأمر فيمن له تلك الأوصاف و قدروى محمد بن سعد عن الواقدي عن محمد بن عبد الله الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال قال عمر لا أدري ما أصنع بأمة محمدص و ذلك قبل أن يطعن فقلت و لم تهتم و أنت تجد من تستخلفه - قرآن - ۶۷۳-۷۰۷ [صفحہ ۲۵۹] عليهم قال أصحابكم يعنى عليا قلت نعم هولها أهل في قرابته من رسول الله ص وصهره وسابقتة وبلائه قال إن فيه بطالة وفكاهة فقلت فأين أنت من طلحة قال فأين الزهو والنخوة قلت عبدالرحمن قال هو رجل صالح على ضعف فيه قلت فسعد قال ذاك صاحب مقب و قتال لا يقوم بقربة لو حمل أمرها قلت فالزبير قال وعقه لقس مؤمن الرضا كافر الغضب شحيح و إن هذا الأمر لا يصلح إلا للقوى في غير عنف رفيق في غير ضعف و جواد في غير سرف قلت فأين أنت من عثمان قال لو وليها لحمل بنى أبي معيط على رقاب الناس و لو فعلها لقتلوه . و قدروى من غير هذا الطريق أن عمر قال لأصحاب الشورى روحوا إلى فلما نظر إليهم قال قد جاءنى كل واحد منهم يهز عفرته يرجو أن يكون خليفة أما أنت يا طلحة أفلست القائل إن قبض النبي ص أنكح أزواجه من بعده فما جعل الله محمدا أحق بنات أعمامنا منا فأنزل الله تعالى فيك و ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله و لا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدأ و أما أنت يا زبير فو الله مالان قلبك يوما و لاليله و ما زلت جلفا جافيا و أما أنت يا عثمان فو الله لروثه خير منك و أما أنت يا عبدالرحمن فإنك رجل عاجز تحب قومك جميعا و أما أنت يا سعد فصاحب عصبية وفتنة و أما أنت يا على فو الله لو وزن إيمانك بإيمان أهل الأرض لرجحهم فقام على موليا يخرج فقال

عمر و الله إني لأعلم مكان رجل لو وليتموه -قرآن- ٨٠٦-٨٩٨ [صفحة ٢٦٠] أمركم لحملكم على المحجة البيضاء قالوا من هو قال هذا المولى من بينكم قالوا فما يمنعك من ذلك قال ليس إلى ذلك سبيل . و في خبر آخر رواه البلاذري في تاريخه أن عمر لما خرج أهل الشورى من عنده قال إن ولوها الأجلح سلك بهم الطريق فقال عبد الله بن عمر فما يمنعك منه يا أمير المؤمنين قال أكره أن أتحمّلها حيا وميتا. فوصف كماترى كل واحد من القوم بوصف قبيح يمنع من الإمامة ثم جعلها في جملتهم حتى كان تلك الأوصاف تزول في حال الاجتماع ونحن نعلم أن الذى ذكره إن كان مانعا من الإمامة في كل واحد على الانفراد فهو مانع من الاجتماع مع أنه وصف عليا بوصف لا يليق به ولا ادعاه عدو قط بل هو معروف بضده من الركانة والبعد عن المزاح والدعابة وهذا معلوم ضرورة لمن سمع أخباره ع وكيف يظن به ذلك و قدروى عن ابن عباس أنه قال كان أمير المؤمنين على ع إذا أتى هبنا أن نبتدئه بالكلام وهذا لا يكون إلا من شدة التزم والتوقر وما يخالف الدعابة والفكاهة. ومما تضمنته قصة الشورى من المطاعن أنه قال لا أتحمّلها حيا وميتا وهذا إن كان علة عدوله عن النص إلى واحد بعينه فهو قول متمس متخلص لا يفتات على الناس في آرائهم ثم نقض هذا بأن نص على ستئ من بين العالم كله ثم رتب العدد ترتيبا مخصوصا يؤول إلى أن اختيار عبد الرحمن هو المقدم و أى شىء يكون من التحمل أكثر من هذا و أى فرق بين أن يتحمّلها بأن ينص على واحد بعينه و بين أن يفعل ما فعله من الحصر والترتيب . [صفحة ٢٦١] و من جملة المطاعن أنه أمر بضرب الأعناق إن تأخروا عن البيعة أكثر من ثلاثة أيام ومعلوم أنهم بذلك لا يستحقون القتل لأنهم إذا كانوا إنما كلفوا أن يجتهدوا آراءهم فى اختيار الإمام فربما طال زمان الاجتهاد وربما قصر بحسب ما يعرض فيه من العوارض فأى معنى للأمر بالقتل إذ تجاوزوا الأيام الثلاثة ثم أنه أمر بقتل من يخالف الأربعة و من يخالف العدد الذى فيه عبد الرحمن و كل ذلك مما لا يستحق به القتل . فأما تضعيف أبى على لذكر القتل فليس بحجة مع أن جميع من روى قصة الشورى روى ذلك و قدروى الطبرى ذلك فى تاريخه وغيره . فأما تأوله الأمر بالقتل على أن المراد به إذ تأخروا على طريق شق العصا وطلب الأمر من غير وجهه فبعيد من الصواب لأنه ليس فى ظاهر الخبر ذلك ولأنهم إذا شقوا العصا وطلبوا الأمر من غير وجهه من أول يوم و جب أن يمنعوا وبقاتلوا فأى معنى لضرب الأيام الثلاثة أجلا . فأما تعلقه بالتهديد فكيف يجوز أن يتهدد الإنسان على فعل بما لا يستحقه و إن علم أنه لا يعزم عليه . فأما قوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك فيخالف ما ذكر لأن الشرك يستحق به إحباط الأعمال و ليس يستحق بالتأخير عن البيعة القتل . فأما ادعاء صاحب الكتاب أن الجماعة دخلوا فى الشورى على سبيل الرضا و أن عبد الرحمن أخذ عليهم العهد أن يرضوا بما يفعله فمن قرأ قصة الشورى على وجهها وعدل عما تسوله النفس من بناء الأخبار على المذاهب علم أن الأمر بخلاف ما ذكر و قدروى الطبرى فى تاريخه عن أشياخه من طرق مختلفة أن أمير المؤمنين ع قال حين خرج من عند عمر بعد خطابه للجماعة بما تقدم ذكره لقوم كانوا معه من بنى هاشم إن طمع فيكم قومكم لم تؤمروا أبدا وتلقاه العباس بن عبدالمطلب -قرآن- ٩٢٩-٩٦٣ [صفحة ٢٦٢] فقال ياعم عدلت عنا قال و ما علمك قال قرن بى عثمان و قال كونوا مع الأكثر و إن رضى رجلا رجلا و رجلا رجلا فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن فسعد لا يخالف ابن عمه عبد الرحمن و عبد الرحمن صهر عثمان لا يختلفان فيوليها عبد الرحمن عثمان أو يوليها عثمان عبد الرحمن فلو كان الآخرا معى لم ينفعانى بله أنى لأرجو إلا أحدهما فقال له العباس لم أذفعك عن شىء إلا رجعت إلى مستأخرا أشرت عليك عند وفاة رسول الله ص أن تسأله فيمن هذا الأمر فأبيت وأشرت عليك عند وفاته أن تعاجل الأمر فأبيت وأشرت عليك حين سماك عمر فى الشورى ألا تدخل معهم فأبيت فأحفظ على واحدة كلما عرض عليك القوم فقل لا إلا أن يولوك واحذر هؤلاء الرهط فإنهم لا يرحون يدفوننا عن هذا الأمر حتى يقوم لنا به غيرنا وغيرهم وإيم الله لاتناله إلا بشر لا ينفع معه خير فقال على ع أما و الله لئن بقى عمر لأذكرنه ما أتى إلينا ولئن مات ليتداولنها بينهم ولئن فعلوا ليجدنى حيث يكرهون ثم تمثل -رواية- ١-٢-رواية- ١٧-١٣٧ حلفت برب الراقصات عشية || غدون خفافا فابتدرن المحصبا ليحتلبن

رھط ابن یعمر مارثا || نجیعا بنو الشداخ وردا مصلبا .فالتفت فرأى أباطلحة الأنصارى فكره مكانه فقال أبوظلحة لاترع أباحسن . قال المرتضى فإن قال قائل أى معنى لقول العباس إنى دعوتك إلى أن تسأل رسول الله ص فيمن هذا الأمر من قبل وفاته أ ليس هذا مبطلا لما تدعون من النص .قلنا غير ممتنع أن يريد العباس سؤاله عن يصير الأمر إليه وينتقل إلى يديه [صفحہ ۲۶۳] لأنه قد يستحقه من لا يصل إليه و قد يصل إلى من لا يستحقه و ليس يمتنع أن يريد إنما كنا نسأله ص إعادة النص قبل الموت ليتجدد ويتأكد و يكون لقرب العهد إليه بعيدا من أن يطرح . فإن قيل أ ليس قد أنكرتم على صاحب الكتاب من التأويل بعينه فيما استعمله من الرواية عن أبى بكر من قوله ليتنى كنت سألت رسول الله ص هل للأنصار فى هذا الأمر حق .قلنا إنما أنكرناه فى ذلك الخبر لأنه لا يلىق به من حيث قال فكنا لاننازعه أهله و هذا قول من لا علم له بأنه ليس للأنصار حق فى الإمامة و من كان يرجع فى أن لهم حقا فى الأمر أو لا حق لهم فيه إلى ما يسمعه مستأنفا و ليس هذا فى الخبر الذى ذكرناه . و روى العباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جده فى إسناده أن أمير المؤمنين ع شكأ إلى العباس ماسمع من قول عمر كونوا مع الثلاثة الذين فيهم عبدالرحمن بن عوف و قال و الله لقد ذهب الأمر منا قال وكيف قلت ذلك يا ابن أخى قال إن سعدا لا يخالف ابن عمه عبدالرحمن و عبدالرحمن نظير عثمان وصهره فأحدهما يختار لصاحبه لامحالة و إن كان الزبير وطلحة معى فلن أنتفع بذلك إذا كان ابن عوف فى الثلاثة الآخرين -روایت-۱-۲-روایت-۶۱-۴۲۱ . قال ابن الكلبي عبدالرحمن زوج أم كلثوم بنت عقبه بن أبى معيط وأمها أروى بنت كرز و أروى أم عثمان فلذلك قال صهره . و فى رواية الطبرى أن عبدالرحمن دعا عليا ع فقال عليك عهد الله [صفحہ ۲۶۴] وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخلفيتين فقال أرجو أن أفعل وأعمل بمبلغ علمى وطاقتى . و فى خبر آخر عن أبى الطفيل أن عبدالرحمن قال لعلى ع هلم يدك خذها بما فيها على أن تسير فينا بسيرة أبى بكر وعمر فقال آخذها بما فيها على أن أسير فيكم بكتاب الله وسنة نبيه جهدى فترك يده و قال هلم يدك يا عثمان أتأخذها بما فيها على أن تسير فينا بسيرة أبى بكر وعمر قال نعم قال هى لك يا عثمان -روایت-۱-۲-روایت-۳۰-۳۰۸ فى رواية الطبرى أنه قال لعثمان مثل قوله لعلى فقال نعم فبايعه فقال على ع ختونة حنت دهرأ -روایت-۱-۲-روایت-۲۰-۱۰۱ فى خبر آخر نفعت الختونة يا ابن عوف ليس هذا أول يوم تظاهرت فيه علينا فصبر جميل و الله المستعان على ما تصفون و الله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر إليك و الله كل يوم هو فى شأن -روایت-۱-۲-روایت-۱۴-۲۰۲ فى غير رواية الطبرى أن عبدالرحمن قال له لقد قلت ذلك لعمر فقال ع أ و لم يكن ذلك كما قلت -روایت-۱-۲-روایت-۲۴-۱۰۱ روى الطبرى أن عبدالرحمن قال لاتجعلن يا على على نفسك سييلا .فانى نظرت و شاورت الناس فإذا هم لا يعدلون بعثمان فقام على ع و هو يقول سيبلغ الكتاب أجله -روایت-۱-۲-روایت-۱۵-۱۶۷ فى رواية الطبرى أن الناس لمابايعوا عثمان تلكأ على ع فقال عثمان فمن نكث فإنما ينكث على نفسه و من أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا -روایت-۱-۲-روایت-۲۰-ادامه دارد [صفحہ ۲۶۵] عظيما فرجع على ع حتى بايعه و هو يقول خدعة و أى خدعة -روایت-از قبل-۵۹ . و روى البلاذرى فى كتابه عن ابن الكلبي عن أبيه عن أبى مخنف فى إسناده له أن عليا ع لمابايع عبدالرحمن عثمان كان قائما فقال له عبدالرحمن بايع و إلاضربت عنقك و لم يكن يومئذ مع أحد سيف غيره فخرج على مغضبا فلحقه أصحاب الشورى فقالوا له بايع و إلاجاهدناك فأقبل معهم يمشى حتى بايع عثمان . قال المرتضى فأى رضا هاهنا و أى إجماع وكيف يكون مختارا من تهدد بالقتل و بالجهاد و هذا المعنى و هو حديث ضرب العنق لوروته الشيعة لتضاحك المخالفون منه و تغامزوا وقالوا هذا من جملة ما تدعون من المحال و تروونه من الأحاديث و قد أنطق الله به روايتهم و أجراه على أفواه ثقاتهم و لقد تكلم المقداد فى ذلك اليوم بكلام طويل يفند فيه ما فعلوه من بيعه عثمان و عدولهم بالأمر عن أمير المؤمنين إلى أن قال له عبدالرحمن يا مقداد اتق الله فإنى خائف عليك الفتنة ثم إن المقداد قام فأتى عليا فقال أتقاتل فنقاتل معك فقال على فبمن أقاتل و تكلم أيضا عمار فيما رواه أبو مخنف فقال يا معشر قريش أين تصرفون هذا الأمر عن بيت نبيكم

تحولونه هاهنا مرة وهاهنا مرة أما والله ما أنابا من أن ينزعه الله منكم فيضعه في غيركم كما انتزعتموه من أهله ووضعتموه في غير أهله فقال له هشام بن الوليد يا ابن سمية لقد عدوت طورك و ما عرفت قدرك و ما أنت و مارأته قريش لأنفسها إنك لست في شيء من أمرها وإمارتها فتتح عنها وتكلمت قريش بأجمعها وصاحت بعمار وانتهرته فقال الحمد لله ما زال أعوان الحق قليلا. روى أبو مخنف أيضا أن عمارا قال هذا البيت ذلك اليوم -رواية- ١-٢-رواية- ٢١-أداهه دارد [صفحة ٢٦٦] يناعى الإسلام قم فانه || قدمات عرف وأتى منكر -رواية- از قبل- ١-رواية- ٢-أداهه دارد أما والله لو أن لى أعوانا لقاتلتهم و قال أمير المؤمنين ع لئن قاتلتهم بواحد لأكونن ثانيا فقال والله ما أجد عليهم أعوانا ولا أحب أن أعرضكم لما لا تطيقون -رواية- از قبل- ١٦٧ روى أبو مخنف عن عبدالرحمن بن جندب عن أبيه قال دخلت على على ع و كنت حاضرا بالمدينة يوم بويع عثمان فإذا هو واجم كئيب فقلت ما أصاب قوم صرفوا هذا الأمر عنكم فقال صبر جميل فقلت سبحان الله إنك لصبور قال فاصنع ماذا قلت تقوم في الناس خطيبا فتدعوهم إلى نفسك وتخبرهم أنك أولى بالنبي ص بالعمل والسابقة وتسالهم النصر على هؤلاء المتظاهرين عليك فإن أجابك عشرة من مائة شددت بالعشرة على المائة فإن دانوا لك كان ما أحببت و إن أبوا قاتلتهم فإن ظهرت عليهم فهو سلطان الله آتاه نبيه ص و كنت أولى به منهم إذ ذهبوا بذلك فرده الله إليك و إن قتلت في طلبه فقتلت شهيدا و كنت أولى بالعدر عند الله تعالى في الدنيا والآخرة فقال ع أ و تراه كان تابعى من كل مائة عشرة قلت لأرجو ذلك قال لكنى لأرجو ولا والله من المائة اثنين وسأخبرك من أين ذلك إن الناس إنما ينظرون إلى قريش فيقولون هم قوم محمد ص وقبيلته و إن قريشا تنظر إلينا فتقول إن لهم بالنبوة فضلا على سائر قريش وإنهم أولياء هذا الأمر دون قريش و الناس وإنهم إن ولوه لم يخرج هذا السلطان منهم إلى أحد أبدا ومتى كان فى غيرهم تداولتموه بينكم فلا والله لا تدفع قريش إلينا هذا السلطان طاعة أبدا قلت أ فلا أرجع إلى المصر فأخبر الناس بمقاتلك هذه وأدعو الناس إليك فقال يا جندب ليس هذا زمان ذلك فرجعت فكلما ذكرت للناس شيئا من فضل على زبروني -رواية- ١-٢-رواية- ٥٥-أداهه دارد [صفحة ٢٦٧] ونهرونى حتى رفع ذلك من أمرى للوليد بن عقبة فبعث إلى فحسنى -رواية- از قبل- ٦٩. قال وهذه الجملة التى أوردناها قليل من كثير فى أن الخلاف كان واقما والرضا كان مرتفعا والأمر إنما تم بالحيلة والمكر والخداع وأول شىء مكر به عبدالرحمن أنه ابتداء فأخرج نفسه من الأمر ليتمكن من صرفه إلى من يريد وليقال أنه لو لا إيثاره الحق وزهده فى الولاية لما أخرج نفسه منها ثم عرض على أمير المؤمنين ع ما يعلم أنه لا يجيب إليه ولا تلزمه الإجابة إليه من السير فيهم بسيرة الرجلين وعلم أنه ع لا يتمكن من أن يقول إن سيرتهما لا تلزمنى لئلا ينسب إلى الطعن عليهما وكيف يلزم سيرتهما و كل واحد منهما لم يسر بسيرة الآخر بل اختلفا وتباينا فى كثير من الأحكام هذا بعد أن قال لأهل الشورى وثقوا إلى من أنفسكم بأنكم ترضون باختيارى إذا أخرجت نفسى فأجابوه على مارواه أبو مخنف بإسناده إلى ماعرض عليهم إلا- أمير المؤمنين ع فإنه قال انظر لعلمه بما يجر هذا المكر حتى أتاهم أبوظلحة فأخبره عبدالرحمن بما عرض و ماجاء به القوم إياه لإعليا فأقبل أبوظلحة على على ع فقال يا أبا الحسن إن أبا محمد ثقة لك وللمسلمين فما بالك تخافه و قد عدل بالأمر عن نفسه فلن يتحمل المأثم لغيره فأحلف على ع عبدالرحمن بما عرض ألا يميل إلى الهوى و أن يؤثر الحق ويجتهد للأمة ولا يحابى ذا قرابة فحلف له وهذا غاية ما يتمكن منه أمير المؤمنين ع فى الحال لأن عبدالرحمن لما أخرج نفسه من الأمر وظنت به الجماعة الخير وفوضت إليه الاختيار لم يقدر أمير المؤمنين ع على أن يخالفهم وينقض ما اجتمعوا عليه فكان أكثر ماتمكنا منه أن أحلفه وصرح بما يخافه من جهته من الميل إلى الهوى وإيثار القرابة غير أن ذلك كله لم يغن شيئا. [صفحة ٢٦٨] قال و أما قول صاحب الكتاب أن دخوله فى الشورى دلالة على أنه لانص عليه بالإمامة و لو كان عليه نص لصرح به فى تلك الحال و كان ذكره أولى من ذكر الفضائل والمناقب فإن المانع من ذكر النص كونه يقتضى تضليل من تقدم عليه وتفسيقهم و ليس كذلك تعديد المناقب والفضائل. و أما دخوله ع فى الشورى فلو لم يدخل فيها إلا ليجتج

بما احتج به من مقاماته وفضائله ودرأيته ووسائله إلى الإمامة وبالأخبار الدالة عندنا عليها على النص والإشارة بالإمامة إليه لكان غرضاً صحيحاً وداعياً قوياً وكيف لا يدخل في الشورى وعندهم أن واضعها قد أحسن النظر للمسلمين وفعل ما لم يسبق إليه من التحرز للدين. فأول ما كان يقال له لو امتنع منها إنك مصرح بالظن على واضعها وعلى جماعة المسلمين بالرضا بها وليس طعنك إلا لأنك ترى أن الأمر لك وأنك أحق به فيعود الأمر إلى ما كان ع يخافه من تفرق الكلمة ووقوع الفتنة. قال وفي أصحابنا القائلين بالنص من يقول إنه ع إنما دخل في الشورى لتجويزه أن ينال الأمر منها وعليه أن يتوصل إلى ما يلزمه القيام به من كل وجه يظن أن يوصله إليه. قال وقول صاحب الكتاب إن التقيء لا يمكن أن يتعلق به الأذن الأمر لم يكن استقرار لواحد طريقاً لأن الأمر وإن لم يكن في تلك الحال مستقراً لأحد فمعلوم أن الإظهار بما يظن في المتقدمين من ولاء الأمر لا يمكن منه ولا يرضى به وكذلك [صفحة ٢٦٩] الخروج مما يتفق أكثرهم عليه ويرضى جمهورهم به ولا يقرون أحداً عليه بل يعدونه شذوذاً عن الجماعة وخلافاً على الأمة. فأما قوله إن الأفعال لا يقدح فيها بالظنون بل يجب أن تحمل على ظاهر الصحة وإن الفاعل إذا تقدمت له حالة تقتضى حسن الظن به يجب أن تحمل أفعاله على ما يطابقها فإنما متى سلمنا له بهذه المقدمة لم يتم قصده فيها لأن الفعل إذا كان له ظاهر وجب أن يحمل على ظاهره إلا بدليل يعدل بنا عن ظاهره كما يجب مثله في الألفاظ وقدينا أن ظاهر الشورى وما جرى فيها يقتضى ما ذكرناه للأمارات اللائحة والوجوه الظاهرة فما عدلنا عن ظاهره إلى محتمل بل المخالف هو الذي يسومنا أن نعدل عن الظاهر فأما الفاعل وما تقدم له من الأحوال فمتى تقدم للفاعل حالة تقتضى أن يظن به الخير من غير علم ولا يقين فلا بد أن يؤثر فيها ويقدح أن يرى له حالة أخرى تقتضى ظن القبيح به لدلالة ظاهرها على ذلك وليس لنا أن نقضى بالأولى على الثانية وهما جميعاً مضمونتان لأن ذلك بمنزلة أن يقول قائل اقضوا بالثانية على الأولى وليس كذلك إذا تقدمت للفاعل حالة تقتضى بالخير منه ثم تليها حالة تقتضى ظن القبيح به لأننا حينئذ نقضى بالعلم على الظن ونبتل حكمه لمكان العلم وإذا صحت هذه الجملة فما تقدمت لمن ذكر حالة تقتضى العلم بالخير وإنما تقدم ما يقتضى حسن الظن فليس لنا إلا نسيء الظن به عند ظهور أمارات سوء الظن لأن كل ذلك مضمون غير معلوم. وقوله لو أراد ذلك مأمونه من أن ينص على عثمان مانع كما لم يمنع ذلك أبابكر من النص عليه فليس بشيء لأنه قد فعل ما يقوم مقام النص على من أراد إيصاله إليه وصرفه عن أمر أن يصرفه عنه من غير شناعة التصريح وحتى لا يقال فيه ما قيل في أبي بكر ويراجع في قصته كما روجع أبو بكر ولم يتعسف أبعد الطريقين وغرضه يتم من أقربهما. [صفحة ٢٧٠] قال فأما بيان صاحب الكتاب أن الانتقال من الستة إلى الأربعة في الشورى ومن الأربعة إلى الثلاثة لا يكون تناقضاً فهو رد على من زعم أن ذلك تناقض وليس من هذا الوجه طعنا بل قدينا وجوه المطاعن وفصلناها. وأما قوله إن الأمور المستقبلية لا تعلم وإنما يحصل فيها أماراً رداً على من قال إن عمر كان يعلم أن علياً ع وعثمان لا يجتمعان وأن عبدالرحمن يميل إلى عثمان فكلام في غير موضعه لأن المراد بذلك الظن لا العلم وإن عبر عن الظن بالعلم على طريقه في الاستعمال معروفة لا يتناكرها المتكلمون ولعل صاحب الكتاب قد استعمل العلم في موضع الظن فيما لا يحصى كثرة من كتابه وهذا وغيره وقدينا فيما ذكرناه من رواية الكلبي عن أبي مخنف أن أمير المؤمنين ع أول من سبق إلى هذا المعنى في قوله للعباس شاكياً إليه ذهب والله الأمر منا لأن سعداً لا يخالف ابن عمه عبدالرحمن وعبدالرحمن صهر عثمان فأحدهما مختار لصاحبه لا محالة وإن كان الزبير وطلحة معي فلن أنتفع بذلك إذا كان ابن عوف في الثلاثة الآخرين فأما قوله إن عبدالرحمن كان زاهداً في الأمر والزاهد أقرب إلى الثبوت فقد بينا وجه إظهاره الزهد فيه وأنه جعله الذريعة إلى مراده. فأما قول صاحب الكتاب إن الضعف الذي وصفه به إنما أراد به الضعف عن القيام بالإمامة لا ضعف الرأي فهب أن الأمر كذلك أليس قد جعله أحد من يجوز أن يختار للإمامة ويفوض إليه مع ضعفه عنها وهذا بمنزلة أن يصفه بالفسق ثم يدخله في جملة القوم لأن الضعف عن الإمامة مانع منها كما أن الفسق كذلك. [صفحة ٢٧١] قلت الكلام في الشورى والمطاعن فيها طويل جدا و

قد ذكرت من ذلك في كتبي الكلامية وتعليقاتي ماقاله الناس و ما لم أسبق إليه و لا يحتمل هذا الكتاب الإطالة باستقصاء ذلك لأنه ليس بكتاب حجاج ونظر ولكني أذكر منه نكتا يسيرة فأقول إن كانت أفعال عمر وأقواله قد تناقضت في واقعة الشورى كمازعم المرتضى رحمه الله فكذلك أفعال أمير المؤمنين إن كان منصوفا عليه كما تقول الإمامية قد تناقضت أيضا أما أولا فإن كان منصوفا عليه فكيف أدخل نفسه في الشورى المبنية على صحة الاختيار وعدم النص أليس هذا إيهاما ظاهرا لأكثر المسلمين خصوصا الضعفة منهم و من لانظر له في دقائق الأمور عنده أنه غير منصوص عليه فكيف يجوز له إضلال المكلفين و أن يوقع في نفوسهم عدم النص مع كون النص كان حاصلا. و أما عذر المرتضى عن هذا بأنه دخل في الشورى ليمكن من الاحتجاج على أهل الشورى بمقاماته وفضائله فيقال له قد كان الدهر الأطول مخالطا لأهل الشورى وغيرهم مجتمعا معهم في المسجد وغيره من مواطن كل يوم بل كل ساعة فلا يجوز أن يقال دخل ليضمه وإياهم أو يظلمهم سقف فيتمكن بذلك من ذكر مقاماته وفضائله بينهم لأن العاقل لا يجوز أن يرتكب أمرا يوهم القبيح ليفعل فعلا قد كان من قبله بثلاث عشرة سنة متمكنا من أن يفعله من غير أن يرتكب ذلك الأمر الموهوم للقبيح وليت شعري من الذي كان يمنعه أيام أبي بكر وعمر من أن يذكر مقاماته وفضائله ويفتخر بها و لم أنفك ع من ذكر فضائله والفخر بمناقبه في تلك المدة الطويلة و قد كان عمر و هو المعروف المشهور بالغلظة والفظاظة يذكر فضائله ويعترف بها فلست أرى لعذر المرتضى أصلا بهذا الوجه أو معنى . [صفحہ ۲۷۲] فأما عذره الثاني عن دخوله في الشورى بقوله لو لم يدخل فيها لقليل له إنك قد طعنت على واضح الشورى و ليس ذلك إلا لأنك ترى الأمر لك فليس بعذر جيد لأنه لو امتنع من الدخول فيها على وجه الزهد وقله الالتفات إلى الولاية والإعراض عن السلطان والإمرة لمانسبه أحد إلى ما ذكره المرتضى أصلا ولقال الناس رجل زاهد لا يريد الدنيا و لا يرغب في الرئاسة ثم ما المانع من أن يقول لعمر و هو حي نشدتك الله لا تدخلني فيها فإني لا أريدها و لا أوترها أترأه كان في جواب هذا الكلام يأمر بقتله و يقول له إنما امتناعك لأنك تدعى أن رسول الله ص نص عليك فلا ترى أخذ الأمر من جهتي وتوليته من طريقي وإنما تريده بمحض النص الأول لا غير ما أظن أن عاقلا يخطر له أن ذلك كان يكون فهذا العذر بارد لا معنى له كالعذر الأول. فأما عذره الثالث و هو قوله إنه كان يجب عليه أن يتوصل إلى القيام بالأمر بكل طريق لأنه يلزمه القيام به فعذر جيد لا بأس به . و أمائنا فيقال للمرتضى هب إنا نزلنا عن الدخول في الشورى هلا- عرض للجماعة وهم مجتمعون و هو يعد لهم مناقبه وفضائله بذكر النص و ذلك بأن يكنى عنه كناية لطيفة فيقول لهم قد كان من رسول الله ص بالأمر في حقي ما تعلمون أترأهم كانوا في جواب هذه الكلمة يقتلونه ما أظن أنهم كانوا مجتمعون على ذلك و لا بد لو عرض بشيء من ذلك كان من كلام يدور بينهم في المعنى نحو أن يقولوا إن ذلك النص رجع عنه رسول الله ص أو يقولوا رأى المسلمون تركه للمصلحة أو يجري بينه وبينهم جدال ونزاع و لم يكن هناك خليفة يخاف جانبه وإنما كان مجلس مناظرة وبحث و لم يستقر الأمر لأحد. وقول المرتضى إنه و إن كان كذلك إلا أنهم كانوا لا يرضون أن يطعن في المتقدمين [صفحہ ۲۷۳] منهم ويكرهون منه ذلك و لا يقرونه عليه ويعدون شذوذا له عن الجماعة وخلافا للأمة قول صحيح إذا كان القائل يقوله على وجه شق العصا والمنازعة وكشف القناع و إذا قاله على وجه الاستعطاف لهم والإذكار بما عساهم نسوة وحسن التلطف والرفق بهم والاستمالة لهم وتذكيرهم حقوق رسول الله ص وميثاقه الذي واثقهم به فإنه لا يقع منهم في مقابلة ذلك قتله و لا قطع عضو من أعضائه و لا إقامة الحد عليه وأقصى ما في الباب أنهم كانوا يردون ذلك عليه بكلام مثل كلامه ويجيبونه بجواب يناسب جوابه ويدفعونه عما يرومه بوجه من وجوه الدفع إن كانوا مقيمين على الإصرار على غضب الحق منه . و أمائنا فإن كان ع كما تقول الإمامية منصوفا عليه فما الذي منعه لما قال له عبدالرحمن أبايعك على أن تسير فينا بسيرة الشيخين أن يقول نعم فإنه لو قال نعم لباعه عبدالرحمن ووصل إلى الأمر الذي يلزمه القيام به و إلى الحال التي كان يتوصل بكل طريق إلى الوصول إليها. وقول المرتضى إن سيرتهما كانت مختلفة لأن أحدهما حكم بكثير مما حكم

الآخر بضده ليس بجيد لأن السيرة التي كان عبدالرحمن يطلبها ذلك اليوم هو الأمر الكلى فى إيالة الرعية وسياستهم وجباية الفىء وظلف الوالى نفسه وأهله عنه وصرفه إلى المسلمين ورم الأمور وجمع العمال وقهر الظلمة وإنصاف المظلومين وحماية البيضة وتسريب الجيوش إلى بلاد الشرك هذه هى السيرة التى كان عبدالرحمن يشترطها وهى التى طلبها الناس بعد ذلك فقالوا لمعاوية فى آخر أيامه ولعبد الملك ولغيرهما وصاحوا بهم تحت المنابر نطلب سيرة العمرين و لم يريدوا فى الأحكام والفتاوى الشرعية نحو القول فى الجدم مع الإخوة [صفحة ٢٧٤] والقول فى الكلاله والقول فى أمهات الأولاد فما أعلم الذى منع أمير المؤمنين ع من أن يقول لعبد الرحمن نعم فيأخذها ثم كان إذا أخذها أقدر الناس على هذه السيرة وأقواهم عليها فوا عجبنا بينا هو يطلب الخلافة أشد الطلب فإذا هونا كص عنها وقد عرضت عليه على أمر هو قيم به ولهذا كان الرأى عندى أن يدخل فيها حينئذ و من الذى كان يناظره بعد ذلك ويجادله فيقول قد أدخلت بشىء من سيرة أبى بكر وعمر كلا إن السيف لضاربه والأمر لمالكة والرعية أتباع والحكم لصاحب السلطان منهم . و من العجب أن يقول المرتضى إنه لأجل التقية وافق على الرضا بالشورى فهلا اتقى القوم وقد ذكروا له سيرة الشيخين فأباها وكرهها و من كان يخاف على نفسه أن لو أظهر الزهد فى الخلافة والرغبة عن الدخول فى أمر الشورى كيف لم يخف على نفسه وقد ذكرت له سيرة الشيخين فتركها و لم يوافق عليها و قال لابل على أن أجتهد رأى . و أما قول المرتضى إنه وصف القوم بصفات تمنع من الإمامة ثم عينهم للإمامة فنقول فى جوابه أن تلك الصفات لا تمنع من الإمامة بالكلية بل هى صفات تنقص فى الجملة أى لو لم تكن هذه الصفات فيهم لكانوا أكمل ألا ترى أنه قال فى عبدالرحمن رجل صالح على ضعف فيه فذكر أن فيه ضعفا يسيرا لأنه لو كان يرى ضعفه مانعا من الإمامة لقال ضعيف عنها جدا أو لا يصلح لها لضعفه وكذلك قوله فى أمير المؤمنين فيه فكاهة لأن ذلك لا يمنع من الإمامة و لازهو طلحة ونخوته و لا ماوصف به الزبير من أنه شديد السخط وقت غضبه و أنه بخيل و لا توليه الأقارب على رقاب الناس إذا لم يكونوا فساقا وأقوى عيب ذكره ماعاب به سعدا فى قوله صاحب [صفحة ٢٧٥] مقنب و قتال لا يقوم بقرية لو حمل أمرها ويجوز أن يكون قال ذلك على سبيل المبالغة فى استصلاحه لأن يكون صاحب جيش يقاتل به بين يدى الإمام و أنه ليس له دربه و نظر فى تدبير البلاد والأطراف وجباية أموالها ألا تراه كيف قال لا يقوم بقرية ويجوز أن يلى الخلافة من هذه حاله ويستعين فى أمر العباد والبلاد وجباية الأموال بالكفاءة الأمانة فأما الرواية الأخرى التى قال فيها العثمان لروثة خير منك فهى من روايات الشيعة ولسنا نعرفها من كتب غيرهم . فأما قوله كيف قال لا تحملها حيا وميتا فحصر الخلافة فى العدد المخصوص ثم رتبها ذلك الترتيب إلى أن آلت إلى اختيار عبدالرحمن وحده فنقول فى جوابه أنه كان يحب إلا يستقل وحده بأمر الخلافة و أن يشاركه فى ذلك غيره من صلحاء المهاجرين ليكون أعذر عند الله تعالى و عند الناس و إذا كان قد وضح الشورى على ذلك الوضع المخصوص فلم يتحملها استقلالاً بل شرکه فيها غيره فهو أقل لتحمله أمرها لو كان عين على واحد بعينه . و أما حديث القتل فليس مراده إلا شق العصا ومخالفة الجماعة والتوثب على الأمر مغالبة . وقول المرتضى لو كان ذلك من أول يوم لوجب أن يمنع فاعله ويقاقل فأى معنى لضرب الأيام الثلاثة أجلا فإنه يقال له إن الأجل المذكور لم يضرب لقتل من يشق العصا وإنما ضرب لإبرامهم الأمر وفصله قبل أن تتناول الأيام بهم ويتسامع من بعد عن دار الهجرة أن الخليفة قد قتل وأنهم مضطربون إلى الآن لم يقيموا لأنفسهم خليفة بعده فيطمع أهل الفساد والدعارة و لا يؤمن وقوع الفتن [صفحة ٢٧٦] و لا يؤمن أيضا أن يسترد الروم وفارس بلادا قد كان الإسلام استولى عليها لأن عدم الرئيس مطمع للعدو فى ملكه ورعيته . فأما الأخبار والآثار التى ذكرها المرتضى فى مبايعة على ع لعثمان و أنه كان مكرها عليها أو كالمكره و أن الرضا كان مرتفعا والخلاف كان واقعا فكلام فى غير موضعه لأن قاضى القضاة لم ينح بكلامه هذا النحو و لا قصد هذا القصد ليناقضه بما رواه وأسنده من الأخبار والآثار و لا هذا الموضع من كتاب المغنى موضع الكلام فى بيعه عثمان وصحتها و وقوع الرضا بها فيطمع المرتضى فى ذلك بما رواه من الأخبار والآثار الدالة على تهضم

القوم لأمر المؤمنين ع وأصحابه وشيعته وتهدهم وإنما الرضا الذى أشار إليه قاضى القضاة فهو رضا أمير المؤمنين ع بأن يكون فى جملة أهل الشورى لأن هذا الباب من كتاب المغنى هو باب نفى المطاعن عن عمر وقد تقدم ذكر كثير منها. ثم انتهى إلى هذا الطعن وهو حديث الشورى فذكر قاضى القضاة أن الشورى مما طعن بها عليه وادعى أنها كانت خطأ من أفعاله لأنها لانص و لا اختيار ألا تراهم كيف قال فى أول الطعن فخرج بها عن النص والاختيار فنقول فى الجواب لو كانت خطأ لمادخل على ع فيها ولا رضى بها فدخله فيها ورضاه بهادليل على أنها لم تكن خطأ وأين هذا من بيعه عثمان حتى يخط أحد البايين بالآخر. فأما دعواه أن عمر عمل هذا الفعل حيلة ليصرف الأمر عن على ع من حيث علم أن عبدالرحمن صهر عثمان و أن سعدا ابن عم عبدالرحمن فلا يخالفه فجعل [صفحة ٢٧٧] الصواب فى الثلاثة الذين يكون فيهم عبدالرحمن فنقول فى جوابه إن عمر لو فعل ذلك وقصده لكان أحق الناس وأجهلهم لأنه من الجائز ألا يوافق سعد ابن عمه لعداوة تكون بينهما خصوصا من بنى العم ويمكن أن يستميل على ع سعدا إلى نفسه بطريق آمنة بنت وهب وبطريق حمزة بن عبدالمطلب وبطريق الدين والإسلام وعهد الرسول ص و من الجائز أن يعطف عبدالرحمن على على ع لوجه من الوجوه ويعرض عن عثمان أو يبدو من عثمان فى الأيام الثلاثة أمر يكرهه عبدالرحمن فيتركه ويميل إلى على ع و من الجائز أن يموت عبدالرحمن فى تلك الأيام أو يموت سعد أو يموت عثمان أو يقتل واحد منهم فيخلص الأمر لعلى ع و من الجائز أن يخالف أبو طلحة أمره له أن يعتمد على الفرقة التى فيها عبدالرحمن ولا يعمل بقوله ويميل إلى جهة على ع فتبطل حيلته وتدييره. ثم هب أن هذا كله قد أسقطناه من الذى أجبر عمر وأكرهه وقسره على إدخال على ع فى أهل الشورى وإن كان مراده كما زعم المرتضى صرف الأمر بالحيلة فقد كان يمكنه أن يجعل الشورى فى خمسة ولا يذكر عليا ع فيهم أتراه كان يخاف أحدا لو فعل ذلك و من الذى كان يجسر أن يراجع فى هذا أو غيره وحيث أدخله من الذى أجبره على أن يقول إن وليها ذلك لحملهم على المحجة البيضاء وحملهم على الصراط المستقيم ونحو ذلك من المدح قد كان قادرا ألا يقول ذلك والكلام الغث البارد لأحبه. فأما قوله إن عبدالرحمن فعل ما فعل من إخراج نفسه من الإمامة حيلة ليسلم الأمر إلى عثمان ويصرفه عن على ع فكلام بعضه صحيح وبعضه غير صحيح أما الصحيح منه فميل عبدالرحمن إلى جهة عثمان وانحرافه عن على ع قليلا [صفحة ٢٧٨] وليس هذا بمخصوص بعبد الرحمن بل قريش قاطبة كانت منحرفة عنه. و أما الذى هو غير صحيح فقوله أنه أخرج نفسه منها لذلك فإن هذا عندى غير صحيح لأنه قد كان يمكنه ألا يخرج نفسه منها ويبلغ غرضه بأن يتجاوز هو وابن عمه إلى عثمان ويدع عليا وطلحة والزبير طائفة أخرى فيولى المسلمون الأمر الطائفة التى فيها عبدالرحمن بمقتضى نص عمر على ذلك ثم يعتمد عبدالرحمن بعد ذلك ما يشاء إن شاء وليها هو أو أحد الرجلين فأى حاجة كانت به إلى أن يخرج نفسه منها ليلبغ غرضا قد كان يمكنه الوصول إليه بدون ذلك. وأيضا فإن كان غرضه ذلك فإنه من رجال الدنيا قد كان لا محالة و لم يكن من رجال الآخرة و من هو من رجال الدنيا ومحبيها كيف تسمح نفسه بترك الخلافة ليعطيها غيره وهلا- واطأ سعدا ابن عمه وطلحة صديقه على أن يولياه الخلافة وقد قال عمر كونوا مع الثلاثة الذين فيهم عبدالرحمن لاسيما وطلحة منحرف عن على ع وعثمان لأنهما ابنا عبدمناف وكذلك سعد و عبدالرحمن منحرفان عنهما لذلك أيضا ولما اختصا به من صهر رسول الله ص والصحيح أن عبدالرحمن أخرج نفسه منها لأنه استضعف نفسه عن تحمل أثقائها وكلفها وكره أن يدخل فيها فيقصر عن عمر ويراه الناس بعين النقص ولا يستطيع أن يقوم بما كان عمر يقوم به و كان عبدالرحمن غنيا موسرا كثير المال وشيخا قد ذهب عنه ترف الشباب فنفض عنها يده استغناء عنها وكرهية لخلل يدخل عليه إن وليها. و أماميله عن على ع فقد كان منه بعض ذلك والطباع لا تملك والحسد مستقر فى نفوس البشر لاسيما إذا انضاف إليه ما يقتضى الازدياد فى الأمور. فأما تنزيه المرتضى لعلى ع عن الفكاهة والدعابة فحق ولقد كان [صفحة ٢٧٩] ع على قدم عظمة من الوقار والجد والسمت العظيم والهدى الرصين ولكنه كان طلق الوجه سمح الأخلاق وعمر كان يريد مثله من ذوى الفظاظة

والخشونة لأن كل واحد يستحسن طبع نفسه ولا يستحسن طبع من يباينه في الخلق والطبع و أنا أعجب من لفظه عمر إن كان قالها إن فيه بطالة وحاش لله أن يوصف على ع بذلك وإنما يوصف به أهل الدعابة واللهو وما أظن عمر إن شاء الله قالها وأظنها زيدت في كلامه و إن الكلمة هاهنا لدالة على انحراف شديد. فأما قول أمير المؤمنين ع للعباس ولغيره ذهب الأمر منا إن عبد الرحمن لا يخالف ابن عمه فليس معناه أن عمر قصد ذلك وإنما معناه أن من سوء الاتفاق أن وقع الأمر هكذا ويوشك ألا يصل إلينا حيث قد اتفق فيه هذه النكتة. فأما قول قاضي القضاة إذا تقدمت للفاعل حالة تقتضى حسن الظن وجب أن يحمل فعله على ما يباينها واعتراض المرتضى عليه بقوله إن ذلك إنما يجب إذا كان الخير معلوماً منه فيما تقدم لامظنوننا ومتى كان مظنوننا ثم وجدنا له فعلاً يظن به القبيح لم يكن لنا أن نقضى بالسابق على اللاحق فنقول في جوابه أن الإنسان إذا كان مشهوراً بالصلاح والخير وتكرر منه فعل ذلك مدة طويلة ثم رأيناه قد وقعت منه حركة تنافى ذلك فيما بعد فإنه يجب علينا أن نحملها على ما يباين أحواله الأولى ما وجدنا لها محملاً لأن أحواله الأولى كثيرة وهذه حالة مفردة شاذة وإلحاق القليل بالكثير وحمله عليه أولى من نقض الكثير بالقليل وقد كانت أحوال عمر مدة عشرين سنة منتظمة في إصلاح الرعية ومناصحة الدين وهذا معلوم منه ضرورة أعنى ظاهر أحواله فإذا وقعت عنه حالة واحدة وهي [صفحة ٢٨٠] قصة الشورى فيها شبهة ماوجب أن نتأولها ما وجدنا لها في الخير محملاً. ونلحقها بتلك الأحوال الكثيرة التي تكررت منه في الأزمان الطويلة ولا يجوز أن نضع اليد عليها ونقول هذه لا غيرها ونقبحها ونهجها ونسد أبواب هذه التأويلات عنها ثم نحمل أفعالها الكثيرة المتقدمة كلها عليها في التقيح والتهجين فهذا خلاف الواجب فقد بان صحته ما ذكره قاضي القضاة لأنه لا حاجة بنا في القضاء بالسابق على اللاحق إلا أن يكون خيره معلوماً وعلم علماً يقيناً فإن الظن الغالب كاف في هذا المقام على الوجه الذي ذكرناه . و أما قوله عن عمر أنه بلغ ما في نفسه من إيصال الأمر إلى من أراد و صرفه عن من أراد من غير شناعة بالتصريح وحتى لا يقال فيه ما قيل في أبي بكر أو يرجع في نصه كما روجع أبو بكر ولأى حال يتعسف أبعد الطريقين وغرضه يتم من أقربهما فقد قلنا في جوابه ما كفى وبيننا أن عمر لو أراد ما ذكر لصرف الأمر عن من يريد صرفه عنه ونص على من يريد إيصال الأمر إليه و لم يبال بأحد فقد عرف الناس كلهم كيف كانت هيئته وسطوته وطاعة الرعية له حتى أن المسلمين أطاعوه أعظم من طاعتهم رسول الله ص في حياته ونفوذ أمره فيهم أعظم من نفوذ أمره ع فمن الذي كان يجسر أو يقدر أن يراجع في نصه أو يراجه عنده أو يلفظ عنده أو غائباً عنه بكلمة تنافى مراده و أى شىء ضرر أبابكر من مراجعته طلحة له حيث نص ليقول المرتضى خاف عمر من أن يراجع كما روجع أبو بكر وقد سمع الناس ما قال أبو بكر لطلحة لما راجعه فإنه أخزاه وجبهه حتى دخل في الأرض وقام من عنده و هو لا يهتدى إلى الطريق وأين كانت هيبة الناس لأبي بكر من هيبتهم لعمر فلقد كان أبو بكر و هو خليفة يهابه و هو رعية و سوقة بين يديه و كل أفضل الصحابة كان يهابه و هو بعد لم يل الخلافة حتى أن الشيعة تقول إن النبي ص يهابه فمن [صفحة ٢٨١] كانت هذه حاله و هو رعية و سوقة فكيف يكون و هو خليفة قدملك مشارق الأرض ومغاربها وخطب له على مائة ألف منبر و لو أراد عمر أن يخطب بالخلافة لأبى هريرة لما خالفه أحد من الناس أبداً فكيف يقول المرتضى لماذا يتعسف عمر أبعد الطريقين وغرضه يتم من أقربهما. والعجب منه كيف يقول خاف شناعة التصريح فمن لم يخف عندهم شناعة المخالفة لرسول الله ص و هو يعلم أن المسلمين يعلمون أنه مخالف لله تعالى ولرسوله قائم في مقام لم يجعله الله تعالى له كيف يخاف شناعة التصريح باسم عثمان لو كان يريد استخلافه إن هذا أعجب من العجب

الطعن العاشر

قولهم إنه أبدع في الدين ما لا يجوز كالتراويح و ما عمله في الخراج الذي وضعه على السواد و في ترتيب الجزية و كل ذلك

مخالف للقرآن والسنة لأنه تعالى جعل الغنيمه للغانمين والخمس منها لأهل الخمس فخالف القرآن وكذلك السنة تنطق في الجزية أن على كل حال دينارا فخالف في ذلك السنة و أن الجماعة لا تكون إلا في المكتوبات فخالف السنة. أجاب قاضي القضاة عن ذلك بأن قيام شهر رمضان قدروى عن النبي ص أنه عمله ثم تركه و إذا علم أن الترك ليس بنسخ صار سنة يجوز أن يعمل بها و إذا كان مالأجله تركه من التنبيه بذلك على أنه ليس بفرض و من تخفيف التعبد [صفحہ ۲۸۲] ليس بقائم في فعل عمر لم يمتنع أن يدوم عليه و إذا كان فيه الدعاء إلى الصلاة والتشدد في حفظ القرآن فما أذى يمنع أن يعمل به . فأما أمر الخراج فأصله السنة لأن النبي ص بين أن لمن يتولى الأمر ضربا من الاختيار في الغنيمه ولذلك فصل بين الرجال والأموال فجعل الاختيار في الرجال إلى الإمام في القتل والاسترقاق والمفاداة وفصل بينه وبين المال و إن كان الجميع غنيمه. ثم ذكر أن الغنيمه لم تضاف إلى الغانمين إضافة الملك وإنما المراد أن لهم في ذلك من الاختصاص والحق ما ليس لغيرهم فإذا عرض ما يقتضى تقديم أمر آخر جاز للإمام أن يفعله ورأى عمر في أمر السواد الاحتياط للإسلام بأن يقر في أيديهم على الخراج الذى وضعه و إن كان في الناس من يقول فعل ذلك برضا الغانمين وبأن عوض ويدل على صحه فعله إجماع الأئمه ورضاهم به و لما أفضى الأمر إلى أمير المؤمنين ع تركه على جملته و لم يغيره . ثم ذكر في الجزية أن طريقها الاجتهاد فإن الخبر المروى في هذا الباب ليس بمقطوع به و لامعناه معلوم . اعترض المرتضى هذا الجواب فقال أما التراويح فلا شبهة أنها بدعه و قدروى عن النبي ص أنه قال أيها الناس إن الصلاة بالليل في شهر رمضان من النافلة جماعة بدعه وصلاة الضحى بدعه ألا فلاتجتمعوا ليلا في شهر رمضان في النافلة و لاتصلوا صلاة الضحى فإن قليلا في سنة خير من كثير في بدعه ألا و إن كل بدعه ضلالة و كل ضلالة سبيلها في النار -رواية- ۱-۲-رواية- ۳۴-۲۷۳ [صفحہ ۲۸۳] و قدروى أن عمر خرج في شهر رمضان ليلا- فرأى المصاييح في المسجد فقال ما هذا فقل له إن الناس قد اجتمعوا للصلاة التطوع فقال بدعه فعمت البدعه فاعترف كما ترى بأنها بدعه و قد شهد الرسول ص أن كل بدعه ضلالة -رواية- ۱-۲-رواية- ۲۰-۳۹ . و قدروى أن أمير المؤمنين ع لما اجتمعوا إليه بالكوفة فسألوه أن ينصب لهم إماما يصلى بهم نافلة شهر رمضان زجرهم وعرفهم أن ذلك خلاف السنة فتركوه واجتمعوا لأنفسهم وقدموا بعضهم فبعث إليهم ابنه الحسن ع فدخل عليهم المسجد ومعه الدرّة فلما رأوه تبادروا الأبواب وصاحوا وا عمراه . قال فأما ادعاؤه أن قيام شهر رمضان كان في أيام الرسول ص ثم تركه فمغالطة منه لأننا لاننكر قيام شهر رمضان بالنوافل على سبيل الانفراد وإنما أنكرنا الاجتماع على ذلك فإن ادعى أن الرسول ص صلاها جماعة في أيامه فإنها مكابرة ما أقدم عليها أحد و لو كان كذلك ما قال عمر إنها بدعه و إن أراد غير ذلك فهو مما لا ينفعه لأن الذى أنكرناه غيره . قال و الذى ذكره من أن فيه التشدد في حفظ القرآن والمحافظة على الصلاة ليس بشيء لأن الله تعالى ورسوله بذلك أعلم و لو كان كما قاله لكانا يسنان هذه الصلاة ويأمران بها و ليس لنا أن نبدع في الدين بما نظن أن فيه مصلحة لأنه لا خلاف في أن ذلك لا يسوغ و لا يحل . و أما أمر الخراج فهو خلاف لنص القرآن لأن الله تعالى جعل الغنيمه في وجوه مخصوصه فمن خالفها فقد أبدع و ليس للإمام و لالغيره أن يجتهد فيخالف النص فبطل قوله أنه رأى من الاحتياط للإسلام أن يقر في أيديهم على الخراج لأن خلاف النص [صفحہ ۲۸۴] لا يكون من الاحتياط ورسوله أعلم بالاحتياط منه و لو كان لرضا الغانمين عن ذلك أو عوضهم منه على مادعاه صاحب الكتاب لوجب أن يظهر ذلك ويعلم و ماعرفنا في ذلك شيئا و لانقله الناقلون . و أما مادعاه من الإجماع فمعه في ذلك على ترك النكير و قد تقدم الكلام عليه وتكرر وكذلك قد تقدم الكلام في وجه إقرار أمير المؤمنين ع ما أقره من أحكام القوم و مادعاه أن خبر الجزية غير معلوم و لامقطوع به فهب أن ذلك مسلم على ما فيه أليس من مذهبه أن أخبار الآحاد في الشريعة يعمل بها و إن لم تكن معلومه فهلا- عمل عمر بالخبر المروى في هذا الباب وعدل عن اجتهاده الذى أداه إلى مخالفة الله تعالى . أما كون صلاة التراويح بدعه وإطلاق عمر عليها هذا اللفظ فإن لفظ البدعه يطلق على مفهومين أحدهما ما خولف به الكتاب والسنة مثل صوم

يوم النحر وأيام التشريق فإنه و إن كان صوما إلا أنه منهي عنه . والثاني ما لم يرد فيه نص بل سكت عنه ففعله المسلمون بعد وفاة رسول الله ص فإن أريد بكون صلاة التراويح بدعة المفهوم الأول فلانسلم أنها بدعة بهذا التفسير والخبر الذي رواه المرتضى غير معروف ولا يمكنه أن يسنده إلى كتاب من كتب المحدثين و لو قدر على ذلك لأسنده ولعله من أخبار أصحابه من محدثي الإمامية والأخباريين منهم والألفاظ التي في آخر الحديث وهي كل بدعة ضلالة و كل ضلالة -روايت- ١-١-ادامه دارد [صفحہ ٢٨٥] في النار -روايت- از قبل- ١٢ مروية مشهورة ولكن على تفسير البدعة بالمفهوم الأول وقول عمر إنها بدعة خبر مروى مشهور ولكن أراد به البدعة بالتفسير الثاني والخبر الذي رواه أمير المؤمنين ع ينفرد هو وطائفته بنقله والمحدثون لا يعرفون ذلك ولا يثبتونه . فأما إنكاره أن تكون نافلة شهر رمضان صلاها رسول الله ص في جماعة فإنكار لست أرتضيه لمثله فإن كتب المحدثين مشحونة برواية ذلك و قد ذكره أحمد بن حنبل في مسنده غير مرة بعدة طرق ورواه الفقهاء ذكره الطحاوي في كتاب اختلاف الفقهاء وذكره أبو الطيب الطبري الشافعي في شرحه كتاب المزني و قد ذكره المتأخرون أيضا ذكره الغزالي في كتاب إحياء علوم الدين و قال إن رسول الله ص صلى التراويح في شهر رمضان في جماعة ليلتين أو ثلاثا ثم ترك و قال أخاف أن يوجب عليكم وأجاز لي الشيخ أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي بروايته عن شيخه محمد بن ناصر عن شيوخه ورجاله أن رسول الله ص صلى نافلة شهر رمضان في جماعة يأتمون به ليالي ثم لم يخرج وقام في بيته وصلى الناس فرادى بقية أيامه وأيام أبي بكر وصدرا من خلافة عمر فخرج عمر ليلة فرأى الناس أوزاعا يصلون في المسجد فقال لوجمعتهم على إمام فأمر أبي بن كعب أن يصلى بهم فصلى بهم تلك الليلة ثم خرج فرآهم مجتمعين إلى أبي بن كعب يصلى بهم فقال بدعة ونعمة البدعة أما إنها لفضل والتي ينامون عنها أفضل . قال يعنى قيام آخر الليل فإنه أفضل من قيام أوله . و أما قول قاضى القضاة أن فى التراويح فائدة وهى التشدد فى حفظ القرآن والدعاء إلى الصلاة واعتراض المرتضى إياه بقوله الله أعلم بالمصلحة و ليس لنا أن نسن ما لم يسنه [صفحہ ٢٨٦] الله ورسوله فإنه يقال له أليس يجوز للإنسان أن يخترع من النوافل صلوات مخصوصة بكيفيات مخصوصة وأعداد ركعات مخصوصة و لا يكون ذلك مكروها و لاحراما نحو أن يصلى ثلاثين ركعة بتسليمه واحدة ويقرأ فى كل ركعة منها سورة من قصار المفصل أفيقول أحد إن هذا بدعة لأنه لم يرد فيه نص و لاسبق إليه المسلمون من قبل فإن قال هذا يسوغ فإنه داخل تحت عموم ماورد فى فضل صلاة النافلة قيل له والتراويح جائزة ومسنونة لأنها داخله تحت عموم ماورد فى فضل صلاة الجماعة . فإن قال كيف تكون نافلة وهى جماعة قيل له قدرأينا كثيرا من النوافل تصلى جماعة نحو صلاة العيد وصلاة الكسوف وصلاة الاستسقاء وصلاة الجنازة إذا لم يتعين للمصلى بأن يقوم غيره مقامه فيها . فأما ما أشار إليه قاضى القضاة من التشدد فى حفظ القرآن فهو أنه روى أن عمر أتى بسارق فأمر بقطعه فقال لم أعلم أن الله أوجب القطع فى السرقة و لو علمت لم أسرق فأحلفه على ذلك و سن التراويح جماعة ليتكرر سماع القرآن على أسماع المسلمين . و قد اختلف الفقهاء أيما أفضل فى نافلة شهر رمضان الاجتماع عليها أم صلاتها فرادى فقال قوم الجماعة أفضل لأن الاجتماع بركة و له فضيلة و لو لافضيلته لم يسن فى المكتوبة ولأنه ربما يكسل فى الانفراد وينشط عند مشاهدة الجمع . و قال قوم الانفراد أفضل لأنها سنة ليست من الشعائر كالعيدين فإلحاقها بتحية المسجد أولى و قد جرت العادة بأن يدخل المسجد جمع معا ثم لم يصلوا التحية بالجماعة . و روى القائلون بهذا القول عن النبى ص أنه قال فضل صلاة المتطوع فى بيته على صلاة المتطوع فى المسجد كفضل صلاة المكتوبة فى المسجد على صلاته فى البيت -روايت- ١-٢-روايت- ٢٧-١٣٤ [صفحہ ٢٨٧] قدروى عنه ع أن أفضل النوافل ركعتان يصليهما المسلم فى زاوية بيته لا يعلمهما إلا الله وحده -روايت- ١-٢-روايت- ١٨-١٠١ . قالوا ولأنها إذا صليت فرادى كانت الصلاة أبعد من الرياء والتصنع وبالجملة الاختلاف فى أيهما أفضل فأما تحريم الصلاة ولزوم الإثم بفعلها فمما لم يذهب إليه إلا الإمامية و قدروى الرواة أن عليا ع خرج ليلا فى شهر رمضان فى خلافة عثمان بن عفان فرأى المصاييح فى المساجد والمسلمون يصلون

التراويح فقال نور الله قبر عمر كمانور مساجدنا والشيعة يروون هذا الخبر ولكن بحمل اللفظ على معنى آخر. فأما حديث الخراج فقد ذكره أرباب علم الخراج والكتاب وذكره الفقهاء أيضا في كتبهم وذكره أرباب السيرة وأصحاب التاريخ قال قدامة بن جعفر في كتاب الخراج اختلف الفقهاء في أرض العنوة فقال بعضهم تخمس ثم تقسم أربعة أخماس على الذين افتتحوها وقال بعضهم ذلك إلى الإمام إن رأى أن يجعلها غنيمه ليخمسها ويقسم الباقي كما فعل رسول الله ص بخير فذلك إليه وإن رأى أن يجعلها فينا فلا يخمسها ولا يقسمها بل تكون موقوفه على سائر المسلمين كما فعل عمر بأرض السواد وأرض مصر وغيرهما مما افتتحه عنوة فعلى الوجهين جميعا فيهما قدوة وامتتبع لأن النبي ص قسم خيبر وصيرها غنيمه وأشار الزبير بن العوام على عمر في مصر وبلاد الشام بمثل ذلك وهو مذهب مالك بن أنس وجعل عمر السواد وغيره فينا موقوفا على المسلمين من كان منهم حاضرا في وقته ومن أتى بعده ولم يقسمه وهو رأى رآه على بن أبي طالب ع ومعاذ بن جبل وأشارا عليه وبه كان يأخذ سفيان بن سعيد وذلك رأى من جعل الخيار إلى الإمام في تصيير أرض العنوة غنيمه أوفينا راجعا للمسلمين في كل سنة. [صفحة 288] قال قدامة رحمه الله فأما ما فعله رسول الله ص من تصييره خيبر غنيمه فإنه ع اتبع فيه آية محكمة وهي قوله تعالى وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبَى وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ هَذِهِ آيَةُ الْغَنِيمَةِ وَ هِيَ لِأَهْلِهَا دُونَ النَّاسِ وَ بِهَا عَمِلَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَ أَمَا الْآيَةُ الَّتِي عَمِلَ بِهَا عُمَرُ وَ ذَهَبَ إِلَيْهَا عَلَى عِ وَ مَعَاذِ بْنِ جَبَلِ فِيمَا أَشَارَا عَلَيْهِ بِهِ فَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبَى وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ إِلَى قَوْلِهِ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَ الْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ انْتَهت أَلْفَاظُ قِدَامَةَ. وروى محمد بن جرير الطبري في تاريخه أن عمر هم أن يقسم أرض السواد بين الغانمين كما يقسم الغنائم ثم قال فكيف بالأجام ومناقع المياه والغياض والهضب المرتفع والغائط المنخفض وكيف يصنع هؤلاء بالماء وقسمته بينهم أخاف أن يضرب بعضهم وجوه بعض ثم جمع الغانمين فقال لهم ذلك فرضوا أن تقر الأرض حبيسا لهم يولونها من تراضوا عليه ثم يقتسمون غلتها كل عام فقال عمر اللهم إني قد اجتهدت وقد قضيت ما على اللهم إني أشهدك عليهم فاشهد. فأما قول قاضي القضاة إن النبي ص جعل لمتولى أمر الأمة ضربا من الاختيار في الغنيمه وما ذكره من الفرق بين الرجال والأموال وما ذكره من أن الغانمين ليسوا مالكي الغنيمه ملكا صريحا وإنما هو ضرب من الاختصاص فكله جيد لا كلام عليه ولم يعترضه المرتضى بشيء ولا تعرض له. و أما قول قاضي القضاة إنه روى أن عمر فعل ما فعل برضا الغانمين وبأن عوضهم -قرآن- 118-254-قرآن- 422-555-قرآن- 567-591-قرآن- 592-646-قرآن- 647-675 [صفحة 289] عنه وإنكار المرتضى وقوع ذلك وقوله أنه لم ينقل فقد بينا أن الطبري ذكر في تاريخه أن عمر فعل ذلك برضا الغانمين وبعد أن جمعهم وقال لهم ما استصلحه وما أدى إليه اجتهاده فرضوا به وأشهدوا الله عليهم والحاضرين. وقد ذكر كثير من الفقهاء أن عمر عوض الغانمين عن أرض السواد ووقفه على مصالح المسلمين وهذا ما رواه الشافعي وذكر حديث التعريض أبو الحسن على بن حبيب الماوردي في كتاب الحاوي في الفقه وذكره أيضا أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري في شرح المزني. و أما تعلق قاضي القضاة بإجماع المسلمين فتعلق صحيح وطعن المرتضى فيه بالتقية وموافقه الإمام المعصوم على الباطل طعن يسمح التعلق به وللبحث فيه سبج طويل. و أما أمر الجزية فطريقه الاجتهاد وللإمام أن يرى فيه رأيه بمشاوره الصلحاء والفقهاء وقد قال قاضي القضاة إن الخبر الذي ذكره المرتضى وذكر أنه مرفوع وهو على كل حال دينار -رواية- 1- 22 خبر مظنون غير معلوم واعتراض المرتضى عليه بقوله هب أن الأمر كذلك أستم تزعمون أن خبر الواحد معمول عليه في الفروع فهلا عمل عمر بهذا الخبر وإن كان خبر واحد اعتراض ليس بلازم لأنه إذا كان خبر واحد عندنا لم يلزم أن يكون أيضا خبر واحد عند عمر بل من الجائز أن يكون مفتعلا بعد وفاة عمر ولو كان قد ثبت أن عمر سمع هذا الخبر من واحد أو اثنين من الصحابة ثم لم يعمل به كان الاعتراض لازما ولكن ذلك مما لم يثبت

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الواحد العدل

٢٢٤- و من كلام له ع في وصف بيعته بالخلافة

و قد تقدم مثله بألفاظ مختلفة و بسطتم يدي فكففتها و مددتموها فقبضتها ثم تداككتم على تداكك الإبل الهيم على حياضها يوم وردها حتى انقطعت النعل و سقط الرداء و وطئ الضعيف و بلغ من سرور الناس ببيعتهم إياي أن ابتهج بها الصغير و هدج إليها الكبير و تحامل نحوها العليل و حسرت إليها الكعاب الازدحام الشديد والإبل الهيم العطاش . وهدج إليها الكبير مشى مشياً ضعيفاً مرتعشاً والمضارع يهدج بالكسر. و تحامل نحوها العليل تكلف المشى على مشقه. [صفحة ٤] وحسرت إليها الكعاب كشفت عن وجهها حرصاً على حضور البيعة والكعاب الجارية التي قد نهدت ثديها كعبت تكعب بالضم . قوله حتى انقطع النعل وسقط الرداء شبيه بقوله في الخطبة الشقشقية حتى لقد وطئ الحسنان وشق عطفای -روایت- ١-٢-روایت- ٢٨-٦٣ . و قد تقدم ذكر بيعته ع بعد قتل عثمان وإطباق الناس عليها وكيفية الحال فيها وشرح شرحاً يستغنى عن إعادته [صفحة ٥]

٢٢٥- و من خطبة له ع

فإن تقوى الله مفتاح سداد و ذخيرة معاد و عتق من كل ملكة و نجاه من كل هلكة بها ينجح الطالب و ينجو الهارب و تنال الرغائب فاعملوا و العمل يرفع و التوبة تنفع و الدعاء يسمع و الحال هادئة و الأفلام جارية و بادروا بالأعمال عمراً ناكساً أو مرضاً خابساً أو موتاً خالساً فإن الموت هادم لذاتكم و مكدر شهواتكم و مباعد طياتكم زائر غير محبوب و قرن غير مغلوب و واتر غير مطلوب قد أعلقتكم حباله و تكنتكم غوائله و أقصت دتكم معابله و عظمت فيكم سيطوته و تتابعت عليكم عدوته و قلت عنكم نبوته فيوشك أن تغشاكم دواجي ظليله و احتدام عليله و حنادس غمراته و غواشي سيراته و أليم إرهابه و دجو أطباقه و خشونته مداقه فكان قد أتاكم بغته فأسكت نجيكم و فرق نديكم و عفى آثاركم و عطل دياركم و بعث وراثكم يقتسيه من تراثكم بين حميم خاص لم ينفع و قريب محزون لم يمنع و آخر شامم لم يجزع فعليكم بالجد و الاجتهاد و التأهب و الاستعداد و التزود في منزل الزاد و لما تغزتكم الحياة الدنيا كما غرت من كان قبلكم من الأمم الماضية و القرون الخالية الذين احتلبوا درتها و أصابوا غزتها و أفنوا عدتها و أخلقوا جدتها [صفحة ٦] و أصبحت مساكنهم أجداناً و أموالهم ميراثاً لا يعرفون من أتاها و لا يحفلون من بكاهم و لا يجيبون من دعاهم فاحذروا الدنيا فإنها غدارة غرارة خدوع معطية منوع ملبسة نزوع لا يدوم رخاؤها و لا ينقصي عناؤها و لا يركد بلاؤها عتق من كل ملكة هو مثل قوله ع التوبة تجب ما قبلها -روایت- ١-٢-روایت- ١٢-٣٢ أى كل ذنب موبق يملك الشيطان فاعله ويستحوذ عليه فإن تقوى الله تعتق منه وتكفر عقابه ومثله قوله ونجاه من كل هلكة. قوله ع والعمل ينفع أى اعملوا في دار التكليف فإن العمل يوم القيامة غير نافع . قوله ع والحال هادئة أى ساكنة ليس فيها ما فى أحوال الموقف من تلك

الحركات الفظيعة نحو تطاير الصحف ونطق الجوارح وعنف السياق إلى النار. قوله ع والأفلام جاريه يعنى أن التكليف باق و أن الملائكة الحفظه تكتب أعمال العباد بخلاف يوم القيامة فإنه يبطل ذلك ويستغنى عن الحفظه لسقوط التكليف . قوله عمرا ناكسا يعنى الهرم من قوله تعالى وَ مَنْ نُعَمِّرُهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ لِرُجُوعِ الشَّيْخِ الْهَرَمِ إِلَى مِثْلِ حَالِ الصَّبِيِّ الصَّغِيرِ فِي ضَعْفِ الْعَقْلِ وَالْبُنْيَةِ - قرآن- ٥٥٩-٥٩٦ [صفحه ٧] والموت الخالس المختطف والطيات جمع طيه بالكسر وهى منزل السفر والواتر القاتل والوتر بالكسر الذحل . وأعلقتكم حباله جعلتكم معتقلين فيها ويروى قد علقتكم بغير همز. وتكنفتكم غوائله أحاطت بكم دواهيه ومصائبه وأقصدتكم أصابتكم . والمعابل نصال عراض الواحده معبله بالكسر. وعدوته بالفتح ظلمه ونبوته مصدر نبا السيف إذا لم يؤثر فى الضريبه. ويوشك بالكسر يقرب وتغشاكم تحيط بكم . والدواجى الظلم الواحده داجيه والظلل جمع ظلّه وهى السحاب والاحتدام الاضطرام والحنادس الظلمات . وإرهاقه مصدر أرهقته أى أعجلته ويروى إزهاقه بالزاي. والأطباق جمع طبق وهذا من باب الاستعاره أى تكاثف ظلماتها طبق فوق طبق . ويروى وجشوبه مذاقه بالجيم والباء وهى غلظ الطعام . والنجى القوم يتناجون والندى القوم يجتمعون فى النادى. واحتلبوا درتها فازوا بمنافعها كما يحتلب الإنسان اللبن . وهذه الخطبه من محاسن خطبه ع و فيها من صناعه البديع ما هو ظاهر للمتأمل منها فى صِفَةِ الزَّهَادِ كَانُوا قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا فَكَانُوا فِيهَا كَمَنْ لَيْسَ مِنْهَا [صفحه ٨] عَمِلُوا فِيهَا بِمَا يُبْصِرُونَ وَ بَادَرُوا فِيهَا مَا يَحْذَرُونَ تَقَلَّبَ أَبْدَانِهِمْ بَيْنَ ظَهْرَانِي أَهْلِ الْآخِرَةِ وَ يَرُونَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُعْظَمُونَ مَوْتَ أَجْسَادِهِمْ وَ هُمْ أَشَدُّ إِعْظَامًا لِمَوْتِ قُلُوبِ أَحْيَائِهِمْ بَيْنَ ظَهْرَانِي أَهْلِ الْآخِرَةِ بَفَتْحِ النَّوْنِ وَ لَا يَجُوزُ كَسْرُهَا وَ يَجُوزُ بَيْنَ ظَهْرِي أَهْلِ الْآخِرَةِ لُورُوِي وَ الْمَعْنَى فِي وَسْطِهِمْ . قوله ع كانوا قوما من أهل الدنيا وليسوا من أهلها أى هم من أهلها فى ظاهر الأمر و فى مرأى العين وليسوا من أهلها لأنه لارغبه عندهم فى ملاذها ونعيمها فكأنهم خارجون عنها. قوله عملوا فيها بما يبصرون أى بما يرونه أصلح لهم ويجوز أن يريد أنهم لشده اجتهادهم قد أبصروا المآل فعملوا فيها على حسب ما يشاهدونه من دار الجزاء وهذا كقوله ع لو كشف الغطاء ما زددت يقينا -روايت- ١-٢-روايت- ١٢-٤٢ . قوله ع وبادروا فيها ما يحذرون أى سابقوه يعنى الموت . قوله ع تقلب أبدانهم هذا محمول تارة على الحقيقه وتارة على المجاز أما الأول فلأنهم لا يخالطون إلا أهل الدين و لا يجالسون أهل الدنيا و أما الثانى فلأنهم لما استحقوا الثواب كان الاستحقاق بمنزله وصولهم إليه فأبدانهم تتقلب بين ظهرائى أهل الآخرة أى بين ظهرائى قوم هم بمنزله أهل الآخرة لأن المستحق للشىء نظير لمن فعل به ذلك الشىء. ثم قال هؤلاء الزهاد يرون أهل الدنيا إنما يستعظمون موت الأبدان وهم أشد استعظاما لموت القلوب و قد تقدم من كلامنا فى صفات الزهاد والعارفين ما فيه كفايه [صفحه ٩]

٢٢٦- و من خطبه له ع خطبها بدى قار و هو متوجه إلى البصره

ذكرها الواقدي فى كتاب الجمل فصَدَعَ بِمَا أَمَرَ بِهِ وَ بَلَغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ فَلَمَّ اللَّهُ بِهِ الصَّدَعَ وَ رَتَّقَ بِهِ الْفَتَقَ وَ أَلَفَ بِهِ الشَّمْلَ بَيْنَ ذَوِي الْأَرْحَامِ بَعْدَ الْعِدَاوَةِ الْوَاعِرَةِ فِي الصَّيْدُورِ وَ الضَّغَائِنِ الْقَادِحِيَّةِ فِي الْقُلُوبِ ذُو قَارِ اسْمُ مَوْضِعٍ قَرِيبٍ مِنَ الْبَصْرَةِ وَ فِيهِ كَانَتْ وَقْعَةُ لِلْعَرَبِ مَعَ الْفَرَسِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ . وصدع بما أمر به أى جهر وأصل الصدع الشق . و لم به جمع ورتق خاط وألحم . والعداوة الواغرة ذات الوغرة وهى شدة الحر. والضغائن الأحقاد. والقادحة فى القلوب كأنها تقدح النار فيها كما تقدح النار بالمقدحة [صفحه ١٠]

٢٢٧- و من كلام له ع كلم به عبد الله بن زمعه

و هو من شيعته و ذلك أنه قدم عليه في خلافته يطلب منه مالا فقال ع إِنَّ هَذَا الْمَالَ لَيْسَ لِي وَ لَا لَكَ وَ إِنَّمَا هُوَ فِئَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ وَ جَلْبُ أَسْيَافِهِمْ فَإِنْ شَرَّ كَتَّهُمْ فِي حَرْبِهِمْ كَانَ لَكَ مِثْلُ حَظِّهِمْ وَ إِلَّا فَجَنَّاهُ أَيْدِيَهُمْ لَا تَكُونُ لِعَيْرِ أَفْوَاهِهِمْ

عبد الله بن زمعة ونسبه

هو عبد الله بن زمعة بفتح الميم لا كما ذكره الراوندى و هو عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي. كان الأسود من المستهزئين الذين كفى الله رسوله أمرهم بالموت والقتل وابنه زمعة بن الأسود قتل يوم بدر كافرا و كان يدعى زاد الركب و قتل أخوه عقيل بن الأسود أيضا كافرا يوم بدر و قتل الحارث بن زمعة أيضا يوم بدر كافرا والأسود هو الذى سمع امرأة تبكى على بعير تضله بمكة بعد يوم بدر فقال أتبكي أن يضل لها بعير || ويمنعها من النوم الهجود [صفحة ١١] و لا تبكى على بدر ولكن || على بدر تقاصرت الجدود ألا قد ساد بعدهم أناس || و لو لا يوم بدر لم يسودوا . و كان عبد الله بن زمعة شيعه لعلى ع و من أصحابه و من ولد عبد الله هذا أبو البخترى القاضى و هو وهب بن وهب بن كبير بن عبد الله بن زمعة قاضى الرشيد هارون بن محمد المهدى و كان منحرفا عن على ع و هو الذى أفتى الرشيد ببطان الأمان الذى كتبه ليحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ع وأخذه بيده فمزقه . و قال أمية بن أبى الصلت يرثى قتلى بدر و يذكر زمعة بن الأسود عين بكى لنوفل ولعمرو || ثم لا تبخلى على زمعه . نوفل بن خويلد من بنى أسد بن عبد العزى ويعرف بابن العدوية قتله على ع وعمرو أبو جهل بن هشام قتله عوف بن عفراء و أجهز عليه عبد الله بن مسعود قوله ع و جلب أسيافهم أى ماجلبته أسيافهم وساقته إليهم والجلب المال المجلوب وجنأ الثمر ما يجنى منه و هذه استعارة فصيحته [صفحة ١٢]

٢٢٨- و من كلام له ع

أَلَمَّا وَ إِنَّ اللَّسَانَ بَضْعَةٌ مِنَ الْإِنْسَانِ فَلَا يُسَعِدُهُ الْقَوْلُ إِذَا امْتَنَعَ وَ لَا يُمِهِّلُهُ النَّطْقُ إِذَا اتَّسَعَ وَ إِنَّا لَأَمْرَاءُ الْكَلَامِ وَ فِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ وَ عَلَيْنَا تَهَدَّيَتْ غُصُونُهُ وَ أَعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنْكُمْ فِي زَمَانٍ الْقَائِلُ فِيهِ بِالْحَقِّ قَلِيلٌ وَ اللَّسَانُ عَنِ الصِّدْقِ كَلِيلٌ وَ اللَّارِمُ لِلْحَقِّ ذَلِيلٌ أَهْلُهُ مُعْتَكِفُونَ عَلَى الْعَصِيَانِ مُصْطَلِحُونَ عَلَى الْإِدْهِيَانِ فَتِيَاهُمْ عَارِمٌ وَ شَائِبُهُمْ آئِمٌ وَ عِيَالُهُمْ مُنَافِقٌ وَ فَارِئُهُمْ مُمَازِقٌ لَمَّا يُعْظَمُ صَغِيرُهُمْ كَبِيرُهُمْ وَ لَمَّا يُعُولُ غَيْبُهُمْ فَقِيرُهُمْ بَضْعَةٌ مِنَ الْإِنْسَانِ قَطْعُهُ مِنْهُ وَ الْهَاءُ فِي يَسْعَدُهُ تَرْجِعُ إِلَى اللَّسَانِ . وَ الضَّمِيرُ فِي امْتَنَعَ يَرْجِعُ إِلَى الْإِنْسَانِ وَ كَذَلِكَ الْهَاءُ فِي لَا يُمِهِّلُهُ يَرْجِعُ إِلَى اللَّسَانِ . وَ الضَّمِيرُ فِي اتَّسَعَ يَرْجِعُ إِلَى الْإِنْسَانِ وَ تَقْدِيرُهُ فَلَا يَسْعَدُ اللَّسَانُ الْقَوْلُ إِذَا امْتَنَعَ الْإِنْسَانُ عَنْ أَنْ يَقُولَ وَ لَا يُمِهِّلُ اللَّسَانُ النَّطْقُ إِذَا اتَّسَعَ لِلْإِنْسَانِ الْقَوْلَ وَ الْمَعْنَى أَنَّ اللَّسَانَ آلَةَ لِلْإِنْسَانِ فَإِذَا صَرَفَهُ صَارَفَ عَنِ الْكَلَامِ لَمْ يَكُنِ اللَّسَانُ [صفحة ١٣] نَاطِقًا وَ إِذَا دَعَاهُ دَاعٍ إِلَى الْكَلَامِ نَطَقَ اللَّسَانُ بِمَا فِي ضَمِيرِ صَاحِبِهِ . وَ تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ أى عُلقت و روى انتشبت و الرواية الأولى أدخل في صناعة الكلام لأنها يازاء تهدلت و التهدل التمدلى و قد أخذ هذه الألفاظ بعينها أبو مسلم الخراسانى فخطب بها في خطبة مشهورة من خطبه

عند الكلام واعلم أن هذا الكلام قاله أمير المؤمنين ع في واقعة اقتضت أن يقوله و ذلك أنه أمر ابن أخته جعدة بن هيرة المخزومي أن يخطب الناس يوما فصعد المنبر فحصر و لم يستطع الكلام فقام أمير المؤمنين ع فتسبم ذروة المنبر وخطب خطبة طويلة ذكر الرضى رحمه الله منها هذه الكلمات وروى شيخنا أبو عثمان في كتاب البيان والتبيين أن عثمان صعد المنبر فأرتج عليه فقال إن أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وأنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام خطيب وستأتيكم الخطبة على وجهها ثم نزل . قال أبو عثمان وروى أبو الحسن المدائني قال صعد ابن لعدى بن أوطاة المنبر فلما رأى الناس حصر فقال الحمد لله الذى يطعم هؤلاء ويسقيهم وصعد روح بن حاتم المنبر فلما رأى الناس قدر شقوه بأبصارهم و صرفوا أسماعهم [صفحہ ۱۴] نحوه قال نكسوا رؤوسكم و غضوا أبصاركم فإن أول مركب صعب فإذا يسر الله عز و جل فتح قفل تيسر ثم نزل . وخطب مصعب بن حيان أخو مقاتل بن حيان خطبة نكاح فحصر فقال لقنوا موتاكم لا إله إلا الله فقالت أم الجارية عجل الله موتك ألهذا دعوناك . وخطب مروان بن الحكم فحصر فقال اللهم إنا نحمدك ونستعينك و لانشرك بك . و لما حصر عبد الله بن عامر بن كريز على المنبر بالبصرة و كان خطيبا شق عليه ذلك فقال له زياد ابن أبيه و كان خليفته أيها الأمير لا تجزع فلو أقمت على المنبر عامه من ترى أصابهم أكثر مما أصابك فلما كانت الجمعة تأخر عبد الله بن عامر و قال زياد للناس إن الأمير اليوم موعوك فقبل لرجل من وجوه أمراء القبائل قم فاصعد المنبر فلما صعد حصر فقال الحمد لله الذى يرزق هؤلاء وبقى ساكتا فأنزلوه و أصعدوا آخر من الوجوه فلما استوى قائما قابل بوجهه الناس ف وقعت عينه على صلعه رجل فقال أيها الناس إن هذا الأصلع قدم معنى الكلام اللهم فالعن هذه الصلعة فأنزلوه وقالوا لوازع اليشكري قم إلى المنبر فتكلم فلما صعد ورأى الناس قال أيها الناس إنى كنت اليوم كارها لحضور الجمعة ولكن امرأتى حملتنى على إتيانها و أنا أشهدكم أنها طالق ثلاثا فأنزلوه فقال زياد لعبد الله بن عامر كيف رأيت قم الآن فاخطب الناس . [صفحہ ۱۵] و قال سهل بن هارون دخل قطرب النحوى على المخلوع فقال يا أمير المؤمنين كانت عدتكم أرفع من جائزتك و هو يتبسم فاغتاظ الفضل بن الربيع فقلت له إن هذا من الحصر والضعف و ليس من الجلد والقوة أماتراه يفتل أصابعه و يرشح جبينه . و دخل معبد بن طوق العنبرى على بعض الأمراء فتكلم و هو قائم فأحسن فلما جلس تلهيع فى كلامه فقال له ما ظرفك قائما و أموقك قاعدا قال إنى إذا قمت جددت و إذا قعدت هزلت فقال ما أحسن ما خرجت منها . و كان عمرو بن الأهمم المنقرى والزبرقان بن بدر عند رسول الله ص فسأل ع عمرا عن الزبرقان فقال يا رسول الله إنه لمانع لحوزته مطاع فى أدانيه فقال الزبرقان حسدنى يا رسول الله فقال عمرو يا رسول الله إنه لزم المرءة ضيق العطن لثيم الخال فنظر رسول الله ص إلى وجه عمرو فقال يا رسول الله رضيت فقلت أحسن ما علمت و غضبت فقلت أقبح ما علمت و ما كذبت فى الأولى ولقد صدقت فى الأخرى فقال ع إن من البيان لسحرا -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۲-۳۴ . و قال خالد بن صفوان ما للإنسان لولا اللسان لإصورة ممثلة أو بهيمة مهملة [صفحہ ۱۶] و قال ابن أبى الزناد كنت كاتباً لعمر بن عبدالعزيز فكان يكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب فى المظالم فيراجعه فكتب إليه إنه يخيل إلى أنى لو كتبت إليك أن تعطى رجلا شاء لكتبت إلى أضأنا أم معزا فإذا كتبت إليك بأحدهما كتبت إلى أذكرا أم أنثى و إذا كتبت إليك بأحدهما كتبت إلى صغيرا أم كبيرا فإذا كتبت إليك فى مظلمة فلا تراجعنى و السلام . و أخذ المنصور هذا فكتب إلى سلم بن قتيبة عامله بالبصرة يأمره بهدم دور من خرج مع ابراهيم بن عبد الله بن الحسن وعقر نخلم فكتب إليه بأيهما أبدأ بالدور أم بالنخل يا أمير المؤمنين فكتب إليه لو قلت لك بالنخل لكتبت إلى بما ذا أبدأ بالشهريز أم بالبرنى وعزله وولى محمد بن سليمان . وخطب عبد الله بن عامر مرة فأرتج عليه و كان ذلك اليوم يوم الأضحى فقال لأجمع عليكم عيا ولؤما من أخذ شاء من السوق فهى له و ثمنها على . وخطب

السفاح أول يوم صعد فيه المنبر فأرتج عليه فقام عمه داود بن علي فقال أيها الناس إن أمير المؤمنين يكره أن يتقدم قوله فيكم فعله ولأثر الأفعال أجدى عليكم من تشقيق المقال وحسبكم كتاب الله علما فيكم و ابن عم رسول الله ص خليفة عليكم . قال الشاعر [صفحه ١٧] و ماخير من لاينفع الدهر عيشه || و إن مات لم يحزن عليه أقاربه كهام على الأقصى كليل لسانه || و فى بشر الأذن حديد مخالبه . و قال أحيحة بن الجلاح والصمت أجمل بالفتى || ما لم يكن عى يشينه والقول ذو خطل إذا || ما لم يكن لب يزينه [صفحه ١٨]

٢٢٩- و من كلام له ع

رَوَى ذِعْلَبُ الْيَمَامِيِّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ قُتَيْبَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ مَالِكِ بْنِ دِحْيَةَ قَالَ كُنَّا عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع فَقَالَ وَقَدْ ذُكِرَ عِنْدَهُ اخْتِلَافُ النَّاسِ إِنَّمَا فُرِّقَ بَيْنَهُمْ مَبَادِيءُ طِينِهِمْ وَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فَلَاقَهُ مِنْ سَبِيخِ أَرْضٍ وَ عَذْبِهَا وَ حَزْنِ تُرْبِهِ وَ سَهْلِهَا فَهُمْ عَلَى حَسَبِ قُرْبِ أَرْضِهِمْ يَتَفَارِقُونَ وَ عَلَى قَدَرِ اخْتِلَافِهَا يَتَفَاوَتُونَ فَتَمَّ الرُّوَاءِ نَاقِصُ الْعَقْلِ وَ مَاذَ الْقَامَةِ قَصِيرُ الْهَمِّ وَ زَاكِي الْعَمَلِ قَبِيحُ الْمَنْظَرِ وَ قَرِيبُ الْقَعْرِ بَعِيدُ السَّبْرِ وَ مَعْرُوفُ الضَّرِيئَةِ مُنْكَرُ الْجَلِيلَةِ وَ تَائَهُ الْقَلْبُ مُتَفَرِّقُ اللَّبِّ وَ طَلِيقُ اللَّسَانِ حَدِيدُ الْجَنَانِ ذِعْلَبُ وَ أَحْمَدُ وَ عَبْدِ اللَّهِ وَ مَالِكُ رَجَالٌ مِنْ رَجَالِ الشَّيْعَةِ وَ مُحَدِّثِهِمْ وَ هَذَا الْفَصْلُ عِنْدِي لَا يَجُوزُ أَنْ يَحْمَلَ عَلَى ظَاهِرِهِ وَ مَا يَتَسَارَعُ إِلَى أَفْهَامِ الْعَامَّةِ مِنْهُ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ قَوْلَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا فَلَاقَهُ مِنْ سَبِيخِ أَرْضٍ وَ عَذْبِهَا إِمَّا أَنْ يُرِيدَ بِهِ أَنْ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ رَكْبٌ مِنْ طِينٍ وَ جَعَلَ صُورَةَ بَشَرِيَّةِ طِينِيَّةٍ بِرَأْسِ وَ بَطْنِ وَ يَدَيْنِ وَ رَجَلَيْنِ ثُمَّ نَفَخَتْ فِيهِ الرُّوحَ كَمَا فَعَلَ بِآدَمَ أَوْ يُرِيدُ بِهِ أَنْ الطِّينَ الَّذِي رَكِبَتْ مِنْهُ صُورَةُ آدَمَ فَقَطْ كَانَ مَخْتَلَطًا مِنْ سَبِيخٍ وَ عَذْبٍ فَإِنْ أُرِيدَ الْأَوَّلُ فَالْوَاقِعُ خِلَافُهُ لِأَنَّ الْبَشَرَ الَّذِينَ نَشَاهَدُهُمُ وَالَّذِينَ بَلَّغْتَنَا أَخْبَارَهُمْ لَمْ يَخْلُقُوا مِنَ الطِّينِ كَمَا خَلَقَ آدَمَ وَإِنَّمَا خَلَقُوا مِنْ نَطْفِ آبَائِهِمْ وَ لَيْسَ لِقَائِلُ أَنْ يَقُولَ لَعَلَّ تِلْكَ النُّطْفَ [صفحه ١٩] افترقت لأنها تولدت من أغذية مختلفة المنبت من العذوبة والملوحة و ذلك لأن النطفة لاتتولد من غذاء بعينه بل من مجموع الأغذية و تلك الأغذية لايمكن أن تكون كلها من أرض سبخة محضه في السبخية لأن هذا من الاتفاقات التي يعلم عدم وقوعها كما يعلم أنه لايجوز أن يتفق أن يكون أهل بغداد في وقت بعينه على كثرتهم لاياً كلون ذلك اليوم إلاالسكباخ خاصة و أيضاً فإن الأرض السبخة أو التي الغالب عليها السبخية لاتنبت الأقوات أصلاً و إن أريد الثاني و هو أن يكون طين آدم ع مختلطاً في جوهره مختلفاً في طباعه فلم كان زيد الأحمق يتولد من الجزء السبخى وعمرو العاقل يتولد من الجزء العذبي وكيف يؤثر اختلاف طين آدم من ستة آلاف سنة في أقوام يتوالدون الآن . و الذى أراه أن لكلامه ع تأويلاً باطناً و هو أن يريد به اختلاف النفوس المدبرة للأبدان وكنى عنها بقوله مبادئ طينهم و ذلك أنها لما كانت الماسكة للبدن من الانحلال العاصم له من تفرق العناصر صارت كالمبداً و كالعلة له من حيث إنها كانت علة في بقاء امتزاجه واختلاط عناصره بعضها ببعض ولذلك إذافارت عندالموت افترقت العناصر وانحلت الأجزاء فرجع اللطيف منها إلى الهواء والكثيف إلى الأرض . و قوله كانوا فلاقه من سبخ أرض وعذبها وحزن تربة وسهلها تفسيره أن البارئ جل جلاله لماخلق النفوس خلقها مختلفة في ماهيتها فمنها الزكية ومنها الخبيثة ومنها العفيفة ومنها الفاجرة ومنها القوية ومنها الضعيفة ومنها الجريئة المقدمة ومنها الفشلة الذليلة إلى غير ذلك من أخلاق النفوس المختلفة المتضادة . ثم فسرع وعلل تساوى قوم في الأخلاق وتفاوت آخرين فيها فقال [صفحه ٢٠] إن نفس زيد قد تكون مشابهة أوقريبة من المشابهة لنفس عمرو فإذاهما في الأخلاق متساويتان أو متقاربتان ونفس خالد قد تكون مضادة لنفس بكر أوقريبة من المضادة فإذاهما في الأخلاق متباينتان أوقريبتان من المباينة . والقول باختلاف النفوس في ماهياتها هو مذهب أفلاطون وقد اتبعه عليه جماعة من أعيان الحكماء وقال به كثير من مثبتي النفوس من متكلمي الإسلام . و أما أرسطو وأتباعه

فإنهم لا يذهبون إلى اختلاف النفوس في ماهيتها والقول الأول عندى أمثل . ثم بين ع اختلاف آحاد الناس فقال منهم من هو تام الرواء لكنه ناقص العقل والرواء بالهمز والمد المنظر الجميل و من أمثال العرب ترى الفتیان كالنخل و ما يدريك ما الدخل . و قال الشاعر عقله عقل طائر || و هو فى خلقه الجملى . و قال أبو الطيب و ما الحسن فى وجه الفتى شرف له || إذا لم يكن فى فعله والخلاق . و قال الآخر و ما ينفع الفتیان حسن وجوههم || إذا كانت الأخلاق غير حسان فلا يغررنك المرء راق رواؤه || فما كل مصقول الغرار يمانى . [صفحہ ۲۱] و من شعر الحماسه لقومى أرعى للعلا من عصابه || من الناس يا حار بن عمرو تسودها وأنتم سماء يعجب الناس رزها || بأبدء تنحى شديد ويدها تقطع أطناب البيوت بحاصب || وأكذب شىء برقها و رعوها فويل أمها خيلا بهاء وشاره || إذا لقت الأعداء لو لاصدودها . و منه أيضا وكاثر بسعد إن سعدا كثيرة || ولا ترج من سعد وفاء و لانصرا يروعك من سعد بن زيد جسمها || وتزهدها حين تقتلها خيرا قوله ع و ماد القامه قصير الهمه قريب من المعنى الأول إلا أنه خالف بين الألفاظ فجعل الناقص بإزاء التام والقصير بإزاء الماد ويمكن أن يجعل المعنيان مختلفين و ذلك لأنه قد يكون الإنسان تام العقل إلا- أن همته قصيرة و قدرأينا كثيرا من الناس كذلك فإذن هذا قسم آخر من الاختلاف غير الأول . قوله ع و زاكى العمل قبيح المنظر يريد بزكاء أعماله حسننها وطهارتها فيكون قد أوقع الحسن بإزاء القبيح و هذا القسم موجود فاش بين الناس . قوله و قريب القعر بعيد السبر أى قد يكون الإنسان قصير القامه و هو مع ذلك داهيه باقعه والمراد بقرب قعره تقارب ما بين طرفيه فليست بطنه بمديده [صفحہ ۲۲] و لامستطيله و إذا سبرته و اختبرت ما عنده و جدته لبيبا فطنا لا يوقف على أسرارها و لا يدرك باطنها و من هذا المعنى قول الشاعر ترى الرجل النحيف فتزديه || و فى أثوابه أسد مزيرو يعجبك الطير فتبليه || فيخلف ظنك الرجل الطير . و قيل لبعض الحكماء ما بال القصار من الناس أدهى و أحذق قال لقرب قلوبهم من أدمغتهم . و من شعر الحماسه إلا- يكن عظمى طويلا- فإننى || له بالخصال الصالحات و صول و لاخير فى حسن الجسم و طولها || إذا لم تزن حسن الجسم عقول . و من شعر الحماسه أيضا و هو تمام البيتين المقدم ذكرهما فما عظم الرجال لهم بفخر || ولكن فخرهم كرم و خير ضعاف الطير أطولها جسوما || و لم تطل البزاه و لا الصقور بغاث الطير أكثرها فراخا || وأم الصقر مقلات نزور لقد عظم البعير بغير لب || فلم يستغن بالعظم البعير . قوله ع و معروف الضريبه منكر الجليبه الجليبه هى الخلق الذى [صفحہ ۲۳] يتكلفه الإنسان ويستجلبه مثل أن يكون جبانا بالطبع فيتكلف الشجاعه أو شحيحا بالطبع فيتكلف الجود و هذا القسم أيضا عام فى الناس . ثم لما فرغ من الأخلاق المتضاده ذكر بعدها ذوى الأخلاق والطباع المتناسبه المتلائمه فقال و تائه القلب متفرق اللب و هذان الوصفان متناسبان لا متضادان . ثم قال و طليق اللسان حديد الجنان و هذان الوصفان أيضا متناسبان وهما متضادان للوصفين قبلهما فالأولان ذم والآخرا مدح [صفحہ ۲۴]

۲۳۰- و من كلام له ع

إشارة

قَالَ وَ هُوَ يَلِي غُسْلَ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ تَجْهِيْزُهُ بِأَبِي أَنْتَ وَ أُمَّيْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ التَّبَوُّةِ وَ الْإِنْبَاءِ وَ أَخْبَارِ السَّمَاءِ خَصَّصْتَ حَتَّى صِرْتَ مُسَلِّياً عَمَّنْ سِوَاكَ وَ عَمَّمْتَ حَتَّى صَارَ النَّاسُ فِيكَ سِوَاءً وَ لَوْ لَا أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ وَ نَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ لَأَنْفَدْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّبُونِ وَ لَكَانَ الدَّاءُ مُمَاطِلاً وَ الْكَمْدُ مُحَالِفاً وَ قَلَّا لَكَ وَ لَكِنَّهُ مَا لَا يُمْلِكُ رَدَّهُ وَ لَا يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ بِأَبِي أَنْتَ وَ أُمَّيْ اذْكُرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ وَ اجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ بِأَبِي أَنْتَ وَ أُمَّيْ أَى بِأَبِي أَنْتَ مَفْدَى وَأُمَّيْ . وَالْإِنْبَاءُ الْإِخْبَارُ

مصدر أنبأ ينبئ وروى والأنباء بفتح الهمزة جمع نبأ وهو الخبر وأخبار السماء الوحى. قوله ع خصصت وعمت أى خصت مصيبتك أهل بيتك حتى أنهم لا يكثرثون بما يصيبهم بعدك من المصائب ولا بما أصابهم من قبل وعمت هذه [صفحة ٢٥] المصيبة أيضا الناس حتى استوى الخلائق كلهم فيها فهى مصيبة خاصة بالنسبة وعمامة بالنسبة. ومثل قوله حتى صرت مسلما عمن سواك قول الشاعر رزنا أبا عمر ولاحى مثله || فله در الحادثات بمن تقع فإن تك قد فارقتنا وتركتنا || ذوى خلء ما فى انسداد لها طمع لقد جر نفعنا فقدنا لك أننا || أمنا على كل الرزايا من الجزع. وقال آخر أقول للموت حين نازله || والموت مقدامة على البهم أظفر بمن شئت إذ ظفرت به || ما بعد يحيى للموت من ألم. ولى فى هذا المعنى كتبه إلى صديق غاب عنى من جملة أبيات وقد كنت أخشى من خطوب غوائل || فلما نأى عنى أمنت من الحذر فأعجب لجسم عاش بعد حياته || وأعجب لنفع حاصل جره ضرر. وقال إسحاق بن خلف يرثى بنتا له أمست أميمة معمورا بها الرجم || لقا صعيد عليها الترب مرتكم ياشقة النفس إن النفس والهة || حرى عليك وإن الدمع منسجم قد كنت أخشى عليها أن تقدمنى || إلى الحمام فيبدي وجهها العدم فالآن نمت فلاهم يؤرقنى || تهذا العيون إذا ما أودت الحرم [صفحة ٢٦] للموت عندى أيا د لست أكفرها || أحيا سرورا وبى مما أتى ألم. وقال آخر فلو أنها إحدى رزيتها || ولكن يدي بانت على إثرها يدي فآليت لا آسى على إثر هالكك || قدى الآن من حزن على هالكك قدى. وقال آخر أجارى ما أزداد إلا صابا || عليك و ما تزداد إلا تائيا أجارى لونسف فدت نفس ميت || فديتك مسرورا بنفسى وماليا وقد كنت أرجو أن أملاك حقة || فحال قضاء الله دون رجائيا ألا فليمت من شاء بعدك إنما || عليك من الأقدار كان حذاريا. وقال آخر لتغد المنايا حيث شاءت فإنها || محللة بعد الفتى ابن عقيل فتى كان مولاه يحل بنجوة || فحل الموالى بعده بمسيل. قوله ع ولكان الداء مما طالا أى مما طالا بالبرء أى لا يجيب إلى الإقلاع. والإبلال الإفاقة [صفحة ٢٧]

ذكر طرف من سيرة النبي ع

عند موته فأما وفاة رسول الله ص و ما ذكره أرباب السيرة فيها فقد ذكرنا طرفا منه فيما تقدم ونذكر هاهنا طرفا آخر مما أورده أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى تاريخه. قال أبو جعفر روى أبو مويهبة مولى رسول الله ص قال أرسل إلى رسول الله ص فى جوف الليل فقال يا أبامويهبة إنى قد أمرت أن أستغفر لأهل البقيع فانطلق معى فانطلقت معه فلما وقف بين أظهرهم قال السلام عليكم يا أهل المقابر ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها الآخرة شر من الأولى ثم أقبل على فقال يا أبامويهبة إنى قد أوهبت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها والجنة فخيرت بينها وبين الجنة فاخترت الجنة فقلت بأبى أنت وأمى فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها والجنة جميعا فقال لا يا أبامويهبة اخترت لقاء ربى ثم استغفر لأهل البقيع وانصرف فبدأ بوجهه الذى قبضه الله فيه -رواية ١-٢-رواية ٥٧-٦٦٣ روى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة قالت رجع رسول الله ص تلك الليلة من البقيع فوجدنى وأنا أجد صداعا فى رأسى وأقول وا رأساه فقال بل أناوا رأساه ثم قال ماضرك لومت قبلى فقممت عليك فكففتك وصليت عليك ودفنتك فقلت والله لكأنى -رواية ١-٢-رواية ٨٩-أداه دارد [صفحة ٢٨] بك لو كان ذلك رجعت إلى منزلى فأعرست ببعض نسائك فتبسم ع وتنام به ووجهه وهو مع ذلك يدور على نسائه حتى استعز به وهو فى بيت ميمونة فدعا نساءه فاستأذنهن أن يمرض فى بيتى فأذن له فخرج بين رجلين من أهله أحدهما الفضل بن العباس ورجل آخر تخط قدماه فى الأرض عاصبا رأسه حتى دخل بيته قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة فحدثت عبد الله بن العباس بهذا الحديث فقال أتدرى من الرجل الآخر قلت لا قال على بن أبى

طالب لكنها كانت لا تقدر أن تذكره بخير وهي تستطيع قالت ثم غمر رسول الله ص واشتد به الوجع فقال أهريقوا على سبع قرب من آبار شتى حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم قالت فأقعدته في مخضب لحفصه بنت عمر وصبنا عليه الماء حتى طفق يقول بيده حسبكم حسبكم -رواية- از قبل -٧٠٠- روى عطاء عن الفضل بن عباس رحمه الله قال جاءني رسول الله ص حين بدأ به مرضه فقال اخرج فخرجت إليه فوجدته موعوكا قد عصب رأسه فقال خذ بيدي فأخذت بيده حتى جلس على المنبر ثم قال ناد في الناس فصحت فيهم فاجتمعوا إليه فقال أيها الناس إنى أحمد إليكم الله إنه قد دنا منى حقوق من بين أظهركم فمن كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهري فليستقد منه و من كنت شتمت له عرضا فهذا عرضي فليستقد منه و من كنت أخذت له مالا فهذا مالى فليأخذ منه ولا يقل رجل إنى أخاف الشحناء من قبل رسول الله ألا و إن الشحناء ليست من طبعتى ولا من شأنى ألا و إن أحبكم إلى من أخذ منى حقا -رواية- ١-٢-رواية- ٤٨-إدومه دارد [صفحة ٢٩] إن كان له أو حللنى فلقيت الله و أنا طيب النفس و قد أرانى أن هذا غيرمغن عنى حتى أقوم فيكم به مرارا ثم نزل فضلى الظهر ثم رجع فجلس على المنبر فعاد لمقالته الأولى فى الشحناء وغيرها فقام رجل فقال يا رسول الله إن لى عندك ثلاثة دراهم فقال إنا لانكذب قائلنا ولا نستحلفه على يمين فيم كانت لك عندى قال أتذكر يا رسول الله يوم مر بك المسكين فأمرتنى فأعطيته ثلاثة دراهم قال أعطه يا فضل فأمرته فجلس ثم قال أيها الناس من كان عنده شىء فليؤده و لا يقل فضوح الدنيا فإن فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة فقام رجل فقال يا رسول الله عندى ثلاثة دراهم غللتها فى سبيل الله قال و لم غللتها قال كنت محتاجا إليها قال خذها منه يا فضل ثم قال أيها الناس من خشى من نفسه شيئا فليقيم أذعوه له فقام رجل فقال يا رسول الله إنى لكذاب وإنى لفاحش وإنى لثوم فقال اللهم ارزقه صدقا وصلاحا وأذهب عنه النوم إذا أراد ثم قام رجل فقال يا رسول الله إنى لكذاب وإنى لمنافق و ما شىء أو قال و إن من شىء إلا و قد جئته فقام عمر بن الخطاب فقال فضحت نفسك أيها الرجل فقال النبى ص يا ابن الخطاب فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة اللهم ارزقه صدقا وإيمانا و صير أمره إلى خير -رواية- از قبل -١١١٥- روى عبد الله بن مسعود قال نعى إلينا نبينا وحبينا نفسه قبل موته بشهر جمعنا فى بيت أمانا عائشة فنظر إلينا وشدت ودمعت عينه و قال مرحبا بكم حياكم الله رحمكم الله آواكم الله حفظكم الله رفعكم الله نفعكم الله -رواية- ١-٢-رواية- ٣١-إدومه دارد [صفحة ٣٠] وفقكم الله رزقكم الله هداكم الله نصركم الله سلمكم الله تقبلكم الله أوصيكم بتقوى الله وأوصى الله بكم واستخلفه عليكم إنى لكم منه نذير وبشير ألا تعلموا على الله فى عباده وبلادده فإنه قال لى ولكم تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا و العاقبة للمتقين قلنا يا رسول الله فمتى أجلك قال قد دنا الفراق والمنقلب إلى الله و إلى سدره المنتهى والرفيق الأعلى و جنة المأوى والعيش المهنا قلنا فمن يغسلك يا رسول الله قال أهلى الأذى فالأذى قلنا ففيم نكفئك قال فى ثيابى هذه إن شئت أو فى بياض مصر أو حلة يمنية قلنا فمن يصلى عليك فقال إذا غسلتمونى و كفتتمونى فضعنونى على سريرى فى بيتى هذا على شفير قبرى ثم اخرجوا عنى ساعة فإن أول من يصلى على جليسى وحبيبى وخليلى جبرائيل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت مع جنوده من الملائكة ثم ادخلوا على فوجا فوصلوا على وسلموا و لا تؤذونى بتركية و لا ضجة و لارنه وليبدأ بالصلاة على رجال أهل بيتى ثم نساؤهم ثم أنتم بعد و أقرءوا أنفسكم منى السلام و من غاب من أهلى فأقرءوه منى السلام و من تابعكم بعدى على دينى فأقرءوه منى السلام فإنى أشهدكم أنى قد سلمت على من بايعنى على دينى من اليوم إلى يوم القيامة قلنا فمن يدخلك قبرك يا رسول الله قال أهلى مع ملائكة كثيرة يرونكم و لا ترونهم -رواية- از قبل -١٢٥٧- قلت العجب لهم كيف لم يقولوا له فى تلك الساعة فمن يلى أمورنا بعدك لأن ولاية الأمر أهم من السؤال عن الدفن و عن كيفية الصلاة عليه و ما أعلم ما أقول فى هذا المقام قال أبو جعفر الطبرى و روى سعيد بن جبیر قال كان ابن عباس رحمه الله يقول -رواية- ١-٢-رواية- ٨١-إدومه دارد [صفحة ٣١] يوم الخميس و ما يوم الخميس ثم يبكى حتى تبل دموعه الحصباء فقلنا له و ما يوم الخميس قال يوم اشتد برسول الله ص وجعه فقال

اثتوني باللوح والدواة أو قال بالكنف والدواة أكتب لكم ما لاتصلون بعدى فتنازعوا فقال اخرجوا ولا ينبغي عندنبي أن يتنازع قالوا ماشأنه أهجر استفهموه فذهبوا يعيدون عليه فقال دعوني فما أنا فيه خير مما تدعونني إليه ثم أوصى بثلاث قال أخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو مما كنت أجيزهم وسكت عن الثالثة عمدا أو قالها ونسيتها -رواية- از قبل- ٤٨٣ روى أبو جعفر عن ابن عباس قال خرج على بن أبي طالب ع من عند رسول الله ص فى وجعه الذى توفى فيه فقال له الناس يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله ص قال أصبح بحمد الله بارئاً فأخذ العباس بيده و قال ألا ترى أنك بعد ثلاث عبدالعصا إني لأعرف الموت فى وجوه بنى عبدالمطلب فاذهب إلى رسول الله ص فسله فيمن يكن هذا الأمر فإن كان فينا علمنا ذلك و إن كان فى غيرنا وصى بنا فقال على أخشى أن أسأله فيمنعناها فلا يعطيناها الناس أبدا -رواية- ١-٢-رواية- ٣٥-٤٥٩ روت عائشة قالت أغمى على رسول الله ص والدار مملوءة من النساء أم سلمة وميمونة وأسماء بنت عميس وعندنا عمه العباس بن عبدالمطلب فأجمعوا على أن يلدوه فقال العباس لألده فلدوه فلما أفاق قال من صنع بى هذا قالوا عمك قال لنا هذا دواء جاءنا من نحو هذه الأرض وأشار إلى أرض الحبشة قال فلم فلعلم ذلك فقال العباس خشينا يا رسول الله أن يكون بك ذات الجنب فقال إن ذلك -رواية- ١-٢-رواية- ١٩-ادامه دارد [صفحہ ٣٢] لداء ما كان الله ليقذفنى به لا يبقى أحد فى البيت إلا لد الإعصى قال فلقد لدت ميمونة وإنها لصائمة لقسم رسول الله ص عقوبة لهم بما صنعوا -رواية- از قبل- ١٤٤ قال أبو جعفر و قدوردت رواية أخرى عن عائشة قالت لدنا رسول الله ص فى مرضه فقال لاتلدونى فقلنا كراهية المريض للدواء فلما أفاق قال لا يبقى أحد إلا لد غير العباس عمى فإنه لم يشهدكم -رواية- ١-٢-رواية- ٥٤-١٩٥ . قال أبو جعفر و الذى تولى اللدود بيده أسماء بنت عميس . قلت العجب من تناقض هذه الروايات فى إحداها أن العباس لم يشهد اللدود فلذلك أعفاه رسول الله ص من أن يلد ولد من كان حاضرا و فى إحداها أن العباس حضر لده ع و فى هذه الرواية التى تتضمن حضور العباس فى لده كلام مختلف فيها أن العباس قال لألده ثم قال فلد فأفاق فقال من صنع بى هذا قالوا عمك إنه قال هذا دواء جاءنا من أرض الحبشة لذات الجنب فكيف يقول لألده ثم يكون هو الذى أشار بأن يلد و قال هذا دواء جاءنا من أرض الحبشة لكذا. وسألت النقيب أبا جعفر يحيى بن أبى زيد البصرى عن حديث اللدود فقلت ألد على بن أبى طالب ذلك اليوم فقال معاذ الله لو كان لد لذكرت عائشة ذلك فيما تذكره وتنعاه عليه قال و قد كانت فاطمة حاضرة فى الدار وابناها معها أفترها لدت أيضا ولد الحسن و الحسين كلا و هذا أمر لم يكن وإنما هو حديث ولده من ولده تقربا إلى بعض الناس و الذى كان أن أسماء بنت عميس أشارت بأن يلد وقالت هذا دواء جاءنا من أرض الحبشة جاء به جعفر بن أبى طالب و كان بعلمها [صفحہ ٣٣] وساعدتها على تصويب ذلك والإشارة به ميمونة بنت الحارث فلد رسول الله ص فلما أفاق أنكره وسأل عنه فذكر له كلام أسماء وموافق ميمونة لها فأمر أن تلد الامراتان لا غير فلدتا و لم يجر غير ذلك والباطل لا يكاد يخفى على مستبصر. و روت عائشة قالت كثيرا ما كنت أسمع رسول الله يقول إن الله لم يقبض نبيا حتى يخيره فلما احتضر رسول الله ص كان آخر كلمة سمعتها منه بل الرفيق الأعلى فقلت إذا و الله لا يختارنا وعلمت أن ذلك ما كان يقوله من قبل -رواية- ١-٢-رواية- ١٩-٢٢٧ روى الأرقم بن شرحبيل قال سألت ابن عباس رحمه الله هل أوصى رسول الله ص فقال لا- قلت فكيف كان فقال إن رسول الله ص قال فى مرضه ابعثوا إلى على فادعوه فقالت عائشة لوبعثت إلى أبى بكر وقالت حفصة لوبعثت إلى عمر فاجتمعوا عنده جميعا هكذا لفظ الخبر على ما أورده الطبرى فى التاريخ و لم يقل فبعث رسول الله ص إليهما قال ابن عباس فقال رسول الله ص انصرفوا فإن تكن لى حاجة أبعث إليكم فانصرفوا وقيل لرسول الله الصلاة فقال مروا أبابكر أن يصلى بالناس فقالت عائشة إن أبابكر رجل رقيق فمر عمر فقال مروا عمر فقال عمر ما كنت لأتقدم و أبوبكر شاهد فتقدم أبوبكر فوجد رسول الله ص خفه فخرج فلما سمع أبوبكر حركته تأخر ف جذب رسول الله ص ثوبه فأقامه مكانه وقعد رسول الله ص فقرأ من حيث انتهى أبوبكر -رواية- ١-٢-رواية- ٣١-٧٣٣ . قلت عندى فى هذه الواقعة كلام

ويعترضنى فيهاشكوك واشتباہ إذا كان قد [صفحہ ۳۴] أراد أن يبعث إلى على ليوصى إليه فنفست عائشة عليه فسألت أن يحضر أبوها ونفست حفصه عليه فسألت أن يحضر أبوها ثم حضرا و لم يطلبوا فلاشبهه أن ابنتيهما طلبتاها هذا هو الظاهر وقول رسول الله ص وقد اجتمعوا كلهم عنده انصرفوا فإن تكن لى حاجه بعثت إليكم قول من عنده ضجر وغضب باطن لحضورهما وتهمه للنساء فى استدعائهما فكيف يطابق هذا الفعل وهذا القول ماروى من أن عائشة قالت لماعين على أيها فى الصلاة أن أبى رجل رقيق فمر عمر وأين ذلك الحرص من هذا الاستعفاء والاستقالة وهذا يوهم صحه ماتقوله الشيعة من أن صلاة أبى بكر كانت عن أمر عائشة وإن كنت لأقول بذلك ولا أذهب إليه إلا أن تأمل هذا الخبر ولمح مضمونه يوهم ذلك فلعل هذا الخبر غير صحيح وأيضا فى الخبر ما لا يجيزه أهل العدل وهو أن يقول مروا أبابكر ثم يقول عقبيه مروا عمر لأن هذا نسخ الشىء قبل تقضى وقت فعله . فإن قلت قدمضى من الزمان مقدار ما يمكن الحاضرين فيه أن يأمرؤا أبابكر وليس فى الخبر إلا أنه أمرهم أن يأمرؤه ويكفى فى صحه ذلك مضى زمان يسير جدا يمكن فيه أن يقال يا أبابكر صل بالناس قلت الإشكال مانشأ من هذا الأمر بل من كون أبى بكر مأمورا بالصلاة وإن كان بواسطة ثم نسخ عنه الأمر بالصلاة قبل مضى وقت يمكن فيه أن يفعل الصلاة فإن قلت لم قلت فى صدر كلامك هذا إنه أراد أن يبعث إلى على ليوصى إليه و لم لا يجوز أن يكون بعث إليه لحاجه له قلت لأن مخرج كلام ابن عباس هذا المخرج ألا ترى أن الأرقم بن شرحبيل الراوى لهذا الخبر قال سألت ابن عباس هل أوصى رسول الله ص فقال لا فقلت فكيف كان فقال إن رسول الله ص قال فى مرضه [صفحہ ۳۵] ابعثوا إلى على فادعوه فسألته المرأة أن يبعث إلى أبيها وسألته الأخرى أن يبعث إلى أبيها فلو لا أن ابن عباس فهم من قوله ص ابعثوا إلى على فادعوه أنه يريد الوصيه إليه لما كان لإخبار الأرقم بذلك متصلا بسؤاله عن الوصيه معنى و روى القاسم بن محمد بن أبى بكر عن عائشة قالت رأيت رسول الله ص يموت وعنده قدح فيه ماء يدخل يده فى القدح ثم يمسح وجهه بالماء ويقول اللهم أعنى على سكره الموت -روايت- ۱- ۲-روايت- ۵۱-۱۷۶ روى عروه عن عائشة قالت اضطلع رسول الله ص يوم موته فى حجرى فدخل على رجل من آل أبى بكر فى يده مسواك أخضر فنظر رسول الله ص إليه نظرا عرفت أنه يريد فقلت له أتحب أن أعطيك هذا المسواك قال نعم فأخذته فمضغته حتى ألتته ثم أعطيته إياه فاستن به كأشد ما رأيت يستن بسواك قبله ثم وضعه ووجدت رسول الله ص يثقل فى حجرى فذهبت أنظر فى وجهه فإذا بصره قد شخص وهو يقول بل الرفيق الأعلى من الجنة فقلت لقد خيرت فاخترت و الذى بعثك بالحق وقبض رسول الله ص -روايت- ۱- ۲-روايت- ۲۷-۴۸۷ . قال الطبرى وقد وقع الاتفاق على أنه كان يوم الإثنين من شهر ربيع الأول واختلف فى أى الأثنين كان فقيل لليلتين خلتا من الشهر وقيل لاثنتى عشرة خلتا من الشهر واختلف فى تجهيزه أى يوم كان فقيل يوم الثلاثاء الغد من وفاته وقيل إنما دفن بعد وفاته بثلاثة أيام اشتغل القوم عنه بأمر البيعة. و قد روى الطبرى ما يدل على ذلك عن زياد بن كليب عن ابراهيم النخعى أن [صفحہ ۳۶] أبابكر جاء بعد ثلاث إلى رسول الله ص وقد أربد بطنه فكشف عن وجهه وقبل عينيه وقال بأبى أنت وأمى طبت حيا وطبت ميتا قلت وأنا أعجب من هذا أن أبابكر ومن معه اشتغلوا بأمر البيعة فعلى بن أبى طالب والعباس وأهل البيت بماذا اشتغلوا حتى يبقى النبى ص مسجى بينهم ثلاثة أيام بلياليهن لا يغسلونه ولا يمسونه . فإن قلت الروايه التى رواها الطبرى فى حديث الأيام الثلاثة إنما كانت قبل البيعة لأن لفظ الخبر عن ابراهيم و أنه لما قبض النبى ص كان أبوبكر غائبا فجاء بعد ثلاث ولم يتجرأ أحد أن يكشف عن وجهه حتى أربد بطنه فكشف عن وجهه وقبل عينيه وقال بأبى أنت وأمى طبت حيا وطبت ميتا ثم خرج إلى الناس فقال من كان يعبد محمدا فإن محمدا قدمات الحديث بطوله قلت لعمرى إن الروايه هكذا أوردها ولكنها مستحيله لأن أبابكر فارق رسول الله ص وهو حى ومضى إلى منزله بالسنع فى يوم الإثنين وهو اليوم الذى مات فيه رسول الله ص لأنه رآه بارئا صالح الحال هكذا روى الطبرى فى كتابه و بين السنع و بين المدينة نصف فرسخ بل هو طائفه من المدينة فكيف يبقى رسول الله ص ميتا يوم الإثنين و يوم

الثلاثاء و يوم الأربعاء لا يعلم به أبوبكر وبينهما غلوة ثلاثة أسهم وكيف يبقى طريقا بين أهله ثلاثة أيام لا يجترئ أحد منهم أن يكشف عن وجهه وفيهم على بن أبي طالب و هوروحه بين جنيبه والعباس عمه القائم مقام أبيه وابنا فاطمة وهما كولديه وفيهم فاطمة بضعة منه أفما كان في هؤلاء من يكشف عن وجهه ولا من يفكر في جهازه ولا من يأنف له من [صفحة ٣٧] انتفاخ بطنه واخضرارها وينتظر بذلك حضور أبي بكر ليكشف عن وجهه أنا لأصدق ذلك ولا يسكن قلبي إليه والصحيح أن دخول أبي بكر إليه وكشفه عن وجهه وقوله ما قال إنما كان بعد الفراغ من البيعة وأنهم كانوا مشتغلين بها كما ذكر في الرواية الأخرى .

وبقى الإشكال في قعود على ع عن تجهيزه إذا كان أولئك مشتغلين بالبيعة فما ألقى شغله هو فأقول يغلب على ظني إن صح ذلك أن يكون قد فعله شناعة على أبي بكر وأصحابه حيث فاتته الأمر واستؤثر عليه به فأراد أن يتركه ص بحاله لا يحدث في جهازه أمرا ليثبت عند الناس أن الدنيا شغلتهم عن نبهم ثلاثة أيام حتى آل أمره إلى ماترون وقد كان ع يتطلب الحيلة في تهجين أمر أبي بكر حيث وقع في السقيفة ما وقع بكل طريق ويتعلق بأدنى سبب من أمور كان يعتمدها وأقوال كان يقولها فلعل هذا من جملة ذلك أولعله إن صح ذلك فإنما تركه ص بوصية منه إليه وسر كانا يعلمانه في ذلك . فإن قلت فلم لا يجوز أن يقال إن صح ذلك إنه آخر جهازه ليجتمع رأيه ورأى المهاجرين على كيفية غسله وتكفينه ونحو ذلك من أموره قلت لأن الرواية الأولى تبطل هذا الاحتمال وهي قوله ص لهم قبل موته يغسلني أهلي الأدنى منهم فالأدنى وأكفن في ثيابي أو في بياض مصر أو في حلة يمنية -رواية ١-٢-رواية ٢٧-١١٣ . قال أبو جعفر فأما الذين تولوا غسله فعلى بن أبي طالب والعباس بن عبدالمطلب والفضل بن العباس وقثم بن العباس وأسامة بن زيد وشقران مولى رسول الله ص [صفحة ٣٨] وحضر أوس بن خولى أحد الخزرج فقال لعلى بن أبي طالب أنشدك الله يا على وحظنا من رسول الله و كان أوس من أصحاب بدر فقال له ادخل فدخل فحضر غسله ع وصب الماء عليه أسامة وشقران و كان على ع يغسله وقد أسنده إلى صدره و عليه قميصه يدلكه من ورائه لا يفضى بيده إلى بدن رسول الله ص و كان العباس وابناه الفضل وقثم يساعدونه على قلبه من جانب إلى جانب . قال أبو جعفر وروت عائشة أنهم اختلفوا في غسله هل يجرد أم لا فألقى الله عليهم السنة حتى مامنهم رجل إلا - وذقنه على صدره ثم كلمهم متكلم من ناحية البيت لا يدرى من هو غسلوا النبي و عليه ثيابه فقاموا إليه فغسلوه و عليه قميصه فكانت عائشة تقول لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما غسله إلا نساؤه . قلت حضرت عند محمد بن معد العلوى في داره ببغداد وعنده حسن بن معالى الحلبي المعروف بابن الباقلوى وهما يقرءان هذا الخبر وهذه الأحاديث من تاريخ الطبرى فقال محمد بن معد لحسن بن معالى ماتراها قصدت بهذا القول قال حسدت أباك على ما كان يفتخر به من غسل رسول الله ص فضحك محمد فقال هبها استطاعت أن تراحمه في الغسل هل تستطيع أن تراحمه في غيره من خصائصه . قال أبو جعفر الطبرى ثم كفن ص في ثلاثة أثواب ثوبين صحاريين وبرد حبرة أدرج فيها إدراجا ولحد له على عادة أهل المدينة فلما فرغوا منه وضعوه على سريره . [صفحة ٣٩] واختلفوا في دفنه فقال قائل ندفنه في مسجده و قال قائل ندفنه في البقيع مع أصحابه و قال أبوبكر سمعت رسول الله ص يقول ما قبض نبي إلا ودفن حيث قبض -رواية ١-٢-رواية ٤٢-٧٥ فرجع فراش رسول الله الذى توفى فيه فحفر له تحته . قلت كيف اختلفوا في موضع دفنه و قد قال لهم فضعونى على سريري فى بيتى هذا على شفير قبرى -رواية ١-٢-رواية ١٥-٦٢ و هذا تصريح بأنه يدفن فى البيت الذى جمعهم فيه و هوبيت عائشة فإما أن يكون ذلك الخبر غير صحيح أو يكون الحديث الذى تضمن أنهم اختلفوا فى موضع دفنه و أن أبابكر روى لهم أنه قال الأنبياء يدفنون حيث يموتون غير صحيح لأن الجمع بين هذين الخبرين لا يمكن . وأيضا فهذا الخبر يناهى ماورد فى موت جماعة من الأنبياء نقلوا من موضع موتهم إلى مواضع آخر و قد ذكر الطبرى بعضهم فى أخبار أنبياء بنى إسرائيل . وأيضا فلو صح هذا الخبر لم يكن مقتضيا إيجاب دفن النبي ص حيث قبض لأنه ليس بأمر بل هو إخبار محض اللهم إلا أن يكونوا فهموا من مخرج لفظه ع و من مقصده أنه أراد الوصية لهم بذلك والأمر بدفنه

حيث يقبض . قال أبو جعفر ثم دخل الناس فصلوا عليه أرسالا- حتى إذا فرغ الرجال أدخل النساء حتى إذا فرغ النساء أدخل الصبيان ثم أدخل العبيد و لم يؤمهم إمام ثم دفن ع وسط الليل من ليلة الأربعاء. قال أبو جعفر و قد روت عمرة بنت عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة عن عائشة قالت ما علمنا بدفن رسول الله ص حتى سمعنا صوت المساحي في جوف الليل ليلة الأربعاء - رويت- ١- ٢- رويت- ٧٩- ١٦٢. [صفحة ٤٠] قلت و هذا أيضا من العجائب لأنه إذ مات يوم الإثنين وقت ارتفاع الضحى كما ذكر في الرواية و دفن ليلة الأربعاء وسط الليل فلم يمض عليه ثلاثة أيام كما ورد في تلك الرواية. وأيضا فمن العجب كون عائشة و هو في بيتها لا تعلم بدفن حتى سمعت صوت المساحي أتراها أين كانت و قد سألت عن هذا جماعة فقالوا لعلها كانت في بيت يجاور بيتها عندها نساء كما جرت عادة أهل الميت و تكون قداعتزلت بيتها و سكنت ذلك البيت لأن بيتها مملوء بالرجال من أهل رسول الله ص و غيرهم من الصحابة و هذا قريب و يحتمل أن يكون . قال الطبري و نزل في قبر رسول الله ص على بن أبي طالب ع و الفضل بن عباس و قثم أخوه و شقران مولا هم و قال أوس بن خولى لعلي ع أنشدك الله يا على و حفظنا من رسول الله ص فقال له انزل فنزل مع القوم و أخذ شقران قطيفة كان رسول الله ص يلبسها فقذفها معه في القبر و قال لا يلبسها أحد بعده . قلت من تأمل هذه الأخبار علم أن عليا ع كان الأصل و الجملة و التفصيل في أمر رسول الله ص و جهازه ألا ترى أن أوس بن خولى لا يخاطب أحدا من الجماعة غيره و لا يسأل غيره في حضور الغسل و النزول في القبر ثم انظر إلى كرم علي ع و سجاحة أخلاقه و طهارة شيمته كيف لم يضمن بمثل هذه المقامات الشريفة عن أوس و هو رجل غريب من الأنصار فعرف له حقه و أطلبه بما طلبه فكم بين هذه السجية الشريفة و بين قول من قال لو استقبلت من أمري ما استدبرت [صفحة ٤١] ما غسل رسول الله ص إلا نساؤه و لو كان في ذلك المقام غيره من أولى الطباع الخشنه و أرباب الفظاظه و الغلظة و قد سأل أوس ذلك لزجر و انتهر و رجع خائبا. قال الطبري و كان المغيرة بن شعبة يدعى أنه أحدث الناس عهدا برسول الله ص و يقول للناس إنني أخذت خاتمي فألقيته في القبر و قلت إن خاتمي قد سقط مني و إنما طرحته عمدا لأمس رسول الله ص فأكون آخر الناس به عهدا. قال الطبري فروى عبد الله بن الحارث بن نوفل قال اعتمرت مع علي بن أبي طالب ع في زمان عمر أو عثمان فنزل على أخته أم هانئ بنت أبي طالب فلما فرغ من عمرته رجع و قد سكب له غسل فلما فرغ من غسله دخل عليه نفر من أهل العراق فقالوا يا أبا الحسن جئناك نسألك عن أمر نحب أن نخبرنا به فقال أظن المغيرة يحدثكم أنه أحدث الناس عهدا برسول الله ص قالوا أجل عن ذا جئنا نسألك قال كذب أحدث الناس عهدا برسول الله ص قثم بن العباس كان آخرنا خروجنا من قبره . قلت بحق ما عاب أصحابنا رحمهم الله المغيرة و ذموه و انتقصوه فإنه كان على طريقه غير محموده و أبى الله إلا أن يكون كاذبا على كل حال لأنه إن لم يكن أحدثهم بالنبي عهدا فقد كذب في دعواه أنه أحدثهم به عهدا و إن كان أحدثهم به عهدا كما يزعم فقد اعترف بأنه كذب في قوله لهم سقط خاتمي مني و إنما ألقاه عمدا و أين المغيرة و رسول الله ص ليدعى القرب منه و أنه أحدث الناس عهدا به [صفحة ٤٢] و قد علم الله تعالى و المسلمون أنه لو لا الحدث الذي أحدث و القوم الذين صحبهم فقتلهم غدرا و اتخذ أموالهم ثم التجأ إلى رسول الله ص ليعصمه لم يسلم و لا وطئ حصا المدينة. قال الطبري و قد اختلف في سن رسول الله ص فالأكثر أن كان ابن ثلاث و ستين سنة و قال قوم ابن خمس و ستين سنة و قال قوم ابن ستين . فهذا ما ذكره الطبري في تاريخه . و روى محمد بن حبيب في أماليه قال تولى غسل النبي ص علي ع و العباس رضي الله عنه . و كان علي ع يقول بعد ذلك ما شممت أطيب من ريحه و لا رأيت أضوأ من وجهه حينئذ و لم أره يعتاد فاه ما يعتاد أفواه الموتى - رويت- ١- ٢- رويت- ٣١- ١٢٩ قال محمد بن حبيب فلما كشف الإزار عن وجهه بعد غسله انحنى عليه فقبله مرارا و بكى طويلا و قال بأبي أنت و أمي طبت حيا و طبت ميتا انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد سواك من النبوة و الأنباء و أخبار السماء خصصت حتى صرت مسليا عن سواك و عممت حتى صارت المصيبة فيك سواء و لو لأنك أمرت بالصبر و نهيت عن الجزع لأنفدنا عليك ماء الشئون ولكن أتى ما لا يدفع أشكو إليك

كمدا وإدبارا مخالفيين وداء الفتنة فإنها قد استعرت نارها ودأوها الداء الأعظم بأبي أنت وأمي اذكرنا عند ربك واجعلنا من بالك وهمك ثم نظر إلى قذاة في عينه فلفظها بلسانه ثم رد الإزار على وجهه -رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-٥٧٧. [صفحة ٤٣] و قدروى كثير من الناس ندبة فاطمة ع أباه يوم موته و بعد ذلك اليوم وهى ألفاظ معدودة مشهورة منها يا أبتاه جنه الخلد مثواه يا أبتاه عند ذى العرش مأواه يا أبتاه كان جبرئيل يغشاه يا أبتاه لست بعد اليوم أراه -رواية- ١-١١٦. و من الناس من يذكر أنها كانت تشوب هذه الندبة بنوع من التظلم والتألم لأمر يغلبها والله أعلم بصحة ذلك والشيعة تروى أن قوما من الصحابة أنكروا بكاءها الطويل ونهوها عنه وأمرها بالتنحي عن مجاورة المسجد إلى طرف من أطراف المدينة. و أنا أستبعد ذلك والحديث يدخله الزيادة والنقصان ويتطرق إليه التحريف والافتعال ولا أقول أنا فى أعلام المهاجرين إلا خيرا [صفحة ٤٤]

٢٣١- ومن خطبة له ع

إشارة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُدْرِكُهُ السَّوَاهِدُ وَلَا تَحْوِيهِ الْمَشَاهِدُ وَلَا تَرَاهُ النَّوَظِرُ وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ الدَّالُّ عَلَى قِدَمِهِ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ وَ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ عَلَى وُجُودِهِ وَ بِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ الَّذِي صَدَقَ فِي مِيعَادِهِ وَ ارْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ وَ قَامَ بِالْقِسْطِ فِي خَلْقِهِ وَ عَدَلَ عَلَيْهِمْ فِي حُكْمِهِ مُسْتَشْهِدٌ بِحُدُوثِ الْأَشْيَاءِ عَلَى أَرْزَلِيَّتِهِ وَ بِمَا وَسَّيَمَهَا بِهِ مِنَ الْعَجْزِ عَلَى قُدْرَتِهِ وَ بِمَا اضْطَرَّهَا إِلَيْهِ مِنَ الْفَنَاءِ عَلَى دَوَامِهِ وَاحِدٌ لَمَّا بَعِيدٌ وَ دَائِمٌ لَمَّا بَائِدٌ وَ قَسَائِمٌ لَمَّا بَعِيدٌ تَلْقَاهُ الْأَذْهَانُ لَا بِمُشَاعَرَةٍ وَ تَشْهَدُ لَهُ الْمَرَائِي لَمَّا بِمُحَاضِرَةٍ لَمْ تُحِطْ بِهِ الْأَوْهَامُ بَلْ تَجَلَّى لَهَا بِهَا وَ بِهَا امْتَنَعَ مِنْهَا وَ إِلَيْهَا حَاكَمَهَا لَيْسَ بِذِي كِبَرٍ امْتَدَّتْ بِهِ النَّهَائِيَاتُ فَكَبَّرَتْهُ تَجَسِّمًا وَ لَا بِذِي عِظَمٍ تَنَاهَتْ بِهِ الْغَايَاتُ فَعَظَّمَتْهُ تَجَسِّدًا بَلْ كَبَّرَ شَأْنًا وَ عَظَّمَ سُلْطَانًا وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ الصَّفِيُّ وَ أَمِينُهُ الرِّضِيُّ صَ أَرْسَلَهُ بِوُجُوبِ الْحُجْبِ وَ ظُهُورِ الْفَلَجِ وَ إِضْوَاحِ الْمَنْهَجِ فَبَلَغَ الرِّسَالَةَ صَادِعًا بِهَا وَ حَمَلَ عَلَى الْمَحْجَبَةِ دَالًا عَلَيْهَا وَ أَقَامَ أَعْلَامَ الْاِهْتِدَاءِ وَ مَنَارَ الضِّيَاءِ وَ جَعَلَ أَمْرَاسَ الْإِسْلَامِ مَتِينَةً وَ عُرَا الْإِيمَانِ وَثِيقَةً [صفحة ٤٥] الشواهد هاهنا يريد بها الحواس و سماها شواهد إما لحضورها شهد فلان كذا أى حضره أولأنها تشهد على ماتدرکه وتثبتته عندالعقل كمايشهد الشاهد بالشىء ويثبته عندالحاكم . والمشاهد هاهنا المجالس والنوادى يقال حضرت مشهد بنى فلان أى نادىهم ومجتمعهم . ثم فسر اللفظة الأولى وأبان عن مراده بهابقوله ولا تراه النواظر وفسر اللفظة الثانية وأبان عن مرادها فقال ولا تحجبه السواتر. ثم قال الدال على قدمه بحدوث خلقه وبحدوث خلقه على وجوده هذامشكل لأن لقائل أن يقول إذادل على قدمه بحدوث خلقه فقد دخل فى جملة المدلول كونه موجودا لأن القديم هوالموجود ولم يزل فأى حاجه إلى أن يعود فيقول وبحدوث خلقه على وجوده . ولمجيب أن يجيب على طريقة شيوخنا أصحاب أبى هاشم فيقول لايلزم من الاستدلال بحدوث الأجسام على أنه لاابد من محدث قديم كونه موجودا لأن عندهم أن الذات المعدومة قدتتصف بصفات ذاتية وهى معدومة فلايلزم من كون صانع العالم عندهم عالما قادرا حيا أن يكون موجودا بل لاابد من دلالة زائدة على أن له صفة الوجود وهى والدلالة التى يذكرونها من أن كونه قادرا عالما تقتضى تعلقه بالمقدور والمعلوم و كل ذات متعلقة فإن عدمها يخرجها عن التعلق كالإرادة فلو كان تعالى معدوما لم يجز أن يكون متعلقا فحدوث الأجسام إذا قددل على أمرين من وجهين مختلفين أحدهما أنه لاابد من صانع له وهذا هوالمعنى بقدمه . [صفحة ٤٦] والثانى أن هذاالصانع له صفة لأجلها يصح على ذاته أن تكون قادرة عالمة وهذا هوالمعنى بوجوده . فإن قلت أ يقول أصحاب شيخكم أبى هاشم إن الذات المعدومة التى لأول لها تسمى قديمة قلت لا والبحث فى هذابحث فى اللفظ لا فى المعنى . والمراد بقوله

ع الدال بحدوث الأشياء على قدمه أى على كونه ذاتا لم يجعلها جاعل و ليس المراد بالقدم هاهنا الوجود لم يزل بل مجرد الذاتية لم يزل . ثم يستدل بعد ذلك بحدوث الأشياء على أن له صفة أخرى لم تزل زائدة على مجرد الذاتية وتلك الصفة هي وجوده فقد اتضح المراد الآن . فإن قلت فهل لهذا الكلام مسأغ على مذهب البغداديين قلت نعم إذا حمل على منهج التأويل بأن يريد بقوله و بحدوث خلقه على وجوده أى على صحته إيجاده له فيما بعد أى إعادته بعد العدم يوم القيامة لأنه إذا صح منه تعالى إحداثه ابتداء صح منه إيجاده ثانيا على وجه الإعادة لأن الماهية قابلة للوجود والعدم والقادر قادر لذاته فأما من روى بحدوث خلقه على وجوده فإنه قد سقطت عنه هذه الكلف كلها والمعنى على هذا ظاهر لأنه تعالى دل المكلفين بحدوث خلقه على أنه جواد منعم ومذهب أكثر المتكلمين أنه خلق العالم جودا وإنعاما وإحسانا إليهم . قوله ع وباشتباههم على أن لاشبه له هذا دليل صحيح و ذلك لأنه إذا ثبت أن جسما ما محدث ثبت أن سائر الأجسام محدثة لأن الأجسام متماثلة و كل ما صح على الشيء صح على مثله وكذلك إذا ثبت أن سوادا ما أبيضاضا ما محدث ثبت أن سائر السوادات والبياضات محدثة لأن حكم الشيء حكم مثله والسواد فى معنى [صفحة ٤٧] كونه سوادا غير مختلف وكذلك البياض فصارت الدلالة هكذا الذوات التى عندنا يشبه بعضها بعضا وهى محدثة فلو كان البارى سبحانه يشبه شيئا منها لكان مثلها وكان محدثا لأن حكم الشيء حكم مثله لكنه تعالى ليس بمحدث فليس بمشابه لشيء منها فقد صح إذا قوله ع وباشتباههم على أن لاشبه له . قوله ع الذى صدق فى ميعاده لا يجوز ألا يصدق لأن الكذب قبيح عقلا والبارى تعالى يستحيل منه من جهة الداعى والصارف أن يفعل القبيح . قوله ع وارتفع عن ظلم عباده هذا هو مذهب أصحابنا المعتزلة و عن أمير المؤمنين ع أخذوه و هو أستاذهم وشيخهم فى العدل والتوحيد فأما الأشعرية فإنها و إن كانت تمتنع عن إطلاق القول بأن الله تعالى يظلم العباد إلا أنها تعطى المعنى فى الحقيقة لأن الله عندهم يكلف العباد ما لا يطيقونه بل هو سبحانه عندهم لا يكلفهم إلا ما لا يطيقونه بل هو سبحانه عندهم لا يقدر على أن يكلفهم ما يطيقونه و ذلك لأن القدرة عندهم مع الفعل فالقاعده غير قادر على القيام وإنما يكون قادرا على القيام عند حصول القيام ويستحيل عندهم أن يوصف البارى تعالى بإقدار العبد القاعد على القيام و هو مع ذلك مكلف له أن يقوم و هذا غاية ما يكون من الظلم سواء أطلقوا هذه اللفظة عليه أو لم يطلقوها . ثم أعاد الكلام الأول فى التوحيد تأكيدا فقال حدوث الأشياء دليل على قدمه وكونها عاجزة عن كثير من الأفعال دليل على قدرته وكونها فانية دليل على بقائه . فإن قلت أما الاستدلال بحدوث الأشياء على قدمه فمعلوم فكيف يكون الاستدلال على الأمرين الأخيرين [صفحة ٤٨] قلت إذا شاركه سبحانه بعض الموجودات فى كونه موجودا وافترقا فى أن أحدهما لا يصح منه فعل الجسم و لا الكون و لا الحياة و لا الوجود المحدث و يصح ذلك من الموجودات القديمة دل على افتراقهما فى أمر لأجله صح من القديم ذلك و تعذر ذلك على المحدث و ذلك الأمر هو الذى يسمى من كان عليه قادرا وينبغى أن تحمل لفظه العجز هاهنا على المفهوم اللغوى و هو تعذر الإيجاد لا على المفهوم الكلامى . و أما الاستدلال الثانى فينبغى أن يحمل الفناء هاهنا على المفهوم اللغوى و هو تغير الصفات وزوالها لا على المفهوم الكلامى فيصير تقدير الكلام لما كانت الأشياء التى بيننا تتغير وتتحوّل و تنتقل من حال إلى حال و علمنا أن العلة المصححة لذلك كونها محدثة علمنا أنه سبحانه لا يصح عليه التنقل والتغير لأنه ليس بمحدث ثم قال واحد لا بعدد لأن وحدته ذاتية وليست صفة زائدة عليه و هذا من الأبحاث الدقيقة فى علم الحكمة و ليس هذا الكتاب موضوعا لبسط القول فى أمثاله . ثم قال دائم لا بأمد لأنه تعالى ليس بزمانى و داخل تحت الحركة والزمان و هذا أيضا من دقائق العلم الإلهى والعرب دون أن تفهم هذا أو تنطق به ولكن هذا الرجل كان ممنوحا من الله تعالى بالفيض المقدس والأنوار الربانية . ثم قال قائم لا بعدد لأنه لما كان فى الشاهد كل قائم فله عماد يعتمد عليه أبان ع تنزيهه تعالى عن المكان و عما يتوهمه الجهلاء من أنه مستقر على عرشه بهذه اللفظة ومعنى القائم هاهنا ليس ما يسبق إلى الذهن من أنه المنتصب بل ما تفهمه من قولك فلان قائم بتدبير البلد وقائم بالقسط . ثم قال تتلقاه الأذهان لا بمشاعرة أى تتلقاه تلقيا عقليا ليس

كما يتلقى الجسم الجسم بمشاعره وحواسه وجوارحه وذلك لأن تعقل الأشياء و هو حصول صورها [صفحہ ۴۹] فى العقل بريئة من المادة والمراد بتلقيه سبحانه هاهنا تلقي صفاته لا-تلقى ذاته تعالى لأن ذاته تعالى لا تتصورها العقول وسيأتى إيضاح أن هذا مذهبه ع . ثم قال وتشهد له المرائى لا بمحاضرة المرائى جمع مرئى و هو الشىء المدرك بالبصر يقول المرئيات تشهد بوجود البارى لأنه لو لا وجوده لما وجدت و لو لم توجد لم تكن مرئيات وهى شاهدة بوجوده لا كشهادتها بوجود الأبصار لأنها شهدت بوجود الأبصار لحضورها فيها و أما شهادتها بوجود البارى فليست بهذه الطريق بل بما ذكرناه والأولى أن يكون المرائى هاهنا جمع مرآة بفتح الميم من قولهم هو حسن فى مرآة عيني يقول إن جنس الرؤية يشهد بوجود البارى من غير محاضرة منه للحواس . قوله ع لم تحط به الأوهام إلى قوله ع وإليها حاكمها هذا الكلام دقيق ولطيف والأوهام هاهنا هى العقول يقول إنه سبحانه لم تحط به العقول أى لم تتصور كنه ذاته ولكنه تجلى للعقول بالعقول وتجليه هاهنا هو كشف ما يمكن أن تصل إليه العقول من صفاته الإضافية والسلبية لا غير وكشف ما يمكن أن تصل إليه العقول من أسرار مخلوقاته فأما غير ذلك فلا وذلك لأن البحث النظرى قد دل على أنا لم نعلم منه سبحانه إلا الإضافة والسلب أما الإضافة فكقولنا عالم قادر و أما السلب فكقولنا ليس بجسم ولا عرض ولا يرى فأما حقيقة الذات المقدسة المخصوصة من حيث هى هى فإن العقل لا يتصورها وهذا مذهب الحكماء وبعض المتكلمين من أصحابنا و من غيرهم . ثم قال وبالعقول امتنع من العقول أى وبالعقول وبالنظر علمنا أنه تعالى يمتنع أن تدركه العقول . ثم قال و إلى العقول حكم العقول أى جعل العقول المدعية أنها أحاطت [صفحہ ۵۰] به وأدركته كالخصم له سبحانه ثم حاكمها إلى العقول السليمة الصحيحة النظر فحكمت له سبحانه على العقول المدعية لما ليست أهلا- له . واعلم أن القول بالحيرة فى جلال ذات البارى والوقوف عند حد محدود لا يتجاوز العقل قول ما زال فضلاء العقلاء قائلين به

من أشعار الشارح فى المناجاة

و من شعرى الذى أسلك فيه مسلك المناجاة عند خلواتى وانقطاعى بالقلب إليه سبحانه قولى و الله لا موسى و لاعيسى ||
المسيح و لا محمد علموا و لاجبريل و هو || إلى محل القدس يصعد كلا و لا النفس البسيطة || لا و لا العقل المجرد من كنه ذاتك غير أنك || واحدى الذات سرمد وجدوا إضافات وسلبا || والحقيقة ليس توجد ورأوا وجودا واجبا || يفنى الزمان و ليس ينفذ فلتخسأ الحكماء عن || جرم له الأفلاك تسجد من أنت يارسطو و من || أفلاط قبلك يامبلد و من ابن سينا حين قرر || ما بنيت له و شيد هل أنتم إلا الفراش || رأى الشهاب و قد توقد فدنا فأحرق نفسه || و لواهدى رشدا لأبعد . [صفحہ ۵۱]
ومما قلته أيضا فى قصور العقل عن معرفته سبحانه و تعالى فيك يا أعجوبة الكون || غدا الفكر كليلا أنت حيرت ذوى اللب || و بلبت العقولا- كلما أقدم فكرى || فيك شيرا فر ميلا- ناكصا يخبط فى عمياء || لا يهدى السبيلا و لى فى هذا المعنى فيك يا أغلوطه الفكر || تاه عقلى و انقضى عمري سافرت فيك العقول فما || ربحت إلا أذى السفر رجعت حسرى و ما وفتت || لا على عين و لا أثر فلحى الله الألى زعموا || أنك المعلوم بالنظر كذبوا إن الذى طلبوا || خارج عن قوة البشر . و قلت أيضا فى المعنى أفنيت خمسين عاما معملا نظرى || فيه فلم أدر ما أتى و ما أذر من كان فوق عقول القائسين فما || ذا يدرك الفكر أو ما يبلغ النظر . و لى أيضا حبيبي أنت لازيد وعمرو || و إن حيرتنى و فتنت دينى طلبتك جاهدا خمسين عاما || فلم أحصل على برد اليقين [صفحہ ۵۲] فهل بعد الممات بك اتصال || فأعلم غامض السر المصون نوى قذف و كم قدمات قبلى || بحسرتة عليك من القرون . و من شعرى أيضا فى المعنى و كنت أنادى به ليلا فى مواضع مقفرة خالية من الناس بصوت رفيع وأجدح قلبى أيام كنت مالكا أمرى مطلقا من قيود الأهل والولد وعلائق الدنيا يامدهش الأبواب والفتن || ومحير التتواله اللسن أفنيت

فيك العمر أنفقه || والمال مجانا بلا ثمن أتبع العلماء أسألهم || وأجول في الآفاق والمدن وأخالط الملل التي اختلفت || في الدين حتى عابد الوثن وظننت أني بالغ غرضي || لما اجتهدت ومبرئ شجني ومطهر من كل رجس هوى || قلبي بذاك وغاسل درني فإذا ألدني استكثرت منه هو || الجاني على عظام المحن فضلت في تيه بلا علم || وغرقت في يم بلا سفن ورجعت صفر الكف مكتوبا || حيران ذا هم وذا حزن أبكى وأنكت في الثرى بيدي || طورا وأدعم تاره ذقني وأصيح يا من ليس يعرفه || أحد مدى الأحقاب والزمن يا من له عنت الوجوه و من || قرنت له الأعناق في قرن آمنت يا جذر الأ-صم من الأعداد || بل يافتنه الفتن أن ليس تدركك العيون و أن || الرأي ذو أفن وذو غين [صفحه ٥٣] والكل أنت فكيف يدركه || بعض و أنت السر في العفن . ومما قلته في المعنى ناجيته ودعوته اكشف عن عشا || قلبي و عن بصرى و أنت النور وارفع حجبا قدسدلت ستوره || دوني وهل دون المحب ستور فأجابني صه يا ضعيف فبعض ذا || قدرا مه موسى فدك الطور أعجبنى هذا المعنى فنقلته إلى لفظ آخر فقلت حبيبي أنت من دون البرايا || و إن لم أحظ منك بما أريد قنعت من الوصال بكشف حال || فقيل ارجع فمطلبها بعيد ألم تسمع جواب سؤال موسى || و ليس على مكانته مزيد تعرض للذي حاولت يوما || فدك الصخر واضطرم الصعيد . و لى في هذا المعنى أيضا قدحار في النفس جميع الورى || والفكر فيها قدغدا ضائعا وبرهن الكل على مادعوا || و ليس برهانهم قاطعا من جهل الصنعة عجزا فما || أجدره أن يجهل الصانعا . و لى أيضا في الرد على الفلاسفة الذين عللوا حركة الفلك بأنه أراد استخراج الوضع أولا ليتشبه بالعقل المجرد فى كماله و أن كل ما له بالقوة فهو خارج إلى الفعل تحير أرباب النهى وتعجبوا || من الفلك الأقصى لماذا تحركا فقيل بطبع كالثقل إذا هوى || وقيل اختيارا والمحقق شككا فرد حديث الطبع إذ كان دائرا || و ليس على سمت قويم فيسلكا [صفحه ٥٤] وقيل لمن قال اختيارا فما ألدنى || دعاه إلى أن دار ركضا فأوشكا فقالوا لوضع حادث يستجده || يعاقب منه مطلبا ثم متراكا فقيل لهم هذا الجنون بعينه || و لوراه منا امرؤ كان أعفكا و لو أن إنسانا غدا ليس قصده || سوى الوضع واستخراجه عد مضحكا . و لى أيضا فى الرد على من زعم أن النبى ص رأى الله سبحانه بالعين و هو ألدنى أنكرته عائشة والعجب لقوم من أرباب النظر جهلوا ما أدركته امرأة من نساء العرب عجبت لقوم يزعمون نبينهم || رأى ربه بالعين تبا لهم تبا وهل تدرك الأبصار غير مكيف || وكيف تبيح العين ما يمنع القلب إذا كان طرف القلب عن كنهه نبا || حسيرا فطرف العين عن كنهه أنبى . والمقطعات التي نظمته فى إجلال البارى سبحانه عن أن تحيط به العقول كثيرة موجودة فى كتبى ومصنفاتى فلتلمح من مظانها وغرضنا بإيراد بعضها أن لها هنا تشيدا لمقاله أمير المؤمنين ع على فى هذا الباب . قوله ع ليس بذى كبر إلى قوله وعظم سلطانا معناه أنه تعالى يطلق عليه من أسمائه الكبير والعظيم و قدورد بهما القرآن العزيز و ليس المراد بهما ما يستعمله الجمهور من قولهم هذا الجسم أعظم وأكبر مقدارا من هذا الجسم بل المراد عظم شأنه وجلالة سلطانه . والفلج النصره وأصله سكون العين وإنما حركة ليوافق بين الألفاظ و ذلك [صفحه ٥٥] لأن الماضى منه فلج الرجل على خصمه بالفتح ومصدره الفلج بالسكون فأما من روى وظهور الفلج بضمين فقد سقط عنه التأويل لأن الاسم من هذا اللفظ الفلج بضم أول الكلمة فإذا استعملها الكاتب أو الخطيب جاز له ضم الحرف الثانى . وصادعا بهما مظهرها مجاهدا وأصله الشق . والأمراس الحبال والواحد مرس بفتح الميم والراء منها فى صفة عجب خلق أصناف من الحيوان و لو فكروا فى عظيم القدره و جسيم النعمه لرجعوا إلى الطريق و خافوا عذاب الحريق و لكن القلوب عليله و البصائر مدخوله أ لا ينظرون إلى صيغير ما خلق كيف أحكم خلقه و اتقن تركيبه و فلق له السمع و البصير و سوى له العظم و البشر انظروا إلى التملية فى صغر جنتها و لطافه هيتها لا تكاد تنال بلحظ البصير و لا بمستدرك الفكر كيف دبت على أرضها و صبت على رزقها تنقل الحبة إلى جحرها و تعدها فى مستقرها تجمع فى حرها ليردها و فى وريدها لصدرها مكفول برزقها مرزوقه بوفقها لا يغفلها المنان و لا يحرمها الديان و لو فى الصيغ اليابس و الحجر الجامس و لو فكرت فى مجارى أكليها و فى علوها و سيفلها و ما فى الجوف

من شَرَّاسِيْفِ بَطْنِهَا وَ مَا فِي الرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وَ أَذْنِهَا لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَبًا وَ لَقَيْتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَبًا [صفحه ٥٦] فَتَعَالَى الَّذِي أَقَامَهَا عَلَى قَوَائِمِهَا وَ بَنَاهَا عَلَى دَعَائِمِهَا لَمْ يَشْرَكْهُ فِي فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ وَ لَمْ يُعْنَهُ عَلَى خَلْقِهَا قَادِرٌ وَ لَوْ ضَرَبْتَ فِي مِزَانِهَا فِكْرَكَ لَتَبْلُغَ غَايَاتِهِ مَا دَلَّتْكَ الدَّلَالَةُ إِلَّا عَلَى أَنَّ فَاطِرَ النَّمَلَةِ هُوَ فَاطِرُ النَّخْلَةِ لِتَدْقِيقِ تَفْصِيْلِ كُلِّ شَيْءٍ وَ غَامِضِ اخْتِلَافِ كُلِّ حَيْثُ وَ مَا الْجَلِيلُ وَ اللَّطِيفُ وَ الثَّقِيلُ وَ الْخَفِيفُ وَ الْقَوِيُّ وَ الضَّعِيفُ فِي خَلْقِهِ إِلَّا سَوَاءٌ وَ كَذَلِكَ السَّمَاءُ وَ الْهَوَاءُ وَ الرِّيحُ وَ الْمَاءُ فَانْظُرْ إِلَى الشَّمْسِ وَ الْقَمَرِ وَ النَّبَاتِ وَ الشَّجَرِ وَ الْمَاءِ وَ الْحَجَرِ وَ اخْتِلَافِ هَيْدَا اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ تَفَجَّرِ هَيْدِهِ الْبِحَارِ وَ كَثْرَةَ هَيْدِهِ الْجِبَالِ وَ طُولِ هَيْدِهِ الْقِلَالِ وَ تَفَرُّقِ هَيْدِهِ اللَّغَاتِ وَ الْأَلْسِنِ الْمُخْتَلِفَاتِ فَالْوَيْلُ لِمَنْ أَنْكَرَ الْمُقَدَّرَ وَ جَحَدَ الْمُدَبِّرَ زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ وَ لَمَّا لِاخْتِلَافِ صُورِهِمْ صِدَائِعٌ وَ لَمْ يَلْجَأُوا إِلَى حُجْرَةٍ فِيْمَا ادَّعَاوُا وَ لَأَ تَحْقِيقِ لِمَا دَعَاوُا وَ هَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَانٍ أَوْ جِنَايَةٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ مَدْخُولَةٌ مَعِيَّةٌ وَ فُلُقٌ شَقٌّ وَ خَلْقٌ وَ الْبَشَرُ ظَاهِرُ الْجِلْدِ. قَوْلُهُ ع وَصَبْتَ عَلَى رِزْقِهَا قِيلَ هُوَ عَلَى الْعَكْسِ أَيْ وَصَبَ رِزْقُهَا عَلَيْهَا وَ الْكَلَامُ صَحِيحٌ وَ لِحَاجَةٍ فِيهِ إِلَى هَذَا وَ الْمُرَادُ كَيْفَ هَمَّتْ حَتَّى انْصَبْتَ عَلَى رِزْقِهَا انْصَابًا أَيْ انْحَطَّتْ عَلَيْهِ وَ يَرُودُ وَضُنْتُ عَلَى رِزْقِهَا بِالضَّادِ الْمَعْجَمَةُ وَ النَّوْنُ أَيْ بَخَلْتُ وَ جَحَرْتُ بَيْتِهَا. [صفحه ٥٧] قَوْلُهُ ع وَ فِي وَرْدِهَا لِصَدْرِهَا أَيْ تَجْمَعُ فِي أَيَّامِ التَّمَكُّنِ مِنَ الْحَرَكَةِ لِأَيَّامِ الْعَجْزِ عَنْهَا وَ ذَلِكَ لِأَنَّ النَّمَلَ يَظْهَرُ صَيْفًا وَ يَخْفَى فِي شِدَّةِ الشِّتَاءِ لِعَجْزِهِ عَنِ مَلَاقَةِ الْبَرْدِ. قَوْلُهُ ع رِزْقُهَا وَفَقَهَا أَيْ بِقَدْرِ كِفَايَتِهَا وَ يَرُودُ مَكْفُولٌ بِرِزْقِهَا مَرْزُوقَةٌ بِوَفْقِهَا. وَ الْمَنَانُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى الْعَائِدِ إِلَى صِفَاتِهِ الْفَعْلِيَّةِ أَيْ هُوَ كَثِيرُ الْمَنِّ وَ الْإِنْعَامِ عَلَى عِبَادِهِ. وَ الْوَالِدِيَانِ الْمَجَازِيُّ لِلْعِبَادِ عَلَى أَفْعَالِهِمْ قَالَ تَعَالَى إِنَّا لَمَعِدِيْنُونَ أَيْ مَجْزِيُونَ وَ الْحَجَرُ الْجَامِسُ الْجَامِدُ وَ الشَّرَاسِيْفُ أَطْرَافُ الْأَضْلَاعِ الْمَشْرُفَةُ عَلَى الْبَطْنِ - قرآن - ٣٧٢-٣٨٩

فصل في ذكر أحوال الذرة وعجائب النملة

وَاعْلَمْ أَنَّ شَيْخَنَا أَبَاعِثْمَانَ قَدْ أوردَ فِي كِتَابِ الْحَيَوَانَ فِي بَابِ النَّمْلَةِ وَ الذَّرَّةِ وَ هِيَ الصَّغِيرَةُ جَدًّا مِنَ النَّمْلِ كَلَامًا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ كَلَامَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع أَصْلُهُ وَ لَكِنْ أَبَاعِثْمَانُ قَدْ فَرَعَ عَلَيْهِ قَالَ الذَّرَّةُ تَدْخُرُ فِي الصَّيْفِ لِلشِّتَاءِ وَ تَتَقَدَّمُ فِي حَالِ الْمَهْلَةِ وَ لَا تَضِيعُ أَوْقَاتَ إِمْكَانِ الْحَزْمِ ثُمَّ يَبْلُغُ مِنْ تَفْقِدِهَا وَصَحَّةَ تَمْيِيزِهَا وَ النَّظْرَ فِي عَوَاقِبِ أُمُورِهَا أَنَّهَا تَخَافُ عَلَى الْحُبُوبِ الَّتِي ادْخَرَتْهَا لِلشِّتَاءِ فِي الصَّيْفِ أَنْ تَعْفَنَ وَ تَسُوسَ فِي [صفحه ٥٨] بَطْنِ الْأَرْضِ فَتَخْرِجُهَا إِلَى ظَهْرِهَا لِتَنْثَرُهَا وَ تَعِيدُ إِلَيْهَا جَفُوفَهَا وَ يَمُرُّ بِهَا النَّسِيمُ فَيَنْفِي عَنْهَا اللَّخْنَ وَ الْفَسَادَ. ثُمَّ رُبَّمَا بَلَ فِي الْأَكْثَرِ تَخْتَارُ ذَلِكَ الْعَمَلَ لِيَلَّا لِأَنَّ ذَلِكَ أَخْفَى وَ فِي الْقَمَرِ لِأَنَّهَا فِيهِ أَبْصَرَ فَإِنْ كَانَ مَكَانُهَا نَدِيًّا وَ خَافَتْ أَنْ تَنْتَبِ الْحَبَّةُ نَقَرَتْ مَوْضِعَ الْقَطْمِيرِ مِنْ وَسْطِهَا لَعَلَّمَهَا أَنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ تَنْتَبِ وَ رُبَّمَا فُلِقَتْ الْحَبَّةُ نَصْفَيْنِ فَأَمَّا إِنْ كَانَ الْحَبُّ مِنْ حَبِّ الْكُزْبُرَةِ فَإِنَّهَا تَفْلُقُهُ أَرْبَاعًا لِأَنَّ أَنْصَافَ حَبِّ الْكُزْبُرَةِ تَنْتَبِ مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الْحُبُوبِ فَهِيَ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ مَجَاوِزَةٌ لِفِطْنَتِ جَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ حَتَّى رُبَّمَا كَانَتْ فِي ذَلِكَ أَحْزَمَ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ وَ لَهَا مَعَ لَطَافَةِ شَخْصِهَا وَ خَفَةِ وَزْنِهَا فِي الشَّمِّ وَ الْاسْتِرْوَاحِ مَا لَيْسَ لَشَيْءٍ فَرُبَّمَا أَكَلَ الْإِنْسَانُ الْجَرَادَ أَوْ بَعْضَ مَا يَشْبَهُ الْجَرَادَ فَيَسْقُطُ مِنْ يَدِهِ الْوَاحِدَةَ أَوْ صَدْرَ وَاحِدَةٍ وَ لَيْسَ بِقَرْبِهِ ذَرَّةٌ وَ لَا لَهُ عَهْدٌ بِالذَّرِّ فِي ذَلِكَ الْمَنْزِلِ فَلَا يَلْبِثُ أَنْ تَقْبَلَ ذَرَّةٌ قَاصِدَةٌ إِلَى تِلْكَ الْجَرَادَةِ فَتَرُومُهَا وَ تَحَاوُلُ نَقْلَهَا وَ جَرُّهَا إِلَى جَحْرِهَا فَإِذَا أَعْجَزَتْهَا بَعْدَ أَنْ تَبَلَى عَذْرًا مَضَتْ إِلَى جَحْرِهَا رَاجِعَةً فَلَا يَلْبِثُ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجِدَهَا قَدْ أَقْبَلَتْ وَ خَلْفَهَا كَالْخَيْطِ الْأَسْوَدِ الْمَمْدُودِ حَتَّى يَتَعَاوَنَ عَلَيْهَا فَيَحْمِلُهَا فَاعْجَبْ مِنْ صَدَقِ الشَّمِّ لَمَّا لَا يَشْمُهُ الْإِنْسَانُ الْجَائِعُ ثُمَّ انْظُرْ إِلَى بَعْدِ الْهَمَّةِ وَ الْجَرَاءِ عَلَى مَحَاوَلَةِ نَقْلِ شَيْءٍ فِي وَزْنِ جَسْمِهَا مِائَةٌ مَرَّةً وَ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةٍ مَرَّةً بَلْ أَضْعَافُ أَضْعَافِ الْمِائَةِ وَ لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْحَيَوَانَ يَحْمِلُ مَا يَكُونُ أَضْعَافَ وَزْنِهِ مَرَارًا كَثِيرَةً غَيْرِهَا. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ فَمَنْ أَيْنَ عَلِمْتُمْ أَنَّ تِلْكَ الْجَرَادَةَ فَعَجَزَتْ هِيَ الَّتِي أَخْبَرْتَ صَوَاحِبَاتِهَا مِنَ الذَّرِّ وَأَنَّهَا الَّتِي كَانَتْ عَلَى مَقْدَمْتِهَا قِيلَ لَهُ لَطُولُ التَّجْرِبَةِ وَ لِأَنَّهَا لَمْ تَرَ قَطُّ ذَرَّةً حَاوَلَتْ جَرَّ جَرَادَةٍ فَعَجَزَتْ عَنْهَا ثُمَّ]

صفحة ٥٩] رأيناها راجعة إلاًرأينا معها مثل ذلك و إن كنا لانفصل فى مرأى العين بينها و بين أخواتها فإنه ليس يقع فى القلب غير الذى قلنا فدلنا ذلك على أنها فى رجوعها عن الجرادة أنها إنما كانت لأشباهاها كالرائد الذى لا يكذب أهله قال أبو عثمان و لا ينكر قولنا إن الذرة توحى إلى أخواتها بما أشرنا إليه إلا من يكذب القرآن فإنه تعالى قال فى قصة سليمان قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان و جنوده و هم لا يشعرون فتبسم ضاحكاً من قولها فهل بعد هذا ريب أو شك فى أن لها قولاً و بياناً و تمييزاً. فإن قلت فلعلها مكلفة و مأمورة و منهيئة و مطيعة و عاصية قيل هذا سؤال جاهل و ذلك أنه لا يلزم أن يكون كل ذى حس و تمييز مكلفاً مأموراً منها مطيعاً عاصياً لأن الإنسان غير البالغ الحلم قد يحفظ القرآن و كثيراً من الآثار و ضرورياً من الأخبار و يشتري و يبيع و يخدع الرجال و يسخر بالمعلمين و هو غير مكلف و لا مأمور و لا منهي و لا عاص و لا مطيع فلا يلزم مما قلناه فى الذرة أن تكون مكلفة. قال أبو عثمان و من عجب ما سمعته من أمر النملة ما حدثنى به بعض المهندسين عن رجل معروف بصنعة الأسطرلابات أنه أخرج طوقاً من صفر أو قال من حديد من الكير و قد أحماه فرمى به على الأرض ليبرد فاشتمل الطوق على نملة فأرادت أن تنفر يمنة فلقبها و هج النار فأخذت يسرة فلقبها و هج النار فمضت قدما فكذاك فرجعت إلى خلفها فكذلك فرجعت إلى وسط الدائرة فوجدتها قد ماتت فى موضع رجل البركار من الدائرة و هذا من العجائب. قال أبو عثمان و حدثنى أبو عبيد الله الأفوه و ما كنت أقدم عليه فى زمانه من مشايخ قرآن- ٣٥١-٤٩٤ [صفحة ٦٠] المعتزلة إلا القليل قال قد كنت ألقى من الذر و النمل فى الرطب يكون عندى و فى الطعام عنتا كثيراً و ذلك لأنى كنت لأستقدر النملة و لا الذرة ثم وجدت الواحدة منهما إذ وقعت فى قارورة بان أوزنقى أو خيرى فسد ذلك الدهن و زنخ فقذرتها و نفرت منها و قلت أخلق بطبيعتها أن تكون فاسدة خبيثة و كنت أرى لها عضا منكرأ فأقول إنها من ذوات السموم و لو أن بدن النملة زيد فى أجزائه حتى يلحق بيدن العقرب ثم عضت إنسانا لكانت عضتها أضر عليه من لسعة العقرب. قال فاتخذت عند ذلك لطعامى منملة و قيرتها و صببت فى خندقها الماء و وضعت سلة الطعام على رأسها فغيرت أياما أكشف رأس السلة بعد ذلك و فيها ذر كثير و وجدت الماء فى الخندق على حاله فقلت عسى أن يكون بعض الصبيان أنزلها و أكل مما فيها و طال مكثها فى الأرض و قد دخلها الذر ثم أعيدت على تلك الحال و تكلمت فى ذلك و تعرفت الحال فيه فعرفت البراءة فى عذرهم و الصدق فى خبرهم فاشتد تعجبى و ذهبت بى الظنون و الخواطر كل مذهب فعزمت على أن أرصدها و أحرسها و أتثبت فى أمرى و أتعرف شأنى فإذا هى بعد أن رامت الخندق فامتنع عليها تركته جانباً و صعدت فى الحائط ثم مرت على جذع السقف فلما صارت محاذية للسلة أرسلت نفسها فقلت فى نفسى انظر كيف اهتدت إلى هذه الحيلة و لم تعلم أنها تبقى محصورة. ثم قلت و ما عليها أن تبقى محصورة بل أى حصار على ذرة و قد وجدت ماتتتهى. قال أبو عثمان و من أعاجيب الذرة أنها لا تعرض لجعل و لا لجرادة و لا لخنفساء و لا لبت و ردان ما لم يكن بها حبل أو عقر أو قطع رجل أو يد فإن وجدت بها من ذلك أدنى علته و ثبت عليها حتى لو أن حية بها ضربة أو خرق أو خدش ثم كانت من [صفحة ٦١] ثعابين مصر لو ثبت عليها الذر حتى يأكلها و لا تكاد الحية تسلم من الذر إذا كان بها أدنى عقر. قال أبو عثمان و قد عذب الله بالذر و النمل أمما و أمما و أخرج أهل قرى من قراهم و أهل دروب من دروبهم. و حدثنى بعض من أصدق خبره قال سألت رجلاً كان ينزل ببغداد فى بعض الدروب التى فى ناحية باب الكوفة التى جلا أهلها عنها لغلبة النمل و الذر عليها فسألته عن ذلك فقال و ما تصنع بالحديث امض معى إلى دارى التى أخرجنى منها النمل قال فدخلتها معه فبعث غلامه فاشترى رءوساً من الرأسين ليتغذى بهافانقلنا هرباً من النمل فى أكثر من عشرين مكاناً ثم دعا بطست ضخمة و صب فيها ماء صالحاً ثم فرق عظام الرءوس فى الدار و معه غلماناه فكان كلما اسود منها عظم لكثرة النمل و اجتماعه عليه و ذلك فى أسرع الأوقات أخذه الغلام ففرغه فى الطست يعود ينثر به ما عليه فى جوف الطست فما لبثنا مقدار ساعة من النهار حتى فاضت الطست نملاً فقال كم تظن أنى فعلت مثل هذا قبل الجلاء طمعا فى أن أقطع أصلها فلما رأيت عددها إما زائداً و إما ثابتاً و جاءنا ما

لا يصبر عليه أحد و لا يمكن معه مقام خرجت عنها. قال أبو عثمان وعذب عمر بن هبيرة سعيد بن عمرو الحرشي بأنواع العذاب فقيل له إن أردت ألا يفلح أبدا فمرهم فلينفخوا في دبره النمل ففعلوا فلم يفلح بعدها. [صفحة ٦٢] قال أبو عثمان و من الحيوان أجناس يشبه الإنسان في العقل والروية والنظر في العواقب والفكر في الأمور مثل النمل والذرة والفأر والجرذان والعنكبوت والنحل إلا أن النحل لا يدخر من الطعام إلا جنسا واحدا و هو العسل . قال وزعم البقري أنك لو أدخلت نملة في جحر ذر لأكلتها حتى تأتي على عامتها وذكر أنه قد جرب ذلك . قال وزعم صاحب المنطق أن الضبع تأكل النمل أكلا ذريعا لأنها تأتي قرية النمل وقت اجتماع النمل على باب القرية فتلحس ذلك النمل كله بلسانها بشهوة شديدة وإرادة قوية. قال وربما أفسدت الأرضة على أهل القرى منازلهم وأكلت كل شيء لهم فلا تزال كذلك حتى ينشأ في تلك القرى النمل فيسلط الله عز وجل ذلك النمل على تلك الأرضة حتى تأتي على آخرها على أن النمل بعد ذلك سيكون له أذى إلا أنه دون أذى الأرضة بعيدا و ما أكثر ما يذهب النمل أيضا من تلك القرى حتى يتم لأهلها السلامة من النوعين جميعا. قال و قد زعم بعضهم أن تلك الأرضة بأعيانها تستحيل نملا و ليس فناؤها لأكل النمل لها ولكن الأرضة نفسها تستحيل نملا فعلى قدر ما يستحيل منها يرى الناس النقصان في عددها ومضرتها على الأيام . قال أبو عثمان و كان ثمامة يرى أن الذر صغار النمل ونحن نراه نوعا آخر كالبقرة والجواميس . قال و من أسباب هلاك النمل نبات أجنحته و قال الشاعر و إذا استوت للنمل أجنحة || حتى يطير فقد دنا عطبه . [صفحة ٦٣] و كان في كتاب عبد الحميد إلى أبي مسلم لو أراد الله بالنملة صلاحا لما أنبت لها جناحا فيقال إن أبا مسلم لما قرأ هذا الكلام في أول الكتاب لم يتم قراءته وألقاه في النار و قال أخاف إن قرأته أن ينخب قلبي. قال أبو عثمان و يقتل النمل بأن يصب في أفواه بيوتها القطران والكبريت الأصفر و أن يدس في أفواهها الشعر على أن قد جربنا ذلك فوجدناه باطلا. فأما الحكماء فإنهم لا يثبتون للنمل شراسيف و لأضلاعا و يجب إن صح قولهم أن يحمل كلام أمير المؤمنين ع على اعتقاد الجمهور ومخاطبة العرب بما تتخيله وتوهمه حقا وكذلك لا يثبت الحكماء للنمل آذانا بارزة عن سطوح رؤوسها و يجب إن صح ذلك أن نحمل كلام أمير المؤمنين ع على قوة الإحساس بالأصوات فإنه لا يمكن الحكماء إنكار وجود هذه القوة للنمل ولهذا إذ أصبح عليهن هربن . و يذكر الحكماء من عجائب النمل أشياء منها أنه لا جلد له وكذلك كل الحيوان المخرز. ومنها أنه لا يوجد في صقلية نمل كبار أصلا. ومنها أن النمل بعضه ماش وبعضه طائر. ومنها أن حراقه النمل إذا أضيف إليها شيء من قشور البيض وريش هدهد وعلقت على العضد منعت من النوم قوله ع و لو ضربت في مذاهب فكرك لتبلغ غاياته أي غايات فكرك و ضربت بمعنى سرت والمذاهب الطرق قال تعالى وَ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي - قرآن - ١١٥-١٣٤ قوله ع و لو ضربت في مذاهب فكرك لتبلغ غاياته أي غايات فكرك و ضربت بمعنى سرت والمذاهب الطرق قال تعالى وَ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ وَ هَذَا الْكَلَامُ استعارة. قال لو أمعنت النظر لعلمت أن خالق النملة الحقيرة هو خالق النخلة الطويلة لأن كل شيء من الأشياء تفصيل جسمه وهيئته تفصيل دقيق واختلاف تلك الأجسام في أشكالها وألوانها ومقاديرها اختلاف غامض السبب فلا بد للكل من مدبر يحكم بذلك الاختلاف ويفعله على حسب ما يعلمه من المصلحة. ثم قال و ما للجليل والدقيق في خلقه إلا سوء لأنه تعالى قادر لذاته لا يعجزه شيء من الممكنات . ثم قال فانظر إلى الشمس والقمر إلى قوله والألسن المختلفات هذا هو الاستدلال بإمكان الأعراض على ثبوت الصانع والطرق إليه أربعة أحدها الاستدلال بحدوث الأجسام . والثاني الاستدلال بإمكان الأعراض والأجسام . والثالث الاستدلال بحدوث الأعراض . والرابع الاستدلال بإمكان الأعراض . وصوره الاستدلال هو أن كل جسم يقبل للجسمية المشتركة بينه وبين سائر الأجسام ما يقبله غيره من الأجسام فإذا اختلفت الأجسام في الأعراض فلا بد من مخصص خصص هذا الجسم بهذا العرض دون أن يكون هذا العرض لجسم آخر و يكون لهذا الجسم عرض غير هذا العرض لأن الممكنات لا بد لها من مرجح يرجح أحد طرفيها على الآخر فهذا هو معنى قوله فانظر إلى الشمس والقمر والنبات والشجر والماء والحجر واختلاف هذا الليل والنهار وتفجر هذه البحار

وكثرة هذه الجبال وطول هذه القلال وتفرق هذه اللغات والألسن المختلفة أى أنه يمكن أن تكون هيئته -قرآن- 1-8 [صفحة 65] الشمس وضوءها ومقدارها حاصلًا لجرم القمر ويمكن أن يكون النبات الذى لاساق له شجرا والشجر ذو الساق نباتا ويمكن أن يكون الماء صلبا والحجر مائعا ويمكن أن يكون زمان الليل مضيئا وزمان النهار مظلما ويمكن ألا تكون هذه البحار متفجرة بل تكون جبالا- ويمكن ألا- تكون هذه الجبال الكبيرة كبيرة ويمكن ألا تكون هذه القلال طويلة وكذلك القول فى اللغات واختلافها وإذا كان كل هذاممكننا فاختصاص الجسم المخصوص بالصفات والأعراض والصور المخصوصة لايمكن أن يكون لمجرد الجسمية لتمائل الأجسام فيها فلا بد من أمر زائد و ذلك الأمر الزائد هوالمعنى بقولنا صانع العالم . ثم سفه آراء المعطله و قال إنهم لم يعتصموا بحجة و لم يحققوا ماوعوه أى لم يرتبوا العلوم الضرورية ترتيبا صحيحا يفضى بهم إلى النتيجة التى هى حق . ثم أخذ فى الرد عليهم من طريق أخرى وهى دعوى الضرورة و قداعتمد عليها كثير من المتكلمين فقال نعلم ضرورة أن البناء لايد له من بان . ثم قال والجنابة لايد لها من جان و هذه كلمة ساقته إليها القرينة والمراد عموم الفعلية لخصوص الجنابة أى مستحيل أن يكون الفعل من غيرفاعل والذين ادعوا الضرورة فى هذه المسألة من المتكلمين استغنوا عن الطرق الأربع التى ذكرناها و أمير المؤمنين ع اعتمد أولا على طريق واحدة ثم جنح ثانيا إلى دعوى الضرورة وكلا الطريقتين صحيح و إن شئت قلت فى الجراد إذ خلق لها عينين حمراوين و أسرج لها [صفحة 66] حدقتين قمرآوين و جعل لها السمع الخفى و فتح لها الفم السوى و جعل لها الحس القوى و نابين بهما تقرض و منجلين بهما تقبض يرهبها الزراع فى زرعهم و لا يستطيعون ذبها و لو أجلسوا بجمعهم حتى ترد الحرث فى نزواتها و تقضى منه شهواتها و خلقها كله لا يكون أصعبا مستدقة فتبارك الذى يسجد له من فى السموات و الأرض طوعا و كرها و يعفر له خددا و وجهها و يلقي بالطاعة إليه سلمات و ضعفا و يعطي القيادة رهبة و خوفا فالطير مسخرة لأمره أحصى عدد الريش منها و النفس و أرسى قوائمها على الندى و اليبس و قدر أوقاتنا و أحصى أجناسها فهذا غراب و هذا عقاب و هذا حمام و هذا نعام دعا كل طائر باسمه و كفل له برزقه و أنشأ السحاب الثقال فأهطل ديمها و عمدت قسيها قبل الأرض بعد جفوفها و أخرج نبتها بعد جدوبها قوله و أسرج لها حدقتين أى جعلهما مضيئين كمايضىء السراج ويقال حدقة قمرأى منيرة كمايقال ليله قمرأى أى نيرة بضوء القمر. وبهما تقرض أى تقطع والراء مكسورة. والمنجلان رجلها شبههما بالمنجل لعوجهما وخشونتتهما. ويرهبها يخافها ونزواتها وثباتها والجذب المحل [صفحة 67]

ذكر غرائب الجراد و مااحتوت عليه من صنوف الصنعة

قال شيخنا أبوعثمان فى كتاب الحيوان من عجائب الجراد التماسها لبيضها الموضع الصلد والصخور الملس ثقة منها أنها إذاضربت بأذنانها فيهاانفرت لها ومعلوم أن ذنب الجراد ليس فى خلقه المنشار و لاطرف ذنبه كحد السنان و لالها من قوة الأسر و لالذنبها من الصلابه ما إذااعتمدت به على الكدية خرج فيهاكيف وهى تتعدى إلى ما هوأصلب من ذلك و ليس فى طرفها كإبرة العقرب و على أن العقرب ليس تخرق القمقم من جهد الأيد وقوة البدن بل إنما ينفرج لها بطبع مجعول هناك وكذاك انفراج الصخور لأذنان الجراد. و لو أن عقابا أرادت أن تخرق جلد الجاموس لمانخرق لها إلابالتكلف الشديد والعقاب هى التى تنكدر على الذئب الأطلس فتقد بدابرتها ما بين صلاه إلى موضع الكاهل . فإذاغرزت الجراد وألقت بيضها وانضمت عليها تلك الأخاديد التى هى أحدثها وصارت كالأفاحيص لها صارت حاضنة لها ومربية وحافظة وصائنة وواقية حتى إذاجاء وقت ديبب الروح فيهاحدث عجب آخر و ذلك لأنه يخرج من بيضه [صفحة 68] أصهب إلى البياض ثم يصفر وتتلون فيه خطوط إلى السواد ثم يصير فيه خطوط سود وبيض ثم يبدو حجم جناحه ثم يستقل فيموج بعضه فى بعض . قال أبوعثمان

ويزعم قوم أن الجراد قد يريد الخضرة ودونه النهر الجاري فيصير بعضه جسرا لبعض حتى يعبر إلى الخضرة و أن ذلك حيلة منها. وليس كما زعموا ولكن الزحف الأول من الدباء يريد الخضرة فلا يستطيعها إلا بالعبور إليها فإذا صارت تلك القطعة فوق الماء طافية صارت لعمري أرضا للزحف الثاني الذي يريد الخضرة فإن سموا ذلك جسرا استقام فأما أن يكون الزحف الأول مهد للثاني ومكن له وآثره بالكفاية فهذا ما لا يعرف و لو أن الزحفين جميعا أشرفا على النهر وأمسك أحدهما عن تكلف العبور حتى يمهد له الآخر لكان لما قالوه وجه . قال أبو عثمان ولعب الجراد سم على الأشجار لا يقع على شيء إلا أحرقه . فأما الحكماء فيذكرون في كتبهم أن أرجل الجراد تقلع الثآليل و أنه إذا أخذت منه اثنتا عشرة جرادة ونزعت رء وسها وأطرفها وجعل معها قليل آس يابس وشربت للاستسقاء كما هي نفعت نفعا بينا و أن التبخر بالجراد ينفع من عسر البول وخاصة في النساء و أن أكله ينفع من تقطيره و قد يخبر به للبواسير وينفع أكله من لسعة العقرب . ويقال إن الجراد الطوال إذا علق على من به حمى الربع نفعه [صفحہ ۶۹]

۲۳۲- و من خطبة له ع في التوحيد

وتجمع هذه الخطبة من أصول العلم ما لا تجتمع خطبة غيرها ما وحده من كيفه و لا حقيقته أصاب من مثله و لا إياه عنى من شبهه و لما صمدته من أشار إليه و توهمه كل معروف بنفسه مصنوع و كل قائم في سواه معلول فاعل لا باضطراب ألمه مقدر لا بجول فكرة عنى لا باستفادته لا تصحبه الأوقات و لا ترفده الأدوات سبقت الأوقات كونه و العدم و جوده و الابتداء أوله هذا الفصل يشتمل على مباحث متعددة أولها قوله ما وحده من كيفه و هذا حق لأنه إذا جعله مكيفا جعله ذا هيئة وشكل أو ذا لون وضوء إلى غيرهما من أقسام الكيف ومتى كان كذلك كان جسما و لم يكن واحدا لأن كل جسم قابل للانقسام والواحد حقا لا يقبل الانقسام فقد ثبت أنه ما وحده من كيفه . وثانيها قوله و لاحتقيقته أصاب من مثله و هذا حق لأنه تعالى لا مثل له و قد دلت الأدلة الكلامية والحكمية على ذلك فمن أثبت له مثلا فإنه لم يصب [صفحہ ۷۰] حقيقته تعالى والسجعة الأخرى تعطي هذا المعنى أيضا من غير زيادة عليه وهي قوله ع و لا إياه عنى من شبهه ولهذا قال شيوخنا إن المشبه لا يعرف الله و لا تتوجه عباداته وصلواته إلى الله تعالى لأنه يعبد شيئا يعتقد جسما أو يعتقد مشابها لبعض هذه الذوات المحدثه والعبادة تنصرف إلى المعبود بالقصد فإذا قصد بها غير الله تعالى لم يكن قد عبد الله سبحانه و لا عرفه وإنما يتخيل ويتوهم أنه قد عرفه وعبده و ليس الأمر كما تخيل وتوهم . وثالثها قوله ع و لا صمده من أشار إليه أى أثبتته فى جهة كما تقول الكرامية الصمد فى اللغة العربية السيد والصمد أيضا الذى لا جوف له و صار التصميم فى الاصطلاح العرفى عبارة عن التنزيه و الذى قال ع حق لأن من أشار إليه أى أثبتته فى جهة كما تقول الكرامية فإنه ما صمده لأنه ما نزهه عن الجهات بل حكم عليه بما هو من خواص الأجسام وكذلك من توهمه سبحانه أى من تخيل له فى نفسه صورة أو هيئة أو شكلا فإنه لم ينزهه عما يجب تنزيهه عنه . ورابعها قوله كل معروف بنفسه مصنوع هذا الكلام يجب أن يتأول ويحمل على أن كل معروف بالمشاهدة والحس فهو مصنوع و ذلك لأن البارى سبحانه معروف من طريقين إحداهما من أفعاله والأخرى بنفسه وهى طريقة الحكماء الذين بحثوا فى الوجود من حيث هو وجود فعلموا أنه لا بد من موجود واجب الوجود فلم يستدلوا عليه بأفعاله بل أخرج لهم البحث فى الوجود أنه لا بد من ذات يستحيل عدمها من حيث هى . فإن قلت كيف يحمل كلامه على أن كل معروف بالمشاهدة والحس فهو مصنوع و هذا يدخل فيه كثير من الأعراض كالألوان و إذا دخل ذلك فسدت عليه الفقرة الثانية [صفحہ ۷۱] وهى قوله ع و كل قائم فيما سواه معلول لأنها للأعراض خاصة فدخل أحد مدلول الفقرتين فى الأخرى فيختل النظم قلت يريد ع بالفقرة الأولى كل معروف بنفسه من طريق المشاهدة مستقلا

بذاته غير مفتقر في تقومه إلى غيره فهو مصنوع و هذا يختص بالأجسام خاصة و لا يدخل الألوان وغيرها من الأعراض فيه لأنها متقومة بمحالتها. وخامسها قوله و كل قائم في سواه معلول أى و كل شىء يتقوم بغيره فهو معلول و هذا حق لامحالة كالأعراض لأنها لو كانت واجبة لاستغنت في تقومها عن سواها لكنها مفتقرة إلى المحل الذى يتقوم به ذواتها فإذا هي معلولة لأن كل مفتقر إلى الغير فهو ممكن فلا بد له من مؤثر. و سادسها قوله فاعل لا باضطراب آله هذا البيان الفرق بينه وبيننا فإننا نفعل بالآلات و هوسبحانه قادر لذاته فاستغنى عن الآلهة. و سابعها قوله مقدر لا بجول فكرة هذا أيضا للفرق بيننا وبينه لأننا إذا قدرنا أجلنا أفكارنا وترددت بنا الدواعى و هوسبحانه يقدر الأشياء على خلاف ذلك . وثامنها قوله غنى لا باستفاده هذا أيضا للفرق بيننا وبينه لأن الغنى منا من يستفيد الغنى بسبب خارجى و هوسبحانه غنى بذاته من غير استفادة أمر يصير به غنيا والمراد بكونه غنيا أن كل شىء من الأشياء يحتاج إليه و أنه سبحانه لا يحتاج إلى شىء من الأشياء أصلا. و تاسعها قوله لا تصحبه الأوقات هذا بحث شريف جدا و ذلك لأنه سبحانه ليس بزمان و لا قابل للحركة فذاته فوق الزمان والدهر أما المتكلمون فإنهم يقولون [صفحہ ۷۲] إنه تعالى كان و لازمان و لا وقت و أما الحكماء فيقولون إن الزمان عرض قائم بعرض آخر و ذلك العرض الآخر قائم بجسم معلول لبعض المعلومات الصادرة عنه سبحانه فالزمان عندهم و إن كان لم يزل إلا أن العلة الأولى ليست واقعة تحته و ذلك هو المراد بقوله لا تصحبه الأوقات إن فسرناه على قولهم وتفسيره على قول المتكلمين أولى . وعاشرها قوله و لا ترفده الأدوات رفدت فلانا إذا عنته والمراد الفرق بيننا وبينه لأننا مرفودون بالأدوات ولولاها لم يصح منا الفعل و هوسبحانه بخلاف ذلك . وحادى عشرها قوله سبق الأوقات كونه إلى آخر الفصل هذا تصريح بحدوث العالم . فإن قلت مامعنى قوله والعدم وجوده وهل يسبق وجوده العدم مع كون عدم العالم فى الأزلى لأول له قلت ليس يعنى بالعدم هاهنا عدم العالم بل عدم ذاته سبحانه أى غلب وجود ذاته عدمها وسبقها فوجب له وجود يستحيل تطرق العدم إليه أزلا وأبدا بخلاف الممكنات فإن عدمها سابق بالذات على وجودها و هذا دقيق بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له و بمضادته بين الأمور عرف أن لا ضد له و بمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له ضد النور بالظلمة و الوضوح بالبهمة و الجمود بالبلل و الحرور بالبرد [صفحہ ۷۳] مؤلف بين متعدياتها مقارن بين متبنياتها مقرب بين متباعداتها مفرق بين متدانياتها لا يشمل بحد و لا يحسب بعد و إنما تحدد الأدوات أنفسها و تشير الآلات إلى نظائرها المشاعر الحواس قال بلعاء بن قيس والرأس مرتفع فيه مشاعره || يهدى السبيل له سمع وعينان . قال بجعله تعالى المشاعر عرف أن لا مشعر له و ذلك لأن الجسم لا يصح منه فعل الأجسام و هذا هو الدليل الذى يعول عليه المتكلمون فى أنه تعالى ليس بجسم . ثم قال وبمضادته بين الأمور عرف أن لا ضد له و ذلك لأنه تعالى لمادلنا بالعقل على أن الأمور المتضادة إنما تتضاد على موضوع تقوم به وتحله كان قد دلنا على أنه تعالى لا ضد له لأنه يستحيل أن يكون قائما بموضوع يحله كما تقوم المتضادات بموضوعاتها. ثم قال وبمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له و ذلك لأنه تعالى قرن بين العرض والجوهر بمعنى استحالة انفكاك أحدهما عن الآخر و قرن بين كثير من الأعراض نحو ما يقوله أصحابنا فى حياتى القلب والكبد ونحو الإضافات التى يذكرها الحكماء كالبنوة والأبوة والفوقية والتحتية ونحو كثير من العلل والمعلومات والأسباب والمسببات فيما ركبه فى العقول من وجوب هذه المقارنة واستحالة انفكاك أحد الأمرين [صفحہ ۷۴] عن الآخر علمنا أنه لا قرين له سبحانه لأنه لو قارن شيئا على حسب هذه المقارنة لاستحال انفكاكه عنه فكان محتاجا فى تحقق ذاته تعالى إليه و كل محتاج ممكن فواجب الوجود ممكن هذا محال . ثم شرع فى تفصيل المتضادات فقال ضد النور بالظلمة وهما عرضان عند كثير من الناس وفيهم من يجعل الظلمة عدمية. قال والوضوح بالبهمة يعنى البياض والسواد. قال والجمود بالبلل يعنى البيوسة والرطوبة. قال والحرور بالبرد يعنى الحرارة والبرودة والحرور هاهنا مفتوح الحاء يقال إنى لأجد لهذا الطعام حرورا وحرورة فى فمى أى حرارة ويجوز أن يكون فى الكلام مضاف محذوف أى وحرارة الحرور بالبرد والحرور هاهنا يكون الريح الحارة وهى بالليل كالسموم بالنهار والبرد

البرد. ثم قال وإنه تعالى مؤلف بين هذه المتباعدات المتعدييات المتباينات و ليس المراد من تأليفه بينها جمعه إياها في مكان واحد كيف و ذلك مستحيل في نفسه بل هوسبحانه مؤلف لها في الأجسام المركبة حتى خلع منها صورة مفردة هي المزاج ألا ترى أنه جمع الحار والبارد والرطب واليابس فمزجه مزجا مخصوصا حتى انتزع منه طبيعة مفردة ليست حارة مطلقه و لا باردة مطلقه و لا رطبة مطلقه و لا يابسة مطلقه و هي المزاج و هو محدود عند الحكماء بأنه كيفية حاصله من كيفيات متضادة و هذا هو محصول كلامه ع بعينه . والعجب من فصاحته في ضمن حكمته كيف أعطى كل لفظه من هذه اللفظات ما يناسبها ويليق بها فأعطى المتباعدات لفظه مقرب لأن البعد بإزاء القرب [صفحہ ۷۵] وأعطى المتباينات لفظه مقارن لأن السينونة بإزاء المقارنة وأعطى المتعدييات لفظه مؤلف لأن الائتلاف بإزاء التعادى. ثم عاد ع فعكس المعنى فقال مفرق بين متدانياتها فجعل الفساد بإزاء الكون و هذا من دقيق حكمته ع و ذلك لأن كل كائن فاسد فلما أوضح ما أوضح في الكون والتركيب والإيجاد أعقبه بذكر الفساد والعدم فقال مفرق بين متدانياتها و ذلك لأن كل جسم مركب من العناصر المختلفة الكيفيات المتضادة الطبايع فإنه سيئول إلى الانحلال والتفرق . ثم قال لا يشمل بحد و ذلك لأن الحد الشامل ما كان مركبا من جنس وفصل والبارى تعالى منزه عن ذلك لأنه لو شمله الحد على هذا الوجه يكون مركبا فلم يكن واجب الوجود و قد ثبت أنه واجب الوجود ويجوز أن يعنى به أنه ليس بذى نهاية فتحويه الأقطار وتحده . ثم قال و لا يحسب بعديا محتمل أن يريد لا تحسب أزليته بعد أى لا يقال له منذ وجد كذا وكذا كما يقال للأشياء المتقاربة العهد ويحتمل أن يريد به أنه ليس مماثلا للأشياء فيدخل تحت العدد كمتعد الجواهر و كمتعد الأمور المحسوسة. ثم قال و إنما تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى نظائرها هذا يؤكد معنى التفسير الثانى و ذلك لأن الأدوات كالجوارح إنما تحد وتقدر ما كان مثلها من ذوات المقادير وكذلك إنما تشير الآلات و هي الحواس إلى ما كان نظيرا لها في الجسمية ولوازمها والبارى تعالى ليس بذى مقدار و لا جسم و لا حال في جسم فاستحال أن تحده الأدوات وتشير إليه الآلات [صفحہ ۷۶] مَنَعَتِهَا مِنْذُ الْقَدَمَةِ وَ حَمَتَهَا قَدَ الْأَزْلِيَّةِ وَ جَبَّتِهَا لَوْلَا التَّكْمِلَةُ بِهَا تَجَلَّى صَانِعُهَا لِلْعُقُولِ وَ بِهَا امْتَنَعَ عَنِ نَظَرِ الْعُيُونِ وَ لَا تَجْرِي عَلَيْهِ الْحَرَكَةُ وَ السَّيْكُونُ وَ كَيْفَ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ وَ يَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ أَبْدَاهُ وَ يَحْدُثُ فِيهِ مَا هُوَ أَحَدُهُ إِذَا لَتَفَاوَتَتْ ذَاتُهُ وَ لَتَجَزَأَ كُنْهُهُ وَ لَامْتَنَعَ مِنَ الْأَزْلِ مَعْنَاهُ وَ لَكَانَ لَهُ وَرَاءَ إِذْ وَجَدَ لَهُ أَمَامَ وَ لَالَتَمَسَ التَّمَامَ إِذْ لَزِمَهُ التَّقْصَانُ وَ إِذَا لَقَامَتْ آيَةُ الْمَصْنُوعِ فِيهِ وَ لَتَحَوَّلَ دَلِيلًا بَعْدَ أَنْ كَانَ مَدْلُولًا عَلَيْهِ وَ خَرَجَ بِسِلْطَانِ الْإِمْتِنَاعِ مِنْ أَنْ يُؤَثَّرَ فِيهِ مَا يُؤَثَّرُ فِي غَيْرِهِ قَدَاخْتَلَفَ الرَّوَاهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا قَوْلُ مَنْ نَصَبَ الْقَدَمَةَ وَالْأَزْلِيَّةَ وَ التَّكْمِلَةَ فَيَكُونُ نَصَبُهَا عِنْدَهُ عَلَى أَنَّهَا مَفْعُولُ ثَانٍ وَالْمَفْعُولُ الْأَوَّلُ الضَّمَائِرُ الْمُتَّصِلَةُ بِالْأَفْعَالِ وَ تَكُونُ مِنْذُ وَ قَدْ وَ لَوْ لَا فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ بِأَنَّهَا فَاعِلَةٌ وَ تَقْدِيرُ الْكَلَامِ أَنْ إِطْلَاقَ لَفْظُهُ مِنْذُ عَلَى الْآلَاتِ وَالْأَدْوَاتِ يَمْنَعُهَا عَنِ كَوْنِهَا قَدِيمَةً لِأَنَّ لَفْظَهُ مِنْذُ وَضَعَتْ لِابْتِدَاءِ الزَّمَانِ كَلْفِظُهُ مِنْ لَابْتِدَاءِ الْمَكَانِ وَالْقَدِيمُ لِابْتِدَاءِ لَهُ وَكَذَلِكَ إِطْلَاقَ لَفْظُهُ قَدْ عَلَى الْآلَاتِ وَالْأَدْوَاتِ تَحْمِيهَا وَتَمْنَعُهَا مِنْ كَوْنِهَا أَزْلِيَّةً لِأَنَّ قَدْ لِقَرِيبِ الْمَاضِي مِنَ الْحَالِ تَقُولُ قَدْ قَامَ زَيْدٌ فَقَدْ دَلَّ عَلَى أَنَّ قِيَامَهُ قَرِيبٌ مِنَ الْحَالِ الَّتِي أُخْبِرَتْ فِيهَا [صفحہ ۷۷] بِقِيَامِهِ وَالْأَزْلِيَّةُ لَا يَصِحُّ ذَلِكَ فِيهِ وَكَذَلِكَ إِطْلَاقَ لَفْظُهُ لَوْ لَا عَلَى الْأَدْوَاتِ وَالْآلَاتِ يَجْنِبُهَا التَّكْمِلَةَ وَيَمْنَعُهَا مِنَ التَّمَامِ الْمَطْلُوقِ لِأَنَّ لَفْظَهُ لَوْ لَا وَضَعَتْ لِامْتِنَاعِ الشَّيْءِ لَوْجُودِ غَيْرِهِ كَقَوْلِكَ لَوْ لَا زَيْدٌ لِقَامِ عَمْرٍو فَامْتِنَاعِ قِيَامِ عَمْرٍو إِنَّمَا هُوَ لَوْجُودُ زَيْدٍ وَ أَنْتَ تَقُولُ فِي الْأَدْوَاتِ وَالْآلَاتِ وَ كُلِّ جِسْمٍ مَا أَحْسَنَهُ لَوْ لَا أَنَّهُ فَانَ وَ مَا أْتَمَّهُ لَوْ لَا كَذَا فَيَكُونُ الْمَقْصِدُ وَالْمَنْحَى بِهَذَا الْكَلَامِ عَلَى هَذِهِ الرَّوَايَةِ بَيَانُ أَنَّ الْأَدْوَاتِ وَالْآلَاتِ مُحَدَّثَةٌ نَاقِصَةٌ وَالْمَرَادُ بِالْآلَاتِ وَالْأَدْوَاتِ أَرْبَابُهَا. الْوَجْهُ الثَّانِي قَوْلُ مَنْ رَفَعَ الْقَدَمَةَ وَالْأَزْلِيَّةَ وَ التَّكْمِلَةَ فَيَكُونُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا فَاعِلًا وَ تَكُونُ الضَّمَائِرُ الْمُتَّصِلَةُ بِالْأَفْعَالِ مَفْعُولًا - أَوْلَا - وَمِنْذُ وَ قَدْ وَ لَوْ لَا مَفْعُولًا - ثَانِيًا وَ يَكُونُ الْمَعْنَى أَنَّ قَدَمَ الْبَارِي وَأَزْلِيَّتَهُ وَ كَمَالَهُ مَنَعَتْ الْأَدْوَاتِ وَالْآلَاتِ مِنْ إِطْلَاقِ لَفْظِهِ مِنْذُ وَ قَدْ وَ لَوْ لَا عَلَيْهِ سَبْحَانَهُ لِأَنَّهُ تَعَالَى قَدِيمٌ كَامِلٌ وَلَفْظًا مِنْذُ وَ قَدْ لَا يَطْلُقَانِ إِلَّا عَلَى مُحَدَّثٍ لِأَنَّ إِحْدَاهُمَا لِابْتِدَاءِ الزَّمَانِ وَالْأُخْرَى لِتَقْرِيبِ الْمَاضِي مِنَ الْحَالِ وَلَفْظُهُ لَوْ لَا لَا تَطْلُقُ إِلَّا عَلَى نَاقِصٍ فَيَكُونُ الْمَقْصِدُ وَالْمَنْحَى بِهَذَا الْكَلَامِ عَلَى هَذِهِ

الرواية بيان قدم البارى تعالى وكمالها و أنه لا يصح أن يطلق عليه ألفاظ تدل على الحدوث والنقص . قوله ع بهاتجلى صانعها للعقول و بهامتنع عن نظر العيون أى بهذه الآلات والأدوات التى هى حواسنا ومشاعرنا وبخلقه إياها وتصويره لها تجلى للعقول وعرف لأنه لو لم يخلقها لم يعرف و بهامتنع عن نظر العيون أى بهااستنبطنا استحالة كونه مرئيا بالعيون لأنا بالمشاعر والحواس كملت عقولنا وبعقولنا استخرجنا الدلالة على أنه لا تصح رؤيته فإذن بخلقه الآلات والأدوات لنا عرفناه عقلا وبذلك [صفحہ ٧٨] أيضا عرفنا أنه يستحيل أن يعرف بغير العقل و أن قول من قال إنا سنعرفه رؤية ومشافهة بالحاسة باطل . قوله ع لاتجرى عليه الحركة والسكون هذادليل أخذه المتكلمون عنه ع فنظموه فى كتبهم وقرروه و هو أن الحركة والسكون معان محدثة فلو حلت فيه لم يخل منها و ما لم يخل من المحدث فهو محدث . فإن قلت إنه ع لم يخرج كلامه هذالمخرج وإنما قال كيف يجرى عليه ما هوأجراه و هذانمط آخر غير مايقرره المتكلمون قلت بل هو هويعينه لأنه إذاثبت أنه هو الذى أجرى الحركة والسكون أى أحدثهما لم يجرى عليه لأنهما لوجريا عليه لم يخل إما أن يجرى عليه على التعاقب وليسوا و لاواحد منهما بقديم أو يجرى عليه على أن أحدهما قديم ثم تلاه الآخر والأول باطل بما يبطل به حوادث لأول لها والثانى باطل بكلامه ع و ذلك لأنه لو كان أحدهما قديما معه سبحانه لما كان أجراه لكن قدقلنا أنه أجراه أى أحدثه و هذاخلف محال وأيضا فإذا كان أحدهما قديما معه لم يجرى أن يتلوه الآخر لأن القديم لايزول بالمحدث . ثم قال ع إذالتفاوتت ذاته ولتجزأ كنهه ولامتنع من الأزل معناه هذاتأكيد لبيان استحالة جريان الحركة والسكون عليه تقول لوصح عليه ذلك لكان محدثا و هو معنى قوله لامتنع من الأزل معناه وأيضا كان ينبغى أن تكون ذاته منقسمة لأن المتحرك الساكن لا بد أن يكون متحيزا و كل متحيز جسم و كل جسم منقسم أبدا و فى هذاإشارة إلى نفى الجوهر الفرد . [صفحہ ٧٩] ثم قال ع ولكان له وراء إذاوجد له أمام هذايؤكد ماقلناه إنه إشارة إلى نفى الجوهر الفرد يقول لوحلته الحركة لكان جرما وحجما ولكان أحد وجهيه غيرالوجه الآخر لامحالة فكان منقسما و هذالكلام لا يستقيم إلا مع نفى الجوهر الفرد لأن من أثبتة يقول يصح أن تحله الحركة و لا يكون أحد وجهيه غيرالآخر فلايلزم أن يكون له وراء وأمام . ثم قال ع و لاالتمس التمام إذ لزمه النقصان هذالإشارة إلى مايقوله الحكماء من أن الكون عدم ونقص والحركة وجود وكمال فلو كان سبحانه يتحرك ويسكن لكان حال السكون ناقصا قدعدم عنه كماله فكان ملتصقا كماله بالحركة الطائفة على السكون وواجب الوجود يستحيل أن يكون له حالة نقصان و أن يكون له حالة بالقوة وأخرى بالفعل . قوله ع إذالقامت آية المصنوع فيه و ذلك لأن آية المصنوع كونه متغيرا منتقلا من حال إلى حال لأنا بذلك استدللنا على حدوث الأجسام فلو كان تعالى متغيرا متحركا منتقلا من حال إلى حال لتحقق فيه دليل الحدوث فكان مصنوعا و قدثبت أنه الصانع المطلق سبحانه . قوله ع ولتحول دليلا- بعد أن كان مدلولا عليه يقول إنا وجدنا دليلا على البارى سبحانه أنما هوالأجسام المتحركة فلو كان البارى متحركا لكان دليلا على غيره و كان فوقه صانع آخر صنعه وأحدثه لكنه سبحانه لاصانع له و لا ذات فوق ذاته فهو المدلول عليه والمنتهى إليه . قوله ع وخرج بسطان الامتناع من أن يؤثر فيه ماأثر فى غيره فى هذالكلام يتوهم سامعه أنه عطف على قوله لتفاوتت ولتجزأ ولامتنع [صفحہ ٨٠] ولكان له ولاالتمس ولقامت ولتحول و ليس كذلك لأنه لو كان معطوفا عليها لاختل الكلام وفسد لأنها كلها مستحيلات عليه تعالى والمراد لو تحرك لزم هذه المحالات كلها. و قوله وخرج بسطان الامتناع ليس من المستحيلات عليه بل هو واجب له و من الأمور الصادقة عليه فإذافسد أن يكون معطوفا عليها وجب أن يكون معطوفا على ما كان مدلولا عليه وتقدير الكلام كان يلزم أن يتحول البارى دليلا على غيره بعد أن كان مدلولا عليه و بعد أن خرج بسطان الامتناع من أن يؤثر فيه ماأثر فى غيره وخروجه بسطان الامتناع المراد به وجوب الوجود والتجريد و كونه ليس بمتحيز و لاحتال فى المتحيز فهذا هو سلطان الامتناع الذى به خرج عن أن يؤثر فيه ماأثر فى غيره من الأجسام والممكنات الذى لا يحول و لا يزول و لا يجوز عليه الأقول لم يلد فيكون مولودا و لم يولد فيصير محدودا جل عن اتخاذا الأبناء و طهر عن ملامسة النساء لا تنال

الأوهام فْتَقَدَّرَهُ وَ لَا تَوَهَّمُهُ الْفِطْنُ فَتَّصَوَّرَهُ وَ لَا تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ فَتَحِسُّهُ وَ لَا تَلْمِسُهُ الْأَيْدِي فَتَمَسُّهُ وَ لَا يَتَغَيَّرُ بِحَالٍ وَ لَا يَتَبَدَّلُ فِي الْأَحْوَالِ وَ لَا تُبْلِيهِ اللَّيَالِي وَ الْأَيَّامُ وَ لَا يُغَيِّرُهُ الضَّيَاءُ وَ الظُّلَامُ هَذَا الْفَصْلُ كُلُّهُ وَاضِحٌ مُسْتَعْنٍ عَنِ الشَّرْحِ إِلَّا قَوْلُهُ عَ لَمْ يَلِدْ [صفحة ٨١] فَيَكُونُ مَوْلُودًا لِأَنَّ لِقَائِلَ أَنْ يَقُولَ كَيْفَ يَلِزَمُ مِنْ فَرْضِ كَوْنِهِ وَالِدًا أَنْ يَكُونَ مَوْلُودًا فِي جَوَابِهِ أَنَّهُ لَيْسَ مَعْنَى الْكَلَامِ أَنَّهُ يَلِزَمُ مِنْ فَرْضِ وَقُوعِ أَحَدِهِمَا وَقُوعِ الْآخَرِ وَكَيْفَ وَآدَمُ وَالِدٌ وَ لَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَإِنَّمَا الْمُرَادُ أَنَّهُ يَلِزَمُ مِنْ فَرْضِ صِحَّةِ كَوْنِهِ وَالِدًا صِحَّةَ كَوْنِهِ مَوْلُودًا وَالتَّالِيَّ مَحَالٌ وَالمُقَدَّمُ مَحَالٌ وَإِنَّمَا قُلْنَا إِنَّهُ يَلِزَمُ مِنْ فَرْضِ صِحَّةِ كَوْنِهِ وَالِدًا صِحَّةَ كَوْنِهِ مَوْلُودًا لِأَنَّهُ لَوْ صَحَّ أَنْ يَكُونَ وَالِدًا عَلَى التَّفْسِيرِ الْمَفْهُومِ مِنَ الْوَالِدِيَّةِ وَ هُوَ أَنْ يَتَّصُرَ مِنْ بَعْضِ أَجْزَائِهِ حَتَّى آخَرَ مِنْ نَوْعِهِ عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِحَالَةِ لِذَلِكَ الْجُزْءِ كَمَا نَعْقِلُهُ فِي النُّظْفَةِ الْمُنْفَصَلَةِ مِنَ الْإِنْسَانِ الْمُسْتَحِيلَةِ إِلَى صُورَةٍ أُخْرَى حَتَّى يَكُونَ مِنْهَا بَشَرٌ آخَرَ مِنْ نَوْعِ الْأَوَّلِ لَصَحَّ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ يَكُونُ هُوَ مَوْلُودًا مِنْ وَالِدٍ آخَرَ قَبْلَهُ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْأَجْسَامَ مَتَمَاثِلَةً فِي الْجِسْمِيَّةِ وَ قَدْ ثَبِتَ ذَلِكَ بِدَلِيلٍ عَقْلِيٍّ وَاضِحٍ فِي مَوَاضِعِهِ الَّتِي هِيَ أَمْلَكُ بِهِ وَ كُلِّ مَثَلِينَ فَإِنَّ أَحَدَهُمَا يَصِحُّ عَلَيْهِ مَا يَصِحُّ عَلَى الْآخَرِ فَلَوْ صَحَّ كَوْنُهُ وَالِدًا يَصِحُّ كَوْنُهُ مَوْلُودًا. وَ أَمَّا بَيَانُ أَنَّهُ لَا يَصِحُّ كَوْنُهُ مَوْلُودًا فَلِأَنَّ كُلَّ مَوْلُودٍ مُتَأَخِّرٌ عَنِ وَالِدِهِ بِالزَّمَانِ وَ كُلُّ مُتَأَخِّرٍ عَنِ غَيْرِهِ بِالزَّمَانِ مُحْدَثٌ فَالْمَوْلُودُ مُحْدَثٌ وَ الْبَارِي تَعَالَى قَدْ ثَبِتَ أَنَّهُ قَدِيمٌ وَ أَنَّ الْحُدُوثَ عَلَيْهِ مَحَالٌ فَاسْتِحَالُ أَنْ يَكُونَ مَوْلُودًا وَ تَمَّ الدَّلِيلُ وَ لَمَّا يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَجْزَاءِ وَ لَا بِالْجَوَارِحِ وَ الْأَعْضَاءِ وَ لَمَّا بَعْضُ مِنَ الْأَعْرَاضِ وَ لَا بِالْغَيْرِيَّةِ وَ الْأَبْعَاضِ وَ لَا يُقَالُ لَهُ حَيْدٌ وَ لَا نِهَآيَةٌ وَ لَا انْقِطَاعٌ وَ لَا غَايَةٌ وَ لَا أَنَّ الْأَشْيَاءَ تَحْوِيهِ فَتَقْلَهُ أَوْ تُهْوِيهِ أَوْ أَنَّ شَيْئًا يَحْمِلُهُ فَمِثْلُهُ [صفحة ٨٢] أَوْ يَعْدِلُهُ لَيْسَ فِي الْأَشْيَاءِ بِوَالِحٍ وَ لَا عَنْهَا بِخَارِجٍ يُخْبِرُ لَأَنَّ بِلِسَانِ وَ لَهَوَاتٍ وَ يَسْمَعُ لَا بِخُرُوقٍ وَ أَدْوَاتٍ يَقُولُ وَ لَا يَلْفِظُ وَ يَحْفَظُ وَ لَا يَتَحَفَّظُ وَ يُرِيدُ وَ لَا يُضْمِرُ يُحِبُّ وَ يَرْضَى مِنْ غَيْرِ رِقَّةٍ وَ يُغْبِضُ وَ يَغْضَبُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ يَقُولُ لِمَنْ أَرَادَ كَوْنَهُ كُنْ فَيَكُونُ لَمَّا بِصَوْتٍ يَقْرَعُ وَ لَا يَتَدَاوَى يُسْمَعُ وَ إِنَّمَا كَلَامُهُ سُبْحَانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ أَنْشَأَهُ وَ مَثَلُهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ كَائِنًا وَ لَوْ كَانَ قَدِيمًا لَكَانَ إِلَهًا ثَانِيًا فِي هَذَا الْفَصْلِ مَبَاحَثُ أَوْلَاهَا أَنَّ الْبَارِي سُبْحَانَهُ لَا يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَجْزَاءِ أَى لَيْسَ بِمُرَكَّبٍ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مُرَكَّبًا لَافْتَقَرَ إِلَى أَجْزَائِهِ وَأَجْزَاؤُهُ لَيْسَتْ نَفْسُ هُوِيَّتِهِ وَ كُلُّ ذَاتٍ تَفْتَقِرُ هُوِيَّتَهَا إِلَى أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ فَهِيَ مُمْكِنَةٌ لَكِنِّهِ وَاجِبُ الْوُجُودِ فَاسْتِحَالُ أَنْ يُوصَفَ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَجْزَاءِ. وَثَانِيًا أَنَّهُ لَا يُوصَفُ بِالْجَوَارِحِ وَ الْأَعْضَاءِ كَمَا يَقُولُ مَثَبُ الصُّورَةِ وَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَكَانَ جِسْمًا وَ كُلُّ جِسْمٍ مُمْكِنٌ وَ وَاجِبُ الْوُجُودِ غَيْرِ مُمْكِنٍ. وَ ثَالِثًا أَنَّهُ لَا يُوصَفُ بِعَرَضٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ كَمَا يَقُولُهُ الْكِرَامِيَّةُ لِأَنَّهُ لَوْ حُلِيَ الْعَرَضُ لَكَانَ ذَلِكَ الْعَرَضُ لَيْسَ بِأَنْ يَحِلَّ فِيهِ أَوْلَى مِنْ أَنْ يَحِلَّ هُوَ فِي الْعَرَضِ لِأَنَّ مَعْنَى [صفحة ٨٣] الْحُلُولِ حُصُولُ الْعَرَضِ فِي حَيْزِ الْمَحَلِّ تَبَعًا لِحُصُولِ الْمَحَلِّ فِيهِ فَمَا لَيْسَ بِمُتَحَيِّزٍ لَا يَتَحَقَّقُ فِيهِ مَعْنَى الْحُلُولِ وَ لَيْسَ بِأَنْ يَجْعَلَ مَحَلًّا- أَوْلَى مِنْ أَنْ يَجْعَلَ حَالًا. وَرَابِعًا أَنَّهُ لَا يُوصَفُ بِالْغَيْرِيَّةِ وَ الْأَبْعَاضِ أَى لَيْسَ لَهُ بَعْضٌ وَ لَا هُوَذَا أَقْسَامٌ بَعْضُهَا غَيْرًا لِلْبَعْضِ الْآخَرَ وَ هَذَا يَرْجِعُ إِلَى الْبَحْثِ الْأَوَّلِ. وَخَامِسًا أَنَّهُ لِأَحَدِهِ وَ لِأَنهَآيَةِ أَى لَيْسَ ذَا مَقْدَارٍ وَ لِذَلِكَ الْمَقْدَارِ طَرَفٌ وَ نِهَآيَةٌ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ ذَا مَقْدَارٍ لَكَانَ جِسْمًا لِأَنَّ الْمَقْدَارَ مِنْ لَوَازِمِ الْجِسْمِيَّةِ وَ قَدْ ثَبِتَ أَنَّهُ تَعَالَى لَيْسَ بِجِسْمٍ. وَ سَادِسًا أَنَّهُ لَا انْقِطَاعَ لَوْجُودِهِ وَ لِأَغَايَةِ لِأَنَّهُ لَوْ جَازَ عَلَيْهِ الْعَدَمُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ لَكَانَ وَجُودُهُ الْآنَ مُتَوَقِّفًا عَلَى عَدَمِ سَبَبِ عَدَمِهِ وَ كُلُّ مُتَوَقِّفٍ عَلَى الْغَيْرِ فَهُوَ مُمْكِنٌ فِي ذَاتِهِ وَ الْبَارِي تَعَالَى وَاجِبُ الْوُجُوبِ فَاسْتِحَالُ عَلَيْهِ الْعَدَمُ وَ أَنْ يَكُونَ لَوْجُودِهِ انْقِطَاعٌ أَوْ يَنْتَهَى إِلَى غَايَةٍ يَعْذَمُ عِنْدَهَا. وَ سَابِعًا أَنَّ الْأَشْيَاءَ لَا تَحْوِيهِ فَتَقْلَهُ أَى تَرْفَعُهُ أَوْ تُهْوِيهِ أَى تَجْعَلُهُ هَاوِيًا إِلَى جِهَةٍ تَحْتَ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَكَانَ ذَا مَقْدَارٍ أَصْغَرَ مِنْ مَقْدَارِ الشَّيْءِ الْحَاوِيِّ لَهُ لَكِنِّ قَدِيمًا أَنَّهُ يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ الْمَقَادِيرُ فَاسْتِحَالُ كَوْنِهِ مَحْوِيًا. وَ ثَامِنًا أَنَّهُ لَيْسَ يَحْمِلُهُ شَيْءٌ فَمِثْلُهُ إِلَى جَانِبٍ أَوْ يَعْدِلُهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى جَمِيعِ الْجَوَانِبِ لِأَنَّ كُلَّ مَحْمُولٍ مُقَدَّرٌ وَ كُلُّ مُقَدَّرٍ جِسْمٌ وَ قَدْ ثَبِتَ أَنَّهُ لَيْسَ بِجِسْمٍ. وَ تَاسِعًا أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْأَشْيَاءِ بِوَالِحٍ أَى دَاخِلٌ وَ لِأَنَّهَا بِخَارِجٍ هَذَا مَذْهَبُ الْمُوَحِّدِينَ وَ الْخِلَافُ فِيهِ مَعَ الْكِرَامِيَّةِ وَ الْمَجْسَمَةِ وَ يَنْبَغِي أَنْ يَفْهَمَ قَوْلُهُ عَ وَ لِأَنَّهَا بِخَارِجٍ أَنَّهُ لَا يَرِيدُ سَلْبَ الْوُلُوجِ فَيَكُونُ قَدْ خَلَا مِنَ النِّقِيزِينَ لِأَنَّ ذَلِكَ مَحَالٌ بَلِ الْمُرَادُ بِكَوْنِهِ لَيْسَ خَارِجًا عَنْهَا أَنَّهُ لَيْسَ كَمَا يَعْتَقِدُهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَنَّ الْفَلَكَ الْأَعْلَى الْمَحِيطَ لَا يَحْتَوِي عَلَيْهِ وَ لَكِنِّ ذَاتٌ مَوْجُودَةٌ مُتَمَيِّزَةٌ بِنَفْسِهَا قَائِمَةٌ [صفحة

٨٤] بذاتها خارجة عن الفلك في الجهة العليا بينها وبين الفلك بعد إما غير متناه على ما يحكى عن ابن الهيثم أو متناه على ما يذهب إليه أصحابه وذلك أن هذه القضية وهي قولنا الباري خارج عن الموجودات كلها على هذا التفسير ليست مناقضة للقضية الأولى وهي قولنا الباري داخل العالم ليكون القول بخلوه عنهما قولاً بخلوه عن النقيضين ألا ترى أنه يجوز أن تكون القضيتان كاذبتين معا بالألـ يكون الفلك المحيط محتويا عليه ولا يكون حاصلًا في جهة خارج الفلك ولو كانت القضيتان متناقضتين لما استقام ذلك وهذا كما تقول زيد في الدار زيد في المسجد فإن هاتين القضيتين ليستا متناقضتين لجواز ألا يكون زيد في الدار ولا في المسجد فإن هاتين لوتناقضتا لاستحال الخروج عن النقيضين لكن المتناقض زيد في الدار زيد ليس في الدار والذي يستشعنه العوام من قولنا الباري لداخل العالم ولا خارج العالم غلط مبني على اعتقادهم وتصورهم أن القضيتين تتناقضان وإذافهم ما ذكرناه بان أنه ليس هذا القول بشيخ بل هو سهل وحق أيضا فإنه تعالى لا متحيز ولا حال في المتحيز وما كان كذلك استحال أن يحصل في جهة لداخل العالم ولا خارج العالم وقد ثبت كونه غير متحيز ولا حال في المتحيز من حيث كان واجب الوجود فإذن القول بأنه ليس في الأشياء بوالج ولا عنها بخارج صواب وحق . وعاشرها أنه تعالى يخبر بلا لسان ولهوات وذلك لأن كونه تعالى مخبرا هو كونه فاعلا للخبر كما أن كونه ضاربا هو كونه فاعلا للضرب فكما لا يحتاج في كونه ضاربا إلى أداة وجارحة يضرب بها كذلك لا يحتاج في كونه مخبرا إلى لسان ولهوات يخبر بها . وحادي عشرها أنه تعالى يسمع بلا حروف وأدوات وذلك لأن الباري سبحانه حتى لا آفة به و كل حتى لا آفة به فواجب أن يسمع المسموعات ويبصر المبصرات [صفحة ٨٥] ولا حاجة به سبحانه إلى حروف وأدوات كما يحتاج نحن إلى ذلك لأننا أحياء ب حياة تحلنا والباري تعالى حتى لذاته فلما افرقنا فيما به كان سامعا ومبصرا افرقنا في الحاجة إلى الأدوات والجوارح . وثاني عشرها أنه يقول ولا يلفظ هذا بحث لفظي وذلك لأنه قد ورد السمع بتسميته قائلا وقد تكرر في الكتاب العزيز ذكر هذه اللفظة نحو قوله إذ قال الله يا عيسى قال الله إنني معكم ولم يرد في السمع إطلاق كونه متلفظا عليه وفي إطلاقه إيهام كونه ذا جارحة فوجب الاقتصار على ما ورد وترك ما لم يرد . وثالث عشرها أنه تعالى يحفظ ولا يتحفظ أما كونه يحفظ فيطلق على وجهين أحدهما أنه يحفظ بمعنى أنه يحصى أعمال عباده ويعلمها والثاني كونه يحفظهم ويحرسهم من الآفات والدواهي وأما كونه لا يتحفظ فيحتمل معنيين أحدهما أنه لا يجوز أن يطلق عليه أنه يتحفظ الكلام أي يتكلف كونه حافظا له ومحيطا وعالما به كالواحد منا يتحفظ الدرس ليحفظه فهو سبحانه حافظ غير متحفظ والثاني أنه ليس بمتحرز ولا مشفق على نفسه خوفا أن تبدر إليه بادرة من غيره . ورابع عشرها أنه يريد ولا يضم أما كونه مريدا فقد ثبت بالسمع نحو قوله تعالى يريد الله بكم اليسر وبالعقل لاختصاص أفعاله بأوقات مخصوصة وكيفيات مخصوصة جاز أن تقع على خلافها فلا بد من مخصص لها بما اختصت به وذلك كونه مريدا وأما كونه لا يضم فهو إطلاق لفظي لم يأذن فيه الشرع وفيه إيهام كونه ذا قلب لأن الضمير في العرف اللغوي ما استكن في القلب والباري ليس بجسم . - قرآن-٣٣٣-٣٥٦-قرآن-٣٥٧-٣٨٥-قرآن-١٠٣٦-١٠٦٤ [صفحة ٨٦] وخامس عشرها أنه يحب ويرضى من غير رقة ويغضب ويغضب من غير مشقة وذلك لأن محبته للعبد إرادته أن يشبهه ورضاه عنه أن يحمد فعله وهذا يصح ويطلق على الباري لا كإطلاقه علينا لأن هذه الأوصاف يقتضى إطلاقها علينا رقة القلب والباري ليس بجسم وأما بغضه للعبد لإرادة عقابه وغضبه كراهية فعله ووعيده بإزالة العقاب به وفي الأغلب إنما يطلق ذلك علينا ويصح منا مع مشقة تناولنا من إزعاج القلب وغليان دمه والباري ليس بجسم . وسادس عشرها أنه يقول لما أراد كونه كن فيكون من غير صوت يقرع ونداء يسمع هذا مذهب شيخنا أبي الهذيل وإليه يذهب الكرامية وأتباعها من الحنابلة وغيرهم والظاهر أن أمير المؤمنين ع أطلقه حملا على ظاهر لفظ القرآن في مخاطبة الناس بما قد سمعوه وأنسوا به وتكرر على أسماعهم وأذهانهم فأما باطن الآية وتأويلها الحقيقي فغير ما يسبق إلى أذهان العوام فليطلب من موضعه . وسابع عشرها أن كلامه سبحانه فعل منه أنشأه ومثله لم يكن من قبل ذلك كائنا ولو كان قديما

لكان إلها ثانيا هذا هو دليل المعتزلة على نفى المعانى القديمة التى منها القرآن و ذلك لأن القدم عندهم أخص صفات البارى تعالى أو موجب عن الأخص فلو أن فى الوجود معنى قديما قائما بذات البارى لكان ذلك المعنى مشاركا للبارى فى أخص صفاته و كان يجب لذلك المعنى جميع ماوجب للبارى من الصفات نحو العالمية والقادرية وغيرها فكان إلها ثانيا. فإن قلت مامعنى قوله ع ومثله قلت يقال مثلت له كذا تمثيلا إذاصورت له مثاله بالكتابة أوغيرها فالبارى مثل القرآن لجبريل ع بالكتابة فى اللوح المحفوظ فأنزله على محمدص . [صفحه ٨٧] وأيضا يقال مثل زيد بحضرتى إذاحضر قائما ومثله بين يدى زيد أى أحضرته منتصبا فلما كان الله تعالى فعل القرآن واضحا بينا كان قدمثله للمكلفين لا يُقَالُ كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ فَتَجْرِي عَلَيْهِ الصِّفَاتُ الْمُحَدَّثَاتُ وَ لَمَّا يَكُونُ بَيْنَهَا وَ بَيْنَهُ فَصْلٌ وَ لَا لَهُ عَلَيْهَا فَضْلٌ فَيَسْتَوِي الصَّانِعُ وَ الْمَصْنُوعُ وَ يَتَكَافَأُ الْمُتَبَدِّعُ وَ الْيَدِيعُ خَلَقَ الْخَلَائِقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ وَ لَمْ يَسْتَعِنْ عَلَى خَلْقِهَا بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ وَ أَنْشَأَ الْأَرْضَ فَأَمْسَكَهَا مِنْ غَيْرِ اسْتِغَالٍ وَ أَرْسَاهَا عَلَى غَيْرِ قَرَارٍ وَ أَقَامَهَا بِغَيْرِ قَوَائِمٍ وَ رَفَعَهَا بِغَيْرِ دَعَائِمٍ وَ حَصَّيْنَهَا مِنَ الْأَوْدِ وَ الْإِعْوِجَاجِ وَ مَنَعَهَا مِنَ التَّهَافُتِ وَ الْإِنْفِرَاجِ أَرْسَى أَوْتَادَهَا وَ ضَرَبَ أَسْدَادَهَا وَ اسْتَفَاضَ عُيُونَهَا وَ خَدَّ أَوْدِيَّتَهَا فَلَمْ يَهِنَ مَا بَنَاهُ وَ لَا ضَعُفَ مَا قَوَّاهُ عَادَ إِلَى تَنْزِيهِ الْبَارِي تَعَالَى عَنْ الْحُدُوثِ فَقَالَ لَا يَجُوزُ أَنْ يُوَصَفَ بِهِ فَتَجْرِي عَلَيْهِ الصِّفَاتُ الْمُحَدَّثَاتُ كَمَا تَجْرِي عَلَى كُلِّ مُحَدَّثٍ وَ رَوَى فَتَجْرِي عَلَيْهِ صِفَاتُ الْمُحَدَّثَاتِ وَ هُوَ أَلْيَقُ لِيَعُودَ إِلَى الْمُحَدَّثَاتِ ذَوَاتِ الصِّفَاتِ مَا بَعْدَهُ وَ هُوَ قَوْلُهُ ع وَ لَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَ بَيْنَهَا فَصْلٌ لِأَنَّهُ لَا يَحْسُنُ أَنْ يَعُودَ الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ وَ بَيْنَهَا إِلَى الصِّفَاتِ بَلْ إِلَى ذَوَاتِ الصِّفَاتِ . [صفحه ٨٨] قال لو كان محدثا لجرت عليه صفات الأجسام المحدثه فلم يكن بينه و بين الأجسام المحدثه فرق فكان يستوى الصانع والمصنوع و هذا محال . ثم ذكر أنه خلق الخلق غير محتذ لمثال و لاستفيد من غيره كيفية الصنعة بخلاف الواحد منا فإن الواحد منا لا بد أن يحتذى فى الصنعة كالبناء والنجار والصانع وغيرها. قال ع و لم يستعن على خلقها بأحد من خلقه لأنه تعالى قادر لذاته لا يعجزه شىء. ثم ذكر إنشاءه تعالى الأرض و أنه أمسكها من غير اشتغال منه بأمساكها و غير ذلك من أفعاله ومخلوقاته ليس كالواحد منا يمسك الثقيل فيشتغل بأمساكه عن كثير من أموره . قال وأرساها جعلها راسية على غير قرار تتمكن عليه بل واقفة بإرادته التى اقتضت وقوفها ولأن الفلك يجذبها من جميع جهاتها كما قيل أولأنه يدفعها من جميع جهاتها أولأن أحد نصفيها صاعد بالطبع والآخر هابط بالطبع فاقتضى التعادل وقوفها أولأنها طالبة للمركز فوقفت . والأود الاعوجاج وكرر لاختلاف اللفظ. والتهافت التساقط والأسداد جمع سد و هو الجبل ويجوز ضم السين . واستفاض عيونها بمعنى أفاض أى جعلها فائضة. وخد أوديتها أى شقها فلم يهن ما بناه أى لم يضعف [صفحه ٨٩] هُوَ الظَّاهِرُ عَلَيْهَا بِسُلْطَانِهِ وَ عَظَمَتِهِ وَ هُوَ الْبَاطِنُ لَهَا بِعِلْمِهِ وَ مَعْرِفَتِهِ وَ الْعَالِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا بِجَلَالِهِ وَ عِزَّتِهِ لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ مِنْهَا طَلَبُهُ وَ لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فَيَغْلِبُهُ وَ لَمَّا يَفُوتُهُ السَّرِيعُ مِنْهَا فَيَسْبِقُهُ وَ لَمَّا يَحْتَاجُ إِلَى ذِي مَالٍ فَيَرْزُقُهُ حَضَمَتِ الْأَشْيَاءِ لَهُ وَ ذَلَّتْ مُسْتَكِينَةً لِعَظَمَتِهِ لَا تَسْتَطِيعُ الْهَرَبَ مِنْ سُلْطَانِهِ إِلَى غَيْرِهِ فَتَمْتَنِعُ مِنْ نَفْعِهِ وَ ضَرَرِهِ وَ لَا كُفَّ لَهُ فَيُكَافِئُهُ وَ لَا نَظِيرَ لَهُ فَيَسَاوِيهِ هُوَ الْمُنْفِي لَهَا بَعْدَ وُجُودِهَا حَتَّى يَصِيرَ مَوْجُودُهَا كَمَفْقُودِهَا وَ لَيْسَ فَنَاءَ الدُّنْيَا بَعْدَ ابْتِدَاعِهَا بِأَعْجَبَ مِنْ إِنْشَائِهَا وَ اخْتِرَاعِهَا وَ كَيْفَ وَ لَوْ اجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا مِنْ طَيْرِهَا وَ بَهَائِمِهَا وَ مَا كَانَ مِنْ مُرَاجِحِهَا وَ سَائِمِهَا وَ أَصْنَافِ أَسْنَاحِهَا وَ أَجْنَاسِهَا وَ مُتَبَلِّدَةِ أُمَّمِهَا وَ أَكْيَاسِهَا عَلَى إِحْدَاثِ بَعْضِهَا مَا قَدَّرَتْ عَلَى إِحْدَاثِهَا وَ لَا عَرَفَتْ كَيْفَ السَّبِيلِ إِلَى إِيجَادِهَا وَ لَتَحَيَّرَتْ عُقُولُهَا فِي عِلْمِ ذَلِكَ وَ تَاهَتْ وَ عَجَزَتْ قُوَاهَا وَ تَنَاهَتْ وَ رَجَعَتْ حَاسِنَةٌ حَسِيرَةٌ عَارِفَةٌ بِأَنَّهَا مَقْهُورَةٌ مُقَرَّةٌ بِالْعَجْزِ عَنِ إِنْشَائِهَا مُدْعَنَةٌ بِالضَّعْفِ عَنِ إِفْنَائِهَا الظاهر الغالب القاهر والباطن العالم الخير. والمراح بضم الميم النعم ترد إلى المراح بالضم أيضا و هوالموضع الذى تأوى إليه النعم و ليس المراح ضد السائم على ما يظنه بعضهم و يقول إن عطف أحدهما على الآخر عطف [صفحه ٩٠] على المختلف والمتضاد بل أحدهما هو الآخر وضدهما المعلوفه وإنما عطف أحدهما على الآخر على طريقة العرب فى الخطابة ومثله فى القرآن كثير نحو قوله سبحانه لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ. وأسناخها جمع سنخ بالكسر و هوالأصل و قوله لواجتمع جميع الحيوان على إحداث بعضه

هو معنى قوله سبحانه إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ. فَإِنْ قُلْتَ مَا مَعْنَى قَوْلِهِ لَا تَسْتَطِيعُ الْهَرَبُ مِنْ سُلْطَانِهِ إِلَى غَيْرِهِ فَتَمْتَنِعُ مِنْ نَفْعِهِ وَضَرِهِ وَهَلَا قَالَ مِنْ ضَرِهِ وَ لَمْ يَذْكُرِ النِّفْعَ فَإِنَّهُ لَا مَعْنَى لَذِكْرِهِ هَاهُنَا قُلْتَ هَذَا كَمَا يَقُولُ الْمُعْتَصِمُ بِمَعْقِلِ حَصِينٍ عَنْ غَيْرِهِ مَا يَقْدِرُ الْيَوْمَ فَلَانَ لِي عَلَى نَفْعٍ وَ لَاضِرٍّ وَ لَيْسَ غَرَضُهُ إِذْ ذَكَرَ الضَّرْرَ وَإِنَّمَا يَأْتِي بِذِكْرِ النِّفْعِ عَلَى سَبِيلِ سَلْبِ الْقُدْرَةِ عَنْ فَلَانَ عَلَى كُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ الْمُعْتَصِمِ وَأَيْضًا فَإِنَّ الْعَفْوَ عَنِ الْمَجْرَمِ نَفْعٌ لَهُ فَهَوَّجَ يَقُولُ إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْرُجَ إِذَا جَرَمَ مِنْ سُلْطَانِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى غَيْرِهِ فَيَمْتَنِعُ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ تَعَالَى وَيَسْتَغْنَى عَنْ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُ لِعَدَمِ اقْتِدَارِهِ عَلَيْهِ - قرآن- ١٥٤-٢٠٦- قرآن- ٣١٥-٣٩٩ وَ إِنَّهُ سُبْحَانَهُ يُعَوِّدُ بَعْدَ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَحَدَهُ لَا شَيْءَ مَعَهُ كَمَا كَانَ قَبْلَ ابْتِدَائِهَا كَمَا ذَكَرَ يَكُونُ بَعْدَ فَنَائِهَا بَلَاءٌ وَقَتٌ وَ لَا مَكَانٌ وَ لَا حِينٌ وَ لَا زَمَانٌ عُدِمَتْ عِنْدَ ذَلِكَ الْأَجَالُ وَ الْأَوْقَاتُ وَ زَالَتِ السَّنُونَ وَ السَّاعَاتُ فَلَا شَيْءَ [صفحہ ٩١] إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ الَّذِي إِلَيْهِ مَصِيرُ جَمِيعِ الْأُمُورِ بَلَاءٌ قُدْرَةٌ مِنْهَا كَانَ ابْتِدَاءُ خَلْقِهَا وَ بَغِيرِ امْتِنَاعِ مِنْهَا كَانَ فَنَائُهَا وَ لَوْ قَدَّرَتْ عَلَى الْإِمْتِنَاعِ لَمَدَامَ بَقَاؤُهَا لَمْ يَتَكَادَهُ صُنْعُ شَيْءٍ مِنْهَا إِذْ صَنَعَهُ وَ لَمْ يُؤَدِّهِ مِنْهَا خَلْقٌ مَا بَرَأَهُ وَ خَلَقَهُ وَ لَمْ يَكُنْ لَهَا لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ وَ لَا لِحُوفٍ مِنْ زَوَالٍ وَ نُقْصَانٍ وَ لَا لِلِاسْتِعَانَةِ بِهَا عَلَى نَدِّ مُكَاتِرٍ وَ لَا لِلِاحْتِرَازِ بِهَا مِنْ ضِدِّ مُثَاوِرٍ وَ لَا لِلِازْدِيَادِ بِهَا فِي مُلْكِهِ وَ لَمَّا لِمُكَاتَرَتِهِ شَرِيكَ فِي شَرِكِهِ وَ لَمَّا لِحُوشِدِهِ كَانَتْ مِنْهُ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَأْنِسَ إِلَيْهَا ثُمَّ هُوَ يُفْنِيهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا لَا لِسَامٍ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي تَصْرِيفِهَا وَ تَدْبِيرِهَا وَ لَا لِزَاحَةِ وَاصِلِهِ إِلَيْهِ وَ لَا لِثِقَلِ شَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهِ لَا يُمَلِّهُ طَوْلُ بَقَائِهَا فَيَدْعُوهُ إِلَى سُرْعَةِ إِفْنَائِهَا وَ لَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ دَبَّرَهَا بِطُفْهِهِ وَ أَمْسَكَهَا بِأَمْرِهِ وَ أَتَقَنَّنَهَا بِقُدْرَتِهِ ثُمَّ يُعِيدُهَا بَعْدَ الْفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهَا وَ لَا اسْتِعَانَةَ بِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهَا وَ لَا لِانصِرَافٍ مِنْ حَالٍ وَ حَشْدٍ إِلَى حَالٍ اسْتِثْنَاءٍ وَ لَا مِنْ حَالٍ جَهْلٍ وَ عَمَى إِلَى عِلْمٍ وَ التَّمَسُّسِ وَ لَا مِنْ فَقْرٍ وَ حَاجَةٍ إِلَى غِنَى وَ كَثْرَةٍ وَ لَا مِنْ ذُلٍّ وَ ضَعْفٍ إِلَى عِزٍّ وَ قُدْرَةٍ شَرَعَ أَوْلَا فِي ذِكْرِ إِعْدَامِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ الْجَوَاهِرِ وَ مَا يَتَّبِعُهَا وَيَقُومُ بِهَا مِنَ الْأَعْرَاضِ قَبْلَ الْقِيَامَةِ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْكِتَابَ الْعَزِيزَ قَدُورِدُ بِهِ نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى كَمَا يَدَانَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ بَدَأَهُ عَنْ عَدَمٍ فَوَجِبَ أَنْ تَكُونَ الْإِعَادَةُ عَنْ عَدَمٍ أَيْضًا وَقَالَ تَعَالَى هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَإِنَّمَا كَانَ أَوْلَا لِأَنَّهُ كَانَ مَوْجُودًا وَ لَا شَيْءَ مِنْ - قرآن- ١٤٤-١٧٨- قرآن- ٢٥٥- ٢٧٨] [صفحہ ٩٢] الْأَشْيَاءِ بِمَوْجُودٍ فَوَجِبَ أَنْ يَكُونَ آخِرًا كَذَلِكَ هَذَا هُوَ مَذْهَبُ جُمْهُورِ أَصْحَابِنَا وَ جُمْهُورِ الْمُسْلِمِينَ . ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ يَكُونُ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ بَلَاءٌ- وَقْتُ وَ لَمَكَانٌ وَ لَاحِينٌ وَ لِأَزْمَانٌ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْمَكَانَ أَمَا الْجِسْمَ الَّذِي يَتِمَكَّنُ عَلَيْهِ جِسْمٌ آخَرَ أَوَّالِجَهَّةً وَ كِلَاهِمَا لِأَوْجُودٍ لَهُ بِتَقْدِيرِ عَدَمِ الْأَفْلَاقِ وَ مَا فِي حَشْوِهَا مِنَ الْأَجْسَامِ أَمَا الْأَوَّلُ فَظَاهِرٌ وَ أَمَا الثَّانِي فَلِأَنَّ الْجَهَّةَ لَا تَتَحَقَّقُ إِلَّا بِتَقْدِيرِ وَجُودِ الْفَلَكَ لِأَنَّهَا أَمْرٌ إِضَافِيٌّ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ فَبِتَقْدِيرِ عَدَمِهِ لَا يَبْقَى لِلْجَهَّةِ تَحَقُّقٌ أَصْلًا وَ هَذَا هُوَ الْقَوْلُ فِي عَدَمِ الْمَكَانِ حِينًا وَ أَمَا الزَّمَانُ وَالْوَقْتُ وَالْحِينُ فَكُلُّ هَذِهِ الْأَفْظَانِ تَعْطَى مَعْنَى وَاحِدًا وَ لِأَوْجُودٍ لِذَلِكَ الْمَعْنَى بِتَقْدِيرِ عَدَمِ الْفَلَكَ لِأَنَّ الزَّمَانَ هُوَ مَقْدَارُ حَرَكَةِ الْفَلَكَ فَإِذَا قَدَرْنَا عَدَمَ الْفَلَكَ فَلَا حَرَكَةَ وَ لِأَزْمَانٍ . ثُمَّ أَوْضَحَ ذَلِكَ وَأَكَّدَهُ فَقَالَ عُدِمَتْ عِنْدَ ذَلِكَ الْأَجَالُ وَ الْأَوْقَاتُ وَ زَالَتِ السَّنُونَ وَ السَّاعَاتُ لِأَنَّ الْأَجَلَ هُوَ الْوَقْتُ الَّذِي يَحِلُّ فِيهِ الدِّينُ أَوْ تَبْطَلُ فِيهِ الْحَيَاةُ وَ إِذَا ثَبِتَ أَنَّهُ لَا وَقْتُ ثَبِتَ أَنَّهُ لَا أَجَلَ وَ كَذَلِكَ لِأَسْنَةٍ وَ لِسَاعَةٍ لِأَنَّهَا أَوْقَاتٌ مُخْصِوَةٌ . ثُمَّ عَادَ إِلَى ذِكْرِ الدُّنْيَا فَقَالَ بَلَاءٌ قُدْرَةٌ مِنْهَا كَانَ ابْتِدَاءُ خَلْقِهَا وَ بَغِيرِ امْتِنَاعِ مِنْهَا كَانَ فَنَائُهَا يَعْنِي أَنَّهَا مَسْحُورَةٌ تَحْتَ الْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ . قَالَ وَ لَوْ قَدَّرْتَ عَلَى الْإِمْتِنَاعِ لَمَدَامَ بَقَاؤُهَا لِأَنَّهَا كَانَتْ تَكُونُ مَمَانَعَةً لِلْقَدِيمِ سُبْحَانَهُ فِي مَرَادِهِ وَإِنَّمَا تَمَانَعُهُ فِي مَرَادِهِ لَوْ كَانَتْ قَادِرَةً لِذَاتِهَا وَ لَوْ كَانَتْ قَادِرَةً لِذَاتِهَا وَأَرَادَتْ الْبَقَاءَ لَبْقِيَتْ . قَوْلُهُ لَمْ يَتَكَادَهُ بِالْمَدِّ أَيْ لَمْ يَشُقْ عَلَيْهِ وَيَجُوزُ لَمْ يَتَكَادَهُ بِالتَّشْدِيدِ وَ الْهَمْزَةُ وَأَصْلُهُ مِنَ الْعَقْبَةِ الْكِنُودِ وَ هِيَ الشَّاقَّةُ . [صفحہ ٩٣] قَالَ وَ لَمْ يُؤَدِّهِ أَيْ لَمْ يَثْقَلْ . ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَخْلُقِ الدُّنْيَا لِشِدِّهَا بِسُلْطَانِهِ وَ لِالْخَوْفِ مِنْ زَوَالٍ أَوْ نُقْصَانٍ يَلْحَقُهُ وَ لَا يَسْتَغْنَى بِهَا عَلَى نَدِّ مِمَّا ثَلَّ لَهُ أَوْ يَحْتَرِزُ بِهَا عَنْ ضِدِّ مُحَارِبٍ لَهُ أَوْ لِيَزِدَادٍ بِهَا مَلِكُهُ أَوْ لِيَكَاثَرِهَا بِشَرِيكَهَا فِي شَرِكَتِهِ لَهُ أَوْلَا لِأَنَّهُ كَانَ قَبْلَ خَلْقِهَا مُسْتَوْحِشًا فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَأْنِسَ بِمَنْ خَلَقَ . ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ تَعَالَى سَيَفْنِيهَا بَعْدَ إِيجَادِهَا لِالضُّجْرِ لِحَقِّهِ فِي تَدْبِيرِهَا وَ لِالزَّاحَةِ تَصْلُهُ فِي إِعْدَامِهَا وَ لِالثَّقَلِ شَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهِ حَالٌ وَجُودِهَا وَ لِالْمَلَلِ أَصَابَهُ فَبَعَثَهُ عَلَى إِعْدَامِهَا . ثُمَّ عَادَ فَقَالَ إِنَّهُ سُبْحَانَهُ سَيُعِيدُهَا إِلَى الْوُجُودِ بَعْدَ الْفَنَاءِ

لالحاجة إليها و لا يستعين ببعضها على بعض و لالأنه استوحش حال عدمها فأحب أن يستأنس بإعادتها و لالأنه فقد علما عندإعدامها فأراد بإعادتها استجداد ذلك العلم و لالأنه صار فقيرا عندإعدامها فأحب أن يتكثر ويشرى بإعادتها و لالذلل أصابه بإفنائها فأراد العز بإعادتها. فإن قلت إذا كان يفتنيها لالكذا و لالكذا و كان من قبل أوجدها لالكذا و لالكذا ثم قلت إنه يعيدها لالكذا و لالكذا فلائى حال أوجدها أولا ولائى حال أفناها ثانيا ولائى حال أعادها ثالثا خبرونا عن ذلك فإنكم قدحكيتم عنه عليه السلام الحكم و لم تحكوا عنه العلة قلت إنما أوجدها أولا للإحسان إلى البشر ليعرفوه فإنه لو لم يوجد لهم لبقى مجهولا لايعرف ثم كلف البشر ليعرضهم للمنزلة الجليلة التي لايمكن وصولهم إليها إلا بالتكليف وهي الثواب ثم يفتنيهم لأنه لايد من انقطاع التكليف ليخلص الثواب من مشاق التكليف و إذا كان لايد من انقطاعه فلايفرق بين انقطاعه بالعدم المطلق [صفحہ ۹۴] أوبتفريق الأجزاء وانقطاعه بالعدم المطلق قدورد به الشرع و فيه لطف زائد للمكلفين لأنه أردع وأهيب في صدورهم من بقاء أجزائهم واستمرار وجودها غير معدومة. ثم إنه سبحانه يبعثهم ويعيدهم ليوصل إلى كل إنسان مايستحقه من ثواب أو عقاب و لايمكن إيصال هذاالمستحق إلا بالإعادة وإنما لم يذكر أمير المؤمنين ع هذه التعليلات لأنه قدأشار إليها فيما تقدم من كلامه وهي موجودة في فرش خطبه ولأن مقام الموعظة غير مقام التعليل و أمير المؤمنين ع في هذه الخطبة يسلك مسلك الموعظة في ضمن تمجيد الباري سبحانه وتعظيمه و ليس ذلك بمظنة التعليل والحجاج [صفحہ ۹۵]

۲۳۳- و من خطبة له ع تخص بذكر الملاحم

أَلَمْ يَأْبِي وَ أُمِّي هُمْ مِنْ عَدَدِهِ أَسْمَاؤُهُمْ فِي السَّمَاءِ مَعْرُوفَةٌ وَ فِي الْأَرْضِ مَجْهُولَةٌ أَلَا فَتَوَقَّعُوا مَا يَكُونُ مِنْ إِدْبَارِ أُمُورِكُمْ وَ انْقِطَاعِ وُصُولِكُمْ وَ اسْتِعْمَالِ صِغَارِكُمْ ذَاكَ حَيْثُ تَكُونُ ضَرْبَةُ السَّيْفِ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَهْوَنَ مِنَ الدَّرْهِمِ مِنْ حِلِّهِ ذَاكَ حَيْثُ يَكُونُ الْمُعْطَى أَعْظَمَ أَجْرًا مِنَ الْمُعْطَى ذَاكَ حَيْثُ تَسْكُرُونَ مِنْ غَيْرِ شَرَابٍ بَلْ مِنَ النَّعْمَةِ وَ النَّعِيمِ وَ تَحْلِفُونَ مِنْ غَيْرِ اضْطِرَارٍ وَ تَكْذِبُونَ مِنْ غَيْرِ إِحْرَاجِ ذَاكَ إِذَا عَضَّكُمْ الْبَلَاءُ كَمَا يَعْضُ الْقَتَبُ غَارِبَ الْبَعِيرِ مَا أَطْوَلَ هَذَا الْعَنَاءَ وَ أَبْعَدَ هَذَا الرَّجَاءَ أَيُّهَا النَّاسُ أَلْقُوا هَذِهِ الْأَزِمَةَ الَّتِي تَحْمِلُ ظُهُورَهَا الْأَثْقَالَ مِنْ أَيْدِيكُمْ وَ لَا تَصَدُّعُوا عَلَى سُلْطَانِكُمْ فَتَدْمُوا غَبَّ فِعَالِكُمْ وَ لَا تَفْتَحِمُوا مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ فَوْرِ نَارِ الْفِتْنَةِ وَ أَمِيطُوا عَنْ سِنِينِهَا وَ خَلُّوا قَصَدَ السَّبِيلِ لَهَا فَتَقْدَمَ لَعَمْرِي يَهْلِكُ فِي لَهَبِهَا الْمُؤْمِنُ وَ يَسْلَمُ فِيهَا غَيْرُ الْمُسْلِمِ إِنَّمَا مَثَلِي بَيْنَكُمْ كَمَثَلِ السَّيْرَاجِ فِي الظُّلْمَةِ يَسْتَضِيءُ بِهِ مَنْ وَلَجَهَا فَاسْمَعُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَ عُوا وَ أَحْضِرُوا آذَانَ قُلُوبِكُمْ تَفْهَمُوا [صفحہ ۹۶] الإمامية تقول هذه العدة هم الأئمة الأحد عشر من ولده ع وغيرهم يقول إنه عنى الأبدال الذين هم أولياء الله في الأرض و قدتقدم منا ذكر القطب والأبدال و أوضحنا ذلك إيضاحا جليا. قوله ع أَسْمَاؤُهُمْ فِي السَّمَاءِ مَعْرُوفَةٌ أَي تعرفها الملائكة المعصومون أعلمهم الله تعالى بأسمائهم. و في الأرض مجهولة أي عندالأكثرين لاستيلاء الضلال على أكثر البشر. ثم خرج إلى مخاطبة أصحابه على عادته في ذكر الملاحم والفتن الكائنة في آخر زمان الدنيا فقال لهم توقعوا ما يكون من إدبار أموركم وانقطاع وصلكم جمع وصله. واستعمال صغاركم أي يتقدم الصغار على الكبار و هو من علامات الساعة. قال ذاك حيث يكون احتمال ضربة السيف على المؤمن أقل مشقة من احتمال المشقة في اكتساب درهم حلال و ذلك لأن المكاسب تكون قدفسدت واختلطت وغلب الحرام الحلال فيها. قوله ذاك حيث يكون المعطى أعظم أجرا من المعطى معناه أن أكثر من يعطى ويتصدق في ذلك الزمان يكون ماله حراما فلاأجر له في التصديق به ثم أكثرهم يقصد الرياء والسمعة بالصدقة أو لهوى نفسه أو لخطرة من خطراته و لايفعل الحسن لأنه حسن و لاالواجب لوجوبه فتكون اليد السفلى خيرا من اليد العليا عكس ماورد في الأثر و أماالمعطى فإنه يكون فقيرا ذا عيال لايلزمه أن يبحث عن المال أحرام هوأم حلال فإذاأخذه ليسد به خلته ويصرفه في قوت عياله كان أعظم

أجرا ممن أعطاه . [صفحہ ۹۷] وقد خطر لى فيه معنى آخر و هو أن صاحب المال الحرام إنما يصرفه فى أكثر الأحوال وأغلبها فى الفساد وارتكاب المحظور كما قال من اكتسب مالا من نھاوش أذهبہ الله فى نھابر -روایت ۱- ۲-روایت ۸- ۵۶ فإذا أخذہ الفقير منه على وجه الصدقة فقد فوت عليه صرفه فى تلك القبائح والمحظورات التى كان بعرضته صرف ذلك القدر فيها لو لم يأخذہ الفقير فإذا قد أحسن الفقير إليه بكفه عن ارتكاب القبيح و من العصمة ألا يقدر فكان المعطى أعظم أجرا من المعطى . قوله ع ذاك حيث تسكرون من غير شراب بل من النعمة بفتح النون وهى غصارة العيش و قد قيل فى المثل سكر الهوى أشد من سكر الخمر . قال تحلفون من غير اضطرار أى تتهاونون باليمين وبذكر الله عز و جل . قال وتكذبون من غير إخراج أى يصير الكذب لكم عادة ودرية لاتفعلونه لأن آخر منكم قد أخرجكم واضطرركم بالغىظ إلى الحلف وروى من غير إحواج بالواو أى من غير أن يحوجكم إليه أحد قال ذلك إذا عضكم البلاء كما يعرض القتب غارب البعير هذا الكلام غير متصل بما قبله و هذه عادة الرضى رحمه الله يلتقط الكلام التقاطا و لا يتلو بعضه بعضا و قد ذكرنا هذه الخطبة أو أكثرها فيما تقدم من الأجزاء الأول و قبل هذا الكلام ذكر ما يناله شيعته من البؤس والقنوط ومشقة انتظار الفرج . قوله ع ما أطول هذا العناء و بعد هذا الرجاء هذا حكاية كلام شيعته وأصحابه . [صفحہ ۹۸] ثم قال مخاطبا أصحابه الموجودين حوله أىها الناس ألقوا هذه الأزمة التى تحمل ظهورها الأثقال عن أيديكم هذه كناية عن النهى عن ارتكاب القبيح و ما يوجب الإثم والعقاب والظهور ها هنا هى الإبل أنفسها والأثقال المآثم وإلقاء الأزمة ترك اعتماد القبيح فهذا عمومه و أما خصوصه فتعريض بما كان عليه أصحابه من الغدر ومخامرة العدو عليه وإضمار الغل والغش له وعصيانه والتلوى عليه و قد فسره بما بعده فقال و لاتصدعوا عن سلطانكم أى لاتفرقوا فتذموا غب فعالكم أى عاقبته . ثم نهاهم عن اقتحام ما استقبلوه من فور نار الفتنة وفور النار غليانها واحتدامها و يروى ما استقبلكم . ثم قال وأميطوا عن سننها أى تنحوا عن طريقها و خلوا قصد السبيل لها أى دعوها تسلك طريقها و لاتتفقوا لها فيه فتكونوا حطبا ل نارها . ثم ذكر أنه قد يهلك المؤمن فى لهبها ويسلم فيه الكافر كما قيل المؤمن ملقى والكافر موقى . ثم ذكر أن مثله فيهم كالسرج يستضىء بها من ولجها أى دخل فى ضوئها . و آذان قلوبكم كلمة مستعارة جعل للقلب آذانا كما جعل الشاعر للقلوب أبصارا فقال يدق على النواظر ما أتاه || فتبصره بأبصار القلوب [صفحہ ۹۹]

۲۳۴- و من خطبة له ع

أوصية لكم أيها الناس بتقوى الله و كثرة حمده على آلائه إليكم و نعمائه عليكم و بلائه لمدىكم فكم خصيكم بنعمته و تدارككم برحمته أعورتكم له فستركم و تعرستم لأخذه فأمهلكم و أوصية لكم بذكر الموت و إقلام الغفلة عنه و كيف غفلتكم عما ليس يغفلكم و طمعتكم فيمن ليس يمهلكم فكفى وأعظا بيموتى عيايتتموهم حملوا إلى قبورهم غير راكبين و أنزلوا فيها غير نازلين كأنهم لم يكونوا للدنيا عمارة و كأن الآخرة لم تزل لهم دارا أو حشوا ما كانوا يوطنون و أوطنوا ما كانوا يوحشون و اشتغلوا بما فارقوا و أضاعوا ما إليه انتقلوا لما عن قبيح يستطيعون انتقالا و لا فى حسن يستطيعون ازديادا أنسوا بالدنيا فغرتهم و وثقوا بها فصيرعتهم فسابقوا رحمكم الله إلى مآزلكم التى أمرتم أن تعمروها و التى رغبتم فيها و دعيتم إليها و استتموا نعم الله عليكم بالصبر على طاعته و المجانية لمعصيته فإن غدا من اليوم قريب ما أسرع الساعات فى اليوم و أسرع الأيام فى الشهر و أسرع الشهور فى السنة و أسرع السنين فى العمر [صفحہ ۱۰۰] أعورتم أى انكشفتم و بدت عوراتكم وهى المقاتل تقول أعور الفارس إذا بدت مقاتله و أعورك الصيد إذا أمكنك منه . قوله ع أو حشوا ما كانوا يوطنون أى أوطنوا قبورهم التى كانوا يوحشونها . قوله ع و اشتغلوا بما فارقوا أى اشتغلوا وهم فى القبور بما فارقوه من الأموال والقينات لأنها أذى و عقاب عليهم فى قبورهم ولولاها لكانوا

فى راحه وىجوز أن ىكون حكاىه حالهم وهم بعد فى الدنيا أى اشتغلوا أيام حىاتهم من الأموال والمنازل بما فارقه وأضاعوا من أمر آخرتهم ما انتقلوا إله . ثم ذكر أنهم لاىستطىعون فعل حسنه و لا توبه من قىبح لأن التكلىف سقط والمنازل التى أمروا بعمارته والمقابر وعمارته الأعمال الصالحه و قوله ع إن غدا من الیوم قرىب كلام ىجرى مجرى المثل قال غد ماغد ما أقرب الیوم من غد والأصل فى قول الله تعالى إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصَّبْحُ أَلَيْسَ الصَّبْحُ بِقَرِيبٍ . و قوله ع ماأسرع الساعات فى الیوم إلى آخر الفصل كلام شرف و جیز بالغ فى معناه والفصل كله نادر لانظىر له -قرآن- ٧٣٨-٧٨٨ [صفحہ ١٠١]

٢٣٥- و من خطبه له ع

اشاره

فَمِنَ الْإِيْمَانِ مَا يَكُونُ ثَابِتًا مُسْتَقْرَأً فِي الْقُلُوبِ وَ مِنْهُ مَا يَكُونُ عَوَارِي بَيْنَ الْقُلُوبِ وَ الصُّدُورِ إِلَى أَجْلِ مَعْلُومٍ فَإِذَا كَانَتْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ مِنْ أَحَدٍ فَقِفُوهُ حَتَّى يَحْضُرَهُ الْمَوْتُ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقَعُ حَدُّ الْبَرَاءَةِ وَ الْهَجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَى حَدِّهَا الْأَوَّلِ مَا كَانَ لِلَّهِ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ حَاجَةٌ مِنْ مُسْتَسِرِّ الْأُمَمِ وَ مُعْلِنِهَا لَا يَقَعُ اسْمُ الْهَجْرَةِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ الْحُجَّةِ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ عَرَفَهَا وَ أَقْرَبَهَا فَهِيَ مُهَاجِرٌ وَ لَا يَقَعُ اسْمُ الْإِسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ الْحُجَّةُ فَسَمِعَتْهَا أُذُنُهُ وَ وَعَايَا قَلْبُهُ إِنْ أَمَرْنَا صِغَبٌ مُسْتَصَعَبٌ لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ اِمْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيْمَانِ وَ لَا يَعِي حَرِيْدِيْنَا إِلَّا صُرْدُورٌ أَمِيْنَةٌ وَ أَحْلَامٌ رَزِيْنَةٌ أَيُّهَا النَّاسُ سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي فَلَأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنْ بَطُرُقِ الْأَرْضِ قَبْلَ أَنْ تَشْعَرَ بِرِجْلِهَا فِتْنَةٌ تَطَأُ فِي خِطَامِهَا وَ تَذْهَبُ بِأَحْلَامِ قَوْمِهَا هَذَا الْفَصْلُ يَحْمِلُ عَلَى عَدَّةٍ مَبَاحِثٍ أَوْلَهَا قَوْلُهَا ع فَمِنَ الْإِيْمَانِ مَا يَكُونُ كَذَا فَنَقُولُ إِنَّهُ قَسْمُ الْإِيْمَانِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ [صفحہ ١٠٢] أَحَدُهَا الْإِيْمَانُ الْحَقِيْقِيُّ وَ هُوَ الثَّابِتُ الْمُسْتَقَرُّ فِي الْقُلُوبِ بِالْبِرْهَانِ الْيَقِيْنِيِّ . الثَّانِي مَا لَيْسَ ثَابِتًا بِالْبِرْهَانِ الْيَقِيْنِيِّ بَلْ بِالِدَّلِيلِ الْجَدْلِيِّ كَالْإِيْمَانِ كَثِيرٍ مِمَّنْ لَمْ يَحْقُقِ الْعُلُومَ الْعَقْلِيَّةَ وَ يَعْتَقِدُ مَا يَعْتَقِدُهُ عَنْ أَقْيَسِهِ جَدْلِيَّةً لَا تَبْلُغُ إِلَى دَرَجَةِ الْبِرْهَانِ وَ قَدْ سَمِيَ ع هَذَا الْقِسْمُ بِاسْمِ مَفْرَدٍ فَقَالَ إِنَّهُ عَوَارِي فِي الْقُلُوبِ وَ الْعَوَارِي جَمْعُ عَارِيَّةٍ أَيْ هُوَ وَ إِنْ كَانَ فِي الْقَلْبِ وَ فِي مَحَلِّ الْإِيْمَانِ الْحَقِيْقِيِّ إِلَّا أَنْ حَكَمَهُ حَكْمُ الْعَارِيَّةِ فِي الْبَيْتِ فَإِنَّهَا بَعْضُ الْخُرُوجِ مِنْهَا لِأَنَّهَا لَيْسَتْ أَصْلِيَّةً كَانَتْ فِي بَيْتِ صَاحِبِهَا . وَ الثَّلَاثُ مَا لَيْسَ مُسْتَنَدًا إِلَى بِرْهَانٍ وَ لَا إِلَى قِيَاسٍ جَدْلِيٍّ بَلْ عَلَى سَبِيلِ التَّقْلِيدِ وَ حَسَنِ الظَّنِّ بِالْأَسْلَافِ وَ بَمَنْ يَحْسَنُ ظَنِّ الْإِنْسَانِ فِيهِ مِنْ عَابِدِ أَوْزَاهِدٍ أَوْ ذِي وَرْعٍ وَ قَدْ جَعَلَهُ ع عَوَارِي بَيْنَ الْقُلُوبِ وَ الصُّدُورِ لِأَنَّهُ دُونَ الثَّانِي فَلَمْ يَجْعَلْهُ حَالًا فِي الْقَلْبِ وَ جَعَلَهُ مَعَ كَوْنِهِ عَارِيَّةً حَالًا بَيْنَ الْقَلْبِ وَ الصُّدُورِ فَيَكُونُ أَوْضَعُفٌ مِمَّا قَبْلَهُ . فَإِنْ قُلْتَ فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ إِلَى أَجْلِ مَعْلُومٍ قُلْتَ إِنَّهُ يَرْجِعُ إِلَى الْقَسْمَيْنِ الْأَخِيرَيْنِ لِأَنَّ مِنْ لَا يَكُونُ إِيمَانَهُ ثَابِتًا بِالْبِرْهَانِ الْقَطْعِيِّ قَدْ يَنْتَقِلُ إِيمَانَهُ إِلَى أَنْ يَصِيرَ قَطْعِيًّا بِأَنْ يَمَعْنَ النَّظَرَ وَ يَرْتَبِ الْبِرْهَانَ تَرْتِيْبًا مَخْصُوصًا فَيَنْتَجِ لَهُ النَّتِيْجَةُ الْيَقِيْنِيَّةُ وَ قَدْ يَصِيرُ إِيمَانُ الْمُقْلِدِ إِيمَانًا جَدْلِيًّا فَيَرْتَقِي إِلَى مَا فَوْقَهُ مَرْتَبَتَهُ وَ قَدْ يَصِيرُ إِيمَانُ الْجَدْلِيِّ إِيمَانًا تَقْلِيْدِيًّا بِأَنْ يَضْعَفُ فِي نَظَرِهِ ذَلِكَ الْقِيَاسُ الْجَدْلِيُّ وَ لَا يَكُونُ عَالِمًا بِالْبِرْهَانِ فَيَثْوُلُ حَالِ إِيمَانِهِ إِلَى أَنْ يَصِيرَ تَقْلِيْدِيًّا فَهَذَا هُوَ فَائِدَةُ قَوْلِهِ إِلَى أَجْلِ مَعْلُومٍ فِي هَذَيْنِ الْقَسْمَيْنِ . فَأَمَّا صَاحِبُ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ فَلَا يَمْكُنُ أَنْ يَكُونَ إِيمَانَهُ إِلَى أَجْلِ مَعْلُومٍ لِأَنَّ مِنْ ظَفَرَ بِالْبِرْهَانِ اسْتِحْالٌ أَنْ يَنْتَقِلَ عَنْ اعْتِقَادِهِ لِاصْعَادًا وَ لَاهَابِطًا أَمَّا لِاصْعَادًا فَلِأَنَّهُ لَيْسَ فَوْقَ الْبِرْهَانِ مَقَامٌ آخَرَ وَ أَمَّا لِاهَابِطًا فَلِأَنَّ مَادَّةَ الْبِرْهَانِ هِيَ الْمَقْدَمَاتُ الْبَدِيْهِيَّةُ [صفحہ ١٠٣] وَ الْمَقْدَمَاتُ الْبَدِيْهِيَّةُ يَسْتَحِيلُ أَنْ تَضْعَفَ عِنْدَ الْإِنْسَانِ حَتَّى يَصِيرَ إِيمَانَهُ جَدْلِيًّا أَوْ تَقْلِيْدِيًّا . وَ ثَانِيًا قَوْلُهُ ع فَإِذَا كَانَتْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فَنَقُولُ إِنَّهُ ع نَهَى عَنِ الْبَرَاءَةِ مِنْ أَحَدٍ مَا دَامَ حَيًّا لِأَنَّهُ وَ إِنْ كَانَ مَخْطُئًا فِي اعْتِقَادِهِ لَكِنْ يَجُوزُ أَنْ يَعْتَقِدَ الْحَقَّ فِيمَا بَعْدَ وَ إِنْ كَانَ مَخْطُئًا فِي أَعْمَالِهِ لَكِنْ يَجُوزُ أَنْ يَتُوبَ فَلَا تَحُلُ الْبَرَاءَةُ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى أَمْرِ فَإِذَا مَاتَ عَلَى اعْتِقَادٍ قَبِيْحٍ أَوْ فَعَلَ قَبِيْحًا جَازَتْ الْبَرَاءَةُ مِنْهُ لِأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ لَهُ بَعْدَ الْمَوْتِ حَالَةٌ تَنْتَظَرُ

وينبغي أن تحمل هذه البراءة التي أشار إليها على البراءة المطلقة لا على كل براءة لأننا يجوز لنا أن نبرأ من الفاسق و هوحى و من الكافر و هوحى لكن بشرط كونه فاسقا وبشرط كونه كافرا فأما من مات ونعلم مامات عليه فإننا نبرأ منه براءة مطلقة غير مشروطة. وثالثها قوله والهجرة قائمة على حدها الأول فنقول هذا كلام يختص به أمير المؤمنين ع و هو من أسرار الوصية لأن الناس يروون عن النبي ص أنه قال لا هجرة بعد الفتح فشفع عمه العباس في نعيم بن مسعود الأشجعي أن يستثنيه فاستثناه و هذه الهجرة التي يشير إليها أمير المؤمنين ع ليست تلك الهجرة بل هي الهجرة إلى الإمام قال إنها قائمة على حدها الأول مادام التكليف باقيا و هو معنى قوله ما كان لله تعالى في أهل الأرض حاجة. و قال الراوندى ماها هنا نافية أى لم يكن لله في أهل الأرض من حاجة و هذا ليس بصحيح لأنه إدخال كلام منقطع بين كلامين متصل أحدهما بالآخر. ثم ذكر أنه لا يصح أن يعد الإنسان من المهاجرين إلا بمعرفة إمام زمانه و هو [صفحة ١٠٤] معنى قوله إلا بمعرفة الحجة في الأرض قال فمن عرف الإمام وأقر به فهو مهاجر. قال ولا يجوز أن يسمى من عرف الإمام مستضعفا يمكن أن يشير به إلى آيتين في القرآن أحدهما قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَا وَاهُمْ جَهَنَّمُ فَا لمراد على هذا أنه ليس من عرف الإمام وبلغه خبره بمستضعف كما كان هؤلاء مستضعفين و إن كان في بلده وأهله لم يخرج و لم يتجشم مشقة السفر. ثانيهما قوله تعالى في الآية التي تلى الآية المذكورة إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ فَا لمراد على هذا أنه ليس من عرف الإمام وبلغه خبره بمستضعف كهؤلاء الذين استثناهم الله تعالى من الظالمين لأن أولئك كانت الهجرة بالبدن مفروضة عليهم وعفى عن ذوى العجز عن الحركة منهم وشيعه الإمام ع ليست الهجرة بالبدن مفروضة عليهم بل تكفى معرفتهم به وإقرارهم بإمامته فلا يقع اسم الاستضعاف عليهم . فإن قلت فما معنى قوله من مستسر الأمة ومعلنها وبما ذا يتعلق حرف الجر قلت معناه مادام لله في أهل الأرض المستسر منهم باعتقاده والمعلن حاجة فمن على هذا زائدة فلو حذف لجر المستسر بدلا من أهل الأرض و من إذا كانت زائدة لاتعلق نحو قولك ماجاءنى من أحد. -قرآن- ١٨٧-٣٩٣-قرآن- ٥٩٧-٧٥٠ [صفحة ١٠٥] ورابعها قوله ع إن أمرنا هذا صعب مستصعب ويروى مستصعب بكسر العين لا يحتمله إلا عبدا متحن الله تعالى قلبه للإيمان هذه من ألفاظ القرآن العزيز قال الله تعالى أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشِرْكَائِهِمْ هُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ قَلْبَهُمْ لَتَتَّقُوا وَدَرَبَ لِلنَّهْضِ بِهِ فَهُوَ مُضْطَلَعٌ بِهِ غَيْرَ وَانْ عَنهُ وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ صَبَرُوا عَلَى التَّقْوَى أَقْوِيَاءَ عَلَى إِحْتِمَالِ مَشَاقِقِهَا وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ وَضَعُ الْإِمْتِحَانِ مَوْضِعَ الْمَعْرِفَةِ لِأَنَّ تَحْقِيقَ الشَّيْءِ إِنَّمَا يَكُونُ بِإِخْتِبَارِهِ كَمَا يَوْضَعُ الْخَبِيرَ مَوْضِعَ الْمَعْرِفَةِ فَكَأَنَّهُ قِيلَ عَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى فَتَتَّعَلَقُ بِاللَّامِ بِمَحْذُوفِ أَى كَائِنَهُ لَهُ وَهِيَ اللَّامُ الَّتِي فِي قَوْلِكَ أَنْتَ لِهَذَا الْأَمْرِ أَى مَخْتَصٌّ بِهِ كَقَوْلِهِ -قرآن- ١٦٨-٢٢٠ أَعْدَاءُ مِنَ اللَّيْعَمَاتِ عَلَى الْوَجَا وَتَكُونُ مَعَ مَعْمُولِهَا مَنْصُوبَةً عَلَى الْحَالِ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى ضَرْبَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَحَنِ وَالتَّكْلِيفِ الصَّعْبِ لِأَجْلِ التَّقْوَى أَى لِتَثْبِيتِ فَيْظِهَا وَيَعْلَمُ أَنَّهُمْ مَتَّقُونَ لِأَنَّ حَقِيقَةَ التَّقْوَى لَا تَعْلَمُ إِلَّا عِنْدَ الْمَحَنِ وَالشَّدَائِدِ وَالْإِصْطِبَارِ عَلَيْهَا. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى أَنَّهُ أَخْلَصَ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى مِنْ قَوْلِهِمْ آمَنُوا بِاللَّهِ إِذَا أَذَابَهُ فَخْلَصَ إِبْرِيْزَهُ مِنْ خَبْثِهِ وَنَقَاهُ . وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ قَدْ قَالَهَا عَ مَرَارًا وَوَقَفْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ عَلَى خُطْبَةٍ مِنْ جَمَلَتِهَا إِنْ قَرِيشًا طَلَبَتْ السَّعَادَةَ فَشَقِيتْ وَطَلَبَتْ النِّجَاةَ فَهَلَكَتْ وَطَلَبَتْ الْهُدَى فَضَلَّتْ أَلَمْ يَسْمَعُوا وَيَحْتَمِلُ قَوْلَهُ تَعَالَى وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ فَأَيْنَ الْمَعْدِلِ وَالْمَنْزَعِ عَنِ ذُرِّيَةِ الرَّسُولِ الَّذِينَ شَهِدَ اللَّهُ بِنِيَانِهِمْ فَوْقَ بِنِيَانِهِمْ وَأَعْلَى رِءُوسِهِمْ فَوْقَ رِءُوسِهِمْ وَاخْتَارَهُمْ عَلَيْهِمْ أَلَا إِنَّ الذَّرِيَّةَ أَفْئَانُ أَنْشَجَرْتَهَا وَدُوْحَةٌ أَنْسَأَقَهَا وَإِنِّي مِنْ أَحْمَدٍ بِمَنْزِلَةِ الضُّوءِ مِنَ الضُّوءِ كُنَا -رواية- ١-١-إداهه دارد [صفحة ١٠٦] ظلالات تحت العرش قبل خلق البشر وقبل خلق الطينة التي كان منها البشر أشباحا عالية لأجساما نامية إن أمرنا صعب مستصعب لا يعرف كنهه إلا ثلاثة ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبدا متحن الله قلبه للإيمان فإذا انكشف لكم سر أو وضح لكم أمر فاقبلوه و إلا فاسكتوا تسلموا وردوا

علمنا إلى الله فإنكم في أوسع مما بين السماء والأرض -رواية-از قبل-٣٣٢ قوله سلونى قبل أن تفقدونى -رواية-١-٢-
رواية-٩-٣٣ أجمع الناس كلهم على أنه لم يقل أحد من الصحابة ولا أحد من العلماء سلونى غير على بن أبى طالب ع ذكر
ذلك ابن عبد البر المحدث فى كتاب الاستيعاب . والمراد بقوله فلأنا أعلم بطرق السماء منى بطرق الأرض مااختص به من العلم
بمستقبل الأمور ولاسيما فى الملاحم والدول و قدصدق هذا القول عنه ماتواتر عنه من الأخبار بالغيوب المتكررة لامرأة ولامائة
مرة حتى زال الشك والريب فى أنه إخبار عن علم وأنه ليس على طريق الاتفاق و قدذكرنا كثيرا من ذلك فيما تقدم من
هذا الكتاب . و قدتأوله قوم على وجه آخر قالوا أراد أنا بالأحكام الشرعية والفتاوى الفقهية أعلم منى بالأمور الدينوية فعبّر عن
تلك بطرق السماء لأنها أحكام إلهية وعبّر عن هذه بطرق الأرض لأنها من الأمور الأرضية والأول أظهر لأن فحوى الكلام وأوله
يدل على أنه المراد [صفحہ ١٠٧]

قصة وقعت لأحد الوعاظ ببغداد

وعلى ذكر قوله ع سلونى حدثنى من أثق به من أهل العلم حديثا وإن كان فيه بعض الكلمات العامية إلا أنه يتضمن ظرفا ولطفا
ويتضمن أيضا أدبا. قال كان ببغداد فى صدر أيام الناصر لدين الله أبى العباس أحمد بن المستضى بالله واعظ مشهور بالحدق
ومعرفة الحديث والرجال و كان يجتمع إليه تحت منبره خلق عظيم من عوام بغداد و من فضلائها أيضا و كان مشتهرا بدم أهل
الكلام وخصوصا المعتزلة و أهل النظر على قاعدة الحشوية وبغضى أرباب العلوم العقلية و كان أيضا منحرفا عن الشيعة برضا
العامه بالميل عليهم فاتفق قوم من رؤساء الشيعة على أن يضعوا عليه من يبيته ويسأله تحت منبره ويخجله ويفضحه بين الناس فى
المجلس و هذه عادة الوعاظ يقوم إليهم قوم فيسألونهم مسائل يتكلفون الجواب عنها وسألوا عمن ينتدب لهذا فأشير عليهم
بشخص كان ببغداد يعرف بأحمد بن عبدالعزيز الكزى كان له لسن ويشغل بشىء يسير من كلام المعتزلة ويتشيع وعنده قحة و
قدشدا أطرافا من الأدب و قدرأيت أنا هذا الشخص فى آخر عمره و هو يومئذ شيخ و الناس يختلفون إليه فى تعبير الرؤيا
فأحضره وطلبوا إليه أن يعتمد ذلك فأجابهم وجلس ذلك الواعظ فى يومه الذى جرت عاداته بالجلوس فيه واجتمع الناس عنده
على طبقاتهم حتى امتلأت الدنيا بهم وتكلم على عاداته فأطال فلما مر فى ذكر صفات البارى سبحانه فى أثناء الوعظ قام إليه
الكزى فسأله أسئلة عقلية على منهاج كلام المتكلمين من المعتزلة فلم يكن للواعظ عنها جواب نظرى وإنما دفعه بالخطابة
والجدل وسجع الألفاظ وتردد الكلام بينهما طويلا و قال الواعظ فى آخر الكلام أعين المعتزلة حول وصوتى [صفحہ ١٠٨] فى
مسامعهم طبول وكلامى فى أفئدتهم نصول يا من بالاعتزال يصول ويحك كم تحوم وتجول حول من لاتدرکه العقول كم أقول
كم أقول خلوا هذا الفضول .فارتج المجلس وصرخ الناس وعلت الأصوات وطاب الواعظ وطرب وخرج من هذا الفصل إلى غيره
فشطح شطح الصوفية و قال سلونى قبل أن تفقدونى وكررها فقام إليه الكزى فقال ياسيدى ماسمعنا أنه قال هذه الكلمة إلا على
بن أبى طالب ع وتمام الخبر معلوم وأراد الكزى بتمام الخبر قوله ع لايقولها بعدى إلا مدع . فقال الواعظ و هو فى نشوة طربه
وأراد إظهار فضله ومعرفة برجال الحديث والرواة من على بن أبى طالب أم هو على بن أبى طالب بن المبارك النيسابورى أم
على بن أبى طالب بن إسحاق المروزى أم على بن أبى طالب بن عثمان القيروانى أم على بن أبى طالب بن سليمان الرازى وعد
سبعة أوثمانية من أصحاب الحديث كلهم على بن أبى طالب فقام الكزى وقام من يمين المجلس آخر و من يسار المجلس ثالث
انتدبوا له وبدلوا أنفسهم للحمية ووطنوها على القتل . فقال الكزى أشا ياسيدى فلان الدين أشا صاحب هذا القول هو على بن
أبى طالب زوج فاطمة سيدة نساء العالمين ع و إن كنت ماعرفته بعدبعينه فهو الشخص الذى لما آخى رسول الله ص بين الأتباع

والأذنان آخى بينه وبين نفسه وأسجل على أنه نظيره ومماثله فهل نقل في جهازكم أنتم من هذا شيء أُنبت تحت خبكم من هذا شيء. فأراد الواعظ أن يكلمه فصاح عليه القائم من الجانب الأيمن وقال ياسيدى فلان الدين محمد بن عبد الله كثير فى الأسماء ولكن ليس فيهم من قال له رب العزة [صفحة ١٠٩] ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى وكذلك على بن أبى طالب كثير فى الأسماء ولكن ليس فيهم من قرآن-١-٨٢ قال له صاحب الشريعة أنت منى بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لانبى بعدى -رواية-١-٢-رواية-٢٥-٨٠ وقد تلتقى الأسماء فى الناس والكنى || كثيرا ولكن ميزوا فى الخلائق. فالتفت إليه الواعظ ليكلمه فصاح عليه القائم من الجانب الأيسر وقال ياسيدى فلان الدين حركك تجهله أنت معذور فى كونك لاتعرفه و إذاخفيت على الغبى فعاذر || ألا ترانى مقله عمياء. فاضطرب المجلس وماج كمايموج البحر وافتتن الناس وتواثبت العامة بعضها إلى بعض وتكشفت الرؤوس ومزقت الثياب ونزل الواعظ واحتمل حتى أدخل دارا أغلق عليه بابها وحضر أعوان السلطان فسكنوا الفتنة وصرفوا الناس إلى منازلهم وأشغالهم وأنفذ الناصر لدين الله فى آخر نهار ذلك اليوم فأخذ أحمد بن عبدالعزيز الكزى والرجلين اللذين قاما معه فحبسهم أياما لتطفأ نائرة الفتنة ثم أطلقهم [صفحة ١١٠]

٢٣٦- و من خطبة له ع

أَحْمَدُهُ شُكْرًا لِإِنْعَامِهِ وَ أَسْتَعِينُهُ عَلَى وَظَائِفِ حُقُوقِهِ عَزِيزَ الْجُنْدِ عَظِيمَ الْمَجْدِ وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ دَعَا إِلَى طَاعَتِهِ وَ قَاهَرَ أَعْدَاءَهُ جِهَادًا عَنِ دِينِهِ لَأَيُّبِهِ عَنِ ذَلِكَ اجْتِمَاعٍ عَلَى تَكْذِيبِهِ وَ التَّمَسُّ لِبَاطِنِهِ نُورِهِ فَاعْتَصَمُوا بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّ لَهَا حَبْلًا وَثِقًا عُرْوَتَهُ وَ مَعْقَلًا مَنِيعًا ذُرْوَتَهُ وَ بَادِرُوا الْمَوْتَ وَ عَمَرَاتِهِ وَ امْهَدُوا لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ وَ أَعِدُوا لَهُ قَبْلَ نُزُولِهِ فَإِنَّ الْغَايَةَ الْقِيَامَةَ وَ كَفَى بِذَلِكَ وَاعِظًا لِمَنْ عَقَلَ وَ مُعْتَبَرًا لِمَنْ جَهَلَ وَ قَبْلَ بُلُوغِ الْغَايَةِ مَا تَعْلَمُونَ مِنْ ضَيْقِ الْأَرْمَاسِ وَ شِدَّةِ الْإِبْلَاسِ وَ هَوْلِ الْمُطَّلَعِ وَ رَوَعَاتِ الْفَرْعِ وَ اخْتِلَافِ الْأَصْلَاعِ وَ اسْتِكَامِكِ الْأَسْمَاعِ وَ ظَلَمِيَةِ اللَّحْدِ وَ خِيفَةِ الْوَعْدِ وَ غَمِّ الضَّرِيحِ وَ رَدَمِ الصَّفِيحِ فَاللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَى سَنَنِ وَ أَنْتُمْ وَ السَّاعَةُ فِي قَرْنٍ وَ كَانَتْهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا وَ أَرَفَتْ بِأَفْرَاطِهَا وَ وَقَفَتْ بِكُمْ عَلَى صِرَاطِهَا وَ كَانَتْهَا قَدْ أَشْرَفَتْ بِزِلَازِلِهَا وَ أَنَاخَتْ بِكَلَالِهَا وَ انصَرَفَتْ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا وَ أَخْرَجَتْهُمْ مِنْ حِصْنِهَا فَكَانَتْ كَيَوْمِ مَضَى وَ شَهْرٍ انقَضَى وَ صَارَ جَدِيدُهَا رِثًا وَ سَمِينُهَا غَنًّا فِي مَوْقِفِ ضَنْكِ الْمَقَامِ وَ أُمُورٍ مُشْتَبِهَةٍ عِظَامٍ وَ نَارٍ شَدِيدٍ كَلْبَهَا عَالٍ لِحَبْلِهَا سَاطِعٍ لَهَا مُتَعَيِّظٌ زَفِيرُهَا مُتَأَجِّجٌ سَعِيرُهَا بَعِيدٌ خُمُودُهَا ذَاكٍ وَ قُودُهَا مَخُوفٍ [صفحة ١١١] وَ عِيدُهَا عَمَّ قَرَارُهَا مُظْلِمَةٌ أَقْطَارُهَا حَامِيَةٌ قُدُورُهَا فَطِيْعَةٌ أُمُورُهَا وَ سَبِيْقُ الْبَدِينِ اتَّقُوا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زَمْرًا قَدْ أُمِنَ الْعَذَابُ وَ انقَطَعَ الْعِتَابُ وَ زُحْزِحُوا عَنِ النَّارِ وَ اطْمَأَنَّتْ بِهِمُ الدَّارُ وَ رَضُوا الْمَثْوَى وَ الْقَرَارَ الْبَدِينِ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا زَاكِيَةً وَ أَعْيُنُهُمْ بَاكِيَةً وَ كَانَ لِيْلُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ نَهَارًا تَخَشَعًا وَ اسْتِغْفَارًا وَ كَانَ نَهَارُهُمْ لَيْلًا تَوَحُّشًا وَ انقِطَاعًا فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُمُ الْجَنَّةَ مَأْبَاً وَ الْجَزَاءَ ثَوَابًا وَ كَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَ أَهْلَهَا فِي مُلْكِكَ دَائِمٍ وَ نَعِيمٍ قَائِمٍ فَارْعَوْا عِبَادَ اللَّهِ مَا بَرِعَانِيَّتُهُ يُفُوزُ فَائِزُكُمْ وَ يَاضَاعَتِهِ يَخْسِرُ مُبْطَلُكُمْ وَ بَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ فَإِنَّكُمْ مُرْتَهِنُونَ بِمَا أَسْلَفْتُمْ وَ مَدِينُونَ بِمَا قَدَّمْتُمْ وَ كَانَ قَدْ نَزَلَ بِكُمْ الْمَخُوفُ فَلَمَّا رَجِعَتْهُ تَبَالُونَ وَ لَمَّا عَثَرَتْهُ تَقَالُونَ اسْتَعْمَلْنَا اللَّهَ وَ إِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ وَ طَاعِيَهُ رَسُولِهِ وَ عَفَا عَنَّا وَ عَنكُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ الزَّمُوا الْأَرْضَ وَ اصْبِرُوا عَلَى الْبَلَاءِ وَ لَا تُحَرِّكُوا بِأَيْدِيكُمْ وَ سِيُوفِكُمْ فِي هَوَى السُّتَيْتِكُمْ وَ لَا تَسْتَعْجِلُوا بِمَا لَمْ يَعْجَلْهُ اللَّهُ لَكُمْ فَإِنَّهُ مِنْ مَيَاتٍ مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ وَ هُوَ عَلَى مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ وَ حَقِّ رَسُولِهِ وَ أَهْلِ بَيْتِهِ مَاتَ شَهِيدًا وَ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَ اسْتَوْجَبَ ثَوَابَ مَا نَوَى مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ وَ قَامَتِ النَّيَّةُ مَقَامَ إِصْلَاحِهِ لِيَسِيْفِهِ فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مُيَدَّةً وَ أَجَلًا وَظَائِفِ حُقُوقِهِ الْوَاجِبَاتِ الْمُؤَقَّتَةِ كَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَ صَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ وَ الْوُضُوءِ مَا يَجْعَلُ لِلْإِنْسَانِ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَوْ فِي كُلِّ شَهْرٍ أَوْ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِنْ طَعَامٍ أَوْ رِزْقٍ [صفحة ١١٢] وَ عَزِيزٌ مَنْصُوبٌ لِأَنَّهُ حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي اسْتَعِينَهُ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا مِنَ الضَّمِيرِ الْمَجْرُورِ فِي حُقُوقِهِ وَإِضَافَةٌ عَزِيزٌ

إلى الجند إضافة في تقدير الانفصال لا توجب تعريفه ليمتنع من كونه حالاً. وقاهر أعداءه حاربهم وروى وقهر أعداءه . والمعقل ما يعتصم به وذروته أعلاه . وامهدوا له اتخذوا مهاداً و هو الفراش وهذه استعارة. قوله ع فإن الغايه القيامة أى فإن منتهى كل البشر إليها ولا بد منها. والأرماس جمع رسمس و هو القبر والإبلاس مصدر أبلس أى خاب ويئس والإبلاس أيضاً الانكسار والحزن . واستكاك الأسماع صممها. وغم الضريح ضيق القبر وكربه والصفيح الحجر وردمه سده . والسنن الطريق والقرن الجبل . وأشرط الساعة علاماتها وأزفت قربت وأفراطها جمع فرط وهم المتقدمون السابقون من الموتى و من روى يافراطها فهو مصدر أفرط فى الشىء أى قربت الساعة بشده غلوائها وبلوغها غايه الهول والفضاعة ويجوز أن تفسر الروايه الأولى بمقدماتها وما يظهر قبلها من خوارق العادات المزعجه كالدجال ودابة الأرض ونحوهما ويرجع ذلك إلى اللفظة الأولى وهى أشرطها وإنما يختلف اللفظ. والكلاكل جمع كلكل و هو الصدر ويقال للأمر الثقيل قدأنخ عليهم بكلكله أى هدهم ورضهم كما يهد البعير البارك من تحته إذاأنحى عليه بصدرة . قوله ع وانصرفت الدنيا بأهلها أى ولت ويروى وانصرفت أى انقضت . [صفحہ ۱۱۳] والحضن بكسر الحاء مادون الإبط إلى الكشح . والرث الخلق والغث الهزيل . ومقام ضنك أى ضيق . وشديد كلبها أى شرها وأذاها واللجب الصوت ووقودها هاهنا بضم الواو و هو الحدث ولايجوز الفتح لأنه ما يوقد به كالحطب ونحوه وذاك لا يوصف بأنه ذاك . قوله ع عم قرارها أى لا يهتدى فيه لظلمته ولأنه عميق جدا ويروى وكان ليلهم نهار وكذلك أختها على التشبيه . والمآب المرجع ومدينون مجزيون . قوله ع فلارجعه تناولون الروايه بضم التاء أى تعطون يقال أنلت فلانا مالا أى منحته و قدروى تناولون بفتح التاء. ثم أمر أصحابه أن يشبوا ولا يعجلوا فى محاربه من كان مخالطاً لهم من ذوى العقائد الفاسده كالخوارج و من كان يبطن هوى معاويه و ليس خطابه هذاتثبیطا لهم عن حرب أهل الشام كيف و هو لا يزال يقرعهم ويوبخهم عن التقاعد والإبطاء فى ذلك ولكن قوما من خاصته كانوا يطلعون على ما عندقوم من أهل الكوفه ويعرفون نفاقهم وفسادهم ويرومون قتلهم وقتالهم فنهاهم عن ذلك و كان يخاف فرقه جنده وانتثار جبل عسكره فأمرهم بلزوم الأرض والصبر على البلاء. وروى بإسقاط الباء من قوله بأيديكم و من روى الكلمه بالباء جعلها زائده ويجوز ألا تكون زائده و يكون المعنى و لا تحركوا الفتنة بأيديكم وسيوفكم فى هوى ألسنتكم فحذف المفعول . والإصلاط بالسيف مصدر أصلت أى سل . [صفحہ ۱۱۴] واعلم أن هذه الخطبه من أعيان خطبه ع و من ناصع كلامه ونادره و فيها من صناعة البديع الرائقه المستحسنه البريئه من التكلف ما لا يخفى و قدأخذ ابن نباته الخطيب كثيرا من ألفاظها فأودعها خطبه مثل قوله شديد كلبها عال لجبها ساطع لهبها متغيظ زفيرها متأجج سعيرها بعيد خمودها ذاك وقودها مخوف وعيدها عم قرارها مظلمه أقطارها حامية قدورها فطيعة أمورها فإن هذه الألفاظ كلها اختطفها وأغار عليها واغتصبها وسمط بهاخطبه وشدربها كلامه . ومثل قوله هول المطلع وروعات الفرع واختلاف الأضلاع واستكاك الأسماع وظلمه اللحد وخيفه الوعد وغم الضريح وردم الصفيح فإن هذه الألفاظ أيضاً تمضى فى أثناء خطبه و فى غضون مواعظه [صفحہ ۱۱۵]

۲۳۷- و من خطبه له ع

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْفَاشِي فِي الْخَلْقِ حَمْدُهُ وَ الْعَالِبِ جُنْدُهُ وَ الْمُتَعَالِي جَدَّهُ أَحْمَدُهُ عَلَى نِعْمِهِ التَّوَامِ وَ آلَائِهِ الْعِظَامِ الَّذِي عَظَّمَ حِلْمُهُ فَعَفَا وَ عَدَلَ فِي كُلِّ مَا قَضَى وَ عَلِمَ بِمَا يَمْضِي وَ مَا مَضَى مُبْتَدِعِ الْخَلَائِقِ بِعِلْمِهِ وَ مُنْشِئِهِمْ بِحُكْمِهِ بِلَا اِقْتِدَاءٍ وَ لَا تَعْلِيمٍ وَ لَا اِحْتِدَاءٍ لِمِثَالِ صَانِعِ حَكِيمٍ وَ لَا اِصَابِيَهٍ خَطَاٍ وَ لَا حَضْرَهٍ مِلًا وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ ابْتَعَثَهُ وَ النَّاسُ يَضْرِبُونَ فِي غَمْرِهِ وَ يَمْوَجُونَ فِي حَيْرِهِ قَدْ قَادَتْهُمْ أَرْمِيَهُ الْحَيْنِ وَ اسْتَغْلَقَتْ عَلَى أَفْنِدَتِهِمْ أَقْفَالُ الرَّيْنِ عِبَادَ اللَّهِ أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا حَقُّ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ الْمَوْجِبَةُ عَلَى اللَّهِ حَقِّكُمْ وَ أَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيْهِ بِاللَّهِ وَ تَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ التَّقْوَى فِي الْيَوْمِ الْحِرْزُ وَ الْجَنَّةُ وَ فِي غَدِ الطَّرِيقُ إِلَى الْجَنَّةِ

مَسَلَكُهَا وَاضِحٌ وَ سَالِكُهَا رَابِحٌ وَ مُسْتَوْدَعُهَا حَافِظٌ لَمْ تَبْرَحْ عَارِضُهُ نَفْسَهَا عَلَى الْأُمَمِ الْمَاضِينَ مِنْكُمْ وَ الْعَابِرِينَ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا غَدًا إِذَا أَعَادَ اللَّهُ مَا أَبَدَى وَ أَخَذَ مَا أَعْطَى وَ سَأَلَ عَمَّا أَسَدَى فَمَا أَقَلَّ مِنْ قَبْلِهَا وَ حَمَلَهَا حَقَّ حَمَلِهَا أَوْلَيْكَ الْأَقْلُونَ عِيدَدًا وَ هُمْ أَهْلُ صِفَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِذْ يَقُولُ قَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي الشُّكُورُ فَأَهْطِعُوا بِأَسْمَاعِكُمْ إِلَيْهَا وَ أَلْطُوا بِجِدِّكُمْ عَلَيْهَا وَ اعْتَاضُوهَا مِنْ كُلِّ سَلْفٍ خَلْفًا وَ مِنْ كُلِّ مُخَالِفٍ مُوَافِقًا -قرآن- ١٢٦٧-١٣٠٠ [صفحة ١١٦] أَيْقِظُوا بِهِيَ نَوْمَكُمْ وَ اقْطَعُوا بِهِيَ يَوْمَكُمْ وَ أَشْعِرُوهَا قُلُوبَكُمْ وَ ارْحُضُوا بِهِيَ ذُنُوبَكُمْ وَ دَاوُوا بِهِيَ الْأَسْقَامَ وَ يَادِرُوا بِهِيَ الْحِمَامَ وَ اعْتَبِرُوا بِمَنْ أَضَاعَهَا وَ لَا يَعْتَبِرَنَّ بِكُمْ مَنْ أَطَاعَهَا أَلَا فَضُونُوهَا وَ تَصُونُوهَا بِهَا وَ كُونُوا عَنِ الدُّنْيَا نُزَاهًا وَ إِلَى الْآخِرَةِ وُلَاهًا وَ لَا تَضَعُوا مِنْ رَفَعَتِهِ التَّقْوَى وَ لَا تَرْفَعُوا مِنْ رَفَعَتِهِ الدُّنْيَا وَ لَا تَشْتَمُوا بَارِقَهَا وَ لَا تَسْمَعُوا نَاطِقَهَا وَ لَا تُجِيبُوا نَاعِقَهَا وَ لَا تَسْتَضِيئُوا بِإِسْرَاقِهَا وَ لَا تُفْتِنُوا بِأَعْلَاقِهَا فَإِنَّ بَرَقَهَا خَالِبٌ وَ نُطَقَهَا كَاذِبٌ وَ أَمَوَالُهَا مَحْرُوبَةٌ وَ أَعْلَاقُهَا مَسْلُوبَةٌ أَلَمَّا وَ هِيَ الْمُتَصَدِّقَةُ الْعُنُودُ وَ الْجَامِغَةُ الْحَرُونَ وَ الْمَائِنَةُ الْحَثُونَ وَ الْجَحُودُ الْكُنُودُ وَ الْعُنُودُ الصِّدُودُ وَ الْحَيُودُ الْمَيُودُ حَالِهَا انْتِقَالٌ وَ وَطَأَتُهَا زَلْزَالٌ وَ عَزَاهَا ذُلٌّ وَ جِدَاهَا هَزَلٌ وَ عَلُوهَا سَيْفٌ دَارٌ حَرْبٌ وَ سَيْلٌ وَ نَهَبٌ وَ عَطَبٌ أَهْلُهَا عَلَى سَاقٍ وَ سَيْاقٍ وَ لِحَاقٍ وَ فِرَاقٍ قَدْ تَحَيَّرَتْ مِذَاهِبُهَا وَ أَعْجَزَتْ مَهَارِبُهَا وَ خَابَتْ مَطَالِبُهَا فَاسْلَمَتْهُمْ الْمَعَاقِلُ وَ لَفْظَتْهُمْ الْمَنَازِلُ وَ أَعْيَتْهُمْ الْمَحَاوِلُ فَمِنْ نَاجٍ مَعْقُورٍ وَ لَحْمٍ مَجْزُورٍ وَ شَتْلٍ مَذْبُوحٍ وَ دَمٍ مَسْفُوحٍ وَ عَاضٍ عَلَى يَدَيْهِ وَ صَافِقٍ بِكَفَيْهِ وَ مُرْتَفِقٍ بِخَدَيْهِ وَ زَارٍ عَلَى رَأْيِهِ وَ رَاجِعٍ عَنِ عَزْمِهِ وَ قَدْ أَدْبَرَتِ الْجِلْمَةُ وَ أَقْبَلَتِ الْغَيْلَةُ وَ لَمَاتَ حِينَ مَنَاصٍ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ قَدْ فَاتَ مَا فَاتَ وَ ذَهَبَ مَا ذَهَبَ وَ مَضَّتِ الدُّنْيَا لِحَالٍ بِأَلِهَا فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَ الْأَرْضُ وَ مَا كَانُوا مُنْظَرِينَ [صفحة ١١٧] الْفَاشِي الذَّائِعِ فَمَا الْخَبْرُ يَفْشُو فَشَاوُا أَي ذَاعَ وَأَفْشَاهُ غَيْرُهُ وَ تَفْشَى الشَّيْءُ أَي اتَّسَعَ وَ الْفَاشِي كُلُّ مَنْتَشِرٍ مِنَ الْمَالِ مِثْلُ الْغَنَمِ السَّائِمَةِ وَ الْإِبِلِ وَ غَيْرِهِمَا وَ مِنْهُ الْحَدِيثُ ضَمُوا فَوَاشِيَكُمْ حَتَّى تَذْهَبَ فَحْمَةُ الْعِشَاءِ -رواية- ١-٣٧ فيجوز أن يكون عنى بفشو حمده إطباق الأمم قاطبة على الاعتراف بنعمته ويجوز أن يريد بالفاشى سبب حمده و هو النعم التي لا يقدر قدرها فحذف المضاف . قوله والغالب جنده فيه معنى قوله تعالى فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ. قوله والمتعالى جده فيه معنى قوله تعالى وَ أَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا وَ الْجَدُّ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَ فِي الْآيَةِ الْعِظْمَةُ. وَ التَّوَامُ جَمْعُ تَوَامٍ عَلَى فَوْعَلٍ وَ هُوَ الْوَالِدُ الْمَقَارِنُ أَخَاهُ فِي بَطْنٍ وَاحِدٍ وَ قَدْ أَتَمَّتِ الْمَرْأَةُ إِذَا وَضَعَتْ اثْنَيْنِ كَذَلِكَ فَهِيَ مَتَّمٌ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ عَادَتَهَا فَهِيَ مَتَّامٌ وَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْوَالِدَيْنِ تَوَامٌ وَ هُمَا تَوَامَانٌ وَ هَذَا تَوَامٌ هَذَا وَ هَذِهِ تَوَامَتُهُ وَ الْجَمْعُ تَوَامٍ مِثْلُ قَشْعَمٍ وَ قَشَاعِمٍ وَ جَاءَ فِي جَمْعِهِ تَوَامٌ عَلَى فَعَالٍ وَ هِيَ اللَّفْظَةُ الَّتِي وَرَدَتْ فِي هَذِهِ الْخُطْبَةِ وَ هُوَ جَمْعٌ غَرِيبٌ لَمْ يَأْتِ نَظِيرُهُ إِلَّا فِي مَوَاضِعٍ مَعْدُودَةٍ وَ هِيَ عِرْقُ الْعِظْمِ يُؤْخَذُ عَنْهُ اللَّحْمُ وَ عِرَاقٌ وَ شَاءَ رَبِّي لِلْحَدِيثَةِ الْعَهْدِ بِالْوَلَادَةِ وَ غَنَمٌ رَبَابٌ وَ ظُرٌّ لِلْمَرْضَعَةِ غَيْرِ وُلْدِهَا وَ ظَوَّارٌ وَ رِخْلٌ لِلْأَنْثَى مِنْ أَوْلَادِ الضَّأْنِ وَ رِخَالٌ وَ فَرِيرٌ لَوْلَدِ الْبَقْرَةِ الْوَحْشِيَّةِ وَ فَرَارٌ. وَ الْآلَاءُ النِّعَمُ . -قرآن- ١٩٦-٢٣١-قرآن- ٢٧٨-٣٠٥]

صفحة ١١٨] قوله ع مبدع الخلاق بعلمه ليس يريد أن العلم علة في الإبداع كما تقول هوى الحجر بثقله بل المراد أبداع الخلق و هو عالم كما تقول خرج زيد بسلاحه أى خرج متسلحا فموضع الجار والمجرور على هذانصب بالحالية وكذلك القول في ومنشئهم بحكمه والحكم هاهنا الحكمة. و منه قوله ع إن من الشعر لحكمة -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-٣٢. قوله بلا اقتداء و لاتعليم و لا احتذاء قد تكرر منه ع أمثاله مرارا. قوله و لا إصابة خطأ تحته معنى لطيف و ذلك لأن المتكلمين يوردون على أنفسهم سؤالا في باب كونه عالما بكل معلوم إذا استدلوا على ذلك فإنه علم بعض الأشياء لا من طريق أصلا لا من إحساس و لا من نظر واستدلال فوجب أن يعلم سائرهما لأنه لا مخصص فقالوا لأنفسهم لم زعمتم ذلك و لم لا يجوز أن يكون فعل أفعاله مضطربة فلما أدركها علم كيفية صنعها بطريق كونه مدركا لها فأحكمها بعد اختلالها واضطرابها وأجابوا عن ذلك بأنه لا بد أن يكون قبل أن فعلها عالما بمفرداتها من غير إحساس و يكفي ذلك في كونه عالما بما لم يتطرق إليه ثم يعود الاستدلال المذكور أولا. قوله ع و لاحضره ملاء الملاء الجماعة من الناس و فيه معنى قوله تعالى مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ. قوله يضربون في غمرة أى يسيرون في جهل وضلالة والضرب السير السريع . والحين الهلاك والرین الذنب على الذنب حتى يسود

القلب وقيل الرين -قرآن- ٧٠٧-٧٧١ [صفحة ١١٩] الطبع والدنس يقال ران على قلبه ذنبه يرين رينا أى دنسه ووسخه واستغلت أقفال الرين على قلوبهم تعسر فتحها. قوله فإنها حق الله عليكم والموجبة على الله حقكم يريد أنها واجبة عليكم فإن فعلتموها وجب على الله أن يجازيكم عنها بالثواب وهذا تصريح بمذهب المعتزلة فى العدل وأن من الأشياء ما يجب على الله تعالى من باب الحكمة. قوله وأن تستعينوا عليها بالله وتستعينوا بها على الله يريد أوصيكم بأن تستعينوا بالله على التقوى بأن تدعوه وتبتلوا إليه أن يعينكم عليها ويوفقكم لها ويسرها ويقوى دواعيكم إلى القيام بها وأوصيكم أن تستعينوا بالتقوى على لقاء الله ومحامته وحسابه فإنه تعالى يوم البعث والحساب كالحاكم بين المتخاصمين وَ تَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِئَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا فَالسَّعِيدُ مِنْ اسْتَعَانَ عَلَى ذَلِكَ الْحِسَابِ وتلك الحكومة والخصومة بالتقوى فى دار التكليف فإنها نعم المعونة وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى. والجنة ما يستتر به . قوله ومستودعها حافظ يعنى الله سبحانه لأنه مستودع الأعمال ويدل عليه قوله تعالى إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا و ليس مقاله الراوندى من أنه أراد بالمستودع قلب الإنسان بشىء. قوله لم تبرح عارضة نفسها كلام فصيح لطيف يقول إن التقوى لم تزل عارضة نفسها على من سلف من القرون قبلها القليل منهم شبهها بالمرأة العارضة نفسها نكاحا على قوم فرغب فيها من رغب وزهد من زهد و على الحقيقة ليست -قرآن- ٦٦٥-٧٢٥-قرآن- ٨٢٨-٨٦٩-قرآن- ٩٧٩-١٠٢٠ [صفحة ١٢٠] هى العارضة نفسها ولكن المكلفين ممكنون من فعلها ومرغوبون فيها فصارت كالعارضة. والغابر هاهنا الباقي و هو من الأضداد يستعمل بمعنى الباقي وبمعنى الماضى. قوله ع إذا أعاد الله ما أبدى يعنى أنشر الموتى وأخذ ما أعطى وورث الأرض مالك الملوك فلم يبق فى الوجود من له تصرف فى شىء غيره كما قال لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ وقيل فى الأخبار و - قرآن- ٣٠٤-٣٥١ الحديث إن الله تعالى يجمع الذهب والفضة كل ما كان منه فى الدنيا فيجعله أمثال الجبال ثم يقول هذا فتنة بنى آدم ثم يسوقه إلى جهنم فيجعله مكاوى لجباه المجرمين -رواية- ١-٢-رواية- ١٠-١٧٧. وسأل عما أسدى أى سأل أرباب الثروة عما أسدى إليهم من النعم فيم صرفوها وفيهم أنفقوها. قوله ع فما أقل من قبلها يعنى ما أقل من قبل التقوى العارضة نفسها على الناس . و إذا فى قوله إذا أعاد الله ظرف لحاجتهم إليها لأن المعنى يقتضيه أى لأنهم يحتاجون إليها وقت إعادة الله الخلق و ليس كما ظنه الراوندى أنه ظرف لقوله فما أقل من قبلها لأن المعنى على ما قلناه ولأن ما بعد الفاء لا يجوز أن يكون عاملا فيما قبلها. قوله فأهطعوا بأسماعكم أى أسرعوا أهطع فى عدوه أى أسرع ويروى فانقطعوا بأسماعكم إليها أى فانقطعوا إليها مصغين بأسماعكم . قوله وألظوا بجدكم أى ألحوا والإلظاظ الإلحاح فى الأمر و منه قول -رواية- ١-٢ [صفحة ١٢١] ابن مسعود ألظوا فى الدعاء بيا ذا الجلال والإكرام -رواية- ١٣-٥٤ و منه الملاظة فى الحرب ويقال رجل ملظ وملظاظ أى ملحاح وألظ المطر أى دام . وقوله بجدكم أى باجتهادكم جددت فى الأمر جدا بالغت واجتهدت ويروى وواكظوا بجدكم والمواكظة المداومة على الأمر و قال مجاهد فى قوله تعالى إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا قال أى مواكظا. قوله وأشعروا بقلوبكم يجوز أن يريد اجعلوها شعارا لقلوبكم و هو مادون الدثار وألصق بالجسد منه ويجوز أن يريد اجعلوها علامة يعرف بها القلب التقى من القلب المذنب كالشعار فى الحرب يعرف به قوم من قوم ويجوز أن يريد أخرجوا قلوبكم بها من أشعار البدن أى طهروا القلوب بها وصفوها من دنس الذنوب كما يصفى البدن بالفصاد من غلبة الدم الفاسد ويجوز أن يريد الإشعار بمعنى الإعلام من أشعرت زيدا بكذا أى عرفته إياه أى اجعلوها علامة بجلالة موقعها وشرف محلها. قوله وارحضوا بها أى اغسلوا وثوب رحيض ومرحوض أى مغسول . قال وداووا بها الأسقام يعنى أسقام الذنوب . وبادروا بها الحمام عجلوا واسبقوا الموت أن يدرككم وأنتم غير متقين . واعتبروا بمن أضرع التقوى فهلك شقيا و لا يعتبرن بكم أهل التقوى أى لا تكونوا أنتم لهم معتبرا بشقاوتكم وسعادتهم . ثم قال وصونوا التقوى عن أن تمازجها المعاصى وتصونوا أنتم بها عن الدناءة و ما ينافى العدالة. والنزه جمع نزيه و هو المتباعد عما يوجب الدم والولاه جمع وال و هو المشتاق ذو الوجد حتى يكاد يذهب عقله . -قرآن- ٢٢٠-٢٤٩ [صفحة ١٢٢] ثم شرع فى ذكر الدنيا فقال

لاتشيموا بارقها الشيم النظر إلى البرق انتظارا للمطر. ولا تسمعوا ناطقها لاتصغوا إليها سامعين ولا تجيبوا مناديتها. والأعلاق جمع علق وهو الشيء النفيس وبرق خالب وخب لا مطر فيه. وأموالها محروبة أى مسلوبة. قوله ع ألا وهى المتصديّة العنون شبهها بالمرأة المومس تتصدى للرجال تريد الفجور وتتصدى لهم تتعرض والعنون المتعرضة أيضا عن لى كذا أى عرض. ثم قال والجامحة الحرون شبهها بالدابة ذات الجماح وهى التى لا يستطيع ركوبها لأنها تعثر بفارسها وتغلبه وجعلها مع ذلك حرونا وهى التى لاتنقاد. ثم قال والمائنة الخئون مان أى كذب شبهها بامرأة كاذبة خائنة. والجحود الكنود جحد الشيء أنكره وكند النعمة كفرها جعلها كامرأة تجحد الصنيعة ولا تعترف بها وتكفر النعمة ويجوز أن يكون الجحود من قولك رجل جحد وجحد أى قليل الخير وعام جحد أى قليل المطر وقد جحد النبات إذا لم يطل. قال والعنود الصدود العنود الناقّة تعدل عن مرعى الإبل وترعى ناحية. والصدود المعرضة صد عنه أى أعرض شبهها فى انحرافها وميلها عن القصد بتلك. قال والحيود الميود حادث الناقّة عن كذا تحيد فهى حيود إذامالت عنه. ومادت تميد فهى ميود أى مالت فإن كانت عاداتها ذلك سميت الحيود الميود فى كل حال. [صفحة ١٢٣] قال حالها انتقال يجوز أن يعنى به أن شيمتها وسجيتها الانتقال والتغير ويجوز أن يريد به معنى أدق وهو أن الزمان على ثلاثة أقسام ماض وحاضر ومستقبل فالماضى والمستقبل لوجود لهما الآن وإنما الموجود أبدا هو الحاضر فلما أراد المبالغة فى وصف الدنيا بالتغير والزوال قال حالها انتقال أى أن الآن الذى يحكم العقلاء عليه بالحضور منها ليس بحاضر على الحقيقة بل هو سيال متغير فلا ثبوت إذالشيء منها مطلقا ويروى وحالها افتعال أى كذب وزور وهى رواية شاذة. قال ووطئتها زلزال الوطاء كالضغطة ومنه قوله ص اللهم اشدد وطأتك على مضر -رواية ١-٢-رواية ١٢-٣٩ وأصلها موضع القدم والزلزال الشدة العظيمة والجمع زلازل. وقال الراوندى فى شرحه يريد أن سكونها حركة من قولك وطؤ الشيء أى صار وطئنا ذا حال لينه وموضع وطىء أى وثير وهذا خطأ لأن المصدر من ذلك وطاءة بالمد وها هنا وطاءة ساكن الطاء فأين أحدهما من الآخر. قال وعلوها سفلى يجوز ضم أولهما وكسره. قال دار حرب الأحسن فى صناعة البديع أن تكون الرء ها هنا ساكنة ليوازى السكون هاء نهب ومن فتح الرء أراد السلب حربته أى سلبت ماله. قال أهلها على ساق وسياق يقال قامت الحرب على ساق أى على شدة ومنه قوله سبحانه يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ والسياق نزع الروح يقال رأيت فلانا يسوق أى ينزع عندالموت أو يكون مصدر ساق الماشية سوقا وسياقا. وقال الراوندى فى شرحه يريد أن بعض أهلها فى أثر بعض كقولهم ولدت فلانة -قرآن- ٥٢٩- ٥٥٠ [صفحة ١٢٤] ثلاثة بنين على ساق وليس ماقاله بشيء لأنهم يقولون ذلك للمرأة إذا لم يكن بين البنين أنثى ولا يقال ذلك فى مطلع التابع أين كان. قال ع ولحاق وفراق اللام مفتوحة مصدر لحق به وهذا كقولهم الدنيا مولود يولد ومفقود يفقد. قال ع قد تحيرت مذاهبها أى تحير أهلها فى مذاهبهم وليس يعنى بالمذاهب ها هنا الاعتقادات بل المسالك. وأعجزت مهاربها أى أعجزتهم جعلتهم عاجزين فحذف المفعول. وأسلمتهم المعائل لم تحصنهم. ولفظتهم بفتح الفاء رمت بهم وقذفتهم. وأعيثهم المحاول أى المطالب. ثم وصف أحوال الدنيا فقال هم فمن ناج معفور أى مجروح كالهارب من الحرب بحشاشة نفسه وقد جرح بدنه. ولحم مجزور أى قتل قد صار جزرا للسباع. وشلو مذبوح الشلو العضو من أعضاء الحيوان المذبوح أو الميت وفى الحديث اتنوني بشلوا الأيمن -رواية ١-٢-رواية ١٤-٣٧. ودم مفسوح أى مسفوك وعاض على يديه أى ندما. وصافق بكفيه أى تعسفا أو تعجبا. ومرتفق بخديه جاعل لهما على مرفقيه فكرا وهما. وزار على رأيه أى عائب أى يرى الواحد منهم رأيا ويرجع عنه ويعيبه وهو البداء الذى يذكره المتكلمون ثم فسره بقوله وراجع عن عزمه. [صفحة ١٢٥] فإن قلت فهل يمكن أن يفرق بينهما ليكون الكلام أكثر فائدة قلت نعم بأن يريد بالأول من رأى رأيا وكشفه لغيره وجامعه عليه ثم بداله وعابه ويريد بالثانى من عزم نفسه عزما ولم يظهر لغيره ثم رجع عنه ويمكن أيضا بأن يفرق بينهما بأن يعنى بالرأى الاعتقاد كما يقال هذا رأى أبى حنيفة والعزم أمر مفرد خارج عن ذلك وهو مايعزم عليه الإنسان من أمور نفسه ولا يقال عزم فى الاعتقادات ثم قال ع و

قد أدبرت الحيلة أى ولت وأقبلت الغيلة أى الشر و منه قولهم فلان قليل الغائلة أو يكون بمعنى الاغتيال يقال قتله غيلة أى خديعه يذهب به إلى مكان يوهمه أنه لحاجه ثم يقتله . قال ع ولات حين مناص هذه من ألفاظ الكتاب العزيز قال الأخفش شبهوا لات بليس وأضمروا فيها اسم الفاعل قال و لاتكون لات إلا مع حين و قد جاء حذف حين فى الشعر و منه المثل حنت و لات هنت أى و لات حين حنت و الهاء بدل من الحاء فحذف الحين و هو يريد ه قال و قرأ بعضهم و لاتَ حينَ مناصٍ بالرفع و أضمر الخبر و قال أبو عبيد هى لا- و التاء إنما زيدت فى حين لا فى لا و إن كتبت مفردة و الأصل تحين كما قال فى ألان تلان فزادوا التاء و أنشد لأبى و جزءه -قرآن- ٨٧٢-٨٩١ العاطفون تحين ما من عاطف || و المطعمون زمان أين المطعم . و قال المؤرج زيدت التاء فى لانت كما زيدت فى ربت و ثمت . و المناص المهرب ناص عن قرنه ينوص نوصا و مناصا أى ليس هذا وقت الهرب و الفرار. [صفحه ١٢٦] و يكون المناص أيضا بمعنى الملجأ و المفزع أى ليس هذا حين تجد مفزعا و معقلا تعتصم به . هيهات اسم للفعل و معناه بعد يقال هيهات زيد فهو مبتدأ و خبر و المعنى يعطى الفعلية و التاء فى هيهات مفتوحة مثل كيف و أصلها هاء و ناس يكسرونها على كل حال بمنزلة نون التثنية و قال الراجز هيهات من مصبحها هيهات || هيهات حجر من صنيعات . و قد تبدل الهاء همزة فيقال أيهات مثل هراق و أراق قال أيهات منك الحياة أيهاتا . قال الكسائي فمن كسر التاء وقف عليها بالهاء فقال هيهاه و من فتحها وقف إن شاء بالتاء و إن شاء بالهاء . قوله ع و مضت الدنيا لحال بالها كلمة تقال فيما انقضى و فرط أمره و معناها مضى بما فيه إن كان خيرا و إن كان شرا . قوله ع فما بكت عليهم السماء هو من كلام الله تعالى و المراد أهل السماء و هم الملائكة و أهل الأرض و هم البشر و المعنى أنهم لا يستحقون أن يتأسف عليهم و قيل أراد المبالغة فى تحقير شأنهم لأن العرب كانت تقول فى العظيم القدر يموت بكته السماء و بكته النجوم قال الشاعر فالشمس طالعة ليست بكاسفة || تبكى عليك نجوم الليل و القمر . فنفى عنهم ذلك و قال ليسوا من يقال فيه مثل هذا القول و تأولها ابن عباس رضى الله عنه لما قيل له أتبكى السماء و الأرض على أحد فقال نعم يبكيه مصلاه فى الأرض و مصعد عمله فى السماء فيكون نفي البكاء عنهما كناية عن أنه لم يكن لهم فى الأرض عمل صالح يرفع منهما إلى السماء [صفحه ١٢٧]

٢٣٨- و من خطبة له ع و من الناس من يسمى هذه الخطبة بالقاصعة

إشارة

وهى تتضمن ذم إبليس لعنه الله على استكباره و تركه السجود لآدم ع و أنه أول من أظهر العصبية و تبع الحمية و تحذير الناس من سلوك طريقته الحمد لله الذى لبس العز و الكبرياء و اختارهما لنفسه دون خلقه و جعلهما حمى و حرما على غيره و اصطفاهما لجلاله و جعل اللعنة على من نازعه فيهما من عباده ثم اختبر بذلك ملائكته المقربين ليميز المتواضعين منهم من المستكبرين فقال سبحانه و هو العالم بمضمرات القلوب و محجوبات الغيوب إنى خالق بشرا من طين فإذا سويته و نفخت فيه من روحى فقعدوا له ساجدين فسد جسد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس عترته الحمية فافتخر على آدم بخلقه و تعصب عليه لأصله فعبدوا الله إمام المتعصبين و سلف المستكبرين الذى وضع أساس العصبية و نازع الله رداء الجبرية و ادّرع لباس العز و خلع قناع التذلل ألا يرون كيف صغر الله بتكبره و وضعه بترفعه فجعله فى الدنيا مدحورا و أعيد له فى الآخرة سعييرا -قرآن- ٤٢٠-٥٧٦ [صفحه ١٢٨] يجوز أن تسمى هذه الخطبة القاصعة من قولهم قصعت الناقة بجرتها و هو أن تردها إلى جوفها أو تخرجها من جوفها فتملا فها فلما كانت الزواجر و المواعظ فى هذه الخطبة مرددة من أولها إلى آخرها شبهها بالناقة التى تقصع الجرة و يجوز أن تسمى

القاصعة لأنها كالقائلة لإبليس وأتباعه من أهل العصبية من قولهم قصعت القملة إذا هشمته وقتلتها ويجوز أن تسمى القاصعة لأن المستمع لها المعبر بها يذهب كبره ونخوته فيكون من قولهم قصع الماء عطشه أى أذهبه وسكنه قال ذو الرمة بيتا فى هذا المعنى فانصاعت الحقب لم تقصع صرائرها || وقد تشح فلارى ولاهيم .الصرائر جمع صريرة وهى العطش ويجوز أن تسمى القاصعة لأنها تتضمن تحقير إبليس وأتباعه وتصغيرهم من قولهم قصعت الرجل إذا امتهنته وحقرته و غلام مقصوع أى قمىء لا يشب ولا يزداد .والعصبية على قسمين عصبية فى الله وهى محمودة وعصبية فى الباطل وهى مذمومة وهى التى نهى أمير المؤمنين ع عنها وكذلك الحمية و جاء فى الخبر العصبية فى الله تورث الجنة والعصبية فى الشيطان تورث النار -رواية ١-٢-رواية ١٥-٧٧- جاء فى الخبر العظمة إزارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى فىهما قصمته -رواية ١-٢-رواية ١٥-٧٢- وهذا معنى قوله ع اختارهما لنفسه دون خلقه إلى آخر قوله من عباده . قال ع ثم اختبر بذلك ملائكته المقربين مع علمه بمضمراتهم و ذلك لأن اختباره سبحانه ليس ليعلم بل ليعلم غيره من خلقه طاعة من يطيع وعصيان من يعصى وكذلك قوله سبحانه وَ مَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ -قرآن- ٢٥٠-٣٢٤ وهذا معنى قوله ع اختارهما لنفسه دون خلقه إلى آخر قوله من عباده . قال ع ثم اختبر بذلك ملائكته المقربين مع علمه بمضمراتهم و ذلك لأن اختباره سبحانه ليس ليعلم بل ليعلم غيره من خلقه طاعة من يطيع وعصيان من يعصى وكذلك قوله سبحانه وَ مَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهَا لِنُؤِنَ نون الجمع لانون العظمة أى لتصير أنت وغيرك من المكلفين عالمين لمن يطيع و من يعصى كما أناعالم بذلك فتكونوا كلكم مشاركين لى فى العلم بذلك . فإن قلت و مافائدة وقوفهم على ذلك وعلمهم به قلت ليس بممتنع أن يكون ظهور حال العاصى والمطيع وعلم المكلفين أو أكثرهم أو بعضهم به يتضمن لطفًا فى التكليف . فإن قلت إن الملائكة لم تكن تعلم ما للبشر ولا تتصور ماهيته فكيف قال لهم إني خالق بشرًا من طينٍ قلت قد كان قال لهم إني خالق جسمًا من صفته كيت وكيت فلما حكاها اقتصر على الاسم ويجوز أن يكون عرفهم من قبل أن لفظه بشر على ماذا تقع ثم قال لهم إني خالق هذا الجسم المخصوص الذى أعلمتكم أن لفظه بشر واقعه عليه من طين . قوله تعالى فَإِذَا سَوَّيْتُهُ أَي إِذَا كَمَلْتُ خَلْقَهُ .فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَأمرهم بالسجود له و قد اختلف فى ذلك فقال قوم كان قبله كما الكعبة اليوم قبله و لا يجوز السجود لإلله و قال آخرون بل كان السجود له تکرمة ومحنة والسجود لغير الله غير قبيح فى العقل إذا لم يكن عبادة و لم يكن فيه مفسدة . و قوله تعالى وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي أَي أَحَلَلْتُ فِيهِ الْحَيَاةَ وَأَجْرَبْتُ الرُّوحَ إِلَيْهِ فى عروقه وأضاف الروح إليه تبيجلا- لها وسمى ذلك نفخا على وجه الاستعارة لأن العرب تتصور من الروح معنى الريح والنفخ يصدق على الريح فاستعار لفظه النفخ توسعا .-قرآن- ١-٤١-قرآن- ٤٥٤-٤٨٤-قرآن- ٧٣١-٧٤٦-قرآن- ٧٦٨-٧٩٠-قرآن- ١٠٢٩-١٠٥٦] [صفحة ١٣٠] وقالت الحكماء هذا عبارة عن النفس الناطقة . فإن قلت هل كان إبليس من الملائكة أم لا- قلت قد اختلف فى ذلك فمن جعله منهم احتج بالاستثناء و من جعله من غيرهم احتج بقوله تعالى كَانَ مِنَ الْجِنِّ وجعل الاستثناء منقطعًا وبأن له نسلا وذرية قال تعالى أَفَتَتَّبِعُونَ ذُرِّيَّتَهُ وَ ذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَالْمَلَائِكَةُ لَنْسَلٍ لَهُمْ وَ لَازِرِيَّةٍ وَبَانَ أَصْلُهُ نَارٍ وَالْمَلَائِكَةُ أَصْلُهَا نُورٌ وَ قَدِمْنَا لَنَا كَلَامٌ فِي هَذَا فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ . قوله فافتخر على آدم بخلقه وتعصب عليه لأصله كانت خلقته أهون من خلقه آدم ع و كان أصله من نار وأصل آدم ع من طين . فإن قلت كيف حكم على إبليس بالكفر و لم يكن منه إلا مخالفة الأمر ومعلوم أن تارك الأمر فاسق لا كافر قلت إنه اعتقد أن الله أمره بالقيح و لم ير أمره بالسجود لآدم ع حكمه وامتنع من السجود تكبرا ورد على الله أمره واستخف بمن أوجب الله إجلاله وظهر أن هذه المخالفة عن فساد عقيدة فكان كافرا . فإن قلت هل كان كافرا فى الأصل أم كان مؤمنا ثم كفر قلت أما المرجئة فأكثرهم يقول كان فى الأصل كافرا لأن المؤمن عندهم لا يجوز أن يكفر و أما أصحابنا فلما كان هذا الأصل عندهم باطلا توقفوا فى حال إبليس وجوزوا كلا- الأمرين . -قرآن- ١٨٤-١٩٩-قرآن- ٢٥٥-٣٠٨] [صفحة ١٣١] قوله ع رداء الجبرية الباء مفتوحة يقال فيه جبرية

وجبروة وجبروت وجبورة كفروجه أى كبر وأنشدوا فإنك إن عاديتنى غضب الحصا || عليك وذو الجبورة المتغطف . وجعله مدحورا أى مطرودا مبعدا دحره الله دحورا أى أقصاه وطرده وَ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ الْأَبْصَارَ ضِعْفًا يَأْوُهُ وَيَبْهَرُ الْعُقُولَ رُؤُؤُهُ وَ طَيْبٍ يَأْخُذُ الْأَنْفَاسَ عَرْفُهُ لَفَعَلَ وَ لَوْ فَعَلَ لَظَلَّتْ لَهُ الْأَعْنَاقُ خَاضِعَةً وَ لَخَفَّتِ الْبُلُوبُ فِيهِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ وَ لَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَبْتَلِي خَلْقَهُ بَعْضَ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَهُ تَمِيِزًا بِالِاخْتِيَارِ لَهُمْ وَ نَفِيًا لِلِاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ وَ إِبْعَادًا لِلْخِيَاءِ مِنْهُمْ فَاعْتَبَرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ بِإِبْلِيسَ إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ وَ جَهْدَهُ الْجَهِيدَ وَ كَانَ قَدْ عَبَدَ اللَّهَ سِتِّتَةَ آلَافٍ سِنِينَ لَا يُدْرَى أَمِنْ سِنِي الدُّنْيَا أَمْ مِنْ سِنِي الْآخِرَةِ عَنْ كِبَرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ فَمَنْ ذَا بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَى اللَّهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ كُلِّ مَا كَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخَلَ الْجَنَّةَ بِشَرًّا بِأَمْرِ أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكًا إِنْ حُكِمَتْ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ لَوَاحِدٌ وَ مَا بَيْنَ اللَّهِ وَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ فِي إِبْطَاحِهِ حَمَى حَرَمَهُ عَلَى الْعَالَمِينَ خَطَفَ الشَّيْءَ بِكسر الطاء أَخْطَفَهُ إِذَا أَخَذْتَهُ بِسُرْعَةٍ اسْتَلَابًا وَ فِيهِ لُغَةٌ أُخْرَى [صَفْحَةُ ١٣٢] خَطَفَ بِالْفَتْحِ وَيَخْطَفُ بِالْفَتْحِ وَيَخْطَفُ بِالْكَسْرِ وَ هِيَ لُغَةٌ رَدِيئَةٌ قَلِيلَةٌ لَا تَكَادُ تَعْرِفُ وَ قَدْ قُرِئَ بِهَا يُونُسَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ . وَ الرِّوَاءُ بِالْهَمْزَةِ وَ الْمَدُّ الْمَنْظَرُ الْحَسَنُ وَ الْعَرْفُ الرِّيحُ الطَّيْبَةُ . وَ الْخِيَاءُ بَضْمُ الْخَاءِ وَ كَسْرُهَا الْكِبَرُ وَ كَذَلِكَ الْخَالُ وَ الْمَخِيلَةُ تَقُولُ اخْتَالَ الرَّجُلُ وَ خَالَ أَيْضًا أَيْ تَكَبَّرَ . وَ أَحْبَطَ عَمَلَهُ أَبْطَلَ ثَوَابَهُ وَ قَدْ حَبَطَ الْعَمَلُ حَبَطًا بِالتَّسْكِينِ وَ حَبُوطًا وَ الْمُتَكَلِّمُونَ يَسْمُونَ إِبْطَالَ الثَّوَابِ إِحْبَاطًا وَ إِبْطَالَ الْعِقَابِ تَكْفِيرًا . وَ جَهْدُهُ بِفَتْحِ الْجِيمِ اجْتِهَادُهُ وَ جَدُّهُ وَ وَصَفَهُ بِقَوْلِهِ الْجَهِيدُ أَيْ الْمُسْتَقْصَى مِنْ قَوْلِهِمْ مَرَعَى جَهِيدَ أَيْ قَدْ جَهَدَهُ الْمَالُ الرَّاعِي وَ اسْتَقْصَى رَعِيَّةً . وَ كَلَامُهُ عَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ إِبْلِيسَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لِقَوْلِهِ أَخْرَجَ مِنْهَا مَلَكًا وَ الْهَوَادَةُ الْمَوَادِعَةُ وَ الْمَصَالِحَةُ يَقُولُ إِنْ اللَّهُ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ طِينٍ وَ لَوْ شَاءَ أَنْ يَخْلُقَهُ مِنَ النُّورِ الَّذِي يَخْطَفُ أَوْ مِنَ الطَّيْبِ الَّذِي يَعْبَقُ لَفَعَلَ وَ لَوْ فَعَلَ لَهَالُ الْمَلَائِكَةُ أَمْرُهُ وَ خَضَعُوا لَهُ فَصَارَ الْإِبْتِلَاءُ وَ الْإِمْتِحَانُ وَ التَّكْلِيفُ بِالسُّجُودِ لَهُ خَفِيْفًا عَلَيْهِمْ لِعَظَمَتِهِ فِي نَفْسِهِمْ فَلَمْ يَسْتَحِقُوا ثَوَابَ الْعَمَلِ الشَّاقِّ وَ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَشْمُ الرَّائِحَةَ كَمَا نَشْمُهَا نَحْنُ وَ لَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَبْتَلِي عِبَادَهُ بِأُمُورٍ يَجْهَلُونَ أَصْلَهَا اخْتِبَارًا لَهُمْ . فَإِنْ قُلْتَ مَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَمِيِزًا بِالِاخْتِيَارِ لَهُمْ قُلْتَ لِأَنَّهُ مِيِزُهُمْ عَنْ غَيْرِهِمْ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ كَالْحَيَوَانَاتِ الْعَجْمِ وَ أَبَانِهِمْ عَنْهُمْ وَ فَضْلَهُمْ عَلَيْهِمْ بِالتَّكْلِيفِ وَ الْإِمْتِحَانِ . - قرآن - ١١١-١٤٣ [صَفْحَةُ ١٣٣] قَالَ وَ نَفِيًا لِلِاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ لِأَنَّ الْعِبَادَاتِ خُضُوعٌ وَ خَشُوعٌ وَ ذَلَّةٌ فِيهَا نَفْيُ الْخِيَاءِ وَ التَّكْبِيرِ عَنْ فَاعِلِيهَا فَأَمْرُهُمْ بِالِاعْتِبَارِ بِحَالِ إِبْلِيسَ الَّذِي عَبَدَ اللَّهَ سِتَّةَ آلَافِ سِنِينَ لَا يَدْرِي أَمِنْ سِنِي الدُّنْيَا أَمْ مِنْ سِنِي الْآخِرَةِ وَ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ قَدْ سَمِعَ فِيهِ نَصًّا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَ مَجْمَلًا لَمْ يَفْسِرْهُ لَهُ أَوْ فُسِّرَ لَهُ خَاصَّةً وَ لَمْ يَفْسِرْهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَ لِلنَّاسِ لِمَا يَعْلَمُهُ فِي كِتْمَانِهِ عَنْهُمْ مِنَ الْمَصْلَحَةِ . فَإِنْ قُلْتَ قَوْلُهُ لَا يَدْرِي عَلَى مَا لَمْ يَسْمُ فَاعِلُهُ يَقْتَضِي أَنَّهُ هُوَ لَا يَدْرِي قُلْتَ إِنَّهُ لَا يَقْتَضِي ذَلِكَ وَ يَكْفِي فِي صَدَقِ الْخَبَرِ إِذَا وَرَدَ بِهَذِهِ الصِّيغَةُ أَنْ يَجْهَلَهُ الْأَكْثَرُونَ . فَأَمَّا الْقَوْلُ فِي سِنِي الْآخِرَةِ كَمْ هِيَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ وَرَدَ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيْزِ آيَاتٌ مُخْتَلِفَاتٌ إِحْدَاهُنَّ قَوْلُهُ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَ الرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سِنِينَ . وَ الْآخَرَى قَوْلُهُ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سِنِينَ مِمَّا تَعْرُدُونَ . وَ الثَّلَاثَةُ قَوْلُهُ وَ إِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سِنِينَ مِمَّا تَعْرُدُونَ . وَ أَوْلَى مَا قِيلَ فِيهَا أَنَّ الْمَرَادَ بِالْأَلْفِ الْأَوَّلَى مَدَّةَ عَمْرِ الدُّنْيَا وَ سَمِيَ ذَلِكَ يَوْمًا وَ قَالَ إِنْ الْمَلَائِكَةُ لَا تَزَالُ تَعْرُجُ إِلَيْهِ بِأَعْمَالِ الْبَشَرِ طَوِيلَ هَذِهِ الْمَدَّةِ حَتَّى يَنْقُضِيَ التَّكْلِيفَ وَ يَنْتَقِلَ الْأَمْرُ إِلَى دَارٍ أُخْرَى وَ أَمَّا الْآيَتَانِ الْآخِرَتَانِ فَمُضْمُونُهُمَا بَيَانُ كَمِيَّةِ أَيَّامِ الْآخِرَةِ وَ هُوَ أَنَّ كُلَّ يَوْمٍ مِنْهَا مِثْلُ أَلْفِ سِنِينَ مِنَ الدُّنْيَا . - قرآن - ٦٢١-٧٠٦ - قرآن - ٧٢٣-٨٤١ - قرآن - ٨٥٨-٩١٥ [صَفْحَةُ ١٣٤] فَإِنْ قُلْتَ فَعَلَى هَذَا كَمْ تَكُونُ مَدَّةُ عِبَادَةِ إِبْلِيسَ إِذَا كَانَتْ سِتَّةَ آلَافِ سِنِينَ مِنْ سِنِي الْآخِرَةِ قُلْتَ يَكُونُ مَا يَرْتَفِعُ مِنْ ضَرْبِ أَحَدِ الْمَضْرُوبِينَ فِي الْآخِرَةِ وَ هُوَ أَلْفًا أَلْفًا ثَلَاثَ لَفْظَاتٍ الْأَوَّلَى مِنْهُمْ مِثْلًا مِثْلًا مِثْلًا أَلْفَ لَفْظَاتٍ وَ سِتُونَ أَلْفَ لَفْظَاتٍ أَيْضًا مِنْ سِنِي الدُّنْيَا وَ لِمَا رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَ هَذَا الْمَبْلَغَ عَظِيمًا جَدًّا عَلِمَ أَنَّ أَذْهَانَ السَّامِعِينَ لَا تَحْتَمِلُهُ فَلِذَلِكَ أَبْهَمَ الْقَوْلَ عَلَيْهِمْ وَ قَالَ لَا يَدْرِي أَمِنْ سِنِي الدُّنْيَا أَمْ مِنْ سِنِي الْآخِرَةِ . فَإِنْ قُلْتَ فَإِذَا كُنْتُمْ قَدْ رَجَحْتُمْ قَوْلَ مَنْ يَقُولُ إِنْ عَمْرُ الدُّنْيَا خَمْسُونَ أَلْفَ سِنِينَ فَكَمْ يَكُونُ عَمْرُهَا إِنْ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى أَرَادَ خَمْسِينَ أَلْفَ سِنِينَ

من سنى الآخرة لأنه لا يؤمن أن يكون أراد ذلك إذا كانت السنة عنده عبارة عن مدة غير هذه المدة التي قد اختلف عليها الناس قلت يكون ما يرتفع من ضرب خمسين ألفا في ثلاثمائة وستين ألف من سنى الدنيا ومبلغ ذلك ثمانية عشر ألف ألف سنة من سنى الدنيا ثلاث لفظات وهذا القول قريب من القول المحكى عن الهند. وروى أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى تاريخه روايات كثيرة بأسانيد أوردها عن جماعة من الصحابة أن إبليس كان إليه ملك السماء وملك الأرض و كان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن وإنما سمو الجن لأنهم كانوا خزان الجنان و كان إبليس رئيسهم ومقدمهم و كان أصل خلقهم من نار السموم و كان اسمه الحارث قال و قدروى أن الجن كانت فى الأرض وأنهم أفسدوا فيها بعث الله إليهم إبليس فى جند من الملائكة فقتلهم و طردهم إلى جزائر البحار ثم تكبر فى نفسه ورأى أنه قد صنع شيئا عظيما لم يصنعه غيره قال و كان شديد الاجتهاد فى العبادة. [صفحة ١٣٥] وقيل كان اسمه عزازيل و أن الله تعالى جعله حكما وقاضيا بين سكان الأرض قبل خلق آدم فدخله الكبر والعجب لعبادته واجتهاده وحكمه فى سكان الأرض وقضائه بينهم فانطوى على المعصية حتى كان من أمره مع آدم ع ما كان قلت و لا ينبغي أن نصدق من هذه الأخبار وأمثالها إلا ماورد فى القرآن العزيز الذى لا يأتىه الباطل من بين يديه و لا من خلفه أو فى السنة أو نقل عنمن يجب الرجوع إلى قوله و كل ما عدا ذلك فالكذب فيه أكثر من الصدق والباب مفتوح فليقل كل أحد فى أمثال هذه القصص ماشاء واعلم أن كلام أمير المؤمنين فى هذا الفصل يطابق مذهب أصحابنا فى أن الجنة لا يدخلها ذو معصية أ لا تسمع قوله فمن بعد إبليس يسلم على الله بمثل معصيته كلا ما كان الله ليدخل الجنة بشرا بأمر أخرج به منها ملكا إن حكمه فى أهل السماء والأرض لواحد. فإن قلت أ ليس من قولكم إن صاحب الكبيرة إذا تاب دخل الجنة فهذا صاحب معصية و قد حكمت له بالجنة قلت إن التوبة أحبطت معصيته فصار كأنه لم يعص. فإن قلت إن أمير المؤمنين ع إنما قال فمن ذا بعد إبليس يسلم على الله بمثل معصيته و لم يقل بالمعصية المطلقة والمرجئة لا تخالف فى أن من وفى القيامة بمثل معصية إبليس لم يكن من أهل الجنة قلت كل معصية كبيرة فهى مثل معصيته و لم يكن إخراجهم من الجنة لأنه كافر بل لأنه عاص مخالف للأمر أ لا ترى أنه قال سبحانه قال فأهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فعمل إخراجهم من الجنة بتكبره لا بكفره. فإن قلت هذا مناقض لما قدمت فى شرح الفصل الأول - قرآن - ١٢٣٩-١٢٩٥ [صفحة ١٣٦] قلت كلا لأنى فى الفصل الأول عللت استحقاقه اسم الكفر بأمر زائد على المعصية المطلقة و هو فساد اعتقاده و لم أجعل ذلك علته فى خروجه من الجنة و هاهنا عللت خروجه من الجنة بنفس المعصية فلا تناقض. فإن قلت ما معنى قول أمير المؤمنين ع ما كان الله ليدخل الجنة بشرا بأمر أخرج به منها ملكا وهل يظن أحد أو يقول إن الله تعالى يدخل الجنة أحدا من البشر بالأمر الذى أخرج به هاهنا إبليس كلا هذا ما لا يقوله أحد وإنما الذى يقوله المرجئة إنه يدخل الجنة من قد عصى وخالف الأمر كما خالف الأمر إبليس برحمته وعفوه و كما يشاء لا أنه يدخله الجنة بالمعصية و كلام أمير المؤمنين ع يقتضى نفي دخول أحد الجنة بالمعصية لأن الباء للسببية قلت الباء هاهنا ليست للسببية كما يتوهمه هذا المعترض بل هى كالباء فى قولهم خرج زيد بثيابه ودخل زيد بسلاحه أى خرج لابسا ودخل متسلحا أى يصحبه الثياب ويصحبه السلاح فكذلك قوله ع بأمر أخرج به منها ملكا معناه أن الله تعالى لا يدخل الجنة بشرا يصحبه أمر أخرج الله به ملكا منها فأحذروا عباد الله عدو الله أن يعديكم بدائه و أن يستفزكم بخيله و رجله فلعمرى لقد فوق لكم سيمهم الوعيد و أغرق إليكم بالنزع الشديد و رماكم من مكان قريب فقالت رب بما أغويتني لأزينن لهم فى الأرض و لأغوينهم أجمعين صدفاً بغيب بعيد و رجماً بظن - قرآن - ٢٣٣-٣١٤ [صفحة ١٣٧] غير مصيب صدفة به أبناء الحمية و إخوان العصية و فرسان الكبر و الجاهلية حتى إذا انقادت له الجامحة منكم و استحكمت الطماعية منه فيكم فنجمت فيه الحال من السر الخفى إلى الأمر الجلى استفحل سلطانه عليكم و دلف بجنوده نحوكم فأقحموكم ولجات الدل و أحلوكم و رطات القتل و أوطئوكم إتحان الجراخه طعنا فى عيونكم و حزا فى حلوقكم و دقا لمانخركم و قصدا لمقاتلكم و سوقا بخزائم القهر إلى النار المديدة لكم فأصبح أعظم فى دينكم حرجا و

أَوْرَى فِي دُنْيَاكُمْ قَدْحًا مِنَ الدِّينِ أَصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُنَاصِبِينَ وَ عَلَيْهِمْ مُتَأَلِّبِينَ فَاجْعَلُوا عَلَيْهِ حَدِّكُمْ وَ لَهُ جِدِّكُمْ فَلَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ فَخَرَ عَلَى أَصْلِكُمْ وَ وَقَعَ فِي حَسَبِكُمْ وَ دَفَعَ فِي نَسَبِكُمْ وَ أَجْلَبَ بِخَيْلِهِ عَلَيْكُمْ وَ قَصَدَ بِرَجْلِهِ سَبِيلَكُمْ يَقْتَنُصُونَكُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ وَ يَضْرِبُونَ مِنْكُمْ كُلَّ بَنَانٍ لَا تَمْتَنِعُونَ بِحِيلِهِ وَ لَا تَدْفَعُونَ بِعَزِيمِهِ فِي حَوْمِيهِ ذُلٌّ وَ حَلْقُهُ ضَبِيقٌ وَ عَرَصَهُ مَوْتٌ وَ جَوْلُهُ بَلَاءٌ فَأَطْفَأُوا مَا كَمَنَ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ العَصَبِيَّةِ وَ أَحْقَادِ الجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّمَا تِلْكَ الحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي المُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ وَ نَخَوَاتِهِ وَ نَزَعَاتِهِ وَ نَفَثَاتِهِ وَ اعْتَمِدُوا وَضَعَ التَّيْدَلِّ عَلَى رُءُوسِكُمْ وَ الإِقَاءَ التَّعْزِزِ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ وَ خَلَعَ التَّكْبِيرِ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ وَ اتَّخَذُوا التَّوَاضِعَ مَسْلَحَةً بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ عِدْوِكُمْ إِبْلِيسَ وَ جُنُودِهِ فَإِنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّيَّةٍ جُنُودًا وَ أَعْوَانًا وَ رَجُلًا وَ فُرْسَانًا وَ لَا تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَى ابْنِ أُمِّهِ مِنْ غَيْرِ مَا فَضَّلَ جَعَلَهُ اللَّهُ فِيهِ سِوَى مَا أَلْحَقَتِ العَظَمَةُ بِنَفْسِهِ مِنْ عَدَاوَةِ الحَسَبِ وَ قَدَحَتِ الحَمِيَّةُ فِي قَلْبِهِ مِنْ نَارِ الغَضَبِ وَ نَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي أُنْفِهِ مِنْ رِيحِ الكِبَرِ الَّذِي أَعْقَبَهُ اللَّهُ بِهِ النَّدَامَةَ وَ أَلَزَمَهُ آثَامَ القَاتِلِينَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ [صفحة ١٣٨] موضع أن يعديكم نصب على البدل من عدو الله و قال الراوندي يجوز أن يكون مفعولا ثانيا و هذا ليس بصحيح لأن حذر لا يتعدى إلى المفعولين والعدوى ما يعدي من جرب أو غيره أعدى فلان فلانا من خلقه أو من علته و هو مجاوزته من صاحبه إلى غيره و في الحديث لا عدوى في الإسلام -رواية ١-٢-رواية ١٤-٣٥. فإن قلت فإذا كان النبي ص قد أبطل أمر العدوى فكيف قال أمير المؤمنين فاحذروه أن يعديكم قلت إن النبي ص أبطل ما كانت العرب تزعمه من عدوى الجرب في الإبل وغيرها و أمير المؤمنين ع حذر المكلفين من أن يتعلموا من إبليس الكبر والحمية وشبه تعلمهم ذلك منه بالعدوى لا اشتراك الأمرين في الانتقال من أحد الشخصين إلى الآخر. قوله ع يستفركم أي يستخفكم و هو من أَلْفَاظِ القرآن وَ اسْتَفْرَزَ مِنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ أَي أزعجه واستخفه وأطر قلبه والخيل الخيالة و منه -قرآن- ٣٨٩-٤٣١ الحديث يا خيل الله اركبي -رواية ١-٢-رواية ١٠-٣٠. و الرجل اسم جمع لراجل كركب اسم جمع لراكب وصحب اسم جمع لصاحب و هذه أيضا من أَلْفَاظِ القرآن العزيز وَ أَجْلَبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَ رَجَلِكَ وَ قَرِيءٌ وَ رَجَلُكَ بِكسر الجيم على أن فعلا بالكسر بمعنى فاعل نحو تعب وتعب -قرآن- ١٠٨-١٤٧ [صفحة ١٣٩] ومعناه و قد تضم الجيم أيضا فيكون مثل قولك رجل حدث وحدث وندس وندس. فإن قلت فهل لإبليس خيل تركبها جنده قلت يجوز أن يكون ذلك و قد فسره قوم بهذا والصحيح أنه كلام خرج مخرج المثل شبهت حاله في تسلطه على بني آدم بمن يغير على قوم بخيله فيستأصلهم وقيل بصوتك أي بدعائك إلى القبيح وخيله ورجله كل ماش وراكب من أهل الفساد من بني آدم قوله وفوق السهم جعلت له فوقا و هو موضع الوتر و هذا كناية عن الاستعداد و لا يجوز أن يفسر قوله فقد فوق لكم سهم الوعيد بأنه وضع الفوق في الوتر ليرمي به لأن ذلك لا يقال فيه قد فوق بل يقال أفقت السهم وأوفقته أيضا و لا يقال أفوقته و هو من النوادر. و قوله وأغرق إليكم بالنزع أي استوفى مد القوس وبالغ في نزعها ليكون مرماه أبعد ووقع سهامه أشد. قوله ورماكم من مكان قريب لأنه كما جاء في الحديث يجري من ابن آدم مجرى الدم ويخالط القلب -رواية ١-٢-رواية ١٤-٥٩ و لا شيء أقرب من ذلك. والباء في قوله بما أغويتني متعلق بفعل محذوف تقديره أجازيك بما أغويتني تزييني لهم القبيح فما على هذا مصدرية أي أجازيك يا غوائك لي تزييني لهم القبيح فحذف المفعول ويجوز أن تكون الباءقسما كأنه أقسم ياغوائه إياه ليزين لهم. فإن قلت و أي معنى في أن يقسم ياغوائه وهل هذا ما يقسم به قلت نعم لأنه ليس إغواء الله تعالى إياه خلق الغي والضلال في قلبه بل تكليفه -قرآن- ٤٢-٥٨ [صفحة ١٤٠] إياه السجود الذي وقع الغي عنده من الشيطان لا من الله فصار حيث وقع عنده كأنه موجب عنه فنسب إلى الباري والتكليف تعريض للثواب ولذة الأبد فكان جديرا أن يقسم به و قد أقسم في موضع آخر فقال فَبِعِزَّتِكَ لَمَا غَوَيْتَهُمْ أَجْمَعِينَ فَأَقْسَمَ بِالْعِزَّةِ وَ هَاهُنَا أَقْسَمَ بِالْأَمْرِ وَ التَّكْلِيفِ وَ يَجُوزُ فِيهِ وَجْهٌ ثَالِثٌ وَ هُوَ أَلَّا تَكُونَ البَاءُ قِسْمًا وَ يَقْدَرُ قِسْمٌ مَحْذُوفٌ وَ يَكُونُ المعنى بسبب ما كلفتني فأفضى إلى غوايتي أقسم لأفعلن بهم نحو ما فعلت بي و هو أن أزين لهم المعاصي التي تكون سبب هلاكهم. فإن قلت ليس هذا نحو ما فعله الباري به لأن الباري أمره بالحسن فأباه وعدل عنه إلى القبيح

والشيطان لا يأمرنا بالحسن فنكرهه ونعدل عنه إلى القبيح فكيف يكون ذلك نحو واقعه مع البارى قلت المشابهة بين الواقعتين فى أن كل واحدة منهما تقع عندها المعصية لا على وجه الإيجاب والقسر بل على قصد الاختيار لأن معصية إبليس كانت من نفسه ووقعت عند الأمر بالسجود اختياراً منه لافعلا من البارى ومعصيتنا نحن عند الترتين والوسوسة تقع اختياراً منا لا اضطراراً يضطرنا إبليس إليه فلما تشابهت صورتان فى هذا المعنى حسن قوله بما فعلت بي كذا لأفعلن بهم نحوه . فإن قلت مامعنى قوله فى الأرض و من أين كان يعلم إبليس أن آدم سيصير له ذرية فى الأرض قلت أما علمه بذلك فمن قول الله تعالى له وللملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفَةً وأما اللفظة الأرض فالمراد بها هنا الدنيا التى هى دار التكليف كقوله تعالى -قرآن- ٢٠٥-٢٤٢-قرآن- ١٠٨٣-١٠٩٣-قرآن- ١٢١١-١٢٤٥ [صفحة ١٤١] وَ لَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ لَيْسَ يَرِيدُ بِه الْأَرْضَ بَعِينَهَا بَلِ الدُّنْيَا وَ مَا فِيهَا مِنَ الْمَلَاذِ وَ هُوَ الْأَنْفَسُ . قوله ع قذفا بغيب بعيد أى قال إبليس هذا القول قذفا بغيب بعيد والعرب تقول للشىء المتوهم على بعد هذا قذف بغيب بعيد والقذف فى الأصل رمى الحجر وأشباهه والغيب الأمر الغائب و هذه اللفظة من الألفاظ القرآنية قال الله تعالى فى كفار قريش وَ يَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ أَى يقولون هذا سحر أو هذا من تعليم أهل الكتاب أو هذه كهانة و غير ذلك مما كانوا يرمونه ع به وانتصب قذفا على المصدر الواقع موقع الحال وكذلك رجما و قال الراوندى انتصبا لأنهما مفعول له و ليس بصحيح لأن المفعول له ما يكون عذراً وعلّة لوقوع الفعل وإبليس ما قال ذلك الكلام لأجل القذف والرجم فلا يكون مفعولاً له . فإن قلت كيف قال ع قذفا من مكان بعيد ورجما بظن غير مصيب و قد صح ماتوهمه وأصاب فى ظنه فإن إغواءه وتزيينه تم على الناس كلهم إلا على المخلصين قلت أما أولاً فقد روى ورجما بظن مصيب بحذف غير ويؤكد هذه الرواية قوله تعالى وَ لَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيْقًا وَ أَمَّا ثانياً على الرواية التى هى أشهر فنقول أما قذفا من مكان بعيد فإنه قال ما قال على سبيل التوهم والحسبان لأمر مستبعد لا يعلم صحته و لا يظنها و ليس وقوع ما وقع من المعاصى وصحة ماتوهمه بمخرج لكون قوله الأول قذفا بغيب بعيد و أمارجما بظن غير مصيب -قرآن- ١-٣٢-قرآن- ٣٥٣-٣٩٤-قرآن- ٩٥٣-١٠٢٠ [صفحة ١٤٢] فيجب أن يحمل قوله لَمَأْغُوِيَّتُهُمْ أَجْمَعِينَ على الغواية بمعنى الشرك أو الكفر و يكون الاستثناء و هو قوله إِبْلِيسُ عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ بِمَعْنَاهِ إِلَّا الْمَعْصُومِينَ مِنْ كُلِّ مَعْصِيَةٍ وَ هَذَا ظَنُّ غَيْرِ مَصِيبٍ لِأَنَّهُ مَا أَعْوَى كُلِّ الْبَشَرِ الْغَوَايَةَ الَّتِي هِيَ الْكُفْرُ وَالشَّرْكَ إِلَّا الْمَعْصُومِينَ الْعَصْمَةَ الْمَطْلُوقَةَ بَلْ أَعْوَى بَعْضُهُمْ كَذَلِكَ وَ بَعْضُهُمْ بِأَنْ زَيْنَ لَهُ الْفَسْقُ دُونَ الْكُفْرِ فَيَكُونُ ظَنُّهُ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى إِغْوَاءِ الْبَشَرِ كَافَةً بِمَعْنَى الضَّلَالِ بِالْكَفْرِ ظَنًّا غَيْرِ مَصِيبٍ . قوله صدقه به أبناء الحمية موضع صدقه جر لأنه صفة ظن و قد روى صدقه أبناء الحمية من غير ذكر الجار والمجرور و من رواه بالجار والمجرور كان معناه صدقه فى ذلك الظن أبناء الحمية فأقام الباء مقام فى . قوله حتى إذا انقادت له الجامعة منكم أى الأنفس الجامعة أو الأخلاق الجامعة . قوله فنجمت فيه الحال أى ظهرت و قد روى فنجمت الحال من السر الخفى من غير ذكر الجار والمجرور و من رواه بالجار والمجرور فالمعنى فنجمت الحال فى هذا الشأن المذكور بينه وبينكم من الخفاء إلى الجلاء . واستفحل سلطانه قوى واشتد وصار فحلاً . واستفحل جواب قوله حتى إذا . دلف بجنوده تقدم بهم . والولجات جمع ولجة بالتحريك وهى موضع أو كهف يستتر فيه المارة من مطر أو غيره . وأقحموكم أدخلوكم والورطة الهلكة . قوله وأوطئوكم إثنان الجراحة أى جعلوكم واطئين لذلك والإثنان مصدر أثنى فى القتل أى أكثر منه وبالغ حتى كثف شأنه وصار كالشىء الثخين ومعنى -قرآن- ٢١-٤٥-قرآن- ١٠٨-١٤٢ [صفحة ١٤٣] إِيْطَاءِ الشَّيْطَانِ بَنِي آدَمَ ذَلِكَ إِقْطَاؤُهُ إِيْأَاهُمْ فِيهِ وَ تَوْرِيْطُهُمْ وَ حَمَلَهُ لَهُمْ عَلَيْهِ فَالْإِثْنَانُ عَلَى هَذَا مَنْصُوبٌ لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ ثَانٍ لَّا . كما زعم الراوندى أنه انتصب بحذف حرف الخفض . قوله ع طعنا فى عيونكم انتصب طعنا على المصدر وفعله محذوف أى فعلوا بكم هذه الأفعال فطعنوكم فى عيونكم طعنا فأما من روى وأوطئوكم لإثنان الجراحة باللام فإنه يجعل طعنا منصوباً على أنه مفعول به أى أوطئوكم طعنا وحزاً كقولك أوطأته ناراً وأوطأته عشوة و يكون لإثنان الجراحة مفعولاً له أى أوطئوكم الطعن ليثخنوا جراحكم

وينبغي أن يكون قصدا وسوقا خالصين للمصدرية لأنه يبعد أن يكون مفعولا به . واعلم أنه لما ذكر الطعن نسبه إلى العيون و
لما ذكر الحز و هو الذبح نسبه إلى الحلو و ولما ذكر الدق و هو الصدم الشديد أضافه إلى المناخر و هذا من صناعة الخطابة التي
علمه الله إياها بلا تعليم وتعلمها الناس كلهم بعده منه . والخزائم جمع خزامه وهى حلقة من شعر تجعل فى وتره أنف البعير فيشد
فيها الزمام . وتقول قدورى الزند أى خرجت ناره و هذا الزند أورى من هذا أى أكثر إخراجا للنار يقول فأصبح الشيطان أضر
عليكم وأفسد لحالكم من أعدائكم الذين أصبحتم مناصبين لهم أى معادين وعليهم متألين أى مجتمعين . فإن قلت أما أعظم فى
الدين حرجا فمعلوم فأى معنى لقوله وأورى فى دنياكم قدحا وهل يفسد إبليس أمر الدنيا كما يفسد أمر الدين قلت نعم لأن أكثر
القبائح الدينية مرتبطة بالمصالح والمفاسد الدنيوية ألا ترى أنه إذا أغرى السارق بالسرقة أفسد حال السارق من جهة الدين وحال
المسروق منه من جهة الدنيا [صفحة ١٤٤] وكذلك القول فى الغضب والقتل وما يحدث من مضار الشرور الدنيوية من اختلاط
الأنساب واشتباة النسل وما يتولد من شرب الخمر والسكر الحاصل عنها من أمور يحدثها السكران خبطا بيده وقذفا بلسانه إلى
غير ذلك من أمثال هذه الأمور وأشباهاها . قوله ع فاجعلوا عليه حدكم أى شباتكم وبأسكم . و له جدكم من جدت فى الأمر
جدا أى اجتهدت فيه وبالغت . ثم ذكر أنه فخر على أصل بنى آدم يعنى أباهم آدم ع حيث امتنع من السجود له و قال أنا خير منه
 . ووقع فى حسبكم أى عاب حسبكم و هو الطين فقال إن النار أفضل منه ودفع فى نسبكم مثله وأجلب بخيله عليكم أى جمع
خيالته وفرسانه وألبها . ويقتنصونكم يتصيدونكم والبنان أطراف الأصابع و هو جمع واحده بنانة ويجمع فى القلعة على بنانات
ويقال بنان مخضب لأن كل جمع ليس بينه و بين واحده إلا الهاء فإنه يذكر ويوحده . والحومة معظم الماء والحرب وغيرهما
وموضع هذا الجار والمجرور نصب على الحال أى يقتنصونكم فى حومة ذل . والجولة الموضع الذى تجول فيه . وكمن فى
قلوبكم استتر و منه الكمين فى الحرب . ونزغات الشيطان وساوسه التى يفسد بها ونفثاته مثله . قوله واعتمدوا وضع التذلل على
رءوسكم وإلقاء التعزز تحت أقدامكم كلام شريف جليل المحل وكذلك قوله ع واتخذوا التواضع مسلحة بينكم و بين عدوكم
إبليس وجنوده والمسلحة خيل معدة للحماية والدفاع . [صفحة ١٤٥] ثم نهاهم أن يكونوا كقبايل الذى حسد أخاه هايل فقتله
وهما أخوان لأب وأم وإنما قال ابن أمه فذكر الأم دون الأب لأن الأخوين من الأم أشد حنوا ومحبة والتصاقا من الأخوين من
الأب لأن الأم هى ذات الحضانه والتربية . وقوله من غير ما فضل ماها هنا زائدة وتعطى معنى التأكيد نهاهم ع أن يحسدوا النعم و
أن ييغوا ويفسدوا فى الأرض فإن آدم لما أمر ولده بالقربان قرب قبايل شر ماله و كان كافرا وقرب هايل خير ماله و كان مؤمنا
فتقبل الله تعالى من هايل وأهبط من السماء نارا فأكلته قالوا لأنه لم يكن فى الأرض حينئذ فقير يصل القربان إليه فحسده قبايل و
كان أكبر منه سنا فقال لأقتلك قال هايل إنما يتقبل الله من المتقين أى بذنبك وجرمك كان عدم قبول قربانك لانسلاخك
من التقوى فقتله فأصبح نادما لاندم التوبة بل ندم الحير ورقة الطبع البشرى ولأنه تعب فى حمله كما ورد فى التنزيل أنه لم يفهم
ماذا يصنع به حتى بعث الله الغراب . قوله ع وألزمه آثام القاتلين إلى يوم القيامة لأنه كان ابتداء بالقتل و من سن سنة شر كان عليه
وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة كما أن من سن سنة خير كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة وروى أبو
جعفر محمد بن جرير الطبرى فى تاريخه أن الروايات اختلفت فى هذه الواقعة فروى قوم أن الرجلين كانا من بنى إسرائيل وليسا
من ولد آدم لصلبه والأكثر خالفوا فى ذلك . ثم اختلف الأكترون فروى قوم أن القربان من قبايل وهايل كان ابتداء
والأكثر قالوا بل أراد آدم ع أن يزوج هايل أخت قبايل توأمته ويزوج [صفحة ١٤٦] قبايل أخت هايل توأمته فأبى قبايل لأن
توأمته كانت أحسن فأمرهما أبوهما بالقربان فمن تقبل قربانه نكح الحسناء فتقبل قربان هايل فقتله أخوه كما ورد فى الكتاب
العزيز . و روى الطبرى مرفوعا أنه ص قال ما من نفس تقتل ظلما إلا كان على ابن آدم ع الأول كفل منها و ذلك بأنه أول من
سن القتل -روايت- ١-٢-روايت- ٣٥-١٣١ و هذا يشيد قول أمير المؤمنين ع أَلَمَّا وَقَدْ أَمَعْتُمْ فِي الْبَغْيِ وَ أَفْسَدْتُمْ فِي الْأَرْضِ

مُصَارَحَهُ لِلَّهِ بِالْمُنَاصِبَةِ وَ مُبَارَزَةَ لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْمُحَارَبَةِ فَاللَّهُ اللَّهُ فِي كِبَرِ الْحَمِيَّةِ وَ فَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مَلَقِحُ الشَّنَانِ وَ مَنَافِخُ الشَّيْطَانِ الَّتِي خَدَعَ بِهَا الْأُمَمَ الْمَاضِيَةَ وَ الْقُرُونَ الْخَالِيَةَ حَتَّى أَعْنَقُوا فِي حَنَادِسِ جِهَالَتِهِ وَ مَهَاوِي ضَلَالَتِهِ ذُلًّا عَنِ سِيَاقِهِ سُلسًا فِي قِيَادِهِ أَمْرًا تَشَابَهَتْ الْقُلُوبُ فِيهِ وَ تَتَابَعَتْ الْقُرُونَ عَلَيْهِ وَ كِبْرًا تَضَايَقَتْ الصِّدُورُ بِهِ أَلَّا فَالِحَ حِذْرُ الْحِذْرِ مِنْ طَاعِيَةِ سَادَاتِكُمْ وَ كِبْرَائِكُمُ الْعَالَمِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ وَ تَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ وَ أَلْقَوْا الْهَجِينَ عَلَى رَبِّهِمْ وَ جَا حُدُوا اللَّهَ عَلَى مَا صَنَعَ بِهِمْ مُكَابِرَةً لِقَضَائِهِ وَ مُغَالَبَةً لِأَلَائِهِ فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ آسَاسِ الْعَصِيَّةِ وَ دَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ وَ سُيُوفُ اعْتِرَافِ الْجَاهِلِيَّةِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ لَا تَكُونُوا لِنِعْمِهِ عَلَيْكُمْ أُضْدَادًا وَ لَا لِفَضْلِهِ عِنْدَكُمْ حُسَادًا [صفحہ ۱۴۷] وَ لَا تُطِيعُوا الْأَدْعِيَاءَ الَّذِينَ شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدْرَهُمْ وَ خَلَطْتُمْ بِصَحْتِكُمْ مَرَضَهُمْ وَ أَدَخَلْتُمْ فِي حَقِّكُمْ بَيَاطِلَهُمْ وَ هُمُ آسَاسُ الْفُسُوقِ وَ أَحْلَاسُ الْعُقُوقِ اتَّخَذْتُمْ إِبْلِيسَ مَطَايَا ضَلَالٍ وَ جُنْدًا بِهِمْ يَصُولُ عَلَى النَّاسِ وَ تَرَا جِمَةً يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ اسْتِرْقَاقًا لِعُقُوبِكُمْ وَ دُخُولًا فِي عُيُونِكُمْ وَ نَفْثًا فِي أَسْمَاعِكُمْ فَجَعَلَكُمْ مَرْمَى نَيْلِهِ وَ مَوْطِئَ قَدَمِهِ وَ مَأْخِذَ يَدِهِ فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الْأُمَمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَيَاسِ اللَّهِ وَ صَوْلَاتِهِ وَ وَقَائِعِهِ وَ مَثَلَاتِهِ وَ اتَّعْظُوا بِمِثَاوِي خُدُودِهِمْ وَ مَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ وَ اسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ لَوَاقِحِ الْكِبْرِ كَمَا تَسْتَعِيدُونَ مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ أَمَعْتُمْ فِي الْبَغْيِ بِالْغَيْمِ فِيهِ مِنْ أَمَعْنِ فِي الْأَرْضِ أَى ذَهَبَ فِيهَا بَعِيدًا وَ مُصَارَحَهُ لِلَّهِ أَى مَكَاشِفَهُ. وَ الْمُنَاصِبَةُ الْمَعَادَاةُ. وَ مَلَقِحُ الشَّنَانِ قَالَ الرَّائِدِيُّ الْمَلَقِحُ هِيَ الْفُحُولُ الَّتِي تَلْقَحُ وَ لَيْسَ بِصَحِيحٍ نَصُ الْجَوْهَرِيِّ عَلَى أَنَّ الْوَجْهَ لَوَاقِحُ كَمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ وَ أَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ وَ قَالَ هُوَ مِنَ النُّوَادِرِ لِأَنَّ الْمَاضِيَّ رِبَاعِيَّ وَ الصَّحِيحُ أَنَّ الْمَلَقِحَ هَاهُنَا جَمْعُ مَلَقَحٍ وَ هُوَ الْمَصْدَرُ مِنْ لَقَحْتُ كَضَرَبْتُ مَضْرِبًا وَ شَرِبْتُ مَشْرِبًا وَ يَجُوزُ فَتْحُ النُّونِ مِنَ الشَّنَانِ وَ تَسْكِينُهَا وَ هُوَ الْبَغْضُ . وَ مَنَافِخُ الشَّيْطَانِ جَمْعُ مَنَفَخٍ وَ هُوَ الْمَصْدَرُ أَيْضًا مِنْ نَفَخَ وَ نَفَخَ الشَّيْطَانُ وَ نَفَثَهُ - قُرْآن - ۲۴۳-۲۷۲ [صفحہ ۱۴۸] وَاحِدٌ وَ هُوَ وَسُوسَتُهُ وَ تَسْوِيلُهُ وَ يُقَالُ لِلْمَتَطَاوِلِ إِلَى مَا لَيْسَ لَهُ قَدْرُ نَفْخِ الشَّيْطَانِ فِي أَنْفِهِ . وَ فِي كَلَامِهِ ع يَقُولُهُ لَطْلِحَةٌ وَ هُوَ صَرِيحٌ وَ قَدُ وُقِفَ عَلَيْهِ وَ أَخَذَ سَيْفَهُ سَيْفٌ طَالَمَا جَلَى بِهِ الْكَرْبُ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ لَكِنِ الشَّيْطَانُ نَفَخَ فِي أَنْفِهِ - رَوَايَتُ - ۱-۲- رَوَايَتُ - ۶۴-۱۴۲ . قَوْلُهُ وَ أَعْنَقُوا أَصْرَعُوا وَ فَرَسَ مَعْنَقًا وَ السَّيْرُ الْعَنْقُ قَالَ الرَّاجِزُ يَانَاقُ سَيْرِي عَنَّا فْسِيحًا || إِلَى سَلِيمَانَ فَنَسْتَرِيحًا . وَ الْحَنَادِسُ الظُّلْمُ . وَ الْمَهَاوِي جَمْعُ مَهَاوٍ بِالْفَتْحِ وَ هِيَ الْهَوَى يَتَرَدَّى الصَّيْدُ فِيهَا وَ قَدْتَهَاوِي الصَّيْدَ فِي الْمَهَاوِ إِذَا سَقَطَ بَعْضُهُ فِي أَثَرِ بَعْضٍ . قَوْلُهُ ذُلًّا عَنِ سِيَاقِهِ انْتَصَبَ عَلَى الْحَالِ جَمْعُ ذُلُولٍ وَ هُوَ السَّهْلُ الْمَقَادَةُ وَ هُوَ حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي أَعْنَقُوا أَى أَسْرَعُوا مَنَقَادِينَ لِسُوقِهِ إِيَّاهُمْ . وَ سَلَسًا جَمْعُ سَلَسٍ وَ هُوَ السَّهْلُ أَيْضًا وَ إِنَّمَا قَسَمَ ذُلًّا وَ سَلَسًا بَيْنَ سِيَاقِهِ وَ قِيَادِهِ لِأَنَّ الْمُسْتَعْمَلَ فِي كَلَامِهِمْ قَدَّتِ الْفَرَسُ فَوَجَدْتَهُ سَلَسًا أَوْ صَعْبًا وَ لَا يَسْتَحْسِنُونَ سَقْتَهُ فَوَجَدْتَهُ سَلَسًا أَوْ صَعْبًا وَ إِنَّمَا الْمُسْتَحْسِنُ عِنْدَهُمْ سَقْتَهُ فَوَجَدْتَهُ ذُلُولًا - أَوْ شَمُوسًا . قَوْلُهُ عَ أَمْرًا مَنْصُوبٌ بِتَقْدِيرِ فَعَلْ أَى اعْتَمَدُوا أَمْرًا وَ كِبْرًا مَعْطُوفٌ عَلَيْهِ أَوْ يَنْصَبُ كِبْرًا عَلَى الْمَصْدَرِ بِأَنَّ يَكُونُ اسْمًا وَاقِعًا مَوْقِعَهُ كَالْعَطَاءِ مَوْضِعَ الْإِعْطَاءِ . وَ قَالَ الرَّائِدِيُّ أَمْرًا مَنْصُوبٌ هَاهُنَا لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ بِهِ وَ نَاصِبُهُ الْمَصْدَرُ الَّذِي هُوَ سِيَاقُهُ وَ قِيَادُهُ تَقُولُ سَقْتُ وَ قَدَّتْ قِيَادًا وَ هَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ لِأَنَّ مَفْعُولَ هَذَيْنِ الْمَصْدَرِينَ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ عَنِ سِيَاقِهِ إِيَّاهُمْ وَ قِيَادُهُ إِيَّاهُمْ وَ هَذَا هُوَ مَعْنَى الْكَلَامِ وَ لَوْ فَرَضْنَا مَفْعُولَ [صفحہ ۱۴۹] أَحَدَ هَذَيْنِ الْمَصْدَرِينَ أَمْرًا لَفَسَدَ مَعْنَى الْكَلَامِ وَ قَالَ الرَّائِدِيُّ أَيْضًا وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَمْرًا حَالًا وَ هَذَا أَيْضًا لَيْسَ بِشَيْءٍ لِأَنَّ الْحَالِ وَصْفُ هَيْئَةِ الْفَاعِلِ أَوْ الْمَفْعُولِ وَ أَمْرًا لَيْسَ كَذَلِكَ . قَوْلُهُ عَ تَشَابَهَتْ الْقُلُوبُ فِيهِ أَى أَنَّ الْحَمِيَّةَ وَ الْفَخْرَ وَ الْكِبْرَ وَ الْعَصِيَّةَ مَازَلَتْ الْقُلُوبُ مُتَشَابِهَةً مُتَمَثِّلَةً فِيهَا. وَ تَتَابَعَتْ الْقُرُونَ عَلَيْهِ جَمْعُ قَرْنٍ بِالْفَتْحِ وَ هِيَ الْأُمَّةُ مِنَ النَّاسِ . وَ كِبْرًا تَضَايَقَتْ الصِّدُورُ بِهِ أَى كِبْرًا فِي الصِّدُورِ حَتَّى امْتَلَأَتْ بِهِ وَ ضَاقَتْ عَنْهُ لِكَثْرَتِهِ . ثُمَّ أَمْرٌ بِالْحَذْرِ مِنْ طَاعَةِ الرُّؤَسَاءِ أَرْبَابِ الْحَمِيَّةِ وَ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَ كُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلًا . وَ قَدْ كَانَ أَمْرٌ فِي الْفَصْلِ الْأَوَّلِ بِالتَّوَاضُعِ لِلَّهِ وَ نَهَى هَاهُنَا عَنِ التَّوَاضُعِ لِلرُّؤَسَاءِ وَ قَدْ جَاءَ - قُرْآن - ۴۸۸-۵۴۷ فِي الْخَيْرِ الْمَرْفُوعِ مَا أَحْسَنَ تَوَاضُعَ الْأَغْنِيَاءِ لِلْفُقَرَاءِ وَ أَحْسَنَ مِنْهُ تَكْبِيرُ الْفُقَرَاءِ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ - رَوَايَتُ - ۱-۲- رَوَايَتُ - ۲۱-۹۱ . الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ أَى جَهَلُوا أَنْفُسَهُمْ وَ لَمْ يَفَكَّرُوا فِي أَصْلِهِمْ مِنَ النَّطْفِ الْمُسْتَقْدَرَةِ مِنَ الطِّينِ الْمُنْتَنِ قَالَ الشَّاعِرُ مَا بَالَ مِنْ أَوْلِهِ نَطْفَةٌ || وَ جِيفَةٌ آخِرُهُ يَفْخَرُ يَصْبِحُ لَا يَمْلِكُ تَقْدِيمَ مَا || يَرْجُو وَ

لاتأخير ما يحذر . قوله ع وألقوا الهجينة على ربهم روى الهجينة على فعيلة كالطبيعة والخليقة وروى الهجئة على فعلة كالمضغة واللقمة والمراد بهما الاستهجان من قولك هويهنن كذا أى يقبحه ويستهنه أى يستقبحه أى نسبوا ما فى الأنساب [صفحة ١٥٠] من القبح بزعمهم إلى ربهم مثل أن يقولوا للرجل أنت عجمى ونحن عرب فإن هذا ليس إلى الإنسان بل هو إلى الله تعالى فأى ذنب له فيه . قوله وجاحدوا الله أى كبروه وأنكروا صنعه إليهم . وآساس بالمد جمع أساس . واعتزاء الجاهلية قولهم يالفلان وسمع أبى بن كعب رجلا يقول يالفلان فقال عضضت بهن أبيض فليل له يا أبا المنذر ما كنت فحاشا قال سمعت رسول الله ص يقول من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا -رواية ١-٢-رواية ٣٤-٨٨ . قوله فلاتكونوا لنعمة الله أضدادا لأن البغى والكبر يقتضيان زوال النعمة وتبدلها بالنقمة . قوله ولا تطيعوا الأديعاء مراده هاهنا بالأديعاء الذين ينتحلون الإسلام ويبطنون النفاق . ثم وصفهم فقال الذين شربتم بصفوكم كدرهم أى شربتم كدرهم مستبدلين ذلك بصفوكم ويروى الذين ضربتم أى مزجتم ويروى شربتم أى بعم واستبدلتم . والأحلاس جمع حلس وهو كساء رقيق يكون على ظهر البعير ملازما له فليل لكل ملازم أمر هو حلس ذلك الأمر . والترجمان بفتح التاء هو الذى يفسر لسانا بلسان غيره وقد تضم التاء ويروى ونثا فى أسماكم من نث الحديث أى أفشاه [صفحة ١٥١] فلو رخص الله فى الكبر لأجيد من عباده لرخص فيه لخاصة أنبيائه ولكنه سبحانه كره إليهم التكابر ورضى لهم التواضع فالصقوا بالأرض خدودهم وعفروا فى التراب وجوههم وخفضوا أجنحتهم للمؤمنين وكانوا قوما مستضعفين قد اختبرهم الله بالمخمصية وابتلاهم بالمجهدية وامتحنهم بالمخاوف ومحصهم بالمكاره فلا تعتبروا الرضا والسخط بالمال والولد جهلا بمواقع الفتنة والاختبار فى موضع الغنى والإفترار فقد قال سبحانه وتعالى يحسبون أنما نمدهم به من مال وبيّن نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون -قرآن ٦١٢-٧١٣ التكابر التعاضم والغرض مقابلة لفظه التواضع لتكون الألفاظ مزدوجة . وعفر وجهه ألصقه بالعفر . وخفضوا أجنحتهم ألنوا جانبهم . والمخمصة الجوع والمجهدة المشقة وأمير المؤمنين ع كثير الاستعمال لمفعول ومفعلة بمعنى المصدر إذاتصفت كلامه عرفت ذلك . ومحصهم أى طهرهم وروى مخضهم بالخاء والضاد المعجمة أى حركهم وزلزلهم . [صفحة ١٥٢] ثم نهى أن يعتبر رضا الله وسخطه بما نراه من إعطائه الإنسان مالا وولدا فإن ذلك جهل بمواقع الفتنة والاختبار . وقوله تعالى أحيى بونالآية دليل على ما قاله ع والأدلة العقلية أيضا دلت على أن كثيرا من الآلام والغموم والبلوى إنما يفعلها الله تعالى للأطاف والمصالح و الموصولة فى الآية يعود إليها محذوف ومقدر لابد منه وإلا كان الكلام غير منتظم وغير مرتبط ببعضه ببعض وتقديره نسارع لهم فى الخيرات -قرآن ١٣١-١٤٣ فإن الله سبحانه يختبر عباده المستكبرين فى أنفسهم بأوليائه المستضعفين فى أعينهم ولقد دخل موسى بن عمران ومعه أخوه هارون ع على فرعون وعليهما مدارع الصوف وبأيديهما العصي فشرطا له إن أسلم بقاء ملكه ودوام عزه فقال أ لا تعجبون من هذين يشرطان لى دوام العز وبقاء الملك وهما بما ترون من حال الفقر والذل فهما ألقى عليهما أسورة من ذهب إعظاما للذهب وجمعه واحتقارا للصوف ولبسها ولو أراد الله سبحانه لأبيائه حيث بعثهم أن يفتح لهم كنوز الذهبان ومعادن العقيان ومغارس الجنان وأن يحشر معهم طيور السماء وحوش الأرضين لفعل ولو فعل لسيقت البلاء وبطل الجزاء واضمحللت الأنبا وكما وجب للقابلين أجور المبتلين ولما استحق المؤمنون ثواب المحسنين ولما لزمتم الأسماء معانيها ولكن الله سبحانه جعل رسله أولى قوه فى عزائمهم وضعة فيما [صفحة ١٥٣] ترى الأعين من حالاتهم مع قناعه تملأ القلوب والعيون غنى وخصا به تملأ الأبصار وعزائمهم وضمعة أذى مدارع الصوف جمع مدرعة بكسر الميم وهى كالكساء وتدرع الرجل وتمدرع إذالبسها والعصى جمع عصا . وتقول هذا سوار المرأة والجمع أسورة وجمع الجمع أساوره وقرئفلا لا ألقى عليه أسورة من ذهب وقد يكون جمع أساور قال سبحانه يحلون فيها من أساور من ذهب قال أبو عمرو بن العلاء أساور هاهنا جمع أسوار وهو السوار . والذهبان بكسر الهمزة جمع ذهب كخرب لذكر الحبارى وخربان والعقيان الذهب أيضا قوله ع واضمحللت الأنبا أى تلاشت وفنيت والأنبا جمع نبا وهو الخبر أى

لسقط الوعد والوعيد وبطلا. قوله ع و لالزمت الأسماء معانيها أى من يسمى مؤمنا أو مسلما حينئذ فإن تسميته مجاز لاحقيقة لأنه ليس بمؤمن إيمانا من فعله وكسبه بل يكون ملجأ إلى الإيمان بما يشاهده من الآيات العظيمة. والمبتلين بفتح اللام جمع مبتلى كالمعطين والمرتضين جمع معطى ومرضى. والخصاصة الفقر. -قرآن- ١٦١-٢٠٦-قرآن- ٢٤٠-٢٧٨ [صفحة ١٥٤] وهذا الكلام هو ما يقوله أصحابنا بعينه فى تعليل أفعال البارى سبحانه بالحكمة والمصلحة و أن الغرض بالتكليف هو التعريض للثواب و أنه يجب أن يكون خالصا من الإلجاء و من أن يفعل الواجب بوجه غير وجه وجوبه يرتدع عن القبيح لوجه غير وجه قبحه. وروى أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى التاريخ أن موسى قدم هو وأخوه هارون مصر على فرعون لمابعثهما الله تعالى إليه حتى وقفا على بابه يلتزمان الإذن عليه فمكثا سنين يغدوان على بابه ويروحان لا يعلم بهما ولا يجترئ أحد على أن يخبره بشأنهما وقد كانا قالا- لمن بالباب إنا رسولا رب العالمين إلى فرعون حتى دخل عليه بطال له يلاعبه ويضحكه فقال له أيها الملك إن على الباب رجلا يقول قولاً عجيباً عظيماً ويزعم أن له إلها غيرك قال بياى قال نعم قال أدخلوه فدخل وبيده عصاه ومعه هارون أخوه فقال أنا رسول رب العالمين إليك وذكر تمام الخبر. فإن قلت أى خاصية فى الصوف ولبسه و لم اختاره الصالحون على غيره قلت ورد فى الخبر أن أول لباس لبسه آدم لما هبط إلى الأرض صوف كبش قيضه الله له وأمره أن يذبحه فيأكل لحمه ويلبس صوفه لأنه أهبط عريان من الجنة فذبحه وغزلت حواء صوفه فلبس آدم منه ثوبا وألبس حواء ثوبا آخر فلذلك صار شعار الأولياء وانتسبت إليه الصوفية [صفحة ١٥٥] وَ لَوْ كَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَأُتْرِمَ وَ عَزَّةٌ لَأُتْرِمَ وَ مَلِكٌ تَمِيدٌ نَحْوَهُ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ وَ تُشَدُّ إِلَيْهِ عَقْدُ الرِّجَالِ لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الْإِعْتِبَارِ وَ أَبْعَدَ لَهُمْ مِنَ الْإِسْتِكْبَارِ وَ لَأَمْنُوا عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ فَكَانَتْ النِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً وَ الْحَسَنَاتُ مُقْتَسِمَةً وَ لَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الْإِتْبَاعَ لِرُسُلِهِ وَ التَّصَدِيقَ بِكُتُبِهِ وَ الْخُشُوعَ لَوَجْهِهِ وَ الْإِسْتِكَانَةَ لِأَمْرِهِ وَ الْإِسْتِسْلَامَ لِطَاعَتِهِ أُمُورًا لَهُ خَاصَّةٌ لِمَا يَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِئِيَّةٌ تَمُدُّ نَحْوَهُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ أَى لِعَظَمَتِهِ أَى يَوْمَهُ الْمُؤْمِلُونَ وَيَرْجُوهُ الرَّاجُونَ وَ كُلٌّ مِنْ أَمَلٍ شَيْئًا فَقَدْ طَمَحَ بِيَصْرِهِ إِلَيْهِ مَعْنَى لِأَصُورِهِ فَكُنَى عَنْ ذَلِكَ بِمَدِّ الْعُنُقِ . وَتَشَدُّ إِلَيْهِ عَقْدُ الرَّحَالِ يَسَافِرُ أَرْبَابَ الرِّغْبَاتِ إِلَيْهِ يَقُولُ لَوْ كَانَ الْأَنْبِيَاءُ مَلُوكًا ذَوَى بَأْسٍ وَقَهْرٍ لَمْ يُمْكِنَ إِيمَانُ الْخَلْقِ وَإِنْقِيَادُهُمْ إِلَيْهِمْ لِأَنَّ الْإِيمَانَ فِي نَفْسِهِ وَاجِبٌ عَقْلًا- بَلْ كَانَ لِرَهْبَةٍ لَهُمْ أَوْ رَغْبَةٍ فِيهِمْ فَكَانَتْ النِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً هَذَا فَرَضَ سَوْأَلٌ وَجَوَابٌ عَنْهُ كَأَنَّهُ قَالَ لِنَفْسِهِ لَمْ يَلْجُزْ أَنْ يَكُونَ إِيمَانُهُمْ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ لَوْجُوبِهِ وَلِخَوْفِ ذَلِكَ النَّبِيِّ أَوْ لِرَجَاءِ نَفْعِ ذَلِكَ النَّبِيِّ ص فَقَالَ لِأَنَّ النِّيَّاتُ تَكُونُ حِينَئِذٍ مُشْتَرَكَةً أَى يَكُونُ الْمَكْلَفُ قَدْفَعَلَ الْإِيمَانَ لِكُلِّ الْأَمْرَيْنِ وَكَذَلِكَ تَفْسِيرُ قَوْلِهِ وَ الْحَسَنَاتُ مُقْتَسِمَةٌ قَالَ وَ لَا يَلْجُزْ أَنْ تَكُونَ طَاعَةُ اللَّهِ تَعَالَى تَعْلُو إِلَّا لِكُونِهَا طَاعَةً لَهُ لَا غَيْرَ وَ لَا يَلْجُزْ أَنْ يَشُوبَهَا وَيَخَالِطَهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِئِيَّةٌ. [صفحة ١٥٦] فَإِنْ قُلْتَ مَا مَعْنَى قَوْلِهِ لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الْإِعْتِبَارِ وَأَبْعَدَ لَهُمْ مِنَ الْإِسْتِكْبَارِ قُلْتَ أَى لَوْ كَانَ الْأَنْبِيَاءُ كَالْمَلُوكِ فِي السُّطُوَّةِ وَ الْبَطْشِ لَكَانَ الْمَكْلَفُ لَا يَشِقُ عَلَيْهِ الْإِعْتِبَارُ وَ الْإِنْزِجَارُ عَنِ الْقَبَائِحِ مُشَقَّتَةً عَلَيْهِ إِذَا تَرَكَهَ لِقَبْحِهِ لِخَوْفِ السَّيْفِ وَ كَانَ بَعْدَ الْمَكْلَفَيْنِ عَنِ الْإِسْتِكْبَارِ وَ الْبَغْيِ لَخَوْفِ السَّيْفِ وَ التَّأْدِيبِ أَعْظَمَ مِنْ بَعْدِهِمْ عَنْهُمَا إِذَا تَرَكَهُمَا لَوْجُهُ قَبْحُهُمَا فَكَانَ يَكُونُ ثَوَابُ الْمَكْلَفِ إِمَّا سَاقِطًا وَإِمَّا نَاقِصًا وَ كَلَّمَا كَانَتْ الْبَلْوَى وَ الْإِحْتِبَارُ أَعْظَمَ كَانَتْ الْمَثُوبَةُ وَ الْجَزَاءُ أَجْزَلَ أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ اخْتَبَرَ الْأَوْلِيَيْنَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ ص إِلَى الْآخِرِينَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ بِأَحْجَارٍ لَا تَضُرُّ وَ لَا تَنْفَعُ وَ لَا تُبْصِرُ وَ لَا تَسْمَعُ فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ لِلنَّاسِ قِيَامًا ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بَقَاعِ الْأَرْضِ حَجْرًا وَ أَقْلَ نَتَائِقِ الدُّنْيَا مِدْرًا وَ أَضْيَقَ بَطُونِ الْأَوْدِيَةِ قَطْرًا بَيْنَ جِبَالٍ حَشِيَّتْنِ وَ رِمَالٍ دَمِثَّةٍ وَ عُيُونٍ وَ شِثْلَةٍ وَ قَرَى مُنْقَطِعِيهِ لِمَا يَزْكُو بِهَا خُفٌّ وَ لَا حَافِزٌ وَ لَا ظِلْفٌ ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ ع وَ وَ لَدَدَهُ أَنْ يَشُوا أَعْطَاهُمْ نَحْوَهُ فَصَارَ مَثَابِيَهُ لِمُنْتَجِعِ أَسْفَارِهِمْ وَ غَايَةَ لِمُلْقَى رِحَالِهِمْ تَهْوَى إِلَيْهِ ثَمَارُ الْأَفئِدَةِ مِنْ مَفَاوِزِ قَفَارٍ سَحِيقَةٍ وَ مَهَاوِيِ فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ وَ جَزَائِرِ بَحَارٍ مُنْقَطِعِيهِ حَتَّى يَهْزُوا مَنَاكِبَهُمْ ذُلًّا يُهْلَلُونَ لِلَّهِ حَوْلَهُ وَ يَرْمُلُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ شِعْثًا غَيْرًا لَهُ قَدْ نَبَذُوا السَّرَابِيلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَ شَوْهُوا بِأَعْضَاءِ الشُّعُورِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِمْ ائْتِلَاءً عَظِيمًا وَ امْتِحَانًا شَدِيدًا وَ اخْتِبَارًا مُبِينًا وَ تَمَحِصًا بَلِيغًا جَعَلَهُ اللَّهُ سَبَبًا لِرَحْمَتِهِ وَ وُصَلَةً إِلَى جَنَّتِهِ [صفحة ١٥٧] وَ لَوْ أَرَادَ

سُبْحَانَهُ أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ وَ مَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ بَيْنَ جَنَاتٍ وَ أَنْهَارٍ وَ سِيَهْلِ وَ قَرَارٍ جَمَّ الْأَشْجَارِ دَانِي الثَّمَارِ مُلْتَفِّ الْبُنَى مُتَّصِلَ الْقُرَى بَيْنَ بَرْزَةِ سَيِّمَرَاءَ وَ رَوْضَةِ خَضْرَاءَ وَ أَرْيَافِ مُحْدِقَةٍ وَ عِرَاصِ مُعْدِقَةٍ وَ زُرُوعِ نَاصِرَةٍ وَ طُرُقِ عَامِرَةٍ لَكَانَ قَدْ صَيَّرَ قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ الْبَلَاءِ وَ لَوْ كَانَ الْأَسَاسُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا وَ الْأَحْجَارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا مِنْ زُمْرَدَةٍ خَضْرَاءَ وَ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ وَ نُورٍ وَ ضِيَاءٍ لَخَفَّفَ ذَلِكَ مُصَارَعَةَ الشُّكِّ فِي الصِّدُورِ وَ لَوَضَعَ مُجَاهِدَةً إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ وَ لَنَفَى مُعْتَلِجَ الرِّيبِ مِنَ النَّاسِ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ وَ يَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ وَ يَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ إِخْرَاجًا لِلتَّكْبِيرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ وَ إِسْكَانًا لِلتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ وَ لِيَجْعَلَ ذَلِكَ أَبْوَابًا فَتْحًا إِلَى فَضْلِهِ وَ أَسْبَابًا ذُلًّا لِعَفْوِهِ كَانَتِ الْمَثُوبَةُ أَى الثَّوَابِ . وَأَجْزَلُ أَكْثَرُ وَالْجَزِيلُ الْعَظِيمُ وَعَطَاءُ جَزَلُ وَجَزِيلُ وَالْجَمْعُ جَزَالُ وَ قَدْ أَجْزَلَتْ لَهُ مِنَ الْعَطَاءِ أَى أَكْثَرَتْ . وَجَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَامًا أَى عِمَادًا وَفِلَانِ قِيَامِ أَهْلِهِ أَى يَقِيمِ شَتُونِهِمْ وَ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَ لَا تَتُوتُوا السَّيْفَاءَ أَمْوَالِكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا . وَأَوْعَرَ بَقَاعَ الْأَرْضِ حَجْرًا أَى أَصْعَبَهَا وَمَكَانٍ وَعَرَّ بِالتَّسْكِينِ صَعَبَ الْمَسْلُوكِ أَوِ الْمَقَامِ . -قرآن- ٢٠٨-٢٧٩ [صفحة ١٥٨] وَأَقْلُ نَتَائِقِ الدُّنْيَا مَدْرًا أَصْلُ هَذِهِ اللَّفْظَةُ مِنْ قَوْلِهِمْ أَمْرًا مَنَاقٍ أَى كَثِيرَةُ الْحَبْلِ وَالْوَلَادَةُ وَيُقَالُ ضَيْعَةٌ مَنَاقٍ أَى كَثِيرَةُ الرِّيعِ فَجَعَلَ عِ الضِّيَاعِ ذَوَاتِ الْمَدْرِ الَّتِي تَنَارُ لِلْحَرْتِ نَتَائِقُ وَ قَالَ إِنْ مَكَّةُ أَقْلَهَا صَلَاحًا لِلزَّرْعِ لِأَنَّ أَرْضَهَا حَجْرِيَّةٌ . وَالْقَطْرُ الْجَانِبُ وَرَمَالٌ دَمَثَةٌ سَهْلَةٌ وَكَلِمَا كَانَ الرَّمْلُ أَسْهَلًا كَانَ أَبْعَدَ عَنْ أَنْ يَنْبِتَ . وَعَيُونَ وَشَلَّةٌ أَى قَلِيلَةُ الْمَاءِ وَالْوَشْلُ بَفَتْحِ الشَّيْنِ الْمَاءُ الْقَلِيلُ وَيُقَالُ وَشَلَ الْمَاءُ وَشَلْنَا أَى قَطَرْنَا . قَوْلُهُ لَا يَزُكُو بِهَا خَفٌّ أَى لَا تَزِيدُ الْإِبِلَ فِيهَا أَى لَا تَسْمَنُ وَالْخَفُّ هَاهُنَا هُوَ الْإِبِلُ وَالْحَافِرُ الْخَيْلُ وَالْحَمِيرُ وَالظَّلْفُ الشَّاءُ أَى لَيْسَ حَوْلَهَا مَرَعَى يَرْعَاهُ الْغَنَمُ فَتَسْمَنُ . وَ أَنْ يَشْوَا أَعْطَافَهُمْ نَحْوَهُ أَى يَقْصِدُوهُ وَيَحْجُوهُ وَعَطَافَا الرَّجُلِ جَانِبَاهُ . وَصَارَ مَثَابَةٌ أَى يَثَابُ إِلَيْهِ وَيَرْجِعُ نَحْوَهُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى وَ هَذِهِ مِنَ الْأَفَاقِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ . قَوْلُهُ عَ لِمَنْتَجِعِ أَسْفَارِهِمْ أَى لِنَجْعَتِهَا وَالنَّجْعَةُ طَلَبُ الْكَلَأِ فِي الْأَصْلِ ثُمَّ سُمِّيَ كُلُّ مَنْ قَصَدَ أَمْرًا يَرْوِمُ النِّفْعَ مِنْهُ مَنْتَجِعًا . قَوْلُهُ وَغَايَةُ لِمَلَقَى رِحَالَهُمْ أَى صَارَ الْبَيْتُ هُوَ الْغَايَةُ الَّتِي هِيَ الْغَرَضُ وَالْمَقْصَدُ وَعِنْدَهُ تَلَقَى الرَّحَالُ أَى تَحَطَّ رِحَالُ الْإِبِلِ عَنْ ظُهُورِهَا وَيَبْطَلُ السَّفَرُ لِأَنَّهُمْ قَدَانْتَهُوا إِلَى الْغَايَةِ الْمَقْصُودَةِ . [صفحة ١٥٩] قَوْلُهُ تَهْوَى إِلَيْهِ ثَمَارُ الْأَفْئِدَةِ ثَمْرَةُ الْفُؤَادِ هُوَ سُوَيْدَاءُ الْقَلْبِ وَ مِنْهُ قَوْلُهُمْ لِلْوَلَدِ هُوَ ثَمْرَةُ الْفُؤَادِ وَمَعْنَى تَهْوَى إِلَيْهِ أَى تَشْتَوِقُهُ وَتَحْنُ نَحْوَهُ . وَالْمَفَاوِزُ هِيَ جَمْعُ مَفَاوِزِ الْفَلَاةِ سُمِّيَتْ مَفَاوِزًا لِأَنَّهَا مَهْلِكَةٌ مِنْ قَوْلِهِمْ فَوْزَ الرَّجُلِ أَى هَلَكَ وَ أَمَاتَفَاوِلاً بِالسَّلَامَةِ وَالْفَوْزُ وَالرَّوَايَةُ الْمَشْهُورَةُ مِنْ مَفَاوِزِ قَفَارٍ بِالإِضَافَةِ وَ قَدْرُوى قَوْمٌ مِنْ مَفَاوِزِ الْزَّاءِ لِأَنَّهُ لَا يَنْصَرَفُ وَ لَمْ يَضِيفُوا جَعَلُوا قَفَارَ صَفَةً . وَالسَّحِيقَةُ الْبَعِيدَةُ . وَالْمَهَاوِي الْمَسَاقِطُ . وَالْفَجَاجُ جَمْعُ فَجٍّ وَ هُوَ الطَّرِيقُ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ . قَوْلُهُ عَ حَتَّى يَهْزُوا مَنَاكِبَهُمْ أَى يَحْرِكُهُمُ الشُّوقُ نَحْوَهُ إِلَى أَنْ يَسَافِرُوا إِلَيْهِ فَكُنِيَ عَنِ السَّفَرِ بِهْزِ الْمَنَاكِبِ . وَذَلَالًا حَالًا إِمَّا مِنْهُمْ وَإِمَّا مِنَ الْمَنَاكِبِ وَوَاحِدُ الْمَنَاكِبِ مَنْكَبٌ بِكَسْرِ الْكَافِ وَ هُوَ مَجْمَعُ عَظْمِ الْعَضُدِ وَالْكَتْفِ . قَوْلُهُ وَبِهَلْلُونَ يَقُولُونَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَرَوَى يَهْلُونَ لِلَّهِ أَى يَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّلْبِيَةِ وَنَحْوَهَا . وَيَرْمَلُونَ الرَّمْلَ السَّعَى فَوْقَ الْمَشْيِ قَلِيلًا . شَعَثًا غَيْرًا لَا يَتَعَهَّدُونَ شَعُورَهُمْ وَ لَا ثِيَابَهُمْ وَ لَا أَبْدَانَهُمْ قَدَنْبَذُوا السَّرَابِيلَ وَرَمَوْا ثِيَابَهُمْ وَقَمِصَانَهُمْ الْمَخِيضَةَ . وَشَوْهُوا بِإِعْفَاءِ الشُّعُورِ أَى غَيَّرُوا وَقَبَحُوا مَحَاسِنَ صُورِهِمْ بِأَنْ أَعْفَوْا شَعُورَهُمْ فَلَمْ يَحْلِقُوا مَا فَضَّلَ مِنْهَا وَسَقَطَ عَلَى الْوَجْهِ وَنَبَتَ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْأَعْضَاءِ الَّتِي جَرَتْ الْعَادَةُ بِإِزَالَتِهَا عَنْهَا . [صفحة ١٦٠] وَالتَّمْحِيصُ التَّطْهِيرُ مِنْ مَحْصَتِ الذَّهَبِ بِالنَّارِ إِذَا صَفَيْتَهُ مِمَّا يَشُوبُهُ وَالتَّمْحِيصُ أَيْضًا الْإِمْتِحَانُ وَالِاخْتِبَارُ وَالْمَشَاعِرُ مَعَالِمُ النَّسْكِ . قَوْلُهُ وَسَهْلٌ وَرَقَارٌ أَى فِي مَكَانٍ سَهْلٍ يَسْتَقَرُّ فِيهِ النَّاسُ وَ لَا يَنَالُهُمْ مِنَ الْمَقَامِ بِهِ مَشَقَّةٌ . وَجَمَّ الْأَشْجَارُ كَثِيرًا وَدَانِي الثَّمَارِ قَرِيبًا . وَملْتَفَّ الْبُنَى مُشْتَبِكُ الْعِمَارَةِ . وَالبِرَّةُ الْوَاحِدَةُ مِنَ الْبَرِّ وَ هُوَ الْحَنْظَلَةُ . وَالأَرْيَافُ جَمْعُ رَيْفٍ وَ هُوَ الْخَصْبُ وَالْمَرَعَى فِي الْأَصْلِ وَ هُوَ هَاهُنَا السَّوَادُ وَالْمَزَارِعُ وَمُحْدِقَةٌ مُحِيطَةٌ وَمُعْدِقَةٌ غَزِيرَةٌ وَالْغَدَقُ الْمَاءُ الْكَثِيرُ . وَنَاصِرَةٌ ذَاتُ نَضَارَةٍ وَرَوْنَقٌ وَحَسَنٌ . قَوْلُهُ وَ لَوْ كَانَتِ الْإِسَاسُ يَقُولُ لَوْ كَانَتِ إِسَاسُ الْبَيْتِ الَّتِي حَمَلَ الْبَيْتَ عَلَيْهَا وَأَحْجَارُهُ الَّتِي رَفَعَ بِهَا مِنْ زَمْرَدَةٍ وَيَاقُوتَةٍ فَالْمَحْمُولُ وَالْمَرْفُوعُ كِلَاهِمَا مَرْفُوعَانِ لِأَنَّهُمَا صَفَةٌ اسْمٌ كَانَ وَالْخَبْرُ مِنْ زَمْرَدَةٍ وَرَوَى بَيْنَ زَمْرَدَةٍ وَيَجُوزُ أَنْ تَحْمَلَ لَفْظَتَا الْمَفْعُولِ وَهُمَا الْمَحْمُولُ وَالْمَرْفُوعُ ضَمِيرُ الْبَيْتِ فَيَكُونُ قَائِمًا مَقَامَ اسْمِ الْفَاعِلِ وَ يَكُونُ مَوْضِعَ الْجَارِ وَالْمَجْرُورِ نَصْبًا وَيَجُوزُ

الأ- تحملهما ذلك الضمير ويجعل الجار والمجرور هو الساد مسد الفاعل فيكون موضعه رفعا. وروى مضارعة الشك بالضاد المعجمة ومعناه مقارنة الشك ودنوه من النفس وأصله من مضارعة القدر إذا حان إدراكها و من مضارعة الشمس إذا دنت للمغيب . و قال الراوندى فى تفسير هذه الكلمة من مضارعة الشك أى مماثلته ومشابهته وهذا بعيد لأنه لا معنى للمماثلة والمشابهة هاهنا والرواية الصحيحة بالصاد المهملة. قوله ع ولنفى متعلق الريب أى اعتلاجه أى ولنفى اضطراب الشك فى القلوب وروى يستعدهم ويتعدهم والثانية أحسن . [صفحہ ۱۶۱] والمجاهد جمع مجهده وهى المشقة. وأبوأبا فتحا أى مفتوحة وأسبابا ذللا أى سهلة. واعلم أن محصول هذا الفصل أنه كلما كانت العبادة أشق كان الثواب عليها أعظم و لو أن الله تعالى جعل العبادات سهلة على المكلفين لما استحقوا عليها من الثواب إلا قدرا يسيرا بحسب ما يكون فيها من المشقة اليسيرة. فإن قلت فهل كان البيت الحرام موجودا أيام آدم ع ثم أمر آدم وولده أن يثبوا أعطافهم نحوه قلت نعم هكذا روى أرباب السير وأصحاب التواريخ روى أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى تاريخه عن ابن عباس أن الله تعالى أوحى إلى آدم لما أهبطه إلى الأرض أن لى حرما حىال عرشى فانطلق فابن لى بيتا فيه ثم طف به كمارأيت ملائكتى تحف بعرشى فهنا لك أستجيب دعاءك ودعاء من يحف به من ذريتك فقال آدم إنى لست أقوى على بنائه ولا أهتدى إليه فقيض الله تعالى له ملكا فانطلق به نحو مكة و كان آدم فى طريقه كلما رأى روضة أو مكانا يعجبه سأل الملك أن ينزل به هناك لىبنى فيه فيقول الملك إنه لىس هاهنا حتى أقدمه مكة فبنى البيت من خمسة جبال طور سيناء و طور زيتون و لبنان و الجودى وبنى قواعد من حراء فلما فرغ خرج به الملك إلى عرفات فأراه المناسك كلها التى يفعلها الناس اليوم ثم قدم به مكة وطاف بالبيت أسبوعا ثم رجع إلى أرض الهند فمات -روایت- ۱-۲- وروایت- ۶۲-۷۳۰. وروى الطبرى فى التاريخ أن آدم حج من أرض الهند إلى الكعبة أربعين حجة على رجليه . [صفحہ ۱۶۲] و قدروى أن الكعبة أنزلت من السماء وهى ياقوته أولؤلؤة على اختلاف الروايات وأنها بقيت على تلك الصورة إلى أن فسدت الأرض بالمعاصى أيام نوح وجاء الطوفان فرفع البيت وبنى ابراهيم هذه البنية على قواعد القديمة -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۰- ۲۲۲ روى أبو جعفر عن وهب بن منبه أن آدم دعا ربه فقال يارب أ مالأرضك هذه عامر يسبحك ويقدمك فيها غيرى فقال الله إنى سأجعل فيها من ولدك من يسبح بحمدى ويقدمنى وسأجعل فيها بيوتا ترفع لذكرى يسبحنى فيها خلقى ويذكر فيها اسمى وسأجعل من تلك البيوت بيتا أختصه بكرامتى وأثره باسمى فأسميه بيتى و عليه وضعت جلالتى وخصصته بعظمتى و أنا مع ذلك فى كل شىء أجعل ذلك البيت حرما آمنا يحرم بحرمة من حوله و من تحته و من فوقه فمن حرمة بحرمتى استوجب كرامتى و من أخاف أهله فقد أباح حرمتى واستحق سخطى وأجعله بيتا مباركا يأتيه بنوك شعثا غيرا على كل ضامر من كل فج عميق يرجون بالتلبية رجيجا ويعجون بالتكبير عجيجا من اعتمده لا يريد غيره ووفد إلى وزارنى واستضاف بى أسعفته بحاجته وحق على الكريم أن يكرم وفده وأضيفه تعمه يا آدم مادمت حيا ثم تعمه الأمم والقرون والأنبياء من ولدك أمه بعد أمه وقرنا بعد قرن -روایت- ۱-۲-روایت- ۳۳-۸۵۲. قال ثم أمر آدم أن يأتى إلى البيت الحرام الذى أهبط له إلى الأرض فيطوف به كما كان يرى الملائكة تطوف حول العرش و كان البيت حينئذ من درة أو من ياقوته فلما أغرق الله تعالى قوم نوح رفعه وبقى أساسه فبواه الله لإبراهيم فبناه [صفحہ ۱۶۳] فَلَلهِ اللَّهُ فِي عَاجِلِ الْبَغْيِ وَ آجِلِ الْوَحَامِيَةِ الظُّلْمِ وَ سُوءِ عَاقِبِيهِ الْكِبَرِ فَإِنَّهَا مَصِيدَةُ إِبْلِيسَ الْعُظْمَى وَ مَكِيدَتُهُ الْكُبْرَى الَّتِي تُسَاوِرُ قُلُوبَ الرِّجَالِ مُسَاوِرَةَ السَّمُومِ الْقَاتِلَةِ فَمَا تَكْدِي أَيْدِيًا وَ لَا تُشْوِي أَحَدًا لَا عَالِمًا لِعِلْمِهِ وَ لَا مُقَلِّمًا فِي طِمْرِهِ وَ عَن ذَلِكَ مَا حَزَسَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصِّلَوَاتِ وَ الزَّكَاةِ وَ مُجَاهِدَةَ الصِّيَامِ فِي الْأَيَّامِ الْمَفْرُوضَاتِ تَسْكِينًا لِأَطْرَافِهِمْ وَ تَخَشِيْعًا لِأَبْصَارِهِمْ وَ تَذَلِيلًا لِنُفُوسِهِمْ وَ تَخْفِيْضًا لِقُلُوبِهِمْ وَ إِذْهَابًا لِلْخِيَلَاءِ عَنْهُمْ وَ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَعْفِيرِ عِتَاقِ الْوُجُوهِ بِالْتَرَابِ تَوَاضِعًا وَ التِّصَاقِ كَرَائِمِ الْجَوَارِحِ بِالْأَرْضِ تَصَاغُرًا وَ لِحُوقِ الْبُطُونِ بِالْمُتُونِ مِنَ الصِّيَامِ تَذَلُّلًا مَعَ مَا فِي الزَّكَاةِ مِنْ صِرْفِ تَمَرَاتِ الْأَرْضِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ إِلَى أَهْلِ الْمَسْكَنَةِ وَ الْفَقْرِ انظُرُوا إِلَى مَا فِي هَذِهِ الْأَفْعَالِ مِنْ قَمْعِ نَوَاجِمِ الْفَخْرِ وَ قَدْعِ طَوَالِعِ الْكِبَرِ بِلْدَةِ

وخمة ووخيمة بينة الوخامة أى وبيئة. مصيدة إبليس بسكون الصاد وفتح الياء آلهة التى يصطاد بها. وتساور قلوب الرجال توثبها وسار إليه يسور أى وثب والمصدر السور ومصدر تساور المساورة ويقال إن لغضبه سورة و هو سوار أى وثاب معربد. [صفحة ١٦٤] وسورة الشراب وثوبه فى الرأس وكذلك مساورة السموم التى ذكرها أمير المؤمنين ع . و ماتكدى ماترد عن تأثيرها من قولك أكدى حافر الفرس إذابلع الكدية وهى الأرض الصلبة فلا يمكنه أن يحفر. و لاتشوى أحدا لاتخطئ المقتل وتصيب غيره وهو الشوى والشوى الأطراف كاليد و الرجل . قال لاترد مكيدته عن أحد لا عن عالم لأجل علمه و لا عن فقير لظمره والظمر الثوب الخلق . و ما فى قوله و عن ذلك ما حرس الله زائده مؤكدة أى عن هذه المكايد التى هى البغى والظلم والكبر حرس الله عباده فعن متعلقه بحرس و قال الراوندى يجوز أن تكون مصدرية فيكون موضعها رفعا بالابتداء وخبر المبتدأ قوله لما فى ذلك وقال أيضا يجوز أن تكون نافية أى لم يحرس الله عباده عن ذلك إلهاء وقهرا بل فعلوه اختيارا من أنفسهم والوجه الأول باطل لأن عن على هذا التقدير تكون من صلة المصدر فلا يجوز تقديمها عليه وأيضا فإن لما فى ذلك لو كان هو الخبر لتعلق لام الجر بمحذوف فيكون التقدير حراسة الله لعباده عن ذلك كائنه لما فى ذلك من تعفير الوجوه بالتراب و هذا كلام غير مفيد و لا منتظم إلا على تأويل بعيد لا حاجة إلى تعسفه والوجه الثانى باطل لأن سياقه الكلام تدل على فسادة ألاترى قوله تسكينا وتخشيعا و قوله لما فى ذلك من كذا و هذا كله تعليل الحاصل الثابت لاتعليل المنفى المعدوم . ثم بين ع الحكمة فى العبادات فقال إنه تعالى حرس عباده بالصلوات [صفحة ١٦٥] التى افترضها عليهم من تلك المكايد وكذلك بالزكاة والصوم ليسكن أطرافهم ويخشع أبصارهم فجعل التسكين والتخشيع عذرا وعلة للحراسة ونصب اللفظ على أنها مفعول له . ثم علل السكون والخشوع الذى هو علة الحراسة لما فى الصلاة من تعفير الوجه على التراب فصار ذلك علة العلة قال و ذلك لأن تعفير عتاق الوجوه بالتراب تواضعا يوجب هضم النفس وكسرها وتذليلها. وعتاق الوجوه كرائمها. وإلصاق كرائم الجوارح بالأرض كاليدين والساقين تصاغرا يوجب الخشوع والاستسلام والجوع فى الصوم الذى يلحق البطن فى المتن يقتضى زوال الأشر والبطر ويوجب مذلة النفس وقمعها عن الانهماك فى الشهوات و ما فى الزكاة من صرف فواضل المكاسب إلى أهل الفقر والمسكنة يوجب تطهير النفوس والأموال ومواساة أرباب الحاجات بما تسمح به النفوس من الأموال وعاصم لهم من السرقات وارتكاب المنكرات ففى ذلك كله دفع مكايد الشيطان . وتخفيض القلوب حطها عن الاعتلاء والتهيه . والخيلاء التكبر والمسكنة أشد الفقر فى أظهر الرأيين . والقمع القهر. والنواجم جمع ناجمة وهى ما يظهر ويطلع من الكبر وغيره . والقصدع بالبدال المهملة الكف قدعت الفرس وكبحته باللجام أى كففته . والطوالع كالنواجم [صفحة ١٦٦] وَ لَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا وَجَدْتُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ يَتَعَصَّبُ لَشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ إِلَّا عَنْ عِلَّةٍ تَحْتَمِلُ تَمْوِيَهُ الْجُهْلَاءُ أَوْ حُجَّةٍ تَلِيطُ بِعُقُولِ السِّفَهَاءِ غَيْرِكُمْ فَإِنَّكُمْ تَتَعَصَّبُونَ لِأَمْرِ مَا يُعْرَفُ لَهُ سَبَبٌ وَ لَا عِلَّةَ أَمَّا إِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَى آدَمَ لِأَصْلِهِ وَ طَعَنَ عَلَيْهِ فِي خَلْقِهِ فَقَالَ أَنَا نَارِي وَ أَنْتَ طِينِي وَ أَمَّا الْأَغْيَاءُ مِنْ مُتْرِفَةِ الْأُمَّمِ فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ مَوَاقِعِ النَّعْمِ فَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَ أَوْلَادًا وَ مَيَّا نَحْنُ بِمَعْدِيَيْنِ فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنَ الْعَصِيَّةِ فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ الْخِصَالِ وَ مَحَامِدِ الْأَفْعَالِ وَ مَحَاسِنِ الْأُمُورِ الَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا الْمُحْسِنُونَ وَ النَّجْدَاءُ مِنَ بِيُوتَاتِ الْعَرَبِ وَ يَعَاسِيِبِ الْقَبَائِلِ بِالْأَخْلَاقِ الرَّغِيْبَةِ وَ الْأَحْلَامِ الْعَظِيْمَةِ وَ الْأَخْطَارِ الْجَلِيْلَةِ وَ الْآثَارِ الْمَحْمُودَةِ فَتَعَصَّبُوا لِخَلَالِ الْحَمْدِ مِنَ الْحِفْظِ لِلْجَوَارِ وَ الْوَفَاءِ بِالذَّمَامِ وَ الطَّاعِيَةِ لِلْبِرِّ وَ الْمَعَصِيَةِ لِلْكَبْرِ وَ الْأَخْذِ بِالْفَضْلِ وَ الْكَفِّ عَنِ الْبَغْيِ وَ الْإِنصِافِ لِلْخَلْقِ وَ الْكُظْمِ لِلْغَيْظِ وَ اجْتِنَابِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ قَدَرُوى تحتمل بالتاء وروى تحمل والمعنى واحد. و التمويه التلبيس من موته النحاس إذاطلته بالذهب ليخفى . و لاط الشئ بقلبي يلوط ويليط أى التصق . و المترف الذى أطغته النعمة. [صفحة ١٦٧] و تفاضلت فيها أى تزايدت . و المجداء جمع ماجد و المجد الشرف فى الآباء و الحسب و الكرم يكونان فى الرجل و إن لم يكونا فى آباءه هكذا قال ابن السكيت و قد اعترض عليه بأن المجيد من صفات الله تعالى قال سبحانه ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ عَلَى قِرَاءَةِ مَنْ رَفَعَ وَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ يَتَعَالَى عَنِ الْآبَاءِ وَ قَدْ جَاءَ فِي

وصف القرآن المجيد قال سبحانه بل هو قرآنٌ مجيدٌ. والنجلاء الشجعان واحدهم نجيد و أمانجد ونجد بالكسر والضم فجمعه أنجاد مثل يقظ وأيقاظ. وبيوتات العرب قبائلها ويعاسيب القبائل رؤساؤها واليعسوب في الأصل ذكر النحل وأميرها. والرغبة الخصلة يرغب فيها. والأحلام العقول والأخطار الأقدار. ثم أمرهم بأن يتعصبوا لخلال الحمد وعددها وينبغي أن يحمل قوله ع فإنكم تتعصبون لأمر ما يعرف له سبب ولاعله على أنه لا يعرف له سبب مناسب فكيف يمكن أن يتعصبوا لغير سبب أصلا. وقيل إن أصل هذه العصبية وهذه الخطبة أن أهل الكوفة كانوا قد فسدوا في آخر خلافة أمير المؤمنين وكانوا قبائل في الكوفة فكان الرجل يخرج من منازل قبيلته فيمر بمنازل قبيلة أخرى فينادى باسم قبيلته يالنجع مثلا أو يالكنده نداء عاليا يقصد به الفتنة وإثارة الشر فيتألب عليه فتيان القبيلة التي مر بها فينادون بالتميم - قرآن - ٢١٤ - ٢٣٤ - قرآن - ٣٢٩ - ٣٥١ [صفحہ ١٦٨] و يالريعة و يقبلون إلى ذلك الصائح فيضربونه فيمضى إلى قبيلته فيستصرخها فتسل السيوف وتثور الفتن ولا يكون لها أصل في الحقيقة إلا تعرض الفتيان بعضهم ببعض و احذرُوا مَا نَزَلَ بِالْأُمَّمِ قَبْلَكُمْ مِنَ الْمَثَلَاتِ بِسُوءِ الْأَفْعَالِ وَ ذَمِيمِ الْأَعْمَالِ فَتَذَكَّرُوا فِي الْخَيْرِ وَ الشَّرِّ أَحْوَالَهُمْ وَ احذرُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ فَإِذَا تَفَكَّرْتُمْ فِي تَفَاوُتِ حَالِهِمْ فَالزَّمُوا كُلَّ أَمْرٍ لَزِمَتِ الْعِزَّةُ بِهِ حَالَهُمْ وَ زَاخَتِ الْأَعْدَاءُ لَهُ عَنْهُمْ وَ مُدَّتِ الْعَافِيَةُ بِهِ عَلَيْهِمْ وَ انْقَادَتِ النِّعْمَةُ لَهُ مَعَهُمْ وَ وَصَلَتِ الْكِرَامَةُ عَلَيْهِمْ حَبْلَهُمْ مِنَ الْاجْتِنَابِ لِلْفُرْقَةِ وَ اللُّزُومِ لِلْأَلْفَةِ وَ التَّحَاصُّ عَلَيْهِمَا وَ التَّوَاصِي بِهَا وَ اجْتَنَبُوا كُلَّ أَمْرٍ كَسِرَ فِقَرَتَهُمْ وَ أَوْهَنَ مُنْتَهَمٌ مِنْ تَضَاغِنِ الْقُلُوبِ وَ تَشَاخُنِ الصُّدُورِ وَ تَدَابُرِ النَّفُوسِ وَ تَخَاذُلِ الْأَيْدِي الْمَثَلَاتِ الْعَقُوبَاتِ . و ذميم الأفعال ما يذم منها. وتفاوت حالهم اختلافهما وزاحت الأعداء بعدت و له أى لأجله . والتحاض عليها تفاعل يستدعى وقوع الحض و هو الحث من الجهتين أى يحث بعضهم بعضا. والفقرة واحدة فقر الظهر ويقال لمن قد أصابته مصيبة شديدة قد كسرت فقرته . [صفحہ ١٦٩] والمنه القوة. وتضاغن القلوب وتشاخنها واحد وتخاذل الأيدي ألا ينصر الناس بعضهم بعضا و تَدَبَّرُوا أَحْوَالَ الْمَاضِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ التَّمْحِصِ وَ الْبَلَاءِ أَلَمْ يَكُونُوا أَنْقَلَ الْخَلَائِقِ أَعْبَاءً وَ أَجْهَدَ الْعِبَادِ بَلَاءً وَ أَضْيَقَ أَهْلَ الدُّنْيَا حَالًا اتَّخَذَتْهُمْ الْفِرَاعِنَةُ عَيْبِدًا فَسَامُوهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَ جَرَّعُوهُمْ جُرْعَ الْمُرَارِ فَلَمْ تَبْرَحِ الْحَالُ بِهِمْ فِي ذُلِّ الْهَلَاكَةِ وَ قَهْرِ الْغَلْبَةِ لَا يَجِدُونَ حِيلَةً فِي امْتِنَاعِ وَ لَا سَبِيلًا إِلَى دِفَاعِ حَتَّى إِذَا رَأَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ جِدَّ الصَّبْرِ مِنْهُمْ عَلَى الْأَذَى فِي مَحَبَّتِهِ وَ الْإِحْتِمَالَ لِلْمَكْرُوهِ مِنْ خَوْفِهِ جَعَلَ لَهُمْ مِنْ مَضَائِقِ الْبَلَاءِ فَرَجًا فَأَبْدَلَهُمُ الْعِزَّ مَكَانَ الدَّلِّ وَ الْأَمْنِ مَكَانَ الْخَوْفِ فَصَيَّرُوا مُلُوكًا حُكَّامًا وَ أَيْمَةً أَعْلَامًا وَ قَدْ بَلَغَتِ الْكِرَامِيَّةُ مِنَ اللَّهِ لَهُمْ مَا لَمْ تَذْهَبِ الْأَمْيَالُ إِلَيْهِ بِهِمْ تَدَبَّرُوا أَى تَأَمَّلُوا وَ التَّمْحِصِ التَّطْهِيرِ وَ التَّنْصِيفِ . وَ الْأَعْبَاءُ الْأَثْقَالُ وَاحِدُهَا عِبَاءٌ . وَ أَجْهَدَ الْعِبَادِ أَعْجَبَهُمْ . وَ الْفِرَاعِنَةُ الْعِتَاءُ وَ كُلُّ عَاتِ فِرْعَوْنَ . وَ سَامُوهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ أَلْزَمُوهُمْ إِيَّاهُ وَ هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى يَسُومُونَكُمْ سُوءَ - قرآن - ١٩٨ - ٢١٦ تَدَبَّرُوا أَى تَأَمَّلُوا وَ التَّمْحِصِ التَّطْهِيرِ وَ التَّنْصِيفِ . وَ الْأَعْبَاءُ الْأَثْقَالُ وَاحِدُهَا عِبَاءٌ . وَ أَجْهَدَ الْعِبَادِ أَعْجَبَهُمْ . وَ الْفِرَاعِنَةُ الْعِتَاءُ وَ كُلُّ عَاتِ فِرْعَوْنَ . وَ سَامُوهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ أَلْزَمُوهُمْ إِيَّاهُ وَ هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَدَّبْحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَ يَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَ فِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ . وَ الْمُرَارِ بِضَمِّ الْمِيمِ شَجَرٌ مَرٌّ فِي الْأَصْلِ وَ اسْتَعِيرَ شَرِبَ الْمُرَّارَ لِكُلِّ مَنْ يَلْقَى شَدِيدَ الْمَشَقَّةِ . وَ رَأَى اللَّهُ مِنْهُمْ جِدَّ الصَّبْرِ أَى أَشَدَّهُ . وَ أَيْمَةً أَعْلَامًا أَى يَهْتَدَى بِهِمْ كَالْعَلَمِ فِي الْفَلَاءِ - قرآن - ١ - ٩٨ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانُوا حَيْثُ كَانَتْ الْأَمْيَالُ مُجْتَمِعَةً وَ الْأَهْوَاءُ مُؤْتَلَفَةً وَ الْقُلُوبُ مُعْتَدِلَةً وَ الْأَيْدِي مُتْرَادِفَةً وَ السُّيُوفُ مُتَنَاصِرَةً وَ الْبَصَائِرُ نَافِذَةً وَ الْعَزَائِمُ وَاحِدَةٌ أَلَمْ يَكُونُوا أَرْبَابًا فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِينَ وَ مُلُوكًا عَلَى رِقَابِ الْعَالَمِينَ فَانظُرُوا إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ فِي آخِرِ أُمُورِهِمْ حِينَ وَقَعَتِ الْفُرْقَةُ وَ تَشَتَّتَتِ الْأَلْفَةُ وَ اخْتَلَفَتِ الْكَلِمَةُ وَ الْأَفِيدَةُ تَشَعَّبُوا مُخْتَلِفِينَ وَ تَفَرَّقُوا مُتَحَارِبِينَ وَ قَدْ خَلَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِيَأْسَ كِرَامَتِهِ وَ سَلَبَهُمْ غَضَارَةَ نِعْمَتِهِ وَ بَقِيَ قَصِيصُ أَحْبَابِهِمْ فِيكُمْ عِبْرَةً لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنْكُمْ الْأَمْيَالُ الْجَمَاعَاتُ الْوَاحِدُ مَلَأٌ . [صفحہ ١٧١] وَ مِتْرَادِفُهُ مُتَعَاوَنُهُ الْبَصَائِرُ نَافِذَةٌ يُقَالُ نَفَذْتُ بَصِيرَتِي فِي هَذَا الْخَبَرِ أَى اجْتَمَعَ هَمِي عَلَيْهِ وَ لَمْ يَبْقَ عِنْدِي تَرَدُّدٌ فِيهِ لِعِلْمِي بِهِ وَ تَحْقِيقِي إِيَّاهُ . وَ أَقْطَارُ الْأَرْضِينَ نَوَاحِيهَا وَ تَشَتَّتَتْ تَفَرَّقَتْ . وَ تَشَعَّبُوا صَارُوا شُعُوبًا وَ قِبَالًا مُخْتَلِفِينَ . وَ تَفَرَّقُوا مُتَحَارِبِينَ اخْتَلَفُوا أَحْزَابًا وَ رَوَى مُتَحَارِبِينَ . وَ غَضَارَةُ النِّعْمَةِ الطَّيِّبِ اللَّيِّنِ

منها. والقصاص الحديث . يقول انظروا فى أخبار من قبلكم من الأمم كيف كانت حالهم فى العز والملك لما كانت كلمتهم واحدة و إلى ماذا آلت حالهم حين اختلفت كلمتهم فاحذروا أن تكونوا مثلهم و أن يحل بكم إن اختلفتم مثل ما حل بهم فاعتبروا بحال ولد إسماعيل و بنى إسحاق و بنى إسرائيل ع فَمَا أَشَدَّ اعْتِدَالَ الْأَحْوَالِ وَ أَقْرَبَ اشْتِيَاءَ الْأَمْثَالِ تَأْمَلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ تَشْتِيئِهِمْ وَ تَفَرَّقِهِمْ لِيَأْتِيَ كَانَتِ الْأَكَاسِرَةُ وَ الْقِيَاصِرَةُ أَرْبَابًا لَهُمْ يَحْتَازُونَهُمْ عَن رِيْفِ الْأَفَاقِ وَ بَحْرِ الْعِرَاقِ وَ خُضْرَةِ الدُّنْيَا إِلَى مَنَابِتِ الشَّيْحِ وَ مَهَافِي الرِّيحِ وَ نَكَدِ الْمَعَاشِ فَتَرَكُوهُمْ عَالَةً مَسَاكِينَ إِخْوَانَ دَبْرٍ وَ وَبَرٍ أَذَلَّ الْأُمَّمَ دَارًا وَ أَجَدَبَهُمْ قَرَارًا لَا يَأْوُونَ إِلَى جَنَاحِ دَعْوَةٍ يَعْتَصِمُونَ بِهَا وَ لَا إِلَى ظِلِّ أَلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ عَلَى عِزِّهَا فَالْأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ وَ الْأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ وَ الْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ فِي بَلَاءِ أَزَلٍ وَ أَطْبَاقٍ جَهْلٍ مِنْ بَنَاتِ مَوْءُودَةٍ وَ أَصْنَامٍ مَعْبُودَةٍ وَ أَرْحَامٍ مَقْطُوعَةٍ وَ غَارَاتٍ مَشْنُونَةٍ [صفحہ ۱۷۲] لقاتل أن يقول مانعرف أحدا من بنى إسحاق و بنى إسرائيل احتازتهم الأكاسرة و القياصرة عن ريف الآفاق إلى البادية و منابت الشيخ إلا- أن يقال يهود خبير والنضير و بنى قريظة و بنى قينقاع و هؤلاء نفر قليل لا يعتد بهم و يعلم من فحوى الخطبة أنهم غير مرادين بالكلام ولأنه ع قال تركوهم إخوان دبر و ووبر و هؤلاء لم يكونوا من أهل الوبر و الدبر بل من أهل المدر لأنهم كانوا ذوى حصون و آطام و الحاصل أن الذين احتازتهم الأكاسرة و القياصرة من الريف إلى البادية و صاروا أهل وبر ولد إسماعيل لابنو إسحاق و بنو إسرائيل و الجواب أنه ع ذكر فى هذه الكلمات و هى قوله فاعتبروا بحال ولد إسماعيل و بنى إسحاق و بنى إسرائيل المقهورين و القاهرين جميعا أما المقهورون فبنو إسماعيل و أما القاهرون فبنو إسحاق و بنو إسرائيل لأن الأكاسرة من بنى إسحاق ذكر كثير من أهل العلم أن فارس من ولد إسحاق و القياصرة من ولد إسحاق أيضا لأن الروم بنو العيص بن إسحاق و على هذا يكون الضمير فى أمرهم و تشتتهم و تفرقهم يرجع إلى بنى إسماعيل خاصة. فإن قلت فبنو إسرائيل أى مدخل لهم هاهنا قلت لأن بنى إسرائيل لما كانوا ملوكا بالشام فى أيام أجداب الملك و غيره حاربوا العرب من بنى إسماعيل غير مرة و طردوهم عن الشام و ألقوهم على المقام بادية الحجاز و يصير تقدير الكلام فاعتبروا بحال ولد إسماعيل مع بنى إسحاق و بنى إسرائيل فجداء بهم فى صدر الكلام على العموم ثم خصص فقال الأكاسرة و القياصرة و هم داخلون فى عموم ولد إسحاق و إنما لم يخصص عموم بنى إسرائيل لأن العرب لم تكن تعرف ملوك [صفحہ ۱۷۳] ولد يعقوب فيذكر لهم أسماءهم فى الخطبة بخلاف ولد إسحاق فإنهم كانوا يعرفون ملوكهم من بنى ساسان و من بنى الأصفر. قوله ع فما أشد اعتدال الأحوال أى ما أشبه الأشياء بعضها ببعض و إن حالكم لشبيهة بحال أولئك فاعتبروا بهم . قوله يحتازونهم عن الريف يبعدونهم عنه و الريف الأرض ذات الخصب و الزرع و الجمع أرياف و رافت الماشية أى رعت الريف و قد أرفنا أى صرنا إلى الريف و أرافت الأرض أى أخصبت و هى أرض ريفه بتشديد الياء. و بحر العراق دجلة و الفرات أما الأكاسرة فطردوهم عن بحر العراق و أما القياصرة فطردوهم عن ريف الآفاق أى عن الشام و ما فيه من المرعى و المنتجع . قوله ع أربابا لهم أى ملوكا و كانت العرب تسمى الأكاسرة أربابا و لماعظم أمر حذيفة بن بدر عندهم سموه رب معد. و منابت الشيخ أرض العرب و الشيخ نبت معروف . و مهافى الريح المواضع التى تهفو فيها أى تهب و هى الفيافى و الصحارى. و نكد المعاش ضيقه و قلته . و تركوهم عالة أى فقراء جمع عائل و العائل ذو العيلة و العيلة الفقر قال تعالى وَ إِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ قَالَ الشاعِر - قرآن - ٩٢٦-٩٨٤ تعيرنا أننا عالة || صعاليك نحن و أنتم ملوك . [صفحہ ۱۷۴] نظيره قائد و قاده و سائس و ساسة. و قوله إخوان دبر و ووبر الدبر مصدر دبر البعير أى عقره القتب و الوبر للبعير بمنزلة الصوف للضأن و الشعر للمعز. قوله أذل الأمم دارا لعدم المعائل و الحصون المنيعه فيها. و أجدبهم قرارا لعدم الزرع و الشجر و النخل بها و الجذب المحل . و لا يأوون لا يلتجئون و لا يئضمون . و الأزل الضيق و أطباق جهل جمع طبق أى جهل متراكم بعضه فوق بعض . و غارات مشنونه متفرقة و هى أصعب الغارات

فصل فى ذكر الأسباب التى دعت العرب إلى وأد البنات

من بنات موءودة كان قوم من العرب يثدون البنات قيل إنهم بنو تميم خاصة وإنه استفاض منهم فى جيرانهم وقيل بل كان ذلك فى تميم وقيس وأسد وهذيل وبكر بن وائل قالوا و ذلك أن رسول الله ص دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعل عليهم سنين كسنى يوسف -رواية- ١-٢-رواية- ٩-٦٨ فأجدبوا سبع سنين حتى أكلوا الوبر بالدم وكانوا يسمونه العلهز فوأدوا البنات لإملاقتهم وفقرهم و قد دل على ذلك بقوله **وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ قَالِ وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ**. وقال قوم بل وأدوا البنات أنفة وزعموا أن تميما منعت النعمان الإتاوة سنة من -قرآن- ١٢١-١٦٢-قرآن- ١٦٨-١٩٣ [صفحة ١٧٥] السنين فوجه إليهم أخاه الريان بن المنذر و جل من معه من بكر بن وائل فاستاق النعم وسبى الذرارى و فى ذلك يقول بعض بنى يشكر لمارأوا راية النعمان مقبله **|| قالوا ألا ليت أدنى دارنا عدن ياليت أم تميم لم تكن عرفت ||** مرا وكانت كمن أودى به الزمن إن تقتلونا فأعيار مخدعه **|| أو تنعموا فقيما منكم المنى منكم زهير وعتاب ومحتضن ||** وابنا لقيط وأودى فى الوغى قطن .فوفدت بنو تميم إلى النعمان واستعطفوه فرق عليهم وأعاد عليهم السبى وقال كل امرأة اختارت أباه ردت إليه و إن اختارت صاحبها تركت عليه فكلهن اخترن آباءهن إلا ابنة قيس بن عاصم فإنها اختارت من سبأها و هو عمرو بن المشمرخ اليشكرى فنذر قيس بن عاصم المنقرى التميمى ألا يولد له بنت إلا وأدأها والوآد أن يخنقها فى التراب ويثقل وجهها به حتى تموت ثم اقتدى به كثير من بنى تميم قال سبحانه **وَ إِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ أَي عَلَى طَرِيقِ التَّبَكِيتِ وَالتَّوْبِيخِ لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ أَوْ أَجَازَهُ كَمَا قَالَ سَبْحَانَهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أُمَّي إِلَهِي مِنْ دُونِ اللَّهِ. و من جيد شعر الفرزدق قوله فى هجاء جرير - قرآن- ٤٠٥-٤٥٤-قرآن- ٥٢٨-٦٢٢ أ لم تر أنا بنى دارم **|| زرارة منا أبو معبد ومنا الذى منع الوائدات ||** وأحيا الوليد فلم يوأد ألسنا بأصحاب يوم النصار **|| وأصحاب ألوية المربرد [صفحة ١٧٦] ألسنا الذين تميم بهم ||** تسامى وتفخر فى المشهد وناجية الخير والأقرعان **|| وقبر بكاظمة المورد إذا ما أتى قبره عائذ ||** أناخ على القبر بالأسعد أطلب مجد بنى دارم **|| عطية كالجعل الأسود قرنبى يحك قفا مقرف ||** لثيم ما أثره قعدد ومجد بنى دارم فوقه **|| مكان السماكين والفرقد فى الحديث أن صعصعة بن ناجية بن عقاب لما وفد على رسول الله ص قال يا رسول الله إنى كنت أعمل فى الجاهلية عملا صالحا فهل ينفعنى ذلك اليوم قال ع و ما عملت قال ضللت ناقين عشراوين فركبت جملا ومضيت فى بغائهما فرفع لى بيت حريد فقصدته فإذا شيخ جالس بفنائها فسألته عن الناقين فقال مانارهما قلت ميسم بنى دارم قال هما عندى وقد أحيا الله بهما قوما من أهلك من مضر فجلست معه ليخرجهما إلى فإذا عجوز قد خرجت من كسر البيت فقال لها ما وضعت إن كان سقبا شاركنا فى أموالنا و إن كان حائلا وأدناها فقالت العجوز وضعت أنثى فقلت له أتبيعها قال وهل تبيع العرب أولادها قلت إنما أشتري حياتها ولا أشتري رقها قال فبكم قلت احتكم قال بالناقين والجمال قلت أذاك لك على أن يبلغنى الجمال وإياها قال بعتك فاستنقذتها -رواية- ١-٢-رواية- ١٤-ادامه دارد [صفحة ١٧٧] منه بالجمال والناقين وآمنت بك يا رسول الله و قدصارت لى سنة فى العرب أن أشتري كل موءودة بناقنين عشراوين وجمال فغندى إلى هذه الغاية ثمانون ومائتا موءودة قد انقذتهن قال ع لا ينفكك ذاك لأنك لم تتبع به وجه الله و أن تعمل فى إسلامك عملا صالحا تثب عليه -رواية- از قبل- ٢٧٤. وروى الزبير فى الموفقيات أن أبابكر قال فى الجاهلية لقيس بن عاصم المنقرى ما حملك على أن وأدت قال مخافة أن يخلف عليهن مثلك فأنظروا إلى مَوَاقِعِ نَعْمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ وَ جَمَعَ عَلَى دَعْوَتِهِ أَلْفَتَهُمْ كَيْفَ نَسَرَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا وَ أَسَأَلَتْ لَهُمْ حِدَاوِلَ نَعِيمِهَا وَ التَّفَتِ الْمِائَةَ بِهِمْ فِي عَوَائِدِ بَرَكَتِهَا فَاصْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا عَرَقِينَ وَ فِي خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكَهَيْنَ قَدْ تَرَبَّعَتِ الْأُمُورُ بِهِمْ فِي ظِلِّ سُلْطَانِ قَاهِرٍ وَ أَوْتَهُمُ الْحِيَالُ إِلَى كَنْفِ عَزِّ غَالِبٍ وَ تَعَطَّفَتِ الْأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِي ذُرَى مُلْكٍ ثَابِتٍ فَهُمْ حُكَّامٌ عَلَى الْعَالَمِينَ وَ مُلُوكٌ****

فى أطرافِ الأَرْضِ يَنْ يَمْلِكُونَ الأُمُورَ عَلَى مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ وَ يُمضُونَ الأحْكَامَ فِيمَنْ كَانَ يُمضِيهَا فِيهِمْ لَأ تُغْمَزُ لَهُمْ قَنَاءٌ وَ لَا تُقْرَعُ لَهُمْ صِفَاءٌ لِمَا ذَكَرَ مَا كَانَتِ العَرَبُ عَلَيْهِ مِنَ الذَّلِّ وَ الضَّيْمِ وَ الجَهْلِ عَادَ فَذَكَرَ مَا أَبَدَلَ اللهُ [صفحہ ۱۷۸] به حالهم حين بعث إليهم محمداً ص فعد عليهم طاعتهم كالشيء المنتشر المحلول فعدّها بملء محمد ص . والجداول الأنهر . والتفت الملة بهم أى كانوا متفرقين فالتفت ملء محمد بهم أى جمعتهم ويقال التفت الحبل بالحطب أى جمعه والتفت الحطب بالحبل أى اجتمع به . و فى قوله فى عوائد بركتها متعلقه بمحذوف وموضع الجار والمجرور نصب على الحال أى جمعتهم الملة كائنة فى عوائد بركتها والعوائد جمع عائده وهى المنفعة تقول هذا أعود عليك أى أنفع لك وروى والتفت الملة بالقاف أى اجتمعت بهم من اللقاء والرواية الأولى أصح . وأصبحوا فى نعمتها غرقين مبالغه فى وصف ما هم فيه من النعمة . وفاكهين ناعمين وروى فكهين أى أشرين و قد قرئ بهما فى قوله تعالى وَ نَعْمِيَةٌ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ وَ قَالَ الأَصْمَعِيُّ فَاكِهِينَ مَازِحِينَ وَ المفاكهة الممازحة و من أمثالهم لا تنفاه أمة و لا تبل على أكمة فأما قوله تعالى فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ نَفْقِيلَ تَدْمُونَ وَقِيلَ تعجبون . و عن فى قوله و عن خضرة عيشها متعلقه بمحذوف تقديره فأصبحوا فاكهين فكاهاه صادرة عن خضرة عيشها أى خضرة عيش النعمة سبب لصدور الفكاهاه والمزاح عنه . وتربعت الأمور بهم أى أقامت من قولك ربع بالمكان أى أقام به . -قرآن- ۶۶۳-۶۹۵-قرآن- ۸۰۹-۸۲۸ [صفحہ ۱۷۹] وآوتهم الحال بالمد أى ضمتهم وأنزلتهم قال تعالى آوى إليه أخاه أى ضمه إليه وأنزله ويجوز أوتهم بغير مد أفعلت فى هذا المعنى وفعلت واحد عن أبى زيد . والكنف الجانب وتعطف الأمور عليهم كناية عن السيادة والإقبال يقال قد تعطف الدهر على فلان أى أقبل حظه وسعاده بعد أن لم يكن كذلك . و فى ذرا ملك بضم الذال أى فى أعاليه جمع ذروة ويكنى عن العزيز الذى لا يضام فيقال لا يغمز له قناه أى هو صلب والقناه إذا لم تلتن فى يد الغامز كانت أبعد عن الحطم والكسر . و لا تفرع لهم صفاء مثل يضرب لمن لا يطمع فى جانبه لعزته وقوته -قرآن- ۵۴-۷۱ أَلَا وَ إِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ وَ ثَلَمْتُمْ حِصْنَ اللهِ الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَدْ امْتَنَ عَلَى جَمَاعَةٍ هَذِهِ الأُمَّةِ فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هَذِهِ الأَلْفَةِ الَّتِي يَتَقَلَّبُونَ فِي ظِلِّهَا وَ يَأْوُونَ إِلَى كَنَفِهَا بِنِعْمَتِهِ لَأ يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ المَخْلُوقِينَ لَهَا قِيَمَةً لَأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنٍ وَ أَجَلٌ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الهِجْرَةِ أَعْرَاباً وَ بَعْدَ المُوَالَاةِ أَحْرَاباً مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ إِلا بِاسْمِهِ وَ لَأ تَعْرِفُونَ مِنَ الإِيمَانِ إِلا رَسْمَهُ تَقُولُونَ النَّارَ وَ لَأ العَارَ كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِتُوا الإِسْلَامَ عَلَى وَجْهِهِ انْتِهَاكَ لِحَرِيمِهِ وَ نَقْضاً لِمِيثَاقِهِ الَّذِي وَضَعَهُ اللهُ لَكُمْ حَرَمًا فِي أَرْضِهِ وَ أَمْنًا بَيْنَ خَلْقِهِ وَ إِنَّكُمْ إِنْ لَجَأْتُمْ إِلَى غَيْرِهِ حَارَبْتُمْ أَهْلَ الكُفْرِ ثُمَّ لَأ جَبْرَائِيلُ [صفحہ ۱۸۰] وَ لَمَّا مِيكَائِيلُ وَ لَأ مُهَاجِرِينَ وَ لَأ أَنْصَارَ يَنْصُرُونَكُمْ إِلا المُقَارَعَةَ بِالسَّيْفِ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَكُمْ وَ إِنْ عِنْدَكُمْ الأَمْثَالُ مِنْ بَأْسِ اللهِ وَ قَوَارِعِهِ وَ أَيَّامِهِ وَ وَقَائِعِهِ فَلَأ تَسْتَبْطِئُوا وَ عِيدَهُ جَهْلًا بِأَحْذِهِ وَ تَهَاوُنًا بِبَطْشِهِ وَ يَأْسًا مِنْ بَأْسِهِ فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَم يَلْعَنِ القُرُونَ المَاضِيَةَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلا لِتَرْكِهِمُ الأَمْرَ بِالمَعْرُوفِ وَ النِّهْيَ عَنِ المُنْكَرِ فَلَعَنَ اللهُ السَّيْفَةَ لِرُكُوبِ المَعَاصِي وَ الحُلَمَاءَ لِتَرْكِ التَّنَاضُحِ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ كَلِمَةً تَقَالُ فِي اطْرَاحِ الشَّيْءِ وَ تَرْكِهِ وَ هِىَ أَبْلَغُ مِنْ أَنْ تَقُولَ تَرَكْتُمْ حَبْلَ الطَّاعَةِ لِأَنَّ مِنَ يَخْلَى الشَّيْءَ مِنْ يَدِهِ ثُمَّ يَنْفُضُ يَدَهُ مِنْهُ يَكُونُ أَشَدَّ تَخْلِيَةً لَهُ مِنْ أَنْ يَنْفُضَهَا بَلْ يَقْتَصِرُ عَلَى تَخْلِيَتِهِ فَقَطْ لِأَنَّ نَفْضَهَا إِشْعَارٌ وَ إِيْذَانٌ بِشِدَّةِ الاطْرَاحِ وَ الإِعْرَاضِ . وَ البَاءُ فِي قَوْلِهِ بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ مُتَعَلِّقَةٌ بِثَلَمْتُمْ أَيْ ثَلَمْتُمْ حِصْنَ اللهِ بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ الَّتِي حَكَمْتُمْ بِهَا فِي مِلَّةِ الإِسْلَامِ . وَ البَاءُ فِي قَوْلِهِ بِنِعْمَةٍ لَأ يَعْرِفُ مُتَعَلِّقَةٌ بِامْتَنَ وَ فِي مَنْ قَوْلِهِ فِيمَا عَقَدَ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَحْذُوفٍ وَ مَوْضِعُهَا نَصَبٌ عَلَى الحَالِ وَ هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى لَو أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَ لَكِنَّ اللهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ وَ قَوْلُهُ فَاصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا . وَ رَوَى تَتَقَلَّبُونَ فِي ظِلِّهَا . -قرآن- ۵۰۴-۵۹۹-قرآن- ۶۰۸-۶۳۹ [صفحہ ۱۸۱] قَوْلُهُ صِرْتُمْ بَعْدَ الهِجْرَةِ أَعْرَابًا الأَعْرَابُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ص مِنْ آمَنَ بِهِ مِنْ أَهْلِ البَادِيَةِ وَ لَمْ يَهَاجِرْ إِلَيْهِ وَ هُمْ نَاقِصُو المَرْتَبَةِ عَنِ المِهَاجِرِينَ لِجَفَائِهِمْ وَ قَسْوَتِهِمْ وَ تَوْحُشِهِمْ وَ نَشْئِهِمْ فِي بَعْدِ مِنْ مَخَالِطَةِ العُلَمَاءِ وَ سَمَاعِ كَلَامِ الرِّسُولِ ص وَ فِيهِمْ أَنْزَلَ الأَعْرَابُ أَشَدَّ كُفْرًا وَ نِفَاقًا وَ أَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ وَ لَيْسَتْ هَذِهِ

الآية عامة في كل الأعراب بل خاصة ببعضهم وهم الذين كانوا حول المدينة وهم جهينة وأسلم وأشجع وغفار وإليه أشار سبحانه بقوله وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وكيف يكون كل الأعراب مذموماً وقد قال تعالى وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتَتَّبِعُ مَا يُفْقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وصارت هذه الكلمة جارية مجرى المثل . وأنشد الحجاج على منبر الكوفة - قرآن- ٢٣٧-٣٣٨- قرآن- ٤٨٤-٥٢٧- قرآن- ٥٧٦-٦٧٧ قدلفها الليل بعصلي || أروع خراج من الدوى مهاجر ليس بأعرابي . و قال عثمان لأبي ذر أخشى أن تصير بعد الهجرة أعرابيا. وروى و لا يعقلون من الإيمان . وقولهم النار و لا العار منصوبتان بإضمار فعل أى ادخلوا النار و لا تلتزموا العار وهى كلمة جارية مجرى المثل أيضا يقولها أرباب الحمية والإباء فإذا قيلت فى حق كانت صوابا و إذا قيلت فى باطل كانت خطأ. وأكفأت الإناء وكفأته لغتان أى كبيته . [صفحة ١٨٢] قوله ثم لاجبرائيل و لاميكائيل و لامهاجرين الرواية المشهورة هكذا بالنصب و هو جائز على التشبيه بالنكرة كقولهم معضلة و لا بأحسن لها قال الراجز لاهيثم الليلة للمطى . و قدروى بالرفع فى الجميع . و المقارعة منصوبة على المصدر و قال الراوندى هى استثناء منقطع و الصواب ما ذكرناه و قدروى إلا المقارعة بالرفع تقديره و لانصير لكم بوجه من الوجوه إلا المقارعة. و الأمثال التى أشار إليها أمير المؤمنين ع هى ما تضمنه القرآن من أيام الله و نعماته على أعدائه و قال تعالى وَ ضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ. و التناهى مصدر تنهى القوم عن كذا أى نهى بعضهم بعضا يقول لعن الله الماضين من قبلكم لأن سفهاءهم ارتكبوا المعصية و حلماءهم لم ينهوهم عنها و هذا من قوله تعالى كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ - قرآن- ٣٠٩-٣٣٥- قرآن- ٥٠٦-٥٧٧ أَلَا وَ قَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ الْإِسْلَامِ وَ عَظَّمْتُمْ حُدُودَهُ وَ أَمَّمْتُمْ أَحْكَامَهُ أَلَا وَ قَدْ أَمَرَنِي اللَّهُ بِقِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ وَ النَّكْثِ وَ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ فَأَمَّا النَّاكِثُونَ فَفَعَد قَاتَلْتُمْ وَ أَمَّا الْقَاسِطُونَ فَفَعَد جَاهِدْتُمْ وَ أَمَّا الْمَارِقَةُ فَفَعَد دَوَّخْتُ وَ أَمَّا شَيْطَانُ الرَّدْهَةِ فَفَعَد كُفَيْتُهُ بِصَيْعَةٍ سَمِعَتْ لَهَا وَجِبَةٌ قَلْبِهِ وَ رَجَّةٌ صَدْرِهِ [صفحة ١٨٣] وَ بَقِيَتْ بَقِيَّةٌ مِّنْ أَهْلِ الْبَغْيِ وَ لَئِن أَدْنَى اللَّهُ فِي الْكُرَّةِ عَلَيْهِمْ لِأَدِيلِنَ مِنْهُمْ إِلَّا مَا يَتَشَدَّرُ فِي أَطْرَافِ الْبِلَادِ تَشَدُّرًا عَنِ النَّبِيِّ ص أَنَّهُ قَالَ لَهُ ع سَتَقَاتِلُ بَعْدِي النَّاكِثِينَ وَ الْقَاسِطِينَ وَ الْمَارِقِينَ - روايت- ١-٢- روايت- ١٧-٨٠ فكان الناكثون أصحاب الجمل لأنهم نكثوا بيعته ع و كان القاسطون أهل الشام بصفين و كان المارقون الخوارج فى النهروان و فى الفرق الثلاث قال الله تعالى فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَ قَالَ وَ أَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا وَ - قرآن- ١٦٣-٢٠٤- قرآن- ٢١٢-٢٥٩ قال النبى ص يخرج من ضئضى هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر أحدكم فى النصل فلا يجد شيئا فينظر فى الفوق فلا يجد شيئا سبق الفرث و الدم - روايت- ١-٢- روايت- ١٨-١٦٦ و هذا الخبر من اعلام نبوته ص و من أخباره المفصلة بالغيوب . و أما شيطان الردهه فقد قال قوم إنه ذو الثدية صاحب النهروان ورووا فى ذلك خبرا عن النبى ص و ممن ذكر ذلك واختاره الجوهري صاحب الصحاح وهؤلاء يقولون إن ذا الثدية لم يقتل بسيف ولكن الله رماه يوم النهروان بصاعقة وإليها أشار ع بقوله فقد كفيته بصعقة سمعت لها وجبة [صفحة ١٨٤] قلبه و قال قوم شيطان الردهه أحد الأبالسة المردة من أعوان عدو الله إبليس ورووا فى ذلك خبرا عن النبى ص و أنه كان يتعوذ منه و الردهه شبه نقره فى الجبل يجتمع فيها الماء و هذا مثل قوله ع هذا أذب العقبة أى شيطانها و لعل أذب العقبة هو شيطان الردهه بعينه فتارة يرد بهذا اللفظ و تارة يرد بذلك اللفظ و قال قوم شيطان الردهه مارد يتصور فى صورة حية و يكون على الردهه وإنما أخذوا هذا من لفظه الشيطان لأن الشيطان الحية و منه قولهم شيطان الحماطة و الحماطة شجرة مخصوصة و يقال إنها كثيرة الحيات . قوله و يتشذر فى أطراف الأرض يتمزق و يتبدد و منه قولهم ذهبوا شذر مذر. و البقية التى بقيت من أهل البغى معاوية و أصحابه لأنه ع لم يكن أتى عليهم بأجمعهم وإنما وقفت الحرب بينه وبينهم بمكيدة التحكيم . قوله ع و لئن أذن الله فى الكرة عليهم أى إن مد لى فى العمر لأدلين منهم أى لتكونن الدولة لى عليهم أدلت من فلان أى غلبته وقهرته و صرت ذا دولة عليه

واعلم أن أصحابنا قداستدلوا على صحة إمامة أبي بكر بقوله تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ - قرآن- ٦٥-١٨٧ واعلم أن أصحابنا قداستدلوا على صحة إمامة أبي بكر بقوله تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ثُمَّ قَالَ قَاضِي الْقَضَاءِ فِي الْمَعْنَى وَهَذَا خَيْرٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَلَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ كَاتِبًا عَلَى مَا أَخْبَرَ بِهِ وَالَّذِينَ قَاتَلُوا الْمُرْتَدِّينَ هُمُ أَبُو بَكْرٍ وَأَصْحَابُهُ فَوَجِبَ أَنْ يَكُونُوا هُمُ الَّذِينَ عَنَاهُمُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ وَذَلِكَ يُوْجِبُ أَنْ يَكُونُوا عَلَى صَوَابٍ . وَاعْتَرَضَ الْمُرْتَضَى رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى هَذَا الْاِحْتِجَاجِ فِي الشَّافِي فَقَالَ مِنْ أَيْنَ قُلْتَ إِنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ وَأَصْحَابِهِ فَإِنْ قَالَ لِأَنَّهُمُ الَّذِينَ قَاتَلُوا الْمُرْتَدِّينَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ لِأَحَدٍ قَاتَلَهُمْ سِوَاهُمْ قِيلَ لَهُ وَ مِنْ أَلَدِي سَلِمَ لَكَ ذَلِكَ أَوْ لَيْسَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ع قَدْ قَاتَلَ النَّكَثِيْنَ وَالْقَاسَطِيْنَ وَالْمَارْقِيْنَ بَعْدَ الرَّسُولِ ص وَهُؤْلَاءُ عِنْدَنَا مُرْتَدُونَ عَنِ الدِّينِ وَيَشْهَدُ بِصَحَّةِ التَّأْوِيلِ زَائِدًا عَلَى اِحْتِمَالِ الْقَوْلِ لَهُ مَارُوى عَنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع مِنْ قَوْلِهِ يَوْمَ الْبَصْرَةِ وَ اللَّهُ مَا قُوتِلَ أَهْلَ الْآيَةِ حَتَّى الْيَوْمِ وَتَلَاهَا وَ قَدَرُوى عَنِ عِمَارٍ وَحَدِيْفَةَ وَغَيْرِهِمَا مِثْلَ ذَلِكَ . فَإِنْ قَالَ دَلِيْلِي عَلَى أَنَّهَا فِي أَبِي بَكْرٍ وَأَصْحَابِهِ قَوْلُ أَهْلِ التَّفْسِيْرِ قِيلَ لَهُ أَوْ كُلُّ أَهْلِ التَّفْسِيْرِ قَالَ ذَلِكَ فَإِنْ قَالَ نَعَمْ كَابِرٌ لِأَنَّهُ قَدَرُوى عَنِ جَمَاعَةِ التَّأْوِيلِ أَلَدِي ذَكَرْنَاهُ وَ لَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا مَارُوى عَنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع وَوَجَّهَ أَصْحَابُهُ الَّذِينَ ذَكَرْنَاهُمْ لَكُفْيَ وَ إِنْ قَالَ حِجَّتِي قَوْلُ بَعْضِ الْمَفْسِرِيْنَ قُلْنَا وَ أَى حِجَّةٍ فِي قَوْلِ الْبَعْضِ وَ لَمْ يَصِرِ الْبَعْضُ أَلَدِي قَالَ مَا ذَكَرْتَ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنَ الْبَعْضِ أَلَدِي قَالَ مَا ذَكَرْنَا . ثُمَّ يُقَالُ لَهُ قَدْ وَجَدْنَا اللَّهَ تَعَالَى قَدْ نَعَتَ الْمَذْكُورِيْنَ فِي الْآيَةِ بِنَعْوَتِ يَجِبُ أَنْ - قرآن- ١-١٠٨- قرآن- ٣٠٤-٣٢٧ [صَفْحَهُ ١٨٦] تَرَاعِيْهَا لِنَعْلَمُ أَفِي صَاحِبِنَا هِيَ أُمُّ فِي صَاحِبِكَ وَ قَدْ جَعَلَهُ الرَّسُولُ ص فِي خَيْبَرَ حِينَ فَرَّ مِنْ فَرٍّ مِنَ الْقَوْمِ عَنِ الْعَدُوِّ صَاحِبِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ فَقَالَ لِأَعْطِيْنَ الرَّايَةَ غَدًا رِجَالًا يَحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ كَرَارًا غَيْرَ فَرَارٍ فَدَفَعَهَا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع - رَوَايَتُ ١-٢- رَوَايَتُ ٩-١١٧ . ثُمَّ قَوْلُهُ تَعَالَى أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِيْنَ يَنْقُضِي مَا ذَكَرْنَا لِأَنَّهُ مِنَ الْمَعْلُومِ بِلَا خِلَافٍ حَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع فِي التَّخَاشُعِ وَالتَّوَضُّعِ وَذَمِّ نَفْسِهِ وَوَقْعِ غَضْبِهِ وَ أَنَّهُ مَارِئِي قَطِّ طَانِشًا وَ لَامْتِطِيْرًا فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ وَ مَعْلُومِ حَالِ صَاحِبِيْكُمْ فِي هَذَا الْبَابِ أَمَا أَحَدُهُمَا فَإِنَّهُ اعْتَرَفَ طَوْعًا بِأَنَّ لَهُ شَيْطَانًا يَعْتَرِيهِ عِنْدَ غَضْبِهِ وَ أَمَا الْآخِرُ فَكَانَ مَعْرُوفًا بِالْجِدِّ وَالْعَجَلَةِ مَشْهُورًا بِالْفِظَاطَةِ وَالْغِلْظَةِ وَ أَمَا الْعِزَّةُ عَلَى الْكَافِرِيْنَ فَإِنَّمَا تَكُونُ بِقِتَالِهِمْ وَجِهَادِهِمْ وَالانْتِقَامَ مِنْهُمْ وَ هَذِهِ حَالٌ لَمْ يَسْبِقْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع إِلَيْهَا سَابِقٌ وَ لِالْحَقِّ فِيهَا لَاحِقٌ . ثُمَّ قَالَ تَعَالَى يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ وَ هَذَا وَصَفُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَحَقِّ لَهُ بِالْإِجْمَاعِ وَ هُوَ مُتَمَتِّفٌ عَنِ أَبِي بَكْرٍ وَصَاحِبِهِ إِجْمَاعًا لِأَنَّهُ لَا قِتَالَ لِهَمَا فِي الْإِسْلَامِ وَ لِالْجِهَادِ بَيْنَ يَدِي الرَّسُولِ ص وَ إِذَا كَانَتِ الْأَوْصَافُ الْمُرَاعَاةُ فِي الْآيَةِ حَاصِلَةً لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع وَ غَيْرِ حَاصِلَةً لِمَنْ ادْعَيْتُمْ لِأَنَّهَا فِيهِمْ عَلَى ضَرِيْبِيْنَ ضَرْبِ مَعْلُومِ انْتِفَاؤِهِ كَالْجِهَادِ وَضَرْبِ مُخْتَلَفِ فِيهِ كَالْأَوْصَافِ الَّتِي هِيَ غَيْرُ الْجِهَادِ وَ عَلَى مَنْ أَثْبَتَهَا لَهُمُ الدَّلَالَةُ عَلَى حَصُولِهَا وَ لِابْدَاءِ أَنْ يَرْجِعَ فِي ذَلِكَ إِلَى غَيْرِ ظَاهِرِ الْآيَةِ لَمْ يَبْقَ فِي يَدِهِ مِنَ الْآيَةِ دَلِيْلٌ . هَذِهِ جَمَلَةٌ مَا ذَكَرَهُ الْمُرْتَضَى رَحِمَهُ اللَّهُ وَ لَقَدْ كَانَ يُمْكِنُهُ التَّخْلِصُ مِنَ الْاِحْتِجَاجِ بِالْآيَةِ - قرآن- ١٩-٧٢- قرآن- ٥٥٣-٦١٣ [صَفْحَهُ ١٨٧] عَلَى وَجْهِ الْأُطْفِ وَأَحْسَنُ وَأَصْحَحُ مِمَّا ذَكَرَهُ فَيَقُولُ الْمُرَادُ بِهَا مِنْ ارْتِدَادِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ص فِي وَاقِعَةِ الْأَسْوَدِ الْعَنْسِيِّ بِالْيَمَنِ فَإِنْ كَثُرَ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ ضَلُّوا بِهِ وَارْتَدَوْا عَنِ الْإِسْلَامِ وَادْعَوْا لَهُ النَّبُوَّةَ وَاعْتَقَدُوا صِدْقَهُ وَالْقَوْمُ الَّذِينَ يُحِبُّهُمْ اللَّهُ وَيُحِبُّونَهُ الْقَوْمُ الَّذِينَ كَاتَبَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ص وَأَغْرَاهُمْ بِقَتْلِهِ وَ الْفِتْكَ بِه وَ هُمُ فَيَرُوزُ الدِّيْلَمِيَّ وَأَصْحَابَهُ وَالْقِصَّةُ مَشْهُورَةٌ وَ قَدْ كَانَ لَهُ أَيْضًا أَنْ يَقُولَ لَمْ قُلْتُ إِنْ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ أَبُو بَكْرٍ وَأَصْحَابُهُ كَانُوا مُرْتَدِّينَ فَإِنَّ الْمُرْتَدَّ مِنْ يَنْكُرُ دِينَ الْإِسْلَامِ بَعْدَ أَنْ كَانَ قَدْتَدِينُ بِهِ وَالَّذِينَ مَنَعُوا الزَّكَاةَ لَمْ يَنْكُرُوا أَصْلَ دِينَ الْإِسْلَامِ وَإِنَّمَا تَأَوَّلُوا فَأَخْطَأُوا لِأَنَّهُمْ تَأَوَّلُوا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَكِّيهِمْ بِهَا وَ صَيَّلْ

عَلَيْهِمْ إِنَّ صِيْلَاتِكَ سَكَنٌ لَهُمْ فَقَالُوا إِنَّمَا نَدْفَعُ زَكَةَ أَمْوَالِنَا إِلَىٰ مِنْ صَلَاتِهِ سَكَنَ لَنَا وَ لَمْ يَبْقَ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ص مِنْ هُوَ بِهَذِهِ الصَّفَةِ فَسَقَطَ عَنَا وَجُوبُ الزَّكَاةِ لَيْسَ هَذَا مِنَ الرَّدَّةِ فِي شَيْءٍ وَإِنَّمَا سَمَاهُمُ الصَّحَابَةُ أَهْلُ الرَّدَّةِ عَلَىٰ سَبِيلِ الْمَجَازِ لِمَا قَالُوهُ وَتَأْوَلُوهُ . فَإِنْ قِيلَ إِنَّمَا الْإِعْتِمَادُ عَلَىٰ قِتَالِ أَبِي بَكْرٍ وَأَصْحَابِهِ لِمَسِيلْمَةَ وَطَلِيحَةَ الَّذِينَ ادْعَىٰ النَّبُوَّةَ وَارْتَدَّ بِطَرِيقَهُمَا كَثِيرٌ مِنَ الْعَرَبِ لَا عَلَىٰ قِتَالِ مَا نَعَىٰ الزَّكَاةَ قِيلَ إِنَّ مَسِيلْمَةَ وَطَلِيحَةَ جَاهَدَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ص قَبْلَ مَوْتِهِ بِالْكِتَابِ وَالرَّسْلِ وَأَنْفَذَ لِقَاتِلَهُمَا جَمَاعَةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْرَهُمْ أَنْ يَفْتَكُوا بِهِمَا غِيْلَةً إِنْ أَمَكْنَهُمْ ذَلِكَ وَاسْتَنْفَرَ عَلَيْهِمَا قِبَائِلَ مِنَ الْعَرَبِ وَ كَلَّ ذَلِكَ مَفْصَلٌ مَذْكَورٌ فِي كِتَابِ السِّيْرَةِ وَالتَّوَارِيخِ فَلَمْ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَوْلَثُكَ النَّفَرُ الَّذِينَ بَعَثَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ص لِلْفَتْكِ بِهِمَا هُمُ الْمَعْنِيُّونَ بِقَوْلِهِ يُحِبُّهُمْ وَ يُجَبُّونَهُ إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ وَ لَمْ يَقُلْ فِي الْآيَةِ يَجَاهِدُونَ -قرآن- ٥٩٥-٦٩٦-قرآن- ١٣٨٦-١٤٠٩ [صفحة ١٨٨] فيقتلون وإنما ذكر الجهاد فقط و قد كان الجهاد من أولئك النفرة حاصلًا و إن لم يبلغوا الغرض كما كان الجهاد حاصلًا عند حصار الطائف و إن لم يبلغ فيه الغرض . و قد كان له أيضا أن يقول سياق الآية لا يدل على ما ظنه المستدل بها من أنه من يرتدد عن الدين فإن الله يأتي بقوم يحبهم ويحبونه يحاربونه لأجل ردة و إنما الذي يدل عليه سياق الآية أنه من يرتد منكم عن دينه بترك الجهاد مع رسول الله ص و سماه ارتدادًا على سبيل المجاز فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه يجاهدون في سبيل الله معه عوضًا عنكم و كذلك كان كل من خذل النبي ص و قعد عن النهوض معه في حروبه أغناه الله تعالى عنه بطائفة أخرى من المسلمين جاهدوا بين يديه . و أما قول المرتضى رحمه الله إنها أنزلت في الناكثين والقاسطين والمارقين الذين حاربهم أمير المؤمنين ع فبعيد لأنهم لا يطلق عليهم لفظ الردة عندنا و لا عند المرتضى و أصحابه أما اللفظ فبالإتفاق و إن سموهم كفارًا و أما المعنى فلأن في مذهبه أن من ارتد و كان قد ولد على فطرة الإسلام بانت امرأته منه و قسم ماله بين ورثته و كان على زوجته عدة المتوفى عنها زوجها و معلوم أن أكثر محاربي أمير المؤمنين ع كانوا قد ولدوا في الإسلام و لم يحكم فيهم بهذه الأحكام . و قوله إن الصفات غير متحققة في صاحبكم فلعمري إن حظ أمير المؤمنين ع منها هو الحظ الأوفى و لكن الآية ما خصت الرئيس بالصفات المذكورة و إنما أطلقها على المجاهدين وهم الذين يباشرون الحرب فهب أن أبابكر و عمر ما كانا بهذه الصفات لم لا يجوز أن يكون مدحا لمن جاهد بين أيديهما من المسلمين و باشر الحرب وهم شجعان المهاجرين و الأنصار الذين فتحوا الفتوح و نشروا الدعوة و ملكوا الأقاليم . [صفحة ١٨٩] و قد استدل قاضي القضاة أيضا عن صحة إمامة أبي بكر و أسند هذا الاستدلال إلى شيخنا أبي علي بقوله تعالى سَيَقُولُ لِمَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَ أَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِالسَّتِيئَاتِ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَ قَالَ تَعَالَىٰ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذِنُواكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَ لَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ وَ قَالَ تَعَالَىٰ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَائِمٍ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ عَنِي قَوْلُهُ تَعَالَىٰ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَ لَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَيُدْعُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَ إِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا فَيَبِينُ أَنْ الَّذِي يَدْعُو هَؤُلَاءِ الْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ إِلَىٰ قِتَالِ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ غَيْرِ النَّبِيِّ ص لِأَنَّهُ تَعَالَىٰ قَدْ بَيَّنَّ أَنَّهُمْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُ وَ لَا يَقَاتِلُونَ مَعَهُ عَدُوًّا بِأَيَّةٍ مُتَقَدِّمَةٍ وَ لَمْ يَدْعُهُمْ بَعْدَ النَّبِيِّ ص إِلَىٰ قِتَالِ الْكُفَّارِ إِلَّا أَبُو بَكْرٍ وَ عُمَرُ وَ عُثْمَانُ لِأَنَّ أَهْلَ التَّأْوِيلِ لَمْ يَقُولُوا فِي هَذِهِ الْآيَةِ غَيْرَ وَجْهَيْنِ مِنَ التَّأْوِيلِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ عَنِي بِقَوْلِهِ سَيُدْعُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ بَنِي حَنِيفَةَ وَ قَالَ بَعْضُهُمْ عَنِي فَارِسُ وَ الرُّومُ وَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ الَّذِي دَعَا إِلَىٰ قِتَالِ بَنِي حَنِيفَةَ وَ قِتَالَ آلِ فَارِسِ وَ الرُّومِ وَ دَعَاهُمْ بَعْدَهُ إِلَىٰ قِتَالِ فَارِسِ وَ الرُّومِ عَمْرٌ فَإِذَا كَانَ اللَّهُ تَعَالَىٰ قَدْ بَيَّنَّ أَنَّهُمْ بِطَاعَتِهِمَا لَهَا يُؤْتِيهِمْ أَجْرًا حَسَنًا وَ إِنْ تَوَلَّوْا عَنْ طَاعَتِهِمَا يَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا صَحَّ أَنَّهُمَا عَلَىٰ حَقٍّ وَ أَنَّ طَاعَتَهُمَا طَاعَةٌ لِلَّهِ تَعَالَىٰ وَ هَذَا يُوجِبُ صِحَّةَ إِمَامَتِهِمَا . -قرآن- ١٠٤-٢٤٤-قرآن- ٢٥٩-٤٦٧-قرآن- ٤٨٢-٦٥٨-قرآن- ٦٧٧-٧٣٩-قرآن- ٧٥٦-٩٨٢-قرآن- ١٣٠٥-١٣٤٧ [صفحة ١٩٠] فإن قيل إنما أراد الله بذلك أهل

الجمال وصفين قيل هذا فاسد من وجهين أحدهما قوله تعالى تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ والذين حاربوا أمير المؤمنين كانوا على الإسلام ولم يقاتلوا على الكفر والوجه الثاني أنا لانعرف من الذين عناهم الله تعالى بهذا من بقى إلى أيام أمير المؤمنين ع كما علمنا أنهم كانوا باقين في أيام أبي بكر. اعترض المرتضى رحمه الله على هذا الكلام من وجهين أحدهما أنه نازع في اقتضاء الآية داعياً يدعو هؤلاء المخلفين غير النبي ص و ذلك لأن قوله تعالى سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبيراً بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَ الْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَداً وَ زَيْنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَ ظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَ كُنْتُمْ قوماً بوراً. إنما أراد به سبحانه الذين تخلفوا عن الحديبية بشهادة جميع أهل النقل وإطباق المفسرين . ثم قال تعالى سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمٍ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلاً وإنما التمس هؤلاء المخلفون أن يخرجوا إلى غنيمه خبير فمنعهم الله تعالى من ذلك وأمر نبيه أن يقول لهم لن تتبعونا إلى هذه الغزاه لأن الله تعالى كان حكم من قبل بأن غنيمه خبير لمن شهد الحديبيه و أنه لاحظ لمن لم يشهدا وهذا هو معنى قوله تعالى يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ و قوله كذلك قال الله من قبل ثم قال تعالى قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ -قرآن- ٩٢-١٢٠-قرآن- ٤٨٧-٩١٨-قرآن- ١٠٢٥-١٢٧٣-قرآن- ١٥٣٤-١٥٧٢-قرآن- ١٥٨١-١٦١٠-قرآن- ١٦٢٧-١٦٤٤ فإن قيل إنما أراد الله بذلك أهل الجمل وصفين قيل هذا فاسد من وجهين أحدهما قوله تعالى تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ والذين حاربوا أمير المؤمنين كانوا على الإسلام ولم يقاتلوا على الكفر والوجه الثاني أنا لانعرف من الذين عناهم الله تعالى بهذا من بقى إلى أيام أمير المؤمنين ع كما علمنا أنهم كانوا باقين في أيام أبي بكر. اعترض المرتضى رحمه الله على هذا الكلام من وجهين أحدهما أنه نازع في اقتضاء الآية داعياً يدعو هؤلاء المخلفين غير النبي ص و ذلك لأن قوله تعالى سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبيراً بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَ الْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَداً وَ زَيْنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَ ظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَ كُنْتُمْ قوماً بوراً. إنما أراد به سبحانه الذين تخلفوا عن الحديبية بشهادة جميع أهل النقل وإطباق المفسرين . ثم قال تعالى سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمٍ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلاً وإنما التمس هؤلاء المخلفون أن يخرجوا إلى غنيمه خبير فمنعهم الله تعالى من ذلك وأمر نبيه أن يقول لهم لن تتبعونا إلى هذه الغزاه لأن الله تعالى كان حكم من قبل بأن غنيمه خبير لمن شهد الحديبيه و أنه لاحظ لمن لم يشهدا وهذا هو معنى قوله تعالى يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ و قوله كذلك قال الله من قبل ثم قال تعالى قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَيُدْعُونَ إِلَى قَوْمِ أَوْلِيِّ بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ الرَّسُولُ سَيَدْعُوكُمْ فِيمَا بَعْدَ إِلَى قِتَالِ قَوْمِ أَوْلِيِّ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَ قَدْ دَعَاهُمْ النَّبِيُّ ص بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى غَزَاةٍ كَثِيرَةٍ إِلَى قَوْمِ أَوْلِيِّ بَأْسٍ شَدِيدٍ كَمُوتِهِ وَ حَنِينِ وَ تَبُوكِ وَ غَيْرِهِمَا فَمَنْ أَيْنَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الدَّاعِي لَهُؤْلَاءِ غَيْرِ النَّبِيِّ ص مَعَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْحُرُوبِ الَّتِي كَانَتْ بَعْدَ خَيْبَرَ. و قوله إن معنى قوله تعالى كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ إِنَّمَا أَرَادَ بِهِ مَا بَيْنَهُ فِي قَوْلِهِ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَ لَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عِدَّةَ تَبُوكِ سَنَةً وَ آيَةُ الْفَتْحِ نَزَلَتْ فِي سَنَةِ سِتِّ فَكَيْفَ يَكُونُ قَبْلَهَا. و ليس يجب أن يقال في القرآن بالإرادة و بما يحتمل من الوجوه في كل موضع دون الرجوع إلى تاريخ نزول الآي و الأسباب التي وردت عليها و تعلق بها. و مما يبين لك أن هؤلاء المخلفين غير أولئك لو لم نرجع في ذلك إلى نقل و تاريخ قوله تعالى في هؤلاء فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْراً حَسِيباً وَ إِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً فَمَنْ يَقْطَعُ مِنْهُمْ عَلَى طَاعَةٍ وَ لَمْ يَعْصِيَهُمْ بَلْ ذَكَرَ الْوَعْدَ وَالْوَعِيدَ عَلَى مَا يَفْعَلُونَهُ مِنْ طَاعَةٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ وَ حَكَمَ الْمَذْكُورِينَ فِي آيَةِ سُورَةِ التَّوْبَةِ بِخِلَافِ هَذِهِ

لأنه تعالى بعد قوله إِنَّكُمْ رَضِيْتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ وَ لَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَيْدَاءً وَ لَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ مَاتُوا وَ هُمْ فَاسِقُونَ وَ لَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَ أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَ تَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَ هُمْ كَافِرُونَ وَ اخْتِلَافَ أَحْكَامِهِمْ وَ صِفَاتِهِمْ يَدُلُّ - قرآن- ١- ٨٩- قرآن- ٣٩٠- ٤١٩- قرآن- ٤٥١- ٥٨٨- قرآن- ٩٠٨- ١٠٢٦- قرآن- ١١٨٦- ١٥٢٥] [صفحة ١٩٢] على اختلافهم و أن المذكورين في آية سورة الفتح غير المذكورين في آية سورة التوبة. و أما قوله لأن أهل التأويل لم يقولوا في هذه الآية غير وجهين من التأويل فذكرهما باطل لأن أهل التأويل قد ذكروا شيئا آخر لم يذكره لأن المسيب روى عن أبي روق عن الضحاک في قوله تعالى سَيُتَدَعُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدِ الْآيَةَ قَالَ هُم ثَقِيفٌ وَ رَوَى هَشِيمٌ عَنْ أَبِي يَسَرَ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ قَالَ هُم هَوَازِنٌ يَوْمَ حُنَيْنٍ . وَ رَوَى الْوَاقِدِيُّ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ هُم هَوَازِنٌ وَ ثَقِيفٌ فَكَيْفَ ذَكَرَ مِنْ أَقْوَالِ الْمَفْسِرِينَ مَا يُوَافِقُهُ مَعَ اخْتِلَافِ الرِّوَايَةِ عَنْهُمْ عَلَىٰ أَنَا لَا نَرْجِعُ فِي كُلِّ مَا يَحْتَمِلُهُ تَأْوِيلُ الْقُرْآنِ إِلَىٰ أَقْوَالِ الْمَفْسِرِينَ فَإِنَّهُمْ رُبَّمَا تَرَكَوْا مَا يَحْتَمِلُهُ الْقَوْلُ وَجْهًا صَحِيحًا وَ كَمْ اسْتَخْرَجَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعَدْلِ فِي مِثْلِهِ الْقُرْآنِ مِنْ الْوُجُوهِ الصَّحِيحَةِ الَّتِي ظَاهِرُ التَّنْزِيلِ بِهَا أَشْبَهَ لَهَا أَشَدَّ اِحْتِمَالًا مِمَّا لَمْ يَسْبِقْ إِلَيْهِ الْمَفْسِرُونَ وَ لَا دَخَلَ فِي جَمَلَةٍ تَفْسِيرِهِمْ وَ تَأْوِيلِهِمْ . وَ الْوَجْهَ الثَّانِي سَلِمَ فِيهِ أَنَّ الدَّاعِيَ هُوَ لِأَنَّ الْمَخْلُفِينَ غَيْرَ النَّبِيِّ صَ وَ قَالَ لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَعْنَىٰ بِهَذَا الدَّاعِيَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَ لِأَنَّهُ قَاتِلٌ بَعْدَهُ النَّكَثِينَ وَ الْقَاسِطِينَ وَ الْمَارْقِينَ وَ بَشْرَةَ النَّبِيِّ صَ بِأَنَّهُ يِقَاتِلُهُمْ وَ قَدْ كَانُوا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ بِلَا شَبْهَةٍ. قَالَ فَأَمَّا تَعْلُقُ صَاحِبُ الْكِتَابِ بِقَوْلِهِ أَوْ يُسَلِّمُونَ وَ أَنَّ الَّذِينَ حَارَبَهُمْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَ كَانُوا مُسْلِمِينَ فَأُولَ مَا فِيهِ أَنَّهُمْ غَيْرُ مُسْلِمِينَ عِنْدَهُ وَ عِنْدَ أَصْحَابِهِ لِأَنَّ الْكِبَائِرَ تَخْرُجُ مِنَ الْإِسْلَامِ عِنْدَهُمْ كَمَا تَخْرُجُ عَنِ الْإِيمَانِ إِذَا كَانَ الْإِيمَانُ هُوَ الْإِسْلَامُ - قرآن- ٢٧٧- ٣١٩- قرآن- ١٠٩٨- ١١١١] [صفحة ١٩٣] على مذهبه ثم إن مذهبنا في محاربي أمير المؤمنين ع معروف لأنهم عندنا كانوا كفارا بمحاربتهم لوجه الأول منها أن من حاربه كان مستحلالا لقتاله مظهرًا أنه في ارتكابه على حق ونحن نعلم أن من أظهر استحلال شرب جرعة خمر هو كافر بالإجماع واستحلال دماء المؤمنين فضلا عن أفاضلهم وأكابرهم أعظم من شرب الخمر واستحلاله فيجب أن يكونوا من هذا الوجه كفارا. الثاني أنه ع قال له بلا خلاف بين أهل النقل حربك يا علي حربي وسلمك سلمى -رواية- ١- ٢-رواية- ٤٥- ٧٧ ونحن نعلم أنه لم يرد إلا التشبيه بينهما في الأحكام و من أحكام محاربي النبي ص الكفر بلا خلاف. الثالث أن النبي ص قال له بلا خلاف أيضا اللهم وال من والاه و عاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من أخذله -رواية- ١- ٢-رواية- ٤٠- ١٠٨ و قد ثبت عندنا أن العداوة من الله لا تكون إلا للكفار الذين يعادونه دون فساق أهل الملّة. الرابع قوله إنا لانعلم ببقاء هؤلاء المخلفين إلى أيام أمير المؤمنين ع فليس بشيء لأنه إذا لم يكن ذلك معلوما ومقطوعا عليه فهو مجوز وغير معلوم خلافه والجواز كاف لنا في هذا الموضوع . و لو قيل له من أين علمت بقاء المخلفين المذكورين في الآية على سبيل القطع إلى أيام أبي بكر لكان يفرع إلى أن يقول حكم الآية يقتضى بقاءهم حتى يتم كونهم مدعويين إلى قتال أولى البأس الشديد على وجه يلزمهم فيه الطاعة و هذا بعينه يمكن أن يقال له ويعتمد في بقائهم إلى أيام أمير المؤمنين ع على ما يوجب حكم الآية. فإن قيل كيف يكون أهل الجمل وصفين كفارا و لم يسر أمير المؤمنين ع [صفحة ١٩٤] فيهم بسيرة الكفار لأنه ما سباهم و لا غنم أموالهم و لا تبع موليهم قلنا أحكام الكفر تختلف و إن شملهم اسم الكفر لأن في الكفار من يقتل و لا يستبقى وفيهم من يؤخذ منه الجزية و لا يحل قتله إلا بسبب طارئ غير الكفر ومنهم من لا يجوز نكاحه على مذهب أكثر المسلمين فعلى هذا يجوز أن يكون أكثر هؤلاء القوم كفارا و إن لم يسر فيهم بجميع سيرة أهل الكفر لأننا قد بينا اختلاف أحكام الكفار ويرجع في أن حكمهم مخالف لأحكام الكفار إلى فعله ع وسيرته فيهم على أننا لانجد في الفساق من حكمه أن يقتل مقبلا و لا يقتل موليا و لا يجهز على جريحه إلى غير ذلك من الأحكام التي سيرها في أهل البصرة وصفين . فإذا قيل في جواب ذلك أحكام الفسق مختلفة و فعل أمير المؤمنين هو الحجة في أن حكم أهل البصرة وصفين ما فعله قلنا مثل ذلك حرفا بحرف ويمكن مع تسليم أن الداعي لهؤلاء المخلفين أبو بكر أن يقال

ليس في الآية دلالة على مدح الداعي ولا على إمامته لأنه قد يجوز أن يدعو إلى الحق والصواب من ليس عليهما فيلزم ذلك الفعل من حيث كان واجبا في نفسه للدعاء الداعي إليه و أبو بكر إنما دعا إلى دفع أهل الردة عن الإسلام وهذا يجب على المسلمين بلا دعاء داع والطاعة فيه طاعة الله تعالى فمن أين له أن الداعي كان على حق وصواب وليس في كون مادعا إليه طاعة ما يدل على ذلك . ويمكن أيضا أن يكون قوله تعالى سَتُدْعُونََنَا مَأْرَادًا بِهِ دَعَاءُ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ بِإِجَابِ الْقِتَالِ عَلَيْهِمْ لِأَنَّهُ إِذَا دَعَاهُمْ عَلَى وَجوب قتال المرتدين ورفعهم عن بيضة الإسلام فقد دعاهم إلى القتال ووجبت عليهم الطاعة ووجب لهم الثواب إن أطاعوا وهذا أيضا تحتمله الآية. -قرآن- ١٢٢٣-١٢٣٢ [صفحة ١٩٥] فهذه جملة ما ذكره المرتضى رحمه الله في هذا الموضوع وأكثره جيد لاعتراض عليه وقد كان يمكنه أن يقول لو سلمنا بكل هذا لكان ليس في قوله لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا آيَةٌ ما يدل على أن النبي ص لا يكون هو الداعي لهم إلى القوم أولى البأس الشديد لأنه ليس فيها إلا محض الإخبار عنهم بأنهم لا يخرجون معه ولا يقاتلون العدو معه وليس في هذا ما ينفي كونه داعيا لهم كما -قرآن- ١٤٦-١٧٤ أنه ع قال أبو لهب لا يؤمن بي -رواية- ١-٢-رواية- ١٦-٣٧ لم يكن هذا القول نافيا لكونه يدعو إلى الإسلام . وقوله فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ليس بأمر على الحقيقة وإنما هو تهديد كقوله اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ وَلَا بَدَ لِلْمَرْتَضَى وَلِقَاضَى الْقَضَاءِ جَمِيعًا مِنْ أَنْ يَحْمَلَ صِغَةً أَفْعَلَ عَلَى هَذَا الْمَحْمَلِ لِأَنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدِهِمَا بِمَسْوُوعٍ أَنْ يَحْمَلَ الْأَمْرَ عَلَى حَقِيقَتِهِ لِأَنَّ الشَّارِعَ لَا يَأْمُرُ بِالْقَعْدِ وَتَرَكَ الْجِهَادَ مَعَ الْقَدْرَةِ عَلَيْهِ وَكَوْنَهُ قَدْتَعِينَ وَجُوبِهِ . فَإِنْ قُلْتَ لَوْ قَدَرْنَا أَنْ هَذِهِ آيَةٌ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ أَنْزَلَتْ بَعْدَ غَزْوَةِ تَبُوكَ وَبَعْدَ نَزُولِ سُورَةِ بَرَاءَةِ الَّتِي تَتَضَمَّنُ قَوْلَهُ تَعَالَى لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَقَدَرْنَا أَنْ قَوْلُهُ تَعَالَى لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا لَيْسَ إِخْبَارًا مُحْضًا كَمَا تَأْوَلْتَهُ أَنْتَ وَحَمَلْتَ آيَةَ عَلَيْهِ بَلْ مَعْنَاهُ لَا أَخْرَجْكُمْ مَعِيَ وَلَا أَشْهَدْكُمْ حَرْبَ الْعَدُوِّ هَلْ كَانَ يَتِمُّ الِاسْتِدْلَالُ قَلْتِ لِأَنَّ لِلْإِمَامِيَّةِ أَنْ تَقُولَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الدَّاعِي إِلَى حَرْبِ الْقَوْمِ أُولَى الْبَأْسِ الشَّدِيدِ مَعَ تَسْلِيمِ هَذِهِ الْمَقْدِمَاتِ كُلِّهَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ص لِأَنَّهُ دَعَاهُمْ إِلَى حَرْبِ الرُّومِ فِي سَرِيَّةِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ فِي صَفَرٍ مِنْ سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ لِمَاسِيرِهِ إِلَى الْبَلْقَاءِ وَقَالَ لَهُ سِرْ إِلَى الرُّومِ مَقْتَلِ أَبِيكَ فَأَوْطَأَهُمُ الْخِيُولَ وَحَشَّدَ مَعَهُ أَكْثَرَ الْمُسْلِمِينَ فَهَذَا الْجَيْشُ قَدَّعَى فِيهِ الْمَخْلَفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ الَّذِينَ قَعَدُوا عَنِ الْجِهَادِ - قرآن- ٦١-٨٧-قرآن- ١٣٠-١٤٧-قرآن- ٤٠٧-٤٨٣-قرآن- ٥٥٢-٥٨٠-قرآن- ٦٠٥-٦٣٣ [صفحة ١٩٦] في غزاة تبوك إلى قوم أولى بأس شديد ولم يخرجوا مع رسول الله ص ولا حاربوا معه عدوا. فإن قلت إذا خرجوا مع أسامة فكأنما خرجوا مع رسول الله ص وإذا حاربوا مع أسامة العدو فكأنما حاربوا مع رسول الله ص وقد كان سبق أنهم لا يخرجون مع رسول الله ص ولا يحاربون معه عدوا قلت وإذا خرجوا مع خالد بن الوليد وغيره في أيام أبي بكر ومع أبي عبيدة وسعد في أيام عمر فكأنما خرجوا مع رسول الله ص وحاربوا العدو معه أيضا. فإن اعتذرت بأنه وإن شابه الخروج معه والحرب معه إلا أنه على الحقيقة ليس معه وإنما هو مع امرئ من قبل خلفائه قيل لك وكذلك خروجهم مع أسامة ومحاربة العدو معه وإن شابه الخروج مع النبي ومحاربة العدو معه إلا أنه على الحقيقة ليس معه وإنما هو مع بعض أمرائه . ويمكن أن يعترض الاستدلال بالآية فيقال لا يجوز حملها على بني حنيفة لأنهم كانوا مسلمين وإنما منعوا الزكاة مع قولهم لا إله إلا الله محمد رسول الله ص ومنع الزكاة لا يخرج به الإنسان عن الإسلام عند المرجئة والإمامية مرجئة ولا يجوز حملها على فارس والروم لأنه تعالى أخبر أنه لا واسطة بين قتالهم وإسلامهم كما تقول إما كذا وإما كذا فيقتضى ذلك نفى الواسطة وقاتل فارس والروم بينه وبين إسلامهم واسطة وهو دفع الجزية وإنما تنتفى هذه الواسطة في قتال العرب لأن مشركي العرب لا تؤخذ منهم الجزية فالآية إذن دالة على أن المخلفين سيدعون إلى قوم أولى بأس شديد الحكم فيهم إما قتالهم وإما إسلامهم وهؤلاء هم مشركو العرب ولم يحارب مشركي العرب إلا رسول الله ص فالداعي لهم إذا هو رسول الله وبطل الاستدلال بالآية [صفحة ١٩٧] أَنَا وَصَّعْتُ بِكُلِّ كَلِمَةٍ الْعَرَبِ وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ قُرُونٍ رَيْبَعَهُ وَمَضَرَ وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنَ رَسُولِ اللَّهِ ص بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصَّةِ يَصُّهُ وَصَّعْنِي فِي حَجْرِهِ وَأَنَا وَلِيدٌ يَضْمُنِي إِلَى صَدْرِهِ وَيَكْفُنُنِي

فِي فِرَاشِهِ وَ يُمَسِّنِي جَسَدَهُ وَ يُشَمِّنِي عَرَفَهُ وَ كَانَ يَمْضَعُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ وَ مَا وَجَدَ لِي كَذِبَةً فِي قَوْلٍ وَ لَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ وَ لَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ ص مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيمًا أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ وَ مَحَاسِنِ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلَهُ وَ نَهَارُهُ وَ لَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ أَتْبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرُ أُمِّهِ يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْمًا وَ يَأْمُرُنِي بِالْقِتَادِ بِهِ وَ لَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءِ فَارَاهُ وَ لَا يَرَاهُ غَيْرِي وَ لَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ خَدِيجَةَ وَ أَنَا نَالْتُهُمَا أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَ الرِّسَالَةَ وَ أَشَمُّ رِيحَ النَّبُوَّةِ وَ لَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّهُ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ ص فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الرَّنَّةُ فَقَالَ هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيْسَ مِنْ عِبَادَتِهِ إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَ تَرَى مَا أَرَى إِلَّا أَنْكَ لَسْتَ بِنَبِيِّ وَ لَكِنَّكَ لَوْزِيرٌ وَ إِنَّكَ لَعَلَى خَيْرِ الْبَاءِ فِي قَوْلِهِ بِكَلَاكِلِ الْعَرَبِ زَائِدَةٌ وَ الْكَلَاكِلِ الصَّدُورِ الْوَاحِدُ كَلِكٌ وَ الْمَعْنَى أَنِّي أَذَلَّتُهُمْ وَ صَرَعْتُهُمْ إِلَى الْأَرْضِ . [صفحہ ۱۹۸] وَ نَوَاجِمُ قُرُونٍ رِبْعِيَّةٌ وَ مُضِرٌّ مِنْ نَجْمٍ مِنْهُمْ وَ ظَهَرَ وَعَلَا قَدْرَهُ وَ طَارَ صَيْتُهُ . فَإِنْ قَلْتُ أَمَا قَهْرُهُ لِمُضِرٍّ فَمَعْلُومٌ فَمَا حَالُ رِبْعِيَّةٍ وَ لَمْ نَعْرِفْ أَنَّهُ قَتَلَ مِنْهُمْ أَحَدًا قَلْتُ بَلَى قَدْ قَتَلَ بِيَدِهِ وَ بِجَيْشِهِ كَثِيرًا مِنْ رُؤَسَائِهِمْ فِي صَفِينٍ وَ الْجَمَلِ فَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ أَسْمَائِهِمْ مِنْ قَبْلِ وَ هَذِهِ الْخُطْبَةُ خُطِبَ بِهَا بَعْدَ انْقِضَاءِ أَمْرِ النَّهْرَوَانِ . وَ الْعَرَفُ بِالْفَتْحِ الرِّيحَ الطَّيْبَةَ وَ مَضَعُ الشَّيْءِ يَمْضَعُهُ بِفَتْحِ الضَّادِ . وَ الْخُطْلَةُ فِي الْفِعْلِ الْخُطْلُ فِيهِ وَ إِيقَاعُهُ عَلَى غَيْرِ وَجْهِهِ . وَ حِرَاءُ اسْمُ جَبَلٍ بِمَكَّةَ مَعْرُوفٌ . وَ الرَّنَّةُ الصَّوْتُ

ذِكْرُ مَا كَانَ مِنْ صَلَوةٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ فِي صَغَرِهِ

وَ الْقَرَابَةُ الْقَرِيبَةُ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ص دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَعْمَامِ كَوْنَهُ رَبَاهُ فِي حَجْرِهِ ثُمَّ حَامَى عَنْهُ وَ نَصَرَهُ عِنْدَ إِظْهَارِ الدَّعْوَةِ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ثُمَّ مَا كَانَ بَيْنَهُمَا مِنَ الْمَصَاهِرَةِ الَّتِي أَفْضَتْ إِلَى النَّسْلِ الْأَطْهَرِ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَصْهَارِ وَ نَحْنُ نَذَكُرُ مَا ذَكَرَهُ أَرْبَابُ السَّيْرِ مِنْ مَعَانِي هَذَا الْفَصْلِ . رَوَى الطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ قَالَ حَدَّثَنَا سَلْمَةُ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ كَانَ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ع وَ مَا صَنَعَ اللَّهُ لَهُ وَ أَرَادَهُ بِهِ مِنْ الْخَيْرِ أَنْ قَرِيشًا أَصَابَتْهُمْ أَزْمَةٌ شَدِيدَةٌ وَ كَانَ أَبُو طَالِبٍ ذَا عِيَالٍ كَثِيرٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص لِلْعَبَّاسِ وَ كَانَ مِنْ أَيْسَرِ بَنِي هَاشِمٍ يَاعْبَاسُ إِنْ أَخَاكَ أَبَا طَالِبٍ كَثِيرَ الْعِيَالِ وَ قَد تَرَى مَا أَصَابَ النَّاسَ مِنْ هَذِهِ الْأَزْمَةِ فَانْطَلِقْ بِنَا فَلْنَخْفِضْ عَنْهُ مِنْ عِيَالِهِ آخِذٌ مِنْ بَيْتِهِ وَاحِدًا وَ تَأْخِذٌ وَاحِدًا [صفحہ ۱۹۹] فَكَفَيْهِمَا عَنْهُ فَقَالَ الْعَبَّاسُ نَعَمْ فَانْطَلِقَا حَتَّى أَتِيَا أَبَا طَالِبٍ فَقَالَا لَهُ إِنَّا نُرِيدُ أَنْ نَخْفِضَ عَنْكَ مِنْ عِيَالِكَ حَتَّى يَنْكُشَفَ عَنِ النَّاسِ مَا هُمْ فِيهِ فَقَالَ لَهُمَا إِنْ تَرَكْتُمَا لِي عَقِيلًا فَاصْنَعَا مَا شِئْتُمَا فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ص عَلِيًّا فَضَمَّهُ إِلَيْهِ وَ أَخَذَ الْعَبَّاسُ جَعْفَرًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ فَلَمْ يَزَلْ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ ع مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص حَتَّى بَعَثَهُ اللَّهُ نَبِيًّا فَاتَّبَعَهُ عَلِيُّ ع فَاقْرَبَهُ بِهِ وَ صَدَقَهُ وَ لَمْ يَزَلْ جَعْفَرُ عِنْدَ الْعَبَّاسِ حَتَّى أَسْلَمَ وَ اسْتَغْنَى عَنْهُ . قَالَ الطَّبْرِيُّ وَ حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ قَالَ حَدَّثَنَا سَلْمَةُ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى شَعَابِ مَكَّةَ وَ خَرَجَ مَعَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ع مُسْتَخْفِيًا مِنْ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ وَ مِنْ جَمِيعِ أَعْمَامِهِ وَ سَائِرِ قَوْمِهِ فَيَصْلِيَانِ الصَّلَاةَ فِيهَا فَإِذَا أَمْسِيَا رَجَعَا فَمَكَّنَا كَذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمَكَّنَا . ثُمَّ إِنْ أَبَا طَالِبٍ عَثَرَ عَلَيْهِمَا وَ هُمَا يَصْلِيَانِ فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ص يَا ابْنَ أَخِي مَا هَذَا الَّذِي أَرَاكَ تَدِينُ بِهِ قَالَ يَاعْمُ هَذَا دِينُ اللَّهِ وَ دِينُ مَلَائِكَتِهِ وَ دِينُ رَسُلِهِ وَ دِينُ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ أَوْ كَمَا قَالَ بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ رَسُولًا إِلَى الْعِبَادِ وَ أَنْتَ يَاعْمُ أَحَقُّ مِنْ بَدَلْتُ لَهُ النَّصِيحَةَ وَ دَعْوَتَهُ إِلَى الْهُدَى وَ أَحَقُّ مِنْ أَجَابَنِي إِلَيْهِ وَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ أَوْ كَمَا قَالَ فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ يَا ابْنَ أَخِي إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفَارِقَ دِينِي وَ دِينَ آبَائِي وَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ وَ لَكِنْ وَ اللَّهُ لَا يَخْلُصُ إِلَيْكَ شَيْءٌ تَكْرَهُهُ مَا بَقِيَتْ . قَالَ الطَّبْرِيُّ وَ قَد رَوَى هَؤُلَاءِ الْمَذْكُورُونَ أَنَّ أَبَا طَالِبٍ قَالَ لِعَلِيِّ ع يَا بَنِي مَا هَذَا الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ فَقَالَ يَا أَبَتُ إِنِّي آمَنْتُ بِاللَّهِ وَ بِرَسُولِهِ وَ صَدَقْتَهُ بِمَا [صفحہ ۲۰۰] جَاءَ بِهِ وَ صَلَّيْتُ لِلَّهِ مَعَهُ قَالَ فَرَزَعُمَا أَنَّهُ قَالَ لَهُ أَمَا إِنَّهُ لَا يَدْعُو إِلَّا إِلَى خَيْرٍ فَالزَّمَهُ . وَ رَوَى الطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ أَيْضًا قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ التِّرْمِذِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا

عبد الله بن موسى قال أخبرنا العلاء عن المنهال بن عمر و عن عبد الله بن عبد الله قال سمعت عليا ع يقول أنا عبد الله وأخو رسوله و أناالصدىق الأكبر لايقولها بعدى إلاكاذب مفتر صليت قبل الناس بسبع سنين -روايت- ١-٢-روايت- ١٨٩-٢٩٤ فى غيررواية الطبرى أناالصدىق الأكبر و أناالفاروق الأول أسلمت قبل إسلام أبى بكر وصليت قبل صلاته بسبع سنين -روايت- ١-٢-روايت- ٢٤-١٢٢ كأنه ع لم يرتض أن يذكر عمر و لارآه أهلا للمقايسة بينه وبينه و ذلك لأن إسلام عمر كان متأخرا. وروى الفضل بن عباس رحمه الله قال سألت أبى عن ولد رسول الله ص المذكور أيهم كان رسول الله ص له أشد حبا فقال على بن أبى طالب ع فقلت له سألتك عن بنيه فقال إنه كان أحب إليه من بنيه جميعا وأرأف مارأناه زايله يوما من الدهر منذ كان طفلا إلا أن يكون فى سفر لخديجة و مارأينا أبأبر بابن منه لعلى و لابنا أطوع لأب من على له . وروى الحسين بن زيد بن على بن الحسين ع قال سمعت زيدا أبى ع يقول كان رسول الله يمضغ اللحمة والتمره حتى تلين ويجعلهما فى فم على ع و هو صغير فى حجره وكذلك كان أبى على بن الحسين ع يفعل بى ولقد كان يأخذ الشىء من الورك و هو شديد الحرارة فيبرده فى الهواء أوينفخ عليه حتى يبرد ثم يلغمنيه أفشفق على من حرارة لقمه و لايشفق على من النار لو كان أخى إماما بالوصية كمايزعم هؤلاء لكان أبى أفضى بذلك إلى ووقانى من حر جهنم . [صفحه ٢٠١] وروى جبير بن مطعم قال قال أبى مطعم بن عدى لنا ونحن صبيان بمكة ألاترون حب هذاالغلام يعنى عليا لمحمد واتباعه له دون أبيه واللات والعزى لوددت أن ابني بفتيان بنى نوفل جميعا. وروى سعيد بن جبير قال سألت أنس بن مالك فقلت أرأيت قول عمر عن الستة إن رسول الله ص مات و هو عنهم راض ألم يكن راضيا عن غيرهم من أصحابه فقال بلى مات رسول الله ص و هو راض عن كثير من المسلمين ولكن كان عن هؤلاء أكثر رضا فقلت له فأى الصحابة كان رسول الله ص له أحمد أو كما قال قال مافيهم أحد إلا و قدسخط منه فعلا وأنكر عليه أمرا إلااثنان على بن أبى طالب و أبوبكر بن أبى قحافة فإنهما لم يقترضا منذ أتى الله بالإسلام أمرا أسخطا فيه رسول الله ص

ذكر حال رسول الله فى نشوئه

وينبغى أن نذكر الآن ماورد فى شأن رسول الله ص وعصمته بالملائكة ليكون ذلك تقريرا وإيضاحا لقوله ع ولقد قرن الله به من لدن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته و أن نذكر حديث مجاورته ع بحراء وكون على ع معه هناك و أن نذكر ماورد فى أنه لم يجمع بيت واحد يومئذ فى الإسلام غير رسول الله ص وعليا وخديجة و أن نذكر ماورد فى سماعه رنة الشيطان و أن نذكر ماورد فى كونه ع وزيرا للمصطفى ص أماالمقام الأول فروى محمد بن إسحاق بن يسار فى كتاب السيرة النبوية ورواه أيضا محمد بن جرير الطبرى فى تاريخه قال كانت حليلة بنت أبى ذؤيب السعدية [صفحه ٢٠٢] أم رسول الله ص التى أرضعته تحدث أنها خرجت من بلدها ومعها زوجها و ابن لها ترضعه فى نسوة من بنى سعد بن بكر يلتمسن الرضاع بمكة فى سنة شهباء لم تبق شيئا قالت فخرجت على أتان لنا قمراء عجفاء ومعنا شارف لنا ماتبض بقطرة و لانام ليلنا أجمع من بكاء صبينا الذى معنا من الجوع ما فى ثديي مايعنيه و لا فى شارفنا مايعديه ولكننا نرجو الغيث والفرج فخرجت على أتانى تلك ولقد أرائت بالركب ضعفا وعجفا حتى شق ذلك عليهم حتى قدمنا مكة نلتمس الرضاع فما منا امرأة إلا و قدعرض عليها محمدص فتأباه إذقيل لها إنه يتيم و ذلك أناإنما كنا نرجو المعروف من أبى الصبى فكنا نقول يتيم ماعسى أن تصنع أمه وجده فكنا نكرهه لذلك فما بقيت امرأة ذهبت معى إلاأخذت رضيعا غيرى فلما اجتمعنا للانطلاق قلت لصاحبى و الله إنى لأكره أن أرجع من بين صواحبي لم آخذ رضيعا و الله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلاأخذنه قال لاعليك أن تفعلنى وعسى الله أن يجعل لنا فيه بركة فذهبت إليه فأخذته و مايحملنى على أخذه إلاأنى لم أجد غيره قالت فلما أخذته رجعت إلى رحلى فلما وضعته فى حجرى أقبل عليه ثدياى

بما شاء من لبن فوضع حتى روى وشرب معه أخوه حتى روى و ما كنا ننام قبل ذلك من بكاء صبينا جوعا فنام وقام زوجي إلى شارفنا تلك فنظر إليها فإذا أنها حافل فحلب منها ماشرب وشربت حتى انتهينا ربا وشبعا فبتنا بخير ليله قالت يقول [صفحة ٢٠٣] صاحبي حين أصبحنا أتعلمين والله يا حليلة لقد أخذت نسمه مباركة فقلت والله إنى لأرجو ذلك ثم خرجنا وركبت أتانى تلك وحملته معي عليها فوالله لقطعت بالركب ما يقدر عليها شيء من حميرهم حتى إن صواحبى ليقطن لى ويحكك يابنت أبى ذؤيب اربعى علينا أليس هذه أتانك التى كنت خرجت عليها فأقول لهن بلى والله إنها لهى فيقطن والله إن لها لشأنا. قالت ثم قدمنا منازلنا من بلاد بنى سعد و ما أعلم أرضا من أرض العرب أجذب منها فكانت غنمى تروح على حين قدمنا به معنا شبعا مألئى لبنا فكنا نحتلب ونشرب و ما يحلب إنسان قطرة لبن و لا يجدها فى ضرع حتى إن الحاضر من قومنا ليقولون لرعاتهم ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعى ابنه أبى ذؤيب فيفعلون فتروح أغنامهم جياعا ماتبض بقطرة وتروح غنمى شبعا لبنا فلم نزل نعرف من الله الزيادة والخير به حتى مضت سنتاه وفصلته فكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جفرا فقدما به على أمه آمنه بنت وهب ونحن أحرص شيء على مكثه فينا لما كنا نرى من بر كته فكلما أمه وقلنا لها لو تركته عندنا حتى يغلظ فإننا نخشى عليه وباء مكة فلم نزل بها حتى رده معنا. فرجعنا به إلى بلاد بنى سعد فوالله إنه لبعده ما قدمنا بأشهر مع أخيه فى بهم لنا خلف بيوتنا إذ أتانا أخوه يشتد فقال لى ولأبيه ها هو ذاك أخى القرشى قد جاءه [صفحة ٢٠٤] رجلا ن عليهما ثياب بياض فأضجعا وشقا بطنه فهما يسوطانه قالت فخرجت أنا وأبوه نشدت نحوه فوجدناه قائما ممتقعا وجهه فالترمته والترمه أبوه وقلنا ما لك يا بنى قال جاءنى رجلا ن عليهما ثياب بياض فأضجعا نى ثم شقا بطنى فالتمساه فيه شيئا لأدرى ما هو قالت فرجعنا به إلى خبائنا وقال لى أبوه يا حليلة لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب فألحقه بأهله قالت فاحتملته حتى قدمت به على أمه فقالت ما أقدمك به يا طئر وقد كنت حريصة عليه و على مكثه عندك فقلت لها قد بلغ الله بابنى وقضيت الذى على وتخوفت عليه الأحداث وأديته إليك كمتحيين قالت أتخوفت عليه الشيطان قلت نعم قالت كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل وإن لابنى شأنا أ فلا-أخبرك خبره قلت بلى قالت رأيت حين حملت به أنه خرج منى نور أضاءت له قصور بصرى من الشام ثم حملت به فوالله ما رأيت حملا قط كان أخف و لا أيسر منه ثم وقع حين ولدته وإنه لو واضع يديه بالأرض ورافع رأسه إلى السماء دعيه عنك وانطلقى راشدة. قال وروى الطبرى فى تاريخه عن شداد بن أوس قال سمعت رسول الله ص يحدث عن نفسه ويذكر ماجرى له وهوظل فى أرض بنى سعد بن بكر قال لما ولدت استرضعت فى بنى سعد فبينما أنا ذات يوم منتبذ من -رواية ١-٢-رواية- ١٤٣-أداه دارد [صفحة ٢٠٥] أهلى فى بطن واد مع أترب لى من الصبيان نتقاذ بالجله إذا أتانى رهط ثلاثة معهم طشت من ذهب مملوءة ثلجا فأخذونى من بين أصحابى فخرج أصحابى هرابا حتى انتهوا إلى شفير الوادى ثم عادوا إلى الرهط فقالوا ما أربكم إلى هذا الغلام فإنه ليس منا هذا ابن سيد قريش و هو مسترضع فىنا غلام يتيم ليس له أب فما ذا يرد عليكم قتله و ماذا تصيبون من ذلك ولكن إن كنتم لابد قاتليه فاختراروا منا أينا شئتم فاقتلوه مكانه ودعوا هذا الغلام فإنه يتيم . فلما رأى الصبيان أن القوم لا يحيرون لهم جوابا انطلقوا هرابا مسرعين إلى الحى يؤذونهم ويستصرخونهم على القوم فعمد أحدهم فأضجعا نى إضجعا لطيفا ثم شق ما بين مفرق صدرى إلى منتهى عانتى و أنا أنظر إليه فلم أجد لذلك حسا ثم أخرج بطنى فغسلها بذلك الثلج فأنعم غسلها ثم أعادها مكانها ثم قام الثانى منهم فقال لصاحبه تنح فحاه عنى ثم أدخل يده فى جوفى وأخرج قلبى و أنا أنظر إليه فصدعه ثم أخرج منه مضغة سوداء فرماها ثم قال بيده يمنة منه وكأنه يتناول شيئا فإذا فى يده خاتم من نور تحار أبصار الناظرين دونه فختم به قلبى ثم أعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم فى قلبى دهرا ثم قال الثالث لصاحبه تنح عنه فأمر يده ما بين مفرق صدرى إلى منتهى عانتى فالتأم ذلك الشق ثم أخذ بيدي فأهضنى من مكاني إنهاضا لطيفا وقال للأول الذى شق بطنى زنه بعشرة من أمته فوزنى بهم فرجحتهم فقال دعوه فلو وزنتموه بأمتة كلها لرجحهم ثم ضمونى إلى صدرهم وقبلوا رأسى و ما بين

عيني وقالوا يا حبيب الله لاترع إنك لوتدرى ما يراد بك من الخير لقرت عيناك فيينا أنا كذلك إذا أنا بالحي قد جاءوا بحذا فيرهم وإذ أمتى وهى -رواية- از قبل- ١-رواية- ٢-ادامه دارد [صفحه ٢٠٦] ظئرى أمام الحى تهتف بأعلى صوتها وتقول يا ضعيفاه فانكب على أولئك الرهط فقبلوا رأسى و ما بين عيني وقالوا حبذا أنت من ضعيف ثم قالت ظئرى يا وحيداه فانكبوا على وضمونى إلى صدورهم وقبلوا رأسى و ما بين عيني ثم قالوا حبذا أنت من وحيد و ما أنت بو حيد إن الله وملائكته معك و المؤمنين من أهل الأرض ثم قالت ظئرى يا يتيماه استضعفت من بين أصحابك فقتلت لضعفك فانكبوا على وضمونى إلى صدورهم وقبلوا رأسى و ما بين عيني وقالوا حبذا أنت من يتيم ما أكرمك على الله لو تعلم ما يراد بك من الخير قال فوصل الحى إلى شفير الوادى فلما بصرت بى أمى وهى ظئرى نادت يا بنى أ لأأراك حيا بعد فجاءت حتى انكبت على وضممتنى إلى صدرها فوالذى نفسى بيده إنى لفى حجرها قد ضمتنى إليها و إن يدي لفى يد بعضهم فجعلت ألثفت إليهم وظننت أن القوم يبصرونهم فإذا هم لا يبصرونهم فيقول بعض القوم إن هذا الغلام قد أصابه لمم أو طائف من الجن فانطلقوا به إلى كاهن بنى فلان حتى ينظر إليه ويداويه فقلت ما بى شىء مما يذكرون نفسى سليمة و إن فؤادى صحيح ليست بى قلبه فقال أبى و هو زوج ظئرى أ لاترون كلامه صحيحا إنى لأرجو ألا يكون على ابنى بأس . فاتفق القوم على أن يذهبوا إلى الكاهن بى فاحتملونى حتى ذهبوا بى إليه فقصوا عليه قصتى فقال اسكتوا حتى أسمع من الغلام فهو أعلم بأمره منكم فسألنى فقصت عليه أمرى و أنا يومئذ ابن خمس سنين فلما سمع قولى وثب و قال يا للعرب اقتلوا هذا الغلام فهو واللآيت والعزى لئن عاش ليبدلن دينكم وليخالفن أمركم وليأتينكم بما لم تسمعوا به قط فانترعتنى ظئرى من حجره وقالت لو علمت أن هذا يكون من قولك ما أتيتك به -رواية- از قبل- ١-رواية- ٢-ادامه دارد [صفحه ٢٠٧] ثم احتملونى فأصبحت و قد صار فى جسدى أثر الشق ما بين صدرى إلى منتهى عانتى كأنه الشراك -رواية- از قبل- ٩٦ روى أن بعض أصحاب أبى جعفر محمد بن على الباقر ع سأله عن قول الله عز و جل إنا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه و من خلفه رصداً فقال ع يوكل الله تعالى بأبيائه ملائكة يحصون أعمالهم ويؤدون إليه تبلغهم الرسالة و وكل بمحمد ص ملكا عظيما منذ فصل عن الرضاع يرشده إلى الخيرات ومكارم الأخلاق ويصده عن الشر ومساوى الأخلاق و هو الذى كان يناديه السلام عليك يا محمد يا رسول الله و هو شاب لم يبلغ درجة الرسالة بعد فيظن أن ذلك من الحجر و الأرض فيتأمل فلا يرى شيئا -رواية- ١-رواية- ٢-رواية- ٧-٥٢٠ روى الطبرى فى التاريخ عن محمد بن الحنفية عن أبيه على ع قال سمعت رسول الله ص يقول ما هممت بشىء مما كان أهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله تعالى بينى و بين ما أريد من ذلك ثم ما هممت بسوء حتى أكرمنى الله برسالته قلت ليله لغلام من قریش كان يرعى معى بأعلى مكة لو أبصرت لى غنمى حتى أدخل مكة فأسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت أريد ذلك حتى إذا جئت أول دار من دور مكة سمعت عزفا بالدف والمزامير فقلت ما هذا قالوا هذا فلان تزوج ابنة فلان فجلست أنظر إليهم فضرب الله على أذنى فنمت فما أيقظنى إلا مس الشمس فرجعت إلى صاحبى فقال ما فعلت فقلت ما صنعت شيئا ثم أخبرته الخبر ثم قلت له ليله أخرى مثل ذلك فقال أفعل فخرجت فسمعت حين دخلت مكة مثل ما سمعت حين دخلتها تلك الليله فجلست -رواية- ١-رواية- ٢-رواية- ٩٦-ادامه دارد [صفحه ٢٠٨] أنظر فضرب الله على أذنى فما أيقظنى إلا مس الشمس فرجعت إلى صاحبى فأخبرته الخبر ثم ما هممت بعدها بسوء حتى أكرمنى الله برسالته -رواية- از قبل- ١٣٨ روى محمد بن حبيب فى أماليه قال قال رسول الله ص أذكر و أنا غلام ابن سبع سنين و قد بنى ابن جدعان دارا له بمكة فجئت مع الغلمان نأخذ التراب والمدر فى حجورنا فنقله فملأت حجرى ترابا فانكشفت عورتى فسمعت نداء من فوق رأسى يا محمد أرخ إزارك فجعلت أرفع رأسى فلا أرى شيئا إلا أنى أسمع الصوت فتماسكت و لم أرخه فكأن إنسانا ضربنى على ظهرى فخررت لوجهى وانحل إزارى فسترنى وسقط التراب إلى الأرض فقممت إلى دار أبى طالب عمى و لم أعد -رواية- ١-رواية- ٢-رواية- ٥٧-٤٥٨ . و أما حديث مجاورته ع بحراء فمشهور و قد ورد فى الكتب

الصحيح أنه كان يجاور في حراء من كل سنة شهرا و كان يطعم في ذلك الشهر من جاءه من المساكين فإذا قضى جواره من حراء كان أول ما يبداً به إذا انصرف أن يأتي باب الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بهاسبعا أو ماشاء الله من ذلك ثم يرجع إلى بيته حتى جاءت السنة التي أكرمه الله فيها بالرسالة فجاور في حراء شهر رمضان ومعه أهله خديجة و علي بن أبي طالب و خادم لهم فجاء جبريل بالرسالة و قال ع جاءني و أنا نائم بنمط فيه كتاب فقال اقرأ قلت ما اقرأ فغتنى حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق إلى قوله عَلَّمَ الْإِنْسَانَ -رواية- ١-٢-رواية- ١١-ادامه دارد [صفحة ٢٠٩] ما لم يعلم فقرأته ثم انصرف عني فانتبهت من نومي و كأنما كتب في قلبي كتاب -رواية- از قبل- ٨٢ و ذكر تمام الحديث . و أما حديث أن الإسلام لم يجتمع عليه بيت واحد يومئذ إلا النبي و هو ع و خديجة فخير عفيف الكندي مشهور و قد ذكرناه من قبل و أن أباطالب قال له أتدري من هذا قال لا قال هذا ابن أخي محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب و هذا بنى علي بن أبي طالب و هذه المرأة خلفهما خديجة بنت خويلد زوجة محمد ابن أخي وايم الله ما أعلم على الأرض كلها أحدا على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة. و أمارنة الشيطان فروى أبو عبد الله أحمد بن حنبل في مسنده عن علي بن أبي طالب ع قال كنت مع رسول الله ص صبيحة الليلة التي أسرى به فيها و هو بالحجر يصلي فلما قضى صلاته و قضيت صلاتي سمعت رنة شديدة فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة قال أ لا تعلم هذه رنة الشيطان علم أنى أسرى بي الليلة إلى السماء فأيس من أن يعبد في هذه الأرض -رواية- ١-٢-رواية- ٧٧-٣٣٦ قدروى عن النبي ص ما يشابه هذا لما بايعه الأنصار السبعون ليلة العقبة سمع من العقبة صوت عال في جوف الليل يا أهل مكة هذا مذمم و الصباة معه قد أجمعوا على حربكم فقال رسول الله ص للأنصار أ لا تسمعون ما يقول هذا أرب العقبة يعنى شيطانها و قدروى أرب العقبة ثم التفت إليه فقال استمع يا عدو الله أما و الله لأفرغن لك -رواية- ١-٢-رواية- ٣٧-٣٣٣ [صفحة ٢١٠] روى عن جعفر بن محمد الصادق ع قال كان على ع يرى مع رسول الله ص قبل الرسالة الضوء و يسمع الصوت و قال له ص لو لأنى خاتم الأنبياء لكنت شريكا فى النبوة فإن لا تكن نبيا فإنك وصى نبي و وارثه بل أنت سيد الأوصياء و إمام الأتقياء -رواية- ١-٢-رواية- ٤٠-٢٤٨ فقد ذكره الطبرى فى تاريخه عن عبد الله بن عباس عن علي بن أبي طالب ع قال لما أنزلت هذه الآية وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ على رسول الله ص دعانى فقال يا على إن الله أمرنى أن أنذر عشيرتك الأقربين فضقت بذلك ذرعا و علمت أنى متى أنادهم بهذا الأمر أر منهم ما أكره فصمت حتى جاءنى جبريل ع فقال يا محمد إنك إن لم تفعل ما أمرت به يعذبك ربك فاصنع لنا صاعا من طعام و اجعل عليه رجل شاة و املا لنا عسا من لبن ثم اجمع بنى عبدالمطلب حتى أكلمهم و أبلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرنى به ثم دعوتهم وهم يومئذ أربعون رجلا- يزيدون رجلا- أو ينقصونه و فيهم أعمامه أبو طالب و حمزة و العباس و أبولهب فلما اجتمعوا إليه دعا بالطعام الذى صنعت لهم فجنث به فلما وضعته تناول رسول الله ص بضعة من اللحم فشقها بأسنانه ثم ألقاها فى نواحي الصحفة ثم قال كلوا باسم الله فأكلوا حتى مالهم إلى شىء من حاجة و ايم الله الذى نفس على بيده إن كان الرجل الواحد منهم لياكل ما قدمته لجميعهم ثم قال اسق القوم يا على فجنثهم بذلك العس فشربوا منه حتى رووا جميعا و ايم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله فلما أراد رسول الله ص أن يكلمهم بدره أبولهب إلى الكلام فقال لشد ما سحركم صاحبكم فتفرق القوم و لم يكلمهم رسول الله ص فقال من الغد يا على إن هذا الرجل قد سبقنى -رواية- ١-٢-رواية- ٨٥-ادامه دارد [صفحة ٢١١] إلى ما سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلمهم فعد لنا اليوم إلى مثل ما صنعت بالأمس ثم اجمعهم لى ففعلت ثم جمعتهم ثم دعانى بالطعام فقربته لهم ففعل كما فعل بالأمس فأكلوا حتى مالهم بشىء حاجة ثم قال اسقهم فجنثهم بذلك العس فشربوا منه جميعا حتى رووا ثم تكلم رسول الله ص فقال يا بنى عبدالمطلب إنى و الله ما أعلم أن شابا فى العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به إنى قد جئتكم بخير الدنيا و الآخرة و قد أمرنى الله أن أدعوكم إليه فأياكم يوازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى و وصى و خليفتى فيكم فأحجم القوم عنها جميعا و قلت أنا و إنى لأحدتهم سنا

وأرخصهم عينا وأعظمهم بطنا وأحشمهم ساقا أنا يا رسول الله أكون وزيرك عليه فأعاد القول فأمسكوا وأعدت ما قلت فأخذ برقبتي ثم قال لهم هذا أخي ووصيى وخليفتى فيكم فاسمعوا له وأطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لأبى طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع -رواية- از قبل- ٨٤٦. ويدل على أنه وزير رسول الله ص من نص الكتاب والسنة قول الله تعالى وَاجْعَل لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي هَارُونَ أَخِي أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي و-قرآن- ٧٧-١٦٧ قال النبي ص فى الخبر المجمع على روايته بين سائر فرق الإسلام أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبى بعدى -رواية- ١-٢-رواية- ٧٠-١٢٦ فأثبت له جميع مراتب هارون عن موسى فإذا هو وزير رسول الله ص وشاد أزره و لو لا أنه خاتم النبيين لكان شريكا فى أمره . [صفحہ ٢١٢] و روى أبو جعفر الطبرى أيضا فى التاريخ أن رجلا قال لعلى ع يا أمير المؤمنين بم ورثت ابن عمك دون عمك فقال على ع هاؤم ثلاث مرات حتى اشرب الناس ونشروا آذانهم ثم قال جمع رسول الله ص بنى عبدالمطلب بمكة وهم رهطه كلهم يأكل الجذعة ويشرب الفرق فصنع مدا من طعام حتى أكلوا وشبعوا وبقي الطعام كما هو كأنه لم يمس ثم دعا بغمر فشربوا ورووا وبقي الشراب كأنه لم يشرب ثم قال يابنى عبدالمطلب إنى بعثت إليكم خاصة و إلى الناس عامة فأيكم يبايعنى على أن يكون أخى وصاحبى ووارثى فلم يقم إليه أحد فقامت إليه و كنت من أصغر القوم فقال اجلس ثم قال ذلك ثلاث مرات كل ذلك أقوم إليه فيقول اجلس حتى كان فى الثالثة ف ضرب بيده على يدي فعند ذلك ورثت ابن عمى دون عمى -رواية- ١-٢-رواية- ٤٠-٧٠٣ و لقد كُنْتُ مَعَهُ ص لَيْمًا أَنَّهُ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالُوا لَهُ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ قَدْ ادَّعَيْتَ عَظِيمًا لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَ لَأَ أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ وَ نَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْرًا إِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وَ أَرَيْتَنَاهُ عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَ رَسُولٌ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ فَقَالَ ص وَ مَا تَسْأَلُونَ قَالُوا تَدْعُونَا هَذِهِ الشَّجْرَةَ حَتَّى تَنْفَلِحَ بِعُرْوَتِهَا وَ تَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ فَقَالَ ص إِنْ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فَإِنْ فَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ ذَلِكَ أَ تُؤْمِنُونَ وَ تَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ قَالُوا نَعَمْ قَالَ فَإِنِّي سَأَرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ وَ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَفِيئُونَ إِلَى خَيْرٍ وَ أَنْ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلْبِ وَ مَنْ يُحْزَبُ الْأَحْزَابِ ثُمَّ قَالَ ص يَا أَيُّهَا الشَّجْرَةُ إِنْ كُنْتِ تُوْمِنِينَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ تَعْلَمِينَ أَنَّي رَسُولُ اللَّهِ فَانْقَلِعِي بِعُرْوَتِكَ حَتَّى تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أَلْهَدِي بَعْتَهُ بِالْحَقِّ لَانْقَلَعَتْ بِعُرْوَتِهَا وَ جَاءَتْ وَ لَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ وَ قَصْفٌ كَقَصْفِ أَجْنِحَةِ الطَّيْرِ حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيَّ رَسُولِ اللَّهِ ص مَرْفُوعَةً وَ أَلَقَتْ بَعْضَ نَجْوَاهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص وَ بَعْضَ أَعْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي وَ كُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ ص فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذَلِكَ قَالُوا عَلُوا وَ اسْتِكْبَارًا فَمَرَّهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا وَ يَبْقَى نِصْفُهَا فَأَمَرَهَا فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَ أَشَدَّهُ دَوِيًّا فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرَسُولِ اللَّهِ ص فَقَالُوا كُفْرًا وَ عُتُوًّا فَمَرَّ هَذَا النَّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ فَأَمَرَهُ ص فَرَجَعَ فَقُلْتُ أَنَا لِمَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَ أَوَّلُ مَنْ أَقْرَبَ بَانَ الشَّجْرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى تَصَدِيقًا بِنُبُوتِكَ وَ إِجْلَالًا لِكَلِمَتِكَ فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ عَجِيبٌ السَّيْرِ حَفِيفٌ فِيهِ وَ هَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هَذَا يَعْنُونِي وَ إِنِّي لِمَنْ قَوْمٌ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَأَيْمٍ سَيِّمَاهُمْ سَيِّمَاتِ الصَّادِقِينَ وَ كَلَامُهُمْ كَلَامُ الْأَبْرَارِ عُمَارُ اللَّيْلِ وَ مَنَارُ النَّهَارِ مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ يُحْيُونَ سُنْنَ اللَّهِ وَ سُنْنَ رَسُولِهِ لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَ لَا يَعْزُبُونَ وَ لَا يَغْلُونَ وَ لَا يُفْسِدُونَ قُلُوبَهُمْ فِي الْجَنَانِ وَ أَجْسَادُهُمْ فِي الْعَمَلِ [صفحہ ٢١٤] الملاء الجماعة و لا تفيئون لا ترجعون و من يطرح فى القلب كعتبه و شبيهه ابني ربيعه بن عبدشمس و عمرو بن هشام بن المغيرة المكنى أبا جهل و غيرهم طرحوا فى قلب بدر بعد انقضاء الحرب و من يحزب الأحزاب أوسفيان صخر بن حرب بن أمية. و القصف و القصيف الصوت و سيماهم و سيماهم و مثله سيمياء. و معنى قوله ع قلوبهم فى الجنان و أجسادهم فى العمل أن قلوبهم ملتذة بمعرفة الله تعالى و أجسادهم نصابة بالعبادة. و أما أمر الشجرة التى دعاها رسول الله ص فالحديث الوارد فيها كثير مستفيض قد ذكره المحدثون فى كتبهم و ذكره المتكلمون فى معجزات الرسول ص و الأكثرون رووا الخبر فيها على الوضع الذى جاء فى خطبة أمير المؤمنين و منهم من يروى ذلك مختصرا أنه دعا شجرة فأقبلت تخد إليه الأرض خدا. و قد ذكر البيهقى فى كتاب دلائل النبوة حديث الشجرة و رواه أيضا محمد بن إسحاق بن يسار فى كتاب السيرة و المغازى

على وجه آخر قال محمد بن إسحاق كان ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن عبدالمطلب بن عبدمناف أشد قریش كلها فخلا يوما برسول الله ص فى بعض شعاب مكة فقال له رسول الله ص ياركانه ألاتتقى الله وتقبل ماأدعوك إليه قال لوأعلم أن الذى تقول حق لاتبتعتك قال أفرأيت إن صرعتك أتعلم أن ماأقول لك حق قال نعم قال فقم حتى أصارعك فقام ركانة فلما بطش به رسول الله ص أضجعه لایملك من نفسه شيئا فقال عد يا محمد فعد فصرعه فقال يا محمد إن هذاالعجب حين تصرعنى فقال رسول الله ص وأعجب من ذلك إن شئت أريتكه إن اتقيت الله واتبعت أمرى [صفحه ٢١٥] قال ما هو قال أدعو لك هذه الشجرة التى تراها فتأتى قال فادعها فدعاها فأقبلت حتى وقفت بين یدى رسول الله ص ثم قال ارجعنى إلى مكانك فرجعت إلى مكانها فرجع ركانة إلى قومه و قال يا بنى عبدمناف ساحروا بصاحبكم أهل الأرض فما رأيت أسحر منه قط ثم أخبرهم بالذى رأى و الذى صنع

القول فى إسلام أبى بكر و على و خصائص كل منهما

وينبغى أن نذكر فى هذاالموضع ملخص ما ذكره الشيخ أبو عثمان الجاحظ فى كتابه المعروف بكتاب العثمانية فى تفضيل إسلام أبى بكر على إسلام على ع لأن هذاالموضع يقتضيه لقوله ع حكاية عن قریش لما صدق رسول الله ص وهل يصدقك فى أمرك إلا مثل هذاأنهم استصغروا سنه فاستحقروا أمر محمد رسول الله ص حيث لم يصدق فى دعواه إلا غلام صغير السن وشبهه العثمانية التى قررها الجاحظ من هذه الشبهة نشأت و من هذه الكلمة تفرعت لأن خلاصتها أن أبابكر أسلم و هو ابن أربعين سنة و على أسلم و لم يبلغ الحلم فكان إسلام أبى بكر أفضل . ثم نذكر ما اعترض به شيخنا أبو جعفر الإسكافى على الجاحظ فى كتابه المعروف بنقض العثمانية ويتشعب الكلام بينهما حتى يخرج عن البحث فى الإسلاميين إلى البحث فى أفضلية الرجلين و خصائصهما فإن ذلك لا يخلو عن فائدة جلية ونكتة [صفحه ٢١٦] لطيفة لا يلىق أن يخلو كتابنا هذا عنها ولأن كلامهما بالرسائل والخطابة أشبه و فى الكتابة أقصد وأدخل و كتابنا هذا موضوع لذكر ذلك وأمثاله . قال أبو عثمان قالت العثمانية أفضل الأمة وأولاهها بالإمامة أبو بكر بن أبى قحافة لإسلامه على الوجه الذى لم يسلم عليه أحد فى عصره و ذلك أن الناس اختلفوا فى أول الناس إسلاما فقال قوم أبو بكر و قال قوم زيد بن حارثة و قال قوم خباب بن الارت . و إذا تفقدنا أخبارهم وأحصينا أحاديثهم وعددنا رجالهم ونظرنا فى صحة أسانيدهم كان الخبر فى تقدم إسلام أبى بكر أعم و رجاله أكثر و أسانيدهم أصح و هو بذاك أشهر واللفظ فيه أظهر مع الأشعار الصحيحة والأخبار المستفيضة فى حياة رسول الله ص و بعد وفاته و ليس بين الأشعار والأخبار فرق إذا امتنع فى مجيئها وأصل مخرجها التباعد والاتفاق والتواطؤ ولكن ندع هذاالمذهب جانبا ونضرب عنه صفحا اقتدارا على الحجة و وثوقا بالفلج والقوة ونقتصر على أدنى نازل فى أبى بكر وننزل على حكم الخصم فنقول إنا وجدنا من يزعم أنه أسلم قبل زيد و خباب و وجدنا من يزعم أنهما أسلما قبله و أوسط الأمور أعدلها وأقربها من محبة الجميع ورضا المخالف أن نجعل إسلامهم كان معا إذ الأخبار متكافئة والآثار متساوية على ماتزعمون وليست إحدى القضيتين أولى فى صحة العقل من الأخرى ثم نستدل على إمامه أبى بكر بما ورد فيه من الحديث وبما أبانه به الرسول ص من غيره . قالوا فمما روى من تقدم إسلامه ما حدث به أبو داود و ابن مهدي عن شعبة و ابن عيينة عن الجريري عن أبى هريرة قال أبو بكر أنا أحقكم بهذا الأمر يعنى الخلافة ألت أول من صلى . [صفحه ٢١٧] روى عباد بن صهيب عن يحيى بن عمير عن محمد بن المنكدر أن رسول الله ص قال إن الله بعثنى بالهدى ودين الحق إلى الناس كافة فقالوا كذبت و قال أبو بكر صدقت -رواية ١-٢-رواية ٨٢-١٦٨ . وروى يعلى بن عبيد قال جاء رجل إلى ابن عباس فسأله من كان أول الناس إسلاما فقال أ ما سمعت قول حسان بن ثابت إذا تذكرت شجوا

من أخی ثقة || فاذا ذكر أخاك أبابكر بما فعلا الثاني التالي المحمود مشهده || وأول الناس منهم صدق الرسلا . و قال أبو محجن سبقت إلى الإسلام والله شاهد || وكنت حبيبا بالعريش المشهر . و قال كعب بن مالك سبقت أختي تيم إلى دين أحمد || وكنت لدى الغيران في الكهف صاحبا وروى ابن أبي شيبه عن عبد الله بن إدريس ووكيع عن شعبة عن عمرو بن مرة قال قال النخعي أبوبكر أول من أسلم . و روى هيثم عن يعلى بن عطاء عن عمرو بن عبسة قال أتيت النبي ص و هو بعكاظ فقلت من بايعك على هذا الأمر فقال بايعني حر و عبد -رواية- ١-٢-رواية- ٥٢-١٣٠ فلقد رأيتني يومئذ و أناربع الإسلام . [صفحه ٢١٨] قال بعض أصحاب الحديث يعنى بالحر أبابكر وبالعبد بلالا . و روى الليث بن سعد عن معاوية بن صالح عن سليم بن عامر عن أبي أمامه قال حدثني عمرو بن عبسة أنه سأل النبي ص و هو بعكاظ فقال له من تبعك قال تبعني حر و عبد أبوبكر و بلال -رواية- ١-٢-رواية- ٩٧-١٨٠ روى عمرو بن ابراهيم الهاشمي عن عبد الملك بن عمير عن أسيد بن صفوان صاحب النبي ص قال لما قبض أبوبكر جاء علي بن أبي طالب ع فقال رحمك الله أبابكر كنت أول الناس إسلاما -رواية- ١-٢-رواية- ٩٤-١٨٣ . و روى عباد عن الحسن بن دينار عن بشر بن أبي زينب عن عكرمة مولى ابن عباس قال إذ ألقيت الهاشميين قالوا علي بن أبي طالب أول من أسلم و إذ ألقيت الذين يعلمون قالوا أبوبكر أول من أسلم . قال أبو عثمان الجاحظ قالت العثمانية فإن قال قائل فما بالكم لم تذكروا علي بن أبي طالب في هذه الطبقة و قد تعلمون كثرة مقدميه و الرواية فيه قلنا قد علمنا الرواية الصحيحة و الشهادة القائمة أنه أسلم و هو حدث غرير و طفل صغير فلم نكذب الناقلين و لم نستطع أن نلحق إسلامه بإسلام البالغين لأن المقلد زعم أنه أسلم و هو ابن خمس سنين و المكثر زعم أنه أسلم و هو ابن تسع سنين فالقياس أن يؤخذ بالأوسط بين الروایتين و بالأمر بين الأمرين و إنما يعرف حق ذلك من باطله بأن نحصى سنه التي ولى فيها الخلافة و سنى عمر و سنى عثمان و سنى أبي بكر و مقام النبي ص بالمدينة و مقامه بمكة عند إظهار الدعوة فإذا فعلنا ذلك صح أنه أسلم و هو ابن سبع سنين فالتاريخ المجمع عليه أنه قتل ع في شهر رمضان سنة أربعين . [صفحه ٢١٩] قال شيخنا أبو جعفر الإسكافي لو لا ما غلب على الناس من الجهل و حب التقليد لم نحتج إلى نقض ما احتجت به العثمانية فقد علم الناس كافة أن الدولة و السلطان لأرباب مقاتلهم و عرف كل أحد علو أقدار شيوخهم و علمائهم و أمرائهم و ظهور كلمتهم و قهر سلطانهم و ارتفاع التقيّة عنهم و الكرامة و الجائزة لمن روى الأخبار و الأحاديث في فضل أبي بكر و ما كان من تأكيد بنى أمية لذلك و ما ولده المحدثون من الأحاديث طلبا لما في أيديهم فكانوا لا يألون جهدا في طول ما ملكوا أن يخملوا ذكر علي ع و ولده و يطفئوا نورهم و يكتموا فضائلهم و مناقبهم و سوابقهم و يحملوا على شتمهم و سبهم و لعنهم على المنابر فلم يزل السيف يقطر من دمائهم مع قلّة عددهم و كثرة عدوهم فكانوا بين قتل و أسير و شريد و هارب و مستخف ذليل و خائف مترقب حتى إن الفقيه و المحدث و القاضي و المتكلم ليتقدم إليه و يتوعد بغاية الإيذاء و أشد العقوبة ألا يذكروا شيئا من فضائلهم و لا يرخصوا لأحد أن يطيف بهم و حتى بلغ من تقيّة المحدث أنه إذا ذكر حديثا عن علي ع كنى عن ذكره فقال قال رجل من قريش و فعل رجل من قريش و لا يذكر عليا ع و لا يتفوه باسمه . ثم رأينا جميع المختلفين قد حاولوا نقض فضائله و وجهوا الحيل و التأويلات نحوها من خارجي مارق و ناصب حتى وثابت مستبهم و ناشئ معاند و منافق مكذب و عثمانى حسود يعترض فيها و يطعن و معتزلى قد نقض في الكلام و أبصر علم الاختلاف [صفحه ٢٢٠] و عرف الشبه و مواضع الطعن و ضروب التأويل قد التمس الحيل في إبطال مناقبه و تأويل مشهور فضائله فمرة يتأولها بما لا يحتمل و مرة يقصد أن يضع من قدرها بقياس منتقض و لا يزداد مع ذلك إلا قوة و رفعة و وضوحا و استنارة و قد علمت أن معاوية و يزيد و من كان بعدهما من بنى مروان أيام ملكهم و ذلك نحو ثمانين سنة لم يدعوا جهدا في حمل الناس على شتمه و لعنه و إخفاء فضائله و ستر مناقبه و سوابقه روى خالد بن عبد الله الواسطي عن حصين بن عبد الرحمن عن هلال بن يساف عن عبد الله بن ظالم قال لما بويع لمعاوية أقام المغيرة بن شعبة خطباء يلعنون عليا فقال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ألاترون إلى هذا الرجل الظالم يأمر بلعن رجل من

أهل الجنة. روى سليمان بن داود عن شعبة عن الحر بن الصباح قال سمعت عبدالرحمن بن الأخنس يقول شهدت المغيرة بن شعبة خطب فذكر عليا فقال منه . روى أبو كريب قال حدثنا أبو أسامة قال حدثنا صدقة بن المشي النخعي عن رياح بن الحارث قال بينما المغيرة بن شعبة بالمسجد الأكبر وعنده ناس إذ جاءه رجل يقال له قيس بن علقمة فاستقبل المغيرة فسب عليا . روى محمد بن سعيد الأصفهاني عن شريك عن محمد بن إسحاق عن عمرو بن علي بن الحسين عن أبيه علي بن الحسين ع قال قال لي مروان ما كان في القوم أذفع عن صاحبنا من صاحبكم قلت فما بالكم تسبون علي المنابر قال إنه لا يستقيم لنا الأمر إلا بذلك . روى مالك بن إسماعيل أبو غسان النهدي عن ابن أبي سيف قال خطب مروان والحسن ع جالس فقال من علي ع فقال الحسن ويلك يا مروان أ هذا الذي تشتم شر الناس قال لا ولكنه خير الناس . [صفحہ ۲۲۱] وروى أبو غسان أيضا قال قال عمر بن عبدالعزيز كان أبي يخطب فلا يزال مستمرا في خطبته حتى إذا صار إلى ذكر علي وسبه تقطع لسانه واصفر وجهه وتغيرت حاله فقلت له في ذلك فقال أ و قد فطنت لذلك إن هؤلاء لو يعلمون من علي ما يعلمه أبوك ماتبعنا منهم رجل . وروى أبو عثمان قال حدثنا أبو اليقظان قال قام رجل من ولد عثمان إلى هشام بن عبد الملك يوم عرفه فقال إن هذا يوم كانت الخلفاء تستحب فيه لعن أبي تراب . وروى عمرو بن الفناد عن محمد بن فضيل عن أشعث بن سوار قال سب عدى بن أرطاة عليا علي المنبر فبكى الحسن البصري و قال لقد سب هذا اليوم رجل إنه لأخو رسول الله ص في الدنيا والآخرة . وروى عدى بن ثابت عن إسماعيل بن إبراهيم قال كنت أنا و إبراهيم بن يزيد جالسين في الجمعة مما يلي أبواب كنده فخرج المغيرة فخطب فحمد الله ثم ذكر ماشاء أن يذكر ثم وقع في علي ع فضرب إبراهيم علي فخذي أوركبتي ثم قال أقبل علي فحدثني فإنا لسنا في جمعة أ لا نسمع ما يقول هذا . وروى عبد الله بن عثمان الثقفي قال حدثنا ابن أبي سيف قال قال ابن لعامر بن عبد الله بن الزبير لولده لا تذكر يا بني عليا إلا بخير فإن بنى أمية لعنوه علي منابرهم ثمانين سنة فلم يزد الله بذلك إلا رفعة إن الدنيا لم تب شيئا قط إلا رجعت علي ما بنت فهدمته و إن الدين لم يبين شيئا قط وهدمه . وروى عثمان بن سعيد قال حدثنا مطلب بن زياد عن أبي بكر بن عبد الله الأصبهاني قال كان دعي لبني أمية يقال له خالد بن عبد الله لا يزال يشتم عليا ع [صفحہ ۲۲۲] فلما كان يوم جمعة و هو يخطب الناس قال و الله إن كان رسول الله ليستعمله و إنه ليعلم ما هو ولكنه كان ختنه و قد نعت سعيد بن المسيب ففتح عينه ثم قال ويحكم ما قال هذا الخبيث رأيت القبر انصدع و رسول الله ص يقول كذبت ياعدو الله . وروى القناد قال حدثنا أسباط بن نصر الهمداني عن السدي قال بينما أنا بالمدينة عند أحجار الزيت إذ أقبل راكب علي بعير فوقف فسب عليا فخف به الناس ينظرون إليه فيبينما هو كذلك إذ أقبل سعد بن أبي وقاص فقال اللهم إن كان سب عبدا لك صالحا فأر المسلمين خزيه فما لبث أن نفر به بعيره فسقط فاندقت عنقه . وروى عثمان بن أبي شيبة عن عبد الله بن موسى عن فطر بن خليفة عن أبي عبد الله الجدلي قال دخلت علي أم سلمة رحمها الله فقالت لي أيسب رسول الله ص فيكم وأنتم أحياء قلت وأنى يكون هذا قالت أ ليس يسب علي ع و من يحبه . وروى العباس بن بكار الضبي قال حدثني أبو بكر الهذلي عن الزهري قال قال ابن عباس لمعاوية أ لا تكف عن شتم هذا الرجل قال ما كنت لأفعل حتى يربو عليه الصغير ويهرم فيه الكبير فلما ولي عمر بن عبدالعزيز كف عن شتمه فقال الناس ترك السنة . قال و قد روى عن ابن مسعود إما موقوفا عليه أو مرفوعا كيف أنتم إذا شتمتكم فتنه يربو عليها الصغير ويهرم فيها الكبير يجرى عليها الناس فيتخذونها سنة فإذا غير منها شيء قيل غيرت السنة . [صفحہ ۲۲۳] قال أبو جعفر و قد تعلمون أن بعض الملوك ربما أحدثوا قولا - أودينا لهوى فيحملون الناس على ذلك حتى لا يعرفوا غيره كنحو ما أخذ الناس الحجاج بن يوسف بقراءة عثمان وترك قراءة ابن مسعود و أبي بن كعب و تواعد علي ذلك بدون ما صنع هو و جابرة بنى أمية و طغاة مروان بولد علي ع وشيعته وإنما كان سلطانه نحو عشرين سنة فما مات الحجاج حتى اجتمع أهل العراق على قراءة عثمان ونشأ أبناؤهم و لا يعرفون غيرها لإمساك الآباء عنها و كف المعلمين عن تعليمها حتى لو قرأت عليهم قراءة عبد الله و أبي ما عرفوها ولظنوا بتأليفها الاستكراه

والاستهجان لإلّف العادة وطول الجهالة لأنه إذا استولت على الرعية الغلبة وطالت عليهم أيام التسلط وشاعت فيهم المخافة وشمّلتهم التقية اتفقوا على التخاذل والتساکت فلا تزال الأيام تأخذ من بصائرهم وتنقص من ضمائرهم وتنقص من مرائرهم حتى تصير البدعة التي أحدثوها غامرة للسنة التي كانوا يعرفونها ولقد كان الحجاج و من ولاة كعبد الملك والوليد و من كان قبلهما وبعدهما من فراعنة بني أمية على إخفاء محاسن علي ع وفضائله وفضائل ولده وشيعته وإسقاط أقدارهم أحرص منهم على إسقاط قراءة عبد الله و أبي لأن تلك القراءات لا تكون سببا لزوال ملكهم وفساد أمرهم وانكشاف حالهم و في اشتها ر فضل علي ع وولده وإظهار محاسنهم بوارهم وتسلط حكم الكتاب المنبوذ عليهم فحرصوا واجتهدوا في إخفاء فضائله وحملوا الناس على كتمانها وسترها وأبي الله أن يزيد أمره وأمر ولده لإستنارة وإشراقا وحبهم لإشغفا وشدة وذكورهم لإانتشارا وكثرة وحتجهم لإلوضوحا وقوة وفضلهم لإلظهورا وشأنهم لإلعلوا وأقدارهم لإلإعظاما حتى أصبحوا يباهنتهم إياهم أعزاء وقياماتهم ذكرهم أحياء و ما أرادوا به وبهم من الشر تحول خيرا فانتهى إلينا من ذكر فضائله وخصائصه ومزاياه وسوابقه ما لم يتقدمه السابقون و لا ساواه فيه القاصدون و لا يلحقه الطالبون و لو لأنها كانت [صفحہ ۲۲۴] كالقبلة المنصوبة في الشهرة و كالسنن المحفوظة في الكثرة لم يصل إلينا منها في دهرنا حرف واحد إذا كان الأمر كما وصفناه . قال فأما ما احتج به الجاحظ بإمامة أبي بكر بكونه أول الناس إسلاما فلو كان هذا احتجاجا صحيحا لاحتج به أبو بكر يوم السقيفة و ما رأيناه صنع ذلك لأنه أخذ بيد عمر و يد أبي عبيدة بن الجراح و قال للناس قدرضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا منهما من شئتم و لو كان هذا احتجاجا صحيحا لما قال عمر كانت بيعه أبي بكر فلتة و قى الله شرها و لو كان احتجاجا صحيحا لادعى واحد من الناس لأبي بكر الإمامة في عصره أو بعد عصره بكونه سبق إلى الإسلام و ما عرفنا أحدا ادعى له ذلك على أن جمهور المحدثين لم يذكروا أن أبا بكر أسلم إلا بعد عدة من الرجال منهم علي بن أبي طالب و جعفر أخوه وزيد بن حارثة و أبوذر الغفاري وعمرو بن عنبسة السلمى و خالد بن سعيد بن العاص و خباب بن الأرت و إذ أتأملنا الروايات الصحيحة والأسانيد القوية والوثيقة وجدناها كلها ناطقة بأن عليا ع أول من أسلم . فأما الرواية عن ابن عباس أن أبا بكر أولهم إسلاما فقد روى عن ابن عباس خلاف ذلك بأكثر مما روي وأشهر فمن ذلك مارواه يحيى بن حماد عن أبي عوانة وسعيد بن عيسى عن أبي داود الطيالسى عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس أنه قال أول من صلى من الرجال علي ع . و روى الحسن البصرى قال حدثنا عيسى بن راشد عن أبي بصير عن عكرمة عن ابن عباس قال فرض الله تعالى الاستغفار لعلی ع في القرآن -روایت- ۱-۲-روایت- ۸۶-ادامه دارد [صفحہ ۲۲۵] على كل مسلم بقوله تعالى رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ كُلِّ مَنْ أسلم بعد علي فهو يستغفر لعلی ع -روایت- از قبل- ۱۳۷ روى سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال السباق ثلاثة سبق يوشع بن نون إلى موسى و سبق صاحب يس إلى عيسى و سبق علي بن أبي طالب إلى محمد عليه وعليهم السلام -روایت- ۱-۲-روایت- ۷۰-۱۹۷ . فهذا قول ابن عباس في سبق علي ع إلى الإسلام و هو أثبت من حديث الشعبي وأشهر على أنه قدروى عن الشعبي خلاف ذلك من حديث أبي بكر الهذلى وداود بن أبي هند عن الشعبي قال قال رسول الله ص لعلی ع هذا أول من آمن بى وصدقنى و صلى معى -روایت- ۱-۲-روایت- ۵۳-

۱۲۱ . قال فأما الأخبار الواردة بسبقه إلى الإسلام المذكورة في الكتب الصحاح والأسانيد الموثوق بها فمنها ما روى شريك بن عبد الله عن سليمان بن المغيرة عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود أنه قال أول شىء علمته من أمر رسول الله ص أنى قدمت مكة مع عمومته لى وناس من قومي و كان من أنفسنا شراء عطر فأرشدنا إلى العباس بن عبدالمطلب فانتهينا إليه و هو جالس إلى زمزم فبينما نحن عنده جلوسا إذ أقبل رجل من باب الصفا و عليه ثوبان أبيضان و له وفرة إلى أنصاف أذنيه جعدة أشم أفنى أدعج العينين كثر اللحية براق الثنايا أبيض تعلوه حمرة كأنه القمر ليلة البدر و على يمينه غلام مراهق أو محتلم حسن الوجه تقفوههم امرأة قد سترت محاسنها حتى قصدوا نحو الحجر فاستلمه واستلمه الغلام ثم استلمته المرأة ثم طاف بالبيت سبعا والغلام والمرأة

يطوفان معه ثم استقبل الحجر [صفحة ٢٢٦] فقام ورفع يديه وكبر وقام الغلام إلى جانبه وقامت المرأة خلفها فرفعت يديها وكبرت فأطال القنوت ثم ركع وركع الغلام والمرأة ثم رفع رأسه فأطال ورفع الغلام والمرأة معه يصنعان مثل ما يصنع فلما رأينا شيئا ننكره لانعرفه بمكة أقبلنا على العباس فقلنا يا أبا الفضل إن هذا الدين ما كنا نعرفه فيكم قال أجل والله قلنا فمن هذا قال هذا ابن أخي هذا محمد بن عبد الله وهذا الغلام ابن أخي أيضا هذا علي بن أبي طالب وهذه المرأة زوجة محمد هذه خديجة بنت خويلد والله ما علي وجه الأرض أحد يدين بهذا الدين إلا هؤلاء الثلاثة ومن حديث موسى بن داود عن خالد بن نافع عن عفيف بن قيس الكندي وقدرناه عن عفيف أيضا مالك بن إسماعيل النهدي والحسن بن عنبسة الوراق وإبراهيم بن محمد بن ميمونة قالوا جميعا حدثنا سعيد بن جشم عن أسد بن عبد الله البجلي عن يحيى بن عفيف بن قيس عن أبيه قال كنت في الجاهلية عطارا فقدمت مكة فزلت على العباس بن عبد المطلب فيينا أنا جالس عنده أنظر إلى الكعبة وقد تحلقت الشمس في السماء أقبل شاب كان في وجهه القمر حتى رمى ببصره إلى السماء فنظر إلى الشمس ساعة ثم أقبل حتى دنا من الكعبة فصف قدميه يصلي فخرج على أثره فتى كأن وجهه صفيحة يمانية فقام عن يمينه فجاءت امرأة متلففة في ثيابها فقامت خلفهما فأهوى الشاب راعها فركعها معه ثم أهوى إلى الأرض ساجدا فسجدا معه فقلت للعباس يا أبا الفضل أمر عظيم فقال أمر والله عظيم أتدرى من هذا الشاب قلت لا قال هذا ابن أخي هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أتدرى من هذا الفتى قلت لا قال هذا ابن أخي علي بن أبي طالب بن عبد المطلب أتدرى من المرأة قلت لا قال هذه ابنة خويلد بن أسد بن عبد العزى هذه خديجة زوج محمد هذا وإن محمدا هذا يذكر أن إلهه إله السماء والأرض وأمره بهذا الدين فهو عليه كما ترى [صفحة ٢٢٧] ويزعم أنه نبي وقد صدقه على قوله علي ابن عمه هذا الفتى وزوجته خديجة هذه المرأة والله ما أعلم على وجه الأرض كلها أحدا على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة قال عفيف فقلت له فما تقولون أنتم قال ننظر الشيخ ما يصنع يعني أبا طالب أخاه . وروى عبد الله بن موسى والفضل بن دكين والحسن بن عطية قالوا حدثنا خالد بن طهمان عن نافع بن أبي نافع عن معقل بن يسار قال كنت أوصى النبي ص فقال لي هل لك أن نعود فاطمة قلت نعم يا رسول الله فقام يمشى متوكئا على وقال أما إنه سيحمل ثقلها غيرك ويكون أجرها لك قال فوالله كأنه لم يكن علي من ثقل النبي ص شيء فدخلنا على فاطمة ع فقال لها ص كيف تجدينك قالت لقد طال أسفى واشتد حزنى وقال لي النساء زوجك أبوك فقيرا لا مال له فقال لها أما ترضين أنى زوجتك أقدم أمتى سلما وأكثرهم علما وأفضلهم حلما قالت بلى رضيت يا رسول الله وقدروى هذا الخبر يحيى بن عبد الحميد و عبد السلام بن صالح عن قيس بن الربيع عن أبي أيوب الأنصارى بألفاظه أونحوها -رواية- ١-٢-رواية- ١٣٢-٦٨٧ روى عبد السلام بن صالح عن إسحاق الأزرق عن جعفر بن محمد عن آبائه أن رسول الله ص لما زوج فاطمة دخل النساء عليها فقلن يا بنت رسول الله خطبك فلان وفلان فردهم عنك وزوجك فقيرا لا مال له فلما دخل عليها أبوها ص رأى ذلك فى وجهها فسألها فذكرت له ذلك فقال يا فاطمة إن الله أمرنى فأنكحتك أقدمهم سلما وأكثرهم علما وأعظمهم حلما وما زوجتك إلا بأمر من السماء أما علمت أنه أخى فى الدنيا والآخرة -رواية- ١-٢-رواية- ٧٤-٤١٧ [صفحة ٢٢٨] روى عثمان بن سعيد عن الحكم بن ظهير عن السدى أن أبا بكر وعمر خطبا فاطمة ع فردهما رسول الله ص وقال لم أؤمر بذلك فخطبها على ع فزوجه إياها وقال لها زوجتك أقدم الأمة إسلاما -رواية- ١-٢-رواية- ٥٠-١٨٦ وذكر تمام الحديث قال وقدروى هذا الخبر جماعة من الصحابة منهم أسماء بنت عميس وأم أيمن وابن عباس وجابر بن عبد الله . قال وقدروى محمد بن عبد الله بن أبي رافع عن أبيه عن جده أبي رافع قال أتيت أباذر بالربذة أودعه فلما أردت الانصراف قال لي ولأناس معى ستكون فتنة فاتقوا الله وعليكم بالشيخ على بن أبي طالب فاتبعوه فإنى سمعت رسول الله ص يقول له أنت أول من آمن بى وأول من يصافحنى يوم القيامة وأنت الصديق الأكبر وأنت الفاروق الذى يفرق بين الحق والباطل وأنت يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الكافرين وأنت أخى ووزيرى وخير من أترك بعدى تقضى دينى وتنجز

موعدي -رواية- ١-٢-رواية- ٨٣-٤٨٨ روى ابن أبي شيبه عن عبد الله بن نمير عن العلاء بن صالح عن المنهال بن عمرو عن عباد بن عبد الله الأسدي قال سمعت علي بن أبي طالب يقول أنا عبد الله وأخو رسوله و أناالصدق الأكبر لايقولها غيري إلاكذاب ولقد صليت قبل الناس سبع سنين -رواية- ١-٢-رواية- ١٤٦-٢٥٠ روت معاذة بنت عبد الله العدوية قالت سمعت عليا ع يخطب علي منبر البصرة و يقول أناالصدق الأكبر آمنت قبل أن يؤمن أبوبكر وأسلمت قبل أن يسلم -رواية- ١-٢-رواية- ٤١-١٥١ روى حبة بن جوين العرنى أنه سمع عليا ع يقول أناأول رجل أسلم -رواية- ١-٢-رواية- ٥١-٥١-ادامه دارد [صفحه ٢٢٩] مع رسول الله ص -رواية- از قبل- ٢٢ رواه أبو داود الطيالسي عن شعبة عن سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل عن حبة بن جوين و روى عثمان بن سعيد الخراز عن علي بن حرار عن علي بن عامر عن أبي الحجاج عن حكيم مولى زاذان قال سمعت عليا ع يقول صليت قبل الناس سبع سنين وكنا نسجد و لانركع وأول صلاة ركعنا فيها صلاة العصر فقلت يا رسول الله ما هذا قال أمرت به -رواية- ١-٢-رواية- ١٢٥-٢٤٧ روى إسماعيل بن عمرو عن قيس بن الربيع عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله قال صلى رسول الله ص يوم الإثنين وصلى علي يوم الثلاثاء بعده -رواية- ١-٢-رواية- ١٠٢-١٦٥ عن أنس بن مالك استنبي النبي ص يوم الإثنين وأسلم علي يوم الثلاثاء بعده -رواية- ١-٢-رواية- ٢٠-٨٢ روى أبو رافع أن رسول الله ص صلى أول صلاة صلاها غداة الإثنين وصلت خديجة آخر نهار يومها ذلك وصلى علي ع يوم الثلاثاء غدا ذلك اليوم -رواية- ١-٢-رواية- ١٦-١٤٤ . قال و قدروى بروايات مختلفة كثيرة متعددة عن زيد بن أرقم وسلمان الفارسي وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك أن عليا ع أول من أسلم وذكر الروايات والرجال بأسمائهم و روى سلمة بن كهيل عن رجاله الذين ذكروهم أبو جعفر في الكتاب أن رسول الله ص قال أولكم ورودا على الحوض أولكم إسلاما علي بن أبي طالب -رواية- ١-٢-رواية- ٨٩-١٤٦ روى ياسين بن محمد بن أيمن عن أبي حازم مولى ابن عباس عن ابن عباس -رواية- ١-٢ [صفحه ٢٣٠] قال سمعت عمر بن الخطاب و هو يقول كفوا عن علي بن أبي طالب فإنني سمعت من رسول الله ص يقول فيه خصالا لو أن خصلة منها في جميع آل الخطاب كان أحب لي مما طلعت عليه الشمس كنت ذات يوم و أبوبكر و عثمان و عبدالرحمن بن عوف و أبو عبيدة مع نفر من أصحاب رسول الله ص نطلبه فانتبهينا إلى باب أم سلمة فوجدنا عليا متكئا على نجاف الباب فقلنا أردنا رسول الله ص فقال هو في البيت رويدكم فخرج رسول الله ص فسرنا حوله فاتكأ على علي ع وضرب بيده على منكبه فقال أبشر يا علي بن أبي طالب إنك مخاصم وإنك تخصم الناس بسبع لا يجاريك أحد في واحدة منهن أنت أول الناس إسلاما وأعلمهم بأيام الله -رواية- ٣٩-٦١٨ وذكر الحديث . قال و قدروى أبو سعيد الخدري عن النبي ص مثل هذا الحديث . قال روى أبو أيوب الأنصاري عن رسول الله ص أنه قال لقد صلت الملائكة علي و علي ع سبع سنين و ذلك أنه لم يصل معي رجل فيها غيره -رواية- ١-٢-رواية- ٥٥-١٤٣ . قال أبو جعفر فأما ما رواه الجاحظ من قوله ص إنما تعني حر و عبد -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-٣٣ فإنه لم يسم في هذا الحديث أبابكر و بلالا و كيف و أبوبكر لم يشتر بلالا إلا بعد ظهور الإسلام بمكة فلما أظهر بلال إسلامه عذبه أمية بن خلف و لم يكن ذلك حال إخفاء رسول الله ص الدعوة و لا في ابتداء أمر الإسلام . [صفحه ٢٣١] و قد قيل إنه ع إنما عنى بالحر علي بن أبي طالب و بالعبد زيد بن حارثة . و روى ذلك محمد بن إسحاق قال و قدروى إسماعيل بن نصر الصفار عن محمد بن ذكوان عن الشعبي قال قال الحجاج للحسن وعنده جماعة من التابعين و ذكر علي بن أبي طالب ماتقول أنت يا حسن فقال ما أقول هو أول من صلى إلى القبلة و أجاب دعوة رسول الله ص و إن لعلي منزلة من ربه و قرابة من رسوله و قد سبقت له سوابق لا يستطيع ردها أحد فغضب الحجاج غضبا شديدا و قام عن سريره فدخل بعض البيوت و أمر بصرفنا . قال الشعبي وكنا جماعة مامنا إلا من نال من علي ع مقاربة للحجاج غير الحسن بن أبي الحسن رحمه الله . و روى محرز بن هشام عن إبراهيم بن سلمة عن محمد بن عبيد الله قال قال رجل للحسن مالنا لانراك تنني علي علي و تقرظه قال كيف و سيف الحجاج يقطر دما إنه لأول من أسلم

وحسبكم بذلك . قال فهذه الأخبار . و أما الأشعار المروية فمعروفة كثيرة منتشرة فمنها قول عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب مجيباً للوليد بن عقبه بن أبي معيط و إن ولي الأمر بعد محمد || على و في كل المواطن صاحبه وصى رسول الله حقاً وصنوه || وأول من صلى و من لان جانبه . و قال خزيمه بن ثابت في هذا وصى رسول الله من دون أهله || وفارسه مذ كان في سالف الزمن وأول من صلى من الناس كلهم || سوى خيرة النسوان و الله ذو منن . [صفحہ ۲۳۲] و قال أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبدشمس حين بويح أبوبكر ماكنت أحسب أن الأمر منصرف || عن هاشم ثم منها عن أبي حسن أليس أول من صلى لقبلتهم || و أعلم الناس بالأحكام والسنن . و قال أبو الأسود الدؤلي يهدد طلحة والزبير و إن علياً لكم مصحر || يماثله الأسد الأسود أما إنه أول العابدين || بمكة و الله لا يعبد . و قال سعيد بن قيس الهمداني يرتجز بصفين هذا علي و ابن عم المصطفى || أول من أجابه فيما روى هو الإمام لايبالي من غوى . و قال زفر بن يزيد بن حذيفة الأسدي فحوطوا علياً وانصروه فإنه || وصى و في الإسلام أول أول و إن تخذلوله والحوادث جمه || فليس لكم عن أرضكم متحول قال والأشعار كالأخبار إذا تمتع في مجيء القبيلين التواطؤ والاتفاق كان ورودهما حجة فأما قول الجاحظ فأوسط الأمور أن نجعل إسلامهما معا فقد أبطل بهذا ما احتج به لإمامة أبي بكر لأنه احتج بالسبق و قد عدل الآن عنه . قال أبو جعفر ويقال لهم لسنا نحتاج من ذكر سبق علي ع إلا مجامعتكم إيانا على أنه أسلم قبل الناس ودعواكم أنه أسلم و هو طفل دعوى غير مقبولة لا بحجة . فإن قلم ودعوتكم أنه أسلم و هو بالغ دعوى غير مقبولة إلا بحجة [صفحہ ۲۳۳] قلنا قد ثبت إسلامه بحكم إقراركم و لو كان طفلاً لكان في الحقيقة غير مسلم لأن اسم الإيمان والإسلام والكفر والطاعة والمعصية إنما يقع على البالغين دون الأطفال والمجانين و إذا أطلقتهم وأطلقنا اسم الإسلام فالأصل في الإطلاق الحقيقة كيف و قد قال النبي ص أنت أول من آمن بي و أنت أول من صدقني -رواية- ۱-۲-رواية- ۲۱-۶۴ قال لفاطمة زوجتك أقدمهم سلماً أو قال إسلاماً -رواية- ۱-۲-رواية- ۱۴-۴۸ فإن قالوا إنما دعاه النبي ص إلى الإسلام على جهة العرض لا التكليف . قلنا قد وافقتمونا على الدعاء وحكم الدعاء حكم الأمر والتكليف ثم ادعيتم أن ذلك كان على وجه العرض و ليس لكم أن تقبلوا معنى الدعاء عن وجهه إلا بحجة . فإن قالوا لعله كان على وجه التأييد والتعليم كما يعتمد مثل ذلك مع الأطفال قلنا إن ذلك إنما يكون إذا تمكن الإسلام بأهله أو عند النشوء عليه والولادة فيه فأما في دار الشرك فلا يقع مثل ذلك لاسيما إذا كان الإسلام غير معروف و لا معتاد بينهم على أنه ليس من سنة النبي ص دعاء أطفال المشركين إلى الإسلام والتفريق بينهم و بين آبائهم قبل أن يبلغوا الحلم . وأيضا فمن شأن الطفل اتباع أهله وتقليد أبيه والمضى على منشئه ومولده و قد كانت منزلة النبي ص حينئذ منزلة ضيق وشدة ووحدة و هذه منازل لا ينتقل إليها إلا من ثبت الإسلام عنده بحجة ودخل اليقين قلبه بعلم ومعرفة . فإن قالوا إن علياً كان يالف النبي ص فوافقه على طريق المساعدة له قلنا إنه و إن كان يالفه أكثر من أبويه وإخوته وعمومته و أهل بيته و لم يكن الإلف ليخرجه عما نشأ عليه و لم يكن الإسلام مما غذى به وكرر على سماعه [صفحہ ۲۳۴] لأن الإسلام هو خلع الأنداد والبراءة ممن أشرك بالله و هذا لا يجتمع في اعتقاد طفل . و من العجب قول العباس لعفيف بن قيس ننتظر الشيخ و ما يصنع فإذا كان العباس و حمزة ينتظران أباطال و يصدران عن رأيه فكيف يخالفه ابنه ويؤثر القلة على الكثرة ويفارق المحبوب إلى المكروه والعز إلى الذل والأمن إلى الخوف عن غير معرفة و لا علم بما فيه . فأما قوله إن المقلل يزعم أنه أسلم و هو ابن خمس سنين والمكثر يزعم أنه أسلم و هو ابن تسع سنين فأول ما يقال في ذلك إن الأخبار جاءت في سنة ع يوم أسلم على خمسة أقسام فجعلناه في قسمين الأول الذين قالوا أسلم و هو ابن خمس عشرة سنة حدثنا بذلك أحمد بن سعيد الأسدي عن إسحاق بن بشر القرشي عن الأوزاعي عن حمزة بن حبيب عن شداد بن أوس قال سألت خباب بن الأبرت عن إسلام علي فقال أسلم و هو ابن خمس عشرة سنة ولقد رأيته يصلى قبل الناس مع النبي ص و هو يومئذ بالغ مستحكم البلوغ و روى عبدالرزاق عن معمر عن قتادة عن الحسن أن أول من أسلم علي بن أبي طالب و هو ابن

خمس عشرة سنة. القسم الثاني الذين قالوا إنه أسلم و هو ابن أربع عشرة سنة رواه أبو قتادة الحراني عن أبي حازم الأعرج عن حذيفة بن اليمان قال كنا نعبد الحجارة ونشرب الخمر و على من أبناء أربع عشرة سنة قائم يصلى مع النبي ص ليلا ونهارا وقريش يومئذ تسافه رسول الله ص ما يذب عنه إلا على [صفحة ٢٣٥] ع وروى ابن أبي شيبه عن جرير بن عبد الحميد قال أسلم على و هو ابن أربع عشرة سنة. القسم الثالث الذين قالوا أسلم و هو ابن إحدى عشرة سنة رواه إسماعيل بن عبد الله الرقي عن محمد بن عمر عن عبد الله بن سمعان عن جعفر بن محمد عن أبيه عن محمد بن علي ع أن عليا حين أسلم كان ابن إحدى عشرة سنة -رواية ١-٢-رواية ١٢٩-١٧٣ روى عبد الله بن زياد المدني عن محمد بن علي الباقر قال أول من آمن بالله على بن أبي طالب و هو ابن إحدى عشرة سنة وهاجر إلى المدينة و هو ابن أربع وعشرين سنة -رواية ١-٢-رواية ٦٥-١٧٣. القسم الرابع الذين قالوا إنه أسلم و هو ابن عشر سنين رواه نوح بن دراج عن محمد بن إسحاق قال أول ذكر آمن وصدق بالنبوة على بن أبي طالب ع و هو ابن عشر سنين ثم أسلم زيد بن حارثة ثم أسلم أبو بكر و هو ابن ست وثلاثين سنة فيما بلغنا. القسم الخامس الذين قالوا إنه أسلم و هو ابن تسع سنين رواه الحسن بن عنبسه الوراق عن سليم مولى الشعبي عن الشعبي قال أول من أسلم من الرجال على بن أبي طالب و هو ابن تسع سنين و كان له يوم قبض رسول الله ص تسع وعشرون سنة. قال شيخنا أبو جعفر فهذه الأخبار كما تراها فيما أن يكون الجاحظ جهلها أو قصد العناد. فأما قوله فالقياس أن نأخذ بأوسط الأمرين من الروايتين فنقول إنه أسلم و هو ابن سبع سنين فإن هذاتحكم منه ويلزمه مثله في رجل ادعى قبل رجل عشرة [صفحة ٢٣٦] دراهم فأنكر ذلك و قال إنما يستحق قبلي أربعة دراهم فينبغي أن نأخذ الأمر المتوسط ويلزمه سبعة دراهم ويلزمه في أبي بكر حيث قال قوم كان كافرا و قال قوم كان إماما عادلا أن نقول أعدل الأقاويل أو سبطها و هو منزلة بين المنزلتين فنقول كان فاسقا ظالما وكذلك في جميع الأمور المختلف فيها. فأما قوله وإنما يعرف حق ذلك من باطله بأن نحصى سنى ولاية عثمان وعمر و أبي بكر وسنى الهجرة ومقام النبي ص بمكة بعد الرسالة إلى أن هاجر فيقال له لو كانت الروايات متفقة على هذه التاريخات لكان لهذا القول مساع و لكن الناس قد اختلفوا في ذلك فقل إن رسول الله ص أقام بمكة بعد الرسالة خمس عشرة سنة رواه ابن عباس وقيل ثلاث عشرة سنة وروى عن ابن عباس أيضا وأكثر الناس يرونه وقيل عشر سنين رواه عروة بن الزبير و هو قول الحسن البصرى وسعيد بن المسيب واختلفوا في سن رسول الله ص فقال قوم كان ابن خمس وستين وقيل كان ابن ثلاث وستين وقيل كان ابن ستين واختلفوا في سن علي ع فقل كان ابن سبع وستين وقيل كان ابن خمس وستين وقيل ابن ثلاث وستين وقيل ابن ستين وقيل ابن تسع وخمسين. فكيف يمكن مع هذه الاختلافات تحقيق هذه الحال وإنما الواجب أن يرجع إلى إطلاق قولهم أسلم على فإن هذا الاسم لا يكون مطلقا إلا على البالغ كما لا يطلق اسم الكافر إلا على البالغ على أن ابن إحدى عشرة سنة يكون بالغًا ويولد له الأولاد فقد روت الرواة أن عمرو بن العاص لم يكن أسن من ابنه عبد الله [صفحة ٢٣٧] إلا باثنتي عشرة سنة و هذا يوجب أنه احتلم وبلغ في أقل من إحدى عشرة سنة. وروى أيضا أن محمد بن عبد الله بن العباس كان أصغر من أبيه على بن عبد الله بن العباس بإحدى عشرة سنة فيلزم الجاحظ أن يكون عبد الله بن العباس حين مات رسول الله ص غير مسلم على الحقيقة و لا مثاب و لا مطيع بالإسلام لأنه كان ٠-يومئذ ابن عشر سنين رواه هشيم عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال توفي رسول الله ص و أنا ابن عشر سنين. قال الجاحظ فإن قالوا فعله و هو ابن سبع سنين أو ثمانى سنين قد بلغ من فطنته وذكائه وصحة لبه وصدق حدسه وانكشاف العواقب له و إن لم يكن جرب الأمور و لافتح الرجال و لانازع الخصوم ما يعرف به جميع ما يحب على البالغ معرفته والإقرار به قيل لهم إنما نتكلم على ظواهر الأحوال و ماشاهدنا عليه طبائع الأطفال فإننا وجدنا حكم ابن سبع سنين أو ثمان ما لم يعلم باطن أمره وخاصة طبعه حكم الأطفال و ليس لنا أن نزيل ظاهر حكمه و الذى نعرف من حال أفناء جنسه بلعل وعسى لأننا و إن كنا لاندري لعله قد كان ذا فضيلة فى الفطنة فلعله قد كان ذا نقص فيها. هذا على تجويز أن يكون على ع فى الغيب قد أسلم

و هو ابن سبع أوثمان إسلام البالغ غير أن الحكم على مجرى أمثاله وأشكاله الذين أسلموا وهم فى مثل سنه إذ كان إسلام هؤلاء عن تربية الحاضن وتلقين القيم ورياضة السائس .فأما عندالتحقيق فإنه لاتجوز لمثل ذلك لأنه لو كان أسلم و هو ابن سبع [صفحه ٢٣٨] أوثمان وعرف فضل ما بين الأنبياء والكهنة وفرق ما بين الرسل والسحرة وفرق ما بين خير النبى والمنجم وحتى عرف كيد الأريب وموضع الحجّة و بعدغور المتنبى كيف يلبس على العقلاء وتستمال عقول الدهماء وعرف الممكن فى الطبع من الممتنع وما يحدث بالاتفاق مما يحدث بالأسباب وعرف قدر القوى وغاية الحيلة ومنتهى التمويه والخديعة و ما لايحتمل أن يحدثه إلاالخالق سبحانه ومايجوز على الله فى حكمته مما لايجوز وكيف التحفظ من الهوى والاحتراس من الخداع لكان كونه على هذه الحال و هذه مع فرط الصبا والحدائثه وقلّة التجارب والممارسة خروجاً من العادة و من المعروف مما عليه تركيب هذه الخلقة و ليس يصل أحد إلى معرفة نبى وكذب متنبى حتى يجتمع فيه هذه المعارف التى ذكرناها والأسباب التى وصفناها وفصلناها و لو كان على ع هذه الصفة ومعه هذه الخاصية لكان حجة على العامة وآية تدل على النبوة و لم يكن الله عز و جل ليخصه بمثل هذه الأعجوبة إلا و هو يريد أن يحتج بها ويجعلها قاطعة لعذر الشاهد وحجة على الغائب و لو لا أن الله أخبر عن يحيى بن زكريا أنه آتاه الحكم صيباً و أنه أنطق عيسى فى المهدي ماكانا فى الحكم و لا فى المغيب إلاكسائر الرسل و ما عليه جميع البشر فإذا لم ينطق لعلى ع بذلك قرآن و لاجاء الخبر به مجيء الحجّة القاطعة والمشاهدة القائمة فالمعلوم عندنا فى الحكم أن طباعه كطباع عميه حمزة والعباس وهما أمس بمعدن جماع الخير منه أو كطباع جعفر وعقيل من رجال قومه وسادة رهطه و لو أن إنسانا ادعى مثل ذلك لأخيه جعفر أولعميه حمزة والعباس ما كان عندنا فى أمره إلا مثل ما عندنا فيه أجاب شيخنا أبو جعفررحمه الله فقال هذاكله مبنى على أنه أسلم و هو ابن سبع أوثمان ونحن قدينا أنه أسلم بالغا ابن خمس عشرة سنة أو ابن أربع عشرة سنة على [صفحه ٢٣٩] أنا لونزلنا على حكم الخصوم وقلنا ما هو الأشهر والأكثر من الرواية و هو أنه أسلم و هو ابن عشر لم يلزم مقاله الجاحظ لأن ابن عشر قديستجمع عقله ويعلم من مبادئ المعارف ما يستخرج به كثيرا من الأمور المعقولة ومتى كان الصبى عاقلا مميذا كان مكلفا بالعقليات و إن كان تكليفه بالشرعيات موقوفا على حد آخر وغاية أخرى فليس بمنكر أن يكون على ع و هو ابن عشر قدعقل المعجزة فلزمه الإقرار بالنبوة وأسلم إسلام عالم عارف لإسلام مقلد تابع و إن كان مانسقه الجاحظ وعدده من معرفة السحر والنجوم والفصل بينهما و بين النبوة ومعرفة مايجوز فى الحكمة مما لايجوز و ما لا يحدثه إلاالخالق والفرق بينه و بين مايقدر عليه القادرون بالقدرة ومعرفة التمويه والخديعة والتليس والمماكرة شرطا فى صحة الإسلام لماصح إسلام أبى بكر و لا عمر و لاغيرهما من العرب وإنما التكليف لهؤلاء بالجمل ومبادئ المعارف لابتدائها والغامض منها و ليس يفتقر الإسلام إلى أن يكون المسلم قدفاتح الرجال وجرب الأمور ونازع الخصوم وإنما يفتقر إلى صحة الغريزة وكمال العقل وسلامة الفطرة ألا ترى أن طفلا لونشأ فى دار لم يعاشر الناس بها و لا فاتح الرجال و لانا نازع الخصوم ثم كمل عقله وحصلت العلوم البديهيّة عنده لكان مكلفا بالعقليات .فأما توهمه أن عليا ع أسلم عن تربية الحاضن وتلقين القيم ورياضة السائس فلعمري إن محمداص كان حاضنه وقيمه وسائسه ولكن لم يكن منقطعاً عن أبيه أبى طالب و لا عن إخوته طالب وعقيل و جعفر و لا عن عمومته و أهل بيته و مازال مخالطاً لهم ممتزجا بهم مع خدمته لمحمدص فما باله لم يمل إلى الشرك وعبادة الأصنام لمخالطته إخوته وأباه وعمومته وأهله وهم كثير و محمدص واحد و أنت تعلم أن الصبى إذا كان له أهل ذوو كثرة وفيهم واحد [صفحه ٢٤٠] يذهب إلى رأى مفرد لا يوافققه عليه غيره منهم فإنه إلى ذوى الكثرة أميل و عن ذى الرأى الشاذ المنفرد أبعد و على أن عليا ع لم يولد فى دار الإسلام وإنما ولد فى دار الشرك وربى بين المشركين وشاهد الأصنام وعان بعينه أهله ورهطه يعبدونها فلو كان فى دار الإسلام لكان فى القول مجال ولقيل إنه ولد بين المسلمين فإسلامه عن تلقين الظنر و عن سماع كلمة الإسلام ومشاهدة شعاره لأنه لم يسمع غيره و لاخطر بباله سواه فلما لم يكن ولد كذلك ثبت أن إسلامه

إسلام المميز العارف بما دخل عليه و لو لا أنه كذلك لمامدحه رسول الله ص بذلك و لأرضى ابنته فاطمة لما وجدت من تزويجه بقوله لها زوجتك أقدمهم سلما و لاقرن إلى قوله وأكثرهم علما وأعظمهم حلما والحلم العقل وهذان الأمران غاية الفضل فلو لا أنه أسلم إسلام عارف عالم مميز لماضم إسلامه إلى العلم والحلم اللذين وصفه بهما وكيف يجوز أن يمدحه بأمر لم يكن مثابا عليه و لامعاقبا به لو تركه و لو كان إسلامه عن تلقين وتربية لمافتخر هوع به على رءوس الأشهاد و لاخطب على المنبر و هو بين عدو ومحارب وخاذل منافق فقال أنا عبد الله وأخو رسوله و أناالصديق الأكبر والفاروق الأعظم صليت قبل الناس سبع سنين وأسلمت قبل إسلام أبي بكر وآمنت قبل إيمانه فهل بلغكم أن أحدا من أهل ذلك العصر أنكر ذلك أو عابه أو ادعاه لغيره أو قال له إنما كنت طفلا أسلمت على تربية محمدص ذلك وتلقينه إياك كمايعلم الطفل الفارسيه والتركيه منذ يكون رضيعا فلافخر له فى تعلم ذلك وخصوصا فى عصر قدحارب فيه أهل البصره والشام والنهروان و قداعتورته الأعداء وهجته الشعراء فقال فيه النعمان بن بشير [صفحه ٢٤١] لقد طلب الخلفه من بعيد || وسارع فى الضلال أبو تراب معاوية الإمام و أنت منها || على وتح بمنقطع السراب و قال فيه أيضا بعض الخوارج دسنا له تحت الظلام ابن ملجم || جزاء إذا ماجء نفسا كتابها أباحسن خذها على الرأس ضربه || بكف كريم بعدموت ثوابها . و قال عمران بن حطان يمدح قاتله ياضربه من تقى ماأراد بها || لإليبلغ من ذى العرش رضوانا إنى لأذكره حيناً فأحسبه || أوفى البريه عند الله ميزانا فلو وجد هؤلاء سييلا إلى دحض حجة فيما كان يفخر به من تقدم إسلامه لبدءوا بذلك وتركوا ما لامعنى له . و قدأوردنا مامدحه الشعراء به من سبقه إلى الإسلام فكيف لم يرد على هؤلاء الذين مدحوه بالسبق شاعر واحد من أهل حربه ولقد قال فى أمهات الأولاد قولا خالف فيه عمر فذكروه بذلك وعابوه فكيف تركوا أن يعيبوه بما كان يفتخر به مما لافخر فيه عندهم وعابوه بقوله فى أمهات الأولاد. ثم يقال له خبرنا عن عبد الله بن عمر و قدأجازه النبى ص يوم الخندق و لم يجزه يوم أحد هل كان يميز ماذكرته وهل كان يعلم فرق ما بين النبى والمنتبئ ويفصل بين السحر والمعجزه إلى غيره مما عدت و فصلت . فإن قال نعم وتجاسر على ذلك قيل له فعلى ع بذلك أولى من ابن عمر لأنه أذكى وأفطن بلا خلاف بين العقلاء وأنى يشك فى ذلك و قدرويتم أنه [صفحه ٢٤٢] لم يميز بين الميزان والعود بعدطول السن وكثرة التجارب و لم يميز أيضا بين إمام الرشد وإمام الغى فإنه امتنع من بيعه على ع وطرق على الحجاج بابه ليلا ليبيع لعبد الملك كيلا يبيت تلك الليله بلا إمام زعم لأنه روى عن النبى ص أنه قال من مات و لإمام له مات ميتة جاهلييه و حتى بلغ من احتقار الحجاج له واسترداله حاله أن أخرج رجله من الفراش فقال أصفق بيدك عليها فذلك تمييزه بين الميزان والعود وهذااختياره فى الأئمه وحال على ع فى ذكائه وفطنته وتوقد حسه وصدق حدسه معلومه مشهوره فإذاجاز أن يصح إسلام ابن عمر ويقال عنه إنه عرف تلك الأمور التى سردها الجاحظ ونسقتها وأظهر فصاحته وتشدقه فيها فعلى بمعرفة ذلك أحق وبصحة إسلامه أولى . و إن قال لم يكن ابن عمر يعلم ويعرف ذلك فقد أبطل إسلامه وطعن فى رسول الله ص حيث حكم بصحة إسلامه وأجازه يوم الخندق لأنه ع كان قال لاأجيز إلاالبالغ العاقل ولذلك لم يجزه يوم أحد. ثم يقال له إن مانقوله فى بلوغ على ع الحد الذى يحسن فيه التكليف العقلى بل يجب و هو ابن عشر سنين ليس بأعجب من مجيء الولد لسته أشهر و قدصحح ذلك أهل العلم واستنبطوه من الكتاب و إن كان خارجا من التعارف والتجارب والعاده وكذلك مجيء الولد لسنتين خارج أيضا عن التعارف والعاده و قدصححه الفقهاء و الناس . ويروى أن معاذا لمانهى عمر عن رجم الحامل تركها حتى ولدت غلاما قدنبت ثنيتاه فقال أبوه ابنى ورب الكعبه ثبت ذلك سنه يعمل بهاالفقهاء و قدوجدنا العاده تقضى بأن الجارية تحيض لاثنى عشره سنه و أنه أقل سن تحيض فيه المرأة و قد [صفحه ٢٤٣] يكون فى الأقل نساء يحضن لعشر ولتسع و قدذكر ذلك الفقهاء و قد قال الشافعى فى اللعان لوجاءت المرأة بحمل وزوجها صبى له دون عشر سنين لم يكن ولدا له لأن من لم يبلغ عشر سنين من الصبيان لا يولد له و إن كان له عشر سنين جاز أن يكون الولد له و كان بينهما لعان إذا لم يقر به . و قال

الفقهاء أيضا إن نساء تهامة يحضن لتسع سنين لشدة الحر ببلادهن . قال الجاحظ و لو لم يعرف باطل هذه الدعوى من آثر التقوى وتحفظ من الهوى إلا بترك على ع ذكر ذلك لنفسه والاحتجاج به على خصمه و قدنازع الرجال وناوى الأكفاء وجامع أهل الشورى لكان كافيا ومتى لم تصح لعلى ع هذه الدعوى فى أيامه و لم يذكرها أهل عصره فهى عن ولده أعجز ومنهم أضعف . و لم ينقل أن عليا ع احتج بذلك فى موقف و لا ذكره فى مجلس و لا قام به خطيبا و لا أدلى به واثقا لاسيما و قدرضيه الرسول ص عندكم مفزعا ومعلما وجعله للناس إماما و لا ادعى له أحد ذلك فى عصره كما لم يدعه لنفسه حتى يقول إنسان واحد الدليل على إمامته أن النبى ص دعاه إلى الإسلام أو كلفه التصديق قبل بلوغه ليكون ذلك آية للناس فى عصره و حجة له ولولده من بعده فهذا كان أشد على طلحة و الزبير و عائشة من كل مادعاة من فضائله و سوابقه و ذكر قرابته . قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله إن مثل الجاحظ مع فضله و علمه لا يخفى عليه كذب [صفحة ٢٤٤] هذه الدعوى و فسادها ولكنه يقول ما يقوله تعصبا و عنادا و قدروى الناس كافة افتخار على ع بالسبق إلى الإسلام و أن النبى ص استنبى يوم الإثنين و أسلم على يوم الثلاثاء و أنه كان يقول صليت قبل الناس سبع سنين و أنه مازال يقول أنا أول من أسلم و يفتخر بذلك و يفتخر له به أولياؤه و مادحوه و شيعته فى عصره و بعدوفاته و الأمر فى ذلك أشهر من كل شهير و قد قدمنا منه طرفا و ما علمنا أحدا من الناس فيما خلا استخف بإسلام على ع و لا تهاون به و لا زعم أنه أسلم إسلام حدث غرير و طفل صغير و من العجب أن يكون مثل العباس و حمزة ينتظران أباطال و فعله ليصدرا عن رأيه ثم يخالفه على ابنه لغير رغبة و لا رهبة يؤثر القلة على الكثرة و الذل على العزة من غير علم و لا معرفة بالعاقبة و كيف ينكر الجاحظ و العثمانية أن رسول الله ص دعاه إلى الإسلام و كلفه التصديق . و قدروى فى الخبر الصحيح أنه كلفه فى مبدأ الدعوة قبل ظهور كلمة الإسلام و انتشارها بمكة أن يصنع له طعاما و أن يدعو له بنى عبدالمطلب فصنع له الطعام و دعاهم له فخرجوا ذلك اليوم و لم ينذرهم ص لكلمة قالها عمه أبولهب فكلفه فى اليوم الثانى أن يصنع مثل ذلك الطعام و أن يدعوهم ثانية فصنعه و دعاهم فأكلوا ثم كلمهم ص فدعاهم إلى الدين و دعاه معهم لأنه من بنى عبدالمطلب ثم ضمن لمن يوارزه منهم و ينصره على قوله أن يجعله أخاه فى الدين و وصيه بعد موته و خليفته من بعده فأمسكوا كلهم و أجابه هو وحده و قال أنا أنصرك على ما جئت به و أوازرك و أباعك فقال لهم لمارأى منهم الخذلان و منه النصر و شاهد منهم المعصية و منه الطاعة و عاين منهم الإباء و منه الإجابة هذا أخى و وصيى و خليفتى من بعدى فقاموا يسخرون و يضحكون و يقولون لأبى طالب أطع ابنك فقد أمره عليك فهل يكلف عمل [صفحة ٢٤٥] الطعام و دعاء القوم صغير مميز و غير عاقل و هل يؤتمن على سر النبوة طفل ابن خمس سنين أو ابن سبع و هل يدعى فى جملة الشيوخ و الكهول إلا عاقل لبيب و هل يضع رسول الله ص يده فى يده و يعطيه صفقة يمينه بالأخوة و الوصية و الخلافة إلا و هو أهل لذلك بالغ حد التكليف محتمل لولاية الله و عداوة أعدائه و ما بال هذا الطفل لم يأنس بأقرانه و لم يلصق بأشكاله و لم يرمع الصبيان فى ملاعبهم بعد إسلامه و هو كأحدهم فى طبقته ك بعضهم فى معرفته . و كيف لم ينزع إليهم فى ساعة من ساعاته فيقال دعاه داعى الصبا و خاطر من خواطر الدنيا و حملته الغرة و الحداثة على حضور لهوهم و الدخول فى حالهم بل مارأيناه إلا ماضيا على إسلامه مصمما فى أمره محققا لقوله بفعله قد صدق إسلامه بعفافه و زهده و لصق برسول الله ص من بين جميع من بحضرته فهو أمينه و أليفه فى دنياه و آخرته و قد قهر شهوته و جاذب خواطره صابرا على ذلك نفسه لما يرجو من فوز العاقبة و ثواب الآخرة و قد ذكر هو ع فى كلامه و خطبه بدء حاله و افتتاح أمره حيث أسلم لمادعا رسول الله ص الشجرة فأقبلت تخذ الأرض فقالت قريش ساحر خفيف السحر فقال على ع يا رسول الله أنا أول من يؤمن بك آمن بالله و رسوله و صدقتك فيما جئت به و أنا أشهد أن الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تصديقا لنبوتك و برهانا على صحة دعوتك فهل يكون إيمان قط أصح من هذا الإيمان و أوثق عقدة و أحكم مرة ولكن حتى العثمانية و غيظهم و عصبية الجاحظ و انحرافه مما لا حيلة فيه ثم لينظر المنصف وليدع الهوى جانبا ليعلم نعمة الله على ع بالإسلام حيث أسلم

على الوضع الذى أسلم عليه فإنه لولا الألف التي خص بها والهداية التي منحها لما كان إلا كعوض أقارب محمد ص وأهله فقد كان ممازجا له كمنزجته ومخالطا له كمخالطة كثير من أهله ورهطه و لم يستجب منهم [صفحة ٢٤٦] أحد له إلا بعد حين ومنهم من لم يستجب له أصلا فإن جعفر اع كان ملتصقا به و لم يسلم حينئذ و كان عتبة بن أبى لهب ابن عمه وصهره زوج ابنته و لم يصدقه بل كان شديدا عليه و كان لخديجة بنون من غيره و لم يسلموا حينئذ وهم ربائبه ومعه فى دار واحدة و كان أبوطالب أباه فى الحقيقة وكافله وناصره والمحامى عنه و من لولاه لم تقم له قائمة و مع ذلك لم يسلم فى أغلب الروايات و كان العباس عمه وصنو أبيه وكالقرين له فى الولادة والمنشأ والتربية و لم يستجب له إلا بعد حين طويل و كان أبولهب عمه وكدمه ولحمه و لم يسلم و كان شديدا عليه فكيف ينسب إسلام على ع إلى الإلف والتربية والقراية واللحمة والتلقين والحضانة والدار الجامعة وطول العشرة والأنس والخلوة و قد كان كل ذلك حاصلًا لهؤلاء أولئك منهم و لم يهتد أحد منهم إذ ذاك بل كانوا بين من جحد وكفر ومات على كفره و من أبطأ وتأخر وسبق بالإسلام وجاء سكيئا و قد فاز بالمنزلة غيره . وهل يدل تأمل حال على ع مع الإنصاف إلا على أنه أسلم لأنه شاهد الأعلام ورأى المعجزات وشم ريح النبوة ورأى نور الرسالة وثبت اليقين فى قلبه بمعرفة وعلم ونظر صحيح لا بتقليد ولا حمية ولا رغبة ولا رهبة إلا فيما يتعلق بأمر الآخرة. قال الجاحظ فلو أن عليا ع كان بالغا حيث أسلم لكان إسلام أبى بكر وزيد بن حارثة وخباب بن الأرت أفضل من إسلامه لأن إسلام المقتضب الذى لم يعتد به و لم يعود و لم يمرن عليه أفضل من إسلام الناشئ الذى ربي فيه ونشأ وحب [صفحة ٢٤٧] إليه و ذلك لأن صاحب التربية يبلغ حيث يبلغ و قد أسقط إلفه عنه مؤنة الروية والخاطر وكفاه علاج القلب واضطراب النفس وزيد وخباب و أبوبكر يعانون من كلفة النظر ومؤنة التأمل ومشقة الانتقال من الدين الذى قد طال إلفهم له ما هو غير خاف و لو كان على حيث أسلم بالغا مقتضبا كغيره ممن عددنا كان إسلامهم أفضل من إسلامه لأن من أسلم و هو يعلم أن له ظهرا كأبى طالب ورداء كبنى هاشم وموضعا فى بنى عبدالمطلب ليس كالحليف والمولى والتابع والعسيف والرجل من عرض قريش أو لست تعلم أن قريشا خاصة و أهل مكة عامة لم يقدروا على أذى النبى ص ما كان أبوطالب حيا وأيضا فإن أولئك اجتمع عليهم مع فراق الإلف مشقة الخاطر و على ع كان بحضرة رسول الله ص يشاهد الأعلام فى كل وقت ويحضر منزل الوحي فالبراهين له أشد انكشافا والخاطر على قلبه أقل اعتلاجا و على قدر الكلفة والمشقة يعظم الفضل ويكثر الأجر. قال أبو جعفر رحمه الله ينبغى أن ينظر أهل الإنصاف هذا الفصل ويقفوا على قول الجاحظ والأصم فى نصرته العثمانية واجتهادهما فى القصد إلى فضائل هذا الرجل وتهجينها فمرة يبطلان معناها ومرة يتوصلان إلى حط قدرها فلينظر فى كل باب اعتراضا فيه أين بلغت حيلتهما و ما صنعا فى احتيالهما فى قصصهما وسجعهما أ ليس إذا تأملتها علمت أنها ألفاظ ملفقة بلا معنى وأنها عليها شجى وبلاء و إلفا عسى أن تبلغ حيلة الحاسد ويغنى كيد الكائد الشائى لمن قد جل قدره عن النقص وأضاءت فضائله إضاءة الشمس وأين قول الجاحظ من دلائل السماء وبراهين الأنبياء و قد علم [صفحة ٢٤٨] الصغير والكبير والعالم والجاهل ممن بلغه ذكر على ع وعلم مبعث النبى ص أن عليا ع لم يولد فى دار الإسلام ولا غدى فى حجر الإيمان وإنما استضافه رسول الله ص إلى نفسه سنة القحط والمجاعة وعمره يومئذ ثمانى سنين فمكث معه سبع سنين حتى أتاه جبرئيل بالرسالة فدعاه و هو بالغ كامل العقل إلى الإسلام فأسلم بعدمشاهدة المعجزة و بعد إعمال النظر والفكرة و إن كان قد ورد فى كلامه أنه صلى سبع سنين قبل الناس كلهم وإنما يعنى ما بين الثمان والخمس عشرة و لم يكن حينئذ دعوة و لارسالة و لادعاء نبوة وإنما كان رسول الله ص يتعبد على ملء إبراهيم ودين الحنيفة ويتحنث ويجانب الناس ويعتزل ويطلب الخلوة وينقطع فى جبل حراء و كان على ع معه كالتابع والتلميذ فلما بلغ الحلم وجاءت النبى ص الملائكة وبشرته بالرسالة دعاه فأجابه عن نظر ومعرفة بالأعلام المعجزة فكيف يقول الجاحظ إن إسلامه لم يكن مقتضبا. و إن كان إسلامه ينقص عن إسلام غيره فى الفضيلة لما كان يمرن عليه من التعبد مع رسول الله ص قبل الدعوة لتكون

طاعة كثير من المكلفين أفضل من طاعة رسول الله ص وأمثاله من المعصومين لأن العصمة عند أهل العدل لطف يمنع من اختصاص به من ارتكاب القبيح فمن اختص بذلك اللطف كانت الطاعة عليه أسهل فوجب أن يكون ثوابه أنقص من ثواب من أطاع مع تلك الألفاظ . وكيف يقول الجاحظ إن إسلامه ناقص عن إسلام غيره وقد جاء في الخبر أنه أسلم يوم الثلاثاء واستنبت النبي ص يوم الإثنين فمن هذه حاله لم تكثر حجج الرسالة على سمعه ولا تواترت أعلام النبوة على مشاهدته ولا تطاول الوقت عليه لتخف محنته ويسقط ثقل تكليفه بل بان فضله وظهر حسن اختياره لنفسه إذ أسلم في حال بلوغه وعانى نوازع طبعه ولم يؤخر ذلك بعد سماعه . [صفحہ ۲۴۹] وقد غمر الجاحظ في كتابه هذا أن أبابكر كان قبل إسلامه مذكورا ورئيسا معروفا يجتمع إليه كثير من أهل مكة فينشدون الأشعار ويتذاكرون الأخبار ويشربون الخمر وقد كان سمع دلائل النبوة وحجج الرسل وسافر إلى البلدان ووصلت إليه الأخبار وعرف دعوى الكهنة وحيل السحرة و من كان كذلك كان انكشاف الأمور له أظهر والإسلام عليه أسهل والخواطر على قلبه أقل اعتلاجاً و كل ذلك عون لأبي بكر على الإسلام ومسهل إليه سبيله ولذلك لما قال النبي ص أتيت بيت المقدس سأله أبو بكر عن المسجد وموضعه فصدقه وبان له أمره وخفت مئنته لما تقدم من معرفته بالبيت فخرج إذ إسلام أبي بكر على قول الجاحظ من معنى المقتضب و في ذلك رويتم عنه ص أنه قال مادعوت أحدا إلى الإسلام إلا و كان له تردد ونبوة إلا- ما كان من أبي بكر فإنه لم يتلثم حتى هجم به اليقين إلى المعرفة والإسلام -روایت-۱-۲-روایت-۲۱-۱۵۶ فأين هذا وإسلام من خلى وعقله وألجى إلى نظره مع صغر سنه واعتلاج الخواطر على قلبه ونشأته في ضد مادخل فيه والغالب على أمثاله وأقرانه حب اللعب واللهو فلجأ إلى مظاهر له من دلائل الدعوة و لم يتأخر إسلامه فيلزمه التقصير بالمعصية فقهر شهوته وغالب خواطره وخرج من عادته و ما كان غدى به لصحة نظره ولطافة فكره وغامض فهمه فعظم استنباطه ورجح فضله وشرف قدر إسلامه و لم يأخذ من الدنيا بنصيب و لاتنعم فيها بنعيم حدثا ولا كبيراً وحمى نفسه عن الهوى وكسر شره حدائته بالتقوى واشتغل بهم الدين عن نعيم الدنيا وأشغل هم الآخرة قلبه ووجه إليه رغبته فإسلامه هو السبيل الذي لم يسلم عليه أحد غيره و ماسبيله في ذلك إلاكسيسيل الأنبياء ليعلم أن منزلته من النبي ص كمنزلة هارون من موسى وأنه وإن لم يكن نبيا فقد كان في سبيل الأنبياء سالكا ولمنهاجهم متبعا وكانت حاله كحال ابراهيم ع فإن [صفحہ ۲۵۰] أهل العلم ذكروا أنه لما كان صغيرا جعلته أمه في سرب لم يطلع عليه أحد فلما نشأ ودرج وعقل قال لأمه من ربي قالت أبوك قال فمن رب أبي فزبرته ونهرته إلى أن طلع من شق السرب فرأى كوكبا فقال هذاربي فلما أفل قال لأحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذاربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذاربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إنى برىء مما تشركون إنى وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا و ما أنا من المشركين و في ذلك يقول الله جل ثناؤه وَ كَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ وَ عَلَى هَذَا كَانَ إِسْلَامُ الصِّدِّيقِ الْأَكْبَرِ ع لَسْنَا نَقُولُ إِنَّهُ كَانَ مَسَاوِيَا لَهُ فِي الْفَضِيلَةِ وَلَكِنْ كَانَ مُقْتَدِيَا بِطَرِيقِهِ عَلَى مَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَ هَذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اللَّهُ وَ لِيِّ الْمُؤْمِنِينَ وَ أَمَا عِتْلَالُ الْجَاحِظِ بِأَنْ لَهُ ظَهَرَ كَأَبِي طَالِبٍ وَرَدَّأ كَبْنِي هَاشِمٍ فَإِنَّهُ يُوجِبُ عَلَيْهِ أَنْ تَكُونَ مَحْنَةُ أَبِي بَكْرٍ وَبِلَالٍ وَثَوَابُهُمَا وَفَضْلُ إِسْلَامِهِمَا أَعْظَمُ مِمَّا لِرَسُولِ اللَّهِ ص لِأَنَّ أَبَاطَالِبَ ظَهَرَ وَبَنِي هَاشِمٍ رَدُّوهُ وَحَسْبُكَ جَهْلًا مِنْ مَعَانِدٍ لَمْ يَسْتَطِعْ حِطُّ قَدْرِ عَلَى عِ الْإِبْحَظَةِ مِنْ قَدْرِ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَشَدَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص مِنْ قَرَابَاتِهِ الْأَدْنَى مِنْهُمْ فَالْأَدْنَى كَأَبِي لَهَبٍ عَمَهُ وَامْرَأَهُ أَبِي لَهَبٍ وَهِيَ أُمُّ جَمِيلِ بِنْتِ حَرْبِ بْنِ أُمِيَّةٍ وَإِحْدَى أَوْلَادِ عَبْدِمَنَافٍ ثُمَّ مَا كَانَ مِنْ عَقْبَةِ بْنِ أَبِي مَعِيْطٍ وَ هُوَ ابْنُ عَمِّهِ وَ مَا كَانَ مِنَ النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ وَ هُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِالدَّارِ بْنِ قِصَى وَ هُوَ ابْنُ عَمِّهِ أَيْضًا وَ غَيْرُهُؤَلَاءِ مِمَّنْ يَطْوُلُ تَعْدَادُهُ وَ كَلِّهِمْ كَانَ يَطْرَحُ الْأَذَى فِي طَرِيقِهِ وَيَنْقُلُ أَخْبَارَهُ وَيُرْمِيهِ بِالْحِجَارَةِ وَيُرْمِي الْكِرْشَ -قرآن- ۵۳۴-۶۲۴-قرآن- ۷۵۷-۸۷۷] [صفحہ ۲۵۱] والفرث عليه وكانوا يؤذون عليا ع كأذاه ويجتهدون في غمه ويستهزءون به و ما كان لأبي بكر قرابة تؤذيه كقرابة

على و لما كان بين علي و بين النبي ص من الاتحاد والإلف والاتفاق أحجم المنافقون بالمدينة عن أذى رسول الله ص خوفا من سيفه ولأنه صاحب الدار والجيش وأمره مطاع وقوله نافذ فخافوا على دمائهم منه فاتقوه وأمسكوا عن إظهار بغضه وأظهروا بغض على ع وشنآنه فقال رسول الله ص في حقه في الخبر الذي روى في جميع الصحاح لا يجبك إلا مؤمن و لا يبغضك إلا منافق -رواية- ١-٢-رواية- ٣٥-٧٤ وقال كثير من أعلام الصحابة كما روى في الخبر المشهور بين المحدثين ما كنا نعرف المنافقين إلا ببغض علي بن أبي طالب -رواية- ١-٢-رواية- ٣٨-٩٠ وأين كان ظهر أبي طالب عن جعفر و قد أزعجه الأذى عن وطنه حتى هاجر إلى بلاد الحبشة وركب البحر أيتوهم الجاحظ أن أباطالب نصر عليا وخذل جعفرا. قال الجاحظ ولأبي بكر فضيلة في إسلامه أنه كان قبل إسلامه كثير الصديق عريض الجاه ذا يسار وغنى يعظم لماله ويستفاد من رأيه فخرج من عز الغنى وكثرة الصديق إلى ذل الفاقة وعجز الوحدة وهذا غير إسلام من لا حراك به و لا عز له تابع غير متبوع لأن من أشد ما يتلى الكريم به السب بعد التحية والضرب بعد الهيبة والعسر بعد اليسر ثم كان أبو بكر دعيه من دعاة الرسول و كان يتلوه في جميع أحواله فكان الخوف إليه أشد والمكروه نحوه أسرع و كان ممن تحسن مطالبته و لا يستحيا من إدراك الثأر عنده لنباهته و بعد ذكره والحدث الصغير يزدرى ويحتقر لصغر سنه وخمول ذكره . [صفحہ ٢٥٢] قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله أما ما ذكر من كثرة المال والصديق واستفاضة الذكر و بعد الصيت وكبر السن فكله عليه لا له و ذلك لأنه قد علم أن من سيرة العرب وأخلاقها حفظ الصديق والوفاء بالذمام والتبيب لذى الثروة واحترام ذى السن العالية و في كل هذا ظهر شديد وسند وثقة يعتمد عليها عند المحن ولذلك كان المرء منهم إذا تمكن من صديقه أبقى عليه واستحيا منه و كان ذلك سببا لنجاته والعفو عنه على أن على بن أبي طالب ع إن لم يكن شهره سنة فقد شهره نسبه وموضعه من بني هاشم و إن لم يستفص ذكره بقاء الرجال وكثرة الأسفار استفاض بأبي طالب فأنتم تعلمون أنه ليس تيم في بعد الصيت كهاشم و لا أبو جحافة كأبي طالب و على حسب ذلك يعلو ذكر الفتى على ذى السن ويعد صيت الحدث على الشيخ ومعلوم أيضا أن عليا على أعناق المشركين أثقل إذ كان هاشميا و إن كان أبوه حامى رسول الله ص والمانع لحوزته و على هو الذى فتح على العرب باب الخلاف واستهان بهم بما أظهر من الإسلام والصلاة وخالف رهطه وعشيرته وأطاع ابن عمه فيما لم يعرف من قبل و لاعهد له نظير كما قال تعالى لَتُنذِرَ قَوْمًا مَا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ثم كان بعد صاحب رسول الله ص ومشتكى حزنه وأنيسه فى خلوته وجليسه وأليفه فى أيامه كلها و كل هذا يوجب التحريض عليه ومعاداة العرب له ثم أنتم معاشر العثمانية تثبتون لأبي بكر فضيلة بصحبة الرسول ص من مكة إلى يثرب ودخوله معه فى الغار فقلتم مرتبة شريفة وحالة جلييلة إذ كان شريكه فى الهجرة وأنيسه فى الوحشة فأين هذه من صحبة على ع له فى خلوته وحيث لا يجد أنيسا غيره ليله ونهاره أيام مقامه بمكة يعبد الله -قرآن- ١٠٠٩-١٠٦٠ [صفحہ ٢٥٣] معه سرا ويتكلف له الحاجة جهرا ويخدمه كالعبد يخدم مولاه ويشفق عليه ويحوطه وكالولد يبر والده ويعطف عليه و لما سئلت عائشة من كان أحب الناس إلى رسول الله ص قالت أما من الرجال فعلى و أما من النساء ففاطمة -رواية- ١-١٠٦ . قال الجاحظ و كان أبو بكر من المفتونين المعذبين بمكة قبل الهجرة فضربه نوفل بن خويلد المعروف بابن العدووية مرتين حتى أدماه وشده مع طلحة بن عبيد الله فى قرن وجعلهما فى الهاجرة عمير بن عثمان بن مرة بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ولذلك كانا يدعيان القرينين و لو لم يكن له غير ذلك لكان لحاقه عسيرا وبلوغ منزلته شديدا و لو كان يوما واحدا لكان عظيما و على بن أبي طالب رافه وادع ليس بمطلوب و لا طالب و ليس أنه لم يكن فى طبعه الشهامة والنجدة و فى غريزته البسالة فى الشجاعة لكنه لم يكن قدمت أدواته و لا استكملت آلته ورجال الطلب وأصحاب الثأر يغمصون ذا الحدائث ويزدرون بذى الصبا والغرارة إلى أن يلحق بالرجال ويخرج من طبع الأطفال . قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله أما القول فممكنا والدعوى سهلة سيما على مثل الجاحظ فإنه ليس على لسانه من دينه وعقله رقيب و هو من دعوى الباطل غير بعيد فمعناه نزر و قوله لغو ومطلبه سجع و كلامه لعب ولهو يقول الشىء وخلافه

ويحسن القول وضده ليس له من نفسه واعظ و لالدعواه حد قائم و لإفكيهف تجاسر على القول بأن عليا حينئذ لم يكن مطلوباً و لاطالبا و قدينا بالأخبار الصحيحة والحديث المرفوع المسند أنه كان يوم أسلم بالغاً كاملاً منابذاً بلسانه وقلبه لمشركى قريش [صفحة ٢٥٤] ثقيلاً- على قلوبهم و هوالمخصوص دون أبى بكر بالحصار فى الشعب وصاحب الخلوات برسول الله ص فى تلك الظلمات المتجرع لغصص المرار من أبى لهب و أبى جهل وغيرهما والمصطفى لكل مكروه والشريك لنيبه فى كل أذى قدنهض بالحمل الثقيل وبان بالأمر الجليل و من أذى كان يخرج ليلا من الشعب على هيئة السارق ويخفى نفسه ويضائل شخصه حتى يأتى إلى من يبعثه إليه أبو طالب من كبراء قريش كمطعم بن عدى وغيره فيحمل لبنى هاشم على ظهره أعدال الدقيق والقمح و هو على أشد خوف من أعدائهم كأبى جهل وغيره لوظفروا به لأراقوا دمه أ على كان يفعل ذلك أيام الحصار فى الشعب أم أبوبكر و قد ذكر هوع حاله يومئذ فقال فى خطبة له مشهورة فتعاقدوا ألا يعاملونا ولايناكحونا وأوقدت الحرب علينا نيرانها واضطرونا إلى جبل وعر مؤمنا يرجو الثواب وكافرنا يحامى عن الأصل ولقد كانت القبائل كلها اجتمعت عليهم وقطعوا عنهم المارة والميرة فكانوا يتوقعون الموت جوعا صباحا ومساء لا يرون وجها ولا فرجا قداضمحل عزمهم وانقطع رجاؤهم -رواية-١-٢-رواية-٢٧-٣٢٠ فمن أذى خلص إليه مكروه تلك المحن بعد محمدص إلا على ع وحده و ماعسى أن يقول الواصف والمطنب فى هذه الفضيلة من تقضى معانيها وبلوغ غاية كنهها وفضيلة الصابر عندها ودامت هذه المحنة عليهم ثلاث سنين حتى انفرجت عنهم بقصة الصحيفة والقصة مشهورة. وكيف يستحسن الجاحظ لنفسه أن يقول فى على ع إنه قبل الهجرة كان وادعا رافها لم يكن مطلوباً و لاطالبا و هو صاحب الفراش أذى فدى رسول الله ص بنفسه ووقاه بمهجته واحتمل السيوف ورضح الحجارة دونه وهل ينتهى الواصف و إن أطب والمادح و إن أسهب إلى الإبانة عن مقدار هذه الفضيلة والإيضاح بمزية هذه الخصيصة. [صفحة ٢٥٥] فأما قوله إن أبابكر عذب بمكة فإننا لانعلم أن العذاب كان واقعا إلابعده أو عسيف أولمن لاعشيرة له تمنعه فأنتم فى أبى بكر بين تارة تجعلونه دخيلاً- ساقطاً وهجيناً رذيلاً مستضعفاً ذليلاً وتارة تجعلونه رئيساً متبعا وكبيراً مطاعاً فاعتمدوا على أحد القولين لنكلمكم بحسب ماتخارونه لأنفسكم و لو كان الفضل فى الفتنة والعذاب لكان عمار وخباب وبلال و كل معذب بمكة أفضل من أبى بكر لأنهم كانوا من العذاب فى أكثر مما كان فيه ونزل فيهم من القرآن ما لم ينزل فيه كقوله تعالى وَ الَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا قَالُوا نَزَلَتْ فِي خِابٍ وَ بِلَالٍ وَ نَزَلَ فِي عَمَارٍ قَوْلُهُ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَمُرُّ عَلَى عَمَارٍ وَ أَبِيهِ وَأُمِّهِ وَ هُمْ يَعَذِّبُونَ يَعَذِّبُهُمْ بَنُو مَخْرُومٍ لِأَنَّهُمْ كَانُوا حُلَفَاءَهُمْ -قرآن-٤٨٥-٥٣٧-قرآن-٥٨٥-٦٣٤ فيقول صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة -رواية-١-٢-رواية-٩-٤١ و كان بلال يقبل على الرمضاء و هو يقول أحد أحد و ماسمعنا لأبى بكر فى شىء من ذلك ذكرا ولقد كان لعلى ع عنده يد غراء إن صح مارويتموه فى تعذيبه لأنه قتل نوفل بن خويلد وعمير بن عثمان يوم بدر ضرب نوفلا فقطع ساقه فقال أذكرك الله والرحم فقال قد قطع الله كل رحم وصهر إلا من كان تابعا لمحمد ثم ضربه أخرى ففاضت نفسه وصمد لعمر بن عثمان التميمى فوجده يروم الهرب و قد ارتج عليه المسلك فضربه على شراسيف صدره فصار نصفه الأعلى بين رجليه و ليس أن أبابكر لم يطلب بثأره منهما ويجتهد لكنه لم يقدر على أن يفعل فعل على ع فبان على ع بفعله دونه قال الجاحظ ولأبى بكر مراتب لا يشركه فيها على و لا غيره و ذلك قبل الهجرة [صفحة ٢٥٦] فقد علم الناس أن عليا ع إنما ظهر فضله وانتشر صيته وامتحن ولقى المشاق منذ يوم بدر و أنه إنما قاتل فى الزمان الذى استوفى فيه أهل الإسلام و أهل الشرك وطمعوا فى أن يكون الحرب بينهم سجالا وأعلمهم الله تعالى أن العقابة للمتقين و أبوبكر كان قبل الهجرة معذبا ومطرودا مشردا فى الزمان الذى ليس بالإسلام وأهله نهوض و لا حركة ولذلك قال أبوبكر فى خلافته طوبى لمن مات فى فأفة الإسلام يقول فى ضعفه . قال أبو جعفر رحمه الله لأشك أن الباطل خان أباعثمان والخطأ أقعده والخذلان أصاره إلى الحيرة فما علم وعرف حتى قال ما قال فزعم أن عليا ع قبل الهجرة لم يمتحن و لم يكابد

المشاقق و أنه إنما قاسى مشاق التكليف ومحن الابتلاء منذ يوم بدر ونسى الحصار فى الشعب و مامنى به منه و أبوبكر وادع رافه يأكل ما يريد و يجلس مع من يحب مخلى سر به طيبه نفسه ساكنا قلبه و على يقاسى الغمرات و يكابد الأهوال و يجوع و يظمأ و يتوقع القتل صباحا و مساء لأنه كان هو المتوصل المحتال فى إحضار قوت زهيد من شيوخ قريش و عقلائها سرا ليقيم به رمق رسول الله ص وبنى هاشم و هم فى الحصار و لا يأمى فى كل وقت مفاجئه أعداء رسول الله ص له بالقتل كأبى جهل بن هشام و عقبه بن أبى معيط و الوليد بن المغيرة و عتبة بن ربيعة و غيرهم من فراعنة قريش و جابرتها و لقد كان يجيع نفسه و يطعم رسول الله ص زاده و يظمئ نفسه و يسقيه ماءه و هو كان المعلل له إذ مرض و المؤمنس له إذا استوحش و أبوبكر بنجوه عن ذلك لا يمسه مما يمسه ألم و لم يلحقه مما يلحقهم مشقة و لا يعلم بشىء من أخبارهم و أحوالهم إلا على سبيل الإجمال دون التفصيل ثلاث سنين محرمة معاملتهم و مناكحتهم و مجالستهم محبوسين محصورين ممنوعين من الخروج [صفحہ ۲۵۷] و التصرف فى أنفسهم فكيف أهمل الجاحظ هذه الفضيلة و نسى هذه الخصيصة و لا نظير لها و لكن لا يبالى الجاحظ بعد أن يسوغ له لفظه و تنسق له خطابته ماضيع من المعنى و رجع عليه من الخطأ. فأما قوله و اعلموا أن العاقبة للمتقين ففيه إشارة إلى معنى غامض قصده الجاحظ يعنى أن لافضيلة لعلى ع فى الجهاد لأن الرسول كان أعلمه أنه منصور و أن العاقبة له و هذا من دسائس الجاحظ و همزاته و لمزاته و ليس بحق ما قاله لأن رسول الله ص أعلم أصحابه جملة أن العاقبة لهم و لم يعلم واحدا منهم بعينه أنه لا يقتل لاعليا و لا غيره و إن صح أنه كان أعلمه أنه لا يقتل فلم يعلمه أنه لا يقطع عضو من أعضائه و لم يعلمه أنه لا يمسه ألم جراح فى جسده و لم يعلمه أنه لا يناله الضرب الشديد. و على أن رسول الله ص قد أعلم أصحابه قبل يوم بدر و هو يومئذ بمكة أن العاقبة لهم كما أعلم أصحابه بعد الهجرة ذلك فإن لم يكن لعلى و المجاهدين فضيلة فى الجهاد بعد الهجرة لإعلامه إياهم ذلك فلا فضيلة لأبى بكر و غيره فى احتمال المشاق قبل الهجرة لإعلامه إياهم بذلك فقد جاء فى الخبر أنه وعد أبابكر قبل الهجرة بالنصر و أنه قال له أرسلت إلى هؤلاء بالذبح و إن الله تعالى سيغنمنا أموالهم و يملكنا ديارهم فالقول فى الموضوعين متساو و متفق . قال الجاحظ و إن بين المحنة فى الدهر الذى صار فيه أصحاب النبى ص مقرنين لأهل مكة و مشركى قريش و معهم أهل يثرب أصحاب النخيل و الآطام و الشجاعة و الصبر و المواساة و الإيثار و المحاماة و العدد الدثر و الفعل الجزل و بين الدهر الذى كانوا فيه بمكة يفتنون و يشتمون و يضربون و يشردون و يجوعون و يعطشون [صفحہ ۲۵۸] مهوورين لا حراك بهم و أذلاء لا عزلهم و فقراء لا مال عندهم و مستخفين لا يمكنهم إظهار دعوتهم لفرقا واضحا و لقد كانوا فى حال أحوجت لوطا و هونبى إلى أن قال لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد و قرآن - ۱۶۱ - ۲۱۴ قال النبى ص عجت من أخى لوط كيف قال أو آوى إلى ركن شديد و هو آوى إلى الله تعالى - ۱ - ۲ - روايت - ۱۸ - ۱۰۲ ثم لم يكن ذلك يوما و لا يومين و لا شهرا و لا شهرين و لا عاما و لا عامين و لكن السنين بعد السنين و كان أغلظ القوم و أشدهم محنة بعد رسول الله ص أبوبكر لأنه أقام بمكة ما أقام رسول الله ص ثلاث عشرة سنة و هو أوسط ما قالوا فى مقام النبى ص . قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله مانرى الجاحظ احتج لكون أبى بكر أغلظهم و أشدهم محنة إلا بقوله لأنه أقام بمكة مدة مقام الرسول ص بها و هذه الحجة لا تخص أبابكر وحده لأن عليا ع أقام معه هذه المدة و كذلك طلحة و زيد و عبد الرحمن و بلال و خباب و غيرهم و قد كان الواجب عليه أن يخص أبابكر وحده بحجة تدل على أنه كان أغلظ الجماعة و أشدهم محنة بعد رسول الله ص فلاحتجاج فى نفسه فاسد. ثم يقال له ما بالك أهملت أمر مبيت على ع على الفراش بمكة ليلة الهجرة هل نسيته أم تناسيته فإنها المحنة العظيمة و الفضيلة الشريفة التى متى امتحنها الناظر و أجال فكره فيهارأى تحتها فضائل متفرقة و مناقب متغايرة و ذلك أنه لما استقر الخبر عند المشركين أن رسول الله ص مجمع على الخروج من بينهم للهجرة [صفحہ ۲۵۹] إلى غيرهم قصدوا إلى معاجلته و تعاقدوا على أن يبيتوه فى فراشه و أن يضربوه بأسيايف كثيرة بيد كل صاحب قبيلة من قريش سيف منها ليضيع دمه بين الشعوب و يتفرق بين القبائل و لا يطلب بنو هاشم بدمه قبيلة واحدة بعينها

من بطون قريش وتحالفوا على تلك الليلة واجتمعوا عليها فلما علم رسول ص ذلك من أمرهم دعا أوثق الناس عنده وأمثلهم في نفسه وأبذلهم في ذات الإله لمهجته وأسرعهم إجابة إلى طاعته فقال له إن قريشا قد تحالفت على أن تبيتني هذه الليلة فامض إلى فراشي ونم في مضجعي والتف في بردى الحضرمي ليروا أني لم أخرج وإني خارج إن شاء الله -روايت- ١-١٦٠ فمنعه أولاً من التحرز وإعمال الحيلة وصدده عن الاستظهار لنفسه بنوع من أنواع المكاييد والجهات التي يحتاط بها الناس لنفوسهم وألجأه إلى أن يعرض نفسه لظلمات السيوف الشحيذة من أيدي أرباب الحنق والغیظة فأجاب إلى ذلك سامعاً مطيعاً طيباً بهانفسه ونام على فراشه صابراً محتسباً واقياً له بمهجته ينتظر القتل ولا يعلم فوق بذل النفس درجةً يلتمسها صابر ولا يبلغها طالب والوجود بالنفس أقصى غاية الجود ولو لا- أن رسول الله ص علم أنه أهل لذلك لمأهله ولو كان عنده نقص في صبره أو في شجاعته أو في مناصحته لابين عمه واختير لذلك لكان من اختاره ص منقوضاً في رأيه مضرراً في اختياره ولا يجوز أن يقول هذا أحد من أهل الإسلام وكلهم مجمعون على أن الرسول ص عمل الصواب وأحسن في الاختيار. ثم في ذلك إذ تأمله المتأمل وجوه من الفضل منها أنه وإن كان عنده في موضع الثقة فإنه غير مأمون عليه ألا يضبط السر فيفسد التدبير بإفشائه تلك الليلة إلى من يليه إلى الأعداء. ومنها أنه وإن كان ضابطاً للسر وثقةً عند من اختاره فغير مأمون عليه الجين عند [صفحة ٢٦٠] مفاجأة المكروه ومباشرة الأهوال فيفر من الفراش فيفطن لموضع الحيلة ويطلب رسول الله ص فيظفر به . ومنها أنه وإن كان ضابطاً للسر شجاعاً نجداً فلعله غير محتمل للمبيت على الفراش لأن هذا أمر خارج عن الشجاعة إن كان قد قامه مقام المكتوف الممنوع بل هو أشد مشقةً من المكتوف الممنوع لأن المكتوف الممنوع يعلم من نفسه أنه لا سبيل له إلى الهرب وهذا يجد السبيل إلى الهرب وإلى الدفع عن نفسه ولا يهرب ولا يدافع . ومنها أنه وإن كان ثقةً عنده ضابطاً للسر شجاعاً محتملاً للمبيت على الفراش فإنه غير مأمون أن يذهب صبره عند العقوبة الواقعة والعذاب النازل بساحته حتى يبوح بما عنده ويصير إلى الإقرار بما يعلمه وهو أنه أخذ طريق كذا فيطلب فيؤخذ فلماذا قال علماء المسلمين إن فضيلةً على ع تلك الليلة لانعلم أحداً من البشر نال مثلاً إلا ما كان من إسحاق و ابراهيم عند استسلامه للذبح ولو لا أن الأنبياء لا يفضلهم غيرهم لقلنا إن محنةً على أعظم لأنه قدرى أن إسحاق تلكاً لمأمره أن يضطجع وبكى على نفسه وقد كان أبوه يعلم أن عنده في ذلك وقفةً ولذلك قال له فأنظر ما ذا ترى وحال على ع بخلاف ذلك لأنه ماتلكاً ولا تتعنع ولا تغير لونه ولا اضطربت أعضاؤه ولقد كان أصحاب النبي ص يشيرون عليه بالرأى المخالف لما كان أمر به وتقدم فيه فيتركه ويعمل بما أشاروا به كما جرى يوم الخندق في مصانعة الأحزاب بثلت تمر المدينة فإنهم أشاروا عليه بترك ذلك فتركه وهذه كانت قاعدته معهم وعادته بينهم وقد كان لعلى ع أن يعتل بعله وأن يقف ويقول يا رسول الله أكون معك أحميك من العدو وأذب بسيفي عنك فلست قرآن-٩٨٤-١٠٠١ [صفحة ٢٦١] مستغنياً في خروجك عن مثلي ونجعل عبداً من عبيدنا في فراشك قائماً مقامك يتوهم القوم برؤيته نائماً في بردك أنك لم تخرج ولم تفارق مركزك فلم يقل ذلك ولا تحبس ولا توقف ولا تلثم ذلك لعلم كل واحد منهما أن أحداً لا يصبر على ثقل هذه المحنة ولا يتورط هذه الهلكة إلا- من خصه الله تعالى بالصبر على مشقتها والفوز بفضيلتها وله من جنس ذلك أفعال كثيرة كيوم دعا عمرو بن عبدود المسلمين إلى المبارزة فأحجم الناس كلهم عنه لما علموا من بأسه وشدته ثم كرر النداء فقام على ع فقال أنا أبرز إليه فقال له رسول الله ص إنه عمرو قال نعم وأنا على -روايت- ١-٢-روايت- ٩-٧٨ فأمره بالخروج إليه فلما خرج قال ص برز الإيمان كله إلى الشرك كله -روايت- ١-٢-روايت- ١١-٤٥ وكيوم أحد حيث حمى رسول الله ص من أبطال قريش وهم يقصدون قتله فقتلهم دونه حتى قال جبرئيل ع يا محمد إن هذه هي المواساة فقال إنه منى وأنا منه -روايت- ١-٢-روايت- ٩-٣٠ فقال جبريل وأنا منكما ولو عدنا أيامه ومقاماته التي شرى فيها نفسه لله تعالى لأطلنا وأسهبنا قال الجاحظ فإن احتج محتج لعلى ع بالمبيت على الفراش فبين الغار والفراش فرق واضح لأن الغار وصحبة أبي بكر للنبي ص قد نطق به القرآن فصار كالصلاة والزكاة

وغيرهما مما نطق به الكتاب وأمر على ع ونومه على الفراش و إن كان ثابتا صحيحا إلا أنه لم يذكر في القرآن وإنما جاء مجيء الروايات والسير وهذا لا يوازن هذا ولا يكايه . قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله هذا فرق غير مؤثر لأنه قد ثبت بالتواتر حديث [صفحة ٢٦٢] الفراش فلا فرق بينه وبين ما ذكر في نص الكتاب ولا يجحد إلا مجنون أو غير مخالط لأهل الملة أريت كون الصلوات خمسا وكون زكاة الذهب ربع العشر وكون خروج الريح ناقضا للطهارة وأمثال ذلك مما هو معلوم بالتواتر حكمه هل هو مخالف لمناص في الكتاب عليه من الأحكام هذا مما لا يقوله رشيد ولا عاقل على أن الله تعالى لم يذكر اسم أبي بكر في الكتاب وإنما قال إذ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ وَإِنَّمَا عَلِمْنَا أَنَّهُ أَبُو بَكْرٍ بِالْخَبْرِ وَمَا وَرَدَ فِي السِّيَرَةِ وَقَدْ قَالَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ إِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى وَ يَمَكُرُ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ كُنْيَاةٌ عَنْ عَلِيٍّ لِأَنَّهُ مَكَرَ بِهِمْ وَأَوَّلُ الْآيَةِ وَ إِذْ يَمَكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَ يَمَكُرُونَ وَ يَمَكُرُ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ أَنْزَلَتْ فِي لَيْلَةِ الْهَجْرَةِ وَمَكَرَهُمْ كَانَ تَوَزِيعَ السِّيَوفِ عَلَى بَطُونِ قُرَيْشٍ وَمَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى هُوَ مَنَامٌ عَلَى عِلى الْفَرَّاشِ فَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْمَوْضِعَيْنِ فِي أَنَّهُمَا مَذْكُورَانِ كُنْيَاةٌ لِاتِّصَافِهِمَا وَقَدْرُودِ الْمَفْسُورِينَ كُلَّهُمْ أَنَّ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى وَ مِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ أَنْزَلَتْ فِي عَلِيٍّ لَيْلَةَ الْمَبِيتِ عَلَى الْفَرَّاشِ فَهَذِهِ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا. قَالَ الْجَاهِظُ وَفَرَّقَ آخَرُ وَهُوَ أَنَّهُ لَوْ كَانَ مَبِيتَ عَلِيٍّ عَلَى الْفَرَّاشِ جَاءَ مَجِيءُ كَوْنِ أَبِي بَكْرٍ فِي الْغَارِ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي ذَلِكَ كَبِيرُ طَاعَةٍ لِأَنَّ النَّاقِلِينَ - قُرْآن - ٣٦٩ - ٣٩٠ - قُرْآن - ٤٧٩ - ٥٢٣ - قُرْآن - ٥٦٧ - ٧٠٦ - قُرْآن - ٩١٨ - ٩٧٦ - قُرْآن - ١٠٤٣ - ١٠٦٤ نقلوا أنه ص قال له نم فلن يخلص إليك شيء تكرهه - رواية - ١ - ٢ - رواية - ٢٥ - ٥٦ و لم ينقل ناقل أنه [صفحة ٢٦٣] قال لأبي بكر في صحبته إياه وكونه معه في الغار مثل ذلك ولا قال له أنفق وأعتق فإنك لن تفتقر ولن يصل إليك مكروه . قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله هذا هو الكذب الصراح والتحريف والإدخال في الرواية ما ليس منها والمعروف المنقول أنه ص قال له اذهب فاضطجع في مضجعي وتغش ببرد الحضرى فإن القوم سيفقدونى ولا يشهدون مضجعي فلعلهم إذا رآوك يسكنهم ذلك حتى يصبحوا فإذا أصبحت فاغد في أداء أمانتي - رواية - ١ - ٢ - رواية - ٢٠ - ١٨٠ و لم ينقل ما ذكره الجاحظ وإنما ولده أبو بكر الأصم وأخذ الجاحظ ولا أصل له ولو كان هذا صحيحا لم يصل إليه منهم مكروه و قد وقع الاتفاق على أنه ضرب ورمى بالحجارة قبل أن يعلموا من هو حتى تصور وأنهم قالوا له رأينا تصورك فإننا كنا نرمى محمدا ولا يتصور ولأن لفظه المكروه إن كان قالها إنما يراد بها القتل فهب أنه أمن القتل كيف يأمن من الضرب والهوان و من أن ينقطع بعض أعضائه وبأن سلمت نفسه أليس الله تعالى قال لنبيه بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ كَسَرَتْ رِبَاعِيَّتَهُ وَشَجَّ وَجْهَهُ وَأَدْمِيَتْ سَاقَهُ وَ ذَلِكَ لِأَنَّهَا عَصَمَتْهُ مِنَ الْقَتْلِ خَاصَّةً وَكَذَلِكَ الْمَكْرُوهُ الَّذِي أَوْمَنَ عَلِيٌّ مِنْهُ وَ إِنْ كَانَ صَحَّ ذَلِكَ فِي الْحَدِيثِ إِنَّمَا هُوَ مَكْرُوهُ الْقَتْلِ . ثُمَّ يُقَالُ لَهُ وَ أَبُو بَكْرٍ لِأَفْضَلِيَّةٍ لَهُ أَيْضًا فِي كَوْنِهِ فِي الْغَارِ لِأَنَّ النَّبِيَّ ص قَالَ لَهُ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا وَ مَنْ يَكُنْ اللَّهُ مَعَهُ فَهُوَ آمِنٌ لِأَمَحَالَةِ مَنْ كُلِّ سَوْءٍ فَكَيْفَ قُلْتَ وَ لَمْ يَنْقُلْ نَاقِلٌ أَنَّهُ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ فِي الْغَارِ مِثْلَ ذَلِكَ فَكُلُّ مَا يَجِبُ بِهِ عَنْ هَذَا فَهُوَ جَوَابُنَا عَمَّا أوردته فنقول له هذا ينقلب عليك في النبي ص - قُرْآن - ٤٤٦ - ٥٥٥ - قُرْآن - ٨١٤ - ٨٤١ [صفحة ٢٦٤] لأن الله تعالى وعده بظهور دينه وعاقبه أمره فيجب على قولك ألا يكون مثابا عند الله تعالى على ما يحتمله من المكروه ولا ما يصيبه من الأذى إذ كان قد أيقن بالسلامة والفتح في عدته . قال الجاحظ و من جحد كون أبي بكر صاحب رسول الله ص فقد كفر لأنه جحد نص الكتاب ثم انظر إلى قوله تعالى إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا مِنَ الْفَضِيلَةِ لِأَبِي بَكْرٍ لِأَنَّهُ شَرِيكَ رَسُولِ اللَّهِ ص فِي كَوْنِ اللَّهِ تَعَالَى مَعَهُ وَإِنزَالِ السَّكِينَةِ قَالَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِنَّهُ فِي الْآيَةِ مَخْصُوصٌ بِأَبِي بَكْرٍ لِأَنَّهُ كَانَ مَحْتَاجًا إِلَى السَّكِينَةِ لِمَا تَدَاخَلَهُ مِنْ رَقَّةِ الطَّبَعِ الْبَشَرِيِّ وَ النَّبِيِّ ص كَانَ غَيْرَ مَحْتَاجٍ إِلَيْهَا لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ مُحْرَسٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فَلَا مَعْنَى لِنَزُولِ السَّكِينَةِ عَلَيْهِ وَ هَذِهِ فَضِيلَةٌ ثَالِثَةٌ لِأَبِي بَكْرٍ. قَالَ شَيْخُنَا أَبُو جَعْفَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ إِنْ أَبَاعَثْمَانَ يَجْرُ عَلَى نَفْسِهِ مَا لِطَاقَةِ لَهُ بِهِ مِنْ مَطَاعِنِ الشَّيْعَةِ وَلَقَدْ كَانَ فِي غَنِيَّةٍ عَنِ التَّعَلُّقِ بِمَا تَعَلَّقَ بِهِ لِأَنَّ الشَّيْعَةَ تَزْعُمُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ بَأَنَّ تَكُونَ طَعْنَا وَعَيَا عَلَى أَبِي بَكْرٍ

أولى من أن تكون فضيلة ومنقبه له لأنه لما قال له لا تحزن دل على أنه قد كان حزن وقنط وأشفق على نفسه و ليس هذا من صفات المؤمنين الصابرين ولا يجوز أن يكون حزنه طاعة لأن الله تعالى لا ينهى عن الطاعة فلو لم يكن ذنبا لم ينه عنه وقوله إن الله معنا أى إن الله عالم بحالنا و مانصره و مانعلمه و هذا مثل قوله تعالى و لا- أدنى من ذلك و لا- أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا أى هو عالم بهم و أما السكينة -قرآن- ٢٩٩-٣١٦-قرآن- ٩٠٦-٩١٤-قرآن- ١١٠٤-١١٢١-قرآن- ١٢٩٨-١٣٦٧ [صفحہ ٢٦٥] فكيف يقول إنها ليست راجعة إلى النبي ص وبعدها قوله و أيدته بجنود لم تروها أتري المؤيد بالجنود كان أبابكر أم رسول الله ص . و قوله إنه مستغن عنها ليس بصحيح و لا يستغنى أحد عن ألطاف الله و توفيقه و تأييده و تثبيت قلبه و قد قال الله تعالى فى قصة حنين و ضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مديريين ثم أنزل الله سيكنته على رسوله ص . و أما الصحبة فلا تدل إلا على المرافقة و الاصطحاب لا غير و قد يكون حيث لا إيمان كما قال تعالى قال له صاحبه و هو يحاوره أ كفرت بالذي خلقك و نحن و إن كنا نعتقد إخلاص أبى بكر و إيمانه الصحيح السليم و فضيلته التامة إلا أنا لانحتاج له بمثل ما احتج به الجاحظ من الحجج الواهية و لانتعلق بما يجر علينا دواهى الشيعة و مطاعنها. قال الجاحظ و إن كان المبيت على الفراش فضيلة فأين هى من فضائل أبى بكر أيام مكة من عتق المعذيين و إنفاق المال و كثرة المستجيبين مع فرق ما بين الطاعتين لأن طاعة الشاب الغرير و الحدث الصغير الذى فى عز صاحبه عزه ليست كطاعة الحليم الكبير الذى لا يرجع تسويد صاحبه إلى رهطه و عشيرته . قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله أما كثرة المستجيبين فالفضل فيها راجع إلى المحيب -قرآن- ٥٦-٨٨-قرآن- ٢٧٧-٣٨٧-قرآن- ٤٨٧-٥٥٣ [صفحہ ٢٦٦] لا إلى المجاب على أنا قد علمنا أن من استجاب لموسى ع أكثر ممن استجاب لنوح ع و ثواب نوح أكثر لصبره على الأعداء و مقاساة خلافهم و عنتهم و أما إنفاق المال فأين محنة الغنى من محنة الفقر و أين يعتدل إسلام من أسلم و هو غنى إن جاع أكل و إن أعيى ركب و إن عرى لبس قد وثق بيساره و استغنى بماله و استعان على نوائب الدنيا بثروته ممن لا يجد قوت يومه و إن وجد لم يستأثر به فكان الفقر شعاره و فى ذلك قيل الفقر شعار المؤمن و قال الله تعالى لموسى يا موسى إذ أريت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين -رواية- ١-٢-رواية- ٢٧-٨٥ فى الحديث أن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسائة عام -رواية- ١-٢-رواية- ١٤-٦٨ كان النبي ص يقول اللهم احشرنى فى زمرة الفقراء -رواية- ١-٢-رواية- ٢٤-٥٥ و لذلك أرسل الله محمدا ص فقيرا و كان بالفقر سعيدا فقاسى محنة الفقر و مكابدة الجوع حتى شد الحجر على بطنه و حسبك بالفقر فضيلة فى دين الله لمن صبر عليه فإنك لا تجد صاحب الدنيا يتمناه لأنه مناف لحال الدنيا و أهلها و إنما هو شعار أهل الآخرة. و أطيعا على ع و كون الجاحظ زعم أنها كانت لأن فى عز محمد عزه و عز رهطه بخلاف طاعة أبى بكر فهذا يفتح عليه أن يكون جهاد حمزة كذلك و جهاد عبيدة بن الحارث و هجرة جعفر إلى الحبشة بل لعل محاماة المهاجرين من قريش على رسول الله ص كانت لأن فى دولته دولتهم و فى نصرته استجداد ملك لهم و هذا يجر إلى الإلحاد و يفتح باب الزندقه و يفضى إلى الطعن فى الإسلام و النبوة. قال الجاحظ و على أنا لو نزلنا إلى ما يريدونه جعلنا الفراش كالغار و خلصت فضائل أبى بكر فى غير ذلك عن معارض . قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله قد بينا فضيلة المبيت على الفراش على فضيلة الصحبة [صفحہ ٢٦٧] فى الغار بما هو واضح لمن أنصف و نزيد هاهنا تأكيدا بما لم نذكره فيما تقدم فنقول إن فضيلة المبيت على الفراش على الصحبة فى الغار لوجهين أحدهما أن عليا ع قد كان أنس بالنبي ص و حصل له بمصاحبه قديما أنس عظيم و إلف شديد فلما فارقه عدم ذلك الأنس و حصل به أبو بكر فكان ما يجده على ع من الوحشة و ألم الفرقة موجبا زيادة ثوابه لأن الثواب على قدر المشقة. و ثانيهما أن أبابكر كان يؤثر الخروج من مكة و قد كان خرج من قبل فردا فازداد كراهية للمقام فلما خرج مع رسول الله ص وافق ذلك هوى قلبه و محبوب نفسه فلم يكن له من الفضيلة ما يوازي فضيلة من احتمل المشقة العظيمة و عرض نفسه لوقع السيوف و رأسه لرضخ الحجارة لأنه على قدر

سهولة العبادة يكون نقصان الثواب قال الجاحظ ثم ألقى أبوبكر في مسجده الذي بناه على بابة في بني جمح فقد كان بني مسجدا يصلون فيه ويدعو الناس إلى الإسلام و كان له صوت رقيق ووجه عتيق و كان إذا قرأ بكى فيقف عليه المارة من الرجال والنساء والصبيان والعييد فلما أودى في الله ومنع من ذلك المسجد استأذن رسول الله ص في الهجرة فأذن له فأقبل يريد المدينة فتلقيه الكناني فعمد له جوارا وقال و الله لأدع مثلك يخرج من مكة فرجع إليها وعاد لصنيعه في المسجد فمشت قريش إلى جاره الكناني وأجلبوا عليه فقال له دع المسجد وادخل بيتك واصنع فيه ما بدا لك . [صفحة ٢٦٨] قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله كيف كانت بنو جمح تؤذي عثمان بن مظعون وتضربه و هو فيهم ذو سطوة وقدر و تترك أبابكر بيني مسجدا يفعل فيه ما ذكرتم وأنتم الذين رويتهم عن ابن مسعود أنه قال ماصلينا ظاهرين حتى أسلم عمر بن الخطاب و الذي تذكرونه من بناء المسجد كان قبل إسلام عمر فكيف هذا. و أما ما ذكرتم من رقة صوته و عتاق وجهه فكيف يكون ذلك و قدروى الواقدي وغيره أن عائشة رأت رجلا من العرب خفيف العارضين معروق الخدين غائر العينين أجنا لا يمسك إزاره فقالت ما رأيت أشبه بأبي بكر من هذا فلانراها دلت على شيء من الجمال في صفته . قال الجاحظ وحيث رد أبوبكر جوار الكناني و قال لأريد جارا سوى الله لقي من الأذى والذل والاستخفاف والضرب ما بلغكم و هذا موجود في جميع السير و كان آخر ما لقي هو وأهله في أمر الغار و قد طلبته قريش وجعلت فيه مائة بعير كما جعلت في النبي ص فلقى أبوجهل أسماء بنت بكر فسألها فكتمته فلطمها حتى رمت قرطا كان في أذنها. قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله هذا الكلام وهجر السكران سواء في تقارب المخرج واضطراب المعنى و ذلك أن قريشا لم تقدر على أذى النبي ص و أبوطالب حتى يمنعه فلما مات طلبته لتقتله فخرج تارة إلى بني عامر وتارة إلى ثقيف وتارة إلى بني شيبان و لم يكن يتجاسر على المقام بمكة إلا مستترا حتى أجاره مطعم بن عدى ثم خرج إلى المدينة فبذلت فيه مائة بعير لشدة حقها عليه حين فاتها فلم تقدر عليه فما بالها بذلت في أبي بكر مائة بعير أخرى و قد كان رد الجوار و بقي بينهم فردا لناصر له [صفحة ٢٦٩] و لادافع عنده يصنعون به ما يريدون إما أن يكونوا أجهل البرية كلها أو يكون العثمانية أكذب جيل في الأرض وأوقحه وجها فهذا مما لم يذكر في سيرة و لاروى في أثر و لاسمع به بشر و لاسبق الجاحظ به أحد. قال الجاحظ ثم ألقى كان من دعائه إلى الإسلام وحسن احتجاجه حتى أسلم على يديه طلحة والزبير وسعد و عثمان و عبدالرحمن لأنه ساعة أسلم دعا إلى الله و إلى رسوله . قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله ما أعجب هذا القول إذ تدعى العثمانية لأبي بكر الرفق في الدعاء وحسن الاحتجاج و قد أسلم ومعه في منزله ابنه عبدالرحمن فما قدر أن يدخله في الإسلام طوعا برفقه ولطف احتجاجه و لا كرها بقطع النفقة عنه وإدخال المكروه عليه و لا كان لأبي بكر عند ابنه عبدالرحمن من القدر ما يطيعه فيما يأمره به ويدعوه إليه كما روى أن أباطالب فقد النبي ص يوما و كان يخاف عليه من قريش أن يغتالوه فخرج ومعه ابنه جعفر يطلبان النبي ص فوجده قائما في بعض شعاب مكة يصلون و على ع معه عن يمينه فلما رأهما أبوطالب قال لجعفر تقدم وصل جناح ابن عمك فقام جعفر عن يسار محمد ص فلما صاروا ثلاثة تقدم رسول الله ص وتأخر الأخوان فبكى أبوطالب و قال إن عليا وجعفرأ ثقتي || عندملم الخطوب والنوب لا اتخذلا وانصرا ابن عمكما || أخى لأمى من بينهم و أبى و الله لا أخذل النبي و لا || يخذله من بنى ذو حسب [صفحة ٢٧٠] فتذكر الرواة أن جعفرأ أسلم منذ ذلك اليوم لأن أباه أمره بذلك وأطاع أمره و أبوبكر لم يقدر على إدخال ابنه عبدالرحمن في الإسلام حتى أقام بمكة على كفره ثلاث عشرة سنة و خرج يوم أحد في عسكر المشركين ينادى أنا عبدالرحمن بن عتيق هل من مبارز ثم مكث بعد ذلك على كفره حتى أسلم عام الفتح و هو اليوم الذي دخلت فيه قريش في الإسلام طوعا و كرها و لم يجد أحد منها إلى ترك ذلك سيلا وأين كان رفق أبي بكر وحسن احتجاجه عند أبيه أبي قحافة وهما في دار واحدة هلا رفق به ودعاه إلى الإسلام فأسلم و قد علمتم أنه بقي على الكفر إلى يوم الفتح فأحضره ابنه عند النبي ص و هو شيخ كبير رأسه كالثغامه فنفر رسول الله ص منه و قال غيروا هذا فحضبوه ثم جاءوا به مرة أخرى فأسلم و كان أبوقحافة فقيرا مدقعا

سبب الحال و أبو بكر عندهم كان مثيرا فائض المال فلم يمكنه استمالته إلى الإسلام بالنفقة والإحسان و قد كانت امرأة أبي بكر أم عبد الله ابنه واسمها نملة بنت عبد العزى بن أسعد بن عبد بن ود العامرية لم تسلم وأقامت على شركها بمكة وهاجر أبو بكر وهي كافرة فلما نزل قوله تعالى وَ لَا تُمَسِّكُوا بِعَصَمِ الْكُوفِرِ فَلْتَقِهَا أَبُو بَكْرٍ فَمَنْ عَجَزَ عَنْ ابْنِهِ وَ أَبِيهِ وَ امْرَأَتِهِ فَهُوَ عَنْ غَيْرِهِمْ مِنَ الْغُرْمَاءِ أَعْجَزَ وَ مَنْ لَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ أَبُوهُ وَ ابْنُهُ وَ امْرَأَتُهُ لَابْرَقَ وَ احْتِجَاجَ وَ لَخَوْفًا مِنْ قَطْعِ النِّفْقَةِ عَنْهُمْ وَ إِدْخَالِ الْمَكْرُوهِ عَلَيْهِمْ فَغَيْرِهِمْ أَقَلُّ قَبُولًا مِنْهُ وَ أَكْثَرُ خِلَافًا عَلَيْهِ . قَالَ الْجَاهِظُ وَ قَالَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ مَا عَرَفْتُ أَبِي إِلَّا وَ هُوَ يَدِينُ بِالْدِينِ وَ لَقَدْ رَجَعْنَا إِلَيْنَا يَوْمَ أَسْلَمْنَا فَدَعَانَا إِلَى الْإِسْلَامِ فَمَا رَمْنَا حَتَّى أَسْلَمْنَا وَ أَسْلَمَ أَكْثَرَ جُلَسَائِهِ وَ لِذَلِكَ قَالُوا مِنْ أَسْلَمَ بِدَعَاءِ أَبِي بَكْرٍ أَكْثَرَ مِمَّنْ أَسْلَمَ بِالسَّيْفِ وَ لَمْ يَذْهَبُوا فِي ذَلِكَ إِلَى الْعَدَدِ بَلْ عَنَّا الْكَثْرَةَ فِي الْقَدْرِ لِأَنَّهُ أَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ خَمْسَةٌ مِنْ أَهْلِ الشُّوْرَى - قرآن- ١٠٠١-١٠٣٥] [صفحة ٢٧١] كلهم يصلح للخلافة وهم أكفاء على ع و منازعوه الرئاسة والإمامة فهؤلاء أكثر من جميع الناس . قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله أخبرونا من هذا الذي أسلم ذلك اليوم من أهل بيت أبي بكر إذا كانت امرأته لم تسلم وابنه عبدالرحمن لم يسلم و أبوقحافة لم يسلم وأخته أم فروة لم تسلم وعائشة لم تكن قد ولدت في ذلك الوقت لأنها ولدت بعد مبعث النبي ص بخمس سنين و محمد بن أبي بكر ولد بعد مبعث رسول الله ص بثلاث وعشرين سنة لأنه ولد في حجة الوداع وأسماء بنت أبي بكر التي قدروى الجاهظ هذا الخبر عنها كانت يوم بعث رسول الله ص بنت أربع سنين و في روايته من يقول بنت سنتين فمن الذي أسلم من أهل بيته يوم أسلم نعوذ بالله من الجهل والكذب والمكابرة وكيف أسلم سعد والزبير و عبدالرحمن بدعاء أبي بكر وليسوا من رهطه و لا من أتراه و لا من جلسائه و لا كانت بينهم قبل ذلك صداقة متقدمة و لا أنس وكيد وكيف ترك أبو بكر عتبه بن ربيعة وشيبة بن ربيعة لم يدخلهما في الإسلام برفقه وحسن دعائه و قد زعمتم أنهما كانا يجلسان إليه لعلمه وطريف حديثه و ما باله لم يدخل جبير بن مطعم في الإسلام و قد ذكرتم أنه أدبه وخرجه و منه أخذ جبير العلم بأنساب قريش وما أثرها فكيف عجز عن هؤلاء الذين عددناهم وهم منه بالحال التي وصفنا ودعا من لم يكن بينه وبينه أنس و لا معرفة إلا معرفة عيان وكيف لم يقبل منه عمر بن الخطاب و قد كان شكله وأقرب الناس شبيها به في أغلب أخلاقه ولئن رجعتم إلى الإنصاف لتعلمن أن هؤلاء لم يكن إسلامهم إلا بدعاء الرسول ص لهم و على يديه أسلموا و لو فكرتم في حسن التأتي في الدعاء ليصحن لأبي طالب في ذلك [صفحة ٢٧٢] على شركه أضعاف ما ذكرتموه لأبي بكر لأنكم رويتم أن أبا طالب قال لعلى ع يابني الزمه فإنه لن يدعوك إلا إلى خير و قال لجعفر صل جناح ابن عمك فأسلم بقوله ولأجله أصفق بنو عبد مناف على نصره رسول الله ص بمكة من بني مخزوم و بنى سهم و بنى جمح ولأجله صبر بنو هاشم على الحصار في الشعب وبدعائه وإقباله على محمد ص أسلمت امرأته فاطمة بنت أسد فهو أحسن رفقا وأيمن نقيباً من أبي بكر وغيره وإنما منعه عن الإسلام أن ثبت أنه لم يسلم إلا تقياً و أبو بكر لم يكن له إلا- ابن واحد و هو عبدالرحمن فلم يمكنه أن يدخله في الإسلام و لا- أمكنه إذ لم يقبل منه الإسلام أن يجعله كبعض مشركي قريش في قلبه الأذى لرسول الله ص و فيه أنزل وَ الَّذِي قَالَ لَوَالِدِيهِ أَفْ لَكُمْ أ تَعْدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَ قَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَ هُمَا يَسْتَعِينَانِ اللَّهَ وَيَلْتَكُمُ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ وإنما يعرف حسن رفق الرجل وتأتيه بأن يصلح أولاً أمر بيته وأهله ثم يدعو الأقرب فالأقرب فإن رسول الله ص لم يبعث كان أول من دعا زوجته خديجة ثم مكفوله و ابن عمه علياً ثم مولاه زيدا ثم أم أيمن خادمته فهل رأيتم أحدا ممن كان يأوى إلى رسول الله ص لم يسارع وهل الثالث عليه أحد من هؤلاء فهكذا يكون حسن التأتي والرفق في الدعاء هذا و رسول الله مقل و هو من جملة عيال خديجة حين بعثه الله تعالى و أبو بكر عندهم كان موسرا و كان أبوه مقترا وكذلك ابنه وامرأته أم عبد الله والموسر في فطرة العقول أولى أن يتبع من المقتر وإنما حسن التأتي والرفق في الدعاء ما صنعه مصعب بن عمير لسعد بن معاذ لمادعاه و ما صنع سعد بن معاذ ببنى عبد الأشهل لمادعاهم و ما صنع بريدة بن الحصيب بأسلم لمادعاهم قالوا أسلم بدعائه ثمانون بيتا من قومه - قرآن- ٦٥٤-٨٦٤] [صفحة ٢٧٣]

وأسلم بنو عبد الأشهل بدعاء سعد في يوم واحد و أما من لم يسلم ابنه و لامرأته و لأبوه و لأخته بدعائه فهيهات أن يوصف ويذكر بالرفق في الدعاء وحسن التأتى والأناة قال الجاحظ ثم أعتق أبو بكر بعد ذلك جماعة من المعذبين في الله وهم ست رقاب منهم بلال وعامر بن فهيرة وزنيرة النهديّة وابنتها ومر بجاريه يعذبها عمر بن الخطاب فابتاعها منه وأعتقها وأعتق أبا عيسى فأنزل الله فيه فأما من أعطى و اتقى و صدق بالحسنى فسئيرُهُ لِلْيَسْرَى إلى آخر السورة. قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله أما بلال وعامر بن فهيرة فإنما أعتقهما رسول الله ص روى ذلك الواقدي و ابن إسحاق وغيرهما و أما باقى موالىهم الأربعة فإن سامحناكم فى دعواكم لم يبلغ ثمنهم فى تلك الحال لشدة بغض موالىهم لهم إلا مائة درهم أو نحوها فأى فخر فى هذا و أما الآية فإن ابن عباس قال فى تفسيرها فأما من أعطى و اتقى و صدق بالحسنى فسئيرُهُ لِلْيَسْرَى أى لأن يعود. و قال غيره نزلت فى مصعب بن عمير قال الجاحظ و قد علمتم ما صنع أبو بكر فى ماله و كان ماله أربعين ألف درهم فأنفقه فى نوائب الإسلام و حقوقه و لم يكن خفيف الظهر قليل العيال و النسل فىكون فاقد جميع اليسارين بل كان ذا بنين و بنات و زوجة و خدم و حشم و يعول و والديه و ما ولدا و لم يكن النبى ص قبل ذلك عنده مشهورا فىخاف العار فى ترك مواساته فكان إنفاقه على الوجه الذى لانجد فى غاية الفضل مثله و لقد -قرآن- ٣٩٢-٤٦١-قرآن- ٧٨٨-٨٥٧ قال النبى ص ما نفعنى مال كما نفعنى مال أبى بكر -روايت- ١-٢-روايت- ١٨-٥٦ . [صفحه ٢٧٤] قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله أخبرونا على أى نوائب الإسلام أنفق هذا المال و فى أى وجه وضعه فإنه ليس بجائر أن يخفى ذلك و يدرس حتى يفوت حفظه وينسى ذكره و أنتم فلم تفتقوا على شىء أكثر من عتقه بزعمكم ست رقاب لعلها لا يبلغ ثمنها فى ذلك العصر مائة درهم و كيف يدعى له الإنفاق الجليل و قد باع من رسول الله ص بعيرين عند خروجه إلى يثرب و أخذ منه الثمن فى مثل تلك الحال و روى ذلك جميع المحدثين و قد رويتم أيضا أنه كان حيث كان بالمدينة غنيا موسرا و رويتم عن عائشة أنها قالت هاجر أبو بكر و عنده عشرة آلاف درهم و قتلتم إن الله تعالى أنزل فيه و لا يأتل أولوا الفضل منكم و السيرة أن يؤتوا أولي القربى قتلتم هى فى أبى بكر و مسطح بن أثاثة فأين الفقر الذى زعمتم أنه أنفق حتى تخلل بالعباءة و رويتم أن الله تعالى فى سمائه ملائكة قد تخللوا بالعباءة و أن النبى ص رآهم ليلة الإسراء فسأل جبرائيل عنهم فقال هؤلاء ملائكة تأسوا بأبى بكر بن أبى قحافة صديقك فى الأرض فإنه سينفق عليك ماله حتى يخلل عباءه فى عنقه و أنتم أيضا رويتم أن الله تعالى لما أنزل آية النجوى فقال يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم لآية لم يعمل بها إلا على بن أبى طالب وحده مع إقراركم بفقره و قلته ذات يده و أبو بكر فى الحال التى ذكرنا من السعة أمسك عن مناجاته فعاتب الله المؤمنين فى ذلك فقال أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا و تاب الله عليكم فجعله سبحانه ذنبا يتوب عليهم منه و هو إمساحهم عن تقديم الصدقة فكيف سخت نفسه بإنفاق أربعين ألفا و أمسك عن مناجاة الرسول و إنما كان يحتاج فيها إلى إخراج درهمين . و أما ما ذكر من كثرة عياله و نفقته عليهم فليس فى ذلك دليل على تفضيله لأن -قرآن- ٥٦٨-٦٤٣-قرآن- ١٠٢٦-١١٣٧-قرآن- ١٣١٥-١٤١٦ [صفحه ٢٧٥] نفقته على عياله و واجبه مع أن أرباب السيرة ذكروا أنه لم يكن ينفق على أبيه شيئا و أنه كان أجيرا لابن جدعان على مائدته يطرد عنها الذبان . قال الجاحظ و قد تعلمون ما كان يلقي أصحاب النبى ص بطن مكة من المشركين و حسن صنيع كثير منهم كصنيع حمزة حين ضرب أبا جهل بقوسه ففلق هامته و أبو جهل يومئذ سيد البطحاء و رئيس الكفر و أمنع أهل مكة و قد عرفتم أن الزبير سل سيفه و استقبل به المشركين لما أرجف أن محمدا ص قد قتل و أن عمر بن الخطاب قال حين أسلم لا يعبد الله سرا بعد اليوم و أن سعدا ضرب بعض المشركين بلحى جمل فأراق دمه فكل هذه الفضائل لم يكن لعلى بن أبى طالب فيها ناقة و لا جمل و قد قال الله تعالى لا يسئ توى منكم من أنفق من قبل الفتح و قاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد و قاتلوا فإذا كان الله تعالى قد فضل من أنفق قبل الفتح لأنه لاهجرة بعد الفتح على من أنفق بعد الفتح فما ظنكم بمن أنفق من قبل الهجرة و من لدن مبعث النبى ص إلى الهجرة و إلى بعد الهجرة. قال شيخنا أبو جعفر رحمه

الله إننا لاننكر فضل الصحابة وسوابقهم ولسنا كالإمامية الذين يحملهم الهوى على جحد الأمور المعلومه ولكننا ننكر تفضيل أحد من الصحابة على على بن أبي طالب ولسنا ننكر غير ذلك و ننكر تعصب الجاحظ للعثمانية وقصده إلى فضائل هذا الرجل ومناقبه بالرد والإبطال و أما حمزة فهو عندنا ذو فضل عظيم ومقام جليل و هو سيد الشهداء الذين استشهدوا على عهد رسول الله -قرآن- ٦٣٣-٧٦٣ [صفحہ ٢٧٦] ص و أما فضل عمر فغير منكر وكذلك الزبير وسعد و ليس فيما ذكر ما يقتضى كون على ع مفضولا لهم أولغيرهم إلا- قوله و كل هذه الفضائل لم يكن لعلى ع فيها ناقه و لاجمل فإن هذا من التعصب البارد والحيف الفاحش و قد قدمنا من آثار على ع قبل الهجرة و ما له إذ ذاك من المناقب والخصائص ما هو أفضل وأعظم وأشرف من جميع ما ذكر لهؤلاء على أن أرباب السيرة يقولون إن الشجة التى شجها سعد و إن السيف الذى سله الزبير هو الذى جلب الحصار فى الشعب على النبی ص و بنى هاشم و هو الذى سير جعفر وأصحابه إلى الحبشة و سل السيف فى الوقت الذى لم يؤمر المسلمون فيه بسل السيف غير جائز قال تعالى أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ فَتَبِينَ أَنْ التَّكْلِيفَ لَهُ أَوْقَاتٌ فَمِنْهَا وَقْتُ لَا يَصْلِحُ فِيهِ سِلُّ السَّيْفِ وَمِنْهَا وَقْتُ يَصْلِحُ فِيهِ وَيَجِبُ فَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى لَا- يَسْتَتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ قَدْ ذَكَرْنَا مَا عُنَدَنَا مِنْ دَعْوَاهُمْ لِأَبِي بَكْرٍ إِنْفَاقَ الْمَالِ وَأَيْضًا فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَذَكَرْ إِنْفَاقَ الْمَالِ مَفْرَدًا وَإِنَّمَا قَرَنَ بِهِ الْقِتَالَ وَ لَمْ يَكُنْ أَبُو بَكْرٍ صَاحِبَ قِتَالٍ وَ حَرْبٍ فَلَا تَشْمَلُهُ الْآيَةُ وَ كَانَ عَلِيٌّ عَ صَاحِبَ قِتَالٍ وَ إِنْفَاقٍ قَبْلَ الْفَتْحِ أَمَا قِتَالُهُ فَمَعْلُومٌ بِالضَّرُورَةِ وَ أَمَا إِنْفَاقُهُ فَقَدْ كَانَ عَلِيٌّ عَ حَسْبَ حَالِهِ وَ فُقْرِهِ وَ هُوَ الَّذِي أَطْعَمَ الطَّعَامَ عَلَيَّ حَبَّهُ مَسْكِينًا وَ يَتِيمًا وَ أُسِيرًا وَ أَنْزَلَتْ فِيهِ وَ فِي زَوْجَتِهِ وَ ابْنَيْهِ سُورَةٌ كَامِلَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ وَ هُوَ الَّذِي مَلَكَ أَرْبَعَةَ دَرَاهِمٍ فَأَخْرَجَ مِنْهَا دَرَاهِمًا سَرًّا وَ دَرَاهِمًا عَلَانِيَةً لَيْلًا ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْهَا فِي النَّهَارِ دَرَاهِمًا سَرًّا وَ دَرَاهِمًا عَلَانِيَةً فَأَنْزَلَ فِيهِ قَوْلُهُ تَعَالَى الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ سِرًّا وَ عَلَانِيَةً وَ هُوَ الَّذِي قَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاهُ صَدَقَةٌ -قرآن- ٥٩٦-٧٧٩-قرآن- ٨٨٨-٩١٨-قرآن- ١٤٦٤-١٥٣٥ [صفحہ ٢٧٧] دون المسلمين كافة و هو الذى تصدق بخاتمه و هو راعى فأنزل الله فيه إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ. قَالَ الْجَاحِظُ وَ الْحِجَّةُ الْعِظْمَى لِلْقَائِلِينَ بِتَفْضِيلِ عَلِيٍّ عَ قِتْلِهِ الْأَقْرَانَ وَ خَوْضِهِ الْحَرْبَ وَ لَيْسَ لَهُ فِي ذَلِكَ كَبِيرٌ فَضِيلَةٌ لِأَنَّ كَثْرَةَ الْقِتْلِ وَالْمَشَى بِالسَّيْفِ إِلَى الْأَقْرَانَ لَوْ كَانَ مِنْ أَشَدِّ الْمُحَنِّ وَأَعْظَمِ الْفَضَائِلِ وَ كَانَ دَلِيلًا عَلَى الرَّئِاسَةِ وَ التَّقَدُّمِ لِوَجِبِ أَنْ يَكُونَ لِلزَّبِيرِ وَ أَبِي دِجَانَةَ وَ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ وَ ابْنِ عَفْرَاءَ وَ الْبَرَاءِ بْنِ مَالِكٍ مِنَ الْفَضْلِ مَا لَيْسَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَ لِأَنَّهُ لَمْ يَقْتُلْ بِيَدِهِ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا وَ لَمْ يَحْضُرْ الْحَرْبَ يَوْمَ بَدْرٍ وَ لَا خَالَطَ الصَّفُوفَ وَ إِنَّمَا كَانَ مَعْتَرِلًا عَنْهُمْ فِي الْعَرِيشِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَ أَنْتَ تَرَى الرَّجُلَ الشَّجَاعَ قَدِ يَقْتُلُ الْأَقْرَانَ وَ يَجْنُدُ الْأَبْطَالَ وَ فَوْقَهُ مِنَ الْعَسْكَرِ مَنْ لَا يَقْتُلُ وَ لَا يَبَارِزُ وَ هُوَ الرَّئِيسُ أَوْ ذَوَى الرَّأْيِ وَ الْمَسْتَشِيرُ فِي الْحَرْبِ لِأَنَّ لِلرُّؤْسَاءِ مِنَ الْإِكْتِرَاتِ وَ الْإِهْتِمَامِ وَ شُغْلِ الْبَالِ وَ الْعِنَايَةِ وَ التَّفَقُّدِ مَا لَيْسَ لِغَيْرِهِمْ وَ لِأَنَّ الرَّئِيسَ هُوَ الْمَخْصُوصُ بِالْمَطَالِبَةِ وَ عَلَيْهِ مَدَارُ الْأُمُورِ وَ بِهِ يَسْتَبْصِرُ الْمَقَاتِلَ وَ يَسْتَنْصِرُ وَ بِاسْمِهِ يَنْهَزُ الْعَدُوَّ وَ لَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَّا أَنْ الْجَيْشِ لَوْ ثَبِتَ وَ فَرَّ هُوَ لَمْ يَغْنُ ثُبُوتُ الْجَيْشِ كُلَّهُ وَ كَانَتْ الدَّبْرَةُ عَلَيْهِ وَ لَوْ ضَمَّ الْقَوْمُ جَمِيعًا وَ حَفِظَ هُوَ لَا تَنْصُرُ وَ كَانَتْ الدَّوْلَةُ لَهُ وَ لِهَذَا لَا يَضَافُ النِّصْرُ وَ الْهَزِيمَةُ إِلَّا إِلَيْهِ فَفَضَّلَ أَبِي بَكْرٍ بِمَقَامِهِ فِي الْعَرِيشِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ يَوْمَ بَدْرٍ أَعْظَمَ مِنْ جِهَادِ عَلِيٍّ عَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَقْتَهُ أَبْطَالَ قَرِيشَ . قَالَ شَيْخُنَا أَبُو جَعْفَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ لَقَدْ أُعْطِيَ أَبُو عَثْمَانَ مَقُولًا- وَ حَرَمَ مَعْقُولًا- إِنْ كَانَ -قرآن- ٧٣-١٩٦ [صفحہ ٢٧٨] يقول هذا على اعتقاد وجد و لم يذهب به مذهب اللعب والهزل أو على طريق التفاسح والتشادق وإظهار القوة والسلطة ودلاقة اللسان وحده الخاطر والقوة على جدال الخصوم أ لم يعلم أبو عثمان أن رسول الله ص كان أشجع البشر وأنه خاض الحروب وثبت في المواقف التي طاشت فيها الأبواب وبلغت القلوب الحناجر فمنها يوم أحد ووقوفه بعد أن فر المسلمون بأجمعهم و لم يبق معه إلا أربعة على والزبير وطلحة و أبو دجانة فقاتل ورمى بالنبل حتى فنيته نبله وانكسرت سيئه قوسه وانقطع وتره فأمر عكاشة بن محصن أن يوترها فقال يا رسول الله لا يبلغ الوتر فقال أوتر ما بلغ قال عكاشة فوالله الذي بعثه بالحق لقد أوترت

حتى بلغ وطويت منه شبرا على سيء القوس ثم أخذها فما زال يرميهم حتى نظرت إلى قوسه قد تحطمت وبارز أبي بن خلف فقال له أصحابه إن شئت عطف عليه بعضنا فأبى وتناول الحربه من الحارث بن الصمة ثم انتقض بأصحابه كما ينتقض البعير قالوا فتطيرنا عنه تطاير الشعارير فطعنه بالحربة فجعل يخور كما يخور الثور و لو لم يدل على ثباته حين انهزم أصحابه وتركوه إلا قوله تعالى إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَعْيُنِنَا وَرَدِّدْتُمُوهُم بِاللَّحْرِيبِ فَجَعَلْنَاهُمْ لَكُمْ لَعِينًا وَتَوَلَّىٰ وَجْهَهُ الْغِيظُ فَكَرِهْتُمُوهُمْ وَتُصَلِّىٰ فَسَبَّحْتَ بِحَمْدِ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَتَرَىٰ عَنِ السُّبُحِ رَبَّنَا عَنِ الْإِبْرَاهِيمَ إِذْ يَبْنِي أَيْدِيَهُ فَاسْتَفْتَىٰ بِهِ إِبْرَاهِيمَ نَبِّئْنَا بِهَذَا إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ لَمَلَكٌ شَدِيدٌ الْعِقَابِ [صفحة ٢٧٩] البطحاء وحصب المشركين و قال شأهت الوجوه و الخبر المشهور عن على ع و هو أشجع البشر كنا إذا اشتد البأس وحمى الوطيس اتقينا برسول الله ص و لذنا به -روايت- ١-٢-روايت-٤٤-١١٠ فكيف يقول الجاحظ إنه ماخاض الحرب و لاخالط الصفوف و أى فريه أعظم من فريه من نسب رسول الله ص إلى الإحجام و اعتزال الحرب ثم أى مناسبة بين أبى بكر و رسول الله ص فى هذا المعنى لقيسه و ينسبه إلى رسول الله ص صاحب الجيش و الدعوة و رئيس الإسلام و الملة و الملحوظ بين أصحابه و أعدائه بالسيادة و إليه الإيماء و الإشارة و هو الذى أحق قريشا و العرب و ورى أكبادهم بالبراءة من آلهتهم و عيب دينهم و تضليل أسلافهم ثم وترهم فيما بعد بقتل رؤسائهم و أكابرهم و حق لمثله إذا تنحى عن الحرب و اعتزلها أن يتنحى و يعتزل لأن ذلك شأن الملوك و الرؤساء إذا كان الجيش منوطا بهم و ببقائهم فمتى هلك الملك هلك الجيش و متى سلم الملك أمكن أن يبقى عليه ملكه و إن عطب جيشه فإنه يستجد جيشا آخر و لذلك نهى الحكماء أن يباشروا الملك الحرب بنفسه و خطئوا الإسكندر لما بارز قوسرا ملك الهند و نسبوه إلى مجانية الحكمة و مفارقة الصواب و الحزم فليقل لنا الجاحظ أى مدخل لأبى بكر فى هذا المعنى و من الذى كان يعرفه من أعداء الإسلام ليقصده بالقتل و هل هو إلا واحد من عرض المهاجرين حكمه حكم عبدالرحمن بن عوف و عثمان بن عفان و غيرهما بل كان عثمان أكثر منه صيتا و أشرف منه مركبا و العيون إليه أطمح و العدو إليه أحق و أكلب و لو قتل أبوبكر فى بعض تلك المعارك هل كان يؤثر قتله فى الإسلام ضعفا أو يحدث فيه و هنا أويخاف على الملة لو قتل أبوبكر فى بعض تلك الحروب أن تندرس و تعفى آثارها و ينطمس منارها ليقول الجاحظ إن أبابكر كان حكمه حكم رسول الله ص فى مجانية الحروب و اعتزالها نعوذ بالله من الخذلان و قد علم العقلاء كلهم ممن له [صفحة ٢٨٠] بالسير معرفة و بالآثار و الأخبار ممارسة حال حروب رسول الله ص كيف كانت و حاله ع فيها كيف كان و وقوفه حيث و حربه حيث حارب و جلوسه فى العريش يوم جلس و إن وقوفه ص و قوف رئاسة و تدبير و وقوف ظهر و سند يتعرف أمور أصحابه و يحرس صغيرهم و كبيرهم بوقوفه من ورائهم و تخلفه عن التقدم فى أوائلهم لأنهم متى علموا أنه فى أخراهم اطمأنت قلوبهم و لم تتعلق بأمره نفوسهم فيشتغلوا بالاهتمام به عن عدوهم و لا يكون لهم فته يلجئون إليها و ظهر يرجعون إليه و يعلمون أنه متى كان خلفهم تفقد أمورهم و علم مواقفهم و آوى كل إنسان مكانه فى الحماية و النكاية و عند المنازلة فى الكر و الحملة فكان وقوفه حيث وقف أصلح لأمرهم و أحمى و أحرس لبيضتهم و لأنه المطلوب من بينهم إذ هو مدبر أمورهم و والى جماعتهم ألا ترون أن موقف صاحب اللواء موقف شريف و أن صلاح الحرب فى وقوفه و أن فضيلته فى ترك التقدم فى أكثر حالاته فللرئيس حالات الأولى حالة يتخلف و يقف آخرها ليكون سندا و قوة و رداء و وعدة و ليتولى تدبير الحرب و يعرف مواضع الخلل . و الحالة الثانية يتقدم فيها فى وسط الصف ليقوى الضعيف و يشجع الناكص . و حالة ثالثة و هى إذا اصطدم الفيلقان و تكافح السيفان اعتمد ما تقتضيه الحال من الوقوف حيث يستصلح أو من مباشرة الحرب بنفسه فإنها آخر المنازل و فيها تظهر شجاعة الشجاع النجد و فسالة الجبان المموه . فأين مقام الرئاسة العظمى لرسول الله ص و أين منزله أبى بكر

ليسوى بين المنزلتين ويناسب بين الحاليتين . و لو كان أبو بكر شريكا لرسول الله ص فى الرسالة وممنوحا من الله [صفحہ ۲۸۱]
بفضيلة النبوة وكانت قريش والعرب تطلبه كما تطلب محمداص و كان يدبر من أمر الإسلام وتسريب العساكر وتجهيز السرايا
وقتل الأعداء ما يدبره محمدص لكان للجاحظ أن يقول ذلك فأما وحاله حاله و هو أضعف المسلمين جنانا وأقلهم عند العرب ترة
لم يرم قط بسهم و لاسل سيفا و لا-أراق دما و هو أحد الأتباع غير مشهور و لا معروف و لا طالب و لا مطلوب فكيف يجوز أن
يجعل مقامه ومنزلته مقام رسول الله ص ومنزلته ولقد خرج ابنه عبدالرحمن مع المشركين يوم أحد فرآه أبو بكر فقام مغیظا عليه
فسل من السيف مقدار إصبع يريد البروز إليه فقال له رسول الله ص يا أبابكر شم سيفك وأمتعنا بنفسك و لم يقل له وأمتعنا
بنفسك إلا لعلمه بأنه ليس أهلا للحرب وملاقاة الرجال و أنه لو بارز لقتل . وكيف يقول الجاحظ لافضيلة لمباشرة الحرب ولقاء
الأقران و قتل أبطال الشرك و هل قامت عمد الإسلام إلا على ذلك و هل ثبت الدين واستقر إلا بذلك أتراه لم يسمع قول الله
تعالى إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَمَا أَنَّهُمْ بُنِيَانٌ مَرْصُوصٌ وَالْمُحِبَّةُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى هِيَ إِرَادَةُ الثَّوَابِ فَكُلٌّ مِنْ كَانَ
أشد ثبوتا فى هذا الصف وأعظم قتالا كان أحب إلى الله ومعنى الأفضل هو الأكثر ثوبا فعلى ع إذا هو أحب المسلمين إلى الله لأنه
أثبتهم قدما فى الصف المرصوص لم يفر قط بإجماع الأمة و لا بارزه قرن إلا قتله . أتراه لم يسمع قول الله تعالى وَ فَضَّلَ اللَّهُ
الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا وَقَوْلُهُ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ -قرآن- ۸۷۱-
۹۵۶-قرآن- ۱۲۵۹-۱۳۲۲-قرآن- ۱۳۳۱-۱۴۲۶ بفضيلة النبوة وكانت قريش والعرب تطلبه كما تطلب محمداص و كان يدبر من
أمر الإسلام وتسريب العساكر وتجهيز السرايا و قتل الأعداء ما يدبره محمدص لكان للجاحظ أن يقول ذلك فأما وحاله حاله و
هو أضعف المسلمين جنانا وأقلهم عند العرب ترة لم يرم قط بسهم و لاسل سيفا و لا أراق دما و هو أحد الأتباع غير مشهور و
لا معروف و لا طالب و لا مطلوب فكيف يجوز أن يجعل مقامه ومنزلته مقام رسول الله ص ومنزلته ولقد خرج ابنه عبدالرحمن مع
المشركين يوم أحد فرآه أبو بكر فقام مغیظا عليه فسל من السيف مقدار إصبع يريد البروز إليه فقال له رسول الله ص يا أبابكر
شم سيفك وأمتعنا بنفسك و لم يقل له وأمتعنا بنفسك إلا لعلمه بأنه ليس أهلا للحرب وملاقاة الرجال و أنه لو بارز لقتل .
وكيف يقول الجاحظ لافضيلة لمباشرة الحرب ولقاء الأقران و قتل أبطال الشرك و هل قامت عمد الإسلام إلا على ذلك و هل
ثبت الدين واستقر إلا بذلك أتراه لم يسمع قول الله تعالى إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَمَا أَنَّهُمْ بُنِيَانٌ مَرْصُوصٌ
والمحبة من الله تعالى هى إرادة الثواب فكل من كان أشد ثبوتا فى هذا الصف وأعظم قتالا كان أحب إلى الله ومعنى الأفضل
هو الأ-كثر ثوبا فعلى ع إذا هو أحب المسلمين إلى الله لأنه أثبتهم قدما فى الصف المرصوص لم يفر قط بإجماع الأمة و لا بارزه
قرن إلا قتله . أتراه لم يسمع قول الله تعالى وَ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا وَقَوْلُهُ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ثُمَّ قَالَ
سبحانه مؤكدا لهذا البيع والشراء و من أوفى بعهد من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به و ذلك هو الفوز العظيم و قال الله
تعالى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِتُّ لَهُمْ ظَمًا وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا
كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ. فمواقف الناس فى الجهاد على أحوال وبعضهم فى ذلك أفضل من بعض فمن دلف إلى الأقران
واستقبل السيوف والأسنة كان أثقل على أكتاف الأعداء لشدة نكايته فيهم ممن وقف فى المعركة وأعان و لم يقدم وكذلك
من وقف فى المعركة وأعان و لم يقدم إلا أنه بحيث تناله السهام والنبل أعظم غناء وأفضل ممن وقف حيث لا يناله ذلك و لو
كان الضعيف والجبان يستحقان الرئاسة بقله بسط الكف وترك الحرب و أن ذلك يشاكل فعل النبي ص لكان أوفر الناس حظا
فى الرئاسة وأشدهم لها استحقا حسان بن ثابت و إن بطل فضل على ع فى الجهاد لأن النبي ص كان أقلهم قتالا كما زعم
الجاحظ ليظن على هذا القياس فضل أبى بكر فى الإنفاق لأن رسول الله ص كان أقلهم مالا. و أنت إذ تأملت أمر العرب وقريش

ونظرت السير وقرأت الأخبار عرفت أنها كانت تطلب محمداص وتقصد قصده وتروم قتله فإن أعجزها وفاتها طلبت عليا ع وأرادت قتله لأنه كان أشبههم بالرسول حالا- وأقربهم منه قريبا وأشدهم عنه دفعا وأنهم متى قصدوا عليا فقتلوه أضعفوا أمر محمدص وكسروا شوكته إذ كان أعلى من ينصره في البأس والقوة والشجاعة -قرآن- ١-١٠٧-قرآن- ١٥٠-٢٦٢-قرآن- ٢٨٣- ٤٨٠ [صفحة ٢٨٣] والنجدة والإقدام والبسالة ألاترى إلى قول عتبة بن ربيعة يوم بدر وقد خرج هو وأخوه شيبه وابنه الوليد بن عتبة فأخرج إليه الرسول نفرا من الأنصار فاستنسبوههم فانتسبوا لهم فقالوا ارجعوا إلى قومكم ثم نادوا يا محمد أخرج إلينا أكفءنا من قومنا فقال النبي ص لأهله الأذنين قوموا يا بني هاشم فانصروا حقكم الذى آتاكم الله على باطل هؤلاء قم يا على قم يا حمزة قم يا عبيدة ألاترى ماجعلت هند بنت عتبة لمن قتله يوم أحد لأنه اشترك هو وحمزة فى قتل أبيها يوم بدر ألم تسمع قول هند ترثى أهلها ما كان عن عتبة لى من صبر || أبى وعمى وشقيق صدرى أخى الذى كان كضوء البدر || بهم كسرت يا على ظهري . وذلك لأنه قتل أخاها الوليد بن عتبة وشرك فى قتل أبيها عتبة و أماعمها شيبه فإن حمزة تفرد بقتله . وقال جبير بن مطعم لو حشى مولاه يوم أحد إن قتلت محمدا فأنت حر وإن قتلت عليا فأنت حر وإن قتلت حمزة فأنت حر فقال أما محمد فسيمنه أصحابه و أما على فرجل حذر كثير الالتفات فى الحرب ولكنى سأقتل حمزة فقعد له وزرقه بالحربة فقتله . و لماقلنا من مقاربه حال على ع فى هذا الباب لحال رسول الله ص ومناسبتها إياها ما وجدناه فى السير والأخبار من إشفاق رسول الله ص وحذره عليه ودعائه له بالحفظ والسلامة قال ص يوم الخندق وقد برز على إلى عمرو ورفع يديه إلى السماء بمحضر من أصحابه اللهم إنك أخذت منى -رواية- ١-٢-رواية- ٨٥-ادامه دارد [صفحة ٢٨٤] حمزة يوم أحد وعبيدة يوم بدر فاحفظ اليوم على عليا رب لا- تذرني فردا و أنت خير الوارثين -رواية- از قبل- ١٠٤ ولذلك ضن به عن مبارزة عمرو حين دعا عمرو الناس إلى نفسه مرارا فى كلها يحجمون ويقدم على فيسأل الإذن له فى البراز حتى قال له رسول الله ص إنه عمرو فقال و أنا على فأدناه وقبله وعممه بعمامته وخرج معه خطوات كالمودع له القلق لحاله المنتظر لما يكون منه ثم لم يزل ص رافعا يديه إلى السماء مستقبلا لها بوجهه والمسلمون صموت حوله كأنما على رءوسهم الطير حتى ثارت الغيرة وسمعوا التكبير من تحتها فعملوا أن عليا قتل عمرا فكبر رسول الله ص وكبر المسلمون تكبيرة سمعها من وراء الخندق من عساكر المشركين ولذلك قال حذيفة بن اليمان لو قسمت فضيلة على ع بقتل عمرو يوم الخندق بين المسلمين بأجمعهم لوسعتهم وقال ابن عباس فى قوله تعالى وَ كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ قال بعلى بن أبى طالب . قال الجاحظ على أن مشى الشجاع بالسيف إلى الأقران ليس على ماتوهمه من لا يعلم باطن الأمر لأن معه فى حال مشيه إلى الأقران بالسيف أمورا أخرى لا يبصرها الناس وإنما يقضون على ظاهر ما يرون من إقدامه وشجاعته فربما كان سبب ذلك الهوج وربما كان الغرارة والحدائث وربما كان الإحراج والحمية وربما كان لمحبة النفخ والأحدوثه وربما كان طباعا كطباع القاسى والرحيم والسخى والبخيل -قرآن- ٦٦٥-٧٠١ [صفحة ٢٨٥] قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله فيقال للجاحظ فعلى أيها كان مشى على بن أبى طالب إلى الأقران بالسيف فأيا قتل من ذلك بانته عداوتك لله تعالى ولرسوله و إن كان مشيه ليس على وجه مما ذكرت وإنما كان على وجه النصره والقصد إلى المسابقة إلى ثواب الآخرة والجهاد فى سبيل الله وإعزاز الدين كنت بجميع ما قلت معاندا و عن سبيل الإنصاف خارجا و فى إمام المسلمين طاعنا و إن تطرق مثل هذا الوهم على على ع ليتطرقن مثله على أعيان المهاجرين والأنصار أرباب الجهاد والقتال الذين نصرنا رسول الله ص بأنفسهم ووقوه بمهجمهم وفدوه بأبنائهم وآبائهم فلعل ذلك كان لعله من العلل المذكورة و فى ذلك الطعن فى الدين و فى جماعة المسلمين . و لوجاز أن يتوهم هذا فى على ع و فى غيره لما قال رسول الله ص حكاية عن الله تعالى لأهل بدر اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم -رواية- ١-٢-رواية- ٥٤-٨٤ قال لعلى ع برز الإيمان كله إلى الشرك كله -رواية- ١-٢-رواية- ١٦-٥٠ و لا قال أوجب طلحة. و قد علمنا ضرورة من دين الرسول ص تعظيمه لعلى ع تعظيما دينيا لأجل جهاده ونصرته فالطاعن

فيه طاعن في رسول الله ص إذ زعم أنه قديمكن أن يكون جهاده لا لوجه الله تعالى بل لأمر آخر من الأمور التي عددها وبعثه على التفوه بها إغواء الشيطان وكيد والإفراط في عداوة من أمر الله بمحبته ونهى عن بغضه وعداوته . [صفحہ ۲۸۶] أتري رسول الله ص خفى عليه من أمر علي ع مالم يح الجاحظ والعثمانية فمدحه و هو غير مستحق للمدح . قال الجاحظ فصاحب النفس المختارة المعتدلة يكون قتاله طاعة وفراره معصية لأن نفسه معتدلة كالميزان في استقامة لسانه وكفتيه فإذا لم يكن كذلك كان إقدامه طباعا وفراره طباعا . قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله فيقال له فلعل إنفاق أبي بكر على ماتزعم أربعين ألف درهم لاثواب له لأن نفسه ربما تكون غير معتدلة لأنه يكون مطبوعا على الجود والسخاء ولعل خروجه مع النبي ص يوم الهجرة إلى الغار لاثواب له فيه لأن أسبابه كانت له مهيجة ودواعيه غالبه محبة الخروج وبغض المقام ولعل رسول الله ص في دعائه إلى الإسلام وإكبابه على الصلوات الخمس في جوف الليل وتدييره أمر الأمة لاثواب له فيه لأنه قد تكون نفسه غير معتدلة بل يكون في طباعه الرئاسة وحبها والعبادة والالتذاذ بها ولقد كنا نعجب من مذهب أبي عثمان أن المعارف ضرورة وأنها تقع طباعا و في قوله بالتولد وحركة الحجر بالطبع حتى رأينا من قوله ما هو أعجب منه فزعم أنه ربما يكون جهاد علي ع وقتله المشركين لاثواب له فيه لأنه فعله طباعا وهذا طرف من قوله في المعرفة و في التولد . قال الجاحظ ووجه آخر أن عليا لو كان كما يزعم شيعة ما كان له بقتل الأقران كبير فضيلة ولا عظيم طاعة لأنه قد روى عن النبي ص أنه قال له -رواية ۱- ۲-رواية ۳-ادامه دارد [صفحہ ۲۸۷] ستقاتل بعدى الناكثين والقاسطين والمارقين -رواية ۴-از قبل ۴۸- فإذا كان قد وعد بالبقاء بعده فقد وثق بالسلامة من الأقران وعلم أنه منصور عليهم وقاتلهم فعلى هذا يكون جهاد طلحة والزبير أعظم طاعة منه . قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله هذا راجع على الجاحظ في النبي ص لأن الله تعالى قال له وَ اللَّهُ يَعْصِي لَكُمْ مِنْ النَّاسِ فَمَنْ يَنْصُرِكُمْ مِنْ أَقْرَبِهِ فَإِنَّ يَوْمَئِذٍ الْفَاجِرُونَ أُولُو أَرْحَامٍ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي الْوَجْهِ الْأَقْرَبِ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ -قرآن- ۲۳۵-۲۶۶ كثير من الناس يروى عنه ص اقتدوا باللذين من بعدى أبي بكر وعمر -رواية ۱- ۲-رواية ۳-۶۹- فوجب أن يبطل جهادهما وقد قال للزبير ستقاتل عليا و أنت ظالم له -رواية ۱- ۲-رواية ۳-۱۷- فأشعره بذلك أنه لا يموت في حياة رسول الله ص و قال في الكتاب العزيز لطلحة و ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله و لا أن تنكحوا أزواجه من بعده قالوا نزلت في طلحة فأعلمه بذلك أنه يبقى بعده فوجب ألا يكون لهما كبير ثواب في الجهاد و الذي صح عندنا من الخبر و هو قوله ستقاتل بعدى الناكثين أنه قال لما وضعت الحرب أوزارها ودخل الناس في دين الله أفواجا ووضعت الجزية ودانت العرب قاطبة . قال الجاحظ ثم قصد الناصرون لعلي والقائلون بتفضيله إلى الأقران الذين قتلهم فأطروهم وغلوا فيهم وليسوا هناك فمنهم عمرو بن عبدود تركتموه أشجع من عامر بن الطفيل وعتبة بن الحارث و بسطام بن قيس و قد سمعنا بأحداث حروب الفجار و ما كان بين قريش ودوس وحلف الفضول فما سمعت لعمرو بن عبدود ذكرا في ذلك . -قرآن ۸۱- ۱۶۵ [صفحہ ۲۸۸] قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله أمر عمرو بن عبدود أشهر وأكثر من أن يحتج له فلنتمسح كتب المغازي والسير ولننظر مآثره به شعراء قريش لما قتل فمن ذلك ما ذكره محمد بن إسحاق في مغازيه قال و قال مسافع بن عبد مناف بن زهرة بن حذافة بن جشم يبيكى عمرو بن عبد الله بن عبدود حين قتله علي بن أبي طالب ع مبارزة لما جزع المذاد أى قطع الخندق عمرو بن عبد كان أول فارس || جزع المذاد و كان فارس مليل سمح الخلائق ماجد ذو مرة || يبغى القتال بشكته لم ينكل ولقد علمتم حين ولوا عنكم || أن ابن عبدمنهم لم يعجل حتى تكفنه الكمأة وكلهم || يبغى القتال له و ليس بمؤتل ولقد تكنفت الفوارس فارسا || بجنوب سلع غيرنكس أميل سال النزال هناك فارس غالب || بجنوب سلع ليته لم ينزل فاذهب على ما ظفرت بمثلها || فخرا و لولا قيت مثل المعضل نفسى الفداء لفارس من غالب || لاقى حمام الموت لم يتحلحل أعنى الذى جزع المذاد و لم يكن || فشلا و ليس لدى الحروب بزميل . و قال هبيرة بن أبى وهب المخزومي يعتذر من فراره عن علي بن أبي طالب و تركه عمرا يوم الخندق ويبيكه [صفحہ ۲۸۹] لعمر ك ما وليت ظهري محمدا || وأصحابه جينا و لا خيفة القتل ولكننى قلبت أمرى فلم أجد || لسيفى غناء إن وقفت و

لأنبلى وفت فلما لم أجد لى مقدا || صدرت كضرغام هزبر إلى شبل ثنى عطفه عن قرنه حين لم يجد || مجالا و كان الحزم والرأى من فعلى فلاتبعدن ياعمر و حيا وهالكا || فقد مت محمود الثنا ماجد الفعل و لاتبعدن ياعمر و حيا وهالكا || فقد كنت فى حرب العدا مرهف النصل فمن لطراد الخيل تقدع بالقنا || وللبذل يوما عندقرقره البزل هنالك لو كان ابن عمرو لزارها || وفرجها عنهم فتى غير ماوغل كفتك على لن ترى مثل موقف || وفت على شلو المقدم كالفحل فما ظفرت كفاك يوما بمثلها || أمنت بها ماعشت من زلة النعل . و قال هبيرة بن أبى وهب أيضا يرثى عمرا ويكيه لقد علمت عليا لؤى بن غالب || لفارسها عمرو إذاناب نائب وفارسها عمرو إذا مايسوقه || على و إن الموت لاشك طالب عشية يدعو على وإنه || لفارسها إذ خام عنه الكتائب [صفحه ٢٩٠] فى لهف نفسى إن عمرا لكائن || بيثرب لازالت هناك المصائب لقد أحرز العليا على بقتله || وللخير يوما لامحالة جالب . و قال حسان بن ثابت الأنصارى يذكر عمرا أمسى الفتى عمرو بن عبدناظرا || كيف العبور وليته لم ينظر ولقد وجدت سيوفنا مشهورة || ولقد وجدت جيانا لم تقصر ولقد لقيت غداة بدر عصبه || ضربوك ضربا غير ضرب الحسر أصبحت لاتدعى ليوم عظيمة || ياعمر و أولجسيم أمر منكر . و قال حسان أيضا لقد شقبت بنو جمح بن عمرو || ومخزوم وتيم مانقيل وعمرو كالحسام فتى قريش || كأن جبينه سيف صقيل فتى من نسل عامر أريحي || تطاوله الأسنه والنصول دعاه الفارس المقدم لما || تكشفت المقانب والخيول أبوحسن فقنعه حساما || جرازا لأفل و لانكول فغادره مكبا مسلحبا || على عفراء لا بعدالقتيل . فهذه الأشعار فىه بل بعض ما قيل فىه . و أما الآثار والأخبار فموجودة فى كتب السير وأيام الفرسان ووقائعهم و ليس [صفحه ٢٩١] أحد من أرباب هذا العلم يذكر عمرا إلا قال كان فارس قريش وشجاعها وإنما قال له حسان ولقد لقيت غداة بدر عصبه لأنه شهد مع المشركين بدرا وقتل قوما من المسلمين ثم فر مع من فر ولحق بمكة و هو الذى كان قال وعاهد الله عندالكعبة ألا يدعو أحد إلى واحدة من ثلاث إلا أجابه وآثاره فى أيام الفجار مشهورة تنطق بها كتب الأيام والوقائع ولكنه لم يذكر مع الفرسان الثلاثة وهم عتبة وبسطام و عامر لأنهم كانوا أصحاب غارات ونهب و أهل بادية وقريش أهل مدينة وساكنو مدر وحجر لا يرون الغارات ولا يهبون غيرهم من العرب وهم مقتصرون على المقام ببلدتهم وحماية حرمهم فلذلك لم يشتهر اسمه كاشتهار هؤلاء . ويقال له إذا كان عمرو كمتاذكر ليس هناك فما باله لماجزع الخندق فى ستة فرسان هو أحدهم فصار مع أصحاب النبى ص على أرض واحدة وهم ثلاثة آلاف ودعاهم إلى البراز مرارا لم ينتدب أحد منهم للخروج إليه و لاسمح منهم أحد بنفسه حتى وبخهم وقرعهم وناداهم أستم تزعمون أنه من قتل منا فإلى النار و من قتل منكم فإلى الجنة أفلا يشتاق أحدكم إلى أن يذهب إلى الجنة أو يقدم عدوه إلى النار فجنبوا كلهم ونكلوا وملكهم الرعب والوهل فإما أن يكون هذا أشجع الناس كما قيل عنه أو يكون المسلمون كلهم أجبن العرب وأذلهم وأفشلهم وقدروى الناس كلهم الشعر الذى أنشده لمانكل القوم بجمعهم عنه و أنه جال بفرسه واستدار وذهب يمينه ثم ذهب يسره ثم وقف تجاه القوم فقال ولقد بححت من النداء || بجمعهم هل من مبارز [صفحه ٢٩٢] ووقفت إذ جبن المشيع || وقفه القرن المناجز وكذاك أنى لم أزل || متسرعا نحو الهزاهز إن الشجاعة فى الفتى || والوجود من خير الغرائز . فلما برز إليه على أجابه فقال له لاتعجلن فقد أتاك || مجيب صوتك غير عاجز ذونية وبصيرة || يرجو الغداة نجاه فائز إنى لأرجو أن أقيم || عليك نائحه الجنائز من ضربة تفنى ويبقى || ذكرها عندالهزاهز . ولعمرى لقد سبق الجاحظ بما قاله بعض جهال الأنصار لمارجع رسول الله من بدر و قال فتى من الأنصار شهد معه بدرا إن قتلنا الإعجاز صلعا فقال له النبى ص لاتقل ذلك يا ابن أخ أولئك الملاء . قال الجاحظ وقد أكثروا فى الوليد بن عتبة بن ربيعة قتيله يوم بدر و ما علمنا الوليد حضر حربا قط قبلها ولا ذكر فيها . قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله كل من دون أخبار قريش وآثار رجالها وصف الوليد بالشجاعة والبسالة و كان مع شجاعته أنه يصارع الفتيان فيصرعهم و ليس لأنه لم يشهد حربا قبلها ما يجب أن يكون بطلا شجاعا فإن عليا ع لم يشهد قبل بدر حربا و قدرأى الناس آثاره فيها . [صفحه ٢٩٣] قال الجاحظ و قد ثبت أبو بكر مع النبى

ص يوم أحد كما ثبت على فلا فخر لأحدهما على صاحبه في ذلك اليوم . قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله أما ثباته يوم أحد فأكثر المؤرخين وأرباب السير ينكرونه وجمهورهم يروى أنه لم يبق مع النبي ص إلا على وطلحة والزبير و أبودجانه و قدروى عن ابن عباس أنه قال ولهم خامس و هو عبد الله بن مسعود ومنهم من أثبت سادسا و هو المقداد بن عمرو وروى يحيى بن سلمة بن كهيل قال قلت لأبي كم ثبت مع رسول الله ص يوم أحد فقال اثنان قلت من هما قال على و أبودجانه . وهب أن أبابكر ثبت يوم أحد كما يدعيه الجاحظ يجوز له أن يقول ثبت كما ثبت على فلا فخر لأحدهما على الآخر و هو يعلم آثار على ع ذلك اليوم و أنه قتل أصحاب الألوية من بنى عبدالدار منهم طلحة بن أبي طلحة الذي رأى رسول الله ص في منامه أنه مردف كبشا فأوله و قال كبش الكتيبة نقتله فلما قتله على ع مبارزة و هو أول قتيل قتل من المشركين ذلك اليوم كبر رسول الله ص و قال هذا كبش الكتيبة . و ما كان منه من الحمامة عن رسول الله ص و قد فر الناس و أسلموه فتصمد له كتيبة من قريش فيقول يا على اكفنى هذه فيحمل عليها فيهزمها و يقتل عميدها حتى سمع المسلمون و المشركون صوتا من قبل السماء لاسيف إلاذو الفقار || و لافتي إلا على و حتى قال النبي ص عن جبرائيل ما قال . أتكون هذه آثاره و أفعاله ثم يقول الجاحظ لافخر لأحدهما على صاحبه . [صفحہ ۲۹۴] رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَ أَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ . قال الجاحظ ولأبي بكر في ذلك اليوم مقام مشهور خرج ابنه عبدالرحمن فارسا مكفرا في الحديد يسأل المبارزة و يقول أنا عبدالرحمن بن عتيق فنهض إليه أبوبكر يسعى بسيفه فقال له النبي ص شم سيفك و ارجع إلى مكانك و متعنا بنفسك . قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله ما كان أغناك يا أبا عثمان عن ذكر هذا المقام المشهور لأبي بكر فإنه لو سمعه الإمامية لأضافته إلى ما عندها من المثالب لأن قول النبي ص ارجع دليل على أنه لا يحتمل مبارزة أحد لأنه إذا لم يحتمل مبارزة ابنه و أنت تعلم حنو الابن على الأب و تبجيله له و إشفاقه عليه و كفه عنه لم يحتمل مبارزة الغريب الأجنبي . و قوله له و متعنا بنفسك إيذان له بأنه كان يقتل لو خرج و رسول الله كان أعرف به من الجاحظ فأين حال هذا الرجل من حال الرجل الذي صلى بالحرب و مشى إلى السيف بالسيف فقتل السادة و القادة و الفرسان و الرجال . قال الجاحظ على أن أبابكر و إن لم تكن آثاره في الحرب كآثار غيره فقد بذل الجهد و فعل ما يستطيعه و تبلغه قوته و إذا بذل المجهود فلا حال أشرف من حاله . قرآن ۱-۷۴ [صفحہ ۲۹۵] قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله أما قوله إنه بذل الجهد فقد صدق و أما قوله لا حال أشرف من حاله فخطأ لأن حال من بلغت قوته فأعملها في قتل المشركين أشرف من حال من نقصت قوته عن بلوغ الغاية ألا ترى أن حال الرجل أشرف في الجهاد من حال المرأة و حال البالغ الأيد أشرف من حال الصبي الضعيف . فهذه جملة ما ذكره الشيخ أبو جعفر محمد بن عبد الله الإسكافي رحمه الله في نقض العثمانية اقتصرنا عليها هاهنا و سنعود فيما بعد إلى ذكر جملة أخرى من كلامه إذا اقتضت الحال ذكره [صفحہ ۲۹۶]

۲۳۹- و من كلام له ع قاله لعبد الله بن عباس و قد جاءه برسالة من عثمان

إشارة

و هو محصور يسأله فيها الخروج إلى ماله بينع ليقبل هتف الناس باسمه للخلافه بعد أن كان سأله مثل ذلك من قبل فقال ع يا ابن عباس ما يريد عثمان إلا أن يجعلني جملاً ناصحاً بالرب أقبِل و أدبر بعث إلي أن أخرج ثم بعث إلي أن أقدم ثم هو الآن يبعث إلي أن أخرج و الله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثماً ينبع على يفعل مثل يحلم و يحكم اسم موضع كان فيه نخل لعلى بن أبي طالب ع و ينبع الآن بلد صغير من أعمال المدينة . و هتف الناس باسمه نداؤهم و دعاؤهم و أصله الصوت يقال هتف الحمام

يهتف هتفا وهتف زيد بعمر وهتافا أى صاح به وقوس هتافه وهتفى أى ذات صوت . والناضح البعير يستقى عليه وقال معاوية لقيس بن سعد وقد دخل عليه [صفحہ ۲۹۷] فى رهط من الأنصار ما فعلت نواضحكم يهزأ به فقال أنصباها فى طلب أيبك يوم بدر. والغرب اللدو العظيمة. قوله أقبل وأدبر أى يقول لى ذلك كما يقال للناضح وقد صرح العباس بن مرداس بهذه الألفاظ فقال أراك إذا أصبحت للقوم ناضحا || يقال له بالغرب أدبر وأقبل . قوله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثما يحتمل أن يريد بالغت واجتهدت فى الدفاع عنه حتى خشيت أن أكون آثما فى كثرة مبالغتى واجتهادى فى ذلك وإنه لا يستحق الدفاع عنه لجرائمه وأحداثه وهذاتأويل من ينحرف عن عثمان ويحتمل أن يريد لقد دفعت عنه حتى كدت أن ألقى نفسى فى الهلكة وأن يقتلنى الناس الذين ثاروا به فخفت الإثم فى تغيرى بنفسى وتوريطها فى تلك الورطة العظيمة ويحتمل أن يريد لقد جاهدت الناس دونه ودفعتهم عنه حتى خشيت أن أكون آثما بما نلت منهم من الضرب بالسوط والدفع باليد والإعانة بالقول أى فعلت من ذلك أكثر مما يحب

وصية العباس قبل موته لعلى

قرأت فى كتاب صنفه أبوحيان التوحيدى فى تقرير الجاحظ قال نقلت من خط الصولى قال الجاحظ إن العباس بن عبدالمطلب أوصى على بن أبى طالب ع فى علقته التى مات فيها فقال أى بنى إبنى مشف على الظعن عن الدنيا إلى الله الذى فاقنى إلى عفوه وتجوزة أكثر من حاجتى إلى ما أنضحك فيه وأشير عليك به [صفحہ ۲۹۸] ولكن العرق نبوض والرحم عروض وإذا قضيت حق العمومة فلا أبالى بعد إن هذا الرجل يعنى عثمان قد جاءنى مرارا بحديثك وناظرنى ملاينا ومخاشنا فى أمرك و لم أجد عليك إلا مثل ما أجد منك عليه و لا رأيت منه لك إلا مثل ما أجد منك له و لست تؤتى من قلته علم ولكن من قلته قبول و مع هذا كله فالرأى الذى أودعك به أن تمسك عنه لسانك ويدك وهمزك وغمزك فإنه لا يبدؤك ما لم تبدأه و لا يجيبك عما لم يبلغه و أنت المتجنى و هو المتأنى و أنت العائب و هو الصامت فإن قلت كيف هذا و قد جلس مجلسا أنا به أحق فقد قاربت ولكن ذاك بما كسبت يداك و نكص عنه عقباك لأنك بالأمس الأدنى هرولت إليهم تظن أنهم يحلون جيدك و يختمون إصبعك و يطئون عقبك و يرون الرشد بك و يقولون لا بد لنا منك و لا معدل لنا عنك و كان هذا من هفواتك الكبر وهناتك التى ليس لك منها عذر و الآن بعد ماثلت عرشك بيدك و نبذت رأى عمك فى البيداء يتدهده فى السافياء خذ بأحزم مما يتوضح به وجه الأمر لا تشار هذا الرجل و لا تماره و لا يبلغه عنك ما يحققه عليك فإنه إن كاشفك أصاب أنصارا و إن كاشفته لم تر إلا ضرارا و لم تستلج إلا عثارا و اعرف من هو بالشام له و من هاهنا حوله من يطيع أمره و يمثل قوله لا تغتر بناس يطيفون بك و يدعون الحنو عليك و الحب لك فإنهم بين مولى جاهل و صاحب متمن و جليس يرعى العين و يبتدر المحضر و لوطن الناس بك ما تظن بنفسك لكان الأمر لك و الزمام فى يدك ولكن هذا حديث يوم مرض رسول الله ص فات ثم حرم الكلام فيه حين مات فعليك الآن بالعزوف عن شىء عرضك [صفحہ ۲۹۹] له رسول الله ص فلم يتم و تصديت له مرة بعد مرة فلم يستقم و من ساور الدهر غلب و من حرص على ممنوع تعب فعلى ذلك فقد أوصيت عبد الله بطاعتك و بعثته على متابعتك و أوجرتة محبتك و وجدت عنده من ذلك ظنى به لك لا-توتر قوسك إلا بعد الثقة بها و إذا أعجبتك فانظر إلى سيتها ثم لا تفوق إلا بعد العلم و لا-تغرق فى النزاع إلا للتصيب الرمية و انظر لا-تطرف يمينك عينك و لا تجن شمالك شينك و دعنى بآيات من آخر سورة الكهف و قم إذا بدا لك قلت الناس يستحسنون رأى العباس لعلى ع فى الأ-يدخل فى أصحاب الشورى و أما أنا فإنى أستحسنه إن قصد به معنى و لا أستحسنه إن قصد به معنى آخر و ذلك لأنه إن أجرى بهذا الرأى إلى ترفعه عليهم و علو قدره عن

أن يكون مماثلاً لهم أو أجرى به إلى زهده في الإمارة ورغبته عن الولاية فكل هذارى حسن و صواب و إن كان منزعه في ذلك إلى أنك إن تركت الدخول معهم وانفردت بنفسك في دارك أو خرجت عن المدينة إلى بعض أموالك فإنهم يطلبونك ويضربون إليك آباط الإبل حتى يولوك الخلافة و هذا هو الظاهر من كلامه فليس هذا الرأى عندى بمستحسن لأنه لو فعل ذلك لولوا عثمان أو واحدا منهم غيره و لم يكن عندهم من الرغبة فيه ع ما يعثهم على طلبه بل كان تأخره عنهم قره أعينهم و واقعا بإيثارهم فإن قريشا كلها كانت تبغضه أشد البغض و لوعمر عمر نوح و توصل إلى الخلافة بجميع أنواع التوصل كالزهد فيها تارة و المناشدة بفوائده تارة و بما فعله في ابتداء الأمر من إخراج زوجته و أطفاله ليلا إلى بيوت الأنصار و بما اعتمده إذ ذاك من تخلفه في بيته و إظهار أنه قد انعكف على جمع القرآن و بسائر أنواع الحيل فيها لم تحصل له إلا بتجريد السيف كما فعل في آخر الأمر و لست ألو الم العرب لاسيما قريشا في بغضها له و انحرافها عنه فإنه و ترها و سفك دماءها و كشف القناع في منابذتها و نفوس العرب و أكبادهم كما تعلم [صفحہ ۳۰۰] و ليس الإسلام بمانع من بقاء الأحقاد في النفوس كما نشاهده اليوم عيانا و الناس كالناس الأول و الطبائع واحدة فأحسب أنك كنت من سنتين أو ثلاث جاهليا أو من بعض الروم و قد قتل واحد من المسلمين ابنك أو أخاك ثم أسلمت أ كان إسلامك يذهب عنك ما تجده من بغض ذلك القاتل و شأنه كلا إن ذلك لغير ذاهب هذا إذا كان الإسلام صحيحا و العقيدة محققة لا كإسلام كثير من العرب فبعضهم تقليدا و بعضهم للطمع و الكسب و بعضهم خوفا من السيف و بعضهم على طريق الحمية و الانتصار أو لعداوة قوم آخرين من أضداد الإسلام و أعدائه . و اعلم أن كل دم أراقه رسول الله ص بسيف على ع و بسيف غيره فإن العرب بعد وفاته ع عصبت تلك الدماء بعلى بن أبى طالب ع وحده لأنه لم يكن في رهطه من يستحق في شرعهم و سنتهم و عاداتهم أن يعصب به تلك الدماء لإبعلى وحده و هذه عادة العرب إذ قتل منها قتلى طالبت بتلك الدماء القاتل فإن مات أو تعذرت عليها مطالبتة طالبت بها أمثل الناس من أهله . لما قتل قوم من بنى تميم أخا لعمر و بن هند قال بعض أعدائه يحرض عمرا عليهم من مبلغ عمرا بأن || المرء لم يخلق صبارا و حوادث الأيام لا- || يبقى لها إلا الحجارة ها إن عجزه أمه || بالسفح أسفل من أواره تسفى الرياح خلال || كشحيه و قد سلبوا إزاره فاقتل زرارة لأرى || فى القوم أمثل من زراره . [صفحہ ۳۰۱] فأمره أن يقتل زرارة بن عدس رئيس بنى تميم و لم يكن قاتلا أخا الملك و لاحضرا قتله . و من نظر فى أيام العرب و وقائعها و مقاتلتها عرف ما ذكرناه . سألت النقيب أبا جعفر يحيى بن أبى زيد رحمه الله فقلت له إني لأعجب من على ع كيف بقى تلك المدة الطويلة بعد رسول الله ص و كيف ما اغتيل و فتك به فى جوف منزله مع تلظى الأكباد عليه . فقال لو لا أنه أرغم أنفه بالتراب و وضع خده فى حضيض الأرض لقتل ولكنه أخمل نفسه و اشتغل بالعبادة و الصلاة و النظر فى القرآن و خرج عن ذلك الزى الأول و ذلك الشعار و نسى السيف و صار كالفاتك يتوب و يصير سائحا فى الأرض أوراها فى الجبال و لما أطاع القوم الذين ولوا الأمر و صار أذل لهم من الحذاء تركوه و سكتوا عنه و لم تكن العرب لتقدم عليه إلا بمواطاة من متولى الأمر و باطن فى السر منه فلما لم يكن لولاء الأمر باعث و داع إلى قتله وقع الإمساك عنه و لو لا ذلك لقتل ثم أجل بعدمعقل حصين . فقلت له أحق ما يقال فى حديث خالد فقال إن قوما من العلوية يذكرون ذلك . ثم قال و قد روى أن رجلا جاء إلى زفر بن الهذيل صاحب أبى حنيفة فسأله عما يقول أبو حنيفة فى جواز الخروج من الصلاة بأمر غير التسليم نحو الكلام و الفعل الكثير أو الحدث فقال إنه جائز قد قال أبو بكر فى تشهده ما قال فقال الرجل [صفحہ ۳۰۲] و ما الذى قاله أبو بكر قال لا عليك فأعاد عليه السؤال ثانية و ثالثة فقال أخرجوه أخرجوه قد كنت أحدث أنه من أصحاب أبى الخطاب . قلت له فما الذى تقول أنت قال أنا أستبعد ذلك و إن روته الإمامية . ثم قال أما خالد فلا أستبعد منه الإقدام عليه بشجاعته فى نفسه و لبغضه إياه ولكنى أستبعده من أبى بكر فإنه كان ذا ورع و لم يكن ليجمع بين أخذ الخلافة و منع فدك و إغضاب فاطمة و قتل على ع حاش لله من ذلك فقلت له أ كان خالد يقدر على قتله قال نعم و لم لا يقدر على ذلك و السيف فى عنقه و على أعزل غافل عما يراد به قد قتله ابن

ملجم غيلةً وخالد أشجع من ابن ملجم. فسألته عما ترويه الإمامية في ذلك كيف ألفاظه فضحك وقال كم عالم بالشيء و هويسائل . ثم قال دعنا من هذا ما ألقى تحفظ في هذا المعنى قلت قول أبي الطيب نحن أدرى وقد سألنا بنجد || أطويل طريقنا أم يطول وكثير من السؤال اشتياق || وكثير من رده تعليل. فاستحسن ذلك وقال لمن عجز البيت ألقى استشهدت به قلت لمحمد بن هانئ المغربي وأوله في كل يوم أستريد تجاربا || كم عالم بالشيء و هويسائل. فبارك على مرارا ثم قال نترك الآن هذا ونتم ما كنا فيه وكنت أقرأ عليه في ذلك الوقت جمهرة النسب لابن الكلبي فعدنا إلى القراءة وعدلنا عن الخوض عما كان اعترض الحديث فيه [صفحة ٣٠٣]

٢٤٠- ومن كلام له ع اقتص فيه ذكر ما كان منه بعد هجرة النبي ص ثم لحاقه به

فَجَعَلْتُ أَتْبَعُ مَا خَذَ رَسُولُ اللَّهِ ص فَأَطَأُ ذِكْرَهُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الْعَرَجِ فِي كَلَامِ طَوِيلٍ قَالَ الرضی رحمه الله تعالى قوله ع فأطأ ذكره من الكلام الذي رمى به إلى غايته الإيجاز والفصاحة أراد أني كنت أعطى خبره ص من بدء خروجي إلى أن انتهيت إلى هذا الموضع فكنى عن ذلك بهذه الكناية العجيبة -روایت- ١-٢١٦ العرج منزل بين مكة والمدينة إليه ينسب العرجي الشاعر و هو عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس . قال محمد بن إسحاق في كتاب المغازي لم يعلم رسول الله ص أحدا من المسلمين ما كان عزم عليه من الهجرة إلا على بن أبي طالب و أبابكر بن أبي قحافة أما على فإن رسول الله ص أخبره بخروجه وأمره أن يبيت على [صفحة ٣٠٤] فراشه يخادع المشركين عنه ليروا أنه لم يبرح فلا يطلبوه حتى تبعد المسافة بينهم وبينه و أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عن رسول الله ص الودائع التي عنده للناس و كان رسول الله ص استودعه رجال من مكة ودائع لهم لما يعرفونه من أمانته و أما أبو بكر فخرج معه . وسألت النقيب أبا جعفر يحيى بن أبي زيد الحسنی رحمه الله فقلت إذا كانت قريش قد محصت رأيها وألقى إليها إبليس كماروى ذلك الرأي و هو أن يضربوه بأسياف من أيدي جماعة من بطون مختلفة ليضيع دمه في بطون قريش فلا تطلبه بنو عبد مناف فلما إذا انتظروا به تلك الليلة الصبح فإن الرواية جاءت بأنهم كانوا تسوروا الدار فعانوا فيها شخصا مسجى بالبرد الحضرمي الأخضر فلم يشكوا أنه هو فرصدوه إلى أن أصبحوا فوجدوه عليا و هذا طريف لأنهم كانوا قد أجمعوا على قتله تلك الليلة فما بالهم لم يقتلوا ذلك الشخص المسجى وانتظارهم به النهار دليل على أنهم لم يكونوا أرادوا قتله تلك الليلة فقال في الجواب لقد كانوا هموا من النهار بقتله تلك الليلة و كان إجماعهم على ذلك وعزمهم في حقنه من بني عبد مناف لأن الذين محصوا هذا الرأي واتفقوا عليه النضر بن الحارث من بني عبد الدار و أبو البختري بن هشام و حكيم بن حزام و زمعة بن الأسود بن المطلب هؤلاء الثلاثة من بني أسد بن عبد العزى و أبو جهل بن هشام و أخوه الحارث و خالد بن الوليد بن المغيرة هؤلاء الثلاثة من بني مخزوم و نبيه و منبه ابنا الحجاج و عمرو بن العاص هؤلاء الثلاثة من بني سهم و أمية بن خلف و أخوه أبي بن خلف هذان من بني جمح فمما هذا الخبر من الليل إلى عتبة بن ربيعة بن عبد شمس فلقى منهم قوما فنهاهم عنه و قال إن بني عبد مناف لا تمسك عن دمه ولكن صفدوه [صفحة ٣٠٥] في الحديد واحبسوه في دار من دوركم و تربصوا به أن يصيبه من الموت ما أصاب أمثاله من الشعراء و كان عتبة بن ربيعة سيد بني عبد شمس ورئيسهم وهم من بني عبد مناف و بنو عم الرجل و رهطه فأحجم أبو جهل و أصحابه تلك الليلة عن قتله إحجاما ثم تسوروا عليه وهم يظنون في الدار فلما رأوا إنسانا مسجى بالبرد الأخضر الحضرمي لم يشكوا أنه هو و ائتمروا في قتله فكان أبو جهل يذمرهم عليه فيهمون ثم يحجمون ثم قال بعضهم لبعض ارموه بالحجارة فرموه فجعل على يتصور منها و يتقلب و يتأوه و تأوها خفيفا فلم يزالوا كذلك في إقدام عليه و إحجام عنه لما يريد الله تعالى من سلامته و نجاته حتى أصبح و هو و قيذ من رمى الحجارة و لو لم يخرج رسول الله

ص إلى المدينة وأقام بينهم بمكة و لم يقتلوه تلك الليلة لقتلوه في الليلة التي تليها و إن شبت الحرب بينهم و بين عبدمناف فإن أباجهل لم يكن بالذى ليمسك عن قتله و كان فاقد البصيرة شديد العزم على الولوغ في دمه . قلت للنقيب أفعلم رسول الله ص و على ع بما كان من نهى عتبه لهم قال لاإنهما لم يعلما ذلك تلك الليلة وإنما عرفاه من بعد ولقد قال رسول الله ص يوم بدر لمارأى عتبه و ما كان منه إن يكن فى القوم خير فى صاحب الجمل الأحمر و لو قدرنا أن عليا ع علم ما قال لهم عتبه لم يسقط ذلك فضيلته فى المبيت لأنه لم يكن على ثقة من أنهم يقبلون قول عتبه بل كان ظن الهلاك والقتل أغلب . و أماحال على ع فلما أدى الودائع خرج بعدثلاث من هجرة النبي [صفحہ ۳۰۶] ص فجاء إلى المدينة راجلا قد تورمت قدماه فصادف رسول الله ص نازلا- بقاء على كلثوم بن الهدم فنزل معه فى منزله و كان أبوبكر نازلا بقاء أيضا فى منزل حبيب بن يساف ثم خرج رسول الله ص وهما معه من بقاء حتى نزل بالمدينة على أبى أيوب خالد بن يزيد الأنصارى وابتنى المسجد [صفحہ ۳۰۷]

۲۴۱- و من خطبة له ع

فَاعْمَلُوا وَ أَنْتُمْ فِي نَفْسِ الْبَقَاءِ وَ الصَّيْحَفِ مَنْشُورَةٍ وَ التَّوْبَةِ مَبْسُوطَةٍ وَ الْمُدْبِرِ يُدْعَى وَ الْمَسِيءُ يُرْجَى قَبْلَ أَنْ يَخْمَدَ الْعَمَلُ وَ يَنْقَطِعَ الْمَهْلُ وَ تَنْقَضِيَ الْمُدَّةُ وَ يَسُدَّ بَابُ التَّوْبَةِ وَ تَصْعَدَ الْمَلَائِكَةُ فَأَخَذَ امْرُؤٌ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ وَ أَخَذَ مِنْ حَيِّ لِمَيِّتٍ وَ مِنْ فَا نِ لِبَاقٍ وَ مِنْ ذَاهِبٍ لِدَائِمٍ امْرُؤٌ خَافَ اللَّهَ وَ هُوَ مُعَمَّرٌ إِلَى أَجَلِهِ وَ مَنْظُورٌ إِلَى عَمَلِهِ امْرُؤٌ أَلْجَمَ نَفْسَهُ بِلِجَامِهَا وَ زَمَّهَا بِزِمَامِهَا فَأَمَسَّ كَهَا بِلِجَامِهَا عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ وَ قَادَهَا بِزِمَامِهَا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ فِي نَفْسِ الْبَقَاءِ بِفَتْحِ الْفَاءِ أَى فِي سَعْتِهِ أَنْتَ فِي نَفْسٍ مِنْ أَمْرِكَ أَى فِي سَعْتِهِ . وَالصَّحْفِ مَنْشُورَةٍ أَى وَأَنْتُمْ بَعْدَ أَحْيَاءٍ لِأَنَّهُ لَا-تَطْوَى صَحِيفَةُ الْإِنْسَانِ إِلَّا- إِذَامَاتٍ وَالتَّوْبَةُ مَبْسُوطَةٌ لَكُمْ غَيْرْمَقْبُوضَةٌ عَنْكُمْ وَ لاَمْرُودَةٌ عَلَيْكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ كَمَا تَرُدُّ عَلَى الْإِنْسَانِ تَوْبَتَهُ إِذَا حْتَضَرَ . وَالْمُدْبِرُ يُدْعَى أَى مِنْ يَدْبِرُ مِنْكُمْ وَيُولَى عَنِ الْخَيْرِ يُدْعَى إِلَيْهِ وَيُنَادَى يَافِلَانَ أَقْبَلَ عَلَى مَا يَصْلِحُكَ . [صفحہ ۳۰۸] وَالْمَسِيءُ يُرْجَى أَى يُرْجَى عَوْدُهُ وَإِقْلَاعُهُ . قَبْلَ أَنْ يَجْمَدَ الْعَمَلَ اسْتِعَارَةً مَلِيحَةً لِأَنَّ الْمَيِّتَ يَجْمَدُ عَمَلَهُ وَيَقِفُ وَيُرْوَى يَخْمَدُ بِالْخَاءِ مِنْ خَمَدَتِ النَّارُ وَالْأَوَّلُ أَحْسَنُ . وَيَنْقَطِعُ الْمَهْلُ أَى الْعَمْرُ الَّذِي أَمَهَلْتُمْ فِيهِ . وَتَصْعَدُ الْمَلَائِكَةُ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ عِنْدَ مَوْتِهِ تَصْعَدُ حَفْظَتُهُ إِلَى السَّمَاءِ لِأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ لَهُمْ شُغْلٌ فِي الْأَرْضِ . قَوْلُهُ فَأَخَذَ امْرُؤٌ مَاضٍ يَقُومُ مَقَامَ الْأَمْرِ وَ قَدْ تَقَدَّمَ شَرَحَ ذَلِكَ وَالْمَعْنَى أَنَّ مَنْ يَصُومُ وَيُصَلِّي فَإِنَّمَا يَأْخُذُ بَعْضُ قُوَّةِ نَفْسِهِ مِمَّا يَلْقَى مِنَ الْمَشَقَّةِ لِنَفْسِهِ أَى عِدَّةً وَذَخِيرَةً لِنَفْسِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَكَذَلِكَ مَنْ يَتَصَدَّقُ فَإِنَّهُ يَأْخُذُ مِنْ مَالِهِ وَهُوَ جَارٍ مَجْرَى نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ . وَأَخَذَ مِنْ حَيِّ لِمَيِّتٍ أَى مِنْ حَالِ الْحَيَاةِ لِحَالِ الْمَوْتِ وَ لَوْ قَالَ مَنْ مَيِّتٌ لِحَيِّ كَانَ جَيِّدًا أَيْضًا لِأَنَّ الْحَيَّ فِي الدُّنْيَا لَيْسَ بِحَيٍّ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَإِنَّمَا الْحَيَاةُ حَيَاةُ الْآخِرَةِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَ إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ . وَرَوَى أَمْسَكَهَا بِلِجَامِهَا بِغَيْرِ فَاءِ - قُرْآن- ۷۰۶-۷۴۹ [صفحہ ۳۰۹]

۲۴۲- و من خطبة له ع فى شأن الحكيمين وذم أهل الشام

إشارة

جُفَاءً طَغَامًا عَيْبُذًا أَقْرَامًا جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَ تَلْقَطُوا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يُفَقَّهَ وَ يُؤَدَّبَ وَ يُعَلَّمَ وَ يُدْرَبَ وَ يُؤَلَّى عَلَيْهِ وَ يُؤَخَذَ عَلَى يَدَيْهِ لَيْسُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ وَ لَا مِنَ الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَ الْإِيمَانَ أَلَا وَ إِنَّ الْقَوْمَ اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا يُحِبُّونَ وَ إِنَّكُمْ اخْتَرْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا تَكْرَهُونَ وَ إِنَّمَا عَهْدُكُمْ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ بِالْأَمْسِ يَقُولُ إِنَّهَا فِتْنَةٌ فَفَطَّعُوا أَوْتَارَكُمْ وَ شَيِّمُوا شَيْوَفَكُمْ فَإِنْ كَانَ صَادِقًا فَصَدَّ أَحْطَأَ بِمَسِيرِهِ غَيْرَ مُسْتَكْرِهِ وَ إِنْ كَانَ كَاذِبًا فَصَدَّ لَزِمْتَهُ التَّهْمَةُ فَادْفَعُوا فِي صِدْرِ

عَمِرِو بْنِ الْعِيَاصِ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ وَ خُذُوا مَهْلَ الْأَيَّامِ وَ حُوْطُوا قَوَاصِي الْإِسْلَامِ أَلَّا تَرَوْنَ إِلَيَّ بِلَادِكُمْ تُغْزَى وَ إِلَيَّ صِيَفَاتِكُمْ تُرْمَى جَفَاءَ جَمْعَ جَافٍ أَيْ هُمْ أَعْرَابُ أَجْلَافٍ وَ الطَّغَامِ أَوْ غَادِ النَّاسِ الْوَاحِدِ وَ الْجَمْعُ فِيهِ سَوَاءٌ . وَيُقَالُ لِلْأَشْرَارِ وَ اللَّثَامِ عَيْسِدٌ وَ إِنْ كَانُوا أَحْرَارًا . [صَفْحَهُ ٣١٠] وَ الْأَقْرَامُ بِالزَّيِّ رَذَالُ النَّاسِ وَ سَفَلَتُهُمْ وَ الْمَسْمُوعُ قَزَمَ الذِّكْرُ وَ الْأُنْثَى وَ الْوَاحِدُ وَ الْجَمْعُ فِيهِ سَوَاءٌ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى الْمَصْدَرِ قَالَ الشَّاعِرُ وَ هُمْ إِذَا الْخَيْلَ جَالُوا فِي كِتَابِهَا || فَوَارِسَ الْخَيْلَ لَامِيلٌ وَ لَاقَزَمَ . وَ لَكِنَّهُ عَ قَالَ أَقْرَامٌ لِيُوزَنَ بِهَا قَوْلُهُ طَغَامٌ وَ قَدْرُوى قَزَامٌ وَ هِيَ رِوَايَةٌ جَيِّدَةٌ وَ قَدَنْطَقَتِ الْعَرَبُ بِهَذِهِ اللَّفْظَةِ وَ قَالَ الشَّاعِرُ أَحْصَنُوا أَمَّهُمْ مِنْ عِبْدِهِمْ || تِلْكَ أَعْمَالُ الْقَزَامِ الْوَكْعَةُ . وَ جَمَعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ أَيْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ . وَ تَلْقَطُوا مِنْ كُلِّ شُوبٍ أَيْ مِنْ فَرْقٍ مُخْتَلِطَةٍ . ثُمَّ وَصَفَ جَهْلَهُمْ وَ بَعْدَهُمْ عَنِ الْعِلْمِ وَ الدِّينِ فَقَالَ مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يَفْقَهُ وَ يُؤَدِّبَ أَيْ يَعْلَمُ الْفِقْهَ وَ الْأَدَبَ وَ يَدْرِبَ أَيْ يَعُودُ اعْتِمَادَ الْأَفْعَالِ الْحَسَنَةَ وَ الْأَخْلَاقَ الْجَمِيلَةَ . وَ يُؤَلِّى عَلَيْهِ أَيْ لَا يَسْتَحِقُّونَ أَنْ يُؤَلِّىُوا أَمْرًا بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَحْجَرَ عَلَيْهِمْ كَمَا يَحْجَرُ عَلَى الصَّبِيِّ وَ السَّفِيهِ لَعَدَمِ رَشْدِهِ وَ رُوى وَ يُؤَلِّى عَلَيْهِ بِالتَّخْفِيفِ وَ يُؤْخَذُ عَلَى يَدَيْهِ أَيْ يَمْنَعُ مِنَ التَّصْرِيفِ . قَوْلُهُ عَ وَ لَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَ الْإِيمَانَ ظَاهِرُ اللَّفْظِ يَشْعُرُ بِأَنَّ الْأَقْسَامَ ثَلَاثَةٌ وَ لَيْسَتْ إِلَّا اثْنَيْنِ لِأَنَّ الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَ الْإِيمَانَ الْأَنْصَارُ وَ لَكِنَّهُ عَ كَرَّرَ ذِكْرَهُمْ تَأْكِيدًا وَ أَيْضًا فَإِنَّ لَفْظَةَ الْأَنْصَارِ وَاقِعَةٌ عَلَى كُلِّ مَنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ وَ الْخَزْرَجِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَ وَ الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ [صَفْحَهُ ٣١١] وَ الْإِيمَانَ فِي الْآيَةِ قَوْمٌ مَخْصُوصُونَ مِنْهُمْ وَ هُمْ أَهْلُ الْإِخْلَاصِ وَ الْإِيمَانَ التَّامِ فَصَارَ ذِكْرُ الْخَاصِّ بَعْدَ الْعَامِ كَذِكْرِهِ تَعَالَى جَبْرِيلَ وَ مِيكَائِيلَ ثُمَّ قَالَ وَ الْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ وَ هُمَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَ الْإِيمَانَ سَكَنَهُمَا وَ إِنْ كَانَ الْإِيمَانَ لَا يَسْكُنُ كَمَا تَسْكُنُ الْمَنَازِلَ لَكِنَّهُمْ لَمَّا ثَبَتُوا عَلَيْهِ وَاطْمَأَنَّنُوا سَمَاءَ مَنْزِلًا لَهُمْ وَ مَتَّبِعُوا وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِثْلُ قَوْلِهِ - قُرْآن - ١٤٠ - ١٧٤ وَ رَأَيْتَ زَوْجَكَ فِي الْوُغَى || مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَ رَمَحًا . ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ أَهْلَ الشَّامِ اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا يَحْبُونَهُ وَ هُوَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَ كَرَّرَ لَفْظَةَ الْقَوْمِ وَ كَانَ الْأَصْلُ أَنْ يَقُولَ أَلَا وَ إِنْ الْقَوْمِ اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ أَقْرَبَهُمْ مِمَّا يَحْبُونَ فَأَخْرَجَهُ مَخْرَجَ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ وَ الَّذِي يَحِبُّهُ أَهْلُ الشَّامِ هُوَ الْإِخْلَاصُ عَلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ وَ الظَّفَرِ بِهِمْ وَ كَانَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ أَقْرَبَهُمْ إِلَى بَلُوغِ ذَلِكَ وَ الْوَصُولِ إِلَيْهِ بِمَكْرِهِ وَ حِيلَتِهِ وَ خِدَائِعِهِ وَ الْقَوْمِ فِي قَوْلِهِ ثَانِيًا أَقْرَبَ الْقَوْمِ بِمَعْنَى النَّاسِ كَأَنَّهُ قَالَ وَ اخْتَرْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ أَقْرَبَ النَّاسِ مِمَّا تَكْرَهُونَهُ وَ هُوَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ وَ اسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ وَ الَّذِي يَكْرَهُهُ أَهْلُ الْعِرَاقِ هُوَ مَا يَحِبُّهُ أَهْلُ الشَّامِ وَ هُوَ خَذْلَانُ عَسْكَرِ الْعِرَاقِ وَ انْكَسَارُهُمْ وَ اسْتِيلَاءُ أَهْلِ الشَّامِ عَلَيْهِمْ وَ كَانَ أَبُو مُوسَى أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَى وَقُوعِ ذَلِكَ وَ هَكَذَا وَقَعَ لِبَلِيهِ وَ غَفَلَتُهُ وَ فُسَادُ رَأْيِهِ وَ بَغْضُهُ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ . ثُمَّ قَالَ أَنْتُمْ بِالْأَمْسِ يَعْْنَى فِي وَاقِعَةِ الْجَمَلِ قَدْ سَمِعْتُمْ أَبَا مُوسَى يَنْهَى أَهْلَ الْكُوفَةِ - قُرْآن - ٢١١ - ٢٦٤ [صَفْحَهُ ٣١٢] عَنْ نَصْرَتِي وَ يَقُولُ لَهُمْ هَذِهِ هِيَ الْفِتْنَةُ الَّتِي وَعَدْنَا بِهَا فِقْطَعُوا أَوْتَارَ قَسِيكُم وَ شِيمُوا سِيُوفَكُم أَيْ أَغْمَدُواهَا فَإِنَّ كَانَ صَادِقًا فَمَا بِالْهَ سَارَ إِلَى وَ صَارَ مَعِيَ فِي الصَّفِّ وَ حَضَرَ حَرْبَ صَفِّينَ وَ كَثُرَ سَوَادُ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَ إِنْ لَمْ يَحَارِبْ وَ لَمْ يَسَلِ السَّيْفَ فَإِنَّ مِنْ حَضَرَ فِي إِحْدَى الْجِهَتَيْنِ وَ إِنْ لَمْ يَحَارِبْ كَمَنْ حَارِبَ وَ إِنْ كَانَ كَاذِبًا فِيمَا رَوَاهُ مِنْ خَبَرِ الْفِتْنَةِ فَقَدْ لَزِمَتْهُ التَّهْمَةُ وَ قَبِحَ الْاِخْتِلَافُ إِلَيْهِ فِي الْحُكُومَةِ وَ هَذَا يُؤَكِّدُ صِحَّةَ إِحْدَى الرِّوَايَتَيْنِ فِي أَمْرِ أَبِي مُوسَى فَإِنَّهُ قَدْ اِخْتَلَفَتِ الرِّوَايَةُ هَلْ حَضَرَ حَرْبَ صَفِّينَ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ أَمْ لَا فَمَنْ قَالَ حَضَرَ قَالَ حَضَرَ وَ لَمْ يَحَارِبْ وَ مَا طَلَبَهُ الْيَمَانِيُّونَ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ عَ لِيَجْعَلُوهُ حَكَمًا كَالْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ وَ غَيْرِهِ إِلَّا - وَ هُوَ حَاضِرٌ مَعَهُمْ فِي الصَّفِّ وَ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ عَلَى مَسَافَةٍ وَ لَوْ كَانَ عَلَى مَسَافَةٍ لَمَا طَلَبُوهُ وَ لَكِنْ لَهُمْ فِيمَنْ حَضَرَ غَنَاءٌ عَنْهُ وَ لَوْ كَانَ عَلَى مَسَافَةٍ لَمَا وَاقَفَ عَلَى عَلِيٍّ عَ عَلَى تَحْكِيمِهِ وَ لَا كَانَ عَلَى عَلِيٍّ عَ مِمَّنْ يَحْكُمُ مِنْ لَمْ يَحْضُرْ مَعَهُ . وَ قَالَ الْأَكْثَرُونَ إِنَّهُ كَانَ مَعْتَزِلًا - لِلْحَرْبِ بَعِيدًا عَنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَ أَهْلِ الشَّامِ . فَإِنَّ قُلْتَ فَلَمْ لَا يَحْمِلُ قَوْلُهُ عَ فَإِنَّ كَانَ صَادِقًا فَقَدْ أَخْطَأَ بِسَيْرِهِ غَيْرَ مُسْتَكْرَهٍ عَلَى مَسِيرِهِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَ وَ أَهْلِ الْعِرَاقِ حَيْثُ طَلَبُوهُ لِيَفُوضُوا إِلَيْهِ أَمْرَ الْحُكُومَةِ قُلْتَ لَوْ حَمَلْنَا كَلَامَهُ عَ عَلَى هَذَا لَمْ يَكُنْ لِأَبِي مُوسَى وَ كَانَ الْجَوَابُ عَنْهُ هِينًا وَ ذَلِكَ لِأَنَّ أَبَا مُوسَى يَقُولُ إِنَّمَا أَنْكَرْتُ الْحَرْبَ وَ مَا سَرْتُ لِأَحَارِبٍ وَ لَا لِأَشْهَدِ الْحَرْبِ وَ لَا أَعْرَى بِالْحَرْبِ وَ إِنَّمَا سَرْتُ لِلْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ وَ إِطْفَاءِ نَائِرَةِ الْفِتْنَةِ فَلَيْسَ يَنْقَاضُ ذَلِكَ مَارُويَتَهُ

عن الرسول من خبر الفتنة و لا ماقلته في الكوفة في واقعة الجمل قطعوا أوتار قسيكم . [صفحة ٣١٣] قوله ع فادفعوا في صدر عمرو بن العاص بعبد الله بن العباس يقال لمن يرام كفه عن أمر يتناول له ادفع في صدره و ذلك لأن من يقدم على أمر بيدنه فيدفع دافع في صدره حقيقة فإنه يرد أو يكاد فنقل ذلك إلى الدفع المعنوي. قوله ع وخذوا مهل الأيام أى اغتتموا سعة الوقت وخذوه مناهبة قبل أن يضيق بكم أوفوت . قوله ع وحوطوا قواصي الإسلام ما بعد من الأطراف والنواحي. ثم قال لهم ألا ترون إلى بلادكم تغزى هذايدل على أن هذه الخطبة بعدانقضاء أمر التحكيم لأن معاوية بعد أن تم على أبي موسى من الخديعة ماتم استعجل أمره وبعث السرايا إلى أعمال أمير المؤمنين على ع . وتقول قدرمى فلان صفاة فلان إذادهاها بداهية قال الشاعر والدهر يوتر قوسه || يرمى صفاتك بالمعابل . وأصل ذلك الصخرة الملساء لا يؤثر فيها السهام ولا يرميها الرامى إلا بعد أن نبل غيرها يقول قدبلغت غارات أهل الشام حدود الكوفة التي هي دار الملك وسرير الخلافة و ذلك لا يكون إلا بعدالإثخان في غيرها من الأطراف

فصل في نسب أبي موسى والرأى فيه

عندالمعتزلة ونحن نذكر نسب أبي موسى وشيئا من سيرته وحاله نقلا من كتاب الإستيعاب لابن عبد البر المحدث ونتبع ذلك بما نقلناه من غيرالكتاب المذكور قال ابن عبد البر هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضارة بن حرب بن عامر بن عتار بن بكر بن عامر [صفحة ٣١٤] بن عذر بن وائل بن ناجية بن الجماهر بن الأشعر و هونبت بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وأمه امرأة من عك أسلمت وماتت بالمدينة واختلف في أنه هل هو من مهاجرة الحبشة أم لا والصحيح أنه ليس منهم ولكنه أسلم ثم رجع إلى بلاد قومه فلم يزل بها حتى قدم هو وناس من الأشعريين على رسول الله ص فوافق قدومهم قدوم أهل السفينتين جعفر بن أبي طالب وأصحابه من أرض الحبشة فوافقوا رسول الله ص بخير فظن قوم أن أبا موسى قدم من الحبشة مع جعفر. وقيل إنه لم يهاجر إلى الحبشة وإنما أقبل في سفينة مع قوم من الأشعريين فرمت الريح سفينتهم إلى أرض الحبشة وخرجوا منها مع جعفر وأصحابه فكان قدومهم معا فظن قوم أنه كان من مهاجرة الحبشة. قال وولاه رسول الله ص من مخاليف اليمن زييد وولاه عمر البصرة لماعزل المغيرة عنها فلم يزل عليها إلى صدر من خلافة عثمان فعزله عثمان عنها وولاه عبد الله بن عامر بن كريز فنزل أبو موسى الكوفة حينئذ وسكنها فلما كره أهل الكوفة سعيد بن العاص ودفعوه عنها ولوا أبا موسى وكتبوا إلى عثمان يسألونه أن يولييه فأقره على الكوفة فلما قتل عثمان عزله على ع عنها فلم يزل واجدا لذلك على على ع حتى جاء منه ما قال حذيفة فيه فقد روى حذيفة فيه كلاما كرهت ذكره و الله يغفر له . قلت الكلام الذى أشار إليه أبو عمر بن عبد البر و لم يذكره قوله فيه و قد ذكر عنده بالدين أما أنتم فتقولون ذلك و أما أنا فأشهد أنه عدو لله ولرسوله وحرب لهما في الحياة الدنيا و يوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم [صفحة ٣١٥] سوء الدار و كان حذيفة عارفا بالمنافقين أسر إليه رسول الله ص أمرهم وأعلمه أسماءهم . وروى أن عمارا سئل عن أبي موسى فقال لقد سمعت فيه من حذيفة قولاً عظيماً سمعته يقول صاحب البرنس الأسود ثم كلح كلوحا علمت منه أنه كان ليلة العقبة بين ذلك الرهط. وروى عن سويد بن غفلة قال كنت مع أبي موسى على شاطئ الفرات في خلافة عثمان فروى لى خيرا عن رسول الله ص قال سمعته يقول إن بنى إسرائيل اختلفوا فلم يزل الاختلاف بينهم حتى بعثوا حكيمين ضالين ضالا وأضلا من اتبعهما و لا ينفك أمر أمتى حتى يبعثوا حكيمين يضلان ويضلان من تبعهما -رواية-١-٢-رواية-٢٠-١٨١ فقلت له احذر يا أبا موسى أن تكون أحدهما قال فخلع قميصه و قال أبرأ إلى الله من ذلك كما أبرأ من قميصى هذا. فأما ماتعتقده المعتزلة فيه فأنا أذكر ما قاله أبو محمد بن متويه في

كتاب الكفاية قال رحمه الله أما أبو موسى فإنه عظم جرمه بما فعله وأدى ذلك إلى الضرر الذي لم يخف حاله و كان على ع يقنت عليه و على غيره فيقول اللهم العن معاوية أولا وعمرا ثانيا و أباالأعور السلمي ثالثا و أبا موسى الأشعري رابعا -رواية- ١- ٢-رواية- ٩-٩٨ روى عنه ع أنه كان يقول في أبي موسى صيغ بالعلم صبغا وسلخ منه سلخا -رواية- ١-٢-رواية- ١٥-٧٩ . قال و أبو موسى هو الذي روى عن النبي ص أنه قال كان في -رواية- ١-٢-رواية- ٣١-٣١-ادامه دارد [صفحه ٣١٦] بنى إسرائيل حكمان ضالان وسيكون في أمتي حكمان ضالان ضال من اتبعهما -رواية- از قبل -٧٧ . و أنه قيل له ألا يجوز أن تكون أحدهما فقال لا أو كلاهما ما هدامعناه فلما بلى به قيل فيه البلاء موكل بالمنطق و لم يثبت في توبته ما ثبت في توبه غيره و إن كان الشيخ أبو على قد ذكر في آخر كتاب الحكمين أنه جاء إلى أمير المؤمنين ع في مرض الحسن بن على فقال له أجتنا عائدا أم شامتا فقال بل عائدا وحدث بحدیث فی فضل العیادة. قال ابن متویه و هذه أماره ضعيفه في توبته. انتهى كلام ابن متويه وذكرته لك لتعلم أنه عندالمعتزله من أرباب الكباثر و حكمه حكم أمثاله ممن واقع كبيره ومات عليها. قال أبو عمر بن عبد البر واختلف في تاريخ موته فقيل سنه اثنتين وأربعين وقيل سنه أربع وأربعين وقيل سنه خمسين وقيل سنه اثنتين وخمسين . واختلف في قبره فقيل مات بمكه ودفن بها وقيل مات بالكوفه ودفن بها [صفحه ٣١٧]

٢٤٣- و من خطبه له ع يذكر فيها آل محمدص

هُم عَيْشُ الْعِلْمِ وَ مَوْتُ الْجَهْلِ يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنِ عِلْمِهِمْ وَ ظَاهِرُهُمْ عَنِ بَاطِنِهِمْ وَ صَمْتُهُمْ عَنِ حُكْمِ مَنْطِقِهِمْ لَا يُخَالِفُونَ الْحَقَّ وَ لَمَّا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَ هُمْ دَعَائِمُ الْإِسْلَامِ وَ وَلَاتُجُّ الْإِعْتِصَامَ بِهِمْ عَادَ الْحَقُّ إِلَى نِصَابِهِ وَ انزاح الباطل عن مقامه و انقطع لسانه عن منبته عقلوا الدين عقل و عايناه و رعايناه لما عقل سماع و روايناه فإن رواه العلم كثير و رعايته قليل يقول بهم يحيا العلم ويموت الجهل فسماهم حيا ذاك وموت هذانظرا إلى السببيه يدلکم حلمهم وصفحهم عن الذنوب على علمهم وفضائلهم ويدلکم مآظهم منهم من الأفعال الحسنه على ما بطن من إخلاصهم ويدلکم صمتهم وسكوتهم عما لا يعينهم عن حكمه منطقتهم ويروى ويدلکم صمتهم على منطقتهم و ليس في هذه الروايه لفظه حكم . لا يخالفون الحق لا يعدلون عنه و لا يختلفون فيه كما يختلف غيرهم من الفرق وأرباب المذاهب فمنهم من له في المسأله قولان وأكثر ومنهم من يقول قولاً- ثم يرجع عنه ومنهم من يرى في أصول الدين رأيا ثم ينفيه ويتركه . [صفحه ٣١٨] ودعائم الإسلام أركانه . والولائج جمع وليجه وهي الموضوع يدخل إليه ويستتر فيه ويعتصم به . وعاد الحق إلى نصابه رجع إلى مستقره وموضعه وانزاح الباطل زال وانقطع لسانه انقطع حجته . عقلوا الدين عقل رعايه أى عرفوا الدين وعلموه معرفه من وعى الشىء وفهمه وأتقنه ووعاينه أى وعوا الدين وحفظوه وحاطوه ليس كما يعقله غيرهم عن سماع وروايه فإن من يروى العلم ويسنده إلى الرجال ويأخذه من أفواه الناس كثير و من يحفظ العلم حفظ فهم وإدراك أصالة لا تقليدا قليل تم الجزء الثالث عشر من شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد و يليه الجزء الرابع عشر

المجلد ١٤

الجزء الرابع عشر

باب الكتب والرسائل

إشاره

[صفحه ٥] باب المختار من كتب مولانا أمير المؤمنين ع ورسائله إلى أعدائه وأولياء بلاده ويدخل في ذلك ما اختير من عهده إلى عماله ووصاياه لأهله وأصحابه -روایت- ١-١٥٣ لمافرغ من إيراد المختار من خطب أمير المؤمنين ع وكلامه الجارى مجرى الخطب من المواعظ والزواجر شرع فى إيراد باب من مختار كلامه ع و هو ما كان جاريا مجرى الرسائل والكتب ويدخل فى ذلك العهود والوصايا وقد أورد فى هذا الباب ما هو بالباب الأول أشبه نحو كلامه ع لشريح القاضى لما اشترى دارا وكلامه لشريح بن هانئ لما جعله على مقدمته إلى الشام . وسمى ما يكتب للولاء عهدا اشتقاقا من قولهم عهدت إلى فلان أى أوصيته [صفحه ٦]

١- من كتاب له ع إلى أهل الكوفة

إشارة

من عبد الله على أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة جبهة الأنصار و سنام العرب أما بعد فإننى أخبركم عن أمر عثمان حتى يكون سمعه كعيانه إن الناس طعنوا عليه فكنن رجلا من المهاجرين أكثر استعبابه وأقل عتابه وكان طلحة والزبير أهون سيرهما فيه الوجيف وأرق حداثتهما العنيف وكان من عائشة فيه فلتة غضب فأتىح له قوم قتلوه و بايعني الناس غير مستكرهين ولا مجبرين بيل طائعين مخيرين واعلموا أن دار الهجرة قد قلت بأهلها وقلعوا بها و جاشت جيش المرجل و قامت الفتنة على القطب فأسرعوا إلى أميركم وبادروا جهاد عدوكم إن شاء الله قوله جبهة الأنصار يمكن أن يريد جماعة الأنصار فإن الجبهة فى اللغة الجماعة ويمكن أن يريد به سادة الأنصار وأشرافهم لأن جبهة الإنسان أعلى أعضائه وليس يريد بالأنصار هاهنا بنى قيلة بل الأنصار هاهنا الأعوان . [صفحه ٧] قوله ع وسنام العرب أى أهل الرفعة والعلو منهم لأن السنام أعلى أعضاء البعير. قوله ع أكثر استعبابه وأقل عتابه الاستعباب طلب العتبي وهى الرضا قال كنت أكثر طلب رضاه وأقل عتابه وتعنيفه على الأمور و أما طلحة والزبير فكانا شديدين عليه . والوجيف سير سريع و هذامثل للمشممين فى الطعن عليه حتى إن السير السريع أبطأ ما سيران فى أمره والحداء العنيف أرفق ما يحرضان به عليه . ودار الهجرة المدينة. وقوله قد قلت بأهلها وقلعوا بهاالباء هاهنا زائدة فى أحد الموضعين وهو الأول وبمعنى من فى الثانى يقول فارقت أهلها وفارقوها و منه قولهم هذامنزل قلعة أى ليس بمستوطن . وجاشت اضطربت والمرجل القدر. و من لطيف الكلام قوله ع فكنن رجلا من المهاجرين فإن فى ذلك من التخلص والتبرى ما لا يخفى على المتأمل ألاترى أنه لم يبق عليه فى ذلك حجة طاعن حيث كان قد جعل نفسه كواحد من عرض المهاجرين الذين بنفر يسير منهم انعقدت خلافة أبى بكر وهم أهل الحل والعقد وإنما كان الإجماع حجة لدخولهم فيه . و من لطيف الكلام أيضا قوله فأتىح له قوم قتلوه و لم يقل أتاح الله له قوما و لا قال أتاح له الشيطان قوما وجعل الأمر مبهما. وقد ذكر أن خط الرضى رحمه الله مستكرهين بكسر الراء والفتح أحسن وأصوب و إن كان قد جاء استكرهت الشىء بمعنى كرهته . [صفحه ٨] وقال الراوندى المراد بدار الهجرة هاهنا الكوفة التى هاجر أمير المؤمنين ع إليها و ليس بصحيح بل المراد المدينة وسياق الكلام يقتضى ذلك ولأنه كان حين كتب هذا الكتاب إلى أهل الكوفة بعيدا عنهم فكيف يكتب إليهم يخبرهم عن أنفسهم

أخبار على

عند مسيره إلى البصرة ورسله إلى أهل الكوفة وروى محمد بن إسحاق عن عمه عبدالرحمن بن يسار القرشي قال لما نزل على ع الربذة متوجها إلى البصرة بعث إلى الكوفة محمد بن جعفر بن أبي طالب و محمد بن أبي بكر الصديق وكتب إليهم هذا الكتاب و زاد في آخره فحسبى بكم إخوانا وللدين أنصارا فانفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم و أنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون -رواية- ١-٢-رواية- ١٥-١٧٧ روى أبو مخنف قال حدثني الصقعب قال سمعت عبد الله بن جنادة يحدث أن علياً لما نزل الربذة بعث هاشم بن عتبة بن أبي وقاص إلى أبي موسى الأشعري وهو أمير يومئذ على الكوفة لينفر إليه الناس وكتب إليه معه من عبد الله على أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس أما بعد فإني قد بعثت إليك هاشم بن عتبة لتشخص إلى من قبلك من المسلمين ليتوجهوا إلى قوم نكثوا بيعتي وقتلوا شيعتي وأحدثوا في الإسلام هذا الحدث العظيم فاشخص بالناس إلى معه حين يقدم عليك فإني لم أولك المصير الذي أنت فيه و لم أفرحك عليه إلا لتكون من أعوانى على الحق وأنصاري على هذا الأمر و السلام -رواية- ١-٢-رواية- ٧٠-٥٩٢ . [صفحة ٩] فأما رواية محمد بن إسحاق فإنه قال لما قدم محمد بن جعفر و محمد بن أبي بكر الكوفة استنفروا الناس فدخل قوم منهم على أبي موسى ليلاً فقالوا له أشر علينا برأيك في الخروج مع هذين الرجلين إلى على فقال أما سبيل الآخرة فالزموا بيوتكم و أما سبيل الدنيا فاشخصوا معهما فممنع بذلك أهل الكوفة من الخروج وبلغ ذلك محمد بن فاعلظا لأبي موسى فقال أبو موسى والله إن بيعه عثمان لفي عنق على وعنقى وأعناقكم و لو أردنا قتالا ما كنا لنبدأ بأحد قبل قتله عثمان فخرجا من عنده فلحقا بعلى فأخبراه الخبر. و أما رواية أبي مخنف فإنه قال إن هاشم بن عتبة لما قدم الكوفة دعا أبو موسى السائب بن مالك الأشعري فاستشاره فقال اتبع ما كتب به إليك فأبى ذلك وحبس الكتاب وبعث إلى هاشم يتوعده ويخوفه . قال السائب فأتيت هاشما فأخبرته برأى أبي موسى فكتب إلى على لعبد الله على أمير المؤمنين من هاشم بن عتبة أما بعد يا أمير المؤمنين فإني قدمت بكتابك على امرئ مشاق بعيد الود ظاهر الغل والشان فتهددني بالسجن و خوفنى بالقتل و قد كتبت إليك هذا الكتاب مع المحل بن خليفة أخى طيبى و هو من شيعتك وأنصارك وعنده علم ما قبلنا فأسأله عما بدا لك و اكتب إلى برأيك و السلام . قال فلما قدم المحل بكتاب هاشم على على سلم عليه ثم قال الحمد لله الذى أدى الحق إلى أهله ووضعه موضع فكره ذلك قوم قد و الله كرهوا نبوة محمد ص ثم بارزوه وجاهدوه فرد الله عليهم كيدهم فى نحورهم وجعل دائرة السوء عليهم و الله يا أمير المؤمنين لنجاهدنيهم معك فى كل موطن حفظا لرسول الله ص فى أهل بيته إذ صاروا أعداء لهم بعده . [صفحة ١٠] فرحب به على ع و قال له خيرا ثم أجلسه إلى جانبه وقرأ كتاب هاشم و سأله عن الناس و عن أبي موسى فقال و الله يا أمير المؤمنين ما أثق به و لا آمنه على خلافك إن وجد من يساعده على ذلك فقال على ع و الله ما كان عندى بمؤمن و لاناصح و لقد أردت عزله فأتانى الأشر فسألنى أن أقره و ذكر أن أهل الكوفة به راضون فأقرته و روى أبو مخنف قال وبعث على ع من الربذة بعد وصول المحل بن خليفة أخى طيبى عبد الله بن عباس و محمد بن أبي بكر إلى أبي موسى وكتب معهما من عبد الله على أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس أما بعد يا ابن الحائك يا عاض أير أبيه فو الله إنى كنت لأرى أن بعدك من هذا الأمر الذى لم يجعلك الله له أهلا و لا جعل لك فيه نصيبا سيمنعك من رد أمرى و الانتزاء على و قد بعثت إليك ابن عباس و ابن أبى بكر فخلهما و المصير و أهله و اعترل عملنا مذهبنا مدحورا فإن فعلت و إلا فإني قد أمرتهما أن ينابذاك على سواء إن الله لا يهدى كيد الخائنين فإذا ظهرا عليك قطعاك إربا و إربا و السلام على من شكر النعمة و وفى بالبيعة و عمل برجاء العاقبة -رواية- ١-٢-رواية- ٢١-٦٤٦ . قال أبو مخنف فلما أبطأ ابن عباس و ابن أبى بكر عن على ع و لم يدر ما صنعنا رحل عن الربذة إلى ذى قار فنزلها فلما نزل ذا قار بعث إلى الكوفة الحسن ابنه ع و عمار بن ياسر و زيد بن صوحان و قيس بن سعد بن عبادة و معهم كتاب إلى أهل الكوفة فأقبلوا حتى كانوا بالقادسية فتلقاهم الناس فلما دخلوا الكوفة قرءوا كتاب على و هو من عبد الله على أمير المؤمنين إلى من بالكوفة من المسلمين -رواية- ١-٢-رواية- ١٩-ادامه دارد [صفحة ١١] أما بعد فإني

خرجت مخرجي هذا إما ظالما وإما مظلوما وإما باغيا وإما مبغيا على فأنشده الله رجلا بلغه كتابي هذا إلا نفر إلى فإن كنت مظلوما أعانني وإن كنت ظالما استعبتني والسلام -رواية- از قبل- ١٨٥ . قال أبو مخنف فحدثني موسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه قال أقبلنا مع الحسن وعمار بن ياسر من ذي قار حتى نزلنا القادسية فنزل الحسن وعمار ونزلنا معهما فاحتبى عمار بحمائل سيفه ثم جعل يسأل الناس عن أهل الكوفة وعن حالهم ثم سمعته يقول ما تركت في نفسي حزة أهم إلى من ألا نكون نبشنا عثمان من قبره ثم أحرقناه بالنار. قال فلما دخل الحسن وعمار الكوفة اجتمع إليهما الناس فقام الحسن فاستنفر الناس فحمد الله وصلى على رسوله ثم قال أيها الناس إنا جئنا ندعوكم إلى الله وإلى كتابه وسنة رسوله وإلى أئمة من تفقه من المسلمين وأعدل من تعدلون وأفضل من تفضلون وأوفى من تبايعون من لم يعبه القرآن ولم تجهله السنة ولم تقعد به السابقة إلى من قربه الله تعالى إلى رسوله قرابتين قرابة الدين وقرابة الرحم إلى من سبق الناس إلى كل ما أثره إلى من كفى الله به رسوله والناس متخاذلون فقرب منه وهم متباعدون وصلى معه وهم مشركون وقاتل معه وهم منهزمون وبارز معهم وهم محجمون وصدقه وهم يكذبون إلى من لم ترد له رواية ولا تكافأ له سابقة وهو يسألكم النصر ويدعوكم إلى الحق ويأمركم بالمسير إليه لتوازيه وتنصروه على قوم نكثوا بيعته وقتلوا أهل الصلاح من أصحابه ومثلوا بعماله وانتهبوا بيت ماله فاشخصوا إليه رحمكم الله فمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر واحضروا بما يحضر به الصالحون -رواية- ١-٢-رواية- ٨-٩٠٧ . قال أبو مخنف حدثني جابر بن يزيد قال حدثني تميم بن حذيم الناجي قال قدم علينا [صفحة ١٢] الحسن بن علي ع وعمار بن ياسر يستنفران الناس إلى علي ع ومعهما كتابه فلما فرغا من قراءة كتابه قام الحسن وهوفتي حدث والله إنني لأرثي له من حادثة سنة وصعوبة مقامه فرماه الناس بأبصارهم وهم يقولون اللهم سدد منطلق ابن بنت نبينا فوضع يده على عمود يتساند إليه وكان عليلا من شكوى به فقال الحمد لله العزيز الجبار الواحد القهار الكبير المتعال سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار أحمده على حسن البلاء وتظاهر النعماء وعلى ما أحببنا وكرهنا من شدة ورخاء وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله امتن علينا بنبوته واختصه برسالته وأنزل عليه وحيه واصطفاه على جميع خلقه وأرسله إلى الإنس والجن حين عبدت الأوثان وأطيع الشيطان وجحد الرحمن فصلى الله عليه وعلى آله وجزاه أفضل ماجزى المسلمين أما بعد فإنني لأقول لكم إلا ما تعرفون إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أرشد الله أمره وأعز نصره بعثني إليكم يدعوكم إلى الصواب وإلى العمل بالكتاب والجهاد في سبيل الله وإن كان في عاجل ذلك ما تكرهون فإن في آجله ما تحبون إن شاء الله ولقد علمتم أن عليا صلى مع رسول الله ص وحده وإنه يوم صدق به لفي عاشره من سنة ثم شهد مع رسول الله ص جميع مشاهدته و كان من اجتهاده في مرضاة الله وطاعة رسوله وآثاره الحسنة في الإسلام ما قد بلغكم ولم يزل رسول الله ص راضيا عنه حتى غمضه بيده وغسله وحده والملائكة أعوانه والفضل ابن عمه ينقل إليه الماء ثم أدخله حفرة وأوصاه بقضاء دينه وعاداته وغير ذلك من أموره كل ذلك من من الله عليه ثم والله ما دعا إلى نفسه ولقد تداك الناس عليه تداك الإبل الهيم عند ورودها فبايعوه طائعين ثم نكث منهم ناكثون بلا حدث أحدثه ولا خلاف أتاه حسدا له وبغيا عليه فعليكم عباد الله بتقوى الله وطاعته والجد والصبر والاستعانة بالله -رواية- ١-٢-رواية- ٩-ادامه دارد [صفحة ١٣] والخوف إلى مادعاكم إليه أمير المؤمنين عصمنا الله وإياكم بما عصم به أوليائه وأهل طاعته وأهلنا وإياكم تقواه وأعاننا وإياكم على جهاد أعدائه وأستغفر الله العظيم لي ولكم -رواية- از قبل- ١٨٧ ثم مضى إلى الرحبة فهيا منزلا لأبيه أمير المؤمنين . قال جابر فقلت لتميم كيف أطاق هذا الغلام ما قد قصصته من كلامه فقال و لماسقط عني من قوله أكثر ولقد حفظت بعض ما سمعت . قال و لما نزل علي ع ذا قار كتبت عائشة إلى حفصة بنت عمر أما بعد فإنني أخبرك أن عليا قد نزل ذا قار وأقام بهما عربا خائفا لمابله من عدتنا وجماعتنا فهو بمنزلة الأشقر إن تقدم عقر وإن تأخر نحر فدعت حفصة جوارى لها يتغنين ويضربن بالدفوف فأمرتهن أن يقلن في غنائهن ما الخبر ما الخبر علي في السفر

كالفرس الأشقر إن تقدم عقر و إن تأخر نحر. وجعلت بنات الطلقاء يدخلن على حفصة ويجتمعن لسماح ذلك الغناء. فبلغ أم كلثوم بنت علي ع فلبست جلابيبها ودخلت عليهن في نسوة متنكرات ثم أسفرت عن وجهها فلما عرفتها حفصة خجلت واسترجعت فقالت أم كلثوم لئن تظاهرتما عليه منذ اليوم لقد تظاهرتما على أخيه من قبل فأنزل الله فيكما ما أنزل فقالت حفصة كفى رحمك الله وأمرت بالكتاب فمزق واستغفرت الله . قال أبو مخنف روى هذا جرير بن يزيد عن الحكم ورواه الحسن بن دينار عن الحسن البصري وذكر الواقدي مثل ذلك وذكر المدائني أيضا مثله قال فقال سهل بن حنيف في ذلك هذه الأشعار [صفحة ١٤] عذرنا الرجال بحرب الرجال || فما للنساء و مالمسباب أ ما حسبنا ما أتينا به || لك الخير من هتك ذاك الحجاب ومخرجها اليوم من بيتها || يعرفها الذنب نبح الكلاب إلى أن أتانا كتاب لها || مشوم فيا قبح ذاك الكتاب . قال فحدثنا الكلبي عن أبي صالح أن عليا ع لما نزل ذا قار في قلعه من عسكره صعد الزبير منبر البصرة فقال أ لألف فارس أسير بهم إلى علي فأبيته بياتا وأصبحه صباحا قبل أن يأتيه المدد فلم يجبه أحد فنزل واجما وقال هذه والله الفتنة التي كنا نحدث بها فقال له بعض مواليه رحمك الله يا أبا عبد الله تسميها فتنة ثم نقاتل فيها فقال ويحك والله إنا لنبصر ثم لانصبر فاسترجع المولى ثم خرج في الليل فارا إلى علي ع فأخبره فقال اللهم عليك به . قال أبو مخنف و لما فرغ الحسن بن علي ع من خطبته قام بعده عمار فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال أيها الناس أخو نبيكم وابن عمه يستنفركم لنصر دين الله وقد بلاكم الله بحق دينكم وحرمة أمكم فحق دينكم أوجب وحرمة أعظم أيها الناس عليكم يمام لا يؤدب و فقيه لا يعلم وصاحب بأس لا ينكل وذى سابقة في الإسلام ليست لأحد وإنكم لو قد حضرتموه بين لكم أمركم إن شاء الله . قال فلما سمع أبو موسى خطبة الحسن وعمار قام فصعد المنبر وقال الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد فجمعنا بعد الفرقه وجعلنا إخوانا متحابين بعد العداوة و حرم علينا دماءنا وأموالنا قال الله سبحانه ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل - قرآن - ١٠٥٥-١١٠٠ [صفحة ١٥] وقال تعالى وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَكفوا عن قتال إخوانكم . أما بعد يا أهل الكوفة إن تطيعوا الله باديًا وتطيعوني ثانيا تكونوا جرثومة من جراثيم العرب يأوى إليكم المضطر ويأمن فيكم الخائف إن عليا إنما يستنفركم لجهاد أمكم عائشة وطلحة والزبير حوارى رسول الله و من معهم من المسلمين و أنا أعلم بهذه الفتن أنها إذا أقبلت شبهت و إذا أدبرت أسفرت إنى أخاف عليكم أن يلتقى غاران منكم فيقتلوا ثم يتركا كالأحلاس الملقاة بنجوة من الأرض ثم يبقى رجرجه من الناس لا يأمرن بالمعروف ولا ينهاون عن منكر إنها قد جاءكم فتنة كافر لا يدري من أين توتى تترك الحليم حيران كأنى أسمع رسول الله ص بالأمس يذكر الفتن فيقول أنت فيها نائم خبير منك قاعدا و أنت فيها جالس خبير منك قائما و أنت فيها قائما خبير منك ساعيا فتلما سيوفكم وقصفوا رماحكم وانصلوا سهامكم وقطعوا أوتاركم و خلوا قريشا ترتق فتقها وترأب صدعها فإن فعلت فلأنفسها مافعلت و إن أبت فعلى أنفسها ماجنت سمنها فى أديمها استنصحنى و لاتستغشونى وأطيعونى و لاتعصونى يتبين لكم رشدكم ويصلى هذه الفتنة من جناها فقام إليه عمار بن ياسر فقال أنت سمعت رسول الله ص يقول ذلك قال نعم هذه يدى بما قلت فقال إن كنت صادقا فإنما عناك بذلك وحدك واتخذ عليك الحجة فالزم بيتك و لاتدخلن فى الفتنة أما إنى أشهد أن رسول الله ص أمر عليا بقتال الناكثين وسمى له فيهم من سمي وأمره بقتال القاسطين و إن شئت لأقيم لك شهدوا يشهدون أن رسول الله ص - قرآن - ١٥-٨٢ [صفحة ١٦] إنما نهاك وحدك وحدرك من الدخول فى الفتنة ثم قال له أعطنى يدك على ما سمعت فمد إليه يده فقال له عمار غلب الله من غالبه وجاهده ثم جذبه فنزل عن المنبر. وروى محمد بن جرير الطبرى فى التاريخ قال لما أتى عليا ع الخبر و هو بالمدينة بأمر عائشة وطلحة والزبير وأنهم قد توجهوا نحو العراق خرج يبادر و هو يرجو أن يدركهم ويردهم فلما انتهى إلى الربدة أتاه عنهم أنهم قد أمعنوا فأقام بالربدة أياما وأتاه عنهم أنهم يريدون البصرة فسر بذلك و قال إن أهل الكوفة أشد لى حبا وفيهم رؤساء العرب وأعلامهم فكتب إليهم إنى قد اخترتكم على الأمصار وإنى بالأثر. قال أبو

جعفر محمد بن جرير رحمه الله كتب على ع من الربذة إلى أهل الكوفة أما بعد فإنى قد اخترتكم وآثرت النزول بين أظهركم لما عرف من مودتكم وحبكم لله ورسوله فمن جاءنى ونصرنى فقد أجاب الحق وقضى الذى عليه -رواية ١- ٢-رواية ٤٢- ٢٢٦. قال أبو جعفر فأول من بعثه على ع من الربذة إلى الكوفة محمد بن أبى بكر و محمد بن جعفر فجاء أهل الكوفة إلى أبى موسى و هو الأمير عليهم ليستشيروه فى الخروج إلى على بن أبى طالب ع فقال لهم أما سبيل الآخرة فأن تقعدوا و أما سبيل الدنيا فأن تخرجوا. وبلغ المحمدين قول أبى موسى الأشعري فأتياه وأغظا له فأغظ لهما و قال [صفحة ١٧] لا يحل لك القتال مع على حتى لا يبقى أحد من قتله عثمان إلا قتل حيث كان وقالت أخت على بن عدى من بنى عبد العزى بن عبد شمس و كان أخوها على بن عدى من شيعه على ع و فى جملة عسكره لاهم فاعقر بعلى جملة || و لا تبارك فى بعير حملة ألا على بن عدى ليس له . قال أبو جعفر ثم أجمع على ع على المسير من الربذة إلى البصرة فقام إليه رفاعه بن رافع فقال يا أمير المؤمنين أى شىء تريد وأين تذهب بنا قال أما الذى نريد وننوى فإصلاح إن قبلوا منا وأجابوا إليه قال فإن لم يقبلوا قال ندعوهم ونعطيهم من الحق ما نرجو أن يرضوا به قال فإن لم يرضوا قال ندعهم ما تركونا قال فإن لم يتركونا قال نمتنع منهم قال فنعم إذا. وقام الحجاج بن غزیه الأنصارى فقال و الله يا أمير المؤمنين لأرضينك بالفعل كما أرضيتنى منذ اليوم بالقول ثم قال دراكها دراكها قبل الفوت || وانفر بنا واسم بنا نحو الصوت لا وألت نفسى إن خفت الموت والله لننصرن الله عز و جل كما سمانا أنصارا. قال أبو جعفر رحمه الله وسار على ع نحو البصرة ورأيته مع ابنه محمد بن الحنفية و على يمينته عبد الله بن عباس و على يسرته عمر بن أبى سلمة و على ع فى القلب على ناقة حمراء يقود فرسا كميثا فتلقاه بفيد غلام من [صفحة ١٨] بنى سعد بن ثعلبه يدعى مرة فقال من هؤلاء قيل هذا أمير المؤمنين فقال سفرة قانية فيهادماء من نفوس فانية فسمعها على ع فدعاه فقال ما اسمك قال مرة قال أمر الله عيشك أكاهن سائر اليوم قال بل عائف فخلى سبيله ونزل بفيد فأتته أسد وطىء فعرضوا عليه أنفسهم فقال الزموا قراركم ففى المهاجرين كفاية. وقدم رجل من الكوفة فيدا فأتى عليا ع فقال له من الرجل قال عامر بن مطرف قال الليثى قال الشيبانى قال أخبرنى عما وراءك قال إن أردت الصلح فأبو موسى صاحبك و إن أردت القتال فأبو موسى ليس لك بصاحب فقال ع ما أريد إلا الصلح إلا أن يرد علينا قال أبو جعفر وقدم عليه عثمان بن حنيف و قد نتف طلحة والزبير شعر رأسه ولحيته وحاجبيه فقال يا أمير المؤمنين بعثنى ذا لحيه وجئتك أمرد فقال أصبت خيرا وأجرا ثم قال أيها الناس إن طلحة والزبير بايعانى ثم نكثانى بيعتى وألبا على الناس و من العجب انقيادهما لأبى بكر وعمر و خلافهما على و الله إنهما ليعلمان أنى لست بدونهما ألهم فاحلل ماعقدا و لا تبرم ما قد أحكما فى أنفسهما وأرهما المساءة فيما قد عملا -رواية ١- ٢-رواية ١٧- ٤١٨. قال أبو جعفر وعاد محمد بن أبى بكر و محمد بن جعفر إلى على ع فلقياه و قد انتهى إلى ذى قار فأخبراه الخبر فقال على ع لعبد الله بن العباس اذهب أنت إلى الكوفة فادع أبا موسى إلى الطاعة وحذره من العصيان والخلاف واستنفر الناس فذهب عبد الله بن عباس حتى قدم الكوفة فلقى أبا موسى واجتمع الرؤساء من أهل الكوفة فقام أبو موسى فخطبهم و قال إن أصحاب رسول الله ص صحبوه فى مواطن كثيرة فهم أعلم بالله ممن لم يصحبه و إن لكم على حقا [صفحة ١٩] و أنا مؤدبه إليكم أمر ألا تستخفوا بسطان الله وألا تجترءوا على الله أن تأخذوا كل من قدم عليكم من أهل المدينة فى هذا الأمر فتردوه إلى المدينة حتى تجتمع الأمة على إمام ترتضى به إنها فتنة صماء النائم فيها خير من اليقظان واليقظان خير من القاعد والقاعد خير من القائم والقائم خير من الراكب فكونوا جرثومة من جراثيم العرب أغمدوا سيوفكم وأنصلوا أسنتكم واقطعوا أوتار قسيكم حتى يلتئم هذا الأمر وتنجلي هذه الفتنة. قال أبو جعفر رحمه الله فرجع ابن عباس إلى على ع فأخبره فدعا الحسن ابنه ع وعمار بن ياسر وأرسلهما إلى الكوفة فلما قدماها كان أول من أتاهما مسروق بن الأجدع فسلم عليهما وأقبل على عمار فقال يا أبا اليقظان علام قتلتم أمير المؤمنين قال على شتم أعراضنا وضرب أبقارنا قال فو الله ماعاقبتم بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم لكان خيرا للصابرين ثم خرج أبو موسى فلقى الحسن ع فضمه

إليه وقال لعمار يا أبا اليقظان أغدوت فيمن غدا على أمير المؤمنين وأحللت نفسك مع الفجار قال لم أفعل و لم تسوءني فقطع عليهما الحسن وقال لأبي موسى يا أبا موسى لم تثبط الناس عنا فوالله ما أردنا إلا الإصلاح و مامثل أمير المؤمنين يخاف على شيء قال أبو موسى صدقت بأبي وأمي ولكن المستشار مؤتمن سمعت رسول الله ص يقول ستكون فتنه و ذكر تمام الحديث فغضب عمار وساء ذلك و قال أيها الناس إنما قال رسول الله ص ذلك له خاصة و قام رجل من بني تميم فقال لعمار اسكت أيها العبد أنت أمس مع الغوغاء و تسافه أميرنا اليوم و ثار زيد بن صوحان و طبقته فانتصروا لعمار و جعل أبو موسى يكف الناس و يردعهم عن الفتنه ثم انطلق حتى صعد المنبر و أقبل زيد بن صوحان و معه كتاب من عائشه إليه خاصة و كتاب منها إلى أهل الكوفة عامه تثبطهم عن نصره [صفحہ ۲۰] على و تأمرهم بلزوم الأرض و قال أيها الناس انظروا إلى هذه أمرت أن تقر في بيتها و أمرنا نحن أن نقاتل حتى لا تكون فتنه فأمرتنا بما أمرت به و ركبت ما أمرنا به فقام إليه شيبث بن ربعي فقال له و ما أنت و ذاك أيها العماني الأحمق سرقت أمس بجلولاء فقطعك الله و تسب أم المؤمنين فقام زيد و شال يده المقطوعة و أومأ بيده إلى أبي موسى و هو على المنبر و قال له يا عبد الله بن قيس أترد الفرات عن أمواجه دع عنك مالست تدركه ثم قرأ ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا... الآيتين ثم نادى سيروا إلى أمير المؤمنين و صراط سيد المرسلين و انفروا إليه أجمعين و قام الحسن بن علي ع فقال أيها الناس أجيئوا دعوة إمامكم و سيروا إلى إخوانكم فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه و الله لأن يليه أولو النهي أمثل في العاجلة و خير في العاقبة فأجيئوا دعوتنا و أعينونا على أمرنا أصلحكم الله . و قام عبدخير فقال يا أبا موسى أخبرني عن هذين الرجلين أ لم يبایعا عليا قال بلى قال فأحدث على حدثا يحل به نقض بيعته قال لأدري قال لادريت و لا أتيت إذا كنت لاتدري فنحن تاركوك حتى تدري أخبرني هل تعلم أحدا خارجا عن هذه الفرق الأربع على بظهر الكوفة و طلحة و الزبير بالبصرة و معاوية بالشام و فرقة رابعة بالحجاز قعود لا يجبي بهم فيء و لا يقاتل بهم عدو فقال أبو موسى أولئك خير الناس قال عبدخير اسكت يا أبا موسى فقد غلب عليك غشك . قال أبو جعفر و أتت الأخبار عليا ع باختلاف الناس بالكوفة فقال للأشتر أنت شفعت في أبي موسى أن أقره على الكوفة فاذهب فأصلح ما أفسدت - قرآن - ۴۴۸-۵۰۸ [صفحہ ۲۱] فقام الأشتر فشحخص نحو الكوفة فأقبل حتى دخلها و الناس في المسجد الأعظم فجعل لا يمر بقبيلة إلا دعاهم و قال اتبعوني إلى القصر حتى وصل القصر فاقترحه و أبو موسى يومئذ يخطب الناس على المنبر و يبثطهم و عمار يخاطبه و الحسن ع يقول اعترل عملنا و تنح عن منبرنا لا-أم لك . قال أبو جعفر فروي أبو مريم الثقفي قال و الله إنني لفي المسجد يومئذ إذ دخل علينا غلمان أبي موسى يشتدون و يبادرون أبا موسى أيها الأمير هذا الأشتر قد جاء فدخل القصر فضربنا و أخرجنا فنزل أبو موسى من المنبر و جاء حتى دخل القصر فصاح به الأشتر اخرج من قصرنا لا-أم لك أخرج الله نفسك فوالله إنك لمن المنافقين قديما قال أجلني هذه العشية قال قد أجلتك و لا-تبيتين في القصر الليلة و دخل الناس ينتهبون متاع أبي موسى فمنعهم الأشتر و قال إنني قد أخرجته و عزلته عنكم فكف الناس حينئذ عنه . قال أبو جعفر فروي الشعبي عن أبي الطفيل قال قال علي ع يأتيكم من الكوفة اثنا عشر ألف رجل و رجل واحد -رواية- ۱-۲-رواية- ۶۴-۱۱۲ فوالله لقعدت على نجفة ذي قار فأحصيتهم واحدا واحدا فما زادوا رجلا و لانقصوا رجلا

فصل في نسب عائشة و أخبارها

وينبغي أن نذكر في هذا الموضوع طرفا من نسب عائشة و أخبارها و ما يقوله أصحابنا المتكلمون فيها جريا على عادتنا في ذكر مثل ذلك كلما مررنا بذكر أحد من الصحابة [صفحہ ۲۲] أمانسبها فإنها ابنة أبي بكر و قد ذكرنا نسبه فيما تقدم و أمها أم رومان ابنة

عامر بن عويمر بن عبدشمس بن عتاب بن أذينة بن سبيع بن دهمان بن الحارث بن تميم بن مالك بن كنانة تزوجها رسول الله ص بمكة قبل الهجرة بستين وقيل بثلاث وهي بنت ست سنين وقيل بنت سبع سنين وبنى عليها بالمدينة وهي بنت تسع لم يختلفوا في ذلك . وكانت تذكر لجبير بن مطعم وتسمى له وورد في الأخبار الصحيحة أن رسول الله ص أرى عائشة في المنام في سرقة حرير متوفى خديجة رضى الله عنها فقال إن يكن هذا من عند الله يمضه فتزوجها بعدموت خديجة بثلاث سنين وتزوجها في شوال وأعرس بها بالمدينة في شوال على رأس ثمانية عشر شهرا من مهاجره إلى المدينة. وقال ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب كانت عائشة تحب أن تدخل النساء من أهلها وأحبها في شوال على أزواجهن وتقول هل كان في نسائه أحظى عنده منى وقد نكحني وبنى على في شوال . قلت قرئ هذا الكلام على بعض الناس فقال كيف رأيت الحال بينها وبين أحمائها وأهل بيت زوجها. وروى أبو عمر بن عبد البر في الكتاب المذكور أن رسول الله ص توفي عنها وهي بنت ثمان عشرة سنة فكان سنها معه تسع سنين و لم ينكح بكرة غيرها واستأذنت رسول الله ص في الكنية فقال لها اكتنى بابنك عبد الله بن الزبير يعنى ابن أختها فكانت كنيته أم عبد الله وكانت فقيهة عالمة بالفرائض والشعر والطب . [صفحہ ۲۳] و روى أن النبي ص قال فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۶-۷۳ وأصحابنا يحملون لفظة النساء في هذا الخبر على زوجاته لأن فاطمة ع عندهم أفضل منها لقوله ص إنها سيده نساء العالمين -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۲-۳۷ . وقذفت بصفوان بن المعطل السلمى في سنة ست منصرف رسول الله ص من غزاة بنى المصطلق وكانت معه فقال فيها أهل الإفك ما قالوا ونزل القرآن ببراءتها. وقوم من الشيعة زعموا أن الآيات التي في سورة النور لم تنزل فيها وإنما أنزلت في مارية القبطية و ما قذفت به مع الأسود القبطي وجحدهم لإنزال ذلك في عائشة جحد لما يعلم ضرورة من الأخبار المتواترة ثم كان من أمرها وأمر حفصة و ماجرى لهما مع رسول الله ص في الأمر الذى أسره على إحداهما ما قد نطق الكتاب العزيز به واعتزل رسول الله ص نساءه كلهن واعتزلهما معهن ثم صالحهن وطلق حفصة ثم راجعها و جرت بين عائشة وفاطمة إبلاغات وحديث يوغر الصدور فتولد بين عائشة وبين على ع نوع ضغينة وانضم إلى ذلك إشارته على رسول الله ص في قصة الإفك بضرب الجارية وتقريرها وقوله إن النساء كثير. ثم جرى حديث صلاة أبي بكر بالناس فترعم الشيعة أن رسول الله ص لم يأمر بذلك وأنه إنما صلى بالناس عن أمر عائشة ابنته و أن رسول الله ص خرج متحاملًا و هو متقل فنحاه عن المحراب وزعم معظم المحدثين أن ذلك كان عن أمر رسول الله ص وقوله ثم اختلفوا فمنهم من قال نحاه وصلى هو بالناس ومنهم من قال بل ائتم بأبي بكر كسائر الناس ومنهم [صفحہ ۲۴] من قال كان الناس يصلون بصلاة أبي بكر و أبو بكر يصلى بصلاة رسول الله ص . ثم كان منها في أمر عثمان وتضريب الناس عليه ما قد ذكرناه في مواضعه ثم تلا ذلك يوم الجمل . واختلف المتكلمون في حالها وحال من حضر واقعة الجمل فقالت الإمامية كفر أصحاب الجمل كلهم الرؤساء والأتباع و قال قوم من الحشوية والعامه اجتهدوا فلائثم عليهم و لانحكم بخطئهم و لاخطأ على ع وأصحابه . و قال قوم من هؤلاء بل نقول أصحاب الجمل أخطئوا ولكنه خطأ مغفور و كخطأ المجتهد في بعض مسائل الفروع عند من قال بالأشبه و إلى هذا القول يذهب أكثر الأشعرية. و قال أصحابنا المعتزلة كل أهل الجمل هالكون إلا من ثبتت توبته منهم قالوا وعائشة ممن ثبتت توبتها وكذلك طلحة والزبير أماعائشة فإنها اعترفت لعلى ع يوم الجمل بالخطأ وسألته العفو و قد تواترت الرواية عنها بإظهار الندم وأنها كانت تقول ليتها كان لى من رسول الله ص بنون عشرة كلهم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وثكلتهم و لم يكن يوم الجمل وأنها كانت تقول ليتنى مت قبل يوم الجمل وأنها كانت إذا ذكرت ذلك اليوم تبكى حتى تبل خمارها و أما الزبير فرجع عن الحرب معترفًا بالخطأ لما ذكره على ع ما ذكره و أما طلحة فإنه مر به و هو صريع فارس فقال له قف فوقف قال من أى الفريقين أنت قال من أصحاب أمير المؤمنين قال أقعدنى فأقعدته فقال امدد يدك أبايعك لأمر المؤمنين فبايعه . [صفحہ ۲۵] و قال شيوخنا ليس لقائل أن يقول ما يروى من أخبار الآحاد بتوبتهم لا يعارض ما علم قطعاً من

معصيتهم قالوا لأن التوبة إنما يحكم بها للمكلف على غالب الظن في جميع المواضع لا على القطع ألا ترى أنا يجوز أن يكون من أظهر التوبة منافقاً وكاذباً فبان أن المرجح في قبولها في كل موضع إنما هو إلى الظن فجاز أن يعارض ما علم من معصيتهم بما يظن من توبتهم [صفحة ٢٦]

٢- ومن كتاب له ع إليهم بعد فتح البصرة

وَ جَزَاكُمْ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرٍ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ أَحْسَنَ مَا يَجْزِي الْعَامِلِينَ بِطَاعَتِهِ وَ الشَّاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ فَقَدْ سَمِعْتُمْ وَ أَطَعْتُمْ وَ دُعِيتُمْ فَأَجَبْتُمْ مَوْضِعَ قَوْلِهِ مِنْ أَهْلِ مِصْرٍ نَصَبَ عَلَى التَّمْيِيزِ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا- فَإِنْ قُلْتِ كَيْفَ يَكُونُ تَمْيِيزًا وَ تَقْدِيرَهُ وَ جَزَاكُمْ اللَّهُ مَتَمَدِّينَ أَحْسَنَ مَا يَجْزِي الْمُطِيعَ وَ التَّمْيِيزَ لَا- يَكُونُ إِلَّا جَامِدًا وَ هَذَا مَشْتَقٌ قُلْتِ إِنَّهُمْ أَجَازُوا كَوْنَ التَّمْيِيزِ مُشْتَقًا فِي نَحْوِ قَوْلِهِمْ مَا أَنْتِ جَارَةٌ وَ قَوْلِهِمْ يَا سَيِّدًا مَا أَنْتِ مِنْ سَيِّدٍ. وَ مَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مُصَدِّرِيَهُ أَيْ أَحْسَنَ جِزَاءِ الْعَامِلِينَ وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى أَلَّذِي يَكُونُ قَدْ حَذَفَ الْعَائِدَ إِلَى الْمَوْصُولِ وَ تَقْدِيرُهُ أَحْسَنَ أَلَّذِي يَجْزِي بِهِ الْعَامِلِينَ [صفحة ٢٧]

٣- ومن كتاب له ع كتبه لشريح بن الحارث قاضيه

إشارة

رَوَى أَنَّ شُرَيْحَ بْنَ الْحَارِثِ قَاضِيَّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عِ اشْتَرَى عَلَيَّ عَهْدَهُ دَارًا بِثَمَانِينَ دِينَارًا فَبَلَغَهُ ذَلِكَ فَاسْتَدْعَى شُرَيْحًا وَ قَالَ لَهُ بَلِّغْنِي أَنَّكَ ابْتَعْتَ دَارًا بِثَمَانِينَ دِينَارًا وَ كَتَبْتَ لَهَا كِتَابًا وَ أَشْهَدْتُ فِيهِ شُهُودًا فَقَالَ لَهُ شُرَيْحٌ قَدْ كَانَ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ فَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظْرَ الْمُغْضَبِ ثُمَّ قَالَ لَهُ يَا شُرَيْحُ أَمَا إِنَّهُ سَيَأْتِيكَ مَنْ لَا يَنْظُرُ فِي كِتَابِكَ وَ لَا يَسْأَلُكَ عَنْ بَيْتِكَ حَتَّى يُخْرِجَكَ مِنْهَا شَاخِصًا وَ يُسَلِّمَكَ إِلَى قَبْرِكَ خَالِصًا فَانظُرْ يَا شُرَيْحُ لَا تَكُونَ ابْتَعْتَ هَذِهِ الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكَ أَوْ نَقَدْتَ الثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلَالِكَ فَإِذَا أَنْتِ قَدْ خَسِرْتِ دَارَ الدُّنْيَا وَ دَارَ الْآخِرَةِ. أَمَا إِنَّكَ لَوْ كُنْتَ أَتَيْتَنِي عِنْدَ شِرَائِكَ مَا اشْتَرَيْتِ لَكَ كِتَابًا عَلَيَّ هَذِهِ النَّسْخَةُ فَلَمْ تَرْغَبِ فِي شِتْرَاءِ هَذِهِ الدَّارِ بِالدَّرْهِمِ فَمَا فَوْقَ وَ النَّسْخَةُ هَذِهِ هَذَا مَا اشْتَرَى عَبْدٌ ذَلِيلٌ مِنْ مَيْتٍ قَدْ أُرْعِجَ لِلرَّجِيلِ اشْتَرَى مِنْهُ دَارًا مِنْ دَارِ الْعُرُورِ مِنْ جَانِبِ الْفَانِينَ وَ خِطَّةُ الْهَالِكِينَ وَ تَجْمَعُ هَذِهِ الدَّارُ حُدُودَ أَرْبَعَةِ الْحَدِّ الْأَوَّلِ يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الْأَفَاتِ وَ الْحَدِّ الثَّانِي يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الْمُصْتَبَاتِ وَ الْحَدِّ الثَّلَاثُ يَنْتَهِي إِلَى الْهَوَى الْمُرْدِي وَ الْحَدِّ الرَّابِعُ يَنْتَهِي إِلَى الشَّيْطَانِ الْمَغْوِي وَ فِيهِ يُشْرَعُ بَابُ هَذِهِ الدَّارِ اشْتَرَى هَذَا الْمُعْتَرِّ بِالْأَمَلِ مِنْ هَذَا [صفحة ٢٨] الْمُرْعِجَ بِالْأَجْلِ هَذِهِ الدَّارُ بِالْخُرُوجِ مِنْ عِزِّ الْقَنَاعَةِ وَ الدُّخُولِ فِي ذُلِّ الطَّلَبِ وَ الضَّرَاعَةِ فَمَا أَدْرَكَ هَذَا الْمُشْتَرِي فِيمَا اشْتَرَى مِنْ دَرَكٍ فَعَلَى مُبْلِلِ أَجْسَامِ الْمُلُوكِ وَ سَالِبِ نَفُوسِ الْجَبَابِرَةِ وَ مُزِيلِ مُلْكِ الْفِرَاعَةِ مِثْلَ كِسْرَى وَ قَيْصَرَ وَ ثُبُعَ وَ حَمِيرَ وَ مَنْ جَمَعَ الْمَالَ عَلَى الْمَالِ فَأَكْثَرَ وَ مَنْ بَنَى وَ شَيْدَ وَ زَحْرَفَ وَ نَجَدَ وَ ادَّخَرَ وَ اعْتَقَدَ وَ نَظَرَ بِزَعْمِهِ لِلْوَلَدِ إِشْحَاصَهُمْ جَمِيعًا إِلَى مَوْقِفِ الْعَرَضِ وَ الْحِسَابِ وَ مَوْضِعِ الثَّوَابِ وَ الْعِقَابِ إِذَا وَقَعَ الْأَمْرُ بِفَصْلِ الْقَضَاءِ وَ خَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطَلُونَ شَهِدَ عَلَيَّ ذَلِكَ الْعَقْلُ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَسْرِ الْهَوَى وَ سَلِمَ مِنْ عِلَاقِ الدُّنْيَا

نسب شريح وذكر بعض أخباره

هو شريح بن الحارث بن المنتجع بن معاوية بن جهم بن ثور بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد الكندي وقيل إنه

حليف لكندة من بنى الرائش . و قال ابن الكلبي ليس اسم أبيه الحارث وإنما هو شريح بن معاوية بن ثور. و قال قوم هو شريح بن هانئ . و قال قوم هو شريح بن شراحيل والصحيح أنه شريح بن الحارث ويكنى أبا أمية استعمله عمر بن الخطاب على القضاء بالكوفة فلم يزل قاضيا ستين سنة لم يتعطل فيها إلا ثلاث سنين في فتنة ابن الزبير امتنع فيها من القضاء ثم استعفى الحجاج من [صفحہ ۲۹] العمل فأعفاه فلزم منزله إلى أن مات وعمر عمرا طويلا قيل إنه عاش مائة سنة وثمانيا وستين وقيل مائة سنة وتوفي سنة سبع وثمانين . و كان خفيف الروح مزاحا فقدم إليه رجلان فأقر أحدهما بما ادعى به خصمه و هو لا يعلم فقضى عليه فقال لشريح من شهد عندك بهذا قال ابن أخت خالك وقيل إنه جاءته امرأته تبكي وتتظلم على خصمها فما رق لها حتى قال له إنسان كان بحضرته ألا تنتظر أيها القاضي إلى بكائها فقال إن إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء يبكون . وأقر على ع شريحا على القضاء مع مخالفته له في مسائل كثيرة من الفقه المذكورة في كتب الفقهاء . واستأذنه شريح وغيره من قضاء عثمان في القضاء أول ما وقعت الفرقة فقال اقضوا كما كنتم تقضون حتى تكون للناس جماعة أو أموت كما مات أصحابي . وسخط على ع مرة عليه فطرده عن الكوفة و لم يعزله عن القضاء وأمره بالمقام ببانقيا وكانت قرية قريبة من الكوفة أكثر ساكنها اليهود فأقام بهامدة حتى رضى عنه وأعادته إلى الكوفة . و قال أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب أدرك شريح الجاهلية و لا يعد من الصحابة بل من التابعين و كان شاعرا محسنا و كان سناطا لاشعر في وجهه قوله ع وخطه الهالكين بكسر الخاء و هي الأرض التي يخطها الإنسان [صفحہ ۳۰] أى يعلم عليها علامة بالخط ليعمرها و منه خطط الكوفة والبصرة . وزخرف البناء أى ذهب جدرانها بالزخرف و هو الذهب . و نجد فرش المنزل بالوسائد والنجاد الذى يعالج الفرش والوسائد ويخطهما والتنجيد التزيين بذلك ويجوز أن يريد بقوله نجد رفع وعلا - من النجد و هو المرتفع من الأرض . واعتقد جعل لنفسه عقده كالضيعة أو الذخيرة من المال الصامت . وإشخاصهم مرفوع بالابتداء وخبره الجار المجرور المقدم و هو قوله فعلى مبلبل أجسام الملوك وموضع الاستحسان من هذا الفصل و إن كان كله حسنا أمران أحدهما أنه ع نظر إليه نظر مغضب إنكارا لاتباعه دارا بثمانين دينارا و هذا يدل على زهد شديد فى الدنيا واستكثار للقليل منها ونسبه هذا المشتري إلى الإسراف وخوف من أن يكون اتباعها بمال حرام . الثانى أنه أملى عليه كتابا زهديا وعظيا مماثلا لكتب الشروط التى تكتب فى ابتياع الأملاك فإنهم يكتبون هذا ما اشترى فلان من فلان اشترى منه دارا من شارع كذا وخطه كذا و يجمع هذه الدار حدود أربعة فحد منها ينتهى إلى دار فلان وحد آخر ينتهى إلى ملك فلان وحد آخر ينتهى إلى ما كان يعرف بفلان و هو الآن معروف بفلان وحد آخر ينتهى إلى كذا و منه شروع باب هذه الدار وطريقها اشترى هذا المشتري المذكور من البائع المذكور جميع الدار المذكورة بثمن مبلغه كذا وكذا دينارا وأدرهما فما أدرك المشتري المذكور من درك فمرجوع به على من يوجب الشرع الرجوع به عليه ثم تكتب الشهود فى آخر الكتاب شهد فلان ابن فلان بذلك وشهد فلان ابن فلان به أيضا و هذا يدل على أن الشروط المكتوبة الآن قد كانت [صفحہ ۳۱] فى زمن الصحابة تكتب مثلها أو نحوها إلا أنا ماسمعنا عن أحد منهم نقل صيغة الشرط الفقهي إلى معنى آخر كما قد نظمته هوع و لاغرو فما زال سباقا إلى العجائب والغرائب . فإن قلت لم جعل الشيطان المغوى فى الحد الرابع قلت ليقول و فيه يشرع باب هذه الدار لأنه إذا كان الحد إليه ينتهى كان أسهل لدخوله إليها ودخول أتباعه وأوليائه من أهل الشيطنة والضلال [صفحہ ۳۲]

۴- و من كتاب له كتبه ع إلى بعض أمراء جيشه

فَإِنْ عَيَّادُوا إِلَى ظِلِّ الطَّاعِيَةِ فَذَاكَ أَلْهَى نُجَبِّ وَإِنْ تَوَافَتِ الْأُمُورُ بِالْقَوْمِ إِلَى الشَّقَاقِ وَ الْعِصْيَانِ فَانْهَدِ بِمَنْ أَطَاعَكَ إِلَى مَنْ عَصَاكَ وَ اسْتَغْنِ بِمَنْ انْقَادَ مَعَكَ عَمَّنْ تَقَاعَسَ عَنْكَ فَإِنَّ الْمُتَكَارَةَ مَغِيْبَةٌ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِهِ وَقَعُودُهُ أَعْنَى مِنْ نُهُوضِهِ انْهَدِ أَى

انهض وتقاعس أى أبطأ وتأخر. والمتكاره الذى يخرج إلى الجهاد من غيرنية وبصيره وإنما يخرج كارها مرتابا ومثل قوله ع فإن المتكاره مغيبه خير من مشهده وعوده أغنى من نهوضه قوله تعالى لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا -قرآن- ٢٠٠-٢٤٤] صفحه ٣٣

٥- و من كتاب له ع إلى الأشعث بن قيس و هو عامل أذربيجان

وَ إِنْ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ وَ لَكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ وَ أَنْتَ مُسْتَرَعَى لِمَنْ فَوْقَكَ لَيْسَ لَكَ أَنْ تَفْتَاتَ فِي رَعِيَّتِهِ وَ لَا تَخَاطِرُ إِلَّا بِوَثِيقَةٍ وَ فِي يَدَيْكَ مَالٌ مِنْ مَالِ اللَّهِ تَعَالَى وَ أَنْتَ مِنْ خُزَانِهِ حَتَّى تُسَلِّمَهُ إِلَيَّ وَ لَعَلِّي أَلَّا أَكُونَ شَرًّا وَ لَاتِكَ لَكَ وَ السَّلَامُ قَدْ ذَكَرْنَا نَسْبَ أَشْعَثَ بْنِ قَيْسٍ فِيمَا تَقَدَّمَ . وَ أَذْرَبِيْجَانَ اسْمُ أَعْجَمِيٍّ غَيْرِ مَصْرُوفِ الْأَلْفِ مَقْصُورَةٌ وَ الذَّالُ سَاكِنُهُ قَالَ حَبِيبٌ وَ أَذْرَبِيْجَانَ احْتِيَالٌ بَعْدَ مَا || كَانَتْ مَعْرَسٌ عَبْرَةٌ وَ نَكَالٌ . وَ قَالَ الشَّمَاخُ تَذَكَّرْتُهَا وَ هُنَا وَ قَدْ حَالَ دُونَهَا || قَرَى أَذْرَبِيْجَانَ الْمَسَالِحَ وَ الْجَالَ . وَ النِّسْبَةُ إِلَيْهِ أَذْرَى بِسُكُونِ الذَّالِ هَكَذَا الْقِيَاسُ وَ لَكِنِ الْمَرْوِيُّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ فِي الْكَلَامِ الَّذِي قَالَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ وَ لَتَأْمَنَ النَّوْمَ عَلَى الصُّوفِ الْأَذْرَى بِفَتْحِ الذَّالِ . وَ الطُّعْمَةُ بَضْمُ الطَّاءِ الْمَهْمَلَةُ الْمَأْكَلَةُ وَ يُقَالُ فُلَانٌ خَبِيثُ الطُّعْمَةِ أَيْ رَدِيءُ الْكَسْبِ . وَ الطُّعْمَةُ بِالْكَسْرِ لَهْيَةُ النَّطْعِ يَقُولُ إِنْ عَمَلَكَ لَمْ يَسُوغِهِ الشَّرْعُ وَ الْوَالِيُّ مِنْ قَبْلِي إِيَّاهُ [صَفْحَةُ ٣٤] وَ لِاجْعَلْ لَكَ أَكْلًا وَ لَكِنَّهُ أَمَانَةٌ فِي يَدِكَ وَ عُنُقِكَ لِلْمُسْلِمِينَ وَ فَوْقَكَ سُلْطَانٌ أَنْتَ لَهُ رَعِيَةٌ فَلَيْسَ لَكَ أَنْ تَفْتَاتَ فِي الرِّعِيَّةِ الَّذِينَ تَحْتَ يَدِكَ يُقَالُ افْتَاتَ فُلَانٌ عَلَى فُلَانٍ إِذَا فَعَلَ بِغَيْرِ إِذْنِهِ مَا سَبِيلُهُ أَنْ يَسْتَأْذِنَهُ فِيهِ وَ أَصْلُهُ مِنَ الْفُوتِ وَ هُوَ السَّبْقُ كَأَنَّهُ سَبَقَهُ إِلَى ذَلِكَ الْأَمْرِ وَ قَوْلُهُ وَ لَا تَخَاطِرُ إِلَّا بِوَثِيقَةٍ أَيْ لَا تَقْدَمُ عَلَى أَمْرٍ مَخُوفٍ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَالِ الَّذِي تَتَوَلَّاهُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَتَوَقَّعَ لِنَفْسِكَ يُقَالُ أَخَذَ فُلَانٌ بِالْوَثِيقَةِ فِي أَمْرِهِ أَيْ احْتِاطَ ثُمَّ قَالَ لَهُ وَ لَعَلِّي لَا أَكُونَ شَرًّا وَ لَاتِكَ وَ هُوَ كَلَامٌ يَطِيبُ بِهِ نَفْسَهُ وَ يَسْكُنُ بِهِ جَأْشُهُ لِأَنَّ فِي أَوَّلِ الْكَلَامِ إِحْيَاشًا لَهُ إِذْ كَانَتْ أَلْفَاظُهُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَرَهُ أَمِينًا عَلَى الْمَالِ فَاسْتَدْرَكَ ذَلِكَ بِالْكَلِمَةِ الْأَخِيرَةِ أَيْ رُبَّمَا تَحْمَدُ خِلَافَتِي وَ وِلَايَتِي عَلَيْكَ وَ تَصَادَفَ مِنِّي إِحْسَانًا إِلَيْكَ أَيْ عَسَى أَلَّا يَكُونَ شُكْرُكَ لِعِثْمَانَ وَ مِنْ قَبْلِهِ أَكْثَرُ مِنْ شُكْرِكَ لِي وَ هَذَا مِنْ بَابِ وَعَدَكَ الْخَفِيُّ وَ تَسْمِيَةُ الْعَرَبِ الْمَلْثَ . وَ أَوَّلُ هَذَا الْكِتَابِ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ أَمَّا بَعْدُ فَلَوْ لَا هُنَاتَ وَ هُنَاتَ كَانَتْ مِنْكَ كُنْتُ الْمَقْدَمُ فِي هَذَا الْأَمْرِ قَبْلَ النَّاسِ وَ لَعَلَّ أَمْرًا كَانَ يَحْمِلُ بَعْضُهُ بَعْضًا إِنْ اتَّقَيْتَ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ وَ قَدْ كَانَ مِنْ بَيْعَةِ النَّاسِ إِيَّايَ مَا قَدْ عَلِمْتَ وَ كَانَ مِنْ أَمْرِ طَلْحَةَ وَ الزُّبَيْرِ مَا قَدْ بَلَّغْتَكَ فَخَرَجْتَ إِلَيْهِمَا فَأَبْلَغْتَ فِي الدُّعَاءِ وَ أَحْسَنْتَ فِي الْبَقِيَّةِ وَ إِنْ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ -رَوَايَةٌ- ١-٢- ٥٧-٣٤٤ إِلَى آخِرِ الْكَلَامِ وَ هَذَا الْكِتَابُ كَتَبَهُ إِلَى الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ بَعْدَ انْقِضَاءِ الْجَمَلِ [صَفْحَةُ ٣٥]

٦- و من كتاب له ع إلى معاوية

اشاره

إِنَّهُ بَايَعَنِي الْقَوْمُ الْعَدِيْنَ يَبَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَ عُمَرَ وَ عُثْمَانَ عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ وَ لَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَزِدَّ وَ إِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ فَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وَ سَمَوْهُ إِمَامًا كَانَ ذَلِكَ لِلَّهِ رِضًا فَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بَطَعَنَ أَوْ بَدَعَهُ رَدَّوهُ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ فَإِنْ أَبِي قَاتَلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِهِ غَيْرِ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ وَ وَلَّاهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّى وَ لَعَمْرِي يَا مُعَاوِيَةَ لَئِنْ نَظَرْتُ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ لَتَحِيدَنِي أَبْرَأُ النَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ وَ لَتَعْلَمَنَّ أَنَّي كُنْتُ فِي عَزْلِهِ عَنْهُ إِلَّا أَنْ تَتَجَنَّبَنِي فَتَجَنَّبَنِي مَا يَدَا لَكَ وَ السَّلَامُ قَدْ تَقَدَّمَ ذَكَرَ هَذَا الْكَلَامَ فِي أَثْنَاءِ اقْتِصَاصِ مِرَاسَلَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عِ مَعَاوِيَةَ بِجَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ وَ قَدْ ذَكَرَهُ أَرِيَابُ السَّيْرَةِ كُلِّهِمْ

وأورده شيوخنا المتكلمون في كتبهم احتجاجا على صحة الاختيار وكونه طريقا إلى الإمامة وأول الكتاب أما بعد فإن بيعتي بالمدينة لزمتمك و أنت بالشام لأنه بايعني القوم الذين بايعوا -رواية- ١-٨٦ إلى آخر الفصل . [صفحہ ٣٦] والمشهور المروى فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أورغبة أى رغبة عن ذلك الإمام الذى وقع الاختيار له . والمروى بعد قوله ولاه الله بعد ماتولى وأصله جهنم وساءت مصيرا وإن طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتي فكان نقضهما كردتهما فجاهدتهما على ذلك حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون فادخل فيما دخل فيه المسلمون فإن أحب الأمور إلى فيك العافية إلا أن تتعرض للبلاء فإن تعرضت له قاتلتك واستعنت بالله عليك وقد أكثرت فى قتله عثمان فادخل فيما دخل الناس فيه ثم حاكم القوم إلى أحملك وإياهم على كتاب الله فأما تلك التى تريدها فخدعة الصبى عن اللبن ولعمري يامعاوية إن نظرت بعقلك -رواية- ١-٤٧٠ إلى آخر الكلام . وبعده واعلم أنك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة ولا تعرض بهم الشورى وقد أرسلت إليك جرير بن عبد الله البجلي وهو من أهل الإيمان والهجرة فبايع ولاقوه إلا بالله . واعلم أن هذا الفصل دال بصريحه على كون الاختيار طريقا إلى الإمامة كما يذكره أصحابنا المتكلمون لأنه احتج على معاوية ببيعة أهل الحل والعقد له ولم يراع فى ذلك إجماع المسلمين كلهم وقياسه على بيعة أهل الحل والعقد لأبى بكر فإنه ماروعى فيها إجماع المسلمين لأن سعد بن عباد لم يبايع ولا أحد من أهل بيته وولده ولأن عليا وبنى هاشم و من انضوى إليهم لم يبايعوا فى مبدأ الأمر وامتنعوا ولم يتوقف المسلمون فى تصحيح إمامة أبى بكر وتنفيذ أحكامه على بيعتهم وهذا دليل على صحة الاختيار وكونه طريقا إلى الإمامة وأنه لا يقدر فى إمامته ع امتناع معاوية من البيعة وأهل الشام فأما الإمامية فتحمل هذا الكتاب منه ع على التقيّة وتقول إنه ما كان يمكنه [صفحہ ٣٧] أن يصرح لمعاوية فى مكتوبه بباطن الحال و يقول له أنا منصوص على من رسول الله ص ومعهود إلى المسلمين أن أكون خليفة فيهم بلا فصل فيكون فى ذلك طعن على الأئمة المتقدمين وتفسد حاله مع الذين بايعوه من أهل المدينة وهذا القول من الإمامية دعوى لوعضدها دليل لوجب أن يقال بها ويصار إليها ولكن لا دليل لهم على ما يذهبون إليه من الأصول التى تسوقهم إلى حمل هذا الكلام على التقيّة. فأما قوله ع وقد أكثرت فى قتله عثمان فادخل فيما دخل فيه المسلمون ثم حاكم القوم إلى أحملك وإياهم على كتاب الله فيجب أن يذكر فى شرحه ما يقول المتكلمون فى هذه الواقعة قال أصحابنا المعتزلة رحمهم الله هذا الكلام حق وصواب لأن أولياء الدم يجب أن يبايعوا الإمام ويدخلوا تحت طاعته ثم يرفعوا خصومهم إليه فإن حكم بالحق استديمت إمامته وإن حاد عن الحق انقضت خلافته وأولياء عثمان الذين هم بنوه لم يبايعوا عليا ع ولا دخلوا تحت طاعته ثم وكذلك معاوية ابن عم عثمان لم يبايع ولا أطاع فمطالبتهم له بأن يقتص لهم من قاتلى عثمان قبل بيعتهم إياه وطاعتهم له ظلم منهم وعدوان . فإن قلت هب أن القصاص من قتله عثمان موقوف على ما ذكره ع أما كان يجب عليه لا- من طريق القصاص أن ينهى عن المنكر وأنتم تذهبون إلى أن النهى عن المنكر واجب على من هو سوقه فكيف على الإمام الأعظم قلت هذا غير وارد هاهنا لأن النهى عن المنكر إنما يجب قبل وقوع المنكر لكيلا يقع فإذا وقع المنكر فأى نهى يكون عنه وقد نهى على ع أهل مصر وغيرهم عن قتل عثمان قبل قتله مرارا ونابذهم بيده ولسانه وأولاده فلم يغن [صفحہ ٣٨] شيئا وتفاسم الأمر حتى قتل ولا يجب بعد القتل إلا القصاص فإذا امتنع أولياء الدم من طاعة الإمام لم يجب عليه أن يقتص من القاتلين لأن القصاص حقهم وقد سقط ببيعهم على الإمام وخروجهم عن طاعته وقد قلنا نحن فيما تقدم أن القصاص إنما يجب على من باشر القتل والذين باشروا قتل عثمان قتلوا يوم قتل عثمان فى دار عثمان والذين كان معاوية يطالبهم بدم عثمان لم يباشروا القتل وإنما كثروا السواد وحصروه عثمان فى الدار وأجلبوا عليه وشتموه وتوعدوه ومنهم من تسور عليه داره ولم ينزل إليه ومنهم من نزل فحضر محضر قتله ولم يشرك فيه و كل هؤلاء لا يجب عليهم القصاص فى الشرع

عند معاوية و قد ذكرنا فيما تقدم شرح حال جرير بن عبد الله البجلي في إرسال علي ع إياه إلى معاوية مستقصى وذكر الزبير بن بكار في الموفقيات أن عليا ع لمابعث جريرا إلى معاوية خرج و هو لا يرى أحدا قد سبقه إليه قال فقدمت علي معاوية فوجدته يخطب الناس وهم حوله يبكون حول قميص عثمان و هو معلق على رمح مخضوب بالدم و عليه أصابع زوجته نائلة بنت الفرافصة مقطوعة فدفعت إليه كتاب علي ع و كان معي في الطريق رجل يسير بسيرى و يقيم بمقامي فمثل بين يديه في تلك الحال وأنشده إن بنى عمك عبدالمطلب || هم قتلوا شيخكم غير كذب و أنت أولى الناس بالوثب فثب . و قد ذكرنا تمام هذه الأبيات فيما تقدم . [صفحہ ۳۹] قال ثم دفع إليه كتابا من الوليد بن عقبه بن أبي معيط و هو أخو عثمان لأمه كتبه مع هذا الرجل من الكوفة سرا أوله معاوي إن الملك قد جرب غاربه . الأبيات التي ذكرنا فيما تقدم . قال فقال لي معاوية أقم فإن الناس قد نفروا عند قتل عثمان حتى يسكنوا فأقمت أربعة أشهر ثم جاءه كتاب آخر من الوليد بن عقبه أوله ألا أبلغ معاوية بن حرب || فإنك من أخى ثقة مليم قطعت الدهر كالسدم المعنى || تهدر في دمشق ولا تريم وإنك والكتاب إلى علي || كدابة و قد حلح الأديم فلو كنت القتل و كان حيا || لشمر لألف و لاسئوم . قال فلما جاءه هذا الكتاب وصل بين طومارين أبيضين ثم طواهما و كتب عنوانهما [صفحہ ۴۰] من معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب و دفعهما إلى لأعلم ما فيهما و لأظنهما إجابا و بعث معي رجلا من بنى عبس لأدرى مامعه فخرجنا حتى قدمنا إلى الكوفة واجتمع الناس في المسجد لا يشكون أنها بيعة أهل الشام فلما فتح علي ع الكتاب لم يجد شيئا وقام العبسي فقال من هاهنا من أحياء قيس وأخص من قيس غطفان وأخص من غطفان عبسا إنى أحلف بالله لقد تركت تحت قميص عثمان أكثر من خمسين ألف شيخ خاضبي لحاهم بدموع أعينهم متعاقدين متحالفين ليقتلن قتله في البر والبحر وإنى أحلف بالله ليقتمحنها عليكم ابن أبي سفيان بأكثر من أربعين ألفا من خصيان الخيل فما ظنكم بعد بما فيها من الفحول ثم دفع إلى علي ع كتابا من معاوية ففتح فيه فوجد فيه أتاني أمر فيه للنفس غممة || و فيه اجتداع للأثوف أصيل مصاب أمير المؤمنين وهذه || تكاد لها صم الجبال تزول . و قد ذكرنا هذا الشعر فيما تقدم [صفحہ ۴۱]

٧- و من كتاب منه ع إليه أيضا

أَمَا بَعْدُ فَفَدَّ أَتَنِّي مِنْكَ مَوْعِظَةٌ مَوْصِيَّةٌ وَ رِسَالَةٌ مُحَبَّرَةٌ نَمَّقَتْهَا بِضَلَالِكَ وَ أَمْصَيْتَهَا بِسُوءِ رَأْيِكَ وَ كِتَابٌ أَمْرِي لَيْسَ لَهُ بَصَرٌ يَهْدِيهِ وَ لَا قَائِدٌ يُرْشِدُهُ قَدْ دَعَاهُ الْهُوَى فَأَجَابَهُ وَ قَادَهُ الضَّمَالُ فَاتَّبَعَهُ فَهَجَرَ لِأَعْيُنِهَا وَ ضَلَّ خَابِطًا مَوْعِظَةً مَوْصِيَّةً أَى مَجْمُوعَةَ الْأَلْفَاظِ مِنْ هَاهُنَا وَ هَاهُنَا وَ ذَلِكَ عَيْبٌ فِي الْكِتَابَةِ وَالْخَطَابَةِ وَإِنَّمَا الْكَاتِبُ مَنْ يَرْتَجِلُ فَيَقُولُ قَوْلًا فَصْلًا أَوْ يَرُوي فَيَأْتِي بِالْبَدِيعِ الْمُسْتَحْسَنِ وَ هُوَ فِي الْحَالِينِ كِلَيْهِمَا يَنْفِقُ مِنْ كَيْسِهِ وَ لَا يَسْتَعِيرُ كَلَامَ غَيْرِهِ . وَ الرِّسَالَةُ الْمُحَبَّرَةُ الْمَزِينَةُ الْأَلْفَاظِ كَأَنَّهُ عَ يَشِيرُ إِلَى أَنَّهُ قَدْ كَانَ يَظْهَرُ عَلَيْهَا أَثَرُ التَّكْلِيفِ وَ التَّنْصِيعِ . وَ التَّنْمِيقُ التَّرْتِيبُ أَيْضًا . وَ هَجَرَ الرَّجُلُ أَى هَذَى وَ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي أَحَدِ التَّفْسِيرِينَ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا . وَ اللَّاعِظُ ذُو اللَّغَطِ وَ هُوَ الصَّوْتُ وَ الْعِجْبَةُ . - قرآن - ۳۹۴-۴۳۹ [صفحہ ۴۲] وَ خَبِطَ الْبَعِيرُ فَهُوَ خَابِطٌ إِذَا مَشَى ضَالًا فَحَبِطَ بِيَدَيْهِ كُلُّ مَا يَلْقَاهُ وَ لَا يَتَوَقَّى شَيْئًا . وَ هَذَا الْكِتَابُ كَتَبَهُ عَلِيُّ عَ جَوَابًا عَنِ كِتَابِ كَتَبَهُ مَعَاوِيَةُ إِلَيْهِ فِي أَثْنَاءِ حَرْبِ صَفِينِ بَلْ فِي أَوَاخِرِهَا وَ كَانَ كِتَابَ مَعَاوِيَةَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ وَ لَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ وَ إِنِّي أَحْذَرُكَ اللَّهُ أَنْ تَحْبِطَ عَمَلُكَ وَ سَابَقَتْكَ بِشِقِّ عَصَا هَذِهِ الْأُمَّةِ وَ تَفْرِيقِ جَمَاعَتِهَا فَاتَّقِ اللَّهَ وَ اذْكُرْ مَوْقِفَ الْقِيَامَةِ وَ أَلْقِ عَمَّا أَسْرَفْتَ فِيهِ مِنْ

الخوض في دماء المسلمين و -قرآن- ٢٩٨-٤٢٠ إني سمعت رسول الله ص يقول لوتمالأ أهل صنعاء وعدن على قتل رجل واحد من المسلمين لأ-كبهم الله على مناخرهم في النار -روایت- ١-٢-روایت- ٣٤-١٢٦ فكيف يكون حال من قتل أعلام المسلمين وسادات المهاجرين بله ماطحنت رحى حربيه من أهل القرآن وذى العبادۃ والإيمان من شيخ كبير وشاب غرير كلهم بالله تعالى مؤمن و له مخلص و برسوله مقر عارف فإن كنت أباحسن إنما تحارب على الإمرة والخلافة فلعمري لو صحت خلافتك لكنت قريبا من أن تعذر في حرب المسلمين ولكنها ما صحت لك أنى بصحتها و أهل الشام لم يدخلوا فيها و لم يرتضوا بها وخف الله وسطواته و اتق بأسه و نكاله و أغمد سيفك عن الناس فقد و الله أكلتهم الحرب فلم يبق منهم إلا كالثمد في قرارة الغدير و الله المستعان . فكتب على ع إليه جوابا عن كتابه -روایت- ١-٢-روایت- ٣٧-ادامه دارد [صفحه ٤٣] من عبد الله على أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبى سفيان أما بعد فقد أتتني منك موعظة موصلة و رسالته محيرة نمقتها بضلالك و أمضيتها بسوء رأيك و كتاب امرئ ليس له بصر يهديه و لاقائد يرشده دعاه الهوى فأجابه وقاده الضلال فاتبعه فهجرا لا غطا و ضل خابطا فأما أمرك لى بالتقوى فأرجو أن أكون من أهلها و أستعيد بالله من أن أكون من الذين إذا مروا بها أخذتهم العزة بالإثم و أما تحذيرك إياى أن يحبط عملى و سابقتى فى الإسلام فلعمري لو كنت الباغى عليك لكان لك أن تحذرنى ذلك و لكنى وجدت الله تعالى يقول فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء إلى أمر اللّٰه فنظرنا إلى الفئتين أما الفئۃ الباغية فوجدناها الفئۃ التى أنت فيها لأن بيعتى بالمدينة لزمتهك و أنت بالشام كما لزمتهك بيعته عثمان بالمدينة و أنت أمير لعمري على الشام و كما لزمته يزيد أخاك بيعته عمر و هو أمير لأبى بكر على الشام و أما شق عصا هذه الأمة فأنا أحق أن أنهاك عنه فأما تخويفك لى من قتل أهل البغى فإن رسول الله ص أمرنى بقتالهم و قتلهم و قال لأصحابه إن فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله وأشار إلى و أنا أولى من اتبع أمره و أما قولك إن بيعتى لم تصح لأن أهل الشام لم يدخلوا فيها كيف وإنما هى بيعته واحدة تلزم الحاضر والغائب لا يشئى فيها النظر و لا يستأنف فيها الخيار الخارج منها طاعن و المروى فيها مدهان فاربغ على ظلعك و انزع سربال غيك و اترك ما لاجدوى له عليك فليس لك عندى إلا السيف حتى تفيء إلى أمر الله صاعرا و تدخل فى البيعة راغما و السلام -روایت- از قبل- ١٣٨١ [صفحه ٤٤] و من هَذَا الْكِتَابِ لِأَنَّهُمَا بَيْعَةٌ وَاحِدَةٌ لَا يُشْتَى فِيهَا النَّظَرُ وَ لَا يُسْتَأْنَفُ فِيهَا الْخِيَارُ الْخَارِجُ مِنْهَا طَاعِنٌ وَ الْمُرْوَى فِيهَا مُدَاهِنٌ لَا يُشْتَى فِيهَا النَّظَرُ أَى لَا يَعَاوِدُ وَ لَا يَرَاوِعُ ثَانِيَةٌ وَ لَا يُسْتَأْنَفُ فِيهَا الْخِيَارُ مِنْهَا طَاعِنٌ عَلَى الْأُمَّةِ لِأَنَّهُمْ تَلَزَمُوا طَرِيقَ الْإِمَامَةِ . وَ الْمُرْوَى كَمَا تَلَزَمُوا طَرِيقَ الْإِمَامَةِ فَيَسْقُطُ الْخِيَارُ فِيهَا الْخَارِجُ مِنْهَا طَاعِنٌ عَلَى الْأُمَّةِ لِأَنَّهُمْ أَجْمَعُوا عَلَى أَنْ الْاِخْتِيَارَ طَرِيقَ الْإِمَامَةِ . وَ الْمُرْوَى فِيهَا مُدَاهِنٌ أَى أَلْذَى يَرْتَى وَ يَبْطِئُ عَنِ الطَّاعَةِ وَ يَفْكَرُ وَأَصْلُهُ مِنَ الرُّوِيَةِ وَ الْمُدَاهِنُ الْمُنَافِقُ [صفحه ٤٥]

٨- و من كتاب له ع إلى جرير بن عبد الله البجلي لما أرسله إلى معاوية

أَمَّا بَعْدُ فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَاحْمِلْ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْفَصْلِ وَ خُذْهُ بِالْأَمْرِ الْجَزْمِ ثُمَّ خَيْرُهُ بَيْنَ حَرْبٍ مُجَلِيَّةٍ أَوْ سَلْمٍ مُخْزِيَّةٍ فَإِنْ اخْتَارَ الْحَرْبَ فَانْبِذْ إِلَيْهِ وَ إِنْ اخْتَارَ السَّلْمَ فَخُذْ بَيْعَتَهُ وَ السَّلْمَ قَدْ تَقَدَّمَ ذَكَرَ نَسَبَ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ . وَ قَوْلُهُ ع فَاحْمِلْ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْفَصْلِ أَى لَا تَتْرِكُهُ مَتَلَكْنَا مُتَرَدِّدًا يَطْمَعُكَ تَارَةً وَ يُؤَيِّسُكَ أُخْرَى بَلْ احْمِلْهُ عَلَى أَمْرٍ يَفْصِلُ إِمَّا الْبَيْعَةَ أَوْ أَنْ يَأْذَنَ بِالْحَرْبِ . وَ كَذَلِكَ قَوْلُهُ وَ خُذْهُ بِالْأَمْرِ الْجَزْمِ أَى الْأَمْرَ الْمَقْطُوعَ بِهِ لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَقْدَمُ رَجُلًا وَ يُؤَخِّرُ أُخْرَى وَأَصْلُ الْجَزْمِ الْقَطْعُ . وَ حَرْبٌ مُجَلِيَّةٌ تَجْلَى الْمُقَهَّورِينَ فِيهَا عَنِ دِيَارِهِمْ أَى تَخْرِجُهُمْ . وَ سَلْمٌ مُخْزِيَّةٌ أَى فَاضِحَةٌ وَإِنَّمَا جَعَلَهَا مُخْزِيَّةً لِأَنَّ مُعَاوِيَةَ امْتَنَعَ أَوْلَا مِنْ الْبَيْعَةَ فَإِذَا دَخَلَ فِي السَّلْمِ فَإِنَّمَا يَدْخُلُ فِيهَا بِالْبَيْعَةِ وَ إِذَا بَاعَ بَعْدَ الْاِمْتِنَاعِ فَقَدْ دَخَلَ تَحْتَ الْهَضْمِ وَ رَضِيَ بِالضَّمِّ وَ ذَلِكَ هُوَ الْخِزْيُ . [صفحه ٤٦] قَوْلُهُ فَاَنْبِذْ إِلَيْهِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى فَاَنْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ وَأَصْلُهُ الْعَهْدُ وَ الْهَدَنَةُ وَ عَقْدُ الْحَلْفِ يَكُونُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ أَوْ بَيْنَ

القبيلتين ثم يبدو لهما في ذلك فينتقلان إلى الحرب فينبذ أحدهما إلى الآخر عهده كأنه كتاب مكتوب بينهما قدنبذه أحدهما يوم الحرب وأبطله فاستعير ذلك للمجاهرة بالعداوة والمكاشفة ونسخ شريعته السلام السابقة بالحرب المعاقبة لها -قرآن- ٣٥-٦٢ [صفحة ٤٧]

٩- ومن كتاب له ع إلى معاوية

إشاره

فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا وَاجْتِيَا حَ أَصْلِنَا وَ هَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ وَ فَعَلُوا بِنَا الْأَفَاعِيلَ وَ مَنَعُونَا الْعَذْبَ وَ أَحْلَسُونَا الْخَوْفَ وَ اضْطَرُّونَا إِلَى جَبَلٍ وَعَرٍ وَ أَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ فَعَزَمَ اللَّهُ لَنَا عَلَى الدَّبِّ عَنِ حَوَزَتِهِ وَ الرَّمِيِّ مِنْ وَرَاءِ حَوْمَتِهِ مُؤْمِنًا يَبْغِي بِذَلِكَ الْأَجْرَ وَ كَافِرُنَا يَحَامِي عَنِ الْأَصْلِ وَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خَلَوْ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ بِحِلْفٍ يَمْنَعُهُ أَوْ عَشِيرَةٍ تَقُومُ دُونَهُ فَهُوَ مِنَ الْقَتْلِ بِمَكَانٍ أَمِنٍ وَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص إِذَا أَحْمَرَ الْبَأْسُ وَ أَحْجَمَ النَّاسُ قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ فَوْقَى بِهِمْ أَصْحَابَهُ حَزَّ السَّيُوفِ وَ الْأَسِنَّةِ فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ وَ قُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ وَ قُتِلَ جَعْفَرُ يَوْمَ مُوتَةَ وَ أَرَادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ اسْمَهُ مِثْلَ الَّذِي أَرَادُوا مِنَ الشَّهَادَةِ وَ لَكِنْ أَجَالَهُمْ عَجَلَتْ وَ مَيِّتُهُ أَخْرَجَتْ فَيَا عَجَبًا لِلدَّهْرِ إِذْ صِرْتُ يُقْرَنُ بِي مَنْ لَمْ يَسَعْ بِقَدَمِي وَ لَمْ تَكُنْ لَهُ كَسَابِقَتِي الَّتِي لَا يَدُلِّي أَحَدٌ بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يَدْعِيَ مُيَدِّعٌ مَا لَا أَعْرِفُهُ وَ لَا أَظُنُّ اللَّهَ يَعْرِفُهُ وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَ أَمَا مَا سَأَلْتَ مِنْ دَفْعِ قَتْلِهِ عُثْمَانَ إِلَيْكَ فَإِنِّي نَظَرْتُ فِي هَذَا الْأَمْرِ فَلَمْ أَرَهُ يَسِيْعُنِي دَفْعُهُمْ إِلَيْكَ وَ لَمَّا إِلَى غَيْرِكَ وَ لَعَمْرِي لَئِنْ لَمْ تَنْزِعْ عَيْنَ غَيْرِكَ وَ شَقَايَكَ لَتَعْرِفَهُمْ عَيْنَ قَلِيلٍ يَطْلُبُونَكَ لَا يُكَلِّفُونَكَ طَلَبَهُمْ فِي بَرٍّ وَ لَا بَحْرٍ وَ لَا جَبَلٍ [صفحة ٤٨] وَ لَا سِيَهْلٍ إِلَّا أَنَّهُ طَلَبٌ يَسُوءُكَ وَ جَدَانُهُ وَ زُورٌ لَا يَسِيرُكَ لِقِيَانَهُ وَ السَّلَامُ لِأَهْلِهِ قَوْلُهُ ع فَأَرَادَ قَوْمُنَا يَعْنِي قُرَيْشًا. وَالاجْتِيَاحُ الْاسْتِئْصَالُ وَ مِنْهُ الْجَائِحَةُ وَ هِيَ السَّنَةُ أَوْ الْفِتْنَةُ الَّتِي تَجْتَا حَ الْمَالِ أَوْ الْأَنْفُسِ . قَوْلُهُ وَ مَنَعُونَا الْعَذْبَ أَيْ الْعَيْشَ الْعَذْبَ لِأَنَّهُمْ مَنَعُوهُمُ الْمَاءَ الْعَذْبَ عَلَى أَنَّهُ قَدْ نَقَلَ أَنَّهُمْ مَنَعُوا أَيَّامَ الْحَصَارِ فِي شَعْبِ بَنِي هَاشِمٍ مِنَ الْمَاءِ الْعَذْبِ وَ سَنَدَكَ ذَلِكَ . قَوْلُهُ وَ أَحْلَسُونَا الْخَوْفَ أَيْ أَلْزَمُونَاهُ وَالْحَلْسُ كَسَاءٌ رَقِيقٌ يَكُونُ تَحْتَ بَرْدَعَةِ الْبَعِيرِ وَ أَحْلَاسُ الْبَيْوتِ مَا يَبْسُطُ تَحْتَ حَرِّ الثِّيَابِ وَ فِي الْحَدِيثِ كُنْ حَلْسٌ بَيْتَكَ -رَوَايَاتُ ١- ٢- رَوَايَاتُ ١٤- ٢٩ أَيْ لَا تَخَالَطِ النَّاسَ وَاعْتَزَلْ عَنْهُمْ فَلَمَّا كَانَ الْحَلْسُ مَلَاذِمًا ظَهَرَ الْبَعِيرُ وَ أَحْلَاسُ الْبَيْوتِ مَلَاذِمَةٌ لَهَا قَالَ وَ أَحْلَسُونَا الْخَوْفَ أَيْ جَعَلُوهُ لَنَا كَالْحَلْسِ الْمَلَاذِمِ . قَوْلُهُ وَ اضْطَرُّونَا إِلَى جَبَلٍ وَعَرٍ مِثْلَ ضَرْبِهِ ع لَخَشُونَهُ مَقَامَهُمْ وَ شَطَفَ مَنْزِلَهُمْ أَيْ كَانَتْ حَالُنَا فِيهِ كَحَالِ مَنْ اضْطُرَّ إِلَى رُكُوبِ جَبَلٍ وَعَرٍ وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَقِيقَةً لَامِثًا لِأَنَّ الشَّعْبَ الَّذِي حَصَرُوهُمْ فِيهِ مُضِيقٌ بَيْنَ جَبَلَيْنِ . قَوْلُهُ فَعَزَمَ اللَّهُ لَنَا أَيْ قَضَى اللَّهُ لَنَا وَ وَفَّقَنَا لِذَلِكَ وَ جَعَلْنَا عَازِمِينَ عَلَيْهِ . وَ الْحَوْزَةُ النَّاحِيَةُ وَ حَوْزَةُ الْمَلِكِ بِيضَتُهُ . [صفحة ٤٩] وَ حَوْمَةُ الْمَاءِ وَ الرَّمْلُ مَعْظَمُهُ . وَ الرَّمْيُ عَنْهَا الْمَنَاضِلَةُ وَ الْمَحَامَاةُ وَ يَرُوى وَ الرَّمْيُ مِنْ وَرَاءِ حَرْمَتِهِ وَ الضَّمِيرُ فِي حَوْزَتِهِ وَ حَوْمَتِهِ رَاجِعٌ إِلَى النَّبِيِّ ص وَ قَدْ سَبَقَ ذِكْرُهُ وَ هُوَ قَوْلُهُ نَبِينَا وَ يَرُوى وَ الرَّمْيَا . وَ قَالَ الرَّوَانْدِيُّ وَ هَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ أَيْ هَمُّوا نَزُولَ الْهَمِّ بِنَا فَحَذَفَ الْمَضَافَ وَ أَقَامَ الْمَضَافَ إِلَيْهِ مَقَامَهُ وَ لَيْسَ مَقَالَهُ بِجَيِّدٍ بَلِ الْهُمُومُ مَنْصُوبٌ هَاهُنَا عَلَى الْمَصْدَرِ أَيْ هَمُّوا بِنَا هَمُومًا كَثِيرَةً وَ هَمُّوا بِنَا أَيْ أَرَادُوا نَهْبَنَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَ هَمَّ بِهَا عَلَى تَفْسِيرِ أَصْحَابِنَا وَ إِنَّمَا أَدْخَلَ لَامَ التَّعْرِيفِ فِي الْهُمُومِ أَيْ هَمُّوا بِنَا تِلْكَ الْهُمُومِ الَّتِي تَعْرِفُونَهَا فَآتَى بِاللَّامِ لِيَكُونَ أَعْظَمَ وَ أَكْبَرَ فِي الصَّدُورِ مِنْ تَنْكِيرِهَا أَيْ تِلْكَ الْهُمُومُ مَعْرُوفَةٌ مَشْهُورَةٌ بَيْنَ النَّاسِ لِتَكَرُّرِ عَزْمِ الْمُشْرِكِينَ فِي أَوْقَاتٍ كَثِيرَةٍ مُخْتَلِفَةٍ عَلَى الْإِيْقَاعِ . وَ قَوْلُهُ وَ فَعَلُوا بِنَا الْأَفَاعِيلَ يُقَالُ لِمَنْ أَثَرَا آثَارًا مُنْكَرَةً فَعَلُوا بِنَا الْأَفَاعِيلَ وَقِيلَ أَنْ يَقَالَ ذَلِكَ فِي غَيْرِ الضَّرَرِ وَالْأَذَى وَ مِنْهُ قَوْلُ أَمِيئَةَ بْنِ خَلْفٍ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَ هُوَ يَذْكَرُ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ يَوْمَ بَدْرٍ ذَاكَ الَّذِي فَعَلَ بِنَا الْأَفَاعِيلَ . قَوْلُهُ يَحَامِي عَنِ الْأَصْلِ أَيْ

يدافع عن محمد ويذب عنه حمية ومحافظه على النسب . قوله خلو مما نحن فيه أى خال والحلف العهد . واحمر البأس كلمة مستعارة أى اشتدت الحرب حتى احمرت الأرض من الدم فجعل البأس هو الأحمر مجازا كقولهم الموت الأحمر . -قرآن- ٤٠٤- ٤١٥ [صفحہ ٥٠] قوله وأحجم الناس أى كفوا عن الحرب وجبنوا عن الإقدام يقال حجمت فلانا عن كذا أحجمه بالضم فأحجم هو وهذه اللفظة من النوادر كقولهم كيبته فأكب . و يوم مؤتة بالهمز ومؤتة أرض معروفة . وقوله وأراد من لوشئت لذكرت اسمه يعنى به نفسه . قوله إذ صرت يقربن بى من لم يسع بقدمى إشارة إلى معاوية فى الظاهر و إلى من تقدم عليه من الخلفاء فى الباطن والدليل عليه قوله التى لا يدلى أحد بمثلها فأطلق القول إطلاقا عاما مستغرقا لكل الناس أجمعين . ثم قال إلا أن يدعى مدع ما لا أعرفه و لا أظن الله يعرفه أى كل من ادعى خلاف ما ذكرته فهو كاذب لأنه لو كان صادقا لكان على ع يعرفه لا محالة فإذا قال عن نفسه إن كل دعوة تخالف ما ذكرت فإنى لأعرف صحتها فمعناه أنها باطلة . وقوله و لا أظن الله يعرفه فالظن هاهنا بمعنى العلم كقوله تعالى وَ رَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوقَفُوهَا وَأَخْرَجَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ مَخْرَجَ قَوْلِهِ تَعَالَى قُلْ أَ تَتَّبِعُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَ لَا فِي الْأَرْضِ وَ لَيْسَ الْمَرَادُ سَلْبُ الْعِلْمِ بَلِ الْعِلْمُ بِالْإِسْلَامِ كَذَلِكَ لَيْسَ مَرَادُهُ ع سَلْبُ الظَّنِّ الَّذِي هُوَ بِمَعْنَى الْعِلْمِ بَلِ الظَّنِّ السَّلْبِ أَيْ عِلْمِ السَّلْبِ أَيْ وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ يَعْرِفُ انْتِفَاءً وَ كُلِّ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ انْتِفَاءً فَلَيْسَ بِثَابِتٍ . وَ قَالَ الرَّوَانْدِيُّ قَوْلُهُ ع وَ لَا أَظُنُّ اللَّهَ يَعْرِفُهُ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَ الصَّابِرِينَ . -قرآن- ٧٦١-٨١٨-قرآن- ٨٥٦- ٩٢٩-قرآن- ١٢٠٥-١٢٧٢ [صفحہ ٥١] وَ اللَّهُ يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلَ وَجُودِهِ وَ إِنَّمَا مَعْنَاهُ حَتَّى نَعْلَمَ جِهَادَهُمْ مَوْجُودًا وَ لَيْسَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مِنَ الْآيَةِ بِسَبِيلٍ لَتَجْعَلَ مِثَالًا لَهَا وَ لَكِنَّ الرَّوَانْدِيَّ يَتَكَلَّمُ بِكُلِّ مَا يَخْطُرُ لَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَمِيزَ مَا يَقُولُ . وَ تَقُولُ أَدْلَى فَلَانَ بِحُجَّتِهِ أَيْ اِحْتِجَ بِهَا وَ فَلَانَ مَدْلُ بَرَحْمِهِ أَيْ مَتَّ بِهَا وَ أَدْلَى بِمَالِهِ إِلَى الْحَاكِمِ دَفَعَهُ إِلَيْهِ لِيَجْعَلَهُ وَسِيلَةً إِلَى قَضَاءِ حَاجَتِهِ مِنْهُ فَأَمَّا الشَّفَاعَةُ فَلَا يُقَالُ فِيهَا أَدْلِيَّةٌ وَ لَكِنَّ دَلْوَتَ بَفَلَانٍ أَيْ اسْتَشْفَعْتَ بِهِ وَ قَالَ عُمَرُ لَمَّا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ رَحِمَهُ اللَّهُ إِنَّا نَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّكَ وَ قَفِيَّةِ آبَائِهِ وَ كِبَرِ رَجَالِهِ دَلْوَنَا بِهِ إِلَيْكَ مُسْتَشْفِعِينَ قَوْلُهُ ع فَلَمْ أَرَهُ يَسْعُنِي أَيْ لَمْ أَرَهُ يَحِلُّ لِي دَفْعُهُمْ إِلَيْكَ وَ الضَّمِيرُ فِي أَرَهُ ضَمِيرُ الشَّأْنِ وَ الْقِصَّةِ وَ أَرَهُ مِنَ الرَّأْيِ لَا مِنَ الرَّؤْيَةِ كَقَوْلِكَ لَمْ أَرِ الرَّأْيَ الْفَلَانِيَّ . وَ نَزَعَ فَلَانَ عَنْ كَذَا أَيْ فَارَقَهُ وَ تَرَكَهُ يَنْزِعُ بِالْكَسْرِ وَ الْغَى الْجَهْلُ وَ الضَّلَالُ . وَ الشَّقَاقُ الْخِلَافُ . الْوُجْدَانُ مَصْدَرٌ وَ جَدْتُ كَذَا أَيْ أَصْبَتُهُ وَ الزُّورُ الزَّائِرُ . وَ اللَّقِيَانُ مَصْدَرٌ لَقِيْتُ تَقُولُ لَقِيْتَهُ لِقَاءً وَ لَقِيَانًا . ثُمَّ قَالَ وَ السَّلَامُ لِأَهْلِهِ لَمْ يَسْتَجِزْ فِي الدِّينِ أَنْ يَقُولَ لَهُ وَ السَّلَامُ عَلَيْكَ لِأَنَّهُ عِنْدَهُ فَاسِقٌ لَا يَجُوزُ إِكْرَامُهُ فَقَالَ وَ السَّلَامُ لِأَهْلِهِ أَيْ عَلَى أَهْلِهِ . وَ يَجِبُ أَنْ نَتَكَلَّمَ فِي هَذَا الْفَصْلِ فِي مَوَاضِعَ مِنْهَا ذَكَرَ مَا جَاءَ فِي السِّيَرَةِ مِنْ إِجْلَابِ قَرِيْشٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص وَ بَنِي هَاشِمٍ وَ حَصْرِهِمْ فِي الشَّعْبِ . [صفحہ ٥٢] وَ مِنْهَا الْكَلَامُ فِي الْمُؤْمِنِينَ وَ الْكَافِرِينَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ الَّذِينَ كَانُوا فِي الشَّعْبِ مُحْصُورِينَ مَعَهُ ص مِنْ هَمِّ . وَ مِنْهَا شَرْحُ قِصَّةِ بَدْرِ . وَ مِنْهَا شَرْحُ غَزَاةِ أُحُدٍ . وَ مِنْهَا شَرْحُ غَزَاةِ مُؤْتَةَ

الفصل الأول إجلاب قريش على بنى هاشم وحصرهم فى الشعب

فأما الكلام فى الفصل الأول فنذكر منه ما ذكره محمد بن إسحاق بن يسار فى كتاب السيرة والمغازى فإنه كتاب معتمد عند أصحاب الحديث والمؤرخين ومصنفه شيخ الناس كلهم . قال محمد بن إسحاق رحمه الله لم يسبق عليا ع إلى الإيمان بالله ورسالة محمد ص أحد من الناس اللهم إلا أن تكون خديجة زوجة رسول الله ص قال وقد كان ص يخرج ومعه على مستخفين من الناس فيصليان الصلوات فى بعض شعاب مكة فإذا أمسيا رجعا فمكتا بذلك ماشاء الله أن يمكتا لاثالث لهما ثم إن أباطال عثر عليهما يوما وهما يصليان فقال لمحمد ص يا ابن أخى ما هذا الذى تفعله فقال أى عم هذان الله ودين ملائكته ورسله ودين أينا إبراهيم أو كما قال ع بعثنى الله به رسولا- إلى العباد و أنت أى عم أحق من بذلت له النصيحة ودعوته إلى الهدى

وأحق من أجابني إليه وأعانني عليه أو كما قال فقال أبو طالب إنني لأستطيع يا ابن أخي أن أفارق [صفحة ٥٣] ديني ودين آبائي وما كانوا عليه ولكن والله لا يخلص إليك شيء تكرهه ما بقيت فزعموا أنه قال لعلي أي بني ما هذا الذي تصنع قال يا ابتاه آمنت بالله ورسوله وصدفته فيما جاء به وصليت إليه واتبعت قول نبيه فزعموا أنه قال له أما إنه لا يدعوك أولن يدعوك إلا إلى خير فالزمه . قال ابن إسحاق ثم أسلم زيد بن حارثة مولى رسول الله ص فكان أول من أسلم وصلى معه بعد علي بن أبي طالب ع . ثم أسلم أبو بكر بن أبي قحافة فكان ثالثا لهما ثم أسلم عثمان بن عفان وطلحة والزبير و عبد الرحمن وسعد بن أبي وقاص فصاروا ثمانية فهم الثمانية الذين سبقوا الناس إلى الإسلام بمكة ثم أسلم بعدهم هؤلاء الثمانية أبو عبيدة بن الجراح و أبو سلمة بن عبد الأسد وأرقم بن أبي أرقم ثم انتشر الإسلام بمكة وفشا ذكره وتحدث الناس به وأمر الله رسوله أن يصدع بما أمر به فكانت مدة إخفاء رسول الله ص نفسه وشأنه إلى أن أمر بإظهار الدين ثلاث سنين فيما بلغني . قال محمد بن إسحاق و لم تكن قريش تنكر أمره حينئذ كل الإنكار حتى ذكر آلهتهم وعبادتها فأعظموا ذلك وأنكروه وأجمعوا على عداوته وخلافه وحذب عليه عمه أبو طالب فمنعه وقام دونه حتى مضى مظهرا لأمر الله لا يبرده عنه شيء قال فلما رأت قريش محاماة أبي طالب عنه وقيامه دونه وامتناعه من أن يسلمه مشى إليه رجال من أشراف قريش منهم عتبة بن ربيعة وشيبة أخوه و أبو سفيان بن حرب و أبوالبختري بن هشام والأسود بن المطلب والوليد بن المغيرة و أبو جهل عمرو بن هشام [صفحة ٥٤] والعاص بن وائل ونيبه ومنبه ابنا الحجاج وأمثالهم من رؤساء قريش فقالوا يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعبادتنا وسفه أحلامنا وضلل آراءنا فإما أن تكفه عنا وإما أن تخلى بيننا وبينه فقال لهم أبو طالب قولوا ردا جميلا فانصرفوا عنه ومضى رسول الله ص على ما هو عليه يظهر دين الله ويدعو إليه ثم شق الأمر بينه وبينهم تباعدا وتضاعفا حتى أكثرت قريش ذكر رسول الله ص بينها وتذامروا فيه وحض بعضهم بعضا عليه فمشوا إلى أبي طالب مرة ثانية فقالوا يا أبا طالب إن لك سنا وشرفا ومنزلة فينا وإنا قد استهينناك من ابن أخيك فلم تنه عنا وإنا والله لانصبر على شتم آباءنا وتسفيه أحلامنا وعب آلهتنا فإما أن تكفه عنا أو ننازله وإياك حتى يهلك أحد الفريقين ثم انصرفوا فعظم على أبي طالب فراق قومه و عداوتهم و لم تطب نفسه بإسلام ابن أخيه لهم وخذلانه فبعث إليه فقال يا ابن أخي إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا للذي قالوا فأبق على و على نفسك و لا تحملي من الأمر ما لا يطيقه قال فظن رسول الله ص أنه قد بدا لعمه فيه بداء و أنه خاذله ومسلمه و أنه قد ضعف عن نصرته والقيام دونه فقال ياعم و الله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك ثم استعير باكيا وقام فلما ولي ناداه أبو طالب أقبل يا ابن أخي فأقبل راجعا فقال له اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبدا . [صفحة ٥٥] قال ابن إسحاق و قال أبو طالب يذكر ما أجمعت عليه قريش من حربه لما قام بنصر محمد ص و الله لن يصلوا إليك بجمعهم || حتى أوسد في التراب دفينا فانفذ لأمرك ما عليك مخافة || و أبشر و قر بذاك منه عيونا ودعوتني وزعمت أنك ناصحى || ولقد صدقت و كنت قبل أمينا وعرضت دينا قد علمت بأنه || من خير أديان البرية دينا لو لا الملامة أو حذارى سبه || لوجدتني سمحا بذاك مبينا . قال محمد بن إسحاق ثم إن قريشا حين عرفت أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله ص وإسلامه إليهم ورأوا إجماعه على مفارقتهم و عداوتهم مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي و كان أجمل فتى في قريش فقالوا له يا أبا طالب هذاعمارة بن الوليد أبهى فتى في قريش وأجمله فخذه إليك فاتخذته ولدا فهو لك وأسلم لنا هذا ابن أخيك الذي قد خالف دينك ودين آباءك و فرق جماعة قومك لنقتله وإنما هو رجل برجل فقال أبو طالب و الله ما أنصفتموني تعطوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيتكم ابني تقتلونه هذا والله ما لا يكون أبدا فقال له المطعم بن عدى بن نوفل و كان له صديقا مصافيا و الله يا أبا طالب ما أراك تريد أن تقبل من قومك شيئا لعمري قد جهدوا في التخلص مما تكره وأراك لا تنصفهم فقال أبو طالب و الله ما أنصفتوني و لا أنصفتني ولكنك قد أجمعت على خذلاني ومظاهرة القوم على فاصنع ما بدا لك [صفحة ٥٦] قال

فعند ذلك تنابذ القوم وصارت الأحقاد ونادى بعضهم بعضا وتذامروا بينهم على من فى القبائل من المسلمين الذين اتبعوا محمداص فوثبت كل قبيلة على من فيها منهم يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ومنع الله رسوله منهم بعمه أبى طالب وقام فى بنى هاشم وبنى عبدالمطلب حين رأى قريشا تصنع ماتصنع فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله ص والقيام دونه فاجتمعوا إليه وقاموا معه وأجابوه إلى مادعاهم إليه من الدفاع عن رسول الله ص إلا ما كان من أبى لهب فإنه لم يجتمع معهم على ذلك فكان أبوطالب يرسل إليه الأشعار ويناشده النصر منها القطعة التى أولها حديث عن أبى لهب أتانا || وكانفه على ذاكم رجال . ومنها القطعة التى أولها أظننت عنى قدخذلت وغالنى || منك الغوائل بعدشيب المكبر . ومنها القطعة التى أولها تستعرض الأقسام توسعهم || عذرا و ما إن قلت من عذر . قال محمد بن إسحاق فلم يؤثر عن أبى لهب خير قط إلا- ما يروى أن أباسلمة بن عبدالأسد المخزومى لماوثب عليه قومه ليعذبه ويفتنوه عن الإسلام هرب منهم فاستجار بأبى طالب وأم أبى طالب مخزومية وهى أم عبد الله والد رسول الله ص فأجاره فمشى إليه رجال من بنى مخزوم وقالوا له يا أباطالب هبك منعت منا ابن أخيك محمدا فما لك ولصاحبنا تمنعه منا قال إنه استجار بى و هو ابن أختى و إن أنا لم أمنع ابن أختى لم أمنع ابن أختى فارتفعت أصواتهم وأصواته فقام أبولهب و لم ينصر أباطالب قبلها و لابعدها فقال يامعشر قريش و الله لقد أكثرتم على هذا [صفحة ٥٧] الشيخ لا-تزالون تتوثبون عليه فى جواره من بين قومه أما و الله لتنتهن عنه أولنقومن معه فيما قام فيه حتى يبلغ ماأراد فقالوا بل ننصرف عما تكره يا أباعبئة فقاموا فانصرفوا و كان وليا لهم ومعينا على رسول الله ص و أبى طالب فاتقوه وخافوا أن تحمله الحمية على الإسلام فطمع فيه أبوطالب حيث سمعه قال ما قال وأمل أن يقوم معه فى نصره رسول الله ص فقال يحرضه على ذلك و إن امرأ أبوعتيبة عمه || لفى معزل من أن يسام المظالما و لاتقبلن الدهر ماعشت خطئة || تسب بها أماهبطت المواسما أقول له وأين منه نصيحتى || أباعبئة ثبت سوادك قائما وول سبيل العجز غيرك منهم || فإنك لم تخلق على العجز لا زما و حارب فإن الحرب نصف ولن ترى || أخوا الحرب يعطى الخسف حتى يسالما كذبتهم وبيت الله نبزى محمدا || و ل ماتروا يوما من الشعب قائما . و قال يخاطب أبا لهب أيضا عجت لحلم يا ابن شيبئة عازب || وأحلام أقوام لديك سخاف يقولون شايح من أراد محمدا || بظلم و قم فى أمره بخلاف أضاميم إما حاسد ذو خيانه || وإما قريب عنك غيرمصاف فلاتركبن الدهر منه ذمامة || و أنت امرؤ من خير عبدمناف و لاتتركه ماحييت لمعظم || وكن رجلا ذا نجدة و عفاف يذود العدا عن ذروة هاشمية || إلافهم فى الناس خير إلاف فإن له قبرى لديك قريبة || و ليس بذى حلف و لا بمصاف ولكنه من هاشم ذى صميمها || إلى أبحر فوق البحور طواف [صفحة ٥٨] وزاحم جميع الناس عنه وكن له || وزيرا على الأعداء غيرمجاف و إن غضبت منه قريش فقل لها || بنى عمنا ما قومكم بضعاف و مابالكم تغشون منه ظلامة || و مابال أحقاد هناك خوافى فما قومنا بالقوم يخشون ظلمنا || و مانحن فيما ساءهم بخفاف ولكننا أهل الحفاظ والنهى || و عزيطحاء المشاعر واف . قال محمد بن إسحاق فلما طال البلاء على المسلمين والفتنة والعذاب وارتد كثير عن الدين باللسان لا بالقلب كانوا إذاعذبوهم يقولون نشهد أن هذا الله و أن اللات والعزى هى الآلهة فإذاخلوا عنهم عادوا إلى الإسلام فحبسوهم وأوثقوهم بالقد وجعلوهم فى حر الشمس على الصخر والصفاف وامتدت أيام الشقاء عليهم و لم يصلوا إلى محمدص لقيام أبى طالب دونه فأجمعت قريش على أن يكتبوا بينهم و بين بنى هاشم صحيفة يتعاقدون فيها ألا- يناكحوهم و لا يبايعوهم و لا يجالسوهم فكتبوها وعلقوها فى جوف الكعبة تأكيدا على أنفسهم و كان كاتبها منصور بن عكرمة بن هاشم بن عبدمناف بن عبدالدار بن قصى فلما فعلوا ذلك انحازت هاشم والمطلب فدخلوا كلهم مع أبى طالب فى الشعب فاجتمعوا إليه وخرج منهم أبولهب إلى قريش فظاهرها على قومه . قال محمد بن إسحاق فضاقت الأمر بنى هاشم و عدموا القوت إلا ما كان يحمل إليهم سرا و خفية و هو شىء قليل لا يمسك أرقامهم وأخافتهم قريش فلم يكن يظهر منهم أحد و لا يدخل إليهم أحد و ذلك أشد مالمقى رسول الله ص و أهل بيته بمكة . قال محمد بن إسحاق فأقاموا

على ذلك سنتين أو ثلاثا حتى جهدوا ألا يصل إليهم [صفحة ٥٩] شىء إلا القليل سرا ممن يريد صلتهم من قريش و قد كان أبو جهل بن هشام لقي حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى معه غلام يحمل قمحا يريد به عمته خديجة بنت خويلد وهى عند رسول الله محاصرة فى الشعب فتعلق به و قال أتحمل الطعام إلى بنى هاشم و الله لا تبرح أنت و طعامك حتى أفضحك بمكة فجاءه أبوالبخترى العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى فقال ما لك و له قال إنه يحمل الطعام إلى بنى هاشم فقال أبوالبخترى يا هذا إن طعاما كان لعمته عنده بعثت إليه فيه أفتمنعه أن يأتيها بطعامها خل سبيل الرجل فأبى أبو جهل حتى نال كل منهما من صاحبه فأخذ له أبوالبخترى لحي بغير فضربه به فشجه و و طئه و وطئا شديدا فانصرف و هو يكره أن يعلم رسول الله ص و بنو هاشم بذلك فيشمتوا فلما أراد الله تعالى من إبطال الصحيفة و الفرج عن بنى هاشم من الضيق و الأزل الذى كانوا فيه قام هشام بن عمرو بن الحارث بن حبيب بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى فى ذلك أحسن قيام و ذلك أن أباه عمرو بن الحارث كان أخا لنضلة بن هاشم بن عبد مناف بن قصى من أمه فكان هشام بن عمرو يحسب لذلك و اصلا بينى هاشم و كان ذا شرف فى قومه بنى عامر بن لؤى فكان يأتى بالبعير ليلا و قد أوقره طعاما و بنو هاشم و بنو المطلب فى الشعب حتى إذا قبل به فم الشعب فمنع بخطامه من رأسه ثم يضربه على جنبه فيدخل الشعب عليهم ثم يأتى به مرة أخرى و قد أوقره تمرا فيصنع به مثل ذلك ثم إنه مشى إلى زهير بن أبى أمية بن المغيرة المخزومي فقال يازهير أراضيت أن تأكل الطعام و تشرب الشراب و تلبس الثياب و تنكح النساء و أخوالك حيث قد علمت لا يبتاعون و لا يبتاع منهم و لا ينكحون و لا ينكح إليهم و لا يواصلون و لا يزارون أما إنى أحلف لو كان أخوك أبو الحكم بن هشام و دعوته إلى مثل مادعاك [صفحة ٦٠] إليه منهم ما أجابك أبدا قال و يحك ياهشام فماذا أصنع إنما أنا رجل واحد و الله لو كان معى رجل آخر لقت فى نقض هذه الصحيفة القاطعة قال قد وجدت رجلا قال من هو قال أنا قال زهير أبغنا ثالثا فذهب إلى مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف فقال له يامطعم أراضيت أن يهلك بطنان من عبد مناف جوعا و جهدا و أنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه أما و الله لئن أمكنتموهم من هذا التجدن قريشا إلى مساء تكم فى غيره سريعة قال و يحك ماذا أصنع إنما أنا رجل واحد قال قد وجدت ثانيا قال من هو قال أنا قال أبغنى ثالثا قال قد وجدت قال من هو قال زهير بن أمية قال أنا قال أبغنا رابعا فذهب إلى أبى البخترى بن هشام فقال له نحو ما قال للمطعم قال وهل من أحد يعين على هذا قال نعم و ذكرهم قال فأبغنا خامسا فمضى إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى فكلمه فقال وهل يعين على ذلك من أحد قال نعم ثم سمي له القوم فاتعدوا خطم الحجون ليلا بأعلى مكة فأجمعوا أمرهم و تعاقدوا على القيام فى الصحيفة حتى ينقضوها و قال زهير أنا أبدوكم و أكون أولكم يتكلم فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم و غدا زهير بن أبى أمية عليه حلة له فطاف بالبيت سبعا ثم أقبل على الناس فقال يا أهل مكة أنأكل الطعام و نشرب الشراب و نلبس الثياب و بنو هاشم هلكى و الله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة و كان أبو جهل فى ناحية المسجد فقال كذبت و الله لا تشق فقال زمعة بن الأسود لأبى جهل و الله أنت أكذب مارضينا و الله بهاحين كتبت فقال أبوالبخترى معه صدق و الله زمعة لا نرضى بها و لانقر بما كتب فيها فقال المطعم بن عدى صدقا و الله و كذب من قال غير ذلك نبرأ إلى الله منها و مما كتب فيها و قال هشام بن عمرو مثل قولهم فقال أبو جهل هذا أمر قضى بليل و قام مطعم بن عدى إلى الصحيفة فحطها و شقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا [صفحة ٦١] ما كان من باسمك اللهم قالوا و أما كاتبها منصور بن عكرمة فشلت يده فيما يذكرون فلما مزقت الصحيفة خرج بنو هاشم من حصار الشعب . قال محمد بن إسحاق فلم يزل أبو طالب ثابتا صابرا مستمرا على نصر رسول الله ص و حمايته و القيام دونه حتى مات فى أول السنة الحادية العشرة من مبعث رسول الله ص فطمعت فيه قريش حينئذ و نالت منه فخرج عن مكة خائفا يطلب أحياء العرب يعرض عليهم نفسه فلم يزل كذلك حتى دخل مكة فى جوار المطعم بن عدى ثم كان من أمره مع الخزرج ما كان ليلة العقبة. قال و من شعر أبى طالب الذى يذكر فيه رسول الله ص و قيامه دونه أرق و قد تصوبت

النجوم || وبت ولا تسالمك الهموم لظلم عشيرة ظلموا وعقوا || وغب عقوقهم لهم وخيم هم انتهكوا المحارم من أخيهم || و كل فعالهم دنس ذميم وراموا خطئة جورا وظلما || وبعض القول ذو جنف مليم لتخرج هاشما فتكون منها || بلاقع بطن مكة فالحطيم فمهلا قومنا لا تركبونا || بمظلمة لها خطب جسيم فيندم بعضكم ويذل بعض || وليس بمفلح أبدا ظلوم أرادوا قتل أحمد زاعميه || وليس بقتله منهم زعيم ودون محمدنا ندى || هم العرنيين والعضو الصميم و من ذلك قوله وقالوا لأحمد أنت امرؤ || خلوف الحديث ضعيف السبب [صفحة ٦٢] و إن كان أحمد قد جاءهم || بصدق و لم يأتهم بالكذب فإننا و من حج من راكب || وكعبة مكة ذات الحجب تنالون أحمد أو تصطلوا || ظباء الرماح وحد القضب وتغترفوا بين آياتكم || صدور العوالى وخيلا- شزب تراهن من بين ضافى السبيب || قصير الحزام طويل اللبب عليها صنديد من هاشم || هم الأنجبون مع المنتجب . وروى عبد الله بن مسعود قال لما فرغ رسول الله ص من قتلى بدر وأمر بطرحهم فى القليب جعل يتذكر من شعر أبى طالب بيتا فلا يحضره فقال له أبوبكر لعله قوله يا رسول الله وإنا لعمر الله إن جد جدنا || لتلتبس أسيافنا بالأماثل .فسر بظفره بالبيت و قال إى لعمر الله لقد التبت . و من شعر أبى طالب قوله ألا أبلغا عنى لؤيا رسالة || بحق و ماتغنى رسالة مرسل بنى عمنا الأذنين فيما يخصهم || وإخواننا من عبد شمس ونوفل أظهروا قوما علينا سفاهة || وأمرأ غويا من غواة و جهل يقولون لو أناقلنا محمدا || أقرت نواصى هاشم بالتدليل كذبتهم ورب الهدى تدمى نحوره || بمكة والبيت العتيق المقبل تنالونه أو تصطلوا دون نيله || صوارم تفرى كل عضو ومفصل فمهلا و لماتتج الحرب بكرها || بخيل تمام أو بآخر معجل [صفحة ٦٣] وتلقوا بيع الأبطحين محمدا || على ربوة فى رأس عنقاء عيطل وتأوى إليه هاشم إن هاشما || عرانين كعب آخر بعد أول فإن كنتم ترجون قتل محمد || فروموا بما جمعتم نقل يذبل فإننا سنحميه بكل طمرة || وذى ميعة نهد المراكل هيكل و كل ردينى ظماء كعوبه || وعضب كإيماض الغمامة مفصل . قلت كان صديقنا على بن يحيى البطريق رحمه الله يقول لو لاختصة النبوة وسرها لما كان مثل أبى طالب و هوشىخ قريش ورئيسها وذو شرفها يمدح ابن أخيه محمدا و هوشاب قدرى فى حجره و هو يتيمة ومكفوله و جار مجرى أولاده بمثل قوله وتلقوا ربيع الأبطحين محمدا || على ربوة فى رأس عنقاء عيطل وتأوى إليه هاشم إن هاشما || عرانين كعب آخر بعد أول . ومثل قوله وأبيض يستسقى الغمام بوجهه || ثمال اليتامى عصمة للأرامل يطيف به الهلاك من آل هاشم || فهم عنده فى نعمة وفواضل . فإن هذا الأسلوب من الشعر لا يمدح به التابع والذناى من الناس وإنما هو من مديح الملوك والعظماء فإذا تصورت أنه شعر أبى طالب ذاك الشيخ المبجل العظيم فى محمدص و هوشاب مستجير به معتصم بظله من قريش قدرباه فى حجره غلاما و على عاتقه طفلا و بين يديه شابا يأكل من زاده ويأوى إلى داره علمت موضع خاصية النبوة وسرها و أن أمره كان عظيما و أن الله تعالى أوقع فى القلوب والأنفس له منزلة رفيعة ومكانا جليلا [صفحة ٦٤] وقرأت فى أمالى أبى جعفر بن حبيب رحمه الله قال كان أبوطالب إذ رأى رسول الله ص أحيانا يبكى و يقول إذ رأته ذكرت أخى و كان عبد الله أخاه لأبيويه و كان شديد الحب والحنو عليه وكذلك كان عبدالمطلب شديد الحب له و كان أبوطالب كثيرا ما يخاف على رسول الله ص البيات إذ اعرف مضجعه يقيمه ليلا- من منامه ويضع ابنه عليا مكانه فقال له على ليله ياأبت إنى مقتول فقال له اصبرن يابنى فالصبر أحجى || كل حى مصيره لشعوب قدر الله والبلاء شديد || لفداء الحبيب و ابن الحبيب لفداء الأعز ذى الحسب الثاقب || والباع والكريم النجيب إن تصبك المنون فالنبل تبرى || فمصيب منها و غير مصيب كل حى و إن تملى بعمر || آخذ من مذاقها بنصيب فأجاب على ع فقال له -روايت- ١-٢-روايت- ٢٧-٢٨-أتأمرنى بالصبر فى نصر أحمد || و والله ما قلت الذى قلت جازعا ولكننى أحببت أن ترى نصرتى || وتعلم أنى لم أزل لك طائعا سأسعى لوجه الله فى نصر أحمد || نبى الهدى المحمود طفلا ويافعا

إشاره

الفصل الثاني في تفسير قوله ع مؤمننا يبغى بذلك الأجر وكافرنا يحامى عن الأصل و من أسلم من قريش خلو مما نحن فيه لحلف يمنعه أو عشيرة تقوم دونه [صفحة ٦٥] فهم من القتل بمكان أمن فنقول إن بني هاشم لما حصروا في الشعب بعد أن منعوا رسول الله ص من قريش كانوا صنفين مسلمين وكفاراً فكان على ع وحزبه بن عبدالمطلب مسلمين . واختلف في جعفر بن أبي طالب هل حصر في الشعب معهم أم لا فقليل حصر في الشعب معهم وقيل بل كان قد هاجر إلى الحبشة و لم يشهد حصار الشعب وهذا هو القول الأصح و كان من المسلمين المحصورين في الشعب مع بني هاشم عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبدمناف و هو و إن لم يكن من بني هاشم إلا- أنه يجري مجراهم لأن بنى المطلب وبني هاشم كانوا يدا واحدة لم يفترقوا في جاهلية و للإسلام . و كان العباس رحمه الله في حصار الشعب معهم إلا أنه كان على دين قومه وكذلك عقيل بن أبي طالب و طالب بن أبي طالب و نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب و أبوسفیان بن الحارث بن عبدالمطلب وابنه الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب و كان شديداً على رسول الله ص يبغضه ويهجو بالأشعار إلا أنه كان لا يرضى بقتله و لا يقار قريشا في دمه محافظةً على النسب و كان سيد المحصورين في الشعب ورئيسهم و شيخهم أبو طالب بن عبدالمطلب و هو الكافل والمحامى

اختلاف الرأي في إيمان أبي طالب

واختلف الناس في إيمان أبي طالب فقالت الإمامية وأكثر الزيدية مامات الإسلام. [صفحة ٦٦] وقال بعض شيوخنا المعتزلة بذلك منهم الشيخ أبو القاسم البلخي و أبو جعفر الإسكافي وغيرهما. وقال أكثر الناس من أهل الحديث والعامه من شيوخنا البصريين وغيرهم مات على دين قومه و يروون في ذلك حديثاً مشهوراً أن رسول الله ص قال له عند موته قل يا عم كلمه أشهد لك بها عندا عند الله تعالى -روایت- ١- ٢-روایت- ٣٠- ١١٦ فقال لو لا- أن تقول العرب إن أباطالب جزع عند الموت لأقررت بها عينك . وروى أنه قال أنا على دين الأشياخ . وقيل إنه قال أنا على دين عبدالمطلب وقيل غير ذلك . وروى كثير من المحدثين أن قوله تعالى ما كان للبي و اللذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين و لو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم و ما كان استغفاراً إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه الآية أنزلت في أبي طالب لأن رسول الله استغفر له بعد موته . ورووا أن قوله تعالى إنك لا تهدي من أحببتزلت في أبي طالب . ورووا أن علياً جاء إلى رسول الله ص بعد موت أبي طالب فقال له إن عمك الضال قد قضى فما ألقى تأمرني فيه . واحتجوا بأنه لم ينقل أحد عنه أنه رآه يصلى والصلاة هي المفرقة بين المسلم والكافر و أن علياً وجعفر لم يأخذا من تركته شيئاً و -قرآن- ٢١١- ٤٩٨-قرآن- ٥٨٥- ٦١٤ رووا عن النبي ص أنه قال إن الله قد وعدني بتخفيف عذابه لما صنع في حقي وإنه في ضحضاح من نار -روایت- ١- ٢-روایت- ٣١- ١٠٥ رووا عنه أيضاً أنه قيل له لو استغفرت لأبيك وأمك فقال لو استغفرت لهما لاستغفرت لأبي طالب فإنه صنع إلى ما لم يصنعوا و إن عبد الله وآمنه و أباطالب جمرات من جمرات جهنم -روایت- ١- ٢-روایت- ١٦- ١٨٢ . [صفحة ٦٧] فأما الذين زعموا أنه كان مسلماً فقد رووا خلاف ذلك و أسندوا خبراً إلى أمير المؤمنين ع أنه قال قال رسول الله ص قال لي جبرائيل إن الله مشفعك في ست بطن حملتك آمنه بنت وهب و صلب أنزلك عبد الله بن عبدالمطلب و حجر كفلك أبي طالب و بيت آواك عبدالمطلب وأخ كان لك في الجاهلية قيل يا رسول الله و ما كان فعله قال كان سخياً يطعم الطعام و يوجد بالنوال

وثنى أرضعتك حلیمه بنت أبى ذؤيب -روایت- ۱-۲-روایت- ۶۷-۳۵۶. قلت سألت النقیب أبى جعفر یحیی بن أبى زید عن هذا الخبر وقد قرأته علیه هل كان لرسول الله ص أخ من أبیه أو من أمه أو منهما فى الجاهلیة فقال لا إنما یعنى أخا له فى المودة والصحبۃ قلت له فمن هو قال لأدرى. قالوا وقد نقل الناس كافة عن رسول الله ص أنه قال نقلنا من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزکیة -روایت- ۱-۲-روایت- ۵۰-۹۶ فوجب بهذا أن یكون آباؤه کلهم منزهین عن الشرك لأنهم لو كانوا عبدة أصنام لما كانوا طاهرین. قالوا و أما ما ذکر فى القرآن من ابراهیم و أبیه آزر و كونه كان ضالا- مشرکا فلا یقدح فى مذهبنا لأن آزر كان عم ابراهیم فأما أبوه فتارخ بن ناحور وسمى العم أبى كما قال أم كنتم شهداء إذ حضر یعقوب الموت إذ قال لینی ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك و إله آباءك ثم عد فیهم إسماعیل و لیس من آبائه ولكنه عمه. قلت و هذا الاحتجاج عندى ضعيف لأن المراد من قوله نقلنا من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزکیة تنزیه آبائه و أجداده و أمهاته عن السفاح لا غیر هذا مقتضى -قرآن- ۲۶۶-۳۹۷ [صفحة ۶۸] سیاقه الكلام لأن العرب كان یعیب بعضها بعضا باختلاط المیاء و اشتباه الأنساب و نکاح الشبهه. و قولهم لو كانوا عبدة أصنام لما كانوا طاهرین یقال لهم لم قلتهم إنهم لو كانوا عبدة أصنام لما كانوا طاهری الأصلاب فإنه لا منافاه بین طهارة الأصلاب و عبادة الصنم أ لا ترى أنه لو أراد ما زعموه لما ذکر الأصلاب و الأرحام بل جعل عوضها العقائد و اعتذارهم عن ابراهیم و أبیه یقدح فى قولهم فى أبى طالب لأنه لم یکن أبى محمد ص بل كان عمه فإذا جاز عندهم أن یكون العم و هو آزر مشرکا كما قد اقترحوه فى تأویلهم لم یکن لهم حجة من هذا الوجه على إسلام أبى طالب. و احتجوا فى إسلام الآباء بما روى عن جعفر بن محمد ع أنه قال یبعث الله عبدالمطلب یوم القيامة و علیه سیماء الأنبیاء و بهاء الملوك -روایت- ۱-۲-روایت- ۴۲-۱۱۳ روى أن العباس بن عبدالمطلب قال لرسول الله ص بالمدينة یا رسول الله ما ترجو لأبى طالب فقال أرجو له كل خیر من الله عز و جل -روایت- ۱-۲-روایت- ۷-۱۳۶ روى أن رجلا من رجال الشیعة و هو أبان بن محمود كتب إلى على بن موسى الرضاع جعلت فداك إنى قد شككت فى إسلام أبى طالب فكتب إليه و من یشاقق الرسول من بعد ما تبین له الهدى و یتبع غیر سبیل المؤمنین الآیة و بعدها إنك إن لم تقر بإیمان أبى طالب كان مصیرك إلى النار -روایت- ۱-۲-روایت- ۷-۳۰۴ قدروى عن على بن محمد الباقرع أنه سئل عما یقوله الناس إن أباطالب فى ضحضاح من نار فقال لو وضع إیمان أبى طالب فى كفه میزان و إیمان هذا الخلق فى الكفه الأخرى لرجح إیمانه ثم قال ألم تعلموا أن أمیر المؤمنین علیا ع كان یأمر أن یحج عن عبد الله و أبیه أبى طالب فى حیاته ثم أوصى فى وصيته بالحج عنهم -روایت- ۱-۲-روایت- ۳۷-۳۲۶. و روى أن أبابكر جاء بأبى قحافة إلى النبى ص عام الفتح یقوده [صفحة ۶۹] و هوشیخ كبری أعمى فقال رسول الله أ لا تركت الشیخ حتى نأتیة فقال أردت یا رسول الله أن یأجره الله أما و الذى بعثك بالحق لأنا كنت أشد فرحا بإسلام عمك أبى طالب منى بإسلام أبى ألتمس بذلك قره عینك فقال صدقت. و روى أن على بن الحسين ع سئل عن هذا فقال و اعجبا إن الله تعالى نهى رسوله أن یقر مسلمة على نکاح كافر و قد كانت فاطمة بنت أسد من السابقات إلى الإسلام و لم تزل تحت أبى طالب حتى مات -روایت- ۱-۲-روایت- ۷-۱۹۸. و یروى قوم من الزیدیة أن أباطالب أسند المحدثون عنه حدیثا ینتهى إلى أبى رافع مولى رسول الله ص قال سمعت أباطالب یقول بمكة حدثنى محمد ابن أخی أن ربه بعثه بصله الرحم و أن یعبده وحده لا یعبده معه غیره و محمد عندى الصادق الأمين. و قال قوم إن قول النبى ص أنا و كافل الیتیم كهاتین فى الجنة -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۷-۵۴ إنما عنى به أباطالب. و قالت الإمامیه إن ما یرویه العامة من أن علیا ع و جعفر لم يأخذا من تركه أبى طالب شیئا حدیث موضوع و مذهب أهل البيت بخلاف ذلك فإن المسلم عندهم یرث الكافر و لا یرث الكافر المسلم و لو كان أعلى درجة منه فى النسب. قالوا و قوله ص لا توارث بین أهل ملتین -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۲-۳۸ نقول بموجبه لأن التوارث تفاعل و لا تفاعل عندنا فى میراثهما و اللفظ یستدعى الطرفين كالتضارب لا یكون إلا من اثنين قالوا و حب رسول الله ص [صفحة ۷۰] لأبى طالب معلوم مشهور و لو كان كافرا ماجاز له حبه

لقوله تعالى لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا آيَةَ عَلَيْهِمْ قَالُوا وَقَدِ اشْتَرَتْهُمُ اسْتَفْضَاءُ الْحَدِيثِ وَهُوَ - قرآن- ٦٨-١٦٢ قوله ص لعقيل أنا أحبك حين حباً لك وحباً لحب أبي طالب فإنه كان يحبك -روایت- ١-٢-روایت- ١٨-٧٨. قالوا وخطبة النكاح مشهورة خطبها أبو طالب عند نكاح محمد ص خديجة وهى قوله الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع إسماعيل وجعل لنا بلدا حراما وبيتا محجوجا وجعلنا الحكام على الناس ثم إن محمد بن عبد الله أخى من لا يوازن به فتى من قريش إلا رجح عليه برا وفضلا وحزما وعقلا ورأيا ونبلا و إن كان فى المال قل فإنما المال ظل زائل وعاريه مسترجع و له فى خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك و ما أحببتم من الصداق فعلى و له و الله بعد نبأ شائع وخطب جليل. قالوا أفترأه يعلم نبأه الشائع وخطبه الجليل ثم يعانده ويكذبه و هو من أولى الألباب هذا غير سائغ فى العقول. قالوا و قدروى عن أبى عبد الله جعفر بن محمد ع أن رسول الله ص قال إن أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الكفر فآتاهم الله أجرهم مرتين و إن أباطالب أسر الإيمان وأظهر الشرك فآتاه الله أجره مرتين -روایت- ١-٢-روایت- ٧٠-٢١٠ فى الحديث المشهور أن جبرائيل ع قال له ليلة مات أبو طالب أخرج منها فقد مات ناصر ك -روایت- ١-٢-روایت- ٢٢-٩٢. قالوا و أما حديث الضحاح من النار فإنما يرويه الناس كلهم عن رجل واحد و هو المغيرة بن شعبة و بغضه لبنى هاشم و على الخصوص لعلى ع مشهور معلوم وقصته وفسقه أمر غير خاف . [صفحہ ٧١] وقالوا و قدروى بأسانيد كثيرة بعضها عن العباس بن عبدالمطلب وبعضها عن أبى بكر بن أبى قحافة أن أباطالب مامات حتى قال لا إله إلا الله محمد رسول الله والخبر مشهور أن أباطالب عند الموت قال كلاما خفيا فأصغى إليه أخوه العباس ثم رفع رأسه إلى رسول الله ص فقال يا ابن أخى و الله لقد قالها عمك ولكنه ضعف عن أن يبلغك صوته . و روى عن على ع أنه قال مامات أبو طالب حتى أعطى رسول الله ص من نفسه الرضا -روایت- ١-٢-روایت- ٢٩-٨٦. قالوا وأشعار أبى طالب تدل على أنه كان مسلما و لا فرق بين الكلام المنظوم والمنثور إذ اتضمنا إقرارا بالإسلام أ لا ترى أن يهوديا لوتوسط جماعة من المسلمين وأنشد شعرا قدار تجله ونظمه يتضمن الإقرار بنبوة محمد ص لكننا نحكم بإسلامه كما لو قال أشهد أن محمدا رسول الله ص فمن تلك الأشعار قوله يرجون منا خطئة دون نيلها || ضراب وطعن بالوشيح المقوم يرجون أن نسخى بقتل محمد || و لم تختضب سمر العوالى من الدم كذبتهم وبيت الله حتى تفلقوا || جماجم تلقى بالحطيم وزمزم وتقطع أرحام وتنسى حليئة || حليلا ويغشى محرم بعد محرم على ماضى من مقتكم وعقوقكم || وغشيانكم فى أمركم كل مآثم وظلم نبي جاء يدعو إلى الهدى || وأمر أتى من عند ذى العرش قيم [صفحہ ٧٢] فلا تحسبونا مسلميه فمثله || إذا كان فى قوم فليس بمسلم . و من شعر أبى طالب فى أمر الصحيفة التى كتبها قريش فى قطيعة بنى هاشم ألا أبلغا عنى على ذات بينها || لؤيا وخصا من لؤى بنى كعب ألم تعلموا أنا وجدنا محمدا || رسولا كموسى خط فى أول الكتب و أن عليه فى العباد محبة || و لا حيف فيمن خصه الله بالحب و أن الذى رقتهم فى كتابكم || يكون لكم يوما كراغية السقب أفيقوا أفيقوا قبل أن تحفر الزبى || ويصبح من لم يجن ذنبا كذى ذنب و لا تتبعوا أمر الغواة و تقطعوا || أو اصرنا بعد المودة والقرب و تستجلبوا حربا عوانا و ربما || أمر على من ذاقه حلب الحرب فلسنا وبيت الله نسلم أحمدا || لعزاء من عض الزمان و لا كرب و لماتين منا و منكم سوائف || وأيد أترت بالمهندة الشهب بمعترك ضيق ترى قصد القنا || به والضباع العرج تعكف كالشرب كأن مجال الخيل فى حجراته || وغمغمة الأبطال معركة الحرب أ ليس أبونا هاشم شد أزره || وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب ولسنا نمل الحرب حتى تملنا || و لانشتكى مما ينوب من النكب [صفحہ ٧٣] ولكننا أهل الحفاظ والنهى || إذ اطار أرواح الكماة من الرعب . و من ذلك قوله فلا تسفهوا أحلامكم فى محمد || و لا تتبعوا أمر الغواة الأشائم تمنيتم أن تقتلوه وإنما || أما نيكم هذى كأحلام نائم و إنكم و الله لا تقتلونه || و لماتروا قطف اللحى و الجماجم زعمتم بأنا مسلمون محمدا || و لمناقاذف دونه و نزاحم من القوم مفضال أبى على العدا || تمكن فى الفرعين من آل هاشم أمين حبيب فى العباد مسوم || بخاتم رب قاهر فى الخواتم يرى الناس برهانا

عليه وهيبه || و ماجاهل في قومه مثل عالم نبي أتاه الوحي من عندربه || و من قال لايقرع بهاسن نادم . و من ذلك قوله و قدغضب لعثمان بن مظعون الجمحي حين عذبتة قريش ونالت منه أ من تذكر دهر غيرمأمون || أصبحت مكتتبا تبكى كمحزون أم من تذكر أقوام ذوى سفه || يغشون بالظلم من يدعو إلى الدين ألا-يرون أذل الله جمعهم || أناغضبنا لعثمان بن مظعون ونمنع الضيم من يبغى مضامتنا || بكل مطرد في الكف مسنون ومرهفات كأن الملح خالطها || يشفى بهاالداء من هام المجانين حتى تفر رجال لا-حلوم لها || بعدالصعوبة بالإسماح واللين [صفحہ ۷۴] أوتؤمنوا بكتاب منزل عجب || على نبي موسى أو كذى النون . قالوا و قد جاء في الخبر أن أباجهل بن هشام جاء مرة إلى رسول الله ص و هو ساجد ويده حجر يريد أن يرضخ به رأسه فلصق الحجر بكفه فلم يستطع ماأراد فقال أبوطالب في ذلك من جملة أبيات أفيقوا بني عمنا وانتھوا || عن الغي من بعض ذا المنطق و الإفائني إذاخائف || بوائق في داركم تلتقى كماذاق من كان من قبلكم || ثمود وعاد و ماذا بقى . ومنها وأعجب من ذاك في أمركم || عجائب في الحجر الملتصق بكف الذي قام من حينه || إلى الصابر الصادق المتقى فأثبتته الله في كفه || على رغمه الخائن الأحمق قالوا و قد اشتھر عن عبد الله المأمون رحمه الله أنه كان يقول أسلم أبوطالب و الله بقوله نصرت الرسول رسول الملوك || بيض تلاً كلعم البروق أذب وأحمى رسول الإله || حماية حام عليه شفيق و ما إن أدب لأعدائه || ديب البكار حذار الفنيق ولكن أزيرو لهم ساميا || كمازار ليث بغيل مضيق . [صفحہ ۷۵] قالوا و قد جاء في السيرة و ذكره أكثر المؤرخين أن عمرو بن العاص لماخرج إلى بلاد الحبشة ليكيد جعفر بن أبي طالب وأصحابه عندالنجاشي قال تقول ابنتي أين أين الرحيل || و مالبين منى بمستنكر فقلت دعيني فإني امرؤ || أريد النجاشي في جعفر لأكويه عنده كيه || أقيم بهانخوة الأصغر ولن أنتنى عن بني هاشم || بما اسطعت في الغيب والمحضر و عن عائب اللات في قوله || و لو لارضا اللات لم تمطر وإني لأشنا قريش له || و إن كان كالذهب الأحمر . قالوا فكان عمرو يسمى الشانئ ابن الشانئ لأن أباه كان إذامر عليه رسول الله ص بمكة يقول له و الله إنى لأشئوك و فيه أنزل إن شائئك هو الأبت قالوا فكتب أبوطالب إلى النجاشي شعرا يحرضه فيه على إكرام جعفر وأصحابه والإعراض عما يقوله عمرو فيه وفيهم من جملته -قرآن- ۱۳۳-۱۶۰ ألا ليت شعري كيف في الناس جعفر || وعمرو وأعداء النبي الأقارب وهل نال إحسان النجاشي جعفرا || وأصحابه أم عاق عن ذاك شاغب . في أبيات كثيرة . قالوا و روى عن علي ع أنه قال قال لي أبي يابني الزم ابن عمك فإنك تسلم به من كل بأس عاجل و آجل ثم قال لي -رواية- ۱-۲- رواية- ۲۹-۱۱۹ إن الوثيقة في لزوم محمد || فاشدد بصحبته على أيديكا . [صفحہ ۷۶] و من شعره المناسب لهذا المعنى قوله إن عليا وجعفرا ثقتي || عندملم الزمان والنوب لاتخذلا وانصرا ابن عمكما || أخی لأمی من بينهم و أبى و الله لاأخذل النبي و لا- || يخذله من بنى ذو حسب . قالوا و قد جاءت الرواية أن أباطالب لمآمات جاء علي ع إلى رسول الله ص فأذنه بموته فتوجع عظيما وحزن شديدا ثم قال له امض فتول غسله فإذا رفعتة على سريره فأعلمنى ففعل فاعترضه رسول الله ص و هو محمول على رءوس الرجال فقال وصلتك رحم ياعم و جزيت خيرا فلقد ربيت و كفلت صغيرا ونصرت و آزرت كبيرا ثم تبعه إلى حفرة فوقف عليه فقال أما و الله لأستغفرن لك ولأشفعن فيك شفاعة يعجب لها الثقلان . قالوا والمسلم لايجوز أن يتولى غسل الكافر و لايجوز للنبي أن يرق لكافر و لا أن يدعو له بخير و لا أن يعده بالاستغفار والشفاعة وإنما تولى علي ع غسله لأن طالبا وعقيل لم يكونا أسلما بعد و كان جعفر بالحبشة و لم تكن صلاة الجنائز شرعت بعد و لاصلى رسول الله ص على خديجة وإنما كان تشيع ورقة ودعاء . قالوا و من شعر أبي طالب يخاطب أخاه حمزة و كان يكنى أبايعلى فصبرا أبايعلى على دين أحمد || وكن مظهرا للدين وفقت صابرا وحط من أتى بالحق من عندربه || بصدق وعزم لاتكن حمز كافرا فقد سرنى إذ قلت إنك مؤمن || فكن لرسول الله في الله ناصرا [صفحہ ۷۷] وباد قريشا بالذى قدأتيته || جهارا وقل ما كان أحمد ساحرا . قالوا و من شعره المشهور أنت النبي محمد || قرم أعز مسود لمسودين أكارم || طابوا وطاب المولد نعم الأرومة أصلها || عمرو الخضم الأوحد هشم

الريكة في الجفان || وعيش مكة أنكد فجرت بذلك سنة || فيها الخبيزة تشرذ ولنا السقاية للحجيج || بهائمات العنجد
والمأزمان و ماحوت || عرفاتها والمسجد أنى تضام و لم أمت || و أنا الشجاع العريد و بطاح مكة لا يرى || فيها نجيع أسود و بنو
أيك كأنهم || أسد العرين توقد و لقد عهدتك صادقا || فى القول لا تزيد ما زلت تنطق بالصواب || و أنت طفل أمرد . قالوا و
من شعره المشهور أيضا قوله يخاطب محمدا ويسكن جأشه و يأمره بإظهار الدعوة لا يمنعك من حق تقوم به || أيد تصول و
لاسلق بأصوات [صفحة ٧٨] فإن كفك كفى إن بليت بهم || ودون نفسك نفسى فى الملمات . و من ذلك قوله و يقال إنها
لطالب بن أبى طالب إذ قيل من خير هذا الورى || قبلا و أكرمهم أسره أناف لعبد مناف أب || و فضله هاشم العزه لقد حل مجد
بنى هاشم || مكان النعائم و النثره و خير بنى هاشم أحمد || رسول الإله على فتره . و من ذلك قوله لقد أكرم الله النبى محمدا
|| فأكرم خلق الله فى الناس أحمد و شق له من اسمه ليحله || فذو العرش محمود و هذا محمد . و قوله أيضا و قد يروى لعلى ع
يا شاهد الله على فاشهد || أنى على دين النبى أحمد من ضل فى الدين فإنى مهتد . قالوا فكل هذه الأشعار قد جاءت مجيء
التواتر لأنه إن لم تكن آحادها متواترة فمجموعها يدل على أمر واحد مشترك و هو تصديق محمدص و مجموعها متواتر كما أن
كل واحدة من قتلات على ع الفرسان منقولة آحادا و مجموعها متواتر يفيدنا العلم الضرورى بشجاعته و كذلك القول فيما روى
من سخاء حاتم و حلم الأحنف و معاوية و ذكاء إياس و خلاعة أبى نواس و غير ذلك قالوا و اتركوا هذا كله جانبا ما قولكم فى
القصيدة اللامية التى شهرتها كشهرة قفا نبك و إن جاز الشك فيها أو فى شىء من أبياتها جاز الشك فى قفا نبك و فى بعض
أبياتها ونحن نذكر منها هاهنا قطعة و هى قوله [صفحة ٧٩] أعوذ برب البيت من كل طاعن || علينا بسوء أو يلوح بباطل و من
فاجر يغبنا بمغيبه || و من ملحق فى الدين ما لم نحاول كذبتم و بيت الله يبرى محمد || و لمانطاعن دونه و نناضل و ننصره حتى
نصرع دونه || و نذهل عن أبنائنا و الحلائل و حتى نرى ذا الردع يركب رده || من الطعن فعل الأنكب المتحامل و ينهض قوم
فى الحديد إليكم || نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل و إنا و بيت الله من جد جدنا || لتلتبس أسيفنا بالأماثل بكل فتى مثل
الشهاب سميع || أذى ثقة عند الحفيظة باسل و ماترك قوم لا أبالك سيدا || يحوط الذمار غير نكس مواكل و أبيض
يستسقى الغمام بوجهه || شمال اليتامى عصمة للأرامل يلوذ به الهلاك من آل هاشم || فهم عنده فى نعمة و فواضل و ميزان
صدق لا يخيس شعيرة || ووزان صدق و زنه غير عائل ألم تعلموا أن ابننا لا مكذب || لدينا و لا يعبأ بقول الأباطل لعمرى لقد
كلفت و جدا بأحمد || و أحببته حب الحبيب المواصل و جدت بنفسى دونه فحميته || و دافعت عنه بالذرى و الكواهل فلا زال
للدنيا جمالا لأهلها || و شينا لمن عادى و زين المحافل و أیده رب العباد بنصره || و أظهر دينا حقه غير باطل . [صفحة ٨٠] و ورد
فى السيرة و المغازى أن عتبة بن ربيعة أو شيبه لما قطع رجل عبيدة بن الحارث بن المطلب يوم بدر أشبل عليه على و حمزة
فاستنقذه منه و خبطا عتبة بسيفيهما حتى قتلاه و احتملا صاحبهما من المعركة إلى العريش فألقياه بين يدى رسول الله ص و إن
مخ ساقه ليسيل فقال يا رسول الله لو كان أبوطالب حيا لعلم أنه قد صدق فى قوله كذبتم و بيت الله نخلى محمدا || و لمانطاعن
دونه و نناضل و ننصره حتى نصرع حوله || و نذهل عن أبنائنا و الحلائل . فقالوا إن رسول الله ص استغفر له و لأبى طالب يومئذ
و بلغ عبيدة مع النبى ص إلى الصفراء فمات فدفن بها . قالوا و قد روى أن أعرابيا جاء إلى رسول الله ص فى عام جدب فقال
أتيناك يا رسول الله و لم يبق لنا صبى يرتضع و لا شارف يجتر ثم أنشده -رواية ١- ٢-رواية ١٧- ١٤٥- أتيناك و العذراء
تدمى لبانها || و قد شغلت أم الرضيع عن الطفل و ألقى بكفيه الفتى لاستكانه || من الجوع حتى ما يمر و لا يحلى و لا شىء مما
يأكل الناس عندنا || سوى الحنظل العامى و العلهز الفسل و ليس لنا إلا إليك فرارنا || و أين فرار الناس إلا إلى الرسل . فقام النبى
ص يجر رداءه حتى صعد المنبر فحمد الله و أثنى عليه و قال اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا هنيئا مريعا سحبا سجالا غدقا طبقا قابطا
دائما درا تحيى به الأرض و تنبت به الزرع و تدر به الضرع و اجعله سقيا نافعا عاجلا غير راثت فو الله ما رد رسول الله ص يده إلى

نحره حتى ألقى السماء -رواية- ١-أداه دارد [صفحہ ٨١] أرواقها وجاء الناس يضحجون الغرق الغرق يا رسول الله فقال اللهم حوالينا ولا علينا فانجاب السحاب عن المدينة حتى استدار حولها كالإكليل فضحك رسول الله حتى بدت نواجذته ثم قال لله در أبي طالب لو كان حيا لقرت عينه من ينشدنا قوله فقام على فقال يا رسول الله لعلك أردت -رواية- از قبل- ٢٨٤ وأبيض يستسقى الغمام بوجهه قال أجل فأنشده أبياتا من هذه القصيدة و رسول الله يستغفر لأبي طالب على المنبر ثم قام رجل من كنانة فأنشده -رواية- ١-١١٥ لك الحمد والحمد ممن شكر || سقينا بوجه النبي المطر دعا الله خالقه دعوة || إليه وأشخص منه البصر فما كان إلا كما ساعة || أو أقصر حتى رأينا الدرر دفاق العزالي وجم البعاق || أغاث به الله عليا مضر فكان كما قاله عمه || أبو طالب ذو رواء غرر به يسر الله صوب الغمام || فهذا العيان وذاك الخبر فمن يشكر الله يلق المزيدي || و من يكفر الله يلق الغير فقال رسول الله إن يكن شاعر أحسن فقد أحسن -رواية- ١-٥٠ قالوا وإنما لم يظهر أبو طالب الإسلام ويجاهر به لأنه لو أظهره لم يتهيأ له من نصرته النبي ص مათيأ له و كان كواحد من المسلمين الذين اتبعوه نحو أبي بكر و عبدالرحمن بن عوف وغيرهما ممن أسلم و لم يتمكن من نصرته والقيام دونه [صفحہ ٨٢] حينئذ وإنما تمكن أبو طالب من المحاماة عنه بالثبات في الظاهر على دين قريش و إن أبطن الإسلام كما لو أن إنسانا كان يبطن التشيع مثلا و هو في بلد من بلاد الكرامية و له في ذلك البلد وجاهة و قدم و هو يظهر مذهب الكرامية و يحفظ ناموسه بينهم بذلك و كان في ذلك البلد نفر يسير من الشيعة لا يزالون ينالون بالأذى والضرر من أهل ذلك البلد ورؤسائه فإنه مادام قادرا على إظهار مذهب أهل البلد يكون أشد تمكنا من المدافعة والمحاماة عن أولئك النفر فلو أظهر ما يجوز من التشيع وكاشف أهل البلد بذلك صار حكمه حكم واحد من أولئك النفر ولحقه من الأذى والضرر ما يلحقهم و لم يتمكن من الدفاع أحيانا عنهم كما كان أولا. قلت فأما أنا فإن الحال ملتبسة عندي والأخبار متعارضة و الله أعلم بحقيقة حاله كيف كانت . ويقف في صدرى رسالة النفس الزكية إلى المنصور و قوله فيها فأنا ابن خير الأخيار و أنا ابن شر الأشرار و أنا ابن سيد أهل الجنة و أنا ابن سيد أهل النار. فإن هذه شهادة منه على أبي طالب بالكفر و هو ابنه و غيرتهم عليه وعهده قريب من عهد النبي ص لم يطل الزمان فيكون الخبر مفتعلا. وجملة الأمر أنه قدروى في إسلامه أخبار كثيرة وروى في موته على دين قومه أخبار كثيرة فتعارض الجرح والتعديل فكان كتعارض البيهقيين عند الحاكم و ذلك يقتضى التوقف فأنا في أمره من المتوقفين . [صفحہ ٨٣] فأما الصلاة وكونه لم ينقل عنه أنه صلى فيجوز أن يكون لأن الصلاة لم تكن بعد قد فرضت وإنما كانت نفلا- غير واجب فمن شاء صلى و من شاء ترك و لم تفرض إلا بالمدينة ويمكن أن يقول أصحاب الحديث إذا تعارض الجرح والتعديل كما قد أشرتم إليه فالترجيح عند أصحاب أصول الفقه لجانب الجرح لأن الجرح قد اطلع على زيادة لم يطلع عليها المعدل . ولخصوصهم أن يجيبوا عن هذا فنقول إن هذا إنما يقال ويذكر في أصول الفقه في طعن مفصل في مقابلة تعديل مجمل مثاله أن يروى شعبة مثلا حديثا عن رجل فهو بروايته عنه قد وثقه ويكفى في توثيقه له أن يكون مستور الحال ظاهره العدالة فيطعن فيه الدار قطنى مثلا بأن يقول كان مدلسا أو كان يرتكب الذنب الفلانى فيكون قد طعننا مفصلا في مقابلة تعديل مجمل وفيما نحن فيه وبصده الروايتان متعارضتان تفصيلا لا إجمالا لأن هؤلاء يروون أنه تلفظ بكلمتى الشهادة عند الموت وهؤلاء يروون أنه قال عند الموت أنا على دين الأشياخ . وبمثل هذا يجاب على من يقول من الشيعة روايتنا في إسلامه أرجح لأننا نروى حكما إيجابيا ونشهد على إثبات وخصومنا يشهدون على النفي و لا شهادة على النفي و ذلك أن الشهادة في الجانبين معا إنما هي على إثبات ولكنه إثبات متضاد. وصنف بعض الطالبين في هذا العصر كتابا في إسلام أبي طالب وبعثه إلى وسألنى أن أكتب عليه بخطى نظما أو نثرا أشهد فيه بصحة ذلك و بوثاقه الأدلة عليه فتخرجت أن أحكم بذلك حكما قاطعا لما عندى من التوقف فيه و لم أستجز أن أقعد عن تعظيم أبي طالب فإنى أعلم أنه لولاه لما قامت للإسلام دعامة وأعلم أن حقه واجب على كل مسلم فى الدنيا إلى أن تقوم الساعة فكتبت على ظاهر المجلد [صفحہ ٨٤] و لولا أبو طالب وابنه

|| لممثل الدين شخصا فقاما فذاك بمكة آوى وحامى || و هذا يثرب جس الحماما تكفل عبدمناف بأمر || وأودى فكان على تماما فقل فى ثبير مضى بعد ما || قضى ما قضاؤه وأبقى شما ما فله ذا فاتحا للهدى || ولله ذا للمعالى ختاما و ماضر مجد أبى طالب || جهول لغا أبصير تعامى كما لا يضر إياه الصباح || من ظن ضوء النهار الظلاما . فوفيته حقه من التعظيم والإجلال و لم أجزم بأمر عندى فيه وقفه

الفصل الثالث قصة غزوة بدر

إشاره

الفصل الثالث فى شرح القصة فى غزاة بدر ونحن نذكر ذلك من كتاب المغازى لمحمد بن عمر الواقدى ونذكر ما عساه زاده محمد بن إسحاق فى كتاب المغازى و مازاده أحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى فى تاريخ الأشراف . قال الواقدى بلغ رسول الله ص أن عير قريش قد فصلت من مكة تريد الشام و قد جمعت قريش فيها أموالها فندب لها أصحابه و خرج يعترضها على رأس ستة عشر شهرا من مهاجره ع فخرج فى خمسين ومائة ويقال فى مائتين فلم يلق العير وفاتته ذاهبة إلى الشام و هذه غزاة ذى العشيرة رجع منها إلى المدينة فلم يلق حربا فلما تحين انصراف العير من الشام قافلته ندب أصحابه لها وبعث طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قبل خروجه من المدينة بعشر ليال [صفحہ ۸۵] يتجسسان خبر العير حتى نزلا على كشد الجهنى بالموضع المعروف بالخباب و هو من وراء ذى المروة على الساحل فأجارهما وأنزلهما فلم يزالا - مقيمين فى خباء وبر حتى مرت العير فرفعهما على نشز من الأرض فنظرا إلى القوم و إلى ماتحمل العير وجعل أهل العير يقولون لكشد يا كشد هل رأيت أحدا من عيون محمد فيقول أعوذ بالله وأنى لمحمد عيون بالخباب فلما راحت العير باتا حتى أصبحا ثم خرجا وخرج معهما كشد خفيرا حتى أوردهما ذا المروة وساحت العير فأسرعت وسار بها أصحابها ليلا ونهارا فرقا من الطلب وقدم طلحة وسعيد المدينة فى اليوم الذى لقي رسول الله ص قريشا ببدر فخرجا يعترضان رسول الله ص فلقياه بتربان وتربان بين ملل والسالة على المحجة وكانت منزل عروه بن أذينة الشاعر وقدم كشد بعد ذلك على النبى ص و قد أخبر طلحة وسعيد رسول الله ص بما صنع بهما فحباه وأكرمه وقال ألا - أقطع لك ينبع قال إنى كبير و قد نغد عمرى ولكن أقطعها لابن أخى فأقطعها له قالوا وندب رسول الله ص المسلمين و قال هذه عير قريش فيها أموالهم لعل الله أن يغنمكموها فأسرع من أسرع حتى إن كان الرجل ليساهم أباه فى الخروج فكان ممن ساهم أباه سعد بن خيثمة فقال سعد لأبيه إنه لو كان غير الجنة آثرتك به إنى لأرجو الشهادة فى وجهى هذا فقال خيثمة آثرنى وقرمع نسائك فأبى سعد فقال خيثمة إنه لا بد لأحدنا من أن يقيم فاستهما فخرج سهم سعد فقتل ببدر وأبطأ عن النبى ص بشر كثير من أصحابه وكرهوا خروجه و كان فى ذلك كلام كثير واختلاف وبعضهم تخلف من أهل النيات والبصائر لم يظنوا أنه يكون قتال إنما هو الخروج للغنيمه و لوظنوا أنه يكون قتال لماتخلفوا منهم أسيد [صفحہ ۸۶] بن حضير فلما قدم رسول الله ص قال أسيد الحمد لله الذى سرك وأظهرك على عدوك و الذى بعثك بالحق ماتخلفت عنك رغبة بنفسى عن نفسك و لاظننت أنك تلاقى عدوا و لاظننت إلا أنها العير فقال له رسول الله ص صدقت . قال وخرج رسول الله ص حتى انتهى إلى المكان المعروف بالبقع وهى بيوت السقيا وهى متصله ببيوت المدينة فضرب عسكره هناك وعرض المقاتلة فعرض عبد الله بن عمر وأسامة بن زيد ورافع بن خديج والبراء بن عازب وأسيد بن ظهير وزيد بن أرقم وزيد بن ثابت فردهم و لم يجزهم . قال الواقدى فحدثنى أبو بكر بن إسماعيل عن أبيه عن عامر بن سعد عن أبيه قال رأيت أخى عمير بن أبى وقاص قبل أن يعرضنا

رسول الله ص يتوارى فقلت ما لك يا أخى قال إني أخاف أن يرانى رسول الله ص فيستصغرنى فيردنى و أنا أحب الخروج لعل الله أن يرزقنى الشهادة قال فعرض على رسول الله ص فاستصغره فقال ارجع فبكى عمير فأجازه . قال فكان سعد يقول كنت أعقد له حمائل سيفه من صغره فقتل بيدرو وهو ابن ست عشرة سنة . قال فلما نزل ع بيوت السقيا أمر أصحابه أن يستقوا من بئرهم وشرب ع منها كان أول من شرب وصلى عندها ودعا يومئذ لأهل المدينة فقال -روايت- ١-٢-روايت- ٩-١٠-ادامه دارد [صفحه ٨٧] اللهم إن ابراهيم عبدك و خليلك و نبيك دعاك لأهل مكة و إني محمد عبدك و نبيك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم فى صاعهم و مدهم و ثمارهم اللهم حبب إلينا المدينة و اجعل ما بها من الوباء بخرم إني حرمت ما بين لابتها كما حرم ابراهيم خليلك مكة -روايت- از قبل- ٢٥٧ . قال الواقدي و خم على ميلين من الجحفة . و قدم رسول الله ص أمامه عدى بن أبى الزغباء و بسيس بن عمرو و جاء إليه عبد الله بن عمرو بن حرام فقال يا رسول الله لقد سرنى منزلك هذا و عرضك فيه أصحابك و تفاعلت به إن هدامنزلنا فى بنى سلمة حيث كان بيننا و بين أهل حسيكة ما كان . قال الواقدي هى حسيكة الذباب و الذباب جبل بناحية المدينة و كان بحسيكة يهود و كان لهم بهامنازل . قال عبد الله بن عمرو بن حرام فعرضنا يا رسول الله هاهنا أصحابنا فأجزنا من كان يطيق السلاح ورددنا من صغر عن حمل السلاح ثم سرننا إلى يهود حسيكة و هم أعز يهود كانوا يومئذ فقتلناهم كيف شئنا فذلت لنا سائر يهود إلى اليوم و أنا أرجو يا رسول الله أن نلتقى نحن و قريش فيقر الله عينك منهم . قال الواقدي و كان خلاد بن عمرو بن الجموح لما كان من النهار رجع إلى أهله بخرباء فقال له أبوه عمرو بن الجموح ما ظننت إلا أنكم قد سرتم فقال إن رسول الله ص يعرض الناس بالبيع فقال عمرو نعم الفأل و الله إني لأرجو أن تغنموا و أن تظفروا بمشركى قريش إن هدامنزلنا يوم سرننا إلى حسيكة [صفحه ٨٨] قال فإن رسول الله ص قد غير اسمه و سماه السقيا قال فكانت فى نفسى أن أشتريها حتى اشتراها سعد بن أبى وقاص ببيكرين و يقال بسبع أواق فذكر للنبي ص أن سعدا اشتراها فقال ربح البيع . قال الواقدي فراح رسول الله ص من بيوت السقيا لاثنتى عشرة ليلة مضت من رمضان و خرج المسلمون معه ثلاثمائة و خمسة و تخلف ثمانية ضرب لهم بسهامهم و أجورهم فكانت الإبل سبعين بعيرا و كانوا يتعاقبون الإبل الاثنتين و الثلاثة و الأربعة فكان رسول الله ص و على بن أبى طالب ع و مرثد بن أبى مرثد و يقال زيد بن حارثة مكان مرثد يتعاقبون بعيرا واحدا و كان حمزة بن عبدالمطلب و زيد بن حارثة و أبو كبشة و أنسه موالى النبي ص على بعير و كان عبيدة بن الحارث و الطفيل و الحارث و الحارث و مسطح بن أثاثة على بعير لعبيدة بن الحارث ناضح ابتاعه من أبى داود المازنى و كان معاذ و عوف و معوذ بنو عفراء و مولاهم أبوالحمرى على بعير و كان أبى بن كعب و عمارة بن حزام و حارثة بن النعمان على بعير و كان خراش بن الصمة و قطبة بن عامر بن حديدة و عبد الله بن عمرو بن حزام على بعير و كان عتبة بن غزوان و طليب بن عمير على جمل لعتبة بن غزوان يقال له العبس و كان مصعب بن عمير و سويط بن حرملة و مسعود بن ربيع على جمل لمصعب و كان عمار بن ياسر و عبد الله بن مسعود على بعير و كان عبد الله بن كعب و أبوداود المازنى و سليط بن قيس على جمل لعبد الله بن كعب و كان عثمان بن عفان و قدامة بن مظعون و عبد الله بن مظعون و السائب بن عثمان على بعير يتعاقبون و كان أبوبكر و عمر و عبد الرحمن بن عوف على بعير و كان سعد بن معاذ و أخوه و ابن أخيه الحارث بن أوس و الحارث بن أنس على جمل لسعد بن معاذ ناضح يقال له الذيال و كان سعيد بن زيد و سلمة بن [صفحه ٨٩] سلامة بن وقش و عباد بن بشر و رافع بن يزيد على ناضح لسعيد بن زيد ماترودوا لإصاعا من تمر . قال الواقدي فروى معاذ بن رفاعه عن أبيه قال خرجت مع النبي ص إلى بدر و كان كل ثلاثة يتعاقبون بعيرا فكنت أنا و أخى خلاد بن رافع على بكر لنا و معنا عبيدة بن يزيد بن عامر فكنا نتعاقب فسرنا حتى إذا كنا بالروحاء إذ مر بنا بكرنا و برك علينا و أعيأ فقال أخى اللهم إن لك على نذرا لئن رددتنا إلى المدينة لأنحرنه فمر بنا النبي ص ونحن على تلك الحال فقلنا يا رسول الله برك علينا بكرنا فدعا بماء فتمضمض و توضع فى إناء ثم قال افتحاه فاه ففعلنا فصبه فى فيه ثم على رأسه ثم على عنقه ثم على حاركة ثم على سنامه ثم

على عجزه ثم على ذنبه ثم قال اركبا ومضى رسول الله ص فلحقناه أسفل من المنصرف و إن بكرنا لينفر بنا حتى إذا كنا بالمصلى راجعين من بدر برك علينا فنحره أخى فقسم لحمه وتصدق به . قال الواقدي و قدروى أن سعد بن عبادة حمل فى بدر على عشرين جملا. قال وروى عن سعد بن أبى وقاص أنه قال فخرجنا إلى بدر مع رسول الله ص ومعنا سبعون بعيرا فكانوا يتعاقبون الثلاثة والأربعة والاثان على بعير وكنت أنا من أعظم أصحاب النبي ع عنه غناء وأرجلهم رجله وأرماهم لسهم لم أركب خطوة ذاهبا ولا راجعا قال الواقدي و قال رسول الله ص حين فصل من بيوت السقيا اللهم إنهم حفاة فاحملهم وعراء فاكسهم وجياع فأشبعهم وعالة فأغنهم من فضلك فما رجح أحد منهم يريد أن يركب إلا وجد ظهرا للرجل البعير والبعيران واكتسى -رواية- ١- ٢-رواية- ٦٣-ادامه دارد [صفحه ٩٠] من كان عاريا وأصابوا طعاما من أزوادهم وأصابوا فداء الأسرى فأغنى به كل عائل -رواية- از قبل- ٨٤. قال واستعمل رسول الله ص على المشاة قيس بن أبى صعصعة واسم أبى صعصعة عمر بن يزيد بن عوف بن مبدول وأمره النبي ص حين فصل من بيوت السقيا أن يعد المسلمين فوقف لهم بيئر أبى عبيدة يعدهم ثم أخبر النبي ص وخرج من بيوت السقيا حتى سلك بطن العقيق ثم سلك طريق المكيمن حتى خرج على بطحاء بن أزهر فنزل تحت شجرة هناك فقام أبوبكر إلى حجارة هناك فبنى منها مسجدا فصلى فيه رسول الله وأصبح يوم الاثنين و هو هناك ثم صار إلى بطن ملل وتربان بين الحفيرة وملل . قال الواقدي فكان سعد بن أبى وقاص يقول لما كنا بتربان قال لى رسول الله ص ياسعد انظر إلى الظبي فأفوق له بسهم وقام رسول الله ص فوضع رأسه بين منكبى وأذنى ثم قال اللهم سدد رميته قال فما أخطأ سهمى عن نحرة فتبسم رسول الله ص وخرجت أعدو فأخذته و به رمق فذكيته فحملناه حتى نزلنا قريبا وأمر به رسول الله ص فقسم بين أصحابه . قال الواقدي و كان معهم فرسان فرس لمرثد بن أبى مرثد الغنوى وفرس للمقداد بن عمرو البهرانى حليف بنى زهرة ويقال فرس للزبير و لم يكن إلا فرسان لاختلاف عندهم أن المقداد له فرس و قدروى عن ضباعة بنت الزبير عن المقداد [صفحه ٩١] قال كان معى يوم بدر فرس يقال له سبحة و قدروى سعد بن مالك الغنوى عن آباءه أن مرثد بن أبى مرثد الغنوى شهد بدرا على فرس له يقال له السيل . قال الواقدي ولحقت قريش بالشام فى غيرها وكانت العير ألف بعير و كان فيها أموال عظام و لم يبق بمكة قرشى و لا قرشية له مثقال فصاعدا إلا بعث به فى العير حتى إن المرأة لتبعث بالشىء التافه و كان يقال إن فيها خمسين ألف دينار وقالوا أقل و إن كان ليقال إن أكثر ما فيها من المال لآل سعيد بن العاص لأبى أحيحة إما مال لهم أو مال مع قوم قراض على النصف و كان عامة العير لهم ويقال بل كان لبنى مخزوم فيها مائتا بعير وخمسة أو أربعة آلاف مثقال ذهب و كان يقال للحارث بن عامر بن نوفل فيها ألفا مثقال . قال الواقدي وحدثنى هشام بن عماره بن أبى الحويرث قال كان لبنى عبدمناف فيها عشرة آلاف مثقال و كان متجرهم إلى غزوة من أرض الشام . قال الواقدي وحدثنى عبد الله بن جعفر عن أبى عون مولى المسور عن مخرمه بن نوفل قال لما لحقنا بالشام أدركنا رجل من جذام فأخبرنا أن محمدا قد كان عرض لعيرنا فى بدأتنا و أنه تركه مقيما ينتظر رجعتنا قدحالف علينا أهل الطريق ووادعهم قال مخرمه فخرجنا خائفين نخاف الرصد فبعثنا ضمضم بن عمرو حين فصلنا من الشام . قال الواقدي و كان عمرو بن العاص مع العير و كان يحدث بعد ذلك يقول لما كنا بالزرقاء والزرقاء بالشام من أذرعات على مرحلتين ونحن منحرون إلى مكة لقينا رجلا من جذام فقال قد كان عرض محمدا لكم فى بدأتكم فى أصحابه فقلنا ما شعرنا قال بلى فأقام شهرا ثم رجع إلى يثرب وأنتم يوم عرض محمدا لكم مخفون فهو الآن أحرى أن يعرض لكم إنما يعد لكم الأيام عدا فاحذروا على عيركم [صفحه ٩٢] وارتثوا آراءكم فو الله ما أرى من عدد و لا كراع و لا حلقة فأجمع القوم أمرهم فبعثوا ضمضم بن عمرو و كان فى العير و قد كانت قريش مرت به و هو بالساحل معه بكران فاستأجروه بعشرين مثقالا وأمره أبوسفيان أن يخبر قريشا أن محمدا قد عرض لعيرهم وأمره أن يجدهم بعيره إذا دخل ويحول رحله ويشق قميصه من قبله ودبره ويصيح الغوث الغوث ويقال إنما بعثوه من تبوك و كان فى العير ثلاثون رجلا- من قريش فيهم عمرو بن العاص ومخرمه بن نوفل . قال الواقدي و

قد كانت عاتكة بنت عبدالمطلب رأت قبل مجيء ضمضم بن عمرو رؤيا أفرعتها وعظمت في صدرها فأرسلت إلى أخيها العباس فقالت يا أخي لقد والله رأيت رؤيا أفرعتني وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة فآتكم على ما أحدثك منها رأيت راكبا أقبل على بعير حتى وقف بالأبطح ثم صرخ بأعلى صوته يا آل غدر انفروا إلى مصارعكم في ثلاث فصرخ بها ثلاث مرات فأرى الناس اجتمعوا إليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه إذ مثل به بعيره على ظهر الكعبة فصرخ مثلها ثلاثا ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها ثلاثا ثم أخذ صخرة من أبي قبيس فأرسلها فأقبلت تهوى حتى إذا كانت في أسفل الجبل ارفضت فما بقى بيت من بيوت مكة ولا دار من دورها إلا دخلته منها فلذة. قال الواقدي وكان عمرو بن العاص يحدث بعد ذلك فيقول لقد رأيت كل هذا ولقد رأيت في دارنا فلقة من الصخرة التي انفلقت من أبي قبيس ولقد كان ذلك عبرة ولكن الله لم يرد أن نسلم يومئذ لكنه أخر إسلامنا إلى ما أراد. قلت كان بعض أصحابنا يقول لم يكف عمرا أن يقول رأيت الصخرة في دور مكة عيانا فيخرج ذلك مخرج الاستهزاء باطنا على وجه النفاق واستخفافه بعقول المسلمين [صفحة ٩٣] زعم حتى يضيف إلى ذلك القول بالخبر الصراح فيقول إن الله تعالى لم يكن أراد منه الإسلام يومئذ. قال الواقدي قالوا ولم يدخل دارا ولا بيتا من دور بني هاشم ولا بني زهرة من تلك الصخرة شيء قال فقال العباس إن هذه لرؤيا فخرج مغتما حتى لقي الوليد بن عتبة بن ربيعة وكان له صديقا فذكرها له واستكتمه ففشا الحديث في الناس قال العباس فغدوت أطوف بالبيت وأبوجهل في رهط من قريش يتحدثون برؤيا عاتكة فقال أبوجهل مارأت عاتكة هذه فقلت وما ذاك فقال يابني عبدالمطلب أمارضيتم بأن تتنبا رجالكم حتى تتنبا نساءكم زعمت عاتكة أنها رأت في المنام كذا وكذا للذي رأت فسنترصد بكم ثلاثا فإن يكن ما قالت حقا فسيكون وإن مضت الثلاث ولم يكن نكتب عليكم أنكم أكذب أهل بيت في العرب فقال له العباس يا مصفر استه أنت أولى بالكذب واللؤم منا فقال أبوجهل إنا استبقنا المجد وأنتم فقلتم فينا السقاية فقلنا لانبالي تسقون الحجاج ثم قلتم فينا الحجابة فقلنا لانبالي تحجبون البيت ثم قلتم فينا الندوة قلنا لانبالي يكون الطعام فطعمون الناس ثم قلتم فينا الرفادة فقلنا لانبالي تجمعون عندكم ماترفدون به الضعيف فلما أطعمنا الناس وأطعمتم وازدحمت الركب واستبقنا المجد فكنا كفرسى رهان قلتم منا نبى ثم قلتم منا نبية فلا واللوات والعزى لا كان هذا أبدا. قلت لأرى كلام أبي جهل منتظما لأنه إذا سلم للعباس أن هذه الخصال كلها فيهم وهى الخصال التى تشرف بها القبائل بعضها على بعض فكيف يقول لانبالي لانبالي وكيف يقول فلما أطعمنا للناس وأطعمتم وقد كان الكلام منتظما لو قال ولنا بإزاء هذه المفاسد كذا وكذا ثم يقول بعد ذلك استبقنا المجد فكنا كفرسى رهان وازدحمت الركب ولم يقل شيئا ولاعد مآثره ولعل أبوجهل قد قال ما لم ينقل [صفحة ٩٤] قال الواقدي قال العباس فوالله ما كان منى غيرأنى جحدت ذلك وأنكرت أن تكون عاتكة رأت شيئا فلما أمسيت لم تبق امرأة أصابتها ولادة عبدالمطلب إلا جاءت فقلن لى أرضيتم بهذا الفاسق الخبيث يقع فى رجالكم ثم قدتناول نساءكم ولم تكن لك عند ذلك غيره فقلت والله ما قلت إلا لأنى لانبالي به ولايم الله لأعرضن له غدا فإن عاد كفيتك إياه فلما أصبحوا من ذلك اليوم الذى رأت فيه عاتكة مارأت قال أبوجهل هذه ثلاثة أيام مابقى قال العباس وغدوت فى اليوم الثالث وأناحديده مغضب أرى أن قدفانتى منه أمر أحب أن أدركه وأذكر ماأحفظنى به النساء من مقاتلهن فوالله إنى لأمشى نحوه وكان رجلا خفيفا حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر إذ خرج نحو باب بنى سهم يشتد فقلت ماباله لعنه الله أكل هذا فرقا من أن أشاتمه فإذا هو قدسمع صوت ضمضم بن عمرو وهو يقول يامعشر قريش يا آل لؤى بن غالب اللطيمة قدعرض لها محمد فى أصحابه الغوث الغوث والله ماأرى أن تدركوها وضمضم ينادى بذلك فى بطن الوادى وقدجدع أذنى بعيره وشق قميصه قبلا ودبرا وحول رحله وكان يقول لقد رأيتنى قبل أن أدخل مكة وإنى لأرى فى النوم وأنا على راحلتى كأن وادى مكة يسيل من أسفله إلى أعلاه دما فاستيقظت فزعا مذعورا فكرهتها لقريش ووقع فى نفسى أنها مصيبة فى أنفسهم. قال الواقدي وكان عمير بن وهب الجمحى يقول مارأيت أعجب من

أمر ضمضم قط و ماصرح على لسانه لإشيطان كأنه لم يملكنا من أمورنا شيئا حتى نفرنا على الصعب والذلول و كان حكيم بن حزام يقول ما كان أذى جاءنا فاستنفرنا إلى العير إنسانا إن هو لإشيطان قيل كيف يا أبا خالد قال إنى لأعجب منه ما ملكنا من أمرنا شيئا. قال الواقدي فجهز الناس وشغل بعضهم عن بعض و كان الناس بين رجلين إما خارج وإما باعث مكانه رجلا وأشفقت قريش لرؤيا عاتكة وسر بنو هاشم [صفحة ٩٥] وقال قائلهم كلا زعمتم أنا كذبنا وكذبت عاتكة فأقامت قريش ثلاثا تتجهز ويقال يومين وأخرجت أسلحتها واشتروا سلاحا وأعان قويمهم ضعيفهم وقام سهيل بن عمرو فى رجال من قريش فقال يامعشر قريش هذا محمد والصباء معه من شبانكم و أهل يثرب قد عرضوا لعيركم ولطيبتكم فمن أراد ظهرا فهذا ظهر و من أراد قوة فهذه قوة وقام زمعة بن الأسود فقال إنه واللات والعزى مانزل بكم أمر أعظم من أن طمع محمد و أهل يثرب أن يعرضوا لعيركم فيها خزائنكم فأوعبوا ولا يتخلف منكم أحد و من كان لاقوة له فهذه قوة و الله لئن أصابها محمد وأصحابه لا يروعكم منهم إلا و قد دخلوا عليكم بيوتكم و قال طعيمة بن عدى يامعشر قريش و الله مانزل بكم أمر أجل من هذه أن يستباح عيركم ولطيمة قريش فيها أموالكم وخزائنكم و الله ما أعرف رجلا ولا امرأة من بنى عبدمناف له نش فصاعدا إلا و هو فى هذه العير فمن كان لاقوة به فعندنا قوة نحمله ونقويه فحمل على عشرين بعيرا وقوى بهم وخلفهم فى أهلهم بمعونته وقام حنظلة بن أبى سفيان وعمرو بن أبى سفيان فحضا الناس على الخروج و لم يدعوا إلى قوة و لاحملان فقيل لهما ألا تدعوان إلى مادعا إليه قومكما من الحملان قالا و الله مالنا مال و ما المال إلا لأبى سفيان ومشى نوفل بن معاوية الديلمي إلى أهل القوة من قريش وكلمهم فى بذل النفقة والحملان لمن خرج فكلهم عبد الله بن أبى ربيعة فقال هذه خمسمائة دينار تضعها حيث رأيت وكلم حويطب بن عبدالعزى فأخذ منه مائتى دينار أو ثلاثمائة ثم قوى بها فى السلاح والظهر. قال الواقدي وذكروا أنه كان لا يتخلف أحد من قريش إلا بعث مكانه بعثا فمشت قريش إلى أبى لهب فقالوا له إنك سيد من سادات قريش وإنك إن تخلفت عن [صفحة ٩٦] النفير يعتبر بك غيرك من قومك فاخرج أو ابعث رجلا- فقال واللات والعزى لا أخرج و لا أبعث أحدا فجاءه أبو جهل فقال أقم يا أبا عتبة فو الله ما خرجنا إلا غضبا لدينك ودين آبائك وخاف أبو جهل أن يسلم أبو لهب فسكت أبو لهب و لم يخرج و لم يبعث و مامنع أبا لهب أن يخرج إلا الإشفاق من رؤيا عاتكة كان يقول إنما رؤيا عاتكة أخذ باليد ويقال إنه بعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة و كان له عليه دين فقال اخرج ودينى عليك لك فخرج عنه . و قال محمد بن إسحاق فى المغازى كان دين أبى لهب على العاص بن هشام أربعة آلاف درهم فمطله بها وأفلس فتركها له على أن يكون مكانه فخرج مكانه . قال الواقدي وأخرج عتبه وشيبة دروعا لهما فنظر إليهما مولاهما عداس وهما يصلحان دروعهما وآله حربهما فقال ماتريدان فقالا أ لم تر إلى الرجل الذى أرسلناك إليه بالعنب فى كرمنا بالطائف قال نعم قالنا نخرج فنقاتله فبكى و قال لا تخرجا فو الله إنه لنبى فأبيا فخرجا وخرج معهما فقتل بيدر معهما. قلت حديث العنب فى كرم ابني ربيعة بالطائف قد ذكره أرباب السيرة وشرحه الطبرى فى التاريخ قال لمامات أبو طالب بمكة طمعت قريش فى رسول الله ص ونالت منه ما لم تكن تناله فى حياة أبى طالب فخرج من مكة خائفا على نفسه مهاجرا إلى ربه يوم الطائف راجيا أن يدعو أهلها إلى الإسلام فيجيبوه و ذلك فى شوال من سنة عشر من النبوة فأقام بالطائف عشرة أيام وقيل شهرا لا يدع أحدا من أشراف ثقيف إلا جاءه وكلمه فلم يجيبوه وأشاروا عليه أن يخرج عن أرضهم ويلحق بمجاهل الأرض و بحيث لا يعرف وأغروا به سفهاءهم فرموه بالحجارة حتى إن رجله لتدميان فكان معه زيد بن حارثة فكان يقيه بنفسه حتى لقد شج فى رأسه . [صفحة ٩٧] والشيعه تروى أن على بن أبى طالب كان معه أيضا فى هجرة الطائف فانصرف رسول الله ص عن ثقيف و هو محزون بعد أن مشى إلى عبديالليل ومسعود وحبیب ابني عمرو بن عمير وهم يومئذ سادة ثقيف فجلس إليهم ودعاهم إلى الله و إلى نصرته والقيام معه على قومه فقال له أحدهم أنا أمرط بباب الكعبة إن كان الله أرسلك و قال الآخر أ ما وجد الله أحدا أرسله غيرك و قال الثالث و الله لا أكلمك كلمة أبدا لئن كنت رسولا- من الله كما تقول لأنت أعظم خطرا من أن أرد

عليك الكلام ولئن كنت كاذبا على الله ما ينبغي أن أكلمك فقام رسول الله ص من عندهم و قديس من خير ثقيف واجتمع عليه صبيانهم وسفهاؤهم وصاحوا به وسبوه وطردوه حتى اجتمع عليه الناس يعجبون منه وألجئوه بالحجارة والطرده والشتم إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما يومئذ في الحائط فلما دخل الحائط رجع عنه سفهاء ثقيف فعمد إلى ظل حبله منه فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران ويريان مالمقى من سفهاء ثقيف قال الطبرى فلما اطمأن به قال فيما ذكر لى اللهم إليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين و أنت ربى إلى من تكلمنى إلى بعيد فيتجهمنى أم إلى عدو ملكته أمرى فإن لم يكن منك غضب على فلا أبالى ولكن عافيتك هى أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت به الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بى غضبك أو يحل على سخطك لك العتبى حتى ترضى لا حول ولا قوة إلا بك -رواية ١-٢-رواية ٤٨-٤٣٥ . فلما رأى عتبة وشيبة مالمقى تحركت له رحمهما فدعوا غلاما نصرانيا لهما يقال له [صفحة ٩٨] عداس فقالا له خذ قطفنا من هذا العنب وضعه فى ذلك الطبق ثم اذهب به إلى ذلك الرجل وقل له فليأكل منه ففعل وأقبل به حتى وضعه بين يديه فوضع يده فيه فقال بسم الله وأكل فقال عداس والله إن هذه الكلمة لا يقولها أهل هذه البلدة فقال له رسول الله ص من أى البلاد أنت و مادينك قال أنا نصرانى من أهل نينوى قال أ من قرية الرجل الصالح يونس بن متى قال و ما يدريك من يونس بن متى قال ذاك أخى كان نبيا و أنا نبى فأكب عداس على يديه ورجليه ورأسه يقبلها قال يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه أما غلامك فقد أفسده عليك فلما جاءهما قالا ويلك ويلك يا عداس ما لك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه قال ياسيدى ما فى الأرض خير من هذا فقد أخبرنى بأمر لا يعلمه إلا نبى . قال الواقدى واستقسمت قريش بالأزلام عندهبل للخروج واستقسم أمية بن خلف وعتبة وشيبة بالأمر والناهى فخرج القدرح الناهى فأجمعوا المقام حتى أزعجهم أبوجهل فقال ما استقسمت و لا تنتخلف عن غيرنا . قال الواقدى لماتوجه زمعة بن الأسود خارجا فكان بذى طوى أخرج قداحه واستقسم بها فخرج الناهى عن الخروج فلقى غيظا ثم أعادها الثانية فخرج مثل ذلك فكسرها و قال مارأيت كاليوم قدحا أكذب و مر به سهيل بن عمرو و هو على تلك الحال فقال ما لى أراك غضبان يا أباحكيمة فأخبره زمعة فقال امض عنك أيها الرجل قد أخبرنى عمير بن وهب أنه لقيه مثل الذى أخبرتنى فمضوا على هذا الحديث . [صفحة ٩٩] قال الواقدى وحدثنى موسى بن ضمرة بن سعيد عن أبيه قال قال أبو سفيان بن حرب لضمضم إذ قدمت على قريش فقل لها لا تستقسم بالأزلام . قال الواقدى وحدثنى محمد بن عبد الله عن الزهرى عن أبى بكر بن سليم بن أبى خيثمة قال سمعت حكيم بن حزام يقول ماتوجهت وجهها قط كان أكره إلى من مسيرى إلى بدر و لابان لى فى وجهه قط ما بان لى قبل أن أخرج ثم قال قدم ضمضم فصاح بالنفير فاستقسم بالأزلام كل ذلك يخرج الذى أكره ثم خرجت على ذلك حتى نزلنا مر الظهران فنحرا ابن الحنظلية جزورا منها بها حياة فما بقى خباء من أخبية العسكر إلا أصابه من دمها فكان هذا بين ثم هممت بالرجوع ثم أذكر ابن الحنظلية وشؤمه فيردنى حتى مضيت لوجهى و كان حكيم يقول لقد رأينا حين بلغنا الثنية البيضاء وهى الثنية التى تهبطك على فخ و أنت مقبل من المدينة إذ اعداس جالس عليها و الناس يمرون إذ مر علينا ابنا ربيعة فوثب إليهما فأخذ بأرجلهما فى غرزهما و هو يقول بأبى أنتما وأمى و الله إنه لرسول الله ص و ماتساقان إلا إلى مصارعكما و إن عينيه لتسيل دمعاً على خديه فأردت أن أرجع أيضا ثم مضيت و مر به العاص بن منبه بن الحجاج فوقف عليه حين ولى عتبة وشيبة فقال ما يبكيك قال يبكىنى سيدى أوسيدا أهل الوادى يخرجان إلى مصارعهما ويقاتلان رسول الله ص فقال العاص و إن محمدا لرسول الله فانفض عداس انتفاضة واقشعر جلده ثم بكى و قال إى و الله إنه لرسول الله إلى الناس كافة قال فأسلم العاص بن منبه ومضى و هو على الشك حتى قتل مع المشركين على شك وارتياب ويقال رجع عداس و لم يشهد بدر و يقال شهد بدر و قتل . قال الواقدى والقول الأول أثبت عندنا . [صفحة ١٠٠] قال الواقدى وخرج سعد بن معاذ معتمرا قبل بدر فنزل على أمية بن خلف فأتاه أبوجهل و قال أترك هذا و قد آوى

محمدًا وآذنا بالحرب فقال سعد بن معاذ قل ماشئت أما إن طريق عيركم علينا قال أمية بن خلف مه لاتقل هذاأبى الحكم فإنه سيد أهل الوادى قال سعد بن معاذ و أنت تقول ذلك ياأمية أما والله لسمعت محمدًا يقول لأقتلن أمية بن خلف قال أمية أنت سمعته قال سعد بن معاذ فقلت نعم قال فوقع فى نفسه فلما جاء النفير أبى أمية أن يخرج معهم إلى بدر فأتاه عقبه بن أبى معيط و أبوجهل و مع عقبه مجمره فيهابخور و مع أبى جهل مكحله و مرود فأدخلها عقبه تحته فقال تبخر فإنما أنت امرأة و قال أبوجهل اكتحل فإنما أنت امرأة فقال أمية ابتاعوا لى أفضل بعير فى الوادى فابتاعوا له جملا- بثلاثمائة دينار من نعم بنى قشير فغنمه المسلمون يوم بدر فصار فى سهم خبيب بن يساف . قال الواقدى وقالوا ما كان أحد ممن خرج إلى العير أكره للخروج من الحارث بن عامر و قال ليت قريشا تعزم على القعود و أن مالى فى العير تلف و مال بنى عبدمناف أيضا فيقال له إنك سيد من ساداتها أفلاتردعها عن الخروج قال إنى أرى قريشا قدأزمت على الخروج و لأرى أحدا به طرق تخلف إلا من عله و أناأكره خلافها و ماأحب أن تعلم قريش ماأقول على أن ابن الحنظلية رجل مشئوم على قومه ماأعلمه إلايحرز قومه أهل يثرب ولقد قسم الحارث مالا- من ماله بين ولده ووقع فى نفسه أنه لايرجع إلى مكة و جاءه ضمضم بن عمرو و كانت للحارث عنده أياد فقال أباعامر إنى رأيت رؤيا كرهتها و إنى لكاليقظان على راحلتى و أراكم أن واديكم يسيل دما من أسفله إلى أعلاه فقال الحارث ماخرج أحد وجهها من الوجوه أكره له من وجهى هذا قال يقول ضمضم و الله إنى لأرى لك أن تجلس فقال لوسمعت [صفحة ١٠١] هذا منك قبل أن أخرج ماسرت خطوة فاطو هذاالخبر أن تعلمه قريش فإنها تتهم كل من عوقها عن المسير و كان ضمضم قدذكر هذاالحديث للحارث بيطن يأجج قالوا وكرهت قريش أهل الرأى منهم المسير و مشى بعضهم إلى بعض و كان ممن أبطأ بهم عن ذلك الحارث بن عامر و أمية بن خلف و عتبه و شيبه ابنا ربيعة و حكيم بن حزام و أبوالبختري و على بن أمية بن خلف و العاص بن منبه حتى بكتهم أبوجهل بالجبن و أعانه عقبه بن أبى معيط و النضر بن الحارث بن كلدة و حضوهم على الخروج و قالوا هذا فعل النساء فأجمعوا المسير و قالت قريش لاتدعوا أحدا من عدوكم خلفكم . قال الواقدى و مما استدل به على كراهة الحارث بن عامر للخروج و عتبه و شيبه أنه ماعرض رجل منهم حملانا و لاحملوا أحدا من الناس و إن كان الرجل ليأتيهم حليفا أو عديدا و لاقوه له فيطلب الحملان منهم فيقولون إن كان لك مال و أحببت أن تخرج فافعل و لإفاقم حتى كانت قريش تعرف ذلك منهم . قال الواقدى فلما اجتمعت قريش إلى الخروج و المسير ذكروا الذى بينهم و بين بنى بكر من العداوة و خافوهم على من يخلفونه و كان أشدهم خوفا عتبه بن ربيعة و كان يقول يامعشر قريش إنكم و إن ظفرتم بالذى تريدون فإننا لأنامن على من نخلف إنما نخلف نساء و لاذرية و من لاطعم به فارتتوا آراء كم فتصور لهم إبليس فى صورة سراقه بن جعشم المدلجى فقال يامعشر قريش قدعرفتم شرفى و مكانى فى قومى أنالكم جار أن تأتيكم كنانة بشىء تكرهونه فطابت نفس عتبه و قال له أبوجهل [صفحة ١٠٢] فما تريد هذا سيد كنانة هولنا جار على من نخلف فقال عتبه لا شىء أنا خارج قال الواقدى و كان الذى بين بنى كنانة و قريش أن ابنا لحفص بن الأحنف أحد بنى معيط بن عامر بن لؤى خرج يبغى ضاله و هو غلام فى رأسه ذؤابة و عليه حلة و كان غلاما و ضيئا فمر بعامر بن يزيد بن عامر بن الملوح بن يعمر أحد رؤساء بنى كنانة و كان بضجنان فقال من أنت يا غلام قال ابن لحفص بن الأحنف فقال يابنى بكر ألكم فى قريش دم قالوا نعم قال ما كان رجل يقتل هذا برجله إلا استوفى فاتبعه رجل من بنى بكر فقتله بدم له فى قريش فتكلمت فيه قريش فقال عامر بن يزيد قد كانت لنا فيكم دماء فإن شئتم فأدوا مالنا قبلكم و نؤدى إليكم ما كان فينا و إن شئتم فإنما هو الدم رجل برجل و إن شئتم فتجافوا عنا فيما قبلنا و نتجافى عنكم فيما قبلكم فهان ذلك الغلام على قريش و قالوا صدق رجل برجل فلهوا عنه أن يطلبوا بدمه فيبنا أخوه مكرز بن حفص بمر الظهران إذ نظر عامر بن يزيد و هوسيد بنى بكر على جمل له فلما رآه قال ماأطلب أثرا بعدعين و أناخ بعيره و هو متوشح سيفه فعلاه به حتى قتله ثم أتى مكة من الليل فعلق سيف عامر بن يزيد بأستار الكعبة فلما أصبحت قريش رأوا سيف عامر بن يزيد فعرفوا أن مكرز بن

حفص قتله و قد كانت تسمع من مكرز في ذلك قولاً- وجزعت بنو بكر من قتل سيدها فكانت معه لقتل رجلين من قريش سيدين أو ثلاثة من ساداتها فجاء النفيروهم على هذا الأمر فخافوهم على من تخلف بمكة من ذراريهم فلما قال سراقه ما قال و هوينطق بلسان إبليس شجع القوم . [صفحہ ۱۰۳] قال الواقدي وخرجت قريش سراعا وخرجوا بالقيان والدفوف سارة مولاة عمرو بن هاشم بن عبدالمطلب وعزة مولاة أسود بن المطلب وفلانة مولاة أمية بن خلف يغنين في كل منهل وينحرون الجزر وخرجوا بالجيش يتقاذفون بالحرايب وخرجوا بتسعمائة وخمسين مقاتلا وقادوا مائة فرس بطرا ورتاء الناس كما ذكر الله تعالى في كتابه و أبو جهل يقول أئظن محمد أن يصيب منا ما أصاب بنخله وأصحابه سيعلم أن منع عيرنا أم لا . قلت سرية نخلة سرية قبل بدر و كان أميرها عبد الله بن جحش قتل فيها عمرو بن الحضرمي حليف بني عبدشمس قتله واقد بن عبد الله التميمي رماه بسهم فقتله وأسر الحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله بن المغيرة واستاق المسلمون العير و كانت خمسمائة بعير فخمسها رسول الله ص وقسم أربعمائة فيمن شهدها من المسلمين وهم مائة رجل فأصاب كل رجل بعيران . قال الواقدي و كانت الخيل لأهل القوة منهم و كان في بني مخزوم منها ثلاثون فرسا و كانت الإبل سبعمائة بعير و كان أهل الخيل كلهم دارع وكانوا مائة و كان في الرجالة دروع سوى ذلك . قال الواقدي وأقبل أبوسفیان بالعيروخاف هو وأصحابه خوفا شديدا حين دنوا من المدينة واستبطنوا ضمضما والنفيرو فلما كانت الليلة التي يصبحون فيها على ماء بدر جعلت العير تقبل بوجوهها إلى ماء بدر وكانوا باتوا من وراء بدر آخر ليلتهم وهم على [صفحہ ۱۰۴] أن يصبحوا بدرا إن لم يعترض لهم فما أقرتهم العير حتى ضربوها بالعقل على أن بعضها ليشي بعقالين وهي ترجع الحنين تواردا إلى ماء بدر و ما إن بها إلى الماء من حاجة لقد شربت بالأمس وجعل أهل العير يقولون إن هذا شيء ما صنعته الإبل منذ خرجنا قالوا وغشينا تلك الليلة ظلمة شديدة حتى ما نبصر شيئا . قال الواقدي و كان بسبس بن عمرو وعدى بن أبي الزغباء وردا على مجدى بدرا يتجسسان الخبر فلما نزلا- ماء بدر أناخا راحلتيهما إلى قريب من الماء ثم أخذ أسقيتهما يسقيان من الماء فسمعا جاريتين من جوارى جهينة يقال لإحداهما برزة وهي تلزم صاحبتهما في درهم كان لها عليها وصاحبتهما تقول إنما العير غدا أو بعد غد قد نزلت ومجدي بن عمر يسمعها فقال صدقت فلما سمع ذلك بسبس وعدى انطلقا راجعين إلى النبي ص حتى أتياه بعرق الظبية فأخبراه الخبر . قال الواقدي وحدثني كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده و كان أحد البكاءين قال قال رسول الله ص لقد سلك فج الروحاء موسى النبي ع في سبعين ألفا من بني إسرائيل وصلوا في المسجد الذي بعرق الظبية -روایت- ۱- ۲-روایت- ۱۳۰- ۲۳۳ . قال الواقدي وهي من الروحاء على ميلين مما يلي المدينة إذا خرجت على يسارك . قال الواقدي وأصبح أبوسفیان ببدر قد تقدم العيرو هوخائف من الرصد فقال يامجدي هل أحسست أحدا تعلم و الله ما بمكة قرشى و لا قرشية له نش [صفحہ ۱۰۵] فصاعدا والنش نصف أوقية وزن عشرين درهما إلا و قد بعث به معنا ولئن كتمتنا شأن عدونا لا يصالحك رجل من قريش ما بل بحر صوفة فقال مجدي و الله ما رأيت أحدا أنكره و لا بينك و بين يثرب من عدو و لو كان بينك وبينها عدو لم يخف علينا و ما كنت لأخفيه عنك إلا أني قد رأيت راكبين أتيا إلى هذا المكان وأشار إلى مناخ عدى وبسبس فأناخا به ثم استقيا بأسقيتهما ثم انصرفا فجاء أبوسفیان مناخهما فأخذ أبعارا من أبعار بعيريهما ففتها فإذا فيها نوى فقال هذه و الله علائف يثرب هذه و الله عيون محمد وأصحابه ما أرى القوم إلا قريبا فضرب وجهه غيره فساحل بها وترك بدرا يسارا وانطلق سريعا وأقبلت قريش من مكة ينزلون كل منهل يطعمون الطعام من أتاهم وينحرون الجزور فيناهم كذلك في مسيرهم إذ تخلف عتبه وشيبيه و هما يترددان قال أحدهما لصاحبه أ لم تر إلى رؤيا عاتكة بنت عبدالمطلب لقد خشيت منها قال الآخر فاذكرها وذكرها فأدر كهما أبو جهل فقال ماتت حدوثن به قالنا نذكر رؤيا عاتكة قال يا عجا من بني عبدالمطلب لم يرضوا أن تتبأ علينا رجالهم حتى تتبأ علينا النساء أما و الله لئن رجعنا إلى مكة لنفعلن بهم ولنفععلن قال عتبه إن لهم أرحاما وقرباء قريبة ثم قال أحدهما لصاحبه هل لك أن ترجع قال أبو جهل أترجعان بعد ما سرنا فتخذلان قومكما وتقطعان

بهم بعد أن رأيتم تأركم بأعينكم أظن أن محمدا وأصحابه يلاقونكما كلا والله إن معي من قومي مائة وثمانين كلهم من أهل بيتي يحلون إذا حللت ويرحلون إذا رحلت فارجعوا إن شئتما قالوا والله لقد هلكت وأهلك قومك . ثم قال عتبة لأخيه شيبة إن هذا رجل مشؤم يعني أبا جهل وإنه لا يمسه من قرابة محمد ما يمسننا مع أن محمدا معه الولد فارجع بنا ودع قوله . [صفحہ ۱۰۶] قلت مراده بقوله مع أن محمدا معه الولد أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة كان أسلم وشهد بدرا مع رسول الله ص قال الواقدي فقال شيبة والله تكون علينا سبة يا أبا الوليد أن نرجع الآن بعد ما سرنا فمضينا ثم انتهى إلى الجحفة عشاء فنام جهيم بن الصلت بن مخرمه بن عبدالمطلب بن عبدمناف فقال إني لأرى بين النائم واليقظان أنظر إلى رجل أقبل على فرس معه بعير له حتى وقف على فقال قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وزمعة بن الأسود وأميه بن خلف و أبوالبختري و أبوالحكم ونوفل بن خويلد في رجال سماهم من أشرف قريش وأسر سهيل بن عمرو وفر الحارث بن هشام عن أخيه قال وكان قائلا يقول والله إني لأظنهم الذين يخرجون إلى مصارعهم ثم قال أراه ضرب في لبة بعيره فأرسله في العسكر فقال أبو جهل و هذاني آخر من بني عبدمناف ستعلم غدا من المقتول نحن أو محمد وأصحابه وقالت قريش لجهيم إنما يلعب بك الشيطان في منامك فستري غدا خلاف ما رأيت يقتل أشرف محمد ويؤسرون قال فخلا عتبة بأخيه شيبة فقال له هل لك في الرجوع فهذه الرؤيا مثل رؤيا عاتكة ومثل قول عداس والله ما كذبنا عداس ولعمري لئن كان محمد كاذبا إن في العرب لمن يكفيناه ولئن كان صادقا إنا لأسعد العرب به للحمته فقال شيبة هو على ما تقول أفرجع من بين أهل العسكر فجاء أبو جهل وهما على ذلك فقال ماتريدان قال الرجوع ألا ترى إلى رؤيا عاتكة وإلى رؤيا جهيم بن الصلت مع قول عداس لنا فقال لاتخذلان والله قومكما وتقطعان بهم قالاهلكت والله وأهلكت قومك فمضيا على ذلك . قال الواقدي فلما أفلت أبو سفيان بالبعير ورأى أن قد أحرزها وأمن عليها أرسل إلى قريش قيس بن إمريئ القيس وكان مع أصحاب البعير خرج معهم من مكة فأرسله أبو سفيان يأمرهم بالرجوع ويقول قد نجت غيركم وأموالكم فلا تحرزوا أنفسكم [صفحہ ۱۰۷] أهل يثرب فلاحاجة لكم فيما وراء ذلك إنما خرجتم لتمنعوا غيركم وأموالكم وقد نجاها الله فإن أبوا عليك فلا يابون خصلة واحدة يردون القيان فعالج قيس بن إمريئ القيس قريشا فأبت الرجوع قالوا أما القيان فسنردهن فردوهن من الجحفة . قلت لأعلم مراد أبي سفيان برد القيان وهو الذي أخرجهم مع الجيش يوم أحد يحرضن قريشا على إدراك الثأر ويغنين ويضربن الدفوف فكيف نهى عن ذلك في بدر وفعله في أحد وأقول من تأمل الحال علم أن قريشا لم يمكن أن تنتصر يوم بدر لأن الذي خالطها من التخاذل والتواكل و كراهية الحرب وحب الرجوع وخوف اللقاء وخفوق الهمم وفتور العزائم ورجوع بني زهرة وغيرهم من الطريق واختلاف آرائهم في القتال يكفي بعضه في هلاكهم وعدم فلاحهم لو كانوا قد لفقوا قوما جناء فكيف وإنما لقوا الأوس والخزرج وهم أشجع العرب وفيهم على بن أبي طالب ع وحمزة بن عبدالمطلب وهما أشجع البشر وجماعة من المهاجرين أنجاد أبطال ورئيسهم محمد بن عبد الله رسول الله الداعي إلى الحق والعدل والتوحيد المؤيد بالقوة الإلهية دع ما أضيف إلى ذلك من ملائكة السماء كما نطق به الكتاب . قال الواقدي ولحق الرسول أبو سفيان بالهدية والهدية على سبعة أميال من عقبة عسفان على تسعة وثلاثين ميلا من مكة فأخبره بمضى قريش فقال وا قوماه هذا عمل عمرو بن هشام يكره أن يرجع لأنه قد ترأس على الناس وبغى والبغى منقصة وشؤم والله لئن أصاب أصحاب محمد النفي لذلنا إلى أن يدخل مكة علينا . قال الواقدي وقال أبو جهل والله لا نرجع حتى نرد بدرا وكانت بدر موسما [صفحہ ۱۰۸] من مواسم العرب في الجاهلية يجتمعون بها وفيها سوق تسمع بنا العرب وبمسيرنا فنقيم على بدر ثلاثا ننحر الجزر ونطعم الطعام ونشرب الخمر وتعزف علينا القيان فلن تزال العرب تهابنا أبدا . قال الواقدي وكان الفرات بن حيان العجلي أرسلته قريش حين فصلت من مكة إلى أبي سفيان بن حرب يخبره بمسيرها وفصولها وما قد حشدت فحالف أبو سفيان في الطريق وذلك أن أبو سفيان لصق بالبحر ولزم الفرات بن حيان المحجة فوافى المشركين بالجحفة فسمع كلام أبي جهل وهو يقول لا نرجع فقال ما بأنفسهم عن نفسك و رغبة و

إن ألدَى يرجع بعد أن رأى ثأره من كتب لضعيف فمضى مع قريش فترك أباسفيان وجرح يوم بدر جراحات كثيرة وهرب على قدميه وهو يقول ما رأيت كالأيوم أمرا أنكذ إن ابن الحنظلية لغير مبارك الأمر. قال الواقدي وقال الأحنس بن شريق واسمه أبي وكان حليفا لبني زهرة يابني زهرة قدنجي الله غيركم وخلص أموالكم ونجى صاحبكم مخرمه بن نوفل وإنما خرجتم لتمنعه وماله وإنما محمد رجل منكم ابن أختكم فإن يك نبيا فأنتم أسعد به وإن يك كاذبا يلى قتله غيركم خير من أن تلوا قتل ابن أختكم فارجعوا واجعلوا خبثها لى فلاحاجه لكم أن تخرجوا فى غير ما يهكممكم ودعوا ما يقوله هذا الرجل يعنى أباجهل فإنه مهلك قومه سريع فى فسادهم فأطاعته بنو زهرة و كان فيهم مطاعا وكانوا يتيمنون به فقالوا فكيف نضع بالرجوع حتى نرجع فقال الأحنس نسير مع القوم فإذا أمسيت سقطت عن بعيرى فيقولون نحل الأحنس فإذا أصبحوا فقالوا سيروا فقولوا لانفارق صاحبنا حتى نعلم أحي هو أم ميت [صفحة ١٠٩] فندفنه فإذا مضوا رجعنا إلى مكة ففعلت بنو زهرة ذلك فلما أصبحوا بالأبواء راجعين تبين للناس أن بنى زهرة رجعوا فلم يشهدوا زهرى البتة وكانوا مائة وقيل أقل من مائة وهو أثبت وقال قوم كانوا ثلاثمائة ولم يثبت ذلك . قال الواقدي وقال عدى بن أبى الزغباء منحدره من بدر إلى المدينة وانتشرت الركاب عليه فجعل عدى يقول أقم لها صدورها يابسبس || إن مطايا القوم لاتحبس وحملها على الطريق أكيس || قدنصر الله وفر الأحنس . قال الواقدي وذكر أبو بكر بن عمر بن عبدالرحمن بن عبد الله بن عمر بن الخطاب إن بنى عدى خرجوا من النفيى حتى كانوا بثنية لفت فلما كان فى السحر عدلوا فى الساحل منصرفين إلى مكة فصادفهم أبوسفيان فقال كيف رجعتم يابنى عدى ولا فى العير ولا فى النفيى قالوا أنت أرسلت إلى قريش أن ترجع فرجع من رجى ومضى من مضى فلم يشهدوا أحد من بنى عدى ويقال إنه لاقاهم بمر الظهران فقال تلك المقالة لهم . قال الواقدي وأما رسول الله ص فكان صبيحة أربع عشرة من شهر رمضان بعرق الظبية فجاء أعرابى قد أقبل من تهامة فقال له أصحاب النبي ص هل لك علم بأبى سفيان بن حرب قال ما لى بأبى سفيان علم قالوا تعال فسلم على رسول الله ص قال أ وفيكم رسول الله قالوا نعم قال فأيكم رسول الله قالوا هذا فقال أنت رسول الله قال نعم قال فما فى [صفحة ١١٠] بطن ناقتى هذه إن كنت صادقا فقال سلمة بن سلامة بن وقش نكحتها وهى حبلى منك فكره رسول الله ص مقالته وأعرض عنه . قال الواقدي وسار رسول الله ص حتى أتى الروحاء ليلة الأربعاء للنصف من شهر رمضان فقال لأصحابه هذا سجاجسج يعنى وادى الروحاء هذا أفضل أودية العرب . قال الواقدي وصلى رسول الله ص بالروحاء فلما رفع رأسه من الركعة الأخيرة من وتره لعن الكفرة ودعا عليهم فقال اللهم لاتفتلن أباجهل بن هشام فرعون هذه الأمة اللهم لاتفتلن زمعة بن الأسود اللهم أسخن عين أبى زمعة اللهم أعم بصر أبى ديلة اللهم لاتفتلن سهيل بن عمرو ثم دعا لقوم من قريش فقال اللهم أنج سلمة بن هشام وعياش بن أبى ربيعة والمستضعفين من المؤمنين -رواية ١-٢-رواية ١٦-٣٨٢ و لم يدع للوليد بن المغيرة يومئذ وأسر بيدر ولكنه لما رجى إلى مكة بعد بدر أسلم وأراد أن يخرج إلى المدينة فحبس فدعا له النبي ص بعد ذلك قال الواقدي وكان خبيب بن يساف رجلا شجاعا وكان يابى الإسلام فلما خرج النبي ص إلى بدر خرج هو وقيس بن محرث ويقال ابن الحارث وهما على دين قومهما فأدركا رسول الله ص بالعقيق وخبيب مقنع فى الحديد فعرفه رسول الله ص من تحت المغفر فالتفت إلى سعد بن معاذ وهو يسير إلى جنبه فقال أليس بخبيب بن يساف قال بلى فأقبل خبيب حتى أخذ [صفحة ١١١] ببطان ناقة رسول الله ص فقال له ولقيس بن محرث ما أخرجكما قال كنت ابن أختنا وجارنا وخرجنا مع قومنا للغنيمة فقال ص لا يخرجنا معنا رجل ليس على ديننا فقال خبيب لقد علم قومى أنى عظيم الغناء فى الحرب شديد النكاية فأقاتل معك للغنيمة ولا أسلم فقال رسول الله ص لا ولكن أسلم ثم قاتل فلما كان بالروحاء جاء فقال يا رسول الله أسلمت لرب العالمين وشهدت أنك رسول الله فسر بذلك وقال امضه فكان عظيم الغناء فى بدر وفى غير بدر وأما قيس بن الحارث فأبى أن يسلم فرجع إلى المدينة فلما قدم النبي ص من بدر أسلم وشهد أحدا فقتل . قال الواقدي ولما خرج رسول الله ص صام يوما أو يومين ثم نادى مناديه

يامعشر العصاة إني مفطر فأفطروا و ذلك أنه قد كان قال لهم قبل ذلك أفطروا فلم يفعلوا. قلت هذا هوسر النبوة وخاصيتها إذا تأمل المتأملون ذلك و هو أن يبلغ بهم حبه وطاعته وقبول قوله على أن يكلفهم ما يشق عليهم فيمتثلوه امتثالا صادرا عن حب شديد وحرص عظيم على الطاعة حتى إنه لينسخه عنهم ويسقط وجوبه عليهم فيكرهون ذلك ولا يسقطونه عن أنفسهم إلا بعد الإنكار التام وهذا أحسن من المعجزات الخارقة للعادات بل هذا بعينه معجزة خارقة للعادة أقوى وأكد من شق البحر وقلب العصا حية. قال الواقدي ومضى رسول الله ص حتى إذا كان دوين بدر أتاه الخبر بمسير قريش فأخبر رسول الله ص بمسيرهم واستشار الناس [صفحة ١١٢] فقام أبو بكر فقال فأحسن ثم قام عمر فقال فأحسن ثم قال يا رسول الله إنها قريش وعزها والله ما دلت منذ عزت ولا آمنت منذ كفرت والله لا تسلم عزها أبدا ولتقاتلنك فاتهب لذلك أهبتها وأعد عدته ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله لأمر الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لنبيها فاذهب أنت و ربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون و الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا. قال الواقدي برك الغماد من وراء مكة بخمس ليال من وراء الساحل مما يلي البحر وهو على ثمان ليال من مكة إلى اليمن . فقال له رسول الله ص خيرا ودعا له بخير ثم قال ص أشيروا على أيها الناس وإنما يريد الأنصار و كان يظن أن الأنصار لا تنصره إلا في الدار و ذلك أنهم شرطوا أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأولادهم فقال رسول الله ص أشيروا على فقام سعد بن معاذ فقال أنا أجيب عن الأنصار كأنك يا رسول الله تريدنا قال أجل قال إنك عسى أن تكون خرجت عن أمر قد أوحى إليك وإنا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به حق وأعطيناك موثيقنا وعهودنا على السمع والطاعة فامض يا نبي الله لما أردت فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما بقي منا رجل وصل من شئت وخذ من أموالنا ما أردت فما أخذته من أموالنا أحب إلينا مما تركت و الذي نفسى بيده ماسلكت هذه الطريق قط و ما لي بها من علم وإنا لانكره أن نلقى عدونا غدا إنا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء لعل الله يريك منا بعض ماتقر به عينك . -قرآن- ٣١٥-٣٦٩ [صفحة ١١٣] قال الواقدي وحدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد قال قال سعد بن معاذ يومئذ يا رسول الله إنا قد خلفنا من قومنا قوما مانحن بأشد حبا لك منهم ولا أطوع لهم رغبة ونية في الجهاد و لو ظنوا أنك يا رسول الله ملاق عدوا ماتخلفوا عنك ولكن إنما ظنوا أنها العير نبي لك عريشا فتكون فيه ونعد عندك رواحلك ثم نلقى عدونا فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا و إن تكن الأخرى جلست على رواحلك فلحقت من وراءنا فقال له النبي ص خيرا ثم قال أ ويقضى الله خيرا ياسعد. قال الواقدي فلما فرغ سعد من المشورة قال رسول الله ص سيروا على بركة الله فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم . قال الواقدي وقالوا لقد أرانا رسول الله ص مصارعهم يومئذ هذا مصرع فلان و هذا مصرع فلان فما عدا كل رجل منهم مصرعه قال فعلم القوم أنهم يلاقون القتال و أن العير تفلت ورجا القوم النصر لقول النبي ص . قال الواقدي فمن يومئذ عقد رسول الله ص الأولوية وكانت ثلاثة وأظهر السلاح و كان خرج من المدينة على غير لواء معقود وسار فلقى سفيان الضمري و مع رسول الله ص قتادة بن النعمان ومعاذ بن جبل فقال رسول الله ص من الرجل فقال الضمري بل و من أنتم فقال رسول الله ص تخبرنا ونخبرك فقال الضمري وذاك بذاك قال نعم قال الضمري فاسألوا عما شئتم فقال له ص أخبرنا عن قريش قال الضمري بلغني أنهم خرجوا يوم كذا من مكة فإن كان الخبر صادقا فإنهم بجنب هذا الوادي ثم قال [صفحة ١١٤] الضمري فمن أنتم فقال النبي ص نحن من ماء وأشار بيده نحو العراق فجعل الضمري يقول من ماء من أي ماء من العراق أم من غيره ثم انصرف رسول الله ص إلى أصحابه . قال الواقدي فبات الفريقان كل منهم لا يعلم بمنزل صاحبه إنما بينهم قوز من رمل . قال الواقدي ومر رسول الله ص بجبلين فسأل عنهما فقالوا هذا مسلح ومخري فقال من ساكنهما فقيل بنو النار وبنو حراق فانصرف عنهما وجعلهما يسارا ولقيه بسبس بن عمرو وعدى بن أبي الزغباء فأخبراه خبر قريش ونزل رسول الله ص وادي بدر عشاء ليلة

الجمعة لسبع عشرة مضت من رمضان فبعث عليا ع والزبير وسعد بن أبي وقاص وبسبب بن عمرو يتحسسون على الماء وأشار لهم إلى ظريب وقال أرجو أن تجدوا الخير عند القليب الذي يلي هذا الظريب فاندفعوا تلقاه فوجدوا على تلك القليب رواية قريش فيها سقاؤهم فأسروهم وأفلت بعضهم فكان ممن عرف أنه أفلت عجير فكان أول من جاء قريشا بخبر النبي ص وأصحابه فنادى يا آل غالب هذا ابن أبي كبشة وأصحابه وقد أخذوا سقاءكم فماج العسكر وكرهوا ما جاء به . [صفحہ ۱۱۵] قال الواقدي فكان حكيم بن حزام يحدث قال كنا يومئذ في خباء لنا على جزور نشوى من لحمها فما هو إلا أن سمعنا الخبر فامتنع الطعام منا ولقى بعضنا بعضا ولقيني عتبة بن ربيعة فقال يا أبا خالد ما أعلم أحدا يسير أعجب من مسيرنا إن عيرنا قد نجت وإنا جئنا إلى قوم في بلادهم بغيا عليهم فقلت أراه لأمر حم ولا رأى لمن لا يطاع هذا شؤم ابن الحنظلية فقال عتبة أبا خالد أتخاف أن تبيتنا القوم قلت لأنت آمن من ذلك قال فما رأى يا أبا خالد قلت نتحارس حتى نصبح وترون رأيكم قال عتبة هذا الرأي قال فتحارسنا حتى أصبحنا فقال أبو جهل هذا عن أمر عتبة كره قتال محمد وأصحابه إن هذا هو العجب أنظنون أن محمدا وأصحابه يعترضون لجمعكم والله لأنت حين نأحيه بقومي فلا يحرسنا أحد ففتحى ناحية وإن السماء لتمطر عليه قال يقول عتبة إن هذا هو النكد قال الواقدي أخذ من السقاء من على القليب يسار غلام سعيد بن العاص وأسلم غلام منبه بن الحجاج وأبورافع غلام أمية بن خلف فأتى بهم النبي ص و هو قائم يصلى فسألهم المسلمون فقالوا نحن سقاء قريش بعثونا نسقيهم من الماء فكره القوم خبرهم ورجوا أن يكونوا لأبي سفيان وأصحاب العير فضربوهم فلما أذلقوهم بالضرب قالوا نحن لأبي سفيان ونحن في العير وهذا العير بهذا القوز فكانوا إذا قالوا ذلك يمسكون عن ضربهم فسلم رسول الله ص من صلواته ثم قال إن صدقوكم ضربتموهم وإن كذبوكم تركتموهم فقال أصحابه ع إنهم يا رسول الله يقولون إن قريشا قد جاءت فقال لقد صدقوكم خرجت قريش تمنع عيرها وخافوكم عليها ثم أقبل ص على السقاء فقال أين [صفحہ ۱۱۶] قريش فقالوا خلف هذا الكتيب الذي ترى قال كم هم قالوا كثير قال كم عددهم قالوا لا ندري قال كم ينحرون قالوا يوما عشرة ويوما تسعة فقال القوم ما بين الألف والتسعمائة ثم قال للسقاء كم خرج من أهل مكة قالوا لم يبق أحد به طعم إلا خرج فأقبل رسول الله ص على الناس فقال هذه مكة قد ألفت إليكم أفلاذ كبدها ثم سألهم رسول الله ص هل رجع منهم أحد قالوا نعم رجع ابن أبي شريق بنى زهرة فقال ص راشدكم وما كان برشيد وإن كان ما علمت لمعاديا لله ولكتابه ثم قال فأحد غيرهم قالوا نعم بنو عدى بن كعب فتركهم رسول الله ص ثم قال لأصحابه أشيروا على في المنزل فقال الحباب بن المنذر يا رسول الله أرأيت منزلك هذا أ هو منزل أنزلك الله فليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة قال بل هو الرأي والحرب والمكيدة قال فإن هذا ليس بمنزل انطلق بنا إلى أدنى مياه القوم فإنى عالم بها وبقلبها فإن بها قليبا قد عرفت عدوبة مائها وماؤها كثير لا يتزح بنى عليها حوضا ونقذف فيها بالآنية فنشرب ونقاتل ونعور ماسواها من القلب . قال الواقدي فكان ابن عباس يقول نزل جبريل على النبي ص فقال رأى ما أشار به الحباب فقال يا حباب أشرت بالرأى ونهضت وفعل كل ذلك . قال الواقدي وبعث الله السماء و كان الوادى دهسا أى كثير الرمل فأصاب المسلمين ما لبد الأرض و لم يمنعهم من المسير وأصاب قريشا ما لم يقدروا معه أن يرتحلوا منه وإنما بين الطائفتين قوز من رمل . قال الواقدي وأصاب المسلمين تلك الليلة النعاس ألقى عليهم فناموا و لم يصبهم من المطر ما يؤذيهم . [صفحہ ۱۱۷] قال الزبير بن العوام لقد سلط الله عليهم النعاس تلك الليلة حتى إنى كنت لأتشدد والنعاس يجلد بى الأرض فما أطيع إلا ذلك فكان رسول الله ص وأصحابه على مثل ذلك الحال وقال سعد بن أبي وقاص لقد رأيتنى و إن ذقنى بين ثديي فما أشعر حتى أقع على جنبى . وقال رفاعه بن رافع بن مالك لقد غلبنى النوم فاحتلمت حتى اغتسلت آخر الليل . قال الواقدي فلما تحول رسول الله ص إلى المنزل بعد أن أخذ السقاء أرسل عمار بن ياسر و عبد الله بن مسعود فأطافا بالقوم ثم رجعا إليه فقالا له يا رسول الله القوم مذعورون فزعون إن الفرس ليريد أن يصهل فيضرب وجهه مع أن السماء تسح عليهم . قال الواقدي فلما أصبحوا قال منبه بن الحجاج و

كان رجلا يبصر الأثر هذا والله أثر ابن سمية و ابن أم عبدأعرفهما لقد جاءنا محمد بسفهاثنا وسفهاء أهل يثرب ثم قال لم يترك الجوع لنا ميتا || لا بد أن نموت أونميتا . يامعشر قريش انظروا غدا إن لقينا محمد وأصحابه فاتقوا على شبانكم وفتيانكم [صفحہ ۱۱۸] بأهل يثرب فإننا إن نرجع بهم إلى مكة يبصروا من ضلالتهم ما فارقوا من دين آبائهم . قال الواقدي و لمانزل رسول الله ص على القلب بنى له عريش من جريد فقام سعد بن معاذ على باب العريش متوشحا سيفه فدخل النبي ص و أبو بكر . قلت لأعجب من أمر العريش من أين كان لهم أو معهم من سعف النخل ما بينون به عريشا و ليس تلك الأرض أعنى أرض بدر أرض نخل و الذى كان معهم من سعف النخل يجرى مجرى السلاح كان يسيرا جدا قيل إنه كان بأيدي سبعة منهم سعاف عوض السيوف والباقون كانوا بالسيوف والقسى و هذا قول شاذ والصحيح أنه ما خلا أحد منهم عن سلاح اللهم إلا أن يكون معهم سعافات يسيرة وظلل عليها بثوب أوتر و إلا فلا أرى لبناء عريش من جريد النخل هناك وجها . قال الواقدي وصف رسول الله ص أصحابه قبل أن تنزل قريش فطلعت قريش و رسول الله ص يصف أصحابه و قد أترعوا حوضا يفرطون فيه من السحر وقذفت فيه الآنية و دفع رسول الله ص رايته إلى مصعب بن عمير فتقدم بها إلى الموضع الذى أمره أن يضعها و وقف رسول الله ص ينظر إلى الصفوف فاستقبل المغارب وجعل الشمس خلفه وأقبل المشركون فاستقبلوا الشمس ونزل بالعدوة الدنيا من الوادى ونزلوا بالعدوة اليمانية وهى القصوى وجاءه رجل من أصحابه فقال يا رسول الله إن كان هذا عن وحي فامض له و إلا فإني [صفحہ ۱۱۹] أرى أن تلوا الوادى فإني أرى ريحا قد هاجت من أعلاها وأراها بعثت بنصرك فقال رسول الله ص قد صفت صفوفى و وضعت رايتى فلا أغير ذلك ثم دعا رسول الله ص فأمدته الله بالملائكة . قال الواقدي و روى عروة بن الزبير قال عدل رسول الله ص الصفوف يومئذ فتقدم سواد بن غزيرة أمام الصف فدفع النبي ص بقدر فى بطنه و قال استو ياسواد فقال أوجعتنى و الذى بعثك بالحق أقدنى فكشف ص عن بطنه و قال استقد فاعتنقه وقبله فقال ما حملك على ما صنعت قال حضر يا رسول الله من أمر الله ما قدرتى وخشيت القتل فأردت أن يكون آخر عهدى بك و أن أعتنقك . قال الواقدي فحدثنى موسى بن يعقوب عن أبى الحويرث عن محمد بن جبير بن مطعم عن رجل من بنى أود قال سمعت عليا ع يخطب على منبر الكوفة و يقول بينا أنا أميح فى قلب بدر جاءت ريح لم أر مثلها قط شدة ثم ذهبت فجاءت أخرى لم أر مثلها إلا التى كانت قبلها ثم جاءت ريح أخرى لم أر مثلها إلا الأولى فكانت الأولى جبريل فى ألف مع رسول الله ص والثانية ميكائيل فى ألف عن يمينته والثالثة إسرافيل فى ألف عن يسرته فلما هزم الله أعداءه حملنى رسول الله ص على فرس فجرت بى فلما جرت بى خررت على عنقها فدعوت ربى فأمسكنى حتى استويت و ما لى وللخيل وإنما كنت صاحب الحشم فلما استويت طعنت فيهم بيدي هذه حتى اختضبت منى ذى يعنى إبطه -رواية- ۱- ۲-رواية- ۱۵۱- ۶۶۸ [صفحہ ۱۲۰] قلت أكثر الرواة يروونه فحملنى رسول الله ص على فرسه والصحيح ما ذكرناه لأنه لم يكن لرسول الله ص فرس يوم بدر وإنما حضرها راكب بعير ولكنه لما اصطدم الصفان وقتل قوم من فرسان المشركين حمل رسول الله ص عليا ع على بعض الخيل المأخوذة منهم . قال الواقدي قالوا كان على يمينه رسول الله ص أبو بكر و كان على يسرته على بن أبى طالب ع و كان على يمينه قريش هبيرة بن أبى وهب المخزومى و على يسرته عمرو بن عبدود قيل كان زمعة بن الأسود على يسرته وقيل بل كان على خيل المشركين وقيل الذى على الخيل الحارث بن هشام و قال قوم لم يكن هبيرة على اليمين بل كان عليها الحارث بن عامر بن نوفل . قال الواقدي وحدثنى محمد بن صالح عن يزيد بن رومان و ابن أبى حبيبة قال- ما كان على يمينه النبي ص يوم بدر و لا على يسرته أحد يسمى وكذلك يمينه المشركين و يسرته ماسمعا فيها بأحد قال الواقدي و هذا هو الثابت عندنا قال و كان لواء رسول الله ص يومئذ الأعظم لواء المهاجرين مع مصعب بن عمير ولواء الخزرج مع الحباب بن المنذر ولواء الأوس مع سعد بن معاذ و كان مع قريش ثلاثة ألوية لواء مع أبى عزيز ولواء مع المنذر بن الحارث ولواء مع طلحة بن أبى طلحة . قال الواقدي وخطب رسول الله ص المسلمين يومئذ فحمد الله

وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإنى أحثكم على ما حثكم الله عليه وأنهاكم عما نهاكم الله عنه فإن الله عظيم شأنه يأمر بالحق ويحب الصدق ويعطى على الخير أهله على منازلهم عنده -رواية- ١-٢-رواية- ١٦-إدماه دارد [صفحة ١٢١] به يذكرون و به يتفاضلون وإنكم أصبحتم بمنزل من منازل الحق لا يقبل الله فيه من أحد إلا ما ابتغى به وجهه و إن الصبر فى البأس مما يفرج الله به الهم وينجى به من الغم تدركون به النجاة فى الآخرة فيكم نبي الله يحذركم ويأمركم فاستحيوا اليوم أن يطلع الله على شىء من أمركم يمقتكم عليه فإنه تعالى يقول لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَمَا نَظَرُوا إِلَى الَّذِي أَمَرَكُمْ بِهِ مِنْ كِتَابِهِ وَأَرَاكُمْ مِنْ آيَاتِهِ وَمَا عَزَمَكُمْ بِهِ بَعْدَ الذَّلَّةِ فَاسْتَمْسِكُوا بِهِ يَرْضَى رِبْكُمْ عَنْكُمْ وَابْلُغُوا رِبْكُمْ فِي هَذِهِ الْمَوَاطِنِ أَمْرًا تَسْتَوْجِبُونَ بِهِ الَّذِي وَعَدَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَمَغْفِرَتِهِ فَإِنْ وَعَدَهُ حَقٌّ وَقَوْلُهُ صَدَقَ وَعِقَابُهُ شَدِيدٌ وَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ بِاللَّهِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ إِلَيْهِ أَلْجَأْنَا ظَهْرَنَا وَبِهِ اعْتَصَمْنَا وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ وَيَغْفِرُ اللَّهُ لِي وَلِلْمُسْلِمِينَ -رواية- از قبل- ٧٢٣. قال الواقدي و لما رأى رسول الله ص قريشا تصوب من الوادى و كان أول من طلع زمعة بن الأسود على فرس له يتبعه ابنه فاستجال بفرسه يريد أن يبنوا للقوم منزلا فقال رسول الله ص اللهم إنك أنزلت على الكتاب وأمرتني بالقتال ووعدتني إحدى الطائفتين و أنت لا تخلف الميعاد اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تخاذل وتكذب رسولك اللهم نصرك الذى وعدتني اللهم أحهم الغداة -رواية- ١-٢-رواية- ٢٤-٢٣٠ وطلع عتبة بن ربيعة على جمل أحمر فقال رسول الله ص إن يك فى أحد من القوم خير ففى صاحب الجمل الأحمر إن يطيعوه يرشدوا. قال الواقدي و كان إيماء بن رخصة قد بعث إلى قريش ابنا له بعشر جزائر حين مروا به أهداها لهم و قال إن أحببتم أن يمدكم بسلاح ورجال فإننا معدون لذلك مؤدون فعلنا فأرسلوا أن وصلتكم رحم قد قضيت الذى عليكم ولعمري لئن [صفحة ١٢٢] كنا إنما نقاتل الناس ما بنا ضعف عنهم ولئن كنا نقاتل الله بزعم محمد فما لأحد بالله طاقة. قال الواقدي فروى خفاف بن إيماء بن رخصة قال كان أبى ليس شىء أحب إليه من إصلاح بين الناس موكلا بذلك فلما مرت به قريش أرسلنى بجزائر عشر هدية لها فأقبلت أسوقها وتبعنى أبى فدفعتها إلى قريش فقبلوها ووزعوها فى القبائل فمر أبى على عتبة بن ربيعة و هو سيد الناس يومئذ فقال يا أبا الوليد ما هذا المسير قال لا أدرى و الله غلبت قال فأنت سيد العشيرة فما يمنعك أن ترجع بالناس وتحمل دم حليفك وتحمل العير التى أصابوا بنخله فتوزعها على قومك فو الله ما يطلبون قبل محمد إلا هذا و الله يا أبا الوليد ماتقتلون بمحمد وأصحابه إلا أنفسكم. قال الواقدي وحدثنى ابن أبى الزناد عن أبيه قال ماسمعا بأحد سار بغير مال إلا عتبة بن ربيعة. قال الواقدي وروى محمد بن جبير بن مطعم قال لمانزل القوم أرسل رسول الله ص عمر بن الخطاب إلى قريش فقال ارجعوا فلأن يلى هذا الأمر منى غيركم أحب إلى من أن تلوه منى و أن أليه من غيركم أحب إلى من أن أليه منكم فقال حكيم بن حزام قد عرض نصفا فلبوه و الله لا تنصرون عليه بعد أن عرض عليكم من النصف ما عرض و قال أبو جهل لا نرجع بعد أن أمكننا الله منهم و لا نطلب أثرا بعد عين و لا يعرض لعيرنا بعد هذا أبدا. قال الواقدي و أقبل نفر من قريش حتى وردوا الحوض منهم حكيم بن حزام فأراد المسلمون تنحيتهم عنه فقال النبى ص دعوهم فوردوا الماء [صفحة ١٢٣] فشربو فلم يشرب منهم أحد إلا قتل إلا ما كان من حكيم بن حزام. قال الواقدي فكان سعيد بن المسيب يقول نجا حكيم من الدهر مرتين لما أراد الله تعالى به من الخير خرج رسول الله ص على نفر من المشركين وهم جلوس يريدونه فقرا يس ونشر على رءوسهم التراب فما أفلت منهم أحد إلا قتل ماعدا حكيم بن حزام وورد الحوض يوم بدر مع من ورده مع المشركين فما ورده إلا من قتل إلا حكيم بن حزام. قال الواقدي فلما اطمأن القوم بعثوا عمير بن وهب الجمحى و كان صاحب قداح فقالوا احزر لنا محمدا وأصحابه فاستجال بفرسه حول العسكر وصوب فى الوادى وصعد يقول عسى أن يكون لهم مدد أو كمين ثم رجع فقال لا مدد و لا كمين والقوم ثلاثمائة إن زادوا قليلا- ومعهم سبعون بعيرا ومعهم فرسان ثم قال يامعشر قريش البلىا تحمل المنايا نواضح يثرب تحمل الموت الناقع قوم ليس لهم منعة و لا ملجأ إلا سيوفهم ألا- ترونهم خرسا لا يتكلمون يتلمظون تلمظ الأفاعى و الله ما أرى أن يقتل منهم رجل حتى

يقتل رجلا فإذا أصابوا منكم عددهم فما خير في العيش بعد ذلك فروا رأيكم . قال الواقدي وحدثني يونس بن محمد الظفري عن أبيه أنه قال لما قال لهم عمير بن وهب هذه المقالة أرسلوا بأسماءة الجشمى و كان فارسا فأطاف بالنبي ص وأصحابه ثم رجع إليهم فقالوا له ما رأيت قال و الله ما رأيت جلدا و لا عددا و لا حلقة و لا كراعا و لكنى و الله رأيت قوما لا يريدون أن يردوا إلى أهليهم رأيت قوما مستميتين ليست معهم منعة و لا ملجأ إلا سيوفهم زرق العيون [صفحہ ۱۲۴] كأنهم الحصا تحت الحجف ثم قال أخشى أن يكون لهم كمين أو مدد فصبوب في الوادي ثم صعد ثم رجع إليهم فقال لا- كمين و لا مدد فروا رأيكم . قال الواقدي و لما سمع حكيم بن حزام ما قال عمير بن وهب مشى في الناس فأتى عتبة بن ربيعة فقال يا أبا الوليد أنت كبير قريش وسيدها و المطاع فيهما فهل لك ألا تزال تذكر فيها بخير آخر الدهر مع ما فعلت يوم عكاظ و عتبة يومئذ رئيس الناس فقال و ماذا ك يا أبا خالد قال ترجع بالناس و تحمل دم حليفك و ما أصابه محمد من تلك العير بيطن نخلة إنكم لا تطلبون من محمد شيئا غير هذا الدم و العير فقال عتبة قد فعلت و أنت على بذلك ثم جلس عتبة على جملة فسار في المشركين من قريش يقول يا قوم أطيعوني و لا تقاتلوا هذا الرجل و أصحابه و اعصبوا هذا الأمر برأسى و اجعلوا جنبها في فإن منهم رجلا قرابتهم قريبة و لا يزال الرجل منكم ينظر إلى قاتل أبيه و أخيه فيورث ذلك بينكم شحنا و أضغانا و لن تخلصوا إلى قتلهم حتى يصيبوا منكم عددهم مع أنه لا- آمن أن تكون الدائرة عليكم و أنتم لا- تطلبون لإدم القتل منكم و العير التي أصيبت و أنا أحتمل ذلك و هو على يا قوم يك محمد كاذبا يكفيكموه ذؤبان العرب و إن يك ملكا كنتم في ملك ابن أخيكم و إن يك نبيا كنتم أسعد الناس به يا قوم لا تردوا نصيحتي و لا تسفهوا رأيي فحسده أبو جهل حين سمع خطبته و قال إن يرجع الناس عن خطبة عتبة يكن سيد الجماعة و كان عتبة أنطق الناس و أطولهم لسانا و أجملهم جمالا- ثم قال عتبة لهم أنشدكم الله في هذه الوجوه التي كأنها المصابيح أن تجعلوها أندادا لهذه الوجوه التي كأنها وجوه الحيات فلما فرغ عتبة من كلامه قال أبو جهل إن عتبة يشير عليكم بهذا [صفحہ ۱۲۵] لأن- محمدا ابن عمه و هو يكره أن يقتل ابنه و ابن عمه امتلا- و الله سحرك يا عتبة و جنبت حين التقت حلقتا البطان الآن تخذل بيننا و تأمرنا بالرجوع لا و الله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا و بين محمد فغضب عتبة فقال يا مصفرا استه ستعلم أينا أجبن و الأ-م و ستعلم قريش من الجبان المفسد لقومه و أنشد هذاى و أمرت أمرى || فبشرى بالثكل أم عمرو قال الواقدي و ذهب أبو جهل إلى عامر بن الحضرمي أخى عمرو بن الحضرمي المقتول بنخلة فقال له هذا حليفك يعنى عتبة يريد أن يرجع بالناس و قدرأيت تأرك بعينك و تخذل بين الناس أقدت تحمل دم أخيك و زعم أنك قابل الدية أ لا تستحى تقبل الدية و قد قدرت على قاتل أخيك قم فأنشد خفرتك فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف ثم حثا على استه التراب و صرخ و اعمره يخزى بذلك عتبة لأنه حليفه من بين قريش فأفسد على الناس الرأى الذى دعاهم إليه عتبة و حلف عامر لا يرجع حتى يقتل من أصحاب محمد و قال أبو جهل لعمير بن وهب حرش بين الناس فحمل عمير فناوش المسلمين لأن ينفذ الصف فثبت المسلمون على صفهم و لم يزولوا و تقدم ابن الحضرمي فشد على القوم فنشبت الحرب . قال الواقدي فروى نافع بن جبير عن حكيم بن حزام قال لما أفسد الرأى أبو جهل على الناس و حرش بينهم عامر بن الحضرمي فأقحم فرسه كان أول من خرج إليه من المسلمين مهجع مولى عمر بن الخطاب فقتله عامر و كان أول قتيل قتل من الأنصار حارثة بن سراقه قتله حيان بن العرقه . قال الواقدي و قال عمر بن الخطاب فى مجلس و لا يته يا عمير بن وهب أنت [صفحہ ۱۲۶] حاذرنا للمشركين يوم بدر تصعد فى الوادي و تصوب كأنى أنظر إلى فرسك تحتك تخبر المشركين أنه لا كمين لنا و لا مدد قال إى و الله يا أمير المؤمنين و أخرى أنا و الله الذى حرشت بين الناس يومئذ و لكن الله جاءنا بالإسلام و هداانا له و ما كان فينا من الشرك أعظم من ذلك قال عمر صدقت . قال الواقدي و كان عتبة بن ربيعة كلم حكيم بن حزام و قال ليس عند أحد خلاف إلا- عند ابن الحنظلية فاذهب إليه فقل له إن عتبة يحمل دم حليفه و يضمن العير قال حكيم فدخلت على أبى جهل و هو يتخلق بخلوق طيب و درعه موضوعة بين يديه فقلت إن عتبة بن ربيعة بعثنى

إليك فأقبل على مغضبا فقال ما وجد عتبه أحدا يرسله غيرك فقلت و الله لو كان غيره أرسلني مامشيت في ذلك ولكني مشيت في إصلاح بين الناس و كان أبو الوليد سيد العشيرة فغضب غضبه أخرى قال وتقول أيضا سيد العشيرة فقلت أنا أقوله و قريش كلها تقوله فأمر عامرا أن يصيح بخفرته واكتشف و قال إن عتبه جاع فاسقوه سويقا وجعل المشركين يقولون عتبه جاع فاسقوه سويقا وجعل أبو جهل يسر بما صنع المشركون بعتبه قال حكيم فجت إلى منبه بن الحجاج فقلت له مثل ما قلت لأبي جهل فوجدته خيرا من أبي جهل قال نعم مشيت فيه و مادعا إليه عتبه فرجعت إلى عتبه فوجدته قد غضب من كلام قريش فنزل عن جملة و قد كان طاف عليهم في عسكرهم يأمرهم بالكف عن القتال فيأبون فحمني فنزل فلبس درعه وطلبوا له بيضة فلم يوجد في الجيش بيضة تسع رأسه من عظم هامته فلما رأى ذلك اعتجر ثم برز راجلا- بين أخيه شيبه و بين ابنه الوليد بن عتبه فينا أبو جهل في الصف على فرس أنثى حاذاه عتبه و سل سيفه فقبل هو و الله يقتله فضرب بالسيف عرقوب فرس أبي جهل فاكتسعت الفرس [صفحه ١٢٧] و قال انزل فإن هذا اليوم ليس بيوم ركوب ليس كل قومك راكبا فنزل أبو جهل وعتبه يقول سيعلم أينا شؤم عشيرته الغداة قال حكيم فقلت تالله مارأيت كاليوم . قال الواقدي ثم دعا عتبه إلى المبارزة و رسول الله ص في العريش و أصحابه على صفوفهم فاضطجع فغشيه النوم و قال لاتقاتلوا حتى أؤذنكم و إن كتبكم فارموهم و لاتسلوا السيوف حتى يغشوكم فقال أبو بكر يا رسول الله قد دنا القوم و قد نالوا منا فاستيقظ و قد أراه الله إياهم في منامه قليلا و قلل بعضهم في أعين بعض ففزع رسول الله ص و هورافع يديه يناشد ربه ما وعده من النصر و يقول اللهم إن تظهر على هذه العصابة يظهر الشرك و لا يقيم لك دين -رواية- ١-١٣٥ و أبو بكر يقول و الله لينصرنك الله وليبيضن وجهك قال عبد الله بن رواحة يا رسول الله إني أشير عليك و أنت أعظم و أعلم بالله من أن يشار عليك إن الله أجل و أعظم من أن ينشد وعده فقال ع يا ابن رواحة ألا أنشد الله وعده إن الله لا يخلف الميعاد و أقبل عتبه يعمد إلى القتال فقال له حكيم بن حزام مهلا مهلا يا أبا الوليد لانتنه عن شيء و تكون أوله . قال الواقدي قال خفاف بن إيماء فرأيت أصحاب النبي ص يوم بدر و قد تصاف الناس و تراحفوا وهم لا يسلون السيوف ولكنهم قد انتصوا القسى و قد ترس بعضهم عن بعض بصفوف متقاربة لافرج بينها و الآخرون قد سلوا السيوف حين طلوعوا فعجبت من ذلك فسألت بعد ذلك رجلا- من المهاجرين فقال أمرنا رسول الله ص ألا نسل السيوف حتى يغشونا. قال الواقدي فلما تراحف الناس قال الأسود بن عبد الأسد المخزومي حين دنا من [صفحه ١٢٨] الحوض أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه فشد حتى دنا من الحوض واستقبله حمزة بن عبدالمطلب فضربه فأطن قدمه فزحف الأسود ليبر قسمه زعم حتى وقف في الحوض فهدمه برجله الصحيحة و شرب منه و أتبعه حمزة فضربه في الحوض فقتله و المشركون ينظرون ذلك على صفوفهم . قال الواقدي و دنا الناس بعضهم من بعض فخرج عتبه و شيبه و الوليد حتى فصلوا من الصف ثم دعوا إلى المبارزة فخرج إليهم فتيان ثلاثة من الأنصار وهم بنو عفراء معاذ و معوذ و عوف بنو الحارث و يقال إن ثالثهم عبد الله بن رواحة و الثابت عندنا أنهم بنو عفراء فاستحى رسول الله ص من ذلك و كره أن يكون أول قتال لقي المسلمون فيه المشركين في الأنصار و أحب أن تكون الشوكة لبني عمه و قومه فأمرهم فرجعوا إلى مصافهم و قال لهم خيرا ثم نادى منادى المشركين يا محمد أخرج إلينا الأكفاء من قومنا فقال لهم رسول الله ص يا بنى هاشم قوموا فقاتلوا بحقكم الذى بعث الله به نبيكم إذ جاءوا بباطلهم ليظفون نور الله فقام حمزة بن عبدالمطلب و على بن أبي طالب و عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبدمناف فمشوا إليهم فقال عتبه تكلموا نعرفكم و كان عليهم البيض فأنكروهم فإن كنتم أكفاءنا قاتلناكم و روى محمد بن إسحاق في كتاب المغازى خلاف هذه الرواية قال إن بنى عفراء و عبد الله بن رواحة برزوا إلى عتبه و شيبه و الوليد فقالوا لهم من أنتم قالوا رهط من الأنصار فقالوا ارجعوا فما لنا بكم من حاجة ثم نادى منادىهم يا محمد [صفحه ١٢٩] أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا فقال رسول الله ص قم يافلان قم يافلان قم يافلان . قلت و هذه الرواية أشهر من رواية الواقدي و فى رواية الواقدي ما يؤكد صحة رواية محمد بن

إسحاق و هو قوله إن منادى المشركين نادى يا محمد أخرج إلينا الأكفاء من قومنا فلو لم يكن قد كلمهم بنو عفرأ وكلموهم وردوهم لمانادى مناديهم بذلك ويدل على ذلك قول بعض القرشيين لبعض الأنصار فى فخر فخر به عليه أنا من قوم لم يرض مشركوهم أن يقتلوا مؤمنى قومك . قال الواقدى فقال حمزة أنا حمزة بن عبدالمطلب أسد الله وأسد رسوله فقال عتبة كف ع كريم و أنا أسد الحلفاء من هذان معك قال على بن أبى طالب و عبيدة بن الحارث بن المطلب فقال كفآن كريمان . قال الواقدى قال ابن أبى الزناد حدثنى أبى قال لم أسمع لعتبة كلمة قط أو هن من قوله أنا أسد الحلفاء يعنى بالحلفاء الأجمة . قلت قدروى هذه الكلمة على صيغة أخرى و أنا أسد الحلفاء وروى أنا أسد الأحلاف . قالوا فى تفسيرهما أراد أناسيد أهل الحلف المطيبين و كان الذين حضروه بنى عبدمناف و بنى أسد بن عبدالعزى و بنى تيم و بنى زهرة و بنى الحارث بن فهر خمس قبائل ورد قوم هذا التأويل فقالوا إن المطيبين لم يكن يقال لهم الحلفاء و لا الأحلاف وإنما ذلك لقب خصومهم وأعدائهم الذين وقع التحالف لأجلهم وهم بنو عبدالدار و بنو مخزوم و بنو سهم و بنو جمح و بنو عدى بن كعب خمس [صفحة ١٣٠] قبائل و قال قوم فى تفسيرهما إنما عنى حلف الفضول و كان بعد حلف المطيبين بزمان و شهد حلف الفضول رسول الله ص و هو صغير فى دار ابن جدعان و كان سبيه أن رجلا من اليمن قدم مكة بمتاع فاشتره العاص بن وائل السهمى و مطله بالثمن حتى أتعبه فقام بالحجر و ناشد قريشا ظلامته فاجتمع بنو هاشم و بنو أسد بن عبدالعزى و بنو زهرة و بنو تميم فى دار ابن جدعان فتحالفوا غمسا أيديهم فى ماء زمزم بعد أن غسلوا به أركان البيت أن ينصروا كل مظلوم بمكة و يردوا عليه ظلامته و يأخذوا على يد الظالم و ينهوا عن كل منكر ما بل بحر صوفه فسمى حلف الفضول لفضله و قد ذكره رسول الله ص فقال شهدته و ما أحب أن لى به حمر النعم و لا يزيد الإسلام إلا شدة -روايت- ١-٢-روايت- ٢٦-٩٧ و هذا التفسير أيضا غير صحيح لأن بنى عبدالشمس لم يكونوا فى حلف الفضول فقد بان أن ما ذكره الواقدى أصح و أثبت . قال الواقدى ثم قال عتبة لابنه قم يا وليد فقام الوليد و قام إليه على و كانا أصغر نفر فاختلفا ضربتين فقتله على بن أبى طالب ع ثم قام عتبة و قام إليه حمزة فاختلفا ضربتين فقتله حمزة رضى الله عنه ثم قام شيبه و قام إليه عبيدة و هو يومئذ أسن أصحاب رسول الله ص ف ضرب شيبه رجل عبيدة بذياب السيف فأصاب عضله ساقه فقطعها و كر حمزة و على على شيبه فقتلاه و احتملا عبيدة فحازاه إلى الصف و مخ ساقه يسيل فقال عبيدة يا رسول الله أأنت شهيدا قال بلى قال أما و الله لو كان أبو طالب حيا لعلم أنى أحق بما قال حين يقول كذبتم و بيت الله نخلى محمدا || و لمانطاعن دونه و نناضل و ننصره حتى نصرع حوله || و نذهل عن أبنائنا و الحلائل . و نزلت فيهم هذه الآية هذان خصمان اختصموا فى ربهم . -قرآن- ٢٥-٦٠] [صفحة ١٣١] وروى محمد بن إسحاق أن عتبة بارز عبيدة بن الحارث و أن شيبه بارز حمزة بن عبدالمطلب فقتل حمزة شيبه لم يمهل أن قتله و لم يمهل على الوليد أن قتله و اختلف عبيدة و عتبة بينهما ضربتين كلاهما أثبت صاحبه و كر حمزة و على ع على عتبة بأسيا فهما حتى وقعا عليه و احتملا صاحبهما فحازاه إلى الصف . قلت و هذه الرواية توافق ما يذكره أمير المؤمنين ع فى كلامه إذ يقول لمعاوية و عندى السيف الذى أعضضت به أخاك و خالك و جدك يوم بدر و يقول فى موضع آخر قد عرفت مواقع نصالها فى أخيك و خالك و جدك و ماهى من الظالمين ببيعد . و اختار البلاذرى رواية الواقدى و قال إن حمزة قتل عتبة و إن عليا ع قتل الوليد و شرك فى قتل شيبه . و هذا هو المناسب لأحوالهم من طريق السن لأن شيبه أسن الثلاثة فجعل بإزاء عبيدة و هو أسن الثلاثة و الوليد أصغر الثلاثة سنا فجعل بإزاء على ع و هو أصغر الثلاثة سنا و عتبة أو سبطهم سنا فجعل بإزاء حمزة و هو أو سبطهم سنا و أيضا فإن عتبة كان أمثل الثلاثة فمقتضى القياس أن يكون قرنه أمثل الثلاثة و هو حمزة إذ ذاك لأن عليا ع لم يكن قد اشتهر أمره جدا و إنما اشتهر الشهرة التامة بعد بدر و لمن روى أن حمزة بارز شيبه و هى رواية ابن إسحاق أن ينتصر بشعر هند بنت عتبة ترثى أباهما أعينى جودا بدمع سرب || على خير خندف لم ينقلب تداعى له رهطه قصره || بنو هاشم و بنو المطلب يذيقونه حر أسيا فهم || يعلونه بعد ما قد عطب . [صفحة ١٣٢] فإذا كانت قد قالت إن عتبة أباهما أذاقه بنو هاشم و بنو المطلب حر

أسيافهم فقد ثبت أن المبارز لعتبة إنما هو عبيدة لأنه من بنى المطلب جرح عتبه فأثبتته ثم ذفف عليه حمزة و على ع فأما الشيعة فإنها تروى أن حمزة بادر عتبه فقتله و أن اشتراك على و حمزة إنما هو في دم شبيه بعد أن جرحه عبيدة بن الحارث هكذا ذكر محمد بن النعمان في كتاب الإرشاد و هو خلاف ما تنطق به كتب أمير المؤمنين ع إلى معاوية والأمر عندى مشتبه في هذا الموضوع . و روى محمد بن النعمان عن أمير المؤمنين ع أنه كان يذكر يوم بدر و يقول أختلف أنا والوليد بن عتبه ضربتين فأخطأتنى ضربته وأضره فاتقانى بيده اليسرى فأبانها السيف فكأنى أنظر إلى وميض خاتم فى شماله ثم ضربته أخرى فصرعته وسلبته فرأيت به الردع من خلوق فعلمت أنه قريب عهد بعرس -رواية- ١-٢-رواية- ٤٦-٢٩٧ قال الواقدي و قدروى أن عتبه بن ربيعة حين دعا إلى البراز قام إليه ابنه أبو حذيفة بن عتبه يبارزه فقال له النبى ص اجلس فلما قام إليه النفر أعان أبو حذيفة على أبيه عتبه بضربة. قال الواقدي وأخبرنى ابن أبى الزناد عن أبيه قال شبيه أكبر من عتبه بثلاث سنين وحمزة أسن من النبى ص بأربع سنين والعباس أسن من النبى ص بثلاث سنين . قال الواقدي واستفتح أبو جهل يوم بدر فقال اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا يعلم فأحنه الغداة فأنزل الله تعالى **إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ الْآيَةُ**. -قرآن- ٤٦٢-٥٠٠ [صفحة ١٣٣] قال الواقدي وروى عروة عن عائشة أن النبى ص جعل شعار المهاجرين يوم بدر يابنى عبد الرحمن وشعار الخزرج يابنى عبد الله وشعار الأوس يابنى عبد الله . قال وروى زيد بن على بن الحسين ع أن شعار رسول الله ص يوم بدر يامنصور أمت . قال الواقدي ونهى رسول الله ص عن قتل أبى البختري و كان قد لبس السلاح بمكة يوما قبل الهجرة فى بعض ما كان ينال النبى ص من الأذى و قال لا يعرض اليوم أحد لمحمد بأذى إلا وضعت فيه السلاح فشكر ذلك له النبى ص قال أبو داود المازنى فلحقته يوم بدر فقلت له إن رسول الله ص قد نهى عن قتلك إن أعطيت بيدك قال و ماتريد إلى إن كان قد نهى عن قتلى فقد كنت أبليت ذلك فأما أن أعطى ييدى فو اللات والعزى لقد علمت نسوة بمكة أنى لا أعطى ييدى و قد عرفت أنك لا تدعنى فافعل الذى تريد فرماه أبو داود بسهم و قال اللهم سهمك و أبو البختري عبدك فضعه فى مقتله و أبو البختري دارع ففتق السهم الدرع فقتله . قال الواقدي ويقال إن المجذر بن زياد قتل أبا البختري و لا يعرفه و قال المجذر فى ذلك شعرا عرف منه أنه قاتله . و فى رواية محمد بن إسحاق أن رسول الله ص نهى يوم بدر عن قتل أبى البختري واسمه الوليد بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى لأنه كان أكف [صفحة ١٣٤] الناس عن رسول الله ص بمكة كان لا يؤذيه و لا يبلغه عنه شىء يكرهه و كان فىمن قام فى نقض الصحيفة التى كتبتها قريش على بنى هاشم فلقية المجذر بن زياد البلوى حليف الأنصار فقال له إن رسول الله ص نهانا عن قتلك و مع أبى البختري زميل له خرج معه من مكة يقال له جنادة بن مليحة فقال البختري وزميلي قال المجذر و الله مانحن بتاركى زميلك مانهانا رسول الله ص إلا عنك وحدك قال إذا و الله لأموتن أنا و هو جميعا لا تتحدث عنى نساء أهل مكة أنى تركت زميلي حرصا على الحياة فنازله المجذر و ارتجز أبو البختري فقال لن يسلم ابن حرة زميله || حتى يموت أو يرى سبيله . ثم اقتتلا فقتله المجذر وجاء إلى رسول الله ص فأخبره و قال و الذى بعثك بالحق لقد جهدت أن يستأسر فأتيك به فأبى إلا القتال فقاتلته فقتلته . قال الواقدي ونهى النبى ص عن قتل الحارث بن عامر بن نوفل و قال انسروه و لا تقتلوه و كان كارها للخروج إلى بدر فلقية خبيب بن يساف فقتله و لا يعرفه فبلغ النبى ص ذلك فقال لو وجدته قبل أن يقتل لتركته لنسائه ونهى عن قتل زمعة بن الأسود فقتله ثابت بن الجذع و لا يعرفه . قال الواقدي و ارتجز عدى بن أبى الزغباء يوم بدر فقال أناعدى والسحل || أمشى بهامشى الفحل . يعنى درعه فقال النبى ص من عدى فقال رجل من القوم أنا يا رسول الله قال و ماذا قال ابن فلان قال لست أنت عديا فقال عدى بن أبى [صفحة ١٣٥] الزغباء أنا يا رسول الله عدى قال و ماذا قال والسحل أمشى بهامشى الفحل قال النبى ص و ما السحل قال درعى فقال ص نعم العدى عدى بن أبى الزغباء . قال الواقدي و كان عقبه بن أبى معيط قال بمكة حين هاجر رسول الله ص إلى المدينة ياراكب الناقة القصواء هاجرنا || عما قليل ترانى راكب الفرس أعل رمحى فيكم ثم أنهله || والسيف يأخذ منكم كل ملتبس . فبلغ قوله

النبى ص فقال اللهم أكبه لمنخره واصرعه فجمح به فرسه يوم بدر بعد أن ولى الناس فأخذه عبد الله بن سلمة العجلاني أسيرا وأمر النبى ص عاصم بن أبى الأفلح فضرب عنقه صبورا. قال الواقدي و كان عبدالرحمن يحدث يقول إنى لأجمع أدراعا يوم بدر بعد أن ولى الناس فإذا أمية بن خلف و كان لى صديقا فى الجاهلية و كان اسمى عبدعمر و فلما جاء الإسلام تسميت عبدالرحمن فكان يلقانى بمكة فيقول يا عبدعمر و فلا-أجيبه فيقول إنى لأقول لك عبدالرحمن إن مسيلمه باليمامة تسمى بالرحمن فأنا لا-أدعوك إليه فكان يدعونى عبدالإله فلما كان يوم بدر رأيت و كأنه جمل يساق ومعه ابنه على فنادانى يا عبدعمر و فأبيت أن أجيبه فنادانى يا عبدالإله فأجبتة فقال أ مالكم حاجة فى اللبن نحن خير لك من أدرعك هذه فقلت امضيا فجعلت أسوقهما أمامى و قدرأى أمية أنه قد آمن بعض الأمن فقال لى أمية رأيت رجلا فيكم اليوم معلما فى صدره بريشة نعامة من هوفقلت حمزة بن عبدالمطلب [صفحه ١٣٦] فقال ذاك الذى فعل بنا الأفاعيل ثم قال فمن رجل دحاح قصير معلم بعصابة حمراء قلت ذاك رجل من الأنصار يقال له سماك بن خرشة قال وبذاك أيضا يا عبدالإله صرنا اليوم جزرا لكم قال فينا هومعى أزجيه أمامى ومعه ابنه إذ بصر به بلال و هويعجن عجينا له فترك العجين وجعل يفتل يديه منه فتلا ذريعا و هوينادى يامعشر الأنصار أمية بن خلف رأس الكفر لا-نجوت إن نجوت قال لأنه كان يعذبه بمكة فأقبلت الأنصار كأنهم عوذ حنت إلى أولادها حتى طرحوا أمية على ظهره واضطجعت عليه أحميه منهم فأقبل الخباب بن المنذر فأدخل سيفه فاقطع أرنبة أنفه فلما فقد أمية أنفه قال لى إليها عنك أى خل بينى وبينهم قال عبدالرحمن فذكرت قول حسان أو عن ذلك الأنف جادع . قال ويقبل إليه خبيب بن يساف فضربه حتى قتله و قد كان أمية ضرب خبيب بن يساف حتى قطع يده من المنكب فأعادها النبى ص فالتحمت واستوت فتزوج خبيب بن يساف بعد ذلك ابنه أمية بن خلف فرأت تلك الضربة فقالت لايشل الله يد رجل فعل هذا فقال خبيب و أنا و الله قد أوردته شعوب فكان خبيب يحدث يقول فأضربه فوق العاتق فأقطع عاتقه حتى بلغت مؤترزه و عليه الدرع و أنا أقول خذها و أنا ابن يساف وأخذت سلاحه ودرعه وأقبل على بن أمية فتعرض له الخباب فقطع رجله فصاح صيحة ماسمعا مثلها قط ولقيه عمار فضربه ضربة فقتله ويقال إن عمارا لاقاه قبل ضربة الخباب فاختلفا ضربات فقتله عمار والأولى أثبت أنه ضربه بعد أن قطعت رجله . قال الواقدي و قدسمعنا فى قتل أمية غير ذلك حدثنى عبيد بن يحيى عن معاذ بن [صفحه ١٣٧] رفاعه عن أبيه قال لما كان يوم بدر وأحدقنا بأمية بن خلف و كان له فيهم شأن ومعى رمحى ومعه رمحه فتطاعنا حتى سقطت أزجتها ثم صرنا إلى السيفين فتضاربنا بهما حتى انثلما ثم بصرت بفتق فى درعه تحت إبطه فحششت السيف فيه حتى قتلته وخرج السيف عليه الودك قال الواقدي و قدسمعنا وجها آخر حدثنى محمد بن قدامة بن موسى عن أبيه عن عائشة بنت قدامة قالت قال صفوان بن أمية بن خلف يوما ياقدام لقدامة بن مظعون أنت المشلى بأبى يوم بدر الناس فقال قدامة لا و الله ما فعلت و لوفعلت مااعتذرت من قتل مشرك قال صفوان فمن ياقدام المشلى به يوم بدر قال رأيت فتية من الأنصار أقبلوا إليه فيهم معمر بن خبيب بن عبيد الحارث يرفع سيفه ويضعه فيه فقال صفوان أبوقرد و كان معمر رجلا دميما فسمع بذلك الحارث بن حاطب فغضب له فدخل على أم صفوان فقال مايدعنا صفوان من الأذى فى الجاهلية و الإسلام قالت و ماذاك فأخبرها بمقاله صفوان لمعمر حين قال أبوقرد فقالت أم صفوان يا صفوان أنتنقص معمر بن خبيب من أهل بدر و الله لا أقبل لك كرامة سنة قال صفوان يا أمه لأعود و الله أبدا تكلمت بكلمة لم ألق لها بالا. قال الواقدي وحدثنى محمد بن قدامة عن أبيه عن عائشة بنت قدامة قالت قيل لأم صفوان بن أمية ونظرت إلى الخباب بن المنذر بمكة هذا الذى قطع رجل على بن أمية يوم بدر قالت دعونا عن ذكر من قتل على الشرك قدأهان الله عليا بضربة الخباب بن المنذر وأكرم الله الخباب بضربته عليا ولقد كان على الإسلام حين خرج من هاهنا فقتل على غير ذلك . [صفحه ١٣٨] فأما محمد بن إسحاق فإنه قال قال عبدالرحمن بن عوف أخذت بيد أمية بن خلف ويد ابنه على بن أمية أسيرين يوم بدر فيينا أنا أمشى بينهما رأنا بلال و كان أمية هو الذى يعذب بلالا بمكة يخرجه إلى رمضاء مكة

إذاحميت فيضجعه على ظهره ثم يأمره بالصخرة العظيمة فتوضع بحرارتها على صدره و يقول له لا-تزال هكذا أوتفارق دين محمد فيقول بلال أحد أحد لايزيده على ذلك فلما رآه صاح رأس الكفر أمية بن خلف لانجوت إن نجوت قال عبدالرحمن فقلت أي بلال أسيرى فقال لانجوت إن نجا فقلت استمع يا ابن السوداء قال لانجوت إن نجا ثم صرخ بأعلى صوته يا أنصار الله أمية بن خلف رأس الكفر لانجوت إن نجا فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المسكة و أنا أذب عنه ويحذف عمار بن ياسر عليا ابنه بالسيف فأصاب رجله فوق وقع وصاح أمية صيحة ماسمعت مثلها قط فخلت عنه و قلت انج بنفسك و لانجاء به فو الله ما أغنى عنك شيئا قال فهبروهما بأسيا فهم حتى فرغوا منهما قال فكان عبدالرحمن بن عوف يقول رحم الله بلالا أذهب أدرعى وفجعى بأسيرى. قال الواقدي و كان الزبير بن العوام يحدث فيقول لما كان يومئذ لقيت عبيدة بن سعد بن العاص على فرس عليه لامة كاملة لا-يرى منه إلا عيناه و هو يقول وكانت له صبية صغيرة يحملها و كان لها بطين وكانت مقسمة أنا أبوذات الكرش أنا أبوذات [صفحة ١٣٩] الكرش قال و فى يدي عنزة فأطعن بها فى عينه ووقع وأطوه برجلي على خده حتى أخرجت العنزة متعقفة وأخرجت حدقته وأخذ رسول الله ص تلك العنزة فكانت تحمل بين يديه ثم صارت تحمل بين يدي أبى بكر وعمر وعثمان . قال الواقدي وأقبل عاصم بن أبى عوف بن صبيرة السهمى لماجال الناس واختلطوا وكأنه ذئب و هو يقول يامعشر قريش عليكم بالقاطع مفرق الجماعة الآتى بما لايعرف محمد لانجوت إن نجا ويعترضه أبودجانه فاختلغا ضربتين ويضربه أبودجانه فقتله ووقف على سلبه يسلبه فمر به عمر بن الخطاب فقال دع سلبه حتى يجهض العدو و أنا أشهد لك به قال الواقدي ويقبل معبد بن وهب أحد بنى عامر بن لؤى فضرب أبادجانه ضربة برك منها أبودجانه كما يبرك الجمل ثم انتفض وأقبل على معبد فضربه ضربات لم يصنع سيفه شيئا حتى يقع معبد بحفرة أمامه لا يراها و نزل أبودجانه عليه فذبحه ذبحا وأخذ سلبه . قال الواقدي و لما كان يومئذ ورأت بنو مخزوم مقتل من قتل قالت أبوالحكم لا يخلص إليه فإن ابني ربيعة عجلا وبطرا و لم تحام عنهما عشيرتهما فاجتمعت بنو مخزوم فأحدقوا به فجعلوه فى مثل الحرجة و أجمعوا أن يلبسوا لامة أبى جهل رجلا- منهم فألبسوها عبد الله بن المنذر بن أبى رفاعه فصمد له على ع فقتله و هو يراه أبا جهل ومضى عنه و هو يقول أنا ابن عبدالمطلب ثم ألبسوها أباقيس بن [صفحة ١٤٠] الفاكه بن المغيرة فصمد له حمزة و هو يراه أبا جهل فضربه فقتله و هو يقول خذها و أنا ابن عبدالمطلب ثم ألبسوها حرمله بن عمرو فصمد له على ع فقتله ثم أرادوا أن يلبسوها خالد بن الأ-علم فأبى أن يلبسها قال معاذ بن عمرو بن الجموح فنظرت يومئذ إلى أبى جهل فى مثل الحرجة وهم يقولون أبوالحكم لا يخلص إليه فعرفت أنه هو فقلت و الله لأموتن دونه اليوم أو لأخلصن إليه فصمدت له حتى إذا أمكنتنى منه غرة حملت عليه فضرته ضربة طرحت رجله من الساق فشبهتها النواة تنزو من تحت المراضخ فأقبل ابنه عكرمة على فضربنى على عاتقى فطرح يدي من العاتق إلا أنه بقيت جلدة فذهبت أسحب يدي بتلك الجلدة خلفى فلما آذتنى وضعت عليها رجلى ثم تمطيت عليها فقطعتها ثم لاقيت عكرمة و هو يلوذ كل ملاذ و لو كانت يدي معى لرجوت يومئذ أن أصيبه ومات معاذ فى زمن عثمان . قال الواقدي فروى أن رسول الله ص نفل معاذ بن عمرو بن الجموح سيف أبى جهل و أنه عند آل معاذ بن عمرو اليوم و به فل بعد أن أرسل النبى ص إلى عكرمة بن أبى جهل يسأله من قتل أباك قال الذى قطعت يده فدفع رسول الله ص سيفه إلى معاذ بن عمرو لأن عكرمة بن أبى جهل قطع يده يوم بدر. قال الواقدي و ما كان بنو المغيرة يشكون أن سيف أبى الحكم صار إلى معاذ بن عمرو بن الجموح و أنه قاتله يوم بدر. قال الواقدي و قد سمعت فى قتله وأخذ سلبه غير هذا حدثنى عبد الحميد بن جعفر عن عمر بن الحكم بن ثوبان عن عبدالرحمن بن عوف قال عبانا رسول الله ص بليل فأصبحنا ونحن على صفوفنا فإذا بغلامين ليس منهما واحد إلا قد [صفحة ١٤١] ربطت حمائل سيفه فى عنقه لصغره فالتفت إلى أحدهما فقال ياعم أيهم أبوجهل قال قلت و ماتصنع به يا ابن أخى قال بلغنى أنه يسب رسول الله ص فحلفت لئن رأيته لأقتلنه أو لأموتن دونه فأشرت إليه فالتفت إلى الآخر و قال لى مثل ذلك فأشرت له إليه و قلت له من أنتما قال ابنا الحارث

قال فجعلنا لا يظرفان عن أبى جهل حتى إذا كان القتال خلصا إليه فقتلاه وقتلها. قال الواقدى فحدثنى محمد بن عوف عن ابراهيم بن يحيى بن زيد بن ثابت قال لما كان يومئذ قال عبدالرحمن ونظر إليهما عن يمينه و عن شماله ليته كان إلى جنبى من هوأبدن من هذين الصبيين فلم أنشب أن التفت إلى عوف فقال أيهم أبوجهل فقلت ذاك حيث ترى فخرج يعدو إليه كأنه سيع ولحقه أخوه فأنا أنظر إليهم يضطربون بالسيوف ثم نظرت إلى رسول الله ص يمر بهم فى القتلى وهما إلى جانب أبى جهل . قال الواقدى وحدثنى محمد بن رفاعه بن ثعلبه قال سمعت أبى ينكر ما يقول الناس فى ابنى عفراء من صغرهما و يقول كانا يوم بدر أصغرهما ابن خمس و ثلاثين سنة فهذا يربط حمائل سيفه قال الواقدى والقول الأول أثبت . وروى محمد بن عمار بن ياسر عن ربيع بنت معوذ قالت دخلت فى نسوة من الأنصار على أسماء أم أبى جهل فى زمن عمر بن الخطاب و كان ابنها عبد الله بن أبى ربيعة يبعث إليها بعطر من اليمن فكانت تبعه إلى الأعطية فكاننا نشترى منها فلما جعلت لى فى قواريرى ووزنت لى كماوزنت لصواحبي قال اكتبن لى عليكن حقى قلت نعم اكتب لها على الربيع بنت معوذ فقالت أسماء خلفى وإنك [صفحة ١٤٢] لابنة قاتل سيده فقلت لا ولكن ابنة قاتل عبده فقالت و الله لاأبيعك شيئا أبدا فقلت أنا و الله لاأشترى منك أبدا فو الله ما هو بطيب و لاعرف و الله يابنى ماشمت عطرا قط كان أطيب منه ولكنى يابنى غضبت قال الواقدى فلما وضعت الحرب أوزارها أمر رسول الله ص أن يلتمس أبوجهل قال ابن مسعود فوجدته فى آخر رمق فوضعت رجلى على عنقه فقلت الحمد لله الذى أخزأك قال إنما أخزى الله العبد ابن أم عبدلقد ارتقيت يارويعى الغنم مرتقى صعبا لمن الدبرة قلت لله ولرسوله قال ابن مسعود فألق بيضته عن قفاه و قلت إنى قاتلك قال لست بأول عبدقتل سيده أما إن أشد مالقيته اليوم لقتلك إياى ألا يكون ولى قتلى رجل من الأحلاف أو من المطيبين قال فضربه عبد الله ضربة وقع رأسه بين يديه ثم سلبه وأقبل بسلاحه ودرعه وبيضته فوضعها بين يدى رسول الله ص فقال أبشر يابنى الله بقتل عدو الله أبى جهل فقال رسول الله أحقا يا عبد الله فو الذى نفسى بيده لهو أحب إلى من حمر النعم أو كما قال ثم قال إنه أصابه جحش من دفع دفعته فى مأدبة ابن جدعان فجحشت ركبته فالتمسوه فوجدوا ذلك الأثر. قال الواقدى وروى أن أباسلمة بن عبدالأسد المخزومى كان عند النبى ص تلك الساعة فوجد فى نفسه وأقبل على ابن مسعود و قال أنت قتلته قال نعم الله قتله قال أبوسلمة أنت وليت قتله قال نعم قال لوشاء لجعلك فى كمة فقال ابن مسعود فقد و الله قتلته وجرده فقال أبوسلمة فما علامته قال شامة سوداء بطن فخذة اليمنى فعرف أبوسلمة النعت فقال أجردته و لم يجرده قرشى غيره فقال [صفحة ١٤٣] ابن مسعود إنه و الله لم يكن فى قريش و لا فى حلفائها أحد أعدى لله و لالرسوله منه و ماأعترذ من شىء صنعتته به فأمسك أبوسلمة. قال الواقدى سمع أبوسلمة بعد ذلك يستغفر الله من كلامه فى أبى جهل و قال اللهم إنك قدأنجزت ما وعدتني فتمم على نعمتك قال و كان عبد الله بن عتبة بن مسعود يقول سيف أبى جهل عندنا محلى بفضة غنمه عبد الله بن مسعود يومئذ. قال الواقدى اجتمع قول أصحابنا أن معاذ بن عمرو و ابنى عفراء أثبتوه و ضرب ابن مسعود عنقه فى آخر رمق فكل شرك فى قتله . قال الواقدى و قدروى أن رسول الله ص وقف على مصرع ابنى عفراء فقال يرحم الله ابنى عفراء فإنهما قدشركا فى قتل فرعون هذه الأمة ورأس أئمة الكفر فليل يا رسول الله و من قتله معهما قال الملائكة و ذفف عليه ابن مسعود فكان قدشرك فى قتله -رواية ١-٢-رواية ١٠-٢٣٥ قال الواقدى وحدثنى معمر عن الزهرى قال قال رسول الله ص يوم بدر اللهم اكفنى نوفل بن العدوية و هونوفل بن خويلد من بنى أسد بن عبدالعزيز وأقبل نوفل يومئذ يصيح و هو مرعوب قدرأى قتل أصحابه و كان فى أول ماالتقوا هم والمسلمون يصيح بصوت له زجل رافعا عقيرته يامعشر قريش إن هذا اليوم يوم العلاء والرفعة فلما رأى قريشا قدانكشفت جعل يصيح بالأنصار ما حاجتكم إلى دمانا أ ماترون من تقتلون أ مالكم فى اللبن من حاجة فأسره جبار بن صخر فهو يسوقه أمامه فجعل نوفل يقول لجبار ورأى عليا ع مقبلا نحوه ياأخا الأنصار من هذا واللوات والعزى إنى لأرى رجلا إنه ليريدنى قال -رواية ١-٢-رواية ٧٣-١٠-رواية ١٤٤] جبار هذا على بن أبى طالب قال نوفل تالله مارأيت

كاليوم رجلا- أسرع في قومه فصمد له على ع فيضربه فينشب سيف على في حجفته ساعة ثم ينزعه فيضرب به ساقيه ودرعه مشتمرة فيقطعها ثم أجهز عليه فقتله فقال رسول الله ص من له علم بنوفل بن خويلد قال على ع أناقتله فكبر رسول الله ص و قال الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه -رواية-از قبل-٣٤٠. قال الواقدي وأقبل العاص بن سعيد بن العاص يبحث للقتال فالتقى هو وعلى ع وقتله على فكان عمر بن الخطاب يقول لابنه سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص ما لي أراك معرضا تظن أني قتلت أباك فقال سعيد لوقتله لكان على الباطل و كنت على الحق قال فقال عمر إن قريشا أعظم الناس أحلاما وأكثرها أمانة لا يبيغهم أحد الغوائل إلاكبه الله لفيه . قال الواقدي وروى أن عمر قال لسعيد بن العاص ما لي أراك معرضا كأنى قتلت أباك يوم بدر و إن كنت لأعتذر من قتل مشرك لقد قتلت خالى بيدي العاص بن هاشم بن المغيرة. ونقلت من غير كتاب الواقدي أن عثمان بن عفان وسعيد بن العاص حضرا عند عمر في أيام خلافته فجلس سعيد بن العاص حجرة فنظر إليه عمر فقال ما لي أراك معرضا كأنى قتلت أباك إنى لم أقتله ولكنه قتله أبو حسن و كان على ع حاضرا فقال اللهم غفرا ذهب الشرك بما فيه ومحا الإسلام ما قبله فلما ذا تهاج [صفحة ١٤٥] القلوب فسكت عمر و قال سعيد لقد قتله كفاء كريم و هو أحب إلي من أن يقتله من ليس من بنى عبد مناف . قال الواقدي و كان على ع يحدث فيقول إنى يومئذ بعد مامتع النهار ونحن والمشركون قد اختلطت صفوفنا و صفوفهم خرجت فى إثر رجل منهم فإذا رجل من المشركين على كتيب رمل وسعد بن خيثمة وهما يقتتلان حتى قتل المشرك سعد بن خيثمة والمشرك مقنع فى الحديد و كان فارسا فاقتحم عن فرسه فعرفنى و هو معلم فنادانى هلم يا ابن أبى طالب إلى البراز فعطفت إلى البراز فعطفت عليه فانحط إلى مقبلا- و كنت رجلا- قصيرا فانحطت راجعا لكى ينزل إلى كرهت أن يعلونى فقال يا ابن أبى طالب فررت فقلت قريبا مفر ابن الشراء فلما استقرت قدماى وثبت أقبلى فاتقيت فلما دنا منى ضربنى بالدرقه فوقع سيفه فلحج فأضربه على عاتقه و هودار ع فارتعش ولقد قط سيفى درعه فظننت أن سيفى سيقتله فإذا بريق سيف من ورائى فطأأت رأسى ويقع السيف فأطن قحف رأسه بالبيضة و هو يقول خذها و أنا ابن عبدالمطلب فالتفت من ورائى فإذا هو حمزة عمى والمقتول طعيمة بن عدى -رواية-١-٢-رواية-٤٣-٨٦٠. قلت فى رواية محمد بن إسحاق بن يسار أن طعيمة بن عدى قتله على بن أبى طالب ع ثم قال وقيل قتله حمزة. و فى رواية الشيعة قتله على بن أبى طالب شجره بالرمح فقال له و الله لاتخاصمنا فى الله بعد اليوم أبدا وهكذا روى محمد بن إسحاق . [صفحة ١٤٦] و روى محمد بن إسحاق قال و خرج النبى ص من العريش إلى الناس ينظر القتال فحرض المسلمين و قال كل امرئ بما أصاب و قال و الذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فى جملة فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة -رواية-١-٢-رواية-٢٧-٢٣٦ فقال عمير بن الحمام أخو بنى سلمة و فى يده تمرات يأكلهن بخ بخ فيما بينى و بين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل قال محمد بن إسحاق وحدثنى عاصم بن عمرو بن قتادة أن عوف بن الحارث و هو ابن عفراء قال لرسول الله ص يوم بدر يا رسول الله ص ما يضحك الرب من عبده قال غمسه يده فى العدو حاسرا فنزع عوف درعا كانت عليه وقذفها ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل . قال الواقدي و ابن إسحاق وأخذ رسول الله ص كفا من البطحاء فرماهم بها و قال شامت الوجوه اللهم أرعب قلوبهم وزلزل أقدامهم -رواية-١-٢-رواية-٢٩-١٣٢ فانهمز المشركون لاديلوون على شىء والمسلمون يتبعونهم يقتلون ويأسرون . قال الواقدي و كان هبيرة بن أبى وهب المخزومى لمارأى الهزيمة انخزل ظهره فعقر فلم يستطع أن يقوم فأتاه أبو أسامة الجشمى حليفه ففتق درعه واحتمله ويقال ضربه أبوداود المازنى بالسيف فقطع درعه ووقع لوجهه وأخلد إلى الأرض وجاوزه أبوداود وبصر به ابنا زهير الجشميان مالك و أبو أسامة وهما حليفاه فدبا عنه حتى نجوا به واحتمله أبو أسامة ومالك يذب عنه حتى خلاصاه فقال رسول الله ص حماه كلباه الحليفان . [صفحة ١٤٧] قال الواقدي وحدثنى عمر بن عثمان عن عكاشة بن محصن قال انقطع سيفى يوم بدر فأعطانى رسول الله ص عودا فإذا هو سيف أبيض طويل فقاتلت به حتى

هزم الله المشركين و لم يزل ذلك السيف عندعكاشه حتى هلك . قال و قدروى رجال من بنى عبدالأشهل عدة قالوا انكسر سيف سلمه بن أسلم بن حريش يوم بدر فبقى أعزل لاسلاح معه فأعطاه رسول الله ص قضييا كان فى يده من عراجين ابن طاب فقال اضرب به فإذا هوسيف جيد فلم يزل عنده حتى قتل يوم جسر أبى عبيد. قال الواقدى وأصاب حارثه بن سراقه و هويكرع فى الحوض سهم غرب من المشركين فوقع فى نحره فمات فلقد شرب القوم آخر النهار من دمه وبلغ أمه وأخته وهما بالمدينه مقتله فقالت أمه و الله لا أبكى عليه حتى يقدم رسول الله ص فأسأله فإن كان فى الجنه لم أبكى عليه و إن كان فى النار بكيته لعمر الله فأعولته فلما قدم رسول الله ص من بدر جاءت أمه إليه فقالت يا رسول الله قدعرفت موضع حارثه فى قلبى فأردت أن أبكى عليه ثم قلت لأفعل حتى أسأل رسول الله ص عنه فإن كان فى الجنه لم أبكىه و إن كان فى النار بكيته فأعولته فقال النبى ص هبلت أجنه واحده إنها جنان كثيره و الذى نفسى بيده إنه لفى الفردوس الأعلى قالت فلا أبكى عليه أبدا. قال الواقدى ودعا رسول الله ص حينئذ بماء فى إناء فغمس يده فيه ومضمض فاه ثم ناول أم حارثه بن سراقه فشربت ثم ناولت ابنتها فشربت [صفحه ١٤٨] ثم أمرهما فضحتا فى جيوبهما ثم رجعتا من عند النبى ص و ما بالمدينه امرأتان أقر عينا منهما و لا أسر. قال الواقدى و كان حكيم بن حزام يقول انهزمتنا يوم بدر فجعلت أسعى وأقول قاتل الله ابن الحنظليه يزعم أن النهار قدذهب و الله إن النهار لكما هو قال حكيم و ماذا بى الإحبا أن يأتى الليل فيقصر عنا طلب القوم فيدرك حكيم عبيد الله و عبدالرحمن بنى العوام على جمل لهما فقال عبدالرحمن لأخيه انزل فاحمل أباخالد و كان عبيد الله رجلا أعرج لارجله به فقال عبيد الله إنه لارجله بى كما ترى و قال عبدالرحمن و الله أن منه لا بد ألا نحمل رجلا. إن متنا كفانا ما خلفنا من عيالنا و إن عشنا حملنا كلنا فنزل عبدالرحمن وأخوه الأعرج فحملاه فكانوا يتعاقبون الجمل فلما دنا من مكه و كان بمر الظهران قال و الله لقد رأيت هاهنا أمرا ما كان يخرج على مثله أحد له رأى ولكنه شؤم ابن الحنظليه إن جزورا نحرنا هاهنا فلم يبق خباء إلا أصابه من دمها فقالا قد رأينا ذلك ولكن رأيناك وقومك قدمضيتم فمضينا معكم و لم يكن لنا معكم أمر. قال الواقدى فحدثنى عبدالرحمن بن الحارث عن مخلد بن خفاف عن أبيه قال كانت الدروع فى قريش كثيره يومئذ فلما انهزموا جعلوا يلقونها وجعل المسلمون يتبعونهم ويلقون ماطرحوا ولقد رأيتنى يومئذ التقطت ثلاث أدرع جئت بها أهلى فكانت عندنا بعد فرم لى رجل من قريش ورأى درعا منها عندنا فعرفها قال هذه درع الحارث بن هشام . قال الواقدى وحدثنى محمد بن حميد عن عبد الله بن عمرو بن أميه قال أخبرنى من انكشف من قريش يومئذ منهزما وإنه ليقول فى نفسه مارأيت مثل هذا فر منه إلا النساء. [صفحه ١٤٩] قال الواقدى كان قباث بن أشيم الكنانى يقول شهدت مع المشركين بدرا وإنى لأنظر إلى قله أصحاب محمد فى عينى وكثره من معنا من الخيل و الرجل فانهزمت فيمن انهزم فلقد رأيتنى وإنى لأنظر إلى المشركين فى كل وجه وإنى لأقول فى نفسى مارأيت مثل هذا الأمر فر منه إلا النساء وصاحبنى رجل فينا هويسير معى إذ لحقنا من خلفنا فقلت لصاحبى أبكى نهوض قال لا و الله ما بى قال وعقر وترفعت فلقد صبحت غيقه قال و غيقه عن يسار السقيا بينها و بين الفرع ليله و بين الفرع والمدينه ثمانيه برد قبل الشمس كنت هاديا بالطريق و لم أسلك المحاج وخفت من الطلب فتنكبت عنها فلقينى رجل من قومى بغيقه فقال ما وراءك قلت لا شىء قلنا وأسرنا وانهزمتنا فهل عندك من حملان قال فحملنى على بعير وزودنى زادا حتى لقيت الطريق بالجحفه ثم مضيت حتى دخلت مكه وإنى لأنظر إلى الحيسمان بن حابس الخزاعى بالغميم فعرفت أنه تقدم يعنى قريشا بمكه فلو أردت أن أسبقه لسبقته فتنكبت عنه حتى سبقنى ببعض النهار فقدمت و قدانتهى إلى مكه خبر قتلاهم وهم يلعنون الخزاعى ويقولون ماجاءنا بخير فمكثت بمكه فلما كان بعد الخندق قلت لو قدمت المدينه فنظرت ما يقول محمد و قدوقع فى قلبى الإسلام فقدمت المدينه فسألت عن رسول الله ص فقالوا هو ذاك فى ظل المسجد مع ملاء من أصحابه فأتيته و أنا لأعرفه من بينهم فسلمت فقال يا قباث بن أشيم أنت القائل يوم بدر مارأيت مثل هذا الأمر فر منه إلا النساء قلت أشهد أنك رسول الله و أن هذا الأمر ما خرج منى إلى أحد قط و ماترمرت به

الإشيئا حدثت به نفسى فلو لأنك نبي ما أطلعك الله عليه هلم حتى أبايعك فأسلمت [صفحة ١٥٠] قال الواقدي و قدروى أنه لما توجه المشركون إلى بدر كان فتیان ممن تخلف عنهم بمكة سمارا يسمرون بذى طوى فى القمر حتى يذهب الليل يتناشدون الأشعار ويتحدثون فينا هم كذلك إذ سمعوا صوتا قريبا منهم و لا يرون القائل رافعا صوته يتغنى أزداد الحنفيون بدرا مصيبة || سينقض منها ركن كسرى وقيصرأ أرنت لها صم الجبال وأفزعت || قبائل ما بين الوتير فخييرا أجازت جبال الأخشيين و جردت || حرائر يضرين الترائب حسرا . قال الواقدي أنشدنيه ورواه لى عبد الله بن أبى عبيدة عن محمد بن عمار بن ياسر قال فاستمعوا الصوت فلا يرون أحدا فخرجوا فى طلبه فلم يروا أحدا فخرجوا فزعين حتى جازوا الحجر فوجدوا مشيخة منهم جلته سمارا فأخبروهم الخبر فقالوا لهم إن كان ماتقولون فإن محمدا وأصحابه يسمون الحنيفة قال فلم يبق أحد من الفتیان الذين كانوا بذى طوى إلا وعك فما مكثوا إلا ليلتين أو ثلاثا حتى قدم الحيسمان الخزاعى بخبر أهل بدر و من قتل منهم فجعل يخبرهم فيقول قتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة و قتل ابنا الحجاج و أبوالبخترى وزمعة بن الأسود قال وصفوان بن أمية فى الحجر جالس يقول لا يعقل هذا شيئا مما يتكلم به سلوه عنى فقالوا صفوان بن أمية لك به علم قال نعم هو ذاك فى الحجر ولقد رأيت أباه وأخاه مقتولين ورأيت سهيل بن عمرو والنضر بن الحارث أسيرين رأيتهما مقرونين فى الجبال . [صفحة ١٥١] قال الواقدي وبلغ النجاشى مقتل قريش و ماظفر الله به رسوله فخرج فى ثوبين أبيضين ثم جلس على الأرض ودعا جعفر بن أبى طالب وأصحابه فقال أيكم يعرف بدرا فأخبروه فقال أنا عارف بها قدرعيت الغنم فى جوانبها هى من الساحل على بعض نهار ولكنى أردت أن أثبت منكم قد نصر الله رسوله بيدر فاحمدوا الله على ذلك فقال بطارقتة أصلح الله الملك إن هذا شيء لم تكن تصنعه يريدون لبس البياض والجلوس على الأرض فقال إن عيسى ابن مريم كان إذا حدث له نعمة ازداد بهاتواضعاً . قال الواقدي فلما رجعت قريش إلى مكة قام فيهم أبوسفيان بن حرب فقال يامعشر قريش لا تبكوا على قتلاكم و لا تنح عليهم نائحة و لا يندبهم شاعر وأظهروا الجلد والعزاء فإنكم إذ انحنتم عليهم وبكىتموهم بالشعر أذهب ذلك غيظكم فأكلكم ذلك عن عداوة محمد وأصحابه مع أن محمدا إن بلغه وأصحابه ذلك شتموا بكم فتكون أعظم المصيبتين ولعلكم تدركون ثأركم فالدهن والنساء على حرام حتى أغزو محمدا فمكثت قريش شهرا لا يبكيهم شاعر و لا تنوح عليهم نائحة . قال الواقدي و كان الأسود بن المطلب قد ذهب بصره و قد كمد على من قتل من ولده و كان يحب أن يبكى عليهم فتأبى عليه قريش ذلك فكان يقول لغلامه بين اليومين و يلك احمل معى خمرا واسلك بى الفج الذى سلكه أبو حكيمة يعنى زمعة ولده المقتول بيدر فيأتى به غلامه على الطريق عند ذلك الفج فيجلس فيسقيه الخمر [صفحة ١٥٢] حتى ينتشى ثم يبكى على أبى حكيمة وإخوته ثم يحثى التراب على رأسه و يقول لغلامه ويحك اكنم على فإنى أكره أن تعلم بى قريش إنى أراها لم تجمع البكاء على قتلاها . قال الواقدي حدثنى مصعب بن ثابت عن عيسى بن معمر عن عباد بن عبد الله بن الزبير عن عائشة قالت قالت قريش حين رجعوا إلى مكة لا تبكوا على قتلاكم فيبلغ محمدا وأصحابه فيشتموا بكم و لا تبعثوا فى أسراكم فيأرب بكم القوم ألا فأمسكوا عن البكاء . قال و كان الأسود بن المطلب أصيب له ثلاثة من ولده زمعة وعقيل والحارث بن زمعة فكان يحب أن يبكى على قتلاه فينا هو كذلك إذ سمع نائحة من الليل فقال لغلامه و قد ذهب بصره انظر هل بكت قريش على قتلاها لعلى أبكى على أبى حكيمة يعنى زمعة فإن جوفى قد احترق فذهب الغلام ورجع إليه فقال إنما هى امرأة تبكى على بغيرها قد أضلته فقال الأسود تبكى أن يضل لها بغير || و يمنعها من النوم السهود فلا تبكى على بكر ولكن || على بكر تصاغرت الخدود فبكى إن بكيت على عقيل || وبكى حارثا أسد الأسود وبكيهم و لا تسمى جميعا || فما لأبى حكيمة من نديد [صفحة ١٥٣] على بدر سراة بنى هصيص || ومخزوم ورهط أبى الوليد ألا قد ساد بعدهم رجال || و لو لا يوم بدر لم يسودوا . قال الواقدي ومشت نساء من قريش إلى هند بنت عتبة فقلن ألا تبكين على أبيك وأخيك وعمك و أهل بيتك فقالت حلائى أن أبكيهم فيبلغ محمدا وأصحابه فيشتموا بنا ونساء بنى الخزرج لا و الله حتى أثار

محمدًا وأصحابه والدهن على حرام إن دخل رأسى حتى نغزو محمدًا و الله لو أعلم أن الحزن يذهب عن قلبى لبكيت ولكن لا يذهبه إلا- أن أرى تأرى بعينى من قتله الأحيه فمكثت على حالها لا تقرب الدهن و لا قربت فراش أبى سفيان من يوم حلفت حتى كانت وقعه أحد. قال الواقدى وبلغ نوفل بن معاوية الديلى و هو فى أهله و قد كان شهد معهم بدرًا أن قريشا بكت على قتلاها فقدم مكة فقال يامعشر قريش لقد خفت أحلامكم و سفته رأيكم و أطعتم نساءكم أمثل قتلاكم بيكى عليهم هم أجل من البكاء مع أن ذلك يذهب غيظكم عن عداوة محمد و أصحابه فلا ينبغي أن يذهب الغيظ عنكم إلا أن تدركوا ثأركم من عدوكم فسمع أبوسفيان بن حرب كلامه فقال يا أبامعاوية غلبت و الله ماناحت امرأة من بنى عبدشمس على قتيل لها إلى اليوم و لا بكاهم شاعر إلا نهيته حتى ندرك ثأرنا من محمد و أصحابه و إنى لأننا الموتور الثائر قتل ابنى حنظله و سادة أهل هذا الوادى أصبح هذا الوادى مقشعرا لفقدهم . قال الواقدى وحدثنى معاذ بن محمد الأنصارى عن عاصم بن عمر بن قتادة قال لما رجع المشركون إلى مكة و قد قتل صناديدهم و أشرافهم أقبل عمير بن وهب بن عمير الجمحى حتى جلس إلى صفوان بن أمية فى الحجر فقال صفوان بن أمية قبح العيش [صفحه ١٥٤] بعد قتلى بدر قال عمير بن وهب أجل و الله ما فى العيش بعدهم خير و لو لادين على لأجد له قضاء و عيال لأدع لهم شيئًا لرحلت إلى محمد حتى أقتله إن ملأت عينى منه فإنه بلغنى أنه يطوف فى الأسواق فإن لى عندهم عله أقول قدمت على ابنى هذا الأسير ففرح صفوان بقوله و قال يا أبامية وهل نراك فاعلا قال إى ورب هذه البنية قال صفوان فعلى دينك و عيالك أسوء عيالى فأنت تعلم أنه ليس بمكة رجل أشد توسعا على عياله منى قال عمير قد عرفت ذلك يا أباهب قال صفوان فإن عيالك مع عيالى لا يسعنى شىء و نعجز عنهم و دينك على فحمله صفوان على بعيه و جهزه و أجرى على عياله مثل ما يجرى على عيال نفسه و أمر عمير بسيفه فشحن و سم ثم خرج إلى المدينة و قال لصفوان اكنم على أياما حتى أقدمها و خرج فلم يذكره صفوان و قدم عمير فتزل على باب المسجد و عقل راحلته و أخذ السيف فتقلده ثم عمد نحو رسول الله ص و عمر بن الخطاب فى نفر من المسلمين يتحدثون و يذكرون نعمة الله عليهم فى بدر فرأى عميرا و عليه السيف ففزع عمر منه و قال لأصحابه دونكم الكلب هذا عمير بن وهب عدو الله الذى حرش بيننا يوم بدر و حزرنا للقوم و سعد فينا و صوب يخبر قريشا أنه لا عدد لنا و لا كمين فقاموا إليه فأخذوه فانطلق عمر إلى رسول الله ص فقال يا رسول الله هذا عمير بن وهب قد دخل المسجد و معه السلاح و هو الغادر الخبيث الذى لا يؤمن على شىء فقال النبى ص أدخله على فخرج عمر فأخذ بحمائل سيفه فقبض بيده عليها و أخذ بيده الأخرى قائم السيف ثم أدخله على رسول الله ص فلما رآه قال يا عمر تأخر عنه فلما دنا عمير إلى النبى ص قال أنعم صباحا فقال له النبى ص قد أكرمتنا الله عن تحيتك و جعل تحيتنا السلام و هى تحية أهل الجنة قال عمير إن عهدك به الحديث فقال النبى ص قد أبدلنا [صفحه ١٥٥] الله خيرا فما أقدمك يا عمير قال قدمت فى أسيرى عندكم تفادونه و تقاربونا فيه فإنكم العشيرة و الأصل قال النبى ص فما بال السيف قال عمير قبحتها الله من سيوف و هل أغنت من شىء إنما نسيته حين نزلت و هو فى رقتى و لعمرى إن لى لهما غيره فقال رسول الله ص اصدق يا عمير ما الذى أقدمك قال ما قدمت إلا فى أسيرى قال ص فما شرطت لصفوان بن أمية فى الحجر ففزع عمير و قال ماذا شرطت له قال تحملت بقتلى على أن يقضى دينك و يعول عيالك و الله حائل بينك و بين ذلك قال عمير أشهد أنك صادق و أشهد أن لا إله إلا الله كنا يا رسول الله نكذبك بالوحى و بما يأتىك من السماء و إن هذا الحديث كان بينى و بين صفوان كما قلت لم يطلع عليه غيره و غيرى و قد أمرته أن يكتمه ليالى فأطلعك الله عليه فأمنت بالله و رسوله و شهدت أن ما جئت به حق الحمد لله الذى ساقنى هذا المساق و فرح المسلمون حين هداه الله و قال عمر بن الخطاب لخنزير كان أحب إلى منه حين طلع و هو الساعة أحب إلى من بعض ولدى و قال النبى ص علموا أخاكم القرآن و أطلقوا له أسيره فقال عمير يا رسول الله إنى كنت جاهدا على إطفاء نور الله فله الحمد أن هدانى فأذن لى فألحق قريشا فأدعوهم إلى الله و إلى الإسلام فلعل الله يهديهم و يستنقذهم من الهلكة فأذن له فخرج فلحق بمكة و كان صفوان يسأل عن عمير بن وهب

كل راكب يقدم من المدينة يقول هل حدث بالمدينة من حدث و يقول لقريش أبشروا بوقعة تنسيكم وقعة بدر فقدم رجل من المدينة فسأله صفوان عن عمير فقال أسلم فلعنه صفوان ولعنه المشركون بمكة وقالوا صبا عمير وحلف صفوان ألا يكلمه أبدا و لا ينفعه وطرح عياله و قدم عمير فنزل في أهله و لم يأت صفوان وأظهر الإسلام فبلغ صفوان فقال قد عرفت حين لم يبدأ بي قبل منزله و قد كان رجل [صفحة ١٥٦] أخبرني أنه ارتكس لأكلمه من رأسى أبدا و لا أنفعه و لا عياله بفاعه أبدا فوقع عليه عمير و هو في الحجر فقال يا أباه فاعرض صفوان عنه فقال عمير أنت سيد من ساداتنا رأيت الذى كنا عليه من عبادة حجر والذبح له أهذا دين أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا عبده ورسوله فلم يجبه صفوان بكلمة و أسلم مع عمير بشر كثير. قال الواقدي كان فتية من قريش خمسة قد أسلموا فاحتبسهم آباؤهم فخرجوا مع أهلهم وقومهم إلى بدر وهم على الشك والارتياب لم يخلصوا إسلامهم وهم قيس بن الوليد بن المغيرة و أبوقيس بن الفاكه بن المغيرة والحارث بن زمة بن الأسود و على بن أمية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج فلما قدموا بدرا ورأوا قلة أصحاب النبي ص قالوا غر هؤلاء دينهم ففهم أنزل إذ يقول المُنَافِقُونَ وَالْمُذَلِّينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ ثُمَّ أَنْزَلَ فِيهِمْ أَنْزَلَ فِيهِمْ أَنْزَلَ فِيهِمْ أَنْزَلَ فِيهِمْ أَنْزَلَ فِيهِمْ أَنْزَلَ فِيهِمْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا إِلَى تَمَامِ ثَلَاثِ آيَاتٍ . قال فكتب بهالمهاجرون بالمدينة إلى من أقام بمكة مسلما فقال جندب بن ضمرة الخزاعي لا عذر لى و لا حجة فى مقامى بمكة و كان مريضا فقال لأهله أخرجونى لعلى أجد روحا قالوا أى وجه أحب إليك قال نعم التنعيم فخرجوا به إلى التنعيم و بين التنعيم ومكة أربعة أميال من طريق المدينة فقال اللهم إنى خرجت إليك مهاجرا فأنزل الله تعالى وَ مَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ لِآيَةٍ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مِنْ كَانَ بِمَكَّةَ مِمَّنْ يَطِيقُ الْخُرُوجَ خَرَجُوا فَطَلَبَهُمْ أَبُو سَفْيَانَ فِي رَجَالٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ -قرآن- ٦٨٩-٧٦٩-قرآن- ٧٨٥-٩٦٢-قرآن- ١٣٢٦-١٣٨٦ [صفحة ١٥٧] فردوهم وسجنوهم فافتن منهم ناس و كان الذين افتنوا إنما افتنوا حين أصابهم البلاء فأنزل الله تعالى فِيهِمْ وَ مَنِ النَّاسِ مَنِ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ الْآلِيَّةِ وَ مَابَعْدَهَا فَكُتِبَ بِهَا الْمُهَاجِرُونَ بِالْمَدِينَةِ إِلَى مَنْ كَانَ بِمَكَّةَ مُسْلِمًا فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْكِتَابُ بِمَا أَنْزَلَ فِيهِمْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ لَكَ عَلَيْنَا إِنْ أَفْلَتْنَا أَلَا نَعْدِلُ بِكَ أَحَدًا فَخَرَجُوا الثَّانِيَةَ فَطَلَبَهُمْ أَبُو سَفْيَانَ وَالْمُشْرِكُونَ فَأَعْجَزُوهُمْ هَرَبًا فِي الْجِبَالِ حَتَّى قَدِمُوا الْمَدِينَةَ وَاشْتَدَّ الْبَلَاءُ عَلَى مَنْ رَدُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَضْرَبُوهُمْ وَأَذَوْهُمْ وَأَكْرَهُوهُمْ عَلَى تَرْكِ الْإِسْلَامِ وَرَجَعَ ابْنُ أَبِي سَرْحٍ مُشْرِكًا فَقَالَ لِقُرَيْشٍ مَا كَانَ يَعْلَمُ مُحَمَّدًا إِلَّا ابْنَ قَمِطَةَ عَبْدَنَصْرَانِي لَقَدْ كُنْتُ أَكْتُبُ لَهُ فَأَحْوَلُ مَا أَرَدْتُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى وَ لَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرًا الْآيَةَ -قرآن- ١١٥-٢٢٣-قرآن- ٦٨٩-٧٤٨

القول فى نزول الملائكة يوم بدر ومحاربتها المشركين

اختلف المسلمون فى ذلك فقال الجمهور منهم نزلت الملائكة حقيقة كما ينزل الحيوان والحجر من الموضع العالى إلى الموضع السافل . و قال قوم من أصحاب المعانى غير ذلك . واختلف أرباب القول الأول فقال الأكثرون نزلت وحاربت و قال قوم منهم نزلت و لم تحارب و روى كل قوم فى نصره قولهم روايات . فقال الواقدي فى كتاب المغازى حدثنى عمر بن عقبه عن شعبة مولى ابن عباس قال سمعت ابن عباس يقول لما توافق الناس أغمى على رسول الله [صفحة ١٥٨] ص ساعة ثم كشف عنه فبشر المؤمنين بجبرائيل فى جند من الملائكة فى ميمنة الناس وميكائيل فى جند آخر فى ميسرة الناس وإسرافيل فى جند آخر فى ألف و كان إبليس قد تصور للمشركين فى صورة سراقه بن جعشم المدلجى يذمر المشركين ويخبرهم أنه لا غالب لهم من الناس فلما أبصر عدو الله الملائكة نكص على عقبيه و قال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون فتشبت به الحارث بن هشام و هو يرى أنه سراقه لما سمع من كلامه فضرب فى صدر الحارث فسقط الحارث وانطلق إبليس لا يرى حتى وقع فى البحر ورفع يديه قائلا

يارب موعدك ألدَى وعدتني وأقبل أبوجهل على أصحابه يحضهم على القتال و قال لا يغرنكم خذلان سراقه بن جعشم إياكم فإنما كان على ميعاد من محمد وأصحابه سيعلم إذارجعنا إلى قديد مانصنع بقومه ولا يهولنكم مقتل عتبه وشيبه والوليد فإنهم عجلوا وبطروا حين قاتلوا وإيم الله لانرجع اليوم حتى نقرن محمدا وأصحابه فى الجبال فلاألفين أحدا منكم قتل منهم أحدا ولكن خذوهم أخذنا نعرفهم بالذى صنعوا لمفارقتهم دينكم ورغبتهم عما كان يعبد آباؤهم . قال الواقدى وحدثنى عتبه بن يحيى عن معاذ بن رفاعه بن رافع عن أبيه قال إن كنا لنسمع لإبليس يومئذ خوارا ودعاء بالثبور والويل وتصور فى صورة سراقه بن جعشم حتى هرب فافتحم البحر ورفع يديه مادا لهما يقول يارب ماوعدتنى ولقد كانت قريش بعد ذلك تعير سراقه بما صنع يومئذ فيقول والله ما صنعت شيئا. قال الواقدى فحدثنى أبوإسحاق الأسلمى عن الحسن بن عبيد الله مولى بنى العباس عن عمارة الليثى قال حدثنى شيخ صياد من الحى و كان يومئذ على ساحل البحر قال سمعت صياحا ياويلاه ياويلاه قدملأ الوادى ياحرباه ياحرباه فنظرت فإذاسراقه بن جعشم فدنوت منه فقلت ما لك فداك أبى وأمى فلم يرجع إلى شيئا ثم أراه اقتحم البحر ورفع يديه مادا يقول يارب ماوعدتنى فقلت -قرآن- ٣١١-٣٥٨ [صفحة ١٥٩] فى نفسى جن وبيت الله سراقه و ذلك حين زاغت الشمس و ذلك عندانهزامهم يوم بدر. قال الواقدى قالوا كانت سيماء الملائكة عمائم قدأرخوها بين أكتافهم خضراء وصفراء وحمراء من نور والصفوف فى نواصى خيلهم . قال الواقدى حدثنى محمد بن صالح عن عاصم بن عمر عن محمود بن لبيد قال قال رسول الله ص يوم بدر إن الملائكة قدسومت فسوموا فأعلم المسلمون بالصفوف فى مغافرهم وقلانسهم قال الواقدى حدثنى محمد بن صالح قال كان أربعة من أصحاب محمدص يعلمون فى الزحوف حمزة بن عبدالمطلب كان يوم بدر معلما بريشة نعامة و كان على ع معلما بصوفة بيضاء و كان الزبير معلما بعصابة صفراء و كان أبودجانه يعلم بعصابة حمراء و كان الزبير يحدث أن الملائكة نزلت يوم بدر على خيل بلق عليها عمائم صفر فكانت على صورة الزبير. قال الواقدى فروى عن سهيل بن عمرو قال لقد رأيت يوم بدر رجلا بيضا على خيل بلق بين السماء و الأرض معلمين يقبلون ويأسرون . قال الواقدى و كان أبواسد الساعدى يحدث بعد أن ذهب بصره و يقول لو كنت معكم الآن بيدى ومعى بصرى لأريتكم الشعب الذى خرجت منه الملائكة لأشك فيه و لأمتري قال و كان أسيد يحدث عن رجل من بنى غفار حدثه قال أقبلت أنا و ابن عم لى يوم بدر حتى صعدا على جبل ونحن يومئذ على الشرك ننظر الوقعة و على من تكون الدبرة فننتهب مع من ينتهب إذ رأيت سحابة دنت منا فسمعت منها [صفحة ١٦٠] همهمة الخيل وقععة الحديد وسمعت قائلا يقول أقدم حيزوم فأما ابن عمى فانكشف قناع قلبه فمات و أما أنا فكدت أهلك فتماسكت وأتعت بصرى حيث تذهب السحابة فجاءت إلى النبى ص وأصحابه ثم رجعت و ليس فيها شىء مما كنت أسمع . قال الواقدى وحدثنى خارجة بن ابراهيم بن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس عن أبيه قال سأل رسول الله ص جبرائيل من القائل يوم بدر أقبل حيزوم فقال جبرائيل يا محمد ما كل أهل السماء أعرف -رواية ١-٢-رواية ٩٣-١٩٩ قال الواقدى وحدثنى عبدالرحمن بن الحارث عن أبيه عن جده عبيده بن أبى عبيدة عن أبى رهم الغفارى عن ابن عم له قال بينا أنا و ابن عم لى على ماء بدر فلما رأينا قلة من مع محمد وكثرة قريش قلنا إذاالتقت الفتتان عمدنا إلى عسكر محمد وأصحابه فاتتهبناه فانطلقنا نحو المجنبه اليسرى من أصحاب محمد ونحن نقول هؤلاء ربع قريش فيينا نحن نمشى فى الميسرة إذ جاءت سحابة فغشيتنا فرفعنا أبصارنا لها فسمعنا أصوات الرجال والسلاح وسمعنا قائلا يقول لفرسه أقدم حيزوم وسمعناهم يقولون رويدا تتاءم أحرأكم فنزلوا على ميمنه رسول الله ص ثم جاءت أخرى مثل تلك فكانت مع النبى ص فنظرنا إلى أصحاب محمد و إذاهم على الضعف من قريش فمات ابن عمى و أما أنا فتماسكت وأخبرت النبى ص بذلك وأسلمت . قال الواقدى و قدروى عن رسول الله ص أنه قال مارئى الشيطان يوما هو فيه أصغر و لأحقر و لأدحر و لأغضب منه فى يوم عرفه و ماذاك إلا لمارأى من نزول الرحمة وتجاوز الله تعالى عن الذنوب العظام إلا مارأى يوم بدر قيل و مارأى -رواية ١-٢-رواية ٥٤-ادامه دارد]

صفحة ١٦١] يا رسول الله يوم بدر قال أمانه رأى جبريل يوزع الملائكة -رواية-از قبل-٦٦ قدروى عن رسول الله ص أنه قال يومئذ هذا جبرائيل يسوق بريح كأنه دحية الكلبى إني نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور -رواية-١-٢-رواية-٤٤-١٢٦. قال الواقدى و كان عبدالرحمن بن عوف يقول رأيت يوم بدر رجلين أحدهما عن يمين النبي ص والآخر عن يساره يقاتلان أشد القتال ثم ثلثهما ثالث من خلفه ثم ربعهما رابع أمامه . قال و قدروى سعد بن أبى وقاص مثل ذلك قال رأيت رجلين يوم بدر يقاتلان عن النبي ص أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره وإني لأراه ينظر إلى ذا مرة و إلى ذا مرة سرورا بما فتحه الله تعالى . قال الواقدى وحدثنى إسحاق بن يحيى عن حمزة بن صهيب عن أبيه قال ما أدرى كم يد مقطوعة و ضربة جائفة لم يدم كلمها يوم بدر قدرأيتها. قال الواقدى وروى أبو بردة بن نيار قال جئت يوم بدر بثلاثه رءوس فوضعتها بين يدى رسول الله ص فقلت يا رسول الله أما اثنان فقتلتها و أما الثالث فإنى رأيت رجلا- طويلا أبيض ضربه فتدهده أمامه فأخذت رأسه فقال رسول الله ص ذاك فلان من الملائكة. قال الواقدى و كان ابن عباس رحمه الله يقول لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر -رواية-١-٢-رواية-٥١-٨٣. [صفحہ ١٦٢] قال وحدثنى ابن أبى حبيب عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال كان الملك يتصور فى صورة من يعرفه المسلمون من الناس ليثبتهم فيقول إني قد دنوت من المشركين فسمعتهم يقولون لو حملوا علينا ما ثبتنا لهم وليسوا بشيء فاحملوا عليهم و ذلك قول الله عز و جل إذ يُوحى رَبِّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتَبَتُوا الَّذِينَ آمَنُوا الْآيَةَ -رواية-١-٢-رواية-٧٨-٣٥٩. قال الواقدى وحدثنى موسى بن محمد عن أبيه قال كان السائب بن أبى حبيش الأسدى يحدث فى زمن عمر بن الخطاب فيقول و الله ما أسرنى يوم بدر أحد من الناس فيقال فمن فيقول لمانهزمت قريش انهزمت معها فيدركنى رجل أبيض طويل على فرس أبلق بين السماء و الأرض فأوثقنى رباطا وجاء عبدالرحمن بن عوف فوجدنى مربوطا و كان عبدالرحمن ينادى فى العسكر من أسر هذا فليس أحد يزعم أنه أسرنى حتى انتهى بى إلى رسول الله ص فقال لى رسول الله يا ابن أبى حبيش من أسرك قلت لا- أعرفه و كرهت أن أخبره بالذى رأيت فقال رسول الله ص أسره ملك من الملائكة كريم اذهب يا ابن عوف بأسيرك فذهب بى عبدالرحمن قال السائب و مازالت تلك الكلمة أحفظها وتأخر إسلامى حتى كان من إسلامى ما كان . قال الواقدى و كان حكيم بن حزام يقول لقد رأيتنا يوم بدر و قد وقع بوادى خلص بجاد من السماء قد سد الأفق قال و وادى خلص ناحية الرويته قال فإذا الوادى يسيل نملا فوقع فى نفسى أن هذا شىء من السماء أيد به محمد فما كانت إلا الهزيمة و هى الملائكة. [صفحہ ١٦٣] قال الواقدى و قد قالوا إنه لما التحم القتال و رسول الله ص رافع يديه يسأل الله النصر و ما وعده و يقول اللهم إن ظهرت على هذه العصابة ظهر الشرك و لا يقوم لك دين و أبوبكر يقول و الله لينصرك الله وليبيضن وجهك فأنزل الله تعالى ألفا من الملائكة مردفين عند أكتاف العدو فقال رسول الله ص يا أبابكر أبشر هذا جبرائيل معتمر بعمامة صفراء آخذ بعنان فرسه بين السماء و الأرض ثم قال إنه لما نزل الأرض تغيب عنى ساعة ثم طلع على ثنياه النقع يقول أتاك النصر من الله إذ دعوته . قال الواقدى وحدثنى موسى بن يعقوب عن عمه قال سمعت أبابكر بن سليمان بن أبى خيثمة يقول سمعت مروان بن الحكم يسأل حكيم بن حزام عن يوم بدر فجعل الشيخ يكره ذلك حتى ألح عليه فقال حكيم التقينا فاقتلنا فسمعت صوتا وقع من السماء إلى الأرض مثل وقع الحصاة فى الطست و قبض النبي ص القبضة فرمى بها فانهمنا. قال الواقدى و قدروى عبد الله بن ثعلبة بن صغير قال سمعت نوفل بن معاوية الدؤلى يقول انهزمتنا يوم بدر ونحن نسمع كوقع الحصى فى الطساس بين أيدينا و من خلفنا فكان ذلك أشد الرعب علينا فأما الذين قالوا نزلت الملائكة و لم تقاتل فذكر الزمخشري فى كتابه فى تفسير القرآن المعروف بالكشاف أن قوما أنكروا قتال الملائكة يوم بدر وقالوا لوقاتل واحد من الملائكة جميع البشر لم يشبوا له ولا ستأصلهم بأجمعهم ببعض قوته فإن جبرائيل ع رفع مدائن قوم لوط كما جاء فى الخبر على خافقه من جناحه [صفحہ ١٦٤] حتى بلغ بها إلى السماء ثم قلبها فجعل عاليها سافلها فما عسى أن يبلغ قوة ألف رجل من قريش ليحتاج فى مقاومتها و حربها إلى ألف ملك من ملائكة

السماء مضافين إلى ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا من بنى آدم وجعل هؤلاء قوله تعالى فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ امْرَأًا لِلْمُسْلِمِينَ لِأَمْرًا لِلْمَلَائِكَةِ. ورووا في نصرته قولهم روايات قالوا وإنما كان نزول الملائكة ليكثر سواد المسلمين في أعين المشركين فإنهم كانوا يرونهم في مبدأ الحال قليلين في أعينهم كما قال تعالى وَيَقْلُ كَمَا يُلْمَعُ الْمُشْرِكُونَ فِيهِمْ وَيَجْتَرُّوهُ عَلَى حَرْبِهِمْ فَلَمَّا نَشِبَتْ الْحَرْبَ كَثُرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْمَلَائِكَةِ فِي أَعْيُنِ الْمُشْرِكِينَ لِيَفْرُوا وَلَا يَثْبُتُوا وَأَيْضًا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ نَزَلَتْ وَتَصَوَّرَتْ بِصُورِ الْبَشَرِ الَّذِينَ يَعْرِفُهُمُ الْمُسْلِمُونَ وَقَالُوا لَهُمْ مَا جَرَتْ الْعَادَةُ أَنْ يُقَالَ مِثْلُهُ مِنْ تَثْبِيتِ الْقُلُوبِ يَوْمَ الْحَرْبِ نَحْوَ قَوْلِهِمْ لَيْسَ الْمُشْرِكُونَ بِشَيْءٍ لِقُوَّةِ عِنْدَهُمْ لَا لِقُلُوبِهِمْ لَوْ حَمَلْتُمْ عَلَيْهِمْ لَهَزَمْتُمُوهُمْ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ . ولقائل أن يقول إذا كان قادرا على أن يقلل ثلاثمائة إنسان في أعين قريش حتى يظنهم مائة فهو قادر على أن يكثرهم في أعين قريش بعد اللقاء حلقتى البطان فيظنهم ألفين وأكثر من غير حاجة إلى إنزال الملائكة. فإن قلت لعل في إنزالهم لطفًا للمكلفين قلت ولعل في محاربتهم لطفًا للمكلفين و أما أصحاب المعاني فإنهم لم يحملوا الكلام على ظاهره ولهم في تأويله قول ليس هذا موضع ذكره -قرآن- ٢٢٨-٢٥٣-قرآن- ٤٥٨-٤٧١ [صفحة ١٦٥]

القول فيما جرى في الغنيمه والأسارى بعد هزيمة قريش ورجوعها إلى مكة

قال الواقدي لما تصاف المشركون والمسلمون قال النبي ص من قتل قتيلا فله كذا وكذا و من أسر أسيرا فله كذا وكذا فلما انهزم المشركون كان الناس ثلاث فرق فرقة قامت عند خيمته رسول الله ص و كان أبو بكر معه في الخيمة وفرقة أغارت على النهب تنتهب وفرقة طلبت العدو فأسروا وغنموا فتكلم سعد بن معاذ و كان ممن أقام على خيمته رسول الله ص فقال يا رسول الله ما منعنا أن نطلب العدو زهاده في الأجر ولا جبن عن العدو ولكننا خفنا أن نعرى موضعك فيميل عليك خيل من خيل المشركين ورجال من رجالهم وقد أقام عند خيمتك وجوه الناس من المهاجرين والأنصار و الناس كثير ومتى تعط هؤلاء لا يبقى لأصحابك شيء والقتلى والأسرى كثير والغنيمه قليله فاختلفوا فأنزل الله عز وجل يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ الْآيَةُ فَرَجَعُ الْمُسْلِمُونَ وَ لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْغَنِيمَةِ شَيْءٌ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهَا بَعْدَ وَعَلَّمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ لِقِسْمِهِ عَلَيْهِمْ بَيْنَهُمْ . قال الواقدي و قدروى عبادة بن الوليد بن عبادة عن جده عبادة بن الصامت قال سلمنا الأنفال يوم بدر لله وللرسول و لم يخمس رسول الله ص بدرا ونزلت بعد و علموا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَاسْتَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ص بِالْمُسْلِمِينَ -قرآن- ٦٧٩-٧٤٠-قرآن- ٨١١-٨٨٤-قرآن- ١٠٦٠-١٠٩٦ [صفحة ١٦٦] الخمس فيما كان من أول غنيمه بعد بدر. قال الواقدي و قدروى عن أبي أسيد الساعدي مثله . وروى عكرمة قال اختلف الناس في الغنائم يوم بدر فأمر رسول الله ص بالغنائم أن ترد في المقسم فلم يبق منها شيء إلا رد و ظن أهل الشجاعة أنه ص يخصصهم بهادون غيرهم من أهل الضعف ثم أمر رسول الله ص أن تقسم بينهم على سواء فقال سعد بن أبي وقاص يا رسول الله تعطى فارس القوم الذى يحميهم مثل ماتعطى الضعيف فقال ص ثكلتك أمك وهل تنصرون إلا بضعفائكم . قال الواقدي فروى محمد بن سهل بن خيثمة قال أمر رسول الله ص أن ترد الأسرى والأسلاب و ما أخذوا من المغنم ثم أقرع بينهم فى الأسرى وقسم أسلاب المقتولين الذين يعرف قاتلوهم بين قاتليهم وقسم ما وجدته فى العسكر بين جميع المسلمين عن فراق . قال الواقدي وحدثنى عبد الحميد بن جعفر قال سألت موسى بن سعد بن زيد بن ثابت كيف فعل النبى ص يوم بدر فى الأسرى والأسلاب والأنفال فقال نادى مناديه يومئذ من قتل قتيلا فله سلبه و من أسر أسيرا فهو له وأمر بما وجد فى العسكر و ما أخذ بغير قتال فقسمة بينهم عن فراق فقلت لعبد الحميد فلمن أعطى سلب أبى جهل فقال قد قيل إنه أعطاه معاذ بن عمرو بن الجموح وقيل أعطاه ابن مسعود. قال وأخذ على ع درع الوليد بن عتبة وبيضته ومغفره وأخذ حمزة سلاح عتبة وأخذ عبيدة بن الحارث سلاح شيبه ثم صار إلى ورثته . [صفحة ١٦٧] قال الواقدي فكانت القسمة على ثلاثمائة وسبعة عشر سهما لأن الرجال كانت ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا و كان معهم فرسان لهما أربعة أسهم وقسم أيضا فوق ذلك لثمانية أسهم لم

يحضروا ضرب لهم بسهامهم وأجورهم ثلاثة من المهاجرين لاخلاف فيهم وهم عثمان بن عفان خلفه رسول الله ص على ابنته رقية وماتت يوم قدم زيد بن حارثة بالبشارة إلى المدينة وطلحة بن عبيد الله وسعد بن زيد بن عمرو بن نفيل بعثهما رسول الله ص يتجسسان خبر العير وخمسة من الأنصار هم أبو لبابة بن عبد المنذر خلفه على المدينة وعاصم بن عدي خلفه على قباء وأهل العالية والحارث بن حاطب أمره بأمر في بني عمرو بن عوف وخوات بن جبير كسر بالروحاء والحارث بن الصمة مثله فلاختلاف في هؤلاء واختلف في أربعة غيرهم فروى أنه ضرب لسعد بن عباد بسهمه وأجره وقال لئن لم يشهدا لقد كان فيهما راغباً وذلك أنه كان يحض الناس على الخروج إلى بدر فنهش فمنعه ذلك من الخروج . وروى أنه ضرب لسعد بن مالك الساعدي بسهمه وأجره و كان تجهز إلى بدر فمرض بالمدينة فمات خلاف رسول الله ص وأوصى إليه ع . وروى أنه ضرب لرجلين آخرين من الأنصار و لم يسمهما الواقدي وقال هؤلاء الأربعة غير مجمع عليهم كإجماعهم على الثمانية. قال وقد اختلف هل ضرب بسهم في الغنيمة لقتلى بدر فقال الأكثرون لم يضرب لهم و قال بعضهم بل ضرب لهم حدثني ابن أبي سبرة عن يعقوب بن زيد عن أبيه أن رسول الله ص ضرب لشهداء بدر أربعة عشر رجلاً قال وقد قال عبد الله ابن سعد بن خيثمة أخذنا سهم أبي الذي ضرب له رسول الله ص حين [صفحة ١٦٨] قسم الغنائم وحمله إلينا عويمر بن ساعدة قال وقد روى السائب بن أبي لبابة أن رسول الله ص أسهم لمبشر بن عبد المنذر قال وقد قدم بسهمه علينا معن بن عدي. قال الواقدي وكانت الإبل التي أصابوا يومئذ مائة وخمسين بعيراً و كان معه آدم كثير حملوه للتجارة فمنعه المسلمون يومئذ و كان فيما أصابوا قطيفة حمراء فقال بعضهم مالنا لانرى القطيفة مانرى رسول الله ص إلا أخذها فأنزل الله تعالى وَ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغَلَّ وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص وَ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ فَلَانَا غُلَّ قَطِيفَةٌ فَسَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ص الرَّجُلَ فَقَالَ لَمْ أَفْعَلْ فَقَالَ الدَّالُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْفَرُوا هَاهُنَا فَحَفَرْنَا فَاسْتَخْرَجْتَ الْقَطِيفَةَ فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَغْفِرُ لِفَلَانٍ مَرَّتَيْنِ أَوْ مَرَارًا فَقَالَ عَدُوْنَا مِنْ أَبِي حَرٍّ. قَالَ الْوَاقِدِيُّ وَأَصَابَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ خِيُولِهِمْ عَشْرَةَ أَفْرَاسٍ وَ كَانَ جَمَلُ أَبِي جَهْلٍ فِيْمَا غَنَمُوهُ فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ ص فَلَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ يُضْرَبُ فِي إِبْلِهِ وَيَغْزُو عَلَيْهِ حَتَّى سَاقَهُ فِي هَدْيِ الْحَدِيبَةِ فَسَأَلَهُ يَوْمَئِذٍ الْمَشْرُكُونَ الْجَمَلَ بِمِائَةِ بَعِيرٍ فَقَالَ لَوْ لَا أَنَا سَمِينَاهُ فِي الْهَدْيِ لَفَعَلْنَا قَالَ الْوَاقِدِيُّ وَ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ص صَفَى مِنَ الْغَنِيمَةِ قَبْلَ الْقِسْمَةِ فَتَنَفَّلَ سَيْفَهُ ذَا الْفَقَارِ يَوْمَئِذٍ كَانَ لِمَنْبِهِ بِنِ الْحِجَابِ وَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص قَدْ غَزَا إِلَى بَدْرِ بِسَيْفٍ وَ هَبَهُ لَهُ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ يُقَالُ لَهُ الْعُضْبُ . قَالَ وَسَمِعْتُ ابْنَ أَبِي سَبْرَةَ يَقُولُ سَمِعْتُ صَالِحَ بْنَ كَيْسَانَ يَقُولُ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ -ص- قَرَأَنَ -٤٠٢- ٤٣٢ [صفحة ١٦٩] اللَّهُ ص يَوْمَ بَدْرِ وَ مَامَعَهُ سَيْفٌ وَ كَانَ أَوَّلَ سَيْفٍ قَلَدَهُ سَيْفٌ مِنْهُ بِنِ الْحِجَابِ غَنَمَهُ يَوْمَ بَدْرِ . وَ قَالَ الْبَلَاذُرِيُّ كَانَ ذُو الْفَقَارِ لِلْعَاصِ بْنِ مَنْبِهِ بِنِ الْحِجَابِ وَيُقَالُ لِمَنْبِهِ وَيُقَالُ لَشَيْبَةَ وَالثَّبْتُ عِنْدَنَا أَنَّهُ كَانَ لِلْعَاصِ بْنِ مَنْبِهِ . قَالَ الْوَاقِدِيُّ وَ كَانَ أَبُو أَسِيدٍ السَّاعِدِيُّ إِذَا ذَكَرَ الْأَرْقَمَ بِنِ أَبِي الْأَرْقَمِ يَقُولُ مَا يَوْمِي مِنْهُ بَوَاحِدٍ فَيُقَالُ مَا هَذَا هُوَ فَيَقُولُ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ ص الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَرُدُّوا يَوْمَ بَدْرِ مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْمَغْنَمِ فَرَدَّدَتْ سَيْفُ أَبِي عَائِذٍ الْمَخْزُومِيِّ وَاسْمُ السَّيْفِ الْمَرْزَبَانِ وَ كَانَ لَهُ قِيَمَةٌ وَقَدَّرَ وَ أَنَا أَطْمَعُ أَنْ يَرُدَّ إِلَى فَكَلِمِ الْأَرْقَمِ رَسُولُ اللَّهِ ص فِيهِ وَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص لَا يَمْنَعُ شَيْئًا يَسْأَلُهُ فَأَعْطَاهُ السَّيْفَ وَخَرَجَ بِنِي لَهُ يَفْعَةٌ فَاحْتَمَلَهُ الْغَوْلُ فَذَهَبَتْ بِهِ مَتَوْرَكَةً ظَهْرًا فَقِيلَ لِأَبِي أَسِيدٍ وَكَانَتْ الْغِيلَانُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ فَقَالَ نَعَمْ وَلَكِنَّا قَدْ هَلَكْتَ فَلَقِيَ بِنِي الْأَرْقَمِ بِنِ أَبِي الْأَرْقَمِ فَهَشَّ إِلَيْهِ بِأَكْيَا مُسْتَجِيرًا بِهِ فَقَالَ مِنْ أَنْتِ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَتْ الْغَوْلُ أَنَا حَاضِنَتُهُ فَلَهَا عَنْهُ وَالصَّبِيُّ يَكْذِبُهَا فَلَمْ يَعْجِزْ عَلَيْهِ حَتَّى السَّاعَةَ فَخَرَجَ مِنْ دَارِي فَرَسٍ لِي فَقَطَعَ رَسَنَهُ فَلَقِيَهُ الْأَرْقَمُ بِالْغَابَةِ فَرَكِبَهُ حَتَّى إِذَا دَانَ مِنَ الْمَدِينَةِ أَفَلَتْ مِنْهُ فَتَعَذَّرَ إِلَى أَنَّهُ أَفَلَتْ مِنْهُ فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَيْهِ حَتَّى السَّاعَةَ. قَالَ وَرَوَى عَامِرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ص يَوْمَ بَدْرِ سَيْفَ الْعَاصِ بْنِ مَنْبِهِ فَأَعْطَاهُ قَالَ وَأَخَذَ مِمَّا لِيكَ حَضَرُوا بَدْرًا وَ لَمْ يَسْهَمْ لَهُمْ وَهُمْ ثَلَاثَةٌ أَعْبَدَ غَلَامٌ لِحَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ وَغَلَامٌ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ [صفحة ١٧٠] بِنِ عَوْفٍ وَغَلَامٌ لِسَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ وَاسْتَعْمَلَ ص شَقْرَانَ غَلَامَهُ عَلَى الْأَسْرَى فَأَخَذُوا مِنْ كُلِّ أَسِيرٍ مَا لَوْ كَانَ حَرًّا مَا أَصَابَهُ فِي الْمَقْسَمِ . وَرَوَى عَامِرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ رَمَيْتُ سَهِيلَ بْنَ عَمْرٍو يَوْمَ بَدْرِ فَقَطَعْتَ

نساءه فاتبعت أثر الدم حتى وجدته قد أخذه مالك بن الدخشم وهو ممسك بناصيته فقلت أسيرى رميته فقال أسيرى أخذته فأتينا رسول الله فأخذه منا جميعا وأفلت سهل الروحاء فصاح ع بالناس فخرجوا فى طلبه فقال ص من وجده فليقتله فوجده هوص فلم يقتله . قال الواقدى وأصاب أبو بردة بن نيار أسيرا من المشركين يقال له معبد بن وهب من بنى سعد بن ليث فلقبه عمر بن الخطاب و كان عمر يحض على قتل الأسرى لا يرى أحدا فى يديه أسيرا إلا أمر بقتله و ذلك قبل أن يتفرق الناس فلقبه معبد و هو أسير مع أبى بردة فقال أترون يا عمر أنكم قد غلبتم كلا واللات والعزى فقال عمر عباد الله المسلمين أتتكم و أنت أسير فى أيدينا ثم أخذه من أبى بردة فضرب عنقه ويقال إن أبا بردة قتله . قال الواقدى وروى أبو بكر بن إسماعيل عن أبيه عن عامر بن سعد قال قال النبي ص يومئذ لا تخبروا سعدا بقتل أخيه فيقتل كل أسير فى أيديكم . قال الواقدى و لما جرى بالأسرى كره ذلك سعد بن معاذ فقال له رسول الله ص كأنه شق عليك أن يؤسروا قال نعم يا رسول الله كانت أول [صفحہ ۱۷۱] وقعة التقينا فيها بالمشركين فأحببت أن يذلهم الله و أن يثخن فيهم القتل . قال الواقدى و كان النضر بن الحارث أسره المقداد يومئذ فلما خرج رسول الله ص من بدر فكان الأثيل عرض عليه الأسرى فنظر إلى النضر بن الحارث فأبده البصر فقال لرجل إلى جنبه محمد و الله قاتلى لقد نظر إلى بعينين فيهما الموت فقال أذى إلى جنبه و الله ما هذا منك إلا رعب فقال النضر لمصعب بن عمير يا مصعب أنت أقرب من هاهنا بى رحما كلم صاحبك أن يجعلنى كرجل من أصحابى هو و الله قاتلى إن لم تفعل قال مصعب إنك كنت تقول فى كتاب الله كذا وكذا وتقول فى نبيه كذا وكذا قال يا مصعب فليجعلنى كأحد أصحابى إن قتلوا قتلوا و إن من عليهم من على قال مصعب إنك كنت تعذب أصحابه قال أما و الله لو أسرتك قريش ما قتلت أبدا و أنا حتى قال مصعب و الله إنى لأراك صادقاً ولكن لست مثلك قطع الإسلام اليهود . قال الواقدى وعرضت الأسرى على رسول الله ص فرأى النضر بن الحارث فقال اضربوا عنقه فقال المقداد أسيرى يا رسول الله فقال ألهم أغن المقداد من فضلك قم يا على فاضرب عنقه فقام على فاضرب عنقه بالسيف صبوا و ذلك بالأثيل فقالت أخته ياراكبا إن الأثيل مظنة || من صبح خامسة و أنت موفق بلغ به ميتا فإن تحية || ما إن تزال بها الركائب تخفق منى إليه وعبرة مسفوحة || جادت لمائجها وأخرى تخفق [صفحہ ۱۷۲] فليسمع النضر إن ناديته || إن كان يسمع ميت أو ينطق ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه || لله أرحام هناك تمزق صبوا يقاد إلى المدينة راغما || رسف المقيد و هو عان موثق أ محمد ولأنت نجل نجبية || فى قومها والفحل فحل معرق ما كان ضرك لومنت وربما || من الفتى و هو المغيظ المحقق والنضر أقرب من قتلت وسيلة || وأحقهم إن كان عتق يعتق . قال الواقدى وروى أن النبي ص لما وصل إليه شعرها رق له و قال لو كنت سمعت شعرها قبل أن أقتله لما قتلت . قال الواقدى و لما أسر سهيل بن عمرو قال عمر بن الخطاب يا رسول الله انزع ثنيتيه يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيبا أبدا فقال رسول الله ص لا أمثل به فيمثل الله بى و إن كنت نبيا ولعله يقوم مقاما لا تكرهه فقام سهيل بن عمرو بمكة حين جاءه وفاة النبي ص بخطبة أبى بكر بالمدينة كأنه كان يسمعها فقال عمر حين بلغه كلام سهيل أشهد أنك رسول الله يريد قوله ص لعله يقوم مقاما لا تكرهه . قال الواقدى و كان على ع يحدث فيقول أتى جبريل النبي ص يوم بدر فخيره فى الأسرى أن يضرب أعناقهم أو يأخذ منهم الفداء ويستشهد من المسلمين فى قابل عدتهم فدعا رسول الله ص أصحابه و قال هذا جبريل يخيركم فى الأسرى بين أن تضرب أعناقهم أو تؤخذ منهم الفدية ويستشهد [صفحہ ۱۷۳] منكم قابلا عدتهم قالوا بل نأخذ الفدية ونستعين بها ويستشهد منا من يدخل الجنة فقبل منهم الفداء وقتل من المسلمين قابلا عدتهم بأحد . قلت لو كان هذا الحديث صحيحا لماعتبوا فقيل لهم ما كان لبيى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا و الله يريد الآخرة ثم قال لو لا كتاب من الله سبقت لمتكم فيما أخذتم عذاب عظيم لأنه إذا كان خيرهم فقد أباحهم أخذ الفداء وأخبرهم أنه حسن فلا يجوز فيما بعد أن ينكره عليهم و يقول إنه قبيح قال الواقدى لما حبس الأسرى وجعل عليهم شقران مولى رسول الله ص طمعوا فى الحياة فقالوا لوبعثنا إلى أبى بكر فإنه أوصل قريش لأرحامنا فبعثوا

إلى أبي بكر فاتاهم فقالوا يا أبا بكر إن فينا الآباء والأبناء والإخوان والعمومى وبنى العم وأبعدنا قريب كلم صاحبك فليمن علينا ويفادنا فقال نعم إن شاء الله لا ألوكم خيرا ثم انصرف إلى رسول الله ص قالوا وابعثوا إلى عمر بن الخطاب فإنه من قد علمتم و لا يؤمن أن يفسد عليكم لعله يكف عنكم فأرسلوا إليه فجاهم فقالوا له مثل ما قالوا لأبى بكر فقال لا ألوكم شرا ثم انصرف إلى النبى ص فوجد أبا بكر عنده و الناس حوله و أبو بكر يلينه ويغشاه و يقول يا رسول الله بأبى أنت وأمى قومك فيهم الآباء والأبناء والعمومى والإخوان وبنى العم وأبعدهم عنك قريب فامنن عليهم من الله عليك أوفادهم قوة للمسلمين ففعل الله يقبل بقلوبهم إليك ثم قام فتحنى ناحية وسكت رسول الله ص فلم يجبه فجاه عمر فجلس مجلس أبى بكر فقال يا رسول الله هم أعداء الله كذبوك - قرآن- ١٩٠-٣٠٩- قرآن- ٣١٩-٣٩٠ [صفحة ١٧٤] وقاتلوك وأخرجوك اضرب رقابهم فهم رءوس الكفر وأئمة الضلالة يوطئ الله بهم الإسلام ويذل بهم الشرك فسكت رسول الله ص و لم يجبه وعاد أبو بكر إلى مقعده الأول فقال بأبى أنت وأمى قومك فيهم الآباء والأبناء والعمومى والإخوان وبنى العم وأبعدهم منك قريب فامنن عليهم أوفادهم هم عشيرتك وقومك لا تكن أول من يستأصلهم و أن يهديهم الله خير من أن يهلكهم فسكت ص عنه فلم يرد عليه شيئا وقام ناحية فقام عمر فجلس مجلسه فقال يا رسول الله ما تنتظر بهم اضرب أعناقهم يوطئ الله بهم الإسلام ويذل أهل الشرك هم أعداء الله كذبوك وأخرجوك يا رسول الله اشف صدور المؤمنين لو قدروا منا على مثل هذا ما أقالونا أبدا فسكت رسول الله ص فلم يجبه فقام ناحية فجلس وعاد أبو بكر فكلمه مثل كلامه الأول فلم يجبه ثم قام رسول الله ص فدخل قبله فمكث فيها ساعة ثم خرج و الناس يخوضون فى شأنهم يقول بعضهم القول ما قال أبو بكر وآخرون يقولون القول ما قال عمر فلما خرج قال للناس ماتقولون فى صاحبيكم هذين دعوهما فإن لهما مثلا مثل أبى بكر فى الملائكة ميكائيل ينزل برضا الله وعفوه على عباده ومثله فى الأنبياء كمثل ابراهيم كان ألين على قومه من العسل أوقد له قومه النار فطرحوه فيها فما زاد على أن قال أف لكم و لِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ وَ قَالَ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَ مَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وكعيسى إذ يقول إن تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَ إِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ومثل عمر فى الملائكة كمثل جبريل ينزل بالسخط من الله والنقمة على أعداء الله ومثله فى الأنبياء كمثل نوح كان أشد على قومه من الحجارة إذ يقول رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ - قرآن- ١١٩٩-١٢٦٣- قرآن- ١٢٧١-١٣٤٣- قرآن- ١٣٦١-١٤٤٨- قرآن- ١٥٩٩-١٦١٧ وقاتلوك وأخرجوك اضرب رقابهم فهم رءوس الكفر وأئمة الضلالة يوطئ الله بهم الإسلام ويذل بهم الشرك فسكت رسول الله ص و لم يجبه وعاد أبو بكر إلى مقعده الأول فقال بأبى أنت وأمى قومك فيهم الآباء والأبناء والعمومى والإخوان وبنى العم وأبعدهم منك قريب فامنن عليهم أوفادهم هم عشيرتك وقومك لا تكن أول من يستأصلهم و أن يهديهم الله خير من أن يهلكهم فسكت ص عنه فلم يرد عليه شيئا وقام ناحية فقام عمر فجلس مجلسه فقال يا رسول الله ما تنتظر بهم اضرب أعناقهم يوطئ الله بهم الإسلام ويذل أهل الشرك هم أعداء الله كذبوك وأخرجوك يا رسول الله اشف صدور المؤمنين لو قدروا منا على مثل هذا ما أقالونا أبدا فسكت رسول الله ص فلم يجبه فقام ناحية فجلس وعاد أبو بكر فكلمه مثل كلامه الأول فلم يجبه ثم قام رسول الله ص فدخل قبله فمكث فيها ساعة ثم خرج و الناس يخوضون فى شأنهم يقول بعضهم القول ما قال أبو بكر وآخرون يقولون القول ما قال عمر فلما خرج قال للناس ماتقولون فى صاحبيكم هذين دعوهما فإن لهما مثلا مثل أبى بكر فى الملائكة ميكائيل ينزل برضا الله وعفوه على عباده ومثله فى الأنبياء كمثل ابراهيم كان ألين على قومه من العسل أوقد له قومه النار فطرحوه فيها فما زاد على أن قال أف لكم و لِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ وَ قَالَ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَ مَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وكعيسى إذ يقول إن تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَ إِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ومثل عمر فى الملائكة كمثل جبريل ينزل بالسخط من الله والنقمة على أعداء الله ومثله فى الأنبياء كمثل نوح كان أشد على قومه من الحجارة إذ يقول رَبِّ لَا

تَدَّرَ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَارًا فَدَعَا عَلَيْهِمْ دَعْوَةً أَغْرَقَ اللَّهُ بِهَا الْأَرْضَ جَمِيعًا وَمِثْلَ مُوسَى إِذْ يَقُولُ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ وَ إِنْ بِكُمْ عِيلَةٌ فَلَا يَفُوتَنَّكُمْ رَجُلٌ مِنْ هَؤُلَاءِ إِلَّا بَفْسَاءٍ أَوْ ضَرْبَةٍ عَنُقٍ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا سَهِيلَ بْنَ بِيضَاءٍ. قَالَ الْوَاقِدِيُّ هَكَذَا رَوَى ابْنُ أَبِي حَبِيبَةَ وَ هَذَا وَهُمْ سَهِيلُ بْنُ بِيضَاءٍ مُسْلِمٌ مِنْ مَهَاجِرَةِ الْحَبِشَةِ وَ شَهِدَ بَدْرًا وَ إِنَّمَا هُوَ أَخٌ لَهُ وَيُقَالُ لَهُ سَهِيلٌ قَالَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ فَإِنِّي رَأَيْتُهُ يَظْهَرُ الْإِسْلَامَ بِمَكَّةَ قَالَ فَسَكَتَ النَّبِيُّ صَلَّى قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَمَا مَرَّتْ عَلَى سَاعَةٍ قَطُّ كَانَتْ أَشَدَّ عَلَى مَنْ تَلَكَّ السَّاعَةَ جَعَلَتْ أَنْظُرَ إِلَى السَّمَاءِ أَتَخَوَّفُ أَنْ تَسْقُطَ عَلَيَّ الْحِجَارَةُ لِتَقْدَمِي بَيْنَ يَدَيَّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ بِالْكَلامِ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى رَأْسَهُ فَقَالَ إِلَّا سَهِيلَ بْنَ بِيضَاءٍ قَالَ فَمَا مَرَّتْ عَلَى سَاعَةٍ أَقْرَ لِعَيْنِي مِنْهَا إِذْ قَالَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى صَ ثُمَّ -قُرْآن- ١-٣٤-قُرْآن- ٩٩-٢٠٠ قَالَ إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِيَشْدُدَ الْقَلْبَ حَتَّى يَكُونَ أَشَدَّ مِنْ الْحِجَارَةِ وَ إِنْهُ لِيَلِينُ الْقَلْبَ حَتَّى يَكُونَ أَلْيَنَ مِنَ الزَّبَدِ -رَوَايَت- ١-٢-رَوَايَت- ٨-١١٠ فِقَبْلِ الْفِدَاءِ ثُمَّ قَالَ بَعْدَ لَوْ نَزَلَ عَذَابٌ يَوْمَ بَدْرٍ لِمَانِجَا مِنْهُ إِلَّا عَمْرُ كَانَ يَقُولُ اقْتُلْ وَ لَا تَأْخُذْ الْفِدَاءَ وَ كَانَ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ يَقُولُ اقْتُلْ وَ لَا تَأْخُذْ الْفِدَاءَ. قُلْتُ عِنْدِي فِي هَذَا كَلَامٌ أَمَا فِي أَصْلِ الْحَدِيثِ فَلَأَنَّ فِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى قَالَ وَمِثْلَهُ كَعِيسَى إِذْ قَالَ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَ إِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَ هَذِهِ الْآيَةُ مِنَ الْمَائِدَةِ وَ الْمَائِدَةُ أَنْزَلَتْ فِي آخِرِ عَمْرِهِ وَ لَمْ يَنْزَلْ بَعْدَهَا إِلَّا سُورَةُ بَرَاءَةٍ وَ بَدْرٍ كَانَتْ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ فَكَيْفَ هَذَا أَللَّهُمَّ إِلَّا- أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أُمَّيَّ إِلَهَيْنِ الْآيَاتِ قَدْ كَانَتْ أَنْزَلَتْ أَمَامَ مَكَّةَ أَوْ بِالْمَدِينَةِ قَبْلَ بَدْرِ -قُرْآن- ٢٤٤-٣٣١-قُرْآن- ٤٩٧-٥٩٣ [صَفْحَةُ ١٧٦] فَلَمَّا جَمَعَ عَثْمَانُ الْقُرْآنَ ضَمَّمَهَا إِلَى سُورَةِ الْمَائِدَةِ فَلَعَلَّهُ قَدْ كَانَ ذَلِكَ فَيَنْبَغِي أَنْ نَنْظُرَ فِي هَذَا فَهَوَ مُشْكَلٌ . وَ أَمَّا حَدِيثُ سَهِيلِ بْنِ بِيضَاءٍ فَإِنَّهُ يَوْمَهُمْ مَذْهَبُ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ فِي أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى كَانَ يَحْكُمُ فِي الْوَقَائِعِ بِمَا يَشَاءُ لِأَنَّهُ قِيلَ لَهُ أَحْكَمْ بِمَا تَشَاءُ فَإِنَّكَ لَا تَحْكُمُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَ هُوَ مَذْهَبُ مَتْرُوكٍ إِلَّا أَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَقَالَ لَعَلَّهُ لَمَّا سَكَتَ صَلَّى عِنْدَ مَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ ذَلِكَ الْقَوْلَ نَزَلَ عَلَيْهِ فِي تِلْكَ السَّكْتَةِ الْوَحْيُ وَقِيلَ لَهُ إِلَّا سَهِيلَ بْنَ بِيضَاءٍ فَقَالَ حِينَئِذٍ إِلَّا سَهِيلَ بْنَ بِيضَاءٍ كَمَا أَوْحَى إِلَيْهِ . وَ أَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِي فِيهِ لَوْ نَزَلَ عَذَابٌ لِمَانِجَا مِنْهُ إِلَّا عَمْرُ فَالْوَقَادِيُّ وَ غَيْرُهُ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ كَانَ يَقُولُ مِثْلَ مَا قَالَهُ عَمْرُ بَلْ هُوَ الْمَتَبَدِّئُ بِذَلِكَ الرَّأْيِ وَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى صَ بَعْدَ فِي الْعَرِيشِ وَ الْمَشْرُوكُونَ لَمْ يَنْفُضْ جَمْعَهُمْ كُلَّ ذَلِكَ الْإِنْفِضَاضِ فَكَيْفَ خَصَّ عَمْرُ بِالنَّجَاةِ وَ حُدَّهِ دُونَ سَعْدٍ وَ يُمْكِنُ أَنْ يَقَالَ إِنَّهُ كَانَ شَدِيدَ التَّأَلُّبِ وَ التَّحْرِيزِ عَلَيْهِمْ وَ كَثِيرَ الْإِلْحَاحِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى فِي أَمْرِهِمْ فَنَسَبَ ذَلِكَ الرَّأْيَ إِلَيْهِ لِأَشْتِهَارِهِ بِهِ وَ إِنْ شَرَكَهُ فِيهِ غَيْرُهُ . قَالَ الْوَاقِدِيُّ وَ حَدَّثَنِي مَعْمَرُ بْنُ الزَّهْرِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَبْرِ بْنِ مَطْعَمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى صَ يَوْمَ بَدْرِ لَوْ كَانَ مَطْعَمُ بْنُ عَدِي حَيًّا لَوَهَبْتُ لَهُ هَؤُلَاءِ النَّتْنَى -رَوَايَت- ١-٢-رَوَايَت- ١٠٩-١٥٩ قَالَ وَ كَانَتْ لِمَطْعَمِ بْنِ عَدِي عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى صَ يَدُ أَجَارِهِ حِينَ رَجَعَ مِنَ الطَّائِفِ . [صَفْحَةُ ١٧٧] قَالَ الْوَاقِدِيُّ وَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ الزَّهْرِيِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمَسِيْبِ قَالَ أَمَّنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى صَ مِنَ الْأَسْرَى يَوْمَ بَدْرِ أَبَاعِزَةَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمِيرِ الْجَمْحِيِّ وَ كَانَ شَاعِرًا فَاعْتَقَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى صَ وَ قَالَ لَهُ إِنْ لِي خَمْسُ بَنَاتٍ لَيْسَ لِهِنَّ شَيْءٌ فَتَصَدَّقْ بِي عَلَيْهِنَّ يَا مُحَمَّدُ فَفَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى صَ ذَلِكَ وَ قَالَ أَبُو عِزَّةُ أَعْطَيْكَ مَوْثِقًا أَلَا أَقَاتِلُكَ وَ لَا أَكْثُرُ عَلَيْكَ أَبَدًا فَأَرْسَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى صَ فَلَمَّا خَرَجَتْ قَرِيشٌ إِلَى أَحَدٍ جَاءَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ فَقَالَ أَخْرَجَ مَعَنَا قَالَ إِنْ قَدْ أُعْطِيتَ مُحَمَّدًا مَوْثِقًا أَلَا أَقَاتِلُهُ وَ لَا أَكْثُرُ عَلَيْهِ أَبَدًا وَ قَدْ مِنْ عَلِيٍّ وَ لَمْ يَمْنِ عَلِيٌّ غَيْرِي حَتَّى قَتَلَهُ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ الْفِدَاءَ فَضَمَّنَ لَهُ صَفْوَانُ أَنْ يَجْعَلَ بَنَاتَهُ مَعَ بَنَاتِهِ إِنْ قَتَلَ وَ إِنْ عَاشَ أَعْطَاهُ مَا لَا كَثِيرًا لَا يَأْكُلُهُ عِيَالُهُ فَخَرَجَ أَبُو عِزَّةُ يَدْعُو الْعَرَبَ وَ يَحْشِرُهَا ثُمَّ خَرَجَ مَعَ قَرِيشٍ يَوْمَ أَحَدٍ فَأَسْرَ وَ لَمْ يَأْسُرْ غَيْرَهُ مِنْ قَرِيشٍ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنْ خَرَجْتَ كَرِهًا وَ لِي بَنَاتٌ فَامْنَنْ عَلَيَّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى صَ أَيْنَ مَا أُعْطِيتَنِي مِنَ الْعَهْدِ وَ الْمِيثَاقِ لَا وَ اللَّهُ لَا تَمْسَحْ عَارِضِيكَ بِمَكَّةَ تَقُولُ سَخَرْتَ بِمُحَمَّدٍ مَرَّتَيْنِ فَقَتَلْتَهُ . قَالَ وَ رَوَى سَعِيدُ بْنُ الْمَسِيْبِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى صَ قَالَ يَوْمَئِذٍ إِنْ الْمُؤْمِنُ لَا يَلِدُغُ مِنْ جَحْرٍ مَرَّتَيْنِ يَا عَاصِمُ بِنِ ثَابِتٍ قَدَمَهُ فَاضْرِبْ عُنُقَهُ فَقَدَمَهُ عَاصِمُ فَضْرَبَ عُنُقَهُ . قَالَ الْوَاقِدِيُّ وَ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى صَ يَوْمَ بَدْرِ بِالْقَلْبِ أَنْ تَغُورَ ثُمَّ أَمْرٌ بِالْقَتْلِ فَطَرَحُوا فِيهَا كُلَّهُمْ إِلَّا أُمَيَّةَ بْنَ خَلْفٍ فَإِنَّهُ كَانَ مَسْمُومًا فَانْتَفَخَ مِنْ

يومه فلما أرادوا أن يلقوه تزايل لحمه فقال النبي ص اتركوه [صفحة ١٧٨] وقال ابن إسحاق انتفخ أمية بن خلف في درعه حتى ملأها فلما ذهبوا يحركونه تزايل فأقروه وألقوا عليه التراب والحجارة ماغيه . قال الواقدي ونظر رسول الله ص إلى عتبة بن ربيعة يجر إلى القلب و كان رجلا جسيما و في وجهه أثر الجدرى فتغير وجه ابنه أبي حذيفة بن عتبة فقال له النبي ص ما لك كأنك ساءك ما أصاب أباك قال لا والله يا رسول الله ولكني رأيت لأبي عقلا وشرفا كنت أرجو أن يهديه ذلك إلى الإسلام فلما أخطأه ذلك ورأيت ما أصابه غاظني فقال أبو بكر كان والله يا رسول الله أبقى في العشيرة من غيره ولقد كان كارها لوجهه ولكن الحين ومصارع السوء فقال رسول الله ص الحمد لله الذي جعل خد أبي جهل الأسفل وصرعه وشفانا منه فلما توافوا في القلب و قد كان رسول الله ص يطوف عليهم وهم مصرعون جعل أبو بكر يخبره بهم رجلا رجلا و رسول الله ص يحمد الله ويشكره و يقول الحمد لله الذي أنجز لي ما وعدني فقد وعدني إحدى الطائفتين ثم وقف على أهل القلب فناداهم رجلا رجلا يا عتبة بن ربيعة و يا شيبه بن ربيعة و يا أمية بن خلف و يا أباجهل بن هشام هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فإني وجدت ما وعدني ربي حقا بس القوم كنتم لنبيكم كذبتوني وصدقني الناس وأخرجتموني وآواني الناس وقتلتوني ونصرني الناس فقالوا يا رسول الله أتنادى قوما قدماءتوا فقال لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حق -رواية- ١-٥٤٧ . و قال ابن إسحاق في كتاب المغازي إن عائشة كانت تروى هذا الخبر وتقول فالناس يقولون إن رسول الله ص قال لقد سمعوا ما قلت لهم و ليس كذلك إنما قال لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حق . [صفحة ١٧٩] قال محمد بن إسحاق وحدثني حميد الطويل عن أنس بن مالك قال لما ناداهم رسول الله ص قال له المسلمون يا رسول الله أتنادى قوما قد أتتوا فقال ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني -رواية- ١-٢-رواية- ٦٦-٢١٦ . قلت لقائل أن يقول لعائشة إذا جاز أن يعلموا وهم موتى جاز أن يسمعوا وهم موتى فإن قالت ما أخبرت أن يعلموا وهم موتى ولكن تعود الأرواح إلى أبدانهم وهي في القلب ويرون العذاب فيعلمون أن ما وعدهم به الرسول حق قيل لها و لا مانع من أن تعود الأرواح إلى أبدانهم وهي في القلب فيسمعوا صوت رسول الله ص فيأذن لوجه لإنكارها ما يقوله الناس . ويمكن أن ينتصر لقول عائشة على وجه حكيم و هو أن الأنفس بعد المفارقة تعلم و لا تسمع لأن الإحساس إنما يكون بواسطة الآلة و بعد الموت تفسد الآلة فأما العلم فإنه لا يحتاج إلى الآلة لأن النفس تعلم بجوهرها فقط . قال الواقدي و كان انهزام قريش وتوليها حين زالت الشمس فأقام رسول الله ص ببدر وأمر عبد الله بن كعب بقبض الغنائم وحملها وأمر نفرا من أصحابه أن يعينوه فضلى العصر ببدر ثم راح فمر بالأثيل قبل غروب الشمس فنزل به وبات به وبأصحابه جراح وليست بالكثيرة و قال من رجل يحفظنا الليلة فأسكت القوم فقام رجل فقال من أنت قال ذكوان بن عبدقيس قال اجلس ثم أعاد القول الثانية فقام رجل فقال من أنت قال ابن عبدالقيس فقال اجلس ثم مكث ساعة وأعاد القول فقام رجل فقال من أنت قال أبو سبيع فسكت . [صفحة ١٨٠] ثم مكث ساعة و قال قوما ثلاثكم فقام ذكوان بن عبدقيس وحده فقال له وأين صاحبك قال يا رسول الله أنا الذي كنت أجيبك الليلة فقال رسول الله ص فحفظك الله فبات ذكوان يحرس المسلمين تلك الليلة حتى كان آخر الليل فارتحل . قال الواقدي وروى أن رسول الله ص صلى العصر بالأثيل فلما صلى ركعة تبسم فلما سلم سئل عن تبسمه فقال مر بي ميكائيل و على جناحه النقع فتبسم إلى و قال إني كنت في طلب القوم وأتاني جبريل على فرس أنثى معقود الناصية قد عم ثنيتيه الغبار فقال يا محمد إن ربي بعثني إليك وأمرني ألا أفارقك حتى ترضى فهل رضيت فقلت نعم . قال الواقدي وأقبل رسول الله ص بالأسرى حتى إذا كان بعرق الظبية أمر عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح أن يضرب عنق عقبه بن أبي معيط بن عمرو بن أمية بن عبدشمس و كان أسره عبد الله بن سلمة العجلاني فجعل عقبه يقول ياويلي علام أقتل يا معشر قريش من بين من هاهنا فقال رسول الله ص لعداوتك لله ولرسوله فقال يا محمد منك أفضل فاجعلني كرجل من قومي إن قتلتهم قتلتنى و إن مننت عليهم مننت على و إن أخذت منهم الفداء كنت كأحدكم يا محمد من للصبي فقال النار قدمه يا عاصم فاضرب عنقه فقدمه

عاصم فضرب عنقه فقال النبي ص بس الرجل كنت و الله ما علمت كافرا بالله وبرسوله وبكتابه مؤذيا لنبيه فأحمد الله الذي قتلك وأقر عيني منك . قال محمد بن إسحاق وروى عكرمة مولى ابن عباس عن أبي رافع قال كنت غلاما للعباس بن عبدالمطلب و كان الإسلام قد فشا فينا أهل البيت فأسلم العباس [صفحہ ۱۸۱] وأسلمت أم الفضل زوجته و كان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم فكان يكتنم إسلامه و كان ذا مال كثير متفرق في قومه و كان عدو الله أبولهب قد تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة و كذلك كانوا صنعوا لم يتخلف رجل إلا بعث مكانه رجلا فلما جاء الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش كبتة الله وأخزاه ووجدنا في أنفسنا قوة وعزا. قال و كنت رجلا ضعيفا و كنت أعمل القداح أنحتها في حجرة زمزم فو الله إني لجالس أنحت قداحي وعندى أم الفضل جالسة و قدسرتنا ماجاءنا من الخير إذ أقبل الفاسق أبولهب يجبر رجله بشر حتى جلس إلى طناب الحجره فكان ظهره إلى ظهري فينا هو جالس إذ قال للناس هذا أبوسفیان بن الحارث بن عبدالمطلب قد قدم و كان شهد مع المشركين بدرا فقال أبولهب هلم يا ابن أخي فعندك و الله الخبر قال فجلس إليه و الناس قيام حوله فقال يا ابن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس قال لا شيء و الله إن هو إلا أن لقيناهم فمناهم أكتافنا فقتلونا كيف شاءوا وأسرونا كيف شاءوا و ايم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجلا بيضا على خيل بلق بين السماء و الأرض لا و الله ما تبقى شيئا و لا يقوم لها شيء قال أبورافع فرفعت طناب الحجره ثم قلت تلك و الله الملائكة قال فرفع أبولهب يده فضرب بي الأرض ثم برك على يضر بني و كنت رجلا ضعيفا فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجره فأخذته فضربته على رأسه فشجته شجعة منكروة و قالت استضعفته إذ غاب [صفحہ ۱۸۲] سيده فقام موليا ذليلا فو الله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتلته . ولقد تركه ابناه ليلتين أو ثلاثا و ما يدفناه حتى أنتن في بيته و كانت قريش تتقى العدسة وعدواها كما يتقى الناس الطاعون حتى قال لهما رجل من قريش و يحكما أ لا تستحيان أن أبكما قد أنتن في بيته لا تغيبانه قالوا إنا نخشى هذه القرحة قال فانطلقا و أنا معكما فو الله ما غسلوه إلا قذفا عليه بالماء من بعيد ما يمسونه و أخرجه فألقوه بأعلى مكة إلى كنان هناك وقذفوا عليه بالحجارة حتى واروه . قال محمد بن إسحاق فحضر العباس بدرا فأسر فيمن أسر و كان الذي أسره أبو اليسر كعب بن عمرو أحد بني سلمة فلما أمسى القوم والأسارى محبوبسون في الوثاق و بات رسول الله ص تلك الليلة ساهرا فقال له أصحابه ما لك لا تنام يا رسول الله قال سمعت أنين العباس من وثاقه فقاموا إليه فأطلقوه فنام رسول الله ص . قال وروى ابن عباس رحمه الله قال كان أبو اليسر رجلا مجموعا و كان العباس طويلا جسيما فقال رسول الله ص يا أبا اليسر كيف أسرت العباس قال يا رسول الله لقد أعانني عليه رجل مارأيته من قبل من هيئته كذا قال ص لقد أعانك عليه ملك كريم قال محمد بن إسحاق قد كان رسول الله ص في أول الوقعة فنهى أن يقتل أحد من بني هاشم قال حدثني بذلك الزهري عن عبد الله بن ثعلبة حليف بني زهرة قال وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس عن بعض أهله عن عبد الله بن عباس رحمه الله -روايت- ۱-۲ [صفحہ ۱۸۳] قال و قال النبي ص لأصحابه إني قد عرفت أن رجلا من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها لا حاجة لنا بقتلهم فمن لقي منكم أحدا من بني هاشم فلا يقتله و من لقي أبا البختري فلا يقتله و من لقي العباس بن عبدالمطلب عم رسول الله ص فلا يقتله فإنه إنما خرج مستكرها فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة أنقتل آباءنا وإخواننا وعشائرتنا ونترك العباس و الله لئن لقيته لألحمنه السيف فسمعها رسول الله ص فقال لعمر بن الخطاب يا أبا حفص يقول عمر و الله إنه لأول يوم كناني فيه رسول الله ص بأبي حفص يضرب وجه عم رسول الله ص بالسيف فقال عمر يا رسول الله دعني أضرب عنقه بالسيف فو الله لقد نافق قال فكان أبو حذيفة يقول و الله ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ و لا أزال منها خائفا أبدا إلا أن يكفرها الله عنى بشهادة فقتل يوم اليمامة شهيدا -روايت- ۳۳-۷۷۱ قال محمد بن إسحاق و كان رسول الله ص لما استشار أبا بكر وعمر وسعد بن معاذ في أمر الأسارى غلظ عمر عليهم غلظة شديدة فقال يا رسول الله أظعنني فيما أشير به عليك فإني لا آلوك نصحا قدم عمك العباس فاضرب عنقه بيدك و قدم عقيلنا إلى علي أخيه يضرب

عنقه وقدم كل أسير منهم إلى أقرب الناس إليه يقتله قال فكره رسول الله ص ذلك و لم يعجبه . قال محمد بن إسحاق فلما قدم بالأسرى إلى المدينة قال رسول الله ص -رواية- ١-٢-رواية-٧٤-ادامه دارد [صفحة ١٨٤] افد نفسك يا عباس وابني أخويك عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث بن عبدالمطلب وحليفك عقبه بن عمرو فإنك ذو مال فقال العباس يا رسول الله إني كنت مسلما ولكن القوم استكروني فقال ص الله أعلم يا سلامك إن يكن ما قلت حقا فإن الله يجزيك به و أماظاهر أمرك فقد كان علينا فافتد نفسك و قد كان رسول الله ص أخذ منه عشرين أوقية من ذهب أصابها معه حين أسر فقال العباس يا رسول الله احسبها لي من فدائي فقال ص ذاك شيء أعطانا الله منك فقال يا رسول الله فإنه ليس لي مال قال فأين المال الذي وضعته بمكة حين خرجت عند أم الفضل بنت الحارث و ليس معكما أحد ثم قلت إن أصبت في سفري هذا فللفضل كذا وكذا ولعبد الله كذا وكذا ولقثم كذا وكذا فقال العباس و الذي بعثك بالحق يا رسول الله ما علم بهذا أحد غيري وغيرها وإني لأعلم أنك رسول الله ثم فدى نفسه وابني أخويه وحليفه -رواية- از قبل-٨٠٨ قال الواقدي قدم رسول الله ص من الأثيل زيد بن حارثة و عبد الله بن رواحة يبشران الناس بالمدينة فجاء يوم الأحد في الضحى وفارق عبد الله زيدا بالعقيق فجعل عبد الله ينادي عوالي المدينة يا معشر الأنصار أبشروا بسلامه رسول الله و قتل المشركين وأسروهم قتل ابنا ربيعة و ابنا الحجاج و أبو جهل وزمعة بن الأسود وأميه بن خلف وأسرة سهيل بن عمرو ذو الأنيا ب في أسرى كثير قال عاصم بن عدى فقمتم إليه فنحوته فقلت أحقا ماتقول يا ابن رواحة قال إى و الله وغدا يقدم رسول الله إن شاء الله ومعه الأسرى مقرنين ثم تتبع دور الأنصار بالعالية يبشرهم دارا دارا والصبيان يشتدون معه ويقولون قتل أبو جهل الفاسق حتى انتهوا إلى [صفحة ١٨٥] دور بنى أميه بن زيد و قدم زيد بن حارثة على ناقه النبي ص القصواء يبشر أهل المدينة فلما جاء المصلى صاح على راحلته قتل عتبه وشيبه ابنا ربيعة و ابنا الحجاج و أبو جهل و أبوالبخترى وزمعة بن الأسود وأميه بن خلف وأسرة سهيل بن عمرو ذو الأنيا ب في أسرى كثيرة فجعل الناس لا يصدقون زيد بن حارثة ويقولون ماجاء زيد إلا فلا حتى غاظ المسلمين ذلك وخافوا قال و كان قدوم زيد حين سوا على رقيه بنت رسول الله ص التراب بالبيع فقال رجل من المنافقين لأسامة بن زيد قتل صاحبكم و من معه و قال رجل من المنافقين لأبى لبابة بن عبدالمندر قد تفرق أصحابكم تفرقا لا يجتمعون معه أبدا و قد قتل عليه أصحابكم و قتل محمد و هذه ناقته نعرفها و هذا زيد بن حارثة لا يدري ما يقول من الرعب و قد جاء فلا فقال أبو لبابة كذب الله قولك و قالت يهود ماجاء زيد إلا فلا قال أسامة بن زيد فجئت حتى خلوت بأبى فقلت يا أبى أنت أحق ماتقول فقال إى و الله حقا يا بنى فقوميت نفسى فرجعت إلى ذلك المنافق فقلت أنت المرجف برسول الله و بالمسلمين لنقدمنك إلى رسول الله ص إذا قدم فليضربن عنقك فقال يا أبا محمد إنما هو شيء سمعت الناس يقولونه . قال الواقدي فقدم بالأسرى وعليهم شقران وهم تسعة وأربعون رجلا الذين أحصوا وهم سبعون فى الأصل مجمع عليه لاشك فيه إلا أنهم لم يحص سائرهم ولقى الناس رسول الله ص بالروحاء يهنئونه بفتح الله عليه فلقيه وجوه الخرج فقال سلمة بن سلامة بن وقش ما الذى تهنئونه فو الله ماقتلنا إلا عجائز صلعا فتبسم النبي ص فقال يا ابن أخى أولئك الملاء لورأيتهم لهبتهم و لوأمروك لأطعتهم و لورأيت فعالك مع فعالهم لاحتقرتها وبئس القوم كانوا على ذلك لنيبهم فقال سلمة أعود بالله من غضبه و غضب رسوله إنك يا رسول الله لم تزل عنى معرضا منذ كنا بالروحاء [صفحة ١٨٦] فى بدأتنا فقال ص أما ما قلت للأعرابي وقعت على ناقتك فهى حبلى منك ففحشت و قلت ما لا علم لك به و أما ما قلت فى القوم فإنك عمدت إلى نعمه من نعم الله تزهدها فقبل رسول الله ص معذرتة و كان من عليه أصحابه . قال الواقدي فروى الزهرى قال لقي أبوهند البياضى مولى فروة بن عمرو رسول الله و معه حميت مملوءة حيسا أهدها له فقال رسول الله ص إنما أبوهند رجل من الأنصار فأنكحوه وأنكحوه إليه . قال الواقدي ولقيه أسيد بن حضير فقال يا رسول الله الحمد لله الذى ظفرك و أقر عينك و الله يا رسول الله ما كان تخلفى عن بدر و أنا ظن بك أنك تلقى عدوا ولكنى ظننت أنها العير و لو ظننت أنه عدو لما تخلفت فقال رسول الله ص صدقت . قال ولقيه

عبد الله بن قيس بتربان فقال يا رسول الله الحمد لله على سلامتكم وظفرك كنت يا رسول الله ليالى خرجت مورودا أى محموما فلم تفارقنى حتى كان بالأمس فأقبلت إليك فقال آجرك الله . قال الواقدي و كان سهيل بن عمرو لما كان بتنوكه بين السقيا وممل كان مع مالك بن الدخشم الذى أسره فقال له خل سبيلي للغائط فقام معه فقال سهيل إنى أحترشم فاستأخر عنى فاستأخر عنه فمضى سهيل على وجهه انتزع يده من القرآن ومضى فلما أبطأ سهيل على مالك بن الدخشم أقبل فصاح فى الناس فخرجوا فى طلبه وخرج النبى ص فى طلبه بنفسه و قال من وجده فليقتله فوجده رسول الله [صفحه ١٨٧] ص بنفسه أخفى نفسه بين شجرات فأمر به فربطت يده إلى عنقه ثم قرنه إلى راحلته فلم يركب سهيل خطوة حتى قدم المدينة. قال الواقدي فحدثنى إسحاق بن حازم بن عبد الله بن مقسم عن جابر بن عبد الله الأنصارى قال لقي رسول الله ص أسامة بن زيد و رسول الله ص على ناقته القصوى فأجلسه بين يديه وسهيل بن عمرو محبوب ويده إلى عنقه فلما نظر إلى سهيل قالوا يا رسول الله أبو يزيد قال نعم هذا الذى كان يطعم الخبز بمكة و قال البلاذرى قال أسامة و هو يومئذ غلام يا رسول الله هذا الذى كان يطعم الناس بمكة السريد يعنى الشريد. قلت هذه لثغة مقلوبة لأن الألتع بيدل السين ثاء و هذاأبدل الثاء سينا و من الناس من يرويها هذا الذى كان يطعم الناس بمكة الشريد بالشين المعجمة. قال البلاذرى وحدثنى مصعب بن عبد الله الزبيرى عن أشياخه أن أسامة رأى سهيلا يومئذ فقال يا رسول الله هذا الذى كان يطعم السريد بمكة فقال رسول الله ص هذا أبو يزيد الذى يطعم الطعام ولكنه سعى فى إطفاء نور الله فأمكن الله منه . قال و فيه يقول أمية بن أبى الصلت الثقفى يابا يزيد رأيت سيكك واسعا || وسماء جودك تستهل فتمطر . [صفحه ١٨٨] قال و فيه يقول مالك بن الدخشم و هو الذى أسره يوم بدر أسرت سهيلا فلاأبتغى || به غيره من جميع الأمم وخذف تعلم أن الفتى || سهيلا فتاها إذاتظلم ضربت بذى الشفر حتى انثنى || وأكرهت نفسى على ذى العلم . أى على ذى العلم بسكون اللام ولكنه حركة للضرورة. و كان سهيل أعلم مشقوق الشفة العليا فكانت أنيابه بادية فلذلك قالوا ذو الأنياب . قال الواقدي و لماقدم بالأسرى كانت سودة بنت زمعة زوج النبى ص عند آل عفرأ فى مناحتهم على عوف ومعوذ و ذلك قبل أن يضرب الحجاب قالت سودة فأتينا فقيل لنا هؤلاء الأسرى قدأتى بهم فخرجت إلى بيتى و رسول الله ص فيه و إذا أبو يزيد مجموعة يده إلى عنقه فى ناحية البيت فو الله ماملكت نفسى حين رأيت مجموعة يده إلى عنقه أن قلت أبايزيد أعطيتم بأيديكم ألا متم كراما فو الله ماراعنى إلاقول رسول الله ص من البيت ياسودة أ على الله و على رسوله فقلت يابى الله و الذى بعثك بالحق إنى ماملكت نفسى حين رأيت أبايزيد مجموعة يده إلى عنقه أن قلت ما قلت . قال الواقدي وحدثنى خالد بن إلياس قال حدثنى أبوبكر بن عبد الله بن أبى جهم قال دخل يومئذ خالد بن هشام بن المغيرة وأميه بن أبى حذيفة منزل أم سلمة وأم سلمة فى مناحة آل عفرأ فقيل لها أتى بالأسرى فخرجت فدخلت عليهم فلم تكلمهم حتى [صفحه ١٨٩] رجعت فتجد رسول الله ص فى بيت عائشة فقالت يا رسول الله إن بنى عمى طلبوا أن يدخل بهم على فأضيفهم وأدهن رءوسهم وألم من شعثهم و لم أحب أن أفعل شيئا من ذلك حتى أستأمرك فقال ص لست أكره شيئا من ذلك فافعلى من هذا ما بدا لك قال الواقدي وحدثنى محمد بن عبد الله عن الزهرى قال قال أبوالعاص بن الربيع كنت مستأسرا مع رهط من الأنصار جزاهم الله خيرا كنا إذاتعشنا أوتغدنا آثرونى بالخبز وأكلوا التمر والخبز عندهم قليل والتمر زادهم حتى إن الرجل لتقع فى يده الكسرة فيدفعها إلى و كان الوليد بن الوليد بن المغيرة يقول مثل ذلك ويزيد قال و كانوا يحملوننا ويمشون . و قال محمد بن إسحاق فى كتابه كان أبوالعاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ختن رسول الله ص زوج ابنته زينب و كان أبوالعاص من رجال مكة المعدودين مالا وأمانة و تجارة و كان ابنا لهالة بنت خويلد أخت خديجة بنت خويلد و كان الربيع بن عبد العزى بعل هذه فكانت خديجة خالته فسألت خديجة رسول الله ص أن يزوجه زينب و كان رسول الله ص لا يخالف خديجة و ذلك قبل أن ينزل عليه الوحي فزوجه إياها فكان أبوالعاص من خديجة بمنزلة ولدها فلما أكرم الله رسوله بنبوته آمنت به خديجة وبناته كلهن وصدقته وشهدن

أن ماجاء به حق وذن بدينه وثبت أبو العاص على شركه و كان رسول الله ص قدزوج عتبه بن أبى إحدى ابنتيه رقيه أوأم كلثوم و ذلك من قبل أن ينزل عليه فلما أنزل عليه الوحي ونادى قومه بأمر الله باعدوه فقال بعضهم لبعض إنكم قد فرغتم محمد من همه أخذتم عنه بناته وأخرجتموهن من عياله فردوا عليه بناته فاشغلوه بهن فمشوا إلى أبى العاص بن الربيع فقالوا فارق صاحبك بنت محمد ونحن نزوجك أى [صفحة ١٩٠] امرأة شئت من قريش فقال لاها الله إذن لأفارق صاحبتى و ما أحب أن لى بها امرأة من قريش فكان رسول الله ص إذا ذكره يثنى عليه خيرا فى صهره ثم مشوا إلى الفاسق عتبه بن أبى لهب فقالوا له طلق بنت محمد ونحن ننكحك أى امرأة شئت من قريش فقال إن أنتم زوجتمونى ابنه أبان بن سعيد بن العاص أو ابنه سعيد بن العاص فارقتها فزوجوه ابنه سعيد بن العاص ففارقها و لم يكن دخل بها فأخرجها الله من يده كرامة لها وهوانا له ثم خلف عليها عثمان بن عفان بعده و كان رسول الله ص مغلوبا على أمره بمكة لا يحل ولا يحرم و كان الإسلام قد فرق بين زينب و أبى العاص إلا أن رسول الله ص كان لا يقدر و هو بمكة أن يفرق بينهما فأقامت معه على إسلامها و هو على شركه حتى هاجر رسول الله ص إلى المدينة و بقيت زينب بمكة مع أبى العاص فلما سارت قريش إلى بدر سار أبو العاص معهم فأصيب فى الأسرى يوم بدر فأتى به النبى ص فكان عنده مع الأسارى فلما بعث أهل مكة فى فداء أسارهم بعثت زينب فى فداء أبى العاص بعلها بمال و كان فيما بعثت به قلابه كانت خديجه أمها أدخلتها بها على أبى العاص ليلة زفافها عليه فلما رآها رسول الله ص رق لها رقة شديدة و قال للمسلمين إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها مابعثت به من الفداء فافعلوا فقالوا نعم يا رسول الله نفديك بأنفسنا وأموالنا فردوا عليها مابعثت به وأطلقوا لها أبو العاص بغير فداء. قلت قرأت على النقيب أبى جعفر يحيى بن أبى زيد البصرى العلوى رحمه الله هذا الخبر فقال أترى أبابكر وعمر لم يشهدا هذا المشهد أ ما كان يقتضى التكريم والإحسان [صفحة ١٩١] أن يطيب قلب فاطمة بفدك ويستوهب لها من المسلمين أتقصر منزلتها عند رسول الله ص عن منزله زينب أختها وهى سيده نساء العالمين هذا إذا لم يثبت لها حق لا بالحلل و لا بالإرث فقلت له فدك بموجب الخبر الذى رواه أبو بكر قد صار حقا من حقوق المسلمين فلم يجز له أن يأخذه منهم فقال وفداء أبى العاص بن الربيع قد صار حقا من حقوق المسلمين و قد أخذه رسول الله ص منهم فقلت رسول الله ص صاحب الشريعة والحكم حكمه و ليس أبو بكر كذلك فقال ما قلت هلا أخذه أبو بكر من المسلمين قهرا فدفعه إلى فاطمة وإنما قلت هلا استنزل المسلمين عنه واستوهبه منهم لها كما استوهب رسول الله ص المسلمين فداء أبى العاص أتراه لو قال هذه بنت نبيكم قد حضرت تطلب هذه النخلات أفطيطيون عنها نفسا أكانوا منعوها ذلك فقلت له قد قال قاضى القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد نحو هذا قال إنهما لم يأتيا بحسن فى شرع التكرم و إن كان ما أتياه حسنا فى الدين . قال محمد بن إسحاق و كان رسول الله ص لما أطلق سبيل أبى العاص أخذ عليه فيما نرى أو شرط عليه فى إطلاقه أو أن أبو العاص وعد رسول الله ص ابتداء بأن يحمل زينب إليه إلى المدينة و لم يظهر ذلك من أبى العاص و لا من رسول الله ص إلا أنه لما خلى سبيله و خرج إلى مكة بعث رسول الله ص بعده زيد بن حارثة و رجلا من الأنصار فقال لهما كونا بمكان كذا حتى تمر بكما زينب فتصحبانها حتى تأتيانى بها فخرجا نحو مكة و ذلك بعد بدر بشهر [صفحة ١٩٢] أو شيعه فلما قدم أبو العاص مكة أمرها باللحوق بأبيها فأخذت تتجهز قال محمد بن إسحاق فحدثت عن زينب أنها قالت بينا أنا أتجهز للحوق بأبى لقيتى هند بنت عتبه فقالت أ لم يبلغنى يابنت محمد أنك تريدن اللحوق بأبيك فقلت ما أردت ذلك فقالت أى بنت عم لا تفعلنى إن كانت لك حاجة فى متاع أو فيما يرفق بك فى سفرك أو مال تبلغين به إلى أبيك فإن عندى حاجتك فلا تضطنى منى فإنه لا يدخل بين النساء ما يدخل بين الرجال قالت وايم الله إنى لأظنها حينئذ صادقة ما أظنها قالت حينئذ لا تفعل ولكن خفتها فأنكرت أن أكون أريد ذلك قالت وتجهزت حتى فرغت من جهازى فحملنى أخو بعلى و هو كنانة بن الربيع . قال محمد بن إسحاق قدم لها كنانة بن الربيع بعيرا فركبته وأخذ قوسه و كنانته و خرج بهانهارا يقود بعيرها وهى فى هودج لها وتحدث بذلك الرجال من قريش والنساء

وتلاومت في ذلك وأشفقت أن تخرج ابنه محمد من بينهم على تلك الحال فخرجوا في طلبها سراعا حتى أدركوها بذي طوى فكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود بن عبدالمطلب بن أسد بن عبدالعزى بن قصي ونافع بن عبدالقيس الفهري فروعها هبار بالرمح وهي في اليهودج وكانت حاملا فلما رجعت طرحت ما في بطنها وقد كانت من خوفها رأت دما وهي في اليهودج فلذلك أباح رسول الله ص يوم فتح مكة دم هبار بن الأسود. [صفحة ١٩٣] قلت وهذا الخبر أيضا قرأته على النقيب أبي جعفر رحمه الله فقال إذا كان رسول الله ص أباح دم هبار بن الأسود لأنه روع زينب فألقت ذا بطنها فظهر الحال أنه لو كان حيا لأباح دم من روع فاطمة حتى ألقت ذا بطنها فقلت أروى عنك مايقوله قوم إن فاطمة روعت فألقت المحسن فقال لا تروه عنى ولا تروه عنى بطلانه فإنى متوقف فى هذاالموضع لتعارض الأخبار عندى فيه . قال الواقدى فبرك حموها كنانة بن الربيع ونثل كنانته بين يديه ثم أخذ منها سهما فوضعه فى كبد قوسه وقال أحلف بالله لايدنو اليوم منها رجل إلاوضعت فيه سهما ففكر الناس عنه . قال وجاء أبوسفيان بن حرب فى جلته من قريش فقال أيها الرجل اكفف عنا نبلك حتى نكلمك فكف فأقبل أبوسفيان حتى وقف عليه فقال إنك لم تحسن و لم تصب خرجت بالمرأة على رءوس الناس علانية جهارا وقدعرفت مصيبتنا ونكبتنا ومادخل علينا من محمدأبيها فيظن الناس إذا أنت خرجت بابتنته إليه جهارا أن ذلك عن ذل أصابنا و أن ذلك منا وهن ولعمري مالنا فى حبسها عن أبيها من حاجة و ما فيها من ثأر ولكن ارجع بالمرأة حتى إذاهدأت الأصوات وتحدث الناس بردها سلا خفيا فألحقها بأبيها فردها كنانة بن الربيع إلى مكة فأقامت بهاليالى حتى إذاهدأ الصوت عنها حملها على بعيرها وخرج بهاليليا حتى سلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه فقدما بها على رسول الله ص . قال محمد بن إسحاق فروى سليمان بن يسار عن أبي إسحاق الدوسى عن -روايت- ١-٢ [صفحة ١٩٤] أبى هريرة قال بعث رسول الله ص سرية أنا فيها إلى غير لقريش فيهمامتاع لهم وناس منهم فقال إن ظفرتم بهبار بن الأسود ونافع بن عبدقيس فحرقوهما بالنار حتى إذا كان الغد بعث فقال لنا إنى كنت قدأمرتكم بتحريق الرجلين إن أخذتموهما ثم رأيت أنه لاينبغى لأحد أن يعذب بالنار إلا الله تعالى فإن ظفرتم بهما فاقتلوهما ولا تحرقوهما -روايت- ١٨-٣٤٢ . قلت لقاتل من المجبرة أن يقول أليس هذا نسخ الشيء قبل تقضى وقت فعله و أهل العدل لايجيزون ذلك و هذاالسؤال مشكل و لا-جواب عنه إلا بدفع الخبر أمابضعيف أحد من رواه أوإبطال الاحتجاج به لكونه خبر واحد أو بوجه آخر و هو أن نجيز للنبي الاجتهاد فى الأحكام الشرعية كمايذهب إليه كثير من شيوخنا و هو مذهب القاضى أبى يوسف صاحب أبى حنيفة ومثل هذاالخبر حديث براءة وإنفاذها مع أبى بكر وبعث على ع فأخذها منه فى الطريق وقرأها على أهل مكة بعد أن كان أبوبكر هوالمأمور بقراءتها عليهم . فأما البلاذرى فإنه روى أن هبار بن الأسود كان ممن عرض لزينب بنت رسول الله ص حين حملت من مكة إلى المدينة فكان رسول الله ص يأمر سراياه إن ظفروا به أن يحرقوه بالنار ثم قال لايعذب بالنار إلا الرب النار وأمرهم إن ظفروا به أن يقطعوا يديه ورجليه ويقتلوه فلم يظفروا به حتى إذا كان يوم الفتح هرب هبار ثم قدم على رسول الله ص بالمدينة ويقال أتاه بالجعرائة حين فرغ من أمر حنين فمثل بين يديه و هو يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقبل إسلامه وأمر ألا يعرض له وخرجت سلمى مولاة رسول الله ص [صفحة ١٩٥] فقالت لاأنعم الله بك عينا فقال رسول الله ص مهلا فقد محا الإسلام ما قبله . قال البلاذرى فقال الزبير بن العوام لقد رأيت رسول الله ص بعد غلظته على هبار بن الأسود يطأطئ رأسه استحياء منه وهبار يعتذر إليه و هو يعتذر إلى هبار أيضا. قال محمد بن إسحاق فأقام أبوالعاص بمكة على شركه وأقامت زينب عند أبيهاص بالمدينة قدفرق بينهما الإسلام حتى إذا كان قبل الفتح خرج أبوالعاص تاجرا إلى الشام بمال له وأموال لقريش أبضعوا بهامعه و كان رجلا- مأمونا فلما فرغ من تجارته وأقبل قافلا لقيته سرية لرسول الله ص فأصابوا مامعه وأعجزهم هوهاربا فخرجت السرية بما أصابت من ماله حتى قدمت به على رسول الله ص وخرج أبوالعاص تحت الليل حتى دخل على زينب ابنة رسول الله ص منزلها فاستجار بها فأجارته وإنما جاء فى طلب ماله الذى أصابته تلك السرية فلما كبر رسول الله ص فى صلاة

الصباح وكبر الناس معه صرخت زينب من صفه النساء أيها الناس إنى قدأجرت أباالعاص بن الربيع فصلى رسول الله ص بالناس الصباح فلما سلم من الصلاة أقبل عليهم فقال أيها الناس هل سمعتم ماسمعت قالوا نعم قال أما و أذى نفس محمدبيده ما علمت بشىء مما كان حتى سمعتم إنه يجير على الناس أدناهم ثم انصرف ودخل على ابنته زينب فقال أى بنيه أكرمى مثواه وأحسنى قراه و لا يصلن إليك فإنك [صفحة ١٩٦] لاتحلين له ثم بعث إلى تلك السرية الذين كانوا أصابوا مال أبى العاص فقال لهم إن هذا الرجل منا بحيث علمتم وقد أصبتم له مالا فإن تحسنوا وتردوا عليه أذى له فإننا نحب ذلك و إن أبيتم فهو فىء الله أذى أفاء عليكم وأنتم أحق به فقالوا يا رسول الله بل نرده عليه فردوا عليه ماله ومتاعه حتى إن الرجل كان يأتى بالحبل ويأتى الآخر بالشئ ويأتى الآخر بالإداوة والآخر بالشظاظ حتى ردوا ماله ومتاعه بأسره من عند آخره و لم يفقد منه شيئا ثم احتل إلى مكة فلما قدمها أدى إلى كل ذى مال من قريش ماله ممن كان أبضع معه بشىء حتى إذ فرغ من ذلك قال لهم يامعشر قريش هل بقى لأحد منكم عندى مال لم يأخذه قالوا لا فجزاك الله خيرا لقد وجدناك و فيا كريما قال فإنى أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله و الله مامننى من الإسلام إلا تخوف أن تظنوا أنى أردت أن آكل أموالكم وأذهب بها فإذ سلمها الله لكم وأداها إليكم فإنى أشهدكم أنى قد أسلمت و اتبعت دين محمد ثم خرج سريعا حتى قدم على رسول الله المدينة. قال محمد بن إسحاق فحدثنى داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ص رد زينب بعد ست سنين على أبى العاص بالنكاح الأول لم يحدث شيئا قال الواقدى فلما فرغ رسول الله ص من أمر الأسارى و فرق الله عز و جل بيدى بين الكفر والإيمان أذل رقاب المشركين والمنافقين واليهود و لم يبق بالمدينة يهودى و لامنافق إلا خضعت عنقه . [صفحة ١٩٧] و قال قوم من المنافقين ليتنا خرجنا معه حتى نصيب غنيمه و قالت يهود فيما بينها هو أذى نجد نعتة فى كتبنا و الله لا ترفع له رايه بعد اليوم إلا ظهرت . و قال كعب بن الأشرف بطن الأرض اليوم خير من ظهرها هؤلاء أشرف الناس و ساداتهم و ملوك العرب و أهل الحرم والأمن قد أصيبوا و خرج إلى مكة فنزل على أبى وداعة بن ضبيرة و جعله يرسل هجاء المسلمين ورثى قتلى بدر من المشركين فقال طحنت رحى بدر لمهلك أهله || و لمثل بدر يستهل ويدمع قتلت سراة الناس حول حياضه || لا تبعدوا إن الملوك تصرع و يقول أقوام أذل بعزهم || إن ابن أشرف ظل كعبا يجزع صدقوا فليت الأرض ساعة قتلوا || ظلت تسيخ بأهلها و تصدع نبث أن الحارث بن هشامهم || فى الناس يبنى الصالحات و يجمع ليزور يثرب بالجموع و إنما || يسعى على الحسب القديم الأروع . قال الواقدى أملاها على عبد الله بن جعفر و محمد بن صالح و ابن أبى الزناد فلما أرسل كعب هذه الأبيات أخذها الناس بمكة عنه و أظهروا المراثى و قد كانوا حرموها كيلا يشمت المسلمون بهم و جعل الصبيان و الجوارى ينشدونها بمكة فناحت بها قريش [صفحة ١٩٨] على قتلاها شهرا و لم تبق دار بمكة إلا فيها نوح و جز النساء شعورهن و كان يؤتى براحله الرجل منهم أو بفرسه فتوقف بين أظهرهم فينوحون حولها و خرجن إلى السكك و ضربن الستور فى الأزقة و قطعن فخرجن إليها ينحن و صدق أهل مكة رؤيا عاتكة و جهيم بن الصلت . قال الواقدى و كان الذين قدموا من قريش فى فداء الأسرى أربعة عشر رجلا و قيل خمسة عشر رجلا و كان أول من قدم المطلب بن أبى وداعة ثم قدم الباقون بعده بثلاث ليال . قال فحدثنى إسحاق بن يحيى قال سألت نافع بن جبير كيف كان الفداء قال أرفعهم أربعة آلاف إلى ثلاثة آلاف إلى ألفين إلى ألف إلا قوما لا مال لهم من عليهم رسول الله ص . قال الواقدى و قال رسول الله ص فى أبى وداعة إن له بمكة ابنا كيسا له مال و هو مغل فداءه فلما قدم افتداه بأربعة آلاف و كان أول أسير افتدى و ذلك أن قريشا قالت لابنه المطلب بن أبى وداعة و رأته يتجهز يخرج إليه لاتعجل فإننا نخاف أن تفسد علينا فى أسارانا و يرى محمدتها لكنا فيغلى علينا الفدية فإن كنت تجد فإن كل قومك لا يجدون من السعة ماتجد فقال لا أخرج حتى تخرجوا فخذاهم حتى إذا غفلوا خرج من الليل على راحلته فسار أربعة ليال إلى المدينة فافتدى أباه بأربعة آلاف فلامه قريش فى ذلك فقال ما كنت لأترك أبى أسيرا فى أيدي القوم وأنتم مضجعون فقال أبو سفيان بن حرب إن هذا غلام

حدث يعجب بنفسه وبرأيه و هو مفسد عليكم إني و الله غير مفتد عمرو بن أبي سفيان و لومكث سنة [صفحه ١٩٩] أو يرسله محمد و الله ما أنا بأعوذكم ولكني أكره أن أدخل عليكم ما يشق عليكم ولكن يكون عمرو كأسوتكم . قال الواقدي فأما أسماء القوم الذين قدموا في الأسرى فإنه قدم من بني عبد شمس الوليد بن عقبة بن أبي معيط وعمرو بن الربيع أخو أبي العاص بن الربيع و من بني نوفل بن عبد مناف جبير بن مطعم و من بني عبد الدار بن قصي طلحة بن أبي طلحة و من بني أسد بن عبد العزى بن قصي عثمان بن أبي حبيش و من بني مخزوم عبد الله بن أبي ربيعة و خالد بن الوليد وهشام بن الوليد بن المغيرة وفروة بن السائب وعكرمة بن أبي جهل و من بني جمح أبي بن خلف وعمير بن وهب و من بني سهم المطلب بن أبي وداعة وعمرو بن قيس و من بني مالك بن حسل مكرز بن حفص بن الأحنف كل هؤلاء قدموا المدينة في فداء أهلهم وعشائهم و كان جبير بن مطعم يقول دخل الإسلام في قلبي منذ قدمت المدينة في الفداء سمعت رسول الله ص يقرأ في صلاة المغرب و الطور و كتاب مسطور فاستمعت قراءته فدخل الإسلام في قلبي منذ ذلك اليوم - قرآن - ٨٣٣ - ٨٦١

القول في تفصيل أسماء أسارى بدر و من أسرهم

قال الواقدي أسر من بني هاشم العباس بن عبد المطلب أسره أبو اليسر كعب بن عمرو وعقيل بن أبي طالب أسره عبيد بن أوس الظفري ونوفل بن الحارث [صفحه ٢٠٠] بن عبد المطلب أسره جبار بن صخر وأسر حليف لبني هاشم من بني فهر اسمه عتبة فهؤلاء أربعة. و من بني المطلب بن عبد مناف السائب بن عبيد وعبيد بن عمرو بن علقمة رجلان أسرهما سلمة بن أسلم بن حريش الأشهلي. قال الواقدي حدثني بذلك ابن أبي حبيبة قال و لم يقدم لهما أحد و كانا لآمال لهما ففك رسول الله ص عنهما بغير فدية. و من بني عبد شمس بن عبد مناف عقبة بن أبي معيط المقتول صبيرا على يد عاصم بن ثابت بن أبي الألقح بأمر رسول الله ص أسره عبد الله بن أبي سلمة العجلاني والحارث بن أبي وحره بن أبي عمرو بن أمية أسره سعد بن أبي وقاص فقدم في فداءه الوليد بن عقبة بن أبي معيط فافتداه بأربعة آلاف . قال الواقدي و قد كان الحارث هذا لما أمر النبي ص برد الأسارى ثم أقرع بين أصحابه عليهم وقع في سهم سعد بن أبي وقاص الذي كان أسره أول مرة وعمرو بن أبي سفيان أسره على بن أبي طالب ع وصار بالقرعة في سهم رسول الله ص فأطلقه بغير فدية أطلقه بسعد بن النعمان بن أكال من بني معاوية خرج معتمرا فحبس بمكة فلم يطلقه المشركون حتى أطلق رسول الله ص عمرو بن أبي سفيان . وروى محمد بن إسحاق في كتاب المغازي أن عمرو بن أبي سفيان أسره على ع يوم بدر وكانت أمه ابنة عقبة بن أبي معيط فمكث في يد رسول الله ص فقيلا لأبي سفيان ألا تفتدى ابنك عمرا قال أجمع على دمي ومالي قتلوا حنظلة وأفتدى عمرا دعوه في أيديهم فليمسكوه ما بدا لهم فينا هو محبوس بالمدينة خرج [صفحه ٢٠١] سعد بن النعمان بن أكال أخو بني عمرو بن عوف معتمرا ومعه امرأة له و كان شيخا كبيرا لا يخشى ما صنع به أبو سفيان و قد عهد قريشا ألا يعرض لحاج و لا معتمر فعدا عليه أبو سفيان فحبسه بمكة بانه عمرو بن أبي سفيان وأرسل إلى قوم بالمدينة هذا الشعر أرهط ابن أكال أجيبوا دعاءه || تعاقدتم لا تسلموا السيد الكهلا فإن بني عمرو لئام أدلة || لئن لم يفكوا عن أسيرهم الكبلا . فمشى بنو عمرو بن عوف حين بلغهم الخبر إلى رسول الله ص فأخبروه بذلك وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان ليفكوا به صاحبهم فأعطاهم إياه فبعثوا به إلى أبي سفيان فخلي سبيل سعد و قال حسان بن ثابت يجيب أبا سفيان و لو كان سعد يوم مكة مطلقا || لأكثر فيكم قبل أن يؤسر القتلى بعضب حسام أو بصفراء نبعه || تحن إذا ما أنبضت تحفز التبلا . و أبو العاص بن الربيع أسره خراش بن الصمة فقدم في فداءه عمرو بن أبي الربيع أخوه وحليف لهم يقال له أبو ريشة افتداه عمرو بن الربيع أيضا وعمرو بن الأزرق افتكه عمرو بن الربيع أيضا و كان قد صار في سهم تميم مولى خراش بن الصمة وعقبة بن الحارث الحضرمي أسره عماره بن حزم فصار في القرعة لأبي بن كعب افتداه عمرو بن أبي سفيان بن أمية و أبو العاص بن نوفل بن

عبدشمس أسره عمار بن ياسر قدم فى فدائه ابن عمه فهؤلاء ثمانية. [صفحة ٢٠٢] و من بنى نوفل بن عبدمناف عدى بن الخيار أسره خراش بن الصمء و عثمان بن عبدشمس ابن أخى عتبة بن غزوان حليفهم أسره حارثة بن النعمان و أبوثور أسره أبومرثد الغنوى فهؤلاء ثلاثة افتداهم جبير بن مطعم . و من بنى عبدالدار بن قصى أبوغزير بن عمير أسره أبوالميسر ثم صار بالقرعة لمحرز بن نضلة قال الواقدي أبوغزير هذا هو أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه و قال مصعب لمحرز بن نضلة اشد يدىك به فإن له أمابمكة كثيرة المال فقال له أبوغزير هذه وصاتك بى ياأخى فقال مصعب إنه أخى دونك فبعثت فيه أمه أربعة آلاف و ذلك بعد أن سألت ماأعلى ماتفادى به قريش فقبل لها أربعة آلاف والأسود بن عامر بن الحارث بن السباق أسره حمزة بن عبدالمطلب فهذان اثنان قدم فى فدائهما طلحة بن أبى طلحة و من بنى أسد بن عبدالعزى بن قصى السائب بن أبى حبيش بن المطلب بن أسد بن عبدالعزى أسره عبدالرحمن بن عوف و عثمان بن الحويرث بن عثمان بن أسد بن عبدالعزى أسره حاطب بن أبى بلتعة و سالم بن شماخ أسره سعد بن أبى وقاص فهؤلاء ثلاثة قدم فى فدائهم عثمان بن أبى حبيش بأربعة آلاف لكل رجل منهم . و من بنى تميم بن مرة مالك بن عبد الله بن عثمان أسره قطبة بن عامر بن حديدة فمات فى المدينة أسيرا. و من بنى مخزوم خالد بن هشام بن المغيرة أسره سواد بن غزيرة وأميه بن أبى حذيفة بن المغيرة أسره بلال و عثمان بن عبد الله بن المغيرة و كان أفلت يوم نخلة أسره واقد بن عبد الله التميمى يوم بدر فقال له الحمد لله الذى أمكننى منك فقد كنت أفلت يوم نخلة و قدم فى فداء هؤلاء الثلاثة عبد الله بن أبى ربيعة افتدى كل واحد منهم بأربعة آلاف والوليد بن الوليد بن المغيرة أسره عبد الله بن جحش [صفحة ٢٠٣] فقدم فى فدائه أخواه خالد بن الوليد و هشام بن الوليد فتمنع عبد الله بن جحش حتى افتكاه بأربعة آلاف فجعل هشام بن الوليد يريد ألا يبلغ ذلك يريد ثلاثة آلاف فقال خالد لهشام إنه ليس بابن أمك و الله لوأبى فيه إلاكذا وكذا لفعلت فلما افتدياه خرجا به حتى بلغا به ذا الحليفة فأفلت فأتى النبى ص فأسلم فقبل ألاأسلمت قبل أن تفتدى قال كرهت أن أسلم حتى أكون أسوة بقومى. قال الواقدي ويقال إن الذى أسر الوليد بن الوليد سليط بن قيس المازنى و قيس بن السائب أسره عبدة بن الحسحاس فحبسه عنده حيناً و هو يظن أن له مالا ثم قدم فى فدائه أخوه فروة بن السائب فأقام أيضا حيناً ثم افتداه بأربعة آلاف فيها عروض . و من بنى أبى رفاعه صيفى بن أبى رفاعه بن عائذ بن عبد الله بن عمير بن مخزوم و كان لامال له أسره رجل من المسلمين فمكث عندهم ثم أرسله و أبوالمندر بن أبى رفاعه بن عائذ بن عبد الله بن عمير بن مخزوم و لم يذكر الواقدي من أسره و عبد الله هو أبوغطاء بن السائب بن عائذ بن عبد الله افتدى بألف درهم أسره سعد بن أبى وقاص والمطلب بن حنظلة بن الحارث بن عبيد بن عمير بن مخزوم أسره أبوأيوب الأنصارى و لم يكن له مال فأرسله بعدحين و خالد بن الأعمى العقبلى حليف لبنى مخزوم و هو الذى يقول ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا || ولكن على أقدامنا تقطر الدما . [صفحة ٢٠٤] و قال محمد بن إسحاق روى أنه كان أول المنهزمين أسره الخباب بن المنذر بن الجموح و قدم فى فدائه عكرمة بن أبى جهل فهؤلاء عشرة. و من بنى جمع عبد الله بن أبى بن خلف أسره فروة بن أبى عمرو البياضى قدم فى فدائه أبوه أبى بن خلف فتمنع به فروة حيناً و أبوغزة عمرو بن عبد الله بن وهب أطلقه رسول الله ص بغير فدية و كان شاعرا خبيث اللسان ثم قتله يوم أحد بعد أن أسره و لم يذكر الواقدي الذى أسره يوم بدر و وهب بن عمير بن وهب أسره رفاعه بن رافع الزرقى و قدم أبوه عمير بن وهب فى فدائه فأسلم فأرسل النبى ص له ابنه بغير فداء و ربيعة بن دراج بن العنيس بن وهبان بن وهب بن حذافة بن جمح و كان لامال له فأخذ منه بشىء يسير وأرسل به و لم يذكر الواقدي من أسره والفاكه مولى أميه بن خلف أسره سعد بن أبى وقاص فهؤلاء خمسة. و من بنى سهم بن عمرو أبووداعة بن ضبيرة و كان أول أسير افتدى قدم فى فدائه ابنه المطلب فافتداه بأربعة آلاف و لم يذكر الواقدي من أسره وفروة بن قيس بن عدى بن حذافة بن سعيد بن سهم أسره ثابت بن أقرم و قدم فى فدائه عمرو بن قيس فافتداه بأربعة آلاف وحنظلة بن قبيصة بن حذافة بن سعد أسره عثمان بن مضعون والحجاج بن الحارث بن قيس بن سعد بن سهم أسره عبدالرحمن بن عوف

فأفلت فأخذه أبو داود المازني فهؤلاء أربعة. و من بني مالك بن حسل سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك أسره مالك بن الدخشم وقدم في فدائه مكرز بن حفص بن الأحنف وانتهى في فدائه إلى إرضائهم بأربعة آلاف فقالوا هات المال فقال نعم اجعلوا رجلا مكان رجل [صفحة ٢٠٥] وقوم يروونها رجلا مكان رجل فخلوا سبيل سهيل وحبسوا مكرز بن حفص عندهم حتى بعث سهيل بالمال من مكة و عبد الله بن زمعة بن قيس بن نصر بن مالك أسره عمير بن عوف مولى سهيل بن عمرو و عبد العزى بن مشنوء بن وقدان بن قيس بن عبد شمس بن عبدود سماه رسول الله ص بعد إسلامه عبد الرحمن أسره النعمان بن مالك فهؤلاء ثلاثة. و من بني فهر الطفيل بن أبي قنيع فهؤلاء ستة وأربعون أسيرا. و في كتاب الواقدي أنه كان الأسارى الذين أحصوا وعرفوا تسعة وأربعين و لم نجد التفصيل يلحق هذه الجملة. و روى الواقدي عن سعيد بن المسيب قال كانت الأسارى سبعين و أن القتلى كانت زيادة على سبعين إلا أن المعروفين من الأسرى هم الذين ذكرناهم والباقيون لم يذكر المؤرخون أسماءهم

القول في المطعمين في بدر من المشركين

قال الواقدي المتفق عليه و لا خلاف بينهم فيه تسعة فمن بني عبد مناف الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف و عتبة و شيبه ابنا ربيعة بن عبد شمس . و من بني أسد بن عبد العزى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد و نوفل بن خويلد المعروف بابن العدوية. و من بني مخزوم أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة. و من بني جمح أمية بن خلف . [صفحة ٢٠٦] و من بني سهم نبيه و منبه ابنا الحجاج . فهؤلاء تسعة. قال الواقدي و كان سعيد بن المسيب يقول ما أطعم أحد بيدرا إلا قتل . قال الواقدي قد ذكروا عدة من المطعمين اختلف فيهم كسهيل بن عمرو و أبي البختري وغيرهما. قال حدثني إسماعيل بن إبراهيم عن موسى بن عتبة قال أول من نحر لهم أبو جهل بمر الظهران عشرا ثم أمية بن خلف بعسفان تسعا ثم سهيل بن عمرو بقديد عشرا ثم مالوا إلى مياه من نحو البحر ضلوا الطريق فأقاموا بها يوما فنحر لهم شيبه بن ربيعة تسعا ثم أصبحوا بالأبواء فنحر لهم قيس الجمحي تسعا ثم نحر عتبة عشرا ونحر لهم الحارث بن عمرو تسعا ثم نحر لهم أبوالبختري على ماء بدر عشرا ونحر لهم مقيس بن ضبابه على ماء بدر تسعا ثم شغلتهم الحرب . قال الواقدي و قد كان ابن أبي الزناد يقول و الله ما أظن مقيسا كان يقدر على قلوب واحد. قال الواقدي و أما أنا فلا أعرف قيسا الجمحي قال و قدروت أم بكر عن المسور بن مخرمة ابنها قال كان نفر يشتركون في الإطعام فينسب إلى الرجل الواحد ويسكت عن سائرهم . و روى محمد بن إسحاق أن العباس بن عبدالمطلب كان من المطعمين في بدر وكذلك طعيمة بن عدى بن نوفل كان يعتقب هو و حكيم و الحارث بن عامر بن نوفل و كان أبوالبختري يعتقب هو و حكيم بن حزام في الإطعام و كان النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبدمناف بن عبدالدار من المطعمين قال و كان النبي ص يكره قتل [صفحة ٢٠٧] الحارث بن عامر قال يوم بدر من ظفر به منكم فليتركه لأيتام بني نوفل فقتل في المعركة

القول فيمن استشهد من المسلمين ببدر

قال الواقدي حدثني عبد الله بن جعفر قال سألت الزهري كم استشهد من المسلمين ببدر قال أربعة عشر ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار. قال فمن بني المطلب بن عبدمناف عبيدة بن الحارث قتله شيبه بن ربيعة. و في رواية الواقدي قتله عتبة فدفعه النبي ص بالصفراء. و من بني زهرة عمير بن أبي وقاص قتله عمرو بن عبدود فارس الأحمزاب و عمير بن عبدود ذو الشمالين حليف لبني زهرة بن خزاعة قتله أبوأسامة الجشمي. و من بني عدى بن كعب عاقل بن أبي البكير حليف لهم من بني سعد بن بكر قتله مالك بن زهير الجشمي و مهجع مولى عمر بن الخطاب قتله عامر بن الحضرمي و يقال إن مهجعا أول من قتل من

المهاجرين . و من بنى الحارث بن فهر صفوان بن بيضاء قتله طعيمة بن عدى . وهؤلاء الستة من المهاجرين . و من الأنصار ثم من بنى عمرو بن عوف مبشر بن عبدالمنذر قتله أبو ثور وسعد بن خيثمة قتله عمرو بن عبدود ويقال طعيمة بن عدى و من بنى عدى بن النجار حارثة بن سراقه رماه حبان بن العرقه بسهم فأصاب حنجرته فقتله . و من بنى مالك بن النجار عوف ومعوذ ابنا عفراء قتلها أبو جهل . [صفحہ ۲۰۸] و من بنى سلمة بن حرام عمير بن الحمام بن الجموح قتله خالد بن الأعلم العقيلي ويقال إن عمير بن الحمام أول قتيل قتل من الأنصار و قد روى أن أول قتيل منهم حارث بن سراقه . و من بنى زريق رافع بن المعلى قتله عكرمة بن أبي جهل . و من بنى الحارث بن الخزرج يزيد بن الحارث بن قسحم قتله نوفل بن معاوية الديلي . فهؤلاء الثمانية من الأنصار . قال الواقدي و قد روى عن عكرمة عن ابن عباس أن أنس مولى النبي ص قتل بيدر . و روى أن معاذ بن معص جرح بيدر فمات من جراحته بالمدينة و أن عبيد بن السكن جرح فاشتكى جرحه فمات منه حين قدم

القول فيمن قتل بيدر من المشركين وأسماء قاتليهم

قال الواقدي فمن بنى عبدشمس بن عبدمناف حنظلة بن أبي سفيان بن حرب قتله على بن أبي طالب ع والحارث بن الحضرمي قتله عمار بن ياسر وعامر بن الحضرمي قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح وعمير بن أبي عمير وابنه موليان لهم قتل سالم مولى أبي حذيفة منهم عمير بن أبي عمير و لم يذكر الواقدي من قتل ابنه وعبيدة بن سعيد بن العاص قتله الزبير بن العوام والعاص بن سعيد بن العاص قتله على بن أبي طالب ع وعقبه بن أبي معيط قتله عاصم بن ثابت صبيرا بالسيف بأمر رسول الله ص . [صفحہ ۲۰۹] و روى البلاذري أن رسول الله ص صلبه بعد قتله فكان أول مصلوب في الإسلام قال و فيه يقول ضرار بن الخطاب عين بكى لعقبه بن أبان || فرع فهر وفارس الفرسان . و عقبه بن ربيعة قتله حمزة بن عبدالمطلب وشيبة بن ربيعة قتله عبيدة بن الحارث وحمزة و على الثلاثة اشتركوا في قتله والوليد بن عتبة بن ربيعة قتله على بن أبي طالب ع وعامر بن عبد الله حليف لهم من أنمار قتله على بن أبي طالب ع وقيل قتله سعد بن معاذ فهؤلاء اثنا عشر . و من بنى نوفل بن عبدمناف الحارث بن نوفل قتله خبيب بن يساف وطعيمة بن عدى ويكنى أبا الريان قتله حمزة بن عبدالمطلب في رواية الواقدي و قتله على بن أبي طالب ع في رواية محمد بن إسحاق و روى البلاذري رواية غريبة أن طعيمة بن عدى أسر يوم بدر فقتله النبي ص صبيرا على يد حمزة فهؤلاء اثنان . و من بنى أسد بن عبدالعزى زمعة بن الأسود قتله أبودجانه وقيل قتله ثابت بن الجذع والحارث بن زمعة بن الأسود قتله على بن أبي طالب ع وعقبيل بن الأسود بن المطلب قتله على وحمزة شركا في قتله . قال الواقدي وحدثني أبو معشر قال قتله على بن أبي طالب ع وحده وقيل قتله أبوداود المازني وحده و أبوالبختري و هو العاص بن هشام قتله المجذبر بن [صفحہ ۲۱۰] زياد وقيل قتله أبو اليسر ونوفل بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى و هو ابن العدوية قتله على ع فهؤلاء خمسة . و من بنى عبدالدار بن قصي النضر بن الحارث بن كلدة قتله على بن أبي طالب ع صبيرا بالسيف بأمر رسول الله ص و كان الذي أسره المقداد بن عمرو فوعد المقداد إن استنقذه بفداء جليل فلما قدم ليقتل قال المقداد يا رسول الله إني ذو عيال وأحب الدين فقال اللهم أغن المقداد من فضلك يا على قم فاضرب عنقه وزيد بن مليص مولى عمرو بن هاشم بن عبدمناف من عبدالدار قتله على بن أبي طالب ع وقيل قتله بلال فهؤلاء اثنان . و من بنى تميم بن مرة عمير بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة قتله على بن أبي طالب ع وعثمان بن مالك بن عبيد الله بن عثمان قتله صهيب فهؤلاء اثنان و لم يذكر البلاذري عثمان بن مالك . و من بنى مخزوم بن يقظة ثم من بنى المغيرة بن عبد الله بن عمير بن عمرو بن هشام بن المغيرة ضربه معاذ بن عمرو بن الجموح ومعوذ وعوف ابنا عفراء وذفف عليه عبد الله بن مسعود والعاص بن هاشم بن المغيرة خال عمر بن الخطاب قتله عمرو بن يزيد بن تميم التميمي حليف لهم قتله عمار بن ياسر وقيل قتله على ع . و من بنى الوليد بن المغيرة أبو قيس بن الوليد بن الوليد أخو خالد

بن الوليد قتله على بن أبي طالب ع . و من بنى الفاكه بن المغيرة أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة قتله حمزة بن عبدالمطلب وقيل قتله الحباب بن المنذر. [صفحة ٢١١] و من بنى أمية بن المغيرة مسعود بن أبي أمية قتله على بن أبي طالب ع . و من بنى عائذ بن عبد الله بن عمير بن مخزوم ثم من بنى رفاعه أمية بن عائذ بن رفاعه بن أبي رفاعه قتله سعد بن الربيع و أبو المنذر بن أبي رفاعه قتله معن بن عدى العجلاني و عبد الله بن أبي رفاعه قتله على بن أبي طالب ع و زهير بن أبي رفاعه قتله أبو أسيد الساعدي والسائب بن أبي رفاعه قتله عبد الرحمن بن عوف . و من بنى أبي السائب المخزومي و هو صيفي بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم السائب بن السائب قتله الزبير بن العوام والأسود بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قتله حمزة بن عبدالمطلب وحليف لهم من طيئ و هو عمرو بن شيان قتله يزيد بن قيس وحليف آخر و هو جبار بن سفيان أخو عمرو بن سفيان المقدم ذكره قتله أبو بردة بن نيار. و من بنى عمران بن مخزوم حاجز بن السائب بن عويمر بن عائذ قتله على ع . و روى البلاذري أن حاجزا هذا وأخاه عويمر بن السائب بن عويمر قتلهما على بن أبي طالب ع وعويمر بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم قتله النعمان بن أبي مالك فهؤلاء تسعة عشر. و من بنى جمح بن عمرو بن هصيص أمية بن خلف قتله خبيب بن يساف و بلال شركا فيه . قال الواقدي و كان معاذ بن رفاعه بن رافع يقول بل قتله أبو رفاعه بن رافع . [صفحة ٢١٢] و على بن أمية بن خلف قتله عمار بن ياسر وأوس بن المغيرة بن لوزان قتله على ع وعثمان بن مظعون شركا فيه فهؤلاء ثلاثة. و من بنى سهم منبه بن الحجاج قتله على بن أبي طالب ع وقيل قتله أبو أسيد الساعدي ونبيه بن الحجاج قتله على بن أبي طالب ع والعاص بن منبه بن الحجاج قتله على ع و أبو العاص بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم قتله أبو دجانه قال الواقدي وحدثني أبو معشر عن أصحابه قالوا قتله على ع وعاص بن أبي عوف بن صبيرة بن سعيد بن سعد قتله أبو دجانه فهؤلاء خمسة و من بنى عامر بن لؤي ثم من بنى مالك بن حسل معاوية بن عبد قيس حليف لهم قتله عكاشة بن محصن ومعبد بن وهب حليف لهم من كلب قتله أبو دجانه فهؤلاء اثنان . فجميع من قتل بيدر في رواية الواقدي من المشركين في الحرب صبرا اثنان وخمسون رجلا قتل على ع منهم مع الذين شرك في قتلهم أربعة وعشرين رجلا و قد كثرت الرواية أن المقتولين بيدر كانوا سبعين ولكن الذين عرفوا وحفظت أسماءهم من ذكرناه و في رواية الشيعة أن زمعة بن الأسود بن المطلب قتله على والأشهر في الرواية أنه قتله الحارث بن زمعة و أن زمعة قتله أبو دجانه

القول فيمن شهد بدرًا من المسلمين

قال الواقدي كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا مع القوم الذين ضرب لهم رسول الله ص بسهامهم وهم غائبون وعدتهم ثمانية قال وهذا هو الأغلب في الرواية [صفحة ٢١٣] قال و لم يشهد بدرًا من المسلمين إلا قرشي أو حليف لقرشي أو أنصاري أو حليف لأنصاري أو مولى واحد منهما وهكذا من جانب المشركين فإنه لم يشهدا إلا قرشي أو حليف لقرشي أو مولى لهم . قال فكانت قريش ومواليها وحلفاؤها ستة وثمانين رجلا وكانت الأنصار ومواليها وحلفاؤها مائتين وسبعة وعشرين رجلا. فأما تفصيل أسماء من شهدا من المسلمين فله موضع في كتب المحدثين أملك به من هذا الموضع

قصة غزوة أحد

الفصل الرابع في شرح قصة غزاة أحد ونحن نذكر ذلك من كتاب الواقدي رحمه الله على عادتنا في ذكر غزاة بدر ونضيف إليه من الزيادات التي ذكرها ابن إسحاق والبلاذري ما يقتضيه الحال ذكره . قال الواقدي لما رجع من حضر بدرًا من المشركين إلى

مكة وجدوا العير التي قدم بها أبو سفيان بن حرب من الشام موقوفة في دار الندوة وكذلك كانوا يصنعون فلم يحركها أبو سفيان ولم يفرقها لغيبة أهل العير ومشت أشراف قريش إلى أبي سفيان الأسود بن عبدالمطلب بن أسد وجبير بن مطعم وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام و عبد الله بن أبي ربيعة وحويطب بن عبدالعزى فقالوا يا أباسفيان انظر هذه العير التي قدمت بها فاحتبستها فقد عرفت أنها أموال أهل مكة ولطيمة قريش وهم طيبوا الأنفس يجهزون بهذه العير جيشا كثيفا إلى محمد فقد [صفحة ٢١٤] ترى من قتل من آبائنا وأبنائنا وعشائرننا فقال أبو سفيان و قد طابت أنفس قريش بذلك قالوا نعم قال فأنا أول من أجاب إلى ذلك وبنو عبدمناف معي فأنا والله الموتور والثائر و قد قتل ابني حنظلة بيدر وأشراف قومي فلم تزل العير موقوفة حتى تجهزوا للخروج فباعوها فصارت ذهابا عينا ويقال إنما قالوا يا أباسفيان بع العير ثم اعزل أرباحها فكانت العير ألف بعير و كان المال خمسين ألف دينار وكانوا يريدون في تجارتهم للدينار دينارا و كان متجرهم من الشام غزاة لا يعدونها إلى غيرها و كان أبو سفيان قد حبس عير بني زهرة لأنهم رجعوا من طريق بدر وسلم ما كان لمخرمة بن نوفل ولبنى أبيه وبنى عبدمناف بن زهرة فأبى مخرمة أن يقبل عيره حتى يسلم إلى بني زهرة جميعا وتكلم الأخنس فقال و مالعير بني زهرة من بين عيرات قريش قال أبو سفيان لأنهم رجعوا عن قريش قال الأخنس أنت أرسلت إلى قريش أن ارجعوا فقد أحرزنا العير لا تخرجوا في غير شيء فخرجنا فأخذت بنو زهرة عيرها وأخذ أقوام من أهل مكة أهل ضعف لا عشائر لهم و لا منعة كل ما كان لهم في العير. قال الواقدي و هذا يبين أنه إنما أخرج القوم أرباح العير قال وفيهم أنزل إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله الآية. قال فلما أجمعوا على المسير قالوا نسير في العرب فنستنصرهم فإن عبدمناة غير متخلفين عنا هم أوصل العرب لأرحامنا و من اتبعنا من الأحابيش فأجمعوا على أن يبعثوا أربعة من قريش يسرون في العرب يدعونهم إلى نصرهم فبعثوا عمرو بن العاص وهبيرة بن وهب و ابن الزبير و أبا عزة الجمحي فأبى أبو عزة أن يسير و قال من -قرآن- ١٠٣٨-١١١١ [صفحة ٢١٥] على محمد يوم بدر وحلفت ألا أظاهر عليه عدوا أبدا فمشى إليه صفوان بن أمية فقال اخرج فأبى و قال عاهدت محمدا يوم بدر ألا أظاهر عليه عدوا أبدا و أنا فبى له بما عاهدته عليه من على و لم يمن على غيري حتى قتله أو أخذ منه الفداء فقال صفوان اخرج معنا فإن تسلم أعطك من المال ماشئت و إن تقتل تكن عيالك مع عيالي فأبى أبو عزة حتى كان الغد وانصرف عنه صفوان بن أمية آيسا منه فلما كان الغد جاءه صفوان وجبير بن مطعم فقال له صفوان الكلام الأول فأبى فقال جبير ما كنت أظن أنى أعيش حتى يمضى إليك أبو وهب فى أمر تأبى عليه فأحفظه فقال أنا أخرج قال فخرج إلى العرب يجمعها و يقول إيه بنى عبدمناة الرزام || أنتم حماة و أبوكم حام لا تسلمونى لا يحل إسلام || لا يعدونى نصركم بعد العام و خرج النفر مع أبى عزة فألبوا العرب و جمعوا و بلغوا ثقيفا فأوعبوا فلما أجمعوا المسير وتألب من كان معهم من العرب و حضروا و اختلفت قريش فى إخراج الظعن معهم قال صفوان بن أمية اخرجوا بالظعن فأنا أول من فعل فإنه أقمن أن يحفظنكم و يذكرنكم قتلى بدر فإن العهد حديث و نحن قوم موتورون مستميتون لا نريد أن نرجع إلى ديارنا حتى ندرك ثأرنا أو نموت دونه فقال عكرمة بن أبى جهل أنا أول من أجاب إلى مادعوت إليه و قال عمرو بن العاص مثل ذلك فمشى فى ذلك [صفحة ٢١٦] نوفل بن معاوية الديلى فقال يامعشر قريش هذا ليس برأى أن تعرضوا حرمكم لعدوكم و لا آمن أن تكون الدبرة لهم فتفتضحوا فى نسائكم فقال صفوان لا كان غير هذا أبدا فجاء نوفل إلى أبى سفيان بن حرب فقال له تلك المقالة فصاحت هند بنت عتبة إنك و الله سلمت يوم بدر فرجعت إلى نسائك نعم نخرج فنشهد القتال فقد ردت القيان من الجحفة فى سفرهم إلى بدر فقتلت الأحبة يومئذ فقال أبو سفيان لست أخالف قريشا أنا رجل منها ما فعلت فعلت فخرجوا بالظعن فخرج أبو سفيان بن حرب بامرأتين هند بنت عتبة بن ربيعة و أميمة بنت سعد بن وهب بن أشيم بن كنانة و خرج صفوان بن أمية بامرأتين برزة بنت مسعود الثقفى و هى أم عبد الله الأكبر و البغوم بنت المعذل من كنانة و هى أم عبد الله الأصغر و خرج طلحة بن أبى طلحة بامرأته سلافه بنت سعد بن شهيد و هى من الأوس و هى أم بنيه مسافع

والحارث و كلاب والجلال بنى طلحة بن أبي طلحة وخرج عكرمة بن أبي جهل بامرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام وخرج الحارث بن هشام بامرأته فاطمة بنت الوليد بن المغيرة وخرج عمرو بن العاص بامرأته هند بنت منبه بن الحجاج وهي أم عبد الله بن عمرو بن العاص و قال محمد بن إسحاق اسمها ريطة وخرجت خناس بنت مالك بن المضرب إحدى نساء بنى مالك بن حسل مع ابنها أبي عزيز بن عمير أخى مصعب بن عمير من بنى عبدالدار وخرج الحارث بن سفيان بن عبدالأسد بامرأته رملة بنت طارق بن علقمة الكنانية وخرج كنانة بن على بن ربيعة بن عبدالعزيز بن عبدشمس بن عبدمناف بامرأته أم حكيم بنت طارق وخرج سفيان بن عوف بامرأته قتيلة بنت عمرو بن هلال وخرج النعمان بن عمرو وجابر مسك الذئب أخوه بأمهما [صفحة ٢١٧] الدغينة وخرج غراب بن سفيان بن عوف بامرأته عمرة بنت الحارث بن علقمة الكنانية وهي التي رفعت لواء قريش حين سقطت حتى تراجعت قريش إلى لوائها وفيها يقول حسان و لوالواء الحارثية أصبحوا || يباعون فى الأسواق بالثمن البخس .قالوا وخرج سفيان بن عوف بعشرة من ولده وحشدت بنو كنانة وكانت الألوية يوم خرجوا من مكة ثلاثة عقودها فى دار الندوة لواء يحمله سفيان بن عوف لبنى كنانة ولواء الأحابيش يحمله رجل منهم ولواء لقريش يحمله طلحة بن أبي طلحة . قال الواقدي ويقال خرجت قريش ولفها كلهم من كنانة والأحابيش وغيرهم على لواء واحد يحمله طلحة بن أبي طلحة و هو الأثبت عندنا . قال وخرجت قريش وهم ثلاثة آلاف بمن ضوى إليها و كان فيهم من ثقيف مائة رجل وخرجوا بعدة وسلاح كثير وقادوا مائتى فرس و كان فيهم سبعمائة دراع وثلاثة آلاف بعير فلما أجمعوا على المسير كتب العباس بن عبدالمطلب كتابا وختمه واستأجر رجلا من بنى غفار و شرط عليه أن يسير ثلاثا إلى رسول الله ص يخبره أن قريشا قد اجتمعت للمسير إليك فما كنت صانعا إذ حلوا بك فاصنعه و قد وجهوا وهم ثلاثة آلاف وقادوا مائتى فرس وفيهم سبعمائة دراع وثلاثة آلاف بعير و قد أوعبوا من السلاح فقدم الغفارى فلم يجد رسول الله ص بالمدينة وجده بقاء فخرج حتى وجد رسول الله ص على باب مسجد قباء يركب [صفحة ٢١٨] حماره فدفع إليه الكتاب فقرأه عليه أبى بن كعب واستكتم أيبا ما فيه ودخل منزل سعد بن الربيع فقال أ فى البيت أحد فقال سعد لا فتكلم بحاجتك فأخبره بكتاب العباس بن عبدالمطلب فجعل سعد يقول يا رسول الله و الله إنى لأرجو أن يكون فى ذلك خير وأرجعت يهود المدينة والمنافقون وقالوا ماجاء محمدا شىء يحبه وانصرف رسول الله ص إلى المدينة و قد استكتم سعد بن الربيع الخبر فلما خرج رسول الله ص من منزله خرجت امرأة سعد بن الربيع إليه فقالت ما قال لك رسول الله ص قال ما لك ولذاك لا أم لك قالت كنت أستمع عليكم وأخبرت سعدا الخبر فاسترجع سعد و قال لأراكم تستمعين علينا و أنا أقول لرسول الله ص تكلم بحاجتك ثم أخذ بجمع لمتها ثم خرج يعدو بها حتى أدرك رسول الله ص بالجسر و قد بلحت فقال يا رسول الله إن امرأتى سألتنى عما قلت فكتمتها فقالت قد سمعت قول رسول الله ص ثم جاءت بالحديث كله فخشيت يا رسول الله أن يظهر من ذلك شىء فظن أنى أفشيت سرى فقال ص خل سبيلها وشاع الخبر بين الناس بمسير قريش و قدم عمرو بن سالم الخزاعى فى نفر من خزاعة ساروا من مكة أربعا فوافوا قريشا و قد عسكروا بذى طوى فأخبروا رسول الله ص الخبر ثم انصرفوا ولقوا قريشا بطن رابغ و هو أربع ليال من المدينة فنكبوا عن قريش . قال الواقدي فلما أصبح أبوسفيان بالأبواء أخبر أن عمرو بن سالم وأصحابه راحوا أمس ممسين إلى مكة فقال أبوسفيان أحلف بالله أنهم جاءوا محمدا فخبروه بمسيرنا وعددنا وحذروه منا فهم الآن يلزمون صياصبيهم فما أرانا نصيب منهم شيئا فى وجهنا فقال صفوان بن أمية إن لم يصحروا لنا عمدنا إلى نخل الأوس والخزرج فقطعناه [صفحة ٢١٩] فتر كناهم و لأموال لهم فلا يختارونها أبدا و إن أصحروا لنا فعددنا أكثر من عددهم وسلاحنا أكثر من سلاحهم ولنا خيل و لاخيل معهم ونحن نقاتل على وتر عندهم و لاوتر لهم عندنا قال الواقدي و كان أبوعامر الفاسق قد خرج فى خمسين رجلا من الأوس حتى قدم بهم مكة حين قدم النبى ص يحرضها ويعلمها أنها على الحق و ماجاء به محمد باطل فسارت قريش إلى بدر و لم يسر معها فلما خرجت قريش إلى أحد سار معها و كان يقول لقريش

إني لو قدمت على قومي لم يختلف عليكم منهم اثنان وهؤلاء معي نفر منهم خمسون رجلا فصدقوه بما قال وطمعوا في نصره . قال الواقدي وخرج النساء معهن الدفوف يحرضن الرجال ويذكرنهم قتلى بدر في كل منزل وجعلت قريش تنزل كل منهل ينحرون مانحروا من الجزر مما كانوا جمعوا من العين ويتقوون به في مسيرهم ويأكلون من أزوادهم مما جمعوا من الأموال . قال الواقدي وكانت قريش لما مرت بالأبواء قالت إنكم قد خرجتم بالظعن معكم ونحن نخاف على نساتنا فتعالوا ننبش قبر أم محمد فإن النساء عورة فإن يصب من نساتكم أحدا قلت هذه رمة أمك فإن كان برا بأمه كما يزعم فلعمري لنفادينكم برمة أمه وإن لم يظفر بأحد من نساتكم فلعمري ليفدين رمة أمه بمال كثير إن كان بهابرا فاستشار أبوسفيان بن حرب أهل الرأي من قريش في ذلك فقالوا لاتذكر من هذا شيئا فلو فعلنا نبشت بنو بكر وخزاعة موتانا. قال الواقدي وكانت قريش بذى الحليفة يوم الخميس صبيحة عشر من مخرجهم من مكة وذلك لخمس ليال مضين من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهرا من الهجرة فلما [صفحة ٢٢٠] أصبحوا بذى الحليفة خرج فرسان منهم فأنزلوهم الوطاء وبعث النبي ص عينين له أنسا ومؤنسا ابني فضالة ليلة الخميس فاعترضا لقريش بالعقيق فسارا معهم حتى نزلوا الوطاء وأتيا رسول الله ص فأخبراه و كان المسلمون قد اذرعوا العرض والعرض ما بين الوطاء بأحد إلى الجرف إلى العرصة عرصة البقل اليوم و كان أهله بنو سلمة وحارثة وظفر و عبد الأشهل و كان الماء يومئذ بالجرف نشطة لا يرمم سابق الناضح مجلسا واحدا ينقتل الجمل في ساعته حتى ذهبت بمياهه عيون الغابة التي حفرها معاوية بن أبي سفيان و كان المسلمون قد أدخلوا آله زرعهم ليلة الخميس المدينة فقدم المشركون على زرعهم فخلوا فيه إبلهم و خيولهم و كان لأسيد بن حضير في العرض عشرون ناضحا تسقى شعيرا و كان المسلمون قد حذروا على جمالهم وعمالهم وآله حرثهم و كان المشركون يرعون يوم الخميس فلما أمسوا جمعوا الإبل وقصلوا عليها القصيل وقصلوا على خيولهم ليلة الجمعة فلما أصبحوا يوم الجمعة خلوا ظهرهم في الزرع و خيلهم حتى تركوا العرض ليس به خضراء. قال الواقدي فلما نزلوا وحلوا العقد واطمأنوا بعث رسول الله ص الحباب بن المنذر بن الجموح إلى القوم فدخل فيهم وحرر ونظر إلى جميع ما يريد و كان قد بعثه سرا و قال له إذا رجعت فلا تخبرني بين أحد من المسلمين إلا أن ترى في القوم قلة فرجع إليه فأخبره خاليا و قال له رأيت عددا حررتهم ثلاث آلاف يزيدون قليلا أو ينقصون قليلا والخيل مائتا فرس ورأيت دروعا ظاهرة حررتها سبعمائة درع قال هل رأيت ظعنا قال نعم رأيت النساء معهن الدفاف والأكبار وهي الطبول فقال رسول الله ص أردن أن يحرضن القوم ويذكرنهم قتلى بدر هكذا -رواية- ١-٢-رواية- ١٦-إداهه دارد [صفحة ٢٢١] جاءني خبرهم لاتذكر من شأنهم حرفا حسبنا الله ونعم الوكيل اللهم بك أحول وبك أصول -رواية- از قبل -٩٢ . قال الواقدي وخرج سلمة بن سلامة بن وقش يوم الجمعة حتى إذا كان بأدنى العرض إذ اطلت عليه خيل المشركين عشرة أفراس ركضوا في أثره فوقف لهم على نشز من الحررة فرشقهم بالنبل مرة وبالجمرة أخرى حتى انكشفوا عنه فلما ولوا جاء إلى مزرعته بأدنى العرض فاستخرج سيفا كان له ودرع حديد كان له دفنا في ناحية المزرعة وخرج بهما يعدو حتى أتى بني عبد الأشهل فخبّر قومه بما لقي. قال الواقدي و كان مقدم قريش يوم الخميس لخمس خلون من شوال وكانت الوقعة يوم السبت لسبع خلون من شوال وباتت وجوه الأوس والخزرج سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وسعد بن عباد في عدة منهم ليلة الجمعة عليهم السلاح في المسجد بباب النبي ص خوفا من تبييت المشركين وحرست المدينة تلك الليلة حتى أصبحوا ورأى رسول الله ص رؤيا ليلة الجمعة فلما أصبح واجتمع المسلمون خطبهم . قال الواقدي فحدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد قال ظهر النبي ص المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إني رأيت في منامي رؤيا رأيت كأنني في درع حصينة ورأيت كأن سيفي ذا الفقار انفصم من عند ظبته ورأيت بقرا تذبح ورأيت كأنني مردف كبشا فقال الناس يا رسول الله فما أولتها قال أما الدرع الحصينة فالمدينة فامكثوا فيها و أما -رواية- ١-٢-رواية- ٨٥-إداهه دارد [صفحة ٢٢٢] انفصام سيفي عند ظبته فمصيبة في نفسي و أما البقر المذبح فقتلى في أصحابي و أمأني مردف

كيشا فكيش الكتيبة نقتله إن شاء الله -رواية-از قبل-١٣٣ قال الواقدي وروى عن ابن عباس أن رسول الله ص قال أما انصام سيفي فقتل رجل من أهل بيتي -رواية-١-٢-رواية-١٠٣-٦٠-١٠٣ قال الواقدي وروى المسور بن مخرمة قال قال النبي ص ورأيت في سيفي فلا فكرهته هو ألقى أصاب وجهه ع -رواية-١-٢-رواية-١٠٩-٥٨-١٠٩ قال الواقدي و قال النبي ص أشيروا على ورأى ص ألا- يخرج من المدينة لهذه الرؤيا و رسول الله ص يحب أن يوافق على مثل مارأى و على ما عبر عليه الرؤيا فقام عبد الله بن أبي فقال يا رسول الله كنا نقاتل في الجاهلية في هذه المدينة و نجعل النساء والذراري في هذه الصياصي و نجعل معهم الحجارة و الله لربما مكث الولدان شهرا ينقلون الحجارة إعدادا لعدونا و نشبك المدينة بالبنان فتكون كالحصن من كل ناحية و ترمى المرأة والصبى من فوق الصياصي والآطام و نقاتل بأسيفنا في السكك يا رسول الله إن مدينتنا عذراء ما فضت علينا قط و ما خرجنا إلى عدو قط منها إلا أصاب منا و ما دخل علينا قط إلا أصبناه فدعهم يا رسول الله فإنهم إن أقاموا أقاموا بشر محبس و إن رجعوا رجعوا خاسرين مغلوبين لم ينالوا خيرا يا رسول الله أطعنى في هذا الأمر و اعلم أنى ورثت هذا الرأى من أكابر قومي و أهل الرأى منهم فهم كانوا أهل الحرب و التجربة. قال الواقدي فكان رأى رسول الله ص مع رأى ابن أبي و كان ذلك رأى الأكابر من أصحاب رسول الله ص من المهاجرين والأنصار [صفحة ٢٢٣] فقال رسول الله ص امكثوا في المدينة واجعلوا النساء والذراري في الآطام فإن دخل علينا قاتلناهم في الأزقة فحن أعلم بهامهم ورموا من فوق الصياصي والآطام و كانوا قد شبكوا المدينة بالبنان من كل ناحية فهي كالحصن فقال فتیان أحداث لم يشهدوا بدرا و طلبوا من رسول الله الخروج إلى عدوهم و رغبوا في الشهادة و أحبوا لقاء العدو و قالوا اخرج بنا إلى عدونا و قال رجال من أهل النبه و أهل السن منهم حمزة بن عبدالمطلب و سعد بن عباد و النعمان بن مالك بن ثعلبة و غيرهم من الأوس والخزرج إنا نخشى يا رسول الله أن يظن عدونا أننا كرهننا الخروج إليهم جبا عن لقائهم فيكون هذا جراً منهم علينا و قد كنت يوم بدر في ثلاثمائة رجل فظفرك الله بهم و نحن اليوم بشر كثير و كنا نتمنى هذا اليوم و ندعو الله به فقد ساقه الله إلينا في ساحتنا هذه و رسول الله ص لمارأى من إلحاحهم كاره و قد لبسوا السلاح يخطرون بسيوفهم يتسامون كأنهم الفحول و قال مالك بن سنان أبو أبي سعيد الخدرى يا رسول الله نحن و الله بين إحدى الحسينين إما يظفرنا الله بهم فهذا الذى نريد فيذلهم الله لنا فتكون هذه وقعة مع وقعة بدر فلا يبقى منهم إلا الشريد والأخرى يا رسول الله يرزقنا الله الشهادة و الله يا رسول الله مانبالى أيهما كان إن كلا لفيه الخير فلم يبلغنا أن النبي ص رجع إليه قولاً وسكت و قال حمزة بن عبدالمطلب و الذى أنزل عليه الكتاب لا أطمع اليوم طعاماً حتى أجالدهم بسيفي خارجاً من المدينة و كان يقال كان حمزة يوم الجمعة صائماً و يوم السبت فلاقاهم و هو صائم و قال النعمان بن مالك بن ثعلبة أخو بنى سالم يا رسول الله أنا أشهد أن البقر المذبح قتلى من أصحابك و أنى منهم فلم تحرمنا الجنة فو الله الذى لا إله إلا هو [صفحة ٢٢٤] لأدخلنها قال رسول الله ص بم قال إنى أحب الله ورسوله و لأفر يوم الزحف فقال صدقت فاستشهد يومئذ. و قال إياس بن أوس بن عتيك يا رسول الله نحن بنو عبدالأشهل من البقر المذبح نرجو يا رسول الله أن نذبح فى القوم و يذبح فينا فنصير إلى الجنة و يصيرون إلى النار مع أنى يا رسول الله لا أحب أن ترجع قريش إلى قومها فتقول حصرنا محمد فى صياصي يثرب و آطامها فتكون هذه جراً لقريش و قد وطئوا سعفنا فإذا لم نذب عن عرضنا فلم ندرع و قد كنا يا رسول فى جاهليتنا و العرب يأتوننا فلا يطعمون بهذا منا حتى نخرج إليهم بأسيفنا فنذبهم عنا فنحن اليوم أحق إذ أمدا الله بك و عرفنا مصيرنا لانحصر أنفسنا فى بيوتنا. و قام خيثمة أبوسعد بن خيثمة فقال يا رسول الله إن قريشا مكثت حولاً- تجمع الجموع و تستجلب العرب فى بواديها و من اتبعها من أحابيشها ثم جاءونا قد قادوا الخيل و اعتلوا الإبل حتى نزلوا بساحتنا فيحصرونا فى بيوتنا و صياصينا ثم يرجعون و افرين لم يكلموا فيجرئهم ذلك علينا حتى يشنوا الغارات علينا و يصيبوا أطلالنا و يضعوا العيون والأرصاد علينا مع ما قد صنعوا بحروثنا و يجترئ علينا العرب حولنا حتى يطعموا فينا إذ أرونا لم نخرج إليهم فنذبهم عن حريمنا و عسى الله أن يظفرنا بهم فتلك عادة الله عندنا أو تكون الأخرى فهي الشهادة لقد أخطأتنى وقعة بدر و

قد كنت عليها حريصا لقد بلغ من حرصى أن ساهمت ابني في الخروج فخرج سهمه فرزق الشهادة و قد كنت حريصا على الشهادة و قد رأيت ابني البارحة في النوم في أحسن صورته يسرح في ثمار الجنة وأنهاها وهو يقول الحق بنا ترافقنا في الجنة فقد وجدت ما وعدني ربي حقا وقد والله يا رسول الله أصبحت مشتاقا إلى مرافقته في الجنة و قد كبرت سنى ودق عظمى وأحببت [صفحة ٢٢٥] لقاء ربي فادع الله يا رسول الله أن يرزقني الشهادة ومرافقة سعد في الجنة فدعا له رسول الله بذلك فقتل بأحد شهيدا. قال أنس بن قنادة يا رسول الله هي إحدى الحسنين إما الشهادة وإما الغنيمه والظفر بقتلهم فقال رسول الله ص إنى أخاف عليكم الهزيمة. فلما أبوا إلا الخروج والجهاد صلى رسول الله يوم الجمعة بالناس ثم وعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد وأخبرهم أن لهم الصبر ماصبروا ففرح الناس حيث أعلمهم رسول الله ص بالشخوص إلى عدوهم وكره ذلك المخرج بشر كثير من أصحاب رسول الله وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم ثم صلى العصر بالناس و قد حشد الناس وحضر أهل العوالي ورفعوا النساء إلى الآطام فحضرت بنو عمرو بن عوف بلفها والنبيت ولفها وتلبسوا السلاح فدخل رسول الله ص بيته ودخل معه أبو بكر وعمر فعمماه ولبسناه وصف الناس له ما بين حجرته إلى منبره ينتظرون خروجه فجاءهم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير فقالا لهم قتلتم لرسول الله ما قتلتم واستكرهتموه على الخروج والأمر ينزل عليه من السماء فردوا الأمر إليه فما أمركم فافعلوه و ما رأيتم فيه له هوى أو أدبا فأطيعوه فبينما القوم على ذلك من الأمر وبعض القوم يقول القول ما قال سعد وبعضهم على البصيرة على الشخوص وبعضهم للخروج كاره إذ خرج رسول الله ص قد لبس الدرع فأظهرها وحزم وسطها بمنطقه من حمائل سيف من آدم كانت بعد عند آل أبي رافع مولى رسول الله ص واعتم وتقلد السيف فلما خرج رسول الله ص ندموا جميعا [صفحة ٢٢٦] على ما صنعوا وقال الذين يلحون على رسول الله ص ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما بدا لك و ما كان لنا أن نستكرهك والأمر إلى الله ثم إليك فقال قد دعوتكم إلى هذا الحديث فأيتتم ولا ينبغي لنبى إذالبس لأتمه أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه قال وكانت الأنبياء قبله إذالبس النبى لأتمه لم يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه ثم قال لهم انظروا ما أمرتكم به فاتبعوه امضوا على اسم الله فلكم النصر ما صبرتم . قلت فمن تأمل أحوال المسلمين فى هذه الغزاة من فشلهم وخورهم واختلافهم فى الخروج من المدينة والمقام بها وكرهه النبى ص للخروج ثم خروجه على مضض ثم ندم القوم الذين أشاروا بالخروج ثم انخزال طائفة كثيرة من الجيش عن الحرب ورجوعهم إلى المدينة علم أنه لا انتصار لهم على العدو أصلا فإن النصر معروف بالعزم والجد والبصيرة فى الحرب واتفاق الكلمة و من تأمل أيضا هذه الأحوال علم أنها ضد الأحوال التى كانت فى غزاة بدر و أن أحوال قريش لما خرجت إلى بدر كانت مماثلة لأحوال المسلمين لما خرجوا إلى أحد ولذلك كانت الدبرة فى بدر على قريش . قال الواقدي و كان مالك بن عمرو النجارى مات يوم الجمعة فلما دخل رسول الله ص فلبس لأتمه وخرج وهو موضوع عند موضع الجنائز صلى عليه ثم دعا بدابته فركب إلى أحد. قال الواقدي وجاء جعيل بن سراقه إلى النبى ص وهو متوجه إلى أحد فقال يا رسول الله قيل لى إنك تقتل غدا وهويتنفس مكروبا فضرب النبى ص بيده إلى صدره وقال أ ليس الدهر كله غدا قال ثم دعا بثلاثة أرماع فعقد ثلاثة ألوية فدفع لواء الأوس إلى أسيد بن حضير ودفع لواء الخزرج إلى الحباب بن المنذر بن الجموح ويقال إلى سعد بن عباد و دفع لواء المهاجرين [صفحة ٢٢٧] إلى على بن أبى طالب ع ويقال إلى مصعب بن عمير ثم دعا بفرسه فركبه وتقلد القوس وأخذ بيده قناة زج الرمح يومئذ من شبه والمسلمون متلبسون السلاح قد أظهروا الدروع فهم مائة دارع فلما ركب ص خرج السعدان أمامه يعدوان سعد بن معاذ وسعد بن عباد كل واحد منهما دارع و الناس عن يمينه وشماله حتى سلك على البدائع ثم زقاق الحسى حتى أتى الشيخين وهما أطمان كانا فى الجاهلية فهما شيخ أعمى وعجوز عمياء يتحدثان فسمى الأطمان الشيخين فلما انتهى إلى رأس الثنية التفت فنظر إلى كتيبة خشناء لها زجل خلفه فقال ما هذه قال هذه حلفاء ابن أبى من اليهود فقال رسول الله ص لانستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك -روايت- ١-٢-روايت- ٢٤-٦٣ ومضى

رسول الله ص وعرض عسكره بالشيخين فعرض عليه غلمان منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت وأسامة بن زيد والنعمان بن بشير وزيد بن أرقم والبراء بن عازب وأسيد بن ظهير وعرابه بن أوس و أبوسعيد الخدرى وسمرة بن جندب ورافع بن خديج . قال الواقدي فردهم رسول الله ص قال رافع بن خديج فقال ظهير بن رافع يا رسول الله إنه رام يعيننى قال وجعلت أتطاول و على خفان لى فأجازنى رسول الله ص فلما أجازنى قال سمرة بن جندب لمرى بن سنان الحارثى و هو زوج أمه يا أبيه أجاز رسول الله ص رافع بن خديج وردنى و أنا أصرع رافعا فقال مرى يا رسول الله رددت ابنى وأجزت رافع بن خديج وابنى يصرعه فقال رسول الله ص تصارعا فصرع سمرة رافعا فأجازه رسول الله ص قال الواقدي وأقبل ابن أبى فنزل ناحية العسكر فجعل حلفاؤه و من معه من المنافقين يقولون لابن أبى أشرت عليه بالرأى ونصحته وأخبرته أن هذا رأى من [صفحہ ۲۲۸] مضى من آباءك و كان ذلك رأيه مع رأيك فأبى أن يقبله وأطاع هؤلاء الغلمان الذين معه قال فصادفوا من ابن أبى نفاقا وغشا فبات رسول الله ص بالشيخين و بات ابن أبى فى أصحابه وفرغ رسول الله ص من عرض و غابت الشمس فأذن بلال بالمغرب فصلى رسول الله ص بأصحابه ثم أذن بالعشاء فصلى رسول الله ص بأصحابه و رسول الله ص نازل فى بنى النجار واستعمل على الحرس محمد بن مسلمة فى خمسين رجلا يطيفون بالعسكر حتى ادلج رسول الله ص و كان المشركون قد رأوا رسول الله ص حيث ادلج ونزل بالشيخين فجمعوا خيلهم وظهرهم واستعملوا على حرسهم عكرمة بن أبى جهل فى خيل من المشركين و باتت صاهله خيلهم لا تهدأ تدنو طلائعهم حتى تلتصق بالحره فلاتصعد فيها حتى ترجع خيلهم ويهابون موضع الحره و محمد بن مسلمة . قال الواقدي و قد كان رسول الله ص قال حين صلى العشاء من يحفظنا الليلة فقال رجل أنا يا رسول الله فقال من أنت قال ذكوان بن عبد القيس فقال اجلس ثم قال ثانية من رجل يحفظنا الليلة فقام رجل فقال من أنت قال أبوسبيع قال اجلس ثم قال ثلثه مثل ذلك فقام رجل فقال من أنت فقال أنا ابن عبد قيس فمكث رسول الله ص ساعه ثم قال قوموا ثلاثكم فقام ذكوان بن عبد قيس فقال رسول الله ص وأين صاحبك فقال ذكوان أنا الذى كنت أجيبك الليلة قال فاذهب حفظك الله . قلت قد تقدم هذا الحديث بذاته فى غزوة بدر و ظاهر الحال أنه مكرر [صفحہ ۲۲۹] و أنه إنما كان فى غزاة واحدة و يجوز أن يكون قد وقع فى الغزاتين ولكن على بعد . قال الواقدي فلبس ذكوان درعه وأخذ درقته فكان يطوف على العسكر تلك الليلة ويقال كان يحرس رسول الله ص لم يفارقه . قال و نام رسول الله ص حتى ادلج فلما كان فى السحر قال رسول الله ص أين الأدلاء من رجل يدلنا على الطريق ويخرجنا على القوم من كذب فقام أبو خثيمه الحارثى فقال أنا يا رسول الله ويقال أوس بن قيطى ويقال محيصه . قال الواقدي وأثبت ذلك عندنا أبو خثيمه خرج برسول الله ص وركب فرسه فسلك به فى بنى حارثه ثم أخذ فى الأموال حتى مر بحائط مربع بن قيطى و كان أعمى البصر منافقا فلما دخل رسول الله ص حائطه قام يحثى التراب فى وجوه المسلمين و يقول إن كنت رسول الله فلاتدخل حائطى فلاأحله لك . قال محمد بن إسحاق وقد ذكر أنه أخذ حفنة من تراب و قال و الله لو أعلم أنى لأصيب غيرك يا محمد لضربت بها وجهك . قال الواقدي فضربه سعد بن زيد الأشهلى بقوس فى يده فشجه فى رأسه فنزل الدم فغضب له بعض بنى حارثه ممن هو على مثل رأيه فقال هى على عداوتكم يا بنى عبد الأشهل لاتدعونها أبدا لنا فقال أسيد بن حضير لا و الله ولكن نفاقكم و الله لو لا أنى لأدرى ما يوافق النبى ص لضربت عنقه و عنق من هو على مثل رأيه . قال ونهاهم النبى ص عن الكلام فأسكتوا . [صفحہ ۲۳۰] و قال محمد بن إسحاق قال رسول الله ص دعوه فإنه أعمى البصر أعمى القلب يعنى مربع بن قيطى . قال الواقدي ومضى رسول الله ص فبينما هو فى مسيره إذ ذب فرس أبى بردة بن نيار بذنبه فأصاب كلاب سيفه فسل سيفه فقال رسول الله ص يا صاحب السيف شم سيفك فإنى أخال السيوف ستسل اليوم فيكثر سلها . قال و كان رسول الله ص يحب الفأل ويكره الطيرة قال ولبس رسول الله ص من الشيخين درعا واحدة حتى انتهى إلى أحد فلبس درعا أخرى ومغفرا وبيضة فوق المغفر فلما نهض رسول الله ص من الشيخين زحف المشركين على تعبته حتى انتهوا إلى موضع أرض ابن عامر اليوم فلما انتهى

رسول الله ص إلى موضع القنطرة اليوم جاءه و قدحانت الصلاة و هو يرى المشركين فأمر بلالا فأذن وأقام وصلى بأصحابه الصبح صفوفا وانزل عبد الله بن أبي من ذلك المكان في كتيبه كأنه هيقه تقدمهم فأتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام فقال أذكركم الله ودينكم ونيبكم و ماشرطتم له أن تمنعوه مما تمنعون منه أنفسكم وأولادكم ونساءكم فقال ابن أبي ماأرى أنه يكون بينهم قتال و إن أضعنى يا أباجبر لترجعن فإن أهل الرأى والحجى قدرجعوا ونحن ناصرهم في مدينتنا و قدخالفنا وأشرت عليه بالرأى فأبى إلاطواعية الغلمان فلما أبى على عبد الله بن عمرو أن يرجع ودخل هو وأصحابه أزقة المدينة قال لهم أبوجابر أبعداكم الله إن الله سيغنى النبى و المؤمنين عن نصركم فانصرف ابن أبى و هو يقول أبعصينى ويطبع الولدان وانصرف عبد الله بن عمرو يعدو حتى لحق رسول الله و هويسوى الصفوف فلما أصيب أصحاب [صفحه ٢٣١] رسول الله ص سر ابن أبى وأظهر الشماتة و قال عصانى وأطاع من لارأى له . قال الواقدى وجعل رسول الله ص يصف أصحابه وجعل الرماة خمسين رجلا على عينين عليهم عبد الله بن جبير ويقال سعد بن أبى وقاص والثبت أنه عبد الله بن جبير قال وجعل أحدا خلف ظهره واستقبل المدينة وجعل عينين عن يساره وأقبل المشركون واستدبروا المدينة فى الوادى واستقبلوا أحدا ويقال جعل عينين خلف ظهره واستدبر الشمس واستقبلها المشركون . قال والقول الأول أثبت عندنا أن أحدا كان خلف ظهره و هو ع مستقبل المدينة قال ونهى أن يقتال أحد حتى يأمرهم بالقتال فقال عمارة بن يزيد بن السكن أنى نغير على زرع بنى قيلة و لمانضارب وأقبل المشركون قدصفوا صفوفهم واستعملوا على الميمنة خالد بن الوليد و على الميسرة عكرمة بن أبى جهل ولهم مجنبتان مائتا فرس وجعلوا على الخيل صفوان بن أمية ويقال عمرو بن العاص و على الرماة عبد الله بن أبى ربيعة و كانوا مائة رام و دفعوا اللواء إلى طلحة بن أبى طلحة واسم أبى طلحة عبد الله بن عبدالعزيز بن عثمان بن عبدالدار بن قصى وصاح أبوسفیان يومئذ يابنى عبدالدار نحن نعرف أنكم أحق باللواء منا و أنا إنما أتينا يوم بدر من اللواء وإنما يؤتى القوم من قبل لوائهم فالزموا لواءكم وحافظوا عليه و خلوا بيننا وبينه فإننا قوم مستميتون موتورون نطلب ثارا حديث العهد وجعل يقول إذا زالت الألوية فما قوام الناس وبقاؤهم بعدها فغضبت بنو عبدالدار وقالوا نحن نسلم لواءنا لا كان هذا أبدا و أما المحافظة عليه فسترى ثم أسندوا الرماح إليه وأحدقت به بنو عبدالدار [صفحه ٢٣٢] وأغلظوا لأبى سفیان بعض الإغلاظ فقال أبوسفیان فنجعل لواء آخر قالوا نعم و لا يحمله إلا رجل من بنى عبدالدار لا كان غير ذلك أبدا. قال الواقدى وجعل رسول الله ص يمشى على رجليه يسوى تلك الصفوف ويبوئ أصحابه مقاعد للقتال يقول تقدم يافلان وتأخر يافلان حتى إنه ليرى منكب الرجل خارجا فيؤخره فهو يقومهم كأنما يقوم القداح حتى إذا استوت الصفوف سأل من يحمل لواء المشركين قيل عبدالدار قال نحن أحق بالوفاء منهم أين مصعب بن عمير قال ها أناذا قال خذ اللواء فأخذه مصعب فتقدم به بين يدي رسول الله ص . قال البلاذرى أخذه من على ع فدفعه إلى مصعب بن عمير لأنه من بنى عبدالدار. قال الواقدى ثم قام ع فخطب الناس فقال ص أيها الناس أوصيكم بما أوصانى به الله فى كتابه من العمل بطاعته والتناهى عن محارمه ثم إنكم اليوم بمنزل أجر وذخر لمن ذكر الذى عليه ثم وطن نفسه على الصبر واليقين والجد والنشاط فإن جهاد العدو شديد كرهه قليل من يصبر عليه إلا من عزم له على رشده إن الله مع من أطاعه و إن الشيطان مع من عصاه فاستفتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد والتمسوا بذلك ما وعدكم الله و عليكم بالذى أمركم به فإنى حريص على رشدكم إن الاختلاف والتنازع والتشيط من أمر العجز والضعف و هو مما لا يحبه الله و لا يعطى عليه النصر والظفر أيها الناس إنه قذف فى قلبى أن من كان على حرام فرغب عنه ابتغاء ما عند الله غفر الله له ذنبه و من صلى على محمد صلى الله عليه و ملائكته -رواية ١-٢-رواية ١٢-١٢-دأمه دارد [صفحه ٢٣٣] عشرًا و من أحسن من مسلم أو كافر وقع أجره على الله فى عاجل دنياه أو فى آجل آخرته و من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة يوم الجمعة إلا صبيا أو امرأة أو مريضا أو عبدا مملوكا و من استغنى عنها استغنى الله عنه و الله غنى حميد ما أعلم من عمل يقربكم إلى الله إلا و قد أمرتكم به و لا أعلم من عمل يقربكم إلى النار إلا و قد نهيتكم عنه وإنه قد نفت الروح الأمين فى روعى

أنه لن تموت نفس حتى تستوفى أقصى رزقها لا ينقص منه شيء و إن أبطأ عنها فاتقوا الله ربكم وأجملوا في طلب الرزق و لا يحملنكم استبطاؤه على أن تطلبوه بمعصية ربكم فإنه لا يقدر على ما عنده إلا بطاعته قد بين لكم الحلال والحرام غير أن بينهما شيئا من الأمر لم يعلمها كثير من الناس إلا- من عصم فمن تركها حفظ عرضه ودينه و من وقع فيها كان كالراعى إلى جنب الحمى أو شك أن يقع فيه ويفعله و ليس ملك إلا- و له حمى ألا- و إن حمى الله محارمه والمؤمن من المؤمنين كالرأس من الجسد إذا اشتكى تداعى إليه سائر جسده و السلام عليكم -رواية- از قبل- ٩٣٣ . قال الواقدي فحدثني ابن أبي سبرة عن خالد بن رباح عن المطلب بن عبد الله قال أول من أنشب الحرب بينهم أبو عامر طلع فى خمسين من قومه معه عبيد قريش فنادى أبو عامر واسمه عبد عمرو يال لأوس أنا أبو عامر قالوا لا مرحبا بك و لأهلا يافاسق فقال لقد أصاب قومي بعدى شر قال ومعه عبيد أهل مكة فتراموا بالحجارة هم والمسلمون حتى تراضخوا به ساعة إلى أن ولى أبو عامر وأصحابه ويقال إن العبيد لم يقاتلوا وإنهم أمرهم بحفظ عسكرهم . قال الواقدي وجعل نساء المشركين قبل أن يلتقى الجمعان أمام صفوف المشركين يضربن بالأكبار والدفاف والغرايبيل ثم يرجعن فيكن إلى مؤخر الصف حتى [صفحة ٢٣٤] إذا دنوا من المسلمين تأخر النساء فقمن خلف الصفوف وجعلن كلما ولى رجل حرصه وذكرنه قتلى بدر. و قال الواقدي و كان قرمان من المنافقين و كان قد تخلف عن أحد فلما أصبح غيره نساء بنى ظفر فقلن يا قرمان قد خرج الرجال و بقيت استحي يا قرمان ألا تستحيي مما صنعت ما أنت إلا امرأة خرج قومك و بقيت فى الدار فأحفظنه فدخل بيته فأخرج قوسه وجعبته وسيفه و كان يعرف بالشجاعة و خرج يعدو حتى انتهى إلى رسول الله ص و هو يسوى صفوف المسلمين فجاء من خلف الصف حتى انتهى إلى الصف الأول فكان فيه و كان أول من رمى بسهم من المسلمين جعل يرسل نبلا كأنها الرماح و إنه ليكت كتيت الجمل ثم صار إلى السيف ففعل الأفاعيل حتى إذا كان آخر ذلك قتل نفسه و كان رسول الله ص إذا ذكره قال من أهل النار قال فلما انكشف المسلمون كسر جفن سيفه وجعل يقول الموت أحسن من الفرار يال لأوس قاتلوا على الأحساب واصنعوا مثل ما أصنع قال فيدخل بالسيف وسط المشركين حتى يقال قد قتل ثم يطلع فيقول أنا الغلام الظفرى حتى قتل منهم سبعة وأصابته الجراحة و كثرت فيه فوق فمر به قتادة بن النعمان فقال له أبا الغيداق قال قرمان لبيك قال هنيئا لك الشهادة قال قرمان إني و الله ما قتلت يا أبا عمرو على دين ما قتلت إلا على الحفاظ أن تسير قريش إلينا فتطأ سعفنا قال فأذته الجراحة فقتل نفسه فقال النبي ص إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر -رواية- ١-٢-رواية- ١٩-٥٩ [صفحة ٢٣٥] قال الواقدي و تقدم رسول الله ص إلى الرماة فقال احموا لنا ظهورنا فإننا نخاف أن نؤتى من ورائنا والزموا مكانكم لا تبرحوا منه و إن رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم و إن رأيتمونا نقتل فلا تعينونا و لا تدفعوا عنا اللهم إني أشهدك عليهم ارشقوا خيلهم بالنبل فإن الخيل لا تقدم على النبل و كان للمشركين مجنبتان ميمنة عليها خالد بن الوليد وميسرة عليها عكرمة بن أبى جهل -رواية- ١-٢-رواية- ١٦-٣٩٨ قال الواقدي وعمل رسول الله ص لنفسه ميمنة وميسرة ودفع اللواء الأعظم إلى مصعب بن عمير ودفع لواء الأوس إلى أسيد بن حضير ولواء الخزرج إلى سعد بن عباد و قيل إلى الحباب بن المنذر فجعلت الرماة تحمى ظهور المسلمين وترشق خيل المشركين بالنبل فولت هاربه قال بعض المسلمين و الله لقد رمقت نبلا يومئذ ما رأيت سهما واحدا مما يرمى به خيلهم يقع فى الأرض إما فى فرس أو فى رجل ودنا القوم بعضهم من بعض وقدموا طلحة بن أبى طلحة صاحب لوائهم و صفوا صفوفهم وأقاموا النساء خلف الرجال يضربن بين أكتافهم بالأكبار والدفوف و هند وصواحبها يحرضن ويذمرن الرجال ويذكرن من أصيب ببدر ويقلن نحن بنات طارق || نمشى على النمارق إن تقبلوا نعانق || أوتدبروا نفارق فراق غير و اقم . قال الواقدي وبرز طلحة فصاح من يبارز فقال على ع له هل لك فى مبارزتي قال نعم فبرزا بين الصفيين و رسول الله ص جالس تحت [صفحة ٢٣٦] الراية عليه درعان ومغفر وبيضته فالتقيا فبدره على ع بضربة على رأسه فمضى السيف حتى فلق هامته إلى أن انتهى إلى لحيته فوق وانصرف على ع فقيل له هلا ذففت عليه قال إنه لما صرع استقبلنى

بعورته فعطفتني عليه الرحم و قد علمت أن الله سيقتله هو كبش الكتيبة. قال الواقدي و روى أن طلحة حمل على علي ع فضره بالسيف فاتقاه بالدرة فلم يصنع شيئا وحمل على ع و على طلحة درع و مغفر فضره بالسيف فقطع ساقه ثم أراد أن يذف عليه فسأله طلحة بالرحم ألا يفعل فتركه و لم يذف عليه . قال الواقدي و يقال إن عليا ع دافع عليه و يقال إن بعض المسلمين مر به في المعركة فذف عليه قال فلما قتل طلحة سر رسول الله ص و كبر تكبيرا عاليا و كبر المسلمون ثم شد أصحاب رسول الله ص على كتائب المشركين فجعلوا يضربون وجوههم حتى انتفضت صفوفهم و لم يقتل إلا طلحة بن أبي طلحة و حده . قال الواقدي ثم حمل لواء المشركين بعد طلحة أخوه عثمان بن أبي طلحة و هو أبو شيبه فارتجز و قال إن علي رب اللواء حقا || أن تخبص الصعدة أوتندقا . فتقدم باللواء والنسوة خلفه يحرضن ويضربن بالدخوف فحمل عليه حمزة بن عبدالمطلب رحمه الله فضره بالسيف على كاهله فقطع يده و كتفه حتى انتهى إلى [صفحہ ۲۳۷] مؤتره فبدا سحره ورجع فقال أنا ابن ساقى الحجيج ثم حمل اللواء أخوهما أبوسعد بن أبي طلحة فرماه سعد بن أبي وقاص فأصاب حنجرته و كان دراعا و عليه مغفر لارفرع عليه و على رأسه بيضته فأدلع لسانه إدلاع الكلب . قال الواقدي و قدروى أن أباسعد لما حمل اللواء قام النساء خلفه يقلن ضربا بنى عبدالدار || ضربا حماة الأدبار ضربا بكل بتار . قال سعد بن أبي وقاص فأحمل عليه فأقطع يده اليمنى فأخذ اللواء باليد اليسرى فأضربه على يده اليسرى فقطعتها فأخذ اللواء بذراعيه جميعا وضمه إلى صدره وحنى عليه ظهره قال سعد فأدخل سيه القوس بين الدرع والمغفر فألق المغفر فأرمى به وراء ظهره ثم ضربته حتى قتلتها وأخذت أسلبه درعه فنهض إلى سبيع بن عبدعوف ونفر معه فمنعوني سلبه و كان سلبه أجود سلب رجل من المشركين درع فضفاضة ومغفر وسيف جيد ولكن حيل بيني وبينه . قال الواقدي و هذا أثبت القولين . قلت شتان بين علي وسعد هذا يجاحش على السلب ويتأسف على فواته و ذلك يقتل عمرو بن عبدود يوم الخندق و هو فارس قريش وصنديدها ومبارزه فيعرض عن سلبه فيقال له كيف تركت سلبه و هو أنفوس سلب فيقول كرهت أن أزر السبي ثيابه فكأن حبيبا عناه بقوله [صفحہ ۲۳۸] إن الأسود أسود الغاب همتها || يوم الكريهة في المسلوب لا السلب . قال الواقدي ثم حمل لواء المشركين بعد أبي سعد بن أبي طلحة مسافع بن أبي طلحة فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح فقتله فحمل إلى أمه سلافة بنت سعد بن الشهيد وهي مع النساء بأحد فقالت من أصابك قال لأدرى سمعته يقول خذها و أنا ابن الأقلح فقالت أقلحى و الله أى هو من رهطى وكانت من الأوس . قال الواقدي و روى أن عاصما لمارماه قال له خذها و أنا ابن كسرة و كانوا يقال لهم في الجاهلية بنو كسر الذهب فقال لأمه لأدرى إلا أنى سمعته يقول خذها و أنا ابن كسرة فقالت سلافة أوسى و الله كسرى أى أنه منا فيومئذ نذرت سلافة أن تشرب في قحف رأس عاصم بن ثابت الخمر وجعلت لمن جاءها به مائة من الإبل . قلت فلما قتله المشركون في يوم الرجيع أرادوا أن يأخذوا رأسه فيحملوه إلى سلافة فحتمته الدبر يومه ذلك فلما جاء الليل فظنوا أن الدبر لا تحميه ليلا جاء الوادى بسيل عظيم فذهب برأسه وبدنه اتفق المؤرخون على ذلك . قال الواقدي ثم حمل اللواء بعد الحارث أخوه كلاب بن طلحة بن أبي طلحة فقتله الزبير بن العوام ثم حمله أخوه الجلاس بن طلحة بن أبي طلحة فقتله طلحة بن عبيد الله ثم حمله أرطاة بن عبدشرحبيل فقتله على بن أبي طالب ع ثم حمله شريح بن [صفحہ ۲۳۹] قانط فقتل لا يدرى من قتله ثم حمله صواب غلام بنى عبدالدار فاختلف فى قاتله فقيل قتله على بن أبي طالب ع وقيل سعد بن أبي وقاص وقيل قزمان و هو أثبت الأقوال . قال الواقدي انتهى قزمان إلى صواب فحمل عليه فقطع يده اليمنى فاحتمل اللواء باليسرى فقطع اليسرى فاحتضن اللواء بذراعيه وعضديه وحنى عليه ظهره و قال يابنى عبدالدار هل أعذرت فحمل عليه قزمان فقتله . قال الواقدي وقالوا ماظفر الله تعالى نبيه فى موطن قط ماظفره وأصحابه يوم أحد حتى عصوا الرسول وتنازعوا فى الأمر لقد قتل أصحاب اللواء وانكشف المشركون منهم لا يلوون ونساؤهم يدعون بالويل بعد ضرب الدفاف والفرح . قال الواقدي و قدروى كثير من الصحابة ممن شهد أحدا قال كل واحد منهم و الله إنى لأنظر إلى هند وصواحبها منهزمت مادون أخذهن شىء لمن

أرادته ولكن لامرء لقضاء الله قالوا و كان خالد بن الوليد كلما أتى من قبل ميسرة النبي ص ليجوز حتى يأتيهم من قبل السفح ترده الرماة حتى فعل وفعلوا ذلك مرارا ولكن المسلمين أتوا من قبل الرماة أن رسول الله ص أوعز إليهم فقال قوموا على مصافكم هذه فاحموا ظهورنا فإن رأيتونا قد غنمنا فلاتشركونا و إن رأيتونا نقتل فلاتنصرونا فلما انهزم المشركون وتبعهم المسلمون يضعون السلاح فيهم حيث شاءوا حتى أجهزوهم عن المعسكر ووقعا ينتهبونه قال بعض الرماة لبعض لم تقيمون هاهنا فى غير شىء قد هزم الله العدو وهؤلاء إخوانكم ينهبون عسكرهم فادخلوا عسكر المشركين فاغنموا مع إخوانكم فقال بعضهم أ لم تعلموا أن رسول الله ص قال لكم احموا ظهورنا و إن غنمنا فلاتشركونا [صفحة ٢٤٠] فقال الآخرون لم يرد رسول الله ص هذا و قد أذل الله المشركين وهزمهم فادخلوا العسكر فانتهبوا مع إخوانكم فلما اختلفوا خطبهم أميرهم عبد الله بن جبير و كان يومئذ معلما بثياب بيض فحمد الله وأمرهم بطاعة رسوله وألا يخالف أمره فعصوه وانطلقوا فلم يبق معه إلا نفر ما يبلغون العشرة منهم الحارث بن أنس بن رافع يقول يا قوم اذكروا عهد نبيكم إليكم وأطيعوا أميركم فأبوا وذهبوا إلى عسكر المشركين ينتهبون و دخلوا الجبل وانتقضت صفوف المشركين واستدارت رحالهم ودارت الريح وكانت إلى أن انتقض صفهم صبا فصارت دورا فنظر خالد بن الوليد إلى خلاء الجبل وقله أهله فكر بالخييل وتبعه عكرمة بالخييل فانطلقا إلى موضع الرماة فحملوا عليهم فرماهم القوم حتى أصيبوا ورمى عبد الله بن جبير حتى فئت نبه ثم طاعن بالرمح حتى انكسر ثم كسر جفن سيفه فقاتل حتى قتل وأفلت جعيل بن سراقه و أبوردة بن نيار بعد أن شاهدا قتل عبد الله بن جبير و كان آخر من انصرف من الخيل فلحقا بالمسلمين قال الواقدى فروى رافع بن خديج قال لما قتل خالد الرماة أقبل بالخييل وعكرمة بن أبى جهل يتلوه فخالطنا و قد انتقضت صفوفنا ونادى إبليس وتصور فى صورة جعيل بن سراقه أن محمدا قد قتل ثلاث صرخات فابتلى يومئذ جعيل بن سراقه ببليه عظيمه حين تصور إبليس فى صورته و إن جعيل ليقاتل مع المسلمين أشد القتال وإنه إلى جنب أبى بردة بن نيار وخوات بن جبير قال رافع بن خديج فو الله مارأينا دوله كانت أسرع من دوله المشركين علينا وأقبل المسلمون على جعيل بن سراقه يريدون قتله يقولون هذا الذى صاح أن محمدا قد قتل فشهد له خوات بن جبير و أبوردة أنه كان إلى جنبهما حين صاح الصائح و أن الصائح غيره . [صفحة ٢٤١] قال الواقدى فروى رافع قال أتينا من قبل أنفسنا ومعصية نبينا واختلط المسلمون وصاروا يقتلون ويضرب بعضهم بعضا و ما يشعرون بما يصنعون من الدهش والعجل و قد جرح يومئذ أسيد بن حضير جرحين ضربه أحدهما أبوردة بن نيار و ما يدري يقول خذها و أنا الغلام الأنصارى و كر أبوزعنه فى حومه القتال فضرب أبابردة ضربتين ما يشعر أنه هو يقول خذها و أنا أبوزعنه حتى عرفه بعد فكان إذالقيه قال انظر ما صنعت بى فيقول أبوزعنه و أنت فقد ضربت أسيد بن حضير و لاتشعر ولكن هذا الجرح فى سبيل الله فذكر ذلك لرسول الله ص فقال هو فى سبيل الله يا أبابردة لك أجره حتى كأنك ضربك أحد المشركين و من قتل فهو شهيد. قال الواقدى و كان الشيخان حسيل بن جابر و رفاعه بن وقش شيخين كبيرين قدرعا فى الآطام مع النساء فقال أحدهما لصاحبه لا أبا لك مانستبقى من أنفسنا فو الله مانحن إلا هامة اليوم أوغد و مابقى من أجلنا قدر ظمء دابه فلو أخذنا أسيافنا فلحقنا برسول الله ص لعل الله يرزقنا الشهادة قال فلحقا برسول الله ص فأما رفاعه فقتله المشركون و أما حسيل بن جابر فالتفت عليه سيوف المسلمين وهم لا يعرفونه حين اختلطوا وابنه حذيفة يقول أبى حتى قتل فقال حذيفة يغفر الله لكم و هو أرحم الراحمين ما صنعتم فزاد به عند رسول الله ص خيرا وأمر رسول الله بديته أن تخرج ويقال إن الذى أصابه عتبه بن مسعود فتصدق حذيفة ابنه بدمه على المسلمين . قال الواقدى وأقبل يومئذ الحباب بن المنذر بن الجموح يصيح يا آل سلمة فأقبلوا [صفحة ٢٤٢] عنقا واحدا لبيك داعى الله لبيك داعى الله فيضرب يومئذ جبار بن صخر ضربة فى رأسه مثقله و ما يدري حتى أظهروا الشعار بينهم فجعلوا يصيحون أمت أمت فكف بعضهم عن بعض . قال الواقدى و كان نسطاس مولى ضرار بن أمية ممن حضر أحدا مع المشركين ثم أسلم بعد و حسن إسلامه فكان يحدث قال قد كنت ممن خلف فى العسكر يومئذ و لم يقاتل

معهم عبد الإوحشى وصواب غلام بنى عبدالدار فكان أبوسفیان صاح فيهم يامعشر قريش خلوا غلمانكم على متاعكم يكونوا هم الذين يقومون على رحالكم فجمعنا بعضها إلى بعض وعقلنا الإبل وانطلق القوم على تعبتهم ميمنة وميسرة وألبسنا الرحال الأنطاع ودنا القوم بعضهم من بعض فاقتتلوا ساعة و إذا أصحابنا منهزمون فدخل المسلمون معسكرنا ونحن فى الرحال فأحدقوا بنا فكنت فيمن أسروا وانتهبوا المعسكر أقبح انتهاب حتى إن رجلا منهم قال أين مال صفوان بن أمية فقلت ما حمل الإنفقه فى الرحل فخرج يسوقنى حتى أخرجتها من العيبة خمسين ومائة مثقال ذهباً و قدولى أصحابنا وأيسنا منهم وانحاش النساء فهن فى حجرهن سلم لمن أرادهن فصار النهب فى أيدي المسلمين . قال نسطاس فإننا لعلى مانحن عليه من الاستسلام ونظرت إلى الجبل فإذا خيل مقبله تركض فدخلوا العسكر فلم يكن أحد يردهم قد ضيعت الثغور التى كان بها الرماة وجاءوا إلى النهب والرماة ينتهبون و أنا أنظر إليهم متأبطى قسيهم وجعابهم كل واحد منهم فى يديه أو حضنه شىء قد أخذه فلما دخلت خيلنا دخلت على قوم غارين آمنين فوضعوا فيهم السيوف فقتلوهم قتلا ذريعا وتفرق المسلمون فى كل وجه [صفحه ٢٤٣] وتركوا ما انتهبوا وأجلوا عن عسكرنا فارتجعنا بعد لم ن فقد منه شىئا وخلوا أسرانا ووجدنا الذهب فى المعركة ولقد رأيت يومئذ رجلا من المسلمين ضم صفوان بن أمية إليه ضمه ظننت أنه سيموت حتى أدركته و به رمق فوجأت ذلك المسلم بخنجر معى فوقع فسألت عنه فقيل رجل من بنى ساعدة ثم هدانى الله بعد للإسلام . قال الواقدى فحدثنى ابن أبى سبرة عن إسحاق بن عبد الله عن عمر بن الحكم قال ما علمنا أحدا من أصحاب رسول الله ص الذين أغاروا على النهب فأخذوا ما أخذوا من الذهب بقى معه من ذلك شىء يرجع به حيث غشنا المشركون واختلفوا إلى الرجلين أحدهما عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح جاء بمنطقه وجدها فى العسكر فيها خمسون دينارا فشدّها على حقويه من تحت ثيابه وجاء عباد بن بشر بصرة فيها ثلاثة عشر مثقالا ألقاها فى جيب قميصه وفوقها الدرع و قد حزم وسطه فأتيا بذلك رسول الله ص فلم يخمسه ونفلهما إياه . قال الواقدى وروى يعقوب بن أبى صعصعة عن موسى بن ضمرة عن أبيه قال لمصاح الشيطان أذب العقبة أن محمدا قد قتل لما أراد الله عز و جل من ذلك سقط فى أيدي المسلمين وتفرقوا فى كل وجه وأصعدوا فى الجبل فكان أول من بشرهم بكون رسول الله ص سالما كعب بن مالك قال كعب عرفته فجعلت أصيح هذا رسول الله و هو يشير إلى يصبغه على فيه أن اسكت . قال الواقدى وروت عميرة بنت عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيها قالت قال أبى لما انكشف الناس كنت أول من عرف رسول الله ص [صفحه ٢٤٤] وبشرت به المسلمين حيا سويا عرفت عينيه من تحت المغفر فنادت يامعشر الأنصار أبشروا فهذا رسول الله ص فأشار إلى رسول الله ص أن اصمت قال ودعا رسول الله ص بكعب فلبس لأتمته وألبس كعبا لأمة نفسه وقاتل كعب قتالا شديدا جرح سبعة عشر جرحا . قال الواقدى وحدثنى ابن أبى سبرة عن خالد بن رباح عن الأعرج قال لمصاح الشيطان أن محمدا قد قتل قال أبوسفیان بن حرب يامعشر قريش أيكم قتل محمدا قال ابن قميئة أنا قتلته قال نسورك كما تفعل الأعاجم بأبطالها وجعل أبوسفیان يطوف بأبى عامر الفاسق فى المعركة هل يرى محمدا بين القتلى فمر بخارجة بن زيد بن أبى زهير فقال يا أباسفیان هل تدرى من هذا قال لا قال هذا خارجة بن زيد هذا أسيد بنى الحارث بن الخزرج ومر بعباس بن عباد بن نضلة إلى جنبه قال أتعرفه قال لا قال هذا ابن قوقل هذا الشريف فى بيت الشرف ثم مر بذكوان بن عبد قيس فقال و هذا من ساداتهم ثم مر بابنه حنظلة بن أبى عامر فوقف عليه فقال أبوسفیان من هذا قال هذا أعز من هاهنا على هذا ابنى حنظلة قال أبوسفیان مانرى مصرع محمد و لو كان قتل لرأيناه كذب ابن قميئة ولقى خالد بن الوليد فقال هل تبين عندك قتل محمد قال لا رأيتة أقبل فى نفر من أصحابه مصعدين فى الجبل فقال أبوسفیان هذا حق كذب ابن قميئة زعم أنه قتله . قلت قرأت على النقيب أبى يزيد رحمه الله هذه الغزاة من كتاب الواقدى و قلت له كيف جرى لهؤلاء فى هذه الوقعة فإنى أستعظم ماجرى فقال و ما فى ذلك مما تستعظمه حمل قلب المسلمين من بعد قتل أصحاب الألوية على قلب المشركين فكسره [صفحه ٢٤٥] فلو ثبتت مجنبتا رسول الله اللتان فيهما أسيد بن حضير والحباب بن المنذر بإزاء

مجنبتى المشركين لم ينكسر عسكر الإسلام ولكن مجنبتا المسلمين أطبقت إطباقا واحدا على قلب المشركين مضافا إلى قلب المسلمين فصار عسكر رسول الله ص قلبا واحدا وكتيبة واحدة فحطمه قلب قريش حطمة شديدة فلما رأت مجنبتا قريش أنه ليس بإزائها أحد استدارت المجنبتان من وراء عسكر المسلمين وصمد كثير منهم للرماء الذين كانوا يحمون ظهر المسلمين فقتلوه عن آخرهم لأنهم لم يكونوا ممن يقومون لخالد وعكرمة وهما فى ألفى رجل وإنما كانوا خمسين رجلا لاسيما وقد ترك كثير منهم مركزه وشره إلى الغنيمه فأكب على النهب قال رحمه الله و الذى كسر المسلمين يومئذ ونال كل منال خالد بن الوليد و كان فارسا شجاعا ومعه خيل كثيرة ورجال أبطال موتورون واستدار خلف الجبل فدخل من الثغرة التى كان الرماة عليها فأتاه من وراء المسلمين وتراجع قلب المشركين بعدالهزيمة فصار المسلمون بينهم فى مثل الحلقة المستديرة واختلط الناس فلم يعرف المسلمون بعضهم بعضا وضرب الرجل منهم أخاه وأباه بالسيف و هو لايعرفه لشدة النقع والغبار و لمااعتراهم من الدهش والعجلة والخوف فكانت الدبرة عليهم بعد أن كانت لهم ومثل هذايجرى دائما فى الحرب .فقلت له رحمه الله فلما انكشف المسلمون وفر منهم من فر ماكانت حال رسول الله ص فقال ثبت فى نفر يسير من أصحابه يحامون عنه .فقلت ثم ماذا قال ثم ثابت إليه الأنصار وردت إليه عنقا واحدا بعدفرارهم وتفرقهم وامتاز المسلمون عن المشركين وكانوا ناحية ثم التحمت الحرب واصطدم الفيلقان . [صفحہ ۲۴۶] قلت ثم ماذا قال لم يزل المسلمون يحامون عن رسول الله ص والمشركون يتكاثرون عليهم ويقتلون فيهم حتى لم يبق من النهار إلاالقليل والدولة للمشركين . قلت ثم ماذا قال ثم علم الذين بقوا من المسلمين أنه لاطاقة لهم بالمشركين فأصعدوا فى الجبل فاعتصموا به .فقلت له فرسول الله ص ما الذى صنع فقال صعد فى الجبال . قلت له أفيجوز أن يقال إنه فر فقال إنما يكون الفرار ممن أمعن فى الهرب فى الصحراء والبيداء فأما من الجبل مطل عليه و هو فى سفحه فلما رأى ما لايعجبه أصعد فى الجبل فإنه لايسمى فارا ثم سكت رحمه الله ساعة ثم قال هكذا وقعت الحال فإن شئت أن تسمى ذلك فرارا فسمه فقد خرج من مكة يوم الهجرة فارا من المشركين ولاوصمة عليه فى ذلك .فقلت له قدروى الواقدى عن بعض الصحابة قال لم يبرح رسول الله ص ذلك اليوم شبرا واحدا حتى تحاجزت الفتان فقال دع صاحب هذه الرواية فليقل ماشاء فالصحيح ماذكرته لك ثم قال كيف يقال لم يزل واقفا حتى تحاجزت الفتان وإنما تحاجرا بعد أن ناداه أبوسفیان و هو فى أعلى الجبل بما ناداه فلما عرف أنه حى و أنه فى أعلى الجبل و أن الخيل لاتستطيع الصعود إليه و أن القوم إن صعدوا إليه رجاله لم يثقوا بالظفر به لأن معه أكثر أصحابه وهم مستميتون إن صعد القوم إليهم وأنهم لا يقتلون منهم واحدا حتى يقتلوا منهم اثنين أوثلاثة لأنهم لاسيبل لهم إلى الهرب لكونهم محصورين فى ذرو واحد فالرجل منهم يحامى عن خيط رقبته كفوا عن الصعود وقنعوا بما وصلوا إليه من قتل من قتلوه فى الحرب وأملوا [صفحہ ۲۴۷] يوما ثانيا يكون لهم فيه الظفر الكلى بالنبي ص فرجعوا عنهم وطلبوا مكة . وروى الواقدى عن أبى سبرة عن إسحاق بن عبد الله بن أبى فروة عن أبى الحويرث عن نافع بن جبیر قال سمعت رجلا من المهاجرين يقول شهدت أحدا فنظرت إلى النبل يأتى من كل ناحية و رسول الله ص فى وسطها كل ذلك يصرف عنه ولقد رأيت عبد الله بن شهاب الزهرى يقول يومئذ دلونى على محمد فلانجوت إن نجا و إن رسول الله ص إلى جنبه مامعه أحد ثم جاوزه ولقى عبد الله بن شهاب صفوان بن أمية فقال له صفوان ترحت هلا ضربت محمدا فقطعت هذه الشأفة فقد أمكنك الله منه قال ابن شهاب وهل رأيت قال نعم أنت إلى جنبه قال و الله مارأيتة أحلف بالله إنه منا لممنوع خرجنا أربعة تعاهدنا وتعاهدنا على قتله فلم نخلص إلى ذلك . قال الواقدى فروى نملة واسم أبى نملة عبد الله بن معاذ و كان أبوه معاذ أخا البراء بن معرور لأمه قال لماانكشف المسلمون ذلك اليوم نظرت إلى رسول الله ص و مامعه أحد إلانفير قدأحدقوا به من أصحابه من المهاجرين والأنصار فانطلقوا به إلى الشعب و ماللمسلمين لواء قائم و لافئته و لاجمع و إن كتائب المشركين لتحوشهم مقبله ومدبرة فى الوادى يلتقون ويفترقون ما يرون أحدا يردهم . قال الواقدى وحدثنى ابراهيم بن محمد بن شرحبيل

العبدري عن أبيه قال حمل مصعب اللواء فلما جال المسلمون ثبت به مصعب قبل ابن قميئه و هو فارس ف ضرب يد مصعب ف قطعها فقال مصعب و ما مَحْمِدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ. وأخذ اللواء بيده اليسرى وحنى عليه ف ضربه ف قطع اليسرى فضمه بعضديه إلى صدره - قرآن - ١٢٨٩-١٣٤٧ [صفحہ ٢٤٨] و هو يقول و ما مَحْمِدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ثم حمل عليه الثالثه بالرمح فأنفذه واندق الرمح ووقع مصعب وسقط اللواء وابتدره رجلان من بنى عبدالدار سويبط بن حرملة و أبو الروم فأخذه أبو الروم فلم يزل بيده حتى دخل به المدينة حين انصرف المسلمون . قال الواقدي وقالوا إن رسول الله لمالحمه القتال وخلص إليه وذب عنه مصعب بن عمير و أبو دجانة حتى كثرت به الجراحه جعل رسول الله ص يقول من رجل يشرى نفسه فوثب فئه من الأنصار خمسهُ منهم عماره بن زياد بن السكن فقاتل حتى أثبت وفاء فئه من المسلمين حتى أجهضوا أعداء الله فقال رسول الله ص لعمارهُ بن زياد ادن منى حتى وسده رسول الله ص قدمه و إن به لأربعهُ عشر جرحا حتى مات وجعل رسول الله ص يذمر الناس ويحضهم على القتال و كان رجال من المشركين قد أذلقوا المسلمين بالرمي منهم حيان بن العرقه و أبو أسامه الجشمي فجعل النبي ص يقول لسعد ارم فداك أبي وأمي فرمى حيان بن العرقه بسهم فأصاب ذيل أم أيمن و كانت جاءت يومئذ تسقى الجرحى فقلبها وانكشف ذيلها عنها فاستغرب حيان بن العرقه ضحكا وشق ذلك على رسول الله ص فدفع إلى سعد بن أبي وقاص سهما لانصل له و قال ارم به فرمى فوضع السهم فى ثغره نحر حيان فوقع مستلقيا و بدت عورته . قال سعد فرأيت النبي ص ضحك يومئذ حتى بدت نواجذه و قال استقاد لها سعد أجاب الله دعوتك وسدد رميتك ورمى يومئذ مالك بن زهير الجشمي أخو أبي أسامه الجشمي المسلمين رميا شديدا و كان هو وريان بن العرقه قد أسرعوا فى أصحاب رسول الله ص وأكثر ا فيهم القتل يستتران بالصخر ويرميان - قرآن - ١٢-٧٠ [صفحہ ٢٤٩] فيينا هم على ذلك أبصر سعد بن أبي وقاص مالك بن زهير يرمى من وراء صخرة قدرمى وأطلع رأسه فيرميه سعد فأصاب السهم عينه حتى خرج من قفاه فترى فى السماء قامه ثم رجع فسقط فقتله الله عز و جل . قال الواقدي ورمى رسول الله ص عن قوسه يومئذ حتى صارت شظايا فأخذها قتاده بن النعمان و كانت عنده وأصيبت يومئذ عين قتاده حتى وقعت على وجنته قال قتاده فجئت إلى رسول الله ص فقلت يا رسول الله إن تحتى امرأة شابهة جميلة أحبها و تحبني و أنا أخشى أن تقدر مكان عيني فأخذها رسول الله ص فردها وانصرف بها وعادت كما كانت فلم تضرب عليه ساعة من ليل ونهار و كان يقول بعد أن أسن هي أقوى عيني و كانت أحسنهما . قال الواقدي و باشر رسول الله ص القتال بنفسه فرمى بالنبل حتى فنيت نبله وانكسرت سيه قوسه وقبل ذلك انقطع وتره و بقيت فى يده قطعة تكون شبرا فى سيه القوس فأخذ القوس عكاشه بن محصن يوتره له فقال يا رسول الله لا يبلغ الوتر فقال مده يبلغ قال عكاشه فو الذى بعثه بالحق لمددته حتى بلغ وطويت منه ليتين أو ثلاثه على سيه القوس ثم أخذه رسول الله ص فما زال يرمى القوم و أبولحه أمامه يستره مترسا عنه حتى نظرت إلى سيه قوسه قد تحطمت فأخذها قتاده بن النعمان قال الواقدي و كان أبولحه يوم أحد قد نثل كنانته بين يدي النبي ص و كان راميا و كان صيتا فقال رسول الله ص لصوت أبي طلحه فى الجيش خير من أربعين رجلا و كان فى كنانته خمسون سهما نثلها بين يدي [صفحہ ٢٥٠] رسول الله ص وجعل يصيح نفسى دون نفسك يا رسول الله فلم يزل يرمى بهاسهما سهما و كان رسول الله ص يطلع رأسه من خلف أبي طلحه بين أذنه ومنكبه ينظر إلى مواقع النبل حتى فنيت نبله و هو يقول نحري دون نحرك جعلنى الله فداك قالوا إنه كان رسول الله ص ل يأخذ العود من الأرض فيقول ارم يا أباطلحه فيرمى به سهما جيدا . قال الواقدي و كان الرماة المذكورون من أصحاب رسول الله ص جماعة منهم سعد بن أبي وقاص و أبولحه وعاصم بن ثابت والسائب بن عثمان بن مظعون والمقداد بن عمرو وزيد بن حارثه وحاطب بن أبى بلتعه وعتبه بن غزوان و خراش بن الصمه و قطبه بن عامر بن حديده وبشر بن البراء بن معرور و أبونائلة ملكان بن سلامه و قتاده بن النعمان . قال الواقدي ورمى أبو رهم الغفارى بسهم فأصاب نحره فجاء إلى رسول الله ص فبصق عليه فبرأ فكان أبو رهم بعد ذلك يسمى المنحور . وروى أبو عمر محمد بن عبدالواحد الزاهد

اللغوى غلام ثعلب ورواه أيضا محمد بن حبيب فى أماليه أن رسول الله ص لما فر معظم أصحابه عنه يوم أحد كثرت عليه كتائب المشركين وقصدته كتيبه من بنى كنانة ثم من بنى عبدمناة بن كنانة فيهابنو سفيان بن عوف وهم خالد بن سفيان و أبوالشعثاء بن سفيان و أبوالحمرء بن سفيان و غراب بن سفيان فقال رسول الله ص يا على اكفنى هذه الكتيبة فحمل عليها وإنها لتقارب خمسين فارسا و هوع راجل فما زال يضربها بالسيف حتى تتفرق عنه ثم تجتمع عليه هكذا مرارا حتى قتل بنى سفيان بن عوف الأربعة و تمام العشرة منها ممن لا يعرف بأسمائهم فقال جبرئيل [صفحة ٢٥١] ع لرسول الله ص يا محمد إن هذه المواساة لقد عجبت الملائكة من مواساة هذا الفتى فقال رسول الله ص و ما يمنعه و هو منى و أنا منه فقال جبرئيل ع و أنا منكمما قال وسمع ذلك اليوم صوت من قبل السماء لا يرى شخص الصارخ به ينادى مرارا لاسيف إلا ذو الفقار || و لافتى إلا على فسئل رسول الله ص عنه فقال هذا جبرائيل . قلت و قدروى هذا الخبر جماعة من المحدثين و هو من الأخبار المشهورة ووقفت عليه فى بعض نسخ مغازى محمد بن إسحاق و رأيت بعضها خاليا عنه و سألت شيخى عبد الوهاب بن سكينه رحمه الله عن هذا الخبر فقال خير صحيح فقلت فما بال الصحاح لم تشتمل عليه قال أ و كلما كان صحيحا تشتمل عليه كتب الصحاح كم قد أهمل جامعو الصحاح من الأخبار الصحيحة . قال الواقدى و أقبل عثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومى يحضر فرسا له أبلق يريد رسول الله ص عليه لأمة كاملة و رسول الله ص متوجه إلى الشعب و هو يصيح لانجوت إن نجوت فيقف رسول الله ص ويعثر بعثمان فرسه فى بعض تلك الحفر التى حفرها أبو عامر الفاسق للمسلمين فيقع الفرس لوجهه و سقط عثمان عنه و خرج الفرس غائرا فيأخذه بعض أصحاب رسول الله ص ويمشى إليه الحارث بن الصمة فاضطربا ساعة بالسيفين ثم يضرب الحارث رجله و كانت درعه مشمرة فبرك و ذفف عليه و أخذ الحارث [صفحة ٢٥٢] يومئذ سلبه درعا جيدا و مغفرا و سيفا جيدا و لم يسمع بأحد من المشركين سلب يومئذ غيره و رسول الله ص ينظر إلى قتالهما فسأل عن الرجل قيل عثمان بن عبد الله بن المغيرة قال الحمد لله الذى أحانه و قد كان عبد الله بن جحش أسره من قبل بطن نخله حتى قدم به على رسول الله ص فافتدى ورجع إلى قريش و غزا معهم أحدا فقتل هناك و يرى مصرع عثمان عبيد بن حازم العامرى أحد بنى عامر بن لؤى فأقبل يعدو كأنه سبع فيضرب حارث بن الصمة ضربة على عاتقه فوق الحارث جريحا حتى احتمله أصحابه و يقبل أبودجانه على عبيد بن حازم فتناوشا ساعة من نهار و كل واحد منهما يتقى بالدرقة سيف صاحبه ثم حمل عليه أبودجانه فاحتضنه ثم جلد به الأرض و ذبحه بالسيف كما تذبح الشاة ثم انصرف فلحق برسول الله ص . قال الواقدى و يروى أن سهل بن حنيف جعل ينضح بالنبل عن رسول الله ص فقال نبلوا سهلا فإنه سهل و نظر رسول الله ص إلى أبى الدرداء و الناس منهزمون فى كل وجه فقال نعم الفارس عويمر غير أنه لم يشهد أحدا . قال الواقدى و روى الحارث بن عبيد الله بن كعب بن مالك قال حدثنى من نظر إلى أبى سبرة بن الحارث بن علقمة و لقي أحد المشركين فاختلفا ضربات كل ذلك يروغ أحدهما عن الآخر قال فنظر الناس إليهما كأنهما سبعان ضاريان يقفان مرة و يقتلان أخرى ثم تعانقا فوقعا إلى الأرض جميعا فعلاه أبوسبرة فذبحه بسيفه كما تذبح الشاة و نهض عنه فيقبل خالد بن الوليد و هو على فرس أدهم أعر محجل يجر قناة طويلة فظعن أباسبرة من خلفه فنظرت إلى سنان الرمح خرج من صدره [صفحة ٢٥٣] و وقع أبوسبرة ميتا و انصرف خالد بن الوليد يقول أنا أبوسليمان . قال الواقدى و قاتل طلحة بن عبيد الله يومئذ عن النبى ص قتالا شديدا و كان طلحة يقول لقد رأيت رسول الله ص حيث انهزم أصحابه و كثر المشركون فأحدقوا بالنبى ص من كل ناحية فما أدرى أقوم من بين يديه أو من ورائه أم عن يمينه أم شماله فأذب بالسيف عنه هاهنا و هاهنا حتى انكشفوا فجعل رسول الله ص يومئذ يقول لطلحة لقد أوجب و روى لقد أنحب أى قضى نذره . قال الواقدى و روى أن سعد بن أبى وقاص ذكر طلحة فقال يرحمه الله إنه كان أعظما غناء عن رسول الله ص يوم أحد قيل كيف يا أباسحاق قال لزم النبى ص و كنا نتفرق عنه ثم نثوب إليه لقد رأيت يدير حول النبى ص يترس بنفسه . قال الواقدى و سئل طلحة يا أبامحمد ما أصاب إصبعك قال رمى مالك بن زهير الجشمى بسهم

يريد رسول الله ص و كان لاتخطئ رميته فاتقيت بيدي عن وجه رسول الله ص فأصاب خنصرى فشل . قال الواقدي وقالوا إن طلحة قال لمارمى حس فقال رسول الله ص لو قال بسم الله لدخل الجنة و الناس ينظرون إليه من أحب أن ينظر إلى رجل يمشى فى الدنيا و هو من أهل الجنة فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله طلحة ممن قضى نجه . [صفحه ٢٥٤] قال الواقدي و كان طلحة يحدث يقول لماجال المسلمون تلك الجولة ثم تراجعوا أقبل رجل من بنى عامر بن لوى يدعى شيبه بن مالك بن المضرب يجر رمحه و هو على فرس أغر كميث مدججا فى الحديد يصيح أنا أبوذات الودع دلونى على محمد فأضرب عرقوب فرسه فاكتسعت به ثم أتناول رمحه فو الله ماأخطأت به عن حدقته فخار كمايخور الثور فما برحت به واضعا رجلى على خده حتى أزرته شعوب . قال الواقدي و كان طلحة قدأصابته فى رأسه المصلبة ضربه رجل من المشركين ضربتين ضربه و هو مقبل وضربه و هو معرض عنه و كان نرف منها الدم قال أبو بكر جئت النبى ص يوم أحد فقال عليك بابن عمك فأتى طلحة بن عبيد الله و قدنزف الدم فجعلت أنضح فى وجهه الماء و هو مغشى عليه ثم أفاق فقال ما فعل رسول الله ص فقلت خيرا هو أرسلنى إليك فقال الحمد لله كل مصيبة بعده جلل . قال الواقدي و كان ضرار بن الخطاب الفهرى يقول نظرت إلى طلحة بن عبيد الله قدحلق رأسه عندالمروة فى عمره فنظرت إلى المصلبة فى رأسه فكان ضرار يقول أنا و الله ضربته هو استقبلنى فضربته ثم أكر عليه و قدأعرض فأضربه ضربه أخرى [صفحه ٢٥٥] قال الواقدي و لما كان يوم الجمل و قتل على ع من قتل من الناس و دخل البصرة جاءه رجل من العرب فتكلم بين يديه و نال من طلحة فزبره على ع و قال إنك لم تشهد يوم أحد و عظم غناؤه عن الإسلام مع مكانه من رسول الله ص فانكسر الرجل و سكت فقال له قائل من القوم و ما كان غناؤه و بلاؤه يرحمه الله يوم أحد فقال على ع نعم يرحمه الله لقد رأيته و إنه ليترس بنفسه دون رسول الله ص و إن السيوف لتغشاه و النبل من كل ناحية و ما هو إلاجنة لرسول الله ص يقيه بنفسه فقال رجل لقد كان يوم أحد يوما قتل فيه أصحاب رسول الله ص و أصابت رسول الله ص فيه الجراحة فقال على ع أشهد لسمعت رسول الله ص يقول ليت أنى غودرت مع أصحابى بنحص الجبل ثم قال على ع لقد رأيته يومئذ و إنى لأذنبهم فى ناحية و إن أبادجانه لفى ناحية يذب طائفة منهم حتى فرج الله ذلك كله و لقد رأيته و انفردت منهم يومئذ فرقه خشنا فىها عكرمة بن أبى جهل فدخلت و سطمهم بالسيف فضربت به و اشتملوا على حتى أفضيت إلى آخرهم ثم كررت فيهم الثانية حتى رجعت من حيث جئت و لكن الأجل استأخر و يقضى الله أمرا كان مفعولا . قال الواقدي و حدثنى جابر بن سليم عن عثمان بن صفوان عن عمارة بن خزيمه قال حدثنى من نظر إلى الحباب بن المنذر بن الجموح و إنه ليحوشهم يومئذ كما تحاش الغنم و لقد اشتملوا عليه حتى قيل قد قتل ثم برز و السيف فى يده و افترقوا عنه و جعل يحمل على فرقه منهم و إنهم ليهربون منه إلى جمع منهم [صفحه ٢٥٦] و صار الحباب إلى النبى ص و كان الحباب يومئذ معلما بعصابة خضراء فى مغفره . قال الواقدي و طلع يومئذ عبدالرحمن بن أبى بكر على فرس مدججا لا يرى منه إلا عيناه فقال من يبارز أنا عبدالرحمن بن عتيق فنهض إليه أبو بكر و قال أنا أبارزه و جرد سيفه فقال له رسول الله ص شم سيفك و ارجع إلى مكانك و متعنا بنفسك . قال الواقدي و قال رسول الله ص ما وجدت لشماس بن عثمان شباها إلا الجنة يعنى مما يقاتل عن رسول الله يومئذ و كان رسول الله ص لا يأخذ يمينا و لا شمالا إلا رأى شماس بن عثمان فى ذلك الوجه يذب بسيفه عنه حتى غشى رسول الله ص فترس بنفسه دونه حتى قتل فذلك قول رسول الله ص ما وجدت لشماس شباها إلا الجنة . قال الواقدي و لماولى المسلمون حين عطف عليهم خالد بن الوليد من خلفهم كان أول من أقبل من المسلمين بعد التولية قيس بن محرث مع طائفة من الأنصار و قد كانوا بلغوا بنى حارثة فرجعوا سراعا فصادفوا المشركين فى كثرتهم فدخلوا فى حومتهم فما أفلت منهم رجل حتى قتلوا كلهم و لقد ضاربهم قيس بن محرث فامتنع بسيفه حتى قتل منهم نفرا فما قتلوه إلا بالرمح نظموه و لقد وجد به أربع عشرة طعنة جائفه و عشر ضربات بالسيف . قال الواقدي و كان عباس بن عباد بن نظة المعروف بابن قوقل و خارجه بن [صفحه ٢٥٧] زيد بن أبى زهير و أوس بن أرقم بن زيد و عباس رافع صوته يقول يامعشر

المسلمين الله ونيبكم هذا الذى أصابكم بمعصية نبيكم وعدكم النصر فما صبرتم ثم نزع مغفره عن رأسه وخلع درعه وقال لخارجة بن زيد هل لك فى درعى ومغفرى قال خارجة لا أنا أريد الذى تريد فخالطوا القوم جميعا وعباس يقول ماعذرنا عندربنا إن أصيب نبينا ومنا عين تطرف قال فيقول خارجة لا عذر لنا والله عندربنا ولا حجة فأما عباس فقتله سفيان بن عبدشمس السلمى ولقد ضربه عباس ضربتين فجرحه جرحين عظيمين فارتث يومئذ جريحا فمكث جريحا سنة ثم استبل وأخذت خارجة بن زيد الرماح فجرح بضعة عشر جرحا فمر به صفوان بن أمية فعرفه فقال هذا من أكابر أصحاب محمد و به رمق فأجهز عليه وقتل أوس بن أرقم وقال صفوان من رأى خبيب بن يساف وهو يطلبه فلا يقدر عليه ومثل يومئذ بخارجة وقال هذا ممن أغرى بأبى يوم بدر يعنى أمية بن خلف وقال الآن شفيت نفسى حين قتلت الأماثل من أصحاب محمد قتلت ابن قوئل وقتلت ابن أبى زهير وقتلت أوس بن أرقم . قال الواقدى وقال رسول الله ص يومئذ من يأخذ هذا السيف بحقه قالوا و ما حقه يا رسول الله قال يضرب به العدو فقال عمر أنا يا رسول الله فأعرض عنه ثم عرضه رسول الله ص بذلك الشرط فقام الزبير فقال أنا فأعرض عنه حتى وجد عمر والزبير فى أنفسهما ثم عرضه الثالثة فقام أبودجانه وقال أنا يا رسول الله آخذه بحقه فدفعه إليه فصدق حين لقي به العدو وأعطى السيف حقه فقال أحد الرجلين إما عمر بن الخطاب أو الزبير والله لأجعلن هذا الرجل الذى أعطاه السيف ومنعنيه من شأنى قال فاتبعته فو الله مارأيت أحدا قاتل أفضل [صفحة ٢٥٨] من قتاله لقد رأيت يضر به حتى إذا كل عليه وخاف ألا يحيك عمد به إلى الحجارة فشحذه ثم يضرب به العدو حتى يرده كأنه منجل و كان حين أعطاه رسول الله ص السيف مشى بين الصفين واختال فى مشيته فقال رسول الله ص حين رآه يمشى تلك المشية إن هذه لمشية يبغضها الله تعالى إلا فى مثل هذا الموطن قال و كان أربعة من أصحاب النبى ص يعلمون فى الزحوف أحدهم أبودجانه كان يعصب رأسه بعصابة حمراء و كان قومه يعلمون أنه إذا اعتصب بها أحسن القتال و كان على ع يعلم بصوفة بيضاء و كان الزبير يعلم بعصابة صفراء و كان حمزة يعلم بريش نعامه . قال الواقدى و كان أبودجانه يحدث يقول إنى لأنظر يومئذ إلى امرأة تقذف الناس وتحوشهم حوشا منكرا فرفعت عليها السيف و ما أحسبها إلا رجلا حتى علمت أنها امرأة و كرهت أن أضرب بسيف رسول الله ص امرأة والمرأة عمره بنت الحارث . قال الواقدى و كان كعب بن مالك يقول أصابنى الجراح يوم أحد فلما رأيت المشركين يمثلون بالمسلمين أشد المثل وأقبحها قمت فتنحيت عن القتلى فإنى لفى موضعى أقبل خالد بن الأعمى العقيلي جامع اللأمة يحوش المسلمين يقول استوسقوا كما يستوسق جرب الغنم و هو مدجج فى الحديد يصيح يامعشر قريش لا تقتلوا محمدا ائسروه أسرا حتى نعرفه ما صنع ويصمد له قزمان فيضربه بالسيف ضربة على عاتقه رأيت منها سحره ثم أخذ سيفه وانصرف فطلع عليه من المشركين فارس ما أرى منه إلا عينيه فحمل عليه قزمان فضربه ضربة جزله اثنين فإذا هو الوليد بن العاص بن هشام المخزومى ثم يقول كعب إنى لأنظر يومئذ وأقول مارأيت مثل هذا الرجل أشجع [صفحة ٢٥٩] بالسيف ثم ختم له بما ختم له به فيقال له بما ختم له به فيقول من أهل النار قتل نفسه يومئذ . قال الواقدى و روى أبوالنمر الكنانى قال أقبلت يوم أحد و أنا من المشركين و قد انكشف المسلمون و قد حضرت فى عشرة من إخوتى فقتل منهم أربعة و كان الريح للمسلمين أول ماالتقينا فلقد رأيتنى وانكشفنا مولين وأقبل أصحاب النبى ص على نهب العسكر حتى بلغت الجماء ثم كرت خيلنا فقلت والله ما كرت الخيل إلا عن أمر رآته فكررنا على أقدامنا كأننا الخيل فنجد القوم قد أخذ بعضهم بعضا يقاتلون على غير صفوف ما يدرى بعضهم من يضرب و ما للمسلمين لواء قائم و مع رجل من بنى عبدالدار لواء المشركين و أنا أسمع شعار أصحاب محمد بينهم أمت أمت فأقول فى نفسى ما أمت وإنى لأنظر إلى رسول الله ص و إن أصحابه محدقون به و إن النبل ليمر عن يمينه ويساره ويقع بين يديه ويخرج من ورائه ولقد رميت يومئذ بخمسين مرماة فأصبت منها بأسهم بعض أصحابه ثم هدانى الله إلى الإسلام . قال الواقدى و كان عمرو بن ثابت بن وقش شاكا فى الإسلام و كان قومه يكلمونه فى الإسلام فيقول لو أعلم ما تقولون حقا ما تأخرت عنه حتى إذا كان يوم أحد بدا له

الإسلام و رسول الله ص بأحد وأخذ سيفه وأسلم وخرج حتى دخل فى القوم فقاتل حتى أثبت فوجد فى القتلى جريحا ميتا فدنوا منه و هو بآخر رمق فقالوا ماجاء بك يا عمرو قال الإسلام آمنت بالله وبرسوله وأخذت سيفى وحضرت فرزقنى الله الشهادة ومات فى أيديهم فقال رسول الله ص إنه لمن أهل الجنة [صفحة ٢٦٠] قال الواقدى فكان أبوهريرة يقول و الناس حوله أخبرونى برجل يدخل الجنة لم يصل لله تعالى سجدة فيسكت الناس فيقول أبوهريرة هو أخو بنى عبد الأشهل عمرو بن ثابت بن وقش . قال الواقدى و كان مخيرق اليهودى من أحبار يهود فقال يوم السبت و رسول الله ص بأحد يامعشر يهود و الله إنكم لتعلمون أن محمدا نبى و أن نصره عليكم حق فقالوا ويحك اليوم يوم السبت فقال لاسبت ثم أخذ سلاحه وحضر مع النبى ص فأصيب فقال رسول الله ص مخيرق خير يهود . قال الواقدى و كان مخيرق قال حين خرج إلى أحد إن أصبت فأموالى لمحمد يضعها حيث أراه الله فيه فهى عامه صدقات النبى ص . قال الواقدى و كان حاطب بن أمية منافقا و كان ابنه يزيد بن حاطب رجل صدق شهد أحدا مع النبى ص فارتث جريحا فرجع به قومه إلى منزله قال يقول أبوه و هو يرى أهل الدار يبكون عنده أنتم و الله صنعتم هذا به قالوا كيف قال أغررتموه من نفسه حتى خرج فقتل ثم صرتم معه إلى شىء آخر تعدونه جنه يدخل فيها حبه من حرمم قالوا قاتلك الله قال هو ذاك و لم يقر بالإسلام . قال الواقدى و كان قزمان عسيفا من بنى ظفر لا يدرى ممن هو و كان لهم محبا [صفحة ٢٦١] و كان مقلا- و لا ولد له و لا زوجة و كان شجاعا يعرف بذلك فى حروبهم التى كانت تكون بينهم فشهد أحدا و قاتل قتالا شديدا فقتل ستة أو سبعة فأصابته الجراح فليل للنبى ص إن قزمان قد أصابته الجراح فهو شهيد فقال بل من أهل النار فجاءوا إلى قزمان فقالوا هنيئا لك أبا الغيداق الشهادة فقال بم تبشروننى و الله ما قاتلنا إلا على الأحساب قالوا بشرناك بالجنة قال حبه و الله من حرمم إنا و الله ما قاتلنا على جنه و لا على نار إنما قاتلنا على أحسابنا ثم أخرج سهمنا من كنانته فجعل يتوجأ به نفسه فلما أبطأ عليه المشقص أخذ السيف فاتكأ عليه حتى خرج من ظهره فذكر ذلك للنبى ص فقال هو من أهل النار . قال الواقدى و كان عمرو بن الجموح رجلا أعرج فلما كان يوم أحد و كان له بنون أربعة يشهدون مع النبى ص المشاهد أمثال الأسد أراد قومه أن يحبسوه وقالوا أنت رجل أعرج و لا حرج عليك و قد ذهب بنوك مع النبى ص قال بخ يذهبون إلى الجنة و أجلس أنا عندكم فقالت هند بنت عمرو بن حزام امرأته كأنى أنظر إليه موليا قد أخذ درقته و هو يقول اللهم لا تردنى إلى أهلى فخرج ولحقه بعض قومه يكلمونه فى القعود فأبى وجاء إلى رسول الله ص فقال يا رسول الله إن قومى يريدون أن يحبسونى عن هذا الوجه والخروج معك و الله إنى لأرجو أن أظأ بعرجتى هذه فى الجنة فقال له أما أنت فقد عذرك الله و لا جهاد عليك فأبى فقال النبى ص لقومه و بنيه لا عليكم أن تمنعوه لعل الله يرزقه الشهادة فخلوا عنه فقتل يومئذ شهيدا و كان أبوطلحة يحدث يقول نظرت إلى عمرو بن الجموح حين انكشف المسلمون ثم تابوا و هو فى الرعيل الأول لكأنى أنظر إلى ضلعه و هو يعرج فى مشيته و هو يقول أنا و الله مشتاق إلى الجنة ثم أنظر إلى ابنه يعدو فى أثره حتى قتلا جميعا . [صفحة ٢٦٢] قال الواقدى و كانت عائشة خرجت فى نسوة تستروح الخبير و لم يكن قد ضرب الحجاب يومئذ حتى كانت بمنقطع الحره و هى هابطة من بنى حارثة إلى الوادى لقيت هندنا بنت عمرو بن حزام أخت عبد الله بن عمرو بن حزام تسوق بعيرا لها عليه زوجها عمرو بن الجموح وابنها خلاد بن عمرو بن الجموح وأخوها عبد الله بن عمرو بن حزام أبو جابر بن عبد الله فقالت لها عائشة عندك الخبير فما وراءك فقالت هند خير أما رسول الله ص فصالح و كل مصيبة بعده جلال واتخذ الله من المؤمنين شهداء و رد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا و كفى الله المؤمنين القتال و كان الله قويا عزيزا . قلت هكذا وردت الرواية و عندى أنها لم تقل كل ذلك ولعلها قالت و رد الله الذين كفروا بغيظهم لا غير و الإفكيف يواطئ كلامها آية من كلام الله تعالى أنزلت بعد الخندق والخندق بعد أحد هذا من البعيد جدا . قال فقالت لها عائشة فمن هؤلاء قالت أخى وبنى وزوجى قتلى قالت فأين تذهبين بهم قالت إلى المدينة أقبيرهم بها حل تزرع بعيرها فبرك البعير فقالت عائشة لثقل ما حمل قالت هند ماذاك به لربما حمل ما يحمله البعيران ولكنى أراه لغير ذلك

فجزرته فقام فلما وجهت به إلى المدينة برك فوجهته راجعاً إلى أحد فأسرع فرجعت إلى النبي ص فأخبرته بذلك فقال إن الجمل لمأمور هل قال عمرو شيئاً قالت نعم إنه لما وجه إلى أحد استقبال القبلة ثم قال اللهم لا تردني إلى أهلي وارزقني الشهادة فقال ص فلذلك الجمل لا يمضى إن منكم يامعشر الأنصار من لو أقسم على الله لأبره منهم عمرو بن الجموح ياهند مازالت الملائكة مظة على أخيك من لدن قتل إلى الساعة ينظرون أين يدفن ثم مكث رسول الله ص في قبرهم ثم قال ياهند قد تراقبوا في الجنة - قرآن - ٤٧١ - ٦٠٣ - قرآن - ٦٧٠ - ٧١٢ [صفحة ٢٦٣] جميعاً عمرو بن الجموح بعلك و خلد ابنك و عبد الله أخوك فقالت هند يا رسول الله فادع الله لي عسى أن يجعلني معهم . قال الواقدي و كان جابر بن عبد الله يقول اصطحب ناس يوم أحد الخمر منهم أبي فقتلوا شهداء . قال الواقدي و كان جابر يقول أول قتيل من المسلمين يوم أحد أبي قتله سفيان بن عبد شمس أبو الأعور السلمي فصلى عليه رسول الله ص قبل الهزيمة . قال الواقدي و كان جابر يحدث و يقول استشهد أبي وجعلت عمتي تبكي فقال النبي ص ما يبكيها مازالت الملائكة تظل عليه بأجنحتها حتى دفن . قال الواقدي و قال عبيد الله بن عمرو بن حزام رأيت في النوم قبل يوم أحد بأيام مبشر بن عبد المنذر أحد الشهداء بيدري يقول لي أنت قادم علينا في أيام فقلت فأين أنت قال في الجنة نسرح منها حيث نشاء فقلت له ألم تقتل يوم بدر قال بلى ثم أحيت فذكر ذلك لرسول الله ص قال هذه الشهادة يا جابر . قال الواقدي و قال رسول الله ص يوم أحد ادفنوا عبد الله بن عمرو بن حزام وعمرو بن الجموح في قبر واحد ويقال إنهما جدا و قدمثل بهما كل مثله قطعت آرابهما عضوا عضوا فلا تعرف أبادنهما فقال النبي ص ادفنوهما في قبر واحد ويقال إنما أمر بدفنهما في قبر واحد لما كان بينهما [صفحة ٢٦٤] من الصفاء فقال ادفنوا هذين المتحابين في الدنيا في قبر واحد . و كان عبد الله بن عمرو بن حزام رجلاً أحمر أصلح ليس بالطويل و كان عمرو بن الجموح طويلاً فعرفا ودخل السيل بعد عليهما و كان قبرهما مما يلي السيل فحفر عنهما وعليهما نمرتان و عبد الله قد أصابه جرح في وجهه فيده على وجهه فأميطت يده عن جرحه فتعب الدم فردت إلى مكانها فسكن الدم . قال الواقدي و كان جابر بن عبد الله يقول رأيت أبي في حفرة و كأنه نائم و ماتغير من حاله قليل و لا كثير فقيل له أفرأيت أكفانه قال إنما كفن في نمره خمر بها وجهه و على رجله الحرمل فوجدنا النمره كما هي والحرمل على رجله كهيته و بين ذلك و بين وقت دفنه ست وأربعون سنة فشاورهم جابر في أن يطيبه بمسك فأبى ذلك أصحاب النبي ص وقالوا لا تحدثوا فيهم شيئاً . قال ويقال إن معاوية لما أراد أن يجرى العين التي أحدثها بالمدينة وهي كظلمة نادي مناديه بالمدينة من كان له قتيل بأحد فليشهد فخرج الناس إلى قتلاهم فوجدوهم رطاباً يتشون فأصابت المسحاة رجل رجل منهم فتعبت دما فقال أبو سعيد الخدري لا ينكر بعد هذا منكر أبدا . قال ووجد عبد الله بن عمرو بن حزام وعمرو بن الجموح في قبر واحد ووجد خارجه بن زيد بن أبي زهير وسعد بن الربيع في قبر واحد فأما قبر عبد الله وعمرو فحول و ذلك أن القناه كانت تمر على قبرها و أمقبر خارجه وسعد فترك و ذلك لأن مكانه كان معتزلاً وسوى عليهما التراب ولقد كانوا يحفرون التراب فكلما حفروا قتره من تراب فاح عليهم المسك . [صفحة ٢٦٥] قال وقالوا إن رسول الله ص قال لجابر يا جابر أ لا أبشرك فقال بلى بأبي وأمي قال فإن الله أحيأ أباك ثم كلمه كلاماً فقال له تمن على ربك ماشئت فقال أتمنى أن أرجع فأقتل مع نبيك ثم أحيأ فأقتل مع نبيك فقال إني قد قضيت أنهم لا يرجعون - رواية ١ - ٢ - رواية ١٥ - ٢٥١ قال الواقدي وكانت نسيبة بنت كعب أم عماره بن غزیه بن عمرو قد شهدت أحداً وزوجها غزیه وابناها عماره بن غزیه و عبد الله بن زيد و خرجت ومعها شن لها في أول النهار تريد تسقى الجرحى فقالت يومئذ وأبلى بلاء حسناً فخرجت اثني عشر جرحاً بين طعنه برمح أو ضربه بسيف فكانت أم سعد بنت سعد بن الربيع تحدث فتقول دخلت عليها فقالت لها ياخاله حدثيني خبرك فقالت خرجت أول النهار إلى أحد و أنا أنظر ما يصنع الناس ومعى سقاء فيه ماء فانتهيت إلى رسول الله ص و هو في الصحابة والدولة والريح للمسلمين فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ص فجعلت أباشر القتال وأذب عن رسول الله ص بالسيف وأرمي بالقوس حتى خلصت إلى الجراح فرأيت على

عاتقها جرحا أجوف له غور فقلت يا أم عماره من أصابك بهذا قالت أقبل ابن قميئه و قدولى الناس عن رسول الله ص يصيح دلوني على محمد لانجوت إن نجا فاعترض له مصعب بن عمير وناس معه فكنت فيهم فضربني هذه الضربه ولقد ضربته على ذلك ضربات ولكن عدو الله كان عليه درعان فقالت لها يدك ما أصابها قالت أصيبت يوم اليمامة لما جعلت الأعراب تنهزم بالناس نادى الأنصار أخلصونا فأخلصت الأنصار فكنت معهم حتى انتهينا إلى حديقته الموت فاقتلنا عليها ساعة حتى قتل أبودجانه على باب الحديقة ودخلتها [صفحة ٢٦٦] وأنا أريد عدو الله مسيلمه فيعرض لى رجل فضرب يدي فقطعها فو الله ما كانت ناهية ولا عرجت عليها حتى وقفت على الخبيث مقتولا وابني عبد الله بن يزيد المازني يمسح سيفه بثيابه فقلت أقتلته قال نعم فسجدت شكرا لله عز وجل وانصرفت . قال الواقدي و كان ضمرة بن سعيد يحدث عن جدته وكانت قد شهدت أحدا تسقى الماء قال سمعت رسول الله ص يقول يومئذ لمقام نسيه بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان و كان يراها يومئذ تقاتل أشد القتال وإنما لحاجزة ثوبها على وسطها حتى جرحت ثلاثة عشر جرحا. قلت ليت الراوى لم يكن هذه الكناية و كان يذكرهما باسمهما حتى لا تترامى الظنون إلى أمور مشتبهه و من أمانة المحدث أن يذكر الحديث على وجهه ولا يكتف منه شيئا فما باله كتم اسم هذين الرجلين . قال فلما حضرت نسيه الوفاة كنت فيمن غسلها فعددت جراحها جرحا جرحا فوجدتها ثلاثة عشر وكانت تقول إنى لأنظر إلى ابن قميئه و هو يضربها على عاتقها و كان أعظم جراحها لقد داوته سنة ثم نادى منادى النبى ص بعد انقضاء أحد إلى حمراء الأسد فشدت عليها ثيابها فما استطاعت من نرف الدم ولقد مكثنا ليلتنا نكمد الجراح حتى أصبحنا فلما رجع رسول الله ص من حمراء الأسد لم يصل إلى بيته حتى أرسل إليها عبد الله بن كعب المازني يسأل عنها فرجع إليه فأخبره بسلامتها فسر بذلك . قال الواقدي وحدثني عبد الجبار بن عماره بن غزبه قال قالت أم عماره [صفحة ٢٦٧] لقد رأيتني وانكشف الناس عن رسول الله ص فما بقى إلا نغير ما يتمون عشرة و أنا وأبنائي وزوجي بين يديه نذب عنه و الناس يمرون عنه منهزمين فرآنى و لا ترس معى ورأى رجلا- موليا معه ترس فقال يا صاحب الترس ألق ترسك إلى من يقاتل فألقى ترسه فأخذته فجعلت أترس به على النبى ص وإنما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل و لو كانوا رجاله مثلنا أصبناهم فيقبل رجل على فرس فضربني وترست له فلم يصنع سيفه شيئا وولى وأضرب عرقوب فرسه فوق على ظهره فجعل النبى ص يصيح يا ابن عماره أمك أمك قالت فعاوننى عليه حتى أوردته شعوب . قال الواقدي وحدثني ابن أبى سبرة عن عمرو بن يحيى عن أبيه عن عبد الله بن زيد المازني قال جرحت جرحا فى عضدى اليسرى ضربنى رجل كأنه الرقل و لم يعرج على ومضى عنى وجعل الدم لا يرقا فقال رسول الله ص اعصب جرحك فتقبل أمى إلى ومعها عصائب فى حقويها قد أعدتها للجراح فربطت جرحى و النبى ص واقف ينظر ثم قالت انهض يابنى فضارب القوم فجعل رسول الله ص يقول و من يطيق ماتطيقين يا أم عماره قالت وأقبل الرجل الذى ضربنى فقال رسول الله ص هذا ضارب ابنك فاعترضت أمى له فضربت ساقه فبرك فرأيت النبى ص تبسم حتى بدت نواجذه ثم قال استقدت يا أم عماره ثم أقبلنا نعلوه بالسلاح حتى أتينا على نفسه فقال النبى ص الحمد لله الذى ظفرك وأقر عينك من عدوك وأراك تارك بعينك . [صفحة ٢٦٨] قال الواقدي وروى موسى بن ضمرة بن سعيد عن أبيه قال أتى عمر بن الخطاب فى أيام خلافته بمروط كان فيها مرط واسع جيد فقال بعضهم إن هذا المرط بثمن كذا فلو أرسلت به إلى زوجة عبد الله بن عمر صفيه بنت أبى عبيد و ذلك حدثان مادخلت على ابن عمر فقال بل أبعث به إلى من هو أحق منها أم عماره نسيه بنت كعب سمعت رسول الله ص يوم أحد يقول ما ألتفت يمينا وشمالا إلا و أنا أراها تقاتل دونى. قال الواقدي وروى مروان بن سعيد بن المعلى قال قيل لأم عماره يا أم عماره هل كن نساء قریش يومئذ يقاتلن مع أزواجهن فقالت أعوذ بالله لا والله ما رأيت امرأة منهن رمت بسهم ولا حجر ولكن رأيت معهن الدفاف والأكبار يضربن ويذكرن القوم قتلى بدر ومعهن مكاحل ومراد فكلما ولى رجل أوتكعكع ناولته إحداهن مرودا ومكحلة ويقلن إنما أنت امرأة ولقد رأيتهن ولين منهزمات مشمرات ولها عنهن الرجال

أصحاب الخيل ونجوا على متون خيلهم وجعلن يتبعن الرجال على أقدامهن فجعلن يسقطن فى الطريق ولقد رأيت هنداً بنت عتبة وكانت امرأة ثقيلاً ولها خلق قاعدة خاشية من الخيل ما بهامشى ومعها امرأة أخرى حتى كثر القوم علينا فأصابوا منا ما أصابوا فعند الله نحسب ما أصابنا يومئذ من قبل الرماة ومعصيتهم لرسول الله ص . قال الواقدي وحدثني ابن أبي سبرة عن عبدالرحمن بن عبد الله بن أبي صعصعة عن الحارث بن عبد الله قال سمعت عبد الله بن زيد بن عاصم يقول شهدت أحدا [صفحة ٢٦٩] مع رسول الله ص فلما تفرق الناس عنه دنوت منه وأمى تذب عنه فقال يا ابن عمارة قلت نعم قال ارم فرميت بين يديه رجلا من المشركين بحجر و هو على فرس فأصيب عین الفرس فاضطرب الفرس حتى وقع هو وصاحبه وجعلت أعلوه بالحجارة حتى نضدت عليه منها وقرا و النبي ص ينظر إلى ويتبسم فنظر إلى جرح بأمى على عاتقها فقال أمك أمك اعصب جرحها بارك الله عليكم من أهل بيت لمقام أمك خير من مقام فلان وفلان ومقام ربيك يعنى زوج أمه خير من مقام فلان رحمكم الله من أهل بيت فقالت أمى ادع لنا الله يا رسول الله أن نرافقك فى الجنة فقال اللهم اجعلهم رفقائى فى الجنة قالت فما أبالى ما أصابنى من الدنيا قال الواقدي و كان حنظلة بن أبى عامر تزوج جميلة بنت عبد الله بن أبى بن سلول فأدخلت عليه فى الليلة التى فى صبيحتها قتال أحد و كان قد استأذن رسول الله ص أن يبيت عندها فأذن له فلما صلى الصبح غدا يريد النبي ص فلزمته جميلة فعاد فكان معها فأجنب منها ثم أراد الخروج وقد أرسلت قبل ذلك إلى أربعة من قومها فأشهدتهم أنه قد دخل بها فقبل لها بعد لم أشهدت عليه قالت رأيت كأن السماء فرجت فدخل فيها ثم أطبقت فقلت هذه الشهادة فأشهدت عليه أنه قد دخل بى فعلقته منه بعبد الله بن حنظلة ثم تزوجها ثابت بن قيس بعد فولدت له محمد بن ثابت بن قيس وأخذ حنظلة بن أبى عامر سلاحه فلحق برسول الله ص بأحد و هو يسوى الصفوف فلما انكشف المشركون اعترض حنظلة لأبى سفيان بن حرب فضرب عرقوب فرسه فاكتسعت الفرس ويقع أبوسفيان إلى الأرض فجعل يصيح يامعشر قريش أنا أبوسفيان بن حرب وحنظلة يريد ذبحه بالسيف فأسمع الصوت رجلا لا يلتفتون إليه من الهزيمة حتى عاينه الأسود بن شعوب فحمل على حنظلة بالرمح [صفحة ٢٧٠] فأنفذه ومشى حنظلة إليه فى الرمح فضربه ثانية فقتله وهرب أبوسفيان يعدو على قدميه فلحق ببعض قريش فنزل عن صدر فرسه وردف وراءه أباسفيان فذلك قول أبى سفيان يذكر صبره ووقوفه و أنه لم يفر وذكره محمد بن إسحاق و لو شئت نجتنى كميته طمرة || و لم أحمل النعماء لابن شعوب و مازال مهري مزجر الكلب فيهم || لدن غدوة حتى دنت لغروب أقاتلهم وأدعى يال غالب || وأدفعهم عنى بركن صليب فبكى و لا ترعى مقاله عاذل || و لا تسأمنى من عبرة ونحيب أياك وإخوانا لنا قد تتابعوا || وحق لهم من حسرة بنصيب وسلى الذى قد كان فى النفس إننى || قتلت من النجار كل نجيب و من هاشم قرما كريما ومصعبا || و كان لدى الهيجاء غير هيب و لو أننى لم أشف نفسى منهم || لكنت شجا فى الصدر ذات ندوب فأبوا و قد أودى الجلابيب منهم || بهم كمد من واجم و كئيب أصابهم من لم يكن لدمائهم || كفاء و لا فى سنخهم بضريب . قال الواقدي مر أبو عامر الراهب على حنظلة ابنه و هو مقتول إلى جنب [صفحة ٢٧١] حمزة بن عبدالمطلب و عبد الله بن جحش فقال إن كنت لأحدرك هذا الرجل يعنى رسول الله ص من قبل هذا المصراع و الله إن كنت لبرا بالوالد شريف الخلق فى حياتك و إن مماتك لمع سراة أصحابك وأشرفهم إن جزى الله هذا القليل يعنى حمزة خيرا أوجزى أحدا من أصحاب محمد خيرا فليجزك ثم نادى يامعشر قريش حنظلة لا يمثل به و إن كان خالفنى وخالفكم فلم يأل لنفسه فيما يرى خيرا فمثل بالناس و ترك حنظلة فلم يمثل به . وكانت هند بنت عتبة أول من مثل بأصحاب النبي ص وأمرت النساء بالمثل وبجدع الأنوف والآذان فلم تبق امرأة إلا عليها معضدان ومسكتان وخدمتان إلا حنظلة لم يمثل به و قال رسول الله ص إنى رأيت الملائكة تغسل حنظلة بن أبى عامر بين السماء والأرض بماء المزن فى صحاف الفضة -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-١١٤ قال أبوأسيد الساعدي فذهبنا فنظرنا إليه فإذا رأسه يقطر ماء فرجعت إلى رسول الله ص فأخبرته فأرسل إلى امرأته فسألها فأخبرته أنه خرج و هو جنب . قال الواقدي وأقبل وهب بن قابوس المزنى ومعه ابن أخيه

الحارث بن عقبة بن قابوس بغنم لهما من جبل مزينة فوجد المدينة خلوا فسألا أين الناس قالوا بأحد خرج رسول الله ص يقاتل المشركين من قريش فقال لانبغى أثرا بعدعين فخرجا حتى أتيا النبي ص بأحد فيجدان القوم يقتتلون والدولة لرسول الله ص وأصحابه فأغاروا مع المسلمين في النهب وجاءت الخيل من ورائهم خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل فاختلف الناس فقاتلا أشد القتال فانفرت فرقة من المشركين فقال رسول الله ص من لهذه الفرقة فقال وهب بن قابوس أنا يا رسول الله فقام فرماهم بالنبل حتى انصرفوا ثم رجع فانفرت فرقة [صفحہ ۲۷۲] أخرى فقال رسول الله ص من لهذه الكتيبة فقال المزني أنا يا رسول الله فقام فذبها بالسيف حتى ولت ثم رجع فطلعت كتيبة أخرى فقال النبي ص من يقوم لهؤلاء فقال المزني أنا يا رسول الله فقام وأبشر بالجنة. فقال المزني مسرورا يقول و الله لأقيل و لأستقيل فجعل يدخل فيهم فيضرب بالسيف و رسول الله ص ينظر إليه والمسلمون حتى خرج من أقصى الكتيبة و رسول الله ص يقول اللهم ارحمه ثم يرجع فيهم فما زال كذلك وهم محدقون به حتى اشتمت عليه أسياهم ورماحهم فقتلوه فوجد به يومئذ عشرون طعنه بالرمح كلها قد خلصت إلى مقتلى ومثل به أقبح المثل يومئذ ثم قام ابن أخيه فقاتل كنهو قتاله حتى قتل فكان عمر بن الخطاب يقول إن أحب ميتة أموت عليها لمامات عليها المزني. قال الواقدي و كان بلال بن الحارث المزني يحدث يقول شهدنا القادسية مع سعد بن أبي وقاص فلما فتح الله علينا وقسمت بيننا غنائمنا أسقط فتى من آل قابوس من مزينة فجئت سعدا حين فزع من نومه فقال بلال قلت بلال قال مرحبا بك من هذامعك قلت رجل من قومي قال ما أنت يفتى من المزني الذي قتل يوم أحد قال ابن أخيه قال سعد مرحبا وأهلا أنعم الله بك عينا لقد شهدت من ذلك الرجل يوم أحد مشهدا ماشهدت من أحد قط لقد رأيتنا وقد أحدق المشركون بنا من كل ناحية و رسول الله ص وسطنا والكتائب تطلع من كل ناحية و إن رسول الله ص يرمى ببصره في الناس يتوسمهم و يقول من لهذه الكتيبة كل ذلك يقول المزني أنا يا رسول الله كل ذلك يرد الكتيبة فما أنسى آخر مرة قالها فقال له رسول الله ص قم [صفحہ ۲۷۳] وأبشر بالجنة فقام وقمت على أثره يعلم الله أنى أطلب مثل ما يطلب يومئذ من الشهادة فحضنا حومتهم حتى رجعنا فيهم الثانية فأصابوه رحمه الله ووددت و الله أنى كنت أصبت يومئذ معه ولكن أجل استأخر ثم دعا من ساعته بسهمه فأعطاه وفضله و قال اختر في المقام عندنا أو الرجوع إلى أهلك فقال بلال إنه يستحب الرجوع فرجع . فقال الواقدي و قال سعد بن أبي وقاص أشهد لرأيت رسول الله ص واقفا على المزني و هو مقتول و هو يقول رضى الله عنك فإنى عنك راض ثم رأيت رسول الله ص قام على قدميه و قدناله ع من ألم الجراح ماناله وإنى لأعلم أن القيام يشق عليه على قبره حتى وضع في لحده و عليه بردة لها أعلام حمر فمد رسول الله ص البردة على رأسه فخمره وأدرجه فيها طولاً - فبلغت نصف ساقيه فأمرنا فجمعنا الحرمل فجعلناه على رجله و هو في لحده ثم انصرف فما حال أحب إلى من أن أموت عليها وألقى الله عليها من حال المزني قال الواقدي و كان رسول الله ص يوم أحد قد خاصم إليه يتيم من الأنصار أبا لبابة بن عبد المنذر فطلب بينهما ففضى رسول الله ص لأبى لبابة فجزع اليتيم على العذق فطلب رسول الله ص العذق إلى أبى لبابة لليتيم فأبى أن يدفعه إليه فجعل رسول الله ص يقول لأبى لبابة ادفعه إليه و لك عذق فى الجنة فأبى أبا لبابة و قال ثابت بن أبى الدحداحة يا رسول الله رأيت إن أعطيت اليتيم عذقه من مالى قال لك به عذق فى الجنة فذهب ثابت بن الدحداحة فاشترى من أبى لبابة ذلك العذق بحديقة نخل ثم رد العذق إلى الغلام [صفحہ ۲۷۴] فقال رسول الله ص رب عذق مدلل لابن الدحداحة فى الجنة فكانت ترجى له الشهادة بذلك القول فقتل يوم أحد. قال الواقدي و يقبل ضرار بن الخطاب فارسا يجر قنأه له طويلة فيطعن عمرو بن معاذ فأنفذه ويمشى عمرو إليه حتى غلب فوقع لوجهه قال يقول ضرار لاتعد من رجلا زوجك من الحور العين و كان يقول زوجت يوم أحد عشرة من أصحاب محمد الحور العين . قال الواقدي فسألت شيوخ الحديث هل قتل عشرة قالوا ما بلغنا أنه قتل إلا ثلاثة ولقد ضرب يومئذ عمر بن الخطاب حين جال المسلمون تلك الجولة بالقنأه و قال يا ابن الخطاب إنها نعمة مشكورة ما كنت لأقتلك . قال الواقدي و كان ضرار يحدث بعد

ويذكر وقعة أحد ويذكر الأنصار فيترحم عليهم ويذكر غناءهم في الإسلام وشجاعتهم وإقدامهم على الموت ثم يقول لقد قتل أشراف قومي بيدر فأقول من قتل أبا الحكم فيقال ابن عفران من قتل أمية بن خلف فيقال خبيب بن يساف من قتل عقبه بن أبي معيط فيقال عاصم بن ثابت من قتل فلان بن فلان فيسمى لى من الأنصار من أسر سهيل بن عمرو فيقال مالك بن الدخشم فلما خرجنا إلى أحد وأنا أقول إن قاموا في صياصيهم فهي منيعة لاسيبل لنا إليهم نقيم أياما ثم ننصرف وإن خرجوا إلينا من صياصيهم أصبنا منهم فإن معنا عددا أكثر من عددهم ونحن قوم موتورون خرجنا بالظعن يذكرنا قتلى بدر ومعنا كراع ولا كراع معهم وسلاحنا أكثر من سلاحهم فقصي لهم أن خرجوا فالتقينا فوالله ما قمنا لهم حتى هزمتنا وانكشفنا مولين فقلت [صفحة ٢٧٥] في نفسي هذه أشد من وقعة بدر وجعلت أقول لخالد بن الوليد كر على القوم فيقول وترى وجهها نكر فيه حتى نظرت إلى الجبل الذي كان عليه الرماة خاليا فقلت يا أبا سليمان انظر وراءك فعطف عنان فرسه وكررتنا معه فانتبهنا إلى الجبل فلم نجد عليه أحدا له بال وجدنا نفيرا فأصبناهم ثم دخلنا العسكر والقوم غارون ينتبهون عسكرنا فأحمننا الخيل عليهم فظايروا في كل وجه ووضعنا السيوف فيهم حيث شئنا وجعلت أطلب الأكابر من الأوس والخزرج قتلة الأحبة فلأرى أحدا هربوا فما كان حلب ناقه حتى تداعت الأنصار بينها فأقبلت فخالطونا ونحن فرسان فصرنا لهم وصبروا لنا وبذلوا أنفسهم حتى عقروا فرسى وترجلت فقتلت منهم عشرة ولقيت من رجل منهم الموت النافع حتى وجدت ربح الدم وهو معانقى ما يفارقنى حتى أخذته الرماح من كل ناحية فوقع فالحمد لله الذي أكرمهم بيدي ولم يهني بأيديهم . قال الواقدي وقال رسول الله ص يوم أحد من له علم بذكوان بن عبدقيس فقال على ع أنارأيت يا رسول الله فارسا يركض في أثره حتى لحقه وهو يقول لانجوت إن نجوت فحمل عليه فرسه وذكوان راجل فضربه وهو يقول خذها وأنا ابن علاج فقتله فأهويت إلى الفارس فضربت رجله بالسيف حتى قطعها من نصف الفخذ ثم طرحته عن فرسه فذفت عليه وإذا هو أبو الحكم بن أخنس بن شريق بن علاج بن عمرو بن وهب الثقفي . قال الواقدي وقال على ع لما كان يوم أحد وجل الناس تلك الجولة أقبل أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة وهو دارع مقنع في الحديد ما يرى منه إلا عيناه وهو يقول يوم بيوم بدر فيعرض له رجل من المسلمين فقتله أمية قال على ع وأصمد له فأضربه بالسيف على هامته و عليه بيضة وتحت البيضة مغفر فبنا سيفي [صفحة ٢٧٦] وكنت رجلا قصيرا ويضربني بسيفه فأتقى بالدرقة فلحج سيفه فأضربه وكانت درعه مشمرة فأقطع رجله فوق وجعل يعالج سيفه حتى خلصه من الدرقة وجعل يناوشني وهو بارك حتى نظرت إلى فتق تحت إبطه فأحش فيه بالسيف فمال فمات وانصرفت . قال الواقدي وفي يوم أحد انتمى رسول الله ص فقال أنا ابن العواتك وقال أيضا أنا النبي لا كذب || أنا ابن عبدالمطلب قال الواقدي بينا عمر بن الخطاب يومئذ في رهط من المسلمين قعود مر بهم أنس بن النضر بن ضمضم عم أنس بن مالك فقال ما يقعدكم قالوا قتل رسول الله ص قال فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على مامات عليه ثم قام فجالد بسيفه حتى قتل فقال عمر بن الخطاب إنى لأرجو أن يبعثه الله أمه وحده يوم القيامة وجد به سبعون ضربة في وجهه ما عرف حتى عرفته أخته . قال الواقدي وقالوا إن مالك بن الدخشم مر على خارجه بن زيد بن زهير يومئذ وهو قاعد وفي حشوته ثلاثة عشر جرحا كلها قد خلصت إلى مقتل فقال له مالك أ ما علمت أن محمدا قد قتل قال خارجه فإن كان محمدا قد قتل فإن الله حي لا يقتل ولا يموت وإن محمدا قد بلغ رساله ربه فاذهب أنت فقاتل عن دينك . قال ومر مالك بن الدخشم أيضا على سعد بن الربيع وبه اثنا عشر جرحا كلها قد خلصت إلى مقتل فقال أعلمت أن محمدا قد قتل فقال سعد أشهد أن محمدا قد بلغ رساله ربه فقاتل أنت عن دينك فإن الله حي لا يموت . [صفحة ٢٧٧] قال محمد بن إسحاق وحدثني محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة المازني أخو بني النجار قال قال رسول الله ص يومئذ من رجل ينظر ما فعل سعد بن الربيع أ في الأحياء هو أم في الأموات فقال رجل من الأنصار أنا أنظر يا رسول الله ما فعل فونظر فوجد جريحا في القتلى وبه رمق فقال له إن رسول الله ص أمرني أن أنظر في الأحياء أنت أم في الأموات قال أنا في الأموات فأبلغ رسول الله منى

السلام وقل له إن سعد بن الربيع يقول جزاك الله خيرا عنا ماجزى نبيا عن أمته وأبلغ قومك السلام عنى وقل لهم إن سعد بن الربيع يقول لكم لا عذر لكم عند الله أن يخلص إلى نبيكم ومنكم عين تطرف قال فلم أبرح عنده حتى مات ثم جئت إلى رسول الله ص فأخبرته فقال أللهم ارض عن سعد بن الربيع قال الواقدي وحدثني عبد الله بن عمار عن الحارث بن الفضيل الخطمي قال أقبل ثابت بن الدحداحة يومئذ والمسلمون أوزاع قد سقط في أيديهم فجعل يصيح يامعشر الأنصار إلى إلى أنا ثابت بن الدحداحة إن كان محمد قد قتل فإن الله حى لا يموت قاتلوا عن دينكم فإن الله مظهركم وناصركم فنهض إليه نفر من الأنصار فجعل يحمل بمن معه من المسلمين وقد وقفت لهم كتيبة خشناء فيهارؤساؤهم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعكرمة بن أبي جهل وضرار بن الخطاب وجعلوا يناوشونهم ثم حمل عليه خالد بن الوليد بالرمح فطعنه فأنفذه فوق ميثا وقتل من كان معه من الأنصار فيقال إن هؤلاء آخر من قتل من المسلمين فى ذلك اليوم وقال عبد الله بن الزبيرى يذكر يوم أحد ألا ذرفت من مقتلتيك دموع || وقديان فى جبل الشباب قطوع [صفحة 278] وشط بمن تهوى المزار وفرقت || نوى الحى دار بالحبيب فجعول وليس لماولى على ذى صبابه || وإن طال تذراف الدموع رجوع فدع ذا ولكن هل أتى أم مالك || أحاديث قومي والحديث يشيع ومجنبا جردا إلى أهل يثرب || عناجيج فيها ضامر وبديع عشية سرنا من كداء يقودها || ضرور الأعادى للصدىق نفوع يشد علينا كل زحف كأنها || غدير نضوح الجنابين نقيع فلما رأونا خالطتهم مهابة || وخامرهم رعب هناك فظيع فودوا لو أن الأرض ينشق ظهرها || بهم وصبور القوم ثم جزوع وقد عريت بيض كأن وميضها || حريق وشيك فى الآباء سريع بأيماننا نعلو بها كل هامة || وفيها سامم للعدو ذريع فغادرن قتلى الأوس عاصبه بهم || ضباع وطير فوقهن وقوع ومر بنو النجار فى كل تلعه || بأثوابهم من وقعهن نجيع و لولا علو الشعب غادرن أحمدا || ولكن علا والسمهري شروع كما غادرت فى الكر حمزة ثاوبا || وفى صدره ماضى الشبابة وقيع . وقال ابن الزبيرى أيضا من قصيدة مشهورة وهى [صفحة 279] يا غراب البين أسمع فقل || إنما تندب أمرا قد فعل إن للخير وللشر مدى || وسواء قبر مثر ومقل كل خير ونعيم زائل || وبنات الدهر يلعبن بكل أبلغا حسان عنى آية || فقريض الشعر يشفى ذا الغلل كم ترى بالجسر من جمجمة || وأكفا قد أترت ورجل وسراويل حسان شفت || عن كماء غودروا فى المنتزل كم قتلنا من كريم سيد || ماجد الجدين مقدم بطل صادق النجدة قرم بارع || غير ملطاط لدى وقع الأسل فسل المهراس من ساكنه || من كراديس وهام كالحجل ليت أشياخى بيدر شهدوا || جزع الخزرج من وقع الأسل حين حطت بقاء بركها || واستحر القتل فى عبدالأشل ثم خفوا عند ذاكم رقصا || رقص الحفان تعدو فى الجبل [صفحة 280] فقتلنا النصف من ساداتهم || وعدلنا ميل بدر فاعتدل لألوم النفس إلأنا || لو كرنا لفعلنا المفتعل بسيف الهند تعلقو هامهم || تبرد الغيظ ويشفين الغلل . قلت كثير من الناس يعتقدون أن هذا البيت ليزيد بن معاوية وهو قوله ليت أشياخى وقال من أكره التصريح باسمه هذا البيت ليزيد فقلت له إنما قاله يزيد متمثلا لما حمل إليه رأس الحسين ع وهولابن الزبيرى فلم تسكن نفسه إلى ذلك حتى أوضحته له فقلت ألا تراه يقول جزع الخزرج من وقع الأسل والحسين ع لم تحارب عنه الخزرج وكان يليق أن يقول جزع بنى هاشم من وقع الأسل فقال بعض من كان حاضرا لعله قاله فى يوم الحره فقلت المنقول أنه أنشده لما حمل إليه رأس الحسين ع والمنقول أنه شعر ابن الزبيرى ولا يجوز أن يترك المنقول إلى ما ليس بمنقول . وعلى ذكر هذا الشعر فإنى حضرت و أنا غلام بالنظامية ببغداد فى بيت عبدالقادر بن داود الواسطى المعروف بالمحب خازن دار الكتب بها وعنده فى البيت باتكين الرومى الذى ولى إربل أخيرا وعنده أيضا جعفر بن مكى الحاجب فجرى ذكر يوم أحد وشعر ابن الزبيرى هذا وغيره وأن المسلمين اعتصموا بالجبل فأصعدوا فيه وأن الليل حال أيضا بين المشركين وبينهم فأنشد ابن مكى بيتين لأبى تمام متمثلا لولا لالظلام وقله علقوا بها || بات رقابهم بغير قلال [صفحة 281] فليشكروا جنح الظلام ودروذا || فهم لدروذ والظلام موالى . فقال باتكين لا تقل هذا ولكن قل و لقد صدقكم الله وعدة إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشيتم و

تَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَ لَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ كَانَ بَاتِكِينَ مُسْلِمًا وَ كَانَ جَعْفَرُ سَامِحَهُ اللَّهُ مَغْمُوصًا عَلَيْهِ فِي دِينِهِ - قرآن - ٣٤٤-٣٤٤

المجلد ١٥

الجزء الخامس عشر

تتمة باب الكتب والرسائل

تتمة ٩- و من كتاب له ع إلى معاوية

تتمة الفصل الرابع في قصة غزوة أحد

إشارة

[صفحة ٣] بسم الله الرحمن الرحيم و به ثقتي الحمد لله الواحد العدل

القول في أسماء الذين تعاقدوا من قريش على قتل رسول الله ص و ما أصابوه به في المعركة يوم الحرب

قال الواقدي تعاقد من قريش على قتل رسول الله ص عبد الله بن شهاب الزهري و ابن قميئة أحد بنى الحارث بن فهر و عتبة بن أبي وقاص الزهري و أبي بن خلف الجمحي فلما أتى خالد بن الوليد من وراء المسلمين و اختلطت الصفوف و وضع المشركون السيف في المسلمين رمى عتبة بن أبي وقاص رسول الله ص بأربعة أحجار فكسر ربايعته و شجه في وجهه حتى غاب حلق المغفر في وجنتيه و أدمى شفتيه . قال الواقدي و قد روى أن عتبة أشطى باطن ربايعته السفلى قال و الثبت عندنا أن ألدى رمى و جنتي رسول الله ص ابن قميئة و ألدى رمى شفته و أصاب ربايعته عتبة بن أبي وقاص . قال الواقدي أقبل ابن قميئة يومئذ و هو يقول دلوني على محمد فوالذي يحدف به لئن رأيت لأقتلنه فوصل إلى رسول الله ص فعلاه بالسيف و رماه عتبة [صفحة ٤] بن أبي وقاص في الحال التي جلله ابن قميئة فيها السيف و كان ع فارسا و هولابس درعين مثقل بهما فوقع رسول الله ص عن الفرس في حفرة كانت أمامه . قال الواقدي أصيب ركبته جحشتا لما وقع في تلك الحفرة و كانت هناك حفر حفرها أبو عامر الفاسق كالخنادق للمسلمين و كان رسول الله ص واقفا على بعضها و هو لا يشعر فجحشت ركبته و لم يصنع سيف ابن قميئة شيئا إلا وهز الضربة بثقل السيف فقد وقع رسول الله ص ثم انتهض و طلحة يحمل من ورائه و على ع أخذ بيديه حتى استوى قائما . قال الواقدي فحدثني الضحاک بن عثمان عن حمزة بن سعيد عن أبي بشر المازني قال حضرت يوم أحد و أنا غلام فرأيت ابن قميئة علا رسول الله ص بالسيف و رأيت رسول الله ص وقع على ركبته في حفرة أمامه حتى توارى في الحفرة فجعلت أصيح و أنا غلام حتى رأيت الناس ثابوا إليه . قال فأنظر إلى طلحة بن عبيد الله أخذنا بحضنه حتى قام . قال الواقدي و يقال إن ألدى شج رسول الله ص في جبهته ابن شهاب و ألدى أشطى ربايعته و أدمى شفتيه عتبة بن أبي وقاص و ألدى أدمى وجنتيه حتى غاب الحلق فيهما ابن قميئة و إنه سال الدم من الشجة التي في جبهته حتى أخضل لحيته و كان سالم مولى أبي حذيفة يغسل الدم عن وجهه و رسول الله ص يقول كيف يفلح قوم فعلوا هذا بئبيهم و هو يدعوهم إلى الله تعالى فأنزل الله تعالى قوله لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ

شَيْءٌ أَوْ يُتَوَبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذَّبُهُمَا لِآيَةٍ -رواية- ١-٢٣٢ [صفحة ٥] قال الواقدي وروى سعد بن أبي وقاص قال قال رسول الله ص يومئذ اشتد غضب الله على قوم دموا فا رسول الله ص اشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسول الله اشتد غضب الله على رجل قتله رسول الله ص -رواية- ١-٢-رواية- ٧٠-٢٠٩ قال سعد فلقد شفاني من عتبه أخي دعاء رسول الله ص ولقد حرصت على قتله حرصا ما حرصت على شيء قط و إن كان ما علمت لعاقا بالوالد سيئ الخلق ولقد تخرقت صفوف المشركين مرتين أطلب أخي لأقتله ولكنه راغ مني روغان الثعلب فلما كان الثالثة قال رسول الله ص يا عبد الله ماتريد أتريد أن تقتل نفسك فكففت فقال رسول الله ص اللهم لا تحولن الحول على أحد منهم قال سعد فو الله ما حال الحول على أحد ممن رماه أو جرحه مات عتبه و أما ابن قميئه فاختلف فيه فقائل يقول قتل في المعركه وقائل يقول إنه رمى بسهم في ذلك اليوم فأصاب مصعب بن عمير فقتله فقال خذها و أنا ابن قميئه فقال رسول الله ص أقماه الله فعمد إلى شاء يحتلبها فتنتطحه بقرنها و هو معلقها فقتلته فوجد ميتا بين الجبال لدعوة رسول الله ص و كان عدو الله رجح إلى أصحابه فأخبرهم أنه قتل محمدا. قال و ابن قميئه رجل من بني الأدرم من بني فهر. وزاد البلاذري في الجماعة التي تعاهدت وتعاقدت على قتل رسول الله ص يوم أحد عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبدالعزيز بن قصي. قال و ابن شهاب الذي شج رسول الله ص في جبهته هو عبد الله [صفحة ٦] بن شهاب الزهري جد الفقيه المحدث محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب و كان ابن قميئه أدرم ناقص الذقن و لم يذكر اسمه و لا ذكره الواقدي أيضا. قلت سألت النقيب أبا جعفر عن اسمه فقال عمرو فقلت له أ هو عمرو بن قميئه الشاعر قال لا هو غيره فقلت له ما بال بني زهرة في هذا اليوم فعلوا الأفاعيل برسول الله ص وهم أخواله ابن شهاب وعتبه بن أبي وقاص فقال يا ابن أخي حركهم أبوسفيان وهاجهم على الشر لأنهم رجعوا يوم بدر من الطريق إلى مكة فلم يشهدوها فاعترض غيرهم ومنعهم عنها وأغرى بهاسفهاء أهل مكة فغيروهم برجوعهم ونسبوهم إلى الجبن و إلى الإدهان في أمر محمدص واتفق أنه كان فيهم مثل هذين الرجلين فوق منهما يوم أحد ما وقع. قال البلاذري مات عتبه يوم أحد من وجع أليم أصابه فتعذب به وأصيب ابن قميئه في المعركة وقيل نطحته عتر فمات. قال و لم يذكر الواقدي ابن شهاب كيف مات وأحسب ذلك بالوهم منه. قال وحدثني بعض قريش أن أفعى نهشت عبد الله بن شهاب في طريقه إلى مكة فمات قال وسألت بعض بني زهرة عن خبره فأنكروا أن يكون رسول الله ص دعا عليه أو يكون شج رسول الله ص وقالوا إن الذي شجه في وجهه عبد الله بن حميد الأسدي. فأما عبد الله بن حميد الفهري فإن الواقدي و إن لم يذكره في الجماعة الذين [صفحة ٧] تعاقدوا على قتل رسول الله ص إلا أنه قد ذكر كيفية قتله. قال الواقدي ويقبل عبد الله بن حميد بن زهير حين رأى رسول الله ص على تلك الحال يعنى سقوطه من ضربة ابن قميئه يركض فرسه مقنعا في الحديد يقول أنا ابن زهير دلوني على محمدفو الله لأقتلنه أو لأموتن دونه فتعرض له أبودجانه فقال هلم إلى من يقى نفس محمدص بنفسه فضره فرسه فعرقها فاكسعت ثم علاه بالسيف و هو يقول خذها و أنا ابن خرشة حتى قتله و رسول الله ص ينظر إليه و يقول اللهم ارض عن ابن خرشة كما أنا عنه راض -رواية- ١-٧٨ هذه رواية الواقدي و بها قال البلاذري إن عبد الله بن حميد قتله أبودجانه. فأما محمد بن إسحاق فقال إن الذي قتل عبد الله بن حميد على بن أبي طالب ع و به قالت الشيعة. وروى الواقدي والبلاذري أن قوما قالوا إن عبد الله بن حميد هذا قتل يوم بدر. فالأول الصحيح أنه قتل يوم أحد و قدروى كثير من المحدثين أن رسول الله ص قال لعلي ع حين سقط ثم أقيم اكفني هؤلاء لجماعة قصدت نحوه فحمل عليهم فهزمهم وقتل منهم عبد الله بن حميد من بني أسد بن عبدالعزيز ثم حملت عليه طائفة أخرى فقال له اكفني هؤلاء فحمل عليهم فانهمزوا من بين يديه وقتل منهم أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة المخزومي. قال فأما أبي بن خلف فروى الواقدي أنه أقبل يركض فرسه حتى إذادنا من رسول الله ص اعترض له ناس من أصحابه ليقتلوه فقال لهم استأخروا [صفحة ٨] عنه ثم قام إليه وحرته في يده فرماه بها بين سابعة البيضة والدرع قطعنه هناك فوقع عن فرسه فانكسر ضلع من أضلاعه واحتمله قوم من

المشركين ثقيلًا- حتى ولو قافلين فمات في الطريق و قال و فيه أنزلت و ما رَمَيْتِ إِذْ رَمَيْتِ وَ لَكِنَّ اللَّهَ رَمَى قَالَ يَعْنِي قَذَفَهُ إِيَّاهُ بِالْحَرْبِ قَالَ الْوَاقِدِيُّ وَحَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الظَّفَرِيُّ عَنْ عَاصِمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كَانَ أَبِي بِنِ خَلْفِ قَدَمٍ فِي فِدَاءِ ابْنِهِ وَ كَانَ أَسْرَ يَوْمِ بَدْرٍ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ عِنْدِي فِرْسًا لِي أَعْلَفُهَا فِرْقًا مِنْ ذَرَّةٍ كُلِّ يَوْمٍ لِأَقْتُلَكَ عَلَيْهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ أَنَا أَقْتُلُكَ عَلَيْهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَيُقَالُ إِنَّ أَبِيًا إِذَا قَالَ ذَلِكَ بِمَكَّةَ فَبَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلِمَتَهُ فَقَالَ بَلْ أَنَا أَقْتُلُهُ عَلَيْهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ قَالَ وَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْقِتَالِ لَا يَلْتَفِتُ وَرَاءَهُ فَكَانَ يَوْمَ أَحَدٍ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ إِنِّي أَخْشَى أَنْ يَأْتِيَ أَبِي بِنِ خَلْفٍ مِنْ خَلْفِي فَيُذَارُ أَيْتَمُوهُ فَأَذْنُونِي وَ إِذَا أَبِي يَرِ كُضَّ عَلَى فِرْسِهِ وَ قَدْرَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلَ يَصِيحُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا مُحَمَّدُ لَا نَجُوتَ إِلَّا نَجُوتَ فَقَالَ الْقَوْمُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كُنْتَ صَانِعًا حِينَ يَغْشَاكَ أَبِي فَاصْنَعْ فَقَدْ جَاءَكَ وَ إِنْ شِئْتَ عَطَفَ عَلَيْهِ بَعْضُنَا فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَ دَنَا أَبِي فَتَنَاولَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْحَارِثِ بْنِ الصَّمَّةِ ثُمَّ انْتَفَضَ كَمَا يَنْتَفِضُ الْبَعِيرُ قَالَ فَتَطَايَرْنَا -قِرْآن- ٢١٠-٢٥٥ [صفحہ ٩] عَنْهُ تَطَايِيرُ الشَّعَارِيرِ وَ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَشْبَهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ أَجَدَ الْجَدَّ ثُمَّ طَعَنَهُ بِالْحَرْبِ فِي عُنُقِهِ وَ هُوَ عَلَى فِرْسِهِ لَمْ يَسْقُطْ إِلَّا- أَنَّهُ خَارَ كَمَا يَخُورُ الثَّورُ فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ أَبَاعَمْرُ وَ اللَّهُ مَا بَكَ بِأَسْ وَ لَوْ كَانَ هَذَا الَّذِي بَكَ بَعِينٌ أَحَدُنَا مَاضِرَهُ قَالَ وَاللَّائِثُ وَالْعَزَى لَوْ كَانَ الَّذِي بِي بِأَهْلٍ ذِي الْمَجَازِ لَمَاتُوا كُلَّهُمْ أَجْمَعُونَ أَلَيْسَ قَالَ لِأَقْتُلَنَّهُ فَاحْتَمَلُوهُ وَ شَغَلَهُمْ ذَلِكَ عَنْ طَلَبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى التَّحَقَّ بَعْضُهُمْ أَصْحَابَهُ فِي الشَّعْبِ . قَالَ الْوَاقِدِيُّ وَيُقَالُ إِنَّهُ تَنَاولَ الْحَرْبَ مِنَ الزَّبِيرِ بْنِ الْعَوَامِ قَالَ وَيُقَالُ إِنَّهُ لَمَاتَنَاولَ الْحَرْبَ مِنَ الزَّبِيرِ حَمَلِ أَبِي عَلِيٍّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُضْرِبَهُ بِالسَّيْفِ فَاسْتَقْبَلَهُ مَصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ حَاتِلًا بِنَفْسِهِ بَيْنَهُمَا وَ إِنْ مَصْعَبًا ضَرَبَ بِالسَّيْفِ أَبِيًا فِي وَجْهِهِ وَأَبْصَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ فَرْجَةٍ مِنْ بَيْنِ سَابِغَةِ الْبَيْضَةِ وَالدَّرْعِ فَطَعَنَهُ هُنَاكَ فَوَقَعَ وَ هُوَ يَخُورُ . قَالَ الْوَاقِدِيُّ وَ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ يَقُولُ مَاتَ أَبِي بِنِ خَلْفٍ بِيظُنِّ رَابِعٍ مَنْصَرَفِهِمْ إِلَى مَكَّةَ قَالَ فَإِنِّي لِأَسِيرُ بِيظُنِّ رَابِعٍ بَعْدَ ذَلِكَ وَ قَدَمْضَى هَوَى مِنَ اللَّيْلِ إِذَا نَارُ تَأَجَّجَ فَهَبْتَهَا وَ إِذَا رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنْهَا فِي سِلْسَلَةٍ يَجْتَنِبُهَا يَصِيحُ الْعَطْشُ وَ إِذَا رَجُلٌ يَقُولُ لَا تَسْقَهُ فَإِنْ هَذَا قَاتِلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا أَبِي بِنِ خَلْفٍ فَقُلْتُ أَلَا سَحَقًا وَيُقَالُ إِنَّهُ مَاتَ بِسَرْفٍ [صفحہ ١٠]

القول في الملائكة نزلت بأحد وقالت أم لا

قال الواقدي حدثني الزبير بن سعيده عن عبد الله بن الفضل قال أعطى رسول الله ص مصعب بن عمير اللواء فقتل فأخذه ملك في صورة مصعب فجعل رسول الله ص يقول له في آخر النهار تقدم يا مصعب فالتفت إليه الملك فقال لست بمصعب فعرف رسول الله ص أنه ملك أيد به . قال الواقدي سمعت أبا معشر يقول مثل ذلك . قال وحدثني عبيدة بنت نائل عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص عنه قال لقد رأيتني أرمى بالسهم يومئذ فبرده عني رجل أبيض حسن الوجه لا أعرفه حتى كان بعد فظننت أنه ملك . قال الواقدي وحدثني إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده سعد بن أبي وقاص قال رأيت ذلك اليوم رجلين عليهما ثياب بيض أحدهما عن يمين رسول الله ص والآخر عن شماله يقاثلان أشد القتال مارأيتهما قبل ولا بعد قال وحدثني عبد الملك بن سليمان عن قطن بن وهب عن عبيد بن عمير قال لما رجعت قريش من أحد جعلوا يتحدثون في أنديتهم بما ظفروا يقولون لم نر الخيل البلق ولا الرجال البيض الذين كنا نراهم يوم بدر . قال وقال عبيد بن عمير لم تقاثل الملائكة يوم أحد . قال الواقدي وحدثني ابن أبي سبرة عن عبد المجيد بن سهيل عن عمر بن الحكم قال لم يمد رسول الله ص يوم أحد بملك واحد وإنما كانوا يوم بدر قال ومثله عن عكرمة . [صفحہ ١١] قال وقال مجاهد حضرت الملائكة يوم أحد ولم تقاثل وإنما قاتلت يوم بدر . قال وروى عن أبي هريرة أنه قال وعدهم الله أن يمدهم لو صبروا فلما انكشفوا لم تقاثل الملائكة يومئذ

القول في مقتل حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه

قال الواقدي كان وحشى عبدا لابنة الحارث بن عامر بن نوفل بن عبدمناف ويقال كان لجبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبدمناف فقالت له ابنة الحارث إن أبى قتل يوم بدر فإن أنت قتلت أحد الثلاثة فأنت حر محمد و على بن أبى طالب و حمزة بن عبدالمطلب فإنى لأرى فى القوم كفؤا لأبى غيرهم فقال وحشى أما محمد فقد علمت أنى لأقدر عليه و أن أصحابه لن يسلموه و أما حمزة فو الله لو وجدته نائما ما أيقظته من هيئته و أما على فألتمسه قال وحشى فكنت يوم أحد ألتمسه فينا أنا فى طلبه طلع على فطلع رجل حذر مرس كثير الالتفات فقلت ما هذا بصاحبى الذى ألتمس إذ رأيت حمزة يفرى الناس فرىا فكمنت له إلى صخره و هو مكبس له كتيب فاعترض له سباع ابن أم نيار و كانت أمه ختانه بمكة مولاة لشريف بن علاج بن عمرو بن وهب الثقفى و كان سباع يكنى أبانيار فقال له حمزة و أنت أيضا يا ابن مقطعة البطور ممن يكثر علينا هلم إلى فاحتمله حتى إذ ابرقت قدماه رمى به فبرك عليه فشحط الشاة ثم أقبل على مكبا حين رآنى فلما [صفحة ١٢] بلغ المسيل وطئ على جرف فزلت قدمه فهزرت حربى حتى رضيت منها فأضرب بها فى خاصرتة حتى خرجت من مثنائه و كر عليه طائفة من أصحابه فأسمعهم يقولون أبا عمارة فلا يجيب فقلت قد و الله مات الرجل و ذكرت هنداً و مالقيت على أبيها وعمها وأخيها وانكشف عنه أصحابه حين أيقنوا بموته و لا يرونى فأكر عليه فشقت بطنه فاستخرجت كبده فجئت بها إلى هند بنت عتبة فقلت ماذا لى إن قتلت قاتل أبيك قالت سلنى فقلت هذه كبد حمزة فمضغتها ثم لفظتها فلا أدرى لم تسخها أو قدرتها فزرعت ثيابها و حليها فأعطتني ثم قالت إذ اجئت مكة فلك عشرة دنائير ثم قالت أرنى مصرعه فأريتها مصرعه فقطعت مذاكيره و جدعت أنفه و قطعت أذنيه ثم جعلت ذلك مسكتين و معضدين و خدمتين حتى قدمت بذلك مكة و قدمت بكبده أيضا معها. قال الواقدي و حدثنى عبد الله بن جعفر عن ابن أبى عون عن الزهرى عن عبيد الله بن عدى بن الخيار قال غزونا الشام فى زمن عثمان بن عفان فمررنا بحمص بعد العصر فقلنا وحشى فقيل لا تقدرن عليه هو الآن يشرب الخمر حتى يصبح فبتنا من أجله و إننا لثمانون رجلا فلما صلينا الصبح جئنا إلى منزله فإذا شيخ كبير قد طرح له زريبة قدر مجلسه فقلنا له أخبرنا عن قتل حمزة و عن قتل مسيلمة فكره ذلك و أعرض عنه فقلنا ما بتنا هذه الليلة إلا من أجلك فقال إنى كنت عبدا لجبير بن مطعم بن عدى فلما خرج الناس إلى أحد دعانى فقال قدرأيت مقتل طعيمة بن عدى قتله حمزة بن عبدالمطلب يوم بدر فلم تزل نساؤنا فى حزن [صفحة ١٣] شديد إلى يومى هذا فإن قتلت حمزة فأنت حر فخرجت مع الناس و لى مزاريق كنت أمر بهند بنت عتبة فتقول إيه أبادسمة اشف واشتف فلما وردنا أحدا نظرت إلى حمزة يقدم الناس يهدهم هذا فرآنى و قد كمنت له تحت شجرة فأقبل نحوى و تعرض له سباع الخزاعى فأقبل إليه و قال و أنت أيضا يا ابن مقطعة البطور ممن يكثر علينا هلم إلى و أقبل نحوه حتى رأيت برقان رجليه ثم ضرب به الأرض و قتله و أقبل نحوى سريعا فيعترض له جرف فيقع فيه و أزرقه بمزراق فيقع فى لبتة حتى خرج من بين رجليه فقتله و مررت بهند بنت عتبة فأذنتها فأعطتني ثيابها و حليها و كان فى ساقها خدمتان من جزع ظفار و مسكتان من ورق و خواتيم من ورق كن فى أصابع رجليها فأعطتني بكل ذلك و أما مسيلمة فإنا دخلنا حديقه الموت يوم اليمامة فلما رأته زرقتة بالمزراق و ضربه رجل من الأنصار بالسيف فربك أعلم أينا قتله إلا أنى سمعت امرأة تصيح فوق جدار قتله العبد الحبشى قال عبيد الله فقلت أتعرفنى فأكر بصره على و قال ابن عدى لعاتكة بنت العيص قلت نعم قال أما و الله ما لى بك عهد بعد أن دفعتك إلى أمك فى محفتك التى كانت ترضعك فيها و نظرت إلى برقان قدميك حتى كأنه الآن . و روى محمد بن إسحاق فى كتاب المغازى قال علت هند يومئذ صخره مشرفة و صرخت بأعلى صوتها نحن جزيناكم بيوم بدر || و الحرب بعد الحرب ذات سعر ما كان عن عتبة لى من صبر || و لأخى وعمه و بكرى شفيت نفسى و قضيت ندرى || شفيت وحشى غليل صدرى [صفحة ١٤] فشكر وحشى على عمرى || حتى ترم أعظمى فى قبرى . قال فأجابتها هند بنت أئانته بن المطلب بن عبدمناف خزيت فى بدر و غير بدر || يابنت غدار عظيم الكفر أفحمك الله غداة الفجر || بالهاشميين الطوال الزهر بكل قطاع حسام يفرى || حمزة ليشى و على صقرى إذ رام شيب

وأبو ك قهرى || فخصبا منه ضواحي النحر . قال محمد بن إسحاق و من الشعر الذى ارتجزت به هند بنت عتبة يوم أحد شفيت من حمزة نفسى بأحد || حين بقرت بطنه عن الكبد أذهب عنى ذاك ما كنت أجد || من لوعه الحزن الشديد المعتمد والحرب تعلقكم بشؤبوب برد || نقدم إقداما عليكم كالأسد قال محمد بن إسحاق حدثني صالح بن كيسان قال حدثت أن عمر بن الخطاب قال لحسان يا أبا الفريضة لو سمعت ماتقول هند و لورأيت شرها قائمة على صخرة ترتجز بنا وتذكر ما صنعت بحمزة فقال حسان و الله إنى لأنظر إلى الحربه تهوى و أنا على فارغ يعنى أطمه فقلت و الله إن هذه لسلاح ليس سلاح العرب و إذا بهاتهى إلى حمزة و لأدرى ولكن أسمعنى بعض قولها أكفيكموها فأنشده عمر بعض ما قالت فقال حسان يهجوها أشرت لكاع و كان عاداتها || لوما إذا أشرت مع الكفر [صفحة ١٥] أخرجت مرقصه إلى أحد || فى القوم مقتبه على بكر بكر ثفال لالحراك به || لا عن معاتبه و لاجر أخرجت ثائرة محاربه || بأبيك و ابنك بعد فى بدر و بعمك المتروك منجدلا || وأخيك منعفرين فى الجفر فرجعت صاغرة بلا- ترة || منا ظفرت بها و لاوتر . و قال أيضا يهجوها لمن سواقط ولدان مطرحه || باتت تفحص فى بطحاء أجياد باتت تمخض لم تشهد قوابلها || إلا الوحوش و إلاجنة الوادى يظل يرجمه الصبيان منعفرا || وخاله وأبوه سيدا النادى . فى أبيات كرهت ذكرها لفحشها . قال وروى الواقدى عن صفية بنت عبدالمطلب قالت كنا قدرفعنا يوم أحد فى الآطام و معنا حسان بن ثابت و كان من أجبين الناس و نحن فى فارغ فجاء نفر من يهود يرومون الأطم فقلت دونك يا ابن الفريضة فقال لا و الله لا أستطيع القتال و يصعد يهودى إلى الأطم فقلت شد على يدي السيف ثم برئت ففعل فضربت [صفحة ١٦] عنق اليهودى ورميت برأسه إليهم فلما رأوه انكشفوا قالت و إنى لفى فارغ أول النهار مشرفه على الأطم فرأيت المزراق فقلت أ و من سلاحهم المزاريق أ فلاأراه هوى إلى أخى و لأشعر ثم خرجت آخر النهار حتى جئت رسول الله ص و قد كنت أعرف انكشاف المسلمين و أنا على الأطم يرجوع حسان إلى أقصى الأطم فلما رأى الدولة للمسلمين أقبل حتى وقف على جدار الأطم قال فلما انتهيت إلى رسول الله ص و معى نسوة من الأنصار لقيته و أصحابه أوزاع فأول من لقيت على ابن أخى فقال ارجعى يا عمه فإن فى الناس تكشفا فقلت رسول الله ص قال صالح قلت ادلنى عليه حتى أراه فأشار إليه إشارة خفية فأنتهيت إليه و به الجراحة . قال الواقدى و كان رسول الله ص يقول يوم أحد ما فعل عمى فخرج الحارث بن الصمة يطلبه فأبطأ فخرج على ع يطلبه فيقول - روايت-١-٢-روايت-١٦-١٤٠ يارب إن الحارث بن الصمة || كان رفيقا و بنا ذا ذمة قدضل فى مهامه مهمه || يلتمس الجنة فيهاثمة حتى انتهى إلى الحارث و وجد حمزة مقتولا فجاء فأخبر النبى ص فأقبل يمشى حتى وقف عليه فقال ماوقفت موقفا قط أعيظ إلى من هذاالموقف -روايت-١-١٣٨ . فطلعت صفية فقال يازبير أغن عنى أمك و حمزة يحفر له فقال الزبير يأمه إن فى الناس تكشفا فارجعى فقالت ما أناباعله حتى أرى رسول الله ص فلما رأته قالت يا رسول الله أين ابن أمى حمزة فقال هو فى الناس قالت لا أرجع حتى أنظر إليه قال الزبير فجعلت أطمها إلى الأرض حتى دفن و قال رسول الله -روايت-١-٢ [صفحة ١٧] ص لو لا أن تحزن نساؤنا لذلك لتركناه للعافية يعنى السباع و الطير حتى يحشر يوم القيامة من بطونها و حواصلها -روايت-٦-١١٣ . قال الواقدى و روى أن صفية لما جاءت حالت الأنصار بينها و بين رسول الله ص فقال دعوها فجلست عنده فجعلت إذابكت يبكى رسول الله ص و إذانشجت ينشج رسول الله ص و جعلت فاطمه ع تبكى فلما بكت بكى رسول الله ص ثم قال لن أصاب بمثل حمزة أبدا ثم قال ص لصفية و فاطمه أبشرا أتانى جبرائيل ع فأخبرنى أن حمزة مكتوب فى أهل السموات السبع حمزة بن عبدالمطلب أسد الله و أسد رسوله -روايت-١-٢-روايت-٢٧-١٤١ قال الواقدى و رأى رسول الله ص بحمزة مثلا شديدا فحزنه ذلك و قال إن ظفرت بقريش لأمثلن بثلاثين منهم فأنزل الله عليه و إن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به و لئن صبرتم لهو خير للصابرين فقال ص بل نصبر فلم يمثل بأحد من قريش -روايت-١-٢-روايت-١٦-٢٧٠ قال الواقدى و قام أبوقتادة الأنصارى فجعل ينال من قريش لمارأى من غم رسول الله ص و فى كل ذلك يشير إليه أن اجلس ثلاثا فقال رسول الله ص يا أباقتادة إن

قريشا أهل أمانة من بغاهم العواثر كبه الله لفيه وعسى إن طالت بك مدء أن تحقر عملك مع أعمالهم وفعالك مع فعالهم -
 روایت-۱-۲-روایت-۱۶-ادامه دارد [صفحه ۱۸] لو لا- أن تبطر قريش لأخبرتها بما لها عند الله تعالى فقال أبو قتاده و الله يا
 رسول الله ما غضبت إلا لله ورسوله حين نالوا منه مانالوا فقال صدقت بئس القوم كانوا لنبيهم -روایت-از قبل-۱۸۰ . قال الواقدي
 و كان عبد الله بن جحش قبل أن تقع الحرب قال يا رسول الله إن هؤلاء القوم قد نزلوا بحيث ترى فقد سألت الله فقلت اللهم
 أقسم عليك أن نلقى العدو غدا فيقتلونى ويبقروا بطنى ويمثلوا بى فتقول لى فيم صنع بك هذا فأقول فيك قال و أنا سألك يا
 رسول الله أخرى أن تلى تركتى من بعدى فقال له نعم فخرج عبد الله فقتل و مثل به كل المثل ودفن هو و حمزة فى قبر واحد
 وولى تركته رسول الله ص فاشترى لأمه مالا بخبير. قال الواقدي وأقبلت أخته حمزة بنت جحش فقال لها رسول الله ص يا حمن
 احتسبى قالت من يا رسول الله قال خالك حمزة قالت إنا لله و إنا إليه راجعون غفر الله له ورحمه وهنيئا له الشهادة ثم قال لها
 احتسبى قالت من يا رسول الله قال أخوك عبد الله قالت إنا لله و إنا إليه راجعون غفر الله له ورحمه وهنيئا له الشهادة ثم قال
 احتسبى قالت من يا رسول الله قال بعلك مصعب بن عمير فقالت وا حزناه ويقال إنها قالت وا عقراه . قال محمد بن إسحاق فى
 كتابه فصرخت وولولت -قرآن- ۵۷۱-۶۰۹-قرآن- ۷۱۸-۷۵۶ قال الواقدي فقال رسول الله ص إن للزوج من المرأة مكانا ما
 هو لأحد -روایت-۱-۲-روایت-۳۷-۷۴ وهكذا روى ابن إسحاق أيضا. قال الواقدي ثم قال لها رسول الله ص لم قلت هذا قالت
 ذكرت يتم بنيه فراعى فدعا رسول الله ص لولده أن يحسن الله عليهم الخلف [صفحه ۱۹] فتزوجت طلحة بن عبيد الله فولدت
 منه محمد بن طلحة فكان أوصل الناس لولد مصعب بن عمير

القول فيمن ثبت مع رسول الله ص يوم أحد

قال الواقدي حدثنى موسى بن يعقوب عن عمته عن أمها عن المقداد قال لماتصاف القوم للقتال يوم أحد جلس رسول الله ص
 تحت راية مصعب بن عمير فلما قتل أصحاب اللواء وهزم المشركون الهزيمة الأولى وأغار المسلمون على معسكرهم ينهبونه ثم
 كر المشركون على المسلمين فأتوهم من خلفهم ففرق الناس ونادى رسول الله ص فى أصحاب الألوية فقتل مصعب بن عمير
 حامل لوائه ص وأخذ راية الخزرج سعد بن عباد فقام رسول الله ص تحتها وأصحابه محدقون به ودفن لواء المهاجرين إلى أبى
 الردم أحد بنى عبدالدار آخر نهار ذلك اليوم ونظرت إلى لواء الأوس مع أسيد بن حضير فناوشوا المشركين ساعة واقتتلوا على
 اختلاط من الصفوف ونادى المشركون بشعارهم ياللعزى يالهبلى فأوجعوا و الله فينا قتلا ذريعا ونالوا من رسول الله ص مانالوا لا و
 الذى بعثه بالحق مازال شبرا واحدا إنه لفى وجه العدو وتثوب إليه طائفة من أصحابه مرة وتفرق عنه مرة فربما رأته قائما يرمى
 عن قوسه أو يرمى بالحجر حتى تحاجزوا وكانت العصابة التى ثبتت مع رسول الله ص أربعة عشر رجلا- سبعة من المهاجرين
 وسبعة من الأنصار أما المهاجرون فعلى ع و أبوبكر و عبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وطلحة بن عبيد الله و أبو عبيدة
 بن الجراح والزبير بن العوام [صفحه ۲۰] و أما الأنصار فالجباب بن المنذر و أبودجانه وعاصم بن ثابت بن أبى الأفلح والحارث
 بن الصمة وسهل بن حنيف وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير. قال الواقدي و قدروى أن سعد بن عباد و محمد بن مسلمة ثبتا
 يومئذ و لم يفرا و من روى ذلك جعلهما مكان سعد بن معاذ وأسيد بن حضير. قال الواقدي وبإيعه يومئذ على الموت ثمانية
 ثلاثة من المهاجرين وخمسة من الأنصار فأما المهاجرون فعلى ع وطلحة والزبير و أما الأنصار فأبو دجانه والحارث بن الصمة
 والجباب بن المنذر وعاصم بن ثابت وسهل بن حنيف و لم يقتل منهم ذلك اليوم أحد و أما باقى المسلمين ففروا و رسول الله
 ص يدعوهم فى أخراهم حتى انتهى منهم إلى قريب من المهراس . قال الواقدي وحدثنى عتبة بن جبير عن يعقوب بن عمير بن
 قتادة قال ثبت يومئذ بين يديه ثلاثون رجلا كلهم يقول وجهى دون وجهك ونفسى دون نفسك و عليك السلام غير مودع . قلت

قد اختلف في عمر بن الخطاب هل ثبت يومئذ أم لا مع اتفاق الرواة كافة على أن عثمان لم يثبت فالواقدي ذكر أنه لم يثبت و أما محمد بن إسحاق والبلاذري فجعلاه مع من ثبت و لم يفر واتفقوا كلهم على أن ضرار بن الخطاب الفهري قرع رأسه بالرمح و قال إنها نعمة مشكورة يا ابن الخطاب إني آليت ألا أقتل رجلا من قريش . وروى ذلك محمد بن إسحاق وغيره و لم يختلفوا في ذلك وإنما اختلفوا هل قرعه بالرمح و هو فار هارب أم مقدم ثابت والذين رووا أنه قرعه بالرمح و هو هارب لم يقل [صفحة ٢١] أحد منهم إنه هرب حين هرب عثمان و لا إلى الجهة التي فر إليها عثمان وإنما هرب معتصما بالجبل و هذا ليس بعيب و لا ذنب لأن الذين ثبتوا مع رسول الله ص اعتصموا بالجبل كلهم وأصعدوا فيه ولكن يبقى الفرق بين من أصعد في الجبل في آخر الأمر و من أصعد فيه والحرب لم تضع أوزارها فإن كان عمر أصعد فيه آخر الأمر فكل المسلمين هكذا صنعوا حتى رسول الله ص و إن كان ذلك والحرب قائمة بعد تفرق . و لم يختلف الرواة من أهل الحديث في أن أبا بكر لم يفر يومئذ و أنه ثبت فيمن ثبت و إن لم يكن نقل عنه قتل أو قتال والثبوت جهاد و فيه وحده كفاية . و أما رواة الشيعة فإنهم يروون أنه لم يثبت إلا على وطلحة والزبير و أبودجانه و سهل بن حنيف و عاصم بن ثابت و منهم من روى أنه ثبت معه أربعة عشر رجلا من المهاجرين والأنصار و لا يعدون أبا بكر و عمر منهم روى كثير من أصحاب الحديث أن عثمان جاء بعد ثلاثة إلى رسول الله ص فسأله إلى أين انتهيت فقال إلى الأعرض فقال لقد ذهبت فيها عريضة . روى الواقدي قال كان بين عثمان أيام خلافته و بين عبدالرحمن بن عوف كلام فأرسل عبدالرحمن إلى الوليد بن عقبة فدعاه فقال اذهب إلى أخيك فأبلغه عنى ما أقول لك فإنى لأعلم أحدا يبلغه غيرك قال الوليد أفعلم قال قل له يقول لك عبدالرحمن شهدت بدرا و لم تشهدها و ثبت يوم أحد و وليت و شهدت بيعة الرضوان و لم تشهدها فلما أخبره قال عثمان صدق أخى تخلفت عن بدر على ابنه رسول الله ص و هى مريضة فضرب لى رسول الله ص بسهمى و أجرى فكننت بمنزلة من [صفحة ٢٢] حضر بدرا و وليت يوم أحد فعفا الله عنى فى محكم كتابه و أما بيعة الرضوان فإنى خرجت إلى أهل مكة بعثنى رسول الله ص و قال إن عثمان فى طاعة الله و طاعة رسوله و بايع عنى يا حدى يديه على الأخرى فكان شمال النبى خيرا من يمينى فلما جاء الوليد إلى عبدالرحمن بما قال قال صدق أخى . قال الواقدي و نظر عمر إلى عثمان بن عفان فقال هذا ممن عفا الله عنه و هم الذين تولوا يوم التقى الجمعان و الله ماعفا الله عن شىء فردده قال و سأل رجل عبد الله بن عمر عن عثمان فقال أذنب يوم أحد ذنبا عظيما فعفا الله عنه و أذنب فيكم ذنبا صغيرا فقتلتموه و احتج من روى أن عمر فر يوم أحد بما روى أنه جاءته فى أيام خلافته امرأة تطلب بردا من برود كانت بين يديه و جاءت معها بنت لعمر تطلب بردا أيضا فأعطى المرأة و ورد ابنته فقيل له فى ذلك فقال إن أبا هذه ثبت يوم أحد و أبا هذه فر يوم أحد و لم يثبت . و روى الواقدي أن عمر كان يحدث فيقول لما صاح الشيطان قتل محمد قلت أرقى فى الجبل كأنى أروية و جعل بعضهم هذا حجة فى إثبات فرار عمر و عندى أنه ليس بحجة لأن تمام الخبر فانتهيت إلى رسول الله ص و هو يقول و ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ الْآيَةُ و أبوسفیان فى سفح الجبل فى كتيبته يرومون أن يعلوا الجبل فقال رسول الله ص اللهم إنه ليس لهم أن يعلونا فانكشفوا و هذا يدل على أن رقيه فى الجبل قد كان بعد إصعاد رسول الله ص فيه و هذا بأن يكون منقبة له أشبه . و روى الواقدي قال حدثنى ابن أبى سبرة عن أبى بكر بن عبد الله بن أبى جهم اسم أبى جهم عبيد قال كان خالد بن الوليد يحدث و هو بالشام فيقول الحمد لله - قرآن - ١٠٢٨ - ١٠٨٦ [صفحة ٢٣] الذى هدانى للإسلام لقد رأيتنى و رأيت عمر بن الخطاب حين جال المسلمون و انهزموا يوم أحد و مامعه أحد و إنى لفى كتيبة خشناء فما عرفه منهم أحد غيرى و خشيت إن أغريت به من معى أن يصمدوا له فنظرت إليه و هو متوجه إلى الشعب قلت يجوز أن يكون هذا حقا و لا خلاف أنه توجه إلى الشعب تاركا للحرب لكن يجوز أن يكون ذلك فى آخر الأمر لما يئس المسلمون من النصره فكلهم توجه نحو الشعب حينئذ و أيضا فإن خالد ماتهم فى حق عمر بن الخطاب لما كان بينه وبينه من الشحنة و الشئان فليس بمنكر من خالد أن يعنى عليه حر كاته و يؤكد صحة هذا الخبر

وكون خالد عفا عن قتل عمر يومئذ ما هو معلوم من حال النسب بينهما من قبل الأم فإن أم عمر حنتمه بنت هاشم بن المغيرة وخالد هو ابن الوليد بن المغيرة فأم عمر ابنة عم خالد لحا والرحم تعطف. حضرت عند محمد بن معد العلوي الموسوي الفقيه على رأى الشيعة الإمامية رحمه الله فى داره بدرج الدواب ببغداد فى سنة ثمان وستمائة وقارئ يقرأ عنده مغازى الواقدى فقرأ حدثنا الواقدى قال حدثنى ابن أبى سبرة عن خالد بن رباح عن أبى سفیان مولى ابن أبى أحمد قال سمعت محمد بن مسلمة يقول سمعت أذناى وأبصرت عيناى رسول الله ص يقول يوم أحد وقد انكشف الناس إلى الجبل و هو يدعوهم وهم لا يلبون عليه سمعته يقول إلى يافلان إلى يافلان أنا رسول الله فما عرج عليه واحد منهما ومضيا فأشار ابن معد إلى أن اسمع فقلت و ما فى هذا قال هذه كناية عنهما فقلت ويجوز ألا يكون عنهما لعله عن غيرهما قال ليس فى الصحابة من [صفحة ٢٤] يحتشم ويستحيا من ذكره بالفرار و ماشابهه من العيب فيضطر القائل إلى الكناية إلاهما قلت له هذا وهم فقال دعنا من جدلك ومنعك ثم حلف أنه ماعنى الواقدى غيرهما و أنه لو كان غيرهما لذكره صريحا وبان فى وجهه التكر من مخالفتى له. روى الواقدى قال لمصاح إبليس أن محمدا قد قتل تفرق الناس فمنهم من ورد المدينة فكان أول من وردها يخبر أن محمدا قد قتل سعد بن عثمان أبو عبادة ثم ورد بعده رجال حتى دخلوا على نساءهم حتى جعل النساء يقلن أ عن رسول الله تفرون و يقول لهم ابن أم مكتوم أ عن رسول الله تفرون يؤنب بهم و قد كان رسول الله ص خلفه بالمدينة يصلى بالناس ثم قال دلونى على الطريق يعنى طريق أحد فدلوه فجعل يستخبر كل من لقى فى الطريق حتى لحق القوم فعلم بسلامة النبى ص ثم رجع و كان ممن ولى عمر و عثمان والحارث بن حاطب و ثعلبة بن حاطب و سواد بن غزبة و سعد بن عثمان و عقبه بن عثمان و خارجه بن عمر بلغ ملل وأوس بن قيطى فى نفر من بنى حارثة بلغوا الشقرة ولقيتهم أم أيمن تحثى فى وجوههم التراب وتقول لبعضهم هاك المغزل فاغزل به وهلم واحتج من قال بفرار عمر بما رواه الواقدى فى كتاب المغازى فى قصة الحديبية قال قال عمر يومئذ يا رسول الله أ لم تكن حدثنا أنك ستدخل المسجد الحرام وتأخذ مفتاح الكعبة وتعرف مع المعرفين وهدينا لم يصل إلى البيت و لانحر فقال رسول الله ص أ قلت لكم فى سفركم هذا قال عمر لا قال أما إنكم ستدخلونه و آخذ مفتاح الكعبة وأحلق رأسى و رءوسكم بطن مكة و أعرف مع المعرفين ثم أقبل على عمر و قال أنسيتم يوم [صفحة ٢٥] أحد إذ تصعدون و لا تلوون على أحد و أنا أدعوكم فى أخراكم أنسيتم يوم الأحزاب إذ جاؤكم من فوقكم و من أسفل منكم و إذ زاغت الأبصار و بلغت القلوب الحناجر أنسيتم يوم كذا و جعل يذكرهم أمورا أنسيتم يوم كذا فقال المسلمون صدق الله و صدق رسوله أنت يا رسول الله أعلم منا فلما دخل عام القضية و حلق رأسه قال هذا الذى كنت وعدتكم به فلما كان يوم الفتح و أخذ مفتاح الكعبة قال ادعوا إلى عمر بن الخطاب فجاء فقال هذا الذى كنت قلت لكم قالوا فلو لم يكن فر يوم أحد لما قال له أنسيتم يوم أحد إذ تصعدون و لا تلوون - قرآن - ٤ - ٤٤ - قرآن - ٩٠ - ١٩٢

القول فيما جرى للمسلمين بعد إصعادهم فى الجبل

قال الواقدى حدثنى موسى بن محمد بن ابراهيم عن أبيه قال لمصاح الشيطان لعنه الله أن محمدا قد قتل يحزنهم بذلك تفرقوا فى كل وجه و جعل الناس يمرون على النبى ص لا يلبون عليه أحد منهم و رسول الله يدعوهم فى أخراهم حتى انتهت هزيمة قوم منهم إلى المهراس فتوجه رسول الله ص يريد أصحابه فى الشعب فانتهى إلى الشعب وأصحابه فى الجبل أوزاع يذكرون مقتل من قتل منهم و يذكرون ما جاءهم عن رسول الله ص قال كعب بن مالك فكنت أول من عرفه و عليه المغفر فجعلت أصيح و أنا فى الشعب هذا رسول الله ص حى فجعل يومئذ إلى بيده على فيه أى اسكت ثم دعا بلامتى فلبسها و نزع لأمته . قال الواقدى طلع رسول الله ص على أصحابه فى الشعب بين السعدين [صفحة ٢٦] سعد بن عبادة و سعد بن معاذ يتكفأ فى الدرع و كان إذامشى تكفأ تكفؤا و يقال إنه كان يتوكأ على طلحة بن عبيد الله . قال الواقدى و ماصلى يومئذ الظهر إلا جالسا للجرح الذى كان أصابه .

قال الواقدي و قد كان طلحة قال له إن بي قوة فقم لأحملك فحملة حتى انتهى إلى الصخرة التي على فم شعب الجبل فلم يزل يحمله حتى رفعه عليها ثم مضى إلى أصحابه ومعه النفر الذين ثبتوا معه فلما نظر المسلمون إليهم ظنوه قريشا فجعلوا يولون في الشعب هارين منهم ثم جعل أبودجانه يليح إليهم بعمامة حمراء على رأسه فعرفوه فرجعوا أو بعضهم . قال الواقدي روى أنه لما طلع عليهم في النفر الذين ثبتوا معه وهم أربعة عشر سبعة من المهاجرين وسبعة من الأنصار جعلوا يولون في الجبل خائفين منهم يظنونهم المشركين جعل رسول الله ص يتبسم إلى أبي بكر وهو على جنبه ويقول له ألح إليهم فجعل أبو بكر يليح إليهم وهم لا يعرجون حتى نزع أبودجانه عصابه حمراء على رأسه فأوفى على الجبل فجعل يصيح ويلح فوقفوا حتى عرفوهم ولقد وضع أبو بردة بن نيار سهما على كبد قوسه فأراد أن يرمى به رسول الله ص وأصحابه فلما تكلموا وناداهم رسول الله ص أمسك وفرح المسلمون برؤيته حتى كأنهم لم تصبهم في أنفسهم مصيبة وسروا لسلامته وسلامتهم من المشركين . قال الواقدي ثم إن قوما من قريش صعدوا الجبل فعلموا على المسلمين وهم في الشعب قال فكان رافع بن خديج يحدث فيقول إنني يومئذ إلى جنب أبي مسعود الأنصاري وهو يذكر من قتل من قومه ويسأل عنهم فيخبر برجال منهم سعد بن [صفحہ ۲۷] الربيع وخارجة بن زهير وهو يسترجع ويترحم عليهم وبعض المسلمين يسأل بعضا عن حميمه وذى رحمه فيهم يخبر بعضهم بعضا فيناهم على ذلك رد الله المشركين ليذهب ذلك الحزن عنهم فإذا عدوهم فوقهم قد علوا وإذا كتائب المشركين بالجبل فنسوا ما كانوا يذكرون وندبنا رسول الله ص وحضنا على القتال والله لكأنى أنظر إلى فلان وفلان في عرض الجبل يعدوان هارين قال الواقدي فكان عمر يحدث يقول لما صاح الشيطان قتل محمد أقبلت أرقى إلى الجبل فكأنى أروية فأنتهيت إلى النبي ص وهو يقول وما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ إِلَّا آيَةٌ وَأَبُوسَفْيَانَ فِي سَفْحِ الْجَبَلِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَدْعُو رَبَّهُ أَللَّهُمَّ لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَعْلَمُوا فَانْكَشَفُوا . قال الواقدي فكان أبو أسيد الساعدي يحدث فيقول لقد رأيتنا قبل أن يلقي النعاس علينا في الشعب وإنما لسلم لمن أردنا لمابنا من الحزن فألقى علينا النعاس فمنا حتى تناطح الحجف ثم فزعنا وكانا لم يصبنا قبل ذلك نكبة قال وقال الزبير بن العوام غشينا النعاس فما منا رجل إلا وذقه في صدره من النوم فأسمع معتب بن قشير وكان من المنافقين يقول وإنى لكالحالم لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا فأنزل الله تعالى فيه ذلك . قال وقال أبو اليسر لقد رأيتني ذلك اليوم في رجال من قومي إلى جنب رسول الله ص وقد أنزل الله علينا النعاس أمه منه مامنهم رجل إلا يغط غطيما حتى إن الحجف لتناطح ولقد رأيت سيف بشر بن البراء بن معرور سقط من يده - قرآن - ۴۹۹-۵۵۷- قرآن - ۱۰۲۶- ۱۰۷۵ [صفحہ ۲۸] وما يشعر به حتى أخذه بعد ماتلم وإن المشركين لتحتنا وسقط سيف أبي طلحة أيضا ولم يصب أهل الشك والنفق نعاس يومئذ وإنما أصاب النعاس أهل الإيمان واليقين فكان المنافقون يتكلم كل منهم بما في نفسه والمؤمنون ناعسون . قلت سألت ابن النجار المحدث عن هذا الموضع فقلت له من قصة أحد تدل على أن المسلمين كانت الدولة لهم بادئ الحال ثم صارت عليهم وصاح الشيطان قتل محمد فانهزم أكثرهم ثم ثاب أكثر المنهزمين إلى النبي ص فحاربوا دونه حربا كثيرة طالت مدتها حتى صار آخر النهار ثم أصعدوا في الجبل معتصمين به وأصعد رسول الله ص معهم فتحاجز الفريقان حينئذ وهذا هو الذي يدل عليه تأمل قصة أحد إلا أن بعض الروايات التي ذكرها الواقدي يقتضى غير ذلك نحو روايته في هذا الباب أن رسول الله ص لما صاح الشيطان إن محمدا قد قتل كان ينادى المسلمين فلا يعرجون عليه وإنما يصعدون في الجبل وإنه وجه نحو الجبل فأنتهى إليهم وهم أوزاع يتذاكرون بقتل من قتل منهم وهذه الرواية تدل على أنه أصعد ص في الجبل من أول الحرب حيث صاح الشيطان وصياح الشيطان كان حال كون خالد بن الوليد بالجبل من وراء المسلمين لما غشيهم وهم مشتغلون بالنهب واختلط الناس فكيف هذا فقال إن الشيطان صاح قتل محمد دفعتين دفعة في أول الحرب ودفعة في آخر الحرب لماتصرم النهار وغشيت الكتائب رسول الله ص وقد قتل ناصروه وأكلتهم الحرب فلم يبق معه إلا نفر يسير لا يبلغون عشرة وهذه كانت أصعب وأشد من الأولى وفيها اعتصم و ما اعتصم في

صرخه الشيطان الأولى بالجبل بل ثبت وحامى عنه أصحابه ولقد لقي فى الأولى مشقة عظيمة من ابن قميئة وعتبة بن أبى وقاص وغيرهما [صفحة ٢٩] ولكنه لم يفارق عرصه الحرب وإنما فارقها وعلم أنه لم يبق له وجه مقام فى صرخته الثانية. قلت له فكان القوم مختلطين فى الصرخة الثانية حتى يصرخ الشيطان قتل محمد قال نعم المشركون قد أحاطوا بالنبي ص وبمن بقى معه من أصحابه فاختلف المسلمون بهم وصاروا مغمورين بينهم لقتلهم بالنسبة إليهم وظن قوم من المشركين أنهم قد قتلوا النبي ص لأنهم فقدوا وجهه وصورته فنادى الشيطان قتل محمد و لم يكن قتل ص ولكن اشتبهت صورته عليهم وظنوه غيره وأكثر من حامى عنه فى تلك الحال على ع و أبودجانه وسهل بن حنيف وحامى هو عن نفسه وجرح قوما بيده تارة بالسهم وتارة بالسيف ولكن لم يعلموا بأعيانهم لاختلاط القوم وثوران النقع وكانت قريش تظنه واحدا من المسلمين و لوعرفوه بعينه فى تلك الثورة لكان الأمر صعبا جدا ولكن الله تعالى عصمه منهم بأن أزاغ أبصارهم عنه فلم يزل هؤلاء الثلاثة يجالدون دونه و هو يقرب من الجبل حتى صار فى أعلى الجبل أصعد من فم الشعب إلى تدريج هناك فى الجبل ورقى فى ذلك التدريج صاعدا حتى صار فى أعلى الجبل وتبعه نفر الثلاثة فلحقوا به . قلت له فما بال القوم الذين صعدوا الجبل من المشركين وكيف كان إصعادهم وعودهم . قال أصعدوا لحرب المسلمين لالطلب رسول الله ص لأنهم ظنوا أنه قد قتل وهذا هو كان السبب فى عودهم من الجبل لأنهم قالوا قد بلغنا الغرض [صفحة ٣٠] الأصلى وقتلنا محمدا فما لنا والتصميم على الأوس والخزرج وغيرهم من أصحابه مع ما فى ذلك من عظم الخطر بالأنفس قلت له فإذا كان هذا قد خطر لهم فلما ذا صعدوا فى الجبل . قال يخطر لك خاطر ويدعوك داع إلى بعض الحركات فإذا شرعت فيها خطر لك خاطر آخر يصرفك عنها فترجع ولا تتمها قلت نعم فما بالهم لم يقصدوا قصد المدينة وينهبوها. قال كان فيها عبد الله بن أبى فى ثلاثمائة مقاتل و فيها خلق كثير من الأوس والخزرج لم يحضروا الحرب وهم مسلمون وطوائف آخر من المنافقين لم يخرجوا وطوائف أخرى من اليهود أولو بأس وقوة ولهم بالمدينة عيال و أهل ونساء و كل هؤلاء كانوا يحامون عن المدينة و لم تكن قريش تأمن مع ذلك أن يأتيها رسول الله ص من ورائها بمن يجامعه من أصحابه فيحصلوا بين الأعداء من خلفهم و من أمامهم فكان رأى الأوصوب لهم العدول عن المدينة وترك قصدها. قال الواقدي حدثني الضحاك بن عثمان عن حمزة بن سعيد قال لما تحاجزوا وأراد أبو سفيان الانصراف أقبل يسير على فرس له حوراء فوقف على أصحاب النبي ص وهم فى عرض الجبل فنادى بأعلى صوته أعل هبل ثم صاح أين ابن أبى كبشة يوم بيوم بدر ألا إن الأيام دول . و فى رواية أنه نادى أبابكر وعمر أيضا فقال أين ابن أبى قحافة أين ابن الخطاب ثم قال الحرب سجال حنظلة بحنظلة يعنى حنظلة بن أبى عامر بحنظلة بن [صفحة ٣١] أبى سفيان فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله أجيئه قال نعم فأجبه فلما قال أعل هبل قال عمر الله أعلى وأجل . ويروى أن رسول الله ص قال لعمر قل له الله أعلى وأجل فقال أبو سفيان إن لنا العزى و لا عزى لكم فقال عمر أو قال رسول الله ص قل له الله مولانا و لا مولى لكم فقال أبو سفيان إنها قد أنعمت فقال عنها يا ابن الخطاب فقال فقال سعيد بن أبى سفيان ألا إن الأيام دول و إن الحرب سجال فقال عمر و لا سواء قتلتنا فى الجنة وقتلناكم فى النار فقال أبو سفيان إنكم لتقولون ذلك لقد جننا إذا وخسرنا ثم قال يا ابن الخطاب قم إلى أكلمك فقام إليه فقال أنشدك بدينك هل قتلنا محمدا قال اللهم لا وإنه ليسمع كلامك الآن قال أنت عندى أصدق من ابن قميئة ثم صاح أبو سفيان ورفع صوته إنكم واجدون فى قتلكم عنتا ومثالا -إلا- أن ذلك لم يكن عن رأى سراتنا ثم أدركته حمية الجاهلية فقال و أما إذ كان ذلك فلم نكرهه ثم نادى ألا- إن موعدكم بدر الصفراء على رأس الحول فوقف عمر وقفه ينتظر ما يقول رسول الله ص فقال له قل نعم فانصرف أبو سفيان إلى أصحابه وأخذوا فى الرحيل فأشفق رسول الله ص والمسلمون من أن يغيروا على المدينة فيهلك الذرارى والنساء فقال رسول الله ص لسعد بن أبى وقاص اذهب فأتنا بخير القوم فإنهم إن ركبوا الإبل وجنبا الخيل فهو الطعن إلى مكة و إن ركبوا الخيل وجنبا الإبل فهو الغارة على المدينة و الذى نفسى بيده إن ساروا إليها لأسيرن إليهم ثم لأنجزهم قال سعد

فتوجهت أسعى وأرصدت نفسى إن أفرعنى شىء رجعت إلى النبى ص و أنا أسعى فبدأت بالسعى حين ابتدأت فخرجت فى آثارهم [صفحہ ۳۲] حتى إذا كانوا بالعقيق و أنا بحيث أراهم و أتأملهم ركبوا الإبل و جنبوا الخيل فقلت إنه الظعن إلى بلادهم ثم وقفوا وقفه بالعقيق و تشاوروا فى دخول المدينة فقال لهم صفوان بن أمية قد أصبتم القوم فانصرفوا و لا تدخلوا عليهم و أنتم كالون و لكم الظفر فإنكم لا تدرن ما يغشاكم فقد و ليم يوم بدر لا و الله ما تبعوكم و كان الظفر لهم فيقال إن رسول الله ص قال نهاهم صفوان فلما رأهم سعد على تلك الحال منطلقين و قد دخلوا فى المكنم رجع إلى رسول الله ص و هو كالمنكسر فقال وجه القوم يا رسول الله إلى مكة امتطوا الإبل و جنبوا الخيل فقال ما تقول قلت يا رسول الله فخلا بى فقال أحقا ما تقول قلت نعم يا رسول الله قال فما بالى رأيتك منكسرا فقلت كرهت أن آتى المسلمين فرحا بقولهم إلى بلادهم فقال ص إن سعدا لمجرب . قال الواقدى و قدروى خلاف هذا روى أن سعدا لما رجع رفع صوته بأن جنبوا الخيل و امتطوا الإبل فجعل رسول الله ص يشير إلى سعد خفض صوتك فإن الحرب خدعة فلا ترى الناس مثل هذا الفرح بانصرافهم فإنما ردهم الله تعالى . قال الواقدى و حدثنى ابن أبى سيرة عن يحيى بن شبيل عن أبى جعفر قال قال رسول الله ص لسعد بن أبى وقاص إن رأيت القوم يريدون المدينة فأخبرنى فيما بينى و بينك و لا تفت فى أعضاء المسلمين فذهب فرآهم قد امتطوا الإبل فرجع فما ملك أن جعل يصيح سرورا بانصرافهم - روى ۱-۲-روایت-۲۷۵-۷۴ . قال الواقدى و قيل لعمر بن العاص كيف كان افتراق المسلمين و المشركين يوم [صفحہ ۳۳] أحد فقال ما تريدون إلى ذلك قد جاء الله بالإسلام و نفى الكفر و أهله ثم قال لما كررنا عليهم أصبنا من أصبنا منهم و تفرقوا فى كل وجه و فاءت لهم فئه بعد فتشاورت قريش فقالوا لنا الغلبه فلو انصرفنا فإنه بلغنا أن ابن أبى انصرف بثلاث الناس و قد تخلف الناس من الأوس و الخزرج و لأنامن أن يكروا علينا و فينا جراح و خيلنا عامتها قد عقرت من النبل فمضينا فما بلغنا الروحاء حتى قام علينا عدة منها و انصرفنا إلى مكة . قال الواقدى حدثنى إسحاق بن يحيى بن طلحة عن عائشة قال سمعت أبا بكر يقول لما كان يوم أحد و رمى رسول الله ص فى وجهه حتى دخلت فى وجهه حلقتان من المغفر أقبلت أسعى إلى رسول الله ص و إنسان قد أقبل من قبل المشرك يطير طيرانا فقلت اللهم اجعله طلحة بن عبيد الله حتى توفينا إلى رسول الله ص فإذا أبو عبيدة بن الجراح فبدرنى فقال أسألك بالله يا أبا بكر إلاتركتنى فأنترعه من وجه رسول الله ص قال أبو بكر فتركته و قال رسول الله ص عليكم صاحبكم يعنى طلحة فأخذ أبو عبيدة بشنيتيه حلقة المغفر فنزعها و سقط على ظهره و سقطت ثنية أبى عبيدة ثم أخذ الحلقة بشنيتيه الأخرى فكان أبو عبيدة فى الناس أثرم و يقال إن الذى نزع الحلقتين من وجه رسول الله ص عقبه بن وهب بن كلداء و يقال أبو اليسر . قال الواقدى و أثبت ذلك عندنا عقبه بن وهب بن كلداء . قال الواقدى و كان أبو سعيد الخدرى يحدث أن رسول الله ص [صفحہ ۳۴] أصيب وجهه يوم أحد فدخلت الحلقتان من المغفر فى وجنتيه فلما نزعنا جعل الدم يسرب كما يسرب الشن فجعل مالك بن سنان يمج الدم بفيه ثم ازدردته فقال رسول الله ص من أحب أن ينظر إلى من خالط دمه بدمى فلينظر إلى مالك بن سنان - روى ۱-۲-روایت-۲۴-۹۱ فقيل لمالك تشرب الدم فقال نعم أشرب دم رسول الله ص فقال رسول الله ص من مس دمه دمی لم تصبه النار - روى ۱-۲-روایت-۲۴-۵۷ قال الواقدى و قال أبو سعيد كنا ممن رد من الشيخين لم نجئ مع المقاتلة فلما كان من النهار بلغنا مصاب رسول الله ص و تفرق الناس عنه جئت مع غلمان بنى خدره نعرض لرسول الله ص ننظر إلى سلامته فنرجع بذلك إلى أهلنا فلقينا الناس متفرقين ببطن قناه فلم يكن لنا هممة إلا النبى ص ننظر إليه فلما رآنى قال سعد بن مالك قلت نعم بأبى أنت و أمى و دنوت منه فقبلت ركبته و هو على فرسه فقال آجرك الله فى أبيك ثم نظرت إلى وجهه فإذا فى وجنتيه مثل موضع الدرهم فى كل وجهه و إذا شجة فى جبهته عند أصول الشعر و إذا شفته السفلى تدمى و إذا فى ربايعته اليمنى شظية و إذا على جرحه شىء أسود فسألت ما هذا على وجهه فقالوا حصير محرق و سألت من أدمى و وجنتيه فقيل ابن قميئة فقلت فمن شجه فى وجهه فقيل ابن شهاب فقلت من أصاب شفته قيل عتبة بن أبى وقاص فجعلت أعدو بين يديه حتى نزل باباه منازل إلا محمولا

وأرى ركبته مجحوشتين يتكئ على السعد بن سعد بن معاذ وسعد بن عباد حتى دخل بيته فلما غربت الشمس وأذن بلال بالصلاة خرج على تلك الحال [صفحة ٣٥] يتوكأ على السعد بن سعد بن عباد وسعد بن معاذ ثم انصرف إلى بيته والناس في المسجد يوقدون النيران يتمكدون بها من الجراح ثم أذن بلال بالعشاء حين غاب الشفق فلم يخرج رسول الله ص فجلس بلال عند بابيه ص حتى ذهب ثلث الليل ثم ناداه الصلاة يا رسول الله فخرج وقد كان نائماً قال فرمقته فإذا هو أخف في مشيته منه حين دخل بيته فصليت معه العشاء ثم رجع إلى بيته قد صفف له الرجال ما بين بيته إلى مصلاه يمشى وحده حتى دخل ورجعت إلى أهلي فخبرتهم بسلامته فحمدوا الله وناموا وكانت وجوه الأوس والخزرج في المسجد على النبي ص يحرسونه فرقا من قريش أن تكرر. قال الواقدي وخرجت فاطمة ع في نساء و قدرأت الذي بوجه أبيهاص فاعتنقته وجعلت تمسح الدم عن وجهه و رسول الله ص يقول اشتد غضب الله على قوم دموا وجهه رسول الله -رواية- ١-٢-رواية- ٢٤-٦٦ وذهب على ع فأتى بماء من المهراس و قال لفاطمة أمسكي هذا السيف غير ذميم فنظر إليه رسول الله ص مختضبا بالدم فقال لئن كنت أحسنت القتال اليوم فلقد أحسن عاصم بن ثابت والحارث بن الصمة وسهل بن حنيف وسيف أبي دجانة غير مذموم هكذا روى الواقدي. و روى محمد بن إسحاق أن عليا ع قال لفاطمة بيتي شعر وهما -رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-٦٠ فأطم هاء السيف غير ذميم || فلتست برعد يد و لابلئيم لعمرى لقد جاهدت في نصر أحمد || وطاعة رب بالعباد رحيم فقال رسول الله ص لئن كنت صدقت القتال اليوم لقد صدق معك سماك بن خرشة وسهل بن حنيف -رواية- ١-٩٦. [صفحة ٣٦] قال الواقدي فلما أحضر على ع الماء أراد رسول الله ص أن يشرب منه فلم يستطع وقد كان عطشا ووجد ريحا من الماء كرها فقال هذاماء آجن فتمضمض منه للدم الذي كان بفيه ثم مجه وغسلت فاطمة به الدم عن أبيهاص فخرج محمد بن مسلمة يطب مع النساء وكن أربع عشرة امرأة قد جنن من المدينة يتلقين الناس منهن فاطمة ع يحملن الطعام والشراب على ظهورهن ويسقين الجرحى ويداوينهم. قال الواقدي قال كعب بن مالك رأيت عائشة وأم سليم على ظهورهما القرب تحملانها يوم أحد وكانت حمئة بنت جحش تسقى العطشى وتداوى الجرحى فلم يجد محمد بن مسلمة عندهن ماء و رسول الله ص قد اشتد عطشه فذهب محمد بن مسلمة إلى قناة ومعه سقاؤه حتى استقى من حسي قناة عند قصور التميميين اليوم فجاء بماء عذب فشرب منه رسول الله ص ودعا له بخير وجعل الدم لا ينقطع من وجهه ع و هو يقول لن ينالوا منا مثلها حتى نستلم الركن فلما رأت فاطمة الدم لا يرقأ وهي تغسل جراحه و على يصب الماء عليها بالمجن أخذت قطعة حصير فأحرقته حتى صار رمادا ثم ألصقته بالجرح فاستمسك الدم ويقال إنها داوته بصوفه محرقة و كان رسول الله ص بعد مداوى الجراح الذي في وجهه بعظم بال حتى ذهب أثره ولقد مكث يجد وهن ضربة ابن قميئة على عاتقه شهرا أو أكثر من شهر ومداوى الأثر الذي في وجهه بعظم. قال الواقدي و قال رسول الله ص قبل أن ينصرف إلى المدينة من يأتينا بخبر سعد بن الربيع فإني رأيت وأشار بيده إلى ناحية من الوادي قد شرع فيه اثنا عشر سنانا فخرج محمد بن مسلمة ويقال أبي بن كعب نحو تلك الناحية قال فأنا وسط القتلى لتعرفهم إذ مررت به صريعا في الوادي فناديته فلم يجب ثم قلت إن رسول الله ص أرسلني إليك قال فتنفس كما يتنفس الطير ثم قال [صفحة ٣٧] و إن رسول الله ص لحى قلت نعم وقد أخبرنا أنه شرع لك اثنا عشر سنانا فقال طعنت اثنتي عشرة طعنة كلها أجافنتي أبلغ قومك الأنصار السلام وقل لهم الله الله و ما عاهدتم عليه رسول الله ص ليلة العقبة و الله مالكم عذر عند الله إن خلص إلى نبيكم ومنكم عين تطرف فلم أرم من عنده حتى مات فرجعت إلى النبي ص فأخبرته فرأيت استقبل القبلة رافعا يديه يقول اللهم الق سعد بن الربيع و أنت عنه راض. قال الواقدي وخرجت السمداء بنت قيس إحدى نساء بني دينار وقد أصيب ابنها مع النبي ص بأحد النعمان بن عبد عمر وسليم بن الحارث فلما نعا لها قالت فما فعل رسول الله ص قالوا بخير هو محمد الله صالح على ماتحين فقالت أرونيه أنظر إليه فأشاروا لها إليه فقالت كل مصيبة بعدك يا رسول الله جليل وخرجت تسوق بابنيها بعيرا تردهما إلى المدينة فلقيتها عائشة فقالت ما وراءك فأخبرتها قالت فمن هؤلاء معك

قالت ابناى حل حل تحملهما إلى القبر. قال الواقدي و كان حمزة بن عبدالمطلب أول من جىء به إلى النبي ص بعدانصراف قريش أو كان من أولهم فصلى عليه رسول الله ص ثم قال رأيت الملائكة تغسله قالوا لأن حمزة كان جنباً ذلك اليوم و لم يغسل رسول الله ص الشهداء يومئذ و قال لفوهم بدمائهم وجراحهم فإنه ليس أحد يجرح فى سبيل الله إلا جاء يوم القيامة لون جرحه لون الدم وريحه ريح المسك ثم [صفحة ٣٨] قال ضعوهم فأنا الشهيد على هؤلاء يوم القيامة و كان حمزة أول من كبر عليه أربعاً ثم جمع إليه الشهداء فكان كلما أتى بشهيد وضع إلى جنب حمزة فصلى عليه و على الشهيد حتى صلى عليه سبعين مرة لأن الشهداء سبعون . قال الواقدي ويقال كان يؤتى بتسعة وحمزة عاشرهم فيصلى عليهم و ترفع التسعة و يترك حمزة مكانه و يؤتى بتسعة آخرين فيوضعون إلى جنب حمزة فيصلى عليه و عليهم حتى فعل ذلك سبع مرات ويقال إنه كبر عليه خمسا وسبعا و تسعا. قال الواقدي و قد اختلفت الرواية فى هذا و كان طلحة بن عبيد الله و ابن عباس و جابر بن عبد الله يقولون صلى رسول الله ص على قتلى أحد و قال أنا شهيد على هؤلاء فقال أبو بكر ألسنا إخوانهم أسلمنا كما أسلموا وجاهدنا كما جاهدوا قال بلى ولكن هؤلاء لم يأكلوا من أجورهم شيئاً و لا أدرى ما تحدثون بعدى فبكى أبو بكر و قال إنا لكائون بعدك . و قال أنس بن مالك و سعيد بن المسيب لم يصل رسول الله ص على قتلى أحد. قال الواقدي و قال لأهل القتلى احفروا و أوسعوا و أحسنوا و ادفنوا الاثنين والثلاثة فى القبر و قدموا أكثرهم قرآنا و أمر بحمزة أن تمد برده عليه و هو فى القبر و كانت قصيرة فكانوا إذا خرموا به رأسه بدت رجلاه و إذا خرموا به رجليه انكشف وجهه فبكى المسلمون يومئذ فقالوا يا رسول الله عم رسول الله يقتل فلا يوجد له ثوب فقال بلى إنكم بأرض جردية ذات أحجار و ستفتح يعنى الأرياف و الأمصار فيخرج الناس إليها ثم يبعثون إلى أهلهم و المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون [صفحة ٣٩] و الذى نفسى بيده لا تصبر نفس على لأوائها و شدتها إلا كنت لها شفيعا أو قال شهيدا يوم القيامة. قال الواقدي و أتى عبدالرحمن بن عوف فى خلافة عثمان بثياب و طعام فقال ولكن حمزة لم يوجد له كفن و مصعب بن عمير لم يوجد له كفن و كانا خيرا منى. قال الواقدي و مر رسول الله ص بمصعب بن عمير و هو مقتول مسجى ببردة خلق فقال لقد رأيتك بمكة و ما بها أحد أرق حلّة و لأحسن لمّة منك ثم أنت اليوم أشعث الرأس فى هذه البردة ثم أمر به فقبر و نزل فى قبره أخوه أبو الروم و عامر بن ربيعة و سويطة بن عمرو بن حرملة و نزل فى قبر حمزة على ع و الزبير و أبو بكر و عمر و رسول الله ص جالس على حفرتة . قال الواقدي ثم إن الناس أو عامتهم حملوا قتلاهم إلى المدينة فدفن بالقيع منهم عدة عنددار زيد بن ثابت و دفن بعضهم ببني سلمة فنادى منادى رسول الله ص ردوا القتلى إلى مضاجعهم و كان الناس قد دفنوا قتلاهم فلم يرد أحد أحدا منهم إلا رجلا واحدا أدركه المنادى و لم يدفن و هو شماس بن عثمان المخزومي كان قد حمل إلى المدينة و به رمق فأدخل على عائشة فقالت أم سلمة ابن عمى يدخل إلى غيرى فقال رسول الله ص احمولوه إلى أم سلمة فحمولوه إليها فمات عندها فأمر رسول الله ص أن يرد إلى أحد فيدفن هناك كما هو فى ثيابه التى مات فيها و كان قدمكث يوما و ليلة و لم يذق شيئاً فلم يصل عليه رسول الله ص و لا غسله . قال الواقدي فأما القبور المجتمعة هناك فكثير من الناس يظنها قبور قتلى أحد و كان طلحة بن عبيد الله و عباد بن تميم المازنى يقولان هى قبور قوم من الأعراب كانوا [صفحة ٤٠] عام الرمادة فى عهد عمر هناك فماتوا فتلكت قبورهم و كان ابن أبي ذئب و عبدالعزيز بن محمد يقولان لانعرف تلك القبور المجتمعة إنما هى قبور ناس من أهل البادية قالوا إنا نعرف قبر حمزة و قبر عبد الله بن حزام و قبر سهل بن قيس و لانعرف غير ذلك . قال الواقدي و كان رسول الله ص يزور قتلى أحد فى كل حول و إذ القوه بالشعب رفع صوته يقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار و كان أبو بكر يفعل مثل ذلك و كذلك عمر بن الخطاب ثم عثمان ثم معاوية حين يمر حاجا و معتمرا. قال و كانت فاطمة بنت رسول الله ص تأتئهم بين اليومين والثلاثة فتبكي عندهم و تدعو و كان سعد بن أبي وقاص يذهب إلى ما له بالغابة فيأتى من خلف قبور الشهداء فيقول السلام عليكم ثلاثا و يقول لا يسلم عليهم أحد إلا ردوا عليه السلام إلى يوم القيامة قال و مر رسول الله ص على قبر

مصعب بن عمير فوقف عليه ودعا وقرأ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ثم قال إن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فأتوهم فزورهم وسلموا عليهم و ألقى نفسه بيده لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا مردوا عليه و كان أبو سعيد الخدري يقف على قبر حمزة فيدعو ويقرأ و يقول مثل ذلك و كانت أم سلمة رحمها الله تذهب فتسلم عليهم في كل شهر فتظل يومها فجاءت يوماً ومعها غلامها أنبهان فلم يسلم فقالت أى لكح ألا تسلم عليهم و الله لا يسلم عليهم أحد إلا مردوا عليه إلى يوم القيامة. قال و كان أبو هريرة و عبد الله بن عمر يذهبان فيسلمان عليهم قالت فاطمة -قرآن- ٨١١-٩٤٥ [صفحة ٤١] الخزاعية سلمت على قبر حمزة يوماً ومعى أخت لى فسمعنا من القبر قائلاً يقول وعليكما السلام ورحمه الله قالت و لم يكن قربنا أحد من الناس قال الواقدي فلما فرغ رسول الله ص من دفنهم دعا بفرسه فركبه وخرج المسلمون حوله عامتهم جرحى و لا مثل بنى سلمة وبنى عبد الأشهل فلما كانوا بأصل الحره قال اصطفوا فاصطفت الرجال صفيين و خلفهم النساء وعدتهن أربع عشرة امرأة فرفع يديه فدعا فقال اللهم لك الحمد كله اللهم لا قابض لما بسطت و لا مانع لما أعطيت و لا معطى لما منعت و لا هادى لمن أضللت و لا مضل لمن هديت و لا مقرب لما باعدت و لا مباعد لما قربت اللهم إني أسألك من بركتك ورحمتك وفضلك و عافيتك اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذى لا يحول و لا يزول اللهم إني أسألك الأمن يوم الخوف و الغناء يوم الفاقة عائذا بك اللهم من شر ما أعطيت و من شر ما منعت اللهم توفنا مسلمين اللهم حبب إلينا الإيمان وزيهه فى قلوبنا وكره إلينا الكفر و الفسوق و العصيان واجعلنا من الراشدين اللهم عذب كفرة أهل الكتاب الذين يكذبون رسلك و يصدون عن سبيلك اللهم أنزل عليهم رجسك و عذابك إله الحق آمين -رواية ١-٢-رواية ١٦-٨٧٧. قال الواقدي و أقبل حتى نزل بنى حارثة يمينا حتى طلع على بنى عبد الأشهل وهم يبكون على قتلاهم فقال لكن حمزة لا يواكى له فخرج النساء ينظرن إلى سلامة رسول الله ص فخرجت إليه أم عامر الأشهلية و تركت النوح فظرت إليه و عليه الدرع كماهى فقالت كل مصيبة بعدك جليل و خرجت كبشة بنت عتبة بن معاوية بن بلحارث بن الخزرج تعدو نحو رسول الله ص و هو واقف على فرسه و سعد بن معاذ آخذ بعنان فرسه فقال سعد يا رسول الله أمى فقال مرحبا بهافدنت حتى تأملته و قالت إذ رأيتك سالما فقد شفت المصيبة فعزاها بعمرى [صفحة ٤٢] بن معاذ ثم قال يا أم سعد أبشرى و بشرى أهليهم أن قتلاهم قد ترافقوا فى الجنة جميعا وهم اثنا عشر رجلا- و قد شفعا فى أهليهم فقالت رضينا يا رسول الله و من يبكى عليهم بعد هذا ثم قالت يا رسول الله ادع لمن خلفوا فقال اللهم أذهب حزن قلوبهم و آجر مصيبتهم و أحسن الخلف على من خلفوا ثم قال لسعد بن معاذ حل أبا عمرو الدابة فحل الفرس و تبعه الناس فقال يا أبا عمرو إن الجراح فى أهل دارك فاشية و ليس منهم مجروح إلا يأتى يوم القيامة جرحه كأعزر ما كان اللون لون دم و الريح ريح مسك فمن كان مجروحا فليقر فى داره و ليداو جرحه و لا تبلغ معى بيتى عزمة منى فنادى فيهم سعد عزمة من رسول الله ص ألا- يتبعه جريح من بنى عبد الأشهل فتخلف كل مجروح و باتوا يوقدون النيران و يداوون الجراح و إن فيهم لثلاثين جريحا و مضى سعد بن معاذ مع رسول الله ص إلى بيته ثم رجع إلى نسائه فساقهن فلم تبق امرأة إلا جاء بها إلى بيت رسول الله ص فبكين بين المغرب و العشاء و قام رسول الله ص حين فرغ من النوم لثلاث الليل فسمع البكاء فقال ما هذا قيل نساء الأنصار يبكين على حمزة فقال رضى الله تعالى عنكن و عن أولادكن و أمر النساء أن يرجعن إلى منازلهن قالت أم سعد بن معاذ فرجعنا إلى بيوتنا بعدليل و معنا رجالنا فما بكت منا امرأة قط إلا بدأت بحمزة إلى يومنا هذا و يقال إن معاذ بن جبل جاء بنساء بنى سلمة و جاء عبد الله بن رواحة بنساء بلحارث بن الخزرج فقال رسول الله ص ما أردت هذا و نهاهن الغد عن النوح أشد النهى. قال الواقدي و جعل ابن أبى و المنافقون معه يشمتون و يسرون بما أصاب المسلمين و يظهرون أقبح القول و رجع عبد الله بن أبى إلى ابنه و هو جريح فبات يكوى الجراحة بالنار حتى ذهب عامة الليل و أبوه يقول ما كان خروجك مع محمد إلى هذا [صفحة ٤٣] الوجه برأى عصانى محمد و أطاع الولدان و الله لكأنى كنت أنظر إلى هذا فقال ابنه الذى صنع الله لرسوله وللمسلمين خير إن

شاء الله قال وأظهرت اليهود القول السيئ وقالوا ما محمد إلا طالب ملك ما أصيب هكذا نبى قط فى بدنه وأصيب فى أصحابه وجعل المنافقون يخذلون عن رسول الله ص وأصحابه ويأمرونهم بالتفرق عنه وقالوا لأصحاب النبى ص لو كان من قتل منكم عندنا ما قتل حتى سمع عمر بن الخطاب ذلك فى أماكن فمشى إلى رسول الله ص يستأذنه فى قتل من سمع ذلك منهم من اليهود والمنافقين فقال له ياعمر إن الله مظهر دينه ومعز نبيه ولليهود ذمّة فلا أقتلهم قال فهؤلاء المنافقون يا رسول الله يقولون فقال أليس يظهرون شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله قال بلى وإنما يفعلون تعوذاً من السيف و قدبان لنا أمرهم وأبدى الله أضغانهم عند هذه النكبة فقال إنى نهيت عن قتل من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله يا ابن الخطاب إن قريشا لن ينالوا ما نالوا منا مثل هذا اليوم حتى نستلم الركن . و روى ابن عباس أن النبى ص قال إخوانكم لما أصيبوا بأحد جعلت أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة فتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مطعمهم ومشربهم ورأوا حسن منقلبهم قالوا ليت إخواننا يعلمون بما أكرمنا الله وبما نحن فيه لئلا يزهدوا فى الجهاد ويكلوا عند الحرب فقال لهم الله تعالى أنا أبلغهم عنكم فأنزل وَ لا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يُرزقون -رواية ١-٢-رواية ٣٦-

[٤٤٢] [صفحة ٤٤]

القول فيما جرى للمشركين بعد انصرافهم إلى مكة

قال الواقدي حدثنى موسى بن شيبة عن قطن بن وهيب الليثى قال لما تحاجز الفريقان ووجه قريش إلى مكة وامتطوا الإبل وجنّبوا الخيل سار وحشى عبد جبير بن مطعم على راحلته أربعا فقدم مكة يبشر قريشا بمصاب المسلمين فانتهى إلى الثنية التى تطلع على الحجون فنادى بأعلى صوته يامعشر قريش مرارا حتى ثاب الناس إليه وهم خائفون أن يأتيهم بما يكرهون فلما رضى منهم قال أبشروا فقد قتلنا من أصحاب محمد مقتلة لم نقتل مثلها فى زحف قط وجرحنا محمدا فأثبتناه بالجراح وقتلنا رأس الكتيبة حمزة بن عبدالمطلب فتفرق الناس عنه فى كل وجه بالشماتة بقتل أصحاب النبى ص وإظهار السرور وخلا جبير بن مطعم بوحشى فقال أنظر ما تقول قال وحشى قد والله صدقت قال قتلت حمزة قال إى والله ولقد زرقت بالمزراق فى بطنه فخرج من بين فخذيه ثم نودى فلم يجب فأخذت كبده وحملتها إليك لتراها فقال أذهبت حزن نساننا ويردت حر قلوبنا فأمر يومئذ نساءه بمراجعة الطيب والدهن . قال الواقدي وقد كان عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة المخزومي لما انكشف المشركون بأحد فى أول الأمر خرج هاربا على وجهه وكره أن يقدم مكة فقدم الطائف فأخبر ثقيفا أن أصحاب محمد قد ظفروا وانهزمنا وكنت أول من قدم عليكم ثم جاءهم الخبر بعد أن قريشا ظفرت وعادت الدولة لها. قال الواقدي فسارت قريش قافلة إلى مكة فدخلتها ظافرة فكان مادخل على قلوبهم من السرور يومئذ نظير مادخل عليهم من الكئابة والحزن يوم بدر و كان مادخل [صفحة ٤٥] على قلوب المسلمين من الغيظ والحزن يومئذ نظير مادخل عليهم من السرور والجدل يوم بدر كما قال الله تعالى وَ تِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَقَالَ سُبْحَانَهُ أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلِهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ قَالَ يَعْنِي إِنَّكُمْ يَوْمَ بَدْرٍ قَتَلْتُمْ مِنْ قَرِيشٍ سَبْعِينَ وَأَسْرْتُمْ سَبْعِينَ وَأَمَّا يَوْمٌ أَحَدٌ فَمَاتَ مِنْكُمْ سَبْعُونَ وَلَمْ يُؤْسَرْ مِنْكُمْ أَحَدٌ فَقَدْ أَصَبْتُمْ قَرِيشًا بِمِثْلِ مَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ أَحَدٍ وَقَوْلُهُ أَنَّى هَذَا أَيُّ كَيْفٍ هَذَا وَنَحْنُ مَوْعِدُونَ بِالنَّصْرِ وَنَزُولِ الْمَلَائِكَةِ وَفِينَا نَبِيٌّ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ مِنَ السَّمَاءِ فَقَالَ لَهُمْ فِي الْجَوَابِ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ يَعْنِي الرَّمَاةَ الَّذِينَ خَالَفُوا الْأَمْرَ وَعَصَوْا الرَّسُولَ وَإِنَّمَا كَانَ النَّصْرُ وَنَزُولُ الْمَلَائِكَةِ مَشْرُوطًا بِالطَّاعَةِ وَ الْإِيعَاضِ أَمْرَ الرَّسُولِ أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ بَلَى إِنْ تَصَبَّرُوا وَ تَتَّقُوا وَ يَأْتُواكُمْ مِنْ قُدْرِهِمْ هَذَا يُمَدِّدُكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ فَعلقه على الشرط -قرآن- ١١١-١٥٣-قرآن- ١٦٨-٢٦٨-قرآن- ٤٣٥-٤٤٣-قرآن- ٥٥٤-٥٧٨-قرآن- ٧١٥-٨٣٨

القول في مقتل أبي عزة الجمحي ومعاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبدشمس

قال الواقدي أما أبو عزة واسمه عمرو بن عبد الله بن عمير بن وهب بن حذافة بن جمح فإن رسول الله ص أخذه أسيرا يوم أحد و لم يؤخذ يوم أحد أسير غيره فقال يا محمد من على فقال رسول الله ص إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين -رواية- ١-٢- روايت-٢٤-٥٨ لا ترجع إلى مكة تمسح عارضيك فتقول سخرت بمحمد مرتين ثم أمر عاصم بن ثابت فضرب عنقه . [صفحة ٤٦] قال الواقدي وقد سمعنا في أسره غير هذا حدثني بكبير بن مسمار قال لما انصرف المشركون عن أحد نزلوا بحمراء الأسد في أول الليل ساعة ثم رحلوا وتركوا أبا عزة مكانه حتى ارتفع النهار فلحقه المسلمون و هو مستنبه يتلدد و كان الذي أخذه عاصم بن ثابت فأمره النبي ص فضرب عنقه . قلت و هذه الرواية هي الصحيحة عندى لأن المسلمين لم تكن حالهم يوم أحد حال من يتهيأ له أسر أحد من المشركين في المعركة لما أصابهم من الوهن . فأما معاوية بن المغيرة فروى البلاذري أنه هو الذي جدع أنف حمزة ومثل به و أنه انهزم يوم أحد فمضى على وجهه فبات قريبا من المدينة فلما أصبح دخل المدينة فأتى منزل عثمان بن عفان بن أبي العاص و هو ابن عمه لحا فضرب بابه فقالت أم كلثوم زوجته وهي ابنة رسول الله ص ليس هو هاهنا فقال ابعثني إليه فإن له عندى ثمن بغير ابتعته منه عام أول و قد جئته به فإن لم يجئ ذهب فأرسلت إليه و هو عند رسول الله ص فلما جاء قال لمعاوية أهلكتنى وأهلكت نفسك ماجاء بك قال يا ابن عم لم يكن أحد أقرب إلى و لأمس رحما بى منك فجئتك لتجيرنى فادخله عثمان داره وصيره فى ناحية منها ثم خرج إلى النبي ص ليأخذ له منه أمانا فسمع رسول الله ص يقول إن معاوية فى المدينة و قد أصبح بها فاطلبوه فقال بعضهم ما كان ليعدو منزل عثمان فاطلبوه به فدخلوا منزل عثمان فأشارت أم كلثوم إلى الموضع الذى صيره فيه فاستخرجوه من تحت خماره لهم فانطلقوا به إلى النبي ص فقال عثمان حين رآه و الذى بعثك بالحق ماجئت إلا لأطلب له الأمان فهبه لى فوهبه له و أجله ثلاثا [صفحة ٤٧] وأقسم لئن وجده بعدها يمشى فى أرض المدينة و ماحولها ليقتلنه و خرج عثمان فجهزه واشترى له بعيرا ثم قال ارتحل و سار رسول الله ص إلى حمراء الأسد و أقام معاوية إلى اليوم الثالث ليعرف أخبار النبي ص ويأتى بهاقريشا فلما كان فى اليوم الرابع قال رسول الله ص إن معاوية أصبح قريبا لم ينفذ فاطلبوه فأصابوه و قد أخطأ الطريق فأدركوه و كان اللذان أسرعوا فى طلبه زيد بن حارثة و عمار بن ياسر فوجداه بالجماء فضربه زيد بالسيف و قال عمار إن لى فيه حقا فرمياه بسهم فقتلاه ثم انصرفا إلى المدينة بخبره و يقال إنه أدرك على ثمانية أميال من المدينة فلم يزل زيد و عمار يرميانه بالنبل حتى مات . قال و معاوية هذا أبو عائشة بنت معاوية أم عبد الملك بن مروان . قال و ذكر الواقدي فى كتابه مثل هذه الرواية سواء . قال البلاذري و قال ابن الكلبي إن معاوية بن المغيرة جدع أنف حمزة يوم أحد و هو قتيلا فأخذ بقرب أحد فقتل على أحد بعد انصراف قريش بثلاث و لاقب له إلا عائشة أم عبد الملك بن مروان قال و يقال إن عليا هو الذى قتل معاوية بن المغيرة . قلت و رواية ابن الكلبي عندى أصح لأن هزيمة المشركين كانت فى الصدمة الأولى عقيب قتل بنى عبدالدار أصحاب الألوية و كان قتل حمزة بعد ذلك لما كر خالد بن الوليد الخيل من وراء المسلمين فاختلطوا وانتقض صفهم و قتل بعضهم بعضا فكيف يصح إن يجتمع لمعاوية كونه قد جدع أنف حمزة و كونه قد انهزم مع المشركين فى الصدمة الأولى هذا متناقض لأنه إذا كان قد انهزم فى أول الحرب استحال أن يكون [صفحة ٤٨] حاضرا عند حمزة حين قتل والصحيح ما ذكره ابن الكلبي من أنه شهد الحرب كلها و جدع أنف حمزة ثم حصل فى أيدي المسلمين بعد انصراف قريش لأنه تأخر عنهم لعارض عرض له فأدركه حينه فقتل

القول فى مقتل المجدر بن زياد البلوى والحارث بن يزيد بن الصامت

قال الواقدي كان المجذر بن زياد البلوي حليف بنى عوف بن الخزرج ممن شهد بدرًا مع رسول الله ص وكانت له قصة في الجاهلية قبل قدوم النبي ص المدينة و ذلك أن حضير الكتائب والد أسيد بن حضير جاء إلى بنى عمرو بن عوف فكلّم سويد بن الصامت وخوات بن جبير و ألبالباء بن عبدالمنذر ويقال سهل بن حنيف فقال هل لكم إن تزوروني فأسقيكم شرابًا وأنحر لكم وتقيمون عندي أيما قالوا نعم نحن نأتيك يوم كذا فلما كان ذلك اليوم جاءوه فحرق لهم جزورًا وسقاهم خمرًا وأقاموا عنده ثلاثة أيام حتى تغير اللحم و كان سويد بن الصامت يومئذ شيخًا كبيرًا فلما مضت الأيام الثلاثة قالوا مانرانا إلا راجعين إلى أهلنا فقال حضير ما أحببتم إن أحببتم فأقيموا و إن أحببتم فانصرفوا فخرج الفتيان بسويد بن الصامت يحملانه على جمل من الثمل فمروا لاصقين بالحرّة حتى كانوا قريبًا من بنى عيينة فجلس سويد بيول و هو ثمل سكرًا فبصر به إنسان من الخزرج فخرج حتى أتى المجذر بن زياد فقال هل لك في الغنيمّة الباردة قال ماهي قال سويد بن الصامت أعزل لاسلاح معه ثمل فخرج المجذر بن زياد بالسيف مصلتا فلما رآه الفتيان وهما أعزلان لاسلاح معهما وليا والعداوة بين الأوس [صفحة ٤٩] والخزرج شديدة فانصرفا مسرعين وثبت الشيخ و لا حراك به فوقف المجذر بن زياد فقال قد أمكن الله منك قال ماتريد بي قال قتلك قال فارفع عن الطعام واخفض عن الدماغ فإذا رجعت إلى أمك فقل إنى قتلت سويد بن الصامت فقتله فكان قتله هو الذي هيج وقعة بعث فلما قدم رسول الله ص المدينة أسلم الحارث بن سويد بن الصامت وأسلم المجذر فشهدا بدرًا فجعل الحارث بن سويد يطلب المجذر في المعركة ليقتله بأبيه فلا يقدر عليه يومئذ فلما كان يوم أحد و جال المسلمون تلك الجولة أتاه الحارث من خلفه فضرب عنقه فرجع رسول الله ص إلى المدينة ثم خرج إلى حمراء الأسد فلما رجع من حمراء الأسد أتاه جبرائيل ع فأخبره أن الحارث بن سويد قتل المجذر غيلةً وأمره بقتله فركب رسول الله ص إلى قباء في اليوم الذي أخبره جبرائيل في يوم حار و كان ذلك يومًا لا يركب فيه رسول الله ص إلى قباء إنما كانت الأيام التي يأتي فيها رسول الله ص قباء يوم السبت و يوم الإثنين فلما دخل رسول الله ص مسجد قباء صلى فيه ماشاء الله أن يصلى و سمعت الأنصار فجاءوا يسلمون عليه وأنكروا إتيانه تلك الساعة في ذلك اليوم فجلس ع يتحدث ويتصفح الناس حتى طلع الحارث بن سويد في ملحفة مورسة فلما رآه رسول الله ص دعا عويم بن ساعدة فقال له قدم الحارث بن سويد إلى باب المسجد فاضرب عنقه بمجذر بن زياد فإنه قتله يوم أحد فأخذه عويم فقال الحارث دعني أكلم رسول الله و رسول الله ص يريد أن يركب ودعا بحماره إلى باب المسجد فجعل الحارث يقول قد و الله قتلت يا رسول الله و ما كان قتلى إياه رجوعًا عن الإسلام [صفحة ٥٠] و لا ارتيابًا فيه ولكنه حمية الشيطان وأمر و كلت فيه إلى نفسي وإنى أتوب إلى الله و إلى رسوله مما عملت وأخرج ديتة وأصوم شهرين متتابعين وأعتق رقبةً وأطعم ستين مسكينًا إنى أتوب إلى الله يا رسول الله وجعل يمسك بركاب رسول الله ص وبنو المجذر حضور لا يقول لهم رسول الله ص شيئًا حتى إذا استوعب كلامه قال قدمه يا عويم فاضرب عنقه وركب رسول الله ص فقدمه عويم بن ساعدة على باب المسجد فاضرب عنقه . قال الواقدي ويقال إن الذي أعلم رسول الله قتل الحارث المجذر يوم أحد حبيب بن يساف نظر إليه حين قتله فجاء إلى النبي ص فأخبره فركب رسول الله ص يتفحص عن هذا الأمر فبينما هو على حمارة نزل جبرائيل ع فخبّره بذلك فأمر رسول الله ص عويما فاضرب عنقه ففي ذلك قال حسان يا حار في سنة من نوم أولكم || أم كنت ويحك مغترا بجبريل . فأما البلاذري فإنه ذكر هذا و قال ويقال إن الجلاس بن سويد بن الصامت هو الذي قتل المجذر يوم أحد غيلةً إلا أن شعر حسان يدل على أنه الحارث . قال الواقدي والبلاذري و كان سويد بن الصامت حين ضربه المجذر بقى قليلًا ثم مات فقال قبل أن يموت يخاطب أولاده أبلغ جلاسا و عبد الله مالكة || و إن دعيت فلا تخذلها حار [صفحة ٥١] اقتل جذارة إذ ما كنت لاقبهم || والحي عوفا على عرف وإنكار . قال البلاذري جذرةً وجذارةً أخوان وهما ابنا عوف بن الحارث بن الخزرج . قلت هذه الروايات كماترى و قد ذكر ابن ماكولا في الإكمال أن الحارث بن سويد قتل المجذر غيلةً يوم أحد ثم التحق بمكة كافرًا ذكره في حرف الميم من هذا الكتاب

و هذا هو الأشبه عندي

القول فيمن مات من المسلمين بأحد جملة

قال الواقدي ذكر سعيد بن المسيب و أبوسعيد الخدرى أنه قتل من الأنصار خاصة أحد وسبعون وبمثله قال مجاهد. قال فأربعة من قريش وهم حمزة بن عبدالمطلب قتله وحشى و عبد الله بن جحش بن رثاب قتله أبوالحكم بن الأحنس بن شريق وشماس بن عثمان بن الشريد من بنى مخزوم قتله أبى بن خلف ومصعب بن عمير قتله ابن قميئة. قال و قدزاد قوم خامسا و هوسعد مولى حاطب من بنى أسد بن عبدالعزى و قال قوم أيضا إن أباسلمة بن عبدالأسد المخزومى جرح يوم أحد ومات من تلك الجراحة بعد أيام . قال الواقدي و قال قوم قتل ابنا الهيب من بنى سعد بن ليث وهما عبد الله [صفحة ٥٢] و عبدالرحمن ورجلان من بنى مزينة وهما وهب بن قابوس و ابن أخيه الحارث بن عتبة بن قابوس فيكون جميع من قتل من المسلمين ذلك اليوم نحو أحد وثمانين رجلا فأما تفصيل أسماء الأنصار فمذكور فى كتب المحدثين و ليس هذاالموضع مكان ذكره

القول فيمن قتل من المشركين بأحد

قال الواقدي قتل من بنى عبدالدار طلحة بن أبى طلحة صاحب لواء قريش قتله على بن أبى طالب ع مبارزة وثمان بن أبى طلحة قتله حمزة بن عبدالمطلب و أبوسعيد بن أبى طلحة قتله سعد بن أبى وقاص و مسافع بن طلحة بن أبى طلحة قتله عاصم بن ثابت بن أبى الألقح و كلاب بن طلحة بن أبى طلحة قتله الزبير بن العوام والحارث بن طلحة بن أبى طلحة قتله عاصم بن ثابت والجلال بن طلحة بن أبى طلحة قتله طلحة بن عبيد الله وأرطاة بن عبدشرحيل قتله على بن أبى طالب ع وقارظ بن شريح بن عثمان بن عبدالدار و يروى قاسط بالسبين والطاء المهملتين قال الواقدي لا يدري من قتله و قال البلاذرى قتله على بن أبى طالب ع و صواب مولا هم قتله على بن أبى طالب ع وقيل قتله قزمان و أبوعزيز بن عمير أخو مصعب بن عمير قتله قزمان فهؤلاء أحد عشر. و من بنى أسد بن عبدالعزى عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد قتله أبودجانه فى رواية الواقدي و فى رواية محمد بن إسحاق قتله على بن أبى طالب ع و قال البلاذرى قال ابن الكلبي إن عبد الله بن حميد قتل يوم بدر [صفحة ٥٣] و من بنى زهرة أبوالحكم بن الأحنس بن شريق قتله على بن أبى طالب ع وسباع بن عبدالعزى الخزاعى واسم عبدالعزى عمر بن نضله بن عباس بن سليم و هو ابن أم أنمار الحجامه بمكة قتله حمزة بن عبدالمطلب فهذان رجلا . و من بنى مخزوم أمية بن أبى حذيفة بن المغيرة قتله على ع وهشام بن أبى أمية بن المغيرة قتله قزمان والوليد بن العاص بن هشام قتله قزمان و خالد بن أعلم العقيلي قتله قزمان و عثمان بن عبد الله بن المغيرة قتله الحارث بن الصممه فهؤلاء خمسة. و من بنى عامر بن لؤى عبيد بن حاجز قتله أبودجانه وشيبه بن مالك بن المضرب قتله طلحة بن عبيد الله وهذان اثنان . و من بنى جمع أبى بن خلف قتله رسول الله ص بيده و أبو عزة قتله عاصم بن ثابت صبيرا بأمر رسول الله ص فهذان اثنان . و من بنى عبدمناه بن كنانة خالد بن سفيان بن عوف و أبوالشعثاء بن سفيان بن عوف و أبوالحمرء بن سفيان بن عوف و غراب بن سفيان بن عوف هؤلاء الإخوة الأربعة قتلهم على بن أبى طالب ع فى رواية محمد بن حبيب . فأما الواقدي فلم يذكر فى باب من قتل من المشركين بأحد لهم قاتلا معنا ولكنه ذكر فى كلام آخر قبل هذاالباب أن أباسبره بن الحارث بن علقمة قتل أحد بنى سفيان بن عوف و أن رشيدا الفارسى مولى بنى معاوية لقى آخر من بنى سفيان بن عوف مقنعا فى الحديد و هو يقول أنا ابن عوف فيعرض له سعد مولى حاطب فضربه ابن [صفحة ٥٤] عوف ضربه جزله باثنتين فأقبل رشيد على ابن عوف فضربه على عاتقه فقطع الدرع حتى جزله اثنتين و قال خذها و أنا الغلام الفارسى فقال رسول الله ص و هو يراه ويسمعه ألا قلت أنا الغلام الأنصارى قال فيعرض لرشيد أخ للمقتول أحد

بنى سفيان بن عوف أيضا وأقبل يعدو نحوه كأنه كلب يقول أنا ابن عوف ويضربه رشيد أيضا على رأسه و عليه المغفر ففلق رأسه وقال خذها وأنا الغلام الأنصاري فتبسم رسول الله ص وقال أحسنت يا أبا عبد الله فكناه رسول الله ص يومئذ ولا ولد له . قلت فأما البلاذري فلم يذكر لهم قاتلا ولكنه عددهم في جملة من قتل من المشركين بأحد وكذلك ابن إسحاق لم يذكر من قتلهم فإن صحت رواية الواقدي فعلى ع لم يكن قد قتل منهم إلا واحدا وإن كانت رواية ابن حبيب صحيحة فالأربعة من قتلاه ع وقد رأيت في بعض كتب أبي الحسن المدائني أيضا أن عليا ع هو الذي قتل بنى سفيان بن عوف يوم أحد وروى له شعرا في ذلك . و من بنى عبد شمس معاوية بن المغيرة بن أبي العاص قتله علي ع في إحدى الروايات وقيل قتله زيد بن حارثة وعمار بن ياسر . فجميع من قتل من المشركين يوم أحد ثمانية وعشرون قتل علي ع منهم ما اتفق عليه و ما اختلف فيه اثني عشر و هو إلى جملة القتلى كعدة من قتل يوم بدر إلى جملة القتلى يومئذ و هو قريب من النصف [صفحہ ۵۵]

القول في خروج النبي ص و بعد انصرافه من أحد إلى المشركين ليوقع بهم على ما هو به من الوهن

قال الواقدي بلغ رسول الله ص أن المشركين قد عزموا أن يردوا إلى المدينة فينهبوا فأحب أن يريهم قوة فصلى الصبح يوم الأحد لثمان خلون من شوال ومعه وجوه الأوس والخزرج وكانوا باتوا تلك الليلة في بابه يحرسونه من البيات فيهم سعد بن عباد وسعد بن معاذ والحباب بن المنذر وأوس بن خولى وقتادة بن النعمان في عدة منهم فلما انصرف من صلاة الصبح أمر بلالا أن ينادى في الناس أن رسول الله ص يأمركم بطلب عدوكم ولا يخرج معنا إلا من شهد القتال بالأمس فخرج سعد بن معاذ راجعا إلى قومه يأمرهم بالمسير والجراح في الناس فاشية عامة بنى عبد الأشهل جريح بل كلها فجاء سعد بن معاذ فقال إن رسول الله ص يأمركم أن تطلبوا عدوكم قال يقول أسيد بن حضير و به سبع جراحات و هو يريد أن يداويها سمعا وطاعة لله ولرسوله فأخذ سلاحه و لم يعرج على دواء جراحه ولحق برسول الله ص وجاء سعد بن عباد قومه بنى ساعدة فأمرهم بالمسير فلبسوا ولحقوا وجاء أبو قتادة أهل خربا وهم يداوون الجراح فقال هذا نادى رسول الله ص يأمركم بطلب العدو فوثبوا إلى سلاحهم و لم يعرجوا على جراحاتهم فخرج من بنى سلمة أربعون جريحا بالطفيل بن النعمان ثلاثة عشر جرحا وبخراش بن الصمة عشر جراحات وبكعب بن مالك بضعة عشر جرحا وبقطبة بن عامر بن خديج بيده تسع جراحات حتى وافوا النبي ص بقبر أبي عتبة وعليهم السلاح [صفحہ ۵۶] و قد صفوا لرسول الله ص فلما نظر إليهم والجراح فيهم فاشية قال اللهم ارحم بنى سلمة . قال الواقدي وحدثني عتبة بن جبير عن رجال من قومه أن عبد الله بن سهل ورافع بن سهل من بنى عبد الأشهل رجعا من أحد وبهما جراح كثيرة و عبد الله أثقلهما جرحا فلما أصبحا وجاء سعد بن معاذ قومه يخبرهم أن رسول الله ص يأمرهم بطلب العدو قال أحدهما لصاحبه و الله إن تركنا غزاة مع رسول الله ص لغبن و الله ما عندنا دابة نركبها ولا ندرى كيف نصنع قال عبد الله انطلق بنا قال رافع لا و الله ما بي مشى قال أخوه انطلق بنا نقصد ونجوز وخرجنا يزحفان فضعف رافع فكان عبد الله يحمله على ظهره عقبه ويمشى الآخر عقبه حتى أتوا رسول الله ص عند العشاء وهم يوقدون النيران فأتى بهما رسول الله ص و على حرسه تلك الليلة عباد بن بشر فقال رسول الله ص لهما ما حبسكما فأخبراهما فبعثتهما فدعا لهما بخير و قال إن طالت لكما مدة كانت لكما مراكب من خيل وبغال وإبل و ليس ذلك بخير لكما . قال الواقدي و قال جابر بن عبد الله يا رسول الله إن مناديا نادى ألا يخرج معنا إلا من حضر القتال بالأمس و قد كنت حريصا بالأمس على الحضور ولكن أبي خلفني على أخوات لي و قال يا بني لا ينبغي لك أن تدعهن و لا رجل معهن وأخاف عليهن وهن نسيات ضعاف و أنا خارج مع رسول الله ص لعل الله يرزقني الشهادة فتخلفت عليهن فاستأثر على بالشهادة و كنت رجوتها فأذن لي يا رسول الله أن أسير معك فأذن له رسول الله ص قال جابر فلم يخرج معه أحد لم يشهد القتال بالأمس غيري واستأذنه رجال لم يحضروا القتال فأبى ذلك [صفحہ ۵۷] عليهم فدعا رسول الله ص بلواءه و هو معقود لم يحل

من أمس فدفعه إلى على ع ويقال دفعه إلى أبي بكر فخرج رسول الله ص و هو مجروح في وجهه أثر الحلقتين ومشجوج في جبهته في أصول الشعر ورباعيته قد شظيت وشفته قد كلمت من باطنها ومنكبه الأيمن موهن بضربة ابن قميئة وركبته مجحوشتان فدخل المسجد فصلى ركعتين و الناس قد حشدوا ونزل أهل العوالي حيث جاءهم الصريخ ودعا بفرسه على باب المسجد وتلقاه طلحة بن عبيد الله و قد سمع المنادى فخرج ينظر متى يسير رسول الله ص فإذا هو و عليه الدرع والمغفر لا يرى منه إلا عيناه فقال ياطلحة سلاحك قال قريبا قال طلحة فأخرج وأعدو فألبس درعى وأخذ سيفى وأطرح درقتى فى صدرى و إن بى لتسع جراحات ولأنا أهتم بجراح رسول الله ص منى بجراحى فأقبل رسول الله ص على طلحة فقال أين ترى القوم الآن قال هم بالسيالة فقال رسول الله ص ذلك الذى ظننت أما إنهم ياطلحة لن ينالوا منا مثل أمس حتى يفتح الله مكة علينا قال وبعث رسول الله ص ثلاثة نفر من أسلم طليعة فى آثار القوم فانقطع أحدهم وانقطع قبال نعل الآخر ولحق الثالث بقريش وهم بحمراء الأسد ولهم زجل يأترون فى الرجوع إلى المدينة وصفوان بن أمية ينهاهم عن ذلك ولحق الذى انقطع قبال نعله بصاحبه فبصرت قریش بالرجلين فعطفت عليهما فأصابوهما وانتهى المسلمون إلى مصرعهما بحمراء الأسد فقبرهما رسول الله ص فى قبر واحد فهما القرينان . [صفحه ٥٨] قال الواقدي اسماهما سليط ونعمان . قال الواقدي قال جابر بن عبد الله كانت عامة أزوادنا ذلك اليوم التمر وحمل سعد بن عبادة ثلاثين بعيرا تمرا حتى وافت حمراء الأسد وساق جزرا فنحروا فى يوم ثنتين و فى يوم ثلاثا وأمرهم رسول الله ص بجمع الحطب فإذا أمسوا أمرهم أن يوقدوا النيران فيوقد كل رجل نارا فلقد كنا تلك الليلة نوقد خمسمائة نار حتى نرى من المكان البعيد وذهب ذكر معسكرنا ونيراننا فى كل وجه و كان ذلك مما كبت الله به عدونا. قال الواقدي وجاء معبد بن أبى معبد الخزاعى و هو يومئذ مشرك إلى النبى ص وكانت خزاعة سلما للنبي ص فقال يا محمد عز علينا ما أصابك فى نفسك و ما أصابك فى أصحابك ولوددنا أن الله تعالى أعلى كعبك و أن المصيبة كانت بغيرك ثم مضى معبد حتى يجد أباسفيان وقريشا بالروحاء وهم يقولون لامحمدا أصبتم و لا الكواعب أردفتم فبئسما صنعتم وهم مجمعون على الرجوع إلى المدينة و يقول قائلهم فيما بينهم ما صنعنا شيئا أصبنا أشرافهم ثم رجعنا قبل أن نستأصلهم وقبل أن يكون لهم وفر و كان المتكلم بهذا عكرمة بن أبى جهل فلما جاء معبد إلى أبى سفيان قال هذامعبد وعنده الخبر ما وراءك يا معبد قال تركت محمدا وأصحابه خلفى يتحرقون عليكم بمثل النيران و قد اجتمع معه من تخلف عنه بالأمس من الأوس والخزرج وتعاهدوا ألا يرجعوا حتى يلحقوكم فيثأروا منكم و قد غضبوا لقومهم غضبا شديدا ولمن أصبتم من أشرافهم قالوا ويحك ماتقول قال و الله ما أرى [صفحه ٥٩] أن ترتحلوا حتى تروا نواصى الخيل ولقد حملنى مارأيت منهم أن قلت أبياتا قالوا و ماهى فأنشدهم هذا الشعر كادت تهد من الأصوات راحلتى || إذ سألت الأرض بالجرد الأباييل تعدو بأسد ضراء لاتنابلة || عند اللقاء و لا ميل معازيل فقلت ويل ابن حرب من لقائهم || إذ اتغظمت البطحاء بالجيل . و قد كان صفوان بن أمية رد القوم بكلامه قبل أن يطلع معبد و قال لهم صفوان يا قوم لاتفعلوا فإن القوم قد حاربوا وأخشى أن يجمعوا عليكم من تخلف من الخزرج فارجعوا والدولة لكم فإنى لا آمن إن رجعت إليهم أن تكون الدولة عليكم قال فلذلك قال رسول الله ص أرشدهم صفوان و ما كان يرشيد ثم قال و الذى نفسى بيده لقد سومت لهم الحجارة و لورجعوا لكانوا كأمس الذاهب -رواية ١- ٢-رواية ٣- ٢٣-١٣٥ قال فانصرف القوم سراعا خائفين من الطلب لهم ومر بأبى سفيان قوم من عبد القيس يريدون المدينة فقال لهم هل أنتم مبلغو محمد وأصحابه ما أرسلكم به على أن أوقر لكم أبا عركم زبيبا غدا بعكاظ إن أنتم جئتمونى قالوا نعم قال حيثما [صفحه ٦٠] لقيتم محمدا وأصحابه فأخبروهم أنا قد أجمعنا الرجعة إليهم و أنا آثاركم وانطلق أبوسفيان إلى مكة وقدم الركب على النبى ص وأصحابه بالحمراء فأخبروهم بالذى أمرهم أبوسفيان فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فأنزل ذلك فى القرآن وأرسل معبد رجلا من خزاعة إلى رسول الله ص يعلمه أنه قد انصرف أبوسفيان وأصحابه خائفين وجلين فانصرف رسول الله ص بعد ثلاث إلى المدينة [صفحه ٦١]

نذكرها من كتاب الواقدى ونزید على ذلك مارواه محمد بن إسحاق فى كتابه على عادتنا فيما تقدم قال الواقدى حدثنى ربيعة بن عثمان عن عمر بن الحكم قال بعث رسول الله ص الحارث بن عمير الأزدي فى سنة ثمان إلى ملك بصرى بكتاب فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغسانى فقال أين تريد قال الشام قال لعلك من رسل محمد قال نعم فأمر به فأوثق رباطا ثم قدمه فضرب عنقه و لم يقتل لرسول الله ص رسول غيره وبلغ ذلك رسول الله ص فاشتد عليه وندب الناس وأخبرهم بمقتل الحارث فأسرعوا وخرجوا فعمسكروا بالجرف فلما صلى رسول الله ص الظهر جلس وجلس أصحابه حوله وجاء النعمان بن مهض اليهودى فوقف مع الناس فقال رسول الله ص زيد بن حارثة أمير الناس فإن قتل زيد بن حارثة فجعفر بن أبى طالب فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة فإن أصيب ابن رواحة فليترض المسلمون من بينهم رجلا فليجعلوه عليهم -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۴- ۱۹۵ فقال النعمان بن مهض يا أبا القاسم إن كنت نبيا فسيصاب من سميت قليلا كانوا أو كثيرا إن الأنبياء فى بنى إسرائيل كانوا إذا استعملوا الرجل على القوم ثم قالوا إن أصيب فلان فلو سمي مائة أصيبوا جميعا ثم جعل اليهودى يقول لزيد بن حارثة اعهد فلا ترجع إلى محمد أبدا إن كان نبيا قال زيد أشهد أنه نبى صادق فلما أجمعوا [صفحة ۶۲] المسير وعقد رسول الله ص لهم اللواء بيده دفعه إلى زيد بن حارثة وهولاء أبيض ومشى الناس إلى أمراء رسول الله ص يودعونهم ويدعون لهم وكانوا ثلاثة آلاف فلما ساروا فى معسكرهم ناداهم المسلمون دفع الله عنكم وردكم صالحين سالمين غانمين فقال عبد الله بن رواحة لكننى أسأل الرحمن مغفرة || وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا أو طعنه بيدي حران مجهزة || بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا حتى يقولوا إدامروا على جدتى || يارشد الله من غاز فقد رشدنا . قلت اتفق المحدثون على أن زيد بن حارثة كان هو الأمير الأول وأنكرت الشيعة ذلك وقالوا كان جعفر بن أبى طالب هو الأمير الأول فإن قتل فزيد بن حارثة فإن قتل فعبد الله بن رواحة ورووا فى ذلك روايات وقد وجدت فى الأشعار التى ذكرها محمد بن إسحاق فى كتاب المغازى ما يشهد لقولهم فمن ذلك مارواه عن حسان بن ثابت وهو تأوينى ليل بيثرب أعسر || وهم إذا مانوم الناس مسهر لذكرى حبيب هيجت لى عبرة || سفوحا وأسباب البكاء التذكر بلى إن ففقدان الحبيب بليء || وكم من كريم يبتلى ثم يصبر فلا يبعدين الله قتلى تتابعوا || بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر وزيد و عبد الله حين تتابعوا || جميعا وأسياف المنيئة تخطر [صفحة ۶۳] رأيت خيار المؤمنين تواردوا || شعوب وخلق بعدهم يتأخر غداة غدوا بالمؤمنين يقودهم || إلى الموت ميمون النقيبة أزره أغر كضوء البدر من آل هاشم || أبى إذاسيم الظلامه أصعر فطاعن حتى مال غير موسد || بمعترك فيه القنا متكسر فصار مع المستشهدين ثوابه || جنان وملتف الحدائق أخضر وكنا نرى فى جعفر من محمد || وقارا وأمرا حازما حين يأمر و مازال فى الإسلام من آل هاشم || دعائم صدق لاترام ومفخر هم جبل الإسلام و الناس حولهم || رضام إلى طور يطول ويقهر بهاليل منهم جعفر و ابن أمه || على ومنهم أحمد المتخير و حمزة والعباس منهم ومنهم || عقيل وماء العود من حيث يعصر بهم تفرج الغماء من كل مازق || عماس إذا ماضاق بالناس مصدر هم أولياء الله أنزل حكمه || عليهم وفيهم والكتاب المطهر . ومنها قول كعب بن مالك الأنصارى من قصيدة أولها نام العيون ودمع عينك يهمل || سحا كما وكف الرباب المسبل وجدا على نفر الذين تتابعوا || قتلى بمؤتة أسندوا لم ينقلوا ساروا أمام المسلمين كأنهم || طود يقودهم الهزبر المشبل إذ يهتدون بجعفر ولوائه || قدام أولهم ونعم الأول حتى تقوضت الصفوف و جعفر || حيث التقى جمع الغواة مجدل [صفحة ۶۴] فتغير القمر المنير لفقده || والشمس قد كسفت وكادت تأفل قوم علا بنيانهم من هاشم || فرع أشم وسؤدد متأثل قوم بهم عصم الإله عباده || وعليهم نزل الكتاب المنزل فضلوا المعاشر عفة وتكرما || وتعمدت أخلاقهم من يجهل قال الواقدى فحدثنى ابن أبى سبرة عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة عن رافع بن إسحاق

عن زيد بن أرقم أن رسول الله ص خطبهم فأوصاهم فقال أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيرا اغزوا باسم الله و فى سبيل الله قاتلوا من كفر بالله لاتعدروا و لاتغلو و لاتقتلوا وليدا و إذالقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث فأتين أجابوك إليها فاقبل منهم واكف عنهم ادعهم إلى الدخول فى الإسلام فإن فعلوا فاقبل واكف ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى المهاجرين فإن فعلوا فأخبرهم أن لهم مالمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين و إن دخلوا فى الإسلام واختاروا دارهم فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله و لا يكون لهم فى الفىء و لا فى الغنيمه شىء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين فإن أبوا فادعهم إلى إعطاء الجزية فإن فعلوا فاقبل منهم واكف عنهم فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم و إن أنت حاصرت أهل حصن أو مدينة فأرادوا أن تستنزلهم على حكم الله فلاتستنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك فإنك لاتدرى أتصيب حكم الله فيهم أم لا و إن حاصرت أهل حصن أو مدينة وأرادوا أن تجعل لهم ذمه الله و ذمه رسول الله فلاتجعل لهم ذمه الله و ذمه رسول الله ولكن اجعل لهم ذمتك و ذمه أبيك وأصحابك فإنكم إن تخفروا ذممكم و ذمم آبائكم خير لكم من أن تخفروا ذمه الله و ذمه رسوله -روايت- 1-2-روايت- 150-1253 [صفحہ 65] قال الواقدي وحدثني أبو صفوان عن خالد بن يزيد قال خرج النبي ص مشيعا لأهل مؤته حتى بلغ ثنية الوداع فوقف ووقفوا حوله فقال اغزوا بسم الله فقاتلوا عدو الله و عدوكم بالشام و ستجدون فيهارجالا فى الصوامع معتزلين الناس فلاتعرضوا لهم و ستجدون آخرين للشيطان فى رءوسهم مفاحص فاقلعوها بالسيف و لاتقتلن امرأة و لاصغيرا ضرعا و لا كيبيرا فانيا و لاتقطعن نخلا و لاشجرا و لاتهدمن بناء -روايت- 1-2-روايت- 55-394 قال الواقدي فلما دعا ودع عبد الله بن رواحه رسول الله ص قال له مرني بشىء أحفظه عنك قال إنك قادم غدا بلدا السجود فيه قليل فأكثر السجود فقال عبد الله زدى يا رسول الله قال اذكر الله فإنه عون لك على ماتطلب فقام من عنده حتى إدامضى ذاهبا رجع فقال يا رسول الله إن الله و تر يحب الوتر فقال يا ابن رواحه ما عجزت فلاتعجز إن أسأت عشرا أن تحسن واحده فقال ابن رواحه لأسألك عن شىء بعدها -روايت- 1-2-روايت- 16-417 . وروى محمد بن إسحاق أن عبد الله بن رواحه و دع رسول الله ص بشعر منه فثبت الله ما آتاك من حسن || تثبيت موسى و نصرا كالذى نصروا إني تفرست فيك الخير نافله || فراسة خالفتهم فى الذى نظروا أنت الرسول فمن يحرم نوافله || والبشر منه فقد أودى به القدر . قال محمد بن إسحاق فلما ودع المسلمين بكى فقالوا له ما يبكيك يا عبد الله قال و الله ما بى حب الدنيا و لاصبابه إليها ولكنى سمعت رسول الله ص [صفحہ 66] يقرأو إن منكم إلما و اردوها فلست أدري كيف لى بالصدر بعد الورود قال الواقدي و كان زيد بن أرقم يحدث قال كنت يتيما فى حجر عبد الله بن رواحه فلم أر والى يتيم كان خيرا لى منه خرجت معه فى وجهه إلى مؤته و صب بى و صببت به فكان يردنى خلف رحله فقال ذات ليلة و هو على راحلته بين شعبتى رحله قرآن 5-32 إذابلغتنى و حملت رحلى || مسافة أربع بعد الحساء فشأنك فانعمى و خلاك ذم || و لأرجع إلى أهلى و رائي وآب المسلمون و خلّفونى || بأرض الشام مشتهر الثواء و زودنى الأقارب من دعاء || إلى الرحمن و انقطع الإخاء هنالك لأبالى طلع نخل || و لانخل أسافلها رواء . فلما سمعت منه هذا الشعر بكيت فحفقنى بالدره و قال و ما عليك يالكع أن يرزقنى الله الشهادة فاستريح من الدنيا و نصبها و همومها و أحزانها و أحداثها و ترجع أنت بين شعبتى الرحل . قال الواقدي و مضى المسلمون فنزلوا و ادى القرى فأقاموا به أياما و ساروا حتى نزلوا بمؤته و بلغهم أن هرقل ملك الروم قد نزل ماء من مياه البلقاء فى بكر و بهراء و لخم و جذام و غيرهم مائة ألف مقاتل و عليهم رجل من بلى فأقام المسلمون ليلتين ينظرون [صفحہ 67] فى أمرهم و قالوا نكتب إلى رسول الله ص فنخبره الخبر فإما أن يردنا أو يزيدنا رجالا فبيننا الناس على ذلك من أمرهم جاءهم عبد الله بن رواحه فشحجهم و قال و الله ما كنا نقاتل الناس بكثرة عدو و لا كثرة سلاح و لا كثرة خيل إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به انطلقوا فقاتلوا فقد و الله رأينا يوم بدر و مامعنا لإفرسان إنما هى إحدى الحسنين إما الظهور عليهم فذاك ما وعدنا الله و رسوله و ليس لوعده خلف و إما الشهادة فنلحق بالإخوان نرافقهم فى

الجنان فشجع الناس على قول ابن رواحه. قال الواقدي وروى أبوهريرة قال شهدت مؤتة فلما رأينا المشركين رأينا ما لا قبل لنا به من العدد والسلاح والكرع والديباج والحرير والذهب فبرق بصرى فقال لى ثابت بن أرقم ما لك يا أباهريرة كأنك ترى جموعا كثيرة قلت نعم قال لم تشهدنا بيدرا إنا لم ننصر بالكثرة. قال الواقدي فالتقى القوم فأخذ اللواء زيد بن حارثة فقاتل حتى قتل طعنوه بالرمح ثم أخذه جعفر فنزل عن فرس له شقراء فعرقبها ثم قاتل حتى قتل. قال الواقدي قيل إنه ضربه رجل من الروم فقطعه نصفين فوق أحد نصفيه فى كرم هناك فوجد فيه ثلاثون أوبضع وثلاثون جرحا. قال الواقدي و قدروى نافع عن ابن عمر أنه وجد فى بدن جعفر بن أبى طالب اثنتان وسبعون ضربة وطعنة بالسيوف والرمح. قال البلاذرى قطعت يدها ولذلك قال رسول الله ص لقد أبدله الله بهما جناحين يطير بهما فى الجنة -رواية 1-2-رواية 23-71 ولذلك سمي الطيار. قال الواقدي ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحه فكل يسيرا ثم حمل فقاتل [صفحة 68] حتى قتل فلما قتل انهزم المسلمون أسوأ هزيمة كانت فى كل وجه ثم تراجعوا فأخذ اللواء ثابت بن أرقم وجعل يصيح بالأنصار فتاب إليه منهم قليل فقال لخالد بن الوليد خذ اللواء يا أباسليمان قال خالد لا بل خذه أنت فلنك سن وقد شهدت بدرا قال ثابت خذه أيها الرجل فو الله ما أخذته إلا لك فأخذه خالد وحمل به ساعة وجعل المشركون يحملون عليه حتى دهمه منهم بشر كثير فانحاز بالمسلمين وانكشفوا راجعين. قال الواقدي و قدروى أن خالدا ثبت بالناس فلم ينهزموا والصحيح أن خالدا انهزم بالناس. قال الواقدي حدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة أن النبي ص لما التقى الناس بمؤتة جلس على المنبر وكشف له ما بينه وبين الشام فهو ينظر إلى معرفتهم فقال أخذ الراية زيد بن حارثة فجاءه الشيطان فحبب إليه الحياة وكره إليه الموت وحبب إليه الدنيا فقال الآن حين استحکم الإيمان فى قلوب المؤمنين تحبب إلى الدنيا فمضى قدما حتى استشهد ثم صلى عليه و قال استغفروا له فقد دخل الجنة و هو يسعى ثم أخذ الراية جعفر بن أبى طالب فجاءه الشيطان فمناه الحياة وكره إليه الموت ومناه الدنيا فقال الآن حين استحکم الإيمان فى قلوب المؤمنين تتمنى الدنيا ثم مضى قدما حتى استشهد فضلى عليه رسول الله ص ودعا له ثم قال استغفروا لأخيكم فإنه شهيد قد دخل الجنة فهو يطير فيها بجناحين من ياقوت حيث شاء -رواية 1-2-رواية 12-94 ثم قال أخذ الراية عبد الله بن رواحه ثم دخل معترضا فشق ذلك على الأنصار فقال رسول الله ص أصابته الجراح قيل يا رسول الله فما اعتراضه قال لما أصابته الجراح نكل فعاتب نفسه فشجع فاستشهد فدخل الجنة فسرى عن قومه. [صفحة 69] و روى محمد بن إسحاق قال لما ذكر رسول الله ص زيدا وجعفرًا سكت عن عبد الله بن رواحه حتى تغيرت وجوه الأنصار وظنوا أنه قد كان من عبد الله بعض ما يكرهون ثم قال أخذها عبد الله بن رواحه فقاتل حتى قتل شهيدا ثم قال لقد رفعا لى فى الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب فرأيت فى سرير ابن رواحه ازورارا عن سريرى صاحبيه فقلت لم هذا فقيل لأنهما مضيا وتردد هذا بعض التردد ثم مضى -رواية 1-2-رواية 27-392. قال وروى محمد بن إسحاق أنه لما أخذ جعفر بن أبى طالب الراية قاتل قتالا شديدا حتى إذ لحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها ثم قاتل القوم حتى قتل فكان جعفر رضى الله عنه أول رجل عقر فرسه فى الإسلام. قال محمد بن إسحاق و لما أخذ ابن رواحه الراية جعل يتردد بعض التردد ويستقدم نفسه يستنزلهما و قال أقسمت يانفس لتنزله || طوعا و إلاسوف تكرهه ما لى أراك تكرهين الجنة || إذ أجب الناس وشدوا الرنه قد طالما قد كنت مطمئنه || هل أنت إلا نظفة فى شنه. ثم ارتجز أيضا فقال يانفس إلا تقتلى تموتى || هذا حمام الموت قد صليت [صفحة 70] و ماتميت فقد أعطيت || إن تفعلنى فعلهما هديت و إن تأخرت فقد شقيت. ثم نزل عن فرسه فقاتل فأتاه ابن عم له ببضعة من لحم فقال اشدد بهذا صلبك فأخذها من يده فانتهش منها نهشة ثم سمع الحطمة فى ناحية من الناس فقال و أنت يا ابن رواحه فى الدنيا ثم ألقاها من يده وأخذ سيفه فتقدم فقاتل حتى قتل. قال الواقدي حدثني داود بن سنان قال سمعت ثعلبة بن أبى مالك يقول انكشف خالد بن الوليد يومئذ بالناس حتى عيروا بالفرار وتشاءم الناس به. قال وروى أبو سعيد الخدرى قال أقبل خالد بالناس منهزمين فلما سمع

أهل المدينة بهم تلقوهم بالجرف فجعلوا يحثون في وجوههم التراب ويقولون يافرار أفررتم في سبيل الله فقال رسول الله ص ليسوا بالفرار ولكنهم كرار إن شاء الله . قال الواقدي و قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة مالمقى جيش بعثوا مبعثا مالمقى أصحاب مؤتة من أهل المدينة لقوهم بالشر حتى إن الرجل ينصرف إلى بيته وأهله فيدق عليهم فيأبون أن يفتحوا له يقولون ألا تقدمت مع أصحابك فقتلت وجلس الكبراء منهم في بيوتهم استحياء من الناس حتى أرسل النبي ص رجلا- يقول لهم أتم الكرار في سبيل الله فخرجوا. قال الواقدي فحدثني مالك بن أبي الرجال عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن أم جعفر بنت محمد بن جعفر عن جدتها أسماء بنت عميس قالت أصبحت في اليوم الذي أصيب فيه جعفر وأصحابه فأتاني رسول الله ص و قدمنا أربعين منا من آدم وعجنت عجيني وأخذت بنى فغسلت وجوههم ودهنتهم فدخلت على -رواية- ١-٢-رواية- ١٤٢-١٤٢-أداه دارد [صفحة ٧١] رسول الله ص فقال يا أسماء أين بنو جعفر فحث بهم إليه فضمهم وشمهم ثم ذرفت عيناه فبكي فقلت يا رسول الله لعله بلغك عن جعفر شيء قال نعم إنه قتل اليوم فقمتم أصيح واجتمع إلى النساء فجعل رسول الله ص يقول يا أسماء لا تقولى هجرا ولا تضربي صدرا ثم خرج حتى دخل على ابنته فاطمة رضى الله عنها وهى تقول وا عماء فقال على مثل جعفر فلتبكى الباكية ثم قال اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد شغلوا عن أنفسهم اليوم -رواية- از قبل- ٤٢٥ قال الواقدي وحدثني محمد بن مسلم عن يحيى بن أبى يعلى قال سمعت عبد الله بن جعفر يقول أنا أحفظ حين دخل النبي ص على أمى فعنى إليها أبى فأنظر إليه و هو يمسح على رأسى ورأس أخى وعيناه تهراقان بالدمع حتى قطرت لحيته ثم قال اللهم إن جعفرا قدم إلى أحسن الثواب فاخلفه فى ذريته بأحسن ما خلفت أحدا من عبادك فى ذريته ثم قال يا أسماء أ لأبشرك قالت بلى بأبى وأمى قال فإن الله جعل لجعفر جناحين يطير بهما فى الجنة قالت بأبى وأمى فأعلم الناس ذلك فقام رسول الله ص وأخذ بيدي يمسح بيده رأسى حتى رقى على المنبر وأجلسنى أمامه على الدرجة السفلى و إن الحزن ليعرف عليه فتكلم فقال إن المرء كثير بأخيه و ابن عمه ألا- إن جعفرا قد استشهد و قد جعل الله له جناحين يطير بهما فى الجنة ثم نزل فدخل بيته وأدخلنى وأمر بطعام فصنع لنا وأرسل إلى أخى فتغدنا عنده غداء طيبا عمدت سلمى خادمته إلى شعير فطحنته ثم نشفته ثم أنضجته وآدمته بزيت وجعلت عليه فلفلا فتغديت أنا وأخى معه وأقمنا عنده ثلاثة أيام ندور معه فى بيوت نسائه ثم أرجعنا إلى بيتنا وأتاني رسول الله ص بعد ذلك و أنا أساوم فى شاة فقال اللهم بارك له فى صفقته فو الله ما بعت شيئا ولا اشتريت إلا بورك فيه -رواية- ١-٢-رواية- ٩٦-١١٢٨ [صفحة ٧٢]

فصل فى ذكر بعض مناقب جعفر بن أبى طالب

روى أبو الفرج الأصفهاني فى كتاب مقاتل الطالبين أن كنية جعفر بن أبى طالب أبوالمساكين و قال و كان ثالث الإخوة من ولد أبى طالب أكبرهم طالب وبعده عقيل وبعده جعفر وبعده على و كل واحد منهم أكبر من الآخر بعشر سنين و على أصغرهم سنا وأمهم جميعا فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف وهى أول هاشمية ولدت لها شمسى وفضلها كثير وقربها من رسول الله ص وتعظيمه لها معلوم عند أهل الحديث . وروى أبو الفرج لجعفر رضى الله عنه فضل كثير و قد ورد فيه حديث كثير من ذلك أن رسول الله ص لم يفتح خير قدم جعفر بن أبى طالب من الحبشة فالتزمه رسول الله ص وجعل يقبل بين عينيه و يقول ما أدرى بأيهما أنا أشد فرحا بقدم جعفر أم بفتح خير -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-١٨٧ . قال و قدروى خالد الحذاء عن عكرمة عن أبى هريرة أنه قال ما ركب المطايا و لا ركب الكور و لا انتعل و لا احتذى النعال أحد بعد رسول الله ص أفضل من جعفر بن أبى طالب . قال و قدروى عطية عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله ص خير الناس حمزة و جعفر و على -رواية- ١-٢-رواية- ٦٨- ٩٧ قدروى جعفر بن محمد عن أبيه ع قال قال رسول الله ص خلق الناس من أشجار شتى و خلقت أنا و جعفر من شجرة واحدة

أو قال من طينته واحدة -رواية- ١-٢-رواية- ٦٢-١٤٢ [صفحة ٧٣] قال وبالإسناد قال رسول الله ص لجعفر أنت أشبهت خلقى وخلقى -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-٦٨ . وقال أبو عمر بن عبد البر فى كتاب الاستيعاب كانت سن جعفر يوم قتل إحدى وأربعين سنة. قال أبو عمر و قدروى ابن المسيب أن رسول الله ص قال مثل لى جعفر وزيد و عبد الله فى خيمة من در كل واحد منهم على سرير فرأيت زيدا و ابن رواحة فى أعناقهما صدودا ورأيت جعفرا مستقيما ليس فيه صدود فسألت فقيل لى إنهما حين غشيها الموت أعرضا وصدوا بوجهيهما و أما جعفر فلم يفعل -رواية- ١-٢-رواية- ٦٠-٢٨٧ قال أبو عمر أيضا وروى عن الشعبي قال سمعت عبد الله بن جعفر يقول كنت إذ سألت عمى عليا ع شيئا ويمنعنى أقول له بحق جعفر فيعطينى. و روى أبو عمر أيضا فى حرف الزاى فى باب زيد بن حارثة أن رسول الله ص لما أتاه قتل جعفر وزيد بمؤتة بكى و قال أخواى و مؤنساى و محدثاى -رواية- ١-٢-رواية- ٥٥-١٤١ و اعلم أن هذه الكلمات التى ذكرها الرضى رحمه الله عليه ملتقطه من كتابه ع الذى كتبه جوابا عن كتاب معاوية النافذ إليه مع أبى مسلم الخولانى و قد ذكره أهل السيرة فى كتبهم روى نصر بن مزاحم فى كتاب صفين عن عمر بن سعد عن أبى ورفاء قال جاء أبو مسلم الخولانى فى ناس من قراء أهل الشام إلى معاوية قبل مسير أمير المؤمنين ع إلى صفين فقالوا له يامعاوية علام تقاتل عليا و ليس لك [صفحة ٧٤] مثل صحبتته و لاهجرته و لاقرابته و لاسابقتة فقال إنى لا أدعى أن لى فى الإسلام مثل صحبتته و لامثل هجرته و لاقرابته ولكن خبرونى عنكم أستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوما قالوا بلى قال فليدفع إلينا قتلته لنقتلهم به و لاقتال بيننا وبينه قالوا- فاكتب إليه كتابا يأت به بعضنا فكتب مع أبى مسلم الخولانى من معاوية بن أبى سفيان إلى على بن أبى طالب سلام عليك فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو أما بعد فإن الله اصطفى محمدا بعلمه وجعله الأمين على وحيه و الرسول إلى خلقه واجتبه له من المسلمين أعوانا أيدى الله تعالى بهم فكانوا فى منازلهم عنده على قدر فضائلهم فى الإسلام فكان أفضلهم فى الإسلام و أنصحهم لله ورسوله الخليفة من بعده ثم خليفة خليفته من بعده خليفته ثم الثالث الخليفة المظلوم عثمان فكلهم حسدت و على كلهم بغيت عرفنا ذلك فى نظرك الشرر و قولك الهجر و تنفسك الصعداء و إبطائك عن الخلفاء تقاد إلى كل منهم كما يقاد الفحل المخشوش حتى تبايع و أنت كاره ثم لم تكن لأحد منهم بأعظم حسدا منك لا بن عمك عثمان و كان أحقهم ألا تفعل ذلك فى قرابته و صهره فقطعت رحمه و قبحت محاسنه و ألبت الناس عليه و بطنت و ظهرت حتى ضربت إليه آباط الإبل و قيدت إليه الإبل العراب و حمل عليه السلاح فى حرم رسول الله ص فقتل معك فى المحلة و أنت تسمع فى داره الهائعة لا تردع الظن و التهمة عن نفسك بقول و لاعمل و أقسم قسما صادقا لو قمت فيما كان من أمره مقاما واحدا تنهه الناس [صفحة ٧٥] عنه ما عدل بك من قبلنا من الناس أحدا و لمحا ذلك عندهم ما كانوا يعرفونك به من المجانبة لعثمان و البغى عليه و أخرى أنت بها عند أنصار عثمان ظنين إيواؤك قتله عثمان فهم عضدك و أنصارك و يدك و بطانتك و قد ذكر لى أنك تتنصل من دمه فإن كنت صادقا فأمكننا من قتلته نقتلهم به و نحن أسرع الناس إليك و إلا فإنه ليس لك و لأصحابك إلا السيف و الذى لا إله إلا هونظلين قتله عثمان فى الجبال و الرمال و البر و البحر حتى يقتلهم الله أولتلقن أرواحنا بالله و السلام . قال نصر فلما قدم أبو مسلم على على ع بهذا الكتاب قام فحمد الله و أثنى عليه ثم قال أما بعد فإنك قد قمت بأمر وليته و و الله ما أحب أنه لغيرك إن أعطيت الحق من نفسك إن عثمان قتل مسلما محرما مظلوما فادفع إلينا قتلته و أنت أميرنا فإن خالفك من الناس أحد كانت أيدينا لك ناصرة و ألسنتنا لك شاهدة و كنت ذا عذر و حجة فقال له على ع اغد على غدا فخذ جواب كتابك فانصرف ثم رجع من غد ليأخذ جواب كتابه فوجد الناس قد بلغهم الذى جاء فيه قبل فلبست الشيعة أسلحتها ثم غدوا فملئوا المسجد فنادوا كلنا قتله عثمان و أكثرنا من النداء بذلك و أذن لأبى مسلم فدخل فدفع على ع جواب كتاب معاوية فقال أبو مسلم لقد رأيت قوما ما لك معهم أمر قال و ماذا قال بلغ القوم أنك تريد أن تدفع إلينا قتله عثمان فضجوا واجتمعوا و لبسوا السلاح و زعموا أنهم قتله عثمان فقال على ع و الله ما أردت أن أدفعهم إليكم طرفه عين قط

لقد ضربت هذا الأمر أنفه وعينه فما رأته ينبغي لى أن أدفعهم إليك و لا إلى غيرك فخرج أبو مسلم بالكتاب و هو يقول الآن طاب الضراب [صفحہ ۷۶] و كان جواب على ع من عبد الله على أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان أما بعد فإن أخوا خولان قدم على بكتاب منك تذكر فيه محمد اص و ما أنعم الله به عليه من الهدى والوحي فالحمد لله الذى صدقه الوعد وأيده بالنصر ومكن له فى البلاد وأظهره على أهل العداوة والشنتان من قومه الذين وثبوا عليه وشنفوا له وأظهروا تكذيبه وبارزوه بالعداوة وظاهروا على إخراجهم و على إخراج أصحابه وأهله وألبوا عليه العرب وجادلوهم على حربه وجهدوا فى أمره كل الجهد وقلبوا له الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون و كان أشد الناس عليه تأليا وتحريضا أسرته والأدنى فالأدنى من قومه إلا من عصم الله و ذكرت أن الله تعالى اجتبى له من المسلمين أعوانا أيدته الله بهم فكانوا فى منازلهم عنده على قدر فضائلهم فى الإسلام فكان أفضلهم زعمت فى الإسلام وأنصحهم لله ولرسوله الخليفة وخليفة الخليفة ولعمري إن مكانهما فى الإسلام لعظيم و إن المصاب بهما لجرح فى الإسلام شديد فرحمهما الله وجزاهما أحسن ماعملا و ذكرت أن عثمان كان فى الفضل تاليا فإن يك عثمان محسنا فسيجزيه الله بإحسانه و إن يك مسيئا فسيلقى ربا غفورا لا يتعاضمه ذنب أن يغفره ولعمري إنى لأرجو إذا أعطى الله الناس على قدر فضائلهم فى الإسلام ونصيحتهم لله ولرسوله أن يكون نصيبنا فى ذلك الأوفر إن محمد اص لمادعا إلى الإيمان بالله والتوحيد له كنا أهل البيت أول من آمن به و صدقه فيما جاء فبتنا أحوالا كاملة مجرمة تامة و ما يعبد الله فى ريع ساكن من -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۱-ادامه دارد [صفحہ ۷۷] العرب غيرنا فأراد قومنا قتل نبينا واجتياح أصلنا وهموا بنا الهموم و فعلوا بنا الأفاعيل ومنعونا الميرة وأمسكوا عنا العذب وأحلسونا الخوف وجعلوا علينا الأرصاد والعيون واضطرونا إلى جبل وعر وأوقدوا لنا نار الحرب وكتبوا بينهم كتابا لا يؤاكلوننا ولا يشاربوننا ولا يناكحوننا ولا يبايعوننا و لأنامن منهم حتى ندفع إليهم محمدا فيقتلوه ويمثلوا به فلم نكن نأمن فيهم إلا من موسم إلى موسم فعزم الله لنا على منعه والذب عن حوزته والرعى من وراء حرمة والقيام بأسيفنا دونه فى ساعات الخوف بالليل والنهار فمؤمنا يرجو بذلك الثواب وكافرنا يحامى عن الأصل و أما من أسلم من قريش فإنهم مما نحن فيه خلاء منهم الحليف الممنوع ومنهم ذو العشيرة التى تدافع عنه فلا يبغيه أحد مثل ما بغانا به قومنا من التلف فهم من القتل بمكان نجوة وأمن فكان ذلك ماشاء الله أن يكون ثم أمر الله تعالى رسوله بالهجرة وأذن له بعد ذلك فى قتال المشركين فكان إذا احمر البأس ودعيت نزال أقام أهل بيته فاستقدموا فوقى أصحابه بهم حد الأسنة والسيوف فقتل عبيدة يوم بدر وحمزة يوم أحد و جعفر وزيد يوم مؤتة وأراد من لوشئت ذكرت اسمه مثل الذى أرادوا من الشهادة مع النبى ص غير مرة إلا- أن آجالهم عجلت ومنيته أخرت و الله ولى الإحسان إليهم والمنة عليهم بما أسلفوا من أمر الصالحات فما سمعت بأحد و لا رأته هوأنصح فى طاعة رسوله و لا لنبيه و لا أصبر على اللأواء والسراء والضراء وحين البأس ومواطن المكروه مع النبى ص من هؤلاء النفر الذين سميت لك و فى المهاجرين خير كثير يعرف جزاهم الله خيرا بأحسن -روایت- از قبل- ۱۴۲۵ [صفحہ ۷۸] أعمالهم و ذكرت حسدى الخلفاء وإبطائى عنهم وبغيبى عليهم فأما البغى فمعاذ الله أن يكون و أما الإبطاء عنهم والكراهية لأمرهم فلست أعتذر إلى الناس من ذلك إن الله تعالى ذكره لما قبض نبيه ص قالت قريش منا أمير وقالت الأنصار منا أمير فقالت قريش منا محمد نحن أحق بالأمر فعرفت ذلك الأنصار فسلمت لهم الولاية والسلطان فإذا استحقوها بمحمد ص دون الأنصار فإن أولى الناس بمحمد أحق به منهم و إلا فإن الأنصار أعظم العرب فيها نصيبا فلا أدري أصحابى سلموا من أن يكونوا حقى أخذوا أو الأنصار ظلموا بل عرفت إن حقى هو المأخوذ و قدرته لهم تجاوزوا الله عنهم و أما ما ذكرت من أمر عثمان وقطيعتى رحمه وتأليى عليه فإن عثمان عمل ما قد بلغك فصنع الناس به ما رأيت وإنك لتعلم أنى قد كنت فى عزله عنه إلا أن تتجنى فتجنى ما بدا لك و أما ما ذكرت من أمر قتله عثمان فإنى نظرت فى هذا الأمر وضربت أنفه وعينه فلم أر دفعهم إليك و لا إلى غيرك ولعمري لئن لم تنزع عن غيرك وشقاقك لتعرفنهم عن قليل يطلبونك لا يكلفونك أن تطلبهم فى بر و لا بحر و لا سهل و لا جبل و قد أتانى

أبوك حين ولى الناس أبابكر فقال أنت أحق بمقام محمد وأولى الناس بهذا الأمر و أنازعيم لك بذلك على من خالف ابسط يدك أبايعك فلم أفعَل و أنت تعلم أن أباك قد قال ذلك وأرادَه حتى كنت أنا أُلذَى أبيت لقرب عهد الناس بالكفر مخافَةَ الفرقة بين أهل الإسلام فأبوكَ كان أعرف بحقى منك فإن تعرف من حقى ما كان أبوكَ يعرف تصب رشدك و إن لم تفعل فسيغنى الله عنك و السلام -روایت- ۱-۱۳۷۷ [صفحه ۷۹]

۱۰- و من كتاب له ع إلى معاوية أيضا

وَ كَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ إِذَا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ جَلَابِيبُ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ دُنْيَا قَدْ تَبَهَّجْتَ بِزِينَتِهَا وَ خَدَعْتَ بِلَذَّتِهَا دَعْتَكَ فَأَجَبْتَهَا وَ قَادَتَكَ فَاتَّبَعْتَهَا وَ أَمَرْتَكَ فَأَطَعْتَهَا وَ إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَقْفِكَ وَاقِفٌ عَلَى مَا لَا يُنْجِيكَ مِنْهُ مُنْجٍ فَاقْعَسَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ وَ خُذْ أَهْبَةَ الْحِسَابِ وَ شَمِّرْ لِمَا قَدْ نَزَلَ بِكَ وَ لَا تُتَمَكِّنِ الْغَوَاةَ مِنْ سَمْعِكَ وَ إِلَّا تَفْعَلْ أُعْلِمُكَ مَا أَغْفَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ فَإِنَّكَ مُتْرَفٌ قَدْ أَخَذَ الشَّيْطَانُ مِنْكَ مَاخُذَهُ وَ بَلَغَ فِيكَ أَمَلَهُ وَ جَرَى مِنْكَ مَجْرَى الرُّوحِ وَ الدَّمِ وَ مَتَى كُنْتُمْ يَا مُعَاوِيَةُ سَاسَهُ الرَّعِيَّةَ وَ وُلَاةَ أَمْرِ الْأُمَمِ بِغَيْرِ قَدَمٍ سَابِقٍ وَ لَا شَرَفٍ بِيَاسِقٍ وَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ لُزُومِ سَوَابِقِ الشَّقَاءِ وَ أَحْذِرْكَ أَنْ تَكُونَ مُتَمَادِيًا فِي غِرَّةِ الْأُمِّيَّةِ مُخْتَلِفِ الْعَلَائِيَّةِ وَ السَّرِيرَةِ وَ قَدْ دَعَوْتُ إِلَى الْحَرْبِ فَدَعِ النَّاسَ جَانِبًا وَ اخْرُجْ إِلَيَّ وَ أَعِفِ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْقِتَالِ لِتَعْلَمَ أَيُّنَا الْمَرِينُ عَلَى قَلْبِهِ وَ الْمُعْطَى عَلَى بَصِيرِهِ فَأَنَا أَبُو حَسَنِ قَاتِلُ جَدِّكَ وَ أَحِيكَ وَ خَالِكَ شَدْخًا يَوْمَ بَدْرٍ وَ ذَلِكَ السَّيْفُ مَعِي وَ بِذَلِكَ الْقَلْبِ أَلْقَى عَدُوِّي مَا اسْتَبَدَلْتُ دِينًا وَ لَا اسْتَحَدَّثْتُ نَبِيًّا وَ إِنِّي لَعَلَى الْمَنْهَاجِ الَّذِي تَرَكْتُمُوهُ طَائِعِينَ وَ دَخَلْتُمْ فِيهِ مُكْرِهِينَ وَ زَعَمْتَ أَنَّكَ جِئْتَ ثَائِرًا بِدَمِ عُمَانَ وَ لَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عُمَانَ فَاطْلُبْهُ [صفحه ۸۰] مِنْ هُنَاكَ إِنْ كُنْتَ طَالِبًا فَكَأَنِّي قَدْ رَأَيْتَكَ تَضَجُّ مِنَ الْحَرْبِ إِذَا عَضَّتْكَ ضَجِيجَ الْجَمَالِ بِالْأَثْقَالِ وَ كَأَنِّي بِجَمَاعَتِكَ تَدْعُونِي جَزَعًا مِنَ الضَّرْبِ الْمُتَتَابِعِ وَ الْقَضَاءِ الْوَاقِعِ وَ مَصَارِعَ بَعْدَ مَصَارِعِ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَ هِيَ كَافِرَةٌ جَاحِدَةٌ أَوْ مُبَايِعَةٌ حَائِدَةٌ الْجَلَابِيبِ جَمْعُ جَلْبَابٍ وَ هِيَ الْمَلْحَفَةُ فِي الْأَصْلِ وَ اسْتَعِيرَ لغيرها مِنَ الثِيَابِ وَ تَجَلَّبَبَ الرَّجُلُ جَلْبَبَهُ وَ لَمْ تَدْعُمْ لِأَنَّهَا مَلْحَفَةٌ بِدَحْرَجَةٍ. قَوْلُهُ وَ تَبَهَّجْتَ بِزِينَتِهَا صَارَتْ ذَاتُ بَهْجَةٍ أَى زِينَةٌ وَ حَسَنٌ وَ قَدْ بَهَّجَ الرَّجُلُ بِالضَّمِّ وَ يُوْشِكُ يَسْرَعُ. وَ يَقْفِكَ وَاقِفٌ يَعْنِي الْمَوْتَ وَ يَرُوى وَ لَا يَنْجِيكَ مَجْنٌ وَ هُوَ التَّرْسُ وَ الرُّوَايَةُ الْأُولَى أَصْحَحُ. قَوْلُهُ فَاقْعَسَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ أَى تَأَخَّرَ عَنْهُ وَ الْمَاضِي قَعَسَ بِالْفَتْحِ وَ مِثْلُهُ تَقَاعَسَ وَاقْعَسَسَ. وَ أَهْبَةُ الْحِسَابِ عِدَّتُهُ وَ تَأَهَّبَ اسْتَعَدَّ وَ جَمْعُ الْأَهْبَةِ أَهْبٌ. وَ شَمِّرْ لِمَا قَدْ نَزَلَ بِكَ أَى جَدَّ وَ اجْتَهَدَ وَ خَفَّ وَ مِنْهُ رَجُلٌ شَمَرَى بِفَتْحِ الشَّيْنِ وَ تَكْسَرُ. وَ الْغَوَاةُ جَمْعُ غَاوٍ وَ هُوَ الضَّالُّ. قَوْلُهُ وَ الْإِتْفَعْلُ يَقُولُ وَ إِنْ كُنْتَ لَا تَفْعَلُ مَا قَدْ أَمَرْتُكَ وَ وَعَظَّتْكَ بِهِ فَإِنِّي أَعْرِفُكَ مِنْ نَفْسِكَ مَا أَغْفَلْتَ مَعْرِفَتَهُ. إِنَّكَ مُتْرَفٌ وَ الْمَتْرَفُ الَّذِي قَدْ أَتْرَفْتَهُ النِّعْمَةُ أَى أَطْعَمْتَهُ [صفحه ۸۱] قَدْ أَخَذَ الشَّيْطَانُ مِنْكَ مَاخُذَهُ وَ يَرُوى مَاخُذَهُ بِالْجَمْعِ أَى تَنَاوَلَ الشَّيْطَانُ مِنْكَ لِبِكَ وَ عَقْلِكَ وَ مَاخُذَهُ مَصْدَرٌ أَى تَنَاوَلَكَ الشَّيْطَانُ تَنَاوَلَهُ الْمَعْرُوفُ وَ حَذَفَ مَفْعُولٌ أَخَذَ لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ وَ لِأَنَّ اللَّفْظَةَ تَجْرَى مَجْرَى الْمِثْلِ. قَوْلُهُ وَ جَرَى مِنْكَ مَجْرَى الرُّوحِ وَ الدَّمِ هَذِهِ كَلِمَةُ رَسُولِ اللَّهِ ص إِنْ الشَّيْطَانُ لِيَجْرَى مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۲-۶۷. ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَمْرِ آخِرٍ فَقَالَ لِمُعَاوِيَةَ وَ مَتَى كُنْتُمْ سَاسَهُ الرَّعِيَّةَ وَ وُلَاةَ أَمْرِ الْأُمَمِ يَنْبَغِي أَنْ يَحْمَلَ هَذَا الْكَلَامَ عَلَى نَفْسِي كَوْنَهُمْ سَادَةٌ وَ وُلَاةٌ فِي الْإِسْلَامِ وَ الْإِفْقَى الْجَاهِلِيَّةُ لَا يَنْكُرُ رِئَاسَةَ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ وَ لَسْتُ أَقُولُ بِرِئَاسَتِهِمْ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَ لَكِنْهُمْ كَانُوا رُؤَسَاءَ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ بَطُونِ قُرَيْشٍ أَلَا-تَرَى أَنَّ بَنِي نُوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ مَازَالُوا أَتْبَاعًا لَهُمْ وَ أَنَّ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ كَانُوا فِي يَوْمِ بَدْرِ قَادَةَ الْجَيْشِ كَانُ رِئِيسَ الْجَيْشِ عْتَبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَ كَانُوا فِي يَوْمِ أَحَدٍ وَ يَوْمِ الْخَنْدَقِ قَادَةَ الْجَيْشِ كَانُ الرَّئِيسُ فِي هَذَيْنِ الْيَوْمَيْنِ أَبَاسْفِيَانُ بْنُ حَرْبٍ وَ أَيْضًا فَإِنَّ فِي لَفْظَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع مَا يَشْعُرُ بِمَا قَلَنَاهُ وَ هُوَ قَوْلُهُ وَ وُلَاةَ أَمْرِ الْأُمَمِ فَإِنَّ الْأُمَمَ فِي الْعَرَبِ هُمُ الْمُسْلِمُونَ أُمَّةٌ مُحَمَّدٌ ص. قَوْلُهُ ع بِغَيْرِ قَدَمٍ سَابِقٍ يَقَالُ لِفُلَانٍ قَدَمٌ صَدَقَ أَى سَابِقَةٌ وَ أَثَرُهُ حَسَنَةٌ. قَوْلُهُ ع وَ لَا شَرَفَ بِسَبْقِ أَى عَالٍ. وَ تَمَادَى تَفَاعَلَ

من المدى و هو الغاية أى لم يقف بل مضى قدما. والغرة الغفلة والأمنية طمع النفس ومختلف السريرة والعلانية منافق . قوله ع فدع الناس جانبا منصوب على الظرف . [صفحہ ۸۲] والمرين على قلبه المغلوب عليه من قوله تعالى كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ وقيل الرين الذنب على القريب . وإنما قال أمير المؤمنين ع لمعاوية هذه الكلمة لأن معاوية قالها فى رسالته كتبها ووقفت عليها من كتاب أبى العباس يعقوب بن أبى أحمد الصيمرى الذى جمعه من كلام على ع وخطبه وأولها أما بعد فإنك المطبوع على قلبك المغطى على بصرك الشر من شيمتك والعتو من خليقتك فشمّر للحرب واصبر للضرب فو الله ليرجعن الأمر إلى ما علمت والعاقبه للمتقين هيهات هيهات أخطأك ماتمنى وهوى قلبك فيما هوى فأربع على ظلعك وقس شبرك بفترك تعلم أين حالك من حال من يزن الجبال حلمه ويفصل بين أهل الشك علمه و السلام . -قرآن- ۵۲-۱۰۲ فكتب إليه أمير المؤمنين ع أما بعد يا ابن صخر يا ابن اللعين يزن الجبال فيما زعمت حلمك ويفصل بين أهل الشك علمك و أنت الجاهل القليل الفقه المتفاوت العقل الشارد عن الدين و قلت فشمّر للحرب واصبر فإن كنت صادقا فيما تزعم ويعينك عليه ابن النابغة فدع الناس جانبا وأعف الفريقين من القتال وبرز إلى لتعلم أين المرين على قلبه المغطى على بصره فأنا أبو الحسن حقا قاتل أخيك وخالك وجدك شدخا يوم بدر و ذلك السيف معى وبذلك القلب ألقى عدوى -روایت- ۱-۲-روایت- ۳۲-۴۶۸ . [صفحہ ۸۳] قوله ع شدخا الشدخ كسر الشىء الأجوف شدخت رأسه فانشدخ وهؤلاء الثلاثة حنظلة بن أبى سفيان والوليد بن عتبة وأبوه عتبة بن ربيعة فحنظلة أخوه والوليد خاله وعتبة جده و قد تقدم ذكر قتله إياهم فى غزاه بدر. والثائر طالب الثار و قوله قد علمت حيث وقع دم عثمان فاطلبه من هناك يريد به إن كنت تطلب ثارك من عند من أجلب وحاصر فالذى فعل ذلك طلحة والزبير فاطلب ثارك من بنى تميم و من بنى أسد بن عبد العزى و إن كنت تطلبه ممن خذل فاطلبه من نفسك فإنك خذلت و كنت قادرا على أن ترفده وتمده بالرجال فخذلته وقعدت عنه بعد أن استنجدك واستغاث بك . وتضح تصوت والجاحدة المنكرة والحائدة العادلة عن الحق . واعلم أن قوله وكأنى بجماعتك يدعونى جزعا من السيف إلى كتاب الله تعالى إما أن يكون فإسأ نبيوه صادقوه وهذا عظيم وإما أن يكون إخبارا عن غيب مفصل و هو أعظم وأعجب و على كلا الأمرين فهو غاية العجب و قدرأيت له ذكر هذا المعنى فى كتاب غير هذا و هو أما بعد فما أعجب ما يأتينى منك و ما أعلمنى بمنزلتك التى أنت إليها صائر ونحوها سائر و ليس إبطائى عنك إلا لوقت أنا به مصدق و أنت به مكذب وكأنى أراك و أنت تضج من الحرب وإخوانك يدعوننى خوفا من السيف إلى كتاب هم به كافرون و له جاحدون . ووقفت له ع على كتاب آخر إلى معاوية يذكر فيه هذا المعنى أوله أما بعد فلما دعوت أنت وأولياؤك أولياء الشيطان الحق أساطير ونبذتموه وراء -روایت- ۱-۱-ادامه دارد [صفحہ ۸۴] ظهوركم وحاولتم إطفاءه بأفواهكم وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ولعمري لينفذ العلم فيك وليتمن النور بصغرك وقماءتك ولتخسأن طريدا مدحورا أوقتيلا- مشورا ولتجزين بعملك حيث لاناصر لك و لامصرخ عندك و قد أسهبت فى ذكر عثمان ولعمري ما قتله غيرك و لا خذله سواك ولقد تربصت به الدوائر وتمنيت له الأمانى طمعا فيما ظهر منك ودل عليه فعلك وإنى لأرجو أن ألحقك به على أعظم من ذنبه وأكبر من خطيئته فأنا ابن عبدالمطلب صاحب السيف وإن قائمه لفى يدي و قد علمت من قتلت به من صنديد بنى عبدشمس وفراعنه بنى سهم وجمح وبنى مخزوم وأيتمت أبناءهم وأيتمت نساءهم وأذكرك مالست له ناسيا يوم قتلت أخاك حنظلة وجررت برجله إلى القليب وأسرت أخاك عمرا فجعلت عنقه بين ساقيه رباطا وطلبتك ففررت و لك حصاص فلو لأنى لا أتبع فارا لجعلتك ثالثهما و أنا أولى لك بالله أليه بره غير فاجرة لئن جمعتنى وإياك جوامع الأقدار لأتركنك مثلا يتمثل به الناس أبدا ولأجمعجن بك فى مناخك حتى يحكم الله بينى وبينك و هو خير الحاكمين ولئن أنسأ الله فى أجلى قليلا لأغزينك سرايا المسلمين ولأنهدن إليك فى جحفل من المهاجرين والأنصار ثم لأقبل لك معذرة و لاشفاعة و لأجيبك إلى طلب وسؤال ولترجعن إلى تحريك وترددك وتلددك فقد شاهدت وأبصرت

ورأيت -رواية- از قبل -١-رواية-٢-ادامه دارد [صفحه ٨٥] سحب الموت كيف هطلت عليك بصيها حتى اعتصمت بكتاب أنت وأبوك أول من كفر وكذب بنزوله ولقد كنت تفرستها وأذنتك أنك فاعلها و قدمضى منها ماضى وانقضى من كيدك فيها مانقضى و أناسائر نحوك على أثر هذا الكتاب فاختر لنفسك وانظر لها وتداركها فإنك إن فطرت واستمرت على غيبك وغلوائك حتى ينهد إليك عباد الله أرتجت عليك الأمور ومنعت أمرا هو اليوم منك مقبول يا ابن حرب إن لجاجك فى منازعة الأمر أهله من سفاه الرأى فلا يطمعنك أهل الضلال ولا يوبقنك سفه رأى الجهال فو أذى نفس على بيده لئن برقت فى وجهك بارقة من ذى الفقار لتصعقن صعقة لا تفيق منها حتى ينفخ فى الصور النفخة التى يئس منها كما يئس الكفصار من أصحاب القبور -رواية- از قبل -٦٦٢. قلت سألت النقيب أبازيد عن معاوية هل شهد بدرا مع المشركين فقال نعم شهدها ثلاثة من أولاد أبى سفيان حنظلة وعمرو ومعاوية قتل أحدهم وأسر الآخر وأفلت معاوية هاربا على رجله فقدم مكة وقدا تفتخ قدماه وورمت ساقاه فعالج نفسه شهرين حتى برأ. قال النقيب أبوزيد ولا خلاف عند أحد أن عليا قتل حنظلة وأسر عمرا أخاه ولقد شهد بدرا وهرب على رجله من هو أعظم منهما و من أخيهما عمرو بن عبدود فارس يوم الأحزاب شهدها ونجا هاربا على قدميه وهو شيخ كبير [صفحه ٨٦] وارث جريحا فوصل إلى مكة وهو وقيد فلم يشهد أحدا فلما برأ شهد الخندق فقتله قاتل الأبطال و الذى فاته يوم بدر استدركه يوم الخندق . ثم قال لى النقيب رحمه الله أ ماسمعت نادرة الأعمش ومناظره فقلت ما أعلم ماتريد فقال سأل رجل الأعمش و كان قد ناظر صاحبها له هل معاوية من أهل بدر أم لا فقال له أصلحك الله هل شهد معاوية بدرا فقال نعم من ذلك الجانب واعلم أن هذه الخطبة قد ذكرها نصر بن مزاحم فى كتاب صفين على وجه يقتضى أن ما ذكره الرضى رحمه الله منها قد ضم إليه بعض خطبة أخرى وهذه عادته لأن غرضه التقاط الفصيح والبلغ من كلامه و الذى ذكره نصر بن مزاحم هذه صورته من عبد الله على أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبى سفيان سلام على من اتبع الهدى فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو أما بعد فإنك قد رأيت مرور الدنيا وانقضائها وتصرفها بأهلها وخير ما اكتسب من الدنيا ما أصابه العباد الصالحون منها من التقوى و من يقس الدنيا بالآخرة يجد بينهما بعيدا واعلم يا معاوية أنك قد ادعيت أمرا لست من أهله لا فى القديم ولا فى الحديث ولست تقول فيه بأمر بين يعرف له أثر ولا عليك منه شاهد من كتاب الله ولست متعلقا بآية من -رواية- ١-٢-رواية-٣٩-ادامه دارد [صفحه ٨٧] كتاب الله ولا عهد من رسول الله ص فكيف أنت صانع إذ اتقشت عنك غيابة ما أتت فيه من دنيا قد فتنت بزيتها وركنت إلى لذاتها وخلقى بينك وبين عدوك فيها وهو عدو و كلب مضل جاهد مليح ملح مع ما قد ثبت فى نفسك من جهتها دعتك فأجبتها وقادتك فاتبعتها وأمرتك فأطعتها فاقعس عن هذا الأمر وخذ أهبة الحساب فإنه يوشك أن يقفك واقف على ما لا يجنك مجن ومتى كنتم يا معاوية ساسة الرعية أو ولاة لأمر هذه الأمة بلا قدم حسن ولا شرف تليد على قومكم فاستيقظ من سنتك وارجع إلى خالقك وشمر لماسينزل بك ولا تمكن عدوك الشيطان من بغيته فيك مع أنى أعرف أن الله ورسوله صادقان نعوذ بالله من لزوم سابق الشقاء وإلتفعل فإنى أعلمك ما أغفلت من نفسك إنك مترف قد أخذ منك الشيطان مأخذه فجرى منك مجرى الدم فى العروق ولست من أئمة هذه الأمة ولا من رعاتها واعلم أن هذا الأمر لو كان إلى الناس أو بأيديهم لحسدوناه ولا امتنوا علينا به ولكنه قضاء ممن منحناه واختصنا به على لسان نبيه الصادق المصدق لأفلق من شك بعد العرفان والبينة رب احكم بيننا وبين عدونا بالحق و أنت خير الحاكمين -رواية- از قبل -١٠١٤. قال نصر فكتب معاوية إليه الجواب من معاوية بن أبى سفيان إلى على بن أبى طالب أما بعد فدع الحسد فإنك طالما لم تنتفع به ولا تفسد سابقه [صفحه ٨٨] جهادك بشرة نخوتك فإن الأعمال بخواتيمها ولا تمحص سابقتك بقتال من لاحق لك فى حقه فإنك إن تفعل لا تضر بذلك إلا نفسك ولا تمحق إلا عملك ولا تبطل إلا حجتك ولعمري إن ماضى لك من السابقات لشبيهه أن يكون ممحوقا لما جترأت عليه من سفك الدماء وخلاف أهل الحق فاقرأ السورة التى يذكر فيها الفلق وتعوذ من نفسك فإنك الحاسد

١١- و من وصية له ع وصى بهاجيشا بعثه إلى العدو

فَإِذَا نَزَلْتُمْ بَعْدُوْا أَوْ نَزَلَ بِكُمْ فَلْيَكُنْ مُعَسِّكْرُكُمْ فِي قُبُلِ الْأَشْرَافِ أَوْ سَفَاحِ الْجِبَالِ أَوْ أَثْنَاءِ الْأَنْهَارِ كَيْمَا يَكُوْنُ لَكُمْ رِدْءٌ وَ دُونَكُمْ مَرْدًا وَ لَتَكُنْ مُقَاتَلْتُكُمْ مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ أَوْ اثْنَيْنِ وَ اجْعَلُوا لَكُمْ رُقِيَاءَ فِي صِيَاصِي الْجِبَالِ وَ مَنَاكِبِ الْهَضَابِ لئَلَّا يَأْتِيَكُمُ الْعِدُوْ مِنْ مَكَانٍ مَخَافَةٍ أَوْ أَمْنٍ وَ اعْلَمُوا أَنَّ مُقَدِّمَةَ الْقَوْمِ عُيُونُهُمْ وَ عُيُونَ الْمُقَدِّمَةِ طَلَائِعُهُمْ وَ إِيَّاكُمْ وَ التَّفَرُّقَ فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَانزِلُوا جَمِيعًا وَ إِذَا ارْتَحَلْتُمْ فَامْرَحُوا جَمِيعًا وَ إِذَا غَشِيَكُمْ اللَّيْلُ فَاجْعَلُوا الرَّمَاخَ كِفَّةً وَ لَا تَذُوْقُوا النَّوْمَ إِلَّا غَرَارًا أَوْ مَضْمَضَةً الْمُعَسِّكَرِ بَفَتْحِ الْكَافِ مَوْضِعِ الْعَسْكَرِ وَحَيْثُ يَنْزِلُ. الْأَشْرَافُ الْأَمَاكِنُ الْعَالِيَةُ وَقِبَلَهَا مَا اسْتَقْبَلَكِ مِنْهَا وَضِدَهُ الدَّبْرُ. وَسَفَاحُ الْجِبَالِ أَسَافِلُهَا حَيْثُ يَسْفَحُ مِنْهَا الْمَاءُ. وَأَثْنَاءُ الْأَنْهَارِ مَا نَعَطَفَ مِنْهَا وَاحِدًا ثَنِي وَالْمَعْنَى أَنَّهُ أَمْرُهُمْ أَنْ يَنْزِلُوا مَسْنِدِينَ ظَهْرَهُمْ إِلَى مَكَانٍ عَالٍ كَالْهَضَابِ الْعَظِيمَةِ أَوِ الْجِبَالِ أَوْ مَنَعَطَفَ الْأَنْهَارِ الَّتِي تَجْرِي مَجْرَى الْخَنَادِقِ عَلَى الْعَسْكَرِ لِأَيُّمِنُوا بِذَلِكَ مِنَ الْبِيَاتِ وَ لِأَيُّمِنُوا أَيْضًا مِنَ إِيْتَانِ الْعَدُوِّ لَهُمْ [صفحة ٩٠] مِنْ خَلْفِهِمْ وَ قَدْ فَسَّرَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ كَيْمَا يَكُوْنُ لَكُمْ رِدْءٌ وَ الرِّدْءُ الْعَوْنُ قَالَ اللهُ تَعَالَى فَأَرْسَلْتُهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصِيْدُنِي. وَ دُونَكُمْ مَرْدًا أَيْ حَاجِزًا بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ الْعَدُوِّ. ثُمَّ أَمْرُهُمْ بِأَنْ يَكُوْنُ مَقَاتَلَتَهُمْ بِفَتْحِ النَّاءِ وَهِيَ مُصْدَرٌ قَاتَلَ مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ أَوْ اثْنَيْنِ أَيْ لَا تَتَفَرَّقُوا وَ لَا يَكُنْ قِتَالُكُمْ الْعَدُوِّ فِي جِهَاتٍ مُتَشَعَّبَةٍ فَإِنَّ ذَلِكَ أَدْعَى إِلَى الْوَهْنِ وَاجْتِمَاعِكُمْ أَدْعَى إِلَى الظَّفَرِ ثُمَّ أَمْرُهُمْ أَنْ يَجْعَلُوا رُقِيَاءَ فِي صِيَاصِي الْجِبَالِ وَ صِيَاصِي الْجِبَالِ أَعَالِيهَا وَ مَا جَرَى مَجْرَى الْحِصُونِ مِنْهَا وَأَصْلُ الصِّيَاصِي الْقُرُونُ ثُمَّ اسْتَعْيِرَ ذَلِكَ لِلْحِصُونِ لِأَنَّهُ يَمْتَنِعُ بِهَا كَمَا يَمْتَنِعُ ذُو الْقَرْنِ بِقَرْنِهِ وَ مَنَاكِبُ الْهَضَابِ أَعَالِيهَا لِئَلَّا يَأْتِيَكُمُ الْعَدُوُّ إِمَّا مِنْ حَيْثُ تَأْمَنُونَ أَوْ مِنْ حَيْثُ تَخَافُونَ. قَوْلُهُ عَ مُقَدِّمَةُ الْقَوْمِ عُيُونُهُمْ الْمُقَدِّمَةُ بِكَسْرِ الدَّالِ وَ هُمُ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ الْجَيْشَ أَصْلُهُ مُقَدِّمَةُ الْقَوْمِ أَيْ الْفِرْقَةُ الْمُتَقَدِّمَةُ وَ الطَّلَائِعُ طَائِفَةٌ مِنَ الْجَيْشِ تَبْعُ لِيَعْلَمَ مِنْهَا أَحْوَالَ الْعَدُوِّ وَ قَالَ عَ الْمُقَدِّمَةُ عُيُونَ الْجَيْشِ وَ الطَّلَائِعُ عُيُونَ الْمُقَدِّمَةِ فَالطَّلَائِعُ إِذَاعِيُونَ الْجَيْشِ. ثُمَّ نَهَاهُمْ عَنِ التَّفَرُّقِ وَ أَمْرُهُمْ أَنْ يَنْزِلُوا جَمِيعًا وَ يَرْحَلُوا جَمِيعًا لِئَلَّا يَفْجَأَهُمُ الْعَدُوُّ بَغْتَةً عَلَى غَيْرِ تَعَبُّهُ وَاجْتِمَاعُ فَيَسْتَأْصِلُهُمْ ثُمَّ أَمْرُهُمْ أَنْ يَجْعَلُوا الرَّمَاخَ كِفَّةً إِذَا غَشِيَهُمُ اللَّيْلُ وَ الْكَافُ مَكْسُورَةٌ أَيْ اجْعَلُوهَا مُسْتَدِيرَةً حَوْلَكُمْ كَالدَّائِرَةِ وَ كُلِّ مَا اسْتَدَارَ كِفَّةً بِالْكَسْرِ نَحْوُ كِفَّةِ الْمِيزَانِ وَ كُلِّ مَا اسْتَطَالَ كِفَّةً بِالضَّمِّ نَحْوُ كِفَّةِ الثُّوبِ وَهِيَ حَاشِيَتُهُ وَ كِفَّةُ الرَّمْلِ وَ هُوَ مَا كَانَ مِنْهُ كَالْحَبْلِ. ثُمَّ نَهَاهُمْ عَنِ النَّوْمِ إِلَّا غَرَارًا أَوْ مَضْمَضَةً وَ كَلَا اللَّفْظَتَيْنِ مَاقِلٌ مِنَ النَّوْمِ. - قرآن - ٨٢-١١٨ [صفحة ٩١] وَ قَالَ شَيْبُ الْخَارِجِيِّ اللَّيْلُ يَكْفِيكَ الْجَبَانَ وَ يَصِفُ الشُّجَاعَ. وَ كَانَ إِذَا مَسَى قَالَ لِأَصْحَابِهِ أَتَاكُمُ الْمُدَدُ يَعْنِي اللَّيْلُ. قِيلَ لِبَعْضِ الْمَلُوكِ بَيْتَ عَدُوِّكَ قَالَ أَكْرَهُ أَنْ أَجْعَلَ غَلْبَتِي سَرَقَةً. وَ لِمَا فَصَلَ قَحْطَبَةَ مِنْ خِرَاسَانَ وَ فِي جَمَلَتِهِ خَالِدُ بْنُ بَرْمَكٍ بَيْنَا هُوَ عَلَى سَطْحِ بَيْتٍ فِي قَرْيَةٍ نَزَلَهَا وَ هُمْ يَتَغَدَّوْنَ نَظَرَ إِلَى الصَّحْرَاءِ فَرَأَى أَقَاطِيعَ ظَبَاءٍ قَدْ أَقْبَلَتْ مِنْ جِهَةِ الصَّحَارَى حَتَّى كَادَتْ تَخَالُطُ الْعَسْكَرَ فَقَالَ خَالِدُ لِقَحْطَبَةَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ نَادِ فِي النَّاسِ يَا خَيْلَ اللهِ ارْكَبِي فَإِنَّ الْعَدُوَّ قَدْ قَرَّبَ مِنْكَ وَ عَامَةٌ أَصْحَابُكَ لَنْ يَسْرَجُوا وَ يَلْجَمُوا حَتَّى يَرَوْا سُرْعَانَ الْخَيْلِ فَقَامَ قَحْطَبَةَ مَذْعُورًا فَلَمْ يَرِ شَيْئًا يَرُوعُهُ وَ لَمْ يَعَيْنِ غَبَارًا فَقَالَ لَخَالِدٍ مَا هَذَا الرَّأْيُ فَقَالَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ لَا تَتَشَاغَلْ بِي وَ نَادِ فِي النَّاسِ أَمَا تَرَى أَقَاطِيعَ الْوَحُوشِ قَدْ أَقْبَلَتْ وَ فَارَقَتْ مَوَاضِعَهَا حَتَّى خَالَطَتِ النَّاسَ وَ إِنْ وَرَاءَهَا لَجَمْعًا كَثِيفًا قَالَ فَوَ اللهُ مَا أَسْرَجُوا وَ لَا أَلْجَمُوا حَتَّى رَأَوْا النَّقْعَ وَ سَاطِعَ الْغَبَارِ فَسَلِمُوا وَ لَوْ لَا ذَلِكَ لَكَانَ الْجَيْشُ قَدْ اصْطَلَمَ [صفحة ٩٢]

١٢- و من وصية له ع وصى بهامقل بن قيس الرياحي حين أنفذه إلى الشام في ثلاثة آلاف مقدمة له

اتَّقِ اللَّهَ الَّذِي لَا بُدَّ لَكَ مِنْ لِقَائِهِ وَ لَا مُنْتَهَى لَكَ دُونَهُ وَ لَا تُقَاتِلَنَّ إِلَّا مَنْ قَاتَلَكَ وَ سِرِّ الْبَرْدَيْنِ وَ غَوَّرِ بِالنَّاسِ وَ رَفَّهُ فِي السَّيْرِ وَ لَا تَسِرْ أَوْلَ اللَّيْلِ فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ سَيِّكُنًا وَ قَدْرَهُ مُقَامًا لَا ظَعْنَأً فَأَرِحْ فِيهِ يَدَنَكَ وَ رَوْحَ ظَهْرِكَ فَإِذَا وَقَفْتَ حِينَ يَنْبَطِحُ السَّيْحُ أَوْ حِينَ يَنْفَجِرُ الْفَجْرُ فَسِرْ عَلَى بَرَكَهٖ اللَّهُ فَإِذَا لَقَيْتَ الْعَدُوَّ فَاقِفْ مِنْ أَصْحَابِكَ وَسَطًا وَ لَا تَدْنُ مِنَ الْقَوْمِ دُنُوًّا مِنْ يُرِيدُ أَنْ يُشِيبَ الْحَرْبَ وَ لَا تَبَاعِدَ عَنْهُمْ تَبَاعِدًا مِنْ يَهَابِ الْبَأْسِ حَتَّى يَأْتِيكَ أَمْرِي وَ لَا يَحْمِلَنَّكُمْ شَنَايُنْهُمْ عَلَى قِتَالِهِمْ قَبْلَ دُعَائِهِمْ وَ الْإِعْدَارِ إِلَيْهِمْ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ كَانَ مِنْ رِجَالِ الْكُوفَةِ وَأَبْطَالِهَا وَ لَهُ رِثَاسَةٌ وَقَدِمَ أَوْفِدَهُ عَمَارُ بْنُ يَاسِرٍ إِلَى عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ مَعَ الْهَرَمَزَانَ لِفَتْحِ تَسْتَرٍ وَ كَانَ مِنْ شِيعَةِ عَلِيِّ ع وَ وَجَّهَهُ إِلَى بَنِي سَاقَةَ فَقَتَلَ مِنْهُمْ وَسْبِي وَ حَارِبَ الْمَسْتُورِدِ بْنِ عِلْفَةَ الْخَارِجِي [صَفْحَةُ ٩٣] مِنْ تَمِيمِ الرَّبَابِ فَقَتَلَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ بِدَجْلَةٍ وَ قَدْ ذَكَرْنَا خَبْرَهُمَا فِيمَا سَبَقَ وَمَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ رِيَّاحِي مِنْ وَلَدِ رِيَّاحِ بْنِ يَرْبُوعِ بْنِ حَنْظَلَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ . قَوْلُهُ ع وَ لَا تُقَاتِلَنَّ إِلَّا - مِنْ قَاتَلَكَ نَهَى عَنِ الْبَغْيِ . وَسِرُّ الْبَرْدَيْنِ هُمَا الْغَدَاةُ وَالْعَشَى وَ هُمَا الْأَبْرَدَانُ أَيْضًا . وَوَصَّاهُ أَنْ يَرْفُقَ بِالنَّاسِ وَ لَا يَكْلِفُهُمُ السَّيْرَ فِي الْحَرِّ . قَوْلُهُ ع وَ غَوَّرِ بِالنَّاسِ أَنْزَلَ بِهِمُ الْقَائِلَةَ وَالْمَصْدَرَ التَّغْوِيرَ وَيُقَالُ لِلْقَائِلَةِ الْغَائِرَةُ . قَوْلُهُ ع وَ رَفَّهُ فِي السَّيْرِ أَيْ دَعَّ الْإِبِلَ تَرْدَ رَفْهًا وَ هُوَ أَنْ تَرْدَ الْمَاءُ كُلَّ يَوْمٍ مَتَى شَاءَتْ وَ لَا تَرْتَهَقُهَا وَ تَجْشِمُهَا السَّيْرَ وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ وَ رَفَّهُ فِي السَّيْرِ مِنْ قَوْلِكَ رَفِهْتَ عَنِ الْغَرِيمِ أَيْ نَفَسْتَهُ عَنْهُ . قَوْلُهُ ع وَ لَا تَسِرْ أَوْلَ اللَّيْلِ قَدْ وَرَدَ فِي ذَلِكَ خَبْرٌ مَرْفُوعٌ وَ فِي الْخَبْرِ أَنَّهُ حِينَ تَنْشُرُ الشَّيَاطِينَ وَ قَدْ عَلِلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ع النَّهْيَ بِقَوْلِهِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَهُ سَكَنًا وَقَدْرَهُ مُقَامًا لِأَنَّ عِلْفَةَ يَقُولُ لِمَا مَتَنَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ أَنْ جَعَلَ لَهُمُ اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ كَرِهَ أَنْ يَخَالَفُوا ذَلِكَ وَلَكِنْ لِقَائِلَ أَنْ يَقُولَ فَكَيْفَ لَمْ يَكْرَهُ السَّيْرَ وَالْحَرَكَةَ فِي آخِرِهِ وَ هُوَ مِنْ جَمَلَةِ اللَّيْلِ أَيْضًا وَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فَهْمٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص أَنَّ اللَّيْلَ الَّذِي جَعَلَ سَكَنًا لِلْبَشَرِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى وَقْتِ السَّحْرِ . [صَفْحَةُ ٩٤] ثُمَّ أَمْرُهُ ع بِأَنْ يَرْيَحَ فِي اللَّيْلِ بَدَنَهُ وَ ظَهْرَهُ وَ هِيَ الْإِبِلُ وَ بَنُو فُلَانٍ مَظْهُرُونَ أَيْ لَهُمْ ظَهْرٌ يَنْقَلُونَ عَلَيْهِ كَمَا تَقُولُ مَنْجِبُونَ أَيْ لَهُمْ نَجَائِبُ . قَالَ الرَّائِدِيُّ الظَّهْرَ الْخِيُولَ وَ لَيْسَ بِصَحِيحٍ وَالصَّحِيحُ مَا ذَكَرْنَاهُ . قَوْلُهُ ع فَإِذَا وَقَفْتَ أَيْ إِذَا وَقَفْتَ ثَقُلْتُكَ وَ رَحَلْتُكَ لِتَسِيرَ فَلْيَكُنْ ذَلِكَ حِينَ يَنْبَطِحُ السَّحْرُ . قَالَ الرَّائِدِيُّ إِذَا وَقَفْتَ ثُمَّ قَالَ وَ قَدْ رَوَى فَإِذَا وَقَفْتَ قَالَ يَعْنِي إِذَا وَقَفْتَ تَجَارِبُ الْعَدُوِّ وَ إِذَا وَقَفْتَهُ وَ مَا ذَكَرَهُ لَيْسَ بِصَحِيحٍ وَ لَا رَوَى وَإِنَّمَا هُوَ تَصْحِيْفٌ أَلَّا تَرَاهُ كَيْفَ قَالَ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ فَإِذَا لَقَيْتَ الْعَدُوَّ وَ إِنَّمَا مَرَادُهُ هَاهُنَا الْوَصَاءُ بِأَنْ يَكُونَ السَّيْرُ وَقْتُ السَّحْرِ وَ وَقْتُ الْفَجْرِ . قَوْلُهُ ع حِينَ يَنْبَطِحُ السَّحْرُ أَيْ حِينَ يَتَسَّعُ وَ يَمْتَدُّ أَيْ لَا يَكُونُ السَّحْرُ الْأَوَّلُ أَيْ مَا بَيْنَ السَّحْرِ الْأَوَّلِ وَ بَيْنَ الْفَجْرِ الْأَوَّلِ وَأَصْلُ الْإِنْبَاطِ السَّعَةُ وَ مِنْهُ الْأَبْطَحُ بِمَكَّةَ وَ مِنْهُ الْبَطِيحَةُ وَ تَبَطَّحَ السَّيْلُ أَيْ اتَّسَعَ فِي الْبَطْحَاءِ وَ الْفَجْرُ انْفَجَرَ انشَقَّ . ثُمَّ أَمْرُهُ ع إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ أَنْ يَقِفَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ وَسَطًا لِأَنَّهُ الرَّئِيسُ وَ الْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ الرَّئِيسُ فِي قَلْبِ الْجَيْشِ كَمَا أَنَّ قَلْبَ الْإِنْسَانِ فِي وَسْطِ جَسَدِهِ وَ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ وَسَطًا كَانَتْ نَسْبَتُهُ إِلَى كُلِّ الْجَوَانِبِ وَاحِدَةً وَ إِذَا كَانَ فِي أَحَدِ الطَّرْفَيْنِ بَعْدَ مِنَ الطَّرْفِ الْآخَرَ فَرُبَّمَا يَخْتَلُ نِظَامُهُ وَ يَضْطَرُّ . ثُمَّ نَهَاهُ ع أَنْ يَدْنُو مِنَ الْعَدُوِّ دُنُوًّا مِنْ يُرِيدُ أَنْ يَنْشِبَ الْحَرْبَ وَ نَهَاهُ أَنْ يَبْعَدَ مِنْهُمْ بَعْدَ مِنَ يَهَابِ الْحَرْبِ وَ هِيَ الْبَأْسُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَ حِينَ الْبَأْسِ - قُرْآن - ١١٥٨ - ١١٧٣ [صَفْحَةُ ٩٥] أَيْ حِينَ الْحَرْبِ بَلْ يَكُونُ عَلَى حَالٍ مَتَوَسِّطَةً بَيْنَ هَذَيْنِ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْأَمْرُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع لِأَنَّهُ أَعْرَفَ بِمَا تَقْتَضِيهِ الْمَصْلَحَةُ . ثُمَّ قَالَ لَهُ لَا يَحْمِلَنَّكُمْ بَغْضُكُمْ لَهُمْ عَلَى أَنْ تَبْدَءُوهُمْ بِالْقِتَالِ قَبْلَ أَنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الطَّاعَةِ وَ تَعْذُرُوا إِلَيْهِمْ أَيْ تَصِيرُوا ذَوِي عَذْرِ فِي حَرْبِهِمْ . وَ الشَّنَائِنُ الْبَغْضُ بِسُكُونِ النَّوْنِ وَ تَحْرِيكِهَا

نبد من الأقوال الحكيمه في الحروب

في الحديث المرفوع لا تتمنوا العدو فعسى أن تبتلوا بهم ولكن قولوا اللهم اكفنا شرهم وكف عنا بأسهم وإذ جاءوك يعرفون أن يضجون فعليكم الأرض جلوسا وقولوا اللهم أنت ربنا وربهم ويبدك نواصينا ونواصيهم فإذا غشوكم فثوروا في وجوههم -

روایت-۱-۲-روایت-۲۳-۲۴۰. و كان أبو الدرداء يقول أيها الناس اعملوا عملاً صالحاً قبل الغزو فإنما تقاتلون بأعمالكم . وأوصى أبو بكر يزيد بن أبي سفيان حين استعمله فقال سر على بركة الله فإذا دخلت بلاد العدو فكن بعيداً من الحملة فإنى لا آمن عليك الجولة واستظهر بالزاد وسر بالأدلاء ولا تقاتل بمجروح فإن بعضه ليس منه واحترس من البيات فإن في العرب غرة وأقلل من الكلام فإن ما وعى عنك هو عليك و إذا أتاك كتابي فأمضه فإنما أعمل على حسب إنفاذه و إذا قدم عليك وفود العجم فأنزلهم معظم عسكرك وأسغ عليهم من النفقة وامنع الناس من محادثتهم ليخرجوا جاهلين كما دخلوا جاهلين ولا [صفحة ۹۶] تلحن في عقوبة فإن أذناها وجيعه ولا تسرعن إليها و أنت تكتفى بغيرها واقبل من الناس علانيتهم وكلهم إلى الله في سريرتهم ولا تعرض عسكرك فتفضحه وأستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه . وأوصى أبو بكر أيضاً عكرمة بن أبي جهل حين وجهه إلى عمان فقال سر على اسم الله ولا تنزلن على مستأمن وقدم النذير بين يديك ومهما قلت إنى فاعل فافعله ولا تجعلن قولك لغوا في عقوبة ولا عفو فلا تترجى إذا أمنت ولا تخاف إذا خوفت وانظر متى تقول ومتى تفعل وماتقول وماتفعل ولا تتوعدن في معصية بأكثر من عقوبتها فإنك إن فعلت أثمت وإن تركت كذبت واتق الله وإذ القيت فاصبر. ولما ولي يزيد بن معاوية سلم بن زياد خراسان قال له إن أباك كفى أخاه عظيماً وقد استكفيتك صغيراً فلا تتكلن على عذر منى فقد اتكلت على كفاية منك وإياك منى من قبل أن أقول إياك منك واعلم أن الظن إذا خلف منك أخلف فيك و أنت في أدنى حظك فاطلب أقصاه و قد تبعك أبوك فلا تريحن نفسك واذكر في يومك أحاديث غدك . وقال بعض الحكماء ينبغي للأمر أن يكون له ستة أشياء وزير يثق به ويفشى إليه سره وحصن إذا لجأ إليه عصمه يعنى فرسا وسيف إذا نزل به الأقران لم يخف نبوته وذخيرة خفيفة المحمل إذا نابتة نائبة وجدها يعنى جوهرها وطباخ إذا أقرى من الطعام صنع له ما يهيج شهوته وامرأة جميلة إذا دخل أذهبت همه في الحديث المرفوع خير الصحابة أربعة وخير السرايا أربعمائه وخير الجيوش أربعة آلاف -روایت-۱-۲-روایت-۲۳-ادامه دارد [صفحة ۹۷] ولن يغلب اثنا عشر ألفاً من قلة إذا اجتمعت كلمتهم -روایت-از قبل-۵۴. كان يقال ثلاثة من كن فيه لم يفلح في الحرب البغي قال الله تعالى إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَالْمَكْرُ السَّيِّئُ قَالَ سَبْحَانَهُ وَ لَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ وَالنَّكَثُ قَالَ تَعَالَى فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ. يقال خرجت خارجة بخراسان على قتيبة بن مسلم فأهمه ذلك فقبل ما يهملك منهم وجه إليهم وكيع بن أبي أسود يكفيك أمرهم فقال لأوجهه وإن وكيعاً رجل فيه كبر وعنده بغي يحقر أعداءه و من كان هكذا قلت مبالاة به بخصمه فلم يحترس فوجد عدوه فيه غرة فأوقع به . و فى بعض كتب الفرس إن بعض ملوكهم سأل أى مكاييد الحرب أحزم فقال إذكاء العيون واستطلاع الأخبار وإظهار القوة والسرور والغلبة وإماتة الفرق والاحتراس من البطانة من غير إقصاء لمن ينصح و لا انتصاح لمن يغش و كتمان السر وإعطاء المبلغين على الصدق ومعاينة المتوصلين بالكذب وألا تخرج هاربا فتوجه إلى القتال و لا تضيق أماناً على مستأمن و لا تدهشك الغنيمه عن المجاوزة. و فى بعض كتب الهند ينبغي للعاقل أن يحذر عدوه المحارب له على كل حال يهرب منه الموائبة إن قرب والغارة إن بعد والكمين إن انكشف والاستطراد إن ولى والمكر إن رآه وحيداً وينبغي أن يؤخر القتال ما وجد بدا فإن النفقة عليه من الأنفس و على غيره من المال -قرآن-۷۴-۱۰۴-قرآن-۱۳۱-۱۷۶-قرآن-۱۹۷-۲۳۸ [صفحة ۹۸]

۱۳- و من كتاب له ع إلى أميرين من أمراء جيشه

وَقَدْ أَمَرْتُ عَلَيْكُمْ يَا وَ عَلَى مَنْ فِي حَيْزِكُمْ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْتَرِ فَاسْمَعَا لَهُ وَ أَطِيعَا وَ اجْعَلَاهُ دِرْعًا وَ مِجَنًّا فَإِنَّهُ مِمَّنْ لَا يُخَافُ وَ هُنْهُ وَ لَا سَقَطْتُهُ وَ لَا بَطُوهُ عَمَّا الْإِسْرَاعِ إِلَيْهِ أَحْزَمٌ وَ لَا إِسْرَاعُهُ إِلَيَّ مَا الْبُطْءُ عَنْهُ أَمْثَلُ

فصل فى نسب الأشتر وذكر بعض فضائله

هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة بن خزيمه بن سعد بن مالك بن النخع بن عمرو بن عله بن خالد بن مالك بن أدد و كان فارسا شجاعا رئيسا من أكابر الشيعة وعظماؤها شديد التحقق بولاء أمير المؤمنين ع ونصره و قال فيه بعد موته رحم الله مالكا فلقد كان لي كما كنت لرسول الله ص -رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-٧٦ . ولما قنت على ع على خمسة ولعنهم وهم معاوية وعمرو بن العاص و أبو الأعرور السلمى وحبيب بن مسلمة وبسر بن أرطاة قنت معاوية على خمسة وهم على و الحسن و الحسين ع و عبد الله بن العباس والأشتر ولعنهم . و قد روى أنه قال لماولى على ع بنى العباس على الحجاز واليمن والعراق فلما ذا قتلنا الشيخ بالأمس و إن عليا ع لما بلغته هذه الكلمة أحضره ولطفه واعتذر إليه و قال له فهل وليت حسنا أو حسينا أو أحدا من ولد جعفر أخى أو عقيل [صفحة ٩٩] أو واحدا من ولده وإنما وليت ولد عمى العباس لأنى سمعت العباس يطلب من رسول الله ص الإمارة مرارا فقال له رسول الله ص ياعم إن الإمارة إن طلبتها وكلت إليها و إن طلبتك أعنت عليها -رواية- ١-١٤٧ ورأيت بنيه فى أيام عمر وعثمان يجدون فى أنفسهم إذ ولى غيرهم من أبناء الطلقاء و لم يول أحدا منهم فأحبيت أن أصل رحمهم وأزيل ما كان فى أنفسهم و بعد فإن علمت أحدا من أبناء الطلقاء هو خير منهم فأتنى به فخرج الأشتر و قد زال ما فى نفسه . و قد روى المحدثون حديثا يدل على فضيلة عظيمة للأشتر رحمه الله وهى شهادة قاطعة من النبى ص بأنه مؤمن روى هذا الحديث أبو عمر بن عبد البر فى كتاب الإستيعاب فى حرف الجيم فى باب جندب قال أبو عمر لما حضرت أباذر الوفاة و هو بالربذة بكت زوجته أم ذر فقال لها ما يبكيك فقالت ما لى لأبكي و أنت تموت بفلاة من الأرض و ليس عندى ثوب يسعك كفنا و لا بد لى من القيام بجهازك فقال أبشرى و لا تبكى فإنى سمعت رسول الله ص يقول لا يموت بين امرءين مسلمين ولدان أو ثلاثة فيصبران ويحتسبان فيريان النار أبدا -رواية- ١-٢-رواية- ٣٥-١١٧ و قد مات لنا ثلاثة من الولد و سمعت أيضا رسول الله ص يقول لنفر أنا فيهم ليموتن أحدكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين -رواية- ١-٢-رواية- ٤٧-١٠٥ و ليس من أولئك نفر أحد إلا و قد مات فى قرية و جماعة فأننا لأشك ذلك الرجل و الله ما كذبت و لا كذبت فانظرى الطريق قالت أم ذر فقلت أنى و قد ذهب الحاج و تقطعت الطرق فقال اذهبي فتبصرى قالت فكنت [صفحة ١٠٠] أشتد إلى الكتيب فأصعد فأنظر ثم أرجع إليه فأمرضه فيينا أنا و هو على هذه الحال إذ أنا برجال على ركبهم كأنهم الرحم تخب بهم رواحلهم فأسرعوا إلى حتى وقفوا على وقالوا يا أمة الله ما لك فقلت امرؤ من المسلمين يموت تكفونونه قالوا و من هو قلت أبو ذر قالوا صاحب رسول الله ص قلت نعم ففدوه بأبائهم وأمهاتهم وأسرعوا إليه حتى دخلوا عليه فقال لهم أبشروا فأنى سمعت رسول الله ص يقول لنفر أنا فيهم ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض تشهد عصابة من المؤمنين -رواية- ١-٢-رواية- ٤٨-١٠٩ و ليس من أولئك نفر إلا و قد هلك فى قرية و جماعة و الله ما كذبت و لا كذبت و لو كان عندى ثوب يسعنى كفنا لى أو لامرأتى لم أكفن إلا فى ثوب لى أولها وإنى أنشدكم الله ألا يكفنى رجل منكم كان أميرا أو عريفا أو بريدا أو نقيبا قالت و ليس فى أولئك نفر أحد إلا - و قد قارف بعض ما قال لإفتى من الأنصار قال له أنا أكفئك ياعم فى ردائى هذا و فى ثوبين معى فى عيبتى من غزل أمى فقال أبو ذر أنت تكفنى فمات فكفنه الأنصارى وغسله نفر الذين حضروه وقاموا عليه ودفنوه فى نفر كلهم يمان . روى أبو عمر بن عبد البر قبل أن يروى هذا الحديث فى أول باب جندب كان نفر الذين حضروا موت أبى ذر بالربذة مصادفة

جماعه منهم حجر بن الأديب ومالك بن الحارث الأشر. قلت حجر بن الأديب هو حجر بن عدى الذى قتله معاوية و هو من أعلام الشيعة وعظماؤها و أما الأشر فهو أشهر فى الشيعة من أبى الهذيل فى المعتزلة. [صفحة ١٠١] قرئ كتاب الإستيعاب على شيخنا عبدالوهاب بن سكينه المحدث و أنا حضر فلما انتهى القارئ إلى هذا الخبر قال أستاذى عمر بن عبد الله الدباس وكنت أحضر معه سماع الحديث لتقل الشيعة بعد هذا ماشاءت فما قال المرتضى والمفيد إلا بعض ما كان حجر والأشر يعتقدانه فى عثمان و من تقدمه فأشار الشيخ إليه بالسكوت فسكت . وذكرنا آثار الأشر ومقاماته بصفين فيما سبق . والأشر هو الذى عانق عبد الله بن الزبير يوم الجمل فاصطربا على ظهر فرسيهما حتى وقعا فى الأرض فجعل عبد الله يصرخ من تحته اقتلوني ومالك فلم يعلم من الذى يعنيه لشدة الاختلاط وثوران النقع فلو قال اقتلوني والأشر لقتلا جميعا فلما افترقا قال الأشر أعائش لو لأننى كنت طاويا || ثلاثا لألفيت ابن أختك هالكا غداً ينادى والرماح تنوشه || كوقع الصياصى اقتلوني ومالك فنجاه منى شبعه وشبابه || وأنى شيخ لم أكن متماسكا . ويقال إن عائشة فقدت عبد الله فسألت عنه فقيل لها عهدنا به و هو معانق للأشر فقالت وا ثكل أسماء ومات الأشر فى سنة تسع وثلاثين متوجها إلى مصر واليا عليها لعلى ع قيل سقى سما وقيل إنه لم يصح ذلك وإنما مات حتف أنفه . فأما ثناء أمير المؤمنين ع عليه فى هذا الفصل فقد بلغ مع اختصاره ما لا يبلغ بالكلام الطويل ولعمري لقد كان الأشر أهلا لذلك كان شديد البأس جوادا [صفحة ١٠٢] رئيسا حليما فصيحاً شاعرا و كان يجمع بين اللين والعنف فيسطو فى موضع السطوة ويرفق فى موضع الرفق

نبد من الأقوال الحكيمه

و من كلام عمر إن هذا الأمر لا يصلح إلا للقوى فى غير عنف و لين فى غير ضعف . و كان أنو شروان إذاولى رجلا أمر الكاتب أن يدع فى العهد موضع ثلاثة أسطر ليوقع فيها بخطه فإذا أتى بالعهد وقع فيه سس خيار الناس بالموده وسفلتهم بالإخافه وامزج العامه رهبه برغبه . و قال عمر بن عبدالعزيز إنى لأهم أن أخرج للناس أمرا من العدل فأخاف ألا تحتمله قلوبهم فأخرج معه طمعا من طمع الدنيا فإن نفرت القلوب من ذاك سكنت إلى هذا . و قال معاوية إنى لأضع سيفى حيث يكفينى سوطى و لأضع سوطى حيث يكفينى لسانى و لو أن بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت فليل له كيف قال إذامدوها خليتها و إذاخلوها مددتها . و قال الشعبى فى معاوية كان كالجمل الطب إذاسكت عنه تقدم و إذارد تأخر . و قال ليزيد ابنه قد تبلغ بالوعيد ما لا تبلغ بالإيقاع وإياك والقتل فإن الله قاتل القتالين . وأغلظ له رجل فحلم عنه فقيل له أتحملم عن هذا قال إنا لانحول بين الناس وألستهم ما لم يحولوا بيننا و بين سلطاننا . [صفحة ١٠٣] وفخر سليم مولى زياد عند معاوية بن زياد فقال معاوية اسكت ويحك فما أدرك صاحبك بسيفه شيئا قط إلا و قد أدركت أكثر منه بلسانى . و قال الوليد بن عبد الملك لأبيه ما السياسة ياأبت قال هيبة الخاصة لك مع صدق مودتها واقتيادك قلوب العامه بالإنصاف لها واحتمال هفوات الصنائع . و قد جمع أمير المؤمنين ع من أصناف الثناء والمدح ما فرقه هؤلاء فى كلماتهم بكلمه واحده قالها فى الأشر وهى قوله لا يخاف بطؤه عما الإسراع إليه أحزم و لا إسراعه إلى ماالبطء عنه أمثل -روايت- ١-٢-روايت- ٩-٨٣ . قوله ع و على من فى حيز كما أى فى ناحيتكما . والمجن الترس . والوهن الضعف . والسقطه الغلظه والخطأ . وهذا رأى أحزم من هذا أى أدخل فى باب الحزم والاحتياط و هذا أمثل من هذا أى أفضل [صفحة ١٠٤]

لَمَا تُصَاتِلُونَهُمْ حَتَّى يَبْدَأُوكُمْ فَيَأْتِيَكُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ عَلَىٰ حُجَّتِهِ وَ تَرَكُّكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدَأُوكُمْ حُجَّتُهُ أُخْرَىٰ لَكُمْ عَلَيْهِمْ فَيَاذَا كَانَتِ الْهَزِيمَةُ يَأْذِنُ اللَّهُ فَلَا تَقْتُلُوا مُدْبِرًا وَلَا تُصَيِّبُوا مُعَوَّرًا وَلَا تُجْهِزُوا عَلَىٰ جَرِيحٍ وَلَا تَهَيِّجُوا النِّسَاءَ بِأَذَىٰ وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ وَسَبَّيْنَ أُمَّرَاءَكُمْ فَإِنَّهِنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَىٰ وَالْأَنْفُسِ وَالْعُقُولِ إِنْ كُنَّا لَتَوَمَّرُ بِالْكَفِّ عَنْهِنَّ وَإِنَّهِنَّ لَمُشْرِكَاتٌ وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لِيَتَنَاوَلَ الْمَرْأَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِالْفَهْرِ أَوْ الْهَرَاوَةِ فَيَعَيِّرُ بِهَا وَ عَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ نَهَىٰ أَصْحَابَهُ عَنِ الْبَغْيِ وَالْإِبْتِدَاءِ بِالْحَرْبِ وَقَدَرُوا عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ مَا نَصَرْتُ عَلَى الْأَقْرَانِ الَّذِينَ قَتَلْتَهُمْ إِلَّا لَأَنْي مَا بَدَأَتْ بِالْمُبَارَزَةِ -رواية- ١-٢-رواية- ٢٥-٩١ ونهى إذا وقعت الهزيمة عن قتل المدبر والإجهاز على الجريح وهو إتمام قتله . قوله ع و لا تصيبوا معورا هو من يعتصم منك في الحرب بإظهار عورته لتكف عنه ويجوز أن يكون المعور هاهنا المريب الذي يظن أنه من القوم و أنه حضر للحرب و ليس منهم لأنه حضر لأمر آخر. قوله ع و لا تهيجوا النساء بأذى أى لا تحركوهن . [صفحہ ١٠٥] والفهر الحجر والهرأوة العصا. وعطف وعقبه على الضمير المستكن المرفوع فى فيعير و لم يؤكد للفصل بقوله بها كقوله تعالى ما أشركنا و لا آباؤنا لمافصل بلا عطف و لم يحتج إلى تأكيد قرآن-١٢٢-١٤٦

نبد من الأقوال الحكيمه

ومما ورد فى الشعر فى هذا المعنى قول الشاعر إن من أعظم الكبائر عندى || قتل بيضاء حره عطبول كتب القتل والقتال علينا || و على المحصنات جر الذبول . وقالت امرأة عبد الله بن خلف الخزاعى بالبصرة لعلى ع بعد ظفرو و قدمر بيا بها يا على يا قاتل الأجابة لامرحبا بك أيتم الله منك ولدك كما أيتم بنى عبد الله بن خلف فلم يرد عليها ولكنه وقف وأشار إلى ناحية من دارها ففهمت إشارته فسكتت وانصرفت وكانت قد سترت عندها عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم فأشار إلى الموضوع الذى كانا فيه أى لوشئت أخرجتهما فلما فهمت انصرفت و كان ع حليما كريما. و كان عمر بن الخطاب إذا بعث أمراء الجيوش يقول بسم الله و على عون الله [صفحہ ١٠٦] وبركته فامضوا بتأييد الله ونصره أوصيكم بتقوى الله ولزوم الحق والصبر فقاتلوا فى سبيل الله من كفر بالله و لا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين و لا تجبنوا عند اللقاء و لا تمثلوا عند الغارة و لا تسرفوا عند الظهور و لا تقتلوا هرا و لا امرأة و لا وليدا و توقوا أن تطؤوا هؤلاء عند اللقاء و عند حمه النهضات و فى شن الغارات و لا تغلوا عند الغنائم و نزها الجهاد عن غرض الدنيا وأبشروا بالأرباح فى البيع الذى بايعتم به و ذلك هو الفوز العظيم . واستشار قوم أكثم بن صيفى فى حرب قوم أرادوهم وسألوه أن يوصيهم فقال أفلوا الخلاف على أمرائكم واثبتوا فإن أحزم الفريقين الركين ورب عجله تهب ريثا. و كان قيس بن عاصم المنقرى إذا غزا شهد معه الحرب ثلاثون من ولده يقول لهم إياكم والبغى فإنه ما بغى قوم قط إلا ذلوا قالوا فكان الرجل من ولده يظلم فلا يتصف مخافة الذل . قال أبو بكر يوم حنين لن نغلب اليوم من قله و كانوا اثنى عشر ألفا فهزموا يومئذ هزيمة قبيحة وأنزل الله تعالى قوله وَ يَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتُمْ كَثْرَتَكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا. و كان يقال لا ظفر مع بغى و لا صحه مع نهم و لا ثناء مع كبر و لا سودد مع شح -قرآن- ٩٠٥-٩٧٣ [صفحہ ١٠٧]

قصه فيروز بن يزدجرد حين غزا ملك الهياطله

و من الكلمات المستحسنه فى سوء عاقبه البغى ما ذكره ابن قتيبه فى كتاب عيون الأخبار إن فيروز بن يزدجرد بن بهرام لماملك

سار بجنوده نحو بلاد الهياطلة فلما انتهى إليهم اشتد رعب ملكهم أخشنوار منه وحذره فناظر أصحابه ووزراءه فى أمره فقال رجل منهم أعطنى موثقا من الله وعهدا تطمئن إليه نفسى أن تكفينى الغم بأمر أهلى وولدى و أن تحسن إليهم وتخلفنى فيهم ثم اقطع يدى ورجلى وألقنى فى طريق فيروز حتى يمر بى هو وأصحابه و أنا أكفيك أمرهم وأورطهم مورطا تكون فيه هلكتهم فقال له أخشنوار و ما أذى تنتفع به من سلامتنا وصلاح حالنا إذا أنت هلكت و لم تشركتنا فى ذلك فقال إنى قد بلغت ما كنت أحب أن أبلغ من الدنيا و أنا موقن أن الموت لا يبد منه و إن تأخر أياما قليلة فأحب أن أختم عملى بأفضل ما يختم به الأعمال من النصيحة بسطانى و النكاية فى عدوى فيشرف بذلك عقبى و أصيب سعادة و حظوة فيما أمامى. ففعل أخشنوار به ذلك و حملة فألقاه فى الموضع الذى أشار إليه فمر به فيروز فى جنوده فسأله عن حاله فأخبره أن أخشنوار فعل به ما يراه و أنه شديد الأسف كيف لا يستطيع أن يكون أمام الجيش فى غزو بلاده و تخريب مدينته ولكنه سيدل الملك على طريق هو أقرب من هذا الطريق الذى يريدون سلوكه و أخفى فلا يشعر أخشنوار حتى يهجم عليه فينتقم الله منه بكم و ليس فى هذا الطريق من المكروه إلا تغور يومين ثم تفضون إلى كل ماتحبون . [صفحہ ۱۰۸] فقبل فيروز قوله بعد أن أشار إليه و زراؤه بالاتهام له و الحذر منه و بغير ذلك فخالفهم و سلك تلك الطريق فانتهوا بعد يومين إلى موضع من المفازة لا صدر لهم عنه و لاء معهم و لا بين أيديهم و تبين لهم أنهم قد خدعوا ففرقوا فى تلك المفازة يمينا و شمالا يلتمسون الماء فقتل العطش أكثرهم و لم يسلم مع فيروز إلا عدة يسيرة فانتهى إليهم أخشنوار بجيشه فواقعهم فى تلك الحال التى هم فيها من القلة و الضرر و الجهد فاستمكنوا منهم بعد أن أعظموا الكناية فيهم . و أسر فيروز فرغب أخشنوار أن يمن عليه و على من بقى من أصحابه على أن يجعل له عهد الله و ميثاقه ألا يغزوهم أبدا ما بقى و على أن يحد فيما بينه و بين مملكتهم حدا لا يتجاوزه جنوده فرضى أخشنوار بذلك فخلى سبيله و جعل بين المملكتين حجرا لا يتجاوزه كل واحد منهما. فمكث فيروز برهة من دهره ثم حملة الأنف على أن يعود لغزو الهياطلة و دعا أصحابه إلى ذلك فهو عنه و قالوا إنك قد عاهدته و نحن نتخوف عليك عاقبة البغى و الغدر مع ما فى ذلك من العار و سوء القالة. فقال لهم إنما اشترطت له ألا أجوز الحجر الذى جعلناه بيننا و أنا أمر بالحجر فيحمل أمامنا على عجل. فقالوا أيها الملك إن العهود و الموائيق التى يتعاطاها الناس بينهم لا تحمل على ما يسره المعطى لها ولكن على ما يعلن به المعطى إياها و إنما جعلت عهد الله و ميثاقه على الأمر الذى عرفه لا على الأمر الذى لم يخطر له ببال فأبى فيروز و مضى فى غزوته حتى انتهى إلى الهياطلة و تصاف الفريقان للقتال [صفحہ ۱۰۹] فأرسل أخشنوار إلى فيروز يسأله أن يبرز فيما بين صفيهم فخرج إليه فقال له أخشنوار إنى قد ظننت أنه لم يدعك إلى مقامك هذا إلا الأنف مما أصابك و لعمرى إن كنا قد احتلنا لك بما رأيت لقد كنت التمتست منا أعظم منه و ما ابتدأناك ببغى و لا ظلم و ما أردنا إلا الدفعك عن أنفسنا و حرماننا و لقد كنت جديرا أن تكون من سوء مكافاتنا بمننا عليك و على من معك و من نقض العهد و الميثاق الذى أكدته على نفسك أعظم أنفا و أشد امتعاضا مما نالك منا فإنا أطلقناكم و أنتم أسارى و مننا عليكم و أنتم على الهلكة مشرفون و حقا دماءكم و لنا على سفكها قدرة و إنا لم نجبرك على ما شرطت لنا بل كنت أنت الراغب إلينا فيه و المرید لنا عليه ففكر فى ذلك و ميز بين هذين الأمرين فانظر أيهما أشد عارا و أقبح سماعا إن طلب رجل أمرا فلم يقدر له و لم ينجح فى طلبته و سلك سبيلا فلم يظفر فيه ببغيته و استمكن منه عدوه على حال جهد و ضيعة منه و ممن هم معه. فمن عليهم و أطلقهم على شرط شرطه و أمر اصطلحوا عليه فاصطبر بمكروه القضاء و استحيا من الغدر و النكث أن يقال نقض العهد و أخفر الميثاق مع أنى قد ظننت أنه يزيدك لجاجة ماتثق به من كثرة جنودك و ماترى من حسن عدتهم و ما أجدنى أشك أنهم أو أكثرهم كارهون لما كان من شخوصك بهم عارفون بأنك قد حملتهم على غير الحق و دعوتهم إلى ما يسخط الله و أنهم فى حربنا غير مستبصرين و نياتهم على مناصحتك مدخولة. فانظر ما قدر غناء من يقاتل على هذه الحال و ما عسى أن يبلغ نكايته فى عدوه إذا كان عارفا بأنه إن ظفر فمع عار و إن قتل فالى النار و أنا أذكرك الله الذى جعلته [صفحہ

[١١٠] على نفسك كفيلا وأذكرك نعمتي عليك و على من معك بعد بأسكم من الحياة وإشفائكم على الممات وأدعوك إلى ما فيه حظك ورشدك من الوفاء بالعهد والافتداء بآبائك وأسلافك الذين مضوا على ذلك في كل ما أحبوه وكرهوه فأحمدوا عواقبه وحسن عليهم أثره . و مع ذلك فإنك لست على ثقة من الظفر بنا وبلوغ نهمتك فينا وإنما تلتمس أمرا يلتمس منك مثله وتنادى عدوا لعله يمنح النصر عليك فاقبل هذه النصيحة فقد بالغت في الاحتجاج عليك وتقدمت بالإعذار إليك ونحن نستظهر بالله الذي اعتذرنا إليه ووثقنا بما جعلت لنا من عهده إذا استظهرت بكثرة جنودك وازدهتك عدة أصحابك فدونك هذه النصيحة فبالله ما كان أحد من أصحابك يبالغ لك أكثر منها ولا يزيدك عليها ولا يحرمك منفعتها مخرجها مني فإنه ليس يزرى بالمنافع والمصالح عند ذوى الآراء صدورها عن الأعداء كما لا تحسن المضار أن تكون على أيدي الأصدقاء. واعلم أنه ليس يدعوني إلى ما تسمع من مخاطبتي إياك ضعف من نفسى ولا من قلة جنودى ولكنى أحبت أن ازداد بذلك حجة واستظهارا فأزداد به للنصر والمعونة من الله استيجابا ولا أوتر على العافية والسلامة شيئا ما وجدت إليهما سبيلا. فقال فيروز لست ممن يردعه عن الأمر يهيم به الوعيد ولا يصده التهديد والترهيب ولو كنت أرى ما أطلب غدرا مني إذا ما كان أحد أنظر ولا أشد إبقاء مني على نفسى وقد يعلم الله أنى لم أجعل لك العهد والميثاق إلا بما أضمرت فى نفسى فلا يغرنك الحال التى كنت صادفتنا عليها من القلة والجهد والضعف . [صفحہ ١١١] فقال أخشنوار لا يغرنك ما تخذع به نفسك من حملك الحجر أمامك فإن الناس لو كانوا يعطون العهود على ما تصف من إسرار أمر وإعلان آخر إذا ما كان ينبغي لأحد أن يغتر بأمان أو يثق بعهد وإذا ما قبل الناس شيئا مما كانوا يعطون من ذلك ولكنه وضع على العلانية وعلى نية من تعقد له العهود والشروط ثم انصرف . فقال فيروز لأصحابه لقد كان أخشنوار حسن المحاوره و مارأيت للفرس الذى كان تحته نظيرا فى الدواب فإنه لم يزل قوائمه و لم يرفع حوافره عن مواضعها ولا سهل ولا أحدث شيئا يقطع به المحاوره فى طول ما توافقنا. و قال أخشنوار لأصحابه لقد وافقت فيروز كما رأيتم و عليه السلاح كله فلم يتحرك و لم ينزع رجله من ركابه و لا حنى ظهره و لا التفت يمينا و لا شمالا و لقد توركت أنامرارا وتمطيت على فرسى والتفت إلى من خلفى ومددت بصرى فيما أمامى و هو منتصب ساكن على حاله و لو لامحاورته إياى لظننت أنه لا يبصرنى وإنما أراد بما وصفا من ذلك أن ينشر هذان الحديثان فى أهل عسكرهما فيشتغلوا بالإفاضة فيهما عن النظر فيما تذاكرا. فلما كان فى اليوم الثانى أخرج أخشنوار الصحيفة التى كتبها لهم فيروز ونصبها على رمح ليراها أهل عسكر فيروز فيعرفوا غدره و بغيه و يخرجوا من متابعتة على هواه فما هو إلا أن راوها حتى انتقض عسكرهم واختلفوا و ماتلبثوا إلا يسيرا حتى انهزموا وقتل منهم خلق كثير و هلك فيروز فقال أخشنوار لقد صدق الذى قال لامرد لما قدر و لا شىء أشد إحالة لمنافع الرأى من الهوى واللجاج و لأضيع من نصيحة يمنحها من لا يوطن نفسه على قبولها والصبر على مكروها و لا أسرع عقوبة و أسوأ عاقبة من البغى والغدر و لأجلب لعظيم العار والفضوح من الأنف وإفراط العجب [صفحہ ١١٢]

١٥- وكان ع يقول إذ ألقى العدو محاربا

اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَفْضَتِ الْقُلُوبُ وَ مَدَّتِ الْأَعْنَاقُ وَ شَخَّصَتِ الْأَبْصَارُ وَ نَقَلَتِ الْأَقْدَامُ وَ أُنْضِيَتِ الْأَبْدَانُ اللَّهُمَّ قَدْ صَرَخَ مَكُونُ الشَّنَانِ وَ جَاشَتْ مَرَاجِلُ الْأَضْغَانِ اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غِيْبَةَ نَبِينَا وَ كَثْرَةَ عِدُونَا وَ تَشَدِّتْ أَهْوَانَنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَ أَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ قرآن- ٢٨٩-٣٦٢ أفضت القلوب أى دنت وقربت و منه أفضى الرجل إلى امرأته أى غشيها ويجوز أن يكون أفضت أى بسرها فحذف المفعول . وأنضيت الأبدان هزلت و منه النضو و هو البعير المهزول . وصرح انكشف والشنن البغضة. وجاشت تحركت واضطربت . والمراجل جمع مرجل وهى القدر. والأضغان الأحقاد واحدا ضغن . وأخذ سديف مولى

المنصور هذه اللفظة فكان يقول في دعائه اللهم إنا نشكو [صفحة ١١٣] إليك غيبه نبينا وتشتت أهوائنا و ماشملنا من زيغ الفتن واستولى علينا من غشوة الحيرة حتى عاد فينا دولة بعدالقسمة وإمارتنا غلبه بعدالمشورة وعدنا ميراثا بعدالاختيار للأمة واشترت الملاهي والمعازف بمال اليتيم والأرمله ورعى في مال الله من لايرعى له حرمة وحكم في أبطار المؤمنين أهل الذمة وتولى القيام بأمرهم فاسق كل محلله فلاذائد يذودهم عن هلكه و لاراع ينظر إليهم بعين رحمه و لاذو شفقه يشيع الكبد الحرى من مسغبة فهم أولو ضرع وفاقه وأسراء فقر ومسكنه وحلفاء كئابه وذلله اللهم و قداستحصد زرع الباطل وبلغ نهايته واستحكم عموده واستجمع طريده وحذف وليده وضرب بجرانه فأتح له من الحق يدا حاصده تجذ سنامه وتهشم سوقه وتصرع قائمه ليستخفى الباطل بقبح حليته ويظهر الحق بحسن صورته . ووجدت هذه الألفاظ في دعاء منسوب إلى على بن الحسين زين العابدين ع ولعله من كلامه و قد كان سديف يدعو به [صفحة ١١٤]

١٦- و كان يقول ع لأصحابه

إشاره

لَا تَشْتَدَنَّ عَلَيْكُمْ فِرَّةٌ بَعْدَهَا كَرَّةٌ وَ لَا جَوْلَةٌ بَعْدَهَا حَمَلَةٌ وَ أَعْطُوا السُّيُوفَ حُقُوقَهَا وَ وَطَّنُوا لِلْجُنُوبِ مَصَارِعَهَا وَ اذْمُرُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الطَّعَنِ الدَّعْسِيِّ وَ الضَّرْبِ الطَّلْحَفِيِّ وَ أَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرُدُ لِلْفِشْلِ وَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَ بَرَأَ النَّسَمَةَ مَا أَسْلَمُوا وَ لَكِنْ اسْتَسَلَّمُوا وَ أَسْرَوْا الْكُفْرَ فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْوَانًا عَلَيْهِ أَظْهَرُوهُ قَالَ لَا تَسْتَصْعَبُوا فِرَّةً تَفْرُونَهَا بَعْدَهَا كِرَّةً تَجْبِرُونَ بِهَا مَا تَكْسِرُ مِنْ حَالِكُمْ وَإِنَّمَا الَّذِي يَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَسْتَصْعَبُوهُ فِرَّةً لَا كِرَّةً بَعْدَهَا وَ هَذَا حِضُّ لِهَمِّ عَلَى أَنْ يَكْرُوا وَيَعُودُوا إِلَى الْحَرْبِ إِنْ وَقَعَتْ عَلَيْهِمْ كِسْرَةٌ. ومثله قوله و لاجولته بعدها حملته والجولة هزيمة قريبة ليست بالممعة. واذمروا أنفسكم من ذممه على كذا أى حظه عليه والطنع الدعسى الذى يحشى به أجواف الأعداء وأصل الدعس الحشو دعست الوعاء حشوته . وضرب طلحفى بكسر الطاء وفتح اللام أى شديد واللام زائدة. [صفحة ١١٥] ثم أمرهم بإماتة الأصوات لأن شدة الضوضاء فى الحرب أماره الخوف والوجل . ثم أقسم أن معاوية وعمرا و من والاهما من قريش ما أسلموا ولكن استسلموا خوفا من السيف ونافقوا فلما قدروا على إظهار ما فى أنفسهم أظهروه و هذا يدل على أنه ع جعل محاربتهم له كفرا. و قد تقدم فى شرح حال معاوية و ما يذكره كثير من أصحابنا من فساد عقيدته ما فيه كفاية

نبد من الأقوال المتشابهة فى الحرب

وأوصى أكنم بن صيفى قوما نهضوا إلى الحرب فقال ابرزوا للحرب وادرعوا الليل فإنه أخفى للويل و لاجماعة لمن اختلف واعلموا أن كثرة الصياح من الفشل والمرء يعجز لامحالة. وسمعت عائشة يوم الجمل أصحابها يكبرون فقالت لا تكبروا هاهنا فإن كثرة التكبير عند القتال من الفشل . و قال بعض السلف قد جمع الله أدب الحرب فى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا الآيتين . و قال عتبة بن ربيعة لقريش يوم بدر ألاترونهم يعنى أصحاب النبى ص جثيا على الركب يتلمظون تلمظ الحيات . وأوصى عبدالملك بن صالح أميرسرية بعثها فقال أنت تاجر الله لعباده فكن كالمضارب الكيس الذى إن وجد ربحا تجر و إلا احتفظ برأس المال و لاتطلب قرآن-٣٣٥-٣٩٣ [صفحة ١١٦] الغنيمه حتى تحوز السلامة وكن من احتيالك على عدوك

أشد حذرا من احتيال عدوك عليك . و في الحديث المرفوع إنه ص قال لزيد بن حارثة لاتشق جيشك فإن الله تعالى ينصر القوم بأضعفهم -روایت- ۱-۲-روایت- ۴۹-۱۰۱ قال ابن عباس وذكر عليا ع مارأيت رئيسا يوزن به لقد رأيت يوم صفين وكان عينه سراجا سليط و هو يحمس أصحابه إلى أن انتهى إلى و أنا في كنف فقال يامعشر المسلمين استشعروا الخشية وتجلبوا السكينه وأكملوا اللأمة -روایت- ۱-۲-روایت- ۳۱-۲۲۳ ... الفصل المذكور فيما تقدم [صفحه ۱۱۷]

۱۷- و من كتاب له ع إلى معاوية جوابا عن كتاب منه إليه

إشارة

وَ أَمَا طَلَبَكَ إِلَى الشَّامِ فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لَأَعْطِيكَ الْيَوْمَ مَا مَنَعْتَكَ أَمْسٍ وَ أَمَا قَوْلُكَ إِنَّ الْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتِ الْعَرَبَ إِلَّا حُشَاشَاتِ أَنْفُسٍ بَقِيَتْ أَلَا وَ مَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ فَإِلَى الْجَنَّةِ وَ مَنْ أَكَلَهُ الْبَاطِلُ فَإِلَى النَّارِ وَ أَمَا اسْتِوَاؤُنَا فِي الْحَرْبِ وَ الرِّجَالِ فَلَسْتَ بِأَمْضَى عَلَى الشُّكِّ مِنِّي عَلَى الْيَقِينِ وَ لَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى الْآخِرَةِ وَ أَمَا قَوْلُكَ إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ فَكَذَلِكَ نَحْنُ وَ لَكِنْ لَيْسَ أُمَّيَّةُ كَهَاشِمٍ وَ لَمَّا حَرَبَ كَعْبِدِ الْمُطَّلِبِ وَ لَا أَبُو سَيْفِيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ وَ لَا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيْقِ وَ لَا الصِّرِيْحُ كَاللِّصِيْقِ وَ لَا الْمُحِقُّ كَالْمُبِطْلِ وَ لَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ وَ لَبَسَ الْخَلْفُ خَلْفُ يَتَّبِعُ سَلْفًا هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَ فِي أَيْدِينَا بَعْدُ فَضْلُ الثَّبُوءِ الَّتِي أَدَلَّنَا بِهَا الْعَزِيْزَ وَ نَعَشْنَا بِهَا الدَّلِيْلَ وَ لَمَّا أَدْخَلَ اللَّهُ الْعَرَبَ فِي دِيْنِهِ أَفْوَاجًا وَ أَسْلَمَتْ لَهُ هَذِهِ الْأُمَّيَّةُ طَوْعًا وَ كَرْهًا كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ إِمَّا رَغْبَةً وَ إِمَّا رَهْبَةً عَلَى حِيْنَ فَازَ أَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ وَ ذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ فَلَا تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيْبًا وَ لَا عَلَى نَفْسِكَ سَبِيْلًا وَ السَّلَامُ [صفحه ۱۱۸] يقال طلبت إلى فلان كذا والتقدير طلبت كذا راغبا إلى فلان كما قال تعالى فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ أَى مَرْسَلًا . وَيُرْوَى إِلْحَاشَاةُ نَفْسٍ بِالْإِفْرَادِ وَ هُوَ بَقِيَّةُ الرُّوحِ فِي بَدَنِ الْمَرِيضِ . وَرَوَى أَلَا وَ مَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ فَإِلَى النَّارِ وَ هَذِهِ الرُّوَايَةُ أَلِيْقُ مِنَ الرُّوَايَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي أَكْثَرِ الْكُتُبِ لِأَنَّ الْحَقَّ يَأْكُلُ أَهْلَ الْبَاطِلِ وَ مِنْ رَوَى تِلْكَ الرُّوَايَةَ أَضْمَرَ مِضَافًا تَقْدِيرَهُ أَعْدَاءَ الْحَقِّ وَمِضَافًا آخَرَ تَقْدِيرَهُ أَعْدَاءَ الْبَاطِلِ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ فَإِلَى الْجَنَّةِ أَى مِنْ أَفْضَى بِهِ الْحَقُّ وَنَصْرَتَهُ وَالْقِيَامُ دُونَهُ إِلَى الْقَتْلِ فَإِنْ مَصِيرُهُ إِلَى الْجَنَّةِ فَيَسْمَى الْحَقُّ لِمَا كَانَتْ نَصْرَتُهُ كَالسَّبَبِ إِلَى الْقَتْلِ أَكْلًا لِذَلِكَ الْمَقْتُولِ وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي الْجَانِبِ الْآخَرَ . وَ كَانَ التَّرْتِيبُ يَقْتَضِي أَنْ يَجْعَلَ هَاشِمًا بِإِزَاءِ عَبْدِ شَمْسٍ لِأَنَّهُ أَخُوهُ فِي قَعْدَدٍ وَ كِلَاهِمَا وَلَدُ عَبْدِ مَنَافٍ لِصَلْبِهِ وَ أَنْ يَكُونَ أَمِيَّةُ بِإِزَاءِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَ أَنْ يَكُونَ حَرْبُ بِإِزَاءِ أَبِي طَالِبٍ وَ أَنْ يَكُونَ أَبُو سَيْفِيَانَ بِإِزَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ فِي قَعْدَدِ صَاحِبِهِ إِلَّا أَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع لَمَّا كَانَ فِي صَفِيْنِ بِإِزَاءِ مَعَاوِيَةَ اضْطَرَّ إِلَى أَنْ يَجْعَلَ هَاشِمًا بِإِزَاءِ أَمِيَّةُ بْنُ عَبْدِ شَمْسٍ . فَإِنْ قُلْتَ فَهَلَا قَالَ وَ لَا أَنَا كَانَتْ قَلْتُ قَبِيْحٌ أَنْ يَقَالَ ذَلِكَ كَمَا لَا يَقَالَ السَّيْفُ أَمْضَى مِنَ الْعَصَا بَلْ قَبِيْحٌ بِهِ أَنْ يَقُولَهَا مَعَ أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَافَةً نَعْمَ قَدِيقُولَهَا لِاتَّصْرِيْحِهَا بَلْ تَعْرِيزًا لِأَنَّهُ يَرْفَعُ نَفْسَهُ عَلَى أَنْ يَقِيْسَهَا بِأَحَدٍ . وَهَاهُنَا قَدْ عَرَضَ بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ وَ لَا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيْقِ فَإِنْ قُلْتَ فَهَلْ مَعَاوِيَةُ -قُرْآن- ۷۷-۱۰۵ [صفحه ۱۱۹] مِنَ الطَّلَاقِ قُلْتَ نَعْمَ كُلٌّ مِنْ دَخَلَ عَلَيْهِ رَسُوْلُ اللَّهِ ص مَكَّةَ عَنُوَّةً بِالسَّيْفِ فَمَلِكُهُ ثُمَّ مِنْ عَلَيْهِ عَنِ إِسْلَامٍ أَوْ غَيْرِ إِسْلَامٍ فَهُوَ مِنَ الطَّلَاقِ مِمَّنْ لَمْ يَسْلَمْ كَصَفْوَانَ بْنِ أَمِيَّةُ وَ مَنْ أَسْلَمَ كَمَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفِيَانَ وَ كَذَلِكَ كُلٌّ مِنْ أُسْرٍ فِي حَرْبِ رَسُوْلِ اللَّهِ ص ثُمَّ امْتَنَ عَلَيْهِ بِفِدَاءٍ أَوْ بَغِيْرٍ فِدَاءٍ فَهُوَ طَلِيْقٌ فَمِمَّنْ امْتَنَ عَلَيْهِ بِفِدَاءٍ كَسَهِيْلِ بْنِ عَمْرٍو وَ مِمَّنْ امْتَنَ عَلَيْهِ بِغَيْرِ فِدَاءٍ أَبُو عَزَّةُ الْجَمْحِيُّ وَ مِمَّنْ امْتَنَ عَلَيْهِ مَعَاوِضَةُ أَى أَطْلَقَ لِأَنَّهُ بِإِزَاءِ أُسَيْرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَمْرٍو بْنِ أَبِي سَفِيَانَ بْنِ حَرْبٍ كُلِّ هَؤُلَاءِ مَعْدُوْدُونَ مِنَ الطَّلَاقِ . فَإِنْ قُلْتَ فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ وَ لَا الصِّرِيْحُ كَاللِّصِيْقِ وَ هَلْ كَانَ فِي نَسَبِ مَعَاوِيَةَ شَبَهَةٌ لِيَقُولَ لَهُ هَذَا . قُلْتَ كَلَّا إِنَّهُ لَمْ يَقْصِدْ ذَلِكَ وَ إِنَّمَا أَرَادَ الصِّرِيْحُ بِالْإِسْلَامِ وَ اللَّصِيْقُ فِي الْإِسْلَامِ فَالصِّرِيْحُ

فيه هو من أسلم اعتقادا وإخلاصا واللصيق فيه من أسلم تحت السيف أورغبة في الدنيا وقد صرح بذلك فقال كنتم ممن دخل في هذا الدين إما رغبة وإما رهبة. فإن قلت فما معنى قوله ولبس الخلف خلفا يتبع سلفا هوى في نار جهنم وهل يعاب المسلم بأن سلفه كانوا كفارا. قلت نعم إذ اتبع آثار سلفه واحتذى حذوهم وأمير المؤمنين ع ما عاب معاوية بأن سلفه كفار فقط بل بكونه متبعا لهم. قوله ع وفي أيدينا بعد فضل النبوة أي إذ افرضنا تساوى الأقدام في مآثر أسلافكم كان في أيدينا بعد الفضل عليكم بالنبوة التي نعشنا بها الخامل وأخملنا بها النبيه. قوله ع على حين فاز أهل السبق قال قوم من النحاء [صفحة ١٢٠] حين مبنى هاهنا على الفتح وقال قوم بل منصوب لإضافته إلى الفعل. قوله ع فلا تجعلن للشيطان فيك نصيبا أي لا تستلزم من أفعالك ما يدوم به كون الشيطان ضاربا فيك بنصيب لأنه ما كتب إليه هذه الرسالة إلا بعد أن صار للشيطان فيه أوفر نصيب وإنما المراد نهيه عن دوام ذلك واستمراره

ذكر بعض ما كان بين علي ومعاوية يوم صفين

وذكر نصر بن مزاحم بن بشار العقيلي في كتاب صفين أن هذا الكتاب كتبه علي ع إلى معاوية قبل ليلة الهرير بيومين أو ثلاثة قال نصر أظهر علي ع أنه مصيح معاوية ومناجز له وشاع ذلك من قوله ففزع أهل الشام لذلك وانكسروا لقوله و كان معاوية بن الضحاك بن سفيان صاحب راية بنى سليم مع معاوية مبغضا لمعاوية وأهل الشام وله هوى مع أهل العراق وعلي بن أبي طالب ع و كان يكتب بأخبار معاوية إلى عبد الله بن الطفيل العامري وهو مع أهل العراق فيخبر بها عليا ع فلما شاعت كلمة علي ع وجل لها أهل الشام وبعث ابن الضحاك إلى عبد الله بن الطفيل إني قائل شعرا أذعر به أهل الشام وأرغم به معاوية و كان معاوية لا يهتمهم و كان له فضل ونجدة ولسان فقال ليلا ليستمع أصحابه ألا ليت هذا الليل أطبق سرمدا || علينا وإنا لانرى بعده غدا ولا ياليتهم إن جاءنا بصباحه || وجدنا إلى مجرى الكواكب مصعدا حذار علي إنه غير مخلف || مدى الدهر مالب الملبون موعدا و أما قراري في البلاد فليس لي || مقام وإن جاوزت جابلق مصعدا [صفحة ١٢١] كأنني به في الناس كاشف رأسه || علي ظهر خوار الرحالة أجردا يخوض غمار الموت في مرجحة || ينادون في نقع العجاج محمدا فوارس بدر والنضير وخبير || وأحد يهزون الصفيح المهندا و يوم حنين جالدوا عن نبيهم || فريقا من الأحزاب حتى تبددا هنالك لا تلوى عجز علي ابنها || وإن أكثرت من قول نفسي لك الفدا فقل لا بن حرب ما ألقى أنت صانع || أثبت أم ندعوك في الحرب قعدا فلا رأى إلا تر كنا الشام جهرة || وإن أبرق الفجفاج فيها وأرعدا. فلما سمع أهل الشام شعره أتوا به معاوية فهم بقتله ثم راقب فيه قومه فطرده من الشام فلحق بمصر وندم معاوية على تسييره إياه وقال معاوية لشعر السلمي أشد على أهل الشام من لقاء علي ما له قاتله الله لو صار خلف جابلق مصعدا لم يأمن عليا أ لا تعلمون ما جابلق يقوله لأهل الشام قالوا لا قال مدينة في أقصى المشرق ليس بعدها شيء. قال نصر وتناقل الناس كلمة علي ع لأنجزنهم مصبحا فقال الأشر قددنا الفضل في الصباح وللسم || رجال وللحروب رجال [صفحة ١٢٢] فرجال الحروب كل خذب || مقحم لاتهده الأهوال يضرب الفارس المدجج بالسيف || إذافر في الوغا الأكفال يا ابن هند شد الحيازيم للموت || ولا تذهبن بك الآمال إن في الصباح إن بقيت لأمرنا || تتفادي من هوله الأبطال فيه عز العراق أو ظفر الشام || بأهل العراق والزلال فاصبروا للطعان بالأسل السمر || وضرب تجرى به الأمثال إن تكونوا قتلتم النفر البيض || وغالت أولئك الآجال فلنا مثلهم غداة التلاقي || وقليل من مثلهم أبدال يخضبون الوشيح طعنا إذا || جرت من الموت بينهم أذيال طلب الفوز في المعاد وفيه || تستهان النفوس والأموال. قال فلما انتهى إلى معاوية شعر الأشر قال شعر منكر من شاعر منكر رأس أهل العراق وعظيمهم ومسعر حربهم وأول الفتنة وآخرها قدرأيت أن أعاود عليا وأسأله إقراري علي الشام فقد كنت

كتبت إليه ذلك فلم يجب إليه ولأكتبن ثانية فألقى في نفسه الشك والرقه فقال له عمرو بن العاص وضحك أين أنت يا معاوية من خدعة على قال ألسنا بنى عبدمناف قال بلى ولكن لهم النبوة دونك وإن شئت أن تكتب فكتب معاوية إلى على ع مع رجل من السكاسك يقال له عبد الله بن عقبه و كان من نافله أهل العراق أما بعد فإنك لو علمت أن الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجننها بعضنا على [صفحة ١٢٣] بعض ولئن كنا قد غلبنا على عقولنا لقد بقي لنا منها ما نندم به على ماضى ونصلح به ما بقى وقد كنت سألتك الشام على أن تلزمنى لك ببيعة وطاعة فأبيت ذلك على فأعطاني الله ما منعت وأنا أدعوك اليوم إلى مادعوتك إليه أمس فإنى لا أرجو من البقاء إلا ما ترجو ولا أخاف من الموت إلا ما تخاف وقد والله فارقت الأجناد وذهبت الرجال ونحن بنو عبدمناف ليس لبعضنا على بعض فضل إلا فضل لا يستدل به عزيز ولا يسترق به حر والسلام . فلما انتهى كتاب معاوية إلى على ع قرأه ثم قال العجب لمعاوية وكتابه ودعا عبيد بن أبى رافع كاتبه فقال اكتب جوابه أما بعد فقد جاءنى كتابك تذكر أنك لو علمت وعلمنا أن الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجننها بعضنا على بعض فإنى لو قتلت فى ذات الله وحييت ثم قتلت ثم حييت سبعين مرة لم أرجع عن الشدة فى ذات الله والجهاد لأعداء الله و أما قولك إنه قد بقى من عقولنا ما نندم به على ماضى فإنى ما نقصت عقلى ولا ندمت على فعلى و أما طلبك الشام فإنى لم أكن أعطيك اليوم ما منعتك أمس و أما استواؤنا فى الخوف والرجاء فلست أمضى على الشك منى على اليقين وليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة و أما قولك إنا بنو عبدمناف ليس لبعضنا فضل على بعض فلعمرى إنا بنو أب واحد ولكن ليس أمية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا المهاجر كالطليق ولا المحق كالمبطل و فى أيدينا بعد فضل النبوة التى أذللنا بها العزيز وأعززنا بها الذليل والسلام -

روايت - ١ - ٨٨١ . فلما أتى معاوية كتاب على ع كتبه عن عمرو بن العاص أياما ثم دعاه [صفحة ١٢٤] فقرأه إياه فشمت به عمرو و لم يكن أحد من قريش أشد إعظاما لعلى من عمرو بن العاص منذ يوم لقيه وصفح عنه فقال عمرو فيما كان أشار به على معاوية ألا - الله درك يا ابن هند || ودر الأمرين لك الشهود أطمع لا أبالك فى على || و قد قرع الحديد على الحديد و ترجو أن تحيره بشك || وتأمل أن يهابك بالوعيد و قد كشف القناع وجر حربا || يشيب لهولها رأس الوليد له جأواء مظلمة طحون || فوارسها تلهب كالأسود يقول لها إذارجعت إليه || و قدملت طعان القوم عودى فإن وردت فأولها ورودا || و إن صدت فليس بذى صدود و ماهى من أبى حسن بنكر || و لا هو من مسائك بالبعيد و قلت له مقالة مستكين || ضعيف الركن منقطع الوريد دعن لى الشام حسبك يا ابن هند || من السوأة والرأى الزهيد و لو أعطاكها ما زددت عزا || و لا لك لو أجابك من مزيد فلم تكسر بذاك الرأى عودا || لركته و لا مادون عود . فلما بلغ معاوية شعر عمرو دعاه فقال له العجب لك تفيل رأى وتعظم عليا و قد فضحك فقال أما تفيل رأىك فقد كان و أما إعظامى عليا فإنك بإعظامه أشد معرفة منى ولكنك تطويه و أنا أنشره و أما فضيحتى فلم يفتضح امرؤ لقى أباحسن [صفحة ١٢٥]

١٨ - و من كتاب له ع إلى عبد الله بن عباس و هو عامله على البصرة

إشاره

وَ اعْلَمْ أَنَّ الْبَصْرَةَ مَهْبِطُ إِبْلِيسَ وَ مَغْرَسُ الْفِتَنِ فَحَادِثَ أَهْلِهَا بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ وَ احْلُلْ عُقْدَةَ الْخَوْفِ عَن قُلُوبِهِمْ وَ قَدْ بَلَغَنِي تَنَمُّرُكَ لِبَنِي تَمِيمٍ وَ غِلْظَتُكَ عَلَيْهِمْ وَ إِنَّ بَنِي تَمِيمٍ لَمْ يَغِبْ لَهُمْ نَجْمٌ إِلَّا طَلَعَ لَهُمْ آخِرٌ وَ إِنَّهُمْ لَمْ يُسَبِّقُوا بَوْغَمٍ فِي جَاهِلِيَّتِهِ وَ لَا إِسْلَامٍ وَ إِنَّ لَهُمْ بَنِي رَحِمًا مَاسِيَةً وَ قَرَابَةً خَاصَّةً نَحْنُ مَأْجُورُونَ عَلَى صِلَتِهَا وَ مَأْزُورُونَ عَلَى قَطِيعَتِهَا فَارْبَعُ أَبَا الْعَبَّاسِ رَحِمَكَ اللَّهُ فِيمَا جَرَى

عَلَى يَدِكَ وَ لَسَانِكَ مِنْ خَيْرٍ وَ شَرٍّ فَإِنَّا شَرِيكَانِ فِي ذَلِكَ وَ كُنْ عِنْدَ صَالِحِ ظَنِّي بِكَ وَ لَا يَفِيلَنَّ رَأْيِي فِيكَ وَ السَّلَامُ قَوْلُهُ ع مَهْبِطُ إِبْلِيسَ مَوْضِعُ هَبْوَتِهِ . وَ مَغْرَسُ الْفِتَنِ مَوْضِعُ غَرْسِهَا وَيُرْوَى وَ مَغْرَسُ الْفِتَنِ وَ هُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي يَنْزِلُ فِيهِ الْقَوْمُ آخِرَ اللَّيْلِ لِلِاسْتِرَاحَةِ يُقَالُ غَرَسُوا وَ أَغْرَسُوا . وَ قَوْلُهُ ع فَحَادِثُ أَهْلِهَا أَي تَعَاهِدُهُم بِالْإِحْسَانِ مِنْ قَوْلِكَ حَادِثْتُ السَّيْفَ بِالصَّقَالِ . [صَفْحَةُ ١٢٦] وَ التَّنَمُّرُ لِلْقَوْمِ الْغَلْظَةُ عَلَيْهِمُ وَ الْمَعَامَلَةُ لَهُمْ بِأَخْلَاقِ النَّمْرِ مِنَ الْجَرَأَةِ وَ الْوَثُوبِ وَ سَنَذَكَرُ تَصْدِيقَ قَوْلِهِ ع لَمْ يَغِبْ لَهُمْ نَجْمُ الْإِطْلَاقِ لَهُمْ آخِرُ . وَ الْوَعْمُ التَّرَةُ وَ الْأَوْغَامُ التَّرَاتُ أَي لَمْ يَهْدِرْ لَهُمْ دَمٌ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَ لِإِسْلَامِ يَصِفُهُم بِالشَّجَاعَةِ وَ الْحِمِيَّةِ . وَ مَأْزُورُونَ كَانَ أَصْلُهُ مَوْزُورُونَ وَ لَكِنَّهُ جَاءَ بِالْأَلْفِ لِجَاهِزٍ بِهِ أَلْفُ مَأْجُورُونَ وَ قَدْ قَالَ النَّبِيُّ ص مِثْلَ ذَلِكَ . قَوْلُهُ ع فَارْبَعُ أَبَا الْعَبَّاسِ أَي قَفَّ وَ تَثَبَّتْ فِي جَمِيعِ مَا تَعْتَمِدُهُ فَعَلًا - وَ قَوْلًا - مِنْ خَيْرٍ وَ شَرٍّ وَ لَا تَعْجَلْ بِهِ فَإِنِّي شَرِيكَكَ فِيهِ إِذْ أَنْتَ عَامِلِي وَ النَّائِبُ عَنِّي . وَ يَعْنِي بِالشَّرِّ هَاهُنَا الضَّرْرُ فَقَطْ لِأَنَّ الظُّلْمَ وَ الْفِعْلَ الْقَبِيحَ . قَوْلُهُ ع وَ كُنْ عِنْدَ صَالِحِ ظَنِّي فِيكَ أَي كُنْ وَاقِفًا عِنْدَهُ كَأَنَّكَ تَشَاهِدُهُ فَتَمْنَعُكَ مَشَاهِدَتَهُ عَنِ فِعْلِ مَا لَا يَجُوزُ . فَالْرَأْيُ يُفِيلُ أَي ضَعْفٌ وَ أَخْطَأُ

فصل في بني تميم وذكر بعض فضائلهم

وَ قَدْ ذَكَرَ أَبُو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى فِي كِتَابِ التَّاجِ أَنَّ لِبَنِي تَمِيمٍ مَآثِرَ لَمْ يَشْرِكْهُمْ فِيهَا غَيْرُهُمْ أَمَّا بَنُو سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ فَلَهَا ثَلَاثُ خِصَالٍ يَعْرِفُهَا الْعَرَبُ إِحْدَاهَا كَثْرَةُ الْعَدَدِ فَإِنَّهُ أَضْعَفُ عِدْدِهَا عَلَى بَنِي تَمِيمٍ حَتَّى مَلَأَتْ السَّهْلَ وَ الْجَبَلَ عَدَلَتْ مُضِرَّ كَثْرَةَ وَعَامَةَ الْعَدَدِ مِنْهَا فِي كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ وَ لِذَلِكَ قَالَ أَوْسُ بْنُ مِغْرَاءَ [صَفْحَةُ ١٢٧] كَعْبِي مِنْ خَيْرِ الْكَعَابِ كَعْبًا || مِنْ خَيْرِهَا فَوَارِسًا وَ عَقْبًا تَعْدِلُ جَنْبًا وَ تَمِيمٌ جَنْبًا . وَ قَالَ الْفَرَزْدَقُ أَيْضًا فِيهِمْ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ لَوْ كُنْتُ تَعْلَمُ مَا بَرَمَلُ مَوْيِسَلِ || فَفَرَى عَمَانَ إِلَى ذَوَاتِ حَجُورٍ لَعَلَّمْتُ أَنَّ قِبَائِلًا - وَ قِبَائِلًا - || مِنْ آلِ سَعْدٍ لَمْ تَدُنْ لِأَمِيرٍ . وَ قَالَ أَيْضًا تَبْكِي عَلَى سَعْدٍ وَ سَعْدٌ مَقِيمَةٌ || بِيَبْرِينَ قَدْ كَادَتْ عَلَى النَّاسِ تَضَعْفُ وَ لِذَلِكَ كَانَتْ تَسْمَى سَعْدَ الْأَكْثَرِينَ وَ فِي الْمِثْلِ فِي كُلِّ وَادٍ بَنُو سَعْدٍ . وَ الثَّانِيَةُ الْإِفَاضَةُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ ذَلِكَ فِي بَنِي عَطَارِدٍ وَ هُمْ يَتَوَارَثُونَ ذَلِكَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ حَتَّى قَامَ الْإِسْلَامُ وَ كَانُوا إِذَا اجْتَمَعَ النَّاسُ أَيَّامَ الْحَجِّ بِمَنْى لَمْ يَبْرَحْ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ دِينًا وَ سَنَةً حَتَّى يَجُوزَ الْقَائِمُ بِذَلِكَ مِنْ آلِ كَرْبِ بْنِ صَفْوَانَ وَ قَالَ أَوْسُ بْنُ مِغْرَاءَ وَ لَا يَرِيمُونَ فِي التَّعْرِيفِ مَوْقِفَهُمْ || حَتَّى يُقَالَ أَجِيزُوا آلَ صَفْوَانَ . وَ قَالَ الْفَرَزْدَقُ إِذَا مَا لَتَقِينَا بِالْمَحْصَبِ مِنْ مَنْى || صَبِيحَةَ يَوْمِ النَّحْرِ مِنْ حَيْثُ عَرَفُوا تَرَى النَّاسَ مَاسِرِنَا يَسِيرُونَ حَوْلَنَا || وَ إِن نَحْنُ أَوْمَانًا إِلَى النَّاسِ وَ قَفُوا . وَ الثَّلَاثَةُ أَنَّ مِنْهُمْ أَشْرَفُ بَيْتٍ فِي الْعَرَبِ الَّذِي شَرَفْتَهُ مَلُوكٌ لَحْمٌ قَالَ الْمَنْذَرُ بْنُ الْمَنْذَرِ بْنِ مَاءِ السَّمَاءِ ذَاتَ يَوْمٍ وَعِنْدَهُ وَفُودُ الْعَرَبِ وَ دَعَا بِيْرِدَى أَبِيهِ مُحْرَقُ بْنُ الْمَنْذَرِ فَقَالَ لِيْلِبْسِ هَذَيْنِ أَعَزَّ الْعَرَبِ وَأَكْرَمُهُمْ حَسَبًا فَأَحْجَمَ النَّاسُ فَقَالَ أَحْمِرُ بْنُ [صَفْحَةُ ١٢٨] خَلْفُ بْنُ بَهْدَلَةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ أَنَا لِهَمَّا قَالَ الْمَلِكُ بِمَا ذَا قَالَ بَأْسُ مُضِرِّ أَكْرَمِ الْعَرَبِ وَأَعَزَّهَا وَأَكْثَرُهَا عَدِيدًا وَ أَنَّ تَمِيمًا كَاهِلَهَا وَأَكْثَرُهَا وَ أَنَّ بَيْتَهَا وَعَدْدُهَا فِي بَنِي بَهْدَلَةَ بْنِ عَوْفٍ وَ هُوَ جَدِّي فَقَالَ هَذَا أَنْتَ فِي أَصْلِكَ وَعَشِيرَتُكَ فَكَيْفَ أَنْتَ فِي عَتْرَتِكَ وَأَدَانِيكَ . قَالَ أَنَا أَبُو عَشْرَةٍ وَأَخُو عَشْرَةٍ وَعَمُّ عَشْرَةٍ فَدَفَعَهُمَا إِلَيْهِ وَ إِلَى هَذَا أَشَارَ الزُّبَيْرُ قَانَ بْنِ بَدْرِ فِي قَوْلِهِ وَ بَرْدَا بْنُ مَاءِ الْمَزْنِ عَمِّي اِكْتَسَاهُمَا || بِفَضْلِ مَعْدٍ حَيْثُ عَدَّتْ مَحَاصِلُهُ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَ لَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ خِصْلَةٌ قَدِمَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمِ الْمَنْقَرِيِّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص فِي نَفَرٍ مِنْ بَنِي سَعْدٍ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص هَذَا سَيِّدُ أَهْلِ الْوَبْرِ فَجَعَلَهُ سَيِّدَ خَنْدَفٍ وَ قَيْسُ بْنُ مَمْنٍ يَسْكُنُ الْوَبْرَ . قَالَ وَ أَمَّا بَنُو حَنْظَلَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ فَلَهُمْ خِصَالٌ كَثِيرَةٌ قَالَ فِي بَنِي دَارِمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ وَ هُوَ بَيْتُ مُضِرِّ فَمَنْ ذَلِكَ زَرَارَةُ بْنُ عَدَسِ بْنِ زَيْدِ بْنِ دَارِمٍ يُقَالُ إِنَّهُ أَشْرَفُ الْبَيْوتِ فِي بَنِي تَمِيمٍ وَ مِنْ ذَلِكَ قَوْسُ حَاجِبِ بْنِ زَرَارَةَ الْمَرْهُونَةَ عِنْدَ كَسْرَى عَنْ مُضِرِّ كُلِّهَا وَ فِي ذَلِكَ قَيْلٌ وَأَقْسَمُ كَسْرَى لَا يَصَالِحُ وَاحِدًا || مِنَ النَّاسِ حَتَّى يَرْهَنَ الْقَوْسُ حَاجِبَ . وَ مِنْ ذَلِكَ فِي بَنِي مَجَاشِعِ بْنِ دَارِمِ صَعْصَعَةُ بْنُ

ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع و هو أول من أحيا الوئيد قام الإسلام و قد اشترى ثلاثمائة موءودة فأعتقهن ورباهن وكانت العرب تئد البنات خوف الإملاق . و من ذلك غالب بن صعصعة و هو أبو الفرزدق و غالب هو الذي قرى مائة ضيف واحتمل عشر ديات لقوم لا يعرفهم و كان من حديث ذلك أن بنى كلب [صفحه ١٢٩] بن وبرة افتخرت بينها في أنديةها فقالت نحن لباب العرب و قلبها ونحن الذين لاننازع حسبا و كرما فقال شيخ منهم إن العرب غير مقرة لكم بذلك إن لها أحسابا و إن منها لبابا و إن لها فعالا ولكن ابعثوا مائة منكم في أحسن هيئة و بزة ينفرون من مروا به في العرب و يسألونه عشر ديات و لا ينتسبون له فمن قرأهم و بذل لهم الديات فهو الكريم الذي لا ينازع فضلا فخرجوا حتى قدموا على أرض بنى تميم و أسد فنفروا الأحياء حيا فحيا و ماء فماء لا يجدون أحدا على ما يريدون حتى مروا على أكنم بن صيفى فسألوه ذلك فقال من هؤلاء القتلى و من أنتم و ما قصتكم فإن لكم لشأنا باختلافكم في كلامكم فعدلوا عنه ثم مروا بقتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي فسألوه عن ذلك فقال من أنتم قالوا من كلب بن وبرة فقال إني لأبغى كلبا بدم فإن انسلخ الأشهر الحرم و أنتم بهذه الأرض و أدرككم الخيل نكلت بكم و أثكلتكم أمهاتكم فخرجوا من عنده مرعوبين فمروا بعطارد بن حاجب بن زرارة فسألوه ذلك فقال قولوا بيانا و خذوها فقالوا أما هذا فقد سألكم قبل أن يعطيكم فتركوه و مروا ببني مجاشع بن دارم فأتوا على واد قدامتلا إبلا فيها غالب بن صعصعة يهأ منها إبلا فسألوه القرى و الديات فقال هاكم البزل قبل النزول فابتزوها من البرك و حوزوا دياتكم ثم انزلوا فتنزلوا و أخبروه بالحال و قالوا أرشدك الله من سيد قوم لقد أرحتنا من طول النصب و لو علمنا لقصدا إليك فذلك قول الفرزدق فله عينا من رأى مثل غالب || قرى مائة ضيفا و لم يتكلم و إذ نبحت كلب على الناس إنهم || أحق بتاج الماجد المتكرم [صفحه ١٣٠] فلم يجلب عن أحسابها غير غالب || جرى بعناني كل أبلج خضرم قال فأما بنو يربوع بن حنظلة فمنهم ثم من بنى رباح بن يربوع عتاب بن هرمى بن رباح كانت له ردافة الملوكة ملوك آل المنذر و ردافة الملك أن يثنى به فى الشرب و إذا غاب الملك خلفه فى مجلسه و ورث ذلك بنوه كابر حتى قام الإسلام قال لبيد بن ربيعة و شهدت أنجبة الأكارم غالبا || كعبي و أرداف الملوكة شهود و يربوع أول من قتل قتيلا من المشركين و هو واقد بن عبد الله بن ثعلبة بن يربوع حليف عمر بن الخطاب قتل عمرو بن الحضرمى فى سريه نخلة فقال عمر بن الخطاب يفتخر بذلك سقينا من ابن الحضرمى رماحنا || بنخلة لما أوقد الحرب واقد و ظل ابن عبد الله عثمان بيننا || ينازعه غل من القد عاند . ولها جواد العرب كلها فى الإسلام بدأ العرب كلها جودا خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحى دخل الفرزدق على سليمان بن عبد الملك و كان يشنؤه لكثرة بأوه و فخره فتهجمه و تنكر له و أغلظ فى خطابه حتى قال من أنت لا أم لك قال أ و ماتعرفنى يا أمير المؤمنين أنا من حى هم من أوفى العرب و أحلم العرب و أسود العرب و أجود العرب و أشجع العرب و أشعر العرب فقال سليمان و الله لتحتجن لما ذكرت أولأ و جعن ظهرك و لأبعدن دارك قال أما أوفى العرب فحاجب بن زرارة رهن قوسه عن العرب كلها و أوفى و أما أحلم العرب فالأحنف بن قيس يضرب به المثل حلما و أما أسود العرب فقيس بن عاصم قال له رسول الله ص هذا سيد أهل الوبر [صفحه ١٣١] و أما أشجع العرب فالحرش بن هلال السعدى و أما أجود العرب فخالد بن عتاب بن ورقاء الرياحى و أما أشعر العرب فها أناذا عندك قال سليمان فما جاء بك لا شىء لك عندنا فارجع على عقبك و غمه ماسمع من عزة و لم يستطع له ردا فقال الفرزدق فى أبيات أتيناك لا من حاجة عرضت لنا || إليك و لا من قلة فى مجاشع . قلت و لو ذكر عتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعى و قال إنه أشجع العرب لكان غير مدافع قالوا كانت العرب تقول لو وقع القمر إلى الأرض لما التقفه إلا عتيبة بن الحارث لثقافته بالرمح و كان يقال له صياد الفوارس و سم الفوارس و هو الذى أسر بسطام بن قيس و هو فوارس ربيعة و شجاعها و مكث عنده فى القيد مدة حتى استوفى فداءه و جز ناصيته و خلى سبيله على ألا يغزو بنى يربوع و عتيبة هذا هو المقدم على فرسان العرب كلها فى كتاب طبقات الشجعان و مقاتل الفرسان ولكن الفرزدق لم يذكره و إن كان تميميا لأن جريرا يفتخر به لأنه من بنى يربوع فحملته عداوة جرير على أن عدل عن ذكره .

قال أبو عبيدة ولبنى عمرو بن تميم خصال تعرفها لهم العرب ولا ينازعهم فيها أحد فمنها أكرم الناس عما وعمه وجدا وجده و هو هند بن أبي هالة واسم أبي هالة نباش بن زرارة أحد بنى عمرو بن تميم كانت خديجة بنت خويلد قبل [صفحة ١٣٢] النبي ص تحت أبي هالة فولدت له هنداً ثم تزوجها رسول الله ص وهند بن أبي هالة غلام صغير فتبناه النبي ص ثم ولدت خديجة من رسول الله ص القاسم والطاهر وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة فكان هند بن أبي هالة أخاهم لأهمهم ثم أولد هند بن أبي هالة هند بن هند فهند الثاني أكرم الناس جدا وجده يعنى رسول الله ص وخديجة وأكرم الناس عما وعمه يعنى بنى النبي ص وبناته . ومنها أن لهم أحكم العرب فى زمانه أكثم بن صيفى أحد بنى أسد بن عمرو بن تميم كان أكثر أهل الجاهلية حكما ومثالا وموعظة سائرة. ومنها ذو الأعواز كان له خراج على مضر كافة تؤديه إليه فشاخ حتى كان يحمل على سرير يطاف به على مياه العرب فيؤدى إليه الخراج وقال الأسود بن يعفر النهشلى و كان ضريرا ولقد علمت خلاف ماتناشى || أن السبيل سبيل ذى الأعواز . ومنها هلال بن أحوز المازنى الذى ساد تميما كلها فى الإسلام و لم يسدها غيره . قال ودخل خالد بن عبد الرحمن بن الوليد بن المغيرة المخزومى مسجد الكوفة فانتهى إلى حلقة فيها أبو الصقعب التيمى من تيم الرباب والمخزومى لا يعرفه و كان أبو الصقعب من أعلم الناس فلما سمع علمه وحديثه حسده فقال له ممن الرجل قال من تيم الرباب فظن المخزومى أنه وجد فرصة فقال والله ما أنت من سعد الأكرين و لا من حظلة الأكرمين و لا من عمرو الأشدين فقال أبو الصقعب فممن أنت قال من بنى مخزوم قال والله ما أنت من هاشم المنتخين و لا من أمية المستخلفين [صفحة ١٣٣] و لا من عبد الدار المستحجين فبم تفرح قال نحن ربحانة قريش قال أبو الصقعب قبحا لما جئت به وهل تدري لم سميت مخزوم ربحانة قريش سميت لحظوة نسائها عند الرجال فأفحمه روى أبو العباس المبرد فى كتاب الكامل أن معاوية قال للأحنف بن قيس وجارية بن قدامة ورجال من بنى سعد معهما كلاما أحفظهم فردوا عليه جوابا مقذعا وامراته فاخته بنت قرظة فى بيت يقرب منهم وهى أم عبد الله بن معاوية فسمعت ذلك فلما خرجوا قالت يا أمير المؤمنين لقد سمعت من هؤلاء الأجلاف كلاما تلقوك به فلم تنكر فكذت أن أخرج إليهم فأسطو بهم فقال معاوية إن مضر كأهل العرب وتميما كأهل مضر وسعدا كأهل تميم وهؤلاء كأهل سعد. وروى أبو العباس أيضا أن عبد الملك ذكر يوما بنى دارم فقال أحد جلسائه يا أمير المؤمنين هؤلاء قوم محظوظون يعنى فى كثرة النسل ونماء الذرية فلذلك انتشر صيتهم فقال عبد الملك ماتقول هذا و قدمضى منهم لقيط بن زرارة و لم يخلف عقبا ومضى قعقاع بن معبد بن زرارة و لم يخلف عقبا ومضى محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة و لم يخلف عقبا والله لا تنسى العرب هذه الثلاثة أبدا. قال أبو العباس إن الأصمعى قال إن حربا كانت بالبادية ثم اتصلت بالبصرة فتفاقم الأمر فيها ثم مشى بين الناس بالصلح فاجتمعوا فى المسجد الجامع قال فبعثت و أنا غلام إلى ضرار بن القعقاع من بنى دارم فاستأذنت عليه فأذن لى فدخلت فإذا به فى شملة يخلط بزرا لعنز له حلوب فخبزته بمجتمع القوم فأمهل حتى أكلت العنز ثم غسل الصلحة وصاح يا جارية غدينا فأنته بزيت وتمر فدعانى فقذرتة [صفحة ١٣٤] أن آكل معه حتى إذا قضى من أكله وحاجته وطرا وثب إلى طين ملقى فى الدار فغسل به يده ثم صاح يا جارية اسقيني ماء فأنته بماء فشربه ومسح فضله على وجهه ثم قال الحمد لله ماء الفرات بتمر البصرة بزيت الشام متى تؤدى شكر هذه النعم ثم قال على بردائى فأنته برداء عدنى فارتدى به على تلك الشملة قال الأصمعى فتجافيت عنه استقباحا لزيه فلما دخل المسجد صلى ركعتين ثم مشى إلى القوم فلم تبق حبة إلا حلت إعظاما له ثم جلس فتحمل جميع ما كان بين الأحياء فى ماله ثم انصرف . قال أبو العباس وحدثنى أبو عثمان المازنى عن أبى عبيدة قال لما أتى زياد بن عمرو المبرد فى عقب قتل مسعود بن عمرو العتكى وجاء زياد بن عمرو بن الأشرف العتكى ليثأر به من بنى تميم صف أصحابه فجعل فى الميمنة بكر بن وائل و فى الميسرة عبد القيس وهم لكيز بن أفضى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة و كان زياد بن عمرو العتكى فى القلب فبلغ ذلك الأحنف بن قيس فقال هذا غلام حدث شأنه الشهرة و ليس بيالى أين قذف بنفسه فندب أصحابه

فجاءه حارثة بن بدر الغداني وقد اجتمعت بنو تميم فلما أتى قال قوموا إلى سيدكم ثم أجلسه فناظره فجعلوا سعدا والرباب في القلب ورئيسهم عيس بن طلق الطعان المعروف بأخي كهمس وهو أحد بنى صريم بن يربوع فكانوا بحداء زياد بن عمرو و من معه من الأزد وجعل حارثة بن بدر الغداني في بنى حنظلة بحداء بكر بن وائل وجعل عمرو بن تميم بحداء عبدالقيس فذلك حيث يقول حارثة بن بدر للأحنف سيكفيك عيس أخو كهمس || مقارعة الأزد في المربد ويكفيك عمرو على رسلها || لكيز بن أفضى و ما عددوا [صفحة ١٣٥] ونكفيك بكرا إذا قبلت || بضرب يشيب له الأمرد ولكيز بن أفضى تعم عبدالقيس قال فلما توافقوا بعث إليهم الأحنف يامعشر الأزد من اليمن وربيعه من أهل البصرة أنتم والله أحب إلينا من تميم الكوفة وأنتم جيراننا في الدار ويدنا على العدو وأنتم بدأتمونا بالأمس ووطئتم حريمنا وحرقتم علينا فدفعنا عن أنفسنا ولا حاجة لنا في الشر ما طلبنا في الخير مسلكا فتميموا بنا طريقة مستقيمة فوجه إليه زياد بن عمرو تخير خلة من ثلاث إن شئت فانزل أنت وقومك على حكمنا و إن شئت فخل لنا عن البصرة وارحل أنت وقومك إلى حيث شئتم و إلفدوا قتلانا وأهدروا دماءكم وليود مسعود دية المشعرة. قال أبو العباس وتأويل قوله دية المشعرة يريد أمر الملوك في الجاهلية وكان الرجل إذا قتل وهو من أهل بيت المملكة ودى عشر ديات فبعث إليه الأحنف سنختر فانصرفوا في يومكم فهب القوم راياتهم وانصرفوا فلما كان الغد بعث الأحنف إليهم إنكم خيرتمونا خلالاتنا ليس لنا فيها خيار أما النزول على حكمكم فكيف يكون والكلم يقطر و أما ترك ديارنا فهو أخو القتل قال الله عز وجل وَ لَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ وَلَكِنِ الثَّالِثَةُ إِنَّمَا هِيَ حَمَلٌ عَلَى الْمَالِ فَنَحْنُ نَبْطِلُ دِمَاءَنَا وَ نَدَى قِتْلَاكُمْ وَإِنَّمَا مَسْعُودٌ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَقَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ عِزَّ وَ جَلَّ أَمْرُ الْجَاهِلِيَّةِ فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى أَنْ يَقْفُوا أَمْرَ مَسْعُودٍ وَيَعْمَدُوا السَّيْفَ وَ تَوَدَّى سَائِرَ الْقَتْلَى مِنَ الْأَزْدِ وَ رَبِيعَةَ فَضَمَّنَ ذَلِكَ الْأَحْنَفُ وَ دَفَعَ إِلَيْهِمْ إِيَّاسَ بْنِ قَتَادَةَ الْمَجَاشِعِيِّ رَهِينَةً حَتَّى يُوَدَّى هَذَا الْمَالُ فَضَرَى بِهِ الْقَوْمُ فَفَخِرَ بِذَلِكَ الْفَرَزْدَقُ فَقَالَ لَجْرِيرٍ - قُرْآن - ٩١٣ - ١٠٢١ [صفحة ١٣٦] وَمَنَا الَّذِي أُعْطِيَ يَدَيْهِ رَهِينَةً || لَغَارِي مَعْدُ يَوْمَ ضَرْبِ الْجَمَاجِمِ عَشِيَّةَ سَالِ الْمَرْبِدَانِ كِلَاهِمَا || عَجَاجَةٌ مَوْتٌ بِالسِّيُوفِ الصَّوَارِمِ هُنَالِكَ لَوْتَبَغَى كَلْبِيَا وَجَدْتَهَا || أَذَلَّ مِنَ الْقِرْدَانِ تَحْتَ الْمَنَاسِمِ وَيُقَالُ إِنْ تَمِيمَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مَعَ بَادِيَتِهَا وَحَلْفَائِهَا مِنَ الْأَسَاوِرَةِ وَالزُّرْطِ وَالسَّبَاجِجِ وَغَيْرِهِمْ كَانُوا زَهَاءَ سَبْعِينَ أَلْفًا وَ فِي ذَلِكَ يَقُولُ جَرِيرٌ سَائِلٌ ذَوِي يَمَنِ وَرَهْطٌ مَحْرَقٌ || وَالْأَزْدُ إِذْ نَدَبُوا لَنَا مَسْعُودًا فَأَتَاهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا مَدَجَجٌ || مَتَسْرِبِلِينَ يَلَامِقًا وَحَدِيدًا . قَالَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ فَكَثُرَتْ عَلَى الدِّيَاتِ فَلَمْ أَجِدْهَا فِي حَاضِرَةِ تَمِيمٍ فَخَرَجْتُ نَحْوَ يَبْرِينَ إِلَى بَادِيَةِ تَمِيمٍ فَسَأَلْتُ عَنِ الْمَقْصُودِ هُنَاكَ فَأَرَشَدْتِ إِلَى قَبَةِ إِذَا شَيْخٌ جَالِسٌ بِفَنَائِهَا مُؤْتَرَّرٌ بِشَمْلَةٍ مُحْتَبٌ بِحَبْلِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَانْتَسَبْتُ لَهُ فَقَالَ لِي مَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَ قَلْتُ تَوَفَّى قَالَ فَمَا فَعَلَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ الَّذِي كَانَ يَحْفَظُ الْعَرَبَ وَيَحُوطُهَا قَلْتُ تَوَفَّى قَالَ فَأَيُّ خَيْرٍ فِي حَاضِرَتِكُمْ بَعْدَهُمَا قَالَ فَذَكَرْتُ لَهُ الدِّيَاتِ الَّتِي لَزِمْتَنَا لِلْأَزْدِ وَ رَبِيعَةَ قَالَ فَقَالَ لِي أَقْمِ فَإِذَا رَاعَ قَدَّ أَرَا حَ عَلَيْهِ أَلْفٌ بَعِيرٌ فَقَالَ خُذْهَا ثُمَّ أَرَا حَ عَلَيْنَا آخِرَ مِثْلِهَا فَقَالَ خُذْهَا فَقُلْتُ لِأَحْتَا جِ إِلَيْهَا قَالَ فَانصرفت بالألف عنه و والله ما أدري من هو إلى الساعة [صفحة ١٣٧]

١٩ - و من كتاب له ع إلى بعض عماله

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ دَهَاقِينَ أَهْلَ بَلَدِكَ شَكُوا مِنْكَ غِلْظَةً وَ قَسْوَةً وَ احْتِقَارًا وَ جَفَوَةً وَ نَظَرْتُ فَلَمْ أَرَهُمْ أَهْلًا لِأَنَّ يُدْنُوا لِشَرِكِهِمْ وَ لَا أَنْ يُقْصِيُوا وَ يُجْضُوا لِعَهْدِهِمْ فَالْبَسَ لَهُمْ جِلْبَابًا مِنَ اللَّيْنِ تَشْوِبُهُ بِطَرْفٍ مِنَ الشَّدَّةِ وَ دَاوِلَ لَهُمْ بَيْنَ الْقَسْوَةِ وَ الرَّأْفَةِ وَ امزَجَ لَهُمْ بَيْنَ التَّقْرِيبِ وَ الإِدْنَاءِ وَ الإِبْعَادِ وَ الإِقْصَاءِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ الدَّهَاقِينَ الزَّعْمَاءَ أَرْبَابَ الْأَمْلاَكِ بِالسَّوَادِ وَ أَحَدَهُمْ دَهْقَانٌ بِكَسْرِ الدَّالِ وَ لَفْظُهُ مَعْرَبٌ . وَ دَاوِلَ بَيْنَهُمْ أَى مَرَّةً هَكَذَا وَ مَرَّةً هَكَذَا أَمْرُهُ أَنْ يَسْلُكَ مَعَهُمْ مِنْهُجًا مَتَوَسِّطًا لَا يَدِينُهُمْ كُلَّ الدَّنُو لِأَنَّهُمْ مُشْرِكُونَ وَ

لا يقصيههم كل الإقتضاء لأنهم معاهدون فوجب أن يعاملهم معاملته آخذة من كل واحد من القسمين بنصيب [صفحة ١٣٨]

٢٠- ومن كتاب له ع إلى زياد ابن أبيه و هو خليفة عامله عبد الله بن عباس على البصرة و عبد الله عامل أمير المؤمنين ع يومئذ عليها و على كور الأهواز وفارس وكرمان وغيرها

وَإِنِّي أَقْسِمُ بِاللَّهِ قَسِيمًا صَادِقًا لَئِن بَلَغَنِي أَنْكَ خُنْتَ مِنْ فِئَةِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا لَأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شِدَّةً تَدْعُكَ قَلِيلَ الْوَفْرِ تَقِيلَ الظَّهْرَ ضَمِيلَ الْأَمْرِ وَالسَّلَامُ سِيَأْتِي ذِكْرَ نَسَبِ زِيَادٍ وَكَيْفِيَةِ اسْتِلْحَاقِ مَعَاوِيَةَ لَهُ فِيمَا بَعْدَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . قوله ع لأشدن عليك شدة مثل قوله لأحملن عليك حملة والمراد تهديده بالأخذ واستصفاء المال . ثم وصف تلك الشدة فقال إنها تتركك قليل الوفرة أى أفقرك بأخذ ما احتجت من بيت مال المسلمين . وثقيل الظهر أى مسكين لا تقدر على مؤنثة عيالك . وضئيل الأمر أى حقير لأنك إنما كنت نبيا بين الناس بالغنى والثروة فإذا افتقرت صغرت عندهم واقتحمتك أعينهم [صفحة ١٣٩]

٢١- ومن كتاب له ع إلى زياد أيضا

فَدَعَ الْإِسْرَافَ مُقْتَصِدًا وَادَّكَرَ فِي الْيَوْمِ غَدًا وَامْسِكْ مِنَ الْمَالِ بِقَدْرِ ضُرُورَتِكَ وَقَدِّمِ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ أَوْ تَرْجُو أَنْ يُعْطِيكَ اللَّهُ أَجْرَ الْمُتَوَاضِعِينَ وَأَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ وَتَطْمَعُ وَأَنْتَ مَتَمَّرٌ فِي النَّعِيمِ أَنْ تَمَنَّهُ الضَّعِيفُ وَالْأَرْمَلَةُ وَأَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوَابَ الْمُتَصَدِّقِينَ وَإِنَّمَا الْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بِمَا أَسْلَفَ وَقَادِمٌ عَلَى مَا قَدَّمَ وَالسَّلَامُ الْمَتَمَّرُ فِي النَّعِيمِ الْمَتَقَلِّبُ فِيهِ وَنَهَاهُ عَنِ الْإِسْرَافِ وَهُوَ التَّبَذِيرُ فِي الْإِنْفَاقِ وَأَمْرُهُ أَنْ يُمْسِكَ مِنَ الْمَالِ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ الضَّرُورَةُ وَأَنْ يَقْدِمَ فَضُولَ أَمْوَالِهِ وَمَا لَيْسَ لَهُ إِلَيْهِ حَاجَةٌ ضَرُورِيَّةٌ فِي الصَّدَقَةِ فَيُدْخِرُهُ لِيَوْمِ حَاجَتِهِ وَهُوَ يَوْمُ الْبَعْثِ وَالنَّشُورِ . قلت قبح الله زيادا فإنه كافأ إنعام على ع وإحسانه إليه واصطناعه له بما لاحاجة إلى شرحه من أعماله القبيحة بشيعته ومحبيه والإسراف في لعنه وتهجين أفعاله والمبالغة في ذلك بما قد كان معاوية يرضى باليسير منه و لم يكن يفعل ذلك لطلب رضا معاوية كلاب يفعل بطبعه ويعاديه بباطنه وظاهره وأبى الله إلا أن يرجع إلى أمه ويصحح نسبه و كل إناء ينضح بما فيه ثم جاء ابنه بعد فحتم تلك الأعمال السيئة بما ختم و إلى الله ترجع الأمور [صفحة ١٤٠]

٢٢- ومن كتاب له ع إلى عبد الله بن العباس رحمه الله تعالى

وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ مَا تَنْتَفَعُ بِكَلَامٍ بَعْدَ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ نَفْسِي بِهَذَا الْكَلَامِ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الْمَرْءَ قَدْ يَشِيرُهُ دَرَكٌ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ وَيَسُوؤُهُ قَوْلٌ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكُهُ فَلْيُكُنْ سُورُوكَ بِمَا نِلْتَ مِنْ آخِرَتِكَ وَ لِيَكُنْ أَسْفُكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْهَا وَمَا نِلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فَلَا تُكْثِرْ بِهِ فَرَحًا وَمَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلَا تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعًا وَ لِيَكُنْ هَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ يَقُولُ إِنْ كُلُّ شَيْءٍ يَصِيبُ الْإِنْسَانَ فِي الدُّنْيَا مِنْ نَفْعٍ وَضُرٍّ فَقَضَاءُ مِنَ اللَّهِ وَقَدْرُهُ تَعَالَى لَكِنَّ النَّاسَ لَا يَنْظُرُونَ حَقَّ النَّظَرِ فِي ذَلِكَ فَيَسِرُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ بِمَا يَصِيبُهُ مِنَ النَّفْعِ وَيَسَاءُ بِفُوتِ مَا يَفُوتُهُ مِنْهُ غَيْرَ عَالِمٍ بِأَنَّ ذَلِكَ النَّفْعَ الَّذِي أَصَابَهُ كَانَ لَا بَدَّ أَنْ يَصِيبَهُ وَأَنَّ مَا فَاتَهُ مِنْهُ كَانَ لَا بَدَّ أَنْ يَفُوتَهُ وَلَوْ عَرَفَ ذَلِكَ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ لَمْ يَفْرَحْ وَلَمْ يَحْزَنْ . ولقائل أن يقول هب أن الأمور كلها بقضاء وقدر فلم لا ينبغي للإنسان أن يفرح بالنفع وإن وقع بالقدر ويساء بفوته أوبالضرر وإن وقع بقدر أليس العريان يساء [صفحة ١٤١] بقدم الشتاء وإن كان لا بد من قدومه والمحموم غبا يساء بتجدد نوبة الحمى وإن كان لا بد من تجددها فليس سبب الاختيار في الأفعال مما يوجب أن لا يسر الإنسان ولا يساء بشيء منها . والجواب ينبغي أن يحمل هذا الكلام على أن الإنسان ينبغي أن لا يعتقد في الرزق أنه أتاه بسعيه

وحرركته فيفرح معجبا بنفسه معتقدا أن ذلك الرزق ثمرة حركته واجتهاده وكذلك ينبغي ألا يساء بفوات ما يفوته من المنافع لائما نفسه في ذلك ناسبا لها إلى التقصير وفساد الحيلة والاجتهاد لأن الرزق هو من الله تعالى لا أثر للحركة فيه وإن وقع عندها وعلى هذا التأويل ينبغي أن يحمل قوله تعالى ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكيلا- تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور. من النظم الجيد الروحاني في صفة الدنيا والتحذير منها والوصاء بترك الاغترار بها والعمل لمابعدا ما أورده أبوحيان في كتاب الإشارات الإلهية ولم يسم قائله -قرآن- ٥٨٧-٨١٦ دار الفجائع والهموم ودار || البث والأحزان والبلوى مر المذاقة غب ما احتلبت || منها يداك وبيبة المرعى بينا الفتى منها بمنزلة || إذ صار تحت ترابها ملقى تقفو مساويها محاسنها || لا شيء بين النعى والبشرى ولقل يوم ذر شارقه || إلا سمعت بهالك ينعي لاتعتبن على الزمان لما || يأتي به فلقلما يرضى [صفحة ١٤٢] للمرء رزق لا يفوت ولو || جهد الخلائق دون أن يفنى يا عامر الدنيا المعد لها || ماذا عملت لدارك الأخرى ومهد الفرش الوطيئة لا || تغفل فراش الرقدة الكبرى لو قد دعيت لقد أجت لما || تدعى له فانظر متى تدعى أتراك تحصي كم رأيت من || الأحياء ثم رأيتهم موتى من أصبحت دنياه همته || فمتى ينال الغاية القصوى سبحان من لا شيء يعدله || كم من بصير قلبه أعمى والموت لا يخفى على أحد || ممن أرى وكأنه يخفى والليل يذهب والنهار || بأحبابي وليس عليهما عدوى [صفحة ١٤٣]

٢٣- ومن كلام له ع قاله قبل موته على سبيل الوصية لماضيه ابن ملجم لعنه الله

وَصِيَّتِي لَكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا وَ مُحَمَّدٌ صَ فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ أَقِيمُوا هَذِينَ الْعُمُودِينَ وَ أَوْقِدُوا هَذِينَ الْمِصْبَاحِينَ وَ خَلَاكُمْ ذَمَّ أَنَا بِالْأَمْسِ صِيَّاجُكُمْ وَ الْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ وَ غَدًا مُفَارِقُكُمْ إِنْ أَبَقْنَا فَمَا لِي وَ لِي دَمِي وَ إِنْ أَفْنُ فَالْفَنَاءُ مِعَادِي وَ إِنْ أَعْفُ فَالْعَفْوُ لِي قُرْبِيَّةً وَ هُوَ لَكُمْ حَسَنَةٌ فَاعْفُوا أَلَّا تُجْبُونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَ اللَّهُ مَا فَجَأَنِي مِنَ الْمَوْتِ وَارِدٌ كَرِهْتُهُ وَ لَا طَالِعٌ أَنْكَرْتُهُ وَ مَا كُنْتُ إِلَّا كَقَارِبٍ وَرَدَّ وَ طَالِبٍ وَجَدَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ -قرآن- ٣٨٣-٤٢٢-قرآن- ٥٥٩-٥٩٣ قال الرضى رحمه الله تعالى أقول و قدمضى بعض هذا الكلام فيما تقدم من الخطب إلا- أن فيه هاهنا زيادة أوجبت تكريره -رواية- ١-١٢٢ فإن قلت لقائل أن يقول إذا أوصاهم بالتوحيد واتباع سنة النبي ص [صفحة ١٤٤] فلم يبق شيء بعد ذلك يقول فيه أقيموا هذين العمودين و خلاكم ذم لأن سنة النبي ص فعل كل واجب وتجنب كل قبيح فخلاهم ذم فما ذا يقال . والجواب أن كثيرا من الصحابة كلفوا أنفسهم أمورا من النوافل شاقه جدا فمنهم من كان يقوم الليل كله ومنهم من كان يصوم الدهر كله ومنهم المرابط في الثغور ومنهم المجاهد مع سقوط الجهاد عنه لقيام غيره به ومنهم تارك النكاح ومنهم تارك المطاعم والملابس وكانوا يتفاخرون بذلك ويتنافسون فيه فأرادع أن يبين لأهله وشيعته وقت الوصية أن المهم الأعظم هو التوحيد والقيام بما يعلم من دين محمد ص أنه واجب ولا عليكم بالإخلال بما عدا ذلك فليت من المائة واحدا نهض بذلك والمراد ترغيبهم بتخفيف وظائف التكليف عنهم فإن الله تعالى يقول يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَ لَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَ -قرآن- ٧٠٠-٧٥٧ قال ص بعثت بالحنيفية السهلة السمحة -رواية- ١-٢-رواية- ١١-٤١ . قوله و خلا-كم ذم لفظه تقال على سبيل المثل أى قد أذرتهم وسقط عنكم الدم . ثم قسم أيامه الثلاثة أقساما فقال أنا بالأمس صاحبكم أى كنت أرجى وأخاف وأنا اليوم عبرة لكم أى عظة تعتبرون بها وأنا غدا مفارقكم أكون فى دار أخرى غير داركم . ثم ذكر أنه إن بقى ولم يمت من هذه الضربة فهو ولى دمه إن شاء عفا وإن شاء اقتص وإن لم يبق فالفناء الموعد الذى لا بد منه . ثم عاد فقال و إن أعف والتقسيم ليس على قاعدة تقسيم المتكلمين والمعنى منه مفهوم وهو إما أن أسلم من هذه الضربة أو لا أسلم فإن سلمت منها فأنا ولى دمي إن شئت عفوت فلم أقتص وإن شئت اقتصت و

لايعنى بالقصاص هاهنا القتل بل ضربه بضربة فإن سرت إلى النفس كانت السراية مهدرة كقطع اليد. [صفحة ١٤٥] ثم أوماً إلى أنه إن سلم عفا بقوله إن العفو لى إن عفوت قربة. ثم عدنا إلى القسم الثانى من القسمين الأولين و هو أنه ع لايسلم من هذه فولاية الدم إلى الورثة إن شاءوا اقتصوا و إن شاءوا عفاوا. ثم أوماً إلى أن العفو منهم أحسن بقوله و هولكم حسنة بل أمرهم أمرا صريحا بالعفو فقال فاعفواً لا- تُجِبُونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ و هذاالفظ الكتاب العزيز وينبغى أن يكون أمره بالعفو فى هذاالكلام محمولا على الندب . ثم أقسم ع أنه مافجأه من الموت أمر أنكره و لاكرهه فجأنى الشىء أتانى بغته. ثم قال ماكنت إلاكقارب ورد والقارب الذى يسير إلى الماء و قدبقى بينه وبينه ليلة واحدة والاسم القرب فهم قاربون و لايقال مقربون و هو حرف شاذ - قرآن- ٢٩٦-٣٣٥ [صفحة ١٤٦]

٢٤- و من وصية له ع بما يعمل فى أمواله كتبها بعدمنصرفه من صفين

هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي مَالِهِ ابْتِغَاءً وَجِهَ اللَّهُ لِيُؤَلِّجَهُ بِهِ الْجَنَّةَ وَيُعْطِيَهُ بِهِ الْأَمْنَةَ قَدَعَاتِبَتِ الْعُثْمَانِيَّةُ وَقَالَتْ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ مَاتَ وَ لَمْ يَخْلَفْ دِينَارًا وَ لَادِرْهَمًا وَ إِنَّ عَلِيًّا مَاتَ وَ خَلَفَ عَقَارًا كَثِيرًا يَعْنُونَ نَخْلًا قَلِيلَ لِهَمٍ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أَحَدٍ أَنَّ عَلِيًّا عَاسْتَخْرَجَ عِيونًا بِكَدِّ يَدِهِ بِالْمَدِينَةِ وَيَنْبَعُ وَسُويَعُهُ وَأَحْيَا بِهَا مَوَاتَا كَثِيرًا ثُمَّ أَخْرَجَهَا عَنْ مَلِكِهِ وَ تَصَدَّقَ بِهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَ لَمْ يَمِتْ وَ شَىءٌ مِنْهَا فِي مَلِكِهِ أَلَا- تَرَى إِلَى مَا تَتَضَمَّنُهُ كِتَابُ السَّيْرِ وَ الْأَخْبَارِ مِنْ مَنَازِعَةِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ وَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ فِي صَدَقَاتِ عَلِيٍّ عَ وَ لَمْ يُوْرثْ عَلِيٌّ عَ بَنِيهِ قَلِيلًا- مِنَ الْمَالِ وَ لَا- كَثِيرًا إِلَّا عبيده و إماءه و سبعمائة درهم من عطائه تركها ليشترى بها خادما لأهله قيمتها ثمانية و عشرون دينارًا على حسب المائة أربعة دنانير و هكذا كانت المعاملة بالدراهم إذ ذاك وإنما لم يترك أبو بكر قليلا و لا كثيرا لأنه ما عاش و لو عاش لترك ألا ترى أن عمر أصدق أم كلثوم أربعين ألف درهم و دفعها إليها و ذلك لأن هؤلاء طال أعمارهم فمنهم من درت عليه أخلاف التجارة و منهم من كان يستعمر الأرض و يزرعها و منهم من استفضل من رزقه من الفىء. [صفحة ١٤٧] و فضلهم أمير المؤمنين ع بأنه كان يعمل بيده و يحرق الأرض و يستقى الماء و يغرس النخل كل ذلك يباشره بنفسه الشريفه و لم يستبق منه لوقته و لالعقبه قليلا و لا كثيرا وإنما كان صدقة و قد مات رسول الله ص و له ضياع كثيرة جليله جدا بخبير و فدك و بنى النضير و كان له وادى نخلة و ضياع أخرى كثيرة بالطائف فصارت بعد موته صدقة بالخبر الذى رواه أبو بكر فإن كان على ع معييا بضياعه و نخله فكذلك رسول الله ص و هذا كفر و إلهاد و إن كان رسول الله ص إنما ترك ذلك صدقة فرسول الله ص ماروى عنه الخبر فى ذلك إلا واحد من المسلمين و على ع كان فى حياته قد أثبت عند جميع المسلمين بالمدينة أنها صدقة فالتهمه إليه فى هذا الباب أبعد و روى و يعطينى به الأمانة و هى الأمن منها فإنه يقول بذلك الحسن بن عليّ يأكبل منه بالمعروف و ينفق منه بالمعروف فإن حدث بحسن حدث و حسين حتى قام بالأمر بعده و أصدره مصدره و إن لابنى فاطمة من صدقة على مثل الذى لبني على و إنى إنما جعلت القيام بذلك إلى ابنى فاطمة ابتغاء وجه الله و قربته إلى رسول الله ص و تكريما لحرمة و تشريفا لوصيته و يشترط على الذى يجعله إليه أن يترك المال على أصوله و ينفق من ثمره حيث أمر به و هدى له و ألا يبيع من أولاد نخيل هذه القرى و دية حتى تشكل أرضها غراسا [صفحة ١٤٨] و من كان من إمائى اللاتي أطوف عليهن لها و لمد أو هى حامل فتمسك على و لمدها و هى من حظها فإن مات و لمدها و هى حية فهى عتيقة قد أفرج عنها الرق و حررها العتق قال السيد الرضى رحمه الله تعالى قوله ع فى هذه الوصية و ألا يبيع من نخلها و دية الودية الفسيلة و جمعها و دى. قوله ع حتى تشكل أرضها غراسا هو من أفصح الكلام و المراد به أن الأرض يكثر فيها غراس النخل حتى يراها الناظر على غير تلك الصفة التى عرفها بها فيشكل عليه أمرها و يحسبها غيرها -روايت- ١-٢٩٣ جعل للحسن ابنه ع ولاية صدقات

أمواله وأذن له أن يأكل منه بالمعروف أى لايسرف وإنما يتناول منه مقدار الحاجة و ماجرت بمثله عادة من يتولى الصدقات كما قال الله تعالى وَ الْعَامِلِينَ عَلَيْهَا. ثم قال فإن مات الحسن و الحسين بعده حتى فالولاية للحسين والهاء فى مصدره ترجع إلى الأمر أى يصرفه فى مصارفه التى كان الحسن يصرفه فيها ثم ذكر أن لهذين الولدين حصه من صدقاته أسوة بسائر البنين وإنما قال ذلك لأنه قد يتوهم متوهم -قرآن- ١٧٩-٢٠٠ [صفحہ ١٤٩] أنهما لكونهما قدفوض إليهما النظر فى هذه الصدقات قدمنا أن يسهما فيها بشىء و إن الصدقات إنما يتناولها غيرهما من بنى على ع ممن لا ولاية له مع وجودهما ثم بين لماذا خصهما بالولاية فقال إنما فعلت ذلك لشرفهما برسول الله ص فتقربت إلى رسول الله ص بأن جعلت لسبطيه هذه الرئاسة و فى هذارمز وإزراء بمن صرف الأمر عن أهل بيت رسول الله ص مع وجود من يصلح للأمر أى كان الأليق بالمسلمين والأولى أن يجعلوا الرئاسة بعده لأهله قربه إلى رسول الله ص وتكريما لحرمة وطاعة له وأنفة لقدره ص أن تكون ورثته سوقة يليهم الأجانب و من ليس من شجرته وأصله ألا ترى أن هيبه الرسالة والنبوة فى صدور الناس أعظم إذا كان السلطان والحاكم فى الخلق من بيت النبوة و ليس يوجد مثل هذه الهيبة والجلال فى نفوس الناس للنبوة إذا كان السلطان الأعظم بعيد النسب من صاحب الدعوة ع . ثم اشترط على من يلى هذه الأموال أن يتركها على أصولها وينفق من ثمرتها أى لا يقطع النخل والثمر ويبيعه خشبا وعيدانا فيفضى الأمر إلى خراب الضياع وعطله العقار. قوله وألا يبيع من أولاد نخيل هذه القرى أى من الفسلان الصغار سماها أولادا و فى بعض النسخ ليست أولاد مذكورة والودية الفسيلة. تشكل أرضها تمتلى بالغراس حتى لا يبقى فيه طريقه واضحة. قوله أطوف عليهن كناية لطيفة عن غشيان النساء أى من السرارى و كان ع يذهب إلى حل بيع أمهات الأولاد فقال من كان من إمائي لها ولد منى أوهى حامل منى وقسمتم تركتى فلتكن أم ذلك الولد مبيعة على ذلك الولد ويحاسب بالثمن من حصته من التركة فإذا بيعت عليه عتقت عليه لأن الولد إذا اشترى الوالد عتق الوالد [صفحہ ١٥٠] عنه و هذا معنى قوله فتمسك على ولدها أى تقوم عليه بقيمة الوقت الحاضر وهى من حظه أى من نصيبه وقسطه من التركة. قال فإن مات ولدها وهى حية بعد أن تقوم عليه فلا يجوز بيعها لأنها خرجت عن الرق بانتقالها إلى ولدها فلا يجوز بيعها. فإن قلت فلما ذا قال فإن مات ولدها وهى حية وهلا قال فإذا قامت عليه عتقت . قلت لأن موضع الاشتباه هوموت الولد وهى حية لأنه قد يظن ظان أنه إنما حرم بيعها لمكان وجود ولدها فأراد ع أن يبين أنها قدصارت حرة مطلقا سواء كان ولدها حيا أو ميتا [صفحہ ١٥١]

٢٥- و من وصية له ع كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات

وإنما ذكرنا هنا جملا منها ليعلم بها أنه ع كان يقيم عماد الحق ويشرع أمثلة العدل فى صغير الأمور وكبيرها ودقيقها وجليلها انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له و لا تُرْوَعَنَّ مُسْلِمًا وَ لَا تَجْتَازَنَّ عَلَيْهِ كَارِهًا وَ لَا تَأْخُذَنَّ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِي مَالِهِ فَإِذَا قَدِمْتَ عَلَى الْحَيِّ فَمَا نَزَلَ بِمِائِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخَالَطَ آبِيَاءَهُمْ ثُمَّ امْضِ إِلَيْهِمْ بِالسِّكِينَةِ وَ الْوَقَارِ حَتَّى تَقُومَ بَيْنَهُمْ فَتَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ وَ لَا تُخْدِجَ بِالتَّحِيَّةِ لَهُمْ ثُمَّ تَقُولُ عِبَادَ اللَّهِ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ وَلِيَّ اللَّهُ وَ خَلِيفَتُهُ لِأَخْذِ مِنْكُمْ حَقَّ اللَّهِ فِي أَمْوَالِكُمْ فَهَلْ لِلَّهِ فِي أَمْوَالِكُمْ مِنْ حَقِّ فِتْوَاؤُهُ إِلَى وَلِيِّهِ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ لَا فَلَا تُرَاجِعْهُ وَ إِنْ أَنْعَمَ لَكَ مُنْعِمٌ فَانْطَلِقْ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخِيفَهُ أَوْ تُوعِدَهُ أَوْ تَعَسِفَهُ أَوْ تُرْهِقَهُ فَخُذْ مَا أَعْطَاكَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ فَإِنْ كَانَ لَهُ مَاشِيَةٌ أَوْ إِبِلٌ فَلَا تَدْخُلْهَا إِلَّا بِإِذْنِهِ فَإِنْ أَكْثَرَهَا لَهُ فَإِذَا أَتَيْتَهَا فَلَا تَدْخُلْ عَلَيْهَا دُخُولَ مُتَسَلِّطٍ عَلَيْهِ وَ لَمَّا عَنَيْفٍ بِهِ وَ لَا تُتَفَرَّنْ بِهِمِيَّةً وَ لَا تُفْرِعَنَّهَا وَ لَا تُسَوِّءَنَّ صَاحِبَهَا فِيهَا وَ اصْذَعْ الْمَالَ صِدْعَيْنِ ثُمَّ خَيْرُهُ فَإِذَا اخْتَارَ فَلَا تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ ثُمَّ اصْذَعْ الْبَاقِيَ صِدْعَيْنِ ثُمَّ خَيْرُهُ فَإِذَا اخْتَارَ فَلَا تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَبْقَى مَا فِيهِ وَفَاءٌ لِحَقِّ اللَّهِ فِي مَالِهِ فَاقْبِضْ حَقَّ اللَّهِ مِنْهُ [صفحہ ١٥٢] فَإِنْ اسْتَقَالَكَ فَأَقِلَّهُ ثُمَّ اصْصَعْ مِثْلَ الَّذِي صَنَعْتَ أَوْ لًا حَتَّى تَأْخُذَ حَقَّ اللَّهِ فِي مَالِهِ وَ

لَا تَأْخُذَنَّ عَوْدًا وَلَا هَرَمِيَّةً وَلَا مَكْسُورَةً وَلَا مَهْلُوسِيَّةً وَلَا ذَاتَ عَوَارٍ وَلَا تَأْمَنَنَّ عَلَيْهَا إِلَّا مَنْ تَثِقَ بِعِدَّتِهِ رَافِقًا بِمَالِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يُوَصِّلَهُ إِلَى وَلِيِّهِمْ فَيَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ وَلَا تَوَكَّلْ بِهَا إِلَّا نَاصِحًا شَفِيقًا وَأَمِينًا حَفِيفًا غَيْرَ مُعْنِفٍ وَلَا مُجِحِفٍ وَلَا مُلْغِبٍ وَلَا مُتَعِبٍ ثُمَّ احْدُرْ إِلَيْنَا مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ نَصِيْرُهُ حَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ فَإِذَا أَخَذَهَا أَمِينُكَ فَأَوْعِزْ إِلَيْهِ أَلَّا يَحْوَلَ بَيْنَ نَاقَتِهِ وَبَيْنَ فَصِّ بِلْيَها وَلَا يَمْضِرَ لَبْنَهَا فَيَضُرَّ [فَيْضِرَ] ذَلِكَ بَوْلَها وَلَا يَجْهَدَنَّها رُكُوبًا وَلَا يَعْدِلَ بَيْنَ صَوَاجِبَاتِها فِي ذَلِكَ وَبَيْنَهَا وَلِيْرَفَّهُ عَلَى اللَّاغِبِ وَ لِيَسْتَأْنِ بِالنَّقِبِ وَ الظَّالِمِ وَ لِيُورِدَها مِا تَمُرُّ بِهِ مِنَ الْعُدْرِ وَ لِمَا يَعْدِلُ بِهَا عَنْ نَبْتِ الْأَرْضِ إِلَى جِوَادِ الطَّرْقِ وَ لِيُرَوِّحَها فِي السَّاعَاتِ وَ لِيَمْهَلِها عِنْدَ النَّطَافِ وَ الْأَعْشَابِ حَتَّى تَأْتِيْنَا بِإِذْنِ اللَّهِ بُدْنًا مُنْقِيَاتٍ غَيْرِ مُتَعَبَاتٍ وَ لَا مَجْهُودَاتٍ لِنَقْسِمَها عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ص فَإِنَّ ذَلِكَ أَعْظَمُ لِأَجْرِكَ وَ أَقْرَبُ لِرُشْدِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَ قَدْ كَرَّرَ قَوْلَهُ لِنَقْسِمَها عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ص فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعٍ مِنْ هَذَا الْفَصْلِ الْأَوَّلِ قَوْلَهُ حَتَّى يُوَصِّلَهُ إِلَى وَلِيِّهِمْ لِيَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ. الثاني قوله ع نصيره حيث أمر الله به . [صفحة ١٥٣] الثالث قوله لنقسّمها على كتاب الله والبلاغة لا تقتضى ذلك ولكنى أظنه أحب أن يحتاط و أن يدفع الظنة عن نفسه فإن الزمان كان فى عهده قدفسد وساءت ظنون الناس لاسيما مع مارآه من عثمان واستثاره بمال الفيء. ونعود إلى الشرح قوله ع على تقوى الله على ليست متعلقة بانطلاق بل بمحذوف تقديره مواظبا. قوله و لا تروعن أى لا تفزعن والروع الفزع رعته أروعه و لا تروعن بتشديد الواو وضم حرف المضارعة من روعت للتكثير. قوله ع و لا تتجاذن عليه كارها أى لا تمرن بيوت أحد من المسلمين يكره مرورك وروى و لا تختارن عليه أى لا تقسم ماله و تختار أحد القسمين والهاء فى عليه ترجع إلى مسلما وتفسير هذا سأتى فى وصيته له أن يصدع المال ثم يصدعه فهذا هو النهى عن أن يختار على المسلم والرواية الأولى هى المشهورة. قوله ع فانزل بمائهم و ذلك لأن الغريب يحمد منه الانقباض ويستهن فى القادم أن يخالط بيوت الحى الذى قدم عليه فقد يكون من النساء من لا تليق رؤيته و لا يحسن سماع صوته و من الأطفال من يستهن أن يرى الغريب انبساطه على أبويه وأهله و قديكره القوم أن يطلع الغريب على مأكلمهم ومشربهم وملبسهم وبواطن أحوالهم و قديكونون فقراء فيكرهون أن يعرف فقرهم فيحتقرهم أو أغنياء أرباب ثروة كثيرة فيكرهون أن يعلم الغريب ثروتهم فيحسداهم ثم أمره أن يمضى إليهم غير متسرع و لا عجل و لا طائش نزع حتى يقوم بينهم فيسلم عليهم [صفحة ١٥٤] ويحييهم تحية كاملة غير مخدجة أى غير ناقصة أخذت الناقه إذا جاءت بولدها ناقص الخلق و إن كانت أيامه تامة و خدجت ألقت الولد قبل تمام أيامه وروى و لا تحدج بالتحية والباء زائدة. ثم أمره أن يسألهم هل فى أموالهم حق لله تعالى يعنى الزكاة فإن قالوا لا فلينصرف عنهم لأن القول قول رب المال فلعله قد أخرج الزكاة قبل وصول المصدق إليه . قوله و أنعم لك أى قال نعم . و لا تعسفه أى لا تطلب منه الصدقة عسفا وأصله الأخذ على غير الطريق . و لا ترهقه لا تكلفه العسر والمشقة. ثم أمره أن يقبض ما يدفع إليه من الذهب والفضة و هذا يدل على أن المصدق كان يأخذ العين والورق كما يأخذ الماشية و أن النصاب فى العين والورق تدفع زكاته إلى الإمام ونوابه و فى هذه المسألة اختلاف بين الفقهاء. قوله فإن أكثرها له كلام لا مزيد عليه فى الفصاحة والرئاسة والدين و ذلك لأن الصدقة المستحقة جزء يسير من النصاب والشريك إذا كان له الأكثر حرم عليه أن يدخل و يتصرف إلا بإذن شريكه فكيف إذا كان له الأقل . قوله فلا تدخلها دخول متسلط عليه قد علم ع أن الظلم من طبع الولاة و خصوصا من يتولى قبض الماشية من أربابها على وجه الصدقة فإنهم يدخلونها دخول متسلط حاكم قاهر و لا يبقى لرب المال فيها تصرف فنهى ع عن مثل ذلك . [صفحة ١٥٥] قوله و لا تنفرن بهيمة و لا تفزعنها و ذلك أنهم على عادة السوء يهجهجون بالقطع حتى تنفر الإبل وكذلك بالشاء إظهارا للقوة والقهر وليتمكن أعوانهم من اختيار الجيد ورفض الردىء. قوله و لا تسوءن صاحبها فيها أى لا تغموه و لا تحزنوه يقال سؤته فى كذا سوائية ومسائية. قوله و اصدع المال صدعين وخيره أى شقه نصفين ثم خيره فإذا اختار أحد النصفين فلا تعرضن لما اختار ثم اصدع النصف الذى ما ارتضاه لنفسه صدعين وخيره ثم لا تزال تفعل هكذا حتى تبقى من المال بمقدار الحق الذى عليه فأقبضه منه فإن استقالك فأقله ثم اخط المال ثم عد لمثل

ما صنعت حتى يرضى وينبغى أن يكون المعيبات الخمس وهى المهلوسة والمكسورة وأخواتهما يخرجها المصدق من أصل المال قبل قسمته ثم يقسم وإلا فربما وقعت فى سهم المصدق إذا كان يعتمد ما أمره به من صدع المال مرة بعد مرة. والعود المسن من الإبل والهرمة المسنة أيضا والمكسورة التى أحد قوائمها مكسورة العظم أو ظهرها مكسور والمهلوسة المريضة قد هلسها المرض وأفى لحمها والهلاس السل والحوار بفتح العين العيب وقد جاء بالضم . والمعنف ذو العنف بالضم وهو ضد الرفق والمجحف الذى يسوق المال سوقا عنيفا فيجحف به أى يهلكه أو يذهب كثيرا من لحمه ونقيه. والملغب المتعب واللغوب الإعياء. وحدرت السفينة وغيرها بغير ألف أحدرها بالضم . [صفحہ ۱۵۶] قوله بين ناقةً و بين فصيلها الأفضح حذف بين الثانية لأن الاسمين ظاهران وإنما تكرر إذ جاءت بعد المضم كقولك المال بينى و بين زيد و بين عمرو و ذلك لأن المجرور لا يعطف عليه إلا بإعادة حرف الجر والاسم المضاف و قد جاء المال بين زيد وعمرو وأنشدوا بين السحاب و بين الريح ملحمة || قعاقع وظبى فى الجو تختلط . وأيضا بين الندى و بين برقه ضاحك || غيث الضربك وفارس مقدم . و من شعر الحماسة و إن الذى بينى و بين بنى أبى || و بين بنى عمى لمختلف جدا . و ليس قول من يقول إنه عطف بين الثالثة على الضمير المجرور بأولى من قول من يقول بل عطف بين الثالثة على بين الثانية لأن المعنى يتم بكل واحد منها. قوله ع و لا تمصر لبنها المصر حلب ما فى الضرع جميعه نهاه من أن يحلب اللبن كله فيبقى الفصيل جائعا ثم نهاه أن يجهدا ركوبا أى يتعبها ويحملها مشقة ثم أمره أن يعدل بين الركاب فى ذلك لا يخصص بالركوب واحدة بعينها ليكون ذلك أروح لهن ليرفه على اللاغب أى ليركه وليعفه عن الركوب ليستريح والرفاهية الدعء والراحة. والنقب ذو النقب و هورقة خف البعير حتى تكاد الأرض تجرحه أمره أن يستأنى بالبعير ذى النقب من الأناة وهى المهلة. [صفحہ ۱۵۷] والظالع الذى ظلع أى غمز فى مشيه . والغدر جمع غدیر الماء وجواد الطريق حيث لا ينبت المرعى . والنظاف جمع نظفة وهى الماء الصافى القليل . والبدن بالشدید السمان واحدا بادن . ومنقيات ذوات نقى و هوالمخ فى العظم والشحم فى العين من السمن وأنقت الإبل وغيرها سمتت وصار فيهانقى وناقة منقية و هذه الناقة لاتنقى [صفحہ ۱۵۸]

٢٦- و من عهد له ع إلى بعض عماله و قد بعته على الصدقة

أمره بتقوى الله فى سائر أمره و خفيات عمله حيث لا شاهد غيره و لا وكيل دونه و أمره ألا يعمل بشيء من طاعة الله فيما ظهر فيخالف إلى غيره فيما أسر و من لم يختلف سره و علانيته و فعله و مقاتلته فقد أدى الأمانة و أخلص العبادة و أمره ألا يجبههم و لا يعصهم و لا يرغب عنهم تفضلا بالإمارة عليهم فإنهم الإخوان فى الدين و الأعوان على استخراج الحقوق و إن لك فى هذه الصدقة نصيبا مفروضا و حقا معلوما و شركاء أهل مسكنه و ضعفاء ذوى فاقة و إنا موفوك حقا فوفهم حقوقهم و إلا تفعل فإنك من أكثر الناس خصوما يوم القيامة و بؤسى لمن خصمه عند الله الفقراء و المساكين و السائلون و المدفوعون و الغارمون و ابن السبيل و من استهان بالأمانة و رتع فى الخيانة و لم ينزه نفسه و دينه عنها فقد أحل بنفسه الدل و الخزى فى الدنيا و هو فى الآخرة أذل و أخزى و إن أعظم الخيانة خيانة الأمانة و أفضع الغش غش الأمانة و السيلام [صفحہ ۱۵۹] حيث لاشهيد و لا وكيل دونه يعنى يوم القيامة. قوله ألا يعمل بشيء من طاعة الله فيما ظهر أى لا ينافق فيعمل الطاعة فى الظاهر والمعصية فى الباطن . ثم ذكر أن الذين يتجنبون النفاق والرياء هم المخلصون . وألا يجبههم لا يواجههم بما يكرهونه وأصل الجبه لقاء الجبهة أو ضربها فلما كان المواجه غيره بالكلام القبيح كالضارب جبته به سمي بذلك جبها. قوله و لا يعصهم أى لا يريمهم بالبهتان والكذب وهى العصية وعضت فلانا عضها و قد عضت يافلان أى جئت بالبهتان قوله و لا يرغب عنهم تفضلا يقول لا يحقرهم ادعاء

لفضله عليهم وتمييزه عنهم بالولاية والإمرة يقال فلان يرغب عن القوم أى يأنف من الانتماء إليهم أو من المخالطة لهم . و كان عمر بن عبدالعزيز يدخل إليه سالم مولى بنى مخزوم وعمر فى صدر بيته فيتحنى عن الصدر و كان سالم رجلا صالحا و كان عمر أراد شراءه وعتقه فأعتقه مواليه فكان يسميه أخى فى الله فقيل له أتتحنى لسالم فقال إذا دخل عليك من لا ترى لك عليه فضلا فلا تأخذ عليه شرف المجلس وهم السراج ليله بأن يخمد فوثب إليه رجاء بن حيوة ليصلحه فأقسم عليه عمر بن عبدالعزيز فجلس ثم قام عمر فأصلحه فقال له رجاء أتقوم أنت يا أمير المؤمنين قال نعم قمت و أنا عمر بن عبدالعزيز ورجعت و أنا عمر بن عبدالعزيز [صفحة ١٦٠] قال رسول الله ص لا ترفعونى فوق قدرى فتقولوا فى ما قالت النصارى فى ابن مريم فإن الله عز و جل اتخذنى عبدا قبل أن يتخذنى رسولا -رواية ١-٢-رواية ٢٣-١٤٣ . ثم قال إن أرباب الأموال الذين تجب الصدقة عليهم فى أموالهم إخوانك فى الدين وأعوانك على استخراج الحقوق لأن الحق إنما يمكن العامل استيفاؤه بمعاونة رب المال واعترافه به ودفعه إليه فإذا كانوا بهذه الصفة لم يجز لك عضهم وجبههم وادعاء الفضل عليهم . ثم ذكر أن لهذا العامل نصيبا مفروضا من الصدقة و ذلك بنص الكتاب العزيز فكما نوفيك نحن حقك يجب عليك أن توفى شركاءك حقوقهم وهم الفقراء والمساكين والغارمون وسائر الأصناف المذكورة فى القرآن و هذا يدل على أنه ع قدفوضه فى صرف الصدقات إلى الأصناف المعلومة و لم يأمره بأن يحمل مااجتمع إليه ليوذعه هوع على مستحقه كما فى الوصية الأولى ويجوز للإمام أن يتولى ذلك بنفسه و أن يكله إلى من يثق به من عماله . وانتصب أهل مسكنه لأنه صفة شركاء و فى التحقيق أن شركاء صفة أيضا موصوفها محذوف فيكون صفة بعد صفة . و قال الراوندى انتصب أهل مسكنه لأنه بدل من شركاء و هذا غلط لأنه لا يعطى معناه ليكون بدلا منه . و قال أيضا بؤسى أى عذابا و شدة فظنه منونا و ليس كذلك بل هو بؤسى على وزن فعلى كفضلى ونعمى وهى لفظه مؤنثة يقال بؤسى لفلان قال الشاعر أرى الحلم بؤسى للفتى فى حياته || و لا عيش إلا ما حباك به الجهل . [صفحة ١٦١] والسائلون هاهنا هم الرقاب المذكورون فى الآية وهم المكاتبون يتعذر عليهم أداء مال الكتابة فيسألون الناس ليتخلصوا من ربقه الرق وقيل هم الأسارى يطلبون فكماك أنفسهم وقيل بل المراد بالرقاب فى الآية الرقيق يسأل أن يتاعه الأغنياء فيعتقوه والمدفوعون هاهنا هم الذين عناهم الله تعالى فى الآية بقوله وَ فى سَبِيلِ اللَّهِ وهم فقراء الغزاة سماهم مدفوعين لفقيرهم والمدفوع والمدفع الفقير لأن كل أحد يكرهه ويدفعه عن نفسه وقيل هم الحجيج المنقطع بهم سماهم مدفوعين لأنهم دفعوا عن إتمام حجهم أو دفعوا عن العود إلى أهلهم . فإن قلت لم حملت كلام أمير المؤمنين ع على ما فسرت به قلت لأنه ع إنما أراد أن يذكر الأصناف المذكورة فى الآية فترك ذكر المؤلفه قلوبهم لأن سهمهم سقط بعدموت رسول الله ص فقد كان يدفع إليهم حين الإسلام ضعيف و قد أعزه الله سبحانه فاستغنى عن تأليف قلوب المشركين و بقيت سبعة أصناف وهم الفقراء والمساكين والعاملون عليها والرقاب والغارمون و فى سبيل الله و ابن السبيل . فأما العاملون عليها فقد ذكرهم ع فى قوله و إن لك فى هذه الصدقة نصيبا مفروضا فبقيت ستة أصناف أتى ع بالفاظ القرآن فى أربعة أصناف منها وهى الفقراء والمساكين والغارم و ابن السبيل وأبدل لفظتين وهما الرقاب و فى سبيل الله بلفظتين وهما السائلون والمدفوعون . فإن قلت ما يقوله الفقهاء فى الصدقات هل تصرف إلى الأصناف كلها أم يجوز صرفها إلى واحد منها . قرآن -٣١٩-٣٣٩ [صفحة ١٦٢] قلت أما أبو حنيفة فإنه يقول الآية قصر لجنس الصدقات على الأصناف المعدودة فهى مختصة بها لا تتجاوزها إلى غيرها كأنه تعالى قال إنما هى لهم لا لغيرهم كقولك إنما الخلافة لقريش فيجوز أن تصرف الصدقة إلى الأصناف كلها ويجوز أن تصرف إلى بعضها و هو مذهب ابن عباس وحذيفة و جماعة من الصحابة والتابعين و أما الشافعى فلا يرى صرفها إلا إلى الأصناف المعدودة كلها و به قال الزهرى وعكرمة . فإن قلت فمن الغارم و ابن السبيل . قلت الغارمون الذين ركبتهم الديون و لا يملكون بعدها ما يبلغ النصاب وقيل هم الذين يحملون الحملات فدينوا فيها وغرموا و ابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فهو و إن كان غنيا حيث ماله موجود فقير حيث هو بعيد . و قد سبق تفسير الفقير

والمسكين فيما تقدم . قوله فقد أحل بنفسه الذل والخزى أى جعل نفسه محلا لهما ويروى فقد أخل بنفسه بالخاء المعجمة و لم يذكر الذل والخزى أى جعل نفسه مخرجا ومعناه جعل نفسه فقيرا يقال خل الرجل إذا افتقر وأخل به غيره وبغيره أى جعل غيره فقيرا وروى أحل بنفسه بالخاء المهملة و لم يذكر الذل والخزى ومعنى أحل بنفسه أباح دمه والرواية الأولى أصح لأنه قال بعدها و هو فى الآخرة أذل وأخزى . وخيانته الأئمة مصدر مضاف إلى المفعول به لأن الساعى إذا خان فقد خان الأئمة كلها وكذلك غش الأئمة مصدر مضاف إلى المفعول أيضا لأن الساعى إذا غش فى الصدقة فقد غش الإمام [صفحہ ۱۶۳]

۲۷- و من عهد له ع إلى محمد بن أبى بكر رضى الله عنه حين قلده مصر

إشارة

فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ وَ أَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ وَ ابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ وَ آسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَ النَّظَرَةِ حَتَّى لَا يَطْمَعِ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ وَ لِمَا يَبِئَسَ الضَّعْفَاءُ مِنْ عَيْدِكَ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُسْأَلُكُمْ مَعَشَرَ عِبَادِهِ عَنِ الصِّغِيرَةِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَ الْكَبِيرَةِ وَ الظَّاهِرَةِ وَ الْمَسْتُورَةِ فَإِنْ يُعَذِّبْ فَأَنْتُمْ أَظْلَمُ وَ إِنْ يَعْفُ فَهُوَ أَكْرَمُ وَ اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الدُّنْيَا وَ آجَلِ الْآخِرَةِ فَشَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ وَ لَمْ يُشَارِكْهُمْ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي آخِرَتِهِمْ سَيَكُونُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلٍ مَا سَكَنَتْ وَ أَكَلُوهَا بِأَفْضَلٍ مَا أَكَلَتْ فَحَظُّوا مِنَ الدُّنْيَا بِمَا حَظَّ بِهَ الْمُتَرَفُونَ وَ أَخَذُوا مِنْهَا مَا أَخَذَهُ الْجَبَابِرَةُ الْمُتَكَبِّرُونَ ثُمَّ انْقَلَبُوا عَنْهَا بِالزَّادِ الْمُبْلَغِ وَ الْمَتَجَرِّ الرَّابِحِ أَصَابُوا لَذَّةَ زُهْدِ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ وَ تَيْفَنُوا أَنْتَهُمْ جِرَانَ اللَّهِ غَدَاً فِي آخِرَتِهِمْ لِمَا تُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ وَ لِمَا يَنْقُفُ لَهُمْ نَصِيْبٌ مِنْ لَمَذَةٍ فَاحْذَرُوا عِيَادَ اللَّهِ الْمَوْتَ وَ قُرْبَهُ وَ اعْدُوا لَهُ عِدَّتَهُ فَإِنَّهُ يَأْتِي بِأَمْرٍ عَظِيمٍ وَ خَطْبٍ جَلِيلٍ بِخَيْرٍ لَأَ يَكُونَ مَعَهُ شَرٌّ أَبَدًا أَوْ شَرٌّ لَأَ يَكُونَ مَعَهُ خَيْرٌ أَبَدًا فَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى الْجَنَّةِ مِنْ عَامِلِهَا وَ مَنْ أَقْرَبُ إِلَى النَّارِ مِنْ عَامِلِهَا وَ أَنْتُمْ طُرْدَاءُ الْمَوْتِ إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَخَذَكُمْ وَ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ وَ هُوَ الزَّمُّ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمْ الْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ وَ الدُّنْيَا تُطَوَّى مِنْ خَلْفِكُمْ [صفحہ ۱۶۴] فَاحْذَرُوا نَارًا قَعْرُهَا بَعِيدٌ وَ حَرُّهَا شَدِيدٌ وَ عَذَابُهَا جَدِيدٌ دَارٌ لَيْسَ فِيهَا رَحْمَةٌ وَ لَا تَسْمَعُ فِيهَا دَعْوَةَ وَ لَا تَفْرُجُ فِيهَا كُرْبَةً وَ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ يَشْتَدَّ خَوْفُكُمْ مِنَ اللَّهِ وَ أَنْ يَحْسَنَ ظَنُّكُمْ بِهَ فَاجْمَعُوا بَيْنَهُمَا فَإِنَّ الْعَبْدَ إِنَّمَا يَكُونُ حَسُنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ عَلَى قَدْرِ خَوْفِهِ مِنْ رَبِّهِ وَ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ ظَنًّا بِاللَّهِ أَشَدَّهُمْ خَوْفًا لِلَّهِ وَ اعْلَمْ يَا مُحَمَّدُ بَنَ أَبِي بَكْرٍ أَنْتَى قَدْ وَلَيْتُكَ أَعْظَمَ أَجْنَادِي فِي نَفْسِي أَهْلَ مِصْرَ فَأَنْتَ مُحَقَّقٌ أَنْ تُخَالَفَ عَلَى نَفْسِكَ وَ أَنْ تُتَفَاحَ عَنْ دِيَّتِكَ وَ لَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَّا سَاعِيَةٌ مِنَ الدَّهْرِ وَ لَا تُسَخِطِ اللَّهَ بِرِضَا أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ فَإِنَّ فِي اللَّهِ خَلْفًا مِنْ غَيْرِهِ وَ لَيْسَ مِنَ اللَّهِ خَلْفٌ فِي غَيْرِهِ صَيْلُ الصَّيْلَاءِ لَوْ قَتَيْتَهَا الْمُؤَقَّتِ لَهَا وَ لِمَا تُعْجَلُ وَقَتُهَا لِفِرَاقٍ وَ لَا تُؤَخَّرُهَا عَنْ وَقَتِهَا لِاسْتِغَالٍ وَ اعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِكَ تَبِعَ لِصَلَاتِكَ آسَ بَيْنَهُمْ اجْعَلْهُمْ أَسْوَأَ لَا تَفْضَلْ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي اللَّحْظَةِ وَ النَّظَرَةِ وَ نَبِهْ بِذَلِكَ عَلَى وَجُوبِ أَنْ يَجْعَلَهُمْ أَسْوَأَ فِي جَمِيعِ مَا عَدَا ذَلِكَ مِنَ الْعَطَاءِ وَ الْإِنْعَامِ وَ التَّقْرِيبِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفَّ . قَوْلُهُ حَتَّى لَا يَطْمَعِ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ الضَّمِيرُ فِي لَهُمْ رَاجِعٌ إِلَى الرَّعِيَّةِ لَا إِلَى الْعُظَمَاءِ وَ قَدْ كَانَ سَبَقَ ذِكْرُهُمْ فِي أَوَّلِ الْخُطْبَةِ أَى إِذَا سَلَكْتَ هَذَا الْمَسْلَكَ لَمْ يَطْمَعِ الْعُظَمَاءُ فِي أَنْ تَحْيِفَ عَلَى الرَّعِيَّةِ وَ تَظْلِمَهُمْ وَ تَدْفَعُ أَمْوَالَهُمْ إِلَيْهِمْ فَإِنَّ وِلَاةَ الْجورِ قُرْآن- ۱۶۸- ۱۸۹ [صفحہ ۱۶۵] هَكَذَا يَفْعَلُونَ يَأْخُذُونَ مَالَهُمْ هَذَا يَفْعَلُونَهُ هَذَا وَ يَجُوزُ أَنْ يَرْجِعَ الضَّمِيرُ إِلَى الْعُظَمَاءِ أَى حَتَّى لَا يَطْمَعِ الْعُظَمَاءُ فِي جُورِكَ فِي الْقِسْمِ أَلَّذِي إِنَّمَا تَفْعَلُهُ لَهُمْ وَ لَا أَجْلَهُمْ فَإِنَّ وِلَاةَ الْجورِ يَطْمَعُ الْعُظَمَاءُ فِيهِمْ أَنْ يَحْيِفُوا فِي الْقِسْمَةِ فِي الْفِيءِ وَ يَخَالَفُوا مَا حَدَّهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا حِفْظًا لِقُلُوبِهِمْ وَ اسْتِمَالَةً لَهُمْ وَ هَذَا التَّفْسِيرُ أَلِيْقٌ بِالْخُطْبَةِ لِأَنَّ الضَّمِيرَ فِي عَلَيْهِمْ فِي الْفِقْرَةِ الثَّلَاثَةِ عَائِدًا إِلَى الضَّعْفَاءِ فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ فِي لَهُمْ فِي الْفِقْرَةِ الثَّانِيَةِ عَائِدًا إِلَى الْعُظَمَاءِ . قَوْلُهُ فَإِنْ يُعَذِّبْ فَأَنْتُمْ أَظْلَمُ أَفْعَلْ هَاهُنَا بِمَعْنَى الصِّفَةِ لِابْتِمَاعِ التَّفْضِيلِ وَإِنَّمَا

يراد فأنتم الظالمون كقوله تعالى وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَ كقولهم الله أكبر. ثم ذكر حال الزهاد فقال أخذوا من الدنيا بنصيب قوى وجعلت لهم الآخرة ويروى أن الفضيل بن عياض كان هو ورفيق له فى بعض الصحارى فأكلا كسرة يابساً واغترفا بأيديهما ماء من بعض الغدران وقام الفضيل فحط رجله فى الماء فوجد برده فالتذ به وبالحال التى هو فيها فقال لرفيقه لوعلم الملوكة وأبناء الملوكة مانحن فيه من العيش واللذة لحسدونا. وروى والمتجر المريح فالرابع فاعل من ربح ربها يقال بيع رابح أى يربح فيه والمربح اسم فاعل قدعدى ماضيه بالهمزة كقولك قام وأقمته . قوله جيران الله غدا فى آخرتهم ظاهر اللفظ غير مراد لأن البارئ تعالى ليس فى مكان وجهة ليكونوا جيرانه ولكن لما كان الجار يكرم جاره سماهم جيران الله لإكرامه إياهم وأيضاً فإن الجنة إذا كانت فى السماء والعرش هو السماء العليا كان فى الكلام محذوف مقدر أى جيران عرش الله غدا. -قرآن- ٥٤٤-٥٦٦ [صفحة ١٦٦] قوله فإنه يأتى بأمر عظيم وخطب جليل بخير لا يكون معه شر أبداً وشر لا يكون معه خير أبداً نص صريح فى مذهب أصحابنا فى الوعيد و أن من دخل النار من جميع المكلفين فليس بخارج لأنه لوخرج منها لكان الموت قدجاءه بشر معه خير و قدنفى نفياً عاماً أن يكون مع الشر المعقب للموت خير البتة. قوله من عاملها أى من العامل لها. قوله طرداء الموت جمع طريد أى يطردكم عن أوطانكم ويخرجكم منها لا بد من ذلك إن أقمتهم أخذكم و إن هربتم أدركم . و قال الراوندى طرداء هاهنا جمع طريده وهى ما طردت من الصيد أو الوسيقة و ليس بصحيح لأن فعيلة بالتأنيث لا تجمع على فعلاء و قال النحويون إن قوله تعالى وَ يَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ جاء على خليف لا على خليفة وأنشدوا لأوس بن حجر بيتا استعملها جميعاً فيه و هو -قرآن- ٦٠٦-٦٣٥ إن من القوم موجودا خليفته || و ماخليف أبى ليلى بوجود . قوله ألزم لكم من ظلكم لأن الظل لا تنصح مفارقتة لذى الظل مادام فى الشمس و هذا من الأمثال المشهورة. قوله معقود بنواصيك أى ملازم لكم كالشىء المعقود بناصية الإنسان أين ذهب ذهب منه . و قال الراوندى أى الموت غالب عليكم قال تعالى فَيُؤَخِّدُ بِالنَّوَاصِي وَ الْأَقْدَامِ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَخَذَ بِنَاصِيَتِهِ لَا يُمْكِنُ الْخَلَاصَ و ليس بصحيح لأنه لم يقل أخذ بنواصيك . قوله والدنيا تطوى من خلفكم من كلام بعض الحكماء الموت و الناس كسطور - قرآن- ٢٥٠-٢٨٤ [صفحة ١٦٧] فى صحيفة يقرؤها قارئ ويطوى ما يقرأ فكلما ظهر سطر خفى سطر. ثم أمره ع بأن يجمع بين حسن الظن بالله و بين الخوف منه و هذا مقام جليل لا يصل إليه إلا كل ضامر مهزول و قد تقدم كلامنا فيه و قال على بن الحسين ع لو أنزل الله عز و جل كتاباً أنه معذب رجلاً واحداً لرجوت أن أكونه و أنه راحم رجلاً واحداً لرجوت أن أكونه أو أنه معذبي لامحالة ما زددت إلا اجتهداً لئلا أرجع إلى نفسى بلائمة -رواية- ١-٢-رواية- ٢٨-٢٠٥ . ثم قال وليتك أعظم أجنادى يقال للأقاليم والأطراف أجناد تقول ولى جند الشام وولى جند الأردن وولى جند مصر. قوله فأنت محقوق كقولك حقيق و جدير و خليق قال الشاعر و إنى لمحقوق بالأ يطولنى || نداء إذا طاولته بالقصائد . و تنافح تجالذ نافحت بالسيف أى خاصمت به . قوله و لو لم يكن إلا ساعة من النهار المراد تأكيد الوصاة عليه أن يخالف على نفسه و ألا يتبع هواها و أن يخاصم عن دينه و أن ذلك لازم له و واجب عليه و يلزم أن يفعله دائماً فإن لم يستطع فليفعله و لو ساعة من النهار و ينبغى أن يكون هذا التقييد مصروفاً إلى المنافحة عن الدين لأن الخصام فى الدين قديمه عنه مانع فأما أمره إياه أن يخالف على نفسه فلا يجوز صرف التقييد إليه لأنه يشعر بأنه مفسوح له أن يتبع هوى نفسه فى بعض الحالات و ذلك غير جائز بخلاف المخاصمة والنضال عن المعتقد. قال و لاتسخط الله برضا أحد من خلقه فإن فى الله خلفاً من غيره و ليس من الله خلف فى غيره أخذه الحسن البصرى فقال لعمر بن هبيرة [صفحة ١٦٨] أميرالعراق إن الله مانعك من يزيد و لم يمنعك يزيد من الله يعنى يزيد بن عبد الملك . ثم أمره بأن يصلى الصلاة لوقتها أى فى وقتها ونهاه أن يحمله الفراغ من الشغل على أن يعجلها قبل وقتها فإنها تكون غير مقبولة أو أن يحمله الشغل على تأخيرها عن وقتها فيأثم . و من كلام هشام بن عقبه أخى ذى الرمة و كان من عقلاء الرجال قال المبرد فى الكامل حدثنى العباس بن الفرغ الرياشى بإسناده قال هشام لرجل أراد سفراً اعلم أن لكل رفقةً كلباً يشرکہم فى فضل الزاد ويهر دونهم فإن

قدرت ألا تكون كلب الرفقة فافعل وإياك وتأخير الصلاة عن وقتها فإنك مصليها لامحالة فصلها وهي تقبل منك . قوله واعلم أن كل شيء من عملك تبع لصلاتك فيه شبه من قول رسول الله ص الصلاة عماد الإيمان و من تركها فقد هدم الإيمان - رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-٧٢ قال ص أول ما يحاسب به العبد صلاته فإن سهل عليه كان مابعد أسهل و إن اشتد عليه كان مابعد أشد -رواية- ١-٢-رواية- ١١-١٠٨ . ومثل قوله و لا تسخط الله برضا أحد من خلقه مارواه المبرد فى الكامل عن عائشة قالت من أَرْضَى الله بِإِسْخَاطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللهُ مَا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ النَّاسِ وَ مِنْ أَرْضَى النَّاسَ بِإِسْخَاطِ اللهِ وَ كَلَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ . ومثل هذا مارواه المبرد أيضا قال لماولى الحسن بن زيد بن الحسن المدينة قال لابن هرمة إنى لست كمن باع لك دينه رجاء مدحك أو خوف ذمك فقد رزقنى [صفحہ ١٦٩] الله عز و جل بولادة نبيه ص الممادح و جنبى المقابح و إن من حقه على ألا أغضى على تقصير فى حق الله و أنا أقسم بالله لئن أتيت بك سكران لأضربنك حدا للخمر وحدا للسكر ولأزيدن لموضع حرمتك بى فليكن تركك لها لله عز و جل تعن عليه و لا تدعها للناس فتوكل إليهم فقال ابن هرمة نهانى ابن الرسول عن المدام || وأدبنى بآداب الكرام و قال لى اصطبر عنها ودعها || لخوف الله لاخوف الأنام و كيف تصبرى عنها وحبى || لها حب تمكن فى عظامى أرى طيب الحلال على خبثا || و طيب النفس فى خبث الحرام [صفحہ ١٧٠] وَ مِنْ هَذَا الْعَهْدِ فَإِنَّهُ لَا سَوَاءَ إِمَامٌ الْهَدَى وَ إِمَامٌ الرَّدَى وَ وَلِيٌّ النَّبِيِّ وَ عِدُوُّ النَّبِيِّ وَ لَقَدْ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ص إِنِّي لَمَّا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِنًا وَ لَا مُشْرِكًا أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَمْنَعُهُ اللهُ بِإِيمَانِهِ وَ أَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ اللهُ بِشْرِكِهِ وَ لَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مُنَافِقِ الْجَنَانِ عَالِمِ اللَّسَانِ يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ وَ يَفْعَلُ مَا تُنْكِرُونَ الإشارة بإمام الهدى إليه نفسه و بإمام الردى إلى معاوية و سماه إماما كماسمى الله تعالى أهل الضلال أئمة فقال وَ جَعَلْنَاهُمْ أئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ثُمَّ وَصَفَهُ بِصِفَةٍ أُخْرَى وَ هُوَ أَنَّهُ عَدُوُّ النَّبِيِّ ص لَيْسَ يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ عَدُوًّا أَيَّامَ حَرْبِ النَّبِيِّ ص لِقَرِيشِ بَلْ يَرِيدُ أَنَّهُ الْآنَ عَدُوُّ النَّبِيِّ ص -قرآن- ١١٦-١٦٠ لقوله ص له ع وعدوك عدوى وعدوى عدو الله وأول الخبر وليك ولى ولى ولى الله -رواية- ١-٢-رواية- ١٩-٩٢ وتمامه مشهور ولأن دلائل النفاق كانت ظاهرة عليه من فلتات لسانه و من أفعاله و قد قال أصحابنا فى هذا المعنى أشياء كثيرة فلنطلب من كتبهم خصوصا [صفحہ ١٧١] من كتب شيخنا أبى عبد الله و من كتب الشيخين أبى جعفر الإسكافى و أبى القاسم البلخى و قد ذكرنا بعض ذلك فيما تقدم . ثم قال ع إن رسول الله ص قال إنى لأخاف على أمتى مؤمنا و لا مشركا أى و لا مشركا يظهر الشرك قال لأن المؤمن يمنعه الله بإيمانه أن يضل الناس و المشرك مظهر الشرك يقمعه الله بإظهار شركه و يخذله و يصرف قلوب الناس عن اتباعه لأنهم ينفرون منه لإظهاره كلمة الكفر فلا تطمئن قلوبهم إليه و لا تسكن نفوسهم إلى مقاتله ولكنى أخاف على أمتى المنافق الذى يسر الكفر و الضلال و يظهر الإيمان و الأفعال الصالحة و يكون مع ذلك ذا لسان و فصاحة يقول بلسانه ماتعرفون صوابه و يفعل سرا ماتنكرونه لو اطلعت عليه و ذاك أن من هذه صفته تسكن نفوس الناس إليه لأن الإنسان إنما يحكم بالظاهر فيقلده الناس فيضلهم و يوقعهم فى المفاسد

كتاب المعتضد بالله

و من الكتب المستحسنة الكتاب الذى كتبه المعتضد بالله أبو العباس أحمد بن الموفق أبى أحمد طلحة بن المتوكل على الله فى سنة أربع وثمانين و مائتين و وزيره حينئذ عبيد الله بن سليمان و أنا ذكره مختصرا من تاريخ أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى . قال أبو جعفر و فى هذه السنة عزم المعتضد على لعن معاوية بن أبى سفيان على المنابر و أمر بإنشاء كتاب يقرأ على الناس فخوفه عبيد الله بن سليمان اضطراب العامة [صفحہ ١٧٢] و أنه لا يأمن أن تكون فتنة فلم يلتفت إليه فكان أول شىء بدأ به المعتضد من ذلك التقدم إلى العامة بلزوم أعمالهم و ترك الاجتماع و العصبيية و الشهادات عند السلطان إلا أن يسألوا و منع القصاص عن القعود

على الطرقات وأنشأ هذا الكتاب وعملت به نسخ قرئت بالجانبين من مدينة السلام في الأربعاء والمحال والأسواق يوم الأربعاء لست بقين من جمادى الأولى من هذه السنة ثم منع يوم الجمعة لأربع بقين منه ومنع القصاص من القعود في الجانبين ومنع أهل الحلق من القعود في المسجد الجامع بنهى الناس عن الاجتماع وغيره وبمنع القصاص و أهل الحلق من القعود ونودى إن الذمة قد برئت ممن اجتمع من الناس في مناظرة أو جدال وتقدم إلى الشراب الذين يسقون الماء في الجامعين ألا يترحموا على معاوية ولا يذكره بخير وكانت عادتهم جارية بالترحم عليه وتحدث الناس أن الكتاب الذى قد أمر المعتضد بإنشائه بلعن معاوية يقرأ بعد صلاة الجمعة على المنبر فلما صلى الناس بادروا إلى المقصورة ليسمعوا قراءة الكتاب فلم يقرأ وقيل إن عبيد الله بن سليمان صرفه عن قراءته وأنه أحضر يوسف بن يعقوب القاضى وأمره أن يعمل الحيلة فى إبطال ما عزم المعتضد عليه فمضى يوسف فكلم المعتضد فى ذلك وقال له إنى أخاف أن تضرب العامة و يكون منها عند سماعها هذا الكتاب حركة فقال إن تحركت العامة أنطقت وضعت السيف فيها فقال يا أمير المؤمنين فما تصنع بالطالبيين الذين يخرجون فى كل ناحية ويميل إليهم خلق كثير لقربتهم من رسول الله ص و ما فى هذا الكتاب من إطرائهم أو كما قال و إذ اسمع الناس هذا كانوا إليهم أميل وكانوا هم أبسط [صفحہ ۱۷۳] السنة وأثبت حجة منهم اليوم فأمسك المعتضد فلم يرد إليه جوابا و لم يأمر بعد ذلك فى الكتاب بشيء و كان من جملة الكتاب بعد أن قدم حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله ص أما بعد فقد انتهى إلى أمير المؤمنين ما عليه جماعة العامة من شبهة قد دخلتهم فى أديانهم وفساد قد لحقهم فى معتقدهم وعصبيته قد غلبت عليها أهواؤهم ونطقت بها ألسنتهم على غير معرفة و لاروية قد قلدوا فيها قادة الضلالة بلا بينة و لا بصيرة وخالفوا السنن المتبعة إلى الأهواء المبتدعة قال الله تعالى وَ مَنْ أَضَلَّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ خروجا عن الجماعة ومسارعة إلى الفتنة وإيثارا للفرقة وتشتيتا للكلمة وإظهارا لموالاة من قطع الله عنه الموالاة و بتر منه العصمة وأخرجه من الملة وأوجب عليه اللعنة وتعظيما لمن صغر الله حقه وأوهن أمره وأضعف ركنه من بنى أمية الشجرة الملعونة ومخالفة لمن استنقذهم الله به من الهلكة وأسبغ عليهم به النعمة من أهل بيت البركة والرحمة وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ. فأعظم أمير المؤمنين ما انتهى إليه من ذلك ورأى ترك إنكاره حرجا عليه فى الدين وفسادا لمن قلده الله أمره من المسلمين وإهمالا لما أوجبه الله عليه من تقويم المخالفين وتبصير الجاهلين وإقامة الحجج على الشاكين وبسط اليد على المعاندين و أمير المؤمنين يخبركم معاشر المسلمين أن الله جل ثناؤه لما ابتعث محمدا ص بدينه وأمره أن يصدع بأمره بدأ بأهله وعشيرته فدعاهم إلى ربه وأنذرهم وبشرهم -قرآن- ۴۸۳-۵۸۷-قرآن- ۹۲۵-۹۹۶ [صفحہ ۱۷۴] ونصح لهم وأرشدهم فكان من استجاب له وصدق قوله واتبع أمره نفي يسير من بنى أبيه من بين مؤمن بما أتى به من ربه وناصر لكلمته و إن لم يتبع دينه إعزازا له وإشفاقا عليه فمؤمنهم مجاهد ببصيرته وكافرهم مجاهد بنصرته وحميته يدفعون من نابذه ويقهرون من عازه وعانده ويتوثقون له ممن كانفه وعاضده ويبايعون من سمح بنصرته ويتجسسون أخبار أعدائه ويكيدون له بظهر الغيب كما يكيدون له برأى العين حتى بلغ المدى و حان وقت الاهتداء فدخلوا فى دين الله وطاعته وتصديق رسوله والإيمان به بأثبت بصيرة وأحسن هدى ورغبة فجعلهم الله أهل بيت الرحمة و أهل بيت الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا معدن الحكمة وورثة النبوة وموضع الخلافة أوجب الله لهم الفضيلة وألزم العباد لهم الطاعة. و كان ممن عانده وكذبه وحاربه من عشيرته العدد الكثير والسواد الأعظم يتلقونه بالضرر والشرب ويقصدونه بالأذى والتخويف ويناذبونه بالعداوة وينصبون له المحاربة ويصدون من قصده ويناظرون بالتعذيب من اتبعه و كان أشدهم فى ذلك عداوة وأعظمهم له مخالفة أولهم فى كل حرب ومناصبه ورأسهم فى كل إجلاب وفتنة لا يرفع على الإسلام راية إلا كان صاحبها وقائدها ورئيسها أباسفيان بن حرب صاحب أحد والخندق وغيرهما وأشياعه من بنى أمية الملعونين فى كتاب الله ثم الملعونين على لسان رسول الله ص فى مواطن عدة لسابق علم الله فيهم وماضى حكمه فى أمرهم وكفرهم

ونفاقهم فلم يزل لعنه الله يحارب مجاهدا ويدافع مكايذا ويجلب منابذا حتى قهره السيف وعلا- أمر الله وهم كارهون فتعود بالإسلام غير منطو عليه وأسر الكفر غير مقلع عنه قبله وقبل ولده على علم منه بحاله وحالهم ثم أنزل الله [صفحة ١٧٥] تعالى كتابا فيما أنزله على رسوله يذكر فيه شأنهم و هو قوله تعالى وَ الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ و لاخلاف بين أحد في أنه تعالى وتبارك أراد بهابنى أمية. ومما ورد من ذلك في السنة ورواه ثقات الأمة -قرآن- ٧٠-١٠٨ قول رسول الله ص فيه و قدرآه مقبلا على حمار ومعاوية يقوده ويزيد يسوقه لعن الله الراكب والقائد والسائق -رواية- ١-٢-رواية- ٢٧-١١٥. و منه ماروته الرواة عنه من قوله يوم بيعة عثمان تلقفوها يابنى عبدشمس تلقف الكره فو الله ما من جنه و لانا و هذا كفر صراح يلحقه اللعنه من الله كما لحقت الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . و منه ما يروى من وقوفه على ثنية أحد من بعد ذهاب بصره و قوله لقائده هاهنا رمينا محمدا وقتلنا أصحابه . ومنها الكلمة التي قالها للعباس قبل الفتح و قد عرضت عليه الجنود لقد أصبح ملك ابن أحيك عظيما فقال له العباس ويحك إنه ليس بملك إنها النبوة. ومنها قوله يوم الفتح و قدرأى بلالا على ظهر الكعبة يؤذن و يقول أشهد أن محمدا رسول الله لقد أسعد الله عبته بن ربيعة إذ لم يشهد هذا المشهد. و منه الرؤيا التي رآها رسول الله ص فوجم لها قالوا فما رئي بعدها ضاحكا رأى نفرا من بنى أمية ينزون على منبره نزوة القردة. ومنها طرد رسول الله ص الحكم بن أبى العاص لمحاكاته إياه فى [صفحة ١٧٦] مشيته وألحقه الله بدعوة رسول الله ص آفة باقية حين التفت إليه فرآه يتخلج يحكيه فقال كن كما أنت فبقى على ذلك سائر عمره . هذا إلى ما كان من مروان ابنه فى افتتاحه أول فتنه كانت فى الإسلام واحتقابه كل حرام سفك فيها أو أريق بعدها. ومنها ما أنزل الله تعالى على نبيه ص ليلة القدر خير من ألف شهر قالوا ملك بنى أمية. ومنها -قرآن- ٢٨٨-٣٢٤ أن رسول الله ص دعا معاوية ليكتب بين يديه فدافع بأمره واعتل بطعامه فقال ص لأشبع الله بطنه -رواية- ١-١٠٥ فبقى لا يشبع و هو يقول و الله ما أترك الطعام شبعاً ولكن إعياء. ومنها أن رسول الله ص قال يطلع من هذا الفج رجل من أمتى يحشر على غير ملتى -رواية- ١-٢-رواية- ٢٧-٧٩ أن رسول الله ص قال إذا رأيت معاوية على منبرى فاقتلوه -رواية- ١-٢-رواية- ٢٧-٦٥ الحديث المشهور المرفوع أنه ص قال إن معاوية فى تابوت من نار فى أسفل درك من جهنم ينادى يا حنان يا منان فيقال له الآن و قد عصيت قبل و كنت من المفسدين -رواية- ١-٢-رواية- ٤٠-١٧٨. ومنها افتراؤه بالمحاربة لأفضل المسلمين فى الإسلام مكانا وأقدمهم إليه سبقا وأحسنهم فيه أثرا وذكرنا على بن أبى طالب ينازعه حقه بباطله ويجاهد أنصاره بضلاله أعوانه ويحاول ما لم يزل هو وأبوه يحاولانه من إطفاء نور الله وجود دينه [صفحة ١٧٧] و يأتى الله إلا أن يتم نوره و لو كره الكافرون ويستهوى أهل الجهالة ويموه لأهل الغباوة بمكره وبغيه اللذين قدم رسول الله ص الخبر عنهما -قرآن- ١-٦٧ فقال لعمار بن ياسر تقتلك الفئة الباغية -رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-٤٣ تدعوهم إلى الجنة ويدعونك إلى النار مؤثرا للعاجلة كافرا بالآجلة خارجا من ربة الإسلام مستحلا للدم الحرام حتى سفك فى فتنته و على سبيل غوايته وضلالته ما لا يحصى عدده من أختيار المسلمين الذابيين عن دين الله والناصرين لحقه مجاهدا فى عداوة الله مجتهدا فى أن يعصى الله فلا يطاع وتبطل أحكامه فلا تقام ويخالف دينه فلا بد و أن تعلق كلمة الضلال وترتفع دعوة الباطل وكلمة الله هى العليا ودينه المنصور وحكمه النافذ وأمره الغالب وكيد من عاداه وحاده المغلوب الداحض حتى احتمل أوزار تلك الحروب و ماتبعها وتطوق تلك الدماء و ماسفك بعدها وسن سنن الفساد التى عليه إثمها وإثم من عمل بها وأباح المحارم لمن ارتكبها ومنع الحقوق أهلها وغرته الآمال واستدرجه الإمهال و كان مما أوجب الله عليه به اللعنة قتله من قتل صبورا من خيار الصحابة والتابعين و أهل الفضل والدين مثل عمرو بن الحمق الخزاعى وحجر بن عدى الكندى فيمن قتل من أمثالهم على أن تكون له العزة والملك والغلبة ثم ادعاؤه زياد ابن سمية أخوا ونسبته إياه إلى أبيه و الله تعالى يقول ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله و -قرآن- ٩٨٣-١٠٢٧ رسول الله ص يقول ملعون من ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه -رواية- ١-٢-رواية- ٢٤-

٨٠ قال الولد للفراس وللعاشر الحجر -روایت- ١-٢-روایت- ٨-٣٦ فخالف حكم الله تعالى ورسوله جهارا وجعل الولد لغير الفرّاش والحجر لغير العاشر فأحل بهذه الدعوة من محارم الله ورسوله في أم حبيبة أم المؤمنين و في غيرها من النساء من شعور ووجوه قد [صفحه ١٧٨] حرمها الله وأثبت بها من قربي قدأبعدها الله ما لم يدخل الدين خلل مثله و لم ينل الإسلام تبديل يشبهه . و من ذلك إشاره لخلافه الله على عباده ابنه يزيد السكير الخمير صاحب الديكة والفهود والقردة وأخذ البيعة له على خيار المسلمين بالقهر والسطوة والتوعد والإخافة والتهديد والرهبه و هو يعلم سفهه ويطلع على رهقه وخبثه ويعاين سكراته وفعالاته وفجوره وكفره فلما تمكن قاتله الله فيما تمكن منه طلب بثارات المشركين وطوائهم عندالمسلمين فأوقع بأهل المدينة في وقعة الحره الوقعة التي لم يكن في الإسلام أشنع منها و لأفحش فشفي عندنفسه غليله وظن أنه قدانتقم من أولياء الله وبلغ الثأر لأعداء الله فقال مجاهرا بكفره ومظهرا لشركه ليت أشياخي ببدر شهدوا || جزع الخزرج من وقع الأسل .قول من لا يرجع إلى الله و لا إلى دينه و لا إلى رسوله و لا إلى كتابه و لا يؤمن بالله وبما جاء من عنده . ثم أغلظ ماانتهك وأعظم مااجترم سفكه دم الحسين بن على ع مع موقعه من رسول الله ص ومكانه ومنزلته من الدين والفضل والشهادة له ولأخيه بسيادة شباب أهل الجنة اجترأ على الله وكفرا بدينه وعداوة لرسوله ومجاهرة لعترته واستهانة لحرمة كأنما يقتل منه و من أهل بيته قوما من كفره الترك [صفحه ١٧٩] والديلم و لا يخاف من الله نقمة و لا يراقب منه سطوة فبتر الله عمره أخبث أصله وفرعه وسلبه ماتحت يده وأعد له من عذابه وعقوبته مااستحقه من الله بمعصيته . هذا إلى ما كان من بنى مروان من تبديل كتاب الله وتعطيل أحكام الله واتخاذ مال الله بينهم دولا- وهدم بيت الله واستحلّاهم حرمه ونصبهم المجانيق عليه ورميهم بالنيران إياه لا يألون له إحراقا وإخرابا و لماحرم الله منه استباحة وانتهاكا ولمن لجأ إليه قتلا وتنكيلا ولمن أمنه الله به إخفاقة وتشريدا حتى إذاحقت عليهم كلمة العذاب واستحقوا من الله الانتقام وملثوا الأرض بالجور والعدوان وعموا عباد بلاد الله بالظلم والاقتسار وحلت عليهم السخطة ونزلت بهم من الله السطوة أتاح الله لهم من عتره نبيه و أهل وراثته و من استخلصه منهم لخلافته مثل ماأتاح من أسلافهم المؤمنين وآبائهم المجاهدين لأوائهم الكافرين فسفك الله به دماءهم ودماء آبائهم مرتدين كماسفك آبائهم مشركين وقطع الله دابر الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين .أيها الناس إن الله إنما أمر ليطاع ومثل ليمثل وحكم ليفعل قال الله سبحانه و تعالى إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَ أَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا وَقَالَ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ.فالعنوا أيها الناس من لعنه الله ورسوله وفارقوا من لاتنالون القربة من الله إلابمفارقتة اللهم العن أباسفيان بن حرب بن أمية و معاوية بن أبى سفيان ويزيد بن معاوية ومروان بن الحكم وولده وولد له اللهم العن أئمة الكفر وقادة الضلال وأعداء الدين ومجاهدى الرسول ومعطلى الأحكام ومبدلى الكتاب ومنتھكى الدم الحرام اللهم إنا نبرأ إليك من موالاة أعدائك و من الإغماض لأهل معصيتك -قرآن- ١٠٢٢-١٠٧٦-قرآن- ١٠٨٤-١١٣٨ [صفحه ١٨٠] كما قلت لا- تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُؤَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ.أيها الناس اعرفوا الحق تعرفوا أهله وتأملوا سبل الضلالة تعرفوا سابلها فقفوا عند ماوقفكم الله عليه وانفذوا كماأمركم الله به و أمير المؤمنين يستعصم بالله لكم ويسأله توفيقكم ويرغب إليه في هدايتكم و الله حسبه و عليه توكله و لاقوة إلابالله العلى العظيم . قلت هكذا ذكر الطبرى الكتاب و عندى أنه الخطبة لأن كل مايخطب به فهو خطبة و ليس بكتاب والكتاب مايكتب إلى عامل أو أمير ونحوهما و قد يقرأ الكتاب على المنبر فيكون كالخطبة ولكن ليس بخطبة ولكنه كتاب قرئ على الناس . ولعل هذاالكلام كان قدأنشئ ليكون كتابا ويكتب به إلى الآفاق ويؤمروا بقراءته على الناس و ذلك بعدقراءته على أهل بغداد و الذى يؤكد كونه كتابا وينصر ماقاله الطبرى إن فى آخره كتب عبيد الله بن سليمان فى سنة أربع وثمانين ومائتين و هذا لا يكون فى الخطب بل فى الكتب ولكن الطبرى لم يذكر أنه أمر بأن يكتب إلى الآفاق و لا- قال وقع العزم على ذلك و لم يذكر إلاوقع العزم على أن يقرأ فى الجوامع ببغداد -قرآن-

و هو من محاسن الكتب أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر فيه اصطفاء الله محمدًا من أيده من أيده من أصحابه فلقد حبا لنا الدهر منك عجباً إذ طفقت تُخبرنا بلاء الله تعالى عندنا و نعمته علينا في نبينا فكننت في ذلك كناقل التمر إلى هجر أو داعي مسدده إلى التصلال و زعمت أن أفضل الناس في الإسلام فلان و فلان فذكرت أمراً إن تم اعترلك كله و إن نقص لم يلحقك ثلمه و ما أنت و الفاضل و المفضول و السائس و المسوس و ما للطلقاء و أبناء الطلقاء و التمييز بين المهاجرين الأولين و ترتيب درجاتهم و تعريف طبقاتهم هيات لقد حن قدح ليس منها و طفق يحكم فيها من عليه الحكم لها أ لا تربح أيها الإنسان على ظلعك و تعرف قُصور ذرعك و تتأخر حيث أحرَكَ القدر فما عليك غلبه المغلوب و لا ظفر الظافر فإنك لذهاب في التيه رواج عن القصد أ لا ترى غير مخبر لك و لكن بنعمه الله أحدث أن قوماً استشهدوا في سبيل الله تعالى من المهاجرين و الأنصار و لكل فضل حتى إذا استشهد شهيدنا قيل سيد الشهداء و خصه رسول الله ص بسبعين تكبيره عند صلواته عليه [صفحة ١٨٢] أ و لما ترى أن قوماً قطعت أيديهم في سبيل الله و لكل فضل حتى إذا فعل بواحدنا ما فعل بواحدهم قيل الطيار في الجنة و ذو الجناحين و لو لا ما نهى الله عنه من تركية المرء نفسه لذكر ذكر فضائل جميه تعرفها قلوب المؤمنين و لا تمجها آذان السامعين فدع عنك من مالت به الرمية فإننا صيننا ربنا و الناس بعد صيننا لنا لم يمنعنا قديم عزنا و لا عادي طولنا على قومك أن خطنناكم بأنفسنا فكحنا و أنكحنا فعل الأكفاء و لستم هناك و أتى يكون ذلك كذلك و منا التبي و منكم المكذب و منا أسد الله و منكم أسد الأحلاف و منا سيدا شباب أهل الجنة و منكم صبيته النار و منا خير نساء العالمين و منكم حمالة الحطب في كثير مما لنا و عليكم فإسلامنا ما قد سيمع و جاهلينا لا تدفع و كتاب الله يجمع لنا ما شذ عنا و هو قوله سبحانه و تعالى أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله و قوله تعالى إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه و هذا التبي و المدين آمنوا و الله ولي المؤمنين فنحن مرة أولى بالقرابة و تارة أولى بالطاعة و لما احتج المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة برسول الله ص فاجوا عليهم فإن يكن الفلج به فالحق لنا دونكم و إن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم و زعمت أني لكل الخلفاء حسدت و على كلهم بغيت فإن يكن ذلك كذلك فليست الجناية عليك فيكون العذر إليك - قرآن - ١٠٤٤ - ١١٠٤ - قرآن - ١١٢٥ - ١٢٤٥ [صفحة ١٨٣] و تلك شكاه ظاهراً عنك عارها و قلت إنني كنت أقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى أبايع و لعمر الله لقد أردت أن تدم فميدحت و أن تفضح فافتضحت و ما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكاً في دينه و لا مرتاباً بيقينه و هذه حجتي إلى غيرك قصدها و لكنتي أطلقت لك منها بقدر ما سنع من ذكرها ثم ذكرت ما كان من أمري و أمر عثمان فللك أن تجاب عن هذيه لرحمك منه فأينا كان أعدى له و أهدى إلى مقاتله أ من بذل له نصرتة فاستفعدته و استكفته أمن استنصره فترأخى عنه و بث المنون إليه حتى أتى قدره عليه كلاً و الله لقد يعلم الله المعوقين منكم و القائلين لإخوانهم هلم إلينا و لا يأتون البأس إلا قليلاً. و ما كنت لأعتذر من أني كنت أنقم عليه أحداثاً فإن كان الذنب إليه إرشادي و هدايتي له فزب ملوم لا ذنب له و قد يستفيد الظنة المنتصح و ما أردت إلا الإصلاح ما استطعت و ما توفيقى إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب و ذكرت أنه ليس لي لأصيه حابي عندك إلا السيف فلقد أضحكت بعد استعبار متى ألفت بني عبد المطلب عن الأعداء ناكليين و بالسيف مخوفين [صفحة ١٨٤] فلبث قليلاً يلحق الهيجا حميل فس يطلبك من تطلب و يقرب منك ما تستبعد و أنا مرقل نحوك في جحفل من المهاجرين و الأنصار و التابعين لهم بإحسان شديد زحامهم ساطع قتامهم متسريلين سرايل الموت أحب اللقاء إليهم لقاء ربهم و

قَدْ صَيَّرْتَهُمْ ذُرِّيَّةً بَدْرِيَّةً وَ سَيُوفَ هَاشِمِيَّةً قَدْ عَرَفْتَ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا فِي أُخْيِكَ وَ خَالِكَ وَ جَدِّكَ وَ أَهْلِكَ وَ مَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ

بَعِيدٍ

كتاب معاوية إلى علي

سألت النقيب أبا جعفر يحيى بن أبي زيد فقلت أرى هذا الجواب منطبقا على كتاب معاوية الذي بعثه مع أبي مسلم الخولاني إلى علي ع فإن كان هذا هو الجواب فالجواب الذي ذكره أرباب السيرة وأورده نصر بن مزاحم في كتاب صفين إذن غير صحيح وإن كان ذلك الجواب فهذا الجواب إذن غير صحيح ولا ثابت فقال لي بل كلاهما ثابت مروى وكلاهما كلام أمير المؤمنين ع وألفاظه ثم أمرني أن أكتب ما عليه علي ع فكتبتة قال رحمه الله كان معاوية يتسقط عليا وينعى عليه ما عساه يذكره من حال أبي بكر وعمر وأنها غضباه حقه ولا يزال يكيده بالكتاب يكتبه والرسالة يبعثها يطلب غرته لينفث بما في صدره من حال أبي بكر وعمر إما مكاتبة أو مراسلة فيجعل ذلك حجة [صفحة 185] عليه عند أهل الشام ويضيفه إلى ما قرره في أنفسهم من ذنوبه كما زعم فقد كان غمسه عندهم بأنه قتل عثمان ومالاً على قتله وأنه قتل طلحة والزبير وأسر عائشة وأراق دماء أهل البصرة وبقيت خصلة واحدة وهو أن يثبت عندهم أنه يتبرأ من أبي بكر وعمر وينسبهما إلى الظلم ومخالفة الرسول في أمر الخلافة وأنها وثبا عليها غلبة وغضباه إياها فكانت هذه الطامة الكبرى ليست مقتصرة على فساد أهل الشام عليه بل وأهل العراق الذين هم جنده وبطانته وأنصاره لأنهم كانوا يعتقدون إمامة الشيخين إلا القليل الشاذ من خواص الشيعة فلما كتب ذلك الكتاب مع أبي مسلم الخولاني قصد أن يغضب عليا ويحرجه ويحوجه إذا قرأ ذكر أبي بكر وأنه أفضل المسلمين إلى أن يخلط خطه في الجواب بكلمة تقتضي طعنا في أبي بكر فكان الجواب مجمعا غير بين ليس فيه تصريح بالتظلم لهما ولا التصريح ببراءتهما وتارة يترحم عليهما وتارة يقول أخذا حقي وقد تركته لهما فأشار عمرو بن العاص على معاوية أن يكتب كتابا ثانيا مناسبا للكتاب الأول ليستفزا فيه عليا ويستخفاه ويحمله الغضب منه أن يكتب كلاما يتعلقان به في تقييح حاله وتهجين مذهبه وقال له عمرو إن عليا رجل نزق تياه وما استطعت منه الكلام بمثل تقرير أبي بكر وعمر فاكتب فكتب كتابا أنفذه إليه مع أبي أمامة الباهلي وهو من الصحابة بعد أن عزم على بعثته مع أبي الدرداء ونسخة الكتاب من عبد الله معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب أما بعد فإن الله تعالى جده اصطفى محمدا ع لرسائله واختصه بوحيه وتأدية شريعته فأنتقد به من العماية وهدى به من الغواية ثم قبضه إليه رشيدا حميدا قد بلغ الشرع ومحق الشرك وأحمد نار الإفك فأحسن الله جزاءه وضاعف عليه نعمه وآلاءه ثم إن الله سبحانه اختص محمدا ع بأصحاب أيدوه وآزره ونصروه [صفحة 186] وكانوا كما قال الله سبحانه لهم أشدّاء على الكفار رحماء بينهم فكان أفضلهم مرتبة وأعلاهم عند الله والمسلمين منزلة الخليفة الأول الذي جمع الكلمة ولم الدعوة وقاتل أهل الردة ثم الخليفة الثاني الذي فتح الفتوح ومصر الأمصار وأذل رقاب المشركين ثم الخليفة الثالث المظلوم الذي نشر الملة وطبق الآفاق بالكلمة الحنيفة. فلما استوثق الإسلام وضرب بجرانه عدوت عليه فبغيته الغوائل ونصبت له المكائد وضربت له بطن الأمر وظهره ودسست عليه وأغرقت به وقعدت حيث استنصرك عن نصره وسألك أن تدركه قبل أن يمزق فما أدركته وما يوم المسلمين منك بواحد. لقد حسدت أبا بكر والتويت عليه ورمت إفساد أمره وقعدت في بيتك واستغويت عصابة من الناس حتى تأخروا عن بيعته ثم كرهت خلافة عمر وحسدته واستطلت مدته وسررت بقتله وأظهرت الشماتة بمصابه حتى إنك حاولت قتل ولده لأنه قتل قاتل أبيه ثم لم تكن أشد منك حسدا لابن عمك عثمان نشرت مقابحه وطويت محاسنه وطعنت في فقهه ثم في دينه ثم في سيرته ثم في عقله وأغرقت به السفهاء من أصحابك وشيعتك حتى قتلوه بمحضر منك لا تدفع عنه بلسان ولا يد و

ما من هؤلاء إلا- من بغيت عليه وتلكأت في بيعته حتى حملت إليه قهرا تساق بخزائم الاقتسار كما يساق الفحل المخشوش ثم نهضت الآن تطلب الخلافة وقتله عثمان خالصاوك وسجراوك والمحدقون بك وتلك من أمانى النفوس وضلالات الأهواء. فذع اللجاج والعبث جانبا وادفع إلينا قتله عثمان وأعد الأمر شورى بين المسلمين ليتفقوا على من هو الله رضا فلا يبعه لك في أعناقنا و لاطاعة لك علينا ولا عتبي لك -قرآن- ٣٥-٧٧ [صفحة ١٨٧] عندنا وليس لك ولأصحابك عندى إلا السيف و الذى لا إله إلا هو لأطلبن قتله عثمان أين كانوا وحيث كانوا حتى أقتلهم أو تلتحق روى بالله. فأما ما لا تزال تمن به من سابقتك و جهادك فإني وجدت الله سبحانه يقول يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامُكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ و لوظرت في حال نفسك لو جدها أشد الأنفس امتنانا على الله بعملها و إذا كان الامتنان على السائل يبطل أجر الصدقة فالامتنان على الله يبطل أجر الجهاد ويجعله كصية فوان عليه تُرابٌ فأصابه وإبلٌ فتركه صيدا لا يقدرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ. قال النقيب أبو جعفر فلما وصل هذا الكتاب إلى على ع مع أبى أمامة الباهلى كلم أبأمامة بنحو مما كلم به أبامسلم الخولانى و كتب معه هذا الجواب . قال النقيب و فى كتاب معاوية هذا ذكر لفظ الجمل المخشوش أو الفحل المخشوش لا فى الكتاب الواصل مع أبى مسلم و ليس فى ذلك هذه اللفظة وإنما فيه حسد الخلفاء و بغيت عليهم عرفنا ذلك من نظرك الشزر و قولك الهجر و تنفسك الصعداء و إبطائك عن الخلفاء. قال و إنما كثير من الناس لا يعرفون الكتابين والمشهور عندهم كتاب أبى مسلم فيجعلون هذه اللفظة فيه والصحيح أنها فى كتاب أبى أمامة ألاتراها عادت -قرآن- ٢١٦-٣٥٢-قرآن- ٥١٩- ٦٥٧ [صفحة ١٨٨] فى جوابه و لو كانت فى كتاب أبى مسلم لعادت فى جوابه. انتهى كلام النقيب أبى جعفر ونحن الآن مبتدءون فى شرح أفاظ الجواب المذكور. قوله فلقد خبا لنا الدهر منك عجا موضع التعجب إن معاوية يخبر عليا ع باصطفاء الله تعالى محمدا و تشريفه له و تأييده له و هذا طريف لأنه يجرى كإخبار زيد عمرا عن حال عمرو إذ كان النبى ص و على ع كالشئ الواحد و خبا مهموز والمصدر الخب و منه الخابية و هى الخب و إلا أنهم تركوا همزا و الخب و أيضا و الخبى و على فعيل ماخبي. و بلاء الله تعالى إنعامه و إحسانه . و قوله ع كناقل التمر إلى هجر مثل قديم و هجر اسم مدينه لا ينصرف للتعريف و التأنيث و قيل هو اسم مذكر مصروف و أصل المثل كمستبضع تمر إلى هجر و النسبة إليه هاجرى على غير قياس و هى بلدة كثيرة النخل يحمل منها التمر إلى غيرها قال الشاعر فى هذا المعنى أهدى له طرف الكلام كما || يهدى لوالى البصرة التمر . قوله و داعى مسدده إلى النضال أى معلمه الرمى و هذا إشارة إلى قول القائل الأول [صفحة ١٨٩] أعلمه الرماية كل يوم || فلما استند ساعده رمانى. هكذا الرواية الصحيحة بالسین المهملة أى استقام ساعده على الرمى و سددت فلانا علمته النضال و سهم سديد مصيب و رمح سديد أى قل أن تخطئ طعنته و قد ظرف القاضى الأرجانى فى قوله لسديد الدولة محمد بن عبدالكريم الأنبارى كاتب الإنشاء إلى الذى نصب المكارم للورى || غرضا يلوح من المدى المتباعد نثل الأمثال من كنانته فما || وجدت يداه سوى سديد واحد . و من الأمثال فى هذا المعنى سمن كلبك يأكلك و منها أحشك و تروثنى. قوله ع وزعمت أن أفضل الناس فى الإسلام فلان و فلان أى أبوبكر و عمر. قوله ع فذكرت أمرا إن تم اعتزلك كله و إن نقص لم يلحقك ثلمه من هذا المعنى قول الفرزدق لجرير و قد كان جرير فى مهاجراته إياه يفخر عليه بقيس عيلان فقد كانت لجرير فى قيس خثولة يعيره بأيامهم على بنى تميم فلما قتل بنو تميم قتيبة بن مسلم الباهلى بخراسان قال الفرزدق يفتخر أتانى وأهلى بالمدينة و قعه || لآل تميم أقعدت كل قائم [صفحة ١٩٠] كان رءوس الناس إذ سمعوا بها || مشدخة هاماتها بالأمايم و ما بين من لم يؤت سمعا و طاعة || و بين تميم غير جز الحلاقم ثم خرج إلى خطاب جرير بعد أبيات تركنا ذكرها فقال أتغضب إن أذنا قتيبة جزتا || جهارا و لم تغضب لقتل ابن حازم و مامنهما إلا نقلنا دماغه || إلى الشام فوق الشاحجات الرواسم تذبذب فى المخلاة تحت بطونها || محذفة الأذنان جلع المقادم و ما أنت من قيس فتنبح دونها || و لا من تميم فى الرءوس الأعظم تخوفنا أيام قيس و لم تدع || لعيلان

أنفا مستقيم الخياشم لقد شهدت قيس فما كان نصرها || قتيبة إلاعضها بالأباهم فقوله و ما أنت من قيس فتنبح دونها هو معنى قول علي ع لمعاوية فذكرت أمرا إن تم اعتزلك كله و ابن حازم المذكور في الشعر هو عبد الله بن حازم من بنى سليم وسليم من قيس عيلان وقتلته تميم أيضا و كان والى خراسان . قوله ع و ما أنت والفاضل والمفضول الرواية المشهورة بالرفع و قدرواها قوم بالنصب فمن رفع احتج بقوله و ما أنت وبيت أبيك والفخر. وبقوله فما القيسى بعدك والفخار و من نصب فعلى تأويل مالك والفاضل و فى ذلك معنى الفعل أى ماتصنع لأن [صفحه ١٩١] هذاالباب لا بد أن يتضمن الكلام فيه فعلا أو معنى فعل وأنشدوا فما أنت والسير فى متلف والرفع عندالنحويين أولى . ثم قال و ماللطلاق وأبناء الطلقاء والتميز النصب هاهنا لا غير لأجل اللام فى الطلقاء. ثم قال ع بين المهاجرين الأولين وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم هذاالكلام ينقض ما يقول من يطعن فى السلف فإن أمير المؤمنين ع أنكر على معاوية تعرضه بالمفاضلة بين أعلام المهاجرين و لم يذكر معاوية إلا للمفاضلة بينه ع و بين أبى بكر وعمر فشهاده أمير المؤمنين ع بأنهما من المهاجرين الأولين و من ذوى الدرجات والطبقات التى اشتبه الحال بينهما وبينه ع فى أى الرجال منهم أفضل و أن قدر معاوية يصغر أن يدخل نفسه فى مثل ذلك شهادة قاطعة على علو شأنهما وعظم منزلتهما. قوله ع هيهات لقد حن قدح ليس منها هذا مثل يضرب لمن يدخل نفسه بين قوم ليس له أن يدخل بينهم وأصله القداح من عود واحد يجعل فيها قدح من غير ذلك الخشب فيصلب صوت بينها إذا أرادها المفيض فذلك الصوت هو حنينه . قوله وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها أى وطفق يحكم فى هذه القصة [صفحه ١٩٢] أو فى هذه القضية من يجب أن يكون الحكم لها عليه لا- له فيها ويجوز أن يكون الضمير يرجع إلى الطبقات . ثم قال ألا-تربح أيها الإنسان على ظلعك أى ألا تفرق بنفسك وتكف و لا تحمل عليها ما لا تطيقه والظلع مصدر ظلع البعير يظلع أى غمز فى مشيه . قوله و تعرف قصور ذرعك أصل الذرع بسط اليد يقال ضقت به ذرعا أى ضاق ذرعى به فنقلوا الاسم من الفاعلية فجعلوه منصوبا على التمييز كقولهم طبت به نفسا. قوله و تتأخر حيث أخرج القدر مثل قولك ضع نفسك حيث وضعها الله يقال ذلك لمن يرفع نفسه فوق استحقاقه . ثم قال فما عليك غلبة المغلوب و لا عليك ظفر الظافر يقول و ما الذى أدخلك بينى و بين أبى بكر وعمر و أنت من بنى أمية لست هاشميا و لا تيميا و لا عدويا هذا فيما يرجع إلى أنسابنا و لست مهاجرا و لا ذا قدم فى الإسلام فتراحم المهاجرين وأرباب السوابق بأعمالك واجتهادك فإذن لا يضرك غلبة الغالب منا و لا يسرك ظفر الظافر ويروى أن مروان بن الحكم كان ينشد يوم مرج راهط والرءوس تندر عن كواهلها بينه و بين الضحاك بن قيس الفهري و ماضهم غيرحين النفوس || أى غلامى قريش غلب . قوله ع وإنك لذهاب فى التيه رواج عن القصد يحتمل قوله ع فى التيه معنيين أحدهما بمعنى الكبر والآخر التيه من قولك تاه فلان فى البيداء و منه قوله تعالى فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فى الأَرْضِ و هذا الثانى أحسن - قرآن- ١٦٨-٢٣٦ [صفحه ١٩٣] يقول إنك شديد الإيغال فى الضلال و ذهاب فعال للتكثير ويقال أرض متيهة مثل معيشة أى يتاه فيها. قال ع رواج عن القصد أى تترك ما يلزمك فعله وتعذر عما يجب عليك أن تجيب عنه إلى حديث الصحابة و ماجرى بعد موت النبى ص ونحن إلى الكلام فى غير هذا أحوج إلى الكلام فى البيعة وحقن الدماء والدخول تحت طاعة الإمام . ثم قال ألا ترى غير مخبر لك ولكن بنعمة الله أحدث أى لست عندى أهلا لأن أخبرك بذلك أيضا فإنك تعلمه و من يعلم الشئ لا يجوز أن يخبر به ولكن أذكر ذلك لأنه تحدث بنعمة الله علينا و قد أمرنا بأن نحدث بنعمته سبحانه . قوله ع إن قوما استشهدوا فى سبيل الله المراد هاهنا سيد الشهداء حمزة رضى الله عنه و ينبغى أن يحمل قول النبى ص فيه إنه سيد الشهداء على أنه سيد الشهداء فى حياة النبى ص لأن عليا ع مات شهيدا و لا يجوز أن يقال حمزة سيده بل هو سيد المسلمين كلهم و لاخلاف بين أصحابنا رحمهم الله أنه أفضل من حمزة و جعفر رضى الله عنهما و قد تقدم ذكر التكبير الذى كبره رسول الله ص على حمزة فى قصة أحد. قوله ع ولكل فضل أى ولكل واحد من هؤلاء فضل لا يجحد. قوله أ و لا ترى أن قوما قطعت أيديهم هذا إشارة إلى جعفر و قد تقدم ذلك فى قصة مؤتة.

قوله و لو لا مانهى الله عنه هذا إشارة إلى نفسه ع . [صفحہ ۱۹۴] قوله و لاتمجها آذان السامعين أى لاتقذفها يقال مج الرجل من فيه أى قذفه قوله ع فدع عنك من مالت به الرمية يقال للصيد يرمى هذه الرمية وهى فعيلة بمعنى مفعولة والأصل فى مثلها ألا تلحقها الهاء نحو كف خضيب وعين كحيل إلا أنهم أجروها مجرى الأسماء لالنعوت كالتصيدة والقطيعة. والمعنى دع ذكر من مال إلى الدنيا ومالت به أى أمالته إليها. فإن قلت فهل هذا إشارة إلى أبى بكر وعمر قلت ينبغى أن ينزه أمير المؤمنين ع عن ذلك و أن تصرف هذه الكلمة إلى عثمان لأن معاوية ذكره فى كتابه و قدأوردناه و إذا أنصف الإنسان من نفسه علم أنه ع لم يكن يذكرهما بما يذكر به عثمان فإن الحال بينه و بين عثمان كانت مضطربة جدا. قال ع فإن صنائع ربنا و الناس بعد صنائع لنا هذا كلام عظيم عال على الكلام ومعناه عال على المعانى و صنيعه الملك من يصطنعه الملك ويرفع قدره . يقول ليس لأحد من البشر علينا نعمة بل الله تعالى هو الذى أنعم علينا فليس بيننا وبينه واسطة و الناس بأسرهم صنائعنا فنحن الواسطة بينهم و بين الله تعالى و هذا مقام جليل ظاهره ماسمعت و باطنه أنهم عبيد الله و أن الناس عبيدهم . ثم قال لم يمنعنا قديم عزنا و عادى طولنا الطول الفضل و عادى أى قديم بئر عادية. قوله على قومك أن خلطناهم بأنفسنا فنكحنا وأنكحنا فعل الأكفاء ولستم هناك يقول تزوجنا فيكم وتزوجتم فينا كما يفعل الأكفاء ولستم أكفاءنا و ينبغى أن يحمل قوله قديم و عادى على مجازة لا على حقيقته لأن بنى هاشم و بنى أمية لم يفترقا فى الشرف إلا منذ نشأ هاشم بن عبدمناف و عرف بأفعاله و مكارمه و نشأ حينئذ أخوه عبدشمس و عرف بمثل ذلك و صار لهذا بنون و لهذا بنون و ادعى كل من الفريقين [صفحہ ۱۹۵] أنه أشرف بالفعال من الآخر ثم لم تكن المدة بين نشء هاشم و إظهار محمدص الدعوة إلا نحو تسعين سنة و مثل هذه المدة القصيرة لا يقال فيها قديم عزنا و عادى طولنا فيجب أن يحمل اللفظ على مجازة لأن الأفعال الجميلة كما تكون عادية بطول المدة تكون بكثرة المناقب و المآثر و المفاخر و إن كانت المدة قصيرة و لفظه قديم ترد و لا يراد به أقدم الزمان بل من قولهم لفلان قدم صدق و قديم أثر أى سابقه حسنة

مناكحات بنى هاشم و بنى عبدشمس

و ينبغى أن نذكرها هاهنا مناكحات بنى هاشم و بنى عبدشمس زوج رسول الله ص ابنتيه رقية و أم كلثوم من عثمان بن عفان بن أبى العاص و زوج ابنته زينب من أبى العاص بن الربيع بن عبدالعزى بن عبدشمس فى الجاهلية و تزوج أبو لهب بن عبدالمطلب أم جميل بنت حرب بن أمية فى الجاهلية و تزوج رسول الله ص أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب و تزوج عبد الله بن عمرو بن عثمان فاطمة بنت الحسين بن على بن أبى طالب ع . و روى شيخنا أبو عثمان عن إسحاق بن عيسى بن على بن عبد الله بن العباس قال قلت للمنصور أبى جعفر من أكفاؤنا فقال أعداؤنا فقلت من هم فقال بنو أمية. و قال إسحاق بن سليمان بن على قلت للعباس بن محمد إذا اتسعنا من البنات و ضقنا من البنين و خفنا بوار الأيامى فإلى من نخرجهن من قبائل قريش فأنشدنى عبدشمس كان يتلو هاشما || وهما بعدلأم ولأب [صفحہ ۱۹۶] فعرفت ما أراد و سكتت . و روى أيوب بن جعفر بن سليمان قال سألت الرشيد عن ذلك فقال زوج النبى ص بنى عبدشمس فأحمد صهرهم و قال ما ذمنا من صهرنا فإننا لانذم صهر أبى العاص بن الربيع . قال شيخنا أبو عثمان و لمامات الابتان تحت عثمان قال النبى ص لأصحابه ماتتظرون بعثمان ألا أبوأيم ألا أخو أيم زوجته ابنتين و لو أن عندى ثلاثة لفعلت -رواية- ۱- ۲-رواية- ۲۳- ۱۶۷ قال ولذلك سمي ذا النورين ثم قال ع و أنى يكون ذلك أى كيف يكون شرفكم كشرفنا و منا النبى و منكم المكذب يعنى أباسفيان بن حرب كان عدو رسول الله و المكذب له و المجلب عليه وهؤلاء ثلاثة بإزاء أبى سفيان رسول الله ص و معاوية بإزاء على ع و يزيد بإزاء الحسين ع بينهم من العداوة ما لاتبرك عليه الإبل . قال و منا أسد الله يعنى حمزة و منكم أسد الأحلاف يعنى عتبة بن ربيعة و قد تقدم شرح ذلك فى قصة بدر. و قال الراوندى

المكذب من كان يكذب رسول الله ص عنادا من قريش وأسد الأحلاف أسد بن عبدالعزيز قال لأن بني أسد بن عبدالعزيز كانوا أحد البطون الذين اجتمعوا في حلف المطيبين وهم بنو أسد بن عبدالعزيز وبنو عبدمناف وبنو تميم بن مرة وبنو زهرة وبنو الحارث بن فهر وهذا كلام طريف جدا لأنه لم يلحظ أنه يجب أن يجعل بإزاء النبي ص مكذب [صفحة ١٩٧] من بني عبدشمس فقال المكذب من كذب النبي ص من قريش عنادا وليس كل من كذبه ع من قريش يعير معاوية به ثم قال أسد الأحلاف أسد بن عبدالعزيز و أي عار يلزم معاوية من ذلك ثم إن بني عبدمناف كانوا في هذا الحلف و على ومعاوية من بني عبدمناف ولكن الراوندى يظلم نفسه بتعرضه لما لا يعلمه . قوله ومنا سيدا شباب أهل الجنة يعني حسنا وحسينا ومنكم صبية النار هي الكلمة التي قالها النبي ص لعقبه بن أبي معيط حين قتله صبورا يوم بدر و قد قال كالمستعطف له ع من للصبية يا محمد قال النار. وعقبه بن أبي معيط من بني عبدشمس و لم يعلم الراوندى ما المراد بهذه الكلمة فقال صبية النار أولاد مروان بن الحكم الذين صاروا من أهل النار عند البلوغ و لما أخبر النبي ص عنهم بهذه الكلمة كانوا صبية ثم ترعرعوا واختاروا الكفر ولاشبهه أن الراوندى قد كان يفسر من خاطره ماخطر له . قال قوله ع ومنا خير نساء العالمين يعني فاطمة ع نص رسول الله ص على ذلك لاختلاف فيه . ومنكم حمالة الحطب هي أم جميل بنت حرب بن أمية امرأة أبي لهب الذي ورد نص القرآن فيها بما ورد. قوله في كثير مما لنا وعليكم أي أنقاد على أن أذكر من هذا شيئا كثيرا ولكني أكتفي بما ذكرت . فإن قلت فيما ذا يتعلق في في قوله في كثير قلت بمحذوف تقديره هذا الكلام داخل في جملة كلام كثير تتضمن مانا وعليكم . قوله ع فإسلامنا ما قدسمع وجاهلينا لاتدفع كلام قدتعلق به [صفحة ١٩٨] بعض من يتعصب للأموية و قال لو كانت جاهلية بني هاشم في الشرف كإسلامهم لعد من جاهليتهم حسب ماعد من فضيلتهم في الإسلام

فضل بني هاشم على بني عبدشمس

وينبغي أن نذكر في هذا الموضع فضل هاشم على عبدشمس في الجاهلية و قديمترج بذلك بعض مايمتازون به في الإسلام أيضا فإن استقصاءه في الإسلام كثير لأنه لايمكن جحد ذلك وكيف والإسلام كله عبارة عن محمدص و هو هاشمي ويدخل في ضمن ذلك مايجتج به الأموية أيضا فنقول إن شيخنا أبا عثمان قال إن أشرف خصال قريش في الجاهلية اللواء والندوة والسقاية والرفادة وزمزم والحجابه و هذه الخصال مقسومة في الجاهلية لبني هاشم و عبدالدار و عبدالعزيز دون بني عبدشمس . قال على أن معظم ذلك صار شرفه في الإسلام إلى بني هاشم لأن النبي ص لمملك مكة صار مفتاح الكعبة بيده فدفعه إلى عثمان بن طلحة فالشرف راجع إلى من ملك المفتاح لا إلى من دفع إليه وكذلك دفع ص اللواء إلى مصعب بن عمير فالذي دفع اللواء إليه وأخذه مصعب من يديه أحق بشرفه وأولى بمجده وشرفه راجع إلى رهطه من بني هاشم . قال و كان محمد بن عيسى المخزومي أميرا على اليمن فهجاه أبي بن مدلج فقال قل لابن عيسى المستغيث || من السهولة بالوعورة الناطق العوراء في || جل الأمور بلا بصيرة ولد المغيرة تسعة || كانوا صنديد العشيبة [صفحة ١٩٩] وأبوك عاشرهم كما || نبت مع النخل الشعيرة إن النبوة والخلافة || والسقاية والمشورة في غيركم فاكف إليك || يدا مجذمة قصيرة . قال فانبرى له شاعر من ولد كريز بن حبيب بن عبدشمس كان مع محمد بن عيسى باليمن يهجو عنه ابن مدلج في كلمة له طويلة قال فيها لالواء يعد يا ابن كريز || لا و لارفد بيته ذى السناء لاحجاب و ليس فيكم سوى الكبير || وبغض النبي والشهداء بين حاك ومخلج وطريد || وقتيل يلعنه أهل السماء ولهم زمزم كذاك وجبريل || ومجد السقاية الغراء . قال شيخنا أبو عثمان فالشهداء على وحمزة و جعفر والحاكي والمخلج هو الحكم بن أبي العاص كان يحكى مشية رسول الله ص فالتفت يوما فرآه فدعا عليه فلم يزل مخلج المشية عقوبة من

الله تعالى والطريد اثنان الحكم بن أبي العاص ومعاوية بن المغيرة بن أبي العاص وهما جدا عبدالملك بن مروان من قبل أمه و
أبيه . و كان النبي ص طرد معاوية بن المغيرة هذا من المدينة وأجله ثلاثا فحيره الله و لم يزل يتردد فى ضلاله حتى بعث فى أثره
علياء وعمارا فقتلاه فأما القتلى فكثير نحو شيبه وعتبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة وحنظلة بن أبي سفيان وعتبة بن أبي معيط
والعاص بن سعيد بن أمية ومعاوية بن المغيرة وغيرهم قال أبو عثمان و كان اسم هاشم عمرا وهاشم لقب و كان أيضا يقال له
القمر و فى ذلك يقول مطرود الخزاعي [صفحه ٢٠٠] إلى القمر السارى المنير دعوته || ومطعمهم فى الأزل من قمع الجزر .
قال ذلك فى شىء كان بينه و بين بعض قريش فدعاه مطرود إلى المحاكمة إلى هاشم و قال ابن الزبعرى كانت قريش بيضة
فتفلقت || فالمنخ خالصة لعبد مناف الرائشون و ليس يوجد رائش || والقائلون هلم للأضياف عمرو العلى هشم الثريد لقومه ||
ورجال مكة مستنون عجاف . فعم كمامتري أهل مكة بالأزل والعجف وجعله الذى هشم لهم الخبز ثريدا فغلب هذا اللقب على
اسمه حتى صار لا يعرف إلا به و ليس لعبد شمس لقب كريم و لا اشتق له من صالح أعماله اسم شريف و لم يكن لعبد شمس
ابن يأخذ بضبعه ويرفع من قدره ويزيد فى ذكره ولهاشم عبدالمطلب سيد الوادى غيرمدافع أجمل الناس جمالا وأظهرهم جودا
وأكملهم كمالا و هو صاحب الفيل والطير الأبايل وصاحب زمزم وساقى الحجيج وولد عبدشمس أمية بن عبدشمس وأميه فى
نفسه ليس هناك وإنما ذكر بأولاده و لالقب له ولعبد المطلب لقب شهير واسم شريف شيبه الحمد قال مطرود الخزاعي فى
مدحه يا شيبه الحمد الذى تننى له || أيامه من خير ذخر الذاخر المجد ما حجت قريش بيته || ودعا هذيل فوق غصن ناضر و الله
لا أنساكم وفعالكم || حتى أغيب فى سفاه القابر . و قال حذافة بن غانم العدوى و هو يمدح بألهب ويوصى ابنه خارجه بن
حذافة بالانتماء إلى بنى هاشم أخرج إما أهلكن فلا تنزل || لهم شاكر حتى تغيب فى القبر [صفحه ٢٠١] بنى شيبه الحمد
الكريم فعاله || يضىء ظلام الليل كالقمر البدر لساقى الحجيج ثم للشيوخ هاشم || و عبدمناف ذلك السيد الغمر أبو عتبة الملقى
إلى جواره || أغر هجان اللون من نفر غر أبوكم قصى كان يدعى مجمعا || به جمع الله القبائل من فهر . فأبو عتبة هو أبو لهب
عبدالعزى بن عبدالمطلب بن هاشم وابناه عتبة وعتيبة و قال العبدى حين احتفل فى الجاهلية فلم يترك لا ترى فى الناس حيا مثلنا
|| ما خلا أولاد عبدالمطلب . وإنما شرف عبدشمس بأبيه عبدمناف بن قصى وبنى ابنه أمية بن عبدشمس وهاشم شرف بنفسه
وبأبيه عبدمناف وبابنه عبدالمطلب والأمر فى هذا بين و هو كما أوضحه الشاعر فى قوله إنما عبدمناف جوهر || زين الجوهر
عبدالمطلب . قال أبو عثمان ولسنا نقول إن عبدشمس لم يكن شريفا فى نفسه ولكن الشرف يتفاضل و قد أعطى الله عبدالمطلب
فى زمانه وأجرى على يديه وأظهر من كرامته ما لا يعرف مثله إلا للنبي مرسل و إن فى كلامه لأبرهه صاحب الفيل وتوعده إياه
برب الكعبة وتحقيق قوله من الله تعالى ونصره و عيده بحبس الفيل وقتل أصحابه بالطير الأبايل وحجارة السجيل حتى تركوا
كالعصف المأكول لأعجب البرهانات وأسنى الكرامات وإنما كان ذلك إرهابا لنبوة النبي ص وتأسيسا لما يريد الله به من
الكرامة وليجعل ذلك البهاء متقدما له ومردودا عليه وليكون أشهر فى الآفاق وأجل فى صدور الفراعنة والجبابرة والأكاسرة
وأجدر أن يقهر المعاند ويكشف غباوة الجاهل و بعد فمن يناهض ويناضل رجالا ولدوا محمدا ص و لوعزلنا [صفحه ٢٠٢]
ما أكرمه الله به من النبوة حتى نفتصر على أخلاقه ومذاهبه وشيمه لما وفى به بشر و لا عدله شىء و لو شئنا أن نذكر ما أعطى الله به
عبدالمطلب من تفجر العيون وينايع الماء من تحت كل كل بعيره وأخفاه بالأرض القسى وبما أعطى من المساهمة و
عندالمقارعة من الأمور العجيبة والخصال البائنة لقلنا ولكننا أحببنا ألا نحتج عليكم إلا بالموجود فى القرآن الحكيم والمشهور فى
الشعر القديم الظاهر على السنة الخاصة والعامه ورواه الأخبار وحمال الآثار . قال ومما هو مذكور فى القرآن عدا حديث الفيل
قوله تعالى لإيلاف قريش و قد اجتمعت الرواة على أن أول من أخذ الإيلاف لقريش هاشم بن عبدمناف فلما مات قام أخوه
المطلب مقامه فلما مات قام عبدشمس مقامه فلما مات قام نوفل مقامه و كان أصغرهم والإيلاف هو أن هاشما كان رجلا كثير

السفر والتجارة فكان يسافر في الشتاء إلى اليمن و في الصيف إلى الشام وشرك في تجارته رؤساء القبائل من العرب و من ملوك اليمن والشام نحو العباهلة باليمن واليكسوم من بلاد الحبشة ونحو ملوك الروم بالشام فجعل لهم معه ربحا فيما يربح وساق لهم إبلا- مع إبلة فكفاهم مئونة الأسفار على أن يكفوه مئونة الأعداء في طريقه ومنصرفه فكان في ذلك صلاح عام للفريقين و كان المقيم رابحا والمسافر محفوظا فأخصبت قريش بذلك وحملت معه أموالها وأتاها الخير من البلاد السافلة والعالية وحسنت حالها وطاب عيشها قال وقد ذكر حديث الإيلاف الحارث بن الحنش السلمي و هو خال هاشم والمطلب و عبدشمس فقال -قرآن- ٥٠٤-٥٢٠ إن أخي هاشما || ليس أخا واحدا الآخذ الإيلاف و || القائم للقاعد . قال أبوعثمان وقيل إن تفسير قوله تعالى وَ آمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ هُوَ خَوْفٌ مِنْ كَانَ هُوَ لَاءِ الإِخْوَةِ يَمْرُونَ بِهِ مِنَ الْقَبَائِلِ وَالْأَعْدَاءِ وَهُمْ مَغْتَرِبُونَ وَمَعَهُمْ - قرآن- ٤٥-٦٥ [صفحہ ٢٠٣] الأموال و هذا ما فسرنا به الإيلاف آنفا و قد فسرهم قوم بغير ذلك قالوا إن هاشما جعل على رؤساء القبائل ضرائب يؤديونها إليه ليحمي بها أهل مكة فإن ذؤبان العرب وصعاليك الأحياء وأصحاب الغارات وطلاب الطوائف كانوا لا يؤمنون على الحرم لاسيما وناس من العرب كانوا لا يرون للحرم حرمة و لا للشهر الحرام قدرا مثل طيئ و خثعم وقضاعه وبعض بلحارث بن كعب وكيفما كان الإيلاف فإن هاشما كان القائم به دون غيره من إخوته . قال أبوعثمان ثم حلف الفضول و جلالته وعظمته و هو أشرف حلف كان في العرب كلها وأكرم عقد عقده قريش في قديمها وحديثها قبل الإسلام لم يكن لبني عبدشمس فيه نصيب قال النبي ص و هو يذكر حلف الفضول لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا لودعيت إلى مثله في الإسلام لأجبت -رواية- ١-٢-رواية- ٤٠-١١٩ ويكفي في جلالته وشرفه أن رسول الله ص شهدده و هو غلام و كان عتبه بن ربيعة يقول لو أن رجلا خرج مما عليه قومه لداخلت في حلف الفضول لما أرى من كماله وشرفه و لما أعلم من قدره و فضيلته . قال و لفضل ذلك الحلف و فضيلة أهله سمي حلف الفضول و سميت تلك القبائل الفضول فكان هذا الحلف في بني هاشم و بنى المطلب و بنى أسد بن عبد العزى و بنى زهرة و بنى تميم بن مرة تعاقدوا في دار ابن جدعان في شهر حرام قياما يتماسحون بأكفهم صعدا ليكونن مع المظلوم حتى يؤديوا إليه حقه ما بل بحر صوفه و في التأسى في المعاش و التساهم بالمال و كانت النباهة في هذا الحلف للزبير بن عبد المطلب و لعبد الله بن جدعان أما ابن جدعان فلأن الحلف عقد في داره و أما الزبير فلأنه ألقى نهض فيه ودعا إليه وحث عليه و هو ألقى سماه حلف الفضول و ذلك لأنه لما سمع الزبيدي المظلوم [صفحہ ٢٠٤] ثمن سلته قد أوفى على أبي قبيس قبل طلوع الشمس رافعا عقيرته و قريش في أندية قائلا يا للرجال لمظلوم بضاعته || ببطن مكة نائي الحي والنفر إن الحرام لمن تمت حرامته || و لا حرام لثوبى لا يبس الغدر . حمى و حلف ليعقدن حلفا بينه و بين بطون من قريش يمنعون القوى من ظلم الضعيف والقاطن من عنف الغريب ثم قال حلفت لنعقدن حلفا عليهم || و إن كنا جميعا أهل دار نسميه الفضول إذ عقدنا || يعز به الغريب لدى الجوار و يعلم من حوالى البيت أنا || أباه الضيم نهجر كل عار . فبنو هاشم هم الذين سموا ذلك الحلف حلف الفضول و هم كانوا سببه والقائمين به دون جميع القبائل العاقدة له والشاهدة لأمره فما ظنك بمن شهدده و لم يقم بأمره . قال أبوعثمان و كان الزبير بن عبد المطلب شجاعا ألبيا و جميلا بهيا و كان خطيبا شاعرا وسيدا جوادا و هو الذى يقول و لو لا الحمس لم يلبس رجال || ثياب أعز حتى يموتوا ثيابهم شمال أوعباء || بهادنس كماننس الحميت ولكننا خلقنا إذ خلقنا || لنا الحبرات والمسك الفتيت و كأس لوتبين لهم كلاما || لقاتل إنما لهم سبيت تبين لنا القذى إن كان فيها || رضين الحلم يشربها هببت [صفحہ ٢٠٥] ويقطع نخوة المختال عنا || رقيق الحد ضربته صموت بكف مجرب لاعيب فيه || إذ ألقى الكريهه يستमित . قال و الزبير هو الذى يقول وأسحم من راح العراق مملا || محيط عليه الجيش جلد مرائره صبحت به طلقا يراح إلى الندى || إذا ما انتشى لم يختصره معاقره ضعيف بجنب الكأس قبض بنانه || كليل على جلد النديم أظافره . قال و بنو هاشم هم الذين ردوا على الزبيدي ثمن بضاعته و كانت عند العاص بن وائل وأخذوا للبارقى ثمن سلته من أبى بن خلف الجمحى و في

ذلك يقول البارقي ويأبى لكم حلف الفضول ظلامتى || بنى جمح والحق يؤخذ بالغضب . وهم الذين انتزعوا من نبيه بن الحجاج قتل الحسناء بنت التاجر الخنعمى و كان كابره عليها حين رأى جمالها و فى ذلك يقول نبيه بن الحجاج وخشيت الفضول حين أتونى || قدأرانى و لأخاف الفضولا إنى و أذى يحج له شمط || إباد وهللوا تهليلا لبراء منى قتيلة يالللناس || هل يتبعون إلا القتولا . و فيها أيضا يقول لو لا الفضول و أنه || لا أمن من عروائها لدنوت من أبياتها || ولطفت حول خباثها [صفحة ٢٠٦] فى كلمته التى يقول فيها حى النخيلة إذ نأت || منا على عدوئها لبالفراق تنيلنا || شيئا و لابلقائها حلت بمكة حلة || فى مشيها ووطائها . فى رجال كثير انتزعوا منهم الظلامات و لم يكن يظلم بمكة إلا رجال أقوياء ولهم العدد والعارضه منهم من ذكرنا قصته . قال أبو عثمان ولهاشم أخرى لا يعد أحد مثلها و لا يأتى بما يتعلق بها و ذلك أن رؤساء قبائل قريش خرجوا إلى حرب بنى عامر متساندين فكان حرب بن أمية على بنى عبد شمس و كان الزبير بن عبدالمطلب على بنى هاشم و كان عبد الله بن جدعان على بنى تيم و كان هشام بن المغيرة على بنى مخزوم و كان على كل قبيلة رئيس منها فهم متكافئون فى التساند و لم يحقق واحد منهم الرئاسة على الجميع ثم أب هاشم بما لا تبلغه يد متناول و لا يطمع فيه طامع و ذلك أن النبى ص قال شهدت الفجار و أنا غلام فكنت أنبل فيه على عمومى -رواية ١-٢-رواية ٢٢-٧٥ فنفى مقامه ع أن تكون قريش هى التى فجرت فسميت تلك الحرب حرب الفجار وثبت أن الفجور إنما كان ممن حاربهم وصاروا بيمنه وبركته و لما يريد الله تعالى من إعزاز أمره وإعظامه الغالبيين العالين و لم يكن الله ليشهده فجرة و لا غدره فصار مشهده نصرا وموضعه فيهم حجة ودليلا. قال أبو عثمان وشرف هاشم متصل من حيث عددت كان الشرف معك كابر عن كابر و ليس بنو عبد شمس كذلك فإن الحكم بن أبى العاص كان عاديا فى الأعلام و لم يكن له سناء فى الجاهلية. [صفحة ٢٠٧] و أما أمية فلم يكن فى نفسه هناك وإنما رفعه أبوه و كان مضعوبا و كان صاحب عهار يدل على ذلك قول نفيل بن عدى جد عمر بن الخطاب حين تنافر إليه حرب بن أمية و عبدالمطلب بن هاشم فنفر عبدالمطلب وتعجب من إقدام حرب عليه و قال له أبوك معاهر وأبوه عف || وذاد الفيل عن بلد حرام . و ذلك أن أمية كان تعرض لامرأة من بنى زهرة فضربه رجل منهم بالسيف فأراد بنو أمية و من تبعهم إخراج زهرة من مكة فقام دونهم قيس بن عدى السهمى وكانوا أخواله و كان منيع الجانب شديد العارضة حمى الأنفس أبى النفس فقام دونهم وصاح أصبح ليل فذهبت مثلا ونادى الآن الظاعن مقيم و فى هذه القصة يقول وهب بن عبدمناف بن زهرة جد رسول الله ص مهلا أمى فإن البغى مهلكة || لا يكسبك يوم شره ذكر تبدو كواكبه والشمس طالعة || يصب فى الكأس منه الصبر والمقر . قال أبو عثمان وصنع أمية فى الجاهلية شيئا لم يصنعه أحد من العرب زوج ابنه أبا عمرو امرأته فى حياته منه فأولدها أبا معيط بن أبى عمرو بن أمية والمقيتون فى الإسلام هم الذين نكحوا نساء آبائهم بعد موتهم فإما أن يتزوجها فى حياة الأب وبينى عليها و هو يراه فإنه شىء لم يكن قط. قال أبو عثمان و قد أقر معاوية على نفسه ورهطه لبنى هاشم حين قيل له أيهما كان أسود فى الجاهلية أنتم أم بنو هاشم فقال كانوا أسود منا واحدا وكنا [صفحة ٢٠٨] أكثر منهم سيدا فأقر وادعى فهو فى إقراره بالنقص مخصوم و فى ادعائه الفضل خصيم . و قال جحش بن رئاب الأسدى حين نزل مكة بعد موت عبدالمطلب و الله لأتزوجن ابنة أكرم أهل هذا الوادى ولأحالفن أعزهم فتزوج أميمة بنت عبدالمطلب وحالف أبا سفيان بن حرب و قد يمكن أن يكون أعزهم ليس بأكرمهم و لا يمكن أن يكون أكرمهم ليس بأكرمهم و قد أقر أبو جهل على نفسه ورهطه من بنى مخزوم حين قال تحاربنا نحن وهم حتى إذا صرنا كهاتين قالوا منا نبى فأقر بالتقصير ثم ادعى المساواة ألاتراه كيف أقر أنه لم يزل يطلب شأوهم ثم ادعى أنه لحقهم فهو مخصوم فى إقراره خصيم فى دعواه و قد حكم لهاشم دغفل بن حنظلة النسابة حين سأله معاوية عن بنى هاشم فقال هم أطمع للطعام وأضرب للهام وهاتان خصلتان يجمعان أكثر الشرف . قال أبو عثمان والعجب من منافرة حرب بن أمية عبدالمطلب بن هاشم و قد لطم حرب جارا لخلف بن أسعد جد طلحة الطلحات فجاء جاره فشكا ذلك إليه فمشى خلف إلى

حرب و هو جالس عند الحجر فلطم وجهه عنوة من غير تحاكم ولا تراض فما انتطح فيه عتران ثم قام أبو سفيان بن حرب مقام أبيه بعد موته فحالفه أبو الأزيهر الدوسى و كان عظيم الشأن فى الأزدي و كانت بينه و بين بنى الوليد بن المغيرة محاكمة فى مصاهرة كانت بين الوليد و بينه فجاءه هشام بن الوليد و أبو الأزيهر قاعد فى مقعد أبى سفيان بذى المجاز ف ضرب عنقه فلم يدرك به أبو سفيان عقلا و لا قودا فى بنى المغيرة و قال حسان بن ثابت يذكر ذلك [صفحة ٢٠٩] غدا أهل حصنى ذى المجاز بسحره || و جار ابن حرب لا يروح و لا يغدو كساك هشام بن الوليد ثيابه || فأبل و أخلق مثلها جددا بعد . فهذه جملة صالحة مما ذكره شيخنا أبو عثمان . ونحن نورد من كتاب أنساب قريش للزبير بن بكار ما يتضمن شرحا لما أجمله شيخنا أبو عثمان أول بعضه فإن كلام أبى عثمان لمحة و إشارة و ليس بالمشروح . قال الزبير حدثنى عمر بن أبى بكر العدوى من بنى عدى بن كعب قال حدثنى يزيد بن عبد الملك بن المغيرة بن نوفل عن أبيه قال اصطلحت قريش على أن ولى هاشم بعد موت أبيه عبد مناف السقاية و الرفادة و ذلك أن عبد شمس كان يسافر قل أن يقيم بمكة و كان رجلا - معيلا و كان له ولد كثير و كان هاشم رجلا موسرا فكان إذا حضر الحج قام فى قريش فقال يا معشر قريش إنكم جيران الله و أهل بيته و إنه يأتىكم فى هذا الموسم زوار الله يعظمون حرمة بيته فهم لذلك ضيف الله و أحق ضيف بالكرامة ضيف الله و قد خصكم الله بذلك و أكرمكم به ثم حفظ منكم أفضل ما حفظ جار من جاره فأكرموا ضيفه و زواره فإنهم يأتون شعنا غربا من كل بلد ضوامر كالقذاح و قد أرفجوا و تغلوا و قملوا و أرموا فأقروهم و أعينوهم قال فكانت قريش تترافد على ذلك حتى إن كل أهل بيت ليرسلون بالشىء اليسير على قدر حالهم و كان هاشم يخرج فى كل سنة مالا - كثيرا و كان قوم من قريش يترافدون و كانوا أهل يسار فكان كل إنسان ربما أرسل بمائة مثقال ذهب هرقلية [صفحة ٢١٠] و كان هاشم يأمر بحياض من آدم تجعل فى مواضع زمزم من قبل أن تحفر يستقى فيها من البئر التى بمكة فيشرب الحاج و كان يطعمهم أول ما يطعم قبل يوم التروية بيوم بمكة و بمنى و يجمع و عرفه و كان يثرد لهم الخبز و اللحم و السمن و السويق و التمر و يحمل لهم الماء فيسقون بمنى و الماء يومئذ قليل إلى أن يصدر الحاج من منى ثم تنقطع الضيافة و تتفرق الناس إلى بلادهم . قال الزبير و إنما سمي هاشما لهشمه الثريد و كان اسمه عمرا ثم قالوا عمرو العلاء لمعاليه و كان أول من سن الرحلتين رحلة إلى الحبشة و رحلة إلى الشام ثم خرج فى أربعين من قريش فبلغ غزاة فمرض بها فمات فدفنوه بها و رجعوا بتركته إلى ولده و يقال إن الذى رجع بتركته إلى ولده أبو رهم عبد العزى بن أبى قيس العامرى من بنى عامر بن لؤى . قال الزبير و كان يقال لهاشم و المطلب البدران و لعبد شمس و نوفل الأبهان . قال الزبير و قد اختلف فى أى ولد عبد مناف أسن و الثبت عندنا أن أسنهم هاشم و قال آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عمر بن عبد العزيز بن مروان يا أمين الله إنى قائل || قول ذى دين و بر و حسب عبد شمس لا تنهها إنما || عبد شمس عم عبد المطلب عبد شمس كان يتلو هاشما || و هما بعد لأب . قال الزبير و حدثنى محمد بن حسن عن محمد بن طلحة عن عثمان بن عبد الرحمن قال قال عبد الله بن عباس و الله لقد علمت قريش أن أول من أخذ الإيلاف و أجاز لها العيرات لهاشم و الله ما شدت قريش رحالا و لا حبلا بسفر و لا أناخت بعيرا لحضر [صفحة ٢١١] إلا بهاشم و الله إنه أول من سقى بمكة ماء عذبا و جعل باب الكعبة ذهابا لعبد المطلب . قال الزبير و كانت قريش تجارا لا تعدو تجارتهم مكة إنما تقدم عليهم الأعاجم بالسلع فيشترونها منهم يتبايعون بها بينهم و يبيعون من حولهم من العرب حتى رحل هاشم بن عبد مناف إلى الشام فنزل بقيصر فكان يذبح كل يوم شاة و يصنع جفنة من ثريد و يدعو الناس فيأكلون و كان هاشم من أحسن الناس خلقا و تماما فذكر لقيصر و قيل له ها هنا شاب من قريش يهشم الخبز ثم يصب عليه المرق و يفرغ عليه اللحم و يدعو الناس قال و إنما كانت الأعاجم و الروم تصنع المرق فى الصحاف ثم تأتدم عليه بالخبز فدعا به قيصر فلما رآه و كلمه أعجب به و جعل يرسل إليه فيدخل عليه فلما رأى مكانه سأله أن يأذن لقريش فى القدوم عليه بالمتاجر و أن يكتب لهم كتب الأمان فيما بينهم و بينه ففعل فبذلك ارتفع هاشم من قريش قال الزبير و كان هاشم يقوم أول نهار اليوم الأول من ذى الحجة فيسند ظهره

إلى الكعبة من تلقاء بابها فيخطب قريشا فيقول يا معشر قريش أنتم سادة العرب أحسنها وجوها وأعظمها أحلاما وأوسطها أنسابا وأقربها أرحاما يا معشر قريش أنتم جيران بيت الله أكرمكم بولايته وخصكم بجواره دون بني إسماعيل وحفظ منكم أحسن ما حفظ منكم جار من جاره فأكرموا ضيفه وزوار بيته فإنهم يأتونكم شعثا غيرا من كل بلد فو رب هذه النبىء لو كان لى مال يحمل ذلك لكفيتموه ألا وإنى مخرج من طيب مالى وحلاله ما لم تقطع فيه رحم و لم يؤخذ بظلم و لم يدخل فيه حرام فواضعه فمن شاء منكم أن يفعل مثل ذلك فعل وأسألکم بحرمة هذا البيت ألا يخرج منكم رجل من ماله لكرامة زوار بيت الله ومعونتهم إلا طيبا لم يؤخذ ظلما و لم تقطع فيه رحم و لم يغتصب قال فكانت قريش تخرج من صفو أموالها ماتحتمله أحوالها وتأتى بها إلى هاشم فيضعه فى دار الندوة لضيافة الحاج . [صفحہ ۲۱۲] قال الزبير ومما رثى به مطرود الخزاعى هاشما قوله مات الندى بالشام لما أن ثوى || أودى بغزة هاشم لا يبعد فجفاناه رذم لمن ينتابه || والنصر أدنى باللسان وباليد . و من مراثيه له ياعين جودى وأذرى الدمع واحتفلى || وابكى خبيثه نفسى فى الملمات وابكى على كل فياض أخى حسب || ضخم الدسيعة وهاب الجزيلات ماضى الصريمة عالى الهم ذى شرف || جلد النحيزة حمال العظيمات صعب المقادة لانكس و لاوكل || ماض على الهول متلاف الكريمات محض توسط من كعب إذانسبوا || بجبوحه المجد فى الشم الرفيعات فابكى على هاشم فى وسط بلقعة || تسقى الرياح عليه وسط غزات ياعين بكى أبالشعث الشجيات || يبكيه حسرا مثل البنيات يبكين عمرو العلاء إذ حان مصرعه || سمح السجيه بسام العشيات يبكيه معولات فى معاوزها || ياطول ذلك من حزن وعولات محزمات على أوساطهن لما || جر الزمان من أحداث المصيبات أبيت أرعى نجوم الليل من ألم || أبكى وتبكى معى شجوا بنياتى . قال الزبير وحدثنى ابراهيم بن المنذر عن الواقدي عن عبدالرحمن بن الحارث عن عكرمة عن ابن عباس قال أول من سن دية النفس مائة من الإبل عبدالمطلب فجرت فى قريش والعرب سنته وأقرها رسول الله ص قال وأم عبدالمطلب سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد من بنى النجار من الأنصار و كان سبب [صفحہ ۲۱۳] تزوج هاشم بها أنه قدم فى تجارة له المدينة فنزل على عمرو بن زيد فجاءته سلمى بطعام فأعجبت هاشما فخطبها إلى أبيها فأنكحها إياها و شرط عليه أن تلد عند أهلها فبنى عليها بالمدينة وأقام معها سنتين ثم ارتحل بها إلى مكة فحملت وأثقلت فخرج بها إلى المدينة فوضعها عند أهلها ومضى إلى الشام فمات بغزة من وجهه ذلك وولدت عبدالمطلب فسمته شيبه الحمد لشعره بيضاء كانت فى ذوائبه حين ولد فمكث بالمدينة ست سنين أو ثمانيا ثم إن رجلا من تهامة مر بالمدينة فإذا غلمان ينتضلون و غلام منهم يقول كلما أصاب أنا ابن هاشم بن عبدمناف سيد البطحاء فقال له الرجل من أنت يا غلام قال أنا ابن هاشم بن عبدمناف قال ما اسمك قال شيبه الحمد فانصرف الرجل حتى قدم مكة فيجد المطلب بن عبدمناف جالسا فى الحجر فقال قم إلى يا أبا الحارث فقام إليه فقال تعلم أنى جئت الآن من يثرب فوجدت بها غلمانا ينتضلون ... وقص عليه مارأى من عبدالمطلب و قال إنه أضرب غلام رأيت قط فقال له المطلب أغفلته و الله أما إنى لأرجع إلى أهلى ومالى حتى آتية فخرج المطلب حتى أتى المدينة فأتاها عشاء ثم خرج براحلته حتى أتى بنى عدى بن النجار فإذا الغلمان بين ظهرانى المجلس فلما نظر إلى ابن أخيه قال للقوم هذا ابن هاشم قالوا نعم وعرفه القوم فقالوا هذا ابن أخيك فإن كنت تريد أخذه فالساعة لانعلم أمه فإنها إن علمت حلنا بينك وبينه فأناخ راحلته ثم دعاه فقال يا ابن أخى أناعمك و قد أردت الذهاب بك إلى قومك فاركب قال فو الله ما كذب أن جلس على عجز الراحلة و جلس المطلب على الراحلة ثم بعثها فانطلقت فلما علمت أمه قامت تدعو حزنها على ابنها فأخبرت أنه عمه و أنه ذهب به إلى قومه قال فانطلق به المطلب فدخل به مكة ضحوة مردفه خلفه و الناس فى أسواقهم ومجالسهم فقاموا يرحبون به ويقولون من هذا الغلام معك فيقول عبد لى ابتعته بيثرب ثم خرج به [صفحہ ۲۱۴] حتى جاء إلى الحزورة فابتاع له حلة ثم أدخله على امرأته خديجة بنت سعد بن سهم فرجلت شعره ثم ألبسه الحلة عشيء فجاء به فأجلسه فى مجلس بنى عبدمناف وأخبرهم خبره فكان الناس بعد ذلك إذارأوه يطوف فى سكك مكة و هو أحسن

الناس يقولون هذا عبدالمطلب لقول المطلب هذا عبدى فلج به الاسم وترك به شيبه. وروى الزبير رواية أخرى أن سلمى أم عبدالمطلب حالت بين المطلب وبين ابنها شيبه و كان بينها وبينه فى أمره محاوره ثم غلبها عليه وقال عرفت شيبه والنجار قدحلفت || أبناؤها حوله بالنبل تنتضل .فأما الشعر الذى لحذافه العذرى و الذى ذكره شيخنا أبوعثمان فقد ذكره الزبير بن بكار فى كتاب النسب وزاد فيه كهولهم خير الكهول ونسلهم || كنسل الملوك لا-يبور ولا-يجرى ملوك وأبناء الملوك وساده || تفلق عنهم بيضة الطائر الصقر متى تلق منهم طامحا فى عنانه || تجده على أجراء والده يجرى هم ملكوا البطحاء مجدا وسؤددا || وهم نكلوا عنها غواة بنى بكر وهم يغفرون الذنب ينقم مثله || وهم تركوا رأى السفاهه والهجر أخرج إما أهلكن فلا تنزل || لهم شاكر حتى تغيب فى القبر . قال الزبير وحدثنى عن سيب هذا الشعر محمد بن حسن عن محمد بن طلحه عن أبيه قال إن ركبا من جذام خرجوا صادرين عن الحج من مكه ففقدوا رجلا منهم عاليه بيوت مكه فيلقون حذافه العذرى فربطوه وانطلقوا به فتلقاهم عبدالمطلب مقبلا من الطائف ومعه ابنه أبولهب يقود به و عبدالمطلب حينئذ قد ذهب بصره فلما نظر إليه حذافه بن غانم هتف به فقال عبدالمطلب لابنه [صفحه ٢١٥] ويلك من هذا قال هذا حذافه بن غانم مربوطا مع ركب قال فالحقهم فسلمهم ماشأنهم وشأنه فالحقهم أبولهب فأخبروه الخبر فرجع إلى أبيه فأخبره فقال ويحك مامعك قال لا والله مامعى شىء قال فالحقهم لا-أم لك فأعطهم بيدك وأطلق الرجل فالحقهم أبولهب فقال قدعرفتم تجارتي ومالى و أناأحلف لكم لأعطينكم عشرين أوقيه ذهبا وعشرا من الإبل وفرسا و هذاردائى رهن فقبلوا ذلك منه وأطلقوا حذافه فلما أقبل به وقربا من عبدالمطلب سمع عبدالمطلب صوت أبى لهب و لم يسمع صوت حذافه فصاح به و أبى إنك لعاص ارجع لا-أم لك قال يأبتا هذا الرجل معى فناده عبدالمطلب يا حذافه أسمعنى صوتك قال ها أناذا بأبى أنت وأمى ياساقى الحجيح أردفنى فأردفه حتى دخل مكه فقال حذافه هذا الشعر. قال الزبير وحدثنى عبد الله بن معاذ عن معمر عن ابن شهاب قال أول ما ذكر من عبدالمطلب أن قريشا خرجت فاره من الحرم خوفا من أصحاب الفيل و عبدالمطلب يومئذ غلام شاب فقال والله لاأخرج من حرم الله أبغى العز فى غيره فجلس فى البيت وأجلت قريش عنه فقال عبدالمطلب لاهم إن المرء يمنع || رحله فامنع حلالك لا يغلبن صليهم || ومحالهم أبدا محالك فلم يزل ثابتا فى الحرم حتى أهلك الله الفيل وأصحابه فرجعت قريش و قدعظم فيهم بصره وتعظيمه محارم الله عز و جل فينا هو على ذلك و كان أكبر ولده و هو الحارث بن عبدالمطلب قدبلغ الحلم أرى عبدالمطلب فى المنام فقيل له احفر زمزم خبيئه الشيخ الأ-عظم فاستيقظ فقال اللهم بين لى الشيخ فأرى فى المنام مرة أخرى [صفحه ٢١٦] احفر تكتم بين الفرث والدم فى مبحث الغراب فى قريه النمل مستقبلة الأنصاب الحمر فقام عبدالمطلب فمشى حتى جلس فى المسجد الحرام ينتظر ماسمى له من الآيات فنحر بقره فى الحزورة فأفلتت من جازرها بحشاشه نفسها حتى غلب عليها الموت فى المسجد فى موضع زمزم فاحتمل لحمها من مكانها وأقبل غراب يهوى حتى وقع فى الفرث فبحث عن قريه النمل فقام عبدالمطلب يحفرها فجاءته قريش فقالت له ما هذا الصنع إنا لم نكن نراك بالجهل لم تحفر فى مسجدنا فقال عبدالمطلب إنى لحافر هذا البئر ومجاهد من صدنى عنها فطفق يحفر هو وابنه الحارث و ليس له يومئذ ولد غيره فيسفه عليهما الناس من قريش فينازعونهما ويقاثلونهما وتناهى عنه ناس من قريش لما يعلمون من زعيق نسبه وصدقه واجتهاده فى دينهم يومئذ حتى إذا تعب الحفر واشتد عليه الأذى نذر إن وفى له عشرة من الولدان ينحر أحدهم ثم حفر فأدرك سيوفا دفنت فى زمزم حين دفنت فلما رأت قريش أنه قد أدرك السيوف قالت يا عبدالمطلب أحذنا مما وجدت فقال عبدالمطلب بل هذه السيوف لبيت الله ثم حفر حتى أنبط الماء فحفرها فى القرار ثم بحرها حتى لا-تنزف ثم بنى عليها حوضا وطفق هو وابنه ينزعان فيملآن ذلك الحوض فيشرب منه الحاج ويكسره قوم حسده له من قريش بالليل فيصلحه عبدالمطلب حين يصبح فلما أكثروا فساده دعا عبدالمطلب ربه فأرى فقيل له قل اللهم إنى لأأهلها لمغتسل وهى لشارب حل وبل ثم كفيتهم فقام عبدالمطلب حين اختلف قريش فى المسجد فنادى بالذى أرى ثم انصرف فلم يكن يفسد

حوضه عليه أحد من قريش إلامى فى جسده بءاء حتى تركوا حوضه ذلك وسقاوته ثم تزوج عبدالمطلب النساء فولد له عشرة رهط فقال اللهم إنى [صفحه ٢١٧] كنت نذرت لك نحر أحدهم وإنى أقرع بينهم فأصيب بذلك من شئت فأقرع بينهم فطارت القرعة على عبد الله بن عبدالمطلب أبى رسول الله ص و كان أحب ولده إليه فقال عبدالمطلب اللهم هو أحب إليك أم مائة من الإبل فنحرها عبدالمطلب مكان عبد الله و كان عبد الله أحسن رجل رثى فى قريش قط. وروى الزبير أيضا قال حدثنى ابراهيم بن المنذر عن عبدالعزيز بن عمران عن عبد الله بن عثمان بن سليمان قال سمعت أبى يقول لما حضرت زمزم وأدرىك منها عبدالمطلب ما أدرىك وجدت قريش فى أنفسها مما أعطى عبدالمطلب فلقبه خويلد بن أسد بن عبدالعزى فقال يا ابن سلمى لقد سقى ماء رعدا ونثلت عاديه حسدا فقال يا ابن أسد أما إنك تشرك فى فضلها و الله لا يساعدنى أحد عليها ببر ولا يقوم معى بارزا إلا بذلت له خير الصهر فقال خويلد بن أسد أقول و ما قولى عليهم بسبه || إليك ابن سلمى أنت حافر زمزم حفيرة ابراهيم يوم ابن هاجر || وركضة جبريل على عهد آدم فقال عبدالمطلب ما وجدت أحدا ورث العلم الأقدم غير خويلد بن أسد. قال الزبير فأما ركضة جبريل فإن سعيد بن المسيب قال إن ابراهيم قدم بإسماعيل وأمه مكة فقال لهما كلا من الشجر واشربا من الشعاب وفارقهما فلما ضاقت الأرض تقطعت المياه فعضشا فقالت له أمه اصعد وانصب فى هذا الوادى فلا أرى موتك و لا ترى موتى ففعل فأنزل الله تعالى ملكا من السماء على أم إسماعيل فأمرها فصرحت به فاستجاب لها وطار الملك فضرب بجناحيه مكان زمزم فقال اشربا فكان سيحا يسبح و لو تركاه مازال كذلك أبدا لكنها فرقت عليه من العطش فقرت له فى السقاء وحفرت فى البطحاء فلما نضب الماء طوياه ثم [صفحه ٢١٨] هللك الناس ودفنته السيول ثم أرى عبدالمطلب فى المنام أن احفر زمزم لا تثرب و لا تذم تروى الحجيج الأعظم ثم أرى مرة أخرى أن احفر الرواء أعطيتها على رغبم الأعداء ثم أرى مرة أخرى أن احفر تكتم بين الأنصاب الحمر فى قرية النمل فأصبح يحفر حيث أرى فطفقت قريش يستهزءون به حتى إذا بدا عن الطى وجد فيها غزالا من ذهب و حلية سيف فضرب عليها بالسهم فخرج سهم البيت فكان أول حلى حلى به الكعبة. قال الزبير و كان حرب بن أمية بن عبدشمس نديم عبدالمطلب و كان عبيد بن الأبرص تربه وبلغ عبيد مائة وعشرين سنة وبقى عبدالمطلب بعده عشرين سنة. قال و قال بعض أهل العلم توفى عبدالمطلب عن خمس و تسعين سنة و يقال كان يعرف فى عبدالمطلب نور النبوة وهيبه الملك و فيه يقول الشاعر إننى واللات والبيت الذى || لز بالهبرز عبدالمطلب . قال الزبير حدثنى عمى مصعب بن عبد الله قال بينا عبدالمطلب يطوف بالبيت بعد ما أسن وذهب بصره إذ زحمة رجل فقال من هذا فقيل رجل من بنى بكر. قال فما منعه أن ينكب عنى و قدر أنى لا أستطيع لأن أنكب عنه فلما رأى بنيه قد توالوا عشرة قال لا بد لى من العصا فإن اتخذتها طوبلة شقت على و إن اتخذتها قصيرة قويت عليها ولكن ينحذب لها ظهري والحدبة ذل فقال بنوه أو غير ذلك يوافيك كل يوم منا رجل تتوكأ عليه فتطوف فى حوائجك قال ولذلك قال الزبير ومكارم عبدالمطلب أكثر من أن يحاط بها كان سيد قريش غير مدافع نفسا و أبا وبيتا وجمالا وبهاء وكمالا وفعالا قال أحد بنى كنانة يمدحه [صفحه ٢١٩] إنى و ماسترت قريش و الذى || تعزو لآل كلهن ظباء و وحق من رفع الجبال منيفه || و الأرض مدا فوقهن سماء مثن ومهد لابن سلمى مدحة || فيها أداء ذمامه ووفاء قال الزبير فأما أبوطالب بن عبدالمطلب واسمه عبدمناف و هو كافل رسول الله ص وحاميه من قريش وناصره والرفيق به الشفيق عليه ووصى عبدالمطلب فيه فكان سيد بنى هاشم فى زمانه و لم يكن أحد من قريش يسود فى الجاهلية بمال إلا أبوطالب وعتبه بن ربيعة. قال الزبير أبوطالب أول من سن القسامه فى الجاهلية فى دم عمرو بن علقمة ثم أثبتتها السنة فى الإسلام وكانت السقاية فى الجاهلية بيد أبى طالب ثم سلمها إلى أخيه العباس بن عبدالمطلب . قال الزبير و كان أبوطالب شاعرا مجيدا و كان نديمه فى الجاهلية مسافر بن عمرو بن أمية بن عبدشمس و كان قد حنن فخرج ليتداوى بالحيرة فمات بهبالة فقال أبوطالب يرثيه ليت شعرى مسافر ابن أبى عمرو || وليث يقولها المحزون كيف كانت مذاقة الموت إذ مت || و ماذا بعد الممات يكون رحل

الركب قافلين إلينا || وخليلى فى مرمس مدفون بورك الميت الغريب كمابورك || نضر الريحان والزيتون [صفحة ٢٢٠] رزء ميت على هباله قدحالت || فياف من دونه وحزون مدره يدفع الخصوم بأيد || وبوجه يزينه العرنين كم خليل وصاحب وابن عم || وحميم قفت عليه المنون فتعزيت بالجلاده والصبر || وإنى بصاحبى لضمنين . قال الزبير فلما هلك مسافر نادم أبوطالب بعده عمرو بن عبد بن أبى قيس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى ولذلك قال عمرو لعلى ع يوم الخندق حين بارزه إن أباك كان لى صديقا. قال الزبير وحدثنى محمد بن حسن عن نصر بن مزاحم عن معروف بن خربوذ قال كان أبوطالب يحضر أيام الفجار ويحضر معه النبى ص و هو غلام فإذا جاء أبوطالب هزمت قيس و إذا لم يجىء هزمت كنانة فقالوا لأبى طالب لا- أبا لك لا-تغب عنا ففعل . قال الزبير فأما الزبير بن عبدالمطلب فكان من أشرف قريش ووجهها و هو الذى استثنته بنو قصى على بنى سهم حين هجا عبد الله بن الزبعرى بن قصى فأرسلت بنو قصى عتبه بن ربيعه بن عبدشمس إلى بنى سهم فقال لهم إن قومكم قدكروها أن يعجلوا عليكم فأرسلونى إليكم فى هذا السفيه الذى هجاهم فى غير ذنب اجتمروا إليه فإن كان ماصنع عن رأيكم فبئس رأى رأيكم و إن كان عن غير رأيكم فادفعوه إليهم فقال القوم نبأ إلى الله أن يكون عن رأينا قال فأسلموه إليهم فقال بعض بنى سهم إن شئتم فعلنا على أن من هجانا منكم دفعتموه إلينا فقال عتبه ما يمنعنى أن أقول ماتقول إلا أن الزبير بن عبدالمطلب غائب بالطائف [صفحة ٢٢١] و قد عرفت أنه سيفرغ لهذا الأمر فيقول و لم أكن أجعل الزبير خطرا لابن الزبعرى فقال قائل منهم أيها القوم ادفعوه إليهم فلعمري أن لكم مثل الذى عليكم فكثرت فى ذلك الكلام واللغظ فلما رأى العاص بن وائل ذلك دعا برمه فأوثق بها عبد الله بن الزبعرى ودفعه إلى عتبه بن ربيعه فأقبل به مربوطا حتى أتى به قومه فأطلقه حمزة بن عبدالمطلب وكساه فأغرى ابن الزبعرى أناس من قريش بقومه بنى سهم وقالوا له اهجهم كما أسلموك فقال لعمري ماجأت بنكر عشيرتى || و إن صالحت إخوانها لألومها فود جناة الشر أن سيوفنا || بأيماننا مسلوله لانشيمها فيقطع ذو الصهر القريب ويتركوا || غماغم منها إذ أجد يريمها فإن قصيا أهل مجد وثروه || و أهل فعال لا يرام قديمها هم منعوا يومى عكاظ نساءنا || كما منع الشول الهجان قرومها و إن كان هيج قدموا فتقدموا || وهل يمنع المخزاة إلا حميها محاشيد للمقرى سراع إلى الندى || مرازبه غلب رزان حلومها . قال فقدم الزبير بن عبدالمطلب من الطائف فقال قصيدته التى يقول فيها فلو لا الحمس لم يلبس رجال || ثياب أعزة حتى يموتوا . و قد ذكرنا قطعة منها فيما تقدم . قال الزبير و قال الزبير بن عبدالمطلب أيضا فى هذا المعنى [صفحة ٢٢٢] قومى بنو عبدمناف إذا || أظلم من حولى بالجدل لأسد لن يسلمونى و لا || تيم و لازهرة للنيطل و لابنو الحارث إن مر بى || يوم من الأيام لاينجلي يا أيها الشاتم قومى و لا || حق له عندهم أقبل إنى لهم جار لئن أنت لم || تقصر عن الباطل أوتعدل . قال الزبير و من شعر الزبير بن عبدالمطلب ياليت شعرى إذا ما حمتى وقعت || ماذا تقول ابنتى فى النوح تنعانى تنعى أبا كان معروف الدفاع عن المولى || المضاف وفكاكا عن العانى ونعم صاحب عان كان رافده || إذ اتضجع عنه العاجز الوانى . قال الزبير و كان الزبير بن عبدالمطلب ذا نظر وفكر أتى فقيل له مات فلان لرجل من قريش كان ظلوما فقال بأى عقوبة مات قالوا مات حتف أنفه فقال لئن كان ما قتلتموه حقا إن للناس معادا يؤخذ فيه للمظلوم من الظالم . قال و كان الزبير يكنى بأبى الطاهر وكانت صفية بنت عبدالمطلب كنت ابنها الزبير بن العوام أبا الطاهر دهرا بكنية أخيها و كان للزبير بن عبدالمطلب ابن يقال له الطاهر كان من أطرف فتيان مكة مات غلاما و به سمى رسول الله ص ابنه الطاهر وباسم الزبير سمت أخته صفية ابنها الزبير وقالت صفية ترثى أخاها الزبير بن عبدالمطلب بكى زبير الخير إذ مات إن || كنت على ذى كرم باكيه [صفحة ٢٢٣] لولفظته الأرض مالمتها || أو أصبحت خاشعة عاربه قد كان فى نفسى أن أترك الموتى || و لا أتبعهم قافيه فلم أطق صبرا على رزئه || وجدته أقرب إخوانيه لو لم أقل من فى قولاه || لقصت العبرة أضلاعيه فهو الشامى واليمانى إذا || ما خضروا ذو الشفرة الداميه . و قال ضرار بن الخطاب بيكيه بكى ضباع على أبيك || بكاء محزون أليم قد كنت أنشده فلا- || رث السلاح و لاسليم

كالكوكب الدرى يعلو || ضوءه ضوء النجوم زخرت به أعراقه || ونماه والده الكريم بين الأغر وهاشم || فرعين قد فرعا القروم . فأما القتل الخثعمية التي اغتصبها نبيه بن الحجاج السهمي من أبيها فقد ذكر الزبير بن بكار قصتها في كتاب أنساب قريش . قال الزبير إن رجلا من خثعم قدم مكة تاجرا ومعه ابنه يقال لها القتل أو ضا نساء العالمين فعلقها نبيه بن الحجاج السهمي فلم يبرح حتى غلب أباه عليها ونقلها إليه فقيل لأبيها عليك بحلف الفضول فأتاهم فشكا إليهم ذلك فأتوا نبيه بن الحجاج فقالوا له أخرج ابنه هذا الرجل و هو يومئذ منتبذ بناحية مكة وهي معه و إلا فإننا من قد عرفنا فقال يا قوم متعوني بها الليلة فقالوا قبحك الله [صفحة ٢٢٤] ما أجهدك لا والله ولا شخب لقحة فأخرجها إليهم فأعطوها أباه فقال نبيه بن الحجاج في ذلك قصيدة أولها راح صحنى و لم أحي القتولا- || لم أودعهم وداعا جميلا- إذ أجد الفضول أن يمنعوها || قد أرانى و لأخاف الفضولا- فى أبيات طويلة و أماقصة البارقي فقد ذكرها الزبير أيضا. قال قدم رجل من ثماله من الأزدي مكة فباع سلعة من أبي بن خلف الجمحي فمطله بالثمن و كان سيئ المخالطة فأتى الثمالي أهل حلف الفضول فأخبرهم فقالوا اذهب فأخبره أنك قد أتيتنا فإن أعطاك حقك و إلا فارجع إلينا فأتاه فأخبره بما قال أهل حلف الفضول فأخرج إليه حقه فأعطاه فقال الثمالي أيفجر بى بطن مكة ظالما || أبى و لا قومي لدى و لا صحبى و ناديت قومي بارقا لتجيبنى || و كم دون قومي من فياف و من سهب و يابى لكم حلف الفضول ظلامتى || بنى جمح و الحق يؤخذ بالغضب . و أماقصة حلف الفضول و شرفه فقد ذكرها الزبير فى كتابه أيضا قال كان بنو سهم و بنو جمح أهل بنى و عدوان فأكثروا من ذلك فأجمع بنو هاشم و بنو المطلب و بنو أسد و بنو زهرة و بنو تميم على أن تحالفوا و تعاقدوا على رد الظلم بمكة و ألا يظلم أحد [صفحة ٢٢٥] إلا ممنوعه و أخذوا له بحقه و كان حلفهم فى دار عبد الله بن جدعان قال رسول الله ص لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لى به حمر النعم و لودعيت به اليوم لأجبت لا يزيدة الإسلام إلا شدة -روايت- ١-٢-روايت- ٢٣-١٤٦ . قال الزبير كان رجل من بنى أسد قد قدم مكة معتمرا ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل السهمي فأواها إلى بيته ثم تغيب فابتغى الأسدى متاعه فلم يقدر عليه فجاء إلى بنى سهم يستعديهم عليه فأغلظوا له فعرف أن لا سبيل له إلى ماله و طوف فى قبائل قريش يستنفر بهم فتخاذلت القبائل عنه فلما رأى ذلك أشرف على أبى قيس حين أخذت قريش مجالسها و نادى بأعلى صوته يالرجال لمظلوم بضاعته || بطن مكة نائى الأهل و النفر و محرم أشعث لم يقض عمرته || يا آل فهر و بين الحجر و الحجر هل منصف من بنى سهم فمرتجع || ما غيبوا أم حلال مال معتمر . فأعظمت ذلك قريش و تكلموا فيه فقال المطيبون و الله إن قمنا فى هذا ليغضبنا الأحلاف و قالت الأحلاف و الله إن قمنا فى هذا ليغضبنا المطيبون فقالت قبائل من قريش هلموا فلنحتلف حلفا جديدا لننصرن المظلوم على الظالم مابل بحر صوفة فاجتمعت هاشم و المطلب و أسد و تميم و زهرة فى دار عبد الله بن جدعان و رسول الله ص يومئذ معهم و هوشاب ابن خمس و عشرين سنة لم يوح إليه بعد فتحه فقالوا ألا يظلم بمكة غريب و لا قريب و لا حر و لا عبد إلا كانوا معه حتى يأخذوا له بحقه و يردوا إليه مظلمته من أنفسهم و من غيرهم ثم عمدوا إلى ماء زمزم فجعلوه فى جفنة ثم بعثوا به إلى البيت فغسلوا به أركانها ثم جمعوه و أتوهم به فشربوه ثم انطلقوا إلى العاص بن وائل [صفحة ٢٢٦] فقالوا له أد إلى هذا حقه فأدى إليه حقه فمكثوا كذلك دهرًا لا يظلم أحد بمكة إلا أخذوا له حقه فكان عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يقول لو أن رجلا وحده خرج من قومه لخرجت من عبد شمس حتى أدخل فى حلف الفضول . قال الزبير و حدثنى محمد بن حسن عن محمد بن طلحة عن موسى بن محمد عن أبيه أن الحلف كان على ألا يدعوا بمكة كلها و لا فى الأحابيش مظلوما يدعوهم إلى نصرته إلا أنجدوه حتى يردوا عليه ماله و مظلمته أو يبلوا فى ذلك عذرا و على الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و على التأسى فى المعاش . قال الزبير و يقال إنه إنما سمي حلف الفضول لأن رجلا كانوا فى وجوههم تحالفوا على رد المظالم يقال لهم فضيل و فضال و فضل و مفضل فسمى هذا الحلف حلف الفضول لأنه أحيى تلك السنة التي كانت ماتت . قال الزبير و قدم محمد بن جبير بن مطعم على عبد الملك بن مروان و كان من علماء قريش فقال له يا أباسعيد

ألم نكن يعنى بنى عبدشمس وأنتم فى حلف الفضول فقال أمير المؤمنين أعلم قال لتخبرنى بالحق قال لا والله يا أمير المؤمنين لقد خرجنا نحن وأنتم منه وماكانت يدنا ويدكم إلاجمعيا فى الجاهلية والإسلام . قال الزبير وحدثنى محمد بن حسن عن ابراهيم بن محمد عن يزيد بن عبد الله بن الهادى الليثى أن محمد بن الحارث أخبره قال كان بين الحسين بن على ع وبين الوليد بن عتبة بن أبى سفيان كلام فى مال كان بينهما بذى المروءة والوليد يومئذ أميرالمدينة فى أيام معاوية فقال الحسين ع أيسقطيل الوليد على بسلطانه [صفحه ٢٢٧] أقسم بالله لينصفنى من حقى أوأأخذن سيفى ثم أقوم فى مسجد الله فأدعو بحلف الفضول فبلغت كلمته عبد الله بن الزبير فقال أحلف بالله لئن دعا به لأأخذن سيفى ثم لأقومن معه حتى ينتصف أو نموت جميعا فبلغت المسور بن مخرمة بن نوفل الزهرى فقال مثل ذلك فبلغت عبدالرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمى فقال مثل ذلك فبلغ ذلك الوليد بن عتبة فأنصف الحسين ع من نفسه حتى رضى . قال الزبير و قد كان للحسين ع مع معاوية قصة مثل هذه كان بينهما كلام فى أرض للحسين ع فقال له الحسين ع اختر منى ثلاث خصال إما أن تشتري منى حقى وإما أن ترده على أو تجعل بينى وبينك ابن عمر أو ابن الزبير حكما وإلا فالرابعة وهى الصيلم قال معاوية و ماهى قال أهتف بحلف الفضول ثم قام فخرج وهو مغضب فمر بعبد الله بن الزبير فأخبره فقال والله لئن هتفت به و أنا مضطجع لأأعدن أوقاعد لأقومن أوقائم لأمشين أو ماش لأسعين ثم لتنفدن روحى مع روحك أولينصفنك فبلغت معاوية فقال لاجاجة لنا بالصيلم ثم أرسل إليه أن ابعث فانتقد مالك فقد ابتعناه منك . قال الزبير وحدثنى بهذه القصة على بن صالح عن جدى عبد الله بن مصعب عن أبيه قال خرج الحسين ع من عندمعاوية و هو مغضب فلقى عبد الله بن الزبير فحدثه بما دار بينهما و قال لأخبرنه فى خصال فقال له ابن الزبير ما قال ثم ذهب إلى معاوية فقال لقد لقينى الحسين فخيرك فى ثلاث خصال والرابعة الصيلم قال معاوية فلاجاجة لنا بالصيلم أظنك لقيته مغضبا فهات الثلاث قال أن تجعلنى [صفحه ٢٢٨] أو ابن عمر بينك وبينه قال قد جعلتك بينى وبينه أو جعلت ابن عمر أو جعلتكم جميعا قال أو تقر له بحقه ثم تسأله إياه قال قد أقررت له بحقه و أنا سأله إياه قال أو تشره منه قال قد اشترته منه فما الصيلم قال يهتف بحلف الفضول و أنا أول من يجيبه قال فلاجاجة لنا فى ذلك . وبلغ الكلام عبد الله بن أبى بكر والمسور بن مخرمة فقالا للحسين مثل ما قاله ابن الزبير . فأما تفجر الماء من تحت أخفاف بعير عبدالمطلب فى الأرض الجزر فقد ذكره محمد بن إسحاق بن يسار فى كتاب السيرة قال لما أنبط عبدالمطلب الماء فى زمزم حسدته قريش فقالت له يا عبدالمطلب إنها بئر أبنينا إسماعيل و إن لنا فيها حقا فأشركنا معك قال ما أنا بفاعل إن هذا الأمر أمر خصصت به دونكم وأعطيته من بينكم قالوا له فإننا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها قال فاجعلوا بينى وبينكم حكما أحاكمكم إليه قالوا كاهنه بنى سعد بن هذيم قال نعم وكانت بأشراف الشام فركب عبدالمطلب فى نفر من بنى عبدمناف وخرج من كل قبيلة من قبائل قريش قوم و الأرض إذ ذاك مفاوز حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام نفذ ما كان مع عبدالمطلب وبنى أبيه من الماء فعضشوا عطشا شديدا فاستسقوا قومهم فأبوا أن يسقوهم وقالوا نحن بمفازة ونخشى على أنفسنا مثل الذى أصابكم فلما رأى عبدالمطلب ماصنع القوم وخاف على نفسه وأصحابه الهلاك قال لأصحابه ماترون قالوا مارأينا إلا أتبع لرأيك فمرنا بما أحببت قال فإنى أرى أن يحفر كل رجل منا حفرة لنفسه بما معه الآن من القوة فكلما مات رجل دفنه أصحابه فى حفرة حتى يكون رجل واحد فضيعة [صفحه ٢٢٩] رجل واحد أيسر من ضيعة ركب قالوا نعم ماأشرت فقام كل رجل منهم فحفر حفرة لنفسه وقعدوا ينتظرون الموت ثم إن عبدالمطلب قال لأصحابه والله إن إلقاءنا بأيدينا كذا للموت لانضرب فى الأرض فنطلب الماء لعجز قوموا فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض الأرض ارتحلوا فارتحلوا و من معهم من قبائل قريش ينظرون إليهم ما هم صانعون فتقدم عبدالمطلب إلى راحلته فركبها فلما انبعثت به انفجر من تحت خفها عين من ماء عذب فكبر عبدالمطلب وكبر أصحابه ثم نزل فشرى و شرب أصحابه واستقوا حتى ملثوا أسقيتهم ثم دعا القبائل من قريش فقال لهم هلموا إلى الماء فقد أسقانا الله فاشربوا واستقوا فجاءوا فشرىوا واستقوا ثم قالوا قد و

الله قضى الله لك علينا و الله لانخاصمك فى زمزم أبدا إن الذى سقاك هذا الماء بهذه الفلاة هو الذى سقاك زمزم فارجع إلى سقايتك راشدا فرجع ورجعوا معه لم يصلوا إلى الكاهنة وخلوا بينه و بين زمزم . وروى صاحب كتاب الواقدي أن عبد الله بن جعفر فاخر يزيد بن معاوية بين يدي معاوية فقال له بأى آباءك تفاخرنى أبحرب الذى أجرناه أم بأمية الذى ملكناه أم بعبد شمس الذى كفلناه فقال معاوية لحرب بن أمية يقال هذا ماكنت أحسب أن أحدا فى عصر حرب يزعم أنه أشرف من حرب فقال عبد الله بلى أشرف منه من كفأ عليه إناءه و جلله بردائه فقال معاوية ليزيد رويدا يا بنى إن عبد الله يفخر عليك بك لأنك منه و هو منك فاستحيا عبد الله و قال يا أمير المؤمنين يدان انتشطتا وأخوان اصطرعا فلما قام عبد الله قال معاوية ليزيد يا بنى إياك و منازعة [صفحہ ۲۳۰] بنى هاشم فإنهم لا يجهلون ما علموا و لا يجد مبغضهم لهم سبا قال أما قوله أبحرب الذى أجرناه فإن قريشا كانت إذا سافرت فصارت على العقبة لم يتجاوزها أحد حتى تجوز قريش فخرج حرب ليلة فلما صار على العقبة لقيه رجل من بنى حاجب بن زرارة تميمي فتنحى حرب بن أمية و قال أنا حرب بن أمية فتنحى التميمي و قال أنا ابن حاجب بن زرارة ثم بدر فجاز العقبة فقال حرب لاها الله لا تدخل بعدها مكة و أناحى فمكث التميمي حين لا يدخل و كان متجره بمكة فاستشار بهابمن يستجير من حرب فأشير عليه بعبد المطلب أو بابنه الزبير بن عبد المطلب فركب ناقته و صار إلى مكة ليلا فدخلها و أناخ ناقته بباب الزبير بن عبد المطلب فرغت الناقة فخرج إليه الزبير فقال أمستجير فتجار أم طالب قرى فتقرى فقال لاقت حربا بالثنية مقبلا || والليلة أبلغ نوره للشارى فعلا بصوت واكتنى ليروعنى || ودعا بدعوه معلن وشعار فتركته خلفى وجزت أمامه || وكذا كنت أكون فى الأسفار فمضى يهددنى ويمنع مكة || إلا أحل بهابدار قرار فتركته كالكلب ينبج وحده || وأتيت قرم مكارم وفخار ليثا هزبرا يستجار بقربه || رحب المباءة مكرما للجار وحلفت بالبيت العتيق وحجه || وبزمزم والحجر والأستار إن الزبير لمانعى بمهند || صافى الحديده صارم بتار فقال الزبير اذهب إلى المتزل فقد أجزتكم فلما أصبح نادى الزبير أخاه الغيداق [صفحہ ۲۳۱] فخرجا متقلدين سيفيهما وخرج التميمي معهما فقالا له إنا إذا أجرنا رجلا لم نمش أمامه فامش أمامنا ترمقك أبصارنا كي لا تختلس من خلفنا فجعل التميمي يشق مكة حتى دخل المسجد فلما بصر به حرب قال وإنك لها هنا وسبق إليه فطمه وصاح الزبير ثكلتك أمك أتطمه و قد أجزته فثنى عليه حرب فطمه ثانية فانتضى الزبير سيفه فحمل على حرب بين يديه وسعى الزبير خلفه فلم يرجع عنه حتى هجم حرب على عبد المطلب داره فقال ماشأنك قال الزبير قال اجلس وكفأ عليه إناء كان هاشم يهشم فيه الثريد واجتمع الناس وانضم بنو عبد المطلب إلى الزبير ووقفوا على باب أبيهم بأيديهم سيوفهم فأزر عبد المطلب حربا بإزار كان له ورداه برداء له طرفان وأخرجه إليهم فعلموا أن أباهم قد أجاره . و أمامنى قوله أم بأمية الذى ملكناه فإن عبد المطلب راهن أمية بن عبد شمس على فرسين وجعل الخطر ممن سبقت فرسه مائة من الإبل وعشرة أعبد وعشر إماء واستعباد سنة وجز الناصية فسبق فرس عبد المطلب فأخذ الخطر فقسمه فى قريش وأراد جز ناصيته فقال أوأفتدى منك باستعباد عشر سنين ففعل فكان أمية بعد فى حشم عبد المطلب وعضاريطه عشر سنين . و أما قوله أم بعبد شمس الذى كفلناه فإن عبد شمس كان مملقا لا مال له فكان أخوه هاشم يكفله ويمونه إلى أن مات هاشم . و فى كتاب الأغاني لأبى الفرج إن معاوية قال لدغفل النسابة أ رأيت عبد المطلب قال نعم قال كيف رأيت قال رأيت رجلا نبيلًا جميلا وضيئًا كان على [صفحہ ۲۳۲] وجهه نور النبوة قال أ رأيت أمية بن عبد شمس قال نعم قال كيف رأيت قال رأيت رجلا ضئيلا منحيا أعمى يقوده عبده ذكوان فقال معاوية ذلك ابنه أبو عمرو قال أنتم تقولون ذلك فأما قريش فلم تكن تعرف إلا أنه عبده . ونقلت من كتاب هاشم و عبد شمس لابن أبى رؤبة الدباس . قال روى هشام بن الكلبي عن أبيه أن نوفل بن عبد مناف ظلم عبد المطلب ابن هاشم أركاها له بمكة وهى الساحات و كان بنو نوفل يدا مع عبد شمس و عبد المطلب يدا مع هاشم فاستنصر عبد المطلب قوما من قومه فقصرُوا عن ذلك فاستنجد أخواله من بنى النجار بيثرب فأقبل معه سبعون راكبا فقالوا لنوفل لا والله يا أبا عدى مارأينا بهذا الغائط ناشئا أحسن وجهها ولا أمد

جسما ولا أعف نفسا ولا أبعد من كل سوء من هذا الفتى يعنون عبدالمطلب وقد عرفت قرابته منا وقد منعته ساحات له ونحن نحب أن ترد عليه حقه فرده عليه فقال عبدالمطلب تأبى مازن وبنو عدى || وذبيان بن تيم اللات ضيمى وزادت مالک حتى تناهت || ونكب بعدنوفل عن حريمى . قال ويقال إن ذلك كان سبب مخالفة خزاعة عبدالمطلب . قال وروى أبواليقظان سحيم بن حفص أن عبدالمطلب جمع بنيه عند وفاته وهم عشرة يومئذ فأمرهم ونهاهم وأوصاهم وقال إياكم والبغى فوالله ما خلق الله شيئا [صفحہ ۲۳۳] أعجل عقوبة من البغى و مارأيت أحدا بقى على البغى إلا إخوانكم من بنى عبدشمس . وروى الوليد بن هشام بن قحذم قال قال عثمان يوما وددت أنى رأيت رجلا قد أدرك الملوک يحدثنى عما مضى فذكر له رجل بحضرموت فبعث إليه فحدثه حديثا طويلا- تركنا ذكره إلى أن قال أرأيت عبدالمطلب بن هاشم قال نعم رأيت رجلا قعدا أبيض طويلا مقرون الحاجبين بين عينيه غرة يقال إن فيها بركة و إن فيه بركة قال أفأريت أمية بن عبدشمس قال نعم رأيت رجلا آدم دميما قصيرا أعمى يقال إنه نكد و إن فيه نكدا فقال عثمان يكفيك من شر سماعه وأمر بإخراج الرجل . وروى هشام بن الكلبي أن أمية بن عبدشمس لما كان غلاما كان يسرق الحاج فسمى حارسا. وروى ابن أبى ربيعة فى هذا الكتاب أن أول قتل قتلته بنو هاشم من بنى عبدشمس عفيف بن أبى العاص بن أمية قتلته حمزة بن عبدالمطلب و لم أقف على هذا الخبر إلا من كتاب ابن أبى ربيعة. قال ومما يصدق قول من روى أن أمية بن عبدشمس استعبده عبدالمطلب شعر أبى طالب بن عبدالمطلب حين تظاهرت عبدشمس ونوفل عليه و على رسول الله ص وحصروهما فى الشعب فقال أبو طالب توالى علينا موليانا كلاهما || إذ استلا قالا إلى غيرنا الأمر بلى لهما أمر ولكن تراجما || كما ارتجمت من رأس ذى القلع الصخر أخص خصوصا عبدشمس ونوفلا || هما نبدانا مثل ماتنبد الخمر هما أغمضا للقوم فى أخويهما || فقد أصبحت أيديهما وهما صفر [صفحہ ۲۳۴] قديما أبوهم كان عبدا لجدنا || بنى أمة شهلاء جاش بهالبحر لقد سفهوا أحلامهم فى محمد || فكانوا كجعربئس ماضفت جعر ثم نرجع إلى حكاية شيخنا أبى عثمان وقد نمزجه بكلام آخر لنا أولغيرنا ممن تعاطى الموازنة بين هذين البيتين . قال أبو عثمان فإن قالت أمية لنا الوليد بن يزيد بن عبدالمملك بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبدشمس بن عبدمناف بن قصي أربعة خلفاء فى نسق قلنا لهم ولبنى هاشم هارون الواثق بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد الكامل بن على السجاد كان يصلى كل يوم وليلة ألف ركعة فكان يقال له السجاد لعبادته وفضله و كان أجمل قريش على وجه الأرض وأوسمها ولد ليلة قتل على بن أبى طالب ع فسمى باسمه وكنى بكنيته فقال عبدالمملك لا والله لاأحتمل لك الاسم ولا الكنية فغير أحدهما فغير الكنية فصيرها أبا محمد بن عبد الله و هو البحر و هو حبر قريش و هو المفق فى الدين المعلم التأويل ابن العباس ذى الرأى وحليم قريش بن شيبه الحمد و هو عبدالمطلب سيد الوادى بن عمرو و هو هاشم هشام الثريد و هو القمر سمى بذلك لجماله ولأنهم كانوا يقتدون ويهتدون برأيه ابن المغيرة و هو عبدمناف بن زيد و هو قصي و هو مجمع فهؤلاء ثلاثة عشر سيدا لم يحرم منهم واحد ولا قصر عن الغاية و ليس منهم واحد إلا و هو ملقب بلقب اشتق له من فعله الكريم و من خلقه الجميل و ليس منهم إلا خليفة أو موضع للخلافة أو سيد فى قديم الدهر منيع أو ناسك مقدم أو فقيه بارع أو حليم ظاهر الركائز و ليس هذا أحد سواهم ومنهم خمسة خلفاء فى نسق وهم أكثر مما عدته الأموية و لم يكن [صفحہ ۲۳۵] مروان كالمنصور لأن المنصور ملك البلاد ودوخ الأقطار وضبط الأطراف اثنتين وعشرين سنة وكانت خلافة مروان على خلاف ذلك كله وإنما بقى فى الخلافة تسعة أشهر حتى قتلت امرأته عاتكة بنت يزيد بن معاوية حين قال لابنها خالد من بعلمها الأول يا ابن الرطبة ولئن كان مروان مستوجبا لاسم الخلافة مع قلته الأيام وكثرة الاختلاف واضطراب البلدان فضلا عن الأطراف فابن الزبير أولى بذلك منه فقد كان ملك الأرض إلا بعض الأردن ولكن سلطان عبدالمملك وأولاده لما اتصل بسطان مروان اتصل عند القوم ما انقطع منه وأخفى موضع الوهن عند من لا يعلم له وسنو المهدي كانت سنى سلامة و مازال عبدالمملك فى انتقاض وانتكاث و لم يكن

ملك يزيد كملك هارون و لاملك الوليد كملك المعتصم . قلت رحم الله أباعثمان لو كان اليوم لعد من خلفاء بنى هاشم تسعة فى نسق المستعصم بن المستنصر بن الطاهر بن المستضىء بن المستنجد بن المقتفى بن المستظهر بن المقتدر والطالبون بمصر يعدون عشرة فى نسق الأمر بن المستعلى بن المستنصر بن الطاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعتر بن المنصور بن القائم بن المهدي. قال أبوعثمان وتفخر عليهم بنو هاشم بأن سنى ملكهم أكثر ومدته أطول فإنه قد بلغت مدة ملكهم إلى اليوم أربعاً وتسعين سنة ويفخرون أيضاً عليهم بأنهم ملكوا بالميراث وبحق العصبة والعمومة وإن ملكهم فى مغرس نبوة وإن أسبابهم غير أسباب بنى مروان بل ليس لبنى مروان فيها سبب ولا بينهم وبينها نسب إلا أن يقولوا إنا من قريش فيساوا فى هذا الاسم قريش الظواهر لأن رواية الراوى الأئمة من قريش واقعة على كل قرشى وأسباب الخلافة معروفة وما يدعيه كل جيل معلوم وإلى كل ذلك قد ذهب الناس فمنهم من ادعاه لعلى ع لاجتماع القرابة والسابقة والوصية فإن كان الأمر كذلك فليس لآل أبى سفيان وآل مروان فيها دعوى وإن كانت [صفحة ٢٣٦] إنما تنال بالوراثة وتستحق بالعمومة وتستوجب بحق العصبة فليس لهم أيضاً فيها دعوى وإن كانت لا تنال إلا بالسوابق والأعمال والجهاد فليس لهم فى ذلك قدم مذكور ولا يوم مشهور بل كانوا إذ لم تكن لهم سابقة ولم يكن فيهم ما يستحقون به الخلافة ولم يكن فيهم ما يمنعهم منها أشد المنع لكان أهون ولكان الأمر عليهم أيسر قد عرفنا كيف كان أبوسفيان فى عداوة النبى ص و فى محاربتة له وإجلاله عليه وغزوة إياه وعرفنا إسلامه حيث أسلم وإخلاقه كيف أخلص ومعنى كلمته يوم الفتح حين رأى الجنود وكلامه يوم حنين وقوله يوم صعد بلال على الكعبة فأذن على أنه إنما أسلم على يدى العباس رحمه الله والعباس هو الذى منع الناس من قتله وجاء به رديفاً إلى رسول الله ص وسأله فيه أن يشرفه وأن يكرمه وبنوه به وتلك يد بيضاء ونعمة غراء ومقام مشهود و يوم حنين غير مجحود فكان جزاء بنى هاشم من بنيه أن حاربوا علياً وسموا الحسن وقتلوا الحسين وحملوا النساء على الأقتاب حواسر وكشفوا عن عورة على بن الحسين حين أشكل عليهم بلوغه كما يصنع بذرارى المشركين إذ دخلت دورهم عنوة وبعث معاوية بسر بن أرطاة إلى اليمن فقتل ابنى عبيد الله بن العباس وهما غلامان لم يبلغا الحلم وقتل عبيد الله بن زياد يوم الطف تسعة من صلب على ع وسبعة من صلب عقيل ولذلك قال ناعيم عين جودى بعبرة وعويل || واندبى إن نذبت آل الرسول تسعة كلهم لصلب على || قد أصيبوا وسبعة لعقيل ثم إن أمية تزعم أن عقيلاً أعان معاوية على على ع فإن كانوا كاذبين فما أولاهم بالكذب وإن كانوا صادقين فما جازوا عقيلاً بما صنع وضرب عنق مسلم [صفحة ٢٣٧] بن عقيل صبوا وغدرا بعد الأمان وقتلوا معه هانىء بن عروة لأنه آواه ونصره ولذلك قال الشاعر فإن كنت لاتدرين ما الموت فانظري || إلى هانىء فى السوق وابن عقيل ترى بطلا قد هشم السيف وجهه || وآخر يهوى من طمار قتيل وأكلت هند كبد حمزة فمنهم آكلة الأكباد ومنهم كهف النفاق ومنهم من نقر بين ثنيتى الحسين ع بالقضيب ومنهم القاتل يوم الحرة عون بن عبد الله بن جعفر و يوم الطف أبابكر بن عبد الله بن جعفر وقتل يوم الحرة أيضاً من بنى هاشم الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب والعباس بن عتبة بن أبى لهب بن عبدالمطلب و عبدالرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب . قلت إن أباعثمان قايس بين مدتى ملكهما و هو حينئذ فى أيام الواثق ففضل هؤلاء عليهم لأن ملكهم أطول من ملكهم بعشر سنين فكيف به لو كان اليوم حيا و قد امتد ملكهم خمسمائة وست عشرة سنة وهذا أكثر من ملك البيت الثالث من ملوك الفرس بنحو ثلاثين سنة وأيضاً فإن كان الفخر بطول مدة الملك فبنو هاشم قد كان لهم أيضاً ملك بمصر نحو مائتين وسبعين سنة مع ما ملكوه بالمغرب قبل أن ينتقلوا إلى مصر [صفحة ٢٣٨] قال أبوعثمان وقالت هاشم لأمية قد علم الناس ما صنعت بنا من القتل والتشريد لالذنب أتيناه إليكم ضربتم على بن عبد الله بن عباس بالسياط مرتين على أن تزوج بنت عمه الجعفرية التى كانت عند عبد الملك و على أن نحلتموه قتل سليط و ستمتم أباهاشم عبد الله بن محمد بن على بن أبى طالب ع ونبشتم زيادا وصلبتموه وألقيتم رأسه فى عرصة الدار توطأ بالأقدام وينقر دماغه الدجاج حتى قال القائل اطرده الديك عن ذؤابة زيد ||

طالما كان لا تطأه الدجاج . و قال شاعركم أيضا صلبننا لكم زيدا على جذع نخلة || و لم نر مهديا على الجذع يصلب و قسمتم بعثمان عليا سفاهة || و عثمان خير من علي و أطيب فروى أن بعض الصالحين من أهل البيت ع قال اللهم إن كان كاذبا فسلط عليه كلبا من كلابك فخرج يوما بسفر له فعرض له الأسد فافترسه و قتلتم الإمام جعفرا الصادق ع و قتلتم يحيى بن زيد و سميتم قاتله ثائر مروان و ناصر الدين هذا إلى ماصنع سليمان بن حبيب بن المهلب عن أمركم و قولكم بعبد الله أبي جعفر المنصور قبل الخلافة و ماصنع مروان بإبراهيم الإمام أدخل رأسه في جراب نورة حتى مات فإن أنشدتم أفاض المدامع قتلى كدى || و قتلى بكتوة لم ترمس و بالزايين نفوس ثوت || و أخرى بنهر أبي فطرس أنشدنا نحن و اذكروا مصرع الحسين و زيدا || و قتيلا بجانب المهراس [صفحہ ۲۳۹] و القتل الذى بنجران أمسى || ثاويا بين غربه و تناس و قد علمتم حال مروان أبيكم وضعفه و أنه كان رجلا لافقه له و لا يعرف بالزهد و لا الصلاح و لا برواية الآثار و لا بصحبة و لا يبعد همة و إنما ولى رستاقا من رساتيق درابجرد لابن عامر ثم ولى البحرين لمعاوية و قد كان جمع أصحابه و من تابعه ليبيع ابن الزبير حتى رده عبيد الله بن زياد و قال يوم مرج راهط و الرءوس تندر عن كواهلها فى طاعته و ماضرهم غير حين النفوس || و أى غلامى قريش غلب هذا قول من لا يستحق أن يلي ربعا من الأرباع و لا خمسا من الأخماس و هو أحد من قتلته النساء لكلمة كان حتفه فيها . و أما بوه الحكم بن العاص فهو طريد رسول الله ص و لعينه و المتخلىج فى مشيته الحاكى لرسول الله ص و المستمع عليه ساعة خلوته ثم صار طريدا لأبى بكر و عمر امتنعا عن إعادته إلى المدينة و لم يقبل شفاعه عثمان فلما ولى أدخله فكان أعظم الناس شؤما عليه و من أكبر الحجج فى قتله و خلعه من الخلافة فعبد الملك أبو هؤلأء الملوك الذين تفتخر الأموية بهم أعرق الناس فى الكفر لأن أحد أبويه الحكم هذا و الآخر من قبل أمه معاوية بن المغيرة بن أبى العاص كان النبى ص طرده من المدينة و أجله ثلاثا فحيره الله تعالى حين خرج وبقى مترددا متلدا حولها لا يهتدى لسبيله حتى أرسل فى أثره عليا ع و عمارا فقتلاه فأنتم أعرق الناس فى الكفر و نحن أعرق الناس فى الإيمان و لا يكون أمير المؤمنين إلا أولاهم بالإيمان و أقدمهم فيه . قال أبو عثمان و تفخر هاشم بأن أحدا لم يجد تسعين عاما لا يطواعين فيها إلا منذ ملكوا قالوا لو لم يكن من بركة دعوتنا إلا أن تعذيب الأمراء بعمال الخراج [صفحہ ۲۴۰] بالتعليق و الزهق و التجريد و التسهير و المسالد و النورة و الجورتين و العذراء و الجامعة و التشطيب قدارتفع لكان ذلك خيرا كثيرا و فى الطاعون يقول العماني الراجز يذكر دولتنا قدرفع الله رماح الجن || و أذهب التعذيب و التجنى و العرب تسمى الطواعين رماح الجن و فى ذلك يقول الشاعر لعمر ك ما خشيت على أبى || رماح بنى مقيدة الحمار و لكنى خشيت على أبى || رماح الجن أو إياك حار يقول بعض بنى أسد للحارث الغساني الملك . قال أبو عثمان و تفخر هاشم عليهم بأنهم لم يهدموا الكعبة و لم يحولوا القبلة و لم يجعلوا الرسول دون الخليفة و لم يختموا فى أعناق الصحابة و لم يغيروا أوقات الصلاة و لم ينقشوا أكف المسلمين و لم يأكلوا الطعام و يشربوا على منبر رسول الله ص و لم ينهبوا الحرم و لم يطئوا المسلمات دار فى الإسلام بالسبأء . قلت نقلت من كتاب افتراق هاشم و عبد شمس لأبى الحسين محمد بن على بن نصر المعروف بابن أبى رؤبة الدباس قال كان بنو أمية فى ملكهم يؤذنون و يقيمون فى العيد و يخطبون بعد الصلاة و كانوا فى سائر صلاتهم لا يجهرون بالتكبير فى الركوع و السجود و كان لهشام بن عبد الملك خصى إذا سجد هشام و هو يصلى فى المقصورة قال لا إله إلا الله فيسمع الناس فيسجدون و كانوا يقعدون فى إحدى خطبتي العيد و الجمعة و يقومون فى الأخرى قال ورأى كعب مروان بن الحكم يخطب قاعدا فقال انظروا [صفحہ ۲۴۱] إلى هذا يخطب قاعدا و الله تعالى يقول لرسوله وَ تَرَكُوكَ قَائِمًا . قال و أول من قعد فى الخطب معاوية و أول من أذن و أقام فى صلاة العيد بشر بن مروان و كان عمال بنى أمية يأخذون الجزية ممن أسلم من أهل الذمة و يقولون هؤلأء فروا من الجزية و يأخذون الصدقة من الخيل و ربما دخلوا دار الرجل قد نفق فرسه أو باعه فإذا أبصروا الآخية قالوا قد كان هاهنا فرس فهات صدقتها و كانوا يؤخرون صلاة الجمعة تشاغلا عنها بالخطبة و يطيلون فيها إلى أن تتجاوز وقت العصر و تكاد الشمس تصفر

فعل ذلك الوليد بن عبد الملك ويزيد أخوه والحجاج عاملهم ووكل بهم الحجاج المسالخ معه والسيوف على رؤوسهم فلا يستطيعون أن يصلوا الجمعة في وقتها. وقال الحسن البصرى وا عجا من أخيفش أعيمش جاءنا ففتتنا عن ديننا وصعد على منبرنا فيخطب و الناس يلتفتون إلى الشمس فيقول ما بالكم تلتفتون إلى الشمس إنا و الله مانصلى للشمس إنما نصلى لرب الشمس أ فلا تقولون ياعدو الله إن الله حقا بالليل لا يقبله بالنهار وحقا بالنهار لا يقبله بالليل ثم يقول الحسن وكيف يقولون ذلك و على رأس كل واحد منهم علج قائم بالسيف قال وكانوا يسبون ذرارى الخوارج من العرب وغيرهم لماقتل قريب وزحاف الخارجيان سبى زياد ذراريهما فأعطى شقيق بن ثور السدوسى إحدى بناتهما وأعطى عباد بن حصين الأخرى وسببت بنت لعبيدة بن هلال اليشكرى وبنت لقطرى بن الفجاءة المازنى فصارت هذه إلى العباس بن الوليد بن عبد الملك واسمها أم سلمة -قرآن- ٤٩-٦٨ [صفحة ٢٤٢] فوطئها بملك اليمين على رأيهم فولدت له المؤمل ومحمدا و ابراهيم و أحمد وحصينا بنى عباس بن الوليد بن عبد الملك وسبى واصل بن عمرو القنا واسترق وسبى سعيد الصغير الحرورى واسترق وأم يزيد بن عمر بن هبيرة وكانت من سبى عمان الذين سباهم مجاعة وكانت بنو أمية تبع الرجل فى الدين يلزمه وترى أنه يصير بذلك رقيقا. كان معن أبو عمير بن معن الكاتب حرا مولى لبنى العنبر فبيع فى دين عليه فاشتراه أبوسعيد بن زياد بن عمرو العتكى و باع الحجاج على بن بشير بن الماحوز لكونه قتل رسول المهلب على رجل من الأزد. فأما الكعبة فإن الحجاج فى أيام عبد الملك هدمها و كان الوليد بن يزيد يصلى إذا صلى أوقات إفاقة من السكر إلى غير القبلة فليل له فقرأ فأينما تَوَلَّوْا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ. وخطب الحجاج بالكوفة فذكر الذين يزورون قبر رسول الله ص بالمدينة فقال تبا لهم إنما يطوفون بأعواد ورمة بالية هلا- طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك ألا- يعلمون أن خليفة المرء خير من رسوله . قال وكانت بنو أمية تختم فى أعناق المسلمين كما توسم الخيل علامة لاستعبادهم . و بايع مسلم بن عقبة أهل المدينة كافة و فيها بقايا الصحابة و أولادها و صلحاء التابعين على أن كلا منهم عبدقن لأمر المؤمنين يزيد بن معاوية إلا- على بن الحسين ع فإنه بايعه على أنه أخوه و ابن عمه . قال و نقشوا أكف المسلمين علامة لاسترقاقهم كما يصنع بالعلوج من الروم والحبشة وكانت خطباء بنى أمية تأكل و تشرب على المنبر يوم الجمعة لإطالتهم -قرآن- ٦٦٣-٧٠٠ [صفحة ٢٤٣] فى الخطبة و كان المسلمون تحت منبر الخطبة يأكلون ويشربون قال أبو عثمان و يفخر بنو العباس على بنى مروان و هاشم على عبد شمس بأن الملك كان فى أيديهم فانتزعوه منهم و غلبوهم بالبطش الشديد و بالحيلة اللطيفة ثم لم ينزعوه إلا من يد أشجعهم شجاعه و أشدهم تدييرا و أبعدهم غورا و من نشأ فى الحروب و ربى فى الثغور و من لا يعرف إلا الفتوح و سياسة الجنود ثم أعطى الوفاء من أصحابه و الصبر من قواده فلم يغدر منهم غادر و لا قصر منهم مقصر كما قد بلغك عن حنظلة بن نباتة و عامر بن ضبارة و يزيد بن عمر بن هبيرة و لأحد من سائر قواده حتى من أحبابه و كتابه كعبد الحميد الكاتب ثم لم يلقه و لا لقى تلك الحروب فى عامة تلك الأيام إلا رجال ولد العباس بأنفسهم و لا قام بأكثر الدولة إلا مشايخهم كعبد الله بن على و صالح بن على و داود بن على و عبد الصمد بن على و قد لقيهم المنصور نفسه . قال و تفخر هاشم أيضا عليهم بقول النبى ص و هو الصادق المصدق نقلت من الأصلاب الزاكية إلى الأرحام الطاهرة و ما افترت فرقتان إلا كنت فى خيرهما -رواية ١-٢- رواية ٣٨-١٢٣ قال أيضا بعثت من خيرة قریش -رواية ١-٢-رواية ١٢-٣٢ . و معلوم أن بنى عبد مناف افترقوا فكانت هاشم و المطلب يدا و عبد شمس و نوفل يدا قال و إن كان الفخر بكثرة العدد فإنه من أعظم مفاخر العرب فولد على بن عبد الله بن العباس اليوم مثل جميع بنى عبد شمس و كذلك ولد الحسين بن على ع هذا مع قرب ميلادهما و قد قال النبى ص شوهاء و لود خير من حسناء عقيم -رواية ١-٢-رواية ٢١-٥١ قال أنامكاثر بكم الأمم -رواية ١-٢-رواية ٨-٣٠ قدروى الشعبى عن جابر بن عبد الله أن النبى ص قدم من سفر -رواية ١-٢-رواية ١-٤٠-ادامه دارد [صفحة ٢٤٤] فأراد الرجال أن يطرقوا النساء ليلا فقال أمهلوا حتى تمتشط الشعثة و تستحد المغيبة فإذا قدمتم فالكيس الكيس -رواية ١-از قبل ١٠٩ قالوا ذهب إلى طلب الولد

وكانت العرب تفخر بكثرة الولد وتمدح الفحل القبيس وتذم العاقر والعقيم . و قال عامر بن الطفيل يعنى نفسه لبئس الفتى إن كنت أعور عاقرا || جبانا فما عذرى لدى كل محضر و قال علقمة بن علاثة يفخر على عامر آمنت وكفر ووفيت وغدر وولدت وعقر. و قال الزبيرقان فاسأل بنى سعد وغيرهم || يوم الفخار فعندهم خبرى أى امرئ أنا حين يحضرنى || رقد العطاء وطالب النصر و إذا هلكت تركت وسطهم || ولدى الكرام ونابه الذكر . و قال طرفة بن العبد فلو شاء ربى كنت قيس بن خالد || و لو شاء ربى كنت عمرو بن مرثد فأصبحت ذا مال كثير وعادنى || بنون كرام سادة لمسود . ومدح النابغة الذبياني ناسا فقال لم يحرموا طيب النساء وأمهم || طفحت عليك بناتق مذكرا . [صفحہ ۲۴۵] و قال نهشل بن حرى على بنى يشد الله عظمهم || والنبي نبت قضباناً فيكتهل . ومكث الفرزدق زمانا لا يولد له فغيرته امرأته فقال قالت أراه واحدا لا أخا له || يؤمله فى الوارثين الأباعد لعلك يوما أن ترينى كأنما || بنى حوالى الليوث الحوارد فإن تميما قبل أن يلد الحصى || أقام زمانا و هو فى الناس واحد . و قال الآخر و قد مات إخوته وملاً حوضه ليسقى فجاء رجل صاحب عشيرة وعتره فأخذ بضبعه فنحاه ثم قال لرابعه اسق إبلك لو كان حوض حمار ما شربت به || إلا ياذن حمار آخر الأبد لكنه حوض من أودى بإخوته || ريب المنون فأمسى بيضه البلد لو كان يشكى إلى الأموات مالقى || الحياء بعدهم من قلّة العدد ثم اشتكيت لأشكاني وأنجذنى || قبر بسنجار أوقبر على فحد . و قال الأعشى و هو يذكر الكثرة ولست بالأكثر منهم حصى || وإنما العزة للكثير . قال و قد ولد رجال من العرب كل منهم يلد لصلبه أكثر من مائة فصاروا بذلك مفخرا منهم عبد الله بن عمير الليثى وأنس بن مالك الأنصارى وخليفة بن بر السعدى أتى على عامتهم الموت الجارف ومات جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس عن ثلاثة وأربعين ذكرا وخمس وثلاثين امرأة كلهم لصلبه فما ظنك بمن مات من ولده فى حياته و ليس طبقة من طبقات الأسنان الموت إليها أسرع و فيها أعم [صفحہ ۲۴۶] وأفشى من سن الطفولية وأمر جعفر بن سليمان قد عاينه عالم من الناس و عامتهم أحياء و ليس خير جعفر كخير غيره من الناس . قال الهيثم بن عدى أفضى الملك إلى ولد العباس وجميع ولد العباس يومئذ من الذكور ثلاثة وأربعون رجلا ومات جعفر بن سليمان وحده عن مثل ذلك العدد من الرجال و ممن قرب ميلاده و كثر نسله حتى صار كبعض القبائل والعمائر أبوبكر صاحب رسول الله ص والمهلب بن أبى صفره ومسلم بن عمرو الباهلى وزياد بن عبيد أمير العراق ومالك بن مسمع وولد جعفر بن سليمان اليوم أكثر عددا من أهل هذه القبائل وأربعة من قريش ترك كل واحد منهم عشرة بنين مذكورين معروفين وهم عبدالمطلب بن هاشم والمطلب بن عبدمناف وأميه بن عبدشمس والمغيرة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم و ليس على ظهر الأرض هاشمى إلا من ولد عبدالمطلب و لا يشك أحد أن عدد الهاشميين شبيه بعدد الجميع فهذا ما فى الكثرة والقلّة. قلت رحم الله أبا عثمان لو كان حيا اليوم لرأى ولد الحسن والحسين ع أكثر من جميع العرب الذين كانوا فى الجاهلية على عصر النبى ص المسلمين منهم والكافرين لأنهم لو أحصوا لمانقص ديوانهم عن مائتى ألف إنسان . قال أبو عثمان و إن كان الفخر بنبل الرأى وصواب القول فمن مثل عباس بن عبدالمطلب و عبد الله بن العباس و إن كان فى الحكم والسؤدد وأصالة الرأى والغناء العظيم فمن مثل عبدالمطلب و إن كان إلى الفقه والعلم بالتأويل ومعرفة التأويل و إلى القياس السديد و إلى الألسنة الحداد والخطب الطوال فمن مثل على بن أبى طالب ع و عبد الله بن عباس . [صفحہ ۲۴۷] قالوا خطبنا عبد الله بن عباس خطبة بمكة أيام حصار عثمان لو شهدها الترك والديلم لأسلموا. و فى عبد الله بن العباس يقول حسان بن ثابت إذا قال لم يترك مقالا لقاتل || بملتقطات لا ترى بينها فضلا شفى وكفى ما فى النفوس فلم يدع || لذى إربة فى القول جدا و لاهزلا و هو البحر و هو الحبر و كان عمر يقول له فى حديثه عند إجاله الرأى غص يا غواص و كان يقدمه على جله السلف . قلت أبى أبو عثمان إلا إعراضا عن على ع هلا- قال فيه كما قال فى عبد الله فلمعمرى لو أراد لوجد مجالا- ولألفى قولاً- وسيعا وهل تعلم الناس الخطب والعهود والفصاحة إلا- من كلام على ع وهل أخذ عبد الله رحمه الله الفقه وتفسير القرآن إلا عنه فرحم الله أبا عثمان لقد غلبت البصرة

وطينتها على إصابه رأيه . قال أبو عثمان و إن كان الفخر فى البساله والنجده وقتل الأقران وجزر الفرسان فمن كحمزه بن عبدالمطلب و على بن أبى طالب و كان الأحنف إذا ذكر حمزه قال أكيس و كان لا يرضى أن يقول شجاع لأن العرب كانت تجعل ذلك أربع طبقات فتقول شجاع فإذا كان فوق ذلك قالت بطل فإذا كان فوق ذلك قالت بهمه فإذا كان فوق ذلك قالت أكيس و قال العجاج أكيس عن حوائثه سخي وهل أكثر ما يعد الناس من جرحاهما وصرعاهما لإسادتكم وأعلامكم قتل حمزه و على ع عتبه والوليد وقتلا شيبه أيضا شركا عبيده بن الحارث فيه وقتل على ع حنظله بن أبى سفيان فأما آباء ملوككم من بنى مروان فإنهم كما قال [صفحه ٢٤٨] عبد الله بن الزبير لما أتاه خبر المصعب إنا والله مانموت حبجا كما يموت آل أبى العاص و الله ما قتل منهم قتيل فى جاهليه ولا إسلام و مانموت لإقتلا قعصا بالرمح وموتا تحت ظلال السيوف . قال أبو عثمان كأنه لم يعد قتل معاويه بن المغيرة بن أبى العاص قتلا إذ كان إنما قتل فى غير معركة وكذلك قتل عثمان بن عفان إذ كان إنما قتل محاصرا و لا قتل مروان بن الحكم لأنه قتل خنقا خنفته النساء قال وإنما فخر عبد الله بن الزبير بما فى بنى أسد بن عبد العزى من القتلى لأن من شأن العرب أن يفخروا بذلك كيف كانوا قاتلين أو مقتولين أ لا ترى أنك لا تصيب كثرة القتلى إلا فى القوم المعروفين بالبأس والنجده وبكثرة اللقاء والمحاربه كآل أبى طالب وآل الزبير وآل المهلب . قال و فى آل الزبير خاصه سبعة مقتولون فى نسق و لم يوجد ذلك فى غيرهم قتل عماره وحمزه ابنا عبد الله بن الزبير يوم قديد فى المعركه قتلها الإباضية وقتل عبد الله بن الزبير فى محاربه الحجاج وقتل مصعب بن الزبير بدير الجاثليق فى المعركه أكرم قتل ويازائه عبد الملك بن مروان وقتل الزبير بوادى السباع منصرفه عن وقعه الجمل وقتل العوام بن خويلد فى حرب الفجار وقتل خويلد بن أسد بن عبد العزى فى حرب خزاعه فهؤلاء سبعة فى نسق . قال و فى بنى أسد بن عبد العزى قتلى كثيرون غير هؤلاء قتل المنذر بن الزبير بمكه قتل أهل الشام فى حرب الحجاج و هو على بغل ورد كان نفر به فأصعد به فى الجبل [صفحه ٢٤٩] وإياه يعنى يزيد بن مفرغ الحميرى و هو يهجو صاحبكم عبيد الله بن زياد ويعيره بفراره يوم البصره لابن الزبير غداه تدمر منذرا || أولى بكل حفيظه ودفاع . وقتل عمرو بن الزبير قتله أخوه عبد الله بن الزبير و كان فى جوار أخيه عبيده بن الزبير فلم يغن عنه فقال الشاعر يحرض عبيده على قتل أخيه عبد الله بن الزبير ويعيره بإخفاره جوار عمرو وأخيهما أعبيد لو كان المجير لولت || بعد الهدو برنه أسماء أعبيد إنك قد أجرت و جاركم || تحت الصفيح تنوبه الأصداء اضرب بسيفك ضربه مذكوره || فيها أداء أمانه ووفاء . وقتل بجير بن العوام أخو الزبير بن العوام قتله سعد بن صفح الدوسى جد أبى هريره من قبل أمه قتله بناحية اليمامة وقتل معه أصرم وبعلك أخويه ابني العوام بن خويلد و قد قتل منهم فى محاربه النبى ص قوم مشهورون منهم زمعه بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى كان شريفا قتل يوم بدر وأبوه الأسود كان المثل يضرب بعزته بمكه و فيه قال رسول الله ص و هو يذكر عاقر الناقه كان عزيزا منيعا كأبى زمعه ويكنى زمعه بن الأسود أباحكيمه وقتل الحارث بن الأسود بن المطلب يوم بدر أيضا وقتل عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن الأسود بن المطلب بن أسد يوم بدر أيضا وقتل على بن أبى طالب ع وقتل يوم الحره يزيد بن عبد الله بن زمعه بن الأسود ضرب عنقه مسرف بن عقبه صبوا قال له بايع لأمير المؤمنين يزيد [صفحه ٢٥٠] بن معاويه على أنك عبدقن له قال بل أبايه على أنى أخوه و ابن عمه فضرب عنقه وقتل إسماعيل بن هبار بن الأسود ليلا و كان ادعى حيله فخرج مصرخا لمن استصرخه فقتل فاتهم به مصعب بن عبد الله بن عبد الرحمن فأحلفه معاويه خمسين يمينا وخلقى سبيله فقال الشاعر و لا أجيب بليل داعيا أبدا || أخشى الغرور كما غر ابن هبار باتوا يجرونه فى الحش منعقرا || بش الهديه لابن العم والجار . وقتل عبد الرحمن بن العوام بن خويلد فى خلافة عمر بن الخطاب فى بعض المغازى وقتل ابنه عبد الرحمن يوم الدار مع عثمان فعبد الله بن عبد الرحمن بن العوام بن خويلد قتيل ابن قتيل ابن قتيل أربعة و من قتلهم عيسى بن مصعب بن الزبير قتل بين يدي أبيه بمسكن فى حرب عبد الملك و كان مصعب يكنى أباعيسى و أباه عبد الله و فيه

يقول الشاعر لتبكي أبا عيسى وعيسى كلاهما || موالى قريش كهلهما وصميمهما . ومنهم مصعب بن عكاشة بن مصعب بن الزبير قتل يوم قديد في حرب الخوارج وقد ذكره الشاعر فقال قمن فاندبن رجالا قتلوا || بقديد ولنقصان العدد ثم لا تعدلن فيهما مصعبا || حين يبكي من قتيل بأحد إنه قد كان فيها باسلا || صار ما يقدم إقدام الأسد . ومنهم خالد بن عثمان بن خالد بن الزبير خرج مع محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن فقتله أبو جعفر وصلبه ومنهم عتيق بن عامر بن عبد الله بن الزبير قتل بقديد أيضا وسمى عتيقا باسم جده أبي بكر الصديق . [صفحہ ۲۵۱] قلت هذا أيضا من تحامل أبي عثمان هلا ذكر قتلى الطف وهم عشرون سيدا من بيت واحد قتلوا في ساعة واحدة وهذا ما لم يقع مثله في الدنيا لا في العرب ولا في العجم . ولما قتل حذيفة بن بدر يوم الهباءة وقتل معه ثلاثة أو أربعة من أهل بيته ضربت العرب بذلك الأمثال واستعظموه فجاء يوم الطف جرى الوادي فطم على القرى . وهلا - عدد القتلى من آل أبي طالب فإنهم إذ اعدوا إلى أيام أبي عثمان كانوا عددا كثيرا أضعاف ما ذكره من قتلى الأسديين قال أبو عثمان وإن كان الفخر والفضل في الجود والسماح فمن مثل عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ومن مثل عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب . وقد اعترضت الأموية هذا الموضوع فقالت إنما كان عبد الله بن جعفر يهب ما كان معاوية ويزيد يهبان له فمن فضل جودنا جاد . قالوا ومعاوية أول رجل في الأرض وهب ألف ألف درهم وابنه أول من ضاعف ذلك فإنه كان يجيز الحسن والحسين ابني علي في كل عام لكل واحد منهما بألف ألف درهم وكذلك كان يجيز عبد الله بن العباس وعبد الله بن جعفر فلما مات وقام يزيد وفد عليه عبد الله بن جعفر فقال له إن أمير المؤمنين معاوية كان يصل رحمي في كل سنة بألف ألف درهم قال فلك ألفا ألف درهم فقال بأبي أنت وأمي أما إنى ما قلتها لابن أنتى قبلك قال فلك أربعة آلاف ألف درهم . وهذا الاعتراض ساقط لأن ذلك إن صح لم يعد جودا ولا جائزة ولا صلة رحم هؤلاء [صفحہ ۲۵۲] قوم كان يخافهم على ملكه ويعرف حقهم فيه وموقعهم من قلوب الأمة فكان يدبر في ذلك تدبيرا ويربع أمورا ويصانع عن دولته وملكه ونحن لم نعد قط ما أعطى خلفاء بني هاشم قوادهم وكتابهم وبنى عمهم جودا فقد وهب المأمون للحسن بن سهل غلة عشرة آلاف ألف فما عد ذلك منه مكرمة وكذلك كل ما يكون داخلا في باب التجارة واستمالة القلوب وتديير الدولة وإنما يكون الجود ما يدفعه الملوكة في الوفود والخطباء والشعراء والأشراف والأدباء والسمار ونحوهم ولو لا ذلك لكان الخليفة إذا وفى الجند أعطياتهم احتسب ذلك في جوده فالعاملات شيء والإعطاء على دفع المكروه شيء والتفضل والجود شيء ثم إن الذين أعطاهم معاوية ويزيد هو بعض حقهم والذي فضل عليهما أكثر مما خرج منهما . وإن أريد الموازنة بين ملوك بني العباس وملوك بني أمية في العطاء افتضح بنو أمية وناصروهم فضيحة ظاهرة فإن نساء خلفاء بني عباس أكثر معروفا من رجال بني أمية ولو ذكرت معروف أم جعفر وحدها لآتى ذلك على جميع صنائع بني مروان وذلك معروف ولو ذكر معروف الخيزران وسلسبيل لملئت الطوامير الكثيرة به ومانظن خالصة مولاتهم إلفوق أجواد أجوادهم وإن شئت أن تذكر مواليتهم وكتابتهم فاذا ذكر عيسى بن ماهان وابنه عليا وخالد بن برمك وابنه يحيى وابنه جعفر والفضل وكتابتهم منصور بن زياد ومحمد بن منصور وفتى العسكر فإنك تجد لكل واحد من هؤلاء ما يحيط بجميع صنائع بني عبد شمس . فأما ملوك الأموية فليس منهم إلا من كان يبخل على الطعام وكان جعفر بن سليمان كثيرا ما يذكر ذلك وكان معاوية يبغض الرجل النهم على مائدته وكان [صفحہ ۲۵۳] المنصور إذا ذكرهم يقول كان عبد الملك جبارا لا يبالي ما صنع وكان الوليد مجنونا وكان سليمان همه بطنه وفرجه وكان عمر أعور بين عميان وكان هشام رجل القوم وكان لا يذكر ابن عاتكة ولقد كان هشام مع ما استثناه به يقول هو الأحوال السراق مازال يدخل إعطاء الجند شهرا في شهر وشهرا في شهر حتى أخذ لنفسه مقدار رزق سنة وأنشده أبو النجم العجلي أرجوزته التي أولها أَلحد لله الوهوب المجزل . فما زال يصفق بيديه استحسانا لها حتى صار إلى ذكر الشمس فقال والشمس في الأفق كعين الأحوال فأمر بوجء عنقه وإخراجه وهذا ضعف شديد وجهل عظيم . وقال خاله إبراهيم بن هشام المخزومي ما رأيت من هشام خطأ قط إلا مرتين

حدا به الحادى مرة فقال إن عليك أيها البختى || أكرم من تمشى به المطى فقال صدقت وقال مرة و الله لأشكون سليمان يوم القيامة إلى أمير المؤمنين عبدالملك و هذاضعف شديد وجهل مفرط. و قال أبوعثمان و كان هشام يقول و الله إنى لأستحيى أن أعطى رجلا أكثر من أربعة آلاف درهم ثم أعطى عبد الله بن الحسن أربعة آلاف دينار فاعتدها فى جوده و توسعه و إنما اشترى بهاملكه و حصن بها عن نفسه و ما فى يديه قال له أخوه مسلمة أتطمع أن تلى الخلافة و أنت بخيل جبان فقال ولكنى حلیم عفيف فاعترف بالجبن و البخل و هل تقوم الخلافة مع واحد منهما و إن قامت فلا تقوم إلا مع الخطر العظيم و التغير الشديد و لوسلمت من الفساد لم تسلم من العيب . [صفحہ ۲۵۴] و لقد قدم المنصور عليهم عمر بن عبدالعزيز بقوله أعور بين عميان وزعمتم أنه كان ناسكا ورعا تقيا فكيف و قد جلد خبيب بن عبد الله بن الزبير مائة جلدة و صب على رأسه جرة من ماء بارد فى يوم شات حتى كثر فمات فما أقر بدمه و لا خرج إلى وليه من حقه و لا أعطى عقلا و لا قودا و لا كان خبيب ممن أتت عليه حدود الله و أحكامه و قصاصه فيقال كان مطيعا بإقامتها و أنه أزهق الحد نفسه و احتسبوا الضرب كان أدبا و تعزيرا فما عذره فى الماء البارد فى الشتاء على أثر جلد شديد و لقد بلغه أن سليمان بن عبدالملك يوصى فجاء حتى جلس على طريق من يجلس عنده أو يدخل إليه فقال رجاء بن حيوة فى بعض من يدخل و من يخرج نشدتك الله أن تذكرنى لهذا الأمر أو تشير بى فى هذا الشأن فو الله ما لى عليه من طاقة فقال له رجاء قاتلك الله ما أحرصك عليها. و لما جاء الوليد بن عبدالملك بنعى الحجاج قال له الوليد مات الحجاج يا أباحفص فقال و هل كان الحجاج لإرجلا منا أهل البيت و قال فى خلافته لو لايعة فى أعناق الناس ليزيد بن عاتكة لجعلت هذا الأمر شورى بين صاحب الأعوص إسماعيل بن أمية بن عمرو بن سعيد الأشدق و بين أحمس قريش القاسم بن محمد بن أبى بكر و بين سالم بن عبد الله بن عمر فما كان عليه من الضرر و الحرج و ما كان عليه من الوكف و النقص أن لو قال بين على بن العباس و على بن الحسين بن على و على أنه لم يرد التيمى و لا العدوى و إنما دبر الأمر للأموى و لم يكن عنده أحد من هاشم يصلح للشورى ثم دبر الأمر لبيبا لأخيه أبى بكر بن عبدالعزيز من بعده حتى عوجل بالسم . و قدم عليه عبد الله بن حسن بن حسن فلما رأى كماله و بيانه و عرف نسبه و مركبه [صفحہ ۲۵۵] و موضعه و كيف ذلك من قلوب المسلمين و فى صدور المؤمنين لم يدعه يبيت بالشام ليلة واحدة و قال له الحق بأهلك فإنك لم تغنهم شيئا هو أنفس منك و لا أرد عليهم من حياتك أخاف عليك طواعين الشام و ستلحقك الحوائج على ماتتتهى و تحب . و إنما كره أن يروه و يسمعوا كلامه فلعله يبذر فى قلوبهم بذرا و يغرس فى صدورهم غرسا و كان أعظم خلق قولاً بالجبر حتى يتجاوز الجهمية و يربى على كل ذى غاية صاحب شنة و كان يصنع ذلك الكتب مع جهله بالكلام و قلة اختلافه إلى أهل النظر و قال له شوذب الخارجى لم لاتلن رهطك و تذكر أباك إن كانوا عندك ظلمة فجرة فقال عمر متى عهدك بلعن فرعون قال ما لى به عهد قال أيسعك أن تمسك عن لعن فرعون و لا يسعنى أن أمسك عن لعن آبائى فرأى أنه قد خصمه و قطع حجته و كذلك يظنه كل من قصر عن مقدار العالم و جاوز مقدار الجاهل و أى شبه لفرعون بآل مروان و آل أبى سفيان هؤلاء قوم لهم حزب و شيعة و ناس كثير يدينون بتفضيلهم و قد اعتورتهم الشبه فى أمرهم و فرعون على خلاف ذلك و ضده لاشيعة له و لا حزب و لا نسل و لا موالى و لا صنائع و لا فى أمره شبهة ثم إن عمر ظنين فى أمر أهله فيحتاج إلى غسل ذلك عنه بالبراءة منهم و شوذب ليس بظنين فى أمر فرعون و ليس الإمساك عن لعن فرعون و البراءة منه مما يعرفه الخوارج فكيف استويا عنده . و شكاً إليه رجل من رهطه دينا فادحا و عيالا كثيرا فاعتل عليه فقال له فهلا اعتلت على عبد الله بن الحسن قال و متى شاورتك فى أمرى قال أو مشيرا [صفحہ ۲۵۶] ترانى قال أو هل أعطيته إلا بعض حقه قال و لم قصرت عن كله فأمر بإخراجه و مازال إلى أن مات محروما منه . و كان عمال أهله على البلاد عماله و أصحابه و الذى حسن أمره و شبه على الأغنياء حاله أنه قام بعقب قوم قد بدلوا عامة شرائع الدين و سنن النبى ص و كان الناس قبله من الظلم و الجور و التهاون بالإسلام فى أمر صغر فى جنبه عاينوا منه و ألفوه عليه فجعلوه بما نقص من تلك

الأمر الفظيعة في عداد الأئمة الراشدين وحسبك من ذلك أنهم كانوا يلعنون عليا على منابرهم فلما نهى عمر عن ذلك عد محسنا ويشهد لذلك قول كثير فيه وليت فلم تشتم عليا و لم تخف || بريا و لم تتبع مقاله مجرم وهذا الشعر يدل على أن شتم عليا قد كان لهم عادة حتى مدح من كف عنه و لماولى خالد بن عبد الله القسرى مكه و كان إذاخطب بهالغن عليا و الحسن و الحسين ع قال عبيد الله بن كثير السهمي لعن الله من يسب عليا || وحسنا من سوقه وإمام أيسب المطهرون جدودا || والكرام الآباء والأعمام يأمن الطير والحمام و لا يأمن || آل الرسول عندالمقام طبت بيتا وطاب أهلك أهلا || أهل بيت النبي والإسلام رحمه الله و السلام عليهم || كلما قام قائم بسلام . وقام عبد الله بن الوليد بن عثمان بن عفان و كان ممن يناله بزعمهم إلى هشام بن عبدالمملك و هو يخطب على المنبر بعرفة فقال يا أمير المؤمنين هذا يوم كانت [صفحہ ۲۵۷] الخلفاء تستحب فيه لعن أبي تراب فقال هشام ليس لهذا جتنا أ لا ترى أن ذلك يدل على أنه قد كان لعنه فيهم فاشيا ظاهرا و كان عبد الله بن الوليد هذا يلعن عليا ع و يقول قتل جدى جميعا الزبير و عثمان . و قال المغيرة و هو عامل معاوية يومئذ لصعصعة بن صوحان قم فالعن عليا فقام فقال إن أميركم هذا أمرنى أن ألعن عليا فالعنوه لعنه الله و هو يضمير المغيرة . و أما عبدالمملك فحسبك من جهله تبديله شرائع الدين والإسلام و هو يريد أن يلى أمور أصحابها بذلك الدين بعينه و حسبك من جهله أنه رأى من أبلغ التدبير فى منع بنى هاشم الخلافة أن يلعن علي بن أبى طالب ع على منابرهم و يرمى بالفجور فى مجالسه و هذا قره عين عدوه و غير وليه و حسبك من جهله قيامه على منبر الخلافة قائلا إني و الله ما أنا بالخليفة المستضعف و لا بالخليفة المدهان و لا بالخليفة المأفون و هؤلاء سلفه و أئمة و بشفتهم قام ذلك المقام و بتقدمهم و تأسيسهم نال تلك الرئاسة و لو لا العادة المتقدمة و الأجناد المجندة و الصنائع القائمة لكان أبعد خلق الله من ذلك المقام و أقربهم إلى المهلكة إن رام ذلك الشرف و عنى بالمستضعف عثمان و بالمدهان معاوية و بالمأفون يزيد بن معاوية و هذا الكلام نقض لسلطانه و عداوة لأهله و إفساد لقلوب شيعته و لو لم يكن من عجز رأيه إلا أنه لم يقدر على إظهار قوته إلا بأن يظهر عجز أئمة لكفاك ذلك منه فهذا ما ذكرته هاشم لأنفسها

مفاخر بنى أمية

قالت أمية لنا من نوادر الرجال فى العقل والدهاء والأدب والمكر ما ليس لأحد [صفحہ ۲۵۸] ولنا من الأجواد وأصحاب الصنائع ما ليس لأحد زعم الناس أن الدهاء أربعة معاوية بن أبى سفيان وزياد وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة فمنا رجلا ن و من سائر الناس رجلا ن ولنا فى الأجواد سعيد بن العاص و عبد الله بن عامر لم يوجد لهما نظير إلى الساعة و أمانوادر الرجال فى الرأى والتدبير فأبو سفيان بن حرب و عبدالمملك بن مروان و مسلمة بن عبدالمملك و على أنهم يعدون فى الحكماء والرؤساء فأهل الحجاز يضربون المثل فى الحلم بمعاوية كما يضرب أهل العراق المثل فيه بالأحنف . فأما الفتوح والتدبير فى الحرب فلمعاوية غير مدافع و كان خطيبا مصقعا و مجربا مظفرا و كان يجيد قول الشعر إذا أثر أن يقوله و كان عبدالمملك خطيبا حازما مجربا مظفرا و كان مسلمة شجاعا مدبرا و سائسا مقدما و كثير الفتوح كثير الأدب و كان يزيد بن معاوية خطيبا شاعرا و كان الوليد بن يزيد خطيبا شاعرا و كان مروان بن الحكم و عبدالرحمن بن الحكم شاعرين و كان بشر بن مروان شاعرا ناسبا وأديبا عالما و كان خالد بن يزيد بن معاوية خطيبا شاعرا جيد الرأى أديبا كثير الأدب حكيفا و كان أول من أعطى التراجمه والفلاسفة وقرب أهل الحكمة ورؤساء أهل كل صناعة وترجم كتب النجوم والطب والكيمياء والحروب والآداب والآلات والصناعات . قالوا و إن ذكرت البأس والشجاعة فالعباس بن الوليد بن عبدالمملك و مروان بن محمد وأبوه محمد بن مروان بن الحكم و هو صاحب مصعب و هؤلاء قوم لهم آثار بالروم لا تجهل و آثار يارمينية لا تنكر ولهم يوم العقر شهده مسلمة و العباس بن الوليد . قالوا ولنا

الفتوح العظام ولنا فارس وخراسان وإرمينية وسجستان وإفريقية وجميع فتوح عثمان فأما فتوح بني مروان فأكثر وأعم وأشهر من أن [صفحة ٢٥٩] تحتاج إلى عدد أو إلى شاهد والذين بلغوا في ذلك الزمان أقصى ما يمكن صاحب خوف وحافر أن يبلغه حتى لم يحتجز منهم إلا ببحر أو خليج بحر أو غياض أو عقاب أو حصون وصياصي ثلاثة رجال قتيبة بن مسلم بخراسان و موسى بن نصير بإفريقية والقاسم بن محمد بن القاسم الثقفي بالسند والهند وهؤلاء كلهم عمالنا وصنائعنا ويقال إن البصرة كانت صنائع ثلاثة رجال عبد الله بن عامر وزباد والحجاج فرجلان من أنفسنا والثالث صنيعنا. قالوا ولنا في الأجواد وأهل الأقدار بنو عبد الله بن خالد بن أسيد بن أمية وأخوه خالد و في خالد يقول الشاعر إلى خالد حتى أنخنا بخالد || فنعم الفتى يرحى ونعم المؤمل . ولنا سعيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد و هو عقيد الندى كان يسبت ستة أشهر ويفيق ستة أشهر ويرى كحيلة من غير اكتحال ودهينا من غير تدهين و له يقول موسى شهوات أبا خالد أعنى سعيد بن خالد || أبا العرف لأعنى ابن بنت سعيد ولكنني أعنى ابن عائشة أذى || أبو بويه خالد بن أسيد عقيد الندى معاش يرضى به الندى || فإن مات لم يرض الندى بعقيد قالوا وإنما تمكن فينا الشعر وجاد ليس من قبل أن الذين مدحونا ما كانوا غير من مدح الناس ولكن لما وجدوا فينا مما يتسع لأجله القول ويصدق فيه القائل قدمدح عبد الله بن قيس الرقيات من الناس آل الزبير عبد الله ومصعبا وغيرهما فكان يقول كما يقول غيره فلما صار إلينا قال مانقموا من بنى أمية إلا || أنهم يحلمون أن غضبوا [صفحة ٢٦٠] وأنهم معدن الملوك فما || تصلح لإعليهم العرب . وقال نصيب من نفر الشم الذين إذا انتجوا || أقرت لنجواهم لؤى بن غالب يحيون بسامين طورا وتارة || يحيون عباسين شوس الحواجب . وقال الأخطل شمس العداوة حتى يستفاد لهم || وأعظم الناس أحلاما إذا قدروا . قالوا وفينا يقول شاعركم والتمشيع لكم الكميت بن زيد فالآن صرت إلى أمية || والأمور لها مصائر . و في معاوية يقول أبو الجهم العدوى نقلبه لنخبر حالتيه || فنخبر منهما كرما ولينا نميل على جوانبه كأننا || إذاملنا نميل على أينا . و فيه يقول تريخ إليه هوادى الكلام || إذاضل خطبته المهذر . قالوا و إذانظرتم في امتداح الشعراء عبدالعزيز بن مروان عرفتم صدق مانقوله . قالوا و في إرسال النبي ص إلى أهل مكة عثمان واستعماله عليها عتاب بن أسيد و هو ابن اثنتين وعشرين سنة دليل على موضع المنعة أن تهاب العرب وتعز قريش و قال النبي ص قبل الفتح فتيان أضن بهما على النار عتاب بن أسيد وجبير بن مطعم -رواية ١-٢-رواية ٢٩-٨٥ فولى عتابا وترك جبير بن مطعم . [صفحة ٢٦١] و قال الشعبي لو ولد لي مائة ابن لسميتهم كلهم عبدالرحمن للذي رأيت في قريش من أصحاب هذا الاسم ثم عد عبدالرحمن بن عتاب بن أسيد و عبدالرحمن بن الحارث بن هشام و عبدالرحمن بن الحكم بن أبي العاص فأما عبدالرحمن بن عتاب فإنه صاحب الخيل يوم الجمل و هو صاحب الكف والخاتم و هو الذي مر به على و هو قاتل فقال لهفي عليك يعسوب قريش هذا الباب المحض من بنى عبدمناف فقال له قائل لشد ما أتيت اليوم يا أمير المؤمنين قال إنه قام عني و عنه نسوة لم يقمن عنك . قالوا ولنا من الخطباء معاوية بن أبي سفيان أخطب الناس قائما وقاعدا و على منبر و في خطبة نكاح و قال عمر بن الخطاب ما يتصدني شيء من الكلام كما يتصدني خطبة النكاح و قد يكون خطيبا من ليس عنده في حديثه و وصفه للشيء احتجاجه في الأمر لسان بارع و كان معاوية يجري مع ذلك كله . قالوا و من خطبائنا يزيد بن معاوية كان أعرابي اللسان بدوى اللهجة قال معاوية و خطب عنده خطيب فأجاد لأرمينه بالخطيب الأشدق يريد يزيد بن معاوية . و من خطبائنا سعيد بن العاص لم يوجد كتعبيره تحبير و لا كارتجاله ارتجال . و منا عمرو بن سعيد الأشدق لقب بذلك لأنه حيث دخل على معاوية و هو غلام بعد وفاة أبيه فسمع كلامه فقال إن ابن سعيد هذا الأشدق . و قال له معاوية إلى من أوصى بك أبوك قال إن أبي أوصى إلى و لم يوص بي قال فبم أوصى إليك قال ألا يفقد إخوانه منه إلا وجهه . قالوا و منا سعيد بن عمرو بن سعيد خطيب ابن خطيب ابن خطيب تكلم الناس عند عبد الملك قياما و تكلم قاعدا قال عبد الملك فتكلم و أنا و الله أحب عشرته و إسكاته فأحسن حتى استنطقته واستزده و كان عبد الملك خطيبا خطب [صفحة ٢٦٢] الناس مرة فقال ما أنصفتونا معشر

رعيتمنا طلبتم منا أن نسير فيكم و في أنفسنا سيرة أبي بكر وعمر في أنفسهما ورعيتهما و لم تسيرا فينا و لا في أنفسكم سيرة رعية أبي بكر وعمر فيهما و في أنفسهما ولكل من النصفه نصيب قالوا فكانت خطبته نافعة. قالوا ولنا زياد وعبيد الله بن زياد وكانا غنيين في صحة المعاني وجودة اللفظ ولهما كلام كثير محفوظ قالوا و من خطبائنا سليمان بن عبد الملك والوليد بن يزيد بن عبد الملك . و من خطبائنا و نساكننا يزيد بن الوليد الناقص قال عيسى بن حاضر قلت لعمر بن عبيد ماقولك في عمر بن عبدالعزيز فكلح ثم صرف وجهه عنى قلت فما قولك في يزيد الناقص فقال أو الكامل قال بالعدل وعمل بالعدل وبذل نفسه وقتل ابن عمه في طاعة ربه و كان نكالا لأهله ونقص من أعطياتهم مازادته الجبارة وأظهر البراءة من آبائه وجعل في عهده شرطا و لم يجعله جزما لا و الله لكأنه ينطق عن لسان أبي سعيد يريد الحسن البصرى قال و كان الحسن من أنطق الناس . قالوا و قد قري في الكتب القديمة يامبذر الكنوز ياساجدا بالأسحار كانت ولايتك رحمة بهم و حجة عليهم قالوا هو يزيد بن الوليد . و من خطبائنا ثم من ولد سعيد بن العاص عمرو بن خولة كان ناسبا فصيحاً خطيباً . و قال ابن عائشة الأكبر ماشهد خطيباً قط إلا ولجلج هيبه له ومعرفة بانتقاده . و من خطبائنا عبد الله بن عامر و عبدالأعلى بن عبد الله بن عامر وكانا من أكرم الناس وأبين الناس كان مسلمة بن عبد الملك يقول إنى لأنحى كور عماتى على أذنى لأسمع كلام عبدالأعلى . [صفحة ٢٦٣] وكانوا يقولون أشبه قريش نعمة وجهارة واقتدارا وبيانا بعمر بن سعيد عبدالأعلى بن عبد الله . قالوا و من خطبائنا ورجالنا الوليد بن عبد الملك و هو الذى كان يقال له فحل بنى مروان كان يركب معه ستون رجلا- لصلبه . و من ذوى آدابنا وعلمائنا وأصحاب الأخبار ورواية الأشعار والأنساب بشر بن مروان أميرالعراق . قالوا ونحن نساكا منكم منا معاوية بن يزيد بن معاوية و هو الذى قيل له فى مرضه الذى مات فيه لوأقمت للناس ولى عهد قال و من جعل لى هذاالعهد فى أعناق الناس و الله لو لاخوفى الفتنة لماأقمت عليها طرفه عين و الله لاأذهب بمرارتها وتذهبون بحلاوتها فقالت له أمه لوددت أنك حيضة قال أنا و الله وددت ذلك . قالوا و منا سليمان بن عبد الملك الذى هدم الديماس ورد المسيرين وأخرج المسجونين وترك القريب واختار عمر بن عبدالعزيز و كان سليمان جوادا خطيبا جميلا صاحب سلامة ودعة وحب للعافية وقرب من الناس حتى سمى المهدي وقيلت الأشعار فى ذلك . قالوا ولنا عمر بن عبدالعزيز شبه عمر بن الخطاب قدولده عمر وباسمه سمى و هو أشج قريش المذكور فى الآثار المنقولة فى الكتب العدل فى أشد الزمان وظلف نفسه بعداعتقاد النعم حتى صار مثلا ومفخرا وقيل للحسن أ مارويت أن رسول الله ص قال لايزداد الزمان إلاشدة و الناس إلاشحا و لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق -رواية ١-٢-رواية ٢٧-١٠٤ قال بلى قيل فما بال عمر بن عبدالعزيز وعدله [صفحة ٢٦٤] وسيرته فقال لا بى للناس من متنفس و كان مذكورا مع الخطباء و مع النساك و مع الفقهاء قالوا ولنا ابنه عبد الملك بن عمر بن عبدالعزيز كان ناسكا زكيا طاهرا و كان من أتقى الناس وأحسنهم معونة لأبيه و كان كثيرا مايعظ أباه وينهاه . قالوا ولنا من لانظير له فى جميع أموره و هو صاحب الأعوص إسماعيل بن أمية بن عمرو بن سعيد بن العاص و هو الذى قال فيه عمر بن عبدالعزيز لو كان إلى من الأمر شىء لجعلتها شورى بين القاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وصاحب الأعوص . قالوا و من نساكننا أبو حراب من بنى أمية الصغرى أداود بن على و من نساكننا يزيد بن محمد بن مروان كان لا يهدب ثوبا و لا يصبغه و لا يتخلق بخلق و لا يختار طعاما على طعام ماأطعم أكله و كان يكره التكلف وينهى عنه . قالوا و من نساكننا أبو بكر بن عبدالعزيز بن مروان أراد عمر أخوه أن يجعله ولى عهد له لمارأى من فضله وزهده فسمما فيهما جميعا . و من نساكننا عبدالرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان كان يصلى كل يوم ألف ركعة و كان كثير الصدقة و كان إذا تصدق بصدقة قال اللهم إن هذا الوجهك فخفف عنى الموت فانطلق حاجا ثم تصبح بالنوم فذهبوا يبهونه للرحيل فوجدوه ميتا فأقاموا عليه المأتم بالمدينة وجاء أشعب فدخلى إلى المأتم و على رأسه كبة من طين فالتدم مع النساء و كان إليه محسنا . و من نساكننا عبدالرحمن بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان . [صفحة ٢٦٥] قالوا فنحن نعد من الصلاح والفضل ماسمعتومه و ما لم نذكره أكثر وأنتم تقولون أمية هى الشجرة

الملعوننة فى القرآن وزعمتم أن الشجرة الخبيثة لاتثمر الطيب كما أن الطيب لايشمر الخبيث فإن كان الأمر كما تقولون فعثمان بن عفان ثمره خبيثة. وينبغى أن يكون النبى ص دفع ابنتيه إلى خبيث وكذلك يزيد بن أبى سفيان صاحب مقدمه أبى بكر الصديق على جيوش الشام وينبغى لأبى العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله ص أن يكون كذلك وينبغى لمحمد بن عبد الله المدبج أن يكون كذلك وإن ولدته فاطمة ع لأنه من بنى أمية وكذلك عبد الله بن عثمان بن عفان سبط رسول الله ص الذى مات بعد أن شدن ونقر الديك عينه فمات لأنه من بنى أمية وكذلك ينبغى أن يكون عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية وإن كان النبى ص ولده مكة أم القرى وقبله الإسلام مع قوله ع فتیان أضن بهما عن النار عتاب ابن أسيد وجبير بن مطعم - روايت- ١-٢-روايت- ١٢-٦٨ وكذلك ينبغى أن يكون عمر بن عبدالعزيز شبيه عمر بن الخطاب كذلك وكذلك معاوية بن يزيد بن معاوية وكذلك يزيد الناقص وينبغى ألا يكون النبى ص عد عثمان فى العشرة الذين بشرهم بالجنة وينبغى أن يكون خالد بن سعيد بن العاص شهيد يوم مرج الصفرة والحبيس فى سبيل الله ووالى النبى ص على اليمن ووالى أبى بكر على جميع أجناد الشام ورابع أربعة فى الإسلام والمهاجر إلى أرض الحبشة كذلك وكان أبان بن سعيد بن العاص المهاجر إلى المدينة والقديم فى الإسلام والحبيس على الجهاد ويجب أن يكون ملعونا خبيثا وكذلك أبوحذيفة بن عتبة بن ربيعة وهودرى من المهاجرين الأولين وكذلك أمامة بنت أبى العاص بن الربيع وأمها زينب بنت [صفحة ٢٦٦] رسول الله ص وكذلك أم كلثوم بنت عتبة بن أبى معيط وكان النبى ص يخرجها من المغازى ويضرب لها بسهم ويصافحها وكذلك فاطمة بنت أبى معيط وهى من مهاجرة الحبشة. قالوا ومما نفخر به وليس لبنى هاشم مثله إن منا رجلا ولى أربعين سنة منها عشرون سنة خليفة وهومعاوية بن أبى سفيان ولنا أربعة إخوة خلفاء الوليد وسليمان وهشام بنو عبد الملك وليس لكم ويزيد إلا ثلاثة إخوة محمد وعبد الله وأبى إسحاق أولاد هارون. قالوا ومنا رجل ولد سبعة من الخلفاء وهوعبد الله بن يزيد بن عبد الملك بن مروان أبوه يزيد بن عاتكة خليفة وجده عبد الملك خليفة وأبو جده مروان الحكم خليفة وجده من قبل عاتكة ابنة يزيد بن معاوية أبوها يزيد بن معاوية وهوخليفة ومعاوية بن أبى سفيان وهوخليفة فهؤلاء خمسة وأم عبد الله هذا عاتكة بنت عبد الله بن عثمان بن عفان وحفصة بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب فهذان خليفتان فهذه سبعة من الخلفاء ولدوا هذا الرجل. قالوا ومنا امرأة أبوها خليفة وجدها خليفة وابنها خليفة وأخوها خليفة وبعلمها خليفة فهؤلاء خمسة وهى عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبى سفيان أبوها يزيد بن معاوية وجدها معاوية بن أبى سفيان خليفة وابنها يزيد بن عبد الملك بن مروان خليفة وأخوها معاوية بن يزيد خليفة وبعلمها عبد الملك بن مروان خليفة. قالوا ومن ولد المدبج محمد بن عبد الله الأصغر امرأة ولدها النبى ص وأبوبكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وهى عائشة بنت محمد بن عبد الله بن عمر بن عثمان بن عفان وأمها خديجة بنت عثمان بن عروة بن الزبير وأم عروة أسماء ذات النطاقين بنت أبى بكر الصديق وأم محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وهو [صفحة ٢٦٧] المدبج فاطمة بنت الحسين بن على ع وأم الحسين بن على ع فاطمة بنت رسول الله ص وأم فاطمة بنت الحسين بن على ع أم إسحاق بنت طلحة بن عبد الله وأم عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ابنة عبد الله بن عمر بن الخطاب. قالوا ولنا فى الجمال والحسن ما ليس لكم منا المدبج والديباج قيل ذلك لجماله . ومنا المطرف ومنا الأرجوان فالمطرف وهوعبد الله بن عمرو بن عثمان سمي المطرف لجماله وفيه يقول الفرزدق نما الفاروق أنك و ابن أروى || أبوك فأنت منصدع النهار . والمدبج هو الديباج كان أطول الناس قيما فى الصلاة وهلك فى سجن المنصور. قالوا ومنا ابن الخلائف الأربعة دعى بذلك وشهر به وهوالمؤمل بن العباس بن الوليد بن عبد الملك كان هو وأخوه الحارث ابنى العباس بن الوليد من الفجاءة بنت قطرى بن الفجاءة إمام الخوارج وكانت سبيت فوقعت إليه فلما قام عمر بن عبدالعزيز أتت وجوه بنى مازن وفيهم حاجب بن ذبيان المازنى الشاعر فقال حاجب أتيناك زوارا ووفدا إلى التى || أضاءت فلا يخفى على الناس نورها أبوها عميد الحى جمعا وأمها || من

الحنظليات الكرام حجورها فإن تك صارت حين صارت فإنها || إلى نسب زاك كرام نفيها . فبعث عمر بن عبدالعزيز إلى العباس بن الوليد إما أن تردها إلى أهلها وإما أن تزوجها فقال قائل ذات يوم للمؤمل يا ابن الخلائف الأربعة قال ويلك من الرابع [صفحته ٢٦٨] قال قطري فأما الثلاثة فالوليد و عبدالملك ومروان و أمأقطري فبويج بالخلافة وفيه يقول الشاعر و أبونعامة سيد الكفار قالوا و من أين صار محمد بن علي بن عبد الله بن العباس أحق بالدعوة والخلافة من سائر إخوته و من أين كان له أن يضعها في بيته دون إخوته وكيف صار بنو الأخ أحق بها من الأعمام . وقالوا إن يكن هذا الأمر إنما يستحق بالميراث فالأقرب إلى العباس أحق و إن كان بالسن والتجربة فالعموم بذلك أولى . قالوا فقد ذكرنا جملا من حال رجالنا في الإسلام و أما الجاهلية فلنا الأعياص والعنابس . ولنا ذو العصابة أبوأحيحة سعيد بن العاص كان إذا عتم لم يعتم بمكة أحد ولنا حرب بن أمية رئيس يوم الفجار ولنا أبوسفیان بن حرب رئيس أحد والخندق وسيد قريش كلها في زمانه . و قال أبوالجهم بن حذيفة العدوي لعمر حين رأى العباس و أباسفیان على فراشه دون الناس مانرانا نستريح من بني عبدمناف على حال قال عمر بس أسخو العشيرة أنت هذاعم رسول الله ص و هذاسيد قريش . [صفحته ٢٦٩] قالوا ولنا عتبة بن ربيعة ساد مملقا و لا يكون السيد إلا مترفا لو لا مارأوا عنده من البراعة والنبيل والكمال و هو الذي لماتحاكمت بجيلة و كلب في منافرة جرير والفرافصة و تراهنوا بسوق عكاظ وصنعوا الرهن على يده دون جميع من شهد على ذلك المشهد و قال رسول الله ص ونظر إلى قريش مقبلة يوم بدر إن يكن منهم عند أحد خير فعند صاحب الجمل الأحمر -رواية ١-٢-رواية ٢٣-١٠٣ و ماظنك بشيخ طلبوا له من جميع العسكر عند المبارزة بيضة فلم يقدروا على بيضة يدخل رأسه فيها و قد قال الشاعر وإنا أناس يملأ البيض هاما قالوا وأميه الأكبر صنفان الأعياص والعنابس قال الشاعر من الأعياص أو من آل حرب || أغر كغرة الفرس الجواد سموا بذلك في حرب الفجار حين حفروا لأرجلهم الحفائر وثبتوا فيها وقالوا نموت جميعا أو نظفر وإنما سموا بالعنابس لأنها أسماء الأسود وإنما سموا الأعياص لأنها أسماء الأصول فالعنابس حرب وسفیان وعمرو والأعياص العيص و أبوالعيص والعاص و أبوالعاص و أبوعمر و لم يعقب من العنابس إلا حرب و ماعقب الأعياص إلا العيص ولذلك كان معاوية يشكو القلة . قالوا و ليس لبني هاشم والمطلب مثل هذه القسمة و لامثل هذا اللقب المشهور و هذا ما قالته أمية عن نفسها [صفحته ٢٧٠]

ذكر الجواب عما فخرت به بنو أمية

ونحن نذكر ما أجاب به أبوعثمان عن كلامهم ونضيف إليه من قبلنا أمورا لم يذكرها فنقول قالت هاشم أما ذكرتم من الدهاء والمكر فإن ذلك من أسماء فجار العقلاء و ليس من أسماء أهل الصواب في الرأي من العقلاء والأبرار و قد بلغ أبوبكر وعمر من التدبير وصواب الرأي والخبرة بالأمر العامة و ليس من أوصافهما و لا من أسمائهما أن يقال كانا داهيين و لا كانا مكيرين و ما عامل معاوية وعمرو بن العاص عليا قط بمعاملة إلا و كان على ع أعلم بهما ولكن الرجل الذي يحارب و لا يستعمل إلا ما يجلب له أقل مذاهب في وجوه الحيل والتدبير من الرجل الذي يستعمل ما يحل و ما لا يحل وكذلك من حدث وأخبر ألا ترى أن الكذاب ليس لكذبه غاية و لا لما يولد ويصنع نهاية والصدوق إنما يحدث عن شيء معروف ومعنى محدود ويدل على ما قلنا أنكم عددتم أربعة في الدهاء و ليس واحد منهم عند المسلمين في طريق المتقين و لو كان الدهاء مرتبة والمكر منزلة لكان تقدم هؤلاء الجميع السابقين الأولين عيبا شديدا في السابقين الأولين و لو أن إنسانا أراد أن يمدح أبابكر وعمر وعثمان وعليا ثم قال الدهاء أربعة وعدهم لكان قد قال قولاً مرغوبا عنه لأن الدهاء والمكر ليس من صفات الصالحين و إن علموا من غامض الأمور ما يجله جميع العقلاء ألا ترى أنه قديحس أن يقال كان رسول الله ص أكرم الناس وأحلم الناس وأجود الناس وأشجع الناس و

لا يجوز أن يقال كان أمكر الناس وأدهى الناس وإن علمنا أن علمه قد أحاط بكل مكر وخديعة وبكل أدب ومكيده. و أما ما ذكرتم من جود سعيد بن العاص و عبد الله بن عامر فأين أنتم من عبد الله بن جعفر وعبيد الله بن العباس و الحسن بن علي وأين أنتم من جود خلفاء بني [صفحة ٢٧١] العباس كمحمد المهدي وهارون و محمد بن زبيدة و عبد الله المأمون و جعفر المقتدر بل لعل جود بعض صنائع هؤلاء كبنى برمك وبنى الفرات أعظم من جود الرجلين اللذين ذكرتموهما بل من جميع ماجاء به خلفاء بني أمية. و أما ما ذكرتم من حلم معاوية فلو شئنا أن نجعل جميع ساداتنا حلما لكانوا محتملين لذلك ولكن الوجه في هذا ألا يشتق للرجل اسم إلا من أشرف أعماله وأكرم أخلاقه و إلا أن يتبين بذلك عند أصحابه حتى يصير بذلك اسما يسمى ويصير معروفا به كما عرف الأحنف بالحلم و كما عرف حاتم بالجود وكذلك هرم قالوا هرم الجواد و لو قلمت كان أبو العاص بن أمية أحلم الناس لقلنا ولعله يكون قد كان حليما ولكن ليس كل حلم يكون صاحبه به مذكورا و من إشكاله بائنا و إنكم لتظلمون خصومكم في تسميتكم معاوية بالحلم فكيف من دونه لأن العرب تقول أحلم الحلمين ألا- يتعرض ثم يحلم و لم يكن في الأرض رجل أكثر تعرضا من معاوية والتعرض هو السفه فإن ادعيتم أن الأخبار التي جاءت في تعرضه كلها باطلة فإن لقائل أن يقول و كل خبر رويتموه في حلمه باطل ولقد شهر الأحنف بالحلم ولكنه تكلم بكلام كثير يجرح في الحلم ويثلم في العرض و لا يستطيع أحد أن يحكى عن العباس بن عبدالمطلب و لا عن الحسن بن علي بن أبي طالب لفظا فاحشا و لا كلمة ساقطة و لا حرفا واحدا مما يحكى عن الأحنف و معاوية. و كان المأمون أحلم الناس و كان عبد الله السفاح أحلم الناس و بعد فمن يستطيع أن يصف هاشما أو عبدالمطلب بالحلم دون غيره من الأخلاق والأفعال حتى يسميه بذلك ويخص به دون كل شيء فيه من الفضل وكيف وأخلاقهم متساوية وكلها في الغاية و لو أن رجلا كان أظهر الناس زهدا وأصدقهم للعدو لقاء وأصدق الناس لسانا [صفحة ٢٧٢] وأجود الناس كفا وأفصحهم منطقا و كان بكل ذلك مشهورا لمنع بعض ذلك من بعض و لما كان له اسم السيد المقدم والكمال المعظم و لم يكن الجواد أغلب على اسمه و لا البيان و لا النجدة. و أما ما ذكرتم من الخطابة والفصاحة والسؤدد والعلم بالأدب والنسب فقد علم الناس أن بنى هاشم في الجملة أرق ألسنة من بنى أمية كان أبو طالب والزيبر شاعرين و كان أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب شاعرا و لم يكن من أولاد أمية بن عبدشمس لصلبه شاعر و لم يكن في أولاد أمية إلا أن تعدوا في الإسلام العرجي من ولد عثمان بن عفان و عبدالرحمن بن الحكم فنعد نحن الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب و عبد الله بن معاوية بن جعفر ولنا من المتأخرين محمد بن الحسين بن موسى المعروف بالرضي وأخوه أبو القاسم ولنا الحماني و علي بن محمد صاحب الزنج و كان ابراهيم بن الحسن صاحب باخمري أديبا شاعرا فاضلا ولنا محمد بن علي بن صالح الذي خرج في أيام المتوكل . قال أبو الفرج الأصفهاني كان من فتیان آل أبي طالب و فتاكهم وشجعانهم وظرافهم وشعرائهم و إن عددتم الخطابة والبيان والفصاحة لم تعدوا كعلي بن أبي طالب ع و لا كعبد الله بن العباس ولنا من الخطباء زيد بن علي بن الحسين و عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن معاوية بن جعفر و جعفر بن الحسين بن الحسن و داود بن علي بن عبد الله بن العباس و داود و سليمان ابنا جعفر بن سليمان . قالوا كان جعفر بن الحسين بن الحسن ينازع زيد بن علي بن الحسين في الوصية [صفحة ٢٧٣] و كان الناس يجتمعون ليستمعوا محاورتهما و كان سليمان بن جعفر بن سليمان بن علي والي مكة فكان أهل مكة يقولون لم يرد علينا أمير إلا- وسليمان أبين منه قاعدا وأخطب منه قائما و كان داود إذا خطب اسحنفر فلم يرد شيء. قالوا ولنا عبد الملك بن صالح بن علي كان خطيبا بليغا وسأله الرشيد وسليمان بن أبي جعفر وعيسى بن جعفر حاضرا فقال له كيف رأيت أرض كذا قال مسافى ريح و منابت شيخ قال فأرض كذا قال هضبات حمر و ربوات عفر حتى أتى علي جميع ما سأله عنه فقال عيسى لسليمان و الله ما ينبغي لنا أن نرضى لأنفسنا بالدون من الكلام . قالوا و أما ما ذكرتم من نساك الملوك فلنا علي بن أبي طالب ع و بزهده و بدينه و يضرب المثل ولنا محمد بن الواثق من خلفاء بني العباس و هو الملقب بالمهتدي كان يقول إني

لأنف لبني العباس ألا يكون منهم مثل عمر بن عبدالعزيز فكان مثله وفوقه ولنا القادر أبو العباس بن إسحاق بن المقتدر ولنا القائم عبد الله بن القادر كانا على قدم عظيمه من الزهد والدين والنسك و إن عددتم النساك من غير الملوك فأين أنتم عن علي بن الحسين زين العابدين وأين أنتم عن علي بن عبد الله بن العباس وأين أنتم عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ع الذي كان يقال له علي الخير و علي الأغر و علي العابد و ما أقسم على الله بشيء إلا - وأبر قسمه وأين أنتم عن موسى بن جعفر بن محمد وأين أنتم عن علي بن محمد الرضا لابس الصوف طول عمره مع سعة أمواله وكثرة ضياعه وغلاته . [صفحہ ۲۷۴] و أما ما ذكرتم من الفتوح فلنا الفتوح المعتميه التي سارت بها الركبان وضربت بها الأمثال ولنا فتوح الرشيد ولنا الآثار الشريفة في قتل بابك الخرمي بعد أن دامت فتنته في دار الإسلام نحو ثلاثين سنة و إن شئت أن تعد فتوح الطالبيين بإفريقيه ومصر و ما ملكوه من مدن الروم والفرنج والجلالقة في سني ملكهم عددت الكثير الجم الذي يخرج عن الحصر ويحتاج إلى تاريخ مفرد يشتمل على جلود كثيرة. فأما الفقه والعلم والتفسير والتأويل فإن ذكرتموه لم يكن لكم فيه أحد و كان لنا فيه مثل علي بن أبي طالب ع و عبد الله بن العباس وزيد بن علي و محمد بن علي بن علي بن الحسين بن علي و جعفر بن محمد الذي ملأ الدنيا علمه وفقهه ويقال إن أباحيفه من تلامذته وكذلك سفیان الثوري وحسبك بهما في هذا الباب ولذلك نسب سفیان إلى أنه زيدي المذهب وكذلك أبو حنيفه. و من مثل علي بن الحسين زين العابدين و قال الشافعي في الرسالة في إثبات خبر الواحد وجدت علي بن الحسين و هو أوفقه أهل المدينة يعول على أخبار الآحاد. و من مثل محمد بن الحنفية وابنه أبي هاشم الذي قرر علوم التوحيد والعدل وقالت المعتزلة غلبنا الناس كلهم بأبي هاشم الأول و أبي هاشم الثاني. و إن ذكرتم النجدة والبسالة والشجاعة فمن مثل علي بن أبي طالب ع و قد وقع اتفاق أوليائه وأعدائه على أنه أشجع البشر. و من مثل حمزة بن عبدالمطلب أسد الله وأسود رسوله و من مثل الحسين بن علي ع قالوا يوم الطف مارأينا مكثورا قد أفرد من إخوته وأهله وأنصاره أشجع منه كان كالليث المحرب يحطم الفرسان حطما و ما ظنك برجل أبت نفسه الدنية و أن يعطى [صفحہ ۲۷۵] بيده فقاتل حتى قتل هو و بنوه و إخوته و بنو عمه بعد بذل الأمان لهم والتوثقة بالأيمان المغلظة و هو الذي سن للعرب الإباء واقتدى بعده أبناء الزبير و بنو المهلب وغيرهم . و من لكم مثل محمد و ابراهيم بن عبد الله و من لكم كزيد بن علي و قد علمتم كلمته التي قالها حيث خرج من عندهشام مأحب الحياة إلا من ذل فلما بلغت هشاما قال خارج ورب الكعبة فخرج بالسيف ونهى عن المنكر ودعا إلى إقامة شعائر الله حتى قتل صابرا محتسبا. و قد بلغتكم شجاعة أبي إسحاق المعتمصم ووقوفه في مشاهد الحرب بنفسه حتى فتح الفتوح الجليله و بلغتكم شجاعة عبد الله بن علي و هو الذي أزال ملك بني مروان وشهد الحروب بنفسه وكذلك صالح بن علي و هو الذي اتبع مروان بن محمد إلى مصر حتى قتله. قالوا و إن كان الفضل والفخر في تواضع الشريف وإنصاف السيد وسجاعة الخلق ولين الجانب للعشيرة والموالي فليس لأحد من ذلك مالبنى العباس ولقد سألتنا طارق بن المبارك و هو مولى لبني أمية وصنيعه من صنائعهم فقلنا أى القبيلتين أشد نخوة وأعظم كبرياء وجبرية أبو مروان أم بنو العباس فقال و الله لبني مروان في غير دولتهم أعظم كبرياء من بنى العباس في دولتهم و قد كان أدرك الدولتين ولذلك قال شاعرهم إذانابه من عبد شمس رأيتيه || يتيه فرشحه لكل عظيم [صفحہ ۲۷۶] و إن تاه تياه سواهم فإنما || يتيه لنوك أوتيه للوم و من كلامهم من لم يكن من بنى أمية تياه فهو دعى قالوا و إن كان الكبير مفخرا يمدح به الرجال ويعد من خصال الشرف والفضل فمولانا عمارة بن حمزة أعظم كبرا من كل أموى كان و يكون في الدنيا وأخباره في كبره وتياه مشهورة متعالمة. قالوا و إن كان الشرف والفخر في الجمال و في الكمال و في البسطة في الجسم و تمام القوام فمن كان كالعباس بن عبدالمطلب. قالوا رأينا العباس يطوف بالبيت وكأنه فسطاط أبيض . و من مثل علي بن عبد الله بن العباس و ولده و كان كل واحد منهم إذا قام إلى جنب أبيه كان رأسه عند شحمة أذنه و كانوا من أطول الناس و إنك لتجد ميراث ذلك اليوم في أولادهم . ثم الذي رواه أصحاب الأخبار و حمال الآثار في عبدالمطلب من التمام

والقوام والجمال والبهاء و ما كان من لقب هاشم بالقمر لجماله ولأنهم يستضيئون برأيه و كما رواه الناس أن عبدالمطلب ولد عشرة كان الرجل منهم يأكل فى المجلس الجذعة ويشرب الفرق وترد آنفهم قبل شفاههم و إن عامر بن مالك لمارآهم يطوفون بالبيت كأنهم جمال جون قال بهؤلاء تمنع مكة وتشرف مكة. و قد سمعتم ما ذكره الناس من جمال السفاح وحسنه وكذلك المهدي وابنه هارون الرشيد وابنه محمد بن زبيدة وكذلك هارون الواثق و محمدالمنتصر والزيير المعتر. [صفحه ٢٧٧] قالوا مارئى فى العرب و لا- فى العجم أحسن صورة منه و كان المكتفى على بن المعتضد بارع الجمال ولذلك قال الشاعر يضرب المثل به و الله لا كلمته و لو أنه || كالشمس أو كالبدر أو كالمكتفى فجعله ثالث القمرين و كان الحسن بن على ع أصبح الناس وجها كان يشبه برسول الله ص وكذلك عبد الله بن الحسن المحض. قالوا ولنا ثلاثة فى عصر بنو عم كلهم يسمى عليا وكلهم كان يصلح للخلافة بالفقه والنسك والمركب والرأى والتجربة والحال الرفيعة بين الناس على بن الحسين بن على و على بن عبد الله بن العباس و على بن عبد الله بن جعفر كل هؤلاء كان تاما كاملا بارعا جامعا وكانت لبابة بنت عبد الله بن العباس عند على بن عبد الله بن جعفر قالت مارئى ضاحكا قط و لا قاطبا و لا قال شيئا احتاج إلى أن يعتذر منه و لا ضرب عبدا قط و لا ملكه أكثر من سنة. قالوا و بعد هؤلاء ثلاثة بنو عم وهم بنو هؤلاء الثلاثة وكلهم يسمى محمدا كما أن كل واحد من أولئك يسمى عليا وكلهم يصلح للخلافة بكرم النسب وشرف الخصال محمد بن على بن الحسين بن على و محمد بن على بن عبد الله بن العباس و محمد بن على بن عبد الله بن جعفر. قالوا كان محمد بن على بن الحسين لا يسمع المبتلى الاستعاذة و كان ينهى الجارية والغلام أن يقولوا للمسكين ياسائل و هو سيد فقهاء الحجاز و منه و من ابنه جعفر تعلم الناس الفقه و هو الملقب بالباقر باقر العلم لقبه به رسول الله ص و لم يخلق بعد وبشر به و وعد جابر بن عبد الله برؤيته و قال ستره طفلا فإذا رأته فأبلغه عنى السلام فعاش جابر حتى رآه و قال له ما وصى به . [صفحه ٢٧٨] وتوعد خالد بن عبد الله القسرى هشام بن عبد الملك فى رسالة له إليه و قال و الله إنى لأعرف رجلا حجازى الأصل شامى الدار عراقى الهوى يريد محمد بن على بن عبد الله بن العباس. قالوا و أما ما ذكرتم من أمر عاتكة بنت يزيد بن معاوية فإننا نذكر فاطمة بنت رسول الله ص وهى سيدة نساء العالمين وأما خديجة سيدة نساء العالمين وبعلمها على بن أبى طالب سيد المسلمين كافة و ابن عمها جعفر ذو الجناحين وذو الهجرتين و ابنها الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنة و جد هما أبو طالب بن عبدالمطلب أشد الناس عارضة وشكيمة وأجودهم رأيا وأشهمهم نفسا وأمنعهم لما وراء ظهره منع النبى ص من جميع قريش ثم بنى هاشم وبنى المطلب ثم منع بنى إخوانه من بنى أخواته من بنى مخزوم الذين أسلموا و هو أحد الذين سادوا مع الإقلال و هو مع هذا شاعر خطيب و من يطبق أن يفاخر بنى أبى طالب وأمهم فاطمة بنت أسد بن هاشم وهى أول هاشمية ولدت لها شمس وهى التى ربي رسول الله فى حجرها و كان يدعوها أمى ونزل فى قبرها و كان يوجب حقها كما يوجب حق الأم من يستطيع أن يسامى رجالا ولدهم هاشم مرتين من قبل أبيهم و من قبل أمهم قالوا و من العجائب أنها ولدت أربعة كل منهم أسن من الآخر بعشر سنين طالب وعقيل و جعفر و على . و من الذى يعد من قريش أو من غيرهم ما يعده الطالبيون عشرة فى نسق كل واحد منهم عالم زاهد ناسك شجاع جواد طاهر زاك فمنهم خلفاء ومنهم مرشحوون ابن ابن ابن هكذا إلى عشرة وهم الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على ع و هذا لم يتفق لبيت من بيوت العرب و لا- من بيوت العجم . [صفحه ٢٧٩] قالوا فإن فخرتم بأن منكم اثنتين من أمهات المؤمنين أم حبيبة بنت أبى سفيان وزينب بنت جحش وفزينب امرأة من بنى أسد بن خزيمه ادعيتومه بالحلف لا بالولادة و فينا رجل ولدته أمان من أمهات المؤمنين محمد بن عبد الله بن الحسن المحض ولدته خديجة أم المؤمنين وأم سلمة أم المؤمنين و ولدته مع ذلك فاطمة بنت الحسين بن على و فاطمة سيدة نساء العالمين ابنة رسول الله ص و فاطمة بنت أسد بن هاشم و كان يقال خير النساء الفواطم والعواتك وهن أمهاته. قالوا ونحن إذا ذكرنا إنسانا فقبل أن نعد من ولده نأتى به شريفا فى

نفسه المذكور بما فيه دون ما في غيره قلم لنا عاتكة بنت يزيد وعاتكة في نفسها كامرأة من عرض قريش ليس فيها في نفسها خاصة أمر تستوجب به المفاخرة ونحن نقول منا فاطمة وفاطمة سيده نساء العالمين وكذلك أمها خديجة الكبرى وإنما تذكران مع مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم اللتين ذكرهما النبي ص وذكر إحداهما القرآن وهن المذكورات من جميع نساء العالم من العرب والعجم . وقتلم لنا عبد الله بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ولده سبعة من الخلفاء و عبد الله هذا في نفسه ليس هناك ونحن نقول منا محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم كلهم سيد وأمه العالیه بنت عبيد الله بن العباس وإخوته داود وصالح وسليمان و عبد الله رجال كلهم أغر محجل ثم ولدت الرؤساء ابراهيم الإمام وأخويه أباالعباس و أبا جعفر و من جاء بعدهما من خلفاء بنى العباس . وقتلم منا عبد الله بن يزيد وقلنا منا الحسين بن علي سيد شباب أهل الجنة [صفحه ٢٨٠] وأولى الناس بكل مكرمة وأظهرهم طهارة مع النجدة والبصيرة والفقه والصبر والحلم والأنف وأخوه الحسن سيد شباب أهل الجنة وأرفع الناس درجة وأشبههم برسول الله خلقا وخلقا وأبوهما علي بن أبي طالب قال شيخنا أبوعثمان و هو الذى ترك وصفه أبلغ في وصفه إذ كان هذا الكتاب يعجز عنه ويحتاج إلى كتاب يفرد له وعمهما ذو الجناحين وأمه فاطمة وجدتهما خديجة وأخوالهما القاسم و عبد الله و ابراهيم وخالاتهما زينب ورقية وأم كلثوم وجدتهما آمنه بنت وهب والدة رسول الله ص وفاطمة بنت أسد بن هاشم وجدتهما رسول الله ص المخرس لكل فاخر والغالب لكل منافر قل ماشئت واذكر أى باب شئت من الفضل فإنك تجدهم قدحوه . وقالت أمية نحن لانكر فخر بنى هاشم وفضلهم فى الإسلام ولكن لافرق بيننا فى الجاهلية إذ كان الناس فى ذلك الدهر لا يقولون هاشم و عبدشمس و لا هاشم وأميه بل يقولون كانوا لايزيدون فى الجميع على عبدمناف حتى كان أيام تميزهم فى أمر علي و عثمان فى الشورى ثم ما كان فى أيام تحزبهم و حربهم مع علي و معاوية . و من تأمل الأخبار والآثار علم أنه ما كان يذكر فرق بين البيتين وإنما يقال بنو عبدمناف ألا ترى أن أباقحافه سمع رجة شديدة وأصواتا مرتفعة و هو يومئذ شيخ كبير مكفوف فقال ما هذا قالوا قبض رسول الله ص قال فما صنعت قريش قالوا ولوا الأمر ابنك قال ورضيت بذلك بنو عبدمناف قالوا نعم قال ورضى بذلك بنو المغيرة قالوا نعم قال فلأمانع لما أعطى الله و لامعطي [صفحه ٢٨١] لمانع و لم يقل أرضى بذلك بنو عبدشمس وإنما جمعهم على عبدمناف لأنه كذلك كان يقال . وهكذا قال أبو سفيان بن حرب لعلى ع و قدسخط إمارة أبى بكر أرضيتم يابنى عبدمناف أن تلى عليكم تيم و لم يقل أرضيتم يابنى هاشم وكذلك قال خالد بن سعيد بن العاص حين قدم من اليمن و قد استخلف أبوبكر أرضيتم معشر بنى عبدمناف أن تلى عليكم تيم قالوا وكيف يفرقون بين هاشم و عبدشمس وهما أخوان لأب وأم و يدل على أن أمرهما كان واحدا و أن اسمهم كان جامعا قول النبي ص وصنيعه حين قال منا خير فارس فى العرب عكاشة بن محصن -روايت- ١-٢-روايت- ٣٥-٧٤ و كان أسديا و كان حليفا لبني عبدشمس و كل من شهد بدرا من بنى كبير بن داود كانوا حلفاء بنى عبدشمس فقال ضرار بن الأزور الأسدى ذاك منا يا رسول الله فقال ع بل هو منا بالحلف فجعل حليف بنى عبدشمس حليف بنى هاشم و هذا بين لا يحتاج صاحب هذه الصفة إلى أكثر منه . قالوا ولهذا نكح هذا البيت فى هذا البيت فكيف صرنا نتزوج بنات النبي و بنات بنى هاشم على وجه الدهر إلا ونحن أكفاء وأمرنا واحد و قد سمعتم إسحاق بن عيسى يقول لمحمد بن الحارث أحد بنى عبدالرحمن بن عتاب بن أسيد لو لآحى أكرمهم الله بالرسالة لزعمت أنك أشرف الناس أفلا ترى أنه لم يقدم علينا رهطه إلا بالرسالة . قالت هاشم قلم لو لا أنا كنا أكفاءكم لما أنكحتمونا نساءكم فقد نجد القوم يستوون فى حسب الأب ويفترقون فى حسب الأنفس وربما استووا فى حسب أبى [صفحه ٢٨٢] القبيلة كاستواء قريش فى النضر بن كنانة ويختلفون باختلاف كعب بن لؤى و عامر بن لؤى و باختلاف ابن قصى و عبدمناف و عبدالدار و عبدالعزى والقوم قدساوى بعضهم بعضا فى وجوه ويفارقونهم فى وجوه ويستجيزون بذلك القدر منا كحتمهم و إن كانت معانى الشرف لم تتكامل فيهم كما تكاملت فيمن زوجهم و قد تزوج السيد ابن أخيه و هو حارص ابن حارص على وجه

صلة الرحم فيكون ذلك جائزا عندهم ولو جوه في هذا الباب كثيرة فليس لكم أن تزعموا أنكم أكفأونا من كل وجه وإن كنا قد زوجناكم وساويناكم في بعض الآباء والأجداد وبعثناكم في الجاهلية والإسلام قد أخرجتم بناكم إلى سائر قريش وإلى سائر العرب أفتزعمون أنهم أكفأؤكم عينا بعين وأما قولكم إن الحسين كان يقال لهما عبدمناف فقد كان يقال لهما أيضا مع غيرهما من قريش وبنوها بنو النضر وقال الله تعالى وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ فليعلم يدع النبي ص أحدا من بني عبدشمس وكانت عشيرته الأقربون بنى هاشم وبنى المطلب وعشيرته فوق ذاك عبدمناف وفوق ذلك قصي و من ذلك أن النبي ص لما أتى بعبد الله بن عامر بن كريز بن حبيب بن عبدشمس وأم عامر بن كريز أم حكيم البيضاء بنت عبدالمطلب بن هاشم قال ع هذا أشبه بنا منه بكم ثم تغفل في فيه فازدرده فقال أرجو أن تكون مشفيا فكان كما قال ففي قوله هو أشبه بنا منه بكم خصلتان إحداهما أن عبدشمس وهاشما لو كانا شيئا واحدا كما أن عبدالمطلب شىء واحد لما قال هو بنا أشبه به منكم والأخرى أن في هذا القول تفضيلا لبني هاشم على بني عبدشمس ألا ترون أنه خرج خطيبا جوادا نبيلًا وسيدا مشفيا له مصانع وآثار كريمة لأنه قال و هو بنا أشبه به منكم وأتى عبدالمطلب -قرآن- ٧٦٥-٧٩٨ [صفحة ٢٨٣] بعامر بن كريز وهو ابن ابنته أم حكيم البيضاء فتأمله وقال وعظام هاشم ما ولدنا ولدا أحرض منه فكان كما قال عبد الله يحق و لم يقل وعظام عبدمناف لأن شرف جده عبدمناف له فيه شركاء وشرف هاشم أبيه خالص له .فأما ما ذكرتم من قول أبي سفيان وخالد بن سعيد أرضيتم معشر بنى عبدمناف أن تلى عليكم تيم فإن هذه الكلمة كلمة تحريض وتهيج فكان الأبلغ فيما يريد من اجتماع قلوب الفريقين أن يدعوهم لأب و أن يجمعهم على واحد وإن كانا مفترقين وهذا المذهب سديد وهذا التدبير صحيح . قال معاوية بن صعصعة للأشهب بن رميلة و هو نهشلي وللفرزدق بن غالب و هو مجاشعي ولمسكن بن أنيف و هو عبدلي أرضيتم معشر بنى دارم أن يسب آباءكم ويشتم أعراضكم كلب بنى كليب وإنما نسبهم إلى دارم الأب الأكبر المشتمل على آباء قبائلهم ليستوا في الحمية ويتفقوا على الأنف وهذا في مثل هذا الموضوع تدبير صحيح .قالوا ويدل على ما قلنا ما قاله الشعراء في هذا الباب قبل مقتل عثمان وقبل صفين قال حسان بن ثابت لأبي سفيان الحارث بن عبدالمطلب و أنت منوط نيط في آل هاشم || كما نيط خلف الراكب القدح الفرد لم يقل نيط في آل عبدمناف . و قال ما أنت من هاشم في بيت مكرمة || و لابنى جمح الخضر الجلاعيد [صفحة ٢٨٤] و لم يقل ما أنت من آل عبدمناف وكيف يقول هذا وقد علم الناس أن عبدمناف ولد أربعة هاشما والمطلب و عبدشمس ونوفلا و أن هاشما والمطلب كانا يدا واحدة و أن عبدشمس ونوفلا كانا يدا واحدة و كان مما بطأ ببني نوفل عن الإسلام إبطاء إخوتهم من بني عبدشمس و كان مما حث بنى المطلب على الإسلام فضل محبتهم لبني هاشم لأن أمر النبي ص كان بينا وإنما كانوا يمتنعون منه من طريق الحسد والبغضة فمن لم يكن فيه هذه العلة لم يكن له دون الإسلام مانع ولذلك لم يصحب النبي ص من بني نوفل أحد فضلا أن يشهدوا معه المشاهد الكريمة وإنما صحبه حلفاؤهم كيعلى بن منبه وعتبة بن غزوان وغيرهما وبنو الحارث بن المطلب كلهم بدرى عبيد وطفيل وحصين و من بنى المطلب مسطح بن أثاثة بدرى . وكيف يكون الأمر كما قلتم و أبوطالب يقول لمطعم بن عدى بن نوفل في أمر النبي ص لما تمألت قريش عليه جزى الله عنا عبدشمس ونوفلا || جزاء مسيء عاجلا غير آجل أمطعم إما سامنى القوم خطئة || فأنى متى أوكل فلست بأكل أمطعم لم أخذلك في يوم شدة || و لا مشهد عند الأمور الجلائل ولقد قسم النبي ص قسمة فجعلها في بنى هاشم وبنى المطلب فأتاه عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبدشمس بن عبدمناف وجبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبدمناف فقالا له يا رسول الله إن قرابتنا منك وقرابة بنى المطلب واحدة فكيف أعطيتهم دوننا فقال النبي ص إنا لم نزل وبنى المطلب كهاتين وشبك بين أصابعه فكيف تقولون كنا شيئا واحدا و كان الاسم الذى يجمعنا واحدا [صفحة ٢٨٥] ثم نرجع إلى افتخار بنى هاشم قالوا و إن كان الفخر بالأيد والقوة واهتصار الأقران ومباطشة الرجال فمن أين لكم كمحمد بن الحنفية و قد سمعتم أخباره و أنه قبض على درع فاضلة فجذبها فقطع ذيلها ما استدار منه كله و سمعتم

أيضا حديث الأيد القوي الذي أرسله ملك الروم إلى معاوية يفخر به على العرب و أن محمدا قعد له ليقيمه فلم يستطع فكأنما يحرك جبلا و أن الرومي قعد ليقيمه محمدا فرفعه إلى فوق رأسه ثم جلد به الأرض هذا مع الشجاعة المشهورة والفقهاء في الدين والحلم والصبر والفصاحة والعلم بالملاحم والأخبار عن الغيوب حتى ادعى له أنه المهدي و قد سمعتم أحاديث أبي إسحاق المعتصم و أن أحمد بن أبي دواد عض ساعده بأسنانه أشد العض فلم يؤثر فيه و أنه قال ما أظن الأسنه و لا السهام تؤثر في جسده و سمعتم ما قيل في عبد الكريم المطيع و أنه جذب ذنب ثور فاستله من بين وركيه . و إن كان الفخر بالبشر و طلاقه الأوجه و سجاحة الأخلاق فمن مثل علي بن أبي طالب ع و قد بلغ من سجاحة خلقه و طلاقه وجهه أن عيب بالدعابة و من الذي يسوى بين عبد شمس و بين هاشم في ذلك كان الوليد جبارا و كان هشام شرس الأخلاق و كان مروان بن محمد لا يزال قاطبا عابسا و كذلك كان يزيد بن الوليد الناقص و كان المهدي المنصور أسرى خلق الله و أطفهم خلقا و كذلك محمد الأمين و أخوه المأمون و كان السفاح يضرب به المثل في السرو و سجاحة الخلق . قالوا ونحن نعد من رهطنا رجالا لا تعدون أمثالهم أبدا فمن الأئمة بالديلم الناصر الكبير و هو الحسن الأطروش بن علي بن الحسن بن عمر بن علي بن عمر الأشرف [صفحہ ۲۸۶] بن زين العابدين و هو الذي أسلمت الديلم على يده و الناصر الأصغر و هو أحمد بن يحيى بن الحسن بن القاسم بن ابراهيم بن طباطبا و أخوه محمد بن يحيى و هو الملقب بالمرتضى و أبوه يحيى بن الحسن و هو الملقب بالهادي و من ولد الناصر الكبير الثائر و هو جعفر بن محمد بن الحسن الناصر الكبير و هم الأئمة بطبرستان و جيلان و جرجان و مازندران و سائر ممالك الديلم ملكوا تلك الأصقاع مائة و ثلاثين سنة و ضربوا الدنانير و الدراهم بأسمائهم و خطب لهم على المنابر و حاربوا الملوك السامانية و كسروا جيوشهم و قتلوا أمراءهم فهؤلاء و أحدهم أعظم كثيرا من ملوك بني أمية و أطول مدة و أعدل و أنصف و أكثر نسكا و أشد حضا على الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و ممن يجرى مجراهم الداعي الأكبر و الداعي الأصغر ملكا الديلم قادا الجيوش و اصطنعا الصنائع . قالوا ولنا ملوك مصر و إفريقية ملكوا مائتين و سبعين سنة فتحو الفتوح و استردوا ماتغلب عليه الروم من مملكة الإسلام و اصطنعوا الصنائع الجليلة . ولهم الكتاب و الشعراء و الأئمة و القواد فأولهم المهدي عبيد الله بن ميمون بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب و آخرهم العاضد و هو عبد الله بن الأمير أبي القاسم بن الحافظ أبي الميمون بن المستعلي بن المستنصر بن الطاهر بن الحاكم بن عبدالعزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي فإن افتخرت الأموية بملوكها في الأندلس من ولد هشام بن عبد الملك و اتصال ملكهم و جعلوهم بإزاء ملوكنا بمصر و إفريقية قلنا لهم إلا أنانحن أزلنا ملككم بالأندلس كما أزلنا ملككم بالشام و المشرق كله لأنه لم يملك قرطبة [صفحہ ۲۸۷] الظافر من بني أمية و هو سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الملقب بالناصر خرج عليه علي بن حميد بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبد الله بن عمر بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ع فقتله و أزال ملكه . و ملك قرطبة دار ملك بني أمية و يلقب بالناصر ثم قام بعده أخوه القاسم بن حمود و يلقب بالمعتلى فنحن قتلناكم و أزلنا ملككم في المشرق و المغرب ونحن لكم على الرصد حيث كنتم اتبعناكم و قتلناكم و شردناكم كل مشرد و الفخر للغالب على المغلوب بهذا قضت الأمم قاطبة قالوا ولنا من أفراد الرجال من ليس لكم مثله منا يحيى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس كان شجاعا جريئا و هو الذي ولي الموصل لأخيه السفاح فاستعرض أهلها حتى ساخت الأقدام في الدم . و منا يعقوب بن ابراهيم بن عيسى بن أبي جعفر المنصور كان شاعرا فصيحاً و هو المعروف بأبي الأسباط و منا محمد و جعفر ابنا سليمان بن علي كانا أعظم من ملوك بني أمية و أجل قدرا و أكثر أموالا و مكانا عند الناس و أهدى محمد بن سليمان من البصرة إلى الخيزران مائة و صيفه في يد كل واحدة منهن جام من ذهب و وزنه ألف مثقال مملوء مسكا و كان لجعفر بن سليمان ألفا عبد من السودان خاصة فكم يكون ليت شعري غيرهم من البيض و من الإماء و مارئي جعفر بن سليمان راكبا قط إلاظن أنه الخليفة . و من رجالنا محمد بن السفاح كان جوادا أيدا شديدا

البطش قالوا مارئى أخوان [صفحة ٢٨٨] أشد قوة من محمد وريطة أخته ولدى أبى العباس السفاح كان محمد يأخذ الحديد فيلويه فتأخذه هي فترده . و من رجالنا محمد بن ابراهيم طباطبا صاحب أبى السرايا كان ناسكا عابدا فقيها عظيم القدر عند أهل بيته و عند الزيدية . و من رجالنا عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس و هو ألدنى شديد ملك المنصور و حارب ابنى عبد الله بن حسن و أقام عمود الخلافة بعد اضطرابه و كان فصيحاً أديباً شاعراً . و من رجالنا عبد الوهاب بن ابراهيم الإمام حجج بالناس وولى الشام و كان فصيحاً خطيباً . و من رجالنا عبد الله بن موسى الهادى كان أكرم الناس و جواداً ممدوحاً أديباً شاعراً و أخوه عيسى بن موسى الهادى كان أكرم الناس و أجود الناس كان يلبس الثياب و قد حدد ظفره فيخرقها بظفره لثلاث تعاد إليه و عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن موسى الهادى و كان أديباً ظريفاً . و من رجالنا عبد الله بن المعتز بالله كان أوحد الدنيا فى الشعر والأدب والأمثال الحكيمه والسؤدد والرئاسة كان كما قيل فيه لما قتل لله درك من ميت بمضيعة || ناهيك فى العلم والأشعار والخطب ما فيه لو و لا لو لافتنقسه || وإنما أدركته حرفة الأدب و من رجالنا النقيب أبو أحمد الحسين بن موسى شيخ بنى هاشم الطالبيين والعباسيين فى عصره و من أطاعه الخلفاء والملوك فى أقطار الأرض ورجعوا إلى قوله و ابنه على و محمد وهما المرتضى والرضى وهما فريدا العصر فى الأدب والشعر والفقهاء والكلام و كان الرضى شجاعاً أديباً شديد الأنف [صفحة ٢٨٩] و من رجالنا القاسم بن عبدالرحيم بن عيسى بن موسى الهادى كان شاعراً ظريفاً . و من رجالنا القاسم بن ابراهيم طباطبا صاحب المصنفات والورع والدعاء إلى الله و إلى التوحيد والعدل ومنازعة الظالمين و من أولاده أمراء اليمن . و من رجالنا محمد الفأفاء بن ابراهيم الإمام كان سيداً مقدماً ولى الموسم وحج بالناس و كان الرشيد يسايره و هو مقنع بطيلسانه . و من رجالنا محمد بن محمد بن زيد بن على بن الحسين صاحب أبى السرايا ساد حدثاً و كان شاعراً أديباً فقيها يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر و لما أسر وحمل إلى المأمون أكرمه وأفضل عليه ورعى له فضله ونسبه . و من رجالنا موسى بن عيسى بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس كنيته أبو عيسى و هو أجل ولد عيسى وأنبههم ولى الكوفة وسوادها زماناً طويلاً للمهدى ثم الهادى وولى المدينة وإفريقية ومصر للرشيد قال له ابن السماك لمارأى تواضعه إن تواضعك فى شرفك لأحب إلى من شرفك فقال موسى إن قومنا يعنى بنى هاشم يقولون إن التواضع أحد مصائد الشرف . و من رجالنا موسى بن محمد أخو السفاح والمنصور كان نبيلاً عندهم هو و ابراهيم الإمام لأم واحدة رأى فى منامه قبل أن يصير من أمرهم ما صار أنه دخل بستاناً فلم يأخذ إلا عنقوداً واحداً عليه من الحب المتراص ماربك به عليم فلم يولد له إلا عيسى ثم ولد لعيسى من ظهره أحد وثلاثون ذكراً وعشرون أنثى . و من رجالنا عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ع و هو عبد الله المحض وأبوه الحسن بن الحسن وأمه فاطمة بنت الحسين و كان إذا قيل من [صفحة ٢٩٠] أجمل الناس قالوا عبد الله بن الحسن فإذا قيل من أكرم الناس قالوا عبد الله بن الحسن فإذا قالوا من أشرف الناس قالوا عبد الله بن الحسن . و من رجالنا أخوه الحسن بن الحسن وعمه زيد بن الحسن وبنوه محمد و ابراهيم و موسى و يحيى أما محمد و ابراهيم فأمرهما مشهور وفضلهما غير مجعود فى الفقه والأدب والنسك والشجاعة والسؤدد و أما يحيى صاحب الديلم فكان حسن المذهب والهدى مقدماً فى أهل بيته بعيداً مما يعاب على مثله و قدروى الحديث وأكثر الرواية عن جعفر بن محمد وروى عن أكابر المحدثين وأوصى جعفر بن محمد إليه لما حضرته الوفاة و إلى ولده موسى بن جعفر و أما موسى بن عبد الله بن الحسن فكان شاباً نجيباً صبوراً شجاعاً سخياً شاعراً . و من رجالنا الحسن المثلث و هو الحسن بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ع كان متألهاً فضلاً ورعاً يذهب فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مذهب أهله و ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ع كان مقدماً فى أهله يقال إنه أشبه أهل زمانه برسول الله ص . و من رجالنا عيسى بن زيد ويحيى بن زيد أخوه وكانا أفضل أهل زمانهما شجاعةً وزهداً وفقهاً ونسكاً . و من رجالنا يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد صاحب الدعوة كان فقيهاً فضلاً شجاعاً فصيحاً شاعراً ويقال إن الناس ما أحبوا طالباً قط دعا إلى نفسه حبهم

يحيى ولا رثى أحد منهم بمثل مارثى به . [صفحہ ۲۹۱] قال أبو الفرج الأصفهاني كان يحيى فارسا شجاعا شديد البدن مجتمع القلب بعيدا عن زهو الشباب و ما يعاب به مثله كان له عمود حديد ثقيل يصحبه في منزله فإذا سخط على عبد أو أمة من حشمه لواه في عنقه فلا يقدر أحد أن يحلّه عنه حتى يحلّه هو . و من رجالنا محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن الحسين بن علي بن أبي طالب ع صاحب الطالقان لقب بالصوفي لأنه لم يكن يلبس إلا الصوف الأبيض و كان عالما فقيها دينا زاهدا حسن المذهب يقول بالعدل والتوحيد . و من رجالنا محمد بن علي بن صالح بن عبد الله بن موسى بن حسن بن علي بن أبي طالب ع كان من فتيان آل أبي طالب و فتاكهم و شجعانهم و ظرفائهم و شعرائهم و له شعر لطيف محفوظ . و منهم أحمد بن عيسى بن زيد كان فاضلا عالما مقدا في عشيرته معروفا بالفضل و قدروى الحديث و روى عنه . و من رجالنا موسى بن جعفر بن محمد و هو العبد الصالح جمع من الفقه والدين والنسك والحلم والصبر وابنه علي بن موسى المرشح للخلافة والمخطوب له بالعهد كان أعلم الناس وأسخرى الناس وأكرم الناس أخلاقا . قالوا و أما ما ذكرتم من أمر الشجرة الملعونة فإن المفسرين كلهم قالوا ذلك ورووا فيه أخبارا كثيرة عن النبي ص ولستم قادرين على جحد ذلك و قد عرفتم تأخركم عن الإسلام و شدة عداوتكم للرسول الداعي إليه و محاربتكم في بدر وأحد والخندق و صدكم الهدى عن البيت و ليس ذلك مما يجب أن يعمكم اللعن حتى [صفحہ ۲۹۲] لا يغادر واحدا فإن زعم ذلك زاعم فقد تعدى و أما اختصاص محمد بن علي بالوصية والخلافة دون إخوته فقد علمتم أن وراثته السيادة والمرتبة ليس من جنس وراثته الأموال ألا ترى أن المرأة والصبي والمجنون يرثون الأموال ولا يرثون المراتب و سواء في الأموال كان الابن حارضا بائرا أو بارعا جامعا . وقيل وراثته المقام سبيل وراثته اللواء دفع رسول الله ص لواء بني عبدالدار إلى مصعب بن عمير و دفع عمر بن الخطاب لواء بني تميم إلى وكيع بن بشر ثم دفعه إلى الأخنف حين لم يوجد في بني زرارة من يستحق وراثته اللواء فإن كان الأمر بالسنة فإنما كان بين محمد بن علي و أبيه علي بن عبد الله أربع عشرة سنة كان علي يخضب بالسواد و محمد يخضب بالحمرة فكان القادم يقدم عليهما والزائر يأتيهما فيظن أكثرهم أن محمدا هو علي و أن عليا هو محمد حتى ربما قيل لعلي كيف أصبح الشيخ من علته و متى رجع الشيخ إلى منزله وأخرى أن أمه كانت العالية بنت عبد الله بن العباس فقد ولده العباس مرتين و ولده جواد بن العباس كما ولده خيرهم و حبرهم و لم يكن لأحد من إخوته مثل ذلك و كان بعض ولد محمد أسن من عامة ولد علي و ولد محمد المهدي بن عبد الله المنصور و العباس بن محمد بن علي في عام واحد وكذلك محمد بن سليمان بن علي و لم يكن لأحد من ولد علي بن عبد الله بن العباس و إن كانوا فضلاء نجباء كرماء نبلاء مثل عقله و لاجماله كان إذا دخل المدينة و مكة جلس الناس على أبواب دورهم والنساء على سطوحهن للنظر إليه والتعجب من كماله وبهائه و قد قاتل إخوته أعداءه في دفع الملك إلى ولده غير مكرهين و لا مجبرين علي أن محمدا إنما أخذ الأمر عن أساس مؤسس وقاعدة مقررة و وصية انتقلت إليه من أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وأخذها أبو هاشم عن أبيه محمد وأخذها محمد عن علي بن أبي طالب أبيه . [صفحہ ۲۹۳] قالوا لما سمت بنو أمية أباهاشم مرض فخرج من الشام و قيذا يؤم المدينة فمر بالحميمة و قد أشفى فاستدعى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس فدفع الوصية إليه و عرفه ما يصنع وأخبره بما سيكون من الأمر و قال له إنني لم أدفعها إليك من تلقاء نفسي ولكن أبي أخبرني عن أبيه علي بن أبي طالب ع بذلك وأمرني به وأعلمني بلقائي إياك في هذا المكان ثم مات فتولى محمد بن علي تجهيزه ودفنه و بث الدعاء حينئذ في طلب الأمر و هو الذي قال لرجال الدعوة والقائمين بأمر الدولة حين اختارهم للتوجه وانتخبهم للدعاء و حين قال بعضهم ندعو بالكوفة و قال بعضهم بالبصرة و قال بعضهم بالجزيرة و قال بعضهم بالشام و قال بعضهم بمكة و قال بعضهم بالمدينة واحتج كل إنسان لرأيه واعتل لقوله فقال محمد أما الكوفة وسوادها فشيعة علي و ولده و أما البصرة فعثمانية تدين بالكف وقبيل عبد الله المقتول يدينون بجميع الفرق و لا يعينون أحدا و أما الجزيرة فحرورية مارقة والخارجية فيهم فاشية وأعراب كأعلاج و مسلمون في أخلاق النصارى

و أما الشام فلا يعرفون إلا آل أبي سفيان وطاعة بني مروان عداوة راسخه وجهلا متراكما و أمامكته والمدينه فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر و ليس يتحرك معنا في أمرنا هذا منهم أحد و لا يقوم بنصرنا إلا شيعتنا أهل البيت ولكن عليكم بخراسان فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر وصدورا سليمة وقلوبا مجتمعة لم تتقسمها الأهواء و لم تتوزعها النحل و لم تشغلها ديانة و لا هدم فيها فساد و ليس لهم اليوم همم العرب و لا فيهم تجارب كتجارب الأتباع مع السادات و لا تحالف كتحالف القبائل و لا عصبية كعصبية العشائر و مازالوا ينالون ويمتهون و يظلمون فيكظمون و ينتظرون الفرج و يؤملون [صفحة ٢٩٤] دولة وهم جند لهم أبدان و أجسام و مناكب و كواهل و هامات و لحي و شوارب و أصوات هائلة و لغات فخمة تخرج من أجواف منكرة. و بعد فكأنى أتفاءل جانب المشرق فإن مطلع الشمس سراج الدنيا و مصباح هذا الخلق فجاء الأمر كمدابر و كما قدر فإن كان الرأي الذي رأى صوابا فقد وافق الرشاد و طبق المفصل و إن كان ذلك عن رواية متقدمة فلم يتلق تلك الرواية إلا عن نبوة. قالوا و أما قولكم إن منا رجلا- مكث أربعين سنة أميرا و خليفة فإن الإمارة لا تعد فخرا مع الخلافة و لا-تضم إليها ونحن نقول إن منا رجلا مكث سبعا و أربعين سنة خليفة و هو أحمد الناصر بن الحسن المستضيء و منا رجل مكث خمسا و أربعين سنة خليفة و هو عبد الله القائم و مكث أبوه أحمد القادر ثلاثا و أربعين سنة خليفة فملكهما أكثر من ملك بني أمية كلهم وهم أربعة عشر خليفة. و يقول الطالبيون منا رجل مكث ستين سنة خليفة و هو معد بن الطاهر صاحب مصر و هذه مدة لم يبلغها خليفة و لا ملك من ملوك العرب في قديم الدهر و لا- في حديثه. و قاتم لنا عاتكة بنت يزيد يكتنفها خمسة من الخلفاء ونحن نقول لنا زبيدة بنت جعفر يكتنفها ثمانية من الخلفاء جدها المنصور خليفة وعم أبيها السفاح خليفة وعمها المهدي خليفة و ابن عمها الهادي خليفة و بعلمها الرشيد خليفة و ابنها الأمين خليفة و ابنا بعلمها المأمون و المعتصم خليفان. قالوا و أما ما ذكرتموه من الأعياص و العنابس فلنا نصدقكم فيما زعمتموه أصلا بهذه التسمية و إنما سمو الأعياص لمكان العيص و أبي العيص و العاص و أبي العاص و هذه أسماءهم الأعلام ليست مشتقة من أفعال لهم كريمة و لا خسيصة و أما العنابس [صفحة ٢٩٥] فإنما سمو بذلك لأن حرب بن أمية كان اسمه عنبسة و أم حرب فلقبه ذكر ذلك النسابون و لما كان حرب أمثلهم سمو جماعتهم باسمه فليل العنابس كما يقال المهالبة و المناذرة و لهذا المعنى سمي أبو سفيان بن حرب بن عنبسة و سمي سعيد بن العاص بن عنبسة

المجلد ١٦

الجزء السادس عشر

تمة باب الكتب والرسائل

إشارة

[صفحة ٣] بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الواحد العدل

٢٩- و من كتاب له ع إلى أهل البصرة

وَ قَدْ كَانَ مِنْ انْتِشَارِ حَيْلِكُمْ وَ شِقَاقِكُمْ مَا لَمْ تَعْبُوا عَنْهُ فَعَفَوْتُ عَنْ مُجْرِمِكُمْ وَ رَفَعْتُ السَّيْفَ عَنْ مُدْبِرِكُمْ وَ قَبِلْتُ مِنْ مُقْبِلِكُمْ فَإِنْ حَطَّتْ بِكُمْ الْأُمُورُ الْمُرْدِيَّةُ وَ سَيِّئَةُ الْأَرَاءِ الْجَائِرَةِ إِلَى مُنَابَدَتِي وَ خِلَافِي فَهَذَا قَدْ قَرَّبْتُ جِيَادِي وَ رَحَلْتُ رِكَابِي وَ لَيْتِنِ الْجَائِثُ مُنِي

إِلَى الْمَسِيرِ إِلَيْكُمْ لَأَوْقَعَنَّ بِكُمْ وَقَعِيَّةً لَا يَكُونُ يَوْمَ الْجَمَلِ إِلَيْهَا إِلَّا كَلَعَقَةٍ لَاعِقٍ مَعَ أَنِّي عَارِفٌ لِدِي الطَّاعِيَةَ مِنْكُمْ فَضْلَهُ وَ لَدِي النَّصِيحَةَ حَقَّهُ غَيْرٌ مُتَجَاوِزٍ مُتَّهَمًا إِلَى بَرِيٍّ وَ لَا نَاكِثًا إِلَى وَفِيٍّ مَا لَمْ تَغْبُوا عَنْهُ أَى لَمْ تَسْهَوْا عَنْهُ وَ لَمْ تَغْفَلُوا يَقَالُ غِيْبَتٌ عَنِ الشَّيْءِ أَغْبَى غِبَاوَةً إِذَا لَمْ يَفْظَنْ وَغَيْبَى الشَّيْءِ عَلَى كَذَلِكَ إِذَا لَمْ تَعْرِفْهُ وَفَلَانٌ غَيْبَى عَلَى فِعْلٍ أَى قَلِيلِ الْفِطْنَةِ وَ قَدْ تَغَابَى أَى تَغَافَلَ يَقُولُ لَهُمْ قَدْ كَانَ مِنْ خُرُوجِكُمْ يَوْمَ الْجَمَلِ عَنِ الطَّاعَةِ [صَفْحَه ٤] وَنَشْرَكُمْ حَبْلَ الْجَمَاعَةِ وَشَقَاقِكُمْ لِي مَا لَسْتُمْ أَغْيَاءَ عَنْهُ فَغَفَرْتُ وَرَفَعْتُ السِّيفَ وَقَبِلْتُ التَّوْبَةَ وَالْإِنَابَةَ. وَالمَدْبِرُ هَاهُنَا الْهَارِبُ وَالمَقْبَلُ الَّذِي لَمْ يَفِرْ لَكِنْ جَاءَنَا فَاعْتَذَرَ وَتَنَصَّلَ . ثُمَّ قَالَ فَإِنْ خَطَبَ بِكُمْ الْأُمُورُ خَطَا فَلَانِ خَطْوَةٌ يَخْطُو وَ هُوَ مَقْدَارٌ مَا بَيْنَ الْقَدَمَيْنِ فَهَذَا لِأَنْ لَمْ يَفِرْ لَكِنْ جَاءَنَا فَاعْتَذَرَ وَتَنَصَّلَ . ثُمَّ قَالَ فَإِنْ خَطَبَ قَدْ عَدَاهُ بِالْبَاءِ. وَالمَرْدِيَةُ المَهْلِكَةُ وَالجَائِرَةُ العَادِلَةُ عَنِ الصَّوَابِ وَالمُنَابِذَةُ مَفَاعَلَةٌ مِنْ نَبَذَتْ إِلَيْهِ عَهْدَهُ أَى أَلْقَيْتَهُ وَعَدَلْتُ عَنِ السَّلْمِ إِلَى الْحَرْبِ أَوْ مِنْ نَبَذَتْ زَيْدًا أَى أَطْرَحْتَهُ وَ لَمْ أَحْفَلْ بِهِ . قَوْلُهُ قَرِيبٌ جِيَادِي أَى أَمَرْتُ بِتَقْرِيْبِ خَيْلِي إِلَى لِأَرْكَبُ وَأَسِيرُ إِلَيْكُمْ . وَرَحَلْتُ رَكَابِي الرِّكَابِ الْإِبِلَ وَرَحَلْتُهَا شَدَّدْتُ عَلَى ظَهْرِهَا الرِّحْلَ قَالَ رَحَلْتُ سَمِيئَةَ غَدْوَةً أَجْمَالَهَا || غَضِبِي عَلَيْكَ فَمَا تَقُولُ بَدَأَ لَهَا كَلْعَقَةٌ لَاعِقٌ مِثْلُ يَضْرِبُ لِلشَّيْءِ الْحَقِيرِ التَّافَهُ وَيُرْوَى بِضَمِّ اللَّامِ وَهِيَ مَا تَأْخُذُهُ المَلْعَقَةُ. ثُمَّ عَادَ فَقَالَ مَا زَجَا الخَشُونَةُ بِاللَّيْنِ مَعَ أَنِّي عَارِفٌ فَضْلَ ذِي الطَّاعَةِ مِنْكُمْ وَحَقُّ ذِي النَّصِيحَةِ وَ لَوْ عَاقَبْتُ لِمَاعَاقِبَتِ الْبَرِيِّ بِالسَّقِيمِ وَ لَأَخَذْتُ الْوَفَى بِالنَّكَثِ. خَطَبَ زِيَادٌ بِالبَصْرَةِ الخُطْبَةَ الْغَرَاءَ المَشْهُورَةَ وَ قَالَ فِيهَا وَ اللهُ لَأَخْذَنَ الْبَرِيَّ بِالسَّقِيمِ وَ الْبَرَّ بِاللَّيْمِ وَ الْوَالِدَ بِالْوَلَدِ وَ الْجَارَ بِالْجَارِ أَوْ تَسْتَقِيمُ إِلَى قِنَاتِكُمْ فَقَامَ أَبُو بَلَالٍ مُرْدَاسٌ [صَفْحَه ٥] ابْنُ أُدِيَةَ يَهْمَسُ وَ هُوَ حَيْثُ نَزَّ شَيْخٌ كَبِيرٌ فَقَالَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ أَنْبَأْنَا اللهُ بِخِلَافِ مَا قَلْتُمْ وَحُكْمِ بَغْيِ مَا حَكَمْتُمْ قَالَ سَبْحَانَهُ وَ لَا- تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى فَقَالَ زِيَادٌ يَا أَبَا بَلَالٍ إِنِّي لَمْ أَجْهَلْ مَا عَلِمْتُمْ وَلَكِنَّا لَنَخْلُصُ إِلَى الْحَقِّ مِنْكُمْ حَتَّى نَخُوضَ إِلَيْهِ الْبَاطِلَ خَوْضًا. وَ فِي رِوَايَةِ الرِّيَاشِيِّ لَأَخْذَنَ الْوَلِيَّ بِالْوَلِيِّ وَ المَقِيمَ بِالظَّاعِنِ وَ المَقْبَلُ بِالمَدْبِرِ وَ الصَّحِيحُ بِالسَّقِيمِ حَتَّى يَلْقَى الرَّجُلَ مِنْكُمْ أَخَاهُ فَيَقُولُ انْجِ سَعْدٌ فَقَدْ هَلَكْتَ سَعِيدٌ أَوْ تَسْتَقِيمُ لِي قِنَاتِكُمْ - قُرْآن - ١١١-١٤٣ [صَفْحَه ٦]

٣٠- وَ مِنْ كِتَابِ لَهُ عَ إِلَى مَعَاوِيَةَ

فَاتَّقِ اللهُ فِيمَا لَمَدَيْكَ وَ انظُرْ فِي حَقِّهِ عَلَيْكَ وَ ارْجِعْ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا لَمْ تُعْذِرْ بِجَهَالَتِهِ فَإِنَّ لِلطَّاعَةِ أَعْلَامًا وَاضِحَةً وَ سُبُلًا نَيِّرَةً وَ مَحَجَّةً نَهْجَةً وَ غَايَةً مُطْلَبَةً يَرُدُّهَا الْأَكْيَاسُ وَ يُخَالِفُهَا الْأَنْكَاسُ مِنْ نَكَبَ عَنْهَا جَارَ عَنِ الْحَقِّ وَ خَبَطَ فِي التِّيهِ وَ غَيَّرَ اللهُ نِعْمَتَهُ وَ أَحَلَّ بِهِ نِقْمَتَهُ فَفَنَسَكَ نَفْسَكَ فَقَدْ بَيَّنَّ اللهُ لَكَ سَبِيلَكَ وَ حَيْثُ تَنَاهَتْ بِكَ أُمُورُكَ فَقَدْ أَجْرَيْتَ إِلَى غَايَةِ خُسْرٍ وَ مَحَلَّهُ كُفْرٍ فَإِنَّ نَفْسَكَ قَدْ أَوْلَجْتِكَ شَرًّا وَ أَقْحَمْتِكَ غِيًّا وَ أَوْرَدَتْكَ المَهَالِكَ وَ أَوْعَرَتْ عَلَيْكَ المَسَالِكَ قَوْلُهُ وَ غَايَةُ مُطْلَبَةٌ أَى مَسَاعِفُهُ لِطَالِبِهَا بِمَا يَطْلُبُهُ تَقُولُ طَلَبَ فَلَانٌ مَنِي كَذَا فَاطْلَبْتَهُ أَى أَسْعَفْتُ بِهِ قَالَ الرَّوَانْدِيُّ مُطْلَبَةٌ بِمَعْنَى مُتَطْلَبَةٌ يَقَالُ طَلَبْتُ كَذَا وَ تَطْلَبْتَهُ وَ هَذَا لَيْسَ بِشَيْءٍ وَيُخْرِجُ الْكَلَامَ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَعْنَى . وَ الْأَكْيَاسُ الْعُقْلَاءُ وَ الْأَنْكَاسُ جَمْعُ نَكَسٍ وَ هُوَ الدُّنْيَاءُ مِنَ الرِّجَالِ وَ نَكَبَ عَنْهَا عَدْلٌ . قَوْلُهُ وَ حَيْثُ تَنَاهَتْ بِكَ أُمُورُكَ الْأُولَى أَى لَيْسَ هَذَا مُعْطُوفًا وَ لَمُتَّصِلًا [صَفْحَه ٧] بِقَوْلِهِ فَقَدْ بَيَّنَّ اللهُ لَكَ سَبِيلَكَ بَلْ يَكُونُ كَقَوْلِهِمْ لَمَنْ يَأْمُرُونَهُ بِالْوُقُوفِ حَيْثُ أَنْتَ أَى قِفْ حَيْثُ أَنْتَ فَلَانِ كَرُونَ الْفِعْلَ وَ مِثْلُهُ قَوْلُهُمْ مَكَانَكَ أَى قِفْ مَكَانَكَ . قَوْلُهُ فَقَدْ أَجْرَيْتَ يَقَالُ فَلَانٌ قَدْ أَجْرَى بِكَلَامِهِ إِلَى كَذَا أَى الْغَايَةَ الَّتِي يَقْصِدُهَا هِيَ كَذَا مَا خُذُ مِنْ إِجْرَاءِ الْخَيْلِ لِلْمَسَابِقَةِ وَ كَذَلِكَ قَدْ أَجْرَى بِفِعْلِهِ إِلَى كَذَا أَى انْتَهَى بِهِ إِلَى كَذَا وَيُرْوَى قَدْ أَوْلَجْتِكَ شَرًّا أَوْ أَوْرَطْتِكَ فِي الْوَحْلِ وَ الْغِيِّ ضِدَّ الرِّشَادِ. وَ أَقْحَمْتِكَ غِيًّا جَعَلْتِكَ مَقْتَحِمًا لَهُ . وَ أَوْعَرَتْ عَلَيْكَ المَسَالِكَ جَعَلْتَهَا وَعْرَةً. وَ أَوَّلَ هَذَا الْكِتَابِ أَمَا بَعْدَ فَقَدْ بَلَّغْتَنِي كِتَابَكَ تَذَكَّرْتُ مَشَاغِبَتِي وَ تَسْتَقْبِحُ مَوَازِرَتِي وَ تَزَعْمُنِي مَتَحِيرًا وَ عَنِ الْحَقِّ مَقْصِرًا فَسَبِّحَانَ اللهُ كَيْفَ تَسْتَجِيزُ الْغَيْبَةَ وَ تَسْتَحْسِنُ الْعُضِيَّةَ أَى لَمْ أَشَاغِبْ إِلَّا- فِي أَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ

أونهى عن منكر و لم أتجبر إلا على باغ مارق أو ملحد منافق و لم آخذ فى ذلك إلا بقول الله سبحانه لا تجد قوماً يؤمنون بالله و اليوم الآخر يؤادون من حاد الله و رسوله و لو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو أمتهم تقصير فى حق الله تعالى فمعاذ الله وإنما المقصر فى حق الله جل ثناؤه من عطل الحقوق المؤكدة و ركن إلى الأهواء المبتدعة و أخلد إلى الضلالة المحيرة و من العجب أن تصف يامعاوية الإحسان و تخالف البرهان و تنكث الوثائق التى هى لله عز و جل طلبه و على عباده حجة مع نبذ الإسلام و تضييع الأحكام و طمس الأعلام -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-١٨-ادامه دارد [صفحه ٨] و الجرى فى الهوى و التهوس فى الردى فاتق الله فيما لديك و انظر فى حقه عليك -رواية- از قبل -٨٢- الفصل المذكور فى الكتاب . و فى الخطبة زيادات يسيرة لم يذكرها الرضى رحمه الله منها و إن للناس جماعة يد الله عليها و غضب الله على من خالفها فنفسك نفسك قبل حلول رمسك فإنك إلى الله راجع و إلى حشره مهطع و سيبهظك كربه و يحل بك غمه فى يوم لا يغنى النادم ندمه و لا ييل من المعتذر عذره يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئاً و لا هم ينصرون -رواية- ١-٢٨٠ [صفحه ٩]

٣١- و من وصيته ع للحسن ع كتبها إليه بحاضرين

إشارة

مَنْ الْوَالِدِ الصَّانِ الْمُقَرَّرِ لِلزَّمَانِ الْمُدَبِّرِ الْعُمَرِ الْمُسْتَسْلِمِ لِلدَّهْرِ الدَّامِ لِلدُّنْيَا السَّاكِنِ مَسَاكِنِ الْمَوْتَى الطَّاعِنِ عَنْهَا غَدَاً إِلَى الْمَوْلُودِ الْمُؤَمَّلِ مَا لَأُيَدِرِكَ السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ غَرَضِ الْأَسْقَامِ وَ رَهَيْتَهُ الْأَيَّامِ وَ رَمِيَتْهُ الْمَصَائِبُ وَ عَبَدَ الدُّنْيَا وَ تَاجَرَ الْغُرُورِ وَ غَرِمَ الْمَنَايَا وَ أَسِيرَ الْمَوْتِ وَ حَلِيفَ الْهُمُومِ وَ قَرِينَ الْأَحْزَانِ وَ نُصْبِ الْآفَاتِ وَ صَرِيحِ الشَّهَوَاتِ وَ حَلِيفَةِ الْأَمْوَاتِ

ترجمة الحسن بن على و ذكر بعض أخباره

قال الزبير بن بكار فى كتاب أنساب قريش ولد الحسن بن على ع للنصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة و سماه رسول الله ص حسنا و توفى ليالى خلون من شهر ربيع الأول سنة خمسين . قال و المروى أن رسول الله ص سمي حسنا و حسينا رضى الله عنهما يوم سابعهما و اشتق اسم حسين من اسم حسن . [صفحه ١٠] قال و روى جعفر بن محمد ع أن فاطمة ع حلفت حسنا و حسينا يوم سابعهما و وزنت شعرهما فتصدقت بوزنه فضة -رواية- ١-٢-رواية- ٣١-١٠٦ قال الزبير و روت زينب بنت أبى رافع قالت أتت فاطمة ع بابنها إلى رسول الله ص فى شكوه الذى توفى فيه فقالت يا رسول الله هذان ابناك فورثهما شيئا فقال أما حسن فإن له هيبتي و سوددى و أما حسين فإن له جرأتى و جودى -رواية- ١-٢-رواية- ٤٧-٢٢٩ . و روى محمد بن حبيب فى أماليه أن الحسن ع حج خمس عشرة حجة ماشيا تقاد الجنائب معه و خرج من ماله مرتين و قاسم الله عز و جل ثلاث مرات ماله حتى أنه كان يعطى نعلا- و يمسك نعلا- و يعطى خفا و يمسك خفا. و روى أبو جعفر محمد بن حبيب أيضا أن الحسن ع أعطى شاعرا فقال له رجل من جلسائه سبحانه الله أعطى شاعرا يعصى الرحمن و يقول البهتان فقال يا عبد الله إن خير ما بذلت من مالك ما وقيت به عرضك و إن من ابتغاء الخير اتقاء الشر -رواية- ١-٢-رواية- ٣٥-٢٣٦ . و روى أبو جعفر قال قال ابن عباس رحمه الله أول ذل دخل على العرب موت الحسن ع . و روى أبو الحسن المدائنى قال سقى الحسن ع السم أربع مرات فقال لقد سقيته مرارا فما شق على مثل مشقته هذه المرة فقال له الحسين ع أخبرنى من سقاك قال لتقتله قال نعم قال ما

أنا بمخبرك إن يكن صاحبي أظن فالله أشد نعمة وإلما أحب أن يقتل بي برىء -رواية- ١-٢-رواية- ٣٢-٢٧١ . [صفحه ١١] وروى أبو الحسن قال معاوية لابن عباس ولقيه بمكة ياعجبا من وفاة الحسن شرب علء بماء رومه ففضى نجبة فوجم ابن عباس فقال معاوية لا يحزنك الله ولا يسوءك فقال لا يسوءني ما أبقاك الله فأمر له بمائة ألف درهم . وروى أبو الحسن قال أول من نعى الحسن ع بالبصرة عبد الله بن سلمة نعاه لزياد فخرج الحكم بن أبي العاص الثقفى فنعاه فبكى الناس و أبوبكرة يومئذ مريض فسمع الضجة فقال ما هذا فقالت امرأته ميسة بنت سخام الثقفية مات الحسن بن على فالحمد لله الذى أراح الناس منه فقال اسكتى ويحك فقد أراحه الله من شر كثير وفقد الناس بموته خيرا كثيرا يرحم الله حسنا . قال أبو الحسن المدائنى وكانت وفاته فى سنة تسع وأربعين و كان مرضه أربعين يوما وكانت سنه سبعا وأربعين سنة دس إليه معاوية سما على يد جعدة بنت الأشعث بن قيس زوجة الحسن و قال لها إن قتلتيه بالسسم فلك مائة ألف وأزوجك يزيد ابنى فلما مات وفى لها بالمال و لم يزوجه من يزيد قال أخشى أن تصنع بابنى كما صنعت بابن رسول الله ص . و روى أبو جعفر محمد بن حبيب عن المسيب بن نجبة قال سمعت أمير المؤمنين ع يقول أنا أحدثكم عنى و عن أهل بيتى أما عبد الله ابن أخى فصاحب لهو وسماح و أما الحسن فصاحب جفنة وخوان فتى من فتیان قريش و لو قد التقت حلقتا البطان لم يغن عنكم شيئا فى الحرب و أما أنا وحسين فنحن منكم وأنتم منا -رواية- ١-٢-رواية- ٨٣-٣٠٦ [صفحه ١٢] قال أبو جعفر وروى ابن عباس قال دخل الحسن بن على ع على معاوية بعد عام الجماعة و هو جالس فى مجلس ضيق فجلس عند رجليه فتحدث معاوية بما شاء أن يتحدث ثم قال عجا لعائشة تزعم أنى فى غير ما أنا أهله و أن الذى أصبحت فيه ليس لى بحق مالها ولهذا يغفر الله لها إنما كان ينازعى فى هذا الأمر أبو هذا الجالس و قد استأثر الله به فقال الحسن أ و عجب ذلك يا معاوية قال إى و الله قال أ فلا أخبرك بما هو أعجب من هذا قال ما هو قال جلوسك فى صدر المجلس و أنا عند رجليك فضحك معاوية و قال يا ابن أخى بلغنى أن عليك دينا قال إن لعلى دينا قال كم هو قال مائة ألف فقال قد أمرنا لك بثلاثمائة ألف منها لدينك ومائة تقسمها فى أهل بيتك ومائة لخاصة نفسك فقم مكرما واقبض صلتك فلما خرج الحسن ع قال يزيد بن معاوية لأبيه تالله ما رأيت رجلا استقبلك بما استقبلك به ثم أمرت له بثلاثمائة ألف قال يابنى إن الحق حقهم فمن أتاك منهم فاحث له -رواية- ١-٢-رواية- ٣٨-٨٧٠ روى أبو جعفر محمد بن حبيب قال قال على ع لقد تزوج الحسن و طلق حتى خفت أن يثير عداوة -رواية- ١-٢-رواية- ٤٨-٩٤ قال أبو جعفر و كان الحسن إذا أراد أن يطلق امرأة جلس إليها فقال أيسرك أن أهب لك كذا وكذا فتقول له ماشاءت أونعم فيقول هو لك فإذا قام أرسل إليها بالطلاق وبما سمى لها . وروى أبو الحسن المدائنى قال تزوج الحسن بن على ع هند بنت سهيل ابن عمرو وكانت عند عبد الله بن عامر بن كريز فطلقها فكتب معاوية إلى أبى هريرة أن يخطبها على يزيد بن معاوية فلقية الحسن ع فقال أين تريد قال أخطب هند بنت سهيل بن عمرو على يزيد بن معاوية قال الحسن ع [صفحه ١٣] فاذا كرنى لها فأتاها أبو هريرة فأخبرها الخبر فقالت اختر لى فقال أختار لك الحسن فتزوجته فقدم عبد الله بن عامر المدينة فقال للحسن إن لى عندهند وديعة فدخل إليها و الحسن معه فخرجت حتى جلست بين يدى عبد الله بن عامر فرق لها رقعة عظيمة فقال الحسن أ لا أنزل لك عنها فلا أراك تجد محللا خيرا لكما منى قال لا ثم قال لها وديعتى فأخرجت سفتين فيهما جوهر ففتحهما وأخذ من أحدهما قبضة وترك الآخر عليها وكانت قبل ابن عامر عند عبدالرحمن بن عتاب بن أسيد فكانت تقول سيدهم جميعا الحسن وأسخاهم ابن عامر وأحبهم إلى عبدالرحمن بن عتاب . وروى أبو الحسن المدائنى قال تزوج الحسن حفصة بنت عبدالرحمن بن أبى بكر و كان المنذر بن الزبير يهواها فأبلغ الحسن عنها شيئا فطلقها فخطبها المنذر فأبت أن تتزوجه وقالت شهر بى فخطبها عاصم بن عمر بن الخطاب فتزوجها فأبلغه المنذر عنها شيئا فطلقها فخطبها المنذر فقبل لها تزوجيه فقالت لا و الله ما فعل و قد فعل بى ما قد فعل مرتين لا و الله لا يرانى فى منزله أبدا . وروى المدائنى عن جويرية بن أسماء قال لمات الحسن ع أخرجوا جنازته فحمل مروان بن الحكم

سريره فقال له الحسين ع تحمل اليوم جنازته وكنت بالأمس تجرعه الغيظ قال مروان نعم كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال . و روى المدائني عن يحيى بن زكريا عن هشام بن عروة قال قال الحسن عند وفاته ادفنوني عند قبر رسول الله ص إلا أن تخافوا أن يكون في ذلك شر -رواية- ١-٢-رواية- ٧٩-١٤٥ فلما أرادوا دفنه قال مروان بن الحكم لا يدفن عثمان في حش كوكب ويدفن الحسن هاهنا [صفحہ ١٤] فاجتمع بنو هاشم وبنو أمية وأعان هؤلاء قوم وهؤلاء قوم وجاءوا بالسلاح فقال أبوهريرة لمروان أتمنع الحسن أن يدفن في هذا الموضع و قد سمعت رسول الله ص يقول الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنة -رواية- ١-٢-رواية- ٣٢-٧٠ قال مروان دعنا منك لقد ضاع حديث رسول الله ص إذ كان لا يحفظه غيرك و غير أبي سعيد الخدري وإنما أسلمت أيام خبير قال أبوهريرة صدقت أسلمت أيام خبير ولكنني لزمتم رسول الله ص و لم أكن أفارقه و كنت أسأله و عنيت بذلك حتى علمت من أحب و من أبغض و من قرب و من أبعده و من أقر و من نفى و من لعن و من دعا له فلما رأت عائشة السلاح و الرجال و خافت أن يعظم الشر بينهم و تسفك الدماء قالت البيت بيتي و لا آذن لأحد أن يدفن فيه و أبي الحسين ع أن يدفنه إلا - مع جده فقال له محمد بن الحنفية يا أخي إنه لو أوصى أن ندفنه لدفناه أو نموت قبل ذلك ولكنه قد استثنى و قال إلا أن تخافوا الشر فأى شر يرى أشد مما نحن فيه فدفنوه في البقيع . قال أبو الحسن المدائني وصل نعي الحسن ع إلى البصرة في يومين و ليلتين فقال الجارود بن أبي سبرة إذا كان شر سار يوما و ليلة || و إن كان خير آخر السير أربعا إذا ما يريد الشر أقبل نحونا || يا حدى الدواهي الريد سار و أسرع . و روى أبو الحسن المدائني قال خرج على معاوية قوم من الخوارج بعد دخوله الكوفة و صلح الحسن ع له فأرسل معاوية إلى الحسن ع يسأله أن يخرج فيقاتل الخوارج فقال الحسن سبحان الله تركت قتالك و هو لى حلال لصلاح الأمة و ألفتهم أفراننى أقاتل معك فخطب معاوية أهل الكوفة فقال يا أهل الكوفة [صفحہ ١٥] أترونى قاتلتكم على الصلاة و الزكاة و الحج و قد علمت أنكم تصلون و تزكون و تحجون ولكننى قاتلتكم لأتأمر عليكم و على رقابكم و قد آتاني الله ذلك و أنتم كارهون ألا إن كل مال أودم أصيب فى هذه الفتنة فمطلول و كل شرط شرطته فتحت قدمى هاتين و لا يصلح الناس إلا ثلاث إخراج العطاء عند محله و إقبال الجنود لوقتها و غزو العدو فى داره فإنهم إن لم تغزوهم غزوكم ثم نزل . قال المدائني فقال المسيب بن نجبة للحسن ع ما ينقضى عجبى منك بايعت معاوية و معك أربعون ألفا و لم تأخذ لنفسك و وثيقه و عقدا ظاهرا أعطاك أمرا فيما بينك و بينه ثم قال ما قد سمعت و الله ما أراد بها غيرك قال فما ترى قال أرى أن ترجع إلى ما كنت عليه فقد نقض ما كان بينه و بينك فقال يا مسيب إنى لو أردت بما فعلت الدنيا لم يكن معاوية بأصبر عند اللقاء و لأثبت عند الحرب منى ولكنى أردت صلاحكم و كف بعضكم عن بعض فارضوا بقدر الله و قضائه حتى يستريح بر أويستراح من فاجر -رواية- ١-٢-رواية- ١٧-٤٨٨ . قال المدائني و دخل عبيدة بن عمرو الكندى على الحسن ع و كان ضرب على وجهه ضربة و هو مع قيس بن سعد بن عبادة فقال ما الذى أرى بوجهك قال أصابنى مع قيس فالتفت حجر بن عدى إلى الحسن فقال لوددت أنك كنت مت قبل هذا اليوم و لم يكن ما كان إنا رجعنا راغمين بما كرهنا و رجعوا مسرورين بما أحبوا فتغير وجه الحسن و غمز الحسين ع حجرا فسكت فقال الحسن ع يا حجر ليس كل الناس يحب ما تحب و لا يراه كراييك و ما فعلت إلا إبقاء عليك و الله كل يوم فى شأن . [صفحہ ١٦] قال المدائني و دخل عليه سفیان بن أبى لیلی النهدي فقال له السلام عليك يا مذل المؤمنين فقال الحسن اجلس يرحمك الله إن رسول الله ص رفع له ملك بنى أمية فنظر إليهم يعلون منبره واحدا فواحدا فشق ذلك عليه فأنزل الله تعالى فى ذلك قرآنا قال له و ما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس و الشجرة الملعونة فى القرآن و سمعت عليا بنى رحمة الله يقول سيلي أمر هذه الأمة رجل واسع البلعوم كبير البطن فسألته من هو فقال معاوية و قال لى إن القرآن قد نطق بملك بنى أمية و مدتهم قال تعالى ليله القدر خير من ألف شهر قال أبى هذه ملك بنى أمية -رواية- ١-٢-رواية- ١٧-٦١٣ قال المدائني فلما كان عام الصلح أقام الحسن ع بالكوفة أياما ثم تجهز للشخص إلى المدينة فدخل عليه

المسيب بن نجبة الفزاري وظيفان بن عماره التيمي ليودعاه فقال الحسن الحمد لله الغالب على أمره لو أجمع الخلق جميعا على ألا يكون ما هو كائن ما استطاعوا فقال أخوه الحسين ع لقد كنت كارها لما كان طيب النفس على سبيل أبي حتى عزم على أخي فأطعته وكأنما يجذ أنفى بالمواسي فقال المسيب إنه والله ما يكبر علينا هذا الأمر إلا أن تضاموا وتنتقصوا فأما نحن فإنهم سيطلبون مودتنا بكل ما قدروا عليه فقال الحسين يامسيب نحن نعلم أنك تحبنا فقال الحسن ع سمعت أبي يقول سمعت رسول الله ص يقول من أحب قوما كان معهم -رواية- ١-٢-رواية- ١٧-٦٣٧ فعرض له المسيب وظيفان بالرجوع فقال ليس لي إلى ذلك سبيل فلما كان من غد خرج فلما صار بدير هند نظر إلى الكوفة وقال ولا عن قلى فارقت دار معاشرى || هم المانعون حوزتى وذمارى [صفحة ١٧] ثم سار إلى المدينة. قال المدائني فقال معاوية يومئذ للوليد بن عقبه بن أبي معيط بعد شخوص الحسن ع يا أباه هل رمت قال نعم وسموت. قال المدائني أراد معاوية قول الوليد بن عقبه يحرضه على الطلب بدم عثمان ألا أبلغ معاوية بن حرب || فإنك من أخي ثقة مليم قطعت الدهر كالسدم المعنى || تهدر في دمشق ولا تريم فلو كنت القتل و كان حيا || لشمر لألف ولا سئوم وإنك والكتاب إلى على || كدابغة وقد حلم الأديم روى المدائني عن ابراهيم بن محمد عن زيد بن أسلم قال دخل رجل على الحسن ع بالمدينة وفي يده صحيفة فقال له الرجل ما هذه قال هذا كتاب معاوية يتوعد فيه على أمر كذا فقال الرجل لقد كنت على النصف فما فعلت فقال له الحسن ع أجل ولكنى خشيت أن يأتى يوم القيامة سبعون ألفا أو ثمانون ألفا تشخب أوداجهم دما كلهم يستعدى الله فيم هريق دمه -رواية- ١-٢-رواية- ٦٠-٣٥٩. قال أبو الحسن و كان الحصين بن المنذر الرقاشى يقول والله ما وفى معاوية للحسن بشيء مما أعطاه قتل حجرا وأصحاب حجر وبايع لابنه يزيد وسم الحسن. [صفحة ١٨] قال المدائني وروى أبو الطفيل قال قال الحسن ع لمولى له أتعرف معاوية بن خديج قال نعم قال إذارأيته فأعلمنى فرآه خارجا من دار عمرو بن حريث فقال هو هذا فدعاه فقال له أنت الشاتم عليا عند ابن آكلة الأكباد أما والله لئن وردت الحوض و لم ترده لترينه مشمرا عن ساقيه حاسرا عن ذراعيه يزود عنه المنافقين -رواية- ١-٢-رواية- ٣٩-٣٢٣ قال أبو الحسن وروى هذا الخبر أيضا قيس بن الربيع عن بدر بن الخليل عن مولى الحسن ع. قال أبو الحسن و حدثنا سليمان بن أيوب عن الأسود بن قيس العبدي إن الحسن ع لقي يوما حبيب بن مسلمة فقال له يا حبيب رب مسير لك في غير طاعة الله فقال أما مسيرى إلى أيبك فليس من ذلك قال بلى والله ولكنك أظعت معاوية على دنيا قليلة زائلة فئنن قام بك في دنياك لقد قعد بك في آخرتك و لو كنت إذ فعلت شرا قلت خيرا كان ذلك كما قال عز وجل خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَ آخَرَ سَيِّئًا وَلكنك كما قال سبحانه كَلِمًا يَل رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ما كانوا يكسبون -رواية- ١-٢-رواية- ٦٩-٤٧٧ قال أبو الحسن طلب زياد رجلا- من أصحاب الحسن ممن كان فى كتاب الأمان فكتب إليه الحسن من الحسن بن على إلى زياد أما بعد فقد علمت ما كنا أخذنا من الأمان لأصحابنا وقد ذكر لى فلان أنك تعرضت له فأحب ألا تعرض له إلا بخير والسلام -رواية- ١-٢-رواية- ١٩-٢٤٤.]

صفحة ١٩] فلما أتاه الكتاب و ذلك بعد ادعاء معاوية إياه غضب حيث لم ينسبه إلى أبى سفيان فكتب إليه من زياد بن أبى سفيان إلى الحسن أما بعد فإنه أتانى كتابك فى فاسق تؤويه الفساق من شيعتك وشيعة أيبك وإيم الله لأطلبه بين جلدك ولحمك و إن أحب الناس إلى لحمنا أن آكله للحم أنت منه والسلام. فلما قرأ الحسن ع الكتاب بعث به إلى معاوية فلما قرأه غضب وكتب من معاوية بن أبى سفيان إلى زياد أما بعد فإن لك رأيين رأيا من أبى سفيان ورأيا من سمية فأما رأيك من أبى سفيان فحلم وحزم و أما رأيك من سمية فما يكون من مثلها إن الحسن بن على ع كتب إلى بأنك عرضت لصاحبه فلا تعرض له فإنى لم أجعل لك عليه سبيلا- و إن الحسن ليس ممن يرمى به الرجوان والعجب من كتابك إليه لاتنسبه إلى أبيه أو إلى أمه فالآن حين اخترت له والسلام. قلت جرى فى مجلس بعض الأكابر و أنا حاضر القول فى أن عليا ع شرف بفاطمة ع فقال إنسان كان حاضر المجلس بل فاطمة ع شرفت به وخاض الحاضرون فى ذلك بعد إنكارهم تلك اللفظة وسألنى صاحب المجلس أن

أذكر ما عندي في المعنى و أن أوضح أيما أفضل على أم فاطمة فقلت أما أيهما أفضل فإن أريد بالأفضل الأجمع للمناقب التي تتفاضل بها الناس نحو العلم والشجاعة ونحو ذلك فعلى أفضل و إن أريد بالأفضل الأرفع منزلة عند الله فالذى [صفحة ٢٠] استقر عليه رأى المتأخرين من أصحابنا أن عليا أرفع المسلمين كافة عند الله تعالى بعد رسول الله ص من الذكور والإناث وفاطمة امرأة من المسلمين و إن كانت سيدة نساء العالمين ويدل على ذلك أنه قد ثبت أنه أحب الخلق إلى الله تعالى بحديث الطائر وفاطمة من الخلق وأحب الخلق إليه سبحانه أعظمهم ثوبا يوم القيامة على ما فسره المحققون من أهل الكلام و إن أريد بالأفضل الأشرف نسبا ففاطمة أفضل لأن أباهما سيد ولد آدم من الأولين والآخرين فليس فى آباء على ع مثله و لا مقارنه و إن أريد بالأفضل من كان رسول الله ص أشد عليه حنوا وأمس به رحما ففاطمة أفضل لأنها ابنته و كان شديد الحب لها والحنو عليها جدا وهى أقرب إليه نسبا من ابن العم لاشبهه فى ذلك .فأما القول فى أن عليا شرف بها أو شرفت به فإن عليا كانت أسباب شرفه وتميزه على الناس متنوعة فمنها ما هو متعلق بفاطمة ع ومنها ما هو متعلق بأبيها ص ومنها ما هو مستقل بنفسه .فأما الذى هو مستقل بنفسه فنحو شجاعته وعفته وحلمه وقناعته وسجاعة أخلاقه وسماحة نفسه و أما الذى هو متعلق برسول الله ص فنحو علمه ودينه وزهده وعبادته وسبقه إلى الإسلام وإخباره بالغيوب . و أما الذى يتعلق بفاطمة ع فنكاحه لها حتى صار بينه وبين رسول الله ص الصهر المضاف إلى النسب والسبب و حتى إن ذريته منها صارت ذرية لرسول الله ص وأجزاء من ذاته ع و ذلك لأن الولد إنما يكون من منى الرجل ودم المرأة وهما جزءان من ذاتى الأب والأم ثم هكذا أبدا فى ولد الولد و من بعده من البطون دائما فهذا هو القول فى شرف على ع بفاطمة . [صفحة ٢١] فأما شرفها به فإنها و إن كانت ابنة سيد العالمين إلا أن كونها زوجة على أفادها نوعا من شرف آخر زائدا على ذلك الشرف الأول ألا ترى أن أباهما لوزوجها أباهريرة أو أنس بن مالك لم يكن حالها فى العظمة والجلالة كحالها الآن وكذلك لو كان بنوها وذريتها من أبى هريرة وأنس بن مالك لم يكن حالهم فى أنفسهم كحالهم الآن . قال أبو الحسن المدائنى و كان الحسن كثير التزوج كثير التزوج خولة بنت منظور بن زبان الفزارية وأمها مليكة بنت خارجة بن سنان فولدت له الحسن بن الحسن وتزوج أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله فولدت له ابنا سماه طلحة وتزوج أم بشر بنت أبى مسعود الأنصارى واسم أبى مسعود عقبه بن عمر فولدت له زيد بن الحسن وتزوج جعدة بنت الأشعث بن قيس وهى التى سقته السم وتزوج هند ابنة سهيل بن عمرو وحفصة ابنة عبد الرحمن بن أبى بكر وتزوج امرأة من كلب وتزوج امرأة من بنات عمرو بن أهتم المنقرى وامرأة من ثقيف فولدت له عمرا وتزوج امرأة من بنات علقمة ابن زرارمة وامرأة من بنى شيبان من آل همام بن مرة فقيل له إنها ترى رأى الخوارج فطلقها و قال إنى أكره أن أضم إلى نحري جمرة من جمر جهنم . و قال المدائنى وخطب إلى رجل فزوجه و قال له إنى مزوجك وأعلم أنك ملق طلق غلق ولكنك خير الناس نسبا وأرفعهم جدا و أبأ . قلت أما قوله ملق طلق فقد صدق و أما قوله غلق فلا فإن الغلق الكثير الضجر و كان الحسن ع أوسع الناس صدرا وأسجحهم خلقا . [صفحة ٢٢] قال المدائنى أحصيت زوجات الحسن بن على فكن سبعين امرأة . قال المدائنى و لما توفى على ع خرج عبد الله بن العباس بن عبدالمطلب إلى الناس فقال إن أمير المؤمنين ع توفى و قد ترك خلفا فإن أحببتم خرج إليكم و إن كرهتم فلا أحد على أحد فبكى الناس وقالوا بل يخرج إلينا فخرج الحسن ع فخطبهم فقال أيها الناس اتقوا الله فإننا أمراؤكم وأولياؤكم وإنا أهل البيت الذين قال الله تعالى فينا إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً فباعه الناس -رواية- ١-٢٢١ . و كان خرج إليهم و عليه ثياب سود ثم وجه عبد الله بن عباس ومعه قيس بن سعد بن عبادة مقدمة له فى اثني عشر ألفا إلى الشام وخرج و هو يريد المدائن فطعن بساباط وانتهب متاعه ودخل المدائن وبلغ ذلك معاوية فأشاعه وجعل أصحاب الحسن الذين وجههم مع عبد الله يتسللون إلى معاوية الوجوه و أهل البيوتات فكتب عبد الله بن العباس بذلك إلى الحسن ع فخطب الناس ووبخهم و قال خالفتم أبى حتى حكم و هو كاره ثم دعاكم إلى قتال أهل الشام بعد التحكيم فأبيتهم حتى صار إلى كرامة الله ثم

بايعتموني على أن تسالموا من سالمى وتحاربوا من حاربنى وقد أتانى أن أهل الشرف منكم قد أتوا معاوية وبايعوه فحسبى منكم لا تغرونى من دينى ونفسى. وأرسل عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب وأمه هند بنت أبى سفيان بن حرب إلى معاوية يسأله المسالمة واشترط عليه العمل بكتاب الله وسنة نبيه وألا يبايع لأحد من بعده وأن يكون الأمر شورى وأن يكون الناس أجمعون آمنين. [صفحة ٢٣] وكتب بذلك كتابا فأبى الحسين ع وامتنع فكلمه الحسن حتى رضى وقدم معاوية إلى الكوفة. قال أبو الحسن وحدثنا أبو بكر بن الأسود قال كتب ابن العباس إلى الحسن أما بعد فإن المسلمين ولو كأمهم بعد على ع فشمم للحرب وجاهد عدوك وقارب أصحابك واشتر من الظنين دينه بما لا يثلم لك دينا ووال أهل البيوتات والشرف تستصلح به عشائهم حتى يكون الناس جماعة فإن بعض ما يكره الناس ما لم يتعد الحق وكانت عواقبه تؤدي إلى ظهور العدل و عزل الدين خير من كثير مما يحبه الناس إذا كانت عواقبه تدعو إلى ظهور الجور وذل المؤمنين و عزل الفاجرين واقتد بما جاء عن أئمة العدل فقد جاء عنهم أنه لا يصلح الكذب إلا في حرب أو إصلاح بين الناس فإن الحرب خدعة ولك في ذلك سعة إذا كنت محاربا ما لم تبطل حقا. واعلم أن عليا أباك إنما رغب الناس عنه إلى معاوية أنه أساء بينهم فى الفىء وسوى بينهم فى العطاء فقتل عليهم واعلم أنك تحارب من حارب الله ورسوله فى ابتداء الإسلام حتى ظهر أمر الله فلما وحد الرب ومحق الشرك و عزل الدين أظهروا الإيمان وقرأوا القرآن مستهزئين بآياته وقاموا إلى الصلاة وهم كسالى وأدوا الفرائض [صفحة ٢٤] وهم لها كارهون فلما رأوا أنه لا يعز فى الدين إلا الأتقياء الأبرار توسموا بسيما الصالحين ليظن المسلمون بهم خيرا فما زالوا بذلك حتى شركوهم فى أماناتهم وقالوا حسابهم على الله فإن كانوا صادقين فى إخواننا فى الدين وإن كانوا كاذبين كانوا بما اقترفوا هم الأخسرين و قد منيت بأولئك وأبنائهم وأشباههم والله ما زادهم طول العمر إلا غيا ولا زادهم ذلك لأهل الدين إلا مقتا فجاهدوهم ولا ترض دنية ولا تقبل خسفا فإن عليا لم يجب إلى الحكومة حتى غلب على أمره فأجاب وإنهم يعلمون أنه أولى بالأمر إن حكموا بالعدل فلما حكموا بالهوى رجع إلى ما كان عليه حتى أتى عليه أجله ولا تخرجن من حق أنت أولى به حتى يحول الموت دون ذلك و السلام قال المدائنى وكتب الحسن ع إلى معاوية من عبد الله الحسن بن على أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبى سفيان أما بعد فإن الله بعث محمدا ص رحمة للعالمين فأظهر به الحق وقمع به الشرك وأعز به العرب عامة وشرف به قريشا خاصة فقال وَ إِنَّهُ لَمَذْكُرٌ لِمَكَ وَ لِقَوْمِكَ فلما توفاه الله تنازعت العرب فى الأمر بعده فقالت قريش نحن عشيرته وأولياؤه فلاتنازعونا سلطانه فعرفت العرب لقريش ذلك وجاحدثنا قريش ما عرفت لها العرب فبهيات ما أنصفتنا قريش وقد كانوا ذوى فضيلة فى الدين وسابقة فى الإسلام ولا غرو إلا منازعتة إيانا الأمر بغير حق فى الدنيا معروف ولا أثر فى الإسلام محمود فالله الموعد نسأل الله ألا يؤتينا فى هذه الدنيا شيئا ينقصنا عنده فى الآخرة إن عليا لما توفاه الله ولانى المسلمون الأمر بعده فاتق الله يامعاوية وانظر لأمة محمد -رواية ١-٢-رواية ٤٤-إداهه دارد [صفحة ٢٥] ص ماتحقن به دمائها وتصلح به أمرها و السلام -رواية- از قبل ٥٠. وبعث بالكتاب مع الحارث بن سويد التيمى تيم الرباب وجندب الأزدي فقدما على معاوية فدعواه إلى بيعه الحسن ع فلم يجبهما وكتب جوابه أما بعد فقد فهمت ما ذكرت به رسول الله وهو أحق الأولين والآخريين بالفضل كله وذكرت تنازع المسلمين الأمر بعده فصرحت بتهمه أبى بكر الصديق وعمر و أبى عبيدة الأمين وصلحاء المهاجرين فكرهت لك ذلك إن الأمة لما تنازعت الأمر بينها رأت قريشا أخلقها به فرأت قريش والأنصار وذوو الفضل والدين من المسلمين أن يولوا من قريش أعلمها بالله وأخشأها له وأقواها على الأمر فاخترأوا أبابكر و لم يألوا و لو علموا مكان رجل غير أبى بكر يقوم مقامه ويذب عن حرم الإسلام ذبه ما عدلوا بالأمر إلى أبى بكر والحال اليوم بينى وبينك على ما كانوا عليه فلو علمت أنك أضبط لأمر الرعية وأحوط على هذه الأمة وأحسن سياسة وأكيد للعدو وأقوى على جمع الفىء لسلمت لك الأمر بعد أبى بكر فإن أبى بكر سعى على عثمان حتى قتل مظلوما فطالب الله بدمه و من يطلبه الله فلن يفوته ثم ابتز الأمة أمرها و فرق جماعتها فخالفه نظراؤه من أهل

السابقة والجهاد والقدم في الإسلام وادعى أنهم نكثوا بيعته فقاتلهم فسفكت الدماء واستحلت الحرم ثم أقبل إلينا لا يدعى علينا بيعه ولكنه يريد أن يملكنا اغترارا فحاربناه وحاربنا ثم صارت الحرب إلى أن اختار رجلا واختارنا رجلا ليحكمنا بما تصلح عليه الأمة وتعود به الجماعة والألفة وأخذنا بذلك عليهما ميثاقا و عليه مثله وعلينا مثله على الرضا بما حكما فأمضى الحكمان عليه الحكم بما علمت وخلعاه فو الله مارضى بالحكم ولاصبر لأمر الله فكيف تدعوني إلى أمر إنما تطلبه بحق أبيك وقد خرج منه فانظر لنفسك ولدينك والسلام . [صفحہ ۲۶] قال ثم قال للحارث وجندب ارجعا فليس بيني وبينكم إلا السيف فرجعا وأقبل إلى العراق في ستين ألفا واستخلف على الشام الضحاك بن قيس الفهري والحسن مقيم بالكوفة لم يشخص حتى بلغه أن معاوية قد عبر جسر منبج فوجه حبر بن عدى يأمر العمال بالاحتراس ويذب الناس فساروا ففقد لقيس بن سعد بن عباد بن علي اثني عشر ألفا فنزل دير عبدالرحمن واستخلف على الكوفة المغيرة بن نوفل بن الحارث ابن عبدالطلب وأمر قيس بن سعد بالسير وودعه وأوصاه فأخذ على الفرات وقرى الفلوجة ثم إلى مسكن وارتحل الحسن ع متوجها نحو المدائن فأتى ساباط فأقام بها أياما فلما أراد أن يرحل إلى المدائن قام فخطب الناس فقال أيها الناس إنكم بايعتموني على أن تسالموا من سالمت وتحاربوا من حاربت وإني والله ما أصبحت محتملا على أحد من هذه الأمة ضغينة في شرق ولا غرب ولما تكرهون في الجماعة والألفة والأمن وصلاح ذات البين خير مما تجبون في الفرقة والخوف والتباغض والعداوة وإن عليا أبي كان يقول لا تكرهوا إمارة معاوية فإنكم لو فارقتموه لرأيتم الرؤوس تندرن عن كواهلها كالحنظل ثم نزل -رواية- ۱-۴۹۷ . فقال الناس ما قال هذا القول إلا وهو خال نفسه ومسلم الأمر لمعاوية فثاروا به فقطعوا كلامه وانتهبوا متاعه وانتزعوا مطرفا كان عليه وأخذوا جارية كانت معه واختلف الناس فصارت طائفة معه وأكثرهم عليه فقال اللهم أنت المستعان وأمر بالرحيل فارتحل الناس وأتاه رجل بفرس فركبه وأطاف به بعض أصحابه فمنعوا الناس عنه وساروا فقدمه سنان بن الجراح الأسدي إلى مظلم ساباط فأقام به فلما دنا منه تقدم إليه يكلمه وطعنه في فخذه بالمعول طعنه كادت تصل إلى العظم فغشى عليه وابتدره أصحابه فسبق إليه عبيد الله الطائي فصرع سنانا وأخذ ظبيان بن عمارة المعول [صفحہ ۲۷] من يده فضربه به فقطع أنفه ثم ضربه بصخرة على رأسه فقتله وأفاق الحسن ع من غشيته فعصبوا جرحه و قدنزف وضعف فقدموا به المدائن وعليها سعد بن مسعود عم المختار بن أبي عبيد وأقام بالمدائن حتى برأ من جرحه . قال المدائني وكان الحسن ع أكبر ولد علي وكان سيدا سخيا حليما خطيبا وكان رسول الله ص يحبه سابق يوما بين الحسين وبينه فسبق الحسن فأجلسه على فخذه اليمنى ثم أجلس الحسين على الفخذ اليسرى فقبل له يا رسول الله أيهما أحب إليك فقال أقول كما قال إبراهيم أبونا وقيل له أي ابنك أحب إليك قال أكبرهما وهو الذي يلد ابني محمدا ص . وروى المدائني عن زيد بن أرقم قال خرج الحسن ع وهو صغير و عليه بردة و رسول الله ص يخطب فمثر فسقط فقطع رسول الله ص الخطبة ونزل مسرعا إليه وقد حملة الناس فتسلمه وأخذه على كتفه وقال إن الولد لفتنة لقد نزلت إليه و ما أدري ثم صعد فأتى الخطبة -رواية- ۱-۲-رواية- ۳۸-۲۶۰ روى المدائني قال لقي عمرو بن العاص الحسن ع في الطواف فقال له يا حسن زعمت أن الدين لا يقوم إلا بك وبأبيك فقد رأيت الله أقامه بمعاوية فجعله راسيا بعد ميله وبيننا بعد خلفائه أفرضى الله بقتل عثمان أ ومن الحق أن تطوف بالبيت كما يدور الجمل بالطحين عليك ثياب كغرقى البيض وأنت قاتل عثمان والله إنه لألم للشعث وأسهل للوعث أن يوردك معاوية حياض أبيك فقال الحسن ع إن لأهل النار علامات يعرفون بها إلحادا لأولياء الله وموالاة لأعداء الله والله إنك -رواية- ۱-۲-رواية- ۲۲-ادامه دارد [صفحہ ۲۸] لتعلم أن عليا لم يرتب في الدين ولا يشك في الله ساعة ولا طرفه عين قط وايم الله لتنتهين يا ابن أم عمرو أولأنفذن حضنيك بنوافذ أشد من القعصية فإياك والتهجم على فإني من قد عرفت لست بضعيف الغمزة ولا هش المشاشة ولا مرء المأكلة وإني من قريش كواسطه القلادة يعرف حسبي ولا أدعى لغير أبي وأنت من تعلم ويعلم الناس تحاكت فيك رجال قريش فغلب عليك جزاؤها الأمهم حسبا وأعظمهم لؤما فإياك

عنى فإنك رجس ونحن أهل بيت الطهارة أذهب الله عنا الرجس وطهرنا تطهيرا فأفحم عمرو وانصرف كئيبا -روایت-از قبل- ۵۱۵ روى أبو الحسن المدائنى قال سأل معاوية الحسن بن على بعد الصلح أن يخطب الناس فامتنع فناشده أن يفعل فوضع له كرسي فجلس عليه ثم قال الحمد لله الذى توحى فى ملكه وتفرد فى ربوبيته يؤتى الملك من يشاء وينزعه عن من يشاء والحمد لله الذى أكرم بنا مؤمنكم وأخرج من الشرك أولكم وحقق دماء آخركم فبلاؤنا عندكم قديما وحديثا أحسن البلاء إن شكرتم أو كفرتم أيها الناس إن رب على كان أعلم بعلى حين قبضه إليه ولقد اختصه بفضل لم تعتادوا مثله و لم تجدوا مثل سابقته فهيات هيات طالما قلبتم له الأمور حتى أعلاه الله عليكم و هو صاحبكم وعدوكم فى بدر وأخواتها جرعكم رنقا وسقاكم علقا وأذل رقابكم وأشرفكم بريقكم فلستم بملومين على بغضه وإيم الله لا ترى أمه محمد خفضا ما كانت سادتهم وقادتهم فى بنى أمية ولقد وجه الله إليكم فتنة لن تصدروا عنها حتى تهلكوا لطاعتكم طواغيتكم وانضوائكم إلى شياطينكم فعند الله أحسب ماضى و ما ينظر من سوء دعوتكم وحيف حكمكم ثم قال يا أهل الكوفة لقد فارقكم بالأمس سهم من مرامى الله صائب -روایت- ۱-۲- ۳۲-ادامه دارد [صفحه ۲۹] على أعداء الله نكال على فجار قريش لم يزل آخذا بحناجرها جاثما على أنفاسها ليس بالملومة فى أمر الله ولا بالسروقة لمال الله ولا بالفروقة فى حرب أعداء الله أعطى الكتاب خواتمه وعزائم دعاه فأجاباه وقاده فاتبعه لا تأخذه فى الله لومة لائم -روایت-از قبل- ۲۵۱-فصلوات الله عليه ورحمته ثم نزل فقال معاوية أخطأ عجل أو كاد وأصاب مثبت أو كاد ماذا أردت من خطبة الحسن .فأما أبو الفرج على بن الحسين الأصفهاني فإنه قال كان فى لسان أبى محمد الحسن ع ثقل كالفأفة حدثنى بذلك محمد بن الحسين الأشناني قال حدثنى محمد بن إسماعيل الأحمسى عن مفضل بن صالح عن جابر قال كان فى لسان الحسن ع رته فكان سلمان الفارسى رحمه الله يقول أته من قبل عمه موسى بن عمران ع . قال أبو الفرج ومات شهيدا مسموما دس معاوية إليه و إلى سعد بن أبى وقاص حين أراد أن يعهد إلى يزيد ابنه بالأمر بعده سما فماتا منه فى أيام متقاربة و كان الذى تولى ذلك من الحسن ع زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس بمال بذله لها معاوية ويقال إن اسمها سكينه ويقال عائشة ويقال شعثة والصحيح أن اسمها جعدة. قال أبو الفرج فروى عمرو بن ثابت قال كنت أختلف إلى أبى إسحاق [صفحه ۳۰] السبيعى سنة أسأله عن الخطبة التى خطب بها الحسن بن على ع عقيب وفاة أبيه و لا يحدثنى بها فدخلت إليه فى يوم شات و هو فى الشمس و عليه برنسه فكانه غول فقال لى من أنت فأخبرته فبكى و قال كيف أبوك وكيف أهلك قلت صالحون قال فى أى شىء تتردد منذ سنة قلت فى خطبة الحسن بن على بعد وفاه أبيه . حدثنى هبيرة ابن مريم قال خطب الحسن ع بعد وفاة أمير المؤمنين ع فقال قد قبض فى هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون و لا يدركه الآخرون بعمل لقد كان يجاهد مع رسول الله ص فيسبقة بنفسه ولقد كان يوجهه برايته فيكنفه جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره فلا يرجع حتى يفتح الله عليه ولقد توفى فى الليلة التى عرج فيها بعيسى ابن مريم والتى توفى فيها يوشع بن نوح و ما خلف صفراء و لا بيضاء إلا سبعمائة درهم من عطائه أراد أن يبتاع بها خادما لأهله ثم خنفته العبرة فبكى وبكى الناس معه ثم قال أيها الناس من عرفنى فقد عرفنى و من لم يعرفنى فأنا الحسن بن محمد رسول الله ص أنا ابن البشير أنا ابن النذير أنا ابن الداعى إلى الله بإذنه والسراج المنير أنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا والذين افترض الله مودتهم فى كتابه إذ يقول وَ مَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا فَاقْتَرِفِ الْحَسَنَةَ مودتنا أهل البيت -روایت- ۱-۲-روایت- ۷۶-۸۷۱ . قال أبو الفرج فلما انتهى إلى هذا الموضع من الخطبة قام عبد الله بن العباس بين [صفحه ۳۱] يديه فدعا الناس إلى بيعته فاستجابوا وقالوا ما أحبه إلينا وأحقه بالخلافة فبايعوه ثم نزل من المنبر. قال أبو الفرج ودس معاوية رجلا من حمير إلى الكوفة ورجلا من بنى القين إلى البصرة يكتبان إليه بالأخبار فدل على الحميرى و على القينى فأخذا وقتلا. و كتب الحسن ع إلى معاوية أما بعد فإنك دسست إلى الرجال كأنك تحب اللقاء لأشك فى ذلك فتوقعه إن شاء الله وبلغنى أنك شمت بما لم يشمت به ذو الحجى وإنما مثلك فى ذلك كما قال الأول -روایت- ۱-

٢-روایت-٢٨-١٩٥ فإننا و من قدمات منا لكالذى || يروح فيمسى فى المبيت ليغتندى فقل للذى يبغى خلاف الذى مضى || تجهز لأخرى مثلها فكأن قد .فأجابه معاوية أما بعد فقد وصل كتابك وفهمت ما ذكرت فيه ولقد علمت بما حدث فلم أفرح و لم أحزن و لم أشمت و لم آس و إن عليا أباك لكما قال أعشى بنى قيس ابن ثعلبة فأنت الجواد و أنت الذى || إذا ما القلوب ملأن الصدورا جدير بطعنة يوم اللقاء || يضرب منها النساء النحورا و مامزيد من خليج البحار || يعلو الإكام ويعلو الجسورا بأجود منه بما عنده || فيعطى الألوف ويعطى البدورا . [صفحہ ٣٢] قال أبو الفرج و كتب عبد الله بن العباس من البصرة إلى معاوية أما بعد فإنك و دسك أخا بنى القين إلى البصرة تلتمس من غفلات قريش بمثل ماظفرت به من يمانيتك لكما قال أمية بن أبى الأسكر لعمر ك إنى والخزاعى طارقا || كنعجة عاد حثفها تتحفر أثارها عليها شفرة بكراعها || فظلت بها من آخر الليل تنحر شمت بقوم من صديقك أهلكوا || أصابهم يوم من الدهر أصفر .فأجابه معاوية أما بعد فإن الحسن بن علي قد كتب إلى بنحو مما كتبت به و أنبأنى بما لم يحقق سوء ظن ورأى فى وإنك لم تصب مثلى ومثلكم وإنما مثلنا كما قال طارق الخزاعى يجيب أمية عن هذا الشعر فو الله ما أدرى و إنى لصادق || إلى أى من يظننى أتعدر أعنف إن كانت زينة أهلكت || ونال بنى لحيان شر فأنفروا . [صفحہ ٣٣] قال أبو الفرج و كان أول شىء أحدثه الحسن ع أنه زاد المقاتلة مائة مائة و قد كان على ع فعل ذلك يوم الجمل و فعله الحسن حال الاستخلاف فتبعه الخلفاء من بعده فى ذلك . قال و كتب الحسن ع إلى معاوية مع حرب بن عبد الله الأزدى من الحسن بن علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبى سفيان سلام عليك فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو أما بعد فإن الله جل جلاله بعث محمدا رحمة للعالمين ومنه للمؤمنين وكافة للناس أجمعين لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ فبلغ رسالات الله و قام بأمر الله حتى توفاه الله غير مقصر و لا وان و بعد أن أظهر الله به الحق و محق به الشرك و خص به قريشا خاصة فقال له وَ إِنَّهُ لَمَذِكْرٌ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ فلما توفى تنازعت سلطانه العرب فقالت قريش نحن قبيلته وأسرته وأولياؤه و لا يحل لكم أن تنازعونا سلطان محمد و حقه فرأت العرب أن القول ما قالت قريش و أن الحجة فى ذلك لهم على من نازعهم أمر محمد فأنعمت لهم و سلمت إليهم ثم حاجبنا نحن قريشا بمثل ما حاجبت به العرب فلم تنصفنا قريش إنصاف العرب لها إنهم أخذوا هذا الأمر دون العرب بالانتصاف والاحتجاج فلما صرنا أهل بيت محمد وأولياءه إلى حاجبتهم و طلب النصف منهم باعدونا واستولوا بالإجماع على ظلمنا و مراغمتنا والعنت منهم لنا فالموعد الله و هو الولي النصير -روایت-١-٢-روایت-٦٤-ادامه دارد [صفحہ ٣٤] ولقد كنا تعجبنا لتوثب المتوثبين علينا فى حقنا و سلطان نبينا و إن كانوا ذوى فضيلة و سابقه فى الإسلام و أمسكنا عن منازعتهم مخافة على الدين أن يجد المنافقون والأحزاب فى ذلك مغمزا يثلمون به أو يكون لهم بذلك سبب إلى ما أرادوا من إفساده فالיום فليتعجب المتعجب من توثبك يا معاوية على أمر لست من أهله لا بفضل فى الدين معروف و لا أثر فى الإسلام محمود و أنت ابن حزب من الأحزاب و ابن أعدى قريش لرسول الله ص و لكتابه و الله حسيبك فسترد فتعلم لمن عقبى الدار و بالله لتلقين عن قليل ربك ثم ليجزينك بما قدمت يداك و ما الله بظلام للعبيد إن عليا لما مضى لسبيله رحمة الله عليه يوم قبض و يوم من الله عليه بالإسلام و يوم يبعث حيا و لانى المسلمون الأمر بعده فأسأل الله ألا يؤتينا فى الدنيا الزائلة شيئا ينقصنا به فى الآخرة مما عنده من كرامة و إنما حملنى على الكتاب إليك الإعذار فيما بينى و بين الله عز و جل فى أمرك و لك فى ذلك إن فعلته الحظ الجسيم والصالح للمسلمين فدع التمدادى فى الباطل و ادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتى فإنك تعلم أنى أحق بهذا الأمر منك عند الله و عند كل أبواب حفيظ و من له قلب منيب و اتق الله و دع البغى و احقن دماء المسلمين فو الله ما لك خير فى أن تلقى الله من دمائهم بأكثر مما أنت لاقية به و ادخل فى السلم والطاعة و لا تنازع الأمر أهله و من هو أحق به منك ليظفئ الله النائرة بذلك و يجمع الكلمة و يصلح ذات البين و إن أنت أبيت إلا التمدادى فى غيرك سرت إليك بالمسلمين فحاكمتك حتى يحكم الله بيننا و هو خير الحاكمين -روایت-از قبل-١٤٢٠ . فكتب معاوية إليه [صفحہ ٣٥] من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى

الحسن بن علي سلام الله عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت به محمدا رسول الله من الفضل وهو أحق الأولين والآخرين بالفضل كله قديمه وحديثه وصغيره وكبيره وقد والله بلغ وأدى ونصح وهدى حتى أنقذ الله به من الهلكة وأنار به من العمى وهدى به من الجهالة والضلالة فجزاه الله أفضل ما جزى نبيا عن أمته وصلوات الله عليه يوم ولد و يوم بعث و يوم قبض و يوم يعث حيا. وذكرت وفاة النبي ص وتنازع المسلمين الأمر بعده وتغلبهم على أبيك فصرحت بتهمة أبي بكر الصديق وعمر الفاروق و أبي عبيدة الأمين وحوارى رسول الله ص وصلحاء المهاجرين والأنصار فكرهت ذلك لك إنك امرؤ عندنا وعند الناس غير الظنين ولا المسيء ولا اللئيم وأنا أحب لك القول السديد والذكر الجميل إن هذه الأمة لما اختلفت بعد نبينا لم تجهل فضلكم ولا سابقتمكم ولا قرابتكم من نبيكم ولا مكانكم فى الإسلام وأهله فرأت الأمة أن تخرج من هذا الأمر لقريش لمكانها من نبيها ورأى صلحاء الناس من قريش والأنصار وغيرهم من سائر الناس وعوامهم أن يولوا هذا الأمر من قريش أقدمها إسلاما وأعلمها بالله وأحبها له وأقواها على أمر الله فاختروا أبا بكر وكان ذلك رأى ذوى الدين والفضل والناظرين للأمة فأوقع ذلك فى صدوركم لهم التهمة ولم يكونوا متهمين ولا فيما أتوا بالمخطئين ولورأى المسلمون أن فيكم من يغنى غناه ويقوم مقامه ويذب عن حريم الإسلام ذبه [صفحة ٣٦] ما عدلوا بالأمر إلى غيره رغبة عنه ولكنهم علموا فى ذلك بما رأوه صلاحا للإسلام وأهله والله يجزيهم عن الإسلام وأهله خيرا. وقد فهمت الذى دعوتنى إليه من الصلح والحال فيما بينى وبينك اليوم مثل الحال التى كنتم عليها أنتم وأبو بكر بعد وفاة النبي ص فلو علمت أنك أضبط منى للرعية وأحوط على هذه الأمة وأحسن سياسة وأقوى على جمع الأموال وأكد للعدو لأجبتك إلى مادعوتنى إليه ورأيتك لذلك أهلا ولكن قد علمت أنى أطول منك ولاية وأقدم منك بهذه الأمة تجربة وأكبر منك سنا فأنت أحق أن تحينى إلى هذه المنزلة التى سألتنى فادخل فى طاعتى ولك الأمر من بعدى ولك ما فى بيت مال العراق من مال بالغ ما يبلغ تحمله إلى حيث أحببت ولك خراج أى كور العراق شئت معونة لك على نفقتك يجيها أمينك ويحملها إليك فى كل سنة ولك ألا نستولى عليك بالإساءة ولا نقضى دونك الأمور ولا نعصى فى أمر أردت به طاعة الله أعاننا الله وإياك على طاعته إنه سميع مجيب الدعاء والسلام. قال جندب فلما أتيت الحسن بكتاب معاوية قلت له إن الرجل سائر إليك فابدأه بالمسير حتى تقاتله فى أرضه وبلاده وعمله فإما أن تقدر أنه ينقاد لك فلا والله حتى يرى منا أعظم من يوم صفين فقال افعلى ثم قعد عن مشورتى وتناسى قولى. قالوا وكتب معاوية إلى الحسن [صفحة ٣٧] أما بعد فإن الله يفعل فى عباده ما يشاء لامعقب لحكمه وهو سريع الحساب فاحذر أن تكون منيتك على أيدي رعا من الناس وإيئس من أن تجد فينا غميرة وإن أنت عرضت عما أنت فيه وبايعتني وفيت لك بما وعدت وأجريت لك ما شرطت وأكون فى ذلك كما قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة وإن أحد أسدى إليك أمانة || فأوف بها تدعى إذامت وافيها ولا تحسد المولى إذا كان ذا غنى || ولا تجفبه إن كان فى المال فانيا ثم الخلافة لك من بعدى فأنت أولى الناس بها والسلام. فأجابه الحسن أما بعد فقد وصل إلى كتابك تذكر فيه ما ذكرت فتركت جوابك خشية البغى منى عليك وبالله أعوذ من ذلك فاتبع الحق تعلم أنى من أهله وعلى إثم أن أقول فأكذب والسلام -رواية ١-٢-رواية ١٧-١٩٢. فلما وصل كتاب الحسن إلى معاوية قرأه ثم كتب إلى عماله على النواحي بنسخة واحدة من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى فلان بن فلان ومن قبله من المسلمين سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو أما بعد فالحمد لله الذى كفاكم مؤنة عدوكم وقتل خليفتم إن الله بلطفه وحسن صنعه أتاح لعلى بن أبى طالب رجلا من عباده [صفحة ٣٨] فاغتاله فقتله فترك أصحابه متفرقين مختلفين وقد جاءتنا كتب أشرافهم وقادتهم يلتمسون الأمان لأنفسهم وعشائرهم فاقبلوا إلى حين يأتيكم كتابى هذا بجهدكم وجندكم وحسن عدتكم فقد أصبتم بحمد الله الثار وبلغتم الأمل وأهلك الله أهل البغى والعدوان والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. قال فاجتمعت العساكر إلى معاوية فسار بها قاصدا إلى العراق وبلغ الحسن خبره ومسيره نحوه وإنه قد بلغ

جسر منبج فتحرك عند ذلك وبعث حجر بن عدى فأمر العمال و الناس بالتهيؤ للمسير ونادى المنادى الصلاة جامعة فأقبل الناس يثوبون ويجمعون و قال الحسن إذ ارضيت جماعة الناس فأعلمني وجاءه سعيد بن قيس الهمداني فقال له اخرج فخرج الحسن ع وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإن الله كتب الجهاد على خلقه وسماه كرها ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين اصبروا إن الله مع الصابرين فلستم أيها الناس نائلين ماتحبون إلا بالصبر على ماتكروهون بلغني أن معاوية بلغه أننا أزمعنا على المسير إليه فتحرك لذلك اخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم بالنخيلة حتى نظر وتنظروا ونرى وتروا. قال وإنه في كلامه ليتخوف خذلان الناس له قال فسكتوا فما تكلم منهم أحد و لأجابه بحرف فلما رأى ذلك عدى بن حاتم قام فقال أنا ابن حاتم سبحان الله ما أقبح هذا المقام ألاتجيبون إمامكم و ابن بنت نبيكم أين خطباء مضر أين المسلمون أين -رواية- ١-١-ادامه دارد [صفحہ ٣٩] الخواضون من أهل المصر الذين ألسنتهم كالمخاريق في الدعة فإذا جد الجد فرواغون كالثعالب أ ماتخافون مقت الله و لا عيبها و عارها. ثم استقبل الحسن بوجهه فقال أصاب الله بك المرأشد و جنبك المكاره و ووفقك لما يحمد و رده و صدره قد سمعنا مقاتلك و انتهينا إلى أمرك و سمعنا لك و أطعناك فيما قلت و مارأيت و هذا وجهي إلى معسكرى فمن أحب أن يوافيني فليواف -رواية- از قبل -٣٥٩. ثم مضى لوجهه فخرج من المسجد و دابته بالبواب فركبها و مضى إلى النخيلة و أمر غلامه أن يلحقه بما يصلحه و كان عدى بن حاتم أول الناس عسكرا. و قام قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري و معقل بن قيس الرياحي و زياد بن صعصعة التيمي فأنبوا الناس و لاموهم و حرضوهم و كلموا الحسن ع بمثل كلام عدى بن حاتم في الإجابة و القبول فقال لهم الحسن ع صدقتم رحمكم الله ما زلت أعرفكم بصدق النية و الوفاء و القبول و المودة الصحيحة فجزاكم الله خيرا ثم نزل . و خرج الناس فعسكروا و نشطوا للخروج و خرج الحسن إلى العسكر و استخلف على الكوفة المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب و أمره باستحثاث الناس و أشخاصهم إليه فجعل يستحثهم و يستخرجهم حتى يلتئم العسكر. و سار الحسن ع في عسكر عظيم و عدة حسنة حتى نزل دير عبدالرحمن -رواية- ١-١-ادامه دارد [صفحہ ٤٠] فأقام به ثلاثا حتى اجتمع الناس ثم دعا عبيد الله بن العباس بن عبدالمطلب فقال له يا ابن عم إني باعث إليك اثني عشر ألفا من فرسان العرب و قراء المصر الرجل منهم يزيد الكتيبة فسر بهم و ألن لهم جانبك و ابسط لهم و جهك و افرش لهم جناحك و أذنهم من مجلسك فإنهم بقية ثقات أمير المؤمنين و سر بهم على شط الفرات حتى تقطع بهم الفرات ثم تصير إلى مسكن ثم امض حتى تستقبل بهم معاوية فإن أنت لقيته فاحبسه حتى آتيك فإني على أترك و شيكا و ليكن خبرك عندي كل يوم و شاور هذين يعني قيس بن سعد و سعيد بن قيس و إذالقيت معاوية فلا تقايله حتى يقايلك فإن فعل فقاتله و إن أصبت فقيس بن سعد على الناس و إن أصيب قيس بن سعد فسعيد بن قيس على الناس -رواية- از قبل -٦٧٠. فسار عبيد الله حتى انتهى إلى شينور حتى خرج إلى شاهي ثم لزم الفرات و الفلوجة حتى أتى مسكن و أخذ الحسن على حمام عمر حتى أتى دير كعب ثم بكر فترز ساباط دون القنطرة فلما أصبح نادى في الناس الصلاة جامعة فاجتمعوا فصعد المنبر فخطبهم فقال الحمد لله كلما حمده حامد و أشهد أن لا إله إلا الله كلما شهد له شاهد و أشهد أن محمدا رسول الله أرسله بالحق و ائتمنه على الوحي ص أما بعد فو الله إني لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله و منه و أنا أنصح خلقه لخلقه و ما أصبحت محتملا على مسلم ضغينة و لا مرید له بسوء و لا غائلة ألا و إن ماتكروهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة ألا -وإني ناظر لكم خيرا -رواية- ١-٢-رواية- ٢٨-١-ادامه دارد [صفحہ ٤١] من نظركم لأنفسكم فلا تخالفوا أمرى و لا تردوا على رأبي غفر الله لي و لكم و أرشدني و إياكم لما فيه محبته و رضاه إن شاء الله ثم نزل -رواية- از قبل -١٣٩. قال فنظر الناس بعضهم إلى بعض و قالوا ماترونه يريد بما قال قالوا نظنه يريد أن يصالح معاوية و يكل الأمر إليه كفر و الله الرجل ثم شدوا على فسطاطه فانتهبوه حتى أخذوا مصلاه من تحته ثم شد عليه عبدالرحمن بن عبد الله بن جعال الأزدي فترز مطرفه عن عاتقه فبقى جالسا متقلدا سيفا بغير رداء فدعا بفرسه فركبه و أحدق به طوائف من خاصته و شيعته و منعوا منه من أراد و لاموه

وضغفوه لمتكلم به فقال ادعوا إلى ربيعه وهمدان فدعوا له فأطافوا به ودفعوا الناس عنه ومعهم شوب من غيرهم فلما مر في مظلم ساباط قام إليه رجل من بني أسد ثم من بني نصر بن قعين يقال له جراح بن سنان ويده معول فأخذ بلجام فرسه و قال الله أكبر يا حسن أشرك أبوك ثم أشرك أنت وطعنه بالمعول فوقعت في فخذه فشقته حتى بلغت أريته وسقط الحسن ع إلى الأرض بعد أن ضرب الذي طعنه بسيف كان بيده واعتنقه فخرا جميعا إلى الأرض فوثب عبد الله بن الأخطل الطائي ونزع المعول من يد جراح بن سنان فحضره به وأكب ظيان بن عماره عليه فقطع أنفه ثم أخذ له الآجر فشدخا رأسه ووجهه حتى قتله . [صفحه ٤٢] وحمل الحسن ع على سرير إلى المدائن و بهاسعيد بن مسعود الثقفي واليا عليها من قبله و قد كان على ع ولاه المدائن فأقره الحسن ع عليها فأقام عنده يعالج نفسه فأما معاوية فإنه وافى حتى نزل قرية يقال لها الحلوية بمسكن وأقبل عبيد الله بن عباس حتى نزل بإزائه فلما كان من غد وجه معاوية بخيله إليه فخرج إليهم عبيد الله فيمن معه فضربهم حتى ردهم إلى معسكرهم فلما كان الليل أرسل معاوية إلى عبيد الله بن عباس أن الحسن قد راسلني في الصلح و هو مسلم الأمر إلى فإن دخلت في طاعتي الآن كنت متبوعا و لإدخلك و أنت تابع و لك إن أجبته الآن أن أعطيك ألف ألف درهم أعجل لك في هذا الوقت نصفها و إذا دخلت الكوفة النصف الآخر فانسل عبيد الله إليه ليلا فدخل عسكر معاوية فوفى له بما وعده وأصبح الناس ينتظرون عبيد الله أن يخرج فيصلى بهم فلم يخرج حتى أصبحوا فطلبوه فلم يجدوه فصلى بهم قيس بن سعد بن عباد ثم خطبهم فثبتهم وذكر عبيد الله فنال منه ثم أمرهم بالصبر والنهوض إلى العدو فأجابوه بالطاعة وقالوا له انهض بنا إلى عدونا على اسم الله فنزل فنهض بهم . وخرج إليه بسر بن أرطاة فصاح إلى أهل العراق ويحكم هذا أميركم عندنا قد بايع وإمامكم الحسن قد صالح فعلم تقتلون أنفسكم . [صفحه ٤٣] فقال لهم قيس بن سعد اختاروا إحدى اثنتين إما القتال مع غير إمام وإما أن تبايعوا ببيعة ضلال فقالوا بل نقاتل بلا إمام فخرجوا فضربوا أهل الشام حتى ردهم إلى مصافهم . فكتب معاوية إلى قيس بن سعد يدعوه ويمنيه فكتب إليه قيس لا والله لا تلقاني أبدا إلا بيني وبينك الرمح فكتب إليه معاوية حينئذ لما يئس منه أما بعد فإنك يهودى ابن يهودى تشقى نفسك وتقتلها فيما ليس لك فإن ظهر أحب الفريقين إليك نذكك وغدرك و إن ظهر أبغضهم إليك نكل بك و قتلك و قد كان أبوك أوتر غير قوسه ورمى غير غرضه فأكثر الحز و أخطأ المفصل فخذله قومه وأدرکه يومه فمات بحوران طريدا غريبا و السلام . فكتب إليه قيس بن سعد أما بعد فإنما أنت وثن ابن وثن دخلت في الإسلام كرها وأقمت فيه فرقا وخرجت منه طوعا و لم يجعل الله لك فيه نصيبا لم يقدم إسلامك و لم يحدث نفاقك و لم تزل حربا لله و لرسوله و حزبا من أحزاب المشركين و عدوا لله و لنبية و للمؤمنين من عباده و ذكرت أبى فلعمري ما أوتر لإقوسه و لارمى لإغرضه فشغب عليه من لا يشق غباره و لا يبلغ كعبه وزعمت أنى يهودى ابن يهودى و قد علمت و علم الناس أنى و أبى أعداء الدين الذى خرجت منه وأنصار الدين الذى دخلت فيه و صرت إليه و السلام . فلما قرأ معاوية كتابه غاظه و أراد إجابته فقال له عمرو مهلا فإنك إن كاتبته أجابك بأشد من هذا و إن تركته دخل فيما دخل فيه الناس فأمسك عنه . قال وبعث معاوية عبد الله بن عامر و عبد الرحمن بن سمرة إلى الحسن للصلح فدعوا [صفحه ٤٤] إليه فزهدها فى الأمر و أعطياه ما شرط له معاوية و ألا يتبع أحد بما مضى و لا ينال أحد من شيعة على بمكره و لا يذكر على إلا بخير و أشياء شرطها الحسن فأجاب إلى ذلك و انصرف قيس بن سعد فيمن معه إلى الكوفة و انصرف الحسن أيضا إليها و أقبل معاوية قاصدا نحو الكوفة و اجتمع إلى الحسن ع وجوه الشيعة و أكابر أصحاب أمير المؤمنين ع يلومونه و يكون إليه جزعا مما فعله قال أبو الفرج فحدثني محمد بن أحمد بن عبيد قال حدثنا الفضل بن الحسن البصرى قال حدثنا ابن عمرو قال حدثنا مكي بن ابراهيم قال حدثنا السرى بن إسماعيل عن الشعبي عن سفيان بن أبى ليلي قال أبو الفرج وحدثني به أيضا محمد بن الحسين الأشنادانى و على بن العباس المقانعى عن عباد بن يعقوب عن عمرو بن ثابت عن الحسن بن الحكم عن عدى بن ثابت عن سفيان بن أبى ليلي قال أتيت الحسن بن على حين بايع معاوية فوجدته بفناء داره

وعنده رهط فقلت السلام عليك يا مذل المؤمنين قال وعليك السلام ياسفيان ونزلت فعقلت راحلتى ثم أتيت فجلست إليه فقال كيف قلت ياسفيان قلت السلام عليك يا مذل المؤمنين فقال لم جرى هذا منك إلينا قلت أنت والله بأبى وأمى أذلت رقابنا حيث أعطيت هذا الطاغية البيعة وسلمت الأمر إلى اللعين ابن آكلة الأكباد ومعك مائة ألف كلهم يموت دونك فقد جمع الله عليك أمر الناس فقال ياسفيان إنا أهل بيت إذا علمنا الحق تمسكنا به وإني سمعت عليا يقول سمعت رسول الله ص يقول لا تذهب الليالي والأيام حتى يجتمع أمر هذه الأمة على رجل واسع السرم -رواية- ١-٢-رواية- ٣٨٥-إداهه دارد [صفحة ٤٥] ضخم البلعوم يأكل ولا يشبع لا ينظر الله إليه ولا يموت حتى لا يكون له فى السماء عاذر ولا فى الأرض ناصر وإنه لمعاوية وإنى عرفت أن الله بالغ أمره ثم أذن المؤذن فقمنا على حالب نحب ناقته فتناول الإناء فشرب قائما ثم سقانى وخرجنا نمشى إلى المسجد فقال لى ماجاء بك ياسفيان قلت حبكم و الذى بعث محمدا بالهدى ودين الحق قال فأبشر ياسفيان فإنى سمعت عليا يقول سمعت رسول الله ص يقول يرد على الحوض أهل بيتى و من أحبهم من أمتى كهاتين يعنى السبايتين أو كهاتين يعنى السباية والوسطى إحداهما تفضل على الأخرى أبشر ياسفيان فإن الدنيا تسع البر والفاجر حتى يبعث الله إمام الحق من آل محمد ص -رواية- از قبل- ٦٢٧. قلت قوله ولا فى الأرض ناصر أى ناصر دينى أى لا يمكن أحدا أن ينتصر له بتأويل دينى يتكلف به عذرا لأفعاله القبيحة. فإن قلت قوله وإنه لمعاوية من الحديث المرفوع أو من كلام على ع أو من كلام الحسن ع قلت الظاهر أنه من كلام الحسن ع فإنه قد غلب على ظنه أن معاوية صاحب هذه الصفات و إن كان القسمان الأولان غير ممتنعين . فإن قلت فمن هو إمام الحق من آل محمد قلت أما الإمامية فترعم أنه صاحبهم الذى يعتقدون أنه الآن حى فى الأرض و أما أصحابنا فيزعمون أنه فاطمى يخلقه الله فى آخر الزمان . [صفحة ٤٦] قال أبو الفرج وسار معاوية حتى نزل النخيلة وجمع الناس بها فخطبهم قبل أن يدخل الكوفة خطبة طويلة لم ينقلها أحد من الرواة تامة وجاءت منقطة فى الحديث وسنذكر ما انتهى إلينا منها. فأما الشعبى فإنه روى أنه قال فى الخطبة ماختلف أمر أمة بعد نبيها إلا وظهر أهل باطلها على أهل حقها ثم انتبه فندم فقال إلا هذه الأمة فإنها وإنها و أما أبو إسحاق السبيعي فقال إن معاوية قال فى خطبته بالنخيلة ألا إن كل شىء أعطيته الحسن بن على تحت قدمى هاتين لأفى به . قال أبو إسحاق و كان و الله غدارا. وروى الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن سويد قال صلى بنا معاوية بالنخيلة الجمعة ثم خطبنا فقال و الله إنى ما قاتلتكم لتصلوا و لالتصوموا و لالتحجوا و لالتركوا إنكم لتفعلون ذلك و إنما قاتلتكم لأتأمر عليكم و قد أعطانى الله ذلك و أنتم كارهون . قال و كان عبد الرحمن بن شريك إذا حدث بذلك يقول هذا و الله هو التهتك . قال أبو الفرج و حدثنى أبو عبيد محمد بن أحمد قال حدثنى الفضل بن الحسن البصرى قال حدثنى يحيى بن معين قال حدثنى أبو حفص اللبان عن عبد الرحمن بن شريك عن إسماعيل بن أبى خالد عن حبيب بن أبى ثابت قال خطب معاوية بالكوفة حين دخلها و الحسن و الحسين ع جالسان تحت المنبر فذكر عليا ع -رواية- ١-٢-رواية- ٢١٤-إداهه دارد [صفحة ٤٧] فقال منه ثم نال من الحسن فقام الحسين ع ليرد عليه فأخذه الحسن بيده فأجلسه ثم قام فقال أيها الذاكرا عليا أنا الحسن و أبى على و أنت معاوية و أبوك صخر و أمى فاطمة و أمك هند و جدى رسول الله و جدك عتبة بن ربيعة و جدتى خديجة و جدتك قتيلة فلعن الله أحملا ذكرا و الأمننا حسبا و شرنا قديما و حديثنا و أقدمنا كفرا و نفاقا فقال طوائف من أهل المسجد آمين -رواية- از قبل- ٣٥٥ قال الفضل قال يحيى بن معين و أنا أقول آمين . قال أبو الفرج قال أبو عبيد قال الفضل و أنا أقول آمين و يقول على بن الحسين الأصفهانى آمين . قلت و يقول عبد الحميد بن أبى الحديد مصنف هذا الكتاب آمين . قال أبو الفرج و دخل معاوية الكوفة بعد فراغه من خطبته بالنخيلة و بين يديه خالد ابن عرفطة و معه حبيب بن حماد يحمل رايته فلما صار بالكوفة دخل المسجد من باب الفيل واجتمع الناس إليه . قال أبو الفرج فحدثنى أبو عبيد الصيرفى و أحمد بن عبيد الله بن عمار عن محمد بن على بن خلف عن محمد بن عمرو الرازى عن مالك بن سعيد عن محمد بن عبد الله الليثى عن عطاء بن السائب عن أبيه قال بينما على بن أبى

حشمهم و هو قول القائل فيوما على بغل ويوما على جمل . قلت و ليس فى روايه يحيى بن الحسن ما يؤخذ على عائشه لأنه لم يرو عنها استنفرت الناس لماركبت البغل وإنما المستنفرون هم بنو أمية ويجوز أن تكون عائشه ركبت لتسكين الفتنة لاسيما و قدروى عنها أنه لما طلب منها الدفن قالت نعم فهذه الحال والقصة منقبه من مناقب عائشه. قال أبو الفرج و قال جويريه بن أسماء لمامات الحسن وأخرجوا جنازته جاء مروان حتى دخل تحته فحمل سريره فقال له الحسين ع أتحمل اليوم سريره وبالأمس كنت تجرعه الغيظ قال مروان كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال -روايه 1-2-روايه 40-232. قال و قدم الحسين ع للصلاة عليه سعيد بن العاص و هو يومئذ أمير المدينة و قال تقدم فلو لأنها سنه لما قدمتك . قال قيل لأبى إسحاق السبيعي متى ذل الناس فقال حين مات الحسن وادعى زياد و قتل حجر بن عدى. قال اختلف الناس فى سن الحسن ع وقت وفاته فقيل ابن ثمان وأربعين و هو المروى عن جعفر بن محمد ع فى روايه هشام بن سالم وقيل ابن ست وأربعين و هو المروى أيضا عن جعفر بن محمد ع فى روايه أبى بصير. [صفحه 52] قال و فى الحسن ع يقول سليمان بن قتة يرثيه و كان محبا له يا كذب الله من نعى حسنا || ليس لتكذيب نعيه ثمن كنت خليلي و كنت خالصتي || لكل حى من أهله سكن أجول فى الدار لا أراك و فى || الدار أناس جوارهم غبن بدلتهم منك ليت أنهم || أضحوا و بينى و بينهم عدن . ثم نرجع إلى تفسير ألفاظ الفصل أما قوله كتبها إليه بحاضرين فالذى كنا نقرؤه قديما كتبها إليه بالحاضرين على صيغته التثنيه يعنى حاضر حلب و حاضر قنسرين و هى الأرباض والضواحي المحيطة بهذه البلاد ثم قرأناه بعد ذلك على جماعة من الشيوخ بغير لام و لم يفسروه و منهم من يذكره بصيغته الجمع لا بصيغته التثنيه و منهم من يقول بخناصرين يظنونه تثنيه خناصرة أو جمعها و قد طلبت هذه الكلمه فى الكتب المصنفة سيما فى البلاد والأرضين فلم أجدها ولعلى أظفر بها فيما بعد فألحقها فى هذا الموضوع . قوله من الوالد الفان حذف الياء ها هنا لللازدواج بين الفان والزمان ولأنه وقف و فى الوقف على المنقوص يجوز مع اللام حذف الياء وإثباتها والإثبات هو الوجه و مع عدم اللام يجوز الأمان وإسقاط الياء هو الوجه . قوله المقر للزمان أى المقر له بالغلبه كأنه جعل نفسه فيما مضى خصما للزمان بالقهر. قوله المدبر العمر لأنه كان قد جاوز الستين و لم يبق بعد مجاوزة الستين إلا إدبار العمر لأنها نصف العمر الطبيعي الذى قل أن يبلغه أحد فعلى تقدير أنه [صفحه 53] يبلغه فكل ما بعد الستين أقل مما مضى فلا جرم يكون العمر قد أدبر. قوله المستسلم للدهر هذا أكد من قوله المقر للزمان لأنه قدير الإنسان لخصمه و لا يستسلم . قوله الذام للذم هذا وصف لم يستحدثه عند الكبر بل لم يزل عليه ولكن يجوز أن يزيد ذمه لها لأن الشيخ تنقص قواه التى يستعين بها على الدنيا والدين جميعا و لا يزال يتأفف من الدنيا. قوله الساكن مساكن الموتى إشعار بأنه سيموت و هذا من قوله تعالى وَ سَيَكُنُّمُ فِي مَسَاكِنِ الْعَالَمِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ. قوله الظاعن عنها غدا لا يريد الغد بعينه بل يريد قرب الرحيل والظعن . و هذا الكلام من أمير المؤمنين ع كلام من قد أيقن بالفراق و لا يرب فى ظهور الاستكانة والخضوع عليه ويدل أيضا على كرب وضيق عطن لكونه لم يبلغ أربه من حرب أهل الشام وانعكس ما قدره بتخاذل أصحابه عنه ونفوذ حكم عمرو بن العاص فيه لحقق أبى موسى و غباوته وانحرافه أيضا. قوله إلى المولود هذه اللفظة بإزاء الوالد. قوله المؤمل ما لا يدرك لو قال قائل إنه كنى بذلك عن أنه لا ينال الخلافة بعدموتى و إن كان مؤملا لها لم يبعد و يكون ذلك إخبارا عن غيب ولكن الأظهر أنه لم يرد ذلك إنما أراد جنس البشر لا خصوص الحسن و كذلك سائر الأوصاف التى تلى هذه اللفظة لاتخص الحسن ع بعينه بل هى و إن كانت له فى الظاهر بل هى للناس كلهم فى الحقيقة ألاترى إلى قوله بعدها السالك سبيل من قد هلك فإن كل واحد من الناس يؤمل أمورا لا يدركها و كل واحد من الناس سأللك سبيل من هلك قبله . -قرآن 418-470 [صفحه 54] قوله ع غرض الأسقام لأن الإنسان كالهدف لآفات الدنيا وأعراضها. قوله ع ورهينه الأيام الرهينه ها هنا المهزول يقال إنه لرهن وإنه لرهينه إذا كان مهزولا بالياء قال الراجز أماترى جسمى خلاء قدرهن || هزلا و مامجد الرجال فى السمن ويجوز أن يريد بالرهينه واحده الرهائن يقال للأسير أوللزم من أوللعاجز عند الرحيل أنه لرهينه و ذلك لأن

الرهائن محتبسةً عندمرتهاها. قوله ورمية المصائب الرمية مايرمى . قوله و عبدالدنيا وتاجر الغرور وغريم المنايا لأن الإنسان طوع شهواته فهو عبدالدنيا وحر كاته فيها مبنية على غرور لأصل له فهو تاجر الغرور لامحالة و لما كانت المنايا تطالبه بالرحيل عن هذه الدار كانت غريما له يقتضيه ما لا بد له من أدائه . قوله وأسير الموت وحليف الهموم وقرين الأحزان ونصب الآفات وسريع الشهوات لما كان الإنسان مع الموت كما قال طرفه لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى || لكالطول المرخى وثياه باليد كان أسيرا له لامحالة و لما كان لا بد لكل إنسان من الهم كان حليف الهموم وكذلك لا يخلو ولا ينفك من الحزن فكان قرينا له و لما كان معرضا للآفات كان نصبا لها و لما كان إنما يهلك بشهواته كان صريعا لها. قوله وخليفة الأموات قدأخذه من قال إن أمرا ليس بينه و بين آدم إلا ميت لمعرق في الموت . واعلم أنه عد من صفات نفسه سبعا وعد من صفات ولده أربع عشرة صفة فجعل [صفحة ٥٥] بإزاء كل واحدة مما له اثنتين فليلمح ذلك

بعض ما قيل من الشعر في الدهر وفعله بالإنسان

و من جيد مانعى به شاعر نفسه ووصف مانقص الدهر من قواه قول عوف بن محلم الشيباني في عبد الله بن طاهر أمير خراسان يا ابن أذى دان له المشرقان || وأبس الأمن به المغربان إن الثمانين وبلغتها || قدأحوجت سمعى إلى ترجمان وبدلتنى بالشطاط انحنأ || وكنت كالصعدة تحت السنان وقاربت منى خطا لم تكن || مقاربات وثنت من عنان وعوضتنى من زماع الفتى || وهمه هم الجبان الهدان وأنشأت بينى و بين الورى || عنانه من غير نسج العنان و لم تدع فى لمستمتع || إلالسانى وكفانى لسان أدعو به الله وأثنى به || على الأمير المصعبى الهجان . [صفحة ٥٦] و من الشعر القديم الجيد فى هذا المعنى قول سالم بن عون الضبى لا يبعدين عصر الشباب و لا || لذاته ونباته النضر والمشرفات من الخدور كإيماض || الغمام يجوز بالقطر و طراد خيل مثلها التقتا || لحفيظة ومقاعد الخمر لو لا أولئك ما حلفت متى || عوليت فى خرج إلى قبرى هربت زبيبة أن رأته ترمى || و أن انحنى لتقادم ظهري من بعد ما عهدت فأدلفنى || يوم يمر و ليله تسرى حتى كأنى خاتل قصا || والمرء بعد تمامه يجرى لانهزئى منى زيب فما || فى ذاك من عجب و لاسخر أ و لم ترى لقمان أهلكه || ماقتات من سنه و من شهر و بقاء نسر كلما انقرضت || أيامه عادت إلى نسر ما طال من أمد على لبد || رجعت محارته إلى قصر و لقد حلبت الدهر أشطره || وعلمت ما آتى من الأمر أنا أستفصح قوله ماقتات من سنه و من شهر جعل الزمان كالقوت له و من اقتات الشىء فقد أكله والأكل سبب المرض والمرض سبب الهلاك [صفحة ٥٧] أميا بعد فإن فيما تبينت من إديار الدنيا عنى و جموح الدهر على و إقبال الآخرة إلى ما يزعمنى عن ذكر من سواى و الإهتيام بيا ورائى غير أنى حيث تفرّد بي دون هموم الناس هم نفسى فصيدقنى رأبى و صرّفنى عن هواى و صرّح لى محض أمرى فأفضى بى إلى حيد لا يكون فيه لعب و صدق لا يشوبه كذب و جدتك بعضى بل و جدتك كلّى حتى كأن شيا لو أصابك أصابنى و كأن الموت لو أتاك أتانى فعنانى من أمرك ما يعنينى من أمر نفسى فككت إليك كتابى هيدا مستظهِرا به إن أنا بقيت لك أو فنيت يزعمنى يكفنى ويصدنى وزعت فلانا و لا بد للناس من وزعه. وسوى لفظه تقصر إذا كسرت سينها وتمد إذا فتحتها وهى هاهنا بمعنى غير و من قبلها بمعنى شىء منكر كقوله رب من أنضجت غيظا قلبه . والتقدير غير ذكر إنسان سواى ويجوز أن تكون من موصولة و قد حذف أحد جزأى الصلة والتقدير عن ذكر الذى هو غيرى كما قالوا فى لنتزعن من كل شيعه أيهم أشد أى هو أشد يقول ع إن فيما قدبان لى من تنكر الوقت وإديار الدنيا وإقبال الآخرة شاغلا لى عن الاهتمام بأحد غيرى والاهتمام والفكر فى أمر الولد وغيره ممن أخلفه ورائى. -قرآن- ١٢٤-١٦٦ [صفحة ٥٨] ثم عاد فقال ألا إن همى بنفسى يقتضى اهتمامى بك لأنك بعضى بل كلّى فإن كان اهتمامى بنفسى يصرفنى عن غيرى لم تكن أنت داخلا فى جملة من

يصرفنى همى بنفسى عنهم لأنك لست غيرى. فإن قلت أفهذا الهم حدث لأمير المؤمنين ع الآن أو من قبل لم يكن عالما بأن الدنيا مدبرة والآخرة مقبلة. قلت كلا بل لم يزل عالما عارفا بذلك ولكنه الآن تأكد وقوى بطريق علو السن وضعف القوى وهذا أمر يحصل للإنسان على سبيل الإيجاب لا بد من حصوله لكل أحد وإن كان عالما بالحال من قبل ولكن ليس العيان كالخبر. و من مستحسن ما قيل فى هذا المعنى قول أبى إسحاق الصابئ أقيك الردى إنى تنبته من كرى || وسهو على طول المدى اعترىانى فأثبت شخصا دانيا كان خافيا || على البعد حتى صار نصب عيانى هو الأجل المحتوم لى جد جده || و كان يرينى غفلة المتوانى له نذر قد آذنتنى بهجمة || له لست منها آخذا بأمان ولا بد منه ممهلا أو معاجلا || سيأتى فلا يشيه عنى ثان . وأول هذه القصيدة و هو داخل له فى هذا المعنى أيضا إذا ماتعدت بى وسارت محفة || لها أرجل يسعى بهارجلان و ما كنت من فرسانها غير أنها || وقت لى لما خانت القدمان نزلت إليها عن سراه حصانى || بحكم مشيب أوفراش حصان فقد حملت منى ابن سبعين سالكا || سيلا عليها يسلك الثقلان [صفحہ ۵۹] كما حمل المهدي الصبي وقبلها || ذعرت أسود الغيل بالتزوان و لى بعدها أخرى تسمى جنازة || جنيبة يوم للمنية دان تسيير على أقدام أربعة إلى || ديار البلى معدودهن ثمان و إنى على عيث الردى فى جوارحى || و ما كف من خطوى و بطش بنانى و إن لم يدع لإفواذا مروعا || به غيرباق من الحدثان تلوم تحت الحجب ينفث حكمه || إلى أذن تصغى لنطق لسان لأعلم أنى ميت عاق دفنه || ذماء قليل فى غد هوفان و إن فما للأرض غرثان حائما || يراصد من أكلى حضور أوان به شره عم الورى بفجائع || تركن فلانا ثاكلا لفلان غدا فاغرا يشكو الطوى و هوراتع || فما تلتقى يوما له الشفتان إذا عاضنا بالنسل ممن نعوله || تلا أولا منه بمهلك ثان إلى ذات يوم لا ترى الأرض وارثا || سوى الله من إنس تراه و جان . قوله تفرد بى دون هموم الناس هم نفسى أى دون الهموم التى قد كانت تعترينى لأجل أحوال الناس . فصدقنى رأيبى يقال صدقته كذا أى عن كذا و فى المثل صدقنى سن بكره لأنه لما نفر قال له هدع وهى كلمة تسكن بها صغار الإبل إذا نفرت والمعنى أن هذا الهم صدقنى عن الصفة التى يجب أن يكون رأيبى عليها وتلك الصفة هى ألا يفكر فى [صفحہ ۶۰] أمر شىء من الموجودات أصلا إلا الله تعالى ونفسه و فوق هذه الطبقة طبقة أخرى جدا وهى ألا تفكر فى شىء قط إلا فى الله وحده و فوق هذه الطبقة طبقة أخرى تجل عن الذكر والتفسير و لا تصلح لأحد من المخلوقين إلا النادر الشاذ و قد ذكرها هوفىما سبق و هو ألا يفكر فى شىء أصلا لا فى المخلوق و لا فى الخالق لأنه قد قارب أن يتحد بالخالق ويستغنى عن الفكر فيه . قوله و صرفنى عن هواى أى عن هواى وفكرى فى تدبير الخلافة و سياسة الرعية والقيام بما يقوم به الأئمة. قوله ع و صرح لى محض أمرى يروى بنصب محض و رفعه فمن نصب فتقديره عن محض أمرى فلما حذف الجار نصب و من رفع جعله فاعلا و صرح كشف أو انكشف . قوله فأفضى بى إلى كذا ليس بمعنى أنه قد كان من قبل يمازج جده باللعب بل المعنى أن همومه الأولى قد كانت بحيث يمكن أن يتخللها وقت راحة أو دعابة لا يخرج بها عن الحق كما كان رسول الله ص يمزح و لا يقول إلا حقا فالآن قد حدث عنده هم لا يمكن أن يتخلله من ذلك شىء أصلا ومدار الفرق بين الحالتين أعنى الأولى والثانية على إمكان اللعب لانفس اللعب و ما يلزم من قوله أفضى لك بى هذا الهم إلى انتفاء إمكان اللعب أن تكون همومه الأولى قد كان يمازجها اللعب ولكن يلزم من ذلك أنها قد كانت يمكن ذلك فيها إمكانا محضا على أن اللعب غير منكر إذا لم يكن باطلا لا ترى إلى قول النبى ص المؤمن دعب لعب -رواية ۱- ۲-رواية ۱۷- ۳۵ قوله و صدق لا يشوبه كذب -رواية ۱- ۲-رواية ۹- ۳۰ أى لا يمكن أن يشوبه كذب و ليس المراد بالصدق والكذب هاهنا مفهومهما المشهورين بل هو من قولهم صدقونا اللقاء و من قولهم حمل عليهم فما كذب قال زهير [صفحہ ۶۱] ليث بعثر يصطاد الليوث إذا || ما كذب الليث عن أقرانه صدقا أى أفضى بى هذا الهم إلى أن صدقتنى الدنيا حربها كأنه جعل نفسه محاربا للدنيا أى صدقتنى الدنيا حربها و لم تكذب أى لم تجبن و لم تخن . أخبر عن شدة اتحاد ولده به فقال وجدتك بعضى قال الشاعر وإنما أولادنا بيننا || أكبادنا تمشى على الأرض

لوهبت الريح على بعضهم || لامتنعت عيني من الغمض . وغضب معاوية على ابنه يزيد فهجره فاستعطفه له الأحنف قال له يا أمير المؤمنين أولادنا ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم سماء ظليده وأرض ذليله فإن غضبوا فأرضهم وإن سألوا فأعطهم فلا تكن عليهم قفلا فيملوا حياتك ويتمنوا موتك . وقيل لابنة الخس أى ولديك أحب إليك قالت الصغير حتى يكبر والمريض حتى يبرأ والغائب حتى يقدم . غضب الطرماح على امرأته فشفع فيها ولده منها صمصام وهو غلام لم يبلغ عشرين فقال الطرماح أصمصام إن تشفع لأمك تلقها || لها شافع فى الصدر لم يتزحزح هل الحب إلا أنها لوتعرضت || لذبحك يا صمصام قلت لها اذبحى أحاذر يا صمصام إن مت أن يلى || تراثى وإياك امرؤ غير مصلح إذا صك وسط القوم رأسك صكة || يقول له الناهى ملكت فأسجح فى الحديث المرفوع إن ریح الولد من ریح الجنة -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۳-۵۲ [صفحه ۶۲] فى الحديث الصحيح أنه قال لحسن وحسين ع إنكم لتجنون وإنكم لتبخلون وإنكم لمن ریحان الله -روایت- ۱-۲-روایت- ۴۷-۱۰۳ . و من ترقيص الأعراب قول أعرابية لولدها يا حبذا ریح الولد || ریح الخزامى فى البلد أهكذا كل ولد || أم لم يلد قبلى أحد فى الحديث المرفوع من كان له صبي فليستصب له -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۳-۵۴ . وأنشد الرياشى من سره الدهر أن يرى الكبداء || يمشى على الأرض فلير الولد فأنى أوصيك بتقوى الله أى بنى ولزوم أمره و عمارة قلبك بذكره و الاعتصام بحيله و أى سبب أوثق من سبب بينك و بين الله إن أنت أخذت به أحي قلبك بالموعظة و أمته بالزهادة و قوه باليقين و توره بالحكمة و دله بذكر الموت و قرره بالفناء و بصيره فجائع الدنيا و حذره صولة الدهر و فحش تقلب الليالى و الأيام و اعرض عليه أخبار الماضين و ذكره بما أصاب من كان قبلك من الأولين و ستر فى ديارهم و آثارهم فانظر فيما فعلوا و عما انتقلوا و أين حلوا و نزلوا فإنك تجدهم انتقلوا عن الأحيه و حلوا دار الغربة و كأنك عن قليل قد صرت كأحدهم [صفحه ۶۳] فأصلح متواك و لا تبع آخرتك بدينياك و دع القول فيما لا تعرف و الخطاب فيما لم تكلف و أمسك عن طريق إذا خفت ضلالتة فإن الكف عند خيره الضلال خير من ركوب الأهوال قوله ع و أى سبب أوثق إشارة إلى القرآن لأنه هو المعبر عنه بقوله تعالى و اعتصموا بحبل الله جميعاً و لا تفرقوا . ثم أتى بلفظتين متقابلتين و ذلك من لطيف الصنعة فقال أحي قلبك بالموعظة و أمته بالزهادة والمراد إحياء دواعيه إلى الطاعة و إمامة الشهوات عنه . قوله ع و اعرض عليه أخبار الماضين معنى قد تداوله الناس قال الشاعر -قرآن- ۷۷- ۱۳۰ سل عن الماضين إن نطقت || عنهم الأجداد و الترك أى دار اللبلى نزلوا || و سبيل للردى سلخوا . قوله ع و دع القول فيما لاتعرف من قول رسول الله ص لعبد الله بن عمرو بن العاص يا عبد الله كيف بك إذا بقيت فى حثالة من الناس مرجت عهدهم و أماناتهم و صار الناس هكذا و شبك بين أصابعه قال عبد الله فقلت مرنى يا رسول الله فقال خذ ماتعرف و دع ما لاتعرف و عليك بخويصة نفسك -روایت- ۱-۲-روایت- ۵۴-۲۵۶ . [صفحه ۶۴] قوله و الخطاب فيما لم تكلف من قول رسول الله ص من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۶-۶۶ و قال معاوية فى عبد الملك بن مروان و هو حينئذ غلام إن لهذا الغلام لهمة و إنه مع ذلك تارك لثلاث آخذ بثلاث تارك مساءة الصديق جدا و هزلا تارك ما لا يعنيه تارك ما لا يعتذر منه آخذ بأحسن الحديث إذا حدث و بأحسن الاستماع إذا حدث و بأهون الأمرين إذا خولف . قوله ع و أمسك عن طريق إذا خفت ضلالتة مأخوذ من قول النبى ص دع ما يريبك إلى ما لا يريبك -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۷-۴۷ فى خبر آخر إذا رابك أمر فدعه -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۴-۳۴ و أمر بالمعروف تكن من أهله و أنكر المنكر بيديك و لسانك و باين من فعله بجهدك و جاهد فى الله حق جهاده و لا تأخذك فى الله لومة لائم و خض الغمرات إلى الحق حيث كان و تفقه فى الدين و عود نفسك الصبر على المكروه و نعم الخلق التصبر فى الحق و ألقى نفسك فى أمورك كلها إلى إلهك فإنك تلجئها إلى كهف حريز و مانع عزيز و أخلص فى المسألة لربك فإن بيده العطاء و الحرمان و أكثر الاستخارة و تفهم وصيتي و لا تذهبن عنك صفاً فإن خير القول ما نفع و اعلم أنه لا خير فى علم لا ينفع و لا ينتفع بعلم لا يحق تعلمه [صفحه ۶۵] أمره يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر

وهما واجبان عندنا وأحد الأصول الخمسة التي هي أصول الدين . ومعنى قوله تكن من أهله لأن أهل المعروف هم الأبرار الصالحون ويجب إنكار المنكر باللسان فإن لم ينجح فباليد وتفصيل ذلك وترتيبه مذکور في كتبي الكلامية. قوله وخض الغمرات إلى الحق لاشبهه أن الحسن ع لو تمكن لخاضها إلا- أن من فقد الأنصار لاحيله له . وهل ينهض البازي بغير جناح و الذي خاضها مع عدم الأنصار هو الحسين ع ولهذا عظم عند الناس قدره فقدمه قوم كثير على الحسن ع فإن قلت فما قول أصحابكم في ذلك قلت هما عندنا في الفضيلة سيان أما الحسن فلو قوفه مع قوله تعالى إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا و أما الحسين فلا عزاز الدين . قوله فنعم التصبر قد تقدم منا كلام شاف في الصبر. وقوله وأكثر الاستخارة ليس يعنى بها ما يفعله اليوم قوم من الناس من سطر رقاغ وجعلها في بنادق وإنما المراد أمره إياه بأن يطلب الخيرة من الله فيما يأتي ويذر. قوله لاخير في علم لا ينفع قول حق لأنه إذا لم ينفع كان عبثا. -قرآن- ٢٠٦-٢٢٣ [صفحہ ٦٦] قوله و لا يبتغى بعلم لا يحق تعلمه أى لا يجب و لا يندب إليه و ذلك لأن النفع إنما هو نفع الآخرة فما لم يكن من العلوم مرغبا فيه إما بإيجاب أو ندب فلا انتفاع به فى الآخرة و ذلك كعلم الهندسة والأرثماطيقى ونحوهما أى بنى إني لما رأيتني قد بلغت سنا و رأيتني أزداد و هنا بادرت بوصيتي إليك و أوردت خصالا منها قبل أن يعجزل بي أجلي دون أن أفضي إليك بما في نفسي أو أن أنقص في رأيي كما نقصت في جسمي أو يسبقني إليك بعض غليات الهوى و فتن الدنيا فتكون كالصعب النفور و إنما قلب الحدث بالأرض الخالية ما ألقى فيها من شىء قبلته فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك و يشتغل لبك لتستقبل بجد رأيك من الأمر ما قد كفأك أهل التجارب بغيته و تجربته فتكون قد كفيت مؤننه الطلب و عوفيت من علاج التجريه فأتاك من ذلك ما قد كنا نأتيه و استبان لك ما ربما أظلم علينا منه هذه الوصية كتبها ع للحسن بعد أن تجاوز الستين و روى أنه ذكر عند رسول الله ص ما بين الستين والسبعين فقال معترك المنايا. قوله ع أو أن أنقص في رأيي هذا يدل على بطلان قول من قال إنه لا يجوز أن ينقص في رأيه و أن الإمام معصوم عن أمثال ذلك و كذلك قوله [صفحہ ٦٧] للحسن أو يسبقني إليك بعض غليات الهوى و فتن الدنيا يدل على أن الإمام لا يجب أن يعصم عن غليات الهوى و لا عن فتن الدنيا. قوله فتكون كالصعب النفور أى كالبعير الصعب الذى لا يمكن راكبا و هو مع ذلك نفور عن الأفس . ثم ذكر أن التعلم إنما هو فى الصبا و فى المثل الغلام كالطين يقبل الختم مادام رطبا. و قال الشاعر اختم و طينك رطب إن قدرت فكم || قد أمكن الختم أقواما فما ختموا . و مثل هوع قلب الحدث بالأرض الخالية ما ألقى فيها من شىء قبلته و كان يقال التعلم فى الصغر كالنقش فى الحجر والتعلم فى الكبر كالخط على الماء. قوله فأتاك من ذلك ما كنا نأتيه أى الذى كنا نحن نتجشم المشقة فى اكتسابه و نتكلف طلبه يأتيك أنت الآن صفوا عفوا أى بنى إني و إن لم أكن عمرت عمر من كان قبلي فقد نظرت فى أعمالهم و فكرت فى أخبارهم و سرت فى آثارهم حتى عدت كأحدهم بل كأنى بما انتهى إلى من أمرهم قد عمرت مع أولهم إلى آخرهم فعرفت صفو ذلك من كدره و نفعه من ضرره فاستخلصت لك من كل أمر جليله و توخيت لك [صفحہ ٦٨] جميله و صيرفت عنك مجهوله و رأيت حيث عناني من أمرك ما يعنى الوالد الشفيق و أجمعت عليه من أدبك أن يكون ذلك و أنت مقبل العمر و مقبل الدهر ذو نية سليمة و نفس صافية و أن أبتدئك بتعليم كتاب الله عز و جل و تأويله و شرائع الإسلام و أحكامه و حلاله و حرامه لا أجاوز ذلك بك إلى غيره ثم أشقت أن يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه من أهوائهم و آرائهم مثل الذى التبس عليهم فكان إحكام ذلك على ما كرهت من تنبيهك له أحب إلى من إسلامك إلى أمر لا آمن عليك فيه الهلكة و رجوت أن يوفقك الله فيه لرشدك و أن يهديك لصدقك فعهدت إليك وصيتي هذه هذا الفصل و مابعده يشعر بالنهاى عن علم الكلام حسب ما يقتضيه ظاهر لفظه إلا- تراها قال له كنت عازما على أن أعلمك القرآن و تفسيره والفقه و هو المعرفة بأحكام الشريعة و لا أجاوز ذلك بك إلى غيره ثم خفت أن تدخل عليك شبهة فى أصول الدين فيلتبس عليك فى عقيدتك الأصلية ما التبس على غيرك من الناس فعدلت عن العزم الأول إلى أن أوصيك بوصايا تتعلق بأصول الدين

. ومعنى قوله ع و كان إحكام ذلك إلى قوله لا آمن عليك به الهلكة أى فكان إحكامى الأمور الأصلية عندك وتقرير الوصية التى أوصيك بها فى ذهنك فيما رجع إلى النظر فى العلوم الإلهية و إن كنت كارها للخوض معك [صفحة ٦٩] فيه وتنبهك عليه أحب إلى من أن أتركك سدى مهملا تتلاعب بك الشبه وتعتورك الشكوك فى أصول دينك فربما أفضى ذلك بك إلى الهلكة. فإن قلت فلما ذا كان كارها تنبيه ولده على ذلك وأنت تقولون إن معرفة الله واجبة على المكلفين و ليس يليق بأمر المؤمنين أن يكره ما أوجبه الله تعالى قلت لعله علم إما من طريق وصية رسول الله ص أو من طريق معرفته بما يصلح أن يكون لطفًا لولده ومعرفته بما يكون مفسدة له لكثرة التجربة له وطول الممارسة لأخلاقه وطباعه أن الأصلح له ألا يخوض فى علم الكلام الخوض الكلى و أن يقتنع بالمبادئ والجمل فمصالح البشر تختلف فرب إنسان مصلحته فى أمر ذلك الأمر بعينه مفسدة لغيره ونحن و إن أوجبنا المعرفة فلم نوجب منها إلا الأمور المجملة و أما التفصيلات الدقيقة الغامضة فلا تجب إلا عند ورود الشبهة فإذا لم تقع الشبهة فى نفس المكلف لم يجب عليه الخوض فى التفصيلات . قوله ع قد علمت مع أولهم إلى آخرهم العين مفتوحة والميم مكسورة مخففة تقول عمر الرجل يعمر عمرا وعمرا على غير قياس لأن قياس مصدره التحريك أى عاش زمانا طويلا واستعمل فى القسم أحدهما فقط و هو المفتوح . قوله ع حيث عنانى من أمرك أى أهمنى قال عنانى من صدودك ما عانى قوله و أجمعت عليه أى عزمت . ومقبل الدهر يقال اقتبل الغلام فهو مقبل بالفتح و هو من الشواذ ومثله أحصن الرجل إذا تزوج فهو محصن و إذا عفا فمحصن أيضا وأسهب إذا أطال الحديث فهو مسهب وألجج إذا افتقر فهو ملفج وينبغى أن يكون له من قوله تنبيهك له بمعنى [صفحة ٧٠] عليه أو تكون على أصلها أى ماكرهت تنبيهك لأجله . فإن قلت إلى الآن ما فسرنا لماذا كره تنبيهه على هذا الفن قلت بلى قد أشرت إليه و هو أنه كره أن يعدل به عن تفسير القرآن و علم الفقه إلى الخوض فى الأمور الأصولية فنبهه على أمور يجره النظر وتأمل الأدلة والشبهات إليها دقيقة يخاف على الإنسان من الخوض فيها أن تضطرب عقيدته إلا أنه لم يجد به بدا من تنبيهه على أصول الديانة و إن كان كارها لتعريضه لخطر الشبهة فنبهه على أمور جمالية غير مفصلة وأمره أن يلزم ذلك و لا يتجاوزه إلى غيره و أن يمسك عما يشبهه عليه وسيأتى ذكر ذلك و أعلم يا بنى أن أحب ما أنت آخذ به إلى من وصيتي تقوى الله و الاقتصار على ما فرضه الله عليك و الأخذ بما مضى عليه الأولون من آباءك و الصالحون من أهل بيتك فإنهم لم يدعوا أن نظروا لأنفسهم كما أنت ناظر و فكروا كما أنت مفكر ثم رددهم آخر ذلك إلى الأخذ بما عرفوا و الإمساك عما لم يكلفوا فإن أبت نفسك أن تقبل ذلك دون أن تعلم كما علموا فليكن طلبك ذلك بتفهم و تعلم لا بتورط الشبهات و علق الخصومات و ابدأ قبل نظرك فى ذلك بالاستعانة بإلهك و الرغبة إليه فى توفيقك و ترك كل شائبة أولجتك فى شبهة أو أسلمتكم إلى ضلالة فإن أيقنت أن قد صيما قلبك فحشع و تم رأيك فاجتمع و كان همك فى ذلك همًا واحدًا فانظر فيما فسرت لك و إن أنت لم تجتمع لك ما تحب من نفسك و فراغ نظرك و فكرك [صفحة ٧١] فاعلم أنك إنما تخبط العشواء و تتورط الظلماء و ليس طالب الدين من خبط أو خلط و الإمساك عن ذلك أمثل أمره أن يقتصر على القيام بالفرائض و أن يأخذ بسنة السلف الصالح من آباءه و أهل بيته فإنهم لم يقتصروا على التقليد بل نظروا لأنفسهم وتأملوا الأدلة ثم رجعوا آخر الأمر إلى الأخذ بما عرفوا و الإمساك عما لم يكلفوا. فإن قلت من سلفه هؤلاء الذين أشار إليهم قلت المهاجرون الأولون من بنى هاشم و بنى المطلب كحمزة و جعفر و العباس و عبيدة بن الحارث و كأبى طالب فى قول الشيعة و كثير من أصحابنا و كعبد المطلب فى قول الشيعة خاصة. فإن قلت فهل يكون أمير المؤمنين ع نفسه معدودا من جملة هؤلاء قلت لا فإنه لم يكن من أهل المبادئ والجمل المقتصر بهم فى تكليفهم العقليات على أوائل الأدلة بل كان سيد أهل النظر كافة وإمامهم . فإن قلت ما معنى قوله لم يدعوا أن نظروا لأنفسهم قلت لأنهم إذا تأملوا الأدلة وفكروا فيها فقد نظروا لأنفسهم كما ينظر الإنسان لنفسه ليخلصها من مضرة عظيمة سبيلها أن تقع به إن لم ينظر فى الخلاص منها و هذا هو الوجه فى وجوب النظر فى طريق معرفة الله والخوف من إهمال

النظر. فإن قلت مامعنى قوله إلى الأخذ بما عرفوا والإمساك عما لم يكلفوا [صفحة ٧٢] قلت الأخذ بما عرفوا مثل أدلة حدوث الأجسام وتوحيد الباري وعدله والإمساك عما لم يكلفوا مثل النظر فى إثبات الجزء الذى لا يتجزأ ونفيه ومثل الكلام فى الخلا والملا والكلام فى أن هل بين كل حركتين مستقيمتين سكون أم لا وأمثال ذلك مما لا يتوقف أصول التوحيد والعدل عليه فإنه لا يلزم أصحاب الجمل والمبادئ أن يخوضوا فى ذلك لأنهم لم يكلفوا الخوض فيه و هو من وظيفة قوم آخرين . قوله ع فإن أبت نفسك أن تقبل ذلك دون أن تعلم كما علموا هذا الموضوع فيه نظر لأننا قد قلنا إنهم لم يعلموا التفاصيل الدقيقة فكيف يجعلهم عالمين بها ويقول أن تعلم كما علموا وينبغى أن يقال إن الكاف و ماعملت فيه فى موضع نصب لأنه صفة مصدر محذوف وتقديره فإن أبت نفسك أن تقبل ذلك علما كما علموا دون أن تعلم التفاصيل الدقيقة وجاز انتصاب علما والعامل فيه تقبل لأن القبول من جنس العلم لأن القبول اعتقاد والعلم اعتقاد و ليس لقائل أن يقول فإذا ن يكون قد فصل بين الصفة والموصوف بأجنبى لأن الفصل بينهما قد جاء كثيرا قال الشاعر جزى الله كفا ملئها من سعادة || سرت فى هلاك المال والمال نائم ويجوز أن يقال كما علموا الآن بعدموتهم فإنهم بعدالموت يكونون عالمين بجميع ما يشته علمه على الناس فى الحياة الدنيا لأن المعارف ضرورية بعدالموت والنفوس باقية على قول كثير من المسلمين وغيرهم . واعلم أن الذى يدعو إلى تكلف هذه التأويلات أن ظاهر الكلام كونه يأمر بتقليد النبى ص والأخذ بما فى القرآن وترك النظر العقلى هذا هو ظاهر الكلام أ لا تراه كيف يقول له الاقتصار على ما فرضه الله عليك والأخذ بما مضى عليه أهل [صفحة ٧٣] بيتك وسلفك فإنهم لما حاولوا النظر رجعوا بأخرة إلى السمعيات وتركوا العقليات لأنها أفضت بهم إلى ما لا يعرفونه و لا- هو من تكليفهم . ثم قال له فإن كرهت التقليد المحض وأحببت أن تسلك مسلكهم فى النظر و إن أفضى بك الأمر بأخرة إلى تركه والعود إلى المعروف من الشرعيات و ماورد به الكتاب والسنة فينبغى أن تنظر و أنت مجتمع الهم خال من الشبهة وتكون طالبا للحق غيرقاصد إلى الجدل والمراء فلما وجدنا ظاهر اللفظ يقتضى هذه المعانى و لم يجز عندنا أن يأمر أمير المؤمنين ع ولده مع حكمته وأهليته ولده بالتقليد وترك النظر رجعنا إلى تأويل كلامه على وجه يخرج به ع من أن يأمر بما لا يجوز لمثله أن يأمر به . واعلم أنه قد أوصاه إياهم بالشروع فى النظر بمحض ما ذكره المتكلمون و ذلك أمور منها أن يرغب إلى الله فى توفيقه وتسديده . ومنها أن يطلب المطلوب النظرى بتفهم وتعلم لا بجدال ومغالبة ومراء ومخاصمة . ومنها إطراح العصبية لمذهب بعينه والتورط فى الشبهات التى يحاول بهانصره ذلك المذهب . ومنها ترك الإلف والعادة ونصرة أمر يطلب به الرئاسة و هو المعنى بالشوايب التى تولج فى الضلال . ومنها أن يكون صافى القلب مجتمع الفكر غير مشغول السر بأمر من جوع [صفحة ٧٤] أو شبع أو شبق أو غضب و لا يكون ذا هموم كثيرة وأفكار موزعة مقسمة بل يكون فكره وهمه هما واحدا. قال فإذا اجتمع لك كل ذلك فانظر و إن لم يجتمع لك ذلك ونظرت كنت كالناقفة العشواء الخابطة لا تهتدى و كمن يتورط فى الظلماء لا يعلم أين يضع قدمه و ليس طالب الدين من كان خابطا أو خالطا والإمساك عن ذلك أمثل وأفضل فتفهم يا بنى وصييتى و اعلم أن مالتك الموت هو مالتك الحياة و أن الخالق هو المميئ و أن المفنى هو المعيد و أن المبتلى هو المعافى و أن الدنيا لم تكن لتستقر إلما على ما جعلها الله عليه من النعماء و الايتلاء و الجزاء فى المعاد أو ما شاء مما لا تعلم فإن أشكل عليك شىء من ذلك فأحمله على جهالتك فإنك أول ما خلقت به جاهلا ثم علمت و ما أكثر ما تجهل من الأمر و يتخيز فيه رأيك و يضل فيه بصيرك ثم تبصره بعد ذلك قد تعلق بهذه اللفظة و هو قوله أو ماشاء مما لا تعلم قوم من التناسخية وقالوا المعنى بهاالجزء فى الهياكل التى تنتقل النفوس إليها و ليس ماقالوه بظاهر ويجوز أن يريد ع أن الله تعالى قديجازى المذنب فى الدنيا بنوع من العقوبة كالأسقام والفقر وغيرهما والعقاب و إن كان مفعولا على وجه الاستحقاق والإهانة فيجوز لمستحقه و هو البارى [صفحة ٧٥] أن يقتصر منه على الإيلام فقط لأن الجميع حقه فله أن يستوفى البعض ويسقط البعض و قدروى أو بما شاء بالباء الزائدة وروى بما لا يعلم و أما الثواب فلايجوز أن يجازى به المحسن فى

الدنيا لأنه على صفة لا يمكن أن تجامع التكليف فيحمل لفظ الجزاء على جزاء العقاب خاصة. ثم أعاد ع وصيته الأولى فقال و إن أشكل عليك شيء من أمر القضاء والقدر و هو كون الكافر مخصوصا بالنعماء والمؤمن مخصوصا بضرب من الابتلاء و كون الجزاء قد يكون في المعاد و قد يكون في غير المعاد فلا تقدح جهالتك به في سكون قلبك إلى ما عرفتك جملته و هو أن الله تعالى هو المحيي المميت المفنى المعيد المبتلى المعافى و أن الدنيا بنيت على الابتلاء والأنعام وأنهما لمصالح وأمر يستأثر الله تعالى بعلمها و أنه يجازى عباده إما في الآخرة أو غير الآخرة على حسب ما يريد و يختاره . ثم قال له إنما خلقت في مبدأ خلقتك جاهلا- فلا تطلبن نفسك غايه من العلم لا وصول لها إليها وصول بعد أمور صعبه ومتاعب شديده فمن خلق جاهلا حقيق أن يكون جهله مدته عمره أكثر من علمه استصحابا للأصل . ثم أراد أن يؤنسه بكلمة استدرك بها إباحته فقال له وعساك إذا جهلت شيئا من ذلك أن تعلمه فيما بعد فما أكثر ما تجهل من الأمور وتتحير فيه ثم تبصره وتعرفه و هذا من الطب اللطيف والرقى الناجعة والسحر الحلال [صفحہ ۷۶] فَأَعْتَصِم بِالَّذِي خَلَقَكَ وَ رَزَقَكَ وَ سَوَّاكَ فَلْيَكُنْ لَهُ تَعَبُدَكَ وَ إِلَيْهِ رَغْبَتُكَ وَ مِنْهُ شَفَقَتُكَ وَ اعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَدًا لَمْ يُنْبِئ عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ كَمَا أَنْبَأَ عَلَيْهِ نَبِيْنَا ص فَارْضَ بِهِ رَإْتِدًا وَ إِلَى النَّجَاةِ قَائِدًا فَإِنِّي لَمْ أَلْكَ نَصِيْحَةً وَ إِنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ فِي النَّظْرِ لِنَفْسِكَ وَ إِنِ اجْتَهَدْتَ مَبْلَغَ نَظْرِي لَكَ عَادَ إِلَى أَمْرِهِ بِاتِّبَاعِ الرَّسُولِ ص وَ أَنْ يَعْتَمِدَ عَلَى السَّمْعِ وَ مَا وَرَدَتْ بِهِ الشَّرِيعَةُ وَ نَطَقَ بِهِ الْكِتَابُ وَ قَالَ لَهُ إِنْ أَحَدًا لَمْ يَخْبِرْ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا أَخْبَرَ عَنْهُ نَبِيْنَا ص وَ صَدَقَ عَ فَإِنَّ التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ غَيْرَهُمَا مِنْ كُتُبِ أَنْبِيَآءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ تَتَّضَمَّنْ مِنَ الْأُمُورِ الْإِلَهِيَّةِ مَا تَتَّضَمَّنُهُ الْقُرْآنُ وَ خُصُوصًا فِي أَمْرِ الْمَعَادِ فَإِنَّهُ فِي أَحَدِ الْكُتُبِ الْمَسْكُوتِ عَنْهُ وَ فِي الْآخِرِ مَذْكُورَ ذِكْرًا مُضْطَرِبًا وَ الَّذِي كَشَفَ هَذَا الْقِنَاعَ فِي هَذَا الْمَعْنَى وَ صَرَحَ بِالْأَمْرِ هُوَ الْقُرْآنُ ثُمَّ ذَكَرَ لَهُ أَنَّهُ أَنْصَحَ لَهُ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ وَ أَنَّهُ لَيْسَ يَبْلُغُ وَ إِنْ اجْتَهَدَ فِي النَّظْرِ لِنَفْسِهِ مَا يَبْلُغُهُ هُوَ عَ لَهُ لَشَدَّةُ حَبِّهِ لَهُ وَ إِيْثَارُهُ مَصْلَحَتُهُ وَ قَوْلُهُ لَمْ أَلْكَ نَصِيْحًا لَمْ أَقْصِرْ فِي نَصِيْحَتِكَ أَلَى الرَّجْلِ فِي كَذَا يَأْلُو أَى قَصَرَ فَهُوَ آلِ وَ الْفِعْلُ لَازِمٌ وَ لَكِنَّهُ حَذَفَ اللَّامَ فَوَصَلَ الْفِعْلَ إِلَى الضَّمِيرِ فَنَسَبَهُ وَ كَانَ أَصْلُهُ لَا أَلُو لَكَ نَصِيْحًا وَ نَصِيْحًا مَنْصُوبٌ عَلَى التَّمْيِيزِ وَ لَيْسَ كَمَا قَالَ الرَّائِدِيُّ إِنْ انْتَصَبَهُ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ ثَانٍ فَإِنَّهُ إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ لَا يَتَعَدَّى فَكَيْفَ إِلَى اثْنَيْنِ [صفحہ ۷۷] وَ يَقُولُ هَذِهِ أَمْرٌ آلِيَّةٌ أَى مَقْصَرَةٌ وَ جَمْعُهَا أَوَالٌ وَ فِي الْمَثَلِ الْإِحْظِيَّةِ فَلَا آلِيَّةَ أَصْلُهُ فِي الْمَرْأَةِ تَصَلَّفَ عِنْدَ بَعْضِهَا فَتَوْصَى حَيْثُ فَاتَتْهَا الْحِظْوَةُ أَلَا تَأْلُوهُ فِي التَّوَدُّدِ إِلَيْهِ وَ التَّحَبُّبِ إِلَى قَلْبِهِ . قَوْلُهُ وَ مِنْهُ شَفَقَتُكَ أَى خَوْفِكَ . وَرَأَيْدُ أَصْلُهُ الرَّجُلُ يَتَقَدَّمُ الْقَوْمَ فَيُرْتَادُ بِهِمُ الْمَرْعَى وَ اعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لَأَتَتْكَ رُسُلُهُ وَ لَرَأَيْتَ آثَارَ مَلِكِهِ وَ سُلْطَانِهِ وَ لَعَرَفْتَ أَعْمَالَهُ وَ صِفَاتَهُ وَ لَكِنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ لَا يُضَادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ وَ لَا يَزُولُ أَيْدًا وَ لَمْ يَزَلْ أَوَّلُ قَبْلِ الْأَشْيَاءِ بَلَا أَوْلِيَّةٍ وَ آخِرٌ بَعْدَ الْأَشْيَاءِ بَلَا نَهَائِيَّةٍ عَظُمَ أَنْ تُثَبَّتَ رُبُوبِيَّتُهُ بِإِحْطَاةِ قَلْبٍ أَوْ بَصِيرَةٍ فَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ فَافْعَلْ كَمَا يَنْبَغِي لِمِثْلِكَ أَنْ يَفْعَلَهُ فِي صِغَرِ خَطَرِهِ وَ قَلَّةِ مَقْدَرَتِهِ وَ كَثْرَةِ عَجْزِهِ وَ عَظِيمِ حَاجَتِهِ إِلَى رَبِّهِ فِي طَلَبِ طَاعَتِهِ وَ الرَّهِينَةِ مِنْ عُقُوبَتِهِ وَ الْخَشْيَةِ مِنْ عُقُوبَتِهِ وَ الشَّفَقَةِ مِنْ سُخْطِهِ فَإِنَّهُ لَمْ يَأْمُرَكَ إِلَّا بِحَسَنِ وَ لَمْ يَنْهَكَ إِلَّا عَنِ قَبِيحٍ يُمْكِنُ أَنْ يَسْتَدِلَّ بِهَذَا الْكَلَامِ عَلَى نَفْيِ الثَّانِي مِنْ وَجْهِينِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ لَوْ كَانَ فِي الْوُجُودِ ثَانٌ لِلْبَرَاءِيِّ تَعَالَى لَمَا كَانَ الْقَوْلُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ حَقًّا بَلْ كَانَ الْحَقُّ هُوَ الْقَوْلُ بِالثَّنِيَّةِ وَ مُحَالٌ أَلَا يَكُونُ ذَلِكَ الثَّانِي حَكِيمًا وَ لَوْ كَانَ الْحَقُّ هُوَ [صفحہ ۷۸] إِبْثَاتُ ثَانٍ حَكِيمٍ لَوْجِبَ أَنْ يَبْعَثَ رَسُولًا يَدْعُو الْمَكْلُفِينَ إِلَى الثَّنِيَّةِ لِأَنَّ الْأَنْبِيَآءَ كُلَّهُمْ دَعَا إِلَى التَّوْحِيدِ لَكِنِ التَّوْحِيدُ عَلَى هَذَا الْفَرَضِ ضَلَالٌ فَيَجِبُ عَلَى الثَّانِي الْحَكِيمِ أَنْ يَبْعَثَ مِنْ بَيْنِهِ الْمَكْلُفِينَ عَلَى ذَلِكَ الضَّلَالِ وَ يَرشُدَهُمْ إِلَى الْحَقِّ وَ هُوَ إِبْثَاتُ الثَّانِي وَ إِلَّا كَانَ مَنْسُوبًا فِي إِهْمَالِ ذَلِكَ إِلَى السَّفْهِ وَ اسْتِفْسَادِ الْمَكْلُفِينَ وَ ذَلِكَ لَا يَجُوزُ وَ لَكِنَّا مَا أَتَانَا رَسُولٌ يَدْعُو إِلَى إِبْثَاتِ ثَانٍ فِي الْإِلَهِيَّةِ فَبَطُلَ كَوْنُ الْقَوْلِ بِالتَّوْحِيدِ ضَلَالًا وَ إِذَا لَمْ يَكُنْ ضَلَالًا كَانَ حَقًّا فَتَقْيِضُهُ وَ هُوَ الْقَوْلُ بِإِبْثَاتِ الثَّانِي بَاطِلٌ الْوَجْهَ الثَّانِي أَنَّهُ لَوْ كَانَ فِي الْوُجُودِ ثَانٌ لِلْقَدِيمِ تَعَالَى لَوْجِبَ أَنْ يَكُونَ لَنَا طَرِيقٌ إِلَى إِبْثَاتِهِ إِمَّا مِنْ مَجْرَدِ أَعْمَالِهِ أَوْ مِنْ صِفَاتِ أَعْمَالِهِ أَوْ مِنْ صِفَاتِ نَفْسِهِ أَوْ لَا مِنْ هَذَا وَ لَا مِنْ هَذَا مِنْ التَّوْقِيفِ . وَ هَذِهِ هِيَ الْأَقْسَامُ الَّتِي ذَكَرَهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَ لِأَنَّ قَوْلَهُ أَتَتْكَ رَسُلُهُ هُوَ التَّوْقِيفُ وَ قَوْلُهُ وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مَلِكِهِ وَ سُلْطَانِهِ هِيَ صِفَاتُ

أفعاله و قوله و لعرفت أفعاله وصفاته هما القسمان الآخران . أما إثبات الثاني من مجرد الفعل فباطل لأن الفعل إنما يدل على فاعل و لا يدل على التعدد و أما صفات أفعاله وهى كون أفعاله محكمة متقنة فإن الأحكام الذى نشاهده إنما يدل على عالم و لا يدل على التعدد و أما صفات ذات البارئ فالعلم بهافرع على العلم بذاته فلو أثبتنا ذاته بهالزم الدور. و أما التوقيف فلم يأتنا رسول ذو معجزة صحيحة يدعوننا إلى الثانى و إذ ابطلت الأقسام كلها و قد ثبت أن ما لا طريق إلى إثباته لا يجوز إثباته بطل القول بإثبات الثانى. ثم قال لا يضاذه فى ملكه أحد ليس يريد بالضد ما يريد المتكلمون من نفى ذات هى معاكسة لذات البارئ تعالى فى صفاتها كمضادة السواد للبياض بل مراده نفى الثانى لا غير فإن نفى الضد بحث آخر لا دخول له بين هذا الكلام . [صفحہ ۷۹]

ثم ذكر له أن البارئ تعالى قديم سابق للأشياء لاسبقا له حد محدود و أول معين بل لأول له مطلقا. ثم قال و هو مع هذا آخر الأشياء آخريه مطلقه ليس تنتهى إلى غاية معينة. ثم ذكر أن له ربوبيه جلت عن أن تحيط بها الأبصار والعقول . و قد سبق منا خوض فى هذا المعنى و ذكرنا من نظمنا فى هذا النمط أشياء لطيفه و نحن نذكر هاهنا من نظمنا أيضا فى هذا المعنى و فى فنا الذى اشتهرنا به و هو المناجاة و المخاطبة على طريقة أرباب الطريقة ما لم نذكره هناك فمن ذاك قولى فلا و الله ما وصل ابن سينا || و لا أغنى ذكاء أبى الحسين و لا رجعا بشيء بعد بحث || و تدقيق سوى خفى حين لقد طوفت أطلبكم ولكن || يحول الوقت بينكم و بينى فهل بعد انقضاء الوقت أحظى || بوصلكم غدا و تقر عيني منى عشنا بهازمنا و كانت || تسوفنا بصدق أوبمين فإن أكدت فذاك ضياع دينى || و إن أجدت فذاك حلول دينى . و منها أمولاي قد أحرقت قلبى فلاتكن || غدا محرقا بالنار من كان يهواكا أتجمع لى نارين نار محبة || و نار عذاب أنت أرحم من ذاك . و منها قوم موسى تاهوا سنين كما قد || جاء فى النص قدرها أربعون و لى اليوم تائها فى جوى من || لا أسمى و حبه خمسون قل لأحبابنا إلام نروم || الوصل منكم و أنتم تمنعوننا [صفحہ ۸۰] كم نناجيكم فلاترشدونا || و نناديكم فلاتسمعونا حسينا علمكم بأنا مواليكم || و إن كنتم لنا كارهينا فعى تدرك السعادة أرباب || المعاصى فيصبحوا فائزينا . و منها و الله ما آسى من الدنيا على || مال و لا ولد و لا سلطان بل فى صميم القلب منى حسرة || تبقى معى و تلف فى أكفانى إنى أراك بباطنى لظاهرى || فالحسن مشغله عن العرفان يا من سهرت مفكرا فى أمره || خمسين حولا دائم الجولان فرجعت أحق من نعامه بيهس || و أضل سعيا من أبى غبشان . و منها و حقك إن أدخلتني النار قلت || للذين بها قد كنت ممن أحبه و أفنيت عمرى فى علوم دقيقه || و ما بغيتي إلا رضاه و قربه هبونى مسيئا أوتغ الحلم جهله || و أوبقه بين البريه ذنبه أ ما يقتضى شرع التكرم عتقه || أيحسن أن ينسى هواه و حبه أ ما كان بنوى الحق فيما يقوله || ألم تنصر التوحيد و العدل كتبه أ ما رد زيغ ابن الخطيب و شكه || و إلحاده إذ جل فى الدين خطبه أ ما قلتم من كان فينا مجاهدا || سيكرم مثواه و يعذب شره و نهديه سبلا من هदानا جهاده || و يدخله خير المداخل كسبه فأى اجتهاد فوق ما كان صانعا || و قد أحرقت زرق الشياطين شهبه و مانال قلب الجيش جيش محمد || كما نال من أهل الضلالة قلبه [صفحہ ۸۱] فإن تصفحوا يغتم و إن تتجرموا || فتعذيبكم حلوا المذاقة عذبه و آية صدق الصب أن يعذب الأذى || إذ كان من يهوى عليه يصبه . و منها إذ افكرت فيك يحار عقلى || و الحق بالمجانين الكبار و أصحاب تارة فيشوب ذهنى || و يقدر خاطرى كشواظ نار فيا من تاهت العقلاء فيه || فأمسوا كلهم صرعى عقار و يا من كاعت الأفكار عنه || فأبت بالمتاعب و الخسار و يا من ليس يعلمه نبى || و لا ملك و لا يدريه دار و يا من ليس قداما و خلفا || و لاجهه اليمين و لا اليسار و لا فوق السماء و لا تدلى || من الأرضين فى لجج البحار و يا من أمره من ذاك أجلى || من ابن ذكاء أ و أصبح النهار سألتك باسمك المكتوم إلا || فككت النفس من رق الإسار و جدت لها بما تهوى فأنت || العليم بباطن اللغز الضمار . و منها يارب إنك عالم || بمحبتى لك و اجتهادى و تجردى للذب عنك || على مراغمة الأعادى بالعدل و التوحيد أصدع || معلنا فى كل نادى و كشفت زيغ ابن الخطيب || و لبسه بين العباد و نقضت سائر ما بناه || من الضلالة و الفساد [صفحہ ۸۲] و أبنت عن إغوائه || فى دين أحمدذى الرشاد و جعلت أوجه

ناصره || محمات بالسواد وكفت من غلواهم || بعد التمرد والعناد فكأنما نخل الرماد || عليهم بعد الرماد وقصدت وجهك
أبتغى || حسن المثوبة في المعاد فأفض على العبد الفقير || إليكم نور السداد وارزقه قبل الموت || معرفه المصائر والمبادئ
وافكك أسير الحرص || بالأصفاد من أسر الصفاذ واغسل بصفو القرب من || أبوابكم كدر البعاد وأعضه من حر الغليل ||
بوصلكم برد الفؤاد وارحم عيوننا فيك || هامية وقلبا فيك صاد ياساطح الأرض المهاد || وممسك السبع الشداد يا بنى إني قد
أبأنتك عن الدنيا وحالها وزوالها وانتقالها وأبأنتك عن الآخرة وما أعد لأهلها وصرت لك فيهما الأمثال لتعتبر بها وتحذو
عليها إنما مثل من خبر الدنيا كمثل قوم سافر نبا بهم منزلا جديبا فأموا منزلا خصيبا و جنابا مريعا فاحتملوا وعثاء الطريق وفراق
الصديق وخشونة السفر وجشوبة المطعم ليأتوا سعة دارهم ومنزل قرارهم فليس يجدون لشيء من ذلك ألما ولا يرون نفعه فيه
مغرمًا ولا شيء أحب إليهم مما قربهم من منزلهم [صفحة ٨٣] وأدناهم إلى محلتهم ومثل من اغتر بها كمثل قوم كانوا بمنزل
خصيب فتيا بهم إلى منزل جديد فليس شيء أكره إليهم ولما أفضح عندهم من مفارقه ما كانوا فيه إلى ما يهجمون عليه و
يصيرون إليه حذا عليه يحذو واحذو مثاله يحذو أى اقتدى به وقوم سفر بالتسكين أى مسافرون . وأما قصدوا والمنزل
الجديد ضد المنزل الخصب . والجناب المريع بفتح الميم ذو الكلال والعشب وقدمع الوادى بالضم . والجناب الفناء ووعثاء
الطريق مشقتها . وجشوبة المطعم غلظه طعام جشيب ومجشوب ويقال إنه الذى لا آدم معه . يقول مثل من عرف الدنيا وعمل
فيها للآخرة كمن سافر من منزل جذب إلى منزل خصب فلقى فى طريقه مشقة فإنه لا يكثر بذلك فى جنب ما يطلب وبالعكس
من عمل للدنيا وأهمل أمر الآخرة فإنه كمن يسافر إلى منزل ضنك ويهجر منزلا رحيبا طيبا وهذا من قول رسول الله ص الدنيا
سجن المؤمن وجنة الكافر -رواية ١-٢-رواية ٢٢-٥٤ [صفحة ٨٤] يا بنى اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك
فأحب لغيرك ما تحب لنفسك وكره له ما تكره لهما ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم وأحسن كما تحب أن يحسن إليك و
استقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك ولا تقل ما لا تعلم وإن قل ما تعلم ولا
تقل ما لا تحب أن يقال لك واعلم أن الإعجاب ضد الصواب وآفة الأبواب فاسع فى كدحك ولا تكن خازنا لغيرك وإذا
أنت هديت لقصديك فكن أخشع ما تكون لربك جاء فى الحديث المرفوع لا يكمل إيمان عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه
ويكره لأخيه ما يكره لنفسه -رواية ١-٢-رواية ٢٦-١٠٥ وقال بعض الأسارى لبعض الملوك افعلى معى ماتحب أن يفعل الله
معك فأطلقه وهذا هو معنى قوله ع ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم . وقوله وأحسن من قول الله تعالى وأحسن كما أحسن الله
إليك . وقوله واستقبح من نفسك سئل الأحنف عن المروءة فقال أن تستقبح من نفسك ماتستقبحه من غيرك وروى وارض
من الناس لك وهى أحسن . وأما العجب و ماورد فى ذمه فقد قدمنا فيه قولنا مقنعا . قرآن -١٧٠-٢٠٦ [صفحة ٨٥] قوله ع واسع
فى كدحك أى أذهب ما اكتسبت بالإنفاق والكدح هاهنا هو المال الذى كدح فى حصوله والسعى فيه إنفاقه وهذه كلمة
فصيحة وقد تقدم نظائر قوله ولا تكن خازنا لغيرك . ثم أمره أن يكون أخشع ما يكون لله إذ هداه لرشده وذلك لأن هدايته إياه
إلى رشده نعمة عظيمة منه فوجب أن يقابل بالخشوع لأنه ضرب من الشكر واعلم أن أمامك طريقا ذا مسافة بعيدة ومشقة
شديدة وأنه لا غنى بك فيه عن حسن الارتياذ وقدر بلاغك من الزاد مع خفة الظهر فلا تحملن على ظهرك فوق طاقتك فيكون
ثقل ذلك وبألم عليك وإذا وجدت من أهل الفاقة من يحمل لك زادك إلى يوم القيامة فيؤا فيك به عدا حيث تحتاج إليه
فاغتنمه وحمله إياه وأكثر من ترويده وأنت قادر عليه فلعلك تطلبه فلا تجده واغتنم من استقرضك فى حال غناك ليجعل
قضاءه لك فى يوم عسرتك واعلم أن أمامك عقبية كئودا المخف فيها أحسن حالا من المثقل والمبطل عليها أفتح أمرا من
المسرع وأن مهبطها بك لا محالمة إما على جنبه أو على نار فارتد لنفسك قبل نزولك ووطئ المنزل قبل حلولك فليس بعد
الموت مستعتب ولا إلى الدنيا منصرف [صفحة ٨٦] أمره فى هذا الفصل بإنفاق المال والصدقة والمعروف فقال إن بين يديك

طريقا بعيد المسافة شديد المشقة و من سلك طريقا فلاغنى له عن أن يرتاد لنفسه ويتزود من الزاد قدر ما يبلغه الغايه و أن يكون خفيف الظهر فى سفره ذلك فإياك أن تحمل من المال ما يثقلك و يكون وبالا عليك و إذا وجدت من الفقراء والمساكين من يحمل ذلك الثقل عنك فيوافيك به غدا وقت الحاجة فحملة إياه فلعلك تطلب مالك فلا تجده جاء فى الحديث المرفوع خمس من أتى الله بهن أو بواحدة منهن أوجب له الجنة من سقى هامه صادية أو أطعم كيدا هافيه أو كسا جلده عاريه أو حمل قدما حافيه أو أعتق رقبة عانيه -روايه 1-2-روايه 26-171 قيل لحاتم الأصم لو قرأت لنا شيئا من القرآن قال نعم فاندفع فقرأ ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب و يقيمون الصلاة و مما رزقناهم ينفقون يكتزون فقالوا أيها الشيخ ما هكذا أنزل قال صدقتم ولكن هكذا أنتم -قرآن 69-205 و اعلم أن الذى بيده خزائن السموات و الأرض قد أذن لك فى الدعاء و تكفل لك بالإجابة و أمرك أن تسأله ليعطيك و تسترحمه ليرحمك و لم يجعل بينه و بينك من يحجبك عنه و لم يلججك إلى من يشفع لك إليه [صفحة 87] و لم يمنعك إن أسأت من التوبه و لم يعاجلك بالنقمه و لم يفصحك حيث تعرّضت للفضيحة و لم يشدد عليك فى قبول الإجابة و لم يناقشك بالجريمه و لم يؤيسك من الرحمه بل جعل نزوعك عن الذنب حسنه و حسب سيئتك واحده و حسب حسنتك عشا و فتح لك باب المتاب و باب الاستعتاب فإذا ناديته سمع نداك و إذا ناجيته علم نجواك فأفضيت إليه بحاجتك و أثبتته ذات نفسك و شكوت إليه هومك و استكشفتة كروبك و استعنته على أمورك و سيألته من خزائن رحمته ما لما يقدر على إعطائه غيرة من زيادة الأعمار و صحه الأبدان و سعه الأرزاق ثم جعل فى يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك فيه من مسأله فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمته و استمطرت شايب رحمته فلا يقنطك إبطاء إجابته فإن العطيه على قدر النية و ربما أخرت عنك الإجابة ليكون ذلك أعظم لأجر السائل و أجر ل إعطاء الأمل و ربما سيألت الشىء فلا تعطاه و أوتيت خيرا منه عاجلا أو آجلا أو صيرف عنك لما هو خير لك فلرب أمر قد طلبته فيه هلاك ديتك لو أوتيته فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جماله و ينفى عنك وبأله فالمال لا يبقى لك و لا تبقى له قد تقدم القول فى الدعاء. قوله بل جعل نزوعك عن الذنب حسنه هذا متفق عليه بين أصحابنا و هو أن تارك القبيح لأنه قبيح يستحق الثواب . [صفحة 88] قوله حسب سيئتك واحده و حسب حسنتك عشا هذا إشارة إلى قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها و من جاء بالسئته فلا يجزى إلا مثلهما. قوله و أثبتته ذات نفسك أى حاجتك . ثم ذكر له وجوها فى سبب إبطاء الإجابة منها أن ذلك أمر عائد إلى النية فلعلها لم تكن خالصة. ومنها أنه ربما أخرت ليكون أعظم لأجر السائل لأن الثواب على قدر المشقة. ومنها أنه ربما أخرت ليعطى السائل خيرا مما سائل إما عاجلا- أو آجلا- أو فى الحالين . ومنها أنه ربما صرف ذلك عن السائل لأن فى إعطائه إياه مفسده فى الدين . قوله فالمال لا يبقى لك و لا تبقى له لفظ شريف فصيح ومعنى صادق محقق فيه عظة بالغه و قال أبو الطيب -قرآن 69-162 أين الجابرة الأكاره الأملى || كنزوا الكنوز فما بقين و لا بقوا . ويروى من يحجبه عنك . وروى حيث الفضيحة أى حيث الفضيحة موجودة منك . و اعلم أن فى قوله قد أذن لك فى الدعاء و تكفل لك بالإجابة إشارة إلى قوله تعالى ادعوني أستجب لكم. و فى قوله وأمر أن تسأله ليعطيك إشارة إلى قوله و سئلوا الله من فضله. -قرآن 158-181-قرآن- 235-263] [صفحة 89] و فى قوله و تسترحمه ليرحمك إشارة إلى قوله و ما كان الله معذبهم و هم يستغفرون. و فى قوله و لم يمنعك إن أسأت من التوبه إشارة إلى قوله إلا من تاب و آمن و عمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات و كان الله عفورا رحيمًا -قرآن 48-97-قرآن 159-288 و اعلم يا بنى أنك إنما خلقت للآخرة لما للدنيا و للفناء لا للبقاء و للموت لا للحياه و أنك فى منزل قلعية و دار بلغية و طريق إلى الآخرة و أنك طريق الموت الذى لا ينجو هاربه و لا يفوته طالبه و لا بد أنه ميدرکه فكن منه على حذر أن يدرکک و أنت على حال سيئه قد كنت تحدث نفسك منها بالتوبه فيحول بينك و بين ذلك فإذا أنت قد أهلكت نفسك يا بنى أكثر من ذكر الموت و ذكر ما تهجم عليه و تفضى بعد الموت إليه حتى يأتيك و قد أخذت

منهُ حَذْرَكَ وَ شَدَدَتْ لَهُ أَرْزَكَ وَ لَا يَأْتِيكَ بَغْتَةً فَيَبْهَرَكَ وَ إِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ إِخْلَادِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا وَ تَكَالِفِهِمْ عَلَيْهَا فَقَدْ تَبَأَكَ اللَّهُ عَنْهَا وَ نَعَتَتْ لَكَ نَفْسَهَا وَ تَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا فَإِنَّمَا أَهْلُهَا كِلَابٌ عَاوِيَةٌ وَ سِبَاعٌ ضَارِيَةٌ يَهْرَبُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ وَ يَأْكُلُ عَزِيْزُهَا ذَلِيْلَهَا وَ يَقَهْرُ كَبِيْرُهَا صَغِيْرَهَا [صفحہ ۹۰] نَعَمْ مُعَقَّلَةٌ وَ أُخْرَى مُهْمَلَةٌ قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَهَا وَ رَكِبَتْ مَجْهُولَهَا سُرُوْحٌ عَاهَةٌ بُوَادٍ وَعَثٍ لَيْسَ لَهَا رَاعٌ يُقِيْمُهَا وَ لَا مُسَيِّمٌ يَسِيْمُهَا سَلَكَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا طَرِيْقَ الْعَمَى وَ أَخَذَتْ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ مَنَارِ الْهُدَى فَتَاهُوا فِي حَيْرَتِهَا وَ غَرِقُوا فِي نِعْمَتِهَا وَ اتَّخَذُوْهَا رَبًّا فَلَعِبَتْ بِهِمْ وَ لَعِبُوا بِهَا وَ نَسُوا مَا وَرَاءَهَا رُوِيْدًا يُسْفِرُ الظَّلَامَ كَأَنَّ قَدْ وَرَدَتْ الْأَطْعَانُ يُوشِكُ مَنْ أَسْرَعَ أَنْ يَلْحَقَ يَقُولُ هَذَا مَنْزِلَ قَلْعَةٍ بَضْمِ الْقَافِ وَ سَكُونِ اللَّامِ أَى لَيْسَ بِمَسْتَوْتِنٍ وَيُقَالُ هَذَا مَجْلِسَ قَلْعَةٍ إِذَا كَانَ صَاحِبُهُ يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَقُوْمَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ وَيُقَالُ أَيْضًا هُمْ عَلَى قَلْعَةٍ أَى عَلَى رِحْلَةٍ وَالْقَلْعَةُ أَيْضًا هُوَ الْمَالُ الْعَارِيَةُ وَ فِي الْحَدِيثِ بَثْسُ الْمَالِ الْقَلْعَةُ - رَوَايَاتُ ۱- ۲- رَوَايَاتُ ۱۴- ۳۳ وَ كُلُّهُ يَرْجِعُ إِلَى مَعْنَى وَاحِدٍ. قَوْلُهُ وَ دَارٌ بَلْغَةٌ وَ الْبَلْغَةُ مَا يَتَبَلَّغُ بِهِ مِنَ الْعَيْشِ . قَوْلُهُ سُرُوْحٌ عَاهَةٌ وَ السُّرُوْحُ جَمْعُ سَرَحٍ وَ هُوَ الْمَالُ السَّارِحُ وَ الْعَاهَةُ الْآفَةُ أَعَاهَ الْقَوْمَ أَصَابَتْ مَا شِئْتُمْ الْعَاهَةُ . وَوَادٍ وَعَثٌ لَا يَثْبِتُ الْحَافِرَ وَ الْخَفَّ فِيهِ بَلْ يَغِيْبُ فِيهِ وَيَشُقُّ عَلَى مَنْ يَمْشِي فِيهِ . وَ أَوْعَثَ الْقَوْمَ وَقَعُوا فِي الْوَعَثِ . وَ مَسِيْمٌ يَسِيْمُهَا رَاعٌ يَرَعَاهَا . قَوْلُهُ رُوِيْدًا يُسْفِرُ الظَّلَامَ إِلَى آخِرِ الْفَصْلِ ثَلَاثَةٌ أَمْثَالُ مَحْرَكَةٍ لِمَنْ عِنْدَهُ [صفحہ ۹۱] اسْتِعْدَادٌ وَ اسْتِقْرَآئِي أَبُو الْفَرَجِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبَادٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَ أَنَا يَوْمُنَا حَدَّثَ هَذِهِ الْوَصِيَّةَ فَقَرَأْتُهَا عَلَيْهِ مِنْ حَفْظِي فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ صَاحَ صَاحِيحَةً شَدِيْدَةً وَ سَقَطَ وَ كَانَ جَبَارًا قَاسِي الْقَلْبِ

أقوال حكيمة في وصف الدنيا وفناء الخلق

وَ اعْلَمُ أَنَا قَدْ مَنَّا فِي وَصْفِ الدُّنْيَا وَ الْفَنَاءِ وَ الْمَوْتِ مِنْ مَحَاسِنِ كَلَامِ الصَّالِحِيْنَ وَ الْحَكَمَاءِ مَا فِيهِ الشِّفَاءُ وَ نَذْرُ الْآنِ أَشْيَاءَ آخِرٍ . فَمِنْ كَلَامِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّمَا أَنْتَ أَيَّامٌ مَجْمُوعَةٌ فَإِذَا مَضَى يَوْمٌ مَضَى بَعْضُكَ . عَنْ بَعْضِ الْحَكَمَاءِ رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا لَا يَغْرَهُ مَا يَرَى مِنْ كَثْرَةِ النَّاسِ فَإِنَّهُ يَمُوتُ وَ يَقْبُرُ وَ حِدَهُ وَ يَحَاسِبُ وَ حِدَهُ . وَ قَالَ بَعْضُهُمْ لَا وَجْهَ لِمُقَاسَاةِ الْهَمُومِ لِأَجْلِ الدُّنْيَا وَ لِالاعْتِدَادِ بِشَيْءٍ مِنْ مَتَاعِهَا وَ لِالتَّخْلِئِ مِنْهَا أَمَا تَرَكَ الْإِهْتِمَامَ لَهَا فَمِنْ جِهَةٍ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى دَفْعِ الْكَائِنِ مِنْ مَقْدُورِهَا وَ أَمَا تَرَكَ الِاعْتِدَادَ بِهَا فَإِنَّ مَرَجِعَ كُلِّ أَحَدٍ إِلَى تَرْكِهَا وَ أَمَا تَرَكَ التَّخْلِيَّ عَنْهَا فَإِنَّ الْآخِرَةَ لَا تَدْرِكُ إِلَّا بِهَا . وَ مِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْحَكَمَاءِ أَفْضَلُ اخْتِيَارِ الْإِنْسَانِ مَا تَوَجَّهَ بِهِ إِلَى الْآخِرَةِ وَ أَعْرَضَ بِهِ عَنِ الدُّنْيَا وَ قَدْ تَقَدَّمَتِ الْحِجَّةُ وَ أَدْنَا بِالرَّحِيلِ وَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا عَلَى الدُّنْيَا دَلِيلٌ وَإِنَّمَا أَحَدُنَا فِي مَدَّةِ بَقَائِهِ صَرِيحٌ لِمَرَضٍ أَوْ مَكْتُوبٌ بِهِمْ أَوْ مَطْرُوقٌ بِمَصِيْبَةٍ أَوْ مُتَرَقِّبٌ لِمَخُوفٍ لَا يَأْمَنُ الْمَرءُ أَصْنَافَ لَذْتِهِ مِنَ الْمَطْعُومِ وَ الْمَشْرُوبِ أَنْ يَكُونَ مَوْتُهُ فِيهِ وَ لَا يَأْمَنُ مَمْلُوكُهُ [صفحہ ۹۲] وَ جَارِيَتُهُ أَنْ يَقْتُلَاهُ بِحَدِيدٍ أَوْ سَمٍ وَ هُوَ مَعَ ذَلِكَ عَاجِزٌ عَنِ اسْتِدَامَةِ سَلَامَةِ عَقْلِهِ مِنْ زَوَالٍ وَ سَمْعِهِ مِنْ صَمَمٍ وَ بَصَرِهِ مِنْ عَمَى وَ لِسَانِهِ مِنْ خَرَسٍ وَ سَائِرِ جَوَارِحِهِ مِنْ زَمَانَةٍ وَ نَفْسِهِ مِنْ تَلْفٍ وَ مَالِهِ مِنْ بَوَارٍ وَ حَبِيْبِهِ مِنْ فِرَاقٍ وَ كُلِّ ذَلِكَ يَشْهَدُ شَهَادَةً قَطْعِيَّةً أَنَّهُ فَقِيْرٌ إِلَى رَبِّهِ ذَلِيْلٌ فِي قَبْضَتِهِ مَحْتَاجٌ إِلَيْهِ لَا يَزَالُ الْمَرءُ بِخَيْرٍ مَا حَاسَبَ نَفْسَهُ وَ عَمَرَ آخِرَتَهُ بِتَخْرِيْبِ دُنْيَايِهِ وَ إِذَا عَتْرَضَتْهُ بِحَارِ الْمَكَارِهِ جَعَلَ مَعَابِرَهَا الصَّبْرَ وَ التَّأْسِيَّ وَ لَمْ يَغْتَرَّ بِتَتَابُعِ النِّعَمِ وَ إِبْطَاءِ حُلُولِ النِّقْمِ وَ أَدَامَ صَحْبَةَ التَّقَى وَ فَطَمَ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّمَا حَيَاتُهُ كَبُضَاعَةٌ يَنْفَقُ مِنْ رَأْسِ الْمَالِ مِنْهَا وَ لَا يَمْكُنُهُ أَنْ يَزِيْدَ فِيهَا وَ مِثْلُ ذَلِكَ يُوْشِكُ فَنَآؤُهُ وَ سُرْعَةُ زَوَالِهِ . وَ قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ فِي ذِكْرِ الْمَوْتِ سَتَبَاشِرُ التَّرْبَاءَ خَدَكَ || وَ سِيْضَحُكُ الْبَاكُوْنَ بَعْدَكَ وَ لِيَنْزِلَنَّ بِكَ الْبَلِيَّ || وَ لِيَخْلُفَنَّ الْمَوْتَ عَهْدَكَ وَ لِيَفِيْنِكَ مِثْلَ مَا || أَفْنَى أَبَاكَ بَلِيَّ وَ جَدَكَ لَوْ قَدْ رَحَلْتَ عَنِ الْقُصُورِ || وَ طِيْبِهَا وَ سَكَنْتَ لِحَدِّكَ لَمْ تَنْتَفِعْ إِلَّا بِفَعْلٍ || صَالِحٌ قَدْ كَانَ عِنْدَكَ [صفحہ ۹۳] وَ تَرَى الَّذِينَ قَسَمْتَ مَالَكَ || بَيْنَهُمْ حَصَصَا وَ كَدَّكَ يَتَلَذَّذُونَ بِمَا جَمَعْتَ || لَهُمْ وَ لَا يَجِدُونَ فَقْدَكَ وَ اعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ مَنْ كَانَتْ مَطِيئَتُهُ اللَّيْلَ وَ النَّهْيَارَ فَإِنَّهُ يَسِيْرٌ بِهِ وَ إِنْ كَانَ وَاقِفًا وَ يَقْطَعُ الْمَسَافَةَ وَ إِنْ كَانَ مُقِيمًا وَ ادْعَا وَ اعْلَمْ يَقِيْنًا أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمْلَكَ وَ لَنْ تَعْدُوَ أَجْلَكَ وَ أَنَّكَ فِي سَبِيْلِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ فَخَفِّضْ فِي

الطَّلَبِ وَ أَجْمَلِ فِي الْمُكْتَسَبِ فَإِنَّهُ رَبُّ طَلَبٍ قَدْ جَزَّ إِلَى حَرْبٍ وَ لَيْسَ كَمَلٍ طَالِبٍ بِمَرْزُوقٍ وَ لَمَّا كَمَلٌ مُجْمَلٌ بِمَحْرُومٍ وَ أَكْرَمِ نَفْسِكَ عَنْ كُلِّ دَيْئِيَّةٍ وَ إِنْ سَافَتَكَ إِلَى الرَّغَائِبِ فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْدُلُ مِنْ نَفْسِكَ عَوْضًا وَ لَا تَكُنْ عَبْدًا غَيْرِكَ وَ قَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرًّا وَ مَيَّا خَيْرٍ خَيْرٍ لَمَّا يُنَالُ إِلَّا بِشَرٍّ وَ يُسِرُّ لَّا يُنَالُ إِلَّا بِعُسْرِ وَ إِيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ الْهَلَكَةِ وَ إِنْ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَكُونَ بَيْنَكَ وَ بَيْنَ اللَّهِ ذُو نِعْمَةٍ فَافْعَلْ فَإِنَّكَ مُدْرِكٌ قَسَمِكَ وَ آخِذٌ سِيَاهِمَكَ وَ إِنْ الْيَسِيرَ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَكْرَمُ وَ أَعْظَمُ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ وَ إِنْ كَانَ كَمَلٌ مِنْهُ [صفحة ٩٤] مثل الكلمة الأولى قول بعض الحكماء و قدنسب أيضا إلى أمير المؤمنين ع أهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام -رواية ١-٢-رواية ٣٨-٧٧. قوله فخفضن في الطلب من قول رسول الله ص إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فأجملوا في الطلب -رواية ١-٢-رواية ٢٢-١٠٧. و قال الشاعر مااعتاض باذل وجهه بسؤاله || عوضا و لونال الغنى بسؤال و إذاالنوال إلى السؤال قرنته || رجع السؤال و خف كل نوال . و قال آخر رددت رونق وجهي عن صحيفته || رد الصقال بهاء الصارم الخدم و ماأبالي وخير القول أصدقه || حقنت لى ماء وجهي أم حقنت دمي . و قال آخر و إنى لأختار الزهيد على الغنى || وأجزأ بالمال القراح عن المحض وأدرع الإملاق صبيرا و قدأرى || مكان الغنى كى لأهين له عرضى . و قال أبو محمداليزيدى فى المأمون أبقى لنا الله الإمام وزاده || شرفا إلى الشرف الذى أعطاه و الله أكرما بأنا معشر || عتقاء من نعم العباد سواه . و قال آخر كيف النهوض بما أوليت من حسن || أم كيف أشكر ماطوقت من نعم [صفحة ٩٥] ملكتنى ماء وجه كاد يسكبه || ذل السؤال و لم تفتح به همى . و قال آخر لا-تحرصن على الحطام فإنما || يأتىك رزقك حين يؤذن فيه سبق القضاء بقدره وزمانه || وبأنه يأتىك أوأيتيه . و كان يقال مااستغنى أحد بالله إلافتقر الناس إليه . و قال رجل فى مجلس فيه قوم من أهل العلم لأدرى مايحمل من يوقن بالقدر على الحرص على طلب الرزق فقال له أحد الحاضرين يحمله القدر فسكت . أقول لوكنت حاضرا لقلت لوحملة القدر لمانهاه العقلاء عن الحرص و لمامدحوه على العفة والقناعة فإن عاد و قال وأولئك ألجأهم القدر إلى المدح والذم والأمر والنهى فقد جعل نفسه وغيره من الناس بل من جميع الحيوانات بمنزلة الجمادات التى يحركها غيرها و من بلغ إلى هذاالحد لا يكلم . و قال الشاعر أراك تزيدك الأيام حرصا || على الدنيا كأنك لا-تموت فهل لك غاية إن صرت يوما || إليها قلت حسبي قدرضيت . أبوالعتاهية أى عيش يكون أطيب من عيش || كفاف قوت بقدر البلاغ قمرتنى الأيام عقلى ومالى || وشبابى وصحتى وفراغى . وأوصى بعض الأدباء ابنه فكتب إليه [صفحة ٩٦] كن حسن الظن برب خلقك || بنى واحمده على مارزقك واعلم بأن الحرص يطفى رونقك || فجانب الحرص وحسن خلقك واصدق وصادق أبدا من صدقك || دار معاديك ومق من ومقك واجعل لأعدائك حزما ملقك || وجنبن حشو الكلام منطقتك هذى وصاهء والد قدعشقتك || وصاهء من يقلقه ماأقلقك أرشدك الله لها ووقفك . أبوالعتاهية أجل الغنى مما يؤمل أسرع || وأراك تجمع دائما لاتشبع قل لى لمن أصبحت تجمع دائما || البعل عرسك لا أبا لك تجمع . وأوصى زياد ابنه عبيد الله عندموته فقال لاتدنسن عرضك و لاتبدلن وجهك و لاتخلقن جدتك بالطلب إلى من إن ردك كان رده عليك عيبا و إن قضى حاجتك جعلها عليك منا واحتمل الفقر بالنتزه عما فى أيدى الناس والزم القناعة بما قسم لك فإن سوء عمل الفقير يضع الشريف ويخمل الذكر ويوجب الحرمان و تَلَاْفِيكَ مَا قَرَطَ مِنْ صَمِيحِكَ أَيْسِرُ مِنْ إِدْرَاكِكَ مَا فَاتَ مِنْ مَنَاطِقِكَ وَ حِفْظُ مَا فِي الْوِعَاءِ بِشِدِّ الْوِكَاءِ وَ حِفْظُ مَا فِي يَدَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ طَلَبِ مَا فِي يَدَيْ غَيْرِكَ وَ مَرَارَةُ الْيَأْسِ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَبِ إِلَى النَّاسِ وَ الْجِرْفَةُ مَعَ الْعِفَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْفُجُورِ وَ الْمَرْءُ أَحْفَظُ لِنَفْسِهِ وَ رَبُّ سَاعٍ فِيمَا يَضُرُّهُ [صفحة ٩٧] مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ وَ مَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ قَارِنِ أَهْلِ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ وَ بَيْنَ أَهْلِ الشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ بِسِيسِ الطَّعَامِ الْحَرَامِ وَ ظَلْمِ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْمِ إِذَا كَانَ الرِّفْقُ حُرْقًا كَمَا أَنَّ الحُرْقَ رِفْقًا رُبَّمَا كَانَ الدَّوَاءُ دَاءً وَ الدَّاءُ دَوَاءً وَ رَبُّمَا نَصِيحَ غَيْرِ النَّاصِحِ وَ عَشَّ الْمُسْتَنْصَحُ وَ إِيَّاكَ وَ الْإِتْكَالَ عَلَى الْمُنَى فَإِنَّهَا بَصَائِعُ النَّوْكَى وَ الْعَقْلُ حِفْظُ التَّجَارِبِ وَ خَيْرٌ مَا جَرَّبْتَ مَا وَعَظَكَ

بَادِرِ الْفُرْصَةَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ غُضِيَّةً لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ يُصِيبُ وَلَا كُلُّ غَائِبٍ يُثُوبُ وَمِنَ الْفَسَادِ إِضَاعِيَّةُ الرَّادِ وَمَفْسَدَةُ الْمَعَادِ وَ لِكُلِّ أَمْرٍ عَاقِبَةٌ سَوْفَ يَأْتِيكَ مَا قُدِّرَ لَكَ التَّاجِرُ مُخَاطِرٌ وَ رَبُّ يَسِيرٍ أَنْمَى مِنْ كَثِيرٍ هَذَا الْكَلَامُ قَدِ اشْتَمَلَ عَلَى أَمْثَالٍ كَثِيرَةٍ حَكْمِيَّةٍ. أُولَاهَا قَوْلُهُ تَلَا فَيْكَ مَا فَرَطَ مِنْ صَمْتِكَ أَيْسَرَ مِنْ إِدْرَاكَكَ مَا فَاتَ مِنْ مَنْطِقِكَ وَ هَذَا مِثْلُ قَوْلِهِمْ أَنْتَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ تَجْعَلَ صَمْتَكَ كَلَامًا وَ لَسْتَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ تَجْعَلَ كَلَامَكَ صَمْتًا وَ هَذَا حَقٌّ لِأَنَّ الْكَلَامَ يَسْمَعُ وَ يَنْقَلُ فَلَا يَسْتَطَاعُ إِعَادَتُهُ صَمْتًا وَ الصَّمْتُ عَدَمُ الْكَلَامِ فَالْقَادِرُ عَلَى الْكَلَامِ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَبْدِلَهُ بِالْكَلامِ وَ لَيْسَ الصَّمْتُ بِمَنْقُولٍ وَ لَا مَسْمُوعٍ فَيَتَعَذَّرُ اسْتِدْرَاكُهُ . [صَفْحَةُ ٩٨] وَ ثَانِيهَا قَوْلُهُ حَفِظْ مَا فِي يَدَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ طَلْبِ مَا فِي أَيْدِي غَيْرِكَ هَذَا مِثْلُ قَوْلِهِمْ فِي الْمَثَلِ الْبَخْلُ خَيْرٌ مِنْ سُؤْلِ الْبَخِيلِ وَ لَيْسَ مِرَادُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عِصْيَانَهُ وَ صَاحِبَتَهُ بِالْإِمْسَاكِ وَ الْبَخْلِ بَلْ نَهْيَهُ عَنِ التَّفْرِيطِ وَ التَّبْذِيرِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَ لَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا وَ أَحْمَقُ النَّاسِ مَنْ أَضَاعَ مَالَهُ اتِّكَالًا- عَلَى مَالِ النَّاسِ وَ ظَنَّا أَنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى الْإِسْتِخْلَافِ قَالَ الشَّاعِرُ -قُرْآن- ٢٢١-٢٧٦ إِذَا حَدَّثَكَ النَّفْسَ أَنْكَ قَادِرٌ || عَلَى مَا حَوَتْ أَيْدِي الرِّجَالِ فَكُذِّبْ . وَ ثَالِثُهَا قَوْلُهُ مَرَارَةُ الْيَأْسِ خَيْرٌ مِنَ الطَّلْبِ إِلَى النَّاسِ مِنْ هَذَا أَخَذَ الشَّاعِرُ قَوْلَهُ وَ إِنْ كَانَ طَعْمُ الْيَأْسِ مَرَا فِإِنَّهُ || أَلْذُ وَ أَحْلَى مِنْ سُؤْلِ الْأَرَاذِلِ . وَ قَالَ الْبَحْتَرِيُّ وَ الْيَأْسُ إِحْدَى الرَّاحَتَيْنِ وَ لَنْ تَرَى || تَعْبًا كَظَنِ الْخَائِبِ الْمَغْرُورِ . وَ رَابِعُهَا قَوْلُهُ الْحَرْفَةُ مَعَ الْعَفَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْفَجُورِ وَ الْحَرْفَةُ بِالْكَسْرِ مِثْلُ الْحَرْفِ بِالضَّمِّ وَ هُوَ نَقْصَانُ الْحِظِّ وَ عَدَمُ الْمَالِ وَ مِنْهُ قَوْلُهُ رَجُلٌ مَحَارِفٌ بِفَتْحِ الرَّاءِ يَقُولُ لِأَنَّ يَكُونُ الْمَرْءُ هَكَذَا وَ هُوَ عَفِيفٌ الْفَرْجِ وَ الْيَدِ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْفَجُورِ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ أَلْمَ الْحَرْفَةَ مَعَ الْعَفَّةِ وَ مَشَقَّتُهَا إِنَّمَا هِيَ فِي أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ وَ هِيَ أَيَّامُ الْعُمُرِ وَ لَذَّةُ الْغِنَى إِذَا كَانَ مَعَ الْفَجُورِ فَفِي مِثْلِ تِلْكَ الْأَيَّامِ يَكُونُ وَ لَكِنْ يَسْتَعْقِبُ عَذَابًا طَوِيلًا فَالْحَالُ الْأَوَّلِيُّ خَيْرٌ لِامْحَالَةِ وَ أَيْضًا فِي الدُّنْيَا خَيْرٌ أَيْضًا لِلذِّكْرِ الْجَمِيلِ فِيهَا وَ الذِّكْرُ الْقَبِيحُ فِي الثَّانِيَةِ وَ لِلْمَحَافِظَةِ عَلَى الْمَرْوَةِ فِي الْأَوَّلِيِّ وَ سَقُوطِ الْمَرْوَةِ فِي الثَّانِيَةِ. [صَفْحَةُ ٩٩] وَ خَامِسُهَا قَوْلُهُ الْمَرْءُ أَحْفَظُ لِسَرِهِ أَى الْأَوَّلِيُّ أَلَا- تَبُوحُ بِسِرِّكَ إِلَى أَحَدٍ فَأَنْتَ أَحْفَظُ لَهُ مِنْ غَيْرِكَ فَإِنْ أَدْعَتْهُ فَانْتَشِرْ فَلَا تَلْمِ إِلَّا نَفْسَكَ لِأَنَّكَ كُنْتَ عَاجِزًا عَنْ حَفِظِ سِرِّ نَفْسِكَ فَغَيْرِكَ عَنْ حَفِظِ سِرِّكَ وَ هُوَ أَجْنَبِيٌّ أَعْجَزُ قَالَ الشَّاعِرُ إِذَا ضَاقَ أَصْدَرُ الْمَرْءِ عَنْ حَفِظِ سِرِّهِ || فَصَدَرَ الَّذِي يَسْتَوْدِعُ السِّرَّ أَضْيَقُ . وَ سَادِسُهَا قَوْلُهُ رَبِّ سَاعٍ فِيمَا يَضُرُّهُ قَالَ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْكَاتِبُ فِي كِتَابِهِ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ بِالنَّمْلَةِ صَلَاحًا لَمَا أَنْبَتَ لَهَا جَنَاحًا. وَ سَابِعُهَا قَوْلُهُ مِنْ أَكْثَرِ أَهْجَرٍ يُقَالُ أَهْجَرَ الرَّجُلُ إِذَا فُحِشَ فِي الْمَنْطِقِ السُّوءِ وَ الْخُنْيِ قَالَ الشَّمَاخُ كَمَا جَدَّ الْأَعْرَاقُ قَالَ ابْنُ زُصْرَةَ || عَلَيْهَا كَلَامًا جَارٍ فِيهِ وَ أَهْجَرًا . وَ هَذَا مِثْلُ قَوْلِهِمْ مِنْ كَثَرِ كَلَامِهِ كَثُرَ سَقَطُهُ وَ قَالُوا أَيْضًا قَلِمًا سَلِمَ مَكْتَنَارٌ أَوْ أَمِنَ مِنْ عِثَارٍ. وَ ثَامِنُهَا قَوْلُهُ مِنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ قَالَتِ الْحَكَمَاءُ الْفِكْرُ تَحْدِيقُ الْعَقْلِ نَحْوَ الْمَعْقُولِ كَمَا أَنَّ النَّظَرَ الْبَصْرَى تَحْدِيقُ الْبَصْرِ نَحْوَ الْمَحْسُوسِ وَ كَمَا أَنَّ مِنْ حَدَقَ نَحْوَ الْمَبْصُرِ وَ حَدَقْتَهُ صَحِيحَةٌ وَ الْمَوَانِعُ مَرْتَفَعَةٌ لِأَبْدَانٍ أَنْ يَبْصُرَهُ كَذَلِكَ مِنْ نَظَرٍ بَعِينٍ عَقْلُهُ وَ أَفْكَرَ فِكْرًا صَحِيحًا لِأَبْدَانٍ أَنْ يَدْرِكَ الْأَمْرَ الَّذِي فِكْرُهُ فِيهِ وَ يَبْنَاهُ . وَ تَاسِعُهَا قَوْلُهُ قَارِنُ أَهْلِ الْخَيْرِ تَكُنْ مَعَهُمْ وَ بَايِنُ أَهْلِ الشَّرِّ تَبْنِ عَنْهُمْ كَأَنَّ يُقَالُ حَاجِبُكَ وَ جِهَكَ وَ كَاتِبُكَ لِسَانَكَ وَ جَلِيسُكَ كَلِّكَ وَ قَالَ الشَّاعِرُ عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَ سَلْ عَنِ قَرِينِهِ || فَكُلَّ قَرِينٍ بِالْمَقَارِنِ مَقْتَدٌ . [صَفْحَةُ ١٠٠] وَ عَاشِرُهَا قَوْلُهُ بَسُّ الطَّعَامِ الْحَرَامِ هَذَا مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَ سَيَصْلُونَ سَعِيرًا. وَ حَادِي عَشْرًا قَوْلُهُ ظَلَمَ الضَّعِيفَ أَفْحَشَ الظُّلْمِ رَأَى مَعَاوِيَةَ ابْنَهُ يَزِيدُ يَضْرِبُ غُلَامًا فَقَالَ يَا بَنِي كَيْفَ لَا يَسَعُ حَلْمُكَ مِنْ تَضْرِبِهِ فَلَا يَمْتَنِعُ مِنْكَ وَ أَمْرُ الْمَأْمُونِ بِأَشْخَاصِ الْخَطَابِيِّ الْقَاصِ مِنَ الْبَصْرَةِ فَلَمَّا مِثْلُ بَيْنِ يَدَيْهِ قَالَ لَهُ يَا سَلِيمَانُ أَنْتَ الْقَائِلُ الْعِرَاقُ عَيْنُ الدُّنْيَا وَ الْبَصْرَةُ عَيْنُ الْعِرَاقِ وَ الْمَرْبِدُ عَيْنُ الْبَصْرَةِ وَ مَسْجِدِي عَيْنُ الْمَرْبِدِ وَ أَنْعَيْنِ مَسْجِدِي وَ أَنْتَ أَعُورٌ فَإِنَّ عَيْنَ الدُّنْيَا عُورَاءُ قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِمَ أَقْلُ ذَاكَ وَ لَا أَظُنُّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحْضَرَنِي لِذَلِكَ قَالَ بَلْغَنِي أَنْكَ أَصْبَحْتَ فَوَجَدْتَ عَلِيَّ سَارِيَةً مِنْ سُورِي مَسْجِدِكَ -قُرْآن- ٥٦-١٦٥ رَحِمَ اللَّهُ عَلِيًّا || إِنَّهُ كَانَ تَقِيًّا فَأَمَرْتُ بِمَحْوِهِ قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَانَ وَ لَقَدْ كَانَ نَبِيًّا فَأَمَرْتُ بِإِزَالَتِهِ فَقَالَ كَذَبْتَ كَانَتْ الْقَافُ أَصْحَ مِنْ عَيْنِكَ الصَّحِيحَةُ ثُمَّ قَالَ وَ اللَّهُ لَوْ لَا أَنْ أَقِيمَ لَكَ عِنْدَ الْعَامَةِ سُوقًا لِأَحْسَنْتَ تَأْدِيبِيكَ قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدِ تَرَى مَا أَنَا عَلَيْهِ مِنَ الضَّعْفِ وَ الزَّمَانَةِ وَ الْهَرَمِ وَ قَلَّةِ الْبَصْرِ فَإِنَّ عَاقِبَتِي

مظلوما فاذا ذكر قول ابن عمك على ع ظلم الضعيف أفحش الظلم -رواية- ١-٢-رواية- ٢٤-٥٠ و إن عاقبتني بحق فاذا ذكر أيضا قوله لكل شىء رأس والحلم رأس السؤدد -رواية- ١-٢-رواية- ٩-٤٢ فنهض المأمون من مجلسه وأمر برده إلى البصرة و لم يصله بشىء و لم يحضر أحد قط مجلس المأمون إلا وصله عدا الخطابى و ليس هذا هو المحدث الحافظ المشهور ذاك أبو سليمان أحمد بن محمد بن أحمد البستي كان فى أيام المطيع والطائع و هذا قاص بالبصرة كان يقال له أبو زكريا سليمان بن محمد البصرى. وثانى عشرها قوله إذا كان الرفق خرقا كان الخرق رفقا يقول إذا كان استعمال [صفحة ١٠١] الرفق مفسدة وزيادة فى الشر فلا تستعمله فإنه حينئذ ليس برفق بل هو خرق ولكن استعمل الخرق فإنه يكون رفقا والحالة هذه لأن الشر لا يلقى إلا بشر مثله قال عمرو بن كلثوم ألا لا يجهلن أحد علينا || فجهل فوق جهل الجاهلينا . و فى المثل إن الحديد بالحديد يفلج . و قال زهير و من لا يزد عن حوضه بسلاحه || يهدم و من لا يظلم الناس يظلم . و قال أبو الطيب ووضع الندى فى موضع السيف بالعلى || مضر كوضع السيف فى موضع الندى . وثالث عشرها قوله وربما كان الدواء داء والداء دواء هذا مثل قول أبى الطيب ربما صحت الأجسام بالعلل . ومثله قول أبى نواس ودأونى بالتى كانت هى الداء . ومثل قول الشاعر تداويت من ليلى بليلى فلم يكن || دواء ولكن كان سقما مخالفا . ورابع عشرها قوله ربما نصح غير الناصح وغش المستنصح كان المغيرة بن شعبه يبخس عليا ع منذ أيام رسول الله ص وتأكدت [صفحة ١٠٢] بغضته إلى أيام أبى بكر وعثمان وعمر وأشار عليه يوم ببيع بالخلافه أن يقر معاوية على الشام مدة يسيرة فإذا خطب له بالشام وتوطأت دعوته دعاه إليه كما كان عمر وعثمان يدعوانه إليهما و صرفه فلم يقبل و كان ذلك نصيحة من عدو كاشح . واستشار الحسين ع عبد الله بن الزبير وهما بمكة فى الخروج عنها وقصد العراق ظانا أنه ينصحه فغشه و قال له لا تقم بمكة فليس بها من يباعدك ولكن دونك العراق فإنهم متى رأوك لم يعدلوا بك أحدا فخرج إلى العراق حتى كان من أمره ما كان . وخامس عشرها قوله إياك والاتكال على المنى فإنها بضائع النوكى جمع أنوك و هو الأحمق من هذا أخذ أبو تمام قوله من كان مرعى عزمه وهمومه || روض الأمانى لم يزل مهزولا . و من كلامهم ثلاثة تخلق العقل و هو أوضح دليل على الضعف طول التمنى وسرعة الجواب والاستغراب فى الضحك و كان يقال التمنى والحلم سيان و قال آخر شرف الفتى ترك المنى . وسادس عشرها قوله العقل حفظ التجارب من هذا أخذ المتكلمون قولهم العقل نوعان غريزى ومكتسب فالغريزى العلوم البديهية والمكتسب ما أفادته التجربة وحفظته النفس . وسابع عشرها قوله خير ماجربت ما وعظك مثل هذا قول أفلاطون إذا لم تعظك التجربة فلم تجرب بل أنت ساذج كما كنت . وثامن عشرها قوله بادر الفرصة قبل أن تكون غصه حضر عبيد الله بن زياد عندهائى بن عروة عائدا و قد كمن له مسلم بن عقيل وأمره أن يقتله إذا جلس [صفحة ١٠٣] واستقر فلما جلس جعل مسلم يؤامر نفسه ويريدها على الوثوب به فلم تطعه وجعل هائى ينشد كأنه يترنم بالشعر ما الانتظار بسلمى لاتحييها ويكرر ذلك فأوجس عبيد الله خيفة ونهض فعاد إلى قصر الإمارة وفات مسلما منه ما كان يؤمله بإضاعة الفرصة حتى صار أمره إلى ما صار وتاسع عشرها قوله ليس كل طالب يصيب و لا كل غائب يثوب الأولى كقول القائل ما كل وقت ينال المرء ما طلبا || و لا يسوغه المقدمار ما وهبا والثانية كقول عبيد و كل ذى غيبة يثوب || وغائب الموت لا يثوب . العشرون قوله من الفساد إضاعة الزاد ومفسدة المعاد و لا ريب أن من كان فى سفر وأضاع زاده وأفسد الحال التى يعود إليها فإنه أحمق و هذا مثل ضربه للإنسان فى حالتي دنياه وآخرته . الحادى والعشرون قوله ولكل أمر عاقبه هذا مثل المشهور لكل سائلة قرار. الثانى والعشرون قوله سوف يأتىك ما قدر لك هذا من قول رسول الله ص و إن يقدر لأحدكم رزق فى قبة جبل أو حضيض بقاع يأتته -رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-٧٨. الثالث والعشرون قوله التاجر مخاطر هذا حق لأنه يتعجل بإخراج الثمن و لا يعلم هل يعود أم لا و هذا الكلام ليس على ظاهره بل له باطن و هو أن من مزج الأعمال الصالحة بالأعمال السيئة مثل قوله حَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَ آخَرَ سَيِّئًا -قرآن- ٢٠٢-٢٤٢ [صفحة ١٠٤] فإنه مخاطر لأنه لا يأمن أن يكون بعض تلك السيئات تحبط أعماله الصالحة كما لا يأمن أن يكون بعض

أعماله الصالحة يكفر تلك السيئات والمراد أنه لا يجوز للمكلف أن يفعل إلا الطاعة أو المباح. الرابع والعشرون قوله رب يسير أنمى من كثير قد جاء في الأثر قد يجعل الله من القليل الكثير ويجعل من الكثير البركة وقال الفرزدق فإن تميما قبل أن يلد الحصى || أقام زمانا و هو فى الناس واحد . وقال أبو عثمان الجاحظ رأينا بالبصرة أخوين كان أبوهما يحب أحدهما ويغض الآخر فأعطى محبوبه يوم موته كل ماله و كان أكثر من مائتى ألف درهم و لم يعط الآخر شيئا و كان يتجر فى الزيت ويكتسب منه ما يصرفه فى نفقة عياله ثم رأينا أولاد الأخ الموسر بعد موت الأخوين من عائلته ولد الأخ المعسر يتصدقون عليهم من فواضل أرزاقهم لا خير فى معين مهين و لا فى صديق ظنين ساهل الدهر ما ذل لك قعوده و لا تخاطر بشيء رجاء أكثر منه و إياك أن تجمىح بك مطية اللجاج احمل نفسك من أخيك عند صريره على الصيلة و عند صدوده على اللطف و المقاربة و عند جموده على اليزل و عند تباعده على الذنوب و عند شدته على اللين و عند جرمه على العذر حتى كأنك له عبد و كأنه ذو نعمة عليك [صفحہ ۱۰۵] و إياك أن تضع ذلك فى غير موضعه أو أن تفعله بغير أهله لا تتخذن عيود صديقك صديقا فتعادي صديقك و امحص أخاك النصيحة حسنة كانت أو قبيحة و تجرع الغيظ فإننى لم أر جرة أحلى منها عاقبة و لا ألد مغبة و لن لمن غالظك فإنه يوشك أن يلين لك و تحذ على عيودك بالفضل فإنه أجد الظفرين و إن أردت قطيعة أخيك فاستبق له من نفسك بقيته يرجع إليها إن يدا له ذلك يوما ما و من ظن بك خيرا فصدد ظنه و لا تضي عن حق أخيك اتكالا على ما بينك و بينه فإنه ليس لك بأخ من أضعت حقه و لا يكن أهلك أشقى الخلق بك و لا ترغبن فيمن زهد عنك و لا تكونن أخوك أقوى على قطيعة منك على صلبته و لا تكونن على الإساءة أقوى منك على الإحسان و لا يكبرن عليك ظلم من ظلمك فإنه يسعى فى مضرتة و نفعك و ليس جزاء من سيرك أن تسوءه هذا الفصل قد اشتمل على كثير من الأمثال الحكيمه فأولها قوله لا خير فى معين مهين و لا فى صديق ظنين مثل الكلمة الأولى قولهم إذا تكفيت بغير كاف || وجدته لهم غير شاف . و من الكلمة الثانية أخذ الشاعر قوله فإن من الإخوان من شحط النوى || به و هوراع للوصال أمين ومنهم صديق العين أمالقاؤه || فحلوا و أماغيه فظنين . [صفحہ ۱۰۶] وثانيها قوله ساهل الدهر ما ذلك لك قعوده هذا استعارة والقعود البكر حين يمكن ظهره من الركوب إلى أن يشنى ومثل هذا المعنى قولهم فى المثل من ناطح الدهر أصبح أجم . ومثله ودر مع الدهر كيفما دارا ومثله و من قامر الأيام عن ثمراتها || فأحر بها أن تنجلي ولها القمر . ومثله إذا الدهر أعطاك العنان فسر به || رويدا و لاتعنف فيصبح شامسا . وثالثها قوله لا تخاطر بشيء رجاء أكثر منه هذا مثل قولهم من طلب الفضل حرم الأصل . ورابعها قوله إياك و أن تجمىح بك مطية اللجاج هذا استعارة و فى المثل ألج من خنفساء وألج من زنبور و كان يقال اللجاج من القحة والقحة من قلة الحياء و قلة الحياء من قلة المروءة و فى المثل لج صاحبك فحج . وخامسها قوله احمل نفسك من أخيك إلى قوله أو تفعله بغير أهله اللطف بفتح اللام والطاء الاسم من أطفه بكذا أى بره به وجاءتنا لطفة من فلان أى هديته والملاطفة المبارءة وروى عن اللطف و هو الرفق للأمر والمعنى أنه أوصاه إذا قطعه أخوه أن يصله و إذا جفاه أن يبره و إذا بخل عليه أن يوجد عليه إلى آخر الوصاءة . ثم قال له لا تفعل ذلك مع غير أهله قال الشاعر [صفحہ ۱۰۷] و أن ألدنى بينى و بين بنى أبى || و بين بنى أمى لمختلف جدا فإن أكلوا لحمى وفرت لحومهم || و إن هدموا مجدى بنيت لهم مجدا و إن زجروا طيرا بنحس تمر بى || زجرت لهم طيرا تمر بهم سعدا و لا أحمل الحقد القديم عليهم || و ليس رئيس القوم من يحمل الحقد . و قال الشاعر إنى و إن كان ابن عمى كاشحا || لمقادف من خلفه وورائه ومفيده نصرى و إن كان امرأ || مترحزحا فى أرضه وسمائه وأكون والى سره وأصونه || حتى يحق على وقت أدائه و إذا الحوادث أجمعت بسوامه || قرنت صحيحتنا إلى جربائه و إذا دعا باسمى ليركب مركبا || صعبا قعدت له على سيسائه و إذا جن فليقه فى خدره || لم أطلع مما وراء خبائه و إذا ارتدى ثوبا جميلا لم أقل || ياليت أن على فضل ردائه . وسادسها قوله لا تتخذن عدو صديقك صديقا فتعادي صديقك قد قال الناس فى هذا المعنى فأكثرها قال بعضهم إذا صافى صديقك من تعادى || فقد

عاداتك وانقطع الكلام . و قال آخر صديق صدیقی داخل فی صداقتی || وخصم صدیقی لیس لی بصدیق . و قال آخر تود عدوی ثم تزعم أنني || صدیقک إن الرأى عنک لعازب . [صفحہ ۱۰۸] وسابعها قوله وامحض أخاک النصیحة حسنة كانت أوقیحة لیس یعنی ع بقیحة هاهنا القییح الذى يستحق به الذم والعقاب وإنما یرید نافعہ له فی العاجل كانت أوضارہ له فی الأجل فعبر عن النفع والضرر بالحسن والقییح كقوله تعالى وَ إِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ . و قدسره قوم فقالوا أراد كانت نافعہ لك أوضارہ لك ويحتمل تفسير آخر و هو وصيته إياه أن يمحض أخاه النصیحة سواء كانت مما لا يستحيا من ذكرها وشياعها أو كانت مما يستحيا من ذكرها واستفاضتها بين الناس كمن ينصح صدیقه فی أهله ويشير عليه بفراقهم لفجور اطلع عليه منهم فإن الناس يسمون مثل هذا إذ اشاع قییحا . وثامنها قوله تجرع الغیظ فإنی لم أر جرعة أحلى منها عاقبة و لألذ مغبة هذامثل قولهم الحلم مرارة ساعة وحلاوة الدهر كله و كان يقال التذلل للناس مصاديد الشرف . -قرآن- ۲۳۰-۲۹۶ قال المبرد فی الكامل أوصى على بن الحسين ابنه محمد بن على ع فقال يابنى عليك بتجرع الغیظ من الرجال فإن أباك لا يسره بنصیبه من تجرع الغیظ من الرجال حمر النعم والحلم أعز ناصرا وأكثر عددا -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۵-۲۰۵ . وتاسعها قوله لن لمن غالظک فإنه یوشک أن یلین لك هذامثل المثل المشهور إذا عزأخوک فهن والأصل فی هذا قوله تعالى ادفع یالتي هي أحسن فإذا ألدی بینک و بینة عداوة كأنه ولي حمیم . وعاشرها قوله خذ على عدوك بالفضل فإنه أحد الظفرین هذامعنى ملیح و منه قول ابن هانئ فی المعز -قرآن- ۱۲۵-۲۲۱ [صفحہ ۱۰۹] ضراب هام الروم منتقما و فی || أعناقهم من جوده أعباء لو لانبعث السیف و هو مسلط || فی قتلهم قتلتهم النعماء . و كنت كاتبا بديوان الخلافة والوزير حينئذ نصير الدين أبوالأزهر أحمد بن الناقد رحمه الله فوصل إلى حضرة الديوان فى سنة اثنتين وثلاثين وستمائة محمد بن محمد أميرالبحرين على البر ثم وصل بعده الهرمزی صاحب هرمز فى دجلة بالمراكب البحرية وهرمز هذه فرضة فى البحر نحو عمان وامتلات بغداد من عرب محمد بن محمد وأصحاب الهرمزی و كانت تلك الأيام أياما غراء زاهرة لما أفاض المستنصر على الناس من عطايه والوفود تزدحم من أقطار الأرض على أبواب ديوانه فكتبت يوم دخول الهرمزی إلى الوزير أبياتا سنحت على البديهة و أنامتشاغل بما كنت فيه من مهام الخدمة و كان رحمه الله لا يزال يذكرها وينشدها ويستحسنها يا أحمد بن محمد أنت الذى || عقلت يدها بأنفس الأعلق ماأملت بغداد قبلک أن ترى || أبدا ملوك البحر فى الأسواق ولهوا عليها غيره و تنافسوا || شغفا بها كتنافس العشاق و غدت صلاتك فى رقاب سراتهم || و نذاك كالأطواق فى الأعناق بسديد رأيك أصلحت جمحاتهم || و تألفوا من بعد طول شقاق لله همه ماجد لم تعلق || بسحيل آراء و لأحذاق جلب السلاهب من أراك و بعدها || جلب المراكب من جزيرة واق هذاالعداء هوالعداء فعد عن || قول ابن حجر فى لأى و عناق و أظنه والظن علم أنه || سيجيئنا بممالك الآفاق إما أسير صنيعة فى جیده || بالوجود غل أو أسير وثاق [صفحہ ۱۱۰] لانزال فى ظل الخليفة ما له || فان وسودده المعظم باق وحادى عشرها قوله إن أردت قطيعة أخيك فاستبق له من نفسك بقية يرجع إليها إن بدا ذلك له يوما هذامثل قولهم أحب حبیبك هونا ماعسى أن يكون بغیضك يوما ما و أبغض بغیضك هونا ماعسى أن يكون حبیبك يوما ما و ما كان يقال إذا هويت فلا تكن غالیا و إذا تركت فلا تكن قالیا . وثانى عشرها قوله من ظن خيرا فصدق ظنه كثير من أرباب الهمم يفعلون هذايقال لمن قدشدا طرفا من العلم هذاعالم هذافاضل فيدعوه ماظن فيه من ذلك إلى تحقيقه فيواظب على الاشتغال بالعلم حتى يصير عالما فاضلا حقیقة وكذلك يقول الناس هذاكثير العبادة هذاكثير الزهد لمن قدشرع فى شىء من ذلك فتحمله أقوال الناس على الالتزام بالزهد والعبادة . وثالث عشرها قوله و لاتضيعن حق أخيك اتكالا- على ما بينك و بينه فإنه لیس لك بأخ من أضعت حقه من هذاالنحو قول الشاعر . إذا خنتم بالغيب عهدى فما لكم || تدلون إدلال المقيم على العهد صلوا و افعلوا فعل المدل بوصله || و إلفصدوا و افعلوا فعل ذى الصدى . و كان يقال إضاعة الحقوق داعية العقوق . و رابع عشرها قوله لاترغبن فيمن زهد فيك الرغبة فى الزاهد هى

الداء العياء قال العباس بن الأحنف ما زلت أزهد في مودة راغب || حتى ابتليت برغبة في زاهد هذا هو الداء الذي ضاقت به ||
حيل الطيب وطال بأس العائد . [صفحہ ۱۱۱] وقد قال الشعراء المتقدمون والمتأخرون فأكثرنا نحو قولهم وفي الناس إن رثت
حبالك واصل || وفي الأرض عن دار القلي متحول . وقول تأبط شرا إني إذا خلت ضنت بناثلها || وأمسكت بضعيف الحبل
أحذاقي نجوت منها نجائي من بجيلة إذ || ألقيت ليله خبت الرهط أرواقي . وخامس عشرها قوله لا يكون أخوك أقوى على
قطيعتك منك على صلته ولا تكونن على الإساءة أقوى منك على الإحسان هذا أمر له بأن يصل من قطعه وأن يحسن إلى من
أساء إليه . ظفر المأمون عبد الله بن هارون الرشيد بكتب قد كتبها محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ع إلى أهل الكرخ وغيرهم
من أعمال أصفهان يدعوهم فيها إلى نفسه فأحضرها بين يديه ودفعتها إليه وقال له أتعرف هذه فأطرق خجلا فقال له أنت آمن و
قد وهبت هذا الذنب لعلی وفاطمة ع فقم إلى منزلك وتخبر ماشئت من الذنوب فإننا نتخير لك مثل ذلك من العفو . وسادس
عشرها قوله لا يكبرن عليك ظلم من ظلمك فإنه يسعى في مضرتة ونفعك ولا يسر جزء من سررك أن تسوءه جاء في الخبر
المرفوع إنه ص سمع عائشة تدعو على من سرق عقدا لها فقال لها لا تمسحى عنه بدعائك -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۴-۹۹ أی
لا تخفنى عذابه وقوله ع ولا يسر جزء من سررك أن تسوءه يقول لا تنتقم ممن ظلمك فإنه قد نفعك في الآخرة بظلمه لك و
ليس جزء من ينفع إنسانا أن يسىء إليه وهذا مقام جليل [صفحہ ۱۱۲] لا يقدر عليه إلا الأفراد من الأولياء الأبرار وقبض بعض
الجبابرة على قوم صالحين فحبسهم وقيدهم فلما طال عليهم الأمر زفر بعضهم زفرة شديدة ودعا على ذلك الجبار فقال له بعض
أولاده وكان أفضل أهل زمانه في العبادة وكان مستجاب الدعوة لا تدع عليه فتخفف عن عذابه قالوا يافلان ألا ترى ما بنا وبك
لا يأنف ربك لنا قال إن لفلان مهبطا في النار لم يكن ليبلغه إلا بما ترون وإن لكم لمصعدا في الجنة لم تكونوا لتبلغوه إلا بما
ترون قالوا فقد نال منا العذاب والحديد فادع الله لنا أن يخلصنا وينقذنا مما نحن فيه قال إني لأظن أنى لوفعلت لفعل ولكن والله
لا أفعل حتى أموت هكذا فألقى الله فأقول له أى رب سل فلانا لم فعل بى هذا ومن الناس من يجعل قوله ع ولا يسر جزء من
سررك أن تسوءه كلمة مفردة مستقلة بنفسها ليست من تمام الكلام الأول والصحيح ما ذكرناه . وسابع عشرها ومن حقه أن يقدم
ذكره قوله ولا يكن أهلك أشقى الخلق بك هذا كما يقال فى المثل من شؤم الساحرة أنها أول ما تبدأ بأهلها والمراد من هذه
الكلمة النهى عن قطيعه الرحم وإقصاء الأهل وحرمانهم وفي الخبر المرفوع صلوا أرحامكم ولوبالسلام -روایت- ۱-۲-روایت-
۲۱-۴۸ و اعلم يا بنى أن الرزق رزقان رزق تطلبه و رزق يطببك فإن أنت لم تأتبه أتاك ما أقيح الخسوع عند الحاحيه و الجفاء
عند الغنى إنما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك وإن كنت جازعا على ما تفلت من يديك فاجزع على كل ما لم يصل
إليك [صفحہ ۱۱۳] استدل على ما لم يكن بما قد كان فإن الأمور أشباهة ولا تكونن ممن لا تنفعه العظة إذا بالغت في إيلايه فإن
العاقل يتعظ بالآداب و البهائم لا تتعظ إلا بالضرب . اطرح عنك واردات الهوموم بعزائم الصبر و حسن اليقين من ترك القصد جار
و الصاحب مناسب و الصديق من صدق غيبه و الهوى شريك العمى و رب بعيد أقرب من قريب و قريب أبعد من بعيد و الغريب
من لم يكن له حبيب من تعدى الحق ضاق مذهبه و من اقتصر على قدره كان أبى له و أوثق سبب أخذت به سبب بينك و بين
الله سبحانه و من لم يبالك فهو عدوك قد يكون اليأس إدراكا إذا كان الطمع هلاكا ليس كل عورة تظهر و لا كل فرصة تصاب
و ربما أخطأ البصير قصده و أصاب الأعمى رشه أخر الشر فإنك إذا شئت تعجلته و قطيعه الجاهل تعدل صلمة العاقل من أمن
الزمان حانه و من أعظمه أهانه ليس كل من رمى أصاب إذا تغير السلطان تغير الزمان سل عن الرفيق قبل الطريق و عن الجار قبل
الدار [صفحہ ۱۱۴] فى بعض الروايات اطرح عنك واردات الهوموم بحسن الصبر و كرم العزاء -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۱-۷۳
قدمضى لنا كلام شاف فى الرزق . وروى أبوحيان قال رفع الواقدى إلى المأمون رقعة يذكر فيها غلبه الدين عليه وكثرة العيال
وقله الصبر فوق المأمون عليها أنت رجل فيك خلتان السخاء والحياء فأما السخاء فهو الذى أطلق ما فى يديك و أما الحياء فهو

الذى بلغ بك إلى ما ذكرت و قد أمرنا لك بمائة ألف درهم فإن كنا أصبنا إرادتك فازدد في بسط يدك و إن كنا لم نصب إرادتك فبجنايتك على نفسك و أنت كنت حدثتني و أنت على قضاء الرشيد عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن أنس بن مالك إن رسول الله ص قال للزبير يازبير إن مفاتيح الرزق بإزاء العرش ينزل الله تعالى للعباد أرزاقهم على قدر نفقاتهم فمن كثر كثر له و من قلل قلل له -رواية- ١-٢-رواية- ٨٠-٢٠٦ قال الواقدي و كنت أنسيت هذا الحديث و كانت مذاكرته إياي به أحب من صلته . و اعلم أن هذا الفصل يشتمل على نكت كثيرة حكيمة منها قوله الرزق رزقان رزق تطلبه و رزق يطلبك و هذا حق لأن ذلك إنما يكون على حسب ما يعلمه الله تعالى من مصلحة المكلف فتارة يأتيه الرزق بغير اكتساب و لا تكلف حركة و لا تجشم سعي و تارة يكون الأمر بالعكس . دخل عماد الدولة أبو الحسن بن بويه شيراز بعد أن هزم ابن ياقوت عنها و هو فقير [صفحة ١١٥] لا مال له فساخت إحدى قوائم فرسه في الصحراء في الأرض فتزل عنها وابتدرها غلمانة فخلصوها فظهر لهم في ذلك الموضوع نقب واسع فأمرهم بحفرة فوجدوا فيه أموالا عظيمة و ذخائر لابن ياقوت ثم استلقى يوما آخر على ظهره في داره بشيراز التي كان ابن ياقوت يسكنها فرأى حية في السقف فأمر غلمانة بالعود إليها وقتلها فهربت منهم و دخلت في خشب الكنيسة فأمر أن يقلع الخشب و تستخرج و تقتل فلما قلعوا الخشب و وجدوا فيه أكثر من خمسين ألف دينار ذخيرة لابن ياقوت . و احتاج أن يفصل ويخيط ثيابا له و لأهله فقيل هاهنا خياط حاذق كان يخيط لابن ياقوت و هو رجل منسوب إلى الدين والخير إلا أنه أصم لا يسمع شيئا أصلا فأمر بإحضاره فأحضر و عنده رعب و هلع فلما أدخله إليه كلمه و قال أريد أن تخيط لنا كذا و كذا قطعة من الثياب فارتعد الخياط و اضطرب كلامه و قال و الله يامولانا ما له عندي إلا أربعة صناديق ليس غيرها فلا تسمع قول الأعداء في فتعجب عماد الدولة و أمر بإحضار الصناديق فوجدها كلها ذهباً و حلياً و جواهر مملوءة و دبعة لابن ياقوت . و أما الرزق الذي يطلبه الإنسان ويسعى إليه فهو كثير جدا لا يحصى و منها قوله ما أقبح الخضوع عند الحاجة و الجفاء عند الغنى هذا من قول الله تعالى حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَ جَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَ فَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَ جَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن أَنْجَبْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ . و من الشعر الحكمي في هذا الباب قول الشاعر -قرآن- ١٠٨٧-١٤١٣ خلقان لأرضاهما لفتى || تيه الغنى و مذلة الفقر [صفحة ١١٦] فإذا غنيت فلا تكن بطرا || و إذا افتقرت فته على الدهر . و منها قوله إنما لك من دنياك ما أصلحت به مشواك هذا من كلام رسول الله ص يا ابن آدم ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفريت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-١٠٧ . و قال أبو العتاهية ليس للمتعب المكادح من دنياه || إلا الرغيف و الطمران . و منها قوله و إن كنت جازعا على ماتفت من يدك فاجزع على كل ما لم يصل إليك يقول لا ينبغي أن تجزع على ما ذهب من مالك كما لا ينبغي أن تجزع على ما فاتك من المنافع و المكاسب فإنه لا فرق بينهما إلا أن هذا حصل و ذاك لم يحصل بعد و هذا فرق غير مؤثر لأن الذي تظن أنه حاصل لك غير حاصل في الحقيقة و إنما الحاصل على الحقيقة ما أكلته و لبسته و أما القنيات و المدخرات فلعلها ليست لك كما قال الشاعر و ذى إبل يسقى و يحسبها له || أخى تعب في رعيها و دءوب غدت و غدا رب سواه يسوقها || و بدل أحجارا و جال قلب . و منها قوله استدل على ما لم يكن بما كان فإن للأمور أشباها يقال إذا شئت أن تنظر للدنيا بعدك فانظرها بعد غيرك . و قال أبو الطيب في سيف الدولة ذكى تظنيه طليعة عينه || يرى قلبه في يومه ما يرى غدا . و منها قوله و لا تكونن ممن لا تنفعه العظة ... إلى قوله إلا بالضرب هو قول الشاعر [صفحة ١١٧] العبد يقرع بالعصا || و الحر تكفيه الملامة و كان يقال اللثيم كالعبد و العبد كالبهيمة عتبها ضربها . و منها قوله اطرح عنك واردات الهموم بحسن الصبر و كرم العزاء هذا كلام شريف فصيح عظيم النفع و الفائدة و قد أخذ عبد الله بن الزبير بعض هذه الألفاظ فقال في خطبته لما ورد عليه الخبر بقتل مصعب أخيه لقد جاءنا من العراق خبر أحرزنا و سرنا جاءنا خبر قتل مصعب فأما سرورنا فلأن ذلك كان له شهادة و كان لنا إن شاء الله خيرة و أما الحزن فلو عه يجدها الحميم

عندفراق حميمه ثم يرعوى بعدها ذو الرأى إلى حسن الصبر وكرم العزاء. ومنها قوله من ترك القصد جار القصد الطريق المعتدل يعنى أن خير الأمور أوسطها فإن الفضائل تحيط بها الرذائل فمن تعدى هذه يسيرا وقع فى هذه. ومنها قوله صاحب مناسب كان يقال الصديق نسيب الروح والأخ نسيب البدن قال أبو الطيب ما للخل إلا من أود بقلبه || وأرى بطرف لا يرى بسوائه. ومنها قوله الصديق من صدق غيبه من هاهنا أخذ أبو نواس قوله فى المنهوكه هل لك والهلهل خير || فيمن إذا غبت حضر أو ما لك اليوم أثر || فإن رأى خيرا شكر أو كان تقصير عذر. ومنها قوله الهوى شريك العمى هذا مثل قولهم حبك الشىء يعمى ويصم قال الشاعر [صفحه ١١٨] وعين الرضا عن كل عيب كليله || كما أن عين السخط تبدى المساويا. ومنها قوله رب بعيد أقرب من قريب وقريب أبعد من بعيد هذا معنى مطروق قال الشاعر لعمر ك ما يضر البعد يوما || إذا دنت القلوب من القلوب. وقال الأصوص إنى لأمنحك الصدود وإنى || قسما إليك مع الصدود لأميل. وقال البحترى ونازحه والدار منها قريه || و ما قرب ثاو فى التراب مغيب. ومنها قوله والغريب من لم يكن له حبيب يريد بالحبيب هاهنا المحب لا المحبوب قال الشاعر أسرة المرء والداه وفيما || بين جنبيهما الحياة تطيب و إذا وليا عن المرء يوما || فهو فى الناس أجنى غريب. ومنها قوله من تعدى الحق ضاق بمذهبه يريد بمذهبه هاهنا طريقته وهذه استعاره ومعناه أن طريق الحق لا مشقة فيها سالكها وطرق الباطل فيها المشاق والمضار و كان سالكها سالك طريقة ضيقة يتعثر فيها ويتخط فى سلوكها. ومنها قوله من اقتصر على قدره كان أبقى له هذا مثل قوله رحم الله امرأ عرف قدره و لم يتعد طوره -روايت- ١-٢-روايت- ٩-٥١ قال من جهل قدره قتل نفسه -روايت- ١-٢-روايت- ٨-٣٤ و قال أبو الطيب و من جهلت نفسه قدره || رأى غيره منه ما لا يرى. [صفحه ١١٩] ومنها قوله أوثق سبب أخذت به سبب بينك و بين الله سبحانه هذا من قول الله تعالى فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَأَنْفِصَامَ لَهَا. ومنها قوله فمن لم يبالك فهو عدوك أى لم يكثر بك و هذه الوصاء خاصة بالحسن ع وأمثاله من الولاء وأرباب الرعايا وليست عامه للسوقه من أفناء الناس و ذلك لأن الوالى إذا أنس من بعض رعيته أنه لا يباله و لا يكثر به فقد أبدى صفحته و من أبدى لك صفحته فهو عدوك و أما غير الوالى من أفناء الناس فليس أحدهم إذا لم يبال الآخر بعدو له. ومنها قوله قد يكون اليأس إدراكا إذا كان الطمع هلاكا هذا مثل قول القائل -قرآن- ٨٨-١٨٦ من عاش لا يقى ما يسوء || من الأمور و ما يسر ولرب حتف فوقه || ذهب و ياقوت ودر. والمعنى ربما كان بلوغ الأمل فى الدنيا والفوز بالمطلوب منها سببا للهلاك فيها و إذا كان كذلك كان الحرمان خيرا من الظفر. ومنها قوله ليس كل عورة تظهر و لا كل فرصة تصاب يقول قد تكون عورة العدو مستتره عنك فلا تظهر و قد تظهر لك و لا يمكنك إصابتها. و قال بعض الحكماء الفرصة نوعان فرصة من عدوك وفرصة فى غير عدوك فالفرصة من عدوك ما إذا بلغت نفعتك و إن فاتتك ضرتك و فى غير عدوك ما إذا أخطأك نفعه لم يصل إليك ضره. [صفحه ١٢٠] ومنها قوله فرما أخطأ البصير قصده وأصاب الأعمى رشده من هذا النحو قولهم فى المثل مع الخواطي سهم صائب وقولهم رمية من غير رام وقالوا فى مثل اللفظة الأولى الجواد يكبو والحسام قدينبو وقالوا قد يهفو الحليم ويجهل العليم. ومنها قوله آخر الشر فإنك إذا شئت تعجلته مثل هذا قولهم فى الأمثال الطفيلية كل إذا وجدت فإنك على الجوع قادر و من الأمثال الحكيمه ابدأ بالحسنه قبل السيئه فلست بمستطيع للحسنه فى كل وقت و أنت على الإساءه متى شئت قادر. ومنها قوله قطيعه الجاهل تعدل صلة العاقل هذا حق لأن الجاهل إذا قطعك انتفعت ببعده عنك كما تنتفع بمواصله الصديق العاقل لك و هذا كما يقول المتكلمون عدم المضرة كوجود المنفعة ويكاد أن يبتنى على هذا قولهم كما أن فعل المفسده قبيح من البارئ فالإخلال باللطف منه أيضا يجب أن يكون قبيحا. ومنها قوله من أمن الزمان خانه و من أعظمه أهانه مثل الكلمه الأولى قول الشاعر و من يأمن الدنيا يكن مثل قابض || على الماء خانه فروج الأنامل. وقالوا احذر الدنيا ما استقامت لك و من الأمثال الحكيمه من أمن الزمان ضيع ثغرا مخوفا ومثل الكلمه الثانيه قولهم الدنيا كالأمة اللثيمه المعشوقه كلما ازدادت لها عشقا وعليها تهالكا ازدادت

إذلالا وعليك شطاطا. و قال أبو الطيب وهي معشوقه على الغدر لا تحفظ || عهدا و لا تتم وصلا [صفحة ١٢١] شيم الغانيات فيها فلا أدري || لذا أنت اسمها الناس أم لا . ومنها قوله ليس كل من رمى أصاب هدامعنى مشهور قال أبو الطيب ما كل من طلب المعالي نافذا || فيها و لا كل الرجال فحولاً . ومنها قوله إذا تغير السلطان تغير الزمان فى كتب الفرس أن أنوشروان جمع عمال السواد وبيده درة يقلبها فقال أى شىء أضر بارتفاع السواد وأدعى إلى محقه أيكم قال ما فى نفسى جعلت هذه الدرّة فى فيه فقال بعضهم انقطاع الشرب و قال بعضهم احتباس المطر و قال بعضهم استيلاء الجنوب وعدم الشمال فقال لوزيره قل أنت فأنى أظن عقلك يعادل عقول الرعية كلها أوزيريد عليها قال تغير رأى السلطان فى رعيته وإضمار الحيف لهم والجور عليهم فقال لله أبوك بهذا العقل أهلك آبائى وأجدادى لما أهلك له و دفع إليه الدرّة فجعلها فى فيه . ومنها قوله سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار و قدروى هذا الكلام مرفوعا و فى المثل جار السوء كلب هارش وأفعى ناهش . و فى المثل الرفيق إما رحيق أو حريق إياك أن تذكر من الكلام ما يكون مضحكا و إن حكيت ذلك عن غيرك [صفحة ١٢٢] و إياك و مشاوره النساء فإن رأينهم إلى أفن و عزمهن إلى وهن و اكفف عليهن من أبصارهن بيجبابك إياهن فإن شدة الجباب أبقى عليهن و ليس خروجهن بأشد من إدخالك من لما يوثق به عليهن و إن استطعت ألما يعرفن غيرك فافعل و لا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها فإن المرأة ربحانة و ليست بقهرمانه و لا تعد بكرامتها نفسها و لا تطمعها فى أن تشفع لغيرها و إياك و التغاير فى غير موضع غيره فإن ذلك يدعو الصيحة إلى السقم و البريئة إلى الزيب و اجعل لكل إنسان من خدمك عملا تأخذه به فإنه أحرى ألما يتواكلوا فى خدمتك و أكرم عشيرتك فإنهم جناحك ألدى به تطير و أصلك ألدى إليه تصير و يدك التى بها تصول استودع الله دينك و دنياك و أسأله خير القضاء لك فى العاجلة و الآجلة و الدنيا و الآخرة و السلام نهاه أن يذكر من الكلام ما كان مضحكا لأن ذلك من شغل أرباب الهزل والبطالة و قل أن يخلو ذلك من غيبة أو سخريه ثم قال و إن حكيت ذلك عن غيرك فإنه كما يستهجن الابتداء بذلك يستهجن حكايته عن الغير و ذلك كلام فصيح ألاترى أنه لا يجوز الابتداء بكلمة الكفر ويكره أيضا حكايتها و قال عمر لمانهاه [صفحة ١٢٣] رسول الله ص أن يحلف بالله فما حلفت به ذاكرا و لا آثرا و لا حاكيا . و كان يقال من مازح استخف به و من كثر ضحكه قلت هييته . فأما مشاوره النساء فإنه من فعل عجزه الرجال قال الفضل بن الربيع أيام الحرب بين الأمين والمأمون فى كلام يذكر فيه الأمين ويصفه بالعجز ينام نوم الظربان وينتبه انتباهه الذئب همه بطنه ولذته فرجه لا يفكر فى زوال نعمه و لا يروى فى إمضاء رأى و لا مكيدة قد شمر له عبد الله عن ساقه و فوق له أشد سهامه يرميه على بعد الدار بالحتف النافذ والموت القاصد قد عبى له المنايا على متون الخيل و ناط له البلايا بأسنة الرماح و سفار السيوف فكأنه هو قال هذا الشعر و وصف به نفسه وأخاه يقارع أتراك ابن خاقان ليله || إلى أن يرى الإصباح لا يتلثم فيصبح من طول الطراد وجسمه || نحيل وأضحى فى النعيم أصمم وهمى كأس من عقار وقينه || وهمته درع ورمح ومخدم فستان ما بينى و بين ابن خالد || أمية فى الرزق الذى الله يقسم . ونحن معه نجرى إلى غاية إن قصرنا عنها ذمنا و إن اجتهدنا فى بلوغها انقطعنا وإنما نحن شعب من أصل إن قوى قوينا و إن ضعف ضعفنا إن هذا الرجل قد ألقى بيده إلقاء الأمة الوكعاء يشاور النساء ويعتزم على الرؤيا قد أمكن أهل الخسارة واللهم من سمعه فهم يمتون الظفر ويعدون عقب الأيام والهلاك أسرع إليه من السيل إلى قيعان الرمل . قوله ع فإن رأينهم إلى أفن الأفن بالسكون النقص والمتأفن [صفحة ١٢٤] المتنقص يقال فلان يتأفن فلانا أى يتنقصه ويعيبه و من رواه إلى أفن بالتحريك فهو ضعف الرأى أفن الرجل يأفن أفنا أى ضعف رأيه و فى المثل إن الرقين تغطى أفن الأفين والوهن الضعف . قوله و اكفف عليهن من أبصارهن من هاهنا زائدة و هو مذهب أبى الحسن الأخفش فى زيادة من فى الموجب ويجوز أن يحمل على مذهب سيبويه فيعنى به فكفف عليهن بعض أبصارهن . ثم ذكر فائدة الحجاب ونهاه أن يدخل عليهن من لا يوثق به و قال إن خرجهن أهون من ذلك و ذلك لأن من تلك صفته يتمكن من الخلوة ما لا يتمكن منه من

يراهن في الطرقات . ثم قال إن استطعت ألا يعرف غيرك فافعل كان لبعضهم بنت حسناء فحج بها و كان يعصب عينها ويكشف للناس وجهها فقبل له في ذلك فقال إنما الحذر من رؤيتها الناس لا من رؤية الناس لها. قال و لا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها أى لا تدخلها معك فى تدبير و لامشورة و لا تتعدين حال نفسها و ما يصلح شأنها. فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة أى إنما تصلح للمتعة واللذة وليست و كيلا فى مال و لاوزيرا فى رأى. ثم أكد الوصية الأولى فقال لا تعد بكرامتها نفسها هذا هو قوله و لا تملكها من أمرها ما جاوز نفسها. ثم نهى أن يطعمها فى الشفاعات . [صفحہ ۱۲۵] وروى الزبير بن بكار قال كانت الخيزران كثيرا ما تكلم موسى ابنها لما استخلف فى الحوائج و كان يجيبها إلى كل ما تسأل حتى مضت أربعة أشهر من خلافته و تتألى الناس عليها و طمعوا فيها فكانت المواكب تغدو إلى بابها و كلمته يوما فى أمر فلم يجد إلى إجابتها سبيلا واحتج عليها بحجة فقالت لا بد من إجابتي فقال لا أفعل قالت إني قد ضمنت هذه الحاجة لعبد الله بن مالك فغضب موسى و قال و يلى على ابن الفاعلة قد علمت أنه صاحبها و الله لا قضيتها لك و لا له قالت و الله لا أسألك حاجة أبدا قال إذن و الله لا أبالى فقامت مغضبة فقال مكانك تستوعبى كلامى و أنا و الله برىء من قرابتي من رسول الله ص لئن بلغنى أنه وقف أحد من قوادى و خاصتى و خدمى و كتابى على بابك لأضربن عنقه و أقبضن ماله فمن شاء فليزلم ذلك ما هذه المواكب التى تغدو إلى بابك كل يوم أ ما لك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك أو بيت يصونك إياك ثم إياك أن تفتحي فاك فى حاجة لملى أو ذمى فانصرفت و ماتعقل ماتطأ عليه و لم تنطق عنده بخلوة و لامرة بعدها حتى هلك . و أخذ هذه اللفظة منه و هى قوله إن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة الحجاج فقالها للوليد بن عبد الملك روى ابن قتيبة فى كتاب عيون الأخبار قال دخل الحجاج على الوليد بن عبد الملك و عليه درع و عمامة سوداء و فرس عربي و كنانة و ذلك فى أول قدمه قدمها عليه من العراق فبعثت أم البنين بنت عبدالعزيز بن مروان و هى تحت الوليد إليه من هذا الأعرابي المستلثم فى السلاح عندك و أنت فى غلالة فأرسل إليها هذا الحجاج فأعدت إليه الرسول فقال تقول لك و الله لأن يخلو بك ملك الموت فى اليوم أحيانا أحب [صفحہ ۱۲۶] إلى من أن يخلو بك الحجاج فأخبره الوليد بذلك و هو يمازحه فقال يا أمير المؤمنين دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول فإنما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة فلا تطلعها على سررك و مكايده عدوك فلما دخل الوليد عليها أخبرها و هو يمازحها بمقاله الحجاج فقالت يا أمير المؤمنين حاجتى أن تأمره غدا أن يأتينى مسلما ففعل ذلك فأتاها الحجاج فحجبه فلم يزل قائما ثم أذنت له فقالت يا حجاج أنت الممتن على أمير المؤمنين بقتلك ابن الزبير و ابن الأشعث أما و الله لو لا أن الله علم أنك شر خلقه ما ابتلاك برمى الكعبة الحرام و لا يقتل ابن ذات النطاقين أول مولود فى دار هجرة الإسلام و أمانهيك أمير المؤمنين عن مفاكهة النساء و بلوغ لذاته و أوطاره فإن كن يفرجن عن مثلك فما أحقه بالأخذ منك و إن كن يفرجن عن مثله فهو غير قابل لقولك أما و الله لقد نقص نساء أمير المؤمنين الطيب من غدائرهن فبعنه فى أعطية أهل الشام حين كنت فى أضيقت من قرن قد أظلتك رماحهم و أثخنك كفاحهم و حين كان أمير المؤمنين أحب إليهم من أبائهم و آباءهم فأنجأك الله من عدو أمير المؤمنين بحبهم إياه قاتل الله القائل حين ينظر إليك و سنان غزاة بين كتفيك أسد على و فى الحروب نعامه || ربداء تنفر من صفيير الصافر هلا برزت إلى غزاة فى الوغى || بل كان قلبك فى جناحى طائر . قم فاخرج فقام فخرج [صفحہ ۱۲۷]

بعض ما قيل فى الغيرة من الشعر

فأما قوله ع إياك و التغاير فى غير موضع غيره فقد قيل هذا المعنى قال بعض المحدثين يا أيها الغائر مه لا تغر || إلا لما تدركه بالبصر ما أنت فى ذلك إلا كمن || بيته الدب لرمى الحجر . و كان مسكين الدارمى أحد من يستهجن الغيرة و يستقبح وقوعها

فى غير محلها فمن شعره فى هذا المعنى ما أحسن الغيرة فى حينها || وأقبح الغيرة فى غير حين من لم يزل متهما عرسه || مناصبا فيها لرمم الظنون يوشك أن يغريها بالذى || يخاف أو ينصبها للعيون حسبك من تحصينها ضمها || منك إلى خيم كريم ودين لا تظهرن يوما على عورة || فيتبع المقرون حبل القرين . وقال أيضا ألا أيها الغائر المستشيط || علام تغار إذ لم تغر فما خير عرس إذا خفتها || و ماخير بيت إذا لم يزر تغار من الناس أن ينظروا || وهل يفتن الصالحات النظر فإنى سأخلى لها بيتها || فتحفظ لى نفسها أوتذر [صفحه ١٢٨] إذا الله لم يعطه ودها || فلن يعطى الود سوط ممر و من ذا يراعى له عرسه || إذا ضمه والركاب السقر . وقال أيضا ولست امرأ لأبرح الدهر قاعدا || إلى جنب عرسى لأفارقها شبرا و لا مقسما لأبرح الدهر بيتها || لأجعل قبل الممات لها قبرا و لا حاملا ظنى و لا قول قائل || على غيره حتى أحيط به خبرا وهبنى امرأ راعيت مادمت شاهدا || فكيف إذا ماسرت من بيتها شهرا إذا هوى لم تحصن لما فى فنائها || فليس بمنجيها بنائى لها قصرا . فأما قوله واجعل لكل إنسان من خدمك عملا تأخذه به فقد قالت الحكماء هذا المعنى قال أبرويز فى وصيته لولده شيرويه وانظر إلى كتابك فمن كان منهم ذا ضياع قد أحسن عمارتها فوله الخراج و من كان منهم ذا عبيد قد أحسن سياستهم و تثقيفهم فوله الجند و من كان منهم ذا سرارى و ضرائر قد أحسن القيام عليهن فوله النفقات والقهرمة وهكذا فاصنع فى خدم دارك و لا تجعل أمرك فوضى بين خدمك فيفسد عليك ملكك . و أما قوله فأكرم عشيرتك فإنهم جناحك فقد تقدم منا كلام فى وجوب الاعتضاد بالعشائر

اعتزاز الفرزدق بقومه

روى أبو عبيدة قال كان الفرزدق لا يمشى بين يدي الخلفاء والأمراء إلا قاعدا [صفحه ١٢٩] فدخل على سليمان بن عبد الملك يوما فأنشده شعرا فخر فيه بأبائه وقال من جملته تالله ما حملت من ناقه رجلا- || مثلى إذا الريح لفتنى على الكور . فقال سليمان هذا المدح لى أم لك قال لى و لك يا أمير المؤمنين فغضب سليمان و قال قم فأتهم و لا تنشده بعده إلا قائما فقال الفرزدق لا والله أويسقط إلى الأرض أكثرى شعرا فقال سليمان و لى على الأحق ابن الفاعلة لا يكنى و ارتفع صوته فسمع الضوضاء بالباب فقال سليمان ما هذا قيل بنو تميم على الباب قالوا لا يمشى الفرزدق قائما و أيدينا فى مقابض سيوفنا قال فلينشد قاعدا

وفود الوليد بن جابر على معاوية

وروى أبو عبيد الله محمد بن موسى بن عمران المرزبانى قال كان الوليد بن جابر بن ظالم الطائى ممن وفد على رسول الله ص فأسلم ثم صحب عليا و شهد معه صفين و كان من رجاله المشهورين ثم وفد على معاوية فى الاستقامة و كان معاوية لا يشبهه معرفة بعينه فدخل عليه فى جملة الناس فلما انتهى إليه استنسه فانتسب له فقال أنت صاحب ليلة الهرير قال نعم قال و الله ماتخلو مسامعى من رجرك تلك الليلة و قد علا صوتك أصوات الناس و أنت تقول شذوا فداء لكم أمى و أب || فإنما الأمر غدا لمن غلب هذا ابن عم المصطفى و المنتجب || تنمى للعلياء سادات العرب ليس بموصوم إذا نض النسب || أول من صلى وصام واقترب . قال نعم أنا قائلها قال فلما ذا قتلها قال لأنا كنا مع رجل لا نعلم خصلة [صفحه ١٣٠] توجب الخلافة و لافضيلة تصير إلى التقدم إلا وهى مجموعة له كان أول الناس سلما وأكثرهم علما و أرجحهم حلما فات الجياد فلا يشق غباره يستولى على الأمد فلا يخاف عثاره و أوضح منهج الهدى فلا يبيد مناره و سلكت القصد فلا تدرس آثاره فلما ابتلانا الله تعالى بافتقاده و حول الأمر إلى من يشاء من عباده دخلنا فى جملة المسلمين فلم ننزع يدا عن طاعة و لم نصدع صفاء جماعة على أن لك منا مظهر و قلوبنا بيد

الله و هو أملك بهامك فاقبل صفونا وأعرض عن كدرنا ولا تثر كوامن الأحقاد فإن النار تقدح بالزناد قال معاوية وإنك لتهددني يا أخا طيئ بأوباش العراق أهل النفاق ومعدن الشقاق فقال يا معاوية هم الذين أشرقوك بالريق وجسوك في المضيق وذادوك عن سنن الطريق حتى لذت منهم بالمصاحف ودعوت إليها من صدق بها وكذبت وآمن بمنزلها وكفرت وعرف من تأويلها ما أنكرت فغضب معاوية وأدار طرفه فيمن حوله فإذا جلهم من مضر ونفر قليل من اليمن فقال أيها الشقي الخائن إني لإخال أن هذا آخر كلام تفوه به و كان عفير بن سيف بن ذي يزن بباب معاوية حينئذ فعرف موقف الطائي ومراد معاوية فخافه عليه فهجم عليهم الدار وأقبل على اليمانية فقال شأهت الوجوه ذلا وقلا وجدعا و فلاكشم الله هذه الأنف كشما مرعبا ثم التفت إلى معاوية فقال إني والله يا معاوية ما أقول قولى هذاحبا لأهل العراق ولا جنوحا إليهم ولكن الحفيظة تذهب الغضب لقد رأيتك بالأمس خاطبت أخا ربيعةً يعنى صعصعة بن صوحان وهو أعظم جرما عندك من هذا وأنكأ لقلبك وأقدح في صفاتك وأجد في عداوتك وأشد انتصارا في حربك ثم أثبتته وسرحته و أنت الآن مجمع على قتل هذا زعمت استصغارا لجماعتنا فإننا لانمر ولا نحلى ولعمرى لووكلتك أبناء قحطان إلى قومك لكان جدك العاثر وذكرك الدائر [صفحة ١٣١] وحدك المفلول وعرشك المثلول فاربع على ظلمك واطونا على بلالتنا ليسهل لك حزننا ويتطامن لك شاردنا فإننا لانرام بوقع الضيم ولا نتلمظ جرع الخسف ولا نغمز بغماز الفتن ولا نذر على الغضب فقال معاوية الغضب شيطان فاربع نفسك أيها الإنسان فإننا لم نأت إلى صاحبك مكروها ولم نرتكب منه مغضبا ولم ننتهك منه محرما فدونكه فإنه لم يضق عنه حلمنا ويسع غيره فأخذ عفير بيد الوليد وخرج به إلى منزله وقال له والله لتتوبن بأكثر مما آب به معدى من معاوية وجمع من بدمشق من اليمانية وفرض على كل رجل دينارين فى عطائه فبلغت أربعين ألفا فتعجلها من بيت المال ودفعها إلى الوليد ورده إلى العراق [صفحة ١٣٢]

٣٢- ومن كتاب له ع إلى معاوية

إشارة

وَأَرَدَيْتَ جَيْلًا مِّنَ النَّاسِ كَثِيرًا خَدَعْتَهُمْ بِغَيْبِكَ وَالْقَيْتَهُمْ فِي مَوْجٍ بَحْرِكَ تَغْشَاهُمُ الظُّلُمَاتُ وَتَتَلَاطَمُ بِهِمُ الشُّبُهَاتُ فَجَارُوا عَن وِجْهَتِهِمْ وَنَكَّضُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ وَتَوَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ وَعَوَّلُوا عَلَى أَحْسَابِهِمْ إِلَّا مَن فَاءَ مِّنْ أَهْلِ البَصِيرَةِ فَبَاتَتْهُمْ فَارَقُوكَ بَعْدَ مَعْرِفَتِكَ وَهَرَبُوا إِلَى اللَّهِ مِّنْ مُّوَازَرَتِكَ إِذْ حَمَلْتَهُمْ عَلَى الصَّعْبِ وَعَدَلْتَ بِهِمْ عَنِ القَصْدِ فَاتَّقِ اللَّهَ يَا مُعَاوِيَةَ فِي نَفْسِكَ وَجَاذِبِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ فَإِنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ عَنكَ وَالْآخِرَةُ قَرِيبَةٌ مِّنْكَ وَالسَّلَامُ أَرْدَيْتَهُمْ أَهْلَكْتَهُمْ وَجَيْلًا مِّنَ النَّاسِ أَى صَنَفًا مِّنَ النَّاسِ وَالغَى الضلال و جاروا عدلوا عن القصد ووجهتهم بكسر الواو يقال هذا وجه الرأى أى هو الرأى بنفسه والاسم الوجه بالكسر ويجوز بالضم . قوله وعولوا على أحسابهم أى لم يعتمدوا على الدين وإنما أردتهم الحمية ونخوة الجاهلية فأخذوا إليها وتركوا الدين والإشارة إلى بنى أمية وخلفائهم الذين اتهموه ع بدم عثمان فحاموا عن الحسب ولم يأخذوا بموجب الشرع فى تلك الواقعة [صفحة ١٣٣] ثم استثنى قوما فاءوا أى رجعوا عن نصره معاوية وقد ذكرنا فى أخبار صفين من فارق معاوية ورجع إلى أمير المؤمنين ع أوفارقه واعتزل الطائفتين . قوله حملتهم على الصعب أى على الأمر الشاق والأصل فى ذلك البعير المستصعب يركبه الإنسان فيغرر بنفسه

أول هذا الكتاب من عبد الله على أمير المؤمنين ع إلى معاوية بن أبي سفيان أما بعد فإن الدنيا دار تجارة وربحها أو خسرها الآخرة فالسعيد من كانت بضاعته فيها الأعمال الصالحة و من رأى الدنيا بعينها وقدرها بقدرها وإنى لأعظك مع علمى بسابق العلم فيك مما لا مرد له دون نفاذه ولكن الله تعالى أخذ على العلماء أن يؤدوا الأمانة و أن ينصحوا الغوى والرشيد فاتق الله و لا تكن ممن لا يرجو الله وقارا و من حقت عليه كلمة العذاب فإن الله بالمرصاد و إن دنياك ستدبر عنك وستعود حسرة عليك فاقنع عما أنت عليه من الغى والضلال على كبر سنك وفناء عمرك فإن حالك اليوم كحال الثوب المهيل الذى لا يصلح من جانب إلافسد من آخر و قد أريدت جيلا من الناس كثيرا خدعتهم بغيك -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-٦٧٩ إلى آخر الكتاب . قال أبو الحسن على بن محمد المدائنى فكتب إليه معاوية من معاوية بن أبي سفيان إلى على بن أبي طالب أما بعد فقد وقفت على كتابك و قد أبيت على الفتن إلا تماديا وإنى لعالم أن الذى يدعوك إلى ذلك مصرعك الذى [صفحة ١٣٤] لا بد لك منه و إن كنت موثلا فازدد غيا إلى غيبك فطالما خف عقلك ومنيت نفسك ما ليس لك والتويت على من هو خير منك ثم كانت العاقبة لغيرك واحتملت الوزر بما أحاط بك من خطيئتك و السلام . فكتب على ع إليه أما بعد فإن ما أتيت به من ضلالك ليس ببعيد الشبه مما أتى به أهللك وقومك الذين حملهم الكفر وتمنى الأباطيل على حسد محمد ص حتى صرعوا مصارعهم حيث علمت لم يمنعوا حريما و لم يدفعوا عظيما و أناصحهم فى تلك المواطن الصالى بحربهم والفال لحدهم والقاتل لرد وسهم و ردوس الضلالة والمتبع إن شاء الله خلفهم بسلفهم فبئس الخلف خلف أتبع سلفا محله ومحطه النار و السلام -رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-٤٠٥ . قال فكتب إليه معاوية أما بعد فقد طال فى الغى ما استمرت أدرجك كما طالما تمادى عن الحرب نكوصك وإبطاؤك فتوعد وعيد الأسد وتروغ وروغان الثعلب فحتام تحيد عن لقاء مباشرة الليوث الضارية والأفاعى القاتلة و لا تستبعدنها فكل ما هو آت قريب إن شاء الله و السلام . قال فكتب إليه على ع أما بعد فما أعجب ما يأتيني منك و ما أعلمنى بما أنت إليه صائر و ليس إبطائى عنك إلا ترقبا لما أنت له مكذب و أنا به مصدق و كأنى بك غدا و أنت تضج من الحرب ضجيج الجمال من الأثقال وستدعونى أنت وأصحابك إلى كتاب تعظمونه بألسنتكم وتجحدونه بقلوبكم و السلام -رواية- ١-٢-رواية- ٢٧-٢٩٦ . قال فكتب إليه معاوية [صفحة ١٣٥] أما بعد فعنى من أساطيرك واكفف عنى من أحاديثك واقصر عن تقولك على رسول الله ص وافترائك من الكذب ما لم يقل وغرور من معك والخداع لهم فقد استغويتهم ويوشك أمرك أن ينكشف لهم فيعتزلوك ويعلموا أن ماجئت به باطل مضمحل و السلام . قال فكتب إليه على ع أما بعد فطالما دعوت أنت وأولياؤك أولياء الشيطان الرجيم الحق أساطير الأولين ونبذتموه وراء ظهوركم وجهدتم بإطفاء نور الله بأيديكم وأفواهمكم و الله مقيم نوره و لو كره الكافرون ولعمري ليتمن النور على كرهك ولينفذ العلم بصغارك ولتجازين بعملك فعث فى دنياك المنقطعة عنك ما طاب لك فكأنك بباطلك و قد انقضى وعملك و قد هوى ثم تصير إلى لظى لم يظلمك الله شيئا و ما رَبَّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ -رواية- ١-٢-رواية- ٢٧-٤٤٩ . قال فكتب إليه معاوية أما بعد فما أعظم الرين على قلبك والغطاء على بصرك الشره من شيمتك والحسد من خليقتك فشمم للحرب واصبر للضرب فو الله ليرجعن الأمر إلى ما علمت والعاقبة للمتقين هيهات هيهات أخطأك ما تمنى وهوى قلبك مع من هوى فاربع على ظلعك وقس شبرك بفترك لتعلم أين حالك من حال من يزن الجبال حلمه ويفصل بين أهل الشك علمه و السلام . قال فكتب إليه على ع أما بعد فإن مساوئك مع علم الله تعالى فيك حالت بينك و بين أن يصلح لك أمرك و أن يرعوى قلبك يا ابن الصخر اللعين زعمت أن يزن الجبال حلمك ويفصل بين أهل الشك علمك و أنت الجلف المنافق الأغلف القلب القليل العقل الجبان الرذل فإن كنت صادقا فيما تسطر ويعينك عليه أخو بنى سهم فدع الناس جانبا وتيسر لمادعوتنى إليه من الحرب والصبر على -رواية- ١-٢-رواية- ٨-١٣٦ [صفحة ١٣٦] الضرب وأعف الفريقين من القتال ليعلم أينا المرين على قلبه المغطى على بصره فأنا أبو الحسن قاتل جدك وأخيك وخالك و ما أنت منهم ببعيد و السلام

-روایت- از قبل-۱۵۵. قلت وأعجب وأطرب ماجاء به الدهر و إن كانت عجائبه وبدائعه جمه أن يفضى أمر على ع إلى أن يصير معاوية ندا له ونظيراً مماثلاً يتعارضان الكتاب والجواب ويتساويان فيما يواجه به أحدهما صاحبه ولا يقول له على ع كلمة إلا قال مثلها وأخشن مسا منها فليت محمداص كان شاهد ذلك ليرى عيانا لاخبرا أن الدعوة التي قام بها وقاسى أعظم المشاق فى تحملها وكابد الأهوال فى الذب عنها وضرب بالسيوف عليها لتأييد دولتها وشيد أركانها وملاً الآفاق بهاخلصت صفوا عفوا لأعدائه الذين كذبوه لمادعا إليها وأخرجوه عن أوطانه لماحض عليها وأدموا وجهه وقتلوا عمه وأهله فكأنه كان يسعى لهم ويدأب لراحتهم كما قال أبوسفيان فى أيام عثمان و قدمر بقبر حمزة وضربه برجله وقال يا أباعمارء إن الأمر الذى اجتلدنا عليه بالسيف أمسى فى يد غلماننا اليوم يتلعبون به ثم آل الأمر إلى أن يفاخر معاوية عليا كما يفتاخر الأكفاء والنظراء. إذاعير الطائي بالبخل مادر || وقرع قسا بالفهامة باقل وقال السها للشمس أنت خفيه || وقال الدجى يا صبح لونك حائل وفاخرت الأرض السماء سفاهة || وكاشرت الشهب الحصى والجنادل فيا موت زر إن الحياة ذميمة || و يانفس جدى إن دهرك هازل . ثم أقول ثانياً لأمير المؤمنين ع ليت شعرى لماذا فتح باب الكتاب [صفحه ۱۳۷] والجواب بينه وبين معاوية و إذا كانت الضرورة قدقادت إلى ذلك فهلا اقتصر فى الكتاب إليه على الموعظة من غير تعرض للمفاخرة والمنافرة و إذا كان لابد منهما فهلا اكتفى بهما من غير تعرض لأمر آخر يوجب المقابلة والمعارضة بمثله وبأشد منه ولا تسيبوا الذين يدعون من دون الله فيسيبوا الله عدواً بغير علم وهلا دفع هذا الرجل العظيم الجليل نفسه عن سباب هذا السفيه الأحمق هذا مع أنه القائل من واجه الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون أى افتروا عليه وقالوا فيه الباطل . -قرآن- ۲۴۱-۳۲۸ أيها الشاتمى لتحسب مثلى || إنما أنت فى الضلال تهيم لاتسبني فلست بسبى || إن سبى من الرجال الكريم . وهكذا جرى فى القنوت واللعن قنت بالكوفة على معاوية ولعنه فى الصلاة وخطبة الجمعة وأضاف إليه عمرو بن العاص و أبا موسى و أباالأعور السلمى وحبيب بن مسلمة فبلغ ذلك معاوية بالشام فقتت عليه ولعنه بالصلاة وخطبة الجمعة وأضاف إليه الحسن والحسين و ابن عباس والأشتر النخعى ولعله ع قد كان يظهر له من المصلحة حينئذ ما يغيب عنا الآن والله أمر هو بالغه [صفحه ۱۳۸]

۳۳- و من كتاب له ع إلى قثم بن العباس و هو عامله على مكة

إشارة

أما بعد فإن عيني بالمغرب كتب إلى يعلمني أنه وجه إلى الموسم أناس من أهل الشام العمى القلوب الصم الأسماع الكمه الأبصار الذين يلبسون الحق بالباطل و يطيعون المخلوق فى معصية الخالق و يحتلبون الدنيا درها بالدين و يشترون عاجلها بأجل الأبرار المتقين و لن يفوز بالخير إلما عامله و لا يجزى جزاء الشر إلما فاعله فأقم على ما فى يدك قيام الحازم الطيب و الناصح اللبيب التابع لسلطانة المطيع لإمامه و إياك و ما يعتذر منه و لا تكن عند النعماء بطراً و لا عند البأساء فثماً و السلام كان معاوية قدبعث إلى مكة دعاء فى السر يدعون إلى طاعته ويشبطن العرب عن نصره أمير المؤمنين ويوقعون فى أنفسهم أنه إما قاتل لعثمان أو خاذل و إن الخلافة [صفحه ۱۳۹] لاتصلح فيمن قتل أو خذل وينشرون عندهم محاسن معاوية بزعمهم وأخلاقه وسيرته فكتب أمير المؤمنين ع هذا الكتاب إلى عامله بمكة ينبهه على ذلك ليعتمد فيه بما تقتضيه السياسة و لم يصرح فى هذا الكتاب بما ذا يأمره أن يفعل إذاظفر بهم . قوله عيني بالمغرب أى أصحاب أخباره عندمعاوية وسمى الشام مغرباً لأنه من الأقاليم المغربية. والموسم الأيام التى يقام فيها الحج . و قوله ويحتلبون الدنيا درها بالدين دلالة على ماقلنا إنهم كانوا دعاء يظهرهم سميت

الدين وناموس العبادة وفيه إبطال قول من ظن أن المراد بذلك السرايا التي كان معاويةً يبعثها فتغير على أعمال على ع ودرها منصوب بالبدل من الدنيا وروى الذين يلتمسون الحق بالباطل أى يطلبونه أى يتبعون معاويةً و هو على الباطل التماسا وطلباً للحق ولا يعلمون أنهم قد ضلوا. قوله وإياك و ما يعتذر منه من الكلمات الشريفة الجليلة الموقع و قدرويت مرفوعةً و كان يقال ما شىء أشد على الإنسان من حمل المروءة والمروءة ألا- يعمل الإنسان فى غيبة صاحبه ما يعتذر منه عند حضوره . قوله و لا تكن عند النعماء بطرا و لا عند البأساء فشلا معنى مستعمل قال الشاعر فلست بمفراح إذ الدهر سرنى || و لا جازع من صرفه المتقلب و لا أتمنى الشر والشر تاركى || ولكن متى أحمل على الشر أركب [صفحہ ۱۴۰]

قثم بن عباس وبعض أخباره

فأما قثم بن العباس فأمه أم إخوته وروى ابن عبد البر فى كتاب الاستيعاب عن عبد الله بن جعفر قال كنت أنا وعبيد الله وقثم ابنا العباس نلعب فمر بنا رسول الله ص راكبا فقال ارفعوا إلى هذا الفتى يعنى قثم فرفع إليه فأردفه خلفه ثم جعلنى بين يديه ودعا لنا - روايت- ۱- ۲- روايت- ۳۱- ۱۹۷ فاستشهد قثم بسمرقند. قال ابن عبد البر وروى عبد الله بن عباس قال كان قثم آخر الناس عهدا برسول الله ص أى آخر من خرج من قبره ممن نزل فيه قال و كان المغيرة بن شعبه يدعى ذلك لنفسه فأنكر على بن أبى طالب ع ذلك و قال بل آخر من خرج من القبر قثم بن العباس . قال ابن عبد البر و كان قثم واليا لعلى ع على مكة عزل على ع خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي و كان واليها لعثمان وولاها بأقتاده الأنصارى ثم عزله عنها وولى مكانه قثم بن العباس فلم يزل واليه عليها حتى قتل على ع قال هذا قول خليفة و قال الزبير بن بكار استعمل على ع قثم بن العباس على المدينة. قال ابن عبد البر واستشهد قثم بسمرقند كان خرج إليها مع سعيد بن عثمان بن عفان زمن معاوية فقتل هناك . قال و كان قثم يشبه رسول الله ص و فيه يقول داود بن مسلم [صفحہ ۱۴۱] عتقت من حل و من رحله || ياناق إن أدنيتى من قثم إنك إن أدنيت منه غدا || حالفى اليسر ومات العدم فى كفه بحر و فى وجهه || بدر و فى العرنين منه شمم أصم عن قيل الخنا سمعه || و ما على الخير به من صمم لم يدر ما لا وبلا قددرى || فعافها واعتاض منها نعم [صفحہ ۱۴۲]

۳۴- و من كتاب له ع إلى محمد بن أبى بكر

إشاره

لمابلغه توجهه من عزله بالأشتر عن مصر ثم توفى الأشتر فى توجهه إلى هناك قبل وصوله إليها أما بعد فقد بلغنى موجدتكم من تسريح الأشتر إلى عمليكم و إنى لم أفعل ذلك استبطاءً لكم فى الجهد و لا ازدياداً لكم فى الجهد و لو نزعنا ما تحت يدك من سلطانك لو ليئتكم ما هو أيسر عليكم مؤونةً و أعجب إليك ولأية إن الرجل الذى كُنْتُ و لِيْتُهُ أمر مصر كان رجلاً لنا ناصحاً و على عدونا شديداً ناصحاً فَرَحِمَهُ اللهُ فَلَقِدِ اسْتَكْمَلَ أَيامَهُ و لَأَقَى حِمَامَهُ و نَحْنُ عَنْهُ رَاضُونَ أَوْلَاهُ اللهُ رِضْوَانَهُ و ضَاعَفَ الثَّوَابَ لَهُ فَأَصْحِرْ لِعِيدُوكَ و امضِ عَلَى بَصِيرَتِكَ و شَمِّرْ لِحَرْبِ مَنْ حَارَبَكَ و ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ و أَكْثِرِ الْإِسْتِعَانَةَ بِاللَّهِ يَكْفِكَ مَا أَهَمَّكَ و يُعِينِكَ عَلَى مَا يُنَزِّلُ بِكَ إِنْ شَاءَ اللهُ

أم محمدرحمه الله أسماء بنت عميس الخثعمية وهي أخت ميمونة زوج النبي ص [صفحة ١٤٣] وأخت لبابة أم الفضل و عبد الله زوج العباس بن عبدالمطلب وكانت من المهاجرات إلى أرض الحبشة وهي إذ ذاك تحت جعفر بن أبي طالب ع فولدت له هناك محمد بن جعفر و عبد الله وعونا ثم هاجرت معه إلى المدينة فلما قتل جعفر يوم مؤتة تزوجها أبوبكر فولدت له محمد بن أبي بكر هذا ثم مات عنها فتزوجها علي ع وولدت له يحيى بن علي لاختلاف في ذلك . وقال ابن عبد البر في الاستيعاب ذكر ابن الكلبي أن عون بن علي اسم أمه أسماء بنت عميس و لم يقل ذلك أحد غيره . و قدروى أن أسماء كانت تحت حمزة بن عبدالمطلب فولدت له بنتا تسمى أمه الله وقيل أمامة و محمد بن أبي بكر ممن ولد في عصر رسول الله ص . قال ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب ولد عام حجة الوداع في عقب ذى القعدة بنى الحليفة حين توجه رسول الله ص إلى الحج فسمته عائشة محمدا وكنته أباالقاسم بعد ذلك لما ولد له ولد سماه القاسم و لم تكن الصحابة ترى بذلك بأسا ثم كان في حجر علي ع وقتل بمصر و كان علي ع يثنى عليه ويقرظه ويفضله و كان لمحمد رحمه الله عبادة واجتهاد و كان ممن حضر عثمان ودخل عليه فقال له لورآك أبوك لم يسره هذاالمقام منك فخرج وتركه ودخل عليه بعده من قتله ويقال إنه أشار إلى من كان معه فقتلوه . قوله وبلغنى موجدتك أى غضبك وجدت على فلان موجدة ووجدانا لغة قليلة وأنشدوا كلانا رد صاحبه بغيظ || على حنق ووجدان شديد . [صفحة ١٤٤] فأما في الحزن فلا يقال إلا وجدت أنا بالفتح لا غير . والجهد الطاقة أى لم أستبطنك فى بذل طاقتك ووسعك و من رواها الجهد بالفتح فهو من قولهم اجهد جهدك فى كذا أى أبلغ الغاية و لا يقال هذا الحرف ها هنا إلا مفتوحا . ثم طيب ع نفسه بأن قال له لو تم الأمر الذى شرعت فيه من ولاية الأشر مصر لعوضتك بما هو أخف عليك مؤنة وثقلا وأقل نصبا من ولاية مصر لأنه كان فى مصر بإزاء معاوية من الشام و هو مدفوع إلى حربه . ثم أكد ع ترغيبه بقوله وأعجب إليك ولاية . فإن قلت ما الذى بيده مما هو أخف على محمد مؤنة وأعجب إليه من ولاية مصر قلت ملك الإسلام كله كان بيد علي ع إلا الشام فيجوز أن يكون قد كان فى عزمه أن يوليه اليمن أو خراسان أو أرمينية أو فارس . ثم أخذ فى الثناء على الأشر و كان علي ع شديد الاعتضاد به كما كان هو شديد التحقق بولايته وطاعته . وناقما من نعمت على فلان كذا إذا أنكرته عليه وكرهته منه . ثم دعا له بالرضوان ولست أشك بأن الأشر بهذه الدعوة يغفر الله له ويكفر ذنوبه ويدخله الجنة و لا فرق عندى بينها و بين دعوة رسول الله ص و ياطوبى لمن حصل له من علي ع بعض هذا . قوله وأصحر لعدوك أى ابرز له و لا تستتر عنه بالمدينة التى أنت فيها أصحر الأسد من خيسه إذا خرج إلى الصحراء . وشمّر فلان للحرب إذا أخذ لها أهبتها [صفحة ١٤٥]

٣٥- و من كتاب له ع إلى عبد الله بن العباس بعد مقتل محمد بن أبي بكر

أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ مِصْرَ قَدْ افْتُتِحَتْ وَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ اسْتُشْهِدَ فَعِنْدَ اللَّهِ نَحْتَسِبُهُ وَ لَدَا نَاصِحًا وَ عَامِلًا كَادِحًا وَ سَيْفًا قَاطِعًا وَ رُكْنًا دَافِعًا وَ قَدْ كُنْتُ حَشْتُ النَّاسِ عَلَى لِحَاقِهِ وَ أَمَرْتُهُمْ بِغِيَاثِهِ قَبْلَ الْوَقْعَةِ وَ دَعَوْتُهُمْ سِرًّا وَ جَهْرًا وَ عَوْدًا وَ يَدَاءً فَمِنْهُمْ الْآتِي كَارِهًا وَ مِنْهُمْ الْمُعْتَلِّ كَاذِبًا وَ مِنْهُمْ الْقَاعِدُ خَاذِلًا أَسَأَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ فَرَجًا عَاجِلًا فَوَاللَّهِ لَوْ لَأَطْمَعِي عِنْدَ لِقَائِي عَدُوِّي فِي الشَّهَادَةِ وَ تَوَطَّيْنِي نَفْسِي عَلَى الْمَيِّتَةِ لِأَحْبَبْتُ أَلَّا أَبْقَى مَعَ هَؤُلَاءِ يَوْمًا وَاحِدًا وَ لَأَلْتَقِي بِهِمْ أَبَدًا انْظُرْ إِلَى الْفِصْحَةِ كَيْفَ تَعْطَى هَذَا الرَّجُلَ قِيَادَهَا وَ تَمْلِكُهَا زَمَامَهَا وَ اعْجَبْ لِهَذِهِ الْأَلْفَاظِ الْمَنْصُوبَةِ يَتْلُو بَعْضُهَا بَعْضًا كَيْفَ تَوَاتِيهِ وَ تَطَاوَعَهُ سِلْسَةُ سَهْلَةٍ تَتَدَفَّقُ مِنْ غَيْرِ تَعَسَفٍ وَ لَا تَكْلُفٍ حَتَّى انْتَهَى إِلَى آخِرِ الْفَصْلِ فَقَالَ يَوْمًا وَاحِدًا وَ لَا أَلْتَقِي بِهِمْ أَبَدًا وَ أَنْتَ وَ غَيْرُكَ مِنَ الْفِصْحَاءِ إِذَا شَرَعُوا

في كتاب أو خطبة جاءت القرائن والفواصل [صفحة ١٤٦] تارة مرفوعة وتارة مجرورة وتارة منصوبة فإن أرادوا قسرها بإعراب واحد ظهر منها في التكلف أثر بين وعلامة واضحة وهذا الصنف من البيان أحد أنواع الإعجاز في القرآن ذكره عبدالقاهر قال انظر إلى سورة النساء وبعدها سورة المائدة الأولى منصوبة الفواصل والثانية ليس فيها منصوب أصلاً ولو مزجت إحدى السورتين بالأخرى لم تمتزجا وظهر أثر التركيب والتأليف بينهما. ثم إن فواصل كل واحد منهما تنساق سياقه بمقتضى البيان الطبيعي للصناعة التكلفية ثم انظر إلى الصفات والموصوفات في هذا الفصل كيف قال ولدا ناصحا وعاملا كادحا وسيفا قاطعا وركنا دافعا لو قال ولدا كادحا وعاملا ناصحا وكذلك ما بعده لما كان صوابا ولا في الموقع واقعا فسبحان من منح هذا الرجل هذه المزايا النفيسة والخصائص الشريفة أن يكون غلام من أبناء عرب مكة ينشأ بين أهله لم يخالط الحكماء وخرج أعرف بالحكمة ودقائق العلوم الإلهية من أفلاطون وأرسطو ولم يعاشر أرباب الحكم الخلقية والآداب النفسانية لأن قريشا لم يكن أحد منهم مشهورا بمثل ذلك وخرج أعرف بهذا الباب من سقراط ولم يرب بين الشجعان لأن أهل مكة كانوا ذوى تجارة ولم يكونوا ذوى حرب وخرج أشجع من كل بشر مشى على الأرض قبل لخلف الأحمر أيما أشجع عنبسة وبسطام أم على بن أبي طالب فقال إنما يذكر عنبسة وبسطام مع البشر والناس لا مع من يرتفع عن هذه الطبقة فليل له فعلى كل حال قال والله لوصاح في وجوهما لماتا قبل أن يحمل عليهما وخرج أفصح من سحبان وقس و لم تكن قريش بأفصح العرب كان غيرها أفصح منها قالوا أفصح العرب جرهم وإن لم تكن لهم نباهة وخرج أزهدي الناس في الدنيا وأعفهم مع أن قريشا ذوو حرص ومحبة للدنيا ولاغرو فيمن كان [صفحة ١٤٧] محمدص مربيه ومخرجه والعناية الإلهية تمده وترفده أن يكون منه ما كان. يقال احتسب ولده إذامات كبيرا وافترط ولده إذامات صغيرا قوله فمنهم الآتى قسم جنده أقساما فمنهم من أجابه وخرج كارها للخروج كما قال تعالى كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ومنهم من قعد واعتل بعلته كاذبه كما قال تعالى يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ومنهم من تأخر وصرح بالقعود والخذلان كما قال تعالى فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَعْنَى أَنْ حَالَهُ كَانَتْ مَنَاسِبَةً لِحَالِ النَّبِيِّ صَ وَمَنْ تَذَكَرَ أَحْوَالَهُمَا وَسِيرَتَهُمَا وَمَا جَرَى لِهَمَا إِلَى أَنْ قَبِضَا عِلْمَ تَحْقِيقِ ذَلِكَ . ثم أقسم أنه لو لاطمعه في الشهادة لما أقام مع أهل العراق ولاصحابهم . فإن قلت فهلا خرج إلى معاوية وحده من غير جيش إن كان يريد الشهادة قلت ذلك لا يجوز لأنه إلقاء النفس إلى التهلكة وللشهادة شروط متى فقدت فلايجوز أن تحمل إحدى الحالتين على الأخرى -قرآن- ٢٢٧-٢٧٦-قرآن- ٣٢٥-٤٠٨-قرآن- ٤٦٤-٥٩١]

صفحة ١٤٨

٣٦- ومن كتاب له ع إلى أخيه عقيل بن أبي طالب في ذكر جيش أنفذه إلى بعض الأعداء

وهو جواب كتاب كتبه إليه عقيل فسرى حث إليه جيشاً كثيفاً من المسلمين فلما بلغه ذلك شمر هارباً ونكص نادماً فلحقوه ببعض الطريق وقد طفلت الشمس للإياب فاقتتلوا شيئاً كلاً ولا فما كان إلا كموقف ساعة حتى نجا جريضاً بعد ما أخذ منه بالمخفق ولم يبق معه غير الرمي فلأياً بلأى ما نجا فدع عنك قريشاً وتركاضهم في الضلال وتجوالهم في الشقاق وجماعهم في التيه فإنهم قد أجمعوا على حربى كإجماعهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلى فجزت قريشاً عنى الجوازى فقد قطعوا رحمتى وسلبوني سلطان ابن أمي وأميا ما سألت عنه من رأيي في القتال فإن رأيي قتال المحلين حتى ألقى الله لما يزيدني كثرة الناس حولي عزة ولا تفرقهم عنى وحشة ولا تحسبن ابن أبيك ولو أسلمه الناس متضرعاً متخشعاً ولا مقرراً للضيم واهناً ولا سلس الزمام للقائد ولا وطئ الظهر للزكبي المقتعد ولكنه كما قال أخو بني سليم فإن تسأليني كيف أنت فإنني || صبور على ريب الزمان صليب يعز

عَلَى أَنْ تُرَى بِي كَأَيِّهِ || فَيَسَمَتَ عِيَادٍ أَوْ يُسَاءَ حَيْبُ [صفحة ١٤٩] قد تقدم ذكر هذا الكتاب في اقتصاصنا ذكر حال بسر بن أرطاة و غارته على اليمن في أول الكتاب . ويقال طفلت الشمس بالتشديد إذامالت للغروب و طفل الليل مشددا أيضا إذا قبل ظلامه و الطفل بالتحريك بعد العصر حين تطفل الشمس للغروب و يقال أتيته طفلى أى فى ذلك الوقت . و قوله ع للإياب أى للرجوع أى ما كانت عليه فى الليلة التى قبلها يعنى غيوبتها تحت الأرض و هذا الخطاب إنما هو على قدر أفهام العرب كانوا يعتقدون أن الشمس منزلها و مقرها تحت الأرض و أنها تخرج كل يوم فتسير على العالم ثم تعود إلى منزلها فتأوى إليه كما يأوى الناس ليلا إلى منازلهم . و قال الراوندى عند الإياب عند الزوال و هذا غير صحيح لأن ذلك الوقت لا يسمى طفلا ليقال إن الشمس قد طفلت فيه . قوله ع فاقتتلوا شيئا كلا و لا أى شيئا قليلا و موضع كلا و لا نصب لأنه صفة شيئا و هى كلمة تقال لما يستقصر وقته جدا و المعروف عند أهل اللغة كلا و ذا قال ابن هانئ المغربى و أسرع فى العين من لحظة || و أقصر فى السمع من لا و ذا . و فى شعر الكميت كلا و كذا تغميضة . و قد رويت فى نهج البلاغة كذلك إلا أن فى أكثر النسخ كلا و لا و من الناس من يرويه كلا ولايت و هى حرف أجرى مجرى ليس و لا تجيء [صفحة ١٥٠] حين إلا - أن تحذف فى شعر و من الرواة من يرويه كلا و لأى و لأى فعل معناه أبطأ . قوله ع نجا جريضا أى قد غص بالريق من شدة الجهد و الكرب يقال جرض بريقه يجرض بالكسر مثال كسر يكسر و رجل جريض مثل قدر يقدر فهو قدير و يجوز أن يريد بقوله فنجأ جريضا أى ذا جريض و الجريض الغصة نفسها و فى المثل حال الجريض دون القريض قال الشاعر كان الفتى لم يغن فى الناس ليله || إذا اختلف اللحيان عند الجريض . قال الأصمعى و يقال هو يجرض بنفسه أى يكاد يموت و منه قول امرئ القيس و أفلتن علباء جريضا || و لو أدركه صفر الوطاب . و أجرضه الله بريقه أغصه . قوله ع بعد ما أخذ منه بالمخنق هو موضع الخنق من الحيوان و كذلك الخناق بالضم يقال أخذ بخناقه فأما الخناق بالكسر فالجبل تخنق به الشاة و الرمق بقيه الروح . قوله ع فلأيا بلأى مانجا أى بعد بطة و شدة و مازائدة أو مصدرية و انتصب لأيا على المصدر القائم مقام الحال أى نجا مبطنًا و العامل فى المصدر محذوف أى أبطأ بطنًا و الفائدة فى تكرير اللفظة المبالغة فى وصف البطء الذى نجا موصوفة به أى لأيا مقرونا بلأى [صفحة ١٥١] و قال الراوندى هذه القصة و هذا الهارب جريضا و بعد لأى مانجا هو معاوية قال و قد قيل إن معاوية بعث أمويا فهرب على هذه الحال و الأول أصح و هذا عجيب مضحك و ددت له إلا - يكون شرح هذا الكتاب . قوله فدع عنك قريشا إلى قوله على حرب رسول الله ص هذا الكلام حق فإن قريشا اجتمعت على حربه منذ يوم بويج بغضا له و حسدا و حقدًا عليه فأصفقوا كلهم يدا واحدة على شقاقه و حربه كما كانت حالهم فى ابتداء الإسلام مع رسول الله ص لم تخرم حاله من حاله أبدا إلا أن ذاك عصمه الله من القتل فمات موتا طبيعيا و هذا اغتاله إنسان فقتله . قوله فجرت قريشا عنى الجوازي فقد قطعوا رحمتى و سلبوني سلطان ابن أمى هذه كلمة تجرى مجرى المثل تقول لمن يسىء إليك و تدعو عليه جزتك عنى الجوازي يقال جزاه الله بما صنع و جزاه الله بما صنع و مصدر الأول جزاء و الثانى مجازاة و أصل الكلمة أن الجوازي جمع جازية كالجوازي جمع جازية فكأنه يقول جزت قريشا عنى بما صنعت لى كل خصلة من نكبة أو شدة أو مصيبة أو جائحة أى جعل الله هذه الدواهي كلها جزاء قريش بما صنعت بى و سلطان ابن أمى يعنى به الخلافة و ابن أمه هو رسول الله ص لأنهما ابنا فاطمة بنت عمرو بن عمران بن عائذ بن مخزوم أم عبد الله و أبى طالب و لم يقل سلطان ابن أبى لأن غير أبى طالب من الأعمام يشركه فى النسب إلى عبدالمطلب . قال الراوندى الجوازي جمع جازية و هى النفس التى تجزى أى جزاهم و فعل بهم ما يستحقون عساكر لأجلى و فى نيابتى و كافأهم سرية تنهض إليهم و هذا إشارة إلى بنى أمية يهلكون من بعده و هذا تفسير غريب طريف . [صفحة ١٥٢] و قال أيضا قوله سلطان ابن أمى يعنى نفسه أى سلطانه لأنه ابن أم نفسه قال و هذا من أحسن الكلام و لا شبهة أنه على تفسير الراوندى لو قال و سلبوني سلطان ابن أخت خالتى أو ابن أخت عمى لكان أحسن و أحسن و هذا الرجل قد كان يجب أن يحجر عليه و لا يمكن من تفسير هذا الكتاب و يؤخذ عليه أيمان البيعة ألا يتعرض له . قوله

فإن رأى قتال المحلين أى الخارجين من الميثاق والبيعةً يعنى البغاه ومخالفى الإمام ويقال لكل من خرج من إسلام أو حارب فى الحرم أو فى الأشهر الحرم محل و على هذا فسر قول زهير وكم بالقنان من محل ومحرم . أى من لادمه له و من له ذمه وكذلك قول خالد بن يزيد بن معاوية فى زوجته رمله بنت الزبير بن العوام ألا من لقلب معنى غزل || يحب المحله أخت المحل . أى ناقضه العهد أخت المحارب فى الحرم أو أخت ناقض بيعة بنى أمية وروى متخضعا متضرعا بالضاد. ومقرا للضيم وبالضيم أى هوراض به صابر عليه وواهنا أى ضعيفا. السلس السهل ومقتعد البعير راكبه . والشعر ينسب إلى العباس بن مرداس السلمى و لم أجده فى ديوانه ومعناه ظاهر و فى الأمثال الحكيمه لاتشكون حالك إلى مخلوق مثلك فإنه إن كان صديقا أحزنته و إن كان عدوا أشمته و لآخر فى واحد من الأمرين [صفحه ١٥٣]

٣٧- و من كتاب له ع إلى معاوية

فَسُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَشَدُّ لُزُومَكَ لِلْأَهْوَاءِ الْمُبْتَدِعَةِ وَالْحَيْرَةِ الْمُتَّبِعَةِ مَعَ تَضْيِيعِ الْحَقَائِقِ وَ اطِّرَاحِ الْوَثَائِقِ الَّتِي هِيَ لِلَّهِ تَعَالَى طَلِبَةٌ وَعَلَى عِبَادِهِ حُجَّةٌ فَأَمَّا إِكْتَارُكَ الْحِجَاكِ عَلَى عُثْمَانَ وَقَتْلِهِ فَإِنَّكَ إِنَّمَا نَصَرْتَ عُثْمَانَ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَكَ وَ خَذَلْتَهُ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَهُ وَالسَّلَامُ قَوْلُهُ أَمَا بَعْدَ فَإِنَّ الدُّنْيَا حُلُوهُ خَضْرَى ذَاتِ زِينَةٍ وَبِهَجَّةٍ لَمْ يَصِبْ إِلَيْهَا أَحَدٌ إِلَّا وَشَغْلَتُهُ بِزِينَتِهَا عَمَّا هُوَ أَنْفَعُ لَهُ مِنْهَا وَبِالْآخِرَةِ أَمْرُنَا وَعَلَيْهَا حِشْتَانُ فِدَعٍ يَامَعَاوِيَةَ مَا يَفْنَى وَاعْمَلْ لِمَا يَبْقَى وَاحْذِرْ الْمَوْتَ الَّذِي إِلَيْهِ مَصِيرُكَ وَالْحِسَابَ الَّذِي إِلَيْهِ عَاقِبَتُكَ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَرَادَ بَعْدَ خَيْرٍ حَالٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يَكْرَهُ وَوَفَّقَهُ لَطَاعَتِهِ وَ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ سُوءٍ أَغْرَاهُ بِالدُّنْيَا وَأَنْسَاهُ الْآخِرَةَ وَبَسَطَ لَهُ أَمَلَهُ وَعَاقَبَهُ عَمَّا فِيهِ صِلَاحُهُ وَقَدْ وَصَلَنِي كِتَابُكَ فَوَجَدْتُكَ تَرْمِي غَيْرَ غَرَضِكَ وَتَنْشُدُ غَيْرَ ضَالَتِكَ وَتَخْبِطُ فِي عَمَائِيهِ - رَوَايَتُ ١- ٢- رَوَايَتُ ٩- ١٠- دَارِدُ [صفحه ١٥٤] وَتَبِيهُ فِي ضَلَالَةٍ وَتَعْتَصِمُ بِغَيْرِ حُجَّةٍ وَتَلُوذُ بِأَضْعَفِ شَبِيهَةٍ فَأَمَّا سُؤَالُكَ الْمَتَارِكَةَ وَالْإِقْرَارَ لَكَ عَلَى الشَّامِ فَلَوْ كُنْتَ فَاعِلًا ذَلِكَ الْيَوْمَ لَفَعَلْتَهُ أَمْسَ وَ أَمَا قَوْلُكَ إِنْ عَمِرَ وَوَلَاكَ فَقَدْ عَزَلَ مِنْ كَانَ وَوَلَاهُ صَاحِبُهُ وَعَزَلَ عُثْمَانُ مِنْ كَانَ عَمِرَ وَوَلَاهُ وَ لَمْ يَنْصَبْ لِلنَّاسِ إِمَامًا إِلَّا لِيُرَى مِنْ صِلَاحِ الْأُمَّةِ إِمَامًا قَدْ كَانَ ظَهَرَ لِمَنْ قَبْلَهُ أَوْ أَخْفَى عَنْهُمْ عِيَهُ وَالْأَمْرُ يَحْدُثُ بَعْدَهُ الْأَمْرَ وَلِكُلِّ وَوَالِ رَأَى وَاجْتِهَادَ فَسُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَشَدُّ لُزُومَكَ لِلْأَهْوَاءِ الْمُبْتَدِعَةِ وَالْحَيْرَةِ الْمُتَّبِعَةِ - رَوَايَتُ ١- ٢- ٣- ٤- ٥- ٦- ٧- ٨- ٩- ١٠- إِلَى آخِرِ الْفَصْلِ . وَ أَمَا قَوْلُهُ عَ إِنَّمَا نَصَرْتَ عُثْمَانَ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَكَ إِلَى آخِرِهِ فَقَدْ رَوَى الْبَلَاذُرِيُّ قَالَ لَمَّا أَرْسَلَ عُثْمَانَ إِلَى مَعَاوِيَةَ يَسْتَمِدُّهُ بَعَثَ يَزِيدُ بْنُ أَسَدِ الْقَسْرِيِّ جَدَّ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدِ أَمِيرَ الْعِرَاقِ وَقَالَ لَهُ إِذَا أَتَيْتَ ذَا خَشْبٍ فَأَقِمْ بِهَا وَ لَا تَتَجَاوَزَهَا وَ لَا تَقْتُلِ الشَّاهِدَ يَرَى مَا لَا يَرَى الْغَائِبُ فَإِنِّي أَنَا الشَّاهِدُ وَأَنْتَ الْغَائِبُ . قَالَ فَأَقَامَ بِذِي خَشْبٍ حَتَّى قَتَلَ عُثْمَانَ فَاسْتَقْدَمَهُ حِينَئِذٍ مَعَاوِيَةَ فَعَادَ إِلَى الشَّامِ بِالْجَيْشِ الَّذِي كَانَ أَرْسَلَ مَعَهُ وَإِنَّمَا صَنَعَ ذَلِكَ مَعَاوِيَةَ لِيَقْتُلَ عُثْمَانَ فَيَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ . وَكَتَبَ مَعَاوِيَةَ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ صَلَاحِ الْحَسَنِ عَ لَهُ كِتَابًا يَدْعُوهُ فِيهِ إِلَى بَيْعَتِهِ وَ يَقُولُ لَهُ فِيهِ وَلِعَمْرِي لَوْ قَتَلْتُكَ بِعُثْمَانَ رَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لِلَّهِ رِضًا وَأَنْ يَكُونَ رَأْيَا صَوَابًا فَإِنَّكَ مِنَ السَّاعِينَ عَلَيْهِ وَالْخَاذِلِينَ لَهُ وَالسَّافِكِينَ دَمَهُ وَ مَا جَرَى بَيْنِي وَبَيْنَكَ صَلَاحٌ فَيَمْنَعُكَ مِنِّي وَ لَا يَبِيدُكَ أَمَانٌ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ جَوَابًا طَوِيلًا يَقُولُ فِيهِ وَ أَمَا قَوْلُكَ إِنِّي مِنَ السَّاعِينَ عَلَى عُثْمَانَ وَالْخَاذِلِينَ لَهُ وَالسَّافِكِينَ دَمَهُ وَ مَا جَرَى بَيْنِي وَبَيْنَكَ صَلَاحٌ فَيَمْنَعُكَ مِنِّي [صفحه ١٥٥] فَأَقْسَمَ بِاللَّهِ لِأَنْتَ الْمَتْرَبِصُ بِقَتْلِهِ وَالْمَحْبُ لِهَلَاكِهِ وَالْحَابِسُ النَّاسَ قَبْلَكَ عَنْهُ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ وَلَقَدْ أَتَاكَ كِتَابُهُ وَصَرِيخُهُ يَسْتَعِثُّ بِكَ وَيَسْتَصْرِخُ فَمَا حَفَلْتَ بِهِ حَتَّى بَعَثْتَ إِلَيْهِ مَعْدْرًا بِأَجْرَةٍ أَنْتَ تَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَنْ يَتْرَكُوهُ حَتَّى يَقْتُلَ فِقْتُلْ كَمَا كُنْتَ أَرَدْتَ ثُمَّ عَلِمْتَ عِنْدَ ذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ لَنْ يَعْدِلُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ فَطَفَقْتَ تَنْعَى عُثْمَانَ وَتَلْزِمْنَا دَمَهُ وَتَقُولُ قَتَلَ مَظْلُومًا فَإِنْ يَكُ قَتَلَ مَظْلُومًا فَأَنْتَ أَظْلَمُ الظَّالِمِينَ ثُمَّ لَمْ تَزَلْ مَصُوبًا وَمُصْعَدًا وَجَائِمًا وَرَابِضًا تَسْتَعْوَى الْجَهَالَ وَتَنَازَعْنَا حَقَّنَا بِالسَّفَهَاءِ حَتَّى أَدْرَكَتْ مَا طَلَبْتُ وَ إِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَ مَتَاعٌ إِلَيَّ حِينَ - قُرْآنُ - ٤٨٧- ٥٤٤ [صفحه ١٥٦]

من عبد الله على أمير المؤمنين إلى القوم الذين غصبوا لله حين عصي في أرضه و ذهب بحقه فضرب الجور سرادقه على البر و الفاجر و المقيم و الظاعن فلما معروف يستراح إليه و لا منكراً يتناهى عنه أما بعد فقد بعثت إليكم عبداً من عباد الله لا ينأى أيام الخوف و لا ينكل عن الأعداء ساعات الزرع أشد على الفجار من حريق النار و هو مالك بن الحارث أخو مذحج فاسمعو له و أطيعوا أمره فيما طابق الحق فإنه سيف من سيوف الله لا كيل الظية و لا نأبى الضريبة فإن أمركم أن تنفروا فانفروا و إن أمركم أن تقيموا فاقموا فإنه لا يقدم و لا يحجم و لا يؤخر و لا يتقدم إلا عن أمري و قد آثرتمكم به على نفسي لئلا يحته لكم و شدة شكيمته على عدوكم هذا الفصل يشكل على تأويله لأن أهل مصر هم الذين قتلوا عثمان و إذا شهد أمير المؤمنين ع أنهم غضبوا لله حين عصي في الأرض فهذه شهادة قاطعة على عثمان بالعصيان و إتيان المنكر و يمكن أن يقال و إن كان متعسفا إن الله تعالى [صفحة ١٥٧] عصي في الأرض لا من عثمان بل من ولاته و أمرائه و أهله و ذهب بينهم بحق الله و ضرب الجور سرادقه بولايتهم و أمرهم على البر و الفاجر و المقيم و الظاعن فشاغ المنكر و فقد المعروف يبقى أن يقال هب أن الأمر كما تأولت فهؤلاء الذين غضبوا لله إلى ماذا آل أمرهم أليس الأمر آل إلى أنهم قطعوا المسافة من مصر إلى المدينة فقتلوا عثمان فلاتعدو حالهم أمرين إلا- أن يكونوا أطاعوا الله بقتله فيكون عثمان عاصيا مستحقا للقتل أو يكونوا أسخطوا الله تعالى بقتله فعثمان إذا على حق و هم الفساق العصاة فكيف يجوز أن يبجلهم أو يخاطبهم خطاب الصالحين و يمكن أن يجاب عن ذلك بأنهم غضبوا لله و جاءوا من مصر و أنكروا على عثمان تأميره الأمراء الفساق و حصروه في داره طلبا أن يدفع إليهم مروان ليحبسوه أو يؤدبوه على ما كتبه في أمرهم فلما حصر طمع فيه مبغضوه و أعداؤه من أهل المدينة وغيرها و صار معظم الناس إلبا عليه و قل عدد المصريين بالنسبة إلى ما اجتمع من الناس على حصره و مطالبته بخلع نفسه و تسليم مروان و غيره من بنى أمية إليهم و عزل عماله و الاستبدال بهم و لم يكونوا حينئذ يطلبون نفسه ولكن قوما منهم و من غيرهم تسوروا داره فرماهم بعض عبيده بالسهم فجرح بعضهم فقامت الضرورة إلى النزول و الإحاطة به و تسرع إليه واحد منهم فقتله ثم إن ذلك القاتل قتل في الوقت و قد ذكرنا ذلك فيما تقدم و شرحناه فلا يلزم من فسق ذلك القاتل و عصيانه أن يفسق الباقيون لأنهم ما أنكروا إلا المنكر و أما القتل فلم يقع منهم و لاراموه و لأرادوه فجاز أن يقال إنهم غضبوا لله و أن يثنى عليهم و يمدحهم . ثم وصف الأشر بما وصفه به و مثل قوله لا ينأى أيام الخوف قولهم لا ينأى ليلة يخاف و لا يشبع ليلة يضاف و قال [صفحة ١٥٨] فأتت به حوش الفؤاد مبطنا || شهدا إذا مانام ليل الهوجل . ثم أمرهم أن يطيعوه فيما يأمرهم به مما يطابق الحق و هذا من شدة دينه و صلابته ع لم يسامح نفسه في حق أحب الخلق إليه أن يهمل هذا القيد قال رسول الله ص لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق -رواية ١-٢-رواية ٢٣-٥٦ . و قال أبو حنيفة قال لى الربيع في دهليز المنصور إن أمير المؤمنين يأمرنى بالشىء بعد الشىء من أمور ملكه فأنفذه و أنا خائف على دينى فما تقول فى ذلك قال و لم يقل لى ذلك إلا فى ملائ الناس فقلت له أفيأمر أمير المؤمنين بغير الحق قال لا قلت فلا بأس عليك أن تفعل بالحق قال أبو حنيفة فأراد أن يصطادنى فاصطدته . و الذى صدع بالحق فى هذا المقام الحسن البصرى قال له عمر بن هبيرة أمير العراق فى خلافة يزيد بن عبد الملك فى ملائ من الناس منهم الشعبى و ابن سيرين يا أباسعيد إن أمير المؤمنين يأمرنى بالشىء اعلم أن فى تنفيذ الهلكة فى الدين فما تقول فى ذلك قال الحسن ماذا أقول إن الله مانعك من يزيد ولن يمنعك يزيد من الله يا عمر خف الله و اذكر يوما يأتيك تتمخض ليلته عن القيامة أنه سينزل عليك ملك من السماء فيحطك عن سريرك إلى قصرك و يضطرك من قصرك إلى لزوم فراشك ثم ينقلك عن فراشك إلى قبرك ثم لا يغنى عنك إلا عملك فقام عمر بن هبيرة باكيا يصطك لسانه . قوله فإنه سيف من سيوف الله هذا لقب خالد بن الوليد و اختلف فيمن [صفحة ١٥٩] لقبه به فقيل لقبه به رسول

الله ص والصحيح أنه لقبه به أبو بكر لقتاله أهل الردة وقتله مسيلمًا. والظبة بالتخفيف حد السيف والناابي من السيوف أذى لا يقطع وأصله نبا أى ارتفع فلما لم يقطع كان مرتفعا فسمى نايبا و فى الكلام حذف تقديره و لانااب ضارب الضريبه وضارب الضريبه هوحد السيف فأما الضريبه نفسها فهو الشىء المضروب بالسيف وإنما دخلته الهاء و إن كان بمعنى مفعول لأنه صار فى عداد الأسماء كالنطيحة والأكيهه. ثم أمرهم بأن يطيعوه فى جميع ما يأمرهم به من الإقدام والإحجام و قال إنه لا يقدم ولا يؤخر إلا عن أمرى و هذا إن كان قاله مع أنه قدسبح له أن يعمل برأيه فى أمور الحرب من غيرمراجعته فهو عظيم جدا لأنه يكون قدأقامه مقام نفسه و جاز أن يقول إنه لايفعل شيئا إلا عن أمرى و إن كان لايراجعه فى الجزئيات على عادة العرب فى مثل ذلك لأنهم يقولون فيمن يثقون به نحو ذلك و قدذهب كثير من الأصوليين إلى أن الله تعالى قال لمحمدص احكم بما شئت فى الشريعة فإنك لاتحكم إلا بالحق و إنه كان يحكم من غيرمراجعته لجبرائيل و إن الله تعالى قد قال فى حقه و ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى و إن كان ع قال هذاالقول عن الأشتر لأنه قدقرر معه بينه وبينه ألا يعمل شيئا قليلا و لا كثيرا إلا بعدمراجعته فيجوز ولكن هذا بعيد لأن المسافه طويله بين العراق ومصر و كانت الأمور هناك تقف وتفسد. ثم ذكر أنه آثرهم به على نفسه وهكذا قال عمر لما أنفذ عبد الله بن مسعود إلى الكوفه فى كتابه إليهم قد آثرتمكم به على نفسى و ذلك أن عمر كان يستفتيه فى الأحكام و على ع كان يصول على الأعداء بالأشتر ويقوى أنفس جيوشه بمقامه بينهم فلما بعثه إلى مصر كان مؤثرا لأهل مصر به على نفسه -قرآن- ١٠١٤-١٠٦٦ [صفحه ١٦٠]

٣٩- و من كتاب له ع إلى عمرو بن العاص

فإنك قد جعلت دينك تبعا لدنيا امرئ ظاهر غيه مهتوك ستره يشين الكريم بمجلسه و يسفه الحليم بخلطته فاتبع أثره و طلبت فضله اتباع الكلب للضرغام يلود بمخالبه و ينتظر ما يلقي إليه من فضل فريسته فأذهبت دنياك و آخرتكم و لو بالحق أخذت أدركت ما طلبت فإن يمكن الله منك و من ابن أبى سفيان أجز كما بما قدمتما و إن تعجزا و تبقيأ فما أمامكما شرر لكمما و السلام كل مقاله فيهما هو الحق الصريح بعينه لم يحمله بغضه لهما و غيظه منهما إلى أن بالغ فى ذمهما به كما يبالغ الفصحاء عندسوره الغضب و تدفق الألفاظ على الألسنة و لا ريب عند أحد من العقلاء ذوى الإنصاف أن عمرا جعل دينه تبعا لدنيا معاويه و أنه ما بايعه و تابعه إلا على جعله جعلها له و ضمان تكفل له بإيصاله وهى ولاية مصر مؤجله و قطعها و افرة من المال معجله و لولديه و غلمانها ماملأ أعينهم. فأما قوله ع فى معاويه ظاهر غيه فلاريب فى ظهور ضلاله و بغيه و كل باغ غاؤ. [صفحه ١٦١] أمامهتوك ستره فإنه كان كثير الهزل و الخلاعه صاحب جلساء و سمار و معاويه لم يتوقر و لم يلزم قانون الرئاسة إلا منذ خرج على أمير المؤمنين و احتاج إلى الناموس و السكينه و إلا فقد كان فى أيام عثمان شديد التهتك موسوما بكل قبيح و كان فى أيام عمر يستر نفسه قليلا خوفا منه إلا أنه كان يلبس الحرير و الديقاج و يشرب فى آنيه الذهب و الفضة و يركب البغلات ذوات السروج المحلاة بها و عليها جلال الديقاج و الوشى و كان حينئذ شابا و عنده نرق الصبا و أثر الشيبه و سكر السلطان و الإمرة و نقل الناس عنه فى كتب السيره أنه كان يشرب الخمر فى أيام عثمان فى الشام و أما بعد وفاة أمير المؤمنين و استقرار الأمر له فقد اختلف فيه فقيل إنه شرب الخمر فى ستر و قيل إنه لم يشربه و لا خلاف فى أنه سمع الغناء و طرب عليه و أعطى و وصل عليه أيضا. و روى أبو الفرج الأصفهانى قال قال عمرو بن العاص لمعاويه فى قدمه قدمها إلى المدينة أيام خلافته قم بنا إلى هذا الذى قد هدم شرفه و هتك ستره عبد الله بن جعفر نقف على باب فسمع غناء جواريه فقاما ليلا و معهما وردان غلام عمرو و وقفنا باب عبد الله بن جعفر فاستمعا الغناء و أحس عبد الله بوقوفهما ففتح الباب و عزم على معاويه أن يدخل فدخل فجلس على سرير عبد الله فدعا عبد الله له و قدم

إليه يسيرا من طعام فأكل فلما أنس قال يا أمير المؤمنين ألا تأذن لجواريك أن يتمنن أصواتهن فإنك قطعتهما عليهن قال فليقلن فرفعن أصواتهن وجعل معاوية يتحرك قليلا قليلا حتى ضرب برجله السرير ضربا شديدا فقال عمرو قم أيها الرجل فإن الرجل الذى جئت لتلحاه أولتعب من امرئ أحسن حالا- منك فقال مهلا فإن الكريم طروب . [صفحہ ۱۶۲] أما قوله يشين الكريم بمجلسه ويسفه الحليم بخلطه فالأمر كذلك فإنه لم يكن فى مجلسه إلا شتم بنى هاشم وقذفهم والتعرض بذكر الإسلام والطعن عليه و إن أظهر الانتماء إليه و أماطب عمرو فضله واتباعه أثره اتباع الكلب للأسد فظاهر و لم يقل الثعلب غضا من قدر عمرو وتشبيها له بما هو أبلغ فى الإهانة والاستخفاف . ثم قال و لوبالحق أخذت أدركت ما طلبت أى لوقعدت عن نصره و لم تشخص إليه مماثلا به على الحق لوصل إليك من بيت المال قدر كفايتك . ولقائل أن يقول إن عمرا ما كان يطلب قدر الكفاية و على ع ما كان يعطيه إلا حقه فقط و لا يعطيه بلدا و لا طرفا من الأطراف و الذى كان يطلب ملك مصر لأنه فتحها أيام عمر و وليها برهة و كانت حسرة فى قلبه و حزازة فى صدره فباع آخرته بها فالأولى أن يقال معناه لو أخذت بالحق أدركت ما طلبت من الآخرة . فإن قلت إن عمرا لم يكن على ع يعتقد أنه من أهل الآخرة فكيف يقول له هذا الكلام قلت لا خلل و لا زلل فى كلامه ع لأنه لو أخذ بالحق لكان معتقدا كون على ع على الحق باعتقاده صحة نبوة رسول الله ص وصحة التوحيد فيصير تقدير الكلام لوباليعتنى معتقدا للزوم بيعتي لك لكنت فى ضمن ذلك طالبا الثواب فكنت تدركه فى الآخرة . ثم قال مهديدا لهما ومتوعدا إياهما فإن يمكن الله منك و من ابن أبى سفيان وأقول لو ظفر بهما لما كان فى غالب ظنى يقتلهما فإنه كان حليما كريما ولكن كان يحبسهما ليحسم بحبسهما مادة فسادهما . [صفحہ ۱۶۳] ثم قال و إن تعجزا وتبقيا أى و إن لم أستطع أخذكما أو أمت قبل ذلك و بقيتما بعدى فما أمامكما شر لكما من عقوبة الدنيا لأن عذاب الدنيا منقطع و عذاب الآخرة غير منقطع . وذكر نصر بن مزاحم فى كتاب صفين هذا الكتاب بزيادة لم يذكرها الرضى قال نصر و كتب على ع إلى عمرو بن العاص من عبد الله على أمير المؤمنين إلى الأيبر ابن الأيبر عمرو بن العاص بن وائل شانى محمد و آل محمد فى الجاهلية و الإسلام سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإنك تركت مروءتك لامرئ فاسق مهتوك ستره يشين الكريم بمجلسه ويسفه الحليم بخلطه فصار قلبك لقلبه تبعا كما قيل وافق شن طبقة فسلبك دينك و أمانتك و دنياك و آخرتك و كان علم الله بالغا فيك فصرت كالذئب يتبع الضرغام إذا مال الليل دجى أو أتى الصبح يلتمس فاضل سؤره و حوايا فريسته ولكن لانجاة من القدر و لوبالحق أخذت لأدركت مارجوت و قدرشد من كان الحق قائده فإن يمكن الله منك و من ابن آكلة الأكباد ألحقتكما بمن قتله الله من ظلمة قريش على عهد رسول الله ص و إن تعجزا وتبقيا بعد فالله حسبكما وكفى بانتقامه انتقاما وبعقابه عقابا و السلام -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۱-۷۷۳ [صفحہ ۱۶۴]

۴۰- و من كتاب له ع إلى بعض عماله

أما بعد فقد بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت ربك و عصيت إمامك و أخزيت أمانتك بلغني أنك جردت الأرض فأخذت ما تحت قدميك و أكلت ما تحت يديك فأرفع إلى حسابك و أعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس و السيلام أخزيت أمانتك أذلتها وأهنتها و جردت الأرض قشرتها والمعنى أنه نسبه إلى الخيانة فى المال و إلى إخراج الضياع و فى حكمه أبرويز أنه قال لخازن بيت المال إنى لأحتملك على خيانه درهم و لأحمدك على حفظ عشرة آلاف ألف درهم لأنك إنما تحقن بذلك دمك و تعمر به أمانتك وإنك إن خنت قليلا خنت كثيرا فاحترس من خصلتين من النقصان فيما تأخذ و من الزيادة فيما تعطى و اعلم أنى لم أجعلك على ذخائر الملك و عمارة المملكة و العدة على العدو إلا و أنت أمين عندى من الموضوع الذى هى فيه و من خواتمها التى هى عليها فحقق ظنى فى اختيارى إياك أحقق ظنك فى رجائك لى و لاتعوض بخير

شرا ولا برفعه ضعفه ولا بسلامه ندامه ولا بأمانه خيانه. [صفحة ١٦٥] وفي الحديث المرفوع من ولى لنا عملا فليزوج وليتخذ مسكنا ومركبا وخادما فمن اتخذ سوى ذلك جاء يوم القيامة عادلا غاللا سارقا -رواية ١- ٢-رواية ٣- ٢٣- ١٢٩ و قال عمر في وصيته لابن مسعود إياك والهدية وليست بحرام ولكني أخاف عليك الدالة. وأهدى رجل لعمر فخذ جزور فقبله ثم ارتفع إليه بعد أيام مع خصم له فجعل في أثناء الكلام يقول يا أمير المؤمنين افصل القضاء بيني وبينه كما يفصل فخذ الجزور ففضى عمر عليه ثم قام فخطب الناس وحرّم الهدايا على الولاة والقضاة. وأهدى إنسان إلى المغيرة سراجا من شبه وأهدى آخر إليه بغلا ثم اتفقت لهما خصومة في أمر فترافعا إليه فجعل صاحب السراج يقول إن أمرى أضوأ من السراج فلما أكثر قال المغيرة ويحك إن البغل يرمح السراج فيكسر. وممر عمر ببناء بيني بآجر وجص لبعض عماله فقال أبت الدراهم إلا- أن تخرج أعناقها وروى هذا الكلام عن علي ع و كان عمر يقول على كل عامل أمينان الماء والطين . و لما قدم أبوهريرة من البحرين قال له عمر يا عدو الله وعدو كتابه أسرقت مال الله تعالى قال أبوهريرة لست بعدو الله ولا عدو كتابه ولكني عدو من عاداهما و لم أسرق مال الله فضربه بجريده على رأسه ثم ثناه بالدرّة وأغرّمه عشرة آلاف درهم ثم أحضره فقال يا أباهريرة من أين لك عشرة آلاف درهم قال خيلي تناسلت وعطائي تلاحق وسهامي تتابعت قال عمر كلا والله ثم تركه أياما ثم قال له ألا تعمل قال لا قال قد عمل من هو خير منك يا أباهريرة قال من هو قال يوسف الصديق فقال أبوهريرة إن يوسف عمل لمن لم يضرب رأسه [صفحة ١٦٦] وظهره ولا شتم عرضه ولا نزع ماله لا والله لأعمل لك أبدا. و كان زياد إذا ولي رجلا قال له خذ عهدك وسر إلى عملك واعلم أنك محاسب رأس سنتك وأنك ستصير إلى أربع خصال فاختر لنفسك إنا إن وجدناك أمينا ضعيفا استبدلنا بك لضعفك وسلمتك من معرفتنا أمانتك و إن وجدناك خائنا قويا استعنا بقوتك وأحسننا أدبك على خيانتك وأوجعنا ظهرك وأثقلنا غرمك و إن جمعت علينا الجرمين جمعنا عليك المضرتين و إن وجدناك أمينا قويا زدنا رزقك ورفعنا ذكرك وكثرنا مالك وأوطأنا الرجال عقبك . و وصف أعرابي عاملا خائنا فقال الناس يأكلون أماناتهم لقما و هو يحسوها حسوا. قال أنس بن أبي إياس الدؤلي لحارثة بن بدر الغداني وقدولى سرق ويقال إنها لأبي الأسود أحرار بن بدر قدوليت ولاية || فكن جرذا فيها تخون وتسرق ولا تحقرن يا حارثة شيئا أصبته || فحظك من ملك العراقين سرق وباه تميما بالغنى إن للغنى || لسانا به المرء الهيوبه ينطق فإن جميع الناس إما مكذب || يقول بما تهوى وإما مصدق يقولون أقوالا ولا يتبعونها || وإن قيل هاتوا حقوا لم يحققوا. فيقال إنها بلغت حارثة بن بدر فقال أصاب الله به الرشاد فلم يعد بإشارته ما في نفسه [صفحة ١٦٧]

٤١- ومن كتاب له ع إلى بعض عماله

إشاره

أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي كُنْتُ أَشْرَكَكَ فِي أَمَانَتِي وَ جَعَلْتُكَ شِعَارِي وَ بَطَانَتِي وَ لَمْ يَكُنْ فِي أَهْلِي رَجُلٌ أَوْثَقَ مِنْكَ فِي نَفْسِي لِمُؤَسَّاتِي وَ مُؤَازَرَتِي وَ أَدَاءِ الْأَمَانَةِ إِلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتَ الزَّمَانَ عَلَى ابْنِ عَمِّكَ قَدْ كَلَبَ وَ الْعَدُوُّ قَدْ حَرَبَ وَ أَمَانَةُ النَّاسِ قَدْ خَزِيَتْ وَ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَدْ فَتَكَتْ وَ شَعَرَتْ قَلْبَتْ لِأَبْنِ عَمِّكَ ظَهَرَ الْمَجَنِّ فَفَارَقْتَهُ مَعَ الْمُفَارِقِينَ وَ خَدَلْتَهُ مَعَ الْخَاذِلِينَ وَ خُنْتَهُ مَعَ الْخَائِنِينَ فَلَمَّا ابْنِ عَمِّكَ آسَيْتَ وَ لَمَّا الْأَمَانَةُ أَدَيْتَ وَ كَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ اللَّهُ تُرِيدُ بِجِهَادِكَ وَ كَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ عَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّكَ وَ كَأَنَّكَ إِنَّمَا كُنْتَ تَكِيدُ هَيْدَةَ الْأُمَّةِ عَنْ دُنْيَاهُمْ وَ تَنوِي غُرْتَهُمْ عَنْ فِيهِمْ فَلَمَّا أَمَكَّنْتَ الشَّدَّةَ فِي خِيَانَةِ الْأُمَّةِ أَسْرَعَتِ الْكَرَّةُ وَ عَاجَلَتْ الْوُثْبَةُ وَ اخْتَطَفَتْ مَا قَدَرَتْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمُ الْمَصُونَةَ لِأَرَامِلِهِمْ وَ آيَاتِهِمْ اخْتَطَفَ الدُّبَّ الْأَزْلَ دَامِيَّةَ الْمِعْرَى الْكَسِيرَةَ فَحَمَلْتَهُ إِلَى الْحِجَازِ رَحِيبَ

الصِّدْرِ بِحَمَلِهِ غَيْرَ مَثَأْتُمْ مِنْ أَخْذِهِ كَأَنَّكَ لَمَّا أَبَا لِعَبْرِكَ حِدْرَتَ إِلَى أَهْلِكَ تَرَاتَكَ مِنْ أَبِيكَ وَ أَمَّكَ فَسَبَّحَانَ اللَّهَ أَمَا تُؤْمِنُ بِالْمَعَادِ أَوْ مَا تَخَافُ نَفَاشَ الْحِسَابِ أَيُّهَا الْمَعْدُودُ كَانَ عِنْدَنَا مِنْ أَوْلِي الْأَلْبَابِ كَيْفَ تَسْبِغُ شَرَابًا وَ طَعَامًا وَ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُلُ حَرَامًا وَ تَشْرَبُ حَرَامًا وَ تَبْتَاعُ الْإِمَاءَ وَ تَنْكِحُ النِّسَاءَ مِنْ أَمْوَالِ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينِ [صفحہ ۱۶۸] وَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُجَاهِدِينَ الَّذِينَ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْأَمْوَالُ وَ أَحْرَزَ بِهِمْ هَذِهِ الْبِلَادَ فَاتَّقِ اللَّهَ وَ ارْجِعْ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَمْوَالَهُمْ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أَمَكْنَتِي اللَّهُ مِنْكَ لَأُعْذِرَنَّ إِلَى اللَّهِ فِيكَ وَ لَأَضْرِبَنَّكَ بِسَيْفِي الَّذِي مَا ضَرَبْتُ بِهِ أَحَدًا إِلَّا دَخَلَ النَّارَ وَ اللَّهُ لَوْ أَنَّ الْحَسَنَ وَ الْحُسَيْنَ فَعَلَا مِثْلَ الْعَدِيِّ فَعَلَتْ مَا كَانَتْ لَهُمَا عِنْدِي هَوَادَةٌ وَ لَا ظَفِيرًا مِثْلِي بِإِرَادَةٍ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُمَا وَ أُرِيحَ الْبَاطِلَ عَنْ مَظْلَمَتَيْهِمَا وَ أُقْسِمَ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مَا يَسِّرُنِي أَنْ مَا أَخَذْتَهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ حَلَالٌ لِي أَتْرُكُهُ مِيرَاثًا لِمَنْ بَعْدِي فَضَحَّ رُوَيْدًا فَكَأَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ الْمَدَى وَ دَفَنْتَ تَحْتَ التُّرَى وَ عُرِضَتْ عَلَيْكَ أَعْمَالُكَ بِالْمَحَلِّ الَّذِي يُنَادِي الظَّالِمَ فِيهِ بِالْحَسْرَةِ وَ يَتَمَنَّى الْمُضَيِّعُ فِيهِ الرَّجْعِيَّةَ وَ لَاتَ حِينَ مَنَاصٍ أَشْرَكَكَ فِي أَمَانَتِي جَعَلْتُكَ شَرِيكَاً فِيهَا قَمْتُ فِيهِ مِنَ الْأَمْرِ وَائْتَمَنِي اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ سِيَاسَةِ الْأُمَّةِ وَ سَمِيَ الْخِلَافَةَ أَمَانَةً كَمَا سَمَى اللَّهُ تَعَالَى التَّكْلِيفَ أَمَانَةً فِي قَوْلِهِ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ فَأَمَّا قَوْلُهُ وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ إِلَى فَاؤْمَرُ آخِرُ وَمَرَادُهُ بِالْأَمَانَةِ الثَّانِيَةَ مَا يَتَعَارَفُهُ النَّاسُ مِنْ قَوْلِهِمْ فَلَا بَدَّ ذُو أَمَانَةٍ أَيْ لَا يَخُونُ فِيهَا أَسْنَدٌ إِلَيْهِ . وَ كَلْبُ الزَّمَانِ اشْتَدَّ وَ كَذَلِكَ كَلْبُ الْبُرْدِ . - قرآن - ۱۵۸-۱۸۲ [صفحہ ۱۶۹] وَ حَرْبُ الْعَدُوِّ اسْتَأْسَدَ وَ خَزِيَتْ أَمَانَةُ النَّاسِ ذَلَّتْ وَ هَانَتْ . وَ شَغَرَتِ الْأُمَّةُ خَلَّتْ مِنَ الْخَيْرِ وَ شَغَرَ الْبَلَدُ خَلَا مِنَ النَّاسِ . وَ قَلْبَتْ لَهُ ظَهْرُ الْمَجْنُونِ إِذَا كُنْتَ مَعَهُ فَصَرَّتْ عَلَيْهِ وَ أَصْلُ ذَلِكَ أَنَّ الْجَيْشَ إِذَا لَقُوا الْعَدُوَّ وَ كَانَتْ ظُهُورُ مَجَانِهِمْ إِلَى وَجْهِ الْعَدُوِّ وَ بَطُونُ مَجَانِهِمْ إِلَى وَجْهِ عَسْكَرِهِمْ فَإِذَا فَارَقُوا رُئِيسَهُمْ وَ صَارُوا مَعَ الْعَدُوِّ كَانُوا وَضَعُ مَجَانِهِمْ بَدَلًا مِنَ الْوَضْعِ الَّذِي كَانُوا مِنْ قَبْلُ وَ ذَلِكَ أَنَّ ظُهُورَ التَّرْسَةِ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ إِلَّا فِي وَجْهِ الْأَعْدَاءِ لِأَنَّهَا مَرْمَى سَهَامِهِمْ . وَ أَمَكْنَتُكَ الشَّدَّةُ أَيْ الْحَمْلَةُ . قَوْلُهُ أَسْرَعَتِ الْكُرَّةُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ الْكُرَّةُ إِلَّا بَعْدَ فَرَّةٍ فَكَأَنَّهُ لَمَّا كَانَ مَقْلَعًا فِي ابْتِدَاءِ الْحَالِ عَنِ التَّعَرُّضِ لِأَمْوَالِهِمْ كَانُوا كَالْفَارِ عَنْهَا فَلِذَلِكَ قَالَ أَسْرَعَتِ الْكُرَّةُ . وَ الذُّبُّ الْأَنْزَلُ الْخَفِيفُ الْوَرَكِيُّ وَ ذَلِكَ أَشَدُّ لِعَدُوِّهِ وَ أَسْرَعُ لَوْثَتِهِ وَ إِنْ اتَّفَقَ أَنْ تَكُونَ شَاءَ مِنَ الْمَعْرَى كَثِيرَةً وَ دَامِيَةً أَيْضًا كَانُوا الذُّبُّ عَلَى اخْتِطَافِهَا أَقْدَرُ . وَ نَفَاشَ الْحِسَابِ مَنَاقَشَتُهُ . قَوْلُهُ فَضَحَّ رُوَيْدًا كَلِمَةٌ تُقَالُ لِمَنْ يُؤْمَرُ بِالتَّوَدُّعِ وَ الْأَنَاءِ وَ السُّكُونِ وَ أَصْلُهَا الرَّجُلُ يَطْعَمُ إِبْلَهُ ضَحَى وَيُسِيرُهَا مَسْرَعًا لَيْسِيرَ فَلَاشْبَعِهَا يُقَالُ لَهُ ضَحَّ رُوَيْدًا

اختلاف الرأي فيمن كتب له هذا الكتاب

وقد اختلفت الناس في المكتوب إليه هذا الكتاب فقال الأ-كثرون إنه عبد الله بن العباس رحمه الله ورووا في ذلك روايات واستدلوا عليه بألفاظ من ألفاظ الكتاب [صفحہ ۱۷۰] كقوله أشركتكم في أمانتي وجعلتكم بطانتي وشعاري وأنه لم يكن في أهلي رجل أوثق منك وقوله علي بن عمك قد كلب ثم قال ثانيا قلبت لابن عمك ظهر المجن ثم قال ثالثا ولا بن عمك آسيت وقوله لا-أبالغيرك وهذه كلمة لا تقال إلا لثله فأما غيره من أفناء الناس فإن عليا كان يقول لا أبا لك . وقوله أيها المعدود كان عندنا من أولي الألباب وقوله لو أن الحسن والحسين ع وهذا يدل على أن المكتوب إليه هذا الكتاب قريب من أن يجري مجراهما عنده . وقد روى أرباب هذا القول أن عبد الله بن عباس كتب إلى علي ع جوابا من هذا الكتاب قالوا وكان جوابه أما بعد فقد أتاني كتابك تعظم علي ما أصبت من بيت مال البصرة ولعمري أن حقي في بيت المال أكثر مما أخذت والسلام قالوا فكتب إليه علي ع أما بعد فإن من العجب أن تزين لك نفسك أن لك في بيت مال المسلمين من الحق أكثر مما لرجل واحد من المسلمين فقد أفلحت إن كان تمنيك الباطل وادعائك ما لا- يكون ينجيك من المأثم ويحل لك المحرم إنك لأنت المهتدي السعيد إذا وقد بلغني أنك اتخذت مكة وطنا وضربت بهاعطنا تشتري بهامولادات مكة والمدينة والطائف تخترهن علي

عينك وتعطى فيهن مال غيرك فارجع هداك الله إلى رشدك وتب إلى الله ربك وأخرج إلى المسلمين من أموالهم فعما قليل تفارق من ألفت وتترك ماجمعت وتغيب في صدع من الأرض غير موسد ولا ممهّد قدفارت الأحاب وسكنت التراب وواجهت الحساب غنيا عما خلفت فقيرا إلى ما قدمت و السلام -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۲-۶۴۷. [صفحة ۱۷۱] قالوا فكتب إليه ابن عباس أما بعد فإنك قد أكثرت على و و الله لأن ألقى الله قد احتوت على كنوز الأرض كلها وذهبها وعقبانها ولجيناها أحب إلى من أن ألقاه بدم امرئ مسلم و السلام. و قال آخرون وهم الأقلون هذا لم يكن و لافارق عبد الله بن عباس عليا و لا باينه و لا خالفه و لم يزل أميرا على البصرة إلى أن قتل على ع. قالوا ويدل على ذلك مارواه أبو الفرج على بن الحسين الأصفهاني من كتابه الذي كتبه إلى معاوية من البصرة لما قتل على ع و قد ذكرناه من قبل قالوا وكيف يكون ذلك و لم يخدعه معاوية ويجره إلى جهته فقد علمتم كيف اختدع كثيرا من عمال أمير المؤمنين ع واستمالهم إليه بالأموال فمالوا وتركوا أمير المؤمنين ع فما باله و قد علم النبوة التي حدثت بينهما لم يستمل ابن عباس و لا اجتذبه إلى نفسه و كل من قرأ السير و عرف التواريخ يعرف مشاقه ابن عباس لمعاوية بعد وفاة على ع و ما كان يلقاه به من قوارع الكلام و شديد الخصام و ما كان يثنى به على أمير المؤمنين ع و يذكر خصائصه و فضائله و يصدع به من مناقبه و ما أثره فلو كان بينهما غبار أو كدر لما كان الأمر كذلك بل كانت الحال تكون بالضد لما اشتهر من أمرهما. و هذا عندي هو الأمثل والأصوب. و قد قال الراوندي المكتوب إليه هذا الكتاب هو عبيد الله بن العباس لا عبد الله [صفحة ۱۷۲] و ليس ذلك بصحيح فإن عبيد الله كان عامل على ع على اليمن و قد ذكرت قصته مع بسر بن أرطاة فيما تقدم و لم ينقل عنه أنه أخذ مالا و لافارق طاعة. و قد أشكل على أمر هذا الكتاب فإن أنا كذبت النقل و قلت هذا كلام موضوع على أمير المؤمنين ع خالفت الرواة فإنهم قد أطبقوا على رواية هذا الكلام عنه و قد ذكر في أكثر كتب السير و إن صرفته إلى عبد الله بن عباس صدني عنه ما أعلمه من ملازمته لطاعة أمير المؤمنين ع في حياته و بعد وفاته و إن صرفته إلى غيره لم أعلم إلى من أصرفه من أهل أمير المؤمنين ع و الكلام يشعر بأن الرجل المخاطب من أهله و بنى عمه فأنا في هذا الموضع من المتوقفين [صفحة ۱۷۳]

٤٢- و من كتاب له ع إلى عمر بن أبي سلمة المخزومي

إشاره

و كان عامله على البحرين فعزله واستعمل النعمان بن عجلان الزرقى مكانه أما بعد فإنني قد وليت النعمان بن عجلان الزرقى على البحرين و نزعته يدك بلا ذم لك و لا تثريب عليك فلقد أحسنت الولاية و أديت الأمانة فأقبل غير ظنين و لا ملوم و لا متهم و لا مأثوم فقد أردت المسير إلى ظلمة أهل الشام و أحببت أن تشهد معي فإنك ممن استظهر به على جهاد العدو و إقامة عمود الدين إن شاء الله

عمر بن أبي سلمة ونسبه وبعض أخباره

أما عمر بن أبي سلمة فهو ربيب رسول الله ص وأبوه أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة يكنى بأحفص ولد في السنة الثانية من الهجرة بأرض الحبشة وقيل إنه كان يوم قبض رسول الله ص ابن تسع سنين وتوفي في المدينة

في خلافة عبدالملك سنة ثلاث وثمانين و قدحفظ عن رسول الله ص الحديث وروى عنه سعيد بن المسيب وغيره ذكر [صفحه ١٧٤] ذلك كله ابن عبدالبر في كتاب الاستيعاب

النعمان بن عجلان ونسبه وبعض أخباره

و أما النعمان بن عجلان الزرقى فمن الأنصار ثم من بنى زريق و هو أذى خلف على خولة زوجة حمزة بن عبدالمطلب رحمه الله بعد قتله قال ابن عبدالبر في كتاب الاستيعاب كان النعمان هذا لسان الأنصار وشاعرهم ويقال إنه كان رجلا أحمر قصيرا تزدرية العين إلا أنه كان سيدا و هو القائل يوم السقيفة و قلم حرام نصب سعد ونصبكم || عتيق بن عثمان حلال أبابكر و أهل أبوبكر لها خير قائم || و إن عليا كان أخلق بالأمر و إن هوانا في علي وإنه || لأهل لها من حيث يدرى و لا يدرى . قوله و لا تثريب عليك فالتثريب الاستقصاء في اللوم ويقال تثرب عليه و عرت عليه إذا قبحت عليه فعلة . والظنين المتهم والظنة التهمة والجمع الظن يقول قد أظن زيد عمرا والألف ألف وصل والظاء مشددة والنون مشددة أيضا وجاء بالطاء المهملة أيضا أى اتهمه و في حديث ابن سيرين لم يكن علي ع يظن في قتل عثمان الحرفان مشددان و هو يفتعل من يظن و أدغم قال الشاعر و ما كل من يظننى أنامعتب || و ما كل ما يروى علي أقول [صفحه ١٧٥]

٤٣- و من كتاب له ع إلى مصقلة بن هبيرة الشيباني و كان عامله على أردشير خرة

بَلَعَنِي عَنكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ إِلَهَكَ وَ عَصَيْتَ إِمَامَكَ أَنْكَ تَقْسِمُ فِيءِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي حَازَتْهُ رِمَاحُهُمْ وَ خِيُولُهُمْ وَ أُرِيقتَ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمْ فِيمَنْ اعْتَمَاكَ مِنْ أَعْرَابِ قَوْمِكَ فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبِيَّةَ وَ بَرَأَ النَّسِيمَةَ لَئِنْ كَانَ ذَلِكَ حَقًّا لَتَجِدَنَّ لَكَ عَلَيَّ هَوَانًا وَ لَتَخْفَنَّ عِنْدِي مِيزَانًا فَلَا تَسْتَهِنَ بِحَقِّ رَبِّكَ وَ لَا تُصْلِحَ دُنْيَاكَ بِمَحَقِّ دِينِكَ فَتُكُونَ مِنَ الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا أَلَا وَ إِنْ حَقَّ مِنْ قَبْلِكَ وَ قَبْلَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي قِسْمَةِ هَذَا الْفَيْءِ سَوَاءٌ يَرِدُونَ عِنْدِي عَلَيْهِ وَ يَصْدُرُونَ عَنْهُ قَدْ تَقَدَّمَ ذَكَرَ نَسَبَ مِصْقَلَةَ بِنِ هَبِيرَةَ وَ أَرْدَشِيرَ خَرَةَ كُورَةَ مِنْ كُورِ فَارِسَ . وَ اعْتَمَاكَ اخْتَارَكَ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ أَصْلَهُ مِنَ الْعَيْمَةِ بِالْكَسْرِ وَ هِيَ خِيَارُ الْمَالِ اعْتَامَ الْمِصْدُقُ إِذَا اخَذَ الْعَيْمَةَ وَ قَدَرُوا فِي مَنْ اعْتَمَاكَ بِالْقَلْبِ وَ الصَّحِيحُ [صفحه ١٧٦] المشهور الأول وروى و لتجدن بك عندي هوانا بالباء ومعناها اللام و لتجدن بسبب فعلك هوانك عندي والباء ترد للسببية كقوله تعالى فَيُظْلَمُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ . وَ الْمَحَقُّ الْإِهْلَاكُ . وَ الْمَعْنَى أَنَّهُ نَهَى مِصْقَلَةَ عَنْ أَنْ يَقْسِمَ الْفَيْءَ عَلَى أَعْرَابِ قَوْمِهِ الَّذِينَ اتَّخَذُوهُ سَيِّدًا وَرِئِيسًا وَ يَحْرَمُ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ حَازُوهُ بِأَنْفُسِهِمْ وَ سِلَاحِهِمْ وَ هَذَا هُوَ الْأَمْرُ الَّذِي كَانَ يَنْكُرُهُ عَلَى عُثْمَانَ وَ هُوَ يُثَارُ أَهْلَهُ وَ أَقْرَابَهُ بِمَالِ الْفَيْءِ وَ قَدْ سَبَقَ شَرْحٌ مِثْلُ ذَلِكَ مُسْتَوْفَى - قرآن - ١٣٤-٢٠٣ [صفحه ١٧٧]

٤٤- و من كتاب له ع إلى زياد ابن أبيه

إشارة

و قد بلغه أن معاوية كتب إليه يريد خديعته باستلحاقه و قد عرفت أن معاوية كتب إليك يسترل لبك و يستفل غربك فأحذره فإني هو الشيطان يأتي المرء من بين يديه و من خلفه و عن يمينه و عن شماله ليقتحم غفلته و يستلب غزته و قد كان من أبي

سُفِيَانٌ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَلْتَهُ مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ وَنَزْعُهُ مِنْ نَزَعَاتِ الشَّيْطَانِ لَا يَثْبُتُ بِهَا نَسَبٌ وَلَا يُسْتَحَقُّ بِهَا إِرْثٌ وَ الْمُتَعَلِّقُ بِهَا كَالْوَاغِلِ الْمُدْفَعِ وَ النَّوْطِ الْمُدْبَذِ فَلَمَّا قَرَأَ زِيَادُ الْكِتَابِ قَالَ شَهِدَ بِهَا وَ رَبَّ الْكَعْبِيَّةِ وَ لَمْ تَزَلْ فِي نَفْسِهِ حَتَّى ادَّعَاهُ مُعَاوِيَةُ قَالَ الرُّضَى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلُهُ عِ الْوَاغِلِ هُوَ الَّذِي يَهْجُمُ عَلَى الشَّرْبِ لِيَشْرَبَ مَعَهُمْ وَ لَيْسَ مِنْهُمْ فَلَا يَزَالُ مَدْفَعًا مَحَاجِزًا وَ النَّوْطِ الْمُدْبَذِ هُوَ مَا يَنَاطُ بِرَحْلِ الرَّكَّابِ مِنْ قَعْبٍ أَوْ قَدْحٍ أَوْ مَا شَبَّهَ ذَلِكَ فَهُوَ أَبَدًا يَتَقَلَّبُ إِذَا حَثَّ ظَهْرُهُ وَاسْتَعْجَلَ سِيرُهُ - رَوَايَتُ ١-٢٣٥ [صَفْحَةُ ١٧٨] يَسْتَزِلُّ لِبَكِّ يَطْلُبُ زَلَّةً وَ خَطَأً أَى يَحَاوُلُ أَنْ تَزُلَّ وَ اللَّبُّ الْعَقْلُ وَ يَسْتَفِلُّ غَرْبَكَ يَحَاوُلُ أَنْ يَفْلُ حُدُكُ أَى عَزَمَكَ وَ هَذَا مِنْ بَابِ الْمَجَازِ ثُمَّ أَمْرُهُ أَنْ يَحْذَرَهُ وَ قَالَ إِنَّهُ يَعْنِي مُعَاوِيَةَ كَالشَّيْطَانِ يَأْتِي الْمَرْءَ مِنْ كَذَا وَ مِنْ كَذَا وَ هُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ثُمَّ لَأَتَيْنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَ عَنِ أَيْمَانِهِمْ وَ عَنِ شِمَائِلِهِمْ وَ لَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ قَالُوا فِي تَفْسِيرِهِ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ يَطْمَعُهُمْ فِي الْعَفْوِ وَ يَغْرِيهِمْ بِالْعَصِيَانِ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ يَذْكُرُهُمْ مَخْلَفِيهِمْ وَ يَحْسُنُ لَهُمْ جَمْعُ الْمَالِ وَ تَرْكُهُ لَهُمْ وَ عَنِ أَيْمَانِهِمْ يَجِبُ إِلَيْهِمُ الرَّئَايَةُ وَ الثَّنَاءُ وَ عَنِ شِمَائِلِهِمْ يَجِبُ إِلَيْهِمُ اللَّهْوُ وَ اللَّذَاتُ . وَ قَالَ شَقِيقُ الْبَلْخِي مَا مِنْ صَبَاحٍ إِلا قَعْدَ لِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَرْبَعَةٍ مَرَاوِدٍ مِنْ بَيْنِ يَدِي وَ مِنْ خَلْفِي وَ عَنِ يَمِينِي وَ عَنِ شِمَالِي أَمَا مِنْ بَيْنِ يَدِي فَيَقُولُ لَا تَخَفْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ فَأَقْرَأْ وَ إِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى وَ أَمَا مِنْ خَلْفِي فَيَخُوفُنِي الضَّيْعَةُ عَلَى مَخْلَفِي فَأَقْرَأْ وَ مَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَ أَمَا مِنْ قَبْلِ يَمِينِي فَيَأْتِينِي مِنْ جِهَةِ الثَّنَاءِ فَأَقْرَأْ وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ وَ أَمَا مِنْ قَبْلِ شِمَالِي فَيَأْتِينِي مِنْ قَبْلِ الشَّهَوَاتِ فَأَقْرَأْ وَ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ . فَإِنْ قُلْتَ لَمْ يَمُوتْ وَ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِهِمْ - قُرْآن - ٧٥٥-٨٢٣-قُرْآن - ٨٧٢-٩٢٧-قُرْآن - ٩٧٨-١٠٠٣-قُرْآن - ١٠٥٧-١٠٩٦ [صَفْحَةُ ١٧٩] قُلْتَ لِأَنَّ جِهَةَ فَوْقَ جِهَةِ نَزُولِ الرَّحْمَةِ وَ مُسْتَقَرِّ الْمَلَائِكَةِ وَ مَكَانِ الْعَرْشِ وَ الْأَنْوَارِ الشَّرِيفَةِ وَ لِاسْتِيلِ لَهَا إِلَيْهَا وَ أَمَا مِنْ جِهَةِ تَحْتِ فَلَأَنَّ الْإِتْيَانَ مِنْهَا يُوَحِّشُ وَ يَنْفِرُ عَنْهُ لِأَنَّهَا الْجِهَةُ الْمَعْرُوفَةُ بِالشَّيَاطِينِ فَعَدَلَ عَنْهَا إِلَى مَا هُوَ أَدْعَى إِلَى قَبُولِ وَسَاوَسِهِ وَأَضَالِيلِهِ . وَ قَدْفَسَ قَوْمُ الْمَعْنَى الْأَوَّلُ فَقَالُوا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ مِنْ جِهَةِ الدُّنْيَا وَ مِنْ خَلْفِهِمْ مِنْ جِهَةِ الْآخِرَةِ وَ عَنِ أَيْمَانِهِمُ الْحَسَنَاتِ وَ عَنِ شِمَائِلِهِمْ أَى يَحْتَمُّهُمْ عَلَى طَلَبِ الدُّنْيَا وَ يُؤَيِّسُهُمْ مِنَ الْآخِرَةِ وَ يَشْبِطُهُمْ عَنِ الْحَسَنَاتِ وَ يَغْرِيهِمْ بِالسَّيِّئَاتِ . قَوْلُهُ لِيَقْتَحِمَ غَفْلَتَهُ أَى لِيَلْجِ وَ يَهْجُمَ عَلَيْهِ وَ هُوَ غَافِلٌ جَعَلَ اقْتِحَامَهُ إِيَّاهُ اقْتِحَامًا لِلْغُرَّةِ نَفْسَهَا لِمَا كَانَتْ غَالِبَةً عَلَيْهِ . وَ يَسْتَلِبُ غُرَّتَهُ لَيْسَ الْمَعْنَى بِاسْتِلَابِهِ الْغُرَّةَ أَنْ يَرْفَعَهَا وَيَأْخُذَهَا لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَصَارَ ذَلِكَ الْغَافِلُ الْمَغْتَرَّ فَاقْدًا لِلْغَفْلَةِ وَ الْغُرَّةُ وَ كَانَ لِيَبِيَا فَطْنَا فَلَا يَبْقَى لَهُ سَبِيلٌ عَلَيْهِ وَ إِنَّمَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ وَ يَسْتَلِبُ غُرَّتَهُ مَا يَعْنِيهِ النَّاسُ بِقَوْلِهِمْ أَخَذَ فُلَانٌ غَفْلَتِي وَ فَعَلَ كَذَا . وَ مَعْنَى أَخْذِهَا هُنَا أَخْذُ مَا يَسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى غَفْلَتِي . وَ فُلْتَهُ أَمْرٌ وَقَعَ مِنْ غَيْرِ تَثْبُتٍ وَ لَارُوبِيَّةٍ . وَ نَزْعُهُ كَلِمَةٌ فَاسِدَةٌ مِنْ نَزَعَاتِ الشَّيْطَانِ أَى مِنْ حَرَكَاتِهِ الْقَبِيحَةِ الَّتِي يَسْتَفْسِدُ بِهَا مَكْلَفِينَ وَ لَا يَثْبُتُ بِهَا نَسَبٌ وَ لَا يَسْتَحَقُّ بِهَا إِرْثٌ لِأَنَّ الْمَقْرُوبَ بِالزَّنَاءِ لَا يَلْحَقُهُ النَّسَبُ وَ لَا يَرِثُهُ الْمَوْلُودُ - قُرْآن - ٢٧٩-٢٩٧-قُرْآن - ٣١٤-٣٢٥-قُرْآن - ٣٤٢-٣٥٥-قُرْآن - ٣٦٦-٣٨٠ قَوْلُهُ صِ الْوَالِدِ لِلْفَرَّاشِ وَ لِلْعَاهِرِ الْحَجَرِ - رَوَايَتُ ١-٢- رَوَايَتُ ١٢-٤٠

نسب زياد ابن أبيه وذكر بعض أخباره وكتبه وخطبه

فأما زياد فهو زياد بن عبيد و من الناس من يقول عبيد بن فلان وينسبه إلى [صفحہ ١٨٠] ثقيف والأكثرون يقولون إن عبيدا كان عبدا وإنه بقي إلى أيام زياد فابتاعه وأعتقه وسنذكر ماورد في ذلك ونسبة زياد لغير أبيه لخمول أبيه والدعوة التي استلحق بها فقيل تارة زياد ابن سمية وهي أمه وكانت أمه للحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج الثقفي طيب العرب وكانت تحت عبيد. وقيل تارة زياد ابن أبيه وقيل تارة زياد ابن أمه و لما استلحق قال له أكثر الناس زياد بن أبي سفيان لأن الناس مع الملوكة الذين هم مظنة الرهبة والرغبة و ليس أتباع الدين بالنسبة إلى أتباع الملوكة إلا كالقطرة في البحر المحيط فأما ما كان يدعى به قبل

الاستلحاق فزياد بن عبيد ولايشك في ذلك أحد. وروى أبو عمر بن عبد البر في كتاب الإستيعاب عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس أن عمر بعث زيادا في إصلاح فساد واقع باليمن فلما رجع من وجهه خطب عند عمر خطبة لم يسمع مثلها و أبو سفيان حاضر و علي ع و عمرو بن العاص فقال عمرو بن العاص لله أبو هذا الغلام لو كان قرشيا لساق العرب بعصاه فقال أبو سفيان إنه لقرشى وإنى لأعرف أذى وضعه في رحم أمه فقال علي ع و من هو قال أنا فقال مهلا يا أباسفيان فقال أبو سفيان أما والله لو لاخوف شخص || يرانى يا على من الأعادى لأظهر أمره صخر بن حرب || و لم يخف المقالة في زياد و قد طالت مجاملتى ثقيفا || و تركى فيهم ثمر الفؤاد عنى بقوله لو لاخوف شخص عمر بن الخطاب [صفحة ١٨١] وروى أحمد بن يحيى البلاذرى قال تكلم زياد و هو غلام حدث بحضرة عمر كلاما أعجب الحاضرين فقال عمرو بن العاص لله أبوه لو كان قرشيا لساق العرب بعصاه فقال أبو سفيان أما والله إنه لقرشى و لو عرفته لعرفت أنه خير من أهلك فقال و من أبوه قال أنا و الله وضعته في رحم أمه فقال فهلا تستلحقه قال أخاف هذا العير الجالس أن يخرق على إهابى. وروى محمد بن عمر الواقدي قال قال أبو سفيان و هو جالس عند عمر و على هناك و قد تكلم زياد فأحسن أبت المناقب إلا أن تظهر في شمائل زياد فقال علي ع من أى بنى عبد مناف هو قال ابني قال كيف قال أتيت أمه في الجاهلية سفاحا فقال علي ع مه يا أباسفيان فإن عمر إلى المساءة سريع قال فعرف زياد مدار بينهما فكانت في نفسه . وروى علي بن محمد المدائني قال لما كان زمن علي ع ولى زيادا فارس أو بعض أعمال فارس فضبطها ضبطا صالحا و جى خراجها و حماها و عرف ذلك معاوية فكتب إليه أما بعد فإنه غرتك قلاع تأوى إليها ليلا- كما تأوى الطير إلى وكرها و أيم الله لو لا انتظاري بك ما الله أعلم به لكان لك منى ماقاله العبد الصالح فلنأتينهم بجنود لا قيل لهم بها و لنخرجنهم منها أدلمة و هم صاغرون و كتب في أسفل الكتاب شعرا من جملته -قرآن- ٩٨٩-١٠٨٥ تنسى أباك و قد شالت نعمته || إذ يخطب الناس و الوالى لهم عمر . فلما ورد الكتاب على زياد قام فخطب الناس و قال العجب من ابن آكلة الأكباد و رأس النفاق يهددنى و بينى و بينه ابن عم رسول الله ص و زوج سيدة نساء العالمين و أبو السبطين و صاحب الولاية و المنزلة و الإخاء في مائة ألف [صفحة ١٨٢] من المهاجرين و الأنصار و التابعين لهم بإحسان أما و الله لو تخطى هؤلاء أجمعين إلى لوجدنى أحمر مخشا ضرابا بالسيف ثم كتب إلى علي ع و بعث بكتاب معاوية في كتابه . فكتب إليه علي ع و بعث بكتابه أما بعد فإنى قد وليتكم ما وليتكم و أنا أراكم لذلك أهلا و إنه قد كانت من أبى سفيان فلتة في أيام عمر من أمانى التيه و كذب النفس لم تستوجب بهاميراثا و لم تستحق بهانسا و إن معاوية كالشيطان الرجيم يأتى المرء من بين يديه و من خلفه و عن يمينه و عن شماله فاحذره ثم احذره و السلام -رواية ١-٢-رواية ٣٦-٣٧. وروى أبو جعفر محمد بن حبيب قال كان علي ع قدولى زيادا قطعة من أعمال فارس و اصطنعه لنفسه فلما قتل علي ع بقى زياد في عمله و خاف معاوية جانبه و علم صعوبة ناحيته و أشفق من ممالأته الحسن بن علي ع فكتب إليه من أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان إلى زياد بن عبيد أما بعد فإنك عبد قد كفرت النعمة و استدعيت النعمة و لقد كان الشكر أولى بك من الكفر و إن الشجرة لتضرب بعرقها و تتفرع من أصلها إنك لا أم لك بل لأب لك لك قد هلكت و أهلكت و ظننت أنك تخرج من قبضتى و لا ينالك سلطانى هيهات ما كل ذى لب يصيب رأيه و لا كل ذى رأى ينصح فى مشورته أمس عبد و اليوم أمير خطة ما ارتقاها مثلك يا ابن سمية و إذا أتاك كتابى هذا فخذ الناس بالطاعة و البيعة و أسرع الإجابة فإنك أن تفعل فدمك حققت و نفسك تداركت و إلا اختطفتك [صفحة ١٨٣] بأضعف ريش و نلتك بأهون سعى و أقسم قسما مبرورا إلا أوتى بك إلا فى زمارة تمشى حافيا من أرض فارس إلى الشام حتى أقيمك فى السوق و أبيعك عبدا و أردك إلى حيث كنت فيه و خرجت منه و السلام . فلما ورد الكتاب على زياد غضب غضبا شديدا و جمع الناس و صعد المنبر فحمد الله ثم قال ابن آكلة الأكباد و قاتله أسد الله و مظهر الخلاف و مسر النفاق و رئيس الأحزاب و من أنفق ماله فى إطفاء نور الله كتب إلى يرعد و يبرق عن سحابة جفل لأماء فيها و عما قليل تصيرها الرياح

قزعا و الذى يدلنى على ضعفه تهدده قبل القدرة أفرن إشفاق على تنذر وتعذر كلا ولكن ذهب إلى غير مذهب وققع لمن ربى بين صواعق تهامة كيف أربه وبينى وبينه ابن بنت رسول الله ص و ابن عمه فى مائة ألف من المهاجرين والأنصار والله لو أذن لى فيه أوندبنى إليه لأريته الكواكب نهارا ولأسعطته ماء الخردل دونه الكلام اليوم والجمع غدا والمشورة بعد ذلك إن شاء الله ثم نزل . وكتب إلى معاوية أما بعد فقد وصل إلى كتابك يامعاوية وفهمت ما فيه فوجدتك كالغريق يغطيه الموج فيتشبث بالطحلب ويتعلق بأرجل الضفادع طمعا فى الحياة إنما يكفر النعم ويستدعى النقم من حاد الله ورسوله وسعى فى الأرض فسادا فأما سبك لى فلو لاحلم ينهانى عنك وخوفى أن أدعى سفيها لأثرت لك مخازى لا يغسلها الماء و أماتعيرك لى بسمية فإن كنت ابن سمية فأنت ابن جماعة و أمازعمك أنك تختطفنى بأضعف ريش وتناولنى بأهون سعى فهل رأيت بازيا يفزعه صغير [صفحة ١٨٤] القنابر أم هل سمعت بدئب أكله خروف فامض الآن لطيتك واجتهد جهدك فلست أنزل إلا بحيث تكره و لأجتهد إلا فيما يسوؤك وستعلم أينا الخاضع لصاحبه الطالع إليه و السلام . فلما ورد كتاب زياد على معاوية غمه وأحزنه وبعث إلى المغيرة بن شعبه فخلا به و قال يامغيرة إنى أريد مشاورتك فى أمر أهمنى فانصحنى فيه وأشر على برأى المجتهد وكن لى أكن لك فقد خصصتك بسرى وآثرتك على ولدى قال المغيرة فما ذاك و الله لتجدنى فى طاعتك أمضى من الماء إلى الحدود و من ذى الروث فى كف البطل الشجاع قال يامغيرة إن زيادا قد أقام بفارس يكش لنا كشيح الأفاعى و هو رجل ثاقب الرأى ماضى العزيمة جوال الفكر مصيب إذامى و قد خفت منه الآن ما كنت آمنه إذ كان صاحبه حيا وأخشى ممالاته حسنا فكيف السبيل إليه و مالحيله فى إصلاح رأيه قال المغيرة أنا له إن لم أمت إن زيادا رجل يحب الشرف والذكر وصعود المنابر فلو لا لطفته المسألة وأنت له الكتاب لكان لك أميل وبك أوثق فاكتب إليه و أنا الرسول فكتب معاوية إليه من أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان إلى زياد بن أبى سفيان أما بعد فإن المرء ربما طرحه الهوى فى مطارح العطب وإنك للمرء المضروب به المثل قاطع الرحم وواصل العدو وحملك سوء ظنك بى وبغضك لى على أن عقت قرابتى وقطعت رحمى وبتت نسبى وحرمتى حتى كأنك لست أخى و ليس صخر بن حرب أباك و أبى وشتان ما بينى وبينك أطلب بدم ابن أبى العاص و أنت تقاتلنى ولكن أدركك عرق الرخاوة من قبل النساء فكنت [صفحة ١٨٥] كتاركة بيضها بالعراء || وملحفه بيض أخرى جناحا . و قدرأيت أن أعطف عليك و لاأؤاخذك بسوء سعيك و أن أصل رحمك وأبتغى الثواب فى أمرك فاعلم أباالمغيرة إنك لوخضت البحر فى طاعة القوم فتضرب بالسيف حتى انقطع متنه لمازددت منهم إلابعدا فإن بنى عبدشمس أبغض إلى بنى هاشم من الشفرة إلى الثور الصريع و قدأوثق للذبح فارجع رحمك الله إلى أصلك واتصل بقومك و لاتكن كالموصول بريش غيره فقد أصبحت ضال النسب ولعمرى مافعل بك ذلك إلااللجاج فدعه عنك فقد أصبحت على بينه من أمرك ووضوح من حجتك فإن أحببت جانبى ووثقت بى فأمره بأمره و إن كرهت جانبى و لم تثق بقولى ففعل جميل لا على و لا لى و السلام . فرحل المغيرة بالكتاب حتى قدم فارس فلما رآه زياد قربه وأدناه ولطف به فدفع إليه الكتاب فجعل يتأمله ويضحك فلما فرغ من قراءته وضعه تحت قدمه ثم قال حسبك يامغيرة فإنى أطلع على ما فى ضميرك و قدقدمت من سفرة بعيدة فقم وأرح ركابك قال أجل فدع عنك اللجاج يرحمك الله وارجع إلى قومك وصل أخاك وانظر لنفسك و لاتقطع رحمك قال زياد إنى رجل صاحب أناه و لى فى أمرى روية فلا تعجل على و لاتبدأنى بشىء حتى أبدأك ثم جمع الناس بعد يومين أو ثلاثة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ادفعوا البلاء ما اندفع عنكم وارغبوا إلى الله فى دوام العافية لكم فقد نظرت فى أمور الناس منذ قتل عثمان وفكرت فيهم فوجدتهم كالأصاحى فى كل عيد يذبحون ولقد أفنى هذان اليومان يوم الجمل وصفين ماينيف على مائة ألف كلهم يزعم أنه طالب حق وتابع إمام و على بصيرة من أمره فإن كان الأمر هكذا فالقاتل والمقتول فى الجنة كلا [صفحة ١٨٦] ليس كذلك ولكن أشكل الأمر والتبس على القوم وإنى لخائف أن يرجع الأمر كمابدأ فكيف لامرئ

بسلامة دينه وقد نظرت في أمر الناس فوجدت أحد العاقبتين العافية وسأعمل في أموركم ماتحمدون عاقبته ومغيبته فقد حمدت طاعتكم إن شاء الله ثم نزل وكتب جواب الكتاب أما بعد فقد وصل كتابك يامعاوية مع المغيرة بن شعبه وفهمت ما فيه فالحمد لله الذي عرفك الحق وردك إلى الصلوة ولست ممن يجهل معروفًا ولا يغفل حسبا ولو أردت أن أجيبك بما أوجبه الحجة واحتمله الجواب لطلال الكتاب وكثر الخطاب ولكنك إن كنت كتبت كتابك هذا عن عقد صحيح ونية حسنة وأردت بذلك برا فستزرع في قلبي مودة وقبولا وإن كنت إنما أردت مكيدة ومكرا وفساد نية فإن النفس تأبى ما فيه العطب ولقد قمت يوم قرأت كتابك مقاما يعبا به الخطيب المدرة فتركت من حضر لا أهل ورد ولا صدر كالمتحيرين بمهمة ضل بهم الدليل وأنا على أمثال ذلك قدير وكتب في أسفل الكتاب إذا معشرى لم ينصفوني وجدتنى || أدفع عنى الضيم مادمت باقيا وكم معشر أعيت قناتى عليهم || فلاموا وألفوني لدى العزم ماضيا وهم به ضاقت صدور فرجته || وكنت بطبى للرجال مداويا أدفع بالحلم الجهول مكيدة || وأخفى له تحت العشاء الدواهيًا فإن تمدن منى أدن منك وإن تبين || تجدنى إذا لم تمدن منى نائيا فأعطاه معاوية جميع ماسأله وكتب إليه بخط يده ما وثق به فدخل إليه الشام فقربه وأدناه وأقره على ولايته ثم استعمله على العراق . [صفحة 187] وروى على بن محمد المدائني قال لما أراد معاوية استلحاق زياد و قد قدم عليه الشام جمع الناس وصعد المنبر وأصعد زيادا معه فأجلسه بين يديه على المرقاة التي تحت مرقاته وحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إنى قد عرفت نسبنا أهل البيت فى زياد فمن كان عنده شهادة فليقم بها فقام ناس فشهدوا أنه ابن أبى سفيان وأنهم سمعوا ما أقر به قبل موته فقام أبو مريم السلولى و كان خمارا فى الجاهلية فقال أشهد يا أمير المؤمنين أن أباسفيان قدم علينا بالطائف فأتانى فاشترت له لحما وخمرا وطعاما فلما أكل قال يا أبا مريم أصب لى بغيا فخرجت فأتيت بسمية فقلت لها إن أباسفيان ممن قد عرفت شرفه وجوده وقد أمرنى أن أصيب له بغيا فهل لك فقالت نعم يجىء الآن عبيد بغنمه و كان راعيا فإذا تعشى ووضع رأسه أتيت فرجعت إلى أبى سفيان فأعلمته فلم نلبث أن جاءت تجر ذيلها فدخلت معه فلم تنزل عنده حتى أصبحت فقلت له لما انصرفت كيف رأيت صاحبك قال خير صاحبة لو لا ذفر فى إبطيها. فقال زياد من فوق المنبر يا أبا مريم لا تشتم أمهات الرجال فتشتم أمك . فلما انقضى كلام معاوية ومناشدته قام زياد وأنصت الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إن معاوية والشهود قد قالوا ماسمعتم ولست أدرى حق هذا من باطله و هو والشهود أعلم بما قالوا وإنما عبيد أب مبرور ووال مشكور ثم نزل . وروى شيخنا أبو عثمان أن زيادا مر و هو والى البصرة بأبى العريان العدوى و كان شيخا مكفوفا ذا لسن وعارضة شديدة فقال أبو العريان ما هذه الجلبة قالوا زياد بن أبى سفيان قال و الله ما ترك أبوسفيان إلا يزيد ومعاوية وعتبة وعنيسة وحظلة ومحمدا فمن أين جاء زياد فبلغ الكلام زيادا و قال له قائل لو سددت [صفحة 188] عنك فم هذا الكلب فأرسل إليه بمائتى دينار فقال له رسول زياد إن ابن عمك زيادا الأمير قد أرسل إليك مائتى دينار لتنفقها فقال وصلته رحم إى و الله ابن عمى حقا ثم مر به زياد من الغد فى موكبه فوقف عليه فسلم وبكى أبو العريان فقيل له ما يبكيك قال عرفت صوت أبى سفيان فى صوت زياد فبلغ ذلك معاوية فكتب إلى أبى العريان ما ألبثتك الدنانير التى بعثت || أن لونتك أبا العريان ألوانا أمسى إليك زياد فى أرومته || نكرا فأصبح ما أنكرت عرفانا لله در زياد لو تعجلها || كانت له دون ما يخشاه قربانا . فلما قرئ كتاب معاوية على أبى العريان قال اكتب جوابه يا غلام أحدث لنا صلوة تحيا النفوس بها || قد كدت يا ابن أبى سفيان تنسانا أما زياد فقد صحت مناسبه || عندى فلا أتبغى فى الحق بهتانا من يسد خيرا يصبه حين يفعل || أو يسد شرا يصبه حيثما كانا . وروى أبو عثمان أيضا قال كتب زياد إلى معاوية ليستأذنه فى الحج فكتب إليه إنى قد أذنت لك واستعملتك على الموسم وأجزتك بألف ألف درهم فبينا هو يتجهز إذ بلغ ذلك أبا بكره أخاه و كان مصارما له منذ لجج فى الشهادة على المغيرة بن شعبه أيام عمر لا يكلمه قد لزمته أيمان عظيمة ألا يكلمه أبدا فأقبل أبو بكره يدخل القصر يريد زيادا فبصر به الحاجب فأسرع إلى زياد قائلا أيها الأمير هذا أخوك أبو بكره قد دخل القصر قال ويحك أنت رأيتته قال ها

هوذا قدطلع و في حجر زياد بنى يلاعبه وجاء أبو بكره حتى وقف عليه فقال للغلام كيف أنت يا غلام إن أباك ركب في الإسلام عظيما زنى أمه وانتفى من أبيه و لا والله ما علمت سميته رأته [صفحة ١٨٩] أباسفيان قط ثم أبوك يريد أن يركب ما هو أعظم من ذلك يوافي الموسم غدا ويوافي أم حبيبة بنت أبي سفيان وهي من أمهات المؤمنين فإن جاء يستأذن عليها فأذنت له فأعظم بهافرية على رسول الله ص ومصيبة و إن هي منعته فأعظم بها على أبيك فضيحة ثم انصرف فقال جزاك الله يا أخى عن النصيحة خيرا ساخطا كنت أوراخيا ثم كتب إلى معاوية إنى قداعتلت عن الموسم فليوجه إليه أمير المؤمنين من أحب فوجه عتبة بن أبي سفيان .فأما أبو عمر بن عبد البر فى كتاب الاستيعاب فإنه قال لمادعى معاوية زيادا فى سنة أربع وأربعين وألحقه به أخا زوج ابنته من ابنه محمد بن زياد ليؤكد بذلك صحة الاستلحاق و كان أبو بكره أخا زياد لأمه أمهما جميعا سميته فحلف ألا يكلم زيادا أبدا و قال هذا زنى أمه وانتفى من أبيه و لا والله ما علمت سميته رأته أباسفيان قبل ويله ما يصنع بأم حبيبة أريد أن يراها فإن حجته فضحته و إن رآها فيا لها مصيبة يهتك من رسول الله ص حرمة عظيمة . و حج زياد مع معاوية ودخل المدينة فأراد الدخول على أم حبيبة ثم ذكر قول أبي بكره فانصرف عن ذلك وقيل إن أم حبيبة حجته و لم تأذن له فى الدخول عليها وقيل إنه حج و لم يرد المدينة من أجل قول أبي بكره وإنه قال جزى الله أبابكره خيرا فما يدع النصيحة فى حال وروى أبو عمر بن عبد البر فى هذا الكتاب قال دخل بنو أمية وفيهم عبدالرحمن بن الحكم على معاوية أيام ما استلحق زيادا فقال له عبدالرحمن يا معاوية لو لم تجد إلا الزنج لاستكثرت بهم علينا قلة وذلته يعنى على بنى أبي العاص فأقبل معاوية [صفحة ١٩٠] على مروان و قال أخرج عنا هذا الخلع فقال مروان إى والله إنه لخليع ما يطاق فقال معاوية والله لو لاحمى وتجاوزى لعلمت أنه يطاق ألم يبلغنى شعره فى و فى زياد ثم قال مروان أسمعنيه فأنشد ألا ببلغ معاوية بن حرب || لقد ضاقت بما يأتى اليدان أتغضب أن يقال أبوك عفو || وترضى أن يقال أبوك زان فأشهد أن رحمتك من زياد || كرحم الفيل من ولد الأتان وأشهد أنها حملت زيادا || وصخر من سميته غير دان . ثم قال والله لا أرضى عنه حتى يأتى زيادا فيترضاه ويعتذر إليه فجاء عبدالرحمن إلى زياد معتذرا يستأذن عليه فلم يأذن له فأقبلت قريش إلى زياد تكلمه فى أمر عبدالرحمن فلما دخل سلم فتشاور له زياد بعينه و كان يكسر عينه فقال له زياد أنت القائل ما قلت قال عبدالرحمن ما أذى قلت قال قلت ما لا يقال قال أصلح الله الأمير إنه لا ذنب لمن أعتب وإنما الصفح عمن أذنب فاسمع منى ما أقول قال هات فأنشده إليك أبا المغيرة تبت مما || جرى بالشام من خطل اللسان وأغضبت الخليفة فيك حتى || دعاه فرط غيظ إن هجانى و قلت لمن لجانى فى اعتذارى || إليك اذهب فشأنك غير شأنى [صفحة ١٩١] عرفت الحق بعد ضلال رأيى || و بعد الغى من زيغ الجنان زياد من أبى سفيان غصن || تهادى ناضرا بين الجنان أراك أخا وعمما و ابن عم || فما أدرى بعيب ماتراني و إن زيادة فى آل حرب || أحب إلى من وسطى بنانى ألا ببلغ معاوية بن حرب || فقد ظفرت بما تأتى اليدان فقال زياد أراك أحقق صرفا شاعرا ضيع اللسان يسوغ لك ريقك ساخطا ومسخوطا ولكننا قد سمعنا شعرك وقبلنا عذرك فهات حاجتك قال تكتب إلى أمير المؤمنين بالرضا عنى قال نعم ثم دعا كاتبه فكتب له بالرضا عنه فأخذ كتابه ومضى حتى دخل على معاوية فلما قرأه قال لحا الله زيادا لم يتنبه لقوله و إن زيادة فى آل حرب . ثم رضى عن عبدالرحمن وردة إلى حالته . و أما أشعار يزيد بن مفرغ الحميرى وهجاؤه عبيد الله وعبادا ابني زياد بالدعوة فكثيرة مشهورة نحو قوله أعباد ماللوم عنك تحول || و لا لك أم من قريش و لأب وقل لعبيد الله ما لك والذ || بحق و لا يدري امرؤ كيف تنسب . ونحو قوله شهدت بأن أمك لم تباشر || أباسفيان واضعة القناع [صفحة ١٩٢] ولكن كان أمر فيه لبس || على حذر شديد وارتياح إذا أودى معاوية بن حرب || فبشر شعب قعبك بانصداع . ونحو قوله إن زيادا ونافعا و أبابكره || عندى من أعجب العجب هم رجال ثلاثة خلقوا || فى رحم أنثى وكلهم لأب ذا قرشى كما تقول وذا || مولى و هذا بزعمه عربى كان عبيد الله بن زياد يقول ماشحيت بشيء أشد على من قول ابن مفرغ فكر ففى ذاك إن فكرت معتبر || هل نلت مكرمة إلا بتأمير عاشت سميته ما عاشت و ما علمت || أن

ابنها من قريش في الجماهير . ويقال إن الأبيات النونية المنسوبة إلى عبدالرحمن ابن أم الحكم ليزيد بن مفرغ و إن أولها ألا أبلغ معاوية بن حرب || مغلغلة من الرجل اليماني . ونحو قوله و قدباع برد غلامه لماحبسه عباد بن زياد بسجستان يا برد مامسنا دهر أضر بنا || من قبل هذا ولا بعنا له ولدا لامتنى النفس في برد فقلت لها || لاتهلكي إثر برد هكذا كمدوا لوالدعي و لو لا ماتعرض بي || من الحوادث مافارقته أبدا . ونحو قوله أبلغ لديك بنى قحطان مألكة || عضت بأير أبيها سادة اليمن أضحى دعي زياد فقع قرقرة || يالل عجائب يلهو بابن ذى يزن . [صفحہ ۱۹۳] وروى ابن الكلبي أن عبادا استلحقه زياد كما استلحق معاوية زيادا كلاهما لدعوة قال لما أذن لزياد في الحج تجهز فيينا هو يتجهز وأصحاب القرب يعرضون عليه قربهم إذ تقدم عباد و كان خرازا فصار يعرض عليه ويحاورة ويجيبه فقال زياد ويحك من أنت قال أنا بنك قال ويحك و أى بنى قال قد وقعت على أمى فلانة وكانت من بنى كذا فولدتنى وكنت فى بنى قيس بن ثعلبة و أنا مملوك لهم فقال صدقت و الله إنى لأعرف ماتقول فبعث فاشتراه و ادعاه وألحقه و كان يتعهد بنى قيس بن ثعلبة بسببه ويصلهم و عظم أمر عباد حتى ولاه معاوية سجستان بعد موت زياد وولى أخاه عبيد الله البصرة فتزوج عباد الستيرة ابنة أنيف بن زياد الكلبي فقال الشاعر يخاطب أنيفا و كان سيد كلب فى زمانه أبلغ لديك أبا تركان مألكة || أنائما كنت أم بالسمع من صمم أنكحت عبد بنى قيس مهذبى || آباؤها من عليم معدن الكرم أكنت تجهل عبادا ومحتده || لادر درك أم أنكحت من عدم أ بعد آل أبى سفيان تجعله || صهرا و بعد بنى مروان والحكم أعظم عليك بذا عارا و منقصة || مادمت حيا و بعد الموت فى الرحم . و قال الحسن البصرى ثلاث كن فى معاوية لو لم تكن فيه إلا واحدة منهن لكانت موبقة انتزاهه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها واستلحقه زيادا مراغمة لقول رسول الله الولد للفراش وللغاهر الحجر -رواية ۱- ۲-رواية ۲۰- ۴۸ و قتله حجر بن عدى فى ويله من حجر وأصحاب حجر . [صفحہ ۱۹۴] وروى الشرقى بن القطامى قال كان سعيد بن سرح مولى حبيب بن عبد شمس شيعى لعلى بن أبى طالب ع فلما قدم زياد الكوفة طلبه وأخافه فأتى الحسن بن على ع مستجيرا به فوثب زياد على أخيه وولده وامرأته فحبسهم وأخذ ماله ونقض داره فكتب الحسن بن على ع إلى زياد أما بعد فإنك عمدت إلى رجل من المسلمين له مالهم و عليه ما عليهم فهدمت داره وأخذت ماله وحبست أهله و عياله فإن أتاك كتابى هذا فابن له داره واردد عليه عياله وماله وشفعنى فيه فقد أجرته و السلام -رواية ۱- ۲-رواية ۳۶- ۲۴۷ . فكتب إليه زياد من زياد بن أبى سفيان إلى الحسن بن فاطمة أما بعد فقد أتانى كتابك تبدأ فيه بنفسك قبلى و أنت طالب حاجة و أناسلطان و أنت سوقة و تأمرنى فيه بأمر المطاع المسلط على رعيته كتبت إلى فى فاسق آويته إقامة منك على سوء رأى ورضا منك بذلك وإيم الله لاتسبغنى به و لو كان بين جلدك ولحمك و إن نلت بعضك غير رفيق بك و لا مرع عليك فإن أحب لحم على أن آكله للحم الذى أنت منه فسلمه بجريرته إلى من هو أولى به منك فإن عفوت عنه لم أكن شفعتك فيه و إن قتلته لم أقتله إلا لوجه أباك الفاسق و السلام . فلما ورد الكتاب على الحسن ع قرأه وتبسم و كتب بذلك إلى معاوية وجعل كتاب زياد عطفه وبعث به إلى الشام و كتب جواب كتابه كلمتين لاثالثة لهما من الحسن بن فاطمة إلى زياد ابن سمية أما بعد فإن رسول الله ص قال الولد للفراش وللغاهر الحجر و السلام -رواية ۱- ۲-رواية ۴۱- ۱۱۲ . فلما قرأ معاوية كتاب زياد إلى الحسن ضاقت به الشام و كتب إلى زياد أما بعد فإن الحسن بن على بعث إلى بكتابك إليه جوابا عن كتاب كتبه [صفحہ ۱۹۵] إليك فى ابن سرح فأكثر العجب منك وعلمت أن لك رأيين أحدهما من أبى سفيان والآخر من سمية فأما الذى من أبى سفيان فحلهم وحزم و أما الذى من سمية فما يكون من رأى مثلها من ذلك كتابك إلى الحسن تشتم أباه وتعرض له بالفسق ولعمري إنك الأولى بالفسق من أبيه فأما أن الحسن بدأ بنفسه ارتفاعا عليك فإن ذلك لا يضعك لوعقلت و أما تسلطه عليك بالأمر فحق لمثل الحسن أن يتسلط و أما تركك تشفيعه فيما شفيع فيه إليك فحظ دفعته عن نفسك إلى من هو أولى به منك فإذا ورد عليك كتابى فخل ما فى يديك لسعيد بن أبى سرح و ابن له داره واردد عليه ماله و لاتعرض له فقد كتبت إلى

الحسن أن يخيره إن شاء أقام عنده و إن شاء رجع إلى بلده و لاسلطان لك عليه لايبذ و لالسان و أما كتابك إلى الحسن باسمه و اسم أمه و لاتنسبه إلى أبيه فإن الحسن ويحك من لايرمى به الرجوان و إلى أى أم و كلته لأم لك أ ما علمت أنها فاطمة بنت رسول الله ص فذاك أفخر له لو كنت تعلمه و تعقله و كتب فى أسفل الكتاب شعرا من جملة أماحسن فابن الذى كان قبله || إذاسار سار الموت حيث يسير وهل يلد الرئبال إلا نظيره || وذا حسن شبه له و نظير ولكنه لويوزن اللحم والحجا || بأمر لقالوا يذبل وثير . [صفحة ١٩٦] وروى الزبير بن بكار فى الموفقيات أن عبد الملك أجرى خيلا فسبقه عباد بن زياد فأنشد عبد الملك سبق عباد وصلت لحيته || و كان خرازا تجود قربته . فشكا عباد قول عبد الملك إلى خالد بن يزيد بن معاوية فقال له أما و الله لأنصفنك منه بحيث يكره فزوجه أخته فكتب الحجاج إلى عبد الملك يا أمير المؤمنين إن مناكح آل أبى سفيان قد ضاعت فأخبر عبد الملك خالد بما كتب به الحجاج فقال خالد يا أمير المؤمنين ما أعلم امرأة منا ضاعت ونزلت إلا عاتكة بنت يزيد بن معاوية فإنها عندك و لم يعن الحجاج غيرك قال عبد الملك بل عنى الدعى ابن الدعى عبادا قال خالد يا أمير المؤمنين ما أنصفتنى أدعى رجلا - ثم لا - أزوجه إنما كنت ملوما لوزوجت دعيك فأما دعيتى فلم لا - أزوجه . فأما أول ما ارتفع به زياد فهو استخلاف ابن عباس له على البصرة فى خلافة على ع و بلغت عليا عنه هنات فكتب إليه يلومه ويؤنبه فمنها الكتاب الذى ذكر الرضى رحمه الله بعضه و قد شرحنا فيما تقدم ما ذكر الرضى منه و كان على ع أخرج إليه سعدا مولاه يحثه على حمل مال البصرة إلى الكوفة و كان بين سعد و زياد ملاحاة و منازعة و عاد سعد وشكاه إلى على ع و عابه فكتب على ع إليه أما بعد فإن سعدا ذكر أنك شتمته ظلما وهددته ووجهته تجبرا و تكبرا فما دعاك إلى التكبر و قد قال رسول الله ص الكبر رداء الله فمن نازع الله رداءه قصمه و قد أخبرنى أنك تكثر من الألوان المختلفة فى الطعام فى اليوم الواحد - رواية ١ - ٢ - رواية ٢٢ - ادامه دارد [صفحة ١٩٧] و تدهن كل يوم فما عليك لو صمت لله أياما و تصدقت ببعض ما عندك محتسبا و أكلت طعامك مرارا قفارا فإن ذلك شعار الصالحين أفتطمع و أنت متمرغ فى النعيم تستأثر به على الجار و المسكين و الضعيف و الفقير و الأرملة و اليتيم أن يحسب لك أجر المتصدقين و أخبرنى أنك تتكلم بكلام الأبرار و تعمل عمل الخاطئين فإن كنت تفعل ذلك فنفسك ظلمت و عملك أحببت فتب إلى ربك يصلح لك عملك و اقتصد فى أمرك و قدم إلى ربك الفضل ليوم حاجتك و ادهن غبا فإنى سمعت رسول الله ص يقول ادهنوا غبا و لاتدهنوا رفها - رواية - از قبل - ٥٠٤ . فكتب إليه زياد أما بعد يا أمير المؤمنين فإن سعدا قدم على فأساء القول و العمل فانتهرته و زجرته و كان أهلا - لأ - أكثر من ذلك و أما ما ذكرت من الإسراف و اتخاذ الألوان من الطعام و النعم فإن كان صادقا فأثابه الله ثواب الصالحين و إن كان كاذبا فوقاه الله أشد عقوبة الكاذبين و أما قوله إنى أصف العدل و أخالفه إلى غيره فإنى إذن من الأخسرين فخذ يا أمير المؤمنين بمقال قلته فى مقام قمته الدعوى بلا بينة كالسهم بلا نصل فإن أتاك بشاهدى عدل و إلا - تبين لك كذبه و ظلمه . و من كلام زياد تأخير جزاء المحسن لئوم و تعجيل عقوبة المسىء طيش . و كتب إليه معاوية أما بعد فاعزل حريث بن جابر عن العمل فإنى لا أذكر مقاماته بصفين إلا كانت حرازة فى صدرى فكتب إليه زياد أما بعد فخفف عليك يا أمير المؤمنين فإن حريثا قد سبق شرفا لا يرفعه معه عمل و لا يضعه معه عزل . [صفحة ١٩٨] و قال لابنه عبيد الله عليك بالحجاب و إنما اجترأت الرعاة على السباع بكثرة نظرها إليها . و من كلامه أحسنوا إلى أهل الخراج فإنكم لاتزالون سمانا ما سمنوا . قدم رجل خصما له إلى زياد فى حق له عليه و قال أيها الأمير إن هذا يدل بخاصة ذكر أنها له منك قال زياد صدق و سأخبرك بما ينفعه عندى من خاصته و مودته إن يكن له الحق عليك آخذك به أخذنا عنيفا و إن يكن الحق لك قضيت عليه ثم قضيت عنه . و قال ليس العاقل من يحتال للأمر إذ وقع فيه لكن العاقل من يحتال للأمر ألا يقع فيه . و قال فى خطبة له إلارب مسرور بقدمنا لأنسره و خائف ضرنا لأنضره . كان مكتوبا فى الحيطان الأربعة فى قصر زياد كتابة بالجص أربعة أسطر أولها الشدة فى غير عنف واللين فى غير ضعف والثانى المحسن مجازى بإحسانه و المسىء يكافأ بإساءته والثالث العظيات

والأرزاق في إبانها وأوقاتها والرابع لاحتجاب عن صاحب ثغر و لا- عن طارق ليل . و قال يوما على المنبر إن الرجل ليتكلم بالكلمة يشفى بها غيظه لا يقطع بها ذنب عنز فتضره لو بلغتنا عنه لسفكنا دمه . و قال ما قرأت كتاب رجل قط إلا عرفت عقله منه . و قال في خطبة استوصوا بثلاثة منكم خيرا الشريف والعالم والشيخ فو الله لا يأتيني وضيع بشريف يستخف به إلا انتقمته منه أو شاب بشيخ يستخف به إلا أوجعته ضربا و لا جاهل بعالم يستخف به إلا نكلت به . [صفحہ ۱۹۹] وقيل لزياد ما الحظ قال أن يطول عمره و ترى في عدوك ما يسرك . قيل كان زياد يقول هما طريقان للعامة الطاعة والسيف . و كان المغيرة يقول لا و الله حتى يحملوا على سبعين طريقا غير السيف . و قال الحسن البصري لرجل أ لا تحدثني بخطبتي زياد والحجاج حين دخلا العراق قال بلى أما زياد فلما قدم البصرة حمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإن معاوية غير مخوف على قومه و لم يكن ليلحق بنسبه من ليس منه و قد شهدت الشهود بما قد بلغكم والحق أحق أن يتبع و الله حيث وضع البيئات كان أعلم و قد رحلت عنكم و أنا أعرف صديقي من عدوي ثم قدمت عليكم و قد صار العدو صديقا مناصحا والصديق عدوا مكاشحا فليشتمل كل امرئ على ما في صدره و لا يكون لسانه شفرة تجرى على أوداجه و ليعلم أحدكم إذا خلا بنفسه أنى قد حملت سيفي بيدي فإن أشهره لم أعمده و إن أعمده لم أشهره ثم نزل و أما الحجاج فإنه قال من أعياه داؤه فعلى دواؤه و من استبطأ أجله فعلى أن أعجله ألا إن الحزم والعزم استلبا منى سوطي وجعلا- سوطي سيفي فنجاده في عنقي وقائمه بيدي وذبابه قلادة لمن اغتر بي . فقال الحسن البؤس لهما ما أغرهما بربهما اللهم اجعلنا ممن يعتبر بهما . و قال بعضهم ما رأيت زيادا كاسرا إحدى عينيه واضعا إحدى رجله على الأخرى يخاطب رجلا- إلا رحمت المخاطب . و من كلامه نعم الشيء الإمارة لو لاقعقة لجام البريد وتسمن ذروة المنبر . قال لحاجبه يا عجلان إني قد وليتكم هذا الباب وعزلتكم عن أربعة المنادى إذ جاء يؤذن بالصلاة فإنها كانت كتابا موقوتا و رسول صاحب الثغر فإنه إن أبطأ [صفحہ ۲۰۰] ساعة فسد تدير سنة و طارق الليل فشر ماجاء به والطباخ إذ فرغ من الطعام فإنه متى أعيد عليه التسخين فسد . و كان حارثة بن بدر الغداني قد غلب على زياد و كان حارثة مشتتة بالشراب فليل زياد في ذلك فقال كيف بإطراح رجل هويسايرني منذ قدمت العراق فلا يصل ركابه ركابي و لا تقدمني قط فنظرت إلى قفاه و لا تأخر عنى فلويت عنى إليه و لا أخذ على الشمس في شتاء قط و لا الروح في صيف قط و لا سألته عن علم إلا ظنته لا يحسن غيره . و من كلامه كفى بالبخل عارا أن اسمه لم يقع في حمد قط و كفى بالجود فخرا أن اسمه لم يقع في ذم قط . و قال ملاك السلطان الشدة على المريب واللين للمحسن و صدق الحديث والوفاء بالعهد . و قال ما أتيت مجلسا قط إلا تركت منه ما لو أخذته لكان لي وترك ما لي أحب إلى من أخذ ما ليس لي . و قال ما قرأت مثل كتب الربيع بن زياد الحارثي ما كتب إلى كتابا قط إلا في اجترار منفعة أو دفع مضرة و لا شاورته يوما قط في أمر مبهم إلا وسبق إلى الرأي . و قال يعجبني من الرجل إذا أتى مجلسا أن يعلم أين مكانه منه فلا يتعداه إلى غيره و إذ أسيم خطه خسف أن يقول لا بملء فيه . فأما خطبة زياد المعروفة بالبراء وإنما سميت بذلك لأنه لم يحمد الله فيها و لا صلى على رسوله فقد ذكرها على بن محمد المدائني قال قدم زياد البصرة أميرا عليها أيام معاوية والفسق فيها فاش جدا وأموال الناس منتهبة والسياسة ضعيفة فصعد المنبر فقال [صفحہ ۲۰۱] أما بعد فإن الجاهلية الجهلاء والضلالة العمياء والغى الموفد لأهله على النار ما فيه سفهاؤكم ويشتمل عليه حلماؤكم من الأمور العظام ينبت فيها الصغير و لا يتحاشى منها الكبير كأنكم لم تقرأوا كتاب الله و لم تستمعوا ما أعد من الثواب الكثير لأهل طاعته والعذاب الأليم لأهل معصيته في الزمن السرمد الذي لا يزول . أتكونون كمن طرفت عينه الدنيا وسدت مسامعه الشهوات واختار الفانية على الباقية لا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا به من ترككم الضعيف يقهر ويؤخذ ماله والضعيفة المسلوبة في النهار المبصر هذا والعدد غير قليل . أ لم يكن منكم نهار تمنع الغواة عن دلج الليل وغارة النهار قربتم القرابة و باعدتم الذين يعتذرون بغير العذر ويعطون على المختلس كل امرئ منكم يذب عن سيفه صنيع من لا يخاف عاقبة و لا يرجو معادا ما أنتم بالحلماء و قد اتبعتم

السفهاء فلم يزل بهم ماترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرمة الإسلام ثم أطرقوا وراءكم كنوسا فى مكانس الريب حرم على الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدماء وإحراقا إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله لين فى غير ضعف وشدة فى غير عنف و أنا أقسم بالله لآخذن الولي بالولي والطاعن بالطاعن والمقبل بالمدير والصحيح منكم فى نفسه بالسقيم حتى يلقى الرجل أخاه [صفحة ٢٠٢] فيقول انج سعد فقد هلك سعيد أو تستقيم لى فئاتكم . إن كذبة المنبر تلى مشهوره فإذا تعلقتم على بكذبة فقد حلت لكم معصيتى من نقب عليه منكم فأنا ضامن لما ذهب منه فأياكم ودليج الليل فإني لا أوتى بمدليج إلا سفكت دمه وقد أجلتكم بقدر ما أتى الخبر الكوفة ويرجع إليكم . إياكم ودعوى الجاهلية فإني لأجد أحدا دعا بها إلا قطعت لسانه وقد أحدثتم أحداثا وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة فمن غرق بيوت قوم غرقناه و من حرق على قوم حرقناه و من نقب على أحد بيتنا نقبنا على قلبه و من نبش قبرا دفناه فيه حيا . كفوا عنى أيديكم وأستتكم أكف عنكم يدي ولسانى ولا يظهرون من أحدكم خلاف ما عليه عامتكم فأضرب عنقه و قد كانت بيني و بين أقوام إحن فقد جعلت ذلك وراء أذنى وتحت قدمي فمن كان منكم محسنا فليزدد إحسانا و من كان مسيئا فليترع عن إساءته إني لو علمت أن أحدكم قد قتل السلال من بغضى لم أكشف عنه قناعا و لم أهتك له سترا حتى ييذى لى صفحته فإذا فعل لم أناظره فاستأنفوا أموركم وأعينوا على أنفسكم فرب مبتس بقدمنا سيسر ومسرور بقدمنا سيأس أيها الناس إنا أصبحنا لكم ساسة و عنكم ذادة نسوسكم بسطان الله الذى أعطانا و نذود عنكم بفىء الله الذى حولناه فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ولكم علينا العدل والإنصاف فيما ولينا فاستوجبوا عدلنا و فيئنا بمناصحتكم لنا واعلموا أنى مهما قصرت عنه فلن أقصر عن ثلاث لست محتجا عن طالب حاجة منكم [صفحة ٢٠٣] و لاحابسا عطاء و لامجمرا بعثا فادعوا الله بالصالح لأئمتكم فإنهم ساستكم المؤدبون و كهفكم الذى إليه تأوون و متى يصلحوا تصلحوا فلا تشربوا قلوبكم بغضهم فيشتد لذلك غيظكم و يطول لذلك حزنكم و لاتدركوا حاجتكم مع أنه لو استجيب لأحد منكم لكان شرا لكم أسأل الله أن يعين كلا على كل و إذارأيتمنى أنفذ فيكم الأمر فانفذوه على أذلاله و ايم الله إن لى فيكم لصرعى كثيرة فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعاى . فقام عبد الله بن الأهم فقال أشهد أيها الأمير لقد أوتيت الحكمة و فصل الخطاب . فقال كذبت ذاك نبى الله داود . فقام الأحنف فقال إنما الشاء بعد البلاء و الحمد بعد العطاء و إنا لانتنى حتى نبتلى و لانحمد حتى نعطي فقال زياد صدقت فقام أبو بلال مرداس بن أديه يهمس و يقول أنبأنا الله بغير ما قلت فقال و إبراهيم المذى و فى ألا ترر وازرة و زرأخرى فسمعها زياد فقال يا أبا بلال إنا لانبغ مانريد بأصحابك حتى نخوض إليهم الباطل خوضا . و روى الشعبى قال قدم زياد الكوفة لما جمعت له مع البصرة فدنوت من المنبر لأسمع كلامه فلم أر أحدا يتكلم فيحسن لإتمنيت أن يسكت مخافة أن يسىء إلا زيادا فإنه كان لا يزداد إكتارا إلا ازداد إحسانا فكنت أتمنى ألا يسكت . - قرآن - ٧٣١-٧٩٠ [صفحة ٢٠٤] و روى الشعبى أيضا قال لما خطب زياد خطبته البتراء بالبصرة و نزل سمع تلك الليلة أصوات الناس يتحارسون فقال ما هذا قالوا إن البلد مفتونة و إن المرأة من أهل المصر لتأخذها الفتیان الفساق فيقال لها نادى ثلاث أصوات فإن أجابك أحد و إلا فلألوم علينا فيما نصنع فغضب فقال ففيم أنا و فيم قدمت فلما أصبح أمر فنودى فى الناس فاجتمعوا فقال أيها الناس إني قد نبئت بما أنتم فيه و سمعت ذروا منه و قد أنذرتكم و أجلتكم شهرا مسير الرجل إلى الشام و مسيره إلى خراسان و مسيره إلى الحجاز فمن وجدناه بعد شهر خارجا من منزله بعد العشاء الآخرة فدمه هدر فانصرف الناس يقولون هذا القول كقول من تقدمه من الأمراء فلما كمل الشهر دعا صاحب شرطته عبد الله بن حصين اليربوعى و كانت رجال الشرطة معه أربعة آلاف فقال له هيب خيلك و رجلك فإذا صليت العشاء الآخرة و قرأ القارئ مقدار سبع من القرآن و رفع الطن القصب من القصر فسر و لاتلقين أحدا عبيد الله بن زياد فمن دونه إلا جتني برأسه و إن راجعتنى فى أحد ضربت عنقك . قال فصبح على باب القصر تلك الليلة سبعمائه رأس ثم خرج الليلة الثانية فجاء بخمسين رأسا ثم خرج الليلة الثالثة فجاء برأس واحد ثم لم يجىء بعدها بشىء و كان الناس إذا صلوا العشاء

الآخرة أحضروا إلى منازلهم شدا حثيثا و قد يترك بعضهم نعاله . كتبت عائشة إلى زياد كتابا فلم تدر ماتكتب عنوانه إن كتبت زياد بن عبيد أو ابن أبيه أغضبتة و إن كتبت زياد بن أبي سفيان أثمت فكتبت من أم المؤمنين إلى ابنها زياد فلما قرأه ضحك و قال لقد لقيت أم المؤمنين من هذا العنوان نصبا [صفحه ٢٠٥]

٤٥- و من كتاب له ع إلى عثمان بن حنيف الأنصاري و كان عامله على البصرة

إشارة

و قد بلغه أنه دعى إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها قوله أما بعد يا ابن حنيف فقد بلغني أن رجلا من فتيه أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان و تنقل إليك الجفان و ما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفو و غتيهم مبدعو فانظر إلى ما تقصمه من هذا المقصم فما اشتبه عليك علمه فالفظه و ما أيقنت بطيب وجهه فقل منه ألا و إن لكل مأوم إماما يقتدي به و يستضيء بنور علمه ألا و إن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه و من طعمه بقرصيه ألا و إنكم لا تقدرون على ذلك و لكن أعينوني بورع و اجتهداد و عفة و سداد فوالله ما كنت من دنياكم تبرا و لا ادخرت من غنائمها و فرا و لا أعددت لبالي ثوب طمرا و لا خزت من أرضها شبرا و لا أخذت منه إلا كقوت أتان دبره و لهي في عيني أوهى من عفصه مقره

عثمان بن حنيف ونسبه

هو عثمان بن حنيف بضم الحاء بن واهب بن العكم بن ثعلبة بن الحارث الأنصاري [صفحه ٢٠٦] ثم الأوسى أخو سهل بن حنيف يكنى أبا عمرو و قيل أبا عبد الله عمل لعمر ثم لعلى ع وولاه عمر مساحة الأرض و جبايتها بالعراق و ضرب الخراج و الجزية على أهلها وولاه على ع على البصرة فأخرجه طلحة و الزبير منها حين قدماها و سكن عثمان الكوفة بعد وفاة على ع و مات بها فى زمن معاوية. قوله من فتيه البصرة أى من فتيانها أى من شبابها أو من أسخائها يقال للسخرى هذا فتى و الجمع فتيه و فتيان و فتو و يروى أن رجلا من قطان البصرة أى سكانها. و المأدبة بضم الدال الطعام يدعى إليه القوم و قد جاءت بفتح الدال أيضا و يقال أدب فلان القوم يأدبهم بالكسر أى دعاهم إلى طعامه و الأدب الداعى إليه قال طرفه نحن فى المشتاة ندعو الجفلى || لا ترى الأدب فينا ينتقر . و يقال أيضا آدبهم إلى طعامه يؤدبهم إيدابا و يروى و كثرت عليك الجفان فكرعت و أكلت أكل ذئب نهم أوضع قرم . و روى و ما حسبتك تأكل طعام قوم . ثم ذم أهل البصرة فقال عائلهم مجفو و غنيهم مدعو و العائل الفقير و هذا كقول الشاعر فإن تملق فأنت لنا عدو || فإن تثر فأنت لنا صديق . [صفحه ٢٠٧] ثم أمره بأن يترك ما فيه شبهة إلى ما لا شبهة فيه وسمى ذلك قضا و مقضما و إن كان مما لا يقضم لاحتقاره له و ازدرائه إياه و أنه عنده ليس مما يستحق أن يسمى بأسماء المرغوب فيه المتنافس عليه و ذلك لأن القضم يطلق على معنيين أحدهما على أكل الشىء اليبس و الثانى على ما يؤكل ببعض الفم و كلاهما يدلان على أن ذلك المقضم المرغوب عنه لا فيه . ثم ذكر ع حال نفسه فقال إن إمامكم قد قنع من الدنيا بطمريه و الطمر الثوب الخلق البالى و إنما جعلهما اثنين لأنهما إزار و رداء لا بد منهما أى للجسد و الرأس . قال و من طعمه بقرصيه أى قرصان يفطر عليهما لاثالث لهما و روى قداكتفى من الدنيا بطمريه و سد فورة جوعه بقرصيه لا يطعم الفلذة فى حوله إلا فى يوم أضحيه . ثم قال إنكم لن تقدرُوا على ما أقدر عليه و لكنى أسألكم أن تعينونى بالورع و الاجتهاد . ثم أقسم أنه ما كنت ذهبا و لا ادخر

مالا و لأعد ثوبا باليا سملا لبالي ثوبيه فضلا عن أن يعد ثوبا قشيبا كما يفعله الناس في إعداد ثوب جديد ليلبسه عوض الأسمال التي ينزعونها و لاحاز من أرضها شبرا والضمير في أرضها يرجع إلى دنياكم و لأأخذ منها إلا كقوت أتان دبره و هي التي عقر ظهرها فقل أكلها. ثم قال ولهي في عيني أهون من عصفه مقرة أى مرة مقر الشيء بالكسر أى صار مرا وأمقره بالهمز أيضا قال لبيد مقرر مر على أعدائه || و على الأذنين حلو كالعسل [صفحة ٢٠٨] بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلته السماء فشحت عليها نفوس قوم و سيخت عنها نفوس آخرين و نعم الحكم الله و ما أصنع بفدك و غير فدك و النفس مظانها في غد جدت تنقطع في ظلمته آثارها و تغيب أخبارها و حفرة لو زيد في فسحتها و أوسعت يدا حافر لها لأضغظها الحجر و المدر و سد فرجها التراب المتراكم و إنما هي نفسى أروضها بالتقوى لتأتى آمنه يوم الخوف الأكبر و تثبت على جوانب المزلق الجدث القبر و أضغظها الحجر جعلها ضاغطة و الهمة للتعدي و يروى وضغظها. و قوله مظانها في غد جدت المظان جمع مظنة و هو موضع الشيء و مألفه الذى يكون فيه قال فإن يك عامر قد قال جهلا || فإن مظنة الجهل الشباب يقول لامال لى و لا اقتنيت فيما مضى مالا و إنما كانت في أيدينا فدك فشحت عليها نفوس قوم أى بخلت وسخت عنها نفوس آخرين سامحت و أغضت و ليس يعنى هاهنا بالسخاء إلا هذا لا السخاء الحقيقى لأنه ع و أهله لم يسمحوا بفدك إلا غضبا و قسرا و قد قال هذه الألفاظ في موضع آخر فيما تقدم و هو يعنى الخلافة بعد وفاة رسول الله ص . [صفحة ٢٠٩] ثم قال و نعم الحكم الله الحاكم و هذا الكلام كلام شاك متظلم ثم ذكر مال الإنسان و أنه لا ينبغي أن يكثرث بالقيينات والأموال فإنه يصير عن قريب إلى دار البلى و منازل الموتى . ثم ذكر أن الحفرة ضيقة و أنه لو وسعها الحافر لألجأها الحجر المتداعى و المدر المتهافت إلى أن تضغط الميت و تزحمه و هذا كلام محمول على ظاهره لأنه خطاب للعامه و لإفأى فرق بين سعة الحفرة و ضيقها على الميت اللهم إلا أن يقول قائل إن الميت يحس في قبره فإذا قيل ذلك فالجاعل له حساسا بعد عدم الحس هو الذى يوسع الحفرة و إن كان الحافر قد جعلها ضيقة فإذا ن هذا الكلام جيد لخطاب العرب خاصة و من يحمل الأمور على ظواهرها. ثم قال و إنما هي نفسى أروضها بالتقوى يقول تقللى و اقتصرارى من المطعم والملبس على الجشب و الخشن رياضة لنفسى لأن ذلك إنما عمله خوفا من الله أن أنغمس في الدنيا فالرياضة بذلك هي رياضة في الحقيقة بالتقوى لا بنفس التقلل و التقشف لتأتى نفسى آمنه يوم الفرع الأكبر و تثبت في مداحض الزلق

ذكر ماورد من السير والأخبار في أمر فدك

إشارة

واعلم أنا نتكلم في شرح هذه الكلمات بثلاثة فصول الفصل الأول فيما ورد في الحديث والسير من أمر فدك والفصل الثانى فى هل النبى ص يورث أم لا والفصل الثالث فى أن فدك هل صح كونها نحلة من رسول الله ص لفاطمة أم لا. [صفحة ٢١٠]

الفصل الأول فيما ورد من الأخبار والسير المنقولة من أفواه أهل الحديث وكتبهم لا من كتب الشيعة ورجالهم

لأننا مشرطون على أنفسنا ألا نحفل بذلك جميع ما نورد في هذا الفصل من كتاب أبى بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في السقيفة و فدك و ما وقع من الاختلاف والاضطراب عقب وفاة النبى ص و أبوبكر الجوهري هذا عالم محدث كثير الأدب ثقة وورع أثنى عليه المحدثون ورووا عنه مصنفاته . قال أبوبكر حدثنى أبوزيد عمر بن شبة قال حدثنا حيان بن بشر قال حدثنا يحيى

بن آدم قال أخبرنا ابن أبي زائدة عن محمد بن إسحاق عن الزهري قال بقيت بقيه من أهل خيبر تحصنوا فسألوا رسول الله ص أن يحقن دماءهم ويسيرهم ففعل فسمع ذلك أهل فدك فزلوا على مثل ذلك وكانت للنبي ص خاصة لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب . قال أبو بكر وروى محمد بن إسحاق أيضا أن رسول الله ص لما فرغ من خيبر قذف الله الرعب في قلوب أهل فدك فبعثوا إلى رسول الله ص فصالحوه على النصف من فدك فقدمت عليه رسلهم بخيبر أو بالطريق أو بعد ما أقام بالمدينة فقبل ذلك منهم وكانت فدك لرسول الله ص خالصه له لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب . قال و قدروى أنه صالحهم عليها كلها الله أعلم أى الأمرين كان . قال و كان مالك بن أنس يحدث عن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم أنه صالحهم على النصف فلم يزل الأمر كذلك حتى أخرجهم عمر بن الخطاب وأجلاهم بعد أن عوضهم عن النصف الذى كان لهم عوضا من إبل وغيرها . [صفحہ ۲۱۱] و قال غير مالك بن أنس لما أجلاهم عمر بعث إليهم من يقوم الأموال بعث أبا الهيثم بن التيهان وفروة بن عمرو و حباب بن صخر وزيد بن ثابت فقوموا أرض فدك ونخلها فأخذها عمر ودفع إليهم قيمة النصف الذى لهم و كان مبلغ ذلك خمسين ألف درهم أعطاهم إياها من مال أتاه من العراق وأجلاهم إلى الشام . قال أبو بكر فحدثنى محمد بن زكريا قال حدثنى جعفر بن محمد بن عمارة الكندى قال حدثنى أبى عن الحسين بن صالح بن حى قال حدثنى رجلان من بنى هاشم عن زينب بنت على بن أبى طالب ع قال و قال جعفر بن محمد بن على بن الحسين عن أبيه قال أبو بكر وحدثنى عثمان بن عمران العجيفى عن نائل بن نجيج بن عمير بن شمر عن جابر الجعفى عن أبى جعفر محمد بن على ع قال أبو بكر وحدثنى أحمد بن محمد بن يزيد عن عبد الله بن محمد بن سليمان عن أبيه عن عبد الله بن حسن بن الحسن قالوا جميعا لمابلق فاطمة ع إجماع أبى بكر على منعها فدك لاثت خمارها وأقبلت فى لمة من حفدتها ونساء قومها تطأ فى ذيلها ماتخرم مشيتها مشية رسول الله ص حتى دخلت على أبى بكر و قد حشد الناس من المهاجرين والأنصار فضرب بينها وبينهم ريطه بيضاء و قال بعضهم قبطية وقالوا قبطية بالكسر والضم ثم أنت أنه أجهش لها القوم بالبكاء ثم أمهلت طويلا حتى سكنوا من فورتهم ثم قالت أبتدى بحمد من هو أولى بالحمد والطول والمجد الحمد لله على ما أنعم و له الشكر بما ألهم و ذكر خطبة طويلة جيدة قالت فى آخرها فاتقوا الله حق تقاته وأطيعوه فيما أمركم به فإنما يخشى الله من عباده العلماء واحمدوا الله الذى لعظمته ونوره يتغى من فى السموات والأرض إليه الوسيلة ونحن وسيلته فى خلقه ونحن خاصته ومحل قدسه ونحن حجته فى غيبه ونحن ورثة -رواية ۱- ۲-رواية ۵۰۴-ادامه دارد [صفحہ ۲۱۲] أنبيائه ثم قالت أنا فاطمة ابنة محمد أقول عودا على بدء و ما أقول ذلك سرفا ولا شططا فاسمعوا بأسماع واعية وقلوب راعية ثم قالت لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم فإن تعزوه تجدوه أبى دون آبائكم وأخا ابن عمى دون رجالكم -رواية ۱-از قبل ۲۷۵- ثم ذكرت كلاما طويلا سنذكره فيما بعد فى الفصل الثانى تقول فى آخره ثم أنتم الآن تزعمون أن لا إرث لى أ فحكم الجاهلية يبعون و من أحسن من الله حكما لقوم يوقنونأيها معاشر المسلمين ابتز إرث أبى أبى الله أن ترث يا ابن أبى قحافة أباك و لا أرث أبى لقد جئت شيئا فريا فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم الله والزعيم محمد والموعود القيامة و عند الساعة يخسر المبطلون ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم ثم التفتت إلى قبر أبيها فتمثلت بقول هند بنت أத்தை -رواية ۱- ۲-رواية ۱۷- ۴۹۵- قد كان بعدك أنباء وهينمة || لو كنت شاهدا لم تكثر الخطب أبدت رجال لنا نجوى صدورهم || لما قضيت وحالت دونك الكتب تجهمتنا رجال واستخف بنا || إذ اغبت عنا فنحن اليوم نغصب قال و لم ير الناس أكثر باك و لا باكية منهم يومئذ ثم عدلت إلى مسجد الأنصار فقالت يا معشر البقية وأعضاء الملة وحضنة الإسلام ما هذه الفترة عن نصرتى والونية عن معونتى والعزمة فى حقى والسنة عن ظلامتى أ ما كان رسول الله ص يقول المرء يحفظ فى ولده سرعان ما أحدثتم وعجلان ما أتيتم الآن مات رسول الله ص أتمت دينه ها إن موته لعمري خطب جليل استوسع وهنه -رواية ۱-ادامه

دارد [صفحہ ۲۱۳] واستبهم فتقه وفقد راتقه وأظلمت الأرض له وخشعت الجبال وأكدت الآمال أضيع بعده الحريم وهتكت الحرمه وأذبلت المصونه وتلك نازله أعلن بها كتاب الله قبل موته وأنباكم بها قبل وفاته فقال وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ يَا بَنِي قَيْلَةَ اهتضم تراث أبي وأنتم بمرأى ومسمع تبلغكم الدعوة ويشملكم الصوت وفيكم العده والعدد ولكم الدار والجن وأنتم نخبة الله التي انتخب وخيرته التي اختار باديتهم العرب وبادهتم الأمور وكافحتم اليهم حتى دارت بكم رحى الإسلام ودر حلبه وخبث نيران الحرب وسكنت فوره الشرك وهدأت دعوه الهرج واستوثق نظام الدين أفأخرتم بعد الإقدام ونكصتم بعد الشده وجبتهم بعد الشجاعه عن قوم نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمه الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلمهم ينتهون إلا - و قد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض وركنتم إلى الدعاه فجددتم الأذى وعيتم وسغتم الأذى سوغتم وإن تكفروا أنتم و من في الأرض جميعا فإن الله لغنى حميد ألا و قد قلت لكم ما قلت على معرفه منى بالخذه التي خامرتكم وخور القناه وضعف اليقين فدونكموها فاحتوها مدبره الظهر ناقبه الخف باقيه العار موسومه الشعار موصوله بنار الله الموقده التي تطلع على الأفئده فبعين الله ماتعملون وَ سَيَعْلَمُ الْعَالَمِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ -روایت- از قبل -۱۳۵۶ قال وحدثني محمد بن زكريا قال حدثنا محمد بن الضحاك قال حدثنا هشام بن محمد عن عوانه بن الحكم قال لما كلمت فاطمه ع أبابكر بما كلمته به حمد أبوبكر الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال يا خيرة النساء وابنة خير الآباء والله ما عدوت رأى رسول الله ص و ما عملت إلا بأمره وإن الرائد -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۰۶-ادامه دارد [صفحہ ۲۱۴] لا يكذب أهله و قد قلت فأبلغت وأغلظت فأهجرت فغفر الله لنا و لك أما بعد فقد دفعت آله رسول الله ودابته وحذاءه إلى على ع و أما ماسوى ذلك فإنى سمعت رسول الله ص يقول إنا معاشر الأنبياء لانورث ذهبا ولافضه ولا أرضا ولا عقارا ولا دارا ولكننا نورث الإيمان والحكمة والعلم والسنة فقد عملت بما أمرنى ونصحت له و ما توفيقى إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب -روایت- از قبل -۳۷۲ . قال أبوبكر وروى هشام بن محمد عن أبيه قال قالت فاطمه لأبى بكر إن أم أيمن تشهد لى أن رسول الله ص أعطانى فدك فقال لها يا ابنة رسول الله و الله ما خلق الله خلقا أحب إلى من رسول الله ص أيبك ولوددت أن السماء وقعت على الأرض يوم مات أبوك و الله لأين تفتقر عائشه أحب إلى من أن تفتقرى أترانى أعطى الأحمر والأبيض حقه وأظلمك حقهك و أنت بنت رسول الله ص إن هذا المال لم يكن للنبي ص وإنما كان مالا من أموال المسلمين يحمل النبي به الرجال وينفقه فى سبيل الله فلما توفى رسول الله ص وليته كما كان يليه قالت و الله لا كلمتك أبدا قال و الله لا هجرتك أبدا قالت و الله لأدعون الله عليك قال و الله لأدعون الله لك فلما حضرته الوفاة أوصت ألا يصلى عليها فدفت ليلا وصلى عليها عباس بن عبدالمطلب و كان بين وفاتها و وفاة أبيها اثنتان وسبعون ليلة. قال أبوبكر وحدثني محمد بن زكريا قال حدثنا جعفر بن محمد بن عماره بالإسناد الأول قال فلما سمع أبوبكر خطبتها شق عليه مقالها فصعد المنبر و قال أيها الناس ما هذه الرعه إلى كل قاله أين كانت هذه الأمانى فى عهد رسول الله ص -روایت- ۱-۲-روایت- ۹۲-ادامه دارد [صفحہ ۲۱۵] ألا من سمع فليقل و من شهد فليتكلم إنما هو ثعالب شهيد ذنبه مرب لكل فتنه هو الذى يقول كروها جذعه بعد ما همرمت يستعينون بالضعفه ويستنصرون بالنساء كأم طحال أحب أهلها إليها البغى إلا إنى لو أشاء أن أقول لقلت و لو قلت لبحت إنى ساكت ما تركت ثم التفت إلى الأنصار فقال قد بلغنى يا معشر الأنصار مقالة سفهاكم وأحق من لزم عهد رسول الله ص أنتم فقد جاءكم فأويتم ونصرتهم إلا إنى لست باسطا يدا ولا لسانا على من لم يستحق ذلك منا -روایت- از قبل -۴۴۷ . ثم نزل فانصرفت فاطمه ع إلى منزلها. قلت قرأت هذا الكلام على النقيب أبى يحيى جعفر بن يحيى بن أبى زيد البصرى و قلت له بمن يعرض فقال بل يصرح قلت لو صرح لم أسألك فضحك و قال بعلى بن أبى طالب ع قلت هذا الكلام كله لعلى يقوله قال نعم إنه الملك يابنى قلت فما مقالة الأنصار قال هتفوا بذكر على فخاف من اضطراب الأمر عليهم فنهاهم فسألته عن غريبه فقال أما الرعه

بالتخفيف أى الاستماع والإصغاء والقائه القول و ثعالبه اسم الثعلب علم غير مصروف ومثل ذؤالته للذئب وشهيدته ذنبه أى لا شاهد له على ما يدعى إلا بعضه وجزء منه وأصله مثل قالوا إن الثعلب أراد أن يغرى الأسد بالذئب فقال إنه قد أكل الشاة التى كنت قد أعددتها لنفسك و كنت حاضرًا قال فمن يشهد لك بذلك فرفع ذنبه و عليه دم و كان الأسد قد افتقد الشاة فقبل شهادته وقتل الذئب و مرب ملازم أرب بالمكان و كروها جذعة أعيدوها إلى الحال الأولى يعنى الفتنة والهرج وأم طحال امرأة بغى فى الجاهلية و يضرب بها المثل فيقال أزنى من أم طحال . [صفحہ ۲۱۶] قال أبو بكر و حدثنى محمد بن زكريا قال حدثنى ابن عائشة قال حدثنى أبى عن عمه قال لما كلمت فاطمةً أبا بكر بكى ثم قال يا ابنه رسول الله و الله ما ورث أبو بكر دينارا و لادرها و إنه قال إن الأنبياء لا يورثون فقالت إن فدك و هبها لى رسول الله ص قال فمن يشهد بذلك فجاء على بن أبى طالب ع فشهد و جاءت أم أيمن فشهدت أيضا فجاء عمر بن الخطاب و عبدالرحمن بن عوف فشهد أن رسول الله ص كان يقسمها قال أبو بكر صدقت يا ابنه رسول الله ص و صدق على و صدقت أم أيمن و صدق عمر و صدق عبدالرحمن بن عوف و ذلك أن مالك لأبيك كان رسول الله ص يأخذ من فدك قوتكم و يقسم الباقي و يحمل منه فى سبيل الله فما تصنعين بها قالت أصنع بها كما يصنع بها أبى قال فللك على الله أن أصنع فيها كما يصنع فيها أبو بكر قالت الله لتفعلن قال الله لأفعلن قالت اللهم اشهد و كان أبو بكر يأخذ غلتها فيدفع إليهم منها ما يكفيهم و يقسم الباقي و كان عمر كذلك ثم كان عثمان كذلك ثم كان على كذلك فلما ولى الأمر معاوية بن أبى سفيان أقطع مروان بن الحكم ثلثها و أقطع عمرو بن عثمان بن عفان ثلثها و أقطع يزيد بن معاوية ثلثها و ذلك بعد موت الحسن بن على ع فلم يزلوا يتداولونها حتى خلصت كلها لمروان بن الحكم أيام خلافته فوهبها لعبد العزيز ابنه فوهبها عبدالعزيز لابنه عمر بن عبدالعزيز فلما ولى عمر بن العزيز الخلافة كانت أول ظلامه ردها دعا حسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ع و قيل بل دعا على بن الحسين ع فردها عليه و كانت بيد أولاد فاطمة ع مدة ولاية عمر بن عبدالعزيز فلما ولى يزيد بن عاتكة قبضها منهم فصارت فى أيدي بنى مروان كما كانت يتداولونها حتى انتقلت الخلافة عنهم فلما ولى أبو العباس السفاح ردها على عبد الله [صفحہ ۲۱۷] بن الحسن بن الحسن ثم قبضها أبو جعفر لما حدث من بنى حسن ما حدث ثم ردها المهدي ابنه على ولد فاطمة ع ثم قبضها موسى بن المهدي و هارون أخوه فلم تزل أيديهم حتى ولى المأمون فردها على الفاطميين قال أبو بكر حدثنى محمد بن زكريا قال حدثنى مهدي بن سابق قال جلس المأمون للمظالم فأول رقعة وقعت فى يده نظر فيها و بكى و قال للذى على رأسه ناد أين وكيل فاطمة فقام شيخ عليه دراعة و عمامة و خف تعزى فتقدم فجعل يناظره فى فدك و المأمون يحتج عليه و هو يحتج على المأمون ثم أمر أن يسجل لهم بها فكتب السجل و قرئ عليه فأنفذه فقام دعبل إلى المأمون فأنشده الأبيات التى أولها أصبح وجه الزمان قد ضحكا || برد مأمون هاشم فدكا . فلم تزل فى أيديهم حتى كان فى أيام المتوكل فأقطعها عبد الله بن عمر البازيار و كان فيها إحدى عشرة نخلة غرسها رسول الله ص بيده فكان بنو فاطمة يأخذون ثمرها فإذا قدم الحجاج أهدوا لهم من ذلك التمر فيصلونهم فيصير إليهم من ذلك مال جزيل جليل فصرم عبد الله بن عمر البازيار ذلك التمر و وجه رجلا يقال له بشران بن أبى أمية الثقفى إلى المدينة فصرمه ثم عاد إلى البصرة ففلج . قال أبو بكر أخبرنا أبو يزيد عمر بن شبة قال حدثنا سويد بن سعيد و الحسن بن عثمان قالا حدثنا الوليد بن محمد عن الزهرى عن عروة عن عائشة أن فاطمة ع أرسلت إلى أبى بكر تسأله ميراثها من رسول الله ص و هى حينئذ تطلب ما كان لرسول الله ص بالمدينة و فدك و ما بقى من خمس خيبر فقال أبو بكر [صفحہ ۲۱۸] إن رسول الله ص قال لا نورث ما تركناه صدقة إنما يأكل آل محمد من هذا المال و إنى و الله لأغير شيئا من صدقات رسول الله ص عن حالها التى كانت عليها فى عهد رسول الله ص و لأعملن فيها بما عمل فيها رسول الله ص فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئا فوجدت من ذلك على أبى بكر و هجرته فلم تكلمه حتى توفيت و عاشت بعد أبيها ستة أشهر فلما توفيت دفنها على ع ليلا و لم يؤذن بها أبابكر . قال أبو بكر و أخبرنا أبو يزيد قال حدثنا إسحاق بن إدريس قال حدثنا محمد بن أحمد عن

معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة أن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر يلتزمان ميراثهما من رسول الله ص وهما حينئذ يطلبان أرضه بفدك وسهمه بخير فقال لهما أبو بكر إني سمعت رسول الله ص يقول لانورث ما تركنا صدقة إنما يأكل آل محمد ص من هذا المال وإنى والله لأغير أمرا رأيت رسول الله ص يصنعه إلا صنعته قال فهجرته فاطمة فلم تكلمه حتى ماتت . قال أبو بكر وأخبرنا أبو زيد قال حدثنا عمر بن عاصم وموسى بن إسماعيل قال حدثنا حماد بن سلمة عن الكلبي عن أبي صالح عن أم هانئ أن فاطمة قالت لأبي بكر من يرثك إذ مات قال ولدى وأهلى قالت فما لك ترث رسول الله ص دوننا قال يا ابنه رسول الله ما ورث أبوك دارا ولا مالا ولا ذهباً ولا فضة قالت بلى سهم الله الذى جعله لنا وصار فينا الذى بيدك فقال لها سمعت رسول الله ص يقول إنما هي طعمة أطعمناها الله فإذا ماتت كانت بين المسلمين -رواية- ١-٢-رواية- ١٣٤-٤٥٠ قال أبو بكر وأخبرنا أبو زيد قال حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال حدثنا محمد بن الفضل عن الوليد بن جميع عن أبي الطفيل قال أرسلت فاطمة إلى أبي بكر -رواية- ١-٢-رواية- ١٢٧-ادامه دارد [صفحة ٢١٩] أنت ورثت رسول الله ص أم أهله قال بل أهله قالت فما بال سهم رسول الله ص قال إني سمعت رسول الله ص يقول إن الله أطعم نبيه طعمة ثم قبضه وجعله للذى يقوم بعده فوليت أنا بعده على أن أردّه على المسلمين قالت أنت و ما سمعت من رسول الله ص أعلم -رواية- از قبل ٢٧١ . قلت فى هذا الحديث عجب لأنها قالت له أنت ورثت رسول الله ص أم أهله قال بل أهله و هذا تصريح بأنه ص موروث يرثه أهله و هو خلاف قوله لانورث وأيضا فإنه يدل على أن أبا بكر استنبط من قول رسول الله ص أن الله أطعم نبياً طعمة أن يجرى رسول الله ص عند وفاته مجرى ذلك النبى ص أو يكون قد فهم أنه عنى بذلك النبى المنكر لفظاً نفسه كما فهم من قوله فى خطبته إن عبداً خيرته الله بين الدنيا و ما عند ربه فاختر ما عند ربه فقال أبو بكر بل نفديك بأنفسنا . قال أبو بكر وأخبرنا أبو زيد قال أخبرنا القعنبى قال حدثنا عبدالعزيز بن محمد عن محمد بن عمر عن أبي سلمة أن فاطمة طلبت فدك من أبي بكر فقال إني سمعت رسول الله ص يقول إن النبى لا يورث من كان النبى يعوله فأنا أعوله و من كان النبى ص ينفق عليه فأنا أنفق عليه فقالت يا أبا بكر أيرثك بناتك و لا يرث رسول الله ص بناته فقال هو ذاك -رواية- ١-٢-رواية- ١٠٩-٣٥٣ قال أبو بكر وأخبرنا أبو زيد قال حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير قال حدثنا فضيل بن مرزوق قال حدثنا البحرى بن حسان قال قلت لزيد بن على ع و أنا أريد أن أهجن أمر أبى بكر إن أبا بكر انتزع فدك من فاطمة ع فقال إن أبا بكر كان رجلاً -رواية- ١-٢-رواية- ١٢٩-ادامه دارد [صفحة ٢٢٠] رحيماً و كان يكره أن يغير شيئاً فعله رسول الله ص فأتته فاطمة فقالت إن رسول الله ص أعطانى فدك فقال لها هل لك على هدايينه فجاءت بعلى ع فشهد لها ثم جاءت أم أيمن فقالت ألستما تشهدان أنى من أهل الجنة قال بلى قال أبو زيد يعنى أنها قالت لأبى بكر وعمر قالت فأنا أشهد أن رسول الله ص أعطاهما فدك فقال أبو بكر فرجل آخر أو امرأة أخرى لتستحقى بها القضية ثم قال أبو زيد وايم الله لورجع الأمر إلى لقضيت فيها بقضاء أبى بكر -رواية- از قبل ٤٤٦ قال أبو بكر وأخبرنا أبو زيد قال حدثنا محمد بن الصباح قال حدثنا يحيى بن المتوكل أبو عقيل عن كثير النوال قال قلت لأبى جعفر محمد بن على ع جعلنى الله فداك أ رأيت أبا بكر وعمر هل ظلماكم من حركم شيئاً أو قال ذهباً من حركم بشىء فقال لا و الذى أنزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيراً ما ظلمنا من حقنا مثقال حبة من خردل قلت جعلت فداك أفأتولاهما قال نعم ويحك تولهما فى الدنيا والآخرة و ما أصابك ففى عنقى ثم قال فعل الله بالمغيرة و بنان فإنهما كذبا علينا أهل البيت -رواية- ١-٢-رواية- ١١٥-٤٨٨ قال أبو بكر وأخبرنا أبو زيد قال حدثنا عبد الله بن نافع والقعنبى عن مالك عن الزهري عن عروة عن عائشة أن أزواج النبى ص أردن لما توفى أن يبعثن عثمان بن عفان إلى أبى بكر يسألنه ميراثهن أو قال ثمنهن قالت فقلت لهن أ ليس قد قال النبى ص لانورث ما تركنا صدقة -رواية- ١-٢-رواية- ١٠٧-٢٧٥ قال أبو بكر وأخبرنا أبو زيد قال حدثنا عبد الله بن نافع والقعنبى وبشر بن عمر عن مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة عن النبى ص قال لا يقسم ورثتى ديناراً و لادرها ما تركت بعد نفقة نسائى ومثونه عيالى فهو صدقة -

روایت-۱-۲-روایت-۱۵۰-۲۲۹ [صفحة ۲۲۱] قلت هذا حديث غريب لأن المشهور أنه لم يرو حديث انتفاء الإرث إلا أبو بكر وحده . وقال أبو بكر وحدثنا أبو يزيد عن الحزامي عن ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن عبد الرحمن الأعرج أنه سمع أبا هريرة يقول سمعت رسول الله ص يقول و الذي نفسي بيده لا يقسم ورثتي شيئا ما تركت صدقة -روایت-۱-۲-روایت-۱۵۱-۲۰۴ قال وكانت هذه الصدقة بيد علي ع غلب عليها العباس وكانت فيها خصومتها فأبى عمر أن يقسمها بينهما حتى أعرض عنها العباس وغلب عليها ع ثم كانت بيد حسن وحسين ابني علي ع ثم كانت بيد علي بن الحسين ع و الحسن بن الحسن كلاهما يتداولانها ثم بيد زيد بن علي ع قال أبو بكر وأخبرنا أبو يزيد قال حدثنا عثمان بن عمر بن فارس قال حدثنا يونس عن الزهري عن مالك بن أوس بن الحدثان أن عمر بن الخطاب دعاه يوما بعد ما ارتفع النهار قال فدخلت عليه و هو جالس على سرير رمال ليس بينه و بين الرمال فراش على وسادة آدم فقال يا مالك إنه قد قدم من قومك أهل أبيات حضروا المدينة و قد أمرت لهم برضخ فاقسمه بينهم فقلت يا أمير المؤمنين مر بذلك غيري قال أقسم أيها المرء قال فبيننا نحن على ذلك إذ دخل يرفأ فقال هل لك في عثمان وسعد و عبد الرحمن والزبير يستأذنون عليك قال نعم فأذن لهم قال ثم لبث قليلا ثم جاء فقال هل لك في علي و العباس يستأذنان عليك قال ائذن لهما فلما دخلا قال عباس يا أمير المؤمنين اقض بيني و بين هذاي عن علي و هما يختصمان في الصوافي التي أفاء الله على رسوله [صفحة ۲۲۲] من أموال بني النضير قال فاستب علي و العباس عند عمر فقال عبد الرحمن يا أمير المؤمنين اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر فقال عمر أنشدكم الله الذي تقوم بإذنه السماوات و الأرض هل تعلمون أن رسول الله ص قال لا نورث ما تركناه صدقة يعني نفسه قالوا قد قال ذلك فأقبل علي العباس و علي فقال أنشدكما الله هل تعلمان ذلك قال نعم قال عمر فإني أحدثكم عن هذا الأمر أن الله تبارك و تعالى خص رسوله ص في هذا الفىء بشيء لم يعطه غيره قال تعالى و ما أفاء الله على رسوله منهم فَمَا أُوجِفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَ لَا رِكَابٍ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وكانت هذه خاصة لرسول الله ص فما اختارها دونكم و لا استأثر بها عليكم لقد أعطاكموها و ثبتها فيكم حتى بقي منها هذا المال و كان ينفق منه على أهله سنتهم ثم يأخذ ما بقي فيجعله فيما يجعل مال الله عز و جل فعل ذلك في حياته ثم توفي فقال أبو بكر أنا ولي رسول الله ص فقبضه الله و قد عمل فيها بما عمل به رسول الله ص و أنتما حينئذ و التفت إلى علي و العباس تزعمان أن أبا بكر فيها ظالم فاجر و الله يعلم أنه فيها لصادق بار راشد تابع للحق ثم توفي الله أبا بكر فقلت أنا أولى الناس بأبي بكر و برسول الله ص فقبضتها سنتين أو قال سنين من إمارتي أعمل فيها مثل ما عمل به رسول الله ص و أبو بكر ثم قال و أنتما و أقبل علي العباس و علي تزعمان أني فيها ظالم فاجر و الله يعلم أني فيها بار راشد تابع للحق ثم جئتماني و كلمتكما واحدة و أمركما جميع فجئتنى يعني العباس تسألني نصيبك من ابن أخيك و جاءني هذاي عن علي يسألني نصيب امرأته من أبيها فقلت لكما أن رسول الله ص قال لا نورث ما تركناه صدقة فلما بد لي أن قرآن-۴۶۱-۶۳۱ [صفحة ۲۲۳] أدفعها إليكما قلت أدفعها علي أن عليكما عهد الله و ميثاقه لتعملان فيها بما عمل رسول الله ص و أبو بكر و بما عملت به فيها و إلا فلا تكلماني فقلت ما ادفعها إلينا بذلك فدفعتها إليكما بذلك أفلتتمسان مني قضاء غير ذلك و الله الذي تقوم بإذنه السماوات و الأرض لا أقضى بينكما بقضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة فإن عجزتما عنها فادفعاها إلي فأنا أكفيكماها. قال أبو بكر و حدثنا أبو يزيد قال حدثنا إسحاق بن إدريس قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال حدثني يونس عن الزهري قال حدثني مالك بن أوس بن الحدثان بنحوه قال فذكرت ذلك لعروة فقال صدق مالك بن أوس أنا سمعت عائشة تقول أرسل أزواج النبي ص عثمان بن عفان إلى أبي بكر يسأل لهن ميراثهن من رسول الله ص مما أفاء الله عليه حتى كنت أردهن عن ذلك فقلت ألا تتقين الله ألم تعلمن أن رسول الله ص كان يقول لا نورث ما تركناه صدقة يريد بذلك نفسه إنما يأكل آل محمد من هذا المال فانتهى أزواج النبي ص إلى ما أمرتهن به -روایت-۱-۲-روایت-۲۲۸-۵۴۵ قلت هذا مشكل لأن الحديث الأول يتضمن أن عمر أقسم على جماعة فيهم عثمان فقال نشدتكم الله أستم

تعلمون أن رسول الله ص قال لا نورث ماتركناه صدقةً يعنى نفسه فقالوا نعم و من جملتهم عثمان فكيف يعلم بذلك فيكون مترسلا لأزواج النبي ص يسأله أن يعطيهم الميراث اللهم إلا أن يكون عثمان وسعد و عبدالرحمن والزبير صدقوا عمر على سبيل التقليد لأبى بكر فيما رواه وحسن الظن وسموا ذلك علما لأنه قد يطلق على الظن اسم العلم . [صفحہ ۲۲۴] فإن قال قائل فهلا حسن ظن عثمان بروايه أبى بكر فى مبدأ الأمر فلم يكن رسولا لزوجات النبي ص فى طلب الميراث قيل له يجوز أن يكون فى مبدأ الأمر شاكا ثم يغلب على ظنه صدقه لأمارات اقتضت تصديقه و كل الناس يقع لهم مثل ذلك . وهاهنا إشكال آخر و هو أن عمر ناشد عليا والعباس هل تعلمان ذلك فقالا نعم فإذا كانا يعلمانه فكيف جاء العباس وفاطمه إلى أبى بكر يطلبان الميراث على ما ذكره فى خبر سابق على هذا الخبر و قد أوردناه نحن و هل يجوز أن يقال كان العباس يعلم ذلك ثم يطلب الإرث الذى لا يستحقه و هل يجوز أن يقال أن عليا كان يعلم ذلك ويمكن زوجته أن تطلب ما لا تستحقه خرجت من دارها إلى المسجد ونازعت أبابكر و كلمته بما كلمته إلا بقوله وإذنه ورأيه وأيضا فإنه إذا كان ص لا يورث فقد أشكل دفع آله و دابته و حذائه إلى على ع لأنه غير وارث فى الأصل و إن كان أعطاه ذلك لأن زوجته بعرضه أن ترث لو لا الخبر فهو أيضا غير جائز لأن الخبر قد منع أن يرث منه شيئا قليلا - كان أو كثيرا . فإن قال قائل نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهبا و لافضة و لأرضا و لاعقارا و لادارا قيل هذا الكلام يفهم من مضمونه أنهم لا يورثون شيئا أصلا لأن عادة العرب جارية بمثل ذلك و ليس يقصدون نفى ميراث هذه الأجناس المعدودة دون غيرها بل يجعلون ذلك كالتصريح بنفى أن يورثوا شيئا ما على الإطلاق . وأيضا فإنه جاء فى خبر الدابة والآلة والحذاء أنه روى عن النبي ص لا نورث ماتركناه صدقةً و لم يقل لا نورث كذا و لا كذا و ذلك يقتضى عموم انتفاء الإرث عن كل شىء [صفحہ ۲۲۵] و أما الخبر الثانى و هو الذى رواه هشام بن محمد الكلبى عن أبيه ففيه إشكال أيضا لأنه قال إنها طلبت فدك و قالت إن أبى أعطانيها و إن أم أيمن تشهد لى بذلك فقال لها أبوبكر فى الجواب إن هذا المال لم يكن لرسول الله ص و إنما كان مالا من أموال المسلمين يحمل به الرجال و ينفقه فى سبيل الله فلقائل أن يقول له أيجوز للنبي ص أن يملك ابنته أو غير ابنته من أفناء الناس ضيعه مخصوصه أو عقارا مخصوصا من مال المسلمين لوى أوحى الله تعالى إليه أو لاجتهاد رأيه على قول من أجاز له أن يحكم بالاجتهاد أو لا - يجوز للنبي ص ذلك فإن قال لا يجوز قال ما لا يوافق العقل و لا المسلمون عليه و إن قال يجوز ذلك قيل فإن المرأة ما اقتصر على الدعوى بل قالت أم أيمن تشهد لى فكان ينبغى أن يقول لها فى الجواب شهادة أم أيمن وحدها غير مقبولة و لم يتضمن هذا الخبر ذلك بل قال لها لما دعت و ذكرت من يشهد لها هذا مال من مال الله لم يكن لرسول الله ص و هذا ليس بجواب صحيح . و أما الخبر الذى رواه محمد بن زكريا عن عائشه ففيه من الإشكال مثل ما فى هذا الخبر لأنه إذا شهد لها على ع وأم أيمن أن رسول الله ص وهب لها فدك لم يصح اجتماع صدقها و صدق عبدالرحمن و عمر و لا ماتكفه أبوبكر من تأويل ذلك بمستقيم لأن كونها هبة من رسول الله ص لها يمنع من قوله كان يأخذ منها قوتكم و يقسم الباقي و يحمل منه فى سبيل الله لأن هذا ينافى كونها هبة لها لأن معنى كونها لها انتقالها إلى ملكيتها و أن تتصرف فيها خاصة دون كل أحد من الناس و ما هذه صفة كيف يقسم و يحمل منه فى سبيل الله . [صفحہ ۲۲۶] فإن قال قائل هو ص أبوها و حكمه فى مالها كحكمه فى ماله و فى بيت مال المسلمين فعله كان بحكم الأبوة يفعل ذلك قيل فإذا كان يتصرف فيها تصرف الأب فى مال ولده لا يخرج ذلك عن كونه مال ولده فإذا مات الأب لم يجز لأحد أن يتصرف فى مال ذلك الولد لأنه ليس باب له فيتصرف فى ماله تصرف الآباء فى أموال أولادهم على أن الفقهاء أو معظمهم لا يجيزون للأب أن يتصرف فى مال الابن . وهاهنا إشكال آخر و هو قول عمر لعلى ع والعباس و أنتما حينئذ ترعمان أن أبابكر فيها ظالم فاجر ثم قال لماذا ذكر نفسه و أنتما ترعمان أنى فيها ظالم فاجر فإذا كانا يزعمان ذلك فكيف يزعم هذا الزعم مع كونهما يعلمان أن رسول الله ص قال لا أورث إن هذا لمن أعجب العجائب و لو لا - أن هذا الحديث أعنى حديث خصومه العباس و على عند عمر مذكور فى الصحاح المجمع عليها

لما أطلت العجب من مضمونه إذ لو كان غير مذکور في الصحاح لكان بعض ما ذكرناه يطعن في صحته وإنما الحديث في الصحاح لاريب في ذلك . قال أبو بكر وأخبرنا أبو يزيد قال حدثنا ابن أبي شيبه قال حدثنا ابن عليه عن أيوب عن عكرمة عن مالك بن أوس بن الحدثان قال جاء العباس و علي إلى عمر فقال العباس اقض بيني وبين هذا الكذا وكذا أي يشتمه فقال الناس افضل بينهما فقال لأفضل بينهما قد علما أن رسول الله ص قال لانورث ما تركناه صدقة. قلت و هذا أيضا مشكل لأنهما حضرا يتنازعا لا في الميراث بل في ولاية صدقة رسول الله ص أيهما يتولاها ولاية لإرثا و علي هذا كانت الخصومة [صفحة ٢٢٧] فهل يكون جواب ذلك قد علما أن رسول الله ص قال لانورث . قال أبو بكر وأخبرنا أبو يزيد قال حدثني يحيى بن كثير أبو غسان قال حدثنا شعبه عن عمر بن مرة عن أبي البختری قال جاء العباس و علي إلى عمر وهما يختصمان فقال عمر لطلحة والزبير و عبدالرحمن وسعد أنشدكم الله أسمعتم رسول الله ص يقول كل مال نبي فهو صدقة إلا ما أطعمه أهله إنا لانورث فقالوا نعم قال و كان رسول الله يتصدق به ويقسم فضله ثم توفي فوليه أبو بكر سنتين يصنع فيه ما كان يصنع رسول الله ص وأنتما تقولان أنه كان بذلك خاطئا و كان بذلك ظالما و ما كان بذلك لإرشادا ثم وليته بعد أبي بكر فقلت لكما إن شئتما قبلتماه على عمل رسول الله ص وعهده الذي عهد فيه فقلتما نعم وجئتماني الآن تختصمان يقول هذا أريد نصيبي من ابن أخي و يقول هذا أريد نصيبي من امرأتي و الله لأقضى بينكما إلا بذلك . قلت و هذا أيضا مشكل لأن أكثر الروايات أنه لم يرو هذا الخبر إلا أبو بكر وحده ذكر ذلك أعظم المحدثين حتى إن الفقهاء في أصول الفقه أطبقوا على ذلك في احتجاجهم في الخبر برواية الصحابي الواحد و قال شيخنا أبو علي لا تقبل في الرواية إلا رواية اثنين كالشهادة فخالفه المتكلمون والفقهاء كلهم واحتجوا عليه بقبول الصحابة رواية أبي بكر وحده نحن معاصر الأنبياء لانورث حتى إن بعض أصحاب أبي علي تكلف لذلك جوابا فقال قدروى أن أبا بكر يوم حاج فاطمة ع قال أنشد الله امرأ سمع من رسول الله ص في هذا شيئا فروى مالك بن أوس بن الحدثان أنه سمعه من رسول الله ص و هذا الحديث ينطق [صفحة ٢٢٨] بأنه استشهد عمر وطلحة والزبير و عبدالرحمن وسعدا فقالوا سمعناه من رسول الله ص فأين كانت هذه الروايات أيام أبي بكر مانقل أن أحدا من هؤلاء يوم خصومة فاطمة ع و أبي بكر روى من هذا شيئا. قال أبو بكر وأخبرنا أبو يزيد عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن يحيى عن ابراهيم بن أبي يحيى عن الزهري عن عروة عن عائشة أن أزواج النبي ص أرسلن عثمان إلى أبي بكر فذكر الحديث قال عروة وكانت فاطمة قد سألت ميراثها من أبي بكر مما تركه النبي ص فقال لها بأبي أنت وأمي وبأبي أبوك وأمي ونفسي إن كنت سمعت من رسول الله ص شيئا أو أمرك بشيء لم أتبع غير ماتقولين وأعطيتك ماتبتغين و إلا فإني أتبع ما أمرت به . قال أبو بكر و حدثنا أبو يزيد قال حدثنا عمرو بن مرزوق عن شعبه عن عمرو بن مرة عن أبي البختری قال قال لها أبو بكر لما طلبت فدك بأبي أنت وأمي أنت عندى الصادقة الأمانة إن كان رسول الله ص عهد إليك في ذلك عهدا أو وعدك به وعدا صدقتك وسلمت إليك فقالت لم يعهد إلي في ذلك بشيء ولكن الله تعالى يقول **يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ فَقَالَ أَشْهَدُ لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ إِنَّا مَعَاشِرُ الْأَنْبِيَاءِ لَانُورِثُ -رَوَايَاتُ ١-٢- رَوَايَاتُ ١٠٠-** ٤١٣ . قلت و في هذا من الإشكال ما هو ظاهر لأنها قد ادعت أنه عهد إليها رسول الله ص في ذلك أعظم العهد و هو النحلة فكيف سكتت عن ذكر هذا لماسألها أبو بكر و هذا أعجب من العجب . [صفحة ٢٢٩] قال أبو بكر و حدثنا أبو يزيد قال حدثنا محمد بن يحيى قال حدثنا عبدالعزیز بن عمران بن عبدالعزیز بن عبد الله الأنصاري عن ابن شهاب عن مالك بن أوس بن الحدثان قال سمعت عمر و هو يقول للعباس و علي و عبدالرحمن بن عوف والزبير و طلحة أنشدكم الله هل تعلمون أن رسول الله ص قال إنا لانورث معاصر الأنبياء ما تركنا صدقة قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله هل تعلمون أن رسول الله ص يدخل في فيه أهله السنة من صدقاته ثم يجعل ما بقى في بيت المال قالوا اللهم نعم فلما توفي رسول الله ص قبضها أبو بكر فجئت يا عباس تطلب ميراثك من ابن أخيك وجئت يا علي تطلب ميراث زوجتك من أبيها وزعمت أن أبا بكر كان فيها خائنا فاجرا و الله لقد

كان امرأ مطيعا تابعا للحق ثم توفى أبو بكر فقبضتها فجتمانى تطلبان ميراثكما أما أنت يا عباس فتطلب ميراثك من ابن أخيك و أما على فيطلب ميراث زوجته من أبيها وزعمتها أنى فيها خائن وفاجر والله يعلم أنى فيها مطيع تابع للحق فأصلحا أمركما وإلا والله لم ترجع إليكما فقاما وتركا الخصومة وأمضيت صدقة. قال أبو زيد قال أبو غسان فحدثنا عبدالرزاق الصنعاني عن معمر بن شهاب عن مالك بنحوه وقال في آخره فغلب على عباسا عليها فكانت بيد علي ثم كانت بيد الحسن ثم كانت بيد الحسين ثم علي بن الحسين ثم الحسن بن الحسن ثم زيد بن الحسن. قلت وهذا الحديث يدل صريحا على أنهما جاءا يطلبان الميراث لالولاية وهذا من المشكلات لأن أبا بكر حسم المادة أولا وقرر عند العباس وعلي وغيرهما أن النبي ص لا يورث و كان عمر من المساعدين له على ذلك فكيف يعود [صفحة ٢٣٠] العباس وعلي بعد وفاة أبي بكر يحاولان امرأ قد فرغ منه ويثس من حصوله اللهم إلا- أن يكونا ظنا أن عمر ينقض قضاء أبي بكر في هذه المسألة وهذا بعيد لأن عليا والعباس كانا في هذه المسألة يتهمان عمر بممالة أبي بكر على ذلك ألا- تراه يقول نسبتماي ونسبتماي أبي بكر إلى الظلم والخيانة فكيف يظنان أنه ينقض قضاء أبي بكر ويورثهما واعلم أن الناس يظنون أن نزاع فاطمة بأب بكر كان في أمرين في الميراث والنحلة وقد وجدت في الحديث أنها نازعت في أمر ثالث ومنعها أبو بكر إياه أيضا وهو سهم ذوى القربى قال أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري أخبرني أبو زيد عمر بن شبة قال حدثني هارون بن عمير قال حدثنا الوليد بن مسلم قال حدثني صدقة أبو معاوية عن محمد بن عبد الله عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك أن فاطمة ع أتت أبا بكر فقالت لقد علمت الذى ظلمتنا عنه أهل البيت من الصدقات وما أفاء الله علينا من الغنائم فى القرآن من سهم ذوى القربى ثم قرأت عليه قوله تعالى وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبَىٰ لِآيَةٍ فَقَالَ لَهَا أَبُو بَكْرٍ يَا بِي أَنْتِ وَأُمِّي وَوَالِدٌ وَلَدَكَ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِكِتَابِ اللَّهِ وَلِحَقِّ رَسُولِ اللَّهِ ص وَحَقِّ قَرَابَتِهِ وَ أَنَا أَقْرَأُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ الَّذِي تَقْرَأِينَ مِنْهُ وَ لَمْ يَبْلُغْ عِلْمِي مِنْهُ أَنَّ هَذَا السَّهْمُ مِنَ الْخُمْسِ يَسْلُمُ إِلَيْكُمْ كَامِلًا قَالَتْ أَفَلَاكُ هُوَ لِأَقْرَبَائِكَ قَالَ لِأَبْلِ أَنْفَقَ عَلَيْكُمْ مِنْهُ وَأَصْرَفَ الْبَاقِي فِي مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ قَالَتْ لَيْسَ هَذَا حَكَمَ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ هَذَا حَكَمَ اللَّهُ فَإِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ عَهْدَ إِلَيْكَ -رَوَيْتَ- ١- ٢- رَوَيْتَ- ٢٤٠- ٢٤١- دَارِدَ [صَفْحَةُ ٢٣١] فِي هَذَا عَهْدًا أَوْ أَوْجِبَهُ لَكُمْ حَقًّا صَدَقْتِكَ وَسَلَّمْتَهُ كَلَهُ إِلَيْكَ وَ إِلَى أَهْلِكَ قَالَتْ إِنْ رَسُولُ اللَّهِ ص لَمْ يَعْهَدْ إِلَيَّ فِي ذَلِكَ بِشَيْءٍ إِلَّا أَنِّي سَمِعْتَهُ يَقُولُ لِمَا أَنْزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةَ أَبْشُرُوا آلَ مُحَمَّدٍ فَقَدْ جَاءَ كُمْ الْغَنَى قَالَ أَبُو بَكْرٍ لَمْ يَبْلُغْ عِلْمِي مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ أَسْلَمَ إِلَيْكُمْ هَذَا السَّهْمُ كَلَهُ كَامِلًا وَلَكِنْ لَكُمْ الْغَنَى الَّذِي يَغْنِيكُمْ وَيَفْضُلُ عَنْكُمْ وَ هَذَا عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فَسَأَلْتُهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَ انظُرِي هَلْ يُوَافِقُكَ عَلَى مَا طَلَبْتَ أَحَدٌ مِنْهُمْ فَانصرفت إلى عمر فقالت له مثل ما قالت لأبي بكر فقال لها مثل ما قاله لها أبو بكر فعجبت فاطمة ع من ذلك وتظنت أنهما كانا قد تذاكرا ذلك واجتمعا عليه -رَوَيْتَ- ٥٧٧- . قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَ أَخْبَرْنَا أَبُو زَيْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا هَارُونَ بْنُ عَمِيرٍ قَالَ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ عَنْ ابْنِ أَبِي لَهَيْعَةَ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ عَنْ عُرْوَةَ قَالَ أَرَادَتْ فَاطِمَةُ بِأَبِي بَكْرٍ عَلَى فَدَكٍ وَسَهْمِ ذَوَى الْقُرْبَى فَأَبَى عَلَيْهَا وَجَعَلَهَا فِي مَالِ اللَّهِ تَعَالَى . قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَأَخْبَرْنَا أَبُو زَيْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ عَنْ هَيْثَمِ بْنِ جَوَيْبِرٍ عَنْ أَبِي الضَّحَّاكِ عَنْ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ع أَنَّ أَبَا بَكْرٍ مَنَعَ فَاطِمَةَ وَبَنِي هَاشِمٍ سَهْمَ ذَوَى الْقُرْبَى وَجَعَلَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي السَّلَاحِ وَالْكَرَاعِ . قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَأَخْبَرْنَا أَبُو زَيْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا حِيَّانُ بْنُ هَلَالٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ ذَرِيْعٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ ع قُلْتَ أَرَأَيْتَ عَلِيًّا حِينَ وَلِيَ الْعِرَاقَ وَ مَؤُولِي مِنْ أَمْرِ النَّاسِ كَيْفَ صَنَعَ فِي سَهْمِ ذَوَى الْقُرْبَى قَالَ سَلَكَ بِهِمْ طَرِيقَ أَبِي بَكْرٍ وَعَمَرَ قُلْتَ وَ كَيْفَ وَ لَمْ وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ مَا تَقُولُونَ قَالَ أَمَا وَ اللَّهُ مَا كَانَ أَهْلُهُ يَصْدُرُونَ إِلَّا- عَنْ رَأْيِهِ فَقُلْتَ فَمَا مَنَعَهُ قَالَ كَانَ يَكْرَهُ -رَوَيْتَ- ١- ٢- رَوَيْتَ- ١٠٥- ١٠٦- دَارِدَ [صَفْحَةُ ٢٣٢] أَنَّ يَدْعَى عَلَيْهِ مَخَالَفَةَ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرُ -رَوَيْتَ- ٣٧- ٣٨- قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَ حَدَّثَنِي الْمُؤَمَّلُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَيْمُونٍ عَنْ دَاوُدَ بْنِ الْمُبَارَكِ قَالَ أَتَيْتُنَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُوسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ وَنَحْنُ رَاجِعُونَ مِنَ الْحَجِّ فِي جَمَاعَةٍ فَسَأَلْنَا عَنْ مَسَائِلِ

وكنت أحد من سأله فسألته عن أبي بكر وعمر فقال سئل جدى عبد الله بن الحسن بن الحسن عن هذه المسألة فقال كانت أمى صديقه بنت نبي مرسل فماتت وهى غضبى على إنسان فحن غضاب لغضبها وإذاضيت رضىنا. قال أبو بكر وحدثنى أبو جعفر محمد بن القاسم قال حدثنى على بن الصباح قال أنشدنا أبو الحسن رواية المفضل للكثير أهوى عليا أمير المؤمنين ولا أرضى بشتم أبى بكر ولا عمرا ولا أقول وإن لم يعطيا فدكا || بنت النبي ولا ميراثها كفرا الله يعلم ماذا يحضران به || يوم القيامة من عذر إذا اعتذرا . قال ابن الصباح فقال لى أبو الحسن أتقول إنه قد أكفرهما فى هذا الشعر قلت نعم قال كذاك هو. قال أبو بكر حدثنا أبو يزيد عن هارون بن عمير عن الوليد بن مسلم عن إسماعيل بن عباس عن محمد بن السائب عن أبى صالح عن مولى أم هانئ قال دخلت فاطمة على أبى بكر بعد ما استخلف فسألته ميراثها من أبيها فمنعها فقالت له لئن مت اليوم من كان يرثك قال ولدى وأهلى قالت فلم ورثت أنت رسول الله ص دون ولده وأهله قال فما فعلت يا بنت رسول الله ص قالت بلى إنك عمدت إلى فدك وكانت صافية لرسول الله ص فأخذتها وعمدت إلى ما أنزل الله من السماء فرفعته عنا فقال يا بنت رسول الله -
رواية 1-2-رواية 144-ادامه دارد [صفحه 233] ص لم أفعل حدثنى رسول الله ص أن الله تعالى يطعم النبي ص الطعمة ما كان حيا فإذا قبضه الله إليه رفعت فقالت أنت و رسول الله أعلم ما أناسائلك بعد مجلسى ثم انصرفت -رواية- از قبل 180 قال أبو بكر و حدثنا محمد بن زكريا قال حدثنا محمد بن عبد الرحمن المهلبى عن عبد الله بن حماد بن سليمان عن أبيه عن عبد الله بن حسن بن حسن عن أمه فاطمة بنت الحسين ع قالت لما اشتد بفاطمة بنت رسول الله ص الوجع وثقلت فى علتها اجتمع عندها نساء من نساء المهاجرين والأنصار فقلن لها كيف أصبحت يا ابنة رسول الله ص قالت و الله أصبحت عائفة لندياكم قالية لرجالكم لفظتهم بعد أن عجمتهم وشنتهم بعد أن سيرتهم فقبحا لفلول الحد وخور القناة وخطل الرأى وبسما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم و فى العذاب هم خالدون لاجرم قد قلدتهم ربقتها و شنت عليهم غارتها فجدها وعقرا وسحقا للقوم الظالمين ويحهم أين زحزحوها عن رواسى الرسالة وقواعد النبوة ومهبط الروح الأمين والطيبين بأمر الدنيا والدين ألا ذلك هو الخسران المبين و ما ألقى نعموا من أبى حسن نعموا و الله نكير سيفه و شدة وطأته ونكال وقعته وتنمره فى ذات الله وتالله لو تكافوا عن زمام نبذه إليه رسول الله ص لا عتلقه ولسار إليهم سيرا سجحا لا تكلم حشاشته و لا يتعتع راكبه ولأوردتهم منهلا نميرا فضفاضا يطفح ضفتاه ولأصدرهم بطانا قد تحير بهم الرأى غير متحل بطائل إلا بغمر الناهل و رددعه سورة الساعب و لفتحت عليهم بركات من السماء و الأرض و سىأخذهم الله بما كانوا يكسبون ألا- هلم فاستمع و ماعشت -رواية 1-2-رواية 185-ادامه دارد [صفحه 234] أراك الدهر عجبه و إن تعجب فقد أعجبك الحادث إلى أى لجا استندوا وبأى عروة تمسكوا لبئس المولى و لبئس العشير و لبئس للظالمين بدلا استبدلوا و الله الذنابى بالقوادم والعجز بالكاهل فرغما لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ويحهم أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى إلا- أن يهدى فما لكم كيف تحكمون أما لعمركم الله لقد لقحت فظرة ريشما تنتج ثم احتلبوها طلاع العقب دما عبيطا وذعاقا ممقرا هنالك يخسر المبطلون ويعرف التالون غب ما أسس الأولون ثم طيبوا عن أنفسكم نفسا واطمئنوا للفتنة جأشا وأبشروا بسيف صارم و هرج شامل و استبداد من الظالمين يدع فينكم زهيذا و جمعكم حصيدا فى حسرة عليكم و أنى لكم و قد عميت عليكم أنلزمكموها و أنتم لها كارهون والحمد لله رب العالمين وصلاته على محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين -رواية- از قبل 793 . قلت هذا الكلام و إن لم يكن فيه ذكر فدك والميراث إلا أنه من تنمة ذلك و فيه إيضاح لما كان عندها و بيان لشدة غيظها و غضبها فإنه سيأتى فيما بعد ذكر ما يناقض به قاضى القضاء والمرضى فى أنها هل كانت غضبى أم لا ونحن لانصر مذهبا بعينه وإنما نذكر ما قيل و إذا جرى بحث نظرى قلنا ما يقوى فى أنفسنا منه . واعلم أنا إنما نذكر فى هذا الفصل مارواه رجال الحديث وثقاتهم و ما أودعه أحمد بن عبد العزيز الجوهري فى كتابه و هو من الثقات الأماناء عند أصحاب الحديث و أما ما يرويه رجال الشيعة والأخباريون منهم فى

كتبهم من قولهم إنهما أهاناها وأسمعاها كلاما غليظا و إن أبابكر رق لها حيث لم يكن عمر حاضرا فكتب لها بفدك كتابا فلما خرجت به وجدها عمر فمد يده إليه ليأخذه مغالبةً فمنعته فدفع بيده في صدرها [صفحة ٢٣٥] وأخذ الصحيفة فخرقها بعد أن تفل فيها فمحاها وإنها دعت عليه فقالت بقر الله بطنك كما بقرت صحيفتي فشىء لا يرويه أصحاب الحديث ولا ينقلونه وقدر الصحابةً يجعل عنه و كان عمر أتقى لله وأعرف لحقوق الله من ذلك و قدنظمت الشيعة بعض هذه الواقعة التي يذكرونها شعرا أوله أبيات لمهيار بن مرزويه الشاعر من قصيدته التي أولها يا ابنة القوم تراك || بالغ قتلى رضاك . و قد ذيل عليها بعض الشيعة وأتمها والأبيات يا ابنة الطاهر كم تفرع || بالظلم عصاك غضب الله لخطب || ليلدة الطف عراقك ورعى النار غدا قط || رعى أمس حماك مر لم يعطفه شكوى || ولا استحيا بكاك واقتدى الناس به بعد || فأردى ولدك يا ابنة الراقي إلى السدره || فى لوح السكاك لهف نفسى و على مثلك || فلتبك البواكى كيف لم تقطع يد مد || إليك ابن صحاك فرحوا يوم أهانوك || بما ساء أباك ولقد أخبرهم أن || رضاه فى رضاك دفعا النص على إرثك || لمادفعاك وتعرضت لقدر || تافه وانتهاك [صفحة ٢٣٦] وادعت النحلة المشهود || فيها بالصكاك فاستشطا ثم ما إن || كذبا إن كذباك فزوى الله عن الرحمة || زنديقا ذواك ونفى عن باب الواسع || شيطانا نفاك . فانظر إلى هذه البلية التي صبت من هؤلاء على سادات المسلمين وأعلام المهاجرين و ليس ذلك بقادح فى علو شأنهم وجلالة مكانهم كما أن مبغضى الأنبياء وحسدتهم ومصنفي الكتب فى إلحاق العيب والتهجين لشرائعهم لم تزد لأنبيائهم إلا رفعة و لاندادت شرائعهم إلا انتشارا فى الأرض وقبولا فى النفس وبهجة ونورا عند ذوى الأبواب والعقول . و قال لى علوى فى الحلة يعرف بعلى بن مهنا ذكى ذو فضائل ماتظن قصد أبى بكر وعمر بمنع فاطمة فدك قلت ما مقصدا قال أرادا ألا يظهر لعلى و قد اغتصباه الخلافة رقة ولينا وخذلانا ولا يرى عندهما خورا فأتبعا القرع بالقرع . و قلت لمتكلم من متكلمى الإمامية يعرف بعلى بن تقي من بلدة النيل وهل كانت فدك إلا نخلا يسيرا وعقارا ليس بذلك الخطير فقال لى ليس الأمر كذلك بل كانت جليئة جدا و كان فيها من النخل نحو ما بالكوفة الآن من النخل و ما قصد أبوبكر وعمر بمنع فاطمة عنها إلا ألا يتقوى على بحاصلها و غلتها على المنازعة فى الخلافة ولهذا أتبعنا ذلك بمنع فاطمة و على وسائر بنى هاشم وبنى المطلب حقهم فى الخمس فإن [صفحة ٢٣٧] الفقير الذى لا مال له تضعف همته ويتصاغر عند نفسه و يكون مشغولا بالاحتراف والاكتماب عن طلب الملك والرئاسة فانظر إلى ما قد وقر فى صدور هؤلاء و هوداء لادواء له و ما أكثر ماترول الأخلاق والشيم فأما العقائد الراسخة فلا سبيل إلى زوالها

الفصل الثانى فى النظر فى أن النبى ص هل يورث أم لا

نذكر فى هذا الموضوع ما حكاه المرتضى رحمه الله فى الشافى عن قاضى القضاة فى هذا المعنى و ما عترضه به و إن استضعفنا شيئا من ذلك قلنا ما عندنا و إلا تركناه على حاله . قال المرتضى أول ما ابتدأ به قاضى القضاة حكايته عنا استدلالنا على أنه ص مورث بقوله تعالى يُوصِيكُمُ اللَّهُ فى أولادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ و هذا الخطاب عام يدخل فيه النبى وغيره . ثم أجاب يعنى قاضى القضاة عن ذلك فقال إن الخبر الذى احتج به أبوبكر يعنى قرآن -٢٦٧-٣٣٢ قوله نحن معاشر الأنبياء لانورث -رواية -١-٢- روايت -٩-٣٧ لم يقتصر على روايته هو وحده حتى استشهد عليه عمر وعثمان وطلحة والزبير وسعدا و عبدالرحمن فشهدوا به فكان لا يحل لأبى بكر و قد صار الأمر إليه أن يقسم التركة ميراثا و قد خبر رسول الله ص بأنها صدقة وليست بميراث وأقل ما فى هذا الباب أن يكون الخبر من أخبار الآحاد [صفحة ٢٣٨] فلو أن شاهدين شهدا فى التركة أن فيها حقا أ ليس كان يجب أن يصرف ذلك عن الإرث فعلمه بما قال رسول الله ص مع شهادة غيره أقوى ولسنا نجعله مدعىا لأنه لم يدع ذلك لنفسه وإنما بين أنه ليس بميراث و أنه صدقة ولا يمتنع تخصيص القرآن بذلك كما يخص فى العبد والقاتل وغيرهما و ليس ذلك بنقص فى

الأنبياء بل هو إجلال لهم يرفع الله به قدرهم عن أن يورثوا المال وصار ذلك من أوكد الدواعي ألا يتشاغلوا بجمعه لأن أحد الدواعي القوية إلى ذلك تركه على الأولاد والأهلين و لما سمعت فاطمة ع ذلك من أبي بكر كفت عن الطلب فيما ثبت من الأخبار الصحيحة فلا يمتنع أن تكون غير عارفة بذلك فطلبت الإرث فلما روى لها ماروى كفت فأصابت أولا وأصابت ثانيا. و ليس لأحد أن يقول كيف يجوز أن يبين النبي ص ذلك للقوم و لا حق لهم في الإرث ويدع أن يبين ذلك لمن له حق في الإرث مع أن التكليف يتصل به و ذلك لأن التكليف في ذلك يتعلق بالإمام فإذا بين له جاز ألا يبين لغيره ويصير البيان له بيانا لغيره و إن لم يسمعه من الرسول لأن هذا الجنس من البيان يجب أن يكون بحسب المصلحة. قال ثم حكى عن أبي على أنه قال أتعلمون كذب أبي بكر في هذه الرواية أم تجوزون أن يكون صادقا قال و قد علم أنه لا شيء يقطع به على كذبه فلا بد من تجويز كونه صادقا و إذ صح ذلك قيل لهم فهل كان يحل له مخالفة الرسول فإن قالوا لو كان صادقا لظهر واشتهر قيل لهم إن ذلك من باب العمل و لا يمتنع أن ينفرد بروايته جماعة يسيرة بل الواحد والاثنان مثل سائر الأحكام ومثل الشهادات فإن قالوا نعلم أنه لا يصح لقوله تعالى في كتابه وَ وَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ قِيلَ لَهُمْ -قرآن- ١٤٥٢-١٤٧٧ [صفحة ٢٣٩] و من أين أنه ورثه الأموال مع تجويز أن يكون ورثه العلم والحكمة فإن قالوا إطلاق الميراث لا يكون إلا في الأموال قيل لهم إن كتاب الله يبطل قولكم لأنه قال ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا وَالْكِتَابَ لَيْسَ بِمَالٍ وَيُقَالُ فِي اللُّغَةِ مَا وَرِثَ الْأَبْنَاءُ عَنِ الْآبَاءِ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ وَقَالُوا الْعُلَمَاءُ وَرِثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنَّمَا وَرِثُوا مِنْهُمْ الْعِلْمَ دُونَ الْمَالِ عَلَى أَنْ فِي آخِرِ الْآيَةِ مَا يَدُلُّ عَلَى مَا قُلْنَا وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى حَاكِيَا عَنْهُ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَ أَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنْ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبْتَنُّ عَلَيْهِ عَلَى أَنْ أَلْذِي وَرِثَ هُوَ هَذَا الْعِلْمُ وَ هَذَا الْفَضْلُ وَ إِلَّا لَمْ يَكُنْ لِهَذَا الْقَوْلِ تَعْلُقٌ بِالْأَوَّلِ فَإِنْ قَالُوا فَقَدْ قَالَ تَعَالَى فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَ ذَلِكَ يَبْطُلُ الْخَبْرُ قِيلَ لَهُمْ لَيْسَ فِي ذَلِكَ بَيَانُ الْمَالِ أَيْضًا وَ فِي الْآيَةِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ النُّبُوَّةَ وَالْعِلْمَ لِأَنَّ زَكَرِيَّا خَافَ عَلَى الْعِلْمِ أَنْ يَنْدَرَسَ وَقَوْلُهُ وَ إِنِّي خِيفْتُ الْمَوَالِيَّ مِنْ وَرَائِي يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَا تَحْرُسُ عَلَى الْأَمْوَالِ حَرَصًا يَتَعَلَّقُ خَوْفُهَا بِهَا وَإِنَّمَا أَرَادَ خَوْفَهُ عَلَى الْعِلْمِ أَنْ يَضِيحَ فَسَأَلَ اللَّهُ تَعَالَى وَلِيًّا يَقُومُ بِالذِّمَّةِ مَقَامَهُ وَقَوْلُهُ وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ الْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ لِأَنَّهُ لَا يَرِثُ أَمْوَالَ يَعْقُوبَ فِي الْحَقِيقَةِ وَإِنَّمَا يَرِثُ ذَلِكَ غَيْرُهُ قَالَ فَأَمَّا مَنْ يَقُولُ إِنَّ الْمُرَادَ أَنَا مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ لِأَنَّهُ مَاتَ تَرَكَنَاهُ صَدَقَهُ أَيْ مَا جَعَلْنَاهُ صَدَقَهُ فِي حَالِ حَيَاتِنَا لِأَنَّهُ تَرَكَهُ فَرَكِيكَ مِنَ الْقَوْلِ لِأَنَّ إِجْمَاعَ الصَّحَابَةِ يَخَالِفُهُ لِأَنَّ أَحَدًا لَمْ يَتَأَوَّلْهُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ فِي ذَلِكَ تَخْصِيصُ الْأَنْبِيَاءِ وَ لَا مَزِيَّةٌ لَهُمْ وَلِأَنَّ قَوْلَهُ مَا تَرَكَهُ صَدَقَهُ جَمْلَةً مِنَ الْكَلَامِ مُسْتَقْلَةً بِنَفْسِهَا كَأَنَّهُ -قرآن- ١٦٩-٢٢٣-قرآن- ٤٤٦-٥٥٦-قرآن- ٦٧٢-٧٣٨-قرآن- ٨٩١-٩٣٠-قرآن- ١٠٩٠-١١١٥ [صفحة ٢٤٠] ع مع بيانه أنهم لا يورثون المال يبين أنه صدقة لأنه كان يجوز ألا يكون ميراثا ويصرف إلى وجه آخر غير الصدقة. قال فأما خبر السيف والبلغلة والعمامة و غير ذلك فقد قال أبو على إنه لم يثبت أن أبابكر دفع ذلك إلى أمير المؤمنين ع على جهة الإرث كيف يجوز ذلك مع الخبر الذي رواه وكيف يجوز لو كان وارثا أن يخصه بذلك و لا يرث له مع العم لأنه عصبه فإن كان وصل إلى فاطمة ع فقد كان ينبغي أن يكون العباس شريكا في ذلك وأزواج رسول الله ص ولوجب أن يكون ذلك ظاهرا مشهورا ليعرف أنهم أخذوا نصيبهم من ذلك أو بدله و لا يجب إذا لم يدفع أبوبكر ذلك إليه على جهة الإرث ألا يحصل ذلك في يده لأنه قد يجوز أن يكون النبي ص نحل ذلك ويجوز أيضا أن يكون أبوبكر رأى الصلاح في ذلك أن يكون بيده لما فيه من تقوية الدين وتصديق ببدله بعد التقويم لأن الإمام له أن يفعل ذلك. قال وحكى عن أبي على في البرد والقضيب أنه لم يمتنع أن يكون جعله عدة في سبيل الله وتقوية على المشركين فتداولته الأئمة لما فيه من التقوية ورأى أن ذلك أولى من أن يتصدق به إن ثبت أنه ع لم يكن قد نحلته غيره في حياته ثم عارض نفسه بطلب أزواج النبي ص الميراث وتنازع أمير المؤمنين ع والعباس بعدموت فاطمة ع وأجاب عن ذلك بأن قال يجوز أن يكونوا لم يعرفوا رواية أبي بكر وغيره للخبر. و قد روى أن عائشة لما عرفت من الخبر أمسكن

وقدينا أنه لا يمتنع في مثل ذلك أن يخفى على من يستحق الإرث ويعرفه من يتقلد الأمر كما يعرف العلماء والحكام من أحكام الموارث ما لا يعلمه أرباب الإرث وقدينا أن رواية أبي بكر مع الجماعة [صفحة ٢٤١] أقوى من شاهدين لو شهد أن بعض تركته دين وهو أقوى من رواية سلمان وابن مسعود لوروي ذلك . قال ومتى تعلقوا بعموم القرآن أريناهم جواز التخصيص بهذا الخبر كما أن عموم القرآن يقتضى كون الصدقات للفقراء وقد ثبت أن آل محمد لا تحل لهم الصدقة . هذا آخر ما حكاه المرتضى من كلام قاضى القضاة . ثم قال نحن نبين أولا- ما يدل على أنه ص يورث المال ونرتب الكلام فى ذلك الترتيب الصحيح ثم نعطف على ما أورده وتكلم عليه . قال رضى الله عنه و الذى يدل على ما ذكرنا قوله تعالى مخبرا عن زكريا ع وَ إِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَ كَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرْتِي وَيَرْتِي مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا فخبير أنه خاف من بنى عمه لأن الموالى هاهنا هم بنو العم بلا شبهة وإنما خافهم أن يرثوا ماله فينفقوه فى الفساد لأنه كان يعرف ذلك من خلافتهم وطرائقهم فسأل ربه ولدا يكون أحق بميراثه منهم و الذى يدل على أن المراد بالميراث المذكور ميراث المال دون العلم والنبوة على ما يقولون إن لفظ الميراث فى اللغة والشريعة لا يفيد إطلاقها إلا- على ما يجوز أن ينتقل على الحقيقة من الموروث إلى الوارث كالأموال و ما فى معناها و لا يستعمل فى غير المال إلا تجوزا واتساعا ولهذا لا يفهم من قول القائل لا وارث لفلان إلا فلان وفلان يرث مع فلان بالظاهر والإطلاق لإميراث الأموال والأعراض دون العلوم وغيرها و ليس لنا أن نعدل عن ظاهر الكلام وحقيقته إلى مجازة بغير دلالة وأيضا فإنه تعالى خبر عن نبيه أنه اشترط فى وارثه أن يكون رضىا ومتى لم يحمل الميراث فى الآية على المال دون العلم -قرآن- ٥١١-٦٧١ [صفحة ٢٤٢] والنبوة لم يكن للاشترط معنى و كان لغوا وعبثا لأنه إذا كان إنما سأل من يقوم مقامه ويرث مكانه فقد دخل الرضا و ما هو أعظم من الرضا فى جملة كلامه وسؤاله فلامقتضى لاشترطه ألا- ترى أنه لا يحسن أن يقول اللهم ابعث إلينا نبيا واجعله عاقلا ومكلفا فإذا ثبتت هذه الجملة صح أن زكريا موروث ماله و صح أيضا لصحتها أن نبيناص ممن يورث المال لأن الإجماع واقع على أن حال نبينا لا يخالف حال الأنبياء المتقدمين فى ميراث المال فمن مثبت للأمرين و ناف للأمرين . قلت إن شيخنا أبا الحسين قال فى كتاب الغرر صورة الخبر الوارد فى هذا الباب وهو الذى رواه أبو بكر لانورث و لم يقل نحن معاشر الأنبياء لانورث فلا يلزم من كون زكريا يورث الطعن فى الخبر وتصفحت أنا كتب الصحاح فى الحديث فوجدت صيغة الخبر كما قاله أبو الحسين و إن كان رسول الله ص عنى نفسه خاصة بذلك فقد سقط احتجاج الشيعة بقصة زكريا وغيره من الأنبياء إلا أنه يبعد عندى أن يكون أراد نفسه خاصة لأنه لم تجر عاداته أن يخبر عن نفسه فى شىء بالنون . فإن قلت أيضا من المرتضى أن يوافق على أن صورة الخبر هكذا ثم يحتج بقصة زكريا بأن يقول إذا ثبت أن زكريا موروث ثبت أن رسول الله ص يجوز أن يكون موروثا لإجماع الأمة على أن لافرق بين الأنبياء كلهم فى هذا الحكم . قلت و إن ثبت له هذا الإجماع صح احتجاجه ولكن ثبوته يبعد لأن من نفى كون زكريا موروثا من الأمة إنما نفاه لاعتقاده أن رسول الله ص قال نحن معاشر الأنبياء فإذا كان لم يقل هكذا لم يقل إن زكريا غير موروث [صفحة ٢٤٣] قال المرتضى ومما يقوى ما قدمناه أن زكريا ع خاف بنى عمه فطلب وارثا لأجل خوفه و لا يلىق خوفه منهم إلا بالمال دون العلم والنبوة لأنه ع كان أعلم بالله تعالى من أن يخاف أن يعث نبيا ليس بأهل للنبوة و أن يورث علمه وحكمه من ليس أهلا لهما ولأنه إنما بعث لإذاعة العلم ونشره فى الناس فلا يجوز أن يخاف من الأمر الذى هو الغرض فى البعثه فإن قيل هذا يرجع عليكم فى الخوف عن إرث المال لأن ذلك غاية الضن والبخل قلنا معاذ الله أن يستوى الحال لأن المال قد يصح أن يرزقه الله تعالى المؤمن والكافر والعدو والولى و لا يصح ذلك فى النبوة وعلومها و ليس من الضن أن يأسى على بنى عمه وهم من أهل الفساد أن يظفروا بماله فينفقوه على المعاصى ويصرفوه فى غير وجهه المحبوبة بل ذلك غاية الحكمة وحسن التدبير فى الدين لأن الدين يحظر تقوية الفساق وإمدادهم بما يعينهم على طرائقهم المذمومة و ما يعد ذلك شحا و لا بخلا إلا من لا تأمل له . فإن قيل أ فلاجاز أن يكون خاف

من بنى عمه أن يرثوا علمه وهم من أهل الفساد على ما ادعيتهم فيستفسدوا به الناس ويموهوا به عليهم قلنا لا يخلو هذا العلم الذى أشرتم إليه من أن يكون هو كتب علمه وصحف حكمته لأن ذلك قد يسمى علما على طريق المجاز أو يكون هو العلم الذى يحل القلب فإن كان الأول فهو يرجع إلى معنى المال ويصحح أن الأنبياء يورثون أموالهم و ما فى معناها و إن كان الثانى لم يخل هذا من أن يكون هو العلم الذى بعث النبى لنشره وأدائه أو أن يكون علما مخصوصا لا يتعلق بالشريعة و لا يجب إطلاع جميع الأمة عليه كعلم العواقب و ما يجرى فى مستقبل الأوقات و ما جرى مجرى ذلك و القسم الأول لا يجوز على النبى أن يخاف من وصوله إلى بنى عمه وهم من جملة أمته الذين بعث لإطلاعهم على ذلك وتأديته إليهم وكأنه على هذا الوجه يخاف مما هو الغرض من بعثته و القسم الثانى فاسد أيضا لأن [صفحة ٢٤٤] هذا العلم المخصوص إنما يستفاد من جهته و يوقف عليه بإطلاعه وإعلامه و ليس هو مما يجب نشره فى جميع الناس فقد كان يجب إذا خاف من إلقائه إلى بعض الناس فسادا ألا يلقيه إليه فإن ذلك فى يده و لا يحتاج إلى أكثر من ذلك . قلت لعاكس أن يعكس هذا على المرتضى رحمه الله حينئذ و يقول له و قد كان يجب إذا خاف من أن يرث بنو عمه أمواله فينفقوها فى الفساد أن يتصدق بها على الفقراء والمساكين فإن ذلك فى يده فيحصل له ثواب الصدقة و يحصل له غرضه من حرمان أولئك المفسدين ميراثه . قال المرتضى رضى الله عنه و مما يدل على أن الأنبياء يورثون قوله تعالى وَ وَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَالظَّاهِرُ مِنْ إِطْلَاقِ لَفْظَةِ الْمِيرَاثِ يَقْتَضِي الْأَمْوَالَ وَ مَا فِي مَعْنَاهَا عَلَى مَا دَلَّلْنَا بِهِ مِنْ قَبْلِ . قَالَ وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ الْاُنْثَى الْآيَةَ وَ قَدْ أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى عَمُومِ هَذِهِ اللَّفْظَةِ إِلَّا مِنْ أَخْرَجَهُ الدَّلِيلُ فَيَجِبُ أَنْ يَتَمَسَّكَ بِعَمُومِهَا لِمَكَانِ هَذِهِ الدَّلَالَةِ وَ لَا يَخْرُجُ عَنْ حُكْمِهَا إِلَّا مِنْ أَخْرَجَهُ دَلِيلٌ قَاطِعٌ . قُلْتُ أَمَا قَوْلُهُ تَعَالَى وَ وَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ فَظَاهِرُهَا يَقْتَضِي وَرَاثَةَ النَّبُوَّةِ أَوِ الْمَلِكِ أَوِ الْعَلَمِ الَّذِي قَالَ فِي أَوَّلِ الْآيَةِ وَ لَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ عِلْمًا لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِدَاوُدَ مِيرَاثٌ سَلِيمَانَ الْمَالِ فَإِنْ غَيْرِهِ مِنْ أَوْلَادِ دَاوُدَ قَدْ وُورِثَ أَيْضًا أَبَاهُ دَاوُدَ وَ فِي كِتَابِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى أَنَّ بَنِي دَاوُدَ كَانُوا تِسْعَةَ عَشَرَ وَ قَدْ قَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ أَيْضًا ذَلِكَ فَأَى مَعْنَى فِي تَخْصِيصِ سَلِيمَانَ بِالذِّكْرِ إِذَا كَانَ إِرْثُ الْمَالِ وَ أَمَا يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ فَالْبَحْثُ فِي تَخْصِيصِ ذَلِكَ بِالْخَيْرِ فَرَعَ مِنْ فُرُوعِ مَسْأَلَةِ خَيْرِ الْوَاحِدِ هَلْ هُوَ حُجَّةٌ فِي -قرآن- ٥٧١-٥٩٦ -قرآن- ٧٢٤-٧٨٩ -قرآن- ٩٦٦-٩٩١ -قرآن- ١٠٦٢-١١٠٣ -قرآن- ١٣٤١-١٣٧٢ [صفحة ٢٤٥] الشرعيات أم لا- فإن ثبت مذهب المرتضى فى كونه ليس بحجة فكلامه هنا جيد و إن لم يثبت فلا مانع من تخصيص العموم بالخبر فإن الصحابة قد خصصت عمومات الكتاب بالأخبار فى مواضع كثيرة. قال المرتضى و أماتعلق صاحب الكتاب بالخبر الذى رواه أبو بكر و ادعاه أنه استشهد عمر و عثمان و فلانا و فلانا فأول ما فيه أن الذى ادعاه من الاستشهاد غير معروف و الذى روى أن عمر استشهد هؤلاء النفر لمتنازع أمير المؤمنين ع و العباس رضى الله عنه فى الميراث فشهدوا بالخبر المتضمن لنفى الميراث وإنما مقول مخالفينا فى صحة الخبر الذى رواه أبو بكر عند مطالبة فاطمة ع بالإرث على إمساك الأمة عن النكير عليه و الرد لقضيته . قلت صدق المرتضى رحمه الله فيما قال أما عقيب وفاة النبى ص و مطالبة فاطمة ع بالإرث فلم يرو الخبر إلا أبو بكر وحده و قيل إنه رواه معه مالك بن أوس بن الحدثان و أما المهاجرون الذين ذكرهم قاضى القضاة فإنما شهدوا بالخبر فى خلافة عمر و قد تقدم ذكر ذلك . قال المرتضى ثم لو سلمنا استشهاد من ذكر على الخبر لم يكن فيه حجة لأن الخبر على كل حال لا يخرج من أن يكون غير موجب للعلم و هو فى حكم أخبار الآحاد و ليس يجوز أن يرجع عن ظاهر القرآن بما يجرى هذا المجرى لأن المعلوم لا يخص إلا بمعلوم و إذا كانت دلالة الظاهر معلومة لم يجوز أن يخرج عنها بأمر مطلق . قال و هذا الكلام مبنى على أن تخصيص الكتاب و السنة المقطوع بها لا يقع [صفحة ٢٤٦] بأخبار الآحاد و هو المذهب الصحيح و قد أشرنا إلى ما يمكن أن يعتمد فى الدلالة عليه من أن الظن لا يقابل العلم و لا يرجع عن المعلوم بالمظنون قال و ليس لهم أن يقولوا إن تخصيص أخبار الآحاد يستند أيضا إلى علم و إن كان الطريق مظنونا ويشيروا إلى ما يدعونونه من الدلالة على وجوب العمل بخبر الواحد فى

الشريعة و أنه حجة لأن ذلك مبني من قولهم على ما لانسلمه و قد دل الدليل على فساده أعنى قولهم خير الواحد حجة في الشرع على أنهم لوسلم لهم ذلك لاحتاجوا إلى دليل مستأنف على أنه يقبل في تخصيص القرآن لأن ما دل على العمل به في الجملة لا يتناول هذا الموضوع كما لا يتناول جواز النسخ به . قلت أما قول المرتضى لوسلمنا أن هؤلاء المهاجرين الستة روه لما خرج عن كونه خيرا واحدا و لما جاز أن يرجع عن عموم الكتاب به لأنه معلوم والخبر مضمون . ولقائل أن يقول ليته حصل في كل واحد من آيات القرآن رواية مثل هذه الستة حيث جمع القرآن على عهد عثمان و من قبله من الخلفاء فإنهم بدون هذا العدد كانوا يعملون في إثبات الآية في المصحف بل كانوا يحلفون من أتاهم بالآية و من نظر في كتب التواريخ عرف ذلك فإن كان هذا العدد إنما يفيد الظن فالقول في آيات الكتاب كذلك و إن كانت آيات الكتاب أثبتت عن علم مستفاد من رواية هذا العدد ونحوه فالخبر مثل ذلك . فأما مذهب المرتضى في خبر الواحد فإنه قول انفرد به عن سائر الشيعة لأن من قبله من فقهاءهم ماعولوا في الفقه إلا على أخبار الأحاد كزرارة و يونس و أبي بصير و ابني بابويه و الحلبي و أبي جعفر القمي وغيرهم ثم من كان في عصر المرتضى منهم [صفحة ٢٤٧] كأبي جعفر الطوسي وغيره و قد تكلمت في اعتبار الذريعة على ما أعتمد عليه في هذه المسألة و أما تخصيص الكتاب بخبر الواحد فالظاهر أنه إذا صح كون خبر الواحد حجة في الشرع جاز تخصيص الكتاب به و هذا من فن أصول الفقه فلا معنى لذكره هنا . قال المرتضى رضى الله عنه و هذا يسقط قول صاحب الكتاب إن الشاهدين لو شهدا أن في التركة حقا لكان يجب أن ينصرف عن الإرث و ذلك لأن الشهادة و إن كانت مظنونة فالعمل بها يستند إلى علم لأن الشريعة قد قررت العمل بالشهادة و لم تقرر العمل بخبر الواحد و ليس له أن يقيس خبر الواحد على الشهادة من حيث اجتماعها في غلبة الظن لأننا لانعمل على الشهادة من حيث غلبة الظن دون ما ذكرناه من تقرير الشريعة العمل بها ألا ترى أنا قد نطن بصدق الفاسق والمرأة والصبي و كثير ممن لا يجوز العمل بقوله فبان أن المعول في هذا على المصلحة التي نستفيدها على طريق الجملة من دليل الشرع . قال و أبو بكر في حكم المدعى لنفسه والجار إليها بخلاف ما ظنه صاحب الكتاب و كذلك من شهد له إن كانت هناك شهادة و ذلك أن أبابكر وسائر المسلمين سوى أهل بيت الرسول ص يحل لهم الصدقة و يجوز أن يصيبوا فيها و هذه تهمة في الحكم والشهادة . قال و ليس له أن يقول فهذا يقتضى ألا يقبل شهادة شاهدين في تركة فيها صدقة لمثل ما ذكرتم . [صفحة ٢٤٨] قال و ذلك لأن الشاهدين إذا شهدا في الصدقة فحظهما منها كحظ صاحب الميراث بل سائر المسلمين و ليس كذلك حال تركة الرسول لأن كونها صدقة يحرمها على ورثته و يبيحها لسائر المسلمين . قلت هذا فرق غير مؤثر اللهم إلا أن يعنى به تهمة أبي بكر والشهود الستة في جر النفع إلى أنفسهم يكون أكثر من تهمتهم لو شهدوا على أبي هريرة مثلا أن ماترکه صدقة لأن أهل أبي هريرة يشاركون في القسمة و أهل النبي ص لا يشاركون الشهود فيما يصيبهم إذ هم لا تحل لهم الصدقة فتكون حصه أبي بكر والشهود مما تركه رسول الله أكثر من حصتهم مما يترکه أبو هريرة فيكون تطرق التهمة إلى أبي بكر والشهود أكثر حسب زيادة حصتهم و ما وقفت للمرتضى على شيء أطرف من هذا لأن رسول الله ص مات والمسلمون أكثر من خمسين ألف إنسان لأنه قاد في غزاة تبوك عشرين ألفا ثم وفدت إليه الوفود كلها بعد ذلك فليت شعري كم مقدار ما يتوفر على أبي بكر وستة نفر معه وهم من جملة خمسين ألفا بين ما إذا كان بنو هاشم و بنو المطلب وهم حينئذ عشرة نفر لا يأخذون حصه و بين ما إذا كانوا يأخذون أتري أي يكون المتوفر على أبي بكر وشهوده من التركة عشر عشر درهم ما أظن أنه يبلغ ذلك و كم مقدار ما يقلل حصص الشهود على أبي هريرة إذا شاركهم أهلها في التركة لتكون هذه القلة موجبة رفع التهمة وتلك الزيادة والكثرة موجبة حصول التهمة و هذا الكلام لا أرتضيه للمرتضى . قال المرتضى رضى الله عنه و أما قوله يخص القرآن بالخبر كما خصصناه في العبد والقاتل فليس بشيء لأننا إنما خصصنا من ذكر بدليل مقطوع عليه معلوم و ليس هذا موجودا في الخبر الذي ادعاه فأما قوله و ليس ذلك ينقص الأنبياء بل هو إجلال لهم [صفحة ٢٤٩] فمن الذي قال له إن فيه نقصا و كما أنه لانقص فيه فلا إجلال

فيه و لافضيلة لأن الداعى و إن كان قديقوى على جمع المال ليخلف على الورثة فقد يقويه أيضا إرادة صرفه فى وجوه الخير والبر وكلا- الأمرين يكون داعيا إلى تحصيل المال بل الداعى الذى ذكرناه أقوى فيما يتعلق بالدين . قال و أما قوله إن فاطمة لما سمعت ذلك كفت عن الطلب فأصابت أولا وأصابت ثانيا فلعمري إنها كفت عن المنازعة والمشاحة لكنها انصرفت مغضبة متظلمة متألمة والأمر فى غضبها وسخطها أظهر من أن يخفى على منصف فقد روى أكثر الرواة الذين لا يتهمون بتشيع و لاعصبية فيه من كلامها فى تلك الحال و بعد انصرافها عن مقام المنازعة والمطالبة مايدل على ما ذكرناه من سخطها وغضبها. أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزبانى قال حدثنى محمد بن أحمد الكاتب قال حدثنا أحمد بن عبيد بن ناصح النحوى قال حدثنى الزيادى قال حدثنا الشرقى بن القطامى عن محمد بن إسحاق قال حدثنا صالح بن كيسان عن عروة عن عائشة قالت لما بلغ فاطمة إجماع أبى بكر على منعها فدك لاثت خمارها على رأسها واشتملت بجلبابها وأقبلت فى لمة من حفدتها ... -رواية- ١- ٢-رواية- ٢٤٠-٣٥٥ قال المرتضى وأخبرنا المرزبانى قال حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد المكى قال حدثنا أبو العيناء بن القاسم اليمانى قال حدثنا ابن عائشة قال لما قبض رسول الله ص أقبلت فاطمة إلى أبى بكر فى لمة من حفدتها ثم اجتمعت الروايتان من هاهنا ... ونساء قومها تطأ ذبولها ماتخرم مشيتها مشية رسول الله ص -رواية- ١- ٢-رواية- ١٤١-ادامه دارد [صفحه ٢٥٠] حتى دخلت على أبى بكر و هو فى حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم فيطت دونها ملاءة ثم أنت أنه أجهش لها القوم بالبكاء وارتج المجلس ثم أمهلت هنيهة حتى إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم افتتحت كلامها بالحمد لله عز و جل والثناء عليه والصلاة على رسول الله ص ثم قالت لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوفٌ رحيمٌ فإن تعزوه تجدوه أبى دون آبائكم وأخا ابن عمى دون رجالكم فبلغ الرسالة صادعا بالندارة مائلا عن سنن المشركين ضاربا بئجهم يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة آخذا بأكظام المشركين يهشم الأصنام ويفلق الهام حتى انهزم الجمع وولوا الدبر و حتى تفرى الليل عن صبحه وأسفر الحق عن محضه ونطق زعيم الدين وخرست شقائق الشياطين وتمت كلمة الإخلاص وكنتم على شفا حفرة من النار نهزة الطامع ومذقة الشارب وقبسة العجلان وموطأ الأقدام تشربون الطرق وتقتاتون القد أذلة خاسئين يختطفكم الناس من حولكم حتى أنقذكم الله برسوله ص بعد اللتيا والتى و بعد أن منى بهم الرجال وذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب وكلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله أونجم قرن الشيطان أوفغرت فاغرة قذف أخاه فى لهواتها و لا ينكفى حتى يطاء صماخها بأخمصه ويطفى عادية لهبها بسيفه أو قالت يخمد لهبها بحده مكدودا فى ذات الله وأنتم فى رفاهية فكهون آمنون وادعون -رواية- از قبل- ١٢٦٠ [صفحه ٢٥١] إلى هنا انتهى خبر أبى العيناء عن ابن عائشة و أما عروة عن عائشة فزاد بعد هذا حتى إذا اختار الله لنبية دار أنبيائه ظهرت حسيكة النفاق وشمل جلباب الدين ونطق كاظم الغاوين ونبيغ حامل الآفكين وهدر فنيق المبطلين فخطر فى عرصاتكم وأطلع الشيطان رأسه صارخا بكم فدعاكم فألفاكم لدعوته مستجيبين ولقربه متلا-حظين ثم استنهضكم فوجدكم خفافا وأحمشكم فألفاكم غضابا فوسمتم غير إبلكم ووردتم غير شربكم هذا والعهد قريب والكلم رحيب والجرح لما يندمل إنما زعمتم ذلك خوف الفتنة ألا فى الفتنة سقطوا و إن جهنم لمحيطة بالكافرين فهيهات وأنى بكم وأنى تؤفكون و كتاب الله بين أظهركم زواجه بينة وشواهد لائحة وأوامره واضحة أرغبة عنه تريدون أم لغيره تحكمون بئس للظالمين بدلا و من يتبع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه و هو فى الآخرة من الخاسرين ثم لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نفرتها تسرون حسوا فى ارتغاء ونحن نصبر منكم على مثل حز المدى وأنتم الآن ترعمون أن لا إرث لنا أفحكم الجاهلية يبغون و من أحسن من الله حكما لقوم يوقنون يا ابن أبى قحافة أترث أباك و لا أترث أبى لقد جئت شيئا فريا فدونها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم الله والزعيم محمد والموعود القيامة و عند الساعة يخسر المبطلون ثم انكفأت إلى قبر أبيها ع فقالت -رواية- ١- ٢-رواية- ٢٩-١١٢٤ قد كان بعدك أنباء وهنبشة || لو كنت شاهدا لم تكثر الخطب إذا فقدناك فقد

الأرض وإبلها || واختل قومك فاشهدهم ولا تغب . وروى حرمي بن أبي العلاء مع هذين البيتين بيتا ثالثا -رواية- ١-٥٩ فليت بعدك كان الموت صادفنا || لما قضيت وحالت دونك الكتب [صفحة ٢٥٢] قال فحمد أبو بكر الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ص وقال يا خير النساء وابنة خير الآباء والله ماعدوت رأى رسول الله ص ولا عملت إلا بإذنه وإن الرائد لا يكذب أهله وإني أشهد الله وكفى بالله شهيدا أني سمعت رسول الله يقول إنا معاشر الأنبياء لانورث ذهبا ولا فضة ولا دارا ولا عقارا وإنما نورث الكتاب والحكمة والعلم والنبوة -رواية- ١-٢-رواية- ٣١-١٣٤ قال فلما وصل الأمر إلى علي بن أبي طالب ع كلم في رد فدك فقال إني لأستحيي من الله أن أرد شيئا منع منه أبو بكر وأمضاه عمر -رواية- ١-٢-رواية- ٨-١٣٧ قال المرتضى وأخبرنا أبو عبد الله المرزباني قال حدثني علي بن هارون قال أخبرني عبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر عن أبيه قال ذكرت لأبي الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ع كلام فاطمة ع عند منع أبي بكر إياها فدك وقلت له إن هؤلاء يزعمون أنه مصنوع وأنه من كلام أبي العيناء لأن الكلام منسوق البلاغة فقال لي رأيت مشايخ آل أبي طالب يروونه عن آبائهم ويعلمونه أولادهم وقد حدثني به أبي عن جدي يبلغ به فاطمة ع على هذه الحكاية -رواية- ١-٢-رواية- ١٣٤-٤٧٧ و قد رواه مشايخ الشيعة وتدارسوه قبل أن يوجد جد أبي العيناء وقد حدث الحسين بن علوان عن عطية العوفى أنه سمع عبد الله بن الحسن بن الحسن يذكر عن أبيه هذا الكلام . ثم قال أبو الحسن زيد وكيف تنكرون هذا من كلام فاطمة ع وهم [صفحة ٢٥٣] يروون من كلام عائشة عند موت أبيها ما هو أعجب من كلام فاطمة ع ويحققونه لو لاعدائهم لنا أهل البيت ثم ذكر الحديث بطوله على نسقه وزاد في الآيات بعد البيتين الأولين ضاقت على بلادي بعد ما رحبت || وسم سبطاك خسفا فيه لي نصب فليت قبلك كان الموت صادفنا || قوم تمنوا فأعطوا كل ما طلبوا تجهمتنا رجال واستخف بنا || مذ غبت عنا و كل الإرث قد غصبوا . قال فما رأينا يوما أكثر باكيا أو باكيا من ذلك اليوم . قال المرتضى و قد روى هذا الكلام على هذا الوجه من طرق مختلفة ووجوه كثيرة فمن أرادها أخذها من مواضعها فكيف يدعى أنها ع كفت راضية وأمسكت قانعة لو لا البهت وقله الحياء . قلت ليس في هذا الخبر ما يدل على فساد ما ادعاه قاضي القضاة لأنه ادعى أنها نازعت وخاصمت ثم كفت لما سمعت الرواية وانصرفت تاركة للنزاع راضية بموجب الخبر المروي وما ذكره المرتضى من هذا الكلام لا يدل إلا على سخطها حال حضورها ولا يدل على أنها بعد رواية الخبر وبعد أن أقسم لها أبو بكر بالله تعالى أنه ماروى عن رسول الله ص إلا ما سمعه منه انصرفت ساخطة ولا في الحديث المذكور والكلام المروي ما يدل على ذلك ولست أعتقد أنها انصرفت راضية كما قال قاضي القضاة بل أعلم أنها انصرفت ساخطة وماتت وهي علي أبي بكر واجدة ولكن لا من هذا الخبر بل من أخبار آخر كان الأولى بالمرتضى أن يحتج بها علي [صفحة ٢٥٤] ما يرويه في انصرافها ساخطة وموتها على ذلك السخط وأما هذا الخبر وهذا الكلام فلا يدل على هذا المطلوب . قال المرتضى رحمه الله فأما قوله إنه يجوز أن يبين ع أنه لاحق لميراثه في ورثته لغير الورثة ولا يمتنع أن يرد من جهة الآحاد لأنه من باب العمل و كل هذا بناء منه على أصوله الفاسدة في أن خبر الواحد حجة في الشرع وأن العمل به واجب ودون صحة ذلك خرط القتاد وإنما يجوز أن يبين من جهة أخرى إذا تساوبا في الحجة ووقوع العمل فأما مع تباينهما فلا يجوز التخيير فيهما وإذا كان ورثة النبي ص متعبدين بالألا يرثوه فلا بد من إزاحة علتهم في هذه العبادة بأن يوقفهم على الحكم ويشافهم به ويلقيه إلى من يقيم الحجة عليهم بنقله و كل ذلك لم يكن . فأما قوله أتجوزون صدقه في الرواية أم لا تجوزون ذلك فالجواب إنا لانجوزه لأن كتاب الله أصدق منه وهو يدفع روايته ويبطلها فأما اعتراضه على قولنا إن إطلاق الميراث لا يكون إلا في الأموال بقوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا وقولهم ما ورثت الأبناء من الآباء شيئا أفضل من أدب حسن وقولهم العلماء ورثة الأنبياء فعجيب لأن كل ما ذكر مقيد غير مطلق وإنما قلنا إن مطلق لفظ الميراث من غير قرينه ولا تقييد يفيد بظاهرة ميراث الأموال فبعد ما ذكره وعارض به لا يخفى على متأمل . فأما استدلاله على أن سليمان ورث داود علمه

دون ماله بقوله يا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَ أوتينا من كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ و أن المراد أنه -قرآن- ٨٧٠-

٩٢٤-قرآن- ١٢٤٢-١٣٤٤ [صفحہ ٢٥٥] ورث العلم والفضل و إلا لم يكن لهذا القول تعلق بالأول فليس بشيء يعول عليه لأنه لا يمتنع أن يريد به أنه ورث المال بالظاهر والعلم بهذا المعنى من الاستدلال فليس يجب إزادلت الدلالة في بعض الألفاظ على معنى المجاز أن يقتصر بها عليه بل يجب أن يحملها على الحقيقة التي هي الأصل إذا لم يمنع من ذلك مانع على أنه لا يمتنع أن يريد ميراث المال خاصة ثم يقول مع ذلك إنا عَلَّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ ويشير الْفَضْلُ الْمُبِينُ إلى العلم والمال جميعا فله بالأمرين جميعا فضل على من لم يكن عليهما وقوله وَ أوتينا من كُلِّ شَيْءٍ يحتمل المال كما يحتمل العلم فليس بخالص مآظنه . فأما قوله في قصة زكريا إنه خاف على العلم أن يندرس لأن الأنبياء و إن كانوا لا يحرصون على الأموال وإنما خاف أن يضيع العلم فسأل الله تعالى ولما يقوم بالدين مقامه فقد بينا أن الأنبياء و إن كانوا لا يحرصون على الأموال و لا ييخلون بها فإنهم يجتهدون في منع المفسدين من الانتفاع بها على الفساد و لا يعد ذلك بخلا و لاحرصا بل فضلا و دينا و ليس يجوز من زكريا أن يخاف على العلم الاندراست والضياح لأنه يعلم أن حكمه الله تعالى تقتضى حفظ العلم الذى هو الحجة على العباد و به تتزاح علمهم فى مصالحهم فكيف يخاف ما لا يخاف من مثله . فإن قيل فهبوا أن الأمر كما ذكرتم من أن زكريا كان يأمن على العلم أن يندرس أليس لابد أن يكون مجوزا أن يحفظه الله تعالى بمن هو من أهله وأقاربه كما يجوز حفظه بغريب أجنبي فما أنكرتم أن يكون خوفه إنما كان من بنى عمه ألا- يتعلموا العلم و لا يقوموا فيه مقامه فسأل الله ولدا يجمع فيه هذه العلوم حتى لا يخرج العلم عن بيته ويتعدى إلى غير قومه فيلحقه بذلك وصمة . -قرآن- ٣٩٠-٤١٢-قرآن- ٤١٩-٤٣٥-قرآن- ٥١٩-٥٤٤ [صفحہ ٢٥٦] قلنا أما إذ ارتب السؤال هذا الترتيب فالجواب عنه ما أجابنا به صاحب الكتاب و هو أن الخوف الذى أشاروا إليه ليس من ضرر ديني وإنما هو من ضرر دنياوى والأنبياء إنما بعثوا لتحمل المضار الدنياوية و منازلهم فى الثواب إنما زادت على كل المنازل لهذا الوجه و من كانت حاله هذه الحال فالظاهر من خوفه إذا لم يعلم وجهه بعينه أن يكون محمولا- على مضار الدين لأنها هى جهة خوفهم والغرض فى بعثهم تحمل ما سواها من المضار فإذا قال النبي ص أنا خائف فلم يعلم جهة خوفه على التفصيل يجب أن يصرف خوفه بالظاهر إلى مضار الدين دون الدنيا لأن أحوالهم وبعثهم يقتضى ذلك فإذا كنا لواعتدنا من بعضنا الزهد فى الدنيا وأسبابها والتعفف عن منافعها والرغبة فى الآخرة والتفرد بالعمل لها لكننا نحمل على ما يظهر لنا من خوفه الذى لا يعلم وجهه بعينه على ما هو أشبه وأليق بحاله ونضيفه إلى الآخرة دون الدنيا و إذا كان هذا واجبا فيمن ذكرناه فهو فى الأنبياء ع أوجب . قلت ينبغى ألا يقول المعترض فيلحقه بذلك وصمة فيجعل الخوف من هذه الوصمة بل يقول إنه خاف ألا يفلح بنو عمه و لا يتعلموا العلم لمارأى من الأمارات الدالة على ذلك فالخوف على هذا الترتيب يتعلق بأمر ديني لا دنياوى فسأل الله تعالى أن يرزقه ولدا يرث عنه علمه أى يكون عالما بالدينيات كما أناعالم بها و هذا السؤال متعلق بأمر ديني لا دنياوى و على هذا يندفع ما ذكره المرتضى على أنه لا يجوز إطلاق القول بأن الأنبياء بعثوا لتحمل المضار الدنياوية و لا بالقول الغرض فى بعثهم تحمل ما سوى المضار الدينية من المضار فإنهم ما بعثوا لذلك و لا الغرض فى بعثهم ذلك وإنما بعثوا لأمر آخر و قد تحصل المضار فى أداء الشرع ضمنا و تبعا لا على أنها الغرض و لا داخله [صفحہ ٢٥٧] فى الغرض و على أن قول المرتضى لا يجوز أن يخاف زكريا من تبديل الدين وتغييره لأنه محفوظ من الله فكيف يخاف ما لا يخاف من مثله غير مستمر على أصوله لأن المكلفين الآن قد حرموا بغيبه الإمام عنده أظافا كثيرة الوصلة بالشرعيات كالحدود و صلاة الجمعة والأعياد و هو وأصحابه يقولون فى ذلك أن اللوم على المكلفين لأنهم قد حرموا أنفسهم اللطف فهلا- جاز أن يخاف زكريا من تبديل الدين وتغييره وإفساد الأحكام الشرعية لأنه إنما يجب على الله تعالى التبليغ بالرسول إلى المكلفين فإذا أفسدوا هم الأديان و بدلوها لم يجب عليه أن يحفظها عليهم لأنهم هم الذين حرموا أنفسهم اللطف . واعلم أنه قد قرئوا إني خفت الموالى من ورأى وقيل إنها قراءة زين العابدين وابنه محمد بن على الباقر

وعثمان بن عفان وفسروه على وجهين أحدهما أن يكون ورائي بمعنى خلفي وبعدي أى قلت الموالى وعجزوا عن إقامة الدين تقول قدخف بنو فلان أى قل عددهم فسأل زكريا ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولى يرزقه . وثانيهما أن يكون ورائي بمعنى قدامى أى خف الموالى و أنأحى ودرجوا وانقرضوا و لم يبق منهم من به اعتضاد و على هذه القراءة لايبقى متعلق بلفظة الخوف . و قدفسر قوم قوله وَ إِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَِ أى خفت الذين يلون الأمر من بعدي لأن الموالى يستعمل فى الوالى وجمعه موال أى خفت أن يلى بعدموتى أمراء ورؤساء يفسدون شيئا من الدين فارزقنى ولدا تنعم عليه بالنبوة والعلم كماأنعمت -قرآن-٦١٢-٦٥١-قرآن-١٠٩٧-١١٢٣ [صفحہ ٢٥٨] على واجعل الدين محفوظا به و هذاالتأويل غيرمنكر و فيه أيضا دفع لكلام المرتضى . قال المرتضى و أماتعلق صاحب الكتاب فى أن الميراث محمول على العلم بقوله وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ لِأَنَّهُ لَا يَرِثُ أَمْوَالَ آلِ يَعْقُوبَ فى الحقيقة وإنما يرث ذلك غيره فبعيد من الصواب لأن ولد زكريا يرث بالقرابة من آل يعقوب أموالهم على أنه لم يقل يرث آل يعقوب بل قال يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ بِبَنِيهَا بِذَلِكَ على أنه يرث من كان أحق بميراثه فى القرابة. فأما طعنه على من تأول الخبر بأنه ع لايورث ماتركه للصدقة بقوله إن أحدا من الصحابة لم يتأوله على هذاالوجه فهذاالتأويل الذى ذكرناه أحد ماقاله أصحابنا فى هذاالخبر فمن أين له إجماع الصحابة على خلافه و إن أحدا لم يتأوله على هذاالوجه . فإن قال لو كان ذلك لظهر واشتهر ولوقف أبوبكر عليه فقد مضى من الكلام فيما يمنع من الموافقة على هذاالمعنى ما فيه كفاية. قلت لم يكن ذلك اليوم أعنى يوم حضور فاطمة ع وقولها لأبى بكر ماقالت يوم تقيه وخوف وكيف يكون يوم تقيه وهى تقول له و هوالخليفة يا ابن أبى قحافة أترث أباك و لأرث أبى وتقول له أيضا لقد جئت شيئا فريا فكان ينبغى إذا لم يؤثر أمير المؤمنين ع أن يفسر لأبى بكر معنى الخبر أن يعلم فاطمة ع -قرآن-١٦٥-١٩٠-قرآن-٣٦٥-٣٨٧ [صفحہ ٢٥٩] تفسيره فتقول لأبى بكر أنت غالط فيما ظننت إنما قال أبى ماتركناه صدقة فإنه لايورث . واعلم أن هذاالتأويل كاد يكون مدفوعا بالضرورة لأن من نظر فى الأحاديث التى ذكرناها و ماجرت عليه الحال يعلم بطلانه علما قطعيا. قال المرتضى و قوله إنه لا يكون إذ ذلك تخصيص للأنبياء و لامزية ليس بصحيح و قد قيل فى الجواب عن هذا إن النبى ص يجوز أن يريد أن مانوى فيه الصدقة ونفرده لها من غير أن نخرجه عن أيدينا لاتناله ورثتنا و هذا تخصيص للأنبياء ومزية ظاهرة. قلت هذه مخالفة لظاهر الكلام وإحالة اللفظ عن وضعه و بين قوله مانوى فيه الصدقة و هو بعد فى ملكنا ليس بموروث و قوله مانخلفه صدقة ليس بموروث فرق عظيم فلايجوز أن يراد أحد المعنيين باللفظ المفيد للمعنى الآخر لأنه إلباس وتعمية وأيضا فإن العلماء ذكروا خصائص الرسول فى الشرعيات عن أمته و عددوها نحو حل الزيادة فى النكاح على أربع ونحو النكاح بلفظ الهبة على قول فرقة من المسلمين ونحو تحريم أكل البصل والثوم عليه وإباحة شرب دمه و غير ذلك و لم يذكروا فى خصائصه أنه إذا كان قدنوى أن يتصدق بشيء فإنه لايناله ورثته لو قدرنا أنه يورث الأموال و لاالشيعه قبل المرتضى ذكرت ذلك و لأرأينا فى كتاب من كتبهم و هو مسبوق بإجماع طائفته عليه وإجماعهم عندهم حجة. قال المرتضى فأما قوله إن قوله ع ماتركناه صدقة جملة من الكلام [صفحہ ٢٦٠] مستقلة بنفسها فصحيح إذا كانت لفظة مامرفوعة على الابتداء و لم تكن منصوبة بوقوع الفعل عليها وكانت لفظة صدقة أيضا مرفوعة غير منصوبة و فى هذاوقع النزاع فكيف يدعى أنها جملة مستقلة بنفسها وأقوى مايمكن أن نذكره أن نقول الرواية جاءت بلفظ صدقة بالرفع و على ماتأولتموه لا تكون إلامنصوبة والجواب عن ذلك إنا لانسلم الرواية بالرفع و لم تجر عادة الرواة بضبط ماجرى هذاالمجرى من الإعراب والاشتباه يقع فى مثله فمن حقق منهم وصرح بالرواية بالرفع يجوز أن يكون اشتبه عليه فظنها مرفوعة وهى منصوبة قلت و هذا أيضا خلاف الظاهر وفتح الباب فيه يؤدى إلى إفساد الاحتجاج بكثير من الأخبار. قال و أماحكايته عن أبى على أن أبابكر لم يدفع إلى أمير المؤمنين ع السيف والبلغة والعمامة على جهة الإرث و قوله كيف يجوز ذلك مع الخبر الذى رواه وكيف خصصه بذلك دون العم الذى هوالعصبه فما نراه زاد على التعجب ومما عجب منه عجبنا و لم يثبت عصمة أبى بكر فينتفى عن أفعاله

التناقض . قلت لايشك أحد في أن أبابكر كان عاقلا و إن شك قوم في ذلك فالعقل في يوم واحد لايدفع فاطمة ع عن الإرث و يقول إن أباك قال لى إننى لأورث ثم يورث فى ذلك اليوم شخصا آخر من مال ذلك المتوفى الذى حكى عنه أنه لا يورث و ليس انتفاء هذاالتناقض عن أفعاله موقوفا على العصمة بل على العقل . [صفحہ ۲۶۱] قال المرتضى و قوله يجوز أن يكون النبى ص نحلہ إياه و تركه أبوبكر فى يده لما فى ذلك من تقوية الدين و تصدق ببدله و كل ما ذكره جائز إلا أنه قد كان يجب أن يظهر أسباب النحلة و الشهادة بها و الحجّة عليها و لم يظهر من ذلك شىء فنعرفه و من العجائب أن تدعى فاطمة فدك نحلّة و تستشهد على قولها أمير المؤمنين ع وغيره فلايصغى إلى قولها و يترك السيف و البغلة و العمامة فى يد أمير المؤمنين على سبيل النحلة بغير بينة ظهرت و لاشهادة قامت . قلت لعل أبابكر سمع الرسول ص و هو ينحل ذلك عليا ع فلذلك لم يحتج إلى البينة و الشهادة فقد روى أنه أعطاه خاتمه و سيفه فى مرضه و أبوبكر حاضر و أما البغلة فقد كان نحلہ إياها فى حجة الوداع على ماوردت به الرواية و أما العمامة فسلم الميت و كذلك القميص و الحزمة و الحذاء فالعادة أن يأخذ ذلك ولد الميت و لاينازع فيه لأنه خارج أو كالخارج عن التركة فلما غسل ع أخذت ابنته ثيابه التى مات فيها و هذه عادة الناس على أنا قد ذكرنا فى الفصل الأول كيف دفع إليه آله النبى ص و حذائه و دابته و الظاهر أنه فعل ذلك اجتهادا لمصلحة رآها و للإمام أن يفعل ذلك . قال المرتضى على أنه كان يجب على أبى بكر أن يبين ذلك و يذكر وجهه بعينه لمانازع العباس فيه فلاوقت لذكر الوجه فى ذلك أولى من هذاالوقت . قلت لم ينازع العباس فى أيام أبى بكر لا فى البغلة و العمامة و نحوها و لا فى غير [صفحہ ۲۶۲] ذلك وإنما نازع عليا فى أيام عمر و قد ذكرنا كيفية المنازعة و فيما ذا كانت . قال المرتضى رضى الله عنه فى البردة و القضيبي إن كان نحلّة أو على الوجه الآخر يجرى مجرى ما ذكرناه فى وجوب الظهور و الاستشهاد و لسنأ نرى أصحابنا يعنى المعتزلة يطالبون أنفسهم فى هذه المواضع بما يطالبوننا بمثله إذادعينا وجوها و أسبابا و عللا- مجوزة لأنهم لايقنعون منا بما يجوز و يمكن بل يوجبون فيما ندعيه الظهور و الاستشهاد و إذا كان هذاعليهم نسوه أو تناسوه . قلت أماالقضيبي فهو السيف الذى نحلہ رسول الله ص عليا ع فى مرضه و ليس بذى الفقار بل هوسيف آخر و أما البردة فإنه وهبها كعب بن زهير ثم صار هذاالسيف و هذه البردة إلى الخلفاء بعد تنقلات كثيرة مذكورة فى كتب التواريخ . قال المرتضى فأما قوله فإن أزواج النبى ص إنما طلبن الميراث لأنهن لم يعرفن رواية أبى بكر للخبر و كذلك إنما نازع على ع بعدموت فاطمة ع فى الميراث لهذا الوجه فمن أقبح مايقال فى هذاالباب و أبعده عن الصواب و كيف لايعرف أمير المؤمنين ع رواية أبى بكر و بهادفت زوجته عن الميراث و هل مثل ذلك المقام الذى قامتة و مارواه أبوبكر فى دفعها يخفى على من هو فى أقاصى البلاد فضلا عن من هو فى المدينة حاضر شاهد يراعى الأخبار و يعنى بها إن هذاالخروج فى المكابرة عن الحد و كيف يخفى على الأزواج ذلك حتى يطلبنه مرة بعد أخرى و يكون عثمان الرسول لهن و المطالب عنهن و عثمان على زعمهم أحد من شهد [صفحہ ۲۶۳] أن النبى ص لا يورث و قدسمع على كل حال أن بنت النبى ص لم تورث ماله و لا بد أن يكن قدسألن عن السبب فى دفعها فذكر لهن الخبر فكيف يقال إنهن لم يعرفنه . قلت الصحيح أن أمير المؤمنين ع لم ينازع بعدموت فاطمة فى الميراث و إنما نازع فى الولاية لفدك و غيرها من صدقات رسول الله ص و جرى بينه و بين العباس فى ذلك ما هو مشهور و أما أزواج النبى ص فما ثبت أنهن نازعن فى ميراثه و لا- أن عثمان كان المرسل لهن و المطالب عنهن إلا- فى رواية شاذة و الأزواج لماعرفن أن فاطمة ع قد دفعت عن الميراث أمسكن و لم يكن قد نازعن و إنما اكتفين بغيرهن و حديث فدك و حضور فاطمة عند أبى بكر كان بعد عشرة أيام من وفاة رسول الله ص و الصحيح أنه لم ينطق أحد بعد ذلك من الناس من ذكر أو أنثى بعدعود فاطمة ع من ذلك المجلس بكلمة واحدة فى الميراث . قال المرتضى فإن قيل فإذا كان أبوبكر قد حكم بالخطأ فى دفع فاطمة ع عن الميراث و احتج بخبر لا حجة فيه فما بال الأمة أقرته على هذاالحكم و لم تنكر عليه و فى رضاها و إمساكها دليل على صوابه . قلت قدمضى أن ترك النكير لا يكون دليل الرضا إلا فى هذاالموضع الذى

لا يكون له وجه سوى الرضا وذكرنا في ذلك قولاً شافياً وقد أجاب أبو عثمان الجاحظ في كتاب العباسية عن هذا السؤال جواباً حسن المعنى واللفظ نحن [صفحة ٢٦٤] نذكره على وجهه ليقابل بينه وبين كلامه في العثمانية وغيرها. قلت ما كانه المرتضى رحمه الله في غير هذا الموضوع أصلاً بل كان ساخطاً عليه وكناه في هذا الموضوع واستجاد قوله لأنه موافق غرضه فسبحان الله ما أشد حب الناس لعقائدهم . قال قال أبو عثمان و قد زعم أناس أن الدليل على صدق خيرهما يعني أبابكر وعمر في منع الميراث وبراءة ساحتهم ترك أصحاب رسول الله ص النكير عليهما ثم قال قديقال لهم لئن كان ترك النكير دليلاً على صدقهما ليكون ترك النكير على المتظلمين والمحتجين عليهما والمطالبين لهما دليلاً على صدق دعواهم أو استحسان مقاتلتهما ولا سيما وقد طالت المناجاة وكثرت المراجعة والملاحاة وظهرت الشكوى واشتدت الموجدة وقد بلغ ذلك من فاطمة ع حتى إنها أوصت ألا يصلى عليها أبوبكر ولقد كانت قالت له حين أتته طالبة بحقها ومحتجة لرهطها من يرثك يا أبابكر إذ امت قال أهلى وولدى قالت فما بالنال انترث النبى ص فلما منعها ميراثها وبخسها حقها واعتل عليها وجلح فى أمرها وعابت التهضم وأيست من التورع ووجدت نشوة الضعف وقلة الناصر قالت و الله لأدعون الله عليك قال و الله لأدعون الله لك قالت و الله لأأكلمك أبدا قال و الله لأأهجرك أبدا فإن يكن ترك النكير على أبى بكر دليلاً على صواب منعها إن فى ترك النكير على فاطمة ع دليلاً على صواب طلبها وأدنى ما كان يجب عليهم فى ذلك تعريفها ماجهلت وتذكيرها مانسيت و صرفها عن الخطأ ورفع قدرها عن البذاء و أن تقول هجرا أو تجور عادلا أو تقطع واصلا فإذا لم تجدهم أنكروا على الخصمين جميعا فقد تكافأت [صفحة ٢٦٥] الأمور واستوت الأسباب والرجوع إلى أصل حكم الله من المواريث أولى بنا وبكم وأوجب علينا وعليكم . قال فإن قالوا كيف تظن به ظلمها والتعدى عليها وكلما ازدادت عليه غلظة ازداد لها لنا ورقه حيث تقول له و الله لأأكلمك أبدا فيقول و الله لأأهجرك أبدا ثم تقول و الله لأدعون الله عليك فيقول و الله لأدعون الله لك ثم يحتمل منها هذا الكلام الغليظ والقول الشديد فى دار الخلافة وبحضرة قريش والصحابة مع حاجة الخلافة إلى البهاء والتزيه وما يجب لها من الرفعة والهيبة ثم لم يمنعه ذلك أن قال معتذرا متقربا كلام المعظم لحقها المكبر لمقامها والصائن لوجهها المتحنن عليها ما أحد أعز على منك فقرا ولا أحب إلى منك غنى ولكنى سمعت رسول الله ص يقول إنا معاشر الأنبياء لانورث ماتركناه فهو صدقة قيل لهم ليس ذلك بدليل على البراءة من الظلم والسلامة من الجور وقد يبلغ من مكر الظالم ودهاء الماكر إذا كان أريبا وللخصومة معتادا أن يظهر كلام المظلوم وذلة المنتصف وحب الوامق ومقمة المحق وكيف جعلتم ترك النكير حجة قاطعة ودلالة واضحة و قد زعمتم أن عمر قال على منبره متعتان كانتا على عهد رسول الله ص متعة النساء و متعة الحج أنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما فما وجدت أحدًا أنكر قوله ولا استشنع مخرج نهيه ولاخطأه فى معناه ولا تعجب منه ولا استفهمه وكيف تقضون بترك النكير و قد شهد عمر يوم السقيفة و بعد ذلك أن النبى ص قال الأئمة من قريش -رواية ١- ٢-رواية ٢٢- ٣٨ ثم قال فى شكاته لو كان سالم حيا ماتخالجنى فيه شك حين أظهر الشك فى استحقاق كل واحد من الستة الذين [صفحة ٢٦٦] جعلهم شورى وسالم عبداً امرأة من الأنصار وهى أعتقته وحازت ميراثه ثم لم ينكر ذلك من قوله منكر ولاقابل إنسان بين قوله ولا تعجب منه وإنما يكون ترك النكير على من لا رغبة ولا رهبة عنده دليلاً على صدق قوله وصواب عمله فأما ترك النكير على من يملك الضعة والرفعة والأمر والنهى والقتل والاستحياء والحبس والإطلاق فليس بحجة تشفى ولا دالة تضىء . قال و قال آخرون بل الدليل على صدق قولهما وصواب عملهما إمساك الصحابة عن خلعهما والخروج عليهما وهم الذين وثبوا على عثمان فى أيسر من جحد التنزيل ورد النصوص و لو كان كما تقولون و ماتصفون ما كان سبيل الأمة فيهما إلا أكسيلهم فيه و عثمان كان أعز نفرا وأشرف رهطاً وأكثر عدداً وثروة وأقوى عدة. قلنا إنهما لم يجحدا التنزيل و لم ينكرا النصوص ولكنهما بعد إقرارهما بحكم الميراث و ما عليه الظاهر من الشريعة ادعيا روايةً وتحديثاً بحدِيث لم يكن محالاً كونه و لاممتنعاً فى حجج العقول مجيئه وشهد لهما عليه من علته مثل علتها فيه ولعل بعضهم كان يرى

تصديق الرجل إذا كان عدلا في رهطه مأمونا في ظاهره و لم يكن قبل ذلك عرفه بفجرة و لاجرت عليه غدرة فيكون تصديقه له على جهة حسن الظن وتعديل الشاهد ولأنه لم يكن كثير منهم يعرف حقائق الحجج و الذى يقطع بشهادته على الغيب و كان ذلك شبهة على أكثرهم فلذلك قل النكير وتواكل الناس فاشتبه الأمر فصار لا يتخلص إلى معرفة حق ذلك من باطله إلا العالم المتقدم أو المؤيد المرشد ولأنه لم يكن لعثمان في صدور العوام وقلوب السفلة والطغام ما كان لهما من المحبة والهيبة ولأنهما كانا أقل استثارا بالفىء وتفضلا بمال الله منه و من شأن الناس إهمال السلطان ما وفر عليهم أموالهم و لم يستأثر بخراجهم و لم يعطل ثغورهم ولأن الذى صنع أبو بكر [صفحة ٢٦٧] من منع العترة حقها والعمومة ميراثها قد كان موافقا لجللة قريش وكبراء العرب ولأن عثمان أيضا كان مضعوبا في نفسه مستخفا بقدره لا يمنع ضيما و لا يجمع عدوا ولقد وثب ناس على عثمان بالشم والقذف والتشنيع والنكير لأمر لو أتى أضعافها وبلغ أقصاها لما اجترءوا على اغتيابه فضلا على مبادئه والإغراء به ومواجهته كما أغلظ عيينة بن حصن له فقال له أما إنه لو كان عمر لقمعك ومنعك فقال عيينة إن عمر كان خيرا لى منك أرهبنى فاتقانى. ثم قال والعجب أنا وجدنا جميع من خالفنا في الميراث على اختلافهم في التشبيه والقدر والوعيد يرد كل صنف منهم من أحاديث مخالفه وخصومه ما هو أقرب إسنادا وأصح رجالا وأحسن اتصالا حتى إذا صاروا إلى القول في ميراث النبي ص نسخوا الكتاب وخصوا الخبر العام بما لا يدانى بعض ماردوه وأكذبوا قائله و ذلك أن كل إنسان منهم إنما يجرى إلى هواه ويصدق ما وافق رضاه . هذا آخر كلام الجاحظ ثم قال المرتضى رضى الله عنه فإن قيل ليس معارض به الجاحظ من الاستدلال بترك النكير وقوله كما لم ينكروا على أبى بكر فلم ينكروا أيضا على فاطمة ع و لا على غيرها من الطالبين بالإرث كالأزواج وغيرهن معارضة صحيحة و ذلك أن نكير أبى بكر لذلك ودفعها والاحتجاج عليها ويكفيهم ويغنيهم عن تكلف نكير آخر و لم ينكر على أبى بكر مارواه منكر فيستغنون بإنكاره . قلنا أول ما يبطل هذا السؤال أن أبابكر لم ينكر عليها ما أقامت عليه بعد [صفحة ٢٦٨] احتجاجها من التظلم والتألم والتعنيف والتبكييت وقولها على ماروى و الله لأدعون الله عليك و لا أكلمك أبدا و ماجرى هذا المجرى فقد كان يجب أن ينكره غيره و من المنكر الغضب على المنصف و بعد فإن كان إنكار أبى بكر مقنعا ومغنيا عن إنكار غيره من المسلمين فإنكار فاطمة حكمه ومقامها على التظلم منه مغن عن نكير غيرها و هذا واضح

الفصل الثالث في أن فدك هل صحت كونها نحلة رسول الله ص لفاطمة ع أم لا

نذكر في هذا الفصل ما حكاه المرتضى عن قاضى القضاة فى المغنى و ما عترض به عليه ثم نذكر ما عندنا فى ذلك . قال المرتضى حاكيا عن قاضى القضاة و ما عظم الشيعه القول فى أمر فدك قالوا و قدروى أبوسعيد الخدرى أنه لما أنزلت و آت ذا القربى حقه أعطى رسول الله ص فاطمة ع فدك ثم فعل عمر بن عبدالعزيز مثل ذلك فردها على ولدها قالوا و لاشك أن أبابكر أغضبها إن لم يصح كل الذى روى فى هذا الباب و قد كان الأجمل أن يمنعهم التكرم مما ارتكبوا منها فضلا عن الدين ثم ذكروا أنها استشهدت أمير المؤمنين ع و أم أيمن فلم يقبل شهادتهما هذا مع تركه أزواج النبي ص فى حجرهن و لم يجعلها صدقه و صدقهن فى ذلك أن ذلك لهن و لم يصدقها . قرآن - ٢٢٨ - ٢٥٢ [صفحة ٢٦٩] قال والجواب عن ذلك أن أكثر ما يروون فى هذا الباب غير صحيح ولسنا نكر صحة ما روى من ادعائها فدك فأما أنها كانت فى يدها فغير مسلم بل إن كانت فى يدها لكان الظاهر أنها لها فإذا كانت فى جملة التركة فالظاهر أنها ميراث و إذا كان كذلك فغير جائز لأبى بكر قبول دعواها لأنه لا خلاف فى أن العمل على الدعوى لا يجوز وإنما يعمل على مثل ذلك إذا علمت صحته بمشاهدة أو ماجرى مجراها أو حصلت بينة أو إقرار ثم إن البينة لا بد منها و إن أمير المؤمنين ع لما خصمه اليهودى حاكمه و أن أم سلمة التى يطبق على فضلها لو ادعت نحلا ما قبلت دعواها . ثم قال و لو كان أمير المؤمنين ع هو الوالى و لم يعلم صحة هذه الدعوى ما الذى كان يجب أن يعمل فإن

قلتُم يقبل الدعوى فالشرع بخلاف ذلك و إن قلتُم يلتمس البيئه فهو الذى فعله أبو بكر. ثم قال و أما قول أبى بكر رجل مع الرجل وامرأة مع المرأة فهو الذى يوجب الدين و لم يثبت أن الشاهد فى ذلك كان أمير المؤمنين ع بل الروايه المنقوله أنه شهد لها مولى لرسول الله ص مع أم أيمن . قال و ليس لأحد أن يقول فلما ذا ادعت و لا بيئه معها لأنه لا يمتنع أن تجوز أن يحكم أبو بكر بالشاهد واليمين أو تجوز عند شهادة من شهد لها أن تذكر غيره فيشهد لا و هذا هو الموجب على ملتمس الحق و لا عيب عليها فى ذلك و لا- على أبى بكر فى التماس البيئه و إن لم يحكم لها لما لم يتم و لم يكن لها خصم لأن التركه صدقه على ما ذكرنا و كان لا- يمكن أن يعول فى ذلك على يمين أو نكول و لم يكن فى الأمر إلا ما فعله قال و قد أنكر أبو على ماقاله السائل من أنها لم اردت فى دعوى النحله ادعته إرثا و قال بل كان طلبت الإرث قبل ذلك فلما سمعت منه الخبر كفت و ادعت النحله. [صفحہ ۲۷۰] قال فأما فعل عمر بن عبدالعزيز فلم يثبت أنه رده على سبيل النحله بل عمل فى ذلك ما عمله عمر بن الخطاب بأن أقره فى يد أمير المؤمنين ع ليصرف غلاتها فى المواضع التى كان يجعلها رسول الله ص فيه فقام بذلك مدته ثم ردها إلى عمر فى آخر سنته و كذلك فعل عمر بن عبدالعزيز و لو ثبت أنه فعل بخلاف ما فعل السلف لكان هو المحجوج بفعلهم و قولهم و أحد ما يقوى ما ذكرناه أن الأمر لما انتهى إلى أمير المؤمنين ع ترك فدك على ما كان و لم يجعله ميراثا لولد فاطمه و هذا يبين أن الشاهد كان غيره لأنه لو كان هو الشاهد لكان الأقرب أن يحكم بعلمه على أن الناس اختلفوا فى الهبة إذا لم تقبض فعند بعضهم تستحق بالعقد و عند بعضهم أنها إذا لم تقبض يصير وجودها كعدمها فلا يمتنع من هذا الوجه أن يمتنع أمير المؤمنين ع من ردها و إن صح عنده عقد الهبة و هذا هو الظاهر لأن التسليم لو كان وقع لظهر أنه كان فى يدها و لكان ذلك كافيا فى الاستحقاق فأما حجر أزواج النبی ص فإنما تركت فى أيديهن لأنها كانت لهن و نص الكتاب يشهد بذلك و قوله وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ و روى فى الأخبار أن النبی ص قسم ما كان له من الحجر على نساته و بناته و يبين صحه ذلك أنه لو كان ميراثا أو صدقه لكان أمير المؤمنين ع لما أفضى الأمر إليه غيره . قال و ليس لأحد أن يقول إنما لم يغير ذلك لأن الملك قد صار له فتبرع به و ذلك أن الذى يحصل له ليس إلا ربع ميراث فاطمه ع و هو الثمن من ميراث رسول الله ص فقد كان يجب أن ينتصف لأولاد العباس و أولاد فاطمه منهن فى باب الحجر و يأخذ هذا الحق منهن فتركه ذلك يدل على صحه ما قلناه و ليس يمكنهم بعد ذلك إلا التعلق بالتقيه و قد سبق الكلام فيها. -قرآن- ۹۵۲-۹۷۵ [صفحہ ۲۷۱] قال و مما يذكرونه أن فاطمه ع لغضبها على أبى بكر و عمر أوصت ألا يصليا عليها و أن تدفن سرا منهما فدفنت ليلا و هذا كما ادعوا روايه روهها عن جعفر بن محمد ع و غيره أن عمر ضرب فاطمه ع بالسوط و ضرب الزبير بالسيف و أن عمر قصد منزلها و فيه على ع و الزبير و المقداد و جماعة ممن تخلف عن أبى بكر وهم مجتمعون هناك فقال لها ما أحد بعد أبيك أحب إلينا منك و ايم الله لئن اجتمع هؤلاء نفر عندك لنحرقن عليهم فمنعت القوم من الاجتماع . قال و نحن لانصدق هذه الروايات و لانجوزها و أما أمر الصلاة فقد روى أن أبابكر هو الذى صلى على فاطمه ع و كبر عليها أربعا و هذا أحد ما استدلل به كثير من الفقهاء فى التكبير على الميت و لا يصح أيضا أنها دفنت ليلا و إن صح ذلك فقد دفن رسول الله ص ليلا و دفن عمر ابنه ليلا و قد كان أصحاب رسول الله ص يدفنون بالنهار و يدفنون بالليل فما فى هذا مما يطعن به بل الأقرب فى النساء أن دفنهن ليلا أستر و أولى بالسنة. ثم حكى عن أبى على تكذيب ما روى من الضرب بالسوط قال و المروى عن جعفر بن محمد ع أنه كان يتولاها و يأتى القبر فيسلم عليهما مع تسليمه على رسول الله ص روى ذلك عباد بن صهيب و شعبه بن الحجاج و مهدي بن هلال و الدراوردى و غيرهم و قد روى عن أبيه محمد بن على ع و عن على بن الحسين مثل ذلك فكيف يصح ما ادعوه و هل هذه الروايه إلا- كروايتهم على أن على بن أبى طالب ع هو إسرافيل و الحسن ميكائيل و الحسين جبرائيل و فاطمه ملك الموت و آمنه أم النبی ص ليله القدر فإن صدقوا ذلك أيضا قيل لهم فعمر بن الخطاب كيف يقدر على ضرب ملك الموت و إن قالوا لانصدق ذلك فقد جوزوا رد هذه الروايات و صح أنه لا يجوز التعويل على هذا الخبر [صفحہ

[٢٧٢] وإنما يتعلق بذلك من غرضه الإلحاد كالوراق و ابن الراوندى لأن غرضهم القدح فى الإسلام . وحكى عن أبى على أنه قال و لم صار غضبها إن ثبت كأنه غضب رسول الله ص من حيث قال فمن أغضبها فقد أغضبى -رواية-١-٢-رواية-٨-٣٢ أولى من أن يقال فمن أغضب أبابكر وعمر فقد نافق وفارق الدين لأنه روى عنه ع قال حب أبى بكر وعمر إيمان وبغضهما نفاق -رواية-١-٢-رواية-٨-٤٦ و من يورد مثل هذا فقصده الطعن فى الإسلام و أن يتوهم الناس أن أصحاب النبى ص نافقوا مع مشاهدة الأعلام ليضعفوا دلالة العلم فى النفوس . قال و أما حديث الإحراق فلو صح لم يكن طعنا على عمر لأن له أن يهدد من امتنع من المبايعه إرادة للخلاف على المسلمين لكنه غير ثابت انتهى كلام قاضى القضاة. قال المرتضى نحن نبتدى فندل على أن فاطمه ع مادعت من نحل فدك إلا ما كانت مصيبة فيه و إن مانعها ومطالبها بالبينه متعنت عادل عن الصواب لأنها لا تحتاج إلى شهادة وبينه ثم نعطف على ما ذكره على التفصيل فتكلم عليه . أما الذى يدل على ما ذكرناه فهو أنها كانت معصومه من الغلط مأمونا منها فعل القبيح و من هذه صفته لا يحتاج فيما يدعيه إلى شهادة وبينه فإن قيل دللوا على الأمرين قلنا بيان الأول قوله تعالى إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً والآية تتناول جماعة منهم فاطمه -قرآن-٧٢٨-٨١٣ [صفحه ٢٧٣] ع بما تواترت الأخبار فى ذلك والإرادة هاهنا دلالة على وقوع الفعل للمراد وأيضا فيدل على ذلك قوله ع فاطمه بضعة منى من آذاها فقد آذانى و من آذانى فقد آذى الله عز و جل -رواية-١-٢-رواية-١٢-٨٤ و هذا يدل على عصمتها لأنها لو كانت ممن تقارف الذنوب لم يكن من يؤذيها مؤذيا له على كل حال بل كان متى فعل المستحق من ذمها أو إقامة الحد عليها إن كان الفعل يقتضيه سارا له ومطيعا على أنا لا نحتاج أن ننبه هذا الموضع على الدلالة على عصمتها بل يكفى فى هذا الموضع العلم بصدقها فيما ادعته و هذا لا خلاف فيه بين المسلمين لأن أحدا لا يشك أنها لم تدع مادعته كاذبه و ليس بعدألا تكون كاذبه إلا أن تكون صادقه وإنما اختلفوا فى هل يجب مع العلم بصدقها تسلم مادعته بغير بينه أم لا يجب ذلك قال الذى يدل على الفصل الثانى أن البيئه إنما تراد ليغلب فى الظن صدق المدعى أ لا ترى أن العدالة معتبرة فى الشهادات لما كانت مؤثرة فى غلبه الظن لما ذكرناه ولهذا جاز أن يحكم الحاكم بعلمه من غير شهادة لأن علمه أقوى من الشهادة ولهذا كان الإقرار أقوى من البيئه من حيث كان أغلب فى تأثير غلبه الظن و إذا قدم الإقرار على الشهادة لقوة الظن عنده فأولى أن يقدم العلم على الجميع و إذا لم يحتج مع الإقرار إلى شهادة لسقوط حكم الضعيف مع القوى لا يحتاج أيضا مع العلم إلى ما يؤثر الظن من البيئات والشهادات . و الذى يدل على صحة ما ذكرناه أيضا أنه لا خلاف بين أهل النقل فى أن أعرابيا نازع النبى ص فى ناقة فقال ع هذه لى و قد خرجت إليك من ثمنها فقال الأعرابى من يشهد لك بذلك فقال خزيمه بن ثابت أنا أشهد بذلك فقال النبى ص من أين علمت و ما حضرت ذلك قال لا- ولكن علمت ذلك من حيث علمت أنك رسول الله فقال قد أجزت شهادتك وجعلتها شهادتين فسمى ذا الشهادتين . [صفحه ٢٧٤] و هذه القصة شبيهة لقصة فاطمه ع لأن خزيمه اكتفى فى العلم بأن الناقة له ص وشهد بذلك من حيث علم لأنه رسول الله ص و لا يقول إلا حقا وأمضى النبى ص ذلك له من حيث لم يحضر الاتباع وتسليم الثمن فقد كان يجب على من علم أن فاطمه ع لا تقول إلا حقا ألا يستظهر عليها بطلب شهادة أوبينه هذا و قدروى أن أبابكر لما شهد أمير المؤمنين ع كتب بتسليم فدك إليها فاعترض عمر قضيته و خرق ما كتبه . روى ابراهيم بن السعيد الثقفى عن ابراهيم بن ميمون قال حدثنا عيسى بن عبد الله بن محمد بن على بن أبى طالب ع عن أبيه عن جده عن على ع قال جاءت فاطمه ع إلى أبى بكر وقالت إن أبى أعطانى فدك و على وأم أيمن يشهدان فقال ما كنت لتقولى على أبى بكر إلا الحق قد أعطيتكها ودعا بصحيفه من آدم فكتب لها فيها فخرجت فلقيت عمر فقال من أين جئت يا فاطمه قالت جئت من عند أبى بكر أخبرته أن رسول الله ص أعطانى فدك و أن عليا وأم أيمن يشهدان لى بذلك فأعطانيها و كتب لى بها فأخذ عمر منها الكتاب ثم رجع إلى أبى بكر فقال أعطيت فاطمه فدك و كتبت بهاها قال نعم فقال إن عليا يجر إلى نفسه وأم أيمن امرأة و بصق فى الكتاب فمحاها و خرقه -

روایت-۱-۲-روایت-۱۵۷-۶۶۱. و قدروی هذا المعنى من طرق مختلفة على وجه مختلفه فمن أراد الوقوف عليها واستقصاءها أخذها من مواضعها. و ليس لهم أن يقولوا إنها أخبار آحاد لأنها و إن كانت كذلك فأقل أحوالها أن توجب الظن وتمنع من القطع على خلاف معناها و ليس لهم أن يقولوا كيف يسلم إليها [صفحة ۲۷۵] فدك و هو يروى عن الرسول أن ما خلفه صدقة و ذلك لأنه لا تنافي بين الأمرين لأنه إنما سلمها على ماوردت به الرواية على سبيل النحل فلما وقعت المطالبة بالميراث روى الخبر فى معنى الميراث فلا اختلاف بين الأمرين. فأما إنكار صاحب الكتاب لكون فدك فى يدها فما رأيناه اعتمد فى إنكار ذلك على حجة بل قال لو كان ذلك فى يدها لكان الظاهر أنها لها والأمر على ما قال فمن أين أنه لم يخرج عن يدها على وجه يقتضى الظاهر خلافه و قدروى من طرق مختلفة غير طريق أبى سعيد الذى ذكره صاحب الكتاب أنه لما نزل قوله تعالى وَ آتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ دَعَا النَّبَى ص فَاطِمَةَ ع فَأَعْطَاهَا فَدَكَ وَ إِذَا كَانَ ذَلِكَ مَرْوِيًا فَلَا مَعْنَى لِدَفْعِهِ بِغَيْرِ حُجَّةٍ. و قوله لا خلاف أن العمل على الدعوى لا يجوز صحيح و قد بينا أن قولها كان معلوما صحته وإنما قوله إنما يعمل على ذلك متى علم صحته بشهادة أو مايجرى مجراها أو حصلت بينه أو إقرار فيقال له إما علمت بمشاهدة فلم يكن هناك وإما بينه فقد كانت على الحقيقة لأن شهادة أمير المؤمنين ع من أكبر البيئات وأعدلها ولكن على مذهبك أنه لم تكن هناك بينه فمن أين زعمت أنه لم يكن هناك علم و إن لم يكن عن مشاهدة فقد أدخلت ذلك فى جملة الأقسام. فإن قال لأن قولها بمجرد لا يكون جهة للعلم قيل له لم قلت ذلك أو ليس قد دللنا على أنها معصومة و أن الخطأ مأمون عليها ثم لو لم يكن كذلك لكان قولها فى تلك القضية معلوما صحته على كل حال لأنها لو لم تكن مصيبة لكانت مبطله عاصية فيما ادعته إذ الشبهة لا تدخل فى مثله و قد أجمعت الأمة على أنها لم يظهر منها بعد -قرآن- ۵۲۹-۵۵۳ [صفحة ۲۷۶] رسول الله ص معصية بلا شك وارتباب بل أجمعوا على أنها لم تدع إلا الصحيح و إن اختلفوا فمن قائل يقول مانعها مخطئ و آخر يقول هو أيضا مصيب لفقد البينة و إن علم صدقها. و أما قوله إنه لو حاكم غيره لطولب بالبينة فقد تقدم فى هذا المعنى ما يكفى وقصة خزيمه بن ثابت و قبول شهادته تبطل هذا الكلام. و أما قوله إن أمير المؤمنين ع حاكم يهوديا على الوجه الواجب فى سائر الناس فقد روى ذلك إلا أن أمير المؤمنين لم يفعل من ذلك ما كان يجب عليه أن يفعله وإنما تبرع به واستظهر بإقامة الحجة فيه و قد أخطأ من طالبه بينة كائنا من كان فأما اعتراضه بأم سلمة فلم يثبت من عصمتها ما ثبت من عصمة فاطمة ع فلذلك احتاجت فى دعواها إلى بينة فأما إنكاره وادعاؤه أنه لم يثبت أن الشاهد فى ذلك كان أمير المؤمنين فلم يزد فى ذلك إلا مجرد الدعوى والإنكار والأخبار مستفيضة بأنه ع شهد لها فدفع ذلك بالزيف لا يغبى شيئا و قوله إن الشاهد لها مولى لرسول الله ص هو المنكر الذى ليس بمعروف. و أما قوله إنها جوزت أن يحكم أبو بكر بالشاهد واليمين فطريف مع قوله فيما بعد إن التركة صدقة و لا خصم فيها فتدخل اليمين فى مثلها أفترى أن فاطمة لم تكن تعلم من الشريعة هذا المقدار الذى نبه صاحب الكتاب عليه و لو لم تعلمه ما كان أمير المؤمنين ع و هو أعلم الناس بالشريعة يوافقها عليه. و قوله إنها جوزت عند شهادة من شهد لها أن يتذكر غيرهم فيشهد باطل لأن مثلها لا يتعرض للظنة والتهمة ويعرض قوله للرد و قد كان يجب أن تعلم من يشهد لها [صفحة ۲۷۷] ممن لا يشهد حتى تكون دعواها على الوجه الذى يجب معه القبول والإمضاء و من هودونها فى الرتبة والجلالة والصيانة من أفناء الناس لا يتعرض لمثل هذه الخطأ و يتورطها للتجوز الذى لأصل له و لا أماره عليه. فأما إنكار أبى على لأن يكون النحل قبل ادعاء الميراث وعكسه الأمر فيه فأول ما فيه أنا لانعرف له غرضا صحيحا فى إنكار ذلك لأن كون أحد الأمرين قبل الآخر لا يصحح له مذهباً فلا يفسد على مخالفه مذهباً. ثم إن الأمر فى أن الكلام فى النحل كان المتقدم ظاهراً والروايات كلها به واردة وكيف يجوز أن تتدعى بطلب الميراث فيما تدعيه بعينه نحلاً. و ليس هذا يوجب أن تكون قد طالبت بحقها من وجه لا تستحقه منه مع الاختيار وكيف يجوز ذلك والميراث يشركها فيها والنحل تنفرد به و لا ينقلب مثل ذلك علينا من حيث طالبت بالميراث بعد النحل لأنها فى الابتداء طالبت بالنحل و هو الوجه الذى تستحق

فدك منه فلما دفعت عنه طالبت ضرورة بالميراث لأن للمدفع عن حقه أن يتوصل إلى تناوله بكل وجه وسبب و هذا بخلاف قول أبي علي لأنه أضاف إليها ادعاء الحق من وجه لا تستحقه منه وهي مختارة. و أما إنكاره أن يكون عمر بن عبدالعزيز رد فدك على وجه النحل وادعاؤه أنه فعل في ذلك ما فعله عمر بن الخطاب من إقرارها في يد أمير المؤمنين ع ليصرف غلاتها في وجوهها فأول ما فيه أنا لانتجج عليه بفعل عمر بن عبدالعزيز على أي وجه وقع لأن فعله ليس بحجة و لو أردنا الاحتجاج بهذا الجنس من الحجج لذكرنا فعل المأمون فإنه رد فدك بعد أن جلس مجلسا مشهورا حكم فيه بين خصمين نصبهما أحدهما لفاطمة والآخر لأبي بكر و ردها بعد قيام الحجة ووضوح الأمر [صفحة ٢٧٨] و مع ذلك فإنه قد أنكر من فعل عمر بن عبدالعزيز ما هو معروف مشهور بلا خلاف بين أهل النقل فيه و قدروى محمد بن زكريا الغلابي عن شيوخه عن أبي المقدم هشام بن زياد مولى آل عثمان قال لما ولي عمر بن عبدالعزيز رد فدك على ولد فاطمة وكتب إلى واليه على المدينة أبي بكر بن عمرو بن حزم يأمره بذلك فكتب إليه إن فاطمة قد ولدت في آل عثمان و آل فلان و فلان فعلى من أرد منهم فكتب إليه أما بعد فإني لو كتبت إليك أمرك أن تذبح شاه لكتبت إلى أجماء أم قرناء أو كتبت إليك أن تذبح بقرة لسألتني مالونها فإذا ورد عليك كتابي هذا فاقسمها في ولد فاطمة ع من علي ع و السلام . قال أبو المقدم فنقمت بنو أمية ذلك على عمر بن عبدالعزيز و عاتبوه فيه و قالوا له هجنت فعل الشيخين و خرج إليه عمر بن قيس في جماعة من أهل الكوفة فلما عاتبوه على فعله قال إنكم جهلتم و علمت و نسيتم و ذكرت إن أبابكر محمد بن عمرو بن حزم حدثني عن أبيه عن جده أن رسول الله ص قال فاطمة بضعة مني يسخطها ما يسخطني و يرضيني ما أرضاها -رواية ١-٢-رواية ٢٧-٧٨ و إن فدك كان صافية على عهد أبي بكر و عمر ثم صار أمرها إلى مروان فوهبها لعبد العزيز أبي فورتها أنا و إخوتي عنه فسألتهم أن يبيعوني حصتهم منها فممن بائع و واهب حتى استجمعت لي فرأيت أن أردّها على ولد فاطمة قالوا فإن أبيت إلا هذا فأمسك الأصل و اقسم الغلة ففعل . و أما ما ذكره من ترك أمير المؤمنين ع فدك لما أفضى الأمر إليه و استدلاله بذلك على أنه لم يكن الشاهد فيها فالوجه في تركه ع رد فدك هو الوجه في إقراره [صفحة ٢٧٩] أحكام القوم و كفه عن نقضها و تغييرها و قد بينا ذلك فيما سبق و ذكرنا أنه كان في انتهاء الأمر إليه في بقيه من التقيه قوية. فأما استدلاله على أن حجر أزواج النبي ص كانت لهن بقوله تعالى وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ فممن عجيب الاستدلال لأن هذه الإضافة لا تقتضى الملك بل العادة جارية فيها أن تستعمل من جهة السكنى ولهذا يقال هذا بيت فلان و مسكنه و لا يراد بذلك الملك و قد قال تعالى لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَ لا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَ لا شبهة في أنه تعالى أراد منازل الرجال التي يسكنون فيها و زوجاتهم و لم يرد بهذه الإضافة الملك. فأما ما رواه من أن رسول الله ص قسم حجره على نساءه و بناته فممن أين له إذا كان الخبر صحيحا أن هذه القسمة على وجه التملك دون الإسكان و الإنزال و لو كان قد ملكهن ذلك لوجب أن يكون ظاهرا مشهورا. فأما الوجه في ترك أمير المؤمنين لما صار الأمر إليه في يده منازعة الأزواج في هذه الحجر فهو ما تقدم و تكرر. و أما قوله إن أبابكر هو الذي صلى على فاطمة و كبر أربعا و إن كثيرا من الفقهاء يستدلون به في التكبير على الميت و هو شيء ما سمع إلا منه و إن كان تلقاه عن غيره فممن يجزى مجراه في العصبية و إلا فالروايات المشهورة و كتب الآثار و السير خالية من ذلك و لم يختلف أهل النقل في أن عليا ع هو الذي صلى على فاطمة إلا رواية نادرة شاذة وردت بأن العباس رحمه الله صلى عليها. و روى الواقدي بإسناده في تاريخه عن الزهري قال سألت ابن عباس -قرآن ١٩٢-٢١٥-قرآن ٣٩١-٤٧٧ [صفحة ٢٨٠] متى دفنتم فاطمة ع قال دفناها بليل بعد هداة قال قلت فممن صلى عليها قال علي . و روى الطبري عن الحارث بن أبي أسامة عن المدائني عن أبي زكريا العجلاني أن فاطمة ع عمل لها نعش قبل وفاتها فنظرت إليه فقالت سترتموني ستر كما الله . قال أبو جعفر محمد بن جرير و الثبت في ذلك أنها زينب لأن فاطمة دفنت ليلا و لم يحضرها إلا علي و العباس و المقداد و الزبير. و روى القاضي أبو بكر أحمد بن كامل بإسناده في تاريخه عن الزهري قال حدثني عروة بن الزبير أن عائشة أخبرته أن فاطمة

عاشت بعد رسول الله ص ستة أشهر فلما توفيت دفنها على ليلا وصلى عليها وذكر في كتابه هذا أن عليا و الحسن و الحسين ع دفنوها ليلا وغيبوا قبرها. وروى سفيان بن عيينة عن عمرو بن عبيد عن الحسن بن محمد بن الحنفية أن فاطمة دفنت ليلا. وروى عبد الله بن أبي شيبه عن يحيى بن سعيد القطان عن معمر بن الزهري مثل ذلك . و قال البلاذري في تاريخه إن فاطمة ع لم تر متبسمه بعد وفاة النبي ص و لم يعلم أبوبكر وعمر بموتها. والأمر في هذا أوضح وأشهر من أن نطلب في الاستشهاد عليه ونذكر الروايات فيه [صفحہ ۲۸۱] فأما قوله و لا يصح أنها دفنت ليلا- و إن صح فقد دفن فلان وفلان ليلا فقد بينا أن دفنها ليلا في الصحة أظهر من الشمس و أن منكر ذلك كالدافع للمشاهدات و لم يجعل دفنها ليلا بمجرد هوالحجة ليقال لقد دفن فلان وفلان ليلا بل يقع الاحتجاج بذلك على ماوردت به الروايات المستفيضة الظاهرة التي هي كالتواتر أنها أوصت بأن تدفن ليلا حتى لا يصلى الرجلان عليها وصرحت بذلك و عهدت فيه عهدا بعد أن كانا استأذنا عليها في مرضها ليعوداها فأبت أن تأذن لهما فلما طال عليهما المدافعة رغبا إلى أمير المؤمنين ع في أن يستأذن لهما وجعلها حاجة إليه و كلمها ع في ذلك وألح عليها فأذنت لهما في الدخول ثم أعرضت عنهما عند دخولهما و لم تكلمهما فلما خرجا قالت لأمير المؤمنين ع هل صنعت ماأردت قال نعم قالت فهل أنت صانع ماأمرك به قال نعم قالت فإني أنشدك الله ألا يصليا على جنازتي و لايقوما على قبري. وروى أنه عفى قبرها وعلم عليه ورش أربعين قبرا في البقيع و لم يرش قبرها حتى لا يهتدى إليه وأنهما عاتباه على ترك إعلامهما بشأنها وإحضارهما الصلاة عليها فمن هاهنا احتجاجنا بالدفن ليلا و لو كان ليس غيرالدفن بالليل من غير ماتقدم عليه و ماتأخر عنه لم يكن فيه حجة. و أماحكايته عن أبي علي إنكار ضرب الرجل لها و قوله إن جعفر بن محمد وأباه وجده كانوا يتولونها فكيف لاينكر أبو علي ذلك واعتقاده فيهما اعتقاده و قدكنا نظن أن مخالفينا يقتنعون أن ينسبوا إلى أئمتنا الكف عن القوم والإمساك و ماظننا أنهم يحملون أنفسهم على أن ينسبوا إليهم الثناء والولاء [صفحہ ۲۸۲] و قدعلم كل أحد أن أصحاب هؤلاء السادة المختصين بهم قدرروا عنهم ضد ما روى شعبة بن الحجاج وفلان وفلان وقولهم هما أول من ظلمنا حقنا وحمل الناس على رقابنا وقولهم أنهما أصفيا يانائنا واضطجعا بسبلنا وجلسا مجلسا نحن أحق به منهما إلى غير ذلك من فنون التظلم والشكاية و هو طويل متسع و من أراد استقصاء ذلك فلينظر في كتاب المعرفة لأبي إسحاق إبراهيم بن سعيد الثقفي فإنه قدذكر عن رجل من أهل البيت بالأسانيد النيرة ما لازيادة عليه ثم لوصح ما ذكره شعبة لجاز أن يحمل على التقية. و أما ذكره إسرافيل وميكائيل فما كنا نظن أن مثله يذكر ذلك و هذا من أقوال الغلاة الذين ضلوا في أمير المؤمنين ع و أهل البيت وليسوا من الشيعة و لا- من المسلمين فأى عيب علينا فيما يقولونه ثم إن جماعة من مخالفينا قدغلوا في أبي بكر وعمر ورووا روايات مختلفة فيهما تجرى مجرى ما ذكره في الشناعة و لا يلزم العقلاء وذوى الألباب من المخالفين عيب من ذلك . و أما معارضة ما روى في فاطمة ع بما روى في أن حبهما إيمان وبغضهما نفاق فالخبر الذى رويناه مجمع عليه والخبر الآخر مطعون فيه فكيف يعارض ذلك بهذا. و أما قوله إنما قصد من يورد هذه الأخبار تضعيف دلالة الأعلام فى النفوس من حيث أضاف النفاق إلى من شاهدها فتشيع فى غير موضعه واستناد إلى ما لا يجدى نفعا لأن من شاهد الأعلام لا يضعفها ولا يوهن دليلها ولا يقدر فى كونها حجة لأن الأعلام ليست ملجئة إلى العلم و لا موجبة لحصوله على كل حال وإنما تثمر العلم لمن أمعن النظر فيها من الوجه الذى تدل منه فمن عدل عن ذلك لسوء اختياره لا يكون [صفحہ ۲۸۳] عدوله مؤثرا فى دلالتها فكم قد عدل من العقلاء وذوى الأحلام الراجحة والألباب الصحيحة عن تأمل هذه الأعلام وإصابة الحق منها و لم يكن ذلك عندنا و عند صاحب الكتاب قادحا فى دلالة الأعلام على أن هذا القول يوجب أن ينفى الشك والنفاق عن كل من صحب النبي ص وعاصره وشاهد أعلامه كأبي سفيان وابنه وعمرو بن العاص وفلان وفلان ممن قد اشتهر نفاقهم وظهر شكهم فى الدين وارتيا بهم باتفاق بيننا وبينه و إن كانت إضافة النفاق إلى هؤلاء لا تقدر فى دلالة الأعلام فكذلك القول فى غيرهم. فأما قوله إن حديث الإحراق لم يصح و لوصح لساغ لعمر مثل ذلك

فقد بينا أن خبر الإحراق قد رواه غير الشيعة. و قوله إنه يسوغ مثل ذلك فكيف يسوغ إحراق بيت علي وفاطمة ع وهل فى ذلك عذر يصغى إليه أوسمع وإنما يكون على وأصحابه خارقين للإجماع ومخالفين للمسلمين لو كان الإجماع قد تقرر وثبت و ليس بمتقرر و لا ثابت مع خلاف على وحده فضلا عن أن يوافق على ذلك غيره و بعد فلا فرق بين أن يهدد بالإحراق لهذه العلة و بين أن يضرب فاطمة ع لمثلها فإن إحراق المنازل أعظم من ضرب سوط أو سوطيين فلاوجه لامتعاض المخالف من حديث الضرب إذا كان عنده مثل هذا الاعتذار قلت أما الكلام فى عصمة فاطمة ع فهو بفسن الكلام أشبه وللقول فيه موضع غير هذا. و أما قول المرتضى إذا كانت صادقة لم يبق حاجة إلى من يشهد لها فلقال أن [صفحة ٢٨٤] يقول لم قلت ذلك و لم زعمت أن الحاجة إلى البينة إنما كانت لزيادة غلبة الظن و لم لا يجوز أن يكون الله تعالى يعبد بالبينة لمصلحة يعلمها و إن كان المدعى لا يكذب أليس قد تعبد الله تعالى بالعدة فى العجوز التى قد أيست من الحمل و إن كان أصل وضعها لاستبراء الرحم . و أما قصة خزيمة بن ثابت فى جواز ظهور خوارق العادات على أيدي الأئمة والصالحين و لو قدرنا أن واحدا من أهل الصلاح والخير ادعى دعوى و قال بحضرة جماعة من الناس من جملتهم القاضى ألهم إن كنت صادقا فأظهر على معجزة خارقة للعادة فظهرت عليه لعلمنا أنه صادق و مع ذلك لا تقبل دعواه إلا بيينة. وسألت على بن الفارقي مدرس المدرسة الغربية ببغداد فقلت له أكانت فاطمة صادقة قال نعم قلت فلم لم يدفع إليها أبو بكر فدك وهى عنده صادقة فتبسم ثم قال كلاما لطيفا مستحسنا مع ناموسه و حرمة و قلة دعابته قال لو أعطها اليوم فدك بمجرد دعواها لجاءت إليه غدا و ادعت لزوجه الخلفة و زحزحته عن مقامه و لم يكن يمكنه الاعتذار و الموافقة بشيء لأنه يكون قد أسجل على نفسه أنها صادقة فيها تدعى كائنا ما كان من غير حاجة إلى بيينة و لاشهود و هذا كلام صحيح و إن كان أخرجه مخرج الدعابة و الهزل. فأما قول قاضى القضاة لو كان فى يدها لكان الظاهر أنها لها و اعتراض المرتضى عليه بقوله إنه لم يعتمد فى إنكار ذلك على حجة بل قال لو كانت فى يدها لكان الظاهر إنها لها و الأمر على ما قال فمن أين أنها لم تخرج عن يدها على وجه كما أن الظاهر [صفحة ٢٨٥] يقتضى خلافه فإنه لم يجب عما ذكره قاضى القضاة لأن معنى قوله إنها لو كانت فى يدها أى متصرفه فيها لكانت اليد حجة فى الملكية لأن اليد و التصرف حجة لا محالة فلو كانت فى يدها تتصرف فيها و فى ارتفاقها كما يتصرف الناس فى ضياعهم و أملاكهم لما احتاجت إلى الاحتجاج بأية الميراث و لا بدعى النحل لأن اليد حجة فهلا قالت لأبى بكر هذه الأرض فى يدي و لا يجوز انتزاعها منى إلا بحجة و حينئذ كان يسقط احتجاج أبى بكر بقوله نحن معاشر الأنبياء لانورث لأنها ماتكون قد ادعتها ميراثا ليحتج عليها بالخبر و خبر أبى سعيد فى قوله فأعطها فدك يدل على الهبة لا على القبض و التصرف ولأنه يقال أعطانى فلان كذا فلم أقبضه و لو كان الإعطاء هو القبض و التصرف لكان هذا الكلام متناقضا. فأما تعجب المرتضى من قول أبى على إن دعوى الإرث كانت متقدمة على دعوى النحل و قوله إنا لانعرف له غرضا فى ذلك فإنه لا يصح له بذلك مذهب و لا يبطل على مخالفه مذهب فإن المرتضى لم يقف على مراد الشيخ أبى على فى ذلك و هذا شىء يرجع إلى أصول الفقه فإن أصحابنا استدلوا على جواز تخصيص الكتاب بخبر الواحد بإجماع الصحابة لأنهم أجمعوا على تخصيص قوله تعالى يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ - قرآن - ١٠٥٣-١٠٨٤ برواية أبى بكر عن النبى ص لانورث ما تركناه صدقة - رواية ١-٢-٢-رواية ٣١-٥٥ قالوا والصحيح فى الخبر أن فاطمة ع طالبت بعد ذلك بالنحل لالميراث فلهذا قال الشيخ أبو على إن دعوى الميراث تقدمت على دعوى النحل و ذلك لأنه ثبت أن فاطمة انصرفت عن ذلك المجلس غيرراضية و لا موافقة لأبى بكر فلو كانت دعوى الإرث متأخرة و انصرفت عن سخط لم يثبت الإجماع على تخصيص الكتاب بخبر الواحد أما إذا كانت دعوى الإرث متقدمة فلما روى لها الخبر أمسكت و انتقلت إلى النزاع من جهة أخرى فإنه يصح حينئذ

الاستدلال بالإجماع على تخصيص الكتاب بخبر الواحد. [صفحة ٢٨٦] فأما أنا فإن الأخبار عندي متعارضة يدل بعضها على أن دعوى الإرث متأخرة ويدل بعضها على أنها متقدمة و أنا في هذا الموضوع متوقف . و ما ذكره المرتضى من أن الحال تقتضى أن تكون البداية بدعوى النحل فصحيح و أما إخفاء القبر و كتمان الموت و عدم الصلاة و كل ما ذكره المرتضى فيه فهو الذى يظهر ويقوى عندي لأن الروايات به أكثر وأصح من غيرها وكذلك القول فى موجدتها و غضبها فأما المنقول عن رجال أهل البيت فإنه يختلف فتارة وتارة و على كل حال فمیل أهل البيت إلى ما فيه نصره أبيهم وبيتهم . و قد أخل قاضى القضاء بلفظه حكاها عن الشيعة فلم يتكلم عليها وهى لفظه جيدة قال قد كان الأجل أن يمنعهم التكرم مما ارتكبا منها فضلا عن الدين و هذا الكلام لا جواب عنه ولقد كان التكرم و رعايته حق رسول الله ص و حفظ عهده يقتضى أن تعوز ابنته بشيء يرضيها إن لم يستنزل المسلمون عن فدك و تسلم إليها تطيبا لقلبها و قد يسوغ للإمام أن يفعل ذلك من غير مشاورة المسلمين إذ أرى المصلحة فيه و قد بعد العهد الآن بيننا وبينهم و لانعلم حقيقة ما كان و إلى الله نرجع الأمور و لو شئت لاهتديت الطريق إلى مصي في هذا العسل و لباب هذا القمح و نسايج هذا القز و لكن هيهات أن يغلبني هواي و يقودني جسدي إلى تخيير الأطمعة و لعل بالحجاز أو باليمامة من لما طمع له فى القرض و لما عهد له بالشيح أو أبيت مبطاناً و حولي بطون غرثي و أكباد حري أو أكون كميما قال القائل و حسبك عارا أن تبيت بيطنة || و حولك أكباد تحن إلى القد [صفحة ٢٨٧] أفتع من نفسي بأن يقال هذا أمير المؤمنين و لا أشاركهم فى مكاره الدهر أو أكون أسوة لهم فى جشوبة العيش فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها أو المرسيلة شغلها تقمّمها تكثرش من أعلافها و تلهو عما يرد بها أو أترك سدى أو أهمل عابثاً أو أجز حبل الضلالة أو أعتسف طريق المتاهة قدروى و لو شئت لاهتديت إلى هذا العسل المصفى و لباب هذا البر المنقى فضربت هذا بذاك حتى ينضح وقودا ويستحكم معقودا. و روى و لعل بالمدينة يتيما تربا يتضور سغبا أبيت مبطانا و حولي بطون غرثي إذن يحضرني يوم القيامة وهم من ذكر وأنثى -روايت-١-٢-روايت-٧-١٢٢. و روى بطون غرثي بإضافة بطون إلى غرثي . والقمح الحنطة. والجشع أشد الحرص . والمبطن الذى لا يزال عظيم البطن من كثرة الأكل فأما المبطن فالضامر البطن و أما البطين فالعظيم البطن لا من الأكل و أما البطن فهو الذى لا يهيمه إلا بطنه و أما المبطن فالليل البطن و بطون غرثي جائعة و البطنة الكظة و ذلك أن يمتلى الإنسان من الطعام امتلاء شديدا و كان يقال ينبغي للإنسان أن يجعل وعاء بطنه أثلاثا فثلث للطعام و ثلث للشراب و ثلث للنفس . [صفحة ٢٨٨] و التقمم أكل الشاة ما بين يديها بمقمتها أى بشفتها و كل ذى ظلف كالثور وغيره فهو ذو مقمة. و تكثرش من أعلافها تملأ كرشها من العلف . قوله أو أجز حبل الضلالة منصوب بالعطف على يشغلني وكذلك أترك و يقال أجزرته رسنه إذا أهملته . و الاعتساف السلوك فى غير طريق واضح . والمتاهة الأرض يتاه فيها أى يتحير. و فى قوله لو شئت لاهتديت شبه من قول عمر لونشاء لمأنا هذا الرحاب من صلاتق و صناب و قد ذكرناه فيما تقدم . و هذا البيت من أبيات منسوبة إلى حاتم بن عبد الله الطائي الجواد وأولها أيا ابنه عبد الله وابنه مالك || و يا ابنه ذى الجدين والفرس الورد إذا ما صنعت الزاد فالتمسى له || أكيا فإنى لست آكله وحدى قصيا بعيدا أو قريبا فإنى || أخاف مذمات الأحاديث من بعدى كفى بك عارا أن تبيت بيطنة || و حولك أكباد تحن إلى القد و إنى لعبد الضيف مادام نازلا || و ما من خلالي غيرها شيمه العبد . [صفحة ٢٨٩] و كآنى بقائلكم يقول إذا كان هيدا قوت ابن أبي طالب فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران و منازل الشجعان ألا و إن الشجرة البرية أصلب عودا و الزواجع الخضرة أرق جلودا و النابتات العذبة أقوى وقودا و أبطأ خمودا. و أنا من رسول الله كالأصوة من الضوء و الدراع من العصد و الله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها و لو أمكنت القرض من رقابها لسارعت إليها و سأجهد فى أن أظهر الأرض من هذا الشخص المعكوس و الجسم المركوس حتى تخرج المردة من بين حب الحصة يد الشجرة البرية التى تنبت فى البر الذى لاماء فيه فهى أصلب عودا من الشجرة التى تنبت فى الأرض الندية و إليه وقعت الإشارة بقوله والروائع الخضرة أرق

جلودا. ثم قال والنباتات العذية التي تنبت عذيا والعذى بسكون الذال الزرع لا يسقيه إلا الماء المطر و هو يكون أقل أخذاً من الماء من النبت سقيا قال ع إنها تكون أقوى وقودا مما يشرب الماء السائح أو ماء الناضح وأبطأ خمودا و ذلك لصلابة جرمها. ثم قال و أنا من رسول الله ص كالضوء من الضوء والذراع من العضد [صفحة ٢٩٠] و ذلك لأن الضوء الأول يكون علة في الضوء الثاني ألا ترى أن الهواء المقابل للشمس يصير مضيئا من الشمس فهذا الضوء هو الضوء الأول ثم إنه يقابل وجه الأرض فيضىء وجه الأرض منه فالضوء الذى على وجه الأرض هو الضوء الثانى و مادام الضوء الأول ضعيفا فالضوء الثانى ضعيف فإذا ازداد الجو إضاءة ازداد وجه الأرض إضاءة لأن المعلول يتبع العلة فشبّه ع نفسه بالضوء الثانى وشبه رسول الله ص بالضوء الأول وشبه منع الأضواء والأنوار سبحانه وجلت أسماؤه بالشمس التى توجب الضوء الأول ثم الضوء الثانى يوجب الضوء الثانى وهاهنا نكتة وهى أن الضوء الثانى يكون أيضا علة لضوء ثالث و ذلك أن الضوء الحاصل على وجه الأرض و هو الضوء الثانى إذا أشرق على جدار مقابل ذلك الجدار قريبا منه مكان مظلم فإن ذلك المكان يصير مضيئا بعد أن كان مظلمًا و إن كان لذلك المكان المظلم باب و كان داخل البيت مقابل ذلك الباب جدار كان ذلك الجدار أشد إضاءة من باقى البيت ثم ذلك الجدار إن كان فيه ثقب إلى موضع آخر كان ما يحاذى ذلك البيت أشد إضاءة مما حوالبه وهكذا لاتزال الأضواء يوجب بعضها بعضا على وجه الانعكاس بطريق العلية وبشرط المقابلة و لاتزال تضعف درجة درجة إلى أن تضمحل ويعود الأمر إلى الظلمة وهكذا عالم العلوم والحكم المأخوذة من أمير المؤمنين ع لاتزال تضعف كما انتقلت من قوم إلى قوم إلى أن يعود الإسلام غريبا كما بدأ بموجب الخبر النبوى الوارد فى الصحاح . و أما قوله والذراع من العضد فلأن الذراع فرع على العضد والعضد أصل ألا ترى أنه لا يمكن أن يكون ذراع إلا- إذا كان عضد ويمكن أن يكون عضد لا ذراع له ولهذا قال الراجز لولده يابكر بكرين و ياخلب الكبد || أصبحت منى كذراع من عضد . [صفحة ٢٩١] فشبه ع بالنسبة إلى رسول الله ص بالذراع الذى العضد أصله وأسه والمراد من هذا التشبيه الإجابة عن شدة الامتراج والاتحاد والقرب بينهما فإن الضوء الثانى شبيه بالضوء الأول والذراع متصل بالعضد اتصالا بينا و هذه المنزلة قد أعطاها إياها رسول الله ص فى مقامات كثيرة نحو قوله فى قصة براءة قد أمرت أن لا يؤدى عنى إلا أنا أو رجل منى -رواية ١-٢-رواية ٢٢-٦٨ لتنتهن يابنى وليعة أو لأبعثن إليكم رجلا منى أو قال عديل نفسى -رواية ١-٦٨ و قد سماه الكتاب العزيز نفسه فقال وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ و قرآن ٣٨-٨٨ قد قال له لحمك مختلط بلحمى ودمك مسوط بدمى وشبرك وشبرى واحد -رواية ١-٢-رواية ١٥-٧٠. فإن قلت أما قوله لوتظاهرت العرب على لماوليت عنها فمعلوم فما الفائدة فى قوله و لو أمكنت الفرصة من رقابها لسارعت إليها وهل هداما يفخر به الرؤساء ويعدون منقبة وإنما المنقبة أن لو أمكنته الفرصة تجاوز وعفا. قلت غرضه أن يقرر فى نفوس أصحابه وغيرهم من العرب أنه يحارب على حق و أن حربه لأهل الشام كالجهاد أيام رسول الله ص و أن من يجاهد الكفار يجب عليه أن يغلظ عليهم ويستأصل شأفتهم ألا ترى أن رسول الله ص لما جاهد بنى قريظة وظفر لم يبق و لم يعف و حصد فى يوم واحد رقاب ألف إنسان صبورا فى مقام واحد لماعلم فى ذلك من إعزاز الدين وإذلال المشركين فالعفو له مقام والانتقام له مقام . قوله وسأجهد فى أن أطهر الأرض الإشارة فى هذا إلى معاوية سماه شخصا معكوسا وجسما مركوسا والمراد انعكاس عقيدته وأنها ليست عقيدة هدى بل هى معاكسة للحق والصواب وسماه مركوسا من قولهم ارتكس فى الضلال والركس [صفحة ٢٩٢] رد الشىء مقلوبا قال تعالى وَ اللَّهُ أَرَكْسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أى قلبهم وردداهم إلى كفرهم فلما كان تاركا للفترة التى كل مولود يولد عليها كان مرتكسا فى ضلالة وأصحاب التناسخ يفسرون هذا بتفسير آخر قالوا الحيوان على ضربين منتصب ومنحن فالمنتصب الإنسان والمنحنى ما كان رأسه منكوسا إلى جهة الأرض كالبهائم والسباع. قالوا و إلى ذلك وقعت الإشارة بقوله أَ فَمَنْ يَمْشِي مُكَبِّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. قالوا فأصحاب الشقاوة تنتقل أنفسهم عند الموت إلى الحيوان المكبوب وأصحاب السعادة تنتقل أنفسهم إلى

الحيوان المنتصب و لما كان معاوية عنده ع من أهل الشقاوة سماه معكوسا و مر كوسا رمزا إلى هذا المعنى . قوله حتى تخرج المدرة من بين حب الحصيد أى حتى يتطهر الدين وأهله منه و ذلك لأن الزراع يجتهدون فى إخراج المدر والحجر والشوك والعوسج ونحو ذلك من بين الزرع كى تفسد منابته فيفسد الحب الذى يخرج منه فشبه معاوية بالمدر ونحوه من مفسدات الحب وشبه الدين بالحب الذى هو ثمرة الزرع - قرآن - ٣٠-٦٣-قرآن - ٣٦٠-٤٤٧ و من هذا الكتاب وَ هُوَ آخِرُهُ إِلَيْكَ عَنِّي يَا دُنْيَا فَحَبْلُكَ عَلَى غَارِبِكَ قَدْ انْسَلَمْتُ مِنْ مَخَالِبِكَ وَ أَفَلْتُ مِنْ حَبَائِلِكَ وَ اجْتَنَبْتُ الذَّهَابَ فِي مَدَاحِصِكَ [صفحہ ٢٩٣] أَيْنَ الْقُرُونُ الَّذِينَ غَرَرْتَهُمْ بِمَدَاعِبِكَ أَيْنَ الْأُمَمُ الَّذِينَ فَتَنْتَهُمْ بِزَخَارِفِكَ فَهَا هُمْ رَهَائِنُ الْقُبُورِ وَ مَضَامِينُ اللَّحُودِ وَ اللَّهُ لَوْ كُنْتَ شَخْصًا مَرْتَبًا وَ قَالِبًا حَسِيًّا لَأَقَمْتُ عَلَيْكَ حُدُودَ اللَّهِ فِي عِبَادِ غَرَرْتَهُمْ بِالْأَمَانِيِّ وَ أُمَّمِ أَلْقَيْتَهُمْ فِي الْمَهَاوِي وَ مَلُوكِ أَسْلَمْتَهُمْ إِلَى التَّلْفِ وَ أَوْرَدْتَهُمْ مَوَارِدَ الْبَلَاءِ إِذْ لَا وَرْدَ وَ لَا صِدْرَ هَيْهَاتَ مَنْ وَطِئَ دَحْضَكَ زَلِقَ وَ مَنْ رَكِبَ لُجْجَكَ غَرِقَ وَ مَنْ أَزَوَّرَ عَنْ حَبَائِلِكَ وَفَقَّ وَ السَّالِمُ مِنْكَ لَا يُبَالِي إِنْ ضَاقَ بِهِ مَنَاحُهُ وَ الدُّنْيَا عِنْدَهُ كَيَوْمِ حَانَ انْسِلَاخُهُ إِلَيْكَ عَنِ أَى اِبْعَدَى وَ حَبْلِكَ عَلَى غَارِبِكَ كِنَايَةٌ مِنْ كِنَايَاتِ الطَّلَاقِ أَى اذْهَبِي حَيْثُ شِئْتَ لِأَنَّ النَّاقَةَ إِذَا أَلْقَى حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا فَقَدْ فَسَحَ لَهَا أَنْ تَرعى حَيْثُ شَاءَتْ وَ تَذْهَبُ أَيْنَ شَاءَتْ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَرُدُّهَا زَمَامُهَا فَإِذَا أَلْقَى حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا فَقَدْ أَهْمَلَتْ . وَ الْغَارِبُ مَا بَيْنَ السِّنَامِ وَ الْعُنُقِ وَ الْمَدَاحِضُ الْمَزَالِقُ . وَ قِيلَ إِنْ فِي النِّسْخَةِ الَّتِي بَخَطَ الرُّضَى رَضَى اللَّهُ عَنْهُ غَرَرْتَهُمْ بِالْيَأْسِ وَ كَذَلِكَ فَتَنْتَهُمْ وَ أَلْقَيْتَهُمْ وَأَسْلَمْتَهُمْ وَأَوْرَدْتَهُمْ وَ الْأَحْسَنُ حَذْفُ الْيَأْسِ وَ إِذَا كَانَتِ الرَّوَايَةُ وَرَدَتْ بِهَافِيهِ مِنْ إِشْبَاعِ الْكُسْرَى كَقَوْلِهِ أَلَمْ يَأْتِيكَ وَ الْأَنْبَاءُ تَمْنَى || بِمَا فَعَلْتَ لِبُنَى زِيَادٍ وَ مَضَامِينِ اللَّحُودِ أَى الَّذِينَ تَضَمَّنْتَهُمْ وَ فِي الْحَدِيثِ نَهَى عَنْ بَيْعِ الْمَضَامِينِ وَ الْمَلَاقِيحِ وَ هِيَ مَا فِي أَصْلَابِ الْفُحُولِ وَ بَطُونِ الْإِنَاثِ . [صفحہ ٢٩٤]

ثم قال لو كنت أيتها الدنيا إنسانا محسوسا كالواحد من البشر لأقمت عليك الحد كما فعلت بالناس . ثم شرح أفعالها فقال منهم من غررت ومنهم من ألقى في مهاوى الضلال والكفر ومنهم من أتلفت وأهلك . ثم قال و من وطئ دحضك زلق مكان دحض أى مزله . ثم قال لا يبالي من سلم منك إن ضاق مناخه لا يبالي بالفقر و لا بالمرض و لا بالحبوس و السجون و غير ذلك من أنواع المحن لأن هذا كله حقير لا اعتداد به فى جنب السلامة من فتنه الدنيا . قال و الدنيا عند من قد سلم منها كيووم قرب انقضاؤه و فناؤه اعزبى عنى فوالله لا أدل لك فتنة تدلبنى و لا أسلس لك فتنة تؤدبني و أيم الله يميناً أسئتنى فيها بمشيئة الله لأروضن نفسى رياضة تهش معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوماً و تقنع بالملح مادوماً و لمأدغن مقلتي كعين ماء نضب معينها مستفرغة دموعها أتملتى السائمة من رعيها فتبرك و تشبع الربيضة من عشبها فتربض و يأكل على من زادته فيجمع قرت إذا عينه إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة و السائمة المرعية طوبى لنفس أدت إلى ربها فرضها و عركت بجنبها بؤسها و هجرت فى [صفحہ ٢٩٥] الليل غمضها حتى إذا غلب الكرى عليها افترشت أرضها و توسدت كفها فى معشر أسهر غيوتهم خوف معادهم و تجافت عن مضاجعهم جنوبهم و همهمت بذكر ربهم شفاههم و نقشت بطول استغفارهم دُوبهاً و لك حزن الله إن حزن الله هم المفلحون فاتق الله يا ابن حنيف و لتكف أقرصك ليكون من النار خلاصك - قرآن - ٢٦٦-٣٢٧ اعزبى ابعدى يقال عزب الرجل بالفتح أى بعد و لا أسلس لك بفتح اللام أى لا أنقاد لك سلس الرجل بالكسر يسلس فهو بين السلس أى سهل قياده . ثم حلف واستثنى بالمشيئة أدبا كما أدب الله تعالى رسوله ص ليروضن نفسه أى يدربها بالجوع والجوع هو أصل الرياضة عند الحكماء وأرباب الطريقة . قال حتى أهش إلى القرص أى إلى الرغيف وأقنع من الإدام بالملح . ونضب معينها فى ماؤها . ثم أنكر على نفسه فقال أتشبع السائمة من رعيها بكسر الراء و هو الكلاء و الربيضة جماعة من الغنم أو البقر تربض فى أماكنها و أنا أيضاً مثلها أشبع وأنام . لقد قرت عينى إذا حيث أشابه البهائم بعد الجهاد والسبق والعبادة والعم والجد فى السنين المتطاولة . قوله و عركت بجنبها بؤسها أى صبرت على بؤسها والمشقة التى تنالها يقال قد عرك فلان بجنبه الأذى أى أغضى عنه وصبر عليه . [صفحہ ٢٩٦] قوله افترشت أرضها أى لم يكن لها فراش إلا الأرض . و توسدت كفها لم يكن لها وسادة إلا الكف . و تجافت عن

مضاجعهم جنوبهم لفظ الكتاب العزيز تتجافى جنوبهم عن المضاجع. وهممته تكلمت كلاما خفيا. وتقشعت ذنوبهم زالت وذهبت كما يتقشع السحاب. قوله ولتكفف أقراصك إنما هونهي لابن حنيف أن يكف عن الأقراص وإن كان اللفظ يقتضى أن تكف الأقراص عن ابن حنيف وقدرواها قوم بالنصب قالوا فاتق الله يا ابن حنيف ولتكفف أقراصك لترجو بها من النار خلاصك والتاء هاهنا للأمر عوض الياء وهى لغه لأبأس بها وقد قيل إن رسول الله ص قرأ فبذلك فلتفرحوا بالتاء -قرآن- ١٤٢-

١٧٦

المجلد ١٧

الجزء السابع عشر

تمه أباوب الكتب والرسائل

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الواحد العدل

٤٦- و من كتاب له ع إلى بعض عماله

أما بعد فإنك ممن أستظهر به على إقامه الدين و أقمع به نخوة الأئيم و أسد به لهاة الثغر المخوف فاستعن بالله على ما أهمك و اخلط الشدة بضة غث من اللين و ارقق ما كان الرقق أرقق و اعترم بالشدة حين لا تغني عنك إلا الشدة و اخفض للرعية جناحك و ابسط لهم وجهك و ألن لهم جانبك و آس بينهم فى اللحظة و النظرة و الإشارة و التحية حتى لا يطمع العظماء فى حيفك و لا يئأس الضعفاء من عدلك و السلام قدأخذ الشاعر معنى قوله و آس بينهم فى اللحظة والنظرة فقال [صفحه ٤] اقسم اللحظ بيننا إن فى اللحظ || لعنوان ماتجن الصدور إنما البر روضة فإذا ما || كان بشر فروضة وغدير . قوله و آس بينهم فى اللحظة أى اجعلهم أسوة و روى وساو بينهم فى اللحظة والمعنى واحد. و أستظهر به أجعله كالظهر. والنخوة الكبرياء والأئيم المخطئ المذنب . وقوله و أسد به لهاة الثغر استعارة حسنة. والضغث فى الأصل قبضة حشيش مختلط يابسها بشيء من الرطب و منه أضغاث الأحلام للرؤيا المختلطة التى لا يصح تأويلها فاستعار اللفظة هاهنا والمراد امزج الشدة بشيء من اللين فاجعلهما كالضغث و قال تعالى و أخذ بيدك ضة غثا. قوله فاعترم بالشدة أى إذا جد بك الحد فدع اللين فإن فى حال الشدة لاتغنى إلا الشدة قال الفند الزمانى -قرآن- ٤٠٤-٤٢٥ فلما صرح الشر || فأمسى و هو عريان و لم يبق سوى العدوان || دناهم كما دانوا . قوله حتى لا يطمع العظماء فى حيفك أى حتى لا يطمع العظماء فى أن تمالئهم على حيف الضعفاء و قد تقدم مثل هذا فيما سبق [صفحه ٥]

٤٧- و من وصية له ع للحسن و الحسين ع لماضربه ابن ملجم لعنه الله

اشاره

أوصيكما بتقوى الله و ألا تبغيا الدنيا و إن بغتكما و لا تأسفا على شىء منها زوى عنكما و قولاً بالحق و اعملاً للأجر و كوناً للظالم

خَصْمًا وَ لِلْمَظْلُومِ عَوْنًا أَوْصِيَكُمْ بِأَهْلِ وَ أَوْلِيَّيْكُمْ وَ جَمِيعِ وَلَدِي وَ أَهْلِي وَ مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي بِتَقْوَى اللَّهِ وَ نَظْمِ أَمْرِكُمْ وَ صِلَاكِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ فَإِنِّي سَمِعْتُ حَدِيثًا يَقُولُ صِلَاكِ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامِيَةِ الصَّيْلَاءِ وَ الصَّيَامِ لِلَّهِ اللَّهُ فِي الْإِيْتَامِ فَلَمَّا تَغَبَّوْا أَفْوَاهَهُمْ وَ لَمَّا يَضَعُوا بِحَضْرَتِكُمْ وَ اللَّهُ اللَّهُ فِي جِيرَانِكُمْ فَإِنَّهُمْ وَصِيَّتُهُ نَبِيِّكُمْ مَا زَالَ يُوصِي بِهِمْ حَتَّى ظَنَّنَا أَنَّهُ سَيُورِثُهُمْ وَ اللَّهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ لَا يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ وَ اللَّهُ اللَّهُ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ وَ اللَّهُ اللَّهُ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ لَا تُخْلَوْهُ مَا بَقِيْتُمْ فَإِنَّهُ إِنْ تَرِكَ لَمْ تُنَاطِرُوا وَ اللَّهُ اللَّهُ فِي الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ وَ أَلْسِنَتِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ عَلَيْكُمْ بِالتَّوَّاضُعِ وَ التَّبَادُلِ وَ الْإِيْتَامِ وَ التَّيَادُرِ وَ التَّقَاتُحِ لَا تَتْرُكُوا [صفحہ ۶] الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَيُؤَلَّى عَلَيْكُمْ أَشْرَارُكُمْ ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ ثُمَّ قَالَ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أَلْفَيْتُكُمْ تَحْضُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ خَوْضًا تَقُولُونَ قَتَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَتَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَلَا لَا تَقْتُلُنَّ بِي إِلَّا قَاتِلِي انظُرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ مِنْ ضَرَبْتِهِ هَذِهِ فَاضْرِبُوهُ ضَرْبَةً بِضَرْبِهِ وَ لَا تُمَثِّلُوا بِالرَّجُلِ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ إِيَّاكُمْ وَ الْمُثَنَّةَ وَ لَوْ بِالْكَلبِ الْعُقُورِ رَوَى وَاعْمَلَا- لِلآخِرَةِ وَ رَوَى فَلَا-تَغْيِرُوا أَفْوَاهَكُمْ يَقُولُ لَا تَطْلُبُوا الدُّنْيَا وَ إِنْ طَلَبْتُمَا إِذَا كَانَ مِنْ تَطْلَبِ الدُّنْيَا مِنْهَا عَنْ طَلَبِهَا فَمَنْ لَا تَطْلُبُهُ يَكُونُ مِنْهَا عَنْ طَلَبِهَا بِالطَّرِيقِ الْأُولَى . ثُمَّ قَالَ وَ لَا تَأْسَفُوا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا زَوَى عَنْكُمْ أَى قَبِضَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص زَوَى لِي الدُّنْيَا فَأَرَيْتُ مَشَارِقَهَا وَ مَغَارِبَهَا وَ سَيَّلْتُ لِكُلِّ مَلِكٍ أَمْتِي مَازَوَى لِي مِنْهَا -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۳-۹۷ . وَ رَوَى وَ لَا تَأْسَفُوا وَ كِلَاهُمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ أَى لَا تَحْزَنُوا وَ هَذَا مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ . -قرآن- ۷۳-۱۰۳ [صفحہ ۷] قَوْلُهُ صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَخَذَهُ هَذِهِ اللَّفْظَةُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ فَقَالَ لَبِنِيهِ وَ قَدْ جَمَعُوا عِنْدَهُ يَوْمَ مَوْتِهِ انْفُؤا الضَّغَائِنَ بَيْنَكُمْ وَعَلَيْكُمْ || عِنْدَ الْمَغِيبِ وَ فِي حُضُورِ الْمَشْهَدِ بِصَلَاكِ ذَاتِ الْبَيْنِ طُولَ حَيَاتِكُمْ || إِنْ مَدَّ فِي عَمْرِي وَ إِنْ لَمْ يَمُدِّ إِنْ الْقَدَاحِ إِذَا اجْتَمَعْنَا فَرَامَهَا || بِالْكَسْرِ ذُو بَطْشٍ شَدِيدٍ أَيْدٍ عَزِيزَةٍ فَلَمْ تَكْسُرْ وَ إِنْ هِيَ بَدَدَتْ || فَالْوَهْنُ وَ التَّكْسِيرُ لِلْمُتَبَدِّدِ . وَ ذَاتُ هَاهُنَا زَائِدَةٌ مَقْحَمَةٌ . قَوْلُهُ فَلَا تَغْيِرُوا أَفْوَاهَهُمْ أَى لَا-تَجِيعُوهُمْ بِأَنْ تَطْمَعُوهُمْ غِبَا وَ مِنْ رَوَى فَلَا تَغْيِرُوا أَفْوَاهَهُمْ فَذَآكُ لِأَنَّ الْجَائِعَ يَتَغْيِرُ فَمَهْ قَالَ ع لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطِيبٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۱-۶۱ . قَالَ وَ لَا يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ أَى لَا تَضِيعُوهُمْ فَالْنَهْيُ فِي الظَّاهِرِ لِلْإِيْتَامِ وَ فِي الْمَعْنَى لِلْأَوْصِيَاءِ وَ الْأَوْلِيَاءِ وَ الظَّاهِرُ أَنَّهُ لَا يَعْنِي الْإِيْتَامَ الَّذِينَ لَهُمْ مَالٌ تَحْتَ أَيْدِي أَوْصِيَاءِهِمْ لِأَنَّ أَوْلِيَّكَ الْأَوْصِيَاءَ مُحْرَمٌ عَلَيْهِمْ أَنْ يَصِيبُوا مِنْ أَمْوَالِ الْيَتَامَى إِلَّا الْقَدْرَ النَّزْرَ جَدَا عِنْدَ الضَّرُورَةِ ثُمَّ يَقْضُونَهُ مَعَ التَّمَكُّنِ وَ مِنْ هَذِهِ حَالُهُ لَا يَحْسُنُ أَنْ يَقَالَ لَهُ لَا تَغْيِرُوا أَفْوَاهَ أَيْتَامِكُمْ وَ إِنَّمَا الْأَظْهَرُ أَنَّهُ يَعْنِي الَّذِينَ مَاتَ آبَاؤُهُمْ وَ هُمْ فُقَرَاءٌ يَعْتَمِدُونَ مَوَاسَاتِهِمْ وَ يَقْبِحُ الْقَعُودَ عَنْهُمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى وَ يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَسْكِينًا وَ يَتِيمًا وَ أَسِيرًا وَ الْيَتِيمَ فِي النَّاسِ مِنْ قَبْلِ الْأَبِّ وَ فِي الْبِهَائِمِ مِنْ قَبْلِ الْأُمِّ لِأَنَّ الْأَبَاءَ مِنَ الْبِهَائِمِ لَا عِنَايَةَ لَهُمْ بِالْأَوْلَادِ بَلِ الْعِنَايَةَ لِلْأُمِّ لِأَنَّهَا الْمَرْضِعَةُ الْمَشْفُوقَةُ وَ أَمَا النَّاسُ فَإِنَّ الْأَبَّ هُوَ الْكَافِلُ الْقِيمَ بِنَفَقَةِ الْوَلَدِ إِذَا مَاتَ وَ صَلَ الضَّرْرُ إِلَيْهِ لِفَقْدِ كَافِلِهِ وَ الْأُمُّ بِمَعْزَلٍ عَنْ ذَلِكَ وَ جَمَعَ يَتِيمٌ عَلَى أَيْتَامٍ كَمَا قَالُوا شَرِيفٌ وَ أَشْرَافٌ وَ حَكِي أَبُو عَلِيٍّ فِي التَّكْمِلَةِ كَمِيٌّ وَ أَكْمَاءٌ وَ لَا يَسْمَى الصَّبِيَّ يَتِيمًا إِلَّا إِذَا -قرآن- ۴۵۳-۵۲۰ [صفحہ ۸] كَانَ دُونَ الْبُلُوغِ وَ إِذَا بَلَغَ زَالَ اسْمُ الْيَتِيمِ عَنْهُ وَ الْيَتَامَى أَحَدُ الْأَصْنَافِ الَّذِينَ عِينُوا فِي الْخَمْسِ بِنَصِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ

فصل في الآثار الواردة في حقوق الجار

ثم أوصى بالجيران واللفظ الذي ذكره ع قدورد مرفوعا في رواية عبد الله بن عمر لما ذبح شاه فقال أهديتم لجارنا اليهودي فإني سمعت رسول الله ص يقول ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه -روایت- ۱-۲-روایت- ۴۲-۱۶۸ في الحديث أنه ص قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۷-۷۷ عنه ع جار السوء في دار المقامة قاصمه الظهر -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۱-۴۸ عنه ع من جهد البلاء جار سوء معك في دار مقامة إن رأى حسنة دفنها و إن رأى سيئة

أذاعها وأفشاها -رواية- ١-٢-رواية- ١١-١٠١ و من أدعيتهم اللهم إني أعوذ بك من مال يكون على فتنته و من ولد يكون على كلا و من حليئة تقرب الشيب و من جار ترانى عيناه وترعاني أذناه إن رأى خيرا دفته و إن سمع شرا طار به -رواية- ١-٢-رواية- ١٧-١٨٨ ابن مسعود يرفعه و الذى نفسى بيده لايسلم العبد حتى يسلم قلبه ولسانه و يأمن جاره بوائقه قالوا مابوائقه قال غشمه وظلمه -رواية- ١-٢-رواية- ٢٠-١٣٢ لقمان يابنى حملت الحجارة والحديد فلم أر شيئا أثقل من جار السوء -رواية- ١-٢-رواية- ٩-٧١ . وأنشدوا ألا من يشتري دارا برخص || كراهة بعض جبرتها تباع . و قال الأصمعى جاور أهل الشام الروم فأخذوا عنهم خصلتين اللؤم وقله الغيرة [صفحة ٩] وجاور أهل البصرة الخزر فأخذوا عنهم خصلتين الزناء وقله الوفاء وجاور أهل الكوفة السواد فأخذوا عنهم خصلتين السخاء والغيرة. و كان يقال من تناول على جاره حرم بركة داره . و كان يقال من آذى جاره ورثه الله داره . باع أبو الجهم العدوى داره و كان فى جوار سعيد بن العاص بمائة ألف درهم فلما أحضرها المشتري قال له هذا ثمن الدار فأعطني ثمن الجوار قال أى جوار قال جوار سعيد بن العاص قال وهل اشترى أحد جوارا قط فقال رد على دارى وخذ مالك لأدع جوار رجل إن قعدت سأل عنى و إن رآنى رحب بى و إن غبت عنه حفظنى و إن شهدت عنده قربنى و إن سألته قضى حاجتى و إن لم أسأله بدأنى و إن نابتنى نائبة فرج عنى فبلغ ذلك سعيدا فبعث إليه مائة ألف درهم و قال هذا ثمن دارك ودارك لك . الحسن ليس حسن الجوار كف الأذى ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى . جاءت امرأة إلى الحسن فشكت إليه الخلة وقالت أنا جارتك قال كم بينى وبينك قالت سبع أدور فنظر الحسن فإذا تحت فراشه سبعة دراهم فأعطاهم إياها و قال كدنا نهلك . و كان كعب بن مامة إذا جاوره رجل قام له بما يصلحه و حماه ممن يقصده و إن هلك له شىء أخلفه عليه و إن مات وداه لأهله فجاوره أبو دوداد الإيادى فزاره على العادة فبالغ فى إكرامه وكانت العرب إذا حمدت جارا قالت جار كجار أبى دوداد قال قيس بن زهير [صفحة ١٠] أطوف ما أطوف ثم آوى || إلى جار كجار أبى دوداد . ثم تعلم منه أبو دوداد و كان يفعل لجاره فعل كعب به . و قال مسكين الدارمى ماضر جارا لى أجاوره || ألا يكون لبابه ستر أعمى إذا ما إذا جارتى خرجت || حتى يوارى جارتى الخدر نارى و نار الجار واحدة || وإله قبلى ينزل القدر . استعرض أبو مسلم صاحب الدولة فرسا محضيرا فقال لأصحابه لماذا يصلح هذا فذكروا سباق الخيل وصيد الحمر والنعام واتباع الفار من الحرب فقال لم تصنعوا شيئا يصلح للفرار من الجار السوء . سأل سليمان على بن خالد بن صفوان عن ابنه محمد وسليمان و كانا جاريه فقال كيف إحمادك جوارهما فتمثل بقول يزيد بن مفرغ الحميرى سقى الله دارا لى وأرضا تركتها || إلى جنب دارى معقل بن يسار أبو مالك جار لها و ابن مرثد || فيا لك جارى ذله وصغار فى الحديث المرفوع أيضا من رواية جابر الجيران ثلاثة فجار له حق وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق فصاحب الحق الواحد جار مشرك لارحم له فحقه -رواية- ١-٢-رواية- ٤٢-٤٢-ادامه دارد [صفحة ١١] حق الجوار وصاحب الحقين جار مسلم لارحم له وصاحب الثلاثة جار مسلم ذو رحم وأدنى حق الجوار ألا تؤذى جارك بقتار قدرك إلا أن تقتدح له منها -رواية- ١-٢-رواية- ١٥١ . قلت تقتدح تغترف والمقدحة المغرفة. و كان يقال الجيران خمسة الجار الضار السيئ الجوار والجار الدمس الحسن الجوار والجار اليربوعى المنافق والجار البراقشى المتلون فى أفعاله والجار الحسدلى الذى عينه تراك وقلبه يرعاك . و روى أبوهريرة كان رسول الله ص يقول اللهم إني أعوذ بك من جار السوء فى دار المقامة فإن دار البادية تتحول -رواية- ١-٢-رواية- ٤٢-١١٤ قوله ع الله الله فى القرآن أمرهما بالمسارعة إلى العمل به ونهاها أن يسبقهما غيرهما إلى ذلك ثم أمرهما بالصلاة والحج . وشدد الوصاء فى الحج فقال فإنه إن ترك لم تناظروا أى يتعجل الانتقام منكم فأما المثلة فمنهى عنها أمر رسول الله ص أن يمثل بهبار بن الأسود لأنه روع زينب حتى أجهضت ثم نهى عن ذلك و قال لامثلة المثلة حرام -رواية- ١-١١٧ [صفحة ١٢]

فَإِنَّ الْبَغْيَ وَالزُّورَ يُوتَغَانِ الْمَرْءَ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ وَ يُدَيَّانِ خَلْلَهُ عِنْدَ مَنْ يَعْيبُهُ وَ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ غَيْرُ مُدْرِكٍ مَا قُضِيَ فَوَاتُهُ وَ قَدْ رَامَ أَقْوَامٌ أَمْرًا بِغَيْرِ الْحَقِّ فَتَأَلَّوْا عَلَى اللَّهِ فَأَكْذَبَهُمْ فَاحْذَرِ يَوْمًا يَغْتَبِطُ فِيهِ مَنْ أَحْمَدَ عَاقِبَةَ عَمَلِهِ وَ يَنْدُمُ مَنْ أَمَكَنَّ الشَّيْطَانَ مِنْ قِيَادِهِ فَلَمْ يُجَادِبْهُ وَ قَدْ دَعَوْتَنَا إِلَى حُكْمِ الْقُرْآنِ وَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَ لَسْنَا إِيَّاكَ أَجْبَنًا وَ لَكِنَّا أَجْبَنَّا الْقُرْآنَ فِي حُكْمِهِ وَ السَّلَامُ يوتغان يهلكان و الوتغ بالتحريك الهلاك و قدوتغ يوتغ و تغا أى أثم و هللك و أوتغه الله أهلكه الله و أوتغ فلان دينه بالإثم . قوله فتألوا على الله أى حلفوا من الألية وهى اليمين و فى الحديث من تألى على الله أكذبه الله -رواية- ١-٢-رواية- ١٤-٤٧ ومعناه من أقسم تجبرا و اقتدارا لأفعلن كذا أكذبه الله و لم يبلغ أمله . و قد روى تأولوا على الله أى حرفوا الكلم عن مواضعه و تعلقوا بشبهته فى تأويل القرآن انتصارا لمذاهبهم و آرائهم فأكذبهم الله بأن أظهر للعقلاء فساد تأويلاتهم و الأول أصح . [صفحہ ١٣] و يغتبط فيه يفرح و يسر و الغبطة السرور روى يغبط فيه أى يتمنى مثل حاله هذه . قوله و يندم من أمكن الشيطان من قياده فلم يجاذبه الياء التى هى حرف المضارعة عائده على المكلف الذى أمكن الشيطان من قياده يقول إذا لم يجاذب الشيطان من قياده فإنه يندم فأما من جاذبه قياده فقد قام بما عليه . و مثله قوله و لسننا إياك أجبنا قوله و الله ما حكمت مخلوقا وإنما حكمت القرآن و معنى مخلوقا بشرا لامحدثا [صفحہ ١٤]

أَمَا بَعْدَ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَشْغَلَةٌ عَنْ غَيْرِهَا وَ لَمْ يُصَبِّ صَاحِبُهَا مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا فَتَحَتْ لَهُ حِرْصًا عَلَيْهَا وَ لَهَجًا بِهَا وَ لَنْ يَسْتَعْنِيَ صَاحِبُهَا بِمَا نَالَ فِيهَا عَمَّا لَمْ يَبْلُغْهُ مِنْهَا وَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ فِرَاقُ مَا جَمَعَ وَ نَقْضُ مَا أَبْرَمَ وَ لَوْ اعْتَبَرْتَ بِمَا مَضَى حَفِظْتَ مَا بَقِيَ وَ السَّلَامُ هذا كما قيل فى المثل صاحب الدنيا كشارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا و الأصل فى هذا قول الله تعالى لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا و لا يملأ عين ابن آدم إلا التراب -رواية- ١-٢-رواية- ٢٠-١٠٨ و هذا من القرآن الذى رفع و نسخت تلاوته . و قد ذكر نصر بن مزاحم هذا الكتاب و قال إن أمير المؤمنين ع كتبه إلى عمرو بن العاص و زاد فيه زيادة لم يذكرها الرضى أما بعد فإن الدنيا مشغلة عن الآخرة و صاحبها منهوم عليها لم يصب شيئا منها قط إلا فتحت عليه حرصا و أدخلت عليه مؤنة تزيد رغبة فيها -رواية- ١-١-ادامه دارد [صفحہ ١٥] و لن يستغنى صاحبها بما نال عما لم يدرك و من وراء ذلك فراق ما جمع و السعيد من وعظ بغيره فلا تحبط أجره أبى عبد الله و لا تشرك معاوية فى باطله فإن معاوية غمص الناس و سفه الحق و السلام -رواية- از قبل- ١٩٤ . قال نصر و هذا أول كتاب كتبه على ع إلى عمرو بن العاص فكتب إليه عمرو جوابه أما بعد فإن الذى فيه صلاحنا و ألفه ذات بيننا أن تنيب إلى الحق و أن تجيب إلى ما ندعوكم إليه من الشورى فصبر الرجل منا نفسه على الحق و عذره الناس بالمحاجة و السلام . قال نصر فكتب على ع إلى عمرو بن العاص بعد ذلك كتابا غليظا . و هو الذى ضرب مثله فيه بالكلب يتبع الرجل و هو مذكور فى نهج البلاغة و اللهج الحرص . و معنى قوله ع لواعتبرت بما مضى حفظت ما بقى أى لواعتبرت بما مضى من عمرك لحفظت باقيه أن تنفقه فى الضلال و طلب الدنيا و تضييعه [صفحہ ١٦]

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ رَفَعَهُ إِلَى أَصْحَابِ الْمَسَاحِجِ أَمَا بَعْدَ فَإِنَّ حَقًّا عَلَى الْوَالِي أَلَّا يُغَيِّرَهُ عَلَى رِعْيَتِهِ فَضَّلْ

نَالَهُ وَ لَمَّا طَوَّلَ خُصَّ بِهِ وَ أَنْ يَزِيدَهُ مِمَّا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ مِنْ نِعْمِهِ دُنُوًّا مِنْ عِيَادِهِ وَ عَطْفًا عَلَى إِخْوَانِهِ أَلْمَا وَ إِنْ لَكُمْ عِنْدِي أَلْمَا أَحْتَجِرَ دُونَكُمْ سِتْرًا إِلَّا فِي حَرْبٍ وَ لَا أَطْوَى دُونَكُمْ أَمْرًا إِلَّا فِي حُكْمٍ وَ لَا أُؤَخِّرُ لَكُمْ حَقًّا عَنْ مَحَلِّهِ وَ لَا أَقِفُ بِهِ دُونَ مَقْطَعِهِ وَ أَنْ تَكُونُوا عِنْدِي فِي الْحَقِّ سَوَاءً فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ وَجِبَتْ لِلَّهِ عَلَيْكُمُ النِّعْمَةُ وَ لِي عَلَيْكُمُ الطَّاعَةُ وَ أَلَّا تَنْكُصُوا عَنْ دَعْوَةٍ وَ لَا تَقْرَظُوا فِي صِلَاحٍ وَ أَنْ تَخُوضُوا الْغَمْرَاتِ إِلَى الْحَقِّ فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَسْتَقِيمُوا لِي عَلَى ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ أَعْوَجَ مِنْكُمْ ثُمَّ أُعْظِمُ لَهُ الْعُقُوبَةَ وَ لَا يَجِدُ عِنْدِي فِيهَا رُخْصَةً فَخُذُوا هَذَا مِنْ أَمْرَائِكُمْ وَ أَعْطُوهُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مَا يُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ أَمْرَكُمْ وَ السَّلَامُ [صفحة ١٧]

أصحاب المسالِح جماعات تكون بالثغر يحمون البيضة والمسلحة هي الثغر كالمربغة و في الحديث كان أدنى مسالِح فارس إلى العرب العذيب -روايت- ١-٢-روايت- ١٤-٥٧ قال يجب على الوالى ألا يتناول على الرعية بولايته و ماخص به عليهم من الطول و هو الفضل و أن تكون تلك الزيادة التى أعطيتها سببا لزيادة دنوه من الرعية وحنوه عليهم . ثم قال لكم عندى ألا أحتجز دونكم بسر أى لأستتر قال إلا فى حرب و ذلك لأن الحرب يحمد فيها طى الأسرار و الحرب خدعة. ثم قال و لأطوى دونكم أورا إلا فى حكم أى أظهركم على كل مانفسى مما يحسن أن أظهركم عليه فأما أحكام الشريعة والقضاء على أحد الخصمين فإنى لأعلمكم به قبل وقوعه كيلا تفسد القضية بأن يحتال ذلك الشخص لصرف الحكم عنه . ثم ذكر أنه لا يؤخر لهم حقا عن محله يعنى العطاء و أنه لا يقف دون مقطعه و الحق ها هنا غير العطاء بل الحكم قال زهير فإن الحق مقطعه ثلاث || يمين أو نفار أو جلاء . أى متى تعين الحكم حكمت به و قطعت و لا أقف و لا أتجسس . و لما استوفى ما شرط لهم قال فإذا أنا وفيت بما شرطت على نفسى و جبت لله عليكم النعمة و لى عليكم الطاعة. ثم أخذ فى الاشرط عليهم كما شرط لهم فقال و لى عليكم ألا تنكصوا عن [صفحة ١٨] دعوة أى لا تتعاسوا عن الجهاد إذا دعوتكم إليه و لا تفرطوا فى صلاح أى إذا أمكنتكم فرصة أورا أيتم مصلحة فى حرب العدو أورا حماية الثغر فلا تفرطوا فيها فتفتوت و أن تخوضوا الغمرات إلى الحق أى تكابدوا المشاق العظيمة و لا يهولنكم خوضها إلى الحق . ثم توعدهم إن لم يفعلوا ذلك ثم قال فخذوا هذا من أمرائكم ليس يعنى به أن على هؤلاء أصحاب المسالِح أمراء من قبله ع كالواسطة بينهم وبينه بل من أمرائكم يعنى منى و ممن يقوم فى الخلافة مقامى بعدى لأنه لو كان الغرض هو الأول لما كان محلهم عنده أن يقول ألا أحتجز دونكم بسر و لأطوى دونكم أورا لأن محل من كان بتلك الصفة دون هذا [صفحة ١٩]

٥١- و من كتاب له ع إلى عماله على الخراج

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلَيَّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَصْحَابِ الْخَرَاجِ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَحْذَرْ مَا هُوَ سَائِرٌ إِلَيْهِ لَمْ يُقَدِّمَ لِنَفْسِهِ مَا يُحْرِزُهَا وَ اعْلَمُوا أَنَّ مِمَّا كَلَّفْتُمْ يَسِيرًا وَ أَنَّ ثَوَابَهُ كَثِيرٌ وَ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِيمَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْبَغْيِ وَ الْعِيدِ وَ انْ عِقَابٌ يَخَافُ لَكَانَ فِي ثَوَابِ اجْتِنَابِهِ مَا لَا عُذْرَ فِي تَرْكِ طَلْبِهِ فَانْصِفُوا النَّاسَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ وَ اصْبِرُوا لِخَوَائِجِهِمْ فَإِنَّكُمْ خُزَّانُ الرِّعْيَةِ وَ وَكَلَاءُ الْأُمَّةِ وَ سُفْرَاءُ الْأَيْمَةِ وَ لَا تُحْشِمُوا أَحَدًا عَنْ حَاجَتِهِ وَ لَا تَحْبِسُوهُ عَنْ طَلْبَتِهِ وَ لَا تَبِيعَنَّ النَّاسَ فِي الْخَرَاجِ كِسْوَةَ شَتَاءٍ وَ لَا صَيْفٍ وَ لَا دَابَّةً يَعْتَمِلُونَ عَلَيْهَا وَ لَا عَبْدًا وَ لَا تَضْرِبَنَّ أَحَدًا سِوَمَا لِمَكَانِ دِرْهَمٍ وَ لَا تَمَسَّنَّ مَالَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ مُصَلًّا وَ لَا مُعَاهِدًا إِلَّا أَنْ تَجِدُوا فَرَسًا أَوْ سِلَاحًا يُعَدَى بِهِ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ فَإِنَّهُ لَا يَبْغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَدَعَ ذَلِكَ فِي أَيْدِي أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ فَيَكُونَ شَوْكَةً عَلَيْهِ وَ لَا تَدْخُرُوا أَنْفُسَكُمْ نَصِيحَةً وَ لَا الْجُنْدَ حُسْنَ سَيْرَةٍ وَ لَا الرِّعْيَةَ مَعُونَةً وَ لَا دِينَ اللَّهِ قُوَّةً وَ أَبْلُوهُ فِي سَبِيلِ مَا اسْتَوْجَبَ عَلَيْكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ اصْطَنَعَ عِنْدَنَا [صفحة ٢٠] وَ عِنْدَكُمْ أَنْ نَشْكُرَهُ بِجُهْدِنَا وَ أَنْ نَنْصِرَهُ بِمَا بَلَغَتْ قُوَّتُنَا وَ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ يَقُولُ لَوْ قَدَرْنَا أَنْ الْقَبَائِحِ الْعَقْلِيَّةِ كَالظَلَمِ وَ الْبَغْيِ لَاعْقَابَ عَلَى فَعْلِهَا بَلْ فِي تَرْكِهَا ثَوَابٌ فَقَطْ لَمْ يَكُنِ الْإِنْسَانُ مَعْدُورًا إِذَا فَرَطَ فِي ذَلِكَ التَّرْكِ لِأَنَّهُ يَكُونُ قَدْ حَرَمَ نَفْسَهُ نَفْعًا

هو قادر على إيصاله إليها. قوله ولا تحشموا أحدا أى لاتغضبوا طالب حاجة فتقطعوه عن طلبها أحشمت زيدا وجاء حشمته و هو أن يجلس إليك فتغضبه وتؤذيه وقال ابن الأعرابي حشمته أخلجته وأحشمته أغضبته والاسم الحشمة وهى الاستحياء والغضب . ثم نهاهم أن يبيعوا لأرباب الخراج ما هو من ضرورياتهم كثياب أبدانهم وكداية يعملون عليها نحو بقر الفلاحة وكعبد لا بد للإنسان منه يخدمه ويسعى بين يديه . ثم نهاهم عن ضرب الأبخار لاستيفاء الخراج . وكتب عدى بن أرطاة إلى عمر بن عبدالعزيز يستأذنه فى عذاب العمال فكتب إليه كأنى لك جنه من عذاب الله وكان رضاي ينجيك من سخط الله من قامت عليه بينه أو أقر بما لم يكن مضطهدا مضطرا إلا الإقرار به فخذ به بأدائه فإن كان قادرا عليه فاستأد و إن أبى فاحبسه و إن لم يقدر فخل سبيله بعد أن تحلفه بالله أنه لا يقدر على شىء فلأن يلقوا الله بجنائياتهم أحب إلى من أن ألقاه بدمائهم . [صفحہ ۲۱] ثم نهاهم أن يعرضوا لمال أحد من المسلمين أو من المعاهدين المعاهد ها هنا هو الذمى أو من يدخل دار الإسلام من بلاد الشرك على عهد إما لأداء رسالته أو لتجارة ونحو ذلك ثم يعود إلى بلاده . ثم نهاهم عن الظلم وأخذ أموال الناس على طريق المصادرة والتأويل الباطل قال إلا أن تخافوا غائلة المعاهدين بأن تجدوا عندهم خيولا أو سلاحا وتظنوا منهم وثبة على بلد من بلاد المسلمين فإنه لا يجوز الإغضاء عن ذلك حينئذ. قوله وأبلوا فى سبيل الله أى اصطنعوا من المعروف فى سبيل الله ما استوجب عليكم يقال هو يبلوه معروفأ أى يصنعه إليه قال زهير جزى الله بالإحسان ما فعلا- بكم || وأبلاهما خير البلاء الذى يبلو . قوله ع قد اصطنعنا عندنا وعندكم أن نشكره أى لأن نشكره بلام التعليل وحذفها أى أحسن إلينا لنشكره وحذفها أكثر نحو قوله تعالى لَيْسَ مَا قَدَّمْت لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ -قرآن- ۱۳۳-۱۹۴ [صفحہ ۲۲]

۵۲- و من كتاب له ع إلى أمراء البلاد فى معنى الصلاة

إشاره

أَمَا بَعْدُ فَصَلُّوا بِالنَّاسِ الظَّهَرَ حَتَّى تَفِيءَ الشَّمْسُ مِثْلَ مَرْبُضِ الْعَنَزِ وَ صَلُّوا بِهِمْ الْعَصْرَ وَ الشَّمْسُ بِيَضَاءِ حَيْهٍ فِي عُضْوٍ مِنَ النَّهَارِ حِينَ يُسَارُ فِيهَا فَرَسَخَانٍ وَ صَلُّوا بِهِمْ الْمَغْرِبَ حِينَ يُفْطِرُ الصَّائِمُ وَ يَدْفَعُ الْحَاجَّ إِلَى مَنَى وَ صَلُّوا بِهِمْ الْعِشَاءَ حِينَ يَتَوَارَى الشَّفَقُ إِلَى ثُلْثِ اللَّيْلِ وَ صَلُّوا بِهِمْ الْعَدَاةَ وَ الرَّجُلُ يَعْرِفُ وَجَهَ صَاحِبِهِ وَ صَلُّوا بِهِمْ صَلَاةً أضعفهم وَ لَا تَكُونُوا فَتَانِينَ

بيان اختلاف الفقهاء فى أوقات الصلاة

قد اختلف الفقهاء فى أوقات الصلاة فقال أبو حنيفة أول وقت الفجر إذا طلع الفجر الثانى و هو المعترض فى الأفق و آخر وقتها ما لم تطلع الشمس وأول وقت الظهر إذا زالت الشمس و آخر وقتها إذا صار ظل كل شىء مثليه سوى الزوال و قال أبو يوسف و محمد آخر وقتها إذا صار الظل مثله . قال أبو حنيفة وأول وقت العصر إذا خرج وقت الظهر و هذا على القولين و آخر وقتها ما لم تغرب الشمس وأول وقت المغرب إذا غربت الشمس و آخر وقتها [صفحہ ۲۳] ما لم يغب الشفق و هو البياض الذى فى الأفق بعد الحمرة و قال أبو يوسف و محمد هو الحمرة. قال أبو حنيفة وأول وقت العشاء إذا غاب الشفق و هذا على القولين و آخر وقتها ما لم يطلع الفجر. و قال الشافعى أول وقت الفجر إذا طلع الفجر الثانى و لا يزال وقتها المختار باقيا إلى أن يسفر ثم يبقى وقت الجواز إلى طلوع الشمس . و قال أبو سعيد الإصطخرى من الشافعية لا يبقى وقت الجواز بل يخرج وقتها بعد الإسفار و يصلى قضاء و لم

يتابعه على هذا القول أحد قال الشافعي وأول وقت الظهر إذ زالت الشمس وحكى أبو الطيب الطبري من الشافعية أن من الناس من قال لا تجوز الصلاة حتى يصير الفيء بعد الزوال مثل الشراك . وقال مالك أحب أن يؤخر الظهر بعد الزوال بقدر ما يصير الظل ذراعاً وهذا مطابق لما قال أمير المؤمنين ع حين تفيء الشمس كمرىض العنز أى كموضع تربض العنز وذلك نحو ذراع أو أكثر بزيادة يسيرة . قال الشافعي وآخر وقت الظهر إذا صار ظل كل شىء مثله ويعتبر المثل من حد الزيادة على الظل الذى كان عند الزوال وبهذا القول قال أبو يوسف و محمد و قد حكيناه من قبل و به أيضاً قال الثوري و أحمد و هوروايه الحسن بن زياد اللؤلؤى عن أبي حنيفة فأما الرواية المشهورة عنه وهى التى رواها أبو يوسف فهو أن آخر وقت الظهر صيرورة الظل مثليه و قد حكيناه عنه فيما تقدم . و قال ابن المنذر تفرد أبو حنيفة بهذا القول و عن أبي حنيفة رواية ثالثة أنه إذا صار ظل كل شىء مثله خرج وقت الظهر و لم يدخل وقت العصر إلى أن يصير ظل كل شىء مثليه . [صفحہ ۲۴] و قال أبو ثور و محمد بن جرير الطبري قدر أربع ركعات بين المثل والمثلين يكون مشتركاً بين الظهر والعصر . وحكى عن مالك أنه قال إذا صار ظل كل شىء مثله فهو آخر وقت الظهر وأول وقت العصر فإذا زاد على المثل زيادة بينة خرج وقت الظهر واختص الوقت بالعصر . وحكى ابن الصباغ من الشافعية عن مالك أن وقت الظهر إلى أن يصير ظل كل شىء مثله وقتاً مختاراً فأما وقت الجواز والأداء فأخره إلى أن يبقى إلى غروب الشمس قدر أربع ركعات وهذا القول مطابق لمذهب الإمامية . و قال ابن جريج وعطاء لا يكون مفراً بتأخيرها حتى تكون فى الشمس صفرة . و عن طاوس لا يفوت حتى الليل . فأما العصر فإن الشافعي يقول إذا زاد على المثل أدنى زيادة فقد دخل وقت العصر والخلاف فى ذلك بينه وبين أبي حنيفة لأنه يقول أول وقت العصر إذا صار ظل كل شىء مثليه وزاد عليه أدنى زيادة و قد حكيناه عنه فيما تقدم . وكلام أمير المؤمنين ع فى العصر مطابق لمذهب أبي حنيفة لأن بعد صيرورة الظل مثليه هو الوقت الذى تكون فيه الشمس حية بيضاء فى عضو من النهار حين يسار فيه فرسخان و أمأقبل ذلك فإنه فوق ذلك يسار من الفراسخ أكثر من ذلك و لا يزال وقت الاختيار عند الشافعي للعصر باقياً حتى يصير ظل كل شىء مثليه ثم يبقى وقت الجواز إلى غروب الشمس . و قال أبو سعيد الإصطخرى من أصحابه يصير قضاء بمجاوزه المثلين فأما وقت المغرب فإذا غربت الشمس وغروبها سقوط القرص . و قال أبو الحسن على بن حبيب الماوردى من الشافعية لا بد أن يسقط القرص ويغيب [صفحہ ۲۵] حاجب الشمس و هو الضياء المستعلى عليها كالمتصل بها و لم يذكر ذلك من الشافعية أحد غيره . و ذكر الشافعي فى كتاب حليه العلماء أن الشيعة قالت أول وقت المغرب إذا اشتبكت النجوم قال قد حكى هذا عنهم و لا يساوى الحكاية و لم تذهب الشيعة إلى هذا وسنذكر قولهم فيما بعد . وكلام أمير المؤمنين ع فى المغرب لا ينص على وقت معين لأنه عرف ذلك بكونه وقت الإفطار و وقت ما يدفع الحاج وكلا الأمرين يحتاج إلى تعريف كما يحتاج وقت الصلاة اللهم إلا أن يكون قد عرف أمراء البلاد الذين يصلون بالناس من قبل هذا الكتاب متى هذا الوقت الذى يفطر فيه الصائم ثم يدفع فيه الحاج بعينه ثم يحيلهم فى هذا الكتاب على ذلك التعريف المخصوص . قال الشافعي وللمغرب وقت واحد و هو قول مالك . وحكى أبو ثور عن الشافعي أن لها وقتين وآخر وقتها إذا غاب الشفق و ليس بمشهور عنه والمشهور القول الأول و قد ذكرنا قول أبي حنيفة فيما تقدم و هو امتداد وقتها إلى أن يغيب الشفق و به قال أحمد و داود . واختلف أصحاب الشافعي فى مقدار الوقت الواحد فمنهم من قال هو مقدر بقدر الطهارة و ستر العورة والأذان والإقامة و فعل ثلاث ركعات ومنهم من قدره بغير ذلك . و قال أبو إسحاق الشيرازى منهم التضييق إنما هو فى الشروع فأما الاستدامة فتجوز إلى مغيب الشفق . فأما وقت العشاء فقال الشافعي هو أن يغيب الشفق و هو الحمره و هو قول مالك و أحمد و داود و أبي يوسف و محمد و قد حكيناه مذهب أبي حنيفة فيما تقدم و هو أن يغيب الشفق الذى هو البياض و به قال زفر والمزنى . [صفحہ ۲۶] قال الشافعي وآخر وقتها المختار إلى نصف الليل هذا هو قوله القديم و هو مذهب أبي حنيفة و قال فى الجديد إلى ثلث الليل ويجب أن يحمل قول أمير المؤمنين ع فى العشاء إنها إلى ثلث الليل على وقت الاختيار ليكون مطابقاً لهذا

القول و به قال مالك وإحدى الروایتين عن أحمد ثم يذهب وقت الاختيار ويبقى وقت الجواز إلى طلوع الفجر الثاني. و قال أبو سعيد الإصطخرى لا يبقى وقت الجواز بعد نصف الليل بل يصير قضاء. فقد ذكرنا مذهبي أبي حنيفة والشافعي في الأوقات وهما الإمامان المعبران في الفقه ودخل في ضمن حكاية مذهب الشافعي ما يقوله مالك و أحمد وغيرهما من الفقهاء. فأما مذهب الإمامية من الشيعة فنحن نذكره نقلا عن كتاب أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان رحمه الله المعروف بالرسالة المقنعة قال وقت الظهر من بعد زوال الشمس إلى أن يرجع الفء سبعي الشخص وعلامة الزوال رجوع الفء بعد انتهائه إلى النقضان وطريق معرفة ذلك بالأصطرلاب أو ميزان الشمس و هو معروف عند كثير من الناس أو بالعمود المنصوب في الدائرة الهندية أيضا فمن لم يعرف حقيقة العمل بذلك أو لم يجد آتته فلي نصب عودا من خشب أو غيره في أرض مستوية السطح و يكون أصل العود غليظا ورأسه دقيقا شبه المذرى الذى ينسج به التكك أو المسلة التى تخاط بها الأحمال فإن ظل هذا العود يكون بلا شك في أول النهار أطول من العود وكلما ارتفعت الشمس نقص من طوله حتى يقف القرص في وسط السماء فيقف الفء حينئذ فإذا زال القرص عن الوسط إلى جهة المغرب رجع الفء إلى الزيادة فليعتبر من أراد الوقوف على وقت الزوال ذلك بخطط وعلامات يجعلها على رأس ظل العود عند وضعه [صفحة ٢٧] في صدر النهار وكلما نقص في الظل شىء علم عليه فإذا رجع إلى الزيادة على موضع العلامة عرف حينئذ برجوعه أن الشمس قد زالت. وبذلك تعرف أيضا القبلة فإن قرص الشمس يقف فيها وسط النهار ويصير عن يسارها ويمين المتوجه إليها بعدوقوفها وزوالها عن القطب فإذا صارت مما يلي حاجبه الأيمن من بين عينيه علم أنها قد زالت وعرف أن القبلة تلقاء وجهه و من سبقت معرفته بجهة القبلة فهو يعرف زوال الشمس إذا توجه إليها فرأى عين الشمس مما يلي حاجبه الأيمن إلا أن ذلك لا يبين إلا بعد زوالها بزمان ويبين الزوال من أول وقته بما ذكرناه من الأصطرلاب وميزان الشمس والدائرة الهندية والعمود الذى وصفناه و من لم يحصل له معرفة ذلك أوفقد الآلة توجه إلى القبلة فاعتبر صيرورة الشمس على طرف حاجبه الأيمن وقت العصر من بعد الفراغ من الظهر إذا صليت الظهر في أول أوقاتها أعنى بعد زوال الشمس بلا فصل ويمتد إلى أن يتغير لون الشمس باصفرارها للغروب وللمضطر والناسى إلى مغيبها بسقوط القرص عما تبلغه أبصارنا من السماء وأول وقت المغرب مغيب الشمس وعلامة مغيبها عدم الحمرة في المشرق المقابل للمغرب في السماء و ذلك أن المشرق في السماء مظل على المغرب فما دامت الشمس ظاهرة فوق أرضنا فهي تلقى ضوءها على المشرق في السماء فيرى حمرتها فيه فإذا ذهبت الحمرة منه علم أن القرص قد سقط وغاب و آخره أول وقت العشاء الآخرة وأول وقتها مغيب الشمس و هو الحمرة في المغرب و آخره مضى الثلث الأول من الليل وأول وقت الغداة اعتراض الفجر و هو البياض في المشرق يعقبه الحمرة في مكانه و يكون مقدمة لطلوع الشمس على الأرض من السماء و ذلك أن الفجر الأول و هو البياض الظاهر في المشرق يطلع طولاً- ثم ينعكس بعد مدة عرضا ثم يحمر الأفق بعده للشمس. [صفحة ٢٨] و لا ينبغي للإنسان أن يصلى فريضة الغداة حتى يعترض البياض ويتشر صعدا في السماء كما ذكرنا و آخر وقت الغداة طلوع الشمس. هذا ما تقوله الفقهاء في مواقيت الصلاة فأما قوله ع و الرجل يعرف وجه صاحبه فمعناه الإسفار و قد ذكرناه. و قوله ع وصلوا بهم صلاة أضعفهم أى لا تطلوا بالقراءة الكثيرة والدعوات الطويلة. ثم قال و لا تكونوا فتانين أى لا تفتنوا الناس بإتباعهم وإدخال المشقة عليهم بإطالة الصلاة وإفساد صلاة المأمومين بما يفعلونه من أفعال مخصوصة نحو أن يحدث الإمام فيستخلف فيصلى الناس خلف خليفته فإن ذلك لا يجوز على أحد قولى الشافعي ونحو أن يطيل الإمام الركوع والسجود فيظن المأمومون أنه قد رفع فيرفعون أو يسبقونه بأركان كثيرة ونحو ذلك من مسائل يذكرها الفقهاء فى كتبهم. واعلم أن أمير المؤمنين ع إنما بدأ بصلاة الظهر لأنها أول فريضة افترضت على المكلفين من الصلاة على ما كان يذهب إليه ع و إلى ذلك تذهب الإمامية وينصر قولهم تسميتها بالأولى ولهذا بدأ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بذكرها قبل غيرها فأما من عدا هؤلاء فأول الصلاة المفروضة عندهم الصبح وهى أول النهار. وأيضا

يتفرع على هذا البحث القول في الصلاة الوسطى ماهى فذهب جمهور [صفحة ٢٩] الناس إلى أنها العصر لأنها بين صلاتي نهار و صلاتي ليل و قدروا أيضا في ذلك روايات بعضها في الصحاح و قياس مذهب الإمامية أنها المغرب لأن الظهر إذا كانت الأولى كانت المغرب الوسطى إلا أنهم يروون عن أئمتهم ع أنها الظهر و يفسرون الوسطى بمعنى الفضلى لأن الوسط في اللغة هو خيار كل شيء و منه قوله تعالى جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا و قد ذهب إلى أنها المغرب قوم من الفقهاء أيضا. و قال كثير من الناس أنها الصبح لأنها أيضا بين صلاتي ليل و صلاتي نهار و رواها أيضا في روايات و هو مذهب الشافعي و من الناس من قال إنها الظهر كقول الإمامية و لم يسمع عن أحد معتبرا أنها العشاء إلا قولاً شاذاً ذكره بعضهم . و قال لأنها بين صلاتين لا تقصران - قرآن- ٣١٧-٣٤١ [صفحة ٣٠]

٥٣- و من كتاب له ع كته للأشتر النخعي رحمه الله لما ولاه على مصر وأعمالها

إشاره

حين اضطرب أمر أميرها محمد بن أبي بكر و هو أطول عهد كته و أجمعه للمحاسن بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللّهِ عَلِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْطَرِ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ حِينَ وُلِّئَهُ مِصْرَ جَبَايَةَ خَرَاஜِهَا وَ جِهَادَ عَدُوِّهَا وَ اسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا وَ عِمَارَةَ بِلَادِهَا أَمْرَهُ بِتَقْوَى اللّهِ وَ إِيْتَارِ طَاعَتِهِ وَ اتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ وَ سُيُنَنِهِ الَّتِي لَا يَسْعُدُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا وَ لَا يَشْقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا وَ إِضَاعَتِهَا وَ أَنْ يَنْصِيرَ اللّهُ سُبْحَانَهُ بِيَدِهِ وَ قَلْبِهِ وَ لِسَانِهِ فَإِنَّهُ جَلَّ اسْمُهُ قَدْ تَكْفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ وَ إِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ وَ أَمْرَهُ أَنْ يَكْسِرَ مِنْ نَفْسِهِ عِنْدَ الشَّهَوَاتِ وَ يَنْزِعَهَا عِنْدَ الْجَمَحَاتِ فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ اللّهُ ثُمَّ أَعْلَمَ يَا مَالِكُ أَنَّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دَوْلٌ قَبْلَكَ مِنْ عَدْلِ وَ جَوْرِ وَ أَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورٍ [صفحة ٣١] الْوُلَمَاءُ قَبْلَكَ وَ يَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فِيهِمْ وَ إِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللّهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسِنِ عِبَادِهِ فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ فَاذْكُرْ هَوَاكَ وَ شُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ فَإِنَّ الشَّحَّ بِالنَّفْسِ الْإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ نَصْرَهُ اللّهُ بِالْيَدِ الْجِهَادِ بِالسِّيفِ وَ بِالْقَلْبِ الْاِعْتِقَادَ لِلْحَقِّ وَ بِاللِّسَانِ قَوْلَ الْحَقِّ وَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ قَدْ تَكْفَّلَ اللّهُ بِنَصْرِهِ مِنْ نَصْرِهِ لِأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ وَ لِيَنْصِيرَنَّ اللّهُ مَنْ يَنْصِيرُهُ. وَ الْجَمَحَاتُ مَنَازِعَةُ النَّفْسِ إِلَى شَهَوَاتِهَا وَ مَآرِبِهَا وَ نَزَعِهَا بِكَفْهَافِهَا. ثُمَّ قَالَ لَهُ قَدْ كُنْتَ تَسْمَعُ أَخْبَارَ الْوَلَاةِ وَ تَعِيبُ قَوْمًا وَ تَمْدَحُ قَوْمًا وَ سَيَقُولُ النَّاسُ فِي إِمَارَتِكَ الْآنَ نَحْوَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي الْأُمْرَاءِ فَاحْذَرِ أَنْ تَعَابَ وَ تَذَمَّ كَمَا كُنْتَ تَعِيبُ وَ تَذَمُّ مِنْ يَسْتَحِقُّ الذَّمَّ . ثُمَّ قَالَ إِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يَكْثُرُ سَمَاعُهُ مِنْ أَلْسِنَةِ النَّاسِ بِمَدْحِهِمْ وَ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ وَ كَذَلِكَ يُسْتَدَلُّ عَلَى الْفَاسِقِينَ بِمِثْلِ ذَلِكَ . وَ كَانَ يُقَالُ أَلْسِنَةُ الرَّعِيَةِ أَقْلَامُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ إِلَى الْمَلُوكِ . ثُمَّ أَمْرُهُ أَنْ يَشْحَ بِنَفْسِهِ وَ يَفْسِرَ لَهُ الشَّحَّ مَا هُوَ فَقَالَ إِنْ تَتَنَصَّفُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ - قرآن- ١٥٩-١٩٣ [صفحة ٣٢] وَ كَرِهَتْ أَى لَا تَمَكَّنْهَا مِنَ الْاِسْتِرْسَالِ فِي الشَّهَوَاتِ وَ كُنْ أَمِيرًا عَلَيْهَا وَ مَسِيرًا وَ قَامِعًا لَهَا مِنَ التَّهَوُّرِ وَ الْاِنْهَمَاكِ . فَإِنْ قَلْتَ هَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ فِيمَا أَحَبَّتْ فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ وَ كَرِهَتْ قَلْتَ لِأَنَّهَا تَكْرَهُ الصَّلَاةَ وَ الصُّومَ وَ غَيْرَهُمَا مِنَ الْعِبَادَاتِ الشَّرْعِيَّةِ وَ مِنَ الْوَاجِبَاتِ الْعَقْلِيَّةِ وَ كَمَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ مَهِيْمًا عَلَيْهَا فِي طَرَفِ الْفِعْلِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَهِيْمًا عَلَيْهَا فِي طَرَفِ التَّرْكِ وَ أَشْعَرَ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَ الْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَ اللَّطْفَ بِهِمْ وَ لَمَّا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَيِّعًا ضَارِيًا تَعْتَنِمُ أَكْلَهُمْ فَإِنَّهُمْ صِدْقَانِ إِمَّا أَخُ لَكَ فِي الدِّينِ وَ إِمَّا نَظِيرُ لَكَ فِي الْخَلْقِ يَفْرُطُ مِنْهُمْ الزَّلْمُ وَ تَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلْلُ وَ يُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَ الْخَطَا فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَ صِفْحِكَ مِثْلَ الْبَدِي وَ تَرْضَى أَنْ يُعْطِيكَ اللّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَ صَفْحِهِ فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ وَ وَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ وَ اللّهُ فَوْقَ مَنْ وَّلَاكَ وَ قَدْ اسْتَكْفَاكَ

أمرهم وابتلاهم بهم و لما تنصت بين نفسك لحرب الله فإنه لا يدى لك بنقمتيه و لا عنى بك عن عفوه و رحمته و لا تمدن على عفوه و لا تبجن بعقوبيه و لا تسرعن إلى بادره و جدت عنها مندوحة و لا تقولن إنى مؤمتر أمر فأطاع فإن ذلك إدغال فى القلب و منهكة للدين و تقرب من الغير [صفحة ٣٣] و إذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهه أو مخيلة فانظر إلى عظم ملك الله فوقك و قدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك فإن ذلك يطامن إليك من طماحك و يكف عنك من غربك و يفىء إليك بما عزب عنك من عقلك إياك و مساماة الله فى عظمتيه و التشبه به فى جبروته فإن الله يذل كل جبار و يهين كل مختال أشعر قلبك الرحمة أى جعلها كالشعار له و هو الثوب الملاصق للجسد قال لأن الرعية إما أخوك فى الدين أو إنسان مثلك تقتضى رقة الجنسية و طبع البشرية الرحمة له . قوله و يؤتى على أيديهم مثل قولك و يؤخذ على أيديهم أى يهدبون و يثقفون يقال خذ على يد هذا السفية و قد حجر الحاكم على فلان و أخذ على يده . ثم قال فنسبتهم إليك كنسبتك إلى الله تعالى و كما تحب أن يصفح الله عنك ينبغى أن تصفح أنت عنهم . قوله لا تنصبن نفسك لحرب الله أى لا تبارزه بالمعاصى فإنه لا يدى لك بنقمتيه اللام مقحمة والمراد الإضافة و نحوه قولهم لا أبا لك . قوله و لا تقولن إنى مؤمتر أى لا تقل إنى أمير و وال أمر بالشىء فأطاع . [صفحة ٣٤] و الإدغال الإفساد و منهكة للدين ضعف و سقم . ثم أمره عند حدوث الأبهة و العظمة عنده لأجل الرئاسة و الإمرة أن يذكر عظمة الله تعالى و قدرته على إعدامه و إيجاد و إماتته و إحيائه فإن تذكر ذلك يطامن من غلوائه أى يغض من تعظمه و تكبره و يطأطئ منه . والغرب حد السيف و يستعار للسطوة و السرعة فى البطش و الفتك . قوله و يفىء أى يرجع إليك بما بعد عنك من عقلك و حرف المضارعة مضموم لأنه من أفاء . و مساماة الله تعالى مباراته فى السمو و هو العلو أنصف الله و أنصف الناس من نفسك و من خاصية أهلك و من لك هوى فيه من رعيتك فإنك إلا تفعل تظلم و من ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده و من خاصية الله أدهى حجتة و كان لله حرباً حتى ينزع أو يتوب و ليس شىء أدعى إلى تغيير نعمه الله و تعجيل نقمته من إقامته على ظلم فإن الله يسمع دعوة المضطهدين و هو للظالمين بالمرصاد و ليكن أحب الأمور إليك أو سطها فى الحق و أعمها فى العدل و أجمعها لرضا الرعية فإن سخط العامة يجحف برضا الخاصة و إن سخط الخاصة يعتفر مع رضا العامة [صفحة ٣٥] و ليس أحد من الرعية أثقل على الوالى مؤنة فى الرخاء و أقل مؤنة له فى البلاء و أكره للإنصاف و أسأل بالإنصاف و أقل شكراً عند الإعطاء و أبطأ عذراً عند المنع و أضعف صبراً عند ملتمات الدهر من أهل الخاصة و إنما عمود الدين و جماع المسلمين و العدة للأعداء العامة من الأمة فليكن صغوك لهم و ميلك معهم قال له أنصف الله أى قم له بما فرض عليك من العبادة و الواجبات العقلية و السمعية . ثم قال و أنصف الناس من نفسك و من ولدك و خاصة أهلك و من تحبه و تميل إليه من رعيتك فمتى لم تفعل ذلك كنت ظالماً . ثم نهاه عن الظلم و أكد الوصاية عليه فى ذلك . ثم عرفه أن قانون الإمارة الاجتهاد فى رضا العامة فإنه لا مبالاة بسخط خاصة الأمير مع رضا العامة فأما إذا سخطت العامة لم ينفعه رضا الخاصة و ذلك مثل أن يكون فى البلد عشرة أو عشرون من أغنيائه و ذوى الثروة من أهله يلازمون الوالى و يخدمونه و يسامرونه و قد صار كالصديق لهم فإن هؤلاء و من ضارعههم من حواشى الوالى و أرباب الشفاعات و القربات عنده لا يغنون عنه شيئاً عند تنكر العامة له و كذا لا يضر سخط هؤلاء إذا رضيت العامة و ذلك لأن هؤلاء عنهم غنى و لهم بدل و العامة لا غنى عنهم و لا بدل منهم و لأنهم إذا شغبوا عليه كانوا كالبحر إذا هاج واضطرب فلا يقاومه أحد و ليس الخاصة كذلك . [صفحة ٣٦] ثم قال ع و نعم ما قال ليس شىء أقل نفعاً و لا أكثر ضرراً على الوالى من خواصه أيام الولاية لأنهم يثقلون عليه بالحاجات و المسائل و الشفاعات فإذا عزل هجره و رفضه حتى لولقوه فى الطريق لم يسلموا عليه . و الصغو بالكسر و الفتح و الصغا مقصور الميل و ليكن أبعد رعيتك منك و أشنأهم عندك أطلبهم لمعائب الناس فإن فى الناس عيوباً الوالى أحق من سترها فلا تكشفه من عما غاب عنك منها فإنما عليك تطهير ما ظهر لك و الله يحكم على ما غاب عنك فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك أطلق عن الناس

عُقْدَةُ كُلِّ حَقْدٍ وَاقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وَتْرٍ وَتَغَابَ عَن كُلِّ مَا لَا يَضِيحُ لَكَ وَ لَا تَعَجَّلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ وَ إِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ وَ لَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ وَ يَعِدُكَ الْفَقْرَ وَ لَا جَبَانًا يُضَعِّفُكَ عَنِ الْأُمُورِ وَ لَا حَرِيصًا يُزَيِّنُ لِمَكَ الشَّرَّ بِالْجَوْرِ فَإِنَّ الْبُخْلَ وَ الْجُبْنَ وَ الْحِرْصَ غَرَائِرُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ [صفحة ٣٧] أشناهم عندك أبغضهم إليك . وتغاب تغافل يقال تغابى فلان عن كذا. ويضح يظهر والماضى وضح

فصل فى النهى عن ذكر عيوب الناس و ماورد فى ذلك من الآثار

عاب رجل رجلا عند بعض الأشراف فقال له لقد استدلت على كثرة عيوبك بما تكثر فيه من عيوب الناس لأن طالب العيوب إنما يطلبها بقدر ما فيه منها. وقال الشاعر وأجرأ من رأيت بظهر غيب || على عيب الرجال أولو العيوب . وقال آخر يا من يعيب وعييه متشعب || كم فيك من عيب و أنت تعيب فى الخبر المرفوع دعوا الناس بغفلاتهم يعيش بعضهم مع بعض -رواية- ١- ٢-رواية- ٢١-٦٣ . وقال الوليد بن عتبة بن أبي سفيان كنت أساير أبي و رجل معنا يقع فى رجل فالتفت أبى إلى فقال يا بنى نزه سمعك عن استماع الخنى كما تنزه لسانك عن الكلام به فإن المستمع شريك القائل إنما نظر إلى أخبث ما فى وعائه فأفرغه فى وعائك و لوردت كلمة جاهل فى فيه لسعد رادها كما شقى قائلها. وقال ابن عباس الحدث حدثان حدث من فيك و حدث من فرجك -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-٦٠ . [صفحة ٣٨] وعاب رجل رجلا عند قتيبة بن مسلم فقال له قتيبة أمسك ويحك فقد تلمظت بمضغه طالما لفظها الكرام . و مر رجل بجارين له ومعه ربيبة فقال أحدهما لصاحبه أفهمت مامعه من الربيبة قال و مامعه قال كذا قال عبدى حر لوجه الله شكرا له تعالى إذ لم يعرفنى من الشر ما عرفك . وقال الفضيل بن عياض إن الفاحشة لتشيع فى كثير من المسلمين حتى إذا صارت إلى الصالحين كانوا لها خزانا. وقيل ليزر جمهر هل من أحد لا عيب فيه فقال ألقى لا عيب فيه لا يموت . وقال الشاعر ولست بذى نيرب فى الرجا || ل مناع خير وسبابها و لا من إذا كان فى جانب || أضاع العشيرة واغتابها ولكن أطاوع ساداتها || و لا أتعلم ألقابها . وقال آخر لا تلتمس من مساوى الناس ما ستروا || فيكشف الله سترا من مساويها واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا || و لا تعب أحدا منهم بما فيك . وقال آخر ابدأ بنفسك فإنهما عن عيبيها || فإذا انتهت عنه فأنت حكيم فهناك تعذر إن وعظت و يقتدى || بالقول منك و يقبل التعليم . [صفحة ٣٩] فأما قوله ع أطلق عن الناس عقدة كل حقد فقد استفاد من هذا المعنى زياد فى خطبته البتراء فقال وقد كانت بينى وبين أقوام إحن وقد جعلت ذلك دبر أذنى وتحت قدمى فمن كان منكم محسنا فليزدد إحسانا و من كان منكم مسيئا فليترع عن إساءته إني لو علمت أن أحدكم قد قتلته السلال من بغضى لم أكشف عنه قناعا و لم أهتك له سترا حتى يبدى لى صفحته فإذا فعل لم أناظره ألا فليشمل كل امرئ منكم على ما فى صدره و لا يكونن لسانه شفرة تجرى على ودجه

فصل فى النهى عن سماع السعاية و ماورد ذلك من الآثار

فأما قوله ع و لا تعجلن إلى تصديق ساع فقد ورد فى هذا المعنى كلام حسن قال ذو الرئاستين قبول السعاية شر من السعاية لأن السعاية دلالة والقبول إجازة و ليس من دل على شىء كمن قبله وأجازته فامقت الساعى على سعائته فإنه لو كان صادقا كان لثيما إذ هتك العورة وأضاع الحرمه . وعاتب مصعب بن الزبير الأحنف على أمر بلغه عنه فأنكره فقال مصعب أخبرنى به الثقة قال كلا أيها الأمير إن الثقة لا يبلغ . و كان يقال لو لم يكن من عيب الساعى إلا أنه أصدق ما يكون أضر ما يكون على الناس لكان

كافيا. كانت الأكاسرة لاتأذن لأحد أن يطبخ السكباچ و كان ذلك مما يختص به الملك فرفع ساع إلى أنوشروان إن فلانا دعانا ونحن جماعة إلى طعام له وفيه [صفحة ٤٠] سكباچ فوق أنوشروان على رقعته فحمدنا نصيحتك وضمننا صديقك على سوء اختياره للإخوان. جاء رجل إلى الوليد بن عبد الملك و هو خليفه عبد الملك على دمشق فقال أيها الأمير إن عندي نصيحة قال اذكرها قال جار لي رجع من بعثه سرا فقال أما أنت فقد أخبرتنا أنك جار سوء فإن شئت أرسلنا معك فإن كنت كاذبا عاقبناك و إن كنت صادقا مقتناك و إن تركتنا تركناك قال بل أتركك أيها الأمير قال فانصرف . ومثل هذا يحكى عن عبد الملك أن إنسانا سأله الخلوه فقال لجلسائه إذا شئتم فانصرفوا فلما تهيأ الرجل للكلام قال له اسمع ما أقول إياك أن تمدحني فأنا أعرف بنفسى منك أو تكذبني فإنه لا رأى لمكذوب أو تسعى بأحد إلى فإني لأحب السعایه قال أفيأذن أمير المؤمنين بالانصراف قال إذا شئت . و قال بعض الشعراء لعمر ك ماسب الأمير عدوه || ولكنما سب الأمير المبلغ . و قال آخر حرمت منائي منك إن كان ذا الذی || أتاك به الواشون عنى كما قالوا ولكنهم لمارأوك شریعه || إلى تواصوا بالنمیمه واحتالوا فقد صرت أذنا للوشاة سمیعه || ينالون من عرضى و لوشئت مانالوا . و قال عبد الملك بن صالح لجعفر بن يحيى و قد خرج يودعه لما شخص إلى خراسان أيها الأمير أحب أن تكون لی كما قال الشاعر [صفحة ٤١] فكونی على الواشين لداء شغبه || كما أنالواشى ألد شغوب . قال بل أكون كما قال القائل و إذا الواشى وشى يوما بها || نفع الواشى بما جاء يضر . و قال العباس بن الأحنف ما حطك الواشون من رتبة || عندى و لا ضرك مغتاب كأنهم أثنوا و لم يعلموا || عليك عندى بالذى عابوا قوله ع و لا تدخلن فى مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل و يعدك الفقر مأخوذ من قول الله تعالى الشيطان يعدكم الفقر و يأمركم بالفحشاء و الله يعدكم مغفرة منه و فضلا قال المفسرون الفحشاء هاهنا البخل و معنى يعدكم الفقر يخيل إليكم أنكم إن سمحتم بأموالكم افتقرتم فيخوفكم فتخافون فتبخلون . قوله ع فإن البخل والجبن والحرص غرائر شتى يجمعها سوء الظن بالله كلام شريف عال على كلام الحكماء يقول إن بينها قدرا مشتركا و إن كانت غرائر وطباع مختلفة و ذلك القدر المشترك هو سوء الظن بالله لأن الجبان يقول فى نفسه إن أقدمت قتلت والبخيل يقول إن سمحت و أنفقت افتقرت والحريص يقول إن لم أجد و أجتهد و أدأب فاتنى ما أروم و كل هذه الأمور ترجع إلى سوء الظن بالله و لو أحسن الظن الإنسان بالله و كان يقينه صادقا لعلم أن الأجل مقدر و أن الرزق مقدر و أن الغنى والفقر مقدران و أنه لا يكون من ذلك إلا ما قضى الله تعالى كونه -قرآن- ٩٨-١٩٧-قرآن- ٢٤٠-٢٥٧ [صفحة ٤٢] شَرُّ وُزْرَائِكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ لِلْأَشْرَارِ وَزِيْرًا وَمَنْ شَرَّكَهُمْ فِي الْآثَامِ فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ بَطَانَةً فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الْأَثْمَةِ وَ إِخْوَانُ الظَّلْمَةِ وَ أَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلْفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَ نَفَاذِهِمْ وَ لَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ وَ أَوْزَارِهِمْ وَ آثَامِهِمْ مِمَّنْ لَمْ يُعَاوَنَ ظَالِمًا عَلَى ظُلْمِهِ وَ لَمَّا آثَمًا عَلَى إِثْمِهِ أَوْلَيْتَكَ أَحْفَ عَلَيْكَ مَثُونَةً وَ أَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً وَ أَحْنَى عَلَيْكَ عَطْفًا وَ أَقَلُّ لغيرِكَ إِفْلًا فَاتَّخِذْ أَوْلَيْتَكَ خَاصَّةً لِخَلْوَاتِكَ وَ حَفَلَاتِكَ ثُمَّ لِيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلُهُمْ بِمَرِّ الْحَقِّ لَكَ وَ أَقْلُهُمْ مُسَاعِدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ وَ إِقْعًا ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ نَهَاةُ عَ أَلَا يَتَّخِذُ بَطَانَةً قَدْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ بَطَانَةٍ لِلظلمة و ذلك لأن الظلم و تحسینه قد صار ملكه ثابتة فى أنفسهم فبعيد أن يمكنهم الخلو منها إذ قد صارت كالخلق الغريزي اللزوم لتكرارها و صيرورتها عادة فقد جاءت النصوص فى الكتاب و السنة بتحريم معاونة الظلمة و مساعدتهم و تحريم الاستعانة بهم فإن من استعان بهم كان معينا لهم قال تعالى وَ مَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضْتَلِّينَ عَضُدًا وَ قَالَ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ -قرآن- ٣٣٥-٣٧٤-قرآن- ٣٨٢-٤٧٦ جاء فى الخبر المرفوع ينادى يوم القيامة أين من برى لهم أى الظالمين قلما -رواية- ١-٢-رواية- ٢٤-٧٩ . [صفحة ٤٣] أتى الوليد بن عبد الملك برجل من الخوارج فقال له ماتقول فى الحجاج قال و ما عسيت أن أقول فيه هل هو إلا خطيئة من خطاياك و شرر من نارك فلعنك الله و لعن الحجاج معك و أقبل يشتمهما فالتفت الوليد إلى عمر بن عبدالعزيز فقال ماتقول فى هذا قال ما أقول فيه هذا رجل يشتمكم فإما أن تشتموه كما شتمكم و إما أن تعفوا عنه فغضب الوليد و قال لعمر

ماأظنك إلاخارجيا فقال عمر و ماأظنك إلامجنونا وقام فخرج مغضبا ولحقه خالد بن الريان صاحب شرطه الوليد فقال له مادعاك إلى ماكلمت به أمير المؤمنين لقد ضربت يدي إلى قائم سيفي أنتظر متى يأمرني بضرب عنقك قال أ وكنت فاعلا لوأمرك قال نعم فلما استخلف عمر جاء خالد بن الريان فوقف على رأسه متقلدا سيفه فنظر إليه و قال ياخالد ضع سيفك فإنك مطيعنا في كل أمر نأمرك به و كان بين يديه كاتب للوليد فقال له ضع أنت قلمك فإنك كنت تضر به وتنفع ألهم إني قدوضعتهما فلاترفعهما قال فو الله مازالا- وضيعين مهينين حتى ماتا. وروى الغزالي في كتاب إحياء علوم الدين قال لماخالط الزهري السلطان كتب أخ له في الدين إليه عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعو الله لك ويرحمك فقد أصبحت شيئا كبيرا وقد أثقلتك نعم الله عليك بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه و ليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء فإنه تعالى قال لَتَبَيَّنْتُه لِلنَّاسِ وَ لَا تَكْتُمُونَهُ واعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت أنك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك إلى من لم يؤد حقا و لم يترك باطلا حين أدناك اتخذوك أبا بكر قطبا تدور -قرآن- ١٢٤٦-١٢٨٧ [صفحہ ٤٤] عليه رحى ظلمهم وجسرا يعبرون عليه إلى بلائهم ومعاصيهم وسلما يصعدون فيه إلى ضلالتهم يدخلون بك الشك على العلماء ويقنطون بك قلوب الجهلاء فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك و ما أكثر ما أخذوا منك في جنب ما أفسدوا من حالك ودينك و ما يؤمنك أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصِّلَاةَ وَ اتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا يا أبا بكر إنك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيب زادك فقد حضر سفر بعيد و ما يخفى على الله من شيء في الأرض و لا في السماء و السلام -قرآن- ٢٩٦-٣٨٧ وَ الصَّقِ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَ الصَّدَقِ ثُمَّ رُضُّهُمْ عَلَىٰ آلَا يُطْرُوكَ وَ لَا يَبْجَحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ فَإِنَّ كَثْرَةَ الْإِطْرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ وَ تُدْنِي مِنَ الْعِزَّةِ وَ لَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَ الْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَرْهِيْدًا لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ وَ تَدْرِيْبًا لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ وَ أَلْزَمَ كُلَّمَا مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ [صفحہ ٤٥] قوله والصق بأهل الورع كلمة فصيحة يقول جعلهم خاصتك وخلصاءك . قال ثم رضهم على ألا يطروك أي عودهم ألا يمدحوك في وجهك و لا يبحجوك بباطل لا يجعلوك ممن يبحج أي يفخر بباطل لم يفعله كما يبحج أصحاب الأمراء الأعمى بأن يقولوا لهم مارأينا أعدل منكم و لا أسمح و لاحمى هذا الثغر أمير أشد بأسا منكم ونحو ذلك و قد جاء في الخبر احتوا في وجوه المداحين التراب -روایت- ١-٢-روایت- ١٢-٤٥ . و قال عبد الملك لمن قام يساره ماتريد أتريد أن تمدحني وتصفني أنا أعلم بنفسى منك . وقام خالد بن عبد الله القسرى إلى عمر بن عبد العزيز يوم بيعته فقال يا أمير المؤمنين من كانت الخلافة زائنته فقد زينتها و من كانت شرفته فقد شرفتها فإنك لكما قال القائل و إذا الدر زان حسن وجوه || كان للدر حسن وجهك زينا . فقال عمر بن عبد العزيز لقد أعطى صاحبكم هذا مقولا و حرم معقولا وأمره أن يجلس . و لما عقد معاوية البيعة لابنه يزيد قام الناس يخطبون فقال معاوية لعمر بن سعيد الأشدق قم فاخطب يا أبا أمية فقال أما بعد فإن يزيد ابن أمير المؤمنين أمل تأملونه وأجل تأمنونه إن افتقرتم إلى حلمه وسعكم و إن احتجتم إلى رأيه أرشدكم و إن اجتديتم ذات يده أغناكم وشملكم جذع قارح سويق فسبق وموجد فمجد [صفحہ ٤٦] وقورع فقورع و هو خلف أمير المؤمنين و لا خلف منه فقال معاوية أوسع يا أبا أمية فاجلس فإنما أردنا بعض هذا. وأثنى رجل على علي ع في وجهه ثناء أوسع فيه و كان عنده متهما فقال له أنادون ماتقول وفوق ما في نفسك -روایت- ١-١١٤ و قال ابن عباس لعتبة بن أبي سفيان و قد أثنى عليه فأكثر رويدا فقد أمهيت يا أبا الوليد يعني بالغت يقال أمهى حافر البئر إذا استقصى حفرها. فأما قوله ع و لا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء فقد أخذه الصابي فقال و إذا لم يكن للمحسن ما يرفعه وللمسيء ما يضعه زهد المحسن في الإحسان واستمر المسيء على الطغيان و قال أبو الطيب شر البلاد بلاد لا صدق بها || و شر ما يكسب الإنسان ما يصم و شر ما قبضته راحتي قنص || شهب البزاة سواء فيه والرخم . و كان يقال قضاء حق المحسن أدب للمسيء و عقوبة المسيء جزاء للمحسن و

اعلم أنه ليس شئٌ بأدعى إلى حُسن ظنِّ والٍ برعيته من إحسانه إليهم و تخفيفه المئونات عليهم و ترك استكراهه إياهم على ما ليس له قبلهم فليكن منك في ذلك أمرٌ يجتمع لك به حُسن الظنِّ برعيته فإن حُسن الظنِّ يقطع عنك نصيباً طويلاً و إن أحق من حُسن ظنِّك به لمن حُسن بلاءوك عنده و إن أحق من سيء ظنِّك به لمن ساء بلاءوك عنده [صفحة ٤٧] و لا تنقض سيئته صالحه عملاً بها صدور هذه الأمة و اجتمعت بها الألفه و صلحت عليها الرعيه و لا تحدثن سنة تضر بشئ من ماضي تلك السنن فيكون الأجر لمن سنها و الوزر عليك بما نقضت منها و أكثر مدارسه العلماء و مناقشه الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر ببلادك و إقامه ما استقام به الناس قبلك خلاصه صدر هذا الفصل أن من أحسن إليك حسن ظنه فيك و من أساء إليك استوحش منك و ذلك لأنك إذا أحسنت إلى إنسان و تكرر منك ذلك الإحسان تبع ذلك اعتقادك أنه قد أحبك ثم يتبع ذلك الاعتقاد أمر آخر و هو أنك تحبه لأن الإنسان مجبول على أن يحب من يحبه و إذا أحبته سكنت إليه و حسن ظنك فيه و بالعكس من ذلك إذا أسأت إلى زيد لأنك إذا أسأت إليه و تكررت الإساءة تبع ذلك اعتقادك أنه قد أبغضك ثم يتبع ذلك الاعتقاد أمر آخر و هو أن تبغضه أنت و إذا أبغضته انقبضت منه و استوحشت و ساء ظنك به . قال المنصور للربيع سلني لنفسك قال يا أمير المؤمنين ملأت يدي فلم يبق عندي موضع للمسألة قال فلسني لولدك قال أسألك أن تحبه فقال المنصور ياربيع إن الحب لا يسأل وإنما هو أمر تقتضيه الأسباب قال يا أمير المؤمنين وإنما أسألك أن تزيد من إحسانك فإذا تكرر أحبك و إذا أحبك أحبته فاستحسن [صفحة ٤٨] المنصور ذلك ثم نهاه عن نقض السنن الصالحة التي قد عمل بها من قبله من صالحى الأمة فيكون الوزر عليه بما نقض و الأجر لأولئك بما أسسوا ثم أمره بمطارحة العلماء و الحكماء فى مصالح عمله فإن المشورة بركة و من استشار فقد أضاف عقلاً إلى عقله . و مما جاء فى معنى الأول قال رجل لإياس بن معاوية من أحب الناس إليك قال الذين يعطونى قال ثم من قال الذين أعطيه . و قال رجل لهشام بن عبد الملك إن الله جعل العطاء محبة و المنع مبغضة فأعنى على حبك و لاتعنى فى بغضك و اعلم أن الرعيه طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض و لا غنى ببعضها عن بعض فمنها جنود الله و منها كتاب العامية و الخاصية و منها قضاء العدل و منها عمال الإنصاف و الرفق و منها أهل الجزية و الخراج من أهل الذميه و مسلمية الناس و منها التجار و أهل الصناعات و منها الطبقة السفلى من ذوى الحاجات و المسكنة و كل قد سمي الله له سهمه و وضع على حده و فريضته فى كتابه أو سيئه نبيه ص عهداً منه عندنا محفوظاً فالجنود ياذن الله حصون الرعيه و زين الولاء و عز الدين و شبل الأمن و ليس تقوم الرعيه إلا بهم ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذى يقوون به على جهاد عيادهم و يعتمدون عليه فيما يصلحهم و يكون من وراء حاجتهم ثم لا قوام ليوذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاء و العمال [صفحة ٤٩] و الكتاب لما يحكمون من المعاقيد و يجمعون من المنافع و يؤتمنون عليه من خواص الأمور و عوامها و لا قوام لهم جميعاً إلا بالتجار و ذوى الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم و يقيمونه من أسواقهم و يكفونهم من الترقق بأيديهم مما لا يبلغه رفق غيرهم ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة و المسكنة الذين يحق رفقهم و معونتهم و فى الله لكل سعة و لكل على الوالى حق بقدر ما يصلحه و ليس يخرج الوالى من حقيقه ما أزمه الله تعالى من ذلك إلا بالاهتمام و الاستعانة بالله و توطين نفسه على لزوم الحق و الصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل قالت الحكماء الإنسان مدنى بالطبع و معناه أنه خلق خلقه لا بد معها من أن يكون منضمماً إلى أشخاص من بنى جنسه و متمدناً فى مكان بعينه و ليس المراد بالتمدن ساكن المدينة ذات السور و السوق بل لا بد أن يقيم فى موضع ما مع قوم من البشر و ذلك لأن الإنسان مضطر إلى ما يأكله و يشربه ليقوم صورته و مضطر إلى ما يلبسه ليدفع عنه أذى الحر و البرد و إلى مسكن يسكنه ليرد عنه عاديه غيره من الحيوانات و ليكون منزلاً له ليتمكن من التصرف و الحركة عليه و معلوم أن الإنسان وحده لا يستقل بالأمور التي عددناها بل لا بد من جماعة يحرث بعضهم لغيره الحرث و ذلك الغير يحوك للحراث الثوب و ذلك الحائك يبنى له غيره المسكن و ذلك البناء يحمل له [صفحة ٥٠] غيره الماء و ذلك

السقاء يكفيه غيره أمر تحصيل الآلة التي يطحن بها الحب ويعجن بها الدقيق ويخبز بها العجين و ذلك المحصل لهذه الأشياء يكفيه غيره الاهتمام بتحصيل الزوجه التي تدعو إليها داعية الشبق فيحصل مساعده بعض الناس لبعض لو لا ذلك لما قامت الدنيا فلهذا معنى قوله ع إنهم طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض و لا غناء ببعضها عن بعض . ثم فصلهم وقسمهم فقال منهم الجند ومنهم الكتاب ومنهم القضاة ومنهم العمال ومنهم أرباب الجزية من أهل الذمة ومنهم أرباب الخراج من المسلمين ومنهم التجار ومنهم أرباب الصناعات ومنهم ذوو الحاجات والمسكنة وهم أدون الطبقات . ثم ذكر أعمال هذه الطبقات فقال الجند للحماية والخراج يصرف إلى الجند والقضاة والعمال والكتاب لما يحكمونه من المعاهد ويجمعونه من المنافع و لا بد لهؤلاء جميعا من التجار لأجل البيع والشراء الذى لا غناء عنه و لا بد لكل من أرباب الصناعات كالحداد والنجار والبناء وأمثالهم ثم تلى هؤلاء الطبقة السفلى وهم أهل الفقر والحاجة الذين تجب معونتهم والإحسان إليهم . وإنما قسمهم فى هذا الفصل هذا التقسيم تمهيدا لما يذكره فيما بعد فإنه قد شرع بعد هذا الفصل فذكر طبقة طبقة وصنفا صنفا وأوصاه فى كل طبقة و فى كل صنف منهم بما يليق بحاله وكأنه مهد هذا التمهيدي كالفهرست لما يأتى بعده من التفصيل [صفحة ٥١] فَوَلَّوْا مِنْ جُنُودِكُمْ أَنْصَبَ حَيْثُمْ فِي نَفْسِكَ لِلَّهِ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِأَمَامِكَ وَ أَطَهَرَهُمْ جَبِيًّا وَ أَفْضَلَهُمْ حِلْمًا مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ وَ يَسْتَرِيحُ إِلَى الْعِذْرِ وَ يِرَأُ بِالضَّعْفَاءِ وَ يَتَّبِعُ عَلَى الْأَقْوِيَاءِ وَ مِمَّنْ لَا يُثِيرُهُ الْعُنْفُ وَ لَا يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ ثُمَّ الصَّقِ بَدْوِي الْمُرُوءَاتِ وَ الْأَحْسَابِ وَ أَهْلِ الْبَيْتَاتِ الصَّالِحَةِ وَ السَّوَابِقِ الْحَسَنَةِ ثُمَّ أَهْلِ النَّجْدَةِ وَ الشُّجَاعَةِ وَ السَّخَاءِ وَ السَّمَاخَةِ فَإِنَّهُمْ جَمَاعٌ مِنَ الْكَرَمِ وَ شُعْبٌ مِنَ الْعُرْفِ ثُمَّ تَفَقَّدَ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُ الْوَالِدَانِ مِنَ وَلَدَيْهِمَا وَ لَا يَتَفَقَّحَنَّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوِيَّتَهُمْ بِهِ وَ لَا تَحْقِرَنَّ لَطْفًا تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ وَ إِنْ قَلَّ فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَى بَدَلِ النَّصِيحَةِ لَكَ وَ حُسْنِ الظَّنِّ بِكَ وَ لَا تَدْعُ تَفَقَّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمْ أتكالًا عَلَى جِسْمِهَا فَإِنَّ لَلْيَسِيرِ مِنْ لَطْفِكَ مَوْضِعًا يَنْتَفِعُونَ بِهِ وَ لِلْجَسِيمِ مَوْضِعًا لَا يَسْتَعْنُونَ عَنْهُ وَ لِيَكُنْ آثَرُ رُؤُوسِ جُنُودِكَ عِنْدَكَ مِنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ وَ أَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جَدَّتِهِ بِمَا يَسِيحُهُمْ وَ يَسْعُ مِنْ وَرَاءِهِمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِهِمْ حَتَّى يَكُونَ هَمَّهُمْ هَمًّا وَاحِدًا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ فَإِنْ عَطَفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ وَ لَا تَصِحَّ نَصِيحَتُهُمْ إِلَّا بِحَيْطَتِهِمْ عَلَى وِلَاةِ أُمُورِهِمْ وَ قَلْبِهِ اسْتِقَالِ دَوْلِهِمْ وَ تَرِكَ اسْتِبْطَاءِ انْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ فَافْسَحْ فِي آمَالِهِمْ وَ وَاصِلْ مِنْ حُسْنِ التَّنَاءِ عَلَيْهِمْ وَ تَعَدِيدِ مَا أَبْلَى ذَوُومِ الْبَلَاءِ [صفحة ٥٢] مِنْهُمْ فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ فِعَالِهِمْ تَهْزِ الشُّجَاعَ وَ تُحَرِّضُ النَّاِكِلَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَى وَ لَا تَضَعْ مِنْ بَلَاءِ امْرِئٍ إِلَى غَيْرِهِ وَ لَا تُقْصِرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بَلَائِهِ وَ لَا يَدْعُونَكَ شَرَفُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ صَاحِبًا وَ لَا ضَعْفُهُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ عَظِيمًا وَ ارْجُدْ إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ مِنَ الْخُطُوبِ وَ يَشْتَبِهْ عَلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادُهُمَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ فَالْزُّدْ إِلَى اللَّهِ الْأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ وَ الرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ الْأَخْذُ بِسُنَنِهِ الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمُفَرَّقَةِ - قرآن - ٥٦٠-٧١٥ هذا الفصل مختص بالوصاء فيما يتعلق بأمراء الجيش أمره أن يولى أمر الجيش من جنوده من كان أنصحههم لله فى ظنه و أظهرهم جيبا أى عفيفا أميناً ويكنى عن العفة والأمانة بطهارة الجيب لأن الذى يسرق يجعل المسروق فى جيبه . فإن قلت و أى تعلق لهذا بولاء الجيش إنما ينبغى أن تكون هذه الوصية فى ولاء الخراج قلت لا بد منها فى أمراء الجيش لأجل الغنائم . ثم وصف ذلك الأمير فقال ممن يبطن عن الغضب ويستريح إلى العذر أى يقبل [صفحة ٥٣] أدنى عذر ويستريح إليه ويسكن عنده ويرؤف على الضعفاء يرفق بهم ويرحمهم والرفقة الرحمة وينبو عن الأقوياء يتجافى عنهم ويبعد أى لا يمكنهم من الظلم والتعدى على الضعفاء ولا يثيره العنف لا يهيج غضبه عنف وقسوة ولا يقعد به الضعف أى ليس عاجزا . ثم أمره أن يلصق بدوى الأحساب و أهل البيوتات أى يكرمهم ويجعل معوله فى ذلك عليهم ولا يتعداهم إلى غيرهم و كان يقال عليكم بدوى الأحساب فإن هم لم يتكروا استحيوا . ثم ذكر بعدهم أهل الشجاعة والسخاء ثم قال إنها جماع من الكرم وشعب من العرف من هاهنا زائدة و إن كانت فى الإيجاب على مذهب أبى الحسن الأخفش أى جماع الكرم أى يجمعه كقول النبى

ص الخمر جماع الإثم -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-٣٧ والعرف المعروف . وكذلك من فى قوله وشعب من العرف أى شعب العرف أى هى أقسامه وأجزاؤه ويجوز أن تكون من على حقيقتها للتبعض أى هذه خلال جملة من الكرم وأقسام المعروف و ذلك لأن غيرها أيضا من الكرم والمعروف ونحو العدل والعفة. قوله ثم تفقد من أمورهم الضمير هاهنا يرجع إلى الأجناد لا إلى الأمراء لما سنذكره مما يدل الكلام عليه . فإن قلت إنه لم يجر للأجناد ذكر فيما سبق وإنما المذكور الأمراء قلت كلا بل سبق ذكر الأجناد و هو قوله الضعفاء والأقوياء. [صفحہ ٥٤] وأمره ع أن يتفقد من أمور الجيش ما يتفقد الوالدان من حال الولد وأمره ألا يعظم عنده ما يقويهم به و إن عظم وألا يستحقر شيئا تعهدهم به و إن قل وألا يمنعه تفقد جسيم أمورهم عن تفقد صغيرها وأمره أن يكون أثر رءوس جنوده عنده وأحظاهم عنده وأقربهم إليه من وأساهم فى معونته هذا هو الضمير الدال على أن الضمير المذكور أولا للجند للأمراء الجند لو لا ذلك لما انتظم الكلام . قوله من خلوف أهليهم أى ممن يخلفونه من أولادهم وأهليهم . ثم قال لا يصح نصيحة الجند لك إلا بحيطتهم على ولاتهم أى بتعطفهم عليهم وتحننهم وهى الحيطه على وزن الشيمه مصدر حاطه يحوطه حوطا وحياطا وحيطه أى كلاه ورعاه وأكثر الناس يروونها إلا بحيطتهم بتشديد الياء وكسرهما والصحيح ما ذكرناه . قوله وقله استثقال دولهم أى لا تصح نصيحة الجند لك إلا إذا أحبوا أمراءهم ثم لم يستثقلوا دولهم و لم يتمنوا زوالها. ثم أمره أن يذكر فى المجالس والمحافل بلاء ذوى البلاء منهم فإن ذلك مما يرهف عزم الشجاع ويحرك الجبان . قوله و لا تضمن بلاء امرئ إلى غيره أى اذكر كل من أبلى منهم مفردا غير مضموم ذكر بلائه إلى غيره كى لا يكون مغمورا فى جنب ذكر غيره . ثم قال له لا تعظم بلاء ذوى الشرف لأجل شرفهم و لا تحقر بلاء ذوى الضعة لضعة أنسابهم بل اذكر الأمور على حقائقها. ثم أمره أن يرد إلى الله ورسوله ما يضلعه من الخطوب أى ما يثوده ويميله [صفحہ ٥٥] لثقله و هذه الرواية أصح من رواية من رواها بالطاء و إن كان لتلك وجه

رسالة الإسكندر إلى أرسطو ورد أرسطو عليه

وينبغى أن نذكر فى هذا الموضع رسالة أرسطو إلى الإسكندر فى معنى المحافظة على أهل البيوتات وذوى الأحساب و أن يخصهم بالرئاسة والإمارة و لا يعدل عنهم إلى العامة والسفلة فإن فى ذلك تشييدا لكلام أمير المؤمنين ع ووصيته . لما ملك الإسكندر ايران شهر و هو العراق مملكة الأكاسرة وقتل دارا بن دارا كتب إلى أرسطو و هو ببلاد اليونان عليك أيها الحكيم منا السلام أما بعد فإن الأفلاك الدائرة والعلل السماوية و إن كانت أسعدتنا بالأمور التى أصبح الناس لنا بهدائين فإننا جد واجدين لمس الاضطرار إلى حكمتك غير جاحدين لفضلك والإقرار بمنزلتك والاستنامة إلى مشورتك والاقتماد برأيك والاعتماد لأمرك ونهيك لما بلونا من جدا ذلك علينا وذقنا من جنا منفعتة حتى صار ذلك بنجوعه فينا وترسخه فى أذهاننا وعقولنا كالغذاء لنا فما ننفك نعول عليه ونستمد منه استمداد الجداول من البحور وتعويل الفروع على الأصول وقوة الأشكال بالأشكال و قد كان مما سبق إلينا من النصر والفلج وأتيح لنا من الظفر وبلغنا فى العدو من النكاية والبطش ما يعجز القول عن وصفه ويقصر شكر المنعم عن موقع الإنعام به و كان من ذلك أننا جاوزنا أرض سوريه والجزيرة إلى بابل وأرض فارس فلما حللنا بعقوة أهلها وساحة بلادهم لم يكن لإريشما تلقانا نفر منهم برأس ملكهم هدية إلينا وطلبنا للحظوة عندنا فأمرنا بصلب من [صفحہ ٥٦] جاء به وشهرته لسوء بلائه وقله ارعوائه ووفائه ثم أمرنا بجمع من كان هناك من أولاد ملوكهم وأحرارهم وذى الشرف منهم فرأينا رجالا عظيمة أجسامهم وأحلامهم حاضرة البابهم وأذهانهم رائعة مناظرهم ومناطقهم دليلا على أن ما يظهر من روائهم ومنطقهم أن وراءه من قوة أيديهم وشدة نجدتهم وبأسهم ما لم يكن ليكون لنا سبيل إلى غلبتهم وإعطائهم بأيديهم لو لا أن القضاء أدالنا

منهم وأظفرنا بهم وأظهرنا عليهم و لم نر بعيدا من الرأى فى أمرهم أن نستأصل شأفتهم ونجتث أصلهم ونلحقهم بمن مضى من أسلافهم لتسكن القلوب بذلك الأمن إلى جرائرهم وبوائقهم فأينا ألا- نجعل ياسعاف بادئ الرأى فى قتلهم دون الاستظهار عليهم بمشورتك فيهم فارفع إلينا رأيك فيما استشرناك فيه بعدصحته عندك وتقليبك إياه بجلى نظرك وسلام أهل السلام فليكن علينا وعليك .فكتب إليه أرسطو لملك الملوك وعظيم العظماء الإسكندر المؤيد بالنصر على الأعداء المهدي له الظفر بالملوك من أصغر عبيده وأقل خوله أرسطوطاليس البخوع بالسجود والتذلل فى السلام والإذعان فى الطاعة أما بعد فإنه لاقوة بالمنطق و إن احتشد الناطق فيه واجتهد فى تثقيف معانيه وتأليف حروفه ومبانيه على الإحاطة بأقل ماتناله القدرة من بسطة علو الملك وسمو ارتفاعه عن كل قول وإبرازه على كل وصف واغترافه بكل إطناب و قد كان تقرر عندى من مقدمات إعلام فضل الملك فى صهله سبقة وبروز شأوه ويمن نقيته مذ أدت إلى حاسة بصرى صورة شخصه واضطرب فى حس سمعى صوت لفظه ووقع وهمى [صفحه ٥٧] على تعقيب نجاح رأيه أيام كنت أودى إليه من تكلف تعليمى إياه ماأصبحت قاضيا على نفسى بالحاجة إلى تعلمه منه ومهما يكن منى إليه فى ذلك فإنما هو عقل مردود إلى عقله مستنبطه أواليه وتواليه من علمه وحكمته و قدجلا إلى كتاب الملك ومخاطبته إياى ومسألته لى عما لايتخالجنى الشك فى لقاح ذلك وإنتاجه من عنده فعنه صدر و عليه ورد و أنا فيما أشير به على الملك و إن اجتهدت فيه واحتشدت له وتجاوزت حد الوسع والطاقة منى فى استنظافه واستقصائه كالعدم مع الوجود بل كما لايتجزأ فى جنب معظم الأشياء ولكنى غيرممتنع من إجابة الملك إلى ما سأل مع علمى ويقينى بعظيم غناه عنى وشدة فاقتى إليه و أناراد إلى الملك ما اكتسبته منه ومشير عليه بما أخذته منه ففائل له إن لكل تربة لامحالة قسما من الفضائل و إن لفارس قسمها من النجدة والقوة وإنك إن تقتل أشرافهم تخلف الوضعاء على أعقابهم وتورث سفلتهم على منازل عليتهم وتغلب أدنياءهم على مراتب ذوى أخطارهم و لم يبتل الملوك قط ببلاء هو أعظم عليهم وأشد توهينا لسلطانهم من غلبة السفلة وذل الوجوه فاحذر الحذر كله أن تمكن تلك الطبقة من الغلبة والحركة فإنه إن نجم منهم بعداليوم على جندك و أهل بلادك ناجم دهمهم منه ما لاروية فيه و لابقية معه فانصرف عن هذا الرأى إلى غيره واعمد إلى من قبلك من أولئك العظماء والأحرار فوزع بينهم مملكتهم وألزم اسم الملك كل من وليته منهم ناحيته واعقد التاج على رأسه و إن صغر ملكه فإن المتسمى بالملك لانزم لاسمه والمعقود التاج على رأسه لا يخضع لغيره فليس ينشب ذلك أن يوقع كل ملك منهم بينه وبين صاحبه تدابرا وتقاطعا وتغالبا على الملك و تفاخرا بالمال والجند حتى ينسوا بذلك أضغانهم عليك وأوتارهم فيك ويعود حربهم لك حربا [صفحه ٥٨] بينهم وحقنهم عليك حنقا منهم على أنفسهم ثم لايزدادون فى ذلك بصيرة إلاأحدثوا لك بهااستقامة إن دنوت منهم دانوا لك و إن نأيت عنهم تعززوا بك حتى يشب من ملك منهم على جاره باسمك ويستربه بجندك و فى ذلك شاغل لهم عنك وأمان لأحداثهم بعدك و إن كان لاأمان للدهر و لاثقة بالأيام . قدأديت إلى الملك مارأيته لى حظا و على حقا من إجابتى إياه إلى ما سألنى عنه ومحضته النصيحة فيه والملك أعلى عينا وأنفذ روية وأفضل رأيا وأبعد همة فيما استعان بى عليه وكلفنى بتبيينه والمشورة عليه فيه لانزال الملك متعرفا من عوائد النعم وعواقب الصنع وتوطيد الملك وتنفيس الأجل ودرك الأمل ماتأتى فيه قدرته على غاية قصوى ماتناله قدرة البشر. و السلام الذى لانقضاء له و لانتهاه و لاغاية و لافناء فليكن على الملك .قالوا فعمل الملك برأيه واستخلف على ايرانشهر أبناء الملوك والعظماء من أهل فارس فهم ملوك الطوائف الذين بقوا بعده والمملكة موزعة بينهم إلى أن جاء أردشير بن بابك فانترع الملك منهم ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعييتك فى نفسك ممن لا تضييق به الأمور و لا تمحكه الخصوم و لا يتمادى فى الزلّة و لا يحصر من الفىء إلى الحق إذا عرفه و لا تشرف نفسه على طمع و لما يكتفى بأدنى فهم دون أقصاه و أوقفهم فى الشبهات و آخذهم بالحجج و أقلهم تبرما بمراجعة الخصم و أصبرهم [صفحه ٥٩] على تكشف الأمور و أصرمهم عند اتّضح الحكم ممن لا يزدويه إطرأ و لا يستميله إغراء و أولئك قليل

ثُمَّ أَكْثَرَ تَعَاهِدَ قَضَائِهِ وَ أَسْفَحَ لَهُ فِي الْبَيْدِلِ مَا يُزِيحُ عِلَّتَهُ وَ تَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ وَ أَعْطَاهُ مِنَ الْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لَا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ لِأَمَنْ بِدَلِّكَ اغْتِيَالَ الرُّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ فَانظُرْ فِي ذَلِكَ نَظْرًا بَلِيغًا فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيرًا فِي أَيْدِي الْأَشْرَارِ يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوَى وَ تُطَلَّبُ بِهِ الدُّنْيَا تَمَحُّكَةً الخُصُومَ تَجْعَلُهُ مَاحِكًا أَى لِحُوجَا مَحْكُ الرُّجُلِ أَى لِحُوجَا مَاحِكُ زَيْدِ عَمْرَا أَى لِأَجْهِ .
 قَوْلُهُ وَ لَا يَتِمَادَى فِي الزَّلَّةِ أَى إِنْ زَلَّ رَجَعُ وَأَنْابَ وَ الرَّجُوعُ إِلَى الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادَى فِي الْبَاطِلِ . قَوْلُهُ وَ لَا يَحْصُرُ مِنَ الْفِيءِ هُوَ الْمَعْنَى الْأَوَّلُ بَعِينَهُ وَ الْفِيءُ الرَّجُوعُ إِلَّا- أَنْ هَاهُنَا زِيَادَةٌ وَ هُوَ أَنَّهُ لَا يَحْصُرُ أَى لَا يَعْصِرُ فِي الْمَنْطِقِ لِأَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ إِذَا زَلَّ حَصَرَ عَنْ أَنْ يَرْجِعَ وَأَصَابَهُ كَالْفَهَاهَةُ وَ الْعَى خَجَلًا . قَوْلُهُ وَ لَا تَشْفَقُ نَفْسَهُ أَى لَا تَشْفَقُ وَ الْإِشْرَافُ الْإِشْفَاقُ وَ الْخَوْفُ وَ أَنْشَدَ اللَّيْثُ وَ مِنْ مَضَرِ الْحَمْرَاءِ إِسْرَافَ أَنْفَسِ || عَلَيْنَا وَ حَيَاهَا عَلَيْنَا تَمْضِرًا . [صَفْحَةُ ٦٠] وَ قَالَ عُرْوَةُ بْنُ أَدِينَةَ لَقَدْ عَلِمْتُ وَ مَا الْإِشْرَافُ مِنْ خَلْقِي || أَنْ أَلَذَى هُوَ رِزْقِي سَوْفَ يَأْتِينِي . وَ الْمَعْنَى وَ لَا تَشْفَقُ نَفْسَهُ وَ تَخَافُ مِنْ فُوتِ الْمَنَافِعِ وَ الْمَرَافِقِ . ثُمَّ قَالَ وَ لَا يَكْتَفِي بِأَدْنَى فَهْمٍ أَى لَا يَكُونُ قَانِعًا بِمَا يَخْطُرُ لَهُ بِأَدْنَى الرَّأْيِ مِنْ أَمْرِ الْخُصُومِ بَلْ يَسْتَقْصِي وَ يَبْحِثُ أَشَدَّ الْبَحْثِ . قَوْلُهُ وَأَقْلَهُمْ تَبْرَمَا بِمَرَاجِعَةِ الْخُصْمِ أَى تَضْجِرَا وَ هَذِهِ الْخُصْلَةُ مِنْ مَحَاسِنِ مَاشْرُطِهِ فَإِنَّ الْقَلْقَ وَ الضَّجْرَ وَ التَّبْرِمَ قَبِيحٌ وَأَقْبَحُ مَا يَكُونُ مِنَ الْقَاضِي . قَوْلُهُ وَأَصْرَمَهُمْ أَى أَقْطَعَهُمْ وَأَمْضَاهُمْ وَازْدَهَاهُ كَذَا أَى اسْتَخْفَهُ وَ الْإِطْرَاءَ الْمَدْحَ وَ الْإِغْرَاءَ التَّحْرِيفَ . ثُمَّ أَمْرُهُ أَنْ يَتَطَّلَعَ عَلَى أَحْكَامِهِ وَأَقْضِيَّتِهِ وَ أَنْ يَفْرَضَ لَهُ عَطَاءً وَاسِعًا يَمْلَأُ عَيْنَهُ وَ يَتَعَفَّفُ بِهِ عَنِ الْمَرَافِقِ وَ الرَّشَوَاتِ وَ أَنْ يَكُونَ قَرِيبَ الْمَكَانِ مِنْهُ كَثِيرَ الْإِخْتِصَاصِ بِهِ لِيَمْنَعَ قَرْبَهُ مِنْ سَعَايَةِ الرُّجَالِ بِهِ وَ تَقْبِيحِهِمْ ذَكَرَهُ عِنْدَهُ . ثُمَّ قَالَ إِنْ هَذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيرًا هَذِهِ إِشَارَةٌ إِلَى قَضَاءِ عُثْمَانَ وَ حَكَامِهِ وَأَنْهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَقْضُونَ بِالْحَقِّ عِنْدَهُ بَلْ بِالْهَوَى لَطَبَ الدُّنْيَا . وَ أَمَّا أَصْحَابُنَا فَيَقُولُونَ رَحِمَ اللَّهُ عُثْمَانَ فَإِنَّهُ كَانَ ضَعِيفًا وَ اسْتَوْلَى عَلَيْهِ أَهْلُهُ قَطَعُوا الْأُمُورَ دُونَهُ فَأَيْمَهُمْ عَلَيْهِمْ وَ عُثْمَانَ بَرِيءٌ مِنْهُمْ [صَفْحَةُ ٦١]

فصل فى القضاء و ما يلزمهم و ذكر بعض نوادرهم

قد جاء فى الحديث المرفوع لا يقضى القاضى و هو غضبان -رواية- ١-٢-رواية- ٢٩-٥٧ جاء فى الحديث المرفوع أيضا من ابتلى بالقضاء بين المسلمين فليعدل بينهم فى لحظه وإشارته ومجلسه ومقعدته -رواية- ١-٢-رواية- ٣١-١١٣. دخل ابن شهاب على الوليد أوسليمان فقال له يا ابن شهاب ما حديث يرويه أهل الشام قال ما هو يا أمير المؤمنين قال إنهم يروون أن الله تعالى إذا استرعى عبدا رعية كتب له الحسنات و لم يكتب عليه السيئات فقال كذبوا يا أمير المؤمنين أيما أقرب إلى الله نبي أم خليفته قال بل نبي قال فإنه تعالى يقول لنييه داوديا داود إنا جعلناك خليفته فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلمون عن سبيل الله لهم عذاب شديد فقال سليمان إن الناس ليغرونا عن ديننا. وقال بكر بن عبد الله العدوى لابن أرتاة وأراد أن يستقضىه و الله ما أحسن القضاء فإن كنت صادقا لم يحل لك أن تستقضى من لا يحسن و إن كنت كاذبا فقد فسقت و الله لا يحل أن تستقضى الفاسق . و قال الزهرى ثلاث إذا كن فى القاضى فليس بقاض أن يكره اللائمة و يجب المحمده و يخاف العزل . و قال محارب بن زياد للأعمش وليت القضاء فبكى أهلى فلما عزلت بكى أهلى فما أدرى مم ذلك قال لأنك وليت القضاء و أنت تكرهه و تجزع منه -قرآن- ٣٢٣-٥١٦ [صَفْحَةُ ٦٢] فبكى أهلك لجزعك و عزلت عنه فكرهت العزل و جزعت فبكى أهلك لجزعك قال صدقت . أتى ابن شبرمه يقوم يشهدون على قراح نخل فشهدوا و كانوا عدولا فامتحنهم فقال كم فى القراح من نخلة قالوا لانعلم فرد شهادتهم فقال له أحدهم أنت أيها القاضى تقضى فى هذا المسجد منذ ثلاثين سنة فأعلمنا كم فيه من أسطوانة فسكت و أجازهم . خرج شريك و هو على قضاء الكوفة يتلقى الخيزران و قد أقبلت تريد الحج و قد كان استقضى و هو كاره فأتى شامى فأقام بها ثلاثا فلم تواف فحفف زاده و ما كان معه فجعل يبيله بالماء و يأكله بالملح فقال العلاء

بن المنهال الغنوي فإن كان ألدَى قد قلت حقا || بأن قد أكرهوك على القضاء فما لك موضعا في كل يوم || تلقى من يحج من النساء مقيما في قري شاهي ثلاثا || بلا زاد سوى كسر وماء . وتقدمت كلثم بنت سريع مولى عمرو بن حريث وكانت جميلة وأخوها الوليد بن سريع إلى عبدالملك بن عمير و هو قاض بالكوفة فقضى لها على أخيها فقال هذيل الأشجعي أتاه وليد بالشهود يسوقهم || على مادعى من صامت المال والخول وجاءت إليه كلثم وكلامها || شفاء من الداء المخامر والخبل فأدلى وليد عندذاك بحقه || و كان وليد ذا مرء وذا جدل فدلته القبطى حتى قضى لها || بغير قضاء الله فى محكم الطول [صفحة ٦٣] فلو كان من فى القصر يعلم علمه || لما استعمل القبطى فىنا على عمل له حين يقضى للنساء تخاوص || و كان و ما فيه التخاوص والحوال إذا ذات دل كلمته لحاجة || فهم بأن يقضى تنحج أوسعل وبرق عينيه ولاك لسانه || يرى كل شىء ما خلا وصلها جلال . و كان عبدالملك بن عمير يقول لعن الله الأشجعي و الله لربما جاءتنى السعلة والنحنحة و أنا فى المتوضأ فأردهما لما شاع من شعره . كتب عمر بن الخطاب إلى معاوية أما بعد فقد كتبت إليك فى القضاء بكتاب لم آلك ونفسى فيه خيرا الزم خمس خصال يسلم لك دينك وتأخذ بأفضل حظك إذا تقدم إليك الخصمان فعليك بالبينه العادلة أو اليمين القاطعة وادن الضعيف حتى يشتد قلبه وينسط لسانه وتعهد الغريب فإنك إن لم تتعهده ترك حقه ورجع إلى أهله وإنما ضيع حقه من لم يرفق به وآس بين الخصوم فى لحظك ولفظك وعليك بالصلح بين الناس ما لم يستبن لك فصل القضاء . وكتب عمر إلى شريح لا تسارر ولا تضارر ولا تبع ولا تتبع فى مجلس القضاء ولا تقض و أنت غضبان ولا شديد الجوع ولا مشغول القلب . شهد رجل عند سوار القاضى فقال ما صنعتك فقال مؤدب قال أنا لأجيز شهادتك قال و لم قال لأنك تأخذ على تعليم القرآن أجرا قال و أنت أيضا تأخذ على القضاء بين المسلمين أجرا قال إنهم أكرهونى قال نعم أكرهوك على القضاء فهل أكرهوك على أخذ الأجر قال هلم شهادتك . ودخل أبودلامة ليشهد عند أبى ليلى فقال حين جلس بين يديه إذا الناس غطونى تغطيت عنهم || و إن بحثوا عنى ففهم مباحث [صفحة ٦٤] و إن حفروا بئرى حفرت بئارهم || ليعلم ما تخفيه تلك النبائث . فقال بل نغطيك يا أبادلامة و لا نبحتك و صرفه راضيا وأعطى المشهود عليه من عنده قيمة ذلك الشىء . كان عامر بن الظرب العدوانى حاكم العرب وقاضيا فنزل به قوم يستفتونه فى الخثنى وميراثه فلم يدر ما يقضى فيه و كان له جارية اسمها خصيلة ربما لامها فى الإبطاء عن الرعى و فى الشىء يجده عليها فقال لها يا خصيلة لقد أسرع هؤلاء القوم فى غنمى وأطالوا المكث قالت و ما يكبر عليك من ذلك اتبعه مباله وخلاك ذم فقال لها مسى خصيل بعدها أوروحي . و قال أعرابى لقوم يتنازعون هل لكم فى الحق أو ما هو خير من الحق قيل و ما ألدَى هو خير من الحق قال التحاط والهضم فإن أخذ الحق كله مر . وعزل عمر بن عبدالعزيز بعض قضاته فقال لم عزلتنى فقال بلغنى أن كلامك أكثر من كلام الخصمين إذا تحاكما إليك . ودخل إياس بن معاوية الشام و هو غلام فقدم خصما إلى باب القاضى فى أيام عبدالملك فقال القاضى أ ماتستحىي تخاصم و أنت غلام شيخا كبيرا فقال الحق أكبر منه فقال اسكت ويحك قال فمن ينطق بحجتي إذا قال ما أظنك تقول اليوم حقا حتى تقوم فقال لا إله إلا الله فقام القاضى ودخل على عبدالملك وأخبره فقال اقض حاجته وأخرجه من الشام كى لا يفسد علينا الناس . واختصم أعرابى وحضرى إلى قاض فقال الأعرابى أيها القاضى إنه و إن هملج إلى الباطل فإنه عن الحق لعطوف . ورد رجل جارية على رجل اشتراها منه بالحمق فترافعا إلى إياس بن معاوية [صفحة ٦٥] فقال لها إياس أى رجلك أطول فقالت هذه فقال أتذكرين ليله ولدتك أمك قالت نعم فقال إياس رد رد . و جاء فى الخبر المرفوع من رواية عبد الله بن عمر لا قدست أمة لا يقضى فيها بالحق -رواية ١-٢-رواية ٥٠-٨٢ من الحديث المرفوع من رواية أبى هريرة ليس أحد يحكم بين الناس إلا جىء به يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه فكه العدل وأسلمه الجور -رواية ١-٢-رواية ٤٢-١٤٢ استعدى رجل على على بن أبى طالب ع عمر بن الخطاب رضى الله عنه و على جالس فالتفت عمر إليه فقال قم يا أبا الحسن فاجلس مع خصمك فقام فجلس معه وتناظرا ثم انصرف الرجل

ورجع على ع إلى محله فتبين عمر التغير في وجهه فقال يا أبا الحسن ما لى أراك متغيرا أكرهت ما كان قال نعم قال و ماذا قال كنتى بحضرة خصمى هلا- قلت قم يا على فاجلس مع خصمك فاعتق عمر عليا وجعل يقبل وجهه وقال بأبى أنتم بكم هداانا الله وبكم أخرجنا من الظلمة إلى النور -روایت- ١-٤٧١. أبان بن عبد الحميد اللاحقى فى سوار بن عبد الله القاضى لا تقدرح الظنة فى حكمه || شيمته عدل وإنصاف يمضى إذا لم تلقه شبهة || وفى اعتراض الشك وقاف . كان بيغداد رجل يذكر بالصلاح والزهد يقال له رويم فولى القضاء فقال الجنيد من أراد أن يستودع سره من لا يفشيه فعليه رويم فإنه كتم حب الدنيا أربعين سنة إلى أن قدر عليها. الأشهب الكوفى يا أهل بغداد قد قامت قيامتكم || مذ صار قاضيكم نوح بن دراج لو كان حيا له الحجاج ماسلمت || صحيحة يده من وسم حجاج . [صفحہ ٦٦] و كان الحجاج يسم أيدى النبط بالمشراط والنيل . لما وقعت فتنة ابن الزبير اعتزل شريح القضاء وقال لأقضى فى الفتنة فبقى لا يقضى تسع سنين ثم عاد إلى القضاء وقد كبرت سنه فاعترضه رجل وقد انصرف من مجلس القضاء فقال له أماحان لك أن تخاف الله كبرت سنك وفسد ذهنك وصارت الأمور تجوز عليك فقال و الله لا يقولها بعدك لى أحد فلزم بيته حتى مات . قيل لأبى قلابه وقد هرب من القضاء لو أجت قال أخاف الهلاك قيل لو اجتهدت لم يكن عليك بأس قال ويحكم إذا وقع السابح فى البحر كم عسى أن يسبح . دعا رجل لسليمان الشاذكونى فقال أرايك الله يا أبأيوب على قضاء أصبهان قال ويحك إن كان ولا بد فعلى خراجها فإن أخذ أموال الأغنياء أسهل من أخذ أموال الأيتام . ارتفعت جميلة بنت عيسى بن جراد وكانت جميلة كاسمها مع خصم لها إلى الشعبى و هو قاضى عبد الملك فقضى لها فقال هذيل الأشجعى فتن الشعبى لما || رفع الطرف إليها فتنته بثنايا || ها وقوسى حاجيها ومشت مشيا رويدا || ثم هزت منكيبها فقضى جورا على الخصم || و لم يقض عليها فقبض الشعبى عليه وضربه ثلاثين سوطا . قال ابن أبى ليلى ثم انصرف الشعبى يوما من مجلس القضاء وقد شاعت الأبيات [صفحہ ٦٧] وتناشدها الناس ونحن معه فمررنا بخادم تغسل الثياب وتقول فتن الشعبى لما و لا تحفظ تتمه البيت فوقف عليها ولقنها وقال رفع الطرف إليها ثم ضحك وقال أبعد الله و الله ما قضينا لها إلا بالحق . جاءت امرأة إلى قاض فقال مات بعلى وترك أبوين وابنا وبنى عم فقال القاضى لأبويه الشكل ولابنه اليتيم و لك اللائمه ولبنى عمه الذلة واحملى المال إلينا إلى أن ترتفع الخصوم .لقى سفيان الثورى شريكا بعد ما استقضى فقال له يا أبأ عبد الله بعد الإسلام والفقه والصلاح تلى القضاء قال يا أبأ عبد الله فهل للناس بد من قاض قال و لا بد يا أبأ عبد الله للناس من شرطى . و كان الحسن بن صالح بن حى يقول لماولى شريك القضاء أى شيخ أفسدوا . قال أبوذر رضى الله عنه قال لى رسول الله ص يا أبأذر اعقل ما أقول لك جعل يرددها على ستة أيام ثم قال لى فى اليوم السابع أوصيك بتقوى الله فى سريرتك وعلانيتك و إذا سألت فأحسن و لا تسألن أحدا شيئا و لو سقط سوطك و لا تتقلدن أمانة و لا تلين ولاية و لا تكفلن يتيما و لا تقضين بين اثنين - روايت- ١-٢-روایت- ٦٣-٣٠٤. أراد عثمان بن عفان أن يستقضى عبد الله بن عمر فقال له ألسنت قد سمعت النبى ص يقول من استعاذ بالله فقد عاذ بمعاذ -روایت- ١-٢-روایت- ٢٤-٥٦ قال بلى قال فإنى أعوذ بالله منك أن تستقضينى . [صفحہ ٦٨] و قد ذكر الفقهاء فى آداب القاضى أمورا قالوا لا يجوز أن يقبل هدية فى أيام القضاء إلا ممن كانت له عادة يهدى إليه قبل أيام القضاء و لا يجوز قبولها فى أيام القضاء ممن له حكومة و خصومه و إن كان ممن له عادة قديمة و كذلك إن كانت الهدية أنفس و أرفع مما كانت قبل أيام القضاء لا يجوز قبولها و يجوز أن يحضر القاضى الولائم و لا يحضر عند قوم دون قوم لأن التخصيص يشعر بالميل و يجوز أن يعود المرضى ويشهد الجنائز و يأتى مقدم الغائب ويكره له مباشرة البيع والشراء و لا يجوز أن يقضى و هو غضبان و لا جائع و لا عطشان و لا فى حال الحزن الشديد و لا الفرح الشديد و لا يقضى و النعاس يغلبه و المرض يقلقه و لا و هو يدافع الأخبين و لا فى حر مزعج و لا فى برد مزعج و ينبغى أن يجلس للحكم فى موضع بارز يصل إليه كل أحد و لا يحتجب إلا لعذر و يستحب أن يكون مجلسه فسيحا لا يتأذى بذلك هو أيضا ويكره الجلوس فى المساجد للقضاء فإن احتاج إلى وكلاء

جاز أن يتخذهم ويوصيهم بالرفق بالخصوم ويستحب أن يكون له حبس و أن يتخذ كاتباً إن احتاج إليه و من شرط كاتبه أن يكون عارفاً بما يكتب به عن القضاء. واختلف في جواز كونه ذمياً والأظهر أنه لا يجوز ولا يجوز أن يكون كاتبه فاسقاً ولا يجوز أن يكون الشهود عنده قوماً معينين بل الشهادة عامة فيمن استكمل شروطها ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختياراً و لا تولهم محاباةً و أثره فإنهما جماع من شُعب الجور و الخيانة و تَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِيبَةِ وَ الْحَيَاءِ مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَ الْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقًا وَ أَصَحَّ أَعْرَاضًا وَ أَقَلَّ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَافًا وَ أَبْلَغَ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ نَظْرًا [صفحہ ۶۹] ثُمَّ أَسْبَغَ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ وَ غِنَى لَهُمْ عَنِ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ وَ حُجْرَةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ ثَلَمُوا أَمَانَتَكَ ثُمَّ تَفَقَّدَ أَعْمَالَهُمْ وَ ابْعَثَ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَ الْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لِأُمُورِهِمْ حَدُودٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْأَمَانَةِ وَ الزَّفَقِ بِالرِّعْيَةِ وَ تَحْفَظُ مِنَ الْأَعْوَانِ فَإِنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَةٍ اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ اِكْتَفَيْتَ بِذَلِكَ شَاهِدًا فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ فِي يَدَيْهِ وَ أَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقَامِ الْمَدْلُوعِ وَ وَسَّيَمْتَهُ بِالْخِيَانَةِ وَ قَلَدْتَهُ عِمَارَ التَّهْيِئَةِ لِمَا فَرَّغَ مِنْهُ مِنْ أَمْرِ الْقَضَاءِ شَرَعَ فِي أَمْرِ الْعَمَالِ وَ هُمْ عَمَالُ السَّوَادِ وَ الصَّدَقَاتِ وَ الْوُقُوفِ وَ الْمَصَالِحِ وَ غَيْرِهَا فَأَمْرُهُ أَنْ يَسْتَعْمَلَهُمْ بَعْدَ اخْتِبَارِهِمْ وَ تَجْرِيبَتِهِمْ وَ أَلَّا يُؤَلِّمَهُمْ مُحَابَاةً لَهُمْ وَ لِمَنْ يَشْفَعُ فِيهِمْ وَ لِأَثَرِهِ وَ لِإِنْعَامِهِ عَلَيْهِمْ . كَانَ أَبُو الْحَسَنِ بْنِ الْفَرَاتِ يَقُولُ الْأَعْمَالُ لِلْكَفَاءَةِ مِنْ أَصْحَابِنَا وَ قَضَاءُ الْحَقُوقِ عَلَى خَوَاصِ أَمْوَالِنَا . وَ كَانَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ يَقُولُ مِنْ تَسْبِيبِ إِلَيْنَا بِشَفَاعَةٍ فِي عَمَلٍ فَقَدْ حَلَّ عِنْدَنَا مَحَلٌّ مِنْ يَنْهَضُ بَغَيْرِهِ وَ مِنْ لَمْ يَنْهَضْ بِنَفْسِهِ لَمْ يَكُنْ لِلْعَمَلِ أَهْلًا . وَ وَقَعَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى فِي رِقْعَةٍ مُتَحَرِّمٍ بِهِ هَذَا فَنُتِيَ لَهُ حَرَمَةُ الْأَمَلِ فَامْتَحَنَهُ بِالْعَمَلِ فَإِنَّ كَانَ كَافِيًا فَالْسلطانُ لَهُ دُونُنَا وَ إِنْ لَمْ يَكُنْ كَافِيًا فَنَحْنُ لَهُ دُونَ السُّلْطَانِ . ثُمَّ قَالَ عَ فَإِنَّهُمَا يَعْنِي اسْتِعْمَالَهُمْ لِلْمُحَابَاةِ وَ الْأَثَرِ جَمَاعٍ مِنْ شُعْبِ الْجُورِ وَ الْخِيَانَةِ وَ قَدْ تَقَدَّمَ شَرْحٌ مِثْلُ هَذِهِ اللَّفْظَةِ وَ الْمَعْنَى أَنَّ ذَلِكَ يَجْمَعُ ضَرْبًا مِنَ الْجُورِ وَ الْخِيَانَةِ أَمَا الْجُورُ فَإِنَّهُ يَكُونُ قَدْ عُدِلَ عَنِ الْمُسْتَحَقِّ إِلَى غَيْرِ الْمُسْتَحَقِّ فَفِي ذَلِكَ جُورٌ عَلَى الْمُسْتَحَقِّ . [صفحہ ۷۰] وَ أَمَا الْخِيَانَةُ فَلَأَنَّ الْأَمَانَةَ تَقْتَضِي تَقْلِيدَ الْأَعْمَالِ الْأَكْفَاءِ فَمَنْ لَمْ يَعْتَمِدْ ذَلِكَ فَقَدْ خَانَ مِنْ وَلاِهِ . ثُمَّ أَمْرُهُ بِتَخْيِيرِ مَنْ قَدْ جَرَّبَ وَ مَنْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ وَ الْأَشْرَافِ لِشِدَّةِ الْحَرَصِ عَلَى الشَّيْءِ وَ الْخَوْفِ مِنْ فَوَاتِهِ . ثُمَّ أَمْرُهُ بِإِسْبَاغِ الْأَرْزَاقِ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ الْجَائِعَ لِأَمَانَتِهِ لَهُ وَ لِأَنَّ الْحِجَّةَ تَكُونُ لِزَمَّةٍ لَهُمْ إِنْ خَانُوا لِأَنَّهُمْ قَدْ كَفُّوا مِثْلَهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَ أَهْلِيَهُمْ بِمَا فَرَضَ لَهُمْ مِنَ الْأَرْزَاقِ . ثُمَّ أَمْرُهُ بِالْتَّلَعِ عَلَيْهِمْ وَ إِذْكَاءِ الْعُيُونَ وَ الْأَرْصَادِ عَلَى حَرَكَاتِهِمْ . وَ حَدُودُهُ بَاعِثٌ يَقَالُ حَدَانِي هَذَا الْأَمْرَ حَدُودُهُ عَلَى كَذَا وَ أَصْلُهُ سَوْقُ الْإِبِلِ وَ يَقَالُ لِلشَّمَالِ حَدُودًا لِأَنَّهَا تَسُوقُ السَّحَابَ . ثُمَّ أَمْرُهُ بِمُؤَاخَذَةِ مَنْ ثَبَّتَ خِيَانَتَهُ وَ اسْتِعَادَةَ الْمَالِ مِنْهُ وَ قَدْ صَنَعَ عَمْرٌ كَثِيرًا مِنْ ذَلِكَ وَ ذَكَرْنَاهُ فِيمَا تَقَدَّمَ . قَالَ بَعْضُ الْأَكَّاسِرَةِ لِعَامِلٍ مِنْ عَمَالِهِ كَيْفَ نَوْمُكَ بِاللَّيْلِ قَالَ أَنَامُهُ كُلَّهُ قَالَ أَحْسَنْتَ لَوْ سَرَقْتَ مَا نَمْتُ هَذَا النُّومَ وَ تَفَقَّدَ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ فَإِنَّ فِي صَلَاحِهِ وَ صَلَاحِهِمْ صَلَاحًا لِمَنْ سِوَاهُمْ وَ لَا صَلَاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلَّا بِهِمْ لِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخَرَاجِ وَ أَهْلِهِ وَ لِيَكُنْ نَظْرُكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظْرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْخَرَاجِ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يَدْرُكَ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ وَ مَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ الْبِلَادَ وَ أَهْلَكَ [صفحہ ۷۱] الْعِبَادَ وَ لَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلَّا قَلِيلًا فَإِنَّ شَكْوَاهُمْ ثِقَلًا أَوْ عِلَّةً أَوْ انْقِطَاعَ شَرْبٍ أَوْ بَالِيَةٍ أَوْ إِحَالَةَ أَرْضٍ اغْتَمَرَهَا غَرَقٌ أَوْ أَجْحَفَ بِهَا عَطَشٌ خَفَّفَتْ عَنْهُمْ بِمَا تَرَجُّو أَنْ يَصْلَحَ بِهِ أَمْرُهُمْ وَ لَا يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّفَتْ بِهِ الْمِثْوَنَةُ عَنْهُمْ فَإِنَّهُ دُخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي عِمَارَةِ بِلَادِكَ وَ تَرْبِيْنِ وَلِيَّتِكَ مَعَ اسْتِجْلَابِكَ حُسْنَ ثَنَائِهِمْ وَ تَبَجِّحِكَ بِاسْتِغْنَاةِ الْعِيدِ فِيهِمْ مُعْتَمِدًا فَضَّلَ قُوَّتَهُمْ بِمَا دَخَرَتْ عِنْدَهُمْ مِنْ إِجْمَامِكَ لَهُمْ وَ الثَّقَّةَ مِنْهُمْ بِمَا عَوَدَتْهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ وَ رِفْقِكَ بِهِمْ فَرُبَّمَا حَدَّثَ مِنَ الْأُمُورِ مَا إِذَا عَوَّلْتَ فِيهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدِ احْتِمَالُوهُ طَيِّبَةً أَنْفُسَهُمْ بِهِ فَإِنَّ الْعُمَرَانَ مُحْتَمِلٌ مَا حَمَلْتَهُ وَ إِنَّمَا يُؤْتَى خَرَابُ الْأَرْضِ مِنْ إِعْوَازِ أَهْلِهَا وَ إِنَّمَا يُعَوَّزُ أَهْلُهَا لِإِشْرَافِ أَنْفُسِ الْوَلَاةِ عَلَى الْجَمْعِ وَ سُوءِ ظَنِّهِمْ بِالْبَقَاءِ وَ قَلْبِهِ انْتِفَاعِهِمْ بِالْعِبَرِ انْتَقَلَ مِنْ ذِكْرِ الْعَمَالِ إِلَى ذِكْرِ أَرْبَابِ الْخَرَاجِ وَ دَهَاقِينِ السَّوَادِ فَقَالَ تَفَقَّدَ أَمْرَهُمْ فَإِنَّ النَّاسَ عِيَالٌ عَلَيْهِمْ وَ كَانَ يَقَالُ اسْتَوْصُوا بِأَهْلِ الْخَرَاجِ فَإِنَّكُمْ لَا تَزَالُونَ سَمَانًا مَاسْمُونًا . وَ رَفَعَ إِلَى أَنْوَشِرَوَانَ أَنْ عَامِلَ الْأَهْوَازِ قَدْ حَمَلَ مِنْ مَالِ الْخَرَاجِ مَا يَزِيدُ عَلَى

العادة وربما يكون ذلك قد أجهف بالرعية فوقع يرد هذا المال على من قداستوفى منه فإن تكثير الملك ماله بأموال رعيته بمنزلة من يحصن سطوحه بما يقتلعه من قواعد بنيانه . [صفحہ ۷۲] و كان على خاتم أنوشروان لا يكون عمران حيث يجور السلطان . و روى استحلاب الخراج بالحاء . ثم قال فإن شكوا ثقلا أى ثقل طسق الخراج المضروب عليهم أو ثقل وطأة العامل . قال أوعله نحو أن يصيب الغلة آفة كالجراد والبرق أو البرد . قال أو انقطاع شرب بأن ينقص الماء فى النهر أو تتعلق أرض الشرب عنه لفقد الحفر . قال أو باله يعنى المطر . قال أو إحالة أرض اغتمرها غرق يعنى أو كون الأرض قدحالت و لم يحصل منها ارتفاع لأن الغرق غمرها وأفسد زرعها . قال أو أجهف بهاعطش أى أتلفها . فإن قلت فهذا هو انقطاع الشرب قلت لا قد يكون الشرب غير منقطع و مع ذلك يجحف بها العطش بأن لا يكفيها الماء الموجود فى الشرب . ثم أمره أن يخفف عنهم متى لحقهم شىء من ذلك فإن التخفيف يصلح أمورهم و هو و إن كان يدخل على المال نقصا فى العاجل إلا أنه يقتضى توفير زيادة فى الآجل فهو بمنزلة التجارة التى لا بد فيها من إخراج رأس المال و انتظار عوده و عود ربحه . [صفحہ ۷۳] قال و مع ذلك فإنه يفضى إلى تزين بلادك بعمارتها و إلى أنك تبجح بين الولاة بإفاضة العدل فى رعيتهك معتمدا فضل قوتهم و معتمدا منصوب على الحال من الضمير فى خففت الأولى أى خففت عنهم معتمدا بالتخفيف فضل قوتهم . و الإجمام الترفيه . ثم قال له وربما احتجت فيما بعد إلى تكلفهم بحادث يحدث عندك المساعدة بمال يقسطونه عليهم قرضا أو معونة محضة فإذا كانت لهم ثروة نهضوا بمثل ذلك طيبة قلوبهم به . ثم قال ع فإن العمران محتمل ماحملته . سمعت أبا محمد بن خلود و كان صاحب ديوان الخراج فى أيام الناصر لدين الله يقول لمن قال له قد قيل عنك إن واسط والبصرة قد خربت لشدة العنف بأهلها فى تحصيل الأموال فقال أبو محمد مادام هذا الشط بحاله والنخل نابتا فى منابته بحاله ماتخرب واسط والبصرة أبدا . ثم قال ع إنما تؤتى الأرض أى إنما تدهى من إعواز أهلها أى من فقرهم . قال والموجب لإعوازمهم طمع ولاتهم فى الجباية و جمع الأموال لأنفسهم ولسلطانهم و سوء ظنهم بالبقاء يحتمل أن يريد به أنهم يظنون طول البقاء وينسون الموت والزوال . ويحتمل أن يريد به أنهم يتخيلون العزل والصرف فينتهزون الفرص و يقتطعون الأموال و لا ينظرون فى عمارة البلاد [صفحہ ۷۴]

عهد سابور بن أردشير لابنه

و قد وجدت فى عهد سابور بن أردشير إلى ابنه كلاما يشابه كلام أمير المؤمنين ع فى هذا العهد و هو قوله واعلم أن قوام أمرك بدرور الخراج و درور الخراج بعمارة البلاد و بلوغ الغاية فى ذلك استصلاح أهله بالعدل عليهم و المعونة لهم فإن بعض الأمور لبعض سبب و عوام الناس لخواصهم عدة و بكل صنف منهم إلى الآخر حاجة فاختر لذلك أفضل من تقدر عليه من كتابك وليكونوا من أهل البصر و العفاف و الكفاية و استرسل إلى كل امرئ منهم شخصا يظطلع به و يمكنه تعجيل الفراغ منه فإن اطلعت على أن أحدا منهم خان أو تعدى فنكل به و بالغ فى عقوبته و احذر أن تستعمل على الأرض الكثير خراجها إلا البعيد الصوت العظيم شرف المنزلة . و لاتولين أحدا من قواد جندك الذين هم عدة للحرب و جنه من الأعداء شيئا من أمر الخراج فلعلك تهجم من بعضهم على خيانه فى المال أو تضيع للعمل فإن سوغته المال و أغضيت له على التضييع كان ذلك هلاكا و إضرارا بك و برعيتهك و داعية إلى فساد غيره و إن أنت كافأته فقد استفسدته و أضقت صدره و هذا أمر توقيه حزم و الإقدام عليه خرق و التقصير فيه عجز . واعلم أن من أهل الخراج من يلجئ بعض أرضه و ضياعه إلى خاصة الملك و بطانته لأحد أمرين أنت حرى بكراهتهما إما لامتناع من جور العمال و ظلم الولاة و تلك منزلة يظهر بها سوء أثر العمال و ضعف الملك و إخلاله بما تحت يده و إما للدفع عما يلزمهم [صفحہ ۷۵] من الحق و التيسر له و هذه خلعة تفسد بها آداب الرعية و تنتقص بها أموال الملك فاحذر ذلك

وعاقب الملتجئين والملجأ إليهم ركب زياد يوما بالسوس يطوف بالضياح والزروع فرأى عمارة حسنة فتعجب منها فخاف أهلها أن يزيد في خراجهم فلما نزل دعا وجوه البلد وقال بارك الله عليكم فقد أحستتم العمارة وقد وضعت عنكم مائة ألف درهم ثم قال ماتوفر على من تهالك غيرهم على العمارة وأمنهم جورى أضعاف ما وضعت عن هؤلاء الآن والذي وضعته بقدر ما يحصل من ذاك وثواب عموم العمارة وأمن الرعيه أفضل ربح ثم انظر في حال كتابك قول على أمورك خيرهم وأخصص رسائلك التي تدخل فيها مكابذك وأسرارك بأجمعهم لوجود صالح الأخلاق ممن لا تبطره الكرامة فيجتري بها عليك في خلاف لك بحضرة ملأ و لما تقصير به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمالك عليك وإصدار جواباتها على الصواب عنك وفيما يأخذ لك ويعطي منك ولا يضعف عقداً اعتقده لك ولا يعجز عن إطلاق ما عقده عليك ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور فإن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراستك واستنابتك وحسن الظن منك [صفحة ٧٦] فإن الرجال يتعرضون لفراسات الولاه بتصنعهم وحسن حديثهم وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء ولكن اختبرهم بما أولوا للصالحين قبلك فاعمد لأحسنهم كان في العامة أثراً وأعرفهم بالأمانة وجهاً فإن ذلك دليل على نصيحتك لله وللمن وليت أمره واجعل لرأس كل أمر من أمورك رأساً منهم لما يقهره كبيرها ولا يتشتت عليه كثيرها ومهما كان في كتابك من عيب فتغايبت عنه أزمته

فصل فيما يجب على مصاحب الملك

لما فرغ من أمر الخراج شرع في أمر الكتاب الذين يلون أمر الحضرة ويترسلون عنه إلى عماله وأمرائه وإليهم معاهد التدبير وأمر الديوان فأمره أن يتخير الصالح منهم ومن يوثق على الاطلاع على الأسرار والمكايد والحيل والتدبيرات ومن لا يبطره الإكرام والتقريب فيطمع فيجتري على مخالفته في ملائمة من الناس والرد عليه ففي ذلك من الوهن للأمير وسوء الأدب الذي انكشف الكاتب عنه ما لا يخفى به . قال الرشيد للكسائي يا على بن حمزة قد أحللتناك المحل الذي لم تكن تبلغه همتك فرونا من الأشعار أعفها ومن الأحاديث أجمعها لمحاسن الأخلاق وذاكرنا بآداب الفرس والهند ولا تسرع علينا الرد في ملائمة ولا تترك تثقيفنا في خلائ وفي آداب ابن المقفع لا تكونن صحبتك للسلطان إلا بعد رياضة منك لنفسك على [صفحة ٧٧] طاعتهم في المكروه عندك وموافقهم فيما خالفك وتقدير الأمور على أهوائهم دون هواك فإن كنت حافظاً إذ أولوك حذراً إذ اقربوك أميناً إذا اتمنوك تعلمهم وكأنك تتعلم منهم وتأديبهم وكأنك تتأديب بهم وتشكر لهم ولا تكلفهم الشكر ذليلاً إن صرموك راضياً إن أسخطوك وإلا فالبعد منهم كل البعد والحذر منهم كل الحذر وإن وجدت عن السلطان وصحبته غنى فاستغن عنه فإنه من يخدم السلطان حق خدمته يخلى بينه وبين لذة الدنيا وعمل الأخرى ومن يخدمه غير حق الخدمة فقد احتمل وزر الآخرة وعرض نفسه للهلكة والفضيحة في الدنيا فإذا صحبت السلطان فعليك بطول الملازمة من غير إملاط وإذ انزلت منه بمنزلة الثقة فاعزل عنه كلام الملق ولا تكثر له من الدعاء ولا تردن عليه كلاماً في حفل وإن أخطأ فإذا خلوت به فبصره في رفق ولا يكونن طلبك ما عنده بالمسألة ولا تستبطئه وإن أبطأ ولا تخبرنه أن لك عليه حقاً وأنك تعتمد عليه بلاء وإن استطعت ألا تنسى حقك وبلاءك بتجديد النصح والاجتهاد فافعل ولا تعطينه المجهود كله من نفسك في أول صحبتك له وأعد موضعاً للمزيد وإذ أسأل غيرك عن شيء فلا تكن المجيب . واعلم أن استلابك الكلام خفة فيك واستخفاف منك بالسائل والمسئول فما أنت قائل إن قال لك السائل ما إياك سألت أو قال المسئول أجب بمجالسته ومحادثته أيها المعجب بنفسه والمستخف بسلطانه . وقال عبد الملك بن صالح لمؤدب ولده بعد أن اختصه بمجالسته ومحادثته يا عبد الله كن على التماس الحظ فيك بالسكوت أحرص

منك على التماسه بالكلام فإنهم قالوا إذا أعجبك الكلام فاصمت و إذا أعجبك الصمت فتكلم واعلم أن أصعب الملوك معاملة الجبار الفطن المتفقد فإن ابتليت بصحبته فاحترس و إن عوفيت فاشكر الله على السلامة فإن السلامة أصل كل نعمة لا تساعدني على ما يقيح بي و لا تردن على [صفحہ ۷۸] خطأ في مجلس و لا تكلفني جواب التشميت والتهنئة ودع عنك كيف أصبح الأمير وكيف أمسى و كلمني بقدر ما أستنطقك واجعل بدل التقريظ لى صواب الاستماع منى واعلم أن صواب الاستماع أحسن من صواب القول فإذا سمعتنى أتحدث فلا يفوتنك منه شيء و أرني فهمك إياه فى طرفك و وجهك فما ظنك بالملك و قد أحلك محل المعجب بما يسمعك إياه و أحلته محل من لا يسمع منه و كل من هذا يجب إحسانك و يسقط حق حرمتك و لا تستدع الزيادة من كلامى بما تظهر من استحسان ما يكون منى فمن أسوأ حالا ممن يستكد الملوك بالباطل و ذلك يدل على تهاونه بقدر ما أوجب الله تعالى من حقهم واعلم أنى جعلتك مؤدبا بعد أن كنت معلما وجعلتك جليسا مقربا بعد أن كنت مع الصبيان مباحدا فمتى لم تعرف نقصان ما خرجت منه لم تعرف رجحان ما دخلت فيه و قد قالوا من لم يعرف سوء ما أولى لم يعرف حسن ما أبلى ثم قال ع وليكن كاتبك غير مقصر عن عرض مكتوبات عمالك عليك و الإجابة عنها حسن الوكالة والنيابة عنك فيما يحتج به لك عليهم من مكتوباتهم و ما يصدره عنك إليهم من الأجوبة فإن عقد لك عقدا قواه وأحكمه و إن عقد عليك عقدا اجتهد فى نقضه وحله قال و أن يكون عارفا بنفسه فمن لم يعرف قدر نفسه لم يعرف قدر غيره . ثم نهاه أن يكون مستند اختياره لهؤلاء فراسته فيهم و غلبه ظنه بأحوالهم فإن التدليس ينم فى ذلك كثيرا و مازال الكتاب يتصنعون للأمرء بحسن الظاهر و ليس وراء ذلك كثير طائل فى النصيحة والمعرفة ولكن ينبغي أن يرجع فى ذلك إلى ما حكمت [صفحہ ۷۹] به التجربة لهم و ما ولوه من قبل فإن كانت ولايتهم و كتابتهم حسنة مشكورة فهم هم و إلا فلا و يتعرفون لفراسات الولاية يجعلون أنفسهم بحيث يعرف بضروب من التصنع و روى يتعرضون . ثم أمره أن يقسم فنون الكتابة و ضروبها بينهم نحو أن يكون أحدهم للرسائل إلى الأطراف والأعداء و الآخر لأجوبة عمال السواد و الآخرة بحضرة الأمير فى خاصته و داره و حاشيته و وثقاته . ثم ذكر له أنه مأخوذ مع الله تعالى بما يتغابى عنه و يتغافل من عيوب كتابه فإن الدين لا يبيح الإغضاء والغفلة عن الأعوان والخول و يوجب التطلع عليهم

فصل فى الكتاب و ما يلزمهم من الآداب

واعلم أن الكاتب الذى يشير أمير المؤمنين ع إليه هو الذى يسمى الآن فى الاصطلاح العرفى وزيرا لأنه صاحب تدبير حضرة الأمير والنائب عنه فى أموره و إليه تصل مكتوبات العمال و عنه تصدر الأجوبة و إليه العرض على الأمير و هو المستدرك على العمال والمهيمن عليهم و هو على الحقيقة كاتب الكتاب ولهذا يسمونه الكاتب المطلق . و كان يقال للكاتب على الملك ثلاث رفع الحجاب عنه واتهام الوشاة عليه وإفشاء السر إليه . و كان يقال صاحب السلطان نصفه وكاتبه كله وينبغى لصاحب الشرطة أن يطيل الجلوس و يديم العبوس و يستخف بالشفاعات . [صفحہ ۸۰] و كان يقال إذا كان الملك ضعيفا والوزير شرها والقاضى جائرا فرقوا الملك شعاعا . و كان يقال لا تخف صولة الأمير مع رضا الكاتب و لا تتقن برضا الأمير مع سخط الكاتب وأخذ هذا المعنى أبو الفضل بن العميد فقال وزعمت أنك لست تفكر بعد ما || علقت يداك بدمه الأمرء هيهات قد كذبتك فكرتك التى || قد أوهمتكم غنى عن الوزراء لم تغن عن أحد سماء لم تجد || أرضا و لا أرض بغير سماء . و كان يقال إذا لم يشرف الملك على أموره صار أغش الناس إليه و وزيره . و كان يقال ليس الحرب الغشوم بأسرع فى اجتياح الملك من تضييع مراتب الكتاب حتى يصيبها أهل الندالة و يزهد فيها أولو الفضل

و كان يقال لا شىء أذهب بالدول من استكفاء الملك الأسرار. و كان يقال من سعادة جد المرء ألا يكون فى الزمان المختلط وزيرا للسلطان . و كان يقال كما أن أشجع الرجال يحتاج إلى السلاح وأسبق الخيل يحتاج إلى السوط وأحد السفار يحتاج إلى المسن كذلك أحزم الملوك وأعقلهم يحتاج إلى الوزير الصالح . و كان يقال صلاح الدنيا بصلاح الملوك وصلاح الملوك بصلاح الوزراء [صفحه ٨١] و كما لا يصلح الملك إلا بمن يستحق الملك كذلك لا تصلح الوزارة إلا بمن يستحق الوزارة. و كان يقال الوزير الصالح لا يرى أن صلاحه فى نفسه كائن صلاحا حتى يتصل بصلاح الملك وصلاح رعيته و أن تكون عنايته فيما عطف الملك على رعيته وفيما استعطف قلوب الرعية والعامه على الطاعة للملك وفيما فيه قوام أمر الملك من التدبير الحسن حتى يجمع إلى أخذ الحق تقديم عموم الأمن و إذ طرقت الحوادث كان للملك عدة وعتادا وللرعية كافيا محتاطا و من ورائها محاميا ذابا يعنيه من صلاحها ما لا يعنيه من صلاح نفسه دونها. و كان يقال مثل الملك الصالح إذا كان وزيره فاسدا مثل الماء العذب الصافى و فيه التمساح لا يستطيع الإنسان و إن كان سابحا و إلى الماء ظامئا دخوله حذرا على نفسه . قال عمر بن عبدالعزيز لمحمد بن كعب القرظى حين استخلف لو كنت كاتبى وردء لى على مادفعت إليه قال لأفعل ولكنى سأرشدك أسرع الاستماع وأبطئ فى التصديق حتى يأتىك واضح البرهان و لاتعملن ثبجتك فيما تكتفى فيه بلسانك و لاسوطك فيما تكتفى فيه بثبجتك و لاسيفك فيما تكتفى فيه بسوطك . و كان يقال التقاط الكاتب للرشا وضبط الملك لا يجتمعان . و قال أبرويز لكاتبه اكرم السر واصدق الحديث واجتهد فى النصيحة و عليك بالحذر فإن لك على ألا أعجل عليك حتى أستأنى لك و لأقبل فيك قولاً- حتى أستيقن و لا-أطعم فيك أحدا فتغثال واعلم أنك بمنجاة رفعة فلاتحطنها و فى [صفحه ٨٢] ظل مملكة فلاتستريله قارب الناس مجامله من نفسك و باعدهم مسامحة عن عدوك واقصد إلى الجميل ازدرعا لغدك وتنزه بالعفاف صونا لمروءتك وتحسن عندى بما قدرت عليه احذر لاتسرعن الألسنة عليك و لاتقبحن الأحداثه عنك و صن نفسك صون الدرّة الصافية وأخلصها إخلاص الفضة البيضاء وعاتبها معاتبه الحذر المشفق وحصنها تحصين المدينة المنيعه لاتدعن أن ترفع إلى الصغير فإنه يدل على الكبير و لاتكتمن عنى الكبير فإنه ليس بشاغل عن الصغير هذب أمورك ثم القنى بها واحكم أمرك ثم راجعنى فيه و لا-تجترئن على فأمتعض و لا-تنقبضن منى فأتهم و لا-تمرضن ماتلقانى به و لاتخذجنه و إذا أفكرت فلاتجعل و إذا كتبت فلاتعذر و لاتستعن بالفضول فإنها علاوة على الكفاية و لاتقصرن عن التحقيق فإنها هجئة بالمقالة و لاتلبس كلاما بكلام و لاتبعدن معنى عن معنى وأكرم لى كتابك عن ثلاث خضوع يستخفه وانتشار يهجنه ومعان تعقد به واجمع الكثير مما تريد فى القليل مما تقول وليكن بسطة كلامك على كلام السوقه كبسطة الملك الذى تحدثه على الملوك لا يكن مانلته عظيما و ماتتكلم به صغيرا فإنما كلام الكاتب على مقدار الملك فاجعله عاليا كعلوه وفائقا كتنفوقه فإنما جماع الكلام كله خصال أربع سؤالك الشىء و سؤالك عن الشىء وأمرك بالشىء وخبرك عن الشىء فهذه الخصال دعائم المقالات إن التمس إليها خامس لم يوجد و إن نقص منها واحد لم يتم فإذا أمرت فاحكم و إذا سألت فأوضح و إذا طلبت فأسمح و إذا أخبرت فحقق فإنك إذا فعلت ذلك أخذت بجرائم القول كله فلم يشته عليك واردة و لم تعجزك صادرة أثبت فى دواوينك ما أخذت وأحص فيها ما أخرجت و تيقظ لماتعطى و تجرد لماتأخذ و لا يغلبنك النسيان عن الإحصاء و لا الأناة عن التقدم و لاتخرجن [صفحه ٨٣] وزن قيراط فى غير حق و لا-تعظمن إخراج الأملوف الكثيرة فى الحق وليكن ذلك كله عن مؤامرتى ثم استوص بالتجارية و ذوى الصيغاعات و أوص بهم خيرا المقيم منهم و المضطرب بيماله و المترقى بيديه فإنهم مواد المنافع و أسباب المرافق و جلابها من المباعيد و المطارح فى برك و بحررك و سيهلكك و جيلتك و حيث لما يلتئم الناس لمواضة معها و لا يجترءون عليها فإنهم سلم لا

تُخَافُ بَائِقَتَهُ وَ صُلْحَ لَأ تُخْشَى غَائِلَتُهُ وَ تَفْقَدُ أُمُورَهُمْ بِخَضْرَتِكَ وَ فِي حَوَاشِي بِلَادِكَ وَ اعْلَمْ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضَيْقًا فَاحِشًا وَ شُحًا قَبِيحًا وَ احْتِكَارًا لِلْمَنَافِعِ وَ تَحَكُّمًا فِي الْبِيَاعَاتِ وَ ذَلِكَ بَابُ مَضْرُوءِ لِلْعَامَّةِ وَ عَيْبٌ عَلَى الْوَلَاءِ فَامْنَعِ مِنَ الْاِحْتِكَارِ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص مَنَعَ مِنْهُ وَ لِيَكُنِ الْبَيْعُ بَيْعًا سَدِّحًا بِمَوَازِينِ عَدْلِ وَ أَسْعَارٍ لَا تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ وَ الْمُبْتَاعِ فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ فَتَكَلَّفْ بِهِ وَ عَاقِبَهُ مِنْ غَيْرِ إِسْرَافٍ خَرَجَ الْآنَ إِلَى ذِكْرِ التِّجَارِ وَ ذَوِي الصَّنَاعَاتِ وَ أَمْرُهُ بِأَنْ يَعْمَلَ مَعَهُمُ الْخَيْرَ وَ أَنْ يُوَصِيَ غَيْرَهُ مِنْ أَمْرَائِهِ وَ عَمَالِهِ أَنْ يَعْمَلُوا مَعَهُمُ الْخَيْرَ وَ اسْتَوْصَ بِمَعْنَى أَوْصَ [صَفْحَةٌ ٨٤] نَحْوُ قَرَفٍ فِي الْمَكَانِ وَ اسْتَقَرَّ وَ عَلا قَرْنَهُ وَ اسْتَعْلَاهُ . وَ قَوْلُهُ اسْتَوْصَ بِالتِّجَارِ خَيْرًا أَيْ أَوْصَ نَفْسَكَ بِذَلِكَ وَ مِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ ص اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا - رَوَايَةٌ ١- ٢-

رَوَايَةٌ ١٧- ٣٨ وَ مَفْعُولًا اسْتَوْصَ وَ أَوْصَ هَاهُنَا مَحْذُوفَانِ لِلْعَلْمِ بِهُمَا وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اسْتَوْصَ أَيْ اقْبَلِ الْوَصِيَّةَ مِنْهُ بِهُمَا وَ أَوْصَ بِهِمْ أَنْتَ غَيْرُكَ . ثُمَّ قَسَمَ عِ الْمَوْصِي بِهِمْ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ اِثْنَانِ مِنْهَا لِلتِّجَارِ وَ هُمَا الْمَقِيمُ وَ الْمَضْطْرِبُ يَعْنِي الْمَسَافِرُ وَ الضَّرْبُ السَّيْرِ فِي الْأَرْضِ قَالَ تَعَالَى إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ وَ وَاحِدٌ لِأَرْبَابِ الصَّنَاعَاتِ وَ هُوَ قَوْلُهُ وَ الْمَتْرَفُ بِيَدِنَهُ وَ رَوَى بِيَدَيْهِ تَشْبِيهُ يَدٍ . وَ الْمَطَارِحُ الْأَمَاكِنُ الْبَعِيدَةُ . وَ حَيْثُ لَا يَلْتَمِثُ النَّاسُ لَا يَجْتَمِعُونَ وَ رَوَى حَيْثُ لَا يَلْتَمِثُ بِحَذْفِ الْوَاوِ ثُمَّ قَالَ فَإِنَّهُمْ أَوْلُو سَلْمٍ يَعْنِي التِّجَارِ وَ الصَّنَاعِ اسْتَعْطَفَهُ عَلَيْهِمْ وَ اسْتَمَالَهُ إِلَيْهِمْ . وَ قَالَ لِيَسُوا كَعْمَالِ الْخِرَاجِ وَ أَمْرَاءِ الْأَجْنَادِ فَجَانِبَهُمْ يَنْبَغِي أَنْ يِرَاعِي وَ حَالَهُمْ يَجِبُ أَنْ يِحَاطَ وَ يِحْمَى إِذْ لَا يَتَخَوَّفُ مِنْهُمْ بَائِقَةُ لَا فِي مَالٍ يَخُونُونَ فِيهِ وَ لَا فِي دَوْلَةٍ يَفْسُدُونَهَا وَ حَوَاشِي الْبِلَادِ أَطْرَافُهَا . ثُمَّ قَالَ لَهُ قَدْ يَكُونُ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ نَوْعٌ مِنَ الشُّحِّ وَ الْبَخْلِ فَيَدْعُوهُمْ ذَلِكَ إِلَى الْاِحْتِكَارِ فِي الْأَقْوَاتِ وَ الْحَيْفِ فِي الْبِيَاعَاتِ وَ الْاِحْتِكَارِ ابْتِيَاعِ الْغَلَاتِ فِي أَيَّامِ - قُرْآن - ٢٤٨- ٢٧٢ [صَفْحَةٌ ٨٥] رَخِصَهَا وَ اِدْخَارَهَا فِي الْمَخَازِنِ إِلَى أَيَّامِ الْغَلَاءِ وَ الْقَحْطِ وَ الْحَيْفِ تَطْفِيفٌ فِي الْوِزْنِ وَ الْكَيْلِ وَ زِيَادَةٌ فِي السَّعْرِ وَ هُوَ الَّذِي عَبَّرَ عَنْهُ بِالتَّحْكَمِ وَ قَدْنَهِي رَسُولُ اللَّهِ ص عَنِ الْاِحْتِكَارِ وَ أَمَّا التَّطْفِيفُ وَ زِيَادَةُ التَّسْعِيرِ فَمَنْهَى عَنْهُمَا فِي نَصِّ الْكِتَابِ . وَ قَارَفَ حُكْرَةً وَاقِعَهَا وَ الْحَاءُ مَضْمُومَةٌ وَ أَمْرُهُ أَنْ يُؤَدَّبَ فَاعِلٌ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ إِسْرَافٍ وَ ذَلِكَ أَنَّهُ دُونَ الْمَعَاصِي الَّتِي تَوْجِبُ الْحُدُودَ فَعَايَهُ أَمْرُهُ مِنَ التَّعْزِيرِ الْإِهَانَةَ وَ الْمَنْعِ ثُمَّ اللَّهُمَّ اللَّهُ فِي الطَّبَقَةِ السِّفْلَى مِنَ الْمَذِينِ لَمَّا حِيلَةَ لَهُمْ مِنَ الْمَسَاكِينِ وَ الْمُحْتَاجِينَ وَ أَهْلِ الْبُؤْسِيِّ وَ الزَّمْنَى فَإِنَّ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعًا وَ مُعْتَرًّا وَ اِحْفَظِ اللَّهُ مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ وَ اجْعَلْ لَهُمْ قِسْمًا مِنْ بَيْتِ مَالِكَ وَ قِسْمًا مِنْ غَلَاتِ صَوَافِي الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ فَإِنَّ لِلْأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلْأَدْنَى وَ كُلُّ قَدٍ اسْتُرْعِيَتْ حَقُّهُ وَ لَا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطْرٌ فَإِنَّكَ لَا تُعَدِّرُ بِتَضْيِيعِ التَّافِهِ لِاحْكَامِكَ الْكَثِيرِ الْمُهْمِّ فَلَا تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ وَ لَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لَهُمْ وَ تَفْقَدُ أُمُورَ مَنْ لَمَّا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَفْتَحُمُهُ الْعُمُيُونَ وَ تَحْقِرُهُ الرِّجَالُ فَفَرَّغْ لِأَوْلِيكَ نَفْتِكَ مِنَ أَهْلِ الْخَشْيَةِ وَ التَّوَاضِعِ فَلْيَرَفِعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ ثُمَّ اعْمَلْ فِيهِمْ بِالْإِعْدَارِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ يَوْمَ تَلْقَاهُ فَإِنَّ هَوْلًا مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَةِ أَحْوَجُ إِلَى الْإِنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ وَ كُلُّ فَاعِذِرٍ إِلَى اللَّهِ فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيْهِ [صَفْحَةٌ ٨٦] وَ تَعَهَّدَ أَهْلُ الْيَتَمِ وَ ذَوِي الرَّفْقَةِ فِي السَّنِّ مِمَّنْ لَا حِيلَةَ لَهُ وَ لَا يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ وَ ذَلِكَ عَلَى الْوَلَاءِ ثَقِيلٌ وَ الْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ وَ قَدْ يُخَفِّفُهُ اللَّهُ عَلَى أَقْوَامٍ طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ فَصَبَرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ وَثَقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ اللَّهِ لَهُمْ اِنْتَقَلَ مِنَ التِّجَارِ وَ أَرْبَابِ الصَّنَاعَاتِ إِلَى ذِكْرِ فُقَرَاءِ الرَّعِيَةِ وَ مَغْمُورِيهَا فَقَالَ وَ أَهْلُ الْبُؤْسِيِّ وَ هِيَ الْبُؤْسُ كَالنَّعْمَى لِلنَّعِيمِ وَ الزَّمْنَى أَوْلُو الزَّمَانَةِ . وَ الْقَانِعُ السَّائِلِ وَ الْمَعْتَرُّ الَّذِي يَعْرُضُ لَكَ وَ لَا يَسْأَلُكَ وَ هُمَا مِنَ الْفَاطِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ . وَ أَمْرُهُ أَنْ يَعْطِيَهُمْ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ لِأَنَّهُمْ مِنَ الْأَصْنَافِ الْمَذْكُورِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى وَ اعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِلَّذِي الْقُرْبَى وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ وَ أَنْ يَعْطِيَهُمْ مِنْ غَلَاتِ صَوَافِي الْإِسْلَامِ وَ هِيَ الْأَرْضُونَ الَّتِي لَمْ يَوْجِفْ عَلَيْهَا بَخِيلٌ وَ لَارْكَابٌ وَ كَانَتْ صَافِيَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ص فَلَمَّا قَبِضَ صَارَتْ لِفُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَ لِمَا يَرَاهُ الْإِمَامُ مِنْ مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ . ثُمَّ قَالَ لَهُ فَإِنَّ لِلْأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلْأَدْنَى أَيْ كُلِّ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ سِوَا فِي سَهَامِهِمْ لَيْسَ فِيهَا أَقْصَى وَ أَدْنَى أَيْ لَا تَوْثُرُ مِنْ هُوَ قَرِيبٌ إِلَيْكَ أَوْ إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَاصَّتِكَ عَلَى مَنْ هُوَ بَعِيدٌ لَيْسَ لَهُ سَبَبٌ إِلَيْكَ وَ لَا عِلْقَةٌ بَيْنَهُ وَ بَيْنَكَ وَ يُمْكِنُ أَنْ يَرِيدَ بِهِ لَا تَصْرَفُ غَلَاتِ مَا كَانَ مِنَ الصَّوَافِي فِي بَعْضِ الْبِلَادِ إِلَى مَسَاكِينِ ذَلِكَ - قُرْآن - ٣٠٧- ٤٤٣ [صَفْحَةٌ ٨٧] الْبَلَدِ خَاصَّةً فَإِنَّ حَقَّ الْبَعِيدِ عَنِ ذَلِكَ الْبَلَدِ

فيها كمثل حق المقيم في ذلك البلد. والتافه الحقير وأشخصت زيدا من موضع كذا أخرجه عنه وفلان يصعر خده للناس أي يتكبر عليهم . وتقتحمه العيون تزدريه وتحقره والإعذار إلى الله الاجتهاد والمبالغة في تأديبه حقه والقيام بفرائضه . كان بعض الأكاسرة يجلس للمظالم بنفسه ولا يثق إلى غيره ويقعد بحيث يسمع الصوت فإذا سمعه أدخل المتظلم فأصيب بصمم في سمعه فنادى مناديه أن الملك يقول أيها الرعية إني إن أصبت بصمم في سمعي فلم أصب في بصرى كل ذى ظلامه فليلبس ثوبا أحمر ثم جلس لهم في مستشرف له . و كان لأمير المؤمنين ع بيت سماه بيت القصص يلقي الناس فيه رقاعهم وكذلك كان فعل المهدي محمد بن هارون الواثق من خلفاء بني العباس و اجعل لذوي الحاجات منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك و تجلس لهم مجلسا عاما فتتواضع فيه لله الذي خلقك و تقعد عنهم جندك و أعوانك من أحراسك و شرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متتبع فإنني سيجع رسول الله ص يقول في غير موطن لن تفسد أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متتبع [صفحة ٨٨] ثم احتمل الخرق منهم و العي و نح عنهم الضيق و الأنف يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته و يوجب لك ثواب طاعته و أعطى ما أعطيت هنيئا و منع في إجمال و إعذار ثم أمور من أمورك لا بيد لك من مباشرتها منها إجابة عمالك بما يعيا عنه كتابك و منها إصدار حاجات الناس عند ورودها عليك بما تخرج به صدور أعوانك و أمض لكل يوم عمله فإن لكل يوم ما فيه هذا الفصل من تتمه ما قبله و قدروى حتى يكلمك مكلمهم فاعل من كلم والرواية الأولى الأحسن . و غير متتبع غير مزعج و لامقلق و المتتبع في الخبر النبوي المتردد المضطرب في كلامه عيا من خوف لحقه و هوراجع إلى المعنى الأول . والخرق الجهل و روى ثم احتمل الخرق منهم والغى والغى و هو الجهل أيضا والرواية الأولى أحسن . ثم بين له ع أنه لا بد له من هذا المجلس لأمر آخر غير ما قدمه ع و ذلك لأنه لا بد من أن يكون في حاجات الناس ما يضييق به صدور أعوانه والنواب عنه فيتعين عليه أن يباشرها بنفسه و لا بد من أن يكون في كتب عماله الواردة عليه [صفحة ٨٩] ما يعيا كتابه عن جوابه فيجيب عنه بعلمه ويدخل في ذلك أن يكون فيها ما لا يجوز في حكم السياسة و مصلحة الولاية أن يطلع الكتاب عليه فيجيب أيضا عن ذلك بعلمه . ثم قال له لا تدخل عمل يوم في عمل يوم آخر فيتعبك ويكدرك فإن لكل يوم ما فيه من العمل و اجعل لنفسك فيما بينك و بين الله تعالى أفضل تلك المواقيت و أجزل تلك الأقسام و إن كانت كلها لله إذا صلحت فيها التيبة و سئمت منها الرعية و ليكن في خاصية ما تخلص به لله دينك إقامته فرائضه التي هي له خاصة فأعطي الله من بدئك في ليلتك و نهارك و وف ما تقربت به إلى الله سبحانه من ذلك كاملا غير مثلوم و لما منقوص بالغيا من يدنك ما بلغ و إذا قمت في صلاتك للناس فلا تكونن منقرا و لا مضيعا فإن في الناس من به العلة و له الحاجة و قد سألت رسول الله ص حين وجهني إلى اليمن كيف أصلي بهم فقال صل بهم كصلاة أضعفهم و كن بالمؤمنين رحيمًا لما فرغ ع من وصيته بأمر رعيته شرع في وصيته بأداء الفرائض التي [صفحة ٩٠] افترضها الله عليه من عبادته ولقد أحسن ع في قوله و إن كانت كلها لله أي أن النظر في أمور الرعية مع صحة النية وسلامة الناس من الظلم من جملة العبادات والفرائض أيضا. ثم قال له كاملا غير مثلوم أي لا يحملنك شغل السلطان على أن تختصر الصلاة اختصارا بل صلها بفرائضها وسننها وشعائرها في نهارك و ليلتك و إن أتعبك ذلك ونال من بدنك وقوتك . ثم أمره إذا صلى بالناس جماعة ألا يطيل فينفرهم عنها وألا يخدج الصلاة وينقصها فيضيعها. ثم روى خبرا عن النبي ص و هو قوله ع له صل بهم كصلاة أضعفهم و قوله و كن بالمؤمنين رحيمًا يحتمل أن يكون من تتمه الخبر النبوي ويحتمل أن يكون من كلام أمير المؤمنين ع والظاهر أنه من كلام أمير المؤمنين من الوصية للأشتر لأن اللفظة الأولى عند أرباب الحديث هي المشهور في الخبر و أما بعد هذا فلا تطولن احتجابك عن رعيتك فإن احتجاب الولد عن الرعية شعبة من الضيق و قلة علم بالأمر و الاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير و يعظم الصغير و يقبح الحسن و يحسن القبيح و يشاب الحق بالباطل و إنما الوالي بشر لما يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور و ليست على الحق سمات تعرف بها ضرور الصدق من [صفحة ٩١]

الكَذِبِ وَإِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ إِمَّا امْرُؤٌ سَخَتْ نَفْسِيكَ بِالْبَيْدِلِ فِي الْحَقِّ فَفِيمَ احْتِجَابِيكَ مِنْ وَاجِبِ حَقِّ تَعْطِيهِ أَوْ فِعْلِ كَرِيمٍ تُسَدِّدِيهِ أَوْ مُبْتَلَى بِالْمَنْعِ فَمَا أَسْرَعَ كَفَّ النَّاسِ عَنِ مَسْأَلَتِكَ إِذَا أَيَسُّوا مِنْ بَيْدَلِكَ مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ حَاجَاتِ النَّاسِ إِلَيْكَ مَا لَا مَثُونَةَ فِيهِ عَلَيْكَ مِنْ شَكَاةٍ مَظْلِيَةٍ أَوْ طَلَبِ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ نَهَاةٍ عَنِ الْاِحْتِجَابِ فَإِنَّهُ مِثْلُهُ انْطَوَاءَ الْأُمُورِ عَنْهُ وَإِذَارْفَعِ الْحِجَابِ دَخَلَ عَلَيْهِ كُلُّ أَحَدٍ فَعَرَفَ الْأَخْبَارَ وَ لَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَحْوَالِ عَمَلِهِ . ثُمَّ قَالَ لَمْ تَحْتَجِبْ فَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ يَحْتَجِبُونَ كَيْلًا يَطْلُبُ مِنْهُمْ الرِّفْدَ . وَأَنْتَ فَإِنَّ كُنْتَ جَوَادًا سَمَحًا لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَى الْحِجَابِ دَاعٍ وَإِنْ كُنْتَ مَمْسُكًا فَسَيَعْلَمُ النَّاسُ ذَلِكَ مِنْكَ فَلَا يَسْأَلُكَ أَحَدٌ شَيْئًا . ثُمَّ قَالَ عَلِيٌّ أَنَّ أَكْثَرَ مَا يَسْأَلُ مِنْكَ مَا لَا مَثُونَةَ عَلَيْهِ فِي مَالِهِ كَرْدِ ظَلَامَةٍ أَوْ إِنْصَافٍ مِنْ خَصْمٍ

ذكر الحجاب و ماورد فيه من الخبر والشعر

والقول في الحجاب كثير حضر باب عمر جماعة من الأشراف منهم سهيل بن عمرو وعيينة بن حصن والأقرع بن حابس فحجبا ثم خرج الآذن فنأدى أين عمار أين سلمان أين صهيب [صفحة ٩٢] فأدخلهم فتمعرت وجوه القوم فقال سهيل بن عمرو لم تتمعروا وجوهكم دعوا ودعينا فأسرعوا وأبطأنا ولئن حسدتموهم على باب عمر اليوم لأنتم غدا لهم أحسد . واستأذن أبو سفيان على عثمان فحجبه فقبل له حجبه فقال لا عدمت من أهلي من إذا شاء حجبتني . وحجبت معاوية أبا الدرداء فقبل لأبي الدرداء حجبتك معاوية فقال من يغش أبواب الملوك يهن ويكرم و من صادف بابا مغلقا عليه وجد إلى جانبه بابا مفتوحا إن سأل أعطى و إن دعا أجب و إن يكن معاوية قد احتجب فرب معاوية لم يحتجب . و قال أبرويز لحاجبه لا تضعن شريفا بصعوبة حجاب و لا ترفعن وضيعا بسهولته ضع الرجال مواضع أخطارهم فمن كان قديما شرفه ثم ازدرعه و لم يهدمه بعد آبائه فقدمه على شرفه الأول و حسن رأيه الآخر و من كان له شرف متقدم و لم يصن ذلك حياة له و لم يزدرعه تثير المغارسة فألحق بآبائه من رفعة حاله ما يقتضيه سابق شرفهم وألحق به في خاصته ما ألحق بنفسه و لا تأذن له إلا دبريا و الإسرا و لا تلحقه بطبقة الأولين و إذا ورد كتاب عامل من عمالي فلا تحبسه عنى طرفه عين إلا أن أكون على حال لا تستطيع الوصول إلى فيها و إذا أتاك من يدعى النصيحة لنا فلتكتبها سرا ثم أدخله بعد أن تستأذن له حتى إذا كان منى بحيث أراه فادفع إلى كتابه فإن أحمدت قبلت و إن كرهت رفضت و إن أتاك عالم مشتهر بالعلم والفضل يستأذن فأذن له فإن العلم شريف و شريف صاحبه و لا تحجب عنى أحدا من أفناء الناس إذا أخذت مجلسي مجلس العامة فإن الملك لا يحجب إلا عن ثلاث عى يكره أن يطلع عليه منه أو يخل يكره أن يدخل عليه من يسأله أوريبة هو مصر عليها فيشفق من إبدائها [صفحة ٩٣] ووقوف الناس عليها و لا بد أن يحيطوا بها علما و إن اجتهد في سترها و قد أخذ هذا المعنى الأخير محمود الوراق فقال إذا اعتصم الوالى بإغلاق بابيه || ورد ذوى الحاجات دون حجابهم ظننت به إحدى ثلاث وربما || رجمت بظن واقع بصوابه أقول به مس من العى ظاهر || ففى إذنه للناس إظهار ما به فإن لم يكن عى اللسان فغالب || من البخل يحمى ماله عن طلابه و إن لم يكن لا إذا و لا إذا فريبة || يكتمها مستورة بثيابه . أقام عبدالعزيز بن زرارة الكلابى على باب معاوية سنة فى شملة من صوف لا يأذن له ثم أذن له و قربه وأدناه و لطف محله عنده حتى و لاه مصر فكان يقال استأذن أقوام لعبد العزيز بن زرارة ثم صار يستأذن لهم و قال فى ذلك دخلت على معاوية بن حرب || ولكن بعدىأس من دخول و مانلت الدخول عليه حتى || حلت محلة الرجل الذليل وأغضيت الجفون على قذاها || و لم أنظر إلى قال وقيل وأدركت الذى أملت منه || و حرمان المنى زاد العجول . ويقال إنه قال له لمادخل عليه أمير المؤمنين دخلت إليك بالأمل واحتملت جفوتك بالصبر ورأيت ببابك أقواما قدمهم الحظ و آخرين أخرهم الحرمان فليس ينبغى للمقدم أن يأمن عواقب الأيام و لا للمؤخر أن يئأس من عطف الزمان . و أول المعرفة الاختبار فابل واختبر إن رأيت و كان يقال لم يلزم باب السلطان أحد

فصبر على ذل الحجاب وكلام البواب وألقى الأنف وحمل الضيم وأدام الملازمة إلا وصل إلى حاجته أو إلى معظمها. [صفحة ٩٤] قال عبدالملك لحاجبه إنك عين أنظر بها وجنة أستلثم بها وقدوليتك ماوراء بابي فما ذا تراك صانعا برعيتي قال أنظر إليهم بعينك وأحملهم على قدر منازلهم عندك وأضعهم في إبطائهم عن بابك ولزوم خدمتك مواضع استحقاقهم وأرتبهم حيث وضعهم ترتيبك وأحسن إبلاغهم عنك وإبلاغك عنهم قال لقد وفيت بما عليك ولكن إن صدقت ذلك بفعلك و قال دعبل وقدحج عن باب مالك بن طوق لعمرى لئن حجبتني العبيد || لماحجبت دونك القافية سأرمي بها من وراء الحجاب || شنعاء تأتيك بالداهية تصم السميع وتعمى البصير || ويسأل من مثلها العافية . و قال آخر سأترك هذاالباب مادام إذنه || على ماأرى حتى يلين قليلا- فما خاب من لم يآته مترفعا || ولافاز من قدرام فيه دخولا إذا لم نجد للإذن عندك موضعا || وجدنا إلى ترك المجيء سيلا . وكتب أبوالتاهية إلى أحمد بن يوسف الكاتب وقدحجه و إن عدت بعداليوم إنى لظالم || سأصرف وجهي حيث تبغى المكارم متى يفلح الغادى إليك لحاجة || ونصفك محبوب ونصفك نائم يعنى ليله ونهاره . استأذن رجلان على معاوية فأذن لأحدهما و كان أشرف منزله من الآخر ثم أذن للآخر فدخل فجلس فوق الأول فقال معاوية إن الله قدألزمنا تأديبكم [صفحة ٩٥] كماألزمنا رعايتكم و أنا لم نأذن له قبلك ونحن نريد أن يكون مجلسه دونك فقم لأقام الله لك وزنا و قال بشار تأبى خلائق خالد وفعاله || إلاتجنب كل أمر عائب و إذاأتينا الباب وقت غدائه || أدنى الغداء لنا برغم الحاجب . و قال آخر يهجو يأميرا على جريب من الأثر || ض له تسعة من الحجاب قاعد فى الخراب يحجب عنا || ماسمعنا بحاجب فى خراب . وكتب بعضهم إلى جعفر بن محمد بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب أبا جعفر إن الولاية إن تكن || منبله قوسا فأنت لها نبل فلا ترتفع عنا لأمر وليته || كما لم يصغر عندنا شأنك العزل . و من جيد مامدح به بشر بن مروان قول القائل بعيد مراد الطرف مارد طرفه || حذار الغواشى باب دار و لاستر و لوشاء بشر كان من دون بابه || طماطم سود أوصقالبه حمر ولكن بشرا يستر الباب للتى || يكون لها فى غبها الحمد والأجر . و قال بشار خليلي من كعب أعينا أخاكما || على دهره إن الكريم يعين و لاتبخلا- بخل ابن قرعة إنه || مخافة أن يرجى نداه حزين إذاجئته للعرف أغلق بابه || فلم تلقه إلا- و أنت كمين فقل لأبى يحيى متى تدرك العلا || و فى كل معروف عليك يمين . [صفحة ٩٦] و قال ابراهيم بن هرمة هش إذانزل الوفود ببابه || سهل الحجاب مؤدب الخدام و إذا رأيت صديقه وشقيقه || لم تدر أيهما ذوى الأرحام . و قال آخر وإنى لأستحى الكريم إذاأتى || على طمع عنداللئيم يطالبه وأرثى له من مجلس عندبابه || كمرثيتى للطرف والعلاج راكبه . و قال عبد الله بن محمد بن عيينة أتيك زائرا لقضاء حق || فحال الستر دونك والحجاب ورأبى مذهب عن كل ناء || يجانبه إذا عزالذهاب ولست بساقط فى قدر قوم || و إن كرهوا كمايقع الذباب . و قال آخر ماضاقت الأرض على راغب || تطلب الرزق و لاراهب بل ضاقت الأرض على شاعر || أصبح يشكو جفوة الحاجب قدشتم الحاجب فى شعره || وإنما يقصد للصاحب ثم إن اللوالى خاضية و بطانة فيهم استئثار و تطاول و قلته إنصاف فى معاملة فاحسب مؤونة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال و لا تقطعن لأحد من حاشيتك و حامتك قطيعه و لا يطمعن منك فى اعتقاد عقده تضر بمن يليها من الناس فى [صفحة ٩٧] شرب أو عمل مشترك يحملون مؤنته على غيرهم فيكون مهنا ذلك لهم دونك و عيئه عليك فى الدنيا و الآخرة و ألزم الحق من لزمه من القريب و البعيد و كن فى ذللك صابرا محتسبا واقعا ذلك من قرابتك و خواصك حيث وقع و ابتغ عاقبته بما ينقل عليك منه فإن مغيبه ذلك محموده و إن ظنت الرعية بك حيفا فأصحر لهم بعدرك و أعدل عنك ظنونهم بإصهارك فإن فى ذلك إعدارا تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق نهاه ع عن أن يحمل أقاربه وحاشيته وخواصه على رقاب الناس و أن يمكنهم من الاستئثار عليهم والتناول والإذلال ونهاه من أن يقطع أحدا منهم قطيعه أويملكه ضيعه تضر بمن يجاورها من السادة والدهاقين فى شرب يتغلبون على الماء منه أوضياع يضيفونها إلى مملكهم إياه وإعفاء لهم من مؤونه أوحفر وغيره فيعفيهم الولاة منه مراقبة

لهم فيكون مثنوئ ذلك الواجب عليهم قد أسقطت عنهم وحمل ثقلها على غيرهم . ثم قال ع لأن منفعة ذلك في الدنيا تكون لهم دونك والوزر في الآخرة عليك والعيب والذم في الدنيا أيضا لاحقان بك . ثم قال له إن اتهمتكم الرعية بحيف عليهم أو ظنت بك جورا فاذكر لهم عذرك [صفحة ٩٨] في ذلك و ما عندك ظاهرا غير مستور فإنه الأولى والأقرب إلى استقامتهم لك على الحق . وأصحرت بكذا أى كشفته مأخوذ من الإصحار وهو الخروج إلى الصحراء . وحامة الرجل أقاربه وبطانته واعتقدت عقدة أى ادخرت ذخيرة والمهنا مصدر هنا كذا ومغبة الشيء عاقبته . واعدل عنك ظنونهم نحها والإعذار إقامة العذر

طرف من أخبار عمر بن عبدالعزيز ونزاهته فى خلافته

رد عمر بن عبدالعزيز المظالم التي احتقبها بنو مروان فأبغضوه وذموه وقيل إنهم سموه فمات . وروى الزبير بن بكار فى الموفقيات أن عبد الملك بن عمر بن عبدالعزيز دخل على أبيه يوما وهو فى قائلته فأيقظه وقال له ما يؤمنك أن تؤتى فى منامك و قدرفت إليك مظالم لم تقض حق الله فيها فقال يابنى إن نفسى مطيتى إن لم أرفق بها لم تبلغنى إنى لو أتعت نفسى وأعوانى لم يكن ذلك إلا قليلا . حتى أسقط ويسقطوا وإنى لأحتسب فى نومتى من الأجر مثل الذى أحتسب فى يقظتى إن الله جل ثناؤه لو أراد أن ينزل القرآن جملة لأنزله ولكنه أنزل الآية والآيتين حتى استكثر الإيمان فى قلوبهم . ثم قال يابنى مما أنا فيه أمر هو أهم إلى أهل بيتك هم أهل العدة والعدد وقبلهم ما قبلهم فلو جمعت ذلك فى يوم واحد خشيت انتشارهم على ولكنى أنصف من الرجل [صفحة ٩٩] والاثنين فيبلغ ذلك من وراءهما فيكون أنجع له فإن يرد الله إتمام هذا الأمر أتمه و إن تكن الأخرى فحسب عبد أن يعلم الله منه أنه يجب أن ينصف جميع رعيته . وروى جويرية بن أسماء عن إسماعيل بن أبى حكيم قال كنا عند عمر بن عبدالعزيز فلما تفرقنا نادى مناديه الصلاة جامعة فجئت المسجد فإذا عمر على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإن هؤلاء يعنى خلفاء بنى أمية قبله قد كانوا أعطونا عطايا ما كان ينبغى لنا أن نأخذها منهم و ما كان ينبغى لهم أن يعطوناها وإنى قدرأيت الآمن أنه ليس على فى ذلك دون الله حسيب و قد بدأت بنفسى والأقربين من أهل بيتى اقرأ يا مزاحم فجعل مزاحم يقرأ كتابا فيه الإقطاعات بالضياح والنواحي ثم يأخذ عمر بيده فيقصه بالجملم لم يزل كذلك حتى نودى بالظهر . وروى الفرات بن السائب قال كان عند فاطمة بنت عبد الملك بن مروان جوهر جليل وهبها أبوها و لم يكن لأحد مثله وكانت تحت عمر بن عبدالعزيز فلما ولى الخلافة قال لها اختارى إما أن تردى جوهرك و حليتك إلى بيت مال المسلمين وإما أن تأذنى لى فى فراقك فإنى أكره أن اجتمع أنا و أنت و هو فى بيت واحد فقالت بل أختارك عليه و على أضعافه لو كان لى وأمرت به فحمل إلى بيت المال فلما هلك عمر واستخلف يزيد بن عبد الملك قال لفاطمة أخته إن شئت رددته عليك قالت فإنى لأشاء ذلك طبت عنه نفسا فى حياة عمر و أرجع فيه بعد موته لا و الله أبدا فلما رأى يزيد ذلك قسمه بين ولده وأهله . وروى سهيل بن يحيى المروزى عن أبيه عن عبدالعزيز عن عمر بن عبدالعزيز قال لمادفن سليمان سعد عمر على المنبر فقال إنى قد خلعت ما فى رقتى من بيعتكم فصاح الناس صيحة واحدة قداخترناك فتزل ودخل وأمر بالسستور فهتكت [صفحة ١٠٠] والثياب التي كانت تبسط للخلفاء فحملت إلى بيت المال ثم خرج ونادى مناديه من كانت له مظلمة من بعيد أو قريب من أمير المؤمنين فليحضر فقام رجل ذمى من أهل حمص أبيض الرأس واللحية فقال أسألك كتاب الله قال ما شأنك قال العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبنى ضيعتى والعباس جالس فقال عمر ما تقول يا عباس قال أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد وكتب لى بهاسجلا فقال عمر ما تقول أنت أيها الذمى قال يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله فقال عمر إيها لعمرى إن كتاب الله لأحق أن يتبع من كتاب الوليد اردد عليه يا عباس ضيعته فجعل لا يدع شيئا مما كان فى أيدي أهل بيته من المظالم إلا ردها مظلمة مظلمة . وروى ميمون بن

مهران قال بعث إلى عمر بن عبدالعزيز وإلى مكحول وإلى أبي قلابه فقال ماترون في هذه الأموال التي أخذها أهلي من الناس ظلما فقال مكحول قولا ضعيفا كرهه عمر فقال أرى أن تستأنف وتدع ماضى فنظر إلى عمر كالمستغيث بى فقلت يا أمير المؤمنين أحضر ولدك عبدالملك لننظر ما يقول فحضر فقال ماتقول يا عبدالملك فقال ماذا أقول أأست تعرف مواضعها قال بلى والله قال فارددها فإن لم تفعل كنت شريكا لمن أخذها. وروى ابن درستويه عن يعقوب بن سفيان عن جويرية بن أسماء قال كان بيد عمر بن عبدالعزيز قبل الخلافة ضيعته المعروفة بالسهلة وكانت باليمامة وكانت أمرا عظيما لها غلة عظيمة كثيرة إنما عيش أهله منها فلما ولي الخلافة قال لمزاحم مولاه وكان فاضلا إنى قد عزمت أن أرد السهلة إلى بيت مال المسلمين فقال مزاحم أتدرى كم ولدك إنهم كذا وكذا قال فذرفت عيناه فجعل يستدمع ويمسح الدمعة بإصبعه الوسطى ويقول أكلهم إلى الله أكلهم إلى الله فمضى مزاحم فدخل على عبدالملك بن عمر فقال له ألا تعلم ما قد عزم عليه أبوك إنه يريد أن يرد السهلة قال فما قلت [صفحة 101] له قال ذكرت له ولده فجعل يستدمع ويقول أكلهم إلى الله فقال عبدالملك بثس وزير الدين أنت ثم وثب وانطلق إلى أبيه فقال للأذن استأذن لى عليه فقال إنه قد وضع رأسه الساعة للقائلة فقال استأذن لى عليه فقال أ ما ترجمونه ليس له من الليل والنهار إلا هذه الساعة قال استأذن لى عليه لأأم لك فسمع عمر كلامهما فقال ائذن لعبد الملك فدخل فقال على ماذا عزمت قال أرد السهلة قال فلا تؤخر ذلك قم الآن قال فجعل عمر يرفع يديه ويقول الحمد لله الذى جعل لى من ذريتى من يعيننى على أمر دينى قال نعم يا بنى أصلى الظهر ثم أصدع المنبر فأرددها علانية على رءوس الناس قال و من لك أن تعيش إلى الظهر ثم من لك أن تسلم نيتك إلى الظهر إن عشت إليها فقام عمر فصعد المنبر فخطب الناس ورد السهلة. قال وكتب عمر بن الوليد بن عبدالملك إلى عمر بن عبدالعزيز لما أخذ بنى مروان برد المظالم كتابا أغلظ له فيه من جملته أنك أزريت على كل من كان قبلك من الخلفاء وعبتهم وسرت بغير سيرتهم بغضا لهم وشتانا لمن بعدهم من أولادهم وقطعت ما أمر الله به أن يوصل وعمدت إلى أموال قريش ومواريتهم فأدخلتها بيت المال جورا وعدوانا فاتق الله يا ابن عبدالعزيز وراقبه فإنك خصصت أهل بيتك بالظلم والجور و الذى خص محمدص بما خصه به لقد ازددت من الله بعدا بولايتك هذه التى زعمت أنها عليك بلاء فأقصر عن بعض ما صنعت واعلم أنك بعين جبار عزيز و فى قبضته ولن يتركك على ما أنت عليه. قالوا فكتب عمر جوابه أما بعد فقد قرأت كتابك وسوف أجيبك بنحو منه أما أول أمرك يا ابن الوليد فإن أمك نباتة أمه السكون كانت تطوف فى أسواق حمص وتدخل حوانيتها ثم الله أعلم بها اشتراها ذبيان بن ذبيان من فىء المسلمين فأهداها [صفحة 102] لأبيك فحملت بك فبثس الحامل وبثس المحمول ثم نشأت فكنت جبارا عنيدا وترغم أنى من الظالمين لأنى حرمتك وأهل بيتك فىء الله الذى هو حق القرابة والمساكين والأرامل وإن أظلم منى وأترك لعهد الله من استعملك صيبا سفيها على جند المسلمين تحكم فيهم برأيتك ولم يكن له فى ذاك نية إلا حب الوالد ولده فويل لك وويل لأبيك ما أكثر خصماء كما يوم القيامة وإن أظلم منى وأترك لعهد الله من استعمل الحجاج بن يوسف على خمسى العرب يسفك الدم الحرام ويأخذ المال الحرام وإن أظلم منى وأترك لعهد الله من استعمل قره بن شريك أعرايا جافيا على مصر وأذن له فى المعازف والخمر والشرب واللغو وإن أظلم منى وأترك لعهد الله من استعمل عثمان بن حيان على الحجاز فينشد الأشعار على منبر رسول الله ص و من جعل للعالية البربرية سهما فى الخمس فرويدا يا ابن نباتة و لو التقت حلقتا البطان ورد الفىء إلى أهله لتفرغت لك ولأهل بيتك فوضعتكم على المحجة البيضاء فطالما تركتم الحق وأخذتم فى بنيات الطريق و من وراء هذا من الفضل ما أرجو أن أعمله بيع رقبتهك وقسم ثمنك بين الأرامل واليتامى والمساكين فإن لكل فيك حقا والسلام علينا ولا ينال سلام الله الظالمين. وروى الأوزاعى قال لما قطع عمر بن عبدالعزيز عن أهل بيته ما كان من قبله يجرونه عليهم من أرزاق الخاصة فتكلم فى ذلك عنبسة بن سعيد فقال يا أمير المؤمنين إن لنا قرابة فقال مالى إن يتسع لكم و أما هذا المال فحقكم فيه كحق رجل بأقصى برك الغماد ولا يمنع من أخذه إلا بعد مكانه

و الله إنى لأرى أن الأمور [صفحة ١٠٣] لو استحال حتى يصبح أهل الأرض يرون مثل رأيكم لتزلت بهم بائقة من عذاب الله . وروى الأوزاعي أيضا قال قال عمر بن عبدالعزيز يوما وقد بلغه عن بنى أمية كلام أغضبه إن الله فى بنى أمية يوما أو قال ذبحا وإيم الله لئن كان ذلك الذبح أو قال ذلك اليوم على يدي لأعذرن الله فيهم قال فلما بلغهم ذلك كفوا وكانوا يعلمون صرامته وإنه إذا وقع فى أمر مضى فيه . وروى إسماعيل بن أبى حكيم قال قال عمر بن عبدالعزيز يوما لحاجبه لا تدخلن على اليوم إلا مروانيا فلما اجتمعوا قال يا بنى مروان إنكم قد أعطيتم حظا وشرفا وأموالا إنى لأحسب شطر أموال هذه الأمة أو ثلثها فى أيديكم فسكتوا فقال ألاتجيبونى فقال رجل منهم فما بالك قال إنى أريد أن أنتزعها منكم فأردها إلى بيت مال المسلمين فقال رجل منهم و الله لا- يكون ذلك حتى يحال بين رءوسنا وأجسادنا و الله لانكفر أسلافنا و لانفقر أولادنا فقال عمر و الله لو لا أن تستعينوا على بمن أطلب هذا الحق له لأضرعت حدودكم قوموا عني. وروى مالك بن أنس قال ذكر عمر بن عبدالعزيز من كان قبله من المروانية فعابهم وعنده هشام بن عبد الملك فقال يا أمير المؤمنين إنا و الله نكره أن تعيب آباءنا وتضع شرفنا فقال عمر و أى عيب أعيب مما عابه القرآن . وروى نوفل بن الفرات قال شكوا بنو مروان إلى عاتكة بنت مروان بن الحكم عمر فقالوا إنه يعيب أسلافنا ويأخذ أموالنا فذكرت ذلك له وكانت عظيمة عند بنى مروان فقال لها ياعمه إن رسول الله ص قبض وترك [صفحة ١٠٤] الناس على نهر مورود فولى ذلك النهر بعده رجلا لم يستخصا أنفسهما وأهلها منه بشيء ثم وليه ثالث فكري منه ساقية ثم لم تزل الناس يكرون منه السواقى حتى تركوه يابسا لاقطرة فيه وإيم الله لئن أبقانى الله لأسكرن تلك السواقى حتى أعيد النهر إلى مجراه الأول قالت فلا يسبون إذاعندك قال و من يسبهم إنما يرفع الرجل مظلمته فأردها عليه . وروى عبد الله بن محمد التيمي قال كان بنو أمية ينزلون عاتكة بنت مروان بن الحكم على أبواب قصورهم وكانت جليلة الموضع عندهم فلما ولى عمر قال لا يلى إنزالها أحد غيرى فأدخلوها على دابتها إلى باب قبة فأنزلها ثم طبق لها وسادتين إحداهما على الأخرى ثم أنشأ يمازحها و لم يكن من شأنه و لا- من شأنها المزاح فقال أ ما رأيت الحرس الذين على الباب فقالت بلى وربما رأيتهم عند من هو خير منك فلما رأى الغضب لا يتحلل عنها ترك المزاح وسألها أن تذكر حاجتها فقالت إن قرابتك يشكونك ويزعمون أنك أخذت منهم خير غيرك قال ما منعتم شيئا هولهم و لا أخذت منهم حقا يستحقونه قالت إنى أخاف أن يهيجوا عليك يوما عصيبا و قال كل يوم أخافه دون يوم القيامة فلا و قانى الله شره ثم دعا بدينار ومجمرة و جلد فألقى الدينار فى النار وجعل ينفخ حتى احمر ثم تناوله بشيء فأخرجه فوضعه على الجلد فنش و فتر فقال ياعمه أ ماتاوين لابن أخيك من مثل هذا فقامت فخرجت إلى بنى مروان فقالت تزوجون فى آل عمر بن الخطاب فإذا نزعوا إلى الشبه جزعتم اصبروا له . وروى وهيب بن الورد قال اجتمع بنو مروان على باب عمر بن عبدالعزيز فقالوا لولد له قل لأبيك يأذن لنا فإن لم يأذن فأبلغ إليه عنا وسأله فلم يأذن لهم و قال [صفحة ١٠٥] فليقولوا فقالوا قل له إن من كان قبلك من الخلفاء كان يعطينا ويعرف لنا مواضعنا و إن أباك قد حرمانا فى يديه فدخل إلى أبيه فأبلغه عنهم فقال اخرج فقل لهم إنى أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم وروى سعيد بن عمار عن أسماء بنت عبيد قال دخل عنبسة بن سعيد بن العاص على عمر بن عبدالعزيز فقال يا أمير المؤمنين إن من كان قبلك من الخلفاء كانوا يعطوننا عطايا منعناها و لى عيال و ضيعه فأذن لى أخرج إلى ضيعتى و ما يصلح عيالى فقال عمر إن أحبكم إلينا من كفانا مثنوته فخرج عنبسة فلما صار إلى الباب ناداه أبا خالد أبا خالد فرجع فقال أكثر ذكر الموت فإن كنت فى ضيق من العيش وسعه عليك و إن كنت فى سعة من العيش ضيقه عليك . وروى عمر بن على بن مقدم قال قال ابن صغير لسليمان بن عبد الملك لمزاحم إن لى حاجة إلى أمير المؤمنين عمر قال فاستأذنت له فأدخله فقال يا أمير المؤمنين لم أخذت قطيعتى قال معاذ الله إن أخذ قطيعه ثبتت فى الإسلام قال فهذا كتابى بها وأخرج كتابا من كفه فقراه عمر و قال لمن كانت هذه الأرض قال كانت للمسلمين قال فالمسلمون أولى بها قال فاردد على كتابى قال إنك لو لم تأتني به لم أسألكه فأما إذ جئتني به فلست أدعك تطلب به ما ليس

لك بحق فبكي ابن سليمان فقال مزاحم يا أمير المؤمنين ابن سليمان تصنع به هذا قال و ذلك لأن سليمان عهد إلى عمر وقدمه على إخوته فقال عمر ويحك يا مزاحم إني لأجد له من اللوط ما أجد لولدي ولكنها نفسى أجادل عنها. وروى الأوزاعي قال قال هشام بن عبد الملك وسعيد بن خالد بن عمر بن عثمان [صفحة ١٠٦] بن عفان لعمر بن عبدالعزيز يا أمير المؤمنين استأنف العمل برأيك فيما تحت يدك وخل بين من سبقك وبين ما ولوه عليهم كان أولهم فإنك مستكف أن تدخل في خير ذلك وشره قال أنشد كما الله الذى إليه تعودان لو أن رجلا هلك وترك بنين أصاغر وأكابر فغر الأكابر الأصاغر بقوتهم فأكلوا أموالهم ثم بلغ الأصاغر الحلم فجاءو كما بهم وبما صنعوا فى أموالهم ما كنتم صانعين قالوا كنا نرد عليهم حقوقهم حتى يستوفوها قال فإني وجدت كثيرا ممن كان قبلى من الولاة غر الناس بسلطانه وقوته وآثر بأموالهم أتباعه وأهله ورهطه وخاصته فلما وليت أتوني بذلك فلم يسعنى إلا الرد على الضعيف من القوى وعلى الدنىء من الشريف فقالا يوفق الله أمير المؤمنين و لا تدفعن صلحا دعياك إليه عدوك لله فيه رضا فإن فى الصلح دعة لجنودك و راحة من همومك و أمنا للبلادك و لكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه فإن العدو ربما قارب ليتغفل فخذ بالحزم و اتهم فى ذلك حسن الظن و إن عقدت بينك و بين عدوك لك عقدة أو ألبسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء و ارع ذمتك بالأمانة و اجعل نفسك جنة دون ما أعطيت فإنه ليس من فرائض الله شىء الناس أشد عليه اجتماعا مع تفرق أهوائهم و تشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود و قد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استولوا من عواقب الغدر فلا تغدرن بذمتك و لا تخيسن بعهدك و لا تخلن عدوك فإنه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقى و قد جعل الله عهده و ذمته أمنا أفضاه بين العباد برحمته [صفحة ١٠٧] و حريما يسكنون إلى منعه و يستفيضون إلى جواره فلما إدغال و لما مدالسة و لما خداع فيه و لا تعقده عقدا تجوز فيه العلل و لا تؤلن على لحن القول بعد التأكيد و التوثيق و لما يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجة و فضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته و أن تحيط بك من الله طلبه لا تستقبل فيها دنياك و لا آخرتك أمره أن يقبل السلم والصلح إذ ادعى إليه لما فيه من دعة الجنود والراحة من الهم والأمن للبلاد ولكن ينبغي أن يحذر بعد الصلح من غائلة العدو وكيدته فإنه ربما قارب بالصلح ليتغفل أى يطلب غفلتك فخذ بالحزم واتهم حسن ظنك لا تتق و لاتسكن إلى حسن ظنك بالعدو وكن كالطائر الحذر. ثم أمره بالوفاء بالعهود قال واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت أى و لو ذهبت نفسك فلا تغدر. و قال الراوندى الناس مبتدأ وأشد مبتدأ ثان و من تعظيم الوفاء خبره و هذا المبتدأ الثانى مع خبره خبر المبتدأ الأول ومحل الجملة نصب لأنها خبر ليس ومحل ليس مع اسمه وخبره رفع لأنه خبر فإنه و شىء اسم ليس و من فرائض الله حال و لو تأخر لكان صفة لشىء والصواب أن شىء اسم ليس و جاز ذلك و إن كان نكرة لاعتماده على النفى ولأن الجار والمجرور قبله فى موضع الحال كالصفة فتخصص بذلك وقرب من المعرفة و الناس مبتدأ وأشد خبره و هذه الجملة المركبة من مبتدأ [صفحة ١٠٨] وخبر فى موضع رفع لأنها صفة شىء و أما خبر المبتدأ الذى هو شىء فمحذوف وتقديره فى الوجود كما حذف الخبر فى قولنا لا إله إلا الله أى فى الوجود و ليس يصح ما قال الراوندى من أن أشد مبتدأ ثان و من تعظيم الوفاء خبره لأن حرف الجر إذا كان خبرا لمبتدأ تعلق بمحذوف و هاهنا هو متعلق بأشد نفسه فكيف يكون خبرا عنه وأيضا فإنه لا يجوز أن يكون أشد من تعظيم الوفاء خبرا عن الناس كما زعم الراوندى لأن ذلك كلام غير مفيد لا ترى أنك إذا أردت أن تخبر بهذا الكلام عن المبتدأ الذى هو الناس لم يقم من ذلك صورة محصلة تفيدك شيئا بل يكون كلاما مضطربا. ويمكن أيضا أن يكون من فرائض الله فى موضع رفع لأنه خبر المبتدأ و قد قدم عليه و يكون موضع الناس و مابعده رفع لأنه خبر المبتدأ الذى هو شىء كما قلناه أولا و ليس يمتنع أيضا أن يكون من فرائض الله منصوب الموضع لأنه حال و يكون موضع الناس أشد رفعا لأنه خبر المبتدأ الذى هو شىء. ثم قال له ع و قد لزم المشركون مع شركهم الوفاء بالعهود وصار ذلك لهم شريعة وبينهم سنة فالإسلام أولى بالزوم والوفاء. واستولوا وجدوه

وبيلا أى ثقيلًا استوبلت البلد أى استوخمته واستثقلته و لم يوافق مزاجك . و لاتخيسن بعهدك أى لاتغدرن خاس فلان بدمته أى غدر ونكث . قوله و لاتختلن عدوك أى لاتمكرن به ختلته أى خدعته . وقوله أفضاه بين عباده جعله مشتركًا بينهم لا يختص به فريق دون فريق . [صفحه ١٠٩] قال ويستفيضون إلى جواره أى ينتشرون فى طلب حاجاتهم ومآربهم ساكنين إلى جواره فإلى هاهنا متعلقهً بمحذوف مقدر كقوله تعالى فى تسع آياتٍ إلى فرعونَ أى مرسلًا قال فلا إدغال أى لا إفساد والدغل الفساد و لامدالسة أى لا خديعة يقال فلان لا يوالس و لا يدالس أى لا يخادع و لا يخون وأصل الدلس الظلمة والتدليس فى البيع كتمان عيب السلعة عن المشتري . ثم نهاه عن أن يعقد عقداً يمكن فيه التأويلات والعلل وطلب المخارج ونهاه إذا عقد العقد بينه و بين العدو أن ينقضه معولاً على تأويل خفى أو فحوى قول أو يقول إنما عنيت كذا و لم أعن ظاهر اللفظة فإن العقود إنما تعقد على ما هو ظاهر فى الاستعمال متداول فى الاصطلاح والعرف لا على ما فى الباطن . وروى انفساحه بالحاء المهملة أى سعته -قرآن-

١٣١-١٥٩

فصل فيما جاء فى الحذر من كيد العدو

قد جاء فى الحذر من كيد العدو والنهى عن التفريط فى رأى السكون إلى ظاهر السلم أشياء كثيرة وكذا فى النهى عن الغدر والنهى عن طلب تأويلات العهود وفسخها بغير الحق . فرط عبد الله بن طاهر فى أيام أبيه فى أمر أشرف فيه على العطب ونجا بعد لأى فكتب إليه أبوه أتانى يابنى من خبر تفريطك ما كان أكبر عندى من نعيك لوورد لأنى لم أرج قط ألا تموت و قد كنت أرجو ألا -تفتضح بترك الحزم والتيقظ . وروى ابن الكلبي أن قيس بن زهير لما قتل حذيفة بن بدر و من معه بجفر الهباءة [صفحه ١١٠] خرج حتى لحق بالنمر بن قاسط و قال لاتنظر فى وجهى غطفانيةً بعد اليوم فقال يامعاشر النمر أناقيس بن زهير غريب حريب طريد شريد موتور فانظروا لى امرأة قد أدبها الغنى وأذلها الفقر فزوجوه بامرأه منهم فقال لهم إنى لا -أقيم فيكم حتى أخبركم بأخلاقى أنا فخور غيور أنف و لست أفخر حتى أبتلى و لا أغار حتى أرى و لا -أنف حتى أظلم فرضوا أخلاقه فأقام فيهم حتى ولد له ثم أراد أن يتحول عنهم فقال يامعشر النمر إن لكم حقاً على فى مصاهرتى فيكم ومقامى بين أظهركم وإنى موصيكم بخصال آمركم بها وأنهاكم عن خصال عليكم بالأناة فإن بهاتدرك الحاجة وتنال الفرصة وتسويد من لاتعابون بتسويده والوفاء بالعهود فإن به يعيش الناس وإعطاء ماتريدون إعطاءه قبل المسألة ومنع ماتريدون منعه قبل الإنعام وإجارة الجار على الدهر وتنفيس البيوت عن منازل الأيامى و خلط الضيف بالعيال وأنهاكم عن الغدر فإنه عار الدهر و عن الرهان فإن به ثكلت مالكا أخى و عن البغى فإن به صرع زهير أبى و عن السرف فى الدماء فإن قتلى أهل الهباءة أورثنى العار و لاتعطوا فى الفضول فتعجزوا عن الحقوق وأنكحوا الأيامى الأكفاء فإن لم تصيبوا بهن الأكفاء فخير بيوتهن القبور واعلموا أنى أصبحت ظالماً ومظلوماً ظلمنى بنو بدر بقتلهم مالكا وظلمتهم بقتلى من لا -ذنب له ثم رحل عنهم إلى غمار فتنصر بها وعف عن المآكل حتى أكل الحنظل إلى أن مات إيتاك و الدماء و سيفكها بغير حِلها فإنه ليس شىء أدعى لنقمة و لا أعظم [صفحه ١١١] لتبغى و لا أحرى بزوال نعمته و انقطاع مدة من سيفك الدماء بغير حقها و الله سبحانه مبدئى بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة فلا تقوين سلطانك بسيفك دم حرام فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيد و ينقله و لا عذر لك عند الله و لا عندي فى قتل العمدة إن فيه قود الديدن و إن ابتليت بخطأ و أفرط عليك سوطك أو يدك بالعقوبة فإن فى الوكزة فما فوقها مقتله فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن أن تؤدى إلى أولياء المقتول حقهم قد ذكرنا فى وصية قيس بن زهير أنفا النهى عن الإسراف فى الدماء وتلك وصية مبنية على شريعة الجاهلية مع حميتها وتهالكها على القتل والقتال ووصية أمير المؤمنين ع مبنية على

الشرعية الإسلامية والنهي عن القتل والعدوان الذي لا يسيغه الدين و قدورد في الخبر المرفوع أن أول ما يقضى الله به يوم القيامة بين العباد أمر الدماء -رواية- ١-٢-رواية- ٢٧-٨٨ قال إنه ليس شىء أدمى إلى حلول النقم وزوال النعم وانتقال الدول من سفك الدم الحرام وإنك إن ظننت أنك تقوى سلطانك بذلك فليس الأمر كما ظننت بل تضعفه بل تعدمه بالكلية. ثم عرفه أن قتل العمد يوجب القود و قال له قود البدن أى يجب عليك هدم صورتك كماهدمت صورة المقتول والمراد إرهابه بهذه اللفظة أنها أبلغ من أن يقول له فإن فيه القود. ثم قال إن قتلت خطأ أو شبه عمد كالضرب بالسوط فعليك الدية و قد اختلف [صفحة ١١٢] الفقهاء فى هذه المسألة فقال أبو حنيفة وأصحابه القتل على خمسة أوجه عمد وشبه عمد وخطأ و ما أجرى مجرى الخطأ و قتل بسبب. فالعمد ما تعمد به ضرب الإنسان بسلاح أو ما يجرى مجرى السلاح كالمحدد من الخشب وليطة القصب والمروءة المحددة والنار وموجب ذلك المأثم والقود إلا أن يعفو الأولياء ولا كفارة فيه. وشبه العمد أن يتعمد الضرب بما ليس بسلاح ولا أجرى مجرى السلاح كالحجر العظيم والخشبة العظيمة وموجب ذلك المأثم والكفارة ولا قود فيه وفيه الدية مغلظة على العاقلة. والخطأ على وجهين خطأ فى القصد وهو أن يرمى شخصا يظنه صيدا فإذا هو آدمى وخطأ فى الفعل وهو أن يرمى غرضا فيصيب آدميا وموجب النوعين جميعا الكفارة والدية على العاقلة ولا مأثم فيه. و ما أجرى مجرى الخطأ مثل النائم يتقلب على رجل فيقتله فحكمه حكم الخطأ و أما القتل بسبب فحافر البئر وواضع الحجر فى غير ملكه وموجه إذاتلف فيه إنسان الدية على العاقلة ولا كفارة فيه. فهذا قول أبى حنيفة ومن تابعه و قد خالفه صاحبه أبو يوسف ومحمد فى شبه العمد وقالا إذا ضرب به حجر عظيم أو خشبة غليظة فهو عمد قال وشبه العمد أن يتعمد ضربه بما لا يقتل به غالبا كالعصا الصغيرة والسوط وبهذا القول قال الشافعى. وكلام أمير المؤمنين ع يدل على أن المؤدب من الولاة إذاتلف تحت [صفحة ١١٣] يده إنسان فى التأديب فعليه الدية وقال لى قوم من فقهاء الإمامية أن مذهبا أن لادية عليه وهو خلاف ما يقتضيه كلام أمير المؤمنين ع وإياك والإعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها و حب الإطراء فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان فى نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين وإياك والمن على رعيتك بإحسانك أو التزيد فيما كان من فعلك أو أن تعدهم فتتبع موعداك بخلفك فإن المن يبطل الإحسان والتزيد يذهب بنور الحق والخلف يوجب المقت عند الله والناس قال الله سبحانه وتعالى كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون وإياك والعجلة بالأمر قبل أوانها أو التساقط فيها عند إمكانها أو اللجاجة فيها إذا تنكرت أو الوهن عنها إذا استوضحت فضع كمال أمر موضعه و أوقع كمال عمل موقعه وإياك والاستئثار بما الناس فيه أسوة والتغابي عما تعنى به مما قد وضح للعيون فإنه مأخوذ منك لغيرك و عما قليل تنكشف عنك أعطية الأمور ويتصف منك للمظلوم امليك حمية أنفك و سورة حدك و سيطرة يدك و غرب لسانك و احترس من كل ذلك بكف البادرة و تأخير السطوة حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار و لن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربك -قرآن- ٤٩٠-٥٤٦ [صفحة ١١٤] و الواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومه عادله أو سئنه فاضله أو أثر عن نبيناص أو فريضة فى كتاب الله فتقتدى بما شأدت مما عملنا به فيها وتجتهد لنفسك فى اتباع ما عهدت إليك فى عهدى هذا واستوثقت به من الحجة لنفسى عليك لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك إلى هواها قد اشتمل هذا الفصل على وصايا نحن شارحوها منها قوله ع إياك و ما يعجبك من نفسك والثقة بما يعجبك منها قدورد فى الخبر ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-٧٥ فى الخبر أيضا لا وحشة أشد من العجب -رواية- ١-٢-رواية- ١٧-٣٩ فى الخبر الناس لآدم وآدم من تراب فما لابن آدم والفخر والعجب -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-٧٠ فى الخبر الجار ثوبه خيلاء لا ينظر الله إليه يوم القيامة -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-٦١ فى الخبر و قدرأى أبادجانه يتبختر إنها لمشيئة يبغضها الله إلا بين الصفين -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-٧٨. ومنها قوله وحب الإطراء ناظر المأمون محمد بن القاسم النوشجاني المتكلم فجعل يصدقه ويطريه ويستحسن قوله فقال المأمون يا

محمد أراك تنقاد إلى ماتظن أنه يسرنى قبل وجوب الحجّة لى عليك وتطرينى بما لست أحب أن أطرى به وتستخذى لى فى المقام الذى ينبغى أن تكون فيه مقاوما لى ومحتجا على و لو شئت أن أقسر الأمور بفضل بيان وطول لسان وأغصب الحجّة بقوة الخلافة وأبهه الرئاسة لصدقت و إن كنت كاذبا وعدلت و إن كنت جائرا وصوبت و إن كنت مخطئا [صفحة ١١٥] لكنى لأرضى إلا بغلبة الحجّة ودفع الشبهة و إن أنقص الملوك عقلا وأسخفهم رأيا من رضى بقولهم صدق الأمير. وأثنى رجل على رجل فقال الحمد لله الذى سترنى عنك و كان بعض الصالحين يقول إذا أطراه إنسان ليسألك الله عن حسن ظنك . ومنها قوله وإياك والمن قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى و كان يقال المن محبة للنفس مفسدة للصنع . ومنها نهيه إياه عن التزيد فى فعله قال ع إنه يذهب بنور الحق و ذلك لأنه محض الكذب مثل أن يسدى ثلاثة أجزاء من الجميل فيدعى فى المجالس والمحافل أنه أسدى عشرة و إذا خالط الحق الكذب أذهب نوره . ومنها نهيه إياه عن خلف الوعد قدمدح الله نبيا من الأنبياء و هو إسماعيل بن إبراهيم ع بصدق الوعد و كان يقال وعد الكريم نقد وتعجيل ووعد اللئيم مطل وتعطيل و كتب بعض الكتاب وحق لمن أزهق بقول أن يثمر بفعل و قال أبو مقاتل الضرير قلت لأعرابي قد أكثر الناس فى المواعيد فما قولك فيها فقال بئس الشىء الوعد مشغلة للقلب الفارغ متعبة للبدن الخافض خيريه غائب وشره حاضر و قرآن - ٢٨١ - ٣٥١ فى الحديث المرفوع عدة المؤمن كأخذ باليد - روايت - ١ - ٢ - روايت - ٢٣ - ٤٦ فأما أمير المؤمنين ع فقال إنه يوجب المقت واستشهد عليه بالآية والمقت البغض . ومنها نهيه عن العجلة و كان يقال أصاب متثبت أو كاد وأخطأ عجل أو كاد و فى المثل رب عجلة تهب ريثا وذمها الله تعالى فقال خُلق الإنسان من عَجَلٍ . قرآن - ٢٠٨ - ٢٣٤ [صفحة ١١٦] ومنها نهيه عن التساقط فى الشىء الممكن عند حضوره و هذا عبارة عن النهى عن الحرص والجشع قال الشنفرى و إن مدت الأيدي إلى الزاد لم أكن || بأعجلهم إذ أجشع القوم أعجل . ومنها نهيه عن اللجاجة فى الحاجة إذ اتعذرت كان يقال من لاج الله فقد جعله خصما و من كان الله خصمه فهو مخصوم قال الغزى دعها سماوية تجرى على قدر || لا تفسدنها برأى منك معكوس . ومنها نهيه له عن الوهن فيها إذا استوضحت أى وضحت وانكشفت ويروى واستوضحت فعل ما لم يسم فاعله والوهن فيها إهمالها وترك انتهاز الفرصة فيها قال الشاعر فإذا أمكنت فبادر إليها || حذرا من تعذر الإمكان . ومنها نهيه عن الاستثثار و هذا هو الخلق النبوى غنم رسول الله ص غنائم خبير و كانت ملء الأرض نعمما فلما ركب راحلته وسار تبعه الناس يطلبون الغنائم وقسمها و هوساكت لا يكلمهم و قد أكثروا عليه إلحاحا وسؤالا فمر بشجرة فخطفت رداءه فالتفت فقال ردوا على رداى فلو ملكت بعدد رمل تهامة مغنما لقسمته بينكم عن آخره ثم لا تجدوننى بخيلا ولا جابانا ونزل وقسم ذلك المال عن آخره عليهم كله لم يأخذ لنفسه منه وبرة. ومنها نهيه له عن التغابى وصورة ذلك أن الأمير يومئ إليه أن فلانا من خاصته يفعل كذا ويفعل كذا من الأمور المنكرة ويرتكبها سرا فيتغابى عنه ويتغافل نهاه ع عن ذلك و قال إنك مأخوذ منك لغيرك أى معاقب تقول أللهم خذ لى من فلان بحقى أى أللهم انتقم لى منه . [صفحة ١١٧] ومنها نهيه إياه عن الغضب و عن الحكم بما تقتضيه قوته الغضبية حتى يسكن غضبه قد جاء فى الخبر المرفوع لا يقضى القاضى و هو غضبان - روايت - ١ - ٢ - روايت - ٢١ - ٤٩ فإذا كان قد نهى أن يقضى القاضى و هو غضبان على غير صاحب الخصومة فبالأولى أن ينهى الأمير عن أن يسطو على إنسان و هو غضبان عليه . و كان لكسرى أنوشروان صاحب قدرته ونصبه لهذا المعنى يقف على رأس الملك يوم جلوسه فإذا غضب على إنسان وأمر به قرع سلسله تاجه بقضيب فى يده و قال له إنما أنت بشر فارحم من فى الأرض يرحمك من فى السماء و من هَذَا العهدِ وَ هُوَ آخِرُهُ وَ أَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ بِسِعْمَةِ رَحْمَتِهِ وَ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَى إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ أَنْ يُؤَفِّقَنِي وَ إِيَّاكَ لِمَا فِيهِ رِضَاةٌ مِنَ الْإِقَامَةِ عَلَى الْعُدْرِ الْوَاضِحِ إِلَيْهِ وَ إِلَى خَلْقِهِ مِنْ حُسْنِ الشَّاءِ فِي الْعِبَادِ وَ جَمِيلِ الْأَثْرِ فِي الْبِلَادِ وَ تَمَامِ النِّعْمَةِ وَ تَضْعِيفِ الْكِرَامَةِ وَ أَنْ يَخْتِمَ لِي وَ لَكَ بِالسَّيِّئَةِ وَ الشَّهَادَةِ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ وَ السَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ عَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ روى كل رغبة والرغبة ما يرغب فيه فأما الرغبة فمصدر رغب

فى كذا كأنه قال القادر على إعطاء كل سؤال أى إعطاء كل سائل ماسأله . [صفحہ ۱۱۸] ومعنى قوله من الإقامه على العذر أى أسأل الله أن يوفقنى للإقامه على الاجتهاد وبذل الوسع فى الطاعة و ذلك لأنه إذا بذل جهده فقد أعذر ثم فسر اجتهاده فى ذلك فى رضا الخلق و لم يفسر اجتهاده فى رضا الخالق لأنه معلوم فقال هو حسن الثناء فى العباد وجميل الأثر فى البلاد. فإن قلت فقوله وتمام النعمة على ماذا تعطفه قلت هو معطوف على ما من قوله لما فيه كأنه قال أسأل الله توفيقى لذا وتمام النعمة أى وتمام نعمته على وتضاعف كرامته لدى وتوفيقه لهما هو توفيقه للأعمال الصالحة التى يستوجبها بها

فصل فى ذكر بعض وصايا العرب

وينبغى أن يذكر فى هذا الموضوع وصايا من كلام قوم من رؤساء العرب أوصوا بها أولادهم ورهطهم فيها آداب حسان وكلام فصيح وهى مناسبة لعهد أمير المؤمنين ع هذا ووصاياه المودعة فيه و إن كان كلام أمير المؤمنين ع أجل وأعلى من أن يناسبه كلام لأنه قبس من نور الكلام الإلهى وفرع من دوحه المنطق النبوى. روى ابن الكلبي قال لما حضرت الوفاء أوس بن حارثة أخا الخزرج لم يكن له ولد غير مالك بن الأوس و كان لأخيه الخزرج خمسة قتل له كنانا نأمرى بأن تتزوج فى شبابك فلم تفعل حتى حضر ك الموت و لا ولد لك إلا مالك فقال لم يهلك هالك ترك مثل مالك و إن كان الخزرج ذا عدد و ليس لمالك ولد فلعل الذى استخرج [صفحہ ۱۱۹] العذق من الجريمة والنار من الوثيمة أن يجعل لمالك نسلا ورجالا بسلا وكلنا إلى الموت يامالك المنية و لا الدنية والعتاب قبل العقاب والتجلد لا التبلى واعلم أن القبر خير من الفقر و من لم يعط قاعدا حرم قائما وشر الشرب الاشتفاف وشر الطعام الاقتفاف وذهب البصر خير من كثير من النظر و من كرم الكريم الدفع عن الحریم و من قل ذل وخير الغنى القناعة وشر الفقر الخضوع الدهر صرفان صرف رخاء و صرف بلاء واليوم يومان يوم لك و يوم عليك فإذا كان لك فلا تبطر و إذا كان عليك فاصطبر وكلاهما سينحسر وكيف بالسلامة لمن ليست له إقامة و حياك ربك . وأوصى الحارث بن كعب بنيه فقال يا بنى قد أتت على مائة وستون سنة ما صافحت يمينى يمين غادر و لا قنعت لنفسى بخلة فاجر و لا صبوت بابتة عم و لا كنة و لا بحث لصديق بسر و لا طرحت عن مومسة قناعا و لا بقى على دين عيسى ابن مريم و قد روى على دين شعيب من العرب غيرى و غير تميم بن مر بن أسد بن خزيمه فموتوا على شريعتى واحفظوا على وصيتى وإلهمم فاتقوا يكفكم ما أهمكم ويصلح لكم حالكم وإياكم ومعصيته فيحل بكم الدمار ويوحش منكم الديار كونوا جميعا و لا تفرقوا فتكنوا شيعا و بزوا قبل أن تبزوا فموت [صفحہ ۱۲۰] فى عزخير من حياة فى ذل وعجز و كل ما هو كائن كائن و كل جمع إلى تباين والدهر صرفان صرف بلاء و صرف رخاء واليوم يومان يوم حبرة و يوم عبرة و الناس رجلا ن رجل لك و رجل عليك زوجوا النساء الأكفاء و إلا فانظروا بهن القضاء وليكن أطيب طيبهم الماء وإياكم والورهاء فإنها أدوأ الداء و إن ولدها إلى أفن يكون لراحة لقاطع القرابة و إذا اختلف القوم أمكنوا عدوهم وآفة العدد اختلاف الكلمة والتفضل بالحسنة يقى السيئة والمكافأة بالسيئة دخول فيها وعمل السوء يزيل النعماء وقطيعه الرحم تورث الهم وانتهاك الحرمة يزيل النعمة وعقوق الوالدين يعقب النكد ويخرب البلد ويمحق العدد والإسراف فى النصيحة هو الفضيحة والحقد منع الرشد ولزوم الخطيئة يعقب البلية وسوء الدعة يقطع أسباب المنفعة والضغائن تدعو إلى التباين يا بنى إنى قد أكلت مع أقوام و شربت فذهبوا وغبرت و كأنى بهم قد دلحقت ثم قال أكلت شبابى فأفنيته || وأبليت بعددهور دهورا ثلاثة أهلين صاحبتهم || فبادروا وأصبحت شيخا كبيرا قليل الطعام عسير القيام || قد ترك الدهر خطوى قصيرا أبيت أراعى نجوم السماء || أقلب أمرى بطونا ظهورا . وصى أكثم بن صيفى بنيه ورهطه فقال يا بنى تميم لا ينفوتنكم وعطى إن فاتكم الدهر بنفسى إن بين حيزومى و صدرى لكلاما لا أجد له مواقع إلا أسماعكم و لا مقار إلا قلوبكم

فتلقوه بأسماع مصغية وقلوب دواعية تحمدوا مغبته الهوى [صفحة ١٢١] يقظان والعقل راقد والشهوات مطلقة والحزم معقول والنفس مهملة والروية مقيدة و من جهة التواني وترك الروية يتلف الحزم ولن يعدم المشاور مرشدا والمستبد برأيه موقوف على مداحض الزلل و من سمع سمع به ومصارع الرجال تحت بروق الطمع و لواعتبرت مواقع المحن ما وجدت إلا فى مقاتل الكرام و على الاعتبار طريق الرشاد و من سلك الجدد أمن العثار ولن يعدم الحسود أن يتعب قلبه ويشغل فكره ويورث غيظه و لا تجاوز مضرته نفسه يابنى تميم الصبر على جرع الحلم أعذب من جنا ثمر الندامة و من جعل عرضه دون ماله استهدف للذم وكلم اللسان أنكى من كلم السنان والكلمة مرهونة ما لم تنجم من الفم فإذا انجمت مزجت فهى أسد محرب أوار تلهب ورأى الناصح الليب دليل لايجوز ونفاذ رأى فى الحرب أجدى من الطعن والضرب . وأوصى يزيد بن المهلب ابنه مخلدا حين استخلفه على جرجان فقال له يابنى قد استخلفتك على هذه البلاد فانظر هذاالحى من اليمن فكن لهم كما قال الشاعر إذا كنت مرتاد الرجال لنفعهم || فرش واصطنع عندالذين بهم ترمى . وانظر هذاالحى من ربيعة فإنهم شيعتك وأنصارك فاقض حقوقهم وانظر هذاالحى من تميم فأمطرهم و لا تزه لهم و لا تدنهم فيطمعوا و لا تقصهم فيقطعوا وانظر هذاالحى من قيس فإنهم أكفاء قومك فى الجاهلية ومناصفوهم المآثر فى الإسلام ورضاهم منك البشر يابنى إن لأبيك صنائع فلا تفسدها فإنه كفى بالمرء نقصا أن يهدم مابنى أبوه وإياك والدماء فإنه لا تقيء معها وإياك وشتم الأعراس فإن الحر [صفحة ١٢٢] لا يرضيه عن عرضه عوض وإياك وضرب الأبخار فإنه عار باق ووتر مطلوب واستعمل على النجدة والفضل دون الهوى و لا تعزل إلا عن عجز أوخيانه و لا يمنعك من اصطناع الرجل أن يكون غيرك قدسبقك إليه فإنك إنما تصطنع الرجال لفضلها وليكن صنيعك عند من يكافئك عنه العشائر احمل الناس على أحسن أدبك يكفوك أنفسهم و إذا كتبت كتابا فأكثر النظر فيه وليكن رسولك فيما بينى وبينك من يفقه عنى وعنك فإن كتاب الرجل موضع عقله ورسوله موضع سره وأستودعك الله فلا بد للمودع أن يسكت وللمشيع أن يرجع و ماعف من المنطق وقل من الخطيئة أحب إلى أبيك . وأوصى قيس بن عاصم المنقرى بنيه فقال يابنى خذوا عنى فلا أحد أنصح لكم منى إذا دفتمونى فانصرفوا إلى رحالكم فسودوا أكبركم فإن القوم إذا سودوا أكبرهم خلفوا أباهم و إذا سودوا أصغرهم أزرى ذلك بهم فى أكفائهم وإياكم ومعصية الله وقطيعة الرحم وتمسكوا بطاعة أمرائكم فإنهم من رفعوا ارتفع و من وضعوا اتضع وعليكم بهذا المال فأصلحوه فإنه منبهة للكريم وجنة لعرض اللثيم وإياكم والمسألة فإنها آخر كسب الرجل و إن أحدا لم يسأل إلا ترك الكسب وإياكم والنياحة فإنى سمعت رسول الله ص ينهى عنها وادفونى فى ثيابى التى كنت أصلى فيها وأصوم و لا يعلم بكر بن وائل بمدفنى فقد كانت بينى وبينهم مشاحنات فى الجاهلية والإسلام وأخاف أن يدخلوا عليكم بى عارا وخذوا عنى ثلاث خصال إياكم و كل عرق لثيم أن تلابسوه فإنه إن يسرركم اليوم يسؤكم غدا واكظموا الغيظ واحذروا بنى أعداء آبائكم فإنهم على منهاج آبائهم ثم قال [صفحة ١٢٣] أحيا الضغائن آباء لنا سلفوا || فلن تبيد وللآباء أبناء . قال ابن الكلبي فيحكى الناس هذا البيت سابقا للزبير و ما هو إلا لقيس بن عاصم . وأوصى عمرو بن كلثوم التغلبي بنيه فقال يابنى إنى قد بلغت من العمر ما لم يبلغ أحد من آبائى وأجدادى و لا بد من أمر مقتبل و أن ينزل بى منازل بالآباء والأجداد والأمهات والأولاد فاحفظوا عنى ما أوصيكم به إنى والله ماعيرت رجلا قط أمرا إلا عيرنى مثله إن حقا فحق و إن باطلا فباطل و من سب سب فكفوا عن الشتم فإنه أسلم لأعراضكم وصلوا أرحامكم تعمر داركم وأكرموا جاركم بحسن ثنائكم وزوجوا بنات العم بنى العم فإن تعديتم بهن إلى الغرباء فلا تألوا بهن عن الأكفاء وأبعدوا بيوت النساء من بيوت الرجال فإنه أغض للبصر وأعف للذكر ومتى كانت المعاينة واللقاء ففى ذلك داء من الأدواء و لاخير فيمن لا يغار لغيره كما يغار لنفسه وقل من انتهك حرمة لغيره إلا انتهكت حرمة وامنعوا القريب من ظلم الغريب فإنك تدل على قريبك و لا يجمل بك ذل غريبك و إذا تنازعتم فى الدماء فلا يكن حقمكم الكفاء فرب رجل خير من ألف وود خير من خلف و إذا حدثتم فعوا و إذا حدثتم فأوجزوا فإن مع الإكثار يكون

الإهذار وموت عاجل خير من ضنى آجل و ما بكيت من زمان لإدهانى بعده زمان وربما شجانى من لم يكن أمره [صفحه ١٢٤] عنانى و ما عجبت من أحوثة إلا رأيت بعدها أعجوبة و اعلموا أن أشجع القوم العطوف و خير الموت تحت ظلال السيوف و لا خير فيمن لاروية له عند الغضب و لا فيمن إذا عوتب لم يعتب و من الناس من لا يرجى خيره و لا يخاف شره فبكوه خير من دره و عقوقه خير من بره و لا تبرحوا فى حبكم فإن من أبرح فى حب آل ذلك إلى قبيح بغض و كم قد زارنى إنسان وزرته فانقلب الدهر بنا فقبرته و اعلموا أن الحليم سليم و أن السفية كلیم أنى لم أمت ولكن هرمت و دخلتنى ذلة فسكت و ضعف قلبى فأهترت سلمكم ربكم و حياكم . و من كتاب أردشير بن بابك إلى بنيه و الملوك من بعده رشاد الوالى خير للرعية من خصب الزمان الملك و الدين توأمان لا قوام لأحدهما إلا بصاحبه فالدين أس الملك و عماده ثم صار الملك حارس الدين فلا بد للملك من أسه و لا بد للدين من حارسه فأما ما لا حارس له فضائع و ما لا أس له فمهدوم إن رأس ما أخاف عليكم مبادرة السفلة إياكم إلى دراسة الدين و تأويله و التفقه فيه فتحملكم الثقة بقوة الملك على التهاون بهم فتحدث فى الدين رئاسات منتشرات سرا فيمن قد وترتم و جفوتهم و حرمتهم و أخفتم و صغرتم من سفلة الناس و الرعية و حشو العامة ثم لا تنشب تلك الرئاسات أن تحدث خرقا فى الملك و وهنا فى الدولة و اعلموا أن سلطانكم إنما هو على أجسادكم الرعية لا على قلوبها و إن غلبتم الناس على ما فى أيديهم فلن تغلبوهم على ما فى عقولهم و آرائهم و مكايدهم و اعلموا أن العاقل المحروم سال عليكم لسانه و هو أقطع سيفيه و إن أشد ما يضر بكم من لسانه ما صرف الحيلة فيه إلى الدين فكان للدينيا يحتج و للدين فيما يظهر يتعصب فيكون [صفحه ١٢٥] للدين بكاؤه و إليه دعاؤه ثم هو أوحد للتابعين و المصدقين و المناصحين و المؤازرين لأن تعصب الناس موكل بالملوك و رحمتهم و محبتهم موكله بالضعفاء المغلوبين فاحذروا هذا المعنى كل الحذر و اعلموا أنه ليس ينبغى للملك أن يعرف للعباد و النساك بأن يكونوا أولى بالدين منه و لا أحذب عليه و لا أغضب له و لا ينبغى له أن يخلى النساك و العباد من الأمر و النهى فى نسكهم و دينهم فإن خروج النساك و غيرهم من الأمر و النهى عيب على الملوك و على المملكة و ثلثة بينة الضرر على الملك و على من بعده . و اعلموا أنه قدمضى قبلنا من أسلافنا ملوك كان الملك منهم يتعهد الحماية بالتفتيش و الجماعة بالتفضيل و الفراغ بالاشتغال كتعهده جسده بقص فضول الشعر و الظفر و غسل الدرن و الغمر و مداواة مآظهم من الأدواء و ما بطن و قد كان من أولئك الملوك من صحه ملكه أحب إليه من صحه جسده فتتبع تلك الأملاك بذلك كأنهم ملك واحد و كان أرواحهم روح واحدة يمكن أولهم لآخرهم و يصدق آخرهم أولهم يجتمع أبناء أسلافهم و موارث آرائهم و ثمرات عقولهم عند الباقى منهم بعدهم و كأنهم جلوس معه يحدثونه و يشاورونه حتى كأن على رأس دارا بن دارا ما كان من غلبة الإسكندر الرومى على ما غلب عليه من ملكه و كان إفساده أمرنا و تفرقة جماعتنا و تخريبه عمران مملكتنا أبلغ له فيما أراد من سفك دماننا فلما أذن الله عز و جل فى جمع مملكتنا و إعادة أمرنا كان من بعثه إيانا ما كان و بالاعتبار يتقى العثار و التجارب الماضية دستور يرجع إليه من الحوادث الآتية . و اعلموا أن طباع الملوك على غير طباع الرعية و السوقه فإن الملك يطيف به العز و الأمن و السرور و القدرة على ما يريد و الأنفة و الجراءة و العبث و البطر و كلما ازداد [صفحه ١٢٦] فى العمر تنفسا و فى الملك سلامة ازداد من هذه الطبائع و الأخلاق حتى يسلمه ذلك إلى سكر السلطان الذى هو أشد من سكر الشراب فينسى النكبات و العثرات و الغير و الدوائر و فحش تسلط الأيام و لؤم غلبة الدهر فيرسل يده بالفعل و لسانه بالقول و عند حسن الظن بالأيام تحدث الغير و تزول النعم و قد كان من أسلافنا و قدما ملوكنا من يذكره عزه الذل و أمنه الخوف و سروره الكآبة و قدرته المعجزة و ذلك هو الرجل الكامل قد جمع بهجة الملوك و فكرة السوقه و لاكمال إلا فى جمعها . و اعلموا أنكم ستبلون على الملك بالأزواج و الأولاد و القرباء و الوزراء و الأخدان و الأنصار و الأعوان و المتقربين و الندماء و المضحكين و كل هؤلاء إلا قليلا أن يأخذ لنفسه أحب إليه من أن يعطى منها عمله و إنما عمله سوق ليومه و ذخيرة لغده فنصيحته للملوك فضل نصيحته لنفسه و غاية الصلاح عنده صلاح نفسه و غاية الفساد

عنده فسادها يقيم للسلطان سوق المودة ما أقام له سوق الأرباح والمنافع إذا استوحش الملك من ثقافته أطبقت عليه ظلم الجهالة أخوف ما يكون العامة آمن ما يكون الوزراء وآمن ما يكون العامة أخوف ما يكون الوزراء. واعلموا أن كثيرا من وزراء الملوك من يحاول استبقاء دولته وأيامه بإيقاع الاضطراب والخبط في أطراف مملكة الملك ليحتاج الملك إلى رأيه وتديره فإذا عرفتم هذا من وزير من وزرائكم فاعزلوه فإنه يدخل الوهن والنقص على الملك والرعية لصالح حال نفسه ولا تقوم نفسه بهذه النفوس كلها. واعلموا أن بدء ذهاب الدولة ينشأ من قبل إهمال الرعية بغير أشغال معروفة ولا أعمال معلومة فإذا نشأ الفراغ تولد منه النظر في الأمور والفكر في الفروع والأصول. فإذا نظروا في ذلك نظروا فيه بطبائع مختلفة فتختلف بهم المذاهب ويتولد من اختلاف مذاهبهم تعاديبهم وتضاغنهم وهم مع اختلافهم هذامتفقون ومجتمعون على بغض الملوك فكل صنف منهم إنما يجرى إلى فجيعة الملك بملكه ولكنهم لا يجدون سلما إلى [صفحة ١٢٧] ذلك أوثق من الدين والناموس ثم يتولد من تعاديبهم أن الملك لا يستطيع جمعهم على هوى واحد فإن انفرد باختصاص بعضهم صار عدو بقيةهم ولى طباع العامة استئصال الولاة وملاهم والنفاسة عليهم والحسد لهم وفي الرعية المحروم والمضروب والمقام عليه الحدود ويتولد من كثرتهم مع عداوتهم أن يجبن الملك عن الإقدام عليهم فإن في إقدام الملك على الرعية كلها كافة تغريرا بملكه ويتولد من جبن الملك عن الرعية استعجالهم عليه وهم أقوى عدو له وأخلقه بالظفر لأنه حاضر مع الملك في دار ملكه فمن أفضى إليه الملك بعدى فلا يكونن بإصلاح جسده أشد اهتماما منه بهذه الحال ولا تكونن لشيء من الأشياء أكره وأنكر لرأس صار ذنبا وذنبا صار رأسا ويد مشغولة صارت فارغة أو غنى صار فقيرا أو عامل مصروف أو أمير معزول. واعلموا أن سياسة الملك وحراسته ألا يكون ابن الكاتب إلا كاتباً وابن الجندي إلا جندياً وابن التاجر إلا تاجراً وهكذا في جميع الطبقات فإنه يتولد من تنقل الناس عن حالاتهم أن يلتمس كل امرئ منهم فوق مرتبته فإذا انتقل أوشك أن يرى شيئا أرفع مما انتقل إليه فيحسد أو ينافس وفي ذلك من الضرر المتولد ما لا يخفى به فإن عجز ملك منكم عن إصلاح رعيته كما أوصيناها فلا يكون للقميص القمل أصرع خلعا منه لمالبس من قميص ذلك الملك. واعلموا أنه ليس ملك إلا - وهو كثير الذكر لمن يلي الأمر بعده و من فساد أمر الملك نشر ذكره ولاة العهود فإن في ذلك ضرورا من الضرر وأن ذلك دخول عداوة بين الملك وولى عهده لأنه تطمح عينه إلى الملك ويصير له أحباب وأخذان يمتنون ذلك ويستبطنون موت الملك ثم إن الملك يستوحش منه وتنساق الأمور إلى هلاك أحدهما ولكن لينظر الوالى منكم لله تعالى ثم لنفسه ثم للرعية ولينتخب وليا للعهد من بعده [صفحة ١٢٨] ولا يعلمه ذلك ولا أحد من الخلق قريبا كان منه أو بعيدا ثم يكتب اسمه فى أربع صحائف ويختمها بخاتمه ويضعها عند أربعة نفر من أعيان أهل المملكة ثم لا يكون منه فى سره وعلايته أمر يستدل به على ولى عهده من هؤلاء فى إدناء وتقريب يعرف به ولا فى إقصاء وأعراض يستراب له وليتق ذلك فى اللحظة والكلمة فإذا هلك الملك جمعت تلك الصحائف إلى النسخة التى تكون فى خزانة الملك فتفرض جميعا ثم ينوه حينئذ باسم ذلك الرجل فيلقى الملك إذ النية بحدائثة عهده بحال السوقه ويلبسه إذالبسه ببصر السوقه وسمعها فإن فى معرفته بحاله قبل إفضاء الملك إليه سكرات تحدثه عنده ولاية العهد ثم يلقاه الملك فيزيده سكرات إلى سكره فيعمى ويصم هذا مع ما لا بد أن يلقاه أيام ولاية العهد من حيل العتاة وبغى الكذابين وترقية النمامين وإيغار صدره وإفساد قلبه على كثير من رعيته وخواص دولته وليس ذلك بمحمود ولا صالح. واعلموا أنه ليس للملك أن يحلف لأنه لا يقدر أحد استكراهه وليس له أن يغضب لأنه قادر والغضب لقاح الشر والندامة وليس له أن يعبث ويلعب لأن اللعب والعبث من عمل الفراغ وليس له أن يفرغ لأن الفراغ من أمر السوقه وليس للملك أن يحسد أحدا إلا على حسن التدبير وليس له أن يخاف لأنه لا يد فوق يده. واعلموا أنكم لن تقدرُوا على أن تختموا أفواه الناس من الطعن والإزراء عليكم ولا قدرة لكم على أن تجعلوا القبيح من أفعالكم حسنا فاجتهدوا فى أن تحسن أفعالكم كلها وإلا تجعلوا للعامة إلى الطعن عليكم سيلا. واعلموا أن لباس الملك ومطعمه ومشربه

مقارب للباس السوقه ومطعمهم و ليس [صفحه ١٢٩] فضل الملك على السوقه إلابقدرته على اقتناء المحامد واستفاده المكارم فإن الملك إذاشاء أحسن و ليس كذلك السوقه. واعلموا أن لكل ملك بطانه ولكل رجل من بطانته بطانه ثم إن لكل امرئ من بطانه البطانه بطانه حتى يجتمع من ذلك أهل المملكه فإذا أقام الملك بطانته على حال الصواب فيهم أقام كل امرئ منهم بطانته على مثل ذلك حتى يجتمع على الصلاح عامه الرعيه. احذروا بابا واحدا طالما أمنتت فضررتي وحذرتي فنفعتي احذروا إفشاء السر بحضرة الصغار من أهليكم وخدمكم فإنه ليس يصغر واحد منهم عن حمل ذلك السر كاملا لا يترك منه شيئا حتى يضعه حيث تكرهون إما سقطا أو غشا. واعلموا أن في الرعيه صنفا أتوا الملك من قبل النصائح له والتمسوا إصلاح منازلهم بإفساد منازل الناس فأولئك أعداء الناس وأعداء الملوك و من عادى الملوك و الناس كلهم فقد عادى نفسه . واعلموا أن الدهر حاملكم على طبقات فمنها حال السخاء حتى يدنو أحدكم من السرف ومنها حال التبذير حتى يدنو من البخل ومنها حال الأناة حتى يدنو من البلاده ومنها حال انتهاز الفرصه حتى يدنو من الخفه ومنها حال الطلاقه في اللسان حتى يدنو من الهذر ومنها حال الأخذ بحكمه الصمت حتى يدنو من العي فالملك منكم جدير أن يبلغ من كل طبقه في محاسنها حدها فإذا وقف عليه ألجم نفسه عما وراءها. واعلموا أن ابن الملك وأخاه و ابن عمه يقول كدت أن أكون ملكا وبالحرى ألا أموت حتى أكون ملكا فإذا قال ذلك قال ما لايسر الملك و إن كتبه فالدهاء [صفحه ١٣٠] في كل مكتوم و إذاتمنى ذلك جعل الفساد سلما إلى الصلاح و لم يكن الفساد سلما إلى صلاح قط و قدرست لكم في ذلك مثلا- اجعلوا الملك لاينبغى إلا لأبناء الملوك من بنات عمومتهم و لا يصلح من أولاد بنات العم إلا كامل غيرسخييف العقل و لا عازب الرأي و لا ناقص الجوارح و لا مطعون عليه في الدين فإنكم إذا فعلتم ذلك قل طلاب الملك و إذا قل طلابه استراح كل امرئ إلى ما يليه ونزع إلى حد يليه و عرف حاله ورضى معيشته واستطاب زمانه. فقد ذكرنا وصايا قوم من العرب ووصايا أكثر ملوك الفرس وأعظمهم حكمه لتضم إلى وصايا أمير المؤمنين فيحصل منها وصايا الدين والدنيا فإن وصايا أمير المؤمنين ع الدين عليها أغلب ووصايا هؤلاء الدنيا عليها أغلب فإذا أخذ من أخذ التوفيق بيده بمجموع ذلك فقد سعد و لا سعيد إلا من أسعده الله [صفحه ١٣١]

٥٤- و من كتاب له ع إلى طلحه والزبير

إشاره

مع عمران بن الحصين الخزاعي وذكر هذا الكتاب أبو جعفر الإسكافي في كتاب المقامات أما بعد فقد علمت ما و إن كتمت ما أتى لم أريد الناس حتى أزدوني و لم أباعهم حتى أباعوني و إنكم ممن أزدوني و أباعوني و إن العاميه لم تباعيني لسيلطان غالب و لا لحرص حاضره فإن كتمت ما أباعني طائعين فأرجع و توبا إلى الله من قريب و إن كتمت ما أباعني كارهين فقد جعلت ما لي عليكم السبيل بإظهاركم الطاعة و إسراركم المعصيه و لعمرى ما كتمت ما بحق المهاجرين بالتقيته و الكتمان و إن دفعتكم هذا الأمر قبل أن تدخلوا فيه كان أوسع عليكم من خروجكم منه بعد إقراركم به و قد زعمت ما أتى قتل عثمان فبينى و بينكم ما تخلف عنى و عنكم من أهل المدينه ثم يلزم كل امرئ بقدر ما احتمل فأرجع أيها الشيخان عن رأيكم فإن الآن أعظم أمركم العار من قبل أن يجتمع العار و النار و السلام [صفحه ١٣٢]

هو عمران بن الحصين بن عبيد بن خلف بن عبد بن نهم بن سالم بن غاضرة بن سلول بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي يكنى أبا جعيد بابنه بجيد بن عمران أسلم هو و أبوهريرة عام خبير و كان من فضلاء الصحابة وفقهائهم يقول أهل البصرة عنه إنه كان يرى الحفظة وكانت تكلمه حتى اکتوى . و قال محمد بن سيرين أفضل من نزل البصرة من أصحاب رسول الله ص عمران بن الحصين و أبو بكره واستقضاه عبد الله بن عامر بن كريز على البصرة فعمل له أياما ثم استعفاه فأعفاه ومات بالبصرة سنة اثنتين وخمسين في أيام معاوية

أبو جعفر الإسكافي

و أما أبو جعفر الإسكافي و هو شيخنا محمد بن عبد الله الإسكافي عده قاضى القضاء فى الطبقة السابعة من طبقات المعتزلة مع عباد بن سليمان الصيمرى و مع زرقان و مع عيسى بن الهيثم الصوفى و جعل أول الطبقة ثمامة بن أشرس أبا معن ثم أبا عثمان الجاحظ ثم أبا موسى عيسى بن صبيح المرदार ثم أبا عمران يونس بن عمران ثم محمد بن شبيب ثم محمد بن إسماعيل بن العسكرى ثم عبد الكريم بن روح العسكرى ثم أبا يعقوب يوسف بن عبد الله الشحام ثم أبا الحسين الصالحى [صفحہ ۱۳۳] ثم الجعفران جعفر بن جرير و جعفر بن ميسر ثم أبا عمران بن النقاش ثم أبا سعيد أحمد بن سعيد الأسدى ثم عباد بن سليمان ثم أبا جعفر الإسكافي هذا و قال كان أبو جعفر فاضلا عالما و صنف سبعين كتابا فى علم الكلام . و هو الذى نقض كتاب العثمانية على أبى عثمان الجاحظ فى حياته و دخل الجاحظ الوراقين ببغداد فقال من هذا الغلام السوادى الذى بلغنى أنه تعرض لنقض كتابى و أبو جعفر جالس فاختمنى منه حتى لم يره . و كان أبو جعفر يقول بالتفضيل على قاعدة معتزلة ببغداد و يبلغ فى ذلك و كان علوى الرأى محققا منصفًا قليل العصبية ثم نعود إلى شرح ألفاظ الفصل ومعانيه قوله ع لم أرد الناس أى لم أرد الولاية عليهم حتى أرادوا هم منى ذلك . قال و لم أبايعهم حتى بايعونى أى لم أمدد يدي إليهم مد الطلب والحرص على الأمر و لم أمددها إلا بعد أن خاطبوني بالإمرة والخلافة وقالوا بألسنتهم قد بايعناك فحينئذ مددت يدي إليهم . قال و لم يبايعنى العامة والمسلمون لسلطان غضبهم وقهرهم على ذلك و لالحرص حاضر أى مال موجود فرقته عليهم . ثم قسم عليهما الكلام فقال إن كنتما بايعتاني طوعا عن رضا فقد وجب عليكما الرجوع لأنه لا وجه لانتقاض تلك البيعة و إن كنتما بايعتاني مكرهين عليها فالإكراه [صفحہ ۱۳۴] له صورة وهى أن يجرى السيف ويمد العنق و لم يكن قد وقع ذلك و لا يمكنكما أن تدعياه و إن كنتما بايعتاني لا عن رضا ولا مكرهين بل كارهين و بين المكره والكاره فرق بين فالأمر الشرعية إنما تبنى على الظاهر و قد جعلتما لى على أنفسكما السبيل بإظهاركما الطاعة والدخول فيما دخل فيه الناس و لا اعتبار بما أسررتما من كراهية ذلك على أنه لو كان عندى ما يكرهه المسلمون لكان المهاجرون فى كراهية ذلك سواء فما الذى جعلكما أحق المهاجرين كلهم بالكتمان والتقية . ثم قال و قد كان امتناعكما عن البيعة فى مبدأ الأمر أجمل من دخولكما فيها ثم نكثها . قال و قد زعمتما أن الشبهة التى دخلت عليكما فى أمرى أنى قتلت عثمان و قد جعلت الحكم بينى وبينكما من تخلف عنى وعنكما من أهل المدينة أى الجماعة التى لم تنصر عليا و لا طلحة كمحمد بن مسلمة وأسامة بن زيد و عبد الله بن عمر وغيرهم يعنى أنهم غير متهمين عليه و لا على طلحة والزبير فإذا حكموا لزم كل امرئ منا بقدر ما تقتضيه الشهادات و لا شبهة أنهم لو حكموا وشهدوا بصورة الحال لحكموا ببراءة على ع من دم عثمان وبأن طلحة كان هو الجملة والتفصيل فى أمره و حصره وقتله و كان الزبير مساعدا له على ذلك و إن لم يكن مكاشفا مكاشفة طلحة . ثم نهاهما عن الإصرار على الخطيئة و قال لهما إنكما إنما تخافان العار فى رجوعكما وانصرافكما عن الحرب فإن لم ترجعا اجتمع عليكما العار والنار أما العار فلأنكما تهزمان وتفزان عند اللقاء فتعيران بذلك وأيضا سيكشف للناس أنكما

كنتما على باطل فتعيران بذلك و أما النار فإليها مصير العصاة إذ ماتوا على غير توبة واحتمال العار وحده أهون من احتماله واحتمال النار معه [صفحة ١٣٥]

٥٥- و من كتاب له ع إلى معاوية

أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا وَ ابْتَلَى فِيهَا أَهْلَهَا لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَ لَسْنَا لِلدُّنْيَا خُلُقْنَا وَ لَا بِالسَّعْيِ فِيهَا أَمْرًا وَ إِنَّمَا وُضِعْنَا فِيهَا لِنَبْتَلِيَ بِهَا وَ قَدْ ابْتَلَانِي اللَّهُ بِكَ وَ ابْتَلَاكَ بِي فَجَعَلَ أَحَدُنَا حُجَّةً عَلَى الْآخَرِ فَعِيدَتِ عَلَى طَلَبِ الدُّنْيَا بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ وَ طَلَبْتَنِي بِمَا لَمْ تَجْنِ يَدِي وَ لَا لِسَانِي وَ عَصَيْتَهُ أَنْتَ وَ أَهْلُ الشَّامِ بِي وَ أَلْبَ عَالِمُكُمْ جَاهِلُكُمْ وَ قَائِمُكُمْ قَاعِدُكُمْ فَاتَّقِ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ وَ نَازِعِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ وَ اصْرِفْ إِلَى الْآخِرَةِ وَجْهَكَ فَهِيَ طَرِيقُنَا وَ طَرِيقُكَ وَ احْذَرِ أَنْ يُصِيبَكَ اللَّهُ مِنْهُ بِعَاجِلِ قَارِعَةٍ تَمَسُّ الْأَصْلَ وَ تَقَطُّعُ الدَّابِرَ فَإِنِّي أُولِي لَكَ بِاللَّهِ غَيْرَ فَاجِرَةٍ لِنِ جَمْعَتِنِي وَ إِيَّاكَ جَوَامِعُ الْأَقْدَارِ لَا أَرَأَى بِبَاحْتِكَ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَ هُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ قَالَ عَ إِنْ اللَّهُ قَدْ جَعَلَ الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا أَى جَعَلَهَا طَرِيقًا إِلَى الْآخِرَةِ. وَ مِنْ الْكَلِمَاتِ الْحَكِيمَةِ الدُّنْيَا قَنْطَرَةٌ فَاعْبُرُوهَا وَ لَا تَعْمُرُوهَا وَ ابْتَلَى فِيهَا أَهْلَهَا أَى اخْتَبَرَهُمْ لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَ هَذَا مِنْ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ وَ الْمُرَادُ لِيَعْلَمَ خَلْقَهُ [صفحة ١٣٦] أُولِيْعَلْمَ مَلَائِكَتَهُ وَ رَسَلَهُ فَحَذَفَ الْمِضَافَ وَ قَدْ سَبَقَ ذِكْرُ شَيْءٍ يَنْبَسِبُ ذَلِكَ فِيمَا تَقَدَّمَ قَالَ وَ لَسْنَا لِلدُّنْيَا خُلُقْنَا أَى لَمْ نَخْلُقْ لِلدُّنْيَا فَقَطْ. قَالَ وَ لَا بِالسَّعْيِ فِيهَا أَمْرًا أَى لَمْ نُؤْمَرْ بِالسَّعْيِ فِيهَا لَهَا بَلْ أَمْرًا بِالسَّعْيِ فِيهَا الْغَيْرِهَا. ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُ وَ مِنْ مَعَاوِيَةَ مَبْتَلَى بِصَاحِبِهِ وَ ذَلِكَ كَابْتِلَاءِ آدَمَ بِإِبْلِيسَ وَ إِبْلِيسَ بِآدَمَ. قَالَ فَغَدَوْتُ عَلَى طَلَبِ الدُّنْيَا بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ أَى تَعْدِيْتُ وَ ظَلَمْتُ وَ عَلَى هَاهُنَا مُتَعَلِّقَةٌ بِمَحْذُوفٍ دَلَّ عَلَيْهِ الْكَلَامُ تَقْدِيرُهُ مَثَابِرًا عَلَى طَلَبِ الدُّنْيَا أَوْ مَصْرًا عَلَى طَلَبِ الدُّنْيَا وَ تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ مَا كَانَ مَعَاوِيَةَ يَمُوهُ بِهِ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ فَيَقُولُ لَهُمْ أَنَا أُولِي عُثْمَانَ وَ قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا. ثُمَّ يَعْدُهُمُ الظُّفْرَ وَ الدُّوْلَةَ عَلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا. قَوْلُهُ وَ عَصَيْتَهُ أَنْتَ وَ أَهْلُ الشَّامِ أَى أَلْزَمْتَنِيهِ كَمَا تَلْزَمُ الْعِصَابَةُ الرَّأْسَ وَ أَلْبَ عَالِمُكُمْ جَاهِلُكُمْ أَى حَرَضَ. وَ الْقِيَادَ حَبْلَ تَقَادَ بِهِ الدَّابَّةُ. قَوْلُهُ وَ احْذَرِ أَنْ يَصِيبَكَ اللَّهُ مِنْهُ بِعَاجِلِ قَارِعَةٍ الضَّمِيرُ فِي مَنْهُ رَاجِعٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَ مِنْ لَابِتْدَاءِ الْغَايَةِ. -قُرْآن- ٥٦٩-٦٢٥-قُرْآن- ٦٨٢-٧٢٦] [صفحة ١٣٧] وَ قَالَ الرَّوَانْدِيُّ مِنْهُ أَى مِنَ الْبُهْتَانِ الَّذِي أُتِيَتْهُ أَى مِنْ أَجْلِهِ وَ مِنْ لَتَعْلِيلِ وَ هَذَا بَعِيدٌ وَ خِلَافُ الظَّاهِرِ. قَوْلُهُ تَمَسُّ الْأَصْلَ أَى تَقَطُّعَهُ وَ مِنْهُ مَاءٌ مَمْسُوسٌ أَى يَقَطُّعُ الْغَلَّةَ وَ يَقَطُّعُ الدَّابِرَ أَى الْعَقْبَ وَ النَّسْلَ. وَ الْأَلْيَةُ الْيَمِينُ وَ بَاحَةُ الدَّارِ وَ سَطْحُهَا وَ كَذَلِكَ سَاحَتُهَا وَ رَوَى بِبَاحْتِكَ. قَوْلُهُ بِعَاجِلِ قَارِعَةٍ وَ جَوَامِعُ الْأَقْدَارِ مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الصِّفَةِ إِلَى الْمَوْصُوفِ لَلتَّكْيِيدِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَ إِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ -قُرْآن- ٣٤٧-٣٧٢] [صفحة ١٣٨]

٥٦- و من كلام له ع وصى به شريح بن هانئ لما جعله على مقدمته إلى الشام

إشارة

اتَّقِ اللَّهَ فِي كُلِّ مَسَاءٍ وَ صَبَاحٍ وَ خَفْ عَلَى نَفْسِكَ الدُّنْيَا الْعَرُورَ وَ لَا تَأْمَنْهَا عَلَى حَالٍ وَ اعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ لَمْ تَرُدَّعْ نَفْسَكَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا تُحِبُّ مَخَافَةَ مَكْرُوهِهِ سَمَتِ بِكَ الْأَهْوَاءُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الضَّرَرِ فَكُنْ لِنَفْسِكَ مَانِعًا رَادِعًا وَ لِنَزَوَاتِكَ عِنْدَ الْحَفِيفَةِ وَاقِمًا قَامِعًا

شريح بن هانئ

هوشريح بن هانئ بن يزيد بن نهيك بن دريد بن سفيان بن الضباب و هوسلمة بن الحارث بن ربيعة بن الحارث بن كعب المدحجي كان هانئ يكنى في الجاهلية أباالحكم لأنه كان يحكم بينهم فكناه رسول الله ص بأبي شريح إذ وفد عليه وابنه شريح هذا من جلة أصحاب علي ع شهد معه المشاهد كلها وعاش حتى قتل بسجستان في زمن الحجاج وشريح جاهلي إسلامي يكنى أباالمقدام [صفحة ١٣٩] ذكر ذلك كله أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب قوله ع وخف على نفسك الغرور يعنى الشيطان فأما الغرور بالضم فمصدر والرادع الكاف المانع والنزوات الوثبات والحفيظة الغضب والواقم فاعل من وقمته أى رددته أقيح الرد وقهرته يقول ع إن لم تردع نفسك عن كثير من شهواتك أفضت بك إلى كثير من الضرر ومثل هذا قول الشاعر فإنك إن أعطيت بطنك سؤلها || وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا [صفحة ١٤٠]

٥٧- ومن كتاب له ع إلى أهل الكوفة

عند مسيره من المدينة إلى البصرة أما بعد فإنني خرجت عن حبي هذا إما ظالماً وإما مظلوماً وإما باغياً وإما مبعيئاً عليه وأنا أذكر الله من بلغه كتابي هذا لئلا نفر إلى فإن كنت مُحسباً أعانني وإن كنت مُستعجباً استعجبني ما أحسن هذا التقسيم وما أبلغه في عطف القلوب عليه واستماله النفوس إليه . قال لا يخلو حالي في خروجي من أحد أمرين إما أن أكون ظالماً أو مظلوماً وبدأ بالظالم هضمًا لنفسه ولئلا يقول عدوه بدأ بدعوى كونه مظلوماً فأعطى عدوه من نفسه ما أراد. قال فلينفر المسلمون إلى فإن وجدوني مظلوماً أعانوني وإن وجدوني ظالماً نهوني عن ظلمي لأعتب وأنب إلى الحق وهذا كلام حسن ومراده ع يحصل على كلا الوجهين لأنه إنما أراد أن يستنفرهم وهذان الوجهان يقتضيان نفيهم إليه على كل حال والحي المنزل ولما هاننا بمعنى إلاك قوله تعالى إن كل نفسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ فِي قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَهَا بِالتَّشْدِيدِ - قرآن - ٥٣٨-٥٧٢ [صفحة ١٤١]

٥٨- ومن كتاب له ع كته إلى أهل الأمصار يقص فيه ماجرى بينه وبين أهل صفين

وَكَانَ بَدَأُ أَمْرَنَا أَنَا التَّقِينَا بِالْقَوْمِ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَالظَّاهِرُ أَنَّ رَبَّنَا وَاحِدٌ وَنَبِينَا وَاحِدٌ وَدَعَوَتَنَا فِي الْإِسْلَامِ وَاحِدَةٌ وَ لَا نَسْتَرِيدُهُمْ فِي الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَ التَّصَدِيقِ بِرَسُولِهِ وَ لَا يَسْتَرِيدُونَنَا وَ الْأَمْرُ وَاحِدٌ إِلَّا مَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ وَ نَحْنُ مِنْهُ بَرَاءٌ فَقُلْنَا تَعَالَوْا نَدَاوِي مَا لَا يُدْرِكُ الْيَوْمَ بِإِطْفَاءِ النَّائِرَةِ وَ تَسْكِينِ الْعَايَةِ حَتَّى يَشْتَدَّ الْأَمْرُ وَ يَسْتَجْمَعُ فَتَقْوَى عَلَى وَضْعِ الْحَقِّ فِي مَوَاضِعِهِ فَقَالُوا بَلْ نَدَاوِيهِ بِالْمَكَابِرَةِ فَأَبَوْا حَتَّى جَنَحَتِ الْحَرْبُ وَ رَكَدَتِ وَ وَقَدَتِ نِيرَانُهَا وَ حَمِشَتْ فَلَمَّا ضَرَسَتْنا وَ إِيَّاهُمْ وَ وَضَعَتْ مَحَالِيهَا فِينَا وَ فِيهِمْ أَجَابُوا عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى الَّذِي دَعَوْنَاهُمْ إِلَيْهِ فَأَجَبْنَاهُمْ إِلَى مَا دَعَوْا وَ سَارَعْنَاهُمْ إِلَى مَا طَلَبُوا حَتَّى اسْتَبَانَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ وَ انْقَطَعَتْ مِنْهُمْ الْمَعْدِرَةُ فَمَنْ تَمَّ عَلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ فَهُوَ الَّذِي أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنَ الْهَلَكَةِ وَ مَنْ لَجَّ وَ تَمَادَى فَهُوَ الزَّاكِسُ الَّذِي رَانَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ وَ صَارَتْ دَائِرَةُ السُّوءِ عَلَى رَأْسِهِ [صفحة ١٤٢] روى التقينا والقوم بالواو كما قال قلت إذ أقبلت وزهر تهادي . و من لم يروها بالواو فقد استراح من التكلف . قوله والظاهر أن ربنا واحد كلام من لم يحكم لأهل صفين من جانب معاوية حكما قاطعا بالإسلام بل قال ظاهرهم الإسلام ولاخلف بيننا وبينهم فيه بل الخلف في دم عثمان . قال ع قلنا لهم تعالوا فلنظفي هذه النائرة الآن يوضع الحرب إلى أن تتمهد قاعدتي في الخلافة وتزول هذه الشوائب التي تكدر على الأمر و يكون للناس جماعة ترجع إليها و بعد ذلك أتمكن من قتله عثمان بأعيانهم فأقتص منهم فأبوا إلا المكابرة والمغالبة والحرب . قوله حتى جنحت الحرب وركدت جنحت أقبلت و منه قد جنح الليل أى أقبل وركدت دامت وثبتت . قوله ووقدت نيرانها أى التهبت . قوله وحمشت أى استعرت وشبت وروى واستحشمت وهو أصح و من رواها حمست بالسين المهملة أراد اشتدت وصلبت . قوله فلما ضرستنا

وإياهم أى عضتنا بأضراسها ويقال ضرسهم الدهر أى اشتد عليهم . [صفحہ ۱۴۳] قال لما اشتدت الحرب علينا وعليهم وأكلت منا ومنهم عادوا إلى ما كنا سألناهم ابتداء وضرعوا إلينا فى رفع الحرب ورفعوا المصاحف يسألون النزول على حكمها وإغماد السيف فأجبناهم إلى ذلك . قوله وسارعناهم إلى ما طلبوا كلمةً فصيحَةً وهى تعديَةُ الفعل اللازم كأنها لما كانت فى معنى المسابقة والمسابقة متعديةً عدى المسارعة . قوله حتى استبانت يقول استمرنا على كف الحرب ووضعها إجابةً لسؤالهم إلى أن استبانت عليهم حجتنا وبطلت معاذيرهم وشبهتهم فى الحرب وشق العصا فمن تم منهم على ذلك أى على انقياده إلى الحق بعد ظهوره له فذاك الذى خلصه الله من الهلاك وعذاب الآخرة و من لج منهم على ذلك وتمادى فى ضلاله فهو الراكس قال قوم الراكس هنا بمعنى المركوس فهو مقلوب فاعل بمعنى مفعول كقوله تعالى فَهَوَّ فِي عَيْشِهِ رَاضِيَةً أى مرضيةً وعندى أن اللفظة على بابها يعنى أن من لج فقد ركس نفسه فهو الراكس و هو المركوس يقال ركسه وأركسه بمعنى والكتاب العزيز جاء بالهمز فقال وَ اللَّهُ أَرْكَسِيَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أى ردهم إلى كفرهم و يقول ارتكس فلان فى أمر كان نجا منه وران على قلبه أى ران هو على قلبه كما قلنا فى الراكس ولا يجوز أن يكون الفاعل و هو الله محذوفاً لأن الفاعل لا يحذف بل يجوز أن يكون الفاعل كالمحذوف و ليس بمحذوف و يكون المصدر و هو الرين ودل الفعل عليه كقوله تعالى ثُمَّ يَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِى أى بدا لهم البداء وران بمعنى غلب و غطى و روى فهو الراكس الذى رين على قلبه . -قرآن- ۷۲۲-۷۴۸-قرآن- ۹۰۲-۹۳۵-قرآن- ۱۲۲۲-۱۲۶۵ [صفحہ ۱۴۴] قال وصارت دائرة السوء على رأسه من ألفاظ القرآن العزيز قال الله تعالى عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوِّءِ والدوائر الدول . -قرآن- ۷۷- ۱۰۱ و إن على الباغى تدور الدوائر . والدائرة أيضاً الهزيمة يقال على من الدائرة منهما والدوائر أيضاً الدواهي [صفحہ ۱۴۵]

۵۹- و من كتاب له ع إلى الأسود بن قطبة صاحب جند حلوان

إشاره

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْوَالِيَّ إِذَا اِخْتَلَفَ هَوَاهُ مَنَعَهُ ذَلِكَ كَثِيرًا مِنَ الْعَدْلِ فَلْيَكُنْ أَمْرُ النَّاسِ عِنْدَكَ فِي الْحَقِّ سَوَاءً فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْجورِ عَوْضٌ مِنَ الْعَدْلِ فَاجْتَنِبْ مَا تُنْكِرُ أَمْثَالَهُ وَ ابْتَدِلْ نَفْسَكَ فِيمَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكَ رَاجِيًا ثَوَابَهُ وَ مُتَخَوِّفًا عِقَابَهُ وَ اعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا دَارٌ بَلِيَّةٌ لَمْ يَفْرُغْ صَاحِبُهَا فِيهَا قَطُّ سَاعَةً إِلَّا كَانَتْ فَرَعْتَهُ عَلَيْهِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ أَنَّهُ لَنْ يُغْنِيكَ عَنِ الْحَقِّ شَيْءٌ أَبَدًا وَ مِنَ الْحَقِّ عَلَيْكَ حِفْظُ نَفْسِكَ وَ الْإِحْتِسَابُ عَلَى الرَّعِيَّةِ بِجُهْدِكَ فَإِنَّ الَّذِي يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي يَصِلُ بِكَ وَ السَّلَامُ

الأسود بن قطبة

لم أقف إلى الآن على نسب الأسود بن قطبة وقرأت فى كثير من النسخ أنه حارثى من بنى الحارث بن كعب و لم أتحقق ذلك و الذى يغلب على ظنى أنه الأسود بن زيد بن قطبة بن غنم الأنصارى من بنى عبید بن عدى ذكره أبو عمر بن عبد البر فى كتاب الإستيعاب و قال إن موسى بن عقبه عدّه فيمن شهد بدرًا [صفحہ ۱۴۶] قوله ع إذا اختلف هوى الوالى منعه كثيرا من الحق قول صدق لأنه متى لم يكن الخصمان عند الوالى سواء فى الحق جار و ظلم . ثم قال له فإنه ليس فى الجور عوض من العدل و هذا أيضا حق و فى العدل كل العوض من الجور . ثم أمره باجتنب ما ينكر مثله من غيره و قد تقدم نحو هذا . و قوله إلا كانت فرغته كلمةً فصيحَةً وهى المرة الواحدة من الفراغ و قد روى عن النبى ص أن الله يبغض الصحيح الفارغ لا فى شغل الدنيا و لا فى

شغل الآخرة -رواية- ١-٢-رواية- ٢٤-٩٤ ومراد أمير المؤمنين ع هاهنا الفراغ من عمل الآخرة خاصة. قوله فإن الذي يصل إليك من ذلك أفضل من الذي يصل بك معناه فإن الذي يصل إليك من ثواب الاحتساب على الرعية وحفظ نفسك من مظالمهم والحيث عليهم أفضل من الذي يصل بك من حراسه دمائهم وأعراضهم وأموالهم ولاشبهه في ذلك لأن إحدى المنفعتين دائمة والأخرى منقطعة والنفع الدائم أفضل من المنقطع [صفحة ١٤٧]

٦٠- و من كتاب له ع إلى العمال الذين يطأ عملهم الجبوش

من عبد الله على أمير المؤمنين إلى من مر به الجيش من جباه الخراج و عمال البلاد أما بعد فإنني قد سيرت جئوداً هي مارة بكم إن شاء الله وقد أوصيتهم بما يجب لله عليهم من كف الأذى و صيرف الشذا و أنا أبرأ إليكم و إلى ذمتكم من معزة الجيش إلا من جوعه المضطر لا يجد عنها مذهباً إلى شبعه فنكلوا من تناول منهم ظلماً عن ظلمهم و كفوا أيدي سفهائكم عن مضادتهم و التعرض لهم فيما استثنياه منهم و أنا بين أظهر الجيش فارفعوا إلى مظالمكم و ما عراكم مما يغلبكم من أمرهم و لا تطيقون دفعه إلا بالله و بي أغثه بمؤنه الله إن شاء الله روى عن مضارتهم بالراء المشددة و جباه الخراج الذين يجمعونه جبيت الماء في الحوض أي جمعته والشذا والضر الشر تقول لقد أشذت و آذيت و إلى ذمتكم أي إلى اليهود والنصارى الذين بينكم قال ع من آذى ذمياً فكأنما آذاني -رواية- ١-٢-رواية- ١١-٣٩ [صفحة ١٤٨] و قال إنما بذلوا الجزية لتكون دماؤهم كدمائنا وأموالهم كأموالنا ويسمى هؤلاء ذمة أي أهل ذمة بحذف المضاف والمعرة المضرة قال الجيش ممنوع من أذى من يمر به من المسلمين و أهل الذمة إلا من سد جوعه المضطر منهم خاصة لأن المضطر تباح له الميته فضلاً عن غيرها. ثم قال فنكلوا من تناول و روى بمن تناول بالباء أي عاقبه و عن في قوله عن ظلمهم يتعلق بنكلوا لأنها في معنى اردعوا لأن النكال يوجب الردع . ثم أمرهم أن يكفوا أيدي أحداثهم و سفهائهم عن منازعة الجيش و مضادته و التعرض لمنعه عما استثناه و هو سد الجوعه عند الاضطرار فإن ذلك لا يجوز في الشرع و أيضاً فإنه يفضى إلى فتنه و هرج . ثم قال و أنا بين أظهر الجيش أي أناقرب منكم و سائر على أثر الجيش فارفعوا إلى مظالمكم و ما عراكم منهم على وجه الغلبة والقهر فإنني مغير ذلك و منتصف لكم منهم [صفحة ١٤٩]

٦١- و من كتاب له ع إلى كميل بن زياد النخعي

إشارة

و هو عامله على هيت ينكر عليه تركه دفع من يجتاز به من جيش العدو طالبا للغارة أما بعد فإن تضييع المرء ما ولى و تكلفه ما كفى لعجز حاضره و رأى متبر و إن تعاطيك الغارة على أهل قريسيه و تعطيلك مسالحك التي و ليناك ليس لها من يمنعه و لا يرذ الجيش عنها لرأى شعاع فقد صرت جسراً لمن أراد الغارة من أعدائك على أوليائك غير شديد المنكب و لا مهيب الجانب و لا ساد ثغرة و لا كاسر لعدو شوكة و لا مغن عن أهل مصره و لا مجز عن أميره

كميل بن زياد ونسبه

هو كميل بن زياد بن سهيل بن هيثم بن سعد بن مالك بن الحارث بن صهبان بن سعد بن مالك بن النخع بن عمرو بن وعلة بن

خالد بن مالك بن أدد كان من أصحاب علي ع وشيعته وخاصته وقتله الحجاج على المذهب فيمن قتل من الشيعة و كان كميل بن زياد عامل علي ع على هيت و كان ضعيفا يمر عليه سرايا معاوية تنهب أطراف العراق ولايردها ويحاول أن يجبر ماعنده من الضعف بأن يغير [صفحه ١٥٠] على أطراف أعمال معاوية مثل قريسيا ومايجرى مجراها من القرى التي على الفرات فأنكر ع ذلك من فعله و قال إن من العجز الحاضر أن يهمل الوالى ماويله ويتكلف ما ليس من تكليفه والمثير الهالك قال تعالى إن هؤلاء مُتَّبَرِّ ما هُم فِيهِ. والمسالح جمع مسلحة وهى المواضع التى يقام فيها طائفة من الجند لحمايتها. ورأى شعاع بالفتح أى متفرق . ثم قال له قدصرت جسرا أى يعبر عليك العدو كما يعبر الناس على الجسور و كما أن الجسر لا يمنع من يعبر به ويمر عليه فكذلك أنت . والثغرة الثلمة ومجرز كاف ومغن والأصل مجزئ بالهمز فخفف -قرآن- ٢٩-٦٢ [صفحه ١٥١]

٦٢- و من كتاب له ع إلى أهل مصر مع مالك الأشتر رحمه الله لمأواه إمارتها

إشاره

أما بعد فإن الله سبحانه بعث محمداً ص نذيراً للعالمين و مهيمناً على المرسلين فلما مضى ص تنازع المسلمون الأمر من بعده فوالله ما كان يلقى فى روعى و لا يخطر ببالي أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده ص عن أهل بيته و لا أنهم منحوه عنى من بعده فما راعنى إلا انتيال الناس على فلان يبايعونه فأمسكت بيدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد ص فخشيت إن لم أنصير الإسلام و أهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به على أعظم من قوت و لايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل يزول منها ما كان كما يزول السراب و كما يتقشع السحاب فنهضت فى تلك الأحداث حتى زاح الباطل و زهق و اطمأن الدين و تنهت المهيمن الشاهد قال الله تعالى إنا أرسلناك شاهداً و مبشراً أى تشهد بإيمان من آمن وكفر من كفر وقيل تشهد بصفة نبوة الأنبياء قبلك -قرآن- ٣٤-٧٠ [صفحه ١٥٢] وقوله على المرسلين يؤكد صحة هذا التفسير الثانى وأصل اللفظة من آمن غيره من الخوف لأن الشاهد يؤمن غيره من الخوف بشهادته ثم تصرفوا فيها فابدلوا إحدى همزتى مؤامن ياء فصار مؤيمن ثم قلبوا الهمزة هاء كأرقت وهرقت فصار مهيمن . والروع الخلد و فى الحديث أن روح القدس نفث فى روعى -رواية- ١-٢-رواية- ١٤-٤٤ قال ما يخطر لى ببال أن العرب تعدل بالأمر بعد وفاة محمد ص عن بنى هاشم ثم من بنى هاشم عنى لأنه كان المتيقن بحكم الحال الحاضرة و هذا الكلام يدل على بطلان دعوى الإمامية النص وخصوصاً الجلى. قال فما راعنى إلا انتيال الناس تقول للشىء يفجؤك بغتة ماراعنى إلا كذا والروع بالفتح الفزع كأنه يقول ما أفرعنى شىء بعد ذلك السكون الذى كان عندى و تلك الثقة التى اطمأنت إليها إلا وقوع ماوقع من انتيال الناس أى انصبابهم من كل وجه كما ينثاب التراب على أبى بكر وهكذا لفظ الكتاب الذى كتبه للأشتر وإنما الناس يكتبونه الآن إلى فلان تدمما من ذكر الاسم كما يكتبون فى أول الشقشقية أما و الله لقد تقمصها فلان واللفظ أما و الله لقد تقمصها ابن أبى قحافة. قوله فأمسكت يدي أى امتنعت عن بيعته حتى رأيت راجعة الناس يعنى أهل الردة كمسيلمة و سجاح و طليحة بن خويلد و مانعى الزكاة و إن كان مانعو الزكاة قد اختلف فى أنهم أهل ردة أم لا. و محق الدين إبطاله . وزهق خرج و زال تنهت سكن وأصله الكف تقول نهنت السبع فتنهت [صفحه ١٥٣] أى كف عن حركته وإقدامه فكان الدين كان متحرراً مضطرباً فسكن و كف عن ذلك الاضطراب . روى أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى التاريخ الكبير أن رسول الله ص لمهمات اجتمعت أسد و غطفان و طيء على طليحة بن خويلد إلا ما كان من خواص أقوام فى الطوائف الثلاث فاجتمعت أسد بسميراء و غطفان بجنوب طيبة و طيء فى حدود أرضهم واجتمعت ثعلبة بن أسد

و من يليهم من قيس بالأبرق من الربذة وتأشب إليهم ناس من بنى كنانة و لم تحملهم البلاد فافترقوا فرقتين أقامت إحداهما بالأبرق وسارت الأخرى إلى ذى القصه وبعثوا وفودا إلى أبى بكر يسألونه أن يقارهم على إقامة الصلاة و منع الزكاه فعزم الله لأبى بكر على الحق فقال لو منعونى عقالا- لجاهدتهم عليه ورجع الوفود إلى قومهم فأخبروهم بقله من أهل المدينة فأطمعوهم فيها و علم أبوبكر و المسلمون بذلك و قال لهم أبوبكر أيها المسلمون إن الأرض كافرة و قدرأى و فدهم منكم قلّه و إنكم لا تدرّون أليلا توتون أم نهارا و أدناهم منكم على بريد و قد كان القوم يأملون أن نقبل منهم و نوادعهم و قدأينا عليهم و نبذنا إليهم فأعدوا و استعدوا فخرج على ع بنفسه و كان على نقب من أنقاب المدينة و خرج الزبير و طلحة و عبد الله بن مسعود و غيرهم فكانوا على الأنقاب الثلاثة فلم يلبثوا إلا قليلا حتى طرق القوم المدينة غاره مع الليل و خلفوا بعضهم بذى حسى [صفحة ١٥٤] ليكونوا رداء لهم فوافوا الأنقاب و عليها المسلمون فأرسلوا إلى أبى بكر بالخبر فأرسل إليهم أن الزموا مكانكم ففعلوا و خرج أبوبكر فى جمع من أهل المدينة على النواضح فانتشر العدو بين أيديهم و اتبعهم المسلمون على النواضح حتى بلغوا ذا حسى فخرج عليهم الكمين بأنحاء قد نفخوها و جعلوا فيها الحبال ثم دهدوها بأرجلهم فى وجوه الإبل فتدهده كل نحى منها فى طوله فنفرت إبل المسلمين و هم عليها و لا تنفر الإبل من شىء نفارها من الأنحاء فعاجت بهم لا يملكونها حتى دخلت بهم المدينة و لم يصرع منهم أحد و لم يصب فبات المسلمون تلك الليلة يتهيئون ثم خرجوا على تعبئة فما طلع الفجر إلا و هم و القوم على صعيد واحد فلم يسمعوا للمسلمين حسا و لاهمسا حتى وضعوا فيهم السيف فاقتتلوا أعجاز ليلتهم فما ذر قرن الشمس إلا و قدولوا الأدبار و غلبوهم على عامة ظهرهم و رجعوا إلى المدينة ظافرين . قلت هذا هو الحديث الذى أشار ع إلى أنه نهض فيه أيام أبى بكر و كأنه جواب عن قول قائل إنه عمل لأبى بكر و جاهد بين يدي أبى بكر فبين ع عذره فى ذلك و قال إنه لم يكن كما ظنه القائل ولكنه من باب دفع الضرر عن النفس و الدين فإنه واجب سواء كان للناس إمام أو لم يكن

ذكر مطعن به الشيعة فى إمامة أبى بكر و الجواب عنها

إشاره

وينبغى حيث جرى ذكر أبى بكر فى كلام أمير المؤمنين ع أن نذكر ما أورده قاضى القضاة فى المغنى من المطاعن التى طعن بها فيه و جواب قاضى القضاة [صفحة ١٥٥] عنها و اعتراض المرتضى فى الشافى على قاضى القضاة و نذكر ما عندنا فى ذلك ثم نذكر مطاعن أخرى لم يذكرها قاضى القضاة.

الطعن الأول

قال قاضى القضاة بعد أن ذكر مطعن به فيه فى أمر فذك و قد سبق القول فيه و مما طعن به عليه قولهم كيف يصلح للإمامة من يخبر عن نفسه أن له شيطانا يعتريه و من يحذر الناس نفسه و من يقول أقيلونى بعد دخوله فى الإمامة مع أنه لا يحل للإمام أن يقول أقيلونى البيعة. أجاب قاضى القضاة فقال إن شيخنا أبا على قال لو كان ذلك نقصا فيه لكان قول الله فى آدم و حواء فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ و قوله فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ و قوله وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَ لَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْتِيَّهِ يُوْجِبُ النقص فى الأنبياء و إذا لم يجب ذلك فكذلك ما وصف به أبوبكر نفسه و إنما أراد أنه عند الغضب يشفق من المعصية و يحذر منها و يخاف أن يكون الشيطان يعتريه فى تلك الحال فيوسوس إليه و ذلك منه على طريقة الزجر لنفسه عن المعاصى و قدروى

عن أمير المؤمنين ع أنه ترك مخاصمة الناس في حقوقه إشفاقا من المعصية و كان يولى ذلك عقيلاً فلما أسن عقيل كان يوليها عبد الله بن جعفر فأما ماروى في إقاله البيعة فهو خبر ضعيف و إن صح فالمراد به التنبيه على أنه لا يبالي الأمر يرجع إليه أن يقبله الناس البيعة وإنما يضررون بذلك أنفسهم وكأنه نبه بذلك - قرآن- ٣٧٤-٤٠٠- قرآن- ٤٠٩-٤٣١- قرآن- ٤٤٠-٥٤٣ [صفحة ١٥٦] على أنه غير مكره لهم و أنه قد خلاهم و ما يريدون إلا أن يعرض ما يوجب خلافه و قدروى أن أمير المؤمنين ع أقال عبد الله بن عمر البيعة حين استقاله والمراد بذلك أنه تركه و ما يختار. اعترض المرتضى رضى الله عنه فقال أما قول أبى بكر وليتكم و لست بخيركم فإن استقمت فاتبعونى و إن اعوججت فقومونى فإن لى شيطاناً يعترينى عند غضبى فإذا رأيتمنى مغضباً فاجتنبونى لا أوثر فى أشعاركم و أباشاركم فإنه يدل على أنه لا يصلح للإمامة من وجهين أحدهما أن هذا صفة من ليس بمعصوم و لا يأمن الغلط على نفسه من يحتاج إلى تقويم رعيته له إذ وقع فى المعصية و قد بينا أن الإمام لا بد أن يكون معصوماً موقفاً مسدداً والوجه الآخر أن هذه صفة من لا يملك نفسه و لا يضبط غضبه و من هو فى نهاية الطيش والحدة والخرق والعجلة و لا خلاف أن الإمام يجب أن يكون منزهاً عن هذه الأوصاف غير حاصل عليها و ليس يشبه قول أبى بكر ماتلاه من الآيات كلها لأن أبابكر خبر عن نفسه بطاعة الشيطان عند الغضب و أن عاداته بذلك جارية و ليس هذا بمنزلة من يوسوس إليه الشيطان و لا يطيعه و يزين له القبيح فلا يأتبه و ليس وسوسة الشيطان بعيب على الموسوس له إذا لم يسترله ذلك عن الصواب بل هو زيادة فى التكليف ووجه يتضاعف معه الثواب و قوله تعالى ألقى الشيطان فى أممته قيل معنى فى تلاوته وقيل فى فكرته على سبيل الخاطر و أى الأمرين كان فلا عار فى ذلك على النبى ص و لا نقص و إنما العار والنقص على من يطيع الشيطان و يتبع ما يدعو إليه و ليس لأحد أن يقول هذا إن سلم لكم فى جميع الآيات لم يسلم فى قوله تعالى فأزلهما الشيطان لأنه قد خبر عن تأثير غوايته و وسوسته بما كان منهما من الفعل و ذلك أن المعنى الصحيح فى هذه الآية أن آدم و حواء كانا مندوبين إلى اجتناب الشجرة و ترك تناول منها و لم يكن ذلك عليهما واجبا لازما - قرآن- ١١٣٧-١١٦٨- قرآن- ١٤٢٧-١٤٤٩ [صفحة ١٥٧] لأن الأنبياء لا يدخلون بالواجب فوسوس لهما الشيطان حتى تناولا من الشجرة فتركا مندوبا إليه و حرما بذلك أنفسهما الثواب و سماه إزالا لأنه حط لهما عن درجة الثواب و فعل الأفضل و قوله تعالى فى موضع آخر و عصى آدم ربه فغوى لا ينافى هذا المعنى لأن المعصية قديسمى بها من أحل بالواجب والندب معا قوله فغوى أى خاب من حيث لم يستحق الثواب على ما ندب إليه على أن صاحب الكتاب يقول إن هذه المعصية من آدم كانت صغيرة لا يستحق بها عقابا و لا ذما فعلى مذهبه أيضا تكون المفارقة بينه و بين أبى بكر ظاهرة لأن أبابكر خبر عن نفسه أن الشيطان يعتريه حتى يؤثر فى الأشعار والأبشار و يأتى ما يستحق به التقويم فأين هذا من ذنب صغير لا ذم و لا عقاب عليه و هو يجرى من وجه من الوجوه مجرى المباح لأنه لا يؤثر فى أحوال فاعله و حط رتبته و ليس يجوز أن يكون ذلك منه على سبيل الخشية والإشفاق على ما ظن لأن مفهوم خطابه يقتضى خلاف ذلك ألا ترى أنه قال إن لى شيطاناً يعترينى و هذا قول من قد عرف عاداته و لو كان على سبيل الإشفاق والخوف لخرج عن هذا المخرج ولكان يقول فإنى آمن من كذا وإنى لمشفق منه فأما ترك أمير المؤمنين ع مخاصمة الناس فى حقوقه فكأنه إنما كان تنزها و تكراها و أى نسبة بين ذلك و بين من صرح وشهد على نفسه بما لا يليق بالأئمة و أما خبر استقالة البيعة و تضعيف صاحب الكتاب له فهو أبداً يضعف ما لا يوافق من غير حجة يعتمدها فى تضعيفه و قوله إنه ما استقال على التحقيق وإنما نبه على أنه لا يبالي بخروج الأمر عنه و أنه غير مكره لهم عليه فبعيد من الصواب لأن ظاهر قوله أقبلونى أمر بالإقالة و أقل أحواله أن يكون عرضا لها وبذلا و كلا الأمرين قبيح و لو أراد ما ظن له - قرآن- ٢٠٧-٢٣٣ [صفحة ١٥٨] فى غير هذا القول مندوحة ولكان يقول إنى ما أكرهتكم و لا حملتكم على مبايعتى و ما كنت أبالي ألا يكون هذا الأمر فى و لا إلى و إن مفارقتة لتسرني لو لا ما ألزمني الدخول فيه من التمسك به ومتى عدلنا عن ظواهر الكلام بلا دليل جر ذلك علينا ما لا قبل لنا به و أما أمير المؤمنين ع فإنه لم يقل ابن عمر البيعة بعد دخولها فيها

وإنما استعفاه من أن يلزمه البيعة ابتداء فأعفاه قلّة فكر فيه وعلما بأن إمامته لا تثبت بمبايعه من يبايعه عليها فأين هذا من استقالة بيعة قد تقدمت واستقرت . قلت أما قول أبي بكر وليتكم ولست بخيركم فقد صدق عند كثير من أصحابنا لأن خيرهم على بن أبي طالب ع و من لا- يقول بذلك يقول بما قاله الحسن البصرى و الله إنه ليعلم أنه خيرهم ولكن المؤمن يهضم نفسه و لم يطعن المرتضى فيه بهذه اللفظة لنطيل القول فيها و أما قول المرتضى عنه أنه قال فإن لى شيطانا يعترينى عند غضبى فالمشهور فى الرواية فإن لى شيطانا يعترينى قال المفسرون أراد بالشیطان الغضب و سماه شيطانا على طريق الاستعارة وكذا ذكره شيخنا أبو الحسين فى الغرر قال معاوية لإنسان غضب فى حضرته فتكلم بما لا يتكلم بمثله فى حضرة الخلفاء اربع على ظلعك أيها الإنسان فإنما الغضب شيطان و أنا لم نقل إلا خيرا. و قد ذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى كتاب التاريخ الكبير خطبتى أبى بكر عقيب بيعته بالسقيفة ونحن نذكرهما نقلا من كتابه أما الخطبة الأولى فهى [صفحة ١٥٩] أما بعد أيها الناس فإنى وليتكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينونى و إن أسأت فقومونى لأن الصدق أمانة والكذب خيانة الضعيف منكم قوى عندى حتى أريح عليه حقه والقوى منكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل و لا تشيع الفاحشة فى قوم إلا عمهم الله بالبلاء أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فإطاعة لى عليكم قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله و أما الخطبة الثانية فهى أيها الناس إنما أنا مثلكم وإنى لا-أدرى لعلكم ستكلفوننى ما كان رسول الله ص يطيقه إن الله اصطفى محمداص على العالمين وعصمه من الآفات وإنما أنا متبع ولست بمتبوع فإن استقممت فاتبعونى و إن زغت فقومونى و إن رسول الله ص قبض و ليس أحد من هذه الأمة يطلبه بمظلمة ضربه سوط فما دونها ألا و إن لى شيطانا يعترينى فإذا غضبت فاجتنبونى لاؤثر فى أشعاركم وأبشاركم ألا وإنكم تغدون وتروحون فى أجل قد غيب عنكم علمه فإن استطعتم ألا يمضى هذا الأجل إلا وأنتم فى عمل صالح فافعلوا ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله فسابقوا فى مهل آجالكم من قبل أن تسلمكم آجالكم إلى انقطاع الأعمال فإن قوما نسوا آجالهم وجعلوا أعمالهم لغيرهم فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم الجد الجد الوحى الوحى فإن وراءكم طالبا حثيثا أجل مره سريع احذروا الموت واعتبروا بالأبناء والأبناء والإخوان و لا تغبطوا الأحياء إلا بما يغبط به الأموات . إن الله لا يقبل من الأعمال إلا- ما يراى به وجهه فأريدوا وجه الله بأعمالكم واعلموا [صفحة ١٦٠] أن ما أخلصتم الله من أعمالكم فإطاعة أتيتموها وحظ ظفرتم به و ضرائب أديتموها وسلف قدمتموه من أيام فانية لأخرى باقية لحين فقركم وحاجتكم فاعتبروا عباد الله بمن مات منكم وتفكروا فيمن كان قبلكم أين كانوا أمس وأين هم اليوم أين الجبارون أين الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة فى مواطن الحرب قد تضعضع بهم الدهر وصاروا رميما قد تركت عليهم القالات الخبيثات وإنما الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات وأين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها قد بعدوا بسىء ذكرهم وبقي ذكرهم وصاروا كلا شىء إلا إن الله قد أبقى عليهم التبعات وقطع عنهم الشهوات ومضوا والأعمال أعمالهم والدنيا دنيا غيرهم وبقينا خلفا من بعدهم فإن نحن اعتبرنا بهم نجونا و إن اغتررنا كنا مثلهم أين الوضوء الحسنه وجوههم المعجبون بشبابهم صاروا ترابا وصاروا مافرطوا فيه حسرة عليهم أين الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط وجعلوا فيها العجائب وتركوها لمن خلفهم فتلك مساكنهم خاوية وهم فى ظلم القبور هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا أين من تعرفون من آباءكم وإخوانكم قد انتهت بهم آجالهم فوردوا على ما قدموا عليه وأقاموا للشقوة وللسعادة إلا إن الله لا شريك له ليس بينه وبين أحد من خلقه سبب يعطيه به خيرا و لا يصرف عنه به شرا إلا بطاعته واتباع أمره واعلموا أنكم عباد مدينون و أن ما عنده لا يدرك إلا بتقواه وعبادته ألا وإنه لا خير بخير بعده النار و لا شر بشر بعد الجنة. فهذه خطبتا أبى بكر يوم السقيفة واليوم الذى يليه إنما قال إن لى شيطانا يعترينى وأراد بالشیطان الغضب و لم يرد أن له شيطانا من مردة الجن يعتريه إذا [صفحة ١٦١] غضب فالزيادة فيما ذكره المرتضى فى قوله إن لى شيطانا يعترينى عند غضبى تحريف لامحالة و لو كان له شيطان من الجن يعتاده وينوبه لكان فى عداد المصروعين من المجانين و ما دعى أحد على أبى بكر هذا لا

من أوليائه و لا من أعدائه وإنما ذكرنا خطبته على طولها والمراد منها كلمة واحدة لما فيها من الفصاحة والموعظة على عادتنا فى الاعتناء بإيداع هذا الكتاب ما كان ذاهبا هذا المذهب وسالكا هذا السبيل . فأما قول المرتضى فهذه صفة من ليس بمعصوم فالأمر كذلك والعصمة عندنا ليست شرطا فى الإمامة و لو لم يدل على عدم اشتراطها إلا أنه قال على المنبر بحضور الصحابة هذا القول وأقروه على الإمامة لكفى فى عدم كون العصمة شرطا لأنه قد حصل الإجماع على عدم اشتراط ذلك إذ لو كان شرطا لأنكر منكر إمامته كما لو قال إنى لأصبر عن شرب الخمر و عن الزنا. فأما قوله هذه صفة طائش لا يملك نفسه فلعمري إن أبابكر كان حديدا و قد ذكره عمر بذلك وذكره غيره من الصحابة بالحدة و السرعة و لكن لا بحيث أن تبطل به أهليته للإمامة لأن الذى يبطل الإمامة من ذلك و ما يخرج الإنسان عن العقل و أما ما هودون ذلك فلا و ليس قوله فاجتنبونى لأؤثر فى أشعاركم و أبتاركم محمول على ظاهره وإنما أراد به المبالغة فى وصف القوة الغضبية عنده و إلا فما سمعنا و لا نقل ناقل من الشيعة و لا من غير الشيعة أن أبابكر فى أيام رسول الله ص و لا فى الجاهلية و لا فى أيام خلافته احتد على إنسان فقام إليه فضربه بيده و مزق شعره . فأما ما حكاه قاضى القضاة عن الشيخ أبى على من تشببه هذه اللفظة بما ورد فى القرآن فهو على تقدير أن يكون أبوبكر عنى الشيطان حقيقة و ما عترض به المرتضى ثانياً عليه غير لازم لأن الله تعالى قال فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ وَتَعَقَّبَ ذَلِكَ قَوْلَهُمَا - قرآن - ١٥١٧-١٥٤٣ [صفحہ ١٦٢] وسوسته و أكلهما من الشجرة فكيف يقول المرتضى ليس قول أبى بكر بمنزلة من وسوس له الشيطان فلم يطعه وكذلك قوله تعالى فى قصة موسى لما قتل القبطى هذا من عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ وكذلك قوله فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا و قوله أَلْقَى الشَّيْطَانُ فى أُمَّتِيهِ و ما ذهب إليه المرتضى من التأويلات مبنى على مذهبه فى العصمة الكلية و هو مذهب يحتاج فى نصرته إلى تكلف شديد و تعسف عظيم فى تأويل الآيات على أنه إذا سلم أن الشيطان ألقى فى تلاوة الرسول ص ما ليس من القرآن حتى ظنه السامعون كلاما من كلام الرسول فقد نقض دلالة التنفير المقتضية عنده فى العصمة لأنه لا تنفير عنده أبلغ من تمكين الله الشيطان أن يخلط كلامه بكلامه ورسوله يؤديه إلى المكلفين حتى يعتقد السامعون كلهم أن الكلامين كلام واحد . و أما قوله إن آدم كان مندوبا إلى ألا يأكل من الشجرة لا محرم عليه أكلها و لفظه عصى إنما المراد بها خالف المندوب و لفظه غوى إنما المراد خاب من حيث لم يستحق الثواب على اعتماد ما ندب إليه فقول يدفعه ظاهر الآية لأن الصيغة صيغة النهى وهى قوله وَ لا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ وَ النِّهَى عند المرتضى يقتضى التحريم لا محالة و ليس الأمر الذى قد يراد به الندب و قد يراد به الوجوب . و أما قول شيخنا أبى على إن كلام أبى بكر خرج مخرج الإشفاق و الحذر من المعصية عند الغضب فجيد . و اعتراض المرتضى عليه بأنه ليس ظاهر اللفظ ذاك غير لازم لأن هذه عادة العرب يعبرون عن الأمر بما هو منه بسبب و سبيل كقولهم لا تدن من الأسد فىأكلكك فليس أنهم قطعوا على الأكل عند الدنو وإنما المراد الحذر و الخوف و التوقع للأكل عند الدنو . - قرآن - ١٥٢-٢٠٤- قرآن - ٢١٨-٢٤٦- قرآن - ٢٥٥-٢٨٦- قرآن - ١٠٠١-١٠٣٠ [صفحہ ١٦٣] و أما الكلام فى قوله أقيلونى فلو صح الخبر لم يكن فيه مطعن عليه لأنه إنما أراد فى اليوم الثانى اختبار حالهم فى البيعة التى وقعت فى اليوم الأول ليعلم و ليه من عدوه منهم و قدروى جميع أصحاب السير أن أمير المؤمنين خطب فى اليوم الثانى من بيعته فقال أيها الناس إنكم بايعتمونى على السمع و الطاعة و أنا عرض اليوم عليكم ما دعوتمونى إليه أمس فإن أجبتم قعدت لكم و إلا فلا أجد على أحد - رويت - ١-٢- رويت - ٢٩-٢٢٣ و ليس بجيد قول المرتضى إنه لو كان يريد العرض و البذل لكان قد قال كذا و كذا فإن هذه مضايقة منه شديدة للألفاظ و لو شرعنا فى مثل هذا الفساد أكثر ما يتكلم به الناس على أنا لو سلمنا أنه استقالهم البيعة حقيقة فلم قال المرتضى إن ذلك لا يجوز أليس يجوز للقاضى أن يستقيل من القضاء بعد توليته إياه و دخوله فيه فكذلك يجوز للإمام أن يستقيل من الإمامة إذا أنس من نفسه ضعفا عنها أو أنس من رعيته نبوة عنه أو أحس بفساد ينشأ فى الأرض من جهة و لا يته على الناس و من يذهب إلى أن الإمامة تكون بالاختيار كيف يمنع من جواز استقالة الإمام و طلبه إلى الأمة أن يختاروا غيره لعذر

يعلمه من حال نفسه وإنما يمنع من ذلك المرتضى وأصحابه القائلون بأن الإمامة بالنص و إن الإمام محرم عليه ألا يقوم بالإمامة لأنه مأمور بالقيام بهالتعيينه خاصة دون كل أحد من المكلفين وأصحاب الاختيار يقولون إذا لم يكن زيد إماما كان عمرو إماما عوضه لأنهم لا يعتبرون الشروط التي يعتبرها الإمامية من العصمة و أنه أفضل أهل عصره وأكثرهم ثوبا وأعلمهم وأشجعهم وغير ذلك من الشروط التي تقتضى تفرده وتوحده بالأمر على أنه إذاجاز عندهم أن يترك الإمام الإمامة في الظاهر كما فعله الحسن و كما فعله غيره من الأئمة بعد الحسين ع للتقية جاز للإمام [صفحة ١٦٤] على مذهب أصحاب الاختيار أن يترك الإمامة ظاهرا وباطنا لعذر يعلمه من حال نفسه أو حال رعيته

الطعن الثاني

قال قاضى القضاة بعد أن ذكر قول عمر كانت بيعه أبى بكر فلتة و قد تقدم منا القول فى ذلك فى أول هذا الكتاب ومما طعنوا به على أبى بكر أنه قال عند موته ليتنى كنت سألت رسول الله ص عن ثلاثة فذكر فى أحدها ليتنى كنت سألته هل للأنصار فى هذا الأمر حق قالوا و ذلك يدل على شكه فى صحه بيعته وربما قالوا قدروى أنه قال فى مرضه ليتنى كنت تركت بيت فاطمة لم أكشفه وليتنى فى ظلّه بنى ساعده كنت ضربت على يد أحد الرجلين فكان هو الأمير وكنت الوزير قالوا و ذلك يدل على ماروى من إقدامه على بيت فاطمة ع عند اجتماع على ع والزبير وغيرهما فيه ويدل على أنه كان يرى الفضل لغيره لالنفسه . قال قاضى القضاة والجواب أن قوله ليتنى لا يدل على الشك فيما تمناه وقول ابراهيم ع رَبِّ أَرْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَ لَكِن لِيُطَمِّنَنَّ قَلْبِي أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ فى الشبهة ثم حمل تمنيه على أنه أراد سماع شىء مفصل أو أراد ليتنى سألته عند الموت لقرب العهد لأن ما قرب عهده لا ينسى و يكون أردع للأنصار على ما حاولوه ثم قال على أنه ليس فى ظاهره أنه تمنى أن -قرآن- ٧٠٠-٧٩٣ [صفحة ١٦٥] يسأل هل لهم حق فى الإمامة أم لا لأن الإمامة قديتعلق بها حقوق سواها ثم دفع الرواية المتعلقة ببيت فاطمة ع و قال فأما تمنيه أن يبائع غيره فلو ثبت لم يكن ذما لأن من اشتد التكليف عليه فهو يتمنى خلافه. اعترض المرتضى رحمه الله هذا الكلام فقال ليس يجوز أن يقول أبوبكر ليتنى كنت سألت عن كذا إلا- مع الشك والشبهة لأن مع العلم واليقين لا يجوز مثل هذا القول هكذا يقتضى الظاهر فأما قول ابراهيم ع فإنما ساغ أن يعدل عن ظاهره لأن الشك لا يجوز على الأنبياء ويجوز على غيرهم على أنه ع قد نفى عن نفسه الشك بقوله بلى وَ لَكِن لِيُطَمِّنَنَّ قَلْبِي وَ قد قيل إن نمرود قال له إذا كنت تزعم أن لك ربا يحيى الموتى فاسأله أن يحيى لنا ميتا إن كان على ذلك قادرا فإن لم تفعل ذلك قتلتك فأراد بقوله وَ لَكِن لِيُطَمِّنَنَّ قَلْبِي أى لآمن توعده عدوك لى بالقتل و قديجوز أن يكون طلب ذلك لقومه و قد سأله أن يرغب إلى الله تعالى فيه فقال ليطمئن قلبى إلى إجابتك لى و إلى إزاحة علة قومى و لم يرد ليطمئن قلبى إلى أنك تقدر على أن تحيى الموتى لأن قلبه قد كان بذلك مطمئنا و أى شىء يريد أبوبكر من التفضيل أكثر من قوله إن هذا الأمر لا يصلح إلا لهذا الحى من قريش و أى فرق بين ما يقال عند الموت و بين ما يقال قبله إذا كان محفوظا معلوما لم ترفع كلمة و لم تنسخ . و بعد فظاهر الكلام لا يقتضى هذا التخصيص ونحن مع الإطلاق والظاهر و أى حق يجوز أن يكون للأنصار فى الإمامة غير أن يتولاها رجل منهم حتى يجوز أن يكون الحق الذى تمنى أن يسأل عنه غير الإمامة وهل هذا إلا تنسيف وتكلف -قرآن- ٥٣٦-٥٦٧-قرآن- ٧٢٢-٧٤٨ [صفحة ١٦٦] و أى شبهة تبقى بعد قول أبى بكر ليتنى كنت سألته هل للأنصار فى هذا الأمر حق فكنا لاننازعه أهله ومعلوم أن التنازع لم يقع بينهم إلا فى الإمامة نفسها لا فى حق آخر من حقوقها. فأما قوله إنا قدينا أنه لم يكن منه فى بيت فاطمة ما يوجب أن يتمنى أنه لم يفعل فقد بينا فساد ما ظنه فيما تقدم. فأما قوله إن من اشتد التكليف عليه قديتمنى خلافه فليس بصحيح لأن ولاية أبى بكر إذا كانت هى التي اقتضاها الدين والنظر للمسلمين فى تلك الحال و ما عداها كان مفسدة ومؤديا إلى الفتنة فالتمنى لخلافها لا

يكون إلابيحا. قلت أماقول قاضى القضاة إن هذاالتمنى لايقضى الشك فى أن الإمامة لا-تكون إلا فى قريش كما أن قول ابراهيم و لكن ليطمئن قلبى لايقضى الشك فى أنه تعالى قادر على ذلك فاجيد.فأما قول المرتضى إنما ساغ أن يعدل عن الظاهر فى حق ابراهيم لأنه نبى معصوم لايجوز عليه الشك فيقال له وكذلك ينبغى أن يعدل عن ظاهر كلام أبى بكر لأنه رجل مسلم عاقل فحسن الظن به يقضى صيانته أفعاله وأقواله عن التناقض قوله إن ابراهيم قدنفى عن نفسه الشك بقوله بلى و لكن ليطمئن قلبى قلنا إن أبابكر قدنفى عن نفسه الشك بدفع الأنصار عن الإمامة وإثباتها فى قريش خاصة فإن كانت لفظه بلى دافعة لشك ابراهيم الذى يقضيه قوله و لكن ليطمئن قلبى ففعل أبى بكر وقوله يوم السقيفة -قرآن- ٦٣٩-٦٤٥-قرآن- ٩٩٧-١٠٢٨-قرآن- ١١٧٣-١١٩٩ [صفحة ١٦٧] يدفع الشك الذى يقضيه قوله ليتنى سألته و لافرق فى دفع الشك بين أن يتقدم الدافع أوبتأخر أويقارن . ثم يقال للمرتضى أأست فى هذاالكتاب و هوالشافى بينت أن قصة السقيفة لم يجر فيهاذكر نص عن رسول الله ص بأن الأئمة من قريش و أنه لم يكن هناك إلااحتجاج أبى بكر وعمر بأن قريشا أهل النبى ص وعشيرته و أن العرب لا تطيع غيرقريش و ذكرت عن الزهري وغيره أن القول الصادر عن أبى بكر إن هذاالأمر لا يصلح إلا لهذاالحى من قريش ليس نصا مرويا عن رسول الله ص وإنما هوقول قاله أبوبكر من تلقاء نفسه ورويت فى ذلك الروايات و نقلت من الكتب من تاريخ الطبرى وغيره صورة الكلام والجدال الدائر بينه و بين الأنصار فإذا كان هذاقولك فلم تنكر على أبى بكر قوله ليتنى كنت سألت رسول الله ص هل للأنصار فى هذاالأمر حق لأنه لم يسمع النص و لارواه و لاروى له وإنما دفع الأنصار بنوع من الجدل فلاجرم بقى فى نفسه شىء من ذلك و قال عندموته ليتنى كنت سألت رسول الله ص و ليس ذلك مما يقضى شكه فى بيعته كمازعم الطاعن لأنه إنما يشك فى بيعته لو كان قال قائل أوذهب ذاهب إلى أن الإمامة ليست إلا فى الأنصار و لم يقل أحد ذلك بل النزاع كان فى هل الإمامة مقصورة على قريش خاصة أم هى فوضى بين الناس كلهم و إذا كانت الحال هذه لم يكن شاكا فى إمامته وبيعته بقوله ليتنى سألت رسول الله ص هل للأنصار فى هذاحق لأن بيعته على كلا التقديرين تكون صحيحة. [صفحة ١٦٨] فأما قول قاضى القضاة لعله أراد حقا للأنصار غيرالإمامة نفسها فليس بجيد و الذى اعترضه به المرتضى جيد فإن الكلام لايدل إلا على الإمامة نفسها ولفظة المنازعة تؤكد ذلك . و أماحديث الهجوم على بيت فاطمة ع فقد تقدم الكلام فيه والظاهر عندى صحة ما يرويه المرتضى والشيعه ولكن لا كل ما يزعمونه بل كان بعض ذلك وحق لأبى بكر أن يندم ويتأسف على ذلك و هذايدل على قوة دينه وخوفه من الله تعالى فهو بأن يكون منقبة له أولى من كونه طعنا عليه .فأما قول قاضى القضاة إن من اشتد التكليف عليه فقد يتمنى خلافه واعتراض المرتضى عليه فكلام قاضى القضاة أصح وأصوب لأن أبابكر و إن كانت ولايته مصلحة وولايه غيرمفسدة فإنه ما يتمنى أن يكون الإمام غيره مع استلزام ذلك للمفسدة بل تمنى أن يلى الأمر غيره وتكون المصلحة بحالها أ لا ترى أن خصال الكفارة فى اليمين كل واحدة منها مصلحة و ماعداها لايقوم مقامها فى المصلحة وأحدها يقوم مقام الأخرى فى المصلحة فأبو بكر تمنى أن يلى الأمر عمر أو أبوعبيدة بشرط أن تكون المصلحة الدينية التى تحصل من بيعته حاصله من بيعه كل واحد من الآخرين

الطعن الثالث

قالوا إنه ولى عمر الخليفة و لم يوله رسول الله ص شيئا [صفحة ١٦٩] من أعماله البتة إلا ما ولاه يوم خيبر فرجع منهزما وولاه الصدقة فلما شكاه العباس عزله .أجاب قاضى القضاة بأن تركه ع أن يولى لايدل على أنه لا يصلح لذلك و توليته إياه لايدل على صلاحيته للإمامة فإنه ص قدولى خالد بن الوليد وعمرو بن العاص و لم يدل ذلك على صلاحيتهما للإمامة وكذلك تركه أن يولى لايدل على أنه غير صالح بل المعتبر بالصفات التى تصلح للإمامة فإذا كملت صلح لذلك ولى من قبل أو لم يول و قد ثبت

أن النبي ص ترك أن يولى أمير المؤمنين ع أمورا كثيرة و لم يجب إلا من يصلح لها وثبت أن أمير المؤمنين ع لم يول الحسين ع ابنه و لم يمنع ذلك من أن يصلح للإمامة وحكى عن أبي على أن ذلك إنما كان يصح أن يتعلق به لو ظفروا بتقصير من عمر فيما تولاه فأما وأحواله معروفة في قيامه بالأمر حين يعجز غيره فكيف يصح ما قالوه و بعد فهلا دل ماروى من قوله و إن تولوا عمر تجدوه قويا في أمر الله قويا في بدنه على جواز ذلك و إن ترك النبي ص توليته لأن هذا القول أقوى من الفعل .اعترض المرتضى رحمه الله فقال قد علمنا بالعادة أن من ترشح لكبار الأمور لابد من أن يدرج إليها بصغارها لأن من يريد بعض الملوك تأهيله للأمر من بعده لابد من أن ينه عليه بكل قول وفعل يدل على ترشيحه لهذه المنزلة ويستكفيه من أمور ولاياته ما يعلم عنده أو يغلب على ظنه صلاحه لما يريد له و إن من يرى الملك مع حضوره وامتداد الزمان وتطاوله لا يستكفيه شيئا من الولايات ومتى ولاه عزله و إنما يولى غيره ويستكفى سواه لابد أن يغلب في الظن أنه ليس بأهل للولاية و إن جوزنا أنه لم يوله لأسباب كثيرة سوى أنه لا يصلح للولاية إلا أن مع هذا التجوز لابد أن [صفحة ١٧٠] يغلب على الظن بما ذكرناه فأما خالد وعمرو فإنما لم يصلحا للإمامة لفقد شروط الإمامة فيهما و إن كانا يصلحان لما ولياه من الإمارة فترك الولاية مع امتداد الزمان وتطاول الأيام وجميع الشروط التي ذكرناها تقتضى غلبه الظن لفقد الصلاح والولاية لشيء لا تدل على الصلاح غيره إذا كانت الشروط في القيام بذلك الغير معلوما فقدما و قد نجد الملك يولى بعض أموره من لا يصلح للملك بعده لظهور فقد الشروط فيه و لا يجوز أن يكون بحضرتة من يرشحه للملك بعده ثم لا يوليه على تطاول الزمان شيئا من الولايات فبان الفرق بين الولاية وتركها فيما ذكرناه .فأما أمير المؤمنين ع و إن يتول جميع أمور النبي ص في حياته فقد تولى أكثرها وأعظمها وخلفه في المدينة و كان الأمير على الجيش المبعوث إلى خيبر وجرى الفتح على يديه بعد انهزام من انهزم منها و كان المؤدى عنه سورة براءة بعد عزل من عزل عنها وارتجاعها منه إلى غير ذلك من عظيم الولايات والمقامات بما يطول شرحه و لو لم يكن إلا أنه لم يول عليه واليا قط لكفى .فأما اعتراضه بأن أمير المؤمنين ع لم يول الحسين فبعيد عن الصواب لأن أيام أمير المؤمنين ع لم تطل فيتمكن فيها من مراداته و كانت على قصرها منقسمة بين قتال الأعداء لأنه ع لما يبيع لم يلبث أن خرج عليه أهل البصرة فاحتاج إلى قتالهم ثم انكفا من قتالهم إلى قتال أهل الشام وتعقب ذلك قتال أهل النهروان و لم تستقر به الدار و لا امتد به الزمان و هذا بخلاف أيام النبي ص التي تطاولت وامتدت على أنه قد نص عليه بالإمامة بعد أخيه الحسن و إنما تطلب الولايات لغلبة الظن بالصلاح للإمامة . فإن كان هناك وجه يقتضى العلم بالصلاح لها كان أولى من طريق الظن على أنه [صفحة ١٧١] لا خلاف بين المسلمين أن الحسين ع كان يصلح للإمامة و إن لم يوله أبوه الولايات و في مثل ذلك خلاف من حال عمر فافترق الأمران فأما قوله إنه لم يعثر على عمر بتقصير في الولاية فمن سلم بذلك أ و ليس يعلم أن مخالفته تعد تقصيرا كثيرا و لو لم يكن إلا ما اتفق عليه من خطئه في الأحكام ورجوعه من قول إلى غيره واستفتائه الناس في الصغير والكبير وقوله كل الناس أفتقه من عمر لكان فيه كفاية و ليس كل النهوض بالإمامة يرجع إلى حسن التدبير والسياسة الدنياوية ورم الأعمال والاستظهار في جباية الأموال وتمصير الأمصار ووضع الأعشار بل حظ الإمامة من العلم بالأحكام والفتيا بالحلال والحرام والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه أقوى فمن قصر في هذا لم ينفعه أن يكون كاملا في ذلك .فأما قوله فهلا دل ماروى من قوله ع فإن وليتم عمر وجدتموه قويا في أمر الله قويا في بدنه -رواية ١-٢-رواية ١٢-٦٨ فهذا لو ثبت لدل و قد تقدم القول عليه وأقوى ما يبطله عدول أبي بكر عن ذكره والاحتجاج به لما أراد النص على عمر فعوتب على ذلك وقيل له مات قول لربك إذ وليت علينا فظا غليظا فلو كان صحيحا لكان يحتج به و يقول وليت عليكم من شهد النبي ص بأنه قوى في أمر الله قوى في بدنه و قد قيل في الطعن على صحة هذا الخبر إن ظاهره يقتضى تفضيل عمر على أبي بكر والإجماع بخلاف ذلك لأن القوة في الجسم فضل قال الله تعالى إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَ زَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَ بعد فكيف يعارض ما اعتمدهنا من عدوله ع عن ولايته و هو أمر معلوم بهذا الخبر المردود

المدفوع . قلت أما مادعاها من عادة الملوك فالأمر بخلافه فإننا قد وقفنا على سير الأكاسرة وملوك الروم وغيرهم فما سمعنا أن أحدا منهم رشح ولده -قرآن- ٤٢٧-٤٩٦ [صفحة ١٧٢] للملك بعده باستعماله على طرف من الأطراف ولا جيش من الجيوش وإنما كانوا يثقونهم بالآداب والفروسيه في مقار ملكهم لا غير والحال في ملوك الإسلام كذلك فقد سمعنا بالدولة الأموية ورأينا الدولة العباسية فلم نعرف الدولة التي ادعاها المرتضى وإنما قد يقع في الأقل النادر شىء مما أشار إليه والأغلب الأكثر خلاف ذلك على أن أصحابنا لا يقولون إن عمر كان مرشحا للخلافة بعد رسول الله ص ليقال لهم فلو كان قدر شحه للخلافة بعده لاستكفاه كثيرا من أموره وإنما عمر مرشح عندهم في أيام أبي بكر للخلافة بعد أبي بكر وقد كان أبو بكر استعمله على القضاء مدة خلافته بل كان هو الخليفة في المعنى لأنه فوض إليه أكثر التدبير فعلى هذا يكون قد سلمنا أن ترك استعمال النبي ص لعمر يدل على أنه غير مرشح في نظره للخلافة بعده وكذلك نقول ولا يلزم من ذلك ألا يكون خليفه بعد أبي بكر على أنا لانسلم أنه ما استعمله فقد ذكر الواقدي وابن إسحاق أنه بعثه في سرية في سنة سبع من الهجرة إلى الوادي المعروف ببرمة بضم الباء وفتح الراء و بهاجم من هوازن فخرج ومعه دليل من بنى هلال وكانوا يسيرون الليل ويكمنون النهار وأتى الخبر هوازن فهربوا وجاء عمر محالهم فلم يلق منهم أحدا فانصرف إلى المدينة. ثم يعارض المرتضى بما ذكره قاضي القضاء من ترك تولية على ابنه الحسين ع وقوله في العذر عن ذلك إن عليا ع كان ممنوا بحرب البغاة والخوارج لا يدفع المعارضة لأن تلك الأيام التي هي أيام حروبه مع هؤلاء هي الأيام التي كان ينبغي أن يولى الحسين ع بعض الأمور فيها كاستعماله على جيش ينفذه سرية إلى بعض الجهات واستعماله على الكوفة بعد خروجه منها إلى حرب صفين أو استعماله على القضاء [صفحة ١٧٣] وليس اشتغاله بالحرب بمانع له عن ولاية ولده وقد كان مشتغلا بالحرب وهو يولى بنى عمه العباس الولايات والبلاد الجليلة فأما قوله على أنه قد نص عليه بالإمامة بعد أخيه الحسن فهذا يغني عن توليته شيئا من الأعمال فلنقل أن يمنع ما ذكره من حديث النص فإنه أمر تنفرد به الشيعة وأكثر أرباب السير والتواريخ لا يذكرون أن أمير المؤمنين ع نص على أحد ثم إن ساغ له ذلك ساغ لقاضي القضاء أن يقول إن قول النبي ص اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر -رواية- ١-٢-رواية- ١٧-٥٥ يغني عن تولية عمر شيئا من الولايات لأن هذا القول أكد من الولاية في ترشحه للخلافة. فأما قوله على أنه لا خلاف بين المسلمين في صلاحية الحسين للخلافة وإن لم يوله أبوه الولايات وفي عمر خلاف ظاهر بين المسلمين فلنقل أن يقول له إجماع المسلمين على صلاحية الحسين للخلافة لا يدفع المعارضة بل يؤكد لها لأنه إذا كان المسلمون قد أجمعوا على صلاحيته للخلافة ولم يكن ترك تولية أبيه إياه الولايات قادحا في صلاحيته لها بعده جاز أيضا أن يكون ترك تولية رسول الله ص عمر الولايات في حياته غير قادح في صلاحيته للخلافة بعده . ثم ما ذكره من تقصير عمر في الخلافة بطريق اختلاف أحكامه ورجوعه إلى فتاوى العلماء فقد ذكرنا ذلك فيما تقدم لماتكلمنا في مطاعن الشيعة على عمر وأجبنا عنه . و أما قوله لا يغني حسن التدبير والسياسة ورم الأمور من القصور في الفقه فأصحابنا يذهبون إلى أنه إذا تساوى اثنان في خصال الإمامة إلا أنه كان أحدهما أعلم والآخر [صفحة ١٧٤] أسوس فإن الأسوس أولى بالإمامة لأن حاجة الإمامة إلى السياسة وحسن التدبير أكد من حاجتها إلى العلم والفقه . و أما الخبر المروي في عمر وهو قوله وإن تولوها عمر فيجوز ألا يكون أبو بكر سمعه من رسول الله ص ويكون الراوى له غيره ويجوز أن يكون سمعه وشذ عنه أن يحتج به على طلحة لما أنكر استخلاف عمر ويجوز ألا يكون شذ عنه وترك الاحتجاج به استغناء عنه لعلمه أن طلحة لا يعتد بقوله عند الناس إذا عارض قوله ولعله كنى عن هذا النص بقوله إذا سألتني ربي قلت له استخلفت عليهم خير أهلك على أنامتي فتحننا باب هلا احتج فلان بكذا جر علينا ما لا قبل لنا به وقيل هلا احتج على ع على طلحة وعائشة والزبير بقول رسول الله ص من كنت مولاه فهذا علي مولاه -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-٥٥ بقوله أنت منى بمنزله هارون من موسى -رواية- ١-٢-رواية- ٩-٤٤ ولا يمكن الشيعة أن يعتذروا هاهنا بالتقية لأن السيوف كانت قد سلمت من الفريقين ولم

يكن مقام تقيئه. و أما قوله هذا الخبر لو صح لاقتضى أن يكون عمر أفضل من أبي بكر و هو خلاف إجماع المسلمين فلقال أن يقول لم قلت إن المسلمين أجمعوا على أن أبابكر أفضل من عمر مع أن كتب الكلام والتصانيف المصنفة في المقالات مشحونة بذكر الفرقة العمرية وهم القائلون إن عمر أفضل من أبي بكر وهي طائفة عظيمة من المسلمين يقال إن عبد الله بن مسعود منهم و قدرأيت أن جماعة من الفقهاء يذهبون إلى هذا ويناظرون عليه على أنه لايدل الخبر على ما ذكره المرتضى لأنه و إن كان عمر أفضل منه باعتبار قوة البدن فلايدل على أنه أفضل منه مطلقا فمن الجائز أن يكون بإزاء هذه الخصلة خصال كثيرة في أبي بكر من خصال الخير يفضل بها على عمر [صفحة ١٧٥] ألا ترى أنا نقول أبو دجانه أفضل من أبي بكر بجهاده بالسيف في مقام الحرب و لا يلزم من ذلك أن يكون أفضل منه مطلقا لأن في أبي بكر من خصال الفضل ما إذا قيس بهذه الخصلة أربى عليها أضعافا مضاعفة

الطعن الرابع

قالوا إن أبابكر كان في جيش أسامة و إن رسول الله ص كرر حين موته الأمر بتنفيذ جيش أسامة فتأخره يقتضى مخالفة الرسول ص فإن قلت إنه لم يكن في الجيش قيل لكم لاشك أن عمر بن الخطاب كان في الجيش و أنه حبسه ومنعه من النفوذ مع القوم و هذا كالأول في أنه معصية وربما قالوا إنه ص جعل هؤلاء القوم في جيش أسامة ليعدوا بعد وفاته عن المدينة فلا يقع منهم توثب على الإمامة و لذلك لم يجعل أمير المؤمنين ع في ذلك الجيش و جعل فيه أبابكر و عمر و عثمان و غيرهم و ذلك من أوكد الدلالة على أنه لم يرد أن يختاروا للإمامة. أوجب قاضي القضاة بأن أنكر أولا أن يكون أبوبكر في جيش أسامة و أحال على كتب المغازي ثم سلم ذلك و قال إن الأمر لا يقتضى الفور فلا يلزم من تأخر أبي بكر عن النفوذ أن يكون عاصيا ثم قال إن خطابه ص بتنفيذ الجيش يجب أن يكون متوجها إلى القوائم بعده لأنه من خطاب الأئمة و هذا يقتضى ألا يدخل المخاطب بالتنفيذ في الجملة ثم قال و هذا يدل على أنه لم يكن هناك إمام منصوب عليه لأنه لو كان لأقبل بالخطاب عليه و خصه بالأمر بالتنفيذ دون الجميع [صفحة ١٧٦] ثم ذكر أن أمر رسول الله ص لا بد أن يكون مشروطا بالمصلحة و بأن لا يعرض ما هو أهم منه لأنه لا يجوز أن يأمرهم بالنفوذ و إن أعقب ضررا في الدين ثم قوى ذلك بأنه لم ينكر على أسامة تأخره و قوله لم أكن لأسأل عنك الركب ثم قال لو كان الإمام منصوبا عليه لجاز أن يسترد جيش أسامة أو بعضه لنصرته و كذلك إذا كان بالاختيار ثم حكى عن الشيخ أبي على استدلاله على أن أبابكر لم يكن في جيش أسامة بأنه و لاه الصلاة في مرضه مع تكريره أمر الجيش بالنفوذ والخروج . ثم ذكر أن الرسول ص إنما يأمر بما يتعلق بمصالح الدنيا من الحروب ونحوها عن اجتهاده و ليس بواجب أن يكون ذلك عن وحى كما يجب في الأحكام الشرعية و أن اجتهاده يجوز أن يخالف بعد وفاته و إن لم يجز في حياته لأن اجتهاده في الحياة أولى من اجتهاد غيره ثم ذكر أن العلة في احتباس عمر عن الجيش حاجة أبي بكر إليه و قيامه بما لا يقوم به غيره و أن ذلك أحوط للدين من نفوذه . ثم ذكر أن أمير المؤمنين ع حارب معاوية بأمر الله تعالى و أمر رسوله و مع هذا فقد ترك محاربتة في بعض الأوقات و لم يجب بذلك ألا يكون متمثلا للأمر و ذكر توليته ع أبا موسى و تولية الرسول ص خالد بن الوليد مع ما جرى منهما و أن ذلك يقتضى الشرط. ثم ذكر أن من يصلح للإمامة ممن ضمه جيش أسامة يجب تأخيره ليختار للإمامة أحدهم فإن ذلك أهم من نفوذهم فإذا جاز لهذه العلة التأخير قبل العقد جاز التأخير بعده للمعاوضة وغيرها و طعن في قول من جعل أن إخراجهم في الجيش على جهة الإبعاد لهم عن المدينة بأن قال إن بعدهم عن المدينة لا يمنع من أن يختاروا للإمامة [صفحة ١٧٧] ولأنه ع لم يكن قاطعا على موته لا محالة لأنه لم يرد نفذوا جيش أسامة في حياتي -رواية ١-٢٨ ثم ذكر أن ولاية أسامة عليهما لا تقتضى فضله و أنهما دونه و ذكر ولاية عمرو بن العاص عليهما و إن لم يكونا دونه في الفضل و أن أحدا

لم يفضل أسامة عليهما ثم ذكر أن السبب في كون عمر من جملة جيش أسامة أن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي قال عند ولايته أسامة تولى علينا شاب حدث ونحن مشيخة قريش فقال عمر يا رسول الله مرني حتى أضرب عنقه فقد طعن في تأميرك إياه ثم قال أنا أخرج في جيش أسامة تواضعا وتعظيما لأمره ع. اعترض المرتضى هذه الأجوبة فقال أما كون أبي بكر في جملة جيش أسامة فظاهر فقد ذكره أصحاب السير والتواريخ و قدروى البلاذري في تاريخه و هو معروف بالثقة والضبط وبرىء من ممالاة الشيعة ومقاربتها أن أبابكر وعمر معا كانا في جيش أسامة والإنكار لما يجرى هذا المجرى لا يغنى شيئا وقد كان يجب على من أحال بذلك على كتب المغازي في الجملة أن يورث إلى الكتاب المتضمن لذلك بعينه ليرجع إليه فأما خطابه ع بالتنفيذ للجيش فالمقصود به الفور دون التراخي إما من حيث مقتضى الأمر على مذهب من يرى ذلك لغة وإما شرعا من حيث وجدنا جميع الأمة من لدن الصحابة إلى هذا الوقت يحملون أوامره على الفور ويطلبون في تراخيها الأدلة ثم لو لم يثبت كل ذلك لكان قول أسامة لم أكن لأسأل عنك الركب أوضح دليل على أنه عقل من الأمر الفور لأن سؤال الركب عنه ع بعد وفاته لا معنى له . [صفحہ ۱۷۸] و أما قول صاحب الكتاب إنه لم ينكر على أسامة تأخره فليس بشيء و أى إنكار أبلغ من تكراره الأمر وترداده القول في حال يشغل عن المهم ويقطع الفكر إلا فيها و قدكرر الأمر على الأمور تارة بتكرار الأمر وأخرى بغيره و إذا سلمنا أن أمره ع كان متوجها إلى القائم بعده بالأمر لتنفيذ الجيش بعد الوفاة لم يلزم ما ذكره من خروج المخاطب بالتنفيذ عن الجملة وكيف يصح ذلك و هو من جملة الجيش والأمر متضمن تنفيذ الجيش فلا بد من نفوذ كل من كان في جملة لأن تأخر بعضهم يسلب النافذين اسم الجيش على الإطلاق أو ليس من مذهب صاحب الكتاب أن الأمر بالشىء أمر بما لا يتم إلا معه و قد اعتمد على هذا في مواضع كثيرة فإن كان خروج الجيش ونفوذه لا يتم إلا بخروج أبي بكر فالأمر بخروج الجيش أمر لأبي بكر بالنفوذ والخروج وكذلك لو أقبل عليه على سبيل التخصيص و قال نفذوا جيش أسامة -رواية ۱- ۲-رواية ۸- ۲۵ و كان هو من جملة الجيش فلا بد أن يكون ذلك أمرا له بالخروج واستدلاله على أنه لم يكن هناك إمام منصوب عليه بعموم الأمر بالتنفيذ ليس بصحيح لأننا قد بينا أن الخطاب إنما توجه إلى الحاضرين و لم يتوجه إلى الإمام بعده على أن هذا لازم له لأن الإمام بعده لا يكون إلا واحدا فلم عمم الخطاب و لم يفرد به الواحد فيقول لينفذ القائم من بعدى بالأمر جيش أسامة فإن الحال لا يختلف في كون الإمام بعده واحدا بين أن يكون منصوبا عليه أو مختارا. و أما مادعا أن الشرط في أمره ع لهم بالنفوذ فباطل لأن إطلاق الأمر يمنع من إثبات الشرط وإنما يثبت من الشروط ما يقتضى الدليل إثباته من التمكن والقدرة لأن ذلك شرط ثابت في كل أمر ورد من حكيم والمصلحة بخلاف ذلك لأن الحكيم لا يأمر بشرط المصلحة بل إطلاق الأمر منه يقتضى ثبوت المصلحة وانتفاء المفسدة و ليس كذلك التمكن و ما يجرى مجراه ولهذا لا يشترط [صفحہ ۱۷۹] أحد في أوامر الله تعالى ورسوله ص بالشرائح المصلحة وانتفاء المفسدة و شرطوا في ذلك التمكن ورفع التعذر و لو كان الإمام منصوبا عليه بعينه واسمه لما جاز أن يسترد جيش أسامة بخلاف ما ظنه و لا يعزل من ولاه ع و لا يولى من عزله للعللة التي ذكرناها. فأما استدلال أبي على أن أبابكر لم يكن في الجيش بحديث الصلاة فأول ما فيه أنه اعتراف بأن الأمر بتنفيذ الجيش كان في الحياة دون بعد الوفاة وهذا ناقض لما بنى صاحب الكتاب عليه أمره ع . ثم إنا قد بينا أنه ع لم يوله الصلاة وذكرنا ما في ذلك ثم ما المانع من أن يوليه تلك الصلاة إن كان ولاه إياها ثم يأمره بالنفوذ من بعد مع الجيش فإن الأمر بالصلاة في تلك الحال لا يقتضى أمره بها على التأيد. و أما مدعاؤه أن النبي ص يأمر بالحروب و ما يتصل بها عن اجتهاد دون الوحي فمعاذ الله أن يكون صحيحا لأن حروبه ع لم تكن مما يختص بمصالح أمور الدنيا بل للدين فيها أقوى تعلق لما يعود على الإسلام وأهله بفتوحه من العز والقوة وعلو الكلمة و ليس يجرى ذلك مجرى أكله وشربه ونومه لأن ذلك لا تعلق له بالدين فيجوز أن يكون عن رأيه و لو جاز أن تكون مغايزه وبعوثة مع التعلق القوى لها بالدين عن اجتهاد لجاز ذلك في الأحكام . ثم لو كان ذلك عن اجتهاد لما ساعدت مخالفته فيه بعد وفاته كما لا تسوغ في

حياته فكل علة تمنع من أحد الأمرين هي مانعة من الآخر فأما الاعتذار له عن حبس عمر عن الجيش بما ذكره فباطل لأننا قد قلنا إن ما يأمُر به ع لا يسوغ مخالفته مع الإمكان ولامرعاة لماعسائه يعرض فيه من رأى غيره و أى حاجة إلى عمر بعد تمام العقد واستقراره ورضا الأمة به على طريق المخالف وإجماعها عليه و لم يكن [صفحة ١٨٠] هناك فتنة و لا تنازع و لا اختلاف يحتاج فيه إلى مشاورته وتدييره و كل هذا تعلق باطل . فأما محاربة أمير المؤمنين ع معاوية فإنما كان مأمورا بها مع التمكن ووجود الأنصار و قد فعل ع من ذلك ماوجب عليه لما تمكّن منه فأما مع التعذر و فقد الأنصار فما كان مأمورا بها و ليس كذلك القول فى جيش أسامة لأن تأخر من تأخر عنه كان مع القدرة و التمكن فأما تولية أبى موسى فلاندرى كيف يشبه مانحن فيه لأنه إنما ولاه بأن يرجع إلى كتاب الله تعالى فيحكم فيه و فى خصمه بما يقتضيه و أبو موسى فعل خلاف ما جعل إليه فلم يكن ممثلا لأمر من ولاه و كذلك خالد بن الوليد إنما خالف ما أمره به الرسول ص فتبرأ من فعله و كل هذا لا يشبه أمره ع بتنفيذ جيش أسامة أمرا مطلقا و تأكيده ذلك و تكراره له فأما جيش أسامة فإنه لم يضم من يصلح للإمامة فيجوز تأخرهم ليختار أحدهم على ما ظنه صاحب الكتاب على أن ذلك لو صح أيضا لم يكن عذرا فى التأخر لأن من خرج فى الجيش يمكن أن يختار و إن كان بعيدا و لا يمنع بعده من صحة الاختيار و قد صرح صاحب الكتاب بذلك ثم لو صح هذا العذر لكان عذرا فى التأخر قبل العقد فأما بعد إبرامه فلا عذر فيه و المعاضدة التى ادعاها قدينا ما فيها . فأما ادعاء صاحب الكتاب رادا على من جعل إخراج القوم فى الجيش ل يتم أمر النص أن من أبعدهم لا يمنع أن يختاروا للإمامة فيدل على أنه لم يتبين معنى هذا الطعن على حقيقته لأن الطاعن به لا يقول إنه أبعدهم لئلا يختاروا للإمامة وإنما يقول إنه أبعدهم حتى ينتصب بعده فى الأرض من نص عليه و لا يكون هناك من ينازعه و يخالفه [صفحة ١٨١] و أما قوله لم يكن قاطعا على موته فلا يضر تسليمه أ ليس كان مشفقا و خائفا و على الخائف أن يتحرز ممن يخاف منه فأما قوله فإنه لم يرد نفذوا الجيش فى حياتى فقد بينا ما فيه فأما ولاية أسامة على من ولى عليه فلا بد من اقتضاها لفضله على الجماعة فيما كان واليا فيه و قد دللنا فيما تقدم من الكتاب على أن ولاية المفضول على الفاضل فيما كان أفضل منه فيه قبيحة فكذلك القول فى ولاية عمرو بن العاص عليها فيما تقدم و القول فى الأمرين واحد . و قوله إن أحدا لم يدع فضل أسامة على أبى بكر و عمر فليس الأمر على ما ظنه لأن من ذهب إلى فساد إمامة المفضول لا بد من أن يفضل أسامة عليهما فيما كان واليا فيه فأما ادعاؤه ما ذكره من السبب فى دخول عمر فى الجيش فما نعرفه و لا وقفنا عليه إلا من كتبه ثم لو صح لم يغن شيئا لأن عمر لو كان أفضل من أسامة لمنعه الرسول ص من الدخول فى إمارته و المسير تحت لوائه و التواضع لا يقتضى فعل القبيح . قلت إن الكلام فى هذا الفصل قد تشعب شعبا كثيرة و المرتضى رحمه الله لا يورد كلام قاضى القضاة بنصه وإنما يختصره و يورده مبتورا و يومئ إلى المعانى إيماء لطيفا و غرضه الإيجاز و لو أورد كلام قاضى القضاة بنصه لكان أليق و كان أبعد عن الظنة و أدفع لقول قائل من خصومه إنه يحرف كلام قاضى القضاة و يذكر على غير وجهه ألا ترى أن من نصب نفسه لاختصار كلام فقد ضمن على نفسه أنه قد فهم معانى ذلك الكلام حتى يصح منه اختصاره و من الجائز أن يظن أنه قد فهم [صفحة ١٨٢] بعض المواضع و لم يكن قد فهمه على الحقيقة فيختصر ما فى نفسه لا ما فى تصنيف ذلك الشخص و أما من يورد كلام الناس بنصه فقد استراح من هذه التبعة و عرض عقل غيره و عقل نفسه على الناظرين و السامعين . ثم نقول إن هذا الفصل ينقسم أقساما منها قول قاضى القضاة لانسلم أن أبابكر كان فى جيش أسامة . و أما قول المرتضى إنه قد ذكره أرباب السير و التواريخ و قوله إن البلاذرى ذكره فى تاريخه و قوله هلا عين قاضى القضاة الكتاب الذى ذكر أنه يتضمن عدم كون أبى بكر فى ذلك الجيش فإن الأمر عندى فى هذا الموضوع مشتبه و التواريخ مختلفة فى هذه القضية فمنهم من يقول إن أبابكر كان فى جملة الجيش و منهم من يقول إنه لم يكن و ما أشار إليه قاضى القضاة بقوله فى كتب المغازى لا ينتهى إلى أمر صحيح و لم يكن ممن يستحل القول بالباطل فى دينه و لا فى رئاسته ذكر الواقدى فى كتاب المغازى أن أبابكر لم يكن فى جيش أسامة وإنما كان عمر و أبو عبيدة

وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وقتادة بن النعمان وسلمة بن أسلم ورجال كثير من المهاجرين والأنصار قال و كان المنكر لإمارة أسامة عياش بن أبي ربيعة وغير الواقدي يقول عبد الله بن عياش و قد قيل عبد الله بن أبي ربيعة أخو عياش . و قال الواقدي وجاء عمر بن الخطاب فودع رسول الله ص ليسير مع أسامة و قال وجاء أبو بكر فقال يا رسول الله أصبحت مفيقا بحمد الله واليوم يوم ابنة خارجه فأذن لي فأذن له فذهب إلى منزله بالسنع و سار أسامة في العسكر و هذاتصريح بأن أبا بكر لم يكن في جيش أسامة. [صفحہ ۱۸۳] و ذكر موسى بن عقبه في كتاب المغازي أن أبا بكر لم يكن في جيش أسامة و كثير من المحدثين يقولون بل كان في جيشه . فأما أبو جعفر محمد بن جرير الطبري فلم يذكر أنه كان في جيش أسامة إلا عمر و قال أبو جعفر حدثني السدي بإسناد ذكره أن رسول الله ص ضرب قبل وفاته بعثا على أهل المدينة و من حولهم وفيهم عمر بن الخطاب و أمر عليهم أسامة بن زيد فلم يجاوز آخرهم الخندق حتى قبض رسول الله ص فوقف أسامة بالناس ثم قال لعمر ارجع إلى خليفة رسول الله ص فاستأذنه يأذن لي أرجع بالناس فإن معي وجوه الصحابة و لا آمن على خليفة رسول الله ص و ثقل رسول الله ص و أثقال المسلمين أن يتخطفهم المشركون حول المدينة و قالت الأنصار لعمر سرا فإن أبي إلا أن يمضي فأبلغه عنا و اطلب إليه أن يولي أمرنا رجلا أقدم سنا من أسامة فخرج عمر بأمر أسامة فأتى أبا بكر فأخبره بما قال أسامة فقال أبو بكر لو تخطفتنى الكلاب و الذئاب لم أرد قضاء قضى به رسول الله ص قال فإن الأنصار أمروني أن أبلغك أنهم يطلبون إليك أن تولى أمرهم رجلا أقدم سنا من أسامة فوثب أبو بكر و كان جالسا فأخذ بلحية عمر و قال ثكلتك أمك يا ابن الخطاب أيستعمله رسول الله ص و تأمرني أن أنزعه فخرج عمر إلى الناس فقالوا له ما صنعت فقال امضوا ثكلتكم أمهاتكم ما لقيت في سييلكم اليوم من خليفة رسول الله ص ثم خرج أبو بكر حتى أتاهم فأشخصهم و شيعهم و هو ماش و أسامة راكب و عبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر فقال له أسامة بن زيد يا خليفة رسول الله لتركبن أولأنزلن فقال و الله لا-تنزل و لا أركب و ما على أن أغبر قدمي في سبيل الله ساعة [صفحہ ۱۸۴] فإن للغازي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له و سبعمائة درجة ترفع له و سبعمائة خطيئة تمحى عنه حتى إذا انتهى قال لأسامة إن رأيت أن تعينني بعمر فافعل فأذن له ثم قال أيها الناس فقوا حتى أوصيكم بعشر فاحفظوها عنى لا تخونوا و لا تغدروا و لا تغلوا و لا-تمثلوا و لا-تقتلوا طفلا- صغيرا و لا شيخا كبيرا و لا امرأة و لا تعقروا نخلا و لا تحرقوه و لا تقطعوا شجرة مثمرة و لا تدبجوا شاء و لا بعيروا و لا بقره إلا لمأكلة و سوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم للعبادة في الصوامع فدعوهم فيما فرغوا أنفسهم له و سوف تقدمون على أقوام يأتونكم بصحاف فيها ألوان الطعام فلا تأكلوا من شيء حتى تذكروا اسم الله عليه و سوف تلقون أقواما قد حصوا أوساط رء و سهم و تركوا حولها مثل العصائب فاحفقوهم بالسيوف خفقا أفناهم الله بالطعن و الطاعون سيروا على اسم الله -روايت- ۱- ۲-روايت- ۸- ۵۷۵ . و أما قول الشيخ أبي على فإنه يدل على أنه لم يكن في جيش أسامة أمره إياه بالصلاة و قول المرتضى هذا اعتراف بأن الأمر بتنفيذ الجيش كان في الحال دون ما بعد الوفاة و هذا ينقض ما بنى عليه قاضي القضاة أمره فلقاتل أن يقول إنه لا ينقض ما بناه لأن قاضي القضاة ما قال إن الأمر بتنفيذ الجيش ما كان إلا بعد الوفاة بل قال إنه أمر و الأمر على التراخي فلو نفذ الجيش في الحال لجاز و لو تأخر إلى بعد الوفاة لجاز. فأما إنكار المرتضى أن تكون صلاة أبي بكر بالناس كانت عن أمر رسول الله ص فقد ذكرنا ما عندنا في هذا فيما تقدم . و أما قوله يجوز أن يكون أمر بصلاة واحدة أوصلتين ثم أمره بالنفوذ بعد [صفحہ ۱۸۵] ذلك فهذا لعمرى جائز و قديم يمكن أن يقال إنه لما خرج متحاملا من شدة المرض فتأخر أبو بكر عن مقامه و صلى رسول الله ص بالناس أمره بالنفوذ مع الجيش و أسكت رسول الله ص في أثناء ذلك اليوم و استمر أبو بكر على الصلاة بالناس إلى أن توفي ع فقد جاء في الحديث أنه أسكت و أن أسامة دخل عليه فلم يستطع كلامه لكنه كان يرفع يديه و يضعهما عليه كالداعى له و يمكن أن يكون زمان هذه السكنة قد امتد يوما أو يومين و هذا الموضوع من المواضع المشبهة عندى و منها قول قاضي القضاة إن الأمر على التراخي فلا يلزم من تأخر أبي بكر عن النفوذ أن يكون عاصيا. فأما قول

المرتضى الأمر على الفور إما لغته عند من قال به أو شرعا لإجماع الكل على أن الأوامر الشرعية على الفور إلا ماخرج بالدليل فالظاهر في هذاالموضع صحة ماقاله المرتضى لأن قرائن الأحوال عند من يقرأ السير ويعرف التواريخ تدل على أن الرسول ص كان يحثهم على الخروج والمسير وهذا هوالفور. و أماقول المرتضى وقول أسامة لم أكن لأسأل عنك الركب فهو أوضح دليل على أنه عقل من الأمر الفور لأن سؤال الركب عنه بعدالوفاء لامعنى له فلقائل أن يقول إن ذلك لايدل على الفور بل يدل على أنه مأمور فى الجملة بالنفوذ والمسير فإن التعجيل والتأخير مفوضان إلى رأيه فلما قال له النبى ص لم تأخرت عن المسير قال لم أكن لأسير وأسأل عنك الركب إنى انتظرت عافيتك فإنى إذاسرت و أنت على هذه الحال لم يكن لى قلب للجهاد بل أكون قلقا شديد الجزع أسأل [صفحه ١٨٦] عنك الركبان وهذاالكلام لايدل على أنه عقل من الأمر الفور لامحالة بل هو على أن يدل على التراخى أظهر وقول النبى ص لم تأخرت عن المسير لايدل على الفور لأنه قديقال مثل ذلك لمن يؤمر بالشىء على جهة التراخى إذا لم يكن سؤال إنكار. وقول المرتضى لأن سؤال الركب عنه بعدالوفاء لامعنى له قول من قدتوهم على قاضى القضاء أنه يقول إن النبى ص ماأمرهم بالنفوذ إلا بعدوفاته و لم يقل قاضى القضاء ذلك وإنما ادعى أن الأمر على التراخى لا غير وكيف يظن بقاضى القضاء أنه حمل كلام أسامة على سؤال الركب بعدالموت وهل كان أسامة يعلم الغيب فيقول ذاك وهل سأل أحد عن حال أحد من المرضى بعدموته .فأما قول المرتضى عقيب هذاالكلام لامعنى لقول قاضى القضاء إنه لم ينكر على أسامة تأخره فإن الإنكار قدوقع بتكرار الأمر حالا بعدحال فلقائل أن يقول إن قاضى القضاء لم يجعل عدم الإنكار على أسامة حجة على كون الأمر على التراخى وإنما جعل ذلك دليلا على أن الأمر كان مشروطا بالمصلحة و من تأمل كلام قاضى القضاء الذى حكاه عنه المرتضى تحقق ذلك فلايجوز للمرتضى أن ينتزعه من الوضع الذى أورده فيه فيجعله فى موضع آخر. ومنها قول قاضى القضاء الأمر بتنفيذ الجيش يجب أن يكون متوجها إلى الخليفة بعده والمخاطب لايدخل تحت الخطاب واعتراض المرتضى عليه بأن لفظه الجيش يدخل تحتها أبو بكر فلابد من وجوب النفوذ عليه لأن عدم نفوذه يسلب الجماعة اسم الجيش فليس بجيد لأن لفظه الجيش لفظه موضوعه لجماعة من الناس قدأعدت للحرب فإذاخرج منها واحد أوأثنان لم يزل مسمى الجيش عن الباقيين والمرتضى [صفحه ١٨٧] اعتقد أن ذلك مثل الماهيات المركبة نحو العشرة إذاعدم منها واحد زال مسمى العشرة و ليس الأمر كذلك يبين ذلك أنه لو قال بعض الملوك لمائة إنسان أنتم جيشى ثم قال لواحد منهم إذامت فأعط كل واحد من جيشى درهما من خزانتى فقد جعلتكم أميرا عليهم لم يكن له أن يأخذ لنفسه درهما و يقول أنا من جملة الجماعة الذين أطلق عليهم لفظه الجيش . ومنها قول قاضى القضاء هذه القضية تدل على أنه لم يكن هناك إمام منصوب عليه و أماقول المرتضى فقد بينا أن الخطاب إنما توجه إلى الحاضرين لا إلى القائم بالأمر بعده فلم نجد فى كلامه فى هذاالفصل بطوله ما بين فيه ذلك و لأعلم على ماذا أحال و لو كان قد بين على ما زعم أن الخطاب متوجه إلى الحاضرين لكان الإشكال قائما لأنه يقال له إذا كان الإمام المنصوص عليه حاضرا عنده فلم وجه الخطاب إلى الحاضرين أ لا ترى أنه لايجوز أن يقول الملك للرعية اقضوا بين هذين الشخصين والقاضى حاضر عنده إلا إذا كان قدعزله عن القضاء فى تلك الواقعة عن الرعية.فأما قول المرتضى هذاينقلب عليكم فليس ينقلب وإنما ينقلب لو كان يريد تنفيذ الجيش بعدموته فقط و لايريده و هو حى فكان يجىء ماقاله المرتضى لينفذ القائم بالأمر بعدى جيش أسامة فأما إذا كان يريد نفوذ الجيش من حين ماأمر بنفوذه فقد سقط القلب لأن الخليفة حينئذ لم يكن قدتعين لأن الاختيار ماوقع بعد و على مذهب المرتضى الإمام متعين حاضر عنده نصب عينه فافترق الوصفان . ومنها قول قاضى القضاء إن مخالفة أمره ص فى النفوذ مع الجيش أو فى إنفاذ الجيش لا يكون معصية و بين ذلك من وجوه [صفحه ١٨٨] أحدها أن أمره ع بذلك لا بد أن يكون مشروطا بالمصلحة وألا يعرض ما هوأهم من نفوذ الجيش لأنه لايجوز أن يأمرهم بالنفوذ و إن أعقب ضررا فى الدين فأما قول المرتضى الأمر المطلق يدل على ثبوت المصلحة و لايجوز أن

يجعل الأمر المطلق فقول جيد إذا عترض به على الوجه الذى أوردته قاضى القضاة فأما إذا أوردته أصحابنا على وجه آخر فإنه يندفع كلام المرتضى و ذلك أنه يجوز تخصيص عمومات النصوص بالقياس الجلى عند كثير من أصحابنا على ما هو مذكور فى أصول الفقه فلم لا يجوز لأبى بكر أن يخص عموم قوله انفذوا بعث أسامة لمصلحة غلبت على ظنه فى عدم نفوذه نفسه ولمفسدة غلبت على نفسه فى نفوذه نفسه مع البعث . وثانيها أنه ع كان يبعث السرايا عن اجتهاد لا- عن وحى يحرم مخالفته فأما قول المرتضى إن للدين تعلقا قويا بأمثال ذلك وإنها ليست من الأمور الدنياوية المحضة نحو أكله وشربه ونومه فإنه يعود على الإسلام بفتوحه عز وقوة وعلو كلمته فيقال له و إذا أكل اللحم وقوى مزاجه بذلك ونام نوما طبعيا يزول عنه به المرض والإعياء اقتضى ذلك أيضا عز الإسلام وقوته فقل إن ذلك أيضا عن وحى. ثم إن الذى يقتضيه فتوحه وغزواته وحروبه من العز وعلو الكلمة لا ينافى كون تلك الغزوات والحروب باجتهاده لأنه لا منافاة بين اجتهاده وبين عز الدين وعلو كلمته بحروبه و إن الذى ينافى اجتهاده بالرأى هو مثل فرائض الصلوات ومقادير الزكوات ومناسك الحج ونحو ذلك من الأحكام التى تشعر بأنها متلقاة من محض الوحى و ليس للرأى والاجتهاد فيها مدخل و قد خرج بهذا الكلام الجواب عن قوله [صفحہ ۱۸۹] لوجاز أن تكون السرايا والحروب عن اجتهاده لجاز أن تكون الأحكام كلها عن اجتهاده وأيضا فإن الصحابة كانوا يراجعونه فى الحروب وآراءه التى يدبرها بها ويرجع ع إليهم فى كثير منها بعد أن قدرأى غيره و أما الأحكام فلم يكن يراجع فيها أصلا فكيف يحمل أحد البابين على الآخر. فأما قوله لو كانت عن اجتهاد لوجب أن يحرم مخالفته فيها و هو حى لافرق بين الحالين فلقال أن يقول القياس يقتضى ما ذكرت إلا- أنه وقع الإجماع على أنه لو كان فى الأحكام أو فى الحروب والجهاد ما هو باجتهاده لما جازت مخالفته والعدول عن مذهبه و هو حى لم يختلف أحد من المسلمين فى ذلك وأجازوا مخالفته بعد وفاته بتقدير أن يكون ما صار إليه عن اجتهاد والإجماع حجة. فأما قول قاضى القضاة لأن اجتهاده و هو حى أولى من اجتهاد غيره فليس يكاد يظهر لأن اجتهاده و هو حى أولى أيضا من اجتهاد غيره ويغلب على ظنى أنهم فرقوا بين حالتى الحياة والموت فإن فى مخالفته و هو حى نوعا من أذى له وأذاه محرم لقوله تعالى وَ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِي بَعْدَ الْمَوْتِ لَا يَكُونُ فَاغْتَرَقَ الْحَالَانَ . وثالثها أنه لو كان الإمام منصوبا عليه لجاز أن يسترد جيش أسامة أو بعضه لنصرته فكذلك إذا كان بالاختيار و هذا قد منع منه المرتضى و قال إنه لا يجوز للمنصوص عليه ذلك و لا أن يولى من عزله رسول الله ص و لا أن يعزل من ولاه رسول الله ص -قرآن- ۹۱۲- ۹۵۴ [صفحہ ۱۹۰] و رابعها أنه ع ترك حرب معاوية فى بعض الحالات و لم يوجب ذلك أن يكون عاصيا فكذلك أبو بكر فى ترك النفوذ فى جيش أسامة. فأما قول المرتضى إن عليا ع كان مأمورا بحرب معاوية مع التمكن ووجود الأنصار فإذا عدا لم يكن مأمورا بحربه فلقال أن يقول و أبو بكر كان مأمورا بالنفوذ فى جيش أسامة مع التمكن ووجود الأنصار و قد عدم التمكن لما استخلف فإنه قد تحمل أعباء الإمامة وتعذر عليه الخروج عن المدينة التى هى دار الإمامة فلم يكن مأمورا والحال هذه بالنفوذ فى جيش أسامة. فإن قلت الإشكال عليكم إنما هو من قبل الاستخلاف كيف جاز لأبى بكر أن يتأخر عن المسير وكيف جاز له أن يرجع إلى المدينة و هو مأمور بالمسير وهلا نفذ لوجهه و لم يرجع و إن بلغه موت رسول الله ص . قلت لعل أسامة أذن له فهو مأمور بطاعته ولأنه رأى أسامة و قد عدا باللواء فعاد هولأنه لم يكن يمكنه أن يسير إلى الروم وحده وأيضا فإن أصحابنا قالوا إن ولاية أسامة بطلت بموت النبى ص وعاد الأمر إلى رأى من ينصب للأمر قالوا لأن تصرف أسامة إنما كان من جهة النبى ص ثم زال تصرف النبى ص بموته فوجب أن يزول تصرف أسامة لأن تصرفه تبع لتصرف الرسول ص قالوا و ذلك كالوكيل تبطل وكالاته بموت الموكل قالوا ويفارق الوصى لأن ولايته لا تثبت إلا بعدموت الموصى فهو كعهده الإمام إلى غيره لا يثبت إلا بعدموت الإمام ثم فرع أصحابنا على هذا الأصل مسألة وهى الحاكم هل يعزل بموت الإمام أم لا قال قوم من أصحابنا لا يعزل وبنوه على أن التولى من غير جهة الإمام يجوز فجعلوا الحاكم نائبا عن المسلمين أجمعين لا عن الإمام [صفحہ ۱۹۱] و إن وقف

تصرفه على اختياره وصار ذلك عندهم بمنزلة أن يختار المسلمون واحدا يحكم بينهم ثم يموت من رضى بذلك فإن تصرفه يبقى على ما كان عليه وقال قوم من أصحابنا ينزل و إن هذا النوع من التصرف لا يستفاد إلا من جهة الإمام ولا يقوم به غيره و إذا ثبت أن أسامة قد بطلت ولايته لم تبق تبعه على أبي بكر فى الرجوع من بعض الطريق إلى المدينة. وخامسها أن أمير المؤمنين ولى أبا موسى الحكم وولى رسول الله ص خالد بن الوليد السرية إلى الغميصاء و هذا الكلام إنما ذكره قاضى القضاة تنمته لقوله إن أمره ع بنفوذ بعث أسامة كان مشروطا بالمصلحة قال كما أن توليته ع أبا موسى كانت مشروطة باتباع القرآن و كما أن تولية رسول الله ص خالد بن الوليد كانت مشروطة بأن يعمل بما أوصاه به فخالفا و لم يعملوا الحق فإذا كانت هذه الأوامر مشروطة فكذلك أمره جيش أسامة بالنفوذ كان مشروطا بالمصلحة و ألا يعرض ما يقتضى رجوع الجيش أو بعضه إلى المدينة و قد سبق القول فى كون الأمر مشروطا. و سادسها أن أبا بكر كان محتاجا إلى مقام عمر عنده ليعاضده و يقوم فى تمهيد أمر الإمامة ما لا يقوم به غيره فكان ذلك أصلح فى باب الدين من مسيره مع الجيش فجاز أن يحبسه عنده لذلك و هذا الوجه مختص بمن قال إن أبا بكر لم يكن فى الجيش و إيضاح عذره فى حبس عمر عن النفوذ مع الجيش . [صفحہ ۱۹۲] فأما قول المرتضى فإن ذلك غير جائز لأن مخالفة النص حرام فقد قلنا إن هذا مبنى على مسألة تخصيص العمومات الواردة فى القرآن بالقياس . و أما قوله أى حاجة كانت لأبى بكر إلى عمر بعد وقوع البيعة و لم يكن هناك تنازع و لا اختلاف فعجيب و هل كان لو لا مقام عمر و حضوره فى تلك المقامات يتم لأبى بكر أمر أو ينتظم له حال و لو لا عمر لما بايع على و لا الزبير و لا أكثر الأنصار و الأمر فى هذا أظهر من كل ظاهر. و سابعها أن من يصلح للإمامة ممن ضمه جيش أسامة يجب تأخرهم ليختار للإمامة أحدهم فإن ذلك أهم من نفوذهم فإذا جاز لهذه العلة التأخر قبل العقد جاز التأخر بعده للمعاضدة و غيرها. فأما قول المرتضى إن ذلك الجيش لم يضم من يصلح للإمامة فبناء على مذهبه فى أن كل من ليس بمعصوم لا يصلح للإمامة فأما قوله و لو صح ذلك لم يكن عذرا فى التأخر لأن من خرج فى الجيش يمكن أن يختار و لو كان بعيدا و لا يمكن بعده من صحة الاختيار فلقال أن يقول دار الهجرة هى التى فيها أهل الحل والعقد و أقارب رسول الله ص و القراء و أصحاب السقيفة فلا يجوز العدول عن الاجتماع و المشاورة فيها إلى الاختيار على البعد و على جناح السفر من غير مشاركة من ذكرنا من أعيان المسلمين. فأما قوله و لو صح هذا العقد لكان عذرا فى التأخر قبل العقد فأما بعد إبرامه فلا عذر فيه فلقال أن يقول إذا أجزت التأخر قبل العقد لنوع من المصلحة فأجز التأخر بعد العقد لنوع آخر من المصلحة و هو المعاضدة و المساعدة. [صفحہ ۱۹۳] هذه الوجوه السبعة كلها لبيان قوله تأخر أبى بكر أو عمر عن النفوذ فى جيش أسامة و إن كان مأمورا بالنفوذ. ثم نعود إلى تمام أقسام الفصل و منها قول قاضى القضاة ل معنى لقول من قال إن رسول الله ص قصد إبعادهم عن المدينة لأن بعدهم عنها لا يمنعهم من أن يختاروا واحدا منهم للإمامة و لأنه ع لم يكن قاطعا على موته لا محالة لأنه لم يرد نفذوا جيش أسامة فى حياته . و قد اعترض المرتضى هذا فقال إنه لم يتبين معنى الطعن لأن الطاعن لا يقول إنهم أبعدها عن المدينة كى لا يختاروا واحدا للإمامة بل يقول إنما أبعدها لينتصب بعدموته ص فى المدينة الشخص الذى نص عليه و لا يكون حاضرا بالمدينة من يخالفه و ينازعه و ليس يضرنا ألا يكون ص قاطعا على موته لأنه و إن لم يكن قاطعا فهو لا محالة يشفق و يخاف من الموت و على الخائف أن يتحرز مما يخاف منه و كلام المرتضى فى هذا الموضوع أظهر من كلام قاضى القضاة. و منها قول قاضى القضاة إن ولاية أسامة عليهما لا تقتضى كونهما دونه فى الفضل كما أن عمرو بن العاص لما ولى عليهما لم يقتض كونه أفضل منهما و قد اعترض المرتضى هذا بأنه يقبح تقديم المفضل على الفاضل فيما هو أفضل منه و إن تقديم عمرو بن العاص عليهما فى الإمرة يقتضى أن يكون أفضل منهما فيما يرجع إلى الإمرة و السياسة و لا يقتضى أفضليته عليهما فى غير ذلك و كذلك القول فى أسامة. [صفحہ ۱۹۴] ولقال أن يقول إن الملوك قديومرون الأمراء على الجيوش لوجهين أحدهما أن يقصد الملك بتأخير ذلك الشخص أن يسوس الجيش ويدبره بفضل رأيه و شيخوخته و تقديم

تجربته و ما عرف من يمن نقيته في الحرب وقود العساكر والثاني أن يؤمر على الجيش غلاما حدثا من غلمانه أو من ولده أو من أهله ويأمر الأكابر من الجيش أن يثقوه ويعلموه ويأمره أن يتدبر بتدبيرهم ويرجع إلى رأيهم و يكون قصد الملك من ذلك تخريج ذلك الغلام وتمينه على الإمارة و أن يثبت له في نفوس الناس منزلته و أن يرشحه لجلائل الأمور ومعظم الشئون ففي الوجه الأول يقبح تقديم المفضول على الفاضل و في الوجه الثاني لا يقبح فلم لا يجوز أن يكون تأمير أسامة عليهما من قبيل الوجه الثاني والحال يشهد لذلك لأن أسامة كان غلاما لم يبلغ ثمانى عشره سنه حين قبض النبي ص فمن أين حصل له من تجربه الحرب وممارسه الوقائع وقود الجيش ما يكون به أعرف بالإمره من أبى بكر وعمر و أبى عبيده وسعد بن أبى وقاص وغيرهم . ومنها قول قاضى القضاة إن السبب فى كون عمر فى الجيش أنه أنكر على عبد الله بن عياش بن أبى ربيعه تسخطه إمره أسامة و قال أنا أخرج فى جيش أسامة فخرج من تلقاء نفسه تعظيما لأمر رسول الله ص و قد اعترضه المرتضى فقال هذا شىء لم نسمعه من راو و لا قرأناه فى كتاب و صدق المرتضى فيما قال فإن هذا حديث غريب لا يعرف . و أما قول عمر دعنى أضرب عنقه فقد نافق فمنقول مشهور لا محاله وإنما الغريب الذى لم يعرف كون عمر خرج من تلقاء نفسه فى الجيش مراغمه لعبد الله بن عياش بن أبى ربيعه حيث أنكروا ما أنكروا ولعل قاضى القضاة سمعه من راو أو نقله من كتاب إلا أننا نحن ما وقفنا على ذلك [صفحہ ۱۹۵]

الطعن الخامس

قالوا إنه ص لم يول أبابكر الأعمال وولى غيره و لما ولاه الحج بالناس وقراءة سورة براءة على الناس عزله عن ذلك كله وجعل الأمر إلى أمير المؤمنين ع و قال لا يؤدى عنى إلا أنا أو رجل منى -روایت ۱- ۲-روایت ۸- ۴۲ حتى يرجع أبوبكر إلى النبي ص .أجاب قاضى القضاة فقال لو سلمنا أنه لم يوله لمادل ذلك على نقص و لا على أنه لم يصلح للإمارة والإمامه بل لوقيل إنه لم يوله لحاجته إليه بحضرته و إن ذلك رفعة له لكان أقرب لاسيما و قدروى عنه ما يدل على أنهما وزيراه و أنه كان ص محتاجا إليهما و إلى رأيهما فلذلك لم يولهما و لو كان للعمل على تركه فضل لكان عمرو بن العاص و خالد بن الوليد وغيرهما أفضل من أكابر الصحابة لأنه ع ولاهما و قد مهما و قد قدمنا أن توليته هى بحسب الصلاح و قد يولى المفضول على الفاضل تارة والفاضل أخرى وربما ولى الواحد لاستغنائاه عنه بحضرته وربما ولاه لاتصال بينه و بين من يولى عليه إلى غير ذلك ثم ادعى أنه ولى أبابكر على الموسم والحج قد ثبتت بلا خلاف بين أهل الأخبار و لم يصح أنه عزله و لا يدل رجوع أبى بكر إلى النبي ص مستفهما عن القصه على العزل ثم جعل إنكار من أنكروا حج أبى بكر فى تلك السنه بالناس كإنكار عباد وطبقته أخذ أمير المؤمنين ع سورة براءة من أبى بكر وحكى عن أبى على أن المعنى كان فى أخذ السورة من أبى بكر أن من عادة العرب أن سيدا من سادات قبائلهم إذا عقد عقد القوم فإن ذلك العقد لا ينحل إلا أن يحله هو أو بعض سادات قومه فلما كان هذا عادتهم وأراد النبي ص أن ينبذ إليهم عقدهم وينقض ما كان بينه وبينهم علم [صفحہ ۱۹۶] أنه لا ينحل ذلك إلا به أو بسيد من سادات رهطه فعدل عن أبى بكر إلى أمير المؤمنين المقرب فى النسب ثم ادعى أنه ص ولى أبابكر فى مرضه الصلاة و ذلك أشرف الولايات و قال فى ذلك يابى الله ورسوله والمسلمون إلا أبابكر. ثم اعترض نفسه بصلاته ع خلف عبدالرحمن بن عوف وأجاب بأنه ص إنما صلى خلفه لا أنه ولاه الصلاة و قدمه فيها قال وإنما قدم عبدالرحمن عند غيبه النبي ص فصلى بغير أمره و قد ضاق الوقت فجاء النبي ص فصلى خلفه .اعترض المرتضى فقال قد بينا أن تركه ص الولاية لبعض أصحابه مع حضوره وإمكان ولايته والعدول عنه إلى غيره مع تطاول الزمان وامتداده لا بد من أن تقتضى غلبه الظن بأنه لا يصلح للولاية فأما ادعاؤه أنه لم يوله لافتقاره إليه بحضرته وحاجته إلى تدبيره ورأيه فقد بينا أنه ع ما كان يفتقر إلى رأى أحد لكماله ورجحانه على كل أحد وإنما

كان يشاور أصحابه على سبيل التعليم لهم والتأديب أولغير ذلك مما قد ذكر و بعد فكيف استمرت هذه الحاجة واتصلت منه إليهما حتى لم يستغن في زمان من الأزمان عن حضورهما فيوليها وهل هذا إلا قدح في رأى رسول الله ص ونسبته إلى أنه كان ممن يحتاج إلى أن يلحق ويوقف على كل شىء و قد نزهه الله تعالى عن ذلك فأما ادعاؤه أن الرواية قد وردت بأنهما وزيراه فقد كان يجب أن يصحح ذلك قبل أن يعتمده ويحتج به فإننا ندفعه عنه أشد دفع فأما ولاية عمرو بن العاص و خالد بن الوليد فقد تكلمنا عليها من قبل وبيننا أن ولايتهما تدل على صلاحهما لما ولياه و لا تدل على صلاحهما للإمامة لأن شرائط الإمامة لم تتكامل فيهما وبيننا أيضا لأن ولاية المفضل على الفاضل لا تجوز فأما تعظيمه [صفحة ١٩٧] وإكباره قول من يذهب إلى أن أبا بكر عزل عن أداء السورة والموسم جميعا وجمعه بين ذلك في البعد و بين إنكار عباد أن يكون أمير المؤمنين ع ارتجع سورة براءة من أبى بكر فأول ما فيه أنا لا ننكر أن يكون أكثر الأخبار واردة بأن أبا بكر حج بالناس في تلك السنة إلا أنه قد روى قوم من أصحابنا خلاف ذلك و أن أمير المؤمنين ع كان أميرالموسم في تلك السنة و أن عزل الرجل كان عن الأمرين معا واستكبار ذلك و فيه خلاف لا معنى له فأما ما حكاه عن عباد فإننا لانعرفه و مانظن أحدا يذهب إلى مثله و ليس يمكنه بإزاء ذلك جحد مذهب أصحابنا الذى حكيناها و ليس عباد لو صحت الرواية عنه بإزاء من ذكرناه فهو ملئء بالجهالات و دفع الضرورات و بعد فلو سلمنا أن ولاية الموسم لم تفسخ لكان الكلام باقيا لأنه إذا كان ماولى مع تطاول الزمان إلا هذه الولاية ثم سلب شرطها والأفخم الأعمم منها فليس ذلك إلا تنبيهها على ما ذكرناه. فأما ما حكاه عن أبى على من أن عادة العرب ألا يحل ماعقده الرئيس منهم إلا هو أو المتقدم من رهطه فمعاذ الله أن يجرى النبى ص سنته وأحكامه على عادات الجاهلية و قد بين ع لمارجع إليه أبو بكر يسأله عن أخذ السورة منه الحال فقال إنه أوحى إلى ألا- يؤدى عنى إلا- أنا أو رجل منى -رواية-١-٢-رواية-٩-٦٠ و لم يذكر مادعاه أبو على على أن هذه العادة قد كان يعرفها النبى ص قبل بعثه بأبى بكر بسورة براءة فما باله لم يعتمدها فى الابتداء و يبعث من يجوز أن يحل عقده من قومه. فأما ادعاؤه ولاية أبى بكر الصلاة فقد ذكرنا فيما تقدم أنه لم يوله إياها فأما فصله بين صلاته خلف عبدالرحمن و بين صلاة أبى بكر بالناس فليس بشىء لأننا إذا كنا قد دللنا على أن الرسول ص ما قدم أبابكر إلى الصلاة فقد [صفحة ١٩٨] استوى الأمران و بعد فأى فرق بين أن يصلى خلفه و بين أن يوليه ويقدمه ونحن نعلم أن صلاته خلفه إقرار لولايته ورضا بهافقد عاد الأمر إلى أن عبدالرحمن كأنه قد صلى بأمره وإذنه على أن قصة عبدالرحمن أوكد لأنه قد اعترف بأن الرسول صلى خلفه و لم يصل خلف أبى بكر و إن ذهب كثير من الناس إلى أنه قدمه وأمر بالصلاة قبل خروجه إلى المسجد وتحامله . ثم سأل المرتضى رحمه الله نفسه فقال إن قيل ليس يخلو النبى ص من أن يكون سلم فى الابتداء سورة براءة إلى أبى بكر بأمر الله أو باجتهاده ورأيه فإن كان بأمر الله تعالى فكيف يجوز أن يرتجع منه السورة قبل وقت الأداء وعندكم أنه لا يجوز نسخ الشىء قبل تقضى وقت فعله و إن كان باجتهاده ص فعندكم أنه لا يجوز أن يجتهد فيما يجرى هذا المجرى . وأجاب فقال إنه ما سلم السورة إلى أبى بكر إلا بإذنه تعالى إلا أنه لم يأمره بأدائها و لا كلفه قراءتها على أهل الموسم لأن أحدا لم يمكنه أن ينقل ع فى ذلك لفظ الأمر والتكليف فكأنه سلم سورة براءة إليه لتقرأ على أهل الموسم و لم يصرح بذكر القارئ المبلغ لها فى الحال و لو نقل عنه تصريح لجاز أن يكون مشروطا بشرط لم يظهر. فإن قيل فأى فائدة فى دفع السورة إلى أبى بكر و هو لا يريد أن يؤديها ثم ارتجاعها منه وهلا- دفعت فى الابتداء إلى أمير المؤمنين ع. قيل الفائدة فى ذلك ظهور فضل أمير المؤمنين ع ومرتبته و أن الرجل الذى نزع السورة عنه لا يصلح لما يصلح له و هذا غرض قوى فى وقوع الأمر على ما وقع عليه [صفحة ١٩٩] قلت قد ذكرنا فيما تقدم القول فى تولية الملك بعض أصحابه وترك تولية بعضهم وكيفىة الحال فى ذلك على أنه قد روى أصحاب المغازى أنه أمر أبابكر فى شعبان من سنة سبع على سرية بعثها إلى نجد فلقوا جمعا من هوازن فبيتوهم فروى إياس بن سلمة عن أبيه قال كنت فى ذلك البعث فقتلت بيدى سبعة منهم و كان شعارنا أمت أمت و قتل من أصحاب النبى ص قوم و جرح أبو بكر

وارتث وعاد إلى المدينة على أن أمراء السرايا الذين كان يعيظهم ص كانوا قوما مشهورين بالشجاعة ولقاء الحروب كمحمد بن مسلمة و أبي دجانه وزيد بن حارثة ونحوهم و لم يكن أبو بكر مشهورا بالشجاعة ولقاء الحروب و لم يكن جبانا ولا خوارا وإنما كان رجلا مجتمع القلب عاقلا ذا رأى وحسن تدبير و كان رسول الله ص يترك بعثه في السرايا لأن غيره أنفع منه فيها و لا يدل ذلك على أنه لا يصلح للإمامة و أن الإمامة لا تحتاج أن يكون صاحبها من المشهورين بالشجاعة وإنما يحتاج إلى ثبات القلب و إلا يكون هلعاً طائر الجنان وكيف يقول المرتضى إنه ص لم يكن محتاجاً إلى رأى أحد و قد نقل الناس كلهم رجوعه من رأى إلى رأى عند المشورة نحو ماجرى يوم بدر من تغير المنزل لما أشار عليه الحباب بن المنذر ونحو ماجرى يوم الخندق من فسوخ رأيه في دفع ثلث تمر المدينة إلى عيينة بن حصن ليرجع بالأحزاب عنهم لأجل ما رآه سعد بن معاذ وسعد بن عباد من الحرب والعدول عن الصلح ونحو ماجرى في تلقيح النخل بالمدينة و غير ذلك فأما ولاية أبي بكر الموسم فأكثر الأخبار على ذلك و لم يرو عذله عن الموسم إلا قوم من الشيعة. [صفحة ٢٠٠] و أما ما أنكره المرتضى من حال عباد بن سليمان ودفعه أن يكون على أخذ براءة من أبي بكر واستغرابه ذلك عجب فإن قول عباد قد ذهب إليه كثير من الناس ورووا أن رسول الله ص لم يدفع براءة إلى أبي بكر و أنه بعد أن نفذ أبو بكر بالحجيج أتبعه عليا ومعه تسع آيات من براءة و قد أمره أن يقرأها على الناس ويؤذنها بنقض العهد وقطع الدنية فانصرف أبو بكر إلى رسول الله ص فأعاده على الحجيج و قال له أنت الأمير و على المبلغ فإنه لا يبلغ عنى إلا- أنا أو رجل منى و لم ينكر عباد أمر براءة بالكلية وإنما أنكر أن يكون النبي ص دفعها إلى أبي بكر ثم انتزعها منه وطائفه عظيمه من المحدثين يروون ما ذكرناه و إن كان الأكثر الأظهر أنه دفعها إليه ثم أتبعه بعلى ع فانتزعها منه والمقصود أن المرتضى قد تعجب مما لا يتعجب من مثله فظن أن عباداً أنكر حديث براءة بالكلية و قد وقفت أنا على ما ذكره عباد في هذه القضية في كتابه المعروف بكتاب الأبواب و هو الكتاب الذى نقضه شيخنا أبو هاشم فأما عذر شيخنا أبي على و قوله إن عادة العرب ذلك واعتراض المرتضى عليه فالذى قاله المرتضى أصح وأظهر و مانسب إلى عادة العرب غير معروف وإنما هو تأويل تأول به متعصبو أبي بكر لا انتزاع براءة منه و ليس بشيء و لست أقول ما قاله المرتضى من أن غرض رسول الله ص إظهار أن أبا بكر لا يصلح للأداء عنه بل أقول فعل ذلك لمصلحة رآها ولعل السبب في ذلك أن علياً ع من بنى عبد مناف وهم جمره قريش بمكة و على أيضاً شجاع لا يقيم له و قد حصل في صدور قريش منه الهيبة الشديدة والمخافة العظيمة فإذا حصل مثل هذا الشجاع البطل وحوله من بنى عمه وهم أهل العزة والقوة والحمية [صفحة ٢٠١] كان أدعى إلى نجاته من قريش وسلامه نفسه وبلوغ الغرض من نبذ العهد على يده ألا ترى أن رسول الله ص في عمرة الحديبية بعث عثمان بن عفان إلى مكة يطلب منهم الإذن له فى الدخول وإنما بعثه لأنه من بنى عبد مناف و لم يكن بنو عبد مناف و خصوصاً بنى عبد شمس ليتمكنوا من قتله ولذلك حمله بنو سعيد بن العاص على بعير يوم دخل مكة وأحدقوا به مستلثمين بالسلاح وقالوا له أقبل وأدبر و لا تخف أحدا بنو سعيد أعزة الحرم و أما القول فى تولية رسول الله ص أبا بكر الصلاة فقد تقدم و مارامه قاضى القضاء من الفرق بين صلاة أبي بكر بالناس وصلاة عبد الرحمن بهم مع كون رسول الله ص صلى خلفه ضعيف وكلام المرتضى أقوى منه فأما السؤال الذى سألته المرتضى من نفسه فقوى والجواب الصحيح أن بعث براءة مع أبي بكر كان باجتهاد من الرسول ص و لم يكن عن وحى و لا من جملة الشرائع التى تتلقى عن جبرائيل ع فلم يقبح نسخ ذلك قبل تقضى وقت فعله وجواب المرتضى ليس بقوى لأنه من البعيد أن يسلم سورة براءة إلى أبي بكر و لا يقال له ماذا تصنع بهابل يقال خذ هذه معك لا غير والقول بأن الكلام مشروط بشرط لم يظهر خلاف الظاهر وفتح هذا الباب يفسد كثيرا من القواعد.

أن أبا بكر لم يكن يعرف الفقه وأحكام الشريعة فقد قال في الكلاله أقول [صفحة ٢٠٢] فيها برأى فإن يكن صوابا فمن الله و إن يكن خطأ فمنى و لم يعرف ميراث الجد و من حاله هذه لا يصلح للإمامة. أجاب قاضى القضاة بأن الإمام لا يجب أن يعلم جميع الأحكام و أن القدر الذى يحتاج إليه هو القدر الذى يحتاج إليه الحاكم و أن القول بالرأى هو الواجب فيما لانص فيه و قد قال أمير المؤمنين ع بالرأى فى مسائل كثيرة. اعترض المرتضى فقال قد دللنا على أن الإمام لا بد أن يكون عالما بجميع الشرعيات و فرقا بينه و بين الحاكم و دللنا على فساد الرأى والاجتهاد و أما أمير المؤمنين ع فلم يقل قط بالرأى و ما يروى من خبر بيع أمهات الأولاد غير صحيح و لوصح لجواز أن يكون أراد بالرأى الرجوع إلى النصوص والأدلة و لاشبهه عندنا أن قوله كان واحدا فى الحالىن و إن ظهر فى أحدهما خلاف مذهبه للتقية. قلت هذا الطعن مبنى على أمرين أحدهما هل من شرط الإمامة أن يعلم الإمام كل الأحكام الشرعية أم لا و هذا مذكور فى كتبنا الكلامية والثانى هو القول فى الاجتهاد والرأى حق أم لا و هذا مذكور فى كتبنا الأصولية.

الطعن السابع

قصة خالد بن الوليد وقتله مالك بن نويرة ومضاجعته امرأته من ليلته و أن أبا بكر [صفحة ٢٠٣] ترك إقامة الحد عليه وزعم أنه سيف من سيوف الله سله الله على أعدائه مع أن الله تعالى قد أوجب القود وحد الزناء عموما و أن عمر نبهه و قال له اقتله فإنه قتل مسلما. أجاب قاضى القضاة فقال إن شيخنا أبا على قال إن الردة ظهرت من مالك بن نويرة لأنه جاء فى الأخبار أنه رد صدقات قومه عليهم لما بلغه موت رسول الله ص كما فعله سائر أهل الردة فاستحق القتل فإن قال قائل فقد كان يصلى قيل له وكذلك سائر أهل الردة وإنما كفروا بالامتناع من الزكاة واعتقادهم إسقاط وجوبها دون غيره فإن قيل فلم أنكر عمر قيل كان الأمر إلى أبى بكر فلاوجه لإنكار عمر و قد يجوز أن يعلم أبو بكر من الحال ما يخفى على عمر فإن قيل فما معنى ما روى عن أبى بكر من أن خالدًا تأول فأخطأ قيل أراد عجلته عليه بالقتل و قد كان الواجب عنده على خالد أن يتوقف للشبهة واستدل أبو على على رده بأن أخاه متمم بن نويرة لما أنشد عمر مرثيته أخاه قال له وددت أنى أقول الشعر فأرثى أخى زيدا بمثل ما رثيت به أخاك فقال متمم لو قتل أخى على مثل ما قتل عليه أخوك ما رثيته فقال عمر ما عزانى أحد بمثل تعزيتك فدل هذا على أن مالك لم يقتل على الإسلام كما قتل زيد. وأجاب عن تزويج خالد بامرأته بأنه إذا قتل على الردة فى دار الكفر جاز تزويج امرأته عند كثير من أهل العلم و إن كان لا يجوز أن يطأها إلا - بعد الاستبراء. وحكى عن أبى على أنه إنما قتله لأنه ذكر رسول الله ص فقال صاحبك وأوهم بذلك أنه ليس بصاحب له و كان عنده أن ذلك رده وعلم عند المشاهدة [صفحة ٢٠٤] المقصد و هو أمير القوم فجواز أن يقتله و إن كان الأولى ألا يستعجل و أن يكشف الأمر فى رده حتى يتضح فلماذا لم يقتله أبو بكر به فأما وطؤه لامرأته فلم يثبت فلا يصح أن يجعل طعنا فيه اعترض المرتضى فقال أما منع خالد فى قتل مالك بن نويرة واستباحة امرأته وأمواله لنسبته إياه إلى ردة لم تظهر منه بل كان الظاهر خلافها من الإسلام فعظيم ويجرى مجراه فى العظم تغافل من تغافل عن أمره و لم يقيم فيه حكم الله تعالى وأقره على الخطأ الذى شهد هو به على نفسه ويجرى مجراه من أمكنه أن يعلم الحال فأهملها و لم يتصفح ما روى من الأخبار فى هذا الباب وتعصب لأسلافه ومذهبه وكيف يجوز عند خصومنا على مالك وأصحابه جحد الزكاة مع المقام على الصلاة وهما جميعا فى قرن لأن العلم الضرورى بأنهما من دينه ع و شريعته على حد واحد وهل نسبة مالك إلى الردة مع ما ذكرناه لإقده فى الأصول ونقض لما تضمنته من أن الزكاة معلومة ضرورة من دينه ع وأعجب من كل عجب قوله وكذلك سائر أهل الردة يعنى أنهم كانوا يصلون ويجحدون الزكاة لأننا قدينا أن ذلك مستحيل غير ممكن وكيف يصح ذلك و قد روى جميع أهل النقل أن أبا بكر لما وصى الجيش الذين أنفذهم بأن يؤذنوا ويقيموا فإن أذن القوم كأذانهم وإقامتهم كفوا عنهم و إن

لم يفعلوا أغاروا عليهم فجعل أماره الإسلام والبراءة من الردة الأذان والإقامة وكيف يطلق في سائر أهل الردة ما أطلقه من أنهم كانوا يصلون وقد علمنا أن أصحاب مسيلمه وطليحة وغيرهما ممن كان ادعى النبوة وخلع الشريعة ما كانوا يرون الصلاة ولا شيئا مما جاءت به شريعتنا وقصة مالك معروفة عند من تأمل كتب السير والنقل لأنه كان على صدقات قومه بنى [صفحة ٢٠٥] يربوع واليا من قبل رسول الله ص ولما بلغته وفاة رسول الله ص أمسك عن أخذ الصدقة من قومه وقال لهم تربصوا بها حتى يقوم قائم بعد النبي ص وننظر ما يكون من أمره وقد صرح بذلك في شعره حيث يقول وقال رجال سدد اليوم مالك || وقال رجال مالك لم يسدد فقلت دعوني لا- أبالأيكم || فلم أخط رأيا في المقام ولا الندى وقلت خذوا أموالكم غير خائف || ولاناظر فيما يجيء به غدى فدونكموها إنما هي مالكم || مصورة أخلاقها لم تجدد سأجعل نفسى دون ماتحذرونه || وأرهنكم يوما بما قلته يدى فإن قام بالأمر المجدد قائم || أطعنا وقلنا الدين دين محمد .فصرح كما ترى أنه استبقى الصدقة فى أيدي قومه رفقا بهم وتقربا إليهم إلى أن يقوم بالأمر من يدفع ذلك إليه و قدروى جماعة من أهل السير وذكره الطبرى فى تاريخه أن مالكا نهى قومه عن الاجتماع على منع الصدقات وفرقهم وقال يابنى يربوع إنا كنا قد عصينا أمراءنا إذ دعونا إلى هذا الدين وبطأنا الناس عنه فلم نفلح و لم ننجح وأنى قد نظرت فى هذا الأمر فوجدت الأمر يتأتى لهؤلاء القوم بغير سياسة و إذا أمر لايسوسه الناس فأياكم ومعاداة قوم يصنع لهم فتفرقوا على ذلك إلى أموالهم ورجع مالك إلى منزله فلما قدم خالد البطاح بث السرايا وأمرهم بداعية الإسلام و أن يأتوه بكل من لم يجب وأمرهم إن امتنع أن يقاتلوه فجاءته الخيل بمالك بن نويرة فى نفر من بنى يربوع واختلف السرية فى أمرهم وفى السرية أبوقتادة الحارث بن ربيع فكان ممن شهد أنهم أذنوا وأقاموا وصلوا فلما اختلفوا فيهم [صفحة ٢٠٦] أمر بهم خالد فحبسوا وكانت ليلة باردة لايقوم لها شىء فأمر خالد مناديا ينادى أدفنوا أسراءكم فظنوا أنهم أمروا بقتلهم لأن هذه اللفظة تستعمل فى لغة كنانة للقتل فقتل ضرار بن الأزور مالكا وتزوج خالد زوجته أم تميم بنت المنهال . وفى خبر آخر أن السرية التى بعث بها خالد لما غشيت القوم تحت الليل راعوهم فأخذ القوم السلاح قال فقلنا إنا المسلمون فقالوا ونحن المسلمون قلنا فما بال السلاح معكم قلنا فضعوا السلاح فلما وضعوا السلاح ربطوا أسارى فأتوا بهم خالدا فحدث أبوقتادة خالد بن الوليد أن القوم نادوا بالإسلام و أن لهم أمانا فلم يلتفت خالد إلى قولهم وأمر بقتلهم وقسم سييهم وحلف أبوقتادة ألا يسير تحت لواء خالد فى جيش أبدا وركب فرسه شادا إلى أبى بكر فأخبره الخبر وقال له إنى نهيت خالدا عن قتله فلم يقبل قولى وأخذ بشهادة الأعراب الذين غرضهم الغنائم و أن عمر لما سمع ذلك تكلم فيه عند أبى بكر فأكثر وقال إن القصاص قد وجب عليه و لما أقبل خالد بن الوليد قافلا دخل المسجد و عليه قباء له عليه صدا الحديد معتجرا بعمامة له قد غرز فى عمامته أسهما فلما دخل المسجد قام إليه عمر فترع الأسهم عن رأسه فحطمها ثم قال له ياعدو نفسه أعدوت على امرئ مسلم فقتلته ثم نزوت على امرأته و الله لنرجمنك بأحجارك وخالد لا يكلمه ولا يظن إلا أن رأى أبى بكر مثل رأيه حتى دخل إلى أبى بكر واعتذر إليه بعذره وتجاوز عنه فخرج خالد وعمر جالس فى المسجد فقال هلم إلى يا ابن أم شملة فعرف عمر أن أبابكر قد رضى عنه فلم يكلمه ودخل بيته . و قدروى أيضا أن عمر لماولى جمع من عشيرة مالك بن نويرة من وجد منهم [صفحة ٢٠٧] واسترجع ما وجد عند المسلمين من أموالهم وأولادهم ونسائهم فرد ذلك عليهم جميعا مع نصيبه كان منهم وقيل إنه ارتجع بعض نسائهم من نواحي دمشق وبعضهن حوامل فردهن على أزواجهن فالأمر ظاهر فى خطأ خالد وخطأ من تجاوز عنه وقول صاحب الكتاب إنه يجوز أن يخفى عن عمر ما يظهر لأبى بكر ليس بشىء لأن الأمر فى قصة خالد لم يكن مشتبه بل كان مشاهدا معلوما لكل من حضره و ماتأول به فى القتل لا يعذر لأجله و مارأينا أبابكر حكم فيه بحكم المتأول و لاغيره و لا تلافى خطأه وزلل و كونه سيفا من سيوف الله على مادعا لا يسقط عنه الأحكام ويبرئه من الآثام و أماقول متمم لوقتل أخى على ماقتل عليه أخوك لمارثيته لايدل على أنه كان مرتدا فكيف يظن عاقل أن متمما يعترف برده أخيه و هو يطالب أبابكر بدمه والاقتصاص من قاتليه ورد سيبه و أنه أراد فى

الجملة التقرب إلى عمر بتقريظ أخيه ثم لو كان ظاهر هذا القول كباطنه لكان إنما يقصد تفضيل قتله زيد على قتله مالك والحال في ذلك أظهر لأن زيدا قتل في بعث المسلمين ذابا عن وجوههم ومالك قتل على شبهة و بين الأمرين فرق . و أما قوله في النبي ص صاحبك فقد قال أهل العلم إنه أراد القرشية لأن خالدا قرشي و بعد فليس في ظاهر إضافته إليه دلالة على نفيه له عن نفسه و لو كان علم من مقصده الاستخفاف والإهانة على ماداعاه صاحب الكتاب لوجب أن يعتذر خالد بذلك عند أبي بكر وعمر ويعتذر به أبو بكر لمطالبه عمر بقتله فإن عمر ما كان يمنع من قتل قاذح في نبوة النبي ص و إن كان الأمر على ذلك فأى معنى لقول أبي بكر تأول فأخطأ وإنما تأول فأصاب إن كان الأمر على ما ذكر [صفحة ٢٠٨] قلت أما تعجب المرتضى من كون قوم منعوا الزكاة وأقاموا على الصلاة ودعواه أن هذا غير ممكن و لا صحيح فالعجب منه كيف ينكر وقوع ذلك وكيف ينكر إمكانه أما الإمكان فلأنه لا ملازمة بين العبادتين إلا- من كونهما مقترنتين في بعض المواضع في القرآن و ذلك لا يوجب تلازمهما في الوجود أو من قوله إن الناس يعلمون كون الزكاة واجبة في دين الإسلام ضرورة كَمَا تَعْلَمُونَ كَوْنَ الصَّلَاةِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ ضَرُورَةً وَ هَذَا لَا يَمْنَعُ اعْتِقَادَهُمْ سَقُوطَ وَجوبِ الزَّكَاةِ لِشِبْهَةِ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ فَإِنَّهُمْ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِرَسُولِهِ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَكِّيهِمْ بِهَا وَ صَلَّى عَلَيْهِمْ إِنَّ صَيِّلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ قَالُوا فَوَصَفَ الصَّدَقَةَ الْمَفْرُوضَةَ بِأَنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْ شَأْنِهَا أَنْ يَطْهَرَ رَسُولَ اللَّهِ ص النَّاسَ وَيُزَكِّيَهُمْ بِأَخْذِهَا مِنْهُمْ ثُمَّ عَقِبَ ذَلِكَ بِأَنْ فَرَضَ عَلَيْهِ مَعَ أَخْذِ الزَّكَاةِ مِنْهُمْ أَنْ يَصَلِيَ عَلَيْهِمْ صَلَاةٌ تَكُونُ سَكَنًا لَهُمْ قَالُوا وَ هَذِهِ الصِّفَاتُ لَا تَتَحَقَّقُ فِي غَيْرِهِ لِأَنَّ غَيْرَهُ لَا يَطْهَرُ النَّاسَ وَيُزَكِّيَهُمْ بِأَخْذِ الصَّدَقَةِ وَ لَا إِذْصَلَى عَلَى النَّاسِ كَانَتْ صَلَاتُهُ سَكَنًا لَهُمْ فَلَمْ يَجِبْ عَلَيْنَا دَفْعُ الزَّكَاةِ إِلَى غَيْرِهِ وَ هَذِهِ الشَّبْهَةُ لَا تَنَافِي كَوْنَ الزَّكَاةِ مَعْلُومًا وَجوبِهَا ضَرُورَةً مِنْ دِينِ مُحَمَّدٍ ص لِأَنَّهَا مَا جَحَدُوا وَجوبِهَا وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا إِنَّهُ وَجوبِ مَشْرُوطٌ وَ لَيْسَ يَعْلَمُ بِالضَّرُورَةِ انْتِفَاءُ كَوْنِهَا مَشْرُوطَةً وَإِنَّمَا يَعْلَمُ ذَلِكَ بِنَظَرٍ وَتَأْوِيلٍ فَقَدْ بَانَ أَنَّ مَادَاعَاهُ مِنَ الضَّرُورَةِ لَيْسَ بِدَالٍ عَلَى أَنَّهُ لَا يَمْكُنُ أَحَدُ اعْتِقَادِ نَفْيِ وَجوبِ الزَّكَاةِ بَعْدَ مَوْتِ الرَّسُولِ وَ لَوْ عَرَضَتْ مِثْلُ هَذِهِ الشَّبْهَةِ فِي صَلَاةٍ لَصَحَّ لِذَاهِبِ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أَنَّهَا قَدْ سَقَطَتْ عَنِ النَّاسِ فَأَمَّا الْوَقُوعُ فَهُوَ الْمَعْلُومُ ضَرُورَةً بِالتَّوَاتُرِ كَالْعِلْمِ بِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَلى الْخِلَافَةَ بَعْدَ الرَّسُولِ ص ضَرُورَةً بِطَرِيقِ التَّوَاتُرِ وَ مِنْ أَرَادَ الْوُقُوفَ عَلَى ذَلِكَ فَلْيَنْظُرْ فِي كِتَابِ التَّوَارِيخِ -قِرآن- ٥٠٦-٦٠٧ [صفحة ٢٠٩] فإنها تشتمل من ذلك على ما يشفى ويكفى و قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في التاريخ الكبير بإسناد ذكره أن أبا بكر أقام بالمدينة بعد وفاة رسول الله ص وتوجهه أسامة في جيشه إلى حيث قتل أبوه زيد بن حارثة لم يحدث شيئا وجاءته وفود العرب مرتدين يقرون بالصلاة ويمنعون الصدقة فلم يقبل منهم ورددهم وأقام حتى قدم أسامة بعد أربعين يوما من شخوصه ويقال بعد سبعين يوما. وروى أبو جعفر قال امتنعت العرب قاطبة من أداء الزكاة بعد رسول الله ص إلا قريشا وثقيفا. وروى أبو جعفر عن السري عن شعيب عن سيف عن هشام بن عروة عن أبيه قال ارتدت العرب ومنعت الزكاة إلا قريشا وثقيفا فأما هوازن فقدمت رجلا- وأخرت أخرى أمسكوا الصدقة. وروى أبو جعفر قال لما منعت العرب الزكاة كان أبو بكر ينتظر قدوم أسامة بالجيش فلم يحارب أحدا قبل قدومه إلا عسبا وذيبيان فإنه قاتلهم قبل رجوع أسامة. وروى أبو جعفر قال قدمت وفود من قبائل العرب المدينة فنزلوا على وجوه الناس بها ويحملونهم إلى أبي بكر أن يقيموا الصلاة وألا يؤتوا الزكاة فعزم الله لأبي بكر على الحق و قال لومنعوني عقال بغير لجاهدتهم عليه . وروى أبو جعفر شعرا للخطيل بن أوس أخي الحطيئة في معنى منع الزكاة و أن [صفحة ٢١٠] أبا بكر رد سؤال العرب و لم يجبهم من جملة أطعنا رسول الله إذا كان بيننا || فإيا لعباد الله مالا أبي بكر أيورها بكر إذامات بعده || وتلك لعمر الله قاصمة الظهر فهلا رددتم وفدنا بإجابة || وهلا حسبتم منه راعية البكر فإن الذي سألوكم فمنعتم || لكالتمر أو أحلى لحلف بني فهر . وروى أبو جعفر قال لما قدمت العرب المدينة على أبي بكر فكلموه في إسقاط الزكاة نزلوا على وجوه الناس بالمدينة فلم يبق أحد إلا وأنزل عليه ناسا منهم إلا العباس بن عبدالمطلب ثم اجتمع إلى أبي بكر المسلمون فخوفوه بأس العرب واجتماعها قال ضرار بن الأزور فما رأيت أحدا ليس رسول الله أملاً بحرب

شعواء من أبي بكر فجعلنا نخوفه ونروعه وكأنما إنما نخبره بما له لا ما عليه واجتمعت كلمة المسلمين على إجابة العرب إلى ماطلبت وأبي أبوبكر أن يفعل إلا- ما كان يفعله رسول الله ص و أن يأخذ إلا- ما كان يأخذ ثم أجلهم يوماً وليلته ثم أمرهم بالانصراف وطاروا إلى عشائرتهم . وروى أبو جعفر قال كان رسول الله ص بعث عمرو بن العاص إلى عمان قبل موته فمات و هو بعمان فأقبل قافلاً إلى المدينة فوجد العرب قد منعت الزكاة فنزل في بني عامر على قره بن هبيرة وقره يقدم رجلاً ويؤخر أخرى وعلى ذلك بنو عامر كلهم إلا الخواص ثم قدم المدينة فأطافت به قريش فأخبرهم أن العساكر معسكرة حولهم فتفرق المسلمون وتحلقوا حلقتهم وأقبل عمر بن الخطاب فمر بحلقة [صفحة ٢١١] وهم يتحدثون فيما سمعوا من عمرو و في تلك الحلقة على عثمان وطلحة والزبير و عبد الرحمن بن عوف وسعد فلما دنا عمر منهم سكتوا فقال في أي شيء أنتم فلم يخبروه فقال ما أعلمني بالذي خلوتم عليه فغضب طلحة وقال الله يا ابن الخطاب إنك لتعلم الغيب فقال لا أعلم الغيب إلا الله ولكن أظن قلتم ما أخوفنا على قريش من العرب وأخلفهم ألا يقولوا بهذا الأمر قالوا صدقت فقال فلا تخافوا هذه المنزلة أنا والله منكم على العرب أخوف مني عليكم من العرب . قال أبو جعفر وحدثني السري قال حدثنا شبيب عن سيف عن هشام بن عروة عن أبيه قال نزل عمرو بن العاص بمنصرفه من عمان بعد وفاة رسول الله ص بقره بن هبيرة بن سلمة بن يسير وحوله عساكر من أفنائهم فذبح له وأكرم منزلته فلما أراد الرحلة خلا به وقال يا هذا إن العرب لا تطيب لكم أنفساً بالآثاء فإن أنتم أعفيتموها من أخذ أموالها فستسمع وتطيع وإن أبيتم فإنها تجتمع عليكم فقال عمرو أتوعدنا بالعرب وتخوفنا بهاموعدنا حفش أمك أما والله لأوطئه عليك الخيل وقدم على أبي بكر والمسلمين فأخبرهم . وروى أبو جعفر قال كان رسول الله ص قد فرق عماله في بني تميم على قبض الصدقات فجعل الزبيران بن بدر على عوف والرباب وقيس بن عاصم على مقاعس والبطون وصفوان بن صفوان وسيرة بن عمرو على بني عمرو ومالك بن نويرة على بني حنظلة فلما توفي رسول الله ص ضرب صفوان إلى أبي بكر حين وقع إليه الخبر بموت النبي ص بصدقات بني عمرو وبما ولي منها وما ولي سيرة وأقام سيرة في قومه لحدث إن ناب وأطرق قيس بن عاصم ينظر ما الزبيران صانع فكان له عدوا وقال وهو ينتظره و ينتظر ما يصنع ويلي عليه ما أدري ما أصنع إن أنا [صفحة ٢١٢] بايعت أبا بكر وأتيت بصدقات قومي خلفني فيهم فساءني عندهم و إن رددتها عليهم فليأتين أبا بكر فيسوءني عنده ثم عزم قيس على قسمتها في مقاعس والبطون ففعل وعزم الزبيران على الوفاء فاتبع صفوان بصدقات عوف والرباب حتى قدم بها المدينة وقال شعرا يعرض فيه بقيس بن عاصم و من جملته وفيت بأذواد الرسول وقدأبت || سعاة فلم يردد بعيرا أميرها . فلما أرسل أبوبكر إلى قيس العلاء بن الحضرمي أخرج الصدقة فأتاه بها وقدم معه إلى المدينة . وفي تاريخ أبي جعفر الطبري من هذا الكثير الواسع وكذلك في تاريخ غيره من التواريخ وهذا أمر معلوم باضطرار لا يجوز لأحد أن يخالف فيه فأما قوله كيف يصح ذلك وقد قال لهم أبوبكر إذا أذنوا وأقاموا كإقامتكم فكفوا عنهم فجعل أمانة الإسلام والبراءة من الردة الأذان والإقامة فإنه قد أسقط بعض الخبر قال أبو جعفر الطبري في كتابه كانت وصيته لهم إذا نزلتم فأذنوا وأقيموا فإن أذن القوم وأقاموا فكفوا عنهم فإن لم يفعلوا فلا شيء إلا الغارة ثم اقتلواهم كل قتله الحرق فما سواه وإن أجابوا داعية الإسلام فأسألوهم فإن أقروا بالزكاة فاقبلوا منهم وإن أبوا فلا شيء إلا الغارة ولا كلمة . فأما قوله وكيف يطلق قاضي القضاة في سائر أهل الردة ما أطلقه من أنهم كانوا يصلون و من جملتهم أصحاب مسيلمة وطلحة وإنما أراد قاضي القضاة بأهل الردة ها هنا مانعي الزكاة لا غير و لم يرد من جحد الإسلام بالكلية . فأما قصة مالك بن نويرة وخالد بن الوليد فإنها مشتبهة عندي ولا غرو فقد اشتهدت على الصحابة و ذلك أن من حضرها من العرب اختلفوا في حال القوم هل كان [صفحة ٢١٣] عليهم شعار الإسلام أو لا واختلف أبوبكر وعمر في خالد مع شدة اتفاقهما فأما الشعر الذي رواه المرتضى لمالك بن نويرة فهو معروف إلا البيت الأخير فإنه غير معروف و عليه عمدة المرتضى في هذا المقام و ما ذكره بعد من قصة القوم صحيح كله مطابق لما في التواريخ إلا مويضعات يسيرة . منها قوله إن مالكا نهى قومه عن الاجتماع على

منع الصدقات فإن ذلك غير منقول وإنما المنقول أنه نهى قومه عن الاجتماع فى موضع واحد وأمرهم أن يتفرقوا فى مياهمم ذكر ذلك الطبرى و لم يذكر نهيه إياهم عن الاجتماع على منع الصدقة و قال الطبرى إن مالكا تردد فى أمره هل يحمل الصدقات أم لافجاءه خالد و هو متحير سبح . ومنها أن الطبرى ذكر أن ضرار بن الأزور قتل مالكا عن غير أمر خالد و أن خالدًا لماسم الواعية خرج و قد فرغوا منهم فقال إذا أراد الله أمرا أصابه قال الطبرى و غضب أبو قتادة لذلك و قال لخالد هذا عملك و فارقه و أتى أبابكر فأخبره فغضب عليه أبوبكر حتى كلمه فيه عمر فلم يرض إلا- أن يرجع إلى خالد فرجع إليه حتى قدم معه المدينة. ومنها أن الطبرى روى أن خالدًا لماتزوج أم تميم بنت المنهال امرأة مالك لم يدخل بها و تركها حتى تقضى طهرها و لم يذكر المرتضى ذلك . ومنها أن الطبرى روى أن متمما لما قدم المدينة طلب إلى أبى بكر فى سبيهم فكتب له برد السبى و المرتضى ذكر أنه لم يرد إلا- فى خلافة عمر. فأما قول المرتضى إن قول متمم لوقتل أخى على مثل ما قتل عليه أخوك لمارثيته [صفحة ٢١٤] لا يدل على رده فصحيح و لا ريب أنه قصد تقريظ زيد بن الخطاب و أن يرضى عمر أخاه بذلك و نعمًا قال المرتضى إن بين القتلين فرقا ظاهرا و إليه أشار متمم لا محالة. فأما قول مالك صاحبك يعنى النبى ص فقد روى هذه اللفظة الطبرى فى التاريخ قال كان خالد يعتذر عن قتله فيقول إنه قال له و هو يرجعه ما إخال صاحبكم إلا قال كذا وكذا فقال له خالد أو ماتعه لك صاحبًا و هذه لعمرى كلمة جافية و إن كان لها مخرج فى التأويل إلا أنه مستكره و قرائن الأحوال يعرفها من شاهدها و سمعها فإذا كان خالد قد كان يعتذر بذلك فقد اندفع قول المرتضى هلا اعتذر بذلك و لست أنزه خالدًا عن الخطأ و أعلم أنه كان جبارًا فاتكا لا يراقب الدين فيما يحمله عليه الغضب و هو نفسة و لقد وقع منه فى حياة رسول الله ص مع بنى خزيمة بالغميصاء أعظم مما وقع منه فى حق مالك بن نويرة و عفا عنه رسول الله ص بعد أن غضب عليه مدة و أعرض عنه و ذلك العفو هو الذى أطمعه حتى فعل بينى يربوع ما فعل بالبطح .

الطعن الثامن

قولهم إن مما يؤثر فى حاله و حال عمر دفنهما مع رسول الله ص فى بيته و قد منع الله تعالى الكل من ذلك فى حال حياته فكيف بعد الممات بقوله تعالى لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم. أجاب قاضى القضاة بأن الموضع كان ملكا لعائشة و هى حجرتها التى كانت -قرآن- ١٥٥-٢٠٧ [صفحة ٢١٥] معروفة بها و الحبر كلها كانت أملاكا لأزواج النبى ص و قد نطق القرآن بذلك فى قوله وَ قَرْنَ فى بُيُوتِكُنَّ و ذكر أن عمر استأذن عائشة فى أن يدفن فى ذلك الموضع و حتى قال إن لم تأذن لى فادفونى فى البقيع و على هذا الوجه يحمل ما -قرآن- ٨٨-١١١ روى عن الحسن ع أنه لم يأمأ أن يدفن إلى جنب رسول الله ص و إن لم يترك فى البقيع -رواية- ١-٢-رواية- ٢١-١٠٢ فلما كان من مروان و سعيد بن العاص ما كان دفن بالبقيع وإنما أوصى بذلك بإذن عائشة و يجوز أن يكون علم من عائشة أنها جعلت الموضع فى حكم الوقف فاستباحوا ذلك لهذا الوجه قال و فى دفنه ع فى ذلك الموضع ما يدل على فضل أبى بكر لأنه ع لم يأمأ أن يدفن فى موضع دفنه و كثر القول حتى روى أبوبكر عنه ص أنه قال ما يدل على أن الأنبياء إذا ماتوا دفنوا حيث ماتوا فزال الخلاف فى ذلك. اعترض المرتضى فقال لا يخلو موضع قبر النبى ص من أن يكون باقيا على ملكه ع أو يكون انتقل فى حياته إلى عائشة على ما ادعاه فإن كان الأول لم يخل أن يكون ميراثا بعده أو صدقة فإن كان ميراثا فما كان يحل لأبى بكر و لالعمر من بعده أن يأمر بدفنهما فيه إلا بعد إرضاء الورثة الذين هم على مذهبا فاطمة و جماعة الأزواج و على مذهبهم هؤلاء و العباس و لم نجد واحدا منهما خاطب أحدا من هؤلاء الورثة على ابتياع هذا المكان و لاستتله عنه بثمان و لا غيره و إن كان صدقة فقد كان يجب أن يرضى عنه جماعة المسلمين و يتاعه منهم هذا إن جاز الابتىاع لما جرى هذا المجرى و إن كان انتقل فى حياته فقد كان يجب أن يظهر سبب انتقاله و الحجته فيه فإن فاطمة ع لم

يقنع منها في انتقال فدك إلى ملكها بقولها و لا بشهادة من [صفحہ ۲۱۶] شهد لها فأما تعلقه بإضافة البيوت إليهن في قوله وَ قَرَنَ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ضَعِيفِ الشَّبْهِ لَأَنَا قَدِيمِنَا فِيمَا مَضَى مِنْ هَذَا الْكِتَابِ أَنَّ هَذِهِ الْإِضَافَةُ لَا تَقْتَضِي الْمَلِكِ وَإِنَّمَا تَقْتَضِي السَّكْنِي وَالْعَادَةَ فِي اسْتِعْمَالِ هَذِهِ اللَّفْظَةِ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ ظَاهِرَةٌ قَالَ تَعَالَى لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَمْ يَرِدِ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا حَيْثُ يَسْكُنُ وَيَنْزِلُ دُونَ حَيْثُ يَمْلِكُنَّ وَمَا شَبَّهَهُ وَأُظْرَفَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ تَقَدَّمَ قَوْلُهُ إِنَّ الْحَسَنَ عَ اسْتَأْذَنَ عَائِشَةَ فِي أَنْ يَدْفِنَ فِي الْبَيْتِ حَتَّى مَنَعَهُ مِرْوَانَ وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ لِأَنَّ هَذِهِ مَكَابِرُهُ مِنْهُ ظَاهِرَةٌ فَإِنَّ الْمَانِعَ لِلْحَسَنِ عَ مِنْ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا عَائِشَةُ وَلَعَلَّ مِنْ ذِكْرِهِ مِنْ مِرْوَانَ وَسَعِيدَ وَغَيْرِهِمَا أَعَانَهَا وَاتَّبَعَ فِي ذَلِكَ أَمْرَهُمَا وَرَوَى أَنَّهَا خَرَجَتْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَلَى بَغْلٍ حَتَّى قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَوْمًا عَلَى بَغْلٍ وَيَوْمًا عَلَى جَمَلٍ فَكَيْفَ تَأْذَنُ عَائِشَةُ فِي ذَلِكَ وَهِيَ مَالِكَةُ الْمَوْضِعِ عَلَى قَوْلِهِمْ وَيَمْنَعُ مِنْهُ مِرْوَانَ وَغَيْرَهُ مِمَّنْ لَمْ يَمْلِكْ لَهُ فِي الْمَوْضِعِ وَلَا شَرِكَةَ وَلَا يَدَ وَهَذَا مِنْ قَبِيحِ مَا يَرْتَكِبُ وَ أَى فَضْلٍ لِأَبِي بَكْرٍ فِي رِوَايَتِهِ عَنِ النَّبِيِّ صَ حَدِيثِ الدَّفْنِ وَعَمَلُهُمْ بِقَوْلِهِ إِنْ صَحَّ فَمِنْ مَذْهَبِ صَاحِبِ الْكِتَابِ وَأَصْحَابِهِ الْعَمَلُ بِخَبَرِ الْوَاحِدِ الْعَدْلُ فِي أَحْكَامِ الدِّينِ الْعَظِيمَةِ فَكَيْفَ لَا يَعْمَلُ بِقَوْلِ أَبِي بَكْرٍ فِي الدَّفْنِ وَهُمْ يَعْمَلُونَ بِقَوْلِ مَنْ هُوَ دُونَهُ فِيمَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ قُلْتُ أَمَا أَبُو بَكْرٍ فَإِنَّهُ لَا يَلْحَقُهُ بِدَفْنِهِ مَعَ الرَّسُولِ صَ ذِمٌّ لِأَنَّهُ مَا دَفَنَ نَفْسَهُ وَإِنَّمَا دَفَنَهُ النَّاسَ وَ هُوَ مَيِّتٌ فَإِنَّ كَانَ ذَلِكَ خَطَأً فَالْإِثْمُ وَالذَّمُّ لِأَحْقَانِ بِمَنْ فَعَلَ بِهِ ذَلِكَ وَ لَمْ يَثْبُتْ عَنْهُ بِأَنَّهُ أَوْصَى أَنْ يَدْفِنَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَ وَإِنَّمَا قَدِيمِكُنَّ أَنْ يَتَوَجَّهَ هَذَا الطَّعْنُ إِلَى عَمْرِ لِأَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ أَنْ يَدْفِنَ فِي الْحَجْرَةِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَ وَ أَبِي بَكْرٍ وَالْقَوْلُ عِنْدِي مُشْتَبِهٌ فِي أَمْرِ حَجْرِ الْأَزْوَاجِ - قرآن- ۵۲-۷۵- قرآن- ۲۴۵-۲۷۵ [صفحہ ۲۱۷] هَلْ كَانَتْ عَلَى مَلِكِ رَسُولِ اللَّهِ صَ إِلَى أَنْ تَوَفَّى أُمَّ مَلِكِهَا نِسَاؤُهُ وَ الَّذِي تَنْطِقُ بِهِ التَّوَارِيخُ أَنَّهُ لَمَّا خَرَجَ مِنْ قَبَاءٍ وَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ وَ سَكَنَ مَنْزِلَ أَبِي أَيُّوبَ اخْتَطَّ الْمَسْجِدَ وَ اخْتَطَّ حَجْرَ نِسَائِهِ وَ بَنَاتِهِ وَ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ الْمَالِكُ لِلْمَوَاضِعِ وَ أَمَا خُرُوجُهَا عَنْ مَلِكِهِ إِلَى الْأَزْوَاجِ وَ الْبَنَاتِ فَمِمَّا لَمْ أَقْفَ عَلَيْهِ وَ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الصَّحَابَةُ قَد فَهَمَّتْ مِنْ قَرَائِنِ الْأَحْوَالِ وَ مِمَّا شَاهَدُوهُ مِنْهُ عَ أَنَّهُ قَدْ أَقْرَبَ كُلَّ بَيْتٍ مِنْهَا فِي يَدِ زَوْجَةٍ مِنَ الزَّوْجَاتِ عَلَى سَبِيلِ الْهَبَةِ وَالْعَطِيَّةِ وَ إِنْ لَمْ يَنْقَلِ عَنْهُ فِي ذَلِكَ صِغَةً لَفْظٌ مَعِينٌ وَالْقَوْلُ فِي بَيْتِ فَاطِمَةَ عَ كَذَلِكَ لِأَنَّ فَاطِمَةَ عَ لَمْ تَكُنْ تَمْلِكُ مَالًا وَ عَلَى عَ بَعْلِهَا كَانَ فَقِيرًا فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَ حَتَّى أَنَّهُ كَانَ يَسْتَقِي الْمَاءَ لِيَهُودَ بِيَدِهِ يَسْقِي بِسَاتِنِهِمْ لِقَوْلِ يَدْفَعُونَهُ إِلَيْهِ فَمَنْ أَيْنَ كَانَ لَهُ مَا يَتَتَاعُ بِهِ حَجْرَةً يَسْكُنُ فِيهَا هُوَ وَ زَوْجَتُهُ وَ الْقَوْلُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الزَّوْجَاتِ كَذَلِكَ أَنَّهُنَّ كُنَّ فَقِيرَاتٍ مَدْفَعَاتٍ نَحْوَ صَفِيَّةَ بِنْتِ حَبِيبِ بْنِ أَخْطَبٍ وَ جَوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ وَ مَيْمُونَةَ وَ غَيْرَهُنَّ فَلَا وَجْهَ يُمْكِنُ أَنْ يَتَمْلِكَنَّ مِنْهُ هُوَ لِأَنَّ النِّسَاءَ وَ الْبَنَاتِ الْحَجْرَةَ إِلَّا- أَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ صَ وَ هَبَهَا لَهُنَّ هَذَا إِنْ ثَبِتَ أَنَّهَا خَرَجَتْ عَنْ مَلَكَتِيهِ عَ وَ إِلَّا فَهِيَ بَاقِيَةٌ عَلَى مَلَكَتِيهِ بِاسْتِصْحَابِ الْحَالِ وَالْقَوْلُ فِي حَجْرَةِ زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ أَقْدَمَهَا مِنْ مَكَّةَ مَفَارِقَةً لِبَعْلِهَا أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ فَأَسْكَنَهَا بِالْمَدِينَةِ فِي حَجْرَةٍ مَفْرَدَةٍ خَالِيَةٍ عَنْ بَعْلِهَا فَلَا يَدُلُّ أَنَّ تَكُونَ تِلْكَ الْحَجْرَةُ بِمَقْتَضَى مَا يَتَغَلَّبُ عَلَى الظَّنِّ مَلِكًا لَهُ عَ فَيَسْتَدَامُ الْحَكْمَ بِمَلَكَتِيهَا إِلَى أَنْ نَجِدَ دَلِيلًا يَنْقُلُنَا عَنْ ذَلِكَ وَ أَمَارِقِيَّةَ وَ أُمَّ كَلْثُومَ زَوْجَتَا عَثْمَانَ فَإِنَّ كَانَ مَثْرِيًا ذَا مَالٍ فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ابْتِنَاعَ حَجْرَةٍ سَكَنَتْ فِيهَا الْأُولَى مِنْهُمَا ثُمَّ الثَّانِيَةَ بَعْدَهَا. [صفحہ ۲۱۸] فَأَمَّا احْتِجَاجُ قَاضِيِ الْقَضَاةِ بِقَوْلِهِ وَ قَرَنَ فِي بُيُوتِكُنَّ فَاعْتَرَا ضَ الْمَرْتَضَى عَلَيْهِ قَوْلِي لِأَنَّ هَذِهِ الْإِضَافَةَ إِنَّمَا تَقْتَضِي التَّخْصِيصَ فَقَطْ لَا التَّمْلِيكَ كَمَا قَالَ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَبُو بَكْرٍ لِمَارْوِي قَوْلُهُ نَحْنُ لَا نُوْرَثُ تَرَكَ الْحَجْرَةَ فِي أَيِّدِي الزَّوْجَاتِ وَ الْبَنَاتِ عَلَى سَبِيلِ الْإِقْطَاعِ لَهُنَّ لَا التَّمْلِيكَ أَى أَبَاحَهُنَّ السَّكْنِي لِأَنَّ التَّنَصُّرَ فِي رِقَابِ الْأَرْضِ وَ الْأَبْنِيَّةِ وَ الْآلَاتِ لِمَارْوِي فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَصْلُحَةِ لِأَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُتَهَجَّنِ الْقَبِيحِ إِخْرَاجَهُنَّ مِنَ الْبُيُوتِ وَ لَيْسَ كَذَلِكَ فَدَكَ فَإِنَّهَا قَرِيبَةٌ كَبِيرَةٌ ذَاتُ نَخْلٍ كَثِيرٍ خَارِجَةٌ عَنِ الْمَدِينَةِ وَ لَمْ تَكُنْ فَاطِمَةُ مَتَصَرِّفَةً فِيهَا مِنْ قَبْلِ نَفْسِهَا وَ لَا بُوْكَيْلِهَا وَ لَا رَأْتَهَا قَطْ فَلَا تَشْبَهُ حَالَهَا حَالِ الْحَجْرِ وَ أَيْضًا لِإِبَاحَةِ هَذِهِ الْحَجْرِ وَ نَزَارَةِ أَثْمَانِهِنَّ فَإِنَّهَا كَانَتْ مَبْنِيَّةً مِنْ طِينٍ قَصِيرَةٍ الْجَدْرَانِ فَلَعَلَّ أَبَابِكْرَ وَ الصَّحَابَةَ اسْتَحَقَرُّوْهَا فَأَقْرَوُا النَّسَاءَ فِيهَا وَ عَوَّضُوا الْمُسْلِمِينَ عَنْهَا بِالشَّيْءِ الْيَسِيرِ مِمَّا يَقْتَضِي الْحِسَابَ أَنْ يَكُونَ مِنْ سَهْمِ الْأَزْوَاجِ وَ الْبَنَاتِ عِنْدَ قِسْمَةِ الْفَيْءِ. وَ أَمَا الْقَوْلُ فِي الْحَسَنِ وَ مَا جَرَى مِنْ عَائِشَةَ وَ بَنِي أُمِّيَّةَ فَقَدْ تَقَدَّمَ وَ كَذَلِكَ الْقَوْلُ

فى الخبر المروى فى دفن الرسول ع فكان أبوالمظفر هبة الله بن الموسى صدر المخزن المعمور كان فى أيام الناصر لدين الله إذأحدثته حديث وفاة رسول الله ص ورواية أبى بكر مارواه من -قرآن- ٣٣-٥٦-قرآن-١٤٦-١٧٦ قوله ع الأنبياء يدفنون حيث يموتون -رواية- ١-٢-رواية-١٢-٤٢ يحلف أن أبابكر افتعل هذا الحديث فى الحال والوقت ليدفن النبى ص فى حجرة ابنته ثم يدفن هومعه عندموته علما منه أنه لم يبق من عمره إلا مثل ظمء الحمار وأنه إذادفن النبى ص فى حجرة ابنته فإن ابنته تدفنه لامحالة فى حجرتها عندبعلها وإن دفن النبى ص فى موضع [صفحة ٢١٩] آخر فربما لايتهاى له أن يدفن عنده فرأى أن هذا الفوز بهذا الشرف العظيم وهذا المكان الجليل مما لا يقتضى حسن التدبير فوته وإن انتهاز الفرصة فيه واجب فروى لهم الخبر فلا يمكنهم بعدروايتهم ألا يعملوا به لاسيما و قد صار هو الخليفة وإليه السلطان والنفع والضرر وأدرك ما كان فى نفسه ثم نسج عمر على منواله فرغب إلى عائشة فى مثل ذلك وقد كان يكرمها ويقدمها على سائر الزوجات فى العطاء وغيره فأجابته إلى ذلك وكان مطاعا فى حياته وبعدماته وكان يقول وا عجا للحسن وطمعه فى أن يدفن فى حجرة عائشة والله لو كان أبوه الخليفة يومئذ لماتهاى له ذلك ولا تم لبغض عائشة لهم وحسد الناس إياهم وتمالؤ بنى أمية وغيرهم من قريش عليهم ولهذا قالوا يدفن عثمان فى حش كوكب ويدفن الحسن فى حجرة رسول الله ص فكيف والخليفة معاوية والأمراء بالمدينة بنو أمية وعائشة صاحبة الموضع والناصر لبنى هاشم قليل والشانى كثير. وأنا أستغفر الله مما كان أبوالمظفر يحلف عليه وأعلم وأظن ظنا شبيها بالعلم أن أبابكر ماروى إلا ماسمع وأنه كان أتقى لله من ذلك .

الطعن التاسع

قولهم إنه نص على عمر بالخلافة فخالف رسول الله ص على زعمه لأنه كان يزعم هو ومن قال بقوله أن رسول الله ص لم يستخلف . [صفحة ٢٢٠] والجواب أن كونه لم يستخلف لا يدل على تحريم الاستخلاف كما أنه من لم يركب الفيل لا يدل على تحريم ركوب الفيل فإن قالوا ركوب الفيل فيه منفعة ولا مضرة فيه ولم يرد نص بتحريمه فوجب أن يحسن قيل لهم والاستخلاف مصلحة ولا مضرة فيه وقد أجمع المسلمون أنه طريق إلى الإمامة فوجب كونه طريقا إليها وقد روى عن عمر أنه قال إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منى يعنى أبابكر وإن أترك فقد ترك من هو خير منى يعنى رسول الله ص -رواية- ١-٢-رواية- ٢٠-١٢٨ فأما الاجتماع المشار إليه فهو أن الصحابة أجمعوا على أن عمر إمام بنص أبى بكر عليه وأنفذوا أحكامه وانقادوا إليه لأجل نص أبى بكر لالشىء سواه فلو لم يكن ذلك طريقا إلى الإمامة لما أطبقوا عليه وقد اختلف الشيخان أبو على وأبو هاشم فى أن نص الإمام على إمام بعده هل يكفى فى انعقاد إمامته فقال أبو على لا يكفى بل لابد من أن يرضى به أربعة حتى يجرى عهده إليه مجرى عقد الواحد برضا أربعة فإذا قرأه رضا أربعة صار بذلك إماما ويقول فى بيعه عمر أن أبابكر أحضر جماعة من الصحابة لمانص عليه ورجع إلى رضاهم بذلك وقال أبو هاشم بل يكفى نصه ع ولا يراعى فى ذلك رضا غيره به ولو ثبت أن أبابكر فعله لكان على طريق التبع للنص لا أنه يؤثر فى إمامته مع العهد ولعل أبابكر إن كان فعل ذلك فقد استطاب به نفوسهم ولهذا لم يؤثر فيه كراهية طلحة حين قال وليت علينا فظا غليظا ويبين ذلك أنه لم ينقل استئناف العقد من الصحابة لعمر بعد موت أبى بكر ولا اجتماع جماعة لعقد البيعة له والرضا به فدل على أنهم اكتفوا بعهد أبى بكر إليه [صفحة ٢٢١]

الطعن العاشر

قولهم إنه سمي نفسه بخليفة رسول الله ص لاستخلافه إياه بعدموته مع اعترافه أنه لم يستخلفه . والجواب أن الصحابة سمته خليفة

رسول الله ص لاستخلافه إياه على الصلاة عند موته والاستخلاف على الصلاة عند الموت له مزية على الاستخلاف على الصلاة حال الحياة لأن حال الموت هي الحال التي تكون فيها العهود والوصايا وما يهتم به الإنسان من أمور الدنيا والدين لأنها حال المفارقة وأيضا فإن رسول الله ص ما استخلف أحدا على الصلاة بالمدينة و هو حاضر وإنما كان يستخلف على الصلاة قوما أيام غيبته عن المدينة فلم يحصل الاستخلاف المطلق على الصلاة بالناس كلهم و هو ص حاضر بين الناس حتى إلا أبي بكر و هذه مزية ظاهرة على سائر الاستخلافات في أمر الصلاة فلذلك سموه خليفة رسول الله ص و بعد فإذا ثبت أن الإجماع على كون الاختيار طريقا إلى الإمامة و حجة و ثبت أن قوما من أفضل الصحابة اختاروه للخلافة فقد ثبت أنه خليفة رسول الله ص لأنه لا فرق بين أن ينص الرسول ص على شخص معين و بين أن يشير إلى قوم فيقول من اختار هؤلاء القوم فهو الإمام في أن كل واحد منهما يصح أن يطلق عليه خليفة رسول الله ص . [صفحہ ۲۲۲]

الطعن الحادي عشر

قولهم إنه حرق الفجاءة السلمى بالنار و قد نهى النبي ص أن يحرق أحد بالنار. والجواب أن الفجاءة جاء إلى أبي بكر كما ذكر أصحاب التواريخ فطلب منه سلاحا يتقوى به على الجهاد في أهل الردة فأعطاه فلما خرج قطع الطريق ونهب أموال المسلمين و أهل الردة جميعا وقتل كل من وجد كما فعلت الخوارج حيث خرجت فلما ظفر به أبو بكر رأى حرقه بالنار إرهابا لأمثاله من أهل الفساد ويجوز للإمام أن يخص النص العام بالقياس الجلى عندنا.

الطعن الثاني عشر

قولهم إنه تكلم في الصلاة قبل التسليم فقال لا يفعلن خالد ما أمرته قالوا ولذلك جاز عند أبي حنيفة أن يخرج الإنسان من الصلاة بالكلام وغيره من مفسدات الصلاة من دون تسليم وبهذا احتج أبو حنيفة. والجواب أن هذا من الأخبار التي تتفرد بها الإمامية و لم تثبت و أما أبو حنيفة فلم يذهب إلى ما ذهب إليه لأجل هذا الحديث وإنما احتج بأن التسليم خطاب آدمي و ليس هو من الصلاة و أذكارها و لا- من أركانها بل هو ضدها ولذلك يبطلها قبل التمام ولذلك لا يسلم المسبوق تبعا لسلام الإمام بل يقوم من غير تسليم فدل على أنه ضد للصلاة و جميع الأضداد بالنسبة إلى رفع الضد على وتيرة واحدة ولذلك استوى الكل في [صفحہ ۲۲۳] الإبطال قبل التمام فيستوى الكل في الانتهاء بعد التمام و ما يذكره القوم من سبب كلام أبي بكر في الصلاة أمر بعيد و لو كان أبو بكر يريد ذلك لأمر خالد أن يفعل ذلك الفعل بالشخص المعروف و هو نائم ليلا في بيته و لا يعلم أحد من الفاعل .

الطعن الثالث عشر

قولهم إنه كتب إلى خالد بن الوليد و هو على الشام يأمره أن يقتل سعد بن عبادة فكمّن له هو و آخر معه ليلا فلما مر بهما رمياه فقتلاه و هتف صاحب خالد في ظلام الليل بعد أن ألقيا سعدا في بئر هناك فيهما ماء بيتين نحن قتلنا سيد الخزرج || سعد بن عبادة و رميناه بسهمين || فلم تخط فؤاده . يوهم أن ذلك شعر الجن و أن الجن قتلت سعدا فلما أصبح الناس فقدوا سعدا و قد سمع قوم منهم ذلك الهاتف فطلبوه فوجدوه بعد ثلاثة أيام في تلك البئر و قد اخضر فقالوا هذا ميسيس الجن و قال شيطان الطاق لسائل سأله مامنع عليا أن يخاصم أبا بكر في الخلافة فقال يا ابن أخي خاف أن تقتله الجن . والجواب أما أنا فلا أعتقد أن الجن قتلت سعدا و لا أن هذا شعر الجن و لا أرتاب أن البشر قتلوه و أن هذا الشعر شعر البشر ولكن لم يثبت عندى أن أبا بكر أمر خالد و لا أستبعد أن يكون فعله من تلقاء نفسه ليرضى بذلك أبا بكر وحاشاه فيكون الإثم على [صفحہ ۲۲۴] خالد و أبو بكر

برىء من إثمه و ما ذلك من أفعال خالد بعيد.

الطعن الرابع عشر

قولهم إنه لما استخلف قطع لنفسه على بيت المال أجرة كل يوم ثلاثة دراهم قالوا و ذلك لا يجوز لأن مصارف أموال بيت المسلمين لم يذكر فيها أجرة للإمام . والجواب أنه تعالى جعل في جملة مصرف أموال الصدقات العاملين عليها و أبو بكر من العاملين و اعلم أن الإمامية لو أنصفت لرأت أن هذا الطعن بأن يكون من مناقب أبي بكر أولى من أن يكون من مساويه و مثالبه ولكن العصبية لاحيلة فيها.

الطعن الخامس عشر

قولهم إنه لما استخلف صرخ مناديه في المدينة من كان عنده شيء من كلام الله فليأتنا به فإننا عازمون على جمع القرآن و لا يأتنا بشيء منه إلا و معه شاهدا عدل قالوا و هذا خطأ لأن القرآن قد بان بفصاحته عن فصاحة البشر فأى حاجة إلى شاهدى عدل . و الجواب أن المرتضى و من تابعه من الشيعة لا يصح لهم هذا الطعن لأن القرآن عندهم ليس معجزا بفصاحته على أن من جعل معجزته للفصاحة لم يقل إن كل آية من القرآن هى معجزة فى الفصاحة و أبو بكر إنما طلب كل آية من القرآن لا السورة بتمامها و كمالها التى يتحقق الإعجاز من طريق الفصاحة فيها و أيضا فإنه لو أ حضر إنسان آية أو آيتين و لم يكن معه شاهد فربما تختلف العرب هل هذه فى الفصاحة بالغة [صفحہ ۲۲۵] مبلغ الإعجاز الكلى أم هى ثابتة من كلام العرب بثبوتها غير بالغة إلى حد الإعجاز فكان يلتبس الأمر و يقع النزاع فاستظهر أبو بكر بطلب الشهود تأكيدا لأنه إذا انضمت الشهادة إلى الفصاحة الظاهرة ثبت أن ذلك الكلام من القرآن و من هذا الكتاب إني و الله لو لقيتكم واحداً و هم طلائع الأرض كلها ما باليت و لا استوحشت و إني من ضلالهم الذي هم فيه و الهدى الذي أنا عليه لعلى بصيرة من نفسي و يقين من ربي و إني إلى لقاء الله لمشتاق و لحسن ثوابه لمنتظر راج و لكنني آسى أن يلي هذه الأمة سيفهاؤها و فجارها فيتخذوا مال الله دولا و عبادة خولا و الصالحين حربا و الفاسقين حزبا فإن منهم الذي شرب فيكم الحرام و جلد حداً فى الإسلام و إن منهم من لم يسلم حتى رخصت له على الإسلام الرضاخ فلو لما ذلك ما أكثرت تأليبكم و تآيينكم و جمعكم و تحريضكم و لتركتكم إذ أبيتم و ونيتم أ لا ترون إلى أطرافكم قد انتقصت و إلى أمصاركم قد افتتحت و إلى ممالككم تزوى و إلى بلادكم تغزى انغروا رحمكم الله إلى قتال عدوكم و لا تشاقلوا إلى الأرض فتقروا بالخسف و تبوءوا بالذل و يكون نصيبكم الأخص و إن أ خا الحرب الأرق و من نام لم يثم عنه و السلام [صفحہ ۲۲۶] طلائع الأرض ملؤها و منه قول عمر لو أن لى طلاع الأرض ذهباً لافتديت به من هول المطلع . و آسى أ حزن . و أكثرت تأليبكم تحريضكم و إغراءكم به و التآيب أشد اللوم . و ونيتم ضعفتم و فترتم و ممالكم تزوى أى تقبض . و لا تشاقلوا بالتشديد أصله تتشاقلوا و تقروا بالخسف تعترفوا بالضميم و تصبروا له و تبوءوا بالذل ترجعوا به و الأرق الذي لا ينام و مثل قوله ع من نام لم ينم عنه قول الشاعر لله درك ما أردت بثائر || حران ليس عن الترات براقد أسهرته ثم اضطجعت و لم ينم || حنقا عليك و كيف نوم الحاقد . فأما الذي رخصت له على الإسلام الرضاخ فمعاوية و الرضاخه شىء قليل يعطاه الإنسان يصانع به عن شىء يطلب منه كالأجر و ذلك لأنه من المؤلفه قلوبهم الذين رغبوا فى الإسلام و الطاعة بجمال و شاء دفعت إليهم و هم قوم معروفون كمعاوية و أخيه يزيد و أبيهما أبى سفيان و حكيم بن حزام و سهيل بن عمرو و الحارث بن هشام بن المغيرة و حويطب بن عبد العزى و الأخص بن شريق و صفوان بن أمية و عمير بن وهب الجمحي و عيينة بن حصن و الأقرع بن حابس و عباس بن مرداس و غيرهم و كان إسلام هؤلاء للطمع و الأغراض الدنياوية و لم يكن عن أصل و لا عن يقين و علم . [صفحہ ۲۲۷] و قال الراوندى عنى بقوله

رضخت لهم الرضائح عمرو بن العاص و ليس بصحيح لأن عمرا لم يسلم بعدالفتح وأصحاب الرضائح كلهم أسلموا بعدالفتح صونعوا على الإسلام بغنائم حنين ولعمري إن إسلام عمرو كان مدخولا أيضا إلا أنه لم يكن عن رضىخه وإنما كان لمعنى آخر فأما الذى شرب الحرام وجلد فى حد الإسلام فقد قال الراوندى هوالمغيرة بن شعبه وأخطأ فيما قال لأن المغيرة إنما اتهم بالزنى و لم يحد و لم يجز للمغيرة ذكر فى شرب الخمر و قدتقدم خبر المغيرة مستوفى وأيضا فإن المغيرة لم يشهد صفين مع معاوية و لا مع على ع و ماللراوندى ولهذا إنما يعرف هذاالفن أربابه و الذى عناه على ع الوليد بن عقبه بن أبى معيط و كان أشد الناس عليه وأبلغهم تحريضا لمعاوية و أهل الشام على حربته

أخبار الوليد بن عقبه

ونحن نذكر خبر الوليد وشربه الخمر منقولاً من كتاب الأغاني لأبى الفرج على بن الحسين الأصفهاني قال أبوالفرج كان سبب إمارة الوليد بن عقبه الكوفة لعثمان ماحدثني به أحمد بن عبدالعزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني عبدالعزيز بن محمد بن حكيم عن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد عن أبيه قال لم يكن يجلس مع عثمان على سريره إلاالعباس بن عبدالمطلب و أبوسفیان بن حرب والحكم بن أبى العاص والوليد بن عقبه و لم يكن سريره يسع إلاعثمان وواحدا منهم فأقبل الوليد يوماً فجلس فجاء الحكم بن أبى العاص فأوماً عثمان إلى الوليد فرحل له عن مجلسه فلما قام الحكم قال الوليد و الله يا أمير المؤمنين لقد تلجلج فى صدرى بيتان قلتها حين رأيتك آثرت ابن عمك على ابن أمك و كان الحكم عم عثمان والوليد أخاه [صفحة ٢٢٨] لأمه فقال عثمان إن الحكم شيخ قريش فما البيتان فقال رأيت لعم المرء زلفى قرابه || دوين أخيه حادثاً لم يكن قدما فأملت عمرا أن يشب وخالدا || لكى يدعوانى يوم نائبة عما .يعنى عمرا وخالدا ابني عثمان قال فرق له عثمان و قال قدوليتك الكوفة فأخرجه إليها. قال أبوالفرج وأخبرني أحمد بن عبدالعزيز قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني بعض أصحابنا عن ابن دأب قال لماولى عثمان الوليد بن عقبه الكوفة قدمها وعليها سعد بن أبى وقاص فأخبر بقدمه و لم يعلم أنه قدأمر فقال و ماصنع قالوا وقف فى السوق فهو يحدث الناس هناك ولسنا ننكر شيئاً من أمره فلم يلبث أن جاءه نصف النهار فاستأذن على سعد فأذن له فسلم عليه بالإمرة وجلس معه فقال له سعد ماأقدمك يا أباهب قال أحببت زيارتك قال و على ذاك أجئت بريدا قال أناأرزن من ذلك ولكن القوم احتاجوا إلى عملهم فسرحونى إليه و قداستعملنى أمير المؤمنين على الكوفة فسكت سعد طويلاً ثم قال لا و الله ماأدرى أصلحت بعدنا أم فسدنا بعدك ثم قال كلينى وجرينى ضباع وأبشرى || بلحم امرئ لم يشهد اليوم ناصره . فقال الوليد أما و الله لأنأ أقول للشعر منك وأروى له و لوشت لأجبتك ولكنى أدع ذاك لماتعلم نعم و الله لقد أمرت بمحاسبتك والنظر فى أمر عمالك ثم بعث إلى عمال سعد فحبسهم وضيق عليهم فكتبوا إلى سعد يستغيثون به فكلمه فيهم فقال له أ وللمعروف عندك موضع قال نعم فخلى سبيلهم . [صفحة ٢٢٩] قال أحمد وحدثني عمر عن أبى بكر الباهلى عن هشيم عن العوام بن حوشب قال لماقدم الوليد على سعد قال له سعد و الله ماأدرى كست بعدنا أم حمقنا بعدك فقال لا-تجزعن يا أباًسحاق فإنه الملك يتغدها قوم وبتغدها آخرون فقال سعد أراكم و الله ستجعلونه ملكا. قال أبوالفرج و حدثنا أحمد قال حدثني عمر قال حدثني هارون بن معروف عن ضمرة بن ربيعة عن ابن شوذب قال صلى الوليد بأهل الكوفة الغداة أربع ركعات ثم التفت إليهم فقال أزيدكم فقال عبد الله بن مسعود مازلنا معك فى زيادة منذ اليوم . قال أبوالفرج وحدثني أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا جرير عن الأجلح عن الشعبي قال قال الحطيئة يذكر الوليد شهد الحطيئة يوم يلتقى ربه || إن الوليد أحق بالغدرد نادى و قدتمت صلاتهم || أزيدكم سكرأ و لم يدر فأبوا أباهب و لوأذنوا || لقرنت بين

الشفع والوتر كفوا عنانك إذ جريت و لو || تركوا عنانك لم تزل تجرى . [صفحہ ۲۳۰] وقال الحطيئة أيضا تكلم في الصلاة وزاد فيها || علانية وأعلن بالنفاق ومج الخمر في سنن المصلى || ونادى والجميع إلى افتراق أزيدكم على أن تحمدوني || فما لكم و ما لي من خلاق . قال أبو الفرج وأخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني أبي قال قال أبو عبيدة وهشام بن الكلبي والأصمعي كان الوليد زانيا يشرب الخمر فشرب بالكوفة وقام ليصلي بهم الصبح في المسجد الجامع فصلى بهم أربع ركعات ثم التفت إليهم فقال أزيدكم وتقياً في المحراب بعد أن قرأ بهم رافعا صوته في الصلاة علق القلب الربا || بعد ماشابت وشابا . فشخص أهل الكوفة إلى عثمان فأخبروه بخبره وشهدوا عليه بشرب الخمر فأتى به فأمر رجلا من المسلمين أن يضربه الحد فلما دنا منه قال نشدتك الله وقرابتى من أمير المؤمنين فتركه فخاف على بن أبي طالب ع أن يعطل الحد فقام إليه فحده بيده فقال الوليد نشدتك الله والقرابة فقال أمير المؤمنين ع اسكت أباه هلك بنو إسرائيل لتعطيهم الحدود فلما ضربه وفرغ منه قال لتدعونى قريش بعدها جلادا قال إسحاق وحدثني مصعب بن الزبير قال قال الوليد بعد ماشهدوا عليه فجلد اللهم إنهم قد شهدوا على بزور فلا ترضهم عن أمير و لا ترض عنهم أميراً قال وقدم عكس الحطيئة أبياته فجعلها مدحا للوليد شهد الحطيئة حين يلتقى ربه || أن الوليد أحق بالعدر [صفحہ ۲۳۱] كفوا عنانك إذ جريت و لو || تركوا عنانك لم تزل تجرى ورأوا شمائل ماجد أنف || يعطى على الميسور والعسر فتزعت مكذوبا عليك و لم || تنزع على طمع و لا ذعر . قال أبو الفرج ونسخت من كتاب هارون بن الرباب بخطه عن عمر بن شبة قال شهد رجل عند أبي العجاج و كان على قضاء البصرة على رجل من المعيطيين بشهادة و كان الشاهد سكران فقال المشهود عليه و هو المعيطي أعزك الله أيها القاضي إنه لا يحسن من السكر أن يقرأ شيئا من القرآن فقال الشاهد بلى أحسن قال فقرأ فقال علق القلب الربا || بعد ماشابت وشابا . يمجن بذلك ويحكي ما قاله الوليد في الصلاة و كان أبو العجاج أحق فظن أن هذا الكلام من القرآن فجعل يقول صدق الله ورسوله ويلكم كم تعلمون و لا تعملون . قال أبو الفرج وأخبرني أحمد بن عبدالعزيز قال حدثنا عمر بن شبة عن المدائني عن مبارك بن سلام عن فطر بن خليفة عن أبي الضحى قال كان ناس من أهل الكوفة يتطلبون عثرة الوليد بن عقبة منهم أبو زينب الأزدي و أبو مورع فجاء يوما و لم يحضر الوليد الصلاة فسألا عنه فتلفظا حتى علما أنه يشرب فاقترحا الدار فوجداه يقىء فاحتملاه و هوسكران حتى وضعاه على سريره وأخذوا خاتمه من يده فأفاق فافتقد خاتمه فسأل عنه أهله فقالوا لا ندرى و قدرأينا رجلين دخلا عليك [صفحہ ۲۳۲] فاحتملاك فوضعاك على سريرك فقال صفوهما لى فقالوا أحدهما آدم طوال حسن الوجه والآخر عريض مربوع عليه خميصه فقال هذا أبو زينب و هذا أبو مورع . قال ولقى أبو زينب وصاحبه عبد الله بن حبيش الأسدي وعلقمه بن يزيد البكري وغيرهما فأخبروهم فقالوا أشخصوا إلى أمير المؤمنين فأعلموه و قال بعضهم إنه لا يقبل قولكم فى أخيه فشخصوا إليه فقالوا إنا جئناك فى أمر ونحن مخرجوه إليك من أعناقنا و قد قيل إنك لا تقبله قال و ما هو قالوا رأينا الوليد و هوسكران من خمر شربها و هذا خاتمه أخذناه من يده و هو لا يعقل فأرسل عثمان إلى على ع فأخبره فقال أرى أن تشخصه فإذا شهدوا عليه بمحضر منه حددته فكتب عثمان إلى الوليد فقدم عليه فشهد عليه أبو زينب و أبو مورع و جندب الأزدي وسعد بن مالك الأشعري فقال عثمان لعلى ع قم يا أبا الحسن فاجلده فقال على ع للحسن ابنه قم فاضربه فقال الحسن ما لك و لهذا يكفيك غيرك فقال على لعبد الله بن جعفر قم فاضربه فاضربه بمخضرة فيها سير له رأسان فلما بلغ أربعين قال حسبك -روایت- ۱-۴۱۴ . قال أبو الفرج وحدثني أحمد قال حدثنا عمر قال حدثني المدائني عن الواقصي عن الزهرى قال خرج رهط من أهل الكوفة إلى عثمان فى أمر الوليد فقال أكلما غضب رجل على أميره رماه بالباطل لئن أصبحت لكم لأنكلن بكم فاستجاروا بعائشة وأصبح عثمان فسمع من حجرتها صوتا وكلاما فيه بعض الغلظة فقال أ ما يجد فساق العراق ومرأها ملجأ إلا بيت عائشة فسمعت فرفعت نعل رسول الله ص وقالت تركت سنه صاحب هذا النعل وتسامع الناس فجاءوا حتى ملئوا المسجد فمن قائل قد أحسنت و من قائل ما للنساء ولهذا حتى تخاصموا]

صفحة ٢٣٣] وتضاربوا بالنعال ودخل رهط من أصحاب رسول الله ص على عثمان فقالوا له اتق الله ولا تعطل الحدود واعزل أخاك عنهم ففعل قال أبو الفرج حدثنا أحمد قال حدثني عمر عن المدائني عن أبي محمد الناجي عن مطر الوراق قال قدم رجل من أهل الكوفة إلى المدينة فقال لعثمان إني صليت صلاة الغداة خلف الوليد فالتفت في الصلاة إلى الناس فقال أزيدكم فإني أجد اليوم نشاطا وشمنا منه رائحة الخمر فضرب عثمان الرجل فقال الناس عطلت الحدود وضربت الشهود. قال أبو الفرج وحدثنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا أبو بكر الباهلي عن بعض من حدثه قال لما شهد على الوليد عند عثمان بشرب الخمر كتب إليه يأمره بالشخص فخرج معه قوم يعذرونه منهم عدى بن حاتم الطائي فنزل الوليد يوما يسوق بهم فارتجز وقال لا تحسبنا قد نسينا الأحقاف || والنشوات من معتق صاف وعزف قينات علينا عزاف . فقال عدى فأين تذهب بنا إذن فأقم . قال أبو الفرج و قدروى أحمد عن عمر عن رجالة عن الشعبي عن جندب الأزدي قال كنت فيمن شهد على الوليد عند عثمان فلما استتمنا عليه الشهادة حبسه عثمان ثم ذكر باقى الخبر وضرب على ع إياه وقول الحسن ابنه ما لك ولهذا وزاد فيه و قال على ع لست إذن مسلما أو قال من المسلمين . [صفحہ ٢٣٤] قال أبو الفرج وأخبرني أحمد عن عمر عن رجالة أن الشهادة لماتمت قال عثمان لعلى ع دونك ابن عمك فأقم عليه الحد فأمر على ع ابنه الحسن ع فلم يفعل فقال يكفيك غيرك فقال على ع بل ضعفت ووهنت وعجزت قم يا عبد الله بن جعفر فاجلده فقام فجلده و على ع يعد حتى بلغ أربعين فقال له على ع أمسك حسبك جلد رسول الله ص أربعين و جلد أبو بكر أربعين و كملها عمر ثمانين و كل سنة -روایت- ١-٢-روایت- ٤٩-٣٩١ . قال أبو الفرج وحدثني أحمد عن عمر عن عبد الله بن محمد بن حكيم عن خالد بن سعيد قال وأخبرني بذلك أيضا إبراهيم بن محمد بن أيوب عن عبد الله بن مسلم قالوا جميعا لما ضرب عثمان الوليد الحد قال إنك لتضربني اليوم بشهادة قوم ليقتلنك عاما قابلا. قال أبو الفرج وحدثني أحمد بن عبدالعزيز الجوهري عن عمر بن شبة عن عبد الله بن محمد بن حكيم عن خالد بن سعيد وأخبرني أيضا إبراهيم عن عبد الله قالوا جميعا كان أبو يزيد الطائي نديما للوليد بن عقبه أيام ولايته الكوفة فلما شهدوا عليه بالسكر من الخمر خرج عن الكوفة معزولا فقال أبو يزيد يتذكر أيامه وندامته من يرى العير أن تمشى على ظهر || المرورى حداتهن عجال ناعجات والبيت بيت أبى وهب || خلاء تحن فيه الشمال يعرف الجاهل المضلل أن الدهر || فيه النكراء والزلال ليت شعرى كذا كم العهد أم كانوا || أناسا كمن يزول فزالوا [صفحہ ٢٣٥] بعد ما تعلمين يأم عمرو || كان فيهم عزلنا وجمال ووجوه تودنا مشرقات || ونوال إذا أريد النوال أصبح البيت قد تبدل بالحي || وجوها كأنها الأقيال كل شيء يحتال فيه الرجال || غير أن ليس للمنايا احتيال ولعمر الإله لو كان للسيف || مضاء ولللسان مقال ماتناسيتك الصفاء و لا || الود و لاحال دونك الإشغال ولحرمت لحمك المتعضى || ضله ضل حلمهم ما اغتالوا قولهم شربك الحرام و قد كان || شراب سوى الحرام حلال و أبى ظاهر العداوة والشنان || لإمقال ما لا يقال من رجال تقارضوا منكرات || لينالوا أذى أرادوا فنالوا غير ما طالين ذحلا ولكن || مال دهر على أناس فما لوالا من يخنك الصفاء أو يتبدل || أوزل مثل ما يزول الظلال فاعلمن أنني أخوك أخو || الود حياتي حتى تزول الجبال ليس بخلى عليك يوما بمال || أبدا ما أقل نعلا قبال و لك النصر باللسان وبالکف || إذا كان لليدين مصال . قال أبو الفرج وحدثني أحمد قال حدثني عمر قال لما قدم الوليد بن عقبه الكوفة قدم عليه أبو يزيد فأنزله دار عقيل بن أبى طالب على باب المسجد وهى التى [صفحہ ٢٣٦] تعرف بدار القبلى فكان مما احتج به عليه أهل الكوفة أن أبازيد كان يخرج إليه من داره و هونصرانى يخترق المسجد فيجعله طريقا. قال أبو الفرج وأخبرني محمد بن العباس اليزيدى قال حدثني عمى عبيد الله عن ابن حبيب عن ابن الأعرابي أن أبازيد وفد على الوليد حين استعمله عثمان على الكوفة فأنزله الوليد دار عقيل بن أبى طالب عند باب المسجد واستوهبها منه فوهبها له فكان ذلك أول الطعن عليه من أهل الكوفة لأن أبازيد كان يخرج من داره حتى يشق المسجد إلى الوليد فيسمر عنده ويشرب معه ويخرج فيشق المسجد و هوسكران فذاك نههم عليه قال و قد كان عثمان

ولى الوليد صدقات بنى تغلب فبلغه عنه شعر فيه خلعه فعزله قال فلما ولاه الكوفة اختص أبا زيد الطائي وقربه ومدحه أبو زيد بشعر كثير وقد كان الوليد استعمل الربيع بن مري بن أوس بن حارثة بن لام الطائي على الحمى فيما بين الجزيرة وظهر الحيرة فأجذبت الجزيرة و كان أبو زيد فى بنى تغلب نازلا فخرج بإبلهم ليرعيهم فأبى عليهم الربيع بن مري ومنعهم وقال لأبى زيد إن شئت أركبك وحدك فعلت فأتى أبو زيد إلى الوليد فشكاه فأعطاه ما بين القصور الحمر من الشام إلى القصور الحمر من الحيرة وجعلها له حمى وأخذها من الربيع بن مري فقال أبو زيد يمدح الوليد والشعر يدل على أن الحمى كان بيد مري بن أوس لا بيد الربيع ابنه وهكذا هو فى رواية عمر بن شبة لعمر أيبك يا ابن أبى مري || لغيرك من أباح لنا الديارا أباح لنا أبارق ذات قور || ونرى القف منها والقفار [صفحة ٢٣٧] بحمد الله ثم فتى قريش || أبى وهب غدت بدنا غزارا أباح لنا ولا نحمى عليكم || إذا ما كنتم سنة جزارا . قال يقول إذا أجدبتم فإننا لانحميها عليكم و إذا كنتم أساتم وحميتموها علينا. فتى طالت يدها إلى المعالى || وطحطحت المجذمة القصارا . قال و من شعر أبى زيد فيه يذكر نصره له على مري بن أوس بن حارثة ياليت شعرى بأبناء أنبؤها || قد كان يعنى بهاصدرى وتقديرى عن امرئ ما يزده الله من شرف || أفرح به ومري غير مسرور إن الوليد له عندى وحق له || ود الخليل ونصح غير مذخور لقد دعانى وأداننى أظهرنى || على الأعدى بنصر غير تغير وشذب القوم عنى غير مكترث || حتى تناهوا على رغم وتصغير نفسى فداء أبى وهب وقل له || يأم عمرو فحلى اليوم أوسيرى . وقال أبو زيد يمدح الوليد ويتألم لفراقه حين عزل عن الكوفة لعمرى لئن أمسى الوليد ببلدة || سواى لقد أمسيت للدهر معورا خلا أن رزق الله غاد ورائح || وإنى له راج و إن سار أشهرا و كان هو الحصن الذى ليس مسلمى || إذا أنا بالنكراء هيجت معشرا إذا صادفوا دونى الوليد فإنما || يرون بوادى ذى حماس مزعفرا . [صفحة ٢٣٨] وهى طويلة يصف فيها الأسد قال أبو الفرج و حدثنا أحمد بن عبدالعزيز قال حدثنا عمر عن رجاله عن الوليد قال لمفتح رسول الله ص مكة جعل أهل مكة يأتونه بصبيانهم فيدعو لهم بالبركة ويمسح يده على رؤوسهم فجاء بهى إليه و أنا مخلوق فلم يمسنى و مامنعه إلا- أن أمى خلقتنى بخلوق فلم يمسنى من أجل الخلق . قال أبو الفرج وحدثنى إسحاق بن بنان الأنماطى عن حنيش بن ميسر عن عبد الله بن موسى عن أبى ليلى عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال الوليد بن عقبه لعلى بن أبى طالب ع أنا أحد منك سنانا وأبسط منك لسانا وأملا للكتيبة فقال على ع اسكت يافاسق فنزل القرآن فيهما فَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنَّ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ -رواية ١-٢-رواية ١٥٢-٣٤٦ . قال أبو الفرج وحدثنى أحمد بن عبدالعزيز عن عمر بن شبة عن محمد بن حاتم عن يونس بن عمر عن شيبان عن يونس عن قتادة فى قوله تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا قال هو الوليد بن عقبه بعثه النبى ص مصدقا إلى بنى المصطلق فلما رأوه أقبلوا نحوه فهابهم فرجع إلى النبى ص فقال له إنهم ارتدوا عن الإسلام فبعث النبى ص خالد بن الوليد فعلم عملهم وأمره أن يتثبت و قال له انطلق و لاتعجل فانطلق حتى أتاهم ليلا وأنفذ عيونه نحوهم فلما جاءوه أخبروه أنهم متمسكون بالإسلام وسمع أذانهم وصلاتهم فلما أصبح أتاهم فرأى ما يعجبه فرجع إلى الرسول ص فأخبره فنزلت هذه الآية . قرآن-١٣٧-٢٠٤ [صفحة ٢٣٩] قلت قد لمح ابن عبد البر صاحب كتاب الإستيعاب فى هذا الموضوع نكتة حسنة فقال فى حديث الخلق هذا حديث مضطرب منكر لا يصح و ليس يمكن أن يكون من بعثه النبى ص مصدقا صبييا يوم الفتح قال ويدل أيضا على فساده أن الزبير بن بكار وغيره من أهل العلم بالسير والأخبار ذكروا أن الوليد وأخاه عمارة ابنى عقبه بن أبى معيط خرجا من مكة ليردا أختهما أم كلثوم عن الهجرة وكانت هجرتها فى الهدنة التى بين النبى ص و بين أهل مكة و من كان غلاما مخلقا بالخلق يوم الفتح ليس يجىء منه مثل هذا قال و لاختلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن أن قوله عز و جل إِنِ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أنزلت فى الوليد لمابعثه رسول الله ص مصدقا فكذب على بنى المصطلق و قال إنهم ارتدوا وامتنعوا من أداء الصدقة قال أبو عمر و فيه و فى على ع نزل أ فَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنَّ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ فى قصتهما المشهورة قال و من كان صبييا يوم الفتح لا يجىء منه مثل هذا فوجب أن

ينظر في حديث الخلق فإنه رواه جعفر بن برقان عن ثابت عن الحجاج عن أبي موسى الهمداني و أبو موسى مجهول لا يصح حديثه . ثم نعود إلى كتاب أبي الفرج الأصبهاني -قرآن- ٥٥٩-٥٩٨-قرآن-٧٤٨-٨٠٢ قال أبو الفرج وأخبرني أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبة عن عبد الله بن موسى عن نعيم بن حكيم عن أبي مريم عن علي ع أن امرأة الوليد بن عقبه جاءت إلى النبي ص تشتكي إليه الوليد وقالت إنه يضربها فقال لها ارجعي إليه وقولي له إن رسول الله قد أجازني فانطلقت فمكثت ساعة ثم رجعت فقالت إنه -رواية- ١-٢-رواية- ١٢٨-١٢٨-دامه دارد [صفحة ٢٤٠] ما أفلح عنى فقطع رسول الله ص هدبة من ثوبه وقال اذهبي بها إليه وقولي له إن رسول الله قد أجازني فانطلقت فمكثت ساعة ثم رجعت فقالت ما زادني إلا ضربا فرفع رسول الله ص يده ثم قال اللهم عليك بالوليد مرتين أو ثلاثا -رواية- از قبل -٢٣٣. قال أبو الفرج واختص الوليد لما كان واليا بالكوفة ساحرا كاد يفتن الناس كان يريه كتيبتين تقتلان فتحمل إحداهما على الأخرى فتهمها ثم يقول له أيسرك أن أريك المنهزمة تغلب الغالبة فتهمها فيقول نعم فجاء جنذب الأزدي مشتملا على سيفه فقال أفرجوا لي فأفرجوا فضربه حتى قتله فحبسه الوليد قليلا- ثم تركه . قال أبو الفرج وروى أحمد عن عمر عن رجاله أن جنذبا لما قتل الساحر حبسه الوليد فقال له دينار بن دينار فيم حبست هذا وقد قتل من أعلن بالسحر في دين محمد ص ثم مضى إليه فأخرجه من الحبس فأرسل الوليد إلى دينار بن دينار فقتله . قال أبو الفرج حدثني عمي الحسن بن محمد قال حدثني الخراز عن المدائني عن علي بن مجاهد عن محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان عن الزهري وغيره أن رسول الله ص لما انصرف عن غزاه بني المصطلق نزل رجل من المسلمين فساق بالقوم ورجز ثم آخر فساق بهم ورجز ثم بدا لرسول الله ص أن يواسى أصحابه فنزل فساق بهم ورجز وجعل يقول فيما يقول جنذب و ماجندب || والأقطع زيد الخير [صفحة ٢٤١] فدنا منه أصحابه فقالوا يا رسول الله ما ينفعنا سيرنا مخافة أن تنهشك دابة أو تصيبك نكبة فركب ودنوا منه وقالوا قلت قولاً لاندري ما هو قال وماذا كنت تقول جنذب و ماجندب || والأقطع زيد الخير . فقال رجلان يكونان في هذه الأمة يضرب أحدهما ضربة يفرق بين الحق والباطل وتقطع يد الآخر في سبيل الله ثم يتبع الله آخر جسده بأوله و كان زيد هوزيد بن صوحان وقطعت يده في سبيل الله يوم جلواء وقتل يوم الجمل مع علي بن أبي طالب ع و أما جنذب هذا فدخل على الوليد بن عقبه وعنده ساحر يقال له أبوشيبان يأخذ أعين الناس فيخرج مصارين بطنهم ثم يردّها فجاء من خلفه فضربه فقتله وقال العن وليدا و أباشيبان || و ابن حبيش راكب الشيطان رسول فرعون إلى هامان . قال أبو الفرج و قدروى أن هذا الساحر كان يدخل عند الوليد في جوف بقرة حية ثم يخرج منها فرآه جنذب فذهب إلى بيته فاشتمل على سيف فلما دخل الساحر في البقرة قال جنذب أفتأتون السحر وأنتم تبصرون ثم ضرب وسط البقرة فقطعها وقطع الساحر معها فدعر الناس فسجنه الوليد وكتب بأمره إلى عثمان . قال أبو الفرج فروى أحمد بن عبد العزيز عن حجاج بن نصير عن قره عن [صفحة ٢٤٢] محمد بن سيرين قال انطلق بجنذب بن كعب الأزدي قاتل الساحر بالكوفة إلى السجن و على السجن رجل نصراني من قبل الوليد و كان يرى جنذب بن كعب يقوم بالليل ويصبح صائماً فوكل بالسجن رجلاً ثم خرج فسأل الناس عن أفضل أهل الكوفة فقالوا الأشعث بن قيس فاستضافه فجعل يراه ينام الليل ثم يصبح فيدعو بغدائه فاستقبل القبلة و قال ربى رب جنذب و دىنى أفضل قالوا جرير بن عبد الله فذهب إليه فوجده ينام الليل ثم يصبح فيدعو بغدائه فاستقبل القبلة و قال ربى رب جنذب و دىنى دين جنذب ثم أسلم . قال أبو الفرج فلما نزع عثمان الوليد عن الكوفة أمر عليها سعيد بن العاص فلما قدمها قال اغسلوا هذا المنبر فإن الوليد كان رجلاً نجسا فلم يصعده حتى غسل قال أبو الفرج و كان الوليد أسن من سعيد بن العاص وأسخى نفساً وألين جانباً وأرضى عندهم فقال بعض شعرائهم وجاءنا من بعده سعيد || ينقص فى الصاع و لا يزيد . و قال آخر منهم فررت من الوليد إلى سعيد || كأهل الحجر إذ فرعوا فباروا يلينا من قریش كل عام || أمير محدث أو مستشار لنا نار تحرقنا فنخشى || و ليس لهم و لا يخشون نار . قال أبو الفرج و حدثنا أحمد قال حدثنا عمر عن المدائني قال قدم الوليد بن [صفحة ٢٤٣] عقبه الكوفة فى أيام

معاوية زائرا للمغيرة بن شعبة فأتاه أشراف الكوفة فسلموا عليه وقالوا والله مارأينا بعدك مثلك فقال أخيرا أم شرا قالوا بل خيرا قال ولكنى مارأيت بعدكم شرا منكم فأعادوا الثناء عليه فقال بعض ماتأتون به فوالله إن بغضكم لتلف وإن حبكم لصلف قال أبوالفرج وروى عمر بن شبة أن قبيصة بن جابر كان ممن كثر على الوليد فقال معاوية يوما والوليد وقبيصة عنده ياقبيصة ما كان شأنك وشأن الوليد قال خير يا أمير المؤمنين إنه فى أول الأمر وصل الرحم وأحسن الكلام فلاتسأل عن شكر وحسن ثناء ثم غضب على الناس وغضبوا عليه وكنا معهم فأما ظالمون فنستغفر الله وإما مظلومون فيغفر الله له فخذ فى غير هذا يا أمير المؤمنين فإن الحديث ينسى القديم قال معاوية ماأعلمه إلا قدأحسن السيرة وبسط الخير وقبض الشر قال فأنت يا أمير المؤمنين اليوم أقدر على ذلك فافعله فقال اسكت لاسكت فسكت وسكت القوم فقال معاوية بعديسير ما لك لاتتكلم ياقبيصة قال نهيتنى عما كنت أحب فسكت عما لأحب . قال أبوالفرج ومات الوليد بن عقبه فويق الرقة ومات أبويزيد هناك فدفنا جميعا فى موضع واحد فقال فى ذلك أشجع السلمى وقدم بقبريهما مررت على عظام أبى يزيد || وقداحت ببلقعة صلود فكان له الوليد نديم صدق || فنادم قبره قبر الوليد وماأدرى بمن تبدوا المنيا || بحمزة أم بأشجع أم يزيد . قيل هم إخوته وقيل ندماءوه . قال أبوالفرج وحدثنى أحمد بن عبدالعزيز عن محمد بن زكريا الغلابى [صفحة ٢٤٤] عن عبد الله بن الضحاك عن هشام بن محمد عن أبيه قال وفد الوليد بن عقبه وكان جوادا إلى معاوية فقبل له هذا الوليد بن عقبه بالباب فقال والله ليرجعن مغیظا غيرمعطى فإنه الآن قدأتانا يقول على دين وعلى كذا ائذن له فأذن له فسأله وتحدث معه ثم قال له معاوية أما والله إن كنا لنحب إتيان مالك بالوادى ولقد كان يعجب أمير المؤمنين فإن رأيت أن تهبه ليزيد فافعل قال هوليزيد ثم خرج وجعل يختلف إلى معاوية فقال له يوما انظر يا أمير المؤمنين فى شأنى فإن على مئونته وقدأرهقنى دين فقال له ألا تستحى لنفسك وحسبك تأخذ ماتأخذه فتبذره ثم لاتنفك تشكو دينا فقال الوليد أفعل ثم انطلق من مكانه فسار إلى الجزيرة وقال يخاطب معاوية فإذاسئلت تقول لا || وإذاسئلت تقول هات تأبى فعال الخير لا || تروى وأنت على الفرات أفلاتمیل إلى نعم || أوترك لا حتى الممات . وبلغ معاوية شخوصه إلى الجزيرة فخافه وكتب إليه أقبل فكتب أعف وأستعفى كما قدأمرتنى || فأعطى سواى ماأبدا لك وابلخ سأحدو ركابى عنك إن عزيمتى || إذاأبى أمر كسله منصل وإنى امرؤ للنأى منى تطرب || وليس شبا فقل على بمقفل . ثم رحل إلى الحجاز فبعث إليه معاوية بجائزة . و أما أبو عمر بن عبدالبر فإنه ذكر فى الإستيعاب فى باب الوليد قال إن له أخبارا فيها شناعة تقطع على سوء حاله وقبح أفعاله غفر الله لنا و له فلقده كان من رجال قريش [صفحة ٢٤٥] ظرفا وحلما وشجاعة وجودا وأدبا وكان من الشعراء المطبوعين قال وكان الأصمعى وأبو عبيدة وابن الكلبي وغيرهم يقولون إنه كان فاسقا شريب خمر وكان شاعرا كريما قال وأخباره فى شربه الخمر ومنادته بأبازيد الطائى كثيرة مشهورة ويسمج بنا ذكرها ولكنها نذكر منها طرفا ثم ذكر ما ذكره أبوالفرج فى الأغانى وقال إن خبر الصلاة وهوسكران وقوله أزيدكم خبر مشهور روته الثقات من نقله الحديث . قال أبو عمر بن عبدالبر وقد ذكر الطبرى فى رواية أنه تغضب عليه قوم من أهل الكوفة حسدا وبغيا وشهدوا عليه بشرب الخمر وقال إن عثمان قال له ياأخى اصبر فإن الله يأجرك ويؤى القوم بإثمك . قال أبو عمر هذا الحديث لا يصح عند أهل الأخبار ونقله الحديث ولا له عند أهل العلم أصل والصحيح ثبوت الشهادة عليه عند عثمان وجلده الحد وأن عليا هو الذى جلده قال ولم يجلده بيده وإنما أمر بجلده فنسب الجلد إليه . قال أبو عمر ولم يرو الوليد من السنة ما يحتاج فيها إليه ولكن حارثة بن مضرب روى عنه أنه قال ما كانت نبوة إلا كان بعدها ملك [صفحة ٢٤٦]

و هو عامله على الكوفة و قد بلغه عنه تشييطه الناس عن الخروج إليه لماندبهم لحرب أصحاب الجمل من عبد الله على أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس أميا بعد فقد بلغني عنك قول هو لمك و عليك فإذا قدم عليك رسولي فارفع ذيلك و اشد مؤثرَكَ و اخرج من جحرِكَ و اندب من معك فإن حقت فانفذ و إن تفشلت فابعد و ايم الله لتؤتين من حيث أنت و لا تترك حتى يخلط زبدك بخاثرِكَ و ذاتيك بجامدِكَ و حتى تعجل عن قعدتِكَ و تحذر من أمامك كحذرِكَ من خلفك و ما هي بالهويني التي ترجو و لكنهما الداهية الكبرى يركب جملها و يذلل صيئها و يسهل جبلها فاعقل عقلك و املك أمركَ و خذ نصيبك و حظك فإن كرهت فتنح إلى غير رحب و لا في نجاه فيالحرى لتكفين و أنت نائم حتى لا يقال أين فلان و الله إنه لحق مع مُحق و ما يبالي ما يصنع الملحدون و السلام المراد بقوله قول هو لك و عليك أن أبا موسى كان يقول لأهل الكوفة إن عليا إمام هدى و بيعته صحيحة ألا إنه لا يجوز القتال معه لأهل القبلة و هذا القول بعضه حق و بعضه باطل . [صفحہ ۲۴۷] و قوله فارفع ذيلك أى شمر للنهوض معى و اللحاق بى لنشهد حرب أهل البصرة و كذلك قوله و اشد مؤثرِكَ و كلاتهما كناية عن الجد و التشمير فى الأمر. قال و اخرج من جحرِكَ أمر له بالخروج من منزله للحاق به و هى كناية فيها غرض من أبى موسى و استهانة به لأنه لو أراد إعظامه لقال و اخرج من خيسك أو من غيلك كما يقال للأسد ولكنه جعله ثعلبا أوضبا. قال و اندب من معك أى و اندب رعيتك من أهل الكوفة إلى الخروج معى و اللحاق بى. ثم قال و إن تحققت فانفذ أى أمركَ مبنى على الشك و كلامك فى طاعتي كالمتناقض فإن حقت لزوم طاعتي لك فانفذ أى سر حتى تقدم على و إن أقمت على الشك فاعتزل العمل فقد عزلتكَ . قوله و ايم الله لتؤتين معناه إن أقمت على الشك و الاستراية و تشييط أهل الكوفة عن الخروج إلى و قولك لهم لا يحل لكم سل السيف لا- مع على و لا مع طلحة و الزموا بيوتكم و اكسروا سيوفكم ليأتينكم و أنتم فى منازلكم بالكوفة أهل البصرة مع طلحة و نأتينكم نحن بأهل المدينة و الحجاز فيجتمع عليكم سيفان من أمامكم و من خلفكم فتكون ذلك الداهية الكبرى التى لا شواة لها. قوله و لا تترك حتى يخلط زبدك بخاثرِكَ تقول للرجل إذا ضربته حتى أثخته لقد ضربته حتى خلطت زبده بخاثره و كذلك حتى خلطت ذائبه بجامده و الخاثر اللبن الغيظ و الزبد خلاصة اللبن و صفوته فإذا أثخت الإنسان ضربا كنت كأنك [صفحہ ۲۴۸] خلطت مارق و لطف من أخلاطه بما كثف و غلظ منها و هذا مثل و معناه لتفسدن حالك و لتخلطن و ليضربن ما هو الآن منتظم من أمركَ . قوله و حتى تعجل عن قعدتكَ القعدة بالكسر هيئة القعود كالجلسة و الركبة أى و ليعجلنك الأمر عن هيئة قعودك يصف شدة الأمر و صعوبته . قوله و تحذر من أمامك كحذرِكَ من خلفك يعنى يأتيك من خلفك إن أقمت على منع الناس عن الحرب معنا و معهم أهل البصرة و أهل المدينة فتكون كما قال الله تعالى إذ جاؤكم من فوقكم و من أسفل منكم. قوله و ماهى بالهويني التى ترجو الهويني تصغير الهونى التى هى أنثى أهون أى ليست هذه الداهية و الجائحة التى أذكرها لك بالشىء الهين الذى ترجو اندفاعه و سهولته . ثم قال بل هى الداهية الكبرى ستفعل لامحالة إن استمرت على ما أنت عليه و كنى عن قوله ستفعل لامحالة بقوله يركب جملها و مابعده و ذلك لأنها إذا ركب جملها و ذلل صعبتها و سهل و عرها فقد فعلت أى لا تقل هذا أمر عظيم صعب المرام أى قصد الجيوش من كلا الجانبين الكوفة فإنه إن دام الأمر على ما أشرت إلى أهل الكوفة من التخاذل و الجلوس فى البيوت و قولك لهم كن عبد الله المقتول لنقعن بموجب ما ذكرته لك و ليرتكبن أهل الحجاز و أهل البصرة هذا الأمر المستصعب لأننا نحن نطلب أن نملك الكوفة و أهل البصرة كذلك فيجتمع عليها الفريقان . ثم عاد إلى أمره بالخروج إليه فقال له فاعقل عقلك و املك أمركَ و خذ نصيبك - قرآن - ۴۱۸- ۴۶۳ [صفحہ ۲۴۹] و حظك أى من الطاعة و اتباع الإمام الذى لزمته بيعته فإن كرهت ذلك فتنح عن العمل فقد عزلتكَ و ابعد عنا لا فى رحب أى لا فى سعة و هذا ضد قولهم مرحبا. ثم قال فجدير أن تكفى ما كلفته من حضور الحرب و أنت نائم أى لست معدودا عندنا و لا عند الناس من الرجال الذين تفتقر الحروب و التدبيرات إليهم فسيغنى الله عنك و لا يقال أين فلان . ثم أقسم إنه لحق أى إنى فى حرب هؤلاء لعلى حق

و إن من أطاعني مع إمام محق ليس يبالي ما صنع الملحدون و هذا إشارة إلى قول النبي ص اللهم أدر الحق معه حيثما دار -
روایت-۱-۲-روایت-۱۷-۴۹ [صفحه ۲۵۰]

۶۴- و من کتاب له ع إلى معاوية جوابا عن كتابه

اشاره

أَمَا بَعْدُ فَإِنَّا كُنَّا نَحْنُ وَ أَنْتُمْ عَلَيَّ مَا ذَكَرْتَ مِنَ الْأَلْفَةِ وَ الْجَمَاعَةِ فَفَرَّقَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ أَمْسِ أَنَا آمَنَّا وَ كَفَرْتُمْ وَ الْيَوْمَ أَنَا اسْتَقَمْنَا وَ
فُتِنْتُمْ وَ مَا أَسْلَمَ مُسْلِمُكُمْ إِلَّا كَرِهًا وَ بَعْدَ أَنْ كَدَانَ أَنْفَ الْإِسْلَامِ كُلَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ص حَرْبًا وَ ذَكَرْتَ أَنِّي قَتَلْتُ طَلْحَةَ وَ الزَّبِيرَ وَ
شَرَدْتُ بَعَائِشَةَ وَ نَزَلْتُ بَيْنَ الْمِصْرَيْنِ وَ ذَلِكَ أَمْرٌ غِبْتُ عَنْهُ فَلَمَّا عَلَيَّكَ وَ لَمَّا الْعِذْرُ فِيهِ إِلَيْكَ وَ ذَكَرْتَ أَنَّكَ زَائِرِي فِي جَمْعِ
الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ وَ قَدْ انْقَطَعَتِ الْهَجْرَةُ يَوْمَ أُسِرَ أَخُوكَ فَإِنْ كَانَ فِيكَ عَجَلٌ فَاسْتَرْفِهِ فَإِنِّي إِنْ أَرُوكَ فَذَلِكَ جَدِيدٌ أَنْ يَكُونَ
اللَّهُ إِنَّمَا بَعَثَنِي إِلَيْكَ لِلتَّقْمَةِ مِنْكَ وَ إِنْ تَرَزَّنِي فَكَمَا قَالَ أَخُو بَنِي أَسَدٍ مُسْتَقْبِلِينَ رِيَّاحَ الصَّيْفِ نَضْرِبُهُمْ || بِحَاصِبٍ بَيْنَ أَغْوَارٍ وَ
جُلُودٍ وَ عِنْدِي السَّيْفُ الَّذِي أَعْضَضْتَهُ بِجَدِّكَ وَ خَالِكَ وَ أَخِيكَ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ فَإِنَّكَ وَ اللَّهُ مَا عَلِمْتُ الْأَغْلَفُ الْقَلْبِ الْمُقَارِبُ
الْعَقْلِ وَ الْأَوْلَى أَنْ يُقَالَ لِمَكَ إِيَّاكَ رَقِيتَ سُلَيْمًا أَطْلَعِيكَ مَطْلَعٌ سُوءٍ عَلَيَّكَ لَمَّا لَمَكَ لِأَنَّكَ نَشَدْتَ غَيْرَ ضَالَّتِكَ وَ رَعَيْتَ غَيْرَ
سَائِمِيكَ وَ طَلَبْتَ أَمْرًا لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَ لَا فِي مَعْدِنِهِ فَمَا أَبْعِدْ قَوْلَكَ مِنْ فِعْلِكَ [صفحه ۲۵۱] وَ قَرِيبٌ مَا أَشْبَهْتَ مِنْ أَعْمَامٍ وَ
أَحْوَالٍ حَمَلْتَهُمُ الشَّقَاوَةَ وَ تَمَنَّى الْبَاطِلِ عَلَى الْجُحُودِ بِمُحَمَّدٍ ص فَصِرْ رَعُوا مَصِيرَهُمْ حَيْثُ عَلِمْتَ لَمْ يَدْفَعُوا عَظِيمًا وَ لَمْ يَمْنَعُوا
حَرِيمًا بِوَقْعِ سَيُوفٍ مَا خَلَا مِنْهَا الْوَعْيُ وَ لَمْ تُمَاشِهَا الْهُوْيُنِي وَ قَدْ أَكْثَرْتَ فِي قِتْلِهِ عَثْمَانَ فَادْخُلْ فِيَمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ ثُمَّ حَاكِمِ
الْقَوْمَ إِلَيَّ أَحْمِلْكَ وَ إِيَّاهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَ أَمَا تِلْكَ الَّتِي تُرِيدُ فَإِنَّهَا خُدَعِي الصَّبِيَّ عَنِ اللَّبَنِ فِي أَوَّلِ الْفِصَالِ وَ السَّلَامُ
لِأَهْلِهِ

كتاب معاوية إلى علي

أما الكتاب الذي كتبه إليه معاوية و هذا الكتاب جوابه فهو من معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب أما بعد فإننا بنى
عبد مناف لم نزل نزع من قلب واحد ونجى في حلبة واحدة ليس لبعضنا على بعض فضل و لائقنا على قاعدنا فخر كلمتنا
مؤتلفه و ألفتنا جامعة و دارنا واحدة يجمعنا كرم العرق و يحوينا شرف النجار و يحنو قوينا على ضعيفنا و يواسى غنينا فقيرنا
قد خلصت قلوبنا من وغل الحسد و طهرت أنفسنا من خبث النية فلم نزل كذلك حتى كان منك ما كان من الإدهان في أمر ابن
عمك و الحسد له و نصره الناس عليه حتى قتل بمشهد منك لا تدفع عنه بلسان و لا يد فليتك [صفحه ۲۵۲] أظهرت نصره حيث
أسررت خبره فكنت كالمعلق بين الناس بعدد و إن ضعف و المتبرئ من دمه بدفع و إن وهن و لكنك جلست في دارك تدس
إليه الدواهي و ترسل إليه الأفاعي حتى إذا قضيت و طرك منه أظهرت شماته و أبدت طلاقه و حسرت للأمر عن ساعدك و شممت
عن ساقك و دعوت الناس إلى نفسك و أكرهت أعيان المسلمين على بيعتك ثم كان منك بعد ما كان من قتلك شيخي
المسلمين أبي محمد طلحة و أبي عبد الله الزبير و هما من الموعودين بالجنة و المبشر قاتل أحدهما بالنار في الآخرة هذا إلى
تشريدك بأم المؤمنين عائشة و إحلالها محل الهون متبذله بين أيدي الأعراب و فسقه أهل الكوفة فمن بين مشهر لها و بين شامت

بها و بين ساخر منها ترى ابن عمك كان بهذه لورآه راضيا أم كان يكون عليك ساخطا و لكك عنه زاجرا أن تؤذى أهله وتشرذ بحليلته وتسفك دماء أهل ملته ثم تركك دار الهجرة التي قال رسول الله ص عنها إن المدينة لتنفى خبثها كماينفى الكير خبث الحديد -روايت- ١-٢-روايت- ٢٧-٧٩ فلعمري لقد صح وعده وصدق قوله ولقد نفت خبثها وطردت عنها من ليس بأهل أن يستوطنها فأقمت بين المصرين وبعدت عن بركة الحرمين ورضيت بالكوفة بدلا من المدينة وبمجاورة الخورنق والحيرة عوضا من مجاورة خاتم النبوة و من قبل ذلك ماعبت خليفتي رسول الله ص أيام حياتهما فقعدت عنهما وألبت عليهما وامتنعت من بيعتهما ورمت أمرا لم يرك الله تعالى له أهلا ورقيت سلما وعرا وحاولت مقاما دحضا وادعيت ما لم تجد عليه ناصرا ولعمري لووليتها حينئذ لما ازدادت لإفسادا واضطرابا ولا أعقت ولا يتكها إلا انتشارا وارتدادا لأنك الشامخ بأنفه الذاهب بنفسه المستطيل على الناس بلسانه ويده وها أناسائر إليك فى جمع [صفحة ٢٥٣] من المهاجرين والأنصار تحفهم سيوف شامية ورماح قحطانية حتى يحاكموك إلى الله فانظر لنفسك وللمسلمين وادفع إلى قتله عثمان فإنهم خاصتك وخلصاؤك والمحدقون بك فإن أبيت إلاسلوك سبيل اللجاج والإصرار على الغى والضلال فاعلم أن هذه الآية إنما نزلت فيك و فى أهل العراق معك وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ. -قرآن- ٢٨٨-٤٨١ ثم نعود إلى تفسير ألفاظ الفصل ومعانيه قال ع لعمري إنا كنا بيتا واحدا فى الجاهلية لأننا بنو عبدمناف إلا أن الفرقة بيننا وبينكم حصلت منذ بعث الله محمداص فإننا آمنا وكفرتم ثم تأكدت الفرقة اليوم بأنا استقمنا على منهاج الحق وفتنتم . ثم قال و ماأسلم من أسلم منكم إلاكرها كأبى سفيان وأولاده يزيد ومعاوية وغيرهم من بنى عبدشمس . قال و بعد أن كان أنف الإسلام محاربا لرسول الله ص أى فى أول الإسلام يقال كان ذلك فى أنف دولة بنى فلان أى فى أولها وأنف كل شىء أوله و طرفه و كان أبوسفيان وأهله من بنى عبدشمس أشد الناس على رسول الله ص فى أول الهجرة إلى أن فتح مكة ثم أجابه عن قوله قتلت طلحة والزبير وشردت بعائشة ونزلت بين المصرين بكلام مختصر أعرض فيه عنه [صفحة ٢٥٤] هوانا به فقال هذا أمر غبت عنه فليس عليك كان العدوان الذى تزعم و لا العذر إليك لووجب على العذر عنه . فأما الجواب المفصل فأن يقال إن طلحة والزبير قتلا أنفسهم ببيعتهما ونكثهما و لواستقاما على الطريقة لسلما و من قتله الحق فدمه هدر و أماكونهما شيخين من شيوخ الإسلام فغير مدفوع ولكن العيب يحدث وأصحابنا يذهبون إلى أنهما تابا وفارقا الدنيا نادمين على ما صنعوا وكذلك نقول نحن فإن الأخبار كثرت بذلك فهما من أهل الجنة لتوبتهما و لو لا توبتهما لكانا هالكين كماهلك غيرهما فإن الله تعالى لا يحابى أحدا فى الطاعة والتقوى ليهلك مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْنِهِ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْنِهِ. و أماالوعد لهما بالجنة فمشروط بسلامة العاقبة والكلام فى سلامتهما و إذاثبتت توبتهما فقد صح الوعد لهما وتحقق و -قرآن- ٥٣٩-٦٠٣ قوله بشر قاتل ابن صفية بالنار -روايت- ١-٢-روايت- ٩-٣٥ فقد اختلف فيه فقال قوم من أرباب السير وعلماء الحديث هو كلام أمير المؤمنين ع غير مرفوع وقوم منهم جعلوه مرفوعا و على كل حال فهو حق لأن ابن جرموز قتله موليا خارجا من الصف مفارقا للحرب فقد قتله على توبة وإنابة ورجوع من الباطل وقاتل من هذه حاله فاسق مستحق للنار و أمأم المؤمنين عائشة فقد صحت توبتها والأخبار الواردة فى توبتها أكثر من الأخبار الواردة فى توبة طلحة والزبير لأنها عاشت زمانا طويلا وهما لم يبقيا و الذى جرى لها كان خطأ منها فأى ذنب لأمير المؤمنين ع فى ذلك و لو أقامت فى منزلها لم تبتذل بين الأعراب و أهل الكوفة على أن أمير المؤمنين ع أكرمها وصانها وعظم من شأنها و من أحب أن يقف على ما فعله معها فليطالع كتب السيرة و لو كانت فعلت بعمر ما فعلت به وشقت عصا الأمة عليه ثم ظفر بها لقتلها ومزقها إربا إربا ولكن عليا كان حليما كريما. [صفحة ٢٥٥] و أما قوله لوعاش رسول الله ص فبربك هل كان يرضى لك أن تؤذى حليلته فلعل على أن يقلب الكلام عليه فيقول أفتراه لوعاش أ كان يرضى لحليلته أن تؤذى أخاه ووصيه وأيضا أتراه لوعاش أ كان يرضى لك يا ابن أبى سفيان أن تنازع عليا الخلافة وتفرق جماعة هذه الأمة وأيضا

أتراه لو عاش أ كان يرضى لطلحه والزبير أن يبايعا ثم ينكثا لالسب بل قالوا جئنا نطلب الدراهم فقد قيل لنا إن بالبصرة أموالا كثيرة هذا كلام يقوله مثلهما. فأما قوله تركت دار الهجرة فلا عيب عليه إذا انقضت عليه أطراف الإسلام بالبغي والفساد أن يخرج من المدينة إليها ويهذب أهلها وليس كل من خرج من المدينة كان خبيثا فقد خرج عنها عمر مرارا إلى الشام ثم لعلى ع أن يقلب عليه الكلام فيقول له و أنت يامعاوية فقد نفتك المدينة أيضا عنها فأنت إذا خيبت وكذلك طلحة والزبير وعائشة الذين تتعصب لهم وتحتج على الناس بهم وقد خرج عن المدينة الصالحون كابن مسعود و أبي ذر وغيرهما وماتوا في بلاد نائية عنها و أما قوله بعدت عن حرمة الحرمين ومجاورة قبر رسول الله ص فكلام إقناعي ضعيف والواجب على الإمام أن يقدم الأهم فالأهم من مصالح الإسلام وتقديم قتال أهل البغي على المقام بين الحرمين أولى فأما ما ذكره من خذلانه عثمان وشماتته به ودعائه الناس بعد قتله إلى نفسه وإكراهه طلحة والزبير وغيرهما على بيعته فكله دعوى والأمر بخلافها و من نظر كتب السير عرف أنه قد بهته وادعى عليه ما لم يقع منه . و أما قوله التويت على أبي بكر وعمر وقعدت عنهما و حاولت الخلافة بعد رسول الله ص فإن عليا ع لم يكن يجحد ذلك ولا ينكره ولا يرب [صفحہ ۲۵۶] أنه كان يدعى الأمر بعد وفاة رسول الله ص لنفسه على الجملة أما لنص كما تقوله الشيعة أو لأمر آخر كما يقوله أصحابنا فأما قوله لو وليتها حينئذ لفسد الأمر واضطرب الإسلام فهذا علم غيب لا يعلمه إلا الله ولعله لو وليها حينئذ لاستقام الأمر وصلاح الإسلام وتمهد فإنه ما وقع الاضطراب عند ولايته بعد عثمان إلا لأن أمره هان عندهم بتأخره عن الخلافة وتقدم غيره عليه فصغر شأنه في النفوس وقرر من تقدمه في قلوب الناس أنه لا يصلح لها كل الصلاحية و الناس على ما يحصل في نفوسهم و لو كان وليها ابتداء و هو على تلك الحالة التي كان عليها أيام حياة رسول الله ص وتلك المنزلة الرفيعة والاختصاص الذي كان له لكان الأمر غير الذي رأيناه عند ولايته بعد عثمان و أما قوله لأنك الشامخ بأنفه الذاهب بنفسه فقد أسرف في وصفه بما وصفه به و لاشك أن عليا ع كان عنده زهو لكن لا هكذا و كان ع مع زهوه أطف الناس خلقا. ثم نرجع إلى تفسير ألفاظه ع قوله و ذكرت أنك زائري في جمع من المهاجرين والأنصار و قد انقطعت الهجرة يوم أسر أخوك هذا الكلام تكذيب له في قوله في جمع من المهاجرين والأنصار أي ليس معك مهاجر لأن أكثر من معك ممن رأى رسول الله ص هم أبناء الطلقاء و من أسلم بعد الفتح و قد قال النبي ص لا هجرة بعد الفتح -رواية ۱- ۲-رواية ۲۱- ۳۹ . و عبر عن يوم الفتح بعبارة حسنة فيها تقييد لمعاوية وأهله بالكفر وأنهم ليسوا من ذوى السوابق فقال قد انقطعت الهجرة يوم أسر أخوك يعنى يزيد بن أبي سفيان أسر يوم الفتح في باب الخندمة و كان خرج في نفر من قريش يحاربون ويمنعون [صفحہ ۲۵۷] من دخول مكة فقتل منهم قوم وأسرى يزيد بن أبي سفيان أسره خالد بن الوليد فخلصه أبو سفيان منه وأدخله داره فأمن لأن رسول الله ص قال يومئذ من دخل دار أبي سفيان فهو آمن -رواية ۱- ۲-رواية ۳۲- ۶۵

ذكر الخبر عن فتح مكة

ويجب أن نذكر في هذا الموضوع ملخص ما ذكره الواقدي في كتاب المغازي في فتح مكة فإن الموضوع يقتضيه لقوله ع ما أسلم مسلمكم إلا كرها و قوله يوم أسر أخوك . قال محمد بن عمر الواقدي في كتاب المغازي كان رسول الله ص قد هادن قريشا في عام الحديبية عشر سنين وجعل خزاعة داخله معه وجعلت قريش بنى بكر بن عبدمناة من كنانة داخله معهم و كان بين بنى بكر وبين خزاعة تراث في الجاهلية ودماء و قد كانت خزاعة من قبل حالفت عبدالمطلب بن هاشم و كان معها كتاب منه و كان رسول الله ص يعرف ذلك فلما تم صلح الحديبية وأمن الناس سمع غلام من خزاعة إنسانا من بنى كنانة يقال له أنس بن زنيم الدؤلى ينشد هجاء له في رسول الله ص فضربه فشجه فخرج أنس إلى قومه فأراهم شجته فثار بينهم الشر وتذاكروا أحقادهم القديمة

والقوم مجاورون بمكة فاستنجدت بكر بن عبدمناة قريشا على خزاعة فمن قريش من كره ذلك وقال لانقض عهد محمد ومنهم من خف إليه و كان أبو سفيان أحد من كره ذلك و كان صفوان بن أمية و حويطب بن عبد العزى و مركز بن حفص [صفحہ ۲۵۸] ممن أعان بنى بكر و دسوا إليهم الرجال بالسلاح سرا و بيتوا خزاعة ليلا فأوقعوا بهم فقتلوا منهم عشرين رجلا فلما أصبحوا عاتبوا قريشا فحدثت قريش أنها أعانت بكر و كذبت فى ذلك و تبرأ أبو سفيان و قوم من قريش مما جرى و شخص قوم من خزاعة إلى المدينة مستصرخين برسول الله ص فدخلوا عليه و هو فى المسجد فقام عمرو بن سالم الخزاعى فأنشده لاهم إني ناشد محمدا || حلف أبينا و أبيه الأتلا لكنت والدا و كنا ولدا || ثم أسلمنا و لم نزع يدا إن قريشا أخلفوك الموعدا || و نقضوا ميثاقك المؤكدا هم بيتونا بالوتير هجدا || تتلو القرآن ركعا و سجدا و زعموا أن لست تدعو أحدا || و هم أذل و أقل عددا فانصر هداك الله نصرأ أيدا || و ادع عباد الله يأتوا مددا فى فيلق كالبحر يجرى مزبدا || فيهم رسول الله قد تجردا قرم لقوم من قروم أصيدا . ثم ذكروا له ما أثار الشر و قالوا له إن أنس بن زعيم هجاك و إن صفوان بن أمية و فلانا و فلانا دسوا إلينا رجال قريش مستصرخين فبيتونا بمنزلنا بالوتير فقتلونا و جئناك مستصرخين بك فرعموا أن رسول الله ص قام مغضبا يجر رداءه و يقول لانصرت إن لم أنصر خزاعة فيما أنصر منه نفسى . [صفحہ ۲۵۹] قلت فصادف ذلك من رسول الله ص إثارا و حبا لنقض العهد لأنه كان يريد أن يفتح مكة و هم بها فى عام الحديبية فصد ثم هم بها فى عمرة القضية ثم وقف لأجل العهد و الميثاق الذى كان عقده معهم فلما جرى ماجرى على خزاعة اغتتمها . قال الواقدى فكتب إلى جميع الناس فى أقطار الحجاز وغيرها يأمرهم أن يكونوا بالمدينة فى رمضان من سنة ثمان للهجرة فوافته الوفود و القبائل من كل جهة فخرج من المدينة بالناس يوم الأربعاء لعشر خلون من رمضان فى عشرة آلاف فكان المهاجرون سبعمائة و معهم من الخيل ثلاثمائة فرس و كانت الأنصار أربعة آلاف معهم من الخيل خمسمائة و كانت مزينة ألفا فيها من الخيل مائة فرس و كانت أسلم أربعمائة فيها من الخيل ثلاثون فرسا و كانت جهينة ثمانمائة معها خمسون فرسا و من سائر الناس تمام عشرة آلاف و هم بنو ضمرة و بنو غفار و أشجع و بنو سليم و بنو كعب بن عمرو و غيرهم و عقد للمهاجرين ثلاثة ألوية لواء مع على و لواء مع الزبير و لواء مع سعد بن أبى وقاص و كانت الرايات فى الأنصار و غيرهم و كتّم عن الناس الخبر فلم يعلم به إلا خواصه و أما قريش بمكة فندمت على ما صنعت بخزاعة و عرفت أن ذلك انقضاء ما بينهم و بين النبى ص من العهد و مشى الحارث بن هشام و عبد الله بن أبى ربيعة إلى أبى سفيان فقللا له إن هذا أمر لا بد له أن يصلح و الله إن لم يصلح لا يرو عكم إلا محمد فى أصحابه و قال أبو سفيان قدرأت هند بنت عتبة رؤيا كرهتها و أفضعتها و خفت من شرها قالوا ما رأيت قال رأيت كان دما أقبل من الحجون يسيل حتى وقف بالخدمه مليا ثم كان ذلك الدم لم يكن فكره القوم ذلك و قالوا هذا شر . قال الواقدى فلما رأى أبو سفيان مارأى من الشر قال هذا و الله أمر لم أشهده [صفحہ ۲۶۰] و لم أغب عنه لا يحمل هذا إلا على و لا و الله ماشوورت و لاهونت حيث بلغنى و الله ليغزونا محمد إن صدق ظنى و هو صادق و ما لى بد أن آتى محمدا فأكلمه أن يزيد فى الهدنة و يجدد العهد قبل أن يبلغه هذا الأمر قالت قريش قد و الله أصبت و ندمت قريش على ما صنعت بخزاعة و عرفت أن رسول الله ص لا بد أن يغزوها فخرج أبو سفيان و خرج معه مولى له على راحتين و أسرع السير و هو يرى أنه أول من خرج من مكة إلى رسول الله ص قال الواقدى و قدروى الخبر على وجه آخر و هو أنه لما قدم ركب خزاعة على رسول الله ص فأخبروه بمن قتل منهم قال لهم بمن تهتمكم و طلبتكم قالوا بنو بكر بن عبدمناة قال كلها قالوا لا ولكن تهمتنا بنو نفاثة قصره و رأسهم نوفل بن معاوية النفاثى فقال هذا بطن من بكر فأنا باعث إلى أهل مكة فسائلهم عن هذا الأمر و مخيرهم فى خصال فبعث إليهم ضمرة يخيرهم بين إحدى خلال ثلاث بين أن يدوا خزاعة أو يبرءوا من حلف نفاثة أو ينبذ إليهم على سواء فأتاهم ضمرة فخيرهم بين خلال الثلاث فقال قريظة بن عبد عمرو الأعمى أما أن ندى قتلى خزاعة فإننا إن و دينا هم لم يبق لنا سبد و لا لبد و أما أن نبرأ من حلف نفاثة فإنه ليس قبيلة تحج هذا البيت أشد تعظيما له من نفاثة و هم حلفاؤنا فلانبرأ من

حلفهم ولكننا ننبذ إليه على سواء فعاد ضمرة إلى رسول الله ص بذلك وندمت قريش أن ردت ضمرة بما ردت به . قال الواقدي و قد روى غير ذلك روى أن قريشا لم اندمت على قتل خزاعة وقالت محمد غازينا قال لهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح و هو يومئذ كافر مرتد [صفحة ٢٦١] عندهم أن عندي رأيا أن محمدا ليس يغزوكم حتى يعذر إليكم ويخيركم في خصال كلها أهون عليكم من غزوة قالوا ماهي قال يرسل إليكم أن تدوا قتلى خزاعة أوتبرءوا من حلف من نقض العهد وهم بنو نفاثة أوبنذ إليكم العهد فقال القوم أحر بما قال ابن أبي سرح أن يكون فقال سهيل بن عمرو ماخصلة أيسر علينا من أن نبرأ من حلف نفاثة فقال شيبه بن عثمان العبدري حطت أخوالك خزاعة و غضبت لهم قال سهيل و أى قريش لم تلد خزاعة قال شيبه لا ولكن ندى قتلى خزاعة فهو أهون علينا فقال قريظة بن عبد عمرو لا و الله لانديهم و لانبرأ عن نفاثة أير العرب بنا وأعمرهم لبيت ربنا ولكن ننبذ إليهم على سواء فقال أبو سفيان ما هذا بشيء و ما الرأي إلا الجحد هذا الأمر أن تكون قريش دخلت في نقض العهد أو قطع مدة فإن قطعه قوم بغير هوى منا و لامشورة فما علينا قالوا هذا هو الرأي لا رأي إلا الجحد لكل ما كان من ذلك فقال أنا أقسم أنى لم أشهد و لم أوامر و أنا صادق لقد كرهت ما صنعتكم و عرفت أن سيكون له يوم غماس قالت قريش لأبى سفيان فاخرج أنت بذلك فخرج . قال الواقدي و حدثني عبد الله بن عامر الأسلمي عن عطاء بن أبى مروان قال قال رسول الله ص لعائشة صبيحة الليلة التي أوقعت فيها نفاثة و قريش بخزاعة بالوتير ياعائشة لقد حدث الليلة في خزاعة أمر فقالت عائشة يا رسول الله أتري قريشا تجترئ على نقض العهد بينك وبينهم أينقضون و قد أفناهم السيف فقال العهد لأمر يريد الله بهم فقالت خير أم شر يا رسول الله فقال خير . قال الواقدي و حدثني عبد الحميد بن جعفر قال حدثني عمران بن أبى أنس عن ابن عباس قال قام رسول الله ص و هو يجر طرف رداءه و يقول -رواية- ١-٢-رواية- ٩٣-ادامه دارد [صفحة ٢٦٢] لانصرت إن لم أنصر بنى كعب يعنى خزاعة فيما أنصر منه نفسى -رواية- از قبل ٦٥ . قال الواقدي و حدثني حرام بن هشام عن أبيه قال قال رسول الله ص لكأنكم بأبى سفيان قد جاءكم يقول جدد العهد وزد في الهدنة و هو راجع بسخطه و قال لبنى خزاعة عمرو بن سالم وأصحابه ارجعوا و تفرقوا في الأودية و قام فدخل على عائشة و هو مغضب فدعا بماء فدخل يغتسل قالت عائشة فأسمعه يقول و هو يصب الماء على رجليه لانصرت أن لم أنصر بنى كعب -رواية- ١-٢-رواية- ١٤-٨٤ . قال الواقدي فأما أبو سفيان فخرج من مكة و هو متخوف أن يكون عمرو بن سالم و رهطه من خزاعة سبقوه إلى المدينة و كان القوم لمارجعوا من المدينة و أتوا الأبناء و تفرقوا كما أوصاهم رسول الله ص فذهبت طائفة إلى الساحل تعارض الطريق و لزم بديل ابن أم أصرم الطريق في نفر معه فلقبهم أبو سفيان فلما رآهم أشفق أن يكونوا لقوا محمدا ص بل كان اليقين عنده فقام للقوم منذ كم عهدكم يثرب قالوا لا عهد لنا به فاعرف أنهم كتموه فقال أ ما معكم من تمر يثرب شىء تطعموناه فإن لتمر يثرب فضلا على تمر تهامة قالوا لا ثم أبت نفسه أن تقر فقال يا بديل هل جئت محمدا قال لا ولكنى سرت في بلاد خزاعة من هذا الساحل في قتيل كان بينهم حتى أصلحت بينهم قال يقول أبو سفيان إنك و الله ما علمت بر واصل فلما راح بديل و أصحابه جاء أبو سفيان إلى أبعار إبلهم ففتها فإذا فيها النوى و وجد في منزلهم نوى من تمر عجوة كأنه ألسنة العصافير فقال أحلف بالله لقد جاء القوم محمدا و أقبل حتى قدم المدينة فدخل على النبى ص فقال يا محمد إنى كنت غائبا في صلح الحديبية فاشدد العهد و زدنا في المدة فقال رسول الله ص ولذلك قدمت يا أباسفيان قال نعم قال فهل كان قبلكم حدث [صفحة ٢٦٣] فقال معاذ الله فقال رسول الله فنحن على موثقتنا و صلحنا يوم الحديبية لانغير و لانبذل فقام من عنده فدخل على ابنته أم حبيبة فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ص طوته دونه فقال أرغبت بهذا الفراش عنى أم رغبت بى عنه فقالت بل هو فراش رسول الله ص و أنت امرؤ نجس مشرك قال يابنية لقد أصابك بعدى شر فقالت إن الله هدانى للإسلام و أنت يا أبت سيد قريش و كبيرها كيف يخفى عنك فضل الإسلام و تعبد حجرا لا يسمع و لا يبصر فقال يا عجا و هذا منك أيضا أترك ما كان يعبد آبائى و أتبع دين محمد ثم قام من عندها فلقي أبابكر فكلمه و قال تكلم أنت محمدا و تجير

أنت بين الناس فقال أبو بكر جوارى رسول الله ص ثم لقي عمر فكلمه بمثل ما كلم به أبا بكر فقال عمر و الله لو وجدت السنور تقاتلكم لأعنتها عليكم قال أبو سفيان جزيت من ذى رحم شرا ثم دخل على عثمان بن عفان فقال له إنه ليس فى القوم أحد أمس بى رحما منك فزدنى الهدنة وجدد العهد فإن صاحبك لا يريد عليك أبدا و الله ما رأيت رجلا قط أشد إكراما لصاحب من محمدا لأصحابه فقال عثمان جوارى رسول الله ص فجاء أبو سفيان حتى دخل على فاطمة بنت رسول الله ص فكلمها و قال أجيرى بين الناس فقالت إنما أنا امرأة قال إن جوارك جائز و قد أجارت أختك أبا العاص بن الربيع فأجاز محمد ذلك فقالت فاطمة ذلك إلى رسول الله ص و أبت عليه فقال مرى أحد هذين ابنيك يجير بين الناس قالت إنهما صبيان و ليس يجير الصبى فلما أبت عليه أتى عليا ع فقال يا أبا حسن أجز بين الناس و كلم محمدا ليزيد فى المدة فقال على ع و يحك يا أباسفيان إن رسول الله ص قد عزم [صفحة ٢٦٤] ألا يفعل و ليس أحد يستطيع أن يكلمه فى شىء يكرهه قال أبو سفيان فما رأى عندك فتشير لأمرى فإنه قد ضاق على فمرنى بأمر ترى أنه نافعى قال على ع و الله ما أجد لك شيئا مثل أن تقوم فتجير بين الناس فإنك سيد كنانة قال ترى ذلك مغنيا عنى شيئا قال على إنى لأظن ذلك و الله ولكنى لأجد لك غيره فقام أبو سفيان بين ظهري الناس فصاح ألا إنى قد أجرت بين الناس و لأظن محمدا يحقرنى ثم دخل على رسول الله ص فقال يا محمد ما أظن أن ترد جوارى فقال ع أنت تقول ذلك يا أباسفيان و يقال إنه لمصاح لم يأت النبى ص و ركب راحلته و انطلق إلى مكة و يروى أنه أيضا أتى سعد بن عبادة فكلمه فى ذلك و قال يا أبا ثابت قد عرفت الذى كان بينى و بينك و إنى كنت لك فى حرما جارا و كنت لى ييثر ب مثل ذلك و أنت سيد هذه المدرة فأجز بين الناس و زدنى فى المدة فقال سعد جوارى رسول الله ص ما يجير أحد على رسول الله ص فلما انطلق أبو سفيان إلى مكة و قد كان طالت غيبته عن قريش و أبطأ فاتهموه و قالوا نراه قد صبا و اتبع محمدا سرا و كنتم إسلامه فلما دخل على هند ليلا قالت قد احتبست حتى اتهمك قومك فإن كنت جئتهم بنجح فأنت الرجل و قد كان دنا منها ليغشاها فأخبرها الخبر و قال لم أجد إلا ما قال لى على فضربت برجلها فى صدره و قالت قبحت من رسول قوم . قال الواقدى فحدثنى عبد الله بن عثمان عن أبى سليمان عن أبيه قال لما أصبح أبو سفيان حلق رأسه عند الصنمين أساف و نائلة و ذبح لهما و جعل يمسح بالدم رءوسهما و يقول لأفارق عبادتكما حتى أموت على مامات عليه أبى قال فعل ذلك ليبرئ نفسه مما اتهمته قريش به [صفحة ٢٦٥] قال الواقدى و قالت قريش لأبى سفيان ما صنعت و ما وراءك و هل جئتنا بكتاب من محمد و زيادة فى المدة فإننا لانأمن من أن يغزونا فقال و الله لقد أبى على و لقد كلمت عليه أصحابه فما قدرت على شىء منهم و رمونى بكلمة منهم واحدة إلا - أن عليا قال لما ضاقت بى الأمور أنت سيد كنانة فأجز بين الناس فنادت بالجوار ثم دخلت على محمد فقلت إنى قد أجرت بين الناس و ما أظن محمدا يرد جوارى فقال محمد أنت تقول ذاك يا أباسفيان لم يزد على ذلك قالوا ما زاد على على أن يلعب بك تلعبا قال فو الله ما وجدت غير ذلك . قال الواقدى فحدثنى محمد بن عبد الله عن الزهرى عن محمد بن جبير بن مطعم قال لما خرج أبو سفيان عن المدينة قال رسول الله ص لعائشة جهزينا و أخفى أمرك - رويت - ١ - ٢ - رويت - ٨٥ - ١٦١ قال رسول الله ص اللهم خذ عن قريش الأخبار و العيون حتى نأتيهم بغتة - رويت - ١ - ٢ - رويت - ٢٣ - ٧٦ روى أنه قال اللهم خذ على أبصارهم فلا يرونى إلا بغتة و لا يسمعون بى إلا فجأة - رويت - ١ - ٢ - رويت - ١٧ - ٨٢ قال و أخذ رسول الله ص الأنقاب و جعل عليها الرجال و منع من يخرج من المدينة فدخل أبو بكر على عائشة و هى تجهز رسول الله ص تعمل له قمحا سويقا و دقيقا و تمرا فقال لها أهم رسول الله ص بغزو قالت لا أدرى قال إن كان هم بسفر فأذنينا نتهيأ له قالت لا أدرى لعله أراد بنى سليم لعله أراد ثقيفا أو هوازن فاستعجمت عليه فدخل على رسول الله ص فقال يا رسول الله أردت سفرا قال نعم قال أفأجهز قال نعم قال و أين تريد قال قريشا و أخف ذلك يا أبا بكر و أمر رسول الله ص الناس فتجهزوا و طوى عنهم الوجه الذى يريد و قال له أبو بكر يا رسول الله أ و ليس بيننا و بينهم مدة فقال إنهم غدروا و نقضوا العهد [صفحة ٢٦٦] فأنا غازيهم فاطو

ما ذكرت لك فكان الناس بين ظان يظن أنه يريد سليما وطان يظن أنه يريد هوازن وطان يظن أنه يريد ثقيفا وطان يظن أنه يريد الشام وبعث رسول الله ص بأبقتاده بن ربي في نفر إلى بطن ليظن الناس أن رسول الله ص قدم أمامه أولئك الرجال لتوجهه إلى تلك الجهة ولتذهب بذلك الأخبار. قال الواقدي حدثني المنذر بن سعد عن يزيد بن رومان قال لما أجمع رسول الله ص المسير إلى قريش وعلم بذلك من علم من الناس كتب حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ص في أمرهم وأعطى الكتاب امرأة من مزينة وجعل لها على ذلك جعلاً على أن تبلغه قريشا فجعلت الكتاب في رأسها ثم قتلت عليه قرونها وخرجت به وأتى الخبر إلى النبي ص من السماء بما صنع حاطب فبعث عليا ع والزبير فقال أدركا امرأة من مزينة قد كتب معها حاطب كتابا يحذر قريشا فخرجا وأدركاها بذي الحليفة فاستنزلاها والتمسا الكتاب في رحلها فلم يجدا شيئا فقالا لها نحلف بالله ما كذب رسول الله ص ولا كذبنا ولتخرجن الكتاب أولنكشفنك فلما رأت منهما الجهد حلت قرونها واستخرجت الكتاب فدفعته إليهما فأقبلا به إلى رسول الله ص فدعا حاطبا وقال له ما حملك على هذا فقال يا رسول الله و الله إنى لمسلم مؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدلت ولكنى كنت امرأ ليس لى فى القوم أصل ولا عشيرة و كان لى بين أظهرهم أهل وولد فصانعتهم فقال عمر قاتلك الله ترى رسول الله ص يأخذ بالأنقاب وتكتب إلى قريش تحذرهم دعنى يا رسول الله أضرب عنقه فإنه قد نافع فقال رسول الله ص -رواية- ١-٢-رواية- ٢٤-١-دأمة دارد [صفحة ٢٦٧] و ما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم -رواية- از قبل- ٨٧ قال الواقدي فلما خرج رسول الله ص من المدينة بالألوية المعقودة والرايات بعد العصر من يوم الأربعاء لعشر خلون من شهر رمضان لم يحل عقده حتى انتهى إلى الصلصل والمسلمون يقودون الخيل وقدامتوا الإبل و قدم أمامه الزبير بن العوام فى العوام فى مائتين قال فلما كان بالبيداء نظر إلى عنان السماء فقال إنى لأرى السحاب تستهل بنصر بنى كعب يعنى خزاعة. قال الواقدي وجاء كعب بن مالك ليعلم أى جهة يقصد فبرك بين يديه على ركبته ثم أنشده قضينا من تهامة كل نحب || وخبير ثم أحمينا السيوف فسائلها و لونظقت لقات || قواضيهن دوسا أو ثقيفا فلست بحاضر إن لم تروها || بساحة داركم منها ألؤفا فنتزع الخيام ببطن وج || ونترك دوركم منها خلؤفا . قال فتبسم رسول الله ص و لم يزد على ذلك فجعل الناس يقولون و الله ما بين لك رسول الله ص شيئا فلم تزل الناس كذلك حتى نزلوا بمر الظهران . قال الواقدي وخرج العباس بن عبدالمطلب ومخرمة بن نوفل من مكة يطلبان رسول الله ص ظنا منهما أنه بالمدينة يريدان الإسلام فلقيه بالسقيا. [صفحة ٢٦٨] قال الواقدي فلما كانت الليلة التى أصبح فيها بالجحفه رأى فيها أبوبكر فى منامه أن النبى ص وأصحابه قد دنوا من مكة فخرجت عليهم كلبه تهر فلما دنوا منها استلقت على قفاها و إذا أطباؤها تشخب لبنا فقصها على رسول الله ص فقال ذهب كلبهم وأقبل درهم وهم سائلونا بأرحامهم وأنتم لاقون بعضهم فإن لقيتم أباسفيان فلا تقتلوه قال الواقدي و إلى أن وصل مر الظهران لم يبلغ قريشا حرف واحد من حاله فلما نزل بمر الظهران أمر أصحابه أن يوقدوا النار فأوقدوا عشرة آلاف نار وأجمعت قريش أن يبعثوا أباسفيان يتجسس لهم الأخبار فخرج هو وحكيم بن حزام وبدليل بن ورقاء قال و قد كان العباس بن عبدالمطلب قال وا سوء صباح قريش و الله إن دخلها رسول الله ص عنوة إنه لهلاك قريش آخر الدهر قال العباس فأخذت بغلة رسول الله ص الشهباء فركبتها و قلت ألتمس حطابا أو إنسانا أبعثه إلى قريش فيلقوا رسول الله ص قبل أن يدخلها عليهم عنوة فو الله إنى لفى الأبراك ليلا- أبتغى ذلك إذ سمعت كلاما يقول و الله إن رأيت كالليلة نارا قال يقول بدليل بن ورقاء إنها نيران خزاعة جاشها الحرب قال يقول أبوسفيان خزاعة أذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها فعرفت صوته فقلت أباحنظلة فعرف صوتى فقال لبيك أباالفضل فقلت ويحك هذا رسول الله ص فى عشرة آلاف و هو مصبحكم فقال بأبى وأمى فهل من حيلة فقلت نعم تركب عجز هذه البغلة فأذهب بك إلى رسول الله ص فإنه إن ظفر بك دون ذلك ليقتلنك قال و الله أنا أرى ذلك فركب خلفى ورحل [صفحة ٢٦٩] بدليل وحكيم فتوجهت به فلما مرتت به على نار من نيران المسلمين قالوا من هذا فإذا رأونى

قالوا عم رسول الله ص على بغلة رسول الله حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فلما رآني قال من هذا قلت العباس فذهب ينظر فرأى أباسفيان خلفي فقال أبوسفيان عدو الله الحمد لله الذي أمكن منك بغير عهد ولا عقد ثم خرج يشتد نحو رسول الله ص وركضت البغلة حتى اجتمعنا جميعا على باب قبة رسول الله ص فدخلت ودخل عمر بن الخطاب على أثرى فقال عمر يا رسول الله هذا أبوسفيان عدو الله قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد فدعني أضرب عنقه فقلت يا رسول الله إني قد أجرته ثم لظمت رسول الله ص فقلت والله لا ينجيه الليلة أحد دوني فلما أكثر عمر فيه قلت مهلا يا عمر فإنه لو كان رجلا من عدى بن كعب ما قلت هذا ولكنه أحد بنى عبدمناف فقال عمر مهلا يا أباالفضل فوالله لإسلامك كان أحب إلي من إسلام الخطاب أو قال من إسلام رجل من ولد الخطاب لو أسلم فقال رسول الله ص اذهب به فقد أجرناه فليت عندك حتى تغدو به علينا إذا أصبحت فلما أصبحت غدوت به فلما رآه رسول الله ص قال ويحك يا أباسفيان ألم يأن لك أن تعلم لا إله إلا الله قال بأبي أنت ما أحلمك وأكرمك وأعظم عفوك قد كان يقع في نفسي أن لو كان مع الله إله آخر لأغنى قال يا أباسفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله قال بأبي أنت ما أحلمك وأكرمك وأعظم عفوك أما هذه فوالله إن في النفس منها لشيئا بعد قال العباس فقلت ويحك تشهد وقل لا إله إلا الله محمد رسول الله قبل أن تقتل فتشهد وقال العباس يا رسول الله إنك قد عرفت أباسفيان وفيه الشرف والفخر فاجعل له شيئا فقال من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق داره فهو آمن ثم قال خذه فاحبسه بمضيق الوادي إلى خطم الجبل -رواية ١-٢-رواية ٩-٩-ادامه دارد [صفحة ٢٧٠] حتى تمر عليه جنود الله فيراها -رواية ٣٣-از قبل قال العباس فعدلت به في مضيق الوادي إلى خطم الجبل فحبسته هناك فقال أغدرا يا بنى هاشم فقلت له إن أهل النبوة لا يغدرون وإنما حبستك لحاجة قال فهلا بدأت بها أولا فأعلمتنيها فكان أفرخ لروعي ثم مرت به القبائل على قادتها والكتائب على راياتها فكان أول من مر به خالد بن الوليد في بنى سليم وهم ألف ولهم لواءان يحمل أحدهما العباس بن مرداس والآخر خفاف بن ندبة وراية يحملها المقداد فقال أبوسفيان يا أباالفضل من هؤلاء قال هؤلاء بنو سليم وعليهم خالد بن الوليد قال الغلام قال نعم فلما حاذى خالد العباس وأبوسفيان كبر ثلاثا وكبروا معه ثم مضوا ومر على أثره الزبير بن العوام في خمسمائة فيهم جماعة من المهاجرين وقوم من أفناء الناس ومعه راية سوداء فلما حاذاهما كبر ثلاثا وكبر أصحابه فقال من هذا قال هذا الزبير قال ابن أختك قال نعم قال ثم مرت به بنو غفار في ثلاثمائة يحمل رايتهم أبوذر ويقال إيماء بن رخصه فلما حاذوهما كبروا ثلاثا قال يا أباالفضل من هؤلاء قال بنو غفار قال ما لى ولبنى غفار ثم مرت به أسلم في أربعمائه يحمل لواءها يزيد بن الخصيب ولواء آخر مع ناجية بن الأعجم فلما حاذوه كبروا ثلاثا فسأل عنهم فقال هؤلاء أسلم فقال ما لى ولأسلم ما كان بيننا وبينهم ترة قط ثم مرت بنو كعب بن عمرو بن خزاعة في خمسمائة يحمل رايتهم بشر بن سفيان فقال من هؤلاء قال كعب بن عمرو قال نعم حلفاء محمد فلما حاذوه كبروا ثلاثا ثم مرت مزينة في ألف فيها ثلاثة ألوية مع النعمان بن مقرن وبلال بن الحارث وعبد الله بن عمرو فلما حاذوهما كبروا قال من هؤلاء قال مزينة قال يا أباالفضل ما لى ولمزينة قد جاءتنى تقعقع من شواهقها [صفحة ٢٧١] ثم مرت جهينة في ثمانمائة فيها أربعة ألوية مع معبد بن خالد وسويد بن صخر ورافع بن مكيث وعبد الله بن بدر فلما حاذوه كبروا ثلاثا فسأل عنهم فقيل جهينة ثم مرت بنو كنانة وبنو ليث وضمرة وسعد بن أبي بكر في مائتين يحمل لواءهم أبوواقد الليثي فلما حاذوه كبروا ثلاثا قال من هؤلاء قال بنو بكر قال نعم أهل شؤم هؤلاء الذين غزانا محمد لأجلهم أما والله ماشوورت فيهم ولا علمته ولقد كنت له كارها حيث بلغنى ولكنه أمر حم قال العباس لقد خار الله لك في غزو محمد إياكم ودخلتم في الإسلام كافة ثم مرت أشجع وهم آخر من مر به قبل أن تأتي كتيبة رسول الله ص وهم ثلاثة يحمل لواءهم معقل بن سنان ولواء آخر مع نعيم بن مسعود فكبروا قال من هؤلاء قال أشجع فقال هؤلاء كانوا أشد العرب على محمد قال العباس نعم ولكن الله أدخل الإسلام قلوبهم وذلك من فضل الله فسكت وقال أ مامر محمد بعد قال لا ولورأيت الكتيبة التي هو فيها لرأيت الحديد والخيل والرجال وما

ليس لأحد به طاقة فلما طلعت كتيبه رسول الله ص الخضراء طلع سواد شديد وغبرة من سنابك الخيل وجعل الناس يمرون كل ذلك يقول أ مامر محمد بعد فيقول العباس لا حتى مر رسول الله ص يسير على ناقته القصوى بين أبي بكر وأسيد بن حضير و هو يحدثهما و قال له العباس هذا رسول الله ص في كتيبه الخضراء فانظر قال و كان في تلك الكتيبه وجوه المهاجرين والأنصار و فيها الألوية والرايات وكلهم منغمسون في الحديد لا يرى منهم إلا الحدق ولعمر بن الخطاب فيهازجل و عليه الحديد وصوته عال و هو يزعا فقال يا أبا الفضل من هذا المتكلم قال هذا [صفحہ ۲۷۲] عمر بن الخطاب قال لقد أمر أمر بنى عدى بعد قلته و ذلة فقال إن الله يرفع من يشاء بما يشاء و إن عمر ممن رفعه الإسلام و كان في الكتيبه ألفا دارع و رايه رسول الله ص مع سعد بن عباده و هو أمام الكتيبه فلما حاذاهما سعد نادى يا أباسفيان اليوم يوم الملحمة || اليوم تسبى الحرمة . اليوم أذل الله قريشا فلما حاذاهما رسول الله ص ناداه أبوسفيان يا رسول الله أمرت بقتل قومك أن سعدا قال اليوم يوم الملحمة || اليوم تسبى الحرمة اليوم أذل الله قريشا و إنى أنشدك الله فى قومك فأنت أبر الناس وأرحم الناس وأوصل الناس فقال عثمان بن عفان و عبدالرحمن بن عوف يا رسول الله إنا لأنأمن سعدا أن يكون له فى قريش صولة فوقف رسول الله ص وناداه يا أباسفيان بل اليوم يوم المرحمة اليوم أعز الله قريشا وأرسل إلى سعد فعزله عن اللواء -روایت- ۱-۱۲۰ واختلف فيمن دفع إليه اللواء فقبل دفعه إلى على بن أبى طالب ع فذهب به حتى دخل مكة فغزوه عند الركن و هو قول ضرار بن الخطاب الفهري وقيل دفعه إلى قيس بن سعد بن عبادة و رأى رسول الله ص أنه لم يخرج عن سعد حيث دفعه إلى ولده فذهب به حتى غرزه بالحجون قال و قال أبوسفيان للعباس ما رأيت مثل هذه الكتيبه قط و لأخبرنيه مخبر سبحان الله مالأحد بهؤلاء طاقة و لا يدان لقد أصبح ملك ابن أخيك يا عباس عظيما قال فقلت ويحك إنه ليس بملك و إنها النبوة قال نعم . قال الواقدي قال العباس فقلت له انج ويحك فأدرك قومك قبل أن يدخل [صفحہ ۲۷۳] عليهم فخرج أبوسفيان حتى دخل من كداء و هو ينادى من دخل دار أبى سفيان فهو آمن و من أغلق عليه بابه فهو آمن حتى انتهى إلى هند بنت عتبة فقالت ما وراءك قال هذا محمد فى عشرة آلاف عليهم الحديد و قد جعل لى أنه من دخل دارى فهو آمن و من أغلق عليه بابه فهو آمن و من ألقى سلاحه فهو آمن فقالت قبحك الله من رسول قوم وجعلت تقول ويحكم اقتلوا و افدكم قبحه الله من وافد قوم فيقول أبوسفيان ويحكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم فإني رأيت ما لم تروا الرجال والكرام والسلاح ليس لأحد بهذا طاقة محمد فى عشرة آلاف فأسلموا تسلموا و قال المبرد فى الكامل أمسكت هند برأس أبى سفيان وقالت بنس طليعه القوم و الله ما خدشت خدشا يا أهل مكة عليكم الحميت الدسم فاقتلوه قال الحميت الزق المزفت . قال الواقدي و خرج أهل مكة إلى ذى طوى ينظرون إلى رسول الله ص وانضوى إلى صفوان بن أمية و عكرمة بن أبى جهل و سهيل بن عمرو ناس من أهل مكة و من بنى بكر و هذيل فلبسوا السلاح وأقسموا لا يدخل محمد مكة عنوة أبدا و كان رجل من بنى الدؤل يقال له حماس بن قيس بن خالد الدؤلى لما سمع برسول الله ص جلس يصلح سلاحه فقالت له امرأته لم تعد السلاح قال لمحمد وأصحابه و إنى لأرجو أن أخدمك منهم خادما فإنك إليه محتاجة قالت ويحك لا تفعل لا تقاتل محمدا و الله ليضلن هذا عنك لورأيت محمدا وأصحابه قال سترين وأقبل رسول الله ص و هو على ناقته القصواء معتجرا ببرد حبرة و عليه عمامة سوداء و رايته سوداء ولواؤه أسود حتى وقف بذى طوى و توسط الناس و إن عشونه ليمس واسطة الرحل أو يقرب منه تواضعا لله حيث رأى مارأى من الفتح وكثرة المسلمين و قال لاعيش إلا عيش الآخرة -روایت- ۱-۲-روایت- ۸-۳۱ . [صفحہ ۲۷۴] وجعلت الخيل تعج بذى طوى فى كل وجه ثم ثابتت وسكنت والتفت رسول الله ص إلى أسيد بن حضير فقال كيف قال حسان بن ثابت قال فأنشده عدما خيلنا إن لم تروها || تثير النقع موعدها كداء تظل جيانا متمطرات || تلطمهن بالخمير النساء . فتبسم رسول الله ص و حمد الله وأمر الزبير بن العوام أن يدخل من كداء وأمر خالد بن الوليد أن يدخل من الليث وأمر قيس بن سعد أن يدخل من كدى ودخل هوص من أذاخر . قال الواقدي وحدثني مروان بن محمد عن عيسى بن عميلة الفزارى قال دخل

رسول الله ص مكة بين الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن . قال الواقدي وروى عيسى بن معمر عن عباد بن عبد الله عن أسماء بنت أبي بكر قالت صعد أبو قحافة بصغرى بناته واسمها قريبة و هو يومئذ أعمى وهى تقوده حتى ظهرت به إلى أبي قبيس فلما أشرفت به قال يابنية ماذا ترين قالت أرى سوادا مجتمعا مقبلا كثيرا قال يابنية تلك الخيل فانظري ماذا ترين قالت أرى رجلا يسعى بين ذلك السواد مقبلا ومدبرا قال ذاك الوازع فانظري ماذا ترين قالت قد تفرق السواد قال قد تفرق الجيش البيت قالت فنزلت الجارية به وهى ترعب لمارتى فقال يابنية لاتخافى فو الله إن أخاك عتيقا لآثر أصحاب محمد عند محمد قالت وعليها طوق من فضة فاختمه بعض من دخل [صفحہ ۲۷۵] فلما دخل رسول الله ص مكة جعل أبو بكر ينادى أنشدكم الله أيها الناس طوق أختى فلم يرد أحد عليه فقال يا أخيه احتسبى طوقك فإن الأمانة فى الناس قليل . قال الواقدي ونهى رسول الله ص عن الحرب وأمر بقتل ستة رجال وأربع نسوة وعكرمة بن أبى جهل وهبار بن الأسود و عبد الله بن سعد بن أبى سرح ومقيس بن صبابه الليثى والحويرث بن نفيل و عبد الله بن هلال بن خطل الأدرمى وهند بنت عتبة وسارة مولاة لبنى هاشم وقينتين لابن خطل قريبا وقريبة ويقال قرينا وأرنب . قال الواقدي ودخلت الجنود كلها فلم تلق حربا إلا خالد بن الوليد فإنه وجد جمعا من قريش وأحاييها قد جمعوا له فيهم صفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو فمنعوه الدخول وشهروا السلاح ورموه بالنبل وقالوا لاتدخلها عنوة أبدا فصاح خالد فى أصحابه وقتلهم فقتل من قريش أربعة وعشرون و من هذيل أربعة وانهمزوا أقيح انهزام حتى قتلوا بالحزورة وهم مولون من كل وجه وانطلقت طائفة منهم فوق رءوس الجبال واتبعهم المسلمون وجعل أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام يناديان يامعشر قريش علام تقتلون أنفسكم من دخل داره فهو آمن و من أغلق عليه بابه فهو آمن و من وضع السلاح فهو آمن فجعل الناس يقتحمون الدور ويغلقون عليهم الأبواب ويطرحون السلاح فى الطرق حتى يأخذه المسلمون . قال الواقدي وأشرف رسول الله ص من على ثنية أذاخر فنظر إلى البارقة فقال ما هذه البارقة ألم أنه عن القتال قيل يا رسول الله خالد بن الوليد [صفحہ ۲۷۶] قوتل و لو لم يقاتل ما قاتل فقال قضاء الله خير وأقبل ابن خطل مدججا فى الحديد على فرس ذنوب بيده قناة يقول لا والله لا يدخلها عنوة حتى يرى ضربا كأفواه المزداد فلما انتهى إلى الخندمة ورأى القتال دخله رعب حتى ما يستمسك من الرعدة ومر هاربا حتى انتهى إلى الكعبة فدخل بين أستارها بعد أن طرح سلاحه وترك فرسه وأقبل حماس بن خالد الدؤلى منهزما حتى أتى بيته فدقه ففتحت له امرأته فدخل و قد ذهبت روحه فقالت أين الخادم التى وعدتني مازلت منتظرتك منذ اليوم تسخر به فقال دعى هذا وأغلقى الباب فإنه من أغلق بابه فهو آمن قالت ويحك ألم أنهك عن قتال محمد و قلت لك إنى مارأيت يقاتلكم مرة إلا وظهر عليكم و ما بانا قال إنه لا يفتح على أحد بابه ثم أنشدها إنك لو شهدتنا بالخندمة || إذ فر صفوان وفر عكرمه و بو يزيد كالعجوز المؤتمه || وضربناهم بالسيوف المسلمه لهم زئير خلفنا وغمغه || لم تنطقى فى اللوم أدنى كلمه . قال الواقدي وحدثنى قدامة بن موسى عن بشير مولى المازنيين عن جابر بن عبد الله قال كنت ممن لزم رسول الله ص يومئذ فدخلت معه يوم الفتح من أذاخر فلما أشرف نظر إلى بيوت مكة فحمد الله وأثنى عليه ونظر إلى موضع قبة بالأبطح تجاه شعب بنى هاشم حيث حصر رسول الله ص وأهله ثلاث [صفحہ ۲۷۷] سنين و قال يا جابر إن منزلنا اليوم حيث تقاسمت علينا قريش فى كفرها قال جابر فذكرت كلاما كنت أسمعته فى المدينة قبل ذلك كان يقول منزلنا غدا إن شاء الله إذ افتح علينا مكة فى الخيف حيث تقاسموا على الكفر . قال الواقدي وكانت قبة يومئذ بالأدم ضربت له بالحجون فأقبل حتى انتهى إليها ومعه أم سلمة وميمونة قال الواقدي وحدثنى معاوية بن عبد الله بن عبيد الله عن أبيه عن أبى رافع قال قيل للنبي ص أ لاتنزل منزلك من الشعب قال وهل ترك لنا عقيل من منزل و كان عقيل قد باع منزل رسول الله ص ومنازل إخوته من الرجال والنساء بمكة فقيل لرسول الله ص فانزل فى بعض بيوت مكة من غير منازلك فأبى و قال لا أدخل البيوت فلم يزل مضطربا بالحجون لم يدخل بيتا و كان يأتى إلى المسجد من الحجون قال وكذلك فعل فى عمره القضية و فى حجته . قال الواقدي

وكانت أم هانئ بنت أبي طالب تحت هبيرة بن أبي وهب المخزومي فلما كان يوم الفتح دخل عليها حموان لها عبد الله بن أبي ربيعة والحارث بن هشام المخزوميان فاستجارا بها وقالوا نحن في جوارك فقالت نعم أنتما في جوارى قالت أم هانئ فهما عندي إذ دخل على فارس مدحج في الحديد ولا أعرفه فقلت له أنابنت عم رسول الله فأسفر عن وجهه فإذا على أخي فاعتنقته ونظر إليهما فشهق السيف عليهما فقلت أخي من بين الناس تصنع بي هذا فألقيت عليهما ثوبا فقال أتجيرين المشركين فحلت دونهما وقلت لا والله وابتدئ بي قبلهما قالت فخرج ولم يكده فأغلقت عليهما بيتا وقلت لا تخافا وذهبت إلى خباء رسول الله ص [صفحة 278] بالبطحاء فلم أجده ووجدت فيه فاطمة فقلت لها ما لقيت من ابن أمي على أجرت حموين لي من المشركين فتلفت عليهما ليقتلهما قالت وكانت أشد على من زوجها وقالت لم تجيرين المشركين وطع رسول الله ص و عليه الغبار فقال مرحبا بفاختة و هواسم أم هانئ فقلت ماذا لقيت من ابن أمي على ما كدت أفلت منه أجرت حموين لي من المشركين فتلفت عليهما ليقتلهما فقال ما كان ذلك له قد أجرنا من أجرت وأما من أمنت ثم أمر فاطمة فسكبت له غسلا فاغتسل ثم صلى ثمانى ركعات فى ثوب واحد ملتحفا به وقت الضحى قالت فرجعت إليهما وأخبرتتهما وقلت إن شئتما فأقيما وإن شئتما فارجعا إلى منازلكما فأقاما عندي فى منزلى يومين ثم انصرفا إلى منزلهما. وأتى آت إلى النبى ص فقال إن الحارث بن هشام وعبد الله بن أبي ربيعة جالسان فى ناديهما متفضلان فى الملازمعز فقال لاسيبل إليهما قد أجرناهما. قال الواقدي ومكث رسول الله ص فى قبة ساعة من النهار ثم دعا براحلته بعد أن اغتسل وصلى فأدريت إلى باب القبة وخرج و عليه السلاح والمغفر على رأسه وقصص له الناس فركبها والخيال تمعج ما بين الخندمة إلى الحجون ثم مر وأبو بكر إلى جانبه على راحلة أخرى يسير ويحادثه وإذ ابنت أبي أحيحة سعيد بن العاص بالبطحاء حذاء منزل أبي أحيحة وقد نثرن شعورهن فطمعن وجوه الخيل بالخمير فنظر رسول الله ص إلى أبي بكر فتبسّم وأنشده قول حسان [صفحة 279] تظل جيانا متمطرات || تلطمهن بالخمير النساء . فلما انتهى إلى الكعبة تقدم على راحلته فاستلم الركن بمحجنه وكبر فكبر المسلمون لتكبيره وعجوا بالتكبير حتى ارتجت مكة وجعل رسول الله ص يشير إليهم أن اسكتوا والمشركون فوق الجبال ينظرون ثم طاف بالبيت على راحلته ومحمد بن مسلمة آخذ بزمامها وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما مرصوفة بالرصاص وكان هبل أعظمها وهو تجاه الكعبة على بابها وإساف ونائلة حيث ينحرون ويذبجون الذبائح فجعل كلما يمر بصنم منها يشير بقضيب فى يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا فيقع الصنم لوجهه ثم أمر بهبل فكسر وهو واقف عليه فقال الزبير لأبى سفيان يا أباسفيان قد كسر هبل أ ما إنك قد كنت منه يوم أحد فى غرور حين تزعم أنه قد أنعم فقال دع هذا عنك يا ابن العوام فقد أرى أن لو كان مع إله محمد غيره لكان غير ما كان . قال الواقدي ثم انصرف رسول الله ص فجلس ناحية من المسجد وأرسل بلالا إلى عثمان بن طلحة يأتيه بالمفتاح فقال عثمان نعم فخرج إلى أمه وهى بنت شيبه فقال لها والمفتاح عندها يومئذ إن رسول الله ص قد طلب المفتاح فقالت أعيدك بالله أن يكون الذى يذهب مأثرة قومى على يده فقال فو الله لتأتينى به أولياتينك غيرى فيأخذه منك فأدخلته فى حجرتها وقالت أى رجل يدخل يده هاهنا فيبينما هما على ذلك وهو يكلمها إذ سمعت صوت أبى بكر وعمر فى الدار وعمر رافع صوته حين رأى عثمان أبطأ يا عثمان اخرج فقالت أمه حذ المفتاح فلأن تأخذه أنت أحب إلى من أن يأخذه تيم وعدى فأخذه فأتى به رسول الله ص فلما تناوله بسط العباس بن عبدالمطلب يده وقال يا رسول الله بأبى أنت اجمع لنا بين السقايه والحجابة فقال إنما أعطيكم ماترضون فيه ولا أعطيكم ماترزيون منه [صفحة 280] قالوا وكان عثمان بن طلحة قد قدم على رسول الله ص مع خالد بن الوليد وعمر بن العاص مسلما قبل الفتح . قال الواقدي وبعث رسول الله ص عمر بن الخطاب ومعه عثمان بن طلحة وأمره أن يفتح البيت فلا يدع فيه صورة ولا تمثالا إلا صورة ابراهيم الخليل ع فلما دخل الكعبة رأى صورة ابراهيم شيخا كبيرا يستقسم بالأزلام . قال الواقدي وقدروى أنه أمره بمحو الصور كلها لم يستثن فترك عمر صورة ابراهيم فقال لعمر أ لم أمرك ألا تدع فيها صورة

فقال عمر كانت صورة ابراهيم قال فامحها و قال قاتلهم الله جعلوه شيخا يستقسم بالأزلام . قال ومحا صورة مريم قال و قدروى أن رسول الله ص محا الصور بيده روى ذلك ابن أبي ذئب عن عبدالرحمن بن مهران عن عمير مولى ابن عباس عن أسامة بن زيد قال دخلت مع رسول الله ص الكعبة فرأى فيها صوراً فأمرنى أن آتية فى الدلو بماء فجعل يبيل به الثوب ويضرب به الصور و يقول قاتل الله قوما يصورون ما لا يخلقون -رواية- ١-٢-رواية- ٩٦-٢٥٤ قال الواقدي وأمر رسول الله ص بالكعبة فأغلقت عليه ومعه فيها أسامة بن زيد وبلال بن رباح وعثمان بن طلحة فمكث فيها ماشاء الله وخالد بن الوليد واقف على الباب يذب الناس عنه حتى خرج رسول الله ص فوقف وأخذ بعضادتي الباب وأشرف على الناس و فى يده المفتاح ثم جعله فى كفه و أهل مكة قيام تحته وبعضهم جلوس قديط بهم فقال الحمد لله الذى -رواية- ١-٢-رواية- ١٦-ادامه دارد [صفحہ ٢٨١] صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ماذا تقولون و ماذا تظنون قالوا نقول خيراً ونظن شراً أخ كريم و ابن أخ كريم و قد قدرت فقال إني أقول كما قال أخى يوسف لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم و هو أرحم الراحمين ألا إن كل ربا فى الجاهلية أودم أو مآثرة فهو تحت قدمي هاتين إلسدانة الكعبة وسقاية الحاج ألا و فى قتيل شبه العمد قتيل العصا والسوط الدينة مغلظة مائة ناقة منها أربعون فى بطونها أولادها إن الله قد أذهب نخوة الجاهلية وتكبرها بأبائها كلكم لآدم و آدم من تراب و أكرمكم عند الله أتقاكم ألا إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات و الأرض فهى حرام بحرم الله لم تحل لأحد كان قبل و لا تحل لأحد يأتى بعدى و ما أحلت لى إلساعة من النهار قال يقصدها رسول الله ص بيده هكذا لا ينفر صيدها و لا يعضد عضاهها و لا تحل لقطتها إلا لمنشد و لا يختلى خلاها فقال العباس إلا الإذخر يا رسول الله فإنه لا بد منه للقبور والبيوت فسكت رسول الله ص ساعة ثم قال إلا الإذخر فإنه حلال و لا وصية لوارث و الولد للفراش وللعاهر الحجر و لا يحل لامرأة أن تعطى من مالها إلا بإذن زوجها و المسلم أخو المسلم و لا ذؤ عهد فى إخوة يد واحدة على من سواهم تتكافأ دماؤهم يسعى بذمتهم أدانهم و يرد عليهم أقصاهم و لا يقتل مسلم بكافر و لا ذؤ عهد فى عهده و لا يتوارث أهل ملتين مختلفتين و لا تنكح المرأة على عمتها و لا على خالتها و البينة على من ادعى و اليمين على من أنكر و لا تسافر امرأة مسيرة ثلاث إلا مع ذى محرم و لا صلاة بعد العصر و لا بعد الصبح و أنهاكم عن صيام يومين يوم الأضحى و يوم الفطر -رواية- از قبل- ١٤٢٤ ثم قال ادعوا لى عثمان بن طلحة فجاء و قد كان رسول الله ص قال له يوماً بمكة قبل الهجرة و مع عثمان المفتاح لعلك سترى هذا المفتاح بيدي يوماً أضعه حيث شئت فقال عثمان لقد هلكت قريش إذا و ذلت فقال ع بل عمرت و عزت قال عثمان فلما دعانى يومئذ و المفتاح بيده ذكرت قوله حين قال فاستقبلته [صفحہ ٢٨٢] ببشر فاستقبلنى بمثله ثم قال خذوها يا بنى أبى طلحة خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم يا عثمان إن الله استأمنكم على بيته فكلوا بالمعروف قال عثمان فلما وليت نادانى فرجعت فقال ألم يكن الذى قلت لك يعنى ما كان قاله بمكة من قبل فقلت بلى أشهد أنك رسول الله ص قال الواقدي و أمر رسول الله ص يومئذ برفع السلاح و قال إلا خزاعة عن بنى بكر إلى صلاة العصر فخطبهم بالسيف ساعة و هى الساعة التى أحلت لرسول الله ص . قال الواقدي و قد كان نوفل بن معاوية الدؤلى من بنى بكر استأمن رسول الله ص على نفسه فأمنه و كانت خزاعة تطلبه بدماء من قتلت بكر و قريش منها بالوتير و قد كانت خزاعة قالت أيضاً لرسول الله ص إن أنس بن زنيم هجاك فهدر رسول الله ص دمه فلما فتح مكة هرب و التحق بالجبال و قد كان قبل أن يفتح رسول الله ص مكة قال شعرا يعتذر فيه إلى رسول الله ص من جملته أنت الذى تهدى معد بأمره || بك الله يهديها و قال لها ارشدى فما حملت من ناقة فوق كورها || أبر و أوفى ذمة من محمد أحت على خير و أوسع نائلا || إذ اراح يهتر اهتراز المهند و أكسى لبرد الخال قبل ارتدائه || و أعطى لرأس السابق المتجرد تعلم رسول الله أنك مدركى || و إن وعيدا منك كالأخذ باليد تعلم رسول الله أنك قادر || على كل حى من تهام و منجد و نبى رسول الله أنى هجوته || فلارفعت سوطى إلى إذن يدى سوى أننى قد قلت يا ويح فتية || أصيبوا بنحس يوم طلق و أسعد [صفحہ ٢٨٣] أصابهم من لم يكن لدمائهم || كفاء فعزت عبرتى و تلددى ذؤيبا و كلثوما و سلمى

تتابعوا || جميعا فالأ تدمع العين أكمد على أن سلمى ليس منهم كمثلته || وإخوته وهل ملوك كأعبد فإنى لأعرضا خرفت و لادما || هرفت ففكر عالم الحق واقصد . قال الواقدى وكانت كلمته هذه قدبلغت رسول الله ص قبل أن يفتح مكة فنهنت عنه وكلمه يوم الفتح نوفل بن معاوية الدؤلى فقال يا رسول الله أنت أولى الناس بالعفو و من منا لم يعادك و لم يؤذك ونحن فى جاهلية لاندري مانأخذ و ماندع حتى هداانا الله بك وأنقذنا بيمينك من الهلكة و قدكذب عليه الركب وكثروا فى أمره عندك فقال رسول الله ص دع الركب عنك أنا لم نجد بتهامة أحدا من ذوى رحم و لابعيد الرحم كان أبر بنا من خزاعة فاسكت يانوفل فلما سكت قال رسول الله ص قدعفوت عنه فقال نوفل فداك أبى وأمى. قال الواقدى وجاءت الظهر فأمر رسول الله ص بلالا أن يؤذن فوق ظهر الكعبة وقريش فى رءوس الجبال ومنهم من قدتغيب وستر وجهه خوفا من أن يقتلوا ومنهم من يطلب الأمان ومنهم من قدأمن فلما أذن بلال وبلغ إلى قوله أشهد أن محمدا رسول الله ص رفع صوته كأشد ما يكون قال تقول جويرية بنت أبى جهل قدلعمرى رفع لك ذكرك فأما الصلاة فسنصلى ولكن و الله لانحب من قتل الأحبة أبدا ولقد كان جاء أبى الذى جاء محمدا من النبوة فردها و لم يرد خلاف قومه . و قال خالد بن سعيد بن العاص الحمد لله الذى أكرم أبى فلم يدرك هذااليوم] [صفحه ٢٨٤] و قال الحارث بن هشام وا ثكلاه ليتنى مت قبل هذااليوم قبل أن أسمع بلالا ينهق فوق الكعبة و قال الحكم بن أبى العاص هذا و الله الحدث العظيم أن يصيح عبدبنى جمع يصيح بما يصيح به على بيت أبى طلحة و قال سهيل بن عمرو إن كان هذاسخطا من الله تعالى فسيغيره و إن كان لله رضا فسيقره و قال أبوسفيان أما أنا فلاأقول شيئا لو قلت شيئا لأخبرته هذه الحصباء قال فأتى جبرئيل ع رسول الله ص فأخبره بمقالة القوم . قال الواقدى فكان سهيل بن عمرو يحدث فيقول لمادخل محمدمكة انقمعت فدخلت بيتى وأغلقتة على و قلت لابنى عبد الله بن سهيل اذهب فاطلب لى جوارا من محمداإنى لاآمن أن أقتل وجعلت أتذكر أثرى عنده و عندأصحابه فلاأرى أسوأ أثرا منى فإنى لقيته يوم الحديبية بما لم يلقه أحد به و كنت الذى كاتبه مع حضورى بدرا وأحدا وكلما تحركت قريش كنت فيهافذهب عبد الله بن سهيل إلى رسول الله ص فقال يا رسول الله أبى تؤمنه قال نعم هوآمن بأمان الله فليظهر ثم التفت إلى من حوله فقال من لقى سهيل بن عمرو فلايشدن النظر إليه ثم قال قل له فليخرج فلعمرى إن سهيلا له عقل وشرف و مامثل سهيل جهل الإسلام ولقد رأى ما كان يوضع فيه إن لم يكن له تتابع فخرج عبد الله إلى أبيه فأخبره بمقالة رسول الله ص فقال سهيل كان و الله برا صغيرا وكبيرا و كان سهيل يقبل ويدبر غيرخائف وخرج إلى خيبر مع النبى ص و هو على شركه حتى أسلم بالجعرانة

المجلد ١٨

الجزء الثامن عشر

تتمة أبواب الكتب والرسائل

تتمة ٦٤ - كتاب له ع إلى معاوية

ذكر بقية الخبر عن فتح مكة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الواحد العدل قال الواقدى وهرب هبيرة بن أبى وهب و عبد الله بن الزبيرى جميعا حتى انتهيها إلى نجران فلم يأمننا الخوف حتى دخلا حصن نجران فقبل ماشأنكما قالأ أماقريش فقد قتلت ودخل محمدمكة ونحن و الله نرى

أن محمدا سائر إلى حصنكم هذا فجعلت بلحارث بن كعب يصلحون مارث من حصنهم وجمعوا ماشيتهم فأرسل حسان بن ثابت إلى ابن الزبيرى لاتعد من رجلا- أحلك بغضه || نجران فى عيش أجد ذميم بليت قناتك فى الحروب فألفت || جوفاء ذات معايب ووصوم غضب الإله على الزبيرى وابنه || بعذاب سوء فى الحياة مقيم . فلما جاء ابن الزبيرى شعر حسان تهيأ للخروج فقال هبيرة بن وهب أين تريد يا ابن عم قال له أريد و الله محمدا قال أتريد أن تتبعه قال إى و الله قال هبيرة ياليت أنى كنت رافقت غيرك و الله ماظننت أنك تتبع محمدا أبدا قال ابن الزبيرى هو ذاك فعلى أى شىء أقيم مع بنى الحارث بن كعب وأترك ابن عمى وخير الناس وأبرهم و بين قومى ودارى فانحدر ابن الزبيرى حتى جاء رسول الله ص [صفحہ ۸] و هو جالس فى أصحابه فلما نظر إليه قال هذا ابن الزبيرى ومعه وجه فيه نور الإسلام فلما وقف على رسول الله ص قال السلام عليك يا رسول الله شهدت أن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله والحمد لله الذى هدانى للإسلام لقد عاديتك وأجلبت عليك وركبت الفرس والبعير ومشيت على قدمى فى عداوتك ثم هربت منك إلى نجران و أنا أريد ألا أقرب الإسلام أبدا ثم أرادنى الله منه بخير فألقاه فى قلبى وحببه إلى و ذكرت ما كنت فيه من الضلال واتباع ما لا ينفذ ذا عقل من حجر يعبد ويزبح له لا يدرى من عبده و من لا يعبد فقال رسول الله ص الحمد لله الذى هداك للإسلام احمد الله إن الإسلام يجب ما كان قبله -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۴-۹۶ وأقام هبيرة بنجران وأسلمت أم هانئ فقال هبيرة حين بلغه إسلامها يوم الفتح يؤنبها شعرا من جملته و إن كنت قد تابعت دين محمد || وقطعت الأرحام منك جبالها فكونى على أعلى سحوق بهضبة || ململمة غرباء ييس بلالها فأقام بنجران حتى مات مشركا. قال الواقدى وهرب حويطب بن عبدالعزيز فدخل حائطا بمكة وجاء أبوذر لحاجته فدخل الحائط فرآه فهرب حويطب فقال أبوذر تعال فأنت آمن فرجع إليه فقال أنت آمن فاذهب حيث شئت و إن شئت أدخلتك على رسول الله ص و إن شئت فإلى منزلك قال وهل من سبيل إلى منزلى ألقى فأقتل قبل أن أصل إلى منزلى [صفحہ ۹] أو يدخل على منزلى فأقتل قال فأنا أبلغ معك منزلك فبلغ معه منزله ثم جعل ينادى على بابه أن حويطبا آمن فلا يهيج ثم انصرف إلى رسول الله ص فأخبره فقال أ و ليس قدأما الناس كلهم إلا من أمرت بقتله . قال الواقدى وهرب عكرمة بن أبى جهل إلى اليمن حتى ركب البحر قال وجاءت زوجته أم حكيم بنت الحارث بن هشام إلى رسول الله ص فى نسوة منهن هند بنت عتبة و قد كان رسول الله ص أمر بقتلها والبغوم بنت المعدل الكنانية امرأة صفوان بن أمية وفاطمة بنت الوليد بن المغيرة امرأة الحارث بن هشام وهند بنت عتبة بن الحجاج أم عبد الله بن عمرو بن العاص و رسول الله ص بالأبطح فأسلمن و لمادخلن عليه وعنده زوجاته وابنته فاطمة ونساء من نساء بنى عبدالمطلب وسألن أن يبايعهن فقال إنى لأصافح النساء ويقال إنه وضع على يده ثوبا فمسحن عليه ويقال كان يؤتى بقدر من ماء فيدخل يده فيه ثم يرفعه إليهن فيدخلن أيديهن فيه فقالت أم حكيم امرأة عكرمة يا رسول الله إن عكرمة هرب منك إلى اليمن خاف أن تقتله فأمنه فقال هو آمن فخرجت أم حكيم فى طلبه ومعها غلام لها رومى فراودها عن نفسها فجعلت تمنيه حتى قدمت به على حى فاستغاث بهم عليه فأوثقوه رباطا وأدركت عكرمة و قد انتهى إلى ساحل من سواحل تهامة فركب البحر فهاج بهم فجعل نوتى السفينة يقول له أن أخلص قال أى شىء أقول قال قل لا إله إلا الله قال عكرمة ما هربت إلا من هذا فجاءت أم حكيم على هذا من الأمر فجعلت تلح عليه وتقول يا ابن عم جئتك من عند خير الناس وأوصل الناس وأبر الناس لا تهلك نفسك فوقف لها حتى أدركته فقالت إنى قد استأمنت لك رسول الله ص فأمنك قال [صفحہ ۱۰] أنت فعلت قالت نعم أنا كلمته فأمنك فرجع معها فقالت مالقيت من غلامك الرومى وأخبرته خبره فقتله عكرمة فلما دنا من مكة قال رسول الله ص لأصحابه يأتىكم عكرمة بن أبى جهل مؤمنا فلا تسبوا أباه فإن سب الميت يؤذى الحى و لا يبلغ الميت -روایت- ۱-۲-روایت- ۳۱-۱۲۳ فلما وصل عكرمة ودخل على رسول الله ص وثب إليه ص و ليس عليه رداء فرحا به ثم جلس فوق عكرمة بين يديه ومعه زوجته منقبة فقال يا محمد إن هذه أخبرتنى أنك أمنتنى فقال صدقت أنت آمن فقال عكرمة فالام تدعو فقال إلى أن

تشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله و أن تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وعد خصال الإسلام فقال عكرمة مادعوت إلا إلى حق و إلى حسن جميل ولقد كنت فينا من قبل أن تدعو إلى مادعوت إليه و أنت أصدقنا حديثا وأعظمتنا برا ثم قال فإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقال رسول الله ص لا تسألنى اليوم شيئا أعطيه أحدا إلا أعطيتكه قال فإنى أسألك أن تغفر لى كل عداوة عاديتكها أو مسير أو وضعت فيه أو مقام لقيتك فيه أو كلام قلته فى وجهك أو أنت غائب عنه فقال اللهم اغفر له كل عداوة عادانيها و كل مسير سار فيه إلى يريد بذلك إطفاء نورك واغفر له ما نال منى و من عرضى فى وجهى أو أنا غائب عنه فقال عكرمة رضيت بذلك يا رسول الله ثم قال أما و الله لا أدع نفقة كنت أنفقتها فى صد عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها فى سبيل الإسلام و فى سبيل الله ولأجتهدن فى القتال بين يديك حتى أقتل شهيدا قال فرد عليه رسول الله ص امرأته بذلك النكاح الأول . قال الواقدي و أما صفوان بن أمية فهرب حتى أتى الشعبة وجعل يقول لغلامه [صفحة ١١] يسار و ليس معه غيره ويحك انظر من ترى فقال هذا عمير بن وهب قال صفوان ما أصنع بعمير و الله ما جاء إلا يريد قتلى قذاظر محمددا على فلحقه فقال صفوان يا عمير ما لك ما كفاك ما صنعت حملتني دينك وعيالك ثم جئت تريد قتلى فقال يا أباهوب جعلت فداك جئتك من عند خير الناس وأبر الناس وأوصل الناس و قد كان عمير قال لرسول الله ص يا رسول الله سيد قومي صفوان بن أمية خرج هاربا ليقتل نفسه فى البحر خاف ألا تؤمنه فأمنه فداك أبى وأمى فقال قدأمنتك فخرج فى أثره فقال إن رسول الله ص قدأمنك صفوان لا و الله حتى تأتيني بعلامة أعرفها فرجع إلى رسول الله ص فأخبره و قال يا رسول الله جئت و هو يريد أن يقتل نفسه فقال لا أراجع إلا بعلامة أعرفها فقال خذ عمامتى فرجع عمير إليه بعمامة رسول الله ص وهى البرد الذى دخل فيه رسول الله ص مكة معتجرا به برد حبرة أحمر فخرج عمير فى طلبه الثانية حتى جاءه بالبرد فقال يا أباهوب جئتك من عند خير الناس وأوصل الناس وأبر الناس وأحلم الناس مجده مجدك وعزه عزك وملكه ملكك ابن أبيك وأمك أذكرك الله فى نفسك فقال أخاف أن أقتل قال فإنه دعاك إلى الإسلام فإن رضيت و الإسيرك شهرين فهو أوفى الناس وأبرهم و قد بعث إليك ببرده الذى دخل به معتجرا أتعرفه قال نعم فأخرجه فقال نعم هو هو فرجع صفوان حتى انتهى إلى رسول الله ص فوجده يصلى العصر بالناس فقال كم يصلون قالوا خمس صلوات فى اليوم والليله قال أ محمد يصلى بهم قالوا نعم فلما سلم من صلاته صاح صفوان يا محمد إن عمير [صفحة ١٢] بن وهب جاءنى ببردك وزعم أنك دعوتنى إلى القدوم إليك فإن رضيت أمرا و الإسيرتني شهرين فقال رسول الله ص انزل أباهوب فقال لا و الله أوتبين لى قال بل سر أربعة أشهر فنزل صفوان وخرج معه إلى حنين و هو كافر وأرسل إليه يستعير أدرعه وكانت مائة درع فقال أطوعا أم كرها فقال ع بل طوعا عاريا مؤداة فأعاره إياها ثم أعادها إليه بعد انقضاء حنين والطائف فلما كان رسول الله ص بالجعرانة يسير فى غنائم هوازن ينظر إليها فنظر صفوان إلى شعب هناك مملوء نعما و شاء ورعاء فأدام النظر إليه و رسول الله ص يرمقه فقال أباهوب يعجبك هذا الشعب قال نعم قال هو لك و ما فيه فقال صفوان ما طابت نفس أحد بمثل هذا إلا نفس نبي أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ص . قال الواقدي فأما عبد الله بن سعد بن أبى سرح فكان قد أسلم و كان يكتب لرسول الله ص الوحي فربما أملى عليه رسول الله ص سميع عليم فيكتب عزيز حكيم ونحو ذلك ويقرأ على رسول الله ص فيقول كذلك الله ويقرأ فافتتن و قال و الله ما يدرى ما يقول إنى لأكتب له ما شئت فلا ينكر وإنه ليوحى إلى كما يوحى إلى محمد وخرج هاربا من المدينة إلى مكة مرتدا فأهدر رسول الله ص دمه وأمر بقتله يوم الفتح فلما كان يومئذ جاء إلى عثمان و كان أخاه من الرضاة فقال يا أخى إنى قد أجرتك فاحتبسنى هاهنا واذهب إلى محمد فكلمه فى فإن محمدا إن رآنى ضرب عنقى أن جرمى أعظم الجرم و قد جئت تائبا فقال عثمان قم فاذهب معى إليه قال كلا- و الله إنه إن رآنى ضرب عنقى و لم يناظرنى قدأهدر دمى وأصحابه يطلبوننى فى كل موضع فقال عثمان انطلق معى فإنه لا يقتلك إن شاء الله فلم يرع رسول الله ص إلا بعثمان [صفحة ١٣] آخذا بيد عبد الله بن سعد واقفين بين يديه فقال عثمان يا رسول الله هذا أخى من الرضاة إن أمه كانت

تحملنى وتمشيه وترضعنى وتفطمه وتلطفنى وتتركه فهبه لى فأعرض رسول الله ص عنه وجعل عثمان كلما أعرض رسول الله عنه استقبله بوجهه وأعاد عليه هذا الكلام وإنما أعرض ع عنه إرادة لأن يقوم رجل فيضرب عنقه فلما رأى ألا يقوم أحد وعثمان قد انكب عليه يقبل رأسه ويقول يا رسول الله بايعه فداك أبى وأمى على الإسلام فقال رسول الله ص نعم فبايعه . قال الواقدي قال رسول الله ص بعد ذلك للمسلمين مامنكم أن يقوم منكم واحد إلى هذا الكلب فيقتله أو قال الفاسق فقال عباد بن بشر و الذى بعثك بالحق إنى لأتبع طرفك من كل ناحية رجاء أن تشير إلى فأضرب عنقه ويقال إن أبا البشير هو الذى قال هذا ويقال بل قاله عمر بن الخطاب فقال ع إنى لأقتل بالإشارة وقيل إنه قال إن النبى لا يكون له خائنة الأعين . قال الواقدي فجعل عبد الله بن سعد يفر من رسول الله ص كلما رآه فقال له عثمان بأبى أنت وأمى لوترى ابن أم عبد يفر منك كلما رآك فتبسم رسول الله ص فقال أو لم أبايعه وأؤمنه قال بلى ولكنه يتذكر عظم جرمه فى الإسلام فقال إن الإسلام يجب ما قبله -رواية ١- ٢-رواية -٩-٣٥ قال الواقدي وأما الحويرث بن معبد و هو من ولد قصى بن كلاب فإنه كان يؤذى رسول الله ص بمكة فأهدر دمه فيبينما هو فى منزله يوم الفتح وقد أعلق عليه بابه جاء على ع يسأل عنه فقيل له هو فى البادية وأخبر الحويرث أنه جاء يطلبه وتنحى على ع عن بابه فخرج الحويرث يريد أن [صفحة ١٤] يهرب من بيت إلى بيت آخر فتلقاه على ع فضرب عنقه . قال الواقدي وأما هبار بن الأسود فقد كان رسول الله ص أمر أن يحرقه بالنار ثم قال إنما يعذب بالنار رب النار اقطعوا يديه ورجليه إن قدرتم عليه ثم اقلوه و كان جرمه أن نخس زينب بنت رسول الله ص لما هاجرت وضرب ظهرها بالرمح وهى حبلى فأسقطت فلم يقدر المسلمون عليه يوم الفتح فلما رجع رسول الله ص إلى المدينة طلع هبار بن الأسود قائلاً أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فقبل النبى ص إسلامه فخرجت سلمى مولاة النبى ص فقالت لأنعم الله بك عينا أنت الذى فعلت وفعلت فقال رسول الله ص وهبار يعتذر إليه أن الإسلام محاذ لك ونهى عن التعرض له . قال الواقدي قال ابن عباس رضى الله عنه رأيت رسول الله ص وهبار يعتذر إليه و هو يبطأ طئ رأسه استحياء مما يعتذر هبار ويقول له قد عفوت عنك . قال الواقدي و أما ابن خطل فإنه خرج حتى دخل بين أستار الكعبة فأخرجه أبو برزة الأسلمى منها فضرب عنقه بين الركن والمقام ويقال بل قتله عمار بن ياسر وقيل سعد بن حريث المخزومى وقيل شريك بن عبد العجلانى والأثبت أنه أبو برزة قال و كان جرمه أنه أسلم وهاجر إلى المدينة وبعثه رسول الله ص ساعياً وبعث معه رجلاً من خزاعة فقتله وساق ما أخذ من مال الصدقة ورجع إلى مكة فقالت له قريش ماجاء بك قال لم أجد ديناً خيراً من دينكم وكانت له قيتان إحداهما قرينى والأخرى قرينه أو أرنب و كان ابن خطل يقول [صفحة ١٥] الشعر يهجو به رسول الله ص ويغنيان به ويدخل عليه المشركون بيته فيشربون عنده الخمر ويسمعون الغناء بهجاء رسول الله ص . قال الواقدي و أمامقيس بن صبابه فإن أمه سهمية و كان يوم الفتح عند أخواله بنى سهم فاصطحب الخمر ذلك اليوم فى ندامى له وخرج ثملاً يتغنى ويتمثل بأبيات منها دعيني أاصطحب يابكر إنى || رأيت الموت نقب عن هشام ونقب عن أبيك أبى يزيد || أخى القينات والشرب الكرام يخبرنا ابن كبشة أن سنحياً || وكيف حياة أصداء وهام إذا ما الرأس زال بمنكيه || فقد شبع الأنيس من الطعام أتقتلنى إذا ما كنت حياً || وتحينى إذ امرت عظامى . فلقبه نميلة بن عبد الله الليثى و هو من رهطه فضربه بالسيف حتى قتله فقالت أخته ترضيه لعمرى لقد أخزى نميلة رهطه || وفجع أصناف النساء بمقيس فله عينا من رأى مثل مقيس || إذا النفساء أصبحت لم تخرس و كان جرم مقيس من قبل أن أخاه هاشم بن صبابه أسلم وشهد المريسيع مع رسول الله ص فقتله رجل من رهط عباد بن الصامت وقيل من بنى عمرو بن عوف و هو لا يعرفه فظنه من المشركين ففضى له رسول الله ص بالديء على العاقلة فقدم مقيس أخوه المدينة فأخذ ديتيه وأسلم ثم عدا على قاتل أخيه فقتله وهرب مرتداً كافراً يهجو رسول الله ص بالشعر فأهدر دمه . [صفحة ١٦] قال الواقدي فأما سارة مولاة بنى هاشم وكانت مغنية نواحة بمكة وكانت قد قدمت على رسول الله ص المدينة تطلب أن يصلها وشكت إليه الحاجة و ذلك بعد بدر وأحد فقال لها أ ما كان لك فى

غنائك ونياحك ما يغنيك قالت يا محمد إن قريشا منذ قتل من قتل منهم بيدركوا استماع الغناء فوصلها رسول الله ص وأوقر لها بعيرا طعاما فرجعت إلى قريش وهي على دينها وكانت يلقي عليها هجاء رسول الله ص فتغنى به فأمر بها رسول الله ص يوم الفتح أن تقتل فقتلت و أمأقينا ابن خطل فقتل يوم الفتح إحداهما وهي أرنب أو قرينه و أمأقيرني فاستؤمن لها رسول الله ص فأمنها وعاشت حتى ماتت في أيام عثمان . قال الواقدي وقدروى أن رسول الله ص أمر بقتل وحشى يوم الفتح فهرب إلى الطائف فلم يزل بهامقيما حتى قدم مع وفد الطائف على رسول الله ص فدخل عليه فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقال أوحشى قال نعم قال اجلس وحدثني كيف قتلت حمزة فلما أخبره قال قم وغيب عني وجهك فكان إذارآه توارى عنه . قال الواقدي وحدثني ابن أبي ذئب ومعمار عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن أبي عمرو بن عدى بن أبي الحمراء قال سمعت رسول الله ص يقول بعد فراغه من أمر الفتح وهويريد الخروج من مكة أما والله إنك لخير أرض الله وأحب بلاد الله إلى ولو لا- أن أهلك أخرجوني ما خرجت -رواية- 1-2-رواية- 207-295 . وزاد محمد بن إسحاق في كتاب المغازي أن هند بنت عتبة جاءت إلى رسول الله [صفحة 17] ص مع نساء قريش متنكرة متنقبة لحدثها الذي كان في الإسلام و ما صنعت بحمزة حين جدعته وبقرت بطنه عن كبده فهي تخاف أن يأخذها رسول الله ص بحدثها ذلك فلما دنت منه و قال حين بايعنه على ألا يشركن بالله شيئا قلن نعم قال ولا يسرقن فقالت هند والله أنا كنت لأصيب من مال أبي سفيان الهنة والهنية فما أعلم أحلال ذلك أم لا فقال رسول الله ص وإنك لهند قالت نعم أنا هند و أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فاعف عما سلف عفا الله عنك فقال رسول الله ص ولا يزين فقال هند وهل تزنى الحره فقال لا ولا يقتلن أولادهن فقالت هند قد لعمرى ربي ناهم صغارا وقتلتهم كبارا بيدرك فأتت وهم أعرف فضحك عمر بن الخطاب من قولها حتى أسفرت نواجذها قال ولا يأتين بهتان يفترينه فقالت هند إن إتيان البهتان لقبيح فقال ولا يعصينك في معروف فقالت ماجلسنا هذه الجلسة ونحن نريد أن نعصيك . قال محمد بن إسحاق و من جيد شعر عبد الله بن الزبير الذي اعتذر به إلى رسول الله ص حين قدم عليه منع الرقاد بلابل وهموم || فالليل ممتد الرواق بهيم مما أتاني أن أحمد لآمني || فيه فبت كأنني محموم ياخير من حملت على أوصالها || عيرانه سرح اليمين سعوم [صفحة 18] إني لمعتذر إليك من الذي || أسديت إذ أنا في الضلال أهيم أيان تأمرني بأغوى خطه || سهم وتأمرني به مخزوم وأمد أسباب الردى ويقودني || أمر الغواة وأمرهم مشثوم فاليوم آمن بالنبي محمد || قلبي ومخطئي هذه محروم مضت العداوة وانقضت أسبابها || ودعت أواصر بيننا وحلوم فاغفر فدى لك والدى كلاهما || زللى فإنك راحم مرحوم وعليك من علم المليك علامة || نور أغر وخاتم مختوم أعطاك بعدمحبة برهانه || شرفا وبرهان الإله عظيم ولقد شهدت بأن دينك صادق || بر وشأنك في العباد جسيم والله يشهد أن أحمد مصطفى || متقبل في الصالحين كريم فرع علا بنيانه من هاشم || دوح تمكن في العلا وأروم . قال الواقدي و في يوم الفتح سمي رسول الله ص أهل مكة الذين دخلها عليهم الطلقاء لمنه عليهم بعد أن أظفره الله بهم فصاروا أرقاء له و قد قيل له يوم الفتح قد أمكنك الله تعالى فخذ ماشئت من أقمار على غصون يعنون النساء فقال ع يأبى ذلك إطعامهم الضيف وإكرامهم البيت ووجؤهم مناخر الهدى . ثم نعود إلى تفسير ما بقى من ألفاظ الفصل قوله فإن كان فيك عجل فاسترفه [صفحة 19] أى كن ذا رفاهية ولا ترهقن نفسك بالعجل فلا بد من لقاء بعضنا بعضا فأى حاجة بك إلى أن تعجل ثم فسر ذلك فقال إن أزررك فى بلادك أى إن غزوتك فى بلادك فخليق أن يكون الله بعثنى للانتقام منك و إن زرتنى أى إن غزوتنى فى بلادى وأقبلت بجموعك إلى . كنتم كما قال أخو بنى أسد كنت أسمع قديما أن هذا البيت من شعر بشر بن أبى خازم الأسدى والآن فقد تصفحت شعره فلم أجده و لاوقفت بعد على قائله و إن وقفت فيما يستقبل من الزمان عليه ألحقته . وريح حاصب تحمل الحصباء وهى صغار الحصى و إذا كانت بين أغوار وهى ماسفل من الأرض وكانت مع ذلك ريح صيف كانت أعظم مشقة وأشد ضررا على من تلاقيه و جلمود يمكن أن يكون عطف على حاصب ويمكن

أن يكون عطفًا على أغوار أي بين غور من الأرض وحره و ذلك أشد لأذاها لما تكسبه الحره من لفتح السموم ووهجها والوجه الأول أليق . وأعضضته أي جعلته معوضًا برءوس أهلكت وأكثر ما أتى أفعلته أن تجعله فاعلا- وهي هاهنا من المقلوب أي أعضضت رءوس أهلكت به كقوله قد قطع الجبل بالمرود. وجده عتبه بن ربيعه وخاله الوليد بن عتبه وأخوه حنظله بن أبي سفيان قتلهم على ع يوم بدر. والأغلف القلب الذي لا بصيره له كأن قلبه في غلاف قال تعالى وَ قَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ. -قرآن- ١١٠٢-١١٢٦ [صفحه ٢٠] والمقارب العقل بالكسر الذي ليس عقله بجيد والعامه تقول فيما هذا شأنه مقارب بفتح الراء. ثم قال الأولى أن يقال هذه الكلمه لك . ونشدت الضالّه طلبتها وأنشدتها عرفتها أي طلبت ما ليس لك . والسائمه المال الراعى والكلام خارج مخرج الاستعاره. فإن قلت كل هذا الكلام يطابق بعضه بعضا إلا قوله فما أبعد قولك من فعلك وكيف استبعد ذلك ولا بعد بينهما لأنه يطلب الخلفه قولًا- وفعلا- فأى بعد بين قوله وفعله . قلت لأن فعله البغى والخروج على الإمام الذي ثبتت إمامته وصحت وتفريق جماعه المسلمين وشق العصا هذا مع الأمور التي كانت تظهر عليه وتقتضى الفسق من لبس الحرير والمنسوج بالذهب و ما كان يتعاطاه فى حياه عثمان من المنكرات التي لم تثبت توبته منها فهذا فعله . و أما قوله فزعمه أنه أمير المؤمنين وخليفه المسلمين و هذا القول بعيد من ذلك الفعل جدا. و ما فى قوله وقريب ما أشبهت مصدرية أى وقريب شبهك بأعمام وأحوال قد ذكرنا من قتل من بنى أميه فى حروب رسول الله ص فيما تقدم وإليهم الإشارة بالأعمام والأحوال لأن أحوال معاويه من بنى عبد شمس كما أن أعمامه من بنى عبد شمس . قوله و لم تماشها الهوينى أى لم تصحبها يصفها بالسرعه والمضى فى الرءوس الأعناق [صفحه ٢١] و أما قوله ادخل فيما دخل فيه الناس وحاكم القوم فهى الحجه التى يحتج بها أصحابنا له فى أنه لم يسلم قتله عثمان إلى معاويه وهى حجه صحيحه لأن الإمام يجب أن يطاع ثم يتحاكم إليه أولياء الدم والمتهمون فإن حكم بالحق استدیمت حكومته وإلأفسق وبطلت إمامته . قوله فأما تلك التى تريدها قيل إنه يريد التعلق بهذه الشبهه وهى قتله عثمان وقيل أراد به ما كان معاويه يكرر طلبه من أمير المؤمنين ع و هو أن يقره على الشام وحده و لا يكلفه البيعه قال إن ذلك كمخادعه الصبى فى أول فطامه عن اللبن بما تصنعه النساء له مما يكره إليه الشدى ويسليه عنه ويرغبه فى التعوض بغيره و كتاب معاويه الذى ذكرناه لم يتضمن حديث الشام [صفحه ٢٢]

٦٥- و من كتاب له ع إليه أيضا

أَمَا بَعْدُ فَقَدْ أَنْ لَكَ أَنْ تَنْتَفِعَ بِاللَّمْحِ الْبَاصِرِ مِنْ عِيَانِ الْأُمُورِ فَلَقَدْ سَلَكَتْ مَدَارِجَ أَسْلَافِكَ بِإِدْعَائِكَ الْأَبَاطِيلَ وَ اقْتِحَامِكَ غُرُورَ الْمِينِ وَ الْأَكْوَادِيبِ مِنْ اتِّحَالِكَ مَا قَدَ عَلَا عَنْكَ وَ ابْتِزَازِكَ لِمَا قَدَ اخْتَرَنَ دُونَكَ فِرَاراً مِنَ الْحَقِّ وَ جُحُوداً لِمَا هُوَ أَلْزَمُ لَكَ مِنْ لَحْمِكَ وَ دَمِكَ مِمَّا قَدَ وَعَاهُ سَمْعُكَ وَ مِلَى بِهِ صِدْرُكَ فَمَا ذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّمَالُ وَ بَعَدَ الْبَيَانِ إِلَّا اللَّبْسُ فَاحْذَرِ الشُّبُهَةَ وَ اشْتِمَالَهَا عَلَى لُبْسِ تَهَا فَإِنَّ الْفِتْنَةَ طَالِمًا أَغْدَفَتْ جَلَابِيئَهَا وَ أَعَشَّتِ الْأَبْصَارَ ظَلَمْتُهَا وَ قَدَ أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ ذُو أَفَانِينَ مِنَ الْقَوْلِ ضَعُفَتْ قُوَاهَا عَنِ السَّلْمِ وَ أَسَاطِيرَ لَمْ يَحْكُمَهَا عَنْكَ عِلْمٌ وَ لَا حِلْمٌ أَصْبَحَتْ مِنْهَا كَالْخَائِضِ فِي الدَّهَاسِ وَ الْخَاطِطِ فِي الدِّيْمَاسِ وَ تَرَقَّيْتُ إِلَى مَرْقِيَةِ بَعِيدِهِ الْمَرَامِ نَازِحِيهِ الْأَعْلَامِ تَقْصِيرُ دُونِهَا الْأَنْوُقُ وَ يُحَاذِي بِهَا الْعَيُوقُ وَ حَاشَ لِلَّهِ أَنْ تَلِيَ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ بَعْدِي صَيْدراً أَوْ وِرداً أَوْ أُجْرِي لِمَكَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ عَقْداً أَوْ عَهْداً فَمِنَ الْآنَ فَيَدَارِكُ نَفْسَكَ وَ انْظُرْ لَهَا فَإِنَّكَ إِنْ فَرَطْتَ حَتَّى يَنْهَدَ إِلَيْكَ عِيَادُ اللَّهِ أُرْتَجَتْ عَلَيْكَ الْأُمُورُ وَ مُنِعَتْ أَمراً هُوَ مِنْكَ الْيَوْمَ مَقْبُولٌ وَ السَّيْلَامُ [صفحه ٢٣] أن لك وأنى لك بمعنى أى قرب وحنان تقول أن لك أن تفعل كذا يبين أننا وقال ألم يأن أن لى تجل عنى عمايتى || وأقصر عن ليلى بلى قدأنى ليا فجمع بين اللغتين وأنى مقلوبه عن آن ومما يجرى مجرى المثل قولهم لمن يرونه شيئا شديدا يبصره و لا يشك فيه قدرأيته لمحا

باصرا قالوا أى نظرا بتحديد شديد ومخرجه مخرج رجل لابن وتامر أى ذو لبن وتمر فمعنى باصر ذو بصر يقول ع معاوية قدحان لك أن تنتفع بما تعلمه من معاينة الأمور والأحوال وتحققه يقينا بقلبك كما يتحقق ذو الملح الباصر ما يصره بحاسة بصره وأراد ببيان الأمور ها هنا معاينتها و هو ما يعرفه ضرورة من استحقاق على ع للخلافة دونه وبراءته من كل شبهة ينسبها إليه . ثم قال له فقد سلكت أى اتبعت طرائق أبى سفيان أبيك وعتبة جدك وأمثالهما من أهلك ذوى الكفر والشقاق . والأباطيل جمع باطل على غير قياس كأنهم جمعوا إبطيلا . والافتحام إلقاء النفس فى الأمر من غير روية . والمين الكذب والغرور بالضم المصدر وبالفتح الاسم . وانتحلت القصيدة أى ادعيتها كذبا . قال ما قدعلا عنك أى أنت دون الخلافة ولست من أهلها والابتزاز الاستلاب . [صفحہ ۲۴] قال لما قد اخترن دونك يعنى التسمى بإمرة المؤمنين . ثم قال فرارا من الحق أى فعلت ذلك كله هربا من التمسك بالحق والدين وحبا للكفر والشقاق والتغلب . قال وجودا لما هو أزم يعنى فرض طاعة على ع لأنه قدوعاها سمعه لاريب فى ذلك إما بالنص فى أيام رسول الله ص كما تذكره الشيعة فقد كان معاوية حاضرا يوم الغدير لأنه حج معهم حجة الوداع وقد كان أيضا حاضرا يوم تبوك حين قال له بمحضر من الناس كافة أنت منى بمنزلة هارون من موسى وقد سمع غير ذلك و أما بالبيعة كما تذكره نحن فإنه قد اتصل به خبرها وتواتر عنده وقوعها فصار وقوعها عنده معلوما بالضرورة كعلمه بأن فى الدنيا بلدا اسمها مصر و إن كان مارآها . والظاهر من كلام أمير المؤمنين ع أنه يريد المعنى الأول ونحن نخرجه على وجه لا يلزم منه ما تقوله الشيعة فنقول لنفرض أن النبى ص مانص عليه بالخلافة بعده أليس يعلم معاوية وغيره من الصحابة أنه لو قال له فى ألف مقام أنا حرب لمن حاربت وسلم لمن سالمت ونحو ذلك من قوله اللهم عاد من عاداه ووال من والاه وقوله حربك حربى وسلمك سلمى وقوله أنت مع الحق والحق معك وقوله هدامنى و أنا منه وقوله هذا أخى وقوله يجب الله ورسوله ويجب الله ورسوله وقوله اللهم ائتنى بأحب خلقك إليك وقوله إنه ولى كل مؤمن ومؤمنة بعدى وقوله فى كلام قاله خاصف النعل وقوله لا يجب لإمام من ولا يبغيه إلا منافق وقوله إن الجنة لتشتاق إلى أربعة وجعله أولهم وقوله لعمار تقتلك الفئة الباغية وقوله ستقاتل الناكثين والقاسطين [صفحہ ۲۵] والمارقين بعدى إلى غير ذلك مما يطول تعدادها جدا ويحتاج إلى كتاب مفرد يوضع له أفما كان ينبغي لمعاوية أن يفكر فى هذا ويتأمله ويخشى الله ويتقيه فلعله ع إلى هذا أشار بقوله وجودا لما هو أزم لك من لحمك ودمك مما قدوعاه سمعك وملئ به صدرك . قوله فما ذا بعد الحق إلا الضلال كلمة من الكلام الإلهى المقدس . قال و بعد البيان إلا اللبس يقال لبت عليه الأمر لبسا أى خلطته والمضارع يلبس بالكسر . قال فاحذر الشبهة واشتمالها على اللبسة بالضم يقال فى الأمر لبسة أى اشتباه وليس بواضح ويجوز أن يكون اشتمال مصدرا مضافا إلى معاوية أى احذر الشبهة واحذر اشتمالك إياها على اللبسة أى ادراعك بها وتمصك بها على ما فيها من الإبهام والاشتباه ويجوز أن يكون مصدرا مضافا إلى ضمير الشبهة فقط أى احذر الشبهة واحتواءها على اللبسة التى فيها . وتقول أغدفت المرأة قناعها أى أرسلته على وجهها وأغدفت الليل أى أرخت سدوله وأصل الكلمة التغطية . والجلابيب جمع جلباب وهو الثوب . قال وأعشت الأبصار ظلمتها أى أكسبتها العشى وهو ظلمة العين وروى وأعشت بالعين المعجمة ظلمتها بالنصب أى جعلت الفتنة ظلمتها غشاء للأبصار . والأفانين الأساليب المختلفة . قوله ضعفت قواها عن السلم أى عن الإسلام أى لاتصدر تلك الأفانين [صفحہ ۲۶] المختلطة عن مسلم و كان كتب إليه يطلب منه أن يفرد بالشام و أن يولى العهد من بعده وألا يكلفه الحضور عنده وقرأ أبو عمرو وادخلوا فى السلم كافةً و قال ليس المعنى بهذا الصلح بل الإسلام والإيمان لا غير ومعنى ضعفت قواها أى ليس لتلك الطلبات والدعاوى والشبهات التى تضمنها كتابك من القوة ما يقتضى أن يكون المتمسك به مسلما لأنه كلام لا يقوله إلا من هو إما كافر منافق أو فاسق والكافر ليس بمسلم والفاقد أيضا ليس بمسلم على قول أصحابنا ولا كافر . ثم قال وأساطير لم يحكها منك علم و لاحلم الأساطير الأباطيل واحدها أسطورة بالضم وإسطارة بالكسر والألف وحوك الكلام صنعته ونظمه والحلم العقل يقول له ما صدر هذا الكلام

والهجر الفاسد عن عالم ولاعقل . و من رواها الدهاس بالكسر فهو جمع دهس و من قرأها بالفتح فهو مفرد يقول هذا دهس ودهاس بالفتح مثل لبث ولباث للمكان السهل الذى لا يبلغ أن يكون رملا و ليس هو بتراب و لا طين . والديماس بالكسر السرب المظلم تحت الأرض و فى حديث المسيح أنه سبط الشعر كثير خيلان الوجه كأنه خرج من ديماس يعنى فى نضرتة و كثرة ماء وجهه كأنه خرج من كن لأنه قال فى وصفه كان رأسه يقطر ماء و كان للحجاج سجن اسمه الديماس لظلمته وأصله من دمس الظلام يدمس أى اشتد و ليل دامس و داموس أى مظلم وجاءنا فلان بأمور دمس أى مظلمة عظيمة يقول له أنت فى كتابك هذا كالمخاض فى تلك الأرض الرخوة و تقوم و تقع و لا تتخلص و كالمخاطب فى الليل المظلم يعثر و ينهض و لا يهتدى الطريق . - قرآن- ١٢٨-١٥٥ [صفحة ٢٧] والمرقبة الموضع العالى والأعلام جمع علم و هو ما يهتدى به فى الطرقات من المنار يقول له سمت همتك إلى دعوى الخلافة وهى منك كالمرقبة التى لا ترام بتعد على من يطلبها و ليس فيها أعلام تهدى إلى سلوك طريقها أى الطرق إليها غامضة كالجبل الأملس الذى ليس فيه درج و مراق يسلك منها إلى ذروتة . والأنوق على فعول بالفتح كأكول و شروب طائر و هو الرخمة و فى المثل أعز من بيض الأنوق لأنها تحرزه و لا يكاد أحد يظفر به و ذلك لأن أوكارها فى رءوس الجبال والأماكن الصعبة البعيدة . والعيوق كوكب معروف فوق زحل فى العلو و هذه أمثال ضربها فى بعدمعاوية عن الخلافة . ثم قال حاش لله إن أوليك شيئا من أمور المسلمين بعدى أى معاذ الله والأصل إثبات الألف فى حاشا وإنما اتبع فيها المصحف . والورد والصدر الدخول والخروج وأصله فى الإبل والماء وينهد إليك عباد الله أى ينهض وأرتجت عليك الأمور أغلقت . و هذا الكتاب هو جواب كتاب وصل من معاوية إليه ع بعد قتل على ع الخوارج و فيه تلويح بما كان يقوله من قبل إن رسول الله وعدنى بقتال طائفة أخرى غير أصحاب الجمل و صفين وإنه سماهم المارقين فلما واقعهم ع بالنهروان وقتلهم كلهم بيوم واحد وهم عشرة آلاف فارس أحب أن يذكر معاوية بما كان يقول من قبل ويعد به أصحابه وخواصه فقال له قد آن لك أن تنتفع بما عاينت وشاهدت معاينة ومشاهدة من صدق القول الذى كنت أقوله للناس ويبلغك فتستهزئ به [صفحة ٢٨]

٦٦- و من كتاب له ع كتبه إلى عبد الله بن العباس

إشاره

و قد تقدم ذكره بخلاف هذه الرواية أما بعد فإن العبد ليفرح بالشئ الذى لم يكن ليفوته و يحزن على الشئ الذى لم يكن ليصيبه فلا يكن أفضل ما نلت فى نفسك من دنيائك بلوغ لذة أو شفاء غيظ و لكن إطفاء باطل و إحياء حق و ليكن سرورك بما قدمت و أسفك على ما خلقت و همك فيما بعد الموت هذا الفصل قد تقدم شرح نظيره و ليس فى ألفاظه و لامعانيه ما يفتقر إلى تفسير ولكننا سنذكر من كلام الحكماء والصالحين كلمات تناسبه

نبد من كلام الحكماء

فمن كلام بعضهم ما قدر لك أتاك و ما لم يقدر لك تعداك فعلام تفرح بما لم يكن بد من وصوله إليك و علام تحزن بما لم يكن ليقدّم عليك . و من كلامهم الدنيا تقبل إقبال الطالب و تدبر إدبار الهارب و تصل وصال المتهالك و تفارق فراق المبعوض الفارك فخيرها يسير و عيشها قصير و إقبالها خدعة و إدبارها [صفحة ٢٩] فجعة و لذاتها فانية و تبعاتها باقية فاغتنم غفلة الزمان

وانتهز فرصة الإمكان وخذ من نفسك لنفسك وتزود من يومك لغدك قبل نفاذ المدة وزوال القدرة فلكل امرئ من دنياه ماينفعه على عمارة أخراه . و من كلامهم من نكد الدنيا أنها لا تبقى على حالة و لا تخلو من استحالة تصلح جانباً يفسد جانباً وتسرح صاحباً بمساءة صاحب فالسكون فيها خطر والثقة إليها غرر والالتجاء إليها محال والاعتماد عليها ضلال . و من كلامهم لا تبتهجن لنفسك بما أدركت من لذاتها الجسمانية وابتهج لها بما تناله من لذاتها العقلية و من القول بالحق والعمل بالحق فإن اللذات الحسية خيال ينفد والمعارف العقلية باقية بقاء الأبد [صفحہ ۳۰]

۶۷- و من كتاب له ع كته إلى قثم بن العباس و هو عامله على مكة

أَمَا بَعْدُ فَأَقِمِ لِلنَّاسِ الْحَجَّ وَ ذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ وَ اجْلِسْ لَهُمْ الْعَصْرَيْنِ فَأَفْتِ الْمُسْتَفْتَى وَ عَلِّمِ الْجَاهِلَ وَ ذَاكِرِ الْعَالِمَ وَ لَا يَكُنْ لَكَ إِلَى النَّاسِ سَيْفِيرٌ إِلَّا لِسَانُكَ وَ لَا حَاجِبٌ إِلَّا وَجْهُكَ وَ لَا تَحْجُبَنَّ ذَا حَاجِيَهُ عَنْ لِقَائِكَ بِهَا فَإِنَّهَا إِنْ ذِيدَتْ عَنْ أَبْوَابِكَ فِي أَوَّلِ وَرْدِهَا لَمْ تُحْمَدْ بَعْدُ عَلَى قَضَائِهَا وَ انْظُرْ إِلَى مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ مِنْ مَالِ اللَّهِ فَاصْرِفْهُ إِلَى مَنْ قَبْلَكَ مِنْ ذَوِي الْعِيَالِ وَ الْمَجَاعَةِ مُصِيباً بِهِ مَوَاضِعَ الْمَفَاقِرِ وَ الْخَلَّاتِ وَ مَا فَضَّلَ عَنْ ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ إِلَيْنَا لِنَقْسِمَهُ فِيمَنْ قَبْلَنَا وَ مَرَّ أَهْلَ مَكَّةَ أَلَّا يَأْخُذُوا مِنْ سَاكِنِ أَجْرًا فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ سِوَاءَ الْعَاكِفِ فِيهِ وَ الْبَادِي الْعَاكِفُ الْمُقِيمُ بِهِ وَ الْبَادِي الَّذِي يَحْجُجُ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ وَ فَقْنَا اللَّهَ وَ إِيَّاكُمْ لِمَحَابَةِ وَ السَّلَامِ - قرآن- ۷۱۴-۷۴۴ [صفحہ ۳۱] قد تقدم ذكر قثم ونسبه أمره أن يقيم للناس حجهم و أن يذكرهم بأيام الله وهي أيام الإنعام و أيام الانتقام لتحصل الرغبة والرغبة. واجلس لهم العصرين الغداة والعشى. ثم قسم له ثمره جلوسه لهم ثلاثة أقسام إما أن يفتي مستفتياً من العامة في بعض الأحكام وإما أن يعلم متعلماً يطلب الفقه وإما أن يذاكر عالماً ويباحته ويفاوضه و لم يذكر السياسة و الأمور السلطانية لأن غرضه متعلق بالحجيج وهم أضيافه يقيمون ليالي يسيرة ويقفلون وإنما يذكر السياسة و ما يتعلق بها فيما يرجع إلى أهل مكة و من يدخل تحت ولايته دائماً ثم نهاه عن توسط السفراء والحجاب بينه وبينهم بل ينبغي أن يكون سفيره لسانه و حاجبه و وجهه و روى و لا يمكن إلا لسانك سفيراً لك إلى الناس بجعل لسانك اسم كان مثل قوله فما كان جواب قومه إلا أن قالوا والرواية الأولى هي المشهورة و هو أن يكون سفيراً اسم كان و لك خبرها و لا يصح ما قاله الراوندي إن خبرها إلى الناس لأن إلى هاهنا متعلقه بنفس سفير فلا يجوز أن تكون الخبر عن سفير تقول سفرت إلى بني فلان في الصلح و إذاتعلق حرف الجر بالكلمة صار كالشيء الواحد. ثم قال فإنها إن ذيدت أي طردت و دفعت . كان أبو عباد ثابت بن يحيى كاتب المأمون إذ أسئل الحاجه يشتم السائل ويسطو عليه ويخجله ويبيكته ساعة ثم يأمر له بهافي قوم و قدصارت إليه و هو يذمه و يلعنه قال على بن جبلة العكوك - قرآن- ۷۰۵-۷۴۵ [صفحہ ۳۲] لعن الله أبا عباد || لعنا يتوالى يوسع السائل شتما || ثم يعطيه السؤالاً . و كان الناس يقفون لأبي عباد وقت ركوبه فيتقدم الواحد منهم إليه بقصته ليناوله إياها فيركله بالركاب ويضربه بسوطه و يطير غضباً ثم لا ينزل عن فرسه حتى يقضى حاجته و يأمر له بطلبته فينصرف الرجل بها و هو ذام له ساخط عليه فقال فيه دعبل أولى الأمور بضيعه و فساد || ملك يدبره أبو عباد متعمد بدواته جلساءه || فمضرج ومخضب بمداد و كأنه من دير هزقل مفلت || حرب يجرس سلاسل الأقياد فاشدد أمير المؤمنين صفاده || بأشد منه في يد الحداد . و قال فيه بعض الشعراء قل للخليفة يا ابن عم محمد || قيد وزيرك إنه ركال فلسوطه بين الرؤوس مسالك || ولرجله بين الصدور مجال . والمفاقر الحاجات يقال سد الله مفاقره أي أغنى الله فقره ثم أمره أن يأمر أهل مكة ألا يأخذوا من أحد من الحجيج أجره مسكن واحتج على ذلك بالآية وأصحاب أبي حنيفة يتمسكون بها في امتناع بيع دور مكة وإجارتها و هذابناء على أن [صفحہ ۳۳] المسجد الحرام هو مكة كلها والشافعي يرى خلاف ذلك و يقول إنه الكعبة و لا يمنع من بيع دور مكة و لإجارتها ويحتج بقوله تعالى الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ

ديارهم وأصحاب أبي حنيفة يقولون إنها إضافة اختصاص لا إضافة تملك كما تقول جل الدابة وقرأ سواء بالنصب على أن يكون أحد مفعولى جعلنا أى جعلناه مستويا فيه العاكف والباد و من قرأ بالرفع جعل الجملة هى المفعول الثانى -قرآن- ١٣٠- [صفحة ٣٤]

٦٨- و من كتاب له ع كته إلى سلمان الفارسى رحمه الله قبل أيام خلافته

إشارة

أَمَا بَعْدُ فَإِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ لَئِن مَسَّهَا قَاتِلٌ سَمَّهَا فَأَعْرَضَ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا لِقَلِّهِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا وَ ضَعَّ عَنْكَ هُمُومَهَا لِمَا أَيْقَنَتْ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا وَ تَصَيَّرَفَ حَالَاتِهَا وَ كُنَّ آتِسَ مِمَّا تَكُونُ بِهَا أَحَدَرًا مِمَّا تَكُونُ مِنْهَا فَإِنَّ صَاحِبَهَا كُلَّمَا أَطْمَأَنَّ فِيهَا إِلَى سُرُورٍ أَشْخَصَتْهُ إِلَى مَحْدُورٍ أَوْ إِلَى إِيْنَسٍ أَرَاثَهُ عَنْهُ إِلَى إِيْحَاشٍ وَ السَّلَامُ

سلمان الفارسى وخبر إسلامه

سلمان رجل من فارس من رامهرمز وقيل بل من أصبهان من قرية يقال لها جى و هو معدود من موالى رسول الله ص و كنيته أبو عبد الله و كان إذا قيل ابن من أنت يقول أنا سلمان ابن الإسلام أنا من بنى آدم . و قدروى أنه قد تداوله أرباب كثيرة بضعة عشر ربا من واحد إلى آخر حتى أفضى إلى رسول الله ص . و روى أبو عمر بن عبد البر فى كتاب الإستيعاب أن سلمان أتى رسول الله [صفحة ٣٥] ص بصدقة فقال هذه صدقة عليك و على أصحابك فلم يقبلها و قال إنه لا تحل لنا الصدقة فرفعها ثم جاء من الغد بمثلها و قال هدية هذه فقال لأصحابه كلوا . واشتراه من أربابه و هم قوم يهود بدراهم و على أن يغرس لهم من النخيل كذا و كذا و يعمل فيها حتى تدرك فغرس رسول الله ص ذلك النخل كله بيده إلا نخلة واحدة غرسها عمر بن الخطاب فأطعم النخل كله إلا تلك النخلة فقال رسول الله ص من غرسها قيل عمر فقلعها و غرسها رسول الله ص بيده فأطعمت . قال أبو عمر و كان سلمان يسف الخوص و هو أمير على المدائن و يبيعه و يأكل منه و يقول لأحب أن آكل إلا من عمل يدي و كان قد تعلم سف الخوص من المدينة . و أول مشاهدته الخندق و هو الذى أشار بحفره فقال أبو سفيان وأصحابه لمارأوه هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها . قال أبو عمر و قدروى أن سلمان شهد بدرًا وأحدا و هو عبد يومئذ والأكثر أن أول مشاهدته الخندق و لم يفته بعد ذلك مشهد . قال و كان سلمان خيرا فاضلا حبرا عالما زاهدا متقشفا . قال وذكر هشام بن حسان عن الحسن البصرى قال كان عطاء سلمان خمسة آلاف و كان إذا خرج عطاؤه تصدق به و يأكل من عمل يده و كانت له عباءة يفرش بعضها ويلبس بعضها . [صفحة ٣٦] قال و قد ذكر ابن وهب و ابن نافع أن سلمان لم يكن له بيت إنما كان يستظل بالجدر والشجر و أن رجلا قال له أ لأبنى لك بيتا تسكن فيه قال لا حاجة لى فى ذلك فما زال به الرجل حتى قال له أنا أعرف البيت الذى يوافقك قال فصفه لى قال أبنى لك بيتا إذا أنت قمت فيه أصاب رأسك سقفه و إن أنت مددت فيه رجلك أصابها الجدار قال نعم فبنى له . قال أبو عمر و قدروى عن رسول الله ص من وجوه أنه قال لو كان الدين فى الثريا لئاله سلمان -رواية- ١-٢-رواية- ١٠١-٦٢- فى رواية أخرى لئاله رجل من فارس -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-٣٩- قدرويننا عن عائشة قالت كان لسلمان مجلس من رسول الله ص ينفرد به بالليل حتى كاد يغلبنا على رسول الله ص -رواية- ١-٢-رواية- ٢٦-١١٥- قال و قدروى من حديث ابن بريده عن أبيه أن رسول الله ص قال

أمرني ربي بحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم علي و أبوذر والمقداد وسلمان -رواية- ١-٢-رواية- ٧٠-١٤٣ قال وروى قتادة عن أبي هريرة قال سلمان صاحب الكتابين -رواية- ١-٢-رواية- ٣٩-٦٢ يعنى الإنجيل والقرآن . و قدروى الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختری عن علي ع أنه سئل عن سلمان فقال علم العلم الأول والعلم الآخر ذاك بحر لا ينزف وهو منا أهل البيت -رواية- ١-٢-رواية- ٦٢-١٥٦ قال و فى رواية زاذان عن علي ع سلمان الفارسی كلقمان الحكيم -رواية- ١-٢-رواية- ٣٨-٧٠ قال و قال فيه كعب الأخبار سلمان حشى علما وحكمة -رواية- ١-٢-رواية- ٣٢-٥٥ . [صفحہ ٣٧] قال و فى الحديث المروى أن أباسفيان مر على سلمان وصهيب وبلال فى نفر من المسلمين فقالوا ما أخذت السيوف من عنق عدو الله مأخذها و أبوسفيان يسمع قولهم فقال لهم أبوبكر أتقولون هذا الشيخ قريش وسيدها وأتى النبي ص وأخبره فقال يا أبابكر لعلك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت الله فأتاهم أبوبكر فقال أبوبكر يا إخوتاه لعلى أغضبتكم قالوا لا يا أبابكر يغفر الله لك . قال و آخرى رسول الله ص بينه و بين أبي الدرداء لما آخى بين المسلمين . قال ولسلمان فضائل جمه و أخبار حسان و توفى فى آخر خلافة عثمان سنة خمس و ثلاثين و قيل توفى فى أول سنة ست و ثلاثين و قال قوم توفى فى خلافة عمر و الأول أكثر . و أما حديث إسلام سلمان فقد ذكره كثير من المحدثين ورووه عنه قال كنت ابن دهقان قرية جى من أصبهان وبلغ من حب أبى لى أن حبسنى فى البيت كَمَا تَحْبَسُ الْجَارِيَةَ فَاجْتَهَدْتُ فِي الْمَجُوسِيَّةِ حَتَّى صَرْتُ قَطْنَ بَيْتِ النَّارِ فَأَرْسَلَنِي أَبِي يَوْمًا إِلَى ضَيْعَةٍ لَهُ فَمَرَرْتُ بِكَنِيسَةِ النَّصَارَى فَدَخَلْتُ عَلَيْهِمْ فَأَعْجَبْتَنِي صَلَاتِهِمْ فَقُلْتُ دِينَ هَؤُلَاءِ خَيْرٌ مِنْ دِينِي فَسَأَلْتَهُمْ أَيْنَ أَصْلُ هَذَا الدِّينِ قَالُوا بِالشَّامِ فَهَرَبْتُ مِنْ وَالِدِي حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ فَدَخَلْتُ عَلَى الْأَسْقَفِ فَجَعَلْتُ أخدمه و أتعلم منه حتى حضرته الوفاة فقلت إلى من توصى بى فقال قد هلك الناس و تركوا دينهم إلا رجلا بالموصل فالحق به فلما قضى نجه لحقت بذلك الرجل [صفحہ ٣٨] فلم يلبث إلا قليلا حتى حضرته الوفاة فقلت إلى من توصى بى فقال ما أعلم رجلا بقى على الطريقة المستقيمة إلا رجلا بنصيبين فلحقت بصاحب نصيبين قالوا و تلك الصومعة اليوم باقية و هى التى تعبد فيها سلمان قبل الإسلام قال ثم احتضر صاحب نصيبين فبعثنى إلى رجل بعمورية من أرض الروم فأتيته و أقمت عنده و اكتسبت بقرات و غنيمات فلما نزل به الموت قلت له بمن توصى بى فقال قد ترك الناس دينهم و ما بقى أحد منهم على الحق و قد أظلم زمان نبي مبعوث بدين ابراهيم يخرج بأرض العرب مهاجرا إلى أرض بين حرتين لها نخل قلت فما علامته قال يأكل الهدية و لا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة قال و مر بى ركب من كلب فخرجت معهم فلما بلغوا بى وادى القرى ظلمونى و باعونى من يهودى فكنت أعمل له فى زرعه و نخله فينا أنا عنده إذ قدم ابن عم له فابتاعنى منه و حملنى إلى المدينة فو الله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها و بعث الله محمدا بمكة و لا أعلم بشىء من أمره فينا أنا فى رأس نخلة إذ أقبل ابن عم لسيدى فقال قاتل الله بنى قيلة قد اجتمعوا على رجل بقاء قدم عليهم من مكة يزعمون أنه نبي قال فأخذنى القر و الانتفاض و نزلت عن النخلة و جعلت أستقصى فى السؤال فما كلمنى سيدى بكلمة بل قال أقبل على شأنك و دع ما لا يعينك فلما أمسيت أخذت شيئا كان عندى من التمر و أتيت به النبي ص فقلت له بلغنى أنك رجل صالح و أن لك أصحابا غرباء ذوى حاجة و هذا شىء عندى للصدقة فأرأيتكم أحق به من غيركم فقال ع لأصحابه كلوا و أمسك فلم يأكل فقلت فى نفسى هذه واحدة و انصرفت فلما كان من الغد أخذت ما كان بقى عندى و أتيت به فقلت له إنى رأيتك لا تأكل الصدقة و هذه هدية [صفحہ ٣٩] فقال كلوا و أكل معهم فقلت إنه لهو فأكبت عليه أقبه و أبكى فقال ما لك فقصصت عليه القصة فأعجبه ثم قال يا سلمان كاتب صاحبك فكاتبته على ثلاثمائة نخلة و أربعين أوقية فقال رسول الله ص للأنصار أعينوا أحاكم فأعانونى بالنخل حتى جمعت ثلاثمائة و دية فوضعها رسول الله ص بيده فصحت كلها و أتاه مال من بعض المغازى فأعطانى منه و قال أد كتابتك فأديت و عتقت . و كان سلمان من شيعة على ع و خاصته و تزعم الإمامية أنه أحد الأربعة الذين حلقوا رءوسهم و أتوه متقلدى سيوفهم فى خبر يطول و ليس هذا موضع ذكره و أصحابنا لا يخالفونهم فى أن سلمان كان من

الشيعة وإنما يخالفونهم في أمر أزيد من ذلك و ما يذكره المحدثون من قوله للمسلمين يوم السقيفة كرديد ونكرديد محمول عند أصحابنا على أن المراد صنعتهم شيئا و ما صنعتهم أى استخلفتهم خليفته ونعم ما فعلتم إلا أنكم عدلتم عن أهل البيت فلو كان الخليفة منهم كان أولى والإمامية تقول معناه أسلمتم و ما أسلمتم واللفظة المذكورة في الفارسية لاتعطى هذا المعنى وإنما تدل على الفعل والعمل لا غير ويدل على صحة قول أصحابنا أن سلمان عمل لعمر على المدائن فلو كان ماتنسبه الإمامية إليه حقا لم يعمل له . فأما ألقاظ الفصل ومعانيه فظاهرة و مما يناسب مضمونه قول بعض الحكماء تعز عن الشيء إذا منعتة بقلته صحبته لك إذا أعطيته . و كان يقال الهالك على الدنيا رجلان رجل نafs في عزها و رجل أنف من ذلها. [صفحه ٤٠] و مر بعض الزهاد بباب دار وأهلها يكون ميتا لهم فقال وا عجا لقوم مسافرين يبكون مسافرا قد بلغ منزله . و كان يقال يا ابن آدم لا تأسف على مفقود لا يرد عليك الفوت و لا تفرح بوجود لا يتركه عليك الموت . لقي عالم من العلماء راهبا فقال أيها الراهب كيف ترى الدنيا قال تخلق الأبدان و تجدد الآمال و تباعد الأمنية و تقرب المنية قال فما حال أهلها قال من ظفر بهانصب و من فاتته أسف قال فكيف الغنى عنها قال بقطع الرجاء منها قال فأى الأصحاب أبر وأوفى قال العمل الصالح قال فأيهم أضر وأنكى قال النفس والهوى قال فكيف المخرج قال في سلوك المنهج قال وبما ذا أسلكه قال بأن تخلع لباس الشهوات الفانية وتعمل للدار الباقية [صفحه ٤١]

٦٩- و من كتاب له ع كته إلى الحارث الهمداني

إشارة

وَ تَمَسِّكَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ وَ انْتَصِحْهُ وَ أَحِلِّ حَلَالَهُ وَ حَرِّمْ حَرَامَهُ وَ صِدِّقْ بِمَا سَلَفَ مِنَ الْحَقِّ وَ اعْتَبِرْ بِمَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا لِمَا بَقِيَ مِنْهَا فَإِنَّ بَعْضَهَا يُشَبِّهُ بَعْضًا وَ آخِرُهَا لَاحِقٌ بِأَوَّلِهَا وَ كُلُّهَا حَائِلٌ مُفَارِقٌ وَ عَظَمَ اسْمَ اللَّهِ أَنْ تَذْكُرَهُ إِلَّا عَلَى حَقٍّ وَ أَكْثَرَ ذِكْرَ الْمَوْتِ وَ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَ لَا تَتَمَنَّ الْمَوْتَ إِلَّا بِشَرِّ وَثِيقٍ وَ أَحْذَرِ كُلَّ عَمَلٍ يَرْضَاهُ صَاحِبُهُ لِنَفْسِهِ وَ يَكْرَهُهُ لِعَامِيَةِ الْمُسْلِمِينَ وَ أَحْذَرِ كُلَّ عَمَلٍ يُعْمَلُ بِهِ فِي السِّرِّ وَ يُسْتَحَى مِنْهُ فِي الْعَلَانِيَةِ وَ أَحْذَرِ كُلَّ عَمَلٍ إِذَا سُئِلَ عَنْهُ صَاحِبُهُ أَنْكَرَهُ وَ اعْتَدَرَ مِنْهُ وَ لَا تَجْعَلْ عِرْضَكَ غَرَضًا لِتَبَالِ الْقَوْمِ وَ لَا تَحْدِثِ النَّاسَ بِكُلِّ مَا سَمِعْتَ بِهِ فَكَفَى بِذَلِكَ كَذِبًا وَ لَا تَرْدَ عَلَى النَّاسِ كُلِّ مَا حَدَّثُوكَ بِهِ فَكَفَى بِذَلِكَ جَهْلًا وَ اكْظِمِ الْغَيْظَ وَ احْلُمْ عِنْدَ الْغَضَبِ وَ تَجَاوَزْ عِنْدَ الْمَقْدِرَةِ وَ اصْفَحْ مَعَ الدَّوْلَةِ تَكُنْ لَكَ الْعَاقِبَةُ وَ اسْتَصْلِحْ كُلَّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا اللَّهُ عَلَيْكَ وَ لَا تُضَيِّعَنَّ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عِنْدَكَ وَ لِيَرَّ عَلَيْكَ أَنْتُمْ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ وَ اعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُهُمْ تَقْدِمَةً مِنْ نَفْسِهِ وَ أَهْلِهِ وَ مِرَالِهِ وَ إِنَّكَ مَا تَقْدَمُ مِنْ خَيْرٍ يَبْقَى لَكَ ذُخْرُهُ وَ مَا تُؤَخِّرُهُ يَكُنْ لِغَيْرِكَ خَيْرُهُ [صفحه ٤٢] وَ أَحْذَرِ صَحَابَةَ مَنْ يَفِيلُ رَأْيَهُ وَ يُنْكِرُ عَمَلَهُ فَإِنَّ الصَّاحِبَ مُعْتَبَرٌ بِصَاحِبِهِ وَ اسْكُنِ الْأَمْصَارَ الْعِظَامَ فَإِنَّهَا جِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ وَ أَحْذَرِ مَنَازِلَ الْعَفْلَةِ وَ الْجَفَاءِ وَ قَلْبَهُ الْأَعْوَانَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَ اقْصِرْ رَأْيَكَ عَلَى مَا يَعْنِيكَ وَ إِيَّاكَ وَ مَقَاعِدَ الْأَسْوَاقِ فَإِنَّهَا مَحَاضِرُ الشَّيْطَانِ وَ مَعَارِيضُ الْفِتَنِ وَ أَكْثَرَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى مَنْ فَضَلْتَ عَلَيْهِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الشُّكْرِ وَ لَا تُسَافِرْ فِي يَوْمٍ جُمِعَتْ حَتَّى تَشْهَدَ الصَّلَاةَ إِلَّا فَاصِلًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ فِي أَمْرٍ تُعْذَرُ بِهِ وَ أَطِعِ اللَّهَ فِي جَمِيلِ أُمُورِكَ فَإِنَّ طَاعَةَ اللَّهِ فَاضِلَةٌ عَلَى مَا سِوَاهَا وَ خَادِعٌ نَفْسَكَ فِي الْعِبَادَةِ وَ ارْفُقْ بِهَا وَ لَا تَقْهَرَهَا وَ خُذْ عَفْوَهَا وَ نَشَاطَهَا إِلَّا مَا كَانَ مَكْتُوبًا عَلَيْكَ مِنَ الْفَرِيضَةِ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ قَضَائِهَا وَ تَعَاهِدِهَا عِنْدَ مَحَلِّهَا وَ إِيَّاكَ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ الْمَوْتُ وَ أَنْتَ آبِقٌ مِنْ رَبِّكَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا وَ إِيَّاكَ وَ مُصَاحِبِيَّةَ الْفُسَاقِ فَإِنَّ الشَّرَّ بِالشَّرِّ مُلْحَقٌ وَ وَقِّرِ اللَّهَ وَ أَحِبَّ أَجْبَاءَهُ وَ أَحْذَرِ الْغَضَبَ فَإِنَّهُ جُنْدٌ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ وَ السَّلَامَ

هو الحارث الأعور صاحب أمير المؤمنين ع و هو الحارث بن عبد الله بن كعب بن أسد بن نخلة بن حرث بن سبع بن صعب بن معاوية الهمداني كان أحد [صفحہ ۴۳] الفقهاء له قول في الفتيا و كان صاحب علي ع و إليه تنسب الشيعة الخطاب الذي خاطبه به في قوله ع -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۲-۱۳ یا حار همدان من يمت يرني || من مؤمن أو منافق قبلا- وهي أبيات مشهورة قد ذكرناها فيما تقدم

نبد من الأقوال الحكيمة

و قد اشتمل هذا الفصل على وصايا جليئة الموقع منها قوله وتمسك بحبل القرآن جاء في الخبر المرفوع لما ذكر الثقلين فقال أحدهما كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض طرف بيد الله وطرف بأيديكم -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۴-۱۲۶ . ومنها قوله انتصحه أي عده ناصحا لك فيما أمرك به ونهاك عنه . ومنها قوله وأحل حلاله وحرم حرامه أي احكم بين الناس في الحلال والحرام بما نص عليه القرآن . ومنها قوله وصدق بما سلف من الحق أي صدق بما تضمنه القرآن من أيام الله ومثلاته في الأمم السالفة لماعصوا وكذبوا. ومنها قوله واعتبر بما مضى من الدنيا لمابقي منها و في المثل إذا شئت أن تنظر الدنيا بعدك فانظرها بعد غيرك و قال الشاعر و مانحن لإمثلهم غير أننا || أقمنا قليلا بعدهم ثم نرحل . ويناسب قوله و آخرها لاحق بأولها وكلها حائل مفارق قوله أيضا ع [صفحہ ۴۴] في غير هذا الفصل الماضي للمقيم عبرة والميت للحى عظة و ليس لأمس عودة و لا المرء من غد على ثقة الأول للأوسط رائد والأوسط للأخير قائد و كل بكل لاحق والكل للكل مفارق -روایت- ۱-۱۴۸ . ومنها قوله وعظم اسم الله أن تذكره إلا على حق قال الله سبحانه و لا تجعلوا لله غرضة لئيمانكم و قد نهى عن الحلف بالله في الكذب والصدق أما في أحدهما فمحرم و أما في الآخر فمكروه ولذلك لا يجوز ذكر اسمه تعالى في لغو القول والهزء والعبث . ومنها قوله وأكثر ذكر الموت و ما بعد الموت جاء في الخبر المرفوع أكثروا ذكر هادم اللذات و ما بعد الموت العقاب والثواب في القبر و في الآخرة. ومنها قوله و لاتتمن الموت إلا بشرط وثيق هذه كلمة شريفة عظيمة القدر أي لاتتمن الموت إلا و أنت واثق من أعمالك الصالحة أنها تؤديك إلى الجنة وتغذك من النار و هذا هو معنى قوله تعالى لليهود إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين و لا-يتمنونه أبدأ بما قدمت أيديهم و الله عليهم بالظالمين. ومنها قوله واحذر كل عمل يرضاه صاحبه لنفسه ويكرهه لعامة المسلمين واحذر كل عمل يعمل في السر ويستحيا منه في العلانية واحذر كل عمل إذا سئل عنه صاحبه أنكره واعتذر منه و هذه الوصايا الثلاث متقاربة في المعنى ويشملها معنى قول الشاعر -قرآن- ۷۱-۱۱۳-قرآن- ۶۰۴- ۷۸۳-لاتنه عن خلق وتأتى مثله || عار عليك إذا فعلت عظيم . [صفحہ ۴۵] و قال الله تعالى حاكيا عن نبي من أنبيائه و ما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه. و من كلام الجنيد الصوفي ليكن عملك من وراء سترك كعملك من وراء الزجاج الصافي و في المثل و هو منسوب إلى علي ع إياك و ما يعتذر منه . ومنها قوله و لاتجعل عرضك غرضا لنبال القوم قال الشاعر -قرآن- ۴۶- ۹۷-لاتستتر أبدا ما لا تقوم له || و لاتتهيجن من عريسة الأسد إن الزنابير إن حركتها سفها || من كورها أوجعت من لسعها الجسدا . و قال مقالة السوء إلى أهلها || أسرع من منحدر سائل و من دعا الناس إلى ذمه || ذموه بالحق وبالباطل ومنها قوله و لاتحدث الناس بكل ماسمعت فكفى بذلك كذبا قد نهى أن يحدث الإنسان بكل ما رأى من العجائب فضلا عما سمع لأن الحديث الغريب المعجب تسارع النفس إلى تكذيبه و إلى أن تقوم الدلالة على صدقه قد فرط من سوء الظن فيه ما فرط. ويقال

إن بعض العلوية قال في حضره عضد الدولة ببغداد عندنا في الكوفة نبق وزن كل نبقه مثقالان فاستطرف الملك ذلك وكاد يكذبه الحاضرون فلما قام ذكر ذلك لأبيه فأرسل حماما كان عنده في الحال إلى الكوفة يأمر وكلاءه بإرسال مائة حمامة في رجلى كل واحدة نبتان من ذلك النبق فجاء النبق في بكرة الغد وحمل إلى عضد الدولة فاستحسنه وصدقه حينئذ ثم قال له لعمري لقد صدقت [صفحة ٤٦] ولكن لا تحدث فيما بعد بكل ما رأيت من الغرائب فليس كل وقت يتهيأ لك إرسال الحمام . و كان يقال الناس يكتبون أحسن ما يسمعون ويحفظون أحسن ما يكتبون ويتحدثون بأحسن ما يحفظون والأصدق نوع تحت جنس الأحسن ومنها قوله ولا ترد على الناس كل ما حدثوك فكفى بذلك جهلا من الجهل المبادرة بإنكار ما يسمعه وقال ابن سينا في آخر الإشارات إياك أن يكون تكييسك وتبرؤك من العامة هو أن تنبرى منكرا لكل شىء فلذلك عجز وطيش وليس الخرق فى تكذيبك ما لم يستبن لك بعد جلته دون الخرق فى تصديقك بما لم تقم بين يديك بينه بل عليك الاعتصام بحبل التوقف وإن أزعجك استنكار ما يوعيه سمعك مما لم يبرهن على استحاله لك فالصواب أن تسرح أمثال ذلك إلى بقعة الإمكان ما لم يذك عنهما قائم البرهان . ومنها قوله واكظم الغيظ قدمح الله تعالى ذلك فقال وَ الكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَ قرآن -٧٦٥-٧٨٦ روى أن عبدا لموسى بن جعفر قدم إليه صحفة فيها طعام حار فعجل فصبها على رأسه ووجهه فغضب فقال له وَ الكَاظِمِينَ الغَيْظَ قال قد كظمت قال وَ العَافِينَ عَنِ النَّاسِ قال قد عفوت قال وَ اللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ قال أنت حر لوجه الله وقد نحلكتك ضيعتى الفلانية - روى ١-٢-روايت ٧-٢٧١ . ومنها قوله واحلم عند الغضب هذه مناسبة الأولى وقد تقدم منا قول كثير فى الحلم وفضله وكذلك القول فى قوله ع وتجاوز عند القدرة و كان يقال القدرة تذهب الحفيظة. [صفحة ٤٧] ومنها قوله واصفح مع الدولة تكن لك العاقبة هذه كانت شيمه رسول الله ص وشيمه على ع أما شيمه رسول الله ص فظفر بمشركى مكة وعفا عنهم كما سبق القول فيه فى عام الفتح و أما على ع فظفر بأصحاب الجمل وقد شقوا عصا الإسلام عليه وطعنوا فيه و فى خلافته فعفا عنهم مع علمه بأنهم يفسدون عليه أمره فيما بعد ويصيرون إلى معاوية إما بأنفسهم أو بأرائهم ومكتوباتهم وهذا أعظم من الصفح عن أهل مكة لأن أهل مكة لم يبق لهم لمافتحت فنة يتحيزون إليها ويفسدون الدين عندها. ومنها قوله واستصلح كل نعمة أنعمها الله عليك معنى استصلحها استدمها لأنه إذا استدمها فقد أصلحها فإن بقاءها صلاح لها واستدامتها بالشكر. ومنها قوله ولا تضيعن نعمة من نعم الله عندك أى واس الناس منها وأحسن إليهم واجعل بعضها لنفسك وبعضها للصدقة والإيثار فإنك إن لم تفعل ذلك تكن قد أضعتها. ومنها قوله ولير عليك أثر النعمة قد أمر بأن يظهر الإنسان على نفسه آثار نعمة الله عليه وقال سبحانه وَ أَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ وقال الرشيد لجعفر قم بنا لنمضى إلى منزل الأصمعى فمضيا إليه خفية ومعهما خادم معه ألف دينار ليدفع ذلك إليه فدخل داره فوجدا كساء جرداء وبارية سملاء وحصيرا مقطوعا وخباء قديمة وأباريق من خزف ودواة من زجاج ودفاتر عليها التراب وحيطانا مملوءة من نسج العناكب فوجم الرشيد وسأله مسائل غشة لم تكن من غرضه وإنما قطع بها خجله و قال الرشيد لجعفر ألا ترى إلى نفس هذا المهين قد بررناه بأكثر قرآن -٨٨٧-٩١٩ [صفحة ٤٨] من خمسين ألف دينار وهذه حاله لم تظهر عليه آثار نعمتنا والله لا دفعت إليه شيئا وخرج ولم يعطه . ومنها قوله واعلم أن أفضل المؤمنين أفضلهم تقدمه من نفسه وأهله وماله أى أفضلهم إنفاقا فى البر والخير من ماله وهى التقدمه قال الله تعالى وَ مَا تَقَدَّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُنَّ مَأْمُورَاتٍ وَالْأَهْلُ فَإِنْ تَقَدَّمْتَهُمَا فِي الْجِهَادِ وَقَدْ تَكُونُ التَّقَدُّمُ فِي النَّفْسِ بَأَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً حَسَنَةً أَوْ يَحْضُرَ عِنْدَ السُّلْطَانِ بِكَلَامٍ طَيِّبٍ وَثَاءَ حَسَنٍ وَأَنْ يَصْلَحَ بَيْنَ الْمُتَخَاصِمِينَ وَنَحْوِ ذَلِكَ وَالتَّقَدُّمُ فِي الْأَهْلِ أَنْ يَحْجِجَ بَوْلده وَزوجته وَيَكْلِفُهُمَا الْمَشَاقِقَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَأَنْ يُوَدِّبَ وَلده إِنْ أَذْنَبَ وَأَنْ يَقِيمَ عَلَيْهِ الْحَدَّ وَنَحْوِ ذَلِكَ . ومنها قوله و ماتقدم من خير يبق لك زخره و ماتؤخره يكن لغيرك خير و قد سبق مثل هذا و أن ما يتركه الإنسان بعده فقد حرم نفعه وكأنما كان يكدح لغيره و ذلك من الشقاوة وقلة التوفيق . ومنها قوله واحذر صحابة من يفيل رأيه الصحابة بفتح الصاد مصدر صحبت والصحابة بالفتح أيضا جمع صاحب

والمراد هاهنا الأول وقال رأيه فسد وهذا المعنى قد تكرر وقال طرفه - قرآن - ٢٥٠-٢٩٨ عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه || فإن القرين بالمقارن يقتدى . ومنها قوله واسكن الأمصار العظام قد قيل لا تسكن إلا في مصر فيه سوق قائمة ونهر جار وطيب حاذق وسلطان عادل فأما منازل الغفلة والجفاء فمثل قرى السواد الصغار فإن أهلها لا نور فيهم ولا ضوء عليهم وإنما هم كاللدواب [صفحة ٤٩] والأنعام همهم الحرث والفلاحة ولا يفقهون شيئاً أصلاً فمجاورتهم تعمي القلب وتظلم الحس وإذا لم يجد الإنسان من يعينه على طاعة الله وعلى تعلم العلم قصر فيهما . ومنها قوله واقصر رأيك على ما يعينك كان يقال من دخل فيما لا يعنيه فاته ما يعنيه . ومنها نهيه إياه عن القعود في الأسواق قد جاء في المثل السوق محل الفسوق . وجاء في الخبر المرفوع الأسواق مواطن إبليس وجنده - رواية ١-٢-رواية ٢٤-٥٤ وذلك لأنها قلما تخلو عن الأيمان الكاذبة والبيوع الفاسدة وهي أيضاً مجمع النساء المومسات وفجار الرجال وفيها اجتماع أرباب الأهواء والبدع فلا يخلو أن يتجادل اثنان منهم في المذاهب والنحل فيفضي إلى الفتن . ومنها قوله وانظر إلى من فضلت عليه كان يقال انظر إلى من دونك ولا تنظر إلى من فوقك وقد بين ع السر فيه فقال إن ذلك من أبواب الشكر وصدق لأنك إذا رأيت جاهلاً وأنت عالم أو عالماً وأنت أعلم منه أو فقيراً وأنت أغنى منه أو مبتلى بسقم وأنت معافي عنه كان ذلك باعثاً وداعياً لك إلى الشكر . ومنها نهيه عن السفر يوم الجمعة ينبغي أن يكون هذا النهي عن السفر يوم الجمعة قبل الصلاة وأما بعد الصلاة فلا بأس به واستثنى فقال لإفصلاً في سبيل الله أى شاخصاً إلى الجهاد . قال أو في أمر تعذر به أى لضرورة دعتك إلى ذلك . [صفحة ٥٠] وقد ورد نهى كثير عن السفر يوم الجمعة قبل أداء الفرض على أن من الناس من كره ذلك بعد الصلاة أيضاً وهو قول شاذ . ومنها قوله وأطع الله في جمل أمورك أى في جملتها وفيها كلها وليس يعنى في جملتها دون تفاصيلها قال فإن طاعة الله فاضلة على غيرها وصدق لأنها توجب السعادة الدائمة والخلاص من الشقاء الدائم ولا أفضل مما يؤدي إلى ذلك . ومنها قوله وخادع نفسك في العبادة أمره أن يتلطف بنفسه في النوافل وأن يخادعها ولا يقهرها فتمل وتضجر وترك بل يأخذ عفوها ويتوخى أوقات النشاط وانسراح الصدر للعبادة . قال فأما الفرائض فحكمها غير هذا الحكم عليك أن تقوم بها كرهتها النفس أو لم تكرهها ثم أمره أن يقوم بالفريضة في وقتها ولا يؤخرها عنه فتصير قضاء . ومنها قوله وإياك أن ينزل بك المنون وأنت آبق من ربك في طلب الدنيا هذه وصية شريفة جداً جعل طالب الدنيا المعرض عن الله عند موته كالعبد الآبق يقدم به على مولاة أسيراً مكتوفاً ناكس الرأس فما ظنك به حينئذ . ومنها قوله وإياك ومصاحبة الفساق فإن الشر بالشر ملحق يقول إن الطباع يتزع بعضها إلى بعض فلا تصحب الفساق فإنه يتزع بك ما فيك من طبع الشر إلى مساعدتهم على الفسوق والمعصية وما هو إلا كالنار تقوى بالنار فإذا لم تجاورها وتمازجها نار كانت إلى الانطفاء والخمود أقرب . [صفحة ٥١] وروى ملحق بكسر الحاء وقد جاء ذلك في الخبر النبوي فإن عذابك بالكفار ملحق - رواية ١-٢-رواية ٢٠-٤٦ بالكسر . ومنها قوله وأحب أحبائه قد جاء في الخبر لا يكمل إيمان امرئ حتى يحب من أحب الله ويبغض من أبغض الله - رواية ١-٢-رواية ١٨-٨٥ ومنها قوله واحذر الغضب قد تقدم لنا كلام طويل في الغضب وقال إنسان للنبي ص أوصني قال لا تغضب فقال زدني فقال لا تغضب قال زدني قال لا أجدر لك مزيداً - رواية ١-٩٧ وإنما جعله ع جنداً عظيماً من جنود إبليس لأنه أصل الظلم والقتل وإفساد كل أمر صالح وهو إحدى القوتين المشئومتين اللتين لم يخلق أضر منهما على الإنسان وهما منبع الشر الغضب والشهوة [صفحة ٥٢]

٧٠- ومن كتاب له ع إلى سهل بن حنيف الأنصاري وهو عامله على المدينة في معنى قوم من أهلها لحقوا بمعاوية

أَمَا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالًا مِّن مِّن قِبَلِكَ يَسْتَلِمُونَ إِلَيَّ مُعَاوِيَةَ فَلَا تَأْسَفْ عَلَيَّ مَا يَفُوتُكَ مِنْ عِيَدِهِمْ وَيَذْهَبُ عَنْكَ مِنْ مَدَدِهِمْ

فَكَفَى لَهُمْ غِيًّا وَ لَمَكَ مِنْهُمْ شَافِيًّا فِرَارُهُمْ مِنَ الْهُدَى وَ الْحَقِّ وَ إِضَاعُهُمْ إِلَى الْعَمَى وَ الْجَهْلِ فَإِنَّمَا هُمْ أَهْلُ دُنْيَا مُقْبِلُونَ عَلَيْهَا وَ مُهْطِعُونَ إِلَيْهَا قَدْ عَرَفُوا الْعَيْدَ وَ رَأَوْهُ وَ سَمِعُوهُ وَ وَعَوْهُ وَ عَلِمُوا أَنَّ النَّيَّاسَ عِنْدَنَا فِي الْحَقِّ أَسْوَةٌ فَهَرَبُوا إِلَى الْأَثَرِ فَبَعْدًا لَهُمْ وَ سُحْقًا إِنَّهُمْ وَ اللَّهُ لَمْ يَفِرُوا مِنْ جَوْرِ وَ لَمْ يَلْحَقُوا بِعَيْدٍ وَ إِنَّا لَنَطْمَعُ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَنْ يُذَلَّلَ اللَّهُ لَنَا صِغْبَهُ وَ يُسَيِّهَ لَنَا حَزَنَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَ السَّلَامُ عَلَيْكَ وَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُهُ قَدْ تَقَدَّمَ نَسَبُ سَهْلِ بْنِ حَنِيفٍ وَ أَخِيهِ عَثْمَانَ فِيمَا مَضَى . وَ يَتَسَلَّلُونَ يَخْرُجُونَ إِلَى مَعَاوِيَةَ هَارِبِينَ فِي خَفِيَّةٍ وَ اسْتَتَارَ . قَالَ فَلَا تَأْسَفُ أَيَّ لَا تَحْزَنُ وَ الْغَى الضَّلَالُ . قَالَ وَ لَكَ مِنْهُمْ شَافِيًّا أَيَّ يَكْفِيكَ فِي الْإِنْتِقَامِ مِنْهُمْ وَ شِفَاءِ النَّفْسِ مِنْ عَقُوبَتِهِمْ أَنَّهُمْ يَتَسَلَّلُونَ إِلَى مَعَاوِيَةَ . [صَفْحَةُ ٥٣] قَالَ أَرْضُ لِمَنْ غَابَ عَنْكَ غَيْبَتُهُ فَذَاكَ ذَنْبُ عِقَابِهِ فِيهِ . وَ الْإِضْيَاعُ الْإِسْرَاعُ وَضَعُ الْبَعِيرِ أَيَّ أَسْرَعَ وَ أَوْضَعَهُ صَاحِبُهُ قَالَ رَأَى بَرْقًا فَأَوْضَعَ فَوْقَ بَكْرِ || فَلَا يَكُ مَا أَسَالُ وَ لَا أَعَامَا . وَ مَهْطِعُونَ مُسْرِعُونَ أَيْضًا وَ الْأَثَرُ الْإِسْتِثَارُ يَقُولُ قَدْ عَرَفُوا أَنِّي لَا أَقْسِمُ إِلَّا بِالسُّوِيَّةِ وَ أَنِّي لَا أَنْفُلُ قَوْمًا عَلَى قَوْمٍ وَ لَا أُعْطِي عَلَى الْأَحْسَابِ وَ الْأَنْسَابِ كَمَا فَعَلَ غَيْرِي فَتَرَكُونِي وَ هَرَبُوا إِلَيَّ مِنْ يَسْتَأْثِرُ وَ يُؤْثِرُ . قَالَ فَبَعْدًا لَهُمْ وَ سُحْقًا دَعَاءُ عَلَيْهِمُ بِالْبَعْدِ وَ الْهَلَاكِ . وَ رَوَى أَنَّهُمْ لَمْ يَنْفِرُوا بِالنُّونِ مِنْ نَفَرٍ ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ رَاجٍ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَذَلَّلَ لَهُ صَعْبُ هَذَا الْأَمْرِ وَ يَسْهَلَ لَهُ حَزَنُهُ وَ الْحَزَنُ مَا غَلِظَ مِنَ الْأَرْضِ وَ ضَدَّهُ السَّهْلُ [صَفْحَةُ ٥٤]

٧١- و من كتاب له ع إلى المنذر بن الجارود العبدى

إشاره

وَ قَدْ كَانَ اسْتَعْمَلَهُ عَلَى بَعْضِ النَّوَاحِي فَخَانَ الْأَمَانَةَ فِي بَعْضِ مَاوَلَاهُ مِنْ أَعْمَالِهِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ صِيْلَمَاحَ أَبِيكَ عَزَّتِي مِنْكَ وَ ظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ وَ تَسْلُكُ سَبِيلَهُ فَإِذَا أَنْتَ فِيمَا رَقِيَّ إِلَيَّ عَنْكَ لَا تَدْعُ لِهَوَاكَ انْقِيَادًا وَ لَا تَبْقَى لِآخِرَتِكَ عَتَادًا تَعْمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ آخِرَتِكَ وَ تَصِلُ عَشِيرَتَكَ بِقَطِيعِهِ دِيَّتِكَ وَ لَيْتَنِي كَمَا نَمَا بَلَّغْتَنِي عَنْكَ حَقًّا لَجَمَلُ أَهْلِكَ وَ شِئْ سَعُ نَعْلِكَ خَيْرٌ مِنْكَ وَ مَنْ كَانَ بِصِفَتِكَ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَدَّ بِهِ نَعْرٌ أَوْ يُنْفَذَ بِهِ أَمْرٌ أَوْ يُعْلَى لَهُ قَدْرٌ أَوْ يُشْرَكَ فِي أَمَانَتِهِ أَوْ يُؤْمَنَ عَلَى جَبَائِهِ فَأَقْبِلْ إِلَيَّ حِينَ يَصِلُ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ قَالَ الرُّضَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْمَنْذَرُ بْنُ الْجَارُودِ هَذَا هُوَ الَّذِي قَالَ فِيهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع إِنَّهُ لِنَظَارِ فِي عَظْفِيهِ مَخْتَالٌ فِي بَرْدِيهِ تَفَالٌ فِي شِرَاكِيهِ - رَوَايَتُ - ١ - ١٤١ [صَفْحَةُ ٥٥]

ذكر المنذر و أبيه الجارود

هُوَ الْمَنْذَرُ بْنُ الْجَارُودِ وَ اسْمُ الْجَارُودِ بَشْرُ بْنُ خَنِيسِ بْنِ الْمَعْلَى وَ هُوَ الْحَارِثُ بْنُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ جَدِيمَةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ أُنْمَارِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ وَدِيعَةَ بْنِ لَكِيْزِ بْنِ أَفْصَى بْنِ عَبْدِ الْقَيْسِ بْنِ أَفْصَى بْنِ دَعْمَى بْنِ جَدِيلَةَ بْنِ أَسَدِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ نَزَارِ بْنِ مَعْدِ بْنِ عَدْنَانَ بَيْتِهِمْ بَيْتُ الشَّرْفِ فِي عَبْدِ الْقَيْسِ وَ إِنَّمَا سُمِّيَ الْجَارُودُ لِبَيْتِ قَالَهُ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فِيهِ فِي آخِرِهِ . كَمَا جَرَدَ الْجَارُودُ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ . وَ وُفِدَ الْجَارُودُ عَلَى النَّبِيِّ ص فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَ قِيلَ فِي سَنَةِ عَشْرٍ . وَ ذَكَرَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي كِتَابِ الْإِسْتِيعَابِ أَنَّهُ كَانَ نَصْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ وَ حَسَنَ إِسْلَامَهُ وَ كَانَ قَدُ وُفِدَ مَعَ الْمَنْذَرِ بْنِ سَاوَى فِي جَمَاعَةٍ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ وَ قَالَ شَهِدْتُ بِأَنَّ اللَّهَ حَقٌّ وَ سَامِحَةٌ || بَنَاتُ فَوَادِيٍّ بِالشَّهَادَةِ وَ النَّهْضُ فَأَبْلَغَ رَسُولُ اللَّهِ مَنِيَّ رِسَالَهُ || بِأَنِّي حَنِيفٌ حَيْثُ كُنْتُ مِنَ الْأَرْضِ قَالَ وَ قَدْ اخْتَلَفَ فِي نَسَبِهِ اِخْتِلَافًا كَثِيرًا فَقِيلَ بَشْرُ بْنُ الْمَعْلَى بْنِ خَنِيسِ بْنِ قَيْلِ بْنِ بَشْرِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ وَ قِيلَ بَشْرُ بْنُ

عمرو بن المعلى وكنيته أبوعتاب ويكنى أيضا أبا المنذر. وسكن الجارود البصرة وقتل بأرض فارس وقيل بل قتل بنهاوند مع النعمان بن مقرن وقيل إن عثمان بن العاص بعث الجارود في بعث نحو ساحل فارس فقتل [صفحة ٥٦] بموضع يعرف بعقبه الجارود و كان قبل ذلك يعرف بعقبه الطين فلما قتل الجارود فيه عرفه الناس بعقبه الجارود و ذلك في سنة إحدى وعشرين . و قدروى عن النبي ص أحاديث وروى عنه وأمه دريمكة بنت رويم الشيبانية. و قال أبو عبيدة معمر بن المثنى فى كتاب التاج إن رسول الله ص أكرم الجارود و عبد القيس حين وفدا إليه و قال للأنصار قوموا إلى إخوانكم وأشبهه الناس بكم قال لأنهم أصحاب نخل كما أن الأوس والخزرج أصحاب نخل ومسكنهم البحرين واليمامة قال أبو عبيدة و قال عمر بن الخطاب لو لأنى سمعت رسول الله ص يقول إن هذا الأمر لا يكون إلا فى قريش -رواية ١-٢-رواية ٢٩-٦٥ لماعدلت بالخلافه عن الجارود بن بشر بن المعلى و لا تخالجنى فى ذلك الأمور. قال أبو عبيدة ولعبد القيس ست خصال فاقت بها على العرب منها أسود العرب بيتا وأشرفهم رهط الجارود هو وولده . ومنها أشجع العرب حكيم بن جبلة قطعت رجله يوم الجمل فأخذها بيده وزحف على قاتله فضربه بها حتى قتله و هو يقول يانفس لا تراعى || إن قطعت كراعى إن معى ذراعى . فلا يعرف فى العرب أحد صنع صنيعه . ومنها أعبد العرب هرم بن حيان صاحب أويس القرنى. ومنها أجود العرب عبد الله بن سواد بن همام غزا السند فى أربعة آلاف ففتحها وأطعم الجيش كله ذاهبا وقافلا فبلغه أن رجلا من الجيش مرض فاشتتهى خبيصا [صفحة ٥٧] فأمر باتخاذ الخبيص لأربعة آلاف إنسان فأطعمهم حتى فضل وتقدم إليهم ألا يوقد أحد منهم نارا لطعام فى عسكره مع ناره . ومنها أخطب العرب مصقلة بن رقبه به يضرب المثل فيقال أخطب من مصقلة. ومنها أهدى العرب فى الجاهلية وأبعدهم مغارا وأثرا فى الأرض فى عدوه و هو دميميص الرمل كان يعرف بالنجوم هداية و كان أهدى من القضا يدفن بيض النعام فى الرمل مملوء ماء ثم يعود إليه فيستخرجه . فأما المنذر بن الجارود فكان شريفا وابنه الحكم بن المنذر يتلوه فى الشرف والمنذر غير معدود فى الصحابة و لا رأى رسول الله ص و لا ولد له فى أيامه و كان تائها معجبا بنفسه و فى الحكم ابنه يقول الراجز يا حكم بن المنذر بن الجارود || أنت الجواد ابن الجواد المحمود سرادق المجد عليك ممدود . و كان يقال أطوع الناس فى قومه الجارود بن بشر بن المعلى لما قبض رسول الله ص فارتدت العرب خطب قومه فقال أيها الناس إن كان محمد قدمات فإن الله حتى لا يموت فاستمسكوا بدينكم و من ذهب له فى هذه الفتنة دينار أودرهم أوبرة أو شاة فعلى مثلاه فما خالفه من عبد القيس أحد. قوله ع إن صلاح أبيك غرنى منك قد ذكرنا حال الجارود وصحبته وصلاحه وكثيرا ما يغتر الإنسان بحال الآباء فيظن أن الأبناء على مناهجهم فلا يكون والأمر كذلك يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ. قوله فيما رقى بالتشديد أى فيما رفع إلى وأصله أن يكون الإنسان فى موضع عال -قرآن- ١٦٢-٢٢٣ [صفحة ٥٨] فيرقى إليه شىء و كان العلو هاهنا هو علو المرتبة بين الإمام والأمير ونحوه قولهم تعال باعتبار علو رتبة الأمر على الأمور واللام فى لهواك متعلقة بمحذوف دل عليه انقيادا و لا يتعلق بنفس انقياد لأن المتعلق من حروف الجر بالمصدر لا يجوز أن يتقدم على المصدر. والعتاد العدة. قوله وتصل عشيرتك كان فيما رقى إليه عنه أنه يقتطع المال ويفيضة على رهطه وقومه ويخرج بعضه فى لذاته وما ربه . قوله لجمل أهلك العرب تضرب بالجمل المثل فى الهوان قال لقد عظم البعير بغير لب || و لم يستغن بالعظم البعير يصرفه الصبى بكل وجه || ويحبسه على الخسف الجريير وتضربه الوليدة بالهراوى || فلا غير لديه و لا نكير . فأما شسع النعل فضرب المثل بها فى الاستهانة مشهور لا بتدالها ووطئها الأقدام فى التراب . ثم ذكر أنه من كان بصفته فليس بأهل لكذا و لا كذا إلى أن قال أو يشرك فى أمانة و قد جعل الله تعالى البلاد والرعايا أمانة فى ذمة الإمام فإذا استعمل العمال على البلاد والرعايا فقد شركهم فى تلك الأمانة. قال أو يؤمن على جباية أى على استجباء الخراج وجمعه و هذه الرواية التى سمعناها و من الناس من يروونها على خيانه وهكذا رواها الراوندى و لم يرو الرواية الصحيحة التى ذكرناها نحن و قال يكون على متعلقة بمحذوف أو يؤمن نفسها و هو بعيد ومتكلف . [صفحة ٥٩] ثم أمره أن يقبل إليه و هذه

كنايه عن العزل. فأما الكلمات التي ذكرها الرضى عنه ع في أمر المنذر فهي داله على أنه نسبه إلى التيه والعجب فقال نظار في عطفيه أى جانبيه ينظر تارة هكذا وتارة هكذا ينظر لنفسه ويستحسن هيئته ولبسته وينظر هل عنده نقص فى ذلك أو عيب فيستدركه بإزالته كما يفعل أرباب الزهو و من يدعى لنفسه الحسن والملاحه. قال مختال فى برديه يمشى الخيلاء عجا قال محمد بن واسع لابن له و قدرآه يختال فى برد له ادن فدنا فقال من أين جاء تك هذه الخيلاء ويلك أما أمك فأمة ابتعتها بمائتى درهم و أما أبوك فلا- أكثر الله فى الناس أمثاله . قوله تفال فى شراكيه الشراك السير الذى يكون فى النعل على ظهر القدم . والتفل بالسكون مصدر تفل أى بصق والتفل محركا البصاق نفسه وإنما يفعله المعجب والتائه فى شراكيه ليذهب عنهما الغبار والوسخ يتفل فيهما ويمسحهما ليعودا كالجددين [صفحه ٦٠]

٧٢- و من كتاب له ع إلى عبد الله بن العباس رضى الله عنه

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّكَ لَسْتَ بِسَابِقِ أَجْلِكَ وَ لَا مَرزُوقٍ مَا لَيْسَ لَكَ وَ اعْلَمْ بِأَنَّ الدَّهْرَ يَوْمَانِ يَوْمٌ لَكَ وَ يَوْمٌ عَلَيْكَ وَ أَنَّ الدُّنْيَا دَارٌ دُوَلٍ فَمَا كَانَ مِنْهَا لَكَ أَتَاكَ عَلَى ضَعْفِكَ وَ مَا كَانَ مِنْهَا عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعُهُ بِقُوَّتِكَ قَدْ تَقَدَّمَ شَرْحُ مِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ وَ هَذَا مَعْنَى مَطْرُوقٍ قَدْ قَالَ النَّاسُ فِيهِ فَأَكْثَرُوا قَالَ الشَّاعِرُ قَدِيرُزُقِ الْعَاجِزِ الضَّعِيفِ وَ مَا || شَدَّ بِكُورِ رَحْلًا وَ لَاقْتَبَا وَيَحْرَمُ الْمَرْءُ ذُو الْجِلَادَةِ وَالرَّأْيِ || وَ مِنْ لَا يَزَالُ مَغْتَرِبًا . وَ مِنْ جَيْدٍ مَا قِيلَ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ أَبِي يَعْقُوبَ الْخَرِيمِيِّ هَلِ الدَّهْرُ إِلَّا صَرْفُهُ وَ نَوَائِبُهُ || وَ سَرَاءُ عَيْشِ زَائِلٍ وَ مَصَائِبُهُ يَقُولُ الْفَتَى ثَمَرَتُ مَالِي وَ إِنَّمَا || لَوَارِثُهُ مَا ثَمَرَ الْمَالُ كَاسِبُهُ [صفحه ٦١] يَحَاسِبُ فِيهِ نَفْسَهُ فِي حَيَاتِهِ || وَ يَتْرَكُهُ نَهْبًا لِمَنْ لَا يَحَاسِبُهُ فَكَلَهُ وَ أَطْعَمَهُ وَ خَالَسَهُ وَ ارْتَا || شَحِيحًا وَ دَهْرًا تَعْتَرِيكَ نَوَائِبُهُ أَرَى الْمَالَ وَ الْإِنْسَانَ لِلدَّهْرِ نَهْبَةً || فَلَا الْبَخْلَ مَبْقِيَةً وَ لَا الْمَجُودَ خَارِبَةً لِكُلِّ أَمْرٍ رِزْقٍ وَ لِلرِّزْقِ جَالِبٌ || وَ لَيْسَ يَفُوتُ الْمَرْءَ مَا خَطَّ كَاتِبُهُ يَخِيبُ الْفَتَى مِنْ حَيْثُ يَرْزُقُ غَيْرَهُ || وَ يُعْطَى الْفَتَى مِنْ حَيْثُ يَحْرَمُ صَاحِبُهُ يَسَاقُ إِلَى ذَا رِزْقِهِ وَ هُوَ وَادِعٌ || وَ يَحْرَمُ هَذَا الرِّزْقَ وَ هُوَ يَغَالِبُهُ وَ إِنَّكَ لَا تَدْرِي أَرْزُقُكَ فِي أَلَدِي || تَطَالِبُهُ أَمْ فِي أَلَدِي لَا تَطَالِبُهُ تَنَاسُ ذُنُوبَ الْأَقْرَبِينَ فَإِنَّهُ || لِكُلِّ حَمِيمٍ رَاكِبٍ هَوْرَاكِبُهُ لَهُ هَفَوَاتُ فِي الرِّخَاءِ يَشُوبُهَا || بِنَصْرَةِ يَوْمٍ لَا تَوَارِي كَوَاكِبُهُ تَرَاهُ غَدَا مَا أَمَنْتَ وَ تَتَّقِي || بِجَبْهَتِهِ يَوْمَ الْوَعْيِ مِنْ يَحَارِبُهُ لِكُلِّ أَمْرٍ إِخْوَانُ بؤْسٍ وَ نَعْمَةٌ || وَ أَعْظَمُهُمْ فِي النَّائِبَاتِ أَقَارِبُهُ [صفحه ٦٢]

٧٣- و من كتاب له ع إلى معاوية

أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي عَلَى التَّرَدُّدِ فِي جَوَابِكَ وَ الْإِسْتِمَاعِ إِلَى كِتَابِكَ لَمْ يَوْهَنْ رَأْيِي وَ مُخْطِئُ فِرَاسَتِي وَ إِنَّكَ إِذْ تُجَاوِلُنِي الْأُمُورَ وَ تَرَا جِعُنِي السَّيْطُورَ كَالْمُسْتَتِيلِ النَّائِمِ تَكْذِيبُهُ أَحْلَامُهُ وَ الْمُتَحَيِّرِ الْقَائِمِ يَبْهَظُهُ مَقَامُهُ لَا يَدْرِي أَلَهُ مَا يَأْتِي أَمْ عَلَيْهِ وَ لَسْتَ بِهِ غَيْرَ أَنَّهُ بِكَ شَبِيهٌ وَ أَقْسَمُ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْ لَمَا بَعْضُ الْإِسْتِيقَاءِ لَوْ صِلَتْ مِنِّي إِلَيْكَ قَوَارِعُ تَفْرَعِ الْعِظَمِ وَ تَنْهَسُ اللَّحْمَ وَ اعْلَمْ أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ تَبَطَّلَكَ عَنْ أَنْ تُرَاجِعَ أَحْسَنَ أُمُورِكَ وَ تَأْذَنَ لِمَقَالِ نَصِيحِكَ وَ السَّلَامُ لِأَهْلِهِ رَوَى نَوَازِعُ جَمْعُ نَازِعَةٍ أَيْ جَاذِبَةٌ قَالَعَةٌ وَ رَوَى تَهْلَسُ اللَّحْمَ وَ تَهْلَسُ بِتَقْدِيمِ اللَّحْمِ وَ تَهْلَسُ بِكُسْرِ اللَّحْمِ تَذْيِيبُهُ حَتَّى يَصِيرَ كَبِدُنْ بِهَ الْهَلَاكِسِ وَ هُوَ السَّلْ وَ أَمَا تَهْلَسُ فَهُوَ بِمَعْنَى تَلْحَسُ أَبْدَلْتُ الْحَاءَ هَاءً وَ هُوَ عَنْ لِحْسَتِ كَذَا بِلِسَانِي بِالْكَسْرِ الْحَسَهُ أَيْ تَأْتِي عَلَى اللَّحْمِ حَتَّى تَلْحَسَهُ لِحْسًا لِأَنَّ الشَّيْءَ إِذَا يَلْحَسُ إِذَا ذَهَبَ وَ بَقِيَ أَثَرُهُ وَ أَمَا يَنْهَسُ وَ هِيَ الرَّوَايَةُ الْمَشْهُورَةُ فَمَعْنَاهُ يَعْتَرِقُ . [صفحه ٦٣] وَ تَأْذَنُ بِفَتْحِ الذَّالِ أَيْ تَسْمَعُ . قَوْلُهُ عَ إِنِّي لَمْ يَوْهَنْ رَأْيِي بِالْتَشْدِيدِ أَيْ إِنِّي لَا نَمُّ نَفْسِي وَ مُسْتَضْعَفُ رَأْيِي فِي أَنْ جَعَلْتِكَ نَظِيرًا أَكْتُبُ وَ تَجِيْبُنِي وَ تَكْتُبُ وَأَجِيْبُكَ وَ إِنَّمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ جَوَابَ مِثْلِكَ السَّكُوتَ لِهَوَانِكَ . فَإِنْ قُلْتَ فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ عَلَى التَّرَدُّدِ . قُلْتَ لَيْسَ مَعْنَاهُ التَّوَقُّفُ بَلْ مَعْنَاهُ التَّرَدُّدُ

والتكرار أى أنالائم نفسى على أنى أكرر تارة بعدتارة أجوبتك عما تكتبه ثم قال وإنك فى مناظرتى ومقاومتى بالأمر التى تحاولها والكتب التى تكتبها كالنائم يرى أحلاما كاذبة أو كمن قام مقاما بين يدى سلطان أو بين قوم عقلاء ليعتذر عن أمر أوليخطب بأمر فى نفسه قدبهظه مقامه ذلك أى أثقله فهو لايدرى هل ينطق بكلام هو له أم عليه فيتحير ويتبلد ويدركه العمى والحصر. قال و إن كنت لست بذلك الرجل فإنك شبيه به أماتشبيهه بالنائم ثم ذى الأحلام فإن معاوية لورأى فى المنام فى حياة رسول الله ص أنه خليفة يخاطب بإمرة المؤمنين ويحارب عليا على الخلافة ويقوم فى المسلمين مقام رسول الله ص لماطلب لذلك المنام تأويلا ولا تعبيرا ولعده من وسوس الخيال وأضغاث الأحلام وكيف وأنى له أن يخطر هذاباله وهو بعد الخلق منه وهذا كمايخطر للنفاس أن يكون ملكا ولا تنظرن إلى نسبه فى المناقب بل انظر إلى أن [صفحة ٦٤] الإمامة هى نبوة مختصره و أن الطليق المعدود من المؤلفه قلوبهم المكذب بقلبه و أن أقر بلسانه الناقص المنزله عندالمسلمين القاعد فى أخريات الصف إذادخل إلى مجلس فيه أهل السوابق من المهاجرين كيف يخطر ببال أحد أنها تصير فيه ويملكها ويسمه الناس وسمها و يكون للمؤمنين أميرا ويصير هوالحاكم فى رقاب أولئك العظماء من أهل الدين والفضل وهذاأعجب من العجب أن يجاهد النبى ص قوما بسيفه ولسانه ثلاثا وعشرين سنه ويلعنهم ويبعدهم عنه وينزل القرآن بدمهم ولعنهم والبراءة منهم فلما تمهدت له الدولة وغلب الدين على الدنيا وصارت شريعته دينيه محكمة مات فشيده دينه الصالحون من أصحابه وأوسعوا رقعة ملته وعظم قدرها فى النفوس فتسلمها منهم أولئك الأعداء الذين جاهدهم النبى ص فملكوها وحكموا فيها وقتلوا الصلحاء والأبرار وأقارب نبيهم الذين يظهرون طاعته وآلت تلك الحركة الأولى و ذلك الاجتهاد السابق إلى أن كان ثمرته لهم فليته كان يبعث فيرى معاوية الطليق وابنه ومروان وابنه خلفاء فى مقامه يحكمون على المسلمين فوضح أن معاوية فيما يراجعه ويكاتبه به كصاحب الأحلام . و أماتشبيهه إياه بالقائم مقاما قدبهظه فلأن الحجج والشبه والمعاذير التى يذكرها معاوية فى كتبه أوهن من نسج العنكبوت فهو حال مايكتب كالقائم ذلك المقام يخبط يخبط العشواء ويكتب مايعلم هو والعقلاء من الناس أنه سفه وباطل . فإن قلت فما معنى قوله ع لو لابعض الاستبقاء وهل كانت الحال تقتضى أن يستبقى و ماتلك القوارع التى أشار إليها. [صفحة ٦٥] قلت قد قيل إن النبى ص فوض إليه أمر نسائه بعدموته وجعل إليه أن يقطع عصمه أيتها شاء إذارأى ذلك و له من الصحابة جماعة يشهدون له بذلك فقد كان قادرا على أن يقطع عصمه أم حبيبه ويبيح نكاحها الرجال عقوبه لها ولمعاوية أخيها فإنها كانت تبغض عليا كمايبغضه أخوها و لوفعل ذلك لانتهدس لحمه و هذاقول الإماميه و قدرروا عن رجالهم أنه ع تهدد عائشه بضرب من ذلك و أمانحن فلانصدق هذاالخبر ونفسر كلامه على معنى آخر و هو أنه قد كان معه من الصحابة قوم كثيرون سمعوا من رسول الله ص يلعن معاوية بعدإسلامه و يقول إنه منافق كافر وإنه من أهل النار والأخبار فى ذلك مشهورة فلو شاء أن يحمل إلى أهل الشام خطوطهم وشهاداتهم بذلك ويسمعهم قولهم ملاطفه ومشافهه لفعل ولكنه رأى العدول عن ذلك مصلحه لأمر يعلمه هوع و لوفعل ذلك لانتهدس لحمه وإنما أبقى عليه . و قلت لأبى زيد البصرى لم أبقى عليه فقال و الله ماأبقى عليه مراعاة له و لارفقا به ولكنه خاف أن يفعل كفعله فيقول لعمر بن العاص وحبيب بن مسلمة وبسر بن أبى أرطاة و أبى الأعور وأمثالهم ارووا أنتم عن النبى ص أن عليا ع منافق من أهل النار ثم يحمل ذلك إلى أهل العراق فلهذا السبب أبقى عليه [صفحة ٦٦]

٧٤- و من حلف له ع كتبه بين ربيعة واليمن

ونقل من خط هشام بن الكلبي هَذَا مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْيَمَنِ حَاضِرُهَا وَ بَادِيهَا وَ رِبِيعَةُ حَاضِرُهَا وَ بَادِيهَا أَنَّهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ يَدْعُونَ إِلَيْهِ وَ يَأْمُرُونَ بِهِ وَ يُجِيبُونَ مَنْ دَعَا إِلَيْهِ وَ أَمَرَ بِهِ لَمَا يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا وَ لَا يَرْضُونَ بِهِ يَدْلًا وَ أَنَّهُمْ يَدُّ وَاحِدَةً عَلَى مَنْ

خَالَفَ ذَلِكَ وَ تَرَكَهُ وَ أَنَّهُمْ أَنْصَارُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ دَعَوْتُهُمْ وَاحِدَةً لَمَا يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ لِمَعْتَبَةٍ عَائِبٍ وَ لَا لِعَضْبٍ غَاضِبٍ وَ لَا لِاسْتِدْلَالِ قَوْمٍ قَوْمًا وَ لَمَا لِمَسِيئَةِ قَوْمٍ قَوْمًا عَلَى ذَلِكَ شَاهِدُهُمْ وَ غَائِبُهُمْ وَ سَدِّ فِيهِمْ وَ عَالِمُهُمْ وَ حَلِيمُهُمْ وَ جَاهِلُهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْهِمْ بِعَدْلِكَ عَهْدَ اللَّهِ وَ مِيثَاقَهُ إِنَّ عَهْدَ اللَّهِ كَانَ مَسْئُولًا وَ كَتَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الْحَلْفَ الْعَهْدَ أَى وَ مِنْ كِتَابِ حَلْفِ فَحَدَفَ الْمِضَافَ وَالْيَمْنَ كُلَّ مِنْ وَلَدِهِ قَحْطَانَ نَحْوِ حَمِيرٍ وَعَكٍ وَجَذَامٍ وَكِنْدَةَ وَالْأَزْدَ وَغَيْرِهِمْ . وَرَبِيعَةَ هَوْرَبِيعَةَ بْنِ نَزَارِ بْنِ مَعَدِ بْنِ عَدْنَانَ وَهَمَّ بَكْرٍ وَتَغْلِبَ وَعَبْدَ الْقَيْسِ . وَهَشَامَ هَوْهَشَامَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ السَّائِبِ الْكَلْبِيِّ نَسَابَةُ ابْنِ نَسَابَةَ عَالِمِ بَأْيَامِ الْعَرَبِ وَأَخْبَارِهَا وَأَبُوهُ أَعْلَمَ مِنْهُ وَهُوَ رَوَى عَنْ أَبِيهِ . [صَفْحَةُ ٦٧] وَالْحَاضِرُ سَاكِنُو الْحَضَرِ وَالْبَادِي سَاكِنُو الْبَادِيَةِ وَاللَّفْظُ لَفْظُ الْمَفْرُودِ وَالْمَعْنَى الْجَمْعُ . قَوْلُهُ إِنَّهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ حَرْفُ الْجَرِّ يَتَعَلَّقُ بِمَحْذُوفٍ أَى مَجْتَمِعُونَ . قَوْلُهُ لَا يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أَى لَا يَتَعَوِّضُونَ عَنْهُ بِالْثَمَنِ فَسُمِيَ التَّعَوُّضُ اشْتِرَاءً وَالْأَصْلُ هُوَ أَنْ يَشْتَرِيَ الشَّيْءَ بِالْثَمَنِ لَا الثَّمَنَ بِالشَّيْءِ لَكِنَّهُ مِنْ بَابِ اتِّسَاعِ الْعَرَبِ وَ هُوَ مِنْ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ . وَإِنَّهُمْ يَدُ وَاحِدَةٌ أَى لَاخْلَفَ بَيْنَهُمْ . قَوْلُهُ لِمَعْتَبَةٍ عَائِبٍ أَى لَا يُوَثِّرُ فِي هَذَا الْعَهْدِ وَالْحَلْفِ وَ لَا يَنْقُضُهُ أَنْ يَعْتَبَ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى بَعْضِهِمْ لِأَنَّهُ اسْتَجْدَاهُ فَلَمْ يَجِدْهُ أَوْ طَلَبَ مِنْهُ أَمْراً فَلَمْ يَقُمْ بِهِ وَ لِأَنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ غَضِبَ مِنْ أَمْرِ صَدْرٍ مِنْ صَاحِبِهِ وَ لِأَنَّ عَزِيزًا مِنْهُمْ اسْتَدَلَ ذَلِيلًا مِنْهُمْ وَ لِأَنَّ إِنْسَانًا مِنْهُمْ سَبَّ أَوْ هَجَا بَعْضَهُمْ فَإِنَّ أَمْثَالَ هَذِهِ الْأُمُورِ يَتَعَذَّرُ ارْتِفَاعُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَ لَوْ كَانَتْ تَنْقُضُ الْحَلْفَ لَمَا كَانَ حَلْفُ أَصْلًا . وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلِّ حَلْفٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَا يَزِيدُهُ الْإِسْلَامُ إِلَّا شِدَّةً - رَوَايَاتُ ١- ٢- رَوَايَاتُ ٢٨- ٨٠- وَ لَا حَلْفٍ فِي الْإِسْلَامِ لَكِنْ فَعَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَ أُولَى بِالِاتِّبَاعِ مِنْ خَيْرِ الْوَاحِدِ وَ قَدْ تَحَالَفَتِ الْعَرَبُ فِي الْإِسْلَامِ مَرَارًا وَ مِنْ أَرَادَ الْوُقُوفَ عَلَى ذَلِكَ فَلْيَطْلُبْهُ مِنْ كِتَابِ التَّوَارِيخِ [صَفْحَةُ ٦٨]

٧٥- وَ مِنْ كِتَابِ لَهُ عَ إِلَى مَعَاوِيَةَ مِنَ الْمَدِينَةِ فِي أَوَّلِ مَبَاوِيَعٍ لَهُ بِالْخَلِيفَةِ

ذَكَرَهُ الْوَاقِدِيُّ فِي كِتَابِ الْجَمَلِ مِنَ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَمَا بَعْدُ فَقَدْ عَلِمْتَ إِعْذَارِي فِيكُمْ وَ إِعْرَاضِي عَنْكُمْ حَتَّى كَانَ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ وَ لَا دَفْعَ لَهُ وَ الْحَدِيثُ طَوِيلٌ وَ الْكَلَامُ كَثِيرٌ وَ قَدْ أَدْبَرَ مَا أَدْبَرَ وَ أَقْبَلَ مَا أَقْبَلَ فَبَايَعَ مَنْ قَبْلَكَ وَ أَقْبَلَ إِلَيَّ فِي وَفْدٍ مِنْ أَصْحَابِكَ وَ السَّلَامُ كِتَابَهُ إِلَى مَعَاوِيَةَ وَمَخَاطَبَتَهُ لِبْنِي أُمِيَّةَ جَمِيعًا قَالَ وَ قَدْ عَلِمْتَ إِعْذَارِي فِيكُمْ أَى كُونِي ذَا عَذْرِ لَوْلَمْتَكُمْ أَوْ ذَمَمْتَكُمْ يَعْنِي فِي أَيَّامِ عَثْمَانَ . ثُمَّ قَالَ وَ إِعْرَاضِي عَنْكُمْ أَى مَعَ كُونِي ذَا عَذْرِ لَوْ فَعَلْتَ ذَلِكَ فَلَمْ أَفْعَلْ بَلْ أَعْرَضْتُ عَنْ إِسَاءَتِكُمْ إِلَى وَضُرْبَتِ عَنْكُمْ صَفْحًا حَتَّى كَانَ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ يَعْنِي قَتَلَ عَثْمَانَ وَ مَاجَرَى مِنَ الرَّجْبَةِ بِالْمَدِينَةِ . ثُمَّ قَاطَعَهُ الْكَلَامَ مَقَاطَعَةً وَ قَالَ لَهُ وَ الْحَدِيثُ طَوِيلٌ وَ الْكَلَامُ كَثِيرٌ وَ قَدْ أَدْبَرَ ذَلِكَ الزَّمَانَ وَ أَقْبَلَ زَمَانَ آخِرِ فَبَايَعَ وَ أَقْدَمَ فَلَمْ يَبَايَعِ وَ لِأَقْدَمَ وَ كَيْفَ يَبَايَعُ [صَفْحَةُ ٦٩] وَ عَيْنُهُ طَامِحَةٌ إِلَى الْمَلِكِ وَ الرَّئِيسَةِ مِنْذُ أَمْرِهِ عَمْرَ عَلَى الشَّامِ وَ كَانَ عَالِي الْهَمَّةِ تَوَاقًا إِلَى مَعَالِي الْأُمُورِ وَ كَيْفَ يَطِيعُ عَلِيًّا وَ الْمَحْرُضُونَ لَهُ عَلَى حَرْبِهِ عَدَدُ الْحَصَى وَ لَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْوَلِيدُ بْنُ عَقْبَةَ لَكُنْفَى وَ كَيْفَ يَسْمَعُ قَوْلَهُ فَوَ اللَّهُ مَا هُنْدَ بِأَمْكٍ إِنْ مَضَى النَّهَارُ || وَ لَمْ يَثَّرْ بِعَثْمَانَ ثَائِرًا يُقْتَلُ عَبْدَ الْقَوْمِ سَيِّدَ أَهْلِهِ || وَ لَمْ تَقْتُلُوهُ لَيْتَ أَمْكُ عَاقِرٌ وَ مِنْ عَجَبِ أَنْ بَتَ بِالشَّامِ وَ ادْعَا || قَرِيرًا وَ قَدَّارَتِ عَلَيْهِ الدَّوَابُّ . وَ يَطِيعُ عَلِيًّا وَ يَبَايَعُ لَهُ وَ يَقْدَمُ عَلَيْهِ وَ يَسْلَمُ نَفْسَهُ إِلَيْهِ وَ هُوَ نَازِلٌ بِالشَّامِ فِي وَسْطِ قَحْطَانَ وَ دُونِهِ مِنْهُمْ حَرَّةٌ لَا تَرَامُ وَ هُمْ أَطْوَعُ لَهُ مِنْ نَعْلِهِ وَ الْأَمْرُ قَدْ أَمَكَّنَهُ الشَّرْعُ فِيهِ وَ تَوَالَّفَ لَوْ سَمِعَ هَذَا التَّحْرِيطُضَ أَجْبَنَ النَّاسِ وَ أَوْضَعْفَهُمْ نَفْسًا وَ أَنْقَضَهُمْ هَمَّةً لِحَرْكِهِ وَ شَحْذَ مِنْ عَزْمِهِ فَكَيْفَ مَعَاوِيَةَ وَ قَدْ أَيْقِظُ الْوَلِيدَ بِشَعْرِهِ مِنْ لَائِنَامِ [صَفْحَةُ ٧٠]

٧٦- وَ مِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ

عِنْدَاسْتِخْلَافِهِ إِيَّاهُ عَلَى الْبَصْرَةِ سَعِ النَّاسِ بِوَجْهِكَ وَ مَجْلِسِكَ وَ حُكْمِكَ وَ إِيَّاكَ وَ الْعَضْبَ فَإِنَّهُ طَيْرَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ وَ اعْلَمْ أَنَّ مَا

قَرَّبَكَ مِنَ اللَّهِ يُبَاعِدُكَ مِنَ النَّارِ وَمَا بَاعَدَكَ مِنَ اللَّهِ يُقَرِّبُكَ مِنَ النَّارِ روى وحلمك والقرب من الله هو القرب من ثوابه و لاشبهه أن ما قرب من الثواب باعد من العقاب وبالعكس لثنافيهما. فأما وصيته له أن يسع الناس بوجهه ومجلسه وحكمه فقد تقدم شرح مثله وكذلك القول فى الغضب . وطيرة من الشيطان بفتح الطاء وسكون الباء أى خفه وطيش قال الكميت وحلمك عز إذا ما حلمت || وطيرتك الصاب والحنظل [صفحہ ۷۱]

۷۷- و من وصية له ع لعبد الله بن العباس أيضا لما بعته للاحتجاج على الخوارج

لَمَّا تُخَاصِمُهُم بِالْقُرْآنِ فَإِنَّ الْقُرْآنَ حِمَا لِدُو وَجُوهِ تَقُولُ وَيَقُولُونَ ... وَ لَكِنْ حَرَّاجَهُمْ بِالسِّيئَةِ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَنْهَا مَحِيصًا هذا الكلام لانظير له فى شرفه وعلو معناه و ذلك أن القرآن كثير الاشتباه فيه مواضع يظن فى الظاهر أنها متناقضة متنافية نحو قوله لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ و قوله إلى رَبِّهَا نَازِرَةٌ ونحو قوله وَ جَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ و قوله وَ أَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ونحو ذلك و هو كثير جدا و أما السنة فليست كذلك و ذلك لأن الصحابة كانت تسأل رسول الله ص و تستوضح منه الأحكام فى الوقائع و ما عساه يشتهه عليهم من كلامهم يراجعونه فيه و لم يكونوا يراجعونه فى القرآن إلا فيما قل بل كانوا يأخذونه منه تلقفا وأكثرهم لا يفهم معناه -قرآن- ۱۳۴-۱۵۵-قرآن- ۱۶۴-۱۸۳-قرآن- ۱۹۵-۲۸۶-قرآن- ۲۹۵-۳۵۶ [صفحہ ۷۲] لالأنه غير مفهوم بل لأنهم ما كانوا يتعاطون فهمه إما إجلالا له أولر رسول الله أن يسألوه عنه أو يجرونه مجرى الأسماء الشريفة التى إنما يراد منها بركتها لا الإحاطة بمعناها فلذلك كثر الاختلاف فى القرآن وأيضا فإن ناسخه و منسوخه أكثر من ناسخ السنة و منسوخها و قد كان فى الصحابة من يسأل الرسول عن كلمة فى القرآن يفسرها له تفسيرا موجزا فلا يحصل له كل الفهم لما أنزلت آية الكلاله و قال فى آخرها يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا سألوه عمر عن الكلاله ما هو فقال له كيفيك آية الصيف لم يزد على ذلك فلم يراجعه عمر و انصرف عنه فلم يفهم مراده وبقى عمر على ذلك إلى أن مات و كان يقول بعد ذلك اللهم مهما بينت فإن عمر لم يتبين يشير إلى قوله يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا و كانوا فى السنة و مخاطبة الرسول على خلاف هذه القاعدة فلذلك أوصاه على ع أن يحاجهم بالسنة لا بالقرآن . فإن قلت فهل حاجهم بوصيته . قلت لا بل حاجهم بالقرآن مثل قوله فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَ حَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا و مثل قوله فى صيد المحرم يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ وَلِذَلِكَ لَمْ يَرْجِعُوا وَالتحمت الحرب وإنما رجع باحتجاجه نفر منهم . فإن قلت فما هى السنة التى أمره أن يحاجهم بها. قلت كان لأمير المؤمنين ع فى ذلك غرض صحيح و إليه أشار و حوله كان يطوف و يحوم و ذلك أنه أراد أن يقول لهم -قرآن- ۴۰۵-۴۳۸-قرآن- ۶۶۱-۶۹۴-قرآن- ۸۶۹-۹۲۱-قرآن- ۹۴۹-۹۷۸ قال رسول الله ص على مع الحق والحق مع على يدور معه حيثما دار -رواية- ۱-۲-رواية- ۲۳-۷۳ قوله اللهم وال من والاه و عاد من عاداه و انصر من نصره و اخذل من اخذله -رواية- ۱-۲-رواية- ۷۷-۹ ونحو ذلك من الأخبار التى [صفحہ ۷۳] كانت الصحابة قد سمعتها من فلق فيه ص و قدبقى ممن سمعها جماعة تقوم الحججة و تثبت بنقلهم و لواحتج بها على الخوارج أنه لا يحل مخالفته و العدول عنه بحال لحصل من ذلك غرض أمير المؤمنين فى محاجتهم و أغراض أخرى أرفع و أعلى منهم فلم يقع الأمر بموجب ما أراد و قضى عليهم بالحرب حتى أكلتهم عن آخرهم و كان أمر الله مفعولا [صفحہ ۷۴]

۷۸- و من كتاب له ع أجا ب به أبا موسى الأشعري

عن كتاب كتبه إليه من المكان الذى اتعدوا فيه للحكومة و ذكر هذا الكتاب سعيد بن يحيى الأموى فى كتاب المغازى فَإِنَّ النَّاسَ

قَدْ تَغَيَّرَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ عَنْ حَظِّهِمْ فَمَالُوا مَعَ الدُّنْيَا وَنَطَقُوا بِالهَوَىٰ وَ إِنِّي نَزَلْتُ مِنْ هَذَا الأَمْرِ مَنزِلًا مُعْجِبًا اجْتَمَعَ بِهِ أَقْوَامٌ أَعْجَبْتُهُمْ أَنْفُسُهُمْ وَ أَنَا أَدَاوِي مِنْهُمْ قَرَحًا أَخَافُ أَنْ يَعودَ عَلاقًا يَعودُ وَ لَيسَ رَجُلٌ فَاعِلِمٌ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَيَّ جَمَاعِيَّةً أُمَّةً مُحَمَّدِيَّةً وَ أَلْفَتَهَا مِنِّي أَبْتَغِي بِذَلِكَ حُسْنَ الثَّوَابِ وَ كَرَمَ المَآبِ وَ سَافِي بِالذِّي وَأَيُّتِ عَلَيَّ نَفْسِي وَ إِن تَغَيَّرْتَ عَن صَالِحِ مَا فَارَقْتَنِي عَلَيَّ فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَن حُرِمَ نَفْعَ مَا أُوتِيَ مِنَ العَقْلِ وَ التَّجْرِبَةِ وَ إِنِّي لَأَعْبُدُ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ بِبَاطِلٍ وَ أَنْ أُفْسِدَ أَمْرًا قَدْ أَصْلَحَهُ اللهُ فَدَعُ عَنكَ مَا لَا تَعْرِفُ فَإِنَّ شَرَارَ النَّاسِ طَائِرُونَ إِلَيْكَ بِأَقْوَابِلِ السَّوِّءِ وَ السَّلَامُ روى ونطقوا مع الهوى أى مائلين مع الهوى . وروى و أنا أدارى بالراء من المداراة وهى الملاينة والمساهلة. [صفحة ٧٥] وروى نفع ما أولى باللام يقول أوليته معروفًا. وروى إن قال قائل بباطل ويفسد أمرًا قد أصلحه الله . واعلم أن هذا الكتاب كتاب من شك في أبى موسى واستوحش منه و من قد نقل عنه إلى أبى موسى كلامًا إما صدقًا وإما كذبًا وقد نقل عن أبى موسى إليه كلامًا إما صدقًا وإما كذبًا قال ع إن الناس قد تغير كثير منهم عن حظهم من الآخرة فمالوا مع الدنيا وإنى نزلت من هذا الأمر منزلاً معجبا بكسر الجيم أى يعجب من رآه أى يجعله متعجبا منه . و هذا الكلام شكوى من أصحابه ونصاره من أهل العراق فإنهم كان اختلافهم عليه واضطرابهم شديدا جدا والمنزل والنزول هاهنا مجاز واستعارة والمعنى أنى حصلت فى هذا الأمر الذى حصلت فيه على حال معجبة لمن تأملها لأنى حصلت بين قوم كل واحد منهم مستبد برأى يخالف فيه رأى صاحبه فلا تنتظم لهم كلمة ولا يستوثق لهم أمر وإن حكمت عليهم برأى أراه أنا خالفوه وعصوه و من لا يطاع فلا رأى له و أنا معهم كالطيب الذى يداوى قرحا أى جراحة قد قاربت الاندمال و لم تندمل بعد فهو يخاف أن يعود علقا أى دما. ثم قال له ليس أحد فاعلم أحرص على ألفة الأمة وضم نشر المسلمين . وأدخل قوله فاعلم بين اسم ليس وخبرها فصاحة ويجوز رفع أحرص بجعله صفة لاسم ليس و يكون الخبر محذوفا أى ليس فى الوجود رجل . وتقول قد و آيت وأيأ أى وعدت وعدا قال له أما أنا فسوف أفى بما وعدت و ما استقر بينى وبينك و إن كنت أنت قد تغيرت عن صالح ما فارقتنى عليه . [صفحة ٧٦] فإن قلت فهل يجوز أن يكون قوله و إن تغيرت من جملة قوله فيما بعد فإن الشقى كما تقول إن خالفتنى فإن الشقى من يخالف الحق . قلت نعم والأول أحسن لأنه أدخل فى مدح أمير المؤمنين ع كأنه يقول أنا أفى و إن كنت لا تنفى والإيجاب يحسنه السلب الواقع فى مقابلته والضد يظهر حسنه الضد . ثم قال و إنى لأعبد أى آنف من عبد بالكسر أى أنف وفسروا قوله فَأَنَا أَوَّلُ العَابِدِينَ ذَكَرَكَ يَقُولُ إِنِّي لَأَنفُ مِنْ أَنْ يَقُولَ غَيْرِي قَوْلًا بَاطِلًا فَكَيْفَ لَأَنفُ أَنَا مِنْ ذَلِكَ لِنَفْسِي ثُمَّ تَخْتَلَفُ الرَوَايَاتُ فِي اللفظة بعدها كما ذكرنا. ثم قال فدع عنك ما لا تعرف أى لا تبين أمرك إلا على اليقين والعلم القطعى و لا تصنع إلى أقوال الوشاة ونقله الحديث فإن الكذب يخالط أقوالهم كثيرا فلا تصدق ما عساه يبلغك عنى شرار الناس فإنهم سراع إلى أقوال السوء ولقد أحسن القائل فيهم - قرآن - ٦٦-٩١ أن يسمعوا الخير يخفوه و إن سمعوا || شرا أذاعوا و إن لم يسمعوا كذبوا . ونحو قول الآخر إن يسمعوا ربيبة طاروا بهافرحا || و إن ذكرت بخير عندهم دفنوا [صفحة ٧٧]

٧٩- و من كتاب كتبه ع لما استخلف إلى أمراء الأجناد

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ مَعَّو النَّاسَ الحَقَّ فَاشْتَرَوْهُ وَ أَخَذُوهُمْ بِالْبَاطِلِ فَاقْتَدَوْهُ أَى منعوا الناس الحق فاشترى الناس الحق منهم بالرشى والأموال أى لم يضعوا الأمور مواضعها و لا ولوا الولايات مستحقيها وكانت أمورهم الدينية والدنيوية تجرى على وفق الهوى والغرض الفاسد فاشترى الناس منهم الميراث والحقوق كما تشتري السلع بالمال . ثم قال وأخذوهم بالباطل فاقتدوه أى حملوهم على الباطل فجاء الخلف من بعد السلف فاقتدوا بآبائهم وأسلافهم فى ارتكاب ذلك الباطل ظنا أنه حق لما قد ألفوه ونشئوا وربوا عليه . وروى فاستروه بالسين المهملة أى اختاروه يقال استريت خيار المال أى اخترته و يكون

الضمير عائدا إلى الظلمة لا إلى الناس أى منعوا الناس حقهم من المال واختاروه لأنفسهم واستأثروا به [صفحه ٧٩]

باب الحكم والمواظ

إشارة

[صفحه ٨١] باب المختار من حكم أمير المؤمنين ومواعظه ويدخل فى ذلك المختار من أجوبه مسائله والكلام القصير الخارج من سائر أغراضه -روايت-١-١٢٦ اعلم أن هذا الباب من كتابنا كالروح من البدن والسواد من العين و هو الدرّة المكنونة التى سائر الكتاب صدفها وربما وقع فيه تكرار لبعض ماتقدم يسير جدا وسبب ذلك طول الكتاب و بعد أطرافه عن الذهن و إذا كان الرضى رحمه الله قدسها فكرر فى مواضع كثيرة فى نهج البلاغة على اختصاره كنا نحن فى تكرار يسير فى كتابنا الطويل أعذر [صفحه ٨٢]

١

كُنْ فِي الْفِتْنَةِ كَابِنِ اللَّبُونِ لَا ظَهْرٌ فَيُرَكَّبُ وَلَا ضَرْعٌ فَيَحْلَبُ ابْنُ اللَّبُونِ وَلِدُ النَّاقَةِ الذَّكَرُ إِذَا اسْتَكْمَلَ السَّنَةَ الثَّانِيَةَ وَدَخَلَ فِي الثَّلَاثَةِ وَيُقَالُ لِلْأُنْثَى ابْنَةُ اللَّبُونِ وَذَلِكَ لِأَنَّ أَمَهُمَا فِي الْأَغْلَبِ تَرْضَعُ غَيْرَهُمَا فَتَكُونُ ذَاتَ لَبْنٍ وَاللَّبُونُ مِنَ الْإِبِلِ وَالشَّاءُ ذَاتُ اللَّبْنِ غَزِيرَةٌ كَانَتْ أَوْ بَكِيئَةً فَإِذَا أَرَادُوا الْغَزِيرَةَ قَالُوا لَبْنَةً وَيُقَالُ ابْنُ لَبُونٍ وَابْنُ اللَّبُونِ مِنْكَرًا أَوْ مَعْرَفًا قَالَ الشَّاعِرُ وَابْنُ اللَّبُونِ إِذَا مَالَزَ فِي قَرْنٍ || لم يستطع صولة البزل القناعيس . و ابن اللبون لا يكون قد كمل وقوى ظهره على أن يركب و ليس بأنثى ذات ضرع فيحلب و هو مطرح لا ينتفع به . و أيام الفتنة هى أيام الخصومة والحرب بين رئيسين ضالين يدعوان كلاهما إلى ضلالة كفتنة عبد الملك و ابن الزبير و فتنة مروان والضحاك و فتنة الحجاج و ابن الأشعث و نحو ذلك فأما إذا كان أحدهما صاحب حق فليست أيام فتنة كالجمل و صفين و نحوهما بل يجب الجهاد مع صاحب الحق و سل السيف و النهى عن المنكر و بذل النفس فى إعزاز الدين و إظهار الحق . [صفحه ٨٣] قال ع أحمل نفسك أيام الفتنة و كن ضعيفا مغمورا بين الناس لا تصلح لهم بنفسك و لا بمالك و لا تنصر هؤلاء و هؤلاء . و قوله فيركب فيحلب منصوبان لأنهما جواب النفى و فى الكلام محذوف تقديره له و هو يستحق الرفع لأنه خبر المبتدأ مثل قولك لا إله إلا الله تقديره لنا أو فى الوجود [صفحه ٨٤]

٢

أَزْرَى بِنَفْسِهِ مَنِ اسْتَشَعَرَ الطَّمَعَ وَ رَضِيَ بِالذَّلِّ مَنْ كَشَفَ عَن ضُرِّهِ وَ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ مَنِ أَمَرَ عَلَيْهَا لِسَانَهُ هَذِهِ ثَلَاثَةٌ فَصُولِ الْفَصْلِ الْأَوَّلِ فِي الطَّمَعِ قَوْلُهُ عَ أَزْرَى بِنَفْسِهِ أَى قَصَرَ بِهَا مِنْ اسْتَشَعَرَ الطَّمَعَ أَى جَعَلَهُ شِعَارَهُ أَى لَازَمَهُ . وَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ أَنَّ الصِّفَا الزَّلْزَالَ الَّذِي لَا تَثْبِتُ عَلَيْهِ أَقْدَامُ الْعُلَمَاءِ الطَّمَعِ -رَوَايَتُ-١-٢-١-٢-رَوَايَتُ-٢٣-٨٣ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ قَالَ لِلْأَنْصَارِ إِنَّكُمْ لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفِرْعِ وَ تَقْلُونَ عِنْدَ الطَّمَعِ -رَوَايَتُ-١-٢-١-٢-رَوَايَتُ-١٤-٧٥ أَى عِنْدَ طَمَعِ الرَّزْقِ . وَ كَانَ يُقَالُ أَكْثَرَ مِصَارِعِ الْأَبَابِ تَحْتَ ظِلَالِ الطَّمَعِ . وَ قَالَ بَعْضُهُمُ الْعَبِيدُ ثَلَاثَةٌ عِبْدُ رِقِّ وَ عِبْدُ شَهْوَةٍ وَ عِبْدُ طَمَعٍ . وَ سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَ عَنْ الْغِنَى فَقَالَ الْيَأْسُ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ وَ مِنْ مَشَى مِنْكُمْ إِلَى طَمَعِ الدُّنْيَا فَلْيَمِشْ رَوِيدًا -رَوَايَتُ-١-١٠٨- [صفحه ٨٥] وَ قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الْبَسِي عِدْوَكُ فِي رَفْقٍ وَ فِي دَعَا || طُوبَى لِمَنْ لَدَى إِرْبَةٍ لِلدَّهْرِ لِبَاسٍ وَ لَا تَغْرَنُكَ أَحْقَادُ مِزْمَلَةٍ || قَدِيرُ كَبِّ الدَّبْرِ الدَّمَامِيِّ بِأَحْلَاسٍ وَ اسْتَغْنَى عَنْ كُلِّ ذِي قَرْبَى

وذى رحم || إن الغنى أذى استغنى عن الناس . قال عمر ما الخمر صرفا بأذهب لعقول الرجال من الطمع و فى الحديث المرفوع الطمع الفقر الحاضر -رواية- 1-2-رواية- 23-43 قال الشاعر رأيت مخيلة فطمعت فيها || و فى الطمع المذلة للرقاب .الفصل الثانى فى الشكوى قال ع من كشف للناس ضره أى شكا إليهم بؤسه وفقره فقد رضى بالذل . كان يقال لا تشكون إلى أحد فإنه إن كان عدوا سره و إن كان صديقا ساءه وليست مسرة العدو و لامساءة الصديق بمحمودة .سمع الأحنف رجلا يقول لم أنم الليلة من وجع ضرسى فجعل يكثر فقال يا هذا لم تكثر فو الله لقد ذهبت عيني منذ ثلاثين سنة فما شكوت ذلك إلى أحد و لأعلمت بها أحدا .الفصل الثالث فى حفظ اللسان قد تقدم لنا قول شاف فى ذلك و كان يقال حفظ اللسان راحة الإنسان و كان يقال رب كلمة سفكت دما وأورثت ندما . و فى الأمثال العامية قال اللسان للرأس كيف أنت قال بخير لو تركتني . و فى وصية المهلب لولده يابنى تبادلوا تحابوا فإن بنى الأعيان يختلفون فكيف بنى العلات إن البر ينسأ فى الأجل و يزيد فى العدد و إن القطيعة تورث القلة و تعقب [صفحة 86] النار بعد الذلة اتقوا زلة اللسان فإن الرجل تزل رجله فيتتعش و يزل لسانه فيهلك و عليكم فى الحرب بالمكيدة فإنها أبلغ من النجدة و إن القتال إذا وقع وقع القضاء فإن ظفر الرجل ذو الكيد والحزم سعد و إن ظفر به لم يقولوا فرط . و قال الشاعر فى هذا المعنى يموت الفتى من عثره بلسانه || و ليس يموت المرء من عثره الرجل [صفحة 87]

٣

البخل عارٌ و الجبن منقصةٌ و الفقر يخرسُ الفطنَ عن حاجته و المقل غريبٌ فى بلدته هذه ثلاثة فصول الفصل الأول فى البخل و قد تقدم لنا كلام مقنع فى ذلك . و من كلام بعض الحكماء فى ذلك ما أقل من يحمد الطالب و تستقل به العشائر و يرضى عنه السائل و مازالت أم الكرم نزورا و أم اللؤم ذلولا . و أكثر الواجدين من لا يوجد و أكثر الأجواد من لا يجد . و ما أحسن قول القائل كفى حزنا أن الجواد مقتر عليه و لا معروف عند بخيل . و كان يقال البخل مهانة و الجود مهابة . و من أحسن ما نقل من جود عبد الله المأمون أن عمر بن مسعدة كاتبه مات فى سنة سبع عشرة و مائتين و خلف تركه جليله فبعث أخاه أبا إسحاق المعتصم و جماعته معه من الكتاب ليحصرها فجمعها فجمعها إليه و هو فى مجلس الخلافة و معه الكتاب فقال ما رأيتم فقال المعتصم معظما لمارآه وجدنا عينا و صامتا و ضياعا قيمة ذلك أجمع ثمانية آلاف ألف دينار و مد صوته فقال المأمون إنا لله و الله ما كنت أرضاها [صفحة 88] لتابع من أتباعه ليوفر هذا على مخلفيه فخرج المعتصم حتى ظهر خجله للحاضرين الفصل الثانى فى الجبن و قد تقدم قولنا فى فضل الشجاعة . و قال هشام بن عبد الملك لمسلمة أخيه يا أباسعيد هل دخلك ذعر فى حرب قط شهدتها قال ما سلمت فى ذلك عن ذعر ينبه على حيلة و لا غشيني ذعر سلبنى رأى فقال له هشام هذه و الله البسالة قال أبو دلامة و كان جبانا إنى أعوذ بروح أن يقدمنى || إلى القتال فتشقى بى بنو أسد إن المهلب حب الموت أورثكم || و لم أرث رغبة فى الموت عن أحد . قال المنصور لأبى دلامة فى حرب ابراهيم تقدم و يلك قال يا أمير المؤمنين شهدت مع مروان بن محمد أربعة عساكر كلها انهزمت و كسرت و إنى أعيدك بالله أن يكون عسكرك الخامس . الفصل الثالث فى الفقر و قد تقدم القول فيه أيضا . و مثل قوله الفقر يخرس الفطن عن حاجته قول الشاعر سأعمل نص العيس حتى يكفنى || غنى المال يوما أو غنى الحدثنان فللموت خير من حياة يرى لها || على الحر بالإقلال و سم هو ان متى يتكلم يبلغ حكم كلامه || و إن لم يقل قالوا عديم بيان كأن الغنى عن أهله بورك الغنى || بغير لسان ناطق بلسان . و مثل قوله ع و المقل غريب فى بلدته قول خلف الأحمر لا تظنى أن الغريب هو النائي || ولكنما الغريب المقل . و كان يقال مالك نورك فإن أردت أن تنكسف ففرقه و أتلفه . [صفحة 89] قيل للإسكندر لم حفظت الفلاسفة المال مع حكمتها و معرفتها بالدنيا قال لثلا تحوجهم الدنيا إلى أن يقوموا مقاما لا يستحقونه . و قال بعض الزهاد ابدأ

برغيفيك فاحرزهما ثم تعبد. و قال الحسن ع من زعم أنه لا يحب المال فهو عندي كاذب فإن علمت صدقه فهو عندي أحق -
روایت-۱-۲-روایت-۱۸-۹۴ [صفحه ۹۰]

۴

العَجْزُ آفَةٌ وَ الصَّبْرُ شَجَاعَةٌ وَ الزَّهْدُ ثَرَوَةٌ وَ الْوَرَعُ جَنَّةٌ وَ نِعَمَ الْقَرِينُ الرِّضَا فهذه فصول خمسة الفصل الأول قوله ع العجز آفة و هذا حق لأن الآفة هي النقص أو ماوجب النقص والعجز كذلك . و كان يقال العجز المفرط ترك التأهب للمعاد. وقالوا العجز عجزان أحدهما عجز التقصير و قدأمكن الأمر والثاني الجد في طلبه و قدفات . وقالوا العجز نائم والحزم يقظان .الفصل الثاني في الصبر والشجاعة قد تقدم قولنا في الصبر. و كان يقال الصبر مر لا يتجرعه إلا حر. و كان يقال إن للأزمان المحموده والمذمومه أعمارا و آجالا كأعمار الناس و آجالهم فاصبروا لزمان السوء حتى يفنى عمره و يأتي أجله . و كان يقال إذا تضيفتك نازله فاقرها الصبر عليها و أكرم مثواها لديك بالتوكل [صفحه ۹۱] والاحتساب لترحل عنك و قدأبقت عليك أكثر مما سلبت منك و لاتنسها عند رخائك فإن تذكرك لها أوقات الرخاء يبعد السوء عن فعلك و ينفي القساوة عن قلبك و يوزعك حمد الله وتقواه .الفصل الثالث قوله و الزهد ثروة و هذا حق لأن الثروة ما استغنى به الإنسان عن الناس و لا غناء عنهم كالزهد في دنياهم فالزهد على الحقيقة هو الغنى الأكبر. و روى أن عليا ع قال لعمر بن الخطاب أول ماولى الخلافة إن سررك أن تلحق بصاحبك فقصر الأمل و كل دون الشيع و ارقع القميص و اخصف النعل و استغن عن الناس بفقرك تلحق بهما -روایت-۱-۲-روایت-۵۸-۱۷۹ .وقف ملك على سقراط و هو فى المشرفة قدأسند ظهره إلى جب كان يأوى إليه فقال له سل حاجتك فقال حاجتى أن تتنحى عنى فقد منعنى ظلك المرفق بالشمس فسأله عن الجب قال آوى إليه قال فإن انكسر الجب لم ينكسر المكان . و كان يقال الزهد فى الدنيا هو الزهد فى المحمدة والرئاسة لا فى المطعم والمشرب و عند العارفين الزهد ترك كل شىء يشغلك عن الله . و كان يقال العالم إذا لم يكن زاهدا لكان عقوبة لأهل زمانه لأنهم يقولون لو لا أن علمه لم يصوب عنده الزهد لزهد فهم يقتدون بزهده فى الزهد .الفصل الرابع قوله و الورع جنة كان يقال لاعصمة كعصمة الورع والعبادة أما الورع فيعصمك من المعاصى و أما العبادة فتعصمك من خصمك فإن عدوك لورآك قائما تصلى و قد دخل ليقتلك لصد عنك و هابك . [صفحه ۹۲] و قال رجل من بنى هلال لبنيه يابنى أظهروا النسك فإن الناس إن رأوا من أحد منكم بخلا قالوا مقتصد لا يجب الإسراف و إن رأوا عيا قالوا متوق يكره الكلام و إن رأوا جبنا قالوا متخرج يكره الإقدام على الشبهات .الفصل الخامس قوله و نعم القرين الرضا قد سبق منا قول مقنع فى الرضا. و قال أبو عمرو بن العلاء دفعت إلى أرض مجدبة بهانفر من الأعراب فقلت لبعضهم ما أرضكم هذه قال كما ترى لازرع و لا ضرع قلت فكيف تعيشون قالوا نحترش الضباب و نصيد الدواب قلت فكيف صبركم على ذلك قالوا يا هذا سل خالق الخلق هل سويت فقال بل رضيت . و كان يقال من سخط القضاء طاح و من رضى به استراح . و كان يقال عليك بالرضا و لو قلبت على جمر الغضا. و فى الخبر المرفوع أنه ص قال عن الله تعالى من لم يرض بقضائى فليخذ ربا سوائى -
روایت-۱-۲-روایت-۵۱-۹۰ [صفحه ۹۳]

۵

الْعِلْمُ وَرَأْيُهُ كَرِيمَةٌ وَ الْآدَابُ حُلٌّ مُجَدَّدَةٌ وَ الْفِكْرُ مِرْآةٌ صَافِيَةٌ إنما قال العلم ورائه لأن كل عالم من البشر إنما يكتسب علمه من أستاذ يهذب و موقف يعلمه فكأنه ورث العلم عنه كما يرث الابن المال عن أبيه و قد سبق منا كلام شاف فى العلم والأدب . و كان

يقال عطية العالم شبيهة بمواهب الله عز وجل لأنها لا تنفذ عند الجود بها وتبقى بكمالها عند مفيدتها. و كان يقال الفضائل العلمية تشبه النخل بطيء الثمرة بعيد الفساد. و كان يقال ينبغي للعالم ألا يترفع على الجاهل و أن يتطامن له بمقدار مارفعه الله عليه وينقله من الشك إلى اليقين و من الحيرة إلى التبيين لأن مكافحته قسوة والصبر عليه وإرشاده سياسة. ومثاله قول بعض الحكماء الخير من العلماء من يرى الجاهل بمنزلة الطفل الذي هو بالرحمة أحق منه بالغلظة ويعذره بنقصه فيما فرط منه ولا يعذر نفسه في التأخر عن هدايته . [صفحہ ۹۴] و كان يقال العلم في الأرض بمنزلة الشمس في الفلك لو لا الشمس لأظلم الجو و لو لا العلم لأظلم أهل الأرض . و كان يقال لاحلأ أجمل من حلأ الأدب لأن حلل الثياب تبلى و حلل الأدب تبقى و حلل الثياب قديغصبها الغاصب و يسرقها السارق و حلل الآداب باقية مع جوهر النفس . و كان يقال الفكرة الصحيحة أصطربلاب روحاني. و قال أوس بن حجر يرثي إن أذلي جمع السماحة و النجدة || و الحزم و النهي جمعاً الألمعي أذلي يظن بك الظن || كان قدرأى و قدسما . و من كلام الحكماء النار لا ينقصها ما أخذ منها ولكن يخمدها ألا تجد حطبا و كذلك العلم لا يفنيه الاقتباس ولكن فقد الحاملين له سبب عدمه . قيل لبعضهم أى العلوم أفضل قال ما العامة فيه أزهد. و قال أفلاطون من جهل الشيء و لم يسأل عنه جمع على نفسه فضيحتين . و كان يقال ثلاثة لا تجرأ معهن أدب يزين و مجانبة الريبة و كف الأذى . و كان يقال عليكم بالأدب فإنه صاحب في السفر و مؤنس في الوحدة و جمال في المحفل و سبب إلى طلب الحاجة . و كان عبد الملك أديبا فاضلا و لا يجالس إلا أديبا. و روى الهيثم بن عدى عن مسعر بن كدام قال حدثني سعيد بن خالد الجدلي [صفحہ ۹۵] قال لما قدم عبد الملك الكوفة بعد قتل مصعب دعا الناس يعرضهم على فرائضهم فحضرنا بين يديه فقال من القوم قلنا جديلة فقال جديلة عدوان قلنا نعم فأنشده عذير الحي من عدوان || كانوا حية الأرض بغى بعضهم بعضا || فلم يرعوا على بعض ومنهم كانت السادات || و الموفون بالقرض و منهم حكم يقضى || فلا ينقض ما يقضى و منهم من يجيز الناس || بالسنة و الفرض . ثم أقبل على رجل منا و سيم جسيم قدمناه أمامنا فقال أيكم يقول هذا الشعر قال لا أدري فقلت أنا من خلفه يقوله ذو الإصبع فتركني و أقبل على ذلك الرجل الجسيم فقال ما كان اسم ذى الإصبع قال لا أدري فقلت أنا من خلفه اسمه حرثان فتركني و أقبل عليه فقال له و لم سمى ذا الإصبع قال لا أدري فقلت أنا من خلفه نهشته حية في إصبعه فأقبل عليه و تركني فقال من أيكم كان فقال لا أدري فقلت أنا من خلفه من بنى تاج الذين يقول الشاعر فيهم فأما بنو تاج فلا تذكرهم || و لا تتبعن عيناك من كان هالكا . فأقبل على الجسيم فقال كم عطاؤك قال سبعمائة درهم فأقبل على و قال و كم عطاؤك أنت قلت أربعمائة فقال يا أبا الزعيزعة حط من عطاء هذا ثلاثمائة و زدها في عطاء هذا فرحت و عطائي سبعمائة و عطاؤه أربعمائة . و أنشد منشد بحضرة الواثق هارون بن المعتصم [صفحہ ۹۶] أظلم إن مصابكم رجلا || أهدى السلام تحية ظلم . فقال شخص رجل هو خبر إن و وافقه على ذلك قوم و خالفه آخرون فقال الواثق من بقى من علماء النحويين قالوا أبو عثمان المازني بالبصرة فأمر بإشخاصه إلى سر من رأى بعد إزاحة علقته قال أبو عثمان فأشخصت فلما أدخلت عليه قال ممن الرجل قلت من مازن قال من مازن تميم أم من مازن ربيعة أم مازن قيس أم مازن اليمين قلت من مازن ربيعة قال باسمك بالباء يريد ما سمك لأن لغة مازن ربيعة هكذا يبدلون الميم باء و الباء ميم فقلت مكر أى بكر فضحك و قال اجلس و اطمئن فجلست فسألني عن البيت فأنشدته منصوبا فقال فأين خبر إن فقلت ظلم قال كيف هذا قلت يا أمير المؤمنين ألا ترى أن البيت إن لم يجعل ظلم خبر إن يكون مقطوع المعنى معدوم الفائدة فلما كررت القول عليه فهم و قال قبح الله من لأدب له ثم قال ألك ولد قلت بنية قال فما قالت لك حين ودعتها قلت ما قالت بنت الأعشى تقول ابنتي حين جد الرحيل || أرانا سواء و من قديتم أبانا فلا رمت من عندنا || فإنا بخير إذا لم ترم أبانا إذا أضمرتك البلاد || نجفى و تقطع منا الرحم . قال فما قلت لها قال قلت أنشدتها بيت جرير ثقى بالله ليس له شريك || و من عند الخليفة بالنجاح . فقال ثق بالنجاح إن شاء الله تعالى

ثم أمر لى بألف دينار و كسوة و ردني إلى البصرة [صفحہ ۹۷]

وَ صَيَدْرُ الْعَاقِلِ صَيْدُوقٌ سِرٌّ وَ الْبَشَاشَةُ حِبَالَةُ الْمَوَدَّةِ وَ الْوَاحِدَةُ الْقَبْرُ الْعُيُوبِ وَ رُؤْيِي أَنَّهُ قَالَهُ فِي الْعِبَارَةِ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى أَيْضاً الْمُسَالِمَةَ حَبَّ الْعُيُوبِ هَذِهِ فصول ثلاثة الفصل الأول قوله صدر العاقل صندوق سره قد ذكرنا فيما تقدم طرفا صالحا في كتمان السر. و كان يقال لا تنكح خاطب سررك . قال معاوية للنجار العذري ابغ لي محدثا قال معي يا أمير المؤمنين قال نعم أستريح منك إليه و منه إليك وأجعله كتوما فإن الرجل إذا اتخذ جليسا ألقى إليه عجره و بجره . و قال بعض الأعراب لا تضع سررك عند من لا سر له عندك . وقالوا إذا كان سر الملك عند اثنين دخلت على الملك الشبهة واتسعت على الرجلين المعاذير فإن عاقبهما عند شياعه عاقب اثنين بذنب واحد و إن اتهمهما اتهم بريئا [صفحة ٩٨] بجناية مجرم و إن عفا عنهما كان العفو عن أحدهما و لا ذنب له و عن الآخر و لاحجة عليه . الفصل الثاني قوله البشاشة حباله المودة قد قلنا في البشر والبشاشة فيما سبق قولنا مقنعا . و كان يقال البشر دال على السخاء من ممدوحك و على الود من صديقك دلالة النور على الثمر . و كان يقال ثلاث تبين لك الود في صدر أخيك تلقاه ببشرك و تبدوؤه بالسلام و توسع له في المجلس . و قال الشاعر لا تدخلنك ضجرة من سائل || فلخير دهرك أن ترى مسئولا لا تجهن بالرد وجه مؤمل || قد رام غيرك أن يرى مأمولا تلقى الكريم فتستدل ببشره || وترى العبوس على اللثيم دليلا . واعلم بأنك عن قليل صائر || خيرا فكن خيرا يروق جميلا . و قال البحترى لو أن كفك لم تجد لمؤمل || لكفاه عاجل بشرك المتهلل و لو أن مجدك لم يكن متقادما || أغناك آخر سؤدد عن أول أدركت مافات الكهول من الحجا || من عنفوان شبابك المستقبل فإذا أمرت فما يقال لك اتند || و إذا حكمت فما يقال لك اعدل . الفصل الثالث قوله الاحتمال قبر العيوب أى إذا احتملت صاحبك وحملت [صفحة ٩٩] عنه ستر هذا الخلق الحسن منك عيوبك كما يستر القبر الميت و هذا مثل قولهم فى الجود كل عيب فالكرم يغطيه . فأما الخبء فمصدر خبأته أخبؤه والمعنى فى الروايتين واحد و قد ذكرنا فى فضل الاحتمال والمسالمه فيما تقدم أشياء صالحه . و من كلامه ع وجدت الاحتمال أنصر لى من الرجال -روايت- ١-٢-روايت- ١٦-٥٢ من كلامه من سالم الناس سلم منهم و من حارب الناس حاربوه فإن العثرة للكثير -روايت- ١-٢-روايت- ١٣-٨٣ و كان يقال العاقل خادم الأحمق أبدا إن كان فوقه لم يجد من مداراته والتقرب إليه بدا و إن كان دونه لم يجد من احتماله واستكفاف شره بدا . وأسمع رجل يزيد بن عمر بن هبيرة فأعرض عنه فقال الرجل إياك أعنى قال وعنك أعرض . و قال الشاعر إذ انطق السفية فلا تجبه || فخير من إجابته السكوت سكت عن السفية فظن أنى || عييت عن الجواب و ماعيت [صفحة ١٠٠]

مَنْ رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ كَثُرَ السَّخِطُ عَلَيْهِ وَ الصَّدَقَةُ دَوَاءٌ مُنْجِحٌ وَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ فِي عَاجِلِهِمْ نُصِبٌ أَعْيُنِهِمْ فِي آجِلِهِمْ هَذِهِ فصول ثلاثة الفصل الأول قوله من رضى عن نفسه كثر السخاط عليه قال بعض الفضلاء لرجل كان يرضى عن نفسه ويدعى التميز على الناس بالعلم عليك يقوم تروقهم بزبرجك و تروعهم بزخرفك فإنك لا تعدم عزا و لا تفقد غمرا لا يبلغ مسبارهما غورك و لا تستغرق أقدارهما طورك . و قال الشاعر أرى كل إنسان يرى عيب غيره || ويعمى عن العيب الذى هو فيه و ماخير من تخفى عليه عيوبه || ويبدو له العيب الذى بأخيه . و قال بعضهم دخلت على ابن منارة و بين يديه كتاب قد صنفته فقلت ما هذا قال كتاب عملته مدخلا إلى التوراه فقلت إن الناس ينكرون هذا فلو قطعت الوقت بغيره قال الناس جهال قلت و أنت ضدهم قال نعم قلت [صفحة ١٠١] فينبغى أن يكون ضدهم جاهلا . عندهم قال كذاك هو قلت فقد بقيت أنت جاهلا بإجماع الناس و الناس جهال بقولك وحدك ومثل هذا المعنى قول الشاعر إذا كنت تقضى أن عقلك كامل || و أن بنى حواء غيرك جاهل و أن مفيض العلم

صدرك كله || فمن ذا الذى يدري بأنك عاقل . الفصل الثانى الصدقة دواء منجح قد جاء فى الصدقة فضل كثير وذكرنا بعض ذلك فيما تقدم و فى الحديث المرفوع تاجروا الله بالصدقة تربحوا -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-٥٠ وقيل الصدقة صدق الجنة . وقيل للشبلى ما يجب فى مائتى درهم فقال أما من جهة الشرع فخمسة دراهم و أما من جهة الإخلاص فالكل . و روى أبوهريرة عن النبى ص أنه سئل فقيل أى الصدقة أفضل فقال أن تعطى و أنت صحيح شحيح تأمل البقاء وتخشى الفقر و لاتمهل حتى إذ بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا و لفلان كذا -رواية- ١-٢-رواية- ٣٠-١٨١ . ومثل قوله ع الصدقة دواء منجح قول النبى ص داووا مرضاكم بالصدقة -رواية- ١-٢-رواية- ١٧-٣٩ . الفصل الثالث قوله أعمال العباد فى عاجلهم نصب أعينهم فى آجلهم هذا من قوله تعالى يَوْمَ تَجِدُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَ مَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ -قرآن- ٩٠-١٧٣ . الفصل الثالث قوله أعمال العباد فى عاجلهم نصب أعينهم فى آجلهم هذا من قوله تعالى يَوْمَ تَجِدُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَ مَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَ بَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَ قَالَ تعالى فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ . و من كلام بعضهم إنما تقدم على ما قدمت و لست تقدم على ما تركت فأثر ما تلقاه غدا على ما لا تراه أبدا . و من حكمه أفلاطون اکتتم حسن صنيعك عن أعين البشر فإن له ممن بيده ملكوت السماء أعينا ترمقه فتجازى عليه -قرآن- ١-٤٥-قرآن- ٦٠-١٤٢ [صفحہ ١٠٣]

٨

اعجبوا لهذا الإنسان ينظر بشحم و يتكلم بلحم و يسمع بعظم و يتنفس من خرم هذا كلام محمول بعضه على ظاهره لماتدعو إليه الضرورة من مخاطبة العامة بما يفهمونه و العدول عما لا تقبله عقولهم و لا تعية قلوبهم . أما الإبصار فقد اختلف فيه فقيل إنه بخروج شعاع من العين يتصل بالمرئى و قيل إن القوة المبصرة التى فى العين تلاقى بذاتها المرئيات فتبصرها و قال قوم بل بتكيف الهواء بالشعاع البصرى من غير خروج فيصير الهواء باعتبار تكيفه بالشعاع به آله العين فى الإدراك . و قال المحققون من الحكماء إن الإدراك البصرى هو بانطباع أشباح المرئيات فى الرطوبة الجلدية من العين عند توسط الهواء الشفاف المضىء كما تنطبع الصورة فى المرآة قالوا و لو كانت المرآة ذات قوة مبصرة لأدركت الصور المنطبعة فيها و على جميع الأقوال فلا بد من إثبات القوة المبصرة فى الرطوبة الجلدية و إلى الرطوبة الجلدية وقعت إشارته ع بقوله ينظر بشحم . و أما الكلام فمحلل اللسان عند قوم و قال قوم ليس اللسان آله ضرورية فى الكلام لأن من يقطع لسانه من أصله يتكلم و أما إذا قطع رأسه لم يتكلم قالوا وإنما الكلام [صفحہ ١٠٤] باللهاوت و على كلا القولين فلا بد أن تكون آله الكلام لحما و إليه وقعت إشارة أمير المؤمنين ع و ليس هذه البنية المخصوصة شرطا فى الكلام على الإطلاق لجواز وجوده فى الشجر و الجماد عند أصحابنا وإنما هى شرط فى كلام الإنسان ولذا قال أمير المؤمنين اعجبوا لهذا الإنسان . فأما السمع للصوت فليس بعظم عند التحقيق وإنما هو بالقوة المودعة فى العصب المفروش فى الصماخ كالغشاء فإذا حمل الهواء الصوت و دخل فى ثقب الأذن المنتهى إلى الصماخ بعد تعويجات فيه جعلت لتجرى مجرى اليراعة المصوتة و أفضى ذلك الصوت إلى ذلك العصب الحامل للقوة السامعة حصل الإدراك وبالجملة فلا بد من عظم لأن الحامل للحم و العصب إنما هو العظم . و أما التنفس فلارباب أنه من خرم لأنه من الأنف و إن كان قديما يمكن لو سد الأنف أن يتنفس الإنسان من الفم و هو خرم أيضا والحاجة إلى التنفس إخراج الهواء الحار عن القلب و إدخال النسيم البارد إليه فجعلت الرئة كالمروحة تنبسط و تنقبض فيدخل الهواء بها و يخرج من قصبته النافذة إلى المنخرين [صفحہ ١٠٥]

٩

إِذَا أَقْبَلَتِ الدُّنْيَا عَلَى قَوْمٍ أَعَارَتْهُمْ مَحَاسِنَ غَيْرِهِمْ وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَنْهُمْ سَلَبَتْهُمْ مَحَاسِنَ أَنْفُسِهِمْ كَانَ الرِّشِيدَ أَيَّامَ كَانَ حَسَنَ الرَّأْيِ فِي جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى يَحْلِفُ بِاللَّهِ أَنْ جَعْفَرًا أَفْصَحَ مِنْ قَسِ بْنِ سَاعِدَةَ وَأَشْجَعُ مِنْ عَامِرِ بْنِ الطَّفِيلِ وَأَكْتَبَ مِنْ عَبْدِ الحَمِيدِ بْنِ يَحْيَى وَأَسْوَسَ مِنْ عَمْرِ بْنِ الخَطَّابِ وَأَحْسَنَ مِنْ مَصْعَبِ بْنِ الزَّيْبِرِ وَكَانَ جَعْفَرٌ لَيْسَ بِحَسَنِ الصُّورَةِ وَكَانَ طَوِيلَ الوَجْهِ جَدًّا وَأَنْصَحَ لَهُ مِنَ الحِجَابِ لِعَبْدِ المَلِكِ وَأَسْمَحَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ وَأَعْفَ مِنْ يَوْسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ فَلَمَّا تَغَيَّرَ رَأْيُهُ فِيهِ أَنْكَرَ مَحَاسِنَهُ الحَقِيقِيَّةَ الَّتِي لَا يَخْتَلِفُ اثْنَانِ أَنَّهَا فِيهِ نَحْوُ كِيَاْسَتِهِ وَسَمَاحَتِهِ وَ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَجْسُرُ أَنْ يَرُدَّ عَلَى جَعْفَرِ قَوْلًا وَلَا رَأْيًا فَيُقَالُ إِنَّ أَوَّلَ مَا ظَهَرَ مِنْ تَغْيِيرِ الرِّشِيدِ لَهُ أَنَّهُ كَلَّمَ الفَضْلَ بْنَ الرِّبِيعِ بِشَيْءٍ فَرَدَّهُ عَلَيْهِ الفَضْلُ وَ لَمْ تَجْرُ عَادَتُهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَفْتَحَ فَاهُ فِي وَجْهِهِ فَأَنْكَرَ سَلِيمَانَ بْنَ أَبِي جَعْفَرٍ ذَلِكَ عَلَى الفَضْلِ فَغَضِبَ الرِّشِيدُ لِإِنْكَارِ سَلِيمَانَ وَ قَالَ مَا دَخَلَكَ بَيْنَ أَخِي وَمَوْلَايَ كَالرَّاضِي بِمَا كَانَ مِنَ الفَضْلِ ثُمَّ تَكَلَّمَ جَعْفَرُ بِشَيْءٍ قَالَهُ لِلْفَضْلِ فَقَالَ الفَضْلُ اشْهَدْ عَلَيْهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ جَعْفَرُ فَرَضَ اللَّهُ فَآكَ يَا جَاهِلُ إِذَا كَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الشَّاهِدَ فَمِنَ الحَاكِمِ المَشْهُودِ عِنْدَهُ فَضَحِكَ الرِّشِيدُ وَ قَالَ يَافُضْلُ لَا تَمَارُ جَعْفَرًا فَإِنَّكَ لَا تَنْقَعُ مِنْهُ مَوْعَا. [صَفْحَهُ ١٠٦] وَ اعْلَمْ أَنَا قَدْ وَجَدْنَا تَصْدِيقَ مَاقَالِهِ فِي العُلُومِ وَ الفَضَائِلِ وَ الخَصَائِصِ النِّفْسَانِيَّةِ دَعِ حَدِيثَ الدُّنْيَا وَ السُّلْطَانَ وَ الرِّئَاْسَةَ فَإِنَّ المَحْظُوظَ مِنَ العِلْمِ أَوْ مِنْ فَضِيلَةٍ تَضَافُ إِلَيْهِ شَوَارِدُ تِلْكَ الفَضِيلَةِ وَ شَوَارِدُ ذَلِكَ الفَنِّ مِثَالُهُ حِظُّ عَلِيٍّ عٍ مِنَ الشُّجَاعَةِ وَ مِنَ الأَمْثَالِ الحَكْمِيَّةِ قُلْ أَنْ تَرَى مِثْلًا شَارِدًا أَوْ كَلِمَةً حَكْمِيَّةً إِلَّا وَ تَضِيْفُهَا النَّاسَ إِلَيْهِ وَ كَذَلِكَ مَا يَدْعَى العَامَّةُ لَهُ مِنَ الشُّجَاعَةِ وَ قَتْلِ الأَبْطَالِ حَتَّى يُقَالَ إِنَّهُ حَمَلَ عَلَى سَبْعِينَ أَلْفًا فَهَزَمَهُمْ وَ قَتَلَ الجَنِّ فِي البَيْتِ وَ قَتَلَ الطُّوقَ الحَدِيدَ فِي عُنُقِ خَالِدِ بْنِ الوَلِيدِ وَ كَذَلِكَ حِظُّ عَنْتَرَةَ بْنِ شَدَادٍ فِي الشُّجَاعَةِ يَذْكَرُ لَهُ مِنَ الأَخْبَارِ مَا لَمْ يَكُنْ وَ كَذَلِكَ مَا اشْتَهَرَ بِهِ أَبُو نَوَاسٍ فِي وَصْفِ الخَمْرِ يَضَافُ إِلَيْهِ مِنَ الشُّعْرِ فِي هَذَا الفَنِّ مَا لَمْ يَكُنْ قَالَهُ وَ كَذَلِكَ جُودِ حَاتِمٍ وَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ وَ نَحْوِ ذَلِكَ وَ بِالعَكْسِ مِنْ لَاحِظٍ لَهُ يَنْفَى عَنْهُ مَا هُوَ حَقِيقَةٌ لَهُ فَقَدْ رَأَيْنَا كَثِيرًا مِنَ الشُّعْرِ الجَيِّدِ يَنْفَى عَنِ قَائِلِهِ اسْتِحْقَاقًا لَهُ لِأَنَّهُ خَامِلُ الذِّكْرِ وَ يَنْسَبُ إِلَى غَيْرِهِ بَلْ رَأَيْنَا كِتَابًا مُصَنَّفَةً فِي فَنُونِ مِنَ العُلُومِ حَمَلَ ذِكْرَ مُصَنِّفِيهَا وَ نَسَبَتْ إِلَى غَيْرِهِمْ مِنْ ذَوِي النِّبَاهَةِ وَ الصِّيتِ وَ كُلِّ ذَلِكَ مَنْسُوبٌ إِلَى الجَدِّ وَ الإِقْبَالِ [صَفْحَهُ ١٠٧]

حَرَّاطُوا النَّاسَ مُخَالَطَةً إِنْ مَتَّ مَعَهَا بَكَوَا عَلَيْكُمْ وَ إِنْ عَشْتُمْ حَنَّوَا إِلَيْكُمْ وَ قَدَرُوا خَنُوا بِالخَاءِ المَعْجَمَةِ مِنَ الخَنِينِ وَ هُوَ صَوْتُ يَخْرُجُ مِنَ الأَنْفِ عِنْدَ البَكَاءِ وَ إِلَى تَعَلُّقٍ بِمَحْذُوفٍ أَى حَنُوا شَوْقًا إِلَيْكُمْ . وَ قَدُورٌ فِي الأَمْرِ بِإِحْسَانِ العِشْرَةِ مَعَ النَّاسِ الكَثِيرِ الوَاسِعِ وَ قَدْ ذَكَرْنَا طَرَفًا مِنْ ذَلِكَ فِيمَا تَقَدَّمَ . وَ فِي الخَبْرِ المَرْفُوعِ إِذَا وَسَعْتُمُ النَّاسَ بِبَسْطِ الوَجْهِ وَ حَسَنِ الخَلْقِ وَ حَسَنِ الجَوَارِ فَكَأَنَّمَا وَسَعْتُمُوهُمْ بِالمَالِ - رَوَايَتُ ١- ٢- رَوَايَتُ ٢١- ١٠٢ . وَ قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ إِنَّا لَنَهْشُ فِي وَجْهِهِ أَقْوَامٌ وَ إِنْ قَلْبُونَا لَتَقْلِيهِمْ . وَ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الفَضْلِ الهَاشِمِيُّ لِأَبِيهِ لَمْ تَجْلِسْ إِلَى فُلَانٍ وَ قَدِ عَرَفْتَ عِدَاوَتَهُ قَالَ أَخْبَى نَارًا وَأَقْدَحَ عَن وَدٍ . وَ قَالَ المَهَاجِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَ إِنِّي لِأَقْصَى المَرءِ مِنْ غَيْرِ بَغْضَةٍ || وَ أدْنَى أَخَا البَغْضَاءِ مَنَى عَلَى عَمْدٍ لِيحْدِثَ وَ دَا بَعْدَ بَغْضَاءٍ أَوْ أَرَى || لَهُ مَصْرَعَا يَرْدِي بِهِ اللَّهُ مِنْ يَرْدِي . وَ قَالَ عَقَالُ بْنُ شَبَّةِ التَّمِيمِيِّ كُنْتُ رَدَفَ أَبِي فَلَقِيهِ جَرِيرُ بْنُ الخَطْفِيِّ عَلَى بَغْلَةٍ [صَفْحَهُ ١٠٨] فَنِيَاهُ أَبِي وَأَطْفَهُ فَلَمَّا مَضَى قُلْتُ لَهُ أْبَعْدَ أَنْ قَالَ لَنَا مَا قَالَ قَالَ يَابُنِي أَفَأُوسَعُ جَرَحِي . وَ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الحَنْفِيَّةِ عَ قَدِيدِ فَعِجْ بِاحْتِمَالِ المَكْرُوهِ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ - رَوَايَتُ ١- ٢- رَوَايَتُ ٢٧- ٧٠ قَالَ الحَسَنُ عَ حَسَنِ السُّؤَالِ نِصْفَ العِلْمِ وَ مَدَارَاةَ النَّاسِ نِصْفَ العَقْلِ وَ القَصْدَ فِي المَعِيشَةِ نِصْفَ المَثُونَةِ - رَوَايَتُ ١- ٢- رَوَايَتُ ١٨- ١٠٠ . وَ مَدَحُ ابْنِ شَهَابٍ شَاعِرًا فَأَعْطَاهُ وَ قَالَ إِنَّ مِنْ ابْتِغَاءِ الخَيْرِ اتِّقَاءَ الشَّرِّ . وَ قَالَ الشَّاعِرُ وَ أَنْزَلْنِي طَوِيلَ النَّوَى دَارَ غَرْبَةٍ || مَتَى شَتَّتْ لَاقِيَتِ أَمْرًا لِأَشَاكِلِهِ أَخَا ثَقَمَةَ حَتَّى يُقَالَ سَجِيَّةٌ || وَ لَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَكُنْتُ أَعَاقِلُهُ فِي الحَدِيثِ المَرْفُوعِ لِلْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ يَسْلَمُ عَلَيْهِ إِذْ لَقِيَهُ وَ يَجِيبُهُ إِذَا دَعَاهُ وَ يَشْمَتُهُ إِذَا عَطَسَ وَ يَعُودُهُ إِذَا مَرَضَ وَ يَحِبُّ

له ما يحب لنفسه ويشيع جنازته إذامات -رواية- 1-2-رواية- 23-164 وقف ص على عجوز فجعل يسألها ويتحفاها و قال إن حسن العهد من الإيمان إنها كانت تأتينا أيام خديجة -رواية- 1-103 [صفحة 109]

11

إِذَا قَدَرْتَ عَلَى عَيْدُوكَ فَاجْعَلِ الْعَفْوَ عَنْهُ شُكْرًا لِلْقُدْرَةِ عَلَيْهِ قَدْ أَخَذْتَ أَنَا هَذَا الْمَعْنَى فَقُلْتَ فِي قِطْعَةٍ لِي إِنْ الْأَمَانِي أَكْسَابِ الْجَهُولِ فَلَا- || تقنع بها واركب الأهوال والخطرا واجعل من العقل جهلا واطرح نظرا || في الموبقات و لا تستشعر الحذرا و إن قدرت على الأعداء منتصرا || فاشكر بعفوك عن أعدائك الظفرا . و قد تقدم لنا كلام طويل في الحلم والصفح والعفو. ونحن نذكر هاهنا زيادة على ذلك شجر بين أبي مسلم و بين صاحب مرو كلام أربى فيه صاحب مرو عليه وأغلظ له في القول فاحتمله أبو مسلم وندم صاحب مرو وقام بين يدي أبي مسلم معتذرا و كان قال له في جملة ما قال يالقيط فقال أبو مسلم مه لسان سبق ووهم أخطأ والغضب شيطان و أنا جرأتك على باحتمالك قديما فإن كنت للذنب معتذرا فقد شاركتك فيه و إن كنت مغلوبا فالعفو يسعك فقال صاحب مرو أيها الأمير إن عظم ذنبي يمنعي من الهدوء فقال أبو مسلم يا عجا أقبالك بإحسان و أنت مسيء ثم أقبالك بإساءة و أنت محسن فقال الآن وثقت بعفوك . و أذنب بعض كتاب المأمون ذنبا و تقدم إليه ليحتج لنفسه فقال يا هذاقف [صفحة 110] مكانك فإنما هو عذر أويمن فقد وهبتهما لك و قد تكرر منك ذلك فلا تزال تسيء و نحسن و تذنب و نغفر حتى يكون العفو هو الذي يصلحك . و كان يقال أحسن أفعال القادر العفو وأقبحها الانتقام . و كان يقال ظفر الكريم عفو و عفو اللئيم عقوبة. و كان يقال رب ذنب مقدار العقوبة عليه إعلام المذنب به و لا يجاوز به حد الارتفاع إلى الإيقاع . و كان يقال ما عفا عن الذنب من قرع به . و من الحلم الذي يتضمن كبرا مستحسنا ماروى أن مصعب بن الزبير لما ولي العراق عرض الناس ليدفع إليهم أرزاقهم فنادى مناديه أين عمرو بن جرموز ف قيل له أيها الأمير إنه أبعد في الأرض قال أ و ظن الأحمق أنني أقتله بأبي عبد الله قولوا له فليظهر آمنا وليأخذ عطاءه مسلما. وأكثر رجل من سب الأحنف و هو لا يجيبه فقال الرجل و يلي عليه و الله ما منعه من جوابي إلا هوانى عنده . و قال لقيط بن زرارة فقل لبنى سعد و مالي و مالكم || ترقون منى ما استطعتم و أعتق أغركم أنى بأحسن شيمه || بصير و أنى بالفواحش أخرج و أنك قد سابتني فقهرتني || هنيئا مريئا أنت بالفحش أهدق . و قال المأمون لإبراهيم بن المهدي لما ظفر به إنى قد شاورت في أمرك فأشير على بقتلك إلا أنى وجدت قدرك فوق ذنبك فكرهت قتلك للآزم حرمتك فقال إبراهيم يا أمير المؤمنين إن المشير أشار بما تقتضيه السياسة و توجيه العادة إلا أنك أبيت أن [صفحة 111] تطلب النصر إلا من حيث عودته من العفو فإن قتلت فلنظير لك قال قد عفوت فاذهب آمنا. ضل الأعشى في طريقه فأصبح بأبيات علقمة بن علاثة فقال قائده و قد نظر إلى قباب الأدم و سوء صباحاه يا أبابصير هذه و الله أبيات علقمة فخرج فتيان الحى فقبضوا على الأعشى فأتوا به علقمة فمثل بين يديه فقال الحمد لله الذي أظفرنى بك من غير ذمة و لاعقد قال الأعشى أو تدرى لم ذلك جعلت فداك قال نعم لانتقم اليوم منك بتقوالك على الباطل مع إحسانى إليك قال لا و الله ولكن أظفرك الله بى ليلو قدر حلمك فى فأطرق علقمة فاندفع الأعشى فقال أعلقم قد صيرتني الأمور || إليك و ما كان بى منكص كساكم علاثة أثوابه || و ورثكم حلمه الأحوص فهب لى نفسى فدتك النفوس || فلانزلت تنمى و لا تنقص . فقال قد فعلت أما و الله لو قلت فى بعض ماقلته فى عامر بن عمر لأغنيك طول حياتك و لو قلت فى عامر بعض ماقلته فى ما أذاقك برد الحياة. قال معاوية لخالد بن معمر السدوسى على ماذا أحببت عليا قال على ثلاث حلمه إذا غضب و صدقه إذا قال و و فؤاه إذا وعد [صفحة 112]

أَعَجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ اِكْتِسَابِ اِلِخْوَانِ وَ اَعَجَزُ مِنْهُ مَنْ ضَيَّعَ مَنْ ظَفَرَ بِهِ مِنْهُمْ فَذَكَرْنَا قِطْعَهُ صَالِحَهُ مِنَ اِلِخْوَانِيَاتِ فِيمَا تَقَدَّمَ وَ فِي اَلْحَدِيثِ اَلْمَرْفُوعِ اَنْ اَلنَّبِيَّ ص بَكَى لِمَا قَتَلَ جَعْفَرِ بِنْتَهُ وَ قَالَ اَلْمَرْءُ كَثِيرٌ بِاَخِيهِ - رَوَايَاتُ ١-٢- رَوَايَاتُ ٢٣-٨٤ قَالَ جَعْفَرُ بِنَ مُحَمَّدٍ لِكُلِّ شَيْءٍ حَلِيَّةٌ وَ حَلِيَّةُ الرَّجُلِ اَوْ دَاوَاهُ - رَوَايَاتُ ١-٢- رَوَايَاتُ ٢٥-٥٨ . وَ اَنْشَدَ اِبْنَ اَلْعَرَابِيِّ لِعَمْرِكِ مَامَالَ اَلْفَتَى بِذَخِيرَةٍ || وَلَكِنْ اِخْوَانُ الصَّفَاءِ اَلذِّخَائِرُ . وَ كَانَ اَبُو اَيُّوبَ السَّخْتِيَانِي يَقُولُ اِذَا بَلَغْنِي مَوْتَ اَخٍ كَانَ لِي فَكَأَنَّمَا سَقَطَ عَضْوُ مَنِي . وَ كَانَ يَقَالُ اِلِخْوَانُ ثَلَاثَ طَبَقَاتٍ طَبَقَةُ كَالغِذَاءِ لَا يَسْتَعْنِي عَنْهُ وَ طَبَقَةُ كَالدَّوَاءِ يَحْتَاجُ اِلَيْهِ عِنْدَ اَلْمَرَضِ وَ طَبَقَةُ كَالدَّاءِ لَا يَحْتَاجُ اِلَيْهِ اَبَدًا . وَ كَانَ يَقَالُ صَاحِبُكَ كَرَقَعَهُ فِي قَمِيصِكَ فَانظُرْ بِمَا تَرَقَعُ قَمِيصَكَ . [صَفْحَةُ ١١٣] وَ كَانَ يُونُسُ بِنَ عُبَيْدٍ يَقُولُ اِثْنَانِ مَا فِي اَلْاَرْضِ اَقْلُ مِنْهُمَا وَ لَا يَزِيدَانِ اِلَّا قَلَّةً دَرَاهِمٌ يَوْضَعُ فِي حَقِّ وَ اَخٍ يَسْكُنُ اِلَيْهِ فِي اَللَّهِ . وَ قَالَ اَلشَّاعِرُ اَخَاكَ اَخَاكَ اِنْ مِنْ اِلَّا خَالَهُ || كَسَاعَ اِلَى اَلهَيْجَا بِغَيْرِ سِلَاحٍ وَ اِنْ اِبْنُ عَمِّ اَلْمَرْءِ فَاعْلَمْ جَنَاحَهُ || وَ هَلْ يَنْهَضُ اَلْبَازِي بِغَيْرِ جَنَاحٍ . وَ قَالَ اَخْرَ وَ لَنْ تَنْفَكَ تَحْسَدُ اَوْ تَعَادَى || فَ اَكْثَرَ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الصَّدِيقِ وَ بَغْضِكَ لِلتَّقَى اَقْلُ ضَرًا || وَ اَسْلَمَ مِنْ مَوْدَةِ ذِي اَلْفَسُوقِ . وَ اَوْصَى بَعْضُهُمْ اِبْنَهُ فَقَالَ يَا بَنِي اِذَا نَازَعْتِكَ نَفْسَكَ اِلَى مَصَاحِبَةِ الرَّجَالِ فَاصْحَبْ مِنْ اِذَا صَحِبْتَهُ زَانِكَ وَ اِذَا خَدَمْتَهُ صَانِكَ وَ اِذَا عَرَضْتَ لَكَ مَوْئِنُهُ اَعَانِكَ وَ اِنْ قَلْتَ صَدَقَ قَوْلُكَ وَ اِنْ صَلَّتْ شَدَّ صَوْلُكَ وَ اِنْ مَدَدْتَ يَدَكَ لِأَمْرٍ مَدَهَا وَ اِنْ بَدَتْ لَكَ عَوْرَةٌ سَدَهَا وَ اِنْ رَأَى مِنْكَ حَسَنَةً عَدَهَا وَ اِنْ سَأَلْتَهُ اَعْطَاكَ وَ اِنْ سَكَتَ اَبْتَدَأَكَ وَ اِنْ نَزَلَتْ بِكَ مَلْمَةٌ وَ اسَاكَ مِنْ لَاتَأْتِيكَ مِنْهُ اَلْبَوَائِقُ وَ لَاتَحْتَارُ عَلَيْكَ مِنْهُ الطَّرَائِقُ وَ لَا يَخْذَلُكَ عِنْدَ اَلْحَقَائِقِ . وَ مِنْ اَلشَّعْرِ اَلْمَنْسُوبِ اِلَى عَلِيِّ ع - رَوَايَاتُ ١-٢- رَوَايَاتُ ٣٤-٣٥ اِنْ اَخَاكَ اَلْحَقُّ مِنْ كَانَ مَعَكَ || وَ مَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ وَ مَنْ اِذَا رَيْبَ اَلزَّمَانِ صَدَعَكَ || شَتَّ فَيْكَ شَمْلَهُ لِيَجْمَعَكَ [صَفْحَةُ ١١٤] مِنْ اَلشَّعْرِ اَلْمَنْسُوبِ اِلَيْهِ ع اَيْضًا - رَوَايَاتُ ١-٢- رَوَايَاتُ ٣٤-٣٥ اَخْوَاكَ اَلَّذِي اِنْ اَجْرَضْتِكَ مَلْمَةٌ || مِنْ اَلدَّهْرِ لَمْ يَبْرَحْ لَهَا اَلدَّهْرُ وَ اَجْمَا وَ لَيْسَ اَخْوَاكَ بِاَلَّذِي اِنْ تَشَعَبْتَ || عَلَيْكَ اُمُورٌ ظَلَّ يَلْحَاكَ لِأَمَّا . وَ قَالَ بَعْضُ اَلْحُكَمَاءِ يَنْبَغِي لِلْاِنْسَانِ اَنْ يُوَكَّلَ بِنَفْسِهِ كَالثَّيْنِ اَحَدُهُمَا يَكْلُؤُهُ مِنْ اَمَامِهِ وَ الْاُخْرَى يَكْلُؤُهُ مِنْ وِرَائِهِ وَ هُمَا عَقْلُهُ الصَّحِيحُ وَ اَخُوهُ اَلنَّصِيحُ فَاِنْ عَقَلَهُ وَ اِنْ صَحَّ فَلَنْ يَبْصُرَهُ مِنْ عَيْبِهِ اِلَّا بِمَقْدَارِ مَا يَرَى الرَّجُلُ مِنْ وَجْهِهِ فِي اَلْمَرَاةِ وَ يَخْفَى عَلَيْهِ مَا خَلْفَهُ وَ اَمَّا اَخُوهُ اَلنَّصِيحُ فَيَبْصُرُهُ مَا خَلْفَهُ وَ مَا اَمَامَهُ اَيْضًا . وَ كَتَبَ ظَرِيفٌ اِلَى صَدِيقٍ لَهُ اَنْى غَيْرِ مَحْمُودٍ عَلَى اَلانْقِيَادِ اِلَيْكَ لِأَنْى صَادَقْتِكَ مِنْ جَوْهَرِ نَفْسِي وَ اَلنَّفْسُ يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا . وَ فِي اَلْحَدِيثِ اَلْمَرْفُوعِ اِذَا احْبَبَ اَحَدُكُمْ اَخَاهُ فَلْيَعْلَمْهُ - رَوَايَاتُ ١-٢- رَوَايَاتُ ٢٣-٥٤ . وَ قَالَ اَلْاَحْنَفُ خَيْرُ اِلِخْوَانٍ مِنْ اِذَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْهُ لَمْ يَزِدْكَ وَ دَا وَ اِنْ احْتَجْتَ اِلَيْهِ لَمْ يَنْقُصَكَ . وَ قَالَ اَعْمَشَى بِاهْلِهِ يَرِثِي اَلْمُنْتَشِرُ بِنَ وَ هَبَ اِمَّا سَلَكْتَ سَبِيلًا - كُنْتَ سَالِكَهَا || فَادْهَبْ فَلَا يَبْعِدُنْكَ اَللَّهُ مُنْتَشِرٌ مِنْ لَيْسَ فِي خَيْرِهِ شَرٌّ يَنْكُدُهُ || عَلَى الصَّدِيقِ وَ لَا فِي صَفْوِهِ كَدْرٌ . وَ قَالَ اَخْرَ يَرِثِي صَدِيقًا لَهُ اَخٌ طَالَمَا سَرْنِي ذَكَرَهُ || وَ اَصْبَحْتَ اَشْجَى لَدَى ذِكْرِهِ وَ قَدْ كُنْتَ اَغْدُو اِلَى قَصْرِهِ || فَاصْبَحْتَ اَغْدُو اِلَى قَبْرِهِ وَ كُنْتَ اَرَانِي غَنِيًا بِهِ || عَنِ النَّاسِ لَوْمِدٌ فِي عَمْرِهِ اِذَا جِئْتَهُ طَالِبًا حَاجَةً || فَأَمْرِي يَجُوزُ عَلَى اَمْرِهِ . رَأَى بَعْضُ اَلْحُكَمَاءِ مَصْطَحِبِينَ لَا يَفْتَرِقَانِ فَسَأَلَ عَنْهُمَا فَقِيلَ صَدِيقَانِ قَالَ فَمَا بَالُ اَحَدُهُمَا غَنِيًا وَ الْاُخْرَى فَقِيرًا [صَفْحَةُ ١١٥]

وَ قَالَ ع فِي اَلَّذِينَ اَعْتَرَلُوا اَلْقِتَالَ مَعَهُ حَمْدُ لَوْ اَلْحَقُّ وَ لَمْ يَنْصُرُوهُ اَلْبَاطِلُ قَدْ سَبَقَ ذِكْرُ هَؤُلَاءِ فِيمَا تَقَدَّمَ وَ هُمُ عِبْدُ اَللَّهِ بِنَ عَمْرِ بِنَ اَلخَطَّابِ وَ سَعْدُ بِنَ اَبِي وَقَاصٍ وَ سَعِيدُ بِنَ زَيْدِ بِنَ عَمْرٍ وَ بِنَ نَفِيلِ وَ اَسَامَةُ بِنَ زَيْدٍ وَ مُحَمَّدُ بِنَ مَسْلَمَةَ وَ اَنْسُ بِنَ مَالِكٍ وَ جَمَاعَةٌ غَيْرُهُمْ . وَ قَدْ ذَكَرَ شَيْخُنَا اَبُو اَلْحَسَنِ فِي اَلغُرَرِ اَنْ اَمِيرَ اَلْمُؤْمِنِينَ ع لَمَادَعَاهُمْ اِلَى اَلْقِتَالِ مَعَهُ وَ اعْتَذَرُوا بِمَا اعْتَذَرُوا بِهِ قَالَ لَهُمْ

أتنكرون هذه البيعة قالوا لالكنا لانقاتل فقال إذا بايعتم فقد قاتلتم قال فسلموا بذلك من الدم لأن إمامهم رضى عنهم . ومعنى قوله خذلوا الحق و لم ينصروا الباطل أى خذلونى و لم يحاربوا معى معاويةً و بعض أصحابنا البغداديين يتوقف فى هؤلاء و إلى هذا القول يميل شيخنا أبو جعفر الإسكافى [صفحہ ۱۱۶]

۱۴

إِذَا وَصَلَتْ إِلَيْكُمْ أَطْرَافُ النَّعْمِ فَلَا تَنْفَرُوا أَقْصَاهَا بِقَلَمِهِ الشُّكْرِ قَدْ سَبَقَ الْقَوْلُ فِي الشُّكْرِ وَنَحْنُ نَذَكُرُ هَاهُنَا زِيَادَةً عَلَى ذَلِكَ . قَالَ بَعْضُهُمْ مَا شِيبَتْنِي السَّنُونُ بِلِ شُكْرِي مِنْ أَحْتَاكِ أَنْ أَشْكُرَهُ . وَقَالُوا الْعِفَافُ زِينَةُ الْفَقْرِ وَالشُّكْرُ زِينَةُ الْغِنَى . وَقَالُوا مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ يَضَعَ مَعْرُوفَهُ عِنْدَ مَنْ يَشْكُرُهُ . وَ مِنْ جَيِّدِ مَا قِيلَ فِي الشُّكْرِ قَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ قَدْ قَلْتُ لِلْعَبَّاسِ مَعْتَذِرًا || مِنْ ضَعْفِ شُكْرِيهِ وَمَعْتَرَفًا أَنْتَ امْرُؤٌ حَمَلْتَنِي نَعْمًا || أَوْهَتْ قَوِي شُكْرِي فَقَدْ ضَعُفَا فإِليكَ مِنْي الْيَوْمَ مَعْذِرَةٌ || جَاءَ تَكُّ بِالْتَصْرِيحِ مِنْ كَشْفِ لَاتَسْذِينَ إِلَى عَارِفَةٍ || حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَاسَلِفَا . وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ فَإِنْ أَنَا لَمْ أَشْكُرْ لِنَعْمَاكِ جَاهِدَا || فَلَانَلْتُ نَعْمِي بَعْدَهَا تَوْجِبُ الشُّكْرَا . [صفحہ ۱۱۷] وَقَالَ أَيْضًا سَاجِدًا فِي شُكْرِي لِنَعْمَاكِ إِنِّي || أَرَى الْكُفْرَ لِلنَّعْمَاءِ ضَرْبًا مِنَ الْكُفْرِ . وَقَالَ ابْنُ أَبِي طَاهِرٍ شُكْرَتُ عَلِيَا بَرِّهِ وَبِلَاؤُهُ || فَكُصِرَ بِي شُكْرِي وَإِنِّي لَجَاهِدُ وَمَا أَنَا مِنْ شُكْرِي عَلِيَا بِوَاحِدٍ || وَلَكِنَّهُ فِي الْفَضْلِ وَالْجُودِ وَاحِدٌ . وَقَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبَسْتِيُّ لَا تَطْنَنْ بِي وَبِرُكِّ حِي || أَنْ شُكْرِي وَشُكْرُ غَيْرِي مَوَاتٌ أَنَا أَرْضٌ وَرَاحَتَاكِ سَحَابٌ || وَالْأَيْدَى وَبِلِ وَشُكْرِي نَبَاتٌ . وَقَالَ أَيْضًا وَخَرَّ لَمَّا أَوْلَيْتَ شُكْرِي سَاجِدًا || وَمِثْلُ أَلْذَى أَوْلَيْتَ يَعْبُدُهُ الشُّكْرُ . الْبَحْتَرِيُّ أَرَاكَ بَعِينَ الْمَكْتَسَى وَرَقَّ الْغِنَى || بِالْأَلْتِكِ اللَّاتِي يَعْجِدُهَا الشُّكْرُ وَيَعْجِبُنِي فَقَرِي إِلَيْكَ وَ لَمْ يَكُنْ || لِيَعْجِبُنِي لَوْ لَا مَحْبَبَتَكَ الْفَقْرُ . آخِرُ بَدَأَتْ بِمَعْرُوفٍ وَثَبِتَ بِالرِّضَا || وَثَلَّثَ بِالْحَسَنِ وَرَبَعْتَ بِالْكَرَمِ وَبَاشَرْتَ أَمْرِي وَاعْتَنَيْتَ بِحَاجَتِي || وَأَخْرَجْتَ لِعَنِي وَقَدِمْتَ لِي نَعْمٌ وَصَدَقْتَ لِي ظَنِّي وَانْجَزْتَ مَوْعِدِي || وَطَبْتَ بِهِ نَفْسًا وَ لَمْ تَتَّبِعِ النَّدَمَ فَإِنْ نَحْنُ كَافَأْنَا بِشُكْرِ فَوَاجِبٍ || وَ إِنْ نَحْنُ قَصَرْنَا فَمَا الْوَدَّ مَتَّهُمْ [صفحہ ۱۱۸]

۱۵

مَنْ صَيَّعَهُ الْأَقْرَبُ أُتِيحَ لَهُ الْأَبْعَدُ إِنْ الْإِنْسَانُ قَدِ يَنْصُرُهُ مِنْ لَا يَرِجُو نَصْرَهُ وَ إِنْ أَهْمَلَهُ أَقْرَبُوهُ وَخَذَلُوهُ فَقَدْ تَقَوَّمُ بِهِ الْأَجَانِبُ مِنَ النَّاسِ وَ قَدْ وَجَدْنَا ذَلِكَ فِي حَقِّ رَسُولِ اللَّهِ صَ ضَيْعُهُ أَهْلُهُ وَرَهْطُهُ مِنْ قَرِيْشٍ وَخَذَلُوهُ وَتَمَالَتْهُ عَلَيْهِ فَقَامَ بِنَصْرِهِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ وَهُمْ أَبْعَدُ النَّاسِ نَسْبًا مِنْهُ لِأَنَّهُ مِنْ عَدْنَانَ وَهُمْ مِنْ قِحْطَانَ وَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ لَا يَحِبُّ الْآخَرَ حَتَّى تَحِبَّ الْأَرْضُ الدَّمَّ وَ قَامَتْ رِبِيعَةُ بِنَصْرِ عَلِيٍّ فِي صَفِينٍ وَهُمْ أَعْدَاءُ مُضَرَ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهُ وَرَهْطُهُ وَ قَامَتْ الْيَمَنُ بِنَصْرِ مَعَاوِيَةَ فِي صَفِينٍ وَهُمْ أَعْدَاءُ مُضَرَ وَ قَامَتْ الْخِرَاسَانِيَّةُ وَهُمْ عَجْمُ بِنَصْرِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَ هِيَ دَوْلَةُ الْعَرَبِ وَ إِذَا تَأَمَّلْتَ السِّيرَ وَجَدْتَ هَذَا كَثِيرًا شَائِعًا [صفحہ ۱۱۹]

۱۶

مَا كُلُّ مَفْتُونٍ يُعَاتِبُ هَذِهِ الْكَلِمَةَ قَالَهَا عَلَى ع لِسْعَدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ وَ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ وَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو لَمَّا مَتَنَعُوا مِنَ الْخُرُوجِ مَعَهُ لِحَرْبِ أَصْحَابِ الْجَمَلِ وَنَظِيرِهَا أَوْ قَرِيبٌ مِنْهَا قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ فَمَا كُلُّ فِعَالٍ يَجَازِي بِفِعْلِهِ || وَ لَا كُلُّ قَوَالٍ لَدَى يَجَابُ وَ رَبُّ كَلَامٍ مَرَّ فَوْقَ مَسَامِعِي || كَمَا طُنَّ فِي لَفْحِ الْهَجِيرِ ذَبَابٌ [صفحہ ۱۲۰]

تَذَلُّ الْأُمُورُ لِلْمَقَادِيرِ حَتَّى يَكُونَ الْحَتْفُ فِي التَّيْدِيرِ إِذَا تَأَمَّلْتَ أَحْوَالَ الْعَالَمِ وَجَدْتَ صِدْقَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ ظَاهِرًا وَ لَوْ شِئْنَا أَنْ نَذَكَرَ الْكَثِيرَ مِنْ ذَلِكَ لَذَكَرْنَا مَا يَحْتَاجُ فِي تَقْيِيدِهِ بِالْكِتَابَةِ إِلَى مِثْلِ حَجْمِ كِتَابِنَا هَذَا وَلَكِنَّا نَذَكَرُ لِمَحَا وَنَكْتَا وَأَطْرَافًا وَدَرَرًا مِنَ الْقَوْلِ . فَرَشَ مَرْوَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ وَ قَدْ لَقِيَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَلِيٍّ أَنْطَاعًا وَبَسَطَ عَلَيْهَا الْمَالَ وَ قَالَ مِنْ جَاءَنِي بِرَأْسِ فِلهِ مَائَةٌ دِرْهَمٍ فَعَجَزْتَ الْحَفْظَةَ وَ الْحِرَاسَ عَنْ حِمَايَتِهِ وَ اشْتَغَلْتَ طَائِفَةً مِنَ الْجُنْدِ بِنَهْبِهِ وَ تَهَافَتَ الْجَيْشُ عَلَيْهِ لِيَتْتَهَبُوهُ فَغَشِيَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ بِعَسَاكِرِهِ فَقَتَلَ مِنْهُمْ مَا لَا يَحْصِي وَ هَزَمَ الْبَاقُونَ . وَ كَسَرَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ جَيْشَ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ بِبَاخْمَرِيٍّ وَ أَمَرَ أَصْحَابَهُ بِاتِّبَاعِهِمْ فَحَالَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ أَصْحَابِ أَبِي جَعْفَرٍ مَاءَ ضَحْضَاحٍ فَكَّرَهُ إِبْرَاهِيمُ وَ جَيْشَهُ خَوْضَ ذَلِكَ الْمَاءِ وَ كَانَ وَاسِعًا فَأَمَرَ صَاحِبَ لَوَائِهِ أَنْ يَتَّعِجَ بِاللَّوَاءِ عَلَى مَسْنَأَةٍ كَانَتْ عَلَى ذَلِكَ الْمَاءِ يَابِسَةً فَسَلَكَهَا صَاحِبُ اللَّوَاءِ وَ هِيَ تَفْضِي بِانْعِرَاجٍ وَ انْعِكَاسٍ إِلَى الْأَرْضِ الْيَبِسِ فَلَمَّا رَأَى عَسْكَرَ أَبِي جَعْفَرٍ أَنْ لَوَّاهِ الْقَوْمُ قَدْ تَرَاجَعُوا [صَفْحَةٌ ١٢١] الْقَهْقَرَى ظَنُّوهُمْ مِنْهُمْ فَفَعَطَفُوا عَلَيْهِمْ فَقَتَلُوا مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً وَ جَاءَ سَهْمٌ غَرِبَ فَأَصَابَ إِبْرَاهِيمَ فَقَتَلَهُ . وَ قَدْ دَبَّرَتْ مِنْ قَبْلِ قَرِيْشٍ فِي حِمَايَةِ الْعَيْرِ بِأَنْ نَفَرَتْ عَلَى الصَّعْبِ وَ الذَّلُولِ لِتُدْفَعَ رَسُولَ اللَّهِ صَ عَنْ اللَّطِيمَةِ فَكَانَ هَلَاكُهَا فِي تَدْيِيرِهَا . وَ كَسَرَتْ الْأَنْصَارُ يَوْمَ أَحَدٍ بِأَنْ أُخْرِجَتْ النَّبِيُّ صَ عَنْ الْمَدِينَةِ ظَنَّا مِنْهَا أَنْ الظَّفَرَ وَ النَّصْرَةَ كَانَتْ بِذَلِكَ وَ كَانَ سَبَبَ عَطْبِهَا وَ ظَفْرِ قَرِيْشٍ بِهَا وَ لَوْ أَقَامَتْ بَيْنَ جِدْرَانِ الْمَدِينَةِ لَمْ تَظْفَرَ قَرِيْشٌ مِنْهَا بِشَيْءٍ . وَ دَبَّرَ أَبُو مُسْلِمٍ الدَّوْلَةَ الْهَاشِمِيَّةَ وَ قَامَ بِهَا حَتَّى كَانَ حَتْفَهُ فِي تَدْيِيرِهِ . وَ كَذَلِكَ جَرَى لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمُحْتَسِبِ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ الْمَهْدِيِّ بِالْمَغْرِبِ . وَ دَبَّرَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الْمُسْلِمِ رَئِيسَ الرُّؤَسَاءِ فِي إِخْرَاجِ الْبَسَاسِيْرِيِّ عَنِ الْعِرَاقِ حَتَّى كَانَ هَلَاكُهُ عَلَى يَدِهِ وَ كَذَلِكَ أَيْضًا انْعَكَسَ عَلَيْهِ تَدْيِيرُهُ فِي إِزَالَةِ الدَّوْلَةِ الْبُوَيْهِيَّةِ مِنَ الدَّوْلَةِ السَّلْجُوقِيَّةِ ظَنَّا مِنْهُ أَنَّهُ يَدْفَعُ الشَّرَّ بِغَيْرِ الشَّرِّ فَدَفَعَ الشَّرَّ بِمَا هُوَ شَرٌّ مِنْهُ . وَ أَمْثَالُ هَذَا وَ نَظَائِرُهُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تَحْصِيَ [صَفْحَةٌ ١٢٢]

إشارة

وَ سِيِّئٌ عَنِ قَوْلِ الرَّسُولِ صَ غَيْرُوا الشَّيْبَ وَ لَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ فَقَالَ عَ إِئِمَّا قَالَ صَ ذَلِكَ وَ الدِّينُ قُلٌّ فَأَمَّا الْآنَ وَ قَدْ اتَّسَعَ نَطَاقُهُ وَ ضَرَبَ بِجِرَانِهِ فَمَا مَرُّهُ وَ مَيَا اخْتِيَارَ الْيَهُودِ لَا تَخْضَبُ وَ كَانَ النَّبِيُّ صَ أَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالْخَضَابِ لِيَكُونُوا فِي مَرَأَى الْعَيْنِ شَبَابًا فَيَجِبْنَ الْمَشْرُوكُونَ عَنْهُمْ حَالَ الْحَرْبِ فَإِنَّ الشَّيْخَ مِظْنَةَ الضَّعْفِ . قَالَ عَلَى عَ كَانَ ذَلِكَ وَ الْإِسْلَامُ قُلٌّ أَيْ قَلِيلٌ وَ أَمَّا الْآنَ وَ قَدْ اتَّسَعَ نَطَاقُهُ وَ ضَرَبَ بِجِرَانِهِ فَقَدْ سَقَطَ ذَلِكَ الْأَمْرُ وَ صَارَ الْخَضَابُ مَبَاحًا غَيْرَ مَنْدُوبٍ . وَ النَّطَاقُ ثَوْبٌ تَلْبَسُهُ الْمَرْأَةُ لِبَسَةِ مَخْصُوصَةً لَيْسَ بِصَدْرَةٍ وَ لَا سِرَاوِيلٍ وَ سَمِيَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ ذَاتَ النَّطَاقِينَ لِأَنَّهَا قَطَعَتْ مِنْ ثَوْبِهَا ذَلِكَ قِطْعَةً شَدَتْ بِهَا سَفْرَةَ لَهَا حَمَلُهَا أَبُو بَكْرٍ مَعَهُ حِينَ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ مَعَ النَّبِيِّ صَ يَوْمَ الْهَجْرَةِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَ لَقَدْ أَبْدَلَهَا اللَّهُ بِهَانَطَاقِينَ فِي الْجَنَّةِ وَ كَانَ نَفْرَ الشَّامِ يَنَادُونَ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَهَا حِينَ حَصَرَهُ الْحِجَاجُ بِمَكَّةَ يَشْتَمُونَهُ كَمَا زَعَمُوا يَا ابْنَ ذَاتِ النَّطَاقِينَ فَيَضْحَكُ عَبْدُ اللَّهِ مِنْهُمْ وَ قَالَ لِابْنِ أَبِي عَتِيْقٍ أَلَا تَسْمَعُ يَظُنُّونَهُ ذِمًّا ثُمَّ يَقُولُ [صَفْحَةٌ ١٢٣] وَ تَلْكَ شِكَاةُ ظَاهِرِ عَنكَ عَارِهَا . وَ اسْتَعَارَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَ هَذِهِ اللَّفْظَةَ لِسَعَةِ رِقْعَةِ الْإِسْلَامِ وَ كَذَلِكَ اسْتَعَارَ قَوْلَهُ وَ ضَرَبَ بِجِرَانِهِ أَيْ أَقَامَ وَ ثَبَّتَ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْبَعِيرَ إِذَا ضَرَبَ بِجِرَانِهِ الْأَرْضَ وَ جِرَانَهُ مَقْدَمَ عُنُقِهِ فَقَدْ اسْتِنَاخَ وَ بَرِكَ . وَ أَمْرٌ مُبْتَدَأٌ وَ إِنْ كَانَ نَكْرَةً كَقَوْلِهِمْ شَرُّ أَمْرِ ذَا نَابٍ لِحَصُولِ الْفَائِدَةِ وَ الْوَاوُ بِمَعْنَى مَعَ وَ هِيَ وَ مَا بَعْدَهَا الْخَبْرُ وَ مَا مَصْدَرِيَّةٌ

نبد مما قيل فى الشيب والخضاب

فأما القول فى الخضاب فقد روى قوم أن رسول الله ص بدا شيب يسير فى لحيته فغيره بالخضاب خضب بالحناء والكتم وقال قوم لم يشب أصلا. وروى أن عائشة قالت ما كان الله ليشينه بالشيب فقيل أوشين هو يأم المؤمنين قالت كلكم يكرهه و أما أبوبكر فصح الخبر عنه بذلك وكذلك أمير المؤمنين وقيل إنه لم يخضب وقتل الحسين ع يوم الطف و هو مخضوب و فى الحديث المرفوع رواه عقبه بن عامر عليكم بالحناء فإنه خضاب الإسلام إنه يصفى البصر ويذهب بالصداع ويزيد فى الباه وإياكم والسواد فإنه من سود سود الله وجهه يوم القيامة -رواية- ١-٢-رواية- ١٨٣-٤٢- عنه ص عليكم بالخضاب فإنه أهيب لعدوكم وأعجب إلى نسائكم -رواية- ١-٢-رواية- ١١-٦٦. [صفحه ١٢٤] ويقال فى أبواب الكناية للمختضب هو يسود وجه النذير لأن النذير الشيب قيل فى قوله تعالى وَ جَاءَكُمْ النَّذِيرُ إِنَّهُ الشيب . و كان عبدالرحمن بن الأسود أبيض الرأس واللحية فأصبح ذات يوم وقد حمرهما وقال إن عائشة أرسلت إلى البارحة جاريتها فأقسمت على لأغيرن وقالت إن أبابكر كان يصيغ . وروى قيس بن أبى حازم قال كان أبوبكر يخرج إلينا و كان لحيته ضرام عرفج . و عن أبى عامر الأنصارى رأيت أبابكر يغير بالحناء والكتم ورأيت عمر لا يغير شيئا من شيبه و -قرآن- ٩٥-١١٥ قال إني سمعت رسول الله ص يقول من شاب شيبة فى الإسلام كانت له نورا يوم القيامة -رواية- ١-٢-رواية- ٣٩-٩١ و لا أحب أن أغير نورى. و كان أنس بن مالك يخضب وينشد نسود أعلاها وتأبى أصولها || و ليس إلى رد الشباب سبيل . وروى أن عبدالطلب وفد على سيف بن ذى يزن فقال له لو خضبت فلما عاد إلى مكة خضب فقالت له امرأته ثيلة أم العباس وضرار ما أحسن هذا الخضاب لودام فقال فلو دام لى هذا الخضاب حمدته || و كان بديلا من خليل قد انصرم تمتعت منه والحياة قصيرة || و لا بد من موت ثيلة أو هرم وموت جهيز عاجل لا شوى له || أحب إلينا من مقالكم حكم . قال يعنى إنه صار شيخا فصار حكما بين الناس من قوله لا تغبط المرء أن يقال له || أضحى فلان لسنه حكما . [صفحه ١٢٥] و قال أسماء بن خارجة لجاريتها اخضيبى فقالت حتى متى أرقعك فقال عيرتنى خلقا أبليت جدته || وهل رأيت جديدا لم يعد خلقا . و أما من يروى أن عليا ع ما خضب فيحتج بقوله و قد قيل له لو غيرت شيبك يا أمير المؤمنين فقال الخضاب زينة ونحن فى مصيبة -رواية- ١-٧٨ يعنى برسول الله ص . و سئل الحسن ع عن الخضاب فقال هو جزع قبيح -رواية- ١-٤٦ و قال محمود الوراق يا خضاب الشيب الذى || فى كل ثلاثة يعود إن الخضاب إدامضى || فكأنه شيب جديد فدع المشيب و ما يريد || فلن تعود كما تريد قدروى قوم عن النبى ص كراهية الخضاب و أنه قال لو استقبلتم الشيب بالتواضع لكان خيرا لكم -رواية- ١-٢-رواية- ٥٥-١٠١ . قال الشاعر و صبغت ماصيغ الزمان فلم يدم || صبغى و دامت صبغة الأيام . و قال آخر يأبىها الرجل المغير شيبه || كيما تعد به من الشبان أقصر فلو سوت كل حمامة || بيضاء ماعدت من الغربان . ويقولون فى ديوان عرض الجيش ببغداد لمن يخضب إذا ذكروا حليته مستعار وهى كناية لطيفة و أنا أستحسن قول البحرى خضبت بالمقراض كناية عن قص الشعر الأبيض فجعل ذلك خضابه عوضا عن الصبغ والأبيات هذه لا بس من شيبه أم ناض || ومليح من شيبه أم راض [صفحه ١٢٦] و إذا ما متعت من ولع الشيب || برأسى لم يثن ذاك امتعاضى ليس يرضى عن الزمان امرؤ فيه || إلا عن غفلة أو تغاضى والبواقى من الليالى و إن || خالفن شيئا شبيهة بالمواضى وأبت تركى الغديات والآصال || حتى خضبت بالمقراض ودواء المشيب كالبخص فى عيني || فقل فيه فى العيون المراض طال حزنى على الشباب و ما || بيض من لون صبغه الفضفاض فهل الحادثات يا ابن عويف || تاركاتى ولبس هذا البياض [صفحه ١٢٧]

مَنْ جَرَى فِي عَيْنِ أَمَلِهِ عَثَرَ بِأَجَلِهِ قَدْ تَقَدَّمَ لَنَا قَوْلُ كَثِيرٍ فِي الْأَمَلِ وَنَذَكَرُ هَاهُنَا زِيَادَةَ عَلَيَّ ذَلِكَ . قَالَ الْحَسَنُ ع لَوْ رَأَيْتَ الْأَجَلَ وَمَسِيرَهُ لَنَسِيتَ الْأَمَلَ وَغُرُورَهُ وَيَقْدِرُ الْمُقَدَّرُونَ وَالْقَضَاءُ يَضْحَكُ - رَوَايَاتُ ١-٢- رَوَايَاتُ ١٨-٩٤ رَوَى أَبُو سَعِيدٍ الْخَدْرِيُّ أَنَّ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ اشْتَرَى وَلِيدَةً بِمِائَةِ دِينَارٍ إِلَى شَهْرٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَاحِبُ الْأَمَلِ لَا تَعْجَبُونَ مِنْ أَسَامَةَ يَشْتَرِي إِلَيَّ شَهْرًا إِنْ أَسَامَةُ لَطَوِيلُ الْأَمَلِ - رَوَايَاتُ ١-٢- رَوَايَاتُ ٢٣-١٥٣ . أَبُو عَثْمَانَ النَّهْدِيُّ قَدْ بَلَغَتْ نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِينَ وَمِائَةً سَنَةً فَمَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا قَدْ عَرَفْتُ فِيهِ النَّقْصَ إِلَّا أَمَلِي فَإِنَّهُ كَمَا كَانَ . قَالَ الشَّاعِرُ أَرَاكَ تَزِيدُكَ الْأَيَّامُ حَرَصًا || عَلَى الدُّنْيَا كَأَنَّكَ لَا تَمُوتُ فَهَلْ لَكَ غَايَةٌ إِنْ صَرْتَ يَوْمًا || إِلَيْهَا قَلْتُ حَسْبِي قَدْ رَضِيتُ . وَقَالَ آخِرُ مَنْ تَمَنَّى الْمَنَى فَأَغْرَقَ فِيهَا || مَاتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَنَالَ مِنْهَا لَيْسَ فِي مَالٍ مِنْ تَتَابَعٍ فِي اللَّذَاتِ || فَضَلَ عَنْ نَفْسِهِ لِسَوَاهِ [صَفْحَةُ ١٢٨]

إشارة

أَقْبَلُوا ذَوِي الْمُرُوءَاتِ عَثَرَاتِهِمْ فَمَا يَعَثُرُ مِنْهُمُ عَاثِرٌ إِلَّا وَ يَدُهُ بِيَدِ اللَّهِ يَرْفَعُهُ

نبد مما قيل في المروءة

قَدْرُوتِ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مَرْفُوعَةٌ ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ قَتَيْبَةَ فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ وَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي الْمَرْوَةِ قَوْلُهُمُ اللَّذَّةُ تَرُكُ الْمَرْوَةَ وَالْمَرْوَةُ تَرُكُ اللَّذَّةَ . وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ رَجُلًا قَامَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَسْتُ أَفْضَلَ قَوْمِي فَقَالَ إِنْ كَانَ لَكَ عَقْلٌ فَلَكَ فَضْلٌ وَإِنْ كَانَ لَكَ خَلْقٌ فَلَكَ مَرْوَةٌ وَإِنْ كَانَ لَكَ مَالٌ فَلَكَ حَسَبٌ وَإِنْ كَانَ لَكَ تَقَى فَلَكَ دِينٌ - رَوَايَاتُ ١-٢- رَوَايَاتُ ١٤-٢٠٨ . وَسُئِلَ الْحَسَنُ عَنِ الْمَرْوَةِ فَقَالَ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَحِبُّ مَعَالِي الْأُمُورِ وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا - رَوَايَاتُ ١-٢- رَوَايَاتُ ٢٦-٧٧ . وَكَانَ يُقَالُ مِنْ مَرْوَةِ الرَّجُلِ جُلُوسُهُ بِبَابِ دَارِهِ . وَقَالَ الْحَسَنُ لِأَدِينِ الْإِبْرَمُوءَةِ [صَفْحَةُ ١٢٩] وَقِيلَ لِابْنِ هُبَيْرَةَ مَا الْمَرْوَةُ فَقَالَ إِصْلَاحُ الْمَالِ وَالرِّزَانَةُ فِي الْمَجْلِسِ وَالْغَدَاءُ وَالْعِشَاءُ بِالْفَنَاءِ . وَجَاءَ أَيْضًا فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعُ حَسَبُ الرَّجُلِ مَالُهُ وَكِرْمُهُ دِينُهُ وَمَرْوَتُهُ خَلْقُهُ - رَوَايَاتُ ١-٢- رَوَايَاتُ ٣١-٧٦ وَكَانَ يُقَالُ لَيْسَ مِنَ الْمَرْوَةِ كَثْرَةُ الْاَلْتِفَاتِ فِي الطَّرِيقِ . وَيُقَالُ سُرْعَةُ الْمَشْيِ تَذْهَبُ بِمَرْوَةِ الرَّجُلِ . وَقَالَ مَعَاوِيَةُ لِعَمْرُو مَأَلَذَ الْأَشْيَاءَ قَالَ مَرَفْتَانِ قَرِيشٍ أَنْ يَقُومُوا فَلَمَّا قَامُوا قَالَ إِسْقَاطُ الْمَرْوَةِ . وَكَانَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ يَقُولُ لِبْنِيهِ يَابُنِي الْعَبْوَا فَإِنَّ الْمَرْوَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا - بَعْدَ اللَّعْبِ وَقِيلَ لِلْأَحْنَفِ مَا الْمَرْوَةُ قَالَ الْعَفَّةُ وَالْحَرْفَةُ تَعْفُ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ وَتَحْتَرِفُ فِيمَا أَحَلَّ اللَّهُ . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ التَّمِيمِيُّ لِأَشَدِّ مِنَ الْمَرْوَةِ وَهِيَ أَلَّا تَعْمَلَ فِي السَّرِّ شَيْئًا تَسْتَحْيِي مِنْهُ فِي الْعَلَانِيَةِ وَسُئِلَ النَّظَامُ عَنِ الْمَرْوَةِ فَأَنْشَدَ بَيْتَ زُهَيْرِ السَّرِّ دُونَ الْفَاحِشَاتِ وَ لَا || يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سَرِّ . وَ قَالَ عَمْرٌو تَعَلَّمُوا الْعَرَبِيَّةَ فَإِنَّهَا تَزِيدُ فِي الْمَرْوَةِ وَتَعَلَّمُوا النَّسَبَ فَرُبَّ رَحِمٍ مَجْهُولَةٌ قَدْ وَصَلَتْ بِهِ . وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ أَوَّلُ الْمَرْوَةِ طَلَاقَةُ الْوَجْهِ وَالثَانِي التُّودُّدُ إِلَى النَّاسِ وَالثَّلَاثُ قَضَاءُ الْحَوَائِجِ . وَقَالَ مُسْلِمُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ مَرْوَةٌ تَانِ ظَاهِرَتَانِ الرِّيَاشُ وَالْفَصَاحَةُ . وَكَانَ يُقَالُ تَعْرِفُ مَرْوَةَ الرَّجُلِ بِكَثْرَةِ دِيُونِهِ . وَكَانَ يُقَالُ الْعَقْلُ يَأْمُرُكَ بِالْأَنْفَعِ وَالْمَرْوَةُ تَأْمُرُكَ بِالْأَجْمَلِ . [صَفْحَةُ

١٣٠] لام معاوية يزيد ابنه على سماع الغناء وحب القيان وقال له أسقطت مروءتك فقال يزيد أتكلم بلساني كلمة قال نعم ولسان أبي سفيان بن حرب وهند بنت عتبة مع لسانك قال والله لقد حدثني عمرو بن العاص واستشهد على ذلك ابنه عبد الله بصدقه أن أباسفيان كان يخلع على المغنى الفاضل والمضاعف من ثيابه ولقد حدثني أن جاريتي عبد الله بن جدعان غتته يوما فأطربته فجعل يخلع عليهما أثوابه ثوبا ثوبا حتى تجرد تجرد العير ولقد كان هو وعفان بن أبي العاص ربما حملا جارية العاص بن وائل على أعناقهما فمرا بها على الأبطح وجله قريش ينظرون إليهما مرة على ظهر أبيك ومرة على ظهر عفان فما ألقى تنكر منى فقال معاوية اسكت لحاك الله والله ما أحد ألحق بأبيك هذا إلا ليغرك ويفضحك وإن كان أبوسفيان ما علمت لثقل الحلم يقظان الرأي عازب الهوى طويل الأناة بعيد القعر و ماسودته قريش إلا لفضله [صفحہ ١٣١]

٢١

قُرِنَتِ الْهَيْبَةُ بِالْخِيَّةِ وَالْحَيَاءُ بِالْحِرْمَانِ وَالْفُرْصَةُ تَمُرُّ مَرَّ السَّيْحَابِ فَانْتَهَزُوا فُرْصَ الْخَيْرِ فِي الْمَثَلِ مِنْ أَقْدَمِ لَمْ يَنْدَمْ وَقَالَ الشَّاعِرُ لَيْسَ لِلْحَاجَاتِ إِلَّا - || من له وجه وقاح ولسان طرمذى || وغدو ورواح فعليه السعى فيها || وعلى الله النجاح . و كان يقال الفرصة ما إذا حاولته فأخطأك نفعه لم يصل إليك ضره . و من كلام ابن المقفع انتهاز الفرصة في إحراز المآثر واغتنم الإمكان باصطناع الخير ولا تنتظر ما تعامل فتجازى عنه بمثله فإنك إن عوملت بمكروه واشتغلت برصد المكافأة عنه قصر العمر بك عن اكتساب فائدة واقتناء منقبة وتصرمت أيامك بين تعد عليك وانتظار للظفر بإدراك الثأر من خصمك ولا عيشة في الحياة أكثر من ذلك . كانت العرب إذا أوفدت وافدا قالت له إياك والهيبة فإنها خيبة ولا تبت عند ذنب الأمر وبت عند رأسه [صفحہ ١٣٢]

٢٢

لَنَا حَقٌّ فَإِنْ أُعْطِينَا وَ إِيَّا رَكِبْنَا أَعْجَازَ الْإِبِلِ وَ إِنْ طَالَ السَّيْرُ قَالَ الرُّضَى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَ هَذَا الْقَوْلُ مِنْ لَطِيفِ الْكَلَامِ وَفَصِيحِهِ وَمَعْنَاهُ أَنَا إِنْ لَمْ نَعْطِ حَقَّنَا كُنَّا أَذْلَاءً وَ ذَلِكَ أَنَّ الرَّدِيفَ يَرْكَبُ عَجْزَ الْبَعِيرِ كَالْعَبْدِ وَالْأَسِيرِ وَ مِنْ يَجْرِي مَجْرَاهُمَا -رَوَايَتُ- ١- ١٧٦ هَذَا الْفَصْلُ قَدْ ذَكَرَهُ أَبُو عَيْدٍ الْهَرَوِيُّ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ الْغَرِيِّينَ وَصُورَتُهُ أَنَّ لَنَا حَقًّا إِنْ نَعْطُهُ نَأْخُذُهُ وَ إِنْ نَمْنَعُهُ نَرْكَبُ أَعْجَازَ الْإِبِلِ وَ إِنْ طَالَ السَّرَى قَالَ قَدْ فَسَّرُوهُ عَلَى وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنَّ رَاكِبَ عَجْزِ الْبَعِيرِ يَلْحَقُهُ مَشَقَّةٌ وَضُرٌّ فَأَرَادَ أَنَا إِذَا مَنَعْنَا حَقَّنَا صَبَرْنَا عَلَى الْمَشَقَّةِ وَالْمَضْرَّةِ كَمَا يَصْبِرُ رَاكِبُ عَجْزِ الْبَعِيرِ وَ هَذَا التَّفْسِيرُ قَرِيبٌ مِمَّا فَسَّرَهُ الرُّضَى وَالْوَجْهَ الثَّانِي أَنَّ رَاكِبَ عَجْزِ الْبَعِيرِ إِنْ مَّا يَكُونُ إِذَا كَانَ غَيْرَهُ قَدْ رَكِبَ عَلَى ظَهْرِ الْبَعِيرِ وَ رَاكِبَ ظَهْرَ الْبَعِيرِ مُتَقَدِّمًا عَلَى رَاكِبِ عَجْزِ الْبَعِيرِ فَأَرَادَ أَنَا إِذَا مَنَعْنَا حَقَّنَا تَأَخَّرْنَا وَتَقَدَّمَ غَيْرُنَا عَلَيْنَا فَكُنَّا كَالرَّاكِبِ رَدِيفًا لغيره وأكد المعنى على كلا التفسيرين بقوله و إن طال السرى لأنه إذا طال السرى كانت المشقة [صفحہ ١٣٣] على راکب عجز البعير أعظم و كان الصبر على تأخر راکب عجز البعير عن الراکب على ظهره أشد وأصعب . و هذا الكلام تزعم الإمامية أنه قاله يوم السقيفة أو في تلك الأيام ويذهب أصحابنا إلى أنه قاله يوم الشورى بعد وفاة عمر واجتماع الجماعة لاختيار واحد من الستة وأكثر أرباب السير ينقلونه على هذا الوجه [صفحہ ١٣٤]

٢٣

مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ حَسْبُهُ هَذَا الْكَلَامُ حَثٌّ وَحُضٌّ وَتَحْرِيفٌ عَلَى الْعِبَادَةِ وَ قَدْ تَقَدَّمَ أَمْثَالُهُ وَسَيَأْتِي لَهُ نِظَائِرٌ كَثِيرَةٌ وَ هُوَ مِثْلُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَ يَافَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ إِنْ لَمْ يَأْغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلُبِ إِنْ لَمْ يَأْغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ

مِنْ كَفَارَاتِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ إِغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ وَ التَّنْفِيسُ عَنِ الْمَكْرُوبِ قَدْ جَاءَ فِي هَذَا الْمَعْنَى آثَارٌ كَثِيرَةٌ وَأَخْبَارٌ جَمِيلَةٌ كَانَ الْعَتَابِيُّ قَدْ أَمَلَقَ فِجَاءَ فَوْقَ بَابِ الْمُؤْمِنِ يَسْتَرْزِقُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ فَوَافِي يَحْيَى بْنِ أَكْثَمٍ فَعَرَضَ لَهُ الْعَتَابِيُّ فَقَالَ لَهُ إِنْ رَأَيْتَ أَيُّهَا الْقَاضِي أَنَّ تَعْلَمَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَكَانِي فَافْعَلْ فَقَالَ لَسْتُ بِحَاجِبٍ قَالَ قَدْ عَلِمْتَ وَلَكِنَّكَ ذُو فَضْلٍ وَذُو الْفَضْلِ مَعْوَانٌ فَقَالَ سَلَكْتَ بِي غَيْرَ طَرِيقِي قَالَ إِنْ اللَّهُ أَتَحَفَّكَ مِنْهُ بِجَاهٍ وَنِعْمَةٍ وَهُوَ مُقْبَلٌ عَلَيْكَ بِالزِّيَادَةِ إِنْ شَكَرْتَ وَبِالتَّغْيِيرِ إِنْ كَفَرْتَ وَ أَنَا لَكَ الْيَوْمَ خَيْرٌ مِنْكَ لِنَفْسِكَ لِأَنِّي أَدْعُوكَ إِلَى مَا فِيهِ ازْدِيَادُ نِعْمَتِكَ وَ أَنْتَ تَأْتِي عَلَى وَلكل شَيْءٍ زَكَاةٌ وَ زَكَاةُ الْجَاهِ رَفْدُ الْمُسْتَعِينِ فَدَخَلَ يَحْيَى فَأَخْبَرَ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ فَأَحْضَرَهُ وَحَادِثَهُ وَ لَاطَفَهُ وَوَصَلَهُ [صفحة ١٣٦]

يَا ابْنَ آدَمَ إِذَا رَأَيْتَ رَبِّكَ سُبِّحَانَهُ يُتَابِعُ عَلَيْكَ نِعْمَهُ وَ أَنْتَ تَعْصِيهِ بِه فَاحْذَرُهُ هَذَا الْكَلَامُ تَخْوِيفٌ وَ تَحْذِيرٌ مِنَ الْاسْتِدْرَاجِ قَالَ سُبْحَانَهُ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْعَبْدَ بِغُرُورِهِ يَعْتَقِدُ أَنَّ مَوَالِيَةَ النِّعْمِ عَلَيْهِ وَ هُوَ عَاصٍ مِنَ بَابِ الرِّضَا عَنْهُ وَ لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ اسْتِدْرَاجٌ لَهُ وَ نِقْمَةٌ عَلَيْهِ . فَإِنْ قُلْتَ كَيْفَ يَصِحُّ الْقَوْلُ بِالْاسْتِدْرَاجِ عَلَى أَصُولِكُمْ فِي الْعَدْلِ أَلَيْسَ مَعْنَى الْاسْتِدْرَاجِ إِيْهَامُ الْعَبْدِ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ غَيْرُ سَاخِطٍ فَعَلَهُ وَ مَعْصِيَتَهُ فَهَلْ هَذَا الْاسْتِدْرَاجُ إِلْمَافْسِدَةُ وَ سَبَبٌ إِلَى الْإِصْرَارِ عَلَى الْقَبِيحِ . قُلْتَ إِذَا كَانَ الْمَكْلَفُ عَالِمًا بِقَبْحِ الْقَبِيحِ أَوْ مَتَمَكِّنًا مِنَ الْعِلْمِ بِقَبْحِهِ ثُمَّ رَأَى النِّعْمَ تَتَوَالَى عَلَيْهِ وَ هُوَ مُصْرَعٌ عَلَى الْمَعْصِيَةِ كَانَ تَرَادُفُ تِلْكَ النِّعْمِ كَالْمَنْبِهِ لَهُ عَلَى وَجُوبِ الْحَذَرِ مِثَالِ ذَلِكَ مِنْ هُوَ فِي خِدْمَةِ مَلِكٍ وَ هُوَ عَوْنُ ذَلِكَ الْمَلِكِ فِي دَوْلَتِهِ وَيَعْلَمُ أَنَّ الْمَلِكَ قَدْ عَرَفَ حَالَهُ ثُمَّ يَرَى نِعْمَ الْمَلِكِ مُتَرَادِفَةً إِلَيْهِ فَإِنَّهُ يَجِبُ بِمَقْتَضَى الْإِحْتِيَاظِ أَنْ يَشْتَدَّ حَذَرُهُ لِأَنَّهُ يَقُولُ لَيْسَتْ حَالِي مَعَ الْمَلِكِ حَالٌ مِنْ يَسْتَحِقُّ هَذِهِ النِّعْمَ وَ مَا هَذِهِ إِلَّا الْمَكِيدَةُ وَ تَحْتَهَا غَائِلَةٌ فَيَجِبُ إِذْنٌ عَلَيْهِ أَنْ يَحْذَرَ - قُرْآن - ٥٢- ٩٠ [صفحة ١٣٧]

مَا أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيْئًا إِلَّا ظَهَرَ فِي فَلَتَاتِ لِسَانِهِ وَ صَيَفَحَاتِ وَجْهِهِ قَالَ زَهْرِبْنُ أَبِي سَلْمَى وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ || وَ إِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تَعْلَمُ . وَ قَالَ آخِرُ تَخْبِرُنِي الْعَيْنَانِ مَا الْقَلْبُ كَاتِمٌ || وَ مَا جُنَّ بِالْبَغْضَاءِ وَالنَّظَرِ الشَّرِّ . وَ قَالَ آخِرُ وَ فِي عَيْنَيْكَ تَرْجَمُهُ أَرَاهَا || تَدُلُّ عَلَى الضَّغَائِنِ وَالْحَقُودِ وَأَخْلَاقِ عَهْدَتِ اللَّيْنِ فِيهَا || غَدَتِ وَ كَأَنَّهَا زَبْرُ الْحَدِيدِ وَ قَدْ عَاهَدْتَنِي بِخِلَافِ هَذَا || وَ قَالَ اللَّهُ أَوْفُوا بِالعُقُودِ وَ كَانَ يُقَالُ الْعَيْنُ وَالْوَجْهَ وَاللِّسَانَ أَصْحَابُ أَخْبَارِ عَلَى الْقَلْبِ وَقَالُوا الْقُلُوبُ كَالْمَرَايَا الْمُتَقَابِلَةُ إِذَا رَتَسَتْ فِي إِحْدَاهُنَّ صُورَةُ ظَهَرَتْ فِي الْآخَرَى [صفحة ١٣٨]

امشِ بِدَائِكَ مَا مَشَى بِكَ يَقُولُ مَهْمَا وَجَدْتَ سَبِيلًا إِلَى الصَّبْرِ عَلَى أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي قَدْ دَفَعْتَ إِلَيْهَا وَ فِيهَا مَشَقَّةٌ عَلَيْكَ وَ ضَرَرٌ لِأَحَقِّ بِكَ فَاصْبِرْ وَ لَا تَلْتَمِسْ طَرِيقًا إِلَى تَغْيِيرِ مَا دَفَعْتَ إِلَيْهِ أَنْ تَسْلُكَهَا بِالْعَنْفِ وَ مَرَاغِمَةُ الْوَقْتِ وَ مَعَانَاةُ الْأَفْضِيَةِ وَ الْأَقْدَارِ وَ مِثَالُ

ذلك من يعرض له مرض ما يمكنه أن يحتمله ويدافع الوقت فإنه يجب عليه ألا يطرح جانبه إلى الأرض ويخلد إلى النوم على الفراش ليعالج ذلك المرض قوة وقهرا فربما أفضى به مقاهرة ذلك المرض الصغير بالأدوية إلى أن يصير كبيرا معضلا [صفحہ ۱۳۹]

۲۸

أَفْضَلُ الزَّهْدِ إِخْفَاءُ الزَّهْدِ إِنَّمَا كَانَ كَذَلِكَ لِأَنَّ الْجَهْرَ بِالْعِبَادَةِ وَالزَّهَادَةَ وَالْإِعْلَانَ بِذَلِكَ قَلَّ أَنْ يَسْلَمَ مِنْ مَخَالَطَةِ الرِّيَاءِ وَقَدْ تَقَدَّمَ لَنَا فِي الرِّيَاءِ أَقْوَالٌ مَقْنَعَةٌ. رَأَى الْمَنْصُورُ رَجُلًا وَقَافًا بَابَهُ فَقَالَ مِثْلَ هَذَا الدَّرْهَمِ بَيْنَ عَيْنَيْكَ وَأَنْتَ وَقَافٌ بِبَابِنَا فَقَالَ الرَّبِيعُ نَعَمْ لِأَنَّهُ ضَرَبَ عَلَى غَيْرِ السَّكَّةِ. شَاعِرٌ مَعَشَرَ أَثْبَتَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِمْ || لَجِبَاهُ يَشْقَاهَا الْمَحْرَابَ عَمَرُوا مَوْضِعَ التَّصْنَعِ مِنْهُمْ || وَمَكَانَ الْإِخْلَاصِ مِنْهُمْ خَرَابٌ [صفحہ ۱۴۰]

۲۹

إِذَا كُنْتَ فِي إِدْبَارٍ وَ الْمَوْتُ فِي إِقْبَالٍ فَمَا أَسْرَعَ الْمُتَلَقَى هَذَا ظَاهِرٌ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ كَلِمًا جَاءَ فِي إِدْبَارٍ وَالْمَوْتُ كَلِمًا جَاءَ فِي إِقْبَالٍ فَيَا سُرْعَانَ مَا يَلْتَقِيَانِ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ إِدْبَارَهُ هُوَ تَوَجُّهُهُ إِلَى الْمَوْتِ وَ إِقْبَالُ الْمَوْتِ هُوَ تَوَجُّهُهُ إِلَى نَحْوِهِ فَقَدْ حَقَّ إِذْنُ الْإِلْتِقَاءِ سَرِيعًا وَمِثَالُ ذَلِكَ سَفِينَتَانِ بَدَجَلُهُ أَوْغِيرُهُمَا تَصْعَدُ إِحْدَاهُمَا وَالْأُخْرَى تَنْحَدِرُ نَحْوَهَا فَلَارِيبَ إِنْ الْإِلْتِقَاءُ يَكُونُ وَشِيكًا [صفحہ ۱۴۱]

۳۰

الْحَدَرَ الْحَدَرَ فَوَاللَّهِ لَقَدْ سَتَرَ حَتَّى كَأَنَّهُ قَدْ غَفَرَ قَدْ تَقَدَّمَ هَذَا الْمَعْنَى وَ هُوَ الْاسْتِدْرَاجُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ آتِفًا [صفحہ ۱۴۲]

۳۱

إشارة

وَ سِيْلَعٌ عَنِ الْإِيْمَانِ فَقَالَ الْإِيْمَانُ عَلَى أَرْبَعٍ دَعَائِمٌ عَلَى الصَّبْرِ وَ الْيَقِينِ وَ الْعَدْلِ وَ الْجِهَادِ وَ الصَّبْرِ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعٍ شُعَبٍ عَلَى الشُّوقِ وَ الشَّفَقِ وَ الزَّهْدِ وَ التَّرَقُّبِ فَمَنْ اشْتَقَّ إِلَى الْجَنَّةِ سِيْلَعٌ عَنِ الشَّهَوَاتِ وَ مَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ اجْتَنَبَ الْمُحَرَّمَاتِ وَ مَنْ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا اسْتَهَانَ بِالْمُصِيبَاتِ وَ مَنْ ارْتَقَبَ الْمَوْتَ سَارَعَ فِي الْخَيْرَاتِ وَ الْيَقِينُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعٍ شُعَبٍ عَلَى تَبَصُّرِهِ الْفِطْنَةَ وَ تَأْوِيلِ الْحِكْمَةِ وَ مَوْعِظَةِ الْعِبَرَةِ وَ سُنَنِ الْأَوَّلِينَ فَمَنْ تَبَصَّرَ فِي الْفِطْنَةِ تَبَيَّنَتْ لَهُ الْحِكْمَةُ وَ مَنْ تَبَيَّنَتْ لَهُ الْحِكْمَةُ عَرَفَ الْعِبْرَةَ وَ مَنْ عَرَفَ الْعِبْرَةَ فَكَانَ فِي الْأَوَّلِينَ وَ الْعَدْلُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعٍ شُعَبٍ عَلَى غَايِصِ الْفَهْمِ وَ غَوْرِ الْعِلْمِ وَ زُهْرَةِ الْحُكْمِ وَ رَسَاخَةِ الْجِلْمِ فَمَنْ فَهَمَ عِلْمَ غَوْرِ الْعِلْمِ وَ مَنْ عِلْمَ غَوْرِ الْعِلْمِ صَدَرَ عَنْ شَرَائِعِ الْجِلْمِ وَ مَنْ حَلَّمَ لَمْ يُفَرِّطْ فِي أَمْرِهِ وَ عَاشَ فِي النَّاسِ حَمِيدًا وَ الْجِهَادُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعٍ شُعَبٍ عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ الصِّدْقِ فِي الْمَوَاطِنِ وَ شَتَانِ الْفَاسِقِينَ فَمَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ شَدَّ ظُهُورَ الْمُؤْمِنِينَ وَ مَنْ نَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ أَرْغَمَ أَنْوْفَ الْمُتَنَافِقِينَ وَ مَنْ صَدَقَ فِي الْمَوَاطِنِ قَضَى مَا عَلَيْهِ وَ مَنْ شَتَى الْفَاسِقِينَ وَ غَضِبَ لِلَّهِ

غَضِبَ اللَّهُ لَهُ وَ أَرْضَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ الْكَفْرُ عَلَى أَرْبَعِ دَعَائِمٍ عَلَى التَّعَمُّقِ وَ التَّنَازُعِ وَ الزَّيْغِ وَ الشَّقَاقِ فَمَنْ تَعَمَّقَ لَمْ يُنِبْ إِلَى الْحَقِّ وَ مَنْ كَثُرَ نَزَاعُهُ بِالْجَهْلِ دَامَ عَمَاهُ عَنِ الْحَقِّ [صفحة ١٤٣] وَ مَنْ زَاغَ سَاءَتْ عِنْدَهُ الْحَسَنَةُ وَ حَسُنَتْ عِنْدَهُ السَّيِّئَةُ وَ سَكِرَ سُكْرَ الضَّلَالَةِ وَ مَنْ شَاقَّ وَ عَزَّتْ عَلَيْهِ طُرُقُهُ وَ أَعْضَلَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ وَ ضَاقَ عَلَيْهِ مَخْرَجُهُ وَ الشُّكُّ عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ عَلَى التَّمَارِي وَ الْهَوْلِ وَ التَّرَدُّدِ وَ الْإِسْتِسْلَامِ فَمَنْ جَعَلَ الْمِرَاءَ دَيْدَانًا لَمْ يُصْبِحْ لَيْلُهُ وَ مَنْ هِيَآلَهُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ نَكَصَ عَلَى عَقْبِيهِ وَ مَنْ تَرَدَّدَ فِي الزَّيْبِ وَ طِئْتُهُ سَيْنَابِكُ الشَّيَاطِينِ وَ مَنْ اسْتَسَلَّمَ لِهَلَكَةِ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ هَلَكَكَ فِيهِمَا قَالَ الرُّضَى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَ بَعْدَ هَذَا كَلَامٌ تَرَكْنَا ذَكَرَهُ خَوْفَ الْإِطَالَةِ وَ الْخُرُوجِ عَنِ الْغَرَضِ الْمَقْصُودِ فِي هَذَا الْكِتَابِ -رَوَايَاتُ- ١-١١٤ مِنْ هَذَا الْفَصْلِ أَخَذَتْ الصُّوفِيَّةُ وَأَصْحَابُ الطَّرِيقَةِ وَالْحَقِيقَةُ كَثِيرًا مِنْ فَنُونِهِمْ فِي عُلُومِهِمْ وَ مِنْ تَأْمَلِ كَلَامِ سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التَّسْتَرِي وَ كَلَامِ الْجَنِيدِ وَ السَّرِيِّ وَ غَيْرِهِمْ رَأَى هَذِهِ الْكَلِمَاتِ فِي فَرْشِ كَلَامِهِمْ تَلُوحٌ كَالْكَوَاكِبِ الزَّاهِرَةِ وَ كُلِّ الْمَقَامَاتِ وَ الْأَحْوَالِ الْمَذْكُورَةِ فِي هَذَا الْفَصْلِ قَدْ تَقَدَّمَ قَوْلُنَا فِيهَا

نبد و حكايات مما وقع بين يدي الملوك

و نذكر هاهنا الصدق في المواطن و بين يدي الملوك و من يغضب لله و ينهى عن المنكر و يقوم بالحق و لا يبالي بالسلطان و لا يراقبه . [صفحة ١٤٤] دخل عمر بن عبدالعزيز على سليمان بن عبد الملك و عنده أيوب ابنه و هو يومئذ ولي عهده قد عقد له من بعده فجاء إنسان يطلب ميراثا من بعض نساء الخلفاء فقال سليمان ما إخال النساء يرثن في العقار شيئا فقال عمر بن عبدالعزيز سبحان الله و أين كتاب الله فقال سليمان يا غلام اذهب فأنتي بسجل عبد الملك الذي كتب في ذلك فقال له عمر لكأنك أرسلت إلى المصحف فقال أيوب بن سليمان و الله ليوشكن الرجل يتكلم بمثل هذا عند أمير المؤمنين فلا يشعر حتى يفارقه رأسه فقال عمر إذا أفضى الأمر إليك و إلى أمثالك كان ما يدخل على الإسلام أشد مما يخشى عليكم من هذا القول ثم قام فخرج . و روى ابراهيم بن هشام بن يحيى قال حدثني أبي عن جدي قال كان عمر بن عبدالعزيز ينهى سليمان بن عبد الملك عن قتل الحرورية و يقول ضمنهم الجبوس حتى يحدثوا توبة فأتى سليمان بحرورى مستقتل و عنده عمر بن عبدالعزيز فقال سليمان للحرورى ماذا تقول قال ما أقول يا فاسق يا ابن الفاسق فقال سليمان لعمر ماترى يا أباحفص فسكت فقال أقسمت عليك لتخبرنى ماذا ترى عليه فقال أرى أن تشتمه كما شتمك و تشتم أباه كما شتم أباك فقال سليمان ليس إلا قال ليس إلا فلم يرجع سليمان إلى قوله و أمر بضرب عنق الحرورى . و روى ابن قتيبة في كتاب عيون الأخبار قال بينما المنصور يطوف ليلا بالبيت سمع قائلا يقول اللهم إليك أشكو ظهور البغى و الفساد و ما يحول بين الحق و أهله من الطمع فخرج المنصور فجلس ناحية من المسجد و أرسل إلى الرجل يدعوه فصلى ركعتين و استلم الركن و أقبل على المنصور فسلم عليه بالخلافة فقال المنصور ما الذى سمعتك تقول من ظهور البغى و الفساد فى الأرض و ما يحول بين الحق و أهله من الطمع فو الله لقد حشوت مسامعى ما أرمضنى فقال يا أمير المؤمنين إن أمنتنى على نفسى أنبأتك بالأمر من أصولها و إلا احتجرت منك و اقتصرت على نفسى فلى فيها شاغل قال أنت آمن على نفسك فقل فقال إن الذى دخله الطمع حتى حال بينه و بين إصلاح مظهر من البغى و الفساد لأنت قال و يحك و كيف يدخلنى الطمع و الصفراء و البيضاء فى قبضتى و الحلو و الحامض عندى قال و هل دخل أحد من الطمع ما دخلك إن الله عز و جل استرعاك المسلمين و أموالهم فأغفلت أمورهم و اهتملت بجمع أموالهم و جعلت بينك و بينهم حجابا من الجص و الآجر و أبوابا من الحديد و حجبهم معهم السلاح ثم سجت نفسك فيهما منهم و بعثت عمالك فى جباية الأموال و جمعها فقويتهم بالسلاح و الرجال و الكراع و أمرت ألا يدخل عليك إلا فلان و فلان نفر سميتهم و لم تأمر بإيصال المظلوم و الملهوف و لا الجائع و الفقير و لا الضعيف و العارى و لا أحد ممن له فى هذا المال حق فما زال هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك و آثرتهم على رعيتك

وأمرت ألا- يحجبوا عنك يجيئون الأموال ويجمعونها ويحجبونها وقالوا هذا رجل قد خان الله فما لنا لانخونه و قدسخرنا فائتمروا على ألا- يصل إليك من أخبار الناس شيء إلا ما أرادوا و لا يخرج لك عامل فيخالف أمرهم إلا بغضوه عندك و بغوه الغوائل حتى تسقط منزلته ويصغر قدره فلما انتشر ذلك عنك و عنهم أعظمهم الناس و هابوهم و كان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والأموال ليقووا بها على ظلم رعيتك ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيتك لينالوا به ظلم من دونهم فامتلات بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطنتك و أنت غافل فإن جاء متظلم حيل بينه و بين دخول [صفحہ ۱۴۶] دارك و إن أراد رفع قصته إليك عند ظهورك وجدك و قد نهيت عن ذلك ووقفت للناس رجلا ينظر في مظالمهم فإن جاء المتظلم إليه أرسلوا إلى صاحب المظالم ألا يرفع إليك قصته و لا يكشف لك حاله فيجيبهم خوفا منك فلا يزال المظلوم يختلف نحوه ويلوذ به ويستغيث إليه و هو يدفعه ويعتل عليه و إذا أجهد وأحرج وظهرت أنت لبعض شأنك صرخ بين يديك فيضرب ضربا مبرحا ليكون نكالا لغيره و أنت تنظر و لا تنكر فما بقاء الإسلام على هذا. ولقد كنت أيام شببتي أسافر إلى الصين فقدمتها مرة و قد أصيب ملكها بسمعه فبكى بكاء شديدا فحداه جلساؤه على الصبر فقال أما إنى لست أبكى للبلية النازلة ولكن أبكى للمظلوم بالباب يصرخ فلا أسمع صوته ثم قال أما إذ ذهب سمعي فإن بصري لم يذهب نادوا في الناس ألا يلبس ثوبا أحمر لإمظلوم ثم كان يركب الفيل طرفى نهاره ينظر هل يرى مظلوما فهذا مشرك بالله غلبت رأفته بالمشركين على شح نفسه و أنت مؤمن بالله من أهل بيت نبيه لا تغلبك رأفتك بالمسلمين على شح نفسك فإن كنت إنما تجمع المال لولدك فقد أراك الله تعالى عبدا في الطفل يسقط من بطن أمه ما له على الأرض مال و ما من مال يومئذ إلا ودونه يد شحيحة تحويه فلا يزال الله يطفئ بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس إليه و لست بالذى تعطى ولكن الله يعطى من يشاء ما يشاء و إن قلت إنما أجمع المال لتشديد السلطان فقد أراك الله عبدا في بنى أمية ما أغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة وأعدوا من الرجال والسلاح والكراع حين أراد الله بهم ما أراد و إن قلت أجمع المال لطلب غاية هي أجسم من الغاية التى أنا فيها فو الله مافوق ما أنت فيه إلا منزلة لا تدرك إلا بخلاف ما أنت عليه انظر هل تعاقب من عصاك بأشد من القتل قال لا قال فإن الملك الذى خولك ما خولك [صفحہ ۱۴۷] لا يعاقب من عصاه بالقتل بالخلود فى العذاب الأليم و قدرأى ما قد عقدت عليه قلبك و عملته جوارحك و نظر إليه بصرك واجترحت يداك ومشت إليه رجلا-ك وانظر هل يغنى عنك ماشحت عليه من أمر الدنيا إذا انتزعه من يدك ودعاك إلى الحساب على ما منحك . فبكى المنصور و قال ليتنى لم أخلق ويحك فكيف أحتال لنفسى قال إن للناس أعلاما يفرعون إليهم فى دينهم و يرضون بقولهم فاجعلهم بطانتك يرشدوك وشاورهم فى أمرك يسددوك قال قد بعثت إليهم فهربوا منى قال نعم خافوا أن تحملهم على طريقك ولكن افتح بابك و سهل حجابك وانظر المظلوم واقم الظالم وخذ الفىء والصدقات مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل على أهله و أنا الضامن عنهم أن يأتوك و يسعدوك على صلاح الأمة. وجاء المؤذنون فسلموا عليه ونادوا بالصلاة فقام وصلى وعاد إلى مجلسه فطلب الرجل فلم يوجد. وروى ابن قتيبة أيضا فى الكتاب المذكور أن عمرو بن عبيد قال للمنصور إن الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها واذكر ليلة تتمخض لك صبيحتها عن يوم القيامة قال يعنى ليلة موته فوجم المنصور فقال الربيع حسبك فقد عممت أمير المؤمنين فقال عمرو بن عبيد إن هذا صبحك عشرين سنة لم ير عليه أن ينضحك يوما واحدا و لم يعمل وراء بابك بشيء مما فى كتاب الله و لا فى سنة نبيه قال أبو جعفر فما أصنع قد قلت لك خاتمي فى يدك فهل أنت وأصحابك فاكفنى فقال عمرو دعنا بعدلك نسخ بأنفسنا بعونك و ببابك مظالم كثيرة فارددها نعلم أنك صادق . [صفحہ ۱۴۸] و قال ابن قتيبة فى الكتاب المذكور و قد قام أعرابي بين يدي سليمان بن عبد الملك بنحو هذا قال له إنى مكلمك يا أمير المؤمنين بكلام فيه بعض الغلظة فاحتمله إن كرهته فإن وراءه ماتحب قال قل إنى سأطلق لسانى بما خرست عنه الألسن من عظمتك تأديئة لحق الله إنك قد تكفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم فابتاعوا دينهم بدينهم فهم

حرب الآخرة سلم الدنيا فلا تأمنهم على ما أئتمنك الله عليه فإنهم لم يألو الأمانة تضييعاً والأمة خسفاً و أنت مسئول عما اجترحوا وليسوا مسئولين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فإن أعظم الناس غبنا من باع آخرته بدنياه غيره قال فقال سليمان أما أنت يا أعرابي فإنك قد سللت علينا عاجلاً لسانك و هو أقطع سيفيك فقال أجل لقد سللته ولكن لك لا عليك [صفحة ١٤٩]

٣٢

فَاعِلُ الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنْهُ وَ فَاعِلُ الشَّرِّ شَرٌّ مِنْهُ قَدَنْظَمْتُ أَنَا هَذَا اللَّفْظَ وَالْمَعْنَى فَقُلْتُ فِي جَمَلَةٍ آيَاتٍ لِي خَيْرِ الْبَضَائِعِ لِلْإِنْسَانِ مَكْرَمَةٌ || تنمى وتزكو إذا بارت بضائعه فالخير خير وخير منه فاعله || والشر شر وشر منه صانعه . فإن قلت كيف يكون فاعل الخير خيراً من الخير وفاعل الشر شراً من الشر مع أن فاعل الخير إنما كان ممدوحاً لأجل الخير وفاعل الشر إنما كان مذموماً لأجل الشر فإذا كان الخير والشر هما سببا المدح والذم وهما الأصل في ذلك فكيف يكون فاعلهما خيراً وشراً منهما . قلت لأن الخير والشر ليسا عبارة عن ذات حية قادرة وإنما هما فعلا ن أو فعل وعدم فعل أو عدمان فلو قطع النظر عن الذات الحية القادرة التي يصدران عنها لما انتفع أحد بهما ولا استضرر فالنفع والضرر إنما حصلتا من الحي الموصوف بهما لانهما على انفرادهما فلذلك كان فاعل الخير خيراً من الخير وفاعل الشر شراً من الشر [صفحة ١٥٠]

٣٣

كُنْ سَيِّمًا وَ لَمَّا تَكُنْ مُيَذَّرًا وَ كُنْ مُقَدَّرًا وَ لَمَّا تَكُنْ مُقْتَرًا كُلُّ كَلَامٍ جَاءَ فِي هَذَا فَهُوَ مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِهِ سَبْحَانَهُ وَ لَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَ لَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا . ونحو قوله إِنَّ الْمُبْدَرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَ كَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا قرآن-٤٨-١٤٨-قرآن-١٦١-٢٤١ [صفحة ١٥١]

٣٤

أَشْرَفُ الْغِنَى تَرَكَ الْمُنَى قَدْ سَبَقَ مِنْهَا قَوْلٌ كَثِيرٌ فِي الْمُنَى وَ نَذَرَ هَاهُنَا مَا لَمْ نَذَكِرْهُ هُنَاكَ . سئل عبيد الله بن أبي بكر أي شيء أدوم متاعاً فقال المنى . و قال بلال بن أبي بردة ما يسرنى بنصيبى من المنى حمر النعم . و كان يقال الأمانى للنفس كالرونق للبصر . و من كلام بعض الحكماء الأمانى تعمى أعين البصائر والحظ يأتى من لا يأتىه وربما كان الطمع وعاء حشوه المتالف وسائفاً يدعو إلى الندامة وأشقى الناس بالسلطان صاحبه كما أن أقرب الأشياء إلى النار أسرعها إحراقاً ولا يدرك الغنى بالسلطان إلا بنفس خائفة وجسم تعب ودين منكتم و إن كان البحر كدر الماء فهو بعيد الهواء [صفحة ١٥٢]

٣٥

مَنْ أَسْرَعَ إِلَى النَّاسِ بِمَا يَكْرَهُونَ قَالُوا فِيهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرٌ وَاسِعٌ وَلِنَقْتَصِرَ هَاهُنَا فِيهِ عَلَى حِكَايَةِ ذِكْرِهَا الْمَبْرَدُ فِي الْكَامِلِ قَالَ لِمَفْتَحِ قَتِيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ سَمِرْقَنْدَ أَفْضَى إِلَى أَثَاثٍ لَمْ يَرِ مِثْلَهُ وَ إِلَى آلَاتٍ لَمْ يَرِ مِثْلَهَا فَأَرَادَ أَنْ يَرَى النَّاسَ عَظِيمَ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِ وَيَعْرِفُهُمْ أَقْدَارَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ فَأَمَرَ بِدَارِ فَرَشْتٍ وَ فِي صَحْنِهَا قَدُورٌ يَرْتَقَى إِلَيْهَا بِالسَّلَامِ فَإِذَا الْحَضِيْنَ بْنِ الْمَنْذَرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ وَعَلَةَ الرَّقَاشِيَّ قَدْ أَقْبَلَ وَ النَّاسَ جُلُوسَ عَلَى مِرَاتِبِهِمْ وَالْحَضِيْنَ شَيْخَ كَبِيرٍ فَلَمَّا رَأَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُسْلِمٍ قَالَ

لأخيه قتيبة ائذن لي في معاتبته قال لا تردده لأنه خبيث الجواب فأبى عبد الله إلا أن يأذن له و كان عبد الله يضعف و قد كان تسور حائطا إلى امرأة قبل ذلك فأقبل على الحضين فقال أ من الباب دخلت يا أباساسان [صفحة ١٥٣] قال أجل أسن عمك عن تسور الحيطان قال أرأيت هذه القدور قال هي أعظم من ألا ترى قال ما أحسب بكر بن وائل رأى مثلها قال أجل و لا غيلان و لو كان رآها سمى شعبان و لم يسم غيلان قال له عبد الله يا أباساسان أتعرف أ الذي يقول عزلنا وأمرنا وبكر بن وائل || تجر خصاها تبتغي من تحالفه . قال أجل أعرفه وأعرف أ الذي يقول بأدنى العزم قاد بنى قشير || و من كانت له أسرى كلاب و خبيته من يخيب على غنى || و باهله بن يعصر والركاب . يريد يا خبيته من يخيب قال أتعرف أ الذي يقول كأن فقاح الأزدي حول ابن مسمع || إذ اعرت أفواه بكر بن وائل . قال نعم أعرفه وأعرف أ الذي يقول قوم قتيبة أمهم وأبوهم || لو لاقتيه أصبحوا في مجهل . قال أما الشعر فأراك ترويه فهل تقرأ من القرآن شيئا قال أقرأ منه الأكثر الأطيب هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا فأغضبه فقال و الله لقد بلغني أن امرأة الحضين حملت إليه وهي حبلى من غيره -قرآن- ٨٤-١٥٣ [صفحة ١٥٤] قال فما تحرك الشيخ عن هيئته الأولى ثم قال على رسله و ما يكون تلد غلاما على فراشى فيقال فلان بن الحضين كما يقال عبد الله بن مسلم فأقبل قتيبة على عبد الله و قال لا يبعد الله غيرك . قلت هو الحضين بالضاد المعجمة و ليس فى العرب من اسمه الحضين بالضاد المعجمة غيره [صفحة ١٥٥]

٣٦

مَنْ أَطَالَ الْأَمِيلَ أَسِيَاءَ الْعَمَلِ قَدْ تَقَدَّمَ مَنَا كَلَامٌ فِي الْأَمَلِ . وَقِيلَ لِبَعْضِ الصَّالِحِينَ أَلَيْكَ حَاجَةٌ إِلَى بَغْدَادٍ قَالَ مَا أَحَبُّ أَنْ أَسْبِطَ أَمَلِي حَتَّى تَذْهَبَ إِلَى بَغْدَادٍ وَتَعُودَ . وَ قَالَ أَبُو عَثْمَانَ النَّهْدِيُّ قَدَأْتِ عَلَى ثَلَاثُونَ وَمِائَةً سَنَةً مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَأَجِدُ فِيهِ النِّقْصَ إِلَّا أَمَلِي فَإِنِّي وَجَدْتُهُ كَمَا هُوَ أَوْ يَزِيدُ [صفحة ١٥٦]

٣٧

وَ قَالَ ع وَ قَدْ لَقِيْتُهُ عِنْدَ مَسِيرِهِ إِلَى الشَّامِ دَهَاقِينَ الْأَنْبَارِ فَتَرَجَّلُوا لَهُ وَ اسْتَدَّوْا بَيْنَ يَدَيْهِ مَا هَذَا الَّذِي صَنَعْتُمُوهُ فَقَالُوا خُلِقْنَا مِنْ نُعْظَمٍ بِهِ أُمَّرَأَةٌ فَقَالَ وَ اللَّهُ مَا يَنْتَفِعُ بِهَذَا أُمَّرَأُوكُمْ وَ إِنِّكُمْ لَتَشْقَوْنَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ وَ تَشْقَوْنَ بِهِ فِي أُخْرَاكُمْ وَ مَا أَحْسَرَ الْمَشَقَّةَ وَرَاءَهَا الْعِقَابُ وَ أَرِيحَ الدَّعِيَّةَ مَعَهَا الْأَمَانُ مِنَ النَّارِ اسْتَدَّوْا بَيْنَ يَدَيْهِ أَسْرَعُوا شَيْئًا فَنَهَاهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَ قَالَ إِنِّكُمْ تَشْقَوْنَ بِهِ عَلَى أَنْفُسِكُمْ لِمَا فِيهِ مِنْ تَعَبِ الْأَبْدَانِ وَ تَشْقَوْنَ بِهِ فِي آخِرَتِكُمْ تَخْضَعُونَ لِلْوَلَاةِ كَمَا زَعَمْتُمْ أَنَّهُ خَلِقَ وَعَادَةٌ لَكُمْ خُضُوعًا تَطْلُبُونَ بِهِ الدُّنْيَا وَالْمَنَافِعَ الْعَاجِلَةَ فِيهَا وَ كُلَّ خُضُوعٍ وَ تَذَلُّلٍ لغيرِ اللَّهِ فَهُوَ مَعْصِيَةٌ . ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ الْخُسْرَانَ الْمُبِينِ مَشَقَّةً عَاجِلَةً يَتَّبِعُهَا عِقَابُ الْآخِرَةِ وَ الرَّبِحَ الْبَيْنِ دَعَا عَاجِلَةً يَتَّبِعُهَا الْأَمَانُ مِنَ النَّارِ [صفحة ١٥٧]

٣٨

قَالَ ع لِإِبْنِهِ الْحَسَنِ يَا بَنِيَّ احْفَظْ عَنِّي أَرْبَعًا وَ أَرْبَعًا لَمَّا يَضُرُّكَ مِمَّا عَمِلْتَ مَعَهُنَّ إِنَّ أَعْنَى الْعِنَى الْعَقْلُ وَ أَكْبَرُ الْفَقْرِ الْحُمُقُ وَ أَوْحَشُ الْوَحْشَةِ الْعُجْبُ وَ أَكْرَمُ الْحَسَبِ حُسْنُ الْخُلُقِ يَا بَنِيَّ إِيَّاكَ وَ مُصَادَقَتَهُ الْأَحْمَقُ فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرُّكَ وَ إِيَّاكَ وَ مُصَادَقَتَهُ الْبَخِيلُ فَإِنَّهُ يَقْعُدُ عَنكَ أَحْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ وَ إِيَّاكَ وَ مُصَادَقَتَهُ الْفَاجِرُ فَإِنَّهُ يَبِيعُكَ بِالثَّانِفِ وَ إِيَّاكَ وَ مُصَادَقَتَهُ الْكَذَّابُ فَإِنَّهُ كَالسِّرَابِ يُقْرَبُ عَلَيْكَ الْبَعِيدَ وَ يُبْعَدُ عَلَيْكَ الْقَرِيبَ هَذَا الْفَصْلُ يَتَضَمَّنُ ذَكَرَ الْعَقْلَ وَالْحَمَقَ وَالْعُجْبَ وَحَسْنَ الْخُلُقِ وَالْبَخْلَ

والفجور والكذب وقد تقدم كلامنا في هذه الخصال أجمع وقد أخذت قوله ع إياك ومصادقه الأحمق فإنه يريد أن ينفحك فيضرك فقلت في آيات لى حياتك لاتصحبن الجهول || فلاخير فى صحبه الأخرق يظن أخو الجهل أن الضلال || عين الرشد فلايتقى ويكسب صاحبه حمقه || فيسرق منه ولايسرق وأقسم أن العدو اللبيب || خير من المشفق الأحمق [صفحه ١٥٨]

٣٩

لَمَّا قُرِيَتْ بِالنَّوَائِلِ إِذَا أَضْرَّتْ بِمُفْرَائِضِ هَذَا الْكَلَامِ يُمْكِنُ أَنْ يَحْمَلَ عَلَى حَقِيقَتِهِ وَيُمْكِنُ أَنْ يَحْمَلَ عَلَى مَجَازِهِ فَإِنْ حَمَلَ عَلَى حَقِيقَتِهِ فَقَدْ ذَهَبَ إِلَى هَذَا الْمَذْهَبِ كَثِيرٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَهُوَ مَذْهَبُ الْإِمَامِيَّةِ وَهُوَ أَنَّهُ لَا يَصِحُّ التَّنْفُلُ مِمَّنْ عَلَيْهِ قَضَاءُ فَرِيضَةٍ فَاتَتْهُ لَا فِي الصَّلَاةِ وَلَا فِي غَيْرِهَا فَأَمَّا الْحُجَّ فَمُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهُ لَا يَصِحُّ الْإِبْتِدَاءُ بِنَفْلِهِ وَإِذَا نَوَى نِيَّةَ النَّفْلِ وَ لَمْ يَكُنْ قَدْ حَجَّ حُجَّةَ الْإِسْلَامِ وَقَعَ حُجَّهُ فَرَضًا فَأَمَّا نَوَافِلُ الزَّكَاةِ فَمَا عَرَفْتُ أَحَدًا قَالَ إِنَّهُ لَا يَثَابُ الْمُتَصَدِّقُ بِهَا وَإِنْ كَانَ لَمْ يُوَدِّ الزَّكَاةَ الْوَاجِبَةَ وَأَمَّا إِذَا حَمَلَ عَلَى مَجَازِهِ فَإِنْ مَعْنَاهُ يَجِبُ الْإِبْتِدَاءُ بِالْأَهْمِّ وَتَقْدِيمُهُ عَلَى مَا لَيْسَ بِأَهْمٍ فَتَدْخُلُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الْآدَابِ السُّلْطَانِيَّةِ وَالْإِخْوَانِيَّةِ نَحْوُ أَنْ تَقُولَ لِمَنْ تَقُوبُ لِمَنْ تَوْصِيهِ لَا تَبْدَأُ بِخِدْمَةِ حَاجِبِ الْمَلِكِ قَبْلَ أَنْ تَبْدَأَ بِخِدْمَةِ وَلَدِ الْمَلِكِ فَإِنَّكَ إِنَّمَا تَرُومُ الْقُرْبَةَ لِلْمَلِكِ بِالْخِدْمَةِ وَالْقُرْبَةَ إِلَيْهِ فِي تَأْخِيرِ خِدْمَتِهِ وَلَدَهُ وَتَقْدِيمِ خِدْمَتِهِ غَلَامَهُ وَحَمَلَ الْكَلِمَةَ عَلَى حَقِيقَتِهَا أَوْلَى لِأَنَّ اهْتِمَامَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع بِالْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ فِي وَصَايَاهُ وَمَنْثُورِ كَلَامِهِ أَعْظَمُ [صفحه ١٥٩]

٤٠

إشارة

لَسِيَ أَنَّ الْعَاقِلَ وَرَاءَ قَلْبِهِ وَ قَلْبُ الْأَحْمَقِ وَرَاءَ لِسَانِهِ قَالَ الرضى رحمه الله تعالى و هذا من المعانى العجيبه الشريفه والمراد به أن العاقل لا يطلق لسانه إلا بعد مشاوره الرويه ومؤامره الفكره والأحمق تسبق حذفات لسانه وفتلات كلامه مراجعة فكره ومماخضه رأيه فكان لسان العاقل تابع لقلبه و كان قلب الأحمق تابع للسانه قال و قدروى عنه ع هذا المعنى بلفظ آخر و هو قوله قلب الأحمق فى فيه ولسان العاقل فى قلبه ومعناهما واحد -روايت- ١-٣٨٩ قد تقدم القول فى العقل والحمق ونذكر هاهنا زيادات أخرى

أقوال وحكايات حول الحمقى

قالوا كل شىء يعز إذا قل والعقل كلما كان أكثر كان أعز وأغلى . و كان عبد الملك يقول أنا للعاقل المدبر أرجى منى للأحمق المقبل . قيل لبعضهم ماجماع العقل فقال مارأيت مجتمعا فى أحد فأصفه و ما لا يوجد كاملا فلاحد له . [صفحه ١٦٠] و قال الزهرى إذا أنكرت عقلك فإقده بعقل . وقيل عظمت المثونه فى عاقل متجاهل وجاهل متعاقل . وقيل الأحمق يتحفظ من كل شىء إلا من نفسه . وقيل لبعضهم العقل أفضل أم الجد فقال العقل من الجد . وخطب رجلان إلى ديماءوس الحكيم ابنته و كان أحدهما فقيرا والآخر غنيا فزوجها من الفقير فسأله الإسكندر عن ذلك فقال لأن الغنى كان أحمق فكنت أخاف عليه الفقر والفقير كان عاقلا فرجوت له الغنى . و قال أرسطو العاقل يوافق العاقل والأحمق لا يوافق العاقل و لأحمق كالعود المستقيم الذى

ينطبق على المستقيم فأما المعوج فإنه لا ينطبق على المعوج ولا على المستقيم . وقال بعضهم لأن أزاول أحقق أحب إلى من أن أزاول نصف أحقق أعنى الجاهل المتعقل . واعلم أن أخبار الحمقى ونواديرهم كثيرة إلا أنا نذكر منها هاهنا ما يليق بكتابتنا فإنه كتاب نزهناه عن الخلاعة والفحش إجلالا لمنصب أمير المؤمنين . قال هشام بن عبد الملك يوما لأصحابه إن حمق الرجل يعرف بخصال أربع طول لحيته وبشاعة كنيته ونقش خاتمه وإفراط نهمته فدخّل عليه شيخ طويل العنثون فقال هشام أما هذا فقد جاء بواحدة فانظروا أين هو من الباقي قالوا له ما كنيته الشيخ قال أبو الياقوت فسألوه عن نقش خاتمه فإذا هو [صفحہ ۱۶۱] وَجَاؤُ عَلٰی قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبِ قِيلَ لَهُ أَى الطعم تشهى قال الدباء بالزيت فقال هشام إن صاحبكم قد كمل . وسمع عمر بن عبدالعزيز رجلا ينادى آخر يا أبا العمرين فقال لو كان له عقل لكفاه أحدهما وأرسل ابن لعجل بن لجيم فرسا له فى حلبه فجاء سابقا فقيل له سمه باسم يعرف به فقام ففقا عينه وقال قد سميت الأعرور فقال شاعر يهجو قرآن- ۱- ۳۶ رمتى بنو عجل بداء أيهم || و أى عباد الله أنوك من عجل أ ليس أبوه عار عين جواده || فأضحت به الأمثال تضرب بالجهل . وقال أبو كعب القاص فى قصصه إن النبى ص قال فى كبد حمزة ما علمتم فادعوا الله أن يطعمنا من كبد حمزة . وقال مرة فى قصصه اسم الذئب الذى أكل يوسف كذا وكذا فقيل له إن يوسف لم يأكله الذئب فقال فهذا اسم الذئب الذى لم يأكل يوسف . ودخل كعب البقر الهاشمى على محمد بن عبد الله بن طاهر يعزبه فى أخيه فقال له أعظم الله مصيبة الأمير فقال الأمير أمافيك فقد فعل والله لقد هممت أن أحلق لحيتك فقال إنما هى لحيه الله ولحيه الأمير فليفعل ما أحب . وكان عامر بن كريز أبو عبد الله بن عامر من حمقى قريش نظر إلى عبد الله وهو يخطب والناس يستحسنون كلامه فقال لإنسان إلى جانبه أنا أخرجته من هذا وأشار إلى متاعه . [صفحہ ۱۶۲] و من حمقى قريش العاص بن هشام المخزومى وكان أبولهب قامره فقمره ماله ثم داره ثم قليله وكثيره وأهله ونفسه فاتخذة عبدا وأسلمه قينا فلما كان يوم بدر بعث به بديلا عن نفسه فقتل بيدر قتله عمر بن الخطاب وكان ابن عم أمه . و من الحمقى الأحوص بن جعفر بن عمرو بن حريث قال له يوما مجالسوه مابال وجهك أصفر أتشكى شيئا فرجع إلى أهله وقال يابنى الخيبة أنا شاك ولا تعلموننى اطرحوا على الثياب وابعثوا إلى الطبيب . و من حمقى بنى عجل حسان بن الغضبان من أهل الكوفة ورث نصف دار أبيه فقال أريد أن أبيع حصتى من الدار وأشتري بالثمن النصف الباقي فتصير الدار كلها لى . و من حمقى قريش بكار بن عبد الملك بن مروان وكان أبوه ينهأه أن يجالس خالد بن يزيد بن معاوية لما يعرف من حمقه فجلس يوما إلى خالد فقال خالد يعث به هذا والله المردد فى بنى عبد مناف فقال بكار أجل أنا والله كما قال الأول مردد فى بنى اللخاء ترديدا . وطار لبكار هذا بازى فقال لصاحب الشرطة أغلق أبواب دمشق لئلا يخرج البازى . و من حمقى قريش معاوية بن مروان بن الحكم بينا هو واقف بباب دمشق ينتظر أخاه عبد الملك على باب طحان وحمار الطحان يدور بالرحى وفى عنقه جلجل فقال للطحان لم جعلت فى عنق هذا الحمار جلجلا فقال ربما أدركتنى نعسة أو سامة فإذا لم أسمع صوت الجلجل علمت أنه قد نام فصحت به فقال أرايته إن قام وحرك رأسه ما علمك به أنه قائم فقال و من لحمارى بمثل عقل الأمير . [صفحہ ۱۶۳] و قال معاوية لحميه و قد دخل بابتته تلك الليلة فافتضها لقد ملأنا ابنتك البارحة دما فقال إنها من نسوة يخبان ذلك لأزواجهن . و من حمقى قريش سليمان بن يزيد بن عبد الملك قال يوما لعن الله الوليد أخى فلقد كان فاجرا أرادنى على الفاحشة فقال له قائل من أهله اسكت ويحك فو الله إن كان هم لقد فعل . وخطب سعيد بن العاص عائشة ابنة عثمان فقالت هو أحقق لا أتزوجه أبدا له بردوان لونهما واحد عند الناس ويحمل مؤنة اثنين . وممن كان يحقق من قريش عتبة بن أبى سفيان بن حرب و عبد الله بن معاوية بن أبى سفيان و عبد الله بن قيس بن مخزوم و سهل بن عمرو أخو سهيل بن عمرو بن العاص و كان عبد الملك بن مروان يقول أحقق بيت فى قريش آل قيس بن مخزوم . و من القبائل المشهورة بالحمق الأزدي كتب مسلمة بن عبد الملك إلى يزيد بن المهلب لما خرج عليهم أنكك لست بصاحب هذا الأمر إن صاحبه مغمور موتور و أنت مشهور غير موتور

فقام إليه رجل من الأزدي فقال قدم ابنك مخلدا حتى يقتل فتصير موتورا. وقام رجل من الأزدي إلى عبيد الله بن زياد فقال أصلح الله الأمير إن امرأتى هلكت و قد أردت أن أتزوج أمها و هذا عريفى فأعنى فى الصداق فقال فى كم أنت من العطاء فقال فى سبعمائة فقال حطوا من عطائه أربعمائة يكفيك ثلاثمائة. ومدح رجل منهم المهلب فقال نعم أمير الرفقة المهلب || أبيض وضاح كتيب الحلب . [صفحہ ۱۶۴] فقال المهلب حسبك یرحمك الله . و كان عبد الملك بن هلال عنده زنبيل مملوء حصا للتسيح فكان يسبح بواحدة واحدة فإذا مل طرح اثنتين اثنتين ثم ثلاثا ثلاثا فإذا ازداد ملاءة قبض قبضه و قال سبحان الله عددك فإذا سجر أخذ بعرا الزنبيل وقلبه و قال سبحان الله بعدد هذا. ودخل قوم منزل الخريمى لبعض الأمر فجاء وقت صلاة الظهر فسألوه عن القبلة فقال إنما تركتها منذ شهر. وحكى بعضهم قال رأيت أعرابيا يبكى فسألته عن سبب بكائه فقال بلغنى أن جالوت قتل مظلوما. وصف بعضهم أحرق فقال يسمع غير ما يقال ويحفظ غير ما يسمع ويكتب غير ما يحفظ ويحدث غير ما يكتب . قال المأمون لثمامة ماجهد البلاء يا أبا معن قال عالم يجرى عليه حكم جاهل قال من أين قلت هذا قال حسبنى الرشيد عندما سرور الكبير فضيق على أنفاسى فسمعتة يوما يقرأ ويل يومئذ للمكذبين فتح الذال فقلت له لا تقل أيها الأمير هكذا قل للمكذبين وكسرت له الذال لأن المكذبين هم الأنبياء فقال قد كان يقال لى عنك أنك قدرى فلانجوت إن نجوت الليلة منى فعانت منه تلك الليلة الموت من شدة ما عذبنى. قال أعرابى لابنه يابنى كن سبعا خالصا أو ذئبا حائسا أو كلبا حارسا ولا تكن أحرق ناقصا. - قرآن- ۷۳۵-۷۶۴-قرآن- ۸۱۵-۸۲۸ [صفحہ ۱۶۵] و كان يقال لو لا ظلمة الخطأ ما أشرق نور الصواب . و قال أبو سعيد السيرافى رأيت متكلميا ببغداد بلغ به نقصه فى العربية أنه قال فى مجلس مشهور إن العبد مضطر بفتح الطاء و الله مضطر بكسرهما وزعم أن من قال الله مضطر عبد إلى كذا بالفتح كافر فانظر أين بلغ به جهله و إلى أى رذيلة أداه نقصه . وصف بعضهم إنسانا أحرق فقال و الله للحكمة أزل عن قلبه من المداد عن الأديم الدهين . مر عمر بن الخطاب على رماة غرض فسمع بعضهم يقول أخطيت وأسبت فقال له مه فإن سوء اللحن شر من سوء الرماية. تضرع عمر بن عبدالعزيز من كلام رجل بين يديه فقال له صاحب شرطته قم فقد أوديت أمير المؤمنين فقال عمر و الله إنك لأشد أذى لى بكلامك هذا منه . و من حمقى العرب وجهلائهم كلاب بن صعصعة خرج إخوته يشترون خيلا فخرج معهم فجاء بعجل يقوده فقيل له ما هذا فقال فرس اشتريته قالوا يامائق هذه بقرة أ ماترى قرنيها فرجع إلى منزله فقطع قرنيها ثم قادها فقال لهم قد أعدتها فرسا كما تريدون فأولاده يدعون بنى فارس البقرة. و كان شذرة بن الزبير كان بن بدر من الحمقى جاء يوم الجمعة إلى المسجد الجامع فأخذ بعضادتى الباب ثم رفع صوته سلام عليكم أليج شذرة فقيل له هذا يوم لا يستأذن فيه فقال أ ويلج مثلى على قوم و لم يعرف له مكانه . [صفحہ ۱۶۶] واستعمل معاوية عاملا من كلب فخطب يوما فذكر المجوس فقال لعنهم الله ينكحون أمهاتهم و الله لو أعطيت عشرة آلاف درهم مانكحت أمة فبلغ ذلك معاوية فقال قبحه الله أترونيه لوزادوه فعل وعزله . و شرذ بعير لهبقة واسمه يزيد بن شروان فجعل ينادى لمن أتى به بعيران فقيل له كيف تبذل ويلك بعيرين فى بعير فقال لحلاوة الوجدان . وسرق من أعرابى حمار فقيل له أسرق حمارك قال نعم و أحمد الله فقيل له على ماذا تحمده قال كيف لم أكن عليه . و خطب وكيع بن أبى سود بخراسان فقال إن الله خلق السماوات و الأرض فى ستة أشهر فقيل له إنها ستة أيام فقال و الله لقد قتلها و أنا أستقلها. وأجريت خيل فطلع فيها فرس سابق فجعل رجل من النظارة يكبر ويثب من الفرح فقال له رجل إلى جانبه يافتى أ هذا الفرس السابق لك قال لا ولكن للجام لى . وقيل لأبى السفاح الأعرابى عندما موته أوص فقال إنا الكرام يوم طخفة قالوا قل خيرا يا أبا السفاح قال إن أحببت امرأتى فأعطوها بعيرا قالوا قل خيرا قال إذامات غلامى فهو حر. وقيل لرجل عندما موته قل لا إله إلا الله فأعرض فأعادوا عليه مرارا فقال لهم أخبرونى عن أبى طالب قالها عندما موته قالوا و ما أنت و أبوطالب فقال أرغب بنفسى عن ذلك الشريف . [صفحہ ۱۶۷] وقيل لآخر عندما موته ألا توصى فقال أنا مغفور لى قالوا قل إن شاء الله قال قد شاء الله ذلك قالوا يا هذا لا تدع الوصية فقال لابنى أخيه يا بنى حرب ارفعا وسادى

واحتفظا بالحلّة الجياد فإنما حولكما الأعدى. وقيل لمعلم بن معلم ما لك أحمق فقال لو لم أكن أحمق لكنت ولد زنا [صفحة

[١٦٨

٤١

وَ قَالَ ع لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ فِي عَلَيْهِ اعْتَلَّهَا جَعَلَ اللَّهُ مَا كَانَ مِنْكَ مِنْ شَكْوَاكَ حَطًّا لِسَيِّئَاتِكَ فَإِنَّ الْمَرَضَ لَا أَجْرَ فِيهِ وَ لَكِنَّهُ يُحِطُّ
السَّيِّئَاتِ وَ يَحْتَهَا حَتَّ الْأُورَاقِ وَ إِنَّمَا الْأَجْرُ فِي الْقَوْلِ بِاللِّسَانِ وَ الْعَمَلِ بِالْأَيْدِي وَ الْأَقْدَامِ وَ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يُدْخِلُ بِصَدَقِ النَّبِيِّ وَ
السَّيْرِيرَةِ الصَّالِحِيَّةِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِيَادِهِ الْجَنَّةَ قَالَ الرضی رحمه الله تعالى و أقول صدق ع إن المرض لا أجر فيه لأنه من قبيل
ما يستحق عليه العوض لأن العوض يستحق على ما كان في مقابلة فعل الله تعالى بالعبد من الآلام والأمراض و ما يجرى مجرى
ذلك والأجر والثواب يستحقان على ما كان في مقابل فعل العبد فيبينهما فرق قد بينه ع كما يقتضيه علمه الثاقب ورأيه الصائب -
روایت ١-٣٣٤ ينبغي أن يحمل كلام أمير المؤمنين ع في هذا الفصل على تأويل يطابق ما تدل عليه العقول والألا- يحمل على
ظاهره و ذلك لأن المرض إذا استحق عليه الإنسان [صفحة ١٦٩] العوض لم يجز أن يقال إن العوض يحط السيئات بنفسه لا على
قول أصحابنا و لا على قول الإمامية أما الإمامية فإنهم مرجئو لا يذهبون إلى التحابط و أما أصحابنا فإنهم لا تحابط عندهم إلا في
الثواب والعقاب فأما العقاب والعوض فلا تحابط بينهما لأن التحابط بين الثواب والعقاب إنما كان باعتبار التنافي بينهما من حيث
كان أحدهما يتضمن الإجلال والإعظام والآخر يتضمن الاستخفاف والإهانة ومحال أن يكون الإنسان الواحد مهانا معظما في
حال واحدة و لما كان العوض لا يتضمن إجلالا وإعظاما وإنما هو نفع خالص فقط لم يكن منافيا للعقاب و جاز أن يجتمع للإنسان
الواحد في الوقت الواحد كونه مستحقا للعقاب والعوض إما بأن يوفر العوض عليه في دار الدنيا وإما بأن يوصل إليه في الآخرة
قبل عقابه إن لم يمنع الإجماع من ذلك في حق الكافر وإما أن يخفف عليه بعض عقابه ويجعل ذلك بدلا من العوض الذي
كان سبيله أن يوصل إليه و إذ ثبت ذلك وجب أن يجعل كلام أمير المؤمنين ع على تأويل صحيح و هو الذي أراده ع لأنه كان
أعرف الناس بهذه المعاني و منه تعلم المتكلمون علم الكلام و هو أن المرض والألم يحط الله تعالى عن الإنسان المبتلى به
ما يستحقه من العقاب على معاصيه السالفة تفضلا منه سبحانه فلما كان إسقاط العقاب متعقبا للمرض و واقعا بعده بلا فصل جاز
أن يطلق اللفظ بأن المرض يحط السيئات ويحتمل حث الورق كما جاز أن يطلق اللفظ بأن الجماع يحبل المرأة وبأن سقى البذر
الماء ينبت إن كان الولد والزرع عند المتكلمين وقعا من الله تعالى على سبيل الاختيار لا على الإيجاب ولكنه أجرى العادة و أن
يفعل ذلك عقيب الجماع وعقيب سقى البذر الماء. فإن قلت أيجوز أن يقال إن الله تعالى يمرض الإنسان المستحق للعقاب و أن
يكون إنما أمرضه ليسقط عنه العقاب لا غير. [صفحة ١٧٠] قلت لأنه قادر على أن يسقط عنه العقاب ابتداء و لا يجوز إنزال
الألم إلا حيث لا يمكن اقتناص العوض المجزى به إليه إلا بطريق الألم و إلا كان فعل الألم عبثا لا ترى أنه لا يجوز أن يستحق زيد
على عمرو ألف درهم فيضربه و يقول إنما أضربه لأجعل ما يناله من ألم الضرب مسقطا لما استحقه من الدراهم عليه وتذمه
العقلاء ويسفهونه ويقولون له فهلا- وهبتها له وأسقطتها عنه من غير حاجة إلى أن تضربه وتؤلمه والبحث المستقصى في هذه
المسائل المذكور في كتب الكلامية فليرجع إليها وأيضا فإن الآلام قد تنزل بالأنبياء وليسوا ذوى ذنوب ومعاص ليقال إنها تحطها
عنهم. فأما قوله ع وإنما الأجر في القول إلى آخر الفصل فإنه ع قسم أسباب الثواب أقساما فقال لما كان المرض لا يقتضى الثواب
لأنه ليس فعل المكلف وإنما يستحق المكلف الثواب على ما كان من فعله وجب أن يبين ما الذي يستحق به المكلف الثواب و
الذي يستحق المكلف به ذلك أن يفعل فعلا- إما من أفعال الجوارح وإما من أفعال القلوب فأفعال الجوارح إما قول باللسان

أو عمل ببعض الجوارح وعبر عن سائر الجوارح عدا اللسان بالأيدى والأقدام لأن أكثر ما يفعل بها وإن كان قديفعل بغيرها نحو
مجامعة الرجل زوجته إذا قصد به تحصينها وتحصينه عن الزناء ونحو أن ينحى حجرا ثقيلاً برأسه عن صدر إنسان قديقتله وغير
ذلك و أما أفعال القلوب فهي العزوم والإرادات والنظر والعلوم والظنون والندم فعبر عن جميع ذلك بقوله بصدق النية
والسريرة الصالحة واكتفى بذلك عن تعديد هذه الأجناس . فإن قلت فإن الإنسان قديستحق الثواب على ألا يفعل القبيح و
هذا يخرم الحصر الذي حصره أمير المؤمنين قلت يجوز أن يكون يذهب مذهب أبي علي في أن القادر بقدره لا يخلو عن الأخذ
والترك [صفحة ١٧١]

٤٢

إشارة

وَ قَالَ ع فِي ذِكْرِ خَبَابٍ رَحِمَ اللَّهُ خَبَابَ بِنِ الْأَرْتِ فَلَقَدَ أَسْلَمَ رَاغِبًا وَ هَاجَرَ طَائِعًا وَ عَاشَ مُجَاهِدًا طُوبَى لِمَنْ ذَكَرَ الْمَعَادَ وَ عَمِلَ
لِلْحِسَابِ وَ قَنَعَ بِالْكَفَافِ وَ رَضِيَ عَنِ اللَّهِ

خباب بن الأرت

هو خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمه بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم يكنى أبا عبد الله وقيل أبا محمد وقيل
أبا يحيى أصابه سبى فبيع بمكة . وكانت أمه ختانه و خباب من فقراء المسلمين وخيارهم و كان به مرض و كان في الجاهلية قينا
حدادا يعمل السيوف و هو قديم الإسلام قيل إنه كان سادس ستة و شهد بدرًا و مابعدا من المشاهد و هو معدود في المعذبين في
الله سأله عمر بن الخطاب [صفحة ١٧٢] أيام خلافته ما لقيت من أهل مكة فقال انظر إلى ظهري فنظر فقال ما رأيت كاليوم ظهر
رجل فقال خباب أوقدوا لي نارا وسحبت عليها فما أطفأها إلا ودك ظهري . وجاء خباب إلى عمر فجعل يقول ادنه ادنه ثم قال له
ما أحد أحق بهذا المجلس منك إلا أن يكون عمار بن ياسر نزل خباب إلى الكوفة ومات بها في سنة سبع وثلاثين وقيل سنة تسع
وثلاثين بعد أن شهد مع أمير المؤمنين علي ع صفين ونهروان وصلى عليه علي ع وكانت سنة يوم مات ثلاثا وسبعين سنة ودفن
بظهر الكوفة . و هو أول من دفن بظهر الكوفة و عبد الله بن خباب هو الذي قتلته الخوارج فاحتج علي ع به وطلبهم بدمه و قد تقدم
ذكر ذلك [صفحة ١٧٣]

٤٣

وَ قَالَ ع لَوْ صَرَبْتُ خَيْشُومَ الْمُؤْمِنِ بِسَيْفِي هَذَا عَلَيَّ أَنْ يُبْغِضَنِي مَا أُبْغِضَنِي وَ لَوْ صَبَيْتُ الدُّنْيَا بِجَمَاتِهَا عَلَيَّ الْمُنَافِقِ عَلَيَّ أَنْ يُحِبَّنِي
مَا أَحْبَبَّنِي وَ ذَلِكَ أَنَّهُ قَضَى فَنَقَضَى عَلَيَّ لِسَانَ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ص أَنَّهُ قَالَ يَا عَلِيُّ لَا يُبْغِضُكَ مُؤْمِنٌ وَ لَا يُحِبُّكَ مُنَافِقٌ جَمَاتُهَا بِالْفَتْحِ
جمع جمه و هي المكان يجتمع فيه الماء و هذه استعارة والخيشوم أقصى الأنف . ومراده ع من هذا الفصل إذكار الناس ما قاله فيه
رسول الله ص و هو لا يبغضك مؤمن و لا يحبك منافق و هي كلمة حق و ذلك لأن الإيمان وبغضه ع لا يجتمعان لأن بغضه كبيرة
وصاحب الكبيرة عندنا لا يسمى مؤمنا و أما المنافق فهو الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر والكافر بعقيدته لا يجب عليا ع لأن

المراد من الخبر المحبة الدينية و من لا يعتقد الإسلام لا يجب أحدا من أهل الإسلام لإسلامه وجهاده في الدين فقد بان أن الكلمة حق و هذا الخبر مروى في الصحاح بغير هذا اللفظ لا يحبك إلا مؤمن و لا يبغضك إلا منافق -روایت- ١-٤٠ و قدسرناه فيما سبق [صفحہ ١٧٤]

٤٤

سَيِّئَةٌ تَسُوءُكَ خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ حَسَنَةٍ تُعْجِبُكَ هَذَا حَقٌّ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا وَقَعَ مِنْهُ الْقَبِيحُ ثُمَّ سَاءَ ذَلِكَ وَنَدِمَ عَلَيْهِ وَتَابَ حَقِيقَةَ التَّوْبَةِ كَفَرَتْ تَوْبَتَهُ مَعْصِيَتُهُ فَسَقَطَ مَا كَانَ يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الْعِقَابِ وَحَصَلَ لَهُ ثَوَابُ التَّوْبَةِ وَ أَمَا مِنْ فِعْلٍ وَاجِبٍ وَاسْتَحَقَّ بِهِ ثَوَابًا ثُمَّ خَامَرَهُ الْإِعْجَابُ بِنَفْسِهِ وَالْإِدْلَالَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِعِلْمِهِ وَالتَّيِّهِ عَلَى النَّاسِ بِعِبَادَتِهِ وَاجْتِهَادِهِ فَإِنَّهُ يَكُونُ قَدْ أَحْبَطَ ثَوَابَ عِبَادَتِهِ بِمَا شَفَعَهَا مِنَ الْقَبِيحِ الَّذِي أَتَاهُ وَهُوَ الْعَجَبُ وَالتَّيِّهِ وَالْإِدْلَالَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فَيَعُودُ لِامْتِنَانًا وَ لِامْعَاقِبًا لِأَنَّهُ يَتَكَافَأُ الْاسْتِحْقَاقَانِ . وَ لَا يَرِيبُ أَنَّ مِنْ حَصَلَ لَهُ ثَوَابُ التَّوْبَةِ وَسَقَطَ عَنْهُ عِقَابُ الْمَعْصِيَةِ خَيْرٌ مِمَّنْ خَرَجَ مِنَ الْأُمُورِ كِفَافًا لَا عَلَيْهِ وَ لَا لَهُ [صفحہ ١٧٥]

٤٥

قَدْرُ الرَّجُلِ عَلَى قَدْرِ هِمَّتِهِ وَ صِدْقُهُ عَلَى قَدْرِ مُرُوءَتِهِ وَ شَجَاعَتُهُ عَلَى قَدْرِ أَنْفَتِهِ وَ عِفَّتُهُ عَلَى قَدْرِ غَيْرَتِهِ قَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِي كُلِّ هَذِهِ الشَّيْءِ وَالْخِصَالِ ثُمَّ نَقُولُ هَاهُنَا إِنَّ كِبَرَ الْهِمَّةِ خَلَقَ مَخْتَصًا بِالْإِنْسَانِ فَقَطْ وَ أَمَا سَائِرَ الْحَيَوَانَاتِ فَلَيْسَ يَوْجَدُ فِيهَا ذَلِكَ وَإِنَّمَا يَتَجَرَّأُ كُلُّ نَوْعٍ مِنْهَا الْفِعْلَ بِقَدْرِ مَا فِي طَبْعِهِ وَ عَلُوَ الْهِمَّةِ حَالٌ مَتَوَسِّطَةٌ مَحْمُودَةٌ بَيْنَ حَالَتَيْنِ طَرَفِيَّيْنِ رَذِيلَتَيْنِ وَهُمَا النَّدْحُ وَ تَسْمِيَةُ الْحُكَمَاءِ التَّفْتِيحُ وَ صَغَرُ الْهِمَّةِ وَ تَسْمِيَةُ النَّاسِ الدَّنَاءَةَ فَالتَّفْتِيحُ تَأْهَلُ الْإِنْسَانُ لِمَا لَا يَسْتَحِقُّهُ وَ صَغَرُ الْهِمَّةِ تَرْكُهُ لِمَا يَسْتَحِقُّهُ لِضَعْفِ فِي نَفْسِهِ فَهَذَا مَذْمُومٌ وَالْعَدَالَةُ وَ هِيَ الْوَسْطُ بَيْنَهُمَا مَحْمُودَةٌ وَ هِيَ عَلُوُ الْهِمَّةِ وَ يَنْبَغِي أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الْمُتَّفَتِحَ جَاهِلٌ أَحْمَقُ وَ صَغِيرُ الْهِمَّةِ لَيْسَ بِجَاهِلٍ وَ لَا أَحْمَقَ وَلَكِنَّهُ دُنِيَءٌ ضَعِيفٌ قَاصِرٌ وَ إِذَا أُرِدَّتِ التَّحْقِيقُ فَالْكَبِيرُ الْهِمَّةِ مِنْ لَا يَرْضَى بِالْهَمِّ الْحَيَوَانِيَّةِ وَ لَا يَقْنَعُ لِنَفْسِهِ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ رِعَايَةِ بَطْنِهِ وَ فَرْجِهِ بَلْ يَجْتَهِدُ فِي مَعْرِفَةِ صَانِعِ الْعَالَمِ وَمَصْنُوعَاتِهِ وَ فِي اكْتِسَابِ الْمَكَارِمِ الشَّرْعِيَّةِ لِيَكُونَ مِنْ خُلَفَاءِ اللَّهِ وَأَوْلِيَائِهِ فِي الدُّنْيَا وَمَجَاوِرِيهِ فِي الْآخِرَةِ وَلِذَلِكَ قِيلَ مِنْ عَظَمَتِ هِمَّتِهِ لَمْ يَرْضَ بِقَنِيَّةٍ مُسْتَرْدَّةٍ وَ حَيَاةٍ مُسْتَعَارَةً فَإِنْ أَمَكَّنَكَ [صفحہ ١٧٦] أَنْ تَقْتَنِي قَنِيَّةً مُؤَبَّدَةً وَ حَيَاةً مَخْلُودَةً فَافْعَلْ غَيْرَ مَكْتَرٍ بِقَلْبِكَ مِنْ يَصْحَبُكَ وَ يَعِينُكَ عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّهُ كَمَا قِيلَ إِذَا عَظُمَ الْمَطْلُوبُ قَلَّ الْمُسَاعَدُ . وَ كَمَا قِيلَ طَرِقَ الْعِلَاءُ قَلِيلَةُ الْإِنْسَانِ . وَ أَمَا الْكَلَامُ فِي الصِّدْقِ وَالْمُرُوءَةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْأَنْفَةِ وَالْعِفَّةِ وَالْغَيْرَةِ فَقَدْ تَقَدَّمَ كَثِيرٌ مِنْهُ وَسَيَأْتِي مَا هُوَ أَكْثَرُ فِيمَا بَعْدَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى [صفحہ ١٧٧]

٤٦

الظَّفَرُ بِالْحَزْمِ وَ الْحَزْمُ بِإِجَالَةِ الرَّأْيِ وَ الرَّأْيُ بِتَحَصُّبِ الْأَسْرَارِ قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي كِتْمَانِ السَّرِّ وَإِذَاعَتِهِ . وَ قَالَ الْحُكَمَاءُ السَّرُّ ضَرْبَانِ أَحَدُهُمَا مَا يَلْقَى إِلَى الْإِنْسَانِ مِنْ حَدِيثٍ لَيْسَتْ كِتْمَانٌ وَ ذَلِكَ إِمَّا لِفِظًا كَقَوْلِ الْقَائِلِ أَكْتُمُ مَا أَقُولُ لَكَ وَإِمَّا حَالًا وَ هُوَ أَنْ يَجْهَرَ بِالْقَوْلِ حَالَ انْفِرَادِ صَاحِبِهِ أَوْ يَخْفِضُ صَوْتَهُ حَيْثُ يَخَاطَبُهُ أَوْ يَخْفِيهِ عَنْ مَجَالِسِيهِ وَ لِهَذَا قِيلَ إِذَا حَدَّثَكَ إِنْسَانٌ وَالتَّفَتُّ إِلَيْهِ فَهُوَ أَمَانَةٌ . وَ الضَّرْبُ الثَّانِي نَوْعَانِ أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ حَدِيثًا فِي نَفْسِكَ تَسْتَقْبِحُ إِشَاعَتَهُ وَالثَّانِي أَنْ يَكُونَ أَمْرًا تَرِيدُ أَنْ تَفْعَلَهُ . وَ إِلَى الْأَوَّلِ أَشَارَ النَّبِيُّ ص بِقَوْلِهِ مَنْ أَتَى مِنْكُمْ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْقَاذُورَاتِ فَلْيَسْتَرِ بِسِتْرِ اللَّهِ عِزِّهِ وَ جَلِّهِ -روایت- ١-٢-روایت- ٢٣-٩٠ وَ إِلَى الثَّانِي أَشَارَ مَنْ قَالَ مِنَ الْوَهْنِ وَالضَّعْفِ إِعْلَانُ الْأَمْرِ قَبْلَ إِحْكَامِهِ وَ كِتْمَانُ الضَّرْبِ الْأَوَّلِ مِنَ الْوَفَاءِ وَ هُوَ مَخْصُوصٌ بِعَوَامِّ النَّاسِ

وكتمان الضرب الثاني من المروءة والحزم والنوع الثاني من نوعيه أخص بالملوك وأصحاب السياسات. قالوا وإذاعة السر من قلة الصبر وضيق الصدر ويوصف به ضعف الرجال [صفحة ١٧٨] والنساء والصبيان والسبب في أنه يصعب كتمان السر أن للإنسان قوتين إحداها آخذة والأخرى معطية وكل واحدة منهما تشوق إلى فعلها الخاص بها و لو لا أن الله تعالى وكل المعطية يظهار ما عندها لمأتاك بالأخبار من لم تزود فعلى الإنسان أن يمسك هذه القوة ولا يطلقها إلا حيث يجب إطلاقها فإنها إن لم ترم وتخطم تقحمت بصاحبها في كل مهلكة [صفحة ١٧٩]

٤٧

احذروا صَوْلَةَ الْكَرِيمِ إِذَا جِيَاعَ وَ اللَّئِيمِ إِذَا شَبِعَ ليس يعنى بالجوع والشبع ما يتعارفه الناس وإنما المراد احذروا صولته الكريم إذا ضيم وامتهن واحذروا صولته اللئيم إذا أكرم ومثل المعنى الأول قول الشاعر لا يصبر الحر تحت ضيم || وإنما يصبر الحمار . ومثل المعنى الثاني قول أبي الطيب إذا أنت أكرمت الكريم ملكته || وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا [صفحة ١٨٠]

٤٨

قُلُوبُ الرِّجَالِ وَحِشِّيَّةٌ فَمَنْ تَأَلَّفَهَا أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ هَذَا مَثَلٌ قَوْلُهُمْ مِنْ لَانَ اسْتِمَالٌ وَ مِنْ قَسَا نَفَرٌ وَ مَا اسْتَعْبَدَ الْحَرَّ بِمَثَلِ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ وَ قَالَ الشَّاعِرُ وَإِنِّي لَوْحَشِي إِذَا مَازَجَرْتَنِي || وَإِنِّي إِذَا أَلْفَتَنِي لِأَلُوفٍ . فَأَمَّا قَوْلُ عِمَارَةَ بْنِ عَقِيلٍ تَبِحْتُمْ سَخَطِي فَكَدَّرَ بِحُكْمٍ || إِذَا نَخِيلَةَ نَفْسٍ كَانَتْ صَفْوًا ضَمِيرَهَا وَ لَمْ يَلِثِ التَّخْشِينَ نَفْسًا كَرِيمَةً || عَلَى قَوْمِهَا أَنْ يَسْتَمِرَّ مَرِيرَهَا وَ مَا النَّفْسُ إِلَّا نَطْفَةٌ بِقَرَارَةٍ || إِذَا لَمْ تَكْدُرْ كَانَتْ صَفْوًا غَدِيرَهَا . فَيَكَادُ يَخَالَفُ قَوْلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع فِي الْأَصْلِ لِأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ع جَعَلَ أَصْلَ طَبِيعَةِ الْقُلُوبِ التَّوْحَشَ وَإِنَّمَا تَسْتِمَالٌ لِأَمْرٍ خَارِجٍ وَ هُوَ التَّأَلُّفُ وَالْإِحْسَانُ وَعِمَارَةُ جَعَلَ أَصْلَ طَبِيعَةِ النَّفْسِ الصَّفْوَ وَالسَّلَامَةَ وَإِنَّمَا تَتَكَدَّرُ وَتَجْمَعُ لِأَمْرٍ خَارِجٍ وَ هُوَ الْإِسَاءَةُ وَالْإِيحَاشُ [صفحة ١٨١]

٤٩

عَيْبِكَ مَسْتُورٌ مَا أَسْعَدَكَ جَدَّكَ قَدْ قَالَ النَّاسُ فِي الْجَدِّ فَأَكْثَرُوا وَ إِلَى الْآنَ لَمْ يَتَحَقَّقْ مَعْنَاهُ وَ مِنْ كَلَامِ بَعْضِهِمْ إِذَا أَقْبَلَ الْبَخْتُ بَاضَتِ الدَّجَاجَةُ عَلَى الْوَتْدِ وَ إِذَا دَبَّرَ الْبَخْتُ أَسْعَرَ الْهَافُونَ فِي الشَّمْسِ . وَ مِنْ كَلَامِ الْحُكَمَاءِ إِنْ السَّعَادَةُ لِتَلْحَظَ الْحَجْرَ فَيَدْعَى رَبًّا . وَ قَالَ أَبُو حَيَّانٍ نَوَادِرُ ابْنِ الْجِصَّاصِ الدَّالَّةُ عَلَى تَغْفَلِهِ وَ بَلْهَةِ كَثِيرَةٍ جَدًّا قَدْ صَنَّفَ فِيهَا الْكُتُبَ مِنْ جَمَلَتِهَا أَنَّهُ سَمِعَ إِنْسَانًا يَنْشُدُ نَسِيبًا فِيهِ ذَكَرَ هِنْدَ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ وَ قَالَ لَا تَذَكُرُوا حِمَاءَ النَّبِيِّ ص إِلَّا بِخَيْرٍ وَأَشْيَاءَ عَجِيبَةٍ أَظْرَفَ مِنْ هَذَا وَ كَانَتْ سَعَادَتُهُ تَضْرِبُ بِهَا الْأَمْثَالَ وَ كَثْرَةُ أَمْوَالِهِ الَّتِي لَمْ يَجْتَمِعْ لِقَارُونَ مِثْلَهَا قَالَ أَبُو حَيَّانٍ فَكَانَ النَّاسُ يَعْجَبُونَ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى أَنْ جَمَاعَةً مِنْ شِيُوخِ بَغْدَادٍ كَانُوا يَقُولُونَ إِنْ ابْنَ الْجِصَّاصِ أَعْقَلَ النَّاسَ وَأَحْزَمَ النَّاسَ وَ أَنَّهُ هُوَ أَلْذَى أَلْحَمَ الْحَالِ بَيْنَ الْمُعْتَضِدِ وَ بَيْنَ خَمَارُويِهِ بِنِ أَحْمَدَ بْنِ طَوْلُونَ وَ سَفَرٌ بَيْنَهُمَا سَفَارَةٌ عَجِيبَةٌ وَ بَلَغَ مِنَ الْجَهْتَيْنِ أَحْسَنَ مَبْلَغٍ وَ خَطَبَ قَطْرَ النَّدَى بِنْتَ خَمَارُويِهِ لِلْمُعْتَضِدِ وَ جَهَّزَهَا مِنْ مِصْرَ [صفحة ١٨٢] عَلَى أَجْمَلِ وَجْهِهِ وَأَعْلَى تَرْتِيبٍ وَ لَكِنَّهُ كَانَ يَقْصِدُ أَنْ يَتَغَافَلَ وَيَتَجَاهَلَ وَيُظْهِرُ الْبَلْهَةَ وَ النَّقْصَ يَسْتَبْقَى بِذَلِكَ مَالَهُ وَيَحْرُسُ بِهِ نِعْمَتَهُ وَيُدْفَعُ عَنْهُ عَيْنَ الْكَمَالِ وَ حَسَدَ الْأَعْدَاءِ . قَالَ أَبُو حَيَّانٍ قُلْتُ لِأَبِي غَسَّانِ الْبَصْرِيِّ أَظُنُّ مَقَالَ هَؤُلَاءِ صَحِيحًا فَإِنَّ الْمُعْتَضِدَ مَعَ حَزْمِهِ وَ عَقْلِهِ وَ كَمَالِهِ وَ إِصَابَةِ رَأْيِهِ مَا اخْتَارَهُ لِلْسَّفَارَةِ وَ الصَّلْحِ إِلَّا وَ الْمَرْجُو مِنْهُ فِيمَا يَأْتِيهِ وَ يَسْتَقْبَلُهُ مِنْ أَيَّامِهِ نَظِيرَ مَا قَدْ شَوَّهَ مِنْهُ فِيمَا مَضَى مِنْ زَمَانِهِ وَ هَلْ كَانَ يَجُوزُ أَنْ يَصْلِحَ أَمْرٌ قَدْ تَفَاقَمَ فُسَادُهُ وَ تَعَاظَمَ وَ اشْتَدَّ بِرِسَالَتِهِ أَحْمَقُ وَ سَفَارَةٌ أَخْرَقَ فَقَالَ أَبُو غَسَّانٍ إِنْ الْجَدِّ

ينسخ حال الأخرق ويستر عيب الأحمق ويذب عن عرض المتلطف ويقرب الصواب بمنطقه والصحة برأيه والنجاح بسعيه والجد يستخدم العقلاء لصاحبه ويستعمل آراءهم وأفكارهم في مطالبه و ابن الجصاص على ما قيل وروى وحدث وحكى ولكن جده كفاه غائله الحمق وحماه عواقب الخرق و لوعرفت خبط العاقل وتعسفه وسوء تأتية وانقطاعه إذافارقه الجدد لعلمت أن الجاهل قد يصيب بجهله ما لا يصيب العالم بعلمه مع حرمانه . قال أبوحيان فقلت له فما الجدد وما هذا المعنى الذى عقلت عليه هذه الأحكام كلها فقال ليس لى عنه عبارة معينة ولكن لى به علم شاف استفدته بالاعتبار والتجربة والسماع العريض من الصغير والكبير ولهذا سمع من امرأة من الأعراب ترقص ابنا لها فتقول له رزقك الله جدا يخدمك عليه ذوو العقول و لارزقك عقلا تخدم به ذوى الجددود [صفحہ ۱۸۳]

۵۰

أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة قد تقدم لنا قول مفتح فى العفو والحلم . و قال الأحنف ما شىء أشد اتصالا بشىء من الحلم بالعز . وقالت الحكماء ينبغى للإنسان إذا عاقب من يستحق العقوبة ألا يكون سبعا فى انتقامه وألا يعاقب حتى يزول سلطان غضبه لئلا يقدم على ما لا يجوز ولذلك جرت سنة السلطان بحبس المجرم حتى ينظر فى جرمه ويعيد النظر فيه . وأتى الإسكندر بمذنب فصفح عنه فقال له بعض جلسائه لو كنت إياك أيها الملك لقتلته قال فإذا لم تكن إياى و لا كنت إياك لم يقتل . وانتهى إليه أن بعض أصحابه يعيبه فقيل له أيها الملك لو نهكته عقوبة فقال يكون حينئذ أبسط لسانا وعذرا فى اجتنابى . وقالت الحكماء أيضا لذة العفو أطيب من لذة التشفى والانتقام لأن لذة العفو يشفعها حميد العاقبة ولذة الانتقام يلحقها ألم الندم وقالوا العقوبة الأم حالات ذى القدرة وأدناها وهى طرف من الجزع و من رضى ألا يكون بينه و بين الظالم إلاستر رقيق فلينتصف [صفحہ ۱۸۴]

۵۱

السَّيِّئَاءُ مَا كَانَ ابْتِدَاءً فَإِذَا كَانَ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَحَيَاءٌ وَ تَدَمُّمٌ يَعَجِبْنِي فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ ابْنِ حَيَّوسَ إِنِّي دَعَوْتُ نَدَى الْكِرَامِ فَلَمْ يَجِبْ || فَلَأَشْكُرَنَّ نَدَى أَجَابٍ وَ مَادَعَى وَ مِنْ الْعَجَائِبِ وَالْعَجَائِبِ جَمَةٌ || شَكَرَ بَطِيءٌ عَنْ نَدَى الْمَتَسَّرِعِ . وَ قَالَ آخِرُ مَا عَاتَضَ بِأَذَلِّ وَجْهِهِ بِسْؤَالِهِ || عَوْضًا وَ لُونَالِ الْغَنَى بِسْؤَالٍ وَ إِذَا النُّوَالِ إِلَى السْؤَالِ قَرْنَتَهُ || رَجَحَ السْؤَالُ وَ خَفَّ كُلُّ نُوَالٍ [صفحہ ۱۸۵]

۵۲

لَمَّا غَنَى كَالْعَقْلِ وَ لَمْ يَفْقَرْ كَالْجَهْلِ وَ لَمْ يَمِرَّ كَالْأَدَبِ وَ لَمْ يَظْهَرَ كَالْمُشَاوَرَةِ رَوَى أَبُو الْعَبَّاسِ فِي الْكَامِلِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع أَنَّهُ قَالَ خَمْسٌ مِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ لَمْ يَكُنْ فِيهِ كَثِيرٌ مَسْتَمْتَعِ الْعَقْلِ وَالِدِينَ وَالْأَدَبِ وَالْحَيَاءِ وَحَسَنِ الْخُلُقِ - رَوَايَاتُ ۱- ۲- رَوَايَاتُ ۶۱- ۱۵۲- قَالَ أَيْضًا لَمْ يَقْسَمْ بَيْنَ النَّاسِ شَيْءٌ أَقْلٌ مِنْ خَمْسِ الْيَقِينِ وَالْقَنَاعَةِ وَالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ وَالْخَامِسَةُ الَّتِي يَكْمَلُ بِهَا هَذَا كَلِمَةَ الْعَقْلِ - رَوَايَاتُ ۱- ۲- رَوَايَاتُ ۱۲- ۱۲۱- عَنْهُ عَ أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ قَالَ لَهُ أَقْبَلْ فَأَقْبَلَ ثُمَّ قَالَ لَهُ أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ فَقَالَ مَا خَلَقْتَ خَلْقًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْكَ لَكَ الثَّوَابُ وَعَلَيْكَ الْعِقَابُ - رَوَايَاتُ ۱- ۲- رَوَايَاتُ ۱۱- ۱۳۹- عَنْهُ عَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَ إِنْ اللَّهُ لِيَبْغُضَ الضَّعِيفَ الَّذِي لَا يَزْبِرُ لَهُ قَالَ الزَّبِيرُ الْعَقْلَ - رَوَايَاتُ ۱- ۲- رَوَايَاتُ ۳۶- ۹۴- عَنْهُ عَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَ مَا قَسَمَ اللَّهُ لِلْعِبَادِ أَفْضَلَ مِنَ الْعَقْلِ فَنُومُ الْعَاقِلِ أَفْضَلُ مِنْ سَهْرِ الْجَاهِلِ وَفَطْرُ الْعَاقِلِ أَفْضَلُ مِنْ صَوْمِ الْجَاهِلِ وَإِقَامَةُ الْعَاقِلِ أَفْضَلُ مِنْ شُحُوصِ الْجَاهِلِ وَ مَا بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا حَتَّى

يستكمل العقل -رواية- ١-٢-رواية-٣٠-ادامه دارد [صفحة ١٨٦] و حتى يكون عقله أفضل من عقول جميع أمته و ما يضره في نفسه أفضل من اجتهاد جميع المجتهدين و ما أدى العبد فرائض الله تعالى حتى عقل عنه و لا يبلغ جميع العابدين في عباداتهم ما يبلغه العاقل والعقلاء هم أولو الألباب الذين قال الله تعالى عنهم و ما يذكُرُ إلَّا أولُوا الألبابِ -رواية- از قبل-٣٠١ قال أبو العباس و قال رجل من أصحاب أبي عبد الله ع له و قد سمعته يقول بل يروى مرفوعا إذا بلغكم عن رجل حسن الحال فانظروا في حسن عقله فإنما يجازى بعقله يا ابن رسول الله إن لي جارا كثير الصدقة كثير الصلاة كثير الحج لا بأس به فقال كيف عقله فقال ليس له عقل فقال لا يرتفع بذاك منه -رواية- ١-٢-رواية-٩٥-٣٠٧ عنه ع ما بعث الله نبيا إلا عقلا وبعض النبيين أرجح من بعض و ما استخلف داود سليمان ع حتى اختبر عقله و هو ابن ثلاث عشرة سنة فمكث في ملكه ثلاثين سنة -رواية- ١-٢-رواية-١١-١٦٢ عنه مرفوعا صديق كل امرئ عقله وعدوه جهله -رواية- ١-٢-رواية-١٤-٤٨ عنه مرفوعا أنا معاشر الأنبياء نكلم الناس على قدر عقولهم -رواية- ١-٢-رواية-١٤-٦٢ قال أبو العباس وسئل أبو عبد الله ع ما العقل فقال ما عبد به الرحمن واكتسبت به الجنان -رواية- ١-٢-رواية-١٩-٩٦ قال و قال أبو عبد الله سئل الحسن بن علي ع عن العقل فقال التجرع للغصة ومداهنة الأعداء -رواية- ١-٢-رواية-٢٩-٩٨ . قلت هذا كلام الحسن ع و أنا أقطع بذلك . [صفحة ١٨٧] قال أبو العباس و قال أبو عبد الله العاقل لا يحدث من يخاف تكذيبه و لا يسأل من يخاف منعه و لا يثق بمن يخاف عذره و لا يرجو من لا يوثق برجائه -رواية- ١-٢-رواية-٤٠-١٥٣ قال أبو العباس و روى عن أبي جعفر ع قال كان موسى ع يذني رجلا من بني إسرائيل لطول سجوده وطول صمته فلا يكاد يذهب إلى موضع إلا و هو معه فيينا هو يوما من الأيام إذ مر على أرض معشبة تهتر فتأوه الرجل فقال له موسى على ماذا تأوهت قال تمنيت أن يكون لربي حمار وأرعاها هاهنا فأكب موسى طويلا ببصره إلى الأرض اغتما بما سمع منه فانحط عليه الوحي فقال ما ألقى أنكرت من مقالة عبدي إنما آخذ عبادي على قدر ما آتيتهم -رواية- ١-٢-رواية-٤٧-٤٣٧ قال أبو العباس و روى عن علي ع هبط جبرائيل ع على آدم ع بثلاث ليختار منها واحدة ويدع اثنتين وهى العقل والحياء والدين فاختر العقل فقال جبرائيل للحياء والدين انصرفا فقالا إنا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان فقال فشأنكما ففاز بالثلاث -رواية- ١-٢-رواية-٣٧-٢٥٣ . فأما قوله ع و لاميراث كالأدب فإنى قرأت فى حكم الفرس عن بزرجمهر ماورثت الآباء أبناءها شيئا أفضل من الأدب لأنها إذا ورثتها الأدب اكتسبت بالأدب المال فإذا ورثتها المال بلا أدب أتلفته بالجهل وقعدت صفرا من المال والأدب . قال بعض الحكماء من أدب ولده صغيرا سر به كبيرا . و كان يقال من أدب ولده أرغم حاسده . و كان يقال ثلاثة لا غربة معهن مجانية الريب وحسن الأدب وكف الأذى . [صفحة ١٨٨] و كان يقال عليكم بالأدب فإنه صاحب فى السفر ومؤنس فى الوحدة وجمال فى المحفل وسبب إلى طلب الحاجة . و قال بزرجمهر من كثر أدبه كثر شرفه و إن كان قبل وضيعا و بعدصيته و إن كان خاملا . و ساد و إن كان غريبا وكثرت الحاجة إليه و إن كان مقلا . و قال بعض الملوك لبعض وزرائه ماخير مايرزقه العبد قال عقل يعيش به قال فإن عدمه قال أدب يتحلى به قال فإن عدمه قال مال يستتر به قال فإن عدمه قال صاعقة تحرقه فتريح منه العباد والبلاء . وقيل لبعض الحكماء متى يكون العلم شرا من عدمه قال إذا كثر الأدب ونقصت القريحة يعنى بالقريحة العقل . فأما القول فى المشورة فقد تقدم وربما ذكرنا منه نبذا فيما بعد [صفحة ١٨٩]

الصَّبْرُ صَبْرَانِ صَبْرٌ عَلَى مَا تَكَرَّرَ وَ صَبْرٌ عَمَّا تُحِبُّ النُّوعَ الْأَوَّلَ أَشَقُّ مِنَ النُّوعِ الثَّانِي لِأَنَّ الْأَوَّلَ صَبْرٌ عَلَى مُضْرَةٍ نَازِلَةٍ وَالثَّانِي صَبْرٌ عَلَى مَحْبُوبٍ مُتَوَقَّعٍ لَمْ يَحْصُلْ وَ قَدْ تَقَدَّمَ لَنَا قَوْلٌ طَوِيلٌ فِي الصَّبْرِ . سئل بزرجمهر فى بليته عن حاله فقال هون على ما أنا فيه فكرى

فى أربعة أشياء أولها أنى قلت القضاء والقدر لا بد من جريانها والثانى أنى قلت إن لم أصبر فما أصنع والثالث أنى قلت قد كان يجوز أن تكون المحنة أشد من هذه والرابع أنى قلت لعل الفرج قريب . و قال أنو شروان جميع أمر الدنيا منقسم إلى ضربين لاثالث لهما أما ما فى دفعه حيلة فالاضطراب دواؤه و أما ما لاحيلة فيه فالصبر شفاؤه [صفحه ١٩٠]

٥٤

الغنى فى العُربِ وَطَنٌ وَ الْفَقْرُ فى الْوَطَنِ عُرْبَةٌ قد تقدم لنا قول مقنع فى الفقر والغنى ومدحهما وذمهما على عادتنا فى ذكر الشىء ونقيضه ونحن نذكر هاهنا زيادة على ذلك . قال رجل لبقرات ما أشد فقرك أيها الحكيم قال لوعرفت راحة الفقر لشغلك التوجع لنفسك عن التوجع لى الفقر ملكك ليس عليه محاسبة . و كان يقال أضعف الناس من لا يحتمل الغنى . وقيل للكندى فلان غنى فقال أنا أعلم أن له مالا - ولكنى لا - أعلم أغنى هوأم لالأنى لأدرى كيف يعمل فى ماله . قيل لابن عمر توفى زيد بن ثابت وترك مائة ألف درهم قال هو تركها لكنها لم تتركه . وقالوا حسبك من شرف الفقر أنك لا ترى أحدا يعصى الله ليفتقر أخذه الشاعر فقال يا عائب الفقر ألا تدرج || عيب الغنى أكبر لو تعتبر إنك تعصى الله تبغى الغنى || و ليس تعصى الله كى تفتقر . و كان يقال الحلال يقطر والحرام يسيل [صفحه ١٩١] و قال بعض الحكماء ألاترون ذا الغنى ما أدوم نصبه وأقل راحته وأخس من ماله حظه وأشد من الأيام حذره وأغرى الدهر بنقصه وثلمه ثم هو بين سلطان يرعاه وحقوق تسترعيه وأكفاء ينافسونه وولد يودون موته قدبعث الغنى عليه من سلطانه العناء و من أكفائه الحسد و من أعدائه البغى و من ذوى الحقوق الذم و من الولد الملالة وتمنى فقد لا كدى البلغة قنع فدام له السرور ورفض الدنيا فسلم من الحسد ورضى بالكفاف فكفى الحقوق [صفحه ١٩٢]

٥٥

قال الرضى رحمه الله تعالى و قدروى هذا الكلام عن النبى ص -رواية- ١-٦٦ قد ذكرنا نكتا جلية الموقع فى القناعة فيما تقدم ونذكر هاهنا زيادة على ذلك . فمن كلام الحكماء قاوم الفقر بالقناعة وقاهر الغنى بالتعفف وطاول عناء الحاسد بحسن الصنع وغالب الموت بالذكر الجميل . و كان يقال الناس رجلا ن واجد لا يكتفى وطالب لا يجد أخذه الشاعر فقال و ما الناس إلا واجد غير قانع || بأرزاقه أو طالب غير واجد . قال رجل لبقرات و رآه يأكل العشب لو خدمت الملك لم تحتج إلى أن تأكل الحشيش فقال له و أنت إن أكلت الحشيش لم تحتج أن تخدم الملك [صفحه ١٩٣]

٥٦

المال مَادَّةُ الشَّهَوَاتِ قد تقدم لنا كلام فى المال مدحا وذما . و قال أعرابى لبيه اجمعوا الدراهم فإنها تلبس اليلمق وتطعم الجردق . و قال أعرابى و قد نظر إلى دينار قاتلك الله ما أصغر قمتك وأكبر همتك . و من كلام الحكماء ما اخترت أن تحيا به فمت دونه . سئل أفلاطون عن المال فقال ما أقول فى شىء يعطيه الحظ ويحفظه اللؤم ويبلعه الكرم . و كان يقال ثلاثة يؤثرون المال على أنفسهم تاجر البحر والمقاتل بالأجرة والمرتشى فى الحكم و هوشهم لأن الأولين ربما سلما و لاسلامة للثالث من الإثم . ثم قالوا و قدسمى الله تعالى المال خيرا فى قوله إن تَرَكَ خَيْراً و فى قوله وَ إِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ . كان عبدالرحمن بن عوف يقول حبذا المال أصون به عرضى وأقرضه ربى -قرآن- ٥٥٨-٥٧٤-قرآن- ٥٨٧-٦٢٠ [صفحه ١٩٤] فيضاعفه لى وقالوا فى ذم المال المال

مثل الماء غاد ورائح طبعه كطبع الصبى لا-يوقف على سبب رضاه و لاسخطة المال لاينفعك ما لم تفارقه . و فيه قال الشاعر
 وصاحب صدق ليس ينفع قربه || و لاوده حتى تفارقه عمدا . و أخذ هذا المعنى الحريري فقال و ليس يغنى عنك فى المضايق
 || إلا- إذا فرار الآبق . و قال الشاعر أ لم تر أن المال يهلك ربه || إذا جم آتية و سد طريقه و من جاوز البحر الغزير بقحمة ||
 و سد طريق الماء فهو غريقه [صفحه ١٩٥]

٥٧

مَنْ حَذَرَكَ كَمَنْ بَشَرَكَ هَذَا مَثَلٌ قَوْلُهُمْ اتَّبِعْ أَمْرَ مَبْكِيَاتِكَ لِأَمْرِ مَضْحَكَتِكَ وَمِثْلُهُ صَدِيقُكَ مِنْ نَهَاكَ لَا مِنْ أَغْرَاكَ وَمِثْلُهُ
 رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا أَهْدَى إِلَى عِيُوبِي . وَالتَّحْذِيرُ هُوَ النَّصِيحُ وَالنَّصِيحُ وَاجِبٌ وَهُوَ تَعْرِيفُ الْإِنْسَانِ مَا فِيهِ صِلَاةٌ وَدَفْعُ الْمَضْرَةِ عَنْهُ وَ
 قَدْ جَاءَ فِي الْخَبَرِ الصَّحِيحِ الدِّينِ النَّصِيحَةُ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَنْ فَقَالَ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ -رَوَايَاتُ ١- ٢- رَوَايَاتُ ٢٦- ٨٧ وَأَوَّلُ
 مَا يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَحْذَرَ نَفْسَهُ وَيَنْصَحَهَا فَمَنْ غَشَّ نَفْسَهُ فَقَلَّمَا يَحْذَرُ غَيْرَهُ وَيَنْصَحُهُ وَحَقٌّ مِنْ اسْتِنصَحَ أَنْ يَبْذُلَ غَايَةَ النَّصِيحِ
 وَ لَوْ كَانَ فِي أَمْرٍ يَضُرُّهُ وَ إِلَى ذَلِكَ وَقَعَتِ الْإِشَارَةُ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ بِقَوْلِهِ سَبِّحَانِهِ يَا أَيُّهَا الْعَالَمِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ
 شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَ لَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَ قَالَ سَبِّحَانِهِ وَ إِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَ لَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى . وَمَعْنَى قَوْلِهِ كَمَنْ بَشَرَكَ أَيْ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ
 تَسْرَ بِتَحْذِيرِهِ لَكَ كَمَا تَسْرَ لَوْ بَشَرَكَ بِأَمْرٍ تَحْبُهُ وَ أَنْ تَشْكُرَهُ عَلَى ذَلِكَ كَمَا تَشْكُرُهُ لَوْ بَشَرَكَ بِأَمْرٍ تَحْبُهُ لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ يَرِيدُ بِكَ
 الْخَيْرَ لَمَا حَذَرَكَ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الشَّرِّ -قُرْآنُ ٢٠٧- ٣٠١-قُرْآنُ ٣١٦- ٣٦١ [صفحه ١٩٦]

٥٨

اللِّسَانُ سَيِّئٌ إِنْ خُلِّيَ عَنْهُ عَقَرَ قَدْ تَقَدَّمَ لَنَا كَلَامٌ طَوِيلٌ فِي هَذَا الْمَعْنَى . وَ كَانَ يُقَالُ إِنْ كَانَ فِي الْكَلَامِ دَرَكٌ فَفِي الصَّمْتِ عَافِيَةٌ .
 وَقَالَتِ الْحَكَمَاءُ النُّطْقُ أَشْرَفُ مَا خَصَّ بِهِ الْإِنْسَانُ لِأَنَّهُ صُورَتُهُ الْمَعْقُولَةُ الَّتِي بَايَنَ بَهَائِثِ الْحَيَوَانَاتِ وَلِذَلِكَ قَالَ سَبِّحَانِهِ خَلَقَ
 الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ وَ لَمْ يَقُلْ وَعَلَّمَهُ بِالْوَاوِ لِأَنَّهُ سَبِّحَانِهِ جَعَلَ قَوْلَهُ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ تَفْسِيرًا لِقَوْلِهِ خَلَقَ الْإِنْسَانَ لِأَعْطَا عَلَيْهِ تَنْبِيهًا عَلَى أَنْ
 خَلَقَهُ لَهُ وَتَخْصِيصَهُ بِالْبَيَانِ الَّذِي لَوْ تَوَهَّمُ مَرْتَفَعًا لَارْتَفَعَتْ إِنْسَانِيَّتُهُ وَلِذَلِكَ قِيلَ مَا الْإِنْسَانُ لَوْ لَا اللِّسَانَ الْبَهِيمَةَ مَهْمَلَةً أَوْ صُورَةً
 مِمثْلَهُ . وَقَالَ الشَّاعِرُ -قُرْآنُ ٢١٥- ٢٤٨-قُرْآنُ ٢٩٨- ٣١٤-قُرْآنُ ٣٢٨- ٣٤٣ لِسَانَ الْفَتَى نَصْفٌ وَنَصْفٌ فَوَادِهِ || فَلَئِمَّ بِقَوْلِهِ إِلاصُورَةٌ
 اللَّحْمِ وَالْدَّمِ . قَالُوا وَالصَّمْتُ مِنْ حَيْثُ هُوَ صَمْتٌ مَذْمُومٌ وَهُوَ مِنْ صِفَاتِ الْجَمَادَاتِ فَضِلًا [صفحه ١٩٧] عَنْ الْحَيَوَانَاتِ وَكَلَامِ
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع وَغَيْرِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي مَدْحِ الصَّمْتِ مَحْمُولٌ عَلَى مَنْ يَسِيءُ الْكَلَامَ فَيَقَعُ مِنْهُ جُنَايَاتٌ عَظِيمَةٌ فِي أُمُورِ الدِّينِ
 وَالدُّنْيَا كَمَا رَوَى فِي الْخَبَرِ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَصْبَحَ قَالَتْ أَعْضَاؤُهُ لِلْسَّانَةِ اتَّقِ اللَّهَ فَيُنَا فَيُنَاكَ إِنْ اسْتَقَمْتَ نَجُونَا وَ إِنْ زَغْتَ هَلَكْنَا -
 رَوَايَاتُ ١- ٢- رَوَايَاتُ ١٢- ١١٠ فَأَمَّا إِذَا عَتَبَ النَّطْقُ وَالصَّمْتُ بِنَاتِيهِمَا فَقَطِّ فَمَحَالٌ أَنْ يُقَالَ فِي الصَّمْتِ فَضْلٌ فَضِلًا عَنْ أَنْ يَخَارِ
 وَيُقَايَسَ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ الْكَلَامِ [صفحه ١٩٨]

٥٩

الْمَرْأَةُ عَقْرَبٌ حُلُوءَةٌ اللَّسْبَةُ اللَّسْبَةُ اللَّسْعَةُ لَسْبَتُهُ الْعَقْرَبُ بِالْفَتْحِ لَسَعْتُهُ وَلَسِبْتُ الْعَسَلَ بِالْكَسْرِ أَيْ لَعَقْتُهُ . وَقِيلَ لِسْقَرَاتُ أَيْ السَّبَاعُ
 أَجْسَرُ قَالَ الْمَرْأَةُ . وَنَظَرَ حَكِيمٌ إِلَى امْرَأَةٍ مَصْلُوبَةٍ عَلَى شَجْرَةٍ فَقَالَ لَيْتَ كُلَّ شَجْرَةٍ تَحْمِلُ مِثْلَ هَذِهِ الثَّمَرَةِ . مَرَّتْ بِسِقْرَاتِ امْرَأَةٍ وَهِيَ
 تَتَشَوَّفُ فَقَالَتْ يَا شَيْخَ مَا أَقْبَحَكَ فَقَالَ لَوْ لَأُنْكَ مِنَ الْمَرَايَا الصَّدِئَةِ لَغَمْنِي مَا بَانَ مِنْ قَبِيحِ صُورَتِي فَيُكِّ . وَرَأَى بَعْضُهُمْ مُؤَدِّبًا يَعْلَمُ

جاريه الكتابه فقال لاتزد الشر شرا إنما تسقى سهما سما لترمى به يوما ما. ورأى بعضهم جارية تحمل نارا فقال نار على نار والحامل شر من المحمول . وتزوج بعضهم امرأة نحيفة فقيل له فى ذلك فقال اخترت من الشر أقله . كتب فيلسوف على بابه مادخل هذا المنزل شرق فقال له بعضهم اكتب إلا المرأة. [صفحہ ۱۹۹] ورأى بعضهم امرأة غريقه فى الماء فقال زادت الكدر كدرا والشر بالشر يهلك . و فى الحديث المرفوع استعيذوا بالله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر -روایت-۱-۲- روایت-۲۳-۸۰ و فى كلام الحكماء أعص هواك والنساء وافعل ماشئت .دعا بعضهم لصاحبه فقال أمات الله عدوك فقال لو قلت زوج الله عدوك لكان أبلغ فى الانتقام . و من الكنايات المشهورة عنهن سلاح إبليس . و فى الحديث المرفوع أنهن ناقصات عقل ودين -روایت-۱-۲-روایت-۲۳-۴۸ . و قد تقدم من كلام أمير المؤمنين ع فى هذا الكتاب ما هو شرح وإيضاح لهذا المعنى . و جاء فى الحديث أيضا شاوروهن وخالفوهن -روایت-۱-۲-روایت-۲۲-۴۱ فى الحديث أيضا النساء حبات الشيطان -روایت-۱-۲-روایت-۱۹-۴۲ فى الحديث أيضا ما تركت بعدى فتنة أضرم من النساء على الرجال -روایت-۱-۲- روایت-۱۹-۶۵ فى الحديث أيضا المرأة ضلع عوجاء إن داريتها استمتعت بها و إن رمت تقويمها كسرتها -روایت-۱-۲- روایت-۱۹-۸۶ و قال الشاعر فى هذا المعنى هى الضلع العوجاء لست تقيمها || ألا إن تقويم الضلوع انكسارها أجمعن ضعفا واقتدارا على الفتى || أليس عجيبا ضعفها واقتدارها . و من كلام بعض الحكماء ليس ينبغى للعقل أن يمدح امرأة إلا بعدموتها. و فى الأمثال لا تحمدن أمة عام شرائها ولا حرة عام بنائها. [صفحہ ۲۰۰] و من كلام عبد الله المأمون أنهن شر كلهن و شر ما فيهن ألا غنى عنهن . و قال بعض السلف إن كيد النساء أعظم من كيد الشيطان لأن الله تعالى ذكر الشيطان فقال إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا. و ذكر النساء فقال إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ. و كان يقال من الفواقر امرأة سوء إن حضرتها لسبتك و إن غبت عنها لم تأمنها. و قال حكيم أضرم الأشياء بالمال والنفس والدين والعقل والعرض شدة الإغرام بالنساء و من أعظم ما يتلى به المغرم بهن أنه لا يقتصر على ما عنده منهن و لو كن ألفا ويطمح إلى ما ليس له منهن . و قال بعض الحكماء من يحصى مساوى النساء اجتمع فيهن نجاسة الحيض والاستحاضة ودم النفاس ونقص العقل والدين وترك الصوم والصلاة فى كثير من أيام العمر ليست عليهن جماعه و لاجمعه و لا يسلم عليهن و لا يكون منهن إمام و لا قاض و لا أمير و لا يسافرن إلا بولى. و كان يقال مانهيت امرأة عن أمر إلا أته . و فى هذا المعنى يقول طفيل الغنوى -قرآن- ۱۶۳-۱۹۶-قرآن- ۲۱۶-۲۵۸ إن النساء كأشجار نبتن معا || هن المرار وبعض المر مأكول إن النساء متى ينهين عن خلق || فإنه واجب لا بد مفعول [صفحہ ۲۰۱]

۶۰

إِذَا حُيِّتْ بِتَحِيَّيْهِ فَحَيَّ بِأَحْسَنَ مِنْهَا وَإِذَا أُسْدِيَتْ إِلَيْكَ يَدٌ فَكَافَتْهَا بِمَا يُرْبِي عَلَيْهَا وَ الْفَضْلُ مَعَ ذَلِكَ لِلْبَادِي اللَّفْظَةُ الْأُولَى مِنْ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ وَالثَّانِيَةُ تَتَضَمَّنُ مَعْنَى مَشْهُورًا. و قوله والفضل مع ذلك للبادي يقال فى الكرم والحث على فعل الخير. وروى المدائنى قال قدم على أسد بن عبد الله القشيري بخراسان رجل فدخل مع الناس فقال أصلح الله الأمير إن لى عندك يدا قال و ما يدك قال أخذت بركابك يوم كذا قال صدقت حاجتك قال تولينى أبيورد قال لم قال لأكسب مائة ألف درهم قال فإنا قد أمرنا لك بها الساعة فنكون قد بلغناك ماتحب و أقرنا صاحبنا على عمله قال أصلح الله الأمير إنك لم تقض ذمامى قال و لم و قد أعطيتك ما أملت قال فأين الإمارة و أين حب الأمر والنهى قال قد وليتك أبيورد وسوغت لك ما أمرت لك به وأعفيتك من المحاسبة إن صرفتك عنها قال و لم تصرفنى عنها و لا يكون الصرف إلا من عجز أو خيانه [صفحہ ۲۰۲] و أنابرىء منهما قال اذهب فأنت أميرها مادامت لنا خراسان فلم يزل أميرا على أبيورد حتى عزل أسد. قال المدائنى وجاء رجل إلى نصر بن سيار

يذكر قرابه قال و ماقرابتك قال ولدتنى وإياك فلانه قال نصر قرابه عوره قال إن العوره كالشن البالى يرقعه أهله فينتفون به قال حاجتك قال مائه ناقه لاقح ومائه نعجه ربي أى معها أولادها قال أماالنعاج فخذها و أماالنوق فنأمر لك بأثمانها. وروى الشعبى قال حضرت مجلس زياد وحضره رجل فقال أيها الأمير إن لى حرمة أفأذكرها قال هاتها قال رأيتك بالطائف و أنت غليم ذو ذؤابه و قدأحاطت بك جماعة من الغلمان و أنت تركض هذامره برجلك وتنطح هذامره برأسك وتكدم مره بأنيابك فكانوا مره ينثالون عليك و هذه حالهم ومره يندون عنك و أنت تتبعهم حتى كاثروك واستقوا عليك فجئت حتى أخرجتك من بينهم و أنت سليم وكلهم جريح قال صدقت أنت ذاك الرجل قال أناذاك قال حاجتك قال الغنى عن الطلب قال ياغلام أعطه كل صفراء وبيضاء عندك فنظر فإذاقيمه كل مايملك ذلك اليوم من الذهب والفضه أربعة وخمسون ألف درهم فأخذها وانصرف فقيل له بعد ذلك أنت رأيت زيادا و هوغلام بذلك الحال قال إى و الله لقد رأيت و قدأكتفه صبيان صغيران كأنهما من سخال المعز فلو لا-أنى أدركته لظننت أنهما يأتيان على نفسه . وجاء رجل إلى معاوية و هو فى مجلس العامة فقال يا أمير المؤمنين إن لى حرمة قال و ماهى قال دنوت من ركابك يوم صفين و قدقربت فرسك لتفر و أهل [صفحه ٢٠٣] العراق قدرأوا الفتح والظفر فقلت لك و الله لو كانت هند بنت عتبه مكانك مافرت و لااختارت إلا أن تموت كريمة أو تعيش حميده أين تفر و قدقلدتك العرب أزمه أمورها وأعطتك قياد أعتتها فقلت لى اخفض صوتك لا-أم لك ثم تماسكت وثبت وثابت إليك حماتك وتمثلت حينئذ بشعر أحفظ منه وقولى كلما جشأت وجاشت || مكانك تحمدى أوستريحي . فقال معاوية صدقت وددت أنك الآن أيضا خفضت من صوتك ياغلام أعطه خمسين ألف درهم فلو كنت أحسنت فى الأدب لأحسنا لك فى الزيادة [صفحه ٢٠٤]

٦١

إشاره

جاء فى الحديث مرفوعا اشفوعوا إلى تؤجروا ويقضى الله على لسان نبيه ماشاء -روايت-١-٢-روايت-٢٤-٧٨ . و قال المأمون لإبراهيم بن المهدي لماعفا عنه إن أعظم يدا عندك من عفوى عنك أنى لم أجرعك مراره امتنان الشافعين . و من كلام قابوس بن وشمكير بزند الشفيح تورى نار النجاج و من كف المفيض ينتظر فوز القداح . قال المبرد أتانى رجل يستشفع بى فى حاجه فأنشدنى لنفسه إنى قصدتك لا-أدلى بمعرفه || و لابقرى ولكن قدفشت نعمك فبت حيران مكروبا يؤرقنى || ذل الغريب ويغشيني الكرى كرمك و لوهممت بغير العرف ماعلقت || به يداك و لانقادت له شيمك مازلت أنكب حتى زلزلت قدمى || فاحتل لتثيتها لازلزلت قدمك . قال فشفت له وقمت بأمره حتى بلغت له مأحب . بزرجمهر من لم يستغن بنفسه عن شفيعه ووسائله وهت قوى أسبابه و كان إلى [صفحه ٢٠٥] الحرمان أقرب منه إلى بلوغ المراد ومثله من لم يرغب أوداؤه فى اجتنابه لم يحظ بمدح شفعاؤه ومثله إذازرت الملوك فإن حسبى شفيعا عندهم أن يعرفونى . كلم الأحنف مصعب بن الزبير فى قوم حبسهم فقال أصلح الله الأمير إن كان هؤلاء حبسوا فى باطل فالحق يخرجهم و إن كانوا حبسوا فى حق فالعفو يسعهم فأمر بإخراجهم . آخر إذا أنت لم تعطفك إلاشفاعه || فلاخير فى ود يكون بشافع . خرج العطاء فى أيام المنصور وأقام الشقرانى من ولد شقران مولى رسول الله ص باباه أياما لا يصل إليه عطاؤه فخرج جعفر بن محمد من عندالمنصور فقام الشقرانى إليه فذكر له حاجته فرحب به ثم دخل ثانيا إلى المنصور وخرج وعطاء الشقرانى فى كمه فصبه فى كمه ثم قال ياشقران إن الحسن من كل

أحد حسن وإنه منك أحسن لمكانك منا وإن القبيح من كل أحد قبيح و هو منك أقبح لمكانك منا -رواية- ١-٢-رواية-
٨-١٣١ فاستحسن الناس مقاله و ذلك لأن الشقراني كان صاحب شراب قالوا فانظر كيف أحسن السعي في استنجاز طلبته
وكيف رحب به وأكرمه مع معرفته بحاله وكيف وعظه ونهاه عن المنكر على وجه التعريض قال الزمخشري و ما هو إلا- من
أخلاق الأنبياء. كتب سعيد بن حميد شفاعه لرجل كتابي هذا كتاب معتن بمن كتب له واثق بمن كتب إليه ولن يضيع حامله بين
الثقة والعناية إن شاء الله . أبو الطيب إذ عرضت حاج إليه فنفسه || إلى نفسه فيها شفيع مشفع [صفحه ٢٠٦]

محمد بن جعفر والمنصور

كان المنصور معجبا بمحدثه محمد بن جعفر بن عبيد الله بن العباس و كان الناس لعظم قدره عند المنصور يفتخرون إليه في
الشفاعات وقضاء الحاجات فثقل ذلك على المنصور فحجبه مدة ثم تتبعته نفسه فحدث الربيع فيه و قال إنه لا صبر لي عنه لكني
قد ذكرت شفاعاته فقال الربيع أنا أشرط ألا يعود فكلمه الربيع فقال نعم فمكث أياما لا يشفع ثم وقف له قوم من قريش وغيرهم
برقاع و هو يريد دار المنصور فسألوه أن يأخذ رقاعهم فقص عليهم القصة فصرعوا إليه وسألوه فقال أما إذ أبيت قبول العذر فإني
لا أقبضها منكم ولكن هلموا فاجعلوها في كمي فخذفوها في كمي ودخل على المنصور و هو في الخضراء يشرف على مدينة
السلام و ماحولها بين البساتين والضياع فقال له أ ما ترى إلى حسنها قال بلى يا أمير المؤمنين فبارك الله لك فيما آتاك وهناك
بإتمام نعمته عليك فيما أعطاك فما بنت العرب في دولة الإسلام و لا العجم في سالف الأيام أحسن و لا أحسن من مدينتك
ولكن سمجتها في عيني خصلة قال ما هي قال ليس لي فيها ضيعة فضحك و قال نحسها في عينك ثلاث ضياع قد أقطعتكها فقال
أنت و الله يا أمير المؤمنين شريف الموارد كريم المصادر فجعل الله باقي عمرك أكثر من ماضيه وجعلت الرقاع تبدر من كمي
في أثناء كلامه وخطابه للمنصور و هو يلتفت إليها و يقول أرجعن خاسئات ثم يعود إلى حديثه فقال المنصور ما هذه بحقي
عليك ألا أعلمتني خبرها فأعلمه فضحك فقال أبيت يا ابن معلم الخير إلا كرمنا ثم تمثل بقول عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن
جعفر بن أبي طالب [صفحه ٢٠٧] لسنا و إن أحسابنا كملت || يوما على الأحساب نتكل نبني كما كانت أوائلنا || تبنى ونفعل
مثل ما فعلوا . ثم أخذها وتصفحها ووقع فيها كلها بما طلب أصحابها. قال محمد بن جعفر فخرجت من عنده و قد ربحت وأربحت .
قال المبرد لعبد الله بن يحيى بن خاقان أنا أشفع إليك أصلحك الله في أمر فلان فقال له قد سمعت وأطعت وأسأفعل في أمره كذا
فما كان من نقص فعلى و ما كان من زيادة فله قال المبرد أنت أطال الله بقاءك كما قال زهير و جار سار معتمدا إلينا || أجراءته
المخافة والرجاء ضمنا ماله فغدا سليما || علينا نقصه و له النماء . و قال دعبل و إن امرأ أسدى إلى بشافع || إليه ويرجو الشكر
منى لأحمق شفيحك يا شكر الحوائج إنه || يصونك عن مكروهها و هو يخلق . آخر مضي زمني و الناس يستشفعون بي || فهل
لي إلى ليلي الغداة شفيح . آخر ونبت ليلي أرسلت بشفاعه || إلى فهلا نفس ليلي شفيحها أأكرم من ليلي على فتبتغي || به الجاه
أم كنت امرأ لا أطيعها . [صفحه ٢٠٨] آخر و من يكن الفضل بن يحيى بن خالد || شفيحا له عند الخليفة ينجح . آخر و إذا مرؤ
أسدى إليك صنيعه || من جاهه فكأنها من ماله . و هذا مثل قول الآخر وعطاء غيرك إن بذلت || عناية فيه عطاؤك . ابن
الرومي ينام الذي استسعاك في الأمر إنه || إذا أيقظ الملهوف مثلك ناما كفى العود منك البدء في كل موقف || و جردت
للجلي فكنت حساما فما لك تنبو في يدي عن ضريبتى || و لم أرث من هز و كنت كهاما [صفحه ٢٠٩]

أهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام هذا التشبيه واقع و هو صورة الحال لامحالة. و قد أتيت بهذا المعنى فى رسالته لى كتبتهأ إلى بعض الأصدقاء تعزیه فقلت و لو تأمل الناس أحوالهم و تبینوا مآلهم لعلموا أن المقيم منهم بوطنه و الساكن إلى سكنه أخو سفر یسرى به و هو لا یسرى و راكب بحر یجرى به و هو لا یدرى [صفحه ۲۱۰]

۶۳

فقد الأحيیه غریبه مثل هذا قول الشاعر فلا تحسبى أن الغریب الذى نأى || ولكن من تنأین عنه غریب قوله ع الغریب من لیس له حیب -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۲-۳۸ و قال الشاعر أسرة المرء و الداء و فیما || بین حضنیهما الحیاة تطیب و إذاولیا عن المرء یوما || فهو فى الناس أجنبى غریب . و قال آخر إذا ماضى القرن الذى كنت فیهم || و خلفت فى قرن فأنت غریب [صفحه ۲۱۱]

۶۴

فوت الحاجه أهون من طلبها إلى غیر أهلها قد سبق هذا المعنى و ذكرنا كثيرا مما قیل فیہ . و كان یقال لا تطلبوا الحوائج إلى ثلاثة إلى عبد یقول الأمر إلى غیرى و إلى رجل حدیث الغنى و إلى تاجر همته أن یستريح فى كل عشرين دینارا حبه واحدة [صفحه ۲۱۲]

۶۵

لما تسح من إعطاء القلیل فإن الجرمیان أقل منه هذانوع من الحث على الإفضال و الجود لطیف و قد استعمل كثيرا فى الهدیه و الاعتذار لقلتها و قد تقدم منا قول شاف فى مدح السخاء و الجود. و كان یقال أفضل على من شئت تكن أمیره و احتج إلى من شئت تكن أسیره و استغن عن من شئت تكن نظیره . و سئل أرسطو هل من جود یستطاع أن یتناول به كل أحد قال نعم أن تنوى الخیر لكل أحد [صفحه ۲۱۳]

۶۶

العفاف زینه الفقر و الشکر زینه الغنى من الأبیات المشهوره فإذا افتقرت فلا تكن || متخشعا و تجمل . و من أمثالهم المشهوره تجوع الحره و لا تأكل بثدیها. و أنشد الأصمعى لبعضهم أقسم بالله لمص النوى || و شرب ماء القلب المالحه أحسن بالإنسان من ذله || و من سؤال الأوجه الكالحه فاستغن بالله تكن ذا غنى || مغتبطا بالصفقه الربحه طوبى لمن تصبح میزانه || یوم یلاقى ربه راجحه . و قال بعضهم و قفت على كنیف و فى أسفله كناف و هو ینشد و أكرم نفسى عن أمور كثيره || ألا إن إكرام النفوس من العقل [صفحه ۲۱۴] و أبخل بالفضل المبین على الأملی || رأیتهم لا یكرمون ذوى الفضل و ماشاننى كنس الكنیف و إنما || یشین الفتى أن یجتدى نائل النذل و أقبح مما بى و قوفى مؤملا || نوال فتى مثلى و أى فتى مثلى . و أما كون الشکر زینه الغنى فقد تقدم من القول ما هو كاف . و كان یقال العلم بغير عمل قول باطل و النعمه بغير شكر جید عاطل [صفحه ۲۱۵]

۶۷

إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا تُرِيدُ فَلَا تُبَلِّ كَيْفَ كُنْتَ قَدْ أَعْجَمَ تَفْسِيرَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ النَّاسِ وَقَالُوا الْمَشْهُورُ فِي كَلَامِ الْحُكَمَاءِ إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا تُرِيدُ فَأَرَدَ مَا يَكُونُ وَلَا مَعْنَى لِقَوْلِهِ فَلَا تُبَلِّ كَيْفَ كُنْتَ وَجَهَلُوا مَرَادَهُ ع . وَمَرَادُهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا تُرِيدُ فَلَا تُبَلِّ بِذَلِكَ أَى لَا تَكْتَرُ بِفُوتِ مَرَادِكَ وَلَا تَبْتَسِسَ بِالْحُرْمَانِ وَلَا تَوَقَّفَ عَلَى هَذَا لِمَا فِي الْكَلَامِ وَكَمَلِ الْمَعْنَى وَصَارَ هَذَا مِثْلَ قَوْلِهِ فَلَا تَكْتَرُ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْهَا أَسْفَا - رَوَايَاتُ ١- ٢- رَوَايَاتُ ٩- ٤١ وَمِثْلَ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى لِكَيْلَا تَأْسُوا عَلَيَّ مَا فَاتَكُمُ لَكُنْهُ تَمَمٌ وَأَكَّدَ فَقَالَ كَيْفَ كُنْتَ أَى لَا تُبَلِّ بِفُوتِ مَا كُنْتَ أَمَلْتَهُ وَلَا تَحْمِلُ لِمَا كُنْتَ عَلَى أَى حَالٍ كُنْتَ مِنْ حَيْبِ أَوْ مَرَضِ أَوْ فَقْرٍ أَوْ فَقْدِ حَيْبٍ وَعَلَى الْجُمْلَةِ لَا تَبَالِ الدَّهْرَ وَلَا تَكْتَرُ بِمَا يَعْكَسُ عَلَيْكَ مِنْ غَرَضِكَ وَيَحْرِمُكَ مِنْ أَمْلِكَ وَلِيَكُنْ هَذَا الْإِهْوَانُ بِهِ وَالِاحْتِقَارُ لَهُ مِمَّا تَعْتَمِدُهُ دَائِمًا عَلَى أَى حَالٍ أَفْضَى بِكَ الدَّهْرَ إِلَيْهَا وَهَذَا وَاضِحٌ - قُرْآنُ ٢٥- ٥٥ [صَفْحَةُ ٢١٦]

٦٨

لَمَّا يُرَى الْجَاهِلُ إِلَّا مَفْرَطًا أَوْ مُفْرَطًا الْعَدَالَةُ هِيَ الْخَلْقُ الْمَتَوَسِّطُ وَهُوَ مَحْمُودٌ بَيْنَ مَذْمُومِينَ فَالشَّجَاعَةُ مَحْفُوفَةٌ بِالتَّهْوَرِ وَالْجَبْنُ وَالذُّكَاةُ بِالْغَبَاوَةِ وَالْجَرَبِزَةُ وَالْجُودُ بِالشَّحِّ وَالتَّبَذِيرُ وَالْحِلْمُ بِالْجُمَادِيَّةِ وَالِاسْتِشَاظَةُ وَعَلَى هَذَا كُلِّ ضِدِّينَ مِنَ الْأَخْلَاقِ بَيْنَهُمَا خَلْقٌ مَتَوَسِّطٌ وَهُوَ الْمَسْمُومُ بِالْعَدَالَةِ فَلِذَلِكَ لَا يُرَى الْجَاهِلُ إِلَّا مَفْرَطًا أَوْ مَفْرَطًا كَصَاحِبِ الْغَيْرَةِ فَهُوَ إِمَّا أَنْ يَفْرَطَ فِيهَا فَيُخْرِجَ عَنِ الْقَانُونِ الصَّحِيحِ فَيُغَارِ لَا - مِنْ مَوْجِبِ بَلِّ بِالْوَهْمِ وَبِالْخِيَالِ وَبِالْوَسْوَاسِ وَإِمَّا أَنْ يَفْرَطَ فَلَا يَبْحَثُ عَنِ حَالِ نِسَائِهِ وَلَا يَبَالِي مَا صَنَعْنَ وَكَلَا الْأَمْرِينَ مَذْمُومٌ وَالْمَحْمُودُ الْاِعْتِدَالُ . وَ مِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ إِذَا صَحَّ الْعَقْلُ التَّحَمُّ بِالْأَدَبِ كَالْتِحَامِ الطَّعَامِ بِالْجَسَدِ الصَّحِيحِ وَإِذَا مَرَضَ الْعَقْلُ نَبَا عَنْهُ مَا يَسْتَمَعُ مِنَ الْأَدَبِ كَمَا يَقِيءُ الْمَمْعُودُ مَا أَكَلَ مِنَ الطَّعَامِ فَلَوْ آثَرَ الْجَاهِلُ أَنْ يَتَعَلَّمَ شَيْئًا مِنَ الْأَدَبِ لَتَحَوَّلَ ذَلِكَ الْأَدَبُ جَهْلًا كَمَا يَتَحَوَّلُ مَا خَالَطَ جُوفَ الْمَرِيضِ مِنْ طَيِّبِ الطَّعَامِ دَاءً [صَفْحَةُ ٢١٧]

٦٩

إِذَا تَمَّ الْعَقْلُ نَقَصَ الْكَلَامُ قَدْ سَبَقَ الْقَوْلُ فِي هَذَا الْمَعْنَى . وَ كَانَ يُقَالُ إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَطِيلُ الصَّمْتَ وَيَهْرَبُ مِنَ النَّاسِ فَاقْرَبُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ يَلْقَى الْحِكْمَةَ [صَفْحَةُ ٢١٨]

٧٠

الدَّهْرُ يُخَلِّقُ الْأَبْدَانَ وَيُجَدِّدُ الْأَمَالَ وَيُقَرِّبُ الْمَتِيَّةَ وَيُبَاعِدُ الْأُمِّيَّةَ مَنْ ظَفَرَ بِهِ نَصَبٌ وَمَنْ فَاتَهُ تَعَبٌ قَدْ سَبَقَ لَنَا قَوْلٌ طَوِيلٌ عَرِيضٌ فِي ذِكْرِ الدَّهْرِ وَالْدُنْيَا وَنَذَرَ الْآنَ شَيْئًا آخَرَ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ الدُّنْيَا تَسْرُ لَتَغْرُ وَتَفِيدُ لَتَكِيدُ كَمْ رَاقِدٌ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيْقَظَتْهُ وَوَاتَقَ بِهَا قَدْ خَذَلَتْهُ بِهَذَا الْخَلْقِ عَرَفْتُ وَعَلَى هَذَا الشَّرْطِ صَوِّبْتُ . وَ كَتَبَ الْإِسْكَانْدَرُ إِلَى أَرِسْطُو طَالِيَسِ عَظْمَى فَكَتَبَ إِلَيْهِ إِذَا صَفْتِ لَكَ السَّلَامَةَ فَجَدِّدْ ذِكْرَ الْعُطْبِ وَ إِذَا طَمَأَنَّ بِكَ الْأَمْنُ فَاسْتَشْعِرِ الْخَوْفَ وَ إِذَا بَلَغْتَ نَهَايَةَ الْأَمَلِ فَادْكُرِ الْمَوْتَ وَ إِذَا أَحْبَبْتَ نَفْسَكَ فَلَا تَجْعَلْ لَهَا نَصِيبًا فِي الْإِسَاءَةِ وَقَالَ شَاعِرٌ فَأَحْسِنْ كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ بِأَخْبَارِ مَنْ مَضَى || وَ لَمْ تَرِ بِالْبَاقِينَ مَا صَنَعَ الدَّهْرُ فَإِنَّ كُنْتَ لَا تَدْرِي فَتَلِكْ دِيَارَهُمْ || عَفَاهَا مَحَالُ الرِّيحِ بَعْدَكَ وَالْقَطْرُ وَهَلْ أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ حَيَا بِمَنْزِلِ || عَلَى الدَّهْرِ إِلَّا بِالْعَرَاءِ لَهُ قَبْرٌ فَلَا تَحْسِبَنَّ الْوَفْرَ مَا لَا جَمْعَتَهُ || وَلَكِنْ مَا قَدِمْتَ مِنْ صَالِحٍ وَفَرٍ [صَفْحَةُ ٢١٩] مَضَى جَامِعُوا الْأَمْوَالَ لَمْ يَتَزَوَّدُوا || سَوَى الْفَقْرِ يَأْبُوسَى لِمَنْ زَادَهُ الْفَقْرُ فَحَتَامٌ لَا تَصْحُو وَ قَدْ قَرِبَ الْمَدَى || وَ حَتَامٌ لَا يَنْجَابُ عَنِ قَلْبِكَ السُّكْرُ بَلَى سَوْفَ تَصْحُو حِينَ يَنْكَشِفُ الْغَطَا || وَ تَذَكَّرْ قَوْلِي حِينَ لَا يَنْفَعُ الذِّكْرُ وَ مَا بَيْنَ مِيلَادِ الْفَتَى وَوَفَاتِهِ || إِذَا انْتَصَحَ الْأَقْوَامُ أَنْفُسَهُمْ عَمْرًا لِأَنَّ أَلْدَى يَأْتِيهِ شَبَهُ أَلْدَى

۷۱

مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا فَعَلَيْهِ أَنْ يَبْدَأَ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ وَ لِيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِسَيْرَتِهِ قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِلِسَانِهِ وَ مُعَلِّمِ نَفْسِهِ وَ مُؤَدِّبِهَا أَحَقُّ بِالْإِجْمَالِ مِنَ مُعَلِّمِ النَّاسِ وَ مُؤَدِّبِهِمُ الْفُرُوعُ تَابِعَةٌ لِلْأَصُولِ فَإِذَا كَانَ الْأَصْلُ مَعُوجًا اسْتَحَالَ أَنْ يَكُونَ الْفُرْعُ مُسْتَقِيمًا كَمَا قَالَ صَاحِبُ الْمَثَلِ وَ هَلْ يَسْتَقِيمُ الظِّلُّ وَ الْعُودُ أَعُوجٌ فَمَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا وَ لَمْ يَكُنْ قَدْ عَلِمَ نَفْسَهُ مَا نَتَّصِبُ لِيَعْلَمَهُ النَّاسُ كَانَ مِثْلَ مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِيَعْلَمَ النَّاسَ الصِّيَاغَةَ وَ النِّجَارَةَ وَ هُوَ لَا يَحْسُنُ أَنْ يَصُوغَ خَاتَمًا وَ لَا يَنْجُرَ لَوْحًا وَ هَذَا نَوْعٌ مِنَ السَّفْهِ بَلْ هُوَ السَّفْهُ كُلُّهُ ثُمَّ قَالَ ع وَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ تَأْدِيبُهُ لَهُمْ بِفَعْلِهِ وَ سَيْرَتِهِ قَبْلَ تَأْدِيبِهِ لَهُمْ بِلِسَانِهِ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْفِعْلَ أَدْلَ عَلَى حَالِ الْإِنْسَانِ مِنَ الْقَوْلِ . ثُمَّ قَالَ وَ مَعْلَمِ نَفْسِهِ وَ مُؤَدِّبِهَا أَحَقُّ بِالْإِجْلَالِ مِنَ مَعْلَمِ النَّاسِ وَ مُؤَدِّبِهِمْ وَ هَذَا أَحَقُّ لِأَنَّ مِنْ عِلْمِ نَفْسِهِ مَحَاسِنَ الْأَخْلَاقِ أَكْبَرًا مِنْ تَعَاطَى تَعْلِيمِ النَّاسِ ذَلِكَ وَ هُوَ غَيْرُ عَامِلٍ بِشَيْءٍ مِنْهُ فَأَمَّا مِنْ عِلْمِ نَفْسِهِ وَ عِلْمِ النَّاسِ فَهُوَ أَفْضَلُ وَ أَجَلُ مِمَّنْ اقْتَصَرَ عَلَى تَعْلِيمِ نَفْسِهِ فَقَطْ لِأَشْبَهَهُ فِي ذَلِكَ [صفحہ ۲۲۱]

۷۲

نَفْسُ الْمَرْءِ خُطَاؤُهُ إِلَى أَجَلِهِ وَ جَدَّتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مَنْسُوبَةً إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمَعْتَرِ فِي فَصْلِ أَوْلِهِ النَّاسِ وَ فِدَا الْبَلَاءِ وَ سَكَانِ الثَّرَى وَ أَنْفَاسِ الْحَيِّ خُطَاؤُهُ إِلَى أَجَلِهِ وَ أَمَلُهُ خَادِعٌ لَهُ عَنِ عَمَلِهِ وَ الدُّنْيَا أَكْذَبُ وَاعِدِيهِ وَ النَّفْسُ أَقْرَبُ أَعَادِيهِ وَ الْمَوْتُ نَازِلٌ عَلَيْهِ وَ مُنْتَظَرٌ فِيهِ أَمْرًا يَمْضِيهِ فَلَا أَدْرِي هَلْ هِيَ لِابْنِ الْمَعْتَرِ أَمْ أَخَذَهَا مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع . وَ الظَّاهِرُ أَنَّهَا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع فَإِنَّهَا بِكَلَامِهِ أَشْبَهَ وَ لِأَنَّ الرِّضَى قَدَرُواهَا عَنْهُ وَ خَيْرَ الْعَدْلِ مَعْمُولٌ بِهِ [صفحہ ۲۲۲]

۷۳

كُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ وَ كُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ الْكَلِمَةُ الْأُولَى تَوْكِدُ مَذْهَبَ جُمْهُورِ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي أَنَّ الْعَالَمَ كُلَّهُ لَا بَدَأَ أَنْ يَنْقَضِيَ وَ يَفْنَى وَ لَكِنِ الْمُتَكَلِّمِينَ الذَّاهِبِينَ إِلَى هَذَا الْقَوْلِ لَا يَقُولُونَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ فَايَا وَمُنْقَضِيَا لِأَنَّهُ مَعْدُودٌ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَلِزَمُ وَ مِنَ الْجَائِزِ أَنْ يَكُونَ مَعْدُودًا وَ لَا يَجِبُ فَنَائُهُ وَ لِهَذَا قَالَ أَصْحَابُنَا إِنَّمَا عَلِمْنَا أَنَّ الْعَالَمَ يَفْنَى عَنِ طَرِيقِ السَّمْعِ لَا مِنْ طَرِيقِ الْعَقْلِ فَيَجِبُ أَنْ يَحْمَلَ كَلَامَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع عَلَى مَا يَطَابِقُ ذَلِكَ وَ هُوَ أَنَّهُ لَيْسَ يَعْنِي أَنَّ الْعَدَدَ عَلَةٌ فِي وَجُوبِ الْإِنْقِضَاءِ كَمَا يَشْعُرُ بِهِ ظَاهِرُ لَفْظِهِ وَ هُوَ الَّذِي يَسْمِيهِ أَصْحَابُ أَصُولِ الْفِقْهِ إِيمَاءً وَ إِنَّمَا مَرَادُهُ كُلُّ مَعْدُودٍ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ فَانٍ وَ مُنْقَضٌ فَقَدْ حَكَمَ عَلَى كُلِّ مَعْدُودٍ بِالْإِنْقِضَاءِ حَكْمًا مَجْرَدًا عَنِ الْعَلَّةِ كَمَا لَوْ قِيلَ زَيْدٌ قَائِمٌ لَيْسَ يَعْنِي أَنَّهُ قَائِمٌ لِأَنَّهُ يَسْمَى زَيْدًا. فَأَمَّا قَوْلُهُ وَ كُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ فِيمَا ثَلَّةُ قَوْلِ الْعَامَّةِ فِي أَمْثَالِهَا لَوَانْتِظَرْتَ الْقِيَامَةَ لِقَامَتِ الْقَوْلُ فِي نَفْسِهِ حَقٌّ لِأَنَّ الْعُقَلَاءَ لَا يَنْتَظِرُونَ مَا يَسْتَحِيلُ وَقُوعُهُ وَ إِنَّمَا يَنْتَظِرُونَ مَا يُمْكِنُ وَقُوعُهُ وَ مَا لَا بَدَأَ مِنْ وَقُوعِهِ فَقَدْ صَحَّ أَنْ كُلُّ مُنْتَظَرٍ سِيَّاتِي [صفحہ ۲۲۳]

۷۴

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا اسْتَبْتَّهَا اعْتَبَرَ آخِرَهَا بِأَوَّلِهَا رَوَى إِذَا اسْتَبْتَّهَا وَ الْمَعْنَى وَاحِدٌ وَ هُوَ حَقٌّ وَ ذَلِكَ أَنَّ الْمَقْدِمَاتِ تَدُلُّ عَلَى النَّتَائِجِ

والأسباب تدل على المسيبات وطالما كان الشيطان ليسا عله ومعلولا وإنما بينهما أدنى تناسب فيستدل بحال أحدهما على حال الآخر وإذا كان كذلك واشتبهت أمور على العاقل الفطن و لم يعلم إلى ماذا تتول فإنه يستدل على عواقبها بأوائلها و على خواتمها بفواتحها كالرعيه ذات السلطان الركيك الضعيف السياسه إذا ابتدأت أمور مملكته تضطرب واستبهم على العاقل كيف يكون الحال فى المستقبل فإنه يجب عليه أن يعتبر أواخرها بأوائلها ويعلم أنه سيفضى أمر ذلك الملك إلى انتشار وانحلال فى مستقبل الوقت لأن الحركات الأولى منذره بذلك وواعدة بوقوعه و هذا واضح [صفحه ٢٢٤]

٧٥

وَ مِنْ خَبَرِ ضِرَارِ بْنِ ضَمْرَةَ الضَّابِيِّ عِنْدَ دُخُولِهِ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَ مَسْأَلَتِهِ لَهُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع قَالَ فَأَشْهَدُ لَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي بَعْضِ مَوَاقِفِهِ وَ قَدْ أَرَخَى اللَّيْلُ سُدُولَهُ وَ هُوَ قَائِمٌ فِي مِحْرَابِهِ قَابِضٌ عَلَى لِحْيَتِهِ يَتَمَلَّمُ تَمَلُّمَ السَّلِيمِ وَ يَبْكِي بُكَاءَ الْحَزِينِ وَ هُوَ يَقُولُ يَا دُنْيَا يَا دُنْيَا إِلَيْكَ عَنِّي أَبِي تَعَرَّضْتَ أَمْ إِلَى تَشَوُّفِ لَأَحَانَ حَيْثُكَ هَيْهَاتَ غُرَى غَيْرِي لَأَحَاجِيَهُ لِي فِيكَ قَدْ طَلَّقْتُكَ ثَلَاثًا لَأَرْجِعَهُ فِيهَا فَعَيْشُكَ قَصِيرٌ وَ خَطْرُكَ يَسِيرٌ وَ أَمْلِكُ حَقِيرٌ آه مِنْ قَلْبِ الزَّادِ وَ طُولِ الطَّرِيقِ وَ بَعْدِ السَّفَرِ وَ عَظِيمِ الْمَوْرِدِ السَّدُولِ جَمْعُ سَدِيلٍ وَ هُوَ مَا سَدَلَ عَلَى الْهُودِجِ وَ يَجُوزُ فِي جَمْعِهِ أَيْضًا أَسْدَالٌ وَ سَدَائِلٌ وَ هُوَ هَاهُنَا اسْتِعَارَةٌ وَ التَّمَلُّمُ وَ التَّمَلُّلُ أَيْضًا عَدَمُ الْاسْتِقْرَارِ مِنَ الْمَرَضِ كَأَنَّهُ عَلَى مَلَّةٍ وَ هِيَ الرَّمَادُ الْحَارُّ. وَ السَّلِيمُ الْمَلْسُوعُ. وَ يَرُوى تَشَوُّقٌ بِالْقَافِ. وَ قَوْلُهُ لَأَحَانَ حَيْثُكَ دَعَاءٌ عَلَيْهَا أَى لَأَحْضُرُ وَ قَتُّكَ كَمَا تَقُولُ لَأَكُنْتُ [صفحه ٢٢٥] فَأَمَّا ضِرَارُ بْنُ ضَمْرَةَ فَإِنَّ الرِّيَاشِي رَوَى خَبْرَهُ وَ نَقَلْتُهُ أَنَا مِنْ كِتَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ الْحَلَبِيِّ فِي التَّنْذِيلِ عَلَى نَهْجِ الْبَلَاغَةِ قَالَ دَخَلَ ضِرَارٌ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَ كَانَ ضِرَارٌ مِنْ صَحَابَةِ عَلَى ع فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ يَا ضِرَارُ صَفِّ لِي عَلِيًّا قَالَ أَوْ تَعْفِينِي قَالَ لَأَعْفِيكَ قَالَ مَا أَصْفَ مِنْهُ كَانَ وَ اللَّهُ شَدِيدُ الْقَوَى بَعِيدُ الْمَدَى يَتَفَجَّرُ الْعِلْمُ مِنْ أَنْحَائِهِ وَ الْحِكْمَةُ مِنْ أَرْجَائِهِ حَسَنُ الْمَعَاشِرَةِ سَهْلُ الْمَبَاشِرَةِ خَشَنُ الْمَأْكَلِ قَصِيرُ الْمَلْبَسِ غَزِيرُ الْعِبْرَةِ طَوِيلُ الْفِكْرَةِ يَقْلِبُ كَفَّهُ وَ يَخَاطِبُ نَفْسَهُ وَ كَانَ فِينَا كَأَحَدِنَا يَجِيبُنَا إِذَا سَأَلْنَا وَ يَبْتَدِنَا إِذَا سَكُنْنَا وَ نَحْنُ مَعَ تَقْرِيْبِهِ لَنَا أَشَدُّ مَا يَكُونُ صَاحِبٌ لَصَاحِبِ هَيْبَةٍ لَأَنْبَتَدُهُ الْكَلَامُ لِعَظَمَتِهِ يَحِبُّ الْمَسَاكِينَ وَ يَقْرُبُ أَهْلَ الدِّينِ وَأَشْهَدُ لَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي بَعْضِ مَوَاقِفِهِ... وَ تَمَامُ الْكَلَامِ مَذْكَورٌ فِي الْكِتَابِ. وَ ذَكَرَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي كِتَابِ الْإِسْتِيعَابِ هَذَا الْخَبْرَ فَقَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَوْسُفَ قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ مَالِكِ بْنِ عَائِدَةَ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَقْلَةَ الْبَغْدَادِي بِمِصْرٍ وَ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دَرِيدٍ قَالَ حَدَّثَنَا الْعَكْلِيُّ عَنِ الْحَرَمَازِيِّ عَنِ رَجُلٍ مِنْ هَمْدَانَ قَالَ قَالَ مُعَاوِيَةُ لَضِرَارِ الضَّابِيِّ يَا ضِرَارُ صَفِّ لِي عَلِيًّا قَالَ اعْفِنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ لَتَصَفِّنَهُ قَالَ أَمَا إِذْ لَأَبْدُ مِنْ وَصْفِهِ فَكَانَ وَ اللَّهُ بَعِيدُ الْمَدَى شَدِيدُ الْقَوَى يَقُولُ فَصْلًا وَ يَحْكُمُ عَدْلًا يَتَفَجَّرُ الْعِلْمُ مِنْ جَوَانِبِهِ وَ تَنْطِقُ الْحِكْمَةُ مِنْ نَوَاحِيهِ يَسْتَوْحِشُ مِنَ الدُّنْيَا وَ زَهْرَتِهَا وَ يَأْنَسُ بِاللَّيْلِ وَ وَحْشَتِهِ وَ كَانَ غَزِيرُ الْعِبْرَةِ طَوِيلُ الْفِكْرَةِ يَعْجِبُهُ مِنَ اللَّبَاسِ مَا قَصُرَ وَ مِنَ الطَّعَامِ مَا خَشَنَ كَانَ فِينَا كَأَحَدِنَا يَجِيبُنَا إِذَا سَأَلْنَاهُ وَ يَنْبِتُنَا إِذَا اسْتَفْتَيْنَاهُ وَ نَحْنُ وَ اللَّهُ - رَوَايَتُ ١- ٢- رَوَايَتُ ٢٨٠- ١- دَامَهُ دَارِدُ [صفحه ٢٢٦] مَعَ تَقْرِيْبِهِ إِيَّانَا وَ قَرْبِهِ مِنَّا لَأَنْكَادُ نَكْلَمُهُ هَيْبَةً لَهُ يَعْظُمُ أَهْلَ الدِّينِ وَ يَقْرُبُ الْمَسَاكِينَ لَأَيْطَمِعُ الْقَوَى فِي بَاطِلِهِ وَ لَأَيْسُسُ الضَّعِيفَ مِنْ عَدْلِهِ وَأَشْهَدُ لَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي بَعْضِ مَوَاقِفِهِ وَ قَدْ أَرَخَى اللَّيْلُ سُدُولَهُ وَ غَارَتْ نَجْوَمُهُ قَابِضًا عَلَى لِحْيَتِهِ يَتَمَلَّمُ تَمَلُّمَ السَّلِيمِ وَ يَبْكِي بُكَاءَ الْحَزِينِ وَ يَقُولُ يَا دُنْيَا غُرَى غَيْرِي أَبِي تَعَرَّضْتَ أَمْ إِلَى تَشَوُّقِ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ قَدْبَايْنَتِكَ ثَلَاثًا لَأَرْجِعَهُ لِي فِيهَا فَعَمْرُكَ قَصِيرٌ وَ خَطْرُكَ حَقِيرٌ آه مِنْ قَلْبِ الزَّادِ وَ بَعْدِ السَّفَرِ وَ وَحْشَةُ الطَّرِيقِ فَبَكِيَ مُعَاوِيَةُ وَ قَالَ رَحِمَ اللَّهُ أَبَا حَسَنِ كَانَ وَ اللَّهُ كَذَلِكَ فَكَيْفَ حَزْنُكَ عَلَيْهِ يَا ضِرَارُ قَالَ حَزْنٌ مِنْ ذَبْحِ وَلَدِهَا فِي حَجْرِهَا - رَوَايَتُ ١- از قبل - ٥٤٨ [صفحه ٢٢٧]

٧٦

وَمِنْ كَلَامِهِ عَ لِلسَّائِلِ الشَّامِي لَمَّا سَأَلَهُ أَمْ كَانَ مَسِيرُنَا إِلَى الشَّامِ بِقَضَاءٍ مِنَ اللَّهِ وَ قَدَرِهِ بَعْدَ كَلَامِ طَوِيلٍ هَذَا مُخْتَارُهُ وَيَحْكُ لَعَلَّكَ ظَنَنْتَ قَضَاءً لَازِمًا وَ قَدْرًا حَاتِمًا لَوْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لَبَطَلَ الثَّوَابُ وَ الْعِقَابُ وَ سَقَطَ الْوَعْدُ وَ الْوَعِيدُ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ عِبَادَهُ تَخْيِيرًا وَ نَهَاهُمْ تَحْذِيرًا وَ كَلَّفَ يَسِيرًا وَ لَمْ يُكَلِّفْ عَسِيرًا وَ أَعْطَى عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيرًا وَ لَمْ يُعْصِ مَغْلُوبًا وَ لَمْ يُطْعِ مُكْرَهًا وَ لَمْ يُرْسِلِ الْأَنْبِيَاءَ لِعِبَادٍ لَعِبَاءٌ وَ لَمْ يُنْزِلِ الْكُتُبَ لِلْعِبَادِ عَثَاءً وَ لَا خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الْعَالَمِينَ كَفَرُوا كَفَرُوا مِنَ النَّارِ - قرآن - ٦٥٣-٧٢٠ قد ذكر شيخنا أبو الحسين رحمه الله هذا الخبر في كتاب الغرر ورواه عن الأصمغ بن نباتة قال قام شيخ إلى علي ع فقال أخبرنا عن مسيرنا إلى الشام أ كان بقضاء الله وقدره فقال و الذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما وطننا موطنًا ولا هبطنا واديا إلا بقضاء الله وقدره فقال الشيخ فعند الله أحسب عنائي ما أرى لي من الأجر شيئًا فقال مه أيها الشيخ لقد عظم الله أجركم في مسيركم وأنتم سائرون و في منصرفكم وأنتم منصرفون و لم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين -رواية ١-٢-رواية ٩٤-ادامه دارد [صفحه ٢٢٨] و لإليها مضطرين فقال الشيخ وكيف القضاء والقدر ساقانا فقال ويحك لعلك ظننت قضاء لازما وقدرا حتما لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب والوعد والوعيد والأمر والنهي و لم تأت لائمة من الله لمذنب و لامحمدة لمحسن و لم يكن المحسن أولى بالمدح من المسيء و لا المسيء أولى بالذم من المحسن تلك مقالة عباد الأوثان وجنود الشيطان وشهود الزور و أهل العمى عن الصواب وهم قدرية هذه الأمة ومجوسها إن الله سبحانه أمر تخييرا ونهى تحذيرا وكلف يسيرا و لم يعص مغلوبا و لم يطع مكرها و لم يرسل الرسل إلى خلقه عبثا و لم يخلق السموات والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار فقال الشيخ فما القضاء والقدر اللذان ماسرنا لإبهما فقال هو الأمر من الله والحكم ثم تلا قوله سبحانه وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ فَانْهَضِ الشَّيْخَ مَسْرُورًا وَ هُوَ يَقُولُ -رواية- از قبل ٨٠٣ أنت الإمام الذي نرجو بطاعته || يوم النشور من الرحمن رضوانا أوضحت من ديننا ما كان ملتبسا || جزاك ربك عنا فيه إحسانا. ذكر ذلك أبو الحسين في بيان أن القضاء والقدر قد يكون بمعنى الحكم والأمر و أنه من الألفاظ المشتركة [صفحه ٢٢٩]

٧٧

خُذِ الْحِكْمَةَ أَنَّى كَانَتْ فَإِنَّ الْحِكْمَةَ تَكُونُ فِي صِدْرِ الْمُنَافِقِ فَتَلْجَأُ فِي صِدْرِهِ حَتَّى تَخْرُجَ فَتَسْكُنَ إِلَى صَوَاحِبِهَا فِي صِدْرِ الْمُؤْمِنِ قَالَ الرُّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَ قَدْ قَالَ عَلِيٌّ عَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ فَخُذِ الْحِكْمَةَ وَ لَوْ مِنْ أَهْلِ التَّنَافِقِ خُطِبَ الْحِجَابِ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنَا بِطَلْبِ الْآخِرَةِ وَ كَفَانَا مِثْوَةَ الدُّنْيَا فَلَيْتَنَا كَفِينَا مِثْوَةَ الْآخِرَةِ وَأَمَرَنَا بِطَلْبِ الدُّنْيَا. فسمعها الحسن فقال هذه ضالة المؤمن خرجت من قلب المنافق . و كان سفيان الثوري يعجبه كلام أبي حمزة الخارجي و يقول ضالة المؤمن على لسان المنافق تقوى الله أكرم سريره وأفضل ذخيره منها ثقة الواثق وعليها مقه الواثق ليعمل كل امرئ في مكان نفسه و هورخي اللب طويل السبب ليعرف ممد يده وموضع قدمه وليحذر الزلل والعلل المانعة من العمل رحم الله عبدا آثر التقوى واستشعر شعارها واجتنى ثمارها باع دار البقاء بدار الآباد الدنيا كروضة يوتق مرعاها وتعجب من رآها تمج عروقها الثرى وتنطف فروعها بالندى حتى إذ بلغ العشب إناه وانتهى الزبرج منتهاه ضعف العمود وذوى العود وتولى من الزمان ما لا يعود فحتت الرياح الورق و فرقت ما كان اتسق فأصبحت هشيما وأمست رميما [صفحه ٢٣٠]

٧٨

قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُهُ قَالَ الرُّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَ هَذِهِ الْكَلِمَةُ الَّتِي لَا تَصَابُ لَهَا قِيمَةٌ وَ لَا تَوَازُنُ بِهَا حِكْمَةٌ وَ لَا تَقْرَنُ إِلَيْهَا

كلمة -رواية- ١-١٠٧ قدسلف لنا في فضل العلم أقوال شافية ونحن نذكر هاهنا نكتة أخرى .يقال إن من كلام أردشير بن بابك في رسالته إلى أبناء الملوك بحسبكم دلالة على فضل العلم أنه ممدوح بكل لسان يتزين به غير أهله ويدعيه من لا يلصق به قال وبحسبكم دلالة على عيب الجهل أن كل أحد ينتفى منه ويغضب أن يسمى به . وقيل لأنوشروان مابالكم لاتستفيدون من العلم شيئاً إلازادكم ذلك عليه حرصا قال لأنا لانستفيد منه شيئاً إلازددنا به رفعة وعزا وقيل له مابالكم لاتأنفون من التعلم من كل أحد قال لعلنا بأن العلم نافع من حيث أخذ. وقيل لبرجمهر بم أدركت ما أدركت من العلم قال بيكور كبكور الغراب وحرص كحرص الخنزير وصبر كصبر الحمار. وقيل له العلم أفضل أم المال فقال العلم قيل فما بالننا نرى أهل العلم على [صفحة ٢٣١] أبواب أهل المال أكثر مما نرى أصحاب الأموال على أبواب العلماء قال ذاك أيضا عائد إلى العلم والجهل وإنما كان كمارأيتم لعلم العلماء بالحاجة إلى المال وجهل أصحاب المال بفضيلة العلم . و قال الشاعر تعلم فليس المرء يخلق عالما || و ليس أخو علم كمن هو جاهل و إن كبير القوم لاعلم عنده || صغير إذالتفت عليه المحافل [صفحة ٢٣٢]

٧٩

أَوْصِيَكُمْ بِخَمْسٍ لَوْ ضَرَبْتُمْ إِلَيْهَا آبَاطَ الْإِبِلِ لَكَانَتْ لِدَلِكْ أَهْلًا لَا يَرْجُونَ أَحَدًا مِنْكُمْ إِلَّا رَبَّهُ وَ لَا يَخَافَنَّ إِلَّا ذَنْبَهُ وَ لَا يَسْتَحِينَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ إِذَا سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ لَا أَعْلَمُ وَ لَا يَسْتَحِينَنَّ أَحَدًا إِذَا لَمْ يَعْلَمْ الشَّيْءَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ وَ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ فَإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْإِيمَانِ كَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ وَ لَا خَيْرَ فِي جَسَدٍ لَا رَأْسَ مَعَهُ وَ لَا خَيْرَ فِي إِيْمَانٍ لَا صَبْرَ مَعَهُ قَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِي جَمِيعِ الْحُكْمِ الْمَنْطَوِيِّ عَلَيْهَا هَذَا الْفَصْلُ وَ قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ وَ اللَّهُ لَا أَرْجُو سِوَاكَ || وَ لَا أَخَافُ سِوَى ذَنْبِي فَاعْفِرْ ذَنْبِي يَا رَحِيمُ || فَأَنْتَ سِتَارُ الْعِيُوبِ . وَ كَانَ يُقَالُ مِنْ اسْتَحْيَا مِنْ قَوْلِ لَا أَدْرِي كَانَ كَمَنْ يَسْتَحْيِي مِنْ كَشْفِ رُكْبَتِهِ ثُمَّ يَكْشِفُ سُوءَهُ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ مَنْ امْتَنَعَ مِنْ قَوْلِ لَا أَدْرِي وَ أَجَابَ بِالْجَهْلِ وَالْخَطِيئَةِ فَقَدْ وَاقَعَ مَا يَجِبُ فِي الْحَقِيقَةِ أَنْ يَسْتَحْيَا مِنْهُ وَ كَفَّ عَمَّا لَيْسَ بِوَاجِبٍ أَنْ يَسْتَحْيَا مِنْهُ فَكَانَ شَبِيهَا بِمَا ذَكَرْنَاهُ فِي الرُّكْبَةِ وَالْعَوْرَةِ. وَ كَانَ يُقَالُ يَحْسَنُ بِالْإِنْسَانِ التَّعْلَمُ مَا دَامَ يَقْبَحُ مِنْهُ الْجَهْلُ وَ كَمَا يَقْبَحُ مِنْهُ الْجَهْلُ مَا دَامَ حَيَا كَذَلِكَ يَحْسَنُ بِهِ التَّعْلَمُ مَا دَامَ حَيَا. وَ أَمَا الصَّبْرُ فَقَدْ سَبَقَ فِيهِ كَلَامٌ مَقْنَعٌ وَسَيَأْتِي فِيهَا بَعْدَ جَمْلَةٍ مِنْ ذَلِكَ [صفحة ٢٣٣]

٨٠

وَ قَالَتْ عَ لِرَجُلٍ أَفْرَطَ فِي الثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَ كَانَ لَهُ مَثَمًا أَنَا دُونَ مَا تَقُولُ وَ فَوْقَ مَا فِي نَفْسِكَ قَدْ سَبَقَ مَنَا قَوْلٌ مَقْنَعٌ فِي كِرَاهِيَةِ مَدْحِ الْإِنْسَانِ فِي وَجْهِهِ . وَ كَانَ عَمْرُ جَالِسًا وَعِنْدَهُ الدَّرَّةُ إِذْ أَقْبَلَ الْجَارُودُ الْعَبْدِيُّ فَقَالَ رَجُلٌ هَذَا الْجَارُودُ سَيِّدٌ رَبِيعَةٌ فَسَمِعَهَا عَمْرٌ وَ مِنْ حَوْلِهِ وَ سَمِعَهَا الْجَارُودُ فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ خَفَقَهُ بِالدَّرَةِ فَقَالَ مَا لِي وَ لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ مَا لِي وَ لَكَ أَمَا لَقَدْ سَمِعْتَهَا قَالَ وَ مَا سَمِعْتَهَا فَمَا قَالَ لِيخَالِطَنَ قَلْبَكَ مِنْهَا شَيْءٌ وَ أَنَا أَحَبُّ أَنْ أَطَاطِيَّ مِنْكَ . وَ قَالَتِ الْحَكَمَاءُ إِنَّهُ يَحْدُثُ لِلْمَمْدُوحِ فِي وَجْهِهِ أَمْرَانِ مَهْلِكَانِ أَحَدُهُمَا الْإِعْجَابُ بِنَفْسِهِ وَ الثَّانِي إِذَا ثَنَى عَلَيْهِ بِالذِّينِ أَوْ الْعِلْمِ فَتَرَى قَوْلَ اجْتِهَادِهِ وَ رَضَى عَنْ نَفْسِهِ وَ نَقَصَ تَشْمِيرَهُ وَ جَدَّهُ فِي طَلْبِ الْعِلْمِ وَ الذِّينِ فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَتَشَمَّرُ مِنْ رَأْيِ نَفْسِهِ مَقْصِرًا فَأَمَّا مَنْ أَطْلَقَتِ الْأَلْسُنُ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يَظُنُّ أَنَّهُ قَدْ وَصَلَ وَ أَدْرَكَ فَيَقِلُّ اجْتِهَادَهُ وَ يَتَكَلَّمُ عَلَى مَا قَدْ حَصَلَ لَهُ عِنْدَ النَّاسِ وَ لِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَسَلَّمَ لَمَنْ مَدَحَ -رواية- ١-٢ [صفحة ٢٣٤] إِنْسَانًا كَادَ يَسْمَعُهُ وَ يَحْكُ قَطَعَتْ عُنُقَ صَاحِبِكَ لَوْ سَمِعَهَا لَمَا أَفْلَحَ -رواية- ٢١-٦٢ . فَأَمَّا قَوْلُهُ عَ لَهُ وَ فَوْقَ مَا فِي نَفْسِكَ فَإِنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَنْبَهُ عَلَى أَنَّهُ قَدْ عَرَفَ أَنَّهُ كَانَ يَقَعُ فِيهِ وَ يَنْحَرِفُ عَنْهُ وَ إِنَّمَا أَرَادَ تَعْرِيفَهُ ذَلِكَ لِمَا رَأَاهُ مِنَ الْمَصْلُحَةِ إِمَّا لِظَنِّهِ أَنَّهُ يَقْلَعُ عَمَّا كَانَ يَذْمُهُ بِهِ أَوْ لِيَعْلَمَهُ بِتَعْرِيفِهِ أَنَّهُ قَدْ عَرَفَ ذَلِكَ أَوْ لِيَخُوفِهِ وَ يَزْجُرُهُ أَوْ لِغَيْرِ ذَلِكَ [صفحة ٢٣٥]

بَقِيَهُ السَّيْفِ أَنْمَى عَدَدًا وَ أَكْثَرَ وَلَدًا قَالَ شَيْخُنَا أَبُو عَثْمَانَ لَيْتَهُ لِمَا ذَكَرَ الْحَكَمَ ذَكَرَ الْعَلَاءُ . ثُمَّ قَالَ قَدْ وَجَدْنَا مُصَدِّقَ قَوْلِهِ فِي أَوْلَادِهِ وَأَوْلَادِ الزَّبِيرِ وَبَنِي الْمَهْلَبِ وَأَمْثَالِهِمْ مِمَّنْ أُسْرِعَ الْقَتْلُ فِيهِمْ . وَأَتَى زِيَادَ بَامْرَأَهُ مِنَ الْخَوَارِجِ فَقَالَ لَهَا أَمَا وَاللَّهِ لِأَحْصَدْنَكُمْ حَصْدًا وَلَأَفِينَكُمْ عَدَا فَقَالَتْ كَلَّا إِنْ الْقَتْلَ لِيُزْعِنَا فَلَمَّا هُم بِقَتْلِهَا تَسْتَرَتْ بِثَوْبِهَا فَقَالَ اهْتَكُوا سِتْرَهَا لِحَاهَا اللَّهُ فَقَالَتْ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْتِكُ سِتْرَ أَوْلِيَائِهِ وَلَكِنَّ الَّتِي هَتَكَ سِتْرَهَا عَلَيَّ يَدُ ابْنِهَا سَمِيئَةَ فَقَالَ عَجَلُوا قَتْلَهَا أَبْعِدْهَا اللَّهُ فَقَتَلَتْ [صَفْحَهُ ٢٣٦]

مَنْ تَرَكَ قَوْلًا لَأَدْرِي أَصَبَّتْهُ مَقَاتِلُهُ جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى بَرْجَمِهر فَسَأَلَتْهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَقَالَ لِأَدْرِي فَقَالَتْ أَيْعْطِيكَ الْمَلِكُ كُلَّ سَنَةٍ كَذَا كَذَا وَتَقُولُ لِأَدْرِي فَقَالَ إِنَّمَا يُعْطِينِي الْمَلِكُ عَلَيَّ مَا أُدْرِي وَ لَوْ أُعْطَانِي عَلَيَّ مَا لِأَدْرِي لِمَا كَفَانِي بَيْتُ مَالِهِ . وَ كَانَ يَقُولُ قَوْلًا لِأَعْلَمُ نَصْفَ الْعِلْمِ . وَ قَالَ بَعْضُ الْفُضَلَاءِ إِذَا قَالَ لَنَا إِنْسَانٌ لِأَدْرِي عِلْمَانَهُ حَتَّى يَدْرِي وَ إِنْ قَالَ أَدْرِي أَمْتَحِنَاهُ حَتَّى لَا يَدْرِي [صَفْحَهُ ٢٣٧]

رَأَى الشَّيْخَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ جَلَمِدِ الْغُلَامِ وَ يُرَوَى مِنْ مَشْهَدِ الْغُلَامِ إِنَّمَا قَالَ كَذَلِكَ لِأَنَّ الشَّيْخَ كَثِيرَ التَّجْرِبَةِ فَيَبْلُغُ مِنَ الْعَدُوِّ بِرَأْيِهِ مَا لَا يَبْلُغُ بِشَجَاعَتِهِ الْغُلَامُ الْوَحْدَ غَيْرَ الْمَجْرِبِ لِأَنَّهُ قَدْ يَغْرُرُ بِنَفْسِهِ فِيهِلَكَ وَيَهْلِكُ أَصْحَابَهُ وَ لَا يَرِيبُ أَنَّ الرَّأْيَ مُقَدِّمٌ عَلَى الشَّجَاعَةِ وَلِذَلِكَ قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ الرَّأْيَ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشَّجْعَانِ || هُوَ أَوَّلُ وَهِيَ الْمَحَلُّ الثَّانِي فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ مَرَّةً || بَلَغَتْ مِنَ الْعِلْيَاءِ كُلِّ مَكَانٍ وَ لَرَبَّمَا طَعَنَ الْفَتَى أَقْرَانَهُ || بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعَنِ الْأَقْرَانِ لَوْ لِالْعُقُولِ لَكَانَ أَدْنَى ضَيْغَمٍ || أَدْنَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ وَ لِمَا تَفَاضَلَتْ الرِّجَالُ وَ دَبَّرَتْ || أَيْدِي الْكِمَاءِ عَوَالِي الْمِرَانِ . وَ مِنْ وَصَايَا أَبْرُويزِ إِلَى ابْنِهِ شَيْرُوِيهِ لِأَنَّ تَسْتَعْمَلَ عَلَى جَيْشِكَ غُلَامًا غَمْرًا تَرَفًا قَدْ كَثُرَ إِعْجَابُهُ بِنَفْسِهِ وَ قَلَّتْ تَجَارِبُهُ فِي غَيْرِهِ وَ لَاهِرْمَا كَبِيرًا مَدْبِرًا قَدْ أَخَذَ الدَّهْرَ مِنْ عَقْلِهِ كَمَا أَخَذَتْ السِّنُّ مِنْ جِسْمِهِ وَعَلَيْكَ بِالْكَهُولِ ذَوِي الرَّأْيِ . [صَفْحَهُ ٢٣٨] وَ قَالَ لَقِيَطُ بْنُ يَعْمَرَ الْإِيَادِي فِي هَذَا الْمَعْنَى وَ قَلْدُوا أَمْرَكُمْ لِلَّهِ دَرْكَمٍ || رَحِبِ الذَّرَاعِ بِأَمْرِ الْحَرْبِ مُضْطَلَعًا لِأَمْتَرَفًا إِنْ رَخَاءَ الْعَيْشِ سَاعِدَهُ || وَ لَا إِذَاعُضَ مَكْرُوهُ بِهِ خَشَعًا مَا زَالَ يَحْلِبُ هَذَا الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ || يَكُونُ مُتَبَعًا طَوْرًا وَ مُتَبَعًا حَتَّى اسْتَمَرَ عَلَى شِزْرِ مَرِيرَتِهِ || مُسْتَحْكَمِ الرَّأْيِ لِأَقْحَمًا وَ لِأَضْرَعًا [صَفْحَهُ ٢٣٩]

عَجِبْتُ لِمَنْ يَقْنَطُ وَ مَعَهُ الْإِسْتِغْفَارُ قَالُوا الْإِسْتِغْفَارُ حَوَارِسُ الذَّنُوبِ . وَ قَالَ بَعْضُهُمُ الْعَبْدُ بَيْنَ ذَنْبٍ وَ نِعْمَةٍ لَا يَصْلِحُهُمَا إِلَّا الشُّكْرُ وَ الْإِسْتِغْفَارُ . وَ قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ خَنْعَمٍ لَا يَقُولُنَّ أَحَدُكُمْ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَ أَتُوبُ إِلَيْهِ فَيَكُونُ ذَنْبًا وَ كَذْبًا إِنْ لَمْ يَفْعَلْ وَلَكِنْ لِيَقْلُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَ تَبَّ عَلَيَّ . وَ قَالَ الْفَضِيلُ الْإِسْتِغْفَارُ بِلَا إِقْلَاعِ تَوْبَةِ الْكَذَّابِينَ . وَ قِيلَ مِنْ قَدَمِ الْإِسْتِغْفَارِ عَلَى النَّدَمِ كَانَ مُسْتَهْزَأًا بِاللَّهِ وَ هُوَ لَا يَعْلَمُ [صَفْحَهُ ٢٤٠]

وَ حَكَى عَنْهُ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْبَاقِرُ ع أَنَّهُ كَانَ ع قَالَ كَانَ فِي الْأَرْضِ أَمَانَانِ مِنَ عَذَابِ اللَّهِ وَقَدْ رُفِعَ أَحَدُهُمَا فَدُونَكُمْ
الْآخَرَ فَتَمَسَّ كُؤَا بِيَهُ أَمَّا الْأَمَانُ الَّذِي رُفِعَ فَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَ أَمَّا الْأَمَانُ الْبَاقِي فَالِاسْتِغْفَارُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ
فِيهِمْ وَ مَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ - قرآن- ٣١٨-٤١٥ قال الرضى رحمه الله تعالى و هذا من محاسن الاستخراج و لطائف
الاستنباط -روايت- ١-٧٧ قال قوم من المفسرين وَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ وَالْمَرَادُ نَفَى الْاسْتِغْفَارِ عَنْهُمْ أَى لَوْ كَانُوا مِمَّنْ
يَسْتَغْفِرُونَ لِمَاعَذَابِهِمْ وَ هَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى وَ مَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَ أَهْلِهَا مُصْلِحُونَ فَكَأَنَّهُ قَالَ لَكُنْهُمْ لَا يَسْتَغْفِرُونَ
فَلَا انْتِفَاءَ لِلْعَذَابِ عَنْهُمْ . وَ قَالَ قَوْمٌ مَعْنَاهُ وَ مَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ فِيهِمْ مَنْ يَسْتَغْفِرُ وَ هُمْ الْمُسْلِمُونَ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ مِمَّنْ تَخَلَّفَ عَنِ
رَسُولِ اللَّهِ ص مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ . - قرآن- ٢٣-٤٢- قرآن- ١٤٨-٢١١ [صفحہ ٢٤١] ثم قال وَ مَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ أَى وَلَا يَسَبُّ
لَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ مَعَ وَجُودِ مَا يَقْتَضِي الْعَذَابَ وَ هُوَ صَدَقَهُمُ الْمُسْلِمِينَ وَالرَّسُولَ عَنِ الْبَيْتِ فِي عَامِ الْحَدِيثِ وَ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ تَرْتِيبَ
الْقُرْآنِ لَيْسَ عَلَى تَرْتِيبِ الْوَقَائِعِ وَالْحَوَادِثِ لِأَنَّ سُورَةَ الْأَنْفَالِ نَزَلَتْ عَقِيبَ وَقْعَةِ بَدْرٍ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ وَ صَدَّ الرَّسُولُ ص
عَنِ الْبَيْتِ كَانَ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ فَكَيْفَ يَجْعَلُ آيَةَ نَزَلَتْ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ فِي سُورَةِ نَزَلَتْ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ . وَ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ
مِنْ ذَلِكَ وَإِنَّمَا رَتَبَهُ قَوْمٌ مِنَ الصَّحَابَةِ فِي أَيَّامِ عَثْمَانَ - قرآن- ١٠-٤٦ [صفحہ ٢٤٢]

٨٦

مَنْ أَصْلَحَ مَيَّا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ اللَّهِ أَصْلَحَ اللَّهُ مَيَّا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ النَّاسِ وَ مَنْ أَصْلَحَ أَمْرَ آخِرَتِهِ أَصْلَحَ اللَّهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ وَ مَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ
وَاعِظٌ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ مِثْلُ الْكَلِمَةِ الْأُولَى قَوْلُهُمْ رَضَا الْمَخْلُوقِينَ عِنْدَ رَضَا الْخَالِقِ وَ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ مَا مِنْ وَالِ
رَضَى اللَّهُ عَنْهُ إِلَّا أَرْضَى عَنْهُ رَعِيَّتَهُ - روايت- ١-٢- روايت- ٢٦-٧٤ . وَ مِثْلُ الْكَلِمَةِ الثَّانِيَةِ دَعَاءُ بَعْضِهِمْ فِي قَوْلِهِ أَنَا شَاكِرٌ أَنَا مَادِحٌ
أَنَا حَامِدٌ || أَنَا خَائِفٌ أَنَا جَائِعٌ أَنَا عَارٍ هِيَ سِتَّتُهُ وَ أَنَا الضَّمِينُ بِنَصْفِهَا || فَكُنِ الضَّمِينُ بِنَصْفِهَا يَا بَارِي . وَ مِثْلُ الْكَلِمَةِ الثَّلَاثَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى
إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ الَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ - قرآن- ٣٦-٩٥ [صفحہ ٢٤٣]

٨٧

الْفَقِيهُ كُؤُلُ الْفَقِيهِ مَنْ لَمْ يُقْنِطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَ لَمْ يُؤَيِّسْهُمْ مِنْ رُوحِ اللَّهِ وَ لَمْ يُؤْمِنْهُمْ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ قُلْ مَوْضِعٌ مِنَ الْكِتَابِ
الْعَزِيزِ يَذْكَرُ فِيهِ الْوَعِيدُ إِلَّا وَ يَمِزْجُهُ بِالْوَعْدِ مِثْلُ أَنْ يَقُولَ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ ثُمَّ يَقُولُ وَ إِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وَ الْحِكْمَةُ تَقْتَضِي
هَذَا لِيَكُونَ الْمَكْلَفُ مَتَرَدِّدًا بَيْنَ الرَّغْبَةِ وَ الرَّهْبَةِ . وَيَقُولُونَ فِي الْأَمْثَالِ الْمَرْمُوزَةِ لَقِيَ مُوسَى وَ هُوَ ضَا حَكٌ مُسْتَبْشِرٌ عَيْسَى وَ هُوَ كَالْحِ
قَاطِبِ فَقَالَ عَيْسَى مَا لَكَ كَأَنَّكَ آمِنٌ مِنَ عَذَابِ اللَّهِ فَقَالَ مُوسَى ع مَا لَكَ كَأَنَّكَ آيَسٌ مِنَ رُوحِ اللَّهِ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِمَا مُوسَى
أَحْبَبْتُمَا إِلَيَّ شِعَارًا فَإِنِّي عِنْدَ حَسَنِ ظَنِّ عَبْدِ بِي . وَ اعْلَمْ أَنَّ أَصْحَابَنَا وَ إِن قَالُوا بِالْوَعِيدِ فَإِنَّهُمْ لَا يُؤَيِّسُونَ أَحَدًا وَ لَا يَقْنَطُونَ مِنْ
رَحْمَةِ اللَّهِ وَ إِنَّمَا يَحْتَوِنَهُ عَلَى التَّوْبَةِ وَ يَخُوفُونَهُ إِذَا مَاتَ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ وَ بِحَقِّ مَا قَالَ شَيْخُنَا أَبُو الْهَذِيلِ لَوْ لَا مَذْهَبُ الْإِرْجَاءِ لِمَاعَصَى اللَّهُ
فِي الْأَرْضِ وَ هَذَا لَا رَيْبَ فِيهِ فَإِنَّ أَكْثَرَ الْعَصَاةِ إِنَّمَا يَعُولُونَ عَلَى الرَّحْمَةِ وَ قَدْ اشْتَهَرَ - قرآن- ٧٨-١٠٥- قرآن- ١١٦-١٤٢ [صفحہ
٢٤٤] وَ اسْتِفَاضَ بَيْنَ النَّاسِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرْحَمُ الْمَذْنِبِينَ فَإِنَّهُ وَ إِن كَانَ هُنَاكَ عِقَابٌ فَأَوْقَاتًا مَعْدُودَةً ثُمَّ يَخْرُجُونَ إِلَى الْجَنَّةِ
وَ النُّفُوسُ تَحِبُّ الشَّهَوَاتِ الْعَاجِلَةَ فَتَهَافَتِ النَّاسَ عَلَى الْمَعَاصِي وَ بَلُوغِ الشَّهَوَاتِ وَ الْمَآرِبِ مَعُولِينَ عَلَى ذَلِكَ فَلَوْ لَا قَوْلُ الْمَرْجئةِ
وَ ظُهُورُهُ بَيْنَ النَّاسِ لَكَانَ الْعَصِيَانُ إِذَا مَعْدُومًا أَوْ قَلِيلًا جَدًّا [صفحہ ٢٤٥]

أَوْضَحَ الْعِلْمَ مِمَّا وَقَفَ عَلَى اللَّسِيَانِ وَ أَرْفَعَهُ مَا ظَهَرَ فِي الْجَوَارِحِ وَ الْأَرْكَانِ هَذَا حَقٌّ لِأَنَّ الْعَالَمَ إِذَا لَمْ يَظْهَرِ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا لِقَلْبِهِ لِسَانَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَظْهَرَ مِنْهُ الْعِبَادَاتُ كَانَ عَالِمًا نَاقِصًا فَأَمَّا إِذَا كَانَ يَفِيدُ النَّاسَ بِأَلْفَاظِهِ وَمَنْطِقِهِ ثُمَّ يَشَاهِدُهُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِ عَظِيمَةٍ مِنَ الْعِبَادَةِ فَإِنَّ النِّفْعَ يَكُونُ بِهِ عَامًّا تَامًّا وَ ذَلِكَ لِأَنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ لَوْ لَمْ يَكُنْ يَعْتَقِدُ حَقِيقَتَهُ مَا يَقُولُهُ لِمَا أَدَّابَ نَفْسَهُ هَذَا الدَّابُّ . وَ أَمَّا الْأَوَّلُ فَيَقُولُونَ فِيهِ كُلُّ مَا يَقُولُهُ نِفَاقٌ وَ بَاطِلٌ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ يَعْتَقِدُ حَقِيقَتَهُ مَا يَقُولُ لِأَخْذِهِ بِهِ وَلِظَهْرِ ذَلِكَ فِي حَرَكَاتِهِ فَيَقْتَدُونَ بِفِعْلِهِ لِابْقَوْلِهِ فَلَا يَشْتَغِلُ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِالْعِبَادَةِ وَ لَا يَهْتَمُّ بِهَا [صَفْحَهُ ٢٤٦]

إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ فَابْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ الْحِكْمَةِ لَوْ قَالَ إِنَّهَا تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ فَاحْمَضُوا كَمَا نَقَلَ عَنْ غَيْرِهِ لِحَمْلِ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ نَقْلَهَا إِلَى الْفِكَاهَاتِ وَالْأَخْبَارِ وَالْأَشْعَارِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ وَلَكِنْ قَالَ فَابْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ الْحِكْمَةِ فَوَجِبَ أَنْ يَحْمَلَ كَلَامَهُ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ الْقُلُوبُ تَمَلُّ مِنَ الْأَنْظَارِ الْعَقْلِيَّةِ فِي الْبَرَاهِينِ الْكَلَامِيَّةِ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالْعَدْلِ فَابْتَغُوا لَهَا عِنْدَ مَلَالِهَا طَرَائِفَ الْحِكْمَةِ أَيْ الْأَمْثَالَ الْحِكْمِيَّةَ الرَّاجِعَةَ إِلَى الْحِكْمَةِ الْخَلْقِيَّةِ كَمَا نَحْنُ ذَاكِرُوهُ فِي كَثِيرٍ مِنْ فُصُولِ هَذَا الْبَابِ مِثْلَ مَدْحِ الصَّبْرِ وَالشَّجَاعَةِ وَالزُّهْدِ وَالْعِفَّةِ وَذَمِّ الْغَضَبِ وَالشَّهْوَةِ وَالْهَوَى وَ مَا يَرْجِعُ إِلَى سِيَاسَةِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ وَوَلَدِهِ وَمَنْزَلِهِ وَصَدِيقِهِ وَسُلْطَانِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ فَإِنَّ هَذَا عِلْمٌ آخِرٌ وَفَنٌ آخِرٌ لَا تَحْتَاجُ الْقُلُوبُ فِيهِ إِلَى فِكْرٍ وَاسْتِنْبَاطٍ فَتَتَعَبُ وَتَكُلُّ بِتَرَادُفِ النَّظْرِ وَالتَّأَمُّلِ عَلَيْهَا وَ فِيهِ أَيْضًا لَذَّةٌ عَظِيمَةٌ لِلنَّفْسِ . وَ قَدْ جَاءَ فِي إِجْمَامِ النَّفْسِ كَثِيرًا . قَالَ بَعْضُهُمْ رُوحَا الْقُلُوبِ بَرَوَاتِعُ الذِّكْرِ . [صَفْحَهُ ٢٤٧] وَ عَنْ سَلْمَانَ الْفَارَسِيِّ أَنَا أَحْتَسِبُ نَوْمِي كَمَا أَحْتَسِبُ قَوْمِي - رَوَايَتُ ١- ٢- رَوَايَتُ ٢٢- ٥٧- وَ قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِنَّ نَفْسِي رَاحِلَتِي إِنَّ كَلْفَتَهَا فَوْقَ طَاقَتِهَا انْقَطَعَتْ بِي . وَ قَالَ بَعْضُهُمْ رُوحَا الْأَذْهَانِ كَمَا تَرُوحَا الْأَبْدَانُ . وَ قَالَ أَرْدَشِيرُ بْنُ بَابِكٍ إِنَّ لِلْأَذْهَانَ مِجَّةً وَلِلْقُلُوبِ مَلَّةً فَفَرَّقُوا بَيْنَ الْحَكْمَتَيْنِ بَلْهَوٍ يَكُنُ ذَلِكَ اسْتِجْمَامًا [صَفْحَهُ ٢٤٨]

لَمَا يَقُولُونَ أَحَدُكُمْ أَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتْنَةِ لِأَنَّهَا لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى فِتْنَتِهِ وَ لَكِنْ مَنِ اسْتَعَاذَ فَلَيْسَتْ تَعِدُّ مِنْ مُضْلَلَاتٍ [مَضْلَلَاتٍ] الْفِتْنِ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ ااعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ لِتَبْيِينِ السَّخِطِ لِرِزْقِهِ وَ الرَّاضِي بِقِسْمِهِ وَ إِنْ كَانَ سُبْحَانَهُ أَعْلَمَ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ لَكِنْ لَتَظْهَرَ الْأَفْعَالُ الَّتِي بِهَا يُسْتَحَقُّ الثَّوَابُ وَ الْعِقَابُ لِأَنَّ بَعْضَهُمْ يُحِبُّ الذُّكُورَ وَ يَكْرَهُ الْإِنَاثَ وَ بَعْضُهُمْ يُحِبُّ تَشْمِيرَ الْمَالِ وَ يَكْرَهُ انْتِثَامَ الْحَالِ - قُرْآن - ٢٣٠- ٢٨٠ قَالَ الرَّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَ هَذَا مِنْ غَرِيبٍ مَا سَمِعْتُ مِنْهُ عَ فِي التَّفْسِيرِ - رَوَايَتُ ١- ٧٣ الْفِتْنَةُ لَفْظٌ مُشْتَرَكٌ فَتَارَةٌ تَطْلُقُ عَلَى الْجَائِحَةِ وَ الْبَلِيَّةِ تَصِيبُ الْإِنْسَانَ تَقُولُ قَدِ افْتَنَ زَيْدٌ وَ فُتِنَ فَهُوَ مَفْتُونٌ إِذَا صَابَتْهُ مَصِيبَةٌ فَذَهَبَ مَالُهُ أَوْ عَقَلَهُ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ قَالَ تَعَالَى إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِيعْنِي الَّذِينَ عَذَّبُوهُمْ بِمَكَّةَ لِيَرْتَدُوا عَنِ الْإِسْلَامِ وَ تَارَةٌ تَطْلُقُ عَلَى الْإِحْتِبَارِ وَ الْإِمْتِحَانِ يُقَالُ فَتَنْتُ الذَّهَبَ إِذَا دَخَلْتَهُ النَّارَ لِتَنْظُرَ مَا جُودَتُهُ وَ دِينَارٌ مَفْتُونٌ وَ تَارَةٌ تَطْلُقُ عَلَى الْإِحْرَاقِ قَالَ تَعَالَى - قُرْآن - ١٦١- ٢١٠ [صَفْحَهُ ٢٤٩] يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ وَ وُورِقٌ مَفْتُونٌ أَيْ فُضِّهُ مَحْرَقَةٌ وَ يُقَالُ لِلْحَرَّةِ فِتْنٌ كَأَنَّ حَجَارَتَهَا مَحْرَقَةٌ وَ تَارَةٌ تَطْلُقُ عَلَى الضَّلَالِ يُقَالُ رَجُلٌ فَاتِنٌ وَ مَفْتِنٌ أَيْ مُضِلٌّ عَنِ الْحَقِّ جَاءَ ثَلَاثِيًا وَرَبَاعِيًا قَالَ تَعَالَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ أَيْ بِمُضْلِلِينَ وَ قَرَأَ قَوْمٌ مَفْتِنِينَ فَمِنْ

خير من الاشتغال بالنوافل وأوراد الصلاة مع عدم العلم و هو المعنى بقوله فى شك فإذا كان عدم التنفل خيرا من التنفل مع الشك فهو مع الجهل المحض و هو الاعتقاد الفاسد أولى بأن يكون [صفحه ٢٥٤]

٩٤

اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعايه لا عقل روايه فإن رواه العلم كثير و رعاته قليل نهاهم ع عن أن يقتصروا إذاسمعوا منه أو من غيره أطرافا من العلم والحكمة على أن يرووا ذلك روايه كما يفعله اليوم المحدثون و كما يقرأ أكثر الناس القرآن دراسه و لا يدرى من معانيه إلا اليسير. وأمرهم أن يعقلوا ما يسمعون عقل رعايه أى معرفه وفهم . ثم قال لهم إن رواه العلم كثير ورعاته قليل أى من يراعيه ويتدبره وصدق ع [صفحه ٢٥٥]

٩٥

وَقَالَ ع وَ قَدْ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ فَقَالَ إِنَّ قَوْلَنَا إِنَّ لِلَّهِ إِقْرَارٌ عَلَى أَنْفُسِنَا بِالْمَلِكِ وَ قَوْلَنَا وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ إِقْرَارٌ عَلَى أَنْفُسِنَا بِالْهَلِكِ - قرآن - ٤٢-٨٠ قوله إنا لله اعتراف بأنا مملوكون لله و عبيد له لأن هذه اللام التملك كما تقول الدار لزيد فأما قوله و إنا إليه راجعون فهو إقرار واعتراف بالنشور والقيامة لأن هذا هو معنى الرجوع إليه سبحانه واقتنع أمير المؤمنين عن التصريح بذلك فذكر الهلك فقال إنه إقرار على أنفسنا بالهلك لأن هلكنا مفض إلى رجوعنا يوم القيامة إليه سبحانه فعبر بمقدمه الشىء عن الشىء نفسه كما يقال الفقر الموت والحمى الموت ونحو ذلك . ويمكن أن يفسر ذلك على قول مثبتى النفس الناطقه بتفسير آخر فيقال إن النفس مادامت فى أسر تدابير البدن فهى بمعزل عن مبادئها لأنها مشغله مستغرقة بغير ذلك فإذا مات البدن رجعت النفس إلى مبادئها فقوله و إنا إليه راجعون إقرار بما لا يصح الرجوع بهذا التفسير إلا معه و هو الموت المعبر عنه بالهلك [صفحه ٢٥٦]

٩٦

وَ قَالَ ع وَ مَدَحَهُ قَوْمٌ فِي وَجْهِهِ اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي وَ أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْهُمْ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي خَيْرًا مِمَّا يَظُنُّونَ وَ اغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ قد تقدم القول فى كراهيه مدح الإنسان فى وجهه و فى الحديث المرفوع إذا مدحت أخاك فى وجهه فكأنما أمرت على حلقه موسى وميضة -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-٨٣ قال أيضا لرجل مدح رجلا- فى وجهه عقرت الرجل عقرك الله -رواية- ١-٦٠ قال أيضا لومشى رجل إلى رجل بسيف مرهف كان خيرا له من أن يثنى عليه فى وجهه -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-٨٧ و من كلام عمر المدح هو الذبح قالوا لأن المذبوح ينقطع عن الحركة والأعمال وكذلك الممدوح يفتقر عن العمل . و يقول قد حصل فى القلوب والنفوس ما استغنى به عن الحركة والجد. و من أمثال الفلاحين إذا طار لك صيت بين الحصاده فاكسر منجلك . [صفحه ٢٥٧] وقال مطرف بن الشخير ما سمعت من ثناء أحد على أو مدحه أحد لى إلا وتصاغرت إلى نفسى وقال زياد بن أبى مسلم ليس أحد سمع ثناء أحد عليه إلا وتراءى له شيطان ولكن المؤمن يراجع . فلما ذكر كلامهما لابن المبارك قال صدقا أما قول زياد فتلك قلوب العوام و أما قول مطرف فتلك قلوب الخواص [صفحه ٢٥٨]

٩٧

وَقَالَ ع لَّا يَسْتَقِيمُ قَضَاءُ الْحَوَائِجِ إِلَّا بِثَلَاثٍ بِاسْتِصْغَارِهَا لِتَعْظُمَ وَبِاسْتِكْنَامِهَا لِتُظَهَرَ وَبِتَعْجِيلِهَا لِتَهْتُوَ قَدْ تَقَدَّمَ لَنَا قَوْلُ مُسْتَقْصَى فِي هَذَا النَّحْوِ وَفِي الْحَوَائِجِ وَقَضَائِهَا وَاسْتِنَاجِهَا. وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ اسْتَعِينُوا عَلَى حَاجَاتِكُمْ بِالْكَتْمَانِ فَإِنْ كُلُّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ -رَوَايَةٌ ١- ٢- رَوَايَةٌ ٢٩- ٨٤. وَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ لَا تَطْلُبُوا الْحَوَائِجَ فِي غَيْرِ حِينِهَا وَلَا تَطْلُبُوهَا إِلَى غَيْرِ أَهْلِهَا وَلَا تَطْلُبُوا مَا لَمْ يَكُنْ لَكُمْ بِأَهْلٍ فَتَكُونُوا لِلْمَنْعِ خَلْقَاءَ. وَكَانَ يُقَالُ لِكُلِّ شَيْءٍ أَسٌّ وَأَسُّ الْحَاجَةِ تَعْجِيلُ أَرْوَحٍ مِنَ التَّأخِيرِ. وَقَالَ رَجُلٌ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ جِئْتُكَ فِي حَوِيجَةٍ قَالَ فَاطْلُبْ لَهَا رَجِيلاً. وَقَالَ شَيْبَةُ بْنُ عَقَالٍ أَمْرَانِ لَا يَجْتَمِعَانِ إِلَّا وَجِبَ النَّجْحُ وَهُمَا الْعَاقِلُ لَا يَسْأَلُ إِلَّا - مَا يَجُوزُ وَالْعَاقِلُ لَا يَرُدُّ سَائِلَهُ عَمَّا يُمْكِنُ. وَكَانَ يُقَالُ مَنْ اسْتَعْظَمَ حَاجَةَ أَخِيهِ إِلَيْهِ بَعْدَ قَضَائِهَا امْتَنَانًا بِهَافِقْدِ اسْتِصْغَرِ نَفْسِهِ. [صَفْحَةٌ ٢٥٩] وَقَالَ أَبُو تَمَامٍ فِي الْمَطْلِ وَكَانَ الْمَطْلُ فِي بَدءِ وَعُودٍ || دَخَانًا لِلصَّنِيْعَةِ وَهِيَ نَارٌ نَسِيبُ الْبِخْلِ مَذْكَانًا وَلَا || يَكُنْ نَسَبٌ فِيهِمَا جَوَارٌ لِذَلِكَ قِيلَ بَعْضُ الْمَنْعِ أَدْنَى || إِلَى جُودٍ وَبَعْضُ الْجُودِ عَارٌ [صَفْحَةٌ ٢٦٠]

٩٨

يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُقْرَبُ فِيهِ إِلَّا الْمَاحِلُ وَلَا يُظَرَفُ فِيهِ إِلَّا الْفَاجِرُ وَلَا يُضَمَّفُ فِيهِ إِلَّا الْمُنْصِفُ يَعُدُّونَ الصَّدَقَةَ فِيهِ غُرْمًا وَصَلْمَةَ الرَّحِمِ مَنًّا وَ الْعِبَادَةَ اسْتِطَالَةً عَلَى النَّاسِ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَكُونُ السَّلْطَانُ بِمَشُورَةِ الْإِمَاءِ وَ إِمَارَةَ الصَّبِيَّانِ وَ تَدْبِيرَ الْخِصْيَانِ الْمَحَلِّ الْمَكْرُ وَالْكِيدِ يُقَالُ مَحَلٌّ بِهَذَا سَعَى بِهِ إِلَى السَّلْطَانِ فَهُوَ مَحَلٌّ وَمَحُولٌ وَالْمَاحِلَةُ الْمَمَاكِرَةُ وَالْمَكَايِدَةُ. قَوْلُهُ وَلَا يَظْرَفُ فِيهِ إِلَّا الْفَاجِرُ لَا يَعْدُ النَّاسَ الْإِنْسَانَ ظَرِيفًا إِلَّا - إِذَا كَانَ خَلِيْعًا مَا جِنَا مَتَظَاهِرًا بِالْفَسْقِ. وَقَوْلُهُ وَلَا يَضْعَفُ فِيهِ إِلَّا الْمُنْصِفُ أَيُّ إِذَا رَأَى إِنْسَانًا عِنْدَهُ وَرَعٌ وَإِنْصَافٌ فِي مَعَامَلَتِهِ النَّاسِ عُدُوهُ ضَعِيفًا وَنَسْبُوهُ إِلَى الرِّكَّةِ وَالرِّخَاوَةِ وَ لَيْسَ الشَّهْمُ عِنْدَهُمْ إِلَّا الظَّالِمُ. ثُمَّ قَالَ يَعُدُّونَ الصَّدَقَةَ غُرْمًا أَيُّ خِسَارَةً وَيَمْنُونَ إِذَا وَصَلُوا الرَّحِمَ [صَفْحَةٌ ٢٦١] وَ إِذَا كَانُوا ذَوِي عِبَادَةٍ اسْتِطَالُوا بِهَا عَلَى النَّاسِ وَتَبَجَّحُوا بِهَا وَأَعْجَبَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ وَاحْتَقَرُوا غَيْرَهُمْ. قَالَ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَكُونُ السَّلْطَانُ وَالْحَكْمُ بَيْنَ الرِّعَايَا بِمَشُورَةِ الْإِمَاءِ إِلَى آخِرِ الْفَصْلِ وَ هُوَ مِنْ بَابِ الْإِخْبَارِ عَنِ الْغُيُوبِ وَهِيَ إِحْدَى آيَاتِهِ وَالْمَعْجَزَاتِ الْمُخْتَصِّ بِهَادُونَ الصَّحَابَةِ [صَفْحَةٌ ٢٦٢]

٩٩

وَقَالَ ع وَ قَدْ رُئِيَ عَلَيْهِ إِزَارٌ خَلَقَ مَرْقُوعٌ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ يَخْشَعُ لَهُ الْقَلْبُ وَ تَذِلُّ بِهِ النَّفْسُ وَ يَقْتَدِي بِهِ الْمُؤْمِنُونَ قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي هَذَا الْبَابِ وَذَكَرْنَا أَنَّ الْحُكَمَاءَ وَالْعَارِفِينَ فِيهِ عَلَى قِسْمَيْنِ مِنْهُمْ مَنْ آثَرَ لِبَسِ الْأَدْنَى عَلَى الْأَعْلَى وَمِنْهُمْ مَنْ عَكَسَ الْحَالَ وَ كَانَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ مِنْ أَصْحَابِ الْمَذْهَبِ الْأَوَّلِ وَكَذَلِكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَ هُوَ شَعَارُ عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ ع كَانَ يَلْبَسُ الصُّوفَ وَغَلِيظَ الثِّيَابِ وَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَلْبَسُ النَّوعَيْنِ جَمِيعًا وَأَكْثَرَ لِبَسَهُ كَانَ الْجَيِّدُ مِنَ الثِّيَابِ مِثْلُ أَبْرَادِ الْيَمَنِ وَ مَا شَاكَلَ ذَلِكَ وَكَانَتْ مَلْحَفَتُهُ مَوْرُسَةً حَتَّى أَنَهَا لَتَرَدَّ عَلَى جِلْدِهِ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ. وَرُئِيَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ ع وَاقِفًا بِعَرَفَاتٍ عَلَى بَرْدُونَ أَصْفَرَ وَ عَلَيْهِ مَطْرَفٌ خَزْ أَصْفَرَ وَ جَاءَ فَرَقْدُ السَّبْحِيِّ إِلَى الْحَسَنِ وَ عَلَى الْحَسَنِ مَطْرَفٌ خَزْ فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَ عَلَى فَرَقْدِ ثِيَابِ صُوفٍ فَقَالَ الْحَسَنُ مَا بِالْكَ تَنْظُرُ إِلَيَّ وَ عَلَى ثِيَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ - رَوَايَةٌ ١- أَدَامَهُ دَارِدٌ [صَفْحَةٌ ٢٦٣] وَعَلَيْكَ ثِيَابُ أَهْلِ النَّارِ إِنْ أَحَدَكُمْ لِيَجْعَلَ الزُّهْدَ فِي ثِيَابِهِ وَالْكَبِيرَ فِي صَدْرِهِ فَلَهُوَ أَشَدُّ عَجْبًا بِصُوفِهِ مِنْ صَاحِبِ الْمَطْرَفِ - رَوَايَةٌ ١- أَدَامَهُ دَارِدٌ [صَفْحَةٌ ١١٣]. وَقَالَ ابْنُ السَّمَاكِ لِأَصْحَابِ الصُّوفِ إِنْ كَانَ لِبَاسِكُمْ هَذَا مُوَافِقًا لِسِرَائِرِكُمْ فَلَقَدْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ يَطَّلِعَ النَّاسُ عَلَيْهَا وَلِئِنْ كَانَ مُخَالَفًا لَهَا لَقَدْ هَلَكْتُمْ. وَ كَانَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى قَاعِدَةٍ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي مَلْبُوسِهِ وَ كَانَ قَبْلَ الْخِلَافَةِ يَلْبَسُ الثِّيَابَ الْمُثْمَنَةَ جَدًّا كَانَ يَقُولُ لَقَدْ خَفْتُ أَنْ يَعْبُزَ مَا قَسَمَ اللَّهُ لِي مِنَ الرِّزْقِ عَمَّا أُرِيدُهُ مِنَ الْكِسْوَةِ وَ مَا لَبَسْتُ ثَوْبًا جَدِيدًا قَطُّ إِلَّا وَخِيلَ لِي حِينَ يَرَاهُ النَّاسُ

أنه سمل أوبال فلما ولي الخلافة ترك ذلك كله . وروى سعيد بن سويد قال صلى بنا عمر بن عبدالعزيز الجمعة ثم جلس و عليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه و من خلفه فقال له رجل إن الله أعطاك يا أمير المؤمنين فلو لبست فنكس ملياً ثم رفع رأسه فقال إن أفضل القصد ما كان عند الجدة وأفضل العفو ما كان عند المقدره. وروى عاصم بن معدله كنت أرى عمر بن عبدالعزيز قبل الخلافة فأعجب من حسن لونه وجودة ثيابه وبزته ثم دخلت عليه بعد أن ولي و إذا هو قد احترق واسود ولصق جلده بعظمه حتى ليس بين الجلد والعظم لحم و إذا عليه قنسوة بيضاء قد اجتمع قطنها ويعلم أنها قد غسلت و عليه سحق أنبجانية قد خرج سداها و هو على شاذ كونه قد لصقت بالأرض تحت الشاذ كونه عباءة قطوانية من مشاقه الصوف وعنده رجل يتكلم فرفع صوته فقال له عمر اخفض قليلاً من صوتك فإنما يكفى الرجل من الكلام قدر ما يسمع صاحبه . وروى عبيد بن يعقوب أن عمر بن عبدالعزيز كان يلبس الفرو الغليظ من الثياب و كان سراجة على ثلاث قصبات فوقهن طين [صفحہ ۲۶۴]

۱۰۰

إِنَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِيدُونَ مَتَّفَاوَتَانِ وَ سَبِيلَانِ مُخْتَلِفَانِ فَمَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا وَ تَوَلَّاهَا أَبْغَضَ الْآخِرَةَ وَ عَادَاهَا وَ هُمَا بِمَنْزِلَةِ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ مَا شِ بَيْنَهُمَا كَلِمًا قَرِيبٍ مِنْ وَاحِدٍ بَعْدَ مِنَ الْآخِرِ وَ هُمَا بَعْدُ ضَرْبَانِ هَذَا الْفَصْلِ بَيْنَ فِي نَفْسِهِ لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَرْحٍ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ عَمَلَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الدَّارَيْنِ مُضَادٌّ لِعَمَلِ الْآخَرِ فَعَمَلُ هَذِهِ الْاِكْتِسَابُ وَالْاِضْطِرَابُ فِي الرِّزْقِ وَالْاِهْتِمَامُ بِأَمْرِ الْمَعَاشِ وَالْوَالِدِ وَالزَّوْجَةِ وَ مَا نَاسَبَ ذَلِكَ وَعَمَلُ هَذِهِ قَطْعُ الْعَلَاتِقِ وَرَفْضُ الشَّهَوَاتِ وَالْاِنْتِصَابُ لِلْعِبَادَةِ وَصَرَفُ الْوَجْهِ عَنِ كُلِّ مَا يَصُدُّ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَيْنِ الْعَمَلَيْنِ مُتَضَادَّانِ فَالْجَرْمُ كَانَتْ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ ضَرَّتَيْنِ لَا يَجْتَمِعَانِ [صفحہ ۲۶۵]

۱۰۱

وَ عَنْ نَوْفِ الْبِكَائِيِّ وَ قِيلَ الْبِكَالِيُّ بِاللَّامِ وَ هُوَ الْأَصْحَحُ قَالَ رَأَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَ دَاتَ لَيْلِهِ وَ قَدْ خَرَجَ مِنْ فِرَاشِهِ فَنَظَرَ إِلَى النُّجُومِ فَقَالَ يَا نَوْفُ أَرَأَيْتَ أَنْتَ أُمُّ رَامِقٍ قُلْتُ بَلِ رَامِقٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ يَا نَوْفُ طُوبَى لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا الرَّاغِبِينَ فِي الْآخِرَةِ أَوْلِيَتِكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا الْأَرْضَ بَسَاطًا وَ تَرَابَهَا فِرَاشًا وَ مَاءَهَا طَبِيًّا وَ الْقُرْآنَ شِعَارًا وَ الدَّعَاءَ دِتَارًا ثُمَّ قَرَضُوا الدُّنْيَا قَرْضًا عَلَى مَنَهَاجِ الْمَسِيحِ يَا نَوْفُ إِنَّ دَاوُدَ عَ قَامَ فِي مِثْلِ هَذِهِ السَّاعَةِ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ إِنَّهَا لَسَاعَةٌ لَا يَدْعُو فِيهَا عَبْدٌ إِلَّا اسْتُجِيبَ لَهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَشَارًا أَوْ عَرِيْفًا أَوْ شُرْطِيًّا أَوْ صِيَّاحِبَ عَرَطِيَّةٍ وَ هِيَ الطَّنْبُورُ أَوْ صِيَّاحِبَ كُوبِيَّةٍ وَ هِيَ الطَّبْلُ وَ قَدْ قِيلَ أَيْضًا إِنَّ الْعَرَطِيَّةَ الطَّبْلُ وَ الْكُوبَةُ الطَّنْبُورُ قَالَ صَاحِبُ الصَّحَاحِ نَوْفُ الْبِكَالِيُّ كَانَ صَاحِبَ عَلِيِّ ع . وَ قَالَ ثَعْلَبٌ هُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى قَبِيلَةِ تَدْعَى بِكَالَةَ وَ لَمْ يَذْكَرْ مِنْ أَى الْعَرَبِ هِيَ وَالظَّاهِرُ أَنَّهَا مِنَ الْيَمَنِ وَ أَمَا بَكِيلٌ فَحَى مِنْ هَمْدَانَ وَ إِلَيْهِمْ أَشَارَ الْكَمِيْتُ بِقَوْلِهِ فَقَدْ شَرِكْتُ فِيهِ بِكَيْلٍ وَأَرْحَبُ . [صفحہ ۲۶۶] فَأَمَّا الْبِكَالِيُّ فِي نَسَبِ نَوْفِ فَلَا أَعْرِفُهُ . قَوْلُهُ أُمُّ رَامِقٍ أَى أُمُّ مَسْتَيْقِظٍ تَرْمِقُ السَّمَاءَ وَالنُّجُومَ بِبَصْرِكَ . قَوْلُهُ قَرَضُوا الدُّنْيَا أَى تَرَكَوْهَا وَخَلَفُوهَا وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ قَالَ تَعَالَى وَ إِذَا عَرَبَتْ تَقْرَضُوهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ أَى تَتَرَكَهُمْ وَتَخْلَفُهُمْ شَمَالًا وَ يَقُولُ الرَّجُلُ لِصَاحِبِهِ هَلْ مَرَرْتُ بِمَكَانٍ كَذَا يَقُولُ نَعَمْ قَرَضْتَهُ لَيْلًا ذَاتَ الْيَمِينِ وَأَنْشُدْ لَذِي الرَّمَةِ - قُرْآن - ۱۵۸-۱۹۷ إِلَى ظَعْنٍ يَقْرَضُنْ أَجْوَاظَ مَشْرِفٍ || شَمَالًا وَ عَنْ أَيْمَانِهِنَّ الْفَوَارِسِ . قَالُوا مَشْرِفٌ وَالْفَوَارِسُ مَوْضِعَانِ يَقُولُ نَظَرْتُ إِلَى ظَعْنٍ يَجْزُنُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْمَوْضِعَيْنِ [صفحہ ۲۶۷]

۱۰۲

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيُّوهُمَا وَ حَدَّ لَكُمْ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا وَ نَهَاكُمْ عَنِ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا وَ سَكَتَ لَكُمْ عَنِ أَشْيَاءَ وَ لَمْ يَدْعَهَا نِسْيَانًا فَلَا تَتَكَلَّفُوهَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَا تَسْأَلُوا عَنِ أَشْيَاءَ إِنْ تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَ -قرآن- ١٩-٦٧ جاء في الأثر أبهموا ما أبهم الله -رواية- ١-٢-رواية- ١٥-٣٦ . وقال بعض الصالحين لبعض الفقهاء لم تفرض مسائل لم تقع وأتعبت فيها فكرك حسبك بالمتداول بين الناس .قالوا هذا مثل قولهم في باب المسح على الخفين فإن مسح على خف من زجاج ونحو ذلك من النوادر الغريبة . وقال شريك في أبي حنيفة أجهل الناس بما كان وأعلمهم بما لم يكن . وقال عمر لا تتنازعوا فيما لم يكن فتختلفوا فإن الأمر إذا كان أمان الله عليه . وانتهاك الحرمة تناولها بما لا يحل إما بارتكاب مانهه عنه أو بالإخلال بما أمر به [صفحہ ٢٤٨]

١٠٣

لَمَّا يَتْرُكُ النَّاسُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ لِاسْتِصْلَاحِ دُنْيَاهُمْ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَيًّا هُوَ أَضَرُّ مِنْهُ مِثَالُ ذَلِكَ إِنْسَانٌ يَضِيعُ وَقْتُ صَلَاةِ الْفَرِيضَةِ عَلَيْهِ وَ هُوَ مُشْتَغَلٌ بِمَحَاسِبِهِ وَ كَيْلِهِ وَ مَخَافَتِهِ عَلَى مَالِهِ خَوْفًا أَنْ يَكُونَ خَانَهُ فِي شَيْءٍ مِنْهُ فَهُوَ يَحْرُسُ عَلَى مَنَاقِشَتِهِ عَلَيْهِ فَتَفُوتُهُ الصَّلَاةُ . قَالَ ع مِنْ فَعَلٍ مِثْلُ هَذَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي أَمْرِ دُنْيَاهُ وَ مَالِهِ مَا هُوَ أَضَرُّ عَلَيْهِ مِمَّا رَامَ أَنْ يَسْتَدْرِكَهُ بِإِهْمَالِهِ الْفَرِيضَةَ [صفحہ ٢٤٩]

١٠٤

إشارة

رُبَّ عَالِمٍ قَدْ قَتَلَهُ جَهْلُهُ وَ عِلْمُهُ مَعَهُ لَمْ يَنْفَعَهُ قَدُوعٌ مِثْلُ هَذَا كَثِيرًا كَمَا جَرَى لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُقَفَّعِ وَ فَضْلِهِ مَشْهُورٌ وَ حِكْمَتُهُ أَشْهُرٌ مِنْ أَنْ تَذَكَرَ وَ لَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَّا كِتَابُ الْيَتِيمَةِ لَكَفَى

محنة المقفع

واجتمع ابن المقفع بالخليل بن أحمد وسمع كل منهما كلام الآخر فسئل الخليل عنه فقال وجدت علمه أكثر من عقله وهكذا كان فإنه كان مع حكمته متهورا لا-جرم تهوره قتله كتب كتاب أمان لعبد الله بن علي عم المنصور ويوجد فيه خطه فكان من جملة ومتى غدر أمير المؤمنين بعمة عبد الله أو أبطن غير ما أظهر أو تأول في شيء من شروط هذا الأمان فנסأوه طوالق ودوابه حبس وعبيده وإماؤه أحرار والمسلمون في حل من بيعته فاشتد ذلك على المنصور لما وقف عليه وسأل من ألقى له الأمان فقيل له عبد الله بن المقفع كاتب عميك عيسى وسليمان ابني علي بالبصرة فكتب المنصور إلى عامله بالبصرة سفيان بن معاوية يأمره بقتله وقيل بل قال أ ما أحد يكفيني ابن المقفع فكتب أبو الخصيب بها إلى [صفحہ ٢٧٠] سفيان بن معاوية المهلبى أمير البصرة يومئذ و كان سفيان واجدا على ابن المقفع لأنه كان يعبث به ويضحك منه دائما فغضب سفيان يوما من كلامه وافترى عليه فرد ابن المقفع عليه ردا فاحشا وقال له يا ابن المغتلمة و كان يمتنع ويعتصم بعيسى وسليمان ابني علي بن عبد الله بن العباس فحقدها سفيان عليه فلما كوتب في أمره بما كوتب اعترم قتله فاستأذن عليه جماعة من أهل البصرة منهم ابن المقفع

فأدخل ابن المقفع قبلهم وعدل به إلى حجرة في دهليزه وجلس غلامه بدابته ينتظره على باب سفیان فصادف ابن المقفع في تلك الحجرة سفیان بن معاوية وعنده غلمانه وتور نار يسجر فقال له سفیان أتذكر يوم قلت لي كذا أُمي مغتلمة إن لم أقتلك قتله لم يقتل بها أحد ثم قطع أعضائه عضوا عضوا وألقاها في النار و هو ينظر إليها حتى أتى على جميع جسده ثم أطبق التنور عليه وخرج إلى الناس فكلّمهم فلما خرجوا من عنده تخلف غلام ابن المقفع ينتظره فلم يخرج فمضى وأخبر عيسى بن علي وأخاه سليمان بحاله فخاصما سفیان بن معاوية في أمره فجحد دخوله إليه فأشخصاه إلى المنصور وقامت البينة العادلة أن ابن المقفع دخل دار سفیان حيا سليما و لم يخرج منها فقال المنصور أنا أنظر في هذا الأمر إن شاء الله غدا فجاء سفیان ليلا إلى المنصور فقال يا أمير المؤمنين اتق الله في صنيعتك ومتبع أمرك قال لا ترع وأحضرهم في غد وقامت الشهادة وطلب سليمان وعيسى القصاص فقال المنصور أرايتم إن قتل سفیان بابن المقفع ثم خرج ابن المقفع عليكم من هذا الباب وأوما إلى باب خلفه من ينصب لي نفسه حتى أقتله بسفیان فسكتوا واندفع الأمر وأضرب عيسى وسليمان عن ذكر ابن المقفع بعدها وذهب دمه هدرا. قيل للأصمعي أيما كان أعظم ذكاء وفطنة الخليل أم ابن المقفع فقال كان ابن المقفع أفصح وأحكم والخليل آدب وأعقل ثم قال شتان ما بين فطنة أفضت بصاحبها إلى القتل وفطنة أفضت بصاحبها إلى النسك والزهد في الدنيا و كان الخليل قد نسك قبل أن يموت]

صفحة ٢٧١

١٠٥

لقد علق بيتا بهذا الإنسان بضعة هي أعجب ما فيه وهو القلب وذلك أن له مواد من الحكمة وأصدادا من خلافها فإن سح له الرجاء أذله الطمع وإن هاج به الطمع أهلكه الحرص وإن ملكه اليأس قتله الأسف وإن عرض له الغضب اشتد به الغيظ وإن أسعدته الرضا نسى التحفظ وإن غاله الخوف شغله الحذر وإن اتسع له الأمر استلبته الغرّة وإن أصابته مصيبه فضحه الجزع وإن أفاد مالا أطغاه الغنى وإن عضته الفاقسه شغله البلاء وإن جهده الجوع قعدت به الضعة وإن أفرط به الشبع كظته البطنة فكل تقصير به مضّر وكل إفراط له مفسد روى قعد به الضعف والنياط عرق علق به القلب من الوتين فإذا قطع مات صاحبه ويقال له النيط أيضا والبضعة بفتح الباء القطعة من اللحم والمراد بهاها هنا القلب وقال يعثور القلب حالات مختلفات متضادات فبعضها من الحكمة وبعضها هو المضاد لها مناف للحكمة و لم يذكرها ع وليس الأمور التي عددها شرحا لما قدمه من هذا الكلام المجمل وإن ظن قوم أنه أراد ذلك ألا ترى أن الأمور التي عددها ليس فيها شيء من باب الحكمة وخلافها. [صفحة ٢٧٢] فإن قلت فما مثال الحكمة وخلافها وإن لم يذكر ع مثاله . قلت كالشجاعة في القلب وضدها الجبن وكالجود وضده البخل وكالعفة وضدها الفجور ونحو ذلك . فأما الأمور التي عددها ع فكلام مستأنف إنما هو بيان أن كل شيء مما يتعلق بالقلب يلزمه لازم آخر نحو الرجاء فإن الإنسان إذا اشتد رجاؤه أذله الطمع والطمع يتبع الرجاء والفرق بين الطمع والرجاء أن الرجاء توقع منفعة ممن سبيله أن تصدر تلك المنفعة عنه والطمع توقع منفعة ممن يستبعد وقوع تلك المنفعة منه ثم قال وإن هاج به الطمع قتله الحرص وذلك لأن الحرص يتبع الطمع إذا لم يعلم الطامع أنه طامع وإنما يظن أنه راج . ثم قال وإن ملكه اليأس قتله الأسف أكثر الناس إذا يئسوا أسفوا. ثم عدد الأخلاق وغيرها من الأمور الواردة في الفصل إلى آخره ثم ختمه بأن قال فكل تقصير به مضر وكل إفراط له مفسد و قد سبق كلامنا في العدالة وأنها الدرجة الوسطى بين طرفين هما رذيلتان والعدالة هي الفضيلة كالجود الذي يكتنفه التبذير والإمساك والذكاء الذي يكتنفه الغباوة والجريزة والشجاعة التي يكتنفها الهوج والجبن وشرحنا ما قاله الحكماء في ذلك شرحا كافيا فلامعنى لإعادته [صفحة ٢٧٣]

نَحْنُ النَّمْرُقَةُ الْوُسْطَى الَّتِي يَلْحَقُ بِهَا التَّالِي وَ إِلَيْهَا يَرْجِعُ الْغَالِي النَّمْرُقُ وَالنَّمْرُقَةُ بِالضَّمِّ فِيهِمَا وَسَادَةٌ صَغِيرَةٌ وَيَجُوزُ النَّمْرُقَةُ بِالْكَسْرِ فِيهِمَا وَيُقَالُ لِلطَّنْفَسَةِ فَوْقَ الرَّحْلِ نَمْرُقَةٌ وَالْمَعْنَى أَنَّ كُلَّ فَضِيلَةٍ فَإِنَّهَا مَجْنَحَةٌ بِطَرَفَيْنِ مَعْدُودَيْنِ مِنَ الرَّذَائِلِ كَمَا أَوْضَحْنَاهُ آتِفًا وَالْمُرَادُ أَنَّ آلَ مُحَمَّدٍ هُمُ الْأَمْرُ الْمَتَوَسِّطُ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ الْمَذْمُومَيْنِ فَكُلٌّ مِنْ جَاوِزِهِمْ فَالْوَاجِبُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ وَ كُلٌّ مِنْ قِصْرِ عَنْهُمْ فَالْوَاجِبُ أَنْ يَلْحَقَ بِهِمْ . فَإِنْ قُلْتَ فَلِمَ اسْتَعَارَ لَفْظَ النَّمْرُقَةِ لِهَذَا الْمَعْنَى قُلْتَ لِمَا كَانُوا يَقُولُونَ قَدْرَكَبَ فَلَانَ مِنَ الْأَمْرِ مِنْكَرًا وَ قَدَارَتَكَبَ الرَّأْيَ الْفَلَانِيَّ وَ كَانَتِ الطَّنْفَسَةُ فَوْقَ الرَّحْلِ مِمَّا يَرْكَبُ اسْتِعَارَ لَفْظَ النَّمْرُقَةِ لِمَا يَرَاهُ الْإِنْسَانُ مَذْهَبًا يَرْجِعُ إِلَيْهِ وَ يَكُونُ كَالرَّاكِبِ لَهُ وَ الْجَالِسِ عَلَيْهِ وَ الْمَتَوَرِّكِ فَوْقَهُ . وَيَجُوزُ أَيْضًا أَنْ تَكُونَ لَفْظَةُ الْوَسْطَى يَرَادُ بِهَا الْفَضْلَى يُقَالُ هَذِهِ هِيَ الطَّرِيقَةُ الْوَسْطَى وَ الْخَلِيقَةُ الْوَسْطَى أَيْ الْفَضْلَى وَ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَيْ أَفْضَلُهُمْ وَ مِنْهُ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا - قرآن - ٧٢٤-٧٣٨ - قرآن - ٧٥٧-٧٨١ [صفحة ٢٧٤]

لَا يُقِيمُ أَمْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِلَّا مَنْ لَا يُصَانِعُ وَ لَا يُضَارِعُ وَ لَا يَتَّبِعُ الْمَطَامِعَ قَدْ سَبِقَ مِنْ كَلَامِ عَمْرِ شَيْءٍ يَنَاسِبُ هَذَا إِنْ لَمْ يَكُنْ هُوَ بَعِينَهُ وَ الْمَصَانِعَةُ بِذَلِكَ الرِّشْوَةُ وَ فِي الْمَثَلِ مِنْ صَانِعٍ بِالْمَالِ لَمْ يَحْتَشِمِ مِنْ طَلَبِ الْحَاجَةِ . فَإِنْ قُلْتَ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ مِنْ لَا يُصَانِعُ بِالْفَتْحِ قُلْتَ الْمَفَاعَلَةُ تَدُلُّ عَلَى كَوْنِ الْفِعْلِ بَيْنَ الْإِثْنَيْنِ كَالْمُضَارَبَةِ وَ الْمَقَاتَلَةِ . وَيُضَارِعُ يَتَعَرَّضُ لَطَلَبِ الْحَاجَةِ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الضَّرَاعَةِ وَ هِيَ الْخُضُوعُ أَيْ يَخْضَعُ لَزَيْدٍ لِيَخْضَعَ زَيْدٌ لَهُ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُضَارَعَةِ بِمَعْنَى الْمَشَابَهَةِ أَيْ لَا يَتَشَبَّهُ بِأُمَّةٍ الْحَقِّ أَوْ لَوْلَا الْحَقِّ وَ لَيْسَ مِنْهُمْ . وَ أَمَا تَبَاعُ الْمَطَامِعِ فَمَعْرُوفٌ [صفحة ٢٧٥]

وَ قَالَتْ عَ وَ قَدْ تُوْفِّيَ سَيِّهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ الْأَنْصَارِيُّ بِالْكَوْفَةِ بَعْدَ مَرْجِعِهِ مِنْ صِفِّينَ مَعَهُ وَ كَانَ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْهِ لَوْ أَحْبَبْتِي جَبَلٌ لَتَهَيَّأَتْ قَالَ الرَّضَى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْمَحْنَةَ تَغْلِظُ عَلَيْهِ فَتَسْرِعُ الْمَصَائِبُ إِلَيْهِ وَ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْأَتْقِيَاءِ الْأَبْرَارِ الْمُسْتَطْفِينِ الْأَخْيَارِ وَ هَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ عَ مِنْ أَحْبَبْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَلَيْسَتْ تَعْدُ لِلْفَقْرِ جَلْبَابًا وَ قَدْ يُوْوَلُ ذَلِكَ عَلَى مَعْنَى آخِرِ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُ ذِكْرِهِ - رَوَايَاتُ ١-٢٤٩ أَنْ النَّبِيَّ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ لَا يَحْبِبُكَ إِلَّا الْمُؤْمِنُ وَ لَا يَبْغِضُكَ إِلَّا الْمُنَافِقُ - رَوَايَاتُ ١-٢-١-٢- رَوَايَاتُ ٢٦-٦٥ أَنْ النَّبِيَّ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنْ الْبُلُوبُ أَسْرَعَ إِلَى الْمُؤْمِنِ مِنَ الْمَاءِ إِلَى الْحَدُورِ - رَوَايَاتُ ١-٢-١-٢- رَوَايَاتُ ٢٢-٧٢ فِي حَدِيثِ آخِرِ الْمُؤْمِنِ مَلْقَى وَ الْكَافِي مَوْقِي - رَوَايَاتُ ١-٢-١-٢- رَوَايَاتُ ١٦-٤٥ فِي حَدِيثِ آخِرِ خَيْرِكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَكْبَرُكُمْ مَصَائِبُ فِي نَفْسِهِ وَ مَالِهِ وَ وُلْدِهِ - رَوَايَاتُ ١-٢- رَوَايَاتُ ١٦-٧٠ . وَ هَاتَانِ الْمَقْدِمَتَانِ يَلْزِمُهُمَا نَتِيجَةٌ صَادِقَةٌ وَ هِيَ أَنَّهُ عَ لَوْ أَحْبَبَهُ جَبَلٌ لَتَهَيَّأَتْ وَ لَعَلَّ هَذَا هُوَ مَرَادُ الرَّضَى بِقَوْلِهِ وَ قَدْ يُوْوَلُ ذَلِكَ عَلَى مَعْنَى آخِرِ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُ ذِكْرِهِ [صفحة ٢٧٦]

لَمَّا مَيَّالَ أَعْوَدُ مِنَ الْعَقْلِ وَ لَا وَحْدَةً أَوْحَشُ مِنَ الْعُجْبِ وَ لَا عَقْلَ كَالْتِدْبِيرِ وَ لَا كَرَمَ كَالْتَقْوَى وَ لَا قَرِينَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ وَ لَا مِيرَاثَ كَالْأَدَبِ وَ لَا قَاتِلًا كَالْتَوْفِيقِ وَ لَا تِجَارَةً كَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَ لَا زَرْعَ كَالثَّوَابِ وَ لَا وَرَعَ كَالْوُقُوفِ عِنْدَ الشُّبُهَةِ وَ لَا زُهْدًا كَالزُّهْدِ فِي

الْحَرَامِ وَ لَمَّا عَلِمَ كَمَا تَفَكَّرَ وَ لَمَّا عَيَّادَةٌ كَأَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَ لَأِ إِيْمَانٍ كَالْحَيَاءِ وَ الصَّبْرِ وَ لَأِ حَسَبٍ كَالْتَوَاضُعِ وَ لَأِ شَرَفٍ كَالْعِلْمِ وَ لَأِ عِزِّ كَالْحِلْمِ وَ لَأِ مُظَاهَرَةٍ أَوْثَقَ مِنَ الْمُشَاوَرَةِ قَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الْحُكْمِ . أَمَّا الْمَالُ فَإِنَّ الْعَقْلَ أَعُوذُ مِنْهُ لِأَنَّ الْأَحْمَقَ ذَا الْمَالِ طَالَمَا ذَهَبَ مَالُهُ بِحِمَقِهِ فَعَادَ أَحْمَقَ فَقِيرًا وَ الْعَاقِلَ الَّذِي لَمْ يَلْمَسْهُ الْمَالُ بِعَقْلِهِ وَ بَقِيَ عَقْلُهُ عَلَيْهِ . وَ أَمَّا الْعَجَبُ فَيُوجِبُ الْمَقْتَّ وَ مَنْ مَقَتَ أَفْرَدَ عَنِ الْمَخَالِطَةِ وَ اسْتَوْحَشَ مِنْهُ وَ لَا يُرِيبُ أَنْ التَّدْبِيرُ هُوَ أَفْضَلُ الْعَقْلِ لِأَنَّ الْعَيْشَ كُلَّهُ فِي التَّدْبِيرِ . وَ أَمَّا التَّقْوَى فَقَدْ قَالَ اللَّهُ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ . - قرآن - ٣٦٢-٣٩٨ [صفحہ ٢٧٧] وَ أَمَّا الْأَدَبُ فَقَالَتِ الْحِكْمَاءُ مَا وَرَثَتِ الْأَبَاءُ أَبْنَاءَهُمَا كَالْأَدَبِ . وَ أَمَّا التَّوْفِيقُ فَمَنْ لَمْ يَكُنْ قَائِدَهُ ضَلَّ . وَ أَمَّا الْعَمَلُ الصَّالِحُ فَإِنَّهُ أَشْرَفُ التَّجَارَاتِ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ . ثُمَّ عَدَّ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ . وَ أَمَّا الثَّوَابُ فَهُوَ الرِّبْحُ الْحَقِيقِيُّ وَ أَمَّا رِبْحُ الدُّنْيَا فَشَبِيهُهُ بِحِلْمِ النَّائِمِ . وَ أَمَّا الْوُقُوفُ عِنْدَ الشَّبَهَاتِ فَهُوَ حَقِيقَةُ الْوَرَعِ وَ لَا يُرِيبُ أَنْ مَنْ يَزْهَدَ فِي الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِمَّنْ يَزْهَدُ فِي الْمُبَاحَاتِ كَمَا مَأْكَلُ اللَّذِيذَةِ وَ الْمَلَابِيسِ النَّاعِمَةَ وَ قَدْ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى أَرْبَابَ التَّفَكُّرِ فَقَالَ وَ يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ قَالَ أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا وَ لَا يُرِيبُ أَنْ الْعِبَادَةَ بِأَدَاءِ الْفَرَائِضِ فَوْقَ الْعِبَادَةِ بِالنَّوَافِلِ وَ الْحَيَاءِ مَخِ الْإِيْمَانِ وَ كَذَلِكَ الصَّبْرُ وَ التَّوَاضُعُ مَصِيدَةُ الشَّرَفِ وَ ذَلِكَ هُوَ الْحَسَبُ وَ أَشْرَفُ الْأَشْيَاءِ الْعِلْمُ لِأَنَّهُ خَاصَّةُ الْإِنْسَانِ وَ بِهِ يَقَعُ الْفَضْلُ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ سَائِرِ الْحَيَوَانِ . وَ الْمَشُورَةُ مِنَ الْحَزْمِ فَإِنَّ عَقْلَ غَيْرِكَ تَسْتَضِيْفُهُ إِلَى عَقْلِكَ وَ مِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْحِكْمَاءِ إِذَا اسْتَشَارَكَكَ عَدُوكَ فِي الْأَمْرِ فَامْحَضْهُ النَّصِيْحَةَ فِي الرَّأْيِ فَإِنَّهُ إِنْ عَمِلَ بِرَأْيِكَ وَ انْتَفَعَ نَدِمَ عَلَى إِفْرَاطِهِ فِي مَنَاوَاتِكَ وَ أَفْضَتِ عِدَاوَتَهُ إِلَى الْمُوَدَّةِ وَ إِنْ خَالَفَكَ وَ اسْتَضَرَّ عَرَفَ قَدْرَ أَمَانَتِكَ بِنَصِيْحَتِهِ وَ بَلَغَتْ مَنَاقِكَ فِي مَكْرُوهِهِ - قرآن - ١٦٣-٢١٨ - قرآن - ٤٩٥-٥٤٢ - قرآن - ٥٥٠-٥٦٨ [صفحہ ٢٧٨]

١١٠

إِذَا اسْتَوْلَى الصَّيْلَمَاحُ عَلَى الزَّمَانِ وَ أَهْلُهُ ثُمَّ أَسَاءَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُلٍ لَمْ تَظْهَرِ مِنْهُ حَوْبِيَّةٌ فَقَدْ ظَلَمَ وَ إِذَا اسْتَوْلَى الْفَسَادُ عَلَى الزَّمَانِ وَ أَهْلُهُ فَأَحْسَنَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُلٍ فَقَدْ غَرَّرَ بِرِيدِ أَنْ يَتَّعِينَ عَلَى الْعَاقِلِ سُوءَ الظَّنِّ حَيْثُ الزَّمَانُ فَاسِدٌ وَ لَا يَنْبَغِي لَهُ سُوءُ الظَّنِّ حَيْثُ الزَّمَانُ صَالِحٌ وَ قَدْ جَاءَ فِي الْخَبَرِ الْمَرْفُوعِ النَّهْيُ عَنْ أَنْ يَظُنَّ الْمُسْلِمُ بِالْمُسْلِمِ ظَنَّهُ السُّوءَ وَ ذَلِكَ مَحْمُولٌ عَلَى الْمُسْلِمِ الَّذِي لَمْ تَظْهَرِ مِنْهُ حَوْبَةٌ كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ عَلَى عِ وَ الْحَوْبَةُ الْمَعْصِيَةُ وَ الْخَبَرُ هُوَ مَا رَوَاهُ جَابِرٌ قَالَ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ أَهْلِهِ إِلَى الْكَعْبَةِ فَقَالَ مَرَحَبًا بِكَ مِنْ بَيْتِ مَا أَعْظَمَكَ وَ أَعْظَمَ حَرَمَتَكَ وَ اللَّهُ إِنْ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمَ حَرَمَهُ مِنْكَ عِنْدَ اللَّهِ عِزٌّ وَ جَلٌّ لِأَنَّ اللَّهَ حَرَمَ مِنْكَ وَاحِدَةً وَ مِنْ الْمُؤْمِنِ ثَلَاثَةٌ دَمُهُ وَ مَالُهُ وَ أَنْ يَظُنَّ بِهِ ظَنَّهُ السُّوءَ - رَوَايَاتُ - ١-٢- رَوَايَاتُ - ٢٩-٢٣٨ وَ مِنْ كَلَامِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَمْرُ أَخِيكَ عَلَى أَحْسَنِهِ حَتَّى يَجِيءَ مَا يَغْلِبُكَ مِنْهُ وَ لَا تَظُنَّنِي بِكَلِمَةٍ خَرَجْتَ مِنْ فِي أَخِيكَ الْمُسْلِمِ سُوءًا وَ أَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مَحْمَلًا وَ مَنْ عَرَضَ نَفْسَهُ لِلتَّهْمِ فَلَا يَلُومَنَّ مَنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ . شَاعِرٌ أَسَاءَتْ إِذْ أَحْسَنْتَ ظَنِّي بِكُمْ || وَ الْحَزْمُ سُوءُ الظَّنِّ بِالنَّاسِ . [صفحہ ٢٧٩] قِيلَ لِعَالَمٍ مِنْ أَسْوَأِ النَّاسِ حَالًا قَالَ مَنْ لَا يَتَّقِي بِأَحَدٍ لِسُوءِ ظَنِّهِ وَ لَا يَتَّقِي بِهِ أَحَدٌ لِسُوءِ فِعْلِهِ . شَاعِرٌ وَ قَدْ كَانَ حَسَنَ الظَّنِّ بِبَعْضِ مَذَاهِبِي || فَأَدْبَنِي هَذَا الزَّمَانُ وَ أَهْلُهُ . قِيلَ لَصُوفِي مَا صَنَعْتَكُ قَالَ حَسَنَ الظَّنِّ بِاللَّهِ وَ سُوءَ الظَّنِّ بِالنَّاسِ . وَ كَانَ يُقَالُ مَا أَحْسَنَ حَسَنَ الظَّنِّ إِلَّا أَنْ فِيهِ الْعَجْزُ وَ مَا أَقْبَحَ سُوءَ الظَّنِّ إِلَّا أَنْ فِيهِ الْحَزْمُ . ابْنُ الْمُعْتَرِّ تَفَقَّدَ مَسَاقِطَ لِحْظِ الْمُرِيبِ || فَإِنَّ الْعِيُونَ وَ وَجوهَ الْقُلُوبِ وَ طَالِعَ بُوَادِرِهِ فِي الْكَلَامِ || فَإِنَّكَ تَجْنِي ثَمَارَ الْعِيُوبِ [صفحہ ٢٨٠]

١١١

وَ قِيلَ لَهُ عَ كَيْفَ تَجِدُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ كَيْفَ يَكُونُ حَالُ مَنْ يَفْنَى بِبِقَائِهِ وَ يَسْقَمُ بِصِحَّتِهِ وَ يُوتَى مِنْ مَأْمَنِهِ هَذَا مَثَلٌ قَوْلِ

عبدُ بن الطيب أرى بصرى قدرابنى بعدصحة || وحسبك داء أن تصح وتسلما ولن يلبث العصران يوم وليله || إذا طلبا أن يدركا من تيمما . وقال آخر كانت قناتي لاتلين لغامز || فألأنها الإصباح والإمساء ودعوت ربي بالسلامة جاهدا || ليصحنى فإذاالسلامة داء [صفحه ٢٨١]

١١٢

كَمٍ مِنْ مُسْتَدْرِجٍ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ وَ مَغْرُورٍ بِالشَّرِّ عَلَيْهِ وَ مَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ وَ مَا ابْتَلَى اللَّهُ أَحَدًا بِمِثْلِ الْإِمْلَاءِ لَهُ قَدْتَقَدَّمُ الْقَوْلِ فِي الْاسْتَدْرَاجِ وَالْإِمْلَاءِ. فأما القول فى فتنه الإنسان بحسن القول فيه فقد ذكرنا أيضا طرفا صالحا يتعلق بها. و قال رسول الله ص لرجل مدح رجلا و قدمر بمجلس رسول الله ص فلم يسمع ولكن قال ويحك لكدت تضرب عنقه لو سمعها لما أفلح -روايت- ١- ٢-روايت- ٢٥-١٣١ [صفحه ٢٨٢]

١١٣

هَلَمَكَ فِي رَجُلَانِ مُجِبِّ غَالٍ وَ مُبْغِضٍ قَالٍ قَدْتَقَدَّمُ الْقَوْلِ فِي مِثْلِ هَذَا وَ قَد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَ اللَّهُ لَوْ لَأُنَى أَشْفَقُ أَنْ تَقُولَ طَوَائِفَ مِنْ أُمَّتِي فِيكَ مَا قَالَتِ النَّصَارَى فِي ابْنِ مَرْيَمَ لَقَلَّتْ فِيكَ الْيَوْمَ مَقَالًا لَاتَمُرُ بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَخَذُوا التُّرَابَ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْكَ لِلْبُرْكَهْ -روايت- ١- ٢-روايت- ٢٦-١٩٧ . و مع كونه ص لم يقل فيه ذلك المقال فقد غلت فيه غلاة كثيرة العدد منتشرة فى الدنيا يعتقدون فيه ما يعتقد النصارى فى ابن مريم وأشنع من ذلك الاعتقاد. فأما المبغض القالى فقد رأينا من يبغضه ولكن مارأينا من يلعنه ويصرح بالبراءة منه ويقال إن فى عمان و ماوالاها من صحار و مايجرى مجراها قوما يعتقدون فيه ما كانت الخوارج تعتقده فيه و أنا أبرأ إلى الله منهما [صفحه ٢٨٣]

١١٤

إِضَاعِيَةُ الْفُرْصَةِ غُضِيَّةٌ فِي الْمِثْلِ انْتَهَزُوا الْفُرْصَ فَإِنَّهَا تَمُرُ مِنَ السَّحَابِ . وَ قَالَ الشَّاعِرُ وَ إِنْ أَمَكُنْتَ فَرِصَةً فِي الْعَدُوِّ || فَلَإِيكَ هَمَّكَ إِلَّا بِهَا فَإِنْ تَكَ لَمْ تَأْتِ مِنْ بَابِهَا || أَتَاكَ عَدُوُّكَ مِنْ بَابِهَا وَإِيَّاكَ مِنْ نَدَمٍ بَعْدَهَا || وَتَأْمِيلُ أُخْرَى وَأُنَى بِهَا [صفحه ٢٨٤]

١١٥

مِثْلُ الدُّنْيَا كَمِثْلِ الْحَيَّةِ لَيْتَنَ مَسَّهَا وَ السَّمَّ النَّاقِعِ فِي جَوْفِهَا يَهْوِي إِلَيْهَا الْغَيْرُ الْجَاهِلُ وَ يَحْدَرُهَا ذُو اللَّبِّ الْعَاقِلُ قَدْتَقَدَّمُ الْقَوْلِ فِي الدُّنْيَا مَرَارًا وَ قَدْ أَخَذَ أَبُو الْعَتَاهِيَةَ هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ إِنَّمَا الدَّهْرُ أَرْقَمُ لَيْنِ الْمَسِّ وَ فِي نَابِهِ السَّقَامُ الْعِقَامُ [صفحه ٢٨٥]

١١٦

إشارة

وَقَالَ ع وَ قَدْ سِئِلَ عَنْ قُرَيْشٍ فَقَالَ أَمَّا بَنُو مَخْزُومٍ فَرَيْحَانَةُ قُرَيْشٍ تُحِبُّ حَدِيثَ رِجَالِهِمْ وَ النَّكَاحَ فِي نِسَائِهِمْ وَ أَمَّا بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ فَابْعَادُهَا رَأْيًا وَ أَمْنَعُهَا لِمَا وَرَاءَ ظُهُورِهَا وَ أَمَّا نَحْنُ فَأَبْذُلُ لِمَا فِي أَيْدِينَا وَ أَسْمَحُ عِنْدَ الْمَوْتِ بِنُفُوسِنَا وَ هُمْ أَكْثَرُ وَ أَمْكُرُ وَ أَنْكَرُ وَ نَحْنُ أَفْصَحُ وَ أَنْصَحُ وَ أَصْبَحُ

فصل فى نسب بنى مخزوم وطرف من أخبارهم

قد تقدم القول فى مفاخرة هاشم و عبد شمس فأما بنو مخزوم فإنهم بعدهذين البيتين أفخر قريش وأعظمها شرفا. قال شيخنا أبو عثمان حظيت مخزوم بالأشعار فانتشر لهم صيت عظيم بها واتفق لهم فيها ما لم يتفق لأحد و ذلك أنه يضرب بهم المثل فى العز و المنعة و الجود و الشرف و أوضعا فى كل غايه فمن ذلك قول سيحان الجسرى حليف بنى أمية فى كلمه له و حين يناغى الركب موت هشام. فدل ذلك على أن مات قوله مخزوم فى التاريخ حق و ذلك أنهم قالوا كانت قريش و كنانه و من و الاهم من الناس يؤرخون بثلاثة أشياء كانوا يقولون كان ذلك زمن [صفحه ٢٨٦] مبنى الكعبه و كان ذلك من مجيء الفيل و كان ذلك عام مات هشام بن المغيرة كما كانت العرب تؤرخ فتقول كان ذلك زمن الفطحل و كان ذلك زمن الحيان و كان ذلك زمن الحجارة و كان ذلك عام الحجاج و الرواة تجعل ضرب المثل من أعظم المفخر و أظهر الدلائل و الشعر كما علمت كما يرفع يضع كما رفع من بنى أنف الناقة قول الحطيئة قوم هم الأنف و الأذنان غيرهم || و من يسوى بأنف الناقة الذنبا . و كما وضع من بنى نمير قول جرير فعرض الطرف إنك من نمير || فلا كعبا بلغت و لا كلابا . فلقيت نمير من هذا البيت مالقيت . و جعلهم الشاعر مثلا- فيمن وضعه الهجاء و هو يهجو قوما من العرب و سوف يزيدكم ضعة هجائي || كما وضع الهجاء بنى نمير . و نمير قبيل شريف و قد ثلم فى شرفهم هذا البيت . و قال ابن غزاة الكندى و هو يمدح بنى شيبان و لم يكن فى موضع رغبة إلى بنى مخزوم و لا- فى موضع رهبة كأنى إذ حطت الرحل فيهم || بمكة حين حل بها هشام . ف ضرب بهشام المثل . و قال رجل من بنى حزم أحد بنى سلمى و هو يمدح حرب بن معاوية الخفاجى و خفاجه من بنى عقيل إلى حزن الحزون سمت ركابى || بوابل خلفها عسلان جيش [صفحه ٢٨٧] فلما أن أنخت إلى ذراه || أمنت فراشنى منه بريش توسط بيته فى آل كعب || كبيت بنى مغيرة فى قريش . ف ضرب المثل بيتهم فى قريش . و قال عبد الرحمن بن حسان لعبد الرحمن بن الحكم مارست أكيس من بنى قحطان || صعب الذرا متمنع الأركان إنى طمعت بفخر من لورامه || آل المغيرة أوبنو ذكوان لملايتها خيلا تضب لثاتها || مثل الدبا و كواسر العقبان منهم هشام و الوليد و عدلهم || و أبوامية مفرع الركبان . ف ضرب المثل بآل المغيرة . و أمابنو ذكوان فبنو بدر بن عمرو بن حوية بن ذكوان أحد بنى عدى بن فزارة منهم حذيفة و حمل و رهطهما و قال مالك بن نويرة ألم يهنا فخر بكر بن وائل || هزيمتهم فى كل يوم لزام فمنهن يوم الشر أو يوم منعج || و بالجزع إذ قسمن حى عصام أحاديث شاعت فى معد و غيرها || و خبرها الركبان حى هشام . فجعل قريشا كلها حيا لهشام . و قال عبد الله بن ثور الخفاجى و أصبح بطن مكة مقشعرا || كأن الأرض ليس بها هشام . و هذا مثل و فوق المثل . قالوا و قال الخروف الكلبى و قدمر به ناس من تجار قريش يريدون الشام بادين [صفحه ٢٨٨] قشفين مالكم معاشر قريش هكذا أجدبتم أم مات هشام فجعل موت هشام يازاء الجذب و المحل و فى هذا المعنى قال مسافر بن أبى عمرو تقول لنا الركبان فى كل منزل || أمات هشام أم أصابكم جذب . فجعل موت هشام و فقد الغيث سواء . و قال عبد الله بن سلمة بن قشير دعيني أصطح يا بكر إنى || رأيت الموت نقب عن هشام . و قال أبو الطمحان القينى أو أخوه و كانت قريش لاتخون حريمها || من الخوف حتى ناهضت بهشام . و قال أبو بكر بن شعوب لقومه كنانة يا قومنا لاتهلكوا إخفاتا || إن هشام القرشى ماتا . و قال خدش بن زهير و قد كنت هجاء لهم ثم كفكفوا || نوافذ قولى بالهمام هشام .

وقال علي بن هرمه عم ابراهيم بن هرمه و من يرتئى مدحى فإن مدائحى || نوافق عند الأكرمين سوام نوافق عند المشتري الحمد بالندى || نفاق بنات الحارث بن هشام . وقال الشاعر و هو يهجو رجلا أحسبت أن أباك يوم نسبتنى || فى المجد كان الحارث بن هشام أولى قريش بالمكارم كلها || فى الجاهلية كان والإسلام . [صفحہ ۲۸۹] وقال الأسود بن يعفر النهشلى إن الأكارم من قريش كلها || شهدوا فراموا الأمر كل مرام حتى إذا أكثر التجادل بينهم || حزم الأمور الحارث بن هشام . وقال ثابت قطنه أو كعب الأشقرى لمحمد بن الأشعث بن قيس أتوعدنى بالأشعثى ومالك || وتفخر جهلا بالوسيط الطماطم كأنك بالبطحاء تدمر حارثا || وخالد سيف الدين بين الملاحم . وقال الخزاعى فى كلمته التى يذكر فيها أبا أحيحة له سره البطحاء والعد والثرى || ولا كهاشم الخير والقلب مردف . وسأل معاوية صعصعة بن صوحان العبدى عن قبائل قريش فقال إن قلنا غضبتم و إن سكتنا غضبتم فقال أقسمت عليك قال فىمن يقول شاعر كم وعشرة كلهم سيد || آباء سادات وأبناؤها إن يسألوا يعطوا و إن يعدموا || يبيض من مكه بطحاؤها . وقال عبدالرحمن بن سيحان الجسرى حليف بنى أمية و هو يهجو عبد الله بن مطيع من بنى عدى حرام كتنى منى بسوء || وأذكر صاحبى أبدا بذام لقد أصرمت ود بنى مطيع || حرام الدهر للرجل الحرام و إن خيف الزمان مددت حبالا- || متينا من حبال بنى هاشم و ريق عودهم أبدا رطيب || إذا ما هتتر عيدان الكرام . [صفحہ ۲۹۰] وقال أبو طالب بن عبدالمطلب و هو يفخر بخاليه هشام والوليد على أبى سفيان بن حرب وخالى هشام بن المغيرة ثاقب || إذا هم يوما كالحسام المهند وخالى الوليد العدل عال مكانه || وخال أبى سفيان عمرو بن مرثد . وقال ابن الزبعرى فيهم لهم مشية ليست تليق بغيرهم || إذا الحدودب المثرون فى السنة الجذب . وقال شاعر من بنى هوازن أحد بنى أنف الناقه حين سقى إبله عبد الله بن أبى أمية المخزومى بعد أن منعه الزبرقان بن بدر أتدرى من منعت سيال حوض || سليل خضارم منعوا البطاحا أزد الركب تمنع أم هشاما || وذا الرمحين أمنعهم سلاحا هم منعوا الأباطح دون فهر || و من بالخيف والبلد الكفاحا بضرب دون بيضهم طلخف || إذا الملهوف لاذ بهم وصاحا و ماتدرى بأبيهم تلاقى || صدور المشرفية والرماحا . فقال عبد الله بن أبى أمية مجيبا له لعمرى لأنت المرء يحسن باديا || وتحسن عودا شيمه وتصنعا عرفت لقوم مجدهم وقديمهم || وكنت لهما أسديت أهلا وموضعا . قالوا و كان الوليد بن المغيرة يجلس بذى المجاز فيحكم بين العرب أيام عكاظ و قد كان رجل من بنى عامر بن لؤى رافق رجلا من بنى عبدمناف بن قصى فجرى بينهما كلام فى جبل فعلاه بالعصا حتى قتله فكاد دمه يطل فقام دونه أبو طالب [صفحہ ۲۹۱] بن عبدالمطلب وقدمه إلى الوليد فاستحلفه خمسين يمينا أنه ما قتله ففى ذلك يقول أبو طالب أ من أجل جبل ذى رمام علوته || بمنسأة قد جاء جبل وأحبل هلم إلى حكم ابن صخرة إنه || سيحكم فيما بيننا ثم يعدل . وقال أبو طالب أيضا فى كلمة له و حكمك يبقى الخير إن عزأمره || تخمط واستعلى على الأضعف الفرد . وقال أبو طالب أيضا يرثى أبا أمية زاد الركب و هو خاله كأن على رضراض قص و جندل || من اليبس أوتحت الفراش المجامر على خير حاف من معد و ناعل || إذا الخير يرجى أو إذا الشر حاسر ألا إن زاد الركب غير مدافع || بسرو سحيم غيبته المقابر تنادوا بأن لاسيد اليوم فيهم || و قد فجع الحيان كعب و عامر و كان إذا يأتى من الشام قافلا || تقدمه قبل الدنو البشائر فيصبح آل الله بيضا ثيابهم || وقدا حباهم والعيون كواسر أخو جفنة لا تبرح الدهر عندنا || مجمععة تدمى و شاء و باقر ضروب بنصل السيف سوق سمانها || إذا أرسلوا يوما فإنك عاقر فى لك من راع رميت بآله || شرعية تخضر منه الأظافر . وقال أبو طالب أيضا يرثى خاله هشام بن المغيرة [صفحہ ۲۹۲] فقدنا عميد الحى والركن خاشع || كفقده أبى عثمان والبيت والحجر و كان هشام بن المغيرة عصمه || إذ أعرك الناس المخاوف والفقر بأبياته كانت أرامل قومه || تلوذ وأيتام العشيرة والسفر فودت قريش لوفدته بشطرها || وقل لعمرى لو فدوه له الشطر نقول لعمرو أنت منه وإنما || لرجوك فى جل الملمات ياعمرو . عمرو هذا هو أبو جهل بن هشام و أبو عثمان هو هشام . وقالت ضباع بنت عامر بن سلمة بن قرط ترثيه إن أبا عثمان لم أنسه || و إن صبيرا عن بكاه لحوب تفاقدوا من معشر مالهم || أى ذنوب صوبوا فى

القلب . و قال حسان بن ثابت و هو يهجو أبا جهل و كان يكنى أبا الحكم الناس كنهه أبا حكم || و الله كناه أبا جهل أبقت رئاسته لأسرته || لؤم الفروع ودقة الأصل . فاعترف له بالرياسة والتقدم . و قال أبو عبيد معمر بن المثنى لماتنا فر عامر بن الطفيل و علقمة بن علاثة إلى هرم بن قطبة و توارى عنهما أرسل إليهما عليهما بالفتى الحديث السن الحديد الذهن فصارا إلى أبي جهل فقال له ابن الزبيرى فلا تحكم فداك أبي و خالى || و كن كالمراء حاكم آل عمرو . [صفحہ ۲۹۳] فأبى أن يحكم فرجعا إلى هرم . و قال عبد الله بن ثور هريفا من دموعكما سجاما || ضباع و حاربي نوحا قياما فمن للركب إذ جاءوا طروقا || و غلقت البيوت فلا هشاما . و قال أيضا فى كلمة له و ما ولدت نساء بنى نزار || و لا رشحن أكرم من هشام هشام بن المغيرة خير فهر || و أفضل من سقى صوب الغمام . و قال عمارة بن أبى طرفة الهذلى سمعت ابن جريح يقول فى كلام له هلك سيد البطحاء بالرعاف قلت و من سيد البطحاء قال هشام بن المغيرة . و قال النبى ص لودخل أحد من مشركى قريش الجنة لدخلها هشام بن المغيرة كان أبذلهم للمعروف و أحملهم للكل -رواية- ۱- ۲-رواية- ۱۸- ۱۱۲ و قال عمر بن الخطاب لا قليل فى الله و لا كثير فى غير الله و لوبالخلق الجزل و الفعال الدثر تنال المثوبة لنالها هشام بن المغيرة و لكن بتوحيد الله و الجهاد فى سبيله . و قال خدش بن زهير فى يوم شمطة و هو أحد أيام الفجار و هو عدو قريش و خصمها و بلغ أن بلغت بنا هشاما || و ذا الرمحين بلغ و الوليدا أولئك إن يكن فى الناس جود || فإن لديهم حسبا وجودا هم خير المعاشر من قريش || و أوراها إذا قدحوا زنودا . [صفحہ ۲۹۴] و قال أيضا و ذكرهما فى تلك الحروب ياشدة ما شددنا غير كاذبه || على سخينة لو لا الليل و الحرم إذا ثقفنا هشاما بالوليد و لو || أناثقنا هشاما شالت الجذم . و ذكرهم ابن الزبيرى فى تلك الحروب فقال ألا لله قوم || ولدت أخت بنى سهم هشام و أبو عبد مناف مدره الخصم و ذو الرمحين أشباك || من القوة و الحزم فهذان يذودان || و ذا عن كذب يرمى و هم يوم عكاظ || منعوا الناس من الهزم بجأواء طحون فخمة || القونس كالنجم أسود تزدهى الأقران || مناعون للهضم فإن أحلف و بيت الله || لا أحلف على إثم و ما من إخوة بين || دروب الشام و الردم بأزكى من بنى ربيعة || أو أرزن من حلم . ربيعة هى أم ولد المغيرة و هى ربيعة بنت سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب و أبو عبد مناف هو أبو أمية بن المغيرة و يعرف بزاد الركب و اسمه حذيفة و إنما قيل له زاد الركب لأنه كان إذا خرج مسافرا لم يتزود معه أحد و كانت [صفحہ ۲۹۵] عنده عاتكة بنت عبدالمطلب بن هشام و أما ذو الرمحين فهو أبو ربيعة بن المغيرة و اسمه عمرو و كان المغيرة يكنى باسم ابنه الأكبر و هو هاشم و لم يعقب إلا من حنمة ابنته و هى أم عمر بن الخطاب . و قال ابن الزبيرى يمدح أبا جهل رب نديم ماجد الأصل || مهذب الأعراق و النجل منهم أبو عبد مناف و كم || سربت بالضخم على العدل عمرو الندى ذاك و أشياعه || ما شئت من قول و من فعل . و قال الورد بن خلاس السهمى سهم بأهله يمدح الوليد إذا كنت فى حبي جذيمة ثاويا || فعند عظيم القريتين وليد فذاك و حيد الرأى مشترك الندى || و عصمة ملهوف الجنان عميد . و قال أيضا إن الوليد و الأبناء ضاحية || ربا تهامة فى الميسور و العسر هم الغياث و بعض القوم قرقمة || عزالذليل و غيظ الحاسد الوغر . و قال ورهطك يا ابن الغيث أكرم محتد || و امنع للجار اللهيف المهضم . قالوا الغيث لقب المغيرة و جعل الوليد و أخاه هشاما ربي تهامة كما قال لبيد بن ربيعة فى حذيفة بن بدر و أهلكن يوما رب كندة و ابنه || و رب معد بين خبت و عرعر فجعله رب معد . [صفحہ ۲۹۶] قالوا يدل على قدر مخزوم مارأينا من تعظيم القرآن لشأنهم دون غيرهم من سائر قريش قال الله تعالى مخبرا عن العرب إنهم قالوا لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فأحد الرجلين العظيمين بلا شك الوليد بن المغيرة و الآخر مختلف فيه أ هو عروة بن مسعود أم جد المختار بن أبى عبيد . و قال سبحانه فى الوليد ذرنى و من خلقت و جيدا و جعلت له مألما ممدودا و بينن شهودا الآيات . قالوا و فى الوليد نزلت أما من استغنى فمأنت له تصدى . و فى أبى جهل نزلت ذق إنك أنت العزيز الكريم . و فيه نزلت فلئذ ناديه . و فى مخزوم و ذرنى و المكذبين أولى النعمة . و فيه نزلت ما حولناكم وراء ظهوركم . و زعم القطرى أبو اليقظان و أبو الحسن أن الحجاج سأل أعشى

همدان عن بيوتات قريش في الجاهلية فقال إني قد آليت ألا أنفر أحدا على أحد ولكن أقول وتسمعون قالوا فقل قال من أيهم المحبب في أهله المؤرخ بذكره محلي الكعبة وضارب القبة والملقب بالخير وصاحب الخير والمير قالوا من بني مخزوم قال فمن أيهم ضجيج بسباسة والمنحور عنه ألف ناقه وزاد الركب ومبيض البطحاء قالوا من بني مخزوم قال فمن أيهم كان المقنع في حكمه والمنفذ وصيته على تهكمه وعدل الجميع في الرفادة وأول من وضع أساس الكعبة قالوا من بني مخزوم قال فمن -قرآن- ١٣١-١٩٥-قرآن-٣٣٥-٤١٧-قرآن-٤٤٩-٤٨٧-قرآن-٥١٠-٥٤٥-قرآن-٥٥٩-٥٧٥-قرآن-٥٨٩-٦٣٣-قرآن-٦٤٨-٦٧٨]

صفحة ٢٩٧] أيهم صاحب الأريكة ومطعم الخزيرة قالوا من بني مخزوم قال فمن أيهم الإخوة العشرة الكرام البررة قالوا من بني مخزوم قال فهو ذاك فقال رجل من بني أمية أيها الأمير لو كان لهم مع قديمهم حديث إسلام فقال الحجاج أ و ما علمت بأن منهم رداد الردة وقاتل مسيلمه وآسر طليحة والمدرك بالطائفة مع الفتوح العظام والأيدى الجسام فهذا آخر ما ذكره أبو عثمان . ويمكن أن يزداد عليه فيقال قالت مخزوم ما أنصفنا من اقتصر في ذكرنا على أن قال مخزوم ربحانة قريش تحب حديث رجالهم والنكاح في نسائهم ولنا في الجاهلية والإسلام أثر عظيم ورجال كثيرة ورؤساء شهيرة فمننا المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم كان سيد قريش في الجاهلية وهو الذي منع فزاره من الحج لماعير خشين بن لأي الفزاري ثم الشمخي قوما من قريش إنهم يأخذون ما ينحره العرب من الإبل في الموسم فقال خشين لم يمنع من الحج يارب هل عندك من عقيره || أصلح مالي وأدع تنحيه فإن منا مانع المغيرة || ومانعا بعدمني بثيره ومانعا بيتك أن أزوره . منا بنو المغيرة العشرة أمهم ريطه و قد تقدم ذكر نسبها وأما عاتكة بنت عبدالعزيز بن قصي وأما الحظيا بنت كعب بن سعد بن تيم بن مرة أول امرأة من قريش ضربت قباب الأدم بذي المجاز ولها يقول الشاعر مضى بالصالحات بنو الحظيا || و كان بسيفهم يغنى الفقير . فمن هؤلاء أعنى الحظيا الوليد بن المغيرة أمه صخرة بنت الحارث بن عبد الله [صفحته ٢٩٨] بن عبد شمس القشيري كان أبوطالب بن عبدالمطلب يفتخر بأنه خاله وكفاك من رجل يفتخر أبوطالب بخولته ألا ترى إلى قول أبي طالب وخالي الوليد قد عرفتم مكانه || وخالي أبو العاصي إياس بن معبد . ومنهم حفص بن المغيرة و كان شريفا و عثمان بن المغيرة و كان شريفا ومنهم السيد المطاع هشام بن المغيرة و كان سيد قريش غير مدافع له يقول أبو بكر بن الأسود بن شعوب يرثيه ذرني أصطبح يابكر إني || رأيت الموت نقب عن هشام تخيره و لم يعدل سواه || ونعم المرء بالبلد الحرام و كنت إذا ألقيه كأنى || إلى حرم و في شهر حرام فود بنو المغيرة لوفدوه || بألف مقاتل وبألف رام وود بنو المغيرة لوفدوه || بألف من رجال أوسام فبكيه ضباع و لا تملئ || هشاما إنه غيث الأنام . و يقول له الحارث بن أمية الضمري ألا هلك القناص والحامل الثقلا || و من لا يرضن عن عشيرته فضلا و حرب أبا عثمان أطفأت نارها || و لو لاهشام أوقدت حطبا جزلا و عان تريك يستكين لعله || فككت أبا عثمان عن يده الغلا ألا لست كالهلكي فبكي بكاءهم || ولكن أرى الهلاك في جنبه و غلا غداة غدت تبكي ضباعه غيثنا || هشاما و قد أعلنت بمهلكه ضحلا ألم تريا أن الأمانة أصعدت || مع النعش إذ ولى و كان لها أهلا . [صفحته ٢٩٩] و قال أيضا يبكيه ويرثيه وأصبح بطن مكة مقشعرا || شديد المحل ليس به هشام يروح كأنه أشلاء سوط || و فوق جفانه شحم ركام فللكبراء أكل كيف شاءوا || وللولدان لقم واغتنام فبكيه ضباع و لا تملئ || ثمال الناس إن قحط الغمام و إن بنى المغيرة من قريش || هم الرأس المقدم والسنام . و ضباعه التي تذكرها الشعراء زوجة هشام وهي من بنى قشير . قال الزبير بن بكار فلما قال الحارث ألا لست كالهلكي البيت عظم ذلك على بنى عبد مناف فأغروا به حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمى حليف بنى عبد شمس وكانت قريش رضيت به واستعملته على سقائها ففر منه الحارث و قال أفر من الأباطح كل يوم || مخافة أن ينكل بي حكيم . فهدم حكيم داره فأعطاه بنو هشام داره التي بأجباد عوضا منها . و قال عبد الله بن ثور البكائي يرثيه هريقى من دموعهما سجاما || ضباع و جاوبى نوحا قياما على خير البرية لن تراه || ولن تلقى مواهبه العظاما جواد مثل سيل الغيث يوما || إذا علجانه يعلو الإكاما إذا ما كان عام ذو عرام

|| حسبت قدوره جبلا صياما [صفحہ ۳۰۰] فمن للركب إذامسوا طروقا || وغلقت البيوت فلاهشاما وأوحش بطن مكة بعد أنس || ومجد كان فيها قد أقاما فلم أر مثله في أهل نجد || ولا فيمن بغورك ياتهما ما قال الزبير و كان فارس قريش في الجاهلية هشام بن المغيرة و أبو ليلى بن عبدة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي و كان يقال لهشام فارس البطحاء فلما هلكا كان فارسى قريش بعدهما عمرو بن عبد العامرى المقتول يوم الخندق وضرار بن الخطاب المحاربى الفهرى ثم هبيرة بن أبى وهب و عكرمة بن أبى جهل المخزوميان قالوا و كان عام مات هشام تاريخا كعام الفيل و عام الفجار و عام بنيان الكعبة و كان هشام رئيس بنى مخزوم يوم الفجار. قالوا و منا أبو جهل بن هشام و اسمه عمرو و كنيته أبو الحكم و إنما كناه أباجهل رسول الله ص كان سيدا أدخلته قريش دار الندوة فسودته و أجلسته فوق الجلة من شيوخ قريش و هو غلام لم يطر شاربه و هو أحد من ساد على الصبا و الحارث بن هشام أخو أبى جهل كان شريفا مذكورا و له يقول كعب بن الأشرف اليهودى الطائى نبئت أن الحارث بن هشام || فى الناس بينى المكرمات و يجمع ليزور يثرب بالجموع و إنما || بينى على الحسب القديم الأروع . و هو الذى هاجر من مكة إلى الشام بأهله و ماله فى خلافة عمر بن الخطاب فتبعه أهل مكة ليكون فرق و بكى و قال إنا لو كنا نستبدل دارا بدار و جارا [صفحہ ۳۰۱] بجار ما أردنا بكم بدلا ولكنها النقلة إلى الله عز و جل فلم يزل حابسا نفسه و من معه بالشام مجاهدا حتى مات . قال الزبير جاء الحارث بن هشام و سهيل بن عمرو إلى عمر بن الخطاب فجلسا عنده و هو بينهما فجعل المهاجرون الأولون و الأنصار يأتون عمر فينحيهما و يقول هاهنا يسهيل هاهنا ياحارث حتى صارا فى آخر الناس فقال الحارث لسهيل أ لم تر ما صنع بناء عمر اليوم فقال سهيل أيها الرجل إنه لالوم عليه ينبغى أن نرجع باللوم على أنفسنا دعى القوم و دعينا فأسرعوا و أبطننا فلما قاما من عند عمر أتياه فى غد فقالا له قدرأينا ما صنعت بالأمس و علمنا أنا أتينا من أنفسنا فهل من شىء نستدرك به فقال لأعلم إلا هذا الوجه و أشار لهما إلى ثغر الروم فخرجا إلى الشام فجاهدا بها حتى ماتا. قالوا و منا عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أمه فاطمة بنت الوليد بن المغيرة و كان شريفا سيدا و هو الذى قال لمعاوية لما قتل حجر بن عدى و أصحابه أين عزب منك حلم أبى سفيان أ لا حبستهم فى السجون و عرضتهم للطاعون فقال حين غاب عنى مثلك من قومى و عبد الرحمن بن الحارث بن هشام هو الذى رغب فيه عثمان بن عفان و هو خليفة فزوجه ابنته. قالوا و منا أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام كان سيدا جوادا و فقيها عالما و هو الذى قدم عليه بنو أسد بن خزيمه يسألونه فى دماء كانت بينهم فاحتمل عنهم أربع مائة بعير دية أربعة من القتلى و لم يكن بيده مال فقال لابنه عبد الله بن أبى بكر اذهب إلى عمك المغيرة بن عبد الرحمن فاسأله المعونة فذهب عبد الله إلى عمه فذكر له ذلك فقال المغيرة لقد أكبر علينا أبو بكر فانصرف عنه عبد الله و أقام أياما [صفحہ ۳۰۲] لا يذكر لأبيه شيئا و كان يقود أباه إلى المسجد و قد ذهب بصره فقال له أبوه يوما أ ذهبت إلى عمك قال نعم و سكت فعرف حين سكت أنه لن يجد عند عمه ما يحب فقال له يابنى أ لا تخبرنى ما قال لك قال أ يفعل أبو هاشم و كانت كنية المغيرة فرما فعل ولكن اغد غدا إلى السوق فخذ لى عينه فغدا عبد الله فتعين عينه من السوق لأبيه و باعها فأقام أيام لا يبيع أحد فى السوق طعاما و لازيتا غير عبد الله بن أبى بكر من تلك العينه فلما فرغ أمره أبوه أن يدفعها إلى الأسديين فدفعها إليهم . و كان أبو بكر خصيصا بعبد الملك بن مروان و قال عبد الملك لابنه الوليد لما حضرته الوفاة إن لى بالمدينة صديقين فاحفظنى فيهما عبد الله بن جعفر بن أبى طالب و أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام . و كان يقال ثلاثة أبيات من قريش توالى بالشرف خمسة خمسة و عدوا منها أبابكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة. قالوا و منا المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام كان أجود الناس بالمال و أطعمهم للطعام و كانت عينه أصيبت مع مسلمة بن عبد الملك فى غزوة الروم و كان المغيرة ينحر الجزور و يطعم الطعام حيث نزل و لا يرد أحدا فجاء قوم من الأعراب فجلسوا على طعامه فجعل أحدهم يحد النظر إليه فقال له المغيرة ما لك تحد النظر إلى قال إنى ليرببى عينك و سماحك بالطعام قال و مم ارتبت قال أظنك الدجال لأنا روينا أنه أعور و أنه أطعم الناس للطعام فقال

المغيرة ويحك إن الدجال لاتصاب عينه في سبيل الله وللمغيرة يقول الأقيشر الأسدي لما قدم الكوفة فنحر الجزر وبسط الأنطاع وأطعم الناس وصار صيته في العرب [صفحة ٣٠٣] أتاك البحر طم على قريش || معيرتى فقد راع ابن بشر وراع الجدى جدى التيم لما || رأى المعروف منه غير نزر و من أوتار عقبه قدشفانى || ورهط الحاطبي ورهط صخر فلايغررك حسن الزى منهم || ولاسرح بيزيون ونمر .فابن بشر عبد الله بن بشر بن مروان بن الحكم وجدى التيم حماد بن عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله وأوتار عقبه يعنى أولاد عقبه بن أبى معيط والحاطبي لقمان بن محمد بن حاطب الجمحى ورهط صخر بنو أبى سفيان بن حرب بن أمية و كل هؤلاء كانوا مشهورين بالكوفة فلما قدمها المغيرة أخلد ذكرهم والمغيرة هذا هو الذى بلغه أن سليم بن أفلح مولى أبى أيوب الأنصارى أراد أن يبيع المنزل الذى نزل فيه رسول الله ص مقدمه المدينة على أبى أيوب بخمسمائة دينار فأرسل إليه ألف دينار وسأله أن يبيعه إياه فباعه فلما ملكه جعله صدقة فى يومه . قال الزبير و كان يزيد بن المغيرة بن عبد الرحمن يطاف به بالكوفة على العجل و كان ينحر فى كل يوم جزورا و فى كل جمعة جزورين ورأى يوما إحدى جفنااته مكللة بالسنام تكليلا حسنا فأعجبه فسأل فقال من كللها قيل اليسع ابنك فسر وأعطاه ستين دينارا. ومراهم بن هشام على برده المغيرة و قد أشرفت على الجفنة فقال لعبد من عبيد المغيرة يا غلام على أى شىء نصبتم هذا الثريد على العمدة قال لا ولكن على أعضاد الإبل فبلغ ذلك المغيرة فأعتق ذلك الغلام . والمغيرة هو الذى مر بحرة الأعراب فقاموا إليه فقالوا يا أباهاشم قد فاض [صفحة ٣٠٤] معروفك على الناس فما بالناس أشقى الخلق بك قال إنه لا مال معى ولكن خذوا هذا الغلام فهو لكم فأخذوه فبكى الغلام فقال يا مولاي خدمتى وحرمتى فقال أتبيعونى إياه قالوا نعم فاشتراه منهم بمال ثم أعتقه و قال له و الله لأعرضك لمثلها أبدا اذهب فانت حر فلما عاد إلى الكوفة حمل ذلك المال إليهم . و كان المغيرة يأمر بالسكر والجوز فيدقان ويطعمهما أصحاب الصفة المساكين و يقول إنهم يشتهون كما يشتهى غيرهم و لا يمكنهم فخرج المغيرة فى سفر ومعه جماعة فوردوا غديرا ليس لهم ماء غيره و كان ملحا فأمر بقرب العسل فشقت فى الغدير وخيشت بمائه فما شرب أحد منهم حتى راحوا إلا من قرب المغيرة. وذكر الزبير أن ابنا لهشام بن عبد الملك كان يسوم المغيرة ماله بالمكان المسمى بديعا فلا يبيعه فغزا ابن هشام أرض الروم ومعه المغيرة فأصاب الناس مجاعة فى غزاتهم فجاء المغيرة إلى ابن هشام فقال إنك كنت تسومنى مالى ببديع فأبى أن أبيعك فاشترى الآن منى نصفه بعشرين ألف دينار فأطعم المغيرة بها الناس فلما رجع ابن هشام بالناس من غزوته تلك و قد بلغ هشاما الخبر قال لابنه قبح الله رأيك أنت أمير الجيش و ابن أمير المؤمنين يصيب الناس معك مجاعة فلا تطعمهم حتى يبيعك رجل سوقه ماله و يطعم به الناس ويحك أخشيت أن تفتقر إن أطعمت الناس . قالوا ولنا عكرمة بن أبى جهل الذى قام له رسول الله ص قائما و هو بعد مشرك لم يسلم و لم يقم رسول الله ص لرجل داخل عليه من الناس شريف و لامشرف إلا عكرمة و عكرمة هو الذى اجتهد فى نصرته الإسلام بعد أن كان شديد العداوة و هو الذى سأله أبو بكر أن يقبل منه معونة على الجهاد فأبى [صفحة ٣٠٥] و قال لا آخذ على الجهاد أجرا و لا معونة و هو الشهيد يوم أجنادين و هو الذى قال رسول الله ص لا تسألنى اليوم شيئا إلا أعطيتك فقال فىانى أسألك أن تستغفر لى و لم يسأل غير ذلك و كل قريش غيره سألوا المال كسهيل بن عمرو و صفوان بن أمية وغيرهما . قالوا ولنا الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة كان شاعرا مجيدا كثيرا و كان أمير مكة استعمله عليها يزيد بن معاوية و من شعره من كان يسأل عنا أين منزلنا || فالأقحوانة منا منزل قمن إذ نلبس العيش غضا لا يكدره || قرب الوشاة و لا ينبو بنا الزمن . وأخوه عكرمة بن خالد كان من وجوه قريش وروى الحديث وروى عنه . و من ولد خالد بن العاص بن هاشم بن المغيرة خالد بن إسماعيل بن عبد الرحمن كان جوادا متلafa و فيه قال الشاعر لعمر ك إن المجد ما عاش خالد || على العمر من ذى كبدة لمقيم و تندى البطاح البيض من جود خالد || ويخصبن حتى نبتهن عميم . قالوا ولنا الأوقص و هو محمد بن عبد الرحمن بن هشام بن المغيرة كان قاضى مكة و كان فقيها . قالوا و من قدماء المسلمين عبد الله بن أمية بن المغيرة أخو أم

سلمة زوج رسول الله [صفحہ ۳۰۶] ص كان شديد الخلاف على المسلمين ثم خرج مهاجرا وشهد فتح مكة وحين و قتل يوم الطائف شهيدا. والوليد بن أمية غير رسول الله ص اسمه فسماه المهاجر و كان من صلحاء المسلمين. قالوا ومنا زهير بن أبي أمية بن المغيرة وبجير بن أبي ربيعة بن المغيرة غير رسول الله ص اسمه فسماه عبد الله كانا من أشرف قريش وعباس بن أبي ربيعة كان شريفا قالوا ومنا الحارث القباع و هو الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة كان أمير البصرة وعمر بن عبد الله بن أبي ربيعة الشاعر المشهور ذى الغزل والتشبيب. قالوا و من ولد الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة الفقيه المشهور و هو المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث كان فقيه المدينة بعد مالك بن أنس وعرض عليه الرشيد جائزة أربعة آلاف دينار فامتنع و لم يتقبل له القضاء. قالوا و من يعد ماتعده مخزوم ولها خالد بن الوليد بن المغيرة سيف الله كان مباركا ميمون النقيبة شجاعا و كان إليه أعنة الخيل على عهد رسول الله ص وشهد معه فتح مكة وجرح يوم حنين فنفت رسول الله ص على جرحه فبرأ و هو الذى قتل مسيلمة وأسر طليحة ومهد خلافة أبي بكر و قال يوم موته لقد شهدت كذا وكذا زحفا و ما فى جسدى موضع إصبع إلا و فيه طعنة أو ضربه وها أناذا أموت على فراشى كما يموت العير فلانامت أعين الجبناء ومر عمر بن الخطاب على دور بنى مخزوم والنساء يندبن خالدا و قد وصل خبره إليهم [صفحہ ۳۰۷] و كان مات بجمص فوقف و قال ما على النساء أن يندبن أباسليمان وهل تقوم حره عن مثله ثم أنشد أتبكي ما وصلت به الندامى || و لا تبكى فوارس كالجبال أولئك إن بكيت أشد فقدا || من الأنعام والعكر الحلال تمنى بعدهم قوم مداهم || فما بلغوا لغايات الكمال . و كان عمرو مبغضا لخالد ومنحرفا عنه و لم يمنعه ذلك من أن صدق فيه . قالوا ومنا الوليد بن الوليد بن المغيرة كان رجل صدق من صلحاء المسلمين . ومنا عبد الرحمن بن خالد بن الوليد و كان عظيم القدر فى أهل الشام وخاف معاوية منه أن يثب على الخلافة بعدهم فسمه أمر طيبا له يدعى ابن أثال فسقاه فقتله . وخالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد قاتل ابن أثال بعمه عبد الرحمن والمخالف على بنى أمية والمنقطع إلى بنى هاشم وإسماعيل بن هشام بن الوليد كان أمير المدينة و ابراهيم و محمد ابنا هشام بن عبد الملك وأيوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن الوليد و كان من رجال قريش و من ولده هشام بن إسماعيل بن أيوب وسلمة بن عبد الله بن الوليد بن الوليد ولى شرطة المدينة. قالوا و من ولد حفص بن المغيرة عبد الله بن أبي عمر بن حفص بن المغيرة هو أول خلق الله حاج يزيد بن معاوية. قالوا ولنا الأزرق و هو عبد الله بن عبد الرحمن بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة والى اليمن لابن الزبير و كان من أجود العرب و هو ممدوح أبي دهب الجمحى. [صفحہ ۳۰۸] قالوا ولنا شريك رسول الله ص و هو عبد الله بن السائب بن أبي السائب واسم أبي السائب صيفى بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم كان شريك النبي ص فى الجاهلية فجاءه يوم الفتح فقال له أتعرفنى قال أأست شريكى قال بلى قال لقد كنت خير شريك لا تشارى و لا تمارى. قالوا ومنا الأرقم بن أبي الأرقم الذى استتر رسول الله فى داره بمكة فى أول الدعوة واسم أبي الأرقم عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . ومنا أبو سلمة بن عبد الأسد واسمه عبد الله و هو زوج أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة قبل رسول الله ص شهد أبو سلمة بدرا و كان من صلحاء المسلمين. قالوا لنا هبيرة بن أبي وهب كان من الفرسان المذكورين وابنه جعدة بن هبيرة و هو ابن أخت على بن أبي طالب و هو ابن عبد الله بن جعدة بن هبيرة هو الذى فتح القهندر وكثيرا من خراسان فقال فيه الشاعر لو لا ابن جعدة لم تفتح قهندركم || و لا خراسان حتى ينفخ الصور. قالوا ولنا سعيد بن المسيب الفقيه المشهور و أما الجواد المشهور فهو الحكم بن المطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم . و قد اختصرنا واقتصرنا على من ذكرنا وتركتنا كثيرا من رجال مخزوم خوف الإسهاب . وينبغى أن يقال فى الجواب إن أمير المؤمنين ع لم يقل هذا الكلام احتقارا لهم و لا استصغارا لشأنهم ولكن أمير المؤمنين ع كان أكثر همه يوم المفاخرة أن يفاخر بنى عبد شمس لما بينه وبينهم فلما ذكر مخزوما بالعرض قال فيهم ما قال و لو كان يريد مفاخرتهم لماقتصر لهم على ما ذكره عنهم على أن أكثر هؤلاء الرجال إسلاميون بعد عصر على ع و على ع إنما يذكر من قبله لا من يجيء

بعده . [صفحہ ۳۰۹] فإن قلت إذا كان قد قال في بني عبدشمس إنهم أُمع لماوراء ظهورهم ثم قال في بني هاشم إنهم أسمح عندالموت بنفوسهم فقد تناقض الوصفان . قلت لامناقضه بينهما لأنه أراد كثرة بني عبدشمس فبالكثرة تمنع ماوراء ظهورها و كان بنو هاشم أقل عددا من بني عبدشمس إلا أن كل واحد منهم على انفراده أشجع وأسمح بنفسه عندالموت من كل واحد على انفراده من بني عبدشمس فقد بان أنه لامناقضه بين القولين [صفحہ ۳۱۰]

۱۱۷

شَتَانَا مَا بَيْنَ عَمَلَيْنِ عَمَلٍ تَذَهَبُ لَمَدُّهُ وَ تَبَقَى تَبَعْتُهُ وَ عَمَلٍ تَذَهَبُ مَثُونَتُهُ وَ يَبْقَى أَجْرُهُ أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فَقَالَ تَفْنَى اللَّذَاذَةُ مِمَّنْ نَالَ بَغِيَّتَهُ || مِنَ الْحَرَامِ وَ يَبْقَى الْإِثْمُ وَ الْعَارُ تَبْقَى عَوَاقِبُ سُوءٍ فِي مَغْبَتِهَا || لِأَخِيرٍ فِي لَذَّةٍ مِنْ بَعْدِهَا النَّارُ [صفحہ ۳۱۱]

۱۱۸

وَ قَالَتْ ع وَ قَدْ تَبِعَ جِنَازَةً فَسَمِعَ رَجُلًا يَضْحَكُ فَقَالَ كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيهَا عَلَيَّ غَيْرِنَا كُتِبَ وَ كَأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا عَلَيَّ غَيْرِنَا وَ جَبَّ وَ كَأَنَّ الْعَذَى نَرَى مِنَ الْأَمْوَاتِ سَفَرٌ عَمَّا قَلِيلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ نُبَوِّئُهُمْ أَجْدَانَهُمْ وَ نَأْكُلُ تَرَاثِمَهُمْ كَأَنَّا مُخْلَمُونَ بَعْدَهُمْ قَدْ نَسِينَا كُلَّ وَاعِظٍ وَ وَاعِظَةٍ وَ رُمِينَا بِكُلِّ جَائِحَةٍ طُوبَى لِمَنْ ذَلَّ فِي نَفْسِهِ وَ طَابَ كَسْبُهُ وَ صَالَحَتْ سَرِيرَتُهُ وَ حَسِنَتْ خَلِيقَتُهُ وَ أَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ وَ أَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ لِسَانِهِ وَ عَزَلَ عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ وَ وَسَّعَتْهُ السِّنُّهُ وَ لَمْ يُنْسَبْ إِلَيَّ بِدَعْوَةٍ قَالَ الرَّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَقُولُ وَ مِنْ النَّاسِ مَنْ يَنْسَبُ هَذَا الْكَلَامَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص - رَوَيْتُ - ۱- ۹۰ الْأَشْهُرَ الْأَكْثَرَ فِي الرَّوَايَةِ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ مِنْ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ مِثْلُ قَوْلِهِ كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيهَا عَلَيَّ غَيْرِنَا كُتِبَ قَوْلُ الْحَسَنِ ع مَا رَأَيْتُ حَقًّا لَابَاطِلَ فِيهِ أَشْبَهَ بِبَاطِلٍ لَاحِقٍ فِيهِ مِنَ الْمَوْتِ - رَوَيْتُ - ۱- ۲- رَوَيْتُ - ۱۷- ۷۶ وَ الْأَلْفَاظُ الَّتِي بَعْدَهُ وَاضِحَةٌ لَيْسَ فِيهَا مَا يَشْرَحُ وَ قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ نَظَائِرِهَا [صفحہ ۳۱۲]

۱۱۹

غَيْرَةُ الْمَرْأَةِ كُفْرٌ وَ غَيْرَةُ الرَّجُلِ إِيْمَانٌ الْمَرْجِعُ فِي هَذَا إِلَى الْعَقْلِ وَ التَّمَسُّكِ فَلَمَّا كَانَ الرَّجُلُ أَعْقَلَ وَ أَشَدَّ تَمَسُّكًا كَانَتْ غَيْرَتُهُ فِي مَوْضِعِهَا وَ كَانَتْ وَاجِبَةً عَلَيْهِ لِأَنَّ النَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبٌ وَ فِعْلُ الْوَاجِبَاتِ مِنَ الْإِيْمَانِ وَ أَمَّا الْمَرْأَةُ فَلَمَّا كَانَتْ أَنْقَصَ عَقْلًا وَ أَقْلَ صَبْرًا كَانَتْ غَيْرَتُهَا عَلَى الْوَهْمِ الْبَاطِلِ وَ الْخِيَالِ غَيْرِ الْمَحَقِّقِ فَكَانَتْ قَبِيحَةً لَوْ قَوَّعَهَا غَيْرُ مَوْضِعِهَا وَ سَمَاهَا ع كَفَرًا لِمَشَارِكَتِهَا الْكُفْرَ فِي الْقَبْحِ فَاجْرَى عَلَيْهَا اسْمُهُ . وَ أَيْضًا فَإِنَّ الْمَرْأَةَ قَدْ تَوَدَّى بِهَا الْغَيْرَةَ إِلَى مَا يَكُونُ كَفْرًا عَلَى الْحَقِيقَةِ كَالسَّحْرِ فَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ أَنَّهُ كَفَرٌ وَ قَدْ يَفْضَى بِهَا الضُّجْرَ وَ الْقَلْقَ إِلَى أَنْ تَتَسَخَطَ وَ تَشْتَمُ وَ تَتَلَفَّظُ بِالْأَلْفَاظِ تَكُونُ كَفْرًا لِامْحَالَةِ [صفحہ ۳۱۳]

۱۲۰

لَأَنَّ بَيْنَ الْإِسْلَامِ نِسْبَةً لَمْ يَنْسَبْ بِهَا أَحَدٌ قَبْلِي الْإِسْلَامُ هُوَ التَّسْلِيمُ وَ التَّسْلِيمُ هُوَ الْيَقِينُ وَ الْيَقِينُ هُوَ التَّصَدِيقُ وَ التَّصَدِيقُ هُوَ الْإِقْرَارُ وَ الْإِقْرَارُ هُوَ الْأَدَاءُ وَ الْأَدَاءُ هُوَ الْعَمَلُ خَلَاصَةُ هَذَا الْفَصْلِ تَقْتَضِي صِحَّةَ مَذْهَبِ أَصْحَابِنَا الْمُعْتَزِلَةِ فِي أَنَّ الْإِسْلَامَ وَ الْإِيْمَانَ عِبَارَتَانِ عَنْ مَعْبَرٍ وَاحِدٍ وَ أَنَّ الْعَمَلَ دَاخِلًا فِي مَفْهُومِ هَذِهِ اللَّفْظَةِ أَلَّا تَرَاهُ جَعَلَ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنَ اللَّفْظَاتِ قَائِمَةً بِمَقَامِ الْأُخْرَى فِي إِفَادَةٍ

المفهوم كما تقول الليث هو الأسد والأسد هو السبع والسبع هو أبو الحارث فلا شبهة أن الليث يكون أبو الحارث أى أن الأسماء مترادفة فإذا كان أول اللفظات الإسلام وآخرها العمل دل على أن العمل هو الإسلام وهكذا يقول أصحابنا إن تارك العمل وتارك الواجب لا يسمى مسلماً. فإن قلت هب أن كلامه ع يدل على ما قلت كيف يدل على أن الإسلام هو الإيمان قلت لأنه إذ دل على أن العمل هو الإسلام وجب أن يكون الإيمان هو الإسلام لأن كل من قال إن العمل داخل فى مسمى الإسلام قال إن الإسلام هو الإيمان [صفحة ٣١٤] فالقول بأن العمل داخل فى مسمى الإسلام وليس الإسلام هو الإيمان قول لم يقل به أحد فيكون الإجماع واقعا على بطلانه. فإن قلت إن أمير المؤمنين ع لم يقل كما تقوله المعتزلة لأن المعتزلة تقول الإسلام اسم واقع على العمل وغيره من الاعتقاد والنطق باللسان و أمير المؤمنين ع جعل الإسلام هو العمل فقط فكيف ادعت أن قول أمير المؤمنين ع يطابق مذهبهم قلت لا يجوز أن يريد غيره لأن لفظ العمل يشمل الاعتقاد والنطق باللسان وحركات الأركان بالعبادات إذ كل ذلك عمل وفعل و إن كان بعضه من أفعال القلوب وبعضه من أفعال الجوارح و لو لم يرد أمير المؤمنين ع ما شرحناه لكان قد قال الإسلام هو العمل بالأركان خاصة و لم يعتبر فيه الاعتقاد القلبي و لا النطق اللفظي و ذلك مما لا يقوله أحد [صفحة ٣١٥]

١٢١

عَجِبْتُ لِلْبَخِيلِ يَسْتَعِجِلُ الْفَقْرَ الْمَدَى مِنْهُ هَرَبَ وَيَفُوتُهُ الْغِنَى أَلْدَى إِيَّاهُ طَلَبَ فَيَعِيشُ فِي الدُّنْيَا عَيْشَ الْفُقَرَاءِ وَيُحَاسِبُ فِي الْآخِرَةِ حِسَابَ الْأَغْنِيَاءِ وَ عَجِبْتُ لِلْمُتَكَبِّرِ الْمَدَى كَانَ بِالْأَمْسِ نُظْفَةً وَ يَكُونُ غَدًا جِنْفَةً وَ عَجِبْتُ لِمَنْ شَكَّ فِي اللَّهِ وَ هُوَ يَرَى خَلْقَ اللَّهِ وَ عَجِبْتُ لِمَنْ نَسِيَ الْمَوْتَ وَ هُوَ يَرَى مَنْ يَمُوتُ وَ عَجِبْتُ لِمَنْ أَنْكَرَ النَّشْأَةَ الْآخَرَى وَ هُوَ يَرَى النَّشْأَةَ الْأُولَى وَ عَجِبْتُ لِعَامِرٍ دَارَ الْفِتْنَاءِ وَ تَارِكٍ دَارَ الْبَقَاءِ قَالَ أَعْرَابِي الرِّزْقُ الْوَاسِعُ لِمَنْ لَا يَسْتَمْتَعُ بِهِ بِمَنْزَلَةِ الطَّعَامِ الْمَوْضُوعِ عَلَى قَبْرِ وَرَأَى حَكِيمًا رَجُلًا مَثْرِيًا يَأْكُلُ خَبْزًا وَمِلْحًا فَقَالَ لِمَ تَفْعَلُ هَذَا قَالَ أَخَافُ الْفَقْرَ قَالَ فَقَدْ تَعَجَّلْتَهُ فَأَمَّا الْقَوْلُ فِي الْكِبَرِ وَالتَّيِّهِ فَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْهُ مَا فِيهِ كَفَايَةٌ وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ مَا تَاهُ عَلَى أَحَدٍ قَطُّ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ وَاحِدَةً أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى شَاعِرٌ فَقَالَ وَأَحْسَنُ هَذِهِ مِنْكَ فَإِنْ عَدْتَ || إِلَى الْبَابِ فَمَنْ . و قد تقدم من كلامنا فى نظائر هذه الألفاظ المذكورة ما يغنى عن الإطالة ها هنا [صفحة ٣١٦]

١٢٢

مَنْ قَصَّ رَفَى الْعَمَلِ ابْتُلِيَ بِالْهَمِّ هَذَا مَخْصُوصٌ بِأَصْحَابِ الْيَقِينِ وَالْإِعْتِقَادِ الصَّحِيحِ فَإِنَّهُمْ الَّذِينَ إِذَا قَصَرُوا فِي الْعَمَلِ ابْتَلَوْا بِالْهَمِّ فَأَمَّا غَيْرُهُمْ مِنَ الْمُسْرِفِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَذَوَى النِّقْصِ فِي الْيَقِينِ وَالْإِعْتِقَادِ فَإِنَّهُ لَاهُمْ يَعْرِوهُمْ وَ إِنْ قَصَرُوا فِي الْعَمَلِ وَ هَذِهِ الْكَلِمَةُ قَدْ جَرَّبْنَاهَا مِنْ أَنْفُسِنَا فَوَجَدْنَا مُصَدِّقَهَا وَاضِحًا وَ ذَلِكَ أَنَّ الْوَاحِدَ مَنْ إِذَا أُخِلَ بِفَرِيضَةِ الظَّهْرِ مَثَلًا حَتَّى تَغِيبَ الشَّمْسُ وَ إِنْ كَانَ أُخِلَ بِهَالِ الْعَذْرِ وَجَدَ ثِقَلًا فِي نَفْسِهِ وَ كَسَلًا وَقَلَّةَ نَشَاطٍ وَ كَأَنَّهُ مَشْكُولٌ بِشَكَالٍ أَوْ مَقِيدٌ بِقِيدٍ حَتَّى يَقْضَى تِلْكَ الْفَرِيضَةَ فَكَأَنَّمَا أَنْشَطَ مِنْ عَقَالٍ [صفحة ٣١٧]

١٢٣

لَا حَاجَةَ لِلَّهِ فَيَمَنْ لَيْسَ لِلَّهِ فِي مَالِهِ وَ نَفْسِهِ نَصِيبٌ قَدْ جَاءَ فِي الْخَبَرِ الْمَرْفُوعِ إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عِبْدًا ابْتَلَاهُ فِي مَالِهِ أَوْ فِي نَفْسِهِ -رواية-
 ١-٢-رواية-٢٧-٧٥ جاء فى الحديث المرفوع اللهم أنى أعوذ بك من جسد لا يمرض و من مال لا يصاب -رواية-١-٢-
 ٢٦-٨٠ روى عبد الله بن أنس عنه ص أنه قال أياكم يحب أن يصح فلا يسقم قالوا كلنا يا رسول الله قال أتحبون أن

تكونوا كالحمر الصائلة ألا تحبون أن تكونوا أصحاب بلايا وأصحاب كفارات و أذى بعثنى بالحق إن الرجل لتكون له الدرجة في الجنة فلا يبلغها بشيء من عمله فيبتليه الله ليلبغه الله درجة لا يبلغها بعمله -رواية- ١-٢-رواية- ٣٣-٤٣-٣١٥ في الحديث أيضا ما من مسلم يمرض مرضا إلاحت الله به خطاياه كما تحت الشجرة ورقها -رواية- ١-٢-رواية- ١٩-٨٨ روى أبو عثمان النهدي قال دخل رجل أعرابي على رسول الله ص ذو جسمان عظيم فقال له متى عهدك بالحمى قال ما أعرفها قال بالصداع -رواية- ١-٢-رواية- ٣٠-٣١-٣١٨ [صفحة ٣١٨] قال ما أدري ما هو قال فأصبت بمالك قال لا قال فرزئت بولدك قال لا فقال ع إن الله ليكره العفريت النفريت أذى لا-يرزأ في ولده ولا يصاب في ماله -رواية- از قبل ١٥٨-١٥٨ جاء في بعض الآثار أشد الناس حسبا الصحيح الفارغ -رواية- ١-٢-رواية- ٢١-٥٣ في حديث حذيفة رضى الله عنه إن أقر يوم لعيني ليوم لأجد فيه طعاما سمعت رسول الله ص يقول إن الله ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الوالد ولده بالطعام وإن الله يحمي عبده المؤمن كما يحمي أحدكم المريض من الطعام -رواية- ١-٢-رواية- ٣٤-٢٣٩ في الحديث المرفوع أيضا إذا أحب الله عبدا ابتلاه فإذا أحبه الحب البالغ اقتناه قالوا و ماقتناؤه قال ألا يترك له مالا ولا ولدا -رواية- ١-٢-رواية- ٢٨-١٣٧ مر موسى ع برجل كان يعرفه مطيعا لله قدمزقت السباع لحمه وأضلاعه وكبده ملقاء فوقف متعجبا فقال أى رب عبدك المطيع لك ابتليته بما أرى فأوحى الله إليه أنه سألتني درجة لم يبلغها بعمله فجعلت له بما ترى سيلا إلى تلك الدرجة -رواية- ١-٢-رواية- ١-٢٣٨ جاء في الحديث أن زكريا لم يزل يرى ولده يحيى مغموما باكيا مشغولا بنفسه فقال يارب طلبت منك ولدا أنتفع به فرزقتنيه لانفع لى فيه فقال له إنك طلبته وليا والولى لا يكون إلا هكذا مسقاما فقيرا مهموما -رواية- ١-٢-رواية- ١٧-٢١٤ . وقال سفيان الثوري كانوا لا يعدون الفقيه فقيها من لا يعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة. جابر بن عبد الله يرفعه يود أهل العافية يوم القيامة أن لحومهم كانت تقرض بالمقاريض لما يرون من ثواب أهل البلاء -رواية- ١-٢-رواية- ٢٧-١١٨ [صفحة ٣١٩]

١٢٤

تَوَقَّوْا الْبَرْدَ فِي أَوَّلِهِ وَ تَلَقَّوْهُ فِي آخِرِهِ فَهَاتَهُ يَفْعَلُ فِي الْأَبْدَانِ كَفَعْلِهِ فِي الْأَشْجَارِ أَوَّلُهُ يُحْرِقُ وَ آخِرُهُ يُورِقُ هذه مسألة طبيعية قد ذكرها الحكماء قالوا لما كان تأثير الخريف في الأبدان وتوليد الأمراض كالزكام والسعال وغيرها أكثر من تأثير الربيع مع أنهما جميعا فصلا اعتدال وأجابوا بأن برد الخريف يفتجأ الإنسان وهو معتاد لحر الصيف فينكأ فيه ويسد مسام دماغه لأن البرد يكتف ويسد المسام فيكون كمن دخل من موضع شديد الحرارة إلى خيش بارد. فأما المنتقل من الشتاء إلى فصل الربيع فإنه لا يكاد برد الربيع يؤديه ذلك الأذى لأنه قد اعتاد جسمه برد الشتاء فلا يصادف من برد الربيع إلا ما قد اعتاد ما هو أكثر منه فلا يظهر لبرد الربيع تأثير في مزاجه فأما لم أورقت الأشجار وأزهرت في الربيع دون الخريف فلما في الربيع من الكيفيتين اللتين هما منبع النمو والنفس النباتية وهما الحرارة والرطوبة و أما الخريف فخال من هاتين الكيفيتين ومستبدل بهما ضدتهما [صفحة ٣٢٠] وهما البرودة واليبس المنافيان للنشوء و حياة الحيوان والنبات فأما لم كان الخريف باردا يابس والربيع حارا رطبا مع أن نسبة كل واحد منهما إلى الفصلين الخارجين عن الاعتدال وهما الشتاء والصيف نسبة واحدة فإن تعليل ذلك مذكور في الأصول الطبية والكتب الطبيعية و ليس هذا الموضوع مما يحسن أن يشرح فيه مثل ذلك [صفحة ٣٢١]

١٢٥

عَظْمُ الْخَالِقِ عِنْدَكَ يُصَيِّغُ الْمَخْلُوقَ فِي عَيْنِكَ لَانِسْبَةَ لِلْمَخْلُوقِ إِلَى الْخَالِقِ أَصْلًا وَخُصُوصًا الْبَشَرَ لِأَنَّهُمْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى فَلَكِ الْقَمَرِ

كالذرة ونسبة فلك القمر كالذرة بالنسبة إلى قرص الشمس بل هم دون هذه النسبة مما يعجز الحاسب الحاذق عن حساب ذلك وفلك القمر بالنسبة إلى الفلك المحيط دون هذه النسبة ونسبة الفلك المحيط إلى الباري سبحانه كنسبة العدم المحض والنفي الصرف إلى الموجود البائن بل هذا القياس أيضا غير صحيح لأن المعدوم يمكن أن يصير موجودا باثنا والفلك لا يتصور أن يكون صانع العالم الواجب الوجود لذاته . و على الجملة فالأمر أعظم من كل عظيم وأجل من كل جليل و لاطاقة للعقول والأذهان أن تعبر عن جلاله ذلك الجناب وعظمته بل لوقيل إنها لاطاقة لها أن تعبر عن جلال مصنوعاته الأولى المتقدمة علينا بالرتبة العقلية والزمانية لكان ذلك القول حقا وصدقا فمن هو المخلوق ليقال إن عظم الخالق يصغره في العين ولكن كلامه ع محمول على مخاطبة العامة الذين تضيق أفهامهم عما ذكرناه [صفحہ ۳۲۲]

۱۲۶

وَ قَالَ ع وَ قَدْ رَجَعَ مِنْ صِفِّينَ فَأَشْرَفَ عَلَى الْقُبُورِ بظَاهِرِ الْكُوفَةِ يَا أَهْلَ الدِّيَارِ الْمُوحِشَةِ وَ الْمَحَالِّ الْمُقْفِرَةِ وَ الْقُبُورِ الْمُظْلَمَةِ يَا أَهْلَ التَّرِيَةِ يَا أَهْلَ الْعَرِيَةِ يَا أَهْلَ الْوَحْدَةِ يَا أَهْلَ الْوَحْشَةِ أَنْتُمْ لَنَا فَرْطٌ سَابِقٌ وَ نَحْنُ لَكُمْ تَبِعٌ لَأَحَقُّ أَمَّا الدَّوْرُ فَقَدْ سِيَكَنْتَ وَ أَمَّا الْأَرْوَاجُ فَقَدْ نُكِحْتَ وَ أَمَّا الْأَمْوَالُ فَقَدْ قُسِمَتْ هَذَا خَبْرٌ مَا عِنْدَنَا فَمَا خَبِرٌ مَا عِنْدَكُمْ ثُمَّ التَّفَتَّ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ أَمَّا وَ اللَّهُ لَوْ أُذِنَ لَهُمْ فِي الْكَلَامِ لَمَا خَبَرُواكُمْ أَنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى الْفَرْطُ الْمُتَقَدِّمُونَ وَ قَدْ ذَكَرْنَا مِنْ كَلَامِ عَمْرٍ مَا يَنْبَغُ هَذَا الْكَلَامَ لِمَا ظَنَّ فِي الْقُبُورِ وَعَادَ إِلَى أَصْحَابِهِ أَحْمَرُ الْوَجْهِ ظَاهِرُ الْعُرُوقِ قَالَ قَدْ وَفَّقْتَ عَلَى قُبُورِ الْأَحْبَةِ فَنَادَيْتَهَا الْحَدِيثَ إِلَى آخِرِهِ فَقِيلَ لَهُ فَهَلْ أَجَابَتْكَ قَالَ نَعَمْ قَالَتْ إِنْ خَيْرِ الزَّادِ التَّقْوَى . وَ قَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ الْقُبُورِ وَمَخَاطَبَتِهَا وَحَدِيثِ الْأَمْوَاتِ وَ مَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ شَيْءٌ كَثِيرٌ يَتَجَاوَزُ الْإِحْصَاءَ . [صفحہ ۳۲۳] وَ فِي وَصِيَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زَرَّ الْقُبُورِ تَذَكُّرٌ بِهَا الْآخِرَةُ وَ لَا تَزُرْهَا لَيْلًا وَغَسَلَ الْمَوْتَى يَتَحَرَّكُ قَلْبُكَ فَإِنَّ الْجَسَدَ الْخَاوِيَّ عِظَةٌ بَلِيغَةٌ وَصَلَ عَلَى الْمَوْتَى فَإِنَّ ذَلِكَ يَحْزِنُكَ فَإِنَّ الْحَزِينَ فِي ظِلِّ اللَّهِ - رَوَيْتَ ۱- ۲- رَوَيْتَ ۴۳- ۱۹۶ وَجَدَ عَلَى قَبْرِ مَكْتُوبًا مَقِيمٌ إِلَى أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ خَلْقَهُ || لِقَاؤُكَ لَا يَرْجَى وَ أَنْتَ رَقِيبٌ تَزِيدُ بَلَى فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ || وَتَنْسَى كَمَا تَبْلَى وَ أَنْتَ حَبِيبٌ قَالَ الْحَسَنُ ع مَاتَ صَدِيقٌ لَنَا صَالِحٌ فَدَفَنَاهُ وَ مَدَدْنَا عَلَى الْقَبْرِ ثُوبًا فَجَاءَ صَلَّهُ بْنُ أَشِيمٍ فَرَفَعَ طَرَفَ الثُّوبِ وَ نَادَى يَافِلَانَ - رَوَيْتَ ۱- ۲- رَوَيْتَ ۱۸- ۱۲۰ إِنْ تَنْجَ مِنْهَا تَنْجَ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ || وَ الْإِفَانِي لَا إِخَالَكَ نَاجِيَا فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ أَنَّهُ ع كَانَ إِذْ تَبِعَ الْجَنَازَةَ أَكْثَرَ الصَّمَاتِ وَرَثَى عَلَيْهِ كَأَبَةِ ظَاهِرَةٍ وَأَكْثَرَ حَدِيثِ النَّفْسِ - رَوَيْتَ ۱- ۲- رَوَيْتَ ۲۳- ۱۰۷ . سَمِعَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَجُلًا يَقُولُ فِي جَنَازَةٍ مِنْ هَذَا فَقَالَ أَنْتَ فَإِنَّ كَرِهْتَ فَأَنَا . سَمِعَ الْحَسَنُ ع امْرَأَةً تَبْكِي خَلْفَ جَنَازَةٍ وَتَقُولُ يَا أَبَتَاهُ مِثْلَ يَوْمِكَ لَمْ أَرَهُ فَقَالَ بَلْ أَبُوكَ مِثْلَ يَوْمِهِ لَمْ يَرَهُ - رَوَيْتَ ۱- ۱۰۷ . وَ كَانَ مَكْحُولٌ إِذْ أَرَى جَنَازَةً قَالَ اغْدُ فَإِنَّا رَائِحُونَ . وَ قَالَ ابْنُ شَوْذَبٍ اطَّلَعْتُ امْرَأَةً صَالِحَةً فِي لِحْدٍ فَقَالَتْ لِامْرَأَةٍ مَعَهَا هَذَا كَنْدُوجُ الْعَمَلِ يَعْنِي خَزَانَتَهُ وَكَانَتْ تَعْطِيهَا الشَّيْءَ بَعْدَ الشَّيْءِ تَأْمُرُهَا أَنْ تَتَّصِدَّقَ بِهِ فَتَقُولُ اذْهَبِي فَضَعِي هَذَا فِي كَنْدُوجِ الْعَمَلِ . [صفحہ ۳۲۴] شَاعِرٌ أَجَازَعَةٌ رَدِينَةٌ أَنْ أَتَاهَا || نَعْبِي أَمْ يَكُونُ لَهَا اصْطِبَارٌ إِذَا مَا أَهْلَ قَبْرِي وَدَعُونِي || وَرَاحُوا وَالْأَكْفُ بِهَا غَبَارٌ وَغُودِرٌ أَعْظَمِي فِي لِحْدِ قَبْرِ || تَرَاوَحَ الْجَنَائِبُ وَالْقَطَارُ تَهَبُ الرِّيحُ فَوْقَ مِحْطِ قَبْرِي || وَيَرَعَى حَوْلَهُ اللَّهْقُ النَّوَارُ مَقِيمٌ لَا يَكْلَمُنِي صَدِيقٌ || بِقَفْرِ لَا أَزُورُ وَ لَا أَزَارُ فَذَاكَ النَّأْيُ لِالْهَجْرَانِ حَوْلًا || وَحَوْلًا - ثُمَّ تَجْتَمِعُ الدِّيَارُ . وَ قَالَ آخِرُ كَأَنِّي بِإِخْوَانِي عَلَى حَافَتِي قَبْرِي || يَهْلِيوْنَهُ فَوْقِي وَأُدْمَعُهُمْ تَجْرِي فَيَا أَيُّهَا الْمَذْرِيُّ عَلَى دَمُوعِهِ || سَتَعْرَضُ فِي يَوْمِيْنَ عَنِي وَ عَن ذِكْرِي عَفَا اللَّهُ عَنِّي يَوْمَ أَتْرُكُ ثَاوِيَا || أَزَارُ فَلَا أَدْرِي وَأَجْفِي فَلَا أَدْرِي جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ مَا رَأَيْتَ مَنْظَرًا إِلَّا - وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ - رَوَيْتَ ۱- ۲- رَوَيْتَ ۲۶- ۶۳ فِي الْحَدِيثِ أَيْضًا الْقَبْرُ أَوْلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنْزِلِ الْآخِرَةِ فَمَنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ وَ مَنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ شَرُّهُ - رَوَيْتَ ۱- ۲- رَوَيْتَ ۱۹- ۱۱۷ [صفحہ ۳۲۵]

وَقَالَ ع وَ قَدْ سَمِعَ رَجُلًا يَذُمُّ الدُّنْيَا أَيُّهَا الدَّامُ لِلدُّنْيَا الْمُعْتَرِّ بِغُرُورِهَا الْمُنْخَدِعِ بِأَبَاطِيلِهَا أ تَفْتِنُنْ بِهَا ثُمَّ تَذُمَّهَا أَنْتَ الْمُتَجَرِّمُ عَلَيْهَا أَمْ هِيَ الْمُتَجَرِّمِيَّةُ عَلَيْكَ مَتَى اسْتَهْوَتْكَ أَمْ مَتَى غَزَّتْكَ أ بِمَصَارِعِ آبَائِكَ مِنَ الْبَلَى أَمْ بِمَضَاجِعِ أُمَّهَاتِكَ تَحْتَ التُّرَى كَمْ عَلَلَّتْ بِكَفِّكَ وَ كَمْ مَرَّضَتْ بِبَيْدِكَ تَبْتَغِي لَهُمُ الشِّفَاءَ وَ تَسْتَوِصِفُ لَهُمُ الْأَطِبَاءَ غَدَاةً لَا يَغْنِي عَنْهُمْ دَوَاؤُكَ وَ لَا يَجْدِي عَلَيْهِمْ بُكَائُكَ لَمْ يَنْفَعِ أَحَدَهُمْ إِشْفَاقُكَ وَ لَمْ تُسْعِفْ فِيهِ بِطَلْبَتِكَ وَ لَمْ تَدْفَعْ عَنْهُ بِقُوَّتِكَ وَ قَدْ مَثَلَتْ لَكَ بِهِ الدُّنْيَا نَفْسَكَ وَ بِمَصْرَعِهِ مَصْرَعَكَ إِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَقَهَا وَ دَارٌ عَافِيَةٍ لِمَنْ فَهِمَ عَنْهَا وَ دَارٌ غِنَى لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا وَ دَارٌ مَوْعِظَةٍ لِمَنْ اتَّعَظَ بِهَا مَسْجِدُ أَحِبَّاءِ اللَّهِ وَ مُصَلَّى مَلَائِكَةِ اللَّهِ وَ مَهْبُطُ وَحَى اللَّهِ وَ مَتَجَرُّ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ اكَتَسَبُوا فِيهَا الرَّحْمَةَ وَ رَبَّحُوا فِيهَا الْجَنَّةَ فَمَنْ ذَا يَذُمَّهَا وَ قَدْ آذَنْتَ بَيْنَهَا وَ نَادَتْ بِفِرَاقِهَا وَ نَعَتْ نَفْسَهَا وَ أَهْلَهَا فَمَثَلَتْ لَهُمْ بِلَائِهَا الْبَلَاءَ وَ شَوْقَتَهُمْ بِسُرُورِهَا إِلَى السُّرُورِ رَاحَتْ بِعَافِيَتِهَا وَ ابْتَكَّرَتْ بِفَجِيعَتِهَا تَرْغِيبًا وَ تَرْهِيبًا وَ تَخْوِيفًا وَ تَحْذِيرًا [صفحة ٣٢٦] فَذَمُّهَا رِجَالٌ غَدَاةُ النَّدَامَةِ وَ حَمِيدَهَا آخِرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذَكَرْتَهُمُ الدُّنْيَا فَذَكَّرُوا وَ حَدَّثْتَهُمْ فَصَدَّقُوا وَ وَعَظْتَهُمْ فَاتَّعَظُوا تَجَرَّمَتْ عَلَى فُلَانٍ ادَّعَيْتَ عَلَيْهِ جُرْمًا وَ ذَنْبًا وَ اسْتَهْوَاهُ كَذَا اسْتَرْهَى . وَ قَوْلُهُ ع فَمَثَلَتْ لَهُمْ بِلَائِهَا الْبَلَاءُ أَى بَلَاءُ الْآخِرَةِ وَ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَ شَوْقَتَهُمْ بِسُرُورِهَا إِلَى السُّرُورِ أَى إِلَى سُرُورِ الْآخِرَةِ وَ نَعِيمِ الْجَنَّةِ . وَ هَذَا الْفَصْلُ كُلُّهُ لِمَدْحِ الدُّنْيَا وَ هُوَ يُبَيِّنُ عَنِ اقْتِدَارِهِ عَ عَلَى مَا يَرِيدُ مِنَ الْمَعَانِي لِأَنَّ كَلَامَهُ كُلَّهُ فِي ذَمِّ الدُّنْيَا وَ هُوَ الْآنَ يَمْدَحُهَا وَ هُوَ صَادِقٌ فِي ذَاكَ وَ فِي هَذَا وَ قَدْ جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ص كَلَامٌ يَتَضَمَّنُ مَدْحَ الدُّنْيَا أَوْ قَرِيبًا مِنَ الْمَدْحِ وَ هُوَ قَوْلُهُ ع الدُّنْيَا حُلُوءٌ خَضِرَةٌ فَمَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا بَوْرَكَ لَهُ فِيهَا - رَوَايَاتُ - ١- ٢- رَوَايَاتُ - ١٢- ٦١ . وَ احْتَذَى عَبْدُ اللَّهِ بِنَ الْمُعْتَرِّ حَذْوَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع فِي مَدْحِ الدُّنْيَا فَقَالَ فِي كَلَامٍ لَهُ الدُّنْيَا دَارُ التَّأْدِيبِ وَ التَّعْرِيفِ الَّتِي بِمَكْرُوهِهَا تَوْصِلُ إِلَى مَحْبُوبِ الْآخِرَةِ وَ مَضْمَارِ الْأَعْمَالِ السَّابِقَةِ بِأَصْحَابِهَا إِلَى الْجَنَّةِ وَ دَرَجَةِ الْفَوْزِ الَّتِي يَرْتَقِي عَلَيْهَا الْمُتَّقُونَ إِلَى دَارِ الْخُلْدِ وَ هِيَ الْوَاعِظَةُ لِمَنْ عَقَلَ وَ النَّاصِحَةُ لِمَنْ قَبَلَ وَ بَسَاطَةُ الْمَهَلِ وَ مِيدَانُ الْعَمَلِ وَ قَاصِمَةُ الْجَبَّارِينَ وَ مَلْحَقَةُ الرِّغْمِ مَعَاطِسُ الْمُتَكَبِّرِينَ وَ كَاسِيَةُ التَّرَابِ أَبْدَانُ الْمُخْتَالِينَ وَ صَارِعَةُ الْمُعْتَرِّينَ وَ مَفْرَقَةُ أَمْوَالِ الْبَاخِلِينَ وَ قَاتِلَةُ الْقَاتِلِينَ وَ الْعَادِلَةُ بِالْمَوْتِ عَلَى جَمِيعِ الْعَالَمِينَ وَ نَاصِرَةُ الْمُؤْمِنِينَ وَ مَبِيرَةُ الْكَافِرِينَ الْحَسَنَاتِ فِيهَا مَضَاعِفُهَا وَ السَّيِّئَاتِ بِأَلَمِهَا مَمْحُوءَةٌ وَ مَعَ عَسْرِهَا يَسْرَانُ وَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ ضَمَّنَ أَرْزَاقَ أَهْلِهَا وَ أَقْسَمَ فِي كِتَابِهِ بِمَا فِيهَا وَ رَبَّ طَيْبَةً [صفحة ٣٢٧] مِنْ نَعِيمِهَا قَدْ حَمَدَ اللَّهُ عَلَيْهَا فَتَلَقَّتْهَا أَيْدِي الْكُتُبِ وَ وَجِبَتْ بِهَا الْجَنَّةُ وَ كَمْ نَائِبَةٌ مِنْ نَوَائِبِهَا وَ حَادِثَةٌ مِنْ حَوَادِثِهَا قَدْ رَاضَتْ الْفَهْمَ وَ نَبَهَتْ الْفِطْنَةَ وَ أَدَاكَتِ الْقَرِيحَةَ وَ أَفَادَتِ فَضِيلَةَ الصَّبْرِ وَ كَثُرَتْ ذَخَائِرُ الْأَجْرِ . وَ مِنَ الْكَلَامِ الْمُنْسُوبِ إِلَى عَلِيِّ عِ النَّاسِ أَبْنَاءَ الدُّنْيَا وَ لَا يَلَامُ الْمَرْءَ عَلَى حُبِّ أُمِّهِ - رَوَايَاتُ - ١- ٢- رَوَايَاتُ - ٣٦- ٨٥ أَخَذَهُ مُحَمَّدُ بْنُ وَهَبٍ الْحَمِيرِيُّ فَقَالَ وَنَحْنُ بَنُو الدُّنْيَا خَلَقْنَا لغيرِهَا || وَ مَا كُنْتُ مِنْهُ فَهُوَ شَيْءٌ مَحْبُوبٌ [صفحة ٣٢٨]

إِنَّ لِلَّهِ مَلَكًا يُنَادِي فِي كُلِّ يَوْمٍ لِدُّوَا لِلْمَوْتِ وَ اجْمَعُوا لِلْفَنَاءِ وَ ابْنُوا لِلْخَرَابِ هَذِهِ اللَّامُ عِنْدَ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ تَسْمَى لَامَ الْعَاقِبَةِ وَ مِثْلُ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى فَالْتَقَطْهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَيْدُوَا وَ حَزْنَا لَيْسَ أَنَّهُمُ التَّقَطُّوهُ لِهَذِهِ الْعَلَّةِ بَلِ التَّقَطُّوهُ فَكَانَ عَاقِبَةُ التَّقَاطُهِمْ إِيَّاهُ الْعَدَاوَةُ وَ الْحُزْنَ وَ مِثْلُهُ - قُرْآن - ٧٠- ١٢٩ فَلَمَّوتَ مَا تَلَدَ الْوَالِدَةَ . وَ مِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَ لَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ لَيْسَ أَنَّهُ ذَرَأَهُمْ لِيُعَذِّبَهُمْ فِي جَهَنَّمَ بَلِ ذَرَأَهُمْ وَ كَانَ عَاقِبَةُ ذَرْنَهُمْ أَنْ صَارُوا فِيهَا وَ بِهَذَا الْحَرْفِ يَحْصُلُ الْجَوَابُ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ الْمُشَابِهَةِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِهَا الْمَجْبُورَةُ . وَ أَمَا فَحْوَى هَذَا الْقَوْلِ وَ خِلَاصَتُهُ فَهُوَ التَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ وَ عَطْبُ لَادَارِ بَقَاءٍ وَ سَلَامَةٌ وَ أَنَّ الْوَلَدَ يَمُوتُ وَ الدُّورُ تَخْرُبُ وَ مَا يَجْمَعُ مِنَ الْأَمْوَالِ يَفْنَى - قُرْآن - ٢٢- ٤٨ [صفحة ٣٢٩]

الدُّنْيَا دَارٌ مَمَرٌ لِمَا دَارَ مَقَرٌّ وَ النَّاسُ فِيهَا رَجُلَانِ رَجُلٌ يَبَاعُ نَفْسَهُ فَأَوْبَقَهَا وَ رَجُلٌ ابْتِيعَ نَفْسَهُ فَأَعْتَقَهَا قَالَ عمر بن عبدالعزيز يوماً لجلسائه أخبروني من أحقق الناس قالوا رجل باع آخرته بديناه فقال أ لا أنبئكم بأحرق منه قالوا بلى قال رجل باع آخرته بديناه غيره . قلت لقائل أن يقول له ذاك باع آخرته بديناه أيضاً لأنه لو لم يكن له لذة في بيع آخرته بديناه غيره لماباعها و إذا كان له في ذلك لذة فإذن إنما باع آخرته بديناه لأن ديناها هي لذته [صفحہ ٣٣٠]

لَا يَكُونُ الصِّدِيقُ صِدِيقًا حَتَّى يَحْفَظَ أَخَاهُ فِي ثَلَاثٍ فِي نَكَيْتِهِ وَ غَيْبَتِهِ وَ وَفَاتِهِ قَدْ تَقَدَّمَ لَنَا كَلَامٌ فِي الصِّدِيقِ وَالصَّدَاقَةِ وَ أَمَا النُّكْبَةُ وَ حَفِظَ الصِّدِيقَ فِيهَا فَإِنَّهُ يُقَالُ فِي الْحُبُوسِ مَقَابِرَ الْأَحْيَاءِ وَ شِمَاتَهُ الْأَعْدَاءِ وَ تَجْرِبَةُ الْأَصْدِقَاءِ . وَ أَمَا الْغَيْبَةُ فَإِنَّهُ قَدْ قَالَ الشَّاعِرُ وَ إِذَا لَقِيتُ حَسَنَتَ مَوَدَّتِهِ || فِي الْقُرْبِ ضَاعَفَهَا عَلَى الْبَعْدِ . وَ أَمَا الْمَوْتُ فَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ وَ إِنِّي لِأَسْتَحْيِيهِ وَ التَّرْبَ بَيْنَنَا || كَمَا كُنْتُ أَسْتَحْيِيهِ وَ هُوَ يَرَانِي مِنْ كَلَامِ عَلَى عِ الصِّدِيقِ مِنْ صَدَقَ فِي غَيْبَتِهِ - رَوَايَتُ ١- ٢- رَوَايَتُ ٢٠- ٤٦ . قِيلَ لِحَكِيمٍ مِنْ أَعْبَدِ النَّاسِ سَفَرًا قَالَ مِنْ سَافِرٍ فِي ابْتِغَاءِ الْأَخِ الصَّالِحِ . أَبُو الْعَلَاءِ الْمَعْرِيُّ أَزْرَتَ بِكُمْ يَازُودُ الْأَلْبَابِ أَرْبَعَةً || يَتْرُكُنْ أَحْلَامَكُمْ نَهَبَ الْجَهَالَاتِ وَدَ الصِّدِيقِ وَ عِلْمَ الْكِيمِيَاءِ وَ أَحْكَامِ || النُّجُومِ وَ تَفْسِيرِ الْمَنَامَاتِ . قِيلَ لِلثَّوْرِيِّ دَلْنِي عَلَى جَلِيسٍ أَجْلِسُ إِلَيْهِ قَالَ تِلْكَ ضَالَّةٌ لَا تَوْجِدُ [صفحہ ٣٣١]

مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعًا لَمْ يُحْرَمَ أَرْبَعًا مَنْ أُعْطِيَ الدَّعَاءَ لَمْ يُحْرَمِ الْإِجَابَةَ وَ مَنْ أُعْطِيَ التَّوْبَةَ لَمْ يُحْرَمِ الْقَبُولَ وَ مَنْ أُعْطِيَ الْإِسْتِغْفَارَ لَمْ يُحْرَمِ الْمَغْفِرَةَ وَ مَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ لَمْ يُحْرَمِ الزِّيَادَةَ قَالَ الرُّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَ تَصَدِيقَ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى قَالَ فِي الدَّعَاءِ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ وَ قَالَ فِي الْإِسْتِغْفَارِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا وَ قَالَ فِي الشُّكْرِ لَنْ شَكْرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَ قَالَ فِي التَّوْبَةِ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا - رَوَايَتُ ١- ٤٤٩ فِي بَعْضِ الرُّوَايَاتِ أَنْ مَا نَسَبَ إِلَى الرُّضِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ اسْتِنْبَاطِ هَذِهِ الْمَعَانِي مِنَ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ مِنْ مِثْنِ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع وَ قَدْ سَبَقَ الْقَوْلُ فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعِ مُسْتَقْصَى [صفحہ ٣٣٢]

الصَّيْلَةُ قُرْيَانٌ كَمَلِّ تَقَى وَ الْحَيْجُ جِهَادٌ كُلُّ ضَعِيفٍ وَ لِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ وَ زَكَاةُ الْبَيْدَنِ الصُّومُ وَ جِهَادُ الْمَرْأَةِ حُسْنُ التَّبَعْلِ قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي الصَّلَاةِ وَ الْحَجِّ وَ الصِّيَامِ فَأَمَّا أَنْ جِهَادَ الْمَرْأَةِ حَسْنَ التَّبَعْلِ فَمَعْنَاهُ حَسْنَ مَعَاشِرَةٍ بَعْلِهَا وَ حَفِظَ مَالَهُ وَ عَرَضَهُ وَ إِطَاعَتَهُ فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ وَ تَرَكَ الْغَيْرَةَ فَإِنَّهَا بَابُ الطَّلَاقِ

وأوصت امرأة من نساء العرب بنتها ليلة إهدائها فقالت لها لو تركت الوصية لأحد لحسن أدب وكرم حسب لتركها لك ولكنها تذكره للغافل ومثونه للعاقل إنك قد خلفت العش الذي فيه درجت والوكر الذي منه خرجت إلى منزل لم تعرفه وقرين لم تألفه فكوني له أمة يكن لك عبدا واحفظي عني خصالا- عشرا. [صفحة ٣٣٣] أما الأولى والثانية فحسن الصحابة بالفنائة وجميل المعاشرة بالسمع والطاعة ففي حسن الصحابة راحة القلب و في جميل المعاشرة رضا الرب . والثالثة والرابعة التفقد لمواقع عينه والتعهد لمواضع أنفه فلاتقع عينه منك على قبيح ولا يجد أنفه منك خبيث ريح واعلمي أن الكحل أحسن الحسن المفقود و أن الماء أطيب الطيب الموجود والخامسة والسادسة الحفظ لماله والإرعاء على حشمه وعياله واعلمي أن أصل الاحتفاظ بالمال حسن التقدير وأصل الإرعاء على الحشم والعيال حسن التدبير والسابعة والثامنة التعهد لوقت طعامه والهدو والسكون عندمنامه فحرارة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة والتاسعة والعاشرة لاتفشين له سرا ولا تعصين له أمرا فإنك إن أفشيت سره لم تأمنى غدوره و إن عصيت أمره أوغرت صدره . وأوصت امرأة ابنتها وقدأهدتها إلى بعلها فقالت كوني له فراشا يكن لك معاشا وكوني له وطاء يكن لك غطاء وإياك والاكثاب إذا كان فرحا والفرح إذا كان كئيبا ولا يطلعن منك على قبيح ولا يشمن منك إلاطيب ريح . وزوج عامر بن الطرب ابنته من ابن أخيه فلما أراد تحويلها قال لأمها مرى ابنتك ألا تنزل مفازة إلا ومعها ماء فإنه للأعلى جلاء وللأسفل نقاء ولا تكثر مضاجعته فإذا مل البدن مل القلب ولا تمنعه شهوته فإن الحظوة في المواقعة فلم يلبث إلاشهر حتى جاءته مشجوجة فقال لابن أخيه يابني ارفع عصاك عن بكرتك [صفحة ٣٣٤] فإن كان من غير أن تنفرك فهو الداء الذي ليس له دواء وإن لم يكن بينكما وفاق ففراق الخلع أحسن من الطلاق و أن تترك أهلك ومالك .فرد عليه صداقها وخلعها منه فهو أول خلع كان في العرب . وأوصى الفرافصة الكلبى ابنته نائلة حين أهداها إلى عثمان فقال يابنية إنك تقدمين على نساء من نساء قريش هن أقدر على الطيب منك ولا تغلبين على خصلتين الكحل والماء تطهري حتى يكون ريح جلدك ريح شن أصابه مطر وإياك والغيرة على بعلك فإنها مفتاح الطلاق . وروى أبو عمرو بن العلاء قال أنكح ضرار بن عمرو الضبى ابنته من معبد بن زرارة فلما أخرجها إليه قال يابنية أمسكى عليك الفضلين فضل الغلمة وفضل الكلام . قال أبو عمرو وضرار هذا هو الذي رفع عقيرته بعكاظ وقال ألا إن شر حائل أم فزوجوا الأمهات قال و ذلك أنه صرع بين الرماح فأشبل عليه إخوته لأمه حتى استنقذوه . وأوصت أعرابية ابنتها عندإهدائها فقالت لها اقلعي زج رمحه فإن أقر فاقلعي سنانه فإن أقر فاكسرى العظام بسيفه فإن أقر فاقطعي اللحم على ترسه فإن أقر فضعى الإكاف على ظهره فإنما هو حمار . و هذا هو قبح التبعل وذكرناه نحن في باب حسن التبعل لأن الضد يذكر بضده [صفحة ٣٣٥]

١٣٣

جاء في الحديث المرفوع وقيل إنه موقوف على عثمان تاجروا الله بالصدقة تريحوا -رواية- ١-٢-رواية- ٥٥-٨٢ . و كان يقال الصدقة صداق الجنة. و في الحديث المرفوع ما أحسن عبدالصدقة إلا أحسن الله الخلافة على مخلفيه -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-٧٦ عنه ص ما من مسلم يكسو مسلما ثوبا إلا كان في حفظ الله مادام منه رقعة -رواية- ١-٢-رواية- ١١-٧٨ . وقال عمر بن عبدالعزيز الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه [صفحة ٣٣٦]

١٣٤

وَمَنْ أَيْقَنَ بِالْخَلْفِ حَيَّادَ بِالْعَطِيَّةِ هَذَا حَقٌّ لِأَنَّ مَنْ لَمْ يُوَقِّنْ بِالْخَلْفِ وَيَتَخَوَّفُ الْفَقْرَ يَضُنُّ بِالْعَطِيَّةِ وَيَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أُعْطِيَ ثُمَّ أُعْطِيَ اسْتَنْفَدَ مَالَهُ وَاحْتِاجَ إِلَى النَّاسِ لِانْقِطَاعِ مَادَتِهِ وَ أَمَا مَنْ يُوَقِّنُ بِالْخَلْفِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ الْجُودَ شَرَفٌ لِصَاحِبِهِ وَ أَنَّ الْجُودَ مَمْدُوحٌ عِنْدَ النَّاسِ فَقَدْ وَجَدَ الدَّاعِيَ إِلَى السَّمَاخِ وَ لِاصْطِرْفَافٍ لَهُ عَنْهُ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ مَادَتَهُ دَائِمَةٌ غَيْرُ مَنْقُوعَةٌ فَالْصَّارِفُ الَّذِي يَخَافُهُ مِنْ قَدَمَانِهِ ذَكَرَهُ مَفْقُودٌ فِي حَقِّهِ فَلَا جُرْمَ أَنَّهُ يَجُودُ بِالْعَطِيَّةِ [صَفْحَهُ ٣٣٧]

١٣٥

تَنْزِلُ الْمَعُونَةَ عَلَى قَدْرِ الْمَثُونَةِ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ مِنْ وَسْعٍ وَسِعَ عَلَيْهِ وَ كَلِمًا كَثْرَ الْعِيَالِ كَثْرَ الرِّزْقِ -رَوَايَاتُ ١-٢- رَوَايَاتُ ٢٦-٧٥. وَ كَانَ عَلَى بَعْضِ الْمَوْسِرِينَ رِسْمٌ لِحِجَابِ الْمَوْسِرِينَ مِنَ الْفُقَرَاءِ يَدْفَعُهَا إِلَيْهِمْ كُلِّ سَنَةٍ فَاسْتَكْثَرَهَا فَأَمَرَ كَاتِبَهُ بِقَطْعِهَا فَرَأَى فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ لَهُ أَهْوَاءَ كَثِيرَةً فِي دَارِهِ وَ كَأَنَّهَا تَصْعَدُهَا أَقْوَامٌ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ وَ هُوَ يَجْزَعُ مِنْ ذَلِكَ فَيَقُولُ يَا رَبِّ رِزْقِي رِزْقِي فَقِيلَ لَهُ إِنَّمَا رِزْقُكَ هَذِهِ لِتَصْرِفَهَا فِيمَا كُنْتَ تَصْرِفُهَا فِيهِ فَإِذَا قَطَعْتَ ذَلِكَ رَفَعْنَا مِنْكَ وَ جَعَلْنَا لغيرِكَ فَلَمَّا أَصْبَحَ أَمَرَ كَاتِبَهُ بِإِعَادَةِ تِلْكَ الرِّسْمِ أَجْمَعِ [صَفْحَهُ ٣٣٨]

١٣٦

مَيَا عِيَالٍ مِنَ اقْتِصَادِ مَا عَالَ أَيُّ مَا فَتَقَرُّ وَ قَدْ تَقَدَّمَ لَنَا قَوْلٌ مَقْنَعٌ فِي مَدْحِ الْاِقْتِصَادِ. وَ قَالَ أَبُو الْعَلَاءِ وَ إِنْ كُنْتَ تَهْوَى الْعَيْشَ فَابْتَغِ تَوْسِطًا || فَعِنْدَ التَّنَاهِي يَقْصُرُ الْمَتَطَاوِلُ تَوْقِي الْبَدْوَرِ النَّقْصِ وَ هِيَ أَهْلَةٌ || وَ يَدْرِكُهَا النَّقْصَانُ وَ هِيَ كَوَامِلٌ . وَ هَذَا الشَّعْرُ وَ إِنْ كَانَ فِي الْاِقْتِصَادِ فِي الْمَرَاتِبِ وَ الْوَلَايَاتِ إِلَّا- أَنَّهُ مَدْحٌ لِلْاِقْتِصَادِ فِي الْجُمْلَةِ فَهُوَ مِنْ هَذَا الْبَابِ . وَ سَمِعْتُ بَعْضَ الْفَضْلَاءِ قَوْلَ الْحُكَمَاءِ التَّدْبِيرُ نِصْفُ الْعَيْشِ فَقَالَ بَلِ الْعَيْشُ كُلُّهُ [صَفْحَهُ ٣٣٩]

١٣٧

قَلَمَةُ الْعِيَالِ أَحَدُ الْيَسَارِينَا لِيَسَارِ الثَّانِي كَثْرَةُ الْمَالِ يَقُولُ إِنْ قَلَّ الْعِيَالُ مَعَ الْفَقْرِ كَالْيَسَارِ الْحَقِيقِيِّ مَعَ كَثْرَتِهِمْ . وَ مِنْ أَمْثَالِ الْحُكَمَاءِ الْعِيَالُ أَرْضَةُ الْمَالِ [صَفْحَهُ ٣٤٠]

١٣٨

التَّوَدُّدُ نِصْفُ الْعَقْلِ دَخَلَ حَبِيبُ بْنُ شَوْذَبِ عَلَى جَعْفَرِ بْنِ سَلِيمَانَ بِالْبَصْرَةِ فَقَالَ نَعَمْ الْمَرْءُ حَبِيبٌ بْنُ شَوْذَبِ حَسَنُ التَّوَدُّدِ طَيِّبُ الشَّيْءِ يَكْرَهُ الزِّيَارَةَ الْمَتَّصِلَةَ وَالْقَعْدَةَ الْمُنْسِيَةَ. وَ كَانَ يُقَالُ التَّوَدُّدُ ظَاهِرٌ حَسَنٌ وَالْمَعَامَلَةُ بَيْنَ النَّاسِ عَلَى الظَّاهِرِ فَأَمَّا الْبُؤَاتِنُ فَالْيَ عَالَمِ الْخَفِيَّاتِ . وَ كَانَ يُقَالُ قَلٌّ مِنْ تَوَدُّدٍ إِلا صَارَ مَحْبُوبًا وَ الْمَحْبُوبُ مَسْتَوْرٌ الْعُيُوبِ [صَفْحَهُ ٣٤١]

١٣٩

وَ الْهَمُّ نِصْفُ الْهَرَمِ مِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ الْهَمُّ يَشِيبُ الْقَلْبَ وَ يَعْقِمُ الْعَقْلَ فَلَا يَتَوْلَدُ مَعَهُ رَأْيٌ وَ لَا تَصْدُقُ مَعَهُ رُويَةٌ. وَ قَالَ الشَّاعِرُ هُمُومٌ قَدْ أَبَتْ إِلا التَّبَاسًا || تَبَّتْ الشَّيْبُ فِي رَأْسِ الْوَلِيدِ وَ تَقَعْدُ قَائِمًا بِشَجَا حِشَاهُ || وَ تَطْلُقُ لِلْقِيَامِ حُبَا الْقَعُودِ وَ أَضْحَتْ

خشعا منها نزار || مركبه الرواجب فى الخدود . و قال سفيان بن عيينه الدنيا كلها هموم و غموم فما كان منها سرور فهو ربح . و من أمثالهم الهم كافور الغلمه . و قال أبو تمام شاب رأسى و مارأيت مشيب الرأس || إلا من فضل شيب الفؤاد و كذاك القلوب فى كل بؤس || و نعيم طلائع الأجساد طال إنكارى البياض و لو عمرت || شيئا أنكرت لون السواد [صفحه ٣٤٢]

١٤٠

يَنْزِلُ الصَّبْرُ عَلَى قَدْرِ الْمُصِيبَةِ وَ مَنْ ضَرَبَ يَدَهُ عَلَى فَيْخِهِ عِنْدَ مُصِيبَتِهِ حَبَطَ أَجْرُهُ قَدَمَضَى لَنَا كَلَامُ شَافٍ فِي الصَّبْرِ وَ كَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ فِي قِصَصِهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَلَّفَنَا مَا لَوْ كَلَّفَنَا غَيْرَهُ لَصَرْنَا فِيهِ إِلَى مَعْصِيَتِهِ وَ آجَرْنَا عَلَى مَا لَا بَدَ لَنَا مِنْهُ يَقُولُ كَلَّفَنَا الصَّبْرَ وَ لَوْ كَلَّفَنَا الْجَزَعَ لَمْ يُمْكِنَا أَنْ نَقِيمَ عَلَيْهِ وَ آجَرْنَا عَلَى الصَّبْرِ وَ لَا بَدَ لَنَا مِنَ الرَّجُوعِ إِلَيْهِ . وَ مِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع كَانَ يَقُولُ عِنْدَ التَّعْزِيَةِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ فَإِنْ بِهِ يَأْخُذُ الْحَازِمُ وَيَعُودُ إِلَيْهِ الْجَازِعُ - رَوَايَاتُ ١- ٢- رَوَايَاتُ ٣٠- ١٠٧ . وَ قَالَ أَبُو خَرَّاشٍ الْهَذَلِيُّ يَذْكَرُ أَخَاهُ عَرُوهَ يَقُولُ أَرَاهُ بَعْدَ عَرُوهَ لَاهِيَا || وَ ذَلِكَ رِزْقُ لَوْ عَلِمْتَ جَلِيلَ فَلَاتَحْسَبِي أُنَى تَنَاسَيْتَ عَهْدَهُ || وَ لَكِنْ صَبْرِي يَا أَمِيمَ جَمِيلٍ . وَ قَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبٍ كَمْ مِنْ أَخٍ لِي صَالِحٍ || بَوَّأْتَهُ بِيَدِي لِحْدَا [صفحه ٣٤٣] أَلْبَسْتَهُ أَكْفَانَهُ || وَ خَلَقْتَ يَوْمَ خَلَقْتَ جِلْدَا . وَ كَانَ يَقَالُ مِنْ حُدُثِ نَفْسِهِ بِالْبَقَاءِ وَ لَمْ يُوْطِنَهَا عَلَى الْمَصَائِبِ فَهُوَ عَاجِزُ الرَّأْيِ . وَ كَانَ يَقَالُ كَفَى بِالْيَأْسِ مَعْزِيَا وَ بَانَقَطَاعِ الطَّمَعِ زَاجِرَا . وَ قَالَ الشَّاعِرُ أَيَا عَمْرُو لَمْ أَصْبِرْ وَ لِي فَيْكٍ حَيْلُهُ || وَ لَكِنْ دَعَانِي الْيَأْسُ مِنْكَ إِلَى الصَّبْرِ تَصَبَّرْتَ مَغْلُوبَا وَ إِنِّي لَمَوْجِعٌ || كَمَا صَبَرَ الْقَطَانُ فِي الْبَلَدِ الْفَقْرِ [صفحه ٣٤٤]

١٤١

كَمْ مِنْ صَيَّائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صَيَّامِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَ الظَّمْأُ وَ كَمْ مِنْ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ وَ الْعَنَاءُ حَيِّدًا نَوْمَ الْأَكْيَاسِ وَ إِفْطَارُهُمُ الْأَكْيَاسِ هَاهُنَا الْعُلَمَاءُ الْعَارِفُونَ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ عِبَادَاتِهِمْ تَقَعُ مَطَابِقَةً لِعَقَائِدِهِمُ الصَّحِيحَةَ فَتَكُونُ فُرُوعًا رَاجِعَةً إِلَى أَصْلِ ثَابِتٍ وَ لَيْسَ كَذَلِكَ الْجَاهِلُونَ بِاللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّهُمْ إِذَا لَمْ يَعْرِفُوهُ وَ لَمْ تَكُنْ عِبَادَاتِهِمْ مَتَّوِّجَةً إِلَيْهِ فَلَمْ تَكُنْ مَقْبُولَةً وَ لِذَلِكَ فَسَدَتْ عِبَادَةُ النَّصَارَى وَ الْيَهُودِ . وَ فِيهِمْ وَرْدُ قَوْلِهِ تَعَالَى عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصَلِّي نَارًا حَامِيَةً - قُرْآن - ٢٨٥- ٣٢٢ [صفحه ٣٤٥]

١٤٢

سُوسُوا إِيْمَانَكُمْ بِالصَّدَقَةِ وَ حَصِّتُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ وَ ادْفَعُوا أَمْوَالَ الْبَلَاءِ بِالْإِدْعَاءِ قَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِي الصَّدَقَةِ وَ الزَّكَاةِ وَ الدُّعَاءِ فَلَا مَعْنَى لِإِعَادَةِ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ [صفحه ٣٤٦]

١٤٣

وَ مِنْ كَلَامِهِ لَهُ عَ لِكُمَيْلِ بْنِ زِيَادِ النَّخَعِيِّ قَالَ كُمَيْلُ بْنُ زِيَادٍ أَخَذَ بِيَدِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ع فَأَخْرَجَنِي إِلَى الْجَبَانِ فَلَمَّا أَصْحَرَ تَنَفَّسَ الصِّدْقَةَ ثُمَّ قَالَ يَا كُمَيْلُ بْنُ زِيَادٍ إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا فَاحْفَظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ النَّاسُ ثَلَاثَةٌ فَعَالِمٌ رِيَّانِيٌّ وَ مُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ وَ هَمَّجٌ رَعَاعٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ لَمْ يَسْتَضِئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ وَ لَمْ يَلْجَأُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ يَا كُمَيْلُ الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَ أَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ وَ الْمَالُ تَنْقُصُهُ النَّفْسَةُ وَ الْعِلْمُ يَزْكُو عَلَى الْإِنْفَاقِ وَ

صَنِيعُ الْمَالِ يَزُولُ بِزَوَالِهِ يَا كَمِيلَ بْنَ زِيَادٍ مَعْرِفَةُ الْعِلْمِ دَيْنٌ يُدَانُ بِهِ بِهْ يَكْسِبُ الْإِنْسَانُ الطَّاعِيَةَ فِي حَيَاتِهِ وَ جَمِيلَ الْأَحْدُوثَةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ وَ الْعِلْمَ حَاكِمًا وَ الْمَالَ مَحْكُومًا عَلَيْهِ يَا كَمِيلَ بْنَ زِيَادٍ هَلَكَ خَزَانُ الْأَمْوَالِ وَ هُمْ أَحْيَاءُ وَ الْعُلَمَاءُ بِأَقْوَنَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ وَ أَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ هِيَ إِنْ هَاهُنَا لِعِلْمًا جَمًّا وَ أَشَارَ إِلَى صَدْرِهِ لَوْ أَصِيبَتْ لَهُ حَمَلَةٌ بَلَى أَصِيبَتْ لِقِنَانًا غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ مُسْتَعْمِلًا آلَةَ الدِّينِ لِلدُّنْيَا وَ مُسْتَظْهِرًا بِنِعْمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَ بِحُجَجِهِ عَلَى أَوْلِيَانِهِ [صفحہ ۳۴۷] أَوْ مُنْقَادًا لِحَمَلَةِ الْحَقِّ لَا بَصِيرَةَ لَهُ فِي أَحْنَائِهِ يَنْقِدُ الشُّكَّ فِي قَلْبِهِ لِأَوْلِ عَارِضٍ مِنْ شُبْهَةِ أَلَا لَا ذَا وَ لَا ذَاكَ أَوْ مِنْهُومًا بِاللَّذَّةِ سَلِسَ الْقِيَادِ لِلشَّهْوَةِ أَوْ مُغْرَمًا بِالْجَمْعِ وَ الْإِدْخَارِ لَيْسَا مِنْ رُعَاةِ الدِّينِ فِي شَيْءٍ أَقْرَبُ شَيْءٍ شَبَّاهًا بِهِمَا الْأَنْعَامُ السَّائِمِيَّةُ كَذَلِكَ يَمُوتُ الْعِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِيهِ اللَّهُمَّ بَلَى لَا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّتِهِ إِمَّا ظَاهِرًا مَشْهُورًا وَ إِمَّا خَائِفًا مَغْمُورًا لِنَلَا تَبْطُلُ حُجَجُ اللَّهِ وَ بَيِّنَاتُهُ وَ كَمِ ذَا وَ أَيْنَ أَوْلِيكَ وَ اللَّهُ الْأَقْلُونَ عَيْدًا وَ الْأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللَّهِ قَدْرًا يَحْفَظُ اللَّهُ بِهِمْ حُجَجَهُ وَ بَيِّنَاتِهِ حَتَّى يُودِعُوها نُظْرَاءَهُمْ وَ يَزْرَعُوها فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الْبَصِيرَةِ وَ بَاشَرُوا رُوحَ الْيَقِينِ وَ اسْتَلَانُوا مَا اسْتَوْعَرَهُ الْمُتَرَفُّونَ وَ أَنْسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ وَ صَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاهُمَا مُعَلَّقَةً بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى أَوْلِيكَ خُلَفَاءُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ وَ الدَّعَاةُ إِلَى دِينِهِ آه آه شَوْقًا إِلَى رُؤْيَيْهِمْ انصُرِفْ يَا كَمِيلُ إِذَا شِئْتَ الْجَبَانَ وَ الْجَبَانَةَ الصَّحْرَاءَ . وَ تَنْفَسُ الصَّعْدَاءُ أَى تَنْفَسُ تَنْفَسًا مَمْدُودًا طَوِيلًا . قَوْلُهُ عِ ثَلَاثَةٌ قِسْمَةٌ صَحِيحَةٌ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْبَشَرَ بِاعْتِبَارِ الْأُمُورِ الْإِلَهِيَّةِ إِمَّا عَالِمٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ يَعْرِفُ اللَّهَ تَعَالَى وَ إِمَّا شَارِعٌ فِي ذَلِكَ فَهُوَ بَعْدَ فِي السَّفَرِ إِلَى اللَّهِ يَطْلُبُهُ بِالْعِلْمِ وَ الْاسْتِفَادَةِ مِنَ الْعَالَمِ وَ إِمَّا لَا ذَا وَ لَا ذَاكَ وَ هُوَ الْعَامَى السَّاقِطُ الَّذِي [صفحہ ۳۴۸] لَا يَعْبَأُ اللَّهُ وَ صَدَقَ عِ فِي أَنَّهُمْ هَمَجٌ رِعَاعُ أَتْبَاعِ كُلِّ نَاعِقٍ أَلَا تَرَاهُمْ يَنْتَقِلُونَ مِنَ التَّقْلِيدِ لِشَخْصٍ إِلَى تَقْلِيدِ الْآخَرِ لِأَدْنَى خِيَالٍ وَ أَوْضَعُفٍ وَ هُمْ . ثُمَّ شَرَعَ عِ فِي ذِكْرِ الْعِلْمِ وَ تَفْضِيلِهِ عَلَى الْمَالِ فَقَالَ الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَ أَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ وَ هَذَا أَحَدُ وَجُوهِ التَّفْضِيلِ . ثُمَّ ابْتَدَأَ فِذَكَرَ وَجْهًا ثَانِيًا فَقَالَ الْمَالَ يَنْقُصُ بِالْإِنْفَاقِ مِنْهُ وَ الْعِلْمُ لَا يَنْقُصُ بِالْإِنْفَاقِ بَلْ يَزْكُو وَ ذَلِكَ لِأَنَّ إِفَاضَةَ الْعِلْمِ عَلَى التَّلَامِذَةِ تَفِيدُ الْمَعْلَمَ زِيَادَةَ اسْتِعْدَادٍ وَ تَقَرَّرَ فِي نَفْسِهِ تِلْكَ الْعُلُومُ الَّتِي أَفَاضَهَا عَلَى تَلَامِذَتِهِ وَ تَشَبَّهَتْ بِتَزِيدِهَا رَسُوخًا . فَأَمَّا قَوْلُهُ وَ صَنِيعُ الْمَالِ يَزُولُ بِزَوَالِهِ فَتَحْتَهُ سِرٌّ دَقِيقٌ حَكْمِيٌّ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْمَالَ إِنَّمَا يَظْهَرُ أَثَرُهُ وَ نَفْعُهُ فِي الْأُمُورِ الْجِسْمَانِيَّةِ وَ الْمَلَاذِ الشَّهْوَانِيَّةِ كَالنِّسَاءِ وَ الْخَيْلِ وَ الْأَبْنِيَّةِ وَ الْمَأْكَلِ وَ الْمَشْرَبِ وَ الْمَلَابِسِ وَ نَحْوِ ذَلِكَ وَ هَذِهِ الْآثَارُ كُلُّهَا تَزُولُ بِزَوَالِ الْمَالِ أَوْ بِزَوَالِ رَبِّ الْمَالِ أَلَا تَرَى أَنَّهُ إِذَا زَالَ الْمَالَ اضْطَرَّ صَاحِبُهُ إِلَى بَيْعِ الْأَبْنِيَّةِ وَ الْخَيْلِ وَ الْإِمَاءِ وَ رَفُضِ تِلْكَ الْعَادَةِ مِنَ الْمَأْكَلِ الشَّهِيَّةِ وَ الْمَلَابِسِ الْبَهِيَّةِ وَ كَذَلِكَ إِذَا زَالَ رَبُّ الْمَالِ بِالمَوْتِ فَإِنَّهُ تَزُولُ آثَارُ الْمَالِ عِنْدَهُ فَإِنَّهُ لَا يَبْقَى بَعْدَ الْمَوْتِ أَكْلًا شَارِبًا لَا بَسًا وَ أَمَّا آثَارُ الْعِلْمِ فَلَا يَمُوتُ أَنْ تَزُولُ أَبَدًا وَ الْإِنْسَانُ فِي الدُّنْيَا وَ لَا بَعْدَ خُرُوجِهِ عَنِ الدُّنْيَا أَمَّا فِي الدُّنْيَا فَلَأَنَّ الْعَالَمَ بِاللَّهِ تَعَالَى لَا يَعُودُ جَاهِلًا . بِهِ لِأَنَّ انْتِفَاءَ الْعُلُومِ الْبَدِيهِيَّةِ عَنِ الدَّهْنِ وَ مَا يَلِزِمُهَا مِنَ اللُّوْازِمِ بَعْدَ حُصُولِهَا مَحَالٌ فَإِذَا قَدِ صَدَقَ قَوْلُهُ عِ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الْمَالِ وَ الْعِلْمِ أَنَّ صَنِيعَ الْمَالِ يَزُولُ بِزَوَالِهِ أَى وَ صَنِيعُ الْمَالِ لَا يَزُولُ وَ لَا يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَقُولَ بِزَوَالِهِ لِأَنَّ تَقْدِيرَ الْكَلَامِ وَ صَنِيعَ الْمَالِ يَزُولُ لِأَنَّ الْمَالَ يَزُولُ وَ أَمَّا بَعْدَ خُرُوجِ الْإِنْسَانِ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّ صَنِيعَ الْعِلْمِ لَا يَزُولُ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ صَنِيعَ الْعِلْمِ فِي النَّفْسِ النَّاطِقَةِ اللَّذَّةُ الْعَقْلِيَّةُ الدَّائِمَةُ لِدَوَامِ سَبَبِهَا وَ هُوَ حُصُولُ الْعِلْمِ فِي جَوْهَرِ النَّفْسِ الَّذِي هُوَ مَشْقُوقٌ [صفحہ ۳۴۹] النَّفْسُ مَعَ انْتِفَاءِ مَا يَشْغَلُهَا عَنِ التَّمَتُّعِ بِهِ وَ التَّلَذُّذِ بِمُصَاحَبَتِهِ وَ الَّذِي كَانَ يَشْغَلُهَا عَنْهُ فِي الدُّنْيَا اسْتِغْرَاقًا فِي تَدْبِيرِ الْبَدَنِ وَ مَا تَوَرَدَ عَلَيْهَا الْحَوَاسِ مِنَ الْأُمُورِ الْخَارِجِيَّةِ وَ لَا رَيْبَ أَنَّ الْعَاشِقَ إِذَا خَلَا بِمَعشُوقِهِ وَ انْتَفَتَّ عَنْهُ أَسْبَابُ الْكُدْرِ كَانَ فِي لَذَّةٍ عَظِيمَةٍ فَهَذَا هُوَ سِرُّ قَوْلِهِ وَ صَنِيعُ الْمَالِ يَزُولُ بِزَوَالِهِ . فَإِنَّ قَلْتُ مَا مَعْنَى قَوْلِهِ عِ مَعْرِفَةُ الْعِلْمِ دَيْنٌ يُدَانُ بِهِ وَ هَلْ هَذَا إِلا بِمَنْزِلَةِ قَوْلِكَ مَعْرِفَةُ الْمَعْرِفَةِ أَوْ عِلْمُ الْعِلْمِ وَ هَذَا كَلَامٌ مُضْطَرِبٌ قَلْتُ تَقْدِيرُهُ مَعْرِفَةُ فَضْلِ الْعِلْمِ أَوْ شَرَفِ الْعِلْمِ أَوْ وَجُوبِ الْعِلْمِ دِينَ يُدَانُ بِهِ أَى الْمَعْرِفَةُ بِذَلِكَ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ أَى رَكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ الدِّينِ وَاجِبٌ مَفْرُوضٌ . ثُمَّ شَرَحَ عِ حَالَ الْعِلْمِ الَّذِي ذَكَرَ أَنَّ مَعْرِفَةَ وَجُوبِهِ أَوْ شَرَفِهِ دِينَ يُدَانُ بِهِ فَقَالَ الْعِلْمُ يَكْسِبُ الْإِنْسَانَ الطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ أَى مَنْ كَانَ عَالِمًا كَانَ لِلَّهِ تَعَالَى مُطِيعًا كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ . ثُمَّ قَالَ وَ جَمِيلَ الْأَحْدُوثَةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ أَى الذِّكْرَ الْجَمِيلَ بَعْدَ مَوْتِهِ . ثُمَّ شَرَعَ عِ فِي تَفْضِيلِ الْعِلْمِ عَلَى

المال من وجه آخر فقال العلم حاكم والمال محكوم عليه و ذلك لعلمك أن مصلحتك في إنفاق هذا المال تنفقه ولعلمك بأن المصلحة في إمساكه تمسكه فالعلم بالمصلحة داع وبالمضرة صارف وهما الأمران الحاكم بالحركات والتصرفات إقداما وإحجاما و لا- يكون القادر قادرا مختارا إلا باعتبارهما وليسا لإعبارة عن العلم أو مايجرى مجرى العلم من الاعتقاد والظن فإذن قدبان وظهر أن العلم من حيث هو علم حاكم و أن المال ليس بحاكم بل محكوم عليه . -قرآن- ٧٢٦-٧٦٩ [صفحة ٣٥٠] ثم قال ع هلك خزان المال وهم أحياء و ذلك لأن المال المخزون لافرق بينه و بين الصخرة المدفونة تحت الأرض فخانزه هالك لا محالة لأنه لم يلتذ بإنفاقه و لم يصرفه في الوجوه التي ندب الله تعالى إليها و هذا هو الهلاك المعنوي و هو أعظم من الهلاك الحسى. ثم قال والعلم باقون مابقى الدهر هذا الكلام له ظاهر وباطن فظاهره قوله أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة أى آثارهم و مادونوه من العلوم فكأنهم موجودون وباطنه أنهم موجودون حقيقة لا مجازا على قول من قال ببقاء الأنفس وأمثالهم في القلوب كناية ولغز ومعناه ذواتهم في حظيرة القدوس والمشاركة بينها و بين القلوب ظاهرة لأن الأمر العام الذى يشملها هو الشرف فكما أن تلك أشرف عالمها كذا القلب أشرف عالمه فاستعير لفظ أحدهما وعبر به عن الآخر. قوله ع ها إن هاهنا لعلماء جما وأشار بيده إلى صدره هذا عندى إشارة إلى العرفان والوصول إلى المقام الأشرف الذى لا يصل إليه إلا الواحد الفذ من العالم ممن لله تعالى فيه سر و له به اتصال ثم قال لو أصبت له حملة و من الذى يطبق حملة بل من الذى يطبق فهمه فضلا عن حملة . ثم قال بلى أصيب . ثم قسم الذى يصيبهم خمسة أقسام أحدهم أهل الرياء والسمعة الذين يظهرون الدين والعلم ومقصودهم الدنيا فيجعلون الناموس الدينى شبكة لاقتناص الدنيا. وثانيها قوم من أهل الخير والصلاح ليسوا بذوى بصيرة فى الأمور الإلهية الغامضة [صفحة ٣٥١] فيخاف من إفشاء السر إليهم أن تنقح فى قلوبهم شبهة بأدنى خاطر فإن مقام المعرفة مقام خطر صعب لا يثبت تحته إلا الأفراد من الرجال الذين أيدوا بالتوفيق والعصمة. وثالثها رجل صاحب لذات وطرب مشتته بقضاء الشهوة فليس من رجال هذا الباب . ورابعها رجل عرف بجمع المال وادخاره لا ينفقه فى شهواته و لا فى غير شهواته فحكمه حكم القسم الثالث . ثم قال ع كذلك يموت العلم بموت حامله أى إذامت مات العلم الذى فى صدرى لأنى لم أجد أحدا أدفعه إليه وأورثه إياه ثم استدرك فقال اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم بحجة الله تعالى كيلا يخلو الزمان ممن هو مهيمن لله تعالى على عباده ومسيطر عليهم و هذا يكاد يكون تصريحاً بمذهب الإمامية إلا أن أصحابنا يحملونه على أن المراد به الأبدال الذين وردت الأخبار النبوية عنهم أنهم فى الأرض سائحون فمنهم من يعرف ومنهم من لا يعرف وأنهم لا يموتون حتى يودعوا السر و هو العرفان عند قوم آخرين يقومون مقامهم . ثم استنزر عددهم فقال وكم ذا أى كم ذا القبيل وكم ذا الفريق . ثم قال وأين أولئك استبهم مكانهم ومحلهم . ثم قال هم الأقلون عددا الأعظمون قدرا. ثم ذكر أن العلم هجم بهم على حقيقة الأمر وانكشف لهم المستور المغطى وباشروا راحة اليقين وبرد القلب وثلج العلم واستلناوا ماشق على المترفين من الناس ووعر عليهم نحو التوحد ورفض الشهوات وخشونة العيشة. [صفحة ٣٥٢] قال وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون يعنى العزلة ومجانبة الناس وطول الصمت وملازمة الخلوة ونحو ذلك مما هوشعار القوم . قال وصحبوا الدنيا بأرواح أبدانها معلقة بالمحل الأعلى هداما يقوله أصحاب الحكمة من تعلق النفوس المجردة بمبادئها من العقول المفارقة فمن كان أزكى كان تعلقه بها أتم . ثم قال أولئك خلفاء الله فى أرضه والدعاة إلى دينه لاشبهة أن بالوصول يستحق الإنسان أن يسمى خليفة الله فى أرضه و هو المعنى بقوله سبحانه للملائكة إني جاعل فى الأرض خليفةً وبقوله هو الذى جعلكم خلائف فى الأرض. ثم قال آه آه شوقا إلى رؤيتهم هوع أحق الناس بأن يشتاقي إلى رؤيتهم لأن الجنسية علة الضم والشىء يشتاقي إلى ما هو من سنخه وسوسته وطبيعته و لما كان هوع شيخ العارفين وسيدهم لاجرم اشتاقت نفسه الشريفة إلى مشاهدة أبناء جنسه و إن كان كل واحد من الناس دون طبقته . ثم قال لكميل انصرف إذاشتت و هذه الكلمة من محاسن الآداب و من لطائف الكلم لأنه لم يقتصر على أن قال انصرف كيلا يكون

أمرا وحكما بالانصراف لامحالة فيكون فيه نوع علو عليه فاتبع ذلك بقوله إذاشت ليخرجه من ذل الحكم وقهر الأمر إلى عزة المشيئة والاختيار -قرآن- ٤٥٢-٤٨٦-قرآن- ٤٩٥-٥٣٦ [صفحة ٣٥٣]

١٤٤

المراء مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ قَد تَكَرَّرَ هَذَا الْمَعْنَى مَرَارًا فَأَمَّا هَذِهِ اللَّفْظَةُ فَلانظير لها في الإيجاز والدلالة على المعنى وهي من ألفاظه المعدودة. وقال الشاعر وكائن ترى من صامت لك معجب || زيادته أونقصه في التكلم لسان الفتى نصف ونصف فؤاده || فلم يبق إلا صورة اللحم والدم . وتكلم عبد الملك بن عمير وأعرابي حاضر فقيل له كيف ترى هذا فقال لو كان كلام يؤتدم به لكان هذا الكلام مما يؤتدم به . وتكلم جماعة من الخطباء عند مسلمة بن عبد الملك فأسهبوا في القول ولم يصنعوا شيئا ثم أفرغ النطق رجل من أخرياتهم فجعل لا يخرج من فن إلا إلى أحسن منه فقال مسلمة ماشبهت كلام هذا بعقب كلام هؤلاء إلا بسحابة لبدت عجاجه. وسمع رجل منشدا ينشد و كان أخلائي يقولون مرحبا || فلما رأوني مقترا مات مرحب . [صفحة ٣٥٤] فقال أخطأ الشاعر إن مرحبا لم يمت وإنما قتله على بن أبي طالب ع وقال رجل لأعرابي كيف أهلك قال صلبا إن شاء الله . و كان مسلمة بن عبد الملك يعرض الجند فقال لرجل ما اسمك فقال عبد الله وخفض فقال ابن من فقال ابن عبد الله وفتح فأمر بضربه فجعل يقول سبحان الله ويضم فقال مسلمة ويحكم دعوه فإنه مجبول على اللحن والخطأ لو كان تاركا للحن في وقت لتركه و هو تحت السياط [صفحة ٣٥٥]

١٤٥

هَلَكَ امْرُؤٌ لَمْ يَعْرِفْ قَدْرَهُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مِنْ كَلِمَاتِهِ الْمَعْدُودَةِ وَكَتَبَ النِّعْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى الْقَاسِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ كِتَابًا يَدُلُّ فِيهِ بِخِدْمَتِهِ وَيَسْتَزِيدُ فِي رِزْقِهِ فُوقَ عَلَى ظَهْرِهِ رَحِمَ اللَّهِ امْرَأَ عَرَفَ قَدْرَهُ أَنْتَ رَجُلٌ قَدْ أَعْجَبْتَكِ نَفْسَكَ فَلَسْتَ تَعْرِفُهَا إِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ أَعْرِفُكَهَا عَرَفْتَكِ فَكُتِبَ إِلَيْهِ النِّعْمَانُ كَتَبْتُ إِلَى الْوَزِيرِ أَعَزَّهُ اللَّهُ كِتَابًا أَسْتَزِيدُهُ فِي رِزْقِي فُوقَ عَلَى ظَهْرِهِ تَوْقِيعَ ضَجْرٍ لَمْ يَخْرُجْ فِيهِ مَعَ ضَجْرِهِ عَمَّا أَلْفَتْهُ مِنْ حَيَاتِهِ وَحَسَنَ نَظْرِهِ فَقَالَ إِنَّهُ قَدْ حَدَّثَ لِعَبْدِهِ عَجَبَ بِنَفْسِهِ وَقَدْ صَدَّقَ أَعْلَى اللَّهِ قَدْرَهُ لَقَدْ شَرَفَنِي الْوَزِيرُ بِخِدْمَتِهِ وَأَعْلَى ذِكْرِي بِجَمِيلِ ذِكْرِهِ وَنَبِهَ عَلَيَّ كِفَايَتِي بِاسْتِكْفَائِهِ وَرَفَعَنِي وَكَثَرَنِي عِنْدَ نَفْسِي إِنْ أَعْجَبْتَ فَبِنِعْمَتِهِ عِنْدِي وَجَمِيلِ تَطَوُّلِهِ عَلَيَّ وَلاَ عَجَبَ وَهَلْ خَلَا الْوَزِيرُ مِنْ قَوْمٍ يَصْطَنِعُهُمْ بَعْدَ مَلَمَّةٍ وَيَرْفَعُهُمْ بَعْدَ خَمُولٍ وَيَحْدِثُ لَهُمْ هَمَمًا رَفِيعَةً وَأَنْفُسًا عَلَيْهِمْ وَفِيهِمْ شَاكِرٌ وَكَفُورٌ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَشْكُرَهُمْ لِلنِّعْمَةِ وَأَقْوَمُهُمْ بِحَقِّهَا وَقَدْ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ إِنْ عَرَفَ نَفْسَهُ وَإِلَّا عَرَفْنَا إِيَّاهَا فَمَا أَنْكَرَهَا وَهِيَ نَفْسُ أَنْشَأَتِهَا نِعْمَةُ الْوَزِيرِ وَأَحْدَثَتْ فِيهَا مَا لَمْ تَزَلْ تَحْدِثُهُ فِي نَظَائِهَا مِنْ سَائِرِ عِبِيدِهِ وَخِدْمَتِهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا يَأْخُذُ بِهِ نَفْسُهُ مِنْ خِدْمَةِ مَوْلَاهُ وَوَلِيَّ نِعْمَتِهِ إِمَّا عَادَةً وَدَرَبَةً وَإِمَّا تَأْدِيبًا وَهَيْبَةً وَإِمَّا شُكْرًا وَاسْتِدَامَةً لِلنِّعْمَةِ. فَلَمَّا قَرَأَ الْقَاسِمُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ كِتَابَهُ اسْتَحْسَنَهُ وَزَادَ فِي رِزْقِهِ [صفحة ٣٥٦]

١٤٦

وَ قَالَ ع لِرَجُلٍ سَأَلَهُ أَنْ يَعْظُمَهُ لَمَّا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الْآخِرَةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ وَ يَرْجُو التَّوْبَةَ بِطُولِ الْأَمَلِ يَقُولُ فِي الدُّنْيَا يَقُولِ الزَّاهِدِينَ وَ يَعْصَلُ فِيهَا بِعَمَلِ الرَّاعِيَيْنِ إِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا لَمْ يَشْبَعْ وَ إِنْ مُنِعَ مِنْهَا لَمْ يَقْنَعْ يَعْجُزُ عَنِ شُكْرِ مَا أُوتِيَ وَ يَبْتَغِي الزِّيَادَةَ فِيمَا بَقِيَ يَنْهَى وَ لَا يَنْتَهَى وَ يَأْمُرُ النَّاسَ بِمَا لَمْ يَأْتِ يُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَ لَا يَعْصَلُ عَمَلُهُمْ وَ يُبْغِضُ الْمِدْبِئِينَ وَ هُوَ أَحَدُهُمْ يَكْرَهُ الْمَوْتَ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِ وَ

يُقِيمُ عَلَى مَا يَكْرَهُ الْمَوْتَ مِنْ أَجْلِهِ إِنْ سَقِمَ ظَلَّ نَادِمًا وَإِنْ صَحَّ أَمِنَ لَاهِيًا يُعْجَبُ بِنَفْسِهِ إِذَا عُوْفِيَ وَيَقْنَطُ إِذَا ابْتَلِيَ وَإِنْ أَصَابَهُ بَلَاءٌ دَعَا مُضْطَرًّا وَإِنْ نَالَهُ رَخَاءٌ أَعْرَضَ مُغْتَرًّا تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلَى مَا يَظُنُّ وَلَا يَغْلِبُهَا عَلَى مَا يَسْتَيْقِنُ يَخَافُ عَلَى غَيْرِهِ بِأَدْنَى مِنْ ذَنْبِهِ وَ يَرْجُو لِنَفْسِهِ بِمَا كَثُرَ مِنْ عَمَلِهِ إِنْ اسْتَغْنَى بَطْرَ وَفُتِنَ وَإِنْ افْتَقَرَ قَنَطَ وَهَنْ يُقْصِرُ إِذَا عَمَلَ وَيَبَالِغُ إِذَا سَأَلَ إِنْ عَرَضَتْ لَهُ شَهْوَةٌ أَسْلَفَ الْمَعْصِيَةَ وَ سَوَّفَ التَّوْبَةَ وَإِنْ عَزَّتْهُ مِحْنَةٌ انْفَرَجَ عَنْ شَرَائِطِ الْمِلَّةِ يَصِفُ الْعِبْرَةَ وَلَا يَعْتَبِرُ وَيَبَالِغُ فِي الْمَوْعِظَةِ وَلَا يَتَعَطَّفُ فَهَوُ بِالْقَوْلِ مُدَلِّ وَ مِنَ الْعَمَلِ مُقِلٌّ يُنَافِسُ فِيَمَا يَفْنَى وَ يُسَامِحُ فِيَمَا يَبْقَى يَرَى الْغَنَمَ مَغْرَمًا وَ الْغُرَمَ مَغْنَمًا يَخْشَى الْمَوْتَ وَ لَا يُبَادِرُ الْفَوْتَ يَسْتَعْظِمُ مِنْ مَعْصِيَةِ غَيْرِهِ مَا يَسْتَقِلُّ أَكْثَرَ مِنْهُ [صفحة ٣٥٧] مِنْ نَفْسِهِ وَ يَسْتَكْثِرُ مِنْ طَاعَتِهِ مَا يَحْقِرُهُ مِنْ طَاعَةِ غَيْرِهِ فَهَوُ عَلَى النَّاسِ طَاعِنٌ وَ لِنَفْسِهِ مُدَاهِنٌ اللَّغْوُ مَعَ الْأَغْيَاءِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الذِّكْرِ مَعَ الْفُقَرَاءِ يَحْكُمُ عَلَى غَيْرِهِ لِنَفْسِهِ وَ لَا يَحْكُمُ عَلَيْهَا لِغَيْرِهِ يُرْشِدُ نَفْسَهُ وَ يَغْوِي غَيْرَهُ فَهَوُ يُطَاعُ وَ يَعْصَى وَ يَسْتَتَوِي وَ لَا يُؤْفَى وَ يَخْشَى الْخَلْقَ فِي غَيْرِ رَبِّهِ وَ لَا يَخْشَى رَبَّهُ فِي خَلْقِهِ قَالَ الرضی رحمہ اللہ تعالیٰ و لو لم يكن في هذا الكتاب إلا- هذا الكلام لكفى به موعظة ناجعة وحكمة بالغة وبصيرة لمبصر وعبرة لناظر مفكر -

روایت- ١- ١٣٨ كثير من الناس يرجون الآخرة بغير عمل ويقولون رحمة الله واسعة ومنهم من يظن أن التلفظ بكلمتي الشهادة كاف في دخول الجنة ومنهم من يسوف نفسه بالتوبة ويرجئ الأوقات من اليوم إلى غد وقد يخترم على غرة فيفوته ما كان أمله وأكثر هذا الفصل للنهي عن أن يقول الإنسان واعظا لغيره ما لم يعلم هو من نفسه كقوله تعالى أ تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ فَأُولَ كَلِمَةُ قَالِهَاع فِي هَذَا الْمَعْنَى مِنْ هَذَا الْفَصْلِ قَوْلُهُ يَقُولُ فِي الدُّنْيَا يَقُولُ الزَّاهِدِينَ وَيَعْمَلُ فِيهَا بِعَمَلِ الرَّاعِيَيْنِ . -قرآن-

٣٢٤-٣٧٦ [صفحة ٣٥٨] ثم وصف صاحب هذا المذهب وهذه الطريقة فقال إنه إن أعطى من الدنيا لم يشبع لأن الطبيعة البشرية مجبولة على حب الازدياد وإنما يقهرها أهل التوفيق وأرباب العزم القوى. قال و إن منع منها لم يقنع بما كان وصل إليه قبل المنع . ثم قال يعجز عن شكر ما كان أنعم به عليه ليس يعنى العجز الحقيقي بل المراد ترك الشكر فسمى ترك الشكر عجزا ويجوز أن يحمل على حقيقته أى أن الشكر على ما أولى من النعم لا تنتهى قدرته إليه أى نعم الله عليه أجل وأعظم من أن يقام بواجب شكرها. قال و يبتغى الزيادة فيما بقى هذا راجع إلى النحو الأول. قال ينهى و لا ينتهى ويأمر الناس بما لا يأتى هذا كما تقدم . قال يحب الصالحين و لا يعمل عملهم إلى قوله و هو أحدهم و هو المعنى الأول بعينه . قال يكره الموت لكثرة ذنوبه و يقيم على الذنوب و هذا من العجائب أن يكره إنسان شيئا ثم يقيم عليه ولكنه الغرور و تسويق النفس بالأمانى. ثم قال إن سقم ظل نادما و إن صح أمن لاهيا فإذا ركبوا فى الفلك دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْآيَاتِ . قال يعجب بنفسه إذ عوفى و يقنط إذ ابتلى فأما الإنسان إذا ما ابتلاه رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَ نَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَكْرَمَنِ وَ أَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَهَانَنِ ومثل الكلمة الأخرى إن أصابه بلاء و إن ناله رخاء. -قرآن- ٨٧٩-٩٤٤-قرآن- ٩٩٥-١١٦٥ [صفحة ٣٥٩] ثم قال تغلبه نفسه على ما يظن و لا يغلبها على ما يستيقن هذه كلمة جليئة عظيمة يقول هو يستيقن الحساب والثواب والعقاب و لا يغلب نفسه على مجانبة و متاركة ما يفضى به إلى ذلك الخطر العظيم و تغلبه نفسه على السعى إلى ما يظن أن فيه لذة عاجلة فوا عجا ممن يترجح عنده جانب الظن على جانب العلم و ماذا ك إلا للضعف يقين الناس و حب العاجل . ثم قال يخاف على غيره بأدنى من ذنبه و يرجو لنفسه أكثر من عمله ما يزال يرى الواحد منا كذلك يقول إنى لخائف على فلان من الذنب الفلانى و هو مقيم على أفحش من ذلك الذنب و يرجو لنفسه النجاة بما لا تقوم أعماله الصالحة بالمصير إلى النجاة به نحو أن يكون يصلى ركعات فى الليل أو يصوم أياما يسيرة فى الشهر و نحو ذلك . قال إن استغنى بطر و فتن و إن افتقر قنط و وهن قنط بالفتح يقنط بالكسر قنوطا مثل جلس يجلس جلوسا و يجوز قنط يقنط بالضم مثل قعد يقعد و فيه لغة ثالثة قنط يقنط قنطا مثل تعب يتعب تعباً و قنطاة فهو قنط و به قرئ فلا تُكْنِ مِنَ الْقَائِطِينَ والقنوط اليأس و وهن الرجل يهن أى ضعف و هذا المعنى قد تكرر. قال يقصر إذا عمل و يبلغ إذا سئل هذا مثل ما -قرآن- ٨٨٤-

٩١٠ مدح به النبى ص الأنصار إنكم لتكثرون عند الفزع و تقلون عند الطمع -روایت- ١- ٢-روایت- ٢٨-٧١. قال إن عرضت له

شهوة أسلف المعصية وسوف التوبة وإن عرته محنة انفرج عن شرائط الملة هذا كما قيل أمدحه نقدا ويثيني نسيئه وانفرج عن شرائط الملة قال أوفعل ما يقتضى الخروج عن الدين وهذا موجود فى كثير من الناس إذعرتة المحن كفروا أو قال ما يقارب الكفر من التسخط والتبرم والتأفف . [صفحة ٣٦٠] قال يصف العبرة ولا يعتبر ويبالغ فى الموعظة ولا يتعظ هذا هو المعنى الأول . قال فهو بالقول مدل و من العمل مقل هذا هو المعنى أيضا. قال ينافس فيما يفنى أى فى شهوات الدنيا ولذاتها ويسامح فيما يبقى أى فى الثواب . قال يرى الغنم مغرما والغرم مغنما هذا هو المعنى الذى ذكرناه آنفا. قال يخشى الموت ولا يبادر الفوت قد تكرر هذا المعنى فى هذا الفصل . وكذلك قوله يستعظم من معصية غيره ما يستقل أكثر منه من نفسه ... و إلى آخر الفصل كل مكرر المعنى وإن اختلفت الألفاظ و ذلك لاقتداره ع على العبارة وسعة مادة النطق عنده [صفحة ٣٦١]

١٤٧

لِكُلِّ امْرِئٍ عَاقِبَةُ حُلُوهُ أَوْ مُرَّةٌ هَكَذَا قَرَأْنَاهُ وَوَجَدْنَاهُ فِي كَثِيرٍ مِنَ النُّسخِ وَوَجَدْنَاهُ فِي كَثِيرٍ مِنْهَا لِكُلِّ امْرِئٍ عَاقِبَةٌ وَهُوَ الْأَلْيَقُ وَمِثْلُ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُمْ فِي الْمِثْلِ لِكُلِّ سَائِلٍ قَرَارٌ وَقَدْ أَخَذَهُ الطَّائِي فَقَالَ فَكَانَتْ لَوْعَةٌ ثُمَّ اسْتَقَرَّتْ || كَذَلِكَ لِكُلِّ سَائِلَةٍ قَرَارٌ . وَ قَالَ الْكَمِيتُ فِي مِثْلِ هَذَا فَالآنَ صَرَّتْ إِلَى أَمِيَّةٍ || وَالْأُمُورُ إِلَى مَصَائِرٍ . فَأَمَّا الرَّوَايَةُ الْأُولَى وَهِيَ لِكُلِّ امْرِئٍ فَنظَائِرُهَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرَةٌ نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ وَقَوْلِهِ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَ آثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى وَ أَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى وَ غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ - قرآن - ٨١ - ١٥٣ - قرآن - ١٦٢ - ٣٩٣ [صفحة ٣٦٢]

١٤٨

الرَّاضِي بِفِعْلٍ قَوْمٌ كَالدَّاحِلِ فِيهِ مَعَهُمْ وَ عَلَى كُلِّ دَاخِلٍ فِي بَاطِلٍ إِثْمَانٌ إِثْمَ الْعَمَلِ بِهِ وَ إِثْمَ الرِّضَا بِهِ لِأَفْرَقَ بَيْنَ الرِّضَا بِالْفِعْلِ وَ بَيْنَ الْمِشَارَكَةِ فِيهِ أَلَا تَرَى أَنَّهُ إِذَا كَانَ ذَلِكَ الْفِعْلُ قَبِيحًا اسْتَحَقَّ الرِّاضِي بِهِ الذَّمَّ كَمَا اسْتَحَقَّهُ الْفَاعِلُ لَهُ وَ الرِّضَا يَفْسِرُ عَلَى وَجْهَيْنِ الْإِرَادَةَ وَ تَرْكَ الْإِعْتِرَاضِ فَإِنْ كَانَ الْإِرَادَةُ فَلَارِيبَ أَنَّهُ يَسْتَحَقُّ الذَّمَّ لِأَنَّ مَرِيدَ الْقَبِيحِ فَاعِلٌ لِلْقَبِيحِ وَ إِنْ كَانَ تَرْكُ الْإِعْتِرَاضِ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى الْإِعْتِرَاضِ فَلَارِيبَ أَنَّهُ يَسْتَحَقُّ الذَّمَّ أَيْضًا لِأَنَّ تَارِكَ النِّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مَعَ ارْتِفَاعِ الْمَوَانِعِ يَسْتَحَقُّ الذَّمَّ . فَأَمَّا قَوْلُهُ ع وَ عَلَى كُلِّ دَاخِلٍ فِي بَاطِلٍ إِثْمَانٌ فَإِنْ أَرَادَ الدَّخَلَ فِيهِ بِأَنَّ يَفْعَلُهُ حَقِيقَةً فَلَا شَبَهَةَ فِي أَنَّهُ يَأْتِمُّ مِنْ جِهَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ أَرَادَ الْقَبِيحَ . وَ الْآخَرَى مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ فَعَلَهُ وَ إِنْ كَانَ قَوْمٌ مِنْ أَصْحَابِنَا قَالُوا إِنَّ عِقَابَ الْمَرَادِ هُوَ عِقَابُ الْإِرَادَةِ . وَ إِنْ أَرَادَ أَنَّ الرِّاضِي بِالْقَبِيحِ فَقَطٍ يَسْتَحَقُّ إِثْمِينَ أَحَدَهُمَا لِأَنَّهُ رَضِيَ بِهِ وَ الْآخَرَ لِأَنَّهُ كَالْفَاعِلِ فَلَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِفَاعِلٍ لِلْقَبِيحِ حَقِيقَةً لَيْسَتْحَقُّ الْإِثْمَ مِنْ جِهَةِ الْإِرَادَةِ وَ مِنْ جِهَةِ الْفِعْلِيَّةِ جَمِيعًا فَوَجِبَ إِذْنُ أَنْ يَحْمَلَ كَلَامَهُ ع عَلَى الْوَجْهِ الْأَوَّلِ [صفحة ٣٦٣]

١٤٩

لِكُلِّ مُقْبِلٍ إِدْبَارٌ وَ مَا أَدْبَرَ فَكَأَنَّ لَمْ يَكُنْ هَذَا مَعْنَى قَدِ اسْتَعْمَلَ كَثِيرًا جَدًّا فَمِنْهُ الْمِثْلُ مَا طَارَ طَيْرٌ وَارْتَفَعَ || إِلَّا كَمَا طَارَ وَقَعَ . وَقَوْلُ الشَّاعِرِ بِقَدْرِ الْعُلُوِّ يَكُونُ الْهَبُوطُ || وَ إِيَّاكَ وَ الرِّتْبَ الْعَالِيَةَ . وَ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ حَرَكَةُ الْإِقْبَالِ بَطِيئَةٌ وَ حَرَكَةُ الْإِدْبَارِ سَرِيعَةٌ لِأَنَّ الْمَقْبِلَ كَالصَّاعِدِ إِلَى مَرْقَاءٍ وَ مَرْقَاءُ الْمُدْبِرِ كَالْمَقْدُوفِ بِهِ مِنْ عُلُوِّ إِلَى أَسْفَلٍ قَالَ الشَّاعِرُ فِي هَذِهِ الدَّارِ فِي هَذَا الرَّوَّاقِ عَلَى || هَذِي الْوَسَادَةِ كَانَ الْعِزُّ فَانْقَرَضَا . آخِرُ الْإِنِّ الْأُمُورِ إِذَا دُنْتُ لِرُؤُوسِهَا || فَعَلَامَةُ الْإِدْبَارِ فِيهَا تَظْهَرُ فِي الْخَبْرِ الْمَرْفُوعِ كَانَتْ نَاقَةُ رَسُولِ

الله ص العضبء لآ تسبق فءاء أعرابى على قعود له فسبقتها فاشءء على الصءابء ذلك فقال رسول الله ص إن حقا على الله ألا ىرفء شىئا من هذه الدنيا إلا وءعه -رواىء- ١-٢-رواىء- ٢١-١٩٤ . وقال شىء من همدان بعثنى أهلى فى الجاهلىء إلى ذى الكلاع بهءاىا فمكءء [صفءه ٣٦٤] ءء قصره ءولا لأصل إلهه ءم أشرف إشرافء من كوءة له فءر له من ءول العرش سءءا ءم رأىءه بعء ذلك بءمص فقىرا ىشءرى للءم وىسمطه ءلف ءابءه و هو القائل أف لءنبا إذا كائء كءا || أنا مئها فى هموم وأذى إن صفا عىش امرئ فى صبءها || ءرءه ممسبا كأس القذى ولقد كئء إذا ما قىل من || أنعم العالم عىشا قىل ذا . وقال بعض الأءباء فى كلام له بىنا هذه الدنيا ءرضع بءرءها و ءصرء بزدءها و ءلءف فضل ءناءها و ءغر برءوء رىاءها إذ عطفء عطف الضروس وصرء صراء الشموس و شئء ءارء الهموم و أراقت ما ءلبء من النعم فالسعىء من لم ىغرء بئكاها واستعء لوشك ءلاققها شاعر هو إهاب بن همام بن صعصعة المءاشعى و كان عثمانبا لعمر أبىك فلا ءكءبئ || لقق ذهب الءىر الإقلبلا و قءفنئ الناس فى ءىنهم || و ءلى ابن عفان شرا ءوبىلا . و قال أبوالعءاهىء ىعمر بىء بءراب بىء || ىعىش ءى بءرا ء مىء قال أنس بن مالك ما من بوم و لالبلة و لاشهر و لاسنة إلا و الذى قبله ءىر منه سمعء ذلك من نبىكم ع -رواىء- ١-٢-رواىء- ٢١-١٠٨ فقال شاعر رب بوم بكىء منه فلما || صرء فى ءىره بكىء علىه . [صفءه ٣٦٥] قىل لبعض عظماء الكءاب بعء ماصوءر ما ءفكر فى زوال نعمءك فقال لا بعء من الزوال فلان ءزول و أبقى ءىر من أن أزول و ءبقى . و من كلام الجاهلىء الأولى كل مقىم شاءص و كل زائء ناقص . شاعر إنما ءلنبا ءول || فراعل قىل نزل إذ نازل قىل رءل . لما فءء ءالء بن الولىء عىن ءمءر سأل عن ءرقء بنت النعمان بن المنءر فأءاها و سألها عن ءالها فقائء لقق ءلءنا الشمس و ما من شىء ىءب ءء ءلءنق إلا و هو ءء آىءىنا ءم ءربء و قءرءمنا كل من نلم به و ما بىء ءءلءه ءبرة إلا سءءءله عبرة ءم قاءء فىبنا نسوس الناس والأمر أمرنا || إذ انءن فىهم سوفة ءنءصف فأف لءنبا لا ىءوم نعىمها || ءقلب ءاراء بنا و ءصرف . و ءاءها سعد بن أبى وقاص مرءة فلما رآها قال قائل الله عءى بن زىء كأنه كان ىنظر إلهبا ءىء قال لأبىها إن للءهر صرعة فاءءرنها || لا ءبىءن قءأمئء ءهوءرا قءبىء الفءى معافى فىرءى || ولقد كان آمنا مسرورا . و قال مطرف بن الشءىر لا ءنظروا إلى ءفض عىش الملوك و لىن رىاشهم و لكن انظروا إلى سرعة ءعئهم و سوء منقلبهم و إن عمرا قصىرا ىسءوءب به صاءبه النار لعمر مشءوم على صاءبه . لما قءل عامر بن إسماعىل مروان بن مءمء و قعء على فراشه قاءء ابنة مروان له ىاعمر إن ءهرا أنزل مروان عن فرشه و أقعءك علىها لمبلى فى عءءك إن عقلت [صفءه ٣٦٦]

١٥٠

لما ىعءم الصبء بوءر الظفر و إن ءال به الزمان قءءقءم كلامنا فى الصبر . و قاءء ءءماء الصبر ضربان ءسمى و نفسى فالءسمى ءءمل المشاق بقءر القوء البءنىة و لىس ذلك بفضىلة ءامءة و لذلك قال الشاعر و الصبر بالأرواع ىعرف فضله || صبر الملوك و لىس بالأءسام . و هذا النوع إما فى الفعل كالمشى و رفء ءءر أو فى رفء الانفعال كالصبر على المرء و اءءمال الضرب المفضع و إما النفسى ففىه ءءلق الفضىلة و هو ضربان صبر عن مشءهى و ىقال له عفة و صبر على ءءمل مكروه أو مءبوب و ءءءلء أسماءه بءسب اءءلاف مواءة فإن كان فى نزول مصىبة لم ىءءه به اسم الصبر و ىضاءه ءءر و الءلع و الءزن و إن كان فى اءءمال العنى سىمى ضبط النفس و ىضاءه البطر و الأشء و الرفع و إن كان فى مءاربء سىمى شءاعة و ىضاءه ءءبن و إن كان فى إمساك النفس عن قضاء وطر الغضب سىمى ءلما و ىضاءه ءءمءر و الاستشاة و إن كان فى نائبة مضءرة سىمى سعة صدر و ىضاءه الضءر و ضىق العطن و ءءبرم و إن كان فى إمساك كلام فى الضمىر سىمى كءمان السر و ىضاءه الإفشاء و إن كان عن فضول العىش سىمى قئاعة

وزهدا ويضاده الحرص والشره فهذه كلها أنواع الصبر ولكن اللفظ العرفي واقع على الصبر الجسماني و على ما يكون في نزول المصائب وتنفرد باقي الأنواع بأسماء تخصصها [صفحة ٣٦٧]

١٥١

مَا اخْتَلَفَتْ دَعْوَتَانِ إِلَّا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا ضَمَالَةً هَذَا عِنْدَ أَصْحَابِنَا مَخْتَصِ بِاخْتِلَافِ الدَّعْوَةِ فِي أَصُولِ الدِّينِ وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الْإِمَامَةُ لِأَنَّهَا مِنْ أَصُولِ الدِّينِ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَخْتَلِفَ قَوْلَانِ مُتَضَادَّانِ فِي أَصُولِ الدِّينِ فَيَكُونَا صَوَابًا لِأَنَّهُ إِنْ عَنِيَ بِالصَّوَابِ مُطَابَقَةُ الْإِعْتِقَادِ لِلخَارِجِ فَمَسْتَحِيلٌ أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ فِي نَفْسِهِ ثَابِتًا مُنْفِيًا وَإِنْ أَرَادَ بِالصَّوَابِ سِقُوطَ الْإِثْمِ كَمَا يَحْكِي عَنْ عُبَيْدِ بْنِ الْحَسَنِ الْعَنْبَرِيِّ فَإِنَّهُ جَعَلَ اجْتِهَادَ الْمُجْتَهِدِينَ فِي الْأَصُولِ عَذْرًا فَهُوَ قَوْلٌ مُسْبِقٌ بِالْإِجْمَاعِ . وَلَا يَحْمَلُ أَصْحَابُنَا كَلَامَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَ عَلَى عَمُومِهِ لِأَنَّ الْمُجْتَهِدِينَ فِي فُرُوعِ الشَّرِيعَةِ وَإِنْ اخْتَلَفُوا وَتَضَادَّتْ أَقْوَالُهُمْ لَيْسُوا وَلَا وَاحِدٌ مِنْهُمْ عَلَى ضَلَالٍ وَهَذَا مُشْرُوحٌ فِي كِتَابِنَا الْكَلَامِيَّةِ فِي أَصُولِ الْفِقْهِ [صفحة ٣٦٨]

١٥٢

مَا كَذَبْتُ وَ لَا كُذِّبْتُ وَ لَا ضَلَمْتُ وَ لَا ضُلُّ بِي هَذِهِ كَلِمَةٌ قَدْ قَالَهَا مَرَارًا إِحْدَاهُنَّ فِي وَقَعَةِ النُّهْرَوَانَ . وَ كَذَبْتُ بِالضَّمِّ أَخْبِرْتُ بِخَبْرٍ كَاذِبٍ أَيْ لَمْ يَخْبِرْنِي رَسُولُ اللَّهِ صَ عَنِ الْمَخْدُجِ خَبِيرًا كَاذِبًا لِأَنَّ أَخْبَارَهُ صَ كُلُّهَا صَادِقَةٌ . وَ ضَلُّ بِي بِالضَّمِّ نَحْوُ ذَلِكَ أَيْ لَمْ يَضِلَّنِي مُضِلٌّ عَنِ الصِّدْقِ وَالْحَقِّ لِأَنَّهُ كَانَ يَسْتَنْدُ فِي أَخْبَارِهِ عَنِ الْغُيُوبِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَ وَ هُوَ مُنْزَعٌ عَنِ إِضْلَالِهِ وَإِضْلَالِ أَحَدٍ مِنَ الْمُكَلَّفِينَ . فَكَأَنَّهُ قَالَ لَمَّا أَخْبِرَهُمْ عَنِ الْمَخْدُجِ وَإِبْطَاءِ ظَهْوَرِهِ لَهُمْ أَنَا لَمْ أَكْذِبْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَ وَ رَسُولُ اللَّهِ صَ لَا يَكْذِبُ فِيمَا أَخْبِرْنِي بِوَقْعِهِ فَإِذَا لَا بَدَّ مِنْ ظَفَرِكُمْ بِالْمَخْدُجِ فَاطْلُبُوهُ [صفحة ٣٦٩]

١٥٣

لِلظَّالِمِ الْبَادِيِ غَدًا بِكَفِّهِ عَصَّةٌ هَذَا مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى وَ يَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ وَإِنَّمَا قَالَ لِلْبَادِيِ لِأَنَّ مَنْ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَلَا سَبِيلَ عَلَيْهِ وَ مِنْ أَمْثَالِهِمُ الْبَادِيِ أَظْلَمُ . فَإِنْ قُلْتَ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ بَادِيًا لَمْ يَكُنْ ظَالِمًا فَأَيُّ حَاجَةٍ لَهُ إِلَى الْإِحْتِرَازِ بِقَوْلِهِ الْبَادِيِ قُلْتَ لِأَنَّ الْعَرَبَ تَطْلُقُ عَلَى مَا يَقَعُ فِي مَقَابِلَةِ الظُّلْمِ اسْمَ الظُّلْمِ أَيْضًا كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا - قرآن - ٢٢ - ٥٩ - قرآن - ٣١٢ - ٣٤٦] [صفحة ٣٧٠]

١٥٤

الرَّحِيلُ وَ شِيكًا لَوْ شِيكَ السَّرِيعِ وَأَرَادَ بِالرَّحِيلِ هَاهُنَا الرَّحِيلَ عَنِ الدُّنْيَا وَ هُوَ الْمَوْتُ . وَ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ قَبْلَ وَجُودِ الْإِنْسَانِ عَدَمَ لِأَوَّلِهِ وَ بَعْدَهُ عَدَمٌ لَا آخِرَ لَهُ وَ مَا شَبِهَتْ وَجُودَهُ الْقَلِيلَ الْمُتَنَاهِيَّ بَيْنَ الْعَدَمِينَ غَيْرِ الْمُتَنَاهِيَّينَ إِلَّا بَرَقَ يَخْطِفُ خَطْفَةً خَفِيفَةً فِي ظِلَامٍ مُعْتَكِرٍ ثُمَّ يَخْمَدُ وَيَعُودُ الظُّلَامُ كَمَا كَانَ [صفحة ٣٧١]

١٥٥

مَنْ أَبَدَى صِيْفَحْتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَتْ قَدْ تَقَدَّمَ تَفْسِيرُنَا لِهَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ وَمَعْنَاهَا مِنْ نَابَذَ اللَّهُ وَحَارِبَهُ هَلَكَ يُقَالُ لِمَنْ خَالَفَ وَكَاشَفَ قَدْ أَبَدَى صَفْحَتَهُ [صَفْحَةٌ ٣٧٢]

١٥٦

اعْتَصِمُوا بِالذَّمِّ فِي أَوْتَارِهَا أَي فِي مِظَانِهَا وَ فِي مَرْكَزِهَا أَي لَا تَسْتَنْدُوا إِلَى ذِمَامِ الْكَافِرِينَ وَالْمَارِقِينَ فَإِنَّهُمْ لَيْسُوا أَهْلًا لِلِاسْتِعْصَامِ بِذِمْمِهِمْ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَقَالَ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ . وَ هَذِهِ كَلِمَةٌ قَالَهَا بَعْدَ انْقِضَاءِ أَمْرِ الْجَمَلِ وَحُضُورِ قَوْمِ مِنَ الطَّلَقَاءِ بَيْنَ يَدَيْهِ لِيَبَايَعُوهُ مِنْهُمْ مِرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ فَقَالَ وَ مَاذَا أَصْنَعُ بِبَيْعَتِكَ أَلَمْ تَبَايَعْنِي بِالْأَمْسِ يَعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عِثْمَانَ ثُمَّ أَمَرَ بِإِخْرَاجِهِمْ وَرَفَعَ نَفْسَهُ عَنِ مَبَايَعَةِ أَمْثَالِهِمْ وَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ ذَكَرَ فِيهِ ذِمَامَ الْعَرَبِيَّةِ وَذِمَامَ الْإِسْلَامِ وَذَكَرَ أَنَّ لِادِينِ لَهُ فَلَا ذِمَامَ لَهُ . ثُمَّ قَالَ فِي أَثْنَاءِ الْكَلَامِ فَاسْتَعْصَمُوا بِالذَّمِّ فِي أَوْتَارِهَا أَي إِذَا صَدَرَتْ عَنِ ذَوِي الدِّينِ فَمَنْ لِادِينِ لَهُ لِاعْهَدَ لَهُ - قُرْآن-١٦٨-٢١١-قُرْآن-٢١٩-٢٤٢ [صَفْحَةٌ ٣٧٣]

١٥٧

عَلَيْكُمْ بِطَاعَتِهِ مَنْ لَمَّا تُعَذَّرُونَ فِي جَهَاتِهِ يَعْنِي نَفْسَهُ ع وَ هُوَ حَقٌّ عَلَى الْمَذْهَبِينَ جَمِيعًا أَمَانِحُنْ فَعِنْدَنَا أَنَّهُ إِمَامٌ وَاجِبُ الطَّاعَةِ بِالِاخْتِبَارِ فَلَا يَعْذَرُ أَحَدٌ مِنَ الْمَكْلُفِينَ فِي الْجَهْلِ بِوَجُوبِ طَاعَتِهِ وَ أَمَا عَلَى مَذْهَبِ الشَّيْعَةِ فَلِأَنَّهُ إِمَامٌ وَاجِبُ الطَّاعَةِ بِالنَّصِّ فَلَا يَعْذَرُ أَحَدٌ مِنَ الْمَكْلُفِينَ فِي جَهَالَتِهِ إِمَامَتَهُ وَعِنْدَهُمْ أَنَّ مَعْرِفَةَ إِمَامَتِهِ تَجْرِي مَجْرَى مَعْرِفَةِ مُحَمَّدٍ وَ مَجْرَى مَعْرِفَةِ الْبَارِئِ سُبْحَانَهُ وَيَقُولُونَ لَا تَصِحُّ لِأَحَدٍ صَلَاةٌ وَ لاصُومٌ وَ لِعِبَادَةٍ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ اللَّهِ وَ النَّبِيِّ وَالْإِمَامِ . وَ عَلَى التَّحْقِيقِ فَلَا فَرْقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فِي هَذَا الْمَعْنَى لِأَنَّ مِنْ جَهْلِ إِمَامَتِهِ عَلَى ع وَأَنْكَرَ صِحَّتَهَا وَلَزُومَهَا فَهُوَ عِنْدَ أَصْحَابِنَا مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ لَا يَنْفَعُهُ صَوْمٌ وَ لاصَلَاةٌ لِأَنَّ الْمَعْرِفَةَ بِذَلِكَ مِنَ الْأَصُولِ الْكَلِيَّةِ الَّتِي هِيَ أَرْكَانُ الدِّينِ وَلَكِنَّا لَنْسَمِي مَنْكَرَ إِمَامَتِهِ كَافِرًا بَلْ نَسْمِيهِ فَاسِقًا وَخَارِجِيًا وَمَارِقًا وَنَحْوَ ذَلِكَ وَالشَّيْعَةُ تَسْمِيهِ كَافِرًا فَهَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ وَ هُوَ فِي اللَّفْظِ لَا فِي الْمَعْنَى [صَفْحَةٌ ٣٧٤]

١٥٨

مَا شَكَكَتْ فِي الْحَقِّ مُنْذُ أَرِيَّتُهُ أَي مُنْذُ أَعْلَمْتَهُ وَيَجِبُ أَنْ يَقْدَرَ هَاهُنَا مَفْعُولٌ مَحْذُوفٌ أَي مُنْذُ أَرِيَّتِهِ حَقًّا لِأَنَّ أَرِيَّ يَتَعَدَّى إِلَى ثَلَاثَةِ مَفَاعِيلٍ تَقُولُ أَرَى اللَّهُ زَيْدًا عَمْرًا خَيْرَ النَّاسِ فَإِذَا بَنِيَتْهُ لِلْمَفْعُولِ بِهِ قَامَ وَاحِدٌ مِنَ الثَّلَاثَةِ مَقَامَ الْفَاعِلِ وَوَجِبَ أَنْ يَأْتِيَ بِمَفْعُولَيْنِ غَيْرِهِ تَقُولُ أَرَيْتَ زَيْدًا خَيْرَ النَّاسِ وَ إِنْ كَانَ أَشَارَ بِالْحَقِّ إِلَى أَمْرٍ مَشَاهِدٍ بِالْبَصْرِ لَمْ يَحْتِجْ إِلَى ذَلِكَ وَيَجُوزُ أَنْ يَعْنِيَ بِالْحَقِّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى لِأَنَّ الْحَقَّ مِنْ أَسْمَائِهِ عَزَّ وَ جَلَّ فَيَقُولُ مُنْذُ عَرَفْتُ اللَّهَ لَمْ أَشْكُ فِيهِ وَتَكُونُ الرَّؤْيَةُ بِمَعْنَى الْمَعْرِفَةِ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى تَقْدِيرِ مَفْعُولٍ آخَرَ وَ ذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى وَ آخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ أَي لَا تَعْرِفُونَهُمْ اللَّهُ يَعْرِفُهُمْ وَ الْمُرَادُ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ ذِكْرُ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي أَنَّهُ مُنْذُ عَرَفَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَشْكُ فِيهِ أَوْ مُنْذُ عَرَفَ الْحَقَّ فِي الْعَقَائِدِ الْكَلَامِيَّةِ وَ الْأَصُولِيَّةِ وَ الْفَقْهِيَّةِ لَمْ يَشْكُ فِي شَيْءٍ مِنْهَا وَ هَذِهِ مَزِيَّةٌ لَهُ ظَاهِرَةٌ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ أَوْ كَلِمَهُمْ يَشْكُ فِي الشَّيْءِ بَعْدَ أَنْ عَرَفَهُ وَتَعْتَوْرُهُ الشُّبُهَةُ وَ الْوَسَاوِسُ وَ يِرَانٌ عَلَى قَلْبِهِ وَتَخْتَلِجُهُ الشَّيَاطِينُ عَمَّا أَدَّى إِلَيْهِ نَظْرَهُ . - قُرْآن-٥١٢-٥٧١ [صَفْحَةٌ ٣٧٥] وَ قَدَرُوا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ قَاضِيًا ضَرَبَ عَلَى صَدْرِهِ وَ قَالَ أَللَّهُمَّ اهْدِ قَلْبَهُ وَثَبْتَ لِسَانَهُ فَكَانَ يَقُولُ مَا شَكَكَتْ بَعْدَهَا فِي قَضَاءِ بَيْنِ اثْنَيْنِ - رَوَايَةٌ ١-٢- رَوَايَةٌ ١٠-١٤٧ رَوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَللَّهُمَّ اجْعَلْهَا أُذُنًا عَلَى

وَ قَدْ بُصِّرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ وَ قَدْ هُدَيْتُمْ إِنْ اهْتَدَيْتُمْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَ أَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى . وَ قَالَ سُبْحَانَهُ وَ هَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ . وَ قَالَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ أَلَا إِنَّهُمَا نَجْدَا الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَجَعَلَ نَجْدَ الشَّرِّ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ نَجْدِ الْخَيْرِ . قَلَّتِ النَّجْدُ الطَّرِيقُ . وَ اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ نَصَبَ الْأَدْلَةَ وَمَكَنَ الْمَكْلَفَ بِمَا أَكْمَلَ لَهُ مِنَ الْعَقْلِ مِنَ الْهَدَايَةِ فَإِذَا ضَلَّ فَمَنْ قَبْلَ نَفْسِهِ أَتَى . وَ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ الْحِكْمَةَ هُوَ الَّذِي ضَلَّ عَنْهَا لَيْسَتْ هِيَ الضَّالَّةُ عَنْهُ . وَ قَالَ مَتَّى أَحْسَسْتَ بِأَنْتَ قَدْ أَخْطَأْتَ وَ أَرَدْتَ أَلَا- تَعُودُ أَيْضًا فَتَخْطِئُ فَانظُرْ إِلَى أَصْلٍ فِي نَفْسِكَ حَدَثَ عَنْهُ ذَلِكَ الْخَطَأُ فَاحْتَلْ فِي قَلْعِهِ وَ ذَلِكَ أَنْتَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ذَلِكَ عَادَ فثَبَّتَ خَطَأَ آخَرَ وَ كَانَ يُقَالُ كَمَا أَنَّ الْبَدْنَ الْخَالِيَّ مِنَ النَّفْسِ تَفُوحُ مِنْهُ رَائِحَةُ النَّتَنِ كَذَلِكَ النَّفْسُ الْخَالِيَّةُ مِنَ الْحِكْمَةِ وَ كَمَا أَنَّ الْبَدْنَ الْخَالِيَّ مِنَ النَّفْسِ لَيْسَ يَحْسُ ذَلِكَ بِالْبَدَنِ -قرآن- ١٩-٨٠-قرآن- ٩٦-١١٨ [صفحة ٣٧٧] بل الذين لهم حس يحسونه به كذلك النفس العديمة للحكمة ليس تحس به تلك النفس بل يحس به الحكماء وقيل لبعض الحكماء ما بال الناس ضلوا عن الحق أتقول إنهم لم تخلق فيهم قوة معرفة فقال لابل خلق لهم ذلك ولكنهم استعملوا تلك القوة على غير وجهها و في غير ما خلقت له كالمس تدفعه إلى إنسان ليقتل به عدوه فيقتل به نفسه [صفحة ٣٧٨]

عَاتِبَ أَخَاكَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ وَ أَرْدُدْ شَرَّهُ بِالْإِنْعَامِ عَلَيْهِ الْأَصْلُ فِي هَذَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَ رَوَى الْمُبَرِّدُ فِي الْكَامِلِ عَنْ ابْنِ عَائِشَةَ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ قَالَ دَخَلْتُ الْمَدِينَةَ فَرَأَيْتُ رَجُلًا رَاكِبًا عَلَى بَغْلَةٍ لَمْ أَرِ أَحْسَنَ وَجْهًا وَ لَا ثُوبًا وَ لَا سِمْتًا وَ لِأَدَابِهِ مِنْهُ فَمَالَ قَلْبِي إِلَيْهِ فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ هَذَا الْحَسَنُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ فَامْتَلَأَ قَلْبِي لَهُ بَغْضًا وَ حَسَدًا عَلِيًّا أَنْ يَكُونَ لَهُ ابْنٌ مِثْلُهُ فَصُرْتُ إِلَيْهِ وَ قُلْتُ لَهُ أَنْتَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ أَنَا ابْنُ ابْنِهِ قُلْتُ فَبِكِ وَ بِأَبِيكَ فَلَمَّا انْقَضَى كَلَامِي قَالَ أَحْسَبُكَ غَرِيبًا قُلْتُ أَجَلٌ قَالَ فَمَلَّ بِنَا فَإِنْ احْتَجَّتْ إِلَى مَنَزَلِ أَنْزَلْنَاكَ أَوْ إِلَى مَالِ وَاسِينَاكَ أَوْ إِلَى حَاجَةٍ عَاوْنَاكَ . فَانصرفت عنه و ما على الأرض أحد أحب إلى منه . وَ قَالَ مُحَمَّدُ الْوَرَّاقُ -قرآن- ٣٢-١٢٨ إني شكرت لظالمي ظلمي || و غفرت ذاك له على علم و رأيته أهدى إلى يدا || لما أبان بجهله حلمي رجعت إساءته عليه و || إحساني فعاد مضاعف الجرم [صفحة ٣٧٩] و غدوت ذا أجر و محمده || و غدا بكسب الظلم و الإثم فكأنما الإحسان كان له || و أنا المسيء إليه في الحكم ما زال يظلمني و أرحمه || حتى بكيت له من الظلم . قَالَ الْمُبَرِّدُ أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى مِنْ قَوْلِ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ إِنْ مَرَرْتُ بِأَلِ فُلَانٍ وَ هُمْ يَشْتُمُونَكَ شَتْمًا رَحِمْتِكَ مِنْهُ قَالَ أَفَسَمِعْتَنِي أَقُولُ إِلَّا خَيْرًا قَالَ لَا قَالَ إِيَاهُمْ فَارْحَم . وَ قَالَ رَجُلٌ لِأَبِي بَكْرٍ لِأَشْتَمَنَّكَ شَتْمًا يَدْخُلُ مَعَكَ قَبْرَكَ فَقَالَ مَعَكَ وَ اللَّهُ يَدْخُلُ لَامِعِي [صفحة ٣٨٠]

مَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ مَوَاضِعَ التَّهْمَةِ فَلَمَّا يُلُومَنَّ مَنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ رَأَى بَعْضَ الصَّحَابَةِ رَسُولَ اللَّهِ صَ وَاقِفًا فِي دَرْبٍ مِنْ دُرُوبِ الْمَدِينَةِ وَ مَعَهُ امْرَأَةٌ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ فَلَمَّا جَاوَزَهُ نَادَاهُ فَقَالَ هَذِهِ زَوْجَتِي فَلَانَهُ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْفِيكَ يَظُنُّ فَقَالَ إِنْ الشَّيْطَانُ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ -رواية- ١-٢٢١ جاء في الحديث المرفوع دع ما يريبك إلى ما لا يريبك -رواية- ١-٢-رواية- ٢٦-٥٦

قال أيضا لا يكمل إيمان عبد حتى يترك ما لا بأس به -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-٥٦ . وقد أخذ هذا المعنى شاعر فقال وزعمت أنك لا تلوط فقل لنا || هذا المقرطق واقفا ما يصنع شهدت ملاحظته عليك بريئة || و على المريب شواهد لا تدفع [صفحة ٣٨١]

١٦٢

مَنْ مَلَكَ اسْتَأْثَرَ الْمَعْنَى أَنْ الْأَغْلَبَ فِي كُلِّ مَلِكٍ يَسْتَأْثِرُ عَلَى الرَّعِيَّةِ بِالْمَالِ وَالْعِزِّ وَالْجَاهِ . وَنَحْوَ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُمْ مِنْ غَلَبَ سَلَبَ وَ مِنْ عَزَبَ . وَنَحْوَهُ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ وَالظُّلَمِ مِنْ شِيمِ النُّفُوسِ فَإِنْ تَجَدَّ || ذَا عَفْءٍ فَلَعَلَّهُ لَا يَظْلَمُ [صفحة ٣٨٢]

١٦٣

مَنْ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ وَ مَنْ شَاوَرَ الرِّجَالَ شَارَكَهَا فِي عُقُولِهَا قَدْ تَقَدَّمَ لَنَا قَوْلُ كَافٍ فِي الْمَشُورَةِ مَدْحًا وَ ذَمًّا وَ كَانَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ صَالِحِ الْهَاشِمِيِّ يَذْمُهَا وَ يَقُولُ مَا اسْتَشَرْتُ وَاحِدًا قَطَّ إِلَّا تَكَبَّرَ عَلَيَّ وَ تَصَاغَرْتُ لَهُ وَ دَخَلَتْهُ الْعِزَّةُ وَ دَخَلْتَنِي الذُّلَّةُ فَإِيَّاكَ وَ الْمَشُورَةَ وَ إِنْ ضَاقَتْ عَلَيْكَ الْمَذَاهِبُ وَ اسْتَبْهَتْ عَلَيْكَ الْمَسَائِلُ وَ أَدَاكَ الْاسْتِبْدَادُ إِلَى الْخَطِئِ الْفَادِحِ . وَ كَانَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ يَذْهَبُ إِلَى هَذَا الْمَذْهَبِ وَ يَقُولُ مَا حَكَكَ جِلْدُكَ مِثْلَ ظَفَرِكَ وَ لِأَنْ أَخْطِئُ مَعَ الْاسْتِبْدَادِ أَلْفَ خَطِئٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَسْتَشِيرَ وَأُرَى بَعِينَ النِّقْصِ وَ الْحَاجَةِ . وَ كَانَ يَقَالُ الْاسْتِشَارَةَ إِذَاعَةَ السَّرِّ وَ مَخَاطِرَةَ بِالْأَمْرِ الَّذِي تَرُومُهُ بِالْمَشَاوِرَةِ فَرُبَّ مَسْتَشَارٍ أَذَاعَ عَنْكَ مَا كَانَ فِيهِ فَسَادٌ تَدْبِيرِيكَ . وَ أَمَا الْمَادِحُونَ لِلْمَشُورَةِ فَكَثِيرٌ جِدًّا وَ قَالُوا خَاطِرٌ مِنْ اسْتِبْدَادِ بَرَأْيِهِ . وَ قَالُوا الْمَشُورَةُ رَاحَةٌ لَكَ وَ تَعَبٌ عَلَيَّ غَيْرِكَ . وَ قَالُوا مِنْ أَكْثَرِ مِنَ الْمَشُورَةِ لَمْ يَعْدِمْ عِنْدَ الصَّوَابِ مَدْحًا وَ عِنْدَ الْخَطِئِ عَازِرًا . [صفحة ٣٨٣] وَ قَالُوا الْمَسْتَشِيرُ عَلَى طَرَفِ النِّجَاحِ وَ الْاسْتِشَارَةُ مِنْ عِزْمِ الْأُمُورِ . وَ قَالُوا الْمَشُورَةُ لِقَاحُ الْعُقُولِ وَ رَائِدُ الصَّوَابِ . وَ مِنْ أَلْفَظِهِمُ الْبَدِيعَةُ ثَمَرَةٌ رَأَى الْمَشِيرُ أَحْلَى مِنَ الْأَرَى الْمَشُورِ . وَ قَالَ بَشَارٌ إِذَا بَلَغَ الرَّأْيُ النَّصِيحَةَ فَاسْتَعْنِ || بِعِزْمِ نَصِيحٍ أَوْ مَشُورَةٍ حَازِمٍ وَ لَا تَجْعَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً || فَإِنْ الْخَوَافِي عُدَّةٌ لِلْقَوَادِمِ [صفحة ٣٨٤]

١٦٤

مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَتْ الْخَيْرَةُ فِي يَدِهِ قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي السَّرِّ وَالْأَمْرِ بِكَتْمَانِهِ وَ نَذَكَرْ هَاهُنَا أَشْيَاءَ أُخْرَى . مِنْ أَمْثَالِهِمْ مَقْتَلُ الرَّجُلِ بَيْنَ لَحْيَيْهِ . دَنَا رَجُلٌ مِنْ آخِرِ فَسَارِهِ فَقَالَ إِنْ مِنْ حَقِّ السَّرِّ التَّدَانِي . كَانَ مَالِكُ بْنُ مَسْمَعٍ إِذَا سَارَهُ إِنْسَانٌ قَالَ لَهُ أَظْهَرَ فَلَوْ كَانَ فِيهِ خَيْرٌ لَمَا كَانَ مَكْتُومًا . حَكِيمٌ يُوصِي ابْنَهُ يَابُنِي كُنْ جَوَادًا بِالْمَالِ فِي مَوْضِعِ الْحَقِّ ضَمِينًا بِالْإِسْرَارِ عَنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ فَإِنْ أَحْمَدُ جُودَ الْمَرْءِ الْإِنْفَاقُ فِي وَجْهِ الْبَرِّ . وَ مِنْ كَلَامِهِمْ سَرَكٌ مِنْ دَمَكٍ فَإِذَا تَكَلَّمْتَ بِهِ فَقَدْ أَرَقْتَهُ . وَ قَالَ الشَّاعِرُ فَلَاتَنْفَسْ سَرَكٌ إِلَّا إِلَيْكَ || فَإِنْ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحًا أَلَمْ تَرَأْ أَنْ غَوَاةَ الرِّجَالِ || لَا يَتْرُكُونَ أَدِيمًا صَحِيحًا . وَ قَالَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْقُلُوبُ أَوْعِيَةُ الْأَسْرَارِ وَ الشِّفَاهُ أَقْفَالُهَا وَ الْأَلْسُنُ مَفَاتِيحُهَا فَلْيَحْفَظْ كُلُّ امْرِئٍ مَفْتَاحَ سِرِّهِ . [صفحة ٣٨٥] وَ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ مِنْ أَفْشَى سِرِّهِ كَثْرَ عَلَيْهِ الْمَتَامِرُونَ . أَسْرَ رَجُلٌ إِلَى صَدِيقٍ سَرًّا ثُمَّ قَالَ لَهُ أَفْهَمْتَ قَالَ لَهُ بَلْ جَهَلْتَ قَالَ أَحْفَظْتَ قَالَ بَلْ نَسِيتَ . وَ قِيلَ لِرَجُلٍ كَيْفَ كَتَمَانِكَ السَّرِّ قَالَ أَجْحَدُ الْمَخْبَرِ وَ أَحْلَفُ لِلْمَسْتَخْبِرِ . أَنْشَدَ الْأَصْمَعِيُّ قَوْلَ الشَّاعِرِ إِذَا جَاوَزَ الْإِثْنَيْنِ سَرَّ فَإِنَّهُ || بِنْتٌ وَ تَكْتِيرُ الْوَشَاءِ قَمِينٌ . فَقَالَ وَ اللَّهُ مَا أَرَادَ بِالْإِثْنَيْنِ إِلَّا الشِّفْتَيْنِ [صفحة ٣٨٦]

١٦٥

فى الحديث المرفوع أشقى الأشقياء من جمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-٧٦ . وأتى بزرجمهر فقير جاهل فقال بئسما اجتمع على هذا البائس فقر ينقص دنياه وجهل يفسد آخرته . شاعر خلق المال واليسار لقوم || وأراني خلقت للإملاق أنا فيما أرى بقيه قوم || خلقوا بعد قسمه الأرزاق . أخذ السيواسى هذا المعنى فقال فى قصيدته الطويلة المعروفة بالساسانية لىت شعرى لمابدا يقسم || الأرزاق فى أى مطبق كنت . قرئ على أحد جانبي دينار قرنت بالنجح وبى كل ما || يراد من ممتنع يوجد . و على الجانب الآخر و كل من كنت له ألفا || فالإنس والجن له أعبد . [صفحہ ٣٨٧] و قال أبو الورداء من حفظ ماله فقد حفظ الأكثر من دينه وعرضه . بعضهم و إذا رأيت صعوبة فى مطلب || فاحمل صعوبته على الدينار ترده كالأظهر الذلول فإنه || حجر يلين قوة الأحجار . و من دعاء السلف اللهم إني أعوذ بك من ذل الفقر وبطر الغنى [صفحہ ٣٨٨]

١٦٦

مَنْ قَضَى حَقَّ مَنْ لَا يَقْضِي حَقَّهُ فَقَدْ عَبَدَهُ عِبْدَهُ بِالتَّشْدِيدِ أَى اتَّخَذَهُ عِبْدًا يُقَالُ عَبَدَهُ وَاسْتَعْبَدَهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ وَالمَعْنَى بِهَذَا الكَلَامِ مَدْحٌ مِنْ لَا يَقْضِي حَقَّهُ أَى مِنْ فَعَلَ ذَلِكَ بِإِنْسَانٍ فَقَدْ اسْتَعْبَدَ ذَلِكَ الْإِنْسَانَ لِأَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ مَعَهُ ذَلِكَ مِكَافَأَةً لَهُ عَنْ حَقِّ قَضَائِهِ إِيَّاهُ بَلْ فَعَلَ ذَلِكَ إِعْنَامًا مُبْتَدَأً فَقَدْ اسْتَعْبَدَهُ بِذَلِكَ . وَ قَالَ الشَّاعِرُ فِى نَقِيضِ هَذِهِ الْحَالِ يُخَاطَبُ صَاحِبًا لَهُ كُنْ كَأَنَّ لَمْ تَلَاقِنِ قَطُّ فِى النَّاسِ || وَ لَا تَجْعَلَنَّ ذِكْرًا شَوْقًا وَتَيْقِنًا بِأَنِّى غَيْرَاءُ || لَكَ حَقًّا حَتَّى تَرَى لى حَقًّا وَبَأْنى مَفُوقَ أَلْفِ سَهْمٍ || لَكَ إِنْ فُوقَ يَمِينِكَ فُوقًا [صفحہ ٣٨٩]

١٦٧

لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِى مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ هَذِهِ الكَلِمَةُ قَدْرُوبِ مَرْفُوعَةٌ وَ قَدْ جَاءَ فِى كَلَامِ أَبِي بَكْرٍ أَطِيعُونى مَا أَطَعْتَ اللهُ فَإِذَا عَصَيْتَهُ فَلَطَاعَةٌ لى عَلَيْكُمْ -رواية- ١-٢-رواية- ٢٦-٧٨ وَ قَالَ مَعَاوِيَةُ لِشَدَادِ بْنِ أَوْسٍ قَمِ فَادْكُرْ عَلِيًّا فَانْتَقِصْهُ فَقَامَ شَدَادٌ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى افْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى عِبَادِهِ وَجَعَلَ رِضَاهُ عِنْدَ أَهْلِ التَّقْوَى آثَرَ مِنْ رِضَا غَيْرِهِ عَلَى ذَلِكَ مَضَى أَوْلَهُمْ وَ عَلَيْهِ مَضَى آخِرُهُمْ أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ الْآخِرَةُ وَعَدَّ صَادِقٌ يَحْكُمُ فِيهَا مَلِكٌ قَاهِرٌ وَ إِنْ الدُّنْيَا أَكَلَ حَاضِرٌ يَأْكُلُ مِنْهَا الْبَرَّ وَ الْفَاجِرُ وَ إِنْ السَّامِعُ الْمَطِيعُ لِلَّهِ لِاحْتِجَةِ عَلَيْهِ وَ إِنْ السَّامِعُ الْعَاصِىَ لِلَّهِ لِاحْتِجَةِ لَهُ وَ إِنْهُ لَطَاعَةُ لِمَخْلُوقٍ فِى مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ وَ إِذَا أَرَادَ اللهُ بِالنَّاسِ خَيْرًا اسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ صَلَاحَهُمْ وَ قَضَى بَيْنَهُمْ فَقَهَاؤُهُمْ وَجَعَلَ الْمَالَ فِى سَمَحَاتِهِمْ وَ إِذَا أَرَادَ بِالْعِبَادِ شِرَاءَ عَمَلِهِمْ سَفَهَاؤُهُمْ وَ قَضَى بَيْنَهُمْ جَهْلَاؤُهُمْ وَجَعَلَ الْمَالَ عِنْدَ بَخْلَائِهِمْ وَ إِنْ مِنْ إِصْلَاحِ الْوَلَاةِ أَنْ تَصْلِحَ قَرْنَائِهَا ثُمَّ التَّفَتُّ إِلَى مَعَاوِيَةَ فَقَالَ نَصَحَكَ يَمَعَاوِيَةُ مِنْ أَسْخَطَكَ بِالْحَقِّ وَ غَشَكَ مِنْ أَرْضَاكَ بِالْبَاطِلِ فَقَطَعَ مَعَاوِيَةُ عَلَيْهِ كَلَامَهُ وَأَمَرَ بِإِنزَالِهِ ثُمَّ لَاطَفَهُ وَأَمَرَ لَهُ بِمَالٍ فَلَمَّا قَبِضَهُ قَالَ أَلَسْتُ مِنَ السَّمْحَاءِ الَّذِينَ ذَكَرْتَ فَقَالَ إِنْ كَانَ لَكَ مَالٌ غَيْرُ مَالِ الْمُسْلِمِينَ أَصَبْتَهُ حَلَالًا وَ أَنْفَقْتَهُ إِفْضَالًا فَنَعَمْ وَ إِنْ كَانَ مَالُ الْمُسْلِمِينَ احْتَجَبْتَهُ دُونَهُمْ أَصَبْتَهُ اقْتِرَافًا وَ أَنْفَقْتَهُ إِسْرَافًا فَإِنَّ اللهَ يَقُولُ إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ -قرآن- ٩٩٠-١٠٣٤ [صفحہ ٣٩٠]

١٦٨

لَا يُعَابُ الْمَرْءُ بِتَأْخِيرِ حَقِّهِ إِنَّمَا يُعَابُ مَنْ أَخَذَ مَا لَيْسَ لَهُ لَعَلَّ هَذِهِ الكَلِمَةُ قَالَهَا فِى جَوَابِ سَائِلٍ سَأَلَهُ لَمْ أَخْرَجْتَ الْمَطَالِبَةَ بِحَقِّكَ مِنَ الْإِمَامَةِ وَ لَا بَدَّ مِنْ إِضْمَارِ شَيْءٍ فِى الكَلَامِ عَلَى قَوْلِنَا وَ قَوْلِ الْإِمَامِيَّةِ لِأَنَّ نَحْنُ نَقُولُ الْأَمْرَ حَقُّهُ بِالْأَفْضَلِيَّةِ وَ هُمْ يَقُولُونَ إِنَّهُ حَقُّهُ بِالنَّصِّ وَ عَلَى كَلَامِ التَّقْدِيرِينَ فَلَا بَدَّ مِنْ إِضْمَارِ شَيْءٍ فِى الكَلَامِ لِأَنَّ لِقَائِلَ أَنْ يَقُولَ لَهُ عَ لَوْ كَانَ حَقِّكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ

للمكلفين فيه نصيب لجاز ذلك أن يؤخر كالدين الذى يستحق على زيد يجوز لك أن تؤخره لأنه خالص لك وحدك فأما إذا كان للمكلفين فيه حاجة ماسة لم يكن حقك وحدك لأن مصالح المكلفين منوطه بإمامتك دون إمامة غيرك فكيف يجوز لك تأخير ما فيه مصلحة المكلفين فإذن لابد من إضمار شيء فى الكلام وتقديره لا يعاب المرء بتأخير حقه إذا كان هناك مانع عن طلبه ويستقيم المعنى حينئذ على المذهبين جميعا لأنه إذا كان هناك مانع جاز تقديم غيره عليه وجاز له أن يؤخر طلب حقه خوف الفتنة والكلام فى هذا الموضوع مستقصى فى تصانيفنا فى علم الكلام [صفحة ٣٩١]

١٦٩

الإِعْجَابُ يَمْنَعُ مِنَ الزَّادِيَّادِ قَدْ تَقَدَّمَ لَنَا قَوْلُ مَقْنَعٍ فِي الْعَجَبِ وَإِنَّمَا قَالَ عَ يَمْنَعُ مِنَ الزَّادِيَّادِ لِأَنَّ الْمَعْجَبَ بِنَفْسِهِ ظَانَ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ الْغَرَضَ وَإِنَّمَا يَطْلُبُ الزِّيَادَةَ مِنَ اسْتِشْعَارِ التَّقْصِيرِ لِأَنَّ تَخْيِيلَ الْكَمَالِ وَحَقِيقَةَ الْعَجَبِ ظَنُّ الْإِنْسَانِ بِنَفْسِهِ اسْتِحْقَاقَ مَنزَلَةٍ هُوَ غَيْرُ مُسْتَحَقِّ لَهَا وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُهُمْ لِرَجُلٍ رَأَى مَعْجَبًا بِنَفْسِهِ يَسْرُنِي أَن أَكُونَ عِنْدَ النَّاسِ مِثْلَكَ فِي نَفْسِكَ وَأَنْ أَكُونَ عِنْدَ نَفْسِي مِثْلَكَ عِنْدَ النَّاسِ فَتَمْنِي حَقِيقَةَ مَا يَقْدِرُهُ ذَلِكَ الرَّجُلُ ثُمَّ تَمْنِي أَن يَكُونَ عَارِفًا بِعُيُوبِ نَفْسِهِ كَمَا يَعْرِفُ النَّاسُ عُيُوبَ ذَلِكَ الرَّجُلِ الْمَعْجَبِ بِنَفْسِهِ . وَقِيلَ لِلْحَسَنِ مِنْ شَرِّ النَّاسِ قَالَ مَنْ يَرَى أَنَّهُ خَيْرُهُمْ -رَوَايَتُ- ١-٥٠ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ الْكَاذِبُ فِي نَهَائِهِ الْبَعْدُ مِنَ الْفَضْلِ وَالْمَرَائِي أَسْوَأُ حَالًا مِنَ الْكَاذِبِ لِأَنَّهُ يَكْذِبُ فَعَلًا وَذَاكَ يَكْذِبُ قَوْلًا وَالْفِعْلُ أَكْثَرُ مِنَ الْقَوْلِ فَأَمَّا الْمَعْجَبُ بِنَفْسِهِ فَأَسْوَأُ حَالًا مِنْهُمَا لِأَنَّهُمَا يَرِيَانُ نَقْصَ أَنْفُسِهِمَا وَيَرِيدَانُ إِخْفَاءَهُ وَالْمَعْجَبُ بِنَفْسِهِ قَدْ عَمِيَ عَنِ عُيُوبِ نَفْسِهِ فَيَرَاهَا مُحَاسِنًا وَيُبْدِيهَا . وَقَالَ هَذَا الْحَكِيمُ أَيْضًا ثُمَّ إِنَّ الْمَرَائِيَّ وَالْكَاذِبَ قَدْ يَنْتَفِعُ بِهِمَا كَمَلَّاحٍ خَافَ [صَفْحَةُ ٣٩٢] رَكَابَهُ الْغُرُقَ مِنْ مَكَانٍ مَخُوفٍ مِنَ الْبَحْرِ فَبَشَّرَهُمْ بِتَجَاوُزِهِ قَبْلَ أَنْ يَتَجَاوَزَهُ لَثَلَا يَضْطَرُّوْا فَيَتَعَجَّلُ غُرُقَهُمْ . وَقَدْ يَحْمَدُ رِيَاءَ الرَّئِيسِ إِذَا قَصِدَ أَنْ يَقْتَدِيَ بِهِ فِي فِعْلِ الْخَيْرِ وَالْمَعْجَبُ لَاحِظٌ لَهُ فِي سَبَبٍ مِنْ أَسْبَابِ الْمَحْمَدَةِ بِحَالٍ . وَأَيْضًا فَلَأَنَّكَ إِذَا وَعِظْتَ الْكَاذِبَ وَالْمَرَائِيَّ فَنَفْسُهُمَا تَصَدَّقُكَ وَتُثَلِّبُهُمَا لِمَعْرِفَتِهِمَا بِنَفْسِهِمَا وَالْمَعْجَبُ فَلِجَهْلِهِ بِنَفْسِهِ يَظُنُّكَ فِي وَعِظِهِ لِأَنَّهُ لَا يَتَنَبَّهُ بِمَقَالِكَ وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى أَشَارَ سَبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَأَهُ حَسَنًا ثُمَّ قَالَ سَبْحَانَهُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً تَنْبِيْهَا عَلَيْهِمْ أَنْهُمْ لَا يَعْقِلُونَ لِإِعْجَابِهِمْ . وَقُرْآنُ- ٣٩٢-٤٤٢-قُرْآنُ-٤٥٩-٤٩٥ قَالَ عَ ثَلَاثُ مَهْلَكَاتٍ شَحَّ مَطَاعٌ وَهُوَ مَتَبِعٌ وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ -رَوَايَتُ- ١-٢-رَوَايَتُ- ١١-٦٨ . وَفِي الْمَثَلِ إِنَّ إِبْلِيسَ قَالَ إِذَا ظَفَرْتُ مِنْ ابْنِ آدَمَ بِثَلَاثٍ لَمْ أَطَالِبْهُ بِغَيْرِهَا إِذَا عَجِبَ بِنَفْسِهِ وَاسْتَكْثَرَ عَمَلَهُ وَنَسِيَ ذَنْبَهُ . وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ كَمَا أَنَّ الْمَعْجَبَ بِفِرْسِهِ لَا يَرُومُ أَنْ يَسْتَبْدَلَ بِهِ غَيْرَهُ كَذَلِكَ الْمَعْجَبُ بِنَفْسِهِ لَا يَرِيدُ بِحَالِهِ بَدَلًا وَإِنْ كَانَتْ رَدِيئَةً . وَأَصْلُ الْإِعْجَابِ مِنَ حُبِّ الْإِنْسَانِ لِنَفْسِهِ وَقَدْ قَالَ عَ حُبُّكَ الشَّيْءَ يَعْصِي وَيَصْمُ -رَوَايَتُ- ١-٢-رَوَايَتُ- ١٤-٣٨ وَ مِنْ عَمِي وَصَمُّ تَعَذَّرَ عَلَيْهِ رُؤْيَةُ عُيُوبِهِ وَسَمَاعُهَا فَلِذَلِكَ وَجِبَ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَجْعَلَ عَلَى نَفْسِهِ عِيُونًا تَعْرِفُهُ عُيُوبَهُ نَحْوَ مَا قَالَ عَمْرٌ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ امْرَأٌ أَهْدَى إِلَيَّ عِيُوبِي . وَيَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ إِذَا رَأَى مِنْ غَيْرِهِ سَيِّئَةً أَنْ يَرْجِعَ إِلَى نَفْسِهِ فَإِنْ رَأَى ذَلِكَ [صَفْحَةُ ٣٩٣] مَوْجُودًا فِيهَا نَزْعًا وَلَمْ يَغْفَلْ عَنْهَا فَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ الْمُتَنَبِّيُّ وَمَنْ جَهَلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ || رَأَى غَيْرَهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى . وَأَمَّا التَّيُّهُ وَمَاهِيَتُهُ فَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ الْعَجَبِ لَكِنَّ الْمَعْجَبَ يَصَدِّقُ نَفْسَهُ وَهَمَّا فِيمَا يَظُنُّ بِهَا وَالتَّيُّهُ يَصَدِّقُهَا قَطْعًا كَأَنَّهُ مُتَحِيرٌ فِي تَيُّهِ وَيُمْكِنُ أَنْ يَفْرُقَ بَيْنَهُمَا بِأَمْرٍ آخَرَ وَيَقُولُ إِنَّ الْمَعْجَبَ قَدْ يَعْجَبُ بِنَفْسِهِ وَلَا يُوْذَى أَحَدًا بِذَلِكَ الْإِعْجَابِ وَالتَّيُّهُ يَضُمُّ إِلَى الْإِعْجَابِ الْغَضَّ مِنَ النَّاسِ وَالتَّرْفَعُ عَلَيْهِمْ فَيَسْتَلْزِمُ ذَلِكَ الْأَذَى لَهُمْ فَكُلُّ تَائِهٍ مَعْجَبٌ وَلَيْسَ كُلُّ مَعْجَبٍ تَائِهًا [صَفْحَةُ ٣٩٤]

١٧٠

الأمر قَرِيبٌ وَ الْإِصْطِحَابُ قَلِيلٌ هذه الكلمه تذكر بالموت وسرعه زوال الدنيا و قال أبو العلاء نفسى وجسمى لما استجمعا صنعا ||
شرا إلى فجل الواحد الصمد فالجسم يعذل فيه النفس مجتهدا || وتلك تزعم أن الظالم الجسد إذاهما بعد طول الصحبه افترقا ||
فإن ذاك لأحداث الزمان يد وأصبح الجوهر الحساس فى محن || موصوله واستراح الآخر الجمد [صفحه ٣٩٥]

١٧١

قَدْ أَضَاءَ الصَّبْحُ لِدِي عَيْنَيْنِ هَذَا الْكَلَامِ جَارِ مَجْرَى الْمَثَلِ وَمِثْلُهُ وَالشَّمْسُ لَا تَخْفَى عَنِ الْأَبْصَارِ . وَمِثْلُهُ إِنْ الْغَزَالَةُ لَا تَخْفَى عَنِ
الْبَصْرِ . وَقَالَ ابْنُ هَانئٍ يَمْدَحُ الْمُعْتَزَّ فَاسْتَيْقِظُوا مِنْ رَقْدَةٍ وَتَبَهُوا || مَا بِالصَّبَاحِ عَنِ الْعْيُونِ خَفَاءَ لَيْسَتْ سَمَاءُ اللَّهِ مَاتَرُونَهَا || لَكِنْ
أَرْضًا تَحْتَوِيهِ سَمَاءُ [صفحه ٣٩٦]

١٧٢

تَرَكَ الذَّنْبَ أَهْوَنُ مِنْ طَلَبِ التَّوْبَةِ هَذَا حَقٌّ لِأَنَّ تَرَكَ الذَّنْبَ هُوَ الْإِحْجَامُ عَنْهُ وَهَذَا سَهْلٌ عَلَى مَنْ يَعْرِفُ أَثَرَ الذَّنْبِ عَلَى مَاذَا
يَكُونُ وَهُوَ أَسْهَلُ مِنْ أَنْ يُوَاقِعَ الْإِنْسَانَ الذَّنْبَ ثُمَّ يَطْلُبُ التَّوْبَةَ فَقَدْ لَا يَخْلُصُ دَاعِيَهُ إِلَيْهَا ثُمَّ لَوْ خَلَصَ فَكَيْفَ لَهُ بِحَصُولِهِ عَلَى
شُرُوطِهَا وَهِيَ أَنْ يَنْدَمَ عَلَى الْقَبِيحِ لِأَنَّهُ قَبِيحٌ لِأَلْخَوْفِ الْعِقَابِ وَ لِالْجَاءِ الثَّوَابِ ثُمَّ لَا يَكْفِيهِ أَنْ يَتُوبَ مِنَ الزَّانَا وَحْدَهُ وَ لَا مِنْ
شَرِبِ الْخَمْرِ وَحْدَهُ بَلْ لَا تَصِحُّ تَوْبَتُهُ حَتَّى تَكُونَ عَامَةً شَامِلَةً لِكُلِّ الْقَبَائِحِ فَيَنْدَمُ عَلَى مَا قَالَ وَيُودِ أَنْهُ لَمْ يَفْعَلْ وَيَعْزِمُ عَلَى الْإِعَاوَدِ
مَعْصِيَةً أَصْلًا وَ إِنْ نَقَضَ التَّوْبَةَ عَادَتْ عَلَيْهِ الْآثَامُ الْقَدِيمَةُ وَالْعِقَابُ الْمَسْتَحَقُّ وَ لَا الَّذِي كَانَ سَقَطَ بِالتَّوْبَةِ عَلَى رَأْيِ كَثِيرٍ مِنْ
أَرْبَابِ عِلْمِ الْكَلَامِ وَ لِارْتِيَابِ أَنْ تَرَكَ الذَّنْبَ مِنَ الْإِبْتِدَاءِ أَسْهَلُ مِنْ طَلَبِ تَوْبَةٍ هَذِهِ صِفَتُهَا . وَ هَذَا الْكَلَامُ جَارِ مَجْرَى الْمَثَلِ يَضْرِبُ
لِمَنْ يَشْرَعُ فِي أَمْرٍ يَخَاطِرُ فِيهِ وَيُرْجُو أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْهُ فِيمَا بَعْدَ بَوَاجِهِ مِنَ الْوَجْهِ [صفحه ٣٩٧]

١٧٣

إشارة

كَمْ مِنْ أَكْلَةٍ تَمَنَعَتْ أَكْلَمَاتٍ أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى بِلَفْظِهِ الْحَرِيرَى فَقَالَ فِي الْمَقَامَاتِ رَبُّ أَكْلَةٍ هَاضَتْ الْآكِلَ وَمَنْعَتْهُ مَا أَكَلَ وَأَخَذَهُ
أَبُو الْعَلَاءِ الشَّاعِرُ فَقَالَ فِي سُنُونِهِ الَّذِي يَرِثُهُ أَرَدَتْ أَنْ تَأْكَلَ الْفَرَاخَ وَ لَا || يَا كَلْكَ الدَّهْرَ أَكَلَ مَضْطَهْدًا يَا مِنْ لَذِيذِ الْفَرَاخِ
أَوْقَعَهُ || وَيَحْكُ هَلَا قَنَعَتْ بِالْقَدْدِ كَمْ أَكَلَتْ خَامَرْتُ حَشَا شَرَهُ || فَأَخْرَجَتْ رُوحَهُ مِنَ الْجَسَدِ

نوادير المكثرين من الأكل

و كان ابن عياش المنتوف يمازح المنصور أبا جعفر فيحتمله على أنه كان جدا كله فقدم المنصور لجلسائه يوما بطه كثيرة الدهن
فأكلوا وجعل يأمرهم بالازدياد من الأكل لطيبها فقال ابن عياش قد علمت غرضك يا أمير المؤمنين إنما تريد أن ترميهم منها
بالحجاب يعنى الهيضة فلا يأكلوا إلى عشرة أيام شيئا. و فى المثل أكلة أبى خارجة و قال أعرابى و هو يدعو الله بباب الكعبة اللهم

قدحا فشربته فهزنى وجاءته جارية ببرمة فيهاناهضان ودجاجتان وأرغفه فأكل ذلك كله ثم جاءته جارية أخرى بقصعة مغطاة لا أدري ما فيها فضحك إلى الجارية فقال ويحك لم يبق في بطني موضع لهذا فضحكت الجارية وانصرفت فقال لى الحق بأهلك . [صفحہ ۴۰۱] و كان عنبسہ بن زياد أکولا نهما فحدث رجل من ثقیف قال دعانى عبيد الله الأحمر فقلت لعنبسہ هل لك ياذبحه و كان هذالقبه فى إتيان الأحمر فمضينا إليه فلما رآه عبيد الله رحب به و قال للخباز ضع بين يدي هذامثل ماتضع بين يدي أهل المائدة كلهم فجعل يأتيه بقصعة و أهل المائدة بقصعة و هو يأتي عليها ثم أتاه بجدي فأكله كله ونهض القوم فأكل كل ماتخلف على المائدة وخرجنا فلقينا خلف بن عبد الله القطامي فقال له ياخلف أ ماتغدينى يوما فقلت لخلف ويحك لا تجده مثل اليوم فقال له ماتشتهى قال تمرا وسمنا فانطلق به إلى منزله فجاء بخمس جلال تمرا وجره سمنا فأكل الجميع وخرج فمر برجل بينى داره ومعه مائة رجل و قدقدم لهم سمنا وتمرا فدعاه إلى الأكل معهم فأكل حتى شكوه إلى صاحب الدار ثم خرج فمر برجل بين يديه زنبيل فيه خبز أرز يابس بسمس و هو يبيعه فجعل يساومه و يأكل حتى أتى على الزنبيل فأعطيت صاحب الزنبيل ثمن خبزه . و كان ميسره الرأس أکولا حكى عنه عندالمهدى محمد بن المنصور أنه يأكل كثيرا فاستدعاه وأحضر فيلا وجعل يرمى لكل واحد منهما رغيفا حتى أكل كل واحد منهما تسعة وتسعين رغيفا وامتنع الفيل من تمام المائة وأكل ميسره تمام المائة وزاد عليها . و كان أبو الحسن العلاف والد أبى بكر بن العلاف الشاعر المحدث أکولا دخل يوما على الوزير أبى بكر محمدالمهلبى فأمر الوزير أن يؤخذ حماره فيذبح ويطبخ بماء وملح ثم قدم له على مائدة الوزير فأكل و هو يظنه لحم [صفحہ ۴۰۲] البقر ويستطيعه حتى أتى عليه فلما خرج ليركب طلب الحمار فقيل له فى جوفك . و كان أبو العالیه أکولا نذرت امرأه حامل إن أتت بذكر تشبع أبا العالیه خييصا فولدت غلاما فأحضرتة فأكل سبع جفان خييصا ثم أمسك وخرج فقيل له إنها كانت نذرت أن تشبعك فقال و الله لو علمت ماشبعت إلى الليل [صفحہ ۴۰۳]

۱۷۴

الناس أعداء ما جهلوا هذه الكلمة قد تقدمت وتقدم منا ذكر نظائرها والعلّة فى أن الإنسان عدو ما يجهله أنه يخاف من تقريره بالنقص وبعدم العلم بذلك الشىء خصوصا إذا ضمه ناد أو جمع من الناس فإنه تتصاغر نفسه عنده إذا خاضوا فيما لا يعرفه وينقص فى أعين الحاضرين و كل شىء آذاك ونال منك فهو عدوك [صفحہ ۴۰۴]

۱۷۵

مَنِ اسْتَقْبَلَ وُجُوهَ الْآرَاءِ عَرَفَ مَوَاقِعَ الْخَطَاِ قَدَقَالُوا فى المثل شر الرأى الدبرى . و قال الشاعر وخير الرأى ما استقبلت منه || و ليس بأن تتبعه اتباعا . و ليس المراد بهذا الأمر سرعة فضل الحال لأول خاطر ولأول رأى إن ذلك خطأ وقديما قيل دع الرأى يغب . وقيل كل رأى لم يخمر ويبيت فلاخير فيه . وإنما المنهى عنه تضييع الفرصة فى الرأى ثم محاولة الاستدراك بعد أن فات وجه الرأى فذاك هو الرأى الدبرى [صفحہ ۴۰۵]

۱۷۶

مَنْ أَحَدَّ سِتَانَ الْعُضْبِ لِلَّهِ قَوِيَّ عَلَى قَتْلِ أَشْدَاءِ الْبَاطِلِ هَذَا من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والكلمة تتضمن استعارة تدل على الفصاحة والمعنى أن من أهدف عزمه على إنكار المنكر وقوى غضبه فى ذات الله و لم يخف و لم يراقب مخلوقا أعانه

إِذَا هَبَّتْ أَمْرًا فَفَعَّ فِيهِ فَإِنَّ شِدَّةَ تَوَقِّيهِ أَعْظَمُ مِمَّا تَخَافُ مِنْهُ مَا أَحْسَنَ مَا قَالَ الْمُتَنَبِّي فِي هَذَا الْمَعْنَى وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بَدِئًا
فَمِنَ الْعَجْزِ أَنْ تَكُونَ جَبَانًا كُلِّ مَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الصَّعْبِ فِي الْأَنْفَسِ || سَهْلٌ فِيهَا إِذَا هُوَ كَانَا . وَقَالَ آخِرُ لَعْمَرِكَ مَا الْمَكْرُوهُ
إِلَّا رَتَقَابَهُ || وَأَعْظَمُ مِمَّا حَلَّ مَا يَتَوَقَّعُ . وَقَالَ آخِرُ صَعُوبَةِ الرِّزْقِ تَلْقَى فِي تَوَقُّعِهِ || مُسْتَقْبَلًا وَإِنْقِضَاءَ الرِّزْقِ أَنْ يَقْعَا . وَكَانَ يُقَالُ
تَوَسُّطَ الْخَوْفِ تَأْمَنُ . وَ مِنَ الْأَمْثَالِ الْعَامِيَةِ أَمُّ الْمَقْتُولِ تَنَامُ وَأَمُّ الْمَهْدِيِّ لَا تَنَامُ . وَ كَانَ يُقَالُ كُلُّ أَمْرٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْشَرَ فَسَمَاعُهُ أَعْظَمُ
مِنْ عِيَانِهِ . وَقَالَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْمَلَّةِ وَلَيْسُوا عِنْدَ أَصْحَابِنَا مُصَيِّبِينَ إِنْ عَذَابُ الْآخِرَةِ الْمَتَوَعَّدُ بِهِ إِذَا حُلَّ بِمُسْتَحْقِيهِ وَجَدَّوهُ أَهْوَنُ مِمَّا
كَانُوا يَسْمَعُونَهُ فِي الدُّنْيَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَتِهِ ذَلِكَ [صفحة ٤٠٧]

آلَةُ الرَّئِيسِيَّةِ سَيِّعَةُ الصَّيْدِ الرَّئِيسِ مُحْتَاجٌ إِلَى أُمُورٍ مِنْهَا الْجُودُ وَمِنْهَا الشَّجَاعَةُ وَمِنْهَا وَهُوَ الْأَهْمُ سَعَةُ الصَّدْرِ فَإِنَّهُ لَا تَتِمُّ الرَّئِيسِيَّةُ
إِلَّا بِذَلِكَ . وَ كَانَ مَعَاوِيَةُ وَاسِعَ الصَّدْرِ كَثِيرَ الْإِحْتِمَالِ وَبِذَلِكَ بَلَغَ مَا بَلَغَ

سعة الصدر و ماورد في ذلك من حكايات

ونحن نذكر من سعة الصدر حكايتين داليتين على عظم محله في الرئاسة و إن كان مذموما في باب الدين و ما أحسن قول الحسن
فيه و قد ذكر عنده عقيب ذكر أبي بكر و عمر فقال كانا و الله خيرا منه و كان أسود منهما. الحكاية الأولى و قد أهل الكوفة على
معاوية حين خطب لابنه يزيد بالعهد بعده و في أهل الكوفة هانئ بن عروة المرادي و كان سيدا في قومه فقال يوما في مسجد
دمشق و الناس حوله العجب لمعاوية يريد أن يقسرنا على بيعه يزيد و حاله حاله و ماذا ك و الله بكائن و كان [صفحة ٤٠٨] في
القوم غلام من قريش جالسا فتحمل الكلمة إلى معاوية فقال معاوية أنت سمعت هانئا يقولها قال نعم قال فاخرج فأث حلقته
فإذا خف الناس عنه فقل له أيها الشيخ قد وصلت كلمتك إلى معاوية و لست في زمن أبي بكر و عمر و لا أحب أن تتكلم بهذا
الكلام فإنهم بنو أمية و قد عرفت جرأتهم و إقدامهم و لم يدعني إلى هذا القول لك إلا النصيحة و الإشفاق عليك فانظر ما يقول
فأنتى به . فأقبل الفتى إلى مجلس هانئ فلما خف من عنده دنا منه فقص عليه الكلام و أخرجه مخرج النصيحة له فقال هانئ و الله
يا ابن أخي ما بلغت نصيحتك كل ما أسمع و إن هذا الكلام لكلام معاوية أعرفه فقال الفتى و ما أنا و معاوية و الله ما يعرفني قال
فلا عليك إذالقيته فقل له يقول لك هانئ و الله ما إلى ذلك من سبيل انهض يا ابن أخي راشدا. فقام الفتى فدخل على معاوية
فأعلمه فقال نستعين بالله عليه . ثم قال معاوية بعد أيام للوفد ارفعوا حوائجكم و هانئ فيهم فعرض عليه كتابه فيه ذكر حوائجه فقال
يا هانئ ما أراك صنعت شيئا زد فقام هانئ فلم يدع حاجة عرضت له إلا و ذكرها ثم عرض عليه الكتاب فقال أراك قصرت فيما
طلبت زد فقام هانئ فلم يدع حاجة لقومه و لا لأهل مصره إلا ذكرها ثم عرض عليه الكتاب فقال ما صنعت شيئا زد فقال يا أمير

المؤمنين حاجه بقيت قال ماهى قال أن أتولى أخذ البيعة ليزيد ابن أمير المؤمنين بالعراق قال افعل فما زلت لمثل ذلك أهلا فلما قدم هانىء العراق قام بأمر البيعة ليزيد بمعونته من المغيرة بن شعبه و هو الوالى بالعراق يومئذ. [صفحة ٤٠٩] و أما الحكاية الثانية كان مال حمل من اليمن إلى معاوية فلما مر بالمدينة وثب عليه الحسين بن على ع فأخذه وقسمه فى أهل بيته ومواليه وكتب إلى معاوية من الحسين بن على إلى معاوية بن أبى سفيان أما بعد فإن عيرا مرت بنا من اليمن تحمل مالا وحللا وعنبرا وطيبا إليك لتودعها خزائن دمشق وتعل بها بعد النهل بنى أيبك وإنى احتجت إليها فأخذتها و السلام -روايت- ١-٣٤٦. فكتب إليه معاوية من عند عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى الحسين بن على سلام عليك أما بعد فإن كتابك ورد على تذكر أن عيرا مرت بك من اليمن تحمل مالا وحللا وعنبرا وطيبا إلى لأودعها خزائن دمشق وأعل بها بعد النهل بنى أبى وأنك احتجت إليها فأخذتها و لم تكن جديرا بأخذها إذ نسبتها إلى لأن الوالى أحق بالمال ثم عليه المخرج منه وايم الله لو ترك ذلك حتى صار إلى لم أبخسك حظك منه ولكنى قد ظننت يا ابن أخى أن فى رأسك نزوة وبودى أن يكون ذلك فى زمانى فأعرف لك قدرك وأتجاوز عن ذلك ولكنى والله أتخوف أن تتلى بمن لا ينظر فواق ناقة وكتب فى أسفل كتابه يا حسين بن على ليس ما || جئت بالسائغ يوما فى العلل أخذك المال و لم تؤمر به || إن هذا من حسين لعجل قد أجزأها و لم نغضب لها || واحتملنا من حسين ما فعل يا حسين بن على ذا الأمل || لك بعدى وثبة لا تحتمل وبودى أننى شاهدتها || فإليها منك بالخلق الأجل إننى أرهب أن تصلى بمن || عنده قد سبق السيف العذل . و هذه سعة صدر وفراسه صادقة [صفحة ٤١٠]

١٧٩

ازجر الميىء بتواب المحسن قد قال ابن هانىء المغربى فى هذا المعنى لو لانبعاث السيف و هو مسلط || فى قتلهم قتلتم النعماء فأفصح به أبو العتاهية فى قوله إذا جازيت بالإحسان قوما || زجرت المذنبين عن الذنوب فما لك و التناول من بعيد || ويمكنك التناول من قريب [صفحة ٤١١]

١٨٠

احصيد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك هذا يفسر على وجهين أحدهما أنه يريد لا تضمر لأخيك سوءا فإنك لا تضمر ذاك إلا يضمر هو لك سوءا لأن القلوب يشعر بعضها ببعض فإذا صفت لواحد صفا لك . والوجه الثانى أن يريد لا تعظ الناس و لا تنههم عن منكر إلا- و أنت مقلع عنه فإن الواعظ الذى ليس بزكى لا ينجع وعظه و لا يؤثر نهيه . و قد سبق الكلام فى كلا المعنيين [صفحة ٤١٢]

١٨١

اللجاجة تسأل الرأى هدامشقق من قوله ع لارأى لمن لا يطاع -روايت- ١-٢-روايت- ١٢-٣٣ و ذلك لأن عدم الطاعة هو اللجاجة و هو خلق يتركب من خلقين أحدهما الكبر والآخر الجهل بعواقب الأمور وأكثر ما يعترى الولاء لما يأخذهم من العزة بالإثم . و من كلام بعض الحكماء إذا اضطرت إلى مصاحبة السلطان فابدأ بالفحص عن معتاد طبعه ومألوف خلقه ثم استحدث لنفسك طبعاً ففرغه فى قالب إرادته وخلقاً تركبه مع موضع وفاقه حتى تسلم معه و إن رأيت يهوى فنا من فنون المحبوبات فأظهر هواك لضد ذلك الفن ليبعد عنك إرهابه بل ويكثر سكونه إليك و إذا بدا لك منه فعل ذميم فأياك أن تبدأه فيه بقول ما لم يستبدل فيه

نصحك ويستدعى رأيك و إن استدعى ذاك فليكن ماتفاوضه فيه بالرفق والاستعطاف لبالخشونهُ والاستنكاف فيحمله اللجاج المركب في طبع الولاة على ارتكابه فكل وال لجوج و إن علم مايتعقبه لجاجه من الضرر و أن اجتنابه هو الحسن [صفحہ ۴۱۳]

۱۸۲

الطَّمْعُ رِقٌّ مُؤَيَّدٌ هَذَا الْمَعْنَى مَطْرُوقٌ جِدًّا وَقَدْ سَبَقَ لَنَا فِيهِ قَوْلُ شَافٍ . وَقَالَ الشَّاعِرُ تَعَفَّفْ وَعَشْ حِرًّا وَلَا تَكُ طَامِعًا || فَمَا قَطَعَ الْأَعْنَاقَ إِلَّا الْمَطَامِعُ . وَفِي الْمَثَلِ أَطْمَعُ مِنْ أَشْعَبِ رَأْيٍ سَلَالًا يَصْنَعُ سَلَةً فَقَالَ لَهُ أَوْسَعُهَا قَالَ مَا لَكَ وَذَاكَ قَالَ لَعَلَّ صَاحِبَهَا يَهْدِي لِي فِيهَا شَيْئًا . وَمَرَّ بِمَكْتَبِ وَغَلَامٍ يَقْرَأُ عَلَى الْأَسْتَاذِ إِنْ أَبِي يَدْعُوكَ فَقَالَ قُمْ بَيْنَ يَدَيِ حَفِظَكَ اللَّهُ وَحَفِظْ أَبَاكَ فَقَالَ إِنَّمَا كُنْتُ أَقْرَأُ وَرَدِي فَقَالَ أَنْكَرْتُ أَنْ تَفْلَحَ أَوْ يَفْلَحَ أَبُوكَ . وَقِيلَ لَمْ يَكُنْ أَطْمَعُ مِنْ أَشْعَبِ إِلَّا كَلْبُهُ رَأَى صُورَةَ الْقَمَرِ فِي الْبُئْرِ فَظَنَّهُ رَغِيْفًا فَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْبُئْرِ يَطْلُبُهُ فَمَاتَ [صفحہ ۴۱۴]

۱۸۳

ثَمَرَةُ التَّفْرِيطِ النَّدَامِيَّةُ وَثَمَرَةُ الْحَزْمِ السَّيِّئَةُ قَدْ سَبَقَ مِنَ الْكَلَامِ فِي الْحَزْمِ وَالتَّفْرِيطِ مَا فِيهِ كِفَايَةٌ وَكَانَ يُقَالُ الْحَزْمُ مَلَكَةٌ يُوْجِبُهَا كَثْرَةُ التَّجَارِبِ وَأَصْلُهُ قُوَّةُ الْعَقْلِ فَإِنَّ الْعَاقِلَ خَائِفٌ أَبَدًا وَالْأَحْمَقُ لَا يَخَافُ وَإِنْ خَافَ كَانَ قَلِيلَ الْخَوْفِ وَ مِنْ خَافَ أَمْرًا تَوَقَّاهُ فَهَذَا هُوَ الْحَزْمُ . وَكَانَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيُّ مِنْ عَقْلَاءِ الرِّجَالِ وَذَوِي الْحَزْمِ وَالرَّأْيِ وَحَكِي أَبُو الْعَبَّاسِ الْمِيرْدَقِيُّ قَالَ زِيَادُ لِأَبِي الْأَسْوَدِ وَقَدْ أَسْنَى لَوْ لَا ضَعْفَكَ لَا سَتَعْمَلْنَاكَ عَلَى بَعْضِ أَعْمَالِنَا فَقَالَ أَلْصِرَاعُ يَرِيدُنِي الْأَمِيرُ قَالَ زِيَادُ إِنْ لِلْعَمَلِ مَثُونَةٌ وَلَا أَرَاكَ إِلَّا تَضَعْفُ عَنْهُ فَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ زَعَمَ الْأَمِيرُ أَبُو الْمَغِيرَةِ إِنْ نِيَّ || شَيْخٌ كَبِيرٌ قَد دَنَوْتُ مِنَ الْبَلِيِّ صَدَقَ الْأَمِيرُ لَقَدْ كَبُرَتْ وَإِنَّمَا || نَالَ الْمَكَارِمَ مِنْ يَدِ بِي عَلَى الْعَصَا يَا بَا الْمَغِيرَةِ رَبِّ أَمْرٍ مَبْهَمٍ || فَرَجَّتْ بِالْحَزْمِ مِنْهَا وَالدَّهَاءُ . وَكَانَ يُقَالُ مِنَ الْحَزْمِ وَالتَّوْقَى تَرَكَ الْإِفْرَاطَ فِي التَّوْقَى . لَمَا نَزَلَ بِمَعَاوِيَةَ الْمَوْتَ وَقَدِمَ عَلَيْهِ يَزِيدُ ابْنُهُ فَرَأَاهُ مَسْكِنًا لَا يَتَكَلَّمُ بِكِي وَأَنْشَدَ لَوْفَاتِ شَيْءٍ يَرَى لِفَاتِ أَبُو || حِيَانَ لَا عَاجِزَ وَ لَا وَاكِلَ الْحَوْلِ الْقَلْبِ الْأَرِيْبِ وَ لَا || تَدْفَعُ يَوْمَ الْمَنِيَةِ الْحَيْلَ [صفحہ ۴۱۵]

۱۸۴

مَنْ لَمْ يُنْجِهِ الصَّبْرُ أَهْلَكَهُ الْجَزَعُ قَدْ تَقَدَّمَ لَنَا قَوْلُ شَافٍ فِي الصَّبْرِ وَالْجَزَعِ . وَكَانَ يُقَالُ مَا أَحْسَنَ الصَّبْرَ لَوْ لَا أَنَّ النِّفْقَةَ عَلَيْهِ مِنَ الْعَمْرِ أَخَذَهُ شَاعِرٌ فَقَالَ وَإِنِّي لِأَدْرِي أَنَّ فِي الصَّبْرِ رَاحَةً || وَلَكِنْ إِنْ فَاقَى عَلَى الصَّبْرِ مِنْ عَمْرِي . وَقَالَ ابْنُ أَبِي الْعَلَاءِ يَسْتَبْطِئُ بَعْضُ الرُّؤَسَاءِ فَإِنْ قِيلَ لِي صَبْرًا فَلَا صَبْرَ لِلذِّي || غَدَا بِيَدِ الْأَيَّامِ تَقْتُلُهُ صَبْرًا وَ إِنْ قِيلَ لِي عَذْرًا فَوَاللَّهِ مَا أَرَى || لِمَنْ مَلِكُ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ يَجِدْ عَذْرًا . فَإِنْ قُلْتَ أَيُّ فَائِدَةٍ فِي قَوْلِهِ عَ مِنْ لَمْ يَنْجِهِ الصَّبْرَ أَهْلَكَهُ الْجَزَعُ وَهَلْ هَذَا إِلَّا كَقَوْلِهِ مِنْ قَالَ مِنْ لَمْ يَجِدْ مَا يَأْكُلُ ضَرَّةَ الْجَوْعِ . قُلْتَ لَوْ كَانَتِ الْجَهَّةُ وَاحِدَةً لَكَانَ الْكَلَامُ عَثَا إِلَّا أَنَّ الْجَهَّةَ مُخْتَلِفَةٌ لِأَنَّ مَعْنَى كَلَامِهِ عَ مِنْ لَمْ يَخْلُصْهُ الصَّبْرُ مِنْ هُمُومِ الدُّنْيَا وَغُمُومِهَا هَلَكْتَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْآخِرَةِ بِمَا يَسْتَبْدِلُهُ مِنَ الصَّبْرِ بِالْجَزَعِ وَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَصْبِرْ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ يَجْزَعُ وَ كُلُّ جَازِعٍ آثِمٌ وَالْإِثْمُ مَهْلِكَةٌ فَلَمَّا اخْتَلَفَتِ الْجَهَّةُ وَكَانَتْ تَارَةً لِلدُّنْيَا وَتَارَةً لِلْآخِرَةِ لَمْ يَكُنْ الْكَلَامُ عَثَا بَلْ كَانَ مَفِيدًا [صفحہ ۴۱۶]

۱۸۵

وَاعْجَبْنَا أَنْ تَكُونَ الْخِلَافَةَ بِالصِّحَابِ وَ لَمَا تَكُونَ بِالصِّحَابِ وَ الْقَرَابَةِ قَالَ الرضی رحمہ اللہ تعالیٰ و قدروی له شعر قریب من هذا المعنى و هو -روایت- ۱-۷۴ فإن كنت بالشورى ملكت أمورهم || فكيف بهذا والمشرون غيب و إن كنت بالقربى حججت خصيمهم || فغيرك أولى بالنبي وأقرب حديثه ع فى النثر والنظم المذكورين مع أبى بكر وعمر أما النثر فإلى عمر توجيهه لأن أبابكر لما قال لعمر امدد يدك قال له عمر أنت صاحب رسول الله فى المواطن كلها شدتها ورخائها فامدد أنت يدك فقال على ع إذا احتججت لاستحقاقه الأمر بصحبته إياه فى المواطن كلها فهلا سلمت الأمر إلى من قد شرکه فى ذلك وزاد عليه بالقرابة -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۷-۱۳۹ و أما النظم فموجه إلى أبى بكر لأن أبابكر حاج الأنصار فى السقيفة فقال نحن عتره رسول الله ص وبيضته التى تفتأت عنه -روایت- ۱-۲-روایت- ۹-۶۰ فلما بوع احتج على الناس بالبيعة وأنها صدرت عن أهل الحل والعقد فقال على ع أما احتجاجك على الأنصار بأنك من بيضة رسول الله ص و من قومه فغيرك أقرب نسبا منك إليه و أما احتجاجك بالاختيار ورضا الجماعة بك فقد كان قوم من جملة الصحابة غائبين لم يحضروا العقد فكيف يثبت -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۷-۲۱۷ . واعلم أن الكلام فى هذا تضمنه كتب أصحابنا فى الإمامة ولهم عن هذا القول أجوبة ليس هذا موضع ذكرها

المجلد ۱۹

الجزء التاسع عشر

تتمة باب الحكم والمواعظ

إشاره

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الواحد العدل

۱۸۶

إِنَّمَا الْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا عَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ الْمَنَايَا وَ نَهْبٌ تُبَادِرُهُ الْمَصَائِبُ وَ مَعَ كُلِّ جُرْعَةٍ شَرَقٌّ وَ فِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ وَ لَا يَنَالُ الْعَبْدُ نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقٍ أُخْرَى وَ لَمَا يَسْتَقْبَلُ يَوْمًا مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا بِفِرَاقٍ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ فَنَحْنُ أَعْوَانُ الْمُنُونِ وَ أَنْفُسُنَا نَصَبُ الْحُتُوفِ فَمِنْ أَيْنَ نَرْجُو الْبَقَاءَ وَ هَذَا اللَّيْلُ وَ النَّهَارُ لَمْ يَرْفَعَا مِنْ شَيْءٍ شَرَفًا إِلَّا أَسْرَعَا الْكُرَّةَ فِي هَيْدِمِ مَيَا بَنِيَا وَ تَفْرِيقِ مَيَا جَمْعًا قَدَسَبِقُ ذَرَّةٍ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ فِي أَثْنَاءِ خُطْبَتِهِ ع وَ قَدْ ذَكَرْنَا نَحْنُ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً فِي الدُّنْيَا وَ تَقَلَّبَهَا بِأَهْلِهَا . وَ مِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ طُوبَى لِلْهَارِبِ مِنَ زُخَارِفِ الدُّنْيَا وَ الصَّادِ عَنِ زَهْرَةٍ دَمْنَتِهَا وَ الْخَائِفِ عِنْدَ أَمَانَتِهَا وَ الْمَتَمِّهِ لُضْمَانِهَا وَ الْبَاكِي عِنْدَ ضَحْكِهَا إِلَيْهِ وَ الْمَتَوَاضِعِ عِنْدَ إِعْزَازِهَا لَهُ وَ النَّاطِرِ بَعِينَ عَقْلِهِ إِلَى فُضَائِحِهَا وَ الْمَتَأَمِّلِ لِقُبْحِ مِصَارِعِهَا وَ التَّارِكِ [صَفْحَةُ ۸] لِكَلَابِهَا عَلَى جِيْفِهَا وَ الْمَكْذِبِ لِمَوَاعِيدِهَا وَ الْمَتَيْقِظِ لِحُدُوعِهَا وَ الْمَعْرُضِ عَنِ لَمْعِهَا وَ الْعَامِلِ فِي إِمْهَالِهَا وَ الْمَتْرُودِ قَبْلَ إِعْجَالِهَا . قَوْلُهُ تَنْتَضِلُ النُّضْلُ شَيْءٌ يَرْمَى وَيُرْوَى تَبَادُرُهُ أَيْ تَبَادُرُهُ وَ الْغَرَضُ الْهَدَفُ . وَ النَّهْبُ الْمَالُ الْمَنْهُوبُ غَنِيمَةٌ وَ جَمْعُهُ نَهَابٌ . وَ قَدَسَبِقُ تَفْسِيرُ قَوْلِهِ لَا يَنَالُ الْعَبْدُ نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقٍ أُخْرَى وَ قَلْنَا إِنْ أَلْذَى حَصَلَتْ لَهُ لَذَةُ الْجَمَاعِ حَالِ مَا هِيَ حَاصِلَةٌ لَهُ لَا بَدَأَ أَنْ يَكُونَ مَفَارِقًا لَذَةُ الْأَكْلِ وَ الشَّرْبِ وَ كَذَلِكَ مِنْ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ يَكُونُ مَفَارِقًا حَالِ أَكْلِهِ وَ شَرْبِهِ لَذَةُ الرِّكْضِ عَلَى الْخَيْلِ فِي طَلَبِ الصَّيْدِ وَ نَحْوِ ذَلِكَ . قَوْلُهُ فَنَحْنُ أَعْوَانُ الْمُنُونِ لِأَنَّا نَأْكُلُ وَ نَشْرَبُ وَ نَجَامِعُ وَ نَرْكَبُ الْخَيْلَ وَ الْإِبِلَ وَ نَتَصَرَّفُ فِي الْحَاجَاتِ وَ الْمَآرِبِ وَ الْمَوْتِ إِنَّمَا يَكُونُ بِأَحَدِ هَذِهِ الْأَسْبَابِ إِمَّا مِنْ أَخْلَاطِ تَحَدُّثِهَا الْمَآكِلِ

والمشارب أو من سقطه يسقط الإنسان من دابة هوراكبها أو من ضعف يلحقه من الجماع المفرط أو لمصادمات واصطكاكات تصيبه عند تصرفه في مآربه وحركته وسعيه ونحو ذلك فكأننا نحن أعنا الموت على أنفسنا. قوله نصب الحتوف يروى بالرفع والنصب فمن رفع فهو خير المبتدأ و من نصبه جعله ظرفا [صفحہ ۹]

۱۸۷

لَمَّا خَيْرَ فِي الصَّيْمِ عَنِ الْحُكْمِ كَمَا أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي الْقَوْلِ بِالْجَهْلِ قَدْ تَكَرَّرَ ذِكْرُ هَذَا الْقَوْلِ وَتَكَرَّرَ مِنْهُ شَرْحُهُ وَشَرْحُ نَظَائِرِهِ وَكَانَ يُقَالُ مَا لِلإِنْسَانِ لَوْلَا اللِّسَانُ الْإِبْهِيمَةُ مَهْمَلَةٌ أَوْ صَوْرَةٌ مِمثَلَةٌ. وَكَانَ يُقَالُ لِللسانِ عَضُوٌّ إِنْ مَرِنْتَهُ مَرْنًا وَ إِنْ تَرَكْتَهُ خَزْنًا [صفحہ ۱۰]

۱۸۸

يَا ابْنَ آدَمَ مَا كَسَيْتَ فَوْقَ قُوَّتِكَ فَأَنْتَ فِيهِ خَازِنٌ لِغَيْرِكَ أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى بَعْضُهُمْ فَقَالَ مَا لِي أَرَاكَ الدَّهْرَ تَجْمَعُ دَائِبًا || أَلْبَعْلُ عَرَسَكَ لَا أَبَا لَكَ تَجْمَعُ . وَعَادَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الْأَهْتَمِ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ فَأَقْبَلَ عَبْدَ اللَّهِ بِصِرْهِ إِلَى صَنْدُوقٍ فِي جَانِبِ الْبَيْتِ ثُمَّ قَالَ لِلْحَسَنِ يَا أَبَا سَعِيدٍ فِيهِ مَائَةٌ أَلْفٌ لَمْ يُؤَدَّ مِنْهَا زَكَاةً وَ لَمْ تَوْصَلْ بِهَا رَحِمَ قَالَ الْحَسَنُ ثَكَلْتُكَ أَمَكُ فَلَمْ أَعْدِدْهَا قَالَ لِرُوعَةِ الزَّمَانِ وَمُكَاتِرَةِ الْإِخْوَانِ وَجَفْوَةِ السُّلْطَانِ ثُمَّ مَاتَ فَحَضَرَ الْحَسَنُ جَنَازَتَهُ فَلَمَّا دُفِنَ صَفَّقَ بِأَحْدَى رِاحَتَيْهِ الْأُخْرَى وَقَالَ إِنْ هَذَاتُ شَيْطَانُهُ فَحَذَرُهُ رُوعَةُ زَمَانِهِ وَجَفْوَةُ سُلْطَانِهِ وَمُكَاتِرَةُ إِخْوَانِهِ فِيمَا اسْتَوَدَعَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ فَادْخَرَهُ ثُمَّ خَرَجَ مِنْهُ كَثِيرًا حَزِينًا لَمْ يُؤَدَّ زَكَاةً وَ لَمْ يَصِلْ رَحِمًا ثُمَّ التَفَّتْ فَقَالَ أَيُّهَا الْوَارِثُ كُلُّ هُنَيْئًا فَقَدْ أَتَاكَ هَذَا الْمَالُ حَلَالًا فَلَا يَكُنْ عَلَيْكَ وَبِالْآتَاكَ مِمَّنْ كَانَ لَهُ جُمُوعًا مَنُوعًا يَرْكَبُ فِيهِ لَجْجَ الْبَحَارِ وَمُفَاوِزَ الْقَفَارِ مِنْ بَاطِلِ جَمْعِهِ وَ مِنْ حَقِّ مَنَعِهِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَضَرَّهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ جَمْعُهُ فَأَوْعَاهُ وَشَدَّهُ فَأَوْكَاهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَوْمَ ذِي حَسْرَاتٍ وَ إِنْ أَعْظَمَ الْحَسْرَاتُ أَنْ تَرَى مَالَكَ فِي مِيزَانِ غَيْرِكَ بَخَلْتُ بِمَالِ أَوْتِيَّتِهِ مِنْ رِزْقِ اللَّهِ أَنْ تَنْفَقَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ فَخَزَنْتَهُ لِغَيْرِكَ فَأَنْفَقَهُ فِي مَرَضَاتِهِ رَبِّهِ يَالِهَا حَسْرَةٌ لَا تَقَالُ وَرَحْمَةٌ لَا تَنَالُ إِنْ أَلَا اللَّهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ [صفحہ ۱۱]

۱۸۹

إِنَّ لِلْقُلُوبِ شَهْوَةً وَ إِقْبَالَ وَ إِدْبَارًا فَاتُّوْهَا مِنْ قِبَلِ شَهْوَتِهَا وَ إِقْبَالِهَا فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا أُكْرِهَ عَمِيَ قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي هَذَا الْمَعْنَى . وَالْعَلَّةُ فِي كَوْنِ الْقَلْبِ يَعْمَى إِذَا أُكْرِهَ عَلَى مَا لَا يَجِبُهُ أَنْ الْقَلْبُ عَضُوٌّ مِنَ الْأَعْضَاءِ يَتَعَبُ وَيَسْتَرِيحُ كَمَا تَتَعَبُ الْجِثَّةُ عِنْدَ اسْتِعْمَالِهَا وَأَحْمَالُهَا وَتَسْتَرِيحُ عِنْدَ تَرْكِ الْعَمَلِ كَمَا يَتَعَبُ اللِّسَانُ عِنْدَ الْكَلَامِ الطَّوِيلِ وَيَسْتَرِيحُ عِنْدَ الْإِمْسَاكِ وَ إِذَا تَوَاصَلَ إِكْرَاهُ الْقَلْبُ عَلَى أَمْرٍ لَا يَجِبُهُ وَ لَا يُؤْثِرُهُ تَعَبٌ لِأَنَّ فِعْلَ غَيْرِ الْمَحْبُوبِ مَتَعَبٌ أَلَا تَرَى أَنَّ جَمَاعَ غَيْرِ الْمَحْبُوبِ يَحْدُثُ مِنَ الضَّعْفِ أَوْ ضَعْفِ مَا يَحْدُثُهُ جَمَاعُ الْمَحْبُوبِ وَ الرُّكُوبُ إِلَى مَكَانٍ غَيْرِ الْمَحْبُوبِ مَتَعَبٌ وَ لَا يَشْتَهَى يَتَعَبُ الْبَدَنُ أَوْ ضَعْفُ مَا يَتَعَبُهُ الرُّكُوبُ إِلَى تَلْكَ الْمَسَافَةِ إِذَا كَانَ الْمَكَانُ مَحْبُوبًا وَ إِذَا تَعَبَ الْقَلْبُ وَأَعْيَا عَجَزَ عَنِ إِدْرَاكِ مَا نَكَلَفَهُ إِدْرَاكُهُ لِأَنَّ فِعْلَهُ هُوَ الْإِدْرَاكُ وَ كُلُّ عَضُوٍّ يَتَعَبُ فَإِنَّهُ يَعْجِزُ عَنِ فِعْلِهِ الْخَاصِّ بِهِ فَاذْءَجِزَ الْقَلْبُ عَنِ فِعْلِهِ الْخَاصِّ بِهِ وَ هُوَ الْعِلْمُ وَ الْإِدْرَاكُ فَذَاكَ هُوَ عَمَاهُ [صفحہ ۱۲]

۱۹۰

وَ كَانَ ع يَقُولُ مَتَى أَشْفِي غِيظِي إِذَا غَضِبْتُ أ حِينَ أَعْجَزُ عَنِ الْإِنْتِقَامِ فَيَقَالَ لِي لَوْ صَبَرْتُ أَمْ حِينَ أَقْدِرُ عَلَيْهِ فَيَقَالَ لِي لَوْ عَفَوْتُ قَد تَقَدَّمُ الْقَوْلُ فِي الْغَضَبِ مَرَارًا. وَ هَذَا الْفَصْلُ فَصِيحٌ لَطِيفٌ الْمَعْنَى قَالَ لِأَسْبِيلٍ لِي إِلَى شِفَاءِ غِيظِي عِنْدَ غَضَبِي لِأَنِّي إِذَا أَكُونُ قَادِرًا عَلَى الْإِنْتِقَامِ فَيَصْدُنِي عَنِ تَعْجِيلِهِ قَوْلَ الْقَائِلِ لَوْ غَفَرْتُ لَكَ أَنْ أُولَى وَإِنَّمَا أَلَا- أَكُونُ قَادِرًا عَلَى الْإِنْتِقَامِ فَيَصْدُنِي عَنْهُ كَوْنِي غَيْرَ قَادِرٍ عَلَيْهِ فَإِذَنْ لِأَسْبِيلٍ لِي إِلَى الْإِنْتِقَامِ عِنْدَ الْغَضَبِ . وَ كَانَ يُقَالُ الْعَقْلُ كَالْمَرْأَةِ الْمَجْلُوءَةِ يَصْدُنُهُ الْغَضَبُ كَمَا تَصْدَأُ الْمَرْأَةُ بِالْخَلِّ فَلَا يَثْبِتُ فِيهَا صُورَةُ الْقَبِيحِ وَ الْحَسَنِ . وَ اجْتَمَعَ سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ وَ فُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ فَتَذَكَّرَا الزَّهْدَ فَاجْمَعَا عَلَى أَنْ أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ الْحِلْمُ عِنْدَ الْغَضَبِ وَ الصَّبْرُ عِنْدَ الطَّمَعِ [صَفْحَةُ ١٣]

١٩١

وَ قَالَ ع وَ قَدْ مَرَّ بِقَدْرِ عَلَى مَرْبَلَةٍ هَذَا مَا بَخَلَ بِهِ الْبَاخِلُونَ وَ فِي حَبْرِ آخَرَ أَنَّهُ قَالَ هَذَا مَا كُنْتُمْ تَتَنَافَسُونَ فِيهِ بِالْأَمْسِ قَدْ سَبَقَ الْقَوْلُ فِي مِثْلِ هَذَا وَ أَنَّ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ مَرَّ عَلَى مَرْبَلَةٍ فَقَالَ انظروا إلى بطهم ودجاجهم وحلوائهم وعسلهم وسمنهم والحسن إنما أخذه من كلام أمير المؤمنين ع وقال ابن وكيع في قول المتنبي لو أفكر العاشق في منتهى || حسن الذي يسببه لم يسبه إنه أراد لو أفكر في حاله و هو في القبر و قد تغيرت محاسنه و سألت عيناه قال و هدامثل قولهم لو أفكر الإنسان فيما يثول إليه الطعام لعافته نفسه . و قد ضرب العلماء مثلا- للدينيا ومخالفة آخرها أولها ومضادة مبادئها عواقبها فقالوا إن شهوات الدنيا في القلب لذيدة كشهوات الأطمعة في المعدة وسيجد الإنسان عند الموت لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهة والتن والقبح ما يجده للأطعمة اللذيذة إذ اطبختها المعدة وبلغت غايه نضجها و كما أن الطعام كلما كان ألد طعما وأظهر حلاوة كان رجيعة أقدر وأشد تننا فكذلك كل شهوة في القلب أشهى وألد وأقوى [صَفْحَةُ ١٤] فَإِنَّ نَتْنَهَا وَ كِرَاهَتَهَا وَ التَّأْدِي بِهَا عِنْدَ الْمَوْتِ أَشَدُّ بَلْ هَذِهِ الْحَالُ فِي الدُّنْيَا مَشَاهِدَةٌ فَإِنَّ مِنْ نَهَبَتْ دَارَهُ وَ أَخَذَ أَهْلَهُ وَ وُلْدَهُ وَ مَالَهُ تَكُونُ مَصِيبَتُهُ وَ أَلَمُهُ وَ تَفْجَعُهُ فِي أَلْدَى فَقَدْ بِمَقْدَارِ لَذْتِهِ بِهِ وَ حَبَهُ لَهُ وَ حَرَصَهُ عَلَيْهِ فَكُلُّ مَا كَانَ فِي الْوُجُودِ أَشْهَى وَ أَلْدَى فَهُوَ عِنْدَ الْفَقْدِ أَدْهَى وَ أَمْرٌ وَ لَامَعْنَى لِلْمَوْتِ إِذَا لَفَقْدَ مَا فِي الدُّنْيَا. وَ قَدْ رَوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِلضَّحَّاكِ بْنِ سَفِيَانَ الْكَلَابِيِّ أَلَسْتَ تَوْتِي بِطَعَامِكَ وَ قَدْ قَزَحَ وَمَلَحَ ثُمَّ تَشْرَبُ عَلَيْهِ اللَّبْنَ وَ الْمَاءَ قَالَ بَلَى قَالَ فَإِلَى مَاذَا يَصِيرُ قَالَ إِلَى مَا قَدْ عَلِمْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ ضَرَبَ مِثْلَ الدُّنْيَا بِمَا يَصِيرُ إِلَيْهِ طَعَامُ ابْنِ آدَمَ - رَوَايَاتُ ١- ٢- رَوَايَاتُ ١٠- ٢٥٤- رَوَى أَبِي بِنِ كَعْبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا ضَرَبْتَ مِثْلًا لِابْنِ آدَمَ فَانظُرْ مَا يَخْرُجُ مِنْ ابْنِ آدَمَ وَ إِنْ كَانَ قَزَحَهُ وَ مَلَحَهُ إِلَى مَاذَا صَارَ - رَوَايَاتُ ١- ٢- رَوَايَاتُ ٤٤- ١٣٩ وَ قَالَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ رَأَيْتُهُمْ يَطْبُونَهُ بِالطَّيِّبِ وَ الْأَفَاوِيهِ ثُمَّ يَرْمُونَهُ حَيْثُ رَأَيْتُمْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِلَى رَجِيْعِهِ . وَ قَالَ رَجُلٌ لِابْنِ عَمْرِو بْنِ أَبِي رَافِعٍ أَنِ اسْأَلْكَ وَ اسْتَحْيِي فَقَالَ لَا تَسْتَحْيِي وَ سَلْ قَالَ إِذَا قَضَى أَحَدُنَا حَاجَتَهُ فَقَامَ هَلْ يَنْظُرُ إِلَى ذَلِكَ مِنْهُ فَقَالَ نَعَمْ إِنْ الْمَلِكُ يَقُولُ لَهُ انظُرْ هَذَا مَا بَخَلَ بِهِ انظُرْ إِلَى مَاذَا صَارَ - قُرْآن- ١٠٧- ١٤٠ [صَفْحَةُ ١٥]

١٩٢

لَمْ يَذْهَبْ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ مِثْلَ هَذَا قَوْلُهُمْ إِنْ الْمَصَائِبُ أَثْمَانُ التَّجَارِبِ . وَ قِيلَ لِعَالِمٍ فَقِيرٍ بَعْدَ أَنْ كَانَ غَنِيًّا أَيْنَ مَالِكَ قَالَ تَجَرَّتْ فِيهِ فَابْتَعَتْ بِهِ تَجْرِبَةَ النَّاسِ وَ الْوَقْتُ فَاسْتَفْتَدْتَ أَشْرَفَ الْعَوَاضِينَ [صَفْحَةُ ١٦]

١٩٣

إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ فَابْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ الْحِكْمَةِ هَذَا قَدْ تَكَرَّرَ وَتَكَرَّرَ مِنَّا ذِكْرُ مَا قَبِلَ فِي إِجْمَامِ النَّفْسِ وَالتَّنْفِيسِ عَنْهَا مِنْ كَرْبِ الْجَدِّ وَالْإِحْمَاضِ وَفَسْرْنَا مَعْنَى قَوْلِهِ عَ فَا بْتَعُوا لَهَا طَرَائِفَ الْحِكْمَةِ وَقَلْنَا الْمُرَادُ أَلَّا يَجْعَلَ الْإِنْسَانَ وَقْتَهُ كُلَّهُ مَصْرُوفًا إِلَى الْأَنْظَارِ الْعَقْلِيَّةِ فِي الْبِرَاهِينِ الْكَلَامِيَّةِ وَالْحِكْمِيَّةِ بَلْ يَنْقَلِبُهَا مِنْ ذَلِكَ أحيانًا إِلَى النَّظَرِ فِي الْحِكْمَةِ الْخَلْقِيَّةِ فَإِنَّهَا حِكْمَةٌ لَا تَحْتَاجُ إِلَى إِتْعَابِ النَّفْسِ وَالْخَاطِرِ. فَأَمَّا الْقَوْلُ فِي الدَّعَابَةِ فَقَدْ ذَكَرْنَاهُ أَيْضًا فِيمَا تَقَدَّمَ وَأَوْضَحْنَا أَنَّ كَثِيرًا مِنْ أَعْيَانِ الْحُكَمَاءِ وَالْعُلَمَاءِ كَانُوا ذَوِي دَعَابَةٍ مُقْتَصِدَةً لِمَسْرِفَتِهِ فَإِنَّ الْإِسْرَافَ فِيهَا يَخْرُجُ صَاحِبِهِ إِلَى الْخِلَاعَةِ وَلَقَدْ أَحْسَنَ مِنْ قَالَ أَفَدَ طَبْعَكَ الْمَكْدُودَ بِالْجِدِّ رَاحَةً || تَجَمُّ وَعَلَلَهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَرْحِ وَلَكِنْ إِذَا أُعْطِيَتْهُ ذَاكَ فَلْيَكُنْ || بِمَقْدَارِ مَا يُعْطَى الطَّعَامُ مِنَ الْمَلْحِ [صَفْحَةٌ ١٧]

١٩٤

وَ قَالَ عَ لَمَّا سَمِعَ قَوْلَ الْخَوَارِجِ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ كَلِمَةً حَقًّا يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ مَعْنَى قَوْلِهِ سَبَّحَانَهُ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَى إِذَا أَرَادَ شَيْئًا مِنْ أَعْمَالِ نَفْسِهِ فَلَا يَبْدُ مِنْ وَقُوعِهِ بِخِلَافِ غَيْرِهِ مِنَ الْقَادِرِينَ بِالْقُدْرَةِ فَإِنَّهُ لَا يَجِبُ حُصُولُ مَرَادِهِمْ إِذَا أَرَادُوهُ أَلَّا تَرَى مَا قَبِلَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَ ادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَ مَا أُعْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ خَافَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْإِصَابَةِ بِالْعَيْنِ إِذَا دَخَلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ فَأَمْرُهُمْ أَنْ يَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ وَ مَا أُعْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ أَى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِكُمْ سُوءًا لَمْ يَدْفَعْ عَنْكُمْ ذَلِكَ السُّوءَ مَا أُشْرَتْ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنَ التَّفَرُّقِ ثُمَّ قَالَ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَى لَيْسَ حَى مِنَ الْأَحْيَاءِ يَنْفِذُ حِكْمَهُ لِامْحَالَةِ وَمُرَادِهِ لَمَّا هُوَ مِنْ أَعْمَالِهِ إِلَّا الْحَى الْقَدِيمَ وَحَدَهُ فَهَذَا هُوَ مَعْنَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ وَضَلَّتِ الْخَوَارِجُ عِنْدَهَا فَأَنْكَرُوا عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَ مُوَافَقَتَهُ عَلَى التَّحْكِيمِ وَقَالُوا كَيْفَ يَحْكُمُ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ سَبَّحَانَهُ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ فَغَلَطُوا لِمَوْضِعِ اللَّفْظِ الْمَشْتَرَكِ وَ لَيْسَ هَذَا الْحُكْمُ هُوَ ذَلِكَ الْحُكْمُ فَإِذَنْ هِيَ كَلِمَةٌ حَقٌّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ لِأَنَّهَا حَقٌّ عَلَى الْمَفْهُومِ الْأَوَّلِ وَيُرِيدُ بِهَا الْخَوَارِجُ نَفَى كُلِّ مَا يُسَمَّى حُكْمًا إِذَا صَدَرَ عَنْ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَ ذَلِكَ بَاطِلٌ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَمْضَى حُكْمَ الْمَخْلُوقِينَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الشَّرَائِعِ -
قرآن-١٩-٤٣-قرآن-١٩٢-٣٣٦-قرآن-٤٣٧-٤٧٨-قرآن-٥٦٩-٥٩٣-قرآن-٨٢٣-٨٤٧ [صَفْحَةٌ ١٨]

١٩٥

وَ قَالَ عَ فِي صِفَةِ الْغَوْغَاءِ هُمْ الْمَدِينِ إِذَا اجْتَمَعُوا غَلَبُوا وَ إِذَا تَفَرَّقُوا لَمْ يُعْرَفُوا وَ قِيلَ بَلْ قَالَ عَ هُمْ الْمَدِينِ إِذَا اجْتَمَعُوا ضَرَبُوا وَ إِذَا تَفَرَّقُوا نَفَعُوا فَقِيلَ قَدْ عَلِمْنَا مَضْرُوبَةَ اجْتِمَاعِهِمْ فَمَا مَنَعَهُ أَفْتِرَاقِهِمْ فَقَالَ عَ يَرْجِعُ أَهْلُ الْمِهْنِ إِلَى مِهْنِهِمْ فَيَنْتَفِعُ النَّاسُ بِهِمْ كَرُجُوعِ الْبِنَاءِ إِلَى بِنَائِهِ وَ النَّسَاجِ إِلَى مَنْسَاجِهِ وَ الْخَبَازِ إِلَى مَخْبَزِهِ كَانَ الْحَسَنُ إِذَا ذَكَرَ الْغَوْغَاءَ وَ أَهْلَ السُّوقِ قَالَ قَتَلَهُ الْأَنْبِيَاءُ وَ كَانَ يُقَالُ الْعَامَةُ كَالْبَحْرِ إِذَا هَاجَ أَهْلُكَ رَاكِبَهُ وَ قَالَ بَعْضُهُمْ لَا تُسَبِّحُوا الْغَوْغَاءَ فَإِنَّهُمْ يَطْفِئُونَ الْحَرِيقَ وَيَنْقُذُونَ الْغَرِيقَ وَيَسُدُّونَ الْبُثُوقَ . وَ قَالَ شَيْخُنَا أَبُو عَثْمَانَ الْغَاغَةُ وَالْبَاغَةُ وَالْحَاكَةُ كَأَنَّهُمْ أَعْدَارُ عَامٍ وَاحِدٍ أَلَّا تَرَى أَنَّكَ لَا تَجِدُ أَبَدًا فِي كُلِّ بَلَدَةٍ وَ فِي كُلِّ عَصْرِ هَوْلَاءَ بِمَقْدَارِ وَاحِدٍ وَجْهَةً وَاحِدَةً مِنَ السَّخْفِ وَالنَّقْصِ وَالْخُمُولِ وَالْغَبَاوَةِ وَ كَانَ الْمَأْمُونُ يَقُولُ كُلُّ شَرٍّ وَظَلَمٍ فِي الْعَالَمِ [صَفْحَةٌ ١٩]
فهو صادر عن العامة والغوغاء لأنهم قتلوا الأنبياء والمغرون بين العلماء والنامون بين الأوداء ومنهم اللصوص وقطاع الطريق والطارون والمحتالون والساعون إلى السلطان فإذا كان يوم القيامة حشروا على عاداتهم في السعاية فقالوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَ كَبَرَاءَنَا فَأَصَلُّوْنَا السَّبِيلَا رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَ الْعَنْهُمْ لَعْنَا كَبِيرًا -قرآن-٢٢٩-٣٦٠ [صَفْحَةٌ ٢٠]

١٩٦

وَقَالَ ع وَ قَدْ أَتَيْتِ بِيَجَانٍ وَ مَعَهُ غَوَّاءٌ فَقَالَ لَأَ مَرَحِبًا بِوُجُوهِ لَأَ تُتْرَى إِلَّا عِنْدَ كُلِّ سَوَاءٍ أَخَذَ هَذَا اللَّفْظَ الْمُسْتَعِينِ بِاللَّهِ وَ قَدْ أَدْخَلَ عَلَيْهِ ابْنُ أَبِي الشَّوَّارِبِ الْقَاضِي وَمَعَهُ الشُّهُودُ لِيشهدوا عليه أنه قد دخل نفسه من الخلافه وبيع للمعتز بالله فقال لامرحبا بهذه الوجوه التي لا ترى إلا - يوم سوء. و قال من مدح الغوغاء والعامه إن في الحديث المرفوع أن الله ينصر هذا الدين بقوم لا خلاق لهم - روايت- ١- ٢- روايت- ٢٣- ٦٧. و كان الأحنف يقول أكرموا سفهاءكم فإنهم يكفونكم النار والعار. و قال الشاعر وإنى لأستبقى امرأ السوء عدو || لعدوة عريض من الناس جائب أخاف كلاب الأبعدين وهرشها || إذا لم تجاوبها كلاب الأقارب [صفحه ٢١]

١٩٧

إِنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ مَلَكَيْنِ يَحْفَظَانِهِ فَإِذَا جَاءَ الْقَدْرُ حَلِيًّا بَيْنَهُ وَ بَيْنَهُ وَ إِنَّ الْأَجَلَ جُنَّةٌ حَصِيئَةٌ قَدْ تَقَدَّمَ هَذَا وَقَلْنَا إِنَّهُ ذَهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْحِكْمَاءِ هَذَا الْمَذْهَبِ وَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَلَائِكَةٌ مَوْكَلَةٌ تَحْفَظُ الْبَشَرَ مِنَ التَّرْدِي فِي بَثْرٍ وَ مِنْ إصَابَةٍ سَهْمٍ مَعْتَرِضٍ فِي طَرِيقٍ وَ مِنْ رَفْسِ دَابَّةٍ وَ مِنْ نَهْشِ حَيَّةٍ أَوْلَسَعٍ عَقْرَبٍ وَ نَحْوِ ذَلِكَ وَ الشَّرَائِعُ أَيْضًا قَدْ وَرَدَتْ بِمِثْلِهِ وَ إِنَّ الْأَجَلَ جُنَّةٌ أَيْ دَرَعٌ وَ لِهَذَا فِي عِلْمِ الْكَلَامِ مَخْرَجٌ صَحِيحٌ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ أَصْحَابَنَا يَقُولُونَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا عَلِمَ أَنَّ فِي بَقَاءِ زَيْدٍ إِلَى وَقْتِ كَذَا لَطْفًا لَهُ أَوْ لغيره مِنَ الْمَكْلَفِينَ صَدَّ مِنْ يَهُمُ بِقَتْلِهِ عَنِ الْقَتْلِ بِالطَّافِ يَفْعَلُهَا تَصَدَّ عَنْهُ أَوْ تَصَرَّفَهُ عَنْهُ بِصَارِفٍ أَوْ يَمْنَعُهُ عَنْهُ بِمَانِعٍ كَيْ لَا يَقْطَعَ ذَلِكَ الْإِنْسَانَ بِقَتْلِ زَيْدٍ الْأَلْطَافِ الَّتِي يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهَا مَقْرَبَةٌ مِنَ الطَّاعَةِ وَ مَبْعُدَةٌ مِنَ الْمَعْصِيَةِ لِزَيْدٍ أَوْ لغيره فَقَدْ بَانَ أَنَّ الْأَجَلَ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ جُنَّةٌ حَصِيئَةٌ لَزِيدٍ مِنْ حَيْثُ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى بِاعْتِبَارِ ذَلِكَ الْأَجَلَ مَانِعًا مِنْ قَتْلِهِ وَ إِبْطَالِ حَيَاتِهِ وَ لِأَجْنَةِ أَحْصَنَ مِنْ ذَلِكَ [صفحه ٢٢]

١٩٨

وَ قَالَتْ ع وَ قَدْ قَالَ لَهُ طَلْحَةُ وَ الزَّبِيرُ نُبَايَعُكَ عَلَيَّ أَنَا شُرَكَاءُكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ فَقَالَ لَأَ وَ لَكِنَّا كَمَا شَرِيكَانِ فِي الْقُوَّةِ وَ الْإِسْتِعَانَةِ وَ عَوْنَانِ عَلَى الْعَجْرِ وَ الْأَوْدِ قَدْ ذَكَرْنَا هَذَا فِيمَا تَقَدَّمَ حَيْثُ شَرَحْنَا بَيْعَةَ الْمُسْلِمِينَ لَعَلِي ع كَيْفَ وَقَعَتْ بَعْدَ مَقْتَلِ عِثْمَانَ وَ لَقَدْ أَحْسَنَ فِيمَا قَالَ لِهَمَّا لِمَا سَأَلَاهُ أَنْ يَشْرَكَاهُ فِي الْأَمْرِ فَقَالَ أَمَا الْمَشَارَكَةُ فِي الْخِلَافَةِ فَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ وَ هَلْ يَصِحُّ أَنْ يَدْبِرَ أَمْرَ الرَّعِيَةِ إِمَامَانِ وَ هَلْ يَجْمَعُ السِّيفَانُ وَ يَحْكُمُ فِي غَمْدٍ . وَ إِنَّمَا تَشْرَكَانِي فِي الْقُوَّةِ وَ الْإِسْتِعَانَةِ أَيْ إِذْ قَوَى أَمْرِي وَ أَمْرَ الْإِسْلَامِ بِي قَوِيَّتِمَا أَنْتُمَا أَيْضًا وَ إِذْ عَجَزْتَ عَنْ أَمْرِ أَوْ تَأَوَّدْتَ عَلَى أَمْرِ أَيْ اعْوَجَّ كُنْتُمَا عَوْنِي لِي وَ مَسَاعِدِي عَلَى إِصْلَاحِهِ . فَإِنْ قُلْتَ فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ وَ الْإِسْتِعَانَةُ قُلْتَ الْإِسْتِعَانَةُ هَاهُنَا الْفُوزُ وَ الظَّفَرُ كَانُوا يَقُولُونَ لِلْقَامِرِ يَفُوزُ قَدْ حَمَى قَدْ جَرَى ابْنَا عَنَانَ وَ هُمَا خَطَانُ يَخْطَانُ فِي الْأَرْضِ يَزْجُرُ بِهِمَا الطَّيْرُ وَ اسْتِعَانَ الْإِنْسَانُ إِذَا قَالَ وَقْتُ الظَّفَرِ وَ الْغَلْبَةُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ [صفحه ٢٣]

١٩٩

أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِذَا قُلْتُمْ سَمِعَ وَ إِذَا ضَمَرْتُمْ عَلِمَ وَ بَادِرُوا الْمَوْتَ الَّذِي إِذَا هَرَبْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ وَ إِذَا أَقَمْتُمْ أَخَذَكُمْ وَ إِذَا نَسَيْتُمْوهُ ذَكَرَكُمْ قَدْ تَقَدَّمَ مِنْهَا كَلَامٌ كَثِيرٌ فِي ذِكْرِ الْمَوْتِ وَ رَأَى الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ رَجُلًا - يَجُودُ بِنَفْسِهِ فَقَالَ إِنَّ أَمْرًا هَذَا آخِرُهُ لَجْدِيرٌ أَنْ يَزْهَدَ فِي أَوَّلِهِ وَ إِنَّ أَمْرًا هَذَا أَوَّلُهُ لَجْدِيرٌ أَنْ يَخَافَ مِنْ آخِرِهِ . وَ مِنْ كَلَامِهِ فَضَحَ الْمَوْتَ الدُّنْيَا . وَ قَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ لَوْ قَالَ قَائِلُ الْحَسَنِ أَفْصَحَ النَّاسُ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ لَمَا كَانَ مَخْطُئًا وَ قَالَ لِرَجُلٍ فِي جَنَازَةٍ أَتْرَى هَذَا الْمَيِّتَ لَوْ عَادَ إِلَى الدُّنْيَا لَكَانَ يَعْمَلُ عَمَلًا صَالِحًا قَالَ نَعَمْ قَالَ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فَكُنْ أَنْتَ ذَاكَ [صفحه ٢٤]

لَا يُزْهَدَنَّكَ فِي الْمَعْرُوفِ مَنْ لَا يَشْكُرُهُ لَكَ فَقَدْ يَشْكُرُكَ عَلَيْهِ مَنْ لَا يَسْتَمْتِعُ بِشَيْءٍ مِنْهُ وَقَدْ يُدْرِكُكَ مِنْ شُكْرِ الشَّاكِرِ أَكْثَرَ مِمَّا أَضَاعَ الْكَافِرُ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ قَدْ أَخَذْتُ أَنَا هَذَا الْمَعْنَى فَقُلْتُ مِنْ جَمَلَةِ قَصِيدَةٍ لِي حَكْمِيَّةٌ لِاتْسَدِينَ إِلَى ذِي اللَّؤْمِ مَكْرَمَةٌ || فَإِنَّهُ سَبَخَ لَا يَنْبِتُ الشَّجَرَا فَإِنْ زَرَعْتَ فَمَحْفُوظٌ بِمَضِيعَةٍ || وَأَكَلَ زَرْعَكَ شُكْرَ الْغَيْرِ إِنْ كَفَرَا وَقَدْ سَبَقَ مِنَّا كَلَامٌ طَوِيلٌ فِي الشُّكْرِ. وَرَأَى الْعَبَّاسُ بْنُ الْمَأْمُونِ يَوْمًا بِحَضْرَةِ الْمُعْتَصِمِ خَاتَمًا فِي يَدِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ فَاسْتَحْسَنَهُ فَقَالَ لَهُ مَا فَصَّ هَذَا الْخَاتَمُ وَمِنْ أَيْنَ حَصَلَتْهُ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ هَذَا خَاتَمُ رَهْنَتِهِ فِي دَوْلَةِ أَبِيكَ وَافْتِكَكْتَهُ فِي دَوْلَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ الْعَبَّاسُ فَإِنْ لَمْ تَشْكُرْ أَبِي عَلَى حَقِّهِ دَمَكَ فَأَنْتَ لَا تَشْكُرُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى فَكِهِ خَاتَمَكَ . وَقَالَ الشَّاعِرُ لِعَمْرِكَ مَا الْمَعْرُوفُ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ || وَفِي أَهْلِهِ إِلَّا كَبْعُضُ الْوُدَائِعِ فَمَسْتَوْدَعُ ضَاعَ الَّذِي كَانَ عِنْدَهُ || وَمَسْتَوْدَعٌ مَاعِنْدَهُ غَيْرُ ضَائِعٍ وَمَا النَّاسُ فِي شُكْرِ الصَّنِيعَةِ عِنْدَهُمْ || وَفِي كَفْرِهَا إِلَّا كَبْعُضُ الْمَزَارِعِ فَمَزْرَعَةٌ طَابَتْ وَأَضْعَفُ نَبْتِهَا || وَمَزْرَعَةٌ أَكَدْتَ عَلَى كُلِّ زَارِعٍ [صَفْحَةٌ ٢٥]

٢٠١

كُلٌّ وَعَاءٌ يَضِيقُ بِمَا جُعِلَ فِيهِ إِلَّا وَعَاءَ الْعِلْمِ فَإِنَّهُ يَتَّسَعُ بِهِ هَذَا الْكَلَامُ تَحْتَهُ سِرٌّ عَظِيمٌ وَرَمَزٌ إِلَى مَعْنَى شَرِيفٍ غَامُضٍ وَمِنْهُ أَخَذَ مَثَبُ النَّفْسِ النَّاطِقَةِ الْحِجَّةَ عَلَى قَوْلِهِمْ وَمَحْصُولُ ذَلِكَ أَنَّ الْقُوَى الْجِسْمَانِيَّةَ يَكْلُمُهَا وَيَتَعَبُّهَا تَكَرُّرُ أَفْعَالِهَا عَلَيْهَا كَقُوَّةِ الْبَصْرِ يَتَعَبُّهَا تَكَرُّرُ إِدْرَاكِ الْمَرْتَبَاتِ حَتَّى رُبَّمَا أَذْهَبَهَا وَأَبْطَلَهَا أَصْلًا وَكَذَلِكَ قُوَّةُ السَّمْعِ يَتَعَبُّهَا تَكَرُّرُ الْأَصْوَاتِ عَلَيْهَا وَكَذَلِكَ غَيْرُهَا مِنْ الْقُوَى الْجِسْمَانِيَّةِ وَلَكِنَّا وَجَدْنَا الْقُوَّةَ الْعَاقِلَةَ بِالْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَلَّمَا تَكَرَّرَتْ عَلَيْهِ الْمَعْقُولَاتُ زَادَتْ قُوَّتُهُ الْعَقْلِيَّةَ سَعَةً وَانْبَسَاطًا وَاسْتِعْدَادًا لِإِدْرَاكِ أُمُورٍ أُخْرَى غَيْرِ مَا دَرَكْتَهُ مِنْ قَبْلِ حَتَّى كَانَ تَكَرُّرُ الْمَعْقُولَاتِ عَلَيْهَا يَشْحَذُهَا وَيَصْقِلُهَا فَهِيَ إِذْ نَ مَخَالَفَةٌ فِي هَذَا الْحُكْمِ لِلْقُوَى الْجِسْمَانِيَّةِ فَلَيْسَتْ مِنْهَا لِأَنَّهَا لَوْ كَانَتْ مِنْهَا لَكَانَ حُكْمُهَا حُكْمَ وَاحِدٍ مِنْ أَخَوَاتِهَا وَإِذَا لَمْ تَكُنْ جِسْمَانِيَّةً فَهِيَ مَجْرَدَةٌ وَهِيَ الَّتِي نَسْمِيهَا بِالنَّفْسِ النَّاطِقَةِ [صَفْحَةٌ ٢٦]

٢٠٢

أَوَّلُ عَوَاضِ الْحَلِيمِ مِنْ حِلْمِهِ أَنَّ النَّاسَ أَنْصَارُهُ عَلَى الْجَاهِلِ قَدْ تَقَدَّمَ مِنْ أَقْوَالِنَا فِي الْحِلْمِ مَا فِي بَعْضِهِ كَفَايَةٌ. وَفِي الْحُكْمِ الْقَدِيمَةِ لَا تَشْتَنُ حَسَنَ الظَّفَرِ بِقَبْحِ الْإِنْتِقَامِ . وَكَانَ يُقَالُ اعْفَ عَمَّنْ أَبْطَأَ عَنِ الذَّنْبِ وَأَسْرَعَ إِلَى النَّدَمِ . وَكَانَ يُقَالُ شَاوِرُ الْأَنَاءِ وَالتَّثَبُّتُ وَذَاكِرُ الْحَفِيزَةِ عِنْدَ هِيَجَانِهَا مَا فِي عَوَاقِبِ الْعُقُوبَةِ مِنَ النَّدَمِ وَخَاصِمِهَا بِمَا يُؤَدِّي إِلَيْهِ الْحِلْمُ مِنَ الْإِغْتِبَاطِ . وَكَانَ يُقَالُ يَنْبَغِي لِلْحَازِمِ أَنْ يَقْدَمَ عَلَى عَذَابِهِ وَصَفْحِهِ تَعْرِيفَ الْمَذْنِبِ بِمَا جَنَاهُ وَإِلْتِمَامَ حِلْمِهِ إِلَى الْغَفْلَةِ وَكَلَالِ حَدِّ الْفِطْنَةِ وَقَالَتْ الْأَنْصَارُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ إِنَّهُمْ فَعَلُوا بِكَ ثُمَّ فَعَلُوا بِغُرُونِهِ بِقَرِيشٍ فَقَالَ إِنَّمَا سَمِيتُ مُحَمَّدًا لِأَحْمَدِ - رَوَايَاتُ ١- ٢- رَوَايَاتُ ٣٩- ١٠٧ [صَفْحَةٌ ٢٧]

٢٠٣

إِنْ لَمْ تَكُنْ حَلِيمًا فَتَحَلَّمْ فَإِنَّهُ قَلَّ مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ إِلَّا أَوْشَكَ أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ التَّحَلُّمُ تَكْلُفُ الْحِلْمِ وَالَّذِي قَالَهُ صَحِيحٌ فِي مَنَاجِحِ الْحِكْمَةِ وَذَلِكَ لِأَنَّ مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ وَتَكَلَّفَ التَّخَلُّقَ بِأَخْلَاقِهِمْ وَالتَّأَدُّبَ بِآدَابِهِمْ وَاسْتَمَرَّ عَلَى ذَلِكَ وَمَرَّنَ عَلَيْهِ الزَّمَانَ الطَّوِيلَ اِكْتَسَبَ رِيَاضَةً قَوِيَّةً وَمَلَكَةً تَامَةً وَصَارَ ذَلِكَ التَّكْلُفَ كَالطَّبْعِ لَهُ وَانْتَقَلَ عَنِ الْخَلْقِ الْأَوَّلِ أَلَّا تَرَى أَنَّ الْأَعْرَابِيَّ الْجَلْفَ الْجَافِيَّ

إذادخل المدن والقرى وخالط أهلها وطال مكثه فيهم انتقل عن خلق الأعراب الذى نشأ عليه وتلطف طبعه وصار شبيها بساكنى المدن وكالأجنى عن ساكنى الوبر و هذا قد وجدناه فى حيوانات أخرى غيرالبشر كالبازى والصقر والفهد التى تراض حتى تذل وتأنس وتترك طبعها القديم بل قدشاهدناه فى الأسد و هوأبعد الحيوان من الإنس . وذكر ابن الصابى أن عضد الدولة بن بويه كانت له أسود يصطاد بها كالفهود فتمسكه عليه حتى يدركه فيذكيه و هذا من العجائب الطريفة [صفحہ ۲۸]

۲۰۴

مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ رَبِيحٌ وَمَنْ غَفَلَ عَنْهَا خَسِرٌ وَمَنْ خَافَ آمِنٌ وَمَنْ اعْتَبَرَ أَبْصَرَ وَمَنْ أَبْصَرَ فَهَمَّ وَمَنْ فَهَمَّ عِلِمٌ قَدْجَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ حَاسَبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَحَاسَبُوا -روایت-۱-۲-روایت-۲۹-۶۰. قوله و من خاف آمن أى من اتقى الله آمن من عذابه يوم القيامة. ثم قال و من اعتبر أبصر أى من قاس الأمور بعضها ببعض واتعظ بآيات الله وأيامه أضاءت بصيرته و من أضاءت بصيرته فهم و من فهم علم . فإن قلت الفهم هو العلم فأى حاجة له إلى أن يقول و من فهم علم قلت الفهم هاهنا هو معرفة المقدمات و لا بد أن يستعقب معرفة المقدمات معرفة النتيجة فمعرفة النتيجة هو العلم فكأنه قال من اعتبر تنور قلبه بنور الله تعالى و من تنور قلبه عقل المقدمات البرهانية و من عقل المقدمات البرهانية علم النتيجة الواجبة عنها وتلك هى الثمرة الشريفة التى فى مثلها يتنافس المتنافسون [صفحہ ۲۹]

۲۰۵

وَ قَالَ ع لَتَعْطِفَنَّ الدُّنْيَا عَلَيْنَا بَعْدَ شِمَاسِهَا عَطْفَ الضُّرُوسِ عَلَيَّ وَلَمِدْهَا وَ تَلَّا عَقِيبَ ذَلِكَ نُزِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ -قرآن-۱۱۴-۲۲۳ الشماس مصدر شمس الفرس إذامنع من ظهره . والضروس الناقة السيئة الخلق تعض حالها والإمامية تزعم أن ذلك وعد منه بالإمام الغائب الذى يملك الأرض فى آخر الزمان وأصحابنا يقولون إنه وعد بإمام يملك الأرض ويستولى على الممالك و لا يلزم من ذلك أنه لا بد أن يكون موجودا و إن كان غائبا إلى أن يظهر بل يكفى فى صحة هذا الكلام أن يخلق فى آخر الوقت . وبعض أصحابنا يقول إنه إشارة إلى ملك السفاح والمنصور وابنى المنصور بعده فإنهم الذين أزالوا ملك بنى أمية وهم بنو هاشم وبطريقهم عطفت الدنيا على بنى عبدالمطلب عطف الضروس . وتقول الزيدية إنه لا بد من أن يملك الأرض فاطمى يتلوه جماعة من الفاطميين على مذهب زيد و إن لم يكن أحد منهم الآن موجودا [صفحہ ۳۰]

۲۰۶

اتَّقُوا اللَّهَ تَقَاءً مَنْ شَمَرَ تَجْرِيداً وَ حَيْدَ تَشْمِيرًا وَ أَكْمَشَ فِي مَهَلٍ وَ بَادَرَ عَن وَجَلٍ وَ نَظَرَ فِي كَرَّةِ الْمَوْتِلِ وَ عَاقِبِيهِ الْمَصْدَرِ وَ مَعْبِيهِ الْمَرْجِعِ لَوْ قَالَ وَجَدَ تَشْمِيرًا لَكَانَ قَدَأْتَى بَنُوعٍ مَشْهُورٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ لَكِنَّهُ لَمْ يَحْفَلْ بِذَلِكَ وَجَرَى عَلَى مَقْتَضَى طَبْعِهِ مِنَ الْبَلَاغَةِ الْخَالِيَةِ مِنَ التَّكْلِيفِ وَالتَّصْنَعِ عَلَى أَنْ ذَلِكَ قَدْرُوى وَالمشهور الرواية الأولى . وأكمش جد وأسرع و رجل كميث أى جاد و فى مهل أى فى مهلة العمل قبل أن يضيق عليه وقته بدنو الأجل [صفحہ ۳۱]

۲۰۷

الْجُودُ حَارِسُ الْأَعْرَاضِ وَالْحِلْمُ فِدَامُ السِّيفِ وَالْعَفْوُ زَكَاةُ الظَّفَرِ وَالسَّلْمُ عَوْضُكَ مِمَّنْ غَدَرَ وَالِاسْتِشَارَةُ عَيْنُ الْهَدَايَةِ وَقَدْ خَاطَرَ
 مِنْ اسْتَعْنَى بِرَأْيِهِ وَالصَّبْرُ يُنَاصِلُ الْجِدْثَانَ وَالْجَزْعُ مِنْ أَعْوَانِ الزَّمَانِ وَأَشْرَفُ الْغِنَى تَرْكُ الْمُنَى وَكَمْ مِنْ عَقَلٍ أَسِيرٍ عِنْدَ هَوَى
 أَمِيرٍ وَمِنْ التَّوْفِيقِ حِفْظُ التَّجْرِبَةِ وَالْمَوْدَّةُ قَرَابَةٌ مُسْتَفَادَةٌ وَلَا تَأْمَنَنَّ مَلُوكًا مِثْلَ قَوْلِهِ الْجُودُ حَارِسُ الْأَعْرَاضِ قَوْلُهُمْ كُلُّ عَيْبٍ فَالْكَرَمِ
 يَغْطِيهِ وَالْفِدَامُ خَرْقَةٌ تَجْعَلُ عَلَى فَمِ الْإِبْرِيْقِ فَشَبَّهَ الْحِلْمُ بِهَا فَإِنَّهُ يَرُدُّ السِّفِيَهَ عَنِ السِّفِيَهِ كَمَا يَرُدُّ الْفِدَامُ الْخَمْرَ عَنِ خُرُوجِ الْقَذَى مِنْهَا
 إِلَى الْكَأْسِ . فَأَمَّا وَالْعَفْوُ زَكَاةُ الظَّفَرِ فَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةً وَزَكَاةُ الْجَاهِ رَفْدُ الْمُسْتَعِينِ وَزَكَاةُ الظَّفَرِ الْعَفْوُ . وَأَمَّا السَّلْمُ
 عَوْضُكَ مِمَّنْ غَدَرَ فَمَعْنَاهُ أَنَّ مَنْ غَدَرَ بِكَ مِنْ أَحْبَابِكَ وَأَصْدِقَائِكَ فَاسْلُ عَنْهُ وَتَنَاسَهُ وَادْكُرْ مَا عَامَلَكُ بِهِ مِنْ الْغَدْرِ فَإِنَّكَ تَسْلُو
 عَنْهُ وَيَكُونُ مَا اسْتَفَدْتَهُ مِنَ السَّلْمِ عَوْضًا عَنْ وَصَالِهِ الْأَوَّلِ قَالَ الشَّاعِرُ [صَفْحَهُ ٣٢] أَعْتَقْنِي سَوْءَ مَا صَنَعْتَ مِنَ الرِّقِ || فَيَا بَرْدَهَا
 عَلَى كَبْدِي فَصَرْتَ عَبْدًا لِلسَّوِّءِ فَيَكُ وَمَا || أَحْسَنُ سَوْءٍ قَبْلِي إِلَى أَحَدٍ . وَقَدْ سَبَقَ الْقَوْلُ فِي الْاسْتِشَارَةِ وَإِنَّ الْمُسْتَعْنَى بِرَأْيِهِ
 مَخَاطِرُ وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي الصَّبْرِ وَالْمُنَاصِلَةَ الْمَرَامَاءُ . وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي الْجَزْعِ وَأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا جَزَعَ عِنْدَ الْمَصِيبَةِ فَقَدْ أَعَانَ
 الزَّمَانَ عَلَى نَفْسِهِ وَأَضَافَ إِلَى نَفْسِهِ مَصِيبَةَ أُخْرَى . وَسَبَقَ أَيْضًا الْقَوْلُ فِي الْمُنَى وَأَنَّهَا مِنْ بَضَائِعِ النُّوْكَى . وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي
 الْهَوَى وَأَنَّهُ يَغْلِبُ الرَّأْيَ وَيَأْسِرُهُ . وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي التَّجْرِبَةِ وَقَوْلُهُمْ مِنْ حَارِبِ الْمَجْرِبِ حَلَّتْ بِهِ النَّدَامَةُ وَإِنْ مِنْ أَضَاعِ التَّجْرِبَةِ
 فَقَدْ أَضَاعَ عَقْلَهُ وَرَأْيَهُ . وَقَدْ سَبَقَ الْقَوْلُ فِي الْمَوْدَّةِ وَذَكَرْنَا قَوْلَهُمْ الصَّدِيقُ نَسِيبُ الرُّوحِ وَالْأَخُ نَسِيبُ الْجِسْمِ وَسَبَقَ الْقَوْلُ فِي
 الْمَلَالِ . وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ لَوْ كُنْتُ عَاتِبَةً لَسَكُنْتُ عِبْرَتِي || أَمَلِي رِضَاكَ وَزَرْتُ غَيْرَ مِرَاقِبٍ لَكِنْ مَلَلْتُ فَلَمْ يَكُنْ لِي حِيلَةٌ
 || صَدِّ الْمَلُولِ خِلَافَ صَدِّ الْعَاتِبِ [صَفْحَهُ ٣٣]

٢٠٨

عُجِبُ الْمَرءِ بِنَفْسِهِ أَحَدٌ حُسَادٍ عَقْلِهِ قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي الْعَجَبِ وَمَعْنَى هَذِهِ الْكَلِمَةُ أَنَّ الْحَاسِدَ لَا يَزَالُ مَجْتَهِدًا فِي إِظْهَارِ مَعَايِبِ
 الْمَحْسُودِ وَإِخْفَاءِ مَحَاسِنِهِ فَلَمَّا كَانَ عَجَبُ الْإِنْسَانِ بِنَفْسِهِ كَاشِفًا عَنْ نَقْصِ عَقْلِهِ كَانَ كَالْحَاسِدِ أَلْذَى دَأْبُهُ إِظْهَارُ عَيْبِ الْمَحْسُودِ
 وَنَقْصُهُ . وَكَانَ يُقَالُ مَنْ رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ كَثَرَ السَّخَاظَ عَلَيْهِ . وَقَالَ مَطْرَفُ بْنُ الشَّخِيرِ لِأَنَّ أَيْتًا نَائِمًا وَأَصْبَحَ نَادِمًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ
 أَنَّ أَيْتًا قَائِمًا وَأَصْبَحَ نَادِمًا [صَفْحَهُ ٣٤]

٢٠٩

أَغْضَى عَلَى الْقَدَى وَالْأَلَمِ تَرْضَى أَيْدًا نَظِيرَ هَذَا قَوْلُ الشَّاعِرِ وَمَنْ لَمْ يَغْمُضْ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ || وَعَنْ بَعْضِ مَا فِيهِ يَمْتُ وَ
 هُوَ عَاتِبٌ وَمَنْ يَتَّبِعُ جَاهِدًا كُلَّ عَثْرَةٍ || يَجِدُهَا وَلَا يَسْلُمُ لَهُ الدَّهْرُ صَاحِبٌ . وَقَالَ الشَّاعِرُ إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مَرَارًا عَلَى الْقَذَى ||
 ظَمِئْتَ وَ أَى النَّاسِ تَصْفُو مِشَارِبَهُ . وَكَانَ يُقَالُ أَغْضَى عَنِ الدَّهْرِ وَالْإِصْرَعَكَ وَكَانَ يُقَالُ لَا تَحَارِبِ الْأَيَّامَ وَإِنْ جَنَحْتَ دُونَ
 مَطْلُوبِكَ مِنْهَا وَاصْحَبْهَا بِسَلَاسَةِ الْقِيَادِ فَإِنَّكَ إِنْ تَصَحَبَهَا بِذَلِكَ تَعْطُكَ بَعْدَ الْمَنْعِ وَتَلْنُ لَكَ بَعْدَ الْقِسَاوَةِ وَإِنْ أَيْتَ عَلَيْهَا قَادَتَكَ
 إِلَى مَكْرُوهٍ صَرُوفَهَا [صَفْحَهُ ٣٥]

٢١٠

مَنْ لَمَانَ عَوْدُهُ كَثَفَتْ أَغْصِيَانُهُ تَكَادَ هَذِهِ الْكَلِمَةُ أَنَّ تَكُونُ إِيمَاءً إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَعْنَى هَذِهِ
 الْكَلِمَةُ أَنَّ مَنْ حَسَنَ خَلْقَهُ وَلَا يَنْتَ كَلِمَتَهُ كَثَرَ مَحْبُوهَ وَأَعْوَانَهُ وَأَتْبَاعَهُ . وَنَحْوَهُ قَوْلُهُ مِنْ لَانَتْ كَلِمَتُهُ وَجِبَتْ مَحْبَتُهُ . وَقَالَ تَعَالَى وَ

لَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ وَأَصْلُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مُطَابِقٌ لِلْقَوَاعِدِ الْحَكْمِيَّةِ أَعْنَى الشَّجَرَةَ ذَاتِ الْأَغْصَانِ حَقِيقَةً وَ ذَلِكَ لِأَنَّ النَّبَاتَ كَالْحَيَوَانَ فِي الْقُوَى النَّفْسَانِيَّةِ أَعْنَى الْغَاذِيَّةِ وَالْمَنْمِيَّةِ وَ مَا يَخْدُمُ الْغَاذِيَّةَ مِنَ الْقُوَى الْأَرْبَعِ وَ هِيَ الْجَاذِبَةُ وَالْمَاسِكَةُ وَالدَّفَاعَةُ وَالهَاضِمَةُ فَإِذَا كَانَ الْبَيْسُ غَالِبًا عَلَى شَجَرَةٍ كَانَتْ أَغْصَانُهَا أَخْفَ وَ كَانَ عَوْدُهَا أَدْقَ وَ إِذَا كَانَتْ الرُّطُوبَةُ غَالِبَةً كَانَتْ أَغْصَانُهَا أَكْثَرَ وَ عَوْدُهَا أَغْلَظَ وَ ذَلِكَ لِأَقْتِضَاءِ الْبَيْسِ الذَّبُولَ وَاقْتِضَاءِ الرُّطُوبَةِ الْغُلْظَ وَ الْعِبَالَةَ وَ الضَّخَامَةَ أَلَا تَرَى أَنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي غَلَبَ الْبَيْسَ عَلَى مَزَاجِهِ لَا يَزَالُ مَهْلُوسًا نَحِيفًا وَ الَّذِي غَلَبَتْ الرُّطُوبَةُ عَلَيْهِ لَا يَزَالُ ضَخْمًا عَبِلًا - قرآن - ٤٩-١٠٠ - قرآن - ٢٣٨-٢٩٤]
صفحة ٣٦

٢١١

الْخِلَافُ يَهْدِمُ الرَّأْيَ هَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ لَأَرَى لِمَنْ لَا يَطَاعُ - رَوَايَاتُ ١-٢- رَوَايَاتُ ٢٥-٤٦ يَرُودُ لِإِمْرَةٍ لِمَنْ لَا يَطَاعُ - رَوَايَاتُ ١-٢- رَوَايَاتُ ٨-٢٩ . وَ فِي أَخْبَارِ قَصِيرٍ وَجَدِيمَةٍ لَوْ كَانَ يَطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرًا . وَ كَانَ يُقَالُ لِلْجَاجِ يَشْحَذُ الزَّجَاجَ وَيُثِيرُ الْعِجَاجَ . وَ قَالَ دَرِيدُ بْنُ الصَّمَةِ أَمْرَتُهُمْ أَمْرِي بِمَنْعَرَجِ اللَّوِيِّ || فَلَمْ يَسْتَبِينُوا النَّصِيحَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ فَلَمَّا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ وَ قَدَّارِي || غَوَايَتُهُمْ وَأَنْنِي غَيْرْمَهْتَدِي . وَ كَانَ يُقَالُ أَهْدَى رَأْيَ الرَّجُلِ مَا نَفَذَ حُكْمَهُ فَإِذَا خُولِفَ فَسَدَ . وَ مِنْ كَلَامِ أَفْلَاطُونَ لِلْجَاجِ عَسَرَ انْطِبَاعَ الْمَعْقُولَاتِ فِي النَّفْسِ وَ ذَلِكَ إِمَّا لِفَرْطِ حِدَّةِ تَكُونُ فِي الْإِنْسَانِ وَإِمَّا لِعُلْظِ طَبَعِ فَلَا يَنْقَادُ لِلرَّأْيِ] [صفحة ٣٧]

٢١٢

مَنْ نَالَ اسْتِطَالَ يَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِهِ مَنْ أَثْرَى وَنَالَ مِنَ الدُّنْيَا حِطًّا اسْتِطَالَ عَلَى النَّاسِ . وَ يَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِهِ مَنْ جَادَ اسْتِطَالَ بِجُودِهِ . يُقَالُ نَالَنِي فَلَانٌ بِكَذَا أَيُّ جَادَ بِهِ عَلَى وَ رَجُلٌ نَالَ أَيُّ جَوَادٌ ذُو نَائِلٍ وَ مِثْلُهُ رَجُلٌ طَانَ أَيُّ ذُو طِينٍ وَ رَجُلٌ مَالَ أَيُّ ذُو مَالٍ]
صفحة ٣٨

٢١٣

فِي تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ عِلْمُ جَوَاهِرِ الرَّجَالِ مَعْنَاهُ لَا تَعْلَمُ أَخْلَاقَ الْإِنْسَانِ إِلَّا بِالْتَجْرِبَةِ وَ اخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ عَلَيْهِ وَ قَدِيمًا قِيلَ تَرَى الْفَتْيَانَ كَالنَّخْلِ وَ مَا يَدْرِيكَ مَا الدَّخْلُ . وَ قَالَ الشَّاعِرُ لَا تَحْمَدَنَّ أَمْرًا حَتَّى تَجْرِبَهُ || وَ لَا تَدْمَنَنَّ إِلَّا بِتَجْرِبِهِ وَ قَالُوا التَّجْرِبَةُ مُحَكٌّ وَ قَالُوا مِثْلَ الْإِنْسَانِ مِثْلَ الْبَطِيخَةِ ظَاهِرًا مَوْنَقٌ وَ قَدْ يَكُونُ فِي بَاطِنِهَا الْعَيْبُ وَ الدُّودُ وَ قَدْ يَكُونُ طَعْمُهَا حَامِضًا وَ تَفْهًا . وَ قَالُوا لِلرَّجُلِ الْمَجْرَبِ يَمْدَحُونَهُ قَدَّالٌ وَائِلٌ عَلَيْهِ . وَ قَالَ الشَّاعِرُ يَمْدَحُ مَا زَالَ يَحْلُبُ هَذَا الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ || يَكُونُ مَتَبَعًا طَوْرًا وَ مَتَبَعًا حَتَّى اسْتَمَرَّتْ عَلَى شَرِّ مَرِيرَتِهِ || مَسْتَحْكَمُ الرَّأْيِ لِأَقْتِحْمًا وَ لِأَضْرَعًا] [صفحة ٣٩]

٢١٤

حَسِيدُ الصَّيْدِ يَدِيقُ مِنَ سَيْقِمِ الْمَوَدَّةِ إِذَا حَسَدَكَ صَدِيقُكَ عَلَى نِعْمَةٍ أُعْطِيَتْهَا لَمْ تَكُنْ صِدَاقَتُهُ صَاحِبَةً فَإِنَّ الصَّدِيقَ حَقًّا مِنْ يَجْرِي مَجْرَى نَفْسِكَ وَ الْإِنْسَانَ لَمْ يَحْسُدْ نَفْسَهُ . وَ قِيلَ لِحَكِيمٍ مَا الصَّدِيقُ فَقَالَ إِنْسَانٌ هُوَ أَنْتَ إِلَّا أَنَّهُ غَيْرُكَ . وَ أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى أَبُو الطَّيِّبِ فَقَالَ مَا الْخَلُّ إِلَّا مَنْ أُوْدَ بَقَلْبِهِ || وَ أَرَى بِطَرْفٍ لَا يَرَى بِسَوَائِهِ وَ مِنْ أَدْعِيَةِ الْحَكَمَاءِ اللَّهُمَّ اكْفِنِي بَوَائِقَ الثَّقَاتِ وَ احْفَظْنِي مِنْ كَيْدِ

الأصدقاء و قال الشاعر احذر عدوك مرة || واحذر صديقك ألف مره فلربما انقلب الصديق || فكان أعرف بالمضره و قال آخر احذر مودة ماذق || شاب المرارة بالحلاوة [صفحه ٤٠] يحصى الذنوب عليك || أيام الصداقه للعداوة وذكر خالد بن صفوان شبيب بن شيبه فقال ذاك رجل ليس له صديق فى السر و لاعدو فى العلانيه. و قال الشاعر إذا كان دواما أخوك مصارما || موجهه فى كل أوب ركائبه فخل له ظهر الطريق و لاتكن || مطيه رحال كثير مذاهبه [صفحه ٤١]

٢١٥

أَكْثَرَ مَصَيَّرِ الْعُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ الْمَطَامِعِ قَدْ تَقَدَّمَ مَنَا قَوْلُ فِي هَذَا الْمَعْنَى وَ مِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ طَمَعَتْ بَلِيلَى أَنْ تَرِيحَ وَإِنَّمَا || تَقْطَعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ الْمَطَامِعِ وَ قَالَ آخِرُ إِذَا حَدَّثَكَ النَّفْسَ أَنْكَ قَادِرٌ || عَلَى مَا حَوَتْ أَيْدَى الرِّجَالِ فَكُذِّبْ وَإِيَّاكَ وَالْأَطْمَاعَ إِنْ وَعُودَهَا || رِقَارِقَ آلِ أَوْ بَارِقِ خَلْبِ [صفحه ٤٢]

٢١٦

لَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ الْقَضَاءُ عَلَى الثَّقَّةِ بِالظَّنِّ هَذَا مِثْلُ قَوْلِ أَصْحَابِ أَصُولِ الْفِقْهِ لَا يَجُوزُ نَسْخُ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ الْمُتَوَاتِرَةَ بِخَبَرِ الْوَاحِدِ لِأَنَّ الْمَظْنُونِ لَا يَرْفَعُ الْمَعْلُومَ . وَ لَفْظُ الثَّقَّةِ هَاهُنَا مُرَادِفٌ لِلْفِظِّ الْعِلْمِ فَكَأَنَّهُ قَالَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَزَالَ مَا عَلِمَ بِطَرِيقِ قِطْعِيَّةٍ لِأَمْرِ ظَنِّي . فَإِنْ قُلْتَ أَلَيْسَ الْبِرَاءَةُ الْأَصْلِيَّةُ مَعْلُومَةٌ بِالْعَقْلِ وَ مَعَ ذَلِكَ تَرْفَعُ بِالْأَمَارَاتِ الظَّنِّيَّةِ كَأَخْبَارِ الْآحَادِ . قُلْتَ لَيْسَتْ الْبِرَاءَةُ الْأَصْلِيَّةُ مَعْلُومَةٌ بِالْعَقْلِ مُطْلَقًا بَلْ مُشْرُوطَةٌ بِعَدَمِ مَا يَرْفَعُهَا مِنْ طَرِيقِ عِلْمِي أَوْ ظَنِّي أَلَا تَرَى أَنْ أَكَلَ الْفَاكِهَةَ وَ شَرِبَ الْمَاءَ مَعْلُومٌ بِالْعَقْلِ حَسَنٌ وَ لَكِنْ لَا مُطْلَقًا بَلْ بِشَرَطِ انْتِفَاءِ مَا يَقْتَضِي قَبْحَهُ فَإِنَّا لَوَ أَخْبَرْنَا إِنْسَانَ أَنَّ هَذِهِ الْفَاكِهَةُ أَوْ هَذَا الْمَاءُ مَسْمُومٌ لَقَبِحَ مِنْ الْإِقْدَامِ عَلَى تَنَاوُلِهِمَا وَ إِنْ كَانَ قَوْلُ ذَلِكَ الْمُخْبِرِ الْوَاحِدِ لَا يَفِيدُ الْعِلْمَ الْقِطْعِيَّ [صفحه ٤٣]

٢١٧

بِئْسَ الزَّادُ إِلَى الْمَعَادِ الْعُدْوَانُ عَلَى الْعِبَادِ قَدْ تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِنَا فِي الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ مَا فِيهِ كِفَايَةٌ . وَ كَانَ يُقَالُ عَجَبًا لِمَنْ عَوَمَلَ فَأَنْصَفَ إِذَا عَامَلَ كَيْفَ يَظْلَمُ وَ أَعْجَبَ مِنْهُ مَنْ عَوَمَلَ فَظَلِمَ إِذَا عَامَلَ كَيْفَ يَظْلَمُ . وَ كَانَ يُقَالُ الْعَدُوُّ عَدُوَانٌ عَدُوٌّ ظَلَمْتَهُ وَ عَدُوٌّ ظَلَمَكَ فَإِنْ اضْطَرَّكَ الدَّهْرُ إِلَى أَحَدِهِمَا فَاسْتَعْنِ بِالذِّى ظَلَمَكَ فَإِنَّ الْآخَرَ مَوْتُورٌ [صفحه ٤٤]

٢١٨

مِنْ أَشْرَفِ أَعْمَالِ الْكَرِيمِ عَفْلَتَهُ عَمَّا يَعْلَمُ كَانَ يُقَالُ التَّغَافُلُ مِنَ السُّوْدُدِ وَ قَالَ أَبُو تَمَامٍ لَيْسَ الْغَيْبِيُّ بِسَيِّدٍ فِي قَوْمِهِ || لَكِنْ سَيِّدُ قَوْمِهِ الْمَتَغَابِيُّ وَ قَالَ طَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مَصْعَبٍ وَ يَكْفِيكَ مِنْ قَوْمِ شَوَاهِدِ أَمْرِهِمْ || فَخُذْ صَفْوَهُمْ قَبْلَ امْتِحَانِ الضَّمَائِرِ فَإِنَّ امْتِحَانَ الْقَوْمِ يُوْحِشُ مِنْهُمْ || وَ مَا لَكَ إِلَّا مَا تَرَى فِي الظُّوَاهِرِ وَإِنَّكَ إِنْ كَشَفْتَ لَمْ تَرَ مَخْلَصًا || وَ أَبْدَى لَكَ التَّجْرِيْبَ خَبْثَ السَّرَائِرِ وَ كَانَ يُقَالُ بَعْضُ التَّغَافُلِ فَضِيلَةٌ وَ تَمَامُ الْجُودِ الْإِمْسَاكُ عَنْ ذِكْرِ الْمَوَاهِبِ وَ مِنَ الْكِرْمِ أَنْ تَصْفَحَ عَنِ التَّوْبِيخِ وَ أَنْ تَلْتَمِسَ سِتْرَ هَتَكَ الْكَرِيمِ [صفحه ٤٥]

٢١٩

مَنْ كَسَاهُ الْحَيَاءُ تَوْبَهُ لَمْ يَرَ النَّاسُ عَيْبَهُ قَدْ سَبَقَ مَنَا قَوْلَ كَثِيرٍ فِي الْحَيَاءِ

فصل فى الحياء و ما قبل فيه

و كان يقال الحياء تمام الكرم والحلم تمام العقل . و قال بعض الحكماء الحياء انقباض النفس عن القبائح و هو من خصائص الإنسان لأنه لا يوجد فى الفرس و لا فى الغنم والبقر ونحو ذلك من أنواع الحيوانات فهو كالضحك الذى يختص به نوع الإنسان وأول ما يظهر من قوة الفهم فى الصبيان الحياء و قد جعله الله تعالى فى الإنسان ليرتدع به عما تنزع إليه نفسه من القبيح فلا يكون كالبهيمة و هو خلق مركب من جبن وعفة ولذلك لا يكون المستحى فاسقا و لا الفاسق مستحيا لتنافى اجتماع العفة والفسق و قلما يكون الشجاع مستحيا والمستحى شجاعا لتنافى اجتماع الجبن والشجاعة ولغزوة وجود ذلك ما يجمع الشعراء بين المدح بالشجاعة والمدح بالحياء نحو قول القائل يجرى الحياء الغض من قسماتهم || فى حين يجرى من أكفهم الدم . [صفحہ ۴۶] و قال آخر كريم يغض الطرف فضل حيائه || ويدنو وأطراف الرماح دوان . ومتى قصد به الانقباض فهو مدح للصبيان دون المشايخ ومتى قصد به ترك القبيح فهو مدح لكل أحد وبالاختبار الأول قيل الحياء بالأفضل قبيح وبالاختبار الثانى ورد إن الله ليستحى من ذى شبيهة فى الإسلام أن يعذبه أى يترك تعذيبه ويستقبح لكرمه ذلك . فأما الخجل فحيرة تلحق النفس لفرط الحياء ويحمد فى النساء والصبيان ويذم بالاتفاق فى الرجال . فأما القحة فمذمومة بكل لسان إذ هى انسلاخ من الإنسانية وحققتها لجاج النفس فى تعاطى القبيح واشتقاقها من حافر وقاح أى صلب ولهذه المناسبة قال الشاعر ياليت لى من جلد وجهك رقعة || فأعد منها حافرا للأشهب . و ما صدق قول الشاعر صلابة الوجه لم تغلب على أحد || إلتكامل فيه الشر واجتماعا . فأما كيف يكتسب الحياء فمن حق الإنسان إذا هم بقبيح أن يتصور أجل من نفسه أنه يراه فإن الإنسان يستحى ممن يكبر فى نفسه أن يطلع على عيبه ولذلك لا يستحى من الحيوان غير الناطق و لا من الأطفال الذين لا يميزون ويستحى من العالم أكثر مما يستحى من الجاهل و من الجماعة أكثر مما يستحى من الواحد والذين يستحى الإنسان منهم ثلاثة البشر ونفسه و الله تعالى أما البشر فهم أكثر [صفحہ ۴۷] من يستحى منه الإنسان فى غالب الناس ثم نفسه ثم خالقه و ذلك لقله توفيقه وسوء اختياره . واعلم أن من استحيا من الناس و لم يستحى من نفسه فنفسه عنده أخس من غيره و من استحيا منهما و لم يستحى من الله تعالى فليس عارفا لأنه لو كان عارفا بالله لما استحيا من المخلوق دون الخالق ألاترى أن الإنسان لا بد أن يستحى من الذى يعظمه ويعلم أنه يراه أو يستمع بخبره فيبكته و من لا يعرف الله تعالى كيف يستعظمه وكيف يعلم أنه يطلع عليه و فى قول رسول الله ص استحيوا من الله حق الحياء - رويت- ۱- ۲- رويت- ۲۶- ۵۴- أمر فى ضمن كلامه هذا بمعرفة سبحانه وحث عليها و قال سبحانه أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرِيْتَنبِيهَا عَلَى أَنْ الْعَبْدَ إِذْ عَلِمَ أَنَّ رَبَّهُ يَرَاهُ اسْتَحْيَا مِنْ ارْتِكَابِ الذَّنْبِ . وسئل الجنيد رحمه الله عما يتولد منه الحياء من الله تعالى فقال أن يرى العبد آلاء الله سبحانه ونعمه عليه ويرى تقصيره فى شكره . فإن قال قائل فما معنى - قرآن- ۶۴- ۹۵- قول النبى ص من لاحياء له فلا إيمان له - رويت- ۱- ۲- رويت- ۱۷- ۴۷- قيل له لأن الحياء أول ما يظهر من أماره العقل فى الإنسان و أما الإيمان فهو آخر المراتب ومحال حصول المرتبة الآخرة لمن لم تحصل له المرتبة الأولى فالواجب إذن أن من لاحياء له فلا إيمان له . و قال ع الحياء شعبة من الإيمان - رويت- ۱- ۲- رويت- ۱۱- ۳۵- قال الإيمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء - رويت- ۱- ۲- رويت-

بِكَثْرَةِ الصِّمْتِ تَكُونُ الْهَيْبَةُ وَبِالنَّصِيفَةِ يَكْتُمُ الْمُوَاصِلُونَ وَبِالْإِفْضَالِ تَعْظُمُ الْأَقْدَارُ وَبِالتَّوَاضُعِ تَبْتِمُ النِّعْمَةُ وَبِاحْتِمَالِ الْمُؤْنِ يَجِبُ السُّؤْدُودُ وَبِالسِّيَرَةِ الْعَادِلَةِ يُقَهَّرُ الْمُتَأَوِّئُ وَبِالْحِلْمِ عَنِ السَّفِيهِ تَكْتُمُ الْأَنْصَارُ عَلَيْهِ قَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ مَارَأَيْتَ أَحَدًا قَطُّ صَامِتًا إِلاَّ هَبْتَهُ حَتَّى يَتَكَلَّمَ فَمَا أَنْ تَزْدَادَ تِلْكَ الْهَيْبَةُ أَوْ تَنْقُصَ وَلا رَيْبَ أَنَّ الْإِنْصَافَ سَبَبُ انْعِطَافِ الْقُلُوبِ إِلَى الْمُنْصِفِ وَأَنَّ الْإِفْضَالَ وَالْجُودَ يَقْتَضِي عَظَمَ الْقَدْرِ لِأَنَّهُ إِعْطَاءٌ وَالْمُنْعَمُ مَشْكُورٌ وَالتَّوَاضُعُ طَرِيقٌ إِلَى تَمَامِ النِّعْمَةِ وَلا سُوْدُودَ إِلاَّ بِاحْتِمَالِ الْمُؤْنِ كَمَا قَالَ أَبُو تَمَامٍ وَالْحَمْدُ شَهِيدٌ لا تَرَى مُشْتَارَهُ || يَجْنِيهِ إِلاَّ مَنْ نَقَعَ الْحَنْظَلَ غَلَّ لِحَامِلَهُ وَيَحْسِبُهُ أَلَذَى || لَمْ يَوْهَ عَاتِقَهُ خَفِيفَ الْمَحْمَلِ . وَالسِّيَرَةُ الْعَادِلَةُ سَبَبٌ لِقَهْرِ الْمَلِكِ أَلَذَى يَسِيرُ بِهَذَا أَعْدَاءَهُ وَ مِنْ حِلْمٍ عَنِ سَفِيهِ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى الْإِنْتِقَامِ مِنْهُ نَصْرَهُ النَّاسُ كُلَّهُمْ عَلَيْهِ وَاتَّفَقُوا كُلَّهُمْ عَلَى ذَمِّ ذَلِكَ السَّفِيهِ وَتَقْيِيحِ فِعْلِهِ وَالاسْتِقْرَاءِ وَاخْتِبَارِ الْعَادَاتِ تَشْهَدُ بِجَمِيعِ ذَلِكَ [صَفْحَهُ ٤٩]

الْعَجَبُ لِغَفْلَةِ الْحَسَادِ عَنِ سَلَامَةِ الْأَجْسَادِ إِنَّمَا لَمْ يَحْسُدِ الْحَاسِدُ عَلَى صِحَّةِ الْجَسَدِ لِأَنَّهُ صَحِيحُ الْجَسَدِ فَقَدْ شَارَكَ فِي الصِّحَّةِ وَ مَا يَشَارِكُ الْإِنْسَانَ غَيْرَهُ فِيهِ لا يَحْسُدُهُ عَلَيْهِ وَلِهَذَا أَرْبَابُ الْحَسَدِ إِذَا مَرَضُوا حَسَدُوا الْأَصْحَاءَ عَلَى الصِّحَّةِ . فَإِنْ قَلْتَ فَلِمَاذَا تَعْجَبُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَ قَلْتَ لِكَلَامِهِ عَ وَجْهٌ وَهُوَ أَنَّ الْحَسَدَ لِمَا تَمَكَّنَ فِي أَرْبَابِهِ وَصَارَ غَرِيزَةً فِيهِمْ تَعْجَبُ كَيْفَ لا يَتَعَدَى هَذَا الْخَلْقَ الذَّمِيمَ إِلَى أَنْ يَحْسُدَ الْإِنْسَانَ غَيْرَهُ عَلَى مَا يَشَارِكُهُ فِيهِ فَإِنْ زِيدَا إِذَا أَبْغَضَ عَمْرًا بَغْضًا شَدِيدًا وَدَ أَنْ تَزُولَ عَنْهُ نِعْمَتُهُ إِلَيْهِ وَ إِنْ كَانَ ذَا نِعْمَةٍ كَنِعْمَتِهِ بَلْ رُبَّمَا كَانَ أَقْوَى وَأَحْسَنَ حَالًا . وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ مَعْنَى آخَرَ وَهُوَ تَعْجَبُهُ مِنْ غَفْلَةِ الْحَسَادِ عَلَى أَنَّ الْحَسَدَ مُؤَثِّرٌ فِي سَلَامَةِ أَجْسَادِهِمْ وَمَقْتَضٍ سَقْمِهِمْ وَ هَذَا أَيْضًا وَاضِحٌ [صَفْحَهُ ٥٠]

الطَّمَاعُ فِي وَثَاقِ الدَّلِّ مِنْ أَمْثَالِ الْبَحْتَرِيِّ قَوْلُهُ وَالْيَأْسُ إِحْدَى الرَّاحَتَيْنِ وَلَنْ تَرَى || تَعْبًا كَظَنِ الْخَائِبِ الْمَكْدُودِ وَ كَانَ يَقَالُ مَا طَمَعْتَ إِلاَّ وَذَلْتَ يَعْنُونَ النَّفْسَ . وَ فِي الْبَيْتِ الْمَشْهُورِ تَقَطَّعَ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ الْمَطَامِعِ وَقَالُوا عَزَّ مِنْ قَنَعٍ وَذَلَّ مِنْ طَمَعٍ . وَ قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي الطَّمَعِ مَرَارًا [صَفْحَهُ ٥١]

وَ قَالَتْ عَ وَ قَدْ سُئِلَ عَنِ الْإِيْمَانِ الْإِيْمَانُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ وَ إِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ وَ عَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ قَدْ تَقَدَّمَ قَوْلُنَا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَ هَذَا هُوَ مَذْهَبُ أَصْحَابِنَا الْمَعْتَزِلَةِ بَعَيْنِهِ لِأَنَّ الْعَمَلَ بِالْأَرْكَانِ عِنْدَنَا دَاخِلٌ فِي مَسْمَى الْإِيْمَانِ أَعْنَى فِعْلِ الْوَاجِبَاتِ فَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ لَمْ يَسْمَعْ مُؤْمِنًا وَ إِنْ عَرَفَ بِقَلْبِهِ وَأَقْرَبَ بِلِسَانِهِ وَ هَذَا خِلَافُ قَوْلِ الْمَرْجُئَةِ مِنَ الْأَشْعَرِيَّةِ وَالْإِمَامِيَّةِ وَالْحَشَوِيَّةِ . فَإِنْ قَلْتَ فَمَا قَوْلُكَ فِي النِّوَافِلِ هَلْ هِيَ دَاخِلَةٌ فِي مَسْمَى الْإِيْمَانِ أَمْ لا قَلْتَ فِي هَذَا خِلَافَ بَيْنِ أَصْحَابِنَا وَ هُوَ مُسْتَقْصَى فِي كِتَابِي الْكَلَامِيَّةِ [صَفْحَهُ ٥٢]

مَنْ أَصْبَحَ عَلَى الدُّنْيَا حَزِينًا فَقَدْ أَصْبَحَ لِقَضَاءِ اللَّهِ سَاخِطًا وَ مَنْ أَصْبَحَ يَشْكُو مُصِيبَةً نَزَلَتْ بِهِ فَإِنَّمَا يَشْكُو رَبَّهُ وَ مَنْ أَتَى غَنِيًّا

فَتَوَاضَعَ لَهُ لِغِنَاهُ ذَهَبٌ ثَلَاثًا دِينَهِ وَ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَهُوَ كَانَ مِمَّنْ يَتَّخِذُ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَ مَنْ لَهَجَ قَلْبُهُ بِحُبِّ الدُّنْيَا التَّيَاطُ مِنْهَا بِثَلَاثٍ هَمٌّ لَا يُغَيِّبُهُ وَ حَرِيصٌ لَا يَتْرُكُهُ وَ أَمَلٌ لَا يُدْرِكُهُ إِذَا كَانَ الرِّزْقَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرَهُ فَمِنْ حَزْنِ لَفَوَاتِ شَيْءٍ مِنْهُ فَقَدْ سَخَطَ قَضَاءُ اللَّهِ وَ ذَلِكَ مَعْصِيَةٌ لِأَنَّ الرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَاجِبٌ وَكَذَلِكَ مِنْ شَكَا مَعْصِيَةٍ حَلَّتْ بِهِ فَإِنَّمَا يَشْكُو فَاعْلَمْنَا لَاهِي لِأَنَّهَا لَمْ تَنْزَلْ بِهِ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهَا وَفَاعْلَمْنَا هُوَ اللَّهُ وَ مِنْ اشْتَكَى اللَّهُ فَقَدْ عَصَاهُ وَالتَّوَضُّعُ لِلْأَغْنِيَاءِ تَعْظِيمًا لِغِنَاهُمْ أَوْ رَجَاءً شَيْءٍ مِمَّا فِي أَيْدِيهِمْ فَسَقُ . وَ كَانَ يُقَالُ لَا يَحْمَدُ التَّيْبَةَ إِلَّا مَنْ فَقِيرٌ عَلَى غِنَى فَأَمَّا قَوْلُهُ ع وَ مِنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَهُوَ مِمَّنْ كَانَ يَتَّخِذُ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا فَلِقَائِلُ أَنْ يَقُولَ قَدْ يَكُونُ مُؤْمِنًا بِالْقُرْآنِ لَيْسَ بِمَتَّخِذٍ لَهُ هُزُوعًا وَيَقْرُؤُهُ ثُمَّ [صَفْحَةُ ٥٣] يَدْخُلُ النَّارَ لِأَنَّهُ أَتَى بِكَبِيرَةٍ أُخْرَى نَحْوَ الْقَتْلِ وَالزَّانَا وَالْفِرَارِ مِنَ الرَّحْفِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ . وَالْجَوَابُ أَنَّ مَعْنَى كَلَامِهِ ع هُوَ أَنَّ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ لِأَجْلِ قِرَاءَتِهِ الْقُرْآنَ فَهُوَ مِمَّنْ كَانَ يَتَّخِذُ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا أَي يَقْرُؤُهُ هَازِنًا بِهِ سَاحِرًا مِنْهُ مَسْتَهِينًا بِمَوَاعِظِهِ وَزَوَاجِرِهِ غَيْرَ مَعْتَقِدٍ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ . فَإِنِ قُلْتَ إِنَّمَا دَخَلَ مِنْ ذَكَرْتَ النَّارَ لِأَجْلِ قِرَاءَتِهِ الْقُرْآنَ بَلْ لَهْزَنَهُ بِهِ وَجُودُهُ إِيَّاهُ وَ أَنْتَ قُلْتَ مَعْنَى كَلَامِهِ أَنَّهُ مِنْ دَخَلَ النَّارَ لِأَجْلِ قِرَاءَتِهِ الْقُرْآنَ فَهُوَ مِمَّنْ كَانَ يَسْتَهْزِئُ بِالْقُرْآنِ . قُلْتَ بَلْ إِنَّمَا دَخَلَ النَّارَ لِأَنَّهُ قَرَأَهُ عَلَى صِفَةِ الاسْتَهْزَاءِ وَالسَّخْرِيَةِ أَلَا تَرَى أَنَّ السَّاجِدَ لِلصَّنَمِ يَعَاقِبُ لِسُجُودِهِ لَهُ عَلَى جِهَةِ الْعِبَادَةِ وَالتَّعْظِيمِ وَ إِنْ كَانَ لَوْ لَا مَا يَحْدِثُهُ مِضَافًا لِلسُّجُودِ مِنْ أَفْعَالِ الْقُلُوبِ لِمَا عَوِّقَ . وَ يُمْكِنُ أَنْ يَحْمَلَ كَلَامَهُ ع عَلَى تَفْسِيرٍ آخَرَ فَيُقَالُ إِنَّهُ عَنِ بَقُولِهِ إِنَّهُ كَمَا كَانَ مِمَّنْ يَتَّخِذُ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا أَنَّهُ يَعْتَقِدُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَلَكِنَّهُ لَا يَعْمَلُ بِمُوجِبِهَا كَمَا يَفْعَلُهُ الْآنَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ . قَوْلُهُ ع التَّيَاطُ بِقَلْبِهِ أَي لَصِقَ وَ لَا يَغِيْبُهُ أَي لَا يَأْخُذُهُ غِبَابٌ بَلْ يَلْزِمُهُ دَائِمًا وَصَدَقَ ع فَإِنَّ حُبَّ الدُّنْيَا رَأْسَ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَحُبُّ الدُّنْيَا هُوَ الْمَوْجِبُ لِلْهَمِّ وَالْغَمِّ وَالْحَرِصِ وَالْأَمَلِ وَالْخَوْفِ عَلَى مَا اكْتَسَبَهُ أَنْ يَنْفَدَ وَ لِلشَّحِّ بِمَا حَوَتْ يَدُهُ وَ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ [صَفْحَةُ ٥٤]

٢٢٥

كَفَى بِالْقَنَاعَةِ مُلْكًا وَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ نَعِيمًا قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي هَذَيْنِ وَهُمَا الْقَنَاعَةُ وَحَسَنُ الْخُلُقِ . وَ كَانَ يُقَالُ يَسْتَحِقُّ الْإِنْسَانِيَّةَ مِنْ حَسَنِ خَلْقِهِ وَ يَكَادُ السَّيِّئَ الْخُلُقِ يَعِدُ مِنَ السَّبَاعِ . وَ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ حَدَّ الْقَنَاعَةِ هُوَ الرِّضَا بِمَا دُونَ الْكِفَايَةِ وَ الزَّهْدُ الْاِقْتِصَارُ عَلَى الزَّهْدِ أَى الْقَلِيلِ وَهُمَا مُتَقَارِبَانِ وَ فِي الْأَغْلَبِ إِنَّمَا الزَّهْدُ هُوَ رِفْضُ الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ مَعَ الْقَدْرَةِ عَلَيْهَا وَ أَمَّا الْقَنَاعَةُ فَهِيَ إِلْزَامُ النَّفْسِ الصَّبْرَ عَنِ الْمَشْتَهَاتِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا وَ كُلُّ زَهْدٍ حَصَلَ عَنِ قَنَاعَةٍ فَهُوَ تَزَهَّدٌ وَ لَيْسَ بِزَهْدٍ وَكَذَلِكَ قَالَ بَعْضُ الصُّوفِيَّةِ الْقَنَاعَةُ أَوَّلُ الزَّهْدِ تَنْبِيْهَا عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ يَحْتَاجُ أَوَّلًا إِلَى قَدْحِ نَفْسِهِ وَتَخْصِصِهِ بِالْقَنَاعَةِ لِيَسْهَلَ عَلَيْهِ تَعَاطِيُ الزَّهْدِ وَالْقَنَاعَةُ الَّتِي هِيَ الْغِنَى بِالْحَقِيقَةِ لِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ فُقَرَاءٌ مِنْ وَجْهِينِ أَحَدُهُمَا لِاِفْتِقَارِهِمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى كَمَا قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَ اللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ . وَالثَّانِي لِكَثْرَةِ حَاجَاتِهِمْ فَأَغْنَاهُمْ لِامْحَالَةِ أَقْلِهِمْ حَاجَةً وَ مِنْ سَدِّ مَفَاقِرِهِ بِالْمَقْتَنِيَّاتِ فَمَا فِي انْسِدَادِهَا مَطْمَعٌ وَ هُوَ كَمَنْ يَرِيقُ الْخُرْقَ بِالْخُرْقِ وَ مَنْ يَسُدُّهَا بِالْاِسْتِغْنَاءِ عَنْهَا بِقَدْرِ وَسْعِهِ وَ الْاِقْتِصَارِ عَلَى تَنَاوُلِ ضَرُورِيَّاتِهِ فَهُوَ الْغَنِيُّ الْمُقْرَبُ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ فِي قِصَّةِ طَالُوتَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَ مَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ قَالَ أَصْحَابُ الْمَعَانِي وَالباطن هذا إشارة إلى الدنيا - قرآن - ٦٦٥ - ٧٤٩ - قرآن - ١٠١٧ - ١١٥٥ [صَفْحَةُ ٥٥]

٢٢٦

وَ سُئِلَ عَ عَنِ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ لَنْحَيِّيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً فَقَالَ هِيَ الْقَنَاعَةُ - قرآن - ٤٣ - ٧٣ لَارِيْبُ أَنَّ الْحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ هِيَ حَيَاةُ الْغِنَى وَ قَدِينَا أَنَّ الْغِنَى هُوَ الْقَنُوعُ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ الْغِنَى عَدِمَ الْحَاجَةَ فَأَغْنَى النَّاسَ أَقْلَهُمْ حَاجَةً إِلَى النَّاسِ وَ لِذَلِكَ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى أَغْنَى الْأَغْنِيَاءَ لِأَنَّهُ

لا حاجة به إلى شيء و على هذا دل النبي بقوله ص ليس الغنى بكثرة العرض إنما الغنى غنى النفس -رواية 1-2-رواية 22-
 71. وقال الشاعر فمن أشرب اليأس كان الغنى || و من أشرب الحرص كان الفقيرا . وقال الشاعر غنى النفس ما يكفيك من
 سد خلة || فإن زاد شيئا عاد ذاك الغنى فقرا و قال بعض الحكماء المخير بين أن يستغنى عن الدنيا و بين أن يستغنى بالدنيا
 كالمخير بين أن يكون مالكا أو مملوكا. ولهذا قال ع تعس عبدالدينار والدرهم تعس فلا تنتعش وشيك فلا تنتقش -رواية 1-
 2-رواية 11-67. [صفحہ 56] وقيل لحكيم لم لا تغتم قال لأنى لم أتخذ ما يغمنى فقدته . وقال الشاعر فمن سره ألا يرى
 ما يسوءه || فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا . و قال أصحاب هذا الشأن القناعة من وجه صبر و من وجه جود لأن الجود ضربان جود
 بما فى يدك منتزعا و جود عما فى يد غيرك متورعا و ذلك أشرفهما و لا يحصل الزهد فى الحقيقة إلا لمن يعرف الدنيا ما هى
 و يعرف عيوبها و آفاتها و يعرف الآخرة و افتقاره إليها و لا بد فى ذلك من العلم ألا ترى إلى قوله تعالى قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ
 الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ وَ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَن آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا وَ لَا
 يُلَاقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ. ولأن الزاهد فى الدنيا راغب فى الآخرة و هو يبيعها بها كما قال الله تعالى إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ آلِيَهُ.
 والكيس لا يبيع عينا بأثر إلا إذا عرفهما و عرف فضل ما يتبع على ما يبيع -قرآن 301-534-قرآن 612-647 [صفحہ 57]

٢٢٧

شَارِكُوا الَّذِينَ قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْهِمُ الرِّزْقَ فَإِنَّهُ أَخْلَقَ لِلْغِنَى وَ أَجْدَرَ بِإِقْبَالِ الْحَظِّ قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي الْحِظِّ وَالْبَخْتِ . و كان يقال الحظ
 يعدى كما يعدى الجرب و هذا يطابق كلمه أمير المؤمنين ع لأن مخالطة المجدود ليست كمخالطة غير المجدود فإن الأولى
 تقتضى الاشتراك فى الحظ و السعادة و الثانية تقتضى الاشتراك فى الشقاء و الحرمان . والقول فى الحظ و سيع جدا . و قال بعضهم
 البخت على صورة رجل أعمى أصم أخرس و بين يديه جواهر و حجارة و هو يرمى بكلتا يديه . و كان مالك بن أنس فقيه
 المدينة و أخذ الفقه عن الليث بن سعد و كانوا يزدحمون عليه و الليث جالس لا يلتفتون إليه فليلث إن مالكا إنما أخذ عنك
 فما لك خاملا و هو أبه الناس ذكرا فقال دائق بخت خير من جمل بختى حمل علما . و قال الرضى أسيع الغيظ من نوب الليالى
 || و ما يحفلن بالحق المغيظ و أرجو الرزق من خرق دقيق || يسد بسلك حرمان غليظ و أرجع ليس فى كفى منه || سوى عض
 اليدى على الحظوظ [صفحہ 58]

٢٢٨

وَ قَالَ ع فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَ جَلَّ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسَانِ الْعَدْلُ الْإِنْصَافُ وَ الْإِحْسَانُ التَّفَضُّلُ -قرآن 37-78 هذا تفسير صحيح اتفق
 عليه المفسرون كافة و إنما دخل الندب تحت الأمر لأن له صفة زائدة على حسنه و ليس كالمباح الذى لاصفة له زائدة على
 حسنه . و قال الزمخشري العدل هو الواجب لأن الله عز و جل عدل فيه على عباده فجعل ما فرضه عليهم منه واقعا تحت طاقتهم
 و الإحسان الندب و إنما علق أمره بهما جميعا لأن الفرض لا بد أن يقع فيه تفريط فيجبره الندب و لذلك قال رسول الله ص لإنسان
 علمه الفرائض فقال و الله لازدت فيها و لانقصت منها أفلح إن صدق -رواية 1-99 فعقد الفلاح بشرط الصدق و السلامة من
 التفريط و قال ص استقيموا ولن تحصوا -رواية 1-2-رواية 11-31 فليس ينبغى أن يترك ما يجبر كسر التفريط من النوافل .
 ولقائل أن يقول إن كان إنما سمي الواجب عدلا لأنه داخل تحت طاقة المكلف فليس الندب عدلا لأنه داخل تحت طاقة
 المكلف و أما قوله إنما أمر بالندب لأنه يجبر ما وقع فيه التفريط من الواجب فلا يصح على مذهبه و هو من أعيان المعتزلة لأنه

لوجبرت النافلة بالتفريط في الواجب لكانت واجبه مثله وكيف يقول الزمخشري هذا و من قول مشايخنا إن تارك صلاة واحدة من الفرائض لوصلى مائة ألف ركعة من النوافل لم يكفر ثوابها عقاب ترك تلك الصلاة [صفحة ٥٩]

٢٢٩

وَ قَالَ عَ مَنْ يُعْطَى بِالْيَدِ الْقَصِيرَةِ يُعْطَى بِالْيَدِ الطَّوِيلَةِ قَالَ الرضی رحمه الله تعالى ومعنى ذلك أن ما ينفقه المرء من ماله في سبيل الخير والبر وإن كان يسيرا فإن الله تعالى يجعل الجزاء عليه عظيما كثيرا واليدان هاهنا عبارة عن النعمتين ففرق ع بين نعمة العبد ونعمة الرب تعالى ذكره بالقصيرة والطويلة فجعل تلك قصيرة و هذه طويلة لأن نعم الله أبدا تضعف على نعم المخلوقين أضعافا كثيرة إذ كانت نعم الله أصل النعم كلها فكل نعمة إليها ترجع ومنها تنزع -روایت- ١-٤١٤ هذا الفصل قد شرحه الرضی رحمه الله فأغنى عن التعرض بشرحه [صفحة ٦٠]

٢٣٠

إشارة

وَ قَالَ عَ لَابْنِهِ الْحَسَنِ لَا تَدْعُونَ إِلَيَّ مُبَارَزَةً فَإِن دُعِيتَ إِلَيْهَا فَأَجِبْ فَإِن الدَّاعِيَ إِلَيْهَا بَاغٍ وَ الْبَاغِي مَصْرُوعٌ

مثل من شجاعة علي

قد ذكر ع الحكمة ثم ذكر العلة و ماسمعنا أنه ع دعا إلى مبارزة قط وإنما كان يدعى هو بعينه أو يدعو من يبارز فيخرج إليه فيقتله دعا بنو ربيعة بن عبد بن شمس بنى هاشم إلى البراز يوم بدر فخرج ع فقتل الوليد واشترك هو وحمزة ع في قتل عتبة و دعا طلحة بن أبي طلحة إلى البراز يوم أحد فخرج إليه فقتله و دعا مرحب إلى البراز يوم خيبر فخرج إليه فقتله. فأما الخرجة التي خرجها يوم الخندق إلى عمرو بن عبدود فإنها أجل من أن يقال جليله وأعظم من أن يقال عظيمة و ماهي إلا كما قال شيخنا أبو الهذيل و قد سأله سائل أيما أعظم منزلة عند الله على أم أبوبكر فقال يا ابن أخي و الله لمبارزة علي عمرا يوم الخندق تعدل أعمال المهاجرين والأنصار و طاعتهم كلها و تربي عليها فضلا عن أبي بكر وحده و قدروى عن حذيفة بن اليمان ما يناسب هذا بل ما هو أبلغ منه روى قيس بن الربيع عن أبي هارون العبدى عن ربيعة بن مالك السعدى قال أتيت حذيفة بن اليمان فقلت يا أبا عبد الله إن الناس يتحدثون عن علي بن أبي طالب و مناقبه فيقول لهم أهل -روایت- ١-٢-روایت- ٧٧-٧٧-ادامه دارد [صفحة ٦١] البصيرة إنكم لتفرطون في تفریط هذا الرجل فهل أنت محدثى بحديث عنه أذكره للناس فقال يا ربيعة و ما الذى تسألنى عن على و ما الذى أحدثك عنه و الذى نفس حذيفة بيده لو وضع جميع أعمال أمة محمدص في كفة الميزان منذ بعث الله تعالى محمدا إلى يوم الناس هذا و وضع عمل واحد من أعمال على في الكفة الأخرى لرجح على أعمالهم كلها فقال ربيعة هذا المدح الذى لا يقام له و لا يقعد و لا يحمل إنى لأظنه إسرافا يا أبا عبد الله فقال حذيفة يالكع وكيف لا يحمل وأين كان المسلمون يوم الخندق و قد عبر إليهم عمرو و أصحابه فملكهم الهلع والجزع و دعا إلى المبارزة فأحجموا عنه حتى برز إليه على فقتله و الذى نفس حذيفة بيده لعمله ذلك اليوم أعظم أجرا من أعمال أمة محمدص إلى هذا اليوم و إلى أن تقوم القيامة -روایت- از قبل-

٧٢٠ جاء في الحديث المرفوع أن رسول الله ص قال ذلك اليوم حين برز إليه برز الإيمان كله إلى الشرك كله -رواية- ١-٢-
 رواية- ٢٦-١١٠ . وقال أبو بكر بن عياش لقد ضرب علي بن أبي طالب ع ضربة ما كان في الإسلام أيمن منها ضربته عمرا يوم
 الخندق ولقد ضرب علي ضربة ما كان في الإسلام أشأم منها يعني ضربة ابن ملجم لعنه الله . وفي الحديث المرفوع أن رسول الله
 ص لمبارز علي عمرا مازال رافعا يديه مقمحا رأسه نحو السماء داعيا ربه قائلا اللهم إنك أخذت مني عبيده يوم بدر وحمزة
 يوم أحد فاحفظ علي اليوم عليارَب لا- تَذَرْنِي فَرْدًا وَ أَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-٢٤٢ قال جابر بن عبد الله
 الأنصاري و الله ماشبهت يوم الأ-حزاب قتل علي عمرا -رواية- ١-٢-رواية- ٣٥-ادامه دارد [صفحہ ٦٢] وتخاذل المشركين
 بعده إلا بما قصه الله تعالى من قصة طالوت وجالوت في قوله فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ قَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ -رواية- از قبل- ١٣٦ روى
 عمرو بن أزهري عن عمرو بن عبيد عن الحسن أن عليا ع لما قتل عمرا احتز رأسه وحمله فألقاه بين يدي رسول الله ص فقام أبو بكر
 وعمر فقبلا رأسه ووجه رسول الله ص يتهلل فقال هذا النصر أو قال هذا أول النصر -رواية- ١-٢-رواية- ٤٧-٢١٥ في الحديث
 المرفوع أن رسول الله ص قال يوم قتل عمرو ذهب ريحهم ولا يغزوننا بعد اليوم ونحن نغزوهم إن شاء الله -رواية- ١-٢-
 رواية- ٢٣-١٢٤

قصة غزوة الخندق

وينبغي أن نذكر ملخص هذه القصة من مغازي الواقدي و ابن إسحاق قالوا خرج عمرو بن عبدود يوم الخندق و قد كان شهد
 بدرا فارتث جريحا و لم يشهد أحدا فحضر الخندق شاهرا سيفه معلما مدلا بشجاعته وبأسه وخرج معه ضرار بن الخطاب الفهري
 وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزوميون فطافوا بخيولهم على الخندق إصعادا
 وانحدارا يطلبون موضعا ضيقا يعبرونه حتى وقفوا على أضيق موضع فيه في المكان المعروف بالمزار فأكروها خيولهم على العبور
 فعبرت وصاروا مع المسلمين على أرض واحدة و رسول الله ص جالس وأصحابه قيام على رأسه فتقدم عمرو بن عبدود فدعا [
 صفحہ ٦٣] إلى البراز مرارا فلم يقيم إليه أحد فلما أكثر قام على ع فقال أنا أبارزه يا رسول الله فأمره بالجلوس وأعاد عمرو النداء و
 الناس سكوت كان على رءوسهم الطير فقال عمرو أيها الناس إنكم تزعمون أن قتلاكم في الجنة وقتلانا في النار أفما يحب
 أحدكم أن يقدم على الجنة أو يقدم عدوا له إلى النار فلم يقيم إليه أحد فقام على ع دفعة ثانية و قال أنا له يا رسول الله فأمره
 بالجلوس فجال عمرو بفرسه مقبلا ومدبرا وجاءت عظماء الأحزاب فوقف من وراء الخندق ومدت أعناقها تنظر فلما رأى عمرو
 أن أحدا لا يجيبه قال ولقد بححت من النداء || بجمعهم هل من مبارز ووقفت مذجين المشيع || موقف القرن المناجز إني
 كذلك لم أزل || متسرعا قبل الهزاهز أن الشجاعة في الفتى || والجود من خير الغرائز فقام على ع فقال يا رسول الله ائذن لي
 في مبارزته فقال ادن فدنا فقلده سيفه وعممه بعمامته و قال امض لشأنك فلما انصرف قال اللهم أعنه عليه فلما قرب منه قال له
 مجيبا إياه عن شعره لا تعجلن فقد أتاك || مجيب صوتك غير عاجز ذو نية وبصيرة || يرجو بذاك نجاه فائز إني لأمل أن أقيم
 || عليك نائحة الجنائز من ضربة فوهاء يبقى || ذكرها عند الهزاهز فقال عمرو من أنت و كان عمرو شيخا كبيرا قد جاوز الثمانين
 و كان نديم أبي طالب بن عبدالمطلب في الجاهلية فانتسب على ع له و قال أنا علي بن أبي طالب فقال أجل لقد كان أبو بكر
 نديما لي وصديقا فارجع فإني لأحب أن [صفحہ ٦٤] أقتلك كان شيخنا أبو الخير مصدق بن شبيب النحوي يقول إذا مررنا في
 القراءة عليه بهذا الموضع و الله ما أمره بالرجوع إبقاء عليه بل خوفا منه فقد عرف قتلاه ببدر وأحد وعلم أنه إن ناهضه قتله
 فاستحيا أن يظهر الفشل فأظهر الإبقاء والإرعاء وإنه لكاذب فيهما قالوا فقال له علي ع لكني أحب أن أقتلك فقال يا ابن أخي

إني لأكره أن أقتل الرجل الكريم مثلك فارجع وراءك خير لك فقال علي ع إن قريشا تتحدث عنك أنك قلت لا يدعونني أحد إلى ثلاث إلا أجبت و لو إلى واحدة منها قال أجل فقال علي ع فإني أدعوك إلى الإسلام قال دع عنك هذه قال فإني أدعوك إلى أن ترجع بمن تبعك من قريش إلى مكة قال إذن تتحدث نساء قريش عني أن غلاما خدعني قال فإني أدعوك إلى البراز فحمى عمرو وقال ما كنت أظن أن أحدا من العرب يرومها مني ثم نزل فعقر فرسه وقيل ضرب وجهه ففر وتجاولا فثارت لهما غبرة وارتهما عن العيون إلى أن سمع الناس التكبير عاليا من تحت الغبرة فعلموا أن عليا قتله وانجلت الغبرة عنهما و علي راكب صدره يحز رأسه وفر أصحابه ليعبروا الخندق فظفرت بهم خيلهم إلا نوفل بن عبد الله فإنه قصر فرسه فوقع في الخندق فرماه المسلمون بالحجارة فقال يامعاشر الناس قتله أكرم من هذه فنزل إليه علي ع فقتله وأدرك الزبير هيبرة بن أبي وهب فضربه فقطع ثفر فرسه وسقطت درع كان حملها من ورائه فأخذها الزبير وألقى عكرمة رمحه وناوش عمر بن الخطاب ضرار بن عمرو فحمل عليه ضرار حتى إذا وجد عمر مس الرمح رفعه عنه وقال إنها لنعمه مشكورة فاحفظها يا ابن الخطاب إني كنت آليت ألا تمكني يداي من قتل قرشي فأقتله وانصرف ضرار راجعا إلى أصحابه وقد كان جرى له معه مثل هذه في يوم أحد وقد ذكر هاتين القصتين معا محمد بن عمر الواقدي في كتاب المغازي [صفحة ٦٥]

٢٣١

خِيَارُ خِصَالِ النِّسَاءِ شَرَارُ خِصَالِ الرِّجَالِ الرَّهْوُ وَ الْجُبْنُ وَ الْبُخْلُ فَإِذَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ مَرْهُوَةً لَمْ تُمَكِّنْ مِنْ نَفْسِهَا وَإِذَا كَانَتْ بِخِيلَةً حَفِظَتْ مَالَهَا وَ مَيَالَ بَعْلِهَا وَ إِذَا كَانَتْ جَبَانَةً فَرِقَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَعْرِضُ لَهَا أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى الطُّغْرَائِيُّ شَاعِرَ الْعَجَمِ فَقَالَ الْجُودُ وَالْإِقْدَامُ فِي فِتْيَانِهِمْ || وَالْبُخْلُ فِي الْفَتَيَاتِ وَالْإِشْفَاقُ وَالطُّعْنُ فِي الْأَحْدَاقِ دَابُّ رِمَاتِهِمْ || وَالرَّامِيَاتُ سَهَامَا الْأَحْدَاقِ وَ لَهُ قَدْزَادٌ طِيبٌ أَحَادِيثُ الْكِرَامِ بِهَا || مَا بِالْكَرَائِمِ مِنْ جِبْنٍ وَ مِنْ بَخْلِ . وَ فِي حِكْمَةِ أَفْلَاطُونِ مِنْ أَقْوَى الْأَسْبَابِ فِي مَحَبَّةِ الرَّجُلِ لَامْرَأَتِهِ وَاتِّفَاقِ مَا بَيْنَهُمَا أَنْ يَكُونَ صَوْتُهَا دُونَ صَوْتِهِ بِالطَّبَعِ وَ تَمِيْزُهَا دُونَ تَمِيْزِهِ وَ قَلْبُهَا أَوْعَفُ مِنْ قَلْبِهِ فَإِذَا زَادَ مِنْ هَذَا عِنْدَهَا شَيْءٌ عَلَى مَا عِنْدَ الرَّجُلِ تَنَافَرَا عَلَى مَقْدَارِهِ . وَ تَقُولُ زُهَى الرَّجُلِ عَلَيْنَا فَهُوَ مَزْهُوٌ إِذَا فَتَخِرَ وَ كَذَلِكَ نَحْنُ فَهُوَ مَنْخُوٌّ مِنَ النَّخْوَةِ وَ لَا يَجُوزُ زَهَا إِلَّا فِي لُغَةٍ ضَعِيفَةٍ . وَ فَرَقَتْ خَافَتْ وَ الْفَرْقُ الْخَوْفُ [صفحة ٦٦]

٢٣٢

وَ قِيلَ لَهُ ع صِفْ لَنَا الْعَاقِلَ فَقَالَ هُوَ الَّذِي يَضَعُ الشَّيْءَ مَوَاضِعَهُ فَيَقِيلُ فَصِفْ لَنَا الْجَاهِلَ قَالَ قَدْ قُلْتُ قَالَ الرُّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَعْنِي أَنَّ الْجَاهِلَ هُوَ الَّذِي لَا يَضَعُ الشَّيْءَ مَوَاضِعَهُ فَكَانَ تَرَكَ صِفَتَهُ صِفَةً لَهُ إِذْ كَانَ بِخِلَافِ وَصْفِ الْعَاقِلِ - رَوَايَتُ ١- ١٣٠- هَذَا مِثْلُ الْكَلَامِ الَّذِي تَنْسِبُهُ الْعَرَبُ إِلَى الضُّبِّ قَالُوا اخْتَصَمَتِ الضُّبُعُ وَ الثُّعْلُبُ إِلَى الضُّبِّ فَقَالَتِ الضُّبُعُ يَا أَبَا الْحَسَلِ إِنِّي التَّقَطْتُ تَمْرَةً قَالَ طَيِّبًا جَنِيْتُ قَالَتْ وَ إِنْ هَذَا أَخَذَهَا مِنْهُ قَالَ حَظُّ نَفْسِهِ أَحْرَزْتُ قَالَتْ فإني لطمته قال كريم حمى حقيقته قالت فلطمني قال حر انتصر قالت اقض بيننا قال قد فعلت [صفحة ٦٧]

٢٣٣

وَ اللَّهُ لَمَدُّنِيَاكُمْ هَيْدَهُ أَهْوَنُ فِي عَيْنِي مِنْ عُرَاقِ خَنْزِيرٍ فِي يَدٍ مَجْدُومٍ الْعِرَاقُ جَمْعُ عِرْقٍ وَ هُوَ الْعِظْمُ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ اللَّحْمِ وَ هَذَا مِنَ الْجُمُوعِ النَّادِرَةِ نَحْوِ رِخْلِ وَ رِخَالٍ وَ تَوَامٍ وَ تَوَامٍ وَ لَا يَكُونُ شَيْءٌ أَحْقَرُ وَ لَا أَبْغَضٌ إِلَى الْإِنْسَانِ مِنَ عِرَاقِ خَنْزِيرٍ فِي يَدٍ مَجْدُومٍ فَإِنَّهُ

٢٣٧

الْحَجَرُ الْعَصْبُ فِي الدَّارِ رَهْنٌ عَلَى خَرَابِهَا قَالَ الرضی رحمه الله تعالى و قدروی مايناسب هذاالكلام عن النبي ص و لاعجب أن يشته الكلامان فإن مستقاهما من قلب ومفرغهما من ذنوب -روایت- ١-١٤٤ الذنوب الدلو الملقى و لايقال لها وهي فارغة ذنوب ومعنى الكلمة أن الدار المبنية بالحجارة المغصوبة و لوبحجر واحد لابد أن يتعجل خرابها وكأنما ذلك الحجر رهن على حصول التخرب أى كما أن الرهن لابد أن يفتك كذلك لابد لماجعل ذلك الحجر رهنا عليه أن يحصل . و قال ابن بسام لأبى على بن مقله لمابنى داره بالزاهر ببغداد من الغصب وظلم الرعية بجنبك داران مهدومتان || ودارك ثالثة تهدم فليت السلامة للمنصفين || دامت فكيف لمن يظلم . [صفحة ٧٣] والداران دار أبى الحسن بن الفرات ودار محمد بن داود بن الجراح و قال فيه أيضا قل لابن مقله مهلا لاتكن عجلا || فإنما أنت فى أضغاث أحلام تبنى بأنقاض دور الناس مجتهدا || دارا ستنقض أيضا بعد أيام و كان ماتفرسه ابن بسام فيه حقا فإن داره نقضت حتى سويت بالأرض فى أيام الراضى بالله [صفحة ٧٤]

٢٣٨

يَوْمُ الْمَظْلُومِ عَلَى الظَّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الظَّالِمِ عَلَى الْمَظْلُومِ قَد تَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِي الظُّلْمِ مَرَارًا وَ كَانَ يُقَالُ إِذْ كَرَّ عِنْدَ الظُّلْمِ عَدَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيكَ وَ عِنْدَ الْقُدْرَةِ قُدْرَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكَ . وَإِنَّمَا كَانَ يَوْمُ الْمَظْلُومِ عَلَى الظَّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِهِ عَلَى الْمَظْلُومِ لِأَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ يَوْمُ الْجَزَاءِ الْكُلِيِّ وَالْإِنْتِقَامِ الْأَعْظَمِ وَقَصَارَى أَمْرِ الظَّالِمِ فِي الدُّنْيَا أَنْ يُقْتَلَ غَيْرَهُ فِيمِيتَهُ مِيتَةً وَاحِدَةً ثُمَّ لَاسِيْلٌ لَهُ بَعْدَ إِمَاتِهِ إِلَى أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِ أَلْمَا آخِرٌ وَ أَمَا يَوْمُ الْجَزَاءِ فَإِنَّهُ يَوْمٌ لَا يَمُوتُ فِيهِ فِيستريح بل عذابه دائم متجدد نعوذ بالله من سخطه وعقابه [صفحة ٧٥]

٢٣٩

اتَّقِ اللَّهَ بَعْضَ التَّقَى وَ إِنْ قَلَّ وَ اجْعَلْ بَيْنَكَ وَ بَيْنَ اللَّهِ سِتْرًا وَ إِنْ رَقَّ يُقَالُ فِي الْمَثَلِ مَا لَا يَدْرِكُ كُلَّهُ لَا يَتْرِكُ كُلَّهُ . فَالْوَاجِبُ عَلَى مَنْ عَسَرَ عَلَيْهِ التَّقَى بِأَجْمَعِهَا أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ فِي الْبَعْضِ وَ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَهُ وَ بَيْنَهُ سِتْرًا وَ إِنْ كَانَ رَقِيقًا . وَ فِي أَمْثَالِ الْعَامَّةِ اجْعَلْ بَيْنَكَ وَ بَيْنَ اللَّهِ رِوزَنَةً وَ الرِوزَنَةُ لَفْظَةٌ صَحِيحَةٌ مَعْرَبَةٌ أَى لَا تَجْعَلْ مَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ مَسْدُودًا مَظْلَمًا بِالْكَلِيَّةِ [صفحة ٧٦]

٢٤٠

إِذَا زِدَحَمَ الْجَوَابُ خَفِيَ الصَّوَابُ هَذَا نَحْوُ أَنْ يُورَدُ الْإِنْسَانُ إِشْكَالًا فِي بَعْضِ الْمَسَائِلِ النَّظَرِيَّةِ بِحَضْرَةِ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ النَّظَرِ فَيَتَغَالَبُ الْقَوْمُ وَيَتَسَابِقُونَ إِلَى الْجَوَابِ عَنْهُ كُلِّ مَنْهُمْ يُورَدُ مَا خَطَرَ لَهُ . فَلَارِيبُ أَنْ الصَّوَابُ يَخْفَى حِينَئِذٍ وَ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الْحَقِيقَةِ أَمْرٌ لِلنَّاطِرِ الْبِحَاثِ أَنْ يَتَحَرَى الْإِنصَافَ فِي بَحْثِهِ وَنَظَرِهِ مَعَ رَفِيقِهِ وَ أَلَا يَقْصِدُ الْمَرَاءَ وَ الْمَغَالِبَةَ وَ الْقَهْرَ [صفحة ٧٧]

٢٤١

إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ نِعْمَةٍ حَقًّا فَمَنْ أَدَاهُ زَادَهُ مِنْهَا وَ مَنْ قَصَرَ فِيهِ خَاطَرَ بَزَوَالٍ نِعْمَتِهِ قَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِي هَذَا الْمَعْنَى وَ جَاءَ فِي الْخَبَرِ مِنْ أَوْتَى نِعْمَةً فَأَدَى حَقَّ اللَّهِ مِنْهَا بِرَدِّ اللَّهْفَةِ وَ إِجَابَةِ الدَّعْوَةِ وَ كَشَفِ الْمَظْلَمَةِ كَانَ جَدِيرًا بِدَوَامِهَا وَ مِنْ قَصْرِ قَصْرٍ بِهِ -رَوَايَتُ- ١-
٢-رَوَايَتُ- ١٥-١٢٤ [صفحہ ٧٨]

٢٤٢

إِذَا كَثُرَتِ الْمَقْدَرَةُ قَلَّتِ الشَّهْوَةُ هَذَا مِثْلُ قَوْلِهِمْ كُلُّ مَقْدُورٍ عَلَيْهِ مَمْلُوقٌ وَمِثْلُ قَوْلِ الشَّاعِرِ وَ كُلُّ كَثِيرٍ عَدُوٌّ الطَّبِيعَةِ . وَمِثْلُ قَوْلِ الْآخِرِ وَأَخْ كَثُرَتْ عَلَيْهِ حَتَّى مَلْنِي || وَالشَّيْءُ مَمْلُوقٌ إِذَا هُوَ يَرْخِصُ بِأَلِيَّتِهِ إِذْ بَاعَ وَدَى بَاعَهُ || مِمَّنْ يَزِيدُ عَلَيْهِ لَا- مِنْ يَنْقُصُ . وَلِهَذَا الْحُكْمُ عَلَهُ فِي الْعِلْمِ الْعَقْلِيِّ وَ ذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ عِنْدَهُمْ غَنِيَّةٌ بِذَاتِهَا مَكْتَفِيَةٌ بِنَفْسِهَا غَيْرَ مَحْتَاجَةٍ إِلَى شَيْءٍ خَارِجٍ عَنْهَا وَإِنَّمَا عَرَضَتْ لَهَا الْحَاجَةُ وَالْفَقْرُ إِلَى مَا هُوَ خَارِجٌ عَنْهَا لِمُقَارَنَتِهَا الْهَيُولَى وَ ذَلِكَ أَنَّ أَمْرَ الْهَيُولَى بِالضَّدِّ مِنْ أَمْرِ النَّفْسِ فِي الْفَقْرِ وَالْحَاجَةِ وَ لَمَّا كَانَ الْإِنْسَانُ مَرْكَبًا مِنَ النَّفْسِ وَالْهَيُولَى عَرَضَ لَهُ الشُّوقُ إِلَى تَحْصِيلِ الْعُلُومِ وَالْقَنِيَّاتِ لِانْتِفَاعِهِ بِهِمَا وَالتَّذَاذِهِ بِحُصُولِهِمَا فَأَمَّا الْعُلُومُ فَإِنَّهُ يَحْصُلُهَا فِي شَبِيهِ الْخَزَائِنِ لَهُ يَرْجِعُ إِلَيْهَا مَتَى شَاءَ وَيَسْتَخْرِجُ مِنْهَا مَا أَرَادَ أَعْنَى الْقُوَى النَّفْسَانِيَّةِ الَّتِي هِيَ مَحَلُّ الصُّورِ وَالْمَعَانِي عَلَى مَا هُوَ مَذْكَورٌ فِي مَوْضِعِهِ وَ أَمَّا الْقَنِيَّاتُ وَالْمَحْسُوسَاتُ [صفحہ ٧٩] فَإِنَّهُ يَرُومُ مِنْهَا مِثْلَ مَا يَرُومُ مِنْ تَلَكُّهُ وَ أَنَّ يُوَدِّعُهَا خَزَائِنَهُ مَحْسُوسَةً خَارِجَةً عَنْ ذَاتِهِ لَكِنَّهُ يَغْلُظُ فِي ذَلِكَ مِنْ حَيْثُ يَسْتَكْتَرُ مِنْهَا إِلَى أَنْ يَتَنَبَّهُ بِالْحِكْمَةِ عَلَى مَا يَنْبَغِي أَنْ يَقْتَنِي مِنْهَا وَإِنَّمَا حَرَصَ عَلَى مَا مَنَعَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِنَّمَا يَطْلُبُ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ لِأَنَّ تَحْصِيلَ الْحَاصِلِ مَحَالٌّ وَالطَّلْبُ إِنَّمَا يَتَوَجَّهُ إِلَى الْمَعْدُومِ لَا إِلَى الْمَوْجُودِ فَإِذَا حَصَلَ سَكَنَ وَعَلِمَ أَنَّهُ قَدِ ادَّخَرَهُ وَمَتَى رَجَعَ إِلَيْهِ وَحَدَهُ إِنْ كَانَ مِمَّا يَبْقَى بِالذَّاتِ خَزَنَهُ وَتَشَوَّقَ إِلَى شَيْءٍ آخَرَ مِنْهُ وَ لَا يَزَالُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الْجَزَائِيَّاتِ لِانْتِهَائِيَّةِ لَهَا وَ مَا لِانْتِهَائِيَّةِ لَهُ فَلَا مَطْمَعُ فِي تَحْصِيلِهِ وَ لَا فَائِدَةٌ فِي النُّزُوعِ إِلَيْهِ وَ لَا وُجْهٌ لَطْلَبِهِ سِوَاءِ كَانَ مَعْلُومًا أَوْ مَحْسُوسًا فَوْجِبَ أَنْ يَقْصِدَ مِنَ الْمَعْلُومَاتِ إِلَى الْأَهْمِ وَ مِنَ الْمَقْتَنِيَّاتِ إِلَى ضَرُورَاتِ الْبَدَنِ وَ مَقِيمَاتِهِ وَ يَعْدِلُ عَنِ الْاسْتِكْتَارِ مِنْهَا فَإِنْ حَصَلَ كُلُّهَا مَعَ أَنَّهَا لِانْتِهَائِيَّةِ لَهَا غَيْرَ مُمْكِنٍ وَ كَلِمًا فَضَّلَ عَنِ الْحَاجَةِ وَ قَدَرَ الْكِفَايَةَ فَهُوَ مَادَّةُ الْأَحْزَانِ وَالْهَمُومِ وَضُرُوبِ الْمَكَارِهِ وَالْغَلْطِ فِي هَذَا الْبَابِ كَثِيرٌ وَسَبَبُ ذَلِكَ طَمَعُ الْإِنْسَانِ فِي الْغَنَى مِنْ مَعْدَنِ الْفَقْرِ لِأَنَّ الْفَقْرَ هُوَ الْحَاجَةُ وَالْغَنَى هُوَ الْاسْتِقْلَالُ إِلَى أَنْ يَحْتَاجَ إِلَيْهِ وَلِذَلِكَ قِيلَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى غَنِيٌّ مَطْلَقًا لِأَنَّهُ غَيْرَ مَحْتَاجٍ إِلَى شَيْءٍ فَكثرت قنياته فإنه يستكثر حاجاته بحسب كثرة قنياته و على قدرها رغبه إلى الاستكثار بكثرة وجوه فقره و قد بين ذلك في شرائع الأنبياء و أخلاق الحكماء فأما الشيء الرخيص الموجود كثيرا فإنما يرغب عنه لأنه معلوم أنه إذا التمس وجد والغالى فإنما يقدر عليه في الأحيان ويصيبه الواحد بعد الواحد و كل إنسان يتمنى أن يكون ذلك الواحد ليصيبه وليحصل له ما لا يحصل لغيره [صفحہ ٨٠]

٢٤٣

أَحْدَرُوا نَفَارَ النَّعْمِ فَمَا كُلُّ شَارِدٍ بِمَرْدُودٍ هَذَا أَمْرٌ بِالشُّكْرِ عَلَى النِّعْمَةِ وَ تَرْكُ الْمَعَاصِي فَإِنَّ الْمَعَاصِي تَزِيلُ النَّعْمَ كَمَا قِيلَ إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَهَا || فَإِنَّ الْمَعَاصِي تَزِيلُ النَّعْمَ وَ قَالَ بَعْضُ السُّلَفِ كَفْرَانِ النَّعْمَةِ بَوَارٍ وَقَلِمًا أَقْلَعْتَ نَافِرَةً فَرَجَعْتَ فِي نَصَابِهَا فَاسْتَدْعَ شَارِدَهَا بِالشُّكْرِ وَاسْتَدَمَّ رَاهِنَهَا بِكِرْمِ الْجَوَارِ وَ لَا تَحْسَبُ أَنْ سَبُوعُ سِتْرِ اللَّهِ عَلَيْكَ غَيْرَ مُتَقَلِّصٍ عَمَّا قَلِيلٍ عِنْدَكَ إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْجِ اللَّهَ وَقَارًا . وَ قَالَ أَبُو عَصِمَةَ شَهِدْتُ سَفِيَانًا وَفَضِيلًا فَمَا سَمِعْتُهُمَا يَتَذَاكِرَانِ إِلَّا النَّعْمَ يَقُولَانِ أَنْعَمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَيْنَا بِكَذَا وَفَعَلَ بِنَا كَذَا . وَ قَالَ الْحَسَنُ إِذَا اسْتَوَى يَوْمًا كَفَأَنْتَ نَاقِصٌ قِيلَ لَهُ كَيْفَ ذَاكَ قَالَ إِنْ زَادَكَ اللَّهُ الْيَوْمَ نَعْمًا فَعَلَيْكَ أَنْ تَزِدَادَ غَدًا لَهُ شُكْرًا . وَ كَانَ يُقَالُ الشُّكْرُ جَنَّةٌ مِنَ الزُّوَالِ وَأَمْنَةٌ مِنَ الْإِنْتِقَالِ . وَ كَانَ يُقَالُ إِذَا كَانَتِ النَّعْمَةُ وَسِيمَةً فَاجْعَلِ الشُّكْرَ لَهَا تَمِيمَةً [صفحہ ٨١]

الكَرْمُ أَعَطْفٌ مِنَ الرَّحْمِثِلِ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ لَابْنِ الْجَهْمِ إِلا يَكُنْ نَسَبٌ يُؤَلَّفُ بَيْنَنَا || أَدَبٌ أَقَمْنَاهُ مَقَامَ الْوَالِدِ أَوْ يَخْتَلِفُ مَاءَ الْوَصَالِ فَمَاؤُنَا || عَذِبٌ تَحَدَّرَ مِنْ غَمَامٍ وَاحِدٍ وَ مِنْ قَصِيدَةٍ لِي فِي بَعْضِ أَغْرَاضِي وَ وَشَائِحِ الْآدَابِ عَاطِفَةٌ || الْفَضْلَاءُ فَوْقَ وَشَائِحِ النَّسَبِ [صَفْحَةُ ٨٢]

مَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْرًا فَصَدَّقْ ظَنَّهُ هَذَا قَدْ تَقَدَّمَ فِي وَصِيَّتِهِ عَ لَوْلَاهُ الْحَسَنُ . وَ مِنْ كَلَامٍ بَعْضُهُمْ إِنِّي لِأَسْتَحْيِي أَنْ يَأْتِيَنِي الرَّجُلُ يَحْمِرُ وَجْهَهُ تَارَةً مِنَ الْخَجَلِ أَوْ يَصْفُرُ أُخْرَى مِنْ خَوْفِ الرَّدِّ قَدْ ظَنَّ بِي الْخَيْرَ وَ بَاتَ عَلَيْهِ وَ غَدَا عَلَيَّ أَنْ أُرْدَهُ خَائِبًا [صَفْحَةُ ٨٣]

أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ مَا أَكْرَهْتَ نَفْسَكَ عَلَيْهِ لِأَرِيْبِ أَنْ الثَّوَابَ عَلَيَّ قَدَرِ الْمَشَقَّةِ لِأَنَّهُ كَالْعَوْضِ عَنْهَا كَمَا أَنَّ الْعَوْضَ الْحَقِيقِي عَوْضٌ عَنِ الْأَلْمِ وَ لِهَذَا قَالَ صَ أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ أَحْمَزُهَا - رَوَيْتُ - ١ - ٢ - رَوَيْتُ - ١١ - ٣٢ أَيْ أَشَقَّهَا [صَفْحَةُ ٨٤]

عَرَفْتُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِفَسْخِ الْعَزَائِمِ وَ حَلِّ الْعُقُودِ وَ نَقْضِ الْهَمَمِ هَذَا أَحَدُ الطَّرِيقِ إِلَى مَعْرِفَةِ الْبَارِي سُبْحَانَهُ وَ هُوَ أَنْ يَعْزِمَ الْإِنْسَانُ عَلَى أَمْرٍ وَيَصْمُمُ رَأْيَهُ عَلَيْهِ ثُمَّ لَا يَلِيْبُثُ أَنْ يَخْطُرَ اللَّهُ تَعَالَى بِبَالِهِ خَاطِرًا صَارِفًا لَهُ عَنِ ذَلِكَ الْفِعْلِ وَ لَمْ يَكُنْ فِي حِسَابِهِ أَيْ لَوْ لَا أَنْ فِي الْوُجُودِ ذَاتَا مَدْبِرَةٍ لِهَذَا الْعَالَمِ لَمَا خَطَرَتْ الْخَوَاطِرُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَحْتَسِبَةً وَ هَذَا فَصَلٌ يَتَضَمَّنُ كَلَامًا دَقِيقًا يَذْكُرُهُ الْمُتَكَلِّمُونَ فِي الْخَاطِرِ الَّذِي يَخْطُرُ مِنْ غَيْرِ مَوْجِبٍ لَخَطُورِهِ فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ أَخْطَرَهُ بِبَالِهِ وَ إِلا لَكَانَ تَرْجِيحًا مِنْ غَيْرِ مَرْجِحٍ لْجَانِبِ الْوُجُودِ عَلَى جَانِبِ الْعَدَمِ فَلَا يَبْدُ أَنْ يَكُونَ الْمَخْطَرُ لَهُ بِالْبَالِ شَيْئًا خَارِجًا عَنِ ذَاتِ الْإِنْسَانِ وَ ذَاكَ هُوَ الشَّيْءُ الْمَسْمُومُ بِصَانِعِ الْعَالَمِ . وَ لَيْسَ هَذَا الْمَوْضِعُ مِمَّا يَحْتَمَلُ اسْتِقْصَاءَ الْقَوْلِ فِي هَذَا الْمَبْحَثِ . وَيُقَالُ إِنْ عَضُدَ الدَّوْلَةَ وَقَعْتَ فِي يَدِهِ قِصَّةً وَ هُوَ يَتَصَفَّحُ الْقِصَصَ فَأَمْرٌ بِصَلْبِ صَاحِبِهَا ثُمَّ أَتْبَعَ الْخَادِمَ خَادِمًا آخَرَ يَقُولُ لَهُ قُلْ لِلْمَطْهَرِ وَ كَانَ وَزِيرُهُ لَا يَصْلِبُهُ وَلَكِنْ أَخْرَجَهُ مِنَ الْحَبْسِ فَاقْطَعْ يَدَهُ الْيَمْنَى ثُمَّ أَتْبَعَهُ خَادِمًا ثَالِثًا فَقَالَ بَلْ تَقُولُ لَهُ يَقْطَعُ أَعْصَابَ رَجُلِيهِ ثُمَّ أَتْبَعَهُ خَادِمًا آخَرَ فَقَالَ لَهُ يَنْقُلُهُ إِلَى الْقَلْعَةِ بِسِيرَافٍ فِي قِيُودِهِ فَيَجْعَلُهُ هُنَاكَ فَاخْتَلَفَتْ دَوَاعِيهِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ أَرْبَعِ مَرَّاتٍ [صَفْحَةُ ٨٥]

مَرَارَةُ الدُّنْيَا حَلَاوَةٌ الْآخِرَةُ وَ حَلَاوَةُ الدُّنْيَا مَرَارَةُ الْآخِرَةِ لَمَا كَانَتْ الدُّنْيَا ضِدَّ الْآخِرَةِ وَ جَبَّ أَنْ يَكُونَ أَحْكَامُ هَذِهِ ضِدَّ أَحْكَامِ هَذِهِ كَمَا لِسُودٍ يَجْمَعُ الْبَصَرَ وَ الْبَيَاضُ يَفْرُقُ الْبَصَرَ وَ الْحَرَارَةُ تَوْجِبُ الْخَفَةَ وَ الْبُرُودَةُ تَوْجِبُ الثَّقَلَ فَإِذَا كَانَ فِي الدُّنْيَا أَعْمَالٌ هِيَ مَرَّةٌ الْمَذَاقِ عَلَى الْإِنْسَانِ قَدْ وُورِدَ الشَّرْعُ بِإِيجَابِهَا فَتَلْكَ الْأَفْعَالُ تَقْتَضِي وَ تَوْجِبُ لِفَاعِلِهَا ثَوَابًا حَلَوَ الْمَذَاقِ فِي الْآخِرَةِ . وَ كَذَا كَ بِالْعَكْسِ مَا كَانَ مِنَ الْمَشْتَهِيَّاتِ الدُّنْيَا وَ يَهُى الْقَدْنَهَى الشَّرْعُ عَنْهَا تَوْجِبُ وَ إِنْ كَانَتْ حَلَوَةُ الْمَذَاقِ مَرَارَةَ الْعُقُوبَةِ فِي الْآخِرَةِ [صَفْحَةُ ٨٦]

فَرَضَ اللَّهُ الْإِيمَانَ تَطْهِيراً مِنَ الشَّرِكِ وَالصَّلَاةَ تَنْزِيهاً عَنِ الْكِبْرِ وَالزَّكَاةَ تَسْبِيحاً لِلرِّزْقِ وَالصَّيَامَ ابْتِلَاءً لِإِخْلَاصِ الْخَلْقِ وَالْحَجَّ تَقْوِيَةً لِلدِّينِ وَالْجِهَادَ عِزًّا لِلْإِسْلَامِ وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعَوَامِّ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ رَدْعاً لِلسِّفْهَاءِ وَصِلَةَ الرَّحْمِ مَنْمَاءً لِلْعَيْدِ وَالْقِصَاصَ حَقْنًا لِلدَّمَاءِ وَإِقَامَةَ الْحُدُودِ إِعْظَامًا لِلْمَحَارِمِ وَتَرْكَ شُرْبِ الْخَمْرِ تَحْصِيَةً لِلْعَقْلِ وَمُجَابَبَةَ السِّيرْفَةِ إِجَابًا لِلْعِفَّةِ وَتَرْكَ الزُّنَا تَحْصِيَةً لِلنَّسَبِ وَتَرْكَ اللَّوْاطِ تَكْثِيرًا لِلنَّسْلِ وَالشَّهَادَاتِ اسْتِظْهَارًا عَلَى الْمُجَاحِدَاتِ وَتَرْكَ الْكَذِبِ تَشْرِيفًا لِلصِّدْقِ وَالسَّلَامَ أَمَانًا مِنَ الْمَخَافِيفِ وَالْإِمَامَةَ نِظَامًا لِلْأُمَّةِ وَالطَّاعَةَ تَعْظِيمًا لِلْإِمَامَةِ هَذَا الْفَصْلُ يَتَضَمَّنُ بَيَانَ تَعْلِيلِ الْعِبَادَاتِ إِجَابًا وَسَلْبًا. قَالَ ع. فَرَضَ اللَّهُ الْإِيمَانَ تَطْهِيراً مِنَ الشَّرِكِ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ الشَّرِكَ نَجَاسَةٌ حَكْمِيَّةٌ لِأَعْيُنِيَّةِ وَأَيِّ شَيْءٍ يَكُونُ أَنْجَسَ مِنَ الْجَهْلِ أَوْ أَقْبَحَ فَالْإِيمَانَ هُوَ تَطْهِيرُ الْقَلْبِ مِنْ نَجَاسَةِ ذَلِكَ الْجَهْلِ . وَفَرَضَتِ الصَّلَاةَ تَنْزِيهاً مِنَ الْكِبْرِ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَقُومُ فِيهَا قَائِمًا وَالْقِيَامَ مُنَافٍ لِلتَّكْبَرِ وَطَارِدٌ لَهُ ثُمَّ يَرْفَعُ يَدَيْهِ بِالتَّكْبِيرِ وَقْتَ الْإِحْرَامِ بِالصَّلَاةِ فَيَصِيرُ عَلَى هَيْئَةٍ مِنْ يَمْدِ عُنُقِهِ لِيُوسِطَهُ السِّيَافُ ثُمَّ يَسْتَكْتَفِ كَمَا يَفْعَلُهُ الْعَبِيدُ الْأَذْلَاءُ بَيْنَ يَدَيْ [صَفْحَةُ ٨٧] السَّادَةِ الْعِظْمَاءِ ثُمَّ يَرْكَعُ عَلَى هَيْئَةٍ مِنْ يَمْدِ عُنُقِهِ لِيُضْرِبَهَا السِّيَافُ ثُمَّ يَسْجُدُ فَيَضَعُ أَشْرَفَ أَعْضَائِهِ وَهُوجِبَتُهُ عَلَى أَدْوَانِ الْمَوَاضِعِ وَهُوَ التَّرَابُ ثُمَّ تَتَضَمَّنُ الصَّلَاةُ مِنَ الْخُضُوعِ وَالْخُشُوعِ وَالْإِمْتِنَاعِ مِنَ الْكَلَامِ وَالْحَرَكَةِ الْمَوْهَمَةَ لِمَنْ رَأَاهَا أَنْ صَاحِبَهَا خَارِجٌ عَنِ الصَّلَاةِ وَمَا فِي غُضُونِ الصَّلَاةِ مِنَ الْأَذْكَارِ الْمُتَضَمِّنَةِ الذَّلِّ وَالتَّوَضُّعِ لِعِظْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى . وَفَرَضَتِ الزَّكَاةَ تَسْبِيحًا لِلرِّزْقِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَقَالَ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ . وَفَرَضَ الصَّيَامَ ابْتِلَاءً لِإِخْلَاصِ الْخَلْقِ - قُرْآن - ٣٧١-٤١٢ - قُرْآن - ٤٢٠-٤٨١ قَالَ النَّبِيُّ ص. حَاكِيَا عَنِ اللَّهِ تَعَالَى الصُّومَ لِي وَ أَنَا أَجْزَى بِهِ - رَوَايَتُ ١-٢- رَوَايَتُ ٤٠-٤٦ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ الصُّومَ أَمْرٌ لَا يَطَّلَعُ عَلَيْهِ أَحَدٌ فَلَا يَقُومُ بِهِ عَلَى وَجْهِهِ إِلَّا الْمَخْلُصُونَ . وَفَرَضَ الْحَجَّ تَقْوِيَةً لِلدِّينِ وَ ذَلِكَ لِمَا يَحْصُلُ لِلْحَاجِّ فِي ضَمْنِهِ مِنَ الْمَتَاجِرِ وَالْمَكَاسِبِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِيُشْهِدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ... عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ وَأَيْضًا فَإِنَّ الْمَشْرِكِينَ كَانُوا يَقُولُونَ لَوْ لَا أَنَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ كَثِيرًا وَأُولُو قُوَّةٍ لَمَاحَجُوا فَإِنَّ الْجَيْشَ الضَّعِيفَ يَعْجِزُ عَنِ الْحَجِّ مِنَ الْمَكَانِ الْبَعِيدِ . وَفَرَضَ الْجِهَادَ عِزًّا لِلْإِسْلَامِ وَ ذَلِكَ ظَاهِرٌ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَ لَوْ لَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصِيْلَمَوَاتٌ وَ مَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَ أَعْدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ مِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عِدْوُ اللَّهِ وَ عِدْوُكُمْ . - قُرْآن - ١٧٣-٢٢٣ - قُرْآن - ٢٢٧-٢٦٧ - قُرْآن - ٤٥٢-٥٨٧ - قُرْآن - ٦٠٢-٧٠٩] صَفْحَةُ ٨٨] وَفَرَضَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعَوَامِّ لِأَنَّ الْأَمْرَ بِالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ وَرَدِ الْوَدَائِعِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَقِضَاءِ الدِّيُونِ وَالصِّدْقِ فِي الْقَوْلِ وَإِجَازِ الْوَعْدِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ مَصْلَحَةٌ لِلبَشَرِ عَظِيمَةٌ لِامْحَالَةِ . وَفَرَضَ النَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ رَدْعًا لِلسِّفْهَاءِ كَالنَّهْيِ عَنِ الظُّلْمِ وَالْكَذِبِ وَالسُّفْهِهِ وَمَا يَجْرِي مَجْرَى ذَلِكَ . وَفَرَضَتِ صِلَةَ الرَّحْمِ مَنْمَاءً لِلْعَدَدِ قَالَ النَّبِيُّ ص. صِلَةَ الرَّحْمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ وَتَنْمِي الْعَدَدَ - رَوَايَتُ ١-٢- رَوَايَتُ ١٨-٥٦ . وَفَرَضَ الْقِصَاصَ حَقْنًا لِلدَّمَاءِ قَالَ سُبْحَانَهُ وَ لَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاءٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ . وَفَرَضَتِ إِقَامَةَ الْحُدُودِ إِعْظَامًا لِلْمَحَارِمِ وَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ إِذَا أُقِيمَتِ الْحُدُودُ ائْتَمَعَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ عَنِ الْمَعَاصِي الَّتِي تَجِبُ الْحُدُودُ فِيهَا وَظَهَرَ عَظَمُ تَلْكَ الْمَعَاصِي عِنْدَ الْعَامَّةِ فَكَانُوا إِلَى تَرْكِهَا أَقْرَبَ . وَحَرَّمَ شُرْبَ الْخَمْرِ تَحْصِينًا لِلْعَقْلِ قَالَ قَوْمٌ لِحَكِيمٍ اشْرَبِ اللَّيْلَةَ مَعْنَا فَقَالَ أَنَا لَا أَشْرَبُ مَا يَشْرَبُ عَقْلِي وَ - قُرْآن - ٤٠-٨٨ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ أَنَّ مَلَكًا ظَالِمًا خَيْرٌ إِنْسَانًا بَيْنَ أَنْ يَجَامَعَ أُمُّهُ أَوْ يُقْتَلَ نَفْسًا مُؤْمِنَةً أَوْ يَشْرَبُ الْخَمْرَ حَتَّى يَسْكُرَ فَرَأَى أَنَّ الْخَمْرَ أَهْوَنُهَا فَشْرَبَ حَتَّى سَكِرَ فَلَمَّا غَلَبَهُ قَامَ إِلَى أُمِّهِ فَوَطَّئَهَا وَقَامَ إِلَى تَلْكَ النَّفْسِ الْمُؤْمِنَةَ فَقَتَلَهَا ثُمَّ قَالَ ع. الْخَمْرُ جَمَاعُ الْإِثْمِ الْخَمْرُ أُمُّ الْمَعَاصِي - رَوَايَتُ ١-٢- رَوَايَتُ ٢٣-٢٦٥ . وَحَرَّمَ السَّرْقَةَ إِجَابًا لِلْعِفَّةِ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْعِفَّةَ خَلْقَ شَرِيفٍ وَالطَّمَعُ خَلْقَ دُنْيَاءٍ فَحَرَمَتِ السَّرْقَةَ لِتَمْرِنِ النَّاسِ عَلَى ذَلِكَ الْخَلْقِ الشَّرِيفِ وَيَجَانِبُوا ذَلِكَ الْخَلْقَ الذَّمِيمَ وَأَيْضًا حَرَمَتِ لِمَا فِي تَحْرِيمِهَا مِنْ تَحْصِينِ أَمْوَالِ النَّاسِ . [صَفْحَةُ ٨٩] وَحَرَّمَ

الزنا تحصيلنا للنسب فإنه يفضى إلى اختلاط المياه واشتباها الأنساب وألا ينسب أحد بتقدير ألا يشرع النكاح إلى أب بل يكون نسب الناس إلى أمهاتهم و في ذلك قلب الحقيقة وعكس الواجب لأن الولد مخلوق من ماء الأب وإنما الأم وعاء وظرف . وحرمة اللواط كثيرا للنسل و ذلك اللواط بتقدير استفاضته بين الناس والاستغناء به عن النساء يفضى إلى انقطاع النسل والذرية و ذلك خلاف ما يريد الله تعالى من بقاء هذا النوع الشريف الذى ليس فى الأنواع مثله فى الشرف لمكان النفس الناطقة التى هى نسخة ومثال للحضرة الإلهية ولذلك سمت الحكماء الإنسان العالم الصغير . وحرمة الاستمناء باليد وإتيان البهائم للمعنى الذى لأجله حرم اللواط و هو تقليل النسل و من مستحسن الكلمات النبوية قوله ع فى الاستمناء باليد ذلك الواد الخفى -رواية- ١-٢- رواية- ٣١-٤٩ لأن الجاهلية كانت تشد البنات أى تقتلن خنقا و قدقمدنا ذكر سبب ذلك فشبه ع إتلاف النطفة التى هى ولد بالقوة بإتلاف الولد بالفعل . وأوجب الشهادات على الحقوق استظهارا على المجاحدات قال النبى ص لو أعطى الناس بدعوايهم لاستحل قوم من قوم دماءهم وأموالهم -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-٨٢ ووجب ترك الكذب تشريفا للصدق و ذلك لأن مصلحة العامة إنما تتم وتتظم بالصدق فإن الناس يبنون أكثر أمورهم فى معاملاتهم على الأخبار فإنها أعم من العيان والمشاهدة فإذا لم تكن صادقة وقع الخطأ فى التديرات وفسدت أحوال الخلق . وشرع رد السلام أمانا من المخاوف لأن تفسير قول القائل سلام عليكم أى لا حرب بينى وبينكم بل بينى وبينكم السلام و هو الصلح . [صفحة ٩٠] وفرضت الإمامة نظاما للأمم و ذلك لأن الخلق لا يرتفع الهرج والعسف والظلم والغضب والسرقه عنهم إلا بوزاع قوى و ليس يكفى فى امتناعهم قبح القبيح و لا وعيد الآخرة بل لا بد لهم من سلطان قاهر ينظم مصالحهم فيردع ظالمهم ويأخذ على أيدي سفهائهم . وفرضت الطاعة تعظيما للإمامة و ذلك لأن أمر الإمامة لا يتم إلا بطاعة الرعية و إلا فلو عصت الرعية إمامها لم ينتفعوا بإمامته ورئاسته عليهم [صفحة ٩١]

٢٥٠

إشارة

وَ كَانَ ع يَقُولُ أَحْلِفُوا الظَّالِمَ إِذَا أَرَدْتُمْ يَمِينَهُ بِأَنَّهُ بَرِيءٌ مِنْ حَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ فَمِائَتُهُ إِذَا حَلَفَ بِهَا كَاذِبًا عُوْجِلَ وَإِذَا حَلَفَ بِاللَّهِ أَلَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَمْ يُعَاجِلْ لِأَنَّهُ قَدْ وَحَدَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى

ماجرى بين يحيى بن عبد الله و بين ابن المصعب

عند الرشيد روى أبو الفرج على بن الحسين الأصبهاني فى كتاب مقاتل الطالبين أن يحيى بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب ع لما أمنه الرشيد بعد خروجه بالديلم وصار إليه بالغ فى إكرامه وبره فسعى به بعد مده عبد الله بن مصعب الزبيرى إلى الرشيد و كان يبغضه و قال له إنه قد عاد يدعو إلى نفسه سرا و حسن له نقض أمانه فأحضره و جمع بينه و بين عبد الله بن مصعب لينظره فيما قد فده به و رفعه عليه فجهه ابن مصعب بحضرة الرشيد و ادعى عليه الحركة فى الخروج و شق العصا فقال يحيى يا أمير المؤمنين أتصدق هذا على و تستنصحه و هو ابن عبد الله بن الزبير الذى أدخل أباك عبد الله و ولده الشعب و أضرم عليهم النار حتى خلصه أبو عبد الله الجدلى صاحب على بن أبى طالب ع منه عنوة و هو الذى ترك الصلاة على [صفحة ٩٢] رسول الله ص و أربعين جمعة فى خطبته فلما التاثر عليه الناس قال إن له أهيل سوء إذا صليت عليه أو ذكرته أتلعوا أعناقهم و اشربوا لذكركه فأكره

أن أسرهم أو أقر أعينهم و هو الذى كان يشتم أباك ويلصق به العيوب حتى ورم كبده ولقد ذبحت بقرة يوما لأبيك فوجدت كبدها سوداء قد نقتبت فقال على ابنه أ ماترى كبد هذه البقرة يأبت فقال يابنى هكذا ترك ابن الزبير كبد أبيك ثم نفاه إلى الطائف فلما حضرته الوفاة قال لابنه على يابنى إذ امت فالحق بقومك من بنى عبد مناف بالشام و لاتقم فى بلد لابن الزبير فيه إمرة فاختار له صحبة يزيد بن معاوية على صحبة عبد الله بن الزبير و و الله إن عداوة هذا يا أمير المؤمنين لنا جميعا بمنزلة سواء ولكنه قوى على بك و ضعف عنك فتقرب بى إليك ليظفر منك بى بما يريد إذا لم يقدر على مثله منك و ما ينبغى لك أن تسوغه ذلك فى فإن معاوية بن أبى سفيان و هو أبعد نسبا منك إلينا ذكر الحسن بن على يوما فسبه فساعدته عبد الله بن الزبير على ذلك فزجره وانتهره فقال إنما ساعدتك يا أمير المؤمنين فقال إن الحسن لحمى آكله و لأأكله و مع هذا فهو الخارج مع أخى محمد على أبيك المنصور أبى جعفر والقائل لأخى فى قصيدة طويلة أولها إن الحمامة يوم الشعب من وثن || هاجت فؤاد محب دائم الحزن يحرض أخى فيها على الوثوب والنهوض إلى الخلافة ويمدحه و يقول له لا- عزركنا نزار عند سطوتها || إن أسلمتكم و لاركنا ذوى يمن ألت أكرمهم عودا إذا انتسبوا || يوما وأطهرهم ثوبا من الدرن [صفحة ٩٣] وأعظم الناس عند الناس منزلة || وأبعد الناس من عيب و من وهن قوموا ببيعكم نهض بطاعتها || إن الخلافة فيكم يابنى حسن إنا لنأمل أن تترد ألفتنا || بعد التدابر والبغضاء والإحن حتى يثاب على الإحسان محسننا || ويأمن الخائف المأخوذ بالدمن وتنقضى دولة أحكام قادتها || فينا كأحكام قوم عابدى وثن فطالما قدبروا بالجور أعظمتنا || برى الصناعات قدام النبع بالسفن. فتغير وجه الرشيد عند سماع هذا الشعر وتغيظ على ابن مصعب فابتدأ ابن مصعب يحلف بالله الذى لا إله إلا هو وبأيمان البيعة أن هذا الشعر ليس له و أنه لسديف فقال يحيى و الله يا أمير المؤمنين ما قاله غيره و ما حلفت كاذبا و لا صادقا بالله قبل هذا و إن الله عز و جل إذ أمجده العبد فى يمينه فقال و الله الطالب الغالب الرحمن الرحيم استحيا أن يعاقبه فدعنى أن أحلفه بيمين ما حلف بها أحد قط كاذبا إلا عوجل قال فلحلفه قال قل برئت من حول الله وقوته واعتصمت بحولى وقوتى وتقلدت الحول والقوة من دون الله استكبارا على الله واستعلاء عليه واستغناء عنه إن كنت قلت هذا الشعر فامتنع عبد الله من الحلف بذلك فغضب الرشيد و قال للفضل بن الربيع يا عباسى ما له لا يحلف إن كان صادقا هذا طيلسانى على و هذه ثيابى لو حلفنى بهذه اليمين أنها لى لحلفت فوكر الفضل عبد الله برجله و كان له فيه هوى و قال له احلف و يحك فجعل يحلف بهذه اليمين ووجهه متغير و هو يردد فحرف يحيى بين كتفيه و قال يا ابن مصعب قطعت عمرك لا تفلح بعدها أبدا. قالوا فما برح من موضعه حتى عرض له أعراض الجذام استدارت عيناه [صفحة ٩٤] و تفقأ وجهه و قام إلى بيته فتقطع و تشقق لحمه و انتثر شعره و مات بعد ثلاثة أيام و حضر الفضل بن الربيع جنازته فلما جعل فى القبر انخسف اللحد به حتى خرجت منه غبرة شديدة و جعل الفضل يقول التراب التراب فطرح التراب و هو يهوى فلم يستطيعوا سده حتى سقى بخشب وطم عليه فكان الرشيد يقول بعد ذلك للفضل أرأيت يا عباسى ما أسرع ما أدلى ليحيى من ابن مصعب [صفحة ٩٥]

يا ابن آدم كُنْ وَصِيَّ نَفْسِكَ وَ اَعْمَلْ فِي مَالِكَ مَا تُؤْتِرُ أَنْ يَعْمَلَ فِيهِ مَنْ بَعْدَكَ لَارِيبَ أَنَّ الْإِنْسَانَ يُؤْتِرُ أَنْ يَخْرُجَ مَالَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ فِي وَجْهِ الْبِرِّ وَالصَّدَقَاتِ وَالْقُرْبَاتِ لِيَصِلَ ثَوَابُ ذَلِكَ إِلَيْهِ لَكِنَّهُ يَضُنُّ بِإِخْرَاجِهِ وَ هُوَ حَى فِي هَذِهِ الْوَجْهِ لِحَبِّهِ الْعَاجِلَةِ وَ خَوْفِهِ مِنَ الْفَقْرِ وَالْحَاجَةِ إِلَى النَّاسِ فِي آخِرِ الْعُمْرِ فَيَقِيمُ وَصِيَا يَعْمَلُ ذَلِكَ فِي مَالِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ . وَأَوْصَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع الْإِنْسَانَ أَنْ يَعْمَلَ فِي مَالِهِ وَ هُوَ حَى مَا يُؤْتِرُ أَنْ يَجْعَلَ فِيهِ وَصِيَّهُ بَعْدَ مَوْتِهِ وَ هَذِهِ حَالُهُ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا مَنْ أَخَذَ التَّوْفِيقَ بِيَدِهِ [صفحة ٩٦]

الْحِدَّةُ ضَرْبٌ مِنَ الْجُنُونِ لِأَنَّ صَاحِبَهَا يَنْدَمُ فَإِنْ لَمْ يَنْدَمْ فَجُنُونُهُ مُسْتَحْكِمٌ كَانَ يُقَالُ الْحِدَّةُ كُنْيَةُ الْجَهْلِ . وَ كَانَ يُقَالُ لَا يَصِحُّ لِحَدِيدٍ رَأَى لِأَنَّ الْحِدَّةَ تَصْدِيءُ الْعَقْلَ كَمَا يَصْدِيءُ الْخَلَّ الْمَرْأَةَ فَلَا يَرَى صَاحِبَهُ فِيهِ صُورَةَ حَسَنِ فِعْلِهِ وَ لِاصْوَرَةَ قَبِيحِ فِعْلِهِ . وَ كَانَ يُقَالُ أَوَّلُ الْحِدَّةِ جُنُونٌ وَ آخِرُهَا نَدَمٌ . وَ كَانَ يُقَالُ لَا تَحْمِلَنَّكَ الْحِدَّةَ عَلَى اقْتِرَافِ الْإِثْمِ فَتَشْفَى غِيظَكَ وَ تَسْقَمَ دِينَكَ]
[صفحة ٩٧]

صِحَّةُ الْجَسَدِ مِنْ قَلَمَةِ الْحَسِيدِ مَعْنَاهُ أَنَّ الْقَلِيلَ الْحَسَدِ لَا يَزَالُ مَعَافَى فِي بَدَنِهِ وَ الْكَثِيرَ الْحَسَدِ يَمْرُضُهُ مَا يَجِدُهُ فِي نَفْسِهِ مِنْ مَضَاضَةٍ الْمُنَافَسَةِ وَ مَا يَتَجَرَّعُهُ مِنَ الْغِيظِ وَ مَزَاجِ الْبَدَنِ يَتَّبِعُ أَحْوَالَ النَّفْسِ . قَالَ الْمَأْمُونُ مَا حَسَدْتُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا أَبَادَلَفَ عَلَى قَوْلِ الشَّاعِرِ فِيهِ
إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دَلْفٍ || بَيْنَ بَادِيهِ وَ مُحْتَضِرِهِ إِذَا وُلِيَ أَبُو دَلْفٍ || وَ لَتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ . وَ رَوَى أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ عَنْ عَبْدِ وَاسِعِ بْنِ أَبِي دَلْفٍ قَالَ قَالَ أَبِي قَالَ لِي الْمَأْمُونُ يَا قَاسِمُ أَنْتَ الَّذِي يَقُولُ فِيكَ عَلَى بْنِ جَبَلَةَ إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دَلْفٍ الْبَيْتَيْنِ فَقُلْتَ
مُسْرِعًا وَ مَا يَنْفَعُنِي ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ قَوْلِهِ فِي أَبَادَلْفٍ يَا أَكْذِبُ النَّاسِ كُلَّهُمْ || سِوَايَ فَإِنِّي فِي مَدِيحِكَ أَكْذِبُ] [صفحة ٩٨]
وَ مَعَ قَوْلِ بَكْرِ بْنِ النَّطَّاحِ فِي أَبَادَلْفٍ إِنَّ الْفَقِيرَ بَعِينَهُ || لِمَنْ يَرْتَجِي جَدْوَى يَدِيكَ وَيَأْمَلُهُ أَرَى لَكَ بَابًا مَغْلَقًا مَتَمْنَعًا ||
إِذَا فَتَحُوهُ عَنْكَ فَالْبُؤْسُ دَاخِلُهُ كَأَنَّكَ طَبْلٌ هَائِلٌ الصَّوْتِ مَعْجَبٌ || خَلَى مِنَ الْخَيْرَاتِ تَعَسَّ مَدَاخِلَهُ وَ أَعْجَبَ شَيْءٌ فِيكَ تَسْلِيمَ
إِمْرَةٍ || عَلَيْكَ عَلَى طَنْزٍ وَأَنْكَ قَابِلُهُ قَالَ فَلَمَّا انْصَرَفَتْ قَالَ الْمَأْمُونُ لِمَنْ حَوْلَهُ اللَّهُ دَرَهُ حَفِظْ هَجَاءَ نَفْسِهِ حَتَّى انْتَفِعَ بِهِ عِنْدِي وَأَطْفَأْ
لَهَيْبِ الْمُنَافَسَةِ] [صفحة ٩٩]

وَ قَالَ عِ لِكُمَيْلِ بْنِ زِيَادِ النَّخَعِيِّ يَا كُمَيْلُ مَرَّ أَهْلَكَ أَنْ يَرُوحُوا فِي كَسْبِ الْمَكَارِمِ وَ يُدِلُّجُوا فِي حَاجَتِهِ مَنْ هُوَ نَائِمٌ فَوَالَّذِي وَسَّعَ
سَمْعُهُ الْأَصْوَاتِ مَا مِنْ أَحَدٍ أَوْدَعَ قَلْبًا سِرُّورًا إِلَّا وَ خَلَقَ اللَّهُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ السِّرُّورِ لُطْفًا فَإِذَا نَزَلَتْ بِهِ نَائِبَةٌ جَرَى إِلَيْهَا كَالْمَاءِ فِي
انْحِدَارِهِ حَتَّى يَطْرُدَهَا عَنْهُ كَمَا تَطْرُدُ غَرِيْبَةُ الْإِبِلِ قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ لِمَعَاوِيَةَ مَا بَقِيَ مِنْ لَذَّتِكَ فَقَالَ مَا مِنْ شَيْءٍ يَصِيبُهُ النَّاسُ مِنَ
اللَّذَةِ إِلَّا وَ قَدْ أَصَابَتْهُ حَتَّى مَلَّتَهُ فَلَيْسَ شَيْءٌ عِنْدِي الْيَوْمَ أَلْذُّ مِنْ شَرْبَةِ مَاءٍ بَارِدٍ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ وَ نَظَرِي إِلَى بَنِي وَ بَنَاتِي يَدْرَجُونَ
حَوْلِي فَمَا بَقِيَ مِنْ لَذَّتِكَ أَنْتَ فَقَالَ أَرْضِ أَغْرَسَهَا وَ أَكَلْ ثَمَرَتَهَا لَمْ يَبْقَ لِي لَذَةٌ غَيْرُ ذَلِكَ فَالْتَفَتَ مَعَاوِيَةَ إِلَى وَرْدَانَ غَلَامِ عَمْرُو
فَقَالَ فَمَا بَقِيَ مِنْ لَذَّتِكَ يَا وَرِيدُ فَقَالَ سُرُورٌ أَدْخَلَهُ قُلُوبَ الْإِخْوَانِ وَ صَنَائِعَ أَعْتَقَدَهَا فِي أَعْنَاقِ الْكِرَامِ فَقَالَ مَعَاوِيَةَ لِعَمْرُو تَبَا
لِمَجْلِسِي وَ مَجْلِسِكَ لَقَدْ غَلَبَنِي وَ غَلَبَكَ هَذَا الْعَبْدُ ثُمَّ قَالَ يَا وَرْدَانَ أَنَا أَحَقُّ بِهَذَا مِنْكَ قَالَ قَدْ أَمَكْتِكَ فَافْعَلْ . [صفحة ١٠٠] فَإِنْ
قُلْتَ السُّرُورَ عَرَضَ فَكَيْفَ يَخْلُقُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ لُطْفًا قُلْتَ مِنْ هَاهُنَا هِيَ مِثْلُ مَنْ فِي قَوْلِهِ وَ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ
يَخْلُقُونَ أَى عَوْضًا مِنْكُمْ . وَ مِثْلُهُ - قُرْآن - ٩٣-١٥٦ فَلَيْتَ لَنَا مِنْ مَاءٍ زَمَزَمَ شَرْبُهُ || مَبْرَدَةٌ بَاتَتْ عَلَى طَهْيَانِ أَى لَيْتَ لَنَا شَرْبُهُ مَبْرَدَةٌ
بَاتَتْ عَلَى طَهْيَانِ وَ هُوَ اسْمُ جَبَلٍ بَدَلًا وَ عَوْضًا مِنْ مَاءِ زَمَزَمَ] [صفحة ١٠١]

إِذَا أَمَلَقْتُمْ فَتَاجِرُوا اللَّهَ بِالصَّدَقَةِ قَد تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي الصَّدَقَةِ. وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ أَفْضَلُ الْعِبَادَاتِ الصَّدَقَةُ لِأَنَّ نَفْعَهَا يَتَعَدَّى وَنَفْعُ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ لَا يَتَعَدَّى. وَجَاءَ فِي الْأَثَرِ أَنَّ عَلِيًّا عَمِلَ لِيَهُودِي فِي سَقَى نَخْلٍ لَهُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ص بِمَدِّ مِنْ شَعِيرٍ فَخَبَزَهُ قَرَصًا فَلَمَّا هُمُ أَنْ يَفْطِرُ عَلَيْهِ أَتَاهُ سَائِلٌ يَسْتَطْعِمُ فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ وَبَاتَ طَاوِيًا وَتَاجَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِتِلْكَ الصَّدَقَةِ فَعَدَّ النَّاسُ هَذِهِ الْفِعْلَةَ مِنْ أَعْظَمِ السَّخَاءِ وَعَدَّوْهَا أَيْضًا مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَادَةِ - رَوَايَاتُ ١-٢- رَوَايَاتُ ١٥-٢٦٧. وَقَالَ بَعْضُ شُعَرَاءِ الشَّيْعَةِ يَذْكُرُ إِعَادَةَ الشَّمْسِ عَلَيْهِ وَأَحْسَنَ فِيمَا قَالَ جَادَ بِالْقُرْصِ وَالطَّوِيَّ مَلَأَ جَنِيهِ || وَعَافَ الطَّعَامَ وَهُوسُغُوبَ فَأَعَادَ الْقُرْصَ الْمُنِيرَ عَلَيْهِ الْقُرْصَ || وَالْمَقْرُضَ الْكِرَامَ كَسُوبَ [صَفْحَةُ ١٠٢]

٢٥٦

الْوَفَاءُ لِأَهْلِ الْعَدْرِ عِنْدَ اللَّهِ وَالْعَدْرُ بِأَهْلِ الْعَدْرِ وَفَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ مَعْنَاهُ أَنَّهُ إِذَا عَتَيْدَ مِنَ الْعَدُوِّ أَنْ يَغْدِرَ وَلَا يَفِي بِأَقْوَالِهِ وَأَيْمَانِهِ وَعَهْوِهِ لَمْ يَجْزِ الْوَفَاءُ لَهُ وَوَجِبَ أَنْ يَنْقُضَ عَهْوَهُ وَلَا يَوْقِفَ مَعَ الْعَهْدِ الْمَعْقُودِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فَإِنَّ الْوَفَاءَ لِمَنْ هَذِهِ حَالُهُ لَيْسَ بِوَفَاءٍ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى بَلْ هُوَ كَالْغَدْرِ فِي قَبْحِهِ وَالْغَدْرِ بِمَنْ هَذِهِ حَالُهُ لَيْسَ بِقَبِيحٍ بَلْ هُوَ فِي الْحَسَنِ كَالْوَفَاءِ لِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْوَفَاءَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى [صَفْحَةُ ١٠٣]

٢٥٧

كَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ وَ مَغْرُورٍ بِالسُّتْرِ عَلَيْهِ وَ مَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ وَ مَا ابْتَلَى اللَّهُ شَيْخَانَهُ أَحَدًا بِمِثْلِ الْإِمْلَاءِ لَهُ قَالَ الرُّضَى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَ قَدَّمْضَى هَذَا الْكَلَامَ فِيمَا تَقَدَّمَ إِلَّا - أَنْ فِيهِ هَاهُنَا زِيَادَةٌ جَيِّدَةٌ - رَوَايَاتُ ١-٩٢ قَد تَقَدَّمَ الْكَلَامَ فِي الْإِسْتِدْرَاجِ وَالْإِمْلَاءِ وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ أَحْذَرُ النِّعَمِ الْمُتَوَاصِلَةُ إِلَيْكَ أَنْ تَكُونَ اسْتِدْرَاجًا كَمَا يَحْذَرُ الْمُحَارِبُ مِنْ اتِّبَاعِ عَدُوِّهِ فِي الْحَرْبِ إِذَا فَرَغَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ مِنَ الْكَمِينِ وَكَمْ مِنْ عَدُوٍّ فَرَّ اسْتِدْرَاجًا ثُمَّ إِذْ هُوَ عَاطِفٌ وَكَمْ مِنْ ضَارِعٍ فِي يَدَيْكَ ثُمَّ إِذْ هُوَ خَاطِفٌ [صَفْحَةُ ١٠٤]

٢٥٨

وَ مِنْ كَلَامِهِ عِ الْمَتَضَمِّنِ أَلْفَاظًا مِنَ الْغَرِيبِ تَحْتَاجُ إِلَى تَفْسِيرِ قَوْلِهِ عِ فِي حَدِيثِهِ فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ ضَرْبَ يَعْسُوبِ الدِّينِ بِذَنْبِهِ فَيَجْتَمِعُونَ إِلَيْهِ كَمَا يَجْتَمِعُ قَرْعُ الْخَرِيفِ قَالَ الرُّضَى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَعْسُوبُ الدِّينِ السَّيِّدُ الْعَظِيمُ الْمَالِكُ لِأُمُورِ النَّاسِ يَوْمئِذٍ وَالْقَرْعُ قَطْعُ الْغَيْمِ الَّتِي لِأَمَاءٍ فِيهَا - رَوَايَاتُ ١-١٢٢ أَصَابَ فِي الْيَعْسُوبِ فَأَمَّا الْقَرْعُ فَلَا يَشْتَرُطُ فِيهَا أَنْ تَكُونَ خَالِيَةً مِنَ الْمَاءِ بَلِ الْقَرْعُ قَطْعُ مِنَ السَّحَابِ رَقِيقَةٌ سِوَاهُ كَانَ فِيهَا مَاءٌ أَوْ لَمْ يَكُنِ الْوَاحِدَةُ قَرْعَةٌ بِالْفَتْحِ وَإِنَّمَا غَرَهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ يَصِفُ جَيْشًا بِالْقَلَّةِ وَالْخَفَّةِ كَأَنَّ رَعَالَهُ قَرْعُ الْجِهَامِ. وَ لَيْسَ يَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى مَا ذَكَرَهُ لِأَنَّ الشَّاعِرَ أَرَادَ الْمَبَالِغَةَ فَإِنَّ الْجِهَامَ الَّذِي لِأَمَاءٍ فِيهِ إِذَا كَانَ أَقْطَاعًا مُتَفَرِّقَةً خَفِيفَةً كَانَ ذَكَرَهُ أَبْلَغَ فِيمَا يَرِيدُهُ مِنَ التَّشْبِيهِ وَ هَذَا الْخَبْرُ مِنْ أَخْبَارِ الْمَلَا حِمِّ الَّتِي كَانَ يَخْبِرُ بِهَا عِ وَ هُوَ يَذْكُرُ فِيهِ الْمَهْدِيَّ الَّذِي يَوْجَدُ عِنْدَ أَصْحَابِنَا فِي آخِرِ الزَّمَانِ وَمَعْنَى قَوْلِهِ ضَرْبُ بَذْنِهِ أَقَامَ وَثَبَّتْ بَعْدَ [صَفْحَةُ ١٠٥] اضْطِرَابِهِ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْيَعْسُوبَ فَحْلُ النَّحْلِ وَسَيِّدُهَا وَ هُوَ أَكْثَرُ زَمَانِهِ طَائِرٌ بِجَنَاحِيهِ فَإِذَا ضَرَبَ بَذْنَهُ الْأَرْضَ فَقَدَ أَقَامَ وَ تَرَكَ الطَّيْرَانَ وَالْحَرَكَهَ. فَإِنَّ قَلَّتْ فَهَذَا يَشْبَهُ مَذْهَبَ الْإِمَامِيَّةِ فِي أَنَّ الْمَهْدِيَّ خَائِفٌ مُسْتَرٌّ يَنْتَقِلُ فِي الْأَرْضِ وَ أَنَّهُ يَظْهَرُ آخِرَ الزَّمَانِ وَيَثْبُتُ وَيَقِيمُ فِي دَارِ مَلِكِهِ. قَلَّتْ لِأَنَّ الْيَعْسُوبَ يَبْعُدُ عَلَى مَذْهَبِنَا أَنْ يَكُونَ الْإِمَامُ الْمَهْدِيُّ الَّذِي يَظْهَرُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ مُضْطَرَّبُ الْأَمْرِ مُنْتَشِرُ الْمَلِكِ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ لِمَصْلَحَةِ يَعْلَمُهَا اللَّهُ

النص و لم يفسر معنى نص الحقائق بل قال هو عبارة عن الإدراك لأنه منتهى الصغر والوقت الذى يخرج منه الصغير إلى حد الكبير و لم يبين من أى وجه يدل لفظ نص الحقائق على ذلك و لا اشتقاق الحقائق وأصله ليظهر من ذلك مطابقتها للفظ للمعنى الذى أشير إليه . فأما قوله الحقائق ها هنا مصدر حاقه يحاقه فلقاتل أن يقول إن كان هذا هو مقصوده ع فقبل الإدراك يكون الحقائق أيضا لأن كل واحدة من القربيات تقول للأخرى أنا أحق بهامتك فلامعنى لتخصيص ذلك بحال البلوغ إلا أن يزعم زاعم أن الأم قبل البلوغ لها الحضانه فلا ينازعها قبل البلوغ فى البنت أحد ولكن فى ذلك خلاف كثير بين الفقهاء . و أما التفسير الثانى و هو أن المراد بنص الحقائق منتهى الأمر الذى تجب به الحقوق فإن أهل اللغة لم ينقلوا عن العرب أنها استعملت الحقائق فى الحقوق و لا يعرف هذا فى كلامهم . فأما قوله و من رواه نص الحقائق فإنما أراد جمع حقيقة فلقاتل أن يقول و مامعنى الحقائق إذا كانت جمع حقيقة ها هنا و مامعنى إضافة نص إلى الحقائق جمع حقيقة فإن أبا عبيدة لم يفسر ذلك مع شدة الحاجة إلى تفسيره . و أما تفسير الرضى رحمه الله فهو أشبه من تفسير أبى عبيدة إلا أنه قال فى آخره [صفحہ ۱۱۰] والحقائق أيضا جمع حقه فالروايتان ترجعان إلى معنى واحد و ليس الأمر على ما ذكر من أن الحقائق جمع حقه ولكن الحقائق جمع حقا و الحقائق جمع حق و هو ما كان من الإبل ابن ثلاث سنين و قد دخل فى الرابعة فاستحق أن يحمل عليه و ينتفع به فالحقائق إذن جمع الجمع لحق للحقه و مثل إفال و أفائل قال و يمكن أن يقال الحقائق ها هنا الخصومه يقال ما له فيه حق و لاحقاق أى و لا خصومه و يقال لمن ينازع فى صغار الأشياء إنه لبرق الحقائق أى خصومته فى الدنيا من الأمر فيكون المعنى إذ ابغت المرأة الحد الذى يستطيع الإنسان فيه الخصومه و الجدل فعصبتها أولى بها من أمها و الحد الذى تكمل فيه المرأة و الغلام للخصومه و الحكومه و الجدل و المناظره هوسن البلوغ [صفحہ ۱۱۱]

۲۶۲

و منه إنَّ الإِيمَانَ يَبْدُو لَمْظَةً فِي الْقَلْبِ كُلَّمَا ازْدَادَ الإِيمَانُ ازْدَادَتِ اللَّمْظَةُ قَالَ اللَّمْظَةُ مِثْلُ النَّكْتَةِ أَوْ نُحُوها مِنَ البِياضِ وَ مِنْهُ قِيلَ فَرَسٌ أَلْمَظُ إِذَا كَانَ بِجَحْفَلْتِهِ شَيْءٌ مِنَ البِياضِ -روايت- ۱- ۹۷ قال أبو عبيدة هى لمظة بضم اللام و المحدثون يقولون لمظة بالفتح و المعروف من كلام العرب الضم مثل الدهمه و الشهبه و الحمره قال و قدروا بعضهم لمظة بالطاء المهملة و هذا لانعرفه . قال و فى هذا الحديث حجه على من أنكر أن يكون الإيمان يزيد و ينقص أ لا- تراه يقول كلما ازداد الإيمان ازدادت اللمظة [صفحہ ۱۱۲]

۲۶۳

و منه إنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَانَ لَهُ الدِّينُ الظَّنُّونُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُزَكِّيَهُ لِمَا مَضَى إِذَا قَبَضَهُ قَالَ الظَّنُّونُ الَّذِي لَا يَعْلَمُ صَاحِبَهُ أَيْ قَضِيهِ مِنَ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ أَمْ لَا فَكَأَنَّهُ الَّذِي يَظُنُّ بِهِ ذَلِكَ فَمَرَّةٌ يَرْجُوهُ وَمَرَّةٌ لَا يَرْجُوهُ وَ هُوَ مِنْ أَفْصَحِ الكَلَامِ وَ كَذَلِكَ كُلُّ أَمْرٍ تَطْلُبُهُ وَ لَا تَدْرِي عَلَى أَى شَيْءٍ أَنْتَ مِنْهُ فَهُوَ ظَنُّونٌ وَ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ الأَعْمَشِيِّ -روايت- ۱- ۲۲۷ مِنْ يَجْعَلُ الجَدَّ الظَّنُّونَ الَّذِي || جَنْبُ صَوْبِ اللَّجْبِ المَاطِرِ مِثْلَ الفِرَاتِيِّ إِذَا مَا طَمَأ || يَقْدَفُ بِالبُوصِيِّ وَ المَاهِرِ وَ الجَدِّ البَثْرِ العَادِيَةِ فِي الصَّحْرَاءِ وَ الظَّنُّونَ التِّى لَا يَعْلَمُ هَلْ فِيهَا مَاءٌ أَمْ لَا -روايت- ۱- ۷۵ قَالَ أَبُو عبيدة فى هذا الحديث من الفقه أن كان له دين على الناس فليس عليه أن يزكيه حتى يقبضه فإذا قبضه زكاه لما مضى و إن كان لا يرجوه قال و هذا يرده قول من قال إنما زكاته على الذى عليه المال لأنه المنتفع به قال [صفحہ ۱۱۳] و كما يروى عن ابراهيم و العمل عندنا على قول على ع فأما ما ذكره الرضى من أن الجد هو البثر العادية فى

الصحراء فالمعروف عند أهل اللغة أن الجد البئر التي تكون في موضع كثير الكلاب ولا تسمى البئر العادية في الصحراء الموات جدا وشعر الأعشى لا يدل على ما فسرته الرضى لأنه إنما شبه علقمة بالبئر والكلاب يظن أن فيها ماء لمكان الكلاب ولا يكون موضع الظن هذا هو مراده ومقصوده ولهذا قال الظنون و لو كانت عادية في بيءاء مقفرة لم تكن ظنونا بل كان يعلم أنه لاماء فيها فسقط عنها اسم الظنون [صفحة ١١٤]

٢٦٤

و منه أَنَّهُ شَبَّحَ جَيْشاً يُغْزِيهِ فَقَالَ اعْزُبُوا عَنِ النَّسَاءِ مَا اسْتَطَعْتُمْ ومعناه اصدفوا عن ذكر النساء وشغل القلوب بهن وامتنعوا من المقاربة لهن لأن ذلك يفت في عضد الحمية ويقدم في معاهد العزيمة ويكسر عن العدو ويلفت عن الإبعاد في الغزو فكل من امتنع من شىء فقد أعزب عنه والعازب والعزوب الممتنع من الأكل والشرب -رواية- ١-٢٥٢ التفسير صحيح لكن قوله من امتنع من شىء فقد أعزب عنه ليس بجيد والصحيح فقد عزب عنه ثلاثي والصواب و كل من منعه من شىء فقد أعزبه عنه تعديده بالهمزة كما تقول أقمته وأقعدته والفعل ثلاثي قام وقعد والدليل على أن الماضي ثلاثي هاهنا قوله والعازب والعزوب الممتنع من الأكل والشرب و لو كان رباعيا لكان المعزب و هو واضح و على هذا تكون الهمزة في أول الحرف همزة وصل مكسورة كما في اضرَبوا لأن المضارع يعزب بالكسر [صفحة ١١٥]

٢٦٥

و منه كَالْيَاسِرِ الْفَالَجِ يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ قال الياسرون هم الذين يتضاربون بالقداح على الجزور والفالج القاهر الغالب يقال قد فلج عليهم و فلجهم قال الراجز -رواية- ١-١٢٠ لمارأيت فالجا قد فلجا أول الكلام أن المرء المسلم ما لم يغش دناءة يخشع لها إذا ذكرت ويغرى به لئام الناس كالياسر الفالج ينتظر أول فوزه من قداحه أوداعى الله فما عند الله خير للأبرار يقول هو بين خيرتين إما أن يصير إلى ما يحب من الدنيا فهو بمنزلة صاحب القدح المعلى و هو أوفرها نصيبا أو يموت فما عند الله خير له وأبقى و ليس يعنى بقوله الفالج القاهر الغالب كما فسرته الرضى رحمه الله لأن الياسر الغالب القاهر لا ينتظر أول فوزه من قداحه وكيف ينتظر و قد غلب و أى حاجة له إلى الانتظار ولكنه يعنى بالفالج الميمون النقيية الذى له عادة مطردة أن يغلب و قل أن يكون مقهورا [صفحة ١١٦]

٢٦٦

إشارة

و منه كُنَّا إِذَا أَحْمَرَ الْبَأْسُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِّنَّا أَقْرَبَ إِلَى الْعِيدِ مِنْهُ قَالَ معنى ذلك أنه إذا عظم الخوف من العدو واشتد عضاض الحرب فزع المسلمون إلى قتال رسول الله ص بنفسه فينزل الله تعالى النصر عليهم به ويأمنون ما كانوا يخافونه بمكانه . و قوله إذا احمر البأس كناية عن اشتداد الأمر و قد قيل فى ذلك أقوال أحسنها أنه شبه حمى الحرب بالنار التي تجمع الحرارة والحمرة بفعلها ولونها ومما يقوى ذلك قول الرسول ص و قدرأى مجتلد الناس يوم حنين وهى حرب هوأزن الآن حمى

الوطيس والوطيس مستوقد النار فشبه رسول الله ص ما استحر من جلاد القوم باحتدام النار وشدة التهابها -روايت- ١-٥٢٢ الجيد
فى تفسير هذا اللفظ أن يقال البأس الحرب نفسها قال الله تعالى وَ الصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسِ وَالصَّرَّاءِ وَ حِينَ الْبَأْسِ وَ فى الكلام حذف
مضاف تقديره -قرآن- ٧١-١٢٩ [صفحہ ١١٧] إذا حمر موضع البأس و هو الأرض التى عليها معركة القوم واحمرارها لما يسيل
عليها من الدم

نبد من غريب كلام الإمام على و شرحه لأبى عبيد

و لما كان تفسير الرضى رحمه الله قد تعرض للغريب من كلامه ع ورأينا أنه لم يذكر من ذلك إلا اليسير آثرنا أن نذكر جملة من
غريب كلامه ع مما نقله أرباب الكتب المصنفة فى غريب الحديث عنه ع . فمن ذلك ما ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله
فى كتابه لأن أطلّى بجواء قدر أحب إلى من أن أطلّى بزعفران -روايت- ١-٢-روايت- ٥٨-١١١ . قال أبو عبيد هكذا الرواية عنه
بجواء قدر قال وسمعت الأصمعى يقول إنما هى الجثاوة وهى الوعاء الذى يجعل القدر فيه وجمعها جياء . قال و قال أبو عمرو
يقال لذلك الوعاء جواء وجياء قال ويقال للخرقة التى ينزل بها الوعاء عن الأثافي جعال . و منها قوله ع حين أقبل يريد العراق
فأشار إليه الحسن بن على ع أن يرجع و الله لا أكون مثل الضبع تسمع اللدم حتى تخرج فتصاد -روايت- ١-٢-روايت- ٧-١٣٧ .
قال أبو عبيد قال الأصمعى اللدم صوت الحجر أو الشىء يقع على الأرض و ليس بالصوت الشديد يقال منه لدم أدم بالكسر وإنما
قيل ذلك للضبع لأنهم إذا أرادوا أن يصيدوها رموا فى جحرها بحجر خفيف أو ضربوا بأيديهم فتحسبه [صفحہ ١١٨] شيئاً تصيده
فتخرج لتأخذه فتصاد وهى زعموا أنها من أحرق الدواب بلغ من حمقها أن يدخل عليها فيقال أم عامر نائمة أوليست هذه والضبع
هذه أم عامر فتسكت حتى تؤخذ فأراد على ع أنى لأخذ كمتخذ الضبع بالدم . و منها قوله ع من وجد فى بطنه رزا
فلينصرف وليتوضأ -روايت- ١-٢-روايت- ١٢-٥٠ . قال أبو عبيد قال أبو عمرو إنما هو أرزا مثل أرز الحية و هو دورانها و حركتها
فشبه دوران الريح فى بطنه بذلك . قال و قال الأصمعى هو الرز يعنى الصوت فى البطن من القرقره ونحوها قال الراجز كان فى
ربابه الكبار || رز عشار جلن فى عشار و قال أبو عبيد فقه هذا الحديث أن ينصرف فيتوضأ و يبنى على صلاته ما لم يتكلم و
هذا إنما هو قبل أن يحدث . قلت و الذى أعرفه من الأرز أنه الانقباض لالدوران والحركة يقال أرز فلان بالفتح وبالكسر إذ
تضام وتقبض من بخله فهو أروز والمصدر أرزا وأروزا قال رؤبة فذاك يخال أروز الأرز فأضاف الاسم إلى المصدر كما يقال
عمر العدل وعمرو الدهاء لما كان العدل والدهاء أغلب أحوالهما و قال أبو الأسود الدؤلى يذم إنسانا إذا سئل أرز و إذا دعى اهتر
يعنى إلى الطعام و فى الحديث أن الإسلام ليأرز إلى المدينة كما تآرز الحية إلى جحرها -روايت- ١-٢-روايت- ١٤-٦٩ أى
يجتمع إليها وينضم بعضه إلى بعض فيها . [صفحہ ١١٩] و منها قوله لئن وليت بنى أمية لأنفضنهم نفص القصاب التراب اللوذمة -
روايت- ١-٢-روايت- ٩-٦٨ و قد تقدم منا شرح ذلك والكلام فيه . و منها قوله فى ذى الثدية المقتول بالنهروان إنه مودن اليد
أو مثنى اليد أو مخدع اليد -روايت- ١-٢-روايت- ٤٣-٨٥ قال أبو عبيد قال الكسائى وغيره المودن اليد القصير اليد ويقال أودنت
الشىء أى قصرته و فيه لغة أخرى ودنته فهو مودون قال حسان يذم رجلا - وأملكك سوداء مودونه || كأن أناملها الحنظب و
أما مثنى اليد بالناء فإن بعض الناس قال نراه أخذه من الشدوة وهى أصل الثدى فشبه يده فى قصرها واجتماعها بذلك فإن كان
من هذا القياس أن يقال مثنى لأن النون قبل الدال فى الشدوة إلا أن يكون من المقلوب فذاك كثير فى كلامهم . و أما مخدع
اليد فإنه القصير اليد أيضا أخذ من أخداج الناقة ولدها و هو أن تضعه لغير تمام فى خلقه قال و قال الفراء إنما قيل ذو الثدية
فأدخلت الهاء فيها وإنما هى تصغير ثدى والثدى مذكر لأنها كأنها بقية ثدى قد ذهب أكثره فقللها كما تقول لحيمه وشحيمه فأنت

على هذا التأويل قال وبعضهم يقول ذو اليدى قال أبو عبيد ولا أرى الأصل كان إلا هذا ولكن الأحاديث كلها تتابعت بالثناء ذو الشديء. ومنها قوله ع لقوم و هو يعاتبهم مالكم لا تنظفون عذراتكم -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-٥٧ قال العذرة فناء الدار وإنما سميت تلك الحاجة عذرة لأنها بالأفنية كانت تلقى [صفحة ١٢٠] فكنى عنها بالعذرة كما كنى عنها بالغائط وإنما الغائط الأرض المطمئنة و قال الحطيئة يهجو قوما لعمرى لقد جربتكم فوجدتكم || فباح الوجوه سيئ العذرات قوله ع لاجمعة و لا تشريق إلا فى مصر جامع -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-٤٨ قال أبو عبيد التشريق هاهنا صلاة العيد وسميت تشريقا لإضاءة وقتها فإن وقتها إشراق الشمس وصفائها وإضاءةها و فى الحديث المرفوع من ذبح قبل التشريق فليعد -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-٥٢ أى قبل صلاة العيد. قال و كان أبو حنيفة يقول التشريق هاهنا هو التكبير فى دبر الصلاة يقول لا تكبير إلا على أهل الأمصار تلك الأيام لا على المسافرين أو من هو فى غير مصر. قال أبو عبيد و هذا كلام لم نجدا أحدا يعرفه إن التكبير يقال له التشريق و ليس يأخذ به أحد من أصحابه لا أبو يوسف و لا محمد كلهم يرى التكبير على المسلمين جميعا حيث كانوا فى السفر والحضر و فى الأمصار وغيرها. ومنها قوله ع استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يحال بينكم وبينه فكأنى برجل من الحبشة أصعل أصمحمش الساقين قاعدا عليها و هى تقدم -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-١٤٤ قال أبو عبيدة هكذا يروى أصعل و كلام العرب المعروف صعل و هو الصغير الرأس و كذا رءوس الحبشة ولهذا قيل للظليم صعل و قال عنترة يصف ظليما صعل يلوذ بذى العشييرة بيضه || كالعبد ذى الفرو الطويل الأصلم [صفحة ١٢١] قال و قد أجاز بعضهم أصعل فى الصعل و ذكر أنها لغة لأدري عن من هى والأصمحمش الصغير الأذن وامرأة صمحاء. و فى حديث ابن عباس أنه كان لا يرى بأسا أن يضحى بالصمحاء و حمش الساقين بالتسكين دقيقتها. ومنها أن قوما أتوه برجل فقالوا إن هذا يؤمننا ونحن له كارهون فقال له إنك لخروط أتوم قوما هم لك كارهون -رواية- ١-١٠٥ قال أبو عبيد الخروط المتهور فى الأمور الراكب برأسه جهلا- و منه قيل انخرط علينا فلان أى اندرأ بالقول السيئ والفعل قال وفقه هذا الحديث أنه ما أتى ع بفساد صلاته لأنه لم يأمره بالإعادة ولكنه كره له أن يؤم قوما هم له كارهون ومنها أن رجلا أتاه و عليه ثوب من قهز فقال إن بنى فلان ضربوا بنى فلانة بالكناسة فقال ع صدقنى سن بكره -رواية- ١-١٠٦ قال أبو عبيد هذا مثل تضربه العرب للرجل يأتى بالخبر على وجهه ويصدق فيه ويقال إن أصله أن الرجل ربما باع بعيه فيسأل المشتري عن سنه فيكذبه فعرض رجل بكره له فصدق فى سنه فقال الآخر صدقنى سن بكره فصار مثالا. والقهز بكسر القاف ثياب بيض يخالطها حرير و لا أراها عربية و قد استعملها العرب قال ذو الرمة يصف البزاة البيض [صفحة ١٢٢] من الورق أوصق كأن رءوسها || من القهز والقوهى بيض المقانع ذكرع آخر الزمان والفتن فقال خير أهل ذلك الزمان كل نومة أولئك مصابيح الهدى ليسوا بالمساييح و لا المذاييع البذر -رواية- ١-١٢٠ و قد تقدم شرح ذلك . ومنها أن رجلا سافر مع أصحاب له فلم يرجع حين رجعوا فاتهم أهله أصحابه ورفعوهم إلى شريح فسألهم البينة على قتله فارتفعوا إلى على ع فأخبروه بقول شريح فقال -رواية- ١-١٦٣ أوردها سعد وسعد مشتمل || يأسعد لا تروى بهذاك الإبل ثم قال إن أهون السقى التشريع ثم فرق بينهم وسألهم فاختلفوا ثم أقروا بقتلهم فقتلهم به -رواية- ١-٩٧ قال أبو عبيد هذا مثل أصله أن رجلا أورد إبله ماء لا تصل إليه الإبل إلا بالاستقاء ثم اشتمل ونام وتركها لم يستسق لها والكلمة الثانية مثل أيضا يقول إن أيسر ما كان ينبغى أن يفعل بالإبل أن يمكنها من الشريعة و يعرض عليها الماء يقول أقل ما كان يجب على شريح أن يستقصى فى المسألة والبحث عن خبر الرجل و لا يقتصر على طلب البينة. [صفحة ١٢٣] ومنها قوله و قد خرج على الناس وهم ينتظرونه للصلاة قياما ما لى أراكم سامدين -رواية- ١-٢-رواية- ٩-٨٠ قال أبو عبيد أى قائمين و كل رافع رأسه فهو سامد و كانوا يكرهون أن ينتظروا الإمام قياما ولكن قعودا والسامد فى غير هذا الموضع اللاهى اللاعب و منه قوله تعالى وَ أَنْتُمْ سَامِدُونَ وقيل السمود الغناء بلغة حمير. ومنها -قرآن- ١٦٦-١٨٤ أنه خرج فرأى قوما يصلون قد سدلوا ثيابهم فقال كأنهم اليهود خرجوا من فهرهم -رواية- ١-٨٠ قال أبو عبيد فهرهم

بضم الفاء موضع مدراسهم الذى يجتمعون فيه كالعيد يصلون فيه ويسدلون ثيابهم وهى كلمه نبطيه أوعبرانيه أصلها بهر بالباء فعبت بالفاء. والسدل إسبال الرجل ثوبه من غير أن يضم جانبيه بين يديه فإن ضمه فليس بسدل و قدرويت فيه الكراهه عن النبى ص . ومنها أن رجلا أتاه فى فريضة وعنده شريح فقال أتقول أنت فيها أيها العبد الأبطر -روايه ١-٧٨ قال أبو عبيد هو الذى فى شفته العليا طول و نتوء فى وسطها محاذى الأنف قال وإنما نراه قال لشريح أيها العبد لأنه كان قد وقع عليه سبى فى الجاهليه. [صفحه ١٢٤] ومنها أن الأشعث قال له و هو على المنبر غلبتنا عليك هذه الحمراء فقال ع من يعذرني من هؤلاء الضياطه يتخلف أحدهم يتقلب على فراشه وحشاياه كالعير ويهجر هؤلاء للذكر أطردهم إني إن طردتهم لمن الظالمين و الله لقد سمعته يقول و الله ليضربنكم على الدين عودا كما ضربتموهم عليه بدءا -روايه ١-٢٨٧ قال أبو عبيد الحمراء العجم والموالى سموا بذلك لأن الغالب على ألوان العرب السمرة والغالب على ألوان العجم البياض والحمرة والضياطه الضخام الذين لانفع عندهم و لاغناء واحدهم ضيطار. ومنها قوله ع اقتلوا الجان ذا الطفيتين والكلب الأسود ذا الغرتين -روايه ١-٢-روايه ١٢-٦٦ قال أبو عبيد الجان حيه بياضه والطفية فى الأصل خوصه المقل وجمعها طفى ثم شبهت الخطتان على ظهر الحيه بطفيتين والغره البياض فى الوجه

نبد من غريب كلام الإمام على و شرحه لابن قتيبه

و قد ذكر ابن قتيبه فى غريب الحديث له ع كلمات أخرى فمنها قوله من أراد البقاء و لابقاء فليأكر الغداء وليخفف الرداء وليقل غشيان النساء فقيل له يا أمير المؤمنين و ماخفه الرداء فى البقاء فقال الدين -روايه ١-٢-روايه ٩-١٥٠ [صفحه ١٢٥] قال ابن قتيبه قوله الرداء الدين مذهب فى اللغه حسن جيد ووجه صحيح لأن الدين أمانه و أنت تقول هو لك على و فى عنقى حتى أؤديه إليك فكأن الدين لازم للعنق والرداء موضعه صفحتا العنق فسمى الدين رداء وكنى عنه به و قال الشاعر إن لى حاجه إليك فقالت || بين أذننى وعاتقى ماتريد يريد بقوله بين أذننى وعاتقى ماتريد فى عنقى والمعنى أنى قد ضمنته فهو على وإنما قيل للسيف رداء لأن حمالته تقع موقع الرداء و هو فى غير هذا الموضع العطاء يقال فلان غمر الرداء أى واسع العطاء قال و قد يجوز أن يكون كنى بالرداء عن الظهر لأنه يقع عليه يقول فليخفف ظهره و لا يثقله بالدين كما قال الآخر خماص الأزر يريد خماص البطون . و قال وبلغنى نحو هذا الكلام عن أبى عبيد قال قال فقيه العرب من سره النساء و لانساء فليأكر العشاء وليأكر الغداء وليخفف الرداء وليقل غشيان النساء قال فالنسء التأخير و منه إنميا النسبيء زياده فى الكفر. و قوله فليأكر العشاء أى فليؤخره قال الشاعر -قرآن ٥٢٩-٥٦٧ فأكرت العشاء إلى سهيل و يجوز أن يريد فليقتص العشاء قال الشاعر والطل لم يفضل و لم يكر . [صفحه ١٢٦] أنه أتى ع بالمال فكوم كومه من ذهب و كومه من فضة فقال يا حمراء و يا بياض احمرى و ابيضى و غرى غيرى -روايه ١-١٠٤ هذا جنائى و خياره فيه || و كل جان يده إلى فيه قال ابن قتيبه هذا مثل ضربه و كان الأصمعى يقول و هجانه فيه أى خالصه و أصل المثل لعمر بن عدى ابن أخت جذيمه الأبرش كان يجنى الكمأه مع أتراب له فكان أترابه يأكلون ما يجدون و كان عمرو يأتى به خاله و يقول هذا القول . ومنها حديث أبى جأب قال جاء عمى من البصره يذهب بى و كنت عند أمى فقالت لا أتركك تذهب به ثم أتت عليا ع فذكرت ذلك له ف جاء عمى من البصره فقال نعم و الله لأذهبن به و إن رغم أنفك فقال على ع كذبت و الله و ولقت ثم ضرب بين يديه بالدره -روايه ١-٢-روايه ٢٢-٢٤٥ . قال ولقت مثل كذبت وكذلك ولعت بالعين و كانت عائشه تقرأ إذ تلقونه باليسيتكم و قال الشاعر -قرآن ٦٢-٩١ و هن من الأحلاف والولعان يعنى النساء أى من أهل الأحلاف . ومنها قوله ع إن من ورائكم أمورا متماحله ردحا و بلاء مكلحا مبلحا -روايه ١-٢-روايه ١٢-

٦٥ [صفحہ ١٢٧] قال ابن قتيبة المتماحله الطوال يعنى فتنا يطول أمرها ويعظم ويقال رجل متماحل وسبب متماحل والردح جمع رداح وهى العظيمة يقال للكتيبة إذا عظمت رداح ويقال للمرأة العظيمة العجيزة رداح . قال و منه حديث أبى موسى وقيل له زمن على ومعاوية أهى أهى فقال إنما هذه الفتنة حيصه من حيصات الفتن وبقيت الرداح المظلمة التى من أشرف أشرفت له . ومكلحا أى يكلح الناس بشدتها يقال كلك الرجل وأكلحه الكلكه الهم والمبلح من قولهم بلح الرجل إذا انقطع من الإعياء فلم يقدر على أن يتحرك وأبلحه السير و قال الأعشى واشتكى الأوصال منه وبلح قوله ع يوم خبير -رواية ١-٢-رواية ٢١-٢٢ أنا الذى سمنن أهى حيدرة || كليث غابات كرىه المنظره أفيهم بالصاع كيل السندرة قال ابن قتيبة كانت أم على ع سمته و أبوطالب غائب حين ولدته أسدا باسم أبيها أسد بن هاشم بن عبدمناف فلما قدم أبوطالب غير اسمه وسماه عليا وحيدرة اسم من أسماء الأسد والسندرة شجرة يعمل منها القسى والنبل قال حنوت لهم بالسندرى المؤثر فالسندرة فى الرجز يحتمل أن تكون مكيا لا يتخذ من هذه الشجرة سمي باسمها كما يسمى القوس بنبعه قال وأحسب إن كان الأمر كذلك أن الكيل بها قد كان [صفحہ ١٢٨] جزافا فيه إفراط قال ويحتمل أن تكون السندرة هاهنا امرأة كانت تكيل كيلا وافيأ أورجلا . ومنها قوله ع من يطل أير أبيه يتمنطق به -رواية ١-٢-رواية ١٢-٤٢ قال ابن قتيبة هذامثل ضربه يريد من كثرت إخوته عز واشتد ظهره وضرب المنطقة إذا كانت تشد الظهر مثلا- لذلك قال الشاعر فلو شاء ربى كان أير أبيكم || طويلا كأير الحارث بن سدوس قيل كان للحارث بن سدوس أحد وعشرون ذكرا و كان ضرار بن عمرو الضبى يقول ألا إن شر حائل أم فزوجوا الأمهات و ذلك أنه صرع فأخذته الرماح فاشتبك عليه إخوته لأمه حتى خلصوه . قال فأما المثل الآخر و هو قولهم من يطل ذيله يتمنطق به فليس من المثل الأول فى شىء وإنما معناه من وجد سعة وضعها فى غير موضعها وأنفق فى غير مايلزمه الإنفاق فيه . ومنها قوله خير بثر فى الأرض زمزم وشر بثر فى الأرض برهوت -رواية ١-٢-رواية ٩-٥٨ . قال ابن قتيبة هى بثر بحضرموت يروى أن فيها أرواح الكفار . قال وقد ذكر أبو حاتم عن الأصمعى عن رجل من أهل حضرموت قال نجد فيها الرائحة المنتنة الفظيعة جدا ثم نمكث حيناً فيأتينا الخبر بأن عظيما من عظماء الكفار قدمات فنرى أن تلك الرائحة منه قال وربما سمع منها مثل أصوات الحاج فلا يستطيع أحد أن يمشى بها [صفحہ ١٢٩] ومنها قوله ع أيما رجل تزوج امرأة مجنونة أو جذماء أو برصاء أو بهاقرن فهى امرأته إن شاء أمسك و إن شاء طلق -رواية ١-٢-رواية ١٢-١٠٧ قال ابن قتيبة القرن بالتسكين العفلة الصغيرة و منه حديث شريح أنه اختصم إليه فى قرن بجارية فقال أقعدوها فإن أصاب الأرض فهو عيب و إن لم يصب الأرض فليس بعيب . ومنها قوله ع لود معاوية أنه مابقى من بنى هاشم نافخ ضرمه لإطعن فى نيظه -رواية ١-٢-رواية ١٢-٧٧ قال ابن قتيبة الضرمه النار و مابالدار نافخ ضرمه أى ما بها أحد . قال و قال أبو حاتم عن أبى زيد طعن فلان فى نيظه أى فى جنازته و من ابتداء فى شىء أو دخل فيه فقد طعن فيه قال ويقال النيظ الموت رماه الله بالنيظ قال و قدروى لإطعن بضم الطاء و هذا الراوى يذهب إلى أن النيظ نياظ القلب وهى علاقته التى يتعلق بها فإذا طعن إنسان فى ذلك المكان مات . ومنها قوله ع إن الله أوحى إلى إبراهيم ع أن ابن لى بيتا فى الأرض فضاقت بذلك ذرعا فأرسل الله إليه السكينه وهى ریح خجوج فتطوقت حول البيت كالحجفة -رواية ١-٢-رواية ١٢-١٥٩ و قال ابن قتيبة الخجوج من الرياح السريعة المرور ويقال أيضا خجوجاء قال ابن أحمز [صفحہ ١٣٠] هوجاء رعبلة الرواح خجوجاء || الغدو رواحها شهر . قال و هذامثل حديث على ع الآخر و هو أنه قال السكينه لها وجه كوجه الإنسان وهى بعدريح هفافة -رواية ١-٢-رواية ١٣-٦٤ أى خفيفه سريعة والحجفة الترس . ومنها أن مكاتباً لبعض بنى أسد قال جئت بنقد أجلبه إلى الكوفة فأنتهيت به إلى الجسر فإنى لأسر به عليه إذا قبل مولى ل بكر بن وائل يتخلل الغنم ليقطعها فنفرت نقده فقطرت الرجل فى الفرات فغرق فأخذت فارتفعنا إلى على ع فقصصنا عليه القصة فقال انطلقوا فإن عرفتم النقده بعينها فادفعوها إليهم و إن اختلطت عليكم فادفعوا شرواها من الغنم إليهم -رواية ١-٣٤٨ قال ابن قتيبة النقد غنم صغار الواحدة نقده و منه قولهم فى

المثل أذل من النقد. و قوله أسر به أى أرسله قطعة قطعة وشرواها مثلها. ومنها قوله ع فى ذكر المهدي من ولد الحسين ع قال إنه رجل أجلى الجبين أقى الأنف ضخم البطن أربل الفخذين أفلج الثنايا بفخذه اليمنى شامة -رواية- ١-٢-رواية- ٥٠-١٤٧. قال ابن قتيبة الأجلى والأجلح شىء واحد والقنا فى الأنف طوله ودقته أرنبته [صفحة ١٣١] وحذب فى وسطه والأربل الفخذين المتباعد ما بينهما وهو كالأفحج تربل الشىء أى انفرج والفالج صفرة فى الأسنان. ومنها قوله ع إن بنى أمية لا يزالون يطعنون فى مسجل ضلالة ولهم فى الأرض أجل حتى يهريقوا الدم الحرام فى الشهر الحرام والله لكأنى أنظر إلى غرنوق من قريش يتخبط فى دمه فإذا فعلوا ذلك لم يبق لهم فى الأرض عاذر و لم يبق لهم ملك على وجه الأرض -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-٢٥٥ قال ابن قتيبة هو من قولك ركب فلان مسجله إذا جد فى أمر هو فيه كلاما كان أو غيره وهو من السجل وهو الصب والغرنوق الشاب. قتل والغرنوق القرشى الذى قتلوه ثم انقضى أمرهم عقيب قتله إبراهيم الإمام وقد اختلفت الرواية فى كيفية قتله فقيل قتل بالسيف وقيل خنق فى جراب فيه نورة وحديث أمير المؤمنين ع يسند الرواية الأولى. ومنها ما روى أنه اشترى قميصا بثلاثة دراهم ثم قال الحمد لله الذى هذا من ريشه -رواية- ١-٢-رواية- ١٠-٨١ قال ابن قتيبة الريش والرياش واحد وهو الكسوة قال عز وجل قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سواكم وريشاً وقرئ ورياشاً. ومنها قرآن-٦٢-١١٩ قوله ع لا قود إلا بالأسل -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-٣٠ قال ابن قتيبة هو ما أرفه وأرق من الحديد كالسنان والسكين ومنه قيل أسله الذراع لما استدق منه قال وأكثر الناس على هذا المذهب [صفحة ١٣٢] وقوم من الناس يقولون قديجوز أن القود بغير الحديد كالبحر والعصا إن كان المقتول قتل بغير ذلك. ومنها أنه ع رأى رجلاً فى الشمس فقال قم عنها فإنها مبخرة مجفرة وتثقل الريح وتبلى الثوب وتظهر الداء الدفين -رواية- ١-١٠٩ قال ابن قتيبة مبخرة تورث البحر فى الفم ومجفرة تقطع عن النكاح وتذهب شهوة الجماع يقال جفر الفحل عن الإبل إذا أكثر الضراب حتى يمل وينقطع ومثله قذر وتقذر قدورا ومثله أقطع فهو مقطع. وجاء فى الحديث أن عثمان بن مظعون قال يا رسول الله إنى رجل تشق على العزبة فى المغازى أفتأذن لى فى الخصاء قال لا ولكن عليك بالصوم فإنه مجفر -رواية- ١-٢-رواية- ١٤-١٥٢ قال وقدروى عبدالرحمن عن الأصمعى عمه قال تكلم أعرابى فقال لا تنكحن واحدة فتحيض إذا حاضت وتمرض إذا مرضت ولا تنكحن اثنتين فتكون بين ضرتين ولا تنكحن ثلاثا فتكون بين أثاف ولا تنكحن أربعاً فيفلسنك ويهرمنك وينحلنك ويجفرنك فقيل له لقد حرمت ما أحل الله فقال سبحان الله كوزان وقرصان وطمران وعبادة الرحمن وقوله تثفل الريح أى تنتنها والاسم الثفل ومنه الحديث وليخرجن ثفلات والداء الدفين المستتر الذى قد قهرته الطبيعة فالشمس تعينه على الطبيعة وتظهره. ومنها قوله ع وهو يذكر مسجد الكوفة فى زاويته فار التنور وفيه هلك يغوث ويعوق وهو الفاروق ومنه يستتر جبل الأهواز ووسطه على روضة من -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-١١٣ دارد [صفحة ١٣٣] رياض الجنة وفيه ثلاث أعين أنبتت بالضغث تذهب الرجس وتطهر المؤمنين عين من لبن وعين من دهن وعين من ماء جانبه الأيمن ذكر وفي جانبه الأيسر مكر ولو يعلم الناس ما فيه من الفضل لأتوه ولوحبوا -رواية- از قبل ٢٠٨. قال ابن قتيبة قوله أنبتت بالضغث أحسبه الضغث الذى ضرب أيوب أهله والعين التى ظهرت لماركض الماء برجله قال والباء فى بالضغث زائدة تقديره أنبتت الضغث كقوله تعالى تَبَّتْ بِالدَّهْنِ وكقوله يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ. وأما قوله فى جانبه الأيمن ذكر فإنه يعنى الصلاة وفى جانبه الأيسر مكر أراد به المكر به حتى قتل ع فى مسجد الكوفة. ومنها قرآن-١٧٩-١٩٥-قرآن-٢٠٤-٢٢٩ أن رسول الله ص بعث أبارافع مولاة يتلقى جعفر بن أبى طالب لما قدم من الحبشة فأعطاه على ع حتيا وعكة سمن وقال له أنا أعلم بجعفر أنه إن علم ثراه مرة واحدة ثم أطعمه فادفع هذا السمن إلى أسماء بنت عميس تدهن به بنى أخى من صمر البحر وتطعمهم من الحتى -رواية- ١-٢٦٩. قال ابن قتيبة الحتى سويق يتخذ من المقل قال الهذلى يذكر أضيفه لادر درى أن أطعمت نازل لكم || قرف الحتى وعندى البر مكنوز [صفحة ١٣٤] وقوله ثراه مرة أى بله دفعة واحدة وأطعمه الناس والشرى النداء وصمر البحر نتنه وغمقه و

منه قيل للدبر الصماری . ومنها قوله ع يوم الشورى لما تكلم الحمد لله الذى اتخذ محمدا منيا وابتعثه إلينا رسولا فنحن أهل بيت النبوة ومعدن الحكمة أمان لأهل الأرض ونجاة لمن طلب إن لنا حقا إن نعطه نأخذه و إن نمعه نركب أعجاز الإبل و إن طال السرى لو عهد إلينا رسول الله ص عهدا لجالدنا عليه حتى نموت أو قال لنا قولاً لأنفذنا قوله على رغما لن يسرع أحد قبلى إلى صلته رحم ودعوة حق والأمر إليك يا ابن عوف على صدق النية وجهد النصح وأستغفر الله لى ولكم -رواية- ۱-۲-رواية- ۳۳-۴۵۰ قال ابن قتيبة أى أن معناه ركبنا مركب الضيم والذل لأن راكب عجز البعير يجد مشقة لاسيما إذا تطاول به الركوب على تلك الحال ويجوز أن يكون أراد نصبر على أن نكون أتباعا لغيرنا لأن راكب عجز البعير يكون ردفا لغيره . ومنها قوله ع لما قتل ابن آدم أخاه غمص الله الخلق ونقص الأشياء -رواية- ۱-۲-رواية- ۱۲-۶۷ قال ابن قتيبة يقال غمصت فلانا أغمصه واغتمصته إذا استصغرتة واحتقرته قال ومعنى الحديث أن الله تعالى نقص الخلق من عظم الأبدان وطولها من القوة والبطش وطول العمر ونحو ذلك ومنها أن سلامة الكندى قال كان على ع يعلمنا الصلاة على -رواية- ۱-۲-رواية- ۸-ادامه دارد [صفحہ ۱۳۵] رسول الله ص فيقول اللهم داحى المدحوات وبارئ المسموكات وجبار القلوب على فطراتها شقيها وسعيدها اجعل شرائف صلواتك ونوامى بركاتك ورافة تحياتك على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ جيشات الأباطيل كما حملته فاضطلع بأمرك لطاعتك مستوفزا فى مرضاتك لغير نكل فى قدم و لا وهن فى عزم داعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ أمرك حتى أورى قبسا لقابس آلاء الله تصل بأهله أسبابه به هديت القلوب بعدخوضات الفتن والإثم موضحات الأعلام ونائرات الأحكام ومنيرات الإسلام فهو أمينك المأمون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيشك نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح له مفسحا فى عدلك واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنات غير مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزل عطائك المعلول اللهم أعل على بناء البانين بناءه وأكرم مثواه لديك ونزله وأتم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة مرضى المقالة ذا منطق عدل وخطه فصل وبرهان عظيم -رواية- از قبل ۹۲۷ . قال ابن قتيبة داحى المدحوات أى باسط الأرضين و كان الله تعالى خلقها ربوة ثم بسطها قال سبحانه وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا وَ كل شىء بسطته فقد دحوته و منه قيل لموضع بيض النعامه أدحى لأنها تدحوه للبيض أى توسعه ووزنه أفعال وبارئ المسموكات خالق السموات و كل شىء رفعته وأعليته فقد سمكته وسمك البيت والحائط ارتفاعه قال الفرزدق -قرآن- ۱۰۱- ۱۲۹ إن الذى سمك السماء بنى لنا || بيتا دعائمه أعز وأطول [صفحہ ۱۳۶] وقوله جبار القلوب على فطراتها من قولك جبرت العظم فجبر إذا كان مكسورا فلأتمته وأقمته كأنه أقام القلوب وأثبتها على ما فطرها عليه من معرفته والإقرار به شقيها وسعيدها قال و لم أجعل إجبارا هاهنا من أجبرت فلانا على الأمر إذا أدخلته فيه كرها وقسرتة لأنه لا يقال من أفعال فعال لا أعلم ذلك إلا أن بعض القراء قرأ أهدىكم سبيل الرشاد بتشديد الشين و قال الرشاد الله فهذا فعال من أفعال وهى قراءة شاذة غير مستعملة فأما قول الله عز و جل وَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَإِنَّهُ أَرَادَ وَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِمَسْلُطٍ تَسْلُطُ الْمُلُوكَ وَ الْجَبَّارَةُ الْمُلُوكُ وَ اعْتَبَارَ ذَلِكَ قَوْلَهُ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُضَيِّطٍ أَي بِمَتَسَلِّطٍ تَسْلُطُ الْمُلُوكَ فَإِنْ كَانَ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ مِنْ أَجْبَرْتِ فَلَنَا عَلَى الْأَمْرِ أَنْ جَبَّارٌ لَهُ وَ كَانَ هَذَا مُحْفُوظًا فَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَجْعَلَ قَوْلَ عَلَى عِ جَبَّارِ الْقُلُوبِ مِنْ ذَلِكَ وَ هُوَ أَحْسَنُ فِي الْمَعْنَى . وَ قَوْلُهُ الدَّمَغُ الْجَيْشَاتِ الْأَبَاطِيلِ أَي مَهْلِكُ مَا نَجْم وَ ارْتَفَعَ مِنَ الْأَبَاطِيلِ وَأَصْلُ الدَّمَغِ مِنَ الدَّمَغِ كَأَنَّهُ الَّذِي يَضْرِبُ وَسَطَ الرَّأْسِ فَيَدْمَغُهُ أَي يَصِيبُ الدَّمَغُ مِنْهُ وَ مِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ بَلْ نَقْدِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ أَي يَبْطُلُهُ وَ الدَّمَغُ مَقْتَلٌ فَإِذَا أُصِيبَ هَلِكُ صَاحِبِهِ . وَ جَيْشَاتٌ مَأْخُوذٌ مِنْ جَاشَ الشَّيْءُ أَي ارْتَفَعَ وَ جَاشَ الْمَاءُ إِذَا طَمَى وَ جَاشَتِ النَّفْسُ . وَ قَوْلُهُ كَمَا حَمَلَ فَاضْطَلَعَ افْتَعَلَ مِنَ الضَّلَاعَةِ وَ هِيَ الْقُوَّةُ . -قرآن- ۴۴۸-۴۷۷-قرآن- ۵۶۱-۵۸۶-قرآن- ۹۳۹-۹۸۵ [صفحہ ۱۳۷] وقوله لغير نكل فى قدم النكل مصدر و هو النكول يقال نكل فلان عن الأمر ينكل نكولا فهذا المشهور ونكل بالكسر ينكل نكلا قليلة. والقدم التقدم قال أبو زيد رجل مقدم إذا كان شجاعا فالقدم يجوز أن

يكون بمعنى التقدم وبمعنى المتقدم . قوله و لاوهن فى عزم أى و لاضعف فى رأى . و قوله حتى أورى قبسا لقابس أى أظهر نورا من الحق يقال أوريت النار إذا قدحت مظهر بها قال سبحانه أفرأيتم النار التي تورون . و قوله آلاء الله تصل بأهله أسبابه يريد نعم الله تصل بأهل ذلك القبس و هو الإسلام و الحق سبحانه أسبابه و أهله المؤمنون به . قلت تقدير الكلام حتى أورى قبسا لقابس تصل أسباب ذلك القبس آلاء الله و نعمه بأهله المؤمنين به و اعلم أن اللام فى لغير نكل متعلقة بقوله مستوفزا أى هو مستوفز لغير نكول بل للخوف منك والخضوع لك . قال ابن قتيبة قوله ع به هديت القلوب بعد الكفر والفتن موضحات الأعلام أى هديته لموضحات الأعلام يقال هديت الطريق وللطريق و إلى الطريق . و قوله نائرات الأحكام و منيرات الإسلام يريد الواضحات البينات يقال نار الشيء و أنار إذا وضح . و قوله شهيدك يوم الدين أى الشاهد على الناس يوم القيامة و بعيشك رحمة أى مبعوثك فعيل فى معنى مفعول . -قرآن- ٣٨٧-٤٢٥ [صفحہ ١٣٨] و قوله افسح له مفسحا أى أوسع له سعة و روى مفتسحا بالتاء قوله فى عدلك أى فى دار عدلك يعنى يوم القيامة و من رواه عدنك بالنون أراد جنه عدن . و قوله من جزل عطائك المعلول من العلل و هو الشرب بعد الشرب فالشرب الأول نهل والثانى علل يريد أن عطاءه عز و جل مضاعف كأنه يعل عباده أى يعطيهم عطاء بعد عطاء . و قوله أعل على بناء البانين بناء أى ارفع فوق أعمال العاملين عمله و أكرم مثواه أى منزلته من قولك ثويت بالمكان أى نزلته و أقمت به و نزله رزقه . ونحن قد ذكرنا بعض هذه الكلمات فيما تقدم على رواية الرضى رحمه الله و هى مخالفة لهذه الرواية و شرحنا مارواه الرضى و ذكرنا الآن مارواه ابن قتيبة و شرحه لأنه لا يخلو من فائدة جديدة . و منها قوله ع خذ الحكمة أنى أتتك فإن الكلمة من الحكمة تكون فى صدر المناق فتلجج فى صدره حتى تسكن إلى صاحبها -رواية- ١-٢- رواية ١٢-١١٤ . قال ابن قتيبة يريد الكلمة قد يعلمها المناق فلا تزال تتحرك فى صدره و لا تسكن حتى يسمعها منه المؤمن أو العالم فيعيها و يثقفها و يفقهها منه فتسكن فى صدره إلى أخواتها من كلم الحكمة . و منها قوله ع البيت المعمور تناق الكعبة من فوقها -رواية- ١-٢- رواية ١٢-٤٩ . قال ابن قتيبة تناق الكعبة أى مظل عليها من فوقها من قول الله سبحانه [صفحہ ١٣٩] و إذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلمة أى زعزع فأظل عليهم . و منها -قرآن- ١-٤٩ قوله ع أناقسيم النار -رواية- ١-٢- رواية ١٢-٢٨ قال ابن قتيبة أراد أن الناس فريقان فريق معى فهم على هدى و فريق على فهم على ضلالة كالخوارج و لم يجسر ابن قتيبة أن يقول و كأهل الشام يتورع يزعم ثم إن الله أنطقه بما تورع عن ذكره فقال متمما للكلام بقوله فأننا قسيم النار نصف فى الجنة معى و نصف فى النار قال و قسيم فى معنى مقاسم مثل جليس و أكيل و شريب . قلت قد ذكر أبو عبيد الهروى هذه الكلمة فى الجمع بين الغريبين قال و قال قوم إنه لم يرد ما ذكره وإنما أراد هو قسيم النار و الجنة يوم القيامة حقيقة يقسم الأمة فيقول هذا للجنة و هذا للنار [صفحہ ١٤٠]

خطبة منسوبة للإمام على خالية من حرف الألف

و أنا الآن أذكر من كلامه الغريب ما لم يورده أبو عبيد و ابن قتيبة فى كلامهما و أشرحه أيضا و هى خطبة رواها كثير من الناس له ع خالية من حرف الألف قالوا تذاكر قوم من أصحاب رسول الله ص أى حروف الهجاء أدخل فى الكلام فأجمعوا على الألف فقال على ع حمدت من عظمت منته و سبغت نعمته و سبقت غضبه رحمته و تمت كلمته و نفذت مشيئته و بلغت قضيته حمدته حمد مقر برؤيته متخضع لعبوديته متصل من خطيئته متفرد بتوحيده مؤمل منه مغفرة تنجيه يوم يشغل عن فضيلته و بنيه و نستعينه و نسترشده و نستهديه و نؤمن به و نتوكل عليه و شهدت له شهود مخلص موقن و فردته تفريدا مؤمن متيقن و وحدته توحيد عبد مدعن ليس له شريك فى ملكه و لم يكن له ولى فى صنعه جل عن مشير و وزير و عن عون معين و نصير و نظير علم فستر

و بطن فخر و ملك فقهر و عصى فغفر و حكم فعدل لم يزل ولن يزول لیس كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و هو بعد كل شىء رب متعزز بعزته
 متمكن بقوته متقدس بعلوه متكبر بسموه ليس يدرکه بصر و لم يحط به نظر قوى منيع بصير سمیع رءوف رحيم عجز عن وصفه
 من يصفه و ضل عن نعته من يعرفه -روایت- ۱-۲-روایت- ۸-ادامه دارد [صفحه ۱۴۱] قرب فبعد و بعد فقرب يجيب دعوة من
 يدعوه ويرزقه و يحبوه ذو لطف خفى و بطش قوى و رحمة موسعة و عقوبة موجعة رحمة جنه عريضة موقنة و عقوبته جحيم
 ممدودة موبقة و شهادت بيعث محمد رسوله و عبده و صفيه و نبيه و نجيه و حبيبه و خليله بعثه فى خير عصر و حين فترة و كفر رحمة
 لعبيده و منه لمزيدة ختم به نبوته و شيد به حجة فوعظ و نصح و بلغ و كدح رءوف بكل مؤمن رحيم سخى رضى ولى زكى عليه
 رحمة و تسليم و بركة و تكريم من رب غفور رحيم قريب مجيب و صيتمك معشر من حضرني بوصية ربك و ذكرتكم بسنة نبيكم
 فعليكم برهة تسكن قلوبكم و خشية تدرى دموعكم و تقية تنجيكم قبل يوم تبليكم و تذهلكم يوم يفوز فيه من ثقل وزن حسنة
 و خف وزن سيئة و لتكن مسألتكم و تملقكم مسألة ذل و خضوع و شكر و خشوع بتوبة و تورع و ندم و رجوع و ليغتنم كل مغتنم
 منكم صحته قبل سقمه و شيبته قبل هرمة و سعته قبل فقره و فرغته قبل شغله و حضره قبل سفره قبل تكبر و تهرم و تسقم يمله طبيبه
 و يعرض عنه حبيبه و ينقطع غمده و يتغير عقله ثم قيل هو موعوك و جسمه منهوك ثم جد فى نزع شديد و حضره كل قريب و بعيد
 فشخص بصره و طمح نظره و رشح جبينه و عطف عرينه و سكن حنينه و حزنته نفسه و بكته عرسه و حفر رسة و يتم منه ولده و تفرق
 منه عدده و قسم جمعه و ذهب بصره و سماعه و مدد و جرد و عرى و غسل و نشف و سجي و بسط له و هيى و نشر عليه كفته و شد منه
 ذقنه و قمص و عمم و وودع و سلم و حمل فوق سرير و صلى عليه بتكبير و نقل من دور مزخرقة و قصور مشيدة و حجر منجدة و جعل
 فى ضريح ملحود -روایت- از قبل -۱۳۵۶ [صفحه ۱۴۲] و ضيق مرصود بلبن منضود مسقف بجلمود و هيل عليه حفره و حتى عليه
 مدره و تحقق حذره و نسی خيره و رجع عنه و ليه و صفيه و نديمه و نسيبه و تبادل به قرينه و حبيبه فهو حشو قبر و رهين قفر يسعى
 بجسمه دود قبره و يسيل صديده من منخره يسحق تره لحمه و ينشف دمه و يرم عظمه حتى يوم حشره فشر من قبره حين ينفخ
 فى صور و يدعى بحشر و نشور فثم بعثت قبور و حصلت سريرة صدور و جىء بكل نبى و صديق و شهيد و توحى للفصل قدیر
 بعده خبير بصير فكم من زفرة تضنيه و حسرة تنضيه فى موقف مهول و مشهد جليل بين یدی ملك عظيم و بكل صغير و كبير عليم
 فحينئذ يلجمه عرقه و يحصره قلقه عبرته غير مرحومة و صرخته غير مسموعة و حجته غير مقولة زالت جريدته و نشرت صحيفته نظر
 فى سوء عمله و شهادت عليه عينه بنظره و يده ببطشه و رجليه بخطوه و فرجه بلمسه و جلده بمسه فسلسل جيده و غلت يده و سيق
 فسحب وحده فورد جهنم بكرب و شدة فظل يعذب فى جحيم و يسقى شربه من حميم تشوى وجهه و تسليخ جلده و تضربه زبينة
 بمقمع من حديد و يعود جلده بعد نضجه كجلد جديد يستغيث فتعرض عنه خزنة جهنم و يستصرخ فيلبث حقبه يندم . نعوذ برب
 قدیر من شر كل مصير و نسأله عفو من رضى عنه و مغفرة من قبله فهو ولى مسألتي و منجح طلبتي فمن زحزح عن تعذيب ربه
 جعل فى جنته بقربه و خلد فى قصور مشيدة و ملك بحور عين و حفدة و طيف عليه بكئوس أسكن فى حظيرة قدوس و تقلب فى
 نعيم و سقى من تسنيم و شرب من عين سلسبيل و مزج له بزنجبيل مختم بمسك و عبير مستديم للملك مستشعر للسرر يشرب من
 خمور فى روض مغدق ليس يصدع من شره و ليس ينزف . -روایت- ۱-ادامه دارد [صفحه ۱۴۳] هذه منزلة من خشى ربه
 و حذر نفسه معصيته و تلك عقوبة من جحد مشيئته و سولت له نفسه معصيته فهو قول فصل و حكم عدل و خبر قصص قص و وعظ
 نص تنزيل من حكيم حميد نزل به روح قدس مبین على قلب نبى مهتد رشيد صلت عليه رسل سفرة مكرمون بررة عدت برب
 عليم رحيم كريم من شر كل عدو لعين رحيم فليترضع متضرعكم وليتهل مبتهلکم وليستغفر كل مربوب منكم لى ولكم و حسبى
 ربى وحده -روایت- از قبل -۳۹۴ فصيلة الرجل رهطه الأذنون و كدح سعى سعيا فيه تعب و فرغته الواحدة من الفراغ تقول فرغت
 فرغة كقولك ضربت ضربة و سجي الميت بسط عليه رداء و نشر الميت من قبره بفتح النون والشين و أنشره الله تعالى . و بعثت

قبور انتشرت ونبشت . قوله وسيق بسحب وحده لأنه إذا كان معه غيره كان كالتأسي بغيره فكان أخف لألمه وعذابه و إذا كان وحده كان أشد ألماً وأهول وروى فسيق يسحب وحده و هذا أقرب إلى تناسب الفقرتين وذاك أفخم معنى . وزبنيه على وزن عفريه واحد الزبانية وهم عند العرب الشرط وسمى بذلك بعض الملائكة لدفعهم أهل النار إليها كما يفعل الشرط في الدنيا و من أهل اللغة من يجعل واحد الزبانية زباني و قال بعضهم زابن ومنهم من قال هو جمع لا واحد له نحو أبايل وعباديد وأصل الزبن في اللغة الدفع و منه ناقة زبون تضرب حالبها وتدفعه . [صفحہ ۱۴۴] وتقول ملك زيد بفلانته بغير ألف والباء هاهنا زائده كما زيدت في كفى بالله حسيباً وإنما حكمنا بزيادتها لأن العرب تقول ملكت أنا فلانته أي تزوجتها وأملكته فلانته بزيد أي تزوجتها به فلما جاءت الباء هاهنا و لم يكن بد من إثبات الألف لأجل مجيئها جعلناها زائده و صار تقديره وملك حورا عينا . و قال المفسرون في تسنيم إنه اسم ماء في الجنة سمي بذلك لأنه يجري من فوق الغرف والقصور . وقالوا في سلسيل إنه اسم عين في الجنة ليس ينزف و لا يخرم كما يخرم شارب الخمر في الدنيا . انقضى هذا الفصل ثم رجعنا إلى سنن الغرض الأول - قرآن -

[صفحہ ۱۴۵] ۶۶-۸۷

۲۶۷

وَ قَالَ ع لَمَّا بَلَغَهُ إِغَارُهُ أَصْحَابِ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْأَبْتَارِ فَخَرَجَ بِنَفْسِهِ مَا شَاءَ حَتَّى آتَى النَّخِيلَةَ وَ أَدْرَكَهُ النَّاسُ وَ قَالُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَحْنُ نَكْفِيكَهُمْ فَقَالَ ع وَ اللَّهُ مَا تَكْفُونَنِي أَنْفُسِكُمْ فَكَيْفَ تَكْفُونَنِي غَيْرَكُمْ إِنْ كَانَتِ الرَّعَايَا قَبْلِي لَتَشْكُو حَيْفَ رُعَاتِهَا فَإِنِّي الْيَوْمَ لَأَشْكُو حَيْفَ رِعْيَتِي كَأَنِّي الْمَقُودُ وَ هُمُ الْقَادَةُ أَوْ الْمَوْزُوعُ وَ هُمُ الْوَزَعِيُّ قَالَ فَلَمَّا قَالَ هَذَا الْقَوْلَ فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ قَدَّ ذَكَرْنَا مَخْتَارَهُ فِي جَمَلَةِ الْخُطْبِ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ رَجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَمَرْنَا بِأَمْرِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَنْفِذُ فَقَالَ وَأَيْنَ تَقَعَانِ مِمَّا أُرِيدُ - روايت ۱-۲۰۶ السنن الطريقه يقال تنح عن السنن أي عن وجه الطريق والنخيلة بظاهر الكوفه وروى ماتكفونى بحذف النون والحيف الظلم والوزعه جمع وازع و هو الدافع الكاف . ومعنى قوله ماتكفوننى أنفسكم أى أفعالكم رديئه قبيحه تحتاج إلى جند غيركم [صفحہ ۱۴۶] أستعين بهم على تثقيفكم وتهذيبكم فمن هذه حاله كيف أوقف به غيره وأهدب به سواه . و إن كانت الرعايا إن هاهنا مخففه من الثقيله ولذلك دخلت اللام فى جوابها و قد تقدم ذكرنا هذين الرجلين و إن أحدهما قال يا أمير المؤمنين أقول لك ما قاله العبد الصالح ربّ إنى لا أملك إلا نفسى و أخى فشكر لهما و قال وأين تقعان مما أريد - قرآن - ۲۶۱-۳۰۶ [صفحہ ۱۴۷]

۲۶۸

وَ قِيلَ إِنَّ الْحَارِثَ بْنَ حَوْطٍ أَتَاهُ ع فَقَالَ لَهُ أ تَرَانِي أَظُنُّ أَنَّ أَصْحَابَ الْجَمَلِ كَانُوا عَلَى ضَمَالَةٍ فَقَالَ ع يَا حَارِثُ إِنَّكَ نَظَرْتَ تَحْتِكَ وَ لَمْ تَنْظُرْ فَوْقَكَ فَحَرَّتْ إِنَّكَ لَمْ تَعْرِفِ الْحَقَّ فَتَعْرِفِ أَهْلَهُ وَ لَمْ تَعْرِفِ الْبَاطِلَ فَتَعْرِفِ مَنْ أَتَاهُ فَقَالَ الْحَارِثُ فَإِنِّي أَعْتَرِلُ مَعَ سَيِّدِ بْنِ مَالِكٍ وَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ فَقَالَ ع إِنَّ سَيِّدًا وَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ لَمْ يَنْصُرَا الْحَقَّ وَ لَمْ يَخْذُلَا الْبَاطِلَ اللَّفْظَةُ الَّتِي وَرَدَتْ قَبْلَ أَحْسَنِ مِنْ هَذِهِ اللَّفْظَةِ وَ هِيَ أَوْلَثُكَ قَوْمٌ خَذَلُوا الْحَقَّ وَ لَمْ يَنْصُرُوا الْبَاطِلَ وَ تِلْكَ كَانَتْ حَالُهُمْ فَإِنَّهُمْ خَذَلُوا عَلِيًّا وَ لَمْ يَنْصُرُوا مُعَاوِيَةَ وَ لِأَصْحَابِ الْجَمَلِ . فأما هذه اللفظة ففيها إشكال لأن سعدا و عبد الله لعمرى إنهما لم ينصرا الحق و هوجانب على ع لكنهما خذلا الباطل و هوجانب معاوية و أصحاب الجمل فإنهم لم ينصروهم فى حرب قط لا بأنفسهم و لا بأموالهم و لا بأولادهم فينبغى [صفحہ ۱۴۸] أن نتأول كلامه فنقول إنه ليس يعنى بالخذلان عدم المساعدة فى الحرب بل يعنى بالخذلان هاهنا كل ما أثر فى

محق الباطل وإزالته قال الشاعر يصف فرسا و هو كالدلو بكف المستقى || خذلت عنه العراقي فانجذم أى باينته العراقي فلما كان كل مؤثر فى إزالة شىء مبائنا له نقل اللفظ بالاشتراك فى الأمر العام إليه و لما كان سعد و عبد الله لم يقوموا خطيبين فى الناس يعلمانهم باطل معاوية وأصحاب الجمل و لم يكشفوا اللبس والشبهه الداخلة على الناس فى حرب هذين الفريقين و لم يوضحا وجوب طاعة على ع فيرد الناس عن اتباع صاحب الجمل و أهل الشام صدق عليهما أنهما لم يخذلا الباطل ويمكن أن يتأول على وجه آخر و ذلك أنه قد جاء خذلت الوحشية إذا قامت على ولدها فيكون معنى قوله و لم يخذلا الباطل أى لم يقيما عليه وينصراه فترجع هذه اللفظة إلى اللفظة الأولى وهى قوله أولئك قوم خذلوا الحق و لم ينصروا الباطل . والحارث بن حوط بالحاء المهملة ويقال إن الموجود فى خط الرضى ابن حوط بالخاء المعجمة المضمومة [صفحہ ۱۴۹]

۲۶۹

اشاره

صَاحِبُ السُّلْطَانِ كَرَائِبِ الْأَسَدِ يُعْبَطُ بِمَوْجِعِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَوْضِعِهِ

نبد مما قيل فى السلطان

قد جاء فى صحبة السلطان أمثال حكمية مستحسنه تناسب هذا المعنى أو تجرى مجراه فى شرح حال السلطان نحو قولهم صاحب السلطان كرايب الأسد يهابه الناس و هولمر كوبه أهيب . و كان يقال إذا صحبت السلطان فلتكن مداراتك له مداراة المرأة القبيحة لبعلمها المبعوض لها فإنها لاتدع التصنع له على حال . قيل للعتابي لم لاتقصد الأمير قال لأنى أراه يعطى واحدا غير حسنة و لايد و يقتل آخر بلا سيئه و لاذنب و لست أدرى أى الرجلين أكون و لأرجو منه مقدار ماأخاطر به . و كان يقال العاقل من طلب السلامة من عمل السلطان لأنه إن عف جنى عليه العفاف عداوة الخاصة و إن بسط يده جنى عليه البسط ألسنة الرعية . و كان سعيد بن حميد يقول عمل السلطان كالحمام الخارج يؤثر الدخول والداخل يؤثر الخروج . ابن المقفع إقبال السلطان على أصحابه تعب وإعراضه عنهم مذلة . [صفحہ ۱۵۰] و قال آخر السلطان إن أرضيته أتعبك و إن أغضبتك أعطبك . و كان يقال إذا كنت مع السلطان فكن حذرا منه عند تقريبه كاتما لسره إذا استسرك وأمينا على ما أتمنك تشكر له و لاتكلفه الشكر لك و تعلمه و كأنك تتعلم منه و تؤدبه و كأنه يؤدبك بصيرا بهواه مؤثرا لمنفعته ذليلا إن ضامك راضيا إن أعطاك قانعا إن حرمك و إلا فابعد منه كل البعد . وقيل لبعض من يخدم السلطان لاتصحبهم فإن مثلهم مثل قدر التنور كلما مسه الإنسان اسود منه فقال إن كان خارج تلك القدر أسود فداخلها أبيض . و كان يقال أفضل ما عوشر به الملوك قلة الخلاف وتخفيف المثونة . و كان يقال لا يقدر على صحبة السلطان إلا من يستقل بما حملوه و لا يلحف إذا سألهم و لا يغتر بهم إذا رضوا عنه و لا يتغير لهم إذا سخطوا عليه و لا يطغى إذا سلطوه و لا يبيطر إذا أكرموه . و كان يقال إذا جعلك السلطان أخا فاجعله ربا و إن زادك فزده . و قال أبو حازم للسلطان كحل يكحل به من يوليه فلا يبصر حتى يعزل . و كان يقال لا ينبغي لصاحب السلطان أن يتدنه بالمسألة عن حاله فإن ذلك من كلام النوكى و إذا أردت أن تقول كيف أصبح الأمير فقل صبح الله الأمير بالكرامة و إن أردت أن تقول كيف يجد الأمير نفسه فقل وهب الله الأمير العافية ونحو هذا فإن المسألة توجب الجواب فإن لم يجبك اشتد عليك و إن أجابك اشتد عليه

. و كان يقال صحبة الملوك بغير أدب كركوب الفلاة بغير ماء. [صفحہ ۱۵۱] و كان يقال ينبغى لمن صحب السلطان أن يستعد للعدر عن ذنب لم يجنه و أن يكون آنس ما يكون به أو حش ما يكون منه . و كان يقال شدة الانقباض من السلطان تورث التهمة و سهولة الانبساط إليه تورث الملائة. و كان يقال اصحب السلطان بإعمال الحذر و رفض الدالة و الاجتهاد فى النصيحة وليكن رأس مالك عنده ثلاث الرضا والصبر والصدق . واعلم أن لكل شىء حدا فما جاوزه كان سرفا و ما قصر عنه كان عجزا فلا تبلغ بك نصيحة السلطان أن تعادى حاشيته و خاصته و أهله فإن ذلك ليس من حقه عليك وليكن أقصى لحقه عنك و ادعى لاستمرار السلامة لك أن تستصلح أولئك جهدك فإنك إذ فعلت ذلك شكرت نعمته و أمنت سطوته و قللت عدوك عنده و إذا جاريت عند السلطان كفوًا من أكفائك فلتكن مجاراتك و مباراتك إياه بالحجة و إن عضهك و بالرفق و إن خرف بك واحذر أن يستحلحك فتحمى فإن الغضب يعمى عن الفرصة و يقطع عن الحجة و يظهر عليك الخصم و لا تتوردن على السلطان بالدالة و إن كان أخاك و لا بالحجة و إن وثقت أنها لك و لا بالنصيحة و إن كانت له دونك فإن السلطان يعرض له ثلاث دون ثلاث القدرة دون الكرم و الحمية دون النصفة و اللجاج دون الحظ [صفحہ ۱۵۲]

۲۷۰

أَحْسِنُوا فِي عَقَبِ غَيْرِكُمْ تُحْفَظُوا فِي عَقَبِكُمْ أَكْثَرُ مَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا يَقَعُ عَلَى سَبِيلِ الْقَرْضِ وَالْمُكَافَأَةِ فَقَدْ رَأَيْنَا عَيَانًا مِنْ ظَلَمِ النَّاسِ فَظَلَمَ عَقِبَهُ وَوَلَدَهُ وَرَأَيْنَا مِنْ قَتْلِ النَّاسِ فَقَتَلَ عَقِبَهُ وَوَلَدَهُ وَرَأَيْنَا مِنْ أَخْرَبِ دُورًا فَأَخْرَبَتْ دَارَهُ وَرَأَيْنَا مِنْ أَحْسَنَ إِلَى أَعْقَابِ أَهْلِ النِّعَمِ فَأَحْسَنَ اللَّهُ إِلَى عَقِبِهِ وَوَلَدِهِ . وَقُرَأَتْ فِي تَارِيخِ أَحْمَدَ بْنِ طَاهِرٍ أَنَّ الرَّشِيدَ أَرْسَلَ إِلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ وَهُوَ فِي مَجْبَسِهِ يَقْرَعُهُ بِذَنُوبِهِ وَ يَقُولُ لَهُ كَيْفَ رَأَيْتَ أَلَمْ أَخْرَبِ دَارَكَ أَلَمْ أَقْتُلْ وَلَدَكَ جَعْفَرًا أَلَمْ أَنْهَبْ مَالَكَ فَقَالَ يَحْيَى لِلرَّسُولِ قُلْ لَهُ أَمَا إِخْرَابَكَ دَارِي فَسْتَخْرِبُ دَارَكَ وَ أَمَا قَتْلَكَ وَلَدِي جَعْفَرَ فَسَيَقْتُلُ وَلَدَكَ مُحَمَّدٌ وَ أَمَا نَهْبَكَ مَالِي فَسَيَنْهَبُ مَالَكَ وَخَزَائِنَكَ فَلَمَّا عَادَ الرَّسُولُ إِلَيْهِ بِالْجَوَابِ وَجَمَ طَوِيلًا وَحَزَنًا وَقَالَ وَ اللَّهُ لِيَكُونَ مَا قَالَ فَإِنَّهُ لَمْ يَقُلْ لِي شَيْئًا قَطُّ إِلَّا وَ كَانَ كَمَا قَالَ فَأَخْرَبَتْ دَارَهُ وَهِيَ الْخَلْدُ فِي حِصَارِ بَغْدَادِ وَقَتْلُ وَلَدِهِ مُحَمَّدٍ وَنَهْبُ مَالِهِ وَخَزَائِنَتِهِ نَهْبًا طَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ [صفحہ ۱۵۳]

۲۷۱

إِنَّ كَلَامَ الْحُكَمَاءِ إِذَا كَانَ صَوَابًا كَانَ دَوَاءً وَإِذَا كَانَ خَطَأً كَانَ دَاءً كُلُّ كَلَامٍ يَقْلُدُ الْمُتَكَلِّمَ بِهِ لِحَسَنِ عَقِيدَةِ النَّاسِ فِيهِ نَحْوُ كَلَامِ الْحُكَمَاءِ وَكَلَامِ الْفُضَلَاءِ وَالْعُلَمَاءِ مِنَ النَّاسِ إِذَا كَانَ صَوَابًا كَانَ دَوَاءً وَإِذَا كَانَ خَطَأً كَانَ دَاءً لِأَنَّ النَّاسَ يَحْذُونَ حَذْوَ الْمُتَكَلِّمِ بِهِ وَيَقْلُدُونَهُ فِيمَا يَتَضَمَّنُهُ ذَلِكَ الْكَلَامُ مِنَ الْآدَابِ وَالْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي فَإِذَا كَانَ حَقًّا أَفْلَحُوا وَحَصَلَ لَهُمُ الثَّوَابُ وَاتَّبَعَ الْحَقُّ وَكَانُوا كَالدَّوَاءِ الْمَبْرُؤِ لِلْسَّقَمِ وَ إِذَا كَانَ ذَلِكَ الْكَلَامُ خَطَأً وَاتَّبَعُوهُ خَسِرُوا وَ لَمْ يَفْلَحُوا فَكَانَ بِمَنْزِلَةِ الدَّاءِ وَالْمَرَضِ [صفحہ ۱۵۴]

۲۷۲

وَ قَالَ ع حِينَ سَأَلَهُ رَجُلٌ أَنْ يُعَرِّفَهُ مَا الْإِيمَانُ فَقَالَ إِذَا كَانَ غَدًا فَأَتَيْتَنِي حَتَّى أَخْبَرَكَ عَلَى أَسْمَاعِ النَّاسِ فَإِنْ نَسَيْتَ مَقَالَتِي حَفِظَهَا عَلَيْكَ غَيْرُكَ فَبِإِنَّ الْكَلَامَ كَالشَّارِدَةِ يَثْقُفُهَا هَيْدًا وَيُخْطِئُهَا هَيْدًا قَالَ وَ قَدْ ذَكَرْنَا مَا أَجَابَهُ بِهِ ع فِيمَا تَقَدَّمَ مِنْ هَذَا الْبَابِ وَهُوَ قَوْلُهُ الْإِيمَانُ عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ - رَوَيْتَ - ۱- ۹۱ يَقُولُ إِذَا كَانَ غَدًا فَأَتَيْتَنِي فَتَكُونُ كَانَ هَاهُنَا تَامَةً أَى إِذَا حَدَثَ وَوَجَدَ وَتَقُولُ إِذَا كَانَ غَدًا فَأَتَيْتَنِي فَيَكُونُ النَّصَبُ بِاعْتِبَارِ آخِرِ أَى إِذَا كَانَ الزَّمَانُ غَدًا أَى مَوْصُوفًا بِأَنَّهُ مِنَ الْغَدِ وَ مِنَ النَّحْوِيِّينَ مِنْ يَقْدِرُهُ إِذَا كَانَ الْكُونُ غَدًا

لأن الفعل يدل على المصدر والكون هو التجدد والحدوث . وقائل هذا القول يرجحه على القول الآخر لأن الفاعل عندهم لا يحذف إلا إذا كان في الكلام دليل عليه . ويثقفها يجدها ثقفت كذا بالكسر أى وجدته وصادفته والشاردة الضالّة [صفحہ ۱۵۵]

۲۷۳

يا ابن آدم لا تحمل همّ يومك ألمدى لم يأتك على يومك ألمدى أتاك فإته إن يكن من عمرك يأت الله فيه برزقك قد تقدم هذا الفصل بتمامه واعلم أن كل ما دخرتة مما هو فاضل عن قوتك فإنما أنت فيه خازن لغيرك . وخلاصة هذا الفصل النهى عن الحرص على الدنيا والاهتمام لها وإعلام الناس أن الله تعالى قد قسم الرزق لكل حى من خلقه فلو لم يتكلف الإنسان فيه لأتاه رزقه من حيث لا يحتسب . وفى المثل يارزاق البغاث فى عشه و إذا نظر الإنسان إلى الدودة المكونة داخل الصخرة كيف ترزق علم أن صانع العالم قد تكفل لكل ذى حياة بمادة تقيم حياته إلى انقضاء عمره [صفحہ ۱۵۶]

۲۷۴

أحب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغضك يوماً ما و أبغض بغضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما الهون بالفتح التأنى والبغض المبغض وخلاصة هذه الكلمة النهى عن الإسراف فى المودة والبغضة فربما انقلب من تود فصار عدوا وربما انقلب من تعاديه فصار صديقا . وقد تقدم القول فى ذلك على أتم ما يكون وقال بعض الحكماء توق الإفراط فى المحبة فإن الإفراط فيها داع إلى التقصير منها ولأن تكون الحال بينك وبين حبيبك نامية أولى من أن تكون متناهية . و من كلام عمر لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا . وقال الشاعر وأحب إذا أحببت حبا مقاربا || فإنك لا تدرى متى أنت نازع وأبغض إذا أبغضت غير مباين || فإنك لا تدرى متى أنت راجع وقال عدى بن زيد ولا تأمنن من مبغض قرب داره || ولا من محب أن يمل فيبعدا [صفحہ ۱۵۷]

۲۷۵

الناس فى الدنيا عاملان عامل فى الدنيا للدنيا قد شغلته دنياه عن آخرته يخشى على من يخلف الفقر و يأمنه على نفسه فيفنى عمره فى منفعه غيره و عامل عمل فى الدنيا لما بعدها فجاءه ألمدى له من الدنيا بغير عمل فأحرز الحظين معاً و ملك الدارين جميعاً فأصبح وجهها عند الله لا يسأل الله حاجه فيمنعه معنى قوله و يأمنه على نفسه أى ولا يبالي أن يكون هوفقيراً لأنه يعيش عيش الفقراء و إن كان ذا مال لكنه يدخر المال لولده فيفنى عمره فى منفعه غيره . ويجوز أن يكون معناه أنه لكثرة ماله قد آمن الفقر على نفسه مادام حيا ولكنه لا يأمن الفقر على ولده لأنه لا يثق من ولده بحسن الاكتساب كما وثق من نفسه فلا يزال فى الاكتساب والازدياد منه لمنفعه ولده الذى يخاف عليه الفقر بعد موته . فأما العامل فى الدنيا لمابعدا فهم أصحاب العبادة يأتهم رزقهم بغير اكتساب ولاكد وقد حصلت لهم الآخرة فقد حصل لهم الحظان جميعا [صفحہ ۱۵۸]

۲۷۶

وَرُوي أَنَّهُ ذُكِرَ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي أَيَّامِهِ حَلْيُ الْكَعْبَةِ وَ كَثْرَتُهُ فَقَالَ قَوْمٌ لَوْ أَخَذْتَهُ فَجَهَّزْتَ بِهِ جُيُوشَ الْمُسْلِمِينَ كَانَ أَعْظَمَ لِلْأَجْرِ وَ مَا تَصْنَعُ الْكَعْبَةَ بِالْحَلْيِ فَهَمَّ عُمَرُ بِذَلِكِ وَ سَأَلَ عَنْهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع فَقَالَ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَيَّ مُحَمَّدِصَ وَ الْأَمْوَالَ أَرْبَعَةَ أَمْوَالَ الْمُسْلِمِينَ فَقَسَمَهَا بَيْنَ الْوَرَثَةِ فِي الْفَرَائِصِ وَ الْفَيْءِ فَقَسَمَهُ عَلَيَّ مُسْتَحِقِّيهِ وَ الْخُمْسُ فَوْضَهُ اللَّهُ حَيْثُ وَضَعَهُ وَ الصِّدَقَاتُ فَجَعَلَهَا اللَّهُ حَيْثُ جَعَلَهَا وَ كَانَ حَلْيُ الْكَعْبَةِ فِيهَا يَوْمَئِذٍ فَتَرَكَهُ اللَّهُ عَلَيَّ حَالِهِ وَ لَمْ يَتْرُكْهُ نِسْيَانًا وَ لَمْ يَخْفَ عَنْهُ مَكَانًا فَأَقْرَهُ حَيْثُ أَقْرَهُ اللَّهُ وَ رَسُوْلُهُ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ لَوْلِمَاكَ لَأَفْتَضَ حَنَا وَ تَرَكَ الْحَلْيَ بِحَالِهِ هَذَا اسْتِدْلَالٌ صَحِيحٌ وَ يُمْكِنُ أَنْ يُوْرِدَ عَلَيَّ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنْ يُقَالَ أَصْلُ الْأَشْيَاءِ الْحِظْرُ وَ التَّحْرِيمُ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ كَثِيرٍ مِنْ أَصْحَابِنَا الْبَغْدَادِيِّينَ فَلَا يُجُوزُ التَّصْرِفُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَمْوَالَ وَ الْمَنَافِعِ إِلَّا بِإِذْنِ شَرْعِيٍّ وَ لَمْ يُوْجَدْ إِذْنٌ شَرْعِيٌّ فِي حَلْيِ الْكَعْبَةِ فَبَقِينَا فِيهِ عَلَيَّ حُكْمُ الْأَصْلِ . وَ الْوَجْهُ الثَّانِي أَنْ يُقَالَ حَلْيُ الْكَعْبَةِ مَالٌ مُخْتَصٌّ بِالْكَعْبَةِ هُوَ جَارٌ مَجْرِيٌّ سَتُورُ الْكَعْبَةِ وَ مَجْرِيٌّ بِبَابِ الْكَعْبَةِ فَكَمَا لَا يُجُوزُ التَّصْرِفُ فِي سَتُورِ الْكَعْبَةِ وَ بِبَابِهَا [صَفْحَةُ ١٥٩] إِلَّا بِنِصِّ فَكَذَلِكَ حَلْيُ الْكَعْبَةِ وَ الْجَامِعُ بَيْنَهُمَا الْإِخْتِصَاصُ الْجَاعِلُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ ذَلِكَ كَالْجُزْءِ مِنَ الْكَعْبَةِ فَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ يُنْبَغِي أَنْ يَكُونَ اسْتِدْلَالٌ . وَ يُجِبُّ أَنْ يَحْمَلَ كَلَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ وَ إِلَّا يَحْمَلُ عَلَيَّ ظَاهِرُهُ لِأَنَّ لِمُعْتَرِضٍ أَنْ يُعْتَرِضَ اسْتِدْلَالَهُ إِذَا حَمَلَ عَلَيَّ ظَاهِرُهُ بِأَنْ يَقُولَ الْأَمْوَالَ الْأَرْبَعَةُ الَّتِي عَدَدَهَا إِنَّمَا قَسَمَهَا اللَّهُ تَعَالَى حَيْثُ قَسَمَهَا لِأَنَّهَا أَمْوَالَ مُتَكَرِّرَةٌ بِتَكَرُّرِ الْأَوْقَاتِ عَلَيَّ مَرَّ الزَّمَانِ يَذْهَبُ الْمَوْجُودُ مِنْهَا وَيُخْلَفُهُ غَيْرُهُ فَكَانَ الْإِعْتِنَاءُ بِهَا أَكْثَرَ وَ الْإِهْتِمَامُ بِوُجُوهِ مُتَصْرِفِهَا أَشَدَّ لِأَنَّ حَاجَاتِ الْفُقَرَاءِ وَ الْمَسَاكِينِ وَ أَمْثَالِهِمْ مِنْ ذَوِي الْإِسْتِحْقَاقِ كَثِيرَةٌ وَ مُتَجَدِّدَةٌ بِتَجَدُّدِ الْأَوْقَاتِ وَ لَيْسَ كَذَلِكَ حَلْيُ الْكَعْبَةِ لِأَنَّهُ مَالٌ وَاحِدٌ بَاقٍ غَيْرَ مُتَكَرِّرٍ وَ أَيْضًا فَهُوَ شَيْءٌ قَلِيلٌ يَسِيرٌ لَيْسَ مِثْلُهُ مِمَّا يُقَالُ يُنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الشَّارِعُ قَدْ تَعَرَّضَ لَوْجُوهِ مُصْرَفِهِ حَيْثُ تَعَرَّضَ لَوْجُوهِ مُصْرَفِ الْأَمْوَالَ فَافْتَرَقَ الْمَوْضِعَانِ [صَفْحَةُ ١٦٠]

٢٧٧

رُوي أَنَّهُ رُفِعَ إِلَيْهِ رَجُلَانِ سَرِقَا مِنْ مَالِ اللَّهِ أَحَدُهُمَا عَبْدٌ مِنْ مَالِ اللَّهِ وَ الْآخَرُ مِنْ عُرْضِ النَّاسِ فَقَالَ أَمَّا هَذَا فَهُوَ مِنْ مَالِ اللَّهِ فَلَا حَيْدَ عَلَيْهِ مَالُ اللَّهِ أَكَلَّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَ أَمَّا الْآخَرُ فَعَلَيْهِ الْحَدُّ الشَّدِيدُ فَقَطَعَ يَدَهُ هَذَا مَذْهَبُ الشَّيْعَةِ أَنْ عَبْدَ الْمَغْنَمِ إِذَا سَرَقَ مِنَ الْمَغْنَمِ لَمْ يَقْطَعْ فَأَمَّا الْعَبْدُ الْغَرِيبُ إِذَا سَرَقَ مِنَ الْمَغْنَمِ فَإِنَّهُ يَقْطَعْ إِذَا كَانَ مَاسْرَقَهُ زَائِدًا عَمَّا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِمَقْدَارِ النَّصَابِ الَّذِي يُجِبُّ فِيهِ الْقَطْعُ وَ هُوَ رُبْعُ دِينَارٍ وَ كَذَلِكَ الْحُرُّ إِذَا سَرَقَ مِنَ الْمَغْنَمِ حُكْمُهُ هَذَا الْحُكْمُ بَعِيْنُهُ فَوْجِبُ أَنْ يَحْمَلَ كَلَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيَّ أَنْ الْعَبْدَ الْمَقْطُوعَ قَدْ كَانَ سَرَقَ مِنَ الْمَغْنَمِ مَا هُوَ أَزِيدُ مِنْ حَقِّهِ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِمَقْدَارِ النَّصَابِ الْمَذْكَورِ أَوْ أَكْثَرَ. فَأَمَّا الْفُقَهَاءُ فَإِنَّهُمْ لَا يُوجِبُونَ الْقَطْعَ عَلَيَّ مِنْ سَرَقَ مِنْ مَالِ الْغَنِيمَةِ قَبْلَ قَسْمَتِهَا سِوَاءَ كَانَ مَاسْرَقَهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّهِ أَوْ لَمْ يَكُنْ لِأَنَّ مَخَالَطَةَ حَقِّهِ وَ مِمَّا زَجَّتْهُ لِلْمَسْرُوقِ شَبْهَةٌ فِي الْجُمْلَةِ تَمْنَعُ مِنْ وَجُوبِ الْقَطْعِ هَذَا إِنْ كَانَ لَهُ حَقٌّ فِي الْغَنِيمَةِ بِأَنْ يَكُونَ شَهِدَ الْقِتَالِ بِإِذْنِ سَيِّدِهِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ وَ كَانَ لِسَيِّدِهِ فِيهَا حَقٌّ لَمْ يَقْطَعْ أَيْضًا لِأَنَّ حِصَّةَ سَيِّدِهِ الْمَشَاعَةَ شَبْهَةٌ تَمْنَعُ مِنْ قَطْعِهِ فَإِنْ لَمْ يَشْهَدْ الْقِتَالَ وَ لَاشْهَدَهُ سَيِّدُهُ وَ سَرَقَ مِنَ الْغَنِيمَةِ قَبْلَ الْقِسْمَةِ مَا يُجِبُّ فِي مِثْلِهِ الْقَطْعُ وَ جِبُّ عَلَيْهِ الْقَطْعُ [صَفْحَةُ ١٦١]

٢٧٨

لَوْ قَدِ اسْتَوَتْ قَدَمَايَ مِنْ هَيْدِهِ الْمَيْدَاحِصِ لَغَيَّرْتُ أَشْيَاءَ لَسْنَا نَشْكُ أَنْهُ كَانَ يَذْهَبُ فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَ الْقَضَايَا إِلَى أَشْيَاءٍ يُخَالِفُ فِيهَا أَقْوَالَ الصَّحَابَةِ نَحْوَ قَطْعِهِ يَدِ السَّارِقِ مِنْ رِءُوسِ الْأَصْبَاعِ وَ بَيْعِهِ أَمْهَاتِ الْأَوْلَادِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ وَ إِنَّمَا كَانَ يَمْنَعُهُ مِنْ تَغْيِيرِ أَحْكَامٍ مِنْ تَقْدَمِهِ اسْتِغَالَهُ بِحَرْبِ الْبَغَاةِ وَ الْخَوَارِجِ وَ إِلَى ذَلِكَ يُشِيرُ بِالْمَدَاخِصِ الَّتِي كَانَ يُؤْمَلُ اسْتِوَاءَ قَدَمِيهِ مِنْهَا وَ لِهَذَا قَالَ

لقضاته اقصوا كما كنتم تقضون حتى يكون للناس جماعة -رواية- ١-٢-رواية- ١٥-٦٠ فلفظة حتى هاهنا مؤذنة بأنه فسح لهم في اتباع عاداتهم في القضايا والأحكام التي يعهدونها إلى أن يصير للناس جماعة و ما بعد إلى و حتى ينبغي أن يكون مخالفا لما قبلهما. فأما أصحابنا فيقولون إنه كان فيما يحاول أن يحكم بين الناس مجتهدا ويجوز لغيره من المجتهدين مخالفته . والإمامية تقول ما كان يحكم إلا عن نص وتوقيف ولا يجوز لأحد من الناس مخالفته . والقول في صحه ذلك وفساده فرع من فروع مسألة الإمامة [صفحه ١٦٢]

٢٧٩

اعلموا علماً يقيناً أن الله لم يجعل للعبد وإن عظمت حيلته و اشتدت طلبته و قويت مكيدته أكثر مما سمى له في الذكر الحكيم و لم يحل بين العبد في ضمه و قاهه حيلته و بين أن يبلغ ما سمى له في الذكر الحكيم و العارف لهذا العالم به أعظم الناس رحمه في منفعه و التارك له الشاك فيه أعظم الناس شغلاً في مضرته و رب منعم عليه مستدرج بالنعمة و رب مبتلى مصنوع له بالبلوى فزد أيها المستمع في شكرك و قصر من عجلتك و قف عند منتهى رزقك قد تقدم القول في الحرص والجشع و ذمهما و ذم الكادح في طلب الرزق ومدح القناعة والاعتصار و نذكر هنا طرفاً آخر من ذلك قال بعض الحكماء وجدت أطول الناس غماً الحسود وأهانهم عيشا القنوع وأصبرهم على الأذى الحريص وأخفصهم عيشا أرفضهم للدنيا وأعظمهم ندامة العالم المفرط. و قال عمر الطمع فقر والياس غنى و من يئس مما عند الناس استغنى عنهم . [صفحه ١٦٣] وقيل لبعض الحكماء ماالغنى قال قلته تمنيك ورضاك بما يكفيك ولذلك قيل العيش ساعات تمر وخطوب تكرر. و قال الشاعر اقنع بعيشك ترضه || و اترك هواك و أنت حر فلرب حتف فوقه || ذهب وياقوت ودر و قال آخر إلى متى أنا في حل و ترحال || من طول سعى وإدبار وإقبال ونازح الدار لأنفك مغتربا || عن الأجهل لا يدرون ما حالي بمشرق الأرض طورا ثم مغربها || لا يخطر الموت من حرص على بالي و لو قنعت أتاني الرزق في دعه || إن القنوع الغنى لا-كثره المال في الخبر المرفوع أجملوا في الطلب فإنه ليس لعبد إلا ما كتب له ولن يخرج عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له في الدنيا وهي راغمة -رواية- ١-٢-رواية- ٢١-١٣٦ [صفحه ١٦٤]

٢٨٠

لما تجعلوا علمكم جهلاً و يقينكم شكاً إذا علمتم فاعملوا و إذا تيقنتم فأقدموا هذانهي للعلماء عن ترك العمل يقول لا تجعلوا علمكم كالجهل فإن الجاهل قد يقول جهلت فلم أعمل وأنتم فلا عذر لكم لأنكم قد علمتم وانكشف لكم سر الأمر فوجب عليكم أن تعملوا و لا تجعلوا علمكم جهلاً فإن من علم المنفعة في أمر و لاحائل بينه وبينه ثم لم يأت به كان سفيهاً [صفحه ١٦٥]

٢٨١

إن الطمع مورد غير مصدر و ضامن غير وفي و ربما شرق شارب الماء قبل ربه و كلما عظم قدر الشيء المتنافس فيه عظمت الرزية لفقده و الأمانى تعمي أعين البصائر و الحظ يأتي من لا يأتيه قد تقدم القول في هذه المعاني كلها و قد ضرب الحكماء مثالا لفرط الطمع فقالوا إن رجلا صاد قبرة فقالت ماتريد أن تصنع بي قال أذبحك و آكلك قالت و الله ما أشفى من قرم و لأشبع من جوع ولكنى أعلمك ثلاث خصال هن خير لك من أكلى أما واحدة فأعلمك إياها و أنا في يدك و أما الثانية فإذا صرت على الشجرة أما الثالثة فإذا صرت على الجبل فقال هاتى الأولى قالت لا تلهفن على مافات فخلاها فلما صارت على الشجرة قال هاتى

الثانية قالت لاتصدقن بما لا- يكون أنه يكون ثم طارت فصارت على الجبل فقالت يا شقى لودبحتنى لأخرجت من حوصلتى درتين وزن كل واحدة ثلاثون مثقالا فعرض على يديه وتلهف تلهفا شديدا وقال هاتى الثالثة فقالت أنت قدأنسىت الاثنتين فما تصنع بالثالثة أ لم أقل لك لاتلهفن على [صفحہ ۱۶۶] مافات و قدتلهفت و أ لم أقل لك لاتصدقن بما لا يكون أنه يكون و أنا ولحمى ودمى وريشى لا يكون عشرين مثقالا فكيف صدقت أن فى حوصلتى درتين كل واحدة منهما ثلاثون مثقالا ثم طارت وذهبت . و قوله وربما شرب الماء قبل ربه كلام فصيح و هو مثل لمن يخترم بغتة أو تطرقه الحوادث والخطوب و هو فى تلهيه من عيشه . ومثل الكلمة الأخرى قولهم على قدر العطيئة تكون الرزية . والقول فى الأمانى قدأوسعنا القول فيه من قبل وكذلك فى الحظوظ [صفحہ ۱۶۷]

۲۸۲

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ تَحْسُنَ فِي لَامِعَةِ الْعُيُونِ عَلَانِيَتِي وَ تَقْبِيحَ فِيمَا أَبْطَنُ لَكَ سِرِّي مُحَافِظًا عَلَى رِيَاءِ النَّاسِ مِنْ نَفْسِي بِجَمِيعِ مَا أَنْتَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ مِنِّي فَأَبْئِدِي لِلنَّاسِ حُسْنَ ظَاهِرِي وَ أَفْضِي إِلَيْكَ بِسُوءِ عَمَلِي تَقَرُّبًا إِلَى عِبَادِكَ وَ تَبَاعُثًا مِنْ مَرْضَاتِكَ قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي الرِّيَاءِ وَ أَنْ يَظْهَرَ الْإِنْسَانُ مِنَ الْعِبَادَةِ وَالْفِعْلِ الْجَمِيلِ مَا يَبْطِنُ غَيْرِهِ وَيَقْصِدُ بِذَلِكَ السَّمْعَةَ وَالصِّيْتَ لِأَوْجِهَةِ اللَّهِ تَعَالَى . وَ قَدْ جَاءَ فِي الْخَبَرِ الْمَرْفُوعِ أَحْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الرِّيَاءَ وَالشَّهْوَةَ الْخَفِيَّةَ - رَوَايَاتُ ۱- ۲- رَوَايَاتُ ۲۱- ۶۷- قَالَ الْمَفْسُرُونَ وَالرِّيَاءُ مِنَ الشَّهْوَةِ الْخَفِيَّةِ لِأَنَّهُ شَهْوَةٌ الصِّيْتِ وَالْجَاهِ بَيْنَ النَّاسِ بِأَنَّهُ مَتِينُ الدِّينِ مُوَظَبٌ عَلَى نَوَافِلِ الْعِبَادَاتِ وَ هَذِهِ هِيَ الشَّهْوَةُ الْخَفِيَّةُ أَيْ لَيْسَتْ كَشَهْوَةِ الطَّعَامِ وَالنِّكَاحِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْمَلَاذِ الْحَسِيَّةِ . وَ فِي الْخَبَرِ الْمَرْفُوعِ أَيْضًا أَنْ الْيَسِيرَ مِنَ الرِّيَاءِ شَرِكٌ وَ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْأَتْقِيَاءَ الْأَخْفِيَاءَ الَّذِينَ هُمْ فِي بَيْوتِهِمْ إِذَا غَابُوا لَمْ يَفْتَقِدُوا وَ إِذَا حَضَرُوا لَمْ يَعْرِفُوا قُلُوبَهُمْ مَصَابِيحُ الْهَدْيِ يَنْجُونَ مِنْ كُلِّ غِبْرَاءٍ مَظْلَمَةٍ - رَوَايَاتُ ۱- ۲- رَوَايَاتُ ۲۶- ۱۹۸- [صفحہ ۱۶۸]

۲۸۳

وَ قَالَ ع لَأَ وَ الَّذِي أَمْسَيْنَا مِنْهُ فِي غُبْرِ لَيْلَةٍ ذَهَمَاءَ تَكْشِيرُ عَنْ يَوْمٍ أَعْرَمَ مَا كَانَ كَذَا وَ كَذَا قَدْرُوى نَفْتَرُ عَنْ يَوْمٍ أَعْرَمَ - رَوَايَاتُ ۱- ۲- رَوَايَاتُ ۱۰- ۲۷- وَالْغَيْبُ الْبَقَايَا وَ كَذَلِكَ الْأَغْبَارُ وَ كَشْرُ أَيْ بِسْمِ وَأَصْلُهُ الْكُشْفُ . وَ هَذَا الْكَلَامُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ قَالَهُ عَلَى جِهَةِ التَّفَاوُلِ أَوْ أَنْ يَكُونَ إِخْبَارًا بَغِيْبٍ وَالْأَوَّلُ أَوْجِهٌ [صفحہ ۱۶۹]

۲۸۴

قَلِيلٌ تَدْوُمٌ عَلَيْهِ أَرْجَى مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُوءٍ مِنْهُ لِأَرِيْبِ أَنْ مَنْ أَرَادَ حَفْظَ كِتَابٍ مِنَ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ فَحَفِظَ مِنْهُ قَلِيلًا قَلِيلًا وَ دَامَ عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ ذَلِكَ أَنْفَعُ لَهُ وَأَرْجَى لِفَلَاحِهِ مِنْ أَنْ يَحْفِظَ كَثِيرًا وَ لَا يَدُومُ عَلَيْهِ لِمَلَالِهِ إِيَّاهُ وَ ضَجْرِهِ مِنْهُ وَ التَّجْرِبَةُ تُشْهَدُ بِذَلِكَ . وَ الْقَوْلُ فِي غَيْرِ الْحَفْظِ كَالْقَوْلِ فِي الْحَفْظِ نَحْوُ الزِّيَارَةِ الْقَلِيلَةِ لِلصَّدِيقِ وَ نَحْوِ الْعَطَاءِ الْيَسِيرِ الدَّائِمِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ مِنَ الْكَثِيرِ الْمُنْقَطِعِ وَ نَحْوُ ذَلِكَ [صفحہ ۱۷۰]

۲۸۵

إِذَا أَضْرَبَتِ النَّوَافِلُ بِالْفَرَائِضِ فَارْفُضُوهَا قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي النَّافِلَةِ هَلْ تَصِحُّ مِمَّنْ عَلَيْهِ فَرِيضَةٌ لَمْ يُوَدِّهَا وَذَكَرْنَا مَذَاهِبَ الْفُقَهَاءِ فِي ذَلِكَ . وَلَا رَيْبَ أَنَّ مَنْ اسْتَعْرَقَ الْوَقْتَ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى آتَى أَوْقَاتَ الْفَرَائِضِ لَمْ يَفْعَلِ الْفَرَائِضَ فِيهَا وَشَغَلَهَا بِالْعِبَادَةِ النَّفْلِيَّةِ فَقَدْ أَخْطَأَ وَالْوَاجِبُ أَنَّ يَرْفُضَ النَّافِلَةَ حَيْثُ يَتَضَيَّقُ وَقْتُ الْفَرِيضَةِ لِاخْتِلَافِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي ذَلِكَ وَيُصَلِّحُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مَثَلًا ظَاهِرًا مَا ذَكَرْنَا وَبِاطْنُهُ أَمْرٌ آخَرَ [صَفْحَهُ ١٧١]

٢٨٦

مَنْ تَذَكَّرَ بَعْدَ السِّفْرِ اسْتَعَدَّ هَذَا مِثْلَ قَوْلِهِمْ فِي الْمِثْلِ اللَّيْلِ طَوِيلٌ وَأَنْتَ مَقْمَرٌ وَقَالَ أَيْضًا عَشْرٌ وَلَا تَغْتَرَّ . وَقَالَ أَصْحَابُ الْمَعَانِي مِثْلَ الدُّنْيَا كَرَكِبَ فِي فَلَاةٍ وَرَدُّوا مَاءً طَيِّبًا فَمِنْهُمْ مَنْ شَرِبَ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ شَرْبًا يَسِيرًا ثُمَّ أَفْكَرَ فِي بَعْدِ الْمَسَافَةِ الَّتِي يَقْصِدُونَهَا وَ أَنَّهُ لَيْسَ بَعْدَ ذَلِكَ الْمَاءِ مَاءٌ آخَرَ فَتَزُودُ مِنْهُ مَاءٌ أُوصِلُهُ إِلَى مَقْصِدِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ شَرِبَ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ شَرْبًا عَظِيمًا وَلَهَا عَنِ التَّرْوِدِ وَالِاسْتِعْدَادِ وَظَنَّ أَنَّ مَا شَرِبَ كَافٍ لَهُ وَمَغْنٌ عَنِ ادِّخَارِ شَيْءٍ آخَرَ فَقَطَعَ بِهِ وَأَخْلَفَهُ ظَنُّهُ فَعَطَشَ فِي تِلْكَ الْفَلَاةِ وَمَاتَ . وَ قَدْرُوى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ إِنَّمَا مِثْلِي وَمِثْلُكُمْ وَمِثْلُ الدُّنْيَا كَقَوْمٍ سَلَكَوا مَفَاذَهُ غُبْرَاءَ حَتَّى إِذَا لَمْ يَدْرُوا مَا سَلَكَوا مِنْهَا أَكْثَرَ أَمْ مَا بَقِيَ أَنْفَدُوا الزَّادَ وَحَسَرُوا الظُّهْرَ وَبَقُوا بَيْنَ ظَهْرَانِي الْمَفَاذَةَ لِأَزَادٍ وَ لِأَحْمُولَةٍ فَأَيَّقَنُوا بِالْهَلَكَةِ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ خَرَجَ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ فِي حِلْيَةٍ يَقْطُرُ رَأْسَهُ مَاءً فَقَالُوا هَذَا قَرِيبٌ عَهْدٌ بَرِيْفٌ وَ مَا جَاءَ كُمْ هَذَا إِلَّا مِنْ قَرِيبٍ فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِمْ وَشَاهَدَ حَالَهُمْ قَالَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ هَدَيْتُكُمْ إِلَى مَاءٍ رَوَاءَ وَرِيَاضِ خَضْرَاءَ مَا تَعْمَلُونَ قَالُوا لِأَنْعَصِيكَ شَيْئًا - رَوَايَاتُ ١- ٢- رَوَايَاتُ ٤٢- ٤٣- إِدَامَةُ دَارِدٍ [صَفْحَهُ ١٧٢] قَالَ عَهْدُكُمْ وَمَوَاطِئُكُمْ بِاللَّهِ فَأَعْطَوْهُ ذَلِكَ فَأُورِدَهُمْ مَاءً رَوَاءَ وَرِيَاضِ خَضْرَاءَ وَمَكَّثَ بَيْنَهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ إِنِّي مَفَارِقُكُمْ قَالُوا إِلَى أَيْنَ قَالَ إِلَى مَاءٍ لَيْسَ كَمَا نَحْنُ وَرِيَاضِ لَيْسَتْ كَرِيَاضِكُمْ فَقَالَ الْأَكْثَرُونَ مِنْهُمْ وَ اللَّهُ مَا وَجَدْنَا مَا نَحْنُ فِيهِ حَتَّى ظَنْنَا أَنَا لَنْجِدَهُ وَ مَا نَصْنَعُ بِمَنْزِلِ خَيْرٍ مِنْ هَذَا وَ قَالَ الْأَقْلُونَ مِنْهُمْ أَلَمْ تَعْطُوا هَذَا الرَّجُلَ مَوَاطِئُكُمْ وَعَهْدُكُمْ بِاللَّهِ لِأَنْعَصُونَهُ شَيْئًا وَ قَدْ صَدَقْتُمْ فِي أَوَّلِ حَدِيثِهِ وَ اللَّهُ لِيَصْدَقْتُمْ فِي آخِرِهِ فَرَأَى فِيمَنْ تَبِعَهُ مِنْهُمْ وَتَخَلَّفَ الْبَاقُونَ فَدَهَمَهُمْ عَدُوٌّ شَدِيدٌ الْبَأْسَ عَظِيمَ الْجَيْشِ فَأَصْبَحُوا مَا بَيْنَ أُسَيْرٍ وَقَتِيلٍ - رَوَايَاتُ ٥٢٢- ٥٢٣ [صَفْحَهُ ١٧٣]

٢٨٧

لَيْسَتْ الرُّؤْيَةُ مَعَ الْإِبْصَارِ فَقَدْ تَكَذَّبَ الْعُيُونُ أَهْلَهَا وَ لَا يُعْشَى الْعَقْلُ مِنْ اسْتَنْصَحَهُ هَذَا مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَ لَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ أَيْ لَيْسَ الْعَمَى عَمَى الْعَيْنِ بَلْ عَمَى الْقَلْبِ . كَذَلِكَ - قُرْآنُ ٢٢- ٩٦ قول أمير المؤمنين ع لَيْسَتْ الرُّؤْيَةُ مَعَ الْعَيْنِ وَ إِنَّمَا الرُّؤْيَةُ الْحَقِيقِيَّةُ مَعَ الْعُقُولِ - رَوَايَاتُ ١- ٢- رَوَايَاتُ ٢٥- ٨٢ وَ قَدْ ذَهَبَ أَكْبَارُ الْحُكَمَاءِ إِلَى أَنَّ الْيَقِينِيَّاتِ هِيَ الْمَعْقُولَاتُ لِأَنَّ الْمَحْسُوسَاتِ قَالُوا لِأَنَّ حُكْمَ الْحَسِّ فِي مِظْنَةِ الْغَلْطِ وَطَالَ مَا كَذَبَ الْحَسَّ وَاعْتَقَدْنَا بِطَرِيقَةِ اعْتِقَادَاتِ بَاطِلَةٍ كَمَا نَرَى الْكَبِيرَ صَغِيرًا وَ الصَّغِيرَ كَبِيرًا وَ الْمَتَحَرِّكَ سَاكِنًا وَ السَّاكِنَ مَتَحَرِّكًا فَأَمَّا الْعَقْلُ فَإِذَا كَانَ الْمَعْقُولُ بِهِ بِدِيهِيًّا أَوْ مُسْتَنَدًا إِلَى مَقْدَمَاتٍ بِدِيهِيَّةٍ فَإِنَّهُ لَا يَقَعُ فِيهِ غَلْطٌ أَصْلًا [صَفْحَهُ ١٧٤]

٢٨٨

بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ الْمَوْعِظَةِ حِجَابٌ مِنَ الْغِرَّةِ قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ الدُّنْيَا وَغُرُورِهَا وَأَنَّهَا بِشَهَوَاتِهَا وَلِذَاتِهَا حِجَابٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَ بَيْنَ الْمَوْعِظَةِ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَغْتَرُّ بِالْعَاجِلَةِ وَيَتَوَهَّمُ دَوَامَ مَا هُوَ فِيهِ وَ إِذَا خَطَرَ بِأَلِهِ الْمَوْتُ وَ الْفَنَاءُ وَعَدَّ نَفْسَهُ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَ عَفْوَهُ هَذَا إِنْ كَانَ مِمَّنْ

يعترف بالمعاد فإن كثيرا ممن يظهر القول بالمعاد هو في الحقيقة غير مستيقن له والإخلاق إلى عفو الله تعالى والاتكال على المغفرة مع الإقامة على المعصية غرور لامحالة والحازم من عمل لما بعد الموت و لم يمن نفسه الأمانى التى لاحقيقه لها [صفحہ ۱۷۵]

۲۸۹

جَاهِلُكُمْ مُزْدَادٌ وَ عَالِمُكُمْ مُسَوِّفٌ هَذَا قَرِيبٌ مِمَّا سَلَفَ يَقُولُ إِنَّ الْجَاهِلَ مِنَ النَّاسِ مُزْدَادٌ مِنْ جِهَلِهِ مَصْرٌ عَلَى خَطِيئَتِهِ مَسُوفٌ مِنْ تَوْهَمَاتِهِ وَعَقِيدَتِهِ الْبَاطِلَةُ بِالْعَفْوِ عَنْ ذَنْبِهِ وَ لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا تَوْهَمَهُ . لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَ لَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلُ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَ لَا يَجِدُ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَ لَا نَصِيرًا - قرآن - ۱۵۱-۲۸۶ [صفحہ ۱۷۶]

۲۹۰

قَطَعَ الْعِلْمُ عُذْرَ الْمُتَعَلِّلِينَ هَذَا أَيْضًا قَرِيبٌ مِمَّا تَقَدَّمَ يَقُولُ قَطَعَ الْعِلْمُ عُذْرَ الَّذِينَ يَلْلُونُ أَنْفُسَهُمْ بِالْبَاطِلِ وَيَقُولُونَ إِنَّ الرَّبَّ كَرِيمٌ رَحِيمٌ فَلَا حَاجَةَ لَنَا إِلَى إِتْعَابِ أَنْفُسِنَا بِالْعِبَادَةِ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ قَدِمْتَ عَلَى الْكَرِيمِ بِغَيْرِ زَادٍ || مِنْ الْأَعْمَالِ ذَا ذَنْبٍ عَظِيمٍ وَسُوءِ الظَّنِّ أَنْ تَعْتَدُ زَادًا || إِذَا كَانَ الْقُدُومُ عَلَى الْكَرِيمِ وَ هَذَا هُوَ التَّعْلِيلُ بِالْبَاطِلِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَ إِنَّ كَانَ كَرِيمًا رَحِيمًا عَفْوًا غَفُورًا إِلَّا أَنَّهُ صَادِقُ الْقَوْلِ وَ قَدْ تَوَعَّدَ الْعَصَاةَ وَ قَالَ وَ إِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ وَ مَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ وَ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّْ وَ قَدْ قَدِمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَ مَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ وَيَكْفَى فِي رَحْمَتِهِ وَعَفْوِهِ وَ كَرَمِهِ أَنْ يَغْفِرَ لِلتَّائِبِ أَوْلَمِنْ ثَوَابِهِ أَكْثَرَ مِمَّا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الْعِقَابِ فَالْقَوْلُ بِالْوَعِيدِ مَعْلُومٌ بِأَدْلِهِ السَّمْعُ الْمَتَظَاهِرَةُ الْمَتَنَاصِرَةُ الَّتِي قَدْ أَطْنَبَ أَصْحَابُنَا فِي تَعْدَادِهَا وَ إِضَاحِهَا وَ إِذَا كَانَ الشَّيْءُ مَعْلُومًا فَقَدْ قَطَعَ الْعِلْمُ بِهِ عُذْرَ أَصْحَابِ التَّعْلِيلِ وَ التَّمْنَى وَ وَجِبَ الْعَمَلُ بِالْمَعْلُومِ وَ رَفُضَ مَا يَخَالِفُهُ - قرآن - ۱۲۲-۲۰۶ [صفحہ ۱۷۷]

۲۹۱

كُلُّ مُعَاجِلٍ يَسْأَلُ الْإِنْظَارَ وَ كُلُّ مُؤَجَّلٍ يَتَعَلَّلُ بِالتَّسْوِيفِ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَ مِنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ فِهَذَا هُوَ سُؤَالُ الْإِنْظَارِ لِمَنْ عُوْجِلَ فَأَمَّا مَنْ أَجَلَ فَإِنَّهُ يَلْعَلُ نَفْسَهُ بِالتَّسْوِيفِ وَ يَقُولُ سَوْفَ أَتُوبُ سَوْفَ أَقْلَعُ عَمَّا أَنَا عَلَيْهِ فَأَكْثَرَهُمْ يَخْتَرِمُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَبْلُغَ هَذَا الْأَمَلَ وَ تَأْتِيهِ الْمَنِيَّةُ وَ هُوَ عَلَى أَقْبَحِ حَالٍ وَأَسْوَأِهَا وَمِنْهُمْ مَنْ تَشْمَلُهُ السَّعَادَةُ فَيَتُوبُ قَبْلَ الْمَوْتِ وَأَوْلَئِكَ الَّذِينَ خَتَمَتْ أَعْمَالَهُمْ بِخَاتَمَةِ الْخَيْرِ وَ هُمْ فِي الْعَالَمِ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ - قرآن - ۱۹-۱۹۴ [صفحہ ۱۷۸]

۲۹۲

اشاره

مَا قَالَ النَّاسُ لِشَيْءٍ طُوبَى لَهُ إِلَّا وَ قَدْ خَبَأَ لَهُ الدَّهْرُ يَوْمَ سَوْءٍ قَدْ تَقَدَّمَ هَذَا الْمَعْنَى وَ ذَكَرْنَا فِيهِ نَكْتًا جَيِّدَةً حَمِيدَةً

كان محمد بن عبد الله بن طاهر أمير بغداد في قصره على دجلة يوما و إذابحشيش على وجه الماء في وسطه قصبه عليها رقعاً فأمر بأخذها فإذا فيها تاه الأعيرج واستولى به البطر || فقل له خير ما استعملته الحذر أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت || و لم تخف سوء ما يأتي به القدر وسالمتك الليالي فاغررت بها || و عندصفو الليالي يحدث الكدر فما انتفع بنفسه مدة. و في المثل الدهر إذ أتى بسحواء سحسح يعقبها بنكباء زعزع و كذاك شرب العيش فيه تلون بيناه عذبا إذ تحول آجنا. [صفحة ١٧٩] يحيى بن خالد أعطانا الدهر فأسرف ثم مال علينا فأجحف . و قال الشاعر فيا لنعيم ساعدتنا رقابه || وخاست بنا أكفاله والروادف . إسحاق بن ابراهيم الموصلي هي المقادير تجرى في أعتتها || فاصبر فليس لها صبر على حال يوما تريش خسيس الحال ترفعه || إلى السماء ويوما تخفض العالی إذا أدير الأمر أتى الشر من حيث كان يأتي الخير. هانئ بن مسعود إن كسرى أبى على الملك النعمان || حتى سقاه أم الرقوب كل ملك و إن تصعد يوما || بأناس يعود للتصويب . أحيحة بن الجلاح و مايدرى الفقير متى غناه || و مايدرى الغنى متى يعيل و ماتدري إذا أضربت شولا || أتلقح بعد ذلك أم تحيل و ماتدري إذا أزمعت سيرا || بأى الأرض يدر كك المقييل . آخر فما درن الدنيا بباق لأهله || و لاشرة الدنيا بضربه لازم . آخر رب قوم غبروا من عيشهم || فى سرور ونعيم وغدق [صفحة ١٨٠] سكت الدهر زمانا عنهم || ثم أبكاهم دما حين نطق . و من الشعر المنسوب إلى محمد الأمين بن زبيدة يانفس قدح الحذر || أين الفرار من القدر كل امرئ مما يخاف || ويرتجيه على خطر من يرتشف صفو الزمان || يغص يوما بالكدر [صفحة ١٨١]

٢٩٣

و قَالَ ع وَ قَدْ سُئِلَ عَنِ الْقَدْرِ طَرِيقٌ مُظْلِمٌ فَلَا تَسْلُكُوهُ ثُمَّ سُئِلَ ثَانِيًا فَقَالَ بَحْرٌ عَمِيقٌ فَلَا تَلْجُوهُ ثُمَّ سُئِلَ ثَالِثًا فَقَالَ سِرٌّ لِلَّهِ فَلَا تَتَكَلَّفُوهُ
فى الخبر المرفوع القدر سر الله فى الأرض -رواية- ١-٢-رواية- ٢١-٤٧ روى سر الله فى عباده -رواية- ١-٢-رواية- ٧-٢٦
والمراد نهى المستضعفين عن الخوض فى إرادة الكائنات و فى خلق أعمال العباد فإنه ربما أفضى بهم القول بالجبر لما فى ذلك
من الغموض و ذلك أن العامى إذا سمع قول القائل كيف يجوز أن يقع فى عالمه ما يكرهه و كيف يجوز أن تغلب إرادة المخلوق
إرادة الخالق . و يقول أيضا إذا علم فى القدم أن زيدا يكفر فكيف لزيد أن لا يكفر وهل يمكن أن يقع خلاف ما علمه الله تعالى
فى القدم اشتبه عليه الأمر و صار شبهة فى نفسه وقوى فى ظنه مذهب المجبرة فهى ع هؤلاء عن الخوض فى هذا النحو من البحث
و لم ينفه غيرهم من ذوى العقول الكاملة والرياضة القوية والملكة التامة و من له قدرة على حل الشبه والتفصى عن المشكلات .
فإن قلت فإنكم تقولون إن العامى والمستضعف يجب عليهما النظر قلت نعم إلا أنه لا بد لهما من موقف بعد أعمالها ما ينتهى إليه
جهدهما من النظر بحيث يرشدهما إلى الصواب والنهى إنما هولمن يستبد من ضعفاء العامة بنفسه فى النظر و لا يبحث مع غيره
ليرشده [صفحة ١٨٢]

٢٩٤

إِذَا أَرَدَلَ اللَّهُ عَبْدًا حَظَرَ عَلَيْهِ الْعِلْمَ أَرَدَلَهُ جَعَلَهُ رَذَلًا- و كان يقال من علامة بغض الله تعالى للعبد أن يبغض إليه العلم . و قال
الشاعر شكوت إلى و كيع سوء حظى || فأرشدنى إلى ترك المعاصى و قال لأن حفظ العلم فضل || و فضل الله لا يؤتیه عاصى

. وقال رجل لحكيم ماخير الأشياء لى قال أن تكون عالما قال فإن لم أكن قال أن تكون مثريا قال فإن لم أكن قال أن تكون شاريا قال فإن لم أكن قال فإن تكون ميتا. أخذ هذا المعنى بعض المحدثين فقال إذا فاتك العلم جد بالقرى || و إن فاتك المال سد بالقراع فإن فات هذا وهذا وذاك || فمت فحياتك شر المتاع . وقال أيضا فى المعنى بعينه و لو لالحجا والقرى والقراع || لمافضل الآخر الأولا ثلاث متى يخل منها الفتى || يكن كالبهيمة أوأردلا [صفحه ١٨٣]

٢٩٥

اشاره

وَ قَالَ ع كَانَ لى فِيمَا مَضَى أَخٌ فى اللّهِ وَ كَانَ يُعْظِمُهُ فى عَيْنى صِعْرُ الدّنيا فى عَيْنِهِ وَ كَانَ حَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ فَلَا يَتَشَهَّى مَا لَا يَجِدُ وَ لَا يُكْتَبِرُ إِذَا وَجِدَ وَ كَانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ صَامِتاً فَإِنْ قَالَ بَدَّ الْقَائِلِينَ وَ نَقَعَ غَلِيلَ السَّائِلِينَ وَ كَانَ ضَعِيفاً مُسْتَضْعِفاً فَإِنْ جَاءَ الْجِدُّ فَهُوَ لَيْثٌ عَادٍ وَ صِلٌّ وَادٍ لَا يَدْلِي بِحُجْرِهِ حَتَّى يَأْتِيَ قَاضِيّاً كَانَ لَا يَلُومُ أَحِداً عَلَى مَا لَا يَجِدُ الْعُذْرَ فِى مِثْلِهِ حَتَّى يَسْمَعَ اعْتِدَارَهُ وَ كَانَ لَا يَشْكُو وَجِعاً إِلَّا عِنْدَ بُرْئِهِ وَ كَانَ يَفْعَلُ مَا يَقُولُ وَ لَا يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ وَ كَانَ إِنْ غَلَبَ عَلَى الْكَلَامِ لَمْ يُغْلَبْ عَلَى السِّكُوتِ وَ كَمَا عَلَى أَنْ يَسْمَعَ أَحْرَصَ مِنْهُ عَلَى أَنْ يَتَكَلَّمَ وَ كَمَا إِذَا بِيَدِهِ أَمْرَانِ نَظَرَ أَيُّهُمَا أَقْرَبُ إِلَى الْهَوَى فَخَالَفَهُ فَعَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْخَلَائِقِ فَالزُّمُوهَا وَ تَنَافَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوهَا فَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَدَ الْقَلِيلِ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الْكَثِيرِ فداختلف الناس فى المعنى بهذا الكلام و من هو هذا الأخ المشار إليه فقال قوم هو رسول الله ص واستبعده قوم لقوله و كان ضعيفا مستضعفا فإن النبى ص لا يقال فى صفاته مثل هذه الكلمة [صفحه ١٨٤] و إن أمكن تأويلها على لين كلامه وسماحة أخلاقه إلا أنها غير لائقة به ع . وقال قوم هو أبوذر الغفارى واستبعده قوم لقوله فإن جاء الجد فهو لىث عاد وصل واد فإن أباذر لم يكن من الموصوفين بالشجاعة والمعروفين بالبسالة. و قال قوم هوالمقداد بن عمرو المعروف بالمقداد بن الأسود و كان من شيعة على ع المخلصين و كان شجاعا مجاهدا حسن الطريقة و قدورد فى فضله حديث صحيح مرفوع . و قال قوم أنه ليس بإشارة إلى أخ معين ولكنه كلام خارج مخرج المثل وعادة العرب جارية بمثل ذلك مثل قولهم فى الشعر فقلت لصاحبى و يا صاحبى و هذا عندى أقوى الوجوه

نبد من الأقوال الحكيمية فى حمد القناعة وقلة الأكل

و قدمضى القول فى صغر الدنيا فى عين أهل التحقيق فأما سلطان البطن ومدح الإنسان بأنه لا يكثر من الأكل إذا وجد أكلا و لا يشتهى من الأكل ما لا يجده فقد قال الناس فيه فأكثرُوا. قال أعشى باهله يرثى المنتشر بن وهب طاوى المصير على العزاء منصلت || بالقوم ليلة لاماء و لاشجر تكفيه فلذة لحم إن ألم بها || من الشواء ويروى شربه الغمر و لا يبارى لما فى القدر يرقبه || و لا تراهم أمام القوم يفتقر [صفحه ١٨٥] لا يغمز الساق من أين و لا وصب || و لا يعرض على شرسوفه الصفر . و قال الشنفرى و أطوى على الخمص الحوايا كما انطوت || خيوطة ماري تغار و تفتل و إن مدت الأيدى إلى الزاد لم أكن || بأعجلهم إذ أجشع القوم أعجل و ما ذاك إلا بسطة عن تفضل || عليهم و كان الأفضل المتفضل . و قال بعضهم لابنه يابنى عود نفسك الأثرة و مجاهدة الهوى والشهوة و لاتنهش نهش السباع و لاتقضم قضم البراذين و لاتدمن الأكل إدمان النعاج و لاتلقم لقم الجمال إن الله جعلك إنسانا فلا تجعل نفسك بهيمة و لاسبعا واحذر سرعة الكظة و داء البطنة فقد قال الحكيم إذا كنت بطنا فعد نفسك من

الزمنى . و قال الأعشى والبطنه يوما تسفه الأحلاما . واعلم أن الشيع داعية البشم والبشم داعية السقم والسقم داعية الموت و من مات هذه الميتة فقد مات موته لثيمه و هو مع هذا قاتل نفسه وقاتل نفسه أوم من قاتل غيره يابنى و الله ما أدى حق السجود والرکوع ذو كظة و لاخشع لله ذو بطنه والصوم مصحة ولربما طالت أعمار الهند وصحت أبدان العرب والله در الحارث بن كلدۀ حيث زعم أن الدواء هو الأزم و أن الداء إدخال الطعام فى أثر الطعام يابنى لم صفت أذهان الأعراب وصحت أذهان الرهبان مع طول الإقامة فى الصوامع حتى لم تعرف وجع المفاصل و لاالأورام إلاالقلة الرزء ووقاحة الأكل وكيف لا ترغب فى تدبير يجمع لك بين صحة البدن وذكاء الذهن وصلاح المعاد [صفحہ ۱۸۶] والقرب و عيش الملائكة يابنى لم صار الضب أطول شىء ذمما إلا لأنه يتبلغ بالنسيم و لم زعم رسول الله ص أن الصوم وجاء إلا ليجمعه حجابا دون الشهوات فافهم تأديب الله ورسوله فإنهما لا يقصدان إلا مملك يابنى إنى قد بلغت تسعين عاما مانقص لى سن و لا انتشر لى عصب و لا عرفت دنين أنف و لا سيلان عين و لا تقطير بول ما لذلك علۀ إلا التخفيف من الزاد فإن كنت تحب الحياة فهذه سبيل الحياة و إن كنت تريد الموت فلا يبعد الله إلا من ظلم . و كان يقال البطنه تذهب الفطنة . و قال عمرو بن العاص لأصحابه يوم حكم الحكمان أكثروا لأبى موسى من الطعام الطيب فو الله ما بطن قوم قط إلا فقدوا عقولهم أوبعضها و مامضى عزم رجل بات بطينا . و كان يقال أقلل طعاما تحمد منا ما ودعا عبد الملك بن مروان رجلا إلى الغداء فقال ما فى فضل فقال إنى أحب الرجل يأكل حتى لا يكون فيه فضل فقال يا أمير المؤمنين عندى مستراد ولكنى أكره أن أصير إلى الحال التى استبقحها أمير المؤمنين . و كان يقال مسكين ابن آدم أسير الجوع صريح الشيع . وسأل عبد الملك أبا الزعيرة فقال هل أتخمت قط قال لا قال وكيف قال لأننا إذا طبخنا أنضجنا و إذا مضغنا دققنا و لا نكظ المعدة و لا نخليها . و كان يقال من المروءة أن يترك الإنسان الطعام و هو بعد يشتهي . و قال الشاعر فإن قراب البطن يكفيك ملؤه || وكفيك سوات الأمور اجتنابها . و قال عبد الرحمن ابن أخى الأصمعى كان عمى يقول لى لا تخرج يابنى من منزلك [صفحہ ۱۸۷] حتى تأخذ حلمك يعنى تتغذى فإذا أخذت حلمك فلا ترد إليه حلما فإن الكثرة تثول إلى قلة و فى الحديث المرفوع ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن بحسب الرجل من طعامه ما أقام صلبه و أما إذا أبيت فثلث طعام و ثلث شراب و ثلث نفس -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۳-۱۴۳ روى حذيفة عن النبى ص من قل طعمه صح بطنه وصفا قلبه و من كثر طعمه سقم بطنه وقسا قلبه -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۷-۹۹ عنه ص لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فإن القلب يموت بهما كالزرع يموت إذا أكثر عليه الماء -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۱-۱۰۷ روى عون بن أبى جحيفة عن أبيه قال أكلت يوما ثريدا ولحما سمينا ثم أتيت رسول الله و أنا أتجشأ فقال احبس جشأك أبا جحيفة إن أكثركم شبعاً فى الدنيا أكثركم جوعاً فى الآخرة قال فما أكل أبو جحيفة بعدها ملء بطنه إلى أن قبضه الله -روایت- ۱-۲-روایت- ۴۱-۲۳۶ أكل على ع قليلا من تمر دقل وشرب عليه ماء وأمر يده على بطنه و قال من أدخله بطنه النار فأبعده الله ثم تمثل -روایت- ۱-۱۱۸ فإنك مهما تعط بطنك سؤله || وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا و كان ع يفطر فى رمضان الذى قتل فيه عند الحسن ليلة و عند الحسين ليلة و عند عبد الله بن جعفر ليلة لا يزيد على اللقمتين أو الثلاث فيقال له فيقول إنما هى ليال قلائل حتى يأتى أمر الله و أنا خميص البطن فضر به ابن ملجم لعنه الله تلك الليلة -روایت- ۱-۲۵۱ . و قال الحسن لقد أدركت أقواما ما يأكل أحدهم إلا فى ناحية بطنه ماشع رجل منهم من طعام حتى فارق الدنيا كان يأكل فإذا قرب الشيع أمسك . وأنشد المبرد [صفحہ ۱۸۸] فإن امتلاء البطن فى حسب الفتى || قليل الغناء و هو فى الجسم صالح قال عيسى ع يابنى إسرائيل لا تكثروا الأكل فإنه من أكثر من الأكل أكثر من النوم و من أكثر النوم أقل الصلاة و من أقل الصلاة كتب من الغافلين -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۶-۱۵۲ قيل ليوסף ع ما لك لا تشبع و فى يديك خزائن مصر قال إنى إذا شبعت نسيت الجائعين -روایت- ۱-۸۷ . و قال الشاعر وأكله أوقعت فى الهلك صاحبها || كحبة القمح دقت عنق عصفور لكسرة بجريش الملح آكلها || ألد من تمره تحشى بزبور . و وصف لسابور ذى الأكتاف رجل من إصطخر

للقضاء فاستقدمه فدعاه إلى الطعام فأخذ الملك دجاجة من بين يديه فنصفها وجعل نصفها بين يدي ذلك الرجل فأتى عليه قبل أن يفرغ الملك من أكل النصف الآخر فصرفه إلى بلده و قال إن سلفنا كانوا يقولون من شره إلى طعام الملك كان إلى أموال الرعية أشره . قيل لسميرة بن حبيب إن ابنك أكل طعاما فأتخمت وكاد يموت فقال والله لومات منه ماصليت عليه أنس يرفعه إن من السرف أن تأكل كل ما اشتيت -رواية- ١-٢-رواية- ١٤-٥٢. دخل عمر على عاصم ابنه وهو يأكل لحما فقال ما هذا قال قرمنا إليه قال أو كلما قرمت إلى اللحم أكلته كفى بالمرء شرها أن يأكل كل ما يشتهي. أبوسعيد يرفعه استعينوا بالله من الرعب -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-٤٤ قالوا هو الشره ويقال الرعب شؤم أنس يرفعه أصل كل داء البردة -رواية- ١-٢-رواية- ١٤-٣٣ قالوا هي التخمه و قال أبو دريد العرب تعير بكثرة الأكل وأنشد لست بأكال كأكل العبد || و لابنوم كنوم الفهد . [صفحہ ١٨٩] وقال الشاعر إذا لم أزر إلا لآكل أكله || فلارفعت كفى إلى طعامي فما أكله إن نلتها بغنيمه || و لاجوعه إن جعتها بغرام ابن عباس كان رسول الله ص يبيت طاويا ليالي ما له ولأهله عشاء و كان عامه طعامه الشعير -رواية- ١-٢-رواية- ١٣-٩٧ قالت عائشه و ألدی بعث محمدا بالحق ما كان لنا منخل و لأأكل رسول الله ص خبزا منخولا منذ بعثه الله إلى أن قبض قالوا فكيف كنتم تأكلون دقيق الشعير قالت كنا نقول أف أف -رواية- ١-٢-رواية- ١٤-١٨٤ أنس ما أكل رسول الله ص رغيفا محورا إلى أن لقي ربه عز و جل -رواية- ١-٢-رواية- ٧-٦٨ أبوهريرة ماشع رسول الله ص وأهله ثلاثة أيام متواليه من خبز حنطه حتى فارق الدنيا -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-٩١ وروى مسروق قال دخلت على عائشه وهي تبكي فقلت ما يبكيك قالت ما أشاء أن أبكى إلا بكي مات رسول الله ص و لم يشبع من خبز البر في يوم مرتين ثم انهارت علينا الدنيا . حاتم الطائي و إنى لأستحيي صحابي أن يروا || مكان يدي من جانب الزاد أقرعا أقصر كفى أن تنال أكفهم || إذ انحن أهوينا وحاجاتنا معا أبيت خميص البطن مضطمر الحشا || حياء أخاف الضيم أن أتضلعا [صفحہ ١٩٠] فإنك إن أعطيت نفسك سؤلها || وفرجك نالا منتهى الدم أجمعا . فأما قوله ع كان لا يتشهى ما لا يجد فإنه قد نهى أن يتشهى الإنسان ما لا يجد وقالوا إنه دليل على سقوط المروءة . و قال الأحنف جنبوا مجالسنا ذكر تشهى الأطمعه و حديث النكاح . و قال الجاحظ جلسنا في دار فجعلنا نتشهى الأطمعه فقال واحد و أناأشتهي سكباجا كثيرة الزعفران و قال آخر أناأشتهي طباهجه ناشفه و قال آخر أناأشتهي هريسه كثيرة الدارصيني و إلى جانبنا امرأة بيننا وبينها بئر الدار فضربت الحائط وقالت أنا حامل فأعطوني ملء هذه الغضارة من طيخكم فقال ثمامه جارتنا تشم رائحة الأمانى [صفحہ ١٩١]

٢٩٦

لَوْ لَمْ يَتَوَعَّدِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ لَكَانَ يَجِبُ أَلَّا يُعْصَى شُكْرًا لِنِعْمِهِ قَالَتِ الْمُعْتَزَلَةُ إِنَّا لَوْ قَدَرْنَا أَنْ الْوَعِيدِ السَّمْعَى لَمْ يَرِدْ لِمَا أُخِلَ ذَلِكَ بِكَوْنِ الْوَاجِبِ وَاجِبًا فِي الْعَقْلِ نَحْوِ الْعَدْلِ وَالصَّدْقِ وَالْعِلْمِ وَرَدِ الْوَدِيعَةُ هَذَا فِي جَانِبِ الْإِثْبَاتِ وَ أَمَا فِي جَانِبِ السَّلْبِ فَيَجِبُ فِي الْعَقْلِ أَلَّا يَظْلَمَ وَأَلَّا يَكْذِبَ وَأَلَّا يَجْهَلَ وَأَلَّا يَخُونِ الْأَمَانَةَ ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ فَقَالَتِ الْمُعْتَزَلَةُ بَغْدَادُ لَيْسَ الثَّوَابُ وَاجِبًا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالْعَقْلِ لِأَنَّ الْوَاجِبَاتِ إِنَّمَا تَجِبُ عَلَى الْمَكْلُفِ لِأَنَّ أَدَاءَهَا كَالشُّكْرِ لِلَّهِ تَعَالَى وَشُكْرُ الْمَنْعَمِ وَاجِبٌ لِأَنَّهُ شُكْرُ مَنْعَمٍ فَلَمْ يَبْقَ وَجْهٌ يَقْتَضِي وَجُوبَ الثَّوَابِ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَهَذَا قَرِيبٌ مِنْ قَوْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع . وَ قَالَ الْبَصْرِيُّونَ بَلِ الثَّوَابُ وَاجِبٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى عَقْلًا - كما يجب عليه العوض عن إيلام الحي لأن التكليف إلزام بما فيه مضرة كما أن الإيلام إنزال مضرة والإلزام كالإنزال [صفحہ ١٩٢]

٢٩٧

وَقَالَ عِ لِّلْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ وَ قَدْ عَزَّاهُ عَنِ ابْنِ لَهٗ يَا أَشْعَثُ إِنَّ تَحْزَنَ عَلَيَّ ابْنُكَ فَقَدْ اسْتَحَقَّتْ ذَلِكُ مِنْكَ الرَّحْمُ وَ إِن تَصْبِرْ فَعَلِيَ اللَّهُ مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ خَلْفٌ يَا أَشْعَثُ إِن صَبَرْتَ جَزَى عَلَيْكَ الْقَدْرُ وَ أَنْتَ مَأْجُورٌ وَ إِن جَزِعْتَ جَزَى عَلَيْكَ الْقَدْرُ وَ أَنْتَ مَأْزُورٌ يَا أَشْعَثُ ابْنُكَ سَيَّرَكَ وَ هُوَ بَلَاءٌ وَ فِتْنَةٌ وَ حَزْنٌ وَ هُوَ ثَوَابٌ وَ رَحْمَةٌ قَدَرُوا هَذَا الْكَلَامَ عَنْهُ عَلَى وَجْهِهِ مُخْتَلَفَةٌ وَ رَوَايَاتٌ مُتَنَوِّعَةٌ هَذَا الْوَجْهِ أَحَدُهَا وَ أَخَذَ أَبُو الْعَتَاهِيَّةُ الْفَاضِلُ عَنْهُ فَقَالَ لِمَنْ يَعِزُّهُ عَنْ وَلَدٍ وَ لَا يَبْدُ مِنْ جَرِيَانِ الْقَضَاءِ || إِمَّا مَثَابًا وَ إِمَّا أَثِيمًا . وَ مِنْ كَلَامِهِمْ فِي التَّعَاذِي إِذَا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِشَيْءٍ فَالَهُ عَنْهُ وَ تَنَسَّبَ هَذِهِ الْكَلِمَةُ إِلَى عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ . وَ ذَكَرَ أَبُو الْعَبَّاسِ فِي الْكَامِلِ أَنَّ عَقِبَةَ بْنَ عِيَاضِ بْنِ تَمِيمِ أَحَدِ بَنِي عَامِرِ بْنِ لَوْيٍ اسْتَشْهَدَ فَعَزَى أَبَاهُ مَعِزٌ فَقَالَ احْتَسِبْهُ وَ لَا تَجْزَعْ عَلَيْهِ فَقَدْ مَاتَ شَهِيدًا فَقَالَ عِيَاضُ أَنْتَرَانِي كُنْتُ أَسْرَبُهُ وَ هُوَ مِنْ زِينَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ أَسَاءَ بِهِ وَ هُوَ مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ . [صَفْحَةُ ١٩٣] وَ هَذَا الْكَلَامُ مَأْخُوذٌ مِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع . وَ مِنَ التَّعَاذِي الْجَيِّدَةِ قَوْلُ الْقَائِلِ وَ مِنْ لَمْ يَزَلْ غَرَضًا لِلْمَنُونِ || يَتْرِكُهُ كُلَّ يَوْمٍ عَمِيدًا فَإِنَّ هُنَّ أَخْطَأَنَّهُ مَرَّةً || فَيُوشِكُ مَخْطِئُهَا أَنْ يَعُودَا فِينَا يَحِيدُ وَ أَخْطَأَنَّهُ || قَصْدُنْ فَأَعْجَلْنَهُ أَنْ يَحِيدَا . وَ قَالَ آخِرُ هُوَالِدِهِرْ قَدْ جَرَّبْتَهُ وَ عَرَفْتَهُ || فَصَبِرَا عَلَى مَكْرُوهِهِ وَ تَجَلَّدَا وَ مَا لِلنَّاسِ إِلَّا سَابِقُ ثُمَّ لَاحِقُ || وَ فَوَاتَتْ مَوْتَ سَوْفَ يَلْحَقُهُ غَدَا . وَ قَالَ آخِرُ أَيْنَا قَدِمْتَ صُرُوفَ اللَّيَالِي || فَالذِي أَخْرَتَ سَرِيْعَ اللَّحَاقِ غُدْرَاتِ الْأَيَّامِ مُنْتَرِعَاتِ || عَنقِينَا مِنْ أُنْسِ هَذَا الْعِنَاقِ . ابْنُ نَبَاتَةَ السَّعْدِي نَعَلَّ بِالِدَوَاءِ إِذَا مَرَضْنَا || وَ هَلْ يَشْفِي مِنَ الْمَوْتِ الدَّوَاءُ وَ نَخْتَارُ الطَّيِّبَ وَ هَلْ طَيِّبٌ || يُوَخِّرُ مَا يَقْدِمُهُ الْقَضَاءُ وَ مَا أَنْفَاسُنَا إِلَّا حَسَابٌ || وَ مَا حَرَكَاتُنَا إِلَّا فَنَاءُ . الْبَحْتَرِيُّ إِنْ الرَّزِيَّةُ فِي الْفَقِيدِ فَإِنَّ هَذَا || جَزَعُ بَلْبِكِ فَالرَّزِيَّةُ فَيَكَا وَ مَتَى وَجَدْتَ النَّاسَ إِلَّا تَارَكَ || لِحَمِيمِهِ فِي التَّرْبِ أَوْ مَتْرُوكَا لَوَيْنَجَلِي لَكَ ذَخْرُهَا مِنْ نَكْبَةٍ || جَلَلٌ لِأَضْحَكِكَ أَلذِي بِيكِيكَ . [صَفْحَةُ ١٩٤] وَ كَتَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ مَاتَ ابْنُهُ كَيْفَ شَكَرَكَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَا أَخَذَ مِنْ وَدِيعَتِهِ وَ عَوَّضَ مِنْ مَثُوبَتِهِ . وَ عَزَى عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَبَا بَكْرٍ عَنْ طِفْلِ فَقَالَ عَوَّضَكَ اللَّهُ مِنْهُ مَا عَوَّضَهُ مِنْكَ فَإِنَّ الطِّفْلَ يَعْوِضُ مِنْ أَبِيهِ الْجَنَّةَ . وَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ مِنْ عَزَى مَصَابِيَا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ - رَوَايَاتُ - ١ - ٢ - رَوَايَاتُ - ٢٣ - ٥٧ - قَالَ عِ مِنْ كِنُوزِ السَّرِّ كَتَمَانَ الْمَصَائِبِ وَ كَتَمَانَ الْأَمْرَاضِ وَ كَتَمَانَ الصَّدَقَةِ - رَوَايَاتُ - ١ - ٢ - رَوَايَاتُ - ١١ - ٧٣ - وَ قَالَ شَاعِرٌ فِي رِثَاءِ وَلَدِهِ وَ سَمِيَتْهُ يَحْيَى لِحْيَا وَ لَمْ يَكُنْ || إِلَى رَدِّ أَمْرِ اللَّهِ فِيهِ سَبِيلٌ تَخَيَّرْتَ فِيهِ الْفَأَلُ حِينَ رَزَقْتَهُ || وَ لَمْ أَدْرُ أَنَّ الْفَأَلَ فِيهِ يَفِيلُ . وَ قَالَ آخِرُ وَ هُونَ وَ جَدِي بَعْدَ فِقْدِكَ أَنْنِي || إِذَا شِئْتَ لِأَقِيَتْ أَمْرًا مَاتَ صَاحِبُهُ . آخِرُ وَ قَدْ كُنْتُ أَرْجُو لَو تَمَلَّيْتُ عَيْشَهُ || عَلَيْكَ اللَّيَالِي مَرَّهَا وَ انْتَقَالَهَا فَأَمَا وَ قَدْ أَصْبَحْتَ فِي قُبْضَةِ الرَّدَى || فَقُلْ لِلْيَالِي فَتَلْتَصِبُ مِنْ بَدَا لَهَا أَخَذَهُ الْمَتَنَبِيُّ فَقَالَ قَدْ كُنْتُ أَشْفَقُ مِنْ دَمْعِي عَلَى بَصْرِي || فَالْيَوْمَ كُلِّ عَزِيزٍ بَعْدَكُمْ هَانَا وَ مِثْلَهُ لِغَيْرِهِ فِرَاقَكَ كُنْتُ أَحْشَى فَافْتَرَقْنَا || فَمَنْ فَارَقْتَ بَعْدَكَ لِأَبَالِي [صَفْحَةُ ١٩٥]

وَ قَالَ عِ عِنْدَ وَقُوفِهِ عَلَى قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ ص سَاعِيَةً دُفِنَ رَسُولُ اللَّهِ ص إِنَّ الصَّبْرَ لَجَمِيلٌ إِلَّا عَنكَ وَ إِنَّ الْجَزَعَ لَقَبِيحٌ إِلَّا عَلَيْكَ وَ إِنَّ الْمُصَابَ بِكَ لَجَلِيلٌ وَ إِنَّهُ بَعْدَكَ لَقَلِيلٌ قَدْ أَخَذْتَ هَذَا الْمَعْنَى الشُّعْرَاءُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ أَمْسَتْ بِجَفْنِي لِلدَّمُوعِ كَلُومٌ || حَزْنَا عَلَيْكَ وَ فِي الْخُدُودِ رِسُومٌ وَ الصَّبْرُ يَحْمَدُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا || إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومٌ وَ قَالَ أَبُو تَمَامٍ وَ قَدْ كَانَ يَدْعَى لِابْسِ الصَّبْرِ حَازِمًا || فَقَدْ صَارَ يَدْعَى حَازِمًا حِينَ يَجْزَعُ وَ قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ أَجْدُ الْجَفَاءِ عَلَى سِوَاكَ مَرْوَةٌ || وَ الصَّبْرُ إِلَّا فِي نِوَاكٍ جَمِيلًا وَ قَالَ أَبُو تَمَامٍ أَيْضًا الصَّبْرُ أَجْمَلُ غَيْرِ أَنْ تَلْذَا || فِي الْحُبِّ أَوْلَى أَنْ يَكُونَ جَمِيلًا . [صَفْحَةُ ١٩٦] وَ قَالَتْ خَنْسَاءُ أُخْتُ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ أَلَا يَا صَخْرَ إِنْ أَبَكَيْتَ عَيْنِي || لَقَدْ أَضْحَكْتَنِي دَهْرًا طَوِيلًا بِكَيْتِكَ فِي نِسَاءِ مَعُولَاتِ || وَ كُنْتُ أَحَقُّ مِنْ أَبْدَى الْعُوِيلَا دَفَعْتَ بِكَ الْجَلِيلَ وَ أَنْتَ حَى || فَمَنْ ذَا يَدْفَعُ الْخَطْبَ الْجَلِيلَا إِذَا قَبِحَ الْبُكَاءُ عَلَى قَتِيلٍ || رَأَيْتَ بُكَاءَ كِ الْحَسَنِ الْجَمِيلَا . وَ مِثْلُ قَوْلِهِ عِ وَ إِنَّهُ

بعدك لقليل يعنى المصاب أى لامباله بالمصائب بعدالمصيبة بك قول بعضهم قد قلت للموت حين نازله || والموت مقدامة على البهم اذهب بمن شئت إذ ظفرت به || ما بعد يحيى للموت من ألم . وقال الشمردل البيروعى يرثى أخاه إذا ما أتى يوم من الدهر بيننا || فحياك عنا شرقه وأصائله أبى الصبر أن العين بعدك لم تزل || يحالف جفنيها قذى ماترايله و كنت أعير الدمع قبلك من بكى || فأنت على من مات بعدك شاغله أعينى إذ أبكا كما الدهر فابكيا || لمن نصره قديان عنا ونائله و كنت به أغشى القتال فعزنى || عليه من المقدر من لأقاتله لعمرك إن الموت منا لمولع || بمن كان يرجى نفعه وفواضله قوله فأنت على من مات بعدك شاغله هو المعنى الذى نحن فيه وذكرنا سائر الأبيات لأنها فائقة بعيدة النظير. [صفحة ١٩٧] وقال آخر يرثى رجلا- اسمه جارية أجارى ما أزداد إلا صباة || عليك و ماتزداد إلا تائيا أجارى لونس فدت نفس ميت || فديتك مسرورا بنفسى وماليا وقد كنت أرجو أن أراك حقيقة || فحال قضاء الله دون قضائيا ألا فليمت من شاء بعدك إنما || عليك من الأقدار كان حذاريا من الشعر المنسوب إلى على ع ويقال إنه قاله يوم مات رسول الله ص -رواية ١-٢-رواية ٧٦-٧٧ كنت السواد لناظري || فبكى عليك الناظر من شاء بعدك فليمت || فعليك كنت أحاذر . و من شعر الحماسة س أبكيك مافاضت دموى فإن تغض || فحسبك منى ماتجن الجوانح كأن لم يمت حى سواك و لم تقم || على أحد إلا عليك النوائح لئن حسنت فيك المراثى بوصفها || لقد حسنت من قبل فيك المدائح فما أنا من رزه و إن جل جازع || و لا بسرور بعد موتك فارح [صفحة ١٩٨]

٢٩٩

لَمَّا تَصَحَّبِ الْمَيِّتِ فَإِنَّهُ يُزَيِّنُ لَكَ فِعْلَهُ وَ يُوَدُّ أَنْ تَكُونَ مِثْلَهُ الْمَاتِقِ الشَّدِيدِ الْحَمَقِ وَالْمَوْقِ شَدَّةَ الْحَمَقِ وَإِنَّمَا يَزِينُ لَكَ فِعْلَهُ لِأَنَّهُ يَعْتَقِدُ فِعْلَهُ صَوَابًا بِحَمَقِهِ فَيَزِينُهُ لَكَ كَمَا يَزِينُ الْعَاقِلُ لِصَاحِبِهِ فِعْلَهُ لِاعْتِقَادِ كَوْنِهِ صَوَابًا وَلَكِنْ هَذَا صَوَابٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ وَ ذَلِكَ صَوَابٌ فِي اعْتِقَادِ الْمَاتِقِ لِأَنَّهُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ وَ أَمَا كَوْنُهُ يُوَدُّ أَنْ تَكُونَ مِثْلَهُ فَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ يُوَدُّ أَنْ تَكُونَ أَحْمَقَ مِثْلَهُ وَ كَيْفَ وَ هُوَ لَا يَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ أَحْمَقٌ وَ لَوْ عَلِمَ أَنَّهُ أَحْمَقٌ لَمَا كَانَ أَحْمَقًا وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ أَنَّهُ لِحُبِّهِ لَكَ وَصَحْبَتِهِ إِيَّاكَ يُوَدُّ أَنْ تَكُونَ مِثْلَهُ لِأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يُوَدُّ أَنْ يَكُونَ صَدِيقَهُ مِثْلَ نَفْسِهِ فِي أَخْلَاقِهِ وَأَفْعَالِهِ إِذْ كُلُّ أَحَدٍ يَعْتَقِدُ صَوَابَ أَفْعَالِهِ وَطَهَارَةَ أَخْلَاقِهِ وَ لَا يَشْعُرُ بِعَيْبِ نَفْسِهِ لِأَنَّهُ يَهْوَى نَفْسَهُ فَيَعِيبُ نَفْسَهُ مَطْوًى مُسْتَوًى عَنِ نَفْسِهِ كَمَا تَخْفَى عَنِ الْعَاشِقِ عِيُوبُ الْمَعشُوقِ [صفحة ١٩٩]

٣٠٠

وَ قَالَ ع وَ قَدْ سُئِلَ عَنِ مَسَافَةِ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ فَقَالَ مَسِيرَةٌ يَوْمٍ لِلشَّمْسِ هَكَذَا تَقُولُ الْعَرَبُ بَيْنَهُمَا مَسِيرَةٌ يَوْمٌ بِالْهَاءِ وَ لَا يَقُولُونَ مَسِيرَ يَوْمٍ لِأَنَّ الْمَسِيرَ الْمَصْدَرُ وَ الْمَسِيرَةُ الْأَسْمُ . وَ هَذَا الْجَوَابُ تَسْمِيَةَ الْحَكَمَاءِ جَوَابًا إِقْنَاعِيًّا لِأَنَّ السَّائِلَ أَرَادَ أَنْ يَذْكَرَ لَهُ كَمِيَّةَ الْمَسَافَةِ مَفْصَلَةً نَحْوَ أَنْ يَقُولَ بَيْنَهُمَا أَلْفُ فَرَسَخٍ أَوْ أَكْثَرَ أَوْ أَقَلَّ فَعَدَلَ عَنِ ذَلِكَ وَأَجَابَهُ بِغَيْرِهِ وَ هُوَ جَوَابٌ صَحِيحٌ لِأَنَّ فِيهِ لَكِنَّهُ غَيْرُ شَافٍ لِغَلِيلِ السَّائِلِ وَ تَحْتَهُ غَرَضٌ صَحِيحٌ وَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ سَأَلَهُ بِحُضُورِ الْعَامَّةِ تَحْتَ الْمَنْبَرِ فَلَوْ قَالَ لَهُ بَيْنَهُمَا أَلْفُ فَرَسَخٍ مِثْلًا لَكَانَ لِلْسَّائِلِ أَنْ يَطَالِبَهُ بِالْإِثْبَاتِ عَلَى ذَلِكَ وَ الدَّلَالَةُ عَلَى ذَلِكَ يَشُقُّ حُصُولُهَا عَلَى الْبَدِيهَةِ وَ لَوْ حَصَلَتْ لَشُقُّ عَلَيْهِ أَنْ يُوَصِّلَهَا إِلَى فَهْمِ السَّائِلِ وَ لَوْ فَهَمَهَا السَّائِلُ لِمَافَهَمَتِهَا الْعَامَّةُ الْحَاضِرُونَ وَ لَصَارَ فِيهَا قَوْلٌ وَخِلَافٌ وَ كَانَتْ تَكُونُ فِتْنَةً أَوْ شَبِيهًا بِالْفِتْنَةِ فَعَدَلَ إِلَى جَوَابٍ صَحِيحٍ إِجْمَالِيٍّ أَسْكَتَ السَّائِلَ بِهِ وَ قَعَّ بِهَ السَّامِعُونَ أَيْضًا وَ اسْتَحْسَنُوهُ وَ هَذَا مِنْ نَتَائِجِ حِكْمَتِهِ ع [صفحة ٢٠٠]

أَصْدِقَاؤُكَ ثَلَاثَةٌ وَأَعْدَاؤُكَ ثَلَاثَةٌ فَأَصْدِقَاؤُكَ صِدِّيقُكَ وَصِدِّيقُ صِدِّيقِكَ وَعَدُوُّكَ وَعَدَاؤُكَ وَعَدُوُّكَ وَصِدِّيقُكَ وَصِدِّيقُكَ قَدِ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي هَذَا الْمَعْنَى وَالْأَصْلُ فِي هَذَا أَنَّ صَدِيقَكَ جَارٌ مَجْرَى نَفْسِكَ فَاحْكَمْ عَلَيْهِ بِمَا تَحْكَمْ بِهِ عَلَى نَفْسِكَ وَعَدُوُّكَ ضِدُّكَ فَاحْكَمْ عَلَيْهِ بِمَا تَحْكَمْ بِهِ عَلَى الضِّدِّ فَكَمَا أَنَّ مِنْ عَادَاكَ عَدُوٌّ لَكَ وَكَذَلِكَ مِنْ عَادَى صَدِيقِكَ عَدُوٌّ لَكَ وَكَذَلِكَ مِنْ صَادِقِ صَدِيقِكَ فَكَأَنَّما صَادِقِ نَفْسِكَ فَكَانَ صَدِيقًا لَكَ أَيْضًا وَأَمَّا عَدُوُّكَ فَضِدُّكَ وَضِدُّكَ ضِدُّكَ مَلَائِمٌ لَكَ لِأَنَّكَ أَنْتَ ضِدُّ لَدَلِكِ الضِّدِّ فَقَدْ اشْتَرَكْتُمَا فِي ضِدِّيهِ ذَلِكَ الشَّخْصَ فَكُنْتُمَا مُتَنَاسِبِينَ وَأَمَّا مِنْ صَادِقِ عَدُوِّكَ فَقَدْ مَاتَلِ ضِدُّكَ فَكَانَ ضِدًّا لَكَ أَيْضًا وَمِثْلُ ذَلِكَ بِيَاضِ مَخْصُوصِ يِعَادَى سَوَادِ مَخْصُوصِ وَيَضَادِهِ . وَهَنَّاكَ بِيَاضِ ثَانٍ هُوَ مِثْلُ الْبِيَاضِ الْأَوَّلِ وَصَدِيقِهِ وَهَنَّاكَ بِيَاضِ ثَالِثٍ مِثْلُ الْبِيَاضِ الثَّانِي فَيَكُونُ أَيْضًا مِثْلَ الْبِيَاضِ الْأَوَّلِ وَصَدِيقِهِ وَهَنَّاكَ بِيَاضِ [صَفْحَةُ ٢٠١] رَابِعٍ تَأْخُذُهُ بِاعْتِبَارِ ضِدِّ السَّوَادِ الْمَخْصُوصِ الْمَفْرُوضِ فَإِنَّهُ يَكُونُ مِمَّاثِلًا وَصَدِيقًا لِلْبِيَاضِ الْأَوَّلِ لِأَنَّهُ عَدُوٌّ عَدُوِّهِ ثُمَّ نَفَرَضِ سَوَادًا ثَانِيًا مُضَادًا لِلْبِيَاضِ الثَّانِي فَهُوَ عَدُوٌّ لِلْبِيَاضِ الْأَوَّلِ لِأَنَّهُ عَدُوٌّ وَصَدِيقُهُ ثُمَّ نَفَرَضِ سَوَادًا ثَالِثًا هُوَ مِمَّاثِلُ السَّوَادِ الْمَخْصُوصِ الْمَفْرُوضِ فَإِنَّهُ يَكُونُ ضِدًّا لِلْبِيَاضِ الْمَفْرُوضِ لِأَنَّهُ مِثْلُ ضِدِّهِ وَإِنْ مِثَّلْتَ ذَلِكَ بِالْحُرُوفِ كَانَ أَظْهَرَ وَأَكْشَفَ [صَفْحَةُ ٢٠٢]

وَقَالَ ع لِرَجُلٍ رَأَاهُ يَسْعَى عَلَى عَدُوِّ لَهُ بِمَيَّا فِيهِ إِضْرَارٌ بِنَفْسِهِ إِنَّمَا أَنْتَ كَالطَّاعِنِ نَفْسَهُ لِيَقْتُلَ رِدْفَهُ هَذَا يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ حَالِ السَّاعَى فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ يَضُرُّ نَفْسَهُ أَوْ لَا ثُمَّ يَضُرُّ عَدُوَّهُ تَبَعًا لِإِضْرَارِهِ بِنَفْسِهِ كَانَ كَمَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع كَالطَّاعِنِ نَفْسَهُ لِيَقْتُلَ رِدْفَهُ وَالرِدْفُ الرَّجُلُ الَّذِي تَرْتَدِفُهُ خَلْفَكَ عَلَى فَرَسٍ أَوْ نَاقَةٍ أَوْ غَيْرِهِمَا وَفَاعِلٌ ذَلِكَ يَكُونُ أَسْفَهُ الْخَلْقِ وَأَقْلَهُمْ عَقْلًا لِأَنَّهُ يَبْدَأُ بِقَتْلِ نَفْسِهِ وَإِنْ كَانَ يَضُرُّ عَدُوَّهُ أَوْ لَا يَحْصُلُ فِي ضَمَنِ إِضْرَارِهِ بَعْدَهُ إِضْرَارَهُ بِنَفْسِهِ فَلَيْسَ يَكُونُ مِثَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع مُنْطَبِقًا عَلَى ذَلِكَ وَلَكِنْ يَكُونُ كَقَوْلِي فِي غَزَلٍ مِنْ قَصِيدَةٍ لِي إِنْ تَرَمَّ قَلْبِي تَصَمُّ نَفْسِكَ إِنَّهُ || لَكَ مَوْطِنٌ تَأْوِي إِلَيْهِ وَمَنْزِلٌ [صَفْحَةُ ٢٠٣]

مَا أَكْثَرَ الْعَبْرَ وَ أَقَلَّ الْعَيْتَابَ مَا أَوْجَزَ هَذِهِ الْكَلِمَةُ وَمَا أَعْظَمَ فَائِدَتَهَا وَ لَارِيبَ أَنَّ الْعَبْرَ كَثِيرَةٌ جَدًّا بَلْ كُلُّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ فِيهِ عِبْرَةٌ وَ لَارِيبَ أَنَّ الْمَعْتَبِرِينَ بِهَاقِلِيلُونَ وَ أَنَّ النَّاسَ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِمُ الْجَهْلُ وَ الْهَوَى وَ أَرْدَاهُمْ حُبَّ الدُّنْيَا وَ أَسْكَرَهُمْ خَمْرُهَا وَ إِنْ الْيَقِينُ فِي الْأَصْلِ ضَعِيفٌ عِنْدَهُمْ وَ لَوْ لَضَعَفَهُ لَكَانَتْ أَحْوَالُهُمْ غَيْرَ هَذِهِ الْأَحْوَالِ [صَفْحَةُ ٢٠٤]

مَنْ بَالَعَ فِي الْخُصُومَةِ أَثِمَ وَ مَنْ قَصِيرَ فِيهَا ظَلَمَ وَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ مَنْ خَاصَمَ قَوْلُهُ ع فِي مَوْضِعِ آخِرِ الْغَالِبِ بِالشَّرِّ مَغْلُوبٌ - رَوَايَتُ ١-٢- رَوَايَتُ ٢٥-٤٦ وَ كَانَ يَقَالُ مَا تَسَابَ اثْنَانِ إِلَّا غَلَبَ الْأَمَّهُمَا . وَ قَدْنَهِيَ الْعُلَمَاءُ عَنِ الْجِدْلِ وَالْخُصُومَةِ فِي الْكَلَامِ وَ الْفَقْهُ وَقَالُوا إِنَّهُمَا مِظَنَّةُ الْمَبَاهَاةِ وَ طَلَبُ الرِّئَاسَةِ وَالْغَلْبَةُ وَالْمَجَادَلُ يَكْرَهُ أَنْ يَقْرَهُ خَصْمَهُ فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ وَ هَذَا هُوَ كَلَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع بَعِينِهِ . وَ أَمَّا الْخُصُومَةُ فِي غَيْرِ الْعِلْمِ كَمَنْزَعَةِ النَّاسِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي أُمُورِهِمُ الدُّنْيَاوِيَّةِ فَقَدْ جَاءَ فِي ذِمِّهَا وَالنَّهْيُ

عنها شيء كثير و قد ذكرنا منه فيما تقدم قولاً كافياً على أن منهم من مدح الجهل والشر في موضعهما. و قال الأحنف ما قل سفهاء قوم إلا ذلوا. و قال بعض الحكماء لا يخرج أحد من بيته إلا - و قد أخذ في حجزته قيراطين من جهل فإن الجاهل لا يدفعه إلا الجهل وقالوا الجاهل من لجاهل له . و قال الشاعر إذا كنت بين الجهل والحلم قاعدا || وخيرت أنى شئت فالعلم أفضل ولكن إذا أنصفت من ليس منصفا || و لم يرض منك الحلم فالجهل أمثل إذا جاءني من يطلب الجهل عامدا || فإنى سأعطيهِ ألدَى هوسائل [صفحہ ۲۰۵]

۳۰۵

مَا أَهَمَّتِي أَمْرٌ أَمِهَلْتُ بَعْدَهُ حَتَّى أَصِلَمَى رَكَعَتَيْنِ وَ أَسْأَلَ اللَّهَ الْعَافِيَةَ هَذَا فَتَحَ لِبَابِ التَّوْبَةِ وَ تَطْرُقُ إِلَى طَرِيقِهَا وَ تَعْلِمُ لِلنَّهْضَةِ إِلَيْهَا وَ الْإِهْتِمَامِ بِهَا وَ مَعْنَى الْكَلَامِ أَنَّ الذَّنْبَ الَّذِي لَا يَعْجَلُ الْإِنْسَانُ عَقِيْبَهُ بِالْمَوْتِ يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَلَّا يَهْتَمُّ بِهِ أَى لَا يَنْقَطِعُ رَجَاؤُهُ عَنِ الْعَفْوِ وَ تَأْمِيلِهِ الْغَفْرَانَ وَ ذَلِكَ بِأَنَّ يَاقُوْمُ إِلَى الصَّلَاةِ عَاجِلاً وَ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَ يَنْدَمُ وَ يَعِزُّمُ عَلَى تَرْكِ الْمَعَاوِدَةِ وَ يَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ مِنَ الذُّنُوبِ وَ الْعِصْمَةَ مِنَ الْمَعَاصِي وَ الْعَوْنَ عَلَى الطَّاعَةِ فَإِنَّهُ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ بَنِيَهُ صَاحِحَةً وَ اسْتَوْفَى شُرَائِطَ التَّوْبَةِ سَقَطَ عَنْهُ عِقَابُ ذَلِكَ الذَّنْبِ . وَ فِي هَذَا الْكَلَامِ تَحْذِيرٌ عَظِيمٌ مِنَ مَوَاقِعَةِ الذُّنُوبِ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ هَذَا هُوَ مَحْصُولُ الْكَلَامِ فَكَأَنَّهُ قَدْ قَالَ الْحَذْرُ الْحَذْرُ مِنَ الْمَوْتِ الْمَفْاجِئِ قَبْلَ التَّوْبَةِ وَ لَا رَيْبَ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَيْسَ عَلَى ثِقَةٍ مِنَ الْمَوْتِ الْمَفْاجِئِ قَبْلَ التَّوْبَةِ إِنَّهُ لَا يَفْجِئُهُ وَ لَا يَأْخُذُهُ بَغْتَةً فَالْإِنْسَانُ إِذَا كَانَ عَاقِلاً بِصِيْرًا يَتَوَقَّى الذُّنُوبَ وَ الْمَعَاصِيَ التَّوَقَّى [صفحہ ۲۰۶]

۳۰۶

وَ سِيْئَلٌ عَ كَيْفِ يُحَاسِبُ اللَّهُ الْخَلْقَ عَلَى كَثْرَتِهِمْ فَقَالَ كَمَا يَرْزُقُهُمْ عَلَى كَثْرَتِهِمْ فَقِيلَ كَيْفَ يُحَاسِبُهُمْ وَ لَا يَزُوْنُهُ فَقَالَ كَمَا يَرْزُقُهُمْ وَ لَا يَزُوْنُهُ هَذَا جَوَابٌ صَاحِحٌ لِأَنَّهُ تَعَالَى لَا يَرْزُقُهُمْ عَلَى التَّرْتِيبِ أَعْنَى وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ وَ إِنَّمَا يَرْزُقُهُمْ جَمِيعَهُمْ دَفْعَةً وَاحِدَةً وَ كَذَلِكَ تَكُونُ مَحَاسِبَتُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَ الْجَوَابُ الثَّانِي صَاحِحٌ أَيْضاً لِأَنَّهُ إِذَا صَحَّ أَنَّ يَرْزُقُنَا وَ لَا نَرَى الرَّازِقَ صَحَّ أَنَّ يَحَاسِبُنَا وَ لَا نَرَى الْمَحَاسِبَ . فَإِنَّ قَلْتَ فَقَدْ وَرَدَ أَنَّهُمْ يَمَكْتُونَ فِي الْحِسَابِ أَلْفَ سَنَةٍ وَ قِيلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَكَيْفَ يَجْمَعُ بَيْنَ مَا وَرَدَ فِي الْخَبْرِ وَ بَيْنَ قَوْلِكُمْ إِنَّ حِسَابَهُمْ يَكُونُ ضَرْبَةً وَاحِدَةً وَ لَا رَيْبَ أَنَّ الْأَخْبَارَ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْحِسَابَ يَكُونُ لَوَاحِدٍ بَعْدَ وَاحِدٍ . قَلْتَ إِنَّ الْأَخْبَارَ الْأَحَادَ لَا يَعْجَلُ عَلَيْهَا لِأَسِيْمَا الْأَخْبَارَ الْوَارِدَةَ فِي حَدِيثِ الْحِسَابِ وَ النَّارِ وَ الْجَنَّةِ فَإِنَّ الْمَحْدِثِينَ طَعَنُوا فِي أَكْثَرِهَا وَ قَالُوا إِنَّهَا مَوْضُوعَةٌ وَ جَمْلَةٌ الْأَمْرُ أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ تَكْلِيفٌ فَيَقَالُ إِنَّ تَرْتِيبَ الْمَحَاسِبَةِ فِي زَمَانٍ طَوِيلٍ جَدَا يَتَضَمَّنُ لَطْفًا فِي التَّكْلِيفِ فَيَفْعَلُهُ الْبَارِي تَعَالَى لِذَلِكَ وَ إِنَّمَا الْغَرَضُ مِنَ الْمَحَاسِبَةِ صَدَقَ الْوَعْدُ وَ مَا سَبَقَ مِنَ الْقَوْلِ وَ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ لَمْ يَنْطِقْ إِلَّا بِالْمَحَاسِبَةِ مَجْمُوعَةً فَوَجِبَ الْقَوْلُ بِالْمَتَيْقِنِ الْمَعْلُومِ فِيهَا وَ رَفُضَ مَا لَمْ يَثْبُتْ [صفحہ ۲۰۷]

۳۰۷

رَسُوْلُكَ تَرْجَمَانُ عَقْلِكَ وَ كِتَابُكَ أَبْلَغُ مَا يَنْطَلِقُ عَنْكَ قَالُوا فِي الْمَثَلِ الرَّسُولُ عَلَى قَدْرِ الْمَرْسَلِ وَ قِيلَ أَيْضاً رَسُوْلُكَ أَنْتَ إِلَّا أَنَّهُ إِنْسَانٌ آخَرٌ وَ قَالَ الشَّاعِرُ تَخِيْرٌ إِذَا مَا كُنْتَ فِي الْأَمْرِ مَرْسِلاً || فَمَبْلَغُ آرَاءِ الرِّجَالِ رَسُوْلُهَا وَرُوْ وَ فِكْرُ فِي الْكِتَابِ فَإِنَّمَا || بِأَطْرَافِ أَقْلَامِ الرِّجَالِ عَقُوْلُهَا [صفحہ ۲۰۸]

مَا الْمُبْتَلَى الَّذِي قَدْ اشْتَدَّ بِهِ الْبَلَاءُ بِأَحْوَجِ إِلَى الدَّعَاءِ مِنَ الْمُعَافَى الَّذِي لَا يَأْمَنُ الْبَلَاءَ هَذَا تَرْغِيبٌ فِي الدَّعَاءِ وَالَّذِي قَالَهُ حَقٌّ لِأَنَّ الْمُعَافَى فِي الصُّورَةِ مُبْتَلَى فِي الْمَعْنَى وَمَادَامَ الْإِنْسَانُ فِي قَيْدِ هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْبَلَاءِ عَلَى الْحَقِيقَةِ ثُمَّ لَا يَأْمَنُ الْبَلَاءَ الْحَسَى فَوْجِبَ أَنْ يَتَضَرَّعَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُ يَنْقِذُهُ مِنْ بَلَاءِ الدُّنْيَا الْمَعْنَوِيَّةِ وَمِنْ بَلَائِهَا الْحَسَى فِي كُلِّ حَالٍ وَلَا يَرِيبُ أَنَّ الْأَدْعِيَةَ مُؤَثِّرَةٌ وَأَنَّ لَهَا أَوْقَاتَ إِجَابَةٍ وَلَمْ يَخْتَلَفِ الْمَلِيونَ وَالْحَكَمَاءُ فِي ذَلِكَ [صفحة ٢٠٩]

النَّيَّاسُ أَبْنَاءُ الدُّنْيَا وَلَا يُلَاقُوا الرَّجُلَ عَلَى حُبِّ أُمِّهِ قَالَ ع فِي مَوْضِعٍ آخَرَ النَّاسُ بِزَمَانِهِمْ أَشْبَهَ مِنْهُمْ بِآبَائِهِمْ -رواية- ١-٢-رواية- ٢٤-٦١ وقال الشاعر ونحن بنى الدنيا غدينا بدرها || وما كنت منه فهو شيء محجب [صفحة ٢١٠]

إِنَّ الْمَسْكِينِ رَسُولَ اللَّهِ فَمَنْ مَنَعَهُ فَقَدْ مَنَعَ اللَّهَ وَمَنْ أَعْطَاهُ فَقَدْ أَعْطَى اللَّهَ هَذَا حُضُّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَقَدْ تَقَدَّمَ لَنَا قَوْلٌ مَقْنَعٌ فِيهَا. وَفِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بَشِقَ تَمْرَةٌ فَإِنَّ لَمْ تَجِدُوا فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-٧٥ قال ص لوصدق السائل لما أفلح من رده -رواية- ١-٢-رواية- ١١-٤٤ قال أيضا من رد سائلا خائبا لم تغش الملائكة ذلك البيت سبعة أيام -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-٧٠. وكان ص لا يكل خصلتين إلى غيره كان يصنع ظهوره بالليل ويخمره وكان يناول المسكين بيده. وقال بعض الصالحين من لم تكن نفسه إلى ثواب الصدقة أحوج من الفقير إلى صدقته فقد أبطل صدقته وضرب بها وجهه. وقال بعضهم الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه [صفحة ٢١١]

قَدْ جَاءَ فِي الْأَثَرِ مِنْ زَنَى زَنَى بِهِ وَ لَوْ فِي عَقْبِ عَقْبِهِ -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-٥٥. وَ هَذَا قَدْ جَرَّبَ فَوْجِدَ حَقًّا وَقُلَّ مِنْ تَرَى مَقْدَامًا عَلَى الزَّانَا إِلَّا- وَالْقَوْلُ فِي حَرَمِهِ وَأَهْلِهِ وَذَوِي مَحَارِمِهِ كَثِيرٌ فَاش. وَالْكَلِمَةُ الَّتِي قَالَهَا ع حَقٌّ لِأَنَّ مِنْ اعْتَادَ الزَّانَا حَتَّى صَارَ دَرَبَتَهُ وَعَادَتَهُ وَأَلْفَتَهُ نَفْسَهُ لَا بَدَأَ أَنْ يَهُونَ عَلَيْهِ حَتَّى يظنّه مباحا أو كالمباح لأن من تدرب بشيء ومرن عليه زال قبجه من نفسه و إذا زال قبج الزنا من نفسه لم يعظم عليه ما يقال في أهله وإذا لم يعظم عليه ما يقال في أهله فقد سقطت غيرته [صفحة ٢١٢]

كَفَى بِالْأَجْرِلِ حَارِسًا قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي هَذَا الْمَعْنَى وَ كَانَ ع يَقُولُ إِنْ عَلِيَ مِنْ اللَّهِ جَنَّةٌ حَصِينَةٌ فَإِذَا جَاءَ يَوْمِي أَسْلَمْتَنِي فَحَيْتُنْذُ لَا يَطِيشُ السَّهْمَ وَلَا يَرِيءُ الْكَلِمَ -رواية- ١-٢-رواية- ١٧-١٠٧ وَالْقَوْلُ فِي الْأَجْلِ وَ كَوْنِهِ حَارِسًا شَعْبَةً مِنْ شَعْبِ الْقَوْلِ فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ وَ لَهُ مَوْضِعٌ هُوَ أَمْلَكُ بِهِ [صفحة ٢١٣]

يَنَامُ الرَّجُلُ عَلَى الثَّكْلِ وَ لَمَّا يَنَامُ عَلَى الْحَرَبِ قَالَ السَّيِّدُ وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ يَصْبِرُ عَلَى قَتْلِ الْأَوْلَادِ وَ لَا يَصْبِرُ عَلَى سَلْبِ الْأَمْوَالِ -
روایت-۱-۷۷ كان يقال المال عدل النفس . و فى الأثر أن من قتل من دون ماله فهو شهيد -روایت-۱-۲-روایت-۱۲-۴۸ و قال
الشاعر لنا إبل غر يضيق فضاؤها || ويغير عنها أرضها وسمائها فمن دونها أن تستباح دماؤها || و من دوننا أن تستباح دماؤها
حمى وقرى فالموت دون مرامها || وأيسر أمر يوم حق فناؤها [صفحہ ۲۱۴]

۳۱۴

مَوَدَّةُ الْآيَاءِ قَرَابَةُ بَيْنِ الْأَبْنَاءِ وَ الْقَرَابَةُ أَحْوَجُ إِلَى الْمَوَدَّةِ مِنَ الْمَوَدَّةِ إِلَى الْقَرَابَةِ كَانَ يُقَالُ الْحُبُّ يَتَوَارَثُ وَ الْبَغْضُ يَتَوَارَثُ وَ قَالَ
الشاعر أبقي الضغائن آباء لنا سلفوا || فلن تبيد وللآباء أبناء و لاخير فى القرابة من دون مودة و قد قال القائل لما قيل له أيما
أحب إليك أخوك أم صديقك فقال إنما أحب أخى إذا كان صديقا فالقربى محتاجة إلى المودة و المودة مستغنية عن القربى [صفحہ ۲۱۵]

۳۱۵

اتَّقُوا ظُنُونَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ كَانَ يُقَالُ ظَنُّ الْمُؤْمِنِ كِهَانَةٌ وَ هُوَ أَثَرُ جَاءٍ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ قَالَ
أَوْسُ بْنُ حَجْرٍ الْأَلْمَعِيُّ أَلْذَى يَظُنُّ بِكَ الظَّنُّ || كَأَنَّ قَدْرَأَى وَ قَدَسَمَعَا وَ قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ ذَكَى تَظْنِيهِ طَلِيعَةُ عَيْنِهِ || يرى قلبه فى
يومه ما يرى غدا [صفحہ ۲۱۶]

۳۱۶

لَا يَصْدُقُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَكُونَ بِمَا فِى يَدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا فِى يَدِهِ هَذَا كَلَامٌ فِى التَّوَكُّلِ وَ قَدَسَبَقَ الْقَوْلُ فِيهِ وَ قَالَ بَعْضُ
الْعُلَمَاءِ لَا يَشْغَلُكَ الْمَضْمُونُ لَكَ مِنَ الرِّزْقِ عَنِ الْمَفْرُوضِ عَلَيْكَ مِنَ الْعَمَلِ فَتَضِيعُ أَمْرٌ آخَرْتَكَ وَ لَا تَنَالُ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ
لَكَ . وَ قَالَ يَحْيَى بْنُ مَعَاذٍ فِى جُودِ الْعَبْدِ الرِّزْقِ عَنِ غَيْرِ طَلَبِ دَلَالَةٍ عَلَى أَنَّ الرِّزْقَ مَأْمُورٌ بِطَلَبِ الْعَبْدِ . وَ قَالَ بَعْضُهُمْ مَتَى رَضِيتَ
بِاللَّهِ وَ كَيْلًا وَ جَدْتَ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ سَبِيلًا [صفحہ ۲۱۷]

۳۱۷

وَ قَالَ عِ لَأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ وَ قَدْ كَانَ بَعَثَهُ إِلَى طَلْحَةَ وَ الزُّبَيْرِ لَمَّا جَاءَ إِلَى الْبَصْرَةِ يُذَكِّرُهُمَا شَيْئًا قَدْ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صِ فِي
مَعْنَاهُمَا فَلَوَى عَنْ ذَلِكَ فَجَعَلَ إِلَيْهِ فَقَالَ إِنِّي أَنْسَيْتُ ذَلِكَ الْأَمْرَ فَقَالَ عِ إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَضَرْبُكَ اللَّهُ بِهَا بَيِّضَاءَ لَامِعَةٍ لَا تُؤَارِيهَا
الْعِمَامَةُ قَالَ يَعْنِى الْبَرَصَ فَأَصَابَ أَنْسَا هَذَا الدَّاءَ فِيمَا بَعْدَ فِى وَجْهِهِ فَكَانَ لَا يَرَى إِلَّا مَتَبْرَعًا -روایت-۱-۸۲ أن عليا ع ناشد الناس
الله فى الرحبة بالكوفة فقال أنشدكم الله رجلا سمع رسول الله ص يقول لى و هو منصرف من حجة الوداع من كنت مولاه فعلى
مولاه اللهم وال من والاه و عاد من عاداه فقام رجال فشهدوا بذلك فقال ع لَأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ لَقَدْ حَضَرْتَهَا فَمَا بِالكَ فَقَالَ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ كَبُرَتْ سُنَى وَ صَارَ مَا أَنْسَاهُ أَكْثَرَ مِمَّا أَذْكَرُهُ فَقَالَ لَهُ إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَضَرْبُكَ اللَّهُ بِهَا بَيِّضَاءَ لَاتُؤَارِيهَا الْعِمَامَةُ فَمَا مَاتَ حَتَّى
أَصَابَهُ الْبَرَصُ -روایت-۱-۴۱۵ فأما ما ذكره الرضى من أنه بعث أنسا إلى طلحة و الزبير فغير معروف و لو كان قد بعثه ليدكرهما

بكلام يختص بهما من رسول الله ص لما أمكنه أن [صفحہ ۲۱۸] يرجع فيقول إني أنسيته لأنه ما فارقته متوجها نحوهما إلا وقد أقر بمعرفته وذكره فكيف يرجع بعد ساعة أو يوم فيقول إني أنسيته فينكر بعد الإقرار هداما لا يقع . وقد ذكر ابن قتيبة حديث البرص والدعوة التي دعا بها أمير المؤمنين ع على أنس بن مالك في كتاب المعارف في باب البرص من أعيان الرجال و ابن قتيبة غيرتهم في حق علي ع على المشهور من انحرافه عنه [صفحہ ۲۱۹]

۳۱۸

إِنَّ لِلْقُلُوبِ إِقْبَالَ مَا وَ إِدْيَارًا فَمَا إِذَا أَقْبَلَتْ فَاحْمَلُوْهَا عَلَى التَّوَافِلِ وَ إِذَا أُدْبِرَتْ فَاقْتَصِرُوا بِهَا عَلَى الْفَرَائِضِ لِأَنَّ الْقُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ وَ تَقْبَلُ تَارَةً عَلَى الْعِلْمِ وَ عَلَى الْعَمَلِ وَ تَدْبِرُ تَارَةً عَنْهُمَا . قَالَ عَلِيٌّ ع فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا مُقْبِلَةً أَيْ قَدْ نَشِطَتْ وَ ارْتَا حَتَّى لِلْعَمَلِ فَاحْمَلُوْهَا عَلَى النَّوَافِلِ لَيْسَ يَعْنِي اقْتَصَرُوا بِهَا عَلَى النَّافِلَةِ بَلْ أَدْوَا الْفَرِيضَةَ وَ تَنَفَّلُوا بَعْدَ ذَلِكَ وَ إِذَا رَأَيْتُمُوهَا قَدِمْتَ الْعَمَلَ وَ سَمَّيْتُمْ فَاقْتَصَرُوا بِهَا عَلَى الْفَرَائِضِ فَإِنَّهُ لَا يَنْتَفِعُ بِعَمَلٍ لَا يَحْضُرُ الْقَلْبُ فِيهِ [صفحہ ۲۲۰]

۳۱۹

فِي الْقُرْآنِ نَبَأٌ مِمَّا قَبْلَكُمْ وَ خَبْرٌ مِمَّا بَعْدَكُمْ وَ حُكْمٌ مِمَّا بَيْنَكُمْ هَذَا حَقٌّ لِأَنَّ فِيهِ أَخْبَارَ الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ وَ فِيهِ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ عَنْ أُمُورٍ مُسْتَقْبَلَةٍ وَ فِيهِ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ شَرْعِيَّةٌ فَالْأَقْسَامُ الثَّلَاثَةُ كُلُّهَا مُوجُودَةٌ فِيهِ [صفحہ ۲۲۱]

۳۲۰

رُدُّوا الْحَجَرَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ فَإِنَّ الشَّرَّ لَا يَدْفَعُهُ إِلَّا الشَّرُّ هَذَا مِثْلُ قَوْلِهِمْ فِي الْمِثْلِ إِنْ الْحَدِيدَ بِالْحَدِيدِ يَفْلَحُ وَ قَالَ عَمْرُو بْنُ كَلْثُومٍ أَلَا لَأَيْجُهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا || فَجُهَلٌ فَوْقَ جُهَلِ الْجَاهِلِيْنَا وَ قَالَ الْفَسْدُ الزَّمَانِي فَلَمَّا صَرَحَ الشَّرُّ || فَأَمْسَى وَ هُوَ عَرِيَانٌ وَ لَمْ يَبْقَ سِوَى الْعَدْوَانِ || دَنَا هُمْ كَمَا دَانُوا وَ بَعْضُ الْحِلْمِ عِنْدَ الْجُهْلِ || لِلذَّلَّةِ إِذْعَانٌ وَ فِي الشَّرِّ نَجَاءٌ حِينَ || لَا يَنْجِيكَ إِحْسَانٌ وَ قَالَ الْأَحْنَفُ وَ ذِي ضَعْنٍ أُمَّتُ الْقَوْلِ عَنْهُ || بِحِلْمِي فَاسْتَمِرَّ عَلَى الْمَقَالِ وَ مَنْ يَحْلُمُ وَ لَيْسَ لَهُ سَفِيهٌ || يَلِاقُ الْمَعْضَلَاتِ مِنَ الرِّجَالِ [صفحہ ۲۲۲] وَ قَالَ الرَّاجِزُ لَا بَدَّ لِلسُّودِّ مِنْ أَرْمَاحٍ || وَ مَنْ عَدِيدٌ يَتَّقِي بِالرَّاحِ وَ مَنْ سَفِيهٌ دَائِمُ النَّبَاحِ وَ قَالَ آخِرٌ وَ لَا يَلْبَثُ الْجُهَالُ أَنْ يَتَهَضَّمُوا || أَخَا الْحِلْمِ مَا لَمْ يَسْتَعْنِ بِجَهُولٍ وَ قَالَ آخِرٌ وَ لَا تُؤْمِنِي الشَّرُّ وَالشَّرُّ تَارِكِي || وَ لَكِنْ مَتَى أَحْمَلُ عَلَى الشَّرِّ أُرَكِبُ [صفحہ ۲۲۳]

۳۲۱

وَ قَالَ ع لِكَاتِبِهِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ أَلْقِ دَوَاتِكَ وَ أَطْلِ جِلْفَةَ قَلَمِكَ وَ فَرِّجْ بَيْنَ السَّيْطُورِ وَ قَرِّمْطِ بَيْنَ الْحُرُوفِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَجْدَرُ بِصَيِّبَاتِهَا لِقَابِ الْحَبْرِ بِالْكَاغِدِ يَلِيقُ أَيْ التَّصِقُ وَ لِقَاتِهِ أَنْ يَتَعَدَّى وَ لَا يَتَعَدَّى وَ هَذِهِ دَوَاةٌ مَلِيقَةٌ أَيْ قَدْ أَصْلَحَ مَدَادُهَا وَ جَاءَ أَلْقِ الدَّوَاةَ إِلا قَةً فَهِيَ مَلِيقَةٌ وَ هِيَ لُغَةٌ قَلِيلَةٌ وَ عَلَيْهَا وَرَدَتْ كَلِمَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع . وَ يُقَالُ لِلْمَرْأَةِ إِذَا لَمْ تَحْظِ عِنْدَ زَوْجِهَا مَاعَاقَتَ عِنْدَ زَوْجِهَا وَ لَا لَاقَتْ أَيْ مَا التَّصَقَتْ بِقَلْبِهِ . وَ تَقُولُ هِيَ جِلْفَةُ الْقَلَمِ بِالْكَسْرِ وَ أَصْلُ الْجِلْفِ الْقَشْرُ جِلْفَتِ الطِّينِ مِنْ رَأْسِ الدَّنِّ وَ الْجِلْفَةُ هَيْئَةٌ فَتَحَهُ الْقَلَمُ الَّتِي يَسْتَمِدُّ بِهَا الْمَدَادَ كَمَا تَقُولُ هُوَ حَسَنُ الرِّكْبَةِ وَ الْجِلْسَةُ وَ نَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الْهَيْئَاتِ . وَ تَقُولُ قَدْ قَرِّمْتَ فَلَانَ

خطوه إذامشى مشيا فيه ضيق وتقارب وكذلك القول فى تضييق الحروف . فأما التفريغ بين السطور فيكسب الخط بهاء ووضوحا [صفحه ٢٢٤]

٣٢٢

أَنَا يَعْسُوبُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمَالُ يَعْسُوبُ الْفُجَّارِ قَالَ معنى ذلك أن المؤمنين يتبعوننى والفجار يتبعون المال كما تتبع النحل يعسوبها و هورئيسها -روايت-١-٩٨ هذه كلمه قالها رسول الله ص بلفظين مختلفين تارة أنت يعسوب الدين وتارة أنت يعسوب المؤمنين والكل راجع إلى معنى واحد كأنه جعله رئيس المؤمنين وسيدهم أو جعل الدين يتبعه ويقفو أثره حيث سلك كما يتبع النحل اليعسوب و هذانحو قوله وأدر الحق معه كيف دار [صفحه ٢٢٥]

٣٢٣

وَ قَالَ لِبَعْضِ الْيَهُودِ حِينَ قَالَ لَهُ مَا دَفَنْتُمْ نَبِيِّكُمْ حَتَّى اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ فَقَالَ لَهُ إِنَّمَا اخْتَلَفْنَا عَنْهُ لَا فِيهِ وَ لَكِنَّكُمْ مَا جَفْتُمْ أَرْجُلَكُمْ مِنَ الْبَحْرِ حَتَّى قُلْتُمْ لِنَبِيِّكُمْاجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ -قرآن-٢١٠-٢٧٥ ما أحسن قوله اختلفنا عنه لا فيه و ذلك لأن الاختلاف لم يكن فى التوحيد والنبوه بل فى فروع خارجة عن ذلك نحو الإمامة والميراث والخلاف فى الزكاة هل هى واجبه أم لا واليهود لم يختلفوا كذلك بل فى التوحيد الذى هو الأصل . قال المفسرون مروا على قوم يعبدون أصناما لهم على هيئة البقر فسألوا موسى أن يجعل لهم إلها كواحد منها بعدمشاهدتهم الآيات والأعلام وخلاصهم من رق العبودية وعبورهم البحر ومشاهدة غرق فرعون و هذه غاية الجهل و قدروى حديث اليهودى على وجه آخر قيل قال يهودى لعلى ع اختلفتم بعدنبيكم و لم يجف ماؤه يعنى غسله ص فقال ع وأنتم قلمت اجعل ل لنا إلها كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ و لما يجف ماؤكم -روايت-١-٢-روايت-٧-١٥٢ [صفحه ٢٢٦]

٣٢٤

وَ قِيلَ لَهُ ع يَا أَيُّ شَيْءٍ غَلَبَتِ الْأَقْرَانَ قَالَ مَا لَقِيتُ أَحَدًا إِلَّا أَعَانَنِي عَلَى نَفْسِي قَالَ الرضى رحمه الله تعالى يومئذ إلى تمكن هيئته فى القلوب -روايت-١-٧١ قالت الحكماء الوهم مؤثر و هذاحق لأن المريض إذا تقرر فى وهمه أن مرضه قاتل له ربما هلك بالوهم وكذلك من تلسبه الحية ويقع فى خياله أنها قاتلته فإنه لا يكاد يسلم منها و قد ضربوا لذلك مثلا الماشى على جذع معترض على مهواة فإن وهمه وتخيله السقوط يقتضى سقوطه و إلافمشيه عليه و هو منصوب على المهواة كمشيه عليه و هو ملقى على الأرض لافرق بينهما إلا الوهم والخوف والإشفاق والحذر فكذلك الذين بارزوا عليا ع من الأقران لما كان قد طار صيته واجتمعت الكلمه أنه مابارزه أحد إلا كان المقتول غلب الوهم عليهم فقصرت أنفسهم عن مقاومته وانخذلت أيديهم وجوارحهم عن مناهضته و كان هو فى الغاية القصوى من الشجاعة والإقدام فيقتحم عليهم ويقتلهم [صفحه ٢٢٧]

٣٢٥

إشارة

وَ قَالَ ع لَابْنِه يَا بُنَيَّ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ الْفَقْرَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْهُ فَإِنَّ الْفَقْرَ مَنَقَصَةٌ لِلدِّينِ مَدْهَشَةٌ لِلْعَقْلِ دَاعِيَةٌ لِلْمَقْتِ

نبد من الأقوال الحكيمه في الفقر والغنى

هذا موضع قد اختلف الناس فيه كثيرا ففضل قوم الغنى وفضل قوم الفقر فقال أصحاب الغنى قد وصف الله تعالى المال فسماه خيرا فقال إِنِّي أَحَبُّتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي وَ قَالَ مَمْتَنَا عَلَى عِبَادِهِ وَاعْدَا لَهُم بِالْإِنْعَامِ وَ الْإِحْسَانِ وَ يُمَدِّدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَ بَيْنَ وَ جَعَلْتُ لَهُ مَا لَمَّا مَمْدُودًا. وَ -قرآن- ١٣٤-١٧٨-قرآن- ٢٣٣-٢٦٥-قرآن- ٢٧٣-٣٠٣ قال النبي ص المال الحسب إن أحساب أهل الدنيا هذا المال -روایت- ١-٢-روایت- ١٨-٦٣ قال ع نعم العون على تقوى الله المال -روایت- ١-٢-روایت- ١١-٤٥. [صفحه ٢٢٨] قالوا ولا يريب أن الأعمال الجليله العظيمة الثواب لا يتهيأ حصولها إلا بالمال كالحج والوقوف والصدقات والزكوات والجهاد. وقد جاء في الخبر خير المال سكه مأبوره أومهره مأموره -روایت- ١-٢-روایت- ١٨-٥٤. وقالت الحكماء المال يرفع صاحبه وإن كان وضع النسب قليل الأدب وينصره وإن كان جبانا ويسيطر لسانه وإن كان عيا به توصل الأرحام وتسان الأعراض وتظهر المروءة وتمم الرئاسة ويعمر العالم وتبلغ الأغراض وتدرك المطالب وتنال المآرب يصلحك إذا قطعك الناس وينصرك إذا خذلوك ويستعبد لك الأحرار ولو لا المال لمابان كرم الكريم ولا ظهر لؤم اللئيم ولا شكر جواد ولا ذم بخيل ولا صين حريم ولا أدرك نعيم. وقال الشاعر المال أنفع للفتى من علمه || والفقر أقتل للفتى من جهله ماضر من رفع الدراهم قدره || جهل يناط إلى دناءة أصله وقال آخر دعوت أخى فولى مشمئزا || ولبى درهمى لمادعوت وقال آخر ولم أر أوفى ذمه من دراهمى || وأصدق عهدا فى الأمور العظام فكم خاننى خل وثقت بعهدته || وكان صديقا لى زمان الدراهم وقال آخر أبو الأصفر المنقوش أنفع للفتى || من الأصل والعلم الخطير المقدم [صفحه ٢٢٩] ومامدح العلم امرؤ ظفرت به || يدها ولكن كل مقو ومعدم وقال الشاعر ولم أر بعد الدين خيرا من الغنى || ولم أر بعد الكفر شرا من الفقر. وقال العتابة الناس لصاحب المال ألزم من الشعاع للشمس وهو عندهم أرفع من السماء وأعذب من الماء وأحلى من الشهد وأزكى من الورد خطؤه صواب وسيئته حسنة وقوله مقبول يغشى مجلسه ولا يمل حديثه والمفلس عندهم أكذب من لمعان السراب ومن رؤيا الكظة ومن مرآة اللقوة ومن سحاب تموز لا يسأل عنه إن غاب ولا يسلم عليه إذا قدم إن غاب شتموه وإن حضر طردوه مصافحته تنقض الوضوء وقراءته تقطع الصلاة أثقل من الأمانة وأبغض من السائل المبرم. وقال بعض الشعراء الظرفاء وأحسن كل الإحسان مع خلاصته أصون دراهمى وأذب عنها || لعلمى أنها سيفى وترسى وأذخرها وأجمعها بجهدى || ويأخذ وارثى منها وعرسى فياكلها ويشربها هنيئا || على النغمات من نقر وجس ويقعد فوق قبرى بعد موتى || ولا يتصدقن عنى بفلس أحب إلى من قصدى عظيما || كبيرا أصله من عبد شمس أمد إليه كفى مستميحا || وأصبح عبد خدمته وأمسى ويتركنى أجر الرجل منى || وقد صارت كنفس الكلب نفسى. [صفحه ٢٣٠] وقال أصحاب الفقر الغنى سبب الطغيان قال الله تعالى كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغَى أَنْ رَأَهُ اسْتَعْنَى وَ قَالَ تَعَالَى وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَ نَأَى بِجَانِبِهِ وَ كَانَ يَقَالُ الْغَنَى يورث البطر وغنى النفس خير من غنى المال. وقال محمود البقال -قرآن- ٥٩-١٠٤-قرآن- ١١٩-١٧٧ الفقر خير فاتسع واقتصد || إن من العصمة ألا تجدكم واجد أطلق وجدانه || عنانه فى بعض ما لم يرد ومدمن للخمير غاد على || سماع عود وغناء غرد لو لم يجد خمرا ولا مسمعا || يرد بالماء غليل الكبد كم من يد للفقر عند امرئ || طأطأ منه الفقر حتى اقتصد. وكان يقال الفقر شعار الصالحين والفقر لباس الأنبياء ولذلك قال البحترى فقر كفقير الأنبياء وغربه || وصباة ليس البلاء بواحد وكان يقال الفقر مخف والغنى مثقل. وفى الخبر نجا المخفون -روایت- ١-٢-روایت- ١٢-٢٥ وما أحسن قول أبى العتاهية أ لم تر أن الفقر يرجى له الغنى || وأن الغنى

يخشى عليه من الفقر وقد ذم الله تعالى المال فقال إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ. -قرآن- ٣٤-٧٢ [صفحة ٢٣١] و كان يقال المال ملول المال مبال المال غاد ورائح طبع المال كطبع الصبي لا يوقف على وقت رضاه و لا وقت سخطه المال لا ينفك حتى يفارقك و إلى هذا المعنى نظر القائل وصاحب صدق ليس ينفع قربه || و لا وده حتى تفارقه عمدا يعنى الدينار. و ما أحسن ماقاله الأول و قد يهلك الإنسان حسن ريشه || كما يذبح الطاوس من أجل ريشه و قال آخر رويدك إن المال يهلك ربه || إذا جم واستعلى و سد طريقه و من جاوز الماء الغزير فمجه || و سد طريق الماء فهو غريقه [صفحة ٢٣٢]

٣٢٦

وَ قَالَ لِسَائِلٍ سَأَلَهُ عَنْ مَسْأَلِهِ سَلْ تَفَقَّهًا وَ لَا تَسْأَلْ تَعَنَّاتًا فَإِنَّ الْجَاهِلَ الْمُتَعَلِّمَ شَبِيهُهُ بِالْعَالِمِ وَ إِنَّ الْعَالِمَ الْمُتَعَنَّتَ شَبِيهُهُ بِالْجَاهِلِ قَدْ وَرَدَ نَهْيٌ كَثِيرٌ عَنِ السُّؤَالِ عَلَى طَرِيقِ الْإِعْنَاتِ . وَ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع فِي كَلَامِهِ لَهُ مِنْ حَقِّ الْعَالِمِ أَلَّا تَكْتَثِرَ عَلَيْهِ بِالسُّؤَالِ وَ لَا تَعْتَنَّهُ فِي الْجَوَابِ وَ لَا تَضَعُ لَهُ غَامِضَاتِ الْمَسَائِلِ وَ لَا تَلْحَ عَلَيْهِ إِذَا كَسَلَ وَ لَا تَأْخُذْ بِثُوبِهِ إِذَا نَهَضَ وَ لَا تَنْفَسْ لَهُ سِرًّا وَ لَا تَعْتَابِنِ عِنْدَهُ أَحَدًا وَ لَا تَنْقَلِنِ إِلَيْهِ حَدِيثًا وَ لَا تَطْلُبِنِ عَثْرَتَهُ وَ إِنْ زَلَّ قَبْلَكَ مَعْذَرَتُهُ وَعَلَيْكَ أَنْ تُوَقِّرَهُ وَ تَعْظُمَهُ لِلَّهِ مَا دَامَ حَافِظًا أَمْرَ اللَّهِ وَ لَا تَجْلِسْ أَمَامَهُ وَ إِذَا كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ فَاسْبِقْ أَصْحَابَكَ إِلَى خِدْمَتِهِ -رواية- ١-٢-رواية- ٣٩-٣٩٣ . وَ قَالَ ابْنُ سِيرِينَ لِسَائِلٍ سَأَلَهُ سَلْ أَحَاكَ إِبْلِيسَ إِنَّكَ لَنْ تَسْأَلَ وَ أَنْتَ طَالِبٌ رَشِدٌ . وَقَالُوا أَلَلَّهِمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ تَعْنَتَ كَمَا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَعْنَتَ وَ نَسْتَكْفِيكَ أَنْ تَفْضَحَ كَمَا نَسْتَكْفِيكَ أَنْ نَفْضَحَ . وَقَالُوا إِذَا آنَسَ الْمَعْلَمُ مِنَ التَّلْمِيزِ سَوْأَلَ التَّعْنَتِ حَرَّمَ عَلَيْهِ تَعْلِيمَهُ [صفحة ٢٣٣]

٣٢٧

وَ قَالَ ع لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَ قَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ فِي شَيْءٍ لَمْ يُوَافِقْ رَأْيَهُ لَكَ أَنْ تُشِيرَ عَلَيَّ وَ أَرَى فَإِذَا عَصَيْتَكَ فَأَطْعِنِي الْإِمَامَ أَفْضَلَ مِنَ الرَّعِيَةِ رَأْيًا وَ تَدْبِيرًا فَالْوَجِبُ عَلَيَّ مِنْ يَشِيرُ عَلَيْهِ بِأَمْرٍ فَلَا يَقْبَلُ أَنْ يَطِيعَ وَيَسْلَمَ وَيَعْلَمُ أَنَّ الْإِمَامَ قَدْ عَرَفَ مِنَ الْمَصْلُحَةِ مَا لَمْ يَعْرِفْ . وَ لَقَدْ أَحْسَنَ الصَّابِيُّ فِي قَوْلِهِ فِي بَعْضِ رِسَائِلِهِ وَ لَوْ لَأَفْضَلَ الرَّعَاةَ عَلَى الرَّعَايَا فِي بَعْدِ مَطْرَحِ النَّظَرَةِ وَ اسْتَشْفَافِ عَيْبِ الْعَاقِبَةِ لِنَسَاوَاتِ الْأَقْدَامِ وَ تَقَارُبِ الْأَفْهَامِ وَ اسْتِغْنَى الْمَأْمُومِ عَنِ الْإِمَامِ [صفحة ٢٣٤]

٣٢٨

وَ رُوِيَ أَنَّهُ ع لَمَّا وَرَدَ الْكُوفَةَ قَادِمًا مِنْ صِفِّينَ مَرَّ بِالشَّبَامِيِّينَ فَسَمِعَ بُكَاءَ النِّسَاءِ عَلَى قَتْلِ صِفِّينَ وَ خَرَجَ إِلَيْهِ حَرْبُ بْنُ شَرْحِبِيلِ الشَّبَامِيِّ وَ كَانَ مِنْ وُجُوهِ قَوْمِهِ فَقَالَ لَهُ أَيُّغْلِبُكُمْ نِسَاؤُكُمْ عَلَى مَا أَسْمَعُ أَلَّا تَنْهَوْنَهُنَّ عَنِ هَذَا الرِّزِينِ وَ أَقْبَلَ حَرْبٌ يَمْشِي مَعَهُ وَ هُوَ ع رَاكِبٌ فَقَالَ لَهُ ارْجِعْ فَإِنَّ مَشَى مِثْلِكَ مَعَ مِثْلِي فِتْنَةٌ لِلْوَالِي وَ مَذَلَّةٌ لِلْمُؤْمِنِ قَدْ ذَكَرْنَا نَسَبَ الشَّبَامِيِّينَ فِيمَا اقْتَصَصْنَاهُ مِنْ أَخْبَارِ صِفِّينَ فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ . وَ الرِّزِينُ الصَّوْتُ وَ إِنَّمَا جَعَلَهُ فِتْنَةً لِلْوَالِي لِمَا يَتَدَاخَلُهُ مِنَ الْعَجَبِ بِنَفْسِهِ وَ الزَّهْوِ وَ لَارِيبَ أَيضًا فِي أَنَّهُ مَذَلَّةٌ لِلْمُؤْمِنِ فَإِنَّ الرَّجُلَ الْمَاشِيَ إِلَى رِكَابِ الْفَارِسِ أَذَلَّ النَّاسَ [صفحة ٢٣٥]

٣٢٩

وَ قَالَ ع وَ قَدْ مَرَّ بِقَتْلَى الْخَوَارِجِ يَوْمَ النَّهْرَوَانِ بُوَسًا لَكُمْ لَقَدْ ضَرَّكُمْ مِنْ عَرَّكُمْ فَقِيلَ لَهُ مَنْ عَرَّهُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ الشَّيْطَانُ

الْمُضْتَلِّ وَالنَّفْسُ الْأَمَارَةُ بِالسَّوِّ غَرَّتْهُمْ بِالْأَمَانِيِّ وَفَسَّحَتْ لَهُمْ فِي الْمَعَاصِي وَوَعَدَتْهُمْ الْإِظْهَارَ فَاقْتَحَمَتْ بِهِمُ النَّارَ يُقَالُ يُؤْسَى لَزِيدٍ وَبُؤْسًا بِالتَّنْوِينِ لَزِيدٍ فَبُؤْسَى نَظِيرُهُ نَعْمَى وَبُؤْسًا نَظِيرُهُ نَعْمَةٌ يَنْتَسِبُ عَلَى الْمَصْدَرِ. وَهَذَا الْكَلَامُ رَدٌّ عَلَى الْمَجْبُرَةِ وَتَصْرِيحٌ بِأَنَّ النَّفْسَ الْأَمَارَةَ بِالسَّوِّ هِيَ الْفَاعِلَةُ. وَالْإِظْهَارُ مَصْدَرٌ أَظْهَرْتَهُ عَلَى زَيْدٍ أَيْ جَعَلْتَهُ ظَاهِرًا عَلَيْهِ غَالِبًا لَهُ أَيْ وَعَدْتَهُمُ الْإِنْتِصَارَ وَالظَّفْرَ]
صفحة ٢٣٦]

٣٣٠

اتَّقُوا مَعَاصِيَ اللَّهِ فِي الْخَلَوَاتِ فَإِنَّ الشَّاهِدَ هُوَ الْحَاكِمُ إِذَا كَانَ الشَّاهِدُ هُوَ الْحَاكِمُ اسْتَغْنَى عَمَّنْ يَشْهَدُ عِنْدَهُ فَالْإِنْسَانُ إِذْنٌ جَدِيرٌ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ لِأَنَّهُ تَعَالَى الْحَاكِمُ فِيهِ وَهُوَ الشَّاهِدُ عَلَيْهِ [صفحة ٢٣٧]

٣٣١

وَ قَالَ عَ لَمَّا بَلَغَهُ قَتْلُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّ حُزْنَنا عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ سُرُورِهِمْ بِهِ إِلَّا أَنَّهُمْ نَقَصُوا بَغِيضًا وَ نَقَصْنَا حَبِيبًا قَد تَقَدَّمَ ذِكْرُ مَقْتَلِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَ قَالَ عَ إِنَّ حُزْنَنا بِهِ فِي الْعِظْمِ عَلَى قَدْرِ فَرَحِهِمْ بِهِ وَلَكِنْ وَقَعَ التَّفَاوُتُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ مِنْ وَجْهِ آخَرَ وَهُوَ أَنَّا نَقَصْنَا حَبِيبًا إِلَيْنَا وَ أَمَاهُمْ فَنَقَصُوا بَغِيضًا إِلَيْهِمْ . فَإِنَّ قَلْتُ كَيْفَ نَقَصُوا وَمَعْلُومٌ أَنَّ أَهْلَ الشَّامِ مَانَقَصُوا بِقَتْلِ مُحَمَّدِ شَيْئًا لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي عَدَدِهِمْ . قَلْتُ لَمَّا كَانَ أَهْلُ الشَّامِ يَعْدُونَ فِي كُلِّ وَقْتٍ أَعْدَاءَهُمْ وَبَغِضَاءَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَصَارَ ذَلِكَ الْعَدَدُ مَعْلُومًا عِنْدَهُمْ مَحْصُورَ الْكَمِيَّةِ نَقَصُوا بِقَتْلِ مُحَمَّدٍ مِنْ ذَلِكَ الْعَدَدِ وَاحِدًا فَإِنَّ النِّقْصَ لَيْسَ مِنْ عَدَدِ أَصْحَابِهِمْ بَلْ مِنْ عَدَدِ أَعْدَائِهِمُ الَّذِينَ كَانُوا يَتْرَبِصُونَ بِهِمُ الدَّوَائِرُ وَيَتَمَنُّونَ لَهُمُ الْخُطُوبَ وَالْأَحْدَاثَ كَأَنَّهُ يَقُولُ اسْتِرَاحُوا مِنْ وَاحِدٍ مِنْ جَمَلَةِ جَمَاعَةٍ كَانُوا يَنْتَظِرُونَ مَوْتَهُمْ [صفحة ٢٣٨]

٣٣٢

وَ قَالَ عَ الْعُمَرُ الْأَعْدَى أَعَذَرَ اللَّهُ فِيهِ إِلَيَّ ابْنِ آدَمَ سَتِّونَ سِنَةً أَعَذَرَ اللَّهُ فِيهِ أَيْ سَوَّغَ لِابْنِ آدَمَ أَنْ يَعْتَذَرَ يَعْنِي أَنَّ مَا قَبْلَ السَّتِينِ هِيَ أَيَّامُ الصَّبَا وَالشَّبِيْبَةِ وَالْكُهُولَةِ وَ قَدِ امْكُنَّ أَنْ يَعَذَرَ الْإِنْسَانُ فِيهِ عَلَى اتِّبَاعِ هَوَى النَّفْسِ لَغَلْبَةِ الشَّهْوَةِ وَ شَرَّةِ الْحَدَاثَةِ فَإِذَا تَجَاوَزَ السَّتِينِ دَخَلَ فِي سِنِ الشَّيْخُوخَةِ وَ ذَهَبَتْ عَنْهُ غُلُوءُ شَرَّتِهِ فَلَا عَذْرَ لَهُ فِي الْجَهْلِ . وَ قَدِ قَالَتْ الشَّعْرَاءُ نَحْوُ هَذَا الْمَعْنَى فِي دُونَ هَذِهِ السَّنِ الَّتِي عَيْنُهَا عَ . وَ قَالَ بَعْضُهُمْ إِذَا مَا الْمَرْءُ قَصَرَ ثَمَّ مَرَّتْ || عَلَيْهِ الْأَرْبَعُونَ عَنِ الرِّجَالِ وَ لَمْ يَلْحَقْ بِصَالِحِهِمْ فَدَعَهُ || فَلَيْسَ بِلَا حَقَّ أُخْرَى اللَّيَالِي [صفحة ٢٣٩]

٣٣٣

مَا ظَفَرَ مِنْ ظَفْرِ الْإِثْمِ بِهِ وَ الْعَالِبُ بِالشَّرِّ مَغْلُوبٌ قَدْ قَالَ عَ نَحْوُ هَذَا وَ ذَكَرْنَا فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنْ قِصْرِ فِي الْخِصْمَةِ ظَلَمَ وَ مِنْ بَالِغٍ فِيهَا ثَمَّ - رَوَايَتُ - ١ - ٤٥ [صفحة ٢٤٠]

٣٣٤

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَرَضَ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ أَقْوَاتَ الْفُقَرَاءِ فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مُتَّعَ بِهِ غَنِيٌّ وَاللَّهُ تَعَالَى جَدُّهُ سَأَلَهُمْ عَنْ ذَلِكَ قَدْتَقَدَّمُ الْقَوْلَ فِي الصَّدَقَةِ وَفَضْلِهَا وَمَاجَاءِ فِيهَا وَقُدُورِ فِي الْأَخْبَارِ الصَّحِيحَةِ أَنْ أَبْذُرَ قَالَ انْتَهَيْتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص وَهُوَ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ فَلَمَّا رَأَى قَالَ هُمُ الْأَخْسَرُونَ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ فَقُلْتُ مَنْ هُمُ قَالَ هُمُ الْأَكْثَرُونَ أَمْوَالًا إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَقَلِيلٌ مَا هُمُ مَا مِنْ صَاحِبِ إِبِلٍ وَلَابِقَرٍ وَلا غَنَمٍ لَا يُؤَدِي زَكَاتَهَا إِلا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْظَمَ مَا كَانَتْ وَأَسْمَنَهُ تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطَّاهُ بِأُظْلَافِهَا كُلَّمَا نَفَدَتْ أَخْرَاهَا عَادَتْ عَلَيْهِ أَوْلَاهَا حَتَّى يَقْضَى اللَّهُ بَيْنَ النَّاسِ ... -رواية- ١-

٢-رواية- ٣٧-٤٤٣ [صفحة ٢٤١]

٣٣٥

الِاسْتِغْنَاءُ عَنِ الْعُذْرِ أَعَزُّ مِنَ الصَّدَقِ بِهِ رَوَى خَيْرٌ مِنَ الصَّدَقِ وَالْمَعْنَى لَا تَفْعَلْ شَيْئًا تَعْتَذِرُ عَنْهُ وَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِي الْعُذْرِ فَأَلَا تَفْعَلْ خَيْرَ لَكَ وَأَعَزَّ لَكَ مِنْ أَنْ تَفْعَلَ ثُمَّ تَعْتَذِرَ وَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا. وَمِنْ حُكْمِ ابْنِ الْمَعْتَرِ لَا يَقُومُ عِزُّ الْغَضَبِ بِذَلِّ الْعِزِّ. وَكَانَ يُقَالُ إِيَّاكَ أَنْ تَقُومَ فِي مَقَامِ مَعْذَرَةٍ فَرُبَّ عُذْرٍ أُسْجِلَ بِذَنْبِ صَاحِبِهِ. اعْتَذَرَ رَجُلٌ إِلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ فَقَالَ لَهُ ذَنْبُكَ يَسْتَعِثُّ مِنْ عُذْرِكَ. وَمِنْ كَلَامِهِمْ مَا رَأَيْتَ عَذْرًا أَشْبَهَ بِذَنْبٍ مِنْ هَذَا. وَمِنْ كَلَامِهِمْ أَضْرِبْهُ عَلَى ذَنْبِهِ مِائَةَ وَأَضْرِبْهُ عَلَى عُذْرِهِ مِائَتَيْنِ. قَالَ شَاعِرُهُمْ إِذَا كَانَ وَجْهُ الْعُذْرِ لَيْسَ بِوَاضِحٍ || فَإِنْ اطْرَاحَ الْعُذْرُ خَيْرٌ مِنَ الْعُذْرِ. كَانَ النَّخَعِيُّ يَكْرَهُ أَنْ يَعْتَذِرَ إِلَيْهِ وَيَقُولُ اسْكُتْ مَعْذُورًا فَإِنَّ الْمَعَاذِيرَ يَحْضُرُهَا الْكُذْبُ [صفحة ٢٤٢]

٣٣٦

أَقَلُّ مَا يَلْزُمُكُمْ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ أَلَّا تَسْتَعِينُوا بِنِعْمِهِ عَلَى مَعَاصِيهِ لِأَشْبَهُهُ أَنْ مِنَ الْقَبِيحِ الْفَاحِشِ أَنْ يَنْعَمَ الْمَلِكُ عَلَى بَعْضِ رَعِيَّتِهِ بِمَالٍ وَعَبِيدٍ وَسِلَاحٍ فَيَجْعَلُ ذَلِكَ الْمَالُ مَادَّةَ لِعَصِيَانِهِ وَالْخُرُوجِ عَلَيْهِ ثُمَّ يَحَارِبُهُ بِأَوْلِيَّتِكَ الْعَبِيدِ وَبِذَلِكَ السِّلَاحِ بَعِينَهُ. وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ الصَّابِيُّ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى سَبْكَتِكِينَ مِنْ عِزِّ الدَّوْلَةِ بِخِتَارِ وَلِيَّتِ شَعْرَى بِأَيِّ قَدَمٍ تَوَاقَفْنَا وَرَايَاتِنَا خَافِقَهُ عَلَى رَأْسِكَ وَمَمَالِكِنَا عَنْ يَمِينِكَ وَشِمَالِكَ وَخَيْلِنَا مَوْسُومَةً بِأَسْمَانِنَا تَحْتِكَ وَثِيَابِنَا مَحْوُكَةً فِي طَرَاظِنَا عَلَى جِسْدِكَ وَسِلَاحِنَا الْمَشْحُودَ لِأَعْدَائِنَا فِي يَدِكَ [صفحة ٢٤٣]

٣٣٧

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الطَّاعِيَةَ غَنِيمَةً الْأَكْيَاسِ عِنْدَ تَفْرِيطِ الْعَجْزَةِ الْأَكْيَاسِ الْعُقْلَاءِ أُولُو الْأَبَابِ قَالَ ع جَعَلَ اللَّهُ طَاعَتَهُ غَنِيمَةً هُوَ لَاءُ إِذَا فُرِطَ فِيهَا الْعَجْزَةُ الْمَخْذُلُونَ مِنَ النَّاسِ كَصَيْدِ اسْتَذْفِ لِرَجْلَيْنِ أَحَدُهُمَا جِلْدٌ وَالْآخَرُ عَاجِزٌ فَقَعَدَ عَنْهُ الْعَاجِزُ لِعَجْزِهِ وَحِرْمَانِهِ وَاقْتَنَصَهُ الْجِلْدُ لَشَهَامَتِهِ وَقُوَّةَ جِدِّهِ [صفحة ٢٤٤]

٣٣٨

السَّيْلَطَانُ وَزَعِيَّةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ الْوَاوِزِعُ عَنِ الشَّيْءِ الْكَافِ عَنْهُ وَالْمَانِعُ مِنْهُ وَالْجَمْعُ وَزَعَةٌ مِثْلُ قَاتِلٍ وَقَتْلُهُ وَقَدْ قِيلَ هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرًا قَالُوا لَا بَدَّ لِلنَّاسِ مِنْ وَزَعَةٍ. وَقِيلَ مَا يَزِعُ اللَّهُ عَنِ الدِّينِ بِالسُّلْطَانِ أَكْثَرَ مِمَّا يَزِعُ عَنْهُ بِالْقُرْآنِ وَتَنْسَبُ هَذِهِ اللَّفْظَةُ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ

. قال الشاعر لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم || ولا سراة إذا جهالهم سادوا . و كان يقال السلطان القاهر و إن كان ظالما خيرا للرعية وللملك من السلطان الضعيف و إن كان عادلا . و قال الله سبحانه و لو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض قالوا فى تفسيره أراد السلطان -قرآن- ١٢٢-١٨٧ [صفحة ٢٤٥]

٣٣٩

و قال ع فى صفة المؤمن بشره فى وجهه و حزنه فى قلبه أوسع شىء صدرا و أذل شىء نفسا يكره الرفعة و يشنأ السمعة طويلا غمه بعيد همه كثير صمته مشغول وقته شكور صبور مغمور بفكرته ضنين بخليته سهل الخليقة لين العريكة نفسه أصلب من الصلدا و هو أذل من العبد هذه صفات العارفين و قد تقدم كثير من القول فى ذلك و كان يقال البشر عنوان النجاح والأمر الذى يختص به العارف أن يكون بشره فى وجهه و هو حزين و حزنه فى قلبه و إلا للبشر قد يوجد فى كثير من الناس . ثم ذكر أنه أوسع الناس صدرا وأذلهم نفسا و أنه يكره الرفعة والصيت وجاء فى الخبر فى وصفهم كل حامل نومة . و طول الغم و بعدالهم من صفاتهم و كذلك كثرة الصمت و شغل الوقت بالذكر والعبادة و كذلك الشكر والصبر والاستغراق فى الفكر و تدبر آيات الله تعالى فى خلقه والظن بالخلعة و قلعة المخالطة و التوفر على العزلة و حسن الخلق و لين الجانب و أن يكون قوى النفس جدا مع ذل للناس و تواضع بينهم و هذه الأمور كلها قد أتى عليها الشرح فيما تقدم [صفحة ٢٤٦]

٣٤٠

الغنى الأكبر اليأس عما فى أيدي الناس هذه الكلمة قدرويت مرفوعة و قد تقدم القول فى الطمع و ذمه واليأس و مدحه . و فى الحديث المرفوع ازهد فى الناس يحبك الله و ازهد فيما أيدى الناس يحبك الناس -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-٨٦ . و من كلام بعضهم ما أكلت طعام واحد إلا هنت عليه . و كان يقال نعوذ بالله من طمع يدنى إلى طبع . و قال الشاعر أرحت روحى من عذاب الملاح || لليأس روح مثل روح النجاح و قال بعض الأدباء هذا المعنى الذى قد أطنب فيه الناس ليس كما يزعمونه لعمرى إن لليأس راحة ولكن لا كراحة النجاح و ما هو إلا كقول من قال لأدري نصف العلم فليل له ولكنه النصف الذى لا ينفع . و قال ابن الفضل لا أمدح اليأس ولكنه || أروح للقلب من المطمع [صفحة ٢٤٧] أفلح من أبصر روض المنى || يرى فلم يرع و لم يرتع و مما يروى لعبد الله بن المبارك الزاهد قد أرحنا واسترحنا || من غدو ورواح واتصال بأمر || و وزير ذى سماح بعفاف و كفاف || و قنوع و صلاح و جعلنا اليأس مفتاحا || لأبواب النجاح [صفحة ٢٤٨]

٣٤١

إشاره

المسئول حُرَّ حَتَّى يَعِدَّ

نبد من الأقوال الحكيمه فى الوعد والمطل

قد سبق القول في الوعد والمطل ونحن نذكر هاهنا نكتة أخرى . في الحديث المرفوع من وعد وعدا فكأنما عهد عهدا -رواية-
 ١-٢-رواية-٢٣-٥٢ و كان يقال الوعد دين الكرام والمطل دين اللثام . و كان يقال الوعد شبكة من شباك الأحرار يتصيدون
 بها المحامد . و قال بعضهم الوعد مرض المعروف والإنجاز برؤه . و قال يحيى بن خالد الوعد سحاب والإنجاز مطره . و في
 الحديث المرفوع عدة المؤمن عطية -رواية-١-٢-رواية-٢٣-٤٠ عنه ع لاتواعد أخاك موعدا لتخلفه -رواية-١-٢-رواية-
 ١١-٤٠ و قال يحيى بن خالد لبيه يابني كونوا أسدا في الأقوال نجازا في الأفعال و لاتعدوا إلا- وتجزوا فإن الحر يثق بوعد
 الكريم وربما ادان عليه . و كان جعفر بن يحيى يكره الوعد و يقول الوعد من العاجز فأما القادر فالنقد. [صفحہ ٢٤٩] و في
 الحديث المرفوع مطل الغنى ظلم -رواية-١-٢-رواية-٢٣-٤٠ و قال ابن الفضل أثروا و لم يقضوا ديون غريمهم || واللؤم
 كل اللؤم مطل الموسر و قال الآخر إذا أتت العطية بعدمطل || فلا كانت و إن كانت سنه و كان يقال المطل يسد على صاحبه
 باب العذر و يوجب عليه الأ-حسن والأ-كثر والتعجيل يحسن سيئه و يبسط عذره في التقليل . و قال يحيى بن خالد لبيه يابني
 لاتمطلوا معروفكم فإن كثير العطاء بعد المطل قليل و عجلوا فإن عذرکم مقبول مع التعجيل . و من كلام الحسن بن سهل المطل
 يذهب رونق البر و يكدر صفو المعروف و يحبط أجر الصدقة و يعقل اللسان عن الشكر وللتعجيل حلاوة و إن قلت العارفة ولذة و
 إن صغرت الصنعة وربما عرض ما يمنع الإنجاز من تعذر الإمكان و تغير الزمان فبادر المكنة و عاجل القدرة و انتهر الفرصة . و قال
 الشاعر تحيل على الفراغ قضاء شغلي || و أنت إذ فرغت تكون مثلي فلا أدعى بخادمك المرجى || و لاتدعى بسيدنا الأجل و
 قال آخر لو علم الماطل أن المطال || فقد به يذهب طعم النوال و أن أعلى البر ماناله || طالبه نقدا عقيب السؤال عجل للسائل
 معروفه || مهنا من طول قيل و قال [صفحہ ٢٥٠]

٣٤٢

لَوْ رَأَى الْعَبْدُ الْأَجَلَ وَ مَصِيرَهُ لَمَّا بَغَضَ الْأَمِيلَ وَ عَزُورَهُ قَدْ تَقَدَّمَ مِنَ الْكَلَامِ فِي الْأَمَلِ مَا فِيهِ كَفَايَةٌ وَ كَانَ يُقَالُ وَاعْجَبَا لِصَاحِبِ
 الْأَمَلِ الطَّوِيلِ وَرَبَّمَا يَكُونُ كَفَنُهُ فِي يَدِ النَّسَاجِ وَ هُوَ لَا يَعْلَمُ [صفحہ ٢٥١]

٣٤٣

لِكُلِّ امْرِئٍ فِي مَالِهِ شَرِيكَانِ الْوَارِثُ وَ الْحَوَادِثُ أَخَذَهُ الرِّضَى فَقَالَ خُذْ مِنْ تَرَائِكِكَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّمَا || شُرَكَاءُكَ الْأَيَّامُ وَالْوَرَاثُ
 لَمْ يَقْضِ حَقَّ الْمَالِ إِلَّا مَعْشَرَ || نَظَرُوا الزَّمَانَ يَعْثُ فِيهِ فَعَاثُوا قَدْ قَالَ ع فِي مَوْضِعٍ آخَرَ بَشْرَ مَالِ الْبَخِيلِ بِحَادِثِ أَوْوَارِثِ -رواية-
 ١-٢-رواية-٢٧-٥٩ ورأيت بخط ابن الخشاب رحمه الله على ظهر كتاب لعبد الله بن أحمد بن أحمد ثم لحادث
 أووارث كأنه يعنى ضنه به أى لا أخرجه عن يدي اختيارا [صفحہ ٢٥٢]

٣٤٤

الدَّاعِي بَلَاءَ عَمَلٍ كَالرَّامِي بَلَاءَ وَتَرٍ مِنْ خِلا مِنْ الْعَمَلِ فَقَدْ أَخْلَ بِالْوَأْجِبَاتِ وَ مِنْ أَخْلَ بِالْوَأْجِبَاتِ فَقَدْ فَسَقَ وَ اللَّهُ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ دَعَاءَ
 الْفَاسِقِ وَ شَبَّهَهُ ع بِالرَّامِي بَلَاءَ وَ تَرٍ فَإِنْ سَهَمَهُ لَا يَنْفِذُ [صفحہ ٢٥٣]

٣٤٥

العِلْمُ عِلْمَانِ مَطْبُوعٌ وَ مَسْمُوعٌ وَ لَا يَنْفَعُ الْمَسْمُوعُ إِذَا لَمْ يَكُنِ الْمَطْبُوعُ هَذِهِ قَاعِدَةٌ كَلِيَّةٌ مَذْكُورَةٌ فِي الْكُتُبِ الْحَكْمِيَّةِ إِنَّ الْعُلُومَ مِنْهَا مَا هُوَ غَرِيظِيٌّ وَمِنْهَا مَا هُوَ تَكْلِفِيٌّ ثُمَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْقَسْمَيْنِ يَخْتَلِفُ بِالْأَشَدِّ وَالْأَضْعَفِ أَمَّا الْأَوَّلُ فَقَدْ يَكُونُ فِي النَّاسِ مِنْ لَا يَحْتَاجُ فِي النَّظَرِ إِلَى تَرْتِيبِ الْمَقْدِمَاتِ بَلْ تَنَسَّاقُ النَّتِيجَةُ النَّظْرِيَّةُ إِلَيْهِ سَوْقًا مِنْ غَيْرِاحْتِيَاجٍ مِنْهُ إِلَى التَّأَمُّلِ وَالتَّدَبُّرِ وَقَدْ يَكُونُ فِيهِمْ مِنْ هُودُونَ ذَلِكَ وَقَدْ يَكُونُ مِنْ هُودُونَ الدُّوْنِ وَأَمَّا الثَّانِي فَقَدْ يَكُونُ فِي النَّاسِ مِنْ لَا يَجِدِي فِيهِ التَّعْلِيمُ بَلْ يَكُونُ كَالصَّخْرَةِ الْجَامِدَةِ بِلَادَةٍ وَغِبَاوَةٍ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ أَقْلًا تَبْلَدًا وَجَنُوحَ ذَهْنٍ مِنْ ذَلِكَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ الْوَقْفَةُ عِنْدَهُ أَقْلًا فَيَكُونُ ذَا حَالٍ مَتَوَسِّطَةً وَبِالْجَمَلَةِ فَاسْتِقْرَاءَ أَحْوَالِ النَّاسِ يَشْهَدُ بِصِحَّةِ ذَلِكَ . وَقَالَ ع لَيْسَ يَنْفَعُ الْمَسْمُوعُ إِذَا لَمْ يَكُنِ الْمَطْبُوعُ يَقُولُ إِذَا لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَحْوَالٌ اسْتِعْدَادٌ لَمْ يَنْفَعِ الدَّرْسُ وَالتَّكْرَارُ وَقَدْ شَاهَدْنَا مِثْلَ هَذَا فِي حَقِّ أَشْخَاصٍ كَثِيرَةٍ اسْتَغْلَوْا بِالْعِلْمِ الدَّهْرَ الْأَطْوَلَ فَلَمْ يَنْجِعْ مَعَهُمُ الْعِلَاجُ وَفَارَقُوا الدُّنْيَا وَهُمْ عَلَى الْغَرِيْزَةِ الْأُولَى فِي السَّادِجِيَّةِ وَعَدَمِ الْفَهْمِ [صَفْحَةٌ ٢٥٤]

٣٤٦

صَوَابُ الرَّأْيِ بِالذَّوْلِ يُقْبَلُ بِإِقْبَالِهَا وَيُدْبَرُ بِإِدْبَارِهَا قَالَ الصَّوْلِيُّ اجْتَمَعَ بَنُو بَرْمَكٍ عِنْدِيحْيَى بْنِ خَالِدٍ فِي آخِرِ دَوْلَتِهِمْ وَهُمْ يَوْمَئِذٍ عَشْرَةٌ فَأَدَارُوا بَيْنَهُمُ الرَّأْيَ فِي أَمْرِ فَلَمْ يَصْلِحْ لَهُمْ فَقَالَ يَحْيَى أَنَا اللَّهُ ذَهَبْتُ وَاللَّهُ دَوْلَتُنَا كُنَّا فِي إِقْبَالِنَا يَبْرُمُ الْوَاحِدَ مِنْ عَشْرَةِ آرَاءٍ مُشْكَلَةٌ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ وَالْيَوْمَ نَحْنُ عَشْرَةٌ فِي أَمْرٍ غَيْرِ مُشْكَلٍ وَ لَا يَصِحُّ لَنَا فِيهِ رَأْيُ اللَّهِ نَسَأَلُ حَسَنَ الْخَاتِمَةِ . أَرْسَلَ الْمَنْصُورُ لِمَاهِاضَةَ أَمْرِ إِبْرَاهِيمَ إِلَى عَمِّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ وَهُوَ فِي السَّجْنِ يَسْتَشِيرُهُ مَا يَصْنَعُ وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ قَدْ ظَهَرَ بِالْبَصْرَةِ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ أَنَا مَحْبُوسٌ وَالْمَحْبُوسُ مَحْبُوسُ الرَّأْيِ قَالَ لَهُ فَعَلَى ذَاكَ قَالَ يَفْرُقُ الْأَمْوَالَ كُلَّهَا عَلَى الرِّجَالِ وَيَلْقَاهُ فَيَنْظُرُ فِذَاكَ وَ لَا يَتَوَجَّهُ إِلَى أَبِيهِ مُحَمَّدَ بَجْرَجَانَ وَيَتْرَكُهُ يَقْدُمُ عَلَى بِيوتِ أَمْوَالِ فَارِغَةٍ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ تَكُونَ الدُّبْرَةُ عَلَيْهِ وَيَقْدُمُ عُدُوهُ عَلَى بِيوتِ أَمْوَالِ مَمْلُوءَةٍ . قَالَ سَلِيمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ لِيَزِيدَ بْنِ أَبِي مُسْلِمٍ صَاحِبِ شَرْطَةِ الْحِجَاجِ يَوْمَا لَعَنَ اللَّهُ رَجُلًا أَجْرَكَ رَسْنَهُ وَخَرَبَ لَكَ آخِرَتَهُ قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَأَيْتَنِي وَالْأَمْرَ عَنِي مَدْبُرٌ وَ لَوْ رَأَيْتَنِي وَالْأَمْرَ عَلَى مَقْبَلِ اسْتَكْبَرْتُ مِنْهُ مَا اسْتَصْغَرْتُ وَ لَا اسْتَعْظَمْتُ مِنْهُ مَا اسْتَحْقَرْتُ [صَفْحَةٌ ٢٥٥]

٣٤٧

الْعَفَافُ زَيْنَةُ الْفَقْرِ وَالشُّكْرُ زَيْنَةُ الْغِنَى قَدْ سَبَقَ الْقَوْلُ فِي أَنَّ الْأَجْمَلَ بِالْفَقِيرِ أَنْ يَكُونَ عَفِيفًا وَأَلَّا يَكُونَ جَشَعًا حَرِيصًا وَ لَا جَادًا فِي الطَّلَبِ مَتَهَالِكًا وَ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنَّهُ إِذَا فَتَقَرَ أَنْ يَتِيَهُ عَلَى الْوَقْتِ وَأَبْنَاءَ الْوَقْتِ فَإِنَّ التِّيَهُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْمَقَامِ لِأَبْسَ بِهِ لِيَعْبُدَ جَدًّا عَنِ مِظْنَةِ الْحَرَصِ وَالطَّمَعِ . وَقَدْ سَبَقَ أَيْضًا الْقَوْلُ فِي الشُّكْرِ عِنْدَ النِّعْمَةِ وَوَجُوبِهِ وَ أَنَّهُ سَبَبٌ لاسْتِدَامَتِهَا وَ أَنَّ الْإِخْلَالَ بِهِ دَاعِيَةٌ إِلَى زَوَالِهَا وَانْتِقَالِهَا وَذَكَرْنَا فِي هَذَا الْبَابِ أَمْوَارًا مُسْتَحْسَنَةً فَلْتَرَجِعْ وَ قَالَ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ الْمَعْدِلِ فِي الْعَفَافِ سَأَقْنِي الْعَفَافَ وَأَرْضِي الْكَفَافَ || وَ لَيْسَ غِنَى النَّفْسِ حُوزَ الْجَزِيلِ وَ لَا أَتَصَدَّى لِشُكْرِ الْجَوَادِ || وَ لَا أَسْتَعِدُّ لِدَمِ الْبَخِيلِ وَأَعْلَمُ أَنَّ بَنَاتَ الرَّجَاءِ || تَحُلُّ الْغَرِيْزَ مَحَلَّ الدَّلِيلِ وَ أَنَّ لَيْسَ مُسْتَغْنِيًا بِالْكَثِيرِ || مِنْ لَيْسَ مُسْتَغْنِيًا بِالْقَلِيلِ [صَفْحَةٌ ٢٥٦]

٣٤٨

يَوْمُ الْعَدْلِ عَلَى الظَّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الْجَوْرِ عَلَى الْمَظْلُومِ شَيْئَانِ مُؤَلِّمَانِ أَحَدُهُمَا يَنْقُضِي سَرِيعًا وَالْآخَرُ يَدُومُ أَبَدًا فَلَا جَرَمَ كَانَ الْيَوْمُ الْمَذْكُورَ عَلَى الظَّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الْجَوْرِ عَلَى الْمَظْلُومِ [صَفْحَةٌ ٢٥٧]

الْأَقْوِيلُ مَحْفُوظَةٌ وَ السَّرَائِرُ مَبْلُوءَةٌ وَ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ وَ النَّاسُ مَنقُوصُونَ مَدخُولُونَ إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ سَائِلُهُمْ مُتَعَتِّتٌ وَ مُجِيبُهُمْ مُتَكَلِّفٌ يَكَادُ أَفْضَلُهُمْ رَأْيًا يُرَدُّ عَنْ فَضْلِ رَأْيِهِ الرِّضَا وَ السِّخْطُ وَ يَكَادُ أَصْلَابُهُمْ عُوْدًا تَنْكُوهُ اللَّحْظَةُ وَ تَسْتَحِيلُهُ الْكَلِمَةُ الْوَاحِدَةُ السَّرَائِرُ هَاهُنَا مَا أَسْرَفِي الْقُلُوبِ مِنَ النِّيَّاتِ وَ الْعَقَائِدِ وَ غَيْرِهَا وَ مَا يَخْفَى مِنْ أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ أَيْضًا وَ بِلَاؤُهَا تَعْرِفُهَا وَ تَصَفِّحُهَا وَ التَّمْيِيزُ بَيْنَ مَا طَابَ مِنْهَا وَ مَا خَبَثَ . وَ قَالَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِلْأَحْوَصِ لَمَّا قَالَ سَتَبَلَى لَهَا فِي مَضْمَرِ الْقَلْبِ وَ الْحِشَا || سَرِيرَةٌ حَبُّ يَوْمٍ تَبَلَى السَّرَائِرُ إِنَّكَ يَوْمَئِذٍ عَنْهَا لَمَشْغُولٌ . ذَكَرَ عِ النَّاسِ فَقَالَ قَدَعَمَهُمُ النَّقْصُ إِلَّا الْمَعْصُومِينَ ثُمَّ قَالَ سَائِلُهُمْ يَسْأَلُ تَعْتَنَا وَ السُّؤَالُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ مَذْمُومٌ وَ مُجِيبُهُمْ مُتَكَلِّفٌ لِلْجَوَابِ وَ أَفْضَلُهُمْ رَأْيًا يَكَادُ رِضَا تَارَةً وَ سَخِطَهُ أُخْرَى يَرُدُّهُ عَنْ فَضْلِ رَأْيِهِ أَيْ يَتَّبِعُونَ الْهُوَى [صَفْحَةُ ٢٥٨] وَ يَكَادُ أَصْلَابُهُمْ عُوْدًا أَيْ أَشَدَّهُمْ اِحْتِمَالًا . وَ تَنْكُوهُ اللَّحْظَةُ نَكَاتُ الْقَرْحَةِ إِذَا صَدَمْتَهَا بِشَيْءٍ فَتَقْشَرُهَا . قَالَ وَ تَسْتَحِيلُهُ الْكَلِمَةُ الْوَاحِدَةُ أَيْ تَحِيلُهُ وَ تَغْيِرُهُ عَنْ مَقْتَضَى طَبْعِهِ يَصِفُهُمْ بِسُرْعَةِ التَّقَلُّبِ وَ التَّلَوُّنِ وَ أَنَّهُمْ مُطِيعُونَ دَوَاعِيَ الشَّهْوَةِ وَ الْغَضَبِ وَ اسْتَفْعَلَ بِمَعْنَى فَعَلَ قَدْ جَاءَ كَثِيرًا اسْتِغْلَظَ الْعَسَلُ أَيْ غَلِظَ [صَفْحَةُ ٢٥٩]

قَالَ مَعَاشِرَ النَّاسِ اتَّقُوا اللَّهَ فَكُمْ مِنْ مُؤَمِّلٍ مَا لَا يَبْلُغُهُ وَ بَانَ مَا لَا يَسْكُنُهُ وَ جَامِعٌ مَا سَوْفَ يَتْرُكُهُ وَ لَعَلَّهُ مِنْ بَاطِلٍ جَمَعَهُ وَ مِنْ حَقِّ مَنَعَهُ أَصِيَابُهُ حَرَامًا وَ اِحْتِمَالًا بِهِ آثَامًا فَبَاءَ بِوِزْرِهِ وَ قَدِيمَ عَلَى رَبِّهِ آسِفًا لَاهِفًا قَدِ حَسِبَ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ قَدْ تَقَدَّمَ شَرْحُ هَذِهِ الْمَعَانِي وَ الْكَلَامِ عَلَيْهَا أَمَّا الْأَمَالُ الَّتِي لَا تَبْلُغُ فَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ تَحْصَى بِلِ انْتِهَائِي لَهَا . وَ مَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْقَائِلِ وَ حَسْرَتِي مَاتَ حَظِي مِنْ وَصَالِكُمْ || وَ لِلْحَظْوِظِ كَمَا لِلنَّاسِ آجَالٌ إِنْ مَتَّ شَوْقًا وَ لَمْ أَبْلُغْ مَدَى أَمَلِي || كَمْ تَحْتَ هَذِي الْقُبُورِ الْخُرْسُ آمَالٌ وَ أَمَا بِنَاءُ مَا لَا يَسْكُنُ فَنَحْوُ ذَلِكَ وَ قَالَ الشَّاعِرُ أَلَمْ تَرِ حَوْشِبَا بِالْأَمْسِ يَبْنِي || بِنَاءُ نَفْعِهِ لِبْنِي نَفِيلُهُ يَوْمَلُ أَنْ يَعْمُرَ عَمْرُ نُوْحٍ || وَ أَمْرُ اللَّهِ يَطْرُقُ كُلَّ لَيْلَةٍ وَ أَمَا جَامِعٌ مَا سَوْفَ يَتْرُكُهُ فَأَكْثَرُ النَّاسِ قَالَ الشَّاعِرُ وَ ذِي إِبْلِ يَسْعَى وَ يَحْسِبُهَا لَهُ || أَخُو تَعَبٍ فِي رَعِيهَا وَ دَعْوَبٌ غَدَتُ وَ غَدَا رَبُّ سِوَاهُ يَسُوقُهَا || وَ بَدَلُ أَحْجَارًا وَ جَالٌ قَلِيبٌ [صَفْحَةُ ٢٦٠]

مِنَ الْعِصْمَةِ تَعَدَّرُ الْمَعَاصِي قَدُورَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ عَلَى صَيْغٍ مُخْتَلَفَةٍ مِنَ الْعِصْمَةِ أَلَا تَقْدَرُ وَ أَيْضًا مِنَ الْعِصْمَةِ أَلَا تَجِدُ وَ قَدُورِيَّتٌ مَرْفُوعَةٌ أَيْضًا . وَ لَيْسَ الْمُرَادُ بِالْعِصْمَةِ هَاهُنَا الْعِصْمَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا الْمُتَكَلِّمُونَ لِأَنَّ الْعِصْمَةَ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنْ شَرْطِهَا الْقُدْرَةُ وَ حَقِيقَتُهَا رَاجِعَةٌ إِلَى لَطْفِ يَمْنَعُ الْقَادِرُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَ إِنَّمَا الْمُرَادُ أَنْ غَيْرَ الْقَادِرِ فِي انْتِدْفَاعِ الْعُقُوبَةِ عَنْهُ كَالْقَادِرِ الَّذِي لَا يَفْعَلُ [صَفْحَةُ ٢٦١]

مَاءٌ وَجْهَكَ جَامِدٌ يُقَطِرُهُ السُّؤَالُ فَانظُرْ عِنْدَ مَنْ تُقَطِرُهُ هَذَا حَسَنٌ وَ قَدْ أَخَذَهُ شَاعِرٌ فَقَالَ إِذَا أَظْمَأْتِكَ أَكْفُ اللَّثَامِ || كَفْتِكَ الْقِنَاعَةَ شَبْعًا وَ رِيًّا فَكُنْ رَجُلًا رَجُلُهُ فِي الثَّرَى || وَ هَامَةٌ هَمَّتْ فِي الثَّرَى فَإِنْ إِرَاقَهُ مَاءُ الْحَيَاةِ || دُونَ إِرَاقِهِ مَاءِ الْمَحْيَا وَ قَالَ آخِرُ رَدَدَتْ لِي مَاءٌ وَجْهِي فِي صَفِيحَتِهِ || رَدُّ الصَّقَالِ بِهَاءِ الصَّارِمِ الْجَذْمِ وَ مَا أَبَالِي وَ خَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ || حَقَنْتُ لِي مَاءٌ وَجْهِي أَوْ حَقَنْتُ دَمِي .

و قال مصعب بن الزبير إني لأستحيى من رجل وجه إلى رغبته فبات ليلته يتململ ويتقلقل على فراشه ينتظر الصبح قد جعلني أهلا لأن يقطر ماء وجهه لدى إن أردته خائبا. و قال آخر ماماء كفيك إن أرسلت مزنته || من ماء وجهي إذا استقطرتة عوض [صفحہ ۲۶۲]

۳۵۳

الثَّنَاءُ بِأَكْثَرِ مِنَ الْإِسْتِحْقَاقِ مَلَقٌ وَ التَّقْصِيرُ عَنِ الْإِسْتِحْقَاقِ عِيٌّ أَوْ حَسِيدٌ كَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يَثْنِيَ الشَّاعِرُ فِي شَعْرِهِ عَلَى الْمَمْدُوحِ الثَّنَاءُ الْمَفْرُطُ وَيَقُولُونَ خَيْرَ الْمَدْحِ مَا قَارَبَ فِيهِ الشَّاعِرُ وَاقْتَصَدَ وَ هَذَا هُوَ الْمَذْهَبُ الصَّحِيحُ وَ إِنْ كَانَ قَوْمٌ يَقُولُونَ إِنْ خَيْرَ الشَّعْرِ الْمَنْظُومِ فِي الْمَدْحِ مَا كَانَ أَشَدَّ مَغَالَاةً وَأَكْثَرَ تَبْجِيلًا وَتَعْظِيمًا وَوَصْفًا وَنَعْتًا. وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ عَ مَحْمُولًا عَلَى الثَّنَاءِ فِي وَجْهِ الْإِنْسَانِ لِأَنَّهُ هُوَ الْمَوْصُوفُ بِالْمَلَقِ إِذَا فُرِطَ فَأَمَّا مَنْ يَثْنِي بظَهْرِ الْغَيْبِ فَلَا يُوَصِّفُ ثَنَاؤُهُ بِالْمَلَقِ سِوَاءَ كَانَ مُقْتَصِدًا أَوْ مُسْرِفًا. وَ قَوْلُهُ عَ وَالتَّقْصِيرُ عَنِ الْإِسْتِحْقَاقِ عِيٌّ أَوْ حَسَدٌ لِأَمْزِيدٍ عَلَيْهِ فِي الْحَسَنِ لِأَنَّهُ إِذَا قَصُرَ بِهِ عَنِ اسْتِحْقَاقِهِ كَانَ الْمَانِعُ إِمَّا مِنْ جَانِبِ الْمَثْنَى فَقَطْ مِنْ غَيْرِ تَعَلَّقَ لَهُ بِالْمَثْنَى عَلَيْهِ أَوْ مَعَ تَعَلَّقَ بِهِ فَالْأَوَّلُ هُوَ الْعِيُّ وَالثَّانِي هُوَ الْحَسَدُ وَ الْمُنَافَسَةُ [صفحہ ۲۶۳]

۳۵۴

أَشَدُّ الدُّنُوبِ مَا اسْتَهَانَ بِهِ صَاحِبُهَا قَدْ ذَكَرْنَا هَذَا فِيمَا تَقَدَّمَ وَذَكَرْنَا الْعِلَّةَ فِيهِ وَهِيَ أَنْ فَاعَلَ ذَلِكَ الذَّنْبَ قَدْ جَمَعَ بَيْنَ فِعْلِ الذَّنْبِ وَفِعْلِ ذَنْبٍ آخَرَ وَهُوَ الْإِسْتِهَانَةُ بِمَا لَا يَسْتَهَانُ بِهِ لِأَنَّ الْمَعَاصِيَ لَا هَيْبَةَ فِيهَا وَالصَّغِيرُ مِنْهَا كَبِيرٌ وَالحَقِيرُ مِنْهَا عَظِيمٌ وَ ذَلِكَ لِجَلَالَةِ شَأْنِ الْمَعَاصِي سُبْحَانَهُ. فَأَمَّا مَنْ يَذْنِبُ وَيَسْتَعْظَمُ مَا آتَاهُ فَحَالُهُ أَخْفَى مِنْ حَالِ الْأَوَّلِ لِأَنَّهُ يَكَادُ يَكُونُ نَادِمًا [صفحہ ۲۶۴]

۳۵۵

مَنْ نَظَرَ فِي عَيْبِ نَفْسِهِ اسْتَعْلَى عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ وَ مَنْ رَضِيَ بِرِزْقِ اللَّهِ لَمْ يَحْزَنْ عَلَى مَا فَاتَهُ وَ مَنْ سَلَّ سَيْفَ الْبَغْيِ قُتِلَ بِهِ وَ مَنْ كَابَدَ الْأُمُورَ عَطَبَ وَ مَنْ اقْتَحَمَ اللَّجْجَ غَرِقَ وَ مَنْ دَخَلَ مَدَاخِلَ السُّوءِ اتَّهَمَ وَ مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ خَطُؤُهُ وَ مَنْ كَثُرَ خَطُؤُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ وَ مَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ وَ مَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ وَ مَنْ مَاتَ قَلْبُهُ دَخَلَ النَّارَ وَ مَنْ نَظَرَ فِي عُيُوبِ غَيْرِهِ فَأَنْكَرَهَا ثُمَّ رَضِيَ بِهَا لِنَفْسِهِ فَذَلِكَ الْأَحْمَقُ بَعِينِهِ وَ الْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ وَ مَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَسِيرِ وَ مَنْ عَلِمَ أَنَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا فِيمَا يَعْنِيهِ كُلُّ هَذِهِ الْفُصُولِ قَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِيهَا وَهِيَ عَشْرَةٌ أَوْلَاهَا مِنْ نَظَرٍ فِي عَيْبِ نَفْسِهِ اسْتَعْلَى عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ كَانَ يَقَالُ أَصْلَحَ نَفْسِكَ أَوْ لَا ثُمَّ أَصْلَحَ غَيْرِكَ . وَثَانِيهَا مِنْ رَضِيَ بِرِزْقِ اللَّهِ لَمْ يَحْزَنْ عَلَى مَا فَاتَهُ كَانَ يَقَالُ الْحَزْنَ عَلَى الْمَنَافِعِ الدُّنْيَوِيَّةِ سَمَّ تَرِيَاقَهُ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ [صفحہ ۲۶۵] وَثَالِثُهَا مِنْ سَلَّ سَيْفَ الْبَغْيِ قَتَلَ بِهِ كَانَ يَقَالُ الْبَاغِي مَصْرُوعٌ وَ إِنْ كَثُرَ جُنُودُهُ . وَرَابِعُهَا مَنْ كَابَدَ الْأُمُورَ عَطَبَ وَ مَنْ اقْتَحَمَ اللَّجْجَ غَرِقَ مِثْلَ هَذَا قَوْلُ الْقَائِلِ مِنْ حَارِبِ الْأَيَّامِ أَصْبَحَ رَمَحُهُ || قَصْدًا وَأَصْبَحَ سَيْفُهُ مَفْلُولًا . وَخَامِسُهَا مَنْ دَخَلَ مَدَاخِلَ السُّوءِ اتَّهَمَ هَذَا مِثْلَ قَوْلِهِمْ مَنْ عَرَضَ نَفْسَهُ لِلشَّبَهَاتِ فَلَا يَلُومَنَّ مِنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنُّ . وَسَادِسُهَا مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ إِلَى قَوْلِهِ دَخَلَ النَّارَ قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي الْمَنْطِقِ الزَّائِدُ وَ مَا فِيهِ مِنَ الْمَحْذُورِ وَ كَانَ يَقَالُ قَلِمًا سَلِمَ مَكْتَثَارٌ أَوْ أَمِنَ مِنْ عَثَارٍ . وَسَابِعُهَا مَنْ نَظَرَ فِي عُيُوبِ غَيْرِهِ فَأَنْكَرَهَا ثُمَّ رَضِيَ لِنَفْسِهِ بِمَا يَسْخَطُهُ مِنْ غَيْرِهِ . وَثَامِنُهَا الْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ قَدْ سَبَقَ الْقَوْلُ فِي هَذَا وَسَيَأْتِي أَيْضًا . وَتَاسِعُهَا مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَسِيرِ كَانَ يَقَالُ إِذَا أَحْبَبْتَ أَلَا تَحْسُدُ أَحَدًا فَأَكْثَرَ ذِكْرَ الْمَوْتِ وَاعْلَمْ أَنَّكَ وَ مَنْ تَحْسُدُهُ عَنْ قَلِيلٍ مِنْ عَدِيدِ الْهَلَكَةِ . وَعَاشِرُهَا مَنْ عَلِمَ أَنَّ كَلَامَهُ

من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه لاريب أن الكلام عمل من الأعمال وفعل من الأفعال فكما يستهجن من الإنسان ألا يزال يحرك يده و إن كان عابثا كذلك يستهجن ألا يزال يحرك لسانه فيما هو عبث أو يجرى مجرى العبث . و قال الشاعر يخوض أناس في الكلام ليوزوا || وللصمت في بعض الأحيان أوجز إذا كنت عن أن تحسن الصمت عاجزا || فأنت عن الإبلاغ في القول أعجز [صفحة ٢٦٦]

٣٥٦

لِلظَّالِمِ مِنَ الرِّجَالِ ثَلَاثُ عَلَامَاتٍ يَظْلِمُ مَنْ فَوْقَهُ بِالْمَعْصِيَةِ وَ مَنْ دُونَهُ بِالْعَلْبَةِ وَ يُظَاهِرُ الْقَوْمَ الظَّالِمَةَ يُمْكِنُ أَنْ يَفْسِرَ هَذَا الْكَلَامَ عَلَى وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنْ كُلِّ مِنْ وَجَدَتْ فِيهِ إِحْدَى هَذِهِ الثَّلَاثِ فَهُوَ ظَالِمٌ إِمَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ وَجِبَتْ عَلَيْهِ طَاعَةٌ مِنْ فَوْقِهِ فَعَصَاهُ فَهُوَ بَعْضِيَانَهُ ظَالِمٌ لَهُ لِأَنَّهُ قَدْ وَضَعَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَالظُّلْمُ فِي أَصْلِ اللَّغَةِ هُوَ هَذَا الْمَعْنَى وَلِذَلِكَ سَمَوْا اللَّبْنَ يَشْرَبُ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ الرُّوبَ مَظْلُومًا لِأَنَّ الشَّرْبَ مِنْهُ كَانَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ إِذَا لَمْ يَرْبُ وَ لَمْ يَخْرُجْ زَيْدُهُ فَكَذَلِكَ مِنْ عَصَى مِنْ فَوْقِهِ فَقَدْ زَحَزَحَهُ عَنْ مَقَامِهِ إِذْ لَمْ يَطْعَهُ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ قَهَرَ مِنْ دُونِهِ وَغَلَبَهُ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ ظَاهَرَ الظُّلْمَةَ. وَالْوَجْهَ الثَّانِي أَنْ كُلِّ ظَالِمٍ فَلَا يَبْدُ مِنْ اجْتِمَاعِ هَذِهِ الْعَلَامَاتِ الثَّلَاثِ فِيهِ وَ هَذَا هُوَ الْأُظْهَرُ [صفحة ٢٦٧]

٣٥٧

عِنْدَ تَنَاهِي الشَّدَّةِ تَكُونُ الْفَرَجَةُ وَ عِنْدَ تَضَائِقِ حَلْقِ الْبَلَاءِ يَكُونُ الرَّخَاءُ كَانَ يُقَالُ إِذَا اشْتَدَّ الْمَضِيقُ اتَّسَعَتِ الطَّرِيقُ وَ كَانَ يُقَالُ تَوَقَّعُوا الْفَرَجَ عِنْدَ ارْتِجَاجِ الْمَخْرَجِ وَ قَالَ الشَّاعِرُ إِذَا بَلَغَ الْحَوَادِثُ مَنْتَهَاهَا || فَرَجٌ بَعِيدٌ الْفَرَجُ الْمَطْلَاقُ فَكَمْ كَرَبٌ تَوَلَّى إِذْ تَوَالَى || وَ كَمْ خَطَبٌ تَجَلَّى حِينَ جَلَّى . وَ فِي الْأَثَرِ تَضَائِقِي تَنْفَرَجِي سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ الْعَسْرِ يَسْرًا. وَالْفَرَجَةُ بِفَتْحِ الْفَاءِ التَّفْصِيصُ مِنَ الْهَمِّ قَالَ الشَّاعِرُ رُبَّمَا تَجْزَعُ النُّفُوسُ مِنَ الْأَمْرِ || لَهُ فَرَجَةٌ كَحَلِّ الْعُقَالِ فَأَمَّا الْفَرَجَةُ بِالضَّمِّ فَفَرَجَةُ الْحَائِطِ وَ مَا أَشْبَهَهُ [صفحة ٢٦٨]

٣٥٨

وَ قَالَ عَ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ لَا تَجْعَلَنَّ أَكْثَرَ شُغْلِكَ بِأَهْلِكَ وَ وَ لِدِكَ فَإِنْ يَكُنْ أَهْلُكَ وَ وَ لِدُكَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَوْلِيَاءَهُ وَ إِنْ يَكُونُوا أَعْدَاءَ اللَّهِ فَمَا هَمُّكَ وَ شُغْلُكَ بِأَعْدَاءِ اللَّهِ قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ نَحْوَ هَذَا الْمَعْنَى وَ هُوَ أَمْرٌ بِالتَّفْوِيضِ وَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فَيَمُنْ يَخْلِفُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ وَلَدِهِ وَأَهْلِهِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْلَمُ بِالمَصْلِحَةِ وَأَرْأَفُ بِالْإِنْسَانِ مِنْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ ثُمَّ إِنْ كَانَ الْوَلَدُ فِي عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَلِيًّا مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ سَبَّحَانَهُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَضِيْعُهُ قَالَ سَبَّحَانَهُ وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ وَ كُلُّ وَلِيٍّ لِلَّهِ فَهُوَ مَتَوَكَّلٌ عَلَيْهِ لِامْحَالَةِ وَ إِنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ لَمْ يَجْزِ الْإِهْتِمَامُ لَهُ وَ الْإِعْتِنَاءُ بِأَمْرِهِ لِأَنَّ أَعْدَاءَ اللَّهِ تَجِبُ مَقَاتَعَتُهُمْ وَيُحْرَمُ تَوَلِّيُّهُمْ فَعَلَى كُلِّ حَالٍ لَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَحْفَلَ بِأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ . وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا كَلَامَ الْعَارِفِينَ الصَّادِقِينَ لِأَنَّ هَذِهِ الطَّبَقَاتُ الَّتِي نَعْرِفُهَا فَإِنَّ هَذِهِ الطَّبَقَاتُ تَقْصُرُ أَقْدَامَهُمْ عَنِ الْوَصُولِ إِلَى هَذَا الْمَقَامِ . وَيَعْجِبُنِي قَوْلُ الشَّاعِرِ - قُرْآن - ٢٨٣-٣٢٦ أَيَا جَامِعِ الْمَالِ وَفَرْتَهُ || لِغَيْرِكَ إِذْ لَمْ تَكُنْ خَالِدًا فَإِنْ قُلْتَ أَجْمَعُهُ لِلْبَنِينَ || فَقَدْ يَسْبِقُ الْوَلَدُ الْوَالِدَ وَ إِنْ قُلْتَ أَخْشَى صُرُوفَ الزَّمَانِ || فَكُنْ مِنْ تَصَارِيفِهِ وَاحِدًا [صفحة ٢٦٩]

٣٥٩

أكبر العيب أن تعيب ما فيك مثله قد تقدم هذا المعنى مرارا وقال الشاعر إذا أنت عبت الأمر ثم أتيته || فأنت و من تترى عليه سواء [صفحة ٢٧٠]

٣٦٠

و هُنَا بِحَضْرَتِهِ رَجُلٌ رَجُلًا آخَرَ بَعْلَامٌ وُلِدَ لَهُ فَقَالَ لَهُ لِيَهْنِكَ الْفَارِسُ فَقَالَ عَ لَا تَقُلْ ذَلِكَ وَ لَكِنْ قُلْ شَكَرْتُ الْوَاهِبَ وَ بَوْرِكَ لَكَ فِي الْمَوْهُوبِ وَ بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ رُزِقَتْ بَرَّهُ هَذِهِ كَلِمَةٌ كَانَتْ مِنْ شِعَارِ الْجَاهِلِيَّةِ فَهِيَ عَنْهَا كَمَا نَهَى عَنْ تَحِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ أُبَيْتِ اللَّعْنَ وَ جَعَلَ عَوْضَهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ . وَ قَالَ رَجُلٌ لِلْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَ قَدْبَشْرَةَ بَعْلَامٌ لِيَهْنِكَ الْفَارِسُ فَقَالَ بَلِ الرَّاجِلُ ثُمَّ قَالَ لِمَرْحَبَا بِمَنْ إِنْ عَاشَ كَدْنِي وَ إِنْ مَاتَ هَدْنِي وَ إِنْ كُنْتُ مَقْلًا أَنْصِبْنِي وَ إِنْ كُنْتُ غَنِيًا أَذْهَلْنِي ثُمَّ لِأَرْضِي بِسَعْيِي لَهُ سَعْيًا وَ لِابْكُدِي عَلَيْهِ فِي الْحَيَاةِ كَدَا حَتَّى أَشْفَقَ عَلَيْهِ بَعْدَ مَوْتِي مِنَ الْفَاقَةِ وَ أَنَا فِي حَالٍ لَا يَصِلُ إِلَى مِنْ فَرَحِهِ سُرُورٌ وَ لَا مِنْ هَمِّهِ حُزْنٌ [صفحة ٢٧١]

٣٦١

وَ بَنَى رَجُلٌ مِنْ عُمَّالِهِ بِنَاءً فَخْمًا فَقَالَ عَ أَطْلَعَتِ الْوَرِقُ رُءُوسَهَا إِنْ الْبِنَاءُ يَصِفُ لَكَ الْغَنَى قَدْرُوبِتِ هَذِهِ الْكَلِمَةُ عَنْ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْهُ ذِكْرٌ ذَلِكَ ابْنُ قَتَيْبَةَ فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ . وَ رَوَى عَنْهُ أَيْضًا لِي عَلِيٌّ كُلُّ خَائِنٍ أَمِينَانَ الْمَاءِ وَالطَّيْنِ . قَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ لِابْنِهِ جَعْفَرِ بْنِ أَخِي أَخِي بِبَغْدَادٍ لِيَبْنِيهَا هِيَ قَمِيصُكَ فَإِنْ شِئْتَ فَوَسَّعَهُ وَ إِنْ شِئْتَ فَضَيَّقَهُ . وَ رَأَاهُ وَ هُوَ يَجْصَصُ حَيْطَانَ دَارِهِ الْمَبْنِيَّةِ بِالْأَجْرِ فَقَالَ لَهُ إِنَّكَ تَغْطِي الْذَهَبَ بِالْفِضَّةِ فَقَالَ جَعْفَرُ لَيْسَ فِي كُلِّ مَكَانٍ يَكُونُ الذَّهَبُ خَيْرًا مِنَ الْفِضَّةِ وَلَكِنْ هَلْ تَرَى عَيْبًا قَالَ نَعَمْ مَخَالَطَتَهَا دُونَ السُّوقَةِ . وَقِيلَ لِزَيْدِ بْنِ الْمُهَلَّبِ أَلَا يَبْنِي الْأَمِيرُ دَارًا فَقَالَ مَنزِلِي دَارَ الْإِمَارَةِ أَوْ الْحَبْسِ . وَ كَانَ يُقَالُ فِي الدَّارِ لِتَكُنْ أَوَّلَ مَا يَتَّبَعُ وَ آخِرَ مَا يَتَّبَعُ . وَ مَرَّ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ بِآخِرٍ مِنْ أَصْحَابِهِمْ وَ هُوَ يَبْنِي دَارًا فَقَالَ مَنْ ذَا الَّذِي يَقِيمُ كَفِيلًا وَقَالُوا كُلُّ مَا يَخْرُجُ بِخُرُوجِكَ وَ يَرْجِعُ بِرُجُوعِكَ كَالدَّارِ وَالنَّخْلِ وَ نَحْوَهُمَا فَهُوَ كَفِيلٌ [صفحة ٢٧٢]

٣٦٢

وَ قِيلَ لَهُ عَ لَوْ سَدَّ عَلَيَّ رَجُلٌ بَابَ بَيْتِي وَ تَرَكْتُ فِيهِ مِنْ أَيْنَ كَانَ يَأْتِيهِ رِزْقُهُ فَقَالَ عَ مِنْ حَيْثُ يَأْتِيهِ أَجَلُهُ لَيْسَ يَعْنِي عَ أَنْ كُلَّ مَنْ يَسُدُّ عَلَيْهِ بَابَ بَيْتٍ فَإِنَّهُ لَا يَبْدَأُ أَنْ يَرْزُقَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِأَنَّ الْعِيَانَ وَالْمَشَاهِدَةَ تَقْتَضِي خِلَافَ ذَلِكَ وَ مَا رَأَيْنَا مِنْ سَدِّ عَلَيْهِ بَابَ بَيْتٍ مَدَّةً طَوِيلَةً فَعَاشَ وَ لَا يَرِيبُ أَنْ مِنْ شَقِّ أَسْطَوَانَةٍ وَ جَعَلَ فِيهَا حَيَاةً ثُمَّ بَنِيَ الْأَسْطَوَانَةَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يَمُوتُ مَخْتَنِقًا وَ لَا يَأْتِيهِ رِزْقُهُ وَ لِأَنَّ الْحِكْمَاءَ أَنْ يَقُولُوا فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الْمَوْضِعَيْنِ إِنْ أَجَلُهُ إِنْ يَأْتِيهِ لِأَنَّ الْأَجَلَ عَدَمُ الْحَيَاةِ وَالْحَيَاةُ تَعْدَمُ لِعَدَمِ مَا يَوْجِبُهَا وَ الَّذِي يَوْجِبُ اسْتِمْرَارَهَا الْغَدَاءُ فَلَمَّا انْقَطَعَ الْغَدَاءُ حَضَرَ الْأَجَلَ فَهَذَا هُوَ الْوَجْهُ الَّذِي يَأْتِيهِ مِنْهُ أَجَلُهُ وَ لِاسْتِثْنَاءٍ إِلَى ذِكْرِ مِثْلِهِ فِي حُضُورِ الرِّزْقِ لِمَنْ يَسُدُّ عَلَيْهِ الْبَابَ . فَإِذَا مَعْنَى كَلَامِهِ عَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا عَلِمَ فِيمَنْ يَجْعَلُ فِي دَارِهِ وَيَسُدُّ عَلَيْهِ بَابَهَا أَنْ فِي بَقَاءِ حَيَاتِهِ لَطْفًا لِبَعْضِ الْمَكْلُفِينَ فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَدِيمَ حَيَاتِهِ كَمَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ إِمَّا بِغَدَاءٍ يَقِيمُ بِهِ مَادَّةَ حَيَاتِهِ أَوْ [صفحة ٢٧٣] يَدِيمُ حَيَاتِهِ بِغَيْرِ سَبَبٍ وَ هَذَا هُوَ الْوَجْهُ الَّذِي مِنْهُ يَأْتِيهِ أَجَلُهُ أَيْضًا لِأَنَّ إِمَاتَةَ اللَّهِ الْمَكْلُفِ أَمْرٌ تَابِعٌ لِلْمَصْلَحَةِ لِأَنَّهُ لَا يَبْدَأُ مِنْ انْقِطَاعِ التَّكْلِيفِ عَلَى كُلِّ حَالٍ لِلْوَجْهِ الَّذِي يَذْكُرُهُ أَصْحَابُنَا فِي كِتَابِهِمْ فَإِذَا كَانَ الْمَوْتُ تَابِعًا لِلْمَصْلَحَةِ وَ كَانَ الْإِحْيَاءُ تَابِعًا لِلْمَصْلَحَةِ فَقَدْ أَتَى الْإِنْسَانَ رِزْقُهُ يَعْنِي حَيَاتُهُ مِنْ حَيْثُ يَأْتِيهِ أَجَلُهُ وَ انْتِظَمَ الْكَلَامُ [صفحة ٢٧٤]

وَ عَزَى قَوْمًا عَنْ مَيِّتٍ مَاتَ لَهُمْ فَقَالَ عِ إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَيْسَ بِكُمْ بَدَأَ وَ لَا إِلَيْكُمْ انْتَهَى وَ قَدْ كَانَ صَاحِبُكُمْ هَذَا يُسَافِرُ فَقَالُوا نَعَمْ قَالَ
فَعُدُّوهُ فِي بَعْضِ سَفَرَاتِهِ فَإِنْ قَدِمَ عَلَيْكُمْ وَ إِلَّا قَدِمْتُمْ عَلَيْهِ قَدَأَلْمَ اِبْرَاهِيمَ بِنَ الْمَهْدَى بَبَعْضِ هَذَا فِي شَعْرِهِ أَلْذَى رَثَى بِهِ وَلَدَهُ فَقَالَ
يُتُوبُ إِلَى أَوْطَانِهِ كُلِّ غَائِبٍ || وَ أَحْمَدُ فِي الْغِيَابِ لَيْسَ يُتُوبُ تَبْدُلَ دَارِ غَيْرِ دَارِي وَ جِيرَةٍ || سِوَايَ وَ أَحْدَاثِ الزَّمَانِ تَنُوبُ أَقَامَ
بِهَامِسْتَوَطْنَا غَيْرَ أَنَّهُ || عَلَى طُولِ أَيَّامِ الْمَقَامِ غَرِيبٍ وَ إِنِّي وَ إِن قَدِمْتَ قَبْلِي لِعَالَمٍ || بَأْنِي وَ إِن أَبْطَأْتُ عَنْكَ قَرِيبٍ وَ إِن صَبَاحَا
نَلْتَقَى فِي مَسَائِهِ || صَبَاحَ إِلَى قَلْبِي الْغَدَاةَ حَبِيبٍ [صَفْحَه ٢٧٥]

أَيُّهَا النَّاسُ لِيَرَاكُمْ اللَّهُ مِنَ النَّعْمَةِ وَ جَلِيلِينَ كَمَا يَرَاكُمْ مِنَ النَّقْمَةِ فَرِقِينَ إِنَّهُ مَنْ وَسَّعَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ فَلَمْ يَرَ ذَلِكَ اسْتِدْرَاجًا فَقَدْ
أَمِنَ مَخُوفًا وَ مَنْ ضَمَّقَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ فَلَمْ يَرَ ذَلِكَ اخْتِبَارًا فَقَدْ ضَمَّيْعَ مَأْمُولًا قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي اسْتِدْرَاجِ الْمَتْرَفِ الْغَنِيِّ وَ اخْتِبَارِ
الْفَقِيرِ الشَّقِيِّ وَ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ وَ إِن كَانَ مَشْمُولًا بِالنَّعْمَةِ أَنْ يَكُونَ وَجَلًا كَمَا يَجِبُ عَلَيْهِ إِذَا كَانَ فَقِيرًا أَنْ يَكُونَ شَكُورًا
صَبُورًا [صَفْحَه ٢٧٦]

يَا أُسْرَى الرُّغْبَةِ اقْضِيُوا فَإِنَّ الْمُعْرَجَ عَلَى الدُّنْيَا لَا يَرُوعُهُ مِنْهَا إِلَّا صَرِيفُ أَنْيَابِ الْحِدَاثَانِ أَيُّهَا النَّاسُ تَوَلَّوْا عَنْ أَنْفُسِكُمْ تَأْدِيبَهَا وَ
اعْدِلُوا بِهَا عَنْ ضَرَايَةِ عَادَاتِهَا ضَرَى يَضْرِي ضَرَايَهُ مِثْلَ رَمَى يَرْمِي رَمَايَهُ أَى جَرَى وَسَالَ ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ وَ عَلَيْهِ يَنْبَغِي أَنْ
يَحْمَلَ كَلَامَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عِ أَى اعْدِلُوا بِهَا عَنْ عَادَاتِهَا الْجَارِيَةِ مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الصِّفَةِ إِلَى الْمَوْصُوفِ وَ هَذَا خَيْرٌ مِنْ تَفْسِيرِ
الرَّوَانْدِيِّ وَ قَوْلِهِ إِنَّهُ مِنْ ضَرَى الْكَلْبِ بِالصَّيْدِ لِأَنَّ الْمَصْدَرَ مِنْ ذَلِكَ الضَّرَاوَةَ بِالْوَاوِ وَ فَتَحَ الضَّادَ وَ لَمْ يَأْتِ فِيهِ ضَرَايَهُ. وَ قَوْلِهِ
يَأْسُرِي الرُّغْبَةَ كَلِمَةٌ فَصِيحَةٌ وَ كَذَلِكَ قَوْلُهُ لَا يَرُوعُهُ مِنْهَا إِلَّا صَرِيفُ أَنْيَابِ الْحِدَاثَانِ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْفَهْدَ إِذَا وَثَبَ وَ الذَّنْبَ إِذَا حَمَلَ
يَصْرَفُ نَابَهُ وَ يَقُولُونَ لِكُلِّ خَطْبٍ وَ دَاهِيَةٍ جَاءَتْ تَصْرَفُ نَابَهَا وَ الصَّرِيفُ صَوْتُ الْأَسْنَانِ إِذَا عُنْدَرَعْدَةٌ أَوْ عُنْدَشْدَةٌ الْغَضَبِ وَ الْحَقُّ
وَ الْحَرَصُ عَلَى الْإِنْتِقَامِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ. وَ قَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِي الدُّنْيَا وَ الرُّغْبَةِ فِيهَا وَ غَدَرُهَا وَ حَوَادِثُهَا وَ وَجُوبُ الْعُدُولِ عَنْهَا وَ كَسْرُ
عَادِيَةِ عَادَاتِ السُّوءِ الْمَكْتَسِبَةِ فِيهَا [صَفْحَه ٢٧٧]

لَمَا تَطَنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَحَدٍ سُوءًا وَ أَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مُحْتَمَلًا هَذِهِ الْكَلِمَةُ يَرُويهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لِعَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ
وَ يَرُويهَا بَعْضُهُمْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عِ وَ كَانَ ثَمَامَةُ يَحْدُثُ بِسُؤْدَدِ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ وَ ابْنِهِ جَعْفَرٍ وَ يَقُولُ إِنَّ الرَّشِيدَ نَكَبَ عَلَى بْنِ عَيْسَى
بِنِ مَاهَانَ وَ أَلْزَمَهُ مَائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ أَدَى مِنْهَا خَمْسِينَ أَلْفًا وَ بَلَغَ بِالْبَاقِي فَاقْسَمَ الرَّشِيدُ إِنَّ لَمْ يُوَدِّ الْمَالَ فِي بَقِيَةِ هَذَا الْيَوْمِ وَ إِلا قَتَلَهُ وَ
كَانَ عَلَى بْنِ عَيْسَى عَدَاوَةٌ لِلْبَرَامِكَةِ مَكَاشِفًا فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ مَقْتُولٌ سَأَلَ أَنْ يُمْكِنَ مِنَ السَّعْيِ إِلَى النَّاسِ يَسْتَنْجِدُهُمْ فَفَسَحَ لَهُ فِي
ذَلِكَ فَمَضَى وَمَعَهُ وَ كَيْلَ الرَّشِيدِ وَأَعْوَانِهِ إِلَى بَابِ يَحْيَى وَ جَعْفَرًا شَبْلًا عَلَيْهِ وَ صَحْحًا مِنْ صَلْبِ أَمْوَالِهِمَا خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ فِي
بَاقِي نَهَارِ ذَلِكَ الْيَوْمِ بَدِيوَانَ الرَّشِيدِ بِاسْمِ عَلَى بْنِ عَيْسَى وَ اسْتَخْلَصَاهُ فَنَقَلَ بَعْضَ الْمُتَنَصِّحِينَ لَهُمَا إِلَيْهِمَا أَنَّ عَلَى بْنِ عَيْسَى قَالَ

فى آخر نهار ذلك اليوم متمثلا فما بقيا على تركتمانى || ولكن خفتما صرد النبال [صفحه ٢٧٨] فقال يحيى للناقل إليه ذلك يا هذا إن المرعوب ليسبق لسانه إلى ما لم يخطر بقلبه . و قال جعفر و من أين لنا أنه تمثل بذلك وعنانا ولعله أراد أمرا آخر فكان ثمامة يقول ما فى الأرض أسود من رجل يتأول كلام عدوه فيه ويحمله على أحسن محامله . و قال الشاعر إذا ما أتت من صاحب لك زلة || فكن أنت محتالا لزلة عذرا [صفحه ٢٧٩]

٣٦٧

إِذَا كَانَتْ لَكَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ حَاجَةٌ فَابْدَأْ بِمَسْأَلَةِ الصَّيْلَمَةِ عَلَى رَسُولِهِ ص ثُمَّ سَلْ حَاجَتَكَ فَإِنَّ اللَّهَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ حَاجَتَيْنِ فَيَقْضِي إِحْدَاهُمَا وَيَمْنَعُ الْأُخْرَى هَذَا الْكَلَامُ عَلَى حَسَبِ الظَّاهِرِ الَّذِي يَعْتَارِفُهُ النَّاسُ بَيْنَهُمْ وَهُوَ عَسَلُكَ هَذَا الْمَسْلُوكَ كَثِيرًا وَيَخَاطِبُ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عَقُولِهِمْ وَ أَمَا بَاطِنُ الْأَمْرِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَصَلِي عَلَى النَّبِيِّ ص لِأَجْلِ دَعَائِنَا إِيَّاهُ أَنْ يَصَلِي عَلَيْهِ لِأَنَّ مَعْنَى قَوْلِنَا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ أَيْ أَكْرَمِهِ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ وَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ قَدْ قَضَى لَهُ بِالْإِكْرَامِ التَّامِ وَرَفَعَهُ الدَّرَجَةَ مِنْ دُونِ دَعَائِنَا وَإِنَّمَا تَعْبَدُنَا نَحْنُ بِأَنْ نَصَلِّيَ عَلَيْهِ لِأَنَّ لَنَا ثَوَابًا فِي ذَلِكَ لِأَنَّ إِكْرَامَ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ أَمْرٌ يَسْتَعْقِبُهُ وَيَسْتَتْبِعُهُ دَعَاؤُنَا . وَأَيْضًا فَأَيُّ غَضَاضَةٍ عَلَى الْكَرِيمِ إِذَا سَأَلَ حَاجَتَيْنِ فَقَضَى إِحْدَاهُمَا دُونَ الْأُخْرَى إِنْ كَانَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ غَضَاضَةٌ فَعَلِيهِ فِي رَدِّ الْحَاجَةِ الْوَاحِدَةِ غَضَاضَةٌ أَيْضًا [صفحه ٢٨٠]

٣٦٨

مَنْ ضَنَّ بِعَرَضِهِ فَلْيَدْعِ الْمِرَاءَ قَدْ تَقَدَّمَ مِنَ الْقَوْلِ فِي الْمِرَاءِ مَا فِيهِ كَفَايَةٌ وَحَدَّ الْمِرَاءُ الْجِدَالَ الْمَتَّصِلَ لَا يَقْصِدُ بِهِ الْحَقُّ . وَقِيلَ لِمَيْمُونِ بْنِ مَهْرَانَ مَا لَكَ لَا تَفَارِقُ أَخَا لَكَ عَنْ قَلْبِي قَالَ لِأَنِّي لَا أَشَارِيهِ وَلَا أَمَارِيهِ . وَ كَانَ يَقَالُ مَاضِلٌ قَوْمٌ بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى الْبِالْمِرَاءِ وَالْإِصْرَارِ فِي الْجِدَالِ عَلَى نَصْرَةِ الْبَاطِلِ . وَ قَالَ سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ لَجُوجًا مِمَّارِيًا مَعْجَبًا بِنَفْسِهِ فَقَدْ تَمَّتْ خَسَارَتُهُ [صفحه ٢٨١]

٣٦٩

مِنَ الْخُرْقِ الْمُعَاجِلَةِ قَبْلَ الْإِمْكَانِ وَ الْأَتَاءُ بَعْدَ الْفُرْصَةِ قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي هَذَيْنِ الْمَعْنَيْنِ . وَ مِنْ كَلَامِ ابْنِ الْمَعْتَزِ إِهْمَالُ الْفُرْصَةِ حَتَّى تَفُوتَ عَجْزًا وَ الْعَجَلَةُ قَبْلَ التَّمَكُّنِ خُرْقٌ . وَ قَدْ جَعَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَ كُلْتَا الْحَالَتَيْنِ خُرْقًا وَ هُوَ صَحِيحٌ لِأَنَّ الْخُرْقَ الْحَمَقَ وَقَلَّةَ الْعَقْلِ وَ كُلْتَا الْحَالَتَيْنِ دَلِيلٌ عَلَى الْحَمَقِ وَ النِّقْصِ [صفحه ٢٨٢]

٣٧٠

لَا تَسْأَلْ عَمَّا لَمْ يَكُنْ فِيهِ الَّذِي قَدْ كَانَ لَكَ شُغْلٌ مِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ فِي سَيْفِ الدَّوْلَةِ لَيْسَ الْمَدَائِحُ تَسْتَوْفِي مَنَاقِبَهُ || فَمَنْ كَلِبٌ وَ أَهْلُ الْأَعْصَرِ الْأَوَّلِ خَذَ مَا تَرَاهُ وَ دَعَى شَيْئًا سَمِعَتْ بِهِ || فِي طَلْعَةِ الْبَدْرِ مَا يَغْنِيكَ عَنْ زَحْلِ [صفحه ٢٨٣]

٣٧١

الفكر مرآة صافية و الاعتبار مندر ناصح و كفى أدبا لنفسك تجيبك ما كرهته لغيرك قد تقدم القول في نحو هذا و في المثل كفى بالاعتبار منذرا و كفى بالشيب زاجرا و كفى بالموت واعظا و قد سبق القول في وجوب تجنب الإنسان ما يكرهه من غيره . و قال بعض الحكماء إذا أحببت أخلاق امرئ فكنه و إن أبغضتها فلا تكنه أخذه شاعرهم فقال إذا أعجبتك خصال امرئ || فكنه يكن منك ما يعجبك فليس على المجد والمكرمات || إذا جئتها حاجب يحجبك [صفحہ ۲۸۴]

۳۷۲

العلم مقرون بالعمل فمن علم عملا و العلم يهتف بالعمل فإن أحب و إلا ارتحل عنه لا خير في علم بلا عمل والعلم بغير العمل حجة على صاحبه و كلام أمير المؤمنين ع يشعر بأنه لا عالم إلا و هو عامل ومراده بالعلم هاهنا العرفان و لا ريب أن العارف لا بد أن يكون عاملا. ثم استأنف فقال العلم يهتف بالعمل أى يناديه و هذه اللفظة استعارة. قال فإن أجابه و إلا ارتحل أى إن كان الإنسان عالما بالأمر الدينية ثم لم يعمل بهاسلبه الله تعالى علمه و لم يمت إلا و هو معدود في زمرة الجاهلين ويمكن أن يفسر على أنه أراد بقوله ارتحل ارتحلت ثمرته ونتيجته و هى الثواب فإن الله تعالى لا يثيب المكلف على علمه بالشرائع إذا لم يعمل بها لادن إخلاله بالعمل يحبط ما يستحقه من ثواب العلم لو قدرنا أنه استحق على العلم ثوابا و أتى به على الشرائط التى معها يستحق الثواب [صفحہ ۲۸۵]

۳۷۳

إشارة

أيها الناس متاع الدنيا حطام موبى فتجنبوا مرعاة قلعتها أحطى من طمأنينتها و بلغت أركى من ثروتها حكم على مكثريها بالفاقة و أغنى من غنى عنها بالزاحه من راقه زبرجها أعقت ناظريه كمها و من استشعر الشغف بها ملأت ضميره أشجانا لهن رقص على سويداء قلبه هم يشغلهم و غم يحزنه حتى يؤخذ بكظمه فيلقى بالفضاء منقطعاً أبهراً هيناً على الله فناؤه و على الإخوان إلقاءه و إنما ينظر المؤمن إلى الدنيا بعين الاعتبار و يقتات منها بطن الاضطراب و يسمع فيها بأذن المقوت و الإبغاض إن قيل أترى قيل أكدى و إن فرح له بالبقاء حزن له بالفناء هيدا و لم يأتهم يوم هم فيه ملبسون متاع الدنيا أموالها وقنيانها. والحطام ماتكسر من الحشيش والبيس وشبه متاع الدنيا بذلك لحقارته . وموبى محدث للوباء و هو المرض العام . ومرعاة بقعه ترعى كقولك مأسدة فيها الأسد ومحياء فيها الحيات . وقلعتها بسكون اللام خير من طمأنينتها أى كون الإنسان فيها منزعا متهيئا [صفحہ ۲۸۶] للرحيل عنها خير له من أن يكون ساكنا إليها مطمئنا بالمقام فيها. والبلغة ما يتبلغ به والثروة اليسار والغنى وإنما حكم على مكثريها بالفاقة والفقير لأنهم لا ينتهون إلى حد من الثروة والمال إلا وجدوا واجتهدوا وحرصوا فى طلب الزيادة عليه فهم فى كل أحوالهم فقراء إلى تحصيل المال كما أن من لا مال له أصلا يجد ويجتهد فى تحصيل المال بل ربما كان جدهم وحرصهم على ذلك أعظم من كدح الفقير وحرصه وروى وأعين من غنى عنها و من رواه أغنى أى أغنى الله من غنى عنها وزهد فيها بالراحة وخلق البال وعدم الهم والغم . والزبرج الزينة وراقه أعجبه . والكمه العمى الشديد وقيل هو أن يولد أعمى . والأشجان الأحزان . والرقص بفتح القاف الاضطراب والغليان والحركة. والكظم بفتح الظاء مجرى النفس . والأبهران عرقان متصلان بالقلب ويقال للميت قدانقطع أبهراه . قوله وإنما ينظر المؤمن إخبار فى الصورة وأمر فى المعنى أى لينظر المؤمن إلى الدنيا بعين الاعتبار وليأكل منها

بيطن الاضطراب أى قدر الضرورة لا احتكار أو استكثار وليسمع حديثها بأذن المقت والبغض أى ليتخذها عدوا قد صاحبه فى طريق فلأخذ حذره منه جهده وطاقته وليسمع كلامه وحديثه لاستماع مصغ ومحب وامق بل استماع مبغض محترز من غائلته . [صفحہ ۲۸۷] ثم عاد إلى وصف الدنيا وطالبها فقال إن قيل أثرى قيل أكدى وفاعل أثرى هو الضمير العائد إلى من استشعر الشغف بها يقول بينا يقال أثرى قيل افتقر لأن هذه صفة الدنيا فى تقلبها بأهلها و إن فرح له بالحياة ودوامها قيل مات وعدم هذا و لم يأتهم يوم القيامة يوم هم فيه ملبسون ألبس الرجل يلبس إلباسا أى قنط ويثس واللفظ من لفظات الكتاب العزيز

نبد من الأقوال الحكيمه فى وصف حال الدنيا و صروفها

و قد ذكرنا من حال الدنيا و صروفها و غدرها بأهلها فيما تقدم أبوابا كثيرة نافع. ونحن نذكر هاهنا زيادة على ذلك . فمن كلام بعض الحكماء وبل لصاحب الدنيا كيف يموت و يتركها و تغره و يأمنها و يتخذله و يثق بها و يول للمغترين كيف أرتهم ما يكرهون و فاتهم ما يحبون و جاءهم ما يوعدون و يل لمن الدنيا همه و الخطايا عمله كيف يفتضح غدا بذنبه . و روى أنس قال كانت ناقة رسول الله ص العصابة لا تسبق فجاء أعرابى بناقة له فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال رسول الله ص حق على الله ألا يرفع فى الدنيا شيئا إلا و وضعه -رواية- ۱- ۲-رواية- ۱۷- ۱۷۹ . و قال بعض الحكماء من ذا الذى يبنى على موج البحر دارا تلکم الدنيا فلا تتخذوها قرارا . [صفحہ ۲۸۸] و قيل لحكيم علمنا عملا واحدا إذا عملناه أحبنا الله عليه فقال أبغضوا الدنيا يحييكم الله . و قال أبو الدرداء قال رسول الله ص لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا و لبيكتم كثيرا و لهانت عليكم الدنيا و لآثرتم الآخرة -رواية- ۱- ۲-رواية- ۳۹- ۱۲۵ . ثم قال أبو الدرداء من قبل نفسه أيها الناس لو تعلمون ما أعلم لخرجتم إلى الصعدات تبكون على أنفسكم و لتركتم أموالكم لاحارس لها و لا تراجع إليها إلا ما لا بد لكم منه و لكن غاب عن قلوبكم ذكر الآخرة و حضرها الأمل فصارت الدنيا أملك بأعمالكم و صرتم كالذين لا يعلمون فبعضكم شر من البهائم التى لا تدع هواها مالكم لا تحابون و لا تناصحون فى أموركم و أنتم إخوان على دين واحد مافرق بين أهوائكم إلا خبث سرائركم و لو اجتمعتم على البر لتحاببتم مالكم لا تناصحون فى أموركم ما هذا إلا من قلة الإيمان فى قلوبكم و لو كنتم توفنون بأمر الآخرة كما توفنون بالدنيا لآثرتم طلب الآخرة فإن قلت حب العاجلة غالب فإننا نراكم تدعون العاجل من الدنيا للأجل منها مالكم تفرحون باليسير من الدنيا و تحزنون على اليسير منها بفوتكم حتى يتبين ذلك فى وجوهكم و يظهر على ألسنتكم و تسمونها المصائب و تقيمون فيها المآتم و عامتكم قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لا يتبين ذلك فى وجوههم و لا تتغير حال بهم يلقي بعضهم بعضا بالمسرة و يكره كل منكم أن يستقبل صاحبه بما يكره مخافة أن يستقبله صاحبه بمثله فاصطحبتم على الغل و بنيتم مراعيكم على الدمن و تصافيتم على رفض الأجل أراحنى الله منكم و ألحقنى بمن أحب رؤيته . و قال حكيم لأصحابه ارضوا بدنئ الدنيا مع سلامة الدين كما رضى أهل الدنيا بدنئ الدين مع سلامة الدنيا . [صفحہ ۲۸۹] و قيل فى معناه أرى رجالا - بأدنى الدين قد قنعوا || و لأراهم رضوا فى العيش بالدون فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى || الملوك بدنياهم عن الدين فى الحديث المرفوع لتأينكم بعدى دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب -رواية- ۱- ۲-رواية- ۲۳- ۸۱ . و قال الحسن رحمه الله أدركت أقواما كانت الدنيا عندهم و ديعه فأدوها إلى من اتتمنهم عليها ثم ركضوا خفافا . و قال أيضا من نافسك فى دينك فنافسه و من نافسك فى دنياك فألقها فى نحره . و قال الفضيل طالت فكرتى فى هذه الآية إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا و إنا لجاعلون ما عليها صعيدا مجرزا . و من كلام بعض الحكماء لن تصيح فى شىء من الدنيا إلا و قد كان له أهل قبلك و يكون له أهل من بعدك و ليس لك من الدنيا إلا عشاء ليلة و غداء يوم فلا تهلك نفسك فى أكله و صم عن الدنيا و أفرط على الآخرة فإن رأس مال الدنيا الهوى

وربحها النار. وقيل لبعض الرهبان كيف ترى الدهر قال يخلق الأبدان ويجدد الآمال ويقرب المنية ويباعد الأمانة قيل فما حال أهله قال من ظفر به تعب و من فاته اكتأب . و من هذا المعنى قول الشاعر -قرآن- ٢٣٠-٣٥٨ و من يحمد الدنيا لعيش يسره || فسوف لعمرى عن قليل يلومها [صفحة ٢٩٠] إذا أدبرت كانت على المرء حسرة || و إن أقبلت كانت كثيرا همومها . و قال بعض الحكماء كانت الدنيا و لم أكن فيها و تذهب الدنيا و لا أكون فيها و لست أسكن إليها فإن عيشها نكد و صفوها كدر و أهلها منها على و جل إما بنعمة زائلة أو بليية نازلة أو ميتة قاضية . و قال بعضهم من عيب الدنيا أنها لا تعطى أحدا ما يستحق إما أن تزيد له و إما أن تنقص . و قال سفیان الثوري أ ماترون النعم كأنها مغضوب عليها قد وضعت فى غير أهلها . و قال يحيى بن معاذ الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيئا فإنه يجيء فى طلبك حتى يأخذك . و قال الفضيل لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان ينبغى لنا أن نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف و قد اخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى . و قال بعضهم ما أصبح أحد فى الدنيا إلا و هو ضيف و لاشبهه فى أن الضيف مرتحل و ما أصبح ذو مال فيها إلا و ماله عارية عنده و لا ريب أن العارية مردودة . و مثل هذا قول الشاعر و مال المال و الأهلون إلا و ديعه || و لا بد يوما أن ترد الودائع . و قيل لإبراهيم بن أدهم كيف أنت فأنت قد نزع دينانا بتمزيق ديننا || فلا ديننا يبقى و لا مانزق [صفحة ٢٩١] و زار رابعة العدوية أصحابها فذكروا الدنيا فأقبلوا على ذمها فقالت اسكتوا عن ذكرها و كفوا فلو لا موقعها فى قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها إن من أحب شيئا أكثر من ذكره . و قال مطرف بن الشخير لا تنتظروا إلى خفض عيش الملوك و لين رياشهم و لكن انظروا إلى سرعة ظعنهم و سوء منقلبهم . قال الشاعر أرى طالب الدنيا و إن طال عمره || و نال من الدنيا سرورا و أنعموا كيان بنى بنيانه فأقامه || فلما استوى ما قد بناه تهديما . و قال أبو العتاهية تعالى الله يا سلم بن عمرو || أذل الحرص أعناق الرجال هب الدنيا تساق إليك عفوا || أليس مصير ذلك إلى الزوال و مادنياك إلا مثل فىء || أظلك ثم آذن بانتقال . و قال بعضهم الدنيا جيفة فمن أراد منها شيئا فليصبر على معاشره الكلاب . و قال أبو أمامة الباهلى لما بعث الله محمداص أتت إبليس جنوده و قالوا قد بعث نبي و جدت مله و أمه فقال كيف حالهم أيجبون الدنيا قالوا نعم قال إن كانوا يجونها فلا بألى ألا يعبدوا الأصنام فإنما أغدو عليهم و أروح بثلاث أخذ المال من غير حقه و إنفاقه فى غير حقه و إمساكه عن حقه و الشر كله لهذه الثلاث تبع . و كان مالك بن دينار يقول اتقوا السحارة فإنها تسحر قلوب العلماء يعنى الدنيا. [صفحة ٢٩٢] و قال أبو سليمان الرازى إذا كانت الآخرة فى القلب جاءت الدنيا فزاحمتها و إذا كانت الدنيا فى القلب لم تراحمها الآخرة لأن الآخرة كريمة و الدنيا لثيمة . و قال مالك بن دينار بقدر ماتحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك و بقدر ماتحزن للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك و هدامقتبس من قول أمير المؤمنين ع الدنيا و الآخرة ضرتان فبقدر ماترضى إحداهما تسخط الأخرى -رواية ١-٢-رواية ٢٩-٨٦ . و قال الشاعر يا خاطب الدنيا إلى نفسها || تنح عن خطبتها تسلم إن التى تخطب غدارة || قريبة العرس من المأتم . و قالوا لو وصفت الدنيا نفسها لما قالت أحسن من قول أبى نواس فيها إذا امتحن الدنيا لبيب تكشف || له عن عدو فى ثياب صديق . و من كلام الشافعى يعظ أخاه يا أخى إن الدنيا دحض مزلة و دار مذلة عمرانها إلى الخراب سائر و ساكنها إلى القبور زائر شملها على الفرقة موقوف و غناها إلى الفقر مصروف الإكثار فيها إعسار و الإعسار فيها يسار فافزع إلى الله و ارض برزق الله و لا تستسلف من دار بقائك فى دار فنائك فإن عيشك فىء زائل و جدار مائل أكثر من عملك و أقصر من أملك . و قال إبراهيم بن أدهم لرجل أدرهم فى المنام أحب إليك أم دينار فى اليقظة فقال دينار فى اليقظة فقال كذبت إن الذى تحبه فى الدنيا فكأنك تحبه فى المنام و الذى تحبه فى الآخرة فكأنك تحبه فى اليقظة . و قال بعض الحكماء من فرح قلبه بشيء من الدنيا فقد أخطأ الحكمة و من [صفحة ٢٩٣] جعل شهوته تحت قدميه فرق الشيطان من ظله و من غلب علمه هواه فهو الغالب . و قال بعضهم الدنيا تبغض إلينا نفسها و نحن نحبها فكيف لو تحببت إلينا . و قال بعضهم الدنيا دار خراب و أخرج منها قلب من يعمرها و الجنة دار عمران و أعمر منها قلب من يطلبها . و قال يحيى بن معاذ العقلاء ثلاثة

من ترك الدنيا قبل أن تتركه وبنى قبره قبل أن يدخله وأرضى خالقه قبل أن يلقاه . و قال بعضهم من أراد أن يستغنى عن الدنيا بالدنيا كان كمطفئ النار بالتبن . و من كلام بعض فصحاء الزهاد أيها الناس اعملوا فى مهل وكونوا من الله على وجل و لا تغتروا بالأمل ونسيان الأجل و لا تركوا إلى الدنيا فإنها غدارة غرارة خداعة قد تزخرت لكم بغرورها وفتنتكم بأمانيتها و تزينت لخطابها فأضحت كالعروس المتجلىة العيون إليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة والنفوس لها عاشقة فكم من عاشق لها قتلت ومطمئن إليها خذلت فانظروا إليها بعين الحقيقة فإنها دار كثرت بوائقها وذمها خالقها جديدها يبلى وملكها يفنى وعزيزها يذل وكثيرها يقل وحيها يموت وخيرها يفوت فاستيقظوا من غفلتكم وانتبهوا من رقدتكم قبل أن يقال فلان عليل ومدنف ثقيل فهل على الدواء من دليل وهل إلى الطبيب من سبيل فتدعى لك الأطباء و لا يرجى لك الشفاء ثم يقال فلان أوصى وماله أحصى ثم يقال قد ثقل لسانه فما يكلم إخوانه و لا يعرف جيرانه و عرق عند ذلك جبينك وتتابع أنينك وثبت يقينك وطمحت جفونك و صدقت ظنونك وتلجلج لسانك وبكى إخوانك وقيل لك هذا البنك فلان و هذا أخوك [صفحہ ۲۹۴] فلان منعت من الكلام فلا تنطق و ختم على لسانك فلا ينطق ثم حل بك القضاء وانتزعت روحك من الأعضاء ثم عرج بها إلى السماء فاجتمع عند ذلك إخوانك وأحضرت أكفانك فغسلوك وكفنوك ثم حملوك فدفنوك فانقطع عوادك واستراح حسادك وانصرف أهلك إلى مالك و بقيت مرتها بأعمالك . و قال بعض الزهاد لبعض الملوك إن أحق الناس بدم الدنيا وقلها من بسط له فيها وأعطى حاجته منها لأنه يتوقع آفة تغدو على ماله فتجتاحه و على جمعه فتفرقه أو تأتي على سلطانه فتهدمه من القواعد أو تدب إلى جسمه فتسقمه أو تفجعه بشيء هو ضنين به من أحبابه فالدنيا الأحق بالدم وهى الآخذة ماتعطى الراجعة فيما تهب فينا هى تضحك صاحبها إذ أضحكت منه غيره وبيننا هى تبكى له إذ أبكت عليه وبيننا هى تبسط كفه بالإعطاء إذ بسطت كفها إليه بالاسترجاع والاسترداد تعقد التاج على رأس صاحبها اليوم وتعفره فى التراب غدا سواء عليها ذهاب من ذهب وبقاء من بقى تجد فى الباقي من الذاهب خلفا وترضى بكل من كل بدلا . و كتب الحسن البصرى إلى عمر بن عبدالعزیز أما بعد فإن الدنيا دار ظعن ليست بدار إقامة وإنما أنزل إليها عقوبه فاحذرهما فإن الزاد منها ربحها والغنى منها فقرها لها فى كل حين قتيل تذلل من أعزها وتفقر من جمعها هى كالسم يأكله من لا يعرفه و هو حفته فكن فيها كالمداوى جراحه يحمى قليلا مخافة ما يكرهه طويلا ويصبر على شدة الدواء مخافة طول البلاء فاحذر هذه الدنيا الغدارة المكاره الختالة الخداعة التى قد تزينت بخدعها وفتنت بغرورها وتحلت بأمالها وتشرفت لخطابها فأصبحت بينهم كالعروس تجلى على بعلا العيون إليها ناظرة والقلوب عليها والهة والنفوس لها عاشقة وهى لأزواجها كلهم قاتلة فلا الباقي بالماضى معتبر و لا الآخر بالأول مزدجر و لا العارف بالله حين أخبره عنها مدكر فمن عاشق لها قد [صفحہ ۲۹۵] ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى ونسى المعاد وشغل بهاله حتى زلت عنها قدمه فعظمت ندامته وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات الموت بألمه وحسرات الفوت بغصته و من راغب فيها لم يدرك منها ما طلب و لم يرح نفسه من التعب خرج منها بغير زاد وقدم على غير مهاد فاحذرهما ثم احذرهما وكن أسر ماتكون فيها أحذر ماتكون لها فإن صاحبها كلما اطمأن منها إلى سرور أشخصته إلى مكروه والसार منها لأهلها غار والنافع منها فى غد ضار قد وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل البقاء فيها للفقراء فسروها مشوب بالأحزان ونعيمها مكدر بالأشجان لا يرجع ماولى منها وأدبر و لا يدري ما هوأت فينتظر أمانيتها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها كدر وعيشها نكد والإنسان فيها على خطر إن عقل ونظر و هو من النعماء على غرر و من البلاء على حذر فلو كان الخالق لها لم يخبر عنها خبرا و لم يضرب لها مثلا لكانت هى نفسها قد أيقظت النائم ونبهت الغافل فكيف و قد جاء من الله عنها زاجر وبتصاريقها واعظ فما لها عند الله قدر و لا نظر إليها منذ خلقها ولقد عرضت على نبيك محمدص بمفاتيحها وخزائنها لا ينقصه ذلك عند الله جناح بعوضه فأبى أن يقبلها كره أن يخالف على الله أمره أو يحب ما أبغضه خالقه أو يرفع ما وضعه مليكه زواها الرب سبحانه عن الصالحين اختبارا وبسطها لأعدائه اغترارا فيظن المغرور بها المقتدر عليها أنه أكرم بها

وينسى ما صنع الله تعالى بمحمدص من شدة الحجر على بطنه و قد جاءت الرواية عنه عن ربه سبحانه أنه قال لموسى إذ رأيت الغنى مقبلا- فقل ذنب عجلت عقوبته و إذ رأيت الفقر مقبلا- فقل مرحبا بشعار الصالحين و إن شئت اقتديت بصاحب الروح والكلمة عيسى كان يقول إدامى الجوع وشعاري الخوف ولباسى الصوف وصلاتي في الشتاء مشارق الشمس وسراجي القمر ووسادى الحجر ودابتى رجلاى -رواية- ١-٢-رواية- ٤٠-إداهه دارد [صفحه ٢٩٦] وفاكتهى وطعامى ما أنبت الأرض أبيت و ليس لى شىء و ليس على الأرض أحد أغنى منى -رواية- از قبل- ٨٩ فى بعض الكتب القديمة أن الله تعالى لمابعث موسى وهارون ع إلى فرعون قال لا يروعنكما لباسه الذى لبس من الدنيا فإن ناصيته بيدى ليس ينطق و لا يطرّف و لا يتنفس إلا بذنى و لا يعجبكما مامتع به منها فإن ذلك زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين و لو شئت أن أزينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها أن مقدرته تعجز عما وهبما لفعلت ولكنى أرغب بكما عن ذلك وأزوى ذلك عنكما وكذلك أفعل بأوليائى إنى لأذودهم عن نعيمها كما يذود الراعى الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة و إنى لأجنبهم حب المقام فيها كما يجنب الراعى الشفيق إبله عن مبارك العر و ماذا لك لهوانهم على ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتى سالما موفورا إنما يتزين لى أوليائى بالذل والخضوع والخوف و إن التقوى لتثبت فى قلوبهم فتظهر على وجوههم فهى ثيابهم التى يلبسونها ودثارهم الذى يظهرهم وضميرهم الذى يستشعرون ونجاتهم التى بها يفوزون ورجاؤهم الذى إياه يأملون ومجدهم الذى به يفتخرون وسيماهم التى بها يعرفون فإذا لقيهم أحدكم فليخفص لهم جناحه وليذل لهم قلبه ولسانه وليعلم أنه من أخاف لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة ثم أنا لثائر به يوم القيامة -رواية- ١-٢-رواية- ٢٦-١٠٥٨ . و من كلام بعض الحكماء الأيام سهام و الناس أغراض والدهر يرمىك كل يوم بسهامه ويتخرمك بلياليه وأيامه حتى يستغرق جميع أجزاءك ويصمى جميع أعضاك فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الأيام بك وسرعة الليالى فى بدنك و لو كشف لك عما أحدثت الأيام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يأتى عليك واستقلت ممر الساعات بك ولكن تدبير الله تعالى فوق النظر والاعتبار. [صفحه ٢٩٧] و قال بعض الحكماء و قد استوصف الدنيا وقدر بقائها الدنيا وقتك الذى يرجع إليه طرفك لأن ماضى عنك فقد فاتك إدراكه و ما لم يأت فلا علم لك به والدهر يوم مقبل تنعاه ليلته وتطويه ساعاته وأحداثه تتوالى على الإنسان بالتغيير والنقصان والدهر موكل بتشتيت الجماعات وانخرام الشمل وتنقل الدول والأمل طويل والعمر قصير و إلى الله تصير الأمور. و قال بعض الفضلاء الدنيا سريعة الفناء قريبة الانقضاء تعد بالبقاء وتخلف فى الوفاء تنظر إليها فتراها ساكنة مستقرة وهى سائرة سيرا عنيفا ومرحلة ارتحالا سريعا ولكن الناظر إليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن إليها وإنما يحس بذلك بعد انقضائها ومثالها الظل فإنه متحرك ساكن متحرك فى الحقيقة وساكن فى الظاهر لا تدرى حر كته بالبصر الظاهر بل بالبصيرة الباطنة [صفحه ٢٩٨]

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَضَعَ الثَّوَابَ عَلَى طَاعَتِهِ وَ الْعِقَابَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ ذِيَادَةً لِعِبَادِهِ عَنِ نِقْمَتِهِ وَ حِيَاشَهُ لَهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ ذِيَادَةً أَى دَفَعَا ذَدْتَهُ عَنِ كَذَا أَى دَفَعْتَهُ وَرَدَدْتَهُ وَ حِيَاشَهُ مُصَدَّرٌ حَشْتُ الصَّيْدِ بَضْمُ الْحَاءِ أَحْوَشُهُ إِذَا جِئْتَهُ مِنْ حَوَالِيهِ لِنَصْرِفِهِ إِلَى الْحِبَالَةِ وَ كَذَلِكَ أَحَشْتُ الصَّيْدَ وَأَحْوَشْتَهُ وَ قَدَا حَتُّوشِ الْقَوْمِ الصَّيْدِ إِذَا نَفَرَهُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ . وَ هَذَا هُوَ مَذْهَبُ أَصْحَابِنَا إِنْ اللَّهُ تَعَالَى لِمَا كَلَّفَ الْعِبَادَ التَّكَالِيفَ الشَّاقَّةَ وَ قَدْ كَانَ يُمْكِنُهُ أَنْ يَجْعَلَهَا غَيْرَ شَاقَّةٍ عَلَيْهِمْ بِأَنْ يَزِيدَ فِي قَدْرِهِمْ وَ جَبَّ أَنْ يَكُونَ فِي مَقَابِلَةِ تِلْكَ التَّكَالِيفِ ثَوَابٌ لِأَنَّ الْإِزَامَ الْمَشَاقِّ كَأَنْزَالِ الْمَشَاقِّ فَكَمَا يَتَضَمَّنُ ذَلِكَ عَوْضًا وَ جَبَّ أَنْ يَتَضَمَّنَ هَذَا ثَوَابًا وَ لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ فِي مَقَابِلَةِ فِعْلِ الْقَبِيحِ عِقَابٌ وَ إِلَّا كَانَ سُبْحَانَهُ مُمْكِنًا الْإِنْسَانَ مِنَ الْقَبِيحِ مَغْرِيًا لَهُ بِفِعْلِهِ إِذْ الطَّبَعُ الْبَشَرِيُّ يَهْوَى الْعَاجِلَ وَ لَا يَحْفَلُ بِالذَّمِّ وَ لَا يَكُونُ

يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَى فِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رَسْمُهُ وَمِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا اسْمُهُ مَسَاجِدُهُمْ يَوْمئِذٍ عَامِرَةٌ مِنَ الْبِنَاءِ خَرَابٌ مِنَ الْهُدَى سُكَّانُهَا وَعُمَارُهَا شَرُّ أَهْلِ الْأَرْضِ مِنْهُمْ تَخْرُجُ الْفِتْنَةُ وَإِلَيْهِمْ تَأْوِي الْخَطِيئَةُ يَزِدُّونَ مَنْ شَدَّ عَنْهَا فِيهَا وَيَسُوقُونَ مَنْ تَأَخَّرَ عَنْهَا إِلَيْهَا يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فَبِي حَلَفْتُ لِأَبْعَثَنَّ عَلَى أَوْلَيْكَ فِتْنَةً أَتْرُكُ الْحَلِيمَ فِيهَا حَيْرَانَ وَقَدْ فَعَلَ وَنَحْنُ نَسْتَقِيلُ اللَّهَ عَثْرَةَ الْعَفْلَةِ هَذِهِ صِفَةُ حَالِ أَهْلِ الضَّلَالِ وَالْفِسْقِ وَالرِّيَاءِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ سُكَّانُهَا وَعُمَارُهَا يَعْنِي سُكَّانَ الْمَسَاجِدِ وَعُمَارَ الْمَسَاجِدِ شَرُّ أَهْلِ الْأَرْضِ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ ضَلَالَةٍ كَمَنْ يَسْكُنُ الْمَسَاجِدَ الْآنَ مِمَّنْ يَعْتَقِدُ التَّجَسُّمَ وَالتَّشْبِيهَ وَالصُّورَةَ وَالنُّزُولَ وَالصُّعُودَ وَالْأَعْضَاءَ وَالجَوَارِحَ وَمَنْ يَقُولُ بِالْقَدْرِ يَضِيفُ فِعْلَ الْكُفْرِ وَالْجَهْلِ وَالْقِيحِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَكُلُّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ فِتْنَةٍ يَرُدُّونَ مَنْ خَرَجَ مِنْهَا إِلَيْهَا وَيَسُوقُونَ مَنْ لَمْ يَدْخُلْ فِيهَا إِلَيْهَا أَيْضًا. ثُمَّ قَالَ حَاكِيَا عَنِ اللَّهِ تَعَالَى إِنَّهُ حَلَفَ بِنَفْسِهِ لِيَبْعَثَنَّ عَلَى أَوْلَيْكَ فِتْنَةً يَعْنِي اسْتِثْصَالَ وَسَيْفًا حَاصِدًا يَتْرُكُ الْحَلِيمَ أَيْ الْعَاقِلَ اللَّيِّبَ فِيهَا حَيْرَانَ لَا يَعْلَمُ كَيْفَ وَجْهَ خِلَاصِهِ. ثُمَّ قَالَ ع وَكَدْفَعَلْ وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَدْ قَالَ هَذَا الْكَلَامَ فِي أَيَّامِ خِلَافَتِهِ لِأَنَّهَا كَانَتْ أَيَّامَ السَّيْفِ الْمَسْلُطِ عَلَى أَهْلِ الضَّلَالِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَكَذَلِكَ مَا بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى بَنِي أُمَيَّةٍ وَأَتْبَاعِهِمْ مِنْ سَيُوفِ بَنِي هَاشِمٍ بَعْدَ انْتِقَالِهِ ع [صفحة ٣٠٠]

وَرُوي أَنَّهُ ع قَلَّمَ اعْتَدَلَ بِهِ الْمَيْبُتِ إِلَّا قَالَ أَمَامَ حُطْبَيْتِهِ أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ فَمَا خُلِقَ امْرُؤٌ عَبْتًا فَيَلْهُوْ وَ لَا تُرِكَ سُدَى فَيَلْغُوْ وَ مَا دُنْيَاهُ الَّتِي تَحْسَبْتُمْ لَهُ بِخَلْفٍ مِنَ الْآخِرَةِ الَّتِي قَبِحَهَا سُوءُ النَّظَرِ عِنْدَهُ وَ مَا الْمَغْرُورُ الَّذِي ظَفَرَ مِنَ الدُّنْيَا بِأَعْلَى هِمَّتِهِ كَالْآخِرِ الَّذِي ظَفَرَ مِنَ الْآخِرَةِ بِأَدْنَى سَهْمَتِهِ قَالَ تَعَالَى أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبْتًا وَ أَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ. وَ قُرْآن-١٣-٨٤ مِنْ الْكَلِمَاتِ النَّبَوِيَّةِ أَنْ الْمَرْءَ لَمْ يَتْرِكْ سُدَى وَ لَمْ يَخْلُقْ عَبْتًا -رواية-١-٢-رواية-٢٣-٦٣. وَ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع إِنْ مِنْ ظَفَرٍ مِنَ الدُّنْيَا بِأَعْلَى وَأَعْظَمِ أَمْنِيَّةٍ لَيْسَ كَأَخْرِ ظَفَرٍ مِنَ الْآخِرَةِ بِأَدُونِ دَرَجَاتِ أَهْلِ الثَّوَابِ لِامْتِنَانِهِ وَ لِاقْيَاسِ بَيْنِ نَعِيمِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَ فِي قَوْلِهِ ع الَّتِي قَبِحَهَا سُوءُ الْمَنْظَرِ عِنْدَهُ تَصْرِيحٌ بِمَذْهَبِ أَصْحَابِنَا أَهْلِ الْعَدْلِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ وَ هُوَ أَنَّ الْإِنْسَانَ هُوَ الَّذِي أَضَلَّ نَفْسَهُ لِسُوءِ نَظَرِهِ وَ لَوْ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَضَلَّهُ لَمَا قَالَ قَبِحَهَا سُوءُ النَّظَرِ عِنْدَهُ [صفحة ٣٠١]

لَا شَرَفَ أَعْلَى مِنَ الْإِسْلَامِ وَ لَا عِزَّ أَعَزَّ مِنَ التَّقْوَى وَ لَا مَعْقِلَ أَحْسَنُ مِنَ الْوَرَعِ وَ لَا شَفِيعَ أَنْجَحُ مِنَ التَّوْبَةِ وَ لَا كَنْزَ أَعْنَى مِنَ الْفِتْنَةِ وَ لَمَّا مَالَ أَذْهَبُ لِلْفَاقَةِ مِنَ الرِّضَا بِالْقَوْتِ وَ مَنْ اِقْتَصَرَ عَلَى بُلْغَةِ الْكِفَافِ فَقَدْ اِنْتَضَمَ الرَّاحِيَةُ وَ تَبَوَّأَ خَفْضَ الدَّعِيَّةِ وَ الدَّعِيَّةُ مِفْتَاحُ النَّصَبِ وَ مَطِيئَةُ التَّعَبِ وَ الْحِرْصُ وَ الْكِبْرُ وَ الْحَسِيْدُ دَوَاعٍ إِلَى التَّقَحُّمِ فِي الذُّنُوبِ وَ الشَّرِّ جَامِعٌ لِمَسَاوِي الْعُيُوبِ كُلِّ هَذِهِ الْمَعَانِي قَدْ سَبَقَ الْقَوْلُ فِيهَا مَرَارًا شَتَّى نَأْتِي كُلَّ مَرَّةٍ بِمَا لَمْ نَأْتِ بِهِ فِيمَا تَقَدَّمَ وَإِنَّمَا يَكْررها أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَى الْمَكْلُفِينَ كَمَا يَكْرُرُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي الْقُرْآنِ الْمَوْاعِظَ وَالزَّوْجَرَ لِذَلِكَ كَانَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَالِسًا بَيْنَ النَّاسِ فَأَتَتْهُ امْرَأَتُهُ فَقَالَتْ أَنْتَ جَالِسٌ بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَ لَا وَاللَّهِ مَا عِنْدَنَا فِي الْبَيْتِ هَفْءٌ وَ لَأَسْفَهُ فَقَالَ يَا هَذِهِ إِنْ بَيْنَ أَيْدِينَا عَقْبَةُ كَثُودٍ لَا يَنْجُو مِنْهَا إِلَّا كُلُّ مَخْفٍ فَرَجَعَتْ وَ هِيَ رَاضِيَةٌ. [صفحة ٣٠٢] وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ مَا مَالِكٌ قَالَ التَّجَمُّلُ فِي الظَّاهِرِ وَالْقَصْدُ فِي الْبَاطِنِ وَالْغِنَى عَمَّا فِي

أيدى الناس . و قال أبو سليمان الداراني تنفس فقير دون شهوة لا يقدر عليها أفضل من عبادة غنى ألف عام . و قال رجل لبشر بن الحارث ادع لي فقد أضر الفقر بي وبيالي فقال إذا قال لك عيالك ليس عندنا دقيق و لا خبز فادع لبشر بن الحارث في ذلك الوقت فإن دعاءك أفضل من دعائه . و من دعاء بعض الصالحين اللهم إني أسألك ذل نفسي والزهد فيما جاوز الكفاف [صفحہ ۳۰۳]

۳۷۸

وَ قَالَ ع لَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ يَا جَابِرُ قِوَامُ الدِّينِ وَ الدُّنْيَا بِأَرْبَعَةٍ عَالِمٌ يَسْتَعْمِلُ عِلْمَهُ وَ جَاهِلٌ لَا يَسْتَنْكِفُ أَنْ يَتَعَلَّمَ وَ جَوَادٌ لَا يَبْخُلُ بِمَعْرُوفِهِ وَ فَقِيرٌ لَا يَبِيعُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاةٍ فَإِذَا ضَيَّعَ الْعَالِمُ عِلْمَهُ اسْتَنْكَفَ الْجَاهِلُ أَنْ يَتَعَلَّمَ وَ إِذَا بَخَلَ الْغَنِيُّ بِمَعْرُوفِهِ بَاعَ الْفَقِيرُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاةٍ يَا جَابِرُ مَنْ كَثُرَتْ نِعْمَتُهُ اللَّهُ عَلَيْهِ كَثُرَتْ حَوَائِجُ النَّاسِ إِلَيْهِ فَمَنْ قَامَ بِمَا يَجِبُ لِلَّهِ فِيهَا عَرَّضَ نِعْمَةَ اللَّهِ لِذَوَامِهَا وَ مَنْ ضَيَّعَ مَا يَجِبُ لِلَّهِ فِيهَا عَرَّضَ نِعْمَتَهُ لِزَوَالِهَا قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي هَذِهِ الْمَعَانِي وَ الْحَاصِلُ أَنَّهُ رُبَّمَا اثْنَتَيْنِ مِنْ أَرْبَعَةٍ إِحْدَاهُمَا بِالْأُخْرَى وَ كَذَلِكَ جَعَلَ فِي الْاِثْنَيْنِ الْآخَرَيْنِ فَقَالَ إِنْ قِوَامُ الدِّينِ وَ الدُّنْيَا بِأَرْبَعَةٍ عَالِمٌ يَسْتَعْمِلُ عِلْمَهُ يَعْنِي يَعْمَلُ وَ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى أَنْ يَعْلَمَ فَقَطْ وَ لَا يَعْمَلُ وَ جَاهِلٌ لَا يَسْتَنْكِفُ أَنْ يَتَعَلَّمَ وَ أَضْرَ مَا عَلَى الْجَهْلَاءِ الْاِسْتِنْكَافُ مِنَ التَّعَلُّمِ فَإِنَّهُمْ يَسْتَمِرُّونَ عَلَى الْجَهْلَانَةِ إِلَى الْمَوْتِ وَ الثَّلَاثُ جَوَادٌ لَا يَبْخُلُ بِالْمَعْرُوفِ وَ الرَّابِعُ فَقِيرٌ لَا يَبِيعُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاةٍ أَيْ لَا يَسْرِقُ وَ لَا يَقْطَعُ الطَّرِيقَ أَوْ يَكْتَسِبُ الرِّزْقَ مِنْ حَيْثُ لَا يَجِبُهُ اللَّهُ كَالْقِمَارِ وَ الْمَوَاطِرِ وَ الْمَزَاجِرِ وَ الْمَآصِرِ وَ نَحْوِهَا . [صفحہ ۳۰۴] ثُمَّ قَالَ فَالثَّانِيَةُ مُرْتَبِطَةٌ بِالْأُولَى إِذَا لَمْ يَسْتَعْمِلِ الْعَالِمُ عِلْمَهُ اسْتَنْكَفَ الْجَاهِلُ مِنَ التَّعَلُّمِ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْجَاهِلَ إِذَا رَأَى الْعَالِمَ يَعْصِي وَيُجَاهِرُ اللَّهُ بِالْفِسْقِ زَهَدٌ فِي التَّعَلُّمِ وَ قَالَ لِمَاذَا تَعَلَّمَ الْعَالِمُ إِذَا كَانَتْ ثَمَرَتُهُ الْفِسْقَ وَ الْمَعْصِيَةَ . ثُمَّ قَالَ وَ الرَّابِعَةُ مُرْتَبِطَةٌ بِالثَّلَاثَةِ إِذَا بَخَلَ الْغَنِيُّ بِمَعْرُوفِهِ بَاعَ الْفَقِيرُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاةٍ وَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ إِذَا عَدِمَ الْفَقِيرُ الْمَوَاسِيءَ مَعَ حَاجَتِهِ إِلَى الْقُوَّةِ دَعَتْهُ الضَّرُورَةُ إِلَى الدُّخُولِ فِي الْحَرَامِ وَ الْاِكْتِسَابِ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْسُنُ وَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَوْضَ لَفْظَةً جَوَادٌ لَفْظَةً غَنِيٌّ لِيَطَابِقَ أَوَّلُ الْكَلَامِ آخِرُهُ إِلَّا أَنَّ الرَّوَايَةَ هَكَذَا وَرَدَتْ وَ جَوَادٌ لَا يَبْخُلُ بِمَعْرُوفِهِ وَ فِي ضَمِيرِ اللَّفْظِ كَوْنُ ذَلِكَ الْجَوَادِ غَنِيًّا لِأَنَّهُ قَدْ جَعَلَ لَهُ مَعْرُوفًا وَ الْمَعْرُوفَ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنِ ظَهْرِ غَنِيٍّ وَ بَاقِي الْفَصْلِ قَدْ سَبَقَ شَرْحُ امْتِثَالِهِ [صفحہ ۳۰۵]

۳۷۹

وَ رَوَى ابْنُ جَبْرِ الطَّبْرِيِّ فِي تَارِيخِهِ عَنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى الْفَقِيهِ وَ كَانَ مِمَّنْ خَرَجَ لِقِتَالِ الْحِجَاجِ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ أَنَّهُ قَالَ فِيمَا كَانَ يُحْضِرُ بِهِ النَّاسَ عَلَى الْجِهَادِ إِنِّي سَمِعْتُ عَلِيًّا رَفَعَ اللَّهُ دَرَجَتَهُ فِي الصَّالِحِينَ وَ أَثَابَهُ ثَوَابَ الشَّهَدَاءِ وَ الصَّدِّيقِينَ يَقُولُ يَوْمَ لَقِينَا أَهْلَ الشَّامِ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِنَّهُ مَنْ رَأَى عُدُوَّانَا يُعْمَلُ بِهِ وَ مُنْكَرًا يُدْعَى إِلَيْهِ فَانْكَرَهُ بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ وَ بَرَى وَ مَنْ أَنْكَرَهُ بِلِسَانِهِ فَقَدْ أُجِرَ وَ هُوَ أَفْضَلُ مِنْ صِيَّاحِهِ وَ مَنْ أَنْكَرَهُ بِالسَّيْفِ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ الْعُلْيَا وَ كَلِمَةُ الظَّالِمِينَ السَّفْلَى فَمَذَلِكَ أَلْهَدَى أَصَابَ سَبِيلَ الْهُدَى وَ قَامَ عَلَى الطَّرِيقِ وَ نُورَ فِي قَلْبِهِ الْيَقِينُ قَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِي النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ كَيْفِيَّةِ تَرْتِيبِهِ وَ كَلَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي هَذَا الْفَصْلِ مُطَابِقٌ لِمَا يَقُولُهُ الْمُتَكَلِّمُونَ رَحِمَهُمُ اللَّهُ . وَ قَدْ ذَكَرْنَا فِيمَا تَقَدَّمَ وَ سَنَذَكُرُ فِيمَا بَعْدَ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى مَا يَجِبُ وَ كَانَ النَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ مَعْرُوفًا فِي الْعَرَبِ فِي جَاهِلِيَّتِهَا كَانَ فِي قَرِيشٍ حَلْفُ الْفُضُولِ تَحَالَفَتْ قَبَائِلُ مِنْهَا عَلَى أَنْ يَرُدُّوا الظَّالِمَ وَ يَنْصُرُوا الْمَظْلُومَ وَ يَرُدُّوا عَلَيْهِ حَقَّهُ مَا بَلَ بَحْرٍ صَوْفَهُ وَ قَدْ ذَكَرْنَا فِيمَا تَقَدَّمَ [صفحہ ۳۰۶]

وَ قَالَ ع فِي كَلَامٍ لَهُ غَيْرِ هَذَا يَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى فَمِنْهُمْ الْمُنْكَرُ لِلْمُنْكَرِ بِيَدِهِ وَ لِسَانِهِ وَ قَلْبِهِ فَذَلِكَ الْمُسْتَكْمِلُ لِخِصَالِ الْخَيْرِ وَ مِنْهُمْ الْمُنْكَرُ بِلِسَانِهِ وَ قَلْبِهِ وَ التَّارِكُ بِيَدِهِ فَذَلِكَ مِمَّا مَسَّكَ بِخِصْلَتَيْنِ مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ وَ مَضَى خِصْلَةً وَ مِنْهُمْ الْمُنْكَرُ بِقَلْبِهِ وَ التَّارِكُ بِيَدِهِ وَ لِسَانِهِ فَذَلِكَ الَّذِي ضَمَّ أَشْرَفَ الْخِصْلَتَيْنِ مِنَ الثَّلَاثِ وَ تَمَسَّكَ بِوَاحِدَةٍ وَ مِنْهُمْ تَارِكٌ لِإِنْكَارِ الْمُنْكَرِ بِلِسَانِهِ وَ قَلْبِهِ وَ يَدِهِ فَذَلِكَ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ وَ مَا أَعْمَالُ الْبِرِّ كُلُّهَا وَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عِنْدَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ إِلَّا كَتَفْتَهُ فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ وَ إِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَا يَقْرَبَانِ مِنْ أَجْلِ وَ لَا يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ وَ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ كَلِمَةُ عَدِلٍ عِنْدَ إِمَامٍ جَائِرٍ قَدْ سَبَقَ قَوْلُنَا فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ هُوَ أَحَدُ الْأَصُولِ الْخَمْسَةِ عِنْدَ أَصْحَابِنَا وَ لُجَّةُ الْمَاءِ أَعْظَمُهُ وَ بَحْرُ لُجِيٍّ ذُو مَاءٍ عَظِيمٍ وَ النَّفْثَةُ الْفَعْلَةُ الْوَاحِدَةُ مِنْ نَفَثَ الْمَاءِ مِنْ فَمِي أَيْ قَدَفْتَهُ بِقُوَّةٍ. قَالَ ع لَا يَعْتَقِدُنَ أَحَدٌ أَنَّهُ إِنْ أَمَرَ ظَالِمًا بِالْمَعْرُوفِ أَوْ نَهَى ظَالِمًا عَنِ الْمُنْكَرِ أَنَّ ذَلِكَ يَكُونُ سَبَبًا لِقَتْلِ ذَلِكَ الظَّالِمِ الْمَأْمُورِ أَوْ الْمَنْهَى إِيَّاهُ أَوْ يَكُونُ سَبَبًا لِقَطْعِ رِزْقِهِ مِنْ جِهَتِهِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَرَ الْأَجَلَ وَ قَضَى الرِّزْقَ وَ لَا سَبِيلَ لِأَحَدٍ أَنْ يَقْطَعَ عَلَى أَحَدٍ عَمْرَهُ أَوْ رِزْقَهُ. [صَفْحَةٌ ٣٠٧] وَ هَذَا الْكَلَامُ يَنْبَغِي أَنْ يَحْمَلَ عَلَى أَنَّهُ حَثٌّ وَ حِضٌّ وَ تَحْرِيطٌ عَلَى النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَ لَا يَحْمَلُ عَلَى ظَاهِرِهِ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَلْقَى بِنَفْسِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ مَعْتَمِدًا عَلَى أَنَّ الْأَجَلَ مُقَدَّرٌ وَ أَنَّ الرِّزْقَ مُقْسُومٌ وَ أَنَّ الْإِنْسَانَ مَتَى غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ أَنَّ الظَّالِمَ يَقْتُلُهُ وَ يَقِيمُ عَلَى ذَلِكَ الْمُنْكَرِ وَ يُضَيِّفُ إِلَيْهِ مُنْكَرًا آخَرَ لَمْ يَجْزِ لَهُ الْإِنْكَارُ. فَأَمَّا كَلِمَةُ الْعَدْلِ عِنْدَ الْإِمَامِ الْجَائِرِ فَنَحْوُ مَا رَوَى أَنَّ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمٍ رَأَى عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ وَ يُقَالُ بَلْ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ يُضْرَبُ بِقَضِيْبٍ فِي يَدِهِ ثِنَايَا الْحُسَيْنِ ع حِينَ حَمَلَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ فَقَالَ لَهُ إِيَّاهُ أَرْفَعُ يَدَكَ فَظَالِمًا رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقْبَلُهَا

فصل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

و نحن نذكر خلاصه ما يقوله أصحابنا في النهي عن المنكر و نترك الاستقصاء فيه للكتب الكلامية التي هي أولى ببسط القول فيها من هذا الكتاب . قال أصحابنا الكلام في ذلك يقع من وجوه منها وجوبه ومنها طريق وجوبه ومنها كيفية وجوبه ومنها شروط حسنه ومنها شروط وجوبه ومنها كيفية إيقاعه ومنها الكلام في الناهي عن المنكر ومنها الكلام في النهي عن المنكر . أما وجوبه فلا ريب فيه لأن المنكر قبيح كله والقبيح يجب تركه فيجب النهي عنه . و أما طريق وجوبه فقد قال الشيخ أبو هاشم رحمه الله إنه لا طريق إلى وجوبه إلا السمع و قد أجمع المسلمون على ذلك و ورد به نص القرآن في غير موضع . [صَفْحَةٌ ٣٠٨] قال الشيخ أبو علي رحمه الله العقل يدل على وجوبه و إلى هذا القول مال شيخنا أبو الحسين رحمه الله . و أما كيفية وجوبه فإنه واجب على الكفاية دون الأعيان لأن الغرض ألا يقع المنكر في أذواق لأجل إنكار طائفة لم يبق وجه لوجوب الإنكار على من سواها . و أما شروط حسنه فوجوبه منها أن يكون ما ينكره قبيحا لأن إنكار الحسن و تحريمه قبيح و القبيح على ضرره فمنه ما يقبح من كل مكلف و على كل حال كالظلم و منها ما يقبح من كل مكلف على وجه دون وجه كالرمي بالسهام و تصريف الحمام و العلاج بالسلاح لأن تعاطي ذلك لمعرفة الحرب و التقوى على العدو و لتعرف أحوال البلاد بالحمام حسن لا يجوز إنكاره و إن قصد بالاجتماع على ذلك الاجتماع على السخف و اللهو و معاشره ذوي الريب و المعاصي فهو قبيح يجب إنكاره . و منه ما يقبح من

مكلف ويحسن من آخر على بعض الوجوه كشرب النبيذ والتشاغل بالشطرنج فأما من يرى حظرهما أو يختار تقليد من يفتى بحظرهما فحرام عليه تعاطيهما على كل حال ومتى فعلهما حسن الإنكار عليه و أما من يرى إباحتهما أو من يختار تقليد من يفتى بإباحتهما فإنه يجوز له تعاطيهما على وجه دون وجه و ذلك أنه يحسن شرب النبيذ من غير سكر و لامعاقره و الاشتغال بالشطرنج للفرجة و تخريج الرأى والعقل و يقبح ذلك إذا قصد به السخف و قصد بالشرب المعاقرة و السكر فالثانى يحسن إنكاره و يجب والأول لا يحسن إنكاره لأنه حسن من فاعله . ومنها أن يعلم المنكر أن ما ينكره قبيح لأنه إذا جاز حسنه كان بإنكاره له و تحريمه إياه محرما لما لا يأمن أن يكون حسنا فلا يأمن أن يكون مافعله من النهى [صفحہ ۳۰۹] نهيا عن حسن و كل فعل لا يأمن فاعله أن يكون مختصا بوجه قبيح فهو قبيح ألا ترى أنه يقبح من الإنسان أن يخبر على القطع بأن زيدا فى الدار إذا لم يأمن ألا يكون فيها لأنه لا يأمن أن يكون خبره كذبا ومنها أن يكون ما ينهى عنه واقعا لأن غير الواقع لا يحسن النهى عنه وإنما يحسن الذم عليه والنهى عن أمثاله . ومنها ألا يغلب على ظن المنكر أنه إن أنكر المنكر فعلة المنكر عليه و ضم إليه منكرا آخر و لو لم ينكر عليه لم يفعل المنكر الآخر فمتى غلب على ظنه ذلك قبح إنكاره لأنه يصير مفسدة نحو أن يغلب على ظننا أنا إن أنكرنا على شارب الخمر شربها و قرن إلى شربها القتل و إن لم ننكر عليه شربها و لم يقتل أحدا . ومنها ألا يغلب على ظن الناهى عن المنكر أن نهيه لا يؤثر فإن غلب على ظنه ذلك قبح نهيه عند من يقول من أصحابنا إن التكليف من المعلوم منه أنه يكفر لا يحسن إلا أن يكون فيه لطف لغير ذلك المكلف و أما من يقول من أصحابنا إن التكليف من المعلوم منه أنه يكفر حسن و إن لم يكن فيه لطف لغير المكلف فإنه لا يصح منه القول بقبح هذا الإنكار . فأما شرائط وجوب النهى عن المنكر فأمر منها أن يغلب على الظن وقوع المعصية نحو أن يضيق وقت صلاة الظهر ويرى الإنسان لا يتهيأ للصلاة أو يراه تهيأ لشرب الخمر بإعداد آله و متى لم يكن كذلك حسن منا أن ندعوه إلى الصلاة و إن لم يجب علينا دعاؤه . ومنها ألا يغلب على ظن الناهى عن المنكر أنه إن أنكر المنكر لحقته فى نفسه وأعضائه مضره عظيمة فإن غلب ذلك على ظنه و أنه لا يمتنع من ينكر عليه من فعل [صفحہ ۳۱۰] ما ينكره عليه أيضا فإنه لا يجب عليه الإنكار بل و لا يحسن منه لأنه مفسدة . و إن غلب على ظنه أنه لا يفعل ما أنكره عليه ولكنه يضر به نظر فإن كان إضراره به أعظم قبحا مما يتركه إذا أنكر عليه فإنه لا يحسن الإنكار عليه لأن الإنكار عليه قد صار والحالة هذه مفسدة نحو أن ينكر الإنسان على غيره شرب الخمر فيترك شربها ويقتله و إن كان ما يتركه إذا أنكر عليه أعظم قبحا مما ينزل به من المضره نحو أن يهيم بالكفر فإذا أنكر عليه تركه و جرح المنكر عليه أو قتله فإنه لا يجب عليه الإنكار و يحسن منه الإنكار أما قولنا لا يجب عليه الإنكار فلأن الله تعالى قد أباحنا التكلم بكلمة الكفر عند الإكراه فبأن يبيحنا ترك غيرنا أن يتلفظ بذلك عند الخوف على النفس أولى و أما قولنا إنه يحسن الإنكار فلأن فى الإنكار مع الظن لما ينزل بالنفس من المضره إعزازا للدين كما أن فى الامتناع من إظهار كلمة الكفر مع الصبر على قتل النفس إعزازا للدين لافضل بينهما . فأما كيفية إنكار المنكر فهو أن يتدئ بالسهل فإن نفع و إلا ترقى إلى الصعب لأن الغرض ألا يقع المنكر فإذا أمكن ألا يقع بالسهل فلامعنى لتكلف الصعب ولأنه تعالى أمر بالإصلاح قبل القتال فى قوله فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي . فأما الناهى عن المنكر من هو فهو كل مسلم تمكن منه واختص بشرائطه لأن الله تعالى قال وَ لَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّيَّةٌ يُدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَ يُأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ و لإجماع المسلمين على أن كل من شاهد غيره تاركا للصلاة غير محافظ عليها فله أن يأمره بهابل يجب عليه إلا أن الإمام وخلفاءه أولى بالإنكار بالقتال لأنه أعرف بسياسة الحرب وأشد استعدادا لآلتها . -قرآن- ١٠٦٠- ١١٤٣-قرآن- ١٢٣٦-١٣٣٥ [صفحہ ۳۱۱] فأما المنهى من هو فهو كل مكلف اختص بما ذكرناه من الشروط و غير المكلف إذا هم بالإضرار لغيره منه و يمنع الصبيان و ينهون عن شرب الخمر حتى لا يتعودوه كما يؤخذون بالصلاة حتى يمرنوا عليها و هذا ما ذكره أصحابنا . فأما قوله ع و منهم المنكر بلسانه و قلبه و التارك بيده فذلك متمسك بخصلتين من خصال الخير و مضيع خصلة

فإنه يعنى به من يعجز عن الإنكار باليد لمانع لأنه لم يخرج هذا الكلام مخرج الدم و لو كان لم يعن العاجز لوجب أن يخرج الكلام مخرج الدم لأنه ليس بمعذور في أن ينكر بقلبه ولسانه إذا أخل بالإنكار باليد مع القدرة على ذلك وارتفاع الموانع . و أما قوله ضيع أشرف الخصلتين فاللام زائدة وأصله ضيع أشرف خصلتين من الثلاث لأنه لاوجه لتعريف المعهود هاهنا في الخصلتين بل تعريف الثلاث باللام أولى ويجوز حذفها من الثلاث ولكن إثباتها أحسن كما تقول قتلت أشرف رجلين من الرجال الثلاثة. و أما قوله فذلك ميت الأحياء فهو نهاية ما يكون من الدم . واعلم أن النهى عن المنكر والأمر بالمعروف عند أصحابنا أصل عظيم من أصول الدين و إليه تذهب الخوارج الذين خرجوا على السلطان متمسكين بالدين وشعار الإسلام مجتهدين في العبادة لأنهم إنما خرجوا لما غلب على ظنونهم أو علموا جور الولاة وظلمهم و أن أحكام الشريعة قد غيرت وحكم بما لم يحكم به الله و على هذا الأصل تبنى الإسماعيلية من الشيعة قتل ولاة الجور غيلة و عليه بناء أصحاب الزهد في الدنيا الإنكار على الأمراء والخلفاء ومواجهتهم بالكلام الغليظ لماعجزوا عن الإنكار باليد وبالجملة فهو أصل شريف أشرف من جميع أبواب البر والعبادة كما قال أمير المؤمنين ع [صفحہ ۳۱۲]

۳۸۱

وَ رَوَى أَبُو جَحْفَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ع يَقُولُ إِنَّ أَوَّلَ مَا تُغْلَبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْجِهَادِ الْجِهَادُ بِأَيْدِيكُمْ ثُمَّ بِاللِّسَانِ ثُمَّ يَقُولُ بِكُمْ فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ بِقَلْبِهِ مَعْرُوفًا وَ لَمْ يُنْكِرْ مُنْكَرًا قَلْبًا فَجَعَلَ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ وَ أَسْفَلُهُ أَعْلَاهُ إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْإِنْكَارَ بِالْقَلْبِ آخِرُ الْمَرَاتِبِ وَ هُوَ الَّذِي لَا بَدَّ مِنْهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ فَأَمَّا الْإِنْكَارَ بِاللِّسَانِ وَ بِالْيَدِ فَقَدْ يَكُونُ مِنْهُمَا بَدٌّ وَعَنْهُمَا عَذْرٌ فَمَنْ تَرَكَ النَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ بِقَلْبِهِ وَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ لِعَصْيَانِهِ فَصَارَ كَالْمَسْخُوحِ الَّذِي يُجْعَلُ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ وَ أَسْفَلَهُ أَعْلَاهُ تَشْوِيهَا لِخَلْقَتِهِ وَ مَنْ يَقُولُ بِالْأَنْفُسِ الْجِسْمَانِيَّةِ وَ إِنَّمَا بَعْدَ الْمَفَارِقَةِ يَصْعَدُ بَعْضُهَا إِلَى الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ وَ هِيَ نَفُوسُ الْأَبْرَارِ وَ بَعْضُهَا يَنْزِلُ إِلَى الْمَرْكَزِ وَ هِيَ نَفُوسُ الْأَشْرَارِ يَتَأَوَّلُ هَذَا الْكَلَامَ عَلَى مَذْهَبِهِ فَيَقُولُ إِنْ مَنْ لَا يَعْرِفُ بِقَلْبِهِ مَعْرُوفًا أَى لَا يَعْرِفُ مِنْ نَفْسِهِ بَاعْثًا عَلَيْهِ وَ لَا مَتَقَاضِيًا بِفَعْلِهِ وَ لَا يَنْكُرُ بِقَلْبِهِ مُنْكَرًا أَى لَا يَأْنِفُ مِنْهُ وَ لَا يَسْتَقْبِحُهُ وَ يَمْتَعِضُ مِنْ فَعْلِهِ يَقْلِبُ نَفْسَهُ الَّتِي قَدْ كَانَ سَبِيلَهَا أَنْ تَصْعَدَ إِلَى عَالَمِهَا فَتَجْعَلَ هَاوِيَةً فِي حَضِيضِ الْأَرْضِ وَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ هُوَ الْعَذَابُ وَالْعِقَابُ [صفحہ ۳۱۳]

۳۸۲

إِنَّ الْحَقَّ ثَقِيلٌ مَرِيٌّ وَ إِنَّ الْبَاطِلَ خَفِيفٌ وَ بِيءٌ تَقُولُ مَرُؤُ الطَّعَامِ بِالضَّمِّ يَمْرُؤُ مَرَاءَةٌ فَهُوَ مَرِيٌّ عَلَى فَعِيلٍ مِثْلَ خَفِيفٍ وَ ثَقِيلٍ وَ قَدْ جَاءَ مَرِيُّ الطَّعَامِ بِالْكَسْرِ كَمَا قَالُوا فَهَ الرَّجُلُ وَ فِقَهُ وَ وَبِيءُ الْبَلَدِ بِالْكَسْرِ يُوْبَأُ وَ بَاءَةٌ فَهُوَ وَبِيءٌ عَلَى فَعِيلٍ أَيْضًا وَ يَجُوزُ فَهُوَ وَبِيءٌ عَلَى فَعْلٍ مِثْلَ حَذْرٍ وَ أَشْرٍ . يَقُولُ ع الْحَقُّ وَ إِنْ كَانَ ثَقِيلًا إِلَّا أَنْ عَاقِبَتُهُ مَحْمُودَةٌ وَ مَغْتَبَةٌ صَالِحَةٌ وَ الْبَاطِلُ وَ إِنْ كَانَ خَفِيفًا إِلَّا أَنْ عَاقِبَتُهُ مَذْمُومَةٌ وَ مَغْتَبَةٌ غَيْرُ صَالِحَةٍ فَلَا يَحْمِلُنْ أَحَدُكُمْ حَلَاوَةَ عَاجِلِ الْبَاطِلِ عَلَى فَعْلِهِ فَلَا خَيْرَ فِي لَذَّةٍ قَلِيلَةٍ عَاجِلَةً يَتَعَقَّبُهَا مُضَارٌ عَظِيمَةٌ آجِلَةٌ وَ لَا يَصْرِفُنْ أَحَدُكُمْ عَنِ الْحَقِّ ثَقْلَهُ فَإِنَّهُ سَيَحْمَدُ عَقْبِي ذَلِكَ كَمَا يَحْمَدُ شَارِبُ الدَّوَاءِ الْمَرَّ شَرِبَهُ فِيمَا بَعْدَ إِذَا وَجَدَ لَذَّةَ الْعَافِيَةِ [صفحہ ۳۱۴]

۳۸۳

لَا تَأْمَنَنَّ عَلَى خَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَذَابَ اللَّهِ لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ وَ لَا تَيَأَسَنَّ لِشَرِّ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ

رُوحِ اللَّهِ تَعَالَى إِنَّهُ لَا يَبْأَسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ - قرآن - ٩٠-١٤٠- قرآن - ٢٠٧-٢٦٦ هذا كلام ينبغي أن يحمل على أنه أراد ع النهى عن القطع على مغيب أحد من الناس و أنه لا يجوز لأحد أن يقول فلان قد نجا ووجبت له الجنة و لافلان قد هلك ووجبت له النار و هذا القول حق لأن الأعمال الصالحة لا يحكم لصاحبها بالجنة إلا بسلامه العاقبة و كذلك الأعمال السيئة لا يحكم لصاحبها بالنار إلا أن مات عليها فأما الاحتجاج بالآية الأولى فلقال أن يقول إنها لا تتدل على ما أفتى ع به و ذلك لأن معناها أنه لا يجوز للعاصي أن يأمن مكر الله على نفسه و هو مقيم على عصيانه ألا ترى أن أولها فَأَمَّنْ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَ هُمْ نَائِمُونَ أَوْ أَمَّنْ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَ هُمْ يَلْعَبُونَ فَأَمَّنُوا مَكَرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكَرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ و ليست دالة على مانحن - قرآن - ٥٠٢-٧٢٥ [صفحة ٣١٥] فيه لأن الذى نحن فيه هل يجوز لأحد أن يأمن على الصالحين من هذه الأمة عذاب الله . فأما الآية الثانية فالاحتجاج بها جيد لاشبهه فيه لأنه يجوز أن يتوب العاصي و التوبة من روح الله . فإن قلت و كذاك يجوز أن يكفر المسلم المطيع قلت صدقت ولكن كفره ليس من مكر الله فدل على أن المراد بالآية أنه لا ينبغي للعاصي أن يأمن من عقوبة الله مادام عاصيا و هذا غير مسألتنا [صفحة ٣١٦]

٣٨٤

إشارة

البخل جامعٌ لمساوي العيوب و هو زمامٌ يقادُّ به إلى كلِّ سوءٍ قد تقدم القول فى البخل والشح و نحن نذكر هاهنا زيادات أخرى

أقوال مأثورة فى الجود والبخل

قال بعض الحكماء السخاء هيئة للإنسان داعية إلى بذل المقتنيات حصل معه البذل لها أو لم يحصل و ذلك خلق و يقابله الشح و أما الجود فهو بذل المقتنى و يقابله البخل هذا هو الأصل و إن كان كل واحد منها قد يستعمل فى موضع الآخر و الذى يدل على صحته هذا الفرق أنهم جعلوا اسم الفاعل من السخاء و الشح على بناء الأفعال الغريزية فقالوا شحيح و سخي فبنوه على فعيل كما قالوا حلیم و سفيه و عفيف و قالوا جائد و باخل فبنوهما على فاعل كضارب و قاتل فأما قولهم بخيل فمصرف عن لفظ فاعل للمبالغة كقولهم فى راحم رحيم و يدل أيضا على أن السخاء غريزة و خلق أنهم لم يصفوا البارئ سبحانه به فيقولوا سخي فأما الشح فقد عظم أمره و خوف منه ولهذا قال ع ثلاث مهلكات شح مطاع و هوى متبع و إعجاب المرء بنفسه - رواية ١- ٢- رواية ١١- ٦٨ فخص المطاع تنبيها على أن وجود الشح [صفحة ٣١٧] فى النفس فقط ليس مما يستحق به ذم لأنه ليس من فعله وإنما يذم بالانقياد له قال سبحانه وَ مَنْ يُوقْ شَحَّ نَفْسِهِ وَ قَالَ وَ أَحْضَرَتِ الْأَنْفُسُ الشَّحَّ. و - قرآن - ٩٤-١١٨- قرآن - ١٢٦-١٥٤ قال ع لا يجتمع شح و إيمان فى قلب أبدا - رواية ١- ٢- رواية ١١- ٤٦. فأما الجود فإنه محمود على جميع ألسنة العالم ولهذا قيل كفى بالجود مدحا أن اسمه مطلقا لا يقع إلا فى حمد و كفى بالبخل ذما أن اسمه مطلقا لا يقع إلا فى ذم . و قيل لحكيم أى أفعال البشر أشبه بأفعال البارئ سبحانه فقال الجود. و قال النبى ص الجود شجرة من أشجار الجنة من أخذ بغصن من أغصانها أداه إلى الجنة و البخل شجرة من أشجار النار من أخذ بغصن من أغصانها أداه إلى النار - رواية ١- ٢- رواية ١٨- ١٥٢. و من شرف الجود أن الله سبحانه قرن ذكره بالإيمان و وصف أهله بالفلاح و الفلاح اسم جامع لسعادة الدارين قال سبحانه الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ

بِالْغَيْبِ وَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ إِلَى قَوْلِهِ وَ أَوْلِيَّكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَ قَالَ وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. وَ حَقُّ لِلْجُودِ أَنْ يَقْرَنَ بِالْإِيمَانِ فَلَا شَيْءَ أَخْصَّ بِهِ وَأَشَدَّ مَجَانِسَةً لَهُ مِنْهُ فَإِنْ مِنْ صِفَةِ الْمُؤْمِنِ انْشِرَاحُ الصَّدْرِ كَمَا قَالَ تَعَالَى فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَ مَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ وَ هَذَا مِنْ صِفَاتِ الْجُودِ وَ الْبَخِيلِ لِأَنَّ الْجُودَ وَاسِعَ الصَّدْرِ مَنْشَرِحٌ مُسْتَبِشِرٌ لِلْإِنْفَاقِ وَ الْبَذْلِ وَ الْبَخِيلُ قَنُوطٌ ضَيِّقُ الصَّدْرِ حَرَجُ الْقَلْبِ مَمْسُكٌ . وَ -قُرْآن- ١٢٥-٢٠٧-قُرْآن- ٢١٩-٢٤٧-قُرْآن- ٢٥٥-٣٠٨-قُرْآن- ٤٢٩-٥٧٥ قَالَ النَّبِيُّ ص وَ أَى دَاءٍ أَدْوَأُ مِنَ الْبَخْلِ - رَوَايَت- ١-٢- رَوَايَت- ١٨-٤٣ . وَ الْبَخْلُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَضْرَبٍ بِخَلِ الْإِنْسَانُ بِمَالِهِ عَلَى نَفْسِهِ وَ بِخَلِهِ بِمَالِهِ عَلَى غَيْرِهِ وَ بِخَلِهِ [صَفْحَه ٣١٨] بِمَالِ غَيْرِهِ عَلَى نَفْسِهِ أَوْ عَلَى غَيْرِهِ وَأَفْحَشَهَا بِخَلِهِ بِمَالِ غَيْرِهِ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْوَنَهَا وَ إِنْ كَانَ لَاهِنًا فِيهَا بِخَلِهِ بِمَالِهِ عَلَى غَيْرِهِ . وَ قَالَ عَ اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِمَنْفِقٍ خَلْفًا وَلِمَمْسُكٍ تَلْفًا - رَوَايَت- ١-٢- رَوَايَت- ١١-٤٩ قَالَ إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ يَنْزِلُ الْمَعُونَةَ عَلَى قَدْرِ الْمُتَوَنُّةِ - رَوَايَت- ١-٢- رَوَايَت- ٨-٥٧ قَالَ أَيْضًا مِنْ وَسْعٍ وَسِعَ عَلَيْهِ - رَوَايَت- ١-٢- رَوَايَت- ١٢-٣٢ . وَ قَالَتِ الْفَلَّاسِفَةُ الْجُودَ عَلَى أَقْسَامٍ فَمِنْهَا الْجُودُ الْأَعْظَمُ وَ هُوَ الْجُودُ الْإِلَهِيُّ وَ هُوَ الْفَيْضُ الْعَامُّ الْمَطْلُوقُ وَ إِنَّمَا يَخْتَلِفُ لِاخْتِلَافِ الْمَوَادِّ وَ اسْتِعْدَادَاتِهَا وَ إِفَالْفَيْضِ فِي نَفْسِهِ عَامٌ غَيْرِ خَاصٍّ وَ بَعْدَهُ جُودُ الْمَلُوكِ وَ هُوَ الْجُودُ بِجُزْءٍ مِنَ الْمَالِ عَلَى مَنْ تَدْعُوهُمْ الدَّوَاعِي وَ الْأَغْرَاضُ إِلَى الْجُودِ عَلَيْهِ وَ يَتْلُوهُ جُودُ السُّوقَةِ وَ هُوَ بَذْلُ الْمَالِ لِلْعَفَاءِ أَوْ النَّدَامَى وَ الشَّرْبِ وَ الْمَعَاشِرِينَ وَ الْإِحْسَانَ إِلَى الْأَقْرَابِ . قَالُوا وَ اسْمُ الْجُودِ مَجَازٌ إِلَّا الْجُودَ الْإِلَهِيَّ الْعَامَّ فَإِنَّهُ عَارٍ عَنِ الْغَرَضِ وَ الدَّاعِي وَ أَمَا مَنْ يَعْطَى لَغَرَضٍ وَ دَاعٍ نَحْوَ أَنْ يَحِبَّ الثَّنَاءَ وَ الْمَحْمَدَةَ فَإِنَّهُ مُسْتَعِضٌ وَ تَاجِرٌ يَعْطَى شَيْئًا لِيَأْخُذَ شَيْئًا قَالُوا قَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ فَتَى يَشْتَرِي حَسَنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ || وَ يَعْلَمُ أَنَّ الدَّائِرَاتِ تَدُورُ لَيْسَ بِغَايَةٍ فِي الْوَصْفِ بِالْجُودِ التَّامِّ بَلْ هُوَ وَصْفٌ بِتِجَارَةٍ مَحْمُودَةٍ وَ أَحْسَنُ مِنْهُ قَوْلُ ابْنِ الرَّومِيِّ وَ تَاجِرُ الْبُرِّ لَا يَزَالُ لَهُ || رِبْحَانٌ فِي كُلِّ مَتَجَرٍ تَجْرَهُ أَجْرٌ وَ حَمْدٌ وَ إِنَّمَا طَلِبُ الْأَجْرِ || وَ لَكِنْ كِلَاهِمَا اعْتَوْرَهُ . وَ أَحْسَنُ مِنْهُمَا قَوْلُ بَشَّارٍ لَيْسَ يَعْطِيكَ لِلرَّجَاءِ وَ لَا الْخَوْفِ || وَ لَكِنْ يَلِذُّ طَعْمَ الْعَطَاءِ وَ نَحْنُ قَدْ ذَكَّرْنَا مَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مِنَ الْبَحْثِ الْعَقْلِيِّ فِي كِتَابِنَا الْعَقْلِيَّةِ [صَفْحَه ٣١٩]

٣٨٥

يَا ابْنَ آدَمَ الرِّزْقُ رِزْقَانِ رِزْقٌ تَطْلُبُهُ وَ رِزْقٌ يَطْلُبُكَ فَإِنْ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ فَلَا تَحْمِلْ هَمَّ سَيِّئِكَ عَلَى هَمِّ يَوْمِكَ كَفَاكَ كُلَّ يَوْمٍ مَا فِيهِ فَإِنْ تَكُنَ السَّيِّئَةُ مِنْ عُمْرِكَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيُّؤِيَّتِكَ فِي كُلِّ غَدٍ جَدِيدٍ مَا قَسَمَ لَكَ وَ إِنْ لَمْ تَكُنِ السَّيِّئَةُ مِنْ عُمْرِكَ فَمَا تَصْنَعُ بِالْهَمِّ فِيمَا لَيْسَ لَكَ وَ لَمْ يَسْبِقْكَ إِلَى رِزْقِكَ طَالِبٌ وَ لَنْ يَغْلِبَكَ عَلَيْهِ غَالِبٌ وَ لَنْ يُبْطِئَ عَنْكَ مَا قَدْ قُدِّرَ لَكَ قَالَ وَ قَدْ مَضَى هَذَا الْكَلَامُ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنْ هَذَا الْبَابِ إِلَّا - أَنَّهُ هَاهُنَا أَوْضَحَ وَأَشْرَحَ فَلِذَلِكَ كَرَّرْنَاهُ عَلَى الْقَاعِدَةِ الْمَقْرَرَةِ فِي أَوَّلِ هَذَا الْكِتَابِ - رَوَايَت- ١-١٣٣ قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي مَعَانِي هَذَا الْفَصْلِ وَ رَوَى أَنَّ جَمَاعَةً دَخَلُوا عَلَى الْجَنِيْدِ فَاسْتَأْذَنُوهُ فِي طَلْبِ الرِّزْقِ فَقَالَ إِنْ عَلِمْتُمْ فِي أَى مَوْضِعٍ هُوَ فَاطْلُبُوهُ قَالُوا فَسَأَلْنَا اللَّهَ تَعَالَى ذَلِكَ قَالَ إِنْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ يَنْسَاكُمُ فَذَكِّرُوهُ قَالُوا فَدَخَلَ الْبَيْتَ وَ تَنَوَّكَلَ وَ نَتَنَظَّرَ مَا يَكُونُ فَقَالَ التَّوَكَّلْ عَلَى التَّجْرِبَةِ شَكَّ قَالُوا فَمَا الْحِيلَةُ قَالَ تَرَكَ الْحِيلَةَ . وَ رَوَى أَنَّ رَجُلًا لَازِمٌ بِبَابِ عَمْرِ بْنِ فَضَّالٍ مِنْهُ فَقَالَ لَهُ يَا هَذَا هَاجَرْتَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَمْ إِلَى بَابِ عَمْرِ بْنِ فَضَّالٍ فَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ سَيَغْنِيكَ عَنْ بَابِ عَمْرِ بْنِ فَضَّالٍ الرَّجُلِ [صَفْحَه ٣٢٠] وَ غَابَ مَدَّةً حَتَّى افْتَقَدَهُ عَمْرٌ فَإِذَا هُوَ مُعْتَزِلٌ مُشْتَغَلٌ بِالْعِبَادَةِ فَأَتَاهُ عَمْرٌ فَقَالَ لَهُ إِنْ اشْتَقْتِ إِلَيْكَ فَمَا أَلْذَى شَغَلَكَ عَنَا قَالَ إِنْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ فَأَغْنَانِي عَنْ عَمْرِ وَ آلِ عَمْرِ فَقَالَ رَحِمَكَ اللَّهُ فَمَا وَجَدْتِ فِيهِ قَالَ وَجَدْتِ فِيهِ وَ فِي السَّيِّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَ مَا تُوعَدُونَ فَنَقَلْتُ رِزْقِي فِي السَّمَاءِ وَ أَنَا أَطْلُبُهُ فِي الْأَرْضِ إِنْ لَبِئْسَ الرَّجُلُ فَبِكَى عَمْرٌ وَ قَالَ صَدَقْتَ وَ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ يَنْتَابُهُ وَ يَجْلِسُ إِلَيْهِ -قُرْآن- ٢٠٨-

[٢٤٨] [صَفْحَه ٣٢١]

رُبُّ مُسْتَقْبَلٍ يَوْمًا لَيْسَ بِمُسْتَدْبِرِهِ وَ مَعْبُوطٍ فِي أَوَّلِ لَيْلِهِ قَامَتْ بِوَاكِيهِ فِي آخِرِهِ مِثْلَ هَذَا قَوْلُ الشَّاعِرِ يَارَاقِدِ اللَّيْلِ مَسْرُورًا بِأَوَّلِهِ ||
 إن الحوادث قديطرقن أسحارا . ومثله لا يغرنك عشاء ساكن || قديوافى بالمنيات السحر [صفحہ ٣٢٢]

الْكَلَامُ فِي وَثَاقِكَ مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ بِهِ فَإِذَا تَكَلَّمْتَ بِهِ صَدَرَتْ فِي وَثَاقِهِ فَاحْزُنْ لِسَانَكَ كَمَا تَحْزُنُ ذَهَبَكَ وَ وَرَقَكَ فَرُبَّ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نَعْمَةً قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي مَدْحِ الصَّمْتِ وَ ذَمِّ الْكَلَامِ الْكَثِيرِ . وَ كَانَ يُقَالُ لِأَخِيرِ فِي الْحَيَاةِ إِلَّا لَصَمُوتِ وَاعِ أَوْ نَاطِقِ مُحْسِنٍ . وَقِيلَ لِحَدِيفَةَ قَدْ أَطَلَّتْ سَجْنَ لِسَانَكَ فَقَالَ لِأَنَّهُ غَيْرُ مَأْمُونٍ إِذَا أَطْلَقَ . وَ مِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ رَبُّ كَلِمَةٍ تَقُولُ دَعْنِي . وَقَالُوا أَصْلُهَا أَنَّ بَعْضَ مَلُوكِ الْحَيْرَةِ كَانَ قَدِ اسْتَرَابَ بِبَعْضِ خَوْلِهِ فَزَلَّ يَوْمًا وَ هُوَ يَتَصِيدُ عَلَى تَلْعَةٍ وَ نَزَلَ أَصْحَابُهُ حَوْلَهُ فَأَفَاضُوا فِي حَدِيثِ كَثِيرٍ فَقَالَ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ أَتَرَى لَوْ أَنَّ رَجُلًا ذَبَحَ عَلَى رَأْسِ هَذِهِ التَّلْعَةِ هَلْ كَانَ يَسِيلُ دَمُهُ إِلَى أَوَّلِ الْغَائِطِ فَقَالَ الْمَلِكُ هَلُمُوا فَادْبَحُوهُ لِنَنْظُرَ فَذَبَحُوهُ فَقَالَ الْمَلِكُ رَبُّ كَلِمَةٍ تَقُولُ دَعْنِي . وَ قَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ مِنْ إِكْرَامِ الرَّجُلِ نَفْسُهُ أَلَّا يَتَكَلَّمَ بِكُلِّ مَا يَعْلَمُ . وَ تَذَاكُرُ قَوْمٍ مِنَ الْعَرَبِ وَ فِيهِمْ رَجُلٌ بَاهِلِيٌّ سَاكِنٌ فَقِيلَ لَهُ بِحَقِّ مَا سَمَيْتُمْ خَرَسَ الْعَرَبُ فَقَالَ أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّ لِسَانَ الْمَرْءِ لَغَيْرِهِ وَ سَمِعَهُ لِنَفْسِهِ [صفحہ ٣٢٣]

لَمَا تَقُولُ مَرًا لَمَا تَعْلَمُ بَلِّ لَمَا تَقُولُ كُلُّ مَا تَعْلَمُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ فَرَضَ عَلَى جَوَارِحِكَ كُلِّهَا فَرَائِضَ يَحْتَجُّ بِهَا عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هَذَا نَهَى عَنِ الْكُذْبِ وَ أَنَّ تَقُولُ مَا لَا تَأْمَنُ مِنْ كَوْنِهِ كُذْبًا فَإِنَّ الْأَمْرَيْنِ كِلَيْهِمَا قَبِيحَانِ عَقْلًا عِنْدَ أَصْحَابِنَا . فَإِنَّ قُلْتَ كَيْفَ يَقُولُ أَصْحَابُكُمْ أَنَّ الْخَبَرَ الْأَذَى لَا يَأْمَنُ كَوْنَهُ كُذْبًا قَبِيحٌ وَ النَّاسُ يَسْتَحْسِنُونَ الْأَخْبَارَ عَنِ الْمَظْنُونِ قُلْتَ إِذَا قَالَ الْإِنْسَانُ زَيْدٌ فِي الدَّارِ وَ هُوَ يَظُنُّهُ فِي الدَّارِ وَ لَا يَقْطَعُ عَلَيْهِ فَإِنَّ الْحَسْنَ مِنْهُ أَنَّ يَخْبُرَ عَنِ ظَنِّهِ كَأَنَّ يَقُولُ أَخْبَرَ عَنِ أُنَى أَظُنُّ أَنَّ زَيْدًا فِي الدَّارِ وَ إِذَا كَانَ هَذَا هُوَ تَقْدِيرُهُ فَالْخَبَرَ إِذْنُ خَبَرَ عَنِ مَعْلُومٍ لَا عَنِ مَظْنُونٍ لِأَنَّهُ قَاطِعٌ عَلَى أَنَّهُ ظَانَ أَنَّ زَيْدًا فِي الدَّارِ . فَأَمَّا إِذَا فَرَضَ الْخَبَرَ لَا عَلَى هَذَا الْوَجْهِ بَلْ عَلَى الْقَطْعِ بِأَنَّ زَيْدًا فِي الدَّارِ وَ هُوَ لَا يَقْطَعُ عَلَى أَنَّ زَيْدًا فِي الدَّارِ فَقَدْ أَخْبَرَ بِخَبَرٍ لَيْسَ عَلَى مَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْهُ لِأَنَّهُ أَخْبَرَ عَنِ أَنَّهُ قَاطِعٌ وَ لَيْسَ بِقَاطِعٍ فَكَانَ قَبِيحًا [صفحہ ٣٢٤]

أَحْذَرُ أَنَّ يَرَاكَ اللَّهُ عِنْدَ مَعْصِيَتِهِ وَ يَفْقِدَكَ عِنْدَ طَاعَتِهِ فَتَكُونُ مِنَ الْخَاسِرِينَ وَ إِذَا قَوَيْتَ فَاقَوْ عَلَى طَاعَتِهِ اللَّهُ وَ إِذَا ضَعُفَتْ فَاضْعُفَ عَنِ مَعْصِيَتِهِ اللَّهُ مِنْ عِلْمِ يَقِينَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرَاهُ عِنْدَ مَعْصِيَتِهِ كَانَ أَجْدَ النَّاسِ أَنْ يَجْتَنِبَهَا كَمَا إِذَا عَلِمْنَا يَقِينَا أَنَّ الْمَلِكَ يَرَى الْوَاحِدَ مِنْهُ وَ هُوَ يَرَاؤِدُ جَارِيَتَهُ عَنِ نَفْسِهَا أَوْ يَحَادِثُ وَلَدَهُ لِيَفْجُرَ بِهِ وَلَكِنْ الْيَقِينُ فِي الْبَشَرِ ضَعِيفٌ جَدًّا أَوْ أَنَّهُمْ أَحْمَقُ الْحَيَوَانَ وَ أَجْهَلُهُ وَ بِحَقِّ أَقُولُ إِنَّهُمْ إِنْ اعْتَقَدُوا ذَلِكَ اعْتَقَادًا لَا يَخَالِطُهُ الشُّكُّ ثُمَّ وَقَعُوا الْمَعْصِيَةَ وَ عِنْدَهُمْ عَقِيدَةٌ أُخْرَى ثَابِتَةٌ أَنَّ الْعِقَابَ لِأَحَقِّ بِمَنْ عَصَى فَإِنَّ الْإِبِلَ وَ الْبَقَرَ أَقْرَبَ إِلَى الرِّشَادِ مِنْهُمْ . وَ أَقُولُ إِنَّ الْأَذَى جَرَأَ النَّاسِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ الطَّمَعُ فِي الْمَغْفِرَةِ وَ الْعَفْوِ الْعَامِ وَ قَوْلُهُمْ الْحِلْمُ وَ الْكِرَامُ وَ الصَّفْحُ مِنْ أَخْلَاقِ ذَوِي النِّبَاهَةِ وَ الْفَضْلُ مِنَ النَّاسِ فَكَيْفَ لَا يَكُونُ مِنَ الْبَارِي سُبْحَانَهُ عَفْوٌ عَنِ

الرُّكُونُ إِلَى الدُّنْيَا مَعَ مَا تُعَايِنُ مِنْهَا جَهْلٌ وَ التَّقَصُّيرُ فِي حُسْنِ الْعَمَلِ إِذَا وَثِقْتَ بِالثَّوَابِ عَلَيْهِ غَبْنٌ وَ الطَّمَأْنِينَةُ إِلَى كُلِّ أَحَدٍ قَبْلَ الْإِخْتِبَارِ لَهُ عَجْزٌ قَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِي الدُّنْيَا وَ حَمَقٌ مِنْ يَرْكُنُ إِلَيْهَا مَعَ مَعَايِنَتِهَا غُدْرًا وَقَلْبٌ وَ فَائِدَةٌ وَ نَقْضُهَا عَهْدُهَا وَ قَتْلُهَا عِشَاقُهَا . وَ لَارِيبَ أَنَّ الْغَبْنَ وَ أَعْظَمَ الْغَبْنَ هُوَ التَّقْصِيرُ فِي الطَّاعَةِ مَعَ يَقِينِ الثَّوَابِ عَلَيْهَا وَ أَمَا الطَّمَأْنِينَةُ إِلَى مَنْ لَمْ يَعْرِفْ وَ لَمْ يَخْتَبِرْ فَإِنَّهَا عَجْزٌ كَمَا قَالَ ع يَعْنِي عَجْزًا فِي الْعَقْلِ وَ الرَّأْيِ فَإِنَّ الْوَثُوقَ مَعَ التَّجْرِبَةِ فِيهِ مَا فِيهِ فَكَيْفَ قَبْلَ التَّجْرِبَةِ . وَ قَالَ الشَّاعِرُ وَ كُنْتُ أَرَى أَنَّ التَّجَارِبَ عَدَةٌ || فَخَانَتْ ثَقَاتِ النَّاسِ حِينَ التَّجَارِبِ [صفحه ٣٢٦]

مِنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ أَنَّهُ لَا يُعْصَى إِلَّا فِيهَا وَ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِتَرْكِهَا هَذَا الْكَلَامُ نَسَبَهُ الْغَزَالِيُّ فِي كِتَابِ إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ إِلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ وَ الصَّحِيحُ أَنَّهُ مِنْ كَلَامِ عَلِيِّ ع ذَكَرَهُ شَيْخُنَا أَبُو عَثْمَانَ الْجَاحِظُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ وَ هُوَ أَعْرَفُ بِكَلَامِ الرِّجَالِ

نبد مما قيل فى حال الدنيا وهوانها واغترار الناس بها

وَ قَدْ تَقَدَّمَ مِنْ كَلَامِنَا فِي حَالِ الدُّنْيَا وَ هَوَانِهَا عَلَى اللَّهِ وَ اغْتِرَارِ النَّاسِ بِهَا وَ غُدْرَتِهَا بِهِمْ وَ ذَمِّ الْعُقَلَاءِ لَهَا وَ تَحْذِيرِهِمْ مِنْهَا مَا فِيهِ كِفَايَةٌ . وَ نَحْنُ نَذَكُرُ هَاهُنَا زِيَادَةَ عَلَى ذَلِكَ . يُقَالُ إِنْ فِي بَعْضِ كِتَابِ اللَّهِ الْقَدِيمَةِ الدُّنْيَا غَنِيمَةٌ الْأَكْيَاسِ وَ غَفْلَةٌ الْجَهَالِ لَمْ يَعْرِفُوهَا حَتَّى خَرَجُوا مِنْهَا فَسَأَلُوا الرَّجْعَةَ فَلَمْ يَرْجِعُوا - رَوَايَةٌ ١- ٢- رَوَايَةٌ ٣٨- ١٢٦ . وَ قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ مَنْ سَأَلَ اللَّهَ تَعَالَى الدُّنْيَا فَإِنَّمَا سَأَلَهُ طَوْلَ الْوَقُوفِ بَيْنَ يَدَيْهِ . [صفحه ٣٢٧] وَ قَالَ الْحَسَنُ لَا تَخْرُجْ نَفْسُ ابْنِ آدَمَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا بِحَسْرَاتٍ ثَلَاثَ أَنْهَ لَمْ يَشِعْ مِمَّا جَمَعَ وَ لَمْ يَدْرِكْ مَا أَمَلَ وَ لَمْ يَحْسُنْ الزَّادَ لِمَا يَقْدُمُ عَلَيْهِ . وَ مِنْ كَلَامِهِ أَهَيْنَا الدُّنْيَا فَوَاللَّهِ مَا هِيَ لِأَحَدٍ بِأَهْنَأَ مِنْهَا لِمَنْ أَهَانَهَا . وَ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدَرِ أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا صَامَ الدَّهْرَ لَا يَفْطُرُ وَ قَامَ اللَّيْلَ لَا يَفْتَرُ وَ تَصَدَّقَ بِمَالِهِ وَ جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ اجْتَنَبَ مُحَارِمَ اللَّهِ تَعَالَى غَيْرَ أَنَّهُ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ إِنْ هَذَا مَعَ مَا قَدْ عَمِلَ كَانَ يَعْظُمُ فِي عَيْنِهِ مَا صَغَرَ اللَّهُ وَيَصْغُرُ فِي عَيْنِهِ مَا عَظَّمَ اللَّهُ كَيْفَ تَرَى يَكُونُ حَالُهُ فَمَنْ مَنَّا لَيْسَ هَكَذَا الدُّنْيَا عَظِيمَةٌ عِنْدَهُ مَعَ مَا اقْتَرَفْنَا مِنَ الذُّنُوبِ وَ الْخَطَايَا . وَ قَدْ ضَرَبَتِ الْحِكْمَاءُ مَثَلًا لِلدُّنْيَا نَحْنُ نَذَكُرُهُ هَاهُنَا قَالُوا مِثْلَ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا كَقَوْمٍ رَكَبُوا سَفِينَةً فَانْتَهَتْ بِهِمْ إِلَى جَزِيرَةٍ فَأَمْرَهُمُ الْمَلَّاحُ بِالْخُرُوجِ لِقَضَاءِ الْحَاجَةِ وَ حَذَرَهُمُ الْمَقَامُ وَ خَوْفُهُمْ مَرُورَ السَّفِينَةِ وَ اسْتَعْجَالُهَا فَتَفَرَّقُوا فِي نَوَاحِي الْجَزِيرَةِ فَقَضَى بَعْضُهُمْ حَاجَتَهُ وَ بَادَرَ إِلَى السَّفِينَةِ فَصَادَفَ الْمَكَانَ خَالِيًا فَأَخَذَ أَوْسَعَ الْمَوَاضِعِ وَأَلْيَنَهَا وَأَوْفَقَهَا لِمَرَادِهِ وَ بَعْضُهُمْ تَوَقَّفَ فِي الْجَزِيرَةِ يَنْظُرُ إِلَى أَزْهَارِهَا وَأَنْوَارِهَا الْعَجِيبَةِ وَ غِيَاضِهَا الْمَلْتَفَةِ وَ نَعْمَاتِ طَيُورِهَا الطَّيْبَةِ وَ أَلْحَانِهَا الْمَوْزُونَةَ الْغَرِيبَةَ وَ لَحْظَ فِي تَرْيِينِهَا أَحْجَارِهَا وَ جَوَاهِرِهَا وَ مَعَادِنِهَا الْمُخْتَلِفَةَ الْأَلْوَانَ ذَوَاتِ الْأَشْكَالِ الْحَسَنَةِ الْمَنْظَرِ الْعَجِيبَةِ النَّقْشِ السَّالِبَةِ أَعْيُنَ النَّاطِرِينَ بِحَسَنِ زِبْرَجِهَا وَ عَجَائِبِ صُورِهَا ثُمَّ تَنَبَّهُ لَخَطَرِ فَوَاتِ السَّفِينَةِ فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَلَمْ يَصَادَفْ إِلَّا مَكَانًا ضَيْقًا حَرَجًا فَاسْتَقَرَّ فِيهِ وَ بَعْضُهُمْ أَكْبَرَ فِيهَا عَلَى تِلْكَ الْأَصْدَافِ وَ الْأَحْجَارِ وَ قَدْ أَعْجَبَهُ حَسْنُهَا وَ لَمْ تَسْمَحْ نَفْسُهُ بِإِهْمَالِهَا

وتركها فاستصحب منها جملة فجاء إلى السفينة فلم يجد إلا مكانا ضيقا وزاده ما حمله ضيقا وصار ثقلا عليه ووبالا فندم على أخذه و لم تطعه نفسه على رميه و لم يجد موضعا له فحمله على عنقه [صفحة ٣٢٨] ورأسه وجلس في المكان الضيق في السفينة و هو متأسف على أخذه ونادم و ليس ينفعه ذلك وبعضهم تولج بتلك الأنوار والغياض ونسى السفينة وأبعد في متفرجه ومنتزعه حتى أن نداء الملاح لم يبلغه لاشتغاله بأكل تلك الثمار واشتغاله بتلك الأنوار والتفرج بين تلك الأشجار و هو مع ذلك خائف على نفسه من السباع والسقطات والنكبات ونهش الحيات و ليس ينفك عن شوك يتشبت بشيابه وغصن يجرح جسمه ومروءة تدمى رجله وصوت هائل يفزع منه وعوسج يملأ طريقه ويمنعه عن الانصراف لو أراد و كان في جماعة ممن كان معه في السفينة حالهم فلما بلغهم نداء السفينة راح بعضهم مثقلا بما معه فلم يجد في السفينة موضعا واسعا ولا ضيقا فبقى على الشط حتى مات جوعا وبعضهم بلغه النداء فلم يعرج عليه واستغرقته اللذة وسارت السفينة فمنهم من افترسته السباع ومنهم من تاه وهام على وجهه حتى هلك ومنهم من ارتطم في الأوحال ومنهم من نهشته الحيات فتفرقوا هلكى كالجيف المنتنة فأما من وصل إلى السفينة مثقلا بما أخذه من الأزهار والفاكهة اللذيذة والأحجار المعجبة فإنها استرقتة وشغله الحزن بحفظها والخوف من ذهابها عن جميع أموره وضاق عليه بطريقها مكانه فلم تلبث أن ذبلت تلك الأزهار وفسدت تلك الفاكهة الغضة وكمدت ألوان الأحجار وحالت فظهر له نتن رائحتها فصارت مع كونها مضيقه عليه مؤذيه له بنتنها ووحشتها فلم يجد حيلة إلا أن ألقاها في البحر هربا منها وقد أثر في مزاجه ما أكله منها فلم ينته إلى بلده إلا بعد أن ظهرت عليه الأسقام بما أكل و ماشم من تلك الروائح فبلغ سقيما وقيذا مدبرا و أما من كان رجوع عن قريب و مافاتة إلا سعة المحل فإنه تأذى بضيق المكان مدة ولكن لما وصل إلى الوطن استراح و أما من رجح أولا فإنه وجد المكان الأوسع ووصل إلى الوطن سالما طيب القلب مسرورا. [صفحة ٣٢٩] فهذا مثال أهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم موردتهم ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة أمرهم و ما أقبح حال من يزعم أنه بصير عاقل وتغره حجارة الأرض وهى الذهب والفضة وهشيم النبات و هوزينه الدنيا و هو يعلم يقينا أن شيئا من ذلك لا يصحبه عند الموت بل يصير كله وبالا عليه و هو فى الحال الحاضرة شاغل له بالخوف عليه والحزن والهم لحفظه و هذه حال الخلق كلهم إلا- من عصمه الله . و قد ضرب أيضا لها مثال آخر فى عبور الإنسان عليها قالوا الأحوال ثلاثة حال لم يكن الإنسان فيها شيئا وهى ما قبل وجوده إلى الأزل وحال لا يكون فيها موجودا مشاهدا للدنيا وهى بعدموته إلى الأبد وحالة متوسطة بين الأزل والأبد وهى أيام حياته فى الدنيا فلينظر العاقل إلى الطرفين الطويلين ولينظر إلى الحالة المتوسطة هل يجد لها نسبة إليها و إذ أراى العاقل الدنيا بهذه العين لم يركن إليها و لم يبال كيف تقضت أيامه فيها فى ضر و ضيق أو فى سعة ورفاهة بل لا يبنى لبنه على لبنه توفى رسول الله ص و ما وضع لبنه على لبنه و لا قصبه على قصبه ورأى بعض الصحابة بنى بيتا من جص فقال أرى الأمر أعجل من هذا وأنكر ذلك -رواية- ١-١٤٠ قال النبى ص ما لى وللدنيا إنما مثلى ومثلها كراكب سار فى يوم صائف فرفعت له شجرة فقام تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-١٢٨ إلى هذا أشار عيسى ابن مريم حيث قال الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها -رواية- ١-٢-رواية- ٤٢-٧٦ و هو مثل صحيح فإن الحياة الدنيا قنطرة إلى الآخرة والمهد هو أحد جانبي القنطرة واللحد الجانب الآخر وبينهما مسافة محدودة فمن الناس من قطع نصف القنطرة ومنهم من قطع ثلثيها ومنهم من لم يبق له إلا خطوة واحدة و هو غافل عنها وكيفما كان فلا بد من العبور والانتهاء و لا ريب أن عمارة هذه القنطرة وتزيينها بأصناف الزينة لمن [صفحة ٣٣٠] هو محمول قسرا وقهرا على عبورها يسوقه سائق عنيف غاية الجهل والخذلان . و فى الحديث المرفوع أن رسول الله ص مر على شاة ميتة فقال أترون أن هذه الشاة هينة على أهلها قالوا نعم و من هوانها ألقوها فقال و الذى نفسى بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها و لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة لماسقى كافرا منها شربة ماء -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-٢٧٥ قال ص الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر -رواية- ١-٢-رواية- ١١-٤٣ قال أيضا

الدنيا ملعونه ملعون ما فيها إلا ما كان لله منها -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-٦٢ قال أيضا من أحب دنياه أضر بآخرته و من أحب آخرته أضر بدنياه فأثروا مايقى على مايفنى -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-٩٧ قال أيضا حب الدنيا رأس كل خطيئه -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-٣٧ روى زيد بن أرقم قال كنا مع أبي بكر فدعا بشراب فأتى بماء وعسل فلما أدناه من فيه بكى حتى أبكى أصحابه فسكتوا و ماسكت ثم عاد ليشرب فبكى حتى ظنوا أنهم لايقدرن على مسألته ثم مسح عينيه فقالوا ياخليفة رسول الله ماأبكاك قال كنت مع رسول الله ص فرأيتة يدفع بيده عن نفسه شيئا و لم أر معه أحدا فقلت يا رسول الله ما الذى تدفع عن نفسك قال هذه الدنيا مثلت لى فقلت لها إليك عنى فرجعت وقالت إنك إن أفلت منى لم يفلت منى من بعدك و قال ص ياعجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود و هويسعى لدار الغرور -رواية- ١-٢-رواية- ٢٥-٥٣١ من الكلام المأثور عن عيسى ع لاتتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم الدنيا عبيدا فاكثروا كثركم عند من لا يضيعه فإن صاحب كثر الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كثر الآخرة لا يخاف عليه -رواية- ١-٢-رواية- ٣٤-١٧٩ [صفحه ٣٣١]

٣٩٢

مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ وَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى مَنِ فَمَاتَهُ حَسَبٌ نَفْسِهِ لَمْ يَنْفَعَهُ حَسَبُ آيَاتِهِ قَدْ تَقَدَّمَ مِثْلُ هَذَا وَ قَدْ ذَكَرْنَا مَا عُنَدْنَا فِيهِ وَ قَالَ الشَّاعِرُ لَئِنْ فَخِرْتَ بِأَبَاءِ ذَوِي حَسَبٍ || لَقَدْ صَدَقْتَ وَلَكِنْ بئس ما ولدوا . و كان يقال أجهل الناس من افتخر بالعظام البالية و تبجح بالقرون ٠-الماضية و اتكل على الأيام الخالية. و كان يقال من طريف الأمور حى يتكل على ميت . و كان يقال ضعه الدنىء فى نفسه و الرفيع فى أصله أقبح من ضعه الوضيع فى نفسه و أصله لأن هذاتشبهه بآبائه و سلفه و ذاك قصر عن أصله و سلفه فهو إلى الملامه أقرب و عن العذر أبعد. افتخر شريف بأبيه فقال خصمه لو وفتك لما ذكرت أباك لأنه حجه عليك تنادى بنقصك و تقر بتخلفك . كان جعفر بن يحيى يقول ليس من الكرام من افتخر بالعظام . و قال الفضل بن الربيع كفى بالمرء عارا أن يفتخر بغيره . [صفحه ٣٣٢] و قال الرشيد من افتخر بآبائه فقد نادى على نفسه بالعجز و أقر على همته بالدناءة. و قال ابن الرومى و ما الحسب الموروث لا در دره || بمحتسب إلا بآخر مكتسب إذا العود لم يثمر و إن كان شعبه || من الثمرات أعتده الناس فى الحطب . و قال عبد الله بن جعفر لسنا و إن أحسابنا كرمت || يوما على الآباء نتكل بنبى كما كانت أوائلنا || تبنى و نفع مثل ما فعلوا و قال آخر و ما فخرى بمجد قام غيرى || إليه إذا رقدت الليل عنه إلى حسب الفتى فى نفسه انظر || و لا تنظر هديت إلى ابن من هو و قال آخر إذا فخرت بآبائى و أجدادى || فقد حكمت على نفسى لأضدادى هل نافعى إن سعى جدى لمكرمه || و نمت عن أختها فى جانب الوادى و قال آخر أيقنعنى كونى بمن كونى ابنه || أبالى أن أرضى لفخرى بمجده إذا المرء لم يحو العلاء بنفسه || فليس بحاو للعلاء بجده و هل يقطع السيف الحسام بأصله || إذا هو لم يقطع بصارم حده . و قيل لرجل يدل بشرف آبائه لعمري لك أول ولكن ليس لأولك آخر. [صفحه ٣٣٣] و مثله أن شريفا بآبائه فاخر شريفا بنفسه فقال الشريف بنفسه انتهى إليك شرف أهلک و منى ابتداء شرف أهلى و شتان بين الابتداء و الانتهاء. و قيل لشريف ناقص الأدب إن شرفك بأبيك لغيرك و شرفك بنفسك لك فافرق بين ما لك و ما لغيرك و لا تفرح بشرف النسب فإنه دون شرف الأدب [صفحه ٣٣٤]

٣٩٣

مَنْ طَلَبَ شَيْئًا نَالَهُ أَوْ بَعْضَهُ هَذَا مِثْلُ قَوْلِهِمْ مَنْ طَلَبَ وَجِدَ وَجِدَ وَ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ مَا لَزِمَ أَحَدٌ بَابَ الْمَلِكِ فَاحْتَمَلَ الذَّلَّ

مَا خَيْرٌ بِخَيْرِ بَعْدَهُ النَّارُ وَ مَا شَرٌّ بِشَرِّ بَعْدَهُ الْجَنَّةُ وَ كُلُّ نَعِيمٍ دُونَ الْجَنَّةِ مَحْقُورٌ وَ كُلُّ بَلَاءٍ دُونَ النَّارِ عَافِيَةٌ مَوْضِعَ بَعْدِهِ النَّارُ رَفَعَ لِأَنَّهُ صِفَةُ خَيْرٍ أَلَّذِي بَعْدَ مَا وَ خَيْرٍ يَرْفَعُ لِأَنَّهُ اسْمٌ مَا وَمَوْضِعَ الْجَارِ وَالْمَجْرُورِ نَصَبٌ لِأَنَّهُ خَبَرٌ مَا وَالباءُ زائِدةٌ مِثْلُهَا فِي قَوْلِكَ مَا أَنْتَ بِزَيْدٍ كَمَا تَزَادُ فِي خَبَرٍ لَيْسَ وَالتقديرُ مَاخَيْرٌ تَتَعَبَقِبُهُ النَّارُ بِخَيْرٍ كَمَا تَقُولُ مَا لَذَلِكَ تَتَلَوْنَهَا نَعِصَةً بِلَذَلِكَ وَ لا يَنْقَدِحُ فِي مَا لَوَجْهَانِ اللَّذَانِ ذَكَرَهُمَا أَرْبَابُ الصَّنَاعَةِ النَّحْوِيَّةِ فِي لَأَ فِي قَوْلِهِمْ لِأَخِيرٍ بِخَيْرٍ بَعْدَهُ النَّارُ أَحَدُهُمَا مَا ذَكَرْنَاهُ فِي مَا وَالأخرُ أَنْ يَكُونَ مَوْضِعَ بَعْدِهِ النَّارُ جَرًّا لِأَنَّهُ صِفَةُ خَيْرٍ الْمَجْرُورِ وَ يَكُونُ مَعْنَى الْبَاءِ مَعْنَى فِي كَقَوْلِكَ زَيْدٌ بِالْدارِ وَ فِي الدارِ وَيَصِيرُ تَقْدِيرُ الْكَلَامِ لِأَخِيرٍ فِي خَيْرٍ تَعَبَقِبُهُ النَّارُ وَ ذَلِكَ أَنْ مَا تَسْتَدْعَى خَبْرًا مَوْجُودًا فِي الْكَلَامِ بِخِلَافِ لَأَ فَإِنْ خَبَرَهَا مَحذُوفٌ فِي مِثْلِ قَوْلِكَ لِإِلَهِ إِلا اللَّهُ وَنَحْوَهُ أَى فِي الْوُجُودِ أَوْلْنَا أَوْ مَا شَبَّهَ ذَلِكَ وَ إِذَا جَعَلْتَ بَعْدَهُ صِفَةَ خَيْرٍ الْمَجْرُورِ لَمْ يَبْقَ مَعَكَ مَا تَجْعَلُهُ خَبْرًا مَا. وَأَيْضًا فَإِنْ مَعْنَى الْكَلَامِ يَفْسُدُ فِي مَا بِخِلَافِ لِأَنَّ لِالنَّفْيِ الْجِنْسَ فَكَأَنَّهُ [صفحة ٣٣٦] نَفَى جِنْسَ الْخَيْرِ عَنِ خَيْرٍ تَتَعَبَقِبُهُ النَّارُ وَ هَذَا مَعْنَى صَحِيحٍ وَ كَلَامٍ مُنْتَظَمٍ وَ مَا هَاهُنَا إِنْ كَانَتْ نَافِيَةٌ أَحْتَاجَتْ إِلَى خَبَرٍ يَنْتَظِمُ بِهِ الْكَلَامُ وَ إِنْ كَانَتْ اسْتَفْهَامًا فَسَدَ الْمَعْنَى لِأَنَّ مَا لَفِظٌ يَطْلُبُ بِهِ مَعْنَى الْأَسْمِ كَقَوْلِهِ مَا الْعَنْقَاءُ أَوْ يَطْلُبُ بِهِ حَقِيقَةُ الذَّاتِ كَقَوْلِكَ مَا الْمَلِكُ وَ لَسْتُ تَطِيقُ أَنْ تَدْعَى أَنْ مَا لَلِاسْتَفْهَامِ هَاهُنَا عَنِ أَحَدِ الْقَسْمَيْنِ مَدْخَلًا لِأَنَّكَ تَكُونُ كَأَنَّكَ قَدْ قَلْتَ أَى شَيْءٌ هُوَ خَيْرٌ فِي خَيْرٍ تَتَعَبَقِبُهُ النَّارُ وَ هَذَا كَلَامٌ لِمَعْنَى لَهُ [صفحة ٣٣٧]

أَلَا وَ إِنْ مِنْ الْبَلَاءِ الْفَاقَةُ وَ أَشَدُّ مِنَ الْفَاقَةِ مَرَضُ الْبَدَنِ وَ أَشَدُّ مِنْ مَرَضِ الْبَدَنِ مَرَضُ الْقَلْبِ أَلَا وَ إِنْ مِنْ النِّعَمِ سَعَةِ الْمَالِ وَ أَفْضَلُ مِنْ سَعَةِ الْمَالِ سَعَةُ الْيَدَنِ وَ أَفْضَلُ مِنْ سَعَةِ الْيَدَنِ تَقْوَى الْقَلْبِ قَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِي الْفَاقَةِ وَالْغِنَى فَأَمَّا الْمَرَضُ وَالْعَافِيَةُ فَفِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ إِلَيْكَ انْتَهتِ الْأَمَانِي يَا صَاحِبَ الْعَافِيَةِ - رَوَايَاتُ ١- ٢- رَوَايَاتُ ٢٤- ٦٢- فَأَمَّا مَرَضُ الْقَلْبِ وَصَحْتُهُ فَالْمُرَادُ بِهِ التَّقْوَى وَضَدُهَا وَ قَدْ سَبَقَ الْقَوْلُ فِي ذَلِكَ . وَ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ الْكَاتِبُ الْمَالُ لِلْمَرْءِ فِي مَعِيشَتِهِ || خَيْرٌ مِنَ الْوَالِدِينَ وَالْوَالِدِ إِنْ تَدَمَّ نِعْمَةٌ عَلَيْكَ تَجِدُ || خَيْرًا مِنَ الْمَالِ صِحَّةُ الْجَسَدِ وَ مَا بَيْنَ نَالَ فَضْلَ عَافِيَةٍ || وَقَوْلُ يَوْمَ فَقَرَّ إِلَى أَحَدٍ [صفحة ٣٣٨]

لِلْمُؤْمِنِ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ فَسَاعَةٌ يَنْجِي فِيهَا رَبُّهُ وَ سَاعَةٌ يَرْمُ فِيهَا مَعَايِشُهُ وَ سَاعَةٌ يَخْلِي فِيهَا بَيْنَ نَفْسِهِ وَ بَيْنَ لَذَّتِهَا فِيمَا يَحِلُّ وَ يَجْمَلُ وَ لَيْسَ لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ شَاخِصًا إِلَّا فِي ثَلَاثِ مَرْمِيَةٍ لِمَعَاشٍ أَوْ خُطْوَةٍ فِي مَعَادٍ أَوْ لَمَذَةٍ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ تَقْدِيرُ الْكَلَامِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ زَمَانُ الْعَاقِلِ مَقْسُومًا ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ . وَيَرْمُ مَعَاشَهُ يَصِلِحُهُ وَ شَاخِصًا رَاحِلًا وَ خُطْوَةً فِي مَعَادٍ يَعْنِي فِي عَمَلِ الْمَعَادِ وَ هُوَ الْعِبَادَةُ وَالطَّاعَةُ. وَ كَانَ شَيْخُنَا أَبُو عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقْسِمُ زَمَانَهُ عَلَى مَا أَصَفَ لَكَ كَانَ يَصَلِي الصَّبْحَ وَ الْكَوَاكِبَ طَالِعَةً وَ يَجْلِسُ فِي مَحْرَابِهِ لِلذِّكْرِ وَ التَّسْبِيحِ إِلَى بَعْدِ طُلُوعِ الشَّمْسِ بِقَلِيلٍ ثُمَّ يَتَكَلَّمُ مَعَ التَّلَامِذَةِ وَ طَلِبَةِ الْعِلْمِ إِلَى ارْتِفَاعِ النَّهَارِ ثُمَّ يَقُومُ فَيَصَلِي الضُّحَى ثُمَّ يَجْلِسُ فَيَتِمُّ الْبَحْثَ مَعَ التَّلَامِذَةِ إِلَى أَنْ يُؤْذَنَ لِلظُّهْرِ فَيَصَلِيهَا بِنَوَافِلِهَا ثُمَّ يَدْخُلُ إِلَى أَهْلِهِ فَيَصَلِحُ شَأْنَهُ وَيَقْضِي حَوَائِجَهُ ثُمَّ يَخْرُجُ لِلْعَصْرِ فَيَصَلِيهَا بِنَوَافِلِهَا وَ يَجْلِسُ مَعَ التَّلَامِذَةِ إِلَى الْمَغْرَبِ فَيَصَلِيهَا وَيَصَلِي الْعِشَاءَ ثُمَّ يَشْتَغِلُ بِالْقُرْآنِ إِلَى ثَلَاثِ اللَّيْلِ ثُمَّ يَنَامُ الثَّلَاثَ الْأَوْسَطَ ثُمَّ يَقْعُدُ فَيَصَلِي الثَّلَاثَ الْأَخِيرَ كُلَّهُ إِلَى الصَّبْحِ [صفحة ٣٣٩]

ازهد في الدنيا يُبصِرَكَ اللَّهُ عَوْرَاتِهَا وَ لَا تَغْفُلْ فَلَسْتَ بِمَغْفُولٍ عَنْكَ أمره بالزهد في الدنيا وجعل جزاء الشرط تبصير الله تعالى له عورات الدنيا و هذاحق لأن الراغب في الدنيا عاشق لها والعاشق لا يرى عيب معشوقه كما قال القائل وعين الرضا عن كل عيب كليله || ولكن عين السخط تبدي المساويا فإذا زهد فيها فقد سخطها و إذا سخطها أبصر عيوبها مشاهدة لاروايه. ثم نهاه عن الغفلة و قال له إنك غير مغفول عنك فلا تغفل أنت عن نفسك فإن أحق الناس وأولاهم ألا يغفل عن نفسه من ليس بمغفول عنه و من عليه رقيب شهيد يناقشه على الفتيل والنقير [صفحه ٣٤٠]

تَكَلَّمُوا تُعَرَّفُوا فَإِنَّ الْمَرْءَ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ هذه إحدى كلماته ع التي لاقيمه لها و لا يقدر قدرها والمعنى قد تداوله الناس قال وكائن ترى من صامت لك معجب || زيادته أو نقصه في التكلم لسان الفتى نصف ونصف فواده || فلم يبق إلا صورة اللحم والدم . و كان يحيى بن خالد يقول ما جلس إلى أحد قط إلا هبته حتى يتكلم فإذا تكلم إما أن تزداد الهيبة أو تنقص [صفحه ٣٤١]

نِعَمَ الطَّيِّبِ الْمِسْكِ خَفِيفٌ مَحْمَلُهُ عَطِرٌ رِيحُهُ

فصل فيما ورد في الطيب من الآثار

كان النبي ص كثير التطيب بالمسك وبغيره من أصناف الطيب . و جاء الخبر الصحيح عنه حبب إلى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقره عيني في الصلاة -رواية- ١-٢-رواية- ٢٥-٨٨ . و قدرويت لفظه أمير المؤمنين ع عنه مرفوعة ونحوها لا تردوا الطيب فإنه طيب الريح خفيف المحمل -رواية- ١-٤٩ . سرق أعرابي نافجة مسك فليل له و من يغلل يأت بما غل يوم القيامة قال إذن أحملها طيبة الريح خفيفة المحمل . و في الحديث المرفوع أنه ع بايع قوما كان بيد رجل منهم ردع خلوق فبايعه بأطراف أصابعه و قال خير طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفى لونه وخير طيب النساء ما ظهر لونه وخفى ريحه -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-١٨٣ عنه ع في صفة أهل الجنة ومجامرهم الألوه -رواية- ١-٢-رواية- ١١-٤٦ وهي العود الهندي. [صفحه ٣٤٢] و روى سهل بن سعد عنه ع أن في الجنة لمراغا من مسك مثل مراغ دوابكم هذه -رواية- ١-٢-رواية- ٢٧-٨٠ روى عنه ع أيضا في صفة الكوثر جاله المسك أي جانبه ورضراضة التوم وحبصاؤه اللؤلؤ -رواية- ١-٢-رواية- ١٩-٨٨ قالت عائشة كأنني أنظر إلى وبيص المسك في مفارق رسول الله ص و هو محرم -رواية- ١-٢-رواية- ١٤-٧٧ كان ابن عمر يستجمر بعود غير مطرى ويجعل معه الكافور و يقول هكذا رأيت رسول الله ص يصنع -رواية- ١-٩٤ روى أنس بن مالك قال دخل علينا

رسول الله ص فقال عندنا والوقت صيف فعرق فجاءت أمى بقارورة فجعلت تسلت عرقه فاستيقظ وقال يا أم سليم ماتصنعين قالت هذا عرقك نجعله فى طيبنا فإنه من أطيب الطيب ونرجو به بركة صياننا فقال أصبت -رواية- 1-2-رواية- 26-244 . و من كلام عمر لو كنت تاجرا ما اخترت غير العطر إن فاتنى ربحه لم يفتنى ريحه .ناول المتوكل أحمد بن أبى فزن فأرأه مسك فأنشده لئن كان هذا طيبنا و هو طيب || لقد طيبته من يديك الأنامل .قالوا سميت الغالية غالية لأن عبد الله بن جعفر أهدى لمعاوية قارورة منها فسأله كم أنفق عليها فذكر مالا فقال هذه غالية فسميت غالية .شم مالك بن أسماء بن خارجة الفزارى من أخته هند بنت أسماء ريح غالية وكانت تحت الحجاج فقال علمينى طيبك قالت لأفعل أتريد أن تعلمه [صفحہ 343] جواريك هو لك عندى ما أردته ثم ضحكت وقالت و الله ماتعلمته إلا - من شعرك حيث قلت أطيب الطيب طيب أم أبان || فأر مسك بعنبر مسحوق خلطته بعودها و بيان || فهو أحوى على اليمين شريق . وروى أبو قلابة قال كان ابن مسعود إذا خرج من بيته إلى المسجد عرف من فى الطريق أنه قدم من طيب ريحه . وروى الحسن بن زيد عن أبيه قال رأيت ابن عباس حين أحرم والغالية على صلته كأنها الرب . أولم المتوكل فى طهر بنيه فلما كثر اللعب قال ليحيى بن أكرم انصرف أيها القاضى قال و لم قال لأنهم يريدون أن يخلطوا قال أحوج ما يكونون إلى قاض إذا خلطوا فاستظرفه وأمر أن تغلف لحيته ففعل فقال يحيى إنا لله ضاعت الغالية كانت هذه تكفينى دهرًا لو دفعت إلى فأمر له بزورق لطيف من ذهب مملوء من غالية ودرج بخور فأخذهما وانصرف . وروى عكرمة أن ابن عباس كان يطلى جسده بالمسك فإذا مر بالطريق قال الناس أمر ابن عباس أم المسك و قال أبو الضحى رأيت على رأس ابن الزبير من المسك ما لو كان لى لكان رأس مالى . لمابنى عمر بن عبدالعزيز على فاطمة بنت عبد الملك أسرج فى مسارجه تلك الليلة الغالية إلى أن طلعت الشمس . كانت لابن عمر بندقة من مسك يبو كها بين راحتيه فتفوح رائحتها . كان عمر بن عبدالعزيز فى إمارته المدينة يجعل المسك بين قدميه ونعله فقال فيه الشاعر يمدحه له نعل لا تطيبى الكلب ريحها || و إن وضعت فى مجلس القوم شمت . [صفحہ 344] سمع عمر قول سحيم عبد بنى الحساس وهبت شمال آخر الليل قره || ولا ثوب إلا درعها وردائيا فما زال بردى طيبا من ثيابها || مدى الحول حتى أنهج البرد باليا فقال له ويحك إنك مقتول فلم تمض عليه أيام حتى قتل . قال الشعبى الرائحة الطيبة تزيد فى العقل . كان عبد الله بن زيد يتخلق بالخلوق ثم يجلس فى المجلس . وكانوا يستحبون إذا قاموا من الليل أن يمسخوا مقادير لحاهم بالطيب . واشترى تميم الدارى حلة بثمانمائة درهم وهيا طيبا فكان إذا قام من الليل تطيب ولبس حلته وقام فى المحراب . و قال أنس يا جميلة هبى لنا طيبا أمسح به يدي فإن ابن أم ثابت إذا جاء قبل يدي يعنى ثابتا البنانى . و قال سلم بن قتيبة لقد شممت من فلان رائحة أطيب من مشطه العروس الحسنة فى أنف العاشق الشبق . و من كلام بعض الصالحين الفاسق رجس و لو تضحك بالغالية . عرضت مدينة لكثير فقالت له أنت القائل فما روضة بالحزن طيبة الثرى || يمج الندى جثائها وعرارها بأطيب من أردان عزة موهنا || و قد أوقدت بالمندل الرطب نارها لو كانت هذه الصفة لزنجية تجتلى الحلة لطابت هلا قلت كما قال سيدك إمرو القيس [صفحہ 345] أ لم تريانى كلما جئت طارقا || وجدت بهاطيبا و إن لم تطيب . و قال الزمخشري إن النوى المنقع بالمدينة ينتاب أشرفها المواضع التى يكون فيها التماسا لطيب ريحه و إذا وجدوا ريحه بالعراق هربوا منها لخبثها قال و من اختلف فى طرقات المدينة وجد رائحة طيبة وبنه عجيبة ولذلك سميت طيبة والزنجية بها تجعل فى رأسها شيئا من بلح و ما لاقيمة له فتجد له خمرة لا يعدلها بيت عروس من ذوات الأقدار . قال و لو دخلت كل غالية و عطر قصبه الأهواز وقصبه أنطاكية لوجدتها قد تغيرت وفسدت فى مدة يسيرة . أراد الرشيد المقام فى أنطاكية فقال له شيخ منها إنها ليست من بلادك فإن الطيب الفاخر يتغير فيها حتى لا ينتفع منه بشيء والسلاح يصدأ فيها . سيراف من بلاد فارس لها فغمة طيبة . فأرأه المسك دويبة شبيهة بالخشف تكون فى ناحية تبت تصاد لأجل سرتها فإذا صاها الصائد عصب سرتها بعصاب شديد وهى مدلاة فيجتمع فيهادمها ثم يذبحها و ما أكثر من يأكلها ثم يأخذ السررة فيدفنها فى الشعر حتى يستحيل الدم المحتقن

فيهامسكا ذكيا بعد أن كان لا يرام نتنا و قد يوجد في البيوت جردان سود يقال لها فأر المسك ليس عندها إلا رائحة لازمة لها. وذكر شيخنا أبو عثمان الجاحظ قال سألت بعض أصحابنا المعتزلة عن شأن المسك فقال لو لا أن رسول الله ص تطيب بالمسك لمات تطيب به لأنه دم فأما [صفحة ٣٤٦] الزباد فليس مما يقرب ثيابي فقلت له قد يرضع الجدى من لبن خنزيرة فلا يحرم لحمه لأن ذلك اللبن استحال لحما وخرج من تلك الطبيعة و عن تلك الصورة و عن ذلك الاسم وكذا لحم الجلالة فالمسك غير الدم والخل غير الخمر والجوهر لا يحرم لذاته وعينه وإنما يحرم للأعراض والعلل فلا تقزز منه عند ذكرك الدم فليس به بأس . قال الزمخشري والزبادة هرة ويقال للزبلع وهم الذين يجتلبون الزباد يازيلع الزبادة ماتت فيغضب . و قال ابن جرلة الطيب في المنهاج الزباد طيب يؤخذ من حيوان كالسنور يقال إنه وسخ في رحمها . و قال الزمخشري العنبر يأتي طفاوة على الماء لا يدري أحد معدنه يقذفه البحر إلى البر فلا يأكل منه شيء إلا مات و لا ينقره طائر إلا بقي منقاره فيه و لا يقع عليه إلا نصلت أظفاره والبحريون والعطارون ربما وجدوا فيه المنقار والظفر. قال والبال و هوسمكة طولها خمسون ذراعا يؤكل منه اليسير فيموت . قال وسمعت ناسا من أهل مكة يقولون هو وضع ثور في بحر الهند وقيل هو من زبد بحر سرنديب وأجوده الأشهب ثم الأزرق وأدونه الأسود. و في حديث ابن عباس ليس في العنبر زكاة إنما هو شيء يدسه البحر أى يدفعه -رواية ١-٢-رواية ٢٢-٧٧ . [صفحة ٣٤٧] فأما صاحب المنهاج في الطب فقال العنبر من عين في البحر و يكون جماجم أكبرها وزنه ألف مثقال والأسود أردأ أصنافه وكثيرا ما يوجد في أجواف السمك التي تأكله وتموت وتوجد فيه سهوكة. و قال في المسك أنه سره دابة كالطبي له نابان أبيضان معقفان إلى الجانب الإنسي كقرنين . جاء في الحديث المرفوع لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وليخرجن إذا خرجن ثقلات -رواية ١-٢-رواية ٢٦-٨٣ في الحديث أيضا إذا شهدت إحداكن العشاء فلا تمس طيبا -رواية ١-٢-رواية ١٩-٥٧ والمراد من ذلك ألا تهيج عليهن شهوة الرجال . قال الشاعر والمسك بينا تراه ممتنها || بفهر عطاره وساحقه حتى تراه في عارضى ملك || أو موضع التاج من مفارقه .الصنوبرى في استهداء المسك المسك أشبه شيء بالشباب فهب || بعض الشباب لبعض العصبه الشيب يقال إن رجلا وجد قرطاسا فيه اسم الله تعالى فرفعه و كان عنده دينار فاشترى به مسكا فطيبه فرأى في المنام قائلا يقول له كما طيبت اسمى لأطيبين ذكرك . قال خالد بن صفوان ليزيد بن المهلب ما رأيت صدا المغفر و لا عقب العنبر بأحد أليق منه بك فقال حاجتك قال ابن أخ لى فى حبسك فقال يسبقك إلى المنزل . [صفحة ٣٤٨] شاعر كأن دخان الند ما بين جمره || بقايا ضباب فى رياض شقيق .قالوا خير العود المندى و هو منسوب إلى مندل قرية من قرى الهند وأجوده أصلبه وامتحان رطبه أن ينطبع فيه نقش الخاتم واليابس تفصح عنه النار و من خاصية المندى أن رائحته تثبت فى الثوب أسبوعا و أنه لا يقمل مادامت فيه . قال صاحب المنهاج العود عروق أشجار تطلع وتدفن فى الأرض حتى تتعفن منها الخشبية والقشرية ويبقى العود الخالص وأجوده المندى ويجلب من وسط بلاد الهند ثم العود الهندى و هو يفضل على المندى بأنه لا يولد القمل و هو عقب بالثياب . قال وأفضل العود أرسبه فى الماء والطاقى ردىء . قال أبو العباس الأعمى ليت شعرى من أين رائحة المسك || و ما إن أخال بالخيف أنسى حين غابت بنو أمية عنه || والبهايل من بنى عبد شمس خطباء على المنابر فرسان || على الخيل قالة غير خرس بحلوم مثل الجبال رزان || ووجوه مثل الدنانير ملس .المسيب بن علس تبيت الملوك على عتبها || وشيبان إن غضبت تعتب و كالشهد بالراح أفاظهم || وأخلاقهم منهما أعذب [صفحة ٣٤٩] و كالمسك ترب مقاماتهم || وترب قبورهم أطيب .أخذة العباس بن الأحنف فقال و أنت إذا ما وطئت التراب || كان ترابك للناس طيبا . وهجا بعض الشعراء العمال فى أيام عمر ووقع عليهم فقال فى بعض شعره نثوب إذا آبوا ونغزو إذا غزوا || فأنى لهم وفر ولسنا ذوى وفر إذا التاجر الدارى جاء بفارة || من المسك راحت فى مفارقهم تجرى فقبض عمر على العمال وصادرهم .قالوا فى الكافور إنه ماء فى شجر مكفور فيه يغرزونه بالحديد فإذا خرج إلى ظاهر ذلك الشجر ضربه الهواء فانهقد كالصموغ الجامدة على الأشجار . و قال صاحب المنهاج هو أصناف

منها الفنصوري والرباحي والأزاد والإسفر كالأزرق وهو المختط بخشبه وقيل إن شجرته عظيمة تظلل أكثر من مائة فارس وهي بحرية وخشب الكافور أبيض إلى الحمرة خفيف والرباحي يوجد في بدن شجرته قطع كالثلج فإذا شقت الشجرة تناثر منها الكافور الند هو الغالية وهو العود المطري بالمسك والعنبر ودهن البان و من الناس من لا يضيف إليه دهن البان ويجعل عوضه الكافور ومنهم من لا يضيف إليه الكافور أيضا و من الناس من يركب الغالية من المسك والعنبر والكافور ودهن النيلوفر. قال الأصمعي قلت لأبي المهدية الأعرابي كيف تقول ليس الطيب إلا المسك فلم يحفل الأعرابي وذهب إلى مذهب آخر فقال فأين أنت عن العنبر فقلت كيف تقول ليس الطيب إلا المسك والعنبر قال فأين أنت عن البان قلت فكيف تقول ليس الطيب إلا المسك والعنبر والبان وادهان بحجر قال فأين أنت عن فارة الإبل صادرة فرأيت أني قد أكثرت عليه فتركته قال وفارة الإبل ريحها حين تصدر عن الماء وقد أكلت العشب الطيب . وفي فارة الإبل يقول الشاعر كأن فارة مسك في مباءتها || إذابدا من ضياء الصبح تنتشر كان لأبي أيوب المرزباني وزير المنصور دهن طيب يدهن به إذاركب إلى المنصور فلما رأى الناس غلبته على المنصور وطاعته له فيما يريد حتى إنه ربما كان يستحضره ليوقع به فإذا رآه تبسم إليه وطابت نفسه قالوا دهن أبي أيوب من عمل السحرة وضربوا به المثل فقالوا لمن يغلب على الإنسان معه دهن أبي أيوب . أعرابي فيها مدر كف ومشم أنف . وقال عيينة بن أسماء بن خارجة الفزاري لو كنت أحمل خمرا حين زرتكم || لم ينكر الكلب أني صاحب الدار لكن أتيت وريح المسك يقدمني || والعنبر الورد مشبوبا على النار فأنكر الكلب ريحي حين خالطني || و كان يالف ريح الزق والقار قال الأصمعي ذكر لأبي أيوب هؤلاء الذين يتشرفون فقال ما علمت أن القدر والذفر من الدين . ريح الكلب مثل في التن قال الشاعر ريحها ريح كلاب || هارشت في يوم طل . و قال آخر يزداد لؤما على المديح كما || يزداد تن الكلاب في المطر . [صفحة ٣٥١] وقالت امرأة إمري القيس له و كان مفركا عند النساء إذ اعرق عرق بريح كلب قال صدقت إن أهلي أروضوني مرة بلبن كلبه . قال سلمة بن عياش يقول لجعفر بن سليمان فما شم أنفي ريح كف رأيتها || من الناس إلا ريح كفك أطيب فأمر له بألف دينار ومائة مثقال من المسك ومائة مثقال من العنبر . وجه عمر إلى ملك الروم بريد فاشترت أم كلثوم امرأة عمر طيبا بدنانير وجعلته في قارورتين وأهدتهما إلى امرأة ملك الروم فرجع البريد إليها ومعه ملء القارورتين جواهر فدخل عليها عمر وقد صبت الجواهر في حجرها فقال من أين لك هذا فأخبرته فقبض عليه وقال هذا للمسلمين قالت كيف وهو عوض هديتي قال بيني وبينك أبوك فقال على لك منه بقيمة دينارك والباقي للمسلمين جملة لأن بريد المسلمين حملة -رواية- ١-٤١٤ . قيل لخديجة بنت الرشيد رسل العباس بن محمد على الباب معهم زنبيل يحمله رجلا فقلت تراه بعث إلى باقلاء فكشف الزنبيل عن جرة مملوءة غالية فيها مسحاه من ذهب و إذ برقة هذه جرة أصيبت هي وأختها في خزائن بني أمية فأما أختها فغلب عليها الخلفاء و أما هذه فلم أر أحدا أحق بهامنك [صفحة ٣٥٢]

٠٤٠٠

إشارة

ضَعَفَ فَخْرَكَ وَ أَحْطَطَ كِبْرَكَ وَ اذْكَرَ قَبْرَكَ قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي الْعَجَبِ وَالْكَبْرِ وَالْفَخْرِ

في الحديث المرفوع أن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء الناس لآدم و آدم من تراب مؤمن تقى وفاجر شقى لينتهين أقوام يتفاخرون برجال إنما هم فحم من فحم جهنم أوليكونن أهون على الله من جعلات تدفع التين بأنفها -رواية- ١- ٢-رواية- ٢٣-٢٤٤ من وصيته ص إلى على ع لافقر أشد من الجهل و لاوحشهُ أفحش من العجب -رواية- ١-٢-رواية- ٢٩- ٧٥. أتى وائل بن حجر النبي ص فأقطعه أرضا وأمر معاوية أن يمضى معه فيريه الأرض ويعرضها عليه ويكتبها له فخرج مع وائل في هاجرة [صفحہ ٣٥٣] شاوية ومشى خلف ناقته فأحرقته الرمضاء فقال أردفنى قال لست من أرداف الملوك قال فادفع إلى نعليك قال ما بخل يمنعنى يا ابن أبى سفيان ولكن أكره أن يبلغ أقبال اليمن أنك لبست نعلى ولكن امش فى ظل ناقتى فحسبك بذاك شرفا ويقال إنه عاش حتى أدرك زمن معاوية فأجلسه معه على سريريه . قيل لحكيم ما الشئ الذى لا يحسن أن يقال و إن كان حقا فقال الفخر. حبس هشام بن عبد الملك الفرزدق فى سجن خالد بن عبد الله القسرى فوفد جرير إلى خالد ليشفع فيه فقال له خالد ألا يسرك أن الله قد أخزى الفرزدق فقال أيها الأمير و الله ما أحب أن يخزيه الله إلا بشعري وإنما قدمت لأشفع فيه قال فاشفع فيه فى ملا ليكون أخزى له فشفع فيه فدعا به فقال إنى مطلقك بشفاعه جرير فقال أسير قسرى و طليق كلبى فبأى وجه أفاخر العرب بعدها ردى إلى السجن . ذكر أعرابى قوما فقال مانالوا بأناملهم شيئا إلا و قدوطنناه بأخامص أقدامنا و إن أقصى مناهم لأدنى فعالنا. نظر رجل إلى بعض ولد أبى موسى يخال فى مشيته فقال ألا ترون مشيته كأن أباه خدع عمرو بن العاص . وسمع الفرزدق أبا بردة يقول كيف لأتبختر و أنا ابن أحد الحكمين فقال أحدهما مائق والآخر فاسق فكن ابن أيهما شئت . نظر رسول الله ص إلى أبى دجانة و هو يتبختر بين الصفين فقال إن هذه مشية يبغضها الله إلا فى هذا الموطن -رواية- ١-١٠٩ . [صفحہ ٣٥٤] لمابغ الحسن بن على ع قول معاوية إذا لم يكن الهاشمى جوادا والأموى حليما والعوامى شجاعا والمخزومى تياها لم يشبهوا آباءهم فقال إنه و الله ما أراد بها النصيحة ولكن أراد أن يفنى بنو هاشم ما فى أيديهم فيحتاجوا إليه و أن يشجع بنو العوام فيقتلوا و أن يتيه بنو مخزوم فيمقتوا و أن يحلم بنو أمية فيحبهم الناس -رواية- ١-٣٢٤ . كان قاضى القضاء محمد بن أبى الشوارب الأموى تائها فهجاه عبد الأعلى البصرى فقال إنى رأيت محمدا متشاوسا || مستصغرا لجميع هذى الناس و يقول لما أن تنفس خاليا || نفسا له يعلو على الأنفاس ويح الخلافه فى جوانب لحيتى || تستن دون لحي بنى العباس . بعض الأموية إذاتائه من عبد شمس رأيت || يتيه فرشحه لكل عظيم و إن تاه تياه سواه فإنه || يتيه لحمق أو يتيه للوم . لبعض الأموية أيضا ألسنا بنى مروان كيف تبدلت || بنا الحال أودارت علينا الدوائر إذا ولد المولود منا تهلت || له الأرض و اهترت إليه المنابر . بعض التياهين أتية على إنس البلاد و جنبها || و لو لم أجد خلقا أتية على نفسى أتية فلا أدرى من التيه من أنا || سوى ما يقول الناس فى و فى جنسى فإن زعموا أنى من الإنس مثلهم || فما لى عيب غير أنى من الإنس . [صفحہ ٣٥٥] بعض العلوية لقد نازعتنا من قريش عصابة || بمط حدود و امتداد أصابع فلما تنازعنا الفخار قضى لنا || عليهم بما نهوى نداء الصوامع ترانا سكوتا والشهيد بفضلنا || عليهم أذان الناس فى كل جامع بأن رسول الله لاشك جدنا || و أن بنيه كالنجوم الطوالع . كان عماره بن حمزه بن ميمون مولى بنى العباس مثلا فى التيه حتى قيل أتية من عماره و كان يتولى دواوين السفاح والمنصور و كان إذا أخطأ مضى على خطئه تكبرا عن الرجوع و يقول نقض وإبرام فى حاله واحده الإصرار على الخطأ أهون من ذلك و افتخرت أم سلمة المخزومية امرأة السفاح ذات ليلة بقومها على السفاح و بنو مخزوم يضرب بهم المثل فى الكبر والتيه فقال أنا أحضرك الساعة على غير أهبة مولى من موالى ليس فى أهلك مثله فأرسل إلى عماره و أمر الرسول أن يعجله عن تغيير زييه فجاء على الحال التى وجدته عليها الرسول فى ثياب ممسكة مزررة بالذهب و قد غلف لحيته بالغالية حتى قامت فرمى إليه السفاح بمدنه ذهب مملوء غالية فلم يلتفت إليه

و قال هل ترى لها فى لحيته موضعا فأخرجت أم سلمة عقدا لها ثمينا وأمرت خادما أن يضعه بين يديه فقام وتركه فأمرت الخادم أن يتبعه به و يقول إنها تسألك قبله فقال للخادم هو لك فانصرف بالعقد إليها فأعطت الخادم فكاكه عشرة آلاف دينار واسترجعته وعجبت من نفس عماره و كان عماره لا يذل للخلفاء وهم مواليه و يتيه عليهم . نظر رجل إلى المهدي ويده فى يد عماره وهما يمشيان فقال يا أمير المؤمنين [صفحہ ۳۵۶] من هذا قال هذا أخى و ابن عمى عماره بن حمزه فلما ولى الرجل ذكر المهدي الكلمه كالممازح لعماره فقال عماره و الله لقد انتظرت أن تقول مولاي فأنفص يدي من يدك فتبسم المهدي . و كان أبو الربيع الغنوي أعرايبا جافيا تياها شديد الكبر قال أبو العباس المبرد فى الكامل فذكر الجاحظ أنه أتاه معه رجل هاشمى قال فنادت أبو الربيع هنا فخرج إلى و هو يقول خرج إليك رجل أكرم الناس فلما رأى الهاشمى استحيا و قال أكرم الناس رديفا وأشرفهم حليفا أراد بذلك أبا مرثد الغنوي لأنه كان رديف رسول الله ص و حليف أبى بكر قال حدثنا ساعة ثم نهض الهاشمى فقلت له من خير الخلق قال الناس و الله قلت من خير الناس قال العرب و الله قلت فمن خير العرب قال مضر و الله قلت فمن خير مضر قال قيس و الله قلت فمن خير قيس قال يعصر و الله قلت فمن خير يعصر قال غنى و الله قلت فمن خير غنى قال المخاطب لك و الله قلت أفأنت خير الناس قال إى و الله قلت أيسرك أن تكون تحتك ابنه يزيد بن المهلب قال لا و الله قلت و لك ألف دينار قال لا و الله قلت فألفا دينار قال لا و الله قلت و لك الجنة قال فأطرق ثم قال على ألا تلد منى ثم أنشد تأبى ليعصر أعراق مهذبته || من أن تناسب قوما غير أكفاء فإن يكن ذاك حتما لا مرد له || فاذكر حذيف فإنى غير أباة [صفحہ ۳۵۷] أراد حذيفه بن بدر الفزارى و كان سيد قيس فى زمانه . رأى عمر رجلا يمشى مرحيا يديه طارحا رجله يتبختر فقال له هذه المشيه فقال ما أطيق فجلده ثم خلاه فترك التبختر فقال عمر إذا لم أجلد فى هذا فقيم أجلد فجاءه الرجل بعد ذلك فقال جزاك الله يا أمير المؤمنين خيرا إن كان إلا شيطانا سلط على فأذبه الله بك [صفحہ ۳۵۸]

۴۰۱

خُذْ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَتَاكَ وَ تَوَلَّ عَمَّا تَوَلَّى عَنْكَ فَإِنَّ أُنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَأَجْمِلْ فِي الطَّلَبِ كَانَ يُقَالُ اجْعَلِ الدُّنْيَا كَغَرِيمِ السُّوءِ حَصَلَ مِنْهُ مَا يَرْضَخُ لَكَ بِهِ وَ لَا تَأْسَ عَلَى مَا دَفَعَكَ عَنْهُ ثُمَّ قَالَ عَ فَإِنَّ لَمْ تَفْعَلْ فَأَجْمِلْ فِي الطَّلَبِ وَ هِيَ مِنَ الْأَلْفَاظِ النَّبَوِيَّةِ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ رِزْقَهَا فَأَجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ - رَوَايَاتُ ۱- ۲- رَوَايَاتُ ۲۲- ۷۳ . قِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ مَا الْغَنَى فَقَالَ قَلْبُهُ تَمْنِيكَ وَ رِضَاكَ بِمَا يَكْفِيكَ [صفحہ ۳۵۹]

۴۰۲

رُبَّ قَوْلٍ أَنْفَعُ مِنْ صَوْلٍ قَدْ قِيلَ هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرًا فَمِنْهُ قَوْلُهُمْ وَالْقَوْلُ يَنْفَعُ مَا لَا تَنْفَعُ الْإِيبَرُ . وَ مِنْ ذَلِكَ الْقَوْلُ لَا تَمْلِكُهُ إِذَا نَمَا كَالسَّهْمِ لَا تَمْلِكُهُ إِذَا رَمَى وَ قَالَ الشَّاعِرُ وَقَافِيَةٌ مِثْلُ حَدِّ السَّنَانِ || تَبْقَى وَيَذْهَبُ مِنْ قَالِهَا تَخْيِيرُهَا ثُمَّ أَرْسَلْتَهَا || وَ لَمْ يَطِقْ النَّاسُ إِرسَالَهَا . وَ قَالَ مُحَمَّدُ الْوَرَّاقُ أَتَانِي مِنْكَ مَا لَيْسَ || عَلَى مَكْرُوهِهِ صَبْرٌ فَأَعْضَيْتَ عَلَى عَمْدٍ || وَ كَمْ يَغْضَى الْفَتَى الْحَرَّ وَأَدْبَتَكَ بِالْهَجْرِ || فَمَا أَدْبَكَ الْهَجْرُ وَ لَا رَدَّكَ عَمَّا كَانَ || مِنْكَ الصَّفْحُ وَالْبِرُّ فَلَمَّا اضْطَرَّنِي الْمَكْرُوهُ || وَ اشْتَدَّ بِي الْأَمْرُ تَنَاوَلْتِكَ مِنْ شَعْرَى || بِمَا لَيْسَ لَهُ قَدْرٌ فَحَرَكْتَ جَنَاحَ الضَّرِّ || لَمَّا مَسَّكَ الضَّرُّ إِذَا لَمْ يَصْلِحِ الْخَيْرُ || أَمْرًا أَصْلَحَهُ الشَّرُّ . [صفحہ ۳۶۰] وَ قَالَ الرُّضَى رَحِمَهُ اللَّهُ سَأْمُضِغُ بِالْأَقْوَالِ أَعْرَاضَ قَوْمِكُمْ || وَلِلْقَوْلِ أَنْيَابٌ لَدَى حَدَادٍ يَرَى لِلْقَوَافِي وَالسَّمَاءِ جَلِيَّةً || عَلَيْكُمْ بَرُوقُ جَمَّةٍ وَرِعَادٍ . وَ قَالَ أَيْضًا كَعَمَّتْ لِسَانِي أَنْ يَقُولَ وَ إِنْ يَقُلْ || فَقُلْ فِي الْجَرَازِ الْعَضْبِ إِنْ فَارَقَ الْغَمْدَا وَ إِنْ بَرُودَا لِلْمَخَازِي مَعْدَةٌ ||

فمن شاء من ذا الحى أسحبتة بردا قلائد فى الأعناق بالعار لاتهى || على مر أيام الزمان و لاتصدا إذاصلصلت بين القنا قضت القنا || و إن زفرت فى السر قطعت السردا [صفحه ٣٦١]

٤٠٣

كُلُّ مُقْتَصِرٍ عَلَيْهِ كَافٍ هَذَا مِنْ بَابِ الْقِنَاعَةِ وَ إِنْ مِنْ اِقْتَصَرَ عَلَى شَيْءٍ وَقَنَعَتْ بِهِ نَفْسُهُ فَقَدْ كَفَاهُ وَقَامَ مَقَامَ الْفَضُولِ الَّتِي يَرِغِبُ فِيهَا الْمَتْرَفُونَ وَ قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي ذَلِكَ [صفحه ٣٦٢]

٤٠٤

الْمَيْتِيَّةُ وَ لَا الدَّيِّيَّةُ وَ التَّقَلُّ وَ لَا التَّوَسُّلُ قَدْ تَقَدَّمَ مِنْ كَلَامِنَا فِي هَذَا الْبَابِ شَيْءٌ كَثِيرٌ وَ قَالَ الشَّاعِرُ أَقْسَمَ بِاللَّهِ لِمَصِّ النَّوَى || وَ شَرِبَ مَاءَ الْقَلْبِ الْمَالِحَةَ أَحْسَنَ بِالْإِنْسَانِ مِنْ ذَلِكَ || وَ مِنْ سَوْأَلِ الْأَوْجِهَةِ الْكَالِحَةِ فَاسْتَعْنَى بِاللَّهِ تَكُنْ ذَا غِنَى || مَغْتَبِطًا بِالْصَّفْقَةِ الرَّابِحَةِ فَالزَّهْدِ عِزٍّ وَ التَّقَى سُودِدٌ || وَ ذَلَّةُ النَّفْسِ لَهَا فَاضِحَةٌ كَمْ سَالِمٌ صَحِيحٌ بِهِ بَغْتُهُ || وَ قَائِلٌ عَهْدِي بِهِ الْبَارِحَةَ أَمْسَى وَ أَمْسَتْ عِنْدَهُ قَيْنَةُ || وَ أَصْبَحَتْ تَنْدَبُهُ نَائِحَةً طَوْبِي لِمَنْ كَانَتْ مَوَازِينُهُ || يَوْمٌ يَلَاقِي رَبَّهُ رَاجِحُهُ . وَ قَالَ أَيْضًا لِمَصِّ الثَّمَادِ وَ خَرَطِ الْقِتَادِ || وَ شَرِبَ الْأَجَاجِ أَوْ أَنْ الظَّمَا عَلَى الْمَرْءِ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ يَرَى || ذَلِيلًا لَخَلْقِ إِذَا أَعْدَمَا وَ خَيْرٌ لِعَيْنَيْكَ مِنْ مَنْظَرٍ || إِلَى مَا بَأَيْدِي اللَّثَامِ الْعَمَى . قَلْتُ لِحَاةِ اللَّهِ هَلَا قَالَ بَأَيْدِي الرِّجَالِ [صفحه ٣٦٣]

٤٠٥

مَنْ لَمْ يُعْطَ قَاعِدًا لَمْ يُعْطَ قَائِمًا مَرَادُهُ أَنْ الرِّزْقَ قَدْ قَسَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَمَنْ لَمْ يَرْزُقْهُ قَاعِدًا لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِ الْقِيَامُ وَ الْحَرَكَةُ . وَ قَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ صَ نَاولَ أَعْرَابِيَا تَمْرَةً وَ قَالَ لَهُ خُذْهَا فَلَوْ لَمْ تَأْتِهَا لِأَتَيْتَكَ - رَوَايَاتُ ١- ٢- رَوَايَاتُ ١٤- ٧٦ . وَ قَالَ الشَّاعِرُ جَرَى قَلَمُ الْقَضَاءِ بِمَا يَكُونُ || فَنِيَانُ التَّحْرُكِ وَ السُّكُونِ جَنُونَ مِنْكَ أَنْ تَسْعَى لِرِزْقٍ || وَ يَرْزُقُ فِي غَشَاوَتِهِ الْجِنِينَ [صفحه ٣٦٤]

٤٠٦

الدَّهْرُ يَوْمَانِ يَوْمٌ لَكَ وَ يَوْمٌ عَلَيْكَ فَإِذَا كَانَ لَكَ فَلَا تَبْطُرْ وَ إِذَا كَانَ عَلَيْكَ فَاصْبِرْ قَدِيمًا قِيلَ هَذَا الْمَعْنَى الدَّهْرُ يَوْمَانِ يَوْمٌ بَلَاءٌ وَ يَوْمٌ رِخَاءٌ وَ الدَّهْرُ ضَرْبَانِ حَبْرَةٌ وَ عِبْرَةٌ وَ الدَّهْرُ وَقْتَانِ وَقْتُ سُرُورٍ وَ وَقْتُ ثُبُورٍ . وَ قَالَ أَبُو سَفْيَانَ يَوْمٌ أَحَدُ يَوْمِ بَدْرِ وَ الدُّنْيَا دَوْلٌ . قَالَ عَ فَإِذَا كَانَ لَكَ فَلَا تَبْطُرْ وَ إِذَا كَانَ عَلَيْكَ فَاصْبِرْ . قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي ذِمِّ الْبَطْرِ وَ مَدْحِ الصَّبْرِ وَ يَحْمَلُ ذِمَّ الْبَطْرِ هَاهُنَا عَلَى مَحْمَلَيْنِ أَحَدُهُمَا الْبَطْرُ بِمَعْنَى الْأَشْرِ وَ شِدَّةِ الْمَرْحِ بِطْرِ الرَّجْلِ بِالْكَسْرِ يَبْطُرُ وَ قَدْ أَبْطَرَهُ الْمَالُ وَ قَالُوا بَطَرَ فُلَانٌ مَعِيشَتَهُ كَمَا قَالُوا ارشَدَ فُلَانٌ أَمْرَهُ وَ الثَّانِي الْبَطْرُ بِمَعْنَى الْحَيْرَةِ وَ الدَّهْشِ أَى إِذَا كَانَ الْوَقْتُ لَكَ فَلَا تَقْطَعَنَّ زَمَانَكَ بِالْحَيْرَةِ وَ الدَّهْشِ عَنْ شُكْرِ اللَّهِ وَ مَكَافَأَةِ النِّعْمَةِ بِالطَّاعَةِ وَ الْعِبَادَةِ وَ الْمَحْمَلِ الْأَوَّلِ أَوْضَحَ [صفحه ٣٦٥]

٤٠٧

إشاره

إِنَّ لِلْوَالِدِ عَلَى الْوَلَدِ حَقًّا وَإِنَّ لِلْوَلَدِ عَلَى الْوَالِدِ حَقًّا فَحَقَّ الْوَالِدِ عَلَى الْوَلَدِ أَنْ يُطِيعَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَحَقَّ الْوَلَدِ عَلَى الْوَالِدِ أَنْ يُحَسِّنَ اسْمَهُ وَيُحَسِّنَ أَدَبَهُ وَيُعَلِّمَهُ الْقُرْآنَ أَمَا صَدَرَ الْكَلَامُ فَمِنْ قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَنْ اشْكُرْ لِي وَ لِيُؤَدِّكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا - قرآن - ٣٩-١٦٣

طرائف حول الأسماء والكنى

و أماتعليم الوالد الولد القرآن والأدب فمأمور به وكذلك القول في تسميته باسم حسن وقد جاء في الحديث تسموا بأسماء الأنبياء وأحب الأسماء إلى الله عبد الله و عبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرة -رواية- ١-٢-رواية- ١٤- ١٢٣ روى أبوالدرداء عن النبي ص أنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم -رواية- ١-٢-رواية- ٣٢-٩٩ [صفحہ ٣٦٦] قال ع إذا سميتم فعبدوا -رواية- ١-٢-رواية- ١١-٢٩ أى سموا بانيكم عبد الله ونحوه من أسماء الإضافة إليه عزاسمه و كان رسول الله ص يغير بعض الأسماء سمي أبابكر عبد الله و كان اسمه في الجاهلية عبدالكعبة وسمى ابن عوف عبدالرحمن و كان اسمه عبدالحارث وسمى شعب الضلالة شعب الهدى وسمى يثرب طيبه وسمى بنى الريه بنى الرشد وبنى معاوية بنى مرشده. كان سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي أحد الفقهاء المشهورين أتى جده رسول الله ص فقال له ما اسمك قال حزن قال لا بل أنت سهل فقال لا بل أنا حزن عاوده فيها ثلاثا ثم قال لأحب هذا الاسم السهل يوطأ ويمتنه فقال فأنت حزن فكان سعيد يقول فما زلت أعرف تلك الحزونة فينا -رواية- ١-٢٢١ روى جابر عنه ع ما من بيت فيه أحد اسمه محمد إلا وسع الله عليه الرزق فإذا سميتموهم به فلا تضربوهم ولا تشتموهم و من ولد له ثلاثة ذكور و لم يسم أحدهم أحمد أو محمدا فقد جفاني -رواية- ١-٢-رواية- ٢٠-١٨٤ أبوهريرة عنه ع أنه نهى أن يجمع بين اسمه وكنيته لأحد -رواية- ١-٢-رواية- ٢٠-٦٢ روى أنه أذن لعلي بن أبي طالب ع في ذلك فسمى ابنه محمد بن الحنفية محمدا وكناه أباالقاسم -رواية- ١-٢-رواية- ٧-١٠٠ و قدروى أن جماعة من أبناء الصحابة جمع لهم بين الاسم والكنية. و قال الزمخشري قد قدم الخلفاء وغيرهم من الملوك رجلا بحسن أسمائهم وأقصوا قوما لشناعة أسمائهم وتعلق المدح والذم بذلك في كثير من الأمور. [صفحہ ٣٦٧] و في رسالة الجاحظ إلى أبي الفرج نجاح بن سلمة قد أظهر الله في أسمائكم وأسماء آبائكم وكناكم وكنى أجدادكم من برهان الفأل الحسن ونفى طيرة السوء ما جمع لكم صنوف الأمل وصرف إليكم وجوه الطلب فأسماءكم وكناكم بين فرج ونجاح وسلامة وفضل ووجوهكم وأخلاقكم ووفق أعراقكم وأفعالكم فلم يضرب التفاوت فيكم بنصيب. أراد عمر الاستعانة برجل فسأله عن اسمه واسم أبيه فقال سراق بن ظالم فقال تسرق أنت ويظلم أبوك فلم يستعن به. سأل رجل رجلا ما اسمك فقال بحر قال أبو من قال أبو الفيز قال ابن من قال ابن الفرات قال ما ينبغي لصديقك أن يلقاك إلا في زورق. و كان بعض الأعراب اسمه وثاب و له كلب اسمه عمرو فهجاه أعرابي آخر فقال و لو هيا له الله || من التوفيق أسبابا لسمى نفسه عمرا || وسمى الكلب وثابا. قالوا وكلما كان الاسم غريبا كان أشهر لصاحبه وأمنع من تعلق النبز به قال رؤبة قدرفع العجاج ذكرى فادعنى || باسمي إذا الأسماء طالت تكفنى. و من هاهنا أخذ المعري قوله يمدح الرضى والمرضى رحمهما الله أنتم ذوو النسب القصير فطولكم || باد على الكبراء والأشراف والراح إن قيل ابنة العنب اكتفت || بأب عن الأسماء والأوصاف. [صفحہ ٣٦٨] وسأل النسابة البكري رؤبة عن نسبه و لم يكن يعرفه قال أنا ابن العجاج قال قصرت وعرفت. صاح أعرابي بعبد الله بن جعفر يا أباالفضل قيل ليست كنيته قال و إن لم تكن كنيته فإنها صفة نظر عمر إلى جارية له سوداء تبكى فقال ماشأنك قالت ضربني ابنك أبو عيسى قال أ و قد تكنى بأبي عيسى على به فأحضره فقال ويحك أ كان لعيسى أب فتكنى به أتدرى ماكنى العرب أبو سلمة أبو عرفة

أبوطلحة أبوحنظلة ثم أدبه . لما قبل قحطبه بن شبيب نحو ابن هبيرة أراد ابن هبيرة أن يكتب إلى مروان بخبره وكره أن يسميه فقال اقبلوا اسمه فوجدوه هبط حق فقال دعوه على هيئته . قال برصوما الزامر لأمه ويحك أ ما وجدت لي اسما تسميني به غير هذا قالت لو علمت أنك تجالس الخلفاء والملوك سميتك يزيد بن مزيد. قيل لبعض صبيان الأعراب ما اسمك قال قراد قيل لقد ضيق أبوك عليك الاسم قال إن ضيق الاسم لقد أوسع الكنية قال ما كنتك قال أبوالصحرى. نظر المأمون إلى غلام حسن الوجه فى الموكب فقال له يا غلام ما اسمك قال لأدرى قال أ و يكون أحد لا يعرف اسمه فقال يا أمير المؤمنين اسمى الذى أعرف به لأدرى فقال المأمون وسميت لأدرى لأنك لاتدرى || بما فعل الحب المبرح فى صدرى . ولد لعبد الله بن جعفر بن أبى طالب ولد ذكر فبشر به و هو عند معاوية [صفحہ ۳۶۹] بن أبى سفيان فقال له معاوية سمه باسمى و لك خمسمائة ألف درهم فسماه معاوية فدفعها إليه و قال اشتر بهالسمي ضيعه . و من حديث على ع عن النبي ص إذا سميتم الولد محمدا فأكرموه وأوسعوا له فى المجلس و لا تقبحوا له وجها -روایت- ۱-۲-روایت- ۳۴-۱۰۸ عنه ص ما من قوم كانت لهم مشورة فحضر معهم عليها من اسمه محمدا أو أحمد فأدخلوه فى مشورتهم إلا خير لهم و ما من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه محمدا أو أحمد إلا قدس ذلك المنزل فى كل يوم مرتين -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۱-۲۰۵ . من أبيات المعاني وحلت من مضر بأمنع ذروة || منعت بحد الشوك والأحجار قالوا يريد بالشوك أخواله وهم قتادة وطلحة وعوسجة وبالأحجار أعمامه وهم صفوان وفهر وجندل وصخر وجروم . سمى عبد الملك ابنا له الحجاج لجه الحجاج بن يوسف و قال فيه سميت الحجاج بالحجاج || الناصح المكاشف المداجى . استأذن الجاحظ والشكاك و هو من المتكلمين على رئيس فقال الخادم لمولاه الجاحد والشكاك فقال هذان من الزنادقة لا محالة فصاح الجاحظ ويحك ارجع قل الحدقى بالباب و به كان يعرف فقال الخادم الحلقي بالباب فصاح الجاحظ ويلك ارجع إلى الجاحد. جمع ابن دريد ثمانية أسماء فى بيت واحد فقال فنعم أخو الجلى ومستنط الندى || وملجأ مكروب ومفزع لاهث عياذ بن عمرو بن الجليس بن جابر || بن زيد بن منظور بن زيد بن وارث . [صفحہ ۳۷۰] قال محمد بن صدقة المقرئ ليموت بن المزرع صدق الله فيك اسمك فقال له أوجك الله إلى اسم أبيك . سأل رجل أبا عبيدة عن اسم رجل من العرب فلم يعرفه فقال كيسان غلامه أنا أعرف الناس به هو خراش أو خدش أو رياش أو شىء آخر فقال أبو عبيدة ما أحسن ما عرفته يا كيسان قال إى و الله و هو قرشى أيضا قال و ما يدريك به قال أ ماترى كيف احتوشته الشينات من كل جانب قال الفرزدق و قد تلتقى الأسماء فى الناس والكنى || كثيرا ولكن ميزوا فى الخلائق . رأى الإسكندر فى عسكره رجلا لا يزال ينهزم فى الحرب فسأله عن اسمه فقال اسمى الإسكندر فقال يا هذا إما أن تغير اسمك وإما أن تغير فعلك . قال شيخنا أبو عثمان لو لا أن القدماء من الشعراء سمت الملوك وكنتها فى أشعارها وأجازت واصطلحت عليه ما كان جزء من فعل ذلك إلا العقوبة على أن ملوك بنى سامان لم يكنها أحد من رعاياها قط و لاسماها فى شعر و لاختطبة وإنما حدث هذا فى ملوك الحيرة وكانت الجفاه من العرب لسوء أدبها وغلظ تركيبها إذا أتوا النبي ص خاطبوه باسمه وكنيته فأما أصحابه فكانت مخاطبتهم له يا رسول الله وهكذا يجب أن يقال للملك فى المخاطبة يا خليفة الله و يا أمير المؤمنين . و ينبغى للدخول على الملك أن يتلطف فى مراعاة الأدب كما حكى سعيد بن مرة الكندى دخل على معاوية فقال أنت سعيد فقال أمير المؤمنين السعيد و أنا ابن مرة . و قال المأمون للسيد بن أنس الأزدي أنت السيد فقال أنت السيد يا أمير المؤمنين و أنا ابن أنس . [صفحہ ۳۷۱] شاعر لعمر ك ما للأسماء الإعلامية || منار و من خير المنار ارتفاعها كان قوم من الصحابة يخاطبون رسول الله ص يابىء الله بالهمزة فأنكر ذلك و قال لست بنبىء الله ولكنى نبى الله -روایت- ۱-۱۲۰ . و كان البحترى إذا ذكر الخثعمى الشاعر يقول ذاك الغث العمى . و كان صاحب ربيع يتشيع فارتفع إليه خصمان اسم أحدهما على والآخر معاوية فانحنى على معاوية فضربه مائة سوط من غير أن اتجهت عليه حجة ففطن من أين أتى فقال أصلحك الله سل خصمى عن كنيته فإذا هو أبو عبد الرحمن و كانت كنية معاوية بن

العَيْنُ حَيْقٌ وَ الرُّقَى حَيْقٌ وَ السِّحْرُ حَيْقٌ وَ الفَأَلُ حَيْقٌ وَ الطَّيْرَةُ لَيْسَتْ بِحَيْقٍ وَ العِدْوَى لَيْسَتْ بِحَيْقٍ وَ الطَّيْبُ نُشْرَةٌ وَ العَسِيلُ نُشْرَةٌ وَ الرُّكُوبُ نُشْرَةٌ وَ النَّظْرُ إِلَى الخُضْرَةِ نُشْرَةٌ وَيُرْوَى والغسل نشرة بالغين المعجمة أى التطهير بالماء

أقوال في العين والسحر والفأل والعدوى والطيرو

في الحديث المرفوع العين حق و لو كان شىء يسبق القدر لسبقته العين و إذا استغسلتم فاغسلوا -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-٩٧ قالوا فى تفسيره إنهم كانوا يطلبون من العائن أن يتوضأ بماء ثم يسقى منه المعين ويغتسل بسائره . و فى حديث عائشة العين حق كما أن محمداً حق . وللحكماء فى تعليل ذلك قول لأبأس به قالوا هذا عائد إلى نفس العائن و ذلك لأن الهيولى مطيعة للأنفس متأثرة بها ألاترى أن نفوس الأفلاك تؤثر فيها بتعاقب الصور عليها و النفوس البشرية من جوهر نفوس الأفلاك و شديده الشبه بها إلا أن نسبتها إليها نسبة السراج إلى الشمس فليست عامه التأثير بل تأثيرها فى أغلب الأمر فى بدنها خاصة ولهذا يحمى مزاج الإنسان عند الغضب [صفحة ٣٧٣] يستعد للجماع عند تصور النفس صورة المعشوق فإذا ن قد صار تصور النفس مؤثراً فيما هو خارج عنها لأنها ليست حالة فى البدن فلا يستبعد وجود نفس لها جوهر مخصوص مخالف لغيره من جواهر النفوس تؤثر فى غير بدنها ولهذا يقال إن قوماً من الهند يقتلون بالوهم والإصابة بالعين من هذا الباب و هو أن تستحسن النفس صورة مخصوصة و تتعجب منها و تكون تلك النفس خبيثة جداً فينفع جسم تلك الصورة مطيعاً لتلك النفس كما ينفعل البدن للسم . و فى حديث أم سلمة أن رسول الله ص رأى فى وجه جارية لها سعة فقال إن بهانظرة فاسترقوا لها -رواية- ١-٢-رواية- ٢١-٩٩ قال عوف بن مالك الأشجعي كنا نرقى فى الجاهلية فقلت يا رسول الله ماترى فى ذلك فقال أعرضوا على رقاكم فلا بأس بالرقى ما لم يكن فيها شرك -رواية- ١-٢-رواية- ٣٠-١٤٨ كان ناس من أصحاب رسول الله ص فى سفر فمروا بحى من أحياء العرب فاستضافوهم فلم يضيفوهم وقالوا لهم هل فيكم من راق فإن سيد الحى لديغ فقال رجل منهم نعم فأتاه فرقاه بفاتحة الكتاب فبرأ فأعطى قطيعاً من الغنم فأبى أن يقبلها حتى يأتى رسول الله ص فذكر ذلك لرسول الله ص و قال وعيشك مارقيته إلبفاتحة الكتاب فقال ما أدراكم إنها رقية خذوا منهم واضربوا لى معكم بسهم -رواية- ١-٣٩٠ روى بريدة قال قال رسول الله ص و قد ذكرت عنده الطيرة من عرض له من هذه الطيرة شىء فليقل اللهم لا طير إلا طيرك و لا خير إلا خيرك و لا إله غيرك و لا حول و لا قوة إلا بالله -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-١٨٠ عنه ع ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له -رواية- ١-٢-رواية- ١١-٥٩ [صفحة ٣٧٤] أنس بن مالك يرفعه لاعدوى و لا طيرة و يعجبني الفأل الصالح قالوا فما الفأل الصالح قال الكلمة الطيبة -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-١٠٨ عنه ع تفاءلوا و لا تطيروا -رواية- ١-٢-رواية- ١١-٣٠ روى عبد الله بن بريدة عن أبيه أن رسول الله ص كان لا يتطير من شىء و كان إذا بعث عاملاً سأل عن اسمه فإذا أعجبه سر به ورثى بشر ذلك فى وجهه و إن كره اسمه رثيت الكراهة على وجهه و إذا دخل قرية سأل عن اسمها فإن أعجبه ظهر على وجهه -رواية- ١-٢-رواية- ٣٦-٢٤٨ . بنى

عبيد الله بن زياد بالبصرة دارا عظيمة فمر بهابعض الأعراب فرأى في دهليزها صورة أسد و كلب و كبش فقال أسد كالح و كبش ناطح و كلب نابح و الله لا يمتع بهافلهم يلبث عبيد الله فيها إلاأياما يسيرة. أبوهريرة يرفعه إذاظننتم فلاتحققوا و إذاظننتم فامضوا و على الله فتوكلوا -رواية- ١-٢-رواية- ١٩-٨٠ قال ع أحسنها الفأل و لايرد قدرا ولكن إذارأى أحدكم مايكره فليقل اللهم لاياتى بالحسنات إلا- أنت و لايدفع السيئات إلا أنت و لاحول و لا قوة إلا بك -رواية- ١-٢-رواية- ١١-١٦٠ . و قال بعض الشعراء لايعلم المرء ليلا مايصبحه || إلاكواذب مايجرى به الفأل و الفأل و الزجر و الكهان كلهم || مزللون و دون الغيب أقفال عن النبي ص القيافة و الطرق و الطيرة من الخبث -رواية- ١-٢-رواية- ١٧-٥١ ابن عباس يرفعه من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر -رواية- ١-٢-رواية- ٢٠-٦٨ أبوهريرة يرفعه من أتى كاهنا فصدقه فيما يقول فقد برئ مما أنزل الله على أبى القاسم -رواية- ١-٢-رواية- ١٩-٩٣ . [صفحہ ٣٧٥] شاعر لعمر ك ماتدرى الطوارق بالحصى || و لازاجرت الطير ما الله صانع . و قال آخر لايقعدنك عن بغاء || الخير تعقاد العزائم فلقد غدوت و كنت لا || أغدو على راق و حائم فإذاالأشائم كالأيامن || و الأيامن كالأشائم و كذاك لاخير و لا || شر على أحد بدائم . تفاعل هشام بن عبد الملك بنصر بن سيار فقلده خراسان فبقى فيها عشر سنين . و تفاعل عامر بن إسماعيل قاتل مروان بن محمد باسم رجل لقيه فسأله عن اسمه فقال منصور بن سعد قال من أى العرب قال من سعد العشيرة فاستصحبه و طلب مروان فظفر به و قتله . و تفاعل المأمون بمنصور بن بسام فكان سبب مكانته عنده . قالوا إنما أصل اليد اليسرى العسرى إلاأنهم أبدلوا اليسرى من اليسر تفاقولا. مزرد بن ضرار و إنى امرؤ لا تقشعر ذؤابتى || من الذئب يعوى و الغراب المحجل . الكميت و لا- أنا ممن يزجر الطير همه || أصاح غراب أم تعرض ثعلب . و قال بعض العرب خرجت فى طلب ناقة ضلت لى فسمعت قائلا- يقول و لئن بعثت لها بغاء || فما البغاء بواجدينا [صفحہ ٣٧٦] فلم أتطير و مضيت لوجهى فلقيني رجل قبيح الوجه به ماشئت من عاهة فلم أتطير و تقدمت فلاحت لى أكمه فسمعت منها صائحا و الشر يلقي مطالع الأكم فلم أكثرث و لا انتنيت و علوتها فوجدت ناقتى قد تفاعت للولادة فتجتتها و عدت إلى منزلى بها و معها ولدها. و قيل لعلى ع لا تحاربهم اليوم فإن القمر فى العقرب فقال قمرنا أم قمرهم -رواية- ١-٧٨ روى عنه ع أنه كان يكره أن يسافر أو يتزوج فى محاق الشهر و إذا كان القمر فى العقرب -رواية- ١-٢-رواية- ١٥-٩١ و روى أن ابن عباس قال على منبر البصرة إن الكلاب من الحن و إن الحن من ضعفاء الجن فإذ غشيكم منهم شىء فألقوا إليه شيئا أو اطرده فإن لها أنفوس سوء. و قال أبو عثمان الجاحظ كان علماء الفرس و الهند و أطباء اليونانيين و دهاء العرب و أهل التجربة من نازله الأمصار و حذاق المتكلمين يكرهون الأكل بين يدى السباع يخافون عيونها للذى فيها من النهم و الشره و لما ينحل عند ذلك من أجوافها من البخار الردىء و ينفصل من عيونها مما إذاخالط الإنسان نقض بنية قلبه و أفسده و كانوا يكرهون قيام الخدم بالمذاب و الأشرية على رءوسهم خوفا من أعينهم و شدة ملاحظتهم إياهم و كانوا يأمرؤن بإشباعهم قبل أن يأكلوا و كانوا يقولون فى الكلب و السنور إما أن يطرد أو يشغل بما يطرح له . [صفحہ ٣٧٧] و قالت الحكماء نفوس السباع أردأ النفوس و أخبثها لفرط شرها و شرها قالوا و قد وجدنا الرجل يضرب الحية بعضا فيموت الضارب و الحية لأن سم الحية فصل منها حتى خالط أحشاء الضارب و قلبه و نفذ فى مسام جسده . و قديديم الإنسان النظر إلى العين المحمرة فتعترى عينه حمرة و الثاؤب يعدى أعداء ظاهرا و يكره دنو الطامث من اللبن لتسوطه لأن لها رائحة و بخارا يفسد اللبن المسوط. و قال الأصمعى رأيت رجلا عيونا كان يذكر عن نفسه أنه إذا أعجبه الشىء وجد حرارة تخرج من عينه . و قال أيضا كان عندنا عيونان فمر أحدهما بحوض من حجارة فقال تالله ما رأيت كالسيوم حوضا فانصدع فلقنتين فمر عليه الثانى فقال و أيبك لقلما ضررت أهلك فيك فتطير أربع فلق . و سمع آخر صوت بول من وراء جدار حائط فقال إنك كثير الشخب فقالوا هو ابنك فقال أوه انقطع ظهره فقيل لأبأس عليه إن شاء الله فقال و الله لا يبول بعدها أبدا فما بال حتى مات . و سمع آخر صوت شخب ناقة بقوة فأعجبه فقال أيتها هذه فوروا بأخرى عنها فهلكتا جميعا المورى بها

والمورى عنها قال رجل من خاصة المنصور له قبل أن يقتل أبامسلم بيوم واحد إنى رأيت اليوم لأبى مسلم ثلاثا تطيرت له منها قال ماهى قال ركب فوقعت قلنسوته [صفحة ٣٧٨] عن رأسه فقال المنصور الله أكبر تبعها و الله رأسه فقال وكبا به فرسه فقال الله أكبر كبا و الله جده وأصلد زنده فما الثالثة قال إنه قال لأصحابه أنامقتول وإنما أخادع نفسى و إذا رجل ينادى آخر من الصحراء اليوم آخر الأجل يافلان فقال الله أكبر انقضى أجله إن شاء الله وانقطع من الدنيا أثره فقتل فى غد ذلك اليوم .تجهز النابغة الذبياني للغزو واسمه زياد بن عمرو مع زبان بن سيار الفزارى فلما أراد الرحيل سقطت عليه جراحة فتطير و قال ذات لونين تجرد غرى من خرج فأقام و لم يلتفت زبان إلى طيرته فذهب ورجع غانما فقال تطير طيرة يوما زياد || لتخبره و ما فيها خبير أقام كان لقمان بن عاد || أشار له بحكمته مشير تعلم إنه لا طير إلا || على متطير و هو الثبور بلى شىء يوافق بعض شىء || أحيينا وباطله كثير .حضر عمر بن الخطاب الموسم فصاح به صائح ياخليفة رسول الله فقال رجل من بنى لهب وهم أهل عيافة و زجر دعاه باسم ميت مات و الله أمير المؤمنين فلما وقف الناس للجمار إذا حصاة صكت صلعة عمر فأدمى منها فقال ذلك القائل أشعر و الله أمير المؤمنين لا- و الله ما يقف هذا الموقف أبدا فقتل عمر قبل أن يحول الحول و قال كثير بن عبد الرحمن تيممت لها أبتغى العلم عندها || و قد صار علم العائفين إلى لهب . [صفحة ٣٧٩] كان للعرب كاهنان اسم أحدهما شق و كان نصف إنسان واسم الآخر سطيح و كان يطوى طى الحصير و يتكلمان بكل أعجوبة فى الكهانة فقال ابن الرومى لك رأى كأنه رأى شق || وسطيح قريعى الكهان يستشف الغيوب عما توارى || بعيون جلية الإنسان . و قال أبو عثمان الجاحظ كان مسيلمة قبل أن يتنبأ يدور فى الأسواق التى كانت بين دور العرب والعجم كسوق الأبله و سوق بقة و سوق الأنبار و سوق الحيرة يلتمس تعلم الحيل والنيرنجيات واحتياالات أصحاب الرقى والعزائم والنجوم و قد كان أحكم علم الحزاة وأصحاب الزجر والخط فعمد إلى بيضة فصب إليها خلا حاذقا قاطعا فلانت حتى إذامدها الإنسان استطالت ودقت كالعلك ثم أدخلها قارورة ضيقة الرأس و تركها حتى انضمت واستدارت وجمدت فعادت كهيتها الأولى فأخرجها إلى قوم وهم أعراب واستغواهم بها و فيه قيل بيضة قارور وراية شادن || وتوصيل مقطوع من الطير حاذق قالوا أراد براية الشادن التى يعملها الصبى من القرطاس الرقيق ويجعل لها ذنبا وجناحين ويرسلها يوم الرياح بخيط طويل . كان مسيلمة يعمل رايات من هذا الجنس و يعلق فيها الجلال و يرسلها ليلا فى شدة الرياح و يقول هذه الملائكة تنزل على و هذه خشخشة الملائكة وزجلها و كان يصل جناح الطير المقصوص بريش معه فيطير ويستغوى به الأعراب .شاعر فى الطيرة [صفحة ٣٨٠] وأمنع الياسمين الغض من حذرى || عليك إذ قيل لى نصف اسمه ياس . و قال آخر أهدت إليه سفر جلا- فتطيرا || منه وظل مفكرا مستعبرا خوف الفراق لأن شطر هجائه || سفر وحق له بأن يتطيرا . و قال آخر ياذا ألقى أهدى لنا سوسنا || ما كنت فى إهدائه محسنا نصف اسمه سو فقد ساءنى || ياليت إنى لم أر السوسنا . ومثله لاترانى طوال دهرى || أهوى الشقائقا إن يكن يشبه الخدود || فنصف اسمه شقا . وكانوا يتفاءلون بالأس لدوامه و يتطرون من النرجس لسرعة انقضائه ويسمونه الغدار . و قال العباس بن الأحنف إن الذى سماك يامنيتى || بالنرجس الغدار ما أنصفا لو أنه سماك بالأسه || وفيت إن الأس أهل الوفا . خرج كثير يريد عزة و معه صاحب له من نهد فرأى غرابا ساقطا فوق بانه ينتف ريشه فقال له النهدي إن صدق الطير فقد ماتت عزة فوافى أهلها و قد أخرجوا جنازتها فقال و ما أعيف النهدي لادر دره || وأزجره للطير لا عزناصره رأيت غرابا ساقطا فوق بانه || ينتف أعلى ريشه و بطايره [صفحة ٣٨١] فقال غراب لا غراب وبانه || لبين وفقد من حبيب تعاشره . و قال الشاعر وسميته يحيى ليحيا و لم يكن || إلى رد حكم الله فيه سبيل تيممت فيه الفأل حين رزقته || و لم أدر أن الفأل فيه يفيل .فأما القول فى السحر فإن الفقهاء يشبونه ويقولون فيه القود و قد جاء فى الخبر أن رسول الله ص سحره لبيد بن أعصم اليهودى حتى كان يخيل إليه أنه عمل الشىء و لم يعمل . و روى أن امرأة من يهود سحرته بشعر وقصاص ظفر وجعلت السحر فى بئر و أن الله تعالى دله على ذلك فبعث عليا ع فاستخرجه وقتل المرأة -روايت-١-٢-روايت-٧-١٣٦ وقوم

من المتكلمين ينفون هذا عنه ع ويقولون إنه معصوم من مثله . والفلاسفة تزعم أن السحر من آثار النفس الناطقة وأنه لا يبعد أن يكون في النفوس نفس تؤثر في غيريها المرض والحب والبغض ونحو ذلك وأصحاب الكواكب يجعلون للكواكب في ذلك تأثيرا وأصحاب خواص الأحجار والنبات وغيرها يسندون ذلك إلى الخواص وكلام أمير المؤمنين ع دال على تصحيح ما يدعى من السحر. و أما العدوى فقد قال رسول الله ص لاعدوى في الإسلام -رواية 1-2-رواية 26-47 قال لمن قال أعدى بعضها بعضا يعنى الإبل فمن أعدى الأول -رواية 1-63 قال لاعدوى ولاهامه و لاصفر -رواية 1-2-رواية 8-34 فالعدوى معروفة والهامة ما كانت العرب تزعمه في المقتول [صفحه 382] لا يؤخذ بثأره والصفير ما كانت العرب تزعمه من الحية في البطن تعض عند الجوع

نكت في مذاهب العرب وتخيالاتها

وسنذكر هاهنا نكتا ممتعة من مذاهب العرب وتخيالاتها لأن الموضوع قد ساقنا إليه أنشد هشام بن الكلبي لأمية بن أبي الصلت سنة أزمه تبرح بالناس || ترى للعضاء فيها صيريرا لا على كوكب تنوء ولا ريح || جنوب ولا ترى طحرورا ويسقون باقر السهل للطود || مهازيل خشية أن تبورا عاقدين النيران في ثكن الأذنان || منها لكي تهيج البحورا سلع ما ومثله عشر ما || عامل ما وعالت البيقورا . يروى أن عيسى بن عمر قال ما أدري معنى هذا البيت ويقال إن الأصمعي صحف فيه فقال وغالت البيقورا بالغين المعجمة وفسره غيره فقال عالت بمعنى أثقلت البقر بما حملتها من السلع والعشر والبيقور البقر وعائل غالب أو مثقل وكانت العرب إذا جذبت وأمسكت السماء عنهم وأرادوا أن يستمطروا عمدوا إلى السلع والعشر فحزموها وعقدوها في أذنان البقر وأضرموها فيها النيران وأصعدوها في جبل وعر واتبعوها يدعون الله ويستسقونه وإنما يضرمون النيران في أذنان البقر تفاؤلا للبرق بالنار وكانوا يسوقونها نحو المغرب من دون الجهات وقال أعرابي شفعا بيقور إلى هاطل الحيا || فلم يغن عنا ذاك بل زادنا جدبا فعدنا إلى رب الحيا فأجارنا || وصير جذب الأرض من عنده خصبا [صفحه 383] وقال آخر قل لبني نهشل أصحاب الحور || أتطلبون الغيث جهلا- بالبقر و سلع من بعد ذاك وعشر || ليس بذا يجلل الأرض المطر . ويمكن أن يحمل تفسير الأصمعي على محمل صحيح فيقال غالت بمعنى أهلكت يقال غاله كذا واغتاله أى أهلكه وغالتهم غول يعنى المنية و منه الغضب غول الحلم . وقال آخر لما كسونا الأرض أذنان البقر || بالسلع المعقود فيها والعشر . وقال آخر ياكحل قد أثقلت أذنان البقر || بسلع يعقد فيها وعشر فهل تجودين ببرق ومطر وقال آخر يعيب العرب بفعلهم هذا لادر در رجال خاب سعيهم || يستمطرون لدى الإعسار بالعشر أجاعل أنت بيقورا مسلعة || ذريعة لك بين الله والمطر . وقال بعض الأذكياء كل أمة قد تحذو في مذاهبها مذاهب ملة أخرى وقد كانت الهند تزعم أن البقر ملائكة سخط الله عليها فجعلها في الأرض و أن لها عنده حرمة وكانوا يلطخون الأبدان بأخائها ويغسلون الوجوه ببولها ويجعلونها مهور نسائهم ويتبركون بها في جميع أحوالهم فلعل أوائل العرب حذوا هذا الحذو وانتهجوا هذا المسلك [صفحه 384] وللعرب في البقر خيال آخر وذلك أنهم إذا أوردوها فلم ترد ضربوا الثور ليقتمم الماء فتقتمم البقر بعده ويقولون إن الجن تصد البقر عن الماء وإن الشيطان يركب قرني الثور وقال قائلهم إني وقتلي سليكا حين أعقله || كالثور يضرب لماعافت البقر . وقال نهشل بن حري كذاك الثور يضرب بالهراوى || إذا ماعافت البقر الظماء . وقال آخر كالثور يضرب للورود || إذا تمنعت البقر . فإن كان ليس إلا هذا فليس ذاك بعجيب من البقر ولا بمذهب من مذاهب العرب لأنه قديجوز أن تمتنع البقر من الورود حتى يرد الثور كما تمتنع الغنم من سلوك الطرق أو دخول الدور والأخبية حتى يتقدمها الكبش أو التيس وكالنحل تتبع العسوب والكراكي تتبع أميرها ولكن الذى تدل عليه أشعارها أن

الثور يرد ويشرب ولا يمتنع ولكن البقر تمتنع وتعاف الماء وقدرات الثور يشرب فحينئذ يضرب الثور مع إجابته إلى الورود فتشرب البقر عند شربه وهذا هو العجب قال الشاعر فإني إذن كالثور يضرب جنبه || إذا لم يعف شربا وعافت صواحيه . وقال آخر فلاتجعلوني كالبقير وفحلها || يكسر ضربا و هوللورد طائع و ماذنبه إن لم يرد بقراته || و قد فاجأتها عند ذاك الشرائع . [صفحہ ۳۸۵] و قال الأعشى لكالثور والجنى يضرب وجهه || و ماذنبه إن عافت الماء مشربا و ماذنبه إن عافت الماء باقر || و ما إن يعاف الماء إلا ليضربا . قالوا في تفسيره لما كان امتناعها يتعقبه الضرب حسن أن يقال عافت الماء لتضرب و هذه اللام هي لام العاقبة كقوله لدوا للموت و على هذا فسر أصحابنا قوله سبحانه و لَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنَّ وَ الْإِنْسِ . و من مذاهب العرب أيضا تعليق الحلى والجلجل على اللديغ يرون أنه يفيق بذلك و يقال إنه إنما يعلق عليه لأنهم يرون أنه إن نام يسرى السم فيه فيهلك فشغلوه بالحلى والجلجل وأصواتها عن النوم و هذا قول النضر بن شميل وبعضهم يقول إنه إذا علق عليه حلى الذهب برأ و إن علق الرصاص أو حلى الرصاص مات . وقيل لبعض الأعراب أتريدون شهرة فقال إن الحلى لا تشهر ولكنها سنة ورثناها . و قال النابغة - قرآن - ۱۶۷-۲۲۵ فبت كآنى ساورتنى ضئيلة || من الرقش فى أنيابها السم نافع يسهد من ليل التمام سليمها || لحلى النساء فى يديه قعاقع . و قال بعض بنى عذرة كآنى سليم ناله كلم حية || ترى حوله حلى النساء مرصعا . [صفحہ ۳۸۶] و قال آخر و قد عللوا بالبطل فى كل موضع || وغروا كماغر السليم الجلجل و قال جميل وظرف فى قوله و لوقاله العباس بن الأحنف لكان ظريفا إذا مالديغ أبرأ الحلى داءه || فحليكم أمسى يابثينه دائما . و قال عويمر النبھانى و هو يؤكذ قول النضر بن شميل فبت معنى بالهموم كآنى || سليم نفى عنه الرقاد الجلجل . ومثله قول الآخر كآنى سليم سهد الحلى عينه || فراقب من ليل التمام الكواكبا . ويشبه مذهبهم فى ضرب الثور مذهبهم فى العر يصيب الإبل فيكوى الصحيح ليبرأ السقيم و قال النابغة و كلفتنى ذنب امرئ و تركته || كذى العر يكوى غيره و هوراتع . و قال بعض الأعراب كمن يكوى الصحاح يروم براء || به من كل جرباء الإهاب . و هذا البيت يبطل رواية من روى بيت النابغة كذى العر بضم العين لأن العر بالضم قرح فى مشافر الإبل غير الجرب والعر بالفتح الجرب نفسه فإذا دل الشعر على أنه يكوى الصحيح ليبرأ الأجرى فالواجب أن يكون بيت النابغة كذى العر بالفتح . ومثل هذا البيت قول الآخر فالزمتنى ذنبا و غيرى جره || حنانيك لا يكوى الصحيح بأجرى . إلا - أن يكون إطلاق لفظ الجرب على هذا المرض المخصوص من باب المجاز لمشابهته له [صفحہ ۳۸۷] و من تخيلات العرب ومذاهبها أنهم كانوا يفتقون عين الفحل من الإبل إذا بلغت ألفا كأنهم يدفعون العين عنها قال الشاعر فقأنا عيوننا من فحول بهازر || وأنتم برعى البهم أولى وأجدر . و قال آخر وهبتها و كنت ذا امتنان || تفقأ فيها أعين البعران . و قال الآخر أعطيتها ألفا و لم تبخل بها || ففقأت عين فحيلها معتافا . و قد ظن قوم أن بيت الفرزدق و هو غلبتك بالمفقئ والمعنى || وبيت المحتبى والخافقات من هذا الباب و ليس الأمر على ذلك وإنما أراد بالفقئ قوله لجريرو لست و لوفقات عينيك واجدا || أخوا كلقيط أو أبامثل دارم . وأراد بالمعنى قوله لجريرو أيضا وإنك إذ تسعى لتدرك دارما || لأنت المعنى ياجرير المكلف . وأراد بقوله بيت المحتبى قوله بيت زرارة محتب بفنائه || ومجاشع و أبو الفوارس نهشل . وبيت الخافقات قوله و معصب بالتاج يخفق فوقه || خرق الملوك له خميس جحفل . [صفحہ ۳۸۸] فأما مذهبهم فى البلية وهى ناقة تعقل عند القبر حتى تموت فمذهب مشهور والبلية أنهم إذ اذامات منهم كريم بلوا ناقته أو بعيره فعكسوا عنقها وأداروا رأسها إلى مؤخرها وتركوها فى حفيرة لا تطعم و لا تسقى حتى تموت وربما أحرقت بعدموتها وربما سلخت وملئ جلدھا ثامما و كانوا يزعمون أن من مات و لم يبل عليه حشر ماشيا و من كانت له بلية حشر راکبا على بليته قال جريبة بن الأشيم الفقعى لابنه ياسعد إما أهلكن فإنى || أو صيكن إن أخوا الوصاء الأقرب لأعرفن أباك يحشر خلفكم || تعبا يجر على اليمين وينكب واحمل أباك على بعير صالح || وتو الخطيئة إنه هو أسوب ولعل لى مما جمعت مطية || فى الحشر أركبها إذا قيل أركبوا . و قال جريبة أيضا إذ اذامت فادفنى بجداء ما بها || سوى الأصرخين أو يفوز راکب فإن أنت لم تعقر

على مطيتي || فلاقام في مال لك الدهر جالب و لاتدفتني في صوي وادفتني || بديمومه تنزو عليها الجنادب . و قد ذكرت في مجموعي المسمى بالعبرى الحسان أن أبا عبد الله الحسين بن محمد بن جعفر الخالغ رحمه الله ذكر في كتابه في آراء العرب وأديانها هذه الأبيات واستشهد بها على ما كانوا يعتقدون في البلية و قلت إنه وهم في ذلك وإنه ليس في هذه الأبيات دلالة على هذا المعنى و لالها به تعلق و إنما هي وصية لولده أن يعقر مطيته بعدموته إما لكيلا يركبها غيره بعده أو على هيئة القربان كالهدي المعقور [صفحہ ۳۸۹] بمكة أو كما كانوا يعقرون عند القبور ومذهبهم في العقر على القبور كقول زياد الأعجم في المغيرة بن المهلب إن السماحة والمروءة ضمنا || قبرا بمر و على الطريق الواضح فإذا مررت بقبره فاعقر به || كوم الهجان و كل طرف سايح . و قال الآخر نفرت قلوصى عن حجارة حرة || بنيت على طلق اليدين وهوب لاتنفري ياناق منه فإنه || شريب خمر مسعر لحروب لو لالسفار و بعد خرق مهمه || لتركتها تجبو على العرقوب ومذهبهم في العقر على القبور مشهور و ليس في هذا الشعر ما يدل على مذهبهم في البلية فإن ظن ظان أن قوله أوفوز راكب فيه إيماء إلى ذلك فليس الأمر كما ظنه ومعنى البيت ادفتني بفلاة جداء مقطوعة عن الإنس ليس بها إلا الذئب والغراب أو أن يعتسف راكبها المفازة وهي المهلكة سموها مفازة على طريق الفأل وقيل إنها تسمى مفازة من فوز أى هلك فليس في هذا البيت ذكر البلية ولكن الخالغ أخطأ في إيراد هذا البيت كما أخطأ في هذا البيت أيضا في إيراد قول مالك بن الربيع وعطل قلوصى في الركاب فإنها || ستبرد أكبادا وتبكي بواكيا . فظن أن ذلك من هذا البيت الذى نحن فيه و لم يرد الشاعر ذلك وإنما أراد [صفحہ ۳۹۰] لاتركبوا راحلتى بعدى وعطلوها بحيث لا يشاهدها أعادى وأصادقى ذاهبة جائية تحت راكبها فيشمت العدو ويساء الصديق و قد أخطأ الخالغ في مواضع عدة من هذا الكتاب وأورد أشعارا في غير موضعها وظنها مناسبة لما هو فيه فمنها ما ذكرناه ومنها أنه ذكر مذهب العرب في الحلبي ووضع على اللديغ واستشهد عليه بقول الشاعر يلقى من تذكر آل ليلي || كما يلقى السليم من العداد . و لا وجه لإيراد هذا البيت في هذا الموضوع فالعداد معاودة السم الملسوع في كل سنة في الوقت الذى لدغ فيه و ليس هذا من باب الحلبي بسبيل . و من ذلك إيراد قول الفرزدق غلبتك بالمفقى في باب فقه عيون الفحول إذ بلغت الإبل ألفا و قد تقدم شرحنا لموضع الوهم في ذلك وسنذكر هاهنا كثيرا من المواضع التى وهم فيها إن شاء الله . ومما ورد عن العرب في البلية قول بعضهم أبني زودنى إذا فارقتني || فى القبر راحلة برحل فاتر للبعث أركبها إذ قيل أركبوا || مستوثقين معا لحشر الحاشر . و قال عويم النبهاني أبني لاتنسى البلية إنها || لأبيك يوم نشوره مركوب . [صفحہ ۳۹۱] و من تخيلات العرب ومذاهبها ما حكاه ابن الأعرابي قال كانت العرب إذ انفرت الناقة فسميت لها أمها سكنت من النفار قال الراجز أقول والوجناء بى تقحم || ويلك قل ما اسم أمها ياعلکم . علکم اسم عبد له و إنما سأل عبده ترفعا أن يعرف اسم أمها لأن العبيد بالإبل أعرف وهم رعاتها . وأنشد السكرى فقلت له ما اسم أمها هات فادعها || تجبك ويسكن روعها ونفاراها . ومما كانت العرب كالمجتمعة عليه الهامة و ذلك أنهم كانوا يقولون ليس من ميت يموت و لا يقتل إلا ويخرج من رأسه هامة فإن كان قتل و لم يؤخذ بثأره نادى الهامة على قبره اسقونى فإنى صديء و عن هذا قال النبي ص لا هامة . وحكى أن أبازيد كان يقول الهامة مشددة الميم إحدى هوام الأرض و أنها هي المتلونة المذكورة . وقيل إن أباعبيد قال ما أرى أبازيد حفظ هذا و قد يسمونها الصدى والجمع أصداء قال وكيف حياة أصداء وهام . و قال أبو دوداد الإيدى سلط الموت والمنون عليهم || فلهم فى صدى المقابر هام . [صفحہ ۳۹۲] و قال بعضهم لابنه و لاترقون لى هامة فوق مرقب || فإن زقاء الهام للمرء عائب تنادى ألا اسقونى و كل صدى به || وتلك التى تبيض منها الذوائب . يقول له لاتترك تأرى إن قتلت فإنك إن تركته صاحت هامتى اسقونى فإن كل صدى و هو هاهنا العطش بأبيك وتلك التى تبيض منها الذوائب لصعوبتها وشدتها كما يقال أمر يشيب رأس الوليد ويحتمل أن يريد به صعوبة الأمر عليه و هو مقبور إذا لم يثار به ويحتمل أن يريد به صعوبة الأمر على ابنه يعنى أن ذلك عار عليك و قال ذو الإصبع ياعمر و لاتدع شتمى ومنقصتى || أضربك حيث

تقول الهامة اسقوني . و قال آخر فيا رب إن أهلك و لم ترو هامتي || بليلي أمت لاقبر أعطش من قبرى . ويحتمل هذا البيت أن يكون خارجا عن هذا المعنى الذى نحن فيه و أن يكون رى هامته الذى طلبه من ربه هو وصال ليلي وهما فى الدنيا وهم يكون عما يشفيهم بأنه يروى هامتهم . و قال مغلص الفقى و إن أحاكم قد علمت مكانه || بسفح قبا تسفى عليه الأعاصر له هامة تدعو إذا الليل جنبها || بنى عامر هل للهلالى نائر . و قال توبة بن الحمير و لو أن ليلي الأخيلى سلمت || على ودونى جندل وصفائح [صفحة ٣٩٣] لسلمت تسليم البشاشة أوزقا || إليها صدى من جانب القبر صائح . و قال قيس بن الملوخ و هو المجنون و لو تلتقى أصداؤنا بعدموتنا || و من دوننا رمس من الأرض أنكب لظل صدى رمسى و إن كنت رمة || لصوت صدى ليلي يهش و يطرب . و قال حميد بن ثور ألا هل صدى أم الوليد مكلم || صداى إذا ما كنت رمسا وأعظما . و مما أبطله الإسلام قول العرب بالصفرة زعموا أن فى البطن حية إذا جاع الإنسان عضت على شرسوفه و كبده و قيل هو الجوع بعينه ليس أنها تعض بعد حصول الجوع فأما لفظ الحديد لا عدوى و لاهامة و لاصفر و لاغول -رواية- ١-٣٦ فإن أبا عبيدة معمر بن المثنى قال هو صفر الشهر الذى بعد المحرم قال نهى ع عن تأخيرهم المحرم إلى صفر يعنى ما كانوا يفعلونه من النسىء و لم يوافق أحد من العلماء أبا عبيدة على هذا التفسير و قال الشاعر لا يتأرى لما فى القدر يرقبه || و لا يعرض على شرسوفه الصفر . و قال بعض شعراء بنى عبس يذكر قيس بن زهير لما هجر الناس و سكن الفيافى [صفحة ٣٩٤] و أنس بالوحش ثم رأى ليله نارا فعشا إليها فشم عندها قنار اللحم فنازعتة شهوته فغلبها وقهرها و مال إلى شجرة سلم فلم يزل يكدمها و يأكل من خبطها إلى أن مات إن قيسا كان ميتته || كرم و الحى منطلق شام نارا بالهوى فهوى || و شجاع البطن يخفق فى دريس ليس يستره || رب حر ثوبه خلق . و قوله بالهوى اسم موضع بعينه و قال أبو النجم العجلى إنك يا خير فتى نستعدى || على زمان مسنت بجهد عضا كعض صفر بكبد . و قال آخر أرد شجاع البطن قد تعلمينه || و أوثر غيرى من عيالك بالطعم . و من خرافات العرب أن الرجل منهم كان إذا أراد دخول قرية فخاف و باءها أو جنبها وقف على بابها قبل أن يدخلها فنهق نهيق الحمار ثم علق عليه كعب أرنب كان ذلك عوذة له و رقية من الوباء و الجن و يسمون هذا النهيق التعشير قال شاعرهم و لا ينفع التعشير أن حم واقع || و لا زعزع و لا كعب أرنب . و قال الهيثم بن عدى خرج عروة بن الورد إلى خيبر فى رفته ليمتاروا فلما قربوا منها عشروا و عاف عروة أن يفعل فعلهم و قال [صفحة ٣٩٥] لعمري لئن عشت من خيفة الردى || نهاق حمير إننى لجزوع فلا و ألت تلك النفوس و لأتت || قفولا إلى الأوطان و هى جميع و قالوا إلا نهق لا تضرك خيبر || و ذلك من فعل اليهود ولوع . الولوع بالضم الكذب و لع الرجل إذا كذب فيقال إن رفته مرضوا و مات بعضهم و نجا عروة من الموت و المرض . و قال آخر لا ينجينك من حمام واقع || كعب تعلقه و لا تعشير . و يشابه هذا أن الرجل منهم كان إذا ضل فى فلاة قلب قميصه و صفق بيديه كأنه يومئ بهما إلى إنسان فيهدى قال أعرابى قلبت ثيابى و الظنون تجول بى || و ترمى برحلى نحو كل سبيل فلا يابى ماعرفت جليتى || و أبصرت قصدا لم يصب بدليل . و قال أبو العملى الطائى فلو أبصرتنى بلوى بطان || أصفق بالبنان على البنان فأقلب تارة خوفا ردائى || و أصرخ تارة بأبى فلان لقلت أبو العملى قدهاه || من الجنان خالعة العنان . و الأصل فى قلب الثياب التفاؤل بقلب الحال و قد جاء فى الشريعة الإسلامية نحو ذلك فى الاستسقاء [صفحة ٣٩٦] و من مذاهب العرب أن الرجل منهم كان إذا سافر عمد إلى خيط فعقده فى غصن شجرة أو فى ساقها فإذا عاد نظر إلى ذلك الخيط فإن وجدته بحاله علم أن زوجته لم تخنه و إن لم يجده أو وجدته محلولاً قال قد خانتنى و ذلك العقد يسمى الرتم و يقال بل كانوا يعقدون طرفا من غصن الشجرة بطرف غصن آخر و قال الراجز هل ينفعنك اليوم إن همت بهم || كثرة ماتوصى و تعقاد الرتم . و قال آخر خانتها لمارأت شييا بمفرقه || و غره حلفها و العقد للرتم . و قال آخر لا تحسبن رثائم عقدتها || تنبيك عنها باليقين الصادق . و قال آخر يعلل عمرو بالرتائم قلبه || و فى الحى ظبى قد أحلت محارمه فما نفعت تلك الوصايا و لاجنت || عليه سوى ما لا يحب رثائمه . و قال آخر ماذا الذى تنفحك الرثائم || إذ أصبحت وعشقتها ملازم و هى على

لذاتها تداوم || يزورها طب الفؤاد عارم بكل أدواء النساء عالم . وقد كانوا يعقدون الرتم للحمى ويرون أن من حلها انتقلت الحمى إليه و قال الشاعر حللت رتيمة فمكثت شهرا || أكابد كل مكروه الدواء . [صفحہ ٣٩٧] و قال ابن السكيت إن العرب كانت تقول إن المرأة المقلايت وهي التي لا يعيش لها ولد إذا وطئت القليل الشريف عاش ولدها قال بشر بن أبي خازم تظل مقاليت النساء تطأنه || يقلن أ لايلقى على المرء مئزر . و قال أبو عبيدة تتخطاه المقلايت سبع مرات فذلك وطؤها له . و قال ابن الأعرابي يمرون به ويطنون حوله وقيل إنما كانوا يفعلون ذلك بالشريف يقتل غدرا أوقودا . و قال الكمي و تطيل المرزآت المقلايت || إليه القعود بعد القيام . و قال الآخر تركنا الشعثمين برمل خبت || تزورهما مقاليت النساء . و قال الآخر بنفسى التي تمشى المقلايت حوله || يطاف له كشحا هضيمًا مهشما . و قال آخر تباشرت المقالات حين قالوا || ثوى عمرو بن مرة بالحفير . و من تخيلات العرب و خرافاتها أن الغلام منهم كان إذا سقطت له سن أخذها بين السبابة والإبهام واستقبل الشمس إذا طلعت وقذف بها و قال ياشمس أبدليني بسن أحسن منها وليجر في ظلمها إياتك أو تقول إياؤك وهما جميعا شعاع الشمس قال طرفة [صفحہ ٣٩٨] سقته إياه الشمس . و إلى هذا الخيال أشار شاعرهم بقوله شادن يجلو إذا ما بتستمت || عن أقاح كأقاح الرمل غر بدلته الشمس من منبته || بردا أبيض مصقول الأشر . و قال آخر وأشب واضح عذب الثنايا || كأن رضابه صافى المدام كسته الشمس لونا من سناها || فلاح كأنه برق الغمام . و قال آخر بذى أشر عذب المذاق تفردت || به الشمس حتى عاد أبيض ناصعا . و الناس اليوم فى صبيانهم على هذا المذهب . و كانت العرب تعتقد أن دم الرئيس يشفى من عضه الكلب الكلب . و قال الشاعر بناء مكارم وأساة جرح || دماؤهم من الكلب الشفاء . و قال عبد الله بن الزبير الأسدى من خير بيت علمناه وأكرمه || كانت دماؤهم تشفى من الكلب . و قال الكمي أحلامكم لسقام الجهل شافية || كمدماؤكم تشفى من الكلب . و من تخيلات العرب أنهم كانوا إذا خافوا على الرجل الجنون وتعرض الأرواح [صفحہ ٣٩٩] الخبيثة له نجسوه بتعليق الأقدار عليه كخرقة الحيض وعظام الموتى قالوا وأنفع من ذلك أن تعلق عليه طامث عظام موتى ثم لا يراها يومه ذلك وأنشدوا للمزق العبدى فلو أن عندى جارتين وراقيا || وعلق أنجاسا على المعلق . قالوا والتنجيس يشفى إلا من العشق قال أعرابي يقولون علق يا لك الخير رمه || وهل ينفع التنجيس من كان عاشقا . وقالت امرأة و قد نجست ولدها فلم ينفعه ومات نجسته لو ينفع التنجيس || والموت لا تفوته النفوس . و كان أبو مهدي يعلق فى عنقه العظام والصوف حذر الموت وأنشدوا أتونى بأنجاس لهم ومنجس || فقلت لهم ما قدر الله كائن . و من مذاهبهم أن الرجل منهم كان إذا خدرت رجله ذكر من يحب أو دعاه فيذهب خدرها . و روى أن عبد الله بن عمر خدرت رجله فقيل له ادع أحب الناس إليك فقال يا رسول الله . و قال الشاعر على أن رجلى لا يزال امذلا لها || مقيما بها حتى أجيلك فى فكرى . و قال كثير إذا مذلت رجلى ذكرتك أشتفى || بدعواك من مذل بهافيهون . و قال جميل و أنت لعينى قره حين نلتقى || وذكرك يشفينى إذا خدرت رجلى . [صفحہ ٤٠٠] وقالت امرأة إذا خدرت رجلى دعوت ابن مصعب || فإن قلت عبد الله أجلى فتورها . و قال آخر صب محب إذا مارجله خدرت || نادى كبيشه حتى يذهب الخدر . و قال المؤمل و الله ما خدرت رجلى و لا عثرت || إلا ذكرتك حتى يذهب الخدر . و قال الوليد بن يزيد أثيبى هائما كلفا معنى || إذا خدرت له رجل دعاك . و نظير هذا الوهم أن الرجل منهم كان إذا اختلجت عينه قال أرى من أحبه فإن كان غائبا توقع قدومه و إن كان بعيدا توقع قربه . و قال بشر إذا اختلجت عينى أقول لعلها || فتاه بنى عمرو بها العين تلمع . و قال آخر إذا اختلجت عينى تيقنت أننى || أراك و إن كان المزار بعيدا . و قال آخر إذا اختلجت عينى أقول لعلها || لرؤيتها تهتاج عينى وتطرف . و هذا الوهم باق فى الناس اليوم . و من مذاهبهم أن الرجل منهم كان إذا عشق و لم يسئل وأفرط عليه العشق حمله [صفحہ ٤٠١] رجل على ظهره كما يحمل الصبى وقام آخر فأحمى حديدة أومىلا - وكوى به بين ألتيه فيذهب عشقه فيما يزعمون . و قال أعرابي كويتم بين رائفتى جهلا - || ونار القلب يضررها الغرام . و قال آخر شكوت إلى رفيقى اشتياقى || فجاءنى و قد جمعا

دواء وجاء بالطيب ليكوياني || ولابغى عدمتهما اكتواء و لوأتيا بسلمى حين جاء || لعاضاني من السقم الشفاء . واستشهد الخالع على هذا المعنى بقول كثير أغاضر لوشهدت غداة بنتم || حنو العائدات على وسادى أويت لعاشق لم ترحميه || بواقدة تلذع بالزناد . هذا البيت ليس بصريح فى هذا الباب ويحتمل أن يكون مراده فيه المعنى المشهور المطروق بين الشعراء من ذكر حرارة الوجد ولذعه وتشبيهه بالنار إلا أنه قدروى فى كتابه خبرا يؤكد المقصد الذى عزاه وادعاه و هو عن محمد بن سليمان بن فليح عن أبيه عن جده قال كنت عند عبد الله بن جعفر فدخل عليه كثير و عليه أثر علة فقال عبد الله ما هذابك قال هذا ما فعلت بى أم الحويرث ثم كشف عن ثوبه و هو مكوى وأنشد عفا الله عن أم الحويرث ذنبها || علام تعينى وتكمى دوائيا و لو آذونى قبل أن يرقموا بها || لقلت لهم أم الحويرث دائيا . [صفحة ٤٠٢] و من أوهامهم وتخيلااتهم أنهم كانوا يزعمون أن الرجل إذا أحب امرأة وأحبته فشق برقعها وشقت رداءه صلح جبهما ودام فإن لم يفعل ذلك فسد جبهما قال سحيم عبد بنى الحسحاس وكم قدشفقنا من رداء محبر || و من برقع عن طفلة غير عابس إذا شق برد شق بالبرد برقع || دواليك حتى كلنا غير لابس نروم بهذا الفعل بقيا على الهوى || وإلف الهوى يغرى بهذى الوسوس . و قال آخر شققت ردائى يوم برقة عالج || وأمكننى من شق برقعك السحقا فما بال هذا الود يفسد بيننا || ويمحق حبل الوصل ما بيننا محقا . و من مذاهبهم أنهم كانوا يرون أن أكل لحوم السباع تزيد فى الشجاعة والقوة و هذا مذهب طيبى والأطباء يعتقدونه قال بعضهم أبا المعارك لا تتعب بأكلك ما || تظن أنك تلقى منه كرا را فلو أكلت سباع الأرض قاطبة || ما كنت إلا جبان القلب خوارا . و قال بعض الأعراب وأكل فؤاد الأسد ليكون شجاعا فعدا عليه نمر فجرحه أكلت من الليث الهصور فؤاده || لأصبح أجرى منه قلبا وأقدما فأدرك منى ثأره بآبن أخته || فى لك ثأرا ما أشد وأعظما . و قال آخر إذا لم يكن قلب الفتى غدوة الوغى || أصم فقلب الليث ليس بنافع [صفحة ٤٠٣] و مانفع قلب الليث فى حومة الوغى || إذا كان سيف المرء ليس بقاطع و من مذاهبهم أن صاحب الفرس المهقوع إذا ركب ففرق تحته اغتلمت امرأته وطمحت إلى غيره والهقعة دائرة تكون بالفرس وربما كانت على الكتف فى الأكثر وهى مستقبحة عندهم قال بعضهم لصاحبه إذا عرق المهقوع بالمرء أنعظت || حليلته وازداد حر عجانها . فأجابه صاحبه قد يركب المهقوع من ليس مثله || و قد يركب المهقوع زوج حصان . و من مذاهبهم أنهم كانوا يوقدون النار خلف المسافر الذى لا يحبون رجوعه يقولون فى دعائهم أبعده الله وأسحقه وأوقد نارا أثره قال بعضهم صحوت وأوقدت للجهل نارا || ورد عليك الصبا ما استعارا . وكانوا إذا خرجوا إلى الأسفار أوقدوا نارا بينهم و بين المنزل الذى يريدونه و لم يوقدوها بينهم و بين المنزل الذى خرجوا منه تفاؤلا بالرجوع إليه . و من مذاهبهم المشهورة تعليق كعب الأرنب قال ابن الأعرابى قلت لزيد بن كثوة أتقولون إن من علق عليه كعب أرنب لم تقربه جنان الدار و لاعمار الحى قال إى و الله و لاشيطان الخماطة و لاجار العشيبة و لاغول القفر و قال إمرؤ القيس [صفحة ٤٠٤] أياهند لا تنكحى بوهة || عليه عقيقته أحسبا مرسعة بين أدباقه || به عسم بيتغى أرنبا ليجعل فى رجله كعبها || حذار المنية أن يعطبا . والخماطة شجرة والعشيبة تصغير العشرة وهى شجرة أيضا . و قال أبو محلم كانت العرب تعلق على الصبى سن ثعلب و سن هرة خوفا من الخطفة والنظرة ويقولون إن جنية أرادت صبى قوم فلم تقدر عليه فلامها قومها من الجن فى ذلك فقالت تعتذر إليهم كأن عليه نفره || ثعالب وهرره والحيض حيض السمرة . والسمرة شىء يسيل من السم كدم الغزال وكانت العرب إذا ولدت المرأة أخذوا من دم السم و هو صمغه الذى يسيل منه ينقطونه بين عيني النفساء وخطوا على وجه الصبى خطأ ويسمى هذا الصمغ السائل من السم الدودم ويقال بالذال المعجمة أيضا وتسمى هذه الأشياء التى تعلق على الصبى النفرات . قال عبد الرحمن بن أخى الأصمعى إن بعض العرب قال لأبى إذا ولد لك ولد فنفر عنه فقال له أبى و ما التنفير قال غرب اسمه فولد له ولد فسماه قنفذا و كناه أبا العداء قال وأنشد أبى كالمزج دوائها منها بها || تشفى الصداع وتبرى المنجودا . قال يريد أن القنفذ من مراكب الجن فداوى منهم ولده بمراكبهم . [صفحة ٤٠٥] و من مذاهبهم أن الرجل منهم كان إذا ركب مفازة وخاف

على نفسه من طوارق الليل عمد إلى وادى شجر فأناخ راحلته في قرارته وعقلها وخط عليها خطا ثم قال أعود بصاحب هذا الوادى وربما قال بعضهم هذا الوادى و عن هذا قال الله سبحانه فى القرآن وَ أَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا. واستعاذ رجل منهم ومعه ولد فأكله الأسد فقال -قرآن- ٢٤٦-٣٣٠ قد استعدنا بعضهم الوادى || من شر ما فيه من الأعادى فلم يجزنا من هزبر عاد . و قال آخر أعود من شر البلاد البيد || بسيد معظم مجيد أصبح يأوى بلوى زرد || ذى عزة وكاهل شديد . و قال آخر ياجن أجراء اللوى من عالج || عاذ بكم سارى الظلام الدالج لآترهقوه بغوى هائج . و قال آخر قدبت ضيفا لعظيم الوادى || المانعى من سطوة الأعادى راحلتى فى جاره وزادى . و قال آخر هيا صاحب الشجرا هل أنت مانعى || فإنى ضيف نازل بفنائكا [صفحه ٤٠٦] وإنك للجنان فى الأرض سيد || ومثلك آوى فى الظلام الصعالكا . و من مذاهبهم أن المسافر إذا خرج من بلده إلى آخر فلا ينبغى له أن يلتفت فإنه إذا التفت عاد فلذلك لا يلتفت إلا العاشق الذى يريد العود قال بعضهم دع التلفت يامسعود و ارم بها || وجه الهواجر تأمن رجعة البلد . و قال آخر أنشده الخالغ عيل صيرى بالثعلبية لما || طال ليلى وملنى قرنائى كلما سارت المطايا بنا ميلا || تنفست والتفت ورائى . هذان البيتان ذكرهما الخالغ فى هذا الباب وعندى أنه لادلالة فىهما على ما أراد لأن التلفت فى أشعارهم كثير ومرادهم به الإبانة والإعراب عن كثرة الشوق والتأسف على المفارقة وكون الراحل عن المنزل حيث لم يمكنه المقام فيه بجثمانه يتبعه بصره و يتزود من رؤيته كقول الرضى رحمه الله ولقد مررت على طولهم || ورسومهم بيد البلى نهب فوقفت حتى ضج من لغب || نضوى ولج بعدلى الركب وتلفتت عيني فمذ خفيت || عنى الطلول تلت القلب . و ليس يقصد بالتلفت هاهنا التفاؤل بالرجوع إليها لأن رسومها قد صارت نهبا ليد البلى فأى فائدة فى الرجوع إليها وإنما يريد ما قدمنا ذكره من الحنين والتذكر لما مضى من أيامه فيها وكذلك قول الأول [صفحه ٤٠٧] تلت نحو الحى حتى وجدتنى || وجعت من الإصغاء ليتها وأخذعا . ومثل ذلك كثير و قال بعضهم فى المذهب الأول تلت أرجو رجعة بعدنية || فكان التفاتى زائدا فى بلائيا أرجو رجوعا بعد ما حال بيننا || وبينكم حزن الفلا والقيافيا . و قال آخر و قد طلق امرأته فتلفتت إليه تلت رجو رجعة بعد فرقة || وهيهات مما ترجى أم مازن أ لم تعلمى أنى جموح عنانه || إذا كان من أهواه غير ملاين . و من مذاهبهم إذا برت شفة الصبى حمل منخلا على رأسه ونادى بين بيوت الحى الحلا- الحلا- الطعام الطعام فتلقى له النساء كسر الخبز وإقطاع التمر واللحم فى المنخل ثم يلقي ذلك للكلاب فتأكله فيبرأ من المرض فإن أكل صبى من الصبيان من ذلك الذى ألقاه للكلاب ثمرة أولقمة أولحمة أصبح و قد برت شفته وأنشد لامرأة أ لاحلا فى شفة مشقوقة || فقد قضى منخلنا حقوقه . و من مذاهبهم أن الرجل منهم كان إذا برت عينه بثوب آخر مسح الطارف عين المطروف سبع مرات يقول فى الأولى بإحدى جاءت من المدينة و فى الثانية بائنتين جاءتا من المدينة و فى الثالثة بثلاث جئن من المدينة إلى أن يقول فى السابعة بسبع جئن من المدينة فتبرأ عين المطروف . [صفحه ٤٠٨] وفيهم من يقول بإحدى من سبع جئن من المدينة بائنتين من سبع إلى أن يقول بسبع من سبع . و من مذاهبهم أن المرأة منهم كان إذا عسر عليها خايط النكاح نشرت جانبا من شعرها وكحلت إحدى عينيها مخالفة للشعر المنشور وحجلت على إحدى رجليها و يكون ذلك ليلا وتقول يالكاح أبغى النكاح قبل الصباح فيسهل أمرها وتتزوج عن قرب قال رجل لصديقه و قدرأى امرأة تفعل ذلك أم ترى أمك تبغى بعلا || قد نشرت من شعرها الأقلا و لم توف مقلتيها كحلا || ترفع رجلا وتحط رجلا هذا و قد شاب بنوها أصلا || وأصبح الأصغر منهم كهلا خذ القطيع ثم سمها الذلا || ضربا به تترك هذا الفعلا . و قال آخر قد كحلت عينا وأعفت عينا || وحجلت ونشرت قرينا تظن زينا ماتراه شيئا . و قال آخر تصنعى ماشئت أن تصنعى || وكحلى عينيك أو لافدعى ثم احجلى فى البيت أو فى المجمع || ما لك فى بعل أرى من مطمع . و من مذاهبهم كانوا إذا رحل الضيف أو غيره عنهم وأحبوا ألا يعود كسروا [صفحه ٤٠٩] شيئا من الأوانى وراءه و هداما تعمله الناس اليوم أيضا قال بعضهم كسرنا القدر بعد أبى سواح فعاد وقد رنا ذهب ضياعا . و قال آخر و

لانكسر الكيزان في أثر ضيفنا || ولكننا نقفيه زادا ليرجعا . و قال آخر أما و الله إن بنى نفيل || لجالون بالشرف اليفاع أناس ليس تكسر خلف ضيف || أوانيهم و لاشعب القصاع . و من مذاهبهم قولهم إن من ولد في القمرء تقلصت غرلته فكان كالمختون ويجوز عندنا أن يكون ذلك من خواص القمر كما أن من خواصه إبلاء الكتان و إنتان اللحم و قدروى عن أمير المؤمنين ع إذ رأيت الغلام طويل الغرلة فأقرب به من السؤدد و إذ رأيت قصير الغرلة كأنما ختنه القمر فأبعد به -رواية- ١-٢- رواية- ٣٢-١٣٦ . و قال إمروء القيس لقيصر و قد دخل معه الحمام فرآه أغلف إنى حلفت يمينا غير كاذبة || لأنت أغلف إلا ماجنى القمر . و من مذاهبهم التشاؤم بالعطاس قال إمروء القيس و قد اغتدى قبل العطاس بهيكل . و قال آخر [صفحة ٤١٠] و خرق إذا وجهت فيه لغزوة || مضيت و لم يحبسك عنه العواطس و من مذاهبهم قولهم فى الدعاء لا-عشت إلا-عيش القراد يضربونه مثلا فى الشدة و الصبر على المشقة و يزعمون أن القراد يعيش ببطنه عاما و بظهره عاما و يقولون إنه يترك فى طينه و يرمى بها الحائط فيبقى سنة على بطنه و سنة على ظهره و لا يموت قال بعضهم فلاعشت إلا كعيش القراد || عاما بطن و عاما بظهر . و من مذاهبهم كانت النساء إذا غاب عنهن من يحببهن أخذن ترابا من موضع رجله كانت العرب تزعم أن ذلك أسرع لرجوعه . و قالت امرأة من العرب و اقتبضت من أثره يارب أنت جاره فى سفره || و جار خصييه و جار ذكره . و قالت امرأة أخذت ترابا من مواطئ رجله || غداة غدا كيما يثوب مسلما . و من مذاهبهم أنهم كانوا يسمون العشا فى العين الهدب و أصل الهدب اللين الخاثر فإذا أصاب أحدهم ذلك عمد إلى سنام فقطع منه قطعة و من الكبد قطعة و قلاهما و قال عند كل لقمة يأكلها بعد أن يمسح جفنه الأعلى بسابته فى سناما و كبد || ألا اذهبا بالهدب ليس شفاء الهدب || إلا السنام و الكبد [صفحة ٤١١] قال فىذهب العشا بذلك . و من مذاهبهم اعتقادهم أن الورل و القنفذ و الأرنب و الظبى و اليربوع و النعام مراكب الجن يمتطونها و لهم فى ذلك أشعار مشهورة و يزعمون أنهم يرون الجن و يظاهرونهم و يخاطبونهم و يشاهدون الغول و ربما جامعوها و تزوجوها و قالوا إن عمرو بن يربوع تزوج الغول و أولدها بنين و مكثت عنده دهرا فكانت تقول له إذا لاح البرق من جهة بلادى و هى جهة كذا فاستره عنى فإنى إن لم تستره عنى تركت و لدك عليك و طرت إلى بلاد قومى فكان عمرو بن يربوع كلما برق البرق غطى وجهها بردائه فلا تبصره و إلى هذا المعنى أشار أبو العلاء المعرى فى قوله يذكر الإبل و حنينها إلى البرق طربن لضوء البارق المتعالى || ببغداد و هنا مالهن و ما لى سمت نحوه الأبصار حتى كأنها || بناريه من هنا و ثم صوالى إذا طال عنها سرها لورء و سها || تمد إليه فى صدور عوالى تمت قويقا و الصراة أمامها || تراب لها من أيق و جمال إذا لاح إيماض سترت و جوهها || كأنى عمرو و المطى سعالى و كم هم نضو أن يطير مع الصبا || إلى الشام لو لاحبسه بعقالى . قالوا فغفل عمرو بن يربوع عنها ليلة و قد لمع البرق فلم يستر وجهها فطارت و قالت له و هى تطير أمسك بنيك عمرو إنى آبق || برق على أرض السعالى آلق . [صفحة ٤١٢] و منهم من يقول ركبت بعيرا و طارت عليه أى أسرع فلم يدركها و عن هذا قال الشاعر رأى برقا فأوضع فوق بكر || فلا بك ما أسأل و لا أظاما . قال فبنو عمرو بن يربوع إلى اليوم يدعون بنى السعلاة و لذلك قال الشاعر يهجوهم يا قبح الله بنى السعلاة || عمرو بن يربوع شرار النات ليسوا بأبطال و لا أكيات . فأبدل السين تاء و هى لغة قوم من العرب . و من مذاهبهم فى الغول قولهم إنها إذا ضربت ضربة واحدة بالسيف هلكت فإن ضربت ثانية عاشت و إلى هذا المعنى أشار الشاعر بقوله فقالت ثن قلت لها رويدا || مكانك إننى ثبت الجنان . و كانت العرب تسمى أصوات الجن العزيز و تقول إن الرجل إذا قتل قنفذا أو ورلا لم يأمن الجن على فحل إبله و إذا أصاب إبله خطب أو بلاء حمله على ذلك و يزعمون أنهم يسمعون الهاتف بذلك و يقولون مثله فى الجنان من الحيات و قتله عندهم عظيم و رأى رجل منهم جانا فى قعر بئر لا يستطيع الخروج فنزل و أخرجه منها على خطر عظيم و غمض عينيه لئلا يرى أين يدخل كأنه يريد بذلك التقرب إلى الجن . [صفحة ٤١٣] و قال أبو عثمان الجاحظ و كانوا يسمون من يجاور منهم الناس عامرا و الجمع عمار فإن تعرض للصبيان فهو روح فإن خبث و تعرم فهو شيطان فإن زاد على ذلك فهو مارد فإن زاد على

ذلك في القوة فهو عفريت فإن طهر ولطف وصار خيرا كله فهو ملك ويفاضلون بينهم ويعتقدون مع كل شاعر شيطانا ويسمونهم بأسماء مختلفة قال أبو عثمان و في النهار ساعات يرى فيها الصغير كبيرا ويوجد لأوساط الفيافي والرمال والحرار مثل الدوى و هو طبع ذلك الوقت قال ذو الرمة إذا قال حادينا لترنيم نبأه || صه لم يكن إلدوى المسامع . و قال أبو عثمان أيضا في الذين يذكرون عزيز الجن وتغول الغيلان إن أثر هذا الأمر وابتداء هذا الخيال أن القوم لما نزلوا بلاد الوحش عملت فيهم الوحشة و من انفراد وطال مقامه في البلاد الخلاء استوحش و لاسيما مع قلة الأشغال و فقد المذاكرين و الوحدة لا تقطع أيامها إلا بالتمنى والأفكار و ذلك أحد أسباب الوسواس . و من عجائب اعتقادات العرب ومذاهبها اعتقادهم في الديك والغراب والحمامة وساق حر و هو الهديل والحيه فمنهم من يعتقد أن للجن بهذه الحيوانات تعلقات ومنهم من يزعم أنها نوع من الجن ويعتقدون أن سهيلا والزهرة الضب والذئب والضبع مسوخ و من أشعارهم في مراكب الجن قول بعضهم في قنفذ رآه ليلا فما يعجب الجنان منك عدمتهم || و في الأسد أفراس لهم ونجائب أيسرج يربوع ويلجم قنفذ || لقد أعوزتكم ما علمت النجائب [صفحہ ٤١٤] فإن كانت الجنان جنت فبالحرى || لا ذنب للأقوام و الله غالب . و من الشعر المنسوب إلى الجن و كل المطايا قدر كينا فلم نجد || الذ و أشهى من ركوب الأرانب و من عضر فوط عن لى فركبته || أبادر سربا من عطاء قوارب . و قال أعرابي يكذب بذلك أستمع الأسرار راكب قنفذ || لقد ضاع سر الله يأم معبد . و من أشعارهم وأحاديثهم في رواية الجن و خطابهم و هتافهم مارواه أبو عثمان الجاحظ لسمير بن الحارث الضبي و نار قد حضأت بعيد و هن || بدار لا أريد بهامقاما سوى تحليل راحله و عين || أكالنها مخافه أن تناما أتوا نارى فقلت منون أنتم || فقالوا الجن قلت عموا ظلما . و يزعمون أن عمير بن ضبيعة رأى غلاما ثلاثة يلعبون نهارا فوثب غلام منهم فقام على عاتقى صاحبه و وثب الآخر فقام على عاتقى الأعلى منهما فلما رآهم كذلك حمل عليهم فصدمهم فوقعوا على ظهورهم و هم يضحكون فقال عمير بن ضبيعة فما مررت يومئذ بشجرة إلا و سمعت من تحتها ضحكا فلما رجع إلى منزله مرض أربعة أشهر . [صفحہ ٤١٥] و حكى الأصمعى عن بعضهم أنه خرج هو و صاحب له يسيران فإذا غلام على الطريق فقال له من أنت قال أنا مسكين قد قطع بى فقال أحدهما لصاحبه أردفه خلفك فأردفه فالتفت الآخر إليه فرأى فمه يتأجج نارا فشد عليه بالسيف فذهبت النار فرجع عنه ثم التفت فرأى فمه يتأجج نارا فشد عليه فذهبت النار ففعل ذلك مرار فقال ذلك الغلام قاتلكما الله ما أجدكما و الله ما فعلتها بأدمى إلا وانخلع فؤاده ثم غاب عنهما فلم يعلما خبره . و قال أبو البلاد الطهوى و يروى لتأبط شرا لهان على جهينه ما ألقى || من الروعات يوم رحى بطان لقيت الغول تسرى فى ظلام || بسهب كالعباءة صحصحان فقلت لها كلانا نقض أرض || أخو سفر فخلى لى مكاني فشدت شدة نحوى فأهوى || لها كفى بمصقول يمانى فقالت زد فقلت رويد إنى || على أمثالها ثبت الجنان . و الذين يروون هذا الشعر لتأبط شرا يروون أوله ألا من مبلغ فتيات جهم || بما لاقيت عند رحي بطان بأنى قد لقيت الغول تلوى || بمرت كالصحيفة صحصحان فصدت فانتحيت لها بعضب || حسام غير مؤتشب يمانى فقد سراتها والبرك منها || فخرت لليدين وللجران فقالت ثن قلت لها رويدا || مكانك إننى ثبت الجنان [صفحہ ٤١٦] و لم أنفك مضطجعا لديها || لأنظر مصبحا ماذا دهانى إذاعينان فى رأس دقيق || كراس الهير مشقوق اللسان و ساقا مخدج ولسان كلب || و ثوب من عباء أوشنان . و قال البهرانى و تزوجت فى الشبيبة غولا || بغزال و صدقتى زق خمر و قال الجاحظ أصدقها الخمر لطيب ريحها والغزال لأنه من مراكب الجن و قال أبو عبيد بن أيوب العنبرى أحد لصوص العرب تقول و قد ألممت بالإنس لمة || مخضبة الأطراف خرس الخلاخل أ هذا خدين الغول والذئب و الذى || يهيم بربات الحجال الهراكل رأت خلق المدرسين أسود شاحبا || من القوم بساما كريم الشمائل تعود من آبائه فتكاتهم || وإطعامهم فى كل غرباء شامل إذ اصاد صيدا لفه بضرامه || وشيكا و لم ينظر لغلى المراجل و نهسا كنهس الصقر ثم مراسه || بكفيه رأس الشيخة المتمايل . و من هذه الأبيات إذا ما أراد الله ذل قبيلة || رماها بتشتيت الهوى والتخاذل وأول عجز القوم عما ينوبهم || تقاعدهم

عنه وطول التواكل وأول خبث الماء خبث ترابه || وأول لؤم القوم لؤم الحلائل . [صفحہ ۴۱۷] وهذا الشعر من جيد شعر العرب وإنما كان غرضنا منه متعلقا بأوله وذكرنا سائرہ لما فيه من الأدب . وقال عبيد بن أيوب أيضا في المعنى الذي نحن بصدده وصار خليل الغول بعدعداؤه || صفيا وربته القفار البسابس . وقال أيضا فله در الغول أي رفيقه || لصاحب قفر في المهامه يذعر أرنت بلحن بعدلحن وأوقدت || حوالى نيرانا تلوح وتزهر . وقال أيضا وغولا قفرة ذكر وأنثى || كأن عليهما قطع البجاد . وقال أيضا فقد لاقت الغزلان منى بليءة || وقد لاقت الغيلان منى الدواھيا . وقال البهراني في قتل الغول ضربت ضربة فصارت هباء || في محاق القمرآ آخر شهر . وقال أيضا يزعم أنه لماثنى عليها الضرب عاشت فثنيت والمقدار يحرس أهله || فليت يمينى يوم ذلك شلت . وقال تأبط شرا يصف الغول ويذكر أنه راودها عن نفسها فامتنعت عليه فقتلها فأصبحت والغول لى جارة || فيا جارة أنت ماأغولا [صفحہ ۴۱۸] وطالبتها بضعها فالتوت || فكان من الرأى أن تقتلا فجللتها مرهفا صارما || أبان المرافق والمفصلا فطار بقحف ابنه الجن ذا || شقاشق قدأخلق المحملا فمن يك يسأل عن جارتى || فإن لها باللوى منزلا عطاءء أرض لها حلتان || من ورق الطلح لم تغزلا- وكنت إذا ماهمت ابتهلت || وأحرى إذا قلت أن أفعلا- . و من أعاجيبهم أنهم كانوا إذاطالت علة الواحد منهم وظنوا أن به مسا من الجن لأنه قتل حية أو يربوعا أو قنفذا عملوا جمالا من طين وجعلوا عليها جوالق وملئوها حنطة وشعيرا وتمرا وجعلوا تلك الجمال فى باب جحر إلى جهة المغرب وقت غروب الشمس وباتوا ليلتهم تلك فإذا أصبحوا نظروا إلى تلك الجمال الطين فإن رأوا أنها بحالها قالوا لم تقبل الدية فزادوا فيها و إن رأوها قدتساقطت وتبدد ماعليها من الميرة قالوا قدقبلت الدية واستدلوا على شفاء المريض وضربوا بالدنف قال بعضهم قالوا وقدطال عنائى والسقم || احمل إلى الجن جمالات وضم فقد فعلت والسقام لم يرم || فبالذى يملك برئى أعتصم . وقال آخر فىا ليت إن الجن جازوا جمالتى || وزحزح عنى ماعنانى من السقم و ياليتهم قالوا انطنا كل ماحوت || يمينك فى حرب عماس و فى سلم أعلل قلبى بالذى يزعمونه || فىا ليتنى عوفيت فى ذلك الزعم . [صفحہ ۴۱۹] وقال آخر أرى أن جنان النويرة أصبحوا || وهم بين غضبان على وآسف حملت و لم أقبل إليهم حمالة || تسكن عن قلب من السقم تالف و لوأنصفوا لم يطلبوا غيرحقهم || و من لى من أمثالهم بالتناصف تغطوا بثوب الأرض عنى و لوبدووا || لأصبحت منهم آمنا غيرخائف . وكانوا إذاغم عليهم أمر الغائب لم يعرفوا له خبرا جاءوا إلى بئر عادية أو جفر قديم ونادوا فيه يافلان أو يا أبافلان ثلاث مرات ويزعمون أنه إن كان ميتا لم يسمعوا صوتا و إن كان حيا سمعوا صوتا ربما توهموه وهما أو سمعوه من الصدى فبنوا عليه عقيدتهم قال بعضهم دعوت أبالمغوار فى الجفر دعوة || فما آض صوتى بالذى كنت داعيا أظن أبالمغوار فى قعر مظلم || تجر عليه الذاريات السواڤيا . و قال وكم ناديته والليل ساج || بعادى البئار فما أجابا . وقال آخر غاب فلم أرج له إبابا || والجفر لا يرجع لى جوابا و ماقرأت مذناى كتابا || حتى متى أستششد الركابا عنه و كل يمنع الخطابا . [صفحہ ۴۲۰] وقال آخر أ لم تعلمى أنى دعوت مجاشعا || من الجفر والظلماء باد كسورها فجاوبنى حتى ظننت بأنه || سيطلع من جوفاء صعب خدورها لقد سكنت نفسى وأيقنت أنه || سيقدم والدنيا عجاب أمورها . و قال آخر دعوانه من عادية نضب ماؤها || وهدم جاليتها اختلاف عصور فرد جوابا ماشككت بأنه || قريب إلينا بالإياب يصير . أقوى فى البيت الثانى وسكن نضب ضرورة كما قال لوعصر منه البان والمسك انعصر . و من أعاجيبهم أنهم كانوا فى الحرب ربما أخرجوا النساء فيبلن بين الصفين يرون أن ذلك يطفى نار الحرب ويقودهم إلى السلم . قال بعضهم لقونا بأبوال النساء جهالة || ونحن نلاقيهم ببيض قواضب . و قال آخر بالت نساء بنى خراشة خيفة || منا وأدبرت الرجال شلالا . و قال آخر بالت نساؤهم والبيض قدأخذت || منهم ماخذ يستشفى بهاالكلب . وهذان البيتان يمكن أن يراد بهما أن النساء يبلن خيفة وذعرا لا على المعنى الذى نحن فى ذكره فإذن لا يكون فيهما دلالة على المراد . [صفحہ ۴۲۱] وقال الآخر هيهات رد الخيل بالأبوال || إذاغدت فى صور السعالى . و قال آخر جعلوا السيوف المشرفية منهم || بول النساء وقل ذاك غناء

فأما ذكرهم عزيز الجن في المفاوز والسباب فكثير مشهور كقول بعضهم وخرق تحدث غيطانه || حديث العذارى بأسرارها . وقال آخر ودوية سبب سملق || من البيد تعزف جناها . وقال الأعشى وبهماء تعزف جناها || مناهلها آجنات سدم . وقال وبلدة مثل ظهر الترس موحشة || للجن بالليل في حافاتها زجل . وقال آخر بيضاء في أرجائها الجن تعزف . وقال الشرقي بن القطامي كان رجل من كلب يقال له عبيد بن الحمارس شجاعا وكان نازلا بالسماوة أيام الربيع فلما حسر الربيع وقل ماؤه وأقلعت أنواؤه تحمل إلى وادي تبل فرأى روضة وغديرا فقال روضة وغدير وخطب يسير وأنا لما [صفحة ٤٢٢] حويت مجير فنزل هناك و له امرأتان اسم إحداهما الرباب والأخرى خولة فقالت له خولة أرى بلدة فقرا قليلا أنيسها || وإنا لنخشى إن دجا الليل أهلها . وقالت له الرباب أرتك برأى فاستمع عنك قولها || ولاتأمن جن العزيز وجهلها . فقال مجيبا لهما ألت كميأ في الحروب مجربا || شجاعا إذا شبت له الحرب محربا سريعا إلى الهيجا إذا حمس الوغى || فأقسم لأعدو الغدير منكبا . ثم صعد إلى جبل تبل فرأى شيهمة وهى الأثى من القنفاذ فرماها فأعصها ومعها ولدها فارتبطه فلما كان الليل هتف به هاتف من الجن يا ابن الحمارس قد أسأت جوارنا || وركبت صاحبنا بأمر مفضع وعقرت لقتحه وقدت فصيلها || قودا عنيفا في المنيع الأرفع ونزلت مرعى شائنا وظلمتنا || والظلم فاعله وخيم المرتع فلنظرفنك بالذى أوليتنا || شر يجيئك ما له من مدفع . فأجابه ابن الحمارس يامدعى ظلمى ولست بظالم || اسمع لديك مقالتي وتسمع إن كنتم جنا ظلمتم قنفذا || عقرت فشر عقيرة في مصرع لا تطمعوا فيما لدى فما لكم || فيما حويت وحزته من مطمع . فأجابه الجنى يا ضارب اللقحة بالعضب الأفل || قد جاءك الموت وأوفاك الأجل [صفحة ٤٢٣] وساقك الحين إلى جن تبل || فاليوم أقوى وأعتك الحيل . فأجابه ابن الحمارس يا صاحب اللقحة هل أنت بجل || مستمع منى فقد قلت الخطل وكثرة المنطق في الحرب فشل || هيجت قمقاما من القوم بطل ليث ليوث وإذاهم فعل || لا يهرب الجن ولا الإنس أجل من كان بالعقوة من جن تبل قال فسمعها شيخ من الجن فقال لا والله لانرى قتل إنسان مثل هذا ثابت القلب ماضى العزيمة فقام ذلك الشيخ وحمد الله تعالى ثم أنشد يا ابن الحمارس قد نزلت بلادنا || فأصبت منها مشربا ومناما فبدأتنا ظلما بعقر لقوحنا || وأسأت لما أن نطقت كلاما فاعمد لأمر الرشد واجتنب الردى || إنا نرى لك حرمة وذماما واغرم لصاحبنا لقوحا متبعا || فلقد أصبت بما فعلت أثاما . فأجابه ابن الحمارس الله يعلم حيث يرفع عرشه || أنى لأكره أن أصيب أثاما أما ادعائك ما ادعيت فإننى || جئت البلاد ولا أريد مقاما فأسمت فيهما لنا ونزلتها || لأريح فيها ظهرنا أياما فليغد صاحبكم علينا نعطه || ما قد سألت ولا نراه غراما . ثم غرم للجن لقوحا متبعا للقنفذ وولدها . وهذه الحكاية وإن كانت كذبا إلا أنها تتضمن أدبا وهى من طرائف [صفحة ٤٢٤] أحاديث العرب فذكرناها لأدبها وإمتاعها ويقال إن الشرقي بن القطامي كان يصنع أشعارا وينحلها غيره . فأما مذهب العرب فى أن لكل شاعر شيطانا يلقي إليه الشعر فمذهب مشهور والشعراء كافة عليه قال بعضهم إنى وإن كنت صغير السن || وكان فى العين نبو عنى فإن شيطانى أميرالجن || يذهب بى فى الشعر كل فن . وقال حسان بن ثابت إذا ماترعرع فىنا الغلام || فما إن يقال له من هوه إذا لم يسد قبل شد الإزار || فذلك فىنا الذى لاهوه ولى صاحب من بنى الشيصبان || فطورا أقول وطوار هوه . وكانوا يزعمون أن اسم شيطان الأعشى مسحل واسم شيطان المخبل عمرو وقال الأعشى دعوت خليلى مسحلا ودعوا له || جهنم جدعا للهجين المذمم . وقال آخر لقد كان جنى الفرزدق قدوة || وما كان فىنا مثل فحل المخبل ولا فى القوافى مثل عمرو وشيخه || ولا بعد عمرو شاعر مثل مسحل . وقال الفرزدق يصف قصيدته كأنها الذهب العقيان حبرها || لسان أشعر خلق الله شيطانا . [صفحة ٤٢٥] وقال أبوالنجم إنى وكل شاعر من البشر || شيطانه أنثى وشيطانى ذكر . وأنشد الخالغ فىما نحن فىه لبعض الرجاز إن الشياطين أتونى أربعه || فى غلس الليل وفىهم زوبعه . وهذا لا يدل على مانحن بصدده من أمر الشعر وإلقائه إلى الإنسان فلاوجه لإدخاله فى هذاالموضع . ومن مذاهبهم أنهم كانوا إذا قتلوا الثعبان خافوا من الجن أن يأخذوا بشأره فىأخذون روثه ويفتونها على رأسه ويقولون روثه راث

ثائر ك . و قال بعضهم طرحنا عليه الروث والزجر صادق || فرث علينا ثأره والطوائل . و قديذر على الحية المقتولة يسير رماد ويقال لها قتلك العين فلا تثر لك و فى أمثالهم لمن ذهب دمه هدرا و هو قتل العين قال الشاعر و لا أكن كقتيل العين و سطمكم || و لا ذبيحة تشريق و تنحار . فأما مذهبهم فى الخزرات و الأحجار و الرقى و العزائم فمشهور فمنها السلوانة و يقال السلوة و هى خرزة يسقى العاشق منها فيسلو فى زعمهم و هى بيضاء شفافة قال الراجز لو أشرب السلوان ماسليت || ما بى غنى عنكم و إن غنيت . السلوان جمع سلوانة . [صفحہ ۴۲۶] و قال اللحيانى السلوانة تراب من قبر يسقى منه العاشق فيسلو و قال عروة بن حزام جعلت لعراف اليمامة حكمه || و عراف نجد إن هما شفيانى فقلالا نعم نشفى من الداء كله || و قاما مع العواد بيتدران فما تركا من رقية يعرفانها || و لاسلوة إلا و قدسقيانى . و قال آخر سقونى سلوة فسوت عنها || سقى الله المنية من سقانى . أى سلوت عن السلوة و اشتد بى العشق و دام و قال الشمردل و لقد سقيت بسلوة فكأنما || قال المداوى للخيال بها زدد . و من خرزاتهم الهنمة تجتلب بها الرجال و تعطف بها قلوبهم و رقيتها أخذته بالهنمة بالليل زوج و بالنهار أمه . و منها الفطسة و القبلة و الدرديس كلها لاجتلاب قلوب الرجال قال الشاعر جمع من قبل لهن و فطسة || و الدرديس تماثما فى منظم فانقاد كل مشذب مرس القوى || لجالهن و كل جلد شيطم . و قيل الدرديس خرزة سوداء يتحبب بها النساء إلى بعولتهن توجد فى القبور العادية و رقيتها أخذته بالدرديس تدر العرق اليبس و تذر الجديد كالدريس و أنشد قطعت القيد و الخرزات عنى || فمن لى من علاج الدرديس . [صفحہ ۴۲۷] و أصل الدرديس الداهية و نقل إلى هذه لقوة تأثيرها . و من خرزاتهم القرزحلة أنشد ابن الأعرابى لا تنفع القرزحلة العجائزا || إذ قطعن دونها المفاوزا . و هى من خرز الضرائر إذ البستها المرأة مال إليها بعلمها دون ضررتها . و منها خرزة العقرة تشدها المرأة على حقويها فتمنع الحبل ذكر ذلك ابن السكيت فى إصلاح المنطق . و منها الينجلب و رقيتها أخذته بالينجلب فلا يرم و لا يغب و لا يزل عند الطنب . و منها كرار مبنية على الكسر و رقيتها يكرر كرية إن أقبل فسريه و إن أدبر فسريه من فرجه إلى فيه . و منها الهمرة و رقيتها ياهمرة اهمريه من استه إلى فيه و ماله و بنيه . و منها الخصمة خرزة للدخول على السلطان و الخصومة تجعل تحت فص الخاتم أو فى زر القميص أو فى حمائل السيف قال بعضهم يعلق غيرى خصمة فى لقائهم || و ما لى عليكم خصمة غير منطقي . و منها الوجيهة و هى كالخصمة حمراء كالعقيق . و منها العطفة خرزة العطف و الكحلة خرزة سوداء تجعل على الصبيان لدفع العين عنهم و القبلة خرزة بيضاء تجعل فى عنق الفرس من العين و الفطسة خرزة يمرض بها العدو و يقتل و رقيتها أخذته بالفطسة بالثوباء و العطسة فلا يزال فى تعسه من أمره و نكسه حتى يزور رمسه . [صفحہ ۴۲۸] و من رقايم للحب هوابه هوابه البرق و السحابة أخذته بمركن فحبه تمكن أخذته بإبره فلا يزل فى عبره خليته بإشفى فقلبه لا يهدا خليته بمبرد فقلبه لا يبيرد و ترقى الفارك زوجها إذا سافر عنها فتقول بأفول القمر وظل الشجر شمال تشمله و دبوره تدبره و نكباء تنكبه شيك فلا تنتعش ثم ترمى فى أثره بحصاة و نواة و روثه و بعرة و تقول حصاة حصت أثره نواة أنأت داره روثه راث خبره لفته ببعرة و قالت فارك فى زوجها أتبعته إذ رحل العيس ضحى || بعد النواة روثه حيث انتوى الروث للثرى و للنأى النوى . و قال آخر رمت خلفه لمارأت و شك بينه || نواة تلتها روثه و حصاة و قالت نأت منك الديار فلا دنت || وراثت بك الأخبار و الرجعات و حصت لك الآثار بعد ظهورها || و لافارق الترحال منك شتات . و قال آخر يخاطب امرأته لا تقذفى خلفى إذا الركب اغتدى || روثه غير و حصاة و نوى لن يدفع المقدار أسباب الرقى || و لا التهاويل على جن الفلا . هذا الرجز أورده الخالع فى هذا المعرض و هو بأن يدل على عكس هذا المعنى أولى لأن قوله لن يدفع المقدار بالرقي و لا بالتهاويل على الجن كلام يشعر بأن قذف الحصاة و النواة خلفه كالعودة له لا كما تفعله الفارك التى تتمنى الفراق . [صفحہ ۴۲۹] فأما مذهبهم فى القيافة و الزجر و الكهانة و اختلافهم فى السانح و البارح و تشاتمهم باللفظة و الكلمة و تأويلهم لها و تيمنهم بكلمة أخرى و ما كانوا يفعلونه من البحيرة و السائبة و الوصيعة و الحامى فكله مشهور معروف لا حاجة لنا إلى ذكره ها هنا . فأما لفظ أمير المؤمنين ع فى قوله نشره فإن النشرة فى اللغة كالعودة

والرقية قالوا نشرت فلانا تنشيرا أى رقيته وعودته وقال الكلابى إذانشر المسفوع فكأنما أنشط من عقال أى يذهب عنه ما به سريعا وفى الحديث أنه قال فلعل طبا أصابه يعنى سحرا ثم عوذه بقل أعوذ برب الناس أى رقاها وكذلك إذاكتب له النشرة. و قدعد أمير المؤمنين ع أمورا أربعة ذكر منها النشرة و لم يكن ع ليقول ذلك إلا عن توقيف من رسول الله ص

المجلد ٢٠

الجزء العشرون

تممة باب الحكم والمواعظ

إشارة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الواحد العدل

٤٠٩

وَ قَالَ ع مُقَارِيَةَ النَّاسِ فِي أَخْلَاقِهِمْ أَمِنْ مِنْ عَوَائِلِهِمْ إِلَى هَذَا نَظَرَ الْمَتَنِي فِي قَوْلِهِ وَخَلَهُ فِي جَلِيْسِ أَتَقِيهِ بِهَا || كَيْمَا يَرَى أَنَّنَا مِثْلَانِ فِي الْوَهْنِ وَكَلِمَةٍ فِي طَرِيْقِ خَفْتِ أَعْرَبَهَا || فِيهِتَدَى لِي فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى اللَّحْنِ . وَ قَالَ الشَّاعِرُ وَ مَا أَنَا إِلَّا كَالزَّمَانِ إِذَا صَحَا || صَحَوْتُ وَ إِن مَاقَ الزَّمَانِ أَمَوْقَ . وَ كَانَ يُقَالُ إِذَا نَزَلَتْ عَلَى قَوْمٍ فَتَشَبَّهُ بِأَخْلَاقِهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ مِنْ حَيْثُ يُوْجَدُ لَا مِنْ حَيْثُ يُوْلَدُ وَ فِي الْأَمْثَالِ الْقَدِيْمَةِ مِنْ دَخَلَ ظَفَارَ حَمْرٍ . شَاعِرٌ أَحَامَقُهُ حَتَّى يُقَالُ سَجِيءٌ || وَ لَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَكُنْتُ أَعَاقِلُهُ [صَفْحَهُ ٤]

٤١٠

وَ قَالَ ع لِبَعْضِ مُخَاطَبِيهِ وَ قَدْ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ يُسْتَصَغَّرُ مِثْلُهُ عَنْ قَوْلٍ مِثْلِهَا لَقَدْ طَرَتْ شَكِيْرًا وَ هَدَرَتْ سَرِيْبًا قَالَ الشُّكَيْرُ هَاهُنَا أَوَّلُ مَا يَنْبَغُ مِنْ رِيْشِ الطَّائِرِ قَبْلَ أَنْ يَقْوَى وَيَسْتَحْصِفَ وَالسَّقْبُ الصَّغِيْرُ مِنَ الْإِبْلِ وَ لَا يَهْدُرُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَسْتَفْحَلَ - رَوَايَتُ - ١ - ١٢٣ هَذَا مِثْلُ قَوْلِهِمْ قَدْ زَبِ قَبْلَ أَنْ يَحْصُرَ . وَ مِنْ أَمْثَالِ الْعَامَّةِ يُقْرَأُ بِالشَّوَاذِ وَ مَا حَفِظَ بَعْدَ جُزْءِ الْمَفْصَلِ [صَفْحَهُ ٥]

٤١١

وَ قَالَ ع مَنْ أَوْمَأَ إِلَى مُتَّفَاوِتٍ خَمَدَتْهُ الْحَيْلُ قِيلَ فِي تَفْسِيْرِهِ مِنْ اسْتَدَلَّ بِالْمِثْشَابَةِ مِنَ الْقُرْآنِ فِي التَّوْحِيدِ وَالْعَدْلِ انْكَشَفَتْ حَيْلَتُهُ فَإِنَّ عُلَمَاءَ التَّوْحِيدِ قَدِ أَوْضَحُوا تَأْوِيلَ ذَلِكَ . وَقِيلَ مِنْ بَنَى عَقِيْدَةً لَهُ مَخْصُوصَةٌ عَلَى أَمْرَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ حَقٌّ وَبَاطِلٌ كَانَ مَبْطَلًا . وَقِيلَ مِنْ أَوْمَأَ بِطَمْعِهِ وَأَمَلَهُ إِلَى فَائِثٍ قَدِمَضَى وَانْقَضَى لَنْ تَنْفَعَهُ حَيْلُهُ أَى لَا يَتَّبَعْنَ أَحَدَكُمْ أَمَلَهُ مَا قَدَفَاتِهِ وَ هَذَا ضَعِيفٌ لِأَنَّ الْمُتَّفَاوِتَ فِي اللَّغَةِ غَيْرُ الْفَائِثِ [صَفْحَهُ ٦]

٤١٢

قَالَ ع وَ قَدْ سِئِلَ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِمْ لَمَّا حَوْلَ وَ لَمَّا قُوَّةَ إِلَّا بِإِلَهِ إِنَّا لَا نَمْلِكُ مَعَ اللَّهِ شَيْئاً وَ لَا نَمْلِكُ إِلَّا مَا مَلَكْنَا فَتَمَّتْ مَلَكْنَا مَا هُوَ أَمْلِكُ بِهِ مِنَّا كَلْفْنَا وَ مَتَى أَخَذَهُ مِنَّا وَضَعَ تَكْلِيفَهُ عَنَّا مَعْنَى هَذَا الْكَلَامِ أَنَّهُ عَجَّلَ الْحَوْلَ عِبَارَةً عَنِ الْمَلِكِيَّةِ وَالتَّصَرُّفِ وَجَعَلَ الْقُوَّةَ عِبَارَةً عَنِ التَّكْلِيفِ كَأَنَّهُ يَقُولُ لَا تَمْلِكُ وَ لَا تَتَصَرَّفُ إِلَّا بِاللَّهِ وَ لَا تَكْلِفُ لِأَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ إِلَّا بِاللَّهِ فَنَحْنُ لَا نَمْلِكُ مَعَ اللَّهِ شَيْئاً أَى لَا نَسْتَقِلُّ بِأَنَّ نَمْلِكُ شَيْئاً لِأَنَّهُ لَوْ لَا إِقْدَارُهُ إِيَّانَا وَخَلَقْتَهُ لَنَا أَحْيَاءَ لَمْ نَكُنْ مَالِكِينَ وَ لَا مُتَصَرِّفِينَ فَإِذَا مَلَكْنَا شَيْئاً هُوَ أَمْلِكُ بِهِ أَى أَقْدَرُ عَلَيْهِ مِنَّا صَرْنَا مَالِكِينَ لَهُ كَالْمَالِ مَثَلًا حَقِيقَةً وَ كَالْعَقْلِ وَ الْجَوَارِحِ وَ الْأَعْضَاءِ مَجَازًا وَ حِينَئِذٍ يَكُونُ مَكْلَفًا لَنَا أَمْرًا يَتَعَلَّقُ بِمَا مَلَكْنَا إِيَّاهُ نَحْوُ أَنْ يَكْلِفْنَا الزَّكَاةَ عِنْدَ تَمْلِكِنَا الْمَالَ وَ يَكْلِفْنَا النَّظَرَ عِنْدَ تَمْلِكِنَا الْعَقْلَ وَ يَكْلِفْنَا الْجِهَادَ وَ الصَّلَاةَ وَ الْحَجَّ وَ غَيْرَ ذَلِكَ عِنْدَ تَمْلِكِنَا الْأَعْضَاءَ وَ الْجَوَارِحَ وَ مَتَى أَخَذَ مِنَّا الْمَالَ وَضَعَ عِنَّا تَكْلِيفَ الزَّكَاةِ وَ مَتَى أَخَذَ الْعَقْلَ سَقَطَ تَكْلِيفُ النَّظَرِ وَ مَتَى أَخَذَ الْأَعْضَاءَ وَ الْجَوَارِحَ سَقَطَ تَكْلِيفُ الْجِهَادِ وَ مَا يَجْرَى مَجْرَاهُ . هَذَا هُوَ تَفْسِيرُ قَوْلِهِ ع فَأَمَّا غَيْرُهُ فَقَدْ فَسَّرَهُ بِشَيْءٍ آخَرَ قَالَ - رَوَايَتُ - ١- ٢ [صَفْحَةُ ٧] أَبُو عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ع فَلَا حَوْلَ عَلَى الطَّاعَةِ وَ لَا قُوَّةَ عَلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي إِلَّا بِاللَّهِ - رَوَايَتُ - ٣٤- ٩٠ وَ قَالَ قَوْمٌ وَ هُمُ الْمَجْبُرَةُ لِأَفْعَالٍ مِنَ الْأَفْعَالِ إِلَّا وَ هُوَ صَادِرٌ مِنَ اللَّهِ وَ لَيْسَ فِي اللَّفْظِ مَا يَدُلُّ مَا دَعَاوًا وَ إِنَّمَا فِيهِ أَنَّهُ لَا إِقْتِدَارَ إِلَّا بِاللَّهِ وَ لَيْسَ يَلْزَمُ مِنَ نَفْيِ الْإِقْتِدَارِ إِلَّا بِاللَّهِ صَدَقَ قَوْلُنَا لِأَفْعَالٍ مِنَ الْأَفْعَالِ إِلَّا وَ هُوَ صَادِرٌ عَنِ اللَّهِ وَ الْأَوْلَى فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ اللَّفْظَةِ أَنْ تَحْمَلَ عَلَى ظَاهِرِهَا وَ ذَلِكَ أَنَّ الْحَوْلَ هُوَ الْقُوَّةُ وَ الْقُوَّةُ هِيَ الْحَوْلُ كِلَاهِمَا مُتْرَادِفَانِ وَ لَا رَيْبَ أَنَّ الْقُدْرَةَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ الَّذِي أَقْدَرَ الْمُؤْمِنَ عَلَى الْإِيمَانِ وَ الْكَافِرَ عَلَى الْكُفْرِ وَ لَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ مُخَالَفَةُ الْقَوْلِ بِالْعَدْلِ لِأَنَّ الْقُدْرَةَ لَيْسَتْ مُوجِبَةً . فَإِنْ قُلْتَ فَأَى فَائِدَةٌ فِي ذِكْرِ ذَلِكَ وَ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أَحَدٍ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْقُدْرَةَ فِي جَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ قَلَّتِ الْمَرَادُ بِذَلِكَ الرَّدُّ عَلَى مَنْ أَثْبَتَ صَانِعًا غَيْرَ اللَّهِ كَالْمَجُوسِ وَ الثَّنَوِيَّةِ فَإِنَّهُمْ قَالُوا يَا لِهَيْبِنِ أَحَدِهِمَا يَخْلُقُ قُدْرَةَ الْخَيْرِ وَ الْآخَرَ يَخْلُقُ قُدْرَةَ الشَّرِّ [صَفْحَةُ ٨]

٤١٣

إشارة

وَ قَالَ ع لِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَ قَدْ سَمِعْتُهُ يُرَاجِعُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ كَلَامًا دَعَا يَا عَمَّارُ فَإِنَّهُ لَنْ يَأْخُذَ مِنَ الدِّينِ إِلَّا مَا قَارَبْتَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَ عَلَى عَمَدٍ لَبَسَ عَلَى نَفْسِهِ لِيَجْعَلَ الشُّبُهَاتِ عَازِرًا لِسَقَطَاتِهِ

المغيرة بن شعبة

أصحابنا غير متفقين على السكوت على المغيرة بل أكثر البغداديين يفسقونه ويقولون فيه ما يقال في الفاسق و لما جاء عروة بن مسعود الثقفي إلى رسول الله ص عام الحديبية نظر إليه قائما على رأس رسول الله ص مقلدا سيفا فقبل من هذا قيل ابن أخيك المغيرة قال و أنت هاهنا يا غدر و الله إنى إلى الآن ما غسلت سوءتك . و كان إسلام المغيرة من غير اعتقاد صحيح و لا إنابة و نية جميلة كان قد صحب قوما في بعض الطرق فاستغفلهم وهم نيام فقتلهم وأخذ أموالهم و هرب خوفا أن يلحق فيقتل أو يؤخذ ما فاز به من أموالهم فقدم المدينة فأظهر الإسلام و كان رسول الله [صَفْحَةُ ٩] ص لا يرد على أحد إسلامه أسلم عن عله أو عن إخلاص فامتنع بالإسلام واعتصم وحمى جانبه . ذكر حديثه أبو الفرج على بن الحسين الأصفهاني في كتاب الأغاني قال كان المغيرة يحدث حديث إسلامه قال خرجت مع قوم من بنى مالك ونحن على دين الجاهلية إلى المقوقس ملك مصر فدخلنا إلى

الإسكندرية وأهدينا للملك هدايا كانت معنا فكنت أهون أصحابي عليه وقبض هدايا القوم وأمر لهم بجوائز وفضل بعضهم على بعض وقصر بي فأعطاني شيئاً قليلاً لا ذكر له وخرجنا فأقبلت بنو مالك يشترون هدايا لأهلهم وهم مسرورون ولم يعرض أحد منهم على مواساة فلما خرجوا حملوا معهم خمراً فكانوا يشربون منها فأشرب معهم ونفسي تأبى أن تدعني معهم وقلت ينصرفون إلى الطائف بما أصابوا و ما جباهم به الملك ويخبرون قومي بتقصيره بي وازدرائه إياي فأجمعت على قتلهم فقلت إنى أجد صداً فوضعوا شرابهم ودعوني فقلت رأسي يصدع ولكن اجلسوا فأسقيكم فلم ينكروا من أمري شيئاً فجلست أسقيهم وأشرب القدح بعد القدح فلما دبت الكأس فيهم اشتهاوا الشراب فجعلت أصرف لهم وأترع الكأس فيشربون ولا يدرون فأهدتهم الخمر حتى ناموا ما يعقلون فوثبت إليهم فقتلتهم جميعاً وأخذت جميع ما كان معهم . وقدمت المدينة فوجدت النبي ص بالمسجد وعنده أبو بكر و كان بي عارفاً فلما رأني قال ابن أخى عروة قلت نعم قد جئت أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله فقال رسول الله ص الحمد لله فقال أبو بكر من مصر أقبلت قلت نعم قال فما فعل المالكيون الذين كانوا معك قلت كان [صفحہ ۱۰] بيني وبينهم بعض ما يكون بين العرب ونحن على دين الشرك فقتلتهم وأخذت أسلابهم وجئت بها إلى رسول الله ص ليخمسها ويرى فيها رايه فإنها غنيمه من المشركين فقال رسول الله ص أما إسلامك فقد قبلته و لا تأخذ من أموالهم شيئاً و لا تخمسها لأن هذا غدر والغدر لا خير فيه فأخذني ما قرب و ما بعد فقلت يا رسول الله إنما قتلتهم و أنا على دين قومي ثم أسلمت حين دخلت إليك الساعة فقال ع الإسلام يجب ما قبله قال و كان قتل منهم ثلاثة عشر إنساناً واحتوى مامعهم فبلغ ذلك ثقيفاً بالطائف فتداعوا للقتال ثم اصطالحوا على أن حمل عمى عروة بن مسعود ثلاث عشرة دية. قال فذلك معنى قول عروة يوم الحديبية يا غدر أنا إلى الأمس أغسل سوءتك فلا أستطيع أن أغسلها فهذا قال أصحابنا البغداديون من كان إسلامه على هذا الوجه وكانت خاتمه ما قد تواتر الخبر به من لعن على ع على المنابر إلى أن مات على هذا الفعل و كان المتوسط من عمره الفسق والفجور وإعطاء البطن والفرج سؤالهما وممالأة الفاسقين و صرف الوقت إلى غير طاعة الله كيف نتولاه و أى عذر لنا فى الإمساك عنه و ألا نكشف للناس فسقه

إيراد كلام لأبي المعالي الجويني فى أمر الصحابة والرد عليه

وحضرت عند النقيب أبى جعفر يحيى بن محمد العلوى البصرى فى سنة إحدى عشرة وستمائة ببغداد وعنده جماعة وأحدهم يقرأ فى الأغاني لأبى الفرج فمر ذكر المغيرة بن شعبة وخاض القوم فذمه بعضهم وأثنى عليه بعضهم وأمسك عنه آخرون فقال [صفحہ ۱۱] بعض فقهاء الشيعة ممن كان يشتغل بطرف من علم الكلام على رأى الأشعرى الواجب الكف والإمساك عن الصحابة و عما شجر بينهم فقد قال أبو المعالي الجويني إن رسول الله ص نهى عن ذلك و قال إياكم و ما شجر بين صحابتي - روايت- ۱- ۲- روايت- ۸- ۳۵ قال دعوا لى أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً لم يبلغ مد أحدهم و لا نصيفه - روايت- ۱- ۲- روايت- ۸- ۸۴ قال أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم - روايت- ۱- ۲- روايت- ۸- ۵۰ قال خيركم القرن الذى أنا فيه ثم الذى يليه ثم الذى يليه ثم الذى يليه - روايت- ۱- ۲- روايت- ۸- ۸۲ و قد ورد فى القرآن الثناء على الصحابة و على التابعين و قال رسول الله ص و ما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم - روايت- ۱- ۲- روايت- ۲۳- ۹۹ و قد روى عن الحسن البصرى أنه ذكر عنده الجمل وصفين فقال تلك دماء طهر الله منها أسيافاً فلانطخ بها ألسنتنا. ثم إن تلك الأحوال قد غابت عنا و بعدت أخبارها على حقائقها فلا يلقى بنا أن نخوض فيها و لو كان واحد من هؤلاء قد أخطأ لوجب أن يحفظ رسول الله ص فيه و من المروءة أن يحفظ رسول الله ص فى عائشة زوجته و فى الزبير ابن عمته و فى طلحة الذى وقاه

بيده ثم ما الذى أُلزِمنا وأوجب علينا أن نلعن أحدا من المسلمين أونبرأ منه و أى ثواب فى اللعنة والبراءة إن الله تعالى لا يقول يوم القيامة للمكلف لم لم تلعن بل قد يقول له لم لعنت و لو أن إنسانا عاش عمره كله لم يلعن إبليس لم يكن عاصيا و لا آثما و إذا جعل الإنسان عوض اللعنة أستغفر الله كان خيرا له ثم كيف يجوز للعامَّة أن تدخل أنفسها فى أمور الخاصة و أولئك قوم كانوا أمراء هذه الأمة و قادتها و نحن اليوم فى طبقه سافله جدا عنهم فكيف يحسن بنا التعرض لذكرهم أ ليس يقبح من الرعيه أن تخوض فى دقائق أمور الملك و أحواله و شئونه التى تجرى بينه و بين أهله و بنى عمه و نسائه و سراريه و قد كان [صفحه ١٢] رسول الله ص صهرا لمعاوية و أخته أم حبيبة تحته فالأدب أن تحفظ أم حبيبة و هى أم المؤمنين فى أخيها. و كيف يجوز أن يلعن من جعل الله تعالى بينه و بين رسوله مودة أ ليس المفسرون كلهم قالوا هذه الآية أنزلت فى أبى سفيان و آله و هى قوله تعالى عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً فَكَانَ ذَلِكَ مَصَاهِرَ رَسُولِ اللَّهِ ص أَبَاسْفِيَانَ وَ تَزْوِيجَهُ ابْنَتَهُ عَلِيَّ أَنْ جَمِيعَ مَا تَنَقَلَهُ الشَّيْعَةُ مِنَ الْاِخْتِلَافِ بَيْنَهُمْ وَ الْمَشَاجِرَةَ لَمْ يَثْبِتْ وَ مَا كَانَ الْقَوْمَ إِلَّا كِبْنَى أُمَّ وَاحِدَةٍ وَ لَمْ يَتَكَدَّرْ بَاطِنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ عَلَى صَاحِبِهِ قَطْ وَ لَا وَقَعَ بَيْنَهُمْ اِخْتِلَافٌ وَ لَا نِزَاعٌ . فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَد كُنْتُ مِنْذُ أَيَّامٍ عَلِقْتُ بِخَطِي كَلَامًا وَ جَدْتُهُ لِبَعْضِ الزُّيْدِيَّةِ فِي هَذَا الْمَعْنَى نَقْضًا وَ رَدًا عَلَى أَبِي الْمَعَالَى الْجَوِينِيِّ فِيمَا اخْتَارَهُ لِنَفْسِهِ مِنْ هَذَا الرَّأْيِ وَ أَنَا أَخْرَجْتُهُ إِلَيْكُمْ لِأَسْتغْنَى بِتَأْمَلِهِ عَنِ الْحَدِيثِ عَلَى مَاقَالِهِ هَذَا الْفَقِيهِ فَإِنِّي أَجِدُ أَلْمَا يَمْنَعُنِي مِنَ الْإِطَالَةِ فِي الْحَدِيثِ لِأَسِيْمَا إِذَا خَرَجَ مَخْرَجَ الْجَدَلِ وَ مَقَاوِمَةَ الْخُصُومِ ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْ بَيْنِ كُتُبِهِ كِرَاسًا قَرَأْنَاهُ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ وَ اسْتَحْسَنَهُ الْحَاضِرُونَ وَ أَنَا أَذْكَرُ هَاهُنَا خِلَاصَتَهُ . قَالَ لَوْ لَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْجِبَ مَعَادَاةَ أَعْدَائِهِ كَمَا أَوْجِبَ مَوَالَاةَ أَوْلِيَائِهِ وَ ضَيِّقَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ تَرْكُهَا إِذَا دَلَّ الْعَقْلُ عَلَيْهَا أَوْ صَحَّ الْخَبَرُ عَنْهَا بِقَوْلِهِ سُبْحَانَ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُؤَادُونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى وَ لَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ النَّبِيِّ وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَ لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا - قرآن - ١١٤٤-١٣٠٨- قرآن - ١٣٢٤-١٤١٦- قرآن - ١٤٣٣-١٤٥٢ رسول الله ص صهرا لمعاوية و أخته أم حبيبة تحته فالأدب أن تحفظ أم حبيبة و هى أم المؤمنين فى أخيها. و كيف يجوز أن يلعن من جعل الله تعالى بينه و بين رسوله مودة أ ليس المفسرون كلهم قالوا هذه الآية أنزلت فى أبى سفيان و آله و هى قوله تعالى عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً فَكَانَ ذَلِكَ مَصَاهِرَ رَسُولِ اللَّهِ ص أَبَاسْفِيَانَ وَ تَزْوِيجَهُ ابْنَتَهُ عَلِيَّ أَنْ جَمِيعَ مَا تَنَقَلَهُ الشَّيْعَةُ مِنَ الْاِخْتِلَافِ بَيْنَهُمْ وَ الْمَشَاجِرَةَ لَمْ يَثْبِتْ وَ مَا كَانَ الْقَوْمَ إِلَّا كِبْنَى أُمَّ وَاحِدَةٍ وَ لَمْ يَتَكَدَّرْ بَاطِنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ عَلَى صَاحِبِهِ قَطْ وَ لَا وَقَعَ بَيْنَهُمْ اِخْتِلَافٌ وَ لَا نِزَاعٌ . فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَد كُنْتُ مِنْذُ أَيَّامٍ عَلِقْتُ بِخَطِي كَلَامًا وَ جَدْتُهُ لِبَعْضِ الزُّيْدِيَّةِ فِي هَذَا الْمَعْنَى نَقْضًا وَ رَدًا عَلَى أَبِي الْمَعَالَى الْجَوِينِيِّ فِيمَا اخْتَارَهُ لِنَفْسِهِ مِنْ هَذَا الرَّأْيِ وَ أَنَا أَخْرَجْتُهُ إِلَيْكُمْ لِأَسْتغْنَى بِتَأْمَلِهِ عَنِ الْحَدِيثِ عَلَى مَاقَالِهِ هَذَا الْفَقِيهِ فَإِنِّي أَجِدُ أَلْمَا يَمْنَعُنِي مِنَ الْإِطَالَةِ فِي الْحَدِيثِ لِأَسِيْمَا إِذَا خَرَجَ مَخْرَجَ الْجَدَلِ وَ مَقَاوِمَةَ الْخُصُومِ ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْ بَيْنِ كُتُبِهِ كِرَاسًا قَرَأْنَاهُ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ وَ اسْتَحْسَنَهُ الْحَاضِرُونَ وَ أَنَا أَذْكَرُ هَاهُنَا خِلَاصَتَهُ . قَالَ لَوْ لَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْجِبَ مَعَادَاةَ أَعْدَائِهِ كَمَا أَوْجِبَ مَوَالَاةَ أَوْلِيَائِهِ وَ ضَيِّقَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ تَرْكُهَا إِذَا دَلَّ الْعَقْلُ عَلَيْهَا أَوْ صَحَّ الْخَبَرُ عَنْهَا بِقَوْلِهِ سُبْحَانَ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُؤَادُونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى وَ لَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ النَّبِيِّ وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَ لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ - قرآن - ١-٢٣ و لإجماع المسلمين على أن الله تعالى فرض عداوة أعدائه و وولاية أوليائه و على أن البغض فى الله واجب و الحب فى الله واجب لماتعرضنا لمعاداة أحد من الناس فى الدين و لا البراءة منه و لكانت عداوتنا للقوم تكلفا و لوطننا أن الله عز و جل يعذرنا إذا قلنا يارب غاب أمرهم عنا فلم يكن لخوضنا فى أمر قد غاب عنا معنى لاعتمدا على هذا العذر و واليناهم و لكننا نخاف أن يقول سبحانه لنا إن كان أمرهم قد غاب عن أبصاركم فلم يغب عن قلوبكم و أسماعكم قد أتتكم به الأخبار الصحيحة التى يمثلها ألزمتكم أنفسكم بالإقرار بالنبي ص و موالاة من صدقه و معاداة من

عصاه وجحده وأمرتم بتدبر القرآن و ماجاء به الرسول فهلا حذرتن من أن تكونوا من أهل هذه الآية غداربنا إنا أطعنا سادتنا و كبراءنا فأضلمونا السبيلًا. فأما لفظه اللعن فقد أمر الله تعالى بها وأوجبها ألا ترى إلى قوله أولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللاعنون فهو إخبار معناه الأمر كقوله و المطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء و قد لعن الله تعالى العصيين بقوله لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود و قوله إن الذين يؤذون الله و رسوله لعنهم الله في الدنيا و الآخرة و أعد لهم عذاباً مهيناً و قوله ملعونين أينما ثقفوا أخذوا و قتلوا تقتيلاً و قال الله تعالى لإبليس و إن عليك لعنتي إلى يوم الدين و قال إن الله لعن الكافرين و أعد لهم سعيراً. -قرآن- ٦٦٣-٧٢٩-قرآن- ٨٠٠-٨٥٤-قرآن- ٨٨٤-٩٤١-قرآن- ٩٧٩-١٠٤٣-قرآن- ١٠٥٢-١١٦٩-قرآن- ١١٧٨-١٢٣٦-قرآن- ١٢٦٤-١٣٠٧-قرآن- ١٣١٥-١٣٦٩ [صفحة ١٤] فأما قول من يقول أى ثواب فى اللعن و إن الله تعالى لا يقول للمكلف لم تلعن بل قد يقول له لم لعنت و أنه لو جعل مكان لعن الله فلانا اللهم اغفر لى لكان خيرا له و لو أن إنسانا عاش عمره كله لم يلعن إبليس لم يؤاخذ بذلك فكلام جاهل لا يدري ما يقول اللعن طاعة و يستحق عليها الثواب إذ فعلت على وجهها و هو أن يلعن مستحق اللعن لله و فى الله لا فى العصبية و الهوى ألا ترى أن الشرع قدورد بها فى نفي الولد و نطق بها القرآن و هو أن يقول الزوج فى الخامسة أن لعنت الله عليه إن كان من الكاذبين فلو لم يكن الله تعالى يريد أن يتلفظ عباده بهذه اللفظة و أنه قد تعبدهم بها لم يجعلها من معالم الشرع و لما كررها فى كثير من كتابه العزيز و لما قال فى حق القاتل و غضب الله عليه و لعنه و ليس المراد من قوله و لعنه إلا الأمر لنا بأن نلعنه و لو لم يكن المراد بها ذلك لكان لنا أن نلعنه لأن الله تعالى قد لعنه أفلعن الله تعالى إنسانا و لا يكون لنا أن نلعنه هذا ما لا يسوغ فى العقل كما لا يجوز أن يمدح الله إنسانا إلا ولنا أن نمدحه و لا يذمه إلا ولنا أن نذمه و قال تعالى هل أتيتكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله و قال ربنا آتتهم ضمعة من العذاب و لعنهم لعنا كبيرا و قال عز و جل و قالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم و لعنوا بما قالوا و كيف يقول القائل إن الله تعالى لا يقول للمكلف لم تلعن ألا يعلم هذا القائل أن الله تعالى أمر بولاية أوليائه و أمر بعداوة أعدائه فكما يسأل عن التولى يسأل عن التبرى ألا ترى أن اليهودى إذا سلم يطالب بأن يقال له تلفظ بكلمة الشهادتين ثم قل برئت -قرآن- ٤٨١-٥٣٣-قرآن- ٧٠٠-٧٣٥-قرآن- ٧٥٩-٧٦٩-قرآن- ١٠٣٨-١١١٢-قرآن- ١١٢٠-١١٨٣-قرآن- ١٢٠٠-١٢٨١ [صفحة ١٥] من كل دين يخالف دين الإسلام فلا بد من البراءة لأن بهائيم العمل أ لم يسمع هذا القائل قول الشاعر تود عدوى ثم تزعم أننى || صديقك إن رأى عنك لعازب. فمودة العدو خروج عن ولاية الولى و إذ بطلت المودة لم يبق إلا البراءة لأنه لا يجوز أن يكون الإنسان فى درجة متوسطة مع أعداء الله تعالى و عصاته بالأ يودهم و لا يبرأ منهم بإجماع المسلمين على نفي هذه الوسطة. و أما قوله لو جعل عوض اللعنة أستغفر الله لكان خيرا له فإنه لو استغفر من غير أن يلعن أو يعتقد وجوب اللعن لمانفعه استغفاره و لا قبل منه لأنه يكون عاصيا لله تعالى مخالفا أمره فى إمساكه عمن أوجب الله تعالى عليه البراءة منه و إظهار البراءة و المصير على بعض المعاصى لا تقبل توبته و استغفاره عن البعض الآخر و أما من يعيش عمره و لا يلعن إبليس فإن كان لا يعتقد وجوب لعنه فهو كافر و إن كان يعتقد وجوب لعنه و لا يلعنه فهو مخطئ على أن الفرق بينه و بين ترك لعنه رءوس الضلال فى هذه الأمة كعوايئة و المغيرة و أمثالهما أن أحدا من المسلمين لا يورث عنده الإمساك عن لعن إبليس شبهه فى أمر إبليس و الإمساك عن لعن هؤلاء و أضرابهم يشير شبهة عند كثير من المسلمين فى أمرهم و تجنب ما يورث الشبهة فى الدين واجب فلماذا لم يكن الإمساك عن لعن إبليس نظيرا للإمساك عن أمر هؤلاء. قال ثم يقال للمخالفين أ رأيتم لو قال قائل قد غاب عنا أمر يزيد بن معاوية و الحجاج بن يوسف فليس ينبغى أن نخوض فى قصتهما و لا أن نلعنهما و نعاديهما و نبرأ منهما هل كان هذا إلا كقولكم قد غاب عنا أمر معاوية و المغيرة بن [صفحة ١٦] شعبة و أضرابهما فليس لخوضنا فى قصتهم معنى . و بعد فكيف أدخلتم أيها العامة و الحشوية و أهل الحديث أنفسكم فى أمر عثمان و خضتم فيه و قد غاب عنكم و برثتم من قتلته و لعنتموه و كيف لم تحفظوا أبابكر الصديق فى محمد ابنه فإنكم لعنتموه و فسقتموه

و لا حفظتم عائشة أم المؤمنين في أخيها محمد المذكور ومنعتمونا أن نخوض وندخل أنفسنا في أمر علي و الحسن و الحسين و معاوية الظالم له و لهما المتغلب علي حقه و حقوقهما و كيف صار لعن ظالم عثمان من السنة عندكم و لعن ظالم علي و الحسن و الحسين تكلفا و كيف أدخلت العامة أنفسها في أمر عائشة و برئت ممن نظر إليها و من القائل لها يا حميراء أو إنما هي حميراء و لعنته بكشفه سترها و منعنا نحن عن الحديث في أمر فاطمة و ماجرى لها بعد وفاة أبيها. فإن قلت إن بيت فاطمة إنما دخل و سترها إنما كشف حفظا لنظام الإسلام و كيلا ينتشر الأمر و يخرج قوم من المسلمين أعناقهم من ربة الطاعة و لزوم الجماعة. قيل لكم و كذلك ستر عائشة إنما كشف و هو دجها إنما هتك لأنها نشرت حبل الطاعة و شقت عصا المسلمين و أراقت دماء المسلمين من قبل وصول علي بن أبي طالب ع إلى البصرة و جرى لها مع عثمان بن حنيف و حكيم بن جبله و من كان معهما من المسلمين الصالحين من القتل و سفك الدماء ما تنطق به كتب التواريخ و السير فإذا جاز دخول بيت فاطمة لأمر لم يقع بعد جاز كشف ستر عائشة علي ما قد وقع و تحقق فكيف صار هتك ستر عائشة من الكبائر التي يجب معها التخليد في النار [صفحة ١٧]

و البراءة من فاعله و من أوكد عرى الإيمان و صار كشف بيت فاطمة و الدخول عليها منزلها و جمع حطب بيابها و تهددها بالتحريق من أوكد عرى الدين و أثبت دعائم الإسلام و مما أعز الله به المسلمين و أطفأ به نار الفتنة و الحرمتان واحدة و الستران واحد و مانح أن نقول لكم أن حرمة فاطمة أعظم و مكانها أرفع و صيانتها لأجل رسول الله ص أولى فإنها بضعة منه و جزء من لحمه و دمه و ليست كالزوجة الأجنبية التي لا نسب بينها و بين الزوج و إنما هي و صلة مستعارة و عقد يجري مجرى إجارة المنفعة و كما يملك رق الأمة بالبيع و الشراء و لهذا قال الفرضيون أسباب التوارث ثلاثة سبب و نسب و ولاء فالنسب القرابة و السبب النكاح و الولاء و لاء العتق ف جعلوا النكاح خارجا عن النسب و لو كانت الزوجة ذات نسب ل جعلوا الأقسام الثلاثة قسمين . و كيف تكون عائشة أو غيرها في منزلة فاطمة و قد أجمع المسلمون كلهم من يحبها و من لا يحبها منهم أنها سيده نساء العالمين . قال و كيف يلزمنا اليوم حفظ رسول الله ص في زوجته و حفظ أم حبيبة في أخيها و لم تلزم الصحابة أنفسها حفظ رسول الله ص في أهل بيته و لا ألزمت الصحابة أنفسها حفظ رسول الله ص في صهره و ابن عمه ابن عفان و قد قتلوهم و لعنواهم و لقد كان كثير من الصحابة يلعن عثمان و هو خليفة منهم عائشة كانت تقول اقتلوا نعثلا لعن الله نعثلا و منهم عبد الله بن مسعود و قتل عن معاوية علي بن أبي طالب و ابنيه حسنا و حسينا و هم أحياء يرزقون بالعراق و هو يلعنهم بالشام علي المنابر و يقنت عليهم في الصلوات و قتل عن أبو بكر و عمر سعد بن عباد و هو حى و براء منه و أخرجه من المدينة إلى الشام و لعن عمر [صفحة ١٨] خالد بن الوليد لما قتل مالك بن نويرة و مازال اللعن فاشيا في المسلمين إذا عرفوا من الإنسان معصية تقتضى اللعن و البراءة. قال و لو كان هذا أمرا معتبرا و هو أن يحفظ زيد لأجل عمرو فلا يلعن لوجب أن تحفظ الصحابة في أولادهم فلا يلعنوا لأجل آبائهم فكان يجب أن يحفظ سعد بن أبي وقاص فلا يلعن ابنه عمر بن سعد قاتل الحسين و أن يحفظ معاوية فلا يلعن يزيد صاحب وقعة الحرة و قاتل الحسين و مخيف المسجد الحرام بمكة و أن يحفظ عمر بن الخطاب في عبيد الله ابنه قاتل الهرمزان و المحارب عليا ع في صفين . قال علي أنه لو كان الإمساك عن عداوة من عادى الله من أصحاب رسول الله ص من حفظ رسول الله ص في أصحابه و رعايته عهدته و عقده لم نعادهم و لو ضربت رقابنا بالسيوف ولكن محبة رسول الله ص لأصحابه ليست كمحبة الجهال الذين يصنع أحدهم محبته لصاحبه موضع العصبية و إنما أوجب الله رسول الله ص محبة أصحابه لطاعتهم لله فإذا عصوا الله و تركوا ما أوجب محبتهم فليس عند رسول الله ص محاباة في ترك لزوم ما كان عليه من محبتهم و لا تغطرس في العدول عن التمسك بمواليتهم فلقد كان ص يحب أن يعادى أعداء الله و لو كانوا عترته كما يحب أن يوالى أولياء الله و لو كانوا أبعد الخلق نسبا منه و الشاهد على ذلك إجماع الأمة على أن الله تعالى قد أوجب عداوة من ارتد بعد الإسلام و عداوة من نافق و إن كان من أصحاب رسول الله ص و أن رسول الله ص هو الذى أمر بذلك و دعا إليه [صفحة ١٩] و ذلك أنه ص قد أوجب قطع السارق و ضرب القاذف و جلد البكر إذا زنى و إن

كان من المهاجرين أو الأنصار ألاترى أنه قال لوسرقت فاطمة لقطعها -رواية 1-2-رواية 13-36 فهذه ابنته الجارية مجرى نفسه لم يحابها في دين الله و لاراقبها في حدود الله و قدجلد أصحاب الإفك ومنهم مسطح بن أثاثة و كان من أهل بدر. قال و بعدفلو كان محل أصحاب رسول الله ص محل من لايعادى إذاعصى الله سبحانه و لا يذكر بالقبیح بل يجب أن يراقب لأجل اسم الصحبة و يغضى عن عيوبه و ذنوبه لكان كذلك صاحب موسى المسطور ثناؤه في القرآن لوماتبع هواه فانسلخ مما أوتى من الآيات و غوى قال سبحانه و اتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين و لكان ينبغي أن يكون محل عبدة العجل من أصحاب موسى هذاالمحل لأن هؤلاء كلهم قدصحبوا رسولا جليلا من رسل الله سبحانه . قال و لو كانت الصحابة عندأنفسها بهذه المنزلة لعلمت ذلك من حال أنفسها لأنهم أعرف بمحلهم من عوام أهل دهرنا و إذاقدرت أفعال بعضهم ببعض دلتك على أن القصة كانت على خلاف ما قدسبق إلى قلوب الناس اليوم هذا على و عمار و أبو الهيثم بن التيهان و خزيمه بن ثابت و جميع من كان مع على ع من المهاجرين و الأنصار لم يروا أن يتغافلوا عن طلحة و الزبير حتى فعلوا بهما و بمن معهما مايفعل بالشراء في عصرنا و هذاطلحة و الزبير و عائشة و من كان معهم و في جانبهم لم يروا أن يمسكوا عن على حتى قصدوا له كمايقصد للمتغلبين في زماننا و هذا معاوية و عمرو لم يريا قرآن-420-527 [صفحہ 20] عليا بالعين التي يرى بها العامى صديقه أوجاره و لم يقصرا دون ضرب وجهه بالسيف ولعنه ولعن أولاده و كل من كان حيا من أهله و قتل أصحابه و قدلعنهما هو أيضا في الصلوات المفروضات ولعن معهما أبالأعور السلمى و أباموسى الأشعري و كلاهما من الصحابة و هذا سعد بن أبى وقاص و محمد بن مسلمة و أسامة بن زيد و سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل و عبد الله بن عمر و حسان بن ثابت و أنس بن مالك لم يروا أن يقلدوا عليا في حرب طلحة و لا طلحة في حرب علي و طلحة و الزبير ياجماع المسلمين أفضل من هؤلاء المعدودين لأنهم زعموا أنهم قدخافوا أن يكون علي قدغلط و زل في حربهما و خافوا أن يكونا قدغلطا و زلا في حرب علي و هذاعثمان قدنفى أباذر إلى الربذة كمايفعل بأهل الخنا و الريب و هذاعمار و ابن مسعود تلقيا عثمان بما تلقياه به لماظهر لهما بزعمهما منه ماوعظاه لأجله ثم فعل بهما عثمان ماتناهى إليكم ثم فعل القوم بعثمان ما قدعلمتم و علم الناس كلهم و هذا عمر يقول في قصة الزبير بن العوام لما استأذنه في الغزو ها إنى ممسك بباب هذا الشعب أن يتفرق أصحاب محمد في الناس فيضلوهم و زعم أنه و أبوبكر كانا يقولان إن عليا و العباس في قصة الميراث زعماهما كاذبين ظالمين فاجرين و مارأينا عليا و العباس اعتذرا و لاتنصلا و لانقل أحد من أصحاب الحديث ذلك و لارأينا أصحاب رسول الله ص أنكروا عليهما ما حكاه عمر عنهما و نسبه إليهما و لآنكروا أيضا على عمر قوله في أصحاب رسول الله ص إنهم يريدون إضلال الناس و يهيمون به و لآنكروا على عثمان دوس بطن عمار و لا كسر ضلع ابن مسعود و لا على عمار و ابن مسعود ماتلقيا به عثمان كإنكار العامة اليوم الخوض في حديث الصحابة و لاعتقدت الصحابة في أنفسها مايعتقده العامة فيها أللهم إلا أن يزعموا أنهم أعرف بحق القوم منهم و هذا على [صفحہ 21] و فاطمة و العباس مازالوا على كلمة واحدة يكذبون الرواية نحن معاشر الأنبياء لانورث و يقولون إنها مختلفة. قالوا و كيف كان النبي ص يعرف هذاالحكم غيرنا و يكتمه عنا و نحن الورثة و نحن أولى الناس بأن يؤدى هذاالحكم إليه و هذا عمر بن الخطاب يشهد لأهل الشورى أنهم نفر الذين توفى رسول الله ص و هو عنهم راض ثم يأمر بضرب أعناقهم إن أخرجوا فصل حال الإمامة هذا بعد أن تلبهم و قال في حقهم ما لوسمته العامة اليوم من قائل لو وضعت ثوبه في عنقه سحبا إلى السلطان ثم شهدت عليه بالرفض و استحلته دمه فإن كان الطعن على بعض الصحابة رفضا فعمر بن الخطاب أرفض الناس و إمام الروافض كلهم ثم ماشاع واشتهر من قول عمر كانت بيعة أبى بكر فلتة و قى الله شرها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه و هذا طعن في العقد و قدح في البيعة الأصلية. ثم مانقل عنه من ذكر أبى بكر في صلواته و قوله عن عبدالرحمن ابنه دويبة سوء و لهو خير من أبيه ثم عمر القائل في سعد بن عبادة و هورئيس الأنصار و سيدها اقتلوا سعدا قتل الله سعدا اقتلوه فإنه منافق و قدشتم أباهريرة و طعن في روايته و شتم

خالد بن الوليد وطعن في دينه وحكم بفسقه وبوجوب قتله وخون عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان ونسبهما إلى سرقة مال الفيء واقتطاعه و كان سريعا إلى المساءة كثير الجبه والشم والسب لكل أحد وقل أن يكون في الصحابة من سلم من معرة لسانه أويده ولذلك أبغضوه وملوا أيامه مع كثرة الفتوح فيها فهلا احترام عمر الصحابة كما تحترمهم العامة إما أن يكون عمر مخطئا وإما أن تكون العامة على الخطأ. [صفحة ٢٢] فإن قالوا عمر ما شتم ولا ضرب ولا أساء إلا إلى عاص مستحق لذلك قيل لهم فكأننا نحن نقول إنا نريد أن نبرأ ونعادي من لا يستحق البراءة والمعاداة كلا ما قلنا هذا ولا يقول هذا مسلم ولا عاقل وإنما غرضنا الذي إليه نجرى بكلامنا هذا أن نوضح أن الصحابة قوم من الناس لهم مال للناس وعليهم ما عليهم من أساء منهم ذمناهم و من أحسن منهم حمدناهم وليس لهم على غيرهم من المسلمين كبير فضل إلا بمشاهدة الرسول ومعاصرتة لا- غير بل ربما كانت ذنوبهم أفحش من ذنوب غيرهم لأنهم شاهدوا الأعلام والمعجزات فقربت اعتقاداتهم من الضرورة ونحن لم نشاهد ذلك فكانت عقائدنا محض النظر والفكر وبعرضية الشبه والشكوك فمعاصينا أخف لأننا أعذر. ثم نعود إلى ما كنا فيه فنقول وهذه عائشة أم المؤمنين خرجت بقميص رسول الله ص فقالت للناس هذا قميص رسول الله لم يبل وعثمان قد أبلى سنته ثم تقول اقتلوا نعتلا قتل الله نعتلا ثم لم ترض بذلك حتى قالت أشهد أن عثمان جيفة على الصراط غدا فمن الناس من يقول روت في ذلك خيرا و من الناس من يقول هو موقوف عليها وبدون هذا لوقاله إنسان اليوم يكون عند العامة زنديقا ثم قد حصر عثمان حصرته أعيان الصحابة فما كان أحد ينكر ذلك ولا يعظمه ولا يسعى في إزالته وإنما أنكروا على من أنكروا على المحاصرين له وهو رجل كما علمتم من وجوه أصحاب رسول الله ص ثم من أشرفهم ثم هو أقرب إليه من أبي بكر وعمر وهو مع ذلك إمام المسلمين والمختار منهم للخلافة وللإمام حق على رعيته عظيم فإن كان القوم قد أصابوا فإذن ليست الصحابة في الموضع الذي وضعتها به العامة و إن كانوا ما أصابوا فهذا هو الذي نقول من أن الخطأ جائز على [صفحة ٢٣] آحاد الصحابة كما يجوز على آحادنا اليوم ولسنا نقدح في الإجماع ولا ندعى إجماعا حقيقيا على قتل عثمان وإنما نقول إن كثيرا من المسلمين فعلوا ذلك والخضم يسلم أن ذلك كان خطأ ومعصية فقد سلم أن الصحابي يجوز أن يخطئ ويعصى وهو المطلوب. وهذا المغيرة بن شعبه وهو من الصحابة ادعى عليه الزنا وشهد عليه قوم بذلك فلم ينكر ذلك عمر ولا قال هذا محال وباطل لأن هذا صحابي من صحابة رسول الله ص لا يجوز عليه الزنا وهلا أنكروا عمر على الشهود وقال لهم ويحكم هلا تغافلتم عنه لمارأيتموه يفعل ذلك فإن الله تعالى قد أوجب الإمساك عن مساوئ أصحاب رسول الله ص وأوجب الستر عليهم وهلا- تركتموه لرسول الله ص في قوله دعوا لى أصحابي مارأينا عمر إلا قد انتصب لسماع الدعوى وإقامة الشهادة وأقبل يقول للمغيرة يا مغيرة ذهب ربعك يا مغيرة ذهب نصفك يا مغيرة ذهب ثلاثة أرباعك حتى اضطرب الرابع فجلد الثلاثة وهلا قال المغيرة لعمر كيف تسمع في قول هؤلاء وليسوا من الصحابة وأنا من الصحابة و رسول الله ص قد قال أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم -رواية ١-٢-رواية ٢٦-٦٨ مارأينا قال ذلك بل استسلم لحكم الله تعالى وهاهنا من هو أمثل من المغيرة وأفضل قدامه بن مظعون لما شرب الخمر في أيام عمر فأقام عليه الحد وهو رجل من علية الصحابة و من أهل بدر والمشهود لهم بالجنة فلم يرد عمر الشهادة ولا درأ عنه الحد لعله أنه بدرى ولا قال قد نهى رسول الله ص عن ذكر مساوئ الصحابة وقد ضرب عمر أيضا ابنه حدا فمات و كان ممن عاصر رسول الله ص ولم تمنع معاصرته له من إقامة الحد عليه. وهذا على ع يقول ما حدثني أحد بحديث عن رسول الله ص -رواية ١-٢-رواية ١٧-١٧-دأمه دارد [صفحة ٢٤] إلا استحلفته عليه -رواية ١-٢-از قبل ٢٢ أ ليس هذا اتهاما لهم بالكذب وما استثنى أحدا من المسلمين إلا أبابكر على ما ورد في الخبر وقد صرح غير مرة بتكذيب أبي هريرة وقال لا أحد أكذب من هذا الدوسي على رسول الله ص -رواية ١-٢-رواية ٨-٥٦ وقال أبوبكر في مرضه الذي مات فيه وددت أنى لم أكشف بيت فاطمة ولو كان أغلق على حرب فندم والندم لا- يكون إلا عن ذنب. ثم ينبغي للعاقل أن يفكر في تأخر على ع عن بيعه أبي بكر ستة أشهر إلى أن ماتت فاطمة فإن

كان مصيبا فأبو بكر على الخطأ في انتصابه في الخلافة و إن كان أبو بكر مصيبا فعلى على الخطأ في تأخره عن البيعة وحضور المسجد ثم قال أبو بكر في مرض موته أيضا للصحابة فلما استخلفت عليكم خيركم في نفسي يعني عمر فكلكم ورم لذلك أنفه يريد أن يكون الأمر له لما رأيت الدنيا قد جاءت أما والله لتتخذن ستائر الديباج ونضائد الحرير أليس هذا طعننا في الصحابة وتصريحا بأنه قد نسبهم إلى الحسد لعمر لمانص عليه بالعهد ولقد قال له طلحة لما ذكر عمر للأمر ماذا تقول لربك إذا سألك عن عبادته و قدوليت عليهم فظا غليظا فقال أبو بكر أجلسوني أجلسوني بالله تخوفني إذا سألتني قلت وليت عليهم خير أهلك ثم شتمه بكلام كثير منقول فهل قول طلحة إلا طعن في عمر وهل قول أبي بكر إلا طعن في طلحة. ثم الذي كان بين أبي بن كعب و عبد الله بن مسعود من السباب حتى نفى كل واحد منهما الآخر عن أبيه وكلمة أبي بن كعب مشهورة منقولة ما زالت هذه الأمة مكبوبة على وجهها منذ فقدوا نبيهم وقوله ألا هلك أهل العقيدة والله ما آسى عليهم إنما آسى على من يضلون من الناس. [صفحہ ۲۵] ثم قول عبدالرحمن بن عوف ما كنت أرى أن أعيش حتى يقول لي عثمان يامناقق وقوله لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما ولت عثمان شسع نعلي وقوله اللهم إن عثمان قد أبى أن يقيم كتابك فافعل به وافعل. وقال عثمان لعلي ع في كلام دار بينهما أبو بكر وعمر خير منك فقال علي كذبت أنا خير منك ومنهما عبت الله قبلهما وعبدته بعدهما. وروى سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال كنت عند عمرو بن الزبير فتذاكرناكم أقام النبي بمكة بعد الوحي فقال عمروة أقام عشرا فقلت كان ابن عباس يقول ثلاث عشرة فقال كذب ابن عباس وقال ابن عباس المتعة حلال فقال له جبير بن مطعم كان عمر ينهى عنها فقال يا عدى نفسه من هاهنا ضللتم أحدثكم عن رسول الله ص وتحدثني عن عمر. وجاء في الخبر عن علي ع لو لا ما فعل عمر بن الخطاب في المتعة ما زنى إلا شقى وقيل ما زنى إلا شفا أى قليلا -رواية- ۱-۲-رواية- ۲۷-۱۱۰ فأما سبب بعضهم بعضا وقدح بعضهم في بعض في المسائل الفقهية فأكثر من أن يحصى مثل قول ابن عباس وهو يرد على زيد مذهبه القول في الفرائض إن شاء أو قال من شاء باهله إن الذي أحصى رمل عالج عددا أعدل من أن يجعل في مال نصفا ونصفا وثلاثا هذان النصفان قد ذهبوا بالمال فأين موضع الثلث. [صفحہ ۲۶] ومثل قول أبي بن كعب في القرآن لقد قرأت القرآن وزيد هذا غلام ذو ذؤابتين يلعب بين صبيان اليهود في المكتب. وقال علي ع في أمهات الأولاد وهو على المنبر كان رأيي ورأي عمر ألا يعين وأنا أرى الآن يعين فقام إليه عبيدة السلماني فقال رأيك في الجماعة أحب إلينا من رأيك في الفرقة -رواية- ۱-۲-رواية- ۱۶-۱۸۳. و كان أبو بكر يرى التسوية في قسم الغنائم وخالفه عمر وأنكر فعله. وأنكرت عائشة على أبي سلمة بن عبدالرحمن خلافه على ابن عباس في عدة المتوفى عنها زوجها وهي حامل وقالت فروج يصقع مع الديكة. وأنكرت الصحابة على ابن عباس قوله في الصرف وسفهوا رأيه حتى قيل إنه تاب من ذلك عند موته. واختلفوا في حد شارب الخمر حتى خطأ بعضهم بعضا. وروى بعض الصحابة عن النبي ص أنه قال الشؤم في ثلاثة المرأة والدار والفرس فأنكرت عائشة ذلك وكذبت الراوى وقالت إنه إنما قال ذلك حكاية عن غيره -رواية- ۱-۲-رواية- ۴۴-۱۶۰ روى بعض الصحابة عنه ع أنه قال التاجر فاجر فأنكرت عائشة ذلك وكذبت الراوى وقالت إنما قاله ع في تاجر دلس -رواية- ۱-۲-رواية- ۳۸-۱۱۸. وأنكر قوم من الأنصار رواية أبي بكر الأئمة من قریش -رواية- ۱-۲-رواية- ۱۶-۳۲ ونسبوه إلى افتعال هذه الكلمة. [صفحہ ۲۷] وكان أبو بكر يقضى بالقضاء فينقضه عليه أصاغر الصحابة كبلال وصهيب ونحوهما قدروى ذلك في عدة قضايا. وقيل لابن عباس إن عبد الله بن الزبير يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس موسى بنى إسرائيل فقال كذب عدو الله أخبرني أبي بن كعب قال خطبنا رسول الله ص وذكر كذا بكلام يدل على أن موسى صاحب الخضر هو موسى بنى إسرائيل. وباع معاوية أواني ذهب وفضة بأكثر من وزنها فقال له أبو الدرداء سمعت رسول الله ص ينهى عن ذلك فقال معاوية أما أنا فلا أرى به بأسا فقال أبو الدرداء من عذيري من معاوية أخبره عن الرسول ص وهو يخبرني عن رأيه والله لا أساكنك بأرض أبدا. وطعن ابن عباس في أبي هريرة عن رسول الله ص إذا استيقظ

أحدكم من نومه فلا يدخلن يده في الإناء حتى يتوضأ -رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-٨٤ و قال فما نصنع بالمهراس . و قال على ع
لعمرو وقد أفتاه الصحابة في مسألة وأجمعوا عليها إن كانوا راقبوك فقد غشوك و إن كان هذا جهد رأيهم فقد أخطوا -رواية-
١-١٢٤ . و قال ابن عباس ألا يتقى الله زيد بن ثابت يجعل ابن الابن ابنا و لا يجعل أب الأب أبا . وقالت عائشة أخبروا زيد بن
أرقم أنه قد أحبط جهاده مع رسول الله ص . [صفحہ ٢٨] وأنكرت الصحابة على أبي موسى قوله إن النوم لا ينقض الوضوء
ونسبته إلى الغفلة وقله التحصيل وكذلك أنكرت على أبي طلحة الأنصاري قوله إن أكل البرد لا يفطر الصائم وهزئت به ونسبته
إلى الجهل . وسمع عمر عبد الله بن مسعود و أبي بن كعب يختلفان في صلاة الرجل في الثوب الواحد فصعد المنبر و قال
إذا اختلف اثنان من أصحاب رسول الله ص فعن أي فتياكم يصدر المسلمون لأسمع رجلين يختلفان بعدمقامي هذا إلا فعلت
وصنعت . و قال جرير بن كليب رأيت عمر ينهى عن المتعة و على ع يأمر بها فقلت إن بينكما لشرا فقال على ع ليس بيننا إلا الخير
ولكن خيرنا أتبعنا لهذا الدين -رواية- ١-٢-رواية- ٢١-١٤٩ . قال هذا المتكلم وكيف يصح أن يقول رسول الله ص أصحابي
كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم لاشبهه أن هذا يوجب أن يكون أهل الشام في صفين على هدى و أن يكون أهل العراق أيضا
على هدى و أن يكون قاتل عمار بن ياسر مهتديا و قد صح الخبر الصحيح أنه قال له تقتلك الفئة الباغية -رواية- ١-٢-رواية-
٣٧-٥٨ و قال في القرآن فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر اللّٰه فدل على أنها مادامت موصوفة بالمقام على البغي مفارقة لأمر
الله و من يفارق أمر الله لا يكون مهتديا . و كان يجب أن يكون بسر بن أبي أرطاة الذي ذبح ولدى عبيد الله بن عباس الصغيرين
مهتديا لأن بسرا من الصحابة أيضا و كان يجب أن يكون عمرو بن العاص و معاوية اللذان كانا يلعبان عليا أدبار الصلاة و ولديه
مهتدين و قد كان في الصحابة من يزني و من يشرب الخمر كأبي محجن الثقفي و من يرتد عن الإسلام كطليحة بن خويلد
فيجب أن يكون كل من اقتدى بهؤلاء في أفعالهم مهتديا . قرآن- ١٩-٧٧ [صفحہ ٢٩] قال وإنما هذا من موضوعات متعصبة
الأموية فإن لهم من ينصرهم بلسانه و بوضعه الأحاديث إذا عجز عن نصرهم بالسيف . وكذا القول في الحديث الآخر و هو قوله
القرن الذي أنا فيه و مما يدل على بطلانه أن القرن الذي جاء بعده بخمسين سنة شر قرون الدنيا و هو أحد القرون التي ذكرها في
النص و كان ذلك القرن هو القرن الذي قتل فيه الحسين و أوقع بالمدينة و حوصرت مكة و نقضت الكعبة و شربت خلفاؤه
و القائمون مقامه و المنتصبون في منصب النبوة الخمر و ارتكبوا الفجور كما جرى ليزيد بن معاوية و ليزيد بن عاتكة و للوليد بن
يزيد و أريقت الدماء الحرام و قتل المسلمون و سبى الحريم و استعبد أبناء المهاجرين و الأنصار و نقش على أيديهم كما ينقش على
أيدي الروم و ذلك في خلافة عبد الملك و إمرة الحجاج و إذا تأملت كتب التواريخ وجدت الخمسين الثانية شرا كلها لا خير فيها
و لا في رؤسائها و أمرائها و الناس برؤسائهم و أمرائهم و القرن خمسون سنة فكيف يصح هذا الخبر . قال فأما ما ورد في القرآن من
قوله تعالى لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ و قوله مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَ الَّذِينَ مَعَهُ . و قرآن- ٨٩٧-٩٣٤-قرآن- ٩٤٣-٩٨٤ قول النبي
ص إن الله اطلع على أهل بدر -رواية- ١-٢-رواية- ١٧-٤٦ إن كان الخبر صحيحا فكله مشروط بسلامة العاقبة و لا يجوز أن
يخبر الحكيم مكلفا غير معصوم بأنه لآعقاب عليه فليفعل ماشاء . قال هذا المتكلم و من أنصف و تأمل أحوال الصحابة و جدهم مثلنا
يجوز عليهم ما يجوز علينا و لافرق بيننا وبينهم إلا بالصحبة لا غير فإن لها منزلة و شرفا [صفحہ ٣٠] ولكن لا إلى حد يمتنع على
كل من رأى الرسول أو صحبه يوما أو شهرا أو أكثر من ذلك أن يخطئ و يزل و لو كان هذا صحيحا ما احتاجت عائشة إلى نزول
براءتها من السماء بل كان رسول الله ص من أول يوم يعلم كذب أهل الإفك لأنها زوجته و صحبتها له أكد من صحبة غيرها
وصفوان بن المعطل أيضا كان من الصحابة فكان ينبغي ألا يضيق صدر رسول الله ص و لا يحمل ذلك الهم و الغم الشديدين
اللذين حملهما و يقول صفوان من الصحابة و عائشة من الصحابة و المعصية عليهما ممتنعة . و أمثال هذا كثير و أكثر من الكثير لمن
أراد أن يستقرئ أحوال القوم و قد كان التابعون يسلكون بالصحابة هذا المسلك و يقولون في العصاة منهم مثل هذا القول وإنما

اتخذهم العامة أربابا بعد ذلك . قال و من الذى يجترئ على القول بأن أصحاب محمد لا تجوز البراءة من أحد منهم و إن أساء وعصى بعد قول الله تعالى للذى شرفوا برؤيته لئن أشركت ليحبطن عملك و لتكونن من الخاسرين بعد قوله قل إنني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم و بعد قوله فأحكم بين الناس بالحق و لا تتبع الهوى فيضيلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد إلا من لفهم له و لانظر معه و لامتيز عنده . قال و من أحب أن ينظر إلى اختلاف الصحابة و طعن بعضهم فى بعض ورد بعضهم على بعض و مارد به التابعون عليهم و اعترضوا به أقوالهم و اختلاف التابعين أيضا فيما بينهم و قدح بعضهم فى بعض فلينظر فى كتاب النظام قال الجاحظ كان النظام - قرآن - ٧٩١ - ٨٥٧ - قرآن - ٨٦٨ - ٩٢٤ - قرآن - ٩٣٧ - ١٠٨٢] [صفحہ ٣١] أشد الناس إنكارا على الرافضة لطعنهم على الصحابة حتى إذا ذكر الفتيا و تنقل الصحابة فيها و قضاياهم بالأمر المختلفة و قول من استعمل الرأى فى دين الله انتظم مطاعن الرافضة وغيرها و زاد عليها و قال فى الصحابة أضعاف قولها . قال و قال بعض رؤساء المعتزلة غلط أبى حنيفة فى الأحكام عظيم لأنه أضل خلقا و غلط حماد أعظم من غلط أبى حنيفة لأن حمادا أصل أبى حنيفة الذى منه تفرع و غلط ابراهيم أغلظ و أعظم من غلط حماد لأنه أصل حماد و غلط علقمة و الأسود أعظم من غلط ابراهيم لأنهما أصله الذى عليه اعتمد و غلط ابن مسعود أعظم من غلط هؤلاء جميعا لأنه أول من بدر إلى وضع الأديان برأيه و هو الذى قال أقول فيها برأى فإن يكن صوابا فمن الله و إن يكن خطأ فمنى . قال و استأذن أصحاب الحديث على ثمامة بخراسان حيث كان مع الرشيد بن المهدي فسأله كتابه الذى صنفه على أبى حنيفة فى اجتهاد الرأى فقال لست على أبى حنيفة كتبت ذلك الكتاب و إنما كتبت على علقمة و الأسود و عبد الله بن مسعود لأنهم الذين قالوا بالرأى قبل أبى حنيفة . قال و كان بعض المعتزلة أيضا إذا ذكر ابن عباس استصغره و قال صاحب الذؤابة يقول فى دين الله برأيه . و ذكر الجاحظ فى كتابه المعروف بكتاب التوحيد أن أبا هريرة ليس بثقة فى الرواية عن رسول الله ص قال و لم يكن على ع يوثقه فى الرواية بل يتهمه و يقدح فيه وكذلك عمر و عائشة . [صفحہ ٣٢] و كان الجاحظ يفتق عمر بن عبدالعزيز ويستتهزئ به و يكفره و عمر بن العزيز و إن لم يكن من الصحابة فأكثر العامة يرى له من الفضل ما يراه لواحد من الصحابة . و كيف يجوز أن نحكم حكما جزما أن كل واحد من الصحابة عدل و من جملة الصحابة الحكم بن أبى العاص و كفاك به عدوا مبغضا لرسول الله ص و من الصحابة الوليد بن عقبه الفاسق بنص الكتاب و منهم حبيب بن مسلمة الذى فعل ما فعل بالمسلمين فى دولة معاوية و بشر بن أبى أرطاة عدو الله و عدو رسوله و فى الصحابة كثير من المنافقين لا يعرفهم الناس و قال كثير من المسلمين مات رسول الله ص و لم يعرفه الله سبحانه كل المنافقين بأعيانهم و إنما كان يعرف قوما منهم و لم يعلم بهم أحدا إلا حذيفة فيما زعموا فكيف يجوز أن نحكم حكما جزما أن كل واحد ممن صحب رسول الله أوراه أو عاصره عدل مأمون لا يقع منه خطأ و لامعصية و من الذى يمكنه أن يتحجر و اسعا كهذا التحجر أو يحكم هذا الحكم قال و العجب من الحشوية و أصحاب الحديث إذ يجادلون على معاصى الأنبياء و يشنون أنهم عصوا الله تعالى و ينكرون على من ينكر ذلك و يطعنون فيه و يقولون قدرى معتزلى و ربما قالوا ملحد مخالف لنص الكتاب و قدرأينا منهم الواحد و المائة و الألف يجادل فى هذا الباب فتارة يقولون إن يوسف قعد من امرأة العزيز مقعد الرجل من المرأة و تارة يقولون إن داود قتل أوريا لينكح امرأته و تارة يقولون إن رسول الله كان كافرا ضالا قبل النبوة و ربما ذكروا زينب بنت جحش و قصة الفداء يوم بدر . فأما قدحهم فى آدم ع و إثباتهم معصيته و مناظرتهم من يذكر ذلك [صفحہ ٣٣] فهو دأبهم و ديدنهم فإذا تكلم واحد فى عمرو بن العاص أو فى معاوية و أمثالهما و نسبهم إلى المعصية و فعل القبيح احمرت وجوههم و طالت أعناقهم و تخازرت أعينهم و قالوا مبتدع رافضى يسب الصحابة و يشتم السلف فإن قالوا إنما اتبعنا فى ذكر معاصى الأنبياء نصوص الكتاب قيل لهم فاتبعوا فى البراءة من جميع العصاة نصوص الكتاب فإنه تعالى قال لا تجد قوما يؤمنون بالله و اليوم الآخر يؤادون من حياذ الله و رسوله و قال فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله و قال أطيعوا الله و

أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ. ثم يسألون عن بيعه على ع هل هي صحيحة لازمة لكل الناس فلا بد من بلى فيقال لهم فإذا خرج على الإمام الحق خارج أ ليس يجب على المسلمين قتاله حتى يعود إلى الطاعة فهل يكون هذا القتال إلا البراءة التي نذكرها لأنه لا فرق بين الأمرين وإنما برئنا منهم لأننا لسنا في زمانهم فيمكننا أن نقاتل بأيدينا فقصارى أمرنا الآن أن نبرأ منهم ونلعنهم وليكون ذلك عوضاً عن القتال الذي لا سبيل لنا إليه . قال هذا المتكلم على أن النظام وأصحابه ذهبوا إلى أنه لا حجة في الإجماع وأنه يجوز أن تجتمع الأمة على الخطأ والمعصية و على الفسق بل على الردة و له كتاب موضوع في الإجماع يطعن فيه في أدلة الفقهاء و يقول إنها ألفاظ غير صريحة في كون الإجماع حجة نحو قوله جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا و قوله كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ و قوله وَ يَتَّبِعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ. -قرآن- ٣٤٢-٤٣٦-قرآن- ٤٤٤-٥٣٨-قرآن- ٥٤٦-٦١٠-قرآن- ١٢٧٨-١٣٠٢-قرآن- ١٣١١-١٣٢٩-قرآن- ١٣٣٨-١٣٧٤ [صفحة ٣٤] و أما الخبر الذي صورته لا تجتمع أمتي على الخطأ -رواية- ١-٢٧ فخير واحد وأمثلة دليل للفقهاء قولهم إن الهمم المختلفة والآراء المتباينة إذا كان أربابها كثيرة عظيمة فإنه يستحيل اجتماعهم على الخطأ وهذا باطل باليهود والنصارى وغيرهم من فرق الضلال . هذه خلاصة ما كان النقيب أبو جعفر علقه بخطه من الجزء الذي أقرناه . ونحن نقول أما إجماع المسلمين فحجة ولسنا نرتضى ما ذكره عنا من أنه أمثلة دليل لنا أن الهمم المختلفة والآراء المتباينة يستحيل أن تتفق على غير الصواب و من نظر في كتبنا الأصولية علم وثاقه أدلتنا على صحة الإجماع و كونه صواباً وحجة تحريم مخالفته و قد تكلمت في اعتبار الذريعة للمرتضى على ما طعن به المرتضى في أدلة الإجماع . و أما ذكره من الهجوم على دار فاطمة و جمع الحطب لتحريقها فهو خير واحد غير موثوق به و لا معول عليه في حق الصحابة بل و لا في حق أحد من المسلمين ممن ظهرت عدالته . و أما عائشة والزبير وطلحة فمذهبا أنهم أخطئوا ثم تابوا وأنهم من أهل الجنة و أن علياً ع شهد لهم بالجنة بعد حرب الجمل . و أما طعن الصحابة بعضهم في بعض فإن الخلاف الذي كان بينهم في مسائل الاجتهاد لا يوجب إثماً لأن كل مجتهد مصيب و هذا أمر مذكور في كتب أصول الفقه و ما كان من الخلاف خارجاً عن ذلك فالكثير من الأخبار الواردة فيه غير موثوق بها و ماجاء من جهة صحيحة نظر فيه ورجح جانب أحد الصحابين على قدر منزلته في الإسلام كما يروى عن عمر و أبي هريرة . [صفحة ٣٥] فأما على ع فإنه عندنا بمنزلة الرسول ص في تصويب قوله والاحتجاج بفعله ووجوب طاعته و متى صح عنه أنه قد برئ من أحد من الناس برئنا منه كائنا من كان ولكن الشأن في تصحيح ما يروى عنه ع فقد أكثر الكذب عليه وولدت العصبية أحاديث لا أصل لها. فأما براءته ع من المغيرة وعمرو بن العاص ومعاوية فهو عندنا معلوم جار مجرى الأخبار المتواترة فلذلك لا يتولاهم أصحابنا ولا يثنون عليهم وهم عند المعتزلة في مقام غير محمود وحاش لله أن يكون ع ذكر من سلف من شيوخ المهاجرين إلا بالجميل والذكر الحسن بموجب ما تقتضيه رئاسته في الدين وإخلاصه في طاعة رب العالمين و من أحب تتبع ما روى عنه مما يوهم في الظاهر خلاف ذلك فليراجع هذا الكتاب أعنى شرح نهج البلاغة فأنا لم نترك موضعاً يوهم خلاف مذهبنا إلا وأوضحناه وفسرناه على وجه يوافق الحق وبالله التوفيق

عمار بن ياسر وطرف من أخباره

فأما عمار بن ياسر رحمه الله فنحن نذكر نسبه وطرفاً من حاله مما ذكره ابن عبد البر في كتاب الإستيعاب قال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله هو عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن حصين بن لوذ بن ثعلبة بن عوف بن حارثة بن عامر بن نام بن عنس بالنون بن مالك بن أدد العنسي المذحجي يكنى أبا اليقظان حليف لبني مخزوم كذا قال ابن شهاب وغيره . [صفحة ٣٦] وقال موسى بن عقبه وممن شهد بدرًا عمار بن ياسر حليف لبني مخزوم بن يقظة . وقال الواقدي وطائفة من أهل العلم إن

ياسرا والد عمار بن ياسر عربى قحطانى من عنس من مذحج إلا أن ابنه عمارا مولى لبنى مخزوم لأن أباه ياسرا تزوج أمه لبعض بنى مخزوم فأولدها عمارا و ذلك أن ياسر قدم مكة مع أخوين له يقال لهما الحارث ومالك فى طلب أخ لهم رابع فرجع الحارث ومالك إلى اليمن وأقام ياسر بمكة فحالف أباحذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم فزوجه أبوحذيفة أمه له يقال لها سمية بنت خياط فولدت له عمارا فأعتقه أبوحذيفة فصار ولاؤه لبنى مخزوم وللحلف والولاء الذى بين بنى مخزوم وعمار بن ياسر كان اجتماع بنى مخزوم إلى عثمان حين نال من عمار غلمان عثمان مانالوا من الضرب حتى انفتق له فتق فى بطنه وكسروا ضلعا من أضلاعه فاجتمعت بنو مخزوم وقالوا والله لئن مات لاقتلنا به أحدا غير عثمان . قال أبو عمر وأسلم عمار و عبد الله أخوه وياسر أبوهم وسمية أمهما وكان إسلامهم قديما فى أول الإسلام فعذبوا فى الله عذابا عظيما وكان رسول الله ص يمر بهم وهم يعذبون فيقول صبيرا يا آل ياسر فإن موعدكم الجنة ويقول لهم أيضا صبيرا يا آل ياسر اللهم اغفر لآل ياسر و قد فعلت - رويت- ١-١٤٨ . قال أبو عمر و لم يزل عمار مع أبى حذيفة بن المغيرة حتى مات وجاء الله بالإسلام . فأما سمية فقتلها أبوجهل طعنها بحربة فى قبلها فماتت وكانت من الخيرات [صفحہ ٣٧] الفاضلات وهى أول شهيدة فى الإسلام و قد كانت قريش أخذت ياسرا وسمية وابنيهما وبلاالا- وخبابا وصهيبا فألبسوهم أدراع الحديد وصهروهم فى الشمس حتى بلغ الجهد منهم كل مبلغ فأعطوهم ماسألوا من الكفر وسب النبى ص ثم جاء إلى كل واحد منهم قومه بأنطاع الأدم فيها الماء فألقوهم فيها ثم حملوا بجوانبها فلما كان العشى جاء أبوجهل فجعل يشتم سمية ويرفث ثم وجأها بحربة فى قبلها فقتلها فهى أول من استشهاد فى الإسلام فقال عمار للنبي ص يا رسول الله بلغ العذاب من أمى كل مبلغ فقال صبيرا يا أبا اليقظان اللهم لا تعذب أحدا من آل ياسر بالنار قال أبو عمر وفيهم أنزل إلامن أكره و قلبه مطمئن بالإيمان . قال وهاجر عمار إلى أرض الحبشة و صلى القبليتين وشهد بدرا والمشاهد كلها وأبلى بلاء حسنا ثم شهد اليمامة فأبلى فيها أيضا ويومئذ قطعت أذنه . قال وذكر الواقدي عن عبد الله بن نافع عن أبيه عن عبد الله بن عمر قال رأيت عمار بن ياسر يوم اليمامة على صخرة و قد أشرف يصيح يامعشر المسلمين أ من الجنة تفرون أنا عمار بن ياسر هلموا إلى و أنا أنظر إلى أذنه قد قطعت فهى تذبذب وهوىقاتل أشد القتال . قال أبو عمر و كان عمار طويلا أشهل بعيد ما بين المنكبين قال و قد قيل فى صفته كان آدم طويلا مضطربا أشهل العينين بعيد ما بين المنكبين رجلا لا يغير شبيهه . -قرآن- ٥٧٥-٦٢٤ [صفحہ ٣٨] قال و كان عمار يقول أنا ترب رسول الله ص لم يكن أحد أقرب إليه سنا منى . قال وقتل عمار و هو ابن ثلاث وتسعين سنة و الخبر المرفوع مشهور فى حقه تقتلك الفئة الباغية -روایت- ١-٢-روایت- ٣١-٥٢ و هو من دلائل نبوة رسول الله ص لأنه إخبار عن غيب . و قال رسول الله ص فى عمار ملئ إيمانا إلى مشاشه ويروى إلى أخصص قدميه -روایت- ١-٢-روایت- ٣١-٧٨ . وفضائل عمار كثيرة و قد تقدم القول فى ذكر عمار وأخباره و ماورد فى حقه [صفحہ ٣٩]

٤١٤

و قال ع ميا أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلبا لما عند الله و أحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء اتكالا على الله سبحانه قد تقدم شرح مثل هذه الكلمة مرارا . و قال الشاعر قنعت فأعتقت نفسى ولن || أملك ذا ثروة رقتها ونزعتها عن سؤال الرجال || ومنه من لا يرى حقها و إن القناعة كثر اللبيب || إذا ارتقت فتقت رقتها سبيعت رزق الشفاه الغراث || وخصص البطون الذى شقها فما فارقت مهجة جسمها || لعمرك أووفيت رزقها مواعيد ربك مصدوقه || إذا غيرها ففقدت صدقها [صفحہ ٤٠]

٤١٥

قَالَ ع مَا اسْتَوَدَعَ اللَّهُ أَمْرًا عَقْلًا إِلَّا لَيْسَتْ تَقْدَهُ بِهِ يَوْمًا مَا لَا بَدَأَ أَنْ يَكُونَ لِلْبَارِي تَعَالَى فِي إِيدَاعِ الْعَقْلِ قَلْبَ زَيْدٍ مِثْلًا غَرَضٌ وَ لَا غَرَضٌ إِلَّا أَنْ يَسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى مَا فِيهِ نَجَاتُهُ وَخَلَاصُهُ وَ ذَلِكَ هُوَ التَّكْلِيفُ فَإِنْ قَصُرَ فِي النَّظَرِ وَجْهَلِ وَأَخْطَأَ الصَّوَابَ فَلَا بَدَأَ أَنْ يَنْقُذَهُ عَقْلُهُ مِنْ وَرْطَةٍ مِنْ وَرْطَاتِ الدُّنْيَا وَ لَيْسَ يَخْلُو أَحَدٌ عَنْ ذَلِكَ أَصْلًا لِأَنَّ كُلَّ عَاقِلٍ لَا بَدَأَ أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْ مَضْرُوءِ سَبِيلِهَا أَنْ تَنَالِ بِإِعْمَالِ فِكْرَتِهِ وَ عَقْلُهُ فِي الْخَلَاصِ مِنْهَا فَالْحَاصِلُ أَنَّ الْعَقْلَ إِذَا مَا أَنْ يَنْقُذَ الْإِنْقَازَ الدِّينِيَّ وَ هُوَ الْفَلَاحُ وَ النَّجَاحُ عَلَى الْحَقِيقَةِ أَوْ يَنْقُذَ مِنْ بَعْضِ مَهَالِكِ الدُّنْيَا وَ آفَاتِهَا وَ عَلَى كُلِّ حَالٍ فَقَدْ صَحَّ قَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع وَ قَدْرُوبِ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مَرْفُوعَةٌ وَ رُوِيَتْ إِلَّا اسْتَنْقَذَهُ بِهِ يَوْمًا مَا. وَ عَنْهُ صَ الْعَقْلُ نُورٌ فِي الْقَلْبِ يَفْرُقُ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ - رَوَايَاتُ ١- ٢- رَوَايَاتُ ١١- ١٠- ١١- ١٠- عَنْ أَنَسٍ قَالَ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَ عَنِ الرَّجُلِ يَكُونُ حَسَنَ الْعَقْلِ كَثِيرَ الذُّنُوبِ فَقَالَ مَا مِنْ بَشَرٍ إِلَّا وَ لَهُ ذُنُوبٌ وَ خَطَايَا يَقْتَرِفُهَا فَمَنْ كَانَتْ سَجِيئَتُهُ الْعَقْلَ وَ غَرِيزَتُهُ الْيَقِينَ لَمْ تَضُرَّهُ ذُنُوبُهُ قِيلَ كَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ - رَوَايَاتُ ١- ٢- رَوَايَاتُ ١٦- ١٦- إِدَامَةٌ دَارِدٌ [صَفْحَةٌ ٤١] كَلِمًا أَخْطَأَ لَمْ يَلْبِثْ أَنْ يَتَدَارَكَ ذَلِكَ بِتَوْبَةٍ وَ نَدَامَةٍ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُ فَيَمْحُو ذُنُوبَهُ وَ يَبْقَى لَهُ فَضْلٌ يَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ - رَوَايَاتُ ١٠٧- ١٠٧-

نكت في مدح العقل و ما قيل فيه

وَ قَدْ تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِنَا فِي الْعَقْلِ وَ مَا ذَكَرَ فِيهِ مَا فِيهِ كِفَايَةٌ وَ نَحْنُ نَذَكُرُ هَاهُنَا شَيْئًا آخَرَ كَانَ يُقَالُ الْعَاقِلُ يَرُوي ثُمَّ يَرُوي وَيُخْبِرُ ثُمَّ يُخْبِرُ. وَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الْمَعْتَرِ مَا بَيْنَ وَجْهِ الْخَيْرِ وَ الشَّرِّ فِي مِرَاةِ الْعَقْلِ. لِقَمَانَ يَابُنِي شَاوَرٍ مِنْ جَرَبِ الْأُمُورِ فَإِنَّهُ يُعْطِيكَ مِنْ رَأْيِهِ مَاقَامَ عَلَيْهِ بِالْغَلَاءِ وَ تَأْخُذُهُ أَنْتَ بِالْمَجَانِ - رَوَايَاتُ ١- ٢- رَوَايَاتُ ٩- ١٠. أَرْدَشِيرُ بْنُ بَابِكٍ أَرْبَعَةٌ تَحْتَاجُ إِلَى أَرْبَعَةِ الْحَسَبِ إِلَى الْأَدَبِ وَ السَّرُورِ إِلَى الْأَمْنِ وَ الْقَرَابَةِ إِلَى الْمُوَدَّةِ وَ الْعَقْلِ إِلَى التَّجْرِبَةِ. الْإِسْكَانْدَرُ لِأَنَّ تَحْتَقِرَ الرَّأْيَ الْجَزِيلَ مِنَ الْحَقِيرِ فَإِنَّ الدَّرَةَ لَا يَسْتَهَانَ بِهَا لِهَوَانِ غَائِصِهَا. مُسَلَّمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ مَا ابْتَدَأَتْ أَمْرًا قَطَّ بِحَزْمٍ فَجَعَتْ عَلَى نَفْسِي بِلَائِمَةٌ وَ إِنْ كَانَتْ الْعَاقِبَةُ عَلَى وَ لَا أَضَعْتَ الْحَزْمَ فَسَرَرْتُ وَ إِنْ كَانَتْ الْعَاقِبَةُ لِي. وَ صَفَّ رَجُلٌ عَضُدَ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهٍ فَقَالَ لَوِ رَأَيْتَهُ لَوِ رَأَيْتَ رَجُلًا لَهُ وَجْهٌ فِيهِ أَلْفُ عَيْنٍ وَ فَمِ فِيهِ أَلْفُ لِسَانٍ وَ صَدَرَ فِيهِ أَلْفُ قَلْبٍ. أَتْنِي قَوْمٌ مِنَ الصَّحَابَةِ عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَ بِالصَّلَاةِ وَ الْعِبَادَةِ وَ خِصَالِ الْخَيْرِ حَتَّى بِالْغَوَا فَقَالَ صَ كَيْفَ عَقْلُهُ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ - رَوَايَاتُ ١- ٢- رَوَايَاتُ ١٢- ١٢- إِدَامَةٌ دَارِدٌ [صَفْحَةٌ ٤٢] نَخْبِرُكَ بِاجْتِهَادِهِ فِي الْعِبَادَةِ وَ ضُرُوبِ الْخَيْرِ وَ تَسْأَلُ عَنْ عَقْلِهِ فَقَالَ إِنْ الْأَحْمَقُ لِيَصِيبَ بِحَمَقِهِ أَعْظَمَ مِمَّا يَصِيبُهُ الْفَاجِرُ بِفُجُورِهِ وَ إِنَّمَا تَرْتَفِعُ الْعِبَادَةُ غَدَا فِي دَرَجَاتِهِمْ وَ يَنَالُونَ مِنَ الزَّلْفَى مِنْ رَبِّهِمْ عَلَى قَدْرِ عَقُولِهِمْ - رَوَايَاتُ ١- ٢- رَوَايَاتُ ٣- ٢٠٣. الرِّيحَانِيُّ الْعَقْلَ مَلِكًا وَ الْخِصَالَ رَعِيَّةً فَإِذَا ضَعُفَ عَنِ الْقِيَامِ عَلَيْهَا وَ صَلَّ الْخَلْلَ إِلَيْهَا وَ سَمِعَ هَذَا الْكَلَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ هَذَا كَلَامٌ يَقَطُرُ عَسَلَهُ. قَالَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ مَا رَأَيْتُ قَفَا رَجُلٍ إِلَّا عَرَفْتُ عَقْلَهُ قِيلَ فَإِنْ رَأَيْتَ وَجْهَهُ قَالَ ذَا كِتَابٍ يَقْرَأُ. بَعْضُ الْفَلَسَافَةِ عَقْلَ الْغَرِيزَةِ مُسَلِّمًا إِلَى عَقْلِ التَّجْرِبَةِ. بَعْضُهُمْ كُلُّ شَيْءٍ إِذَا كَثُرَ رَخِصَ إِلَّا الْعَقْلَ فَإِنَّهُ إِذَا كَثُرَ غَلَا. قَالُوا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا أَيْ مَنْ كَانَ عَاقِلًا. وَ مِنْ كَلَامِهِمُ الْعَاقِلُ بِخَشُونَةٍ الْعَيْشِ مَعَ الْعَقْلَاءِ أَنَسٌ مِنْهُ بَلِيْنُ الْعَيْشِ مَعَ السَّفَهَاءِ. أَعْرَابِيٌّ لَوْ صَوَّرَ الْعَقْلَ أَظْلَمَتْ مَعَهُ الشَّمْسُ وَ لَوْ صَوَّرَ الْحَمَقَ لِأَضَاءِ مَعَهُ اللَّيْلُ. قِيلَ لِحَكِيمٍ مَتَى عَقَلْتُ قَالَ حِينَ وَلِدْتُ فَأَنْكَرُوا ذَلِكَ فَقَالَ أَمَا أَنَا فَقَدْ بَكَيْتُ حِينَ جَعْتُ وَ طَلَبْتُ الشَّدَى حِينَ احْتَجَجْتُ وَ سَكَتُ حِينَ أُعْطِيتُ يَرِيدُ أَنْ مِنْ عَرَفَ مَقَادِيرَ حَاجَتِهِ فَهُوَ عَاقِلٌ. الْمَأْمُونُ إِذَا أَنْكَرْتَ مِنْ عَقْلِكَ شَيْئًا فَاقْدَحْهُ بِعَاقِلٍ. بَزْرَجْمَهْرُ الْعَاقِلُ الْحَازِمُ إِذَا أَشْكَلَ عَلَيْهِ الرَّأْيُ بِمَنْزَلَةٍ مِنْ أَضَلِّ لَوْلُؤَةٍ فَجَمَعَ مَا حَوْلَ مَسْقَطِهَا مِنَ التَّرَابِ ثُمَّ التَّمَسَّهَا حَتَّى وَجَدَهَا وَ كَذَلِكَ الْعَاقِلُ يَجْمَعُ وَجْهَهُ - قُرْآنٌ ٣٥٠- ٣٧٣ [صَفْحَةٌ ٤٣] الرَّأْيُ فِي الْأَمْرِ الْمَشْكَلِ ثُمَّ يَضْرِبُ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ حَتَّى يَسْتَخْلَصَ الرَّأْيَ الْأَصُوبَ

. كان يقال هجين عاقل خير من هجان جاهل . كان بعضهم إذا استشير قال لمشاوره أنظرني حتى أصقل عقلي بنومة. إذا نزلت المقادير نزلت التدابير من نظر في المغاب ظفر بالمحاب من استدت عزائمه اشتدت دعائمه الرأي السديد أجدى من الأيد الشديد. بعضهم و ما ألف مطرور السنان مشدد || يعارض يوم الروح رأيا مسددا . أبو الطيب الرأي قبل شجاعة الشجعان || هو أول وهي المحل الثاني فإذاهما اجتماعا لنفس حرة || بلغت من العلياء كل مكان ولربما طعن الفتى أقرانه || بالرأى قبل تطاعن الأقران لو لا العقول لكان أدنى ضيغم || أدنى إلى شرف من الإنسان و لماتفاضلت النفوس ودبرت || أيدي الكماء عوالي المران . ذكر المأمون ولد علي ع فقال خصوا بتدبير الآخرة و حرموا تدبير الدنيا. كان يقال إذا كان الهوى مقهورا تحت يد العقل والعقل مسلط عليه صرفت مساوئ صاحبه إلى المحاسن فعدت بلادته حلما وحدته ذكاء وحذره بلاغة و عيئه صمتا وجنبه حذرا وإسرافه جودا. [صفحہ ۴۴] وذكر هذا الكلام عند بعضهم فقال هذه خصيصة الحظ نقلها مرتب هذا الكلام إلى العقل . سمع محمد بن يزداد كاتب المأمون قول الشاعر إذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة || فإن فساد الرأي أن تترددا . فأضاف إليه و إن كنت ذا عزم فأنفذه عاجلا || فإن فساد العزم أن يتفندا [صفحہ ۴۵]

۴۱۶

وَ قَالَ عَ مَنْ صَارَ عَ الْحَقِّ صَيْرَعَهُ هَذَا مِثْلَ قَوْلِهِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْ أَيْدِي صَفْحَتِهِ لِلْحَقِّ هَلَكٌ وَ نَحْوُ هَذَا قَوْلِ الطَّائِي وَ مِنْ قَامِرِ الْأَيَّامِ عَنْ ثَمْرَاتِهَا || فَأَحْجَ بِهَا أَنْ تَنْجَلِيَ وَلِهَا الْقَمَرُ [صفحہ ۴۶]

۴۱۷

وَ قَالَ عَ الْقَلْبُ مُصْحَفُ الْبَصْرِ هَذَا مِثْلَ قَوْلِ الشَّاعِرِ تَخْبِرُنِي الْعَيْنَانِ مَا الْقَلْبُ كَاتِمٌ || وَ مَا جَنَّ بِالْبَغْضَاءِ وَ النَّظَرَ الشَّرْرَ . يَقُولُ عَ كَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا نَظَرَ فِي الْمَصْحَفِ قَرَأَ مَا فِيهِ كَذَلِكَ إِذَا بَصَرَ الْإِنْسَانَ صَاحِبَهُ فَإِنَّهُ يَرَى قَلْبَهُ بِوَسْاطَةِ رُؤْيَيْهِ وَ جِهَهُ ثُمَّ يَعْلَمُ مَا فِي قَلْبِهِ مِنْ حُبِّ وَ بَغْضٍ وَ غَيْرِهِمَا كَمَا يَعْلَمُ بِرُؤْيَيْهِ الْخَطَّ الَّذِي فِي الْمَصْحَفِ مَا يَدُلُّ الْخَطَّ عَلَيْهِ . وَ قَالَ الشَّاعِرُ إِنْ الْعَيُونَ لَتَبْدِي فِي تَقْلِبِهَا || مَا فِي الضَّمَائِرِ مِنْ وَدِّ وَ مِنْ حَقِّ [صفحہ ۴۷]

۴۱۸

وَ قَالَ عَ التَّقَى رَيْسُ الْأَخْلَاقِ يَعْنِي رَيْسَ الْأَخْلَاقِ الدِّينِيَّةِ لِأَنَّ الْأَخْلَاقَ الْحَمِيدَةَ كَالْجُودَ وَ الشَّجَاعَةَ وَ الْحِلْمَ وَ الْعِفَّةَ وَ غَيْرَ ذَلِكَ لَوْ قَدَرْنَا انْتِفَاءَ التَّكَالِيفِ الْعَقْلِيَّةِ وَ الشَّرْعِيَّةِ لَمْ يَكُنِ التَّقَى رَيْسًا لَهَا وَ إِنَّمَا رِئَاسَةُ التَّقَى لَهَا مَعَ ثُبُوتِ التَّكْلِيفِ لِاسِيْمَا الشَّرْعِيِّ وَ التَّقِيِّ فِي الشَّرْعِ هُوَ الْوَرَعُ وَ الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ وَ إِذَا حَصَلَ حَصَلَتِ الطَّاعَاتُ كُلُّهَا وَ انْتَفَتِ الْقَبَائِحُ كُلُّهَا فَصَارَ الْإِنْسَانُ مَعْصُومًا وَ تَلَكَّ طَبَقَةً عَالِيَةً وَ هِيَ أَشْرَفُ مِنْ جَمِيعِ الطَّبَقَاتِ الَّتِي يَمْدَحُ بِهَا الْإِنْسَانُ نَحْوَ قَوْلِنَا جَوَادٌ أَوْ شَجَاعٌ أَوْ نَحْوَهُمَا لِأَنَّهَا طَبَقَةٌ يَنْتَقِلُ الْإِنْسَانُ مِنْهَا إِلَى الْجَنَّةِ وَ دَارِ الثَّوَابِ الدَّائِمِ وَ هَذِهِ مَزِيَّةٌ عَظِيمَةٌ يَفْضَلُ بِهَا عَلَى سَائِرِ طَبَقَاتِ الْأَخْلَاقِ [صفحہ ۴۸]

۴۱۹

وَ قَالَ عَ لَا تَجْعَلَنَّ ذَرْبَ لِسَانِكَ عَلَى مَنْ أَنْطَقَكَ وَ بَلَاغَةَ قَوْلِكَ عَلَى مَنْ سَيَّدَكَ يَقُولُ لِاشْبَهَهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَنْطَقَكَ

فتحة النون فصارت ألفا ثم قالوا بينما فزادوا ما والمعنى واحد تقول بينا نحن نعمل كذا جاء زيد أى بين أوقات فعلنا كذا جاء زيد والجمل قديضاف إليها أسماء الزمان نحو قولهم أتيتك زمن الحجاج أمير ثم حذفوا المضاف الذى هو أوقات وولى الظرف الذى هو بين الجملة التى أقيمت مقام المحذوف . و كان الأصمعى يخفض بعدينا إذا صلح فى موضعه بين وينشد قول أبى ذؤيب بالكسر بينا تعنقه الكمأة وروعه || يوما أتيج له جرى سلفع . وغيره يرفع ما بعدينا وبينما على الابتداء والخبر فأما إذ و إذا فإن أكثر أهل العربية يمنعون من مجيئهما بعدينا وبينما ومنهم من يجيزه و عليه جاء كلام أمير المؤمنين وأنشدوا بينما الناس على عليائها || إذ هووا فى هوة منها فغاروا . [صفحہ ۵۳] وقالت الحرقة بنت النعمان بن المنذر وبيننا نسوس الناس والأمر أمرنا || إذ نحن فيهم سوقة نتنصف . وقال الشاعر أستقدر الله خيرا وأرضين به || فينما العسر إذ دارت مياسير وبينما المرء فى الأحياء مغتبط || إذ صار فى اللحد تعفوه الأعاصير . ومما جاء فى وصف الدنيا مما يناسب كلام أمير المؤمنين قول أبى العتاهية إن دارا نحن فيها لدار || ليس فيها المقيم قرار كم وكم قد حلها من أناس || ذهب الليل بهم والنهار فهم الركب قد أصابوا مناخا || فاسترحوا ساعة ثم ساروا وكذا الدنيا على مارأينا || يذهب الناس وتخلو الديار [صفحہ ۵۴]

۴۲۴

وَ قَالَ ع لِبَيْنِهِ الْحَسَنَ ع يَا بُنَيَّ لَا تُخَلْفَنَّ وَرَاءَكَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ تَخَلْفُهُ لِأَحَدٍ رَجُلَيْنِ إِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِطَاعَةَ اللَّهِ فَسَيَعِدُ بِمَا شَقِيَتْ بِهِ وَ إِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَشَقِيَّ بِمَا جَمَعَتْ لَهُ فَكُنْتَ عَوْنًا لَهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ وَ لَيْسَ أَحَدٌ هَذَيْنِ حَقِيقًا أَنْ تُؤْتِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ وَ يُرَوَى هَذَا الْكَلَامُ عَلَى وَجْهِ آخَرَ وَ هُوَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْعَدِيَّ فِي يَدَيْكَ مِنَ الدُّنْيَا قَدْ كَانَ لَهُ أَهْلٌ قَبْلَكَ وَ هُوَ صَائِرٌ إِلَى أَهْلِ بَعْدِكَ وَ إِنَّمَا أَنْتَ جَامِعٌ لِأَحَدٍ رَجُلَيْنِ رَجُلٌ عَمِلَ فِيهَا جَمَعَتْهُ بِطَاعَةَ اللَّهِ فَسَيَعِدُ بِمَا شَقِيَتْ بِهِ أَوْ رَجُلٌ عَمِلَ فِيهَا جَمَعَتْهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَشَقِيَّ بِمَا جَمَعَتْ لَهُ وَ لَيْسَ أَحَدٌ هَذَيْنِ أَهْلًا أَنْ تُؤْتِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ أَوْ تَحْمِلَ لَهُ عَلَى ظَهْرِكَ فَارْجُ لِمَنْ مَضَى رَحْمَةَ اللَّهِ وَ لِمَنْ بَقِيَ رِزْقَ اللَّهِ تَعَالَى رَوَى فَإِنَّكَ لَا تَخْلُفُهُ إِلَّا لِأَحَدٍ رَجُلَيْنِ وَ هَذَا الْفَصْلُ نَهَى عَنِ الْإِدْخَارِ وَ قَدْ سَبَقَ لَنَا فِيهِ كَلَامٌ مَقْنَعٌ . وَ خِلَاصَةُ هَذَا الْفَصْلِ أَنَّكَ إِنْ خَلَفْتَ مَالًا - فِيمَا أَنْ تَخْلُفَهُ لِمَنْ يَعْمَلُ فِيهِ بِطَاعَةَ اللَّهِ أَوْ لِمَنْ يَعْمَلُ فِيهِ بِمَعْصِيَتِهِ فَالْأَوْلَى يَسْعُدُ بِمَا شَقِيَتْ بِهِ أَنْتَ وَ الثَّانِي يَكُونُ مَعَانَا [صفحہ ۵۵] مِنْكَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ بِمَا تَرَكْتَهُ لَهُ مِنَ الْمَالِ وَ كِلَا الْأَمْرَيْنِ مَذْمُومٌ وَإِنَّمَا قَالَ لَهُ فَارِجٌ لِمَنْ مَضَى رَحْمَةَ اللَّهِ وَ لِمَنْ بَقِيَ رِزْقَ اللَّهِ لِأَنَّهُ قَالَ فِي أَوَّلِ الْكَلَامِ قَدْ كَانَ لِهَذَا الْمَالِ أَهْلٌ قَبْلَكَ وَ هُوَ صَائِرٌ إِلَى أَهْلِ بَعْدِكَ . وَ الْكَلَامُ فِي ذِمِّ الْإِدْخَارِ وَ الْجَمْعِ كَثِيرٌ وَ لِلشُّعْرَاءِ فِيهِ مَذَاهِبٌ وَاسِعَةٌ وَ مَعَانٍ حَسَنَةٌ وَ قَالَ بَعْضُهُمْ يَا جَامِعَا مَانِعَا وَ الدَّهْرُ يَرْمِقُهُ || مَدْبِرَا أَى بَابِ عَنهُ يَغْلِقُهُ وَ نَاسِيَا كَيْفَ تَأْتِيهِ مَنِيَّتُهُ || أَغَادِيَا أَمْ بِهَائِسْرِي فَتَطْرُقُهُ جَمَعْتَ مَالًا - فَقُلْ لِي هَلْ جَمَعْتَ لَهُ || يَا جَامِعَ الْمَالِ أَيَامَا تَفْرُقُهُ الْمَالُ عِنْدَكَ مَخْزُونٌ لَوَارِثِهِ || مَا الْمَالُ مَالِكَ إِلَّا يَوْمَ تَنْفِقُهُ أَرْفَهُ بِبَالٍ فَتَيَّ يَغْدُو عَلَى ثِقَةٍ || أَنْ أَلْذِي قَسَمَ الْأَرْزَاقَ يَرْزُقُهُ فَالْعَرَضُ مِنْهُ مَصُونٌ لَا يَدْنُسُهُ || وَ الْوَجْهُ مِنْهُ جَدِيدٌ لَيْسَ يَخْلُقُهُ إِنْ الْقِنَاعَةُ مِنْ يَحْلُلُ بِسَاحَتِهَا || لَمْ يَلْقَ فِي ظِلِّهَا هُمَا يُؤْرَقُهُ [صفحہ ۵۶]

۴۲۵

اشاره

وَ قَالَ ع لِقَائِلٍ قَالَ بِحَضْرَتِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ نَكَتَكَ أُمَّكَ أَ تَدْرِي مَا الْإِسْتِغْفَارُ إِنْ لِلِاسْتِغْفَارِ دَرَجَةُ الْعَلِيِّينَ وَ هُوَ اسْمٌ وَاقِعٌ عَلَى سِتِّهِ

مَعَانَ أَوْلَهَا النَّدَمُ عَلَى مَا مَضَى وَ الثَّانِي الْعَزْمُ عَلَى تَرْكِ الْعَوْدِ إِلَيْهِ أَبَدًا وَ الثَّلَاثُ أَنْ تُؤَدَّى إِلَى الْمَخْلُوقِينَ حُقُوقَهُمْ حَتَّى تَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ أَمَلَسَ لَيْسَ عَلَيْكَ تَبِعِيَّةٌ وَ الرَّابِعُ أَنْ تَعْمِدَ إِلَى كُلِّ فَرِيضَةٍ عَلَيْكَ ضَمَّيْتَهَا فَتُؤَدَّى حَقَّهَا وَ الْخَامِسُ أَنْ تَعْمِدَ إِلَى اللَّحْمِ الْعَلِيِّ نَبَتَ عَلَى السَّيِّئَةِ فَتُذَيِّبُهُ بِالْأَحْزَانِ حَتَّى تَلْصِقَ الْجِلْدَ بِالْعَظْمِ وَ يَنْشَأَ بَيْنَهُمَا لَحْمٌ جَدِيدٌ السَّادِسُ أَنْ تُذَيِّقَ الْجِسْمَ أَلْمَ الطَّاعَةِ كَمَا أَذَقْتَهُ حَلَاوَةَ الْمَعْصِيَةِ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَقُولُ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ قَدْرُوى أَنْ الِاسْتِغْفَارَ دَرَجَةُ الْعَلِيِّينَ - رَوَايَاتُ ١- ٢- رَوَايَاتُ ١٠- ٣٨. فَيَكُونُ عَلَى تَقْدِيرِ حَذْفِ مِضَافٍ أَى أَنْ دَرَجَةُ الِاسْتِغْفَارِ دَرَجَةُ الْعَلِيِّينَ وَ عَلَى الرَوَايَةِ الْأُولَى يَكُونُ عَلَى تَقْدِيرِ حَذْفِ مِضَافٍ أَى أَنْ لِصَاحِبِ الِاسْتِغْفَارِ دَرَجَةُ الْعَلِيِّينَ وَ هُوَاهُنَا جَمْعٌ عَلَى فِعْلِ كَضَلِيلٍ وَ خَمِيرٍ تَقُولُ هَذَا رَجُلٌ عَلَى أَى كَثِيرِ الْعُلُوِّ وَ مِنْهُ الْعَلِيَّةُ لِلْغُرْفَةِ عَلَى إِحْدَى اللَّغَتَيْنِ وَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَفْسَرَ بِمَا فُسِّرَ بِهِ الرَّوَانْدِيُّ مِنْ قَوْلِهِ إِنَّهُ اسْمُ السَّمَاءِ السَّابِعَةُ وَ نَحْوُ قَوْلِهِ هُوَ سُدْرَةُ الْمُنْتَهَى وَ نَحْوُ قَوْلِهِ هُوَ مَوْضِعٌ تَحْتَ قَائِمَةِ الْعَرْشِ الْيَمْنِيِّ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَكَانَ [صَفْحَةُ ٥٧] عِلْمًا فَلَمْ تَدْخُلِ اللَّامُ كَمَا لَا يُقَالُ الْجَهَنَّمُ وَ كَذَلِكَ أَيْضًا لَا يَجُوزُ تَفْسِيرُهُ بِمَا فُسِّرَ الرَّوَانْدِيُّ أَيْضًا قَالَ الْعَلِيِّينَ جَمْعٌ عَلَى الْأَمْكَنَةِ فِي السَّمَاءِ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَجْمَعْ بِالنُّونِ لِأَنَّهَا تَخْتَصُّ بِمَنْ يَعْطَلُ وَ تَصْلُحُ أَنْ تَكُونَ الْوَجْهَ الْأُولَى تَفْسِيرًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ. قَوْلُهُ نَبَتَ عَلَى السَّحْتِ أَى عَلَى الْحَرَامِ يُقَالُ سَحَتَ بِالتَّسْكِينِ وَ سَحَتَ بِالضَّمِّ وَ اسْحَتَ الرَّجُلُ فِي تِجَارَتِهِ أَى اِكْتَسَبَ السَّحْتِ - قُرْآنٌ - ٢٤٩- ٢٩٢

فصل فى الاستغفار والتوبة

وينبغى أن نذكر فى هذا الموضوع كلاماً مختصراً مما يقوله أصحابنا فى التوبة فإن كلام أمير المؤمنين هو الأصل الذى أخذ منه أصحابنا مقالتهم و الذى يقولونه فى التوبة فقد أتى على جوامعها فى هذا الفصل على اختصاره . قال أصحابنا الكلام فى التوبة يقع من وجوه منها الكلام فى ماهية التوبة والكلام فى إسقاطها والذم والعقاب والكلام فى أنه يجب علينا فعلها والكلام فى شرطها أما ماهية التوبة فهى الندم والعزم لأن التوبة هى الإنابة والرجوع و ليس يمكن أن يرجع الإنسان عما فعله إلا بالندم عليه والعزم على ترك معاودته و ما يتوب الإنسان منه إما أن يكون فعلاً قبيحاً وإما أن يكون إخلالاً بواجب فالتوبة من الفعل القبيح هى أن يندم عليه ويعزم ألا يعود إلى مثله وعزمه على ذلك هو كراهيته لفعله والتوبة من الإخلال بالواجب هى أن يندم على إخلاله بالواجب [صَفْحَةُ ٥٨] ويعزم على أداء الواجب فيما بعد فأمّا القول فى أن التوبة تسقط العذاب فعندنا أن العقل يقتضى قبح العقاب بعد التوبة وخالف أكثر المرجئة فى ذلك من الإمامية وغيرهم واحتج أصحابنا بقبح عقوبة المسىء إلينا بعد ندمه واعتذاره وتنصله والعلم بصدقه والعلم بأنه عازم على ألا يعود. فأمّا القول فى وجوب التوبة على العصاة فلأرباب أن الشرع يوجب ذلك فأمّا العقل فالقول فيه أنه لا يخلو المكلف إما أن يعلم أن معصيته كبيرة أو يعلم أنها صغيرة أو يجوز فيها كلا الأمرين فإن علم كونها كبيرة وجب عليه فى العقول التوبة منها لأن التوبة مزيلة لضرر الكبيرة وإزالة المضار واجبة فى العقول و إن جوز كونها كبيرة وجوز كونها صغيرة لزمه أيضاً فى العقل التوبة منها لأنه يأمن بالتوبة من مضرة مخوفة وفعل ما يؤمن من المضار المخوفة واجب و إن علم أن معصيته صغيرة و ذلك كمعاصى الأنبياء و كمن عصى ثم علم بإخبار نبي أن معصيته صغيرة محبطة فقد قال الشيخ أبو على إن التوبة منها واجبة فى العقول لأنه إن لم يتب كان مصراً والإصرار قبيح . وقال الشيخ أبو هاشم لا تجب التوبة منها فى العقل بالشرع لأن فيها مصلحة يعلمها الله تعالى قال إنه يجوز أن يخلو الإنسان من التوبة عن الذنب و من الإصرار عليه لأن الإصرار عليه هو العزم على معاودة مثله والتوبة منه أن يكره معاودة مثله مع الندم على ماضى ويجوز أن يخلو الإنسان من العزم على الشىء و من كراهته . ومال شيخنا أبو الحسين رحمه الله إلى وجوب التوبة هاهنا عقلاً لدليل غير دليل أبى على رحمه الله . [صَفْحَةُ ٥٩] فأمّا القول فى صفات التوبة وشروطها فإنها على ضربين أحدهما يعم كل توبة والآخر يختلف بحسب اختلاف

مايتاب منه فالأول هو الندم والعزم على ترك المعادة. و أما الضرب الثاني فهو أن مايتوب منه المكلف إما أن يكون فعلا أو إخلالا- بواجب فإن كان فعلا قبيحا وجب عند الشيخ أبي هاشم رحمه الله أن يندم عليه لأنه فعل قبيح و أن يكره معاودة مثله لأنه قبيح و إن كان إخلالا- بواجب وجب عليه عنده أن يندم عليه لأنه إخلال بواجب و أن يعزم على فعل مثل ماأخل به لأنه واجب فإن ندم خوف النار فقط أو شوقا إلى الجنة فقط أولأن القبيح الذى فعله يضر ببدنه كانت توبته صحيحة و إن ندم على القبيح لقبحه ولخوف النار و كان لوأنفرد قبحه ندم عليه فإن توبته تكون صحيحة و إن كان لوأنفرد القبح لم يندم عليه فإنه لا تكون توبته صحيحة عنده والخلاف فيه مع الشيخ أبى على وغيره من الشيوخ رحمهم الله وإنما اختار أبوهاشم هذا القول لأن التوبة تجرى مجرى الاعتذار بيننا ومعلوم أن الواحد منا لوأساء إلى غيره ثم ندم على إساءته إليه واعتذر منها خوفا من معاقبته له عليها أو من معاقبة السلطان حتى لوأمن العقوبة لمااعتذر و لاندنم بل كان يواصل الإساءة فإنه لايسقط ذمه فكذلك التوبة خوف النار لالقبح الفعل . و قدنقل قاضى القضاة هذاالمذهب عن أمير المؤمنين ع و الحسن البصرى و على بن موسى الرضا والقاسم بن ابراهيم الزينى. قال أصحابنا وللتوبة شروط آخر تختلف بحسب اختلاف المعاصى و ذلك أن [صفحه ٦٠] مايتوب منه المكلف إما أن يكون فيه لآدمى حق أو لا-حق فيه لآدمى فما ليس للآدمى فيه حق فحق ترك الصلاة فإنه لايجب فيه إلاالندم والعزم على ماقدمنا و ماالآدمى فيه حق على ضربين أحدهما أن يكون جنائى عليه فى نفسه أوأعضائه أو ماله أودينه والآخر ألا يكون جنائى عليه فى شىء من ذلك فما كان جنائى عليه فى نفسه أوأعضائه أو ماله فالواجب فيه الندم والعزم و أن يشرع فى تسليم بدل ماأتلف فإن لم يتمكن من ذلك لفقر أوغيره عزم على ذلك إذاتمكن منه فإن مات قبل التمكن لم يكن من أهل العقاب و إن جنى عليه فى دينه بأن يكون قدأضله بشبهة استتره بها فالواجب عليه مع الندم العزم والاجتهاد فى حل شبهته من نفسه فإن لم يتمكن من الاجتماع به عزم على ذلك إذاتمكن فإن مات قبل التمكن أوتمكن منه واجتهد فى حل الشبهة فلم تنحل من نفس ذلك الضال فلاعقاب عليه لأنه قداستفرغ جهده فإن كانت المعصية غير جنائىة نحو أن يغتابه أويسمع غيبته فإنه يلزمه الندم والعزم و لايلزمه أن يستحله أويعتذر إليه لأنه ليس يلزمه أرش لمن اغتابه فيستحله ليسقط عنه الأرش و لاغمه فيزيل غمه بالاعتذار و فى ذكر الغيبة له ليستحله فيزيل غمه منها إدخال غم عليه فلم يجز ذلك فإن كان قدأسمع المغتاب غيبته فذلك جنائى عليه لأنه قدأوصل إليه مضرة الغم فيلزمه إزالة ذلك بالاعتذار [صفحه ٦١]

٤٢٦

وَ قَالَ ع الْحِلْمُ عَشِيرَةٌ كَانَ يُقَالُ الْحِلْمُ جُنُودٌ مَجْنَدَةٌ لِأَرْزَاقِ لَهَا. وَ قَالَ ع وَجَدْتُ الْإِحْتِمَالَ أَنْصُرَ لِي مِنَ الرِّجَالِ -رواية- ١-٢-
رواية- ١١-٤٧. وَ قَالَ الشَّاعِرُ وَلِلْكَفِّ عَنِ الشَّتْمِ اللَّيْمِ تَكْرِمًا || أَضْرَ لَهْ مِنْ شَتْمِهِ حِينَ يَشْتَمُ. وَ كَانَ يُقَالُ مِنْ غَرَسِ شَجَرَةَ الْحِلْمِ اجْتَنَى ثَمْرَةَ السَّلْمِ. وَ قَدْ تَقَدَّمَ مِنَ الْقَوْلِ فِي الْحِلْمِ مَا فِيهِ كَفَايَةٌ [صفحه ٦٢]

٤٢٧

وَ قَالَ ع مَسْكِينُ ابْنِ آدَمَ مَكْتُومُ الْأَجْلِ مَكْنُونُ الْعِلَالِ مَحْفُوظُ الْعَمَلِ تُؤْلِمُهُ الْبَقَّةُ وَ تَقْتُلُهُ الشَّرْقَةُ وَ تُنْتِنُهُ الْعَرَقَةُ قَدْ تَقَدَّمَ هَاهُنَا خَبَرُ الْمَبْتَدِإِ عَلَيْهِ وَالتَّقْدِيرُ ابْنُ آدَمَ مَسْكِينٌ ثُمَّ بَيْنَ مَسْكِنَتِهِ مِنْ أَيْنَ هِيَ فَقَالَ إِنَّهَا مِنْ سِتِّهِ أَوْجَهَ أَجْلَهُ مَكْتُومٌ لَا يَدْرِي مَتَى يَخْتَرِمُ وَعَلَلَهُ بَاطِنُهُ لَا يَدْرِي بِهَا حَتَّى تَهِيَجَ عَلَيْهِ وَعَمَلُهُ مَحْفُوظٌ لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَ لَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَقَرَصَ الْبَقَّةُ يُولِمُهُ وَالشَّرْقَةُ بِالْمَاءِ تَقْتُلُهُ وَ إِذَا عَرِقَ أَنْتَنَتِ الْعَرَقَةُ الْوَاحِدَةُ وَغَيْرَتُ رِيحُهُ فَمَنْ هُوَ عَلَى هَذِهِ الصِّفَاتِ فَهُوَ مَسْكِينٌ لِامِحَالَةِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَأْمَنَ وَ لَا أَنْ

وَ يُرَوَى أَنَّهُ عَ كَانَ جَالِسًا فِي أَصْحَابِهِ إِذْ مَرَّتْ بِهِمْ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ فَرَمَقَهَا الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقَالَ عَ إِنَّ أَبْصَارَ هَذِهِ الْفُحُولِ طَوَامِحُ وَ إِنَّ ذَلِكَ سَبَبٌ هَبَابِيهَا فَإِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى امْرَأَةٍ تُعْجِبُهُ فَلْيَلَامِسْ أَهْلَهُ فَإِنَّمَا هِيَ امْرَأَةٌ كَأَمْرَاتِهِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ قَاتَلَهُ اللَّهُ كَافِرًا مَا أَفْقَهُهُ قَالَ فَوَثَبَ الْقَوْمُ لِيُقْتَلُوهُ فَقَالَ عَ رُوَيْدًا إِنَّمَا هُوَ سَبٌّ بِسَبِّ أَوْ عَفْوٌ عَن ذَنْبٍ تَقُولُ هَبِ الْفَحْلُ وَالتَّيْسُ يَهَبُ بِالْكَسْرِ هَبِيًّا أَوْ هَبَابًا إِذَا هَاجَ لِلضَّرَابِ أَوْ لِلْفَسَادِ وَالهَبَابُ أَيْضًا صَوْتُ وَالتَّيْسُ إِذَا هَبَ فَهُوَ مَهَبَابٌ وَ قَدْ هَبَّ هَبْتَهُ أَيْ دَعَوْتَهُ لِيَنْزُو فَتَهَبُّهُ أَيْ تَزْعُجُ . وَ سَأَلَنِي صَدِيقُنَا عَلِيُّ بْنُ الْبَطْرِيْقِ عَن هَذِهِ الْقِصَّةِ فَقَالَ مَا بَالُهُ عَفَا عَنِ الْخَارِجِيِّ وَ قَدْ طَعَنَ فِيهِ بِالْكَفْرِ وَ أَنْكَرَ عَلَيَّ الْأَشْعَثُ قَوْلُهُ هَذِهِ عَلَيْكَ لَا لَكَ فَقَالَ [صفحہ ٦٤] مَا يَدْرِيكَ عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ مَا عَلَيَّ مَا لِي حَائِكُ ابْنِ حَائِكُ مَنَافِقِ ابْنِ كَافِرٍ وَ مَا وَاجِهَهُ بِهِ الْخَارِجِيُّ أَفْطَحَ مَا وَاجِهَهُ الْأَشْعَثُ فَقُلْتُ لَا أَدْرِي . قَالَ لِأَنَّ كُلَّ صَاحِبِ فَضِيلَةٍ يَعْظُمُ عَلَيْهِ أَنْ يَطْعَنَ فِي فَضِيلَتِهِ تَلْكَ وَ يَدْعَى عَلَيْهِ أَنَّهُ فِيهَا نَاقِصٌ وَ كَانَ عَلِيُّ عَ بَيْتَ الْعِلْمِ فَلَمَّا طَعَنَ فِيهِ الْأَشْعَثُ طَعَنَ بِأَنَّكَ لَا تَدْرِي مَا عَلَيْكَ مَا لَكَ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَامْتَعْضَ مِنْهُ وَجِبَهُ وَ لَعَنَهُ وَ أَمَا الْخَارِجِيُّ فَلَمْ يَطْعَنَ فِي عِلْمِهِ بَلْ أَثْبَتَهُ لَهُ وَ اعْتَرَفَ بِهِ وَ تَعَجَّبَ مِنْهُ فَقَالَ قَاتَلَهُ اللَّهُ كَافِرًا مَا أَفْقَهُهُ فَاعْتَفَرَ لَهُ لَفْظَةً كَافِرٌ بِمَا اعْتَرَفَ لَهُ بِهِ مِنْ عُلُوِّ طَبَقَتِهِ فِي الْفِقْهِ وَ لَمْ يَخْشَنَ عَلَيْهِ خَشَوْتَهُ عَلِيُّ الْأَشْعَثُ وَ كَانَ قَدَمْرَنَ عَلِيُّ سَمَاعِ قَوْلِ الْخَوَارِجِ أَنْتَ كَافِرٌ وَ قَدْ كَفَرْتَ يَعْنُونَ التَّحْكِيمَ فَلَمْ يَحْفَلْ بِتَلْكَ اللَّفْظَةَ وَ نَهَى أَصْحَابَهُ عَن قَتْلِهِ مُحَافِظَةً وَ رِعَايَةً لَهُ عَلِيُّ مَا مَدَحَهُ بِهِ [صفحہ ٦٥]

وَ قَالَ عَ كَفَاكَ مِنْ عَقْلِكَ مَا أَوْضَحَ لَكَ سُبُلَ عَيْتِكَ مِنْ رُشْدِكَ يَقُولُ عَ كَفَى الْإِنْسَانَ مِنْ عَقْلِهِ مَا يَفْرُقُ بِهِ بَيْنَ الْغَى وَ الرِّشَادِ وَ بَيْنَ الْحَقِّ مِنَ الْعُقَاوِدِ وَ الْبَاطِلِ فَإِنَّهُ بِذَلِكَ يَتَمُّ تَكْلِيْفُهُ وَ لِاحْتِاجِهِ فِي التَّكْلِيْفِ وَ الْفَرْقِ بَيْنَ الْغَى وَ الرِّشَادِ إِلَى زِيَادَةِ عَلَيَّ ذَلِكَ نَحْوَ التَّجَارِبِ الَّتِي تَفِيْدُهُ الْحَزْمَ التَّامَ وَ مَعْرِفَةَ أَحْوَالِ الدُّنْيَا وَ أَهْلِهَا وَ أَيْضًا لِاحْتِاجِهِ لَهُ إِلَى أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ مِنَ الْفِطْنَةِ الثَّاقِبَةِ وَ الذِّكَاةِ التَّامِ مَا يَسْتَنْبِطُ بِهِ دَقَائِقَ الْكَلَامِ فِي الْحِكْمَةِ وَ الْهَنْدَسَةِ وَ الْعُلُومِ الْغَامِضَةِ فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ فَضْلٌ مُسْتَعْنَى عَنْهُ فَإِنْ حَصَلَ لِلْإِنْسَانِ فَقَدْ كَمَلَ وَ إِنْ لَمْ يَحْصَلْ لِلْإِنْسَانِ فَقَدْ كَفَاهُ فِي تَكْلِيْفِهِ وَ نَجَاتِهِ مِنْ مَعَاطِبِ الْعَصِيَانِ مَا يَفْرُقُ بِهِ بَيْنَ الْغَى وَ الرِّشَادِ وَ هُوَ حَصُولُ الْعُلُومِ الْبَدِيْهِةِ فِي الْقَلْبِ وَ مَا جَرَى مَجْرَاهَا مِنْ عُلُومِ الْعَادَاتِ وَ مَا يَذْكُرُهُ أَصْحَابُنَا فِي بَابِ التَّكْلِيْفِ [صفحہ ٦٦]

وَ قَالَ عَ افْعَلُوا الْخَيْرَ وَ لَا تَحْقِرُوا مِنْهُ شَيْئًا فَإِنَّ صَغِيرَهُ كَبِيرٌ وَ قَلِيلُهُ كَثِيرٌ وَ لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ إِنَّ أَحَدًا أَوْلَى بِفِعْلِ الْخَيْرِ مِنِّي فَيَكُونَ وَ اللَّهُ كَذَلِكَ الْقَلِيلُ مِنَ الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنْ عَدَمِ الْخَيْرِ أَصْلًا . قَالَ عَ لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ إِنْ فَلَانَا أَوْلَى بِفِعْلِ الْخَيْرِ مِنِّي فَيَكُونَ وَ اللَّهُ كَذَلِكَ مِثَالُهُ قَوْمٌ مُوسِرُونَ فِي مَحَلَّةٍ وَاحِدَةٍ قَصِدُ وَاحِدًا مِنْهُمْ سَائِلٌ فَرَدَّهُ وَ قَالَ لَهُ إِذَا هَبْتَ إِلَى فَلَانٍ فَهُوَ أَوْلَى بِأَنْ يَتَصَدَّقَ عَلَيْكَ مِنِّي فَإِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ تَقَالُ دَائِمًا نَهَى عَ عَنِ قَوْلِهَا وَ قَالَ فَيَكُونَ وَ اللَّهُ كَذَلِكَ أَيْ إِنْ اللَّهُ تَعَالَى يُوْفِقُ ذَلِكَ الشَّخْصَ الَّذِي أُحِيلَ ذَلِكَ السَّائِلُ عَلَيْهِ وَ يَيْسِرُ الصَّدَقَةَ عَلَيْهِ وَ يَقْوَى دَوَاعِيهَا فَيَفْعَلُهَا فَتَكُونُ كَلِمَةً ذَلِكَ الْإِنْسَانُ الْأَوَّلُ قَدْ صَادَفَتْ قَدْرًا وَ قَضَاءً وَ وَقَعَ الْأَمْرُ بِمُوجِبِهَا [صفحہ ٦٧]

إِنَّ لِلْخَيْرِ وَاللِّشْرِ أَهْلًا فَمَهْمًا تَرَكَمُوهُ مِنْهُمَا كَفَاكُمْوهُ أَهْلُهُ يَقُولُ عَ إِنَّ عَن لَكَ بَابَ مِنْ أَبْوَابِ الْخَيْرِ وَتَرَكَتَهُ فَسَوْفَ يَكْفِيكَ بَعْضَ النَّاسِ مِمَّنْ جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَهْلًا- لِلْخَيْرِ وَإِسْدَاءَ الْمَعْرُوفِ إِلَى النَّاسِ وَ إِنَّ عَن لَكَ بَابَ مِنْ أَبْوَابِ الشَّرِّ فَتَرَكَتَهُ فَسَوْفَ يَكْفِيكَ بَعْضَ النَّاسِ مِمَّنْ جَعَلْتَهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَسُوءَ اخْتِيَارِهِمْ أَهْلًا- لِلشَّرِّ وَأَذَى النَّاسِ فَاخْتَرِ لِنَفْسِكَ أَيَّمَا أَحَبَّ إِلَيْكَ أَنْ تَحْطَى بِالْمُحَمَّدِ وَالْثَوَابِ وَتَفْعَلَ مَا إِنَّ تَرَكَتَهُ فَعَلَهُ غَيْرُكَ وَحَظَى بِحَمْدِهِ وَثَوَابِهِ أَوْ أَنْ تَتْرَكَهُ وَأَيَّمَا أَحَبَّ إِلَيْكَ أَنْ تَشْقَى بِالذَّمِّ عَاجِلًا وَالْعِقَابِ آجِلًا وَتَفْعَلَ مَا إِنَّ تَرَكَتَهُ كَفَاكَ غَيْرُكَ وَبَلَغْتَ غَرَضَكَ مِنْهُ عَلَى يَدِ غَيْرِكَ أَوْ أَنْ تَفْعَلَ وَ لَارِيبَ أَنْ الْعَاقِلَ يَخْتَارُ فَعَلَ الْخَيْرِ وَتَرَكَ الشَّرَّ إِذَا فُكِرَ حَقَّ الْفِكْرِ فِيمَا قَدَّأَوْضَحْنَاهُ [صَفْحَه ٦٨]

وَ قَالَ عَ مَنْ أَصْلَحَ سِرِّيْرَتَهُ أَصْلَحَ اللَّهُ عِلْمَانِيَّتَهُ وَ مَنْ عَمِلَ لِدِينِهِ كَفَاهُ اللَّهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ وَ مَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ اللَّهِ أَحْسَنَ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ النَّاسِ لَارِيبَ أَنْ الْأَعْمَالُ الظَّاهِرَةُ تَبِعُ لِلْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ فَمَنْ صَلَحَ بَاطِنُهُ صَلَحَ ظَاهِرُهُ وَبِالْعَكْسِ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْقَلْبَ أَمِيرَ مَسْلُطٍ عَلَى الْجَوَارِحِ وَالرَّعِيَّةِ تَتَّبِعُ أَمِيرَهَا وَ لَارِيبَ أَنْ مِنْ عَمَلٍ لَدِينِهِ كَفَاهُ اللَّهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ وَ قَدْ شَهِدَ بِذَلِكَ الْكِتَابُ الْعَزِيزُ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ. وَ لِهَذَا أَيْضًا عَلَهُ ظَاهِرَةٌ وَ ذَاكَ أَنْ مِنْ عَمَلٍ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَ لِلدُّنْيَانِ فَإِنَّهُ لَا يَخْفَى حَالُهُ فِي أَكْثَرِ الْأَمْرِ عَنِ النَّاسِ وَ لِأَشْبَهَةِ أَنْ النَّاسَ إِذَا حَسَنَتْ عَقِيدَتَهُمْ فِي إِنْسَانٍ وَعَلِمُوا مَتَانَةَ دِينِهِ بَوَّبُوا لَهُ إِلَى الدُّنْيَا أَبْوَابًا لَا يَحْتَاجُ أَنْ يَتَكَلَّفَهَا وَ لَا يَتَعَبُ فِيهَا فَيَأْتِيَهُ رِزْقُهُ مِنْ غَيْرِ كَلْفَةٍ وَ لَا كَدٍ وَ لَارِيبَ أَنْ مِنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ اللَّهِ أَحْسَنَ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ النَّاسِ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْقُلُوبَ بِالضَّرُورَةِ تَمِيلُ إِلَيْهِ وَ تَحْبُوهُ وَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ مُحْسِنًا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ النَّاسِ عَفَّ عَنِ أَمْوَالِ النَّاسِ وَ دِمَائِهِمْ وَ أَعْرَاضِهِمْ وَ تَرَكَ الدُّخُولَ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ وَ لِأَشْبَهَةِ أَنْ مَنْ كَانَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَإِنَّهُ يَحْسُنُ مَا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ النَّاسِ - قُرْآن- ٢٤٥-٣٢٠ [صَفْحَه ٦٩]

وَ قَالَ عَ الْحِلْمُ غِطَاءٌ سَاتِرٌ وَ الْعَقْلُ حُسَامٌ قَاطِعٌ فَاسْتُرْ خَلَلَ خُلُقِكَ بِحِلْمِكَ وَ قَاتِلْ هَوَاكَ بِعَقْلِكَ لِمَا جَعَلَ اللَّهُ الْحِلْمَ غِطَاءً وَ الْعَقْلَ حِسَامًا وَ الْعَقْلُ حِسَامًا أَمْرُهُ أَنْ يَسْتُرَ خَلَلَ خَلْقِهِ بِذَلِكَ الْغِطَاءِ وَ أَنْ يَقَاتِلَ هَوَاهُ بِذَلِكَ الْحِسَامِ وَ قَدْ سَبَقَ الْقَوْلُ فِي الْحِلْمِ وَ الْعَقْلِ [صَفْحَه ٧٠]

وَ قَالَ عَ إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا يَخْتَصِيهِمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ فَيُقَرِّبُهُمْ فِي أَيْدِيهِمْ مَا يَدُلُّوهُمَا فَإِذَا مَنَعُوهُمَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ ثُمَّ حَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ قَدْ ذَكَرْنَا هَذَا الْمَعْنَى فِيمَا تَقَدَّمَ وَ قَدْ قَالَتِ الشُّعْرَاءُ فِيهِ فَأَكْثَرُوا وَ قَرِيبٌ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ وَبِالنَّاسِ عَاشَ النَّاسُ قَدَمَا وَ لَمْ يَزَلْ || مِنْ النَّاسِ مَرْغُوبٌ إِلَيْهِ وَ رَاغِبٌ . وَ أَشَدُّ تَصْرِيحًا بِالْمَعْنَى قَوْلُ الشَّاعِرِ لَمْ يَعْطِكَ اللَّهُ مَا أَعْطَاكَ مِنْ نَعْمٍ || إِلَّا لِتَوْسَعِ مِنْ يَرْجُوكَ إِحْسَانًا فَإِنْ مَنَعْتَ فَأَخْلَقْ أَنْ تَصَادَفَهَا || تَطِيرُ عَنْكَ زُرَافَاتٌ وَ وَحْدَانًا [صَفْحَه ٧١]

وَقَالَ ع لَمَا يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَتَّقَى بِخَصَلَتَيْنِ الْعَافِيَةَ وَالْغِنَى بَيْنَا تَرَاهُ مُعَاْفَى إِذْ سَمِعَ وَبَيْنَا تَرَاهُ غَنِيًّا إِذْ افْتَقَرَ قَدْتَقَدَّمُ الْقَوْلُ فِي هَذَا الْمَعْنَى . وَقَالَ الشَّاعِرُ وَبَيْنَمَا الْمَرْءُ فِي الْأَحْيَاءِ مَغْتَبِطٌ || إِذْ صَارَ فِي اللَّحْدِ تَسْفِيهِ الْأَعَاصِيرِ . وَقَالَ آخِرُ لَا يَغْرُنُكَ عِشَاءُ سَاكِنِ || قَدِيوَا فِي بِالْمَنِيَّاتِ السَّحَرِ . وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ وَإِذَا مَا أَعَارَكَ الدَّهْرُ شَيْئًا || فَهُوَ لَا يَبْدُ آخِذٌ مَا أَعَارَا . آخِرُ يَغْرُ الْفَتَى مَرَّ اللَّيَالِي سَلِيمَةً || وَهَنْ بِهِ عَمَّا قَلِيلٍ عَوَاثِرُ . وَقَالَ آخِرُ وَرَبُّ غَنِيٍّ عَظِيمِ الثَّرَاءِ || أَمْسَى مَقْلًا عَدِيمًا فَقِيرًا وَكَمْ بَاتَ مِنْ مَتْرَفٍ فِي الْقُصُورِ || فَعَوِضَ فِي الصُّبْحِ عَنْهَا الْقُبُورَا [صَفْحَةُ ٧٢]

٤٣٦

وَقَالَ ع مَنْ شَكَأَ الْحَاجِيَةَ إِلَى مُؤْمِنٍ فَكَأَنَّهَا شَكَأَهَا إِلَى اللَّهِ وَمَنْ شَكَأَهَا إِلَى كَافِرٍ فَكَأَنَّهَا شَكَأَ اللَّهَ قَدْتَقَدَّمُ الْقَوْلُ فِي شِكْوَى الْحَالِ وَكَرَاهِيَّتِهَا وَكَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَكْرَهُ شِكْوَى الْحَالِ إِلَى الْمُؤْمِنِ وَيَكْرَهُهَا إِلَى غَيْرِ الْمُؤْمِنِ وَهَذَا مَذْهَبُ دِينِي غَيْرَ الْمَذْهَبِ الْعَرَفِيِّ . وَأَكْثَرُ مَذَاهِبِهِ وَمَقَاصِدِهِ ع فِي كَلَامِهِ يَنْحُو فِيهِانَحُو الدِّينِ وَالْوَرَعِ وَالْإِسْلَامِ وَكَأَنَّهُ يَجْعَلُ الشِّكْوَى إِلَى الْمُؤْمِنِ كَالشِّكْوَى إِلَى الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ لِأَنَّهُ لَا يَشْكُو إِلَى الْمُؤْمِنِ إِلَّا وَقَدْ خَلَّتْ شِكْوَاهُ مِنَ التَّسَخُّطِ وَالتَّأْفُفِ وَلَا يَشْكُو إِلَى الْكَافِرِ إِلَّا - وَقَدْ شَابَ شِكْوَاهُ بِالِاسْتِزَادَةِ وَالتَّضَجُّرِ فَافْتَرَقَتْ الْحَالُ فِي الْمَوْضِعِينَ . فَأَمَّا الْمَذْهَبُ الْمَشْهُورُ فِي الْعَرَفِ وَالْعَادَةُ فَاسْتَهْجَانُ الشِّكْوَى عَلَى الْإِطْلَاقِ لِأَنَّهَا دَلِيلٌ عَلَى ضَعْفِ النَّفْسِ وَخِذْلَانِهَا وَقَلَّةِ الصَّبْرِ عَلَى حَوَادِثِ الدَّهْرِ وَذَلِكَ عِنْدَهُمْ غَيْرُ مَحْمُودٍ [صَفْحَةُ ٧٣]

٤٣٧

وَقَالَ ع فِي بَعْضِ الْأَعْيَادِ إِنَّمَا هُوَ عِيدٌ لِمَنْ قَبِلَ اللَّهَ صِيَامَهُ وَشَكَرَ قِيَامَهُ وَكُلَّ يَوْمٍ لَا نَعَصِي اللَّهَ فِيهِ فَهُوَ يَوْمٌ عِيدٍ الْمَعْنَى ظَاهِرٌ وَقَدْ نَقَلَهُ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ إِلَى الْغَزَلِ فَقَالَ قَالُوا أَتَى الْعِيدَ قَلَّتْ أَهْلًا || إِنْ جَاءَ بِالْوَصْلِ فَهُوَ عِيدٌ مِنْ ظَفَرْتِ بِالْمَنَى يَدَاهُ || فَكُلَّ أَيَّامِهِ سَعُودٌ . وَرَأَيْتُ بَعْضَ الصُّوفِيَّةِ وَقَدْ سَمِعْتُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ مِنْ مَغْنٍ حَازِقٍ فَطَرِبَ وَصَفَّقَ وَأَخَذَهُمَا لِمَعْنَى عِنْدَهُ . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ فِي هَذَا الْمَعْنَى أَيْضًا قَالُوا أَتَى الْعِيدَ وَالْأَيَّامَ مَشْرُقَةً || وَأَنْتِ تَبْكِي وَكُلُّ النَّاسِ مَسْرُورٌ فَقُلْتُ إِنْ وَاصِلَ الْأَحْبَابِ كَانَ لَنَا || عِيدًا وَإِلَافَهُذَا الْيَوْمَ عَاشُورَ [صَفْحَةُ ٧٤]

٤٣٨

وَقَالَ ع إِنَّ أَعْظَمَ الْحَسَرَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَسْرَةُ رَجُلٍ كَسَبَ مَالًا فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ فَوَرَّثَهُ رَجُلًا فَأَنْفَقَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فَدَخَلَ بِهِ الْجَنَّةَ وَدَخَلَ الْأَوَّلُ بِهِ النَّارَ كَانَ يُقَالُ لِعَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ السَّعِيدِ ابْنِ الشَّقِيِّ وَذَلِكَ أَنَّ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ مَلِكًا ضَيَاعًا كَثِيرَةً بِمِصْرَ وَالشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَالْمَدِينَةَ مِنْ غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ بَلْ بِسُلْطَانِ أَخِيهِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَبَوْلَايَةِ عَبْدِ الْعَزِيزِ نَفْسَهُ مِصْرَ وَغَيْرَهَا ثُمَّ تَرَكَهَا لِابْنِهِ عَمْرٍ فَكَانَ يَنْفَقُهَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَفِي وَجْهِ الْبَرِّ وَالْقُرْبَاتِ إِلَى أَنْ أَفْضَتِ الْخِلَافَةَ إِلَيْهِ فَلَمَّا أَفْضَتْ إِلَيْهِ أَخْرَجَ سَجَلَاتِ عَبْدِ الْمَلِكِ بِهَا الْعَبْدَ الْعَزِيزَ فَمَزَقَهَا بِمَحْضَرٍ مِنَ النَّاسِ وَقَالَ هَذِهِ كَتَبْتُ مِنْ غَيْرِ أَصْلِ شَرْعِي وَقَدْ أَعْدَتَهَا إِلَى بَيْتِ الْمَالِ [صَفْحَةُ ٧٥]

٤٣٩

وَقَالَ عِذْرُكَوا انْقِطَاعِ اللَّذَاتِ وَ بَقَاءِ التَّبَعَاتِ قَد تَقَدَّمَ القَوْلُ فِى نَحْوِ هَذَا مَرَارًا وَ قَالَ الشَّاعِرُ تَفْنَى اللِّذَاذَةُ مِمَّن نَالَ بِغَيْتِهِ || مِّنَ الحِرَامِ وَ يَبْقَى الإِثْمُ وَ العَارُ تَبْقَى عَوَاقِبُ سَوْءٍ فِى مَغْبِتِهَا || لِأَخِيرِ فِى لَذَّةٍ مِّن بَعْدِهَا النَّارُ . وَ رَوَاهُ رَجُلٌ امْرَأَةٌ عَنِ نَفْسِهَا فَقَالَتْ لَهُ إِنْ امْرَأً يَبِيعُ جَنَّةَ عَرْضِهَا السَّمَوَاتِ وَ الأَرْضِ بِمَقْدَارِ إِصْبَعِينَ لِجَاهِلٍ بِالمَسَاحَةِ فَاسْتَحْيَا وَ رَجَعَ [صَفْحَةُ ٨٠]

وَ قَالَ عِ اخْبِرْ تَقْلِيهِ قَالَ الرِّضَى رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وَ مِّنَ النَّاسِ مَن يَرِى هَذَا الرِّسُولَ اللهُ ص وَ مِمَّا يَقْوَى أَنَّهُ مِّنَ كَلَامِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ مَا حَكَاهُ ثَعْلَبٌ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ الأَعْرَابِيِّ قَالَ قَالَ المَأْمُونُ لَوْ لَأَنَّ عَلِيًّا قَالَ اخْبِرْ تَقْلِيهِ لَقُلْتُ أَنَا قُلْتُ تَخْبِرُ - رَوَايَاتُ - ١ - ٢٢٢ المَعْنَى اخْتَبِرِ النَّاسَ وَ جَرِبِهِمْ تَبْغِضِهِمْ فَإِنَّ التَّجْرِبَةَ تَكْشِفُ لَكَ مَسَاوِيَهُمْ وَ سَوْءَ أَخْلَاقِهِمْ فَضَرْبٌ مِثْلًا لِمَن يَظُنُّ بِهِ الخَيْرَ وَ لَيْسَ هُنَاكَ فَا مَّا قَوْلُ المَأْمُونِ لَوْ لَأَنَّ عَلِيًّا قَالَ لَقُلْتُ اخْبِرْ تَقْلِيهِ فَالْمُرَادُ حَقِيقَةُ القَلْبِ وَ هُوَ البِغْضُ بَلِ المُرَادُ الهَجْرُ وَ القَطِيعَةُ يَقُولُ قَاطِعٌ أَخَاكَ مَجْرِبًا لَهُ هَلْ يَبْقَى عَلَيَّ عَهْدُكَ أَمْ يَنْقُضُهُ وَ يَحْوِلُهُ عِنْدَكَ . وَ مِّنَ كَلَامِ عْتَبَةَ بِنِ أَبِي سَفْيَانَ طَيَّرُوا الدَّمَ فِى وَجْهِهِ الشَّبَابِ فَإِنَّ حَلْمُوا وَ أَحْسَنُوا الجَوَابَ فَهَمُّ هُمُ وَ إِلا - فَلا - تَطْمَعُوا فِيهِمْ يَقُولُ أَغْضِبُوهُمْ لِأَنَّ الغَضْبَانَ يَحْمَرُ وَجْهَهُ فَإِنَّ ثَبْتًا لِذَلِكَ الكَلَامِ المَغْضُوبِ وَ حَلْمُوا وَ أَجَابُوا جَوَابَ الحَلِيمِ العَاقِلِ فَهَمُّ مِمَّن يَعْقِدُ عَلَيْهِ الخَنْصَرَ وَ يَرْجَى فِلاحَهُ وَ إِنْ سَفِهُوا وَ شَتَمُوا وَ لَمْ يَثْبُتُوا لِذَلِكَ الكَلَامِ فَلا رَجَاءَ لِفِلاحِهِمْ وَ مِّنَ المَعْنَى الأُولَى قَوْلُ أَبِي العَلَاءِ [صَفْحَةُ ٨١] جَرِبْتُ دَهْرِي وَ أَهْلِيهِ فَمَا تَرَكْتُ || لِي التَّجَارِبُ فِى وَدِ امْرئِي غَرَضًا . وَ قَالَ آخِرُ وَ كُنْتُ أَرَى أَنَّ التَّجَارِبَ عِدَّةٌ || فَخَانَتْ ثِقَاتِ النَّاسِ حَتَّى التَّجَارِبُ . وَ قَالَ عَبْدُ اللهِ بِنِ مَعَاوِيَةَ بِنِ عَبْدِ اللهِ بِنِ جَعْفَرِ بِنِ أَبِي طَالِبٍ رَأَيْتُ فَضِيلًا كَانَ شَيْئًا مَلْفَفًا || فَأَبْرَزَهُ التَّمْحِيصَ حَتَّى بَدَأَ لِيَا . آخِرُ عْتَبَتِ عَلِيٍّ سَلِمَ فَلَمَّا فَقَدْتَهُ || وَ جَرِبْتُ أَقْوَامًا رَجَعْتُ إِلَى سَلِمَ . مِثْلُهُ ذَمَمْتُكَ أَوْلَا حَتَّى إِذَا مَا || بَلَوْتُ سِوَاكَ عَادَ الدَّمُ حَمْدًا وَ لَمْ أَحْمَدُكَ مِّنْ خَيْرٍ وَ لَكِنْ || وَ جَدْتُ سِوَاكَ شَرًّا مِّنْكَ جَدًّا فَعَدْتُ إِلَيْكَ مُضْطَرًا ذَلِيلًا || لِأَنِّي لَمْ أَجِدْ مِّنْ ذَاكَ بَدَأَ كَمَجْهُودٍ تَحَامَى أَكَلِ مَيْتٍ || فَلَمَّا اضْطَرَّ عَادَ إِلَيْهِ شِدًّا . أَلَّذِي يَتَعَلَّقُ بِهِ غَرَضًا مِّنَ الأَبْيَاتِ هُوَ البَيْتُ الأَوَّلُ وَ ذَكَرْنَا سَائِرَهَا لِحَسَنَتِهَا [صَفْحَةُ ٨٢]

وَ قَالَ عِ مَا كَانَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ لِيَفْتَحَ عَلَيَّ بَابَ الشُّكْرِ وَ يُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الزِّيَادَةِ وَ لَأَ لِيَفْتَحَ عَلَيَّ بَابَ الدَّعَاءِ وَ يُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الإِجَابَةِ وَ لَمَّا لِيَفْتَحَ عَلَيْهِ بَابَ التَّوْبَةِ وَ يُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ المَغْفِرَةِ قَد تَقَدَّمَ القَوْلُ فِى الشُّكْرِ وَ اقْتِضَاءُ الزِّيَادَةِ وَ اقْتِضَاءُ الدَّعَاءِ الإِجَابَةَ وَ التَّوْبَةَ المَغْفِرَةَ عَلَيَّ وَجْهَ الاستِقْصَاءِ فِى الجَمِيعِ [صَفْحَةُ ٨٣]

وَ قَالَ عِ أَوْلَى النَّاسِ بِالكَرَمِ مَن عَزَّتْ فِيهِ الكِرَامُ أَعْرَقَتْ وَ عَرَقَتْ فِى هَذَا المَوْضِعِ بِمَعْنَى أَى ضَرَبَتْ عُرُوقَهُ فِى الكَرَمِ أَى لَهُ سَلْفٌ وَ آبَاءٌ كَرَامٌ وَ قَالَ المَبْرَدُ أَنشَدَنِي أَبُو مَحَلَمِ السَّعْدِيُّ إِنْ سَأَلْنَا قَوْمًا فَخِيَارَهُمْ || مَن كَانَ أَفْضَلَهُمْ أَبُوهُ الأَفْضَلُ أَعْطَى الَّذِي أَعْطَى أَبُوهُ قَبْلَهُ || وَ تَبَخَّلَتْ أُنْبَاءٌ مِّنْ يَتَبَخَّلُ . قَالَ وَ أَنشَدَنِي أَيْضًا فِى المَعْنَى لِطَلْحَةَ بِنِ خَثِيمٍ حِينَ تَسَأَلُهُ || أُنْدَى وَ أَكْرَمٌ مِّنْ فَئِدِ بِنِ هِطَالٍ وَ بَيْتِ طَلْحَةَ فِى عِزِّ وَ مَكْرَمَةٍ || وَ بَيْتِ فَئِدِ إِلَى رَبِّقٍ وَ أَحْمَالٍ أَلْفَتِي مِّنْ بِنِي ذُبْيَانَ يَحْمَلْنِي || وَ لَيْسَ يَحْمَلْنِي إِلا ابْنُ حَمَالٍ

فقلت طلحة أولى من عمدت له || وجئت أمشى إليه مشى مختال مستيقنا أن حبلى سوف يعلقه || فى رأس ذباله أو رأس ذبال . [صفحہ ۸۴] وقال آخر عند الملوک مضره ومنافع || وأرى البرامک لاتضر وتنفع إن العروق إذا استسر بها الثرى || أثرى النبات بها وطاب المزرع و إذا جهلت من امرئ أعراقه || وقديمه فانظر إلى ما يصنع . وقال آخر إن السرى إذا سرى فبنفسه || و ابن السرى إذا سرى أسراهما . وقال البحترى وأرى النجابه لا يكون تامها || لنجيب قوم ليس بابن نجيب [صفحہ ۸۵]

۴۴۶

وَ سَيْئَلِ عَ أَيَّمَا أَفْضَلِ الْعَيْدِ أَوْ الْجُودِ فَقَالَ الْعَدْلُ يَضَعُ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا وَ الْجُودُ يُخْرِجُهَا مِنْ جِهَتِهَا وَ الْعَدْلُ سَائِسُ عَامٍ وَ الْجُودُ عَارِضٌ خَاصٌّ فَالْعَيْدُ أَشْرَفُهُمَا وَ أَفْضَلُهُمَا هَذَا كَلَامُ شَرِيفِ جَلِيلِ الْقَدْرِ فَضِلَّ عَ الْعَدْلِ بِأَمْرَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنَّ الْعَدْلَ وَضَعَ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا وَ هَكَذَا الْعَدَالَةُ فِي الْأَصْطِلَاحِ الْحَكْمِيِّ لِأَنَّهَا الْمَرْتَبَةُ الْمُتَوَسِّطَةُ بَيْنَ طَرَفِي الْإِفْرَاطِ وَ التَّفْرِيطِ وَ الْجُودُ يُخْرِجُ الْأَمْرَ مِنْ مَوْضِعِهِ وَ الْمَرَادُ بِالْجُودِ هَاهُنَا هُوَ الْجُودُ الْعَرْفِيُّ وَ هُوَ بَدَلُ الْمُقْتَنِيَّاتِ لِلْغَيْرِ لِالْجُودِ الْحَقِيقِيِّ لِأَنَّ الْجُودَ الْحَقِيقِيَّ لَيْسَ يُخْرِجُ الْأَمْرَ مِنْ جِهَتِهِ نَحْوَ جُودِ الْبَارِئِ تَعَالَى . وَ الْوَجْهَ الثَّانِي أَنَّ الْعَدْلَ سَائِسُ عَامٍ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ وَ الدُّنْيَوِيَّةِ وَ بِهِ نِظَامُ الْعَالَمِ وَ قِوَامُ الْوُجُودِ وَ أَمَا الْجُودُ فَأَمْرٌ عَارِضٌ خَاصٌّ لَيْسَ عَمُومٌ نَفْعُهُ كَعَمُومِ نَفْعِ الْعَدْلِ [صفحہ ۸۶]

۴۴۷

وَ قَالَ عَ النَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا هَذِهِ مِنَ الْفَاطِظَةِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي لِانْظِيرِ لَهَا وَ قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا وَ ذَكَرَ مَا يَنَاسِبُهَا وَ كَانَ يُقَالُ مِنْ جَهْلِ شَيْئًا عَادَاهُ . وَ قَالَ الشَّاعِرُ جَهِلْتُ أَمْرًا فَأَبْدَيْتُ النُّكَيْرَ لَهُ || وَ الْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ . وَ قِيلَ لِأَفْلَاطُونٍ لَمْ يَبْغِضِ الْجَاهِلَ الْعَالِمُ وَ لَا يَبْغِضِ الْعَالِمُ الْجَاهِلَ فَقَالَ لِأَنَّ الْجَاهِلَ يَسْتَشْعِرُ النِّقْصَ فِي نَفْسِهِ وَ يَظُنُّ أَنَّ الْعَالِمَ يَحْتَقِرُهُ وَ يَزِدُّرِيهِ فَيَبْغِضُهُ وَ الْعَالِمُ لِانْقِصَ عِنْدَهُ وَ لَا يَظُنُّ أَنَّ الْجَاهِلَ يَحْتَقِرُهُ فَلَيْسَ عِنْدَهُ سَبَبٌ لِبْغِضِ الْجَاهِلِ [صفحہ ۸۷]

۴۴۸

وَ قَالَ عَ الزَّهْدِ كُلُّهُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَ هَلْ كَيْلًا تَأْسُوا عَلَيَّ مَا فَاتَكُمْ وَ لَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَ مَنْ لَمْ يَأْسَ عَلَيَّ الْمَاضِي وَ لَمْ يَفْرَحْ بِالْآتِي فَقَدْ أَخَذَ الزَّهْدَ بِطَرَفَيْهِ - قرآن - ۸۲- ۱۴۰ قد تقدم القول فى هذين المعنيين بما فيه كفاية [صفحہ ۸۸]

۴۴۹

وَ قَالَ عَ الْوَلَايَاتِ مَضَامِيرُ الرِّجَالِ أَى تَعْرِفُ الرِّجَالَ بِهَا كَمَا تَعْرِفُ الْخَيْلَ بِالْمُضْمَارِ وَ هُوَ الْمَوْضِعُ أَوِ الْمَدَّةُ الَّتِي تَضْمُرُ فِيهَا الْخَيْلَ فَمِنْ الْوَلَاةِ مَنْ يَظْهَرُ مِنْهُ أَخْلَاقٌ حَمِيدَةٌ وَمِنْهُمْ مَنْ يَظْهَرُ مِنْهُ أَخْلَاقٌ ذَمِيمَةٌ وَ قَالَ الشَّاعِرُ سَكَرَاتُ خَمْسٍ إِذَامْنِي الْمَرْءُ || بِهَا صَارَ عَرْضُهُ لِلزَّمَانِ سَكَرَةُ الْمَالِ وَ الْحَدَاثَةُ وَ الْعَشْقُ || وَ سَكَرُ الشَّرَابِ وَ السُّلْطَانُ . وَ قَالَ آخِرُ يَا ابْنَ وَهْبٍ وَ الْمَرْءُ فِي دَوْلَةِ السُّلْطَانِ || أَعْمَى مَا دَامَ يَدْعَى أَمِيرًا فَإِذَا زَالَتِ الْوَلَايَةُ عَنْهُ || وَ اسْتَوَى بِالرِّجَالِ عَادَ بِصِيرًا . وَ قَالَ الْبَحْتَرِيُّ وَ تَاهَ سَعِيدٌ أَنْ أُعِيرَ رِئَاسَةً || وَ قَلَّدَ أَمْرًا كَانَ دُونَ رِجَالِهِ وَ ضَاقَ عَلَيَّ حَقِي بِعَقْبِ اتِّسَاعِهِ || فَأَوْسَعْتُهُ عِذْرًا لِضَيْقِ احْتِمَالِهِ فَأَدْبَرَ عَنِي عِنْدَ إِقْبَالِ حِظِّهِ || وَ غَيْرِ حَالِي عِنْدَهُ حَسَنٌ حَالِهِ فَلَيْتَ أَبَاعَ شِمَانًا أَمْسَكَ تَيْهَهُ || كَمَا مَسَاكَهُ عِنْدَ الْحَقُوقِ بِمَالِهِ [صفحہ ۸۹]

وَقَالَ ع مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ هَذِهِ الْكَلِمَةُ قَدِ سَبَقَتْ وَتَكَلَّمْنَا عَلَيْهَا وَ مَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْمُعَرِّي مَاقِضَى الْحَاجَاتِ إِلا شَمِلَ ||
نومه فوق فراش من نمال . وقال الرضى رحمه الله عليها أخامس مثل الصقور || طوال الرجاء جسام الأرب و كل فتى حظ
أجفانه || من النوم مضمضه يستلب فينا يقال كرى جفنه || بقطع من الليل إذ قيل هب [صفحہ ٩٠]

وَقَالَ ع لَيْسَ بَلَعْدُ بِأَحَقَّ بِكَ مِنْ بَلَدٍ خَيْرُ الْبِلَادِ مَا حَمَلَكَ هَذَا الْمَعْنَى قَدِ قِيلَ كَثِيرًا وَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ لَا يَصْدَفُنْكَ عَنْ أَمْرِ
تَحَاوَلِهِ || فراق أهل وأحاب وجيران تلقى بكل ديار ما حلت بها || أهلا بأهل وأوطانا بأوطان . وقال شيخى أبو جعفر يحيى بن
أبى زيد نقيب البصرة أنسىنى بلدى وأرض عشيرتى || ونزلت من نعماك أكرم منزل وأخذت فيك مدائحى فكأنها || فى آل
شماس مدائح جروول . أبو عبادة البحرى فى نعمة أوطأتها وأقمت فى || أكنافها فكأننى فى منبج ومنبج هى مدينه البحرى
أبو تمام كل شعب كنتم به آل وهب || فهو شعبى وشعب كل أديب [صفحہ ٩١] إن قلبى لكم لكالكبد الحرى || وقلبى
لغيركم كالقلوب . وقد ذهب كثير من الناس إلى غير هذا المذهب فجعلوا بعض البلاد أحق بالإنسان من بعض وهو الوطن الأول
ومسقط الرأس قال الشاعر أحب بلاد الله ما بين منبج || إلى وسلمى أن يصبوب سحابها بلاد بهانيطت على تمانى || وأول
أرض مس جلدى ترابها . و كان يقال ميلك إلى مولدك من كرم محتدك . و قال ابن عباس لوقع الناس بأرزاقهم قناعتهم
بأوطانهم لما اشتكى أحد الرزق . و كان يقال كما أن لحاضتك حق لبنها فلأرضك حرمة وطنها . وكانت العرب تقول حماك
أحمى لك وأهلك أحفى بك . و قال الشاعر وكنا ألفناها و لم تك مألفا || و قد يؤلف الشىء الذى ليس بالحسن كما تؤلف
الأرض التى لم يطب بها || هواء و لاء و لكنها وطن . أعرابى رمله حضنتنى أحشاؤها وأرضعتنى أحساؤها . كانت العرب
إذا سافرت حملت معها من تربة أرضها ماتت تنشق ريحه و تطرحه فى الماء إذا شربته وكذلك كانت فلاسفة يونان تفعل . و قال
الشاعر فى هذا المعنى نسير على علم بكنه مسيرنا || بعفة زاد فى بطون المزاول [صفحہ ٩٢] و لابد فى أسفارنا من قبيصة || من
الترب نسقاها لحب الموالد . وقالت الهند حرمة بلدك عليك كحرمة أبويك كان غذاؤك منهما و أنت جنين و كان غذاؤهما
منك . و من الكلام القديم لو لا الوطن و حبه لخرب بلد السوء . ابن الرومى و حب أوطان الرجال إليهم || ما رب قضاها الشباب
هنالكا إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم || عهود الصبا فيها فحنوا لذلك [صفحہ ٩٣]

وَقَالَ ع وَ قَدْ جَاءَهُ نَعْيُ الْأَشْتَرِ رَحِمَهُ اللَّهُ مَالِكٌ وَ مَالِكٌ وَ اللَّهُ لَوْ كَانَ جَبَلًا لَكَانَ فِدَاءً أَوْ كَانَ حَجْرًا لَكَانَ صَيْلِدًا لَا يَرْتَقِيهِ الْحَافِرُ
وَ لَمَّا يُوفَى عَلَيْهِ الطَّائِرُ قَالَ الرضى رحمه الله تعالى الفند المنفرد من الجبال -رواية- ١-٥٦ يقال إن الرضى ختم كتاب نهج
البلاغة بهذا الفصل و كتبت به نسخ متعددة ثم زاد عليه إلى أن وفى الزيادات التى نذكرها فيما بعد . و قد تقدم ذكر الأشتر وإنما
قال لو كان جبلا لكان فندا لأن الفند قطعة الجبل طولاً و ليس الفند القطعة من الجبل كيفما كانت ولذلك قال لا يرتقيه الحافر
لأن القطعة المأخوذة من الجبل طولاً فى دقة لاسبيل للحافر إلى صعودها و لو أخذت عرضاً لأمكن صعودها . ثم وصف تلك
القطعة بالعلو العظيم فقال و لا يوفى عليه الطائر أى لا يصعد عليه يقال أوفى فلان على الجبل أشرف [صفحہ ٩٤]

وَقَالَ ع قَلِيلٌ مَدُومٌ عَلَيْهِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُوكٍ مِنْهُ هَذَا كَلَامٌ يَخَاطَبُ بِهِ أَهْلَ الْعِبَادَاتِ وَالصَّلَاةِ قَالَ قَلِيلٌ مِنَ النَّوَافِلِ يَدُومُ الْمَرْءُ عَلَيْهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ كَثِيرٍ مِنْهَا يَمْلَهُ وَيَتْرَكُهُ . وَالْجَيْدُ النَّادِرُ فِي هَذَا قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ص إِنَّ هَذَا الْبَدِينِ مَتِينٌ فَأَوْغَلْ فِيهِ بَرْقِقٌ فَإِنَّ الْمُنْبِتَ لِأَرْضَا قَطْعٍ وَلا ظَهْرًا أَبْقَى -رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-٩٩ . وَكَانَ يُقَالُ كُلُّ كَثِيرٍ مَمْلُوكٌ . وَقَالُوا كُلُّ كَثِيرٍ عَدُوٌّ لِلطَّبِيعَةِ . وَقَالَ الشَّاعِرُ إِنِّي كَثَرْتُ عَلَيْهِ فِي زِيَارَتِهِ || فَمَلَّ وَالشَّيْءُ مَمْلُوكٌ إِذَا كَثُرَ وَرَابِنِي أَنِّي لِأَزَالَ أَرَى || فِي طَرَفِهِ قَصْرًا عَنِي إِذَا نَظَرًا] صَفْحَةُ [٩٥

وَقَالَ ع إِذَا كَانَ فِي رَجُلٍ حَلْمَةٌ رَائِعَةٌ فَانْتَظِرُوا مِنْهُ أَخَوَاتِهَا مِثْلَ ذَلِكَ إِنْسَانٌ مُسْتَوْرٍ الْحَالُ عِنَّا رَأَيْنَاهُ وَقَدْ صَدَرَتْ عَنْهُ حَرَكَةٌ تَرُوعُكَ وَتَعْجَبُكَ إِمَّا لِحَسَنِهَا أَوْ لِقَبْحِهَا مِثْلَ أَنْ يَتَّصِدَّقَ بِشَيْءٍ لَهُ وَقَعَ وَمَقْدَارٌ مِنْ مَالِهِ أَوْ يَنْكُرُ مِنْكَرًا عَجَزَ غَيْرُهُ عَنِ انْكَارِهِ أَوْ يَسْرِقُ أَوْ يَزْنِي فَيَنْبَغِي أَنْ يَنْتَظَرَ وَيَتَرَقَّبَ مِنْهُ أَخَوَاتُ مَا وَقَعَ مِنْهُ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْعَقْلَ وَالطَّبِيعَةَ الَّتِي فِيهِ الْمَحْرُكَةُ لَهُ إِلَى فِعْلِ تِلْكَ الْحَرَكَةِ لِأَبْدَانٍ أَنْ تَحْرُكَ إِلَى فِعْلِ مَا يَنْاسِبُهَا لِأَنَّهَا مَادِعَتُهُ إِلَى فِعْلِ تِلْكَ الْحَرَكَةِ لِخُصُوصِيَّةِ تِلْكَ الْحَرَكَةِ بَلْ لَمَّا فِيهَا مِنَ الْمَعْنَى الْمَقْتَضَى وَقُوعِهَا وَهَذَا يَتَّعَدَى إِلَى غَيْرِهَا مِمَّا يَجَانِسُهَا وَلِذَلِكَ لَا تَرَى أَحَدًا قَدْ اطَّلَعَتْ مِنْ حَالِهِ يَوْمًا عَلَى أَنَّهُ قَدْ شَرِبَ الْخَمْرَ إِلَّا وَسُوفَ تَطَّلِعُ فِيمَا بَعْدَ مِنْهُ عَلَى أَنَّهُ يَشْرَبُهَا وَبِالْعَكْسِ فِي الْأُمُورِ الْحَسَنَةِ لَا تَرَى أَحَدًا قَدْ صَدَرَ عَنْهُ فِعْلٌ مِنْ أَفْعَالِ الْخَيْرِ وَالْمَرْوَةِ إِلَّا وَسُتْرَاهُ فِيمَا بَعْدَ فاعِلًا نَظِيرَهُ أَوْ مَا يِقَارِبُهُ . وَشَتَمَ بَعْضُ سَفَهَاءِ الْبَصْرَةِ الْأَحْنَفَ شَتْمًا قَبِيحًا فَحَلَمَ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ دَعُوهُ فَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُهُ بِالْحَلْمِ عَنْهُ وَسَيَقْتُلُ نَفْسَهُ بِجِرَاءَتِهِ فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ جَاءَ ذَلِكَ السَّفِيهِ فَشَتَمَ زِيَادًا وَهُوَ أَمِيرُ الْبَصْرَةِ حِينَئِذٍ وَظَنَّ أَنَّهُ كَالْأَحْنَفِ فَأَمَرَ بِهِ فَقَطَعَ لِسَانَهُ وَيَدَهُ] صَفْحَةُ [٩٦

وَقَالَ ع لِعَالِبِ بْنِ صَعْصَعَةَ أَبِي الْفَرَزْدَقِ فِي كَلَامٍ دَارَ بَيْنَهُمَا مَا فَعَلْتَ إِبْلِكَ الْكَثِيرَةَ قَالَ ذَعَدَعَتْهَا الْحُقُوقُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ ع ذَلِكَ أَحْمَدٌ سُبَيْلُهَا ذَعَدَعَتْهَا بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةُ مَكْرَرَةً فَرَفَقَتْهَا ذَعَدَعَتْهُ فَتَدَعَدَعُ وَذَعَدَعَهُ السَّرُّ أَدَاعَتُهُ وَالذَّعَادِعُ الْفُرْقُ الْمَتَفَرِّقَةُ الْوَاحِدَةُ ذَعَدَعَهُ وَرَبِمَا قَالُوا تَفَرَّقُوا ذَعَادِعُ . دَخَلَ غَالِبُ بْنُ صَعْصَعَةَ بْنِ نَاجِيَةَ بْنِ عَقَالِ الْمَجَاشِعِيِّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع أَيَّامَ خِلَافَتِهِ وَغَالِبُ شَيْخٌ كَبِيرٌ وَمَعَهُ ابْنُهُ هَمَامُ الْفَرَزْدَقِ وَهُوَ غَلَامٌ يَوْمئِذٍ فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع مِنَ الشَّيْخِ قَالَ أَنَا غَالِبُ بْنُ صَعْصَعَةَ قَالَ ذُو الْإِبِلِ الْكَثِيرَةَ قَالَ نَعَمْ قَالَ مَا فَعَلْتَ إِبْلِكَ قَالَ ذَعَدَعَتْهَا الْحُقُوقُ وَأَذْهَبَتْهَا الْحَمَلَاتُ وَالنَّوَابِثُ قَالَ ذَاكَ أَحْمَدُ سُبَيْلُهَا مِنْ هَذَا الْغَلَامِ مَعَكَ قَالَ هَذَا ابْنِي قَالَ مَا اسْمُهُ قَالَ هَمَامٌ وَقَدْرُوِيْتَهُ الشَّعْرِيَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَكَلَامُ الْعَرَبِ وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ شَاعِرًا مَجِيدًا فَقَالَ لَوْ أَقْرَأْتَهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ -رواية- ١-٤٩٣ فكان الفرزدق بعد يروى هذا الحديث ويقول ما زالت كلمته في نفسي حتى قيد نفسه بقيد وآلى ألا يفكه حتى يحفظ القرآن فما فكه حتى حفظه] صَفْحَةُ [٩٧

وَقَالَ ع مَنْ أَتَجَرَ بِغَيْرِ فِقْهِ فَقَدْ ارْتَضَمَ فِي الرِّبَا يَقُولُ تَجَرُ فُلَانٌ وَاتَجَرَ فَهُوَ تَاجِرٌ وَالْجَمْعُ تَجْرٌ مِثْلُ صَاحِبٍ وَصَحْبٍ وَالتَّجَارَةُ وَالتَّجْرُ

بمعنى واحد إذا أخذتهما مصدرين لتجر وأرض متجرة يتجر فيها. وارتطم فلان فى الوحل والأمر إذا ارتبك فيه و لم يقدر على الخروج منه وإنما قال ع ذلك لأن مسائل الربا مشتبهه بمسائل البيع ولا يفرق بينهما إلا الفقيه حتى أن العظماء من الفقهاء قد اشتبه عليهم الأمر فيها فاختلّفوا فيها أشد اختلاف كبيع لحم البقر بالغنم متفاضلا هل يجوز أم لا وكذلك لبن البقر بلبن الغنم وجلود البقر بجلود الغنم فقال أبو حنيفة اللحوم والألبان والجلود أجناس مختلفه فيجوز بيع بعضها ببعض متفاضلا نظرا إلى أن أصولها أجناس مختلفه والشافعى لا يجيز ذلك و يقول هوربا وكذلك القول فى مدى عجوّه ودرهم بمد عجوّه وكذلك بيع الرطب بالتمر متساويا كيلا كل ذلك يقول الشافعى إنه ربا و أبو حنيفة يخرجّه عن كونه ربا ومسائل هذا الباب كثيره [صفحه ٩٨]

٤٥٧

وَ قَالَ ع مَنْ عَظَّمَ صِعَارَ الْمَصَائِبِ ابْتِلَاءُ اللَّهِ بِكِبَارِهَا إِنَّمَا كَانَ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ يَشْكُو اللَّهَ وَيَتَسَخَطُ قِضَاءَهُ وَيَجْحَدُ النِّعْمَةَ فِي التَّخْفِيفِ عَنْهُ وَيَدْعَى فِيمَا لَيْسَ بِمُجْحَفٍ بِهِ مِنْ حَوَادِثِ الدَّهْرِ أَنَّهُ مُجْحَفٌ وَيَتَأَلَّمُ بَيْنَ النَّاسِ لَذَلِكَ أَكْثَرَ مِمَّا تَقْتَضِيهِ نَكْبَتُهُ وَ مِنْ فِعْلِ ذَلِكَ اسْتَوْجِبَ السَّخَطَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَ ابْتَلَى بِالكَثِيرِ مِنَ النِّكْبَةِ وَ إِنَّمَا الْوَاجِبُ عَلَى مَنْ وَقَعَ فِي أَمْرٍ يَشُقُّ عَلَيْهِ وَيَتَأَلَّمُ مِنْهُ وَيُنَالُ مِنْ نَفْسِهِ أَوْ مِنْ مَالِهِ نِيْلًا مَا إِنْ يَحْمَدُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ وَ يَقُولُ لَعَلَّهُ قَدِ دَفَعَ بِهَذَا عَنِّي مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ وَ لَئِنْ كَانَ قَدْ ذَهَبَ مِنْ مَالِي جُزْءٌ فَلَقَدْ بَقِيَ أَجْزَاءٌ كَثِيرَةٌ. وَ قَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ لَمَّا وَقَعَتِ الْأَكْلَةُ فِي رِجْلِهِ فَقَطَعَهَا وَمَاتَ ابْنُهُ أَلَلْهُمَّ إِنَّكَ أَخَذْتَ عَضْوًا وَ تَرَكْتَ أَعْضَاءً وَ أَخَذْتَ ابْنًا وَ تَرَكْتَ أَبْنَاءً فَلِيَهْنِكَ لَئِنْ كُنْتَ أَخَذْتَ لَقَدْ أَبْقَيْتَ وَ لَئِنْ كُنْتَ ابْتَلَيْتَ لَقَدْ عَافَيْتَ [صفحه ٩٩]

٤٥٨

وَ قَالَ ع مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ شَهْوَتُهُ قَدْ تَقَدَّمَ مِثْلُ هَذَا الْمَعْنَى مَرَارًا وَ مِنْ الْكَلَامِ الْمَشْهُورِ بَيْنَ الْعَامَّةِ قَبِحَ اللَّهُ أَمْرًا تَغْلِبُ شَهْوَتُهُ عَلَى نَخْوَتِهِ . وَ الْجَيْدُ النَّادِرُ فِي هَذَا قَوْلُ الشَّاعِرِ فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَ بَطْنَكَ سَوْلَهُ || وَ فَرَجَكَ نَالًا مَتَّهَى الذَّمَّ أَجْمَعًا [صفحه ١٠٠]

٤٥٩

وَ قَالَ ع مَا مَزَّحَ امْرُؤٌ مَزْحَةً إِلَّا مَجَّ مِنْ عَقْلِهِ مَجَّةً قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي الْمَزَاحِ . وَ كَانَ يُقَالُ خَيْرُ الْمَزَاحِ لَا يِنَالُ وَ شَرُّهُ لَا يَسْتَقَالُ . وَ قِيلَ إِنَّمَا سُمِّيَ الْمَزَاحُ مَزَاحًا لِأَنَّهُ أَزِيحٌ عَنِ الْحَقِّ [صفحه ١٠١]

٤٦٠

وَ قَالَ ع زُهِدُكَ فِي رَاغِبٍ فِيكَ نُقْصَانُ حِظِّ وَ رَغْبَتُكَ فِي زَاهِدٍ فِيكَ ذُلٌّ نَفْسٍ أَى نُقْصَانُ حِظِّ لَكَ وَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ حَقِّ مَنْ رَغِبَ فِيكَ أَنْ تَزْهَدَ فِيهِ لِأَنَّ الْإِحْسَانَ لَا يَكْفَأُ بِالْإِسَاءَةِ وَ لِلْقَصْدِ حَرْمَةٌ وَ لِلْأَمَلِ ذِمَامٌ وَ مِنْ طَلَبِ مَوَدَّتِكَ فَقَدْ قَصَدَكَ وَ أَمْلَكَكَ فَلَا يَجُوزُ رَفْضُهُ وَ اطْرَاحُهُ وَ الزُّهْدُ فِيهِ وَ إِذَا زْهَدْتَ فِيهِ فَذَلِكَ لِنُقْصَانِ حِظِّكَ لِالنُّقْصَانِ حِظَّهُ فَأَمَّا رَغْبَتُكَ فِي زَاهِدٍ فِيكَ فَمِذْلَةٌ لِأَنَّكَ تَطْرَحُ نَفْسَكَ لِمَنْ لَا يَعْأُ بِكَ وَ هَذَا ذَلُّ وَ صِغَارٌ. وَ قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ فِي نَسْبِيهِ وَ كَانَ جَيْدَ النِّسْبِ مَا زَلَّتْ أَزْهَدُ فِي مَوَدَّةِ رَاغِبٍ || حَتَّى ابْتَلَيْتَ بِرَغْبَةٍ فِي زَاهِدٍ هَذَا هُوَ الدَّاءُ الَّذِي ضَاقَتْ بِهِ || حَيْلُ الطَّيِّبِ وَ طَالُ يَأْسُ الْعَائِدِ أَى مَا زَلَّتْ عَزِيْزًا حَتَّى

وَ قَالَ ع مَا زَالَ الزَّبِيرُ رَجُلًا مِّنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ حَتَّى نَشَأَ ابْنَهُ الْمَشْتُومَ عَبْدُ اللَّهِ ذَكَرَ هَذَا الْكَلَامَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي كِتَابِ الْإِسْتِيعَابِ
عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ لَفْظَةَ الْمَشْتُومِ

عبد الله بن الزبير وذكر طرف من أخباره

ونحن نذكر ما ذكره ابن عبد البر في ترجمة عبد الله بن الزبير فإن هذا المصنف يذكر جمل أحوال الرجل دون تفاصيلها ثم نذكر تفصيل أحواله من مواضع أخرى . قال أبو عمر رحمه الله يكنى عبد الله بن الزبير أبابكر وقال بعضهم أبابكر ذكر ذلك أبو أحمد الحاكم الحافظ في كتابه في الكنى والجمهور من أهل السير وأهل الأثر على أن كنيته أبوبكر وله كنية أخرى أبو حبيب بابنه حبيب [صفحہ ۱۰۳] وكان أسن ولده وحبيب هو صاحب عمر بن عبدالعزيز الذي مات من ضربه إذ كان واليا على المدينة للوليد وكان الوليد أمره بضربه فمات من أذية ذلك فوداه عمر بعد . قال أبو عمر وسماه رسول الله ص باسم جده وكناه بكنية جده عبد الله أبي بكر وهاجرت أمه أسماء من مكة إلى المدينة وهي حامل به فولدته في سنة اثنتين من الهجرة لعشرين شهرا من التاريخ وقيل ولد في السنة الأولى وهو أول مولود ولد في الإسلام من المهاجرين بعد الهجرة . وروى هشام بن عروة عن أسماء قالت حملت بعبد الله بمكة فخرجت وأنا متم فأتيت المدينة فنزلت بقاء فولدته بقاء ثم أتيت رسول الله ص فوضعت في حجره فدعا بتمر فمضغها ثم تفل في فيه فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ص ثم حنكه بالتمر ثم دعا له وبارك عليه وهو أول مولود ولد في الإسلام للمهاجرين بالمدينة قال فرحوا به فرحا شديدا وذلك أنهم قد كانوا قتل لهم إن اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم . قال أبو عمر وشهد عبد الله الجمل مع أبيه وخالته وكان شهما ذكرا ذا أنف وكان له لسن وفصاحة وكان أطلس لالحيه له ولا شعر في وجهه وكان كثير الصلاة كثير الصيام شديد البأس كريم الجدات والأمهات والخالات إلا أنه كان فيه خلال لا يصلح معها للخلافة فإنه كان بخيلا ضيق العطن سيئ الخلق حسودا كثير الخلاف أخرج محمد بن الحنفية من مكة والمدينة ونفى عبد الله بن عباس إلى الطائف . [صفحہ ۱۰۴] وقال علي ع في أمره ما زال الزبير يعد منا أهل البيت حتى نشأ ابنه عبد الله -روایت ۱- ۲-روایت ۲۵-۸۳ قال أبو عمر وبويع له بالخلافة سنة أربع وستين في قول أبي معشر . وقال المدائني بويع له بالخلافة سنة خمس وستين . وكان قبل ذلك لا يدعى باسم الخلافة وكانت بيعته بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية على طاعته أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان وحج بالناس ثمانى حجج وقتل في أيام عبد الملك بن مروان يوم الثلاثاء ثلاث عشرة بقين من جمادى الأولى وقيل من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين وهو ابن اثنتين وسبعين سنة وصلب بمكة بعد قتله وكان الحجاج قد ابتداء بحصاره من أول ليلة من ذى الحجة سنة اثنتين وسبعين وحج الحجاج بالناس في ذلك العام ووقف بعرفة وعليه درع ومغفر ولم يطوفوا بالبيت في تلك السنة فحاصره ستة أشهر وسبعة عشر يوما إلى أن قتله . قال أبو عمر فروى هشام بن عروة عن أبيه قال لما كان قبل قتل عبد الله بعشرة أيام دخل على أمه أسماء بنت أبي بكر وهي شاكية فقال كيف

تجدينك يا أمه قالت ما أجدني إلا شاكياً فقال لها إن في الموت لراحة فقالت لعلك تمنيت لي و ما أحب أن أموت حتى يأتي على إحدى حالتك إما قتلت فأحتسبك وإما ظفرت بعدوك فقرت عيني. قال عروة فالتفت عبد الله إلى وضحك فلما كان اليوم الذي قتل فيه دخل عليها في المسجد فقالت يا بني لا تقبل منهم خطئة تخاف فيها على نفسك الذل مخافة القتل فوالله لضربة سيف في عزخير من ضربة سوط في مذلة قال فخرج [صفحة ١٠٥] عبد الله وقد نصب له مصراع عند الكعبة فكان يكون تحته فاتاه رجل من قريش فقال له أ لا نفتح لك باب الكعبة فتدخلها فقال والله لو وجدوكم تحت أستار الكعبة لقتلوكم عن آخركم وهل حرمة البيت إلا حرمة الحرم ثم أنشد ولست بمبتاع الحياة بسبب || ولا مرتق من خشية الموت سلماً. ثم شد عليه أصحاب الحجاج فسأل عنهم فقيل هؤلاء أهل مصر فقال لأصحابه اكسروا أعماق سيوفكم واحملوا معي فإنني في الرعيل الأول ففعلوا ثم حمل عليهم وحملوا عليه فكان يضرب بسيفين فلحق رجلاً فضربه فقطع يده وانهمزوا وجعل يضربهم حتى أخرجهم من باب المسجد وجعل رجل منهم أسود يسبه فقال له اصبر يا ابن حام ثم حمل عليه فصرعه ثم دخل عليه أهل حمص من باب بني شيبه فسأل عنهم فقيل هؤلاء أهل حمص فشد عليهم وجعل يضربهم بسيفه حتى أخرجهم من المسجد ثم انصرف وهو يقول لو كان قرني واحداً أرديته || أوردته الموت وقد ذكيتته. ثم دخل عليه أهل الأردن من باب آخر فقال من هؤلاء قيل أهل الأردن فجعل يضربهم بسيفه حتى أخرجهم من المسجد ثم انصرف وهو يقول لا عهد لي بغارة مثل السيل || لا ينجلي قتامها حتى الليل. فأقبل عليه حجر من ناحية الصفا فأصابه بين عينيه فنكس رأسه وهو يقول ولسنا على الأعقاب تدمي كلومنا || ولكن على أقدامنا تقطر الدما. [صفحة ١٠٦] أنشده متمثلاً وحماء موليان له فكان أحدهما يرتجز فيقول العبد يحمي ربه ويحتمي. قال ثم اجتمعوا عليه فلم يزالوا يضربونه ويضربهم حتى قتلوه وموليه جميعاً فلما قتل كبير أهل الشام فقال عبد الله بن عمر المكبرون يوم ولد خير من المكبرين يوم قتل. قال أبو عمر وقال يعلى بن حرمله دخلت مكة بعد ما قتل عبد الله بن الزبير بثلاثة أيام فإذا هو مصلوب فجاءت أمه أسماء وكانت امرأة عجوزاً طويلة مكفوفة البصر تقاد فقالت للحجاج أ ما آن لهذا الراكب أن ينزل فقال لها المنافق قالت والله ما كان منافقاً ولكنه كان صواماً قواماً برا قال انصرفي فإنك عجوز قد خرفت قالت لا والله ما خرفت وإني سمعت رسول الله ص يقول يخرج من ثقيف كذاب ومبير -رواية ١-٢-رواية ٣٤-٦١ أما الكذاب فقد رأيت أنه تعني المختار وأما المبير فانت. قال أبو عمر وروى سعيد بن عامر الخراز عن ابن أبي مليكة قال كنت الآذن لمن بشر أسماء بنزول ابنها عبد الله من الخشبة فدعت بمركن وشب يمان فأمرتني بغسله فكنا لا نتناول منه عضواً إلا جاء معنا فكنا نغسل العضو وندعه في أكفانه ونتناول العضو الذي يليه فنغسله ثم نضعه في أكفانه حتى فرغنا منه ثم قامت فصلت عليه وقد كانت تقول اللهم لا تمتني حتى تقر عيني بجثته فلما دفنته لم يأت عليها جمعة حتى ماتت. قال أبو عمر وقد كان عروة بن الزبير رحل إلى عبد الملك فرغب إليه في إنزال عبد الله من الخشبة فأسعفه بذلك فأنزل. [صفحة ١٠٧] قال أبو عمر وقال علي بن مجاهد قتل مع ابن الزبير مائتان وأربعون رجلاً إن منهم لمن سال دمه في جوف الكعبة. قال أبو عمر وروى عيسى عن أبي القاسم عن مالك بن أنس قال كان ابن الزبير أفضل من مروان وأولى بالأمر منه ومن أبيه قال وقد روى علي بن المدائني عن سفيان بن عيينة أن عامر بن عبد الله بن الزبير مكث بعد قتل أبيه حولا لا يسأل الله لنفسه شيئاً إلا الدعاء لأبيه. قال أبو عمر وروى إسماعيل بن عليه عن أبي سفيان بن العلاء عن ابن أبي عتيق قال قالت عائشة إذا مر ابن عمر فأرونيه فلما مر قالوا هذا ابن عمر فقالت يا أبا عبد الرحمن ما منعك أن تنهاني عن مسيري قال رأيت رجلاً قد غلب عليك ورأيتك لا تخالفيني يعني عبد الله بن الزبير فقالت أما إنك لو نهيتني ما خرجت. فأما الزبير بن بكار فإنه ذكر في كتاب أنساب قريش من أخبار عبد الله وأحواله جملة طويلة نحن نختصرها ونذكر اللباب منها مع أنه قد أذنب في ذكر فضائله والثناء عليه وهو معذور في ذلك فإنه لا يلام الرجل على حب قومه والزبير بن بكار أحد أولاد عبد الله بن الزبير فهو أحق بتقريظه وتأيينه. قال الزبير بن بكار أمه أسماء ذات النطاقين ابنة أبي بكر الصديق وإنما سميت ذات

النطاقين لأن رسول الله ص لماتجهز مهاجرا إلى المدينة ومعه أبوبكر لم يكن لسفرتهما شناق فشقت أسماء نطاقها فشنقتها به فقال لها رسول الله -رواية- ١-أدومه دارد [صفحة ١٠٨] ص قدأبدلك الله تعالى بنطاقك هذانطاقين في الجنة -رواية-از قبل- ٥٥ فسميت ذات النطاقين قال و قدروى محمد بن الضحاک عن أبيه أن أهل الشام كانوا وهم يقاتلون عبد الله بمكة يصيحون يا ابن ذات النطاقين يظنونه عيبا فيقول ابنها والإله ثم يقول إني وإياكم لكما قال أبوذؤيب وعيرنى الواشون أنى أحبها || وتلك شكاه ظاهر عنك عارها فإن أعتذر عنها فإني مكذب || و إن تعتذر يردد عليك اعتذارها . ثم يقبل على ابن أبي عتيق و هو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر فيقول ألا تسمع يا ابن أبى عتيق . قال الزبير وزعموا أن عبد الله بن الزبير لما ولد أتى به رسول الله ص فنظر فى وجهه و قال أ هو هوليمعن البيت أوليموتن دونه -رواية- ١-٢-رواية- ١٤-١٣٥ . و قال العقيلي فى ذلك بر تيين ما قال الرسول له || وذو صلاة بضاحى وجهه علم حمامة من حمام البيت قاطنة || لا تتبع الناس إن جاروا و إن ظلموا قال و قدروى نافع بن ثابت عن محمد بن كعب القرظى أن رسول الله ص دخل على أسماء حين ولد عبد الله فقال أ هو هوفتركت أسماء رضاعه فقيل لرسول الله ص إن أسماء تركت رضاع عبد الله لماسمعت كلمتك فقال لها أرضعيه و لوبماء عينيك كبش بين ذئاب عليها ثياب ليمعن الحرم أوليموتن دونه -رواية- ١-٢-رواية- ٥٧-٣٠٣ . قال وحدثنى عمى مصعب بن عبد الله قال كان عبد الله بن الزبير يقول هاجرت بى أمى فى بطنها فما أصابها شىء من نصب أو مخصصة إلا و قدأصابنى [صفحة ١٠٩] قال وقالت عائشة يا رسول الله ألا تكنينى فقال تكنى باسم ابن أختك عبد الله فكانت تكنى أم عبد الله -رواية- ١-٢-رواية- ٨-١١٢ قال وروى هند بن القاسم عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال احتجم رسول الله ص ثم دفع إلى دمه فقال اذهب به فواره حيث لا يراه أحد فذهبت به فشربته فلما رجعت قال ما صنعت قلت جعلته فى مكان أظن أنه أخفى مكان عن الناس فقال فلعلك شربته فقلت نعم -رواية- ١-٢-رواية- ٧٦-٢٧٨ . قال و قال وهب بن كيسان أول من صف رجله فى الصلاة عبد الله بن الزبير فاقتدى به كثير من العباد و كان مجتهدا . قال وخطب الحجاج بعدقتله زجلة بنت منظور بن زبان بن سيار الفزارية وهى أم هاشم بن عبد الله بن الزبير فقلعت نثيتها وردته وقالت ماذا يريد إلى ذلفاء ثكلى حرى وقالت أ بعدعائذ بيت الله تخطنى || جهلا جهلت وغب الجهل مذموم فاذهب إليك فإنى غيرنا كحة || بعد ابن أسماء ما استن الدياميم من يجعل العير مصفرا جحافله || مثل الجواد وفضل الله مقسوم . قال وحدثنى عبد الملك بن عبدالعزيز عن خاله يوسف بن الماجشون قال قسم عبد الله بن الزبير الدهر على ثلاث ليال فليله هوقائم حتى الصباح وليله هوراكع حتى الصباح وليله هوساجد حتى الصباح . قال و حدثنا سليمان بن حرب بإسناد ذكره ورفعه إلى مسلم المكى قال ركع عبد الله بن الزبير يوما ركعة فقرأت البقرة و آل عمران والنساء والمائدة و مازع رأسه . [صفحة ١١٠] قال و قدحدث من لأحصيه كثرة من أصحابنا أن عبد الله كان يواصل الصوم سبعا يصوم يوم الجمعة فلا يفطر إلا يوم الجمعة الآخر و يصوم بالمدينة فلا يفطر إلا بمكة و يصوم بمكة فلا يفطر إلا بالمدينة . قال و قال عبد الملك بن عبدالعزيز و كان أول ما يفطر عليه إذا فطر لبن لقحة بسمن بقر قال الزبير وزاد غيره و صبر . قال وحدثنى يعقوب بن محمد بن عيسى بإسناد رفعه إلى عروة بن الزبير قال لم يكن أحد أحب إلى عائشة بعد رسول الله ص و بعد أبى بكر من عبد الله بن الزبير . قال وحدثنى يعقوب بن محمد بإسناد يرفعه إلى عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه قال ما كان أحد أعلم بالمناسك من ابن الزبير . قال وحدثنى مصعب بن عثمان قال أوصت عائشة إلى عبد الله بن الزبير وأوصى إليه حكيم بن حزام و عبد الله بن عامر بن كريب والأسود بن أبى البخترى وشيبة بن عثمان والأسود بن عوف . قال الزبير وحدث عمر بن قيس عن أمه قالت دخلت على عبد الله بن الزبير بيته فإذا هوقائم يصلى فسقطت حية من البيت على ابنه هاشم بن عبد الله فتطوقت على بطنه و هونائم فصاح أهل البيت الحية الحية و لم يزلوا بها حتى قتلوها و عبد الله قائم يصلى ماالتفت و لاعجل ثم فرغ من صلاته بعد ماقتلت الحية فقال ما بالكم فقالت أم هاشم إى رحمك الله أرأيت إن كنا هنا عليك أيهون عليك ابنك قال ويحك و ما كانت

التفتاة لوالفتتها مبقية من صلاتى. [صفحہ ۱۱۱] قال الزبير و عبد الله أول من كسا الكعبه الديباج و إن كان ليطيها حتى يجد ريحها من دخل الحرم قال و لم تكن كسوة الكعبه من قبله إلا المسوح والأنطاع فلما جرد المهدي بن المنصور الكعبه كان فيما نزع عنها كسوة من ديباج مكتوب عليها لعبد الله أبى بكر أمير المؤمنين قال وحدثنى يحيى بن معين بإسناد رفعه إلى هشام بن عروه أن عبد الله بن الزبير أخذ من بين القتلى يوم الجمل و به بضع وأربعون طعنه و ضربه قال الزبير واعتلت عائشه مرة فدخل عليها بنو أختها أسماء عبد الله و عروه و المنذر قال عروه فسألناها عن حالها فشكت إلينا نهكه من علتها فعزاها عبد الله عن ذلك فأجابته بنحو قولها فعاد لها بالكلام فعادت له بالجواب فصمت وبكى قال عروه فما رأينا متحاورين من خلق الله أبلغ منهما قال ثم رفعت رأسها تنظر إلى وجهه فأبهت لبكائه فبكت ثم قالت ما أحقنى منك يا بنى ما أرى فلم أعلم بعد رسول الله ص و بعد أبوى أحدا أنزل عندي منزلتك قال عروه و ماسمعت عائشه و أمى أسماء تدعون لأحد من الخلق دعاءهما لعبد الله قال و قال موسى بن عقبه أقرانى عامر بن عبد الله بن الزبير وصيه عبد الله بن مسعود إلى الزبير بن العوام و إلى عبد الله بن الزبير من بعده و إنهما فى وصيتى فى حل و بل . قال و روى أبو الحسن المدائنى عن أبى إسحاق التميمى أن معاوية سمع رجلا ينشد ابن رقاش ماجد سميدع || يابى فيعطى عن يد أو يمنع . [صفحہ ۱۱۲] فقال ذلك عبد الله بن الزبير و كان عبد الله من جمله النفر الذين أمرهم عثمان بن عفان أن ينسخوا القرآن فى المصاحف . قال و حدثنا محمد بن حسن عن نوفل بن عماره قال سئل سعيد بن المسيب عن خطباء قريش فى الجاهليه فقال الأسود بن المطلب بن أسد و سهيل بن عمرو و سئل عن خطبائهم فى الإسلام فقال معاوية و ابنه و سعيد بن العاص و ابنه و عبد الله بن الزبير . قال و حدثنا ابراهيم بن المنذر عن عثمان بن طلحه قال كان عبد الله بن الزبير لا ينازع فى ثلاث شجاعه و عباده و بلاغه . قال الزبير و قال هشام بن عروه رأيت عبد الله أيام حصاره و الحجر من المنجنيق يهوى حتى أقول كاد يأخذ بلحيته فقال له أبى أيا ابن أم و الله إن كاد ليأخذ بلحيتك فقال عبد الله دعنى يا ابن أم فو الله ماهى إلهنه حتى كان الإنسان لم يكن فيقول أبى و هو يقبل علينا بوجهه و الله ما أخشى عليك إلا من تلك الهنه . قال الزبير فذكر هشام قال و الله لقد رأيت يرمى بالمنجنيق فلا يلتفت و لا يردد صوته و ربما مرت الشظيه منه قريبا من نحره . و قال الزبير و حدثنا ابن الماجشون عن ابن أبى مليكه عن أبيه قال كنت أطوف بالبيت مع عمر بن عبدالعزيز فلما بلغت الملتزم تخلفت عنده أذعو ثم لحقت عمر فقال لى ما خلفك قال كنت أذعو فى موضع رأيت عبد الله بن الزبير فيه يدعو فقال ماتترك تخناتك على ابن الزبير أبدا فقلت و الله مارأيت [صفحہ ۱۱۳] أحدا أشد جلدا على لحم و لحما على عظم من ابن الزبير و لارأيت أحدا أثبت قائما و لأحسن مصليا من ابن الزبير و لقد رأيت حجرا من المنجنيق جاءه فأصاب شرفه من المسجد فمرت قذاذه منها بين لحيته و حلقة فلم يزل من مقامه و لاعرفنا ذلك فى صوته فقال عمر لا إله إلا الله لجاد ماوصفت . قال الزبير و سمعت إسماعيل بن يعقوب التيمى يحدث قال قال عمر بن عبدالعزيز لابن أبى مليكه صف لنا عبد الله بن الزبير فإنه ترمم على أصحابنا فتغشمروا عليه فقال عن أى حاله تسأل أ عن دينه أم عن دنياه فقال عن كل قال و الله مارأيت جلدا قط ركب على لحم و لالحما على عصب و لاعصبا على عظم مثل جلده على لحمه و لامثل لحمه على عصبه و لامثل عصبه على عظمه و لارأيت نفسا ركبت بين جنين مثل نفس له ركبت بين جنين و لقد قام يوما إلى الصلاة فمر به حجر من حجارة المنجنيق بلنبه مطبوخة من شرفات المسجد فمرت بين لحيته و صدره فو الله ماخشع لها بصره و لاقطع لها قراءته و لاركع دون الركوع الذى كان يركع و لقد كان إذا دخل فى الصلاة خرج من كل شىء إليها و لقد كان يركع فى الصلاة فيقع الرخم على ظهره و يسجد فكأنه مطروح . قال الزبير و حدث هشام بن عروه قال سمعت عمى يقول ما أبالى إذا وجدت ثلاثمائة يصبرون صبرى لوأجلب على أهل الأرض . قال الزبير و قسم عبد الله بن الزبير ثلث ماله و هوى و كان أبوه الزبير قد أوصى أيضا بثلث ماله قال و ابن الزبير أحد الرهط الخمسة الذين وقع اتفاق أبى موسى الأشعري و عمرو بن العاص على إحضارهم و الاستشارة بهم فى يوم التحكيم [صفحہ ۱۱۴] و هم عبد الله بن

الزبير و عبد الله بن عمرو و أبو الجهم بن حذيفة و جبير بن مطعم و عبدالرحمن بن الحارث بن هشام . قال الزبير و عبد الله هو الذى صلى بالناس بالبصرة لما ظهر طلحة و الزبير على عثمان بن حنيف بأمر منهما له قال و أعطت عائشة من بشرها بأن عبد الله لم يقتل يوم الجمل عشرة آلاف درهم . قلت الذى يغلب على ظنى أن ذلك كان يوم إفريقية لأنها يوم الجمل كانت فى شغل بنفسها عن عبد الله وغيره . قال الزبير وحدثني على بن صالح مرفوعا أن رسول الله ص كلم فى صبيته ترعرعوا منهم عبد الله بن جعفر و عبد الله بن الزبير و عمر بن أبى سلمة فليل يا رسول الله لوبايعتهم فتصيبهم بركتك و يكون لهم ذكر فأتى بهم فكأنهم تكعكعوا حين جىء بهم إليه و اقتحم ابن الزبير فتبسم رسول الله ص و قال إنه ابن أبيه و بايعهم . قال و سئل رأس الجالوت ما عندكم من الفراسة فى الصبيان فقال ما عندنا فيهم شىء لأنهم يخلقون خلقا من بعد خلق غير أنارمقهم فإن سمعناه منهم من يقول فى لعبه من يكون معى رأيناها همة وخبء صدق فيه و إن سمعناه يقول مع من أكون كرهاها منه قال فكان أول شىء سمع من عبد الله بن الزبير أنه كان ذات يوم يلعب مع الصبيان فمر رجل فصاح عليهم ففروا منه و مشى ابن الزبير القهقري ثم قال يا صبيان اجعلوني أميركم و شدوا بنا عليه قال و مر به عمر بن الخطاب و هو مع الصبيان ففروا و وقف فقال لم لم تفر مع أصحابك فقال لم أجرم فأخافك و لم تكن الطريق ضيقة فأوسع عليك . و روى الزبير بن بكار أن عبد الله بن سعد بن أبى سرح غزا إفريقية فى خلافة [صفحہ ۱۱۵] عثمان فقتل عبد الله بن الزبير جرجير أمير جيش الروم فقال ابن أبى سرح إنى موجه بشيرا إلى أمير المؤمنين بما فتح علينا و أنت أولى من هاهنا فانطلق إلى أمير المؤمنين فأخبره الخبر قال عبد الله فلما قدمت على عثمان أخبرته بفتح الله و صنعته و نصره و وصفت له أمرنا كيف كان فلما فرغت من كلامى قال هل تستطيع أن تؤدى هذا إلى الناس قلت و ما يمنعنى من ذلك قال فاخرج إلى الناس فأخبرهم قال عبد الله فخرجت حتى جئت المنبر فاستقبلت الناس فتلقاني وجه أبى فدخلتني له هيبه عرفها أبى فى وجهى فقبض قبضه من حصباء و جمع وجهه فى وجهى و هم أن يحصبنى فأحزمت فتكلمت ففرعوا أن الزبير لمافرغ عبد الله من كلامه قال و الله لكأنى أسمع كلام أبى بكر الصديق من أراد أن يتزوج امرأة فلينظر إلى أيتها و أخيها فإنها تأتيه بأحدهما . قال الزبير و يلقب عبد الله بعائد البيت لاستعاذته به . قال وحدثني عمى مصعب بن عبد الله قال إن الذى دعا عبد الله إلى التعود بالبيت شىء سمعته من أبيه حين سار من مكة إلى البصرة فإن الزبير التفت إلى الكعبة بعد أن ودع ووجه يريد الركوب فأقبل على ابنه عبد الله و قال تالله مارأيت مثلها لطالب رغبة أو خائف رهبة . و روى الزبير بن بكار قال كان سبب تعوذ ابن الزبير بالكعبة أنه كان يمشى بعد عتمه فى بعض شوارع المدينة إذ لقي عبد الله بن سعد بن أبى سرح مثلثا لا يبدو منه إلا عيناه قال فأخذت بيده و قلت ابن أبى سرح كيف كنت بعدى وكيف تركت أمير المؤمنين يعنى معاوية و قد كان ابن أبى سرح عنده بالشام فلم يكلمنى فقلت ما لك أمات أمير المؤمنين فلم يكلمنى فتركته و قد أثبت معرفته ثم خرجت حتى لقيت الحسين بن على رضى الله عنه فأخبرته خبره و قلت ستأتىك رسل الوليد و كان الأمير على المدينة الوليد بن عتبة بن [صفحہ ۱۱۶] أبى سفيان فانظر ما أنت صانع و اعلم أن رواحلى فى الدار معدة و الموعد بينى و بينك أن تغفل عنا عيونهم ثم فارقتهم فلم ألبث أن أتانى رسول الوليد فوجئت الحسين عنده و وجدت عنده مروان بن الحكم فنعى إلى معاوية فاسترجعت فأقبل على و قال هلم إلى بيعة يزيد فقد كتب إلينا يأمرنا أن نأخذها عليك فقلت إنى قد علمت أن فى نفسه على شيئا لتركى بيعته فى حياة أبيه و إن بايعت له على هذه الحال توهم أنى مكره على البيعة فلم يقع منه ذلك بحيث أريد ولكن أصبح و يجتمع الناس و يكون ذلك علانية إن شاء الله فنظر الوليد إلى مروان فقال مروان هو الذى قلت لك إن يخرج لم تره فأحببت أن ألقى بينى و بين مروان شرا نتشغل به فقلت له و ما أنت و ذاك يا ابن الزرقاء فقال لى و قلت له حتى تواتبنا فتناصيت أنا و هو و قام الوليد فحجز بيننا فقال مروان أتحجز بيننا بنفسك و تدع أن تأمر أعوانك فقال قد أرى ماتريد ولكن لا أتولى ذلك منه و الله أبدا اذهب يا ابن الزبير حيث شئت قال فأخذت بيد الحسين و خرجنا من الباب حتى صرنا إلى المسجد و أنا أقول و لا تحسبنى يامسافر

شحمه || تعجلها من جانب القدر جاع . فلما دخل المسجد افترق هو و الحسين وعمد كل واحد منهما إلى مصلاه يصلى فيه وجعلت الرسل تختلف إليهما يسمع وقع أقدامهم فى الحصباء حتى هدا عنهما الحس ثم انصرفا إلى منازلهما فأتى ابن الزبير وراحله فقعد عليها وخرج من أدبار داره ووافاه الحسين بن على فخرجا جميعا من ليلتهم وسلكوا طريق الفرع حتى مروا بالجثاثة و بها جعفر بن الزبير قدازدرعها وغمز عليهم بعير من إبلهم فانتهاوا إلى جعفر فلما رأهم قال مات معاوية فقال عبد الله نعم انطلق [صفحة ١١٧] معنا وأعطنا أحد جمليكم و كان ينضح على جملين له فقال جعفر متمثلا- إختوتى لاتبعدوا أبدا || وبلى و الله قدبعدوا . فقال عبد الله وتطير منها بفيك التراب فخرجوا جميعا حتى قدموا مكة قال الزبير فأما الحسين ع فإنه خرج من مكة يوم التروية يطلب الكوفة والعراق و قد كان قال لعبد الله بن الزبير قدأنتنى ببعه أربعين ألفا يحلفون لى بالطلاق والعناق من أهل العراق -روايت-١-١٧٥ فقال أخرج إلى قوم قتلوا أباك وخذلوا أخاك قال وبعض الناس يزعم أن عبد الله بن عباس هو الذى قال للحسين ذلك قال الزبير و قال هشام بن عروة كان أول ماأفصح به عمى عبد الله و هو صغير السيف فكان لا يضعه من فيه و كان أبوه الزبير إذاسمع منه ذلك يقول أما و الله ليكون لك منه يوم و يوم وأيام .فأما خبر مقتل عبد الله بن الزبير فنحن نورده من تاريخ أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى رحمه الله قال أبو جعفرحصر الحجاج عبد الله بن الزبير ثمانية أشهر فروى إسحاق بن يحيى عن يوسف بن ماهك قال رأيت منجنيق أهل الشام يرمى به فرعدت السماء وبرقت وعلا صوت الرعد على صوت المنجنيق فأعظم أهل الشام ماسمعه فأمسكوا أيديهم فرفع الحجاج بركة قبائه فغرزها فى منطقتة ورفع حجر المنجنيق فوضعه فيه ثم قال ارموا ورمى معهم قال ثم أصبحوا فجاءت [صفحة ١١٨] صاعقه يتبعها أخرى فقتلت من أصحاب الحجاج اثنى عشر رجلا فأنكر أهل الشام فقال الحجاج يا أهل الشام لاتتكروا هذاإنى ابن تهامة هذه صواعق تهامة هذاالفتح قدحضر فأبشروا فإن القوم يصيبهم مثل ماأصابكم فصعقت من الغد فأصيب من أصحاب ابن الزبير عدة ماأصاب الحجاج فقال الحجاج ألاترون أنهم يصابون وأنتم على الطاعة وهم على خلاف الطاعة فلم تزل الحرب بين ابن الزبير والحجاج حتى تفرق عامة أصحاب ابن الزبير عنه وخرج عامة أهل مكة إلى الحجاج فى الأمان . قال وروى إسحاق بن عبيد الله عن المنذر بن الجهم الأسلمى قال رأيت ابن الزبير و قدخذه من معه خذلانا شديدا وجعلوا يخرجون إلى الحجاج خرج إليه منهم نحو عشرة آلاف وذكر أنه كان ممن فارقه وخرج إلى الحجاج ابنه خبيب وحمزة فأخذنا من الحجاج لأنفسهما أمانا. قال أبو جعفر فروى محمد بن عمر عن ابن أبى الزناد عن مخزومة بن سلمان الوالى قال دخل عبد الله بن الزبير على أمه حين رأى من الناس مارأى من خذلانه فقال يا أمه خذلى الناس حتى ولدى وأهلى و لم يبق معى إلااليسير ممن ليس عنده من الدفع أكثر من صبر ساعة والقوم يعطوننى ماأردت من الدنيا فما رأيك فقالت أنت يابنى أعلم بنفسك إن كنت تعلم أنك على حق و إليه تدعو فامض له فقد قتل عليه أصحابك و لاتمكن من رقبتك يتلعب بك غلمان بنى أمية و إن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت أهلكت نفسك وأهلكت من قتل معك و إن قلت قدكنت على حق فلما وهن أصحابى وهنت وضعفت فليس هذافعل الأحرار و لا أهل [صفحة ١١٩] الدين وكم خلودك فى الدنيا القتل أحسن فدنا ابن الزبير فقبل رأسها و قال هذا و الله رأيت الذى قمت به داعيا إلى يومى هذا و ماركنت إلى الدنيا و لاأحببت الحياة فيها و لم يدعنى إلى الخروج إلاالغضب لله أن تستحل محارمه ولكنى أحببت أن أعلم رأيك فزدتنى بصيرة مع بصيرتى فانظرى يا أمه فإنى مقتول من يومى هذا فلايشدت حزنك وسلمى لأمر الله فإن ابنك لم يتعمد إتيان منكر و لاعملاء بفاحشة و لم يجر فى حكم و لم يغدر فى أمان و لم يتعمد ظلم مسلم و لامعاهد و لم يبلغنى ظلم عن عمالى فرضيت به بل أنكرته و لم يكن شىء آثر عندى من رضا ربي اللهم إنى لأقول هذاتركىة منى لنفسى أنت أعلم بى ولكننى أقوله تعزية لأمى لتسلو عنى فقالت أمه إنى لأرجو من الله أن يكون عزائى فيك حسنا إن تقدمتنى فلاأخرج من الدنيا حتى أنظر إلى مايصير أمرك فقال جزاك الله يا أمه خيرا فلا تدعى الدعاء لى قبل و بعد قالت لأدعه أبدا فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق

ثم قالت اللهم ارحم طول ذلك القيام فى الليل الطويل و ذلك النحيب والظمأ فى هواجر المدينة ومكة وبره بأبيه وبى اللهم إنى قدسلمته لأمرك فيه ورضيت بما قضيت فأثبني فى عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين . قال أبو جعفر وروى محمد بن عمر عن موسى بن يعقوب بن عبد الله عن عمه قال دخل ابن الزبير على أمه و عليه الدرع والمغفر فوقف فسلم ثم دنا فتناول يدها فقبلها فقالت هذاوداع فلا تبعد فقال نعم إنى جئت مودعا إنى لأرى أن هذا اليوم آخر يوم من الدنيا يمر بى واعلمى يأمه إنى إن قتلت فإنما أنا لحم لا يضره ما صنع به فقالت صدقت يا بنى أتمم على بصيرتك و لا تمكّن ابن [صفحه ١٢٠] أبى عقيل منك وادن منى أودعك فدنا منها فقبلها وعانقها فقالت حيث مست الدرع ما هذا صنع من يريد ما تريد فقال ما لبستها إلا لأشد منك فقالت إنها لا تشد منى فزعتها ثم أخرج كميّه وشد أسفل قميصه وعمد إلى جبهه خز تحت القميص فأدخل أسفلها فى المنطقه فقالت أمه شمر ثيابك فشمها ثم انصرف و هو يقول إنى إذا عرف يومى أصبر || إذ بعضهم يعرف ثم ينكر . فسمعت العجوز قوله فقالت تصبر و الله و لم لا تصبر وأبوك وأبو بكر والزبير وأمك صفيه بنت عبدالمطلب . قال وروى محمد بن عمر عن ثور بن يزيد عن رجل من أهل حمص قال شهدت و الله ذلك اليوم ونحن خمسمائه من أهل حمص فدخل من باب المسجد لا يدخل منه غيرنا و هو يشد علينا ونحن منهزمون و هو يرتجز إنى إذا عرف يومى اصبر || وإنما يعرف يوميه الحر وبعضهم يعرف ثم ينكر . فأقول أنت و الله الحر الشريف فلقد رأيتك يقف بالأبطح لا يدنو منه أحد حتى ظننا أنه لا يقتل . قال وروى مصعب بن ثابت عن نافع مولى بنى أسد قال رأيت الأبواب قد شحنت بأهل الشام وجعلوا على كل باب قائدا ورجالا و أهل بلد فكان لأهل حمص الباب الذى يواجه باب الكعبه ولأهل دمشق باب بنى شيبه ولأهل الأردن باب الصفا ولأهل فلسطين باب بنى جمح ولأهل قسرين باب بنى سهم و كان الحجاج وطارق بن عمرو فى ناحيه الأبطح إلى المروه فمره يحمل ابن الزبير [صفحه ١٢١] فى هذه الناحيه ولكأنه أسد فى أجمه ما يقدم عليه الرجال فيعدو فى أثر الرجال وهم على الباب حتى يخرجهم ثم يصيح إلى عبد الله بن صفوان يا أباصفوان ويل أمه فتحا لو كان له رجال ثم يقول لو كان قرنى واحدا كفيته . فيقول عبد الله بن صفوان إى و الله وألغا . قال أبو جعفر فلما كان يوم الثلاثاء صبيحه سبع عشره من جمادى الأولى سنه ثلاث وسبعين و قد أخذ الحجاج على ابن الزبير بالأبواب بات ابن الزبير تلك الليله يصلى عامه الليل ثم احتبى بحمائل سيفه فأغفى ثم انتبه بالفجر فقال أذن ياسعد فأذن عندالمقام وتوضأ ابن الزبير وركع ركعتى الفجر ثم تقدم وأقام المؤذن فصلى ابن الزبير بأصحابه فقرأ ن والقلم حرفا حرفا ثم سلم ثم قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال اكشفوا وجوهكم حتى أنظر وعليها المغافر والعمائم فكشفوا وجوههم فقال يا آل الزبير لو طبتم لى نفسا عن أنفسكم كنا أهل بيت من العرب اصطلمنا لم تصبنا مذله و لم نقر على ضيم أما بعد يا آل الزبير فلا يرعكم وقع السيوف فإنى لم أحضر موطننا قط ارتشت فيه بين القتلى و ما أجد من دواء جراحها أشد مما أجد من ألم وقعها صوتونا سيوفكم كمتصنون وجوهكم لا أعلم امرأ كسر سيفه واستبقى نفسه فإن الرجل إذا ذهب سلاحه فهو كالمرأه أعزل غضوا أبصاركم عن البارقه وليشغل كل امرئ قرنه و لا يلهينكم السؤال عنى و لا تقولن أين عبد الله بن الزبير ألا من كان سائلا عنى فإنى فى الرعيل الأول ثم قال [صفحه ١٢٢] أبى لابن سلمى أنه غير خالده || يلاقى المنايا أى وجه تيمما فلست بمبتاع الحياه بسبه || و لا مرتق من خشيه الموت سلما . ثم قال احمولوا على بركه الله ثم حمل حتى بلغ بهم إلى الحجون فرمى بحجر فأصاب وجهه فأرعى ودمى وجهه فلما وجد سخونه الدم تسيل على وجهه ولحيته قال ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا || ولكن على أقدامنا تقطر الدما . قال وتقاوا عليه وصاحت مولاه له مجنونه وا أمير المؤمنيناه و قد كان هوى ورأته حين هوى فأشارت لهم إليه فقتل و إن عليه لثياب خز وجاء الخبر إلى الحجاج فسجد وسار هو وطارق بن عمرو فوقفا عليه فقال طارق ما ولدت النساء أذكر من هذا فقال الحجاج أتمدح من يخالف طاعة أمير المؤمنين فقال طارق هو أعدر لنا و لو لا هذا ما كان لنا عذر إنا محاصروه و هو فى غير خندق و لاحصن و لا منعه منذ ثمانيه أشهر ينتصف منا بل يفضل علينا فى كل ماالتقينا نحن و هو قال فبلغ كلامهما عبد الملك فصوب

طارقا. قال وبعث الحجاج برأس ابن الزبير ورأس عبد بن صفوان ورأس عماره بن عمرو بن حزم إلى المدينة فنصبت الثلاثة بها ثم حملت إلى عبدالملك . ونحن الآن نذكر بقيه أخبار عبد الله بن الزبير ملتقطه من مواضع متفرقة رثى عبد الله بن الزبير في أيام معاوية واقفا بباب ميه مولاة معاوية فقبل له [صفحه ١٢٣] يا أبابكر مثلك يقف بباب هذه فقال إذا أعتكم الأمور من رءوسها فخذوها من أذناها. ذكر معاوية لعبد الله بن الزبير يزيد ابنه وأراد منه البيعة له فقال ابن الزبير أنا أناديك و لا أناجيك إن أخاك من صدقك فانظر قبل أن تقدم وتفكر قبل أن تندم فإن النظر قبل التقدم والتفكر قبل التندم فضحك معاوية وقال تعلمت يا أبابكر الشجاعة عندالكبر. كان عبد الله بن الزبير شديد البخل كان يطعم جنده تمرا ويأمرهم بالحرب فإذا فروا من وقع السيوف لامهم وقال لهم أكلتم تمرى وعصيتم أمرى فقال بعضهم ألم تر عبد الله والله غالب || على أمره يبغي الخلافة بالتمر . وكسر بعض جنده خمسة أرماع فى صدور أصحاب الحجاج وكلما كسر رمحا أعطاه رمحا فشق عليه ذلك وقال خمسة أرماع لا يخطر على قلب مسلم هذا. قال وجاءه أعرابى سائل فرده فقال له لقد أحرقت الرمضاء قدمى فقال بل عليهما يبردان . جمع عبد الله بن الزبير محمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس فى سبعة عشر رجلا من بنى هاشم منهم الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ع وحصرهم فى شعب بمكة يعرف بشعب عارم وقال لا تمضى الجمعة حتى تبايعوا إلى أو أضرب أعناقكم أو أأحرقكم بالنار ثم نهض إليهم قبل الجمعة يريد إحراقهم بالنار فالتزمه [صفحه ١٢٤] ابن مسور بن مخزوم الزهرى وناشده الله أن يؤخرهم إلى يوم الجمعة فلما كان يوم الجمعة دعا محمد بن الحنفية بغسول وثياب بيض فاغتسل وتلبس وتحنط لا يشك فى القتل و قد بعث المختار بن أبى عبيد من الكوفة أبا عبد الله الجدلى فى أربعة آلاف فلما نزلوا ذات عرق تعجل منهم سبعون على رواحلهم حتى وافوا مكة صبيحة الجمعة ينادون يا محمد يا محمد وقد شهروا السلاح حتى وافوا شعب عارم فاستخلصوا محمد بن الحنفية و من كان معه وبعث محمد بن الحنفية الحسن بن الحسن ينادى من كان يرى أن الله عليه حقا فليشم سيفه فلاحاجة لى بأمر الناس إن أعطيتها عفوا قبلتها وإن كرهوا لم نبتزهم أمرهم . وفى شعب عارم وحصار ابن الحنفية فيه يقول كثير بن عبدالرحمن و من ير هذا الشيخ بالخيف من منى || من الناس يعلم أنه غير ظالم سمى النبى المصطفى و ابن عمه || وحمال أثقال وفكاك غارم تخبر من لا قيت أنك عائذ || بل العائذ المحبوس فى سجن عارم . وروى المدائنى قال لما أخرج ابن الزبير عبد الله بن عباس من مكة إلى الطائف مر بنعمان فنزل فصلى ركعتين ثم رفع يديه يدعو فقال اللهم إنك تعلم أنه لم يكن بلد أحب إلى من أن أعبدك فيه من البلد الحرام وإنى لأحب أن تقبض روحى إلا فيه و أن ابن الزبير أخرجنى منه ليكون الأقوى فى سلطانه اللهم فأوهن كيده واجعل دائرة السوء عليه فلما دنا من الطائف تلقاه أهلها فقالوا مرحبا بابن عم رسول الله ص أنت و الله أحب إلينا وأكرم علينا ممن أخرجك هذه منازلنا تخيرها فانزل منها حيث أحببت فنزل منزلا فكان [صفحه ١٢٥] يجلس إليه أهل الطائف بعد الفجر و بعد العصر فيتكلم بينهم كان يحمد الله ويذكر النبى ص والخلفاء بعده و يقول ذهبوا فلم يدعوا أمثالهم و لأشباههم و لا من يدانيهم ولكن بقى أقوام يطلبون الدنيا بعمل الآخرة ويلبسون جلود الضأن تحتها قلوب الذئاب والنمور ليظن الناس أنهم من الزاهدين فى الدنيا يراءون الناس بأعمالهم ويسخطون الله بسرائرهم فادعوا الله أن يقضى لهذه الأمة بالخير والإحسان فيولى أمرها خيارها وأبرارها ويهلك فجارها وأشرارها ارفعوا أيديكم إلى ربكم وسلوه ذلك فيفعلون فبلغ ذلك ابن الزبير فكتب إليه أما بعد فقد بلغنى أنك تجلس بالطائف العصريين فتفتيهم بالجهل تعيب أهل العقل والعلم و إن حلمى عليك واستدامتى فيشك جراًك على فاكفف لا- أبالغيرك من غربك واربع على ظلعك واعقل إن كان لك معقول وأكرم نفسك فإنك إن تهنها تجدها على الناس أعظم هوانا ألم تسمع قول الشاعر فنفسك أكرمها فإنك إن تهن || عليك فلن تلقى لها الدهر مكرما . وإنى أقسم بالله لئن لم تنته عما بلغنى عنك لتجدن جانبى خشنا ولتجدننى إلى ما يردعك عنى عجلأ فر رأيك فإن أشفى بك شقاؤك على الردى فلا- تلم لإففسك فكتب إليه ابن عباس أما بعد فقد بلغنى كتابك قلت إنى أفتى الناس

بالجهل وإنما يفتى بالجهل من لم يعرف من العلم شيئا وقد آتاني الله من العلم ما لم يؤتتك وذكرت أن حلمك عنى واستدامتك فينى جرأنى عليك ثم قلت اكفف من غربك واربع على [صفحة ١٢٦] ظلعك وضربت لى الأمثال أحاديث الضع متى رأيتنى لعرايمك هائبا و من حدك ناكلا و قلت لئن لم تكفف لتجدن جانبي خشنا فلا أبقي الله عليك إن أبقيت و لا أرى عليك إن أرعيت فو الله أنتهى عن قول الحق وصفة أهل العدل والفضل وذم الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا و السلام. قدم معاوية المدينة راجعا من حجة حجها فكثر الناس عليه فى حوائجهم فقال لصاحب إبلة قدم إبلك ليلا- حتى أرتحل ففعل ذلك وسار و لم يعلم بأمره إلا عبد الله بن الزبير فإنه ركب فرسه وقفا أثره ومعاوية نائم فى هودجه فجعل يسير إلى جانبه فانتبه معاوية و قدسمع وقع حافر الفرس فقال من صاحب الفرس قال أنا أبوخبيب لو قدقتلك منذ الليلة يمازحه فقال معاوية كلا لست من قتلة الملوك إنما يصيد كل طائر قدره فقال ابن الزبير إلى تقول هذا و قدوقفت فى الصف بإزاء على بن أبى طالب و هو من تعلم فقال معاوية لاجرم أنه قتلك وأباك ييسرى يديه وبقيت يده اليمنى فارغة يطلب من يقتله بها فقال ابن الزبير أما و الله ما كان ذاك إلا فى نصر عثمان فلم نجز به فقال معاوية خل هذا عنك فو الله لو لاشدة بغضك ابن أبى طالب لجررت برجل عثمان مع الضيع فقال ابن الزبير أفعلتها يا معاوية أما إنا قد أعطيناك عهدا ونحن وافون لك به مادمت حيا ولكن ليعلمن من بعدك فقال معاوية أما و الله ما أخافك إلا على نفسك ولكأنى بك و أنت مشدود مربوط فى الأنشطة و أنت تقول ليت أبا عبدالرحمن كان حيا وليتني كنت حيا يومئذ فأحلك حلا رفيقا ولبئس المطلق والمعق والمسنون عليه أنت يومئذ [صفحة ١٢٧] دخل عبد الله بن الزبير على معاوية وعنده عمرو بن العاص فتكلم عمرو وأشار إلى ابن الزبير فقال هذا و الله يا أمير المؤمنين الذى غرته أناتك وأبطره حلمك فهو ينزو فى نشطته نزو العير فى حالته كلما قمصته الغلواء والشره سكنت الأنشطة منه النفرة وأحر به أن يثول إلى القلة أو الذلة فقال ابن الزبير أما و الله يا ابن العاص لو لا أن الإيمان أزمنا بالوفاء والطاعة للخلفاء فنحن لانريد بذلك بدلا و لا عنه حولا لكان لنا و له و لك شأن و لووكله القضاء إلى رأيك ومشورة نظرائك لدافعناه بمنكب لاثوده المزاحمة ولقاذفناه بحجر لانتكؤه المراجعة فقال معاوية أما و الله يا ابن الزبير لو لا إيثارى الأناة على العجل والصفح على العقوبة وأنى كما قال الأول أجامل أقواما حياء و قدأرى || قلوبهم تغلى على مرضاهم . إذالقرنتك إلى ساريه من سوارى الحرم تسكن بهاغلواءك وينقطع عندها طمعك وتنقص من أملكك مالعلك قدلويته فشزرتة وفتلته فأبرمتة وايم الله إنك من ذلك لعلى شرف جرف بعيد الهوة فكن على نفسك ولها فما توبق و لاتنفذ غيرها فشأنك وإياها. قطع عبد الله بن الزبير فى الخطبة ذكر رسول الله ص جمعا كثيرة فاستعظم الناس ذلك فقال إنى لا أرغب عن ذكره ولكن له أهيل سوء إذاذكرته أتلعوا أعناقهم فأنا أحب أن أكتبهم . لما كاشف عبد الله بن الزبير بنى هاشم وأظهر بغضهم وعابهم وهم بما هم به فى [صفحة ١٢٨] أمرهم و لم يذكر رسول الله ص فى خطبة لا يوم الجمعة و لا غيرها عاتبه على ذلك قوم من خاصته وتشاءموا بذلك منه وخافوا عاقبته فقال و الله ماتركت ذلك علانية إلا و أنا أقوله سرا وأكثر منه لكنى رأيت بنى هاشم إذاسمعوا ذكره اشربوا واحمرت ألوانهم وطالت رقابهم و الله ماكنت لآتى لهم سرورا و أنا أقدر عليه و الله لقد هممت أن أحظر لهم حظيرة ثم أضرمها عليهم نارا فإنى لا أقتل منهم إلا آثما كفارا سحارا لأنماهم الله و لا بارك عليهم بيت سوء لا أول لهم و لا آخر و الله ماترك نبي الله فيهم خيرا استفرع نبي الله صدقهم فهم أكذب الناس . فقام إليه محمد بن سعد بن أبى وقاص فقال وفقك الله يا أمير المؤمنين أنا أول من أعانك فى أمرهم فقام عبد الله بن صفوان بن أمية الجمحى فقال و الله ما قلت صوابا و لاهممت برشد أرهط رسول الله ص تعيب وإياهم تقتل والعرب حولك و الله لو قتلت عدتهم أهل بيت من الترك مسلمين ماسوغه الله لك و الله لو لم ينصرهم الناس منك لنصرهم الله بنصره فقال اجلس أباصفوان فلست بناموس . فبلغ الخبر عبد الله بن العباس فخرج مغضبا ومعه ابنه حتى أتى المسجد فقصد قصد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله ص ثم قال أيها الناس

إن ابن الزبير يزعم أن لأول رسول الله ص و لا آخر فيا عجبا كل العجب لافترائه ولكذبه و الله إن أول من أخذ الإيلاف وحمى عيرات [صفحة ١٢٩] قريش لهاشم و إن أول من سقى بمكة عذبا وجعل باب الكعبة ذهبا لعبد المطلب و الله لقد نشأت ناشتتا مع ناشئة قريش و إن كنا لقاتلهم إذا قالوا وخطباءهم إذا خطبوا و ماعد مجد كمجد أولنا و لا كان في قريش مجد لغيرنا لأنها في كفر ماحق ودين فاسق و ضلله و ضلاله في عشواء عمياء حتى اختار الله تعالى لها نورا وبعث لها سراجا فانتجبه طيبا من طيبين لايسبه بمسبة و لا يبغي عليه غائلة فكان أحدنا وولدنا ووعنا و ابن عمنا ثم إن أسبق السابقين إليه منا و ابن عمنا ثم تلاه في السبق أهلنا ولحمتنا واحدا بعدواحد. ثم إنا لخير الناس بعده و أكرمهم أدبا و أشرفهم حسبا و أقربهم منه رحما. و اعجبا كل العجب لابن الزبير يعيب بنى هاشم و إنما شرف هو و أبوه و جده بمصاهرتهم أما و الله إنه لمسلوب قريش و متى كان العوام بن خويلد يطمع في صفة بنت عبدالمطلب قيل للبلع من أبوك يا بلع فقال خالي الفرس ثم نزل. خطب ابن الزبير بمكة على المنبر و ابن عباس جالس مع الناس تحت المنبر فقال إن هاهنا رجلا قد أعمى الله قلبه كما أعمى بصره يزعم أن متعة النساء حلال من الله ورسوله و يفتي في القملة و النملة و قد احتل بيت مال البصرة بالأمس و ترك المسلمين بها يرتضخون النوى و كيف ألومه في ذلك و قد قاتل أم المؤمنين وحوارى رسول الله ص و من وقاه بيده. [صفحة ١٣٠] فقال ابن عباس لقائده سعد بن جبير بن هشام مولى بنى أسد بن خزيمه استقبل بى وجه ابن الزبير و ارفع من صدرى و كان ابن عباس قد كف بصره فاستقبل به قائده وجه ابن الزبير و أقام قامته فحسر عن ذراعيه ثم قال يا ابن الزبير قد أنصف القارة من رامها || إنا إذا ما فئنه نلقاها نرد أولها على أحرها || حتى تصير حرضا دعواها. يا ابن الزبير أما العمى فإن الله تعالى يقول فأنها لا تعمى الأبصار و لكن تعمى القلوب التي في الصدور و أما فتياى في القملة و النملة فإن فيها حكيم لا تعلمها أنت و لأصحابك و أما حملى المال فإنه كان مالا جبيناه فأعطينا كل ذى حق حقه و بقيت بقيه هى دون حقنا فى كتاب الله فأخذناها بحقنا و أما المتعة فسل أمك أسماء إذ أنزلت عن بردى عوسجة و أما قاتلنا أم المؤمنين فبنا سميت أم المؤمنين لآبك و لا بأبيك فانطلق أبوك و خالك إلى حجاب مده الله عليها فهتكاه عنها ثم اتخذها فتنة يقاتلان دونها و صانا حلالتهما فى بيوتهما فما أنصفا الله و لا محمدا من أنفسهما أن أبرزوا زوجة نبيه و صانا حلالتهما و أما قاتلنا إياكم فإنا لقينا زحفا فإن كنا كفارا فقد كفرتم بفراركم منا و إن كنا مؤمنين فقد كفرتم بقتالكم إيانا و ايم الله لو لامكان صفة فيكم و مكان خديجة فينا لما تركت لبنى أسد بن عبد العزى عظما إلا كسرته. فلما عاد ابن الزبير إلى أمه سأله عن بردى عوسجة فقالت ألم أنهك عن ابن عباس و عن بنى هاشم فإنهم كعم الجواب إذا بدوها فقال بلى و عصيتك. -قرآن- ٥٠-

١٢٤ [صفحة ١٣١] فقالت يا بنى احذر هذا الأعمى الذى ما أطاقتة الإنس و الجن و اعلم أن عنده فضائح قريش و مخازيها بأسرها فإياك و إياه آخر الدهر فقال أيمن بن خريم بن فاتك الأسدى يا ابن الزبير لقد لاقيت بائقة || من البوائق فالطف لطف محتال لاقيته هاشميا طاب منبته || فى مغرسيه كريم العم و الخال مازال يقرع عنك العظم مقتدرا || على الجواب بصوت مسمع عال حتى رأيتك مثل الكلب منجحرا || خلف الغبيط و كنت الباذخ العالى إن ابن عباس المعروف حكمته || خير الأنام له حال من الحال غيرته المتعة المتبوع سنتها || و بالقتال و قد عيرت بالمال لمارماك على رسل بأسهمه || جرت عليك بسيف الحال و البال فاحتر مقولك الأعلى بشفرته || حزا و حيا بلا قيل و لا قال و اعلم بأنك إن عاودت غيبته || عادت عليك مخاز ذات أذبال. و روى عثمان بن طلحة العبدرى قال شهدت من ابن عباس رحمه الله مشهدا ماسمعته من رجل من قريش كان يوضع إلى جانب سرير مروان بن الحكم و هو يومئذ أمير المدينة سرير آخر أصغر من سريره فيجلس عليه عبد الله بن عباس إذا دخل و توضع الوسائد فيما سوى ذلك فأذن مروان يوما للناس و إذا سرير آخر قد أحدث تجاه سرير مروان فأقبل ابن عباس فجلس على سريره وجاء عبد الله بن الزبير فجلس على السرير المحدث و سكت مروان و القوم فإذا يد ابن الزبير [صفحة ١٣٢] تتحرك فعلم أنه يريد أن ينطق ثم نطق فقال إن ناسا يزعمون أن بيعه أبى بكر كانت غلطا و فلتة و مغالبة ألا إن شأن أبى بكر أعظم من أن يقال فيه هذا

ويزعمون أنه لو لا- ما وقع لكان الأمر لهم وفيهم و الله ما كان من أصحاب محمدص أحد أثبت إيماننا ولا أعظم سابقه من أبي بكر فمن قال غير ذلك فعليه لعنة الله فأين هم حين عقد أبوبكر لعمر فلم يكن إلا- ما قال ثم ألقى عمر حظهم في حظوظ وجددهم في حدود فقسمت تلك الحظوظ فأخر الله سهمهم وأدحض جددهم وولى الأمر عليهم من كان أحق به منهم فخرجوا عليه خروج اللصوص على التاجر خارجا من القرية فأصابوا منه غرة فقتلوه ثم قتلهم الله به قتله وصاروا مطرودين تحت بطون الكواكب . فقال ابن عباس على رسلك أيها القائل في أبي بكر وعمر والخلافة أما و الله مانالا- و لانال أحد منهما شيئا إلا وصاحبنا خير ممن نالا- و ما أنكرنا تقدم من تقدم لعبنا عليه و لو تقدم صاحبنا لكان أهلا وفوق الأهل و لو لأنك إنما تذكر حظ غيرك وشرف امرئ سواك لكلمتك ولكن ما أنت و ما لاحظ لك فيه اقتصر على حظك ودع تيما لتيمة وعديا لعدى وأميه لأمية و لو كلمنى تيمى أو عدوى أو أموى لكلمته وأخبرته خبر حاضر عن حاضر لاخبر غائب عن غائب ولكن ما أنت و ما ليس عليك فإن يكن فى أسد بن عبد العزى شىء فهو لك أما و الله لنحن أقرب بك عهدا وأبيض عندك يدا وأوفر عندك نعمة ممن أمسيت تظن أنك تصول به علينا و ما أخلق ثوب صفيء بعد و الله المستعان على ماتصفون . [صفحة ١٣٣] أوصى معاوية يزيد ابنه لما عقد له الخلافة بعده فقال إنى لأخاف عليك إلا ممن أوصيك بحفظ قرابته ورعاية حق رحمه من القلوب إليه مائلة والأهواء نحوه جانحة والأعين إليه طامحة و هو الحسين بن على فاقسم له نصيبا من حلمك واخصصه بقسط وافر من مالك و متعه بروح الحياة وأبلغ له كل ما أحب فى أيامك فأما من عداه فثلاثة وهم عبد الله بن عمر رجل قد وقفته العبادة فليس يريد الدنيا إلا أن تجيئه طائعة لاتراق فيهما حجمة دم و عبد الرحمن بن أبى بكر رجل هقل لا يحمل ثقلا و لا يستطيع نهوضا و ليس بذى هممة و لا شرف و لا أعوان و عبد الله بن الزبير و هو الذئب الماكر و الثعلب الخاطر فوجه إليه جدك و عزمك و نكيرك و مكرك و اصرف إليه سطوتك و لا تتق إليه فى حال فإنه كالثعلب راغ بالختل عند الإرهاق والليث صال بالجراءة عند الإطلاق و أما ما بعده هؤلاء فإنى قد و طئت لك الأمم و ذلت لك أعناق المناير و كفتك من قرب منك و من بعد عنك فكن للناس كما كان أبوك لهم يكونوا لك كما كانوا لأبيك . خطب عبد الله بن الزبير أيام يزيد بن معاوية فقال فى خطبته يزيد القروذ يزيد الفهود يزيد الخمور يزيد الفجور أما و الله لقد بلغنى أنه لا يزال مخمورا يخطب الناس و هو طافح فى سكره فبلغ ذلك يزيد بن معاوية فما أمسى ليلته حتى جهز جيش الحره و هو عشرون ألفا و جلس و الشموع بين يديه و عليه ثياب معصفرة و الجنود تعرض عليه ليلا فلما أصبح خرج فأبصر الجيش و رأى تعبته فقال أبلغ أبابكر إذا الجيش انبرى || وأخذ القوم على وادى القرى [صفحة ١٣٤] عشرين ألفا بين كهل و فتى || أجمع سكران من القوم ترى أم جمع ليث دونه ليث الشرى . لما خرج الحسين ع من مكة إلى العراق ضرب عبد الله بن عباس بيده على منكب ابن الزبير و قال يا لك من قبرة بمعمر || خلا لك الجو فيضى و اصفرى و نقرى ماشئت أن تنقرى || هذا الحسين سائر فأبشرى . خلا الجو و الله لك يا ابن الزبير و سار الحسين إلى العراق فقال ابن الزبير يا ابن عباس و الله ماترون هذا الأمر إلا لكم و لاترون إلا أنكم أحق به من جميع الناس فقال ابن عباس إنما يرى من كان فى شك و نحن من ذلك على يقين ولكن أخبرنى عن نفسك بما ذا تروم هذا الأمر قال بشرفى قال و بما ذا شرفت إن كان لك شرف فإنما هوبنا فنحن أشرف منك لأن شرفك منا و علت أصواتهما فقال غلام من آل الزبير دعنا منك يا ابن عباس فو الله لاتحبونا يا بنى هاشم و لانحبكم أبدا فلطمه عبد الله بن الزبير بيده و قال أتتكلم و أنا حاضر فقال ابن عباس لم ضربت الغلام و الله أحق بالضرب منه من مزق و مرق قال و من هو قال أنت . قال و اعترض بينهما رجال من قریش فأسكتوهما . [صفحة ١٣٥] دخل عبد الله بن الزبير على معاوية فقال اسمع أبياتا قتلها عاتبتك فيها قال هات فأنشده لعمرى ما أدرى و إنى لأوجل || على أيننا تعدو المنية أول و إنى أخوك الدائم العهد لم أزل || إن أعيالك خصم أونبا بك منزل أحارب من حاربت من ذى عداوة || و أحبس يوما إن حبست فأعقل و إن سؤتى يوما صفحت إلى غد || ليعقب يوم منك آخر مقبل ستقطع فى الدنيا إذا ما قطعتنى ||

يمينك فانظر أى كف تبدل إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته || على طرف الهجران إن كان يعقل ويركب حد السيف من أن تضيّمه || إذا لم يكن عن شفرة السيف معدل وكنت إذا ماصاحب مل صحبتى || وبدل شرا بالذى كنت أفعل قلبت له ظهر المجن و لم أقم || على الضيم لإريثما أتحوّل و فى الناس إن رثت حبالك واصل || و فى الأرض عن دار القلى متحوّل إذا انصرفت نفسى عن الشىء لم تكّد || إليه بوجه آخر الدهر تقبل . فقال معاوية لقد شعرت بعدى يا أباحبيب وبينما هما فى ذلك دخل معن بن أوس المزنى فقال له معاوية إيه هل أحدثت بعدنا شيئا قال نعم قال قل فأنشده هذه الأبيات فعجب معاوية و قال لابن الزبير أ لم تنشدها لنفسك آنفا فقال أناسويت المعانى و هو ألفت الألفاظ ونظمها و هو بعد ظئرى فما قال من شىء فهو لى و كان ابن الزبير مسترضعا فى مزينه فقال معاوية وكذبا يا أباحبيب فقام عبد الله فخرج . [صفحہ ۱۳۶] و قال الشعبى فقد رأيت عجبا بفناء الكعبة أنا و عبد الله بن الزبير و عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير فقام القوم بعد ما فرغوا من حديثهم فقالوا ليقم كل واحد منكم فليأخذ بالركن اليمانى ثم يسأل الله تعالى حاجته فقام عبد الله بن الزبير فالتزم الركن و قال اللهم إنك عظيم ترجى لكل عظيم أسألك بحرمة وجهك و حرمة عرشك و حرمة بيتك هذا ألا تخرجنى من الدنيا حتى ألى الحجاز ويسلم على بالخلافه و جاء فجلس . فقام أخوه مصعب فالتزم الركن و قال اللهم رب كل شىء وإليك مصير كل شىء أسألك بقدرتك على كل شىء ألا تميتنى حتى ألى العراق و أتزوج سكينه بنت الحسين بن على ثم جاء فجلس . فقام عبد الملك فالتزم الركن و قال اللهم رب السموات السبع و الأرض ذات النبت و القفر أسألك بما سألك به المطيعون لأمرك و أسألك بحق وجهك و بحقك على جميع خلقك ألا- تميتنى حتى ألى شرق الأرض و غربها لا ينازعى أحد إلا ظهرت عليه ثم جاء فجلس . فقام عبد الله بن عمر فأخذ بالركن و قال يارحمان يارحيم أسألك برحمتك التى سبقت غضبك و بقدرتك على جميع خلقك ألا تميتنى حتى توجب لى الرحمة . قال الشعبى فو الله ما خرجت من الدنيا حتى بلغ كل من الثلاثة ما سأل و أخلق بعبد الله بن عمر أن تجاب دعوته و أن يكون من أهل الرحمة . [صفحہ ۱۳۷] قال الحجاج فى خطبته يوم دخل الكوفة هذا أدب ابن نهية أما و الله لأؤدبنكم غير هذا الأدب . قال ابن ماکولا فى كتاب الإكمال يعنى مصعب بن الزبير و عبد الله أخاه وهى نهية بنت سعيد بن سهم بن هصيص وهى أم ولد أسد بن عبدالعزيز بن قصى و هذا من المواضع الغامضة . و روى الزبير بن بكار فى كتاب أنساب قريش قال قدم وفد من العراق على عبد الله بن الزبير فأتوه فى المسجد الحرام فسلموا عليه فسألهم عن مصعب أخيه و عن سيرته فيهم فأتوا عليه وقالوا خيرا و ذلك فى يوم جمعة فصلى عبد الله بالناس الجمعة ثم صعد المنبر فحمد الله ثم تمثل قد جربونى ثم جربونى || من غلوتين و من المثين حتى إذا شابوا و شيبونى || خلوا عنانى ثم سيبونى . أيها الناس إنى قد سألت هذا الوفد من أهل العراق عن عاملهم مصعب بن الزبير فأحسنوا الشاء عليه و ذكروا عنه ما أحب ألا إن مصعبا طبى القلوب حتى لا تعدل به و الأهواء حتى لا-تحوّل عنه و استمال الألسن بثنائها و القلوب بنصائحها و الأنفس بمحبتها و هو المحبوب فى خاصته المأمون فى عامته بما أطلق الله به لسانه من الخير و بسط به يديه من البذل ثم نزل . و روى الزبير قال لما جاء عبد الله بن الزبير نعى المصعب صعد المنبر فقال [صفحہ ۱۳۸] الحمد لله الذى له الخلق و الأمر يؤتى الملك من يشاء و ينزع الملك ممن يشاء و يعز من يشاء و يذل من يشاء إلا- و إنه لم يذل الله من كان الحق معه و لو كان فردا و لم يعزز الله ولى الشيطان و حزبه و إن كان الأنام كلهم معه إلا- و إنه قد أتانا من العراق خير أحنزنا و أفرحنا أتانا قتل المصعب رحمه الله فأما الذى أحنزنا فإن لفراق الحميم لذعه يجدها حميمه عند المصيبة ثم يرعوى بعدها ذو الرأى إلى جميل الصبر و كرم العزاء و أما الذى أفرحنا فإن قتله كان عن شهادة و إن الله تعالى جعل ذلك لنا و له ذخيرة ألا إن أهل العراق أهل الغدر و النفاق أسلموه و باعوه بأقل الثمن فإن يقتل المصعب فإننا لله و إنا إليه راجعون مانموت جبحا كما يموت بنو العاص مانموت إقتلا قعصا بالرماح و موتا تحت ظلال السيوف ألا إنما الدنيا عارية من الملك الأعلى الذى لا يزول سلطانه و لا يبيد فإن تقبل الدنيا على لا آخذها أخذ الأشر البطر و إن تدبر عنى لا أبكى عليها بكاء

الخرف المهتر و إن يهلك المصعب فإن في آل الزبير لخلفا ثم نزل . وروى الزبير بن بكار قال خطب عبد الله بن الزبير بعد أن جاءه مقتل المصعب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال لئن أصبت بمصعب فلقد أصبت يمامي عثمان فعظمت مصيبتة ثم أحسن الله وأجمل ولئن أصبت بمصعب فلقد أصبت بأبي الزبير فعظمت مصيبتة فظننت أني لأجيزها ثم أحسن الله وسلم واستمرت مريرتي وهل كان مصعب إلا فتى من فتيانى ثم غلبه البكاء فسالت دموعه وقال كان والله سريا مريا ثم قال [صفحہ ۱۳۹] هم دفعوا الدنيا على حين أعرضت || كراما وسنوا للكرام التأسيا . وروى أبو العباس في الكامل أن عروة لما صلب عبد الله جاء إلى عبد الملك فوقف ببابه وقال للحاجب أعلم أمير المؤمنين أن أبا عبد الله بالباب فدخل الحاجب فقال رجل يقول قولاً عظيماً قال وما هو فتعجب فقال قل قال رجل يقول قل لأمر المؤمنين أبو عبد الله بالباب فقال عبد الملك قل لعروة يدخل فدخل فقال تأمر يا نزال جيفة أبي بكر فإن النساء يجزغن فأمر يا نزاله قال وقد كان كتب الحجاج إلى عبد الملك يقول إن خزائن عبد الله عند عروة فمره فليسلمها فدفع عبد الملك إلى عروة وظن أنه يتغير فلم يحفل بذلك كأنه ما قرأه فكتب عبد الملك إلى الحجاج ألا يعرض لعروة . ومن الكلام المشهور في بخل عبد الله بن الزبير الكلام الذي يحكى أن أعرابيا أتاه يستحمه فقال قد نقب خف راحلتي فاحملني إني قطعت الهواجر إليك عليها فقال له ارقعها بسبت واخصفها بهلب وأنجد بها وسر بها البردين فقال إنما أتيتك مستحملا لم آتتك مستوصفا لعن الله ناقة حملتني إليك قال إن وراكبها . [صفحہ ۱۴۰] وهذا الأعرابي هو فضالة بن شريك فهجاه فقال أرى الحاجات عند أبي خبيب || نكدن ولا أمية بالبلاد من الأعياص أو من آل حرب || أغر كغرة الفرس الجواد . دخل عبد الله بن الزبير على معاوية فقال يا أمير المؤمنين لاتدعن مروان يرمى جماهير قريش بمشاقصه ويضرب صفاتهم بمعوله أما والله إنه لو لامكانك لكان أخف على رقابنا من فراشه وأقل في أنفسنا من خشاشه وإيم الله لئن ملك أعنه خيل تنقاد له لتركب منه طبقا تخافه . فقال معاوية إن يطلب مروان هذا الأمر فقد طمع فيه من هودونه وإن يتركه يتركه لمن فوقه وما أراكم بمتتهين حتى يبعث الله عليكم من لا يعطف عليكم بقرابة ولا يذكركم عند ملمة يسومكم خسفا ويسوقكم عسفا . فقال ابن الزبير إذن والله يطلق عقال الحرب بكتائب تمور كرجل الجراد تتبع غطريفا من قريش لم تكن أمه راعية ثلثة . فقال معاوية أنا ابن هند أطلقت عقال الحرب فأكلت ذروة السنام وشربت عنفوان المكرع وليس للآكل بعدى إلا الفلذة وللشارب إلا الرنق . [صفحہ ۱۴۱] فسكت ابن الزبير . قدم عبد الله بن الزبير على معاوية وافدا فرحب به وأدناه حتى أجلسه على سريره ثم قال حاجتك أباخبيب فسأله أشياء ثم قال له سل غير ما سألت قال نعم المهاجرون والأنصار ترد عليهم فيهم وتحفظ وصية نبي الله فيهم تقبل من محسنهم وتتجاوز عن مسيئهم . فقال معاوية هيهات هيهات لا والله ماتأمن النعجة الذئب وقد أكل أليتها . فقال ابن الزبير مهلا يا معاوية فإن الشاة لتدر للحالب وإن المدينة في يده وإن الرجل الأريب ليصانع ولده الذي خرج من صلبه وما تدور الرحي إلا بقطبها ولا تصلح القوس إلا بمعجسها . فقال يا أباخبيب لقد أجزرت الطروقة قبل هباب الفحل هيهات وهي لا تصطك لحبائها اصطكاك القروم السوامي فقال ابن الزبير العطن بعد العطن والعل بعد النهل ولا بد للرحاء من الثفال ثم نهض ابن الزبير . فلما كان العشاء أخذت قريش مجالسها وخرج معاوية على بنى أمية فوجد عمرو [صفحہ ۱۴۲] بن العاص فيهم فقال ويحكم يا بنى أمية أفيكم من يكفيني ابن الزبير فقال عمرو أنا أكفيكه يا أمير المؤمنين قال ما أظنك تفعل قال بلى والله لأربدن وجهه ولأخرسن لسانه ولأردنه ألين من خميلة . فقال دونك فاعرض له إذا دخل فدخل ابن الزبير وكان قد بلغه كلام معاوية وعمرو فجلس نصب عيني عمرو فتحدثوا ساعة ثم قال عمرو وإني لنار ما يطاق اصطلاؤها || لدى كلام معضل متفاهم . فأطرق ابن الزبير ساعة ينكت في الأرض ثم رفع رأسه وقال وإني لبحر ما يسامى عبابه || متى يلق بحرى حر نارك يخمد . فقال عمرو والله يا ابن الزبير إنك ما علمت لمتجلبب جلابيب الفتنة متأزر بوسائل التيه تعاطى الذرى الشاهقة والمعالي الباسقة وما أنت من قريش في لباب جوهرها ولا مؤنق حسبها . فقال ابن الزبير أما ما ذكرت من تعاطى الذرى فإنه طال بي إليها وسما ما لا يطول بك مثله أنف حمى وقلب ذكى

وصارم مشرفى فى تليد فارع وطريف مانع إذ قعد بك انتفاخ سحرك ووجيب قلبك و أما ماذكرت من أنى لست من قريش فى باب جوهرها ومؤنق حسبها فقد حضرتنى وإياك الأكفاء العالمون بى وبك فاجعلهم بينى وبينك . [صفحہ ۱۴۳] فقال القوم قدأنصفك ياعمر و قال قدفعلت . فقال ابن الزبير أما إذ أمكننى الله منك فلاأريدن وجهك ولأخرسن لسانك ولترجعن فى هذه الليله و كان أذى بين منكيك مشدود إلى عروق أخدعيك ثم قال أقسمت عليكم يامعاشر قريش أناأفضل فى دين الإسلام أم عمرو فقالوا ألهم أنت قال فأبى أفضل أم أبوه قالوا أبوك حوارى رسول الله ص و ابن عمته قال فأبى أفضل أم أمه قالوا أمك أسماء بنت أبى بكر الصديق وذات النطاقين قال فعمتى أفضل أم عمته قالوا عمتك سلمى ابنه العوام صاحبه رسول الله ص أفضل من عمته قال فخالتي أفضل أم خالته قالوا خالتك عائشه أم المؤمنين قال فجدتى أفضل أم جدته فقال جدتك صفيه بنت عبدالمطلب عمه رسول الله ص قال فجدى أفضل أم جده قالوا جدك أبوبكر الخليفه بعد رسول الله ص فقال قضت الغطارف من قريش بيننا || فاصبر لفصل خصامها وقضائها و إذاجريت فلاتجار ميرزا || بذ الجياد على احتفال جرائها . أما و الله يا ابن العاص لو أن أذى أمرك بهذا واجهنى بمثله لقصرت إليه من سامى بصره ولتركته يتلجلج لسانه وتضطرم النار فى جوفه ولقد استعان منك بغير واف ولجأ إلى غير كاف ثم قام فخرج . وذكر المسعودى فى كتاب مروج الذهب أن الحجاج لماحاصر ابن الزبير لم يزل يزحف حتى ملك الجبل المعروف بأبى قبيس و قد كان بيد ابن الزبير فكتب [صفحہ ۱۴۴] بذلك إلى عبدالمملك فلما قرأ كتابه كبر وكبر من كان فى داره حتى اتصل التكبير بأهل السوق فكبروا وسأل الناس ماالخبر فقيل لهم إن الحجاج حاصر ابن الزبير بمكه وظفر بأبى قبيس فقال الناس لانرضى حتى يحمل أبوخيبي إلينا مكبلا على رأسه برنس راكب جمل يطاف به فى الأسواق تراه العيون . وذكر المسعودى أن عمه عبدالمملك كانت تحت عروه بن الزبير و أن عبدالمملك كتب إلى الحجاج يأمره بالكف عن عروه و ذلك قبل أن يقتل عبد الله وألا يسوءه إذاظفر بأخيه فى ماله و لا فى نفسه قال فلما اشتد الحصار على عبد الله خرج عروه إلى الحجاج فأخذ لعبد الله أمانا ورجع إليه فقال هذا عمرو بن عثمان و خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد وهما فتيا بنى أميه يعطيانك أمان عبدالمملك ابن عمهما على ماأحدثت أنت و من معك و أن تنزل أى البلاد شئت و لك بذلك عهد الله وميثاقه فأبى عبد الله قبول ذلك ونهته أمه وقالت لامتوتن إلاكراما فقال لها إنى أخاف إن قتلت أن أصلب أويمثل بى فقالت إن الشاه بعدالذبح لاتحس بالسليخ . وروى المسعودى أن عبد الله بن الزبير بعدموت يزيد بن معاويه طلب من يؤمره على الكوفه و قد كان أهلها أحبوا أن يليهم غيربنى أميه فقال له المختار بن أبى عبيد اطلب رجلا له رفق وعلم بما يأتى وتدبر قوله إياها يستخرج لك منها جندا تغلب به أهل الشام فقال أنت لها فبعته إلى الكوفه فأتاها وأخرج ابن مطيع منها وابتنى لنفسه دارا وأنفق عليها مالا جليلا وسأل عبد الله بن الزبير أن يحتسب له به من مال العراق فلم يفعل فخلعه ووجد بيعته ودعا إلى الطالبين . [صفحہ ۱۴۵] قال المسعودى وأظهر عبد الله بن الزبير الزهد فى الدنيا وملازمه العباده مع الحرص على الخلافه وشبر بطنه فقال إنما بطنى شبر فما عسى أن يسع ذلك الشبر وظهر عنه شح عظيم على سائر الناس ففى ذلك يقول أبوحمزه مولى آل الزبير إن الموالى أمست وهى عاتبه || على الخليفه تشكوا الجوع والحربا ماذا علينا و ماذا كان يرزونا || أى الملوك على ماحولنا غلبا . و قال فيه أيضا لو كان بطنك شبرا قدشبت و قد || أفضلت فضلا كثيرا للمساكين مازلت فى سورة الأعراف تدرسها || حتى فوادى مثل الخز فى اللين . و قال فيه شاعر أيضا لماكانت الحرب بينه و بين الحصين بن نمير قبل أن يموت يزيد بن معاويه فىا راكبا إما عرضت فبلغن || كبير بنى العوام إن قيل من تعنى تخبر من لاقيت أنك عائذ || وتكثر قتلى بين زمزم والركن . و قال الضحاک بن فيروز الديلمى تخبرنا أن سوف تكفيك قبضه || وبطنك شبر أوأقل من الشبر و أنت إذا مانلت شيئا قضمته || كماقضمت نار الغضا حطب السدر فلو كنت تجزى أوتشيب بنعمه || قريبا لردتك العطوف على عمرو . قال هو عمرو بن الزبير أخوه ضربه عبد الله حتى مات و كان مباينا له . [صفحہ ۱۴۶] كان يزيد بن معاويه قدولى الوليد بن عتبه

بن أبي سفيان المدينة فسرّح الوليد منها جيشا إلى مكة لحرب عبد الله بن الزبير عليه عمرو بن الزبير فلما تصاف القوم انهزم رجال عمرو وأسلموه فظفر به عبد الله فأقامه للناس بباب المسجد مجردا و لم يزل يضربه بالسياط حتى مات . و قد رأيت في غير كتاب المسعودي أن عبد الله وجد عمرا عند بعض زوجاته و له في ذلك خبر لأحب أن أذكره . قال المسعودي ثم إن عبد الله بن الزبير حبس الحسن بن محمد بن الحنفية في حبس مظلم وأراد قتله فأعمل الحيلة حتى تخلص من السجن وتعسف الطريق على الجبال حتى أتى منى و بها أبوه محمد بن الحنفية . ثم إن عبد الله جمع بني هاشم كلهم في سجن عارم وأراد أن يحرقهم بالنار وجعل في فم الشعب حطبا كثيرا فأرسل المختار أبا عبد الله الجدلي في أربعة آلاف فقال أبو عبد الله لأصحابه ويحكم إن بلغ ابن الزبير الخبر عجل على بني هاشم فأتى عليهم فانتدب هونفسه في ثمانمائة فارس جريده فما شعر بهم ابن الزبير إلا والرايات تخفق بمكة فقصده قصد الشعب فأخرج الهاشميين منه ونادى بشعار محمد بن الحنفية وسماه المهدي وهرب ابن الزبير فلاذ بأستار الكعبة فنهاهم محمد بن الحنفية عن طلبه [صفحہ ۱۴۷] و عن الحرب و قال لأريد الخلافة إلا إن طلبني الناس كلهم واتفقوا على كلهم و لا حاجة لي في الحرب . قال المسعودي و كان عروة بن الزبير يعذر أخاه عبد الله في حصر بني هاشم في الشعب وجمعه الحطب ليحرقهم و يقول إنما أراد بذلك ألا تنتشر الكلمة و لا يختلف المسلمون و أن يدخلوا في الطاعة فتكون الكلمة واحدة كما فعل عمر بن الخطاب بيني هاشم لماتوا عن بيعه أبي بكر فإنه أحضر الحطب ليحرق عليهم الدار . قال المسعودي وخطب ابن الزبير يوم قدم أبو عبد الله الجدلي قبل قدومه بساعتين فقال إن هذا الغلام محمد بن الحنفية قد أبي بيعتي والموعد بيني وبينه أن تغرب الشمس ثم أضرم عليه مكانه نارا فجاء إنسان إلى محمد فأخبره بذلك فقال سيمعنه مني حجاب قوى فجعل ذلك الرجل ينظر إلى الشمس ويرقب غيوبتها لينظر ما يصنع ابن الزبير فلما كادت تغرب حاست خيل أبي عبد الله الجدلي ديار مكة وجعلت تمعج بين الصفا والمروة وجاء أبو عبد الله الجدلي بنفسه فوقف على فم الشعب واستخرج محمدا ونادى بشعاره واستأذنه في قتل ابن الزبير فكره ذلك و لم يأذن فيه وخرج من مكة فأقام بشعب رضوى حتى مات . [صفحہ ۱۴۸] وروى المسعودي عن سعيد بن جبيرة أن ابن عباس دخل على ابن الزبير فقال له ابن الزبير إلام تؤنبنى وتعنفنى قال ابن عباس إنى سمعت رسول الله ص يقول بئس المرء المسلم يشع ويجوع جاره -رواية ۱- ۲-رواية ۵۰- ۸۸ و أنت ذلك الرجل فقال ابن الزبير و الله إنى لأكتم بغضكم أهل هذا البيت منذ أربعين سنة وتشاجرا فخرج ابن عباس من مكة خوفا على نفسه فأقام بالطائف حتى مات . وروى أبو الفرج الأصفهاني قال أتى فضالة بن شريك الوالبي ثم الأسدي من بني أسد بن خزيمه عبد الله بن الزبير فقال نفذت نفقتى ونقتب ناقتى فقال أحضرنيها فأحضرها فقال أقبل بها أدبر بها ففعل فقال ارقعها بسبت واخصفها بهلب وأنجد بها يبرد خفها وسر البردين تصح فقال فضالة إنى أتيتك مستحملا و لم آتتك مستوصفا فلعن الله ناقة حملتني إليك فقال إن وراكبها فقال فضالة أقول لغلمة شدوا ركابى || أجازو بطن مكة فى سواد فما لى حين أقطع ذات عرق || إلى ابن الكاهلية من معاد سيبعد بيننا نص المطايا || وتعليق الأداوى والمزاد و كل معبد قد أعلمته || مناسمهن طلاع النجاد [صفحہ ۱۴۹] أرى الحاجات عند أبي خبيب || نكدن و لا أمية بالبلاذ من الأعياص أو من آل حرب || أغر كغرة الفرس الجواد . قال ابن الكاهلية هو عبد الله بن الزبير والكاهلية هذه هى أم خويلد بن أسد بن عبد العزى واسمها زهرة بنت عمرو بن خنثر بن روينه بن هلال من بنى كاهل بن أسد بن خزيمه قال فقال عبد الله بن الزبير لما بلغه الشعر علم أنها شر أمهاتى فغيرنى بها وهى خير عماته . وروى أبو الفرج قال كانت صفية بنت أبي عبيد بن مسعود الثقفى تحت عبد الله بن عمر بن الخطاب فمشى ابن الزبير إليها فذكر لها أن خروجه كان غضبا لله عز و جل ولرسوله ص وللمهاجرين والأنصار من أثره معاوية وابنه بالفى وسألها مسألة زوجها عبد الله بن عمر أن يبایعه فلما قدمت له عشاءه ذكرت له أمر ابن الزبير وعبادته واجتهاده وأثنت عليه وقالت إنه ليدعو إلى طاعة الله عز و جل وأكثر القول فى ذلك فقال لها ويحك أ ما رأيت البغلات الشهب التى كان يحج معاوية عليها وتقدم إلينا من الشام قالت

وَ قَالَ ع مَا لِبْنِ آدَمَ وَ الْفَخْرِ أَوْلُهُ نُطْفَةٌ وَ آخِرُهُ جِيفَةٌ لَّا يَرْزُقُ نَفْسَهُ وَ لَّا يَدْفَعُ حَتْفَهُ قَدْتَقَدَّمُ كَلَامُنَا فِي الْفَخْرِ وَ ذَكَرْنَا الشَّعْرَ الَّذِي أَخَذَ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ وَ هُوَ قَوْلُ الْقَائِلِ مَا بَالَ مِنْ أَوْلِهِ نُطْفَةٌ || وَ جِيفَةٌ آخِرُهُ يَفْخِرُ يَصْبِحُ مَا يَمْلِكُ تَقْدِيمًا مَا || يَرْجُو وَ لَا تَأْخِيرَ مَا يَحْذَرُ

فصل فى الفخر و ما قيل فى النهى عنه

وَ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ الْفَخْرُ هُوَ الْمَبَاهَاةُ بِالْأَشْيَاءِ الْخَارِجَةِ عَنِ الْإِنْسَانِ وَ ذَلِكَ نَهَايَةُ الْحَمَقِ لَمَنْ نَظَرَ بِعَيْنِ عَقْلِهِ وَ انْحَسَرَ عَنْهُ قِنَاعُ جِهَلِهِ فَأَعْرَاضَ الدُّنْيَا عَارِيَةً مُسْتَرْدَةً لِأَيُّ مَنِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ أَنْ تَرْتَجِعَ وَ الْمَبَاهِي بِهَا مَبَاهٍ بِمَا فِي غَيْرِ ذَاتِهِ . وَ قَدْ قَالَ لِبَعْضٍ مِنْ فَخْرٍ بِثَرَوَتِهِ وَ وَفَرِهِ إِنْ افْتَخَرْتَ بِفِرْسِكِ فَالْحَسَنُ وَ الْفَرَاهَةُ لَهُ دُونَكَ وَ إِنْ افْتَخَرْتَ بِثِيَابِكَ وَ آتَانِكَ فَالْجَمَالُ لَهُمَا دُونَكَ وَ إِنْ افْتَخَرْتَ بِآبَائِكَ [صفحه ١٥١] وَ سَلَفِكَ فَالْفَضْلُ فِيهِمْ لِأَنَّهُمْ لَوْ تَكَلَّمْتَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ لَقَالَتْ لَكَ هَذِهِ مُحَاسِنُنَا فَمَا مُحَاسِنُكَ . وَ أَيْضًا فَإِنَّ الْأَعْرَاضَ الدُّنْيَوِيَّةَ كَمَا قِيلَ سَحَابَةٌ صَيْفٌ عَنِ قَلِيلٍ تَقْشَعُ وَ ظِلٌّ زَائِلٌ عَنِ قَرِيبٍ يَضْمَحِلُّ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ إِنَّمَا الدُّنْيَا كَرُؤْيَا فَرَحَتْ || مِنْ رَأَاهَا سَاعَةً ثُمَّ انْقَضَتْ . بَلْ كَمَا قَالَ تَعَالَى إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَ الْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَ أَزْيِنَتْ وَ ظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرٌ نَاقِلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ . وَ إِذَا كَانَ لِأَبَدٍ مِنَ الْفَخْرِ فَلْيَخْفِرِ الْإِنْسَانُ بِعِلْمِهِ وَ بِشَرِيفِ خَلْقِهِ وَ إِذَا أَعْجَبَكَ مِنَ الدُّنْيَا شَيْءٌ فَادْكُرْ فَنَاءَكَ وَ بَقَاءَكَ أَوْ بَقَاءَكَ وَ فَنَاءَكَ أَوْ فَنَاءَكَ كَمَا جَمِيعًا وَ إِذَا رَاقَكَ مَا هُوَ لَكَ فَانظُرْ إِلَى قَرْبِ خُرُوجِهِ مِنْ يَدِكَ وَ بَعْدَ رَجُوعِهِ إِلَيْكَ وَ طَوَّلِ حَسَابِكَ عَلَيْهِ وَ قَدْ ذَمَّ اللَّهُ الْفَخْرَ فَقَالَ وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ - قُرْآن - ٢١ - ٣٢١ - قُرْآن - ٥٧٧ - ٦١٦ [صفحه ١٥٢]

الْغِنَى وَ الْفَقْرُ بَعْدَ الْعَرَضِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى أَى لَا يَبْعَدُ الْغِنَى غِنِيًا فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا مِنْ حَصَلٍ لَهُ ثَوَابُ الْآخِرَةِ الَّذِي لَا يَنْقَطِعُ أَبَدًا وَ لَا يَبْعَدُ الْفَقْرُ فَقِيرًا إِلَّا - مِنْ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا - يَزَالُ شَقِيًّا مُعَذَّبًا وَ ذَاكَ هُوَ الْفَقْرُ بِالْحَقِيقَةِ . فَأَمَّا غِنَى الدُّنْيَا وَ فَقْرُهَا فَأَمْرَانِ عَرَضِيَانِ زَوَالُهُمَا سَرِيعٌ وَ انْقِضَاؤُهُمَا وَ شَيْكٌ . وَ إِطْلَاقُ هَاتَيْنِ اللَّفْظَتَيْنِ عَلَى مَسَاهِمَا الدُّنْيَوِيَّةِ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ عِنْدَ أَرْبَابِ الطَّرِيقَةِ أَعْنَى الْعَارِفِينَ [صفحه ١٥٣]

وَ سِيَّلَ عَن أَشْعَرِ الشَّعْرَاءِ فَقَالَ عِ إِنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَجْزُوا فِي حَلْبِهِ تُعَرَّفُ الْغَايَةُ عِنْدَ قَصَبَتِهَا فَإِنْ كَانَ وَ لَا بُدَّ فَالْمَلِكُ الضَّلِيلُ قَالَ يَرِيدُ
إِمْرَأَ الْقَيْسِ

في مجلس علي بن أبي طالب

قرأت في أمالي ابن دريد قال أخبرنا الجرهموزي عن ابن المهلب عن ابن الكلبي عن شداد بن إبراهيم عن عبيد الله بن الحسن العنبري عن ابن عرادة قال كان علي بن أبي طالب ع يعيش الناس في شهر رمضان باللحم ولا يتعشى معهم فإذا فرغوا خطبهم ووعظهم فأفاضوا ليلة في الشعراء وهم علي عشائهم فلما فرغوا خطبهم ع وقال في خطبته اعلموا أن ملاك أمركم الدين وعصمتكم التقوى وزينتكم الأدب وحصون أعراضكم الحلم ثم قال قل يا أبا الأسود فيم كنتم تفيضون فيه أي الشعراء أشعر فقال يا أمير المؤمنين أأذى يقول -رواية- ١-٢-رواية- ١٥٤-٥٢٤ ولقد أعتدى يدافع ركني || أعوجي ذو ميعه إضريح [صفحة ١٥٤] مخط مزيل معن مفن || منفتح مطرح سبوح خروج .يعني أبادواد الإيادي فقال ع ليس به قالوا فمن يا أمير المؤمنين فقال لورفعت للقوم غايه فجزوا إليها معا علمنا من السابق منهم ولكن إن يكن فالذي لم يقل عن رغبة ولا رهبة قيل من هو يا أمير المؤمنين قال هو الملك الضليل ذو القروح قيل إمرؤ القيس يا أمير المؤمنين قال هو قيل فأخبرنا عن ليلة القدر قال ما أخلو من أن أكون أعلمها فأستر علمها ولست أشك أن الله إنما يسترها عنكم نظرا لكم لأنه لو أعلمكموها عملتم فيها وتركتم غيرها وأرجو أن لا تخطئكم إن شاء الله انهضوا رحمكم الله . وقال ابن دريد لمافرغ من الخبر إضريح ينبثق في عدوه وقيل واسع الصدر ومنفتح يخرج الصيد من مواضعه ومطرح يطرح ببصره وخروج سابق . والغاية بالغين المعجزة الراهية قال الشاعر -رواية- ١-٦٨٣ و إذا غايه مجد رفعت || نهض الصلت إليها فحواها . ويروي قول الشماخ -رواية- ١-٢٣ إذا مارايه رفعت لمجد || تلقاها غرابه باليمين . بالغين والراء أكثر فأما البيت الأول فبالغين لا غير أنشده الخليل في عروضه وفي حديث طويل في الصحيح فيأتونكم تحت ثمانين غايه تحت كل غايه اثنا عشر ألفا والميعه أول جرى الفرس وقيل الجري بعد الجري -رواية- ١-٢١٢ [صفحة ١٥٥]

اختلاف العلماء في تفضيل بعض الشعراء على بعض

وأنا ذكر في هذا الموضوع ما اختلف فيه العلماء من تفضيل بعض الشعراء على بعض وأبتدى في ذلك بما ذكره أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني في كتاب الأغاني قال أبو الفرج الثلاثة المقدمون على الشعراء إمرؤ القيس وزهير والنابعة لاختلاف في أنهم مقدمون على الشعراء كلهم وإنما اختلف في تقديم بعض الثلاثة على بعض . قال فأخبرني أبو خليفه عن محمد بن سلام عن أبي قيس عن عكرمة بن جرير عن أبيه قال شاعر أهل الجاهلية زهير . قال وأخبرني أحمد بن عبدالعزيز الجوهري قال حدثني عمر بن شبة عن هارون بن عمر عن أيوب بن سويد عن يحيى بن زياد عن عمر بن عبد الله الليثي قال قال عمر بن الخطاب ليلة في مسيره إلى الجابية أين عبد الله بن عباس فأتى به فشكا إليه تخلف علي بن أبي طالب ع عنه قال ابن عباس فقلت له أو لم يعتذر إليك قال بلى قلت فهو ما اعتذر به قال ثم أنشأ يحدثني فقال إن أول من راثكم عن هذا الأمر أبو بكر إن قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنبوة قال أبو الفرج ثم ذكر قصة طويلة ليست من هذا الباب فكرهت ذكرها ثم قال يا ابن عباس هل تروى لشاعر الشعراء قلت و من هو قال ويحك شاعر الشعراء الذي يقول فلو أن حمدا يخلد الناس خلدوا || ولكن حمد الناس ليس بمخلد . [صفحة ١٥٦] فقلت ذاك زهير فقال ذاك شاعر الشعراء قلت وبم كان شاعر الشعراء قال إنه كان لا يعاقل الكلام ويتجنب

وحشيه و لايمدح أحدا إلا بما فيه . قال أبو الفرج وأخبرني أبو خليفه قال ابن سلام وأخبرني عمر بن موسى الجمحي عن أخيه قدامة بن موسى و كان من أهل العلم أنه كان يقدم زهيرا قال فقلت له أى شعره كان أعجب إليه فقال الذى يقول فيه قد جعل المبتغون الخير فى هرم || والسائلون إلى أبوابه طرقا . قال ابن سلام وأخبرني أبو قيس العنبري و لم أر بدويا يفى به عن عكرمة بن جرير قال قلت لأبى يأبى من أشعر الناس قال أ عن أهل الجاهلية تسألنى أم عن أهل الإسلام قال قلت ما أردت إلا الإسلام فإذا كنت قد ذكرت الجاهلية فأخبرني عن أهلها فقال زهير أشعر أهلها قلت فالإسلام قال الفرزدق نبعه الشعر قلت فالأخطل قال يعجد مدح الملوك و يصيب وصف الخمر قلت فما تركت لنفسك قال إنى نحرته الشعر نحرا . قال وأخبرني الحسن بن على قال أخبرنا الحارث بن محمد عن المدائني عن عيسى بن يزيد قال سأل معاوية الأحنف عن أشعر الشعراء فقال زهير قال وكيف ذاك قال ألقى على المادحين فضول الكلام و أخذ خالصه و صفوته قال مثل ماذا قال مثل قوله و مايك من خير أتوه فإنما || توارثه آباء آبائهم قبل و هل ينبت الخطى إلا و شيجه || و تغرس إلا - فى منابتها النخل . قال وأخبرني أحمد بن عبدالعزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا [صفحة ١٥٧] عبد الله بن عمرو القيسي قال حدثنا خارجة بن عبد الله بن أبى سفيان عن أبىه عن ابن عباس قال خرجت مع عمر فى أول غزاة غزاها فقال لى ليله يا ابن عباس أنشدنى لشاعر الشعراء قلت من هو قال ابن أبى سلمى قلت و لم صار كذلك قال لأنه لا يتبع حوشى الكلام و لا يعاظم فى منطقته و لا يقول إلا ما يعرف و لا يمدح الرجل إلا بما فيه أ ليس هو الذى يقول إذا ابتدرت قيس بن عيلان غاية || إلى المجد من يسبق إليها يسود سبقت إليها كل طلق مبرز || سبق إلى الغايات غير مزند . قال أى لا يحتاج إلى أن يجلد الفرس بالسوط . كفعل جواد يسبق الخيل عفوه || السراع و إن يجهد و يجهدن يبعد فلو كان حمدا يخلد الناس لم تمت || ولكن حمد الناس ليس بمخلد . أنشدنى له فأنشدته حتى برق الفجر فقال حسبك الآن اقرأ القرآن قلت ماقرأ قال الواقعة فقرأتها و نزل فأذن و صلى . و قال محمد بن سلام فى كتاب طبقات الشعراء دخل الحطيئة على سعيد بن العاص متنكرا فلما قام الناس و بقى الخواص أراد الحاجب أن يقيمه فأبى أن يقوم فقال سعيد دعه و تذاكروا أيام العرب و أشعارها فلما أسهبوا قال الحطيئة ما صنعت شيئا فقال سعيد فهل عندك علم من ذلك قال نعم قال فمن أشعر العرب قال الذى يقول قد جعل المبتغون الخير فى هرم || و السائلون إلى أبوابه طرقا . قال ثم من قال الذى يقول [صفحة ١٥٨] فإنك شمس و الملوك كواكب || إذا طلعت لم يبد منهن كوكب . يعنى زهيرا ثم النابغة ثم قال و حسبك بى إذا وضعت إحدى رجلى على الأخرى ثم عويت فى أثر القوافى كما يعوى الفصيل فى أثر أمه قال فمن أنت قال أنا الحطيئة فرحب به سعيد و أمر له بألف دينار . قال و قال من احتج زهير كان أحسنهم شعرا و أبعدهم من سخف و أجمعهم لكثير من المعنى فى قليل من المنطق و أشدهم مبالغة فى المدح و أبعدهم تكلفا و عجفية و أكثرهم حكمة و مثلا سائرا فى شعره . و قدروى ابن عباس عن النبى ص أنه قال أفضل شعرائكم القائل و من من -رواية ١-٢-رواية ٤٤-٧٧ يعنى زهيرا و ذلك فى قصيدته التى أولها أ من أم أوفى يقول فيها و من يك ذا فضل فيخل بفضلته || على قومه يستغن عنه و يذمم و من لم يزد عن حوضه بسلاحه || يهدم و من لا يظلم الناس يظلم و من هاب أسباب المنايا ينلنه || و لوال أسباب السماء بسلم و من يجعل المعروف من دون عرضه || يفره و من لا يتق الشتم يشتم . فأما القول فى النابغة الذبياني فإن أبا الفرج الأصفهاني قال فى كتاب الأغاني كنية النابغة أبو أمامة و اسمه زياد بن معاوية و لقب بالنابغة لقوله فقد نبغت لهم منا شئون . و هو أحد الأشراف الذين غض الشعر منهم و هو من الطبقة الأولى المقدمين على سائر الشعراء . [صفحة ١٥٩] أخبرني أحمد بن عبدالعزيز الجوهري و حبيب بن نصر قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو نعيم قال شريك عن مجالد عن الشعبي عن ربعي بن حراش قال قال لنا عمر يامعشر غطفان من الذى يقول أتيتك عاريا خلقا ثيابي || على خوف تظن بى الظنون . قلنا النابغة قال ذاك أشعر شعرائكم . قلت قوله أشعر شعرائكم لا يدل على أنه أشعر العرب لأنه جعله أشعر شعراء غطفان فليس كقوله فى زهير شاعر الشعراء ولكن أبا الفرج قدروى بعد هذا خبرا آخر صريحا

فى أن النابغة عند عمر أشعر العرب قال حدثنى أحمد وحبیب عن عمر بن شبة قال حدثنا عبید بن جناد قال حدثنا معن بن عبد الرحمن عن عيسى بن عبد الرحمن السلمى عن جده عن الشعبي قال قال عمر يوما من أشعر الشعراء فقيل له أنت أعلم يا أمير المؤمنين قال من الذى يقول لإسليمان إذ قال المليك له || قم فى البرية فأحددها عن الفند وخيس الجن إنى قدأذنت لهم || بينون تدمر بالصفاح والعمد قالوا النابغة قال فمن الذى يقول أتيتك عاريا خلقتا ثيابى || على خوف تظن بى الظنون قالوا النابغة قال فمن الذى يقول حلفت فلم أترك لنفسك ريبه || وليس وراء الله للمرء مذهب لئن كنت قدبلغت عنى خيانه || لمبلغك الواشى أغش وأكذب [صفحة ١٦٠] قالوا النابغة قال فهو أشعر العرب . قال وأخبرنى أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنى على بن محمد المدائنى قال قام رجل إلى ابن عباس فقال له أى الناس أشعر قال أخيره يا أبا الأسود فقال أبو الأسود الذى يقول فإنك كالليل الذى هو مدركى || وإن خلت أن المتأى عنك واسع يعنى النابغة . قال أبو الفرج وأخبرنى أحمد وحبیب عن عمر عن أبى بكر العليمى عن الأصمعى قال كان يضرب للنابغة قبه آدم بسوق عكاظ فتأتبه الشعراء فتعرض عليه أشعارها فأنشده مرة الأعىشى ثم حسان بن ثابت ثم قوم من الشعراء ثم جاءت الخنساء فأنشدته وإن صخرًا لتأتم الهداة به || كأنه علم فى رأسه نار . فقال لو لا أن أبابصير يعنى الأعىشى أنشدنى آنفا لقلت إنك أشعر الإنس والجن فقام حسان بن ثابت فقال أنا والله أشعر منها ومن أيبك فقال له النابغة يا ابن أخى أنت لا تحسن أن تقول فإنك كالليل الذى هو مدركى || وإن خلت أن المتأى عنك واسع خطاطيف حجن فى حبال متينه || تمد بها أيد إليك نوازع . قال فخنس حسان لقوله . قال وأخبرنى أحمد وحبیب عن عمر عن الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء [صفحة ١٦١] قال حدثنى رجل سماه أبو عمرو وأنسيته قال بينما نحن نسير بين أنقاء من الأرض فتذاكرنا الشعر فإذا ركب أطيلس يقول أشعر الناس زياد بن معاوية ثم تملس فلم نره . قال وأخبرنى أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبة عن الأصمعى قال سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول ما ينبغى لزهير إلا أن يكون أجيرا للنابغة . قال أبو الفرج وأخبرنا أحمد عن عمر قال قال عمرو بن المنتشر المرادى وفدنا على عبد الملك بن مروان فدخلنا عليه فقام رجل فاعتذر من أمر وحلف عليه فقال له عبد الملك ما كنت حريا أن تفعل ولا تعتذر ثم أقبل على أهل الشام فقال أياكم يروى اعتذار النابغة إلى النعمان فى قوله حلفت فلم أترك لنفسك ريبه || وليس وراء الله للمرء مذهب . فلم يجد فيهم من يرويه فأقبل على وقال أترويه قلت نعم فأنشدته القصيدة كلها فقال هذا أشعر العرب . قال وأخبرنى أحمد وحبیب عن عمر عن معاوية بن بكر الباهلى قال قلت لحماد الراوية لم قدمت النابغة قال لاكتفائك بالبيت الواحد من شعره لا بل بنصف البيت لا بل بربع البيت مثل قوله حلفت فلم أترك لنفسك ريبه || وليس وراء الله للمرء مذهب ولست بمستبق أخا لا تلمه || على شعث أى الرجال المهذب ربع البيت يغنيك عن غيره فلو تمثلت به لم تحتج إلى غيره . قال وأخبرنى أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبة عن هارون بن عبد الله [صفحة ١٦٢] الزبيرى قال حدثنى شيخ يكنى أباداود عن الشعبي قال دخلت على عبد الملك وعنده الأخطل وأنا لا أعرفه و ذلك أول يوم وفدت فيه من العراق على عبد الملك فقلت حين دخلت عامر بن شراحيل الشعبي يا أمير المؤمنين فقال على علم ما أذنا لك فقلت هذه واحدة على وافد أهل العراق يعنى أنه أخطأ قال ثم إن عبد الملك سأل الأخطل من أشعر الناس فقال أنا فعجلت و قلت لعبد الملك من هذا يا أمير المؤمنين فتبسم و قال الأخطل فقلت فى نفسى اثنتان على وافد أهل العراق فقلت له أشعر منك الذى يقول هذا غلام حسن وجهه || مستقبل الخير سريع التمام للحارث الأكبر والحارث || الأصغر فالأعرج خير الأنام ثم لعمر و لعمر و قد || أسرع فى الخيرات منه أمام قال هى أمامه أم عمرو الأصغر بن المنذر بن إمري القيس بن النعمان بن الشقيقة خمسة آباء هم ما هم || أفضل من يشرب صوب الغمام . والشعر للنابغة فالتفت إلى الأخطل فقال إن أمير المؤمنين إنما سألنى عن أشعر أهل زمانه و لو سألتنى عن أشعر أهل الجاهلية كنت حريا أن أقول كما قلت أو شبيها به فقلت فى نفسى ثلاث على وافد أهل العراق . قال أبو الفرج و قد وجدت هذا الخبر أتم من هذه الرواية ذكره أحمد بن الحارث

الخراز في كتابه عن المدائني عن عبد الملك بن مسلم قال كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج أنه ليس شيء من لذة الدنيا إلا وقد أصبت منه و لم يبق [صفحة ١٦٣] عندي شيء ألد من مناقلة الإخوان الحديث وقبلك عامر الشعبي فابعث به إلى فدعا الحجاج الشعبي فجهزه وبعث به إليه وقرظه وأطراه في كتابه فخرج الشعبي حتى إذا كان بباب عبد الملك قال للحاجب استأذن لي قال من أنت قال أنا عامر الشعبي قال يرحمك الله قال ثم نهض فأجلسني على كرسيه فلم يلبث أن خرج إلي فقال ادخل يرحمك الله فدخلت فإذا عبد الملك جالس على كرسي و بين يديه رجل أبيض الرأس واللحية جالس على كرسي فسلمت فرد على السلام فأوماً إلى بقضيه فجلست عن يساره ثم أقبل على ذلك الإنسان الذي بين يديه فقال له من أشعر الناس فقال أنا يا أمير المؤمنين قال الشعبي فأظلم ما بيني وبين عبد الملك فلم أصبر أن قلت و من هذا الذي يزعم أنه أشعر الناس يا أمير المؤمنين فعجب عبد الملك من عجلتي قبل أن يسألني عن حالي فقال هذا الأخطل فقلت يا أخطل أشعر والله منك الذي يقول هذا غلام حسن وجهه || مستقبل الخير سريع التمام الأبيات قال فاستحسنها عبد الملك ثم رددتها عليه حتى حفظها فقال الأخطل من هذا يا أمير المؤمنين قال هذا الشعبي فقال والجيلون ما استعدت بالله من شر إلا من هذا أي والإنجيل صدق والله يا أمير المؤمنين النابغة أشعر مني قال الشعبي فأقبل عبد الملك حينئذ على فقال كيف أنت يا شعبي قلت بخير يا أمير المؤمنين فلازلت به ثم ذهبت لأصنع معاذير لما كان من خلافي مع ابن الأشعث على الحجاج فقال مه إنا لانحتاج إلى هذا المنطق ولا تراه منا في قول و لافعل حتى تفارقنا ثم أقبل على فقال مات قول في النابغة قلت يا أمير المؤمنين قد فضله عمر بن الخطاب [صفحة ١٦٤] في غير موطن على جميع الشعراء ثم أنشدته الشعر الذي كان عمر يعجب به من شعره و قد تقدم ذكره قال فأقبل عبد الملك على الأخطل فقال له أتحب أن لك قياضاً بشعرك شعر أحد من العرب أم تحب أنك قلته قال لا والله يا أمير المؤمنين إلا أني وددت أني كنت قلت أبياتاً قالها رجل منا ثم أنشده قول القطامي إنا محيوك فاسلم أيها الطلل || و إن بليت و إن طالت بك الطيل ليس الجديد به تبقى بشاشته || الإقليلا- ولاذو خلعة يصل والعيش لا-عيش إلا- ماتقر به || عين و لاحال لإسوف تنتقل إن ترجعي من أبي عثمان منجحة || فقد يهون على المستنجد العمل و الناس من يلق خيراً قائلون له || ما يشتهي ولأم المخطئ الهبل قد يدرك المتأني بعض حاجته || و قد يكون مع المستعجل الزلل . قال الشعبي فقلت قد قال القطامي أفضل من هذا قال و ما قال قلت قال طرقت جنوب رحلنا من مطرق || ما كنت أحسبها قريب المعنى إلى آخرها فقال عبد الملك ثكلت القطامي أمه هذا والله الشعر قال فالتفت إلى الأخطل فقال يا شعبي إن لك فنونا في الأحاديث وإنما لي فن واحد فإن رأيت ألا تحملي على أكتاف قومك فأدعهم حرصاً فقلت لا أعرض لك في شيء من الشعر أبداً فأقلى هذه المرة فقال من يتكفل بك قلت [صفحة ١٦٥] أمير المؤمنين فقال عبد الملك هو على أنه لا يعرض لك أبداً ثم قال عبد الملك يا شعبي أي نساء الجاهلية أشعر قلت الخنساء قال و لم فضلتها على غيرها قلت لقولها وقائلة والنعش قد فات خطوها || لتدركه يالهف نفسي على صخر ألا هبلت أم الذين غدوا به || إلى القبر ماذا يحملون إلى القبر فقال عبد الملك أشعر منها والله التي تقول مهفهف أهضم الكشحين منخرق || عنه القميص بسير الليل محتقر لا يأمن الدهر ممساه ومصباحه || من كل أوب و إن يغز ينتظر . قال ثم تبسم عبد الملك و قال لا يشقن عليك يا شعبي فإنما أعلمتك هذا لأنه بلغني أن أهل العراق يتناولون على أهل الشام ويقولون إن كان غلبونا على الدولة فلم يغلبونا على العلم والرواية و أهل الشام أعلم بعلم أهل العراق من أهل العراق ثم ردد على أبيات ليلى حتى حفظتها ثم لم أزل عنده أول داخل وآخر خارج فكنت كذلك سنين وجعلني في ألفين من العطاء وجعل عشرين رجلاً من ولدي و أهل بيتي في ألف ألف ثم بعثني إلى أخيه عبدالعزيز بمصر وكتب إليه يا أخى قد بعثت إليك بالشعبي فانظر هل رأيت قط مثله . قال أبو الفرج الأصبهاني في ترجمة أوس بن حجر إن أبا عبيدة قال كان أوس شاعر مضر حتى أسقطه النابغة قال و قد ذكر الأصمعي أنه سمع أبا عمرو بن العلاء يقول كان أوس بن حجر فحل العرب فلما نشأ النابغة طأطأ منه . و قال محمد بن سلام في كتاب

طبقات الشعراء و قال من احتج للنابعة كان أحسنهم [صفحة ١٦٦] ديباجة شعر وأكثرهم رونق كلام وأجزلهم بيتا كأن شعره كلام ليس بتكلف والمنطق على المتكلم أوسع منه على الشاعر لأن الشاعر يحتاج إلى البناء والعروض والقوافي والمتكلم مطلق يتخير الكلام كيف شاء قالوا والنابعة نبغ بالشعر بعد أن احتكك وهلك قبل أن يهتر. قلت و كان أبو جعفر يحيى بن محمد بن أبي زيد العلوي البصرى يفضل النابعة واستقرأنى يوما ويبدى ديوان النابعة قصيدته التى يمدح بها النعمان بن المنذر ويذكر مرضه ويعتذر إليه مما كان اتهم به وقذفه به أعداؤه وأولها كتمتك ليلا- بالجمومين ساهرا || وهمين هما مستكنا وظاهرا أحاديث نفس تشتكى مايريها || وورد هموم لويجدن مصادرا تكلفنى أن يغفل الدهر همها || وهل وجدت قبلى على الدهر ناصرا . يقول هذه النفس تكلفنى ألا يحدث لها الدهر هما و لاحزنا و ذلك مما لم يستطعه أحد قبلى. ألم تر خير الناس أصبح نعشه || على فتية قدجاوز الحى سائرا . كان الملك منهم إذامرض حمل على نعش وطيف به على أكتاف الرجال بين الحيرة والخورنق والنجف ينزهونه . ونحن لديه نسأل الله خلده || يرد لنا ملكا وللأرض عامرا ونحن نرجى الخير إن فاز قدحنا || ونرهب قدح الدهر إن جاء قامرا لك الخير إن وارت بك الأرض واحدا || وأصبح جد الناس بعدك عاثرا وردت مطايا الراغبين وعريت || جياذك لا يحفى لها الدهر حافرا [صفحة ١٦٧] رأيتك ترعانى بعين بصيرة || وتبعث حراسا على وناظرا و ذلك من قول أتاك أقوله || و من دس أعداء إليك المآبرا فآليت لا آتيك إن كنت مجرما || و لاأبتغى جارا سواك مجاورا . أى لا آتيك حتى يثبت عندك أنى غير مجرم . فأهلى فداء لامرئ إن أتيته || تقبل معروفى وسد المفارقا سأربط كلبى إن يرييك نبجه || و إن كنت أرعى مسحلان وحامرا . أى سأمسك لسانى عن هجائك و إن كنت بالشام فى هذين الواديين البعيدين عنك . وحلت بيوتى فى يفاع ممنع || تخال به راعى الحموله طائرا تزل الوعول العصم عن قذفاته || ويضحى ذراه بالسحاب كوافرا حذارا على ألا تنال مقادتى || و لانسوتى حتى يمتن حرائرا يقول أنا لأهجرك و إن كنت من المنعة والعصمة على هذه الصفة. أقول و قدشطت بى الدار عنكم || إذا مالقيت من معد مسافرا ألا أبلغ النعمان حيث لقيته || فأهدى له الله الغيوث البواكرا وأصبحه فلجا و لازل كعبه || على كل من عادى من الناس ظاهرا ورب عليه الله أحسن صنعه || و كان على كل المعادين ناصرا . فجعل أبو جعفر رحمه الله يهتز ويطرب ثم قال و الله لومزجت هذه القصيدة بشعر البحترى لكادت تمتزج لسهولتها وسلامه ألفاظها و ماعليها من الديباجة والرونق من يقول إن إمرأ القيس وزهيرا أشعر من هذاهلما فليحاكمونى. [صفحة ١٦٨] فأما إمرؤ القيس بن حجر فقال محمد بن سلام الجمحى فى كتاب طبقات الشعراء أخبرنى يونس بن حبيب أن علماء البصرة كانوا يقدمونه على الشعراء كلهم و أن أهل الكوفة كانوا يقدمون الأعشى و أن أهل الحجاز والبادية يقدمون زهيرا والنابعة. قال ابن سلام فالطبقة الأولى إذن أربعة قال وأخبرنى شعيب بن صخر عن هارون بن ابراهيم قال سمعت قائلا يقول للفرزدق من أشعر الناس يا أبافراس فقال ذو القروح يعنى إمرأ القيس قال حين يقول ماذا قال حين يقول وقاهم جدهم بنى أبيهم || وبالأشقين ما كان العقاب . قال وأخبرنى أبان بن عثمان الجلى قال مر ليبد بالكوفة فى بنى نهد فأتبعوه رسول يسأله من أشعر الناس فقال الملك الضليل فأعادوه إليه فقال ثم من فقال الغلام القليل يعنى طرفه بن العبد و قال غير أبان قال ثم ابن العشرين قال ثم من قال الشيخ أبو عقيل يعنى نفسه . قال ابن سلام واحتج لإمرئ القيس من يقدمه فقال إنه ليس قال ما لم يقوله ولكنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعتها استحسنتها العرب فاتبعه فيها الشعراء منها استيقاف صحبه والبكاء فى الديار ورقة النسب وقرب المآخذ وتشبيه النساء بالظباء وبالبيض وتشبيه الخيل بالعقبان والعصى وقيد الأوابد وأجاد فى النسب وفصل بين النسب وبين المعنى و كان أحسن الطبقة تشبيها. قال وحدثنى معلم لبنى داود بن على قال بينا أنا أسير فى البادية إذا أنا برجل على ظليم قدزمه وخطمه و هو يقول [صفحة ١٦٩] هل يبلغنيهم إلى الصباح || هقل كأن رأسه جماح . قال فما زال يذهب به ظليمه ويجىء حتى أنست به وعلمت أنه ليس بإنسى فقلت يا هذا من أشعر العرب فقال ألقى يقول أغرك منى أن حبك قاتلى ||

وأنك مهما تأمرى القلب يفعل يعنى إمرأ القيس قلت ثم من قال أذى يقول ويبرد برد رداء العروس || بالصيف رقرقت فيه العبيرا ويسخن ليله لا يستطيع || نباحا بها الكلب إلهيريرا . ثم ذهب به ظليمه فلم أره . قال وحدث عوانه عن الحسن أن رسول الله ص قال لحسان بن ثابت من أشعر العرب قال الزرق العيون من بنى قيس قال لست أسألك عن القبيلة إنما أسألك عن رجل واحد فقال حسان يا رسول الله إن مثل الشعراء والشعر كمثل ناقة نحررت فجاء إمرؤ القيس بن حجر فأخذ سنامها وأطابها ثم جاء المتجاوران من الأوس والخزرج فأخذوا ما ولى ذلك منها ثم جعلت العرب تمزعها حتى إذابقى الفرث والدم جاء عمرو بن تميم والنمر بن قاسط فأخذه فقال رسول الله ص ذاك رجل مذكور فى الدنيا شريف فيها خامل يوم القيامة معه لواء الشعراء إلى النار -رواية- ١-٢-رواية- ٢٤-١٠٥ . فأما الأعشى فقد احتج أصحابه لتفضيله بأنه كان أكثرهم عروضاً وأذهبهم فى فنون الشعر وأكثرهم قصيدة طويلة جيدة وأكثرهم مدحا وهجاء و كان أول من سأل [صفحه ١٧٠] بشعره و إن لم يكن له بيت نادر على أفواه الناس كأبيات أصحابه الثلاثة . وقد سئل خلف الأحمر من أشعر الناس فقال ما ينتهى إلى واحد يجمع عليه كما لا ينتهى إلى واحد هو أشجع الناس و لا -أخطب الناس و لا أجمل الناس فقيل له يا أبا محرز فأيهم أعجب إليك فقال الأعشى كان أجمعهم . قال ابن سلام و كان أبو الخطاب الأخفش مستهترا به يقدمه و كان أبو عمرو بن العلاء يقول مثله مثل البازى يضرب كبير الطير وصغيره و يقول نظيره فى الإسلام جرير ونظير النابغة الأخطل ونظير زهير الفرزدق . فأما قول أمير المؤمنين ع الملك الضليل فإنما سمى إمرؤ القيس ضليلا لما يعلن به فى شعره من الفسق والضليل الكثير الضلال كالشريب والخمير والسكر والفسق والكثير الشرب وإدمان الخمر والسكر والفسق فمن ذلك قوله فمثلك جلى قد طرقت و مرضعا || فألهيتها عن ذى تمائم محول إذا ما بكى من خلفها انصرفت له || بشق وتحتى شقها لم يحول . و قوله سموت إليها بعد ما نام أهلها || سمو حباب الماء حالا على حال فقالت لحاك الله إنك فاضحى || ألت ترى السمار و الناس أحوالى فقلت لها تالله أبرح قاعدا || و لوقطعوا رأسى لديك وأوصالى [صفحه ١٧١] فلما تنازعا الحديث وأسمحت || هصرت بغصن ذى شماريخ ميال فصرنا إلى الحسنى ورق كلامنا || ورضت فذلت صعبة أى إذلال حلفت لها بالله حلفه فاجر || لنا موا بما إن من حديث و لاصالى فأصبحت معشوقا وأصبح بعلمها || عليه القتام كاسف الوجه والبال . و قوله فى اللامية الأولى وبيضة خدر لا يرام خباؤها || تمتعت من لهو بها غير معجل تخطيت أبوابا إليها ومعشرا || على حراصا لو يسرون مقتلى فجتت و قدنضت لنوم ثيابها || لدى الستر إلبسة المتفضل فقالت يمين الله ما لك حيلة || و ما إن أرى عنك الغواية تنجلي فقامت بها أمشى نجر وراءنا || على إثرنا أذيال مرط مرجل فلما أجزنا ساحة الحى وانتحى || بنا بطن خبت ذى حفاف عقنقل هصرت بفودى رأسها فتمايلت || على هضيم الكشح ربا المخلخل . و قوله فبت أكابد ليل التمام || والقلب من خشية مقشعر فلما دنوت تسديتها || فتوبا نسيت و ثوبا أجر و لم يرنا كالى كاشح || و لم يبد منا لدى البيت سر و قدرابنى قولها ياهناه || ويحك ألحقت شرا بشر . [صفحه ١٧٢] و قوله تقول و قد جردتها من ثيابها || كمارعت مكحول المدامع أتلعاً لعمر ك لو شىء أتانا رسوله || سواك و لكن لم نجد لك مدفعا فبتنا نصد الوحش عنا كأننا || قتيلان لم يعلم لنا الناس مصرعا تجافى عن المأثور بينى وبينها || وتدنى على السابرى المضلعا و فى شعر إمرئ القيس من هذا الفن كثير فمن أراد فليطلبه من مجموع شعره [صفحه ١٧٣]

وَ قَالَ عَ أَلَا حُرٌّ يَدْعُ هَيْدِهِ اللَّمَّازَةَ لِأَهْلِهَا إِنَّهُ لَيْسَ لَأَنْفُسِكُمْ ثَمَنٌ إِلَّا الْجَنَّةَ فَلَا تَبِيعُوهَا إِلَّا بِهَا اللَّمَّازَةَ بفتح اللام ما تبقى فى الفم من الطعام قال يصف الدنيا لماظة أيام كآحلام نائم . ولمظ الرجل يلمظ بالضم لمظا إذا تتبع بلسانه بقية الطعام فى فمه وأخرج لسانه

فمسح به شفتيه وكذلك التلمظ يقال تلمظت الحية إذا أخرجت لسانها كما يتلمظ الآكل . وقال ألا حر مبتدأ وخبره محذوف أى فى الوجود وألا حرف قال ألا رجل جزاءه الله خيرا || يدل على محصله تبيت . ثم قال إنه ليس لأنفسكم ثمن إلا الجنة فلا تتبعوها إلا بها من الناس من يبيع نفسه بالدراهم والدينار و من الناس من يبيع نفسه بأحقر الأشياء وأهونها ويتبع هواه فيهلك وهؤلاء فى الحقيقة أحمق الناس إلا- أنه قدرين على القلوب فغطتها الذنوب وأظلمت الأنفس بالجهل وسوء العادة وطال الأمد أيضا على القلوب فقست و لو أفكر الإنسان حق الفكر لماباع نفسه إلا بالجنة لا غير [صفحه ١٧٤]

٤٦٦

وَ قَالَ ع مَنُومَانِ لَأِشْبَعَانَ طَالِبُ عِلْمٍ وَ طَالِبُ دُنْيَا تَقُولُ نَهْمُ فُلَانٍ بِكَذَا فَهُوَ مَنُومٌ أَى مَوْلَعٌ بِهِ وَ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مَرْوِيَةٌ عَنِ النَّبِيِّ ص مَنُومَانِ لَأِشْبَعَانَ مَنُومٌ بِالْمَالِ وَمَنُومٌ بِالْعِلْمِ -روایت- ١-٢-روایت- ٢٢-٧٢ والنهم بالفتح إفراط الشهوة فى الطعام تقول منه نهمت إلى الطعام بكسر الهاء أنهم فأنا نهم و كان فى القرآن آية أنزلت ثم رفعت لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا و لا يملأ عين ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب . فأما طالب العلم العاشق له فإنه لا يشبع منه أبدا وكلما استكثر منه زاد عشقه له وتهالكه عليه مات أبو عثمان الجاحظ والكتاب على صدره . و كان شيخنا أبو على رحمه الله فى النزاع و هو يملى على ابنه أبى هاشم مسائل فى علم الكلام و كان القاضى أحمد بن أبى دواد يأخذ الكتاب فى خفه و هو راكب فإذا جلس فى دار الخليفة اشتغل بالنظر فيه إلى أن يجلس الخليفة ويدخل إليه وقيل مافارق ابن أبى دواد الكتاب قط إلا فى الخلاء وأعرف أنا فى زماننا من مكث نحو خمس سنين لا ينام إلا وقت السحر صيفا وشتاء مكبا على كتاب صنفه وكانت وسادته التى ينام عليها الكتاب [صفحه ١٧٥]

٤٦٧

وَ قَالَ ع عَلَامَةُ الْإِيمَانِ أَنْ تُؤَثِّرَ الصَّدَقَ حَيْثُ يُضْمَرُ كَ عَلَى الْكُذِبِ حَيْثُ يَنْفَعُكَ وَ أَلَّا يَكُونَ فِى حَدِيثِكَ فَضْلٌ عَنِ عِلْمِكَ وَ أَنْ تَتَّقَى اللَّهَ فِى حَدِيثٍ غَيْرِكَ قَدْ أَخَذَ الْمَعْنَى الْأَوَّلَ الْقَائِلَ عَلَيْكَ بِالصَّدَقِ وَ لَوْ أَنَّهُ || أَحْرَقَكَ الصَّدَقُ بِنَارِ الْوَعِيدِ . وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هَذَا الْحُكْمُ مَقِيدًا لِامْتِلَاقِهِ لِأَنَّهُ إِذَا أَضْرَّ الصَّدَقَ ضَرْرًا عَظِيمًا يُوْدِي إِلَى تَلْفِ النَّفْسِ أَوْ إِلَى قَطْعِ بَعْضِ الْأَعْضَاءِ لَمْ يَجْزِ فَعْلُهُ صَرِيحًا وَ وَجِبَتِ الْمَعَارِيضُ حِينَئِذٍ . فَإِنْ قَلَّتِ الْمَعَارِيضُ صَدَقَ أَيْضًا فَالْكَلَامُ عَلَى إِطْلَاقِهِ قَلَّتْ هِيَ صَدَقَ فِى ذَاتِهَا وَلَكِنْ مَسْتَعْمَلَهَا لَمْ يَصْدَقْ فِيمَا سئَلَتْ عَنْهُ وَ لَا كَذَبَ أَيْضًا لِأَنَّهُ لَمْ يَخْبِرْ عَنْهُ وَإِنَّمَا أَخْبَرَ عَنْ شَيْءٍ آخَرَ وَ هِيَ الْمَعَارِيضُ وَالتَّارِكُ لِلْخَبْرِ لَا يَكُونُ صَادِقًا وَ لَا كَاذِبًا فَوْجِبَ أَنْ يَقِيدَ إِطْلَاقَ الْخَبْرِ بِمَا إِذَا كَانَ الضَّرَرُ غَيْرَ عَظِيمٍ وَ كَانَتْ نَتِيجَةُ الصَّدَقِ أَعْظَمَ نَفْعًا مِنْ تَلْكَ الْمَضْرَةِ . قَالَ ع وَ أَلَّا يَكُونَ فِى حَدِيثِ فَضْلٍ عَنِ عِلْمِكَ مَتَى زَادَ مَنْطِقَ الرَّجُلِ عَلَى عِلْمِهِ فَقَدْ لَغَا وَظَهَرَ نَقْصُهُ وَ الْفَاضِلُ مَنْ كَانَ عِلْمُهُ أَكْثَرَ مِنْ مَنْطِقِهِ قَوْلُهُ وَ إِنْ تَتَّقَى اللَّهَ فِى حَدِيثٍ غَيْرِكَ أَى فِى نَقْلِهِ وَ رَوَايَتِهِ فَتَرْوِيهِ كَمَا سَمِعْتَهُ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ [صفحه ١٧٦]

٤٦٨

وَ قَالَ ع يَغْلِبُ الْمِقْدَارُ عَلَى التَّقْدِيرِ حَتَّى تَكُونَ الْأَفْئَةُ فِى التَّيْدِيرِ قَالَ وَ قَدْ مَضَى هَذَا الْمَعْنَى فِيمَا تَقَدَّمَ بِرَوَايَةٍ تَخَالَفَ بَعْضُ هَذِهِ الْأَفْظَاءِ -روایت- ١-٦٩ قَدْ تَقَدَّمَ هَذَا الْمَعْنَى وَ هُوَ كَثِيرٌ جَدًّا وَ مِنْ جِيدِهِ قَوْلُ الشَّاعِرِ لِعَمْرٍكَ مَالَامِ ابْنِ أَخْطَبِ نَفْسُهُ || وَلَكِنَّهُ مَنْ يَخْذَلُ اللَّهَ يَخْذَلُ لِحَاكِمِهِ حَتَّى تَبْلُغَ النَّفْسُ عِذْرَهَا || وَ قَلْقَلُ يَبْغِي الْعِزَّ كُلَّ مَقْلَقَلٍ . وَ قَالَ أَبُو تَمَامٍ وَرَكِبَ كَأَطْرَافِ الْأَسْنَةِ عَرَسُوا

|| على مثلها والليل تسطو غياهبه لأمر عليهم أن تتم صدوره || وليس عليهم أن تتم عواقبه . وقال آخر فإن بين حيطانا عليه
فإنما || أولئك عقالاته لامعاقله [صفحہ ۱۷۷]

۴۶۹

وَقَالَ عِ الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ تَوَامَانِ يَتَّبِعُهُمَا عُلُوُّ الْهَمِيَّةِ قَدْ تَقَدَّمَ هَذَا الْمَعْنَى وَشَرَحَهُ مَرَارًا . وَقَالَ ابْنُ هَانئٍ وَكُلُّ أَنَاةٍ فِي الْمَوَاطِنِ سَوْدَدٌ
|| ولا كأناء من تدبر محكم و من يتبين أن للسيف موضعا || من الصفح يصفح عن كثير ويحلم . وقال أرباب المعاني علمنا
الله تعالى فضيلة الأناة بما حكاه عن سليمان سَيَنْظُرُ أَمْ صَيَدَتْ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ . وَكَانَ يُقَالُ الْأَنَاةُ حَصْنُ السَّلَامَةِ وَالْعَجَلَةُ
مِفْتَاحُ النَّدَامَةِ . وَكَانَ يُقَالُ التَّأْنِي مَعَ الْخِيَّةِ خَيْرٌ مِنَ التَّهْوِيرِ مَعَ النَّجَاحِ . وَقَالَ الشَّاعِرُ -قِرَآن- ۷۶-۱۲۲ الرِّفْقُ يَمُنُّ وَالْأَنَاةُ سَعَادَةٌ ||
فتأن في أمر تلاق نجاحا . [صفحہ ۱۷۸] وقال من كره الأناة و ذمها لو كانت الأناة محمودة والعجلة مذمومة لما قال موسى لربه وَ
عَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى . وَأَنْشَدُوا -قِرَآن- ۸۶-۱۱۶ عَيْبُ الْأَنَاةِ وَإِنْ سَرَتْ عَوَاقِبُهَا || أن لاخلود و أن ليس الفتى حجرا . وقال
آخر كم من مضيع فرصة قد أمكنت || لغد و ليس له غد بمواتي حتى إذافات وفات طلابها || ذهب عليها نفسه حسرات [صفحہ ۱۷۹]

۴۷۰

وَقَالَ عِ الْغِيَّةُ جُهْدُ الْعَاجِزِ قَدْ تَقَدَّمَ كَلَامُنَا فِي الْغِيَّةِ مُسْتَقْصَى . وَقِيلَ لِلْأُحْنَفِ مِنْ أَشْرَفِ النَّاسِ قَالَ مَنْ إِذَا حَضَرَ هَابُوهُ وَإِذَا غَابَ
اغْتَابُوهُ . وَقَالَ الشَّاعِرُ وَيَغْتَابُنِي مَنْ لَوْ كَفَانِي اغْتِيَابَهُ || لكنك له العين البصيرة والأذنا وعندى من الأشياء ما لو ذكرتها || إذ أقرع
المغتتاب من ندم سنا . وَقَدْ نَظَّمْتُ أَنَا كَلِمَةَ الْأُحْنَفِ فَقُلْتُ أَكُلُّ عَرَضِي إِنْ غَبْتُ ذِمًّا فَإِنْ أَبْتُ || فمدح ورهبة وسجود هكذا
يفعل الجبان شجاع || حين يخلو و في الوغى رعديد لك منى حالان في عينك الجنة || حسنا و في الفؤاد وقود [صفحہ ۱۸۰]

۴۷۱

وَقَالَ عِ رَبُّ مَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ طَالَمَا فَتَنَ النَّاسَ بِنِشَاءِ النَّاسِ عَلَيْهِمْ فَيَقْصِرُ الْعَالَمُ فِي اِكْتِسَابِ الْعِلْمِ اِتِّكَالًا عَلَى ثَنَاءِ النَّاسِ
عَلَيْهِ وَيَقْصِرُ الْعَابِدُ فِي الْعِبَادَةِ اِتِّكَالًا عَلَى ثَنَاءِ النَّاسِ عَلَيْهِ وَيَقُولُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِنَّمَا أُرِدْتُ مَا اشْتَهَرْتُ بِهِ لِلصِّيتِ وَقَدْ حَصَلَ
فَلَمَّا ذَا أَتَكَلَّفَ الزِّيَادَةَ وَأَعَانَى التَّعَبَ وَأَيْضًا فَإِنَّ ثَنَاءَ النَّاسِ عَلَى الْإِنْسَانِ يَقْتَضِي اعْتِرَاءَ الْعَجَبِ لَهُ وَإِعْجَابَ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ مَهْلِكٌ .
وَاعْلَمْ أَنَّ الرِّضَى رَحِمَهُ اللَّهُ قَطَعَ كِتَابَ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ عَلَى هَذَا الْفَصْلِ وَهَكَذَا وَجَدْتُ النِّسْخَةَ بِخَطِّهِ وَقَالَ هَذَا حِينَ انْتِهَاءِ الْغَايَةِ بِنَا
إِلَى قَطْعِ الْمُنْتَرَعِ مِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عِ حَامِدِينَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى مَا مِنْ بِهِ مِنْ تَوْفِيقِنَا لَضَمِّ مَا انْتَشَرَ مِنْ أَطْرَافِهِ وَتَقْرِيبِ مَا بَعْدَ
مِنْ أَقْطَارِهِ مَقْرَرِينَ الْعِزْمَ كَمَا شَرَطْنَا أَوْلًا - عَلَى تَفْضِيلِ أَوْرَاقِ مِنَ الْبِيَاضِ فِي آخِرِ كُلِّ بَابٍ مِنَ الْأَبْوَابِ لِتَكُونَ لِاِقْتِنَاصِ الشَّارِدِ
وَاسْتِلْحَاقِ الْوَارِدِ وَمَاعِيسَاهُ أَنْ يَظْهَرَ لَنَا بَعْدَ الْغَمُوضِ وَيَقَعُ إِلَيْنَا بَعْدَ الشَّدُوذِ وَمَا تَوْفِيقِنَا إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا وَهُوَ حَسْبُنَا وَنَعْمَ الْوَكِيلُ
نَعْمَ الْمَوْلَى وَنَعْمَ النَّصِيرُ . ثُمَّ وَجَدْنَا نِسْخًا كَثِيرَةً فِيهَا زِيَادَاتٌ بَعْدَ هَذَا الْكَلَامِ قِيلَ إِنَّهَا وَجَدْتُ فِي نِسْخَةٍ كَتَبْتُ فِي حَيَاةِ الرِّضَى
رَحِمَهُ اللَّهُ وَقُرِئَتْ عَلَيْهِ فَأَمَّا ضَاهَا وَأُذُنٌ فِي إِلْحَاقِهَا بِالْكِتَابِ نَحْنُ نَذَكُرُهَا [صفحہ ۱۸۱]

۴۷۲

وَقَالَ ع الدِّنْيَا خُلِقَتْ لِغَيْرِهَا وَ لَمْ تُخْلَقْ لِنَفْسِهَا قَالَ أَبُو الْعَلَاءِ الْمَعْرِيُّ مَعَ مَا كَانَ يَرْمِي بِهِ فِي هَذَا الْمَعْنَى مَا يَطَابِقُ إِرَادَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع بَلْفِظِهِ هَذَا خَلَقَ النَّاسَ لِلْبَقَاءِ فَضَلَّتْ || أُمَّةٌ يَحْسِبُونَهُمْ لِلنَّفَادِ إِنَّمَا يَنْقَلِبُونَ مِنْ دَارِ أَعْمَالٍ || إِلَى دَارِ شَقْوَةٍ أَوْرَشَادٍ [صفحة ١٨٢]

٤٧٣

وَقَالَ ع إِنَّ لِبَنِي أُمَيَّةٍ مَرُودًا يَجْرُونَ فِيهِ وَ لَوْ قَدْ اِخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَوْ كَادَتْهُمْ الصَّبَاعُ لَغَلَبَتْهُمْ قَالَ الرِّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَ هَذَا مِنْ أَفْصَحِ الْكَلَامِ وَأَعْرَبِهِ وَالْمَرُودُ هَاهُنَا مَفْعَلٌ مِنَ الْإِرْوَادِ وَ هُوَ الْإِمْهَالُ وَالْإِنْظَارُ فَكَأَنَّهُ ع شَبَّهَ الْمَهْلَةَ الَّتِي هُمْ فِيهَا بِالْمُضْمَارِ الَّذِي يَجْرُونَ فِيهِ إِلَى الْغَايَةِ فَإِذَا بَلَّغُوا مَنَقَطَهَا انْتَقَضَ نِظَامُهُمْ بَعْدَهَا - رَوَايَتُ - ١ - ٢٢٧ هَذَا الْإِخْبَارُ عَنْ غَيْبِ صَرِيحٍ لِأَنَّ بَنِي أُمَيَّةٍ لَمْ يَزَلْ مَلِكُهُمْ مُنْتَظِمًا لَمَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ اِخْتِلَافٌ وَإِنَّمَا كَانَتْ حُرُوبُهُمْ مَعَ غَيْرِهِمْ كَحَرْبِ مَعَاوِيَةَ فِي صَفِينٍ وَحَرْبِ يَزِيدِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَ ابْنِ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ وَحَرْبِ مَرْوَانَ الضَّحَّاكَ وَحَرْبِ عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنِ الْأَشْعَثِ وَ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَحَرْبِ يَزِيدِ ابْنِهِ بَنِي الْمَهْلَبِ وَحَرْبِ هِشَامِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ فَلَمَّا وَلِيَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدٍ وَخَرَجَ عَلَيْهِ ابْنُ عَمِّهِ يَزِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَقَتْلَهُ اِخْتَلَفَ بَنُو أُمَيَّةٍ فِيمَا بَيْنَهُمَا وَجَاءَ الْوَعْدُ وَصَدَّقَ مِنْ وَعْدِهِ بِإِنَّهُ مَنْذُوقُ الْوَلِيدِ دَعَتْ دَعَاةُ بَنِي الْعَبَّاسِ بِخُرَاسَانَ وَأَقْبَلَ [صفحة ١٨٣] مَرْوَانَ بْنُ مُحَمَّدٍ مِنَ الْجَزِيرَةِ يَطْلُبُ الْخِلَافَةَ فَخَلَعَ اِبْرَاهِيمُ بْنُ الْوَلِيدِ وَقَتْلَ قَوْمًا مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ وَاضْطَرَبَ أَمْرُ الْمَلِكِ وَانْتَشَرَ وَأَقْبَلَتِ الدَّوْلَةُ الْهَاشِمِيَّةُ وَنَمَتْ وَزَالَ مَلِكُ بَنِي أُمَيَّةٍ وَكَانَ زَوَالُ مَلِكِهِمْ عَلَى يَدِ أَبِي مُسْلِمٍ وَكَانَ فِي بَدَايَتِهِ أَوْضَعُفَ خَلْقُ اللَّهِ وَأَعْظَمَهُمْ فَقَرَا وَمَسْكَنُهُ وَفِي ذَلِكَ تَصَدِيقُ قَوْلِهِ ع ثُمَّ لَوْ كَادَتْهُمْ الصَّبَاعُ لَغَلَبَتْهُمْ [صفحة ١٨٤]

٤٧٤

وَقَالَ ع فِي مَدْحِ الْأَنْصَارِ هُمْ وَ اللَّهُ رَبُّوَ الْإِسْلَامَ كَمَا يُرَبِّي الْفُلُوقَ مَعَ غَنَائِهِمْ بِأَيْدِيهِمْ السِّبَاطِ وَ أَلْسِنَتِهِمْ السَّلَاطِ الْفُلُوقِ الْمَهْرُ وَيُرَى بِأَيْدِيهِمُ الْبَسَاطِ أَيْ الْبَاسِطَةَ وَالْأُولَى جَمْعُ سَبَطٍ يَعْنِي السَّمَاخَ وَ قَدِيقَالُ لِلْحَازِقِ بِالطَّعْنِ إِنَّهُ لَسَبَطُ الْيَدَيْنِ يَرِيدُ الثَّقَافَةَ وَالسَّنْتَهُمُ السَّلَاطِ يَعْنِي الْفَصِيحَةَ. وَ قَدِ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي مَدْحِ الْأَنْصَارِ وَ لَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا - قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ص فِيهِمْ إِنَّكُمْ لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفَرْعِ وَتَقُولُونَ عِنْدَ الطَّمَعِ - رَوَايَتُ - ١ - ٢ - رَوَايَتُ - ٢٧ - ٧٠ وَ لَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا - مَقَالُهُ لِعَامِرِ بْنِ الطَّفِيلِ فِيهِمْ لَمَّا قَالَ لَهُ لِأَغْرُزُونَكَ فِي كَذَا وَ كَذَا مِنَ الْخَيْلِ يَتَوَعَّدُهُ فَقَالَ ع يَكْفِي اللَّهُ ذَلِكَ وَأَبْنَاةٌ قَيْلَةٌ - رَوَايَتُ - ١ - ٢ - رَوَايَتُ - ١٢ - ٤١ لَكَانَ فَخْرًا لَهُمْ وَ هَذَا عَظِيمٌ جَدًّا وَفَوْقَ الْعَظِيمِ وَ لَارِيْبُ أَنَّهُمُ الَّذِينَ أَيْدَى اللَّهُ بِهِمُ الدِّينَ وَأَظْهَرَ بِهِمُ الْإِسْلَامَ بَعْدَ خِفَائِهِمْ وَلَوْلَاهُمْ لَعَجَزَ الْمُهَاجِرُونَ عَنْ حَرْبِ قَرِيْشٍ وَالْعَرَبُ وَ عَنْ حِمَايَةِ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ لَوْلَا مَدِينَتُهُمْ لَمْ يَكُنْ لِلْإِسْلَامِ ظَهْرٌ يَلْجَأُونَ عَلَيْهِ وَيَكْفِيهِمْ فَخْرًا يَوْمَ حِمْرَاءِ الْأَسَدِ [صفحة ١٨٥] يَوْمَ خَرَجَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَى قَرِيْشٍ بَعْدَ انْكَسَارِ أَصْحَابِهِ وَقَتْلِ مَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ وَخَرَجُوا نَحْوَ الْقَوْمِ وَالْجِرَاحِ فِيهِمْ فَاشِيَةً وَدَمَاؤُهُمْ تَسِيلُ وَإِنَّهُمْ مَعَ ذَلِكَ كَالْأَسَدِ الْغَرَاثِ تَتَوَاتَبُ عَلَى فَرَائِسِهَا وَكَمْ لَهُمْ مِنْ يَوْمٍ أَغْرَ مَحْجَلٌ وَقَالَتِ الْأَنْصَارُ لَوْلَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ع فِي الْمُهَاجِرِينَ لِأَبْنَانِنَا لَأَنْفَسْنَا أَنْ يَذْكَرَ الْمُهَاجِرُونَ مَعْنَا أَوْ أَنْ يَقْرَنُوا بِنَا وَلَكِنْ رَبُّ وَاحِدٌ كَأَلْفِ بَلِّ كَأَلُوفٍ . وَ قَدِ تَقَدَّمَ ذَكَرَ الشَّعْرَ الْمُنْسُوبَ إِلَى الْوَزِيرِ الْمَغْرِبِيِّ وَ مَا طَعَنَ بِهِ الْقَادِرُ بِاللَّهِ الْخَلِيفَةَ الْعَبَّاسِيَّ فِي دِينِهِ بِطَرِيقِهِ وَ كَانَ الْوَزِيرُ الْمَغْرِبِيُّ يَتَبَرَّأُ مِنْهُ وَيَجْحَدُهُ وَقِيلَ إِنَّهُ وَجَدَتْ مَسْوَدَةٌ بِخَطِّهِ فَرَفَعَتْ إِلَى الْقَادِرِ بِاللَّهِ . وَمِمَّا وَجَدَ بِخَطِّهِ أَيْضًا وَ كَانَ شَدِيدَ الْعَصْبِيَّةِ لِلْأَنْصَارِ وَلِقِحْطَانَ قَاطِبَةً عَلَى عَدْنَانَ وَ كَانَ يَنْتَمِي إِلَى الْأَزْدِ أَزْدَ شَنْوَةَ قَوْلُهُ إِنَّ الَّذِي أَرَسَى دَعَائِمَ أَحْمَدِ || وَعَلَا بِدَعْوَتِهِ عَلَى كِيَوَانَ أَبْنَاةٍ قَيْلَةً وَارْتُو شَرَفَ الْعَلَاءِ || وَعَرَا عِرَاقَ الْأَقْيَالِ مِنْ قِحْطَانَ بِسَيْوْفِهِمْ يَوْمَ الْوَعْدِ وَأَكْفَهُمْ || ضَرَبَتْ مِصَاعِبُ مَلِكِهِ بِجِرَانِ لَوْلَا مِصَارِعُهُمْ

وصدق قراعهم || خرت عروش الدين للأذقان فليشكرن محمد أسياف من || لولاه كان كخالد بن سنان . و هذا إفراط قبيح ولفظ شنيع والواجب أن يصران قدر النبوة عنه وخصوصا البيت الأخير فإنه قد أساء فيه الأدب و قال ما لا يجوز قوله وخالد بن سنان كان من بنى عبس بن بغيض من قيس عيلان ادعى النبوة وقيل إنه كانت تظهر عليه آيات ومعجزات ثم مات وانقرض دينه ودرثت دعوته و لم يبق إلا اسمه و ليس يعرفه كل الناس بل البعض منهم [صفحہ ۱۸۶]

۴۷۵

اشاره

وَ قَالَ عِ الْغَيْنُ وَ كَمَا السَّيِّئَةِ قَالَ الرُّضَى رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وَ هَذِهِ مِنَ الْاِسْتِعَارَاتِ الْعَجِيْبَةِ كَأَنَّهُ شَبَّهَ السَّيِّئَةَ بِالْوَعَاءِ وَالْعَيْنَ بِالْوَكَاءِ فَإِذَا أُطْلِقَ الْوَكَاءُ لَمْ يَنْضَبْطِ الْوَعَاءُ وَ هَذَا الْقَوْلُ فِي الْأَشْهُرِ الْأَظْهَرِ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ ص وَ قَدَرُوا هَؤُلَاءِ قَوْمَ الْأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع وَ ذَكَرَ ذَلِكَ الْمَبْرَدُ فِي الْكِتَابِ الْمَقْتَضِبِ فِي بَابِ اللَّفْظِ الْمَعْرُوفِ قَالَ الرُّضَى وَ قَدِ تَكَلَّمْنَا عَلَى هَذِهِ الْاِسْتِعَارَةِ فِي كِتَابِنَا الْمَوْسُومِ بِمَجَازَاتِ الْأَثَارِ النَّبَوِيَّةِ - رَوَايَتُ ۱- ۳۶۲ الْمَعْرُوفِ أَنَّ هَذَا مِنْ كَلَامِ رَسُولِ اللهِ ص ذَكَرَهُ الْمُحَدِّثُونَ فِي كِتَابِهِمْ وَأَصْحَابُ غَرِيبِ الْحَدِيثِ فِي تَصَانِيْفِهِمْ وَ أَهْلُ الْأَدَبِ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ اللَّفْظَةِ فِي مَجْمُوعَاتِهِمْ لِلْغُيُوبَةِ وَلَعَلَّ الْمَبْرَدَ اشْتَبَهَ عَلَيْهِ فَنَسَبَهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع وَ الرَّوَايَةُ بِلَفْظِ التَّنْيَةِ الْعَيْنَانَ وَ كَاءَ السَّيِّئَةِ - رَوَايَتُ ۱- ۲۲ وَالسَّيِّئَةُ الْاِسْتِعَارَةُ [صفحہ ۱۸۷] وَ قَدْ جَاءَ فِي تَمَامِ الْخَبْرِ فِي بَعْضِ الرَّوَايَاتِ فَإِذَا نَامَتِ الْعَيْنَانِ اسْتَطْلَقَ الْوَكَاءُ - رَوَايَتُ ۱- ۲- رَوَايَتُ ۱- ۲۱- ۵۶ وَالْوَكَاءُ رِبَاطُ الْقُرْبَةِ فَجَعَلَ الْعَيْنِينَ وَ كَاءَ وَالْمَرَادُ الْيَقْظَةُ لِلْسَّيِّئَةِ كَالْوَكَاءِ لِلْقُرْبَةِ وَ مِنْهُ الْحَدِيثُ فِي اللَّقْظَةِ احْفَظْ عِفَاصَهَا وَ وُكَّاءَهَا وَ عَرَفَهَا سَنَةً فَإِنْ جَاءَ صَاحِبُهَا وَ الْإِفْشَانُكَ بِهَا - رَوَايَتُ ۱- ۲- رَوَايَتُ ۲۰- ۸۲ وَالْعِفَاصُ السَّدَادُ وَالْوَكَاءُ السَّدَادُ وَ هَذِهِ مِنَ الْكِنَايَاتِ اللَّطِيفَةِ

فصل في ألفاظ الكنايات وذكر الشواهد عليها

و قد كنا قدمنا قطعةً صالحهً من الكنايات المستحسنهً و وعدنا أن نعاود ذكر طرف منها و هذا الموضع موضعه فمن الكنايه عن الحدث الخارج و هو الذي كنى عنه أمير المؤمنين ع أو رسول الله ص الكنايه التي ذكرها يحيى بن زياد في شعره قيل إن يحيى بن زياد ومطيع بن إياس وحمادا الراويه جلسوا على شرب لهم ومعهم رجل منهم فأنحل وكاؤه فاستحيا وخرج و لم يعد إليهم فكتب إليه يحيى بن زياد أ من قلوب غدت لم يؤذها أحد || إلاتذكرها بالرمل أوطانا خان العقال لها فانبث إذ نفرت || وإنما الذنب فيها للذي خاننا منحتنا منك هجرانا ومقليه || و لم تزرنا كما قد كنت تغشانا خفض عليك فما في الناس ذو إبل || إلا وأينقه يشردن أحيانا . و ليس هذا الكتاب أهلا أن يضمن حكاية سخيفه أو نادره خليه فنذكر فيه ما جاء في هذا المعنى وإنما جرأنا على ذكر هذه الحكايه خاصه كنايه أمير المؤمنين ع أو رسول الله ص عنها ولكنها نذكر كنايات كثيره في غير هذا المعنى مستحسنه ينتفع القارئ بالوقوف عليها. [صفحہ ۱۸۸] يقال فلان من قوم موسى إذا كان ملولا إشارة إلى قوله تعالى و إذ قلتم يا موسى لئن نصبر على طعام واحد . قال الشاعر - قرآن - ۶۴- ۱۱۶ فيا من ليس يكفيه صديق || ولألفا صديق كل عام أظنك من بقايا قوم موسى || فهم لا يصبرون على طعام . و قال العباس بن الأحنف كتبت تلوم وتستريث زيارتي || وتقول لست لنا كعهد العاهد فأجبتها ودموع عيني سجم || تجرى على الخدين غير جوامد يافوز لم أهجركم لملائه || عرضت و لالمقال واش حاسد

لكننى جربتكم فوجدتكم || لاتصبرون على طعام واحد . ويقولون للجارية الحسنة قدأبقت من رضوان قال الشاعر جست العود
بالبنان الحسان || وتنت كأنها غصن بان فسجدنا لها جميعا وقلنا || إذ شجنتنا بالحسن والإحسان حاش لله أن تكونى من الإنس
|| ولكن أبقت من رضوان . ويقولون للمكشوف الأمر الواضح الحال ابن جلا و هو كناية عن الصبح و منه ماتمثل به الحجاج أنا
ابن جلا وطلاع الثنايا || متى أضع العمامة تعرفونى . و منه قول القلاخ بن حزن [صفحہ ۱۸۹] أنا القلاخ بن القلاخ ابن جلا . و
منه قولهم فلان قائد الجمل لأنه لا يخفى لعظم الجمل وكبر جثته و فى المثل مااستتر من قاد جملا وقالوا كفى برغائها نداء ومثل
هذاقولهم ما يوم حلیمه بسر يقال ذلك فى الأمر المشهور الذى لا يستر و يوم حلیمه يوم التقى المنذر الأكبر والحارث الغسانى
الأكبر و هو أشهر أيام العرب يقال إنه ارتفع من العجاج ماظهرت معه الكواكب نهارا و حلیمه اسم امرأة أضيف اليوم إليها لأنها
أخرجت إلى المعركة مراكن الطيب فكانت تطيب بهاالداخلين إلى القتال فقاتلوا حتى تفانوا . ويقولون فى الكناية عن الشيخ
الضعيف قائد الحمار وإشارة إلى ماأنشده الأصبغى آتى الندى فلايقرب مجلسى || وأقود للشرف الرفيع حمارى . أى أقوده من
الكبر إلى موضع مرتفع لأركبه لضعفى ومثل ذلك كنايةهم عن الشيخ الضعيف بالعاجن لأنه إذاقام عجن فى الأرض بكفيه قال
الشاعر فأصبحت كنتيا وأصبحت عاجنا || وشر خصال المرء كنت وعاجن . قالوا الكنتى الذى يقول كنت أفعل كذا وكنت
أركب الخيل يتذكر ماضى من زمانه و لا يكون ذلك إلا عندالهرم أوالفقر والعجز . ومثله قولهم للشيخ راعع قال لبيد أخبر
أخبار القرون التى مضت || أدب كأنى كلما قمت راعع . والركوع هوالتطأطؤ والانحناء بعدالاعتدال والاستواء ويقال للإنسان
إذاانتقل من الثروة إلى الفقر قدر راعع قال لاتهين الفقير عليك أن تركع || يوما والدهر قدر راعع . [صفحہ ۱۹۰] و فى هذاالمعنى
قال الشاعر ارفع ضعيفك لا يحر بك ضعفه || يوما فتدركه الحوادث قدنما يجزيك أويشنى عليك و إن من || يشنى عليك بما
فعلت فقد جزى . ومثله أيضا وأكرم كريما إن أتاك لحاجة || لعاقبة إن العضاء تروح . تروح الشجر إذاانفطر بالنبت يقول إن
كان فقيرا فقد يستغنى كما إن الشجر الذى لاورق عليه سيكتسى ورقا ويقال ركع الرجل أى سقط . و قال الشاعر حرق إذاركع
المطى من الوجى || لم يطو دون رفيقه ذا المرود حتى يثوب به قليلا فضله || حمد الرفيق نداك أو لم يحمد . و كمايشبهون
الشيخ بالراعع فيكنون به عنه كذلك يقولون يحجل فى قيده لتقارب خطوه قال أبوالمطحان القينى حنتنى حانبات الدهر حتى ||
كأنى خاتل أدنو لصيد قريب الخطو يحسب من رآنى || ولست مقيدا أنى بقيد . ونحو هذاقولهم للكبير بدت له الأرنب و ذلك
أن من يختل الأرنب ليصيدها يتمايل فى مشيته وأنشد ابن الأعرابى فى النوادر وطالت بى الأيام حتى كأننى || من الكبر العالى
بدت لى أرنب . ونحوه يقولون للكبير قيد بفلان البعير أى لاقوة ليد على أن يصرف البعير تحته على حسب إرادته فيقوده قائد
يحملة حيث يريد . [صفحہ ۱۹۱] و من أمثالهم لقد كنت و مايقاد بى البعير يضرب لمن كان ذا قوة وعزم ثم عجز وفتر . و من
الكنايا عن شيب العنفة قولهم قدعض على صوفه . ويكونون عن المرأة التى كبر سنها فيقولون امرأة قدجمعت الشياب أى تلبس
القناع والخمار والإزار وليست كالفتاة التى تلبس ثوبا واحدا . ويقولون لمن يخضب يسود وجه النذير وقالوا فى قوله تعالى وَ
جاءكمُ النذيرُ إنه الشيب و قال الشاعر -قرآن- ۳۳۵-۳۵۵ وقائلة لى اخضب فالغوانى || تطير من ملاحظه القتير فقلت لها المشيب
نذير موتى || ولست مسودا وجه النذير . وزاحم شاب شيخا فى طريق فقال الشاب كم ثمن القوس يعيره بانحناء الظهر فقال
الشيخ يا ابن أخى إن طال بك عمر فسوف تشتريها بلا- ثمن . وأنشد لابن خلف تعيرنى وخط المشيب بعارضى || و لو
لالحجول البلق لم تعرف الدهم حنى الشيب ظهري فاستمرت مريرتى || و لو لانحناء القوس لم ينفذ السهم . ويقولون لمن رشا
القاضى أوغيره صب فى قنديه زيتا وأنشد و عندقضاتنا خبث ومكر || وزرع حين تسقيه يسنبل إذا ماصب فى القنديل زيت ||
تحولت القضية للمقنديل . و كان أبوصالح كاتب الرشيد ينسب إلى أخذ الرشا و كان كاتب أم جعفر . [صفحہ ۱۹۲] و هوسعدان
بن يحيى كذلك فقال لها الرشيد يوما أ ماسمعت ما قيل فى كاتبك قالت ما هوفأنشدها صب فى قنديل سعدان || مع التسليم

زيتا وقناديل بنيه || قبل أن تخفى الكميّتا . قالت فما قيل في كاتبك أشنع وأنشدته قنديل سعدان علا ضوءه || فرخ لقنديل أبي صالح تراه في مجلسه أحوصا || من لمحّه للدرهم اللائح . ويقولون لمن طلق ثلاثا قدنحرها بمثلته . ويقولون أيضا أعطائها نصف السنّة . ويقولون لمن يفخر بأبائه هو عظامي ولمن يفخر بنفسه هو عصامي إشارة إلى قول النابغة في عصام بن سهل حاجب النعمان نفس عصام سوت عصاما || وعلمته الكر والإقداما وجعلته ملكا هماما . وأشار بالعظامي إلى فخره بالأموات من آبائه ورهطه وقال الشاعر إذا ما الحى عاش بعظم ميت || فذاك العظم حى و هو ميت . ونحو هذا أن عبد الله بن زياد بن ظبيان التميمي دخل على أبيه و هو يوجد بنفسه فقال أ لأوصى بك الأمير فقال إذا لم يكن للحى إلا وصية الميت فالحى هو الميت ويقال إن عطاء بن أبي سفيان قال ليزيد بن معاوية أعننى عن غيرك قال [صفحہ ۱۹۳] حسبك ما أعناك به معاوية قال فهو إذن الحى و أنت الميت ومثل قولهم عظامي قولهم خارجي أى يفخر بغير أوليئه كانت له قال كثير لعبد العزيز بأمر وان لست بخارجي || وليس قديم مجدك بانتحال . ويكون عن العزيز و عن الذليل أيضا فيقولون بيضة البلد فمن يقولها للمدح يذهب إلى أن البيضة هي الحوزة والحى يقولون فلان يحمى بيضته أى يحمى حوزته وجماعته و من يقولها للذم يعنى أن الواحد من بيض النعام إذا فسدت تركها أبواها في البلد وذهب عنها قال الشاعر فى المدح لكن قائله من لا كفاء له || من كان يدعى أبوه بيضة البلد . و قال الآخر فى الذم تأبى قضاة لم تعرف لكم نسا || وابنا نزار فأنتم بيضة البلد . ويقولون للشىء الذى يكون فى الدهر مرة واحدة هويضة الديك قال بشار يا أطيب الناس ريقا غير مختبر || لإشهادة أطراف المساويك قد زرتنا زورة فى الدهر واحدة || ثنى و لا تجعلها بيضة الديك . ويكون عن الثقيل بالقذى فى الشراب قال الأخطل يذكر الخمر والاجتماع عليها و ليس قذاها بالذى قديضيرها || و لا بذباب نزعه أيسر الأمر ولكن قذاها كل جلف مكلف || أتتنا به الأيام من حيث لاندري [صفحہ ۱۹۴] فذاك القذى و ابن القذى وأخو القذى || فإن له من زائر آخر الدهر ويكون أيضا عنه بقده اللباب قال الشاعر ياتقيل زاد فى الثقل || على كل ثقيل أنت عندى قدح اللباب || فى كف العليل . ويكون عنه أيضا بالقدح الأول لأن القدح الأول من الخمر تكرهه الطبيعة و مابعده فدونه لاعتياده قال الشاعر وأثقل من حزين باديا || وأبغض من قدح أول . ويكون عنه بالكانون قال الحطيئة يهجو أمه تنحى فاقعدى عنى بعيدا || أراح الله منك العالمينا أغربالا إذا استودعت سرا || وكانونا على المتحدثينا . قالوا وأصله من كنت أى سترت فكأنه إذا دخل على قوم وهم فى حديث ستروه عنه وقيل بل المراد شدة برده . ويكون عن الثقيل أيضا برحى البزر قال الشاعر وأثقل من رحى بزر علينا || كأنك من بقايا قوم عاد . ويقولون لمن يحمدون جواره جاره جار أبى دواد و هو كعب بن مامة الإيادى كان إذا جاوره رجل فمات وداه و إن هلك عليه شاة أو بغير أخلف عليه فجاوره أبو دواد الإيادى فأحسن إليه فضر به المثل . ومثله قولهم هو جليس قعقاع بن شور و كان قد قدم إلى معاوية فدخل عليه والمجلس غاص بأهله ليس فيه مقعد فقام له رجل من القوم وأجلسه مكانه فلم [صفحہ ۱۹۵] يبرح القعقاع من ذلك الموضع يكلم معاوية ومعاوية يخاطبه حتى أمر له بمائة ألف درهم فأحضرت إليه فجعلت إلى جانبه فلما قام قال للرجل القائم له من مكانه ضمها إليك فهى لك بقيامك لنا عن مجلسك فقبل فيه و كنت جليس قعقاع بن شور || و لا يشقى بقعقاع جليس ضحوك السن إن نطقوا بخير || و عند الشر مطراق عبوس . أخذ قوله و لا يشقى بقعقاع جليس من قول النبى ص هم القوم لا يشقى بهم جليسهم -روایت ۱- ۲-روایت ۱۷-۴۹ . ويكون عن السمين من الرجال بقولهم هو جار الأمير و ضيف الأمير وأصله أن الغضبان بن القبعثرى كان محبوسا فى سجن الحجاج فدعا به يوما فكلمه فقال له فى جملة خطابه إنك لسمين يا غضبان فقال القيد والرتع والخفض والدعة و من يكن ضيف الأمير يسمن . ويكنى الفلاسفة عن السمين بأنه يعرض سور حبسه و ذلك أن أفلاطون رأى رجلا سمينا فقال يا هذا ما أكثر عنايتك بتعريض سور حسبك . ونظر أعرابى إلى رجل جيد الكدنة فقال أرى عليك قطيفة محكمة قال نعم ذاك عنوان نعمه الله عندى . ويقولون للكذاب هو قوموس الحنجره وأيضا هوزلوق الكبد وأيضا

لا يوثق بسيل بلقعه وأيضا أسير الهند لأنه يدعى أنه ابن الملك و إن كان من أولاد السفلة. ويكنى عنه أيضا بالشيخ الغريب لأنه يحب أن يتزوج في الغربية فيدعى أنه ابن خمسين سنة و هو ابن خمس وسبعين . [صفحہ ۱۹۶] ويقولون هو فاختة البلد من قول الشاعر أكذب من فاختة || تصيح فوق الكرب والطلع لم يبد لها || هذا أوان الرطب . و قال آخر في المعنى حديث أبي حازم كله || كقول الفواخت جاء الرطب وهن و إن كن يشبهنه || فلسن يدانينه في الكذب . ويكونون عن النمام بالزجاج لأنه يشف على ماتحته قال الشاعر أنم بما استودعته من زجاجة || يرى الشيء فيها ظاهرا و هو باطن . ويكونون عنه بالنسيم من قول الآخر وإنك كلما استودعت سرا || أنم من النسيم على الرياض . ويقولون إنه لصبح وإنه لطيب كله في النمام ويقولون مازال يفتل له في الذروة والغارب حتى أسمحت قرونته وهى النفس والذروة أعلى السنام والغارب مقدمه . ويقولون في الكناية عن الجاهل ما يدري أى طرفيه أطول قالوا ذكره ولسانه وقالوا هل نسب أبيه أفضل أم نسب أمه . ومثله لا يعرف قطانه من لطانه أى لا يعرف جبهته مما بين وركيه . وقالوا الحدة كنية الجهل والاقتصاد كنية البخل والاستقصاء كنية الظلم . [صفحہ ۱۹۷] وقالوا للجائع عضه الصفر وعضه شجاع البطن . و قال الهذلي أرد شجاع البطن قد تعلمينه || وأوثر غرثي من عيالك بالطعم مخافة أن أحيا برغم وذلة || وللموت خير من حياة على رغم . ويقولون زوده زاد الضب أى لم يزوده شيئا لأن الضب لا يشرب الماء وإنما يتغذى بالريح والنسيم ويأكل القليل من عشب الأرض . و قال ابن المعتز يقول أكلنا لحم جدى وبطة || وعشر دجاجات شواء بألبان و قد كذب الملعون ما كان زاده || سوى زاد ضب يبيع الريح عطشان . و قال أبو الطيب لقد لعب اليبين المشت بها وبى || وزودنى فى السير مازود الضبا . ويقولون للمختلفين من الناس هم كنعم الصدقة وهم كعبر الكبش قال عمرو بن لجأ وشعر كعبر الكبش ألف بينه || لسان دعى فى القريض دخیل . و ذلك لأن بعبر الكبش يقع متفرقا . و قال بعض الشعراء لشاعر آخر أنا أشعر منك لأنى أقول البيت وأخاه تقول البيت و ابن عمه فأما قول جرير فى ذى الرمة إن شعره بعبر ظباء ونقط عروس فقد فسره الأصمعى فقال يريد أن شعره حلو أول ماتسمعه فإذا كرر إنشاده ضعف لأن أبعاد الظباء أول ماتشم توجد لها رائحة ما أكلت من الجثثات والشيح [صفحہ ۱۹۸] والقيصوم فإذا أدمت شمها عدت تلك الرائحة ونقط العروس إذا غسلتها ذهبت . ويقولون أيضا للمختلفين أخفاف والخيف سواد إحدى العينين وزرق الأخرى ويقولون فيهم أيضا أولاد علامات كالأخوة لأمهات شتى والعللة الضرة . ويقولون فيهم خبز كتاب لأنه يكون مختلفا قال شاعر يهجو الحجاج بن يوسف أينسى كليب زمان الهزال || وتعليمه سورة الكوثر رغيف له فلكه ماترى || وآخر كالقمر الأزهر . ومثله أمارأيت بنى سلم وجوهم || كأنها خبز كتاب ويقال . ويقال للمتساوين فى الرداء كأسنان الحمار قال الشاعر سواء كأسنان الحمار فلاترى || لذى شبيهة منهم على ناشئ فضلا . و قال آخر شباههم وشيهم سواء || فهم فى اللؤم أسنان الحمار . وأنشد المبرد فى الكامل لأعرابى يصف قوما من طيى بالتساوى فى الرداء و لما أن رأيت بنى جوين || جلوسا ليس بينهم جليس يئست من ألقى أقبلت أبغى || لديهم إننى رجل يئوس إذا ما قلت أيهم لأى || تشابهت المناكب والرءوس . قال فقوله ليس بينهم جليس هجاء قبيح يقول لا ينتجع الناس معروفهم [صفحہ ۱۹۹] فليس بينهم غيرهم ويقولون فى المتساويين فى الرداء أيضا هما كحمارى العبادى قيل له أى حماريك شر قال هذا ثم هذا ويقال فى التساوى فى الشر والخير هم كأسنان المشط ويقال وقعا كركبتى البعير وكرجلى النعام . و قال ابن الأعرابى كل طائر إذا كسرت إحدى رجليه تحامل على الأخرى إلا النعام فإنه متى كسرت إحدى رجليه جثم فلذلك قال الشاعر يذكر أخاه وإنى وإياه كرجلى نعامه || على ما بنا من ذى غنى وفقير . و قال أبو سفيان بن حرب لعامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة و قد تنافرا إليه أنتما كركبتى البعير فلم ينفر واحدا منهما فقالا فأينا اليمنى فقال كل منكما يمى . وسأل الحجاج رجلا عن أولاد المهلب أيهم أفضل فقال هم كالحلقة الواحدة . وسئل ابن دريد عن المبرد وثعلب فأثنى عليهما فقيل فابن قتيبة قال ربوة بين جبلين أى حمل ذكره بنباهتهما . ويكنى عن الموت بالقطع عند المنجمين و عن السعاية بالنصيحة عند العمال و عن الجماع بالوطء عند الفقهاء و عن

السكر بطيب النفس عند الندماء و عن السؤال بالزوار عند الأجواد و عن الصدقة بما أفاء الله عند الصوفية. ويقال للمتكلف بمصالح الناس إنه وصى آدم على ولده و قد قال شاعر في هذا الباب فكأن آدم عند قرب وفاته || أوصاك و هو يوجد بالحبواء بنيه أن ترعاهم فرعيتهم || وكفيت آدم عيلة الأبناء . ويقولون فلان خليفة الخضر إذا كان كثير السفر قال أبو تمام [صفحہ ۲۰۰] خليفة الخضر من يربح على وطن || أوبلده فظهور العيس أو طاني بغداد أهلى وبالشام الهوى و أنا || بالرقتين وبالفسطاط إخوانى و ماأظن النوى ترضى بما صنعت || حتى تبلغ بى أقصى خراسان . ويقولون للشىء المختار المنتخب هو ثمرة الغراب لأنه ينتفى خير الثمر. ويقولون سمن فلان فى أديمه كناية عن لا ينتفع به أى ماخرج منه يرجع إليه وأصله أن نحيا من السمن انشق فى ظرف من الدقيق فقيل ذلك قال الشاعر ترحل فما بغداد دار إقامة || و لا عند من أضحى ببغداد طائل محل ملوك سمنهم فى أديمهم || وكلهم من حلية المجد عاطل فلاغرو أن شلت يد المجد والعلی || وقل سماح من رجال ونائل إذاغضغض البحر الغطامط ماءه || فليس عجيباً أن تغيض الجداول . ويقولون لمن لايفى بالعهد فلان لا يحفظ أول المائدة لأن أولها يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود. ويقولون لمن كان حسن اللباس و لا طائل عنده هو مشجب والمشجب خشبة القصار التى يطرح الثياب عليها قال ابن الحجاج -قرآن- ۶۷-۱۱۳ لى سادة طائر السرور بهم || يطرده اليأس بالمقاليح مشاجب للثياب كلهم || و هذه عادة المشاقيع جائزتى عندهم إذا سمعوا || شعري هذا كلام مطبوع [صفحہ ۲۰۱] وإنهم يضحكون إن ضحكوا || منى وأبكى أنا من الجوع و قال آخر إذالبسوا دكن الخروز وخضرها || وراحوا فقد راحت عليك المشاجب . وروى أن كيسان غلام أبى عبيدة وفد على بعض البرامكة فلم يعطه شيئاً فلما وافى البصرة قيل له كيف وجدته قال وجدته مشجبا من حيث ما أتته وجدته . ويكونون عن الطفيلى فيقولون هو ذباب لأنه يقع فى القدور قال الشاعر أتيك زائراً لقضاء حق || فحال الستر دونك والحجاب ولست بواقع فى قدر قوم || و إن كرهوا كما يقع الذباب . و قال آخر و أنت أخو السلام وكيف أنتم || ولست أخا الملمات الشداد وأطفل حين يجفى من ذباب || وألزم حين يدعى من قراد . ويكونون عن الجرب بحب الشباب قال الوزير المهلبى ياصروف الدهر حسبى || أى ذنب كان ذنبى علته خصت وعمت || فى حبيب ومحب دب فى كفيه يا من || حبه دب بقلبى فهو يشكو حر حب || وشكاتى حر حب . ويكونون عن القصير القامة بأبى زبيبة و عن الطويل بخیط باطل وكانت كنية مروان بن الحكم لأنه كان طويلاً -مضطرباً قال فيه الشاعر لحا الله قوما أمروا خيط باطل || على الناس يعطى من يشاء ويمنع . و فى خيط باطل قولان أحدهما أنه الهباء الذى يدخل من ضوء الشمس فى الكوة [صفحہ ۲۰۲] من البيت وتسميه العامة غزل الشمس والثانى أنه الخيط الذى يخرج من فى العنكبوت وتسميه العامة مخاط الشيطان . وتقول العرب للملقو لطيم الشيطان . و كان لقب عمرو بن سعيد الأشدق لأنه كان ملقوا. و قال بعضهم لآخر ما حدث قال قتل عبدالملك عمرا فقال قتل أبوالذبان لطيم الشيطان و كذلك نولت بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون. ويقولون للحزين المهموم يعد الحصى ويخط فى الأرض ويفت اليرمع قال المجنون -قرآن- ۲۸۶-۳۵۳ عشية ما لى حيلة غير أننى || بلقط الحصى والخط فى الدار مولع أخط وأمحو كل ما قد خطته || بدمعى والغربان حولى وقع . و هذا كالنادم يقرع السن والبخيل ينكت الأرض ببنانه أو يعود عند الرد قال الشاعر عبيد إخوانهم حتى إذا ركبوا || يوم الكريهة فالآساد فى الأجم يرضون فى العسر والإيسار سائلهم || لا يقرعون على الأسنان من ندم . و قال آخر فى نكت الأرض بالعيدان قوم إذا نزل الغريب بدارهم || تركوه رب صواهل وقيان لا ينكتون الأرض عند سؤالهم || لتطلب العلات بالعيدان . ويقولون للفارغ فؤاد أم موسى . [صفحہ ۲۰۳] ويقولون للمثرى من المال منقرس و ذلك أن علة النقرس أكثر ماتعترى أهل الثروة والتنعيم . حكى المبرد قال كان الحرمازى فى ناحية عمرو بن مسعدة و كان يجرى عليه فخرج عمرو بن مسعدة إلى الشام وتخلف الحرمازى ببغداد فأصابه النقرس فقال أقام بأرض الشام فاختلف جانبى || ومطلبه بالشام غير قريب و لاسيما من مفلس حلف نقرس || أمانقرس فى مفلس بعجيب . و قال بعضهم يهجو ابن زيدان الكاتب تواضع النقرس حتى لقد

|| صار إلى رجل ابن زيدان علة إنسان ولكنها || قد وجدت في غير إنسان . ويقولون للمترف رقيق النعل وأصله قول النابغة رقاق النعال طيب حجاتهم || يحيون بالريحان يوم السباسب . يعنى أنهم ملوك والملك لا يخصف نعله وإنما يخصف نعله من يمشى و قوله طيب حجاتهم أى هم أعفاء الفروج أى يشدون حجاتهم على عفة وكذلك قولهم فلان مسمط النعال أى نعله طبقه واحده غير مخصوف قال المرار بن سعيد الفقعسى وجدت بنى خفاجة فى عقيل || كرام الناس مسمطة النعال . وقريب من هذا قول النجاشى ولا يأكل الكلب السروق نعالنا || ولا ينتقى المخ الذى فى الجماجم . [صفحہ ۲۰۴] يريد أن نعالهم سبت والسبت جلود البقر المدبوغة بالقرظ ولا تقربها الكلاب وإنما تأكل الكلاب غير المدبوغ لأنه إذا أصابه المطر دسّمه فصار زهما . ويقولون للسيد لا يطأ على قدم أى هو يتقدم الناس ولا يتبع أحداً فطأ على قدمه . ويقولون قد اخضرت نعالهم أى صاروا فى خصب وسعة قال الشاعر يتايهون إذا اخضرت نعالهم || وفى الحفيظة أبرام مضاجير . و إزداعوا على إنسان بالزمانة قالوا خلع الله نعليه لأن المقعد لا يحتاج إلى نعل . ويقولون أطفأ الله نوره كناية عن العمى وعن الموت أيضاً لأن من يموت فقد طفت ناره . ويقولون سقاها الله دم جوفه دعاء عليه بأن يقتل ولده ويضطر إلى أخذ ديتة إبلا فيشرب ألبانها . ويقولون رماه الله بلبلة لأخت لها أى ليلة موته لأن ليلة الموت لأخت لها . ويقولون وقعوا فى سلا جمل أى فى داهية لا يرى مثلها لأن الجمل لا سلا له وإنما السلا للناقة وهى الجليدة التى تكون ملفوفة على ولدها . ويقولون صاروا فى حواء ناقة إذ صاروا فى خصب . وكانوا إذا وصفوا الأرض بالخصب قالوا كأنها حواء ناقة . [صفحہ ۲۰۵] ويقولون لأبناء الملوك والرؤساء ومن يجرى مجراهم جفأة المحز قال الشاعر جفأة المحز لا يصيبون مفصلاً || ولا يأكلون اللحم إلا تخدماً . يقول هم ملوك وأشبه الملوك لاحذق لهم بنحر الإبل والغنم ولا يعرفون التجليد والسلخ ولهم من يتولى ذلك عنهم و إذا لم يحضرهم من يجزر الجزور تكلفوا هم ذلك بأنفسهم فلم يحسنوا حز المفصل كما يفعله الجزار وقوله ولا يأكلون اللحم إلا تخدماً . أى ليس بهم شره فإذا أكلوا اللحم تخدموا قليلاً والخدم القطع وأنشد الجاحظ فى مثله وصلع الرؤوس عظام البطون || جفأة المحز غلاظ القصر . لأن ذلك كله أمارات الملوك وقريب من ذلك قوله ليس براعى إبل ولا غنم || ولا يجزار على ظهر وضم . ويقولون فلان أملكس يكون عمن لا خير فيه ولا شر أى لا يثبت فيه حمد ولا ذم . ويقولون ملحه على ركبته أى هوسى الخلق يغضبه أدنى شىء قال لا تلمها إنها من عصبه || ملحها موضوعة فوق الركب . ويقولون كناية عن مجوسى هو ممن يخط على النمل والنمل جمع نملة وهى قرحة بالإنسان كانت العرب تزعم أن المجوسى إذا كان من أخته وخط عليها برأت قال الشاعر ولا عيب فىنا غير عرق لمعشر || كرام وأنا لا نخط على النمل . [صفحہ ۲۰۶] ويقولون للصبى قد قطفت ثمرته أى ختن وقال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ما زال عصياننا لله يردلنا || حتى دفعنا إلى يحيى ودينار إلا عليجين لم تقطف ثمارها || قد طالما سجداً للشمس والنار . ويقولون قدر حليمه أى لا غليان فيها . ويقولون لمن يصلى صلاة مختصرة هوراجز الصلاة . وقال أعرابى لرجل رآه يصلى صلاة خفيفة صلاتك هذه رجز . ويقولون فلان عفيف الشفة أى قليل السؤال وفلان خفيف الشفة كثير السؤال . وتكنى العرب عن المتيقظ بالقطامى وهو الصقر . ويكون عن الشدة والمشقة بعرق القرية يقولون لقيت من فلان عرق القرية أى العرق الذى يحدث بك من حملها وثقلها وذلك لأن أشد العمل كان عندهم السقى وماناسبه من معالجة الإبل . وتكنى العرب عن الحشرات وهوام الأرض بجنود سعد يعنون سعد الأخبية وذلك لأنه إذا طلع انتشرت فى ظاهر الأرض وخرج منها ما كان مستتراً فى باطنها قال الشاعر قد جاء سعد منذراً بحره || موعده جنوده بشره . ويكنى قوم عن السائلين على الأبواب بحفاظ سورة يوسف ع لأنهم يعتنون بحفظها دون غيرها وقال عمارة يهجو محمد بن وهيب تشبهت بالأعراب أهل التعجرف || فدل على ما قلت قبح التكلف [صفحہ ۲۰۷] لسان عراقى إذا ما صرفته || إلى لغة الأعراب لم يتصرف ولم تنس ما قد كان بالأمس حاكه || أبوك وعود الجف لم يتقصفت لئن كنت للأشعار والنحو حافظاً || لقد كان من حفاظ سورة يوسف . ويكونون عن اللقيط بتربية القاضى وعن الرقيب بثنائى الحبيب لأنه

يرى معه أبدا قال ابن الرومي موقف للرقيب لأنساه || لست أختاره ولا آباه مرحبا بالرقيب من غير وعد || جاء يجلو على من أهواه لا أحب الرقيب إلا لأني || لا أرى من أحب حتى أراه . ويكون عن الوجه المليح بحجة المذنب إشارة إلى قول الشاعر قد وجدنا غفلة من رقيب || فسرقتنا نظرة من حبيب ورأينا ثم وجها مليحا || فوجدنا حجة للذنوب . ويكون عن الجاهل ذي النعمة بحجة الزنادقة قال ابن الرومي مهلا أبا الصقر فكم طائر || خر صريعا بعد تحليق لا قدست نعى تسربلتها || كم حجة فيها لزنديق . وقال ابن بسام في أبي الصقر أيضا يا حجة الله في الأرزاق والقسم || وعبرة لأولى الألباب والفهم تراك أصبحت في نعماء سابغة || إلا وربك غضبان على النعم . فهذا ضد ذلك المقصد لأن ذاك جعله حجة على الزندقة وهذا جعله حجة على قدرة البارئ سبحانه على عجائب الأمور وغرائبها وأن النعم لا قدر لها عنده سبحانه حيث جعلها عند أبي الصقر مع دناءة منزلته وقال ابن الرومي [صفحته ٢٠٨] وقينه أبرد من ثلجه || تبيت منها النفس في ضجه كأنها من تنتها صخة || لكنها في اللون أترجه تفاوتت خلقتها فاغدت || لكل من عطل محتجه وقد يشابه ذلك قول أبي على البصير في ابن سعدان يا ابن سعدان أجلح الرزق في أمرك || واستحسن القبيح بمره نلت ما لم تكن تمنى إذا ما || أسرفت غاية الأمانى عشره ليس فيما أظن إلا الكيلا || ينكر المنكرون لله قدره . وللمفجع في قريب منه إن كنت خنتكم المودة غادرا || أو حلت عن سنن المحب الوامق فمسخت في قبح ابن طلحة إنه || مادل قط على كمال الخالق . ويقولون عرض فلان على الحاجة عرضا سابريا أى خفيفا من غير استقصاء تشبها له بالثوب السابري والدرع السابرية وهى الخفيفة . ويحكى أن مرتدا مر على قوم يأكلون وهوراكب حمارا فقالوا انزل إلينا فقال هذا عرض سابري فقالوا انزل يا ابن الفاعلة وهذا ظرف ولباقه . ويقولون فى ذلك وعد سابري أى لا يقرن به وفاء وأصل السابري اللطيف الرقيق . وقال المبرد سألت الجاحظ من أشعر المولدين فقال القائل كأن ثيابه أطلعن || من أزراره قمرا يزيدك وجهه حسنا || إذا ما زدته نظرا بعين خالط التفتير || فى أجفانها الحورا [صفحته ٢٠٩] ووجه سابري لو || تصوب ماؤه قطرا . يعنى العباس بن الأحنف . وتقول العرب فى معنى قول المحدثين عرض عليه كذا عرضا سابريا عرض عليه عرض عالة أى عرض الماء على النعم العالة التى قد شربت شربا بعد شرب وهو العلل لأنها تعرض على الماء عرضا خفيفا لا تبلغ فيه . ومن الكنايات الحسنه قول أعرابية قالت لقيس بن سعد بن عبادة أشكو إليك قلء الجرذان فى بيتى فاستحسن منها ذلك وقال لأكثرنها املئوا لها بيتها خبزا وتمرا وسمنا وأقطا ودقيقا . وشبهه بذلك ماروى أن بعض الرؤساء سايره صاحب له على بردون مهزول فقال له ما أشد هزال دابتك فقال يدها مع أيدينا ففطن لذلك ووصله . وقريب منه ما حكى أن المنصور قال لإنسان ما مالك قال ما أصون به وجهى ولا أعود به على صديقى فقال لقد تلطفت فى المسألة وأمر له بصله . وجاء أعرابى إلى أبى العباس ثعلب وعنده أصحابه فقال له ما أراد القائل بقوله الحمد لله الوهوب المنان || صار الثريد فى رءوس القضبانات فقبل ثعلب على أهل المجلس فقال أجيبوه فلم يكن عندهم جواب وقال له نفظويه الجواب منك ياسيدى أحسن فقال على أنكم لا تعلمونه قالوا لا نعلمه فقال الأعرابى قد سمعت ما قال القوم فقال ولا أنت أعزك الله تعلمه فقال ثعلب أراد أن السنبل قد أفرق قال صدقت فأين حق الفائدة فأشار إليهم ثعلب [صفحته ٢١٠] فبروه فقام قائلا بوركت من ثعلب ما أعظم بركتك . ويكون عن الشيب بغبار العسكر وبرغوة الشباب قال الشاعر قالت أرى شيئا برأسك قلت لا || هذا غبار من غبار العسكر . وقالت آخر وسماه غبار وقائع الدهر غضبت ظلوم وأزمت هجرى || وصبت ضمائرنا إلى الغدر قالت أرى شيئا فقلت لها || هذا غبار وقائع الدهر . ويقولون للسحاب فحل الأرض . وقالوا القلم أحد اللسانين ورداءة الخط أحد الزمانتين . قال وقال الجاحظ رأيت رجلا أعمى يقول فى الشوارع وهو يسأل ارحموا ذا الزمانتين قلت وماهما قال أنا أعمى وصوتى قبيح وقد أشار شاعر إلى هذا فقال اثنان إذ اعدا || حقيق بهما الموت فقير ما له زهد || وأعمى ما له صوت قال رسول الله ص إياكم وخضراء الدمن فلما سئل عنها قال المرأة الحسناء فى المنبت السوء -روايت- ١-٢-روايت- ٢٣-٩٥ قال ع فى صلح قوم من العرب إن بيننا وبينهم عيبة مكفوفة أى

لانكشاف ما بيننا وبينهم من ضغن وحقد ودم -روايت- ١-٢-روايت- ١١-١١٠ قال ع الأنصار كرشى وعييتى -روايت- ١-٢-
روايت- ١١-٣٣ أى موضع سرى وكرشى جماعتى. [صفحة ٢١١] ويقال جاء فلان ريد العنان أى منهزما. وجاء ينفض مذكروه
أى يتوعد من غير حقيقة. وجاء ينظر عن شماله أى منهزما. وتقول فلان عندى بالشمال أى منزلته خسيه وفلان عندى باليمين
أى بالمنزلة العليا قال أبو نواس أقول لناقتى إذ بلغتنى || لقد أصبحت عندى باليمين فلم أجعلك للغربان نهبا || و لم أقل اشرقى
بدم الوتين حرمت على الأزمه والولاي || وأعلاق الرحاله والوضين . وقال ابن ميادة أبنى أ فى يمنى يديك جعلتنى || فأفرح
أم صيرتنى فى شمالك . وتقول العرب التقى الثريان فى الأمرين يأتلفان ويتفقان أو الرجلين قال أبو عبيده والثرى التراب الندى
فى بطن الوادى فإذا جاء المطر وسح فى بطن الوادى حتى يلتقى نداء والندى الذى فى بطن الوادى يقال التقى الثريان . ويقولون
هم فى خير لا يطير غرابه يريدون أنهم فى خير كثير وخصب عظيم فيقع الغراب فلا ينفى لكثرة الخصب . وكذلك أمر لا ينادى
وليدى أى أمر عظيم ينادى فيه الكبار دون الصغار. وقيل المراد أن المرأة تشتغل عن وليدها فلا تناديه لعظم الخصب و من هذا قول
الشاعر يصف حربا عظيمة [صفحة ٢١٢] إذا خرس الفحل وسط الحجور || وصاح الكلاب وعق الولد . يريد أن الفحل إذا عاين
الجيش والبارقة لم يلتفت لفت الحجور و لم يصهل وتبج الكلاب أربابها لأنها لا تعرفهم للبسهم الحديد وتذهل المرأة عن
ولدها رعبا فجعل ذلك عقوقا. ويقولون أصبح فلان على قرن أعفر و هو الظبى إذا أرادوا أصبح على خطر و ذلك لأن قرن الظبى
ليس يصلح مكانا فمن كان عليه فهو على خطر قال إمرؤ القيس و لامثل يوم بالعظالى قطعته || كأنى وأصحابى على قرن أعفرا .
وقال أبو العلاء المعرى كأننى فوق روق الظبى من حذر . وأنشد ابن دريد فى هذا المعنى و ماخير عيش لا يزال كأنه || محله
يعسوب برأس سنان يعنى من القلق و أنه غير مطمئن . ويقولون به داء الظبى أى لاداء به لأن الظبى صحيح لا يزال والمرض قل أن
يعتريه ويقولون للمتلون المختلف الأحوال ظل الذئب لأنه لا يزال مرة هكذا ومرة هكذا ويقولون به داء الذئب أى الجوع . [
صفحة ٢١٣] وعهد فلان عهد الغراب يعنون أنه غادر قالوا لأن كل طائر يألف أثنائه إلا الغراب فإنه إذا باضت الأثنى تركها وصار
إلى غيرها. ويقولون ذهب سمع الأرض وبصرها أى حيث لا يدري أين هو. وتقولون ألقى عصاه إذا أقام واستقر قال الشاعر فألقت
عصاها واستقر بها النوى || كما فر عينا بالإياب المسافر . ووقع القضيب من يد الحجاج و هو يخطب فتطير بذلك حتى بان فى
وجهه فقام إليه رجل فقال إنه ليس ماسبق وهم الأمير إليه ولكنه قول القائل وأنشده البيت فسرى عنه . ويقال للمختلفين طارت
عصاهم شققا. ويقال فلان منقطع القبال أى لا يرى له . وفلان عريض البطان أى كثير الثروه. وفلان رضى اللب أى فى سعة.
وفلان واقع الطائر أى ساكن . وفلان شديد الكاهل أى منيع الجانب . وفلان ينظر فى أعقاب نجم مغرب أى هو نادم آيس قال
الشاعر فأصبحت من ليلى الغداة كناظر || مع الصبح فى أعقاب نجم مغرب . وسقط فى يده أى أيقن بالهلكة. و قد رددت يده
إلى فيه أى منعه من الكلام . وبنو فلان يد على بنى فلان أى مجتمعون . [صفحة ٢١٤] وأعطاه كذا عن ظهر يد أى ابتداء لا
عن مكافأة. ويقولون جاء فلان ناشرا أذنيه أى جاء طامعا. ويقال هذه فرس غير محلفة أى لا تحوج صاحبها إلى أن يحلف أنها
كريمة قال كميث غير محلفة ولكن || كلون الصرف عل به الأديم . وتقول حلب فلان الدهر أشطره أى مرت عليه صروبه خيره
وشره . وقرع فلان لأمر ظنوبه أى جد فيه واجتهد. وتقول أبدى الشر نواجذه أى ظهر. و قد كشفت الحرب عن ساقها وكشرت
عن نابها. وتقول استنوق الجمل يقال ذلك للرجل يكون فى حديث ينتقل إلى غيره يخلطه به . وتقول لمن يهون بعد عزاستان
العير. وتقول للضعيف يقوى استنسر البغات . ويقولون شراب بأنقع أى معاود للأمر و قال الحجاج يا أهل العراق إنكم شرابون
بأنقع أى معتادون الخير والشر والأنقع جمع نقع و هو ما استنقع من الغدران وأصله فى الطائر الحذر يرد المناقع فى الفلوات حيث
لا يبلغه قانص ولا ينصب له شرك [صفحة ٢١٥]

ونختم هذا الفصل في الكنايات بحكاية رواها أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني قال أبو الفرج أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني ابن عمي قال حدثنا أحمد بن عبد الله عن الهيثم بن عدى قال وحدثني عمي قال حدثنا محمد بن سعد الكراني قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدى عن مجالد بن سعيد عن عبد الملك بن عمير قال قدم علينا عمر بن هبيرة الكوفة أميراً على العراق فأرسل إلى عشرة من وجوه أهل الكوفة أنا أحدهم فسرنا عنده فقال ليحدثني كل رجل منكم أحدثه وأبدأ أنت يا أبا عمرو فقلت أصلح الله الأمير أحدث حق أم حديث باطل قال بل حديث حق فقلت إن امرأ القيس كان آلي ألياً ألا يتزوج امرأة حتى يسألها عن ثمانية وأربعة واثنتين فجعل يخطب النساء فإذا سألهن عن هذا قلن أربعة عشر فبينما هو يسير في جوف الليل إذا هو برجل يحمل ابنة صغيرة له كأنها البدر لتمه فأعجبته فقال لها يا جارية ما ثمانية وأربعة واثنتان فقالت أما ثمانية فأطباء الكلبة وأما أربعة فأخلاف الناقة وأما اثنتان فتديا المرأة فخطبها إلى أبيها فوجه إياها وشرطت عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال فجعل لها ذلك و علي أن يسوق إليها مائة من الإبل وعشرة أعبد وعشر وصائف وثلاثة أفراس ففعل ذلك ثم بعث عبداً إلى المرأة وأهدى إليها معه نحيا من سمن ونحيا من عسل وحلء من عصب فنزل العبد على بعض المياه ونشر الحلء فلبسها فتعلقت بسمرة فانشقت وفتح النحيين فأطعم أهل الماء منهما فنقصا ثم قدم على المرأة وأهلها خلوف فسألها عن أبيها وأما وأخيها ودفن إليها [صفحة ٢١٦] هديتها فقالت أعلم مولاك أن أبي ذهب يقرب بعيدا ويبعد قريبا و أن أمي ذهبت تشق النفس نفسين و أن أخي ذهب يراعى الشمس و أن سماء كم انشقت و أن وعاء يكم نضبا. فقدم الغلام على مولاه فأخبره فقال أما قولها أن أبي ذهب يقرب بعيدا ويبعد قريبا فإن أباهما ذهب يحالف قوما على قومه و أما قولها إن أمي ذهبت تشق النفس نفسين فإن أمها ذهبت تقبل امرأة نفساء و أما قولها إن أخي ذهب يراعى الشمس فإن أخاها في سرح له يراعه فهو ينتظر وجوب الشمس ليروح به و أما قولها إن سماء كم انشقت فإن البرد الذي بعثت به انشق و أما قولها إن وعاء يكم نضبا فإن النحيين اللذين بعثت بهما نقصا فاصدقني فقال يا مولاي إنى نزلت بماء من مياه العرب فسألوني عن نسبي فأخبرتهم أني ابن عمك ونشرت الحلء ولبستها وتجملت بها فتعلقت بسمرة فانشقت وفتحت النحيين فأطعمت منهما أهل الماء فقال أولى لك ثم ساق مائة من الإبل وخرج نحوها ومعه العبد يسقى الإبل فعجز فأعانه امرؤ القيس فرمى به العبد في البئر وخرج حتى أتى إلى أهل الجارية بالإبل فأخبرهم أنه زوجها فقيل لها قد جاء زوجك فقالت والله ما أدري أزوجي هو أم لا ولكن انحروا له جزورا وأطعموه من كرشها وذنبا ففعلوا فأكل ما أطعموه فقالت اسقوه لبنا حازرا و هو الحامض فسقوه فشرب فقالت افرشوا له عند الفرث والدم ففرشوا له فنام فلما أصبحت أرسلت إليه أني أريد أن أسألك فقال لها سلى عما بدا لك فقالت مم تختلج شفتاك قال من تقبيلي إياك فقالت مم يختلج كشحاك قال لا التزامي إياك قالت فمم يختلج فخذاك [صفحة ٢١٧] قال لتوركي إياك فقالت عليكم العبد فشدوا أيديكم به ففعلوا. قال ومر قوم فاستخرجوا امرأ القيس من البئر فرجع إلى حيه وساق مائة من الإبل وأقبل إلى امرأته فقيل لها قد جاء زوجك فقالت والله ما أدري أزوجي هو أم لا ولكن انحروا له جزورا وأطعموه من كرشها وذنبا ففعلوا فلما أتوه بذلك قال وأين الكبد والسنام والملحاء وأبي أن يأكل فقالت اسقوه لبنا حازرا فأتني به فأبى أن يشربه و قال فأين الضريب والرثية فقالت افرشوا له عند الفرث والدم ففرشوا له فأبى أن ينام و قال افرشوا لي عند التلعة الحمراء واضربوا لي عليها خباء ثم أرسلت إليه هلم شريطتي عليك في المسائل الثلاث فأرسل إليها أن سلى عما شئت فقالت مم تختلج شفتاك فقال لشربي المشعشات قالت فمم يختلج كشحاك قال للبسي الحبرات قالت فمم تختلج فخذاك قال لركضى المطهات فقالت هذا زوجي لعمري فعليكم به فأهديت إليه الجارية. فقال ابن هبيرة حسبكم فلا خير في الحديث سائر الليلة بعد حديث أبي عمرو ولن يأتينا أحد

وَقَالَ ع فِي كَلَامٍ لَهُ وَوَلِيَهُمْ وَالِ فَأَقَامَ وَاسْتَقَامَ حَتَّى ضَرَبَ الدِّينُ بِجِرَانِهِ الْجِرَانَ مَقْدَمَ الْعَنْقِ وَهَذَا الْوَالِي هُوَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ . وَ هَذَا الْكَلَامُ مِنْ خُطْبَةٍ خُطِبَهَا فِي أَيَّامِ خِلَافَتِهِ طَوِيلَةً يَذْكَرُ فِيهَا قُرْبَهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى وَخِصَّاصَهُ لَهُ وَإِفْضَاءَهُ بِأَسْرَارِهِ إِلَيْهِ حَتَّى قَالَ فِيهَا فَاخْتَارَ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَهُ بَارِئَهُمْ رَجُلًا مِنْهُمْ فَقَارِبَ وَسَدَّدَ حَسَبَ اسْتَطَاعَتِهِ عَلَى ضَعْفٍ وَحَدِّ كَانَا فِيهِ وَلِيَهُمْ بَعْدَهُ وَالِ فَأَقَامَ وَاسْتَقَامَ حَتَّى ضَرَبَ الدِّينَ بِجِرَانِهِ عَلَى عَسْفٍ وَعَجْرِيَّةٍ كَانَا فِيهِ ثُمَّ اخْتَلَفُوا ثَالِثًا لَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ مِنْ أَمْرِ نَفْسِهِ شَيْئًا غَلِبَ عَلَيْهِ أَهْلُهُ فَقَادُوهُ إِلَى أَهْوَانِهِمْ كَمَا تَقُودُ الْوَلِيدَةُ الْبَعِيرَ الْمَخْطُومَ فَلَمْ يَزَلِ الْأَمْرُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ يَبْعُدُ تَارَةً وَيُقْرَبُ أُخْرَى حَتَّى نَزَا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ ثُمَّ جَاءُوا بِى مَدِينَةَ الدَّبَا يَرِيدُونَ بَيْعَتِي -رَوَايَاتُ ١-٢-٣-٤٢٧. وَتَمَامُ الْخُطْبَةِ مَعْرُوفٌ فَلْيَطْلُبْ مِنَ الْكُتُبِ الْمَوْضُوعَةَ لِهَذَا الْفَنِّ [صفحة ٢١٩]

وَقَالَ ع يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ عَضُوضٌ يَعَضُّ الْمُوسِرُ فِيهِ عَلَى مَا فِي يَدَيْهِ وَ لَمْ يُؤْمَرْ بِمِثْلِكَ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُو لَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ يَنْهَدُ فِيهِ الْأَشْرَارُ وَ يُسْتَدَلُّ الْأَخْيَارُ وَ يُبَايِعُ الْمُضْطَرِّونَ وَ قَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى عَنْ بَيْعِ الْمُضْطَرِّينَ -قُرْآنُ ١٤١-١٧١ زَمَانٌ عَضُوضٌ أَيْ كَلْبٌ عَلَى النَّاسِ كَأَنَّهُ يَعْضُهُمْ وَفَعُولٌ لِلْمَبَالِغَةِ كَالنَّفُورِ الْعَقُوقِ وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ قَوْلِهِمْ بَثْرُ عَضُوضٍ أَيْ بَعِيدَةٌ الْقَعْرِ ضَيْقَةٌ وَ مَا كَانَتْ الْبَثْرُ عَضُوضًا فَأَعَضَّتْ كَقَوْلِهِمْ مَا كَانَتْ جُرُورًا فَأَجْرَتْ وَهِيَ كَالْعَضُوضِ . وَعَضَّ فُلَانٌ عَلَى مَا فِي يَدَيْهِ أَيْ بَخَلَ وَأَمْسَكَ . وَ يَنْهَدُ فِيهِ الْأَشْرَارُ يَنْهَضُونَ إِلَى الْوَلَايَاتِ وَ الرِّئَاسَاتِ وَ تَرْتَفِعُ أَقْدَارُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَ يَسْتَدَلُّ فِيهِ أَهْلُ الْخَيْرِ وَ الدِّينِ وَ يَكُونُ فِيهِ بَيْعٌ عَلَى وَجْهِ الْإِضْطِرَارِ وَ الْإِلْجَاءِ كَمَنْ يَبِيعُ ضَيْعَتَهُ وَ هُوَ ذَلِيلٌ ضَعِيفٌ مِنْ رَبِّ ضَيْعَةٍ مُجَاوِرَةٌ لَهَا ذِي ثَرَوَةٍ وَ عِزٍّ وَ جَاهٍ فَيَلْجِئُهُ بِمَنْعَةِ الْمَاءِ وَ اسْتَدْلَالِهِ الْأَكْرَهَ وَ الْوَكِيلَ إِلَى أَنْ يَبِيعَهَا عَلَيْهِ وَ ذَلِكَ مَنْهَى عَنْهُ لِأَنَّهُ حَرَامٌ مُحَضٌّ [صفحة ٢٢٠]

وَقَالَ ع يَهْلِكُ فِي رَجُلَانِ مُجِبِّ مَفْرُطٍ وَ بَاهِتٍ مُفْتَرٍ قَالَ الرِّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَ هَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ ع -رَوَايَاتُ ١-٥١ يَهْلِكُ فِي اثْنَيْنِ مُجِبِّ غَمَالٍ وَ مَبِغْضٍ قَمَالٍ قَدْ تَقَدَّمَ شَرْحُ مِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ وَ خِلَاصُهُ هَذَا الْقَوْلُ أَنَّ الْهَالِكَ فِيهِ الْمَفْرُطُ وَ الْمَفْرُطُ أَمَّا الْمَفْرُطُ فَالْغَلَاءُ وَ مَنْ قَالَ بِتَكْفِيرِ أَعْيَانِ الصَّحَابَةِ وَ نِفَاقِهِمْ أَوْ فِسْقِهِمْ أَوْ أَمَّا الْمَفْرُطُ فَمَنْ اسْتَنْقَصَ بِهِ عَ أَوْ أَبْغَضَهُ أَوْ حَارَبَهُ أَوْ أَضْمَرَ لَهُ غِلًا وَ لِهَذَا كَانَ أَصْحَابُنَا أَصْحَابَ النِّجَاةِ وَ الْخِلَاصِ وَ الْفَوْزِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ لِأَنَّهُمْ سَلَكُوا طَرِيقَهُ مَقْتَصِدَةً قَالُوا هُوَ أَفْضَلُ الْخَلْقِ فِي الْآخِرَةِ وَ أَعْلَاهُمْ مَنزَلُهُ فِي الْجَنَّةِ وَ أَفْضَلُ الْخَلْقِ فِي الدُّنْيَا وَ أَكْثَرُهُمْ خِصَائِصَ وَ مَزَايَا وَ مَنَاقِبَ وَ كُلٌّ مِنْ عَادَاتِهِ أَوْ حَارَبَهُ أَوْ أَبْغَضَهُ فَإِنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ سَبْحَانَهُ وَ خَالِدٌ فِي النَّارِ مَعَ الْكُفَّارِ وَ الْمُنَافِقِينَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ قَدْ ثَبَّتَتْ تَوْبَتَهُ وَ مَاتَ عَلَى تَوَلِيهِ وَجِبِهِ . فَأَمَّا الْأَفْضَلُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ الَّذِينَ وَلُوا الْإِمَامَةَ قَبْلَهُ فَلَوْ أَنَّهُ أَنْكَرَ إِمَامَتَهُمْ [صفحة ٢٢١] وَ غَضِبَ عَلَيْهِمْ وَ سَخَطَ فَعَلَهُمْ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَشْهَرَ

عليهم السيف أويدعو إلى نفسه لقلنا إنهم من الهالكين كما لو غضب عليهم رسول الله ص لأنه قد ثبت أن رسول الله ص قال له حربك حربى وسلمك سلمى -رواية- ١-٢-رواية- ٣١-٥٦ أنه قال أللهم وال من والاه وعاد من عاداه -رواية- ١-٢-رواية- ١٣-٥٠ قال له لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-٥١ ولكننا رأينا رضى إمامتهم وبايعهم وصلى خلفهم وأنكحهم وأكل من فيهم فلم يكن لنا أن نتعدى فعله ولا نتجاوز ماشتهر عنه ألا ترى أنه لما برئ من معاوية برئنا منه و لمالعه لعناه و لما حكم بضلال أهل الشام و من كان فيهم من بقايا الصحابة كعمرو بن العاص و عبد الله ابنه وغيرهما حكمنا أيضا بضلالهم . والحاصل أنا لم نجعل بينه و بين النبي ص إلا رتبة النبوة وأعطيناه كل ما عدا ذلك من الفضل المشترك بينه وبينه و لم نطعن فى أكابر الصحابة الذين لم يصح عندنا أنه طعن فيهم وعاملناهم بما عاملهم ع به

فصل فيما قيل فى التفضيل بين الصحابة

والقول بالتفضيل قول قديم قد قال به كثير من الصحابة والتابعين فمن الصحابة عمار والمقداد و أبوذر وسلمان وجابر بن عبد الله و أبى بن كعب وحذيفة وبريدة و أبوأيوب وسهل بن حنيف و عثمان بن حنيف و أبو الهيثم بن التيهان وخزيمة بن ثابت و أبو الطفيل عامر بن وائله و العباس بن عبدالمطلب و بنوه و بنو هاشم كافة و بنو المطلب كافة. [صفحة ٢٢٢] و كان الزبير من القائلين به فى بدء الأمر ثم رجح و كان من بنى أمية قوم يقولون بذلك منهم خالد بن سعيد بن العاص ومنهم عمر بن عبدالعزيز. و أنا أذكر هاهنا الخبر المروى المشهور عن عمر و هو من رواية ابن الكلبي قال بينا عمر بن عبدالعزيز جالسا فى مجلسه دخل حاجبه ومعه امرأة أدماء طويلة حسنة الجسم والقامة ورجلان متعلقان بها ومعهم كتاب من ميمون بن مهران إلى عمر فدفعوا إليه الكتاب ففضه فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم إلى أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز من ميمون بن مهران سلام عليك ورحمة الله وبركاته أما بعد فإنه ورد علينا أمر ضاقت به الصدور وعجزت عنه الأوساع وهربنا بأنفسنا عنه ووكلناه إلى عالمه لقول الله عز و جل وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ و هذه المرأة والرجلان أحدهما زوجها والآخر أبوها و إن أباهما يا أمير المؤمنين زعم أن زوجها حلف بطلاقها أن على بن أبى طالب ع خير هذه الأمة وأولاه برسول الله ص و أنه يزعم أن ابنته طلقت منه و أنه لا يجوز له فى دينه أن يتخذها صهرا و هو يعلم أنها حرام عليه كأمه و إن الزوج يقول له كذبت وأثمت لقد بر قسمى و صدقت مقالتى وإنها امرأتى على رغم أنفك و غيظ قلبك فاجتمعوا إلى يختصمون فى ذلك فسألت الرجل عن يمينه فقال نعم قد كان ذلك و قد حلفت بطلاقها أن عليا خير هذه الأمة وأولاه برسول الله ص عرفه من عرفه وأنكره من أنكره فليغضب من -قرآن- ٦٥٣-٧٥٦ [صفحة ٢٢٣] غضب و ليرض من رضى و تسامع الناس بذلك فاجتمعوا له و إن كانت الألسن مجتمعة فالقلوب شتى و قد علمت يا أمير المؤمنين اختلاف الناس فى أهوائهم وتسرعهم إلى ما فيه الفتنة فاحجمنا عن الحكم لتحكم بما أراك الله وإنهما تعلقا بها وأقسم أبوها ألا يدعها معه وأقسم زوجها ألا يفارقها و لو ضربت عنقها إلا أن يحكم عليه بذلك حاكم لا يستطيع مخالفته والامتناع منه فرفعناهم إليك يا أمير المؤمنين أحسن الله توفيقك وأرشدك . و كتب فى أسفل الكتاب إذا ما المشكلات و ردت يوما || فحارت فى تأملها العيون وضاق القوم ذرعا عن نباه || فأنت لها بأحفص أمين لأنك قد حويت العلم طرا || وأحكمك التجارب والشئون وخلفك الإله على الرعايا || فحظك فيهم الحظ الثمين . قال فجمع عمر بن عبدالعزيز بنى هاشم و بنى أمية وأفخاذ قريش ثم قال لأبى المرأة ماتقول أيها الشيخ قال يا أمير المؤمنين هذا الرجل زوجته ابنتى وجهزتها إليه بأحسن ما يجهز به مثلها حتى إذا أملت خيره ورجوت صلاحه حلف بطلاقها كاذبا ثم أراد الإقامة معها فقال له عمر يا شيخ لعله لم يطلق امرأته فكيف حلف قال الشيخ سبحان الله الذى حلف عليه لأبين حنثا وأوضح كذبا

من أن يختلج في صدرى منه شك مع سنى وعلمى لأنه زعم أن عليا خير هذه الأمة و إلا فامرأته طالق ثلاثا فقال للزوج ماتقول أهكذا حلفت قال نعم فقيل إنه لما قال نعم كاد المجلس يرتج بأهله وبنو أمية ينظرون إليه شزرا إلا أنهم لم ينطقوا بشيء كل ينظر إلى وجه عمر. [صفحة ٢٢٤] فأكب عمر مليا ينكت الأرض بيده والقوم صامتون ينظرون مايقوله ثم رفع رأسه وقال إذاولى الحكومة بين قوم || أصاب الحق والتمس السدادا و ماخير الإمام إذا تعدى || خلاف الحق واجتنب الرشادا . ثم قال للقوم ماتقولون فى يمين هذا الرجل فسكتوا فقال سبحان الله قولوا فقال رجل من بنى أمية هذاحكم فى فرج ولسنا نجترئ على القول فيه و أنت عالم بالقول مؤتمن لهم وعليهم قل ما عندك فإن القول ما لم يكن يحق باطلا- ويبطل حقا جائز على فى مجلسى. قال لا أقول شيئا فالتفت إلى رجل من بنى هاشم من ولد عقيل بن أبى طالب فقال له ماتقول فيما حلف به هذا الرجل ياعقيلى فاغتمها فقال يا أمير المؤمنين إن جعلت قولى حكما أو حكماى جائزا قلت و إن لم يكن ذلك فالسكوت أوسع لى وأبقى للمودة قال قل وقولك حكم و حكمك ماض . فلما سمع ذلك بنو أمية قالوا ما أنصفتنا أمير المؤمنين إذ جعلت الحكم إلى غيرنا ونحن من لحمك وأولى رحمك فقال عمر اسكتوا أعجزا ولؤما عرضت ذلك عليكم آنفا فما انتدبتم له قالوا لأنك لم تعطنا ما أعطيت العقيلى و لاحكمتنا كما حكمته فقال عمر إن كان أصاب وأخطأتم وحزم وعجزتم وأبصر وعميتم فما ذنب عمر لا- أبالكم أتدرون ما مثلكم قالوا لاندري قال لكن العقيلى يدري ثم قال ماتقول يا رجل قال نعم يا أمير المؤمنين كما قال الأول دعيتم إلى أمر فلما عجزتم || تناوله من لا يداخله عجز فلما رأيتم ذاك أبدت نفوسكم || نداما وهل يغنى من القدر الحذر . فقال عمر أحسنت وأصبت فقل ما سألتك عنه قال يا أمير المؤمنين [صفحة ٢٢٥] بر قسمه و لم تطلق امرأته قال وأنى علمت ذاك قال نشدتك الله يا أمير المؤمنين أ لم تعلم أن رسول الله ص قال لفاطمة ع و هو عندها فى بيتها عائد لها يابنية ما علمت قالت الوعك يا أبتاه و كان على غائبا فى بعض حوائج النبى ص فقال لها أتشتين شيئا قالت نعم أشتهى عبا و أنا أعلم أنه عزيز و ليس وقت عنب فقال ص إن الله قادر على أن يجيئنا به ثم قال اللهم ائتنا به مع أفضل أمتى عندك منزلة فطرق على الباب ودخل ومعه مكنل قد ألقى عليه طرف رداءه فقال له النبى ص ما هذا يا على قال عنب التمسته لفاطمة فقال الله أكبر الله أكبر اللهم كما سررتنى بأن خصصت عليا بدعوتى فاجعل فيه شفاء بنيتى ثم قال كللى على اسم الله يابنية فأكلت و ما خرج رسول الله ص حتى استقلت وبرأت -رواية- ١-٦١٤ فقال عمر صدقت وبررت أشهد لقد سمعته ووعيته يا رجل خذ بيد امرأتك فإن عرض لك أبوها فاهشم أنفه ثم قال يابنى عبد مناف و الله مانجهل ما يعلم غيرنا و لابنا عمى فى ديننا ولكننا كما قال الأول تصيدت الدنيا رجلا بفخها || فلم يدركوا خيرا بل استقبحوا الشرا وأعماهم حب الغنى وأصمهم || فلم يدركوا إلا الخسارة والوزرا . قيل فكأنما ألقم بنى أمية حجرا ومضى الرجل بامرأته . وكتب عمر إلى ميمون بن مهران عليك سلام فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا- هو أما بعد فإنى قد فهمت كتابك وورد الرجلان والمرأة و قد صدق الله يمين الزوج وأبر قسمه وأثبتته على نكاحه فاستيقن ذلك واعمل عليه و السلام عليك ورحمة الله وبركاته . [صفحة ٢٢٦] فأما من قال بتفضيله على الناس كافة من التابعين فخلق كثير كأويس القرنى وزيد بن صوحان وضعصه أخيه وجندب الخير وعبيدة السلمانى وغيرهم ممن لا يحصى كثرة و لم تكن لفظه الشيعة تعرف فى ذلك العصر إلا لمن قال بتفضيله و لم تكن مقالة الإمامية و من نحا نحوها من الطاعنين فى إمامة السلف مشهورة حينئذ على هذا النحو من الاشتهار فكان القائلون بالتفضيل هم المسمون الشيعة وجميع ماورد من الآثار والأخبار فى فضل الشيعة وأنهم موعودون بالجنة فهؤلاء هم المعنيون به دون غيرهم ولذلك قال أصحابنا المعتزلة فى كتبهم وتصانيفهم نحن الشيعة حقا فهذا القول هو أقرب إلى السلامة وأشبه بالحق من القولين المقتسمين طرفى الإفراط والتفريط إن شاء الله [صفحة ٢٢٧]

وَ سِيئَلٍ عَنِ التَّوْحِيدِ وَ الْعَدْلِ فَقَالَ التَّوْحِيدُ أَلَّا تَتَوَهَّمَهُ وَ الْعَدْلُ أَلَّا تَتَّهَمَهُ هَذَانِ الرَّكْنَانِ هُمَا رَكْنَا عِلْمَ الْكَلَامِ وَ هُمَا شِعَارُ أَصْحَابِنَا الْمَعْتَرَلَةِ لِنَفِيهِمُ الْمَعَانِي الْقَدِيمَةَ الَّتِي يَثْبِتُهَا الْأَشْعَرِيُّ وَأَصْحَابُهُ وَلِتَنْزِيهِهِمُ الْبَارِيَّ سَبْحَانَهُ عَنِ فِعْلِ الْقَبِيحِ . وَ مَعْنَى قَوْلِهِ أَلَّا تَتَوَهَّمَهُ أَيْ أَلَّا تَتَوَهَّمَهُ جِسْمًا أَوْ صُورَةً أَوْ فِي جِهَةٍ مَخْصُوصَةً أَوْ مَالًا لِكُلِّ الْجِهَاتِ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ قَوْمٌ أَوْ نُورًا مِنَ الْأَنْوَارِ أَوْ قُوَّةً سَارِيَةً فِي جَمِيعِ الْعَالَمِ كَمَا قَالَهُ قَوْمٌ أَوْ مِنْ جِنْسِ الْأَعْرَاضِ الَّتِي تَحُلُّ الْحَالَ أَوْ تَحُلُّ الْمَحَلَّ وَ لَيْسَ بِعَرَضٍ كَمَا قَالَهُ النَّصَارَى وَ غَلَاةُ الشَّيْعَةِ أَوْ تَحُلُّ الْمَعَانِي وَ الْأَعْرَاضَ فَمَتَى تَوَهَّمُوا عَلَى شَيْءٍ مِنْ هَذَا فَقَدْ خُولِفَ التَّوْحِيدُ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ كُلَّ جِسْمٍ أَوْ عَرَضٍ أَوْ حَالٍ فِي مَحَلٍّ أَوْ مَحَلِّ الْحَالِ أَوْ مَخْتَصٍّ بِجِهَةٍ لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ مَنْقَسِمًا فِي ذَاتِهِ لِأَسِيمَا عَلَى قَوْلٍ مِنْ نَفْيِ الْجِزَاءِ مُطْلَقًا وَ كُلِّ مَنْقَسِمٍ فَلَيْسَ بِوَاحِدٍ وَ قَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ وَاحِدٌ وَأَضَافَ أَصْحَابُنَا إِلَى التَّوْحِيدِ نَفْيَ الْمَعَانِي الْقَدِيمَةَ وَ نَفْيَ ثَانٍ فِي الْإِلَهِيَّةِ وَ نَفْيَ الرَّؤْيَةِ وَ نَفْيَ كَوْنِهِ مُشْتَهِيًا أَوْ نَافِرًا أَوْ مُلْتَذَا أَوْ أَلْمًا أَوْ عَالِمًا بِعِلْمٍ مُحَدَّثٍ أَوْ قَادِرًا بِقُدْرَةٍ مُحَدَّثَةٍ أَوْ حَيًّا بِحَيَاءٍ مُحَدَّثَةٍ أَوْ نَفِيَّ كَوْنِهِ عَالِمًا بِالْمُسْتَقْبَلَاتِ أَبَدًا أَوْ نَفِيَّ كَوْنِهِ عَالِمًا بِكُلِّ مَعْلُومٍ أَوْ قَادِرًا [صَفْحَةٌ ٢٢٨] عَلَى كُلِّ الْأَجْنَاسِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَسَائِلِ عِلْمِ الْكَلَامِ الَّتِي يَدْخُلُهَا أَصْحَابُنَا فِي الرَّكْنِ الْأَوَّلِ وَ هُوَ التَّوْحِيدُ . وَ أَمَّا الرَّكْنُ الثَّانِي فَهُوَ أَلَّا تَتَّهَمَهُ أَيْ لَا تَتَّهَمَهُ فِي أَنَّهُ أُجْبِرَكَ عَلَى الْقَبِيحِ وَيَعَاقِبَكَ عَلَيْهِ حَاشَاكَ مِنْ ذَلِكَ وَ لَا تَتَّهَمَهُ فِي أَنَّهُ مَكْنُ الْكُذَّابِينَ مِنَ الْمَعْجَزَاتِ فَأَضَلَّ بِهِمُ النَّاسَ وَ لَا تَتَّهَمَهُ فِي أَنَّهُ كَلَّفَكَ مَا لَا تَطِيقُهُ وَ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَسَائِلِ الْعَدْلِ الَّتِي يَذْكُرُهَا أَصْحَابُنَا مَفْصَلَةً فِي كِتَابِهِمْ كَالْعَوَاضِ عَنِ الْأَلْمِ فَإِنَّهُ لَا بَدَّ مِنْهُ وَ الثَّوَابِ عَلَى فِعْلِ الْوَاجِبِ فَإِنَّهُ لَا بَدَّ مِنْهُ وَ صَدَقَ وَعْدُهُ وَ وَعِيدُهُ فَإِنَّهُ لَا بَدَّ مِنْهُ . وَ جَمَلَةُ الْأَمْرِ أَنَّ مَذْهَبَ أَصْحَابِنَا فِي الْعَدْلِ وَ التَّوْحِيدِ مَأْخُوذٌ عَنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَ هَذَا الْمَوْضِعُ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّتِي قَدْ صَرَّحَ فِيهَا بِمَذْهَبِ أَصْحَابِنَا بَعِينَهُ وَ فِي فَرْشِ كَلَامِهِ مِنْ هَذَا النَّمَطِ مَا لَا يَحْصِي [صَفْحَةٌ ٢٢٩]

وَ قَالَ ع فِي دُعَائِهِ اسْتَسْقَى بِهِ اللَّهُمَّ اسْقِنَا دُلُغَ السَّيْحَانِ دُونَ صِعَابِهَا قَالَ الرُّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَ هَذَا مِنَ الْكَلَامِ الْعَجِيبِ الْفَصَاحَةِ وَ ذَلِكَ أَنَّهُ ع شَبَّهَ السَّحْبَ ذَوَاتِ الرَّعُودِ وَ الْبُورَاقِ وَ الرِّيَّاحِ وَ الصَّوَاعِقِ بِالْإِبْلِ الصَّعَابِ الَّتِي تَقْمَصُ بِرِحَالِهَا وَ تَتَوَقَّصُ بِرِكَبَانِهَا وَ شَبَّهَ السَّحَابَ الْخَالِيَةَ مِنْ تِلْكَ الزَّوَابِعِ بِالْإِبْلِ الذَّلَلِ الَّتِي تَحْتَلِبُ طَبِيعَةً وَ تَقْتَعِدُ مَسْمُوحَةً - رَوَايَةٌ ١- ٢٧٢ قَدْ كَفَانَا الرُّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بِشَرْحِهِ هَذِهِ الْكَلِمَةَ مَثُونَةَ الْخَوْضِ فِي تَفْسِيرِهَا [صَفْحَةٌ ٢٣٠]

وَ قِيلَ لَهُ ع لَوْ غَيَّرْتَ شَيْبَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ الْخِضَابُ زِينَةٌ وَ نَحْنُ قَوْمٌ فِي مُصِيبِهِ بِرَسُولِ اللَّهِ ص

مختارات مما قيل من الشعر في الشيب والخضاب

قد تقدم لنا في الخضاب قول كاف و أنا أستملح قول الصابي فيه خضاب تقاسمناه بيني وبينها || ولكن شأني فيه خالف شأنها فيا

قبحه إذ حل منى بمفرقى || ويا حسنه إذ حل منها بنانها وسحقا له عن لمتى حين شانها || وأهلا به فى كفها حيث زانها . و قال أبو تمام لعب الشيب بالمفارق بل جد || فأبكى تماضرا ولعوبا خضبت خدها إلى لؤلؤ العقد || دما أن رأته شواتى خضيبا كل داء يرجى الدواء له || إلا الفظيعين ميتة ومشيبا يانسب الثغام ذنبك أبقي || حسناتى عند الحسان ذنوبا [صفحة ٢٣١] ولئن عبن مارأين لقد أنكرن || مستنكرا وعبن معيبا لورأى الله أن فى الشيب فضلا || جاورتها الأبرار فى الخلد شيبا . و قال فإن يكن المشيب طغى علينا || وأودى بالبشاشة والشباب فإنى لست أدفعه بشيء || يكون عليه أثقل من خضاب أردت بأن ذاك وذا عذاب || فسلطت العذاب على العذاب . ابن الرومى لم أخضب الشيب للغوانى || أبغى به عندهم ودادا لكن خضابى على شباب || لبست من بعده حدادا . و من مختار ماجاء من الشعر فى الشيب و إن لم يكن فيه ذكر الخضاب قول أبى تمام نسج المشيب له لفاعا مغدفا || يققا فقع مذكروه ونصفا نظر الزمان إليه قطع دونه || نظر الشقيق تحسرا وتلهفا ما سود حتى ابيض كالكرم الذى || لم يبد حتى جىء كىما يقطفها لما تفوفت الخطوب سوادها || بياضها عبث به فتفوقا ما كان يخطر قبل ذا فى فكره || للبدر قبل تمامه أن يكسفا . و قال أيضا غدا لهم مختطا بفودى خطه || طريق الردى منها إلى الموت مهيع [صفحة ٢٣٢] هو الزور يجفى والمعاشر يجتوى || وذو الإلف يقلى والجديد يرقع له منظر فى العين أبيض ناصع || ولكنه فى القلب أسود أسفع ونحن نرجيه على الكره والرضا || وأنف الفتى من وجهه وهو أجدع . و قال أيضا شعلة فى المفارق استودعتنى || فى صميم الأحشاء ثكلا صميما تستثير الهموم ما كتن منها || صعدا وهى تستثير الهموما غرة مرة إلا إنما كنت || أغر أيام كنت بهيما دقة فى الحياة تدعى جلالا || مثل ماسمى اللديغ سليما حلمتى زعمتم وأرانى || قبل هذا التحليم كنت حلما . و قال الصابى وذكر الخضاب خضبت مشيبى للتلحق بالصبا || وأوهمت من أهواه أنى لم أشب فلما ادعى منى العذار شيبه || إذ اصلى قد صاح من فوقه كذب فكم طرة طارت ودانت ذوائب || وكم وجنة حالت وماء بهانضب شواهد بالتزوير يحوين ربها || فهجرانه عند الأحبة قدوجب . البحرى بان الشباب فلاعين ولا أثر || الإلابة برد منه أسمال قدكدت أخرجه عن منتهى عددى || ياسا وأسقطه إذ فات من بالى سوء العواقب ياس قبله أمل || وأعضل الداء نكس بعد إبلال والمرء طاعة أيام تنقله || تنقل الظل من حال إلى حال [صفحة ٢٣٣]

٤٨٢

إشارة

وَقَالَ ع مَا الْمُجَاهِدُ الشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَعْظَمِ أَجْرًا مِمَّنْ قَدَرَ فَعَفَّ لَكَادَ الْعَفِيفُ أَنْ يَكُونَ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ

نبد وحكايات حول العفة

قد تقدم القول فى العفة وهى ضرور عفة اليد وعفة اللسان وعفة الفرج وهى العظمى و قد جاء فى الحديث المرفوع من عشق فكنتم وعف وصبر فمات مات شهيدا ودخل الجنة -رواية- ١-٢-رواية- ٢٩-٨٣ فى حكمه سليمان بن داود أن الغالب لهواه أشد من الذى يفتح المدينة وحده -رواية- ١-٢-رواية- ٢٧-٧٩. نزل خارجى على بعض إخوانه منهم مستترا من الحجاج فشخص المنزل عليه لبعض حاجاته و قال لزوجه ياظمياء أوصيك بضيفى هذا خيرا وكانت من أحسن الناس فلما عاد بعد شهر

قال لها كيف كان ضيفك قالت ما أشغله بالعمى عن كل شيء و كان الضيف أطبق جفنيه فلم ينظر إلى المرأة و لا إلى منزلها إلى أن عاد زوجها. [صفحہ ۲۳۴] و قال الشاعر إن أكن طامح اللحاظ فإني || و أذى يملك القلوب عفيف .خرجت امرأة من صالحات نساء قريش إلى بابها لتغلقه ورأسها مكشوف فرآها رجل أجنبي فرجعت وحلقت شعرها وكانت من أحسن النساء شعرا فقيل لها في ذلك قالت ما كنت لأدع على رأسى شعرا رآه من ليس لى بمحرم . كان ابن سيرين يقول ماغشيت امرأة قط في يقظته و لانوم غيرأم عبد الله و إنى لأرى المرأة فى المنام وأعلم أنها لاتحل لى فأصرف بصرى عنها. و قال بعضهم و إنى لعف عن فكاهاة جارتى || و إنى لمشنوء إلى اغتياها إذاغاب عنها بعلها لم أكن لها || صديقا و لم تأنس إلى كلابها و لم أكن طلابا أحاديث سرها || و لاعالما من أى حوك ثيابها .دخلت بثينة على عبدالملك بن مروان فقال ماأرى فيك يابثينة شيئا مما كان يلهج به جميل فقالت إنه كان يرنو إلى بعينين ليستا فى رأسك يا أمير المؤمنين قال فكيف صادفته فى عفته قالت كماوصف نفسه إذ قال لا و أذى تسجد الجباه له || ما لى بما ضم ثوبها خبر و لابقفها و لاهممت به || ما كان إلاالحديث والنظر . و قال أبوسهل الساعدى دخلت على جميل فى مرض موته فقال يا أباسهل رجل يلقى الله و لم يسفك دما حراما و لم يشرب خمرا و لم يأت فاحشة أترجو له الجنة قلت إى و الله فمن هو قال إنى لأرجو أن أكون أنا ذلك فذكرت له بثينة [صفحہ ۲۳۵] فقال إنى لفى آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة لانالتنى شفاعة محمد إن كنت حدثت نفسى بريئة معها أو مع غيرها قط. قال الشاعر قالت و قلت ترفقى فصلى || حبل امرئ بوصالكم صب صادق إذابعلى فقلت لها || الغدر شىء ليس من شعبى ثنتان لأصبو لوصلهما || عرس الصديق و جارة الجنب أماالصديق فلست خائنه || والجار أوصانى به ربي .يقال إن امرأة ذات جمال دعت عبد الله بن عبدالمطلب إلى نفسها لماكانت ترى على وجهه من النور فأبى و قال أماالحرام فالمات دونه || والحل لالحل فأستبينه فكيف بالأمر أذى تبغينه || يحمى الكريم عرضه ودينه .راود توبة بن الحمير لىلى الأخيلة مرة عن نفسها فاشمأزت منه وقالت وذى حاجة قلنا له لاتبح بها || فليس إليها ماحييت سبيل لنا صاحب لاينبغى أن نخونه || و أنت لأخرى صاحب و خليل . ابن ميادة موانع لايعطين حبة خردل || وهن زوان فى الحديث أوانس ويكرهن أن يسمعن فى اللهو ريبه || كماكرهت صوت اللجام الشوامس .آخر بيض أوانس ماهممن بريئة || كظباء مكة صيدهن حرام [صفحہ ۲۳۶] يحسبن من لين الكلام زوانيا || ويصدهن عن الخنا الإسلام فى الحديث المرفوع لاتكونن حديد النظر إلى ما ليس لك فإنه لايزنى فرجك ماحفظت عينيك و إن استطعت ألا- تنظر إلى ثوب المرأة التى لاتحل لك فافعل ولن تستطيع ذلك إلاياذن الله -روايت-۱-۲-روايت-۲۳-۱۸۹ . كان ابن المولى الشاعر المدنى موصوفا بالعفة وطيب الإزار فأنشد عبدالملك شعرا له من جملته وأبكى فلالىلى بكت من صبابه || لباك و لالىلى لذى البذل تبذل وأخنع بالعتبى إذاكنت مذنبا || و إن أذنت كنت أذى أتصل . فقال عبدالملك من لىلى هذه إن كانت حرة لأزوجنكها و إن كانت أمة لأشترينها لك بالغه مابلغت فقال كلا يا أمير المؤمنين ماكنت لأصعر وجه حر أبدا فى حرته و لا- فى أمته و مالىلى التى أنست بها لإقوسى هذه سميتها لىلى لأن الشاعر لاابد له من النسب . ابن الملوح المجنون كأن على أنيابها الخمر مجه || بماء الندى من آخر الليل غابق و ماذقتة لإبعينى تفرسا || كماشيم من أعلى السحابة بارق . هذامثل بيت الحماسة بأعذب من فيها و ماذقت طعمه || ولكننى فيما ترى العين فارس .شاعر ما إن دعانى الهوى لفاحشة || لإنهانى الحياء والكرم [صفحہ ۲۳۷] و لا إلى محرم مددت يدى || و لامشت بى لريبة قدم .العباس بن الأحنف أتأذنون لصب فى زيارتكم || فعندكم شهوات السمع والبصر لايضمر السوء إن طال الجلوس به || عف الضمير ولكن فاسق النظر . قال بعضهم رأيت امرأة مستقبلة البيت فى الموسم وهى فى غاية الضر والنحافة رافعة يديها تدعو فقلت لها هل لك من حاجة قالت حاجتى إن تنادى فى الموقف بقولى تزود كل الناس زادا يقيمهم || و ما لى زاد و السلام على نفسى .ففعلت و إذا أنابفتى منهوك فقال أناالزاد فمضيت به إليها فما زادوا على النظر والبكاء ثم قالت له انصرف مصاحبا فقلت ماعلمت أن التقاء

كما يقتصر فيه على هذافقالت أمسك يافتى أ ما علمت أن ركوب العار ودخول النار شديد. قال بعضهم كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعني || منه الحياء وخوف الله والحذر وكم خلوت بمن أهوى فيقنعني || منه الفكاهة والتحديث والنظر أهوى الملاح وأهوى أن أجالسهم || وليس لي في حرام منهم وطر كذلك الحب لا إتيان معصية || لا خير في لذة من بعدها سقر. قال محمد بن عبد الله بن طاهر لبيته اعشقوا تظرفوا وعفوا تشرفوا. وصف أعرابي امرأة طرقها فقال مازال القمر يرينها فلما غاب أرتنيه فقيل فما كان بينكما قال ما أقرب ما أحل الله مما حرم إشارة في غير بأس ودنو من غير مساس ولا وجم أشد من الذنوب. [صفحة ٢٣٨] كثير عزة وإني لأرضى منك يا عزبالذي || لو أبصره الواشي لقرت بلابله بلا وبألا أستطيع وبالمنى || وبالوعد حتى يسأم الوعد آمله وبالنظرة العجلى وبالحول ينقضى || وأخاره لا نلتقى وأوائله. وقال بعض الظرفاء كان أرباب الهوى يسرون فيما مضى ويقنعون بأن يمضغ أحدهم لبانا قدمضغته محبوبته أو يستاك بسواكها ويرون ذاك عظيما واليوم يطلب أحدهم الخلوة وإرخاء الستور كأنه قد أشهد على نكاحها أباسعيد و أباهريرة. وقال أحمد بن أبي عثمان الكاتب وإني ليرضيني المرور ببابها || وأقع منها بالوعيد وبالزجر. قال يوسف بن الماجشون أنشدت محمد بن المنكدر قول وضاح اليمن إذا قلت هاتى نوليني تبسمت || وقالت معاذ الله من فعل ما حرم فما نولت حتى تضرعت حولها || وعرفتها مارخص الله فى اللمم. فضحك وقال إن كان وضاح لفقها فى نفسه. قال آخر فقالت بحق الله إلا أيتنا || إذا كان لون الليل لون الطيالس فجت و ما فى القوم يقظان غيرها || وقد نام عنها كل وال وحارس فبتنا مييتا طيبا نستلذه || جميعا و لم أمدد لها كف لأمس. مرت امرأة حسناء بقوم من بنى نمير مجتمعين فى ناد لهم فرمقوها بأبصارهم. وقال قائل منهم ما أكملها لو لأنها رسحاء فالتفت إليهم وقالت و الله [صفحة ٢٣٩] يا بنى نمير ما أطعم الله ولا الشاعر قال الله تعالى قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ. وقال الشاعر -قرآن- ٥٧-٩٧ فغض الطرف إنك من نمير || فلا كعبا بلغت ولا كلابا. فأجلبتهم. وقال أبو صخر الهذلى من شعر الحماسة لليلة منها تعود لنا || من غير مارفت ولا إثم أشهى إلى نفسى ولوبرحت || مما ملكت و من بنى سهم. آخر و مانلت منها محرما غير أننى || أقبل بساما من الثغر أفلجا والثم فاها آخذا بقرونها || وأترك حاجات النفوس تحرجا. وأعف من هذا الشعر قول عبد بنى الحسحاس على فسقه لعمر أبيها ماصبوت ولاصبت || إلى وإنى من صبا لحليم سوى قبله أستغفر الله ذنبها || سأطعم مسكينا لها وأصوم. وقال آخر ومجدولة جدل العناق كأنما || سنا البرق فى داجى الظلام ابتسامها ضربت لها الميعاد ليست بكنة || ولا جارة يخشى على ذمامها فلما التقينا قالت الحكم فاحتكم || سوى خلّة هيئات منك مرامها فقلت معاذ الله أن أركب التى || تبيد ويبقى فى المعاد أاثامها. [صفحة ٢٤٠] قوله ليست بكنة ولا جارة يخشى على ذمامها مأخوذ من قول قيس بن الخطيم ومثلك قد أحببت ليست بكنة || ولا جارة ولا حليلة صاحب. وهذا الشاعر قد زاد عليه بقوله ولا حليلة صاحب. وأنشد ابن مندويه لبعضهم أنا زانى اللسان والطرف إلا- || أن قلبى يعاف ذاك ويأبى لا يرانى إلا له أشرب إلا- || كل ما حل شربه لى وطابا. آخر نلهو بهن كذا من غير فاحشة || لهو الصيام بتفاح البساتين. بشار بن برد قالوا حرام تلاقينا فقلت لهم || ما فى التزام ولا فى قبله حرج من راقب الناس لم يظفر بحاجته || وفاز بالطيبات الفاتك اللهج. البيت الآخر مثل قول القائل من راقب الناس مات هما || وفاز باللذة الجسور. أبو الطيب المتنبى وترى الفتوة والمروءة والأبوة || فى كل مليحة ضررتها هن الثلاث المانعانى لذتى || فى خلوتى لا بالخوف من تبعاتها إنى على شغفى بما فى خمرها || لأعف عما فى سراويلاتها. [صفحة ٢٤١] كان الصاحب رحمه الله يستهجن قوله عما فى سراويلاتها ويقول إن كثيرا من العهر أحسن من هذه العفة ومعنى البيت الأول أن هذه الخلال الثلاث تراهن الملاح ضرائر لهن لأنهن يمنعهن عن الخلوة بالملاح والتمتع بهن ثم قال إن هذه الخلال هى التى تمنعهن لا بالخوف من تبعاتها وقال قوم هذاتهاون بالدين ونوع من الإلحاد وعندى أن هذا مذهب للشعراء معروف لا يريدون به التهاون بالدين بل المبالغة فى وصف سجايهم وأخلاقهم بالطهارة وأنهم يتركون القبيح لأنه قبيح لا للورود الشرع به وخوف العقاب منه ويمكن

أيضا أن يريد بتبعاتها تبعات الدنيا أى لأخاف من قوم هذه المحبوبة التى أنست بها و لأشفق من حربهم وكيدهم فأما عفة اليد وعفة اللسان فهما باب آخر و قد ذكرنا طرفا صالحا من ذلك فى الأجزاء المتقدمة عند ذكرنا الورع . و فى الحديث المرفوع لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يترك ما لا بأس به حذار ما به البأس -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-١٠١ . و قال أبو بكر فى مرض موته إنا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأخذ لهم درهما و لا دينارا و أكلنا من جريش الطعام و لبسنا من خشن الثياب و ليس عندنا من فىء المسلمين إلا هذا الناضح و هذا العبد الحبشى و هذه القطيفة فإذا قبضت فادفعوا ذلك إلى عمر ليحمله فى بيت مال المسلمين فلما مات حمل ذلك إلى عمر فبكى كثيرا ثم قال رحم الله أبابكر لقد أتعب من بعده . قال سليمان بن داود يابنى إسرائيل أوصيكم بأمرين أفلح من فعلهما لا تدخلوا أجوافكم إلا الطيب و لا تخرجوا من أفواهكم إلا الطيب . [صفحہ ٢٤٢] و قال بعض الحكماء إذا شئت أن تعرف ربك معرفة يقينية فاجعل بينك و بين المحارم حائطا من حديد فسوف يفتح عليك أبواب معرفته . و مما يحكى من ورع حسان بن أبى سنان أن غلاما له كتب إليه من الأهواز أن قصب السكر أصابته السنة آفة فابتاع ما قدرت عليه من السكر فإنك تجد له ربحا كثيرا فيما بعد فابتاع و طلب منه ما ابتاعه بعد قليل بربح ثلاثين ألف درهم فاستقال البيع من صاحبه و قال إنه لم يعلم ما كنت أعلم حين اشتريته منه فقال البائع قد علمت الآن مقدار الربح و قد طيبته لك و أحللتك فلم يطمئن قلبه و ما زال حتى رده عليه . يقال إن غنم الغارة اختلطت بغم أهل الكوفة فتورع أبو حنيفة أن يأكل اللحم و سأل كم تعيش الشاة قالوا سبع سنين فترك أكل لحم الغنم سبع سنين . و يقال إن المنصور حمل إليه بدره فرمى بها إلى زاوية البيت فلما مات جاء بها ابنه حماد بن أبى حنيفة إلى أبى الحسن بن أبى قحطبه و قال إن أبى أوصانى أن أرد هذه عليك و قال إنها كانت عندي كالوديعه فاصرفها فيما أمرك الله به فقال أبو الحسن رحم الله أباحنيفة لقد شح بدينه إذ سخت به نفوس أقوام . و قال سفيان الثورى انظر درهمك من أين هو وصل فى الصف الأخير . جابر سمعت النبى ص يقول لكعب بن عجرة لا يدخل الجنة لحم نبت من السحت النار أولى به -رواية- ١-٢-رواية- ٤٢-٩٣ . الحسن لو وجدت رغيفا من حلال لأحرقته ثم سحقته ثم جعلته ذرورا ثم داويت به المرضى . [صفحہ ٢٤٣] عائشة قالت يا رسول الله من المؤمن قال من إذا أصبح نظر إلى رغيفيه كيف يكتسبهما قالت يا رسول الله أما إنهم لو كلفوا ذلك لتكلفوه فقال لها إنهم قد كلفوه ولكنهم يعسفون الدنيا عسفا -رواية- ١-٢-رواية- ٨-١٩١ حذيفة بن اليمان يرفعه أن قوما يجيئون يوم القيامة و لهم من الحسنات كأمثال الجبال فيجعلها الله هباء منثورا ثم يؤمر بهم إلى النار فليل خلهم لنا يا رسول الله قال إنهم كانوا يصلون و يصومون و يأخذون أهبة من الليل ولكنهم كانوا إذا عرض عليهم الحرام وثبوا عليه -رواية- ١-٢-رواية- ٢٦-٢٧٣ [صفحہ ٢٤٤]

٤٨٣

وَ قَالَ ع الْقَنَاعَةُ مَا لَّ لَا يَنْفَعُ قَالَ وَ قَد رَوَى بَعْضُهُمْ هَذَا الْكَلَامَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص -رواية- ١-٥٣ قد تقدم القول فى هذا المعنى و قد تكررت هذه اللفظة بذاتها فى كلامه ع . و من جيد القول فى القناعة قول الغزى أنا كالثعبان جلدى ملبسى || لست محتاجا إلى ثوب الجمال فالخمول العز واليأس الغنى || والقنوع الملك هذا ما بدا لى . و قال أيضا لا تعجب لمن يهوى ويصعد فى || دنياه فالخلق فى أرجوحه القدر واقنع بما قل فالأوشال صافية || ولجة البحر لا تخلو من الكدر [صفحہ ٢٤٥]

٤٨٤

وَ قَالَ ع لِرِيَادِ بْنِ أَبِيهِ وَ قَدْ اسْتَخْلَفَهُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ عَلَى فَارِسَ وَ أَعْمَالِهَا فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ كَانَ بَيْنَهُمَا نَهَاءٌ فِيهِ عَنْ تَقْدِيمِ

الخَرَاجِ. اسْتَعْمِلِ الْعَدْلَ وَ احْذَرِ الْعَسْفَ وَ الْحَيْفَ فَإِنَّ الْعَسْفَ يُعَوِّدُ بِالْجَلَاءِ وَ الْحَيْفَ يَدْعُو إِلَى السَّيْفِ قَدْ سَبَقَ الْكَلَامُ فِي الْعَدْلِ وَالْجَوْرِ وَ كَانَتْ عَادَةُ أَهْلِ فَارَسَ فِي أَيَّامِ عَثْمَانَ أَنْ يُطْلَبَ الْوَالِي مِنْهُمْ خَرَاجَ أَمْلا- كَهْمَ قَبْلَ بَيْعِ الثَّمَارِ عَلَى وَجْهِ الْاسْتِسْلَافِ أَوْلَانِهِمْ كَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّ أَوَّلَ السَّنَةِ الْقَمْرِيَّةِ هُوَ مَبْتَدَأُ وَجُوبِ الْخَرَاجِ حَمَلًا لِلخَرَاجِ التَّابِعِ لِسَنَةِ الشَّمْسِ عَلَى الْحَقُوقِ الْهَلَالِيَّةِ التَّابِعَةِ لِسَنَةِ الْقَمَرِ كَأَجْرَةِ الْعَقَارِ وَجِوَالِي أَهْلِ الذَّمَّةِ فَكَانَ ذَلِكَ يَجْحَفُ بِالنَّاسِ وَيَدْعُو إِلَى عَسْفِهِمْ وَ حَيْفِهِمْ . وَ قَدْ غَلَطَ فِي هَذَا الْمَعْنَى جَمَاعَةٌ مِنَ الْمَلُوكِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَعْصَارِ وَ لَمْ يَعْلَمُوا فَرْقَ مَا بَيْنَ السَّنَتَيْنِ ثُمَّ تَنَبَّهَ لَهُ قَوْمٌ مِنْ أَذْكَيَاءِ النَّاسِ فَكَبَسُوا وَ جَعَلُوا السَّنِينَ وَاحِدَةً ثُمَّ أَهْمَلَ النَّاسُ الْكَبْسَ وَ انْفَرَجَ مَا بَيْنَ السَّنَةِ الْقَمْرِيَّةِ وَ السَّنَةِ الْخَرَاجِيَّةِ الَّتِي هِيَ سَنَةُ الشَّمْسِ انْفِرَاجًا كَثِيرًا. وَ اسْتَقْصَاءُ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ لَا يَلِيْقُ بِهَذَا الْمَوْضِعِ لِأَنَّهُ خَارِجٌ عَنِ فَنِّ الْأَدَبِ الَّذِي هُوَ مَوْضِعُ كِتَابِنَا هَذَا [صَفْحَةُ ٢٤٦]

٤٨٥

وَ قَالَ عَ أَشَدَّ الذُّنُوبِ مَا اسْتَحَفَّ بِهَا صَاحِبُهَا عَظَمَ الْمَصِيبَةَ عَلَى حَسَبِ نِعْمَةِ الْعَاصِي وَ لِهَذَا كَانَ لَطَمَ الْوَالِدِ وَجْهَ الْوَالِدِ كَبِيرًا لَيْسَ كَلِمَتُهُ وَجْهَ غَيْرِ الْوَالِدِ. وَ لَمَّا كَانَ الْبَارِي تَعَالَى أَعْظَمَ الْمُنْعَمِينَ بِلِ لَانِعْمَةٍ إِلَّا وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ مِنْ نِعْمَةٍ وَ مَنْسُوبَةٌ إِلَيْهِ كَانَتْ مَخَالَفَتُهُ وَ مَعْصِيَتُهُ عَظْمَةً جَدًّا فَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَعْصِيَهُ فِي أَمْرٍ وَ إِنْ كَانَ قَلِيلًا فِي ظَنِّهِ ثُمَّ يَسْتَقِلُّهُ وَيَسْتَهِينُ بِهِ وَيُظْهِرُ الْاسْتِخْفَافَ وَ قَوْلُهُ الْإِحْتِفَالُ بِمَوَاقِعَتِهِ فَإِنَّهُ يَكُونُ قَدْ جَمَعَ إِلَى الْمَعْصِيَةِ مَعْصِيَةً أُخْرَى وَهِيَ الْاسْتِخْفَافُ بِقَدْرِ تِلْكَ الْمَعْصِيَةِ الَّتِي لَوْ أَمَعْنَ النَّظَرَ لَعَلِمَ أَنَّهَا عَظِيمَةٌ يَنْبَغِي لَهُ لَوْ كَانَ رَشِيدًا أَنْ يَبْكِي عَلَيْهَا الدَّمُ فَضْلًا عَنِ الدَّمْعِ فَلِهَذَا قَالَ عَ أَشَدَّ الذُّنُوبِ مَا اسْتَحَفَّ بِهَا صَاحِبُهَا [صَفْحَةُ ٢٤٧]

٤٨٦

وَ قَالَ عَ مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْجَهْلِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا حَتَّى أَخَذَ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يُعَلِّمُوا تَعْلِيمَ الْعِلْمِ فَفَرْضَ كِفَايَةً وَ فِي الْخَبَرِ الْمَرْفُوعِ مِنْ عِلْمِ عُلَمَاءِ وَ كَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ - رَوَايَاتُ ١- ٢- رَوَايَاتُ ٢١- ٨١ رَوَى مَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ عَنِ النَّبِيِّ ص قَالَ تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ فَإِنَّ تَعَلُّمَهُ خَشِيَّةُ اللَّهِ وَ دِرَاسَتُهُ تَسْبِيحٌ وَ الْبَحْثُ عَنْهُ جِهَادٌ وَ طَلَبُهُ عِبَادَةٌ وَ تَعْلِيمُهُ صَدَقَةٌ وَ بَذَلُهُ لِأَهْلِهِ قَرْبَةٌ لِأَنَّهُ مَعَالِمُ الْحَلَالِ وَ الْحَرَامِ وَ بَيَانُ سَبِيلِ الْجَنَّةِ وَ الْمُؤْنَسِ فِي الْوَحْشَةِ وَ الْمَحْدَثِ فِي الْخُلُوءِ وَ الْجَلِيسِ فِي الْوَحْدَةِ وَ الصَّاحِبِ فِي الْغُرْبَةِ وَ الدَّلِيلِ عَلَى السَّرَاءِ وَ الْمَعِينِ عَلَى الضَّرَاءِ وَ الزَّيْنِ عِنْدَ الْأَخْلَاءِ وَ السَّلَاحِ عَلَى الْأَعْدَاءِ - رَوَايَاتُ ١- ٢- رَوَايَاتُ ٣٩- ٣٥٩ . وَ رَأَى وَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ يَكْتُبُ مِنْ صَبِيٍّ حَدِيثًا فَقِيلَ لَهُ مِثْلُكَ يَكْتُبُ مِنْ هَذَا فَقَالَ أَمَا إِنِّي أَحْفَظُ لَهُ مِنْهُ وَ لَكِنِّي أُرِدْتُ أَنْ أَذِيقَهُ كَأَسَ الرِّئَاسَةِ لِيَدْعُوهُ ذَلِكَ إِلَى الْإِزْدِيَادِ مِنَ الْعِلْمِ . [صَفْحَةُ ٢٤٨] وَ قَالَ الْخَلِيلُ الْعُلُومَ أَقْفَالٌ وَ السُّؤَالَاتُ مَفَاتِيحُهَا . وَ قَالَ بَعْضُهُمْ كَانَ أَهْلُ الْعِلْمِ يَضُنُّونَ بِعِلْمِهِمْ عَنْ أَهْلِ الدُّنْيَا فَيُرْغَبُونَ فِيهِ وَ يَبْذُلُونَ لَهُمْ دُنْيَاهُمْ وَ الْيَوْمَ قَدْ بَدَّلَ أَهْلُ الْعِلْمِ عِلْمَهُمْ لِأَهْلِ الدُّنْيَا فَرَهَدُوا فِيهِ وَ ضَنُّوا عَنْهُمْ بِدُنْيَاهُمْ . وَ قَالَ بَعْضُهُمْ إِبْذَلَ عِلْمَكَ لِمَنْ يَطْلُبُهُ وَادِعْ إِلَيْهِ مِنْ لَا يَطْلُبُهُ وَ إِلَّا كَانَ مِثْلَكَ كَمَنْ أَهْدَيْتَ لَهُ فَكَاهَةً فَلَمْ يَطْعَمَهَا وَ لَمْ يَطْعَمَهَا حَتَّى فَسَدَتْ [صَفْحَةُ ٢٤٩]

٤٨٧

وَ قَالَ عَ شَرُّ الْإِخْوَانِ مَنْ تَكَلَّفَ لَهُ إِنْ مَا كَانَ كَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِخَاءَ الصَّادِقَ بَيْنَهُمَا يَوْجِبُ الْإِنْبِسَاطَ وَ تَرَكَّ التَّكْلِفَ فَإِذَا احْتِيجَ إِلَى التَّكْلِفِ لَهُ فَقَدْ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ لَيْسَ هُنَاكَ إِخَاءَ صَادِقٍ وَ مَنْ لَيْسَ بِأَخٍ صَادِقٍ فَهُوَ مِنْ شَرِّ الْإِخْوَانِ . وَ رَوَى ابْنُ نَاقِيَا فِي كِتَابِ

ملح الممالحة قال دخل الحسن بن سهل على المأمون فقال له كيف علمك بالمروءة قال ما أعلم ما يريد أمير المؤمنين فأجيبه قال عليك بعمرو بن مسعدة قال فوافيت عمرا و في داره صناع و هو جالس على آجرة ينظر إليهم فقلت إن أمير المؤمنين يأمرك أن تعلمنى المروءة فدعا بآجرة فأجلسنى عليها وتحدثنا مليا و قدامتلات غيظا من تقصيره بى ثم قال يا غلام عندك شىء يؤكل فقال نعم فقدم طبقا لطيفا عليه رغيفان وثلاث سكرجات فى إحداهن خل و فى الأخرى مرىء و فى الأخرى ملح فأكلنا وجاء الفراش فوضأنا ثم قال إذاشت فنهضت متحفظا و لم أودعه فقال لى إن رأيت أن تعود إلى فى يوم مثله فلم أذكر للمأمون شيئا مما جرى فلما كان فى اليوم الذى وعدنى فيه لقيه [صفحة ٢٥٠] سرت إليه فاستؤذن لى عليه فتلقانى على باب الدار فعانقنى وقبل بين عينى وقدمنى أمامه ومشى خلفى حتى أقعدنى فى الدست وجلس بين يدى و قد فرشت الدار وزينت بأنواع الزينة وأقبل يحدثنى ويتنادر معى إلى أن حضرت وقت الطعام فأمر فقدمت أطباق الفاكهة فأصبنا منها ونصبت الموائد فقدم عليها أنواع الأطحمة من حارها وباردها وحلوها وحامضها ثم قال أى الشراب أعجب إليك فاقترحت عليه وحضر الوصائف للخدمة فلما أردت الانصراف حمل معى جميع ما أحضر من ذهب وفضة و فرش وكسوة وقدم إلى البساط فرس بمركب ثقيل فركبته وأمر من بحضرته من الغلمان الروم والوصائف حتى سعوا بين يدى وقال عليك بهم فهم لك ثم قال إذا زارك أخوك فلا تتكلف له واقتصر على ما يحضرك و إذا دعوته فاحتفل به واحتشد و لاتدعن ممكنا كفعلنا إياك عند زيارتك إيانا و فعلنا يوم دعوناك [صفحة ٢٥١]

٤٨٨

وَ قَالَ ع فى كَلَام لَهُ إِذَا احْتَشَمَ الْمُؤْمِنُ أَخَاهُ فَقَدْ فَارَقَهُ لَيْسَ يَعْنَى أَنَّ الاحْتِشَامَ عِلَّةُ الْفِرْقَةِ بَلْ هُوَ دَلَالَةٌ وَأَمَارَةٌ عَلَى الْفِرْقَةِ لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يحدث عنه ما يقتضى الاحتشام لانبسط على عادته الأولى فالانقباض أماره المبينه. هذا آخر مادونه الرضى أبو الحسن رحمه الله من كلام أمير المؤمنين ع فى نهج البلاغه قد أتينا على شرحه بمعونه الله تعالى . ونحن الآن ذاكرون ما لم يذكره الرضى مما نسبه قوم إليه فبعضه مشهور عنه وبعضه ليس بذلك المشهور لكنه قدروى عنه وعزى إليه وبعضه من كلام غيره من الحكماء ولكنه كالنظير لكلامه والمضارع لحكمته و لما كان ذلك متضمنا فنونا من الحكمة نافع رأينا ألا نخلى هذا الكتاب عنه لأنه كالتكملة والتتمه لكتاب نهج البلاغه. [صفحة ٢٥٢] وربما وقع فى بعضه تكرار يسير شذ عن أذهاننا التنبه له لطول الكتاب وتباعد أطرافه و قد عدنا ذلك كلمة كلمة فوجدناه ألف كلمة. فإن اعتراضنا معترض و قال فإذا كنتم قد أقررتم بأن بعضها ليس بكلام له فلما ذا ذكرتموه وهل ذلك إلا نوع من التطويل. أجنبنا وقلنا لو كان هذا الاعتراض لازما لوجب ألا نذكر شيئا من الأشباه والنظائر لكلامه فالعذر ها هنا هو العذر هناك و هو أن الغرض بالكتاب الأدب والحكمة فإذا وجدنا ما يناسب كلامه ع وينصب فى قلبه ويحتذى حدوه ويتقبل منهاجه ذكرناه على قاعدتنا فى ذكر النظير عند الخوض فى شرح نظيره . و هذا حين الشروع فيها خالية عن الشرح لجلالها ووضوحها و إن أكثرها قد سبقت نظائره وأمثاله وبالله التوفيق [صفحة ٢٥٣]

الحكم المنسوبة

[صفحة ٢٥٥] الحكم المنسوبة إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب ١- كان كثيرا ما يقول إذا فرغ من صلاة الليل أشهد أن السماوات والأرض وما بينهما آيات تدل عليك وشواهد تشهد بما إليه دعوت كل ما يؤدى عنك الحجى ويشهد لك بالربوبية موسوم بآثار نعمتك ومعالم تدبيرك علوت بها عن خلقك فأوصلت إلى القلوب من معرفتك ما أنسها من وحشة الفكر وكفاها

رجم الاحتجاج فهي مع معرفتها بك وولها إليها إليك شاهدة بأنك لا تأخذك الأوهام ولا تدركك العقول ولا الأبصار أعوذ بك
 أن أشير بقلب أولسان أويد إلى غيرك لا إله إلا أنت واحدا أحدا فردا صمدا ونحن لك مسلمون -رواية- ١-٤-رواية- ٤٧-
 ٢٤٩٤-إلهي كفاني فخرا أن تكون لي ربا وكفاني عزا أن أكون لك عبدا أنت كما أريد فاجعلني كما تريد -رواية- ١-٣٩٦-
 ماخاف امرؤ عدل في حكمه وأطعم من قوته وذخر من دنياه لآخرته -رواية- ١-٤٦٩-أفضل على من شئت تكن أميره واستغن
 عن شئت تكن نظيره واحتج إلى من شئت تكن أسيره -رواية- ١-٥٩٦- لو لضعف اليقين ما كان لنا أن نشكو محنة يسيرة
 نرجو في العاجل سرعة زوالها وفي الآجل عظيم ثوابها بين أضعاف نعم لواجتمع أهل السماوات والأرض على إحصائها ما وفوا
 بها فضلا عن القيام بشكرها -رواية- ١-١٩٨-٦- من علامات المأمون على دين الله بعد الإقرار والعمل الحزم في أمره والصدق في
 قوله والعدل في حكمه والشفقة على رعيته لا يخرج القدره إلى خرق ولا اللين إلى ضعف ولا تمنعه العزة من كرم عفو و
 لا يدعو العفو إلى -رواية- ١-١-ادامه دارد [صفحة ٢٥٦] إضاعة حق ولا يدخله الإعطاء في سرف ولا يتخطى به القصد إلى بخل
 ولا تأخذه نعم الله ببطر -رواية- از قبل- ٩٤-٧-الفسق نجاسة في الهمة و كلب في الطبيعة -رواية- ١-٤٢-٨-قلوب الجهال
 تستفزها الأطماع وترتهن بالأمانى وتتعلق بالخدائع وكثرة الصمت زمام اللسان وحسم الفطنة وإماطة خاطر وعذاب الحس -
 رواية- ١-١٣٧-٩-عداوة الضعفاء للأقوياء والسفهاء للحلماء والأشرار للأخيار طبع لا يستطاع تغييره -رواية- ١-٨٣-١٠-العقل في
 القلب والرحمة في الكبد والتنفس في الرئة -رواية- ١-٥٦-١١- إذا أراد الله بعبد خيرا حال بينه وبين شهوته وحجز بينه وبين
 قلبه وإذا أراد به شرا وكله إلى نفسه -رواية- ١-١٠٨-١٢-الصبر مطية لا تكبو والقناعة سيف لا ينيو -رواية- ١-٤٣-١٣-رحم الله
 عبدا اتقى ربه وناصح نفسه وقدم توبته وغلب شهوته فإن أجله مستور عنه وأمله خادع له والشيطان موكل به -رواية- ١-١٢٧-
 ١٤-مر بمقبرة فقال السلام عليكم يا أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات أنتم
 لنا فرط ونحن لكم تبع نروركم عما قليل ونلحق بكم بعد زمان قصير اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز عنا وعنهم -رواية- ١-١-ادامه
 دارد [صفحة ٢٥٧] الحمد لله الذي جعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا والحمد لله الذي منها خلقنا وعليها ممشاننا وفيها معاشنا
 وإليها يعيدنا طوبى لمن ذكر المعاد وقنع بالكفاف وأعد للحساب -رواية- از قبل- ١٦٩-١٥-إنكم مخلوقون اقتدارا ومربوون
 اقتسارا ومضمنون أجداثا وكائنون رفاتا ومبعوثون أفرادا ومدنيون حسابا فرحم الله امرأ اقترف فاعترف ووجل فعقل وحاذر فبادر
 وعمر فاعتبر وحذر فازدجر وأجاب فأناج وراجع فتاب واقصدى فاحتذى وتأهب للمعاد واستظهر بالزاد ليوم رحيله ووجه سييله
 ولحال حاجته وموطن فاقته فقدم أمامه لدار مقامه فمهدوا لأنفسكم على سلامة الأبدان وفسحة الأعمار فهل ينتظر أهل غضارة
 الشباب إلا حوانى الهرم وأهل بضاضة الصحة إلا نوازل السقم وأهل مدة البقاء إلا مفاجأة الفناء واقتراب الفوت ومشارفة الانتقال
 وإشفاء الزوال وحفز الأنين ورشح الجبين وامتداد العرنين وعلز القلق وقيظ الرمق وشدة المضض وغصص الجرض -رواية- ١-
 ١٦٦٤٤-ثلاث منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الفقر والغنى والعدل في الغضب والرضا -رواية- ١-٩٦ [صفحة
 ٢٥٨] ١٧-إياكم والفحش فإن الله لا يحب الفحش وإياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم هو الذي سفك دماء الرجال وهو
 الذي قطع أرحامها فاجتنبوه -رواية- ١-١٤٥-١٨- إذامات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث صدقة جارية وعلم كان علمه
 الناس فانتفعوا به وولد صالح يدعو له -رواية- ١-١١٨-١٩- إذافعلت كل شىء فكن كمن لم يفعل شيئا -رواية- ١-٤٥-٢٠-
 سأله رجل فقال بماذا أسوء عدوى فقال بأن تكون على غاية الفضائل لأنه إن كان يسوءه أن يكون لك فرس فاره أو كلب
 صيود فهو لأن تذكر بالجميل وينسب إليك أشد مساءة -رواية- ١-١٧٥-٢١- إذافذفت بشىء فلا تتهاون به وإن كان كذبا بل
 تحرز من طرق القذف جهدك فإن القول وإن لم يثبت يوجب ريبه وشكا -رواية- ١-١٢٢-٢٢- عدم الأدب سبب كل شر -
 رواية- ١-٢٧-٢٣- الجهل بالفضائل عدل الموت -رواية- ١-٣٣-٢٤- ما أصعب على من استعبده الشهوات أن يكون فاضلا -

رواية-1- ٥٥ ٢٥- من لم يقهر حسده كان جسده قبرا لنفسه -رواية-1- ٤٥ ٢٦- احمد من يغلظ عليك ويعظك لا من يزكيك
ويتملقك -رواية-1- ٥٢ ٢٧- اختر أن تكون مغلوبا و أنت منصف و لا-تختر أن تكون غالبا و أنت ظالم -رواية-1- ٧٣ ٢٨-
لاتهضم محاسنك بالفخر والتكبر -رواية-1- ٣٧ ٢٩- لاتنفك المدنية من شر حتى يجتمع مع قوة السلطان قوة دينه وقوة
حكيمته -رواية-1- ٧٦ [صفحہ ٢٥٩] ٣٠- إذا أردت أن تحمد فلا يظهر منك حرص على الحمد -رواية-1- ٥٠ ٣١- من كثر
همه سقم بدنه و من ساء خلقه عذب نفسه و من لاحى الرجال سقطت مروءته وذهبت كرامته وأفضل إيمان العبد أن يعلم أن الله
معه حيث كان -رواية-1- ١٥٥ ٣٢- كن ورعا تكن من أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن من أغنى الناس وأحسن جوار
من جاورك تكن مسلما و لاتكثرن الضحك فإن كثرت تميت القلب وأخرس لسانك واجلس فى بيتك وابك على خطيئتك -
رواية-1- ٢٠١ ٣٣- إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه و لايرد القدر إلاالدعاء و لايزيد فى العمر إلاالبر و لايزول قدم ابن
آدم يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه و عن شبابه فيم أبلاه و عن ماله من أين اكتسبه و فيم أنفقه و عما عمل فيما علم -
رواية-1- ٢٤٥ ٣٤- فى التجارب علم مستأنف و الاعتبار يفيدك الرشاد و كفاك أدبا لنفسك ماكرهته من غيرك و عليك
لأخيك مثل الذى عليه لك -رواية-1- ١٢٦ ٣٥- الغضب يثير كامن الحقد و من عرف الأيام لم يغفل الاستعداد و من أمسك
عن الفضول عدلت رأيه العقول -رواية-1- ١٠٧ ٣٦- اسكت واستر تسلم و ماأحسن العلم يزينه العمل و ماأحسن العمل يزينه
الرفق -رواية-1- ٨٤ ٣٧- أكبر الفخر ألا- تفخر -رواية-1- ٢٤ ٣٨- ماأصعب اكتساب الفضائل وأيسر إتلافها -رواية-1- ٤٤
٣٩- لاتنازع جاهلا و لاتشايح مائقا و لاتعاد مسلطا -رواية-1- ٥٢ ٤٠- الموت راحة للشيخ الفانى من العمل وللشاب السقيم من
السقم وللغلام -رواية-1- ادامة دارد [صفحہ ٢٦٠] الناشئ من استقبال الكد والجمع لغيره و لمن ركب الدين لغرمائه وللمطلوب
بالوتر و هو فى جملة الأمر أمنية كل ملهوف مجهود -رواية-1- از قبل ١٢٩ ٤١- ماكنت كاتمه عدوك من سر فلا تطلعن عليه
صديقك و اعرف قدرك يستعل أمرك و كفى مامضى مخبرا عما بقى -رواية-1- ١٠٧ ٤٢- لاتعدن عدة تحقرها قلبه الثقة
بنفسك و لايفرنك المرتقى السهل إذا كان المنحدر وعرا -رواية-1- ٨٩ ٤٣- اتق العواقب عالما بأن للأعمال جزاء وأجرا
واحذر تبعات الأمور بتقديم الحزم فيها -رواية-1- ٨٩ ٤٤- من استرشد غيرالعقل أخطأ منهج الرأى و من أخطأته وجوه
المطالب خذلته الحيل و من أخل بالصبر أخل به حسن العاقبة فإن الصبر قوة من قوى العقل وبقدر مواد العقل وقوتها يقوى
الصبر -رواية-1- ١٩٠ ٤٥- الخطأ فى إعطاء من لايتغى و منع من يتغى واحد -رواية-1- ٥٣ ٤٦- العشق مرض ليس فيه أجر و
لاعوض -رواية-1- ٣٨ ٤٧- أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب و قائل كلمة الزور و من يمد بجلبها فى الإثم سواء -رواية-
١- ٩٢ ٤٨- الخصومة تمحق الدين -رواية-1- ٢٥ ٤٩- الجهاد ثلاثة جهاد باليد و جهاد باللسان و جهاد بالقلب فأول ما يغلب عليه
من الجهاد يدك ثم لسانك ثم يصير إلى القلب فإن كان لايعرف معروفا و لاينكر منكرا نكس فجعل أعلاه أسفله -رواية-1-
١٨٦ [صفحہ ٢٦١] ٥٠- ماأنعم الله على عبدنعمه فشكرها بقلبه إلاستوجب المزيد عليها قبل ظهورها على لسانه -رواية-1- ٩٣
٥١- الحاجة مسألة والدعاء زيادة الحمد شكر والندم توبة -رواية-1- ٥٥ ٥٢- لن واحلم تنبل و لاتكن معجبا فتمقت وتمتهن -
رواية-1- ٥١ ٥٣- ما لى أرى الناس إذا قرب إليهم الطعام ليلا تكلفوا إنارة المصابيح ليصروا مايدخلون بطونهم و لايهتمون
بغذاء النفس بأن ينبروا مصابيح ألبابهم بالعلم ليسلموا من لواحق الجهالة والذنوب فى اعتقاداتهم وأعمالهم -رواية-1- ٢٢٢
٥٤- الفقر هو أصل حسن سياسة الناس و ذلك أنه إذا كان من حسن السياسة أن يكون بعض الناس يسوس و بعضهم ياساس و
كان من ياساس لايستقيم أن ياساس من غير أن يكون فقيرا محتاجا فقد تبين أن الفقر هوالسبب الذى به يقوم حسن السياسة -
رواية-1- ٢٣٣ ٥٥- لاتتكلم بين يدى أحد من الناس دون أن تسمع كلامه و تقيس ما فى نفسك من العلم إلى ما فى نفسه فإن
وجدت ما فى نفسه أكثر فحينئذ ينبغى لك أن تروم زيادة الشىء الذى به يفضل على ما عندك -رواية-1- ١٩٩ ٥٦- إذا كان

اللسان آله لترجمه ما يخطر في النفس فليس ينبغي أن تستعمله فيما لم يخطر فيها -رواية- ١- ٥٧ ٩٢- إذا كان الآباء هم السبب في الحياة فمعلمو الحكمة والدين هم السبب في جودتها -رواية- ١- ٥٨ ٨٤- وشكا إليه رجل تعذر الرزق فقال مه لاتجاهد الرزق جهاد المغالب و لاتتكلم على القدر اتكالم المستسلم فإن ابتغاء الفضل من السنة والإجمال -رواية- ١- ١-ادامه دارد [صفحه ٢٤٢] في الطلب من العفة وليست العفة دافعة رزقا ولا الحرص جالبا فضلا لأن الرزق مقسوم و في شدة الحرص اكتساب المآثم -رواية- از قبل- ١١٩ ٥٩- إذا استغيت عن شىء فدعه وخذ ما أنت محتاج إليه -رواية- ١- ٥٤ ٦٠- العمر أقصر من أن تعلم كل ما يحسن بك علمه فتعلم الأهم فالأهم -رواية- ١- ٧٢ ٦١- من رضى بما قسم له استراح قلبه وبدنه -رواية- ١- ٤٦ ٦٢- أبعد ما يكون العبد من الله إذا كان همه بطنه وفرجه -رواية- ١- ٥٩ ٦٣- ليس في الحواس الظاهرة شىء أشرف من العين فلاتعطوها سؤلها فيشغلكم عن ذكر الله -رواية- ١- ٨٦ ٦٤- ارحموا ضعفاءكم فالرحمة لهم سبب رحمة الله لكم -رواية- ١- ٥٣ ٦٥- إزالة الجبال أسهل من إزالة دولة قدأقبلت فاستعينوا بالله واصبروا فإن الأرض لله يورثها من يشاء -رواية- ١- ١١٤ ٦٦- قال له عثمان في كلام تلاحيا فيه حتى جرى ذكر أبى بكر وعمر أبوبكر وعمر خير منك فقال أناخير منك ومنهما عبتدت الله قبلهما وعبدته بعدهما -رواية- ١- ١٤٦ ٦٧- أوثق سلم يتسلق عليه إلى الله تعالى أن يكون خيرا -رواية- ١- ٦٠ ٦٨- ليس الموسر من كان يساره باقيا عنده زمانا يسيرا و كان يمكن أن يغتصبه غيره منه و لا يبقى بعد موته له لكن اليسار على الحقيقة هو الباقي دائما عند مالكة و لا يمكن أن يؤخذ منه ويبقى له بعد موته و ذلك هو الحكمة -رواية- ١- ٢٢٠ ٦٩- الشرف اعتقاد المنن فى أعناق الرجال -رواية- ١- ٤٣ [صفحه ٢٦٣] ٧٠- يضر الناس أنفسهم فى ثلاثة أشياء الإفراط فى الأكل اتكالا على الصحة و تكلف حمل ما لا يطاق اتكالا على القوة والتفريط فى العمل اتكالا على القدر -رواية- ١- ١٤٨ ٧١- أحزم الناس من ملك جده هزله وقهر رأيه هواه وأعرب عن ضميره فعله و لم يخدعه رضاه عن حظه و لاغضبه عن كيد -رواية- ١- ١٢١ ٧٢- من لم يصلح خلائقه لم ينفع الناس تأديبه -رواية- ١- ٤٩ ٧٣- من اتبع هواه ضل و من حاد ساد و خمود الذكر أجمل من ذميم الذكر -رواية- ١- ٧٠ ٧٤- لهب الشوق أخف محملا- من مقاساة الملالة -رواية- ١- ٤٥ ٧٥- بالرفق تنال الحاجة و بحسن التانى تسهل المطالب -رواية- ١- ٥٥ ٧٦- عزيمة الصبر تطفى نار الهوى ونفى العجب يؤمن به كيد الحساد -رواية- ١- ٦٦ ٧٧- ما شىء أحق بطول سجن من لسان -رواية- ١- ٣٦ ٧٨- لانذر فى معصية و لا يمين فى قطيعة -رواية- ١- ٣٩ ٧٩- لكل شىء ثمرة و ثمرة المعروف تعجيل السراح -رواية- ١- ٤٧ ٨٠- إياكم والكسل فإنه من كسل لم يؤد لله حقا -رواية- ١- ٤٩ ٨١- احسبوا كلامكم من أعمالكم وأقلوه إلا- فى الخير -رواية- ١- ٥٢ ٨٢- أحسنوا صحبة النعم فإنها تزول وتشهد على صاحبها بما عمل فيها -رواية- ١- ٦٦ ٨٣- أكثروا ذكر الموت و يوم خروجكم من قبوركم و يوم وقوفكم بين يدى الله عز و جل يهن عليكم المصاب -رواية- ١- ١٠٤ [صفحه ٢٤٤] ٨٤- بحسب مجاهدة النفوس و ردها عن شهواتها ومنعها عن مصافحة لذاتها ومنع ما أدت إليه العيون الطامحة من لحظاتها تكون المثوبات والعقوبات والحازم من ملك هواه فكان بملكه له قاهرا و لما قدحت الأفكار من سوء الظنون زاجرا فمتى لم ترد النفس عن ذلك هجم عليها الفكر بمطالبة ماشغفت به فعند ذلك تأنس بالآراء الفاسدة والأطماع الكاذبة والأمانى المتلاشية و كما أن البصر إذا اعتل رأى أشباحا و خيالات لاحقيقة لها كذلك النفس إذا اعتلت بحب الشهوات وانطوت على قبيح الإيرادات رأت الآراء الكاذبة فإلى الله سبحانه نرغب فى إصلاح ما فسد من قلوبنا و به نستعين على إرشاد نفوسنا فإن القلوب بيده يصرفها كيف شاء -رواية- ١- ٦١٣ ٨٥- لاتؤاخين الفاجر فإنه يزين لك فعله و يود لو أنك مثله و يحسن لك أقبح خصاله ومدخله ومخرجه من عندك شين و عار و نقص و لا الأحمق فإنه يجهد لك نفسه و لا ينفعك وربما أراد أن ينفعك فضررك سكوته خير لك من نطقه وبعده خير لك من قربه و موته خير لك من حياته و لا الكذاب فإنه لا ينفعك معه شىء ينقل حديثك و ينقل الحديث إليك حتى إنه ليحدث بالصدق فلا يصدق -رواية- ١- ٣٧٠ ٨٦- ما استقصى كريم قط قال

تعالى في وصف نبيه عَزَفَ بَعْضُهُ وَ أَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ -رواية- ١- ٨٧ ٨٥- رب كلمة يخترعها حلِيم مخافة ما هوشر منها وكفى بالحلم ناصرا -رواية- ١- ٦٦ ٨٨- من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا- عن النار مهربا من عرف الله فأطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلبها -رواية- ١- ١٨٨ [صفحہ ٢٦٥] ٨٩- من استحيا من الناس و لم يستحي من نفسه فليس لنفسه عند نفسه قدر -رواية- ١- ٧٣ ٩٠- غاية الأدب أن يستحي الإنسان من نفسه -رواية- ١- ٤٤ ٩١- البلاغة النصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصه و من البصر بالحجة أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها إذا كان الإفصاح أوعر طريقه وكانت الكناية أبلغ في الدرك وأحق بالظفر -رواية- ١- ١٧٧ ٩٢- إياك والشهوات وليكن مما تستعين به على كفها علمك بأنها ملهيه لعقلك مهجنة لرأيك شائنه لغرضك شاغله لك عن معاطم أمورك مشتده بها التبعه عليك في آخرتك إنما الشهوات لعب فإذا حضر اللعب غاب الجد ولن يقام الدين وتصلح الدنيا إلا بالجد فإذا نازعتك نفسك إلى اللهو واللذات فاعلم أنها قد نزعت بك إلى شر متزع وأرادت بك أفصح الفصوح فغالبا مغالبه ذلك وامتنع منها امتناع ذلك وليكن مرجعك منها إلى الحق فإنك مهما تترك من الحق لا تتركه إلا إلى الباطل ومهما تدع من الصواب لا تدعه إلا إلى الخطأ فلا تدهنن هواك في السير فيطمع منك في الكثير و ليس شىء مما أوتيت فاضلا عما يصلحك و ليس لعمرك و إن طال فضل عما ينوبك من الحق اللازم لك و لا بمالك و إن كثر فضل عما يجب عليك فيه و لا بقوتك و إن تمت فضل عن أداء حق الله عليك و لا برأيك و إن حزم فضل عما لا تعذر بالخطأ فيه فليمنعك علمك بذلك من أن تطيل لك عمرا في غير نفع أو تضيع لك مالا- في غير حق أو أن تصرف لك قوة في غير عبادة أو تعدل لك رأيا في غير رشد -رواية- ١- ١- ١٠١- ٢٦٦ [صفحہ ٢٦٦] فالحفظ الحفظ لما أوتيت فإن بك إلى صغير ما أوتيت الكثير منه أشد الحاجة و عليك بما أضعته منه أشد الرزية و لاسيما العمر الذي كل منفذ سواه مستخلف و كل ذاهب بعده مرتجع فإن كنت شاغلا نفسك بلذة فلتكن لذتك في محادثه العلماء و درس كتبهم فإنه ليس سرورك بالشهوات بالغا منك مبلغا إلا وإكبابك على ذلك ونظرك فيه بالغه منك غير أن ذلك يجمع إلى عاجل السرور تمام السعادة وخلاف ذلك يجمع إلى عاجل الغي وخامه العاقبه و قد يما قيل أسعد الناس أدركهم لهواه إذا كان هواه في رشده فإذا كان هواه في غير رشده فقد شقى بما أدرك منه و قد يما قيل عود نفسك الجميل فباعتيادك إياه يعود لذيدا -رواية- ١- ٦٠١ ٩٣- وكل ثلاث بثلاث الرزق بالحق والحرمان بالعقل والبلاء بالمنطق ليعلم ابن آدم أن ليس له من الأمر شىء -رواية- ١- ١١٤ ٩٤- ثلاثة إن لم تظلمهم ظلموك عبدك وزوجتك وابنك -رواية- ١- ٥٣- و قدرونا هذه الكلمه لعمر فيما تقدم ٩٥- للمنافقين علامات يعرفون بهاتحيتهم لعنه و طعامهم تهمه و غنيمتهم غلول لا يعرفون المساجد إلا هجرا و لا يأتون الصلاة إلا دبرا مستكبرون لا يألون و لا يؤلفون خشب بالليل صخب بالنهار -رواية- ١- ١٨٧ [صفحہ ٢٦٧] ٩٦- الحسد حزن لازم وعقل هائم ونفس دائم والنعمة على المحسود نعمة وهى على الحاسد نعمة -رواية- ١- ٩١ ٩٧- ياحمله العلم أتحمولونه فإنما العلم لمن علم ثم عمل ووافق عمله علمه وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم تخالف سريرتهم علانيتهم ويخالف عملهم علمهم يقعدون حلقا فيباهى بعضهم بعضا حتى إن الرجل ليغضب على جلسه أن يجلس إلى غيره أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله سبحانه -رواية- ١- ٣١٧ ٩٨- تعلموا العلم صغارا تسودوا به كبارا تعلموا العلم و لولغير الله فإنه سيصير الله العلم ذكر لا يحبه إلا ذكر من الرجال -رواية- ١- ١٢٢ ٩٩- ليس شىء أحسن من عقل زانه علم و من علم زانه حلم و من حلم زانه صدق و من صدق زانه رفق و من رفق زانه تقوى إن ملائكت العقل ومكارم الأخلاق صون العرض والجزاء بالفرض والأخذ بالفضل والوفاء بالعهد والإنجاز للوعد و من حاول أمرا بالمعصية كان أقرب إلى ما يخاف وأبعد مما يرجو -رواية- ١- ٢٩٢ ١٠٠- إذا جرت المقادير بالمكاره سبقت الآفة إلى العقل فحيرته وأطلقت الألسن بما فيه تلف الأنفس -رواية- ١- ١٠١ ١٠١- لا تصحبوا الأشرار فإنهم يمنون عليكم بالسلامة

منهم -رواية- ١-١٠٢ ٥٩- لا تقسروا أولادكم على آدابكم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم -رواية- ١-١٠٣ ٧٠- لا تطلب سرعة العمل واطلب تجويده فإن الناس لا يسألون في كم فرغ من العمل إنما يسألون عن جودة صنعه -رواية- ١-١٠٤ ١١٣- ليس كل ذي عين يبصر ولا كل ذي أذن يسمع فتصدقوا على أولى العقول الزمنه والألباب الحائرة بالعلوم التي هي أفضل صدقاتكم ثم تلا إن الذين -رواية- ١-١٠٥ ١٣١- ما أنزلنا من بينات و الهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم... اللاعنون -رواية- از قبل- ١٠٥ ١٣١- من أتت عليه الأربعون من السنين قيل له خذ حذر من حلول المقدور فإنك غير معذور و ليس أبناء الأربعين بأحق بالحذر من أبناء العشرين فإن طالبهما واحد و ليس عن الطلب براقد و هو الموت فاعمل لما أمامك من الهول ودع عنك زخرف القول -رواية- ١-١٠٦ ٢٤٣- سئل عن القدر فقال أقصر أم أطيل قيل بل تقصر فقال جل الله أن يريد الفحشاء و عز عن أن يكون له في الملك إلا ما يشاء -رواية- ١-١٠٧ ١٢٩- من علم أنه يفارق الأحباب و يسكن التراب و يواجه الحساب و يستغنى عما ترك و يفتر إلى ما قدم كان حريا بقصر الأمل و طول العمل -رواية- ١-١٠٨ ١٣٦- المؤمن لا تختله كثرة المصائب و تواتر النوائب عن التسليم لربه و الرضا بقضائه كالحمامة التي تؤخذ فراخها من وكرها ثم تعود إليه -رواية- ١-١٠٩ ١٣٥- مامات من أحيا علما و لا افتقر من ملك فهما -رواية- ١-١١٠ ٤٩- العلم صيغ النفس و ليس يفوق صيغ الشيء حتى ينظف من كل دنس -رواية- ١-١١١ ٧٠- اعلم أن الذي مدحك بما ليس فيك إنما هو مخاطب غيرك و ثوابه و جزاؤه قد سقطا عنك -رواية- ١-١١٢ ٨٧- إحسانك إلى الحر يحركه على المكافأة و إحسانك إلى النذل يبعثه على معاودة المسألة -رواية- ١-٨٨ [صفحة ٢٦٩] -الأشرار يتبعون مساويئ الناس و يتركون محاسنهم كما يتبع الذباب المواضع الفاسدة -رواية- ١-١١٤ ٨٩- موت الرؤساء أسهل من رئاسة السفلة -رواية- ١-١١٥ ٤٠- ينبغي لمن ولى أمر قوم أن يبدأ بتقويم نفسه قبل أن يشرع في تقويم رعيته و إلا كان بمنزلة من رام استقامة ظل العود قبل أن يستقيم ذلك العود -رواية- ١-١١٦ ١٥٣- إذ اقوى الوالى فى عمله حركته ولايته على حسب ما هو مركزه فى طبعه من الخير والشر -رواية- ١-١١٧ ٩٠- ينبغي للوالى أن يعمل بخصال ثلاث تأخير العقوبة منه فى سلطان الغضب والأناة فيما يرتبه من رأى و تعجيل مكافأة المحسن بالإحسان فإن فى تأخير العقوبة إمكان العفو و فى تعجيل المكافأة بالإحسان طاعة الرعية و فى الأناة انفساح الرأى و حمد العاقبة و ووضوح الصواب -رواية- ١-١١٨ ٢٧٣- من حق العالم على المتعلم ألا يكتر عليه السؤال و لا يعنته فى الجواب و لا يلح عليه إذا كسل و لا يفشى له سرا و لا يغتاب عنده أحدا و لا يطلب عثرته فإذا زل تأنيت أوبته و قبلت معذرتة و أن تعظمه و توقره ما حفظ أمر الله و عظمه و ألا تجلس أمامه و إن كانت له حاجة سبقت غيرك إلى خدمته فيها و لا تضجر من صحبتة فإنما هو بمنزلة النخلة ينتظر متى يسقط عليك منها منفعة و خصه بالتحية و احفظ شاهده و غائبة و ليكن ذلك كله لله عز و جل فإن العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد فى سبيل الله و إذامات العالم ثم فى الإسلام ثلثة لا يسدها إلا خلف منه و طالب العلم تشيعة الملائكة حتى يرجع -رواية- ١-٦٠٣ [صفحة ٢٧٠] -١١٩- وصول معدم خير من جاف مكثر و من أراد أن ينظر ما له عند الله فلينظر ما لله عنده -رواية- ١-١٢٠ ٨٨- لقد سبق إلى جنات عدن أقوام ما كانوا أكثر الناس صلاة و لاصياما و لاحجا و لاعتمارا ولكن عقلوا عن الله أمره فحسنت طاعتهم و صبح و رعبهم و كمل يقينهم ففاقوا غيرهم بالحظوة و رفيع المنزلة -رواية- ١-١٢١ ١٩٥- ما من عبد إلا و معه ملك يقيه ما لم يقدر له فإذا جاء القدر خلاه و إياه -رواية- ١-١٢٢ ٨٠- إن الله سبحانه أدب نبيه ص بقوله خذ العفو و أمر بالعرف و أعرض عن الجاهلين فلما علم أنه قد تآدب قال له و إنك لعلى خلق عظيم فلما استحکم له من رسوله ما أحب قال و ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا -رواية- ١-١٢٣ ٢٦٦- كنت أنا و العباس و عمر نتذاكر المعروف فقلت أنا خير المعروف ستره و قال العباس خيره تصغيره و قال عمر خيره تعجيله فخرج علينا رسول الله فقال فيم أنتم فذكرنا له فقال خيره أن يكون هذا كله فيه -رواية- ١-١٢٤ ٢٠٩- العفو يفسد من اللئيم بقدر ما يصلح من الكريم -رواية- ١-١٢٥ ٥١- إذا خبث الزمان

كسدت الفضائل وضرت ونفقت الرذائل ونفعت و كان خوف الموسر أشد من خوف المعسر -رواية- ١-١٠٣-١٢٦-انظر إلى المتنصح إليك فإن دخل من حيث يضار الناس فلاتقبل -رواية- ١-١-ادامه دارد [صفحة ٢٧١] نصيحته وتحرز منه و إن دخل من حيث العدل والصلاح فاقبلها منه -رواية- از قبل-٦٩-١٢٧-أعداء الرجل قديكونوا أنفع من إخوانه لأنهم يهدون إليه عيوبه فيتجنبها ويخاف شماتهم به فيضبط نعمته ويتحرز من زوالها بغاية طوقه -رواية- ١-١٢٨-١٤٠-المرأة التي ينظر الإنسان فيها إلى أخلاقه هي الناس لأنه يرى محاسنه من أوليائه منهم ومساويه من أعدائه فيهم -رواية- ١-١٢٢-١٢٩-انظر وجهك كل وقت في المرأة فإن كان حسنا فاستقبح أن تضيف إليه فعلا قبيحا وتشينه به و إن كان قبيحا فاستقبح أن تجمع بين قبحين -رواية- ١-١٣٩-١٣٠-موقع الصواب من الجهال مثل موقع الخطأ من العلماء -رواية- ١-٥٨-١٣١-ذك قلبك بالأدب كما تذكى النار بالحطب -رواية- ١-٤٦-١٣٢-كفر النعمة لؤم وصحبة الجاهل شؤم -رواية- ١-٤٠-١٣٣-عاديت من ماريت -رواية- ١-٢٢-١٣٤-لاتصرم أخاك على ارتياب و لاتقطعه دون استعتاب -رواية- ١-٥٧-١٣٥-خير المقال ماصدقه الفعال -رواية- ١-٣٣-١٣٦-إذا لم ترزق غنى فلا-تحر من تقوى -رواية- ١-٤٠-١٣٧-من عرف الدنيا لم يحزن للبلوى -رواية- ١-٣٨-١٣٨-دع الكذب تكريما إن لم تدعه تأثما -رواية- ١-٤١-١٣٩-الدنيا طواحة طراحة فضاحة آسية جراحة -رواية- ١-٤١-١٤٠-الدنيا جمعة المصائب مرة المشارب لاتمتع صاحبا بصاحب -رواية- ١-٥٩-١٤١-المعتذر من غير ذنب يوجب على نفسه الذنب -رواية- ١-٤٨ [صفحة ٢٧٢] ١٤٢-من كسل لم يؤد حقا -رواية- ١-٢٥-١٤٣-كثرة الجدال تورث الشك -رواية- ١-٣٠-١٤٤-خير القلوب أوعاها -رواية- ١-٢٤-١٤٥-الحياء لباس ساين و حجاب مانع وستر من المساوي واق و حليف للدين و موجب للمحبة و عين كائنة تذود عن الفساد وتنهى عن الفحشاء والعجلة في الأمور مكسبة للمذلة و زمام للندامة و سلب للمروءة و شين للحجى و دليل على ضعف العقيدة -رواية- ١-٢٢٩-١٤٦-إذابغ المرء من الدنيا فوق قدره تنكرت للناس أخلاقه -رواية- ١-٦٣-١٤٧-لاتصحب الشرير فإن طبعك يسرق من طبعه شرا و أنت لاتعلم -رواية- ١-٦٥-١٤٨-موت الصالح راحة لنفسه و موت الطالح راحة للناس -رواية- ١-٥٦-١٤٩-ينبغي للعاقل أن يتذكر عند حلاوة الغذاء مرارة الدواء -رواية- ١-٥٨-١٥٠-إن حسدك أخ من إخوانك على فضيلة ظهرت منك فسعى في مكروهك فلاتقابله بمثل ما كافحك به فتعذر نفسه في الإساءة إليك و تشرع له طريقا إلى ما يحبه فيك لكن اجتهد في التزير من تلك الفضيلة التي حسدك عليها فإنك تسوءه من غير أن توجد حجة عليك -رواية- ١-٢٥٦-١٥١-إذا أردت أن تعرف طبع الرجل فاستشره فإنك تقف من مشورته على عدله و جوره و خيره و شره -رواية- ١-٩٦-١٥٢-يجب عليك أن تشفق على ولدك أكثر من إشفاقه عليك -رواية- ١-٥٧-١٥٣-زمان الجائر من السلاطين و الولاة أقصر من زمان العادل لأن الجائر مفسد و العادل مصلح و إفساد الشيء أشرع من إصلاحه -رواية- ١-١٢٤ [صفحة ٢٧٣] ١٥٤-إذا خدمت رئيسا فلاتلبس مثل ثوبه و لاتركب مثل مركوبه و لاتستخدم كخدمه فعاك تسلم منه -رواية- ١-١٠١-١٥٥-لاتحدث بالعلم السفهاء فيكذبوك و لالجهال فيستقلوك و لكن حدث به من يتلقاه من أهله بقبول و فهم يفهم عنك ماتقول و يكتم عليك ما يسمع فإن لعلمك عليك حقا كما أن عليك في مالك حقا بذله لمستحقه و منعه عن غير مستحقه -رواية- ١-٢٣٤-١٥٦-اليقين فوق الإيمان و الصبر فوق اليقين و من أفرط رجاءه غلبت الأمانى على قلبه و استعبدته -رواية- ١-١٠٠-١٥٧-إياك و صاحب السوء فإنه كالسيف كالمسلول يروق منظره و يقبح أثره -رواية- ١-٧٤-١٥٨-يا ابن آدم احذر الموت في هذه الدار قبل أن تصير إلى دار تتمنى الموت فيها فلاتجده -رواية- ١-٩٣-١٥٩-من أخطأ سهم المنية قيده الهرم -رواية- ١-٤١-١٦٠-من سمع بفاحشة فأبداها كان كمن أتاها -رواية- ١-٤٤-١٦١-العاقل من اتهم رأيه و لم يثق بما سولته له نفسه -رواية- ١-٥٨-١٦٢-من سامح نفسه فيما يحب أتعبها فيما لا يحب -رواية- ١-٥٠-١٦٣-كفى مامضى مخبرا عما بقى و كفى عبرا لذوى الألباب ماجربوا -رواية- ١-٦٦-١٦٤-أمر لاتدرى متى يعشاك ما يمنعك أن تستعد له قبل أن يفجأك -رواية- ١-٦٥ [صفحة

[٢٧٤] ١٦٥- ليس فى البرق الخاطف مستمتع لمن يخوض فى الظلمة -رواية-١-٥٨ ١٦٦- إذا أعجبك ما يتواصفه الناس من محاسنك فانظر فيما بطن من مساوئك ولتكن معرفتك بنفسك أوثق عندك من مدح المادحين لك -رواية-١-١٢٨ ١٦٧- من مدحك بما ليس فيك من الجميل وهوراض عنك ذمك بما ليس فيك من القبيح وهوراخط عليك -رواية-١-٩٧ ١٦٨- إذا تشبه صاحب الرياء بالمخلصين فى الهيئة كان مثل الوارم الذى يوهم الناس أنه سمين فيظن الناس ذلك فيه و هو يستر ما يلقى من الألم التابع للورم -رواية-١-١٥٩ ١٦٩- إذا قويت نفس الإنسان انقطع إلى الرأى وإذا ضعفت انقطع إلى البخت -رواية-١-٧٥ ١٧٠- الرغبة إلى الكريم تحركه على البذل وإلى الخسيس تغريه بالمنع -رواية-١-٧١ ١٧١- خيار الناس يترفعون عن ذكر معائب الناس ويتهمون المخبر بها ويأثرون الفضائل ويتعصبون لأهلها ويستعرضون مآثر الرؤساء وإفضالهم عليهم ويطالبون أنفسهم بالمكافأة عليها وحسن الرعاية لها -رواية-١-١٩٤ ١٧٢- لكل شىء قوت وأتم قوت الهوام و من مشى على ظهر الأرض فإن مصيره إلى بطنها -رواية-١-٨٤ ١٧٣- من كرم المرء بكأؤه على ماضى من زمانه وحينه إلى أوطانه وحفظه قديم إخوانه -رواية-١-٩٠ [صفحہ ٢٧٥] ١٧٤- و من دعائه اللهم إن كنا قد قصرنا عن بلوغ طاعتك فقد تمسكنا من طاعتك بأحبها إليك لا إله إلا أنت جاءت بالحق من عندك -رواية-١-٦-رواية-١٩-١٢٩ ١٧٥- أصابت الدنيا من أمنها وأصاب الدنيا من حذرنا -رواية-١-٥١ ١٧٦- ووقف على قوم أصيبوا بمصيبة فقال إن تجزعوا فحق الرحم بلغتم و إن تصبروا فحق الله أديتم -رواية-١-٩٩ ١٧٧- مكارم الأخلاق عشر خصال السخاء والحياء والصدق وأداء الأمانة والتواضع والغيرة والشجاعة والحلم والصبر والشكر -رواية-١-١١٧ ١٧٨- من أداء الأمانة المكافأة على الصنيعة لأنها كالوديعه عندك -رواية-١-٦٤ ١٧٩- الخير النفس تكون الحركة فى الخير عليه سهلة متيسرة والحركة فى الإضرار عسرة بطيئة والشريير بالضد من ذلك -رواية-١-١١٠ ١٨٠- البخلاء من الناس يكون تغافلهم عن عظيم الجرم أسهل عليهم من المكافأة على يسير الإحسان -رواية-١-٩٧ ١٨١- مثل الإنسان الحصيف مثل الجسم الصلب الكثيف يسخن بطيئا وتبرد تلك السخونة بأطول من ذلك الزمان -رواية-١-١٠٨ ١٨٢- ثلاثة يرحمون عاقل يجرى عليه حكم جاهل وضعيف فى يد ظالم قوى وكريم قوم احتاج إلى لثيم -رواية-١-١٠٠ ١٨٣- من صحب السلطان وجب أن يكون معه كراكب البحر إن سلم بجسمه من الغرق لم يسلم بقلبه من الفرق -رواية-١-١٠٦ [صفحہ ٢٧٦] ١٨٤- لا تقبلن فى استعمال عمالك وأمرائك شفاعه لإشفاعه الكفايه والأمانة -رواية-١-٧٥ ١٨٥- إذا استشارك عدوك فجرد له النصيحة لأنه باستشارتك قد خرج من عدواتك ودخل فى مودتك -رواية-١-٩١ ١٨٦- العدل صورة واحدة والجور صور كثيرة ولهذا سهل ارتكاب الجور وصعب تحرى العدل وهما يشبهان الإصابة فى الرماية والخطأ فيها و إن الإصابة تحتاج إلى ارتياض وتعهد والخطأ لا يحتاج إلى شىء من ذلك -رواية-١-٢٠٠ ١٨٧- لا يخطئ المخلص فى الدعاء إحدى ثلاث ذنب يغفر أوخير يعجل أوشر يؤجل -رواية-١-٧٧ ١٨٨- لا ينتصف ثلاثة من ثلاثة بر من فاجر وعاقل من جاهل وكريم من لثيم -رواية-١-٧٣ ١٨٩- أشرف الملوك من لم يخالطه البطر و لم يحل عن الحق وأغنى الأغنياء من لم يكن للحرص أسيرا وخير الأصدقاء من لم يكن على إخوانه مستصعبا وخير الأخلاق أعونها على التقى والورع -رواية-١-١٨٦ ١٩٠- أربع القليل منهن كثير النار والعداوة والمرض والفقر -رواية-١-٦٠ ١٩١- أربعة من الشقاء جار السوء وولد السوء وامرأة السوء والمنزل الضيق -رواية-١-٧١ ١٩٢- أربعة تدعو إلى الجنة كتمان المصيبة وكتمان الصدقة وبر الوالدين والإكثار من قول لا إله إلا الله -رواية-١-١٠٤ [صفحہ ٢٧٧] ١٩٣- لاتصحب الجاهل فإن فيه خصالا- فاعرفه بها يغضب من غير غضب ويتكلم فى غير نفع ويعطى فى غير موضع الإعطاء و لا يعرف صديقه من عدوه ويفشى سره إلى كل أحد -رواية-١-١٦٥ ١٩٤- إياك ومواقف الاعتذار فرب عذر أثبت الحجته على صاحبه و إن كان بريئا -رواية-١-٧٦ ١٩٥- الصراط ميدان يكثرفيه العثار فالسالم ناج والعاثر هالك -رواية-١-٦٣ ١٩٦- لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أولو الفضل -رواية-١-٤٩ ١٩٧- إن لله عبادا فى الأرض

كأنما رأوا أهل الجنة في جنتهم و أهل النار في نارهم اليقين وأنواره لامعة على وجوههم قلوبهم محزونة وشروهم مأمونة وأنفسهم عفيفة وحوائجهم خفيفة صبروا أياما قليلة لراحة طويلة أما الليل فصافون أقدامهم تجرى دموعهم على خدودهم يجأرون إلى الله سبحانه بأدعيتهم قدحلا في أفواههم وحلا في قلوبهم طعم مناجاته ولذيذ الخلوة به قد أقسم الله على نفسه بجلال عزته ليورثهم المقام الأعلى في مقعد صدق عنده و أمانهارهم فحلما علماء بررة أتقياء كالقداح ينظر إليهم الناظر فيقول مرضى و مبالقوم من مرض أو يقول قد دخلوا ولعمري لقد خالطهم أمر عظيم جليل -رواية- ١-٥٩٩-١٩٨-عاتبه عثمان فأكثر و هوساكت فقال ما لك لا تقول قال إن قلت لم أقل إلا ماتكره و ليس لك عندي إلا ماتحب -رواية- ١-١١٧-١٩٩-بليت في حرب الجمل بأشد الخلق شجاعة وأكثر الخلق ثروة وبذلا وأعظم الخلق في الخلق طاعة وأوفى الخلق كيدا وتكثرا بليت بالزبير لم يرد وجهه قط -رواية- ١-١-ادامه دارد [صفحة ٢٧٨] ويعلى بن منية يحمل المال على الإبل الكثيرة ويعطى كل رجل ثلاثين دينارا وفرسا على أن يقاتلني وبعائشة ما قالت قط بيدها هكذا إلا واتبها الناس وبطلحة لا يدرك غوره و لا يطال مكره -رواية- از قبل- ١٩٠-٢٠٠-بعث عثمان بن حنيف إلى طلحة والزبير فعاد فقال يا أمير المؤمنين جئتكم بالخبيثة فقال كلا أصبت خيرا وأجرت ثم قال إن من العجب انقيادهما لأبى بكر وعمر وخلافهما على أما و الله إنهما ليعلمان أنى لست بدون واحد منهما اللهم عليك بهما -رواية- ١-٢٤٤-٢٠١-الرزق مقسوم والأيام دول و الناس شرع سواء آدم أبوهم وحواء أمهم -رواية- ١-٧٥-٢٠٢-قوت الأجسام الغذاء وقوت العقول الحكمة فمتى فقد واحد منهما قوته بار واضمحل -رواية- ١-٨٦-٢٠٣-الصبر على مشقة العباد يترقى بك إلى شرف الفوز الأكبر -رواية- ١-٦٠-٢٠٤-الروح حياة البدن والعقل حياة الروح -رواية- ١-٤٤-٢٠٥-حقيق بالإنسان أن يخشى الله بالغيب ويحرس نفسه من العيب ويزداد خيرا مع الشيب -رواية- ١-٨٨-٢٠٦-أفضل الولاية من بقى بالعدل ذكره واستمده من يأتي بعده -رواية- ١-٦٤-٢٠٧-قدم العدل على البطش تظفر بالمحبة و لا تستعمل الفعل حيث ينجع القول -رواية- ١-٧٨ [صفحة ٢٧٩] البخيل يسخو من عرضه بمقدار ما يبخل به من ماله والسخي يبخل من عرضه بمقدار ما يسخو به من ماله -رواية- ١-١٠٥-٢٠٩-فضل العقل على الهوى لأن العقل يملكك الزمان والهوى يستعبدك للزمان -رواية- ١-٨٠-٢١٠-كل ما حملت عليه الحر احتمله ورآه زيادة في شرفه إلا ما حظه جزءا من حريته فإنه يأباه و لا يجيب إليه -رواية- ١-١١٢-٢١١-إذا منعك اللئيم البر مع إعظامه حقك كان أحسن من بذل السخي لك إياه مع الاستخفاف بك -رواية- ١-٩٦-٢١٢-الملك كالنهر العظيم تستمد منه الجداول فإن كان عذبا عذبت و إن كان ملحا ملحت -رواية- ١-٨٧-٢١٣-الفرق بين السخاء والتبذير أن السخي يسمح بما يعرف مقداره ومقدار الرغبة فيه إليه ويضعه بحيث يحسن وضعه وتركه عارفته والمبذر يسمح بما لا يوازن به رغبة الراغب و لاحق القاصد و لا مقدار ما أولى ويستفزه لذلك خطرة من خطراته والتصدى لإطراء مطر له بينهما بون بعيد -رواية- ١-٢٧٧-٢١٤-لا تلاج الغضبان فإنك تقلقه باللجاج و لا ترده إلى الصواب -رواية- ١-٦٧-٢١٥-لا تفرح بسقطه غيرك فإنك لا تدري ما تصرف الأيام بك -رواية- ١-٦١-٢١٦-قليل العلم إذا قر في القلب كالطل يصيب الأرض المطمئنة فتعشب -رواية- ١-٧٠-٢١٧-مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها -رواية- ١-١-ادامه دارد [صفحة ٢٨٠] طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة طعمها مر و لا ريح لها -رواية- از قبل- ١٤٨-٢١٨-المؤمن إذا نظر اعتبر و إذا سكت تفكر و إذا تكلم ذكر و إذا استغنى شكر و إذا أصابته شدة صبر فهو قريب الرضا بعيد السخط يرضيه عن الله اليسير و لا يسخطه البلاء الكثير قوته لا تبلغ به ونيته تبلغ مغموسة في الخير يده ينوى كثيرا من الخير ويعمل بطائفة منه ويتلهف على مافاته من الخير كيف لم يعمل به والمنافق إذا نظر لها و إذا سكت سها و إذا تكلم لغا و إذا أصابه شدة شكا فهو قريب السخط بعيد الرضا يسخطه على الله اليسير و لا يرضيه الكثير قوته تبلغ ونيته لا تبلغ مغموسة في الشر يده ينوى كثيرا من الشر ويعمل بطائفة منه فيتلهف على مافاته من الشر كيف لم يأمر به وكيف

لم يعمل به على لسان المؤمن نور يسطع و على لسان المنافق شيطان ينطق -رواية- ١-٦٦٠-٢١٩-سوء الظن يدوى القلوب ويتهم المأمون ويوحش المستأنس ويغير مودة الإخوان -رواية- ١-٨٢-٢٢٠- إذا لم يكن في الدنيا إلامحتاج فأغنى الناس أقنعهم بما رزق -رواية- ١-٦٨-٢٢١- قيل له إن درعك صدر لا يظهر لها إنا نخاف أن تؤتى من قبل ظهرك فقال إذا ولت فلا واءلت -رواية- ١-٩٥-٢٢٢- أشد الأشياء الإنسان لأن أشدها فيما يرى الجبل والحديد -رواية- ١-١-١-أداهم دارد [صفحة ٢٨١] ينحت الجبل والنار تأكل الحديد والماء يطفى النار والسحاب يحمل الماء والرياح يفرق السحاب والإنسان يتقى من الرياح -رواية- ١-١٢٤-٢٢٣- إنما الناس في نفس معدود وأمل ممدود وأجل محدود فلا بد للأجل أن يتناهى وللنفس أن يحصى وللأمل إن ينقضى ثم قرأوا إِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ -رواية- ١-١٦٧-٢٢٤- أَللَّهُمَّ لا تجعل الدنيا لى سجنًا ولا فراقها على حزننا أعود بك من دنيا تحرمنى الآخرة و من أمل يحرمنى العمل و من حياة تحرمنى خير الممات -رواية- ١-١٤٣-٢٢٥- تعطروا بالاستغفار لا تفضحكهم رائحة الذنوب -رواية- ١-٤٧-٢٢٦- للنكبات غايات تنتهى إليها ودواؤها الصبر عليها وترك الحيلة فى إزالتها فإن الحيلة فى إزالتها قبل انقضاء مدتها سبب لزيادتها -رواية- ١-١٣٢-٢٢٧- لا يرضى عنك الحاسد حتى يموت أحدكما -رواية- ١-٤٣-٢٢٨- لا يكون الرجل سيد قومه حتى لا يبالي أى ثوبه لبس -رواية- ١-٦٠-٢٢٩- كتب إلى عامل له اعلم بالحق ليوم لا يقضى فيه إلا بالحق -رواية- ١-٦٥-٢٣٠- نظر إلى رجل يغتاب آخر عند ابنه الحسن فقال يا بنى نزه سمعك عنه فإنه نظر إلى أخبث ما فى وعائه فأفرغه فى وعائك -رواية- ١-١٢٤-٢٣١- احذروا الكلام فى مجالس الخوف فإن الخوف يذهل العقل الذى منه نستمد ويشغله بحراسة النفس عن حراسة المذهب الذى نروم نصرته واحذر الغضب ممن يحملك عليه فإنه مميت للخواطر مانع من الثبوت واحذر من تبغضه فإن بغضك له يدعوك إلى الضجر به وقليل الغضب كثير فى أذى النفس والعقل والضجر مضيق -رواية- ١-١-١-أداهم دارد [صفحة ٢٨٢] للصدر مضجع لقوى العقل واحذر المحافل التى لا إنصاف لأهلها فى التسوية بينك و بين خصمك فى الإقبال والاستماع و لأدب لهم يمنعهم من جور الحكم لك و عليك واحذر حين تظهر العصبية لخصمك بالاعتراض عليك وتشديد قوله و حجته فإن ذلك يهيج العصبية والاعتراض على هذا الوجه يخلق الكلام ويذهب بهجة المعانى واحذر كلام من لا يفهم عنك فإنه يضجرك واحذر استصغار الخصم فإنه يمنع من التحفظ ورب صغير غلب كبير -رواية- ١-٤٢١-٢٣٢- لا تقبل الرئاسة على أهل مدينتك فإنهم لا يستقيمون لك إلا بما تخرج به من شرط الرئيس الفاضل -رواية- ١-١٠٢-٢٣٣- لا تهزأ بخطأ غيرك فإن المنطق لا يملكه وأقل من الخطأ الذى أنت فيه بقدر الصبر واجعل العقل والحق إماميك تنل البغية بهما -رواية- ١-١٣٣-٢٣٤- الرأى يريك غاية الأمر مبدأه -رواية- ١-٣٦-٢٣٥- الخير من الناس من قدر على أن يصرف نفسه كما يشاء ويدفعها عن الشرور والشرير من لم يكن كذلك -رواية- ١-١٠١-٢٣٦- السلطان الفاضل هو الذى يحرس الفضائل ويجود بهالمن دونه ويرعاها من خاصته وعامته حتى تكثر فى أيامه ويتحسن بها من لم تكن فيه -رواية- ١-١٣٩-٢٣٧- للكريم رباطان أحدهما الرعاية لصديقه وذوى الحرمة به والآخر الوفاء لمن أزمه الفضل ما يجب له عليه -رواية- ١-١١١-٢٣٨- إذا تحركت صورة الشر و لم تظهر ولدت الفزع فإذا ظهرت ولدت الألم و إذا تحركت صورة الخير و لم تظهر ولدت الفرج فإذا ظهرت ولدت اللذة -رواية- ١-١٤٠- [صفحة ٢٨٣] ٢٣٩- الفرق بين الاقتصاد والبخل أن الاقتصاد تمسك الإنسان بما فى يده خوفا على حريته وجاهه من المسألة فهو يضع الشىء موضعه ويصبر عما لا تدعو ضرورة إليه ويصل صغير بره بعظيم بشره و لا يستكثر من المودات خوفا من فرط الإجحاف به والبخل لا يكافى على ما يسدى إليه ويمنع أيضا اليسير من استحق الكثير ويصبر لصغير ما يجرى عليه على كثير من الذلة -رواية- ١-٣٥٢-٢٤٠- لا تحتقرن صغيرا يمكن أن يكبر و لا قليلا يمكن أن يكثر -رواية- ١-٦٠-٢٤١- مازلت مظلوما منذ قبض الله نبيه حتى يوم الناس هذا ولقد كنت أظلم قبل ظهور الإسلام ولقد كان أخى عقيل يذنب أخى جعفر فيضربنى -رواية- ١-١٤٠-٢٤٢- لو كسرت لى الوسادة لقصيت بين أهل

التوراة بتوراتهم و بين أهل الإنجيل بإنجيلهم و بين أهل الفرقان بفرقانهم حتى تزهر تلك القضايا إلى الله عز و جل و تقول يارب إن عليا قضى بين خلقك بقضائك -رواية- ١- ٢٠٥ ٢٤٣- مر بدار بالكوفة في مراد تبنى فوقعت منها شظية على صلته فأدمتها فقال ما يومي من مراد بواحد اللهم لاترفعها قالوا فو الله لقد رأينا تلك الدار بين الدور كالشاة الجماء بين الغنم ذوات القرون -رواية- ١- ١٩٩ ٢٤٤- أقتل الأشياء لعدوك ألا تعرفه أنك اتخذته عدوا -رواية- ١- ٥٥ ٢٤٥- الخيرة في ترك الطيرة -رواية- ١- ٢٧ ٢٤٦- قيل له في بعض الحروب إن جالت الخيل أين نطلبك قال حيث تركتموني -رواية- ١- ٧٧ ٢٤٧- شفيع المذنب إقراره و توبته اعتذاره -رواية- ١- ٤٤ [صفحة ٢٨٤] ٢٤٨- قسم ظهري رجلا ن جاهل متنسك و عالم مهتك -رواية- ١- ٥٠ ٢٤٩- ألا- أخبركم بذات نفسى أما الحسن ففتى من الفتيان و صاحب جفنة و خوان و لوالثقت حلقتا البطان لم يغن عنكم فى الحرب غناء عصفور و أما عبد الله بن جعفر فصاحب لهو و ظل باطل و أما أنا و الحسين فنحن منكم و أنتم منا -رواية- ١- ٢٢٥ ٢٥٠- قال فى المنبرية صار ثمنها تسعا على البديهة و هذا من العجائب -رواية- ١- ٦٨ ٢٥١- جاء الأشعث إليه و هو على المنبر فجعل يتخطى رقاب الناس حتى قرب منه ثم قال يا أمير المؤمنين غلبتنا هذه الحمراء على قربك يعنى العجم فركض المنبر برجله حتى قال صعصعة بن صوحان مالنا وللأشعث ليقولن أمير المؤمنين ع اليوم فى العرب قولاً لا يزال يذكر فقال ع من يعذرني من هؤلاء الضياطرة يتمرغ أحدهم على فراشه تمرغ الحمار و يهجر قوما للذكر أفتأمروني أن أطردهم ما كنت لأطردهم فأكون من الجاهلين أما و الذى فلق الحبة و برأ النسمة ليضربنكم على الدين عودا كما ضربتموهم عليه بدءا -رواية- ١- ٥٠٢ ٢٥٢- كان إذ رأى ابن ملجم يقول أريد حياته البيت فيقال له فاقتله فيقول كيف أقتل قاتلى -رواية- ١- ٩٦ ٢٥٣- إلهي ما قدر ذنوب أقابل بها كرمك و ما قدر عبادة أقابل بهانعمك و إنى لأرجو أن تستغرق ذنوبى فى كرمك كما استغرقت أعمالى فى نعمك -رواية- ١- ١٣٧ [صفحة ٢٨٥] ٢٥٤- إذا غضب الكريم فألن له الكلام و إذا غضب اللئيم فخذ له العصا -رواية- ١- ٧٠ ٢٥٥- غضب العاقل فى فعله و غضب الجاهل فى قوله -رواية- ١- ٥١ ٢٥٦- رأى رجلا يحدث منكر الحديث فقال يا هذا أنصف أذنيك من فمك فإنما جعل الأذنان اثنتين والفم واحدا لتسمع أكثر مما تقول -رواية- ١- ١٣٠ ٢٥٧- إياك و كثرة الاعتذار فإن الكذب كثيرا ما يخالط المعاذير -رواية- ١- ٦٠ ٢٥٨- اشكر لمن أنعم عليك و أنعم على من شكرك -رواية- ١- ٤٨ ٢٥٩- سل مسألة الحمقى واحفظ حفظ الأكياس -رواية- ١- ٤٢ ٢٦٠- مروا الأحداث بالمراء و الجدال و الكهول بالفكر و الشيوخ بالصمت -رواية- ١- ٦٩ ٢٦١- عود نفسك الصبر على جليس السوء فليس يكاد يخطئك -رواية- ١- ٥٥ ٢٦٢- يابنى إن الشر تاركك إن تركته -رواية- ١- ٣٨ ٢٦٣- لا تطلبوا الحاجة إلى ثلاثة إلى الكذوب فإنه يقربها و إن كانت بعيدة و لا إلى أحق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك و لا إلى رجل له إلى صاحب الحاجة حاجة فإنه يجعل حاجتك و قايه لحاجته -رواية- ١- ١٩١ ٢٦٤- إياك و صدر المجلس فإنه مجلس قلعة -رواية- ١- ٤١ ٢٦٥- احذروا صولة الكريم إذا جاع و صولة اللئيم إذا شبع -رواية- ١- ٥٥ ٢٦٦- سررك دمك فلا تجرينه إلا فى أوداجك -رواية- ١- ٤١ ٢٦٧- و سئل عن الفرق بين الغم و الخوف فقال الخوف مجاهدة الأمر المخوف قبل وقوعه و الغم ما يلحق الإنسان من وقوعه -رواية- ١- ١١٩ [صفحة ٢٨٦] ٢٦٨- المعروف كثر فانظر عند من تودعه -رواية- ١- ٣٨ ٢٦٩- إذا أرسلت لبعير فلاتأت بتمر فيؤكل تمرك و تعنف على خلافك -رواية- ١- ٦٥ ٢٧٠- إذا وقع فى يدك يوم السرور فلاتخله فإنك إذا وقعت فى يد يوم الغم لم يخلك -رواية- ١- ٨٢ ٢٧١- إذا أردت أن تصادق رجلا فانظر من عدوه -رواية- ١- ٤٥ ٢٧٢- الانقباض من الناس مكسبة للعداوة و الانبساط مجلبة لقرين السوء فكن بين المنقبض و المسترسل فإن خير الأمور أوساؤها -رواية- ١- ١٢٠ ٢٧٣- إنا عبد الله و أخو رسول الله لا يقولها بعدى إلا كذاب -رواية- ١- ٦٠ ٢٧٤- أخذ رسول الله ص بيدي فهزها و قال ما أول نعمة أنعم الله بها عليك قلت أن خلقني حيا و أقدرني و أكمل حواسي و مشاعري و قواي قال ثم ماذا قلت أن جعلني ذكرا و لم يجعلني أنثى قال و الثالثة قلت أن هداني للإسلام قال و الرابعة قلت و إن تعدوا نعمة الله لا تحصوها -

رواية-1-285 275- اللهم إني أسألك إخبارات المخبتين وإخلاص الموقنين ومرافقة الأبرار والعزيمة في كل بر والسلامة من كل إثم والفوز بالجنة والنجاة من النار -رواية-1-146 276- لماضربه ابن ملجم وأوصى ابنه بما أوصاهما قال لابن الحنفية هل فهمت ما أوصيت به أخويك قال نعم قال فإني أوصيك بمثله وبتوقير أخويك واتباع أمرهما وألا تبرم أمرا دونهما ثم قال لهما أوصيكما به فإنه شقيقكما وابن أبيكما وقد علمتما أن أباكما كان يحبه فأحياه -رواية-1-274 277- أما هذا الأعور يعني الأشعث فإن الله لم يرفع شرفا لإحسده ولا أظهر فضلا لإعابه و هو يمني نفسه ويخدعها يخاف ويرجو فهو بينهما لا يثق -رواية-1-ادامه دارد [صفحة 287] بواحد منهما وقد من الله عليه بأن جعله جانا ولو كان شجاعا لقتله الحق وأما هذا الأكتف عند الجاهلية يعني جرير بن عبد الله البجلي فهو يرى كل أحد دونه ويستصغر كل أحد ويحتقره قدامي نارا وهو مع ذلك يطلب رئاسة ويروم إمارة وهذا الأعور يغويه ويطغيه إن حدثه كذبه وإن قام دونه نكص عنه فهما كالشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين -رواية-از قبل-278 399- بلوغ أعلى المنازل بغير استحقاق من أكبر أسباب الهلكة -رواية-1-62 279- الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان -رواية-1-86 280- الكرم حسن الفطنة واللؤم سوء التغافل -رواية-1-45 281- أسوأ الناس حالا من اتسعت معرفته وبعدت همته وضاعت قدرته -رواية-1-66 282- أمران لا ينفكان من الكذب كثرة المواعيد وشدة الاعتذار -رواية-1-60 283- عادة النوكى الجلوس فوق القدر والمجىء في غير الوقت -رواية-1-60 284- العافية الملك الخفى -رواية-1-27 285- سوء حمل الغنى يورث مقتا وسوء حمل الفاقة يضع شرفا -رواية-1-59 286- لا ينبغي لأحد أن يدع الحزم لظفر ناله عاجز ولا يسامح نفسه في التفريط لنكبة دخلت على حازم -رواية-1-101 287- ليس من حسن التوكل أن يقال العاشر عشرة ثم يركبها ثانية -رواية-1-64 [صفحة 288] 288- سوء القالة في الإنسان إذا كان كذبا نظير الموت لفساد دنياه فإن كان صدقا فأشد من الموت لفساد آخرته -رواية-1-108 289- ترضى الكرام بالكلام وتصاد اللئام بالمال وتستصلح السفلة بالهوان -رواية-1-75 290- لا يزال المرء مستمرا ما لم يعثره فإذا عثر مرة لج به العثار ولو كان في جدد -رواية-1-83 291- المتواضع كالوهدة يجتمع فيها قطرها وقطر غيرها والمتكبر كالبروة لا يقر عليها قطرها ولا قطر غيرها -رواية-1-100 292- لا يصبر على الحرب ويصدق في اللقاء إلا ثلاثة مستبصر في دين أو غيران على حرمة أو ممتعض من ذل -رواية-1-99 293- مجاوزتك ما يكفيك فقر لا منتهى له -رواية-1-40 294- قيل له أى الأمور أعجل عقوبة وأسرع لصاحبها صرعة فقال ظلم من لا ناصر له إلا الله ومجازاة النعم بالتقصير واستطالة الغنى على الفقير -رواية-1-142 295- الجماع للمحن جماع وللخيرات مناع حياء يرتفع وعورات تجتمع أشبه شىء بالجنون ولذلك حجب عن العيون نتيجته ولد فتون إن عاش كد وإن مات هد -رواية-1-152 296- ما شىء أهون من ورع وإذ أربك أمر فدعه -رواية-1-47 297- إذا أتى على يوم لا زاد فيه عملا يقربني إلى الله فلا يبورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم -رواية-1-98 298- أشرف الأشياء العلم والله تعالى عالم يحب كل عالم -رواية-1-60 [صفحة 289] 299- ليت شعري أى شىء أدرك من فاته العلم بل أى شىء فات من أدرك العلم -رواية-1-77 300- لا يسود الرجل حتى لا يبالي فى أى ثوبيه ظهر -رواية-1-52 301- سمع رجلا يدعو لصاحبه فقال لأراك الله مكروها فقال إنما دعوت له بالموت لأن من عاش فى الدنيا لا بد أن يرى المكروه -رواية-1-126 302- من صفة العاقل ألا يتحدث بما يستطاع تكذيبه فيه -رواية-1-57 303- السعيد من وعظ بغيره والشقى من اتعظ به غيره -رواية-1-51 304- ذو الهمة وإن حط نفسه بأبى إلا علوا كالشعلة من النار يخفيها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعا -رواية-1-91 305- الدين غل الله فى أرضه إذا أراد أن يذل عبدا جعله فى عنقه -رواية-1-67 306- العاقل إذا تكلم بكلمة أتبعها حكمة ومثلا والأحمق إذا تكلم بكلمة أتبعها حلفا -رواية-1-82 307- الحركة لقاح الجسد العظيم -رواية-1-31 308- ثلاثة لا يستحى من الختم عليها المال لنفى التهمة والجوهر لنفاسته والدواء

للاحتياط من العدو -رواية- ١- ٩٩ ٣٠٩- إذا أسرت فكل الرجال رجالك و إذا أعست أنكرك أهلك -رواية- ١- ٦١ ٣١٠- من الحكمة جعل المال في أيدي الجهال فإنه لو خص به العقلاء لمات -رواية- ١- ١- ١- ٢٩٠ [صفحة ٢٩٠] الجهال جوعا ولكنه جعل في أيدي الجهال ثم استزلهم عنه العقلاء بلطفهم وفطنتهم -رواية- ١- ٨٧ ٣١١- ما رد أحد أحدا عن حاجة إلا وتبين العز في قفاه والذل في وجهه -رواية- ١- ٦٩ ٣١٢- ابتداء الصنعة نافله وربها فريضة -رواية- ١- ٣٨ ٣١٣- الحاسد المبطن للحسد كالنحل يمسح الدواء ويبطن الداء -رواية- ١- ٥٩ ٣١٤- الحاسد يرى زوال نعمتك نعمه عليه -رواية- ١- ٤١ ٣١٥- التواضع إحدى مصايد الشرف -رواية- ١- ٣٣ ٣١٦- تواضع الرجل في مرتبه ذب للشماتة عنه عند سقطته -رواية- ١- ٥٧ ٣١٧- رب صلف أدى إلى تلف -رواية- ١- ٢٨ ٣١٨- سوء الخلق يعدي وذاك أنه يدعو صاحبك إلى أن يقابلك بمثله -رواية- ١- ٦٧ ٣١٩- المروءة التامة مباينة العامة -رواية- ١- ٣٤ ٣٢٠- أسوأ ما في الكريم أن يمنعك نداءه وأحسن ما في اللئيم أن يكف عنك أذاه -رواية- ١- ٨٠ ٣٢١- السفلة إذا تعلموا تكبروا و إذا تمولوا استطلوا والعلية إذا تعلموا تواضعوا و إذا افتقروا صالحوا -رواية- ١- ٩٥ ٣٢٢- ثلاث لا يستصلح فسادهن بحيلة أصلا العداوة بين الأقارب وتحاسد الأكفاء وركاكة الملوكة -رواية- ١- ٩١ ٣٢٣- السخى شجاع القلب والبخيل شجاع الوجه -رواية- ١- ٤٧ [صفحة ٢٩١] ٣٢٤- العزلة توفر العرض وتستر الفاقة وترفع ثقل المكافأة -رواية- ١- ٥٨ ٣٢٥- ما احتنك أحد قط إلا أحب الخلو والعزلة -رواية- ١- ٤٥ ٣٢٦- خير الناس من لم تجربه -رواية- ١- ٣٠ ٣٢٧- الكريم لا يلين على قسر ولا يقسو على يسر -رواية- ١- ٤٦ ٣٢٨- المرأة إذا أحببتك آذتك و إذا أبغضتك خانتك وربما قتلتك فحبها أذى وبغضها داء بلا دواء -رواية- ١- ٩٢ ٣٢٩- المرأة تكتم الحب أربعين سنة ولا تكتم البغض ساعة واحدة -رواية- ١- ٦٤ ٣٣٠- الممتحن كالمختنق كلما ازداد اضطرابا ازداد اختناقا -رواية- ١- ٥٧ ٣٣١- كل ما لا ينتقل بانتقالك من مالك فهو كفييل بك -رواية- ١- ٥٥ ٣٣٢- أجل ما ينزل من السماء التوفيق وأجل ما يصعد من الأرض الإخلاص -رواية- ١- ٦٩ ٣٣٣- اثنان يهون عليهما كل شيء عالم عرف العواقب وجاهل يجهل ما هو فيه -رواية- ١- ٧٦ ٣٣٤- شر من الموت ما إذا نزل تمنيت بزوله الموت وخير من الحياة ما إذا فقدته أبغضت لفقده الحياة -رواية- ١- ١٠٠ ٣٣٥- ما وضع أحد يده في طعام أحد إلا ذل له -رواية- ١- ٤٦ ٣٣٦- المرأة كالنعل يلبسها الرجل إذا شاء لا إذا شاءت -رواية- ١- ٥٣ ٣٣٧- أبصر الناس لعوار الناس المعور -رواية- ١- ٣٥ ٣٣٨- العجب ممن يخاف عقوبة السلطان وهي منقطعة ولا يخاف عقوبة الديان وهي دائمة -رواية- ١- ٨٥ [صفحة ٢٩٢] ٣٣٩- من عرف نفسه فقد عرف ربه -رواية- ١- ٣٤ ٣٤٠- من عجز عن معرفة نفسه فهو عن معرفة خالقه أعجز -رواية- ١- ٥٣ ٣٤١- لو تكاشفتهم لم اتدافتهم -رواية- ١- ٢٩ ٣٤٢- شيطان كل إنسان نفسه -رواية- ١- ٢٨ ٣٤٣- إن لم تعلم من أين جئت لم تعلم إلى أين تذهب -رواية- ١- ٥٦ ٣٤٤- غاية كل متعمق في معرفة الخالق سبحانه الاعتراف بالقصور عن إدراكها -رواية- ١- ٧٤ ٣٤٥- الكمال في خمس ألا يعيب الرجل أحدا يعيب فيه مثله حتى يصلح ذلك العيب من نفسه فإنه لا يفرغ من إصلاح عيب من عيوبه حتى يهجم على آخر فتشغله عيوبه عن عيوب الناس وألا يطلق لسانه ويده حتى يعلم أفي طاعة ذلك أم في معصية وألا يلتمس من الناس إلا ما يعطيهم من نفسه مثله وأن يسلم من الناس باستشعار مداراتهم وتوفيتهم حقوقهم وأن ينفق الفضل من ماله ويمسك الفضل من قوله -رواية- ١- ٣٩٨ ٣٤٦- صديق البخيل من لم يجربه -رواية- ١- ٣٣ ٣٤٧- من الخيط الضعيف يفتل الحبل الحصيف و من مقدحة صغيرة تحترق مدينة كبيرة و من لبنه لبنه تبنى قرية حصينة -رواية- ١- ١١٢ ٣٤٨- محب الدراهم معذور و إن أدنته من الدنيا لأنها صانته عن أبناء الدنيا -رواية- ١- ٧٦ [صفحة ٢٩٣] ٣٤٩- عجباً لمن قيل فيه الخير و ليس فيه كيف يفرح و عجباً لمن قيل فيه الشر و ليس فيه كيف يغضب -رواية- ١- ٩٩ ٣٥٠- ثلاث موبقات الكبر فإنه حط إبليس عن مرتبه والحرص فإنه أخرج آدم من الجنة والحسد فإنه دعا ابن آدم إلى قتل أخيه -رواية- ١- ١٢٧ ٣٥١- الفطام عن الحطام شديد -رواية- ١- ٢٩ ٣٥٢- إذا قبلت الدنيا أقبلت على حمار قطوف و إذا أدبرت

أدبرت على البراق -رواية-1-353 76-أصاب متأمل أو كاد وأخطأ مستعجل أو كاد -رواية-1-354 44-سته لاتخطئهم الكآبة فقير حديث عهد بغنى ومكثر يخاف على ماله وطالب مرتبة فوق قدره والحسود والحقود ومخالط أهل الأدب و ليس بأديب -رواية-1-355 140-طلبت الراحة لنفسى فلم أجد شيئا أروح من ترك ما لايعنينى وتوحشت فى القفر البلقع فلم أر وحشة أشد من قرين السوء وشهدت الزحوف ولقيت الأقران فلم أر قرنا أغلب من المرأة ونظرت إلى كل مايدل العزيز ويكسره فلم أر شيئا أذل له ولاأكسر من الفاقة -رواية-1-356 262-أول رأى العاقل آخر رأى الجاهل -رواية-1-357 40-المسترشد موقى والمحترس ملقى -رواية-1-358 36-الحر عبد ماطمع والعبد حر مافنع -رواية-1-38- [صفحة 294] 359- ماأحسن حسن الظن إلا أن فيه العجز وماأقبح سوء الظن إلا أن فيه الحزم -رواية-1-82 360- ماالحيلة فيما أعنى إلاالكف عنه ولاالرأى فيما ينال إلاالأيأس منه -رواية-1-77 361-الأحمق إذاحدث ذهل وإذاحدث عجل وإذاحمل على القبيح فعل -رواية-1-68 362-إثبات الحجة على الجاهل سهل ولكن إقراره بهاصعب -رواية-1-57 363- كماتعرف أوانى الفخار بامتحناتها بأصواتها فيعلم الصحيح منها من المكسور كذلك يمتحن الإنسان بمنطقه فيعرف ما عنده -رواية-1-124 364-احتمال الفقر أحسن من احتمال الذل لأن الصبر على الفقر قناعة والصبر على الذل ضراعة -رواية-1-92 365-الدنيا حمقاء لاثميل إلا إلى أشباهها -رواية-1-42 366-السفر ميزان الأخلاق -رواية-1-27 367-العقل ملك والخصال رعيته فإذاضعف عن القيام عليها وصل الخلل إليها -رواية-1-77 368-الكذاب يخيف نفسه وهو آمن -رواية-1-34 369- لو لاثلاث لم يسلك سيف سلك أدق من سلك ووجه أصبح من وجه ولقمة أسوغ من لقمة -رواية-1-89 370- قديحسن الامتتان بالنعمة وذلك عندكفرانها و لو لا- أن بنى إسرائيل -رواية-1-ادامه دارد [صفحة 295] كفروا بالنعمة لما قال الله لهم اذكروا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ -رواية-1-80 371- إذاتناهى الغم انقطع الدمع -رواية-1-36 372- إذاولى صديقك ولاية فأصبتة على العشر من صداقته فليس بصاحب سوء -رواية-1-73 373-أعجب الأشياء بديهة أمن وردت فى مقام خوف -رواية-1-50 374-الحرص محرمة والجبن مقتلة وإل فانظر فيمن رأيت وسمعت أ من قتل فى الحرب مقبلا أكثر أم من قتل مدبرا وانظر أ من يطلب بالإجمال والتكرم أحق أن تسخو نفسك له أم من يطلب بالشره والحرص -رواية-1-198 375- إذا كان العقل تسعة أجزاء احتاج إلى جزء من جهل ليقدّم به صاحبه على الأمور فإن العاقل أبدا متوان مترقب متخوف -رواية-1-121 376-عمل الرجل بما يعلم أنه خطأ هوى والهوى آفة العفاف وترك العمل بما يعلم أنه صواب تهاون والتهاون آفة الدين وإقدامه على ما لايدرى أصواب هوأم خطأ لجاج واللجاج آفة العقل -رواية-1-188 377-ضعف العقل أمان من الغم -رواية-1-32 378- لاينبغى للعاقل أن يمدح امرأة حتى تموت ولاطعاما حتى يستمرئه ولاصديقا حتى يستقرضه وليس من حسن الجوار ترك الأذى ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى -رواية-1-163 379- لايتأدب العبد بالكلام إذاوثق بأنه لايضرب -رواية-1-52 380- الفرق بين المؤمن والكافر الصلاة فمن تركها وادعى الإيمان كذبه فعلة و كان عليه شاهد من نفسه -رواية-1-104 [صفحة 296] 381- من خاف الله خافه كل شيء -رواية-1-33 382- من النقص أن يكون شفيحك شيئا خارجا عن ذاتك وصفاتك -رواية-1-60 383- ويلي على العبد اللثيم عبدبنى ربيعة نزع به عرق الشرك العبشمى إلى مساءتى وتذكر دم الوليد وعتبة وشيبة أولى له والله ليرينى فى موقف يسوءه ثم لايجد هناك فلانا وفلانا يعنى سالما مولى حذيفة -رواية-1-208 384- أناقاتل الأقران ومجدل الشجعان أنا الذى فقأت عين الشرك وثلثت عرشه غيرممتن على الله بجهادى ولامدل إليه بطاعتى ولكن أحدث بنعمة ربي -رواية-1-152 385-الصوم عبادة بين العبد وخالقه لايطلع عليها غيره وكذلك لايجازى عنها غيره -رواية-1-83 386-طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس طوبى لمن لايعرف الناس ولايعرفه الناس طوبى لمن كان حيا كميث وموجودا كمعدوم قد كفى جاره خيره وشره لايسأل عن الناس ولايسأل الناس عنه -رواية-1-193 387- ماالسيف

الصارم في كف الشجاع بأعز له من الصدق -رواية- ١- ٥٧- ٣٨٨- لا يكن فقرك كفرا وغناك طغيانا -رواية- ١- ٣٨- ٣٨٩- ثمرة القناعة الراحة وثمره التواضع المحبة -رواية- ١- ٤٧- ٣٩٠- الكريم يلين إذا استعطف واللثيم يقسو إذا لوطف -رواية- ١- ٥٣- ٣٩١- أنكى لعدوك ألا تريه أنك اتخذته عدوا -رواية- ١- ٤٦- ٣٩٢- عذابان لا يابيه الناس لهما السفر البعيد والبناء الكثير -رواية- ١- ٦٠- [صفحة ٢٩٧] ٣٩٣- ثلاثة يؤثرون المال على أنفسهم تاجر البحر وصاحب السلطان والمرثى في الحكم -رواية- ١- ٨٥- ٣٩٤- أعجز الناس من قصر في طلب الصديق وأعجز منه من وجده فضيعه -رواية- ١- ٦٧- ٣٩٥- أشد المشاق وعد كذاب لحريص -رواية- ١- ٣٤- ٣٩٦- العادات قاهرات فمن اعتاد شيئا في سره وخلوته فضحه في جهره وعلانيته -رواية- ١- ٧٩- ٣٩٧- الأبخ البار مغيض الأسرار -رواية- ١- ٣١- ٣٩٨- عدم المعرفة بالكتابة زمانة خفية -رواية- ١- ٣٨- ٣٩٩- قديم الحرمة وحديث التوبة يمحقان ما بينهما من الإساءة -رواية- ١- ٦٠- ٤٠٠- ركوب الخيل عز وركوب البراذين لذة وركوب البغال مهمة وركوب الحمير مذلة -رواية- ١- ٨٢- ٤٠١- العقل يظهر بالمعاملة وشيم الرجال تعرف بالولاية -رواية- ١- ٥٦- ٤٠٢- قال له قائل علمنى الحلم فقال هو الذل فاصطبر عليه إن استطعت -رواية- ١- ٧٢- ٤٠٣- قلت إن فلانا أفاد مالا عظيما فهل أفاد أياما ينفقه فيها -رواية- ١- ٦٤- ٤٠٤- عيادة النوكى أشد على المريض من وجعه -رواية- ١- ٤٤- ٤٠٥- المريض يعاد والصحيح يزار -رواية- ١- ٣٢- ٤٠٦- الشىء الذى لا يحسن أن يقال و إن كان حقا مدح الإنسان نفسه -رواية- ١- ٦٩- [صفحة ٢٩٨] ٤٠٧- الشىء الذى لا يستغنى عنه بحال من الأحوال التوفيق -رواية- ١- ٥٩- ٤٠٨- أوسع ما يكون الكريم مغفرة إذا ضاقت بالذنب المعذرة -رواية- ١- ٥٨- ٤٠٩- ستر ماعايت أحسن من إشاعة ما ظننت -رواية- ١- ٤١- ٤١٠- التكبر على المتكبرين هو التواضع بعينه -رواية- ١- ٤٥- ٤١١- إذ رفعت أحدا فوق قدره فتوقع منه أن يحط منك بقدر ما رفعت منه -رواية- ١- ٧٣- ٤١٢- إساءة المحسن أن يمنعك جدواه وإحسان المسىء أن يكف عنك أذاه -رواية- ١- ٧١- ٤١٣- اللهم إني أستعديك على قريش فإنهم أضمروا لرسولك ص ضروبا من الشر والغدر فعجزوا عنها وحلت بينهم وبينها فكانت الوجبة بى والدائرة على اللهم احفظ حسنا وحسينا ولا تمكن فجرة قريش منهما مادمت حيا فإذا توفيتني فأنت الرقيب عليهم و أنت على كل شىء شهيد -رواية- ١- ٢٦٤- ٤١٤- قال له قائل يا أمير المؤمنين أ رأيت لو كان رسول الله ص ترك ولدا ذكرا قد بلغ الحلم وآنس منه الرشد أكانت العرب تسلم إليه أمرها قال لا بل كانت تقتله إن لم يفعل ما فعلت إن العرب كرهت أمر محمد ص وحسدته على ما آتاه الله من فضله واستطالت أيامه حتى قذفت زوجته ونفرت به ناقته مع عظيم إحسانه إليها وجسيم مننه عندها وأجمعت مذ كان حيا على صرف الأمر عن أهل بيته بعدموته و لو لا أن قريشا جعلت اسمه ذريعة إلى الرئاسة وسلما إلى العز والإمرة لما عبدت الله بعدموته يوما واحدا -رواية- ١- ٢٩٩- [صفحة ٢٩٩] ولارتدت فى حافرتها وعاد قارحها جذعا وبازلها بكرا ثم فتح الله عليها الفتوح فأثرت بعد الفاقة وتمولت بعد الجهد والمخمصه فحسن فى عيونها من الإسلام ما كان سمجا وثبت فى قلوب كثير منها من الدين ما كان مضطربا وقالت لو لا أنه حق لما كان كذا ثم نسبت تلك الفتوح إلى آراء ولاتها وحسن تدبير الأمراء القائمين بها فتأكد عند الناس نباهة قوم وخمول آخرين فكاننا نحن ممن حمل ذكره وخبت ناره وانقطع صوته وصيته حتى أكل الدهر علينا وشرب ومضت السنون والأحقاب بما فيها ومات كثير ممن يعرف ونشأ كثير ممن لا يعرف و ماعسى أن يكون الولد لو كان إن رسول الله ص لم يقربنى بما تعلمونه من القرب للنسب واللحمه بل للجهد والنصيحة أفتراه لو كان له ولد هل كان يفعل ما فعلت وكذاك لم يكن يقرب ما قربت ثم لم يكن عند قريش والعرب سببا للحظوة والمنزلة بل للحرمان والجفوة اللهم إنك تعلم أنى لم أرد الإمرة ولا علو الملك والرئاسة وإنما أردت القيام بحدودك والأداء لشرعك ووضع الأمور فى مواضعها وتوفير الحقوق على أهلها والمضى على منهاج نبيك وإرشاد الضال إلى أنوار هدايتك -رواية- ١- ٩٩- ٤١٥- البر ما سكنت إليه نفسك واطمأن إليه قلبك والإثم ما جال فى نفسك وتردد فى صدرك -رواية- ١- ٨٧- ٤١٦- الزكاه نقص فى الصورة وزيادة فى المعنى -رواية- ١- ٤٥-

٤١٧- ليس الصوم الإمساك عن المأكل والمشرب الصوم الإمساك عن كل ما يكرهه الله سبحانه -رواية-١-٩٢ [صفحة ٣٠٠]

٤١٨- إذا كان الراعي ذئبا فالشاة من يحفظها -رواية-١-٤٤ ٤١٩- كل شىء يعصيك إذا أغضبتك إلا الدنيا فإنها تطيعك إذا أغضبتك -رواية-١-٦٥ ٤٢٠- رب مغبوط بنعمة هي داؤه ومرحوم من سقم هوشفاؤه -رواية-١-٥٦ ٤٢١- إذا أراد الله أن يسלט على عبدعدوا لا يرحمه سلط عليه حاسدا -رواية-١-٦٥ ٤٢٢- شرب الدواء للجسد كالصابون للثوب ينقيه ولكن يخلقه -رواية-١-٦٠ ٤٢٣- الحسد خلق دنئ و من دناءته أنه موكل بالأقرب فالأقرب -رواية-١-٦٢ ٤٢٤- لو كان أحد مكتفيا من العلم لاكتفى نبي الله موسى و قد سمعتم قوله هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً -رواية-١-١٣١ ٤٢٥- أستغفر الله مما أملك وأستصلحه فيما لا أملك -رواية-١-٥٠ ٤٢٦- إذا قعدت و أنت صغير حيث تحب قعدت و أنت كبير حيث تكره -رواية-١-٦٤ ٤٢٧- الولد العاق كالإصبع الزائدة إن تركت شانت و إن قطعت آلمت -رواية-١-٦٧ ٤٢٨- خرج العز والغنى يجولان فلقيا القناعة فاستقرا -رواية-١-٥٣ ٤٢٩- الصديق نسيب الروح والأخ نسيب الجسم -رواية-١-٤٦ ٤٣٠- جزية المؤمن كراء منزله وعذابه سوء خلق زوجته -رواية-١-٥٤ ٤٣١- الوعد وجه والإنجاز محاسنه -رواية-١-٣٣ ٤٣٢- أنعم الناس عيشا من عاش فى عيشه غيره -رواية-١-٤٥ ٤٣٣- لا تشا من أحدا و لا تردن سائلا إما هو كريم تسد خلته أولئيم تشتري عرضك منه -رواية-١-٨٥ [صفحة ٣٠١] ٤٣٤- النمام سهم قاتل -رواية-١-٢٤ ٤٣٥- ثلاثة أشياء لا دوام لها المال فى يد المبذر وسحابة الصيف وغضب العاشق -رواية-١-٧٧ ٤٣٦- الزاهد فى الدينار والدرهم أعز من الدينار والدرهم -رواية-١-٥٦ ٤٣٧- رب حرب أحييت بلفظة ورب ود غرس بلحظة -رواية-١-٤٦ ٤٣٨- إذا تزوج الرجل فقد ركب البحر فإن ولد له فقد كسر به -رواية-١-٥٩ ٤٣٩- صلاح كل ذى نعمة فى خلاف مافسد عليه -رواية-١-٤٤ ٤٤٠- أنعم الناس عيشة من تحلى بالعفاف ورضى بالكفاف وتجاوز ما يخاف إلى ما لا يخاف -رواية-١-٨٦ ٤٤١- التواضع نعمة لا يفظن لها الحاسد -رواية-١-٣٨ ٤٤٢- ينبغي للعاقل أن يمنع معروفه الجاهل واللئيم والسفيه أما الجاهل فلا يعرف المعروف و لا يشكر عليه و أما اللئيم فأرض سبخة لا تنبت و أما السفيه فيقول إنما أعطاني فرقا من لساني -رواية-١-١٨٧ ٤٤٣- خير العيش ما لا يطغيك و لا يلهيك -رواية-١-٣٩ ٤٤٤- ما ضرب الله العباد بسوط أوجع من الفقر -رواية-١-٤٥ ٤٤٥- إذا أراد الله أن يزيل عن عبد نعمة كان أول ما يغير منه عقله -رواية-١-٦٧ ٤٤٦- خير الدنيا والآخرة فى خصلتين الغنى والتقى وشر الدنيا والآخرة فى خصلتين الفقر والفجور -رواية-١-٩٤ ٤٤٧- ثمانية إذا أهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم الآتى طعاما لم يدع إليه -رواية-١-١٩٨ ٤٤٨- أنفس الأعلاق عقل قرن إليه حظ -رواية-١-٣٨ ٤٤٩- اللطافة فى الحاجة أجدى من الوسيلة -رواية-١-٤٠ ٤٥٠- احتمال نخوة الشرف أشد من احتمال بطر الغنى وذلة الفقر مانعة من الصبر كما أن عز الغنى مانع من كرم الإنصاف إلا لمن كان فى غريزته فضل قوة وأعراق تنازعه إلى بعد الهمة -رواية-١-١٨٠ ٤٥١- أبعد الناس سفرا من كان فى طلب صديق يرضاه -رواية-١-٥١ ٤٥٢- استشارة الأعداء من باب الخذلان -رواية-١-٣٨ ٤٥٣- الجاهل يعرف بست خصال الغضب من غير شىء والكلام فى غير نفع والعطية فى غير موضعها وألا يعرف صديقه من عدوه وإفشاء السر والثقة بكل أحد -رواية-١-١٤٧ ٤٥٤- سوء العادة كمين لا يؤمن -رواية-١-٣٠ ٤٥٥- العادة طبيعة ثانية غالبية -رواية-١-٣٠ ٤٥٦- التجنى وافد القطيعة -رواية-١-٢٦ ٤٥٧- صديقك من نهاك وعدوك من أغراك -رواية-١-٣٨ ٤٥٨- ياعجبا من غفلة الحساد عن سلامة الأجساد -رواية-١-٤٥ ٤٥٩- من سعادة المرء أن يطول عمره ويرى فى أعدائه ما يسره -رواية-١-٦١ ٤٦٠- الضغائن تورث كمتورث الأموال -رواية-١-٣٨ [صفحة ٣٠٣] ٤٦١- رب عزيز أذله خرقه وذليل أعزه خلقه -رواية-١-٤٥ ٤٦٢- لا يصلح اللئيم لأحد و لا يستقيم إلا من فرق أو حاجة فإذا استغنى أو ذهب خوفه عاد

إليه جوهره -رواية- ١- ٩٩ ٤٦٣-ثلاثة في المجلس وليسوا فيه الحاقن والضيق الخف والسيئ الظن بأهله -رواية- ١- ٧٦ ٤٦٤-
وسئل ما بقى الأشياء في نفوس الناس فقال أما في أنفس العلماء فالندامة على الذنوب و أما في نفوس السفهاء فالحقد -رواية-
١- ١٢٢ ٤٦٥- إذا انقضى ملك قوم خيخوا في آرائهم -رواية- ١- ٤٣ ٤٦٦- الضعيف المحترس من العدو القوي أقرب إلى
السلامة من القوى المغتر بالعدو الضعيف -رواية- ١- ٨٨ ٤٦٧- الحزن سوء استكانة والغضب لؤم قدرة -رواية- ١- ٤٢ ٤٦٨-
كل ما يؤكل يتن و كل ما يوهب يارج -رواية- ١- ٤٤ ٤٦٩- الطرش في الكرام والهوج في الطوال والكيس في القصار والنبل في
الربعة وحسن الخلق في الحول والكبر في العور والبهت في العميان والذكاء في الخرس -رواية- ١- ١٥٥ ٤٧٠- الأم الناس من
سعى بإنسان ضعيف إلى سلطان جائر -رواية- ١- ٥٦ ٤٧١- أعسر الحيل تصوير الباطل في صورة الحق عند العاقل المميز -
رواية- ١- ٦٣ ٤٧٢- الغدر ذل حاضر والغيبة لؤم باطن -رواية- ١- ٣٩ ٤٧٣- القلب الفارغ يبحث عن سوء واليد الفارغة تنازع
إلى الإثم -رواية- ١- ٦٧ ٤٧٤- لا كثير مع إسراف ولا قليل مع احتراف ولا ذنب مع اعتراف -رواية- ١- ٦٤ [صفحة ٣٠٤]
٤٧٥- المتعبد على غير فقه كحمار الرحي يدور ولا يبرح -رواية- ١- ٥٤ ٤٧٦- المحروم من طال نصبه و كان غير مكسبه -
رواية- ١- ٤٨ ٤٧٧- في الاعتبار غنى عن الاختبار -رواية- ١- ٣٥ ٤٧٨- غيظ البخيل على الجواد أعجب من بخله -رواية- ١-
٤٣ ٤٧٩- أذل الناس معتر إلى اللئيم -رواية- ١- ٣٤ ٤٨٠- أشجع الناس أثبتهم عقلا في بدهة الخوف -رواية- ١- ٤٦ ٤٨١-
المعتذر منتصر والمعاتب مغاضب -رواية- ١- ٣٦ ٤٨٢- المروءة بلا مال كالأسد الذي يهاب و لم يفترس و كالسيف الذي
يخاف و هو مغمد والمال بلا مروءة كالكلب الذي يجتنب عقرا و لم يعقر -رواية- ١- ١٣٤ ٤٨٣- عليكم بالأدب فإن كنتم ملوكا
برزتم و إن كنتم وسطا فقمتم و إن أعوزتكم المعيشة عشم بأدبكم -رواية- ١- ١٠١ ٤٨٤- الملوك حكام على الناس والعلماء
حكام على الملوك -رواية- ١- ٥٨ ٤٨٥- لا ينبغي للعاقل أن يكون إلا في إحدى منزلتين أما في الغاية القصوى من مطالب
الدنيا و أما في الغاية القصوى من الترك لها -رواية- ١- ١٣٢ ٤٨٦- من أفضل أعمال البر الجود في العسر والصدق في الغضب
والعفو عند القدرة -رواية- ١- ٧٧ ٤٨٧- إن الله أنعم على العباد بقدر قدرته و كلفهم من الشكر بقدر قدرتهم -رواية- ١- ٧٤
٤٨٨- العيش في ثلاث صديق لا يعد عليك في أيام صداقتك ما يرضى به أيام عداوتك و زوجته تسرك إذا دخلت عليها و تحفظ
غيبك إذا غبت عنها و غلام يأتي على ما في نفسك كأنه قد علم ما تريد -رواية- ١- ١٨٣ [صفحة ٣٠٥] ٤٨٩- تحتاج القربة إلى
مودة و لا تحتاج المودة إلى قربة -رواية- ١- ٥٧ ٤٩٠- الصابر على مخالطة الأشرار و صحبتهم كراكب البحر إن سلم بدينه من
التلف لم يسلم بقلبه من الحذر -رواية- ١- ١٠٣ ٤٩١- لأخيك عليك إذا حزبه أمر أن تشير عليه بالرأى ما أطاعك و تبذل له
النصر إذا عصاك -رواية- ١- ٨٦ ٤٩٢- الغيبة ربيع اللئام -رواية- ١- ٢٦ ٤٩٣- أطول الناس نصبا الحريص إذا طمع و الحقود
إذا منع -رواية- ١- ٥٤ ٤٩٤- الشريف دون حقه يقتل و يعطى نافلة فوق الحق عليه -رواية- ١- ٥٩ ٤٩٥- جعل عمر كنفقة
دفعت إليك فكما لا تحب أن يذهب ماتنفق ضياعا فلا تذهب عمر كضياعا -رواية- ١- ٩١ ٤٩٦- من أظهر شكر كفيما لم
تأت إليه فاحذر أن يكفر كفيما أسديت إليه -رواية- ١- ٧٢ ٤٩٧- لا تستعن في حاجتك بمن هو للمطلوب إليه أنصح منه لك
-رواية- ١- ٦١ ٤٩٨- لا يؤمنك من شر جاهل قربة و لا جوار فإن أخوف ما تكون لحريق النار أقرب ما تكون إليها -رواية- ١-
٩٤ ٤٩٩- كن في الحرص على تفقد عيوبك كعدوك -رواية- ١- ٤٢ ٥٠٠- عليك بسوء الظن فإن أصاب فالحزم و إلا فالسلامة
-رواية- ١- ٥٤ ٥٠١- رضا الناس غاية لا تدرك فتحر الخير بجهدك و لا تبال بسخط من يرضيه الباطل -رواية- ١- ٧٩ [صفحة
٣٠٦] ٥٠٢- لا تماكس في البيع والشراء فما يضيع من عرضك أكثر مما تنال من عرضك -رواية- ١- ٧٦ ٥٠٣- الدين رق
فلا تبذل رقبك لمن لا يعرف حقك -رواية- ١- ٤٨ ٥٠٤- احذر كل الحذر أن يخدعك الشيطان فيمثل لك التواني في صورة
التوكل و يورثك الهوينى بالإحالة على القدر فإن الله أمر بالتوكل عند انقطاع الحيل و بالتسليم للقضاء بعد الإعذار فقال خذوا

٥٤٤- لاتصحب من تحتاج إلى أن تكتمه ما يعرف الله منك -رواية-١-٥٧ ٥٧٥- لاتسأل غير الله فإنه إن أعطاك أغناك -
رواية-١-٤٦ ٥٤٦-الصاحب كالرقعة في الثوب فاتخذها مشاكلا -رواية-١-٤٦ ٥٤٧-إياك وكثرة الإخوان فإنه لا يؤذيك إلا
من يعرفك -رواية-١-٥٥ ٥٤٨-دع اليمين لله إجلالا- وللناس إجمالا -رواية-١-٤٤ ٥٤٩-العادات قاهرات فمن اعتاد شيئا في
سره فضحه في علانيته -رواية-١-٦٤ ٥٥٠- إذا كان لك صديق و لم تحمد إخاءه ومودته فلا تظهر ذلك للناس فإنما هو بمنزلة
السيف الكليل في منزل الرجل يهرب به عدوه و لا يعلم العدو أصارم هوأم كليل -رواية-١-١٦٣ [صفحة ٣١٠] ٥٥١-دع
الذنوب قبل أن تدعك -رواية-١-٣١ ٥٥٢- إذا نزل بك مكروه فانظر فإن كان لك حيلة فلا تعجز و إن لم يكن فيه حيلة
فلا تجزع -رواية-١-٨٩ ٥٥٣-تعلموا العلم فإنه زين للغنى و عون للفقير و لست أقول إنه يطلب به و لكن يدعوه إلى القناعة -
رواية-١-١٠٢ ٥٥٤-لاترضين قول أحد حتى ترضى فعله و لاترض فعله حتى ترضى عقله و لاترض عقله حتى ترضى حياءه
فإن الإنسان مطبوع على كرم و لؤم فإن قوى الحياء عنده قوى الكرم و إن ضعف الحياء قوى اللؤم -رواية-١-٢٠١ ٥٥٥-تعلموا
العلم و إن لم تنالوا به حظا فلائن يذم الزمان لكم أحسن من أن يذم بكم -رواية-١-٨٩ ٥٥٦-اجعل سررك إلى واحد
و مشورتك إلى ألف -رواية-١-٤٣ ٥٥٧- إن الله خلق النساء من عى و عورة فداواوا عيهن بالسكوت و استروا العورة بالبيوت -
رواية-١-٨٦ ٥٥٨- لاتعدن عدة لا تثق من نفسك بإنجازها و لا يغرنك المرتقى السهل إذا كان المنحدر و عرا و اعلم أن
للأعمال جزاء فاتق العواقب و أن للأموار بغتات فكن على حذر -رواية-١-١٦٢ ٥٥٩-لاتجاهد الطلب جهاد المغالب و لاتتكل
على القدر اتكال المستسلم فإن ابتغاء الفضل من السنة و الإجمال فى الطلب من العفة و ليست العفة برافعة رزقا و لا الحرص
بجالب فضلا -رواية-١-١٧٦ ٥٦٠- من لم تستقم له نفسه فلا يلومن من لم يستقم له -رواية-١-٥٧ [صفحة ٣١١] ٥٦١- من
رجى الرزق لديه صرفت أعناق الرجال إليه -رواية-١-٥٤ ٥٦٢- من انتجعك مؤملا فقد أسلفك حسن الظن -رواية-١-٤٥
٥٦٣- إذا شئت أن تطاع فاسأل ما استطاع -رواية-١-٤٠ ٥٦٤- من أعذر كمن أنجح -رواية-١-٢٥ ٥٦٥- من كانت الدنيا همه
كثر فى القيامة غمه -رواية-١-٤٧ ٥٦٦- من أجمل فى الطلب أتاه رزقه من حيث لا يحتسب -رواية-١-٥٤ ٥٦٧- من ركب
العجلة لم يأمن الكبوة -رواية-١-٣٧ ٥٦٨- من لم يثق لم يوثق به -رواية-١-٣١ ٥٦٩- من أفاده الدهر أفاد منه -رواية-١-
٣٢ ٥٧٠- من أكثر ذكر الضغائن اكتسب العداوة -رواية-١-٤٢ ٥٧١- من لم يحمد صاحبه على حسن النية لم يحمده على
حسن الصنعة -رواية-١-٦٧ ٥٧٢- تأمل ماتحدث به فإنما تملى على كاتبيك صحيفة يوصلانها إلى ربك فانظر على من
تملى و إلى من تكتب -رواية-١-١٠٧ ٥٧٣- أقم الرغبة إليك مقام الحرمة بك و عظم نفسك عن التعظم و تطول و لاتتطاول -
رواية-١-٨٢ ٥٧٤- عاملوا الأحرار بالكرامة المحضة و الأوساط بالرغبة و الرهبة و السفلة بالهوان -رواية-١-٧٨ ٥٧٥- كن للعدو
المكاتم أشد حذرا منك للعدو المبارز -رواية-١-٥٢ ٥٧٦- احفظ شيئك ممن تستحى أن تسأله عن مثل ذلك الشئ إذا ضاع
لك -رواية-١-٧٠ [صفحة ٣١٢] ٥٧٧- إذا كنت فى مجلس و لم تكن المحدث و لا المحدث فقم -رواية-١-٥٨ ٥٧٨-
لاتستصغرن حدثا من قريش و لاصغيرا من الكتاب و لاصعلوكا من الفرسان و لاتصادقن ذميا و لا خصيا و لا مؤنثا فلا ثبات
لموداتهم -رواية-١-١٣٠ ٥٧٩- لاتدخل فى مشورتك بخيلا فيقصر بفعلك و لاجبانا فيخوفك ما لاتخاف و لا حريصا فيعدك
ما لا يبرجى فإن الجبن و البخل و الحرص طبيعة واحدة يجمعها سوء الظن بالله تعالى -رواية-١-١٧١ ٥٨٠- لا تكن ممن تغلبه
نفسه على ما يظن و لا يغلبها على ما يستيقن -رواية-١-٦٩ ٥٨١- أعص هواك و النساء و افعل ما بدا لك -رواية-١-٤١ ٥٨٢-
ما كنت كاتمه من عدوك فلا تظهر عليه صديقك -رواية-١-٤٩ ٥٨٣- كل من الطعام ماتشتهى و البس من الثياب ما يشتهى
الناس -رواية-١-٦٤ ٥٨٤- و لتكن دارك أول ما يبتاع و آخر ما يبيع -رواية-١-٤٦ ٥٨٥- من كان فى يده شئ من رزق الله
سبحانه فليصلحه فإنكم فى زمان إذا احتاج المرء فيه إلى الناس كان أول ما يبذله لهم دينه -رواية-١-١٣٥ ٥٨٦- ابذل لصديقك

مالك ولمعرفتك رفدك ومحضرك وللعامه بشرك وتحننك ولعدوك عدلك وإنصافك واضنن بدينك وعرضك عن كل أحد -رواية- ١- ١٢٦ ٥٨٧-جالس العقلاء أعداء كانوا أوأصدقاء فإن العقل يقع على العقل -رواية- ١- ٦٧ ٥٨٨-كن في الحرب بحيلتك أوثق منك بشدتك وبحدرك أفرح منك بنجذتك فإن الحرب حرب المتهور وغنيمة المتحذر -رواية- ١- ١١١ ٥٨٩-النعم وحشية فقيدها بالمعروف -رواية- ١- ٣٦ [صفحة ٣١٣] ٥٩٠- إذا أخطأتك الصنعة إلى من يتقى الله فاصنعها إلى من يتقى العار -رواية- ١- ٧٢ ٥٩١- لا تشتغل بالرزق المضمون عن العمل المفروض -رواية- ١- ٥١ ٥٩٢- إذا أكرمك الناس لمال أو سلطان فلا يعجبك ذلك فإن زوال الكرامة بزوالهما ولكن ليعجبك إن أكرمك الناس لدين أو أدب -رواية- ١- ١٢٣ ٥٩٣- ينبغي لمن لم يكرم وجهه عن مسألتك أن تكرم وجهك عن رده -رواية- ١- ٦٦ ٥٩٤- إياك ومشاورة النساء فإن رأيهن إلى أفن وعزمهن إلى وهن واكفف من أبصارهن بحجابك إياهن فإن شدة الحجاب خير لك من الارتياب وليس خروجهن بأشد عليك من دخول من لا تثق به عليهن وإن استطعت ألا- يعرفن غيرك فافعل ولا تمكن امرأة من الأمر ما جاوز نفسها فإن ذلك أنعم لبالها وأرخص لحالها وإنما المرأة ريحانة وليست بقهرمانه فلاتعد بكرامتها نفسها ولا تعطها أن تشفع لغيرها ولا تطل الخلوة معهن فيملنك وتملن واستبق من نفسك بقية فإن إمساكك عنهن وهن يردنك ذلك باقتدار خير من أن يهجمن منك على انكسار وإياك والتغاير في غير موضع الغيرة فإن ذلك يدعو الصحيحة منهن إلى السقم -رواية- ١- ٥٩٥ ٥٩٥- إذا أردت أن تختم على كتاب فأعد النظر فيه فإنما تختم على عقلك -رواية- ١- ٧١ ٥٩٦- إن يوما أسكر الكبار وشيب الصغار لشديد -رواية- ١- ٤٥ ٥٩٧- كم من مبرد له الماء والحميم يغلى له -رواية- ١- ٤٥ ٥٩٨- الصلاة صابون الخطايا -رواية- ١- ٢٧ ٥٩٩- إن امرأة عرف حقيقة الأمر وزهد فيه لأحمق وإن امرأة جهل حقيقة الأمر مع وضوحه لجاهل -رواية- ١- ٩١ [صفحة ٣١٤] ٦٠٠- إذا قال أحدكم والله فلينظر ما يضيف إليها -رواية- ١- ٤٩ ٦٠١- رأيك لا يتسع لكل شيء ففرغه للمهم من أمورك ومالك لا يغني الناس كلهم فاخصص به أهل الحق وكرامتك لا تطبق بذلها في العامة فتوخ بها أهل الفضل وليك ونهارك لا يستوعبان حوائجك فأحسن القسمة بين عملك ودعتك -رواية- ١- ٢١٩ ٦٠٢- أحي المعروف بإماتته -رواية- ١- ٢٨ ٦٠٣- اصحبوا من يذكر إحسانكم إليه وينسى أياديه عندكم -رواية- ١- ٥٧ ٦٠٤- جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم -رواية- ١- ٤٢ ٦٠٥- إذا رغبت في المكارم فاجتنب المحارم -رواية- ١- ٤٤ ٦٠٦- لا تثقن كل الثقة بأخيك فإن سرعة الاسترسال لا تقال -رواية- ١- ٥٨ ٦٠٧- انتقم من الحرص بالقناعة كما تنتقم من العدو بالقصاص -رواية- ١- ٥٩ ٦٠٨- إذا قصرت يدك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر -رواية- ١- ٥٣ ٦٠٩- من لم ينشط لحديثك فارفع عنه مؤنة الاستماع منك -رواية- ١- ٥٧ ٦١٠- الزمان ذو ألوان ومن يصحب الزمان ير الهوان -رواية- ١- ٥٣ ٦١١- لا تزهدن في معروف فإن الدهر ذو صروف كم من راغب أصبح مرغوبا إليه ومتبوع أمسى تابعا -رواية- ١- ٩٦ ٦١٢- إن غلبت يوما على المال فلا تغلبن على الحيلة على كل حال -رواية- ١- ٦٥ ٦١٣- كن أحسن ما تكون في الظاهر حالا- أقل ما تكون في الباطن مالا -رواية- ١- ٦٧ ٦١٤- لا تكونن المحدث من لا يسمع منه والداخل في سر اثنين لم يدخلاه -رواية- ١- ١- ١- ادامه دارد [صفحة ٣١٥] فيه ولا الآتي وليمة لم يدع إليها ولا الجالس في مجلس لا يستحقه ولا طالب الفضل من أيدي اللثام ولا المتحمق في الدالة ولا المتعرض للخير من عند العدو -رواية- ١- ١٥٩ ٦١٥- اطبع الطين مادام رطبا واغرس العود مادام لدنا -رواية- ١- ٥٥ ٦١٦- خف الله حتى كأنك لم تطعه وارج الله حتى كأنك لم تعصه -رواية- ١- ٦٥ ٦١٧- لا تبلغ في سلامك على الإخوان حد النفاق ولا تقصرهم عن درجة الاستحقاق -رواية- ١- ٧٩ ٦١٨- انصح لكل مستشير ولا تستشير إلا الناصح اللبيب -رواية- ١- ٥٣ ٦١٩- ما أقبح بك أن ينادى غدا يا أهل خطيئة كذا فتقوم معهم ثم ينادى ثانيا يا أهل خطيئة كذا فتقوم معهم ما أراك يامسكين إلا تقوم مع أهل كل خطيئة -رواية- ١- ١٥٢ ٦٢٠- ما أصاب أحد ذنبا ليلا إلا أصبح وعليه مذلة -رواية- ١- ٥١ ٦٢١- الاستغفار يحث الذنوب حت

الورق ثم تلا- قوله تعالى وَ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً -رواية- ١- ١٥٣ ٦٢٢-أيها المستكثر من الذنوب إن أباك أخرج من الجنة بذنب واحد -رواية- ١- ٦٥ ٦٢٣- إذا عصى الرب من يعرفه سلط عليه من لا يعرفه -رواية- ١- ٥٣ ٦٢٤- لقاء أهل الخير عمارة القلوب -رواية- ١- ٣٤ ٦٢٥- أنا من رسول الله ص كالعضد من المنكب وكالذراع -رواية- ١- ١- ١- ٣١٦ [صفحة ٣١٦] من العضد وكالكف من الذراع رباني صغيراً و آخاني كبيراً ولقد علمتم أني كان لي منه مجلس سر لا يطلع عليه غيري و أنه أوصى إلى دون أصحابه و أهل بيته ولأقولن ما لم أقله لأحد قبل هذا اليوم سألته مرة أن يدعو لي بالمغفرة فقال أفعل ثم قام فصلى فلما رفع يده للدعاء استمعت عليه فإذا هو قائلاً اللهم بحق علي عندك اغفر لعلني فقلت يا رسول الله ما هذا فقال أواحد أكرم منك عليه فاستشفع به إليه -رواية- ١- ١١١ ٦٢٦- و الله ما قلت باب خير ودكدكت حصن يهود بقوة جسمانية بل بقوة إلهية -رواية- ١- ٧٧ ٦٢٧- يا ابن عوف كيف رأيت صنيعك مع عثمان رب واثق خجل و من لم يتوخ بعمله وجه الله عاد مادحه من الناس له ذاما -رواية- ١- ١٢٣ ٦٢٨- لورأيت ما في ميزانك لختمت علي لسانك -رواية- ١- ٤٦ ٦٢٩- ليس الحلم ما كان حال الرضا بل الحلم ما كان حال الغضب -رواية- ١- ٦٥ ٦٣٠- ليس شيء أقطع لظهر إبليس من قول لا إله إلا الله كلمة التقوى -رواية- ١- ٦٩ ٦٣١- لا تحملوا ذنوبكم وخطاياكم على الله وتذروا أنفسكم والشيطان -رواية- ١- ٦٩ ٦٣٢- إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة من الدجال أئمة مضلون وهم رؤساء أهل البدع -رواية- ١- ٨٣ ٦٣٣- إذا زلت فارجع و إذا ندمت فاقنع و إذا أسأت فاندم و إذا مننت فاكتم و إذا منعت فأجمل و من يسلف المعروف يكن ربحه الحمد -رواية- ١- ١٣١ [صفحة ٣١٧] ٦٣٤- استشر عدوك تجربة لتعلم مقدار عداوته -رواية- ١- ٤٤ ٦٣٥- لا تطلبن من نفسك العام ما وعدتكم عاما أول -رواية- ١- ٥٠ ٦٣٦- أطول الناس عمرا من كثر علمه فتأدب به من بعده أو كثر معرفته فشر به عقبه -رواية- ١- ٨٤ ٦٣٧- استهينوا بالموت فإن مرارته في خوفه -رواية- ١- ٤٣ ٦٣٨- لا دين لمن لا نية له و لا مال لمن لا تدبير له و لا عيش لمن لا رفق له -رواية- ١- ٧٩ ٦٣٩- من اشتغل بتفقد اللفظة و طلب السجعة نسي الحجّة -رواية- ١- ٥٣ ٦٤٠- الدنيا مطية المؤمن عليها يرتحل إلى ربه فأصلحوا مطاياكم تبلغكم إلى ربكم -رواية- ١- ٨٢ ٦٤١- من رأى أنه مسيء فهو محسن و من رأى أنه محسن فهو مسيء -رواية- ١- ٦٤ ٦٤٢- سيئه تسوءك خير من حسنه تعجبك -رواية- ١- ٣٦ ٦٤٣- اطلبوا الحاجات بعزة الأنفس فإن بيد الله قضاءها -رواية- ١- ٥٤ ٦٤٤- عذب حسادك بالإحسان إليهم -رواية- ١- ٣٤ ٦٤٥- إظهار الفاقة من خمول الهمة -رواية- ١- ٣٣ ٦٤٦- يا عالم قد قام عليك حجة العلم فاستيقظ من رقدتك -رواية- ١- ٥٦ ٦٤٧- الرفق يفل حد المخالفة -رواية- ١- ٢٩ ٦٤٨- أرجح الناس عقلا و أكملهم فضلا من صحب أيامه بالموادعة و إخوانه بالمسالمة و قبل من الزمان عفوه -رواية- ١- ١٠٣ [صفحة ٣١٨] ٦٤٩- الوجوه إذا كثر تقابلها اعتصر بعضها ماء بعض -رواية- ١- ٤٩ ٦٥٠- أداء الأمانة مفتاح الرزق -رواية- ١- ٣٢ ٦٥١- حصن علمك من العجب و وقارك من الكبر و عطاءك من السرف و صرامتك من العجلة و عقوبتك من الإفراط و عفوك من تعطيل الحدود و صمتك من العي و استماعك من سوء الفهم و استئناسك من البذاء و خلواتك من الإضاعة و غراماتك من اللجاجة و روغانك من الاستسلام و حذراتك من الجبن -رواية- ١- ٢٦٨ ٦٥٢- لا تجد للموتور المحقود أمانا من أذاه أو ثق من البعد عنه و الا احتراس منه -رواية- ١- ٧٩ ٦٥٣- احذر من أصحابك و مخالطيك الكثير المسألة الخشن البحث اللطيف الاستدراج الذي يحفظ أول كلامك على آخره و يعتبر ما أخرت بما قدمت و لا تظهرن له المخافة فيرى أنك قد تحررت و تحفظت و اعلم أن من يقظة الفطنة إظهار الغفلة مع شدة الحذر فخالط هذا مخالطة الآمن و تحفظ منه تحفظ الخائف فإن البحث يظهر الخفي و يبدي المستور الكامن -رواية- ١- ٣٣٠ ٦٥٤- من سره الغنى بلا سلطان و الكثرة بلا عشيرة فليخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعته فإنه واجد ذلك كله -رواية- ١- ١١١ ٦٥٥- الشيب إعدار الموت -رواية- ١- ٢٥ ٦٥٦- من ساس نفسه بالصبر على جهل الناس صلح أن يكون سائسا -رواية- ١- ٦٢ ٦٥٧- لله

تعالى كل لحظة ثلاثة عساكر فعسكر ينزل من الأصلاب إلى الأرحام وعسكر ينزل من الأرحام إلى الأرض وعسكر يرتحل من الدنيا إلى الآخرة -رواية- ١-١٤٤ [صفحة ٣١٩] ٦٥٨- اللهم ارحمني رحمة الغفران إن لم ترحمني رحمة الرضا -رواية- ١-٦٠ ٦٥٩- إلهي كيف لا يحسن مني الظن وقد حسن منك المن إلهي إن عاملتنا بعدلك لم يبق لنا حسنة وإن أنلتنا فضلك لم يبق لنا سيئة -رواية- ١-١٣١ ٦٦٠- العلم سلطان من وجده صال به و من لم يجده صيل عليه -رواية- ١-٦٣ ٦٦١- يا ابن آدم إنما أنت أيام مجموعة فإذا مضى يوم مضى بعضك -رواية- ١-٦٤ ٦٦٢- حيث تكون الحكمة تكون خشية الله وحيث تكون خشيته تكون رحمته -رواية- ١-٧٢ ٦٦٣- اللهم إني أرى لدى من فضلك ما لم أسألك فعلمت أن لديك من الرحمة ما لا أعلم فصغرت قيمة مطلبى فيما عاينت وقصرت غاية أملى عند مارجوت فإن ألحفت في سؤالي فلفاقتي إلى ما عندك و إن قصرت في دعائي فيما عودت من ابتدائك -رواية- ١-٢٣٤ ٦٦٤- من كان همته ما يدخل جوفه كانت قيمته ما يخرج منه -رواية- ١-٦٠ ٦٦٥- يقول الله تعالى يا ابن آدم لم أخلقك لأربح عليك إنما خلقتك لتربح علي فاتخذني بدلا من كل شيء فإني ناصر لك من كل شيء -رواية- ١-١٣٥ ٦٦٦- الرجاء للخالق سبحانه أقوى من الخوف لأنك تخافه لذنبك وترجوه لجوده فالخوف لك والرجاء له -رواية- ١-١٠٣ ٦٦٧- أسألك بعزة الوجدانية وكرم الإلهية ألا تقطع عني برك بعدماتي كما لم تنزل تراني أيام حياتي أنت الذي تجيب من دعاك ولا تخيب من رجاك ضل من يدعو إلا إياك فإنك لا تحجب من أتكافئ وتفضل علي من -رواية- ١-ادامه دارد [صفحة ٣٢٠] عصاك ولا يفوتك من ناواك ولا يعجزك من عاداتك كل في قدرتك و كل يأكل رزقك -رواية- از قبل -١- ٨١ ٦٦٨- لا تطلبن إلى أحد حاجة ليلا- فإن الحياء في العينين -رواية- ١-٥٦ ٦٦٩- من ازداد علما فليحذر من توكيد الحجة عليه -رواية- ١-٤٨ ٦٧٠- العاقل ينافس الصالحين ليلحق بهم ويحبهم ليشاركهم بمحبته و إن قصر عن مثل عملهم والجاهل يذم الدنيا ولا يسخو بإخراج ألقها يمدح الجود ويخل بالبدل يتمنى التوبة بطول الأمل ولا يعجلها لخوف حلول الأجل يرجو ثواب عمل لم يعمل به ويفر من الناس ليطلب ويخفي شخصه ليشتهر ويذم نفسه ليمدح وينهى عن مدحه و هو يحب ألا ينتهي من الثناء عليه -رواية- ١-٣٦٢ ٦٧١- الأنايس بالعلم من نبل الهمة -رواية- ١-٣٤ ٦٧٢- اللهم كما صنعت وجهي عن السجود لغيرك فصن وجهي عن مسألة غيرك -رواية- ١-٧٠ ٦٧٣- من الناس من ينقصك إذا ذدته ويهون عليك إذا خاصصته ليس لرضاه موضع تعرفه و لا لسخطه مكان تحذره فإذا القيت أولئك فابدل لهم موضع المودة العامة واحرمهم موضع الخاصة ليكون ما بدلت لهم من ذلك حائلا دون شرهم و ما حرمتهم من هذا قاطعا لحرمتهم -رواية- ١-٢٥٨ ٦٧٤- من شبع عوقب في الحال ثلاث عقوبات يلقى الغطاء على قلبه والنعاس على عينه والكسل على بدنه -رواية- ١-١٠٤ ٦٧٥- ذم العقلاء أشد من عقوبة السلطان -رواية- ١-٣٩ ٦٧٦- يقطع البليغ عن المسألة أمران ذل الطلب وخوف الرد -رواية- ١-٥٩ ٦٧٧- المؤمن محدث -رواية- ١-١٩ [صفحة ٣٢١] ٦٧٨- قل أن ينطق لسان الدعوى إلا- ويخرسه كعام الامتحان -رواية- ١-٦٠ ٦٧٩- انظر ما عندك فلا تضعه إلا في حقه و ما عند غيرك فلا تأخذه إلا بحقه -رواية- ١-٧٢ ٦٨٠- إذا صفاك عدوك رياء منه فتلق ذلك بأوكد مودة فإنه إن ألف ذلك واعتاده خلصت لك مودته -رواية- ١-٩٦ ٦٨١- لا تألف المسألة فيألفك المنع -رواية- ١-٣٧ ٦٨٢- لا تسأل الحوائج غير أهلها و لا تسألها في غير حينها و لا تسأل مالست له مستحقا فتكون للحرمان مستوجبا -رواية- ١-١٠٧ ٦٨٣- إذا غشك صديقك فاجعله مع عدوك -رواية- ١-٣٨ ٦٨٤- لا تعدن من إخوانك من آخاك في أيام مقدرتك للمقدرة واعلم أنه ينتقل عنك في أحوال ثلاث يكون صديقا يوم حاجته إليك ومعرضا يوم غناه عنك وعدوا يوم حاجتك إليه -رواية- ١-١٧١ ٦٨٥- لا تسرن بكثرة الإخوان ما لم يكونوا أحيارا فإن الإخوان بمنزلة النار التي قليلها متاع وكثيرها بوار -رواية- ١-١٠٧ ٦٨٦- كفاك خيانه أن تكون أمينا للخونه -رواية- ١-٣٩ ٦٨٧- لا تحقرن شيئا من الخير و إن صغر فإنك إذا رأيتته سر ك مكانه و لا تحقرن شيئا من الشر و إن صغر فإنك إذا رأيتته ساء ك مكانه -رواية- ١-١٢٨

٦٨٨- يا ابن آدم ليس بك غناء عن نصيبك من الدنيا و أنت إلى نصيبك من الآخرة أفقر -رواية-١-٨٤ [صفحة ٣٢٢] ٦٨٩-
معصية العالم إذا خفيت لم تضر إلا صاحبها و إذا ظهرت ضرت صاحبها والعامه -رواية-١-٧٦ ٦٩٠- يجب على العاقل أن يكون
بما أحيا عقله من الحكمة أكلف منه بما أحيا جسمه من الغذاء -رواية-١-٩١ ٦٩١- أعسر العيوب صلاحا العجب واللجاجة -
رواية-١-٤٠ ٦٩٢- لكل نعمة مفتاح ومغلاق ومفتاحها الصبر ومغلاقها الكسل -رواية-١-٦١ ٦٩٣- الحزن والغضب أميران
تابعان لوقوع الأمر بخلاف ماتحب إلا أن المكروه إذا أتاك ممن فوقك نتج عليك حزنا و إن أتاك ممن دونك نتج عليك
غضبا -رواية-١-١٥٣ ٦٩٤- أول المعروف مستخف وآخره مستثقل تكاد أوائله تكون للهوى دون الرأى وأواخره للرأى دون
الهوى ولذلك قيل رب الصنعة أشد من الابتداء بها -رواية-١-١٥١ ٦٩٥- لا تدع الله أن يغنيك عن الناس فإن حاجات الناس
بعضهم إلى بعض متصله كاتصال الأعضاء فمتى يستغنى المرء عن يده أو رجله ولكن ادع الله أن يغنيك عن شرارهم -رواية-
١-١٦٩ ٦٩٦- احترس من ذكر العلم عند من لا يرغب فيه و من ذكر قديم الشرف عند من لا قديم له فإن ذلك مما يحقدهما
عليك -رواية-١-١١٦ ٦٩٧- ينبغي لذوى القربان أن يتزاورا و لا يتجاورا -رواية-١-٥٣ ٦٩٨- لا تواخ شاعرا فإنه يمدحك
بشمن ويهجوك مجانا -رواية-١-٥٣ ٦٩٩- لا تنزل حوائجك بجيد اللسان و لا بمتسرع إلى الضمان -رواية-١-٥٩ [صفحة
٣٢٣] ٧٠٠- كل شىء طلبته فى وقته فقد فات وقته -رواية-١-٤٤ ٧٠١- إذا شككت فى مودة إنسان فاسأل قلبك عنه -رواية-
١-٤٨ ٧٠٢- العقل لم يجن على صاحبه قط والعلم من غير عقل يجن على صاحبه -رواية-١-٧١ ٧٠٣- يا ابن آدم هل تنتظر
إلا هرما حائلا- أو مرضا شاغلا أو موتا نازلا -رواية-١-٦٨ ٧٠٤- ابنك يأكلك صغيرا ويرثك كبيرا وابتك تاكل من وعائك
وترث من أعدائك و ابن عمك عدوك وعدو عدوك وزوجتك إذا قلت لها قومى قامت -رواية-١-١٣٨ ٧٠٥- إذا ظفرت
فأكرموا الغلبة و عليكم بالتغافل فإنه فعل الكرام و إياكم والمن فإنه مهدمه للصنعة منبهه للضعينة -رواية-١-١١٧ ٧٠٦- من لم
يرج إلا ما يستوجه أدرك حاجته -رواية-١-٤٦ ٧٠٧- بلغ من خدع الناس أن جعلوا شكر الموتى تجارة عند الأحياء والثناء على
الغائب استماله للشاهد -رواية-١-٩٨ ٧٠٨- من احتاج إليك ثقل عليك و من لم يصلحه الخير أصلحه الشر و من لم يصلحه
الطالى أصلحه الكاوى -رواية-١-١٠٦ ٧٠٩- من أكثر من شىء عرف به و من زنى زنى به و من طلب عظيما خاطر بعظمته و
من أحب أن يصرم أخاه فليقرضه ثم ليتقاضه و من أحبك لشىء ملك عند انقضائه و من عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار -
رواية-١-٢٠٠ [صفحة ٣٢٤] ٧١٠- من بلغ السبعين اشتكى من غيرعله -رواية-١-٤١ ٧١١- فى المال ثلاث خصال مذمومة
إما أن يكتسب من غير حله أو يمنع إنفاقه فى حقه أو يشغل بإصلاحه عن عبادة الله تعالى -رواية-١-١٢٤ ٧١٢- يباعدك من
غضب الله ألا تغضب -رواية-١-٣٦ ٧١٣- لا تستبدلن بأخ لك قديم أخا مستفادا ما استقام لك فإنك إن فعلت فقد غيرت و إن
غيرت تغيرت نعم الله عليك -رواية-١-١١٥ ٧١٤- أشد من البلاء شماتة الأعداء -رواية-١-٣٣ ٧١٥- ليس يزنى فرجك إن
غضضت طرفك -رواية-١-٣٧ ٧١٦- كما ترك لكم الملوك الحكمة والعلم فاتركوا لهم الدنيا -رواية-١-٦٢ ٧١٧- الهدية
تفقأ عين الحكيم -رواية-١-٣٠ ٧١٨- ليكن أصدقاؤك كثيرا واجعل سررك منهم إلى واحد -رواية-١-٥٣ ٧١٩- ياعبيد
الدنيا كيف تخالف فروعكم أصولكم وعقولكم أهواءكم قولكم شفاء يبرئ الداء وعملكم داء لا يقبل الدواء ولستم كالكرمة
التي حسن ورقها وطاب ثمرها وسهل مرتقاها ولكنكم كالشجرة التي قل ورقها وكثر شوكتها وخبث ثمرها وصعب مرتقاها جعلتم
العلم تحت أقدامكم والدنيا فوق رؤوسكم فالعلم عندكم مذال ممتهن والدنيا لا استطاع تناولها فقد منعتم كل أحد من الوصول
إليها فلا- أحرار كرام أنتم و لا عبيد أتقياء ويحكمم يأجروا السوء أما الأجر فتأخذون و أما العمل فلا- تعملون إن عملتم فللعمل
تفسدون وسوف تلقون ما تفعلون يوشك رب العمل أن ينظر فى عمله الذى أفسدتم و فى أجره الذى أخذتم يا غرما السوء
تبدءون بالهدية قبل قضاء -رواية-١-ادامه دارد [صفحة ٣٢٥] الدين تتطوعون بالنوافل و لا- تؤدون الفرائض إن رب الدين

لا يرضى بالهدية حتى يقضى دينه -رواية- از قبل- ٩٥-٧٢٠-الدنيا مزرعة إبليس وأهلها أكره حراثون له فيها -رواية- ١-٥٤-٧٢١-وا عجباً ممن يعمل للدنيا و هو يرزق فيها بغير عمل و لا يعمل للآخرة و هو لا يرزق فيها إلا بالعمل -رواية- ١-١٠١-٧٢٢- لا تجالسوا إلا من يذكركم الله رؤيته ويزيد في عملكم منطلقه ويرغبكم في الآخرة عمله -رواية- ١-٩١-٧٢٣-كثرة الطعام تمت القلب كما تمت كثرة الماء الزرع -رواية- ١-٥٨-٧٢٤-ضرب الوالد الولد كالسماد للزرع -رواية- ١-٣٨-٧٢٥- إذا أردت أن تصادق رجلاً فأغضبه فإن أنصفك في غضبه و إلفده -رواية- ١-٦٩-٧٢٦- إذا أتيت مجلس قوم فارمهم بسهم الإسلام ثم اجلس يعني السلام فإن أفاضوا في ذكر الله فأجل سهمك مع سهامهم و إن أفاضوا في غيره فخلهم وانهمض -رواية- ١-١٥٣-٧٢٧-الأوطار تكسب الأوزار فافرض وطرك و اغضض بصرك -رواية- ١-٥٣-٧٢٨- إذا قعدت عند سلطان فليكن بينك وبينه مقعد رجل فلعله أن يأتيه من هو آثر عنده منك فيريد أن تتنحى عن مجلسك فيكون ذلك نقصاً عليك و شيناً -رواية- ١-١٤٦-٧٢٩- ارحم الفقراء لقله صبرهم والأغنياء لقله شكرهم و ارحم الجميع لطول غفلتهم -رواية- ١-٨٢- [صفحة ٣٢٦] ٧٣٠-العالم مصباح الله في الأرض فمن أراد الله به خيراً اقتبس منه -رواية- ١-٧٢-٧٣١- لا يهون عليك من قبح منظره ورث لباسه فإن الله تعالى ينظر إلى القلوب و يجازى بالأعمال -رواية- ١-١٠٠-٧٣٢- من كذب ذهب بماء وجهه و من ساء خلقه كثر غمه و نقل الصخور من مواضعها أهون من تفهيم من لا يفهم -رواية- ١-١٠٦-٧٣٣- كنت في أيام رسول الله ص كجزء من رسول الله ص ينظر إلى الناس كما ينظر إلى الكواكب في أفق السماء ثم غض الدهر منى فقرن بي فلان و فلان ثم قرنت بخمسة أمثالهم عثمان فقلت و ذفراه ثم لم يرض الدهر لي بذلك حتى أردلني فجعلني نظيراً لابن هند و ابن النابغة لقد استنت الفصال حتى القرعى -رواية- ١-٣٠٤-٧٣٤- أما و أذى فلق الحبة و برأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي إلى أن الأمة ستغدر بك من بعدى -رواية- ١-٩٦-٧٣٥- لامته فاطمة على قعوده و أطالت تعنيفه و هوساكت حتى أذن المؤذن فلما بلغ إلى قوله أشهد أن محمداً رسول الله قال لها أتحيين أن تزول هذه الدعوة من الدنيا قالت لا قال فهو ما أقول لك -رواية- ١-١٩٣-٧٣٦- قال لي رسول الله ص إن اجتمعوا عليك فاصنع ما أمرتك و إلفالصق كللك بالارض فلما تفرقوا عنى جررت على المكروه ذيلي و أغضيت على القذى جفني و ألصقت بالارض كللكي -رواية- ١-١٨٠-٧٣٧-الدنيا حلم و الآخرة يقظة و نحن بينهما أضغاث أحلام -رواية- ١-٥٧- [صفحة ٣٢٧] ٧٣٨- لما عرف أهل النقص حالهم عند أهل الكمال استعانوا بالكبير ليعظم صغيراً و يرفع حقيراً و ليس بفاعل -رواية- ١-١٠٣-٧٣٩- لوتميزت الأشياء كان الكذب مع الجبن و الصدق مع الشجاعة و الراحة مع اليأس و التعب مع الطمع و الحرمان مع الحرص و الذل مع الدين -رواية- ١-١٣٦-٧٤٠- المعروف غل لا يفكه إلا شكر أو مكافأة -رواية- ١-٤٢-٧٤١- كثرة مال الميت تسلى ورثته عنه -رواية- ١-٤٠-٧٤٢- من كرمت عليه نفسه هان عليه ماله -رواية- ١-٤٢-٧٤٣- من كثر مزاحه لم يسلم من استخفاف به أو حقد عليه -رواية- ١-٥٧-٧٤٤- كثرة الدين تضطر الصادق إلى الكذب و الواعد إلى الإخلاف -رواية- ١-٦٢-٧٤٥- عار النصيحة يكدر لذتها -رواية- ١-٢٨-٧٤٦- أول الغضب جنون و آخره ندم -رواية- ١-٣٥-٧٤٧- انفرد بسرك و لا تودعه حازماً فيزل و لاجاهلاً فيخون -رواية- ١-٥٧-٧٤٨- لا تقطع أحاك إلا بعد عجز الحيلة عن استصلاحه و لا تتبعه بعد القطيعة و قيعه فيه فتسد طريقه عن الرجوع إليك و لعل التجارب أن ترده عليك و تصلحه لك -رواية- ١-١٥٤-٧٤٩- من أحس بضعف حيلته عن الاكتساب بخل -رواية- ١-٤٥-٧٥٠- الجاهل صغير و إن كان شيخاً و العالم كبير و إن كان حدثاً -رواية- ١-٦٢-٧٥١- الميت يقل الحسد له و يكثر الكذب عليه -رواية- ١-٤٦-٧٥٢- إذا نزلت بك النعمة فاجعل قراها الشكر -رواية- ١-٤٥- [صفحة ٣٢٨] ٧٥٣- الحرص ينقص من قدر الإنسان و لا يزيد في حظه -رواية- ١-٥١-٧٥٤- الفرصة سريعة الفوت بطيئة العود -رواية- ١-٣٧-٧٥٥- أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه -رواية- ١-٣٩-٧٥٦- لا تتبع الذنب العقوبة و اجعل بينهما وقتاً للاعتذار -رواية- ١-٥٧-٧٥٧- اذكر عند الظلم عدل الله فيك و عند القدرة قدرة الله عليك -رواية- ١-٦٣-٧٥٨-

لا يحملنك الحق على اقرار الإثم فتشفي غيظك وتسقم دينك -رواية- ١- ٦٨- ٧٥٩- الملك بالدين يبقى والدين بالملك يقوى -رواية- ١- ٤٨- ٧٦٠- كأن الحاسد إنما خلق ليغتاظ -رواية- ١- ٣٤- ٧٦١- عقل الكاتب فى قلمه -رواية- ١- ٢٧- ٧٦٢- اقتصر من شهوة خالفت عقلك بالخلاف عليها -رواية- ١- ٤٧- ٧٦٣- ألهم صن وجهى باليسار و لا تبذل جاهى بالإقتار فأسترزق طالبى رزقك وأستعطف شرار خلقك وأبتلى بحمد من أعطانى وأفتتن بدم من منعى و أنت من وراء ذلك ولى الإعطاء والمنع إنك على كل شىء قدير -رواية- ١- ٢٠٦- ٧٦٤- كل حقد حقدته قريش على رسول الله ص أظهرته فى وستظهره فى ولدى من بعدى ما لى ولقريش إنما وترتهم بأمر الله وأمر رسوله أفهذا جزاء من أطاع الله ورسوله إن كانوا مسلمين -رواية- ١- ١٨٦- ٧٦٥- عجا لسعد و ابن عمر يزعمان أنى أحارب على الدنيا أفكان رسول الله ص يحارب على الدنيا فإن زعما أن رسول الله ص حارب لتكسير الأصنام وعبادة الرحمن فإنما حاربت لدفع الضلال والنهى عن -رواية- ١- ١- ٣٢٩ [صفحة ٣٢٩] الفحشاء والفساد أفمثلى يزن بحب الدنيا و الله لو تمثلت لى بشرا سويا لضربتها بالسيف -رواية- ١- ٨٩- ٧٦٦- ألهم أنت خلقتنى كما شئت فأرحمنى كيف شئت ووفقنى لطاعتك حتى تكون ثقى كلها بك وخوفى كله منك -رواية- ١- ١١٠- ٧٦٧- لاتسبن إبليس فى العلانية و أنت صديقه فى السر -رواية- ١- ٥٤- ٧٦٨- من لم يأخذ أهبة الصلاة قبل وقتها فما قرها -رواية- ١- ٥١- ٧٦٩- لاتطمع فى كل ماتسمع -رواية- ١- ٣٠- ٧٧٠- من عاتب ووبخ فقد استوفى حقه -رواية- ١- ٣٨- ٧٧١- الجود الذى استطاع أن يتناول به كل أحد هو أن ينوى الخير لكل أحد -رواية- ١- ٧٣- ٧٧٢- من صحب السلطان بالصحة والنصيحة كان أكثر عدوا ممن صحبه بالغش والخيانة -رواية- ١- ٨٠- ٧٧٣- من عاب سفلة فقد رفعه و من عاب كريما فقد وضع نفسه -رواية- ١- ٦٠- ٧٧٤- الموالى ينصرون وبنو العم يحسدون -رواية- ١- ٤١- ٧٧٥- الصدق عز والكذب مذلة و من عرف بالصدق جاز كذبه و من عرف بالكذب لم يجز صدقه -رواية- ١- ٨٧- ٧٧٦- إذاسمعت الكلمة تؤذيك فطأطئ لها فإنها تتخطاك -رواية- ١- ٥٤- ٧٧٧- نحن نريد ألا- نموت حتى نتوب ونحن لانتوب حتى نموت -رواية- ١- ٥٩- ٧٧٨- أنزل الصديق منزلة العدو فى رفع المئونة عنه وأنزل العدو منزلة الصديق فى تحمل المئونة له -رواية- ١- ١٠٠- ٧٧٩- أول عقوبة الكاذب أن صدقه يرد عليه -رواية- ١- ٤٣- ٧٨٠- الأدب عند الأحمق كالماء العذب فى أصول الحنظل كلما ازداد ريا ازداد مرارة -رواية- ١- ٨١- ٧٨١- إياكم وحمية الأوغاد فإنهم يرون العفو ضيما -رواية- ١- ٥٠- ٧٨٢- الكريم لا يستقصى فى محاقه المعتذر خوفا أن يجزى من لا يجد مخرجا من ذنبه -رواية- ١- ٧٩- ٧٨٣- العفو عن المقر لا عن المصر -رواية- ١- ٣٢- ٧٨٤- ما استغنى أحد بالله إلا افتقر الناس إليه -رواية- ١- ٤٩- ٧٨٥- من جاد بماله فقد جاد بنفسه فإن لم يكن جاد بها بعينها فقد جاد بقوامها -رواية- ١- ٧٨- ٧٨٦- الدين ميسم الكرام و طالما وقر الكرام بالدين -رواية- ١- ٥٣- ٧٨٧- الماضى قبلك هو الباقى بعدك والتهنئة بآجل الثواب أولى من التعزية بعاجل المصاب -رواية- ١- ٩٠- ٧٨٨- مما تكتسب به المحبة أن تكون عالما كجاهل وواعظا كموعوظ -رواية- ١- ٦٢- ٧٨٩- لاتحمدن الصبى إذا كان سخيا فإنه لا يعرف فضيلة السخاء وإنما يعطى ما فى يده ضعفا -رواية- ١- ٩٠- ٧٩٠- خير الإخوان من إذا استغنى عنه لم يزدك فى المودة و إن احتجت إليه لم ينقصك منها -رواية- ١- ٩١- ٧٩١- عجا للسلطان كيف يحسن و هو إذا أساء وجد من يزيه ويمدحه -رواية- ١- ٦٥- ٧٩٢ [صفحة ٣٣١] إذا صادقت إنسانا وجب عليك أن تكون صديق صديقه و ليس يجب عليك أن تكون عدو عدوه لأن هذا إنما يجب على خادمه و ليس يجب على مماثل له -رواية- ١- ١٤٧- ٧٩٣- ليس تكمل فضيلة الرجل حتى يكون صديقا لمتعادين -رواية- ١- ٥٦- ٧٩٤- من سعادة الحدث ألا يتم له فضيلة فى رذيلة -رواية- ١- ٤٩- ٧٩٥- إذا منعت من شىء قد التمسته فليكن غيظك منه على نفسك فى المسألة أكثر من غيظك على من منعك -رواية- ١- ١٠١- ٧٩٦- الأسخياء يشمتون بالبخلاء عند الموت والبخلاء يشمتون بالأسخياء عند الفقر -رواية- ١- ٧٧- ٧٩٧- ليس يضبط العدد الكثير من لا يضبط نفسه الواحدة -رواية- ١- ٥٣- ٧٩٨- إذا أحسن أحد من أصحابك فلا تخرج إليه بغاية برك

ولكن اترك منه شيئا تزيده إياه عند تبيينك منه الزيادة في نصيحته -رواية- ١- ١٢٢ ٧٩٩- الوقوع في المكروه أسهل من توقع المكروه -رواية- ١- ١- ٤٩ ٨٠٠- الحسود ظالم ضعفت يده عن انتزاع ما حسدك عليه فلما قصر عليك بعث إليك تأسفه -رواية- ١- ٨٧ ٨٠١- أعم الأشياء نفعاً موت الأشرار -رواية- ١- ٣٦ ٨٠٢- الشيء المعزى للناس عن مصائبهم علم العلماء أنها نفعاً اضطرارية وتأسى العامة بعضها ببعض -رواية- ١- ٩٨ ٨٠٣- العقل الإصابة بالظن ومعرفة ما لم يكن بما كان -رواية- ١- ٥٤ [صفحة ٣٣٢] ٨٠٤- ياعجباً للناس قدمكهم الله من الاقتداء به فيدعون ذلك إلى الاقتداء بالبهايم -رواية- ١- ٨٦ ٨٠٥- سلوا القلوب عن المودات فإنها شهود لا تقبل الرشا -رواية- ١- ٥٥ ٨٠٦- إنما يحزن الحسدة أبداً لأنهم لا يحزنون لما ينزل بهم من الشر فقط بل ولما ينال الناس من الخير -رواية- ١- ١٠٢ ٨٠٧- العشق جهد عارض صادف قلباً فارغاً -رواية- ١- ٣٩ ٨٠٨- تعرف خسارة المرء بكثرة كلامه فيما لا يعنيه وإخباره عما لا يسأل عنه -رواية- ١- ٧٦ ٨٠٩- لا تؤخر إنالة المحتاج إلى غد فإنك لاتعرف ما يعرض في غد -رواية- ١- ٦٣ ٨١٠- إن تتعب في البر فإن التعب يزول والبر يبقى -رواية- ١- ٥٢ ٨١١- أجهل الجهال من عثر بحجر مرتين -رواية- ١- ٣٨ ٨١٢- كفاك موبخاً على الكذب علمك بأنك كاذب وكفاك ناهياً عنه خوفك من تكذيبك حال إخبارك -رواية- ١- ٩٣ ٨١٣- العالم يعرف الجاهل لأنه كان جاهلاً والجاهل لا يعرف العالم لأنه لم يكن عالماً -رواية- ١- ٨٨ ٨١٤- لا تتكلموا على البخت فربما لم يكن وربما كان وزال ولا على الحسب فطالما كان بلاء على أهله يقال للناقص هذا ابن فلان الفاضل فيتضاعف غمه وعاره ولكن عليكم بالعلم والأدب فإن العالم يكرم وإن لم ينتسب ويكرم وإن كان فقيراً ويكرم وإن كان حدثاً -رواية- ١- ٢٦٤ [صفحة ٣٣٣] ٨١٥- خير ما عوشر به الملك قلبه الخلف وتخفيف المثونة وأصعب الأشياء على الإنسان أن يعرف نفسه وأن يكتفم سره -رواية- ١- ١١٣ ٨١٦- العدل أفضل من الشجاعة لأن الناس لو استعملوا العدل عموماً في جميعهم لاستغنوا عن الشجاعة -رواية- ١- ٩٦ ٨١٧- أولى الأشياء أن يتعلمها الأحداث الأشياء التي إذا صاروا رجالاً احتاجوا إليها -رواية- ١- ٨٢ ٨١٨- لا ترغب في اقتناء الأموال وكيف ترغب فيما ينال بالبخت لا بالاستحقاق ويأمر البخل والشهه بحفظه والجود والزهد بإخراجه -رواية- ١- ١٢٩ ٨١٩- إذا عاتبته الحدث فترك له موضعاً من ذنبه لئلا يحمله الإخراج على المكابرة -رواية- ١- ٨٢ ٨٢٠- ما انتقم الإنسان من عدوه بأعظم من أن يزداد من الفضائل -رواية- ١- ٦٥ ٨٢١- إنما لم تجتمع الحكمة والمال لعزّة وجود الكمال -رواية- ١- ٥٣ ٨٢٢- يمنع الجاهل أن يجد ألم الحرق المستقر في قلبه ما يمنع السكران أن يجد مس الشوك في يده -رواية- ١- ٩٨ ٨٢٣- القنية مخدومة ومن خدم غير نفسه فليس بحر -رواية- ١- ٤٨ ٨٢٤- لا تطلب الحياة لتأكل بل اطلب الأكل لتحيها -رواية- ١- ٥١ ٨٢٥- إذارات العامة منازل الخاصة من السلطان حسدتها عليها وتمنت أمثالها فإذا رأت مصارعها بدا لها -رواية- ١- ١٠٠ ٨٢٦- الشيء الذي لا يستغنى عنه أحد هو التوفيق -رواية- ١- ٤٧ [صفحة ٣٣٤] ٨٢٧- ليس ينبغي أن يقع التصديق إلا بما يصح ولا العمل إلا بما يحل ولا الابتداء إلا بما تحسن فيه العاقبة -رواية- ١- ١٠٧ ٨٢٨- الوحدة خير من رفيق السوء -رواية- ١- ٣١ ٨٢٩- لكل شيء صناعة وحسن الاختبار صناعة العقل -رواية- ١- ٤٧ ٨٣٠- من حسدك لم يشكرك على إحسانك إليه -رواية- ١- ٤٣ ٨٣١- البغي آخر مدة الملوك -رواية- ١- ٢٨ ٨٣٢- لأن يكون الحر عبداً لعبيده خير من أن يكون عبداً لشهواته -رواية- ١- ٦٤ ٨٣٣- من أمضى يومه في غير حق قضاء أو فرض أداه أو مجد بناه أو حمد حصله أو خير أسسه أو علم اقتبسه فقد عقى يومه -رواية- ١- ١١٦ ٨٣٤- أرسل إليه عمرو بن العاص يعيبه بأشياء منها أنه يسمى حسناً وحسيناً ولدى رسول الله ص فقال لرسوله قل للشانئ ابن الشانئ لو لم يكونا ولديه لكان أبتراً كما زعمه أبوك -رواية- ١- ١٧٥ ٨٣٥- قال معاوية لما قتل عمار واضطرب أهل الشام لرواية عمرو بن العاص كانت لهم تقتله الفئة الباغية إنما قتله من أخرجه إلى الحرب وعرضه للقتل فقال أمير المؤمنين ع فرسول الله ص إذن قاتل حمزة -رواية- ١- ٢٠٣ ٨٣٦- هذا يدعى محمد بن الحنفية وهذان عيناى يعنى حسناً وحسيناً وما زال الإنسان يذب بيده عن عينيه قالها لمن قال له

إنك تعرض محمدا للقتل وتقذف به في نحور الأعداء دون أخويه -رواية- ١- ١٨٩- ٨٣٧- شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب ورزقت خيره وبره خذ إليك أبا الأملاءك قالها لعبد الله بن العباس لما ولد ابنه علي بن عبد الله -رواية- ١- ١٤٢ [صفحہ ٣٣٥] ٨٣٨- مايسرنى أنى كفت أمر الدنيا كله لأنى أكره عادة العجز -رواية- ١- ٦٥- ٨٣٩- اجتماع المال عند الأسخياء أحد الخصبين واجتماع المال عند البخلاء أحد الجديين -رواية- ١- ٨٥- ٨٤٠- من عمل عمل أبيه كفى نصف التعب -رواية- ١- ٤١- ٨٤١- المصطنع إلى اللئيم كمن طوق الخنزير تبرا وقرط الكلب درا وأبس الحمار وشيا وأقم الأفعى شهدا -رواية- ١- ١٠٤- ٨٤٢- الحازم إذا أشكل عليه الرأي بمنزلة من أضل لؤلؤة فجمع ماحول مسقطها من التراب ثم التمسها حتى وجدها ولذلك الحازم يجمع وجوه الرأي في الأمر المشكل ثم يضرب بعضه ببعض حتى يخلص إليه الصواب -رواية- ١- ٢٠٢- ٨٤٣- الأشراف يعاقبون بالهجران لبالحرمان -رواية- ١- ٤٥- ٨٤٤- الشح أضر على الإنسان من الفقر لأن الفقير إذا وجد اتسع والشحيح لا يتسع إن وجد -رواية- ١- ٨٨- ٨٤٥- أحب الناس إلى العاقل أن يكون عاقلا عدوه لأنه إذا كان عاقلا كان منه فى عافية -رواية- ١- ٨٩- ٨٤٦- عليك بمجالسة أصحاب التجارب فإنها تقوم عليهم بأعلى الغلاء وتأخذها منهم بأرخص الرخص -رواية- ١- ٩٦- ٨٤٧- من لم يحمدك على حسن النية لم يشكرك على جميل العطية -رواية- ١- ٦٢- ٨٤٨- لا تنكحوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ولا أموالهن -رواية- ١- ١- ٨٤٩- ٨٤- أفضل العباداة الإمساك عن المعصية والوقوف عند الشبهة -رواية- ١- ٥٨- ٨٥٠- ذم الرجل نفسه فى العلانية مدح لها فى السر -رواية- ١- ٥٠- ٨٥١- من عدم فضيلة الصدق فى منطقته فقد فجع بأكرم أخلاقه -رواية- ١- ٦١- ٨٥٢- ليس يضرك أن ترى صديقك عند عدوك فإنه إن لم ينفكك لم يضرك -رواية- ١- ٦٩- ٨٥٣- قل أن ترى أحدا تكبر على من دونه إلا وبذلك المقدار وجود بالذل لمن فوقه -رواية- ١- ٨٣- ٨٥٤- من عظمت عليه مصيبة فليذكر الموت فإنها تهون عليه و من ضاق به أمر فليذكر القبر فإنه يتسع -رواية- ١- ١٠٠- ٨٥٥- خير الشعر ما كان مثلا وخير الأمثال ما لم يكن شعرا -رواية- ١- ٥٧- ٨٥٦- الق الناس عند حاجتهم إليك بالبشر والتواضع فإن نابتك نائبة وحالت بك حال لقيتهم وقد أمنت ذلة التنصل إليهم والتواضع -رواية- ١- ١٣١- ٨٥٧- إن الله يحب أن يعفى عن زلة السرى -رواية- ١- ٤٣- ٨٥٨- من طال لسانه وحسن بيانه فليترك التحدث بغرائب ماسمع فإن الحسد لحسن ما يظهر منه يحمل أكثر الناس على تكذيبه و من عرف أسرار الأمور الإلهية فليترك الخوض فيها وإلا حملتهم المنافسة على تكفيره -رواية- ١- ٢٠٧- ٨٥٩- ليس كل مكتوم يسوغ إظهاره لك ولا كل معلوم يجوز أن تعلمه غيرك -رواية- ١- ٧٥ [صفحہ ٣٣٧] ٨٦٠- ليس يفهم كلامك من كان كلامه لك أحب إليه من الاستماع منك ولا يعلم نصيحتك من غلب هواه على رأيك ولا يسلم لك من اعتقد أنه أتم معرفة بما أشرت عليه به منك -رواية- ١- ١٧٤- ٨٦١- خف الضعيف إذا كان تحت راية الإنصاف أكثر من خوفك القوى تحت راية الجور فإن النصر يأتيه من حيث لا يشعر وجرحه لا يندمل -رواية- ١- ١٢٩- ٨٦٢- إخافة العبيد والتضييق عليهم يزيد فى عبوديتهم وصيانتهم وإظهار الثقة بهم يكسبهم أنفة وجبرية -رواية- ١- ١٠١- ٨٦٣- أضر الأشياء عليك أن تعلم رئيسك أنك أعرف بالرئاسة منه -رواية- ١- ٦٤- ٨٦٤- عداوة العاقلين أشد العداوات وأنكأها فإنها لا تقع إلا بعد الإعذار والإنذار و بعد أن يئس إصلاح ما بينهما -رواية- ١- ١١٠- ٨٦٥- لا تخدم من رئيسا كنت تعرفه بالخمول وسمت به الحال ويعرف منك أنك تعرف قديمه فإنه و أن سر بمكانك من خدمته إلا إنه يعلم العين التى تراه بها فينقبض عنك بحسب ذلك -رواية- ١- ١٨٠- ٨٦٦- إذا احتجت إلى المشورة فى أمر قد طرأ عليك فاستبده بدياة الشبان فإنهم أحد أذهانا وأسرع حدسا ثم رده بعد ذلك إلى رأى الكهول والشيوخ ليستعقبوه ويحسنوا الاختيار له فإن تجربتهم أكثر -رواية- ١- ١٩٤- ٨٦٧- الإنسان فى سعيه وتصرفاته كالعائم فى اللجة فهو يكافح الجرية فى إدباره ويجرى معها فى إقباله -رواية- ١- ١٠٣- ٨٦٨- ينبغى للعاقل أن يستعمل فيما يلتمسه الرفق ومجانبة

الهدر -رواية- ١-ادامه دارد [صفحه ٣٣٨] فإن العلقه تأخذ بهدونها من الدم ما لاتأخذه البعوضه باضطرابها وفرط صياحها -
رواية-از قبل-٧٨ ٨٦٩-أقوى ما يكون التصنع فى أوائله وأقوى ما يكون التطبع فى أواخره -رواية-١-٧٢ ٨٧٠-غايه المروءه
أن يستحى الإنسان من نفسه و ذلك أنه ليس العله فى الحياء من الشيخ كبر سنه و لايباض لحيته وإنما عله الحياء منه عقله
فينبغى إن كان هذاالجوهر فينا أن نستحى منه و لانحضره قبيحا -رواية-١-٢٠٧ ٨٧١- من ساس رعيه حرم عليه السكر عقلا
لأنه قبيح أن يحتاج الحارس إلى من يحرسه -رواية-١-٨٥ ٨٧٢- لاتبتاعن مملوكا قوى الشهوه فإن له مولى غيرك و لاغضوبا
فإنه يؤذيك فى استخدامك له و لايقوى الرأى فإنه يستعمل الحيله عليك لكن اطلب من العبيد من كان قوى الجسم حسن
الطاعه شديد الحياء -رواية-١-٢٠٣ ٨٧٣- لاتعادوا الدول المقبله و تشربوا قلوبكم بغضها فتدبروا بإقبالها -رواية-١-٦٩ ٨٧٤-
الغريب كالفرس الذى زايل شربه وفارق أرضه فهو ذاو لايتقد و ذابل لايشمر -رواية-١-٨٠ ٨٧٥-السفر قطعه من العذاب
والرفيق السوء قطعه من النار -رواية-١-٥٦ ٨٧٦- كل خلق من الأخلاق فإنه يكسد عندقوم من الناس إلاالأمانه فإنها نافقه
عندأصناف الناس يفضل بها من كانت فيه حتى أن الآنيه إذا لم تنشف -رواية-١-ادامه دارد [صفحه ٣٣٩] وبقى مايبودع فيها
على حاله لم ينقص كانت أكثر ثناء من غيرها مما يرشح أوينشف -رواية-از قبل-٨٤ ٨٧٧-اصبر على سلطانك فى حاجاتك
فلمت أكبر شغله و لابلك قوام أمره -رواية-١-٧٠ ٨٧٨-قوه الاستشعار من ضعف اليقين -رواية-١-٣٥ ٨٧٩- إذاأحسست من
رأيك باكداد و من تصورك بفساد فاتهم نفسك بمجالستك لعامى الطبع أولسيئ الفكر وتدارك إصلاح مزاج تخيلك
بمكاثرة أهل الحكمة ومجالسه ذوى السداد فإن مفاوضاتهم تريح الرأى المكدود وترد ضاله الصواب المفقود -رواية-١-٢٢٩
٨٨٠- من جلس فى ظل الملق لم يستقر به موضعه لكثرة تنقله وتصرفه مع الطباع وعرفه الناس بالخديعه -رواية-١-١٠١ ٨٨١-
كثير من الحاجات تقضى برما لاكرما -رواية-١-٤٠ ٨٨٢-أصحاب السلطان فى المثل كقوم رقوا جبلا ثم سقطوا منه فأقربهم
إلى الهلكه والتلف أبعدهم كان فى المرتقى -رواية-١-١١٣ ٨٨٣- لاتضع سررك عند من لاسر له عندك -رواية-١-٤٠
٨٨٤-سعه الأخلاق كيمياء الأرزاق -رواية-١-٣٤ ٨٨٥-العلم أفضل الكنوز وأجملها خفيف المحمل عظيم الجدوى فى الملا
جمال و فى الوحده أنس -رواية-١-٩٣ ٨٨٦-السباب مزاح النوكى و لابس بالمفاكهه يروح بهاالإنسان عن نفسه ويخرج عن
حد العبوس -رواية-١-٩٤ [صفحه ٣٤٠] ٨٨٧-ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها الهديه والرسول والكتاب -رواية-١-٦٥
٨٨٨-التعزیه بعدثلاث تجديد للمصيبه والتهنئه بعدثلاث استخفاف بالموده -رواية-١-٧١ ٨٨٩- أنت مخير فى الإحسان إلى
من تحسن إليه ومرتهن بدوام الإحسان إلى من أحسنت إليه لأنك إن قطعته فقد أهدرتة و إن أهدرتة فلم فعلته -رواية-١-
١٤٤ ٨٩٠- الناس من خوف الذل فى ذل -رواية-١-٣٤ ٨٩١- إذا كان الإيجاز كافيا كان الإكثار عيا و إذا كان الإيجاز مقصرا
كان الإكثار واجبا -رواية-١-٨٦ ٨٩٢-بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد -رواية-١-٤٧ ٨٩٣-الخلق عيال الله وأحب
الناس إلى الله أشفقهم على عياله -رواية-١-٦٦ ٨٩٤-تحريك الساكن أسهل من تسكين المتحرك -رواية-١-٤٥ ٨٩٥-
العاقل بخشونه العيش مع العقلاء أنس منه بلىن العيش مع السفهاء -رواية-١-٧١ ٨٩٦-الانقباض بين المنبسطين ثقل والانبساط
بين المنقبضين سخف -رواية-١-٦٥ ٨٩٧-السخاء والجود بالطعام لبالمال و من وهب ألفا وشح بصحفه طعام فليس بجواد -
رواية-١-٨٢ ٨٩٨- إن بقيت لم يبق الهم -رواية-١-٢٩ ٨٩٩- لايقوم عزالغضب بذله الاعتذار -رواية-١-٣٧ ٩٠٠-الشفيع
جناح الطالب -رواية-١-٢٧ ٩٠١-الأمل رفيق مؤنس إن لم يبلغك فقد استمتعت به -رواية-١-٥٥ ٩٠٢-إعادة الاعتذار
تذكير بالذنب -رواية-١-٣٤ [صفحه ٣٤١] ٩٠٣-الصبر فى العواقب شاف أوامريح -رواية-١-٣٦ ٩٠٤- من طال عمره رأى
فى أعدائه مايسره -رواية-١-٤٤ ٩٠٥- لانعمه فى الدنيا أعظم من طول العمر وصحه الجسد -رواية-١-٥٤ ٩٠٦- الناس
رجلان أماموجل بفقد أحبابه أومعجل بفقد نفسه -رواية-١-٦٠ ٩٠٧-العقل غريزه تربيتها التجارب -رواية-١-٣٤ ٩٠٨-

النصح بين الملأ تقريع -رواية- ١- ٢٩ ٩٠٩- لاتنكح خاطب سرک -رواية- ١- ٢٥ ٩١٠- من زاد أدبه على عقله كان كالراعى
الضعيف مع الغنم الكثير -رواية- ١- ٦٧ ٩١١-الدار الضيقة العمى الأصغر -رواية- ١- ٣٢ ٩١٢-النمام جسر الشر -رواية- ١-
٢٢ ٩١٣- لا-تشن وجه العفو بالتقريع -رواية- ١- ٣٤ ٩١٤-كثره النصح تهجم بك على كثره الظنة -رواية- ١- ٤٢ ٩١٥-لكل
ساقطة لاقطة -رواية- ١- ٢٢ ٩١٦-ستساق إلى ما أنت لاق -رواية- ١- ٢٩ ٩١٧-عاداك من لاحاك -رواية- ١- ٢٢ ٩١٨-
جدك لاكدك -رواية- ١- ١٧ ٩١٩-تذكر قبل الورد الصدر والحذر لايعنى من القدر والصبر من أسباب الظفر -رواية- ١- ٧٤
٩٢٠-عار النساء باق يلحق الأبناء بعدالآباء -رواية- ١- ٤٥ ٩٢١-أعجل العقوبة عقوبة البغى والغدر واليمين الكاذبة و من
إذاتضرع إليه وسئل العفو لم يغفر -رواية- ١- ٩٧ [صفحة ٣٤٢] ٩٢٢- لاترد بأس العدو القوى وغضبه بمثل الخضوع والذل
كسلامة الحشيش من الريح العاصف بانثائه معها كيفما مالت -رواية- ١- ١١٨ ٩٢٣-قارب عدوك بعض المقاربة تنل حاجتك
ولا تفرط فى مقاربتة فتذل نفسك وناصرک وتأمل حال الخشبة المنصوبة فى الشمس التى إن أملتها زاد ظلها وإن أفرطت فى
الإمالة نقص الظل -رواية- ١- ١٨١ ٩٢٤- إذازال المحسود عليه علمت أن الحاسد كان يحسد على غير شىء -رواية- ١- ٦٥
٩٢٥-العجز نائم والحزم يقظان -رواية- ١- ٣٢ ٩٢٦- من تجرأ لك تجرأ عليك -رواية- ١- ٢٨ ٩٢٧- ماعفا عن الذنب من قرع
به -رواية- ١- ٣٤ ٩٢٨- عبدالشهوة أذل من عبدالرق -رواية- ١- ٣٤ ٩٢٩- ليس ينبغى للعاقل أن يطلب طاعة غيره وطاعة نفسه
عليه ممتنع -رواية- ١- ٦٩ ٩٣٠- الناس رجلان واجد لا يكتفى وطالب لا يجد -رواية- ١- ٤٦ ٩٣١- كلما كثر خزان الأسرار
زادت ضياعا -رواية- ١- ٤٠ ٩٣٢- كثرة الآراء مفسدة كالقدر لا تطيب إذ كثر طباخوها -رواية- ١- ٥٣ ٩٣٣- من اشتاق خدم و
من خدم اتصل و من اتصل وصل و من وصل عرف -رواية- ١- ٦٨ ٩٣٤-عجا لمن يخرج إلى البساتين للفرجة على القدرة
وهلا شغلته رؤية القادر عن رؤية القدرة -رواية- ١- ٩٢ ٩٣٥- كل الناس أمروا بأن يقولوا لا إله إلا الله إلا رسول الله فإنه رفع
قدره عن ذلك وقيل له فاعلم أنه لا إله إلا الله فأمر بالعلم لا بالقول -رواية- ١- ١٥٢ [صفحة ٣٤٣] ٩٣٦- كل مصطنع عارفة فإنما
يصنع إلى نفسه فلا-تلتمس من غيرك شكر ماأتيته إلى نفسك وتممت به لذتك ووقيت به عرضك -رواية- ١- ١١٨ ٩٣٧-
ولدك ريحانتك سبعا وخادمك سبعا ثم هوعدوك أوصديقك -رواية- ١- ٥٩ ٩٣٨- من قبل معروفك فقد باعك مروءته -
رواية- ١- ٤٠ ٩٣٩- إلى الله أشكو بلادة الأمين ويقظة الخائن -رواية- ١- ٤٩ ٩٤٠- من أكثر المشورة لم يعدم عندالصواب
مادحا و عندالخطأ عاذرا -رواية- ١- ٦٥ ٩٤١- من كثر حقه قل عتابه -رواية- ١- ٣٠ ٩٤٢-الحازم من لم يشغله البطر بالنعمة
عن العمل للعاقبة والهم بالحادثه عن الحيلة لدفعها -رواية- ١- ٩٢ ٩٤٣- كلما حسنت نعمة الجاهل ازداد قبحا فيها -رواية- ١-
٤٥ ٩٤٤- من قبل عطاءك فقد أعانك على الكرم و لو لا من يقبل الجود لم يكن من يجود -رواية- ١- ٨٢ ٩٤٥-إخوان السوء
كشجرة النار يحرق بعضها بعضا -رواية- ١- ٤٧ ٩٤٦-زلة العالم كانكسار السفينة تغرق ويغرق معها خلق -رواية- ١- ٥٦ ٩٤٧-
أهون الأعداء كيدا أظهرهم لعداوتهم -رواية- ١- ٤١ ٩٤٨-أبقى لرضاك من غضبك و إذاطرت فقع قريبا -رواية- ١- ٤٧ ٩٤٩-
لا تلتبس بالسلطان فى وقت اضطراب الأمور عليه فإن البحر لا يكاد يسلم صاحبه فى حال سكونه فكيف يسلم مع اختلاف رياحه
واضطراب أمواجه -رواية- ١- ١٤٦ ٩٥٠- إذاخلى عنان العقل و لم يحبس على هوى نفس أوعادة دين أوعصبيه لسلف ورد
بصاحبه على النجاة -رواية- ١- ١٠١ [صفحة ٣٤٤] ٩٥١- إذازادك الملك تأنيسا فزده إجلالا -رواية- ١- ٤٢ ٩٥٢- من تكلف
ما لايعنيه فاته مايعنيه -رواية- ١- ٤٢ ٩٥٣- قليل يترقى منه إلى كثير خير من كثير ينحط عنه إلى قليل -رواية- ١- ٦٤ ٩٥٤-
جنبوا موتاكم فى مدافنهم جار السوء فإن الجار الصالح ينفع فى الآخرة كماينفع فى الدنيا -رواية- ١- ٩٤ ٩٥٥-زر القبور تذكر
بها الآخرة وغسل الموتى يتحرك قلبك فإن الجسد الخاوى عظة بليغة وصل على الجنائز لعله يحزنك فإن الحزين قريب من الله
-رواية- ١- ١٤٣ ٩٥٦- الموت خير للمؤمن والكافر أماالمؤمن فيتعجل له النعيم و أماالكافر فيقل عذابه وآية ذلك من كتاب الله

٦٠ ٩٨٥-الذكر ذكران أحدهما ذكر الله وتحميدته فما أحسنه وأعظم أجره والثاني ذكر الله عند ما حرم الله وهو أفضل من الأول -
روايت-١-١٢٤ ٩٨٦- ما أضيقت الطريق على من لم يكن الحق تعالى دليلاً و ما أوحشها على من لم يكن أنيسه و من اعتر بغير عز
الله ذل و من تكثر بغير الله قل -روايت-١-١٤٤ ٩٨٧- اللهم إن فهت عن مسألتي أو عمهت عن طلبتي فدلني على مصالحى
وخذ بناصيتي إلى مراشدى اللهم احملنى على عفوك و لا تحملى على عدلك -روايت-١-١٤١ ٩٨٨- مخ الإيمان التقوى
والورع وهما من أفعال القلوب وأحسن أفعال الجوارح ألا- تزال مالئنا فاك بذكر الله سبحانه -روايت-١-١١٩ [صفحة ٣٤٨]
٩٨٩- اللهم فرغنى لما خلقتنى له و لا تشغلنى بما تكفلت لى به و لا تحرمنى و أنا أسألك و لا تعذبنى و أنا أستغفرك -روايت-١-
١١٥ ٩٩٠- سبحانه من ندعوه لحظنا فيسرع ويدعونا لحظنا فنبطئ خيره إلينا نازل و شرنا إليه صاعد و هو مالك قادر -روايت-١-
١٠٥ ٩٩١- اللهم إنا نعوذ بك من بيات غفلة و صباح ندامة -روايت-١-٥٢ ٩٩٢- اللهم إني أستغفرك لماتبت منه إليك ثم
عدت فيه و أستغفرك لما وعدتك من نفسى ثم أخلفتك و أستغفرك للنعم التى أنعمت بها على فتقويت بها على معصيتك -
روايت-١-١٥٩ ٩٩٣- اللهم إني أعوذ بك أن أقول حقاً ليس فيه رضاك ألتمس به أحدا سواك و أعوذ بك أن أتزين للناس
بشئ يشيننى عندك و أعوذ بك أن أكون عبرة لأحد من خلقك و أعوذ بك أن يكون أحد من خلقك أسعد بما علمتنى منى
-روايت-١-٢١٤ ٩٩٤- يا من ليس إلا- هو يا من لا يعلم ما هو إلا هو اعف عنى -روايت-١-٦٢ ٩٩٥- اللهم إن الآمال منوطة
بكرمك فلا تقطع علائقها بسخطك اللهم إني أبرأ من الحول والقوة إلا بك و أدرأ بنفسى عن التوكل على غيرك -روايت-١-
١٣٥ ٩٩٦- اللهم صل على محمد و آل محمد كلما ذكره الذاكرون و صل على محمد و آل محمد كلما غفل عن ذكره الغافلون
اللهم صل على محمد و آل محمد عدد كلماتك و عدد معلوماتك صلاة لانهاية لها و لا غاية لأمدها -روايت-١-١٩٨ ٩٩٧-
سبحان الواحد الذى ليس غيره سبحان الدائم الذى لانفاد له سبحان القديم الذى لا ابتداء له سبحان الغنى عن كل شئ و لا
شئ من الأشياء يغنى عنه -روايت-١-١٥٦ [صفحة ٣٤٩] ٩٩٨- يا الله يارحمان يارحيم يا حى يا قيوم يا بديع السماوات و الأرض
يا ذا الجلال و الإكرام اعف عنى -روايت-١-١٠٦ و هذاحين انتهاء قولنا فى شرح نهج البلاغة و لم ندرك ما أدركناه منه بقوتنا
و حولنا فإننا عاجزون عما هو دونه و لقد شرعنا فيه و إنه لفى أنفسنا كالطود الأملس تزل الوعول العصم عن قذافته بل كالفلك
الأطلس لا تبلغ الأوهام و العقول إلى حدود غاياته فما زالت معونة الله سبحانه و تعالى تسهل لنا حزنه و تذلل لنا صعبه حتى
أصبح أبيه و أطاع عصيه و فتحت علينا بحسن النية و إخلاص الطوية فى تصنيفه أبواب البركات و تيسرت علينا مطالب الخيرات
حتى لقد كان الكلام ينثال علينا انثيالاً و يؤاتينا بديهة و ارتجالاً فتم تصنيفه فى مدة قدرها أربع سنين و ثمانية أشهر و أولها غرة
شهر رجب من سنة أربع و أربعين و ستمائة و آخرها سلخ صفر من سنة تسع و أربعين و ستمائة و هو مقدار مدة خلافة أمير المؤمنين
ع و ما كان فى الظن و التقدير أن الفراغ منه يقع فى أقل من عشر سنين إلا أن الألفاظ الإلهية و العناية السماوية شملتنا بارتفاع
العوائق و انتفاء الصوارف و شحذت بصيرتنا فيه و أرهفت هممتنا فى تشييد مبانيه و تنضيد ألفاظه و معانيه . و كان لسعادة المجلس
المولوى المؤيدى الوزيرى أجرى الله بالخير أقلامه و أمضى [صفحة ٣٥٠] فى طلى الأعداء حسامه فى المعونة عليه أوفر قسط
و أوفى نصيب و حظ إذ كان مصنوعاً لخزائنه و موسوماً بسمته و لأن همته أعلاها الله ما زالت تتقاضى عنده بإتمامه و تحته على
إنجازه و إبرامه و ناهيك بها من هممة راضت الصعب الجامح و خففت العبء الفادح و يسرت الأمر العسير و قطعت المدى الطويل
فى الزمن القصير . و قد استعملت فى كثير من فصوله فيما يتعلق بكلام المتكلمين و الحكماء خاصة ألفاظ القوم مع علمى بأن
العربية لاتجيزها نحو قولهم المحسوسات و قولهم الكل و البعض و قولهم الصفات الذاتية و قولهم الجسمانيات و قولهم أما أولاً
فالحال كذا و نحو ذلك مما لا يخفى عمن له أدنى أنس بالأدب و لكننا استهجننا تبديل ألفاظهم و تغيير عباراتهم فمن كلم قوما
كلمهم باصطلاحهم و من دخل ظفار حمر . و النسخة التى بنى هذا الشرح على نصها أتم نسخة و جدتها بنهج البلاغة فإنها مشتملة

على زيادات تخلو عنها أكثر النسخ . و أنا أستغفر الله العظيم من كل ذنب يبعد من رحمته و من كل خاطر يدعو إلى الخروج عن طاعته و أستشفع إليه بمن أنصبت جسدي و أسهرت عيني و أعملت فكري و استغرقت طائفة من عمري في شرح كلامه و التقرب إلى الله بتعظيم منزلته و مقامه أن يعتق رقبتى من النار و ألا يتليني في الدنيا ببلاد تعجز عنه قوتي و تضعف عنه طاقتى و أن يصون وجهى عن المخلوقين و يكف عنى عادية الظالمين إنه سميع مجيب و حسينا الله وحده و صلواته على سيدنا محمد النبى و آله و سلامه

تعريف المركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهدوا بأموالكم و أنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (التوبة/٤١). قال الإمام على بن موسى الرضا - عليه السلام: رحم الله عبداً أحمياً أمرنا... يتعلم علومنا و يعلمها الناس؛ فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لتأبَعونا... (بناذر البحار - فى تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فىض الاسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا(ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧). مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافى بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس أبادى" - رحمه الله - كان أحداً من جهابذة هذه المدينة، الذى قد اشتهر بشغفه بأهل بيت النبى (صلوات الله عليهم) و لاسيما بحضرة الإمام على بن موسى الرضا (عليه السلام) و يساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ و لهذا أسس مع نظره و درايته، فى سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقة لم ينطفئ مصباحها، بل تتبَع بأقوى و أحسن موقف كل يوم. مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشطته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامى - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميه و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالات شتى: دينية، ثقافية و علمية... الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافة الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشبَاب و عموم الناس إلى التحري الأذق للمسائل الدينية، تخليف المطالب التافعة - مكان البلايت المتبدلة أو الزديئة - فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضية واسعة جامعة ثقافية على أساس معارف القرآن و أهل البيت - عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعة ثقافة القراء و إغناء أوقات فراغه هواة برامج العلوم الإسلامية، إنالته المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة فى الجامعة، و... - منها العدالة الاجتماعية: التى يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثة متصاعده، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - فى آكناف البلد - و نشر الثقافة الإسلامية و الإيرانية - فى أنحاء العالم - من جهة أخرى. - من الأنشطة الواسعة للمركز: الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهرية، مع إقامة مسابقات القراءه ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل فى الحاسوب و المحمول ج) إنتاج المعارض ثلاثية الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركة و... الأماكن الدينيه، السياحية و... د) إبداع الموقع الانترنتى "القائمية" www.Ghaemiyeh.com و عدده مواقع أخره ه) إنتاج المنتجات العرضيه، الخطابات و... للعرض فى القنوات القمرية و الإطلاق و الدعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعيه، الاخلاقيه و الاعتقادية (الهاتف: ٠٥٢٤ ١٢٣٥ ٠٩٨٣١١٢٣٥) ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيره SMS ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعیه و اعتباریه، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميه، الجوامع، الأماكن الدينيه كمسجد جمكران و... ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسه" الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركين فى الجلسة ي) إقامة دورات تعليميه عموميه و دورات تربية

المريي (حضوراً و افتراضاً) طيله السنه المكتب الرئيسي: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيد"/ ما بين شارع "پنج رمضان" ومفتق "وفائي"/بنايه "القائميّه" تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجريّه الشمسيّه (=١٤٢٧ الهجريّه القمريّه) رقم التسجيل: ٢٣٧٣ الهويّه الوطنيّه: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦ الموقع: www.ghaemiyeh.com البريد الالكتروني: Info@ghaemiyeh.com المتجر الانترنتي: www.eslamshop.com الهاتف: ٢٥-٢٣٥٧٠٢٣-٠٠٩٨٣١١) الفاكس: ٢٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١) مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١) التجارتيّه والمبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١) ملاحظه هامه: الميزانيّه الحاليّه لهذا المركز، شعبيّه، تبرعيّه، غير حكوميّه، و غير ربحيّه، اقصيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكتها لا توفي الحجم المتزايد و المتسع للامور الدينيّه و العلميه الحاليّه و مشاريع التوسعه الثقافيه؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائميّه) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحه بقيّه الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفيق الكلّ توفيقاً متزائداً لإعانتهم - في حدّ التمكن لكلّ احدٍ منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله وليّ التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
الغمامة اصحمان



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩